خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

عبد القادر بن عمر البغدادي

تأليف



خزانة الأدب

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن شواهدُ آياته غنيةٌ عن الشرح والبيان ، ودلائل توحيده متلوّة بكل لسان . صلّ وسلم على رسولك محمد المؤيَّد بقواطع الحجج والبرهان ، وعلى آله وصحبه الباذلين مهجَهم فى نَصر دينه على سائر الأديان . صلاةً وسلاماً دائمين على ممرّ الأزمان .

أما بعد فيقول المفتقر إلى معونة ربه الهادى ، عبدُ القادر بن عمر البغدادي :

هذا شرح شواهد الكافية لنجم الأئمة ، وفاضل هذه الأمة ، المحقِّق محمد ابن الحسن ، الشهير بالرضيّ الأستَراباذى ، عفا الله عنه ورحمه . وهو كتاب عكَف عليه نحارير العلماء ، ودقّق النظر فيه أماثل الفضلاء ؛ وكفاه من الشرف والمجد ، ما اعترف به السيِّد والسعد[1] ؛ لما فيه من أبحاث أنيقة ، وأنظار دقيقة ، وتقريرات رائقة ، وتوجيهات فائقة ؛ حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة ، أو كالأمّة الممسوخة ؛ إلا أن أبياته التى استشهد بها — وهى زُهاء ألف بيت — كانت محلولة العِقال[2] ، ظاهرة الإشكال ، لغموض معناها ، وخفاء مغزاها ؛ وقد انضم إليها التحريف ، وبان عليها أثر التصحيف . وكنتُ ممن مَرَن فى علم الأدب ، حتى صار يلبِّيه من كَثَب ؛ وأفرغَ فى تحصيله جُهدَه ، وبذل فيه وُكده وكَدَّه[3] ؛ وجمع دواوينه ، وعرف قوانينه ، واجتمع عنده بفضل

(١) السيد هو على بن محمد بن على الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ . وهو صاحب التعريفات . قال كاتب جلبي : « له حاشية على شرح الرضى للكافية . وله شرح الكافية بالفارسية » . وأما السعد فهو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة ٧٩٢ .

(٢) عبارة عن عدم التقييد والضبط والتحرير .

(٣) الوكد ، بالضم : السعى والجهد . يقال : ما زال ذلك وكدى ، اى فعلى . والوكد ، بالفتح : المراد والهم والقصد . والكد : الإلحاح فى الطلب .

الله من الأسفار ، ما لم يجتمع عند أحد فى هذه الأعصار ، فشمَّرتُ عن ساعد الجد والاجتهاد ، وشرعت فى شرحها على وَفق المنى والمراد . فجاء بحمد الله حائز المفاخر والمحامد ، فائقاً على جميع شروح الشواهد ؛ فهو جدير بأن يسمى :

(خِزانة الأدب ، ولُبّ لُباب لسان العرب)

وقد عرضتُ فيه بضاعتى للامتحان ، وعنده يكرم المرء أو يهان

٣ على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلُصَ منه لاَ علىّ ولا ليا[١]

وقد جعلته هديّةً لسُدّةٍ هى مُقبَّل شفاه الأقيال[٢] ، ومُخيَّم سرادق المجد والإقبال : حضرة سيِّد ملوك بنى آدم ، وواسطة عقد سلاطين العالم ، ملك ألبس الدنيا خِلَع الجمال والكمال ، وأحيا دائِر الأمانى والآمال[٣] . حامى بيضة الإسلام ، بالصارم الصمصام ، وناشر أعلام الشريعة الغراء ، والملة الحنيفية البيضاء ، ومُرغم أنوف الفراعين ، ومعفِّر تيجان الخواقين[٤] ، خليفةِ رب السموات والأرضَين ، ظلّ الله على العالمين ، وقطب الخلافة فى الدنيا والدين ، خادمِ الحرمين الشريفَين ، وسلطان المشرقين[٥] ، الغازى فى سبيل الله ، والمجاهد لإعلاء كلمة الله ، ألا وهو السلطان ابن السلطان ، السلطان الغازى (محمد خان[٦]) ابن السلطان (إبراهيم خان) ، نخبة آل عثمان .

(١) البيت للمجنون برواية أخرى فى تزيين الأسواق ٦٩ .

(٢) القيل ، بالفتح : الملك ، وقيل : من كان ملوك حمير . ومثله المقول ، كمنبر . والجمع أقيال ، وأقوال ، ومقاول ، ومقاولة .

(٣) ط : « وأدى لأهلها دائر الأمانى والآمال » ، صوابه فى ش .

(٤) جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك . معرب .

(٥) المشرقان : الشرق والغرب . وبهما فسر قوله تعالى : « ياليت بينى وبينك بعد المشرقين » .

(٦) هو السلطان محمد خان بن إبراهيم خان بن أحمد خان . تولى السلطنة بعد قتل أبيه سنة ١٠٥٨ هـ . وأقام فى السلطنة إحدى وأربعين سنة ثم خلع سنة ١٠٩٩ . تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوى ص ١٦١ .

خلّد الله ظلال خلافته السابغة الوارفة ، وأفاض على العالمين سِجال رأفته المترادفة . ويسّر له النصر المتين ، وسهّل له الفتح المبين ، بجاه حبيبه ورسوله محمد الأمين . آمين .

وها هنا مقدمة تشتمل على أمور ثلاثة ينبغى ذكرها أمام الشروع فى المقصود ، فنقول بعون الله المعبود :

الأمر الأول

فى الـكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف .

قال الأندلسى فى شرح بديعية رفيقه ابن جابر[1] « علوم الأدب ستة : اللغة والصرف والنحو ، والمعانى والبيان والبديع ؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولَّدين ، لأنها راجعة إلى المعانى ، ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم ، إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قُبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى ، وأبى تمام ، وأبى الطيب وهلم جرّا » . اهـ

وأقول : الـكلام الذى يستشهد به نوعان : شعر وغيره :

فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع :

(الطبقة الأولى) : الشعراء الجاهليون ، وهم قبل الإسـلام ، كامرئ القيس والأعشى .

(١) الأندلسى هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى المتوفى سنة ٧٧٩ . وابن جابر هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن على بن جابر الهوارى المولود سنة ٦٩٨ والمتوفى سنة ٧٨٠ . وكلاهما نحوى . وكان أولهما معروفا بالبصير ، والآخر يعرف بالضرير ، وبديعيته تسمى « بديعية العميان » ، واسمها « الحلة السيرا ، فى مدح خير الورى » . وكانا يترافقان فى التجوال والسفر من الأندلس إلى بلاد المشرق ، حيث طوفا زمنا طويلا فى ربوع مصر والشام .

(الثانية): المخضرَمون،وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلَبيد وحسّان.

(الثالثة) : المتقدمون ، ويقال لهم الإسلاميون ، وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام ، كجرير والفرزدق .

(الرابعة) : المولَّدون ، ويقال لهم المحْدَثون ، وهم مَن بعدهم إلى زماننا ، كبشّار بن بُرد وأبى نُواس .

فالطبقتان (الأوليان) يستشهد بشعرهما إجماعاً . وأما (الثالثة) فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها .

وقد كان أبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى إسحاق ، والحسن البصرى وعبدالله بن شبرُمة ، يلحّنون الفرزدق والكميت وذا الرُّمّة وأضرابهم ، كما سيأتى النقل عنهم فى هذا الشرح إن شاء الله ، فى عدة أبيات أُخذت عليهم ظاهراً ، وكانوا يعدّونهم من المولّدين لأنهم كانوا فى عصرهم ، والمعاصرة حجاب .

قال ابن رشيق فى العمدة[1] «كل قديم من الشعراء [فهو[2]] محدَث فى زمانه بالإضافة إلى من كان قبله . وكان أبو عمرو يقول : لقد أحسَنَ هذا المولّد حتّى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره — يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق — فجعله مولّداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين . وكان لايعدّ الشِّعرَ إلاّ ما كان للمتقدّمين ، قال الأصمعى :جلست إليه عشر حجج[3]، ٤
فما سمعته يحتج ببيت إسلامى » .

وأما (الرابعة) فالصحيح أنه لايستشهد بكلامها مطلقاً ؛ وقيل يستشهد بكلام من يوثَق به منهم ، واختاره الزمخشرى ، وتبعه الشارح المحقق ؛

(١) العمدة ١ : ٥٦ .
(٢) التكملة من العمدة .
(٣) فى بعض نسخ العمدة : « ثمانى حجج » .

فإنه استشهد بشعر أبي تمام في عدة مواضع من هذا الشرح .

واستشهد الزمخشرى أيضاً فى تفسير أوائل البقرة من الكشاف ببيت من شعره ، وقال : « وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل مايقوله بمنزلة مايرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه » اهـ

واعترِض عليه بأن قبول الرواية مبنى على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبنى على معرفة أوضاع اللغة العربية والإحاطة بقوانينها ، ومن البيّن أن إتقان الرواية [لا(1)] يستلزم اتقان الدراية . وفى الكشف أن القول رواية(2) خاصة ، فهى كنقل الحديث بالمعنى .

وقال المحقق التفتازانى فى القول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى : « ليس بسديد ، بل هو بعمل الراوى أشبه ، وهو لا يوجب السماع ، إلاّ ممّن كان من علماء العربية الموثوق بهم ، فالظاهر أنه لا يخالف مقتضاها ، فإن استُؤنس به ولم يجعل دليلا ، لم يرد عليه ماذكر ولا ماقيل ، من أنه لو فتح هذا الباب لزم الاستدلال بكل ما وقع فى كلام علماء المحدثين كالحريرىّ وأضرابه ، والحجة فيما رووه لا فيما رأوه . وقد خطّئوا المتنبي وأبا تمام والبحترىّ فى أشياء كثيرة كما هو مسطور فى شروح تلك الدواوين .

---

(1) تكملة لا يصلح الكلام بدونها . وفى حاشية الكشاف لعمر بن عبد الرحمن القزوينى بدار الكتب المصرية ٨٣ م تفسير ، ما نصه :

« قوله : فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، قيل عليه : عمل الراوى ليس بحجة فى مثله اتفاقا ، إذ لا يدل على عدم العدالة . وإتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية ، لا سيما فى الشعر فإنه محل الضرورات . والجواب عنه : أن القول رواية خاصة فهو كنقل الحديث بالمعنى » .

(2) فى النسختين : « دراية » ، والوجه ما اثبت . وانظر الحاشية السابقة .

وفى الاقتراح[١] للجلال السيوطى : « أجمعوا على أنه لا يُحتجُّ بكلام المولَّدين والمحدَثين فى اللغة والعربية . وفى الكشّاف مايقتضى تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول أبى تمام الطائى[٢] . وأوّلُ الشعراء المحدثين بشّار بن برد ، وقد احتج سيبويهِ ببعض شعره تقرباً إليه ، لأنه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره ، ذكره المرزبانى وغيره . ونقل ثعلب عن الأصمعى أنه قال : ختم الشعر بابراهيم بن هَرْمة وهو آخر الحجج[٣] » اهـ .

وكذا عدّ ابن رشيق في العمدة[٤] طبقات الشعراء أربعاً ، قال : هم جاهلى قديم ، ومخضرم ، وإسلامى ، ومحدث . قال : ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج هكذا فى الهبوط إلى وقتنا هذا .

وجعل الطبقات بعضهم ستاً ، وقال : الرابعة المولَّدون وهم من بعدهم كأبى الطيب المتنبى .

والجيد هو الأول ، إذ ما بعد المتقدمين لايجوز الاستدلال بكلامهم ، فهم طبقة واحدة ، ولا فائدة فى تقسيمهم .

---

(١) الاقتراح فى أصول علم النحو وجدله . ذكر فى مقدمته أنه اختزل فيه من تضاعيف خصائص ابن جنى ما يتعلق بهذا الفن ، وأنه أول مقيم لهذا العلم . وقد طبع هذا الكتاب مرتين فى حيدر آباد .

(٢) فى الاقتراح ٢٦ : « بقول حبيب بن أوس » . وبين هذا الكلام وتاليه فيه : « ثم قال : وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة . فهو من علماء العربية ، فاجعل ما أقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك لتوثقهم بروايته وإتقانه » .

(٣) فى الأغانى ٤ : ١٠٤ : « كان الأصمعى يقول : ختم الشعراء بابن هرمة ، وحكم الخضرى ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العذرى » .

(٤) العمدة ١ : ٧٢ .

وأما قائل الثانى[1] فهو إما ربنا تبارك وتعالى، فكلامه — عز اسمه — أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه، كما بينه ابن جنى فى أول كتابه (المحتسب) وأجاد القول فيه؛ وإما بعض إحدى الطبقات الثلاث الأول من طبقات الشعراء التى قدمناها.

وأما الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد جوَّزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق فى ذلك، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم. وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان، وسندهما أمران:

أحدهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما رويت بالمعنى[2].

وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من المصريِّين لم يحتجوا بشيء منه.

ورُدَّ الأول — على تقدير تسليمه — بأنَّ النقل بالمعنى إنما كان فى الصَّدر الأول قبل تدوينه فى الكتب، وقبل فساد اللغة، وغايته تبديلُ لفظٍ بلفظٍ يصحُّ الاحتجاج به، فلا فرق. على أنَّ اليقينَ غير شرط، بل الظن كاف.

وردّ الثانى بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدمُ صحة الاستدلال به، والصواب جوازُ الاحتجاج بالحديث للنحوىّ فى ضبط ألفاظه. ويُلحق به

(١) أى النوع الثانى من الكلام، وهو ما كان غير شعر.

(٢) قال الميمنى: «النقل بالمعنى شيء ليس بمقصور على الأحاديث فحسب، بل إن تعدد الروايات فى بيت واحد من هذا القبيل. والقول بأن منشأه تعدد القبائل ليس مما يتمشى فى كل موضوع. على إن إثبات ذلك فى كل بيت دونه خرط القتاد. زد إلى ذلك ما طرأ على الشعر من التصحيف والوضع والاختلاق، من مثل ابن دأب، وابن الأحمر، والكلبى، وأضرابهم. ورواة الشعر أيضاً فيهم من الأعاجم والشعوبية أمم. على أن المسلمين فى القرون الأولى كانوا أحرص على إتقان الحديث من حفظ الشعر والتثبت فى روايته. وقد قيض الله لأحاديث رسوله، من الجهابذة النقاد، من نفى عنه ما كان فيه من شبهه الوضع والانتحال. وهذا حرم الشعر مثله».

ما روى عن الصحابة وأهل البيت ، كما صنع الشارح المحقق .

وإن شئت تفصيل ما قيل في المنع والجواز، فاستمع لما ألقيه بإطناب دون إيجاز:

قال أبو الحسن بن الضائع في شرح الجُمَل : « تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندى في ترك الأئمة — كسيبويه وغيره — الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلامُ النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه أفصح العرب . قال : وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً ، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروىّ فحسن ، وإن كان يرى أن من قَبْله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه فليس كما رأى » اهـ .

وقال أبو حيان في شرح التسهيل [1]: قد أكثر المصنف [2] من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب . وما رأيتُ أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . على أن الواضعين الأولين لعلم النحو، المستقرئين للأحكام من لسان العرب — كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين — لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين ، وغيرُهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس . وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال : إنما ترك [3] العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول

(١) نقل السيوطى في الاقتراح ١٧ قول أبى حيان هذا .
(٢) في الاقتراح : « هذا المصنف » .
(٣) ط : « ذكر » صوابه في سه والاقتراح .

صلى الله عليه وسلم ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم فى إثبات القواعد الكلية . وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، فتجد قصة واحدةً قد جرت فى زمانه صلى الله عليه وسلم لم تُقَل بتلك الألفاظ جميعها : نحو ما روى من قوله : « زوَّجتكها بما معك من القرآن » « ملَّكتكها بما معك من القرآن » ، « خُذها بما معك من القرآن » ، وغير ذلك من الألفاظ الواردة ، فتعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا يُجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ [غيرها[1]] ، فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه ، إذ المعنى هو المطلوب ، ولا سيما [مع[2]] تقادم السماع ، وعدم ضبطها[3] بالكتابة ، والاتكال على الحفظ . والضابط منهم من ضبط المعنى ، وأما من ضبط اللفظ فبعيدٌ جداً لا سيما فى الأحاديث الطوال . وقد قال سفيان الثورى : « إنْ قلت لكم إنى أحدثكم كما سمعت فلا تصدّقونى ، إنما هو المعنى » . ومن نظر فى الحديث أدنى نظر علم العلم اليقينَ أنهم يروون بالمعنى . الأمر الثانى : أنه وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث ، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ويتعلّمون لسان العرب بصناعة النحو ، فوقع اللّحنُ فى كلامهم وهم لا يعلمون ، وقد وقع[4] فى كلامهم وروايتهم غيرُ الفصيح من لسان العرب . ونعلم قطعاً من غير شك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب[5] فلم يكن يتكلّم إلاّ بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها ، وإذا تكلم

(١) التكملة من الاقتراح .
(٢) التكملة من سه والاقتراح .
(٣) فى الاقتراح : « عدم ضبطه » .
(٤) ط : « ودخل » وأثبت ما فى سه والاقتراح .
(٥) هذه الكلمة من سه فقط ، وبدلها فى الاقتراح : « الناس » .

بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز، وتعليم [الله[1]] ذلك له من غير معلم. والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد فى الأثر متعقباً بزعمه على النحويين ؛ وما أمعن النظر فى ذلك ، ولا صحب من له التمييز . وقد قال لنا [قاضى القضاة[2]] بدر الدين بن جماعة — وكان ممن أخذ عن ابن مالك — قلت له : يا سيدى ، هذا الحديث رواية الاعاجم ، ووقع فيه من روايتهم ما نعلم أنه ليس من لفظ الرسول . فلم يجب بشىء . قال أبو حيان : وإنما أمعنت الكلام فى هذه المسألة لئلا يقول مبتدئ : ما بال النحويين يستدلون بقول العرب ، وفيهم المسلم والكافر، ولا يستدلون بما روى فى الحديث بنقل العدول ، كالبخارى ومسلم وأضرابهما ؟ ! فمن طالع ماذكرناه أدرك السبب الذى لأجله لم يستدلّ النحاة بالحديث » اهـ[3] .

وتوسط الشاطبى فجوّز الاحتجاج بالأحاديث التى اعتُنِىَ بنقل ألفاظها . قال فى شرح الألفية :

« لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم، الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارِهم التى فيها الفُحش والخنَى ، ويتركون الأحاديثَ الصحيحة ، لأنها تُنقل بالمعنى ، وتختلف رواياتها وألفاظها ، بخلاف كلام العرب وشعرهم ، فإنّ رواته اعتنَوا بألفاظها ، لما ينبنى عليه من النحو ، ولو وقفتَ على اجتهادهم قضيت منه العجب ، وكذا القرآن ووجوه القراءات . وأما الحديث فعلى قسمين : قسم يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع به استشهادُ أهل اللسان . وقسم

(١) التكملة من سـ والاقتراح .
(٢) التكملة من الاقتراح .
(٣) فى الاقتراح للسيوطى : « انتهى كلام أبى حيان بلفظه » .

عُرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصودٍ خاص ؛ كالأحاديث التى قُصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم، ككتابه لهمْدان ، وكتابه لوائل بن حُجر ، والأمثال النبَوية ؛ فهذا يصح الاستشهاد به فى العربية . وابن مالك لم يفصِّل هذا التفصيلَ الضرورى الذى لابد منه ، وبَنى الكلام على الحديث مطلقاً ؛ ولا أعرف له سلفاً إلا ابنَ خروف ؛ فإنه أتى بأحاديثَ فى بعض المسائل حتى قال ابن الضائع: لا أعرف هل يأتى بها مستدلا بها ، أم هى لمجرد التمثيل ؟ والحق أنّ ابن مالك غير مصيب فى هذا ، فكأنه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى ، وهو قول ضعيف » اهـ .

وقد تبعه السُّيوطى فى الاقتراح[1] . قال فيه : « وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيُستدل منه بما أُثبت أنه قاله على اللفظ المرويّ ، وذلك نادرٌ جداً ، إنما يوجد فى الأحاديث القصار على قلّة أيضاً ، فإنّ غالب الأحاديث مرويّ بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها ، فروَوها بما أدّت إليه عباراتهم ، فزادوا ونقصوا ، وقدّموا وأخّروا ، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ؛ ولهذا ترى الحديث الواحد مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة ، ومن ثَمّ أنكرَ على ابنِ مالك إثباته القواعد النحويةَ بالألفاظ الواردة فى الحديث » .

ثم نقل كلام ابن الضائع وأبى حيان وقال : ومما يدل على صحة ماذهبا إليه، أن ابن مالك استشهد على لغة أكلونى البراغيث بحديث الصحيحين : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وأكثرَ من ذلك ، حتى صار يسميها لغة يتعاقبون . وقد استشهد به السهيلى ، ثم قال : لكنى أنا أقول : إن الواو

(١) الاقتراح ص ١٦ .

فيه علامة إضمار ، لأنه حديث مختصر . رواه البزار مطولا [١] . فقال فيه : « إنّ لله تعالى ملائكةً يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار [٢] » .

وقال ابن الانبارى ـ فى الإنصاف ـ فى منع « أنْ » فى خبر كاد . وأما حديثُ « كاد الفقر أن يكون كفراً » فإنّه من تغيير الرواة ، لأنه صلى الله عليه وسلم أفصح من نَطق بالضاد » اهـ .

وقد ردّ هذا المذهب الذى ذهبوا إليه البدر الدمامينى فى شرح التسهيل ، ولله درُّه ! فإنه قد أجاد فى الرد ، قال :

« وقد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث النبوية ، وشنّع أبو حيان عليه وقال : إن ما استند إليه من ذلك لايتم له ، لتطرّق احتمال الرواية بالمعنى ، فلا يوثق بأن ذلك المحتجَّ به لفظه عليه الصلاة والسلام حتّى تقوم به الحجة . وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوّب رأى ابن مالك فيما فعله ، بناء على أن اليقين ليس بمطلوب فى هذا الباب ، وإنما المطلوب غلبة الظن الذى هو مناطُ الأحكام الشرعية ، وكذا مايتوقّف عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين الإعراب ، فالظن فى ذلك كلّه كاف . ولا يخفى أنه يغلب على الظن أن ذلك المنقول المحتج به لم يبدَّل ، لأن الأصل عدم التبديل ، لاسيما والتشديد فى الضبط ، والتحرى فى نقل الأحاديث ، شائع بين النَّقلة والمحدّثين . ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فإنما هو عنده بمعنى التجويز العقلى الذى لا ينافى وقوع نقيضه ، فلذلك تراهم يتحرّون فى الضبط ويتشددون ، مع قولهم بجواز النقل

---

(١) فى الاقتراح وشرح الأشمونى للألفية : « مطولا مجردا » ، أى مجرداً من علامه الجمع الموجودة مع الاسم الظاهر لعدم إسناده فى تلك الرواية التالية إلى الظاهر ، بل إلى الضمير .

(٢) قال الأشمونى بعده : « وحكى بعض النحويين أنها لغة طيْء ، وبعضهم أنها لغة أزدشنوءة » .

بالمعنى ؛ فيغلب على الظن من هذا كله أنها لم تبدّل، ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحاً ، فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها . ثم إنّ الخلاف في جواز النقل بالمعني إنما هو فيما لم يدوّن ولا كتب ، وأما مادوّن وحصّل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم . قال ابن الصلاح بعد أن ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى : إنّ هذا الخلاف لانراه جارياً ولا أجراه الناس - فيما نعلم - فيما تضمنته بطون الكتب ، فليس لأحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنَّف ويثبت فيه لفظاً آخر اه . وتدوين الأحاديث والأخبار بل وكثير من المرويات ، وقع في الصّدر الأول قبل فساد اللغة العربية ، حين كان كلام أولئك المبدِّلين على تقدير تبديلهم يسوغُ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ[1] يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ؛ ثم دُوِّن ذلك المبدل - على تقدير التبديل - ومنع من تغييره ونقله بالمعنى ، كما قال ابن الصلاح ، فبقي حجّةً في بابه . ولا يضر توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر ، والله أعلم بالصواب » . اه كلام الدماميني .

وعلم مما ذكرنا - من تبيين الطبقات التي يصحُّ الاحتجاج بكلامها - أنه لايجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يُعرف قائله ، صرح بذلك ابن الأنباري
في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ؛ وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك ٧
الكلام مصنوعاً ، أو لمولَّد ، أو لمن لا يوثق بكلامه .

ولهذا اجتهدنا في تخريج أبيات الشرح ، وفحصنا عن قائليها ، حتى عزونا كل بيت إلى قائله - إن أمكننا ذلك - ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلته ، وميَّزنا

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من سه .

الإسلاميّ عن الجاهلي ، والصحابيُّ عن التابعيّ ، وهلم جرّا ، وضمنا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه ؛ وإن كان من قطعةٍ نادرة أو قصيدة عزيزة ، أوردناها كاملة ، وشرحنا غريبها ومشكلها ، وأوردنا سببها ومنشأها ؛ كلُّ ذلك بالضبط والتقييد ، ليعمّ النفع ، ويؤمن التحريف والتصحيف ، وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ، ويدفع احتمال ضعفه .

قال ابن النحاس فى التعليقة : « أجاز الكوفيون إظهار (أنْ) بعد كى واستشهدوا بقول الشاعر [1] :

أردتُ لكيما أن تطيرَ بِقربَتى   فتتركها شَنًّا ببيداء بلقعِ [2]

قال : والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ، ولو عرف لجاز أن يكون [من] ضرورة [الشعر] .

وقال أيضاً : ذهب الكوفيون إلى جواز دخول اللام فى خبر لكنّ ، واحتجوا بقوله :

* ولكنّنى من حبها لعميدُ [3] *

والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ولا أوله ، ولم يذكر منه إلا هذا ، ولم ينشده أحد ممن وثّق فى اللغة ، ولا عُزى إلى مشهور بالضبط والإتقان » اهـ .

ويؤخذ من هنا أن الشاهد المجهول قائله وتتمته ، إنْ صدَر من ثقة يعتمد عليه قُبل ، وإلا فلا . ولهذا كانت أبيات سيبويه أصحَّ الشواهد ، اعتمد عليها خلفٌ بعد سلف ، مع أن فيها أبياتا عديدة جُهل قائلوها ، وما عيب بها ناقلوها . وقد خرج كتابه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه وكيدة ،

(١) لم يعلم قائله . وانظر الخزانة ٣ : ٥٨٥ والعينى ٤ : ٤٠٥ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٧٣ .

(٢) الشن : القربة الخلق .

(٣) الخزانة ٤ : ٣٤٣ والعينى ٢ : ٢٤٧ والأشمونى ١ : ٢٨٠ .

ونُظر فيه وفتّش ، فما طمن أحد من المتقدمين عليه ولا ادّعى أنه أتى بشعر منكر . وقد روى فى كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفةَ جميع ما فيها ، ولا ردُّوا حرفا منها .

قال الجرمى : « نظرت فى كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتا ، فأما الألف فقد عَرفت أسماء قائليها فأثبتّها ، وأمّا الخمسون فلم أعرف أسماء قائليها [1] » . فاعترف بعجزه ولم يطعن عليه بشيء .

وقد روى هذا الكلام لأبى عثمان المازنى أيضاً .

ولكون أبياته أصحَّ الشواهد ، التزمنا فى هذا الشرح أن ننصَّ على ماوُجد فيه منها بيتا بيتا ، ونميّزها عن غيرها ، ليرتفع شأنها ويظهر رجحانها . وربما رُوى البيت الواحد من أبياته أو غيرها على أوجه مختلفة ، ربّما لا يكون موضع الشاهد فى بعضها أو جميعها ، ولا ضير فى ذلك ، لأنَّ العرب كان بعضهم ينشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لغته التى فطره الله عليها ، وبسببه تكثر الروايات فى بعض الأبيات ، فلا يوجب ذلك قدحا فيه ولا غضًّا منه . فإذا وقع فى هذا الشرح من ذلك شيء نبهنا عليه .

---

(١) كتب المغفور له أحمد تيمور باشا على هامش الخزانة فى هذا الموضع ما نصه : « ذكر شيخنا العلامة محمد محمود الشنقيطى رحمه الله فى كتابه الحماسة السنية ، أن واحدا منها عرف اسم قائله ، وهو :

* أفبعد كندة تمدحن قبيلا *

قال : وصدره :

* قالت فطيمة حل شعرك مدحه *

وهو لامرئ القيس من قصيدة عدتها ثمانية عشر بيتاً نادرة الوجود ، أوردها كلها فى الحماسة المذكورة » .

قلت : والقصيدة فى ديوانه بتحقيق الأخ محمد أبى الفضل إبراهيم ص ٣٥٨ . و« حل » أريد بها حلىء . والحلأ : المطرود عن الماء . وفى أصل الحاشية « جل » بالجيم ، تحريف.

والتزمنا فى شرح هذه الشواهد عدَّها واحدا بعد واحد، ليسهل موصع الحوالة فيه، ويزول التعبُ عن متعاطيه.

الأمر الثانى

فى ذكر المواد التى اعتمدنا عليها وانتقينا منها

وهى ضروب وأجناس

فمنها ما يرجع إلى (علم النحو) وهو كتاب س[(١)]. والأصول لابن السراج. ومعانى القرآن للفرّاء. ومعانى القرآن للزجاج. وتآليف أبى على الفارسى: كالتذكرة القصرية، والمسائل البغدادية، والمسائل العسكرية، والمسائل البصرية، والمسائل المنثورة، ونقض الهاذور[(٢)] على ابن خالويه، وكتاب الشعر. وتآليف تلميذه ابن جنى: كالخصائص، والمحتسب، وشرح تصريف المازنى، وسر الصناعة، وإعراب الحماسة، والمبهج فى شرح أسماء شعرائها[(٣)]، وشرح ديوان المتنبى. والإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الانبارى. وتذكرة أبى حيان، وارتشاف الضرَب له أيضاً. والضرائر الشعرية لابن عصفور. والأمالى لابن الحاجب. والأمالى لابن الشجرى. وشروح الكافية. وشروح التسهيل. ومغنى اللبيب، وشروحه. وغير ذلك من المتداول.

ومنها ما يرجع إلى (شروح الشواهد) وهو شرح أبيات الكتاب:

---

(١) هذا الحرف رمز إلى أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب بسيبويه المتوفى سنه ١٨٠.

(٢) انظر ما سيأتى فى ص ٣٥٢ من صفحات الطبعة الأولى من الجزء الأول. والهاذور من الهذر.

(٣) ط: « فى شرح أسمائها »، والوجه ما أثبت من سـ. وقد طبع هذا الكتاب فى دمشق سنه ١٣٤٨ بمطبعه الترقى.

لأبى جعفر النحاس ، وللأعلم الشنتمرى ، ولابن خلف ، ولأبى محمد الأعرابى المسمى فُرحة الأديب . وشرح أبيات الجمل لابن السِّيد البطليوسى ، ولابن هشام اللخمى ، ولغيرهما . وشرح أبيات المفَّصل لابن المستوفى الإربلىّ ، ولبَعض علماء العجم المسمى بالتخمير[١] . وشرح أبيات شروح ألفية ابن مالك للعينى ، وشرح أبيات ابن الناظم لابن هشام الأنصارى ، ولم يكمل . وشرح أبيات الكشّاف للحموى . وشرح أبيات التفسير بن خَضْر الموصلى[٢] . وشرح أبيات الإيضاح والمفتاح فى علم المعانى . وشرح أبيات التلخيص للعباسى . وشرح أبيات إصلاح المنطق ليوسف بن السيرافى[٣] . وشرح أبيات الغريب المصنَّف له أيضاً . وشرح أبيات أدب الكاتب للجواليقى ، ولابن السِّيد البطَلْيَوْسى ، وللَّبْلى[٤] . وشرح أبيات الآداب المسمى بالعباب وغير ذلك .

---

(١) وقد ورد باسم « التحبير » فى بعض مواضع من الخزانة ، وكذا فى حرف التاء فى كشف الظنون . وأورد صاحب كشف الظنون فى رسم (المفصل) برسم «التخمير» أيضاً للقاسم بن الحسينى المعروف بصدر الأفاضل الخوارزمى المتوفى سنة ٦١٧ وهو أحد شراح سقط الزند لأبى العلاء المعرى ، وقد نشر شرحه فيما قامت به لجنة أحياء آثار أبى العلاء . وصواب عنوان الكتاب « التجمير » كما ورد فى ترجمته من معجم الأدباء لياقوت ١٦ : ٢٥٣ . قال : « وله من التصانيف : كتاب المجمرة فى شرح المفصل ، صغير . وكتاب السبيكة ، فى شرحه أيضا ، وسط . وكتاب التجمير ، فى شرح المفصل أيضا ، بسيط» . والمراد بالبسيط الكبير . وهو فى ثلاثة مجلدات كما ذكر صاحب كشف الظنون .

(٢) قال الميمنى : « يوجد منه نسخة بحيدر أباد ، وأخرى ببانكى بور ، واسمه : الإسعاف بشرح شواهد القاضى والكشاف . وخضر هذا ترجم له الخفاجى فى الريحانة ص ١٠٦ سنة ١٣٠٦ هـ » .

(٣) السيرافى المشهور هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان النحوى القاضى شارح كتاب سيبويه سنة ٣٦٨ . وابنه هو أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ، شارح أبيات الكتاب المتوفى سنة ٣٨٥ .

(٤) نسبة إلى لبلة ، كتمرة ، وهى مدينة الحمراء الأندلسية . واسمه أحمد بن يوسف ابن على بن يوسف الفهرى . توفى سنة ٦٩١ . بغية الوعاة ١٧٦ وصفه جزيرة الأندلس للحميرى ١٦٨ .

ومنها ما يرجع إلى (تفسير أبيات المعانى المشكلة)، وهو أبيات المعانى للأخفش المجاشعي ؛ وأبيات المعانى للأشناندانى[1] بخط ابن جنى وعليها أجازة أبى على له . وأبيات المعانى لابن السكيت . وأبيات المعانى لابن قتيبة[2] فى مجلدين ضخمين . وأبيات المعانى لابن السِّيد البطليوسى وغير ذلك .

ومنها ما يرجع إلى (دفاتر أشعار العرب) وهو قسمان : دواوين ومجاميع (فالأول) : ديوان امرئ القيس الكندى ، وديوان الأعشى ميمون ، وديوان علقمة الفحل ، وديوان ابن حِلِّزة ، وديوان أبى دُواد الإيادى ، وديوان طَرَفة ابن العبد ، وديوان عمرو بن قَميئة ، وديوان طُفيل الغنَوى ، وديوان عامر ابن الطفيل ، وديوان بشر بن أبى خازم ، وديوان أوس بن حَجر ، وديوان أعشى باهلة ، وديوان عوف بن عطية بن الخَرِع ، وديوان مَطير بن الأشيم ، وديوان الحادرة ، وديوان المثقِّب العبدى ، وديوان لقيط بن يعمُر الإيادى ، وديوان نابغة بنى شيبان ، وديوان النابغة الذبيانى ، وديوان زهير بن أبى سُلمىٰ ، وديوان أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم . (ومن شعر الصحابة) : ديوان حسان بن ثابت ، وديوان لبيد بن ربيعة العامرى ، وديوان كعب بن زهير ، وديوان حُميد بن ثور ، وديوان أبى محجن الثقفى ، وديوان النمر بن تولب ، وديوان عمرو بن معد يكرب ، وديوان خُفاف بن ندبة ، وديوان الخنساء أخت صخر ، وغير ذلك . (ومن شعر الإسلاميين) : ديوان رافع بن هُريم اليربوعى ، وديوان القَطامى ، وديوان جِران العَود ، وديوان محمد بن

---

(١) طبع فى دمشق سنة ١٣٤٠ باسم معانى الشعر لأبى عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى ، برواية ابن دريد . وانظر الفهرست لابن النديم ١٢٣ وكشف الظنون فى رسم (معانى) . ولا عبرة بما ورد فى الفهرست ٨٩ من تكرار اسم الكتاب بلفظين.

(٢) طبع فى حيدر أباد سنة ١٣٦٨ باسم كتاب المعانى الكبير عن نسخة وحيدة فى خزانة أيا صوفيا .

بشير الخارجى[١] ، وديوان ابن همام السلولى[٢] ، وديوان الشماخ ، وديوان عَدى بن الرّقاع ، وديوان عُروة بن حزام العُذرى ، وديوان عبيد الله الهذَلى[٣] ، وديوان أبى دَهْبَل الجمحىّ ، وديوان الحطيئة ، وديوان عمرو بن الأهتم المِنقرى ، وديوان ابن قيس الرُّقيّات ، وديوان الفرزدق ، وديوان جرير ، وديوان الأخطل النصرانى ، وديوان ذى الرُّمّة ، وديوان جَميل العذرى ، وديوان المغيرة بن حبناء ، وديوان رجز رؤبة بن العجاج ، وديوان رجز الزَّفَيان السعدى ، وديوان رجز أبى الأخزر الحِمّانى وغير ذلك . (ومن دوَاوين المولّدين والمحدَثينَ) ديوان مسلم بن الوليد ، وديوان ابن الوكيع ، وديوان العباس بن الأحنف ، وديوان على بن جَبَلة الطوسى ، وديوان أبى نواس وديوان ابن المعتز ، وديوان ابن الرومى ، وديوان أبى تمام الطائى ، وديوان الشريف المرتَضى[٤] ، وديوان المتنبى ، وديوان أبى فراس الحمدانى . وغير ذلك . (والمجاميع) منها أشعار بنى محارب للشيبانى . والمفضليات للمفضل الضبّى . وأشعار الهُذَليين للسكرى وشرحها له ، وللإمام المرزوقى . وأشعار لصوص العرب للسكّرى أيضاً . والنقائض لابن حبيب[٥] . ومختار شعر الشعراء الستة : امرىء القيس والنابغة وعَلقمة وزهير وطرَفة وعنترة ، وشرحها

(١) نسبة إلى بنى خارجة بن عدوان . الاشتقاق ٢٦٧ بتحقيقنا . وترجمته فى الأغانى ١٤ : ١٤٢ .

(٢) هو عبد الله بن همام .

(٣) كذا فى النسختين . ويقال له أيضا « عبد الله » ، وهو عبد الله بن مسلم ابن جندب الهذلى . وشعره فى بقية أشعار الهذليين المطبوع فى برلين ١٨٨٤ ص ٧٣-٧٥ وانظره باسم « عبد الله » أيضا فى الأغانى ١ : ١٥٣ / ٤ : ٥٤ / ٥ : ١٣٨ / ٦ : ٧ / ٨ : ١٢٥ / ١٥ : ٦٥ وباسم « عبيد الله » فى الأمالى ٣ : ٨٧ .

(٤) طبع أخيرا فى سنة ١٩٥٨ بمطبعة الحلبى بتحقيق الأديب العراقى رشيد الصفار .

(٥) ط : « لأبى حبيب » ، صوابه فى ب وهو محمد بن حبيب ، وحبيب اسم امه لا يصرف . وقد طبعت النقائض فى ليدن بتحقيق المستشرق بيفان ، برواية محمد بن حبيب عن أبى عبيدة .

للأعلم الشنتمرى . وأشعار تغلب لأبى عمرو الشيبانى . ومختار شعراء القبائل[١] لأبى تمام ، والحماسة أيضاً وشرحها النمرى وأبى محمد الأعرابى وللإمام المرزوقى[٢] ، وللخطيب التبريزى ، ولأبى الفضل الطَّبرسى . والحماسة البصرية ، وحماسة الشريف الحَسَنى[٣] ، وحماسة الأعلم الشنتمرى ، وأشعار النساء للمرْزُبانى . وشروح المعلقات لابن النحاس ، وللزَّوْزنى ، وللخطيب التبْريزى . وجمهرة أشعار العرب . ومنتهى الطلب من أشعار العرب : فيه أكثر من ألف قصيدة . واليتيمة للثعالبى . وكتاب المُغْربين ، وكتاب النساء الفوارك ، وكتاب النساء النواشز ، والثلاثة للمدائنى[٤] . والمجتنى لابن دُرَيد[٥] . وشروح لامية العرب : للخطيب التبريزى ، وللزمخشرى ، ولغيرهما . وشرح بانت سعاد لابن الأنبارى ، ولأبى العباس الأحول ، ولابن خالويه ، ولابن هشام الأنصارى[٦] ، ولابن كُتَيلة البغدادى[٧] . وشرح البردة لابن مرزوق[٨]

(١) ويسمى أيضا « أشعار القبائل » .

(٢) طبع هذا الشرح بتحقيقنا فى سنة ١٣٧٢ .

(٣) فى النسختين : « الحسينى » تحريف . وهو هبة الله بن على بن محمد بن حمزة ابن على بن عبيد الله بن حمزة بن محمد بن عبيد الله بن على بن عبيد الله بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، المعروف بابن الشجرى ، المتوفى سنة ٥٤٢ . وقد طبعت حماسته فى حيدر أباد سنة ١٣٤٥ . انظر ترجمته فى نزهة الألباء والبغية والوفيات ، والمستفاد لابن الدمياطى نسخة دار الكتب برقم ٢٩٦ .

(٤) ولأبى عبيدة أيضا كتاب النواشز ، ومنه نص فى اللآلىء لأبى عبيد البكرى ٢٩ .

(٥) فى النسختين : « المجتبى » صوابه بالنون ، وقد طبع الكتاب بحيدر أباد سنة ١٣٤٢ . وقال ابن دريد فى مقدمته : « سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه طرائف الآثار كما نجتنى أطايب الثمار » .

(٦) ولعبد القادر البغدادى حاشية على شرح ابن هشام ، كما فى كشف الظنون ٢ : ٢٢٤ .

(٧) هو أحمد بن محمد بن الحداد البجلى البغدادى . ألف شرحه فى بغداد سنة ٧٢٤ كما نص عبد القادر البغدادى فى الخزانة ٤ : ٨ وذكر أن حجم هذا الشرح فى حجم شرح ابن هشام ، وأن عصرى تأليفهما متقاربان .

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمسانى المتوفى سنة ٧٨١ . ط : « للمرزوقى » صوابه فى سه .
ولا ريب أن وفاة المرزوقى سنة ٤٢١ سابقة على مولد البوصيرى محمد بن سعيد سنة ٦٠٨ .

وغير ذلك . (ومن المجاميع) : النوادر والأمالى . أما النوادر فهى نوادر أبى زيد الأنصارى وشرحها لأبى الحسن الأخفش ولغيره . ونوادر ابن الأعرابى . ونوادر أبى على القالى ، وشرحها لأبى عبيد البكرى . وأما الأمالى فهى أمالى ثعلب ، وأمالى الزجّاجى الصغرى والكبرى ، وأمالى أبى على القالى ، وشرحها لأبى عبيد البكرى[1] ، وذيل أمالى القالى للقالى أيضاً ، وصلة الأمالى له أيضاً ؛ وأمالى الصُّولى ، وأمالى السيد المرتضى المسماة بالغرر والدرر ، فى مجلدين ضخمين . وأمالى شيخنا الشهاب الخفاجى .

ومنها ما يرجع إلى فن الأدب وهى : البيان للجاحظ ، والمحاسن والأضداد له أيضاً ، وكتاب الشعر والشعراء له أيضاً[2] . والكامل للمبرد ، وشرحه لابن السِّيد البَطْليوسى ، ولأبى الوليد الوَقَّشىّ[3] ، ولغيرهما . والعقد الفريد لابن عبد ربّه . وزهر الآداب للحُصْرى ، وجواهر النكت والملح له أيضاً[4] . 11
وديوان المعانى لأبى هلال العسكرى . والأغانى للأصفهانى فى عشرين مجلداً . والعمدة لابن رشيق ، فى مجلدين . والمثل السائر لابن الأثير . وتحرير التحبير لابن أبى الإصبَع . ومساوى الخمر لابن الحباب السعدى . والأوائل لابن هبة الله الموصلى فى مجلدين . ومدرج البلاغة لابن فضالة المجاشعى[5] . ونقد الشِّعر[6]

(١) فصل بين النوادر والأمالى للقالى ، وهما شىء واحد ، وذلك ليجعل جزءاً من الكتاب مع كتب النوادر ، وجزءاً آخر منه مع كتب الأمالى ، وقد نشر شرح البكرى للأمالى بتحقيق الأستاذ الميمنى سنة ١٣٥٤ .

(٢) لم يذكر فى الخزانة إلا فى هذا الموضع .

(٣) بتشديد القاف : نسبة إلى مدينة وقش ، من أعمال طليطلة . وهو أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام المتوفى سنة ٤٨٨ . معجم البلدان والروض المعطار ١٩٦ .

(٤) طبع باسم «جمع الجواهر فى الملح والنوادر» سنة ١٣٥٣ بالمطبعة الرحمانية .

(٥) كتب الميمنى : « ابن فضالة غلط ، صوابه ابن فضال ، كشداد . ترجم له فى معجم الأدباء ٥ : ٢٨٩ — ٢٩٥ » .

(٦) فى النسختين : « نقد الشعراء » تحريف ، وإن كان قد صحح فى سه «الشعر». ونسبة هذا الكتاب إلى قدامة موضع تحقيق .

لقُدامة الكاتب ، وشرحه لعبد اللطيف البغدادي . وسفر السعادة للسخاوى .

ومنها ما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب وهو : سيرة ابن هشام وشرحه : الروض الأنُف للسهيلى . وسيرة الكَلاَعى . وسيرة ابن سيِّد الناس[1] . وسيرة الشامى . والاستيعاب لابن عبد البر . والإصابة لابن حجر . وجمهرة الأنساب لابن الكلبى ، ومختصرها لياقوت الحموى . وأنساب قريش ، للزُّبير بن بكَّار[2] . ومقدمة الاستيعاب لابن عبد البَرّ . والمعارف لابن قتيبة . وتنكيس الأصنام لابن الكلبى[3] .

ومنها ما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم وهو : كتاب الشعراء لابن قتيبة . والمؤتلف والمختلف للآمدى . والموشَّح لأبى عبيد الله المرزُبانى[4] . وكتاب المعمَّرين لأبى حاتم السجستانى . وكتاب المقتولين غِيلة لابن حبيب[5] ، وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء له أيضاً[6] . وكتاب المنسوبين إلى أمهاتهم للحلوانى بخطه . وطبقات النحويِّين للتاريخى[7] . وطبقاتهم أيضاً لأبى عبد الله اليمنى . ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ، فى عدة مجلدات .

---

(١) طبعت باسم « عيون الأثر ، فى فنون المغازى والشمائل والسير » سنة ١٣٥٦ نشر مكتبة القدسى .

(٢) طبعت منه قطعة باسم « جمهرة نسب قريش وأخبارها » تبدأ بالجزء الثالث عشر وهو أول القسم الثانى بتحقيق محمود محمد شاكر بمطبعة المدنى سنة ١٣٨١ .

(٣) هو المعروف بكتاب الأصنام ، نشره المغفور له أحمد زكى باشا سنة ١٣٣٢ .

(٤) ط : « لأبى عبد الله » ، صوابه فى ش . وهو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٢٩٦ — ٣٨٤) . وليس الموشح فى طبقات الشعراء ، وإنما هو فى نقد الشعراء وإن كان مظهره مظهر الطبقات .

(٥) انظر تحقيق تسميته فى صدر نشرى له فى المجلد الثانى من نوادر المخطوطات ص ١٠٦ — ١٠٨ .

(٦) قمت بنشره مرتين : إحداها فى مجلة المقتطف جزء مايو سنة ١٩٤٥ والأخرى فى المجلد الأول من نوادر المخطوطات ص ٨١ — ٩٦ .

(٧) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج كما سيأتى فى ص ١١٥ من أرقام طبعة بولاق .

ومنها ما يرجع إلى كتب اللغة وهو : الجمهرة لابن دريد . والصحاح للجوهري . والعباب للصاغاني[١] . والقاموس لمجد الدين . واليواقيت لأبي عُمَر المطرِّزي[٢] . وكتاب ليس لابن خالويه . والنهاية لابن الأثير . والزاهر لابن الأنباري . والمصباح لخطيب الدهشة[٣] . والتقريب في علم الغريب لولده[٤] . وكتاب النبات في مجلدات كبار ستة لأبي حنيفة الدِّينَوَري . وإصلاح المنطق لابن السِّكِّيت ، وشرحه لِلَّبْلي ، ومختصره للخطيب التبريزي . وكتاب الألفاظ لابن السكيت . وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وشرحه للجواليقي ، ولابن السيد البطْلَيوسي ، وللزّجاجي ، وللّبْلي ، ولابن بَرِّيّ . والفصيح لثعلب ، وشروحه لابن درستويه ، وللهرويّ ، وللمرزوقي ، ولِلّبْلي ، ولابن هشام اللخمي ، ولغيرهم . وذيل الفصيح لعبد اللطيف البغدادي. وكتاب الأضداد لابن السكيت ، ولعبد الواحد اللغوي ، ولغيره . وكتاب الفروق لأبي هلال العسكري . وكتاب البيضة والدرع لأبي عبيدة . وخَلق

---

(١) نسبة إلى صغانيان . والصغاني نسبة أخرى إليها . وبها ينعت صاحب العباب أحياناً .

(٢) في النسختين : « لأبي عمرو المطرزي » وإن كان قارئ نسخة سه قد محا الواو من « عمرو » . وهو أبو عمر الزاهد غلام ثعلب ، واسمه محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم . والمطرز الذي يقوم بتطريز الثياب ، وتلك كانت صناعته . وفي النسختين « المطرزي » ، تحريف .

والمعروف بالنسبة الأخيرة أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي صاحب المغرب في غريب ألفاظ فقه الحنفية . توفي سنة ٦١٠ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي . وكان يعرف بخطيب جامع الدهشة . توفي سنة ٧٨٠ . الدرر الكامنة ١ : ٣١٤ وبغية الوعاة ١٧٠ .

(٤) هو نور الدين محمود بن أحمد الفيومي المتوفى سنة ٨٣٤ . وكتابه في غريب الموطأ والصحيحين . كشف الظنون ١ : ٣١٨ .

الإنسان للزجاج . والمعرّبات[1] للجواليقي . والمثلّثات لابن السِّيد البطَلْيَوْسي وكتاب التفسّح في اللغة[2] لأبي الحسين النحوي . والمرصَّع لابن الأثير . والمزهر للجلال السيوطي . وكتاب القلب والإدغام لابن السكيت[3] وكتاب المذكر والمؤنث له أيضاً ولغيره . وكتاب الأيام والليالي للفراء[4] . وكتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر لأبي عُمر المطرّز[5] . وكتاب الأنواء وأسماء الشهور للزجاج . والأنواء لأبي العلاء المعري[6] وغيره . والمقصور والممدود لابن الأنباري ، وللقالي ، ولابن ولّاد ، ولغيرهم ، وغير ذلك .

ومنها ما يتعلق بأغلاط اللغويين وهو : التنبيهات على أغلاط الرواة[7]

٢١ لعلي ابن حمزة البصري وفيه : أغلاط نوادر أبي زياد الكلابي ، وأغلاط نوادر أبي عمرو الشيباني ، وأغلاط النبات لأبي حنيفة الدِّينَوَري ، وأغلاط الغريب المصنّف لأبي عبيد ، وأغلاط إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأغلاط الجمهرة لابن دريد ، وأغلاط المجاز لأبي عبيدة[8] ، وأغلاط الفصيح لثعلب ،

(١) طبع باسم « المعرب » مرتين : إحداهما في ليبسك سنة ١٨٦٧ م والأخرى في دار الكتب المصرية بتحقيق المغفور له الشيخ أحمد شاكر سنة ١٣٦١ هـ .

(٢) يبدو أنه من كتب المجاز اللغوي ، كما يظهر من نصوصه المقتبسة في ٢ : ٤٥٣ / ٤ : ١٦٤ ، ٤٢٠ من أرقام طبعة بولاق . وقد ورد في الموضع الأخير باسم « تفسيح اللغة » .

(٣) كذا في النسختين . وصوابه « القلب والإبدال » . وقد طبع في بيروت في مجموعة الكنز اللغوي سنة ١٩٠٣ .

(٤) طبع في مصر بتحقيق الأستاذ الأبياري .

(٥) في ط : « لأبي عمرو » وفي ش . « لأبي عمر » مع أثر تصحيح ، وهو الصواب انظر ما سبق من التحقيق في ص ٢٧ . وفي نسختين : « المطرزي » تحريف . وانظر كشف الظنون في رسم « كتاب » .

(٦) لم نجد من ذكره في مؤلفات أبي العلاء . وانظر تعريف القدماء بأبي العلاء المعري . ولم يذكر البغدادي منه نصاً واحداً في الخزانة .

(٧) صوابه « أغاليط الرواة » كما هو في سائر المواضع التي وردت نصوص منه فيها من الخزانة . ومنه نسخ في دار الكتب المصرية بالأرقام ٢٠٠٢٠٠٢٠، ٢٢-ش لغة .

(٨) في ط : « لأبي عبيد » ، تحريف صوابه في ش . وكتاب المجاز طبع في القاهرة سنة ١٣٧٤ بتحقيق محمد فؤاد سزكين .

وأغلاط الكامل للمبرد، وغير ذلك. وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهانى[١]. ولحن العامة للجواليقى[٢] ولأبى بكر الزُّبيدى. وحاشية ابن بَرِّىّ على صحاح الجوهرى. وأغلاط الجوهرى للصلاح الصفدى. ودرة الغوّاص للحريرى، وشرحها لابن برى، [ولابن ظَفر[٣]]، ولابن الحنبلى، ولشيخنا الشهاب الخفاجى.

ومنها كتب الأمثال وهى: أمثال أبى عبيد القاسم بن سلاّم، وشرحها لتلميذه[٤]. وأمثال أبى فيد: مؤرِّج السَّدوسى. والفاخر للمفضل الضبىّ[٥] والأمثال التى على « أفعَل » لحمزة الأصفهانى. ومجمع الأمثال للمَيدانى. ومستقصى الأمثال للزمخشرى. وغير ذلك.

ومنها كتب الأماكن والبلاد وهى: المعجم فيما استعجم[٦] لأبى عبيد البكرى فى ثلاث مجلدات كبار. ومعجم البلدان لياقوت الحموى فى عشر مجلدات كبار، وغير ذلك مما لو سردته لطال، وأورث السأم والملال.

---

(١) منه نسخة فى المكتبة التيمورية برقم ٨٩٦ أدب.

(٢) طبع بتحقيق عز الدين التنوخى باسم « تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة » فى مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٣٥. ونشرت قبل ذلك فى المجلة الألمانية سنة ١٨٧٥. وهو تكملة لدرة الغواص للحريرى.

(٣) التكملة من سـ. وهو محمد بن محمد، المعروف بابن ظفر المكى المتوفى سنة ٥٦٨ كما فى كشف الظنون.

(٤) لم يظهر من هو. وفى ترجمته من طبقات الزبيدى ٢٢٠: «قال أبو عبد الرحمن اللحية صاحب أبى عبيد». فلعله هو.

(٥) كذا فى النسختين، وإنما هو المفضل بن سلمة اللغوى الكوفى، وليس بالضبى وأما المفضل الضبى صاحب المفضليات فهو المفضل بن محمد بن يعلى الضبى المتوفى سنة ١٧٨ فيما نرجح، وهو أقدم من المفضل بن سلمة. انظر تحقيق ذلك فى مقدمة المفضليات بشرحنا مع الشيخ أحمد شاكر.

(٦) هو معجم ما استعجم، ولكن وردت تسميته هكذا هنا.

الأمر الثالث

يتعلق بترجمة الشارح المحقق والحبر المدقق، رحمه الله وتجاوز عنه

ولم أطَّلع على ترجمة له وافية بالمراد، وقد رأيت فى آخر نسخة قديمة من هذا الشرح ما نصه: « هو المولى الإمام، العالم العلامة، ملك العلماء، صدر الفضلاء، مفتى الطوائف، الفقيه المعظم، نجم الملة والدين، محمد بن الحسن الأستَرابادى. وقد أملى هذا الشرح بالحضرة الشريفة الغروية[1] فى ربيع الآخر من سنة ثمان وثمانين وستمائة ».

هذا صورة ما رأيته. وهذا التاريخ غير موافق لما أرّخه هو فى آخر شرحه قبل أحكام هاء السكت. قال فيه: « هذا آخر شرح المقدمة، والحمد لله على إنعامه وإفضاله، بتوفيق إكماله، وصلواته على محمد وكرام آله. وقد تم تمامه وختم اختتامه، فى الحضرة المقدسة الغروية على مشرِّفها أفضل تحية رب العزة وسلامه، فى شوّال سنة ست وثمانين وستمائة ».

وقد أورده الجلال السيوطىّ فى معجم النحويين[2] ولم يعرف اسمه، قال: « الرضىّ الإمام المشهور، صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذى لم يؤلف عليها بل ولا فى غالب كتب النحو مثلُه جمعاً وتحقيقاً وحسنَ تعليل. وقد أكبّ الناس عليه وتداولوه، واعتمده شيوخ العصر فمن قبلهم فى مصنفاتهم ودروسهم. وله فيه أبحاث كثيرة واختيارات جمة ومذاهب ينفرد بها. ولقبه نجم الأئمة، ولم أقف على اسمه ولا على شىء من ترجمته. إلا أنه فرغ من تأليفه هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وأخبرنى صاحبنا شمس الدين بن عزم

(١) نسبة إلى الغرى، وهو مشهد الإمام على بن ابى طالب بالنجف.

(٢) هو المعروف ببغية الوعاة انظر منه ص ٢٤٨.

بمكة أن وفاته سنة أربع وثمانين أو ست وستمائة ، الشك منى . وله شرح على الشافية » .

هذا ما ذكره السيوطى ، والتاريخان غير موافقين لما ذكرناه . وقد ذكر البقاعى (فى مناسبات القرآن) تاريخ هذا الشرح كما نقلنا ، قال : « هو محمد
ابن الحسن الأستَرَاباذى العلامة نجم الدين ، وتم شرح الكافية فى سنة ست ١٣
وثمانين وستمائة . ولم ينقل الشرح من العجم إلى الديار المصرية إلا بعد أبى حيان وابن هشام » اهـ .

وعلى هذا لا يمكن أن يكون تاريخ وفاته ما ذكره السيوطى ؛ فإنه عاش مدة يحرر شرحه ، ولهذا تختلف نسخه اختلافاً كثيرا ، كما نقله السيد الجرجانى فى إجازته الآتية . وشرحه للشافية متأخر عن شرحه للكافية فلا يصح ذلك التاريخ . وعصره قريب من عصر ابن الحاجب ، فإن وفاة ابن الحاجب كانت فى سنة ست وأربعين وستمائة .

وقد رأيت أن أكتب هنا صورة إجازة الشريف الجرجانى لمن قرأ عليه هذا الشرح ، فإنه بالغ فى تقريظه وأطرى ، ومدح الشارح بما هو اللائق والأحرَى. وهى هذه : « أحمده على جزيل نواله ، وأصلى على نبيه محمد وصحبه وآله . وبعد فإن صناعة الإعراب لا يخفى شأنها ، فى رفعة مكانها ، تجرى من علوم الأدب مجرى الأساس ، وتتنزل منها منزلة البرهان من القياس . وبها يتم ارتشاف الضَّرَب ، من تراكيب كلام العرب . بل هى مِرقاة منصوبة إلى علم البيان ، المطلع على نكت نظم القرآن . وإنّ شرح الكافية ــ للعالم الكامل نجم الأئمة، وفاضل الأمة ، محمد بن الحسن الرضىّ الأستراباذى ، تغمده الله بغفرانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه ــ كتابٌ جليل الخطر ، محمود الأثر ، يحتوى من أُصول هذا الفن

على أمهاتها ، ومن فروعه على نكاتها ، قد جمع بين الدلائل والمبانى وتقريرها ، وبين تكثير المسائل والمعانى وتحريرها ، وبالغ فى توضيح المناسبات ، وتوجيه المباحثات ، حتى فاق ببيانه ، على أقرانه ، وجاء كتابه هذا كعقد نُظم فيه جواهر الحكم ، بزواهر الكلم . لكن وقع فيه تغييرات ، وشىء كثير من المحو والإثبات ، وبدّل بذلك صور نُسخه تبديلا ، بحيث لانجد إلى سيرتها سبيلا . وإنى — مع ما منيت به من الأشغال ، واختلال الحال ، وانتكاس سوق الفضل والكمال ، وانقراض عصر الرجال ، الذين كانوا محط الرحال ، ومنبع الأفضال ، ومعدن الإقبال[1] ، ومجمع الآمال ، وتلاطم أمواج الوسواس ، من غلبة أفواج الشوكة وظهور الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ، قد بذلتُ وسعى فى تصحيحه بقدر ما وفى به حتى مع تلك العوائق ، ووسعه مقدرتى مع موانع العلائق ، فتصحّح إلا ماندر ، أوطغى به القلم أو زاغ البصر . وقد قرأه علىّ من أوله إلى آخره ، المولى الإمام ، والفاضل الهمام ، زبدة أقرانه فى زمانه ، وأسوة الأفاضل فى أوانه ، محمد حاجى ابن الشيخ المرحوم السعيد عمر بن محمد — زِيدت فضائله كما طابت شمائله — قراءة بحث واتقان ، وكشف وإيقان . وقد تقرّ فيها عن معضلاته ، وكشف عن وجوه مخدَّراته . هذا ، وقد أجزته أن يرويه عنّى مع سائر ما سمعه علىّ من الأحاديث وفنون الأدب والأصولين ، راجياً منه أن لا ينسانى فى خلواته ، وفى دعواته عقيب صلواته ، لعل الله يجمعنا فى جنانه ، ويتغمدنا برضانه ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير . كتبه الفقير الحقير الجانى ، على بن محمد الحسينى الجرجانى . وذلك بمحروسة سمرقند سنة اثنتين وثمانمائة » .

(١) فى النسختين : « ومدن الإقبال » ، والوجه ما أثبت .

وهذا آخر الإجازة . وقد حان أن نشرع فيما انتوينا ، ونتوجه إلى ١٤
ما انتحينا ، راجين من الله إخلاص العمل ، والعصمة عن الزيغ والخطل .
ومن هنا نقول ، وعلى الله القبول .

أنشد فى :

خواص الاسم

١ (يَقُولُ الخنَى وأبغضُ العُجم ناطقاً   إلى ربِّنا صوتُ الحمار اليُجدَّعُ)

أورده الشارح ، وابن هشام فى مغني اللبيب ، على أن « أل » فى اليجدع اسم موصول ، دخل على صريح الفعل لمشابهته لاسم المفعول ، وهو مع ذلك شاذ قبيح لايجيء إلا فى ضرورة . وقال الأخفش : أراد الذى يجدع كما تقول : هو اليضربك ، تريد الذى يضربك . وقال ابن السراج فى كتاب الأصول : لما احتاج إلى رفع القافية قلب الاسم فعلا ، وهو من أقبح ضرورات الشعر . قيل : لا ضرورة فيه فإنه يمكن أن يقول (يجدع) بدون أل لاستقامة الوزن ، وأن يقول المتقصع .

أقول : هذا مبنى على أن معنى الضرورة عند هذا القائل ما ليس للشاعر عنه مندوحة ، وهو فاسد كما يأتى بيانه . والصحيح تفسيرها بما وقع فى الشعر دون النثر سواء كان عنه مندوحة أولا .

قال شارح شواهد الألفية : « ذاك مسلم فى يجدع دون المتقصع فإنه يلزمه الإقواء وهو عيب » .

أقول : لايلزمه الإقواء ، فإن اليربوع مرفوع والمتقصع وصفه كما يأتى بيانه . وقيل « أل » فيه زائدة والجملة صفة الحمار أو حال منه ، لأن أل فى الحمار جنسية ، وهذا لا يتمشى فى أخواته .

وقول الشارح المحقق « لمشابهته لاسم المفعول » يريد أنها إذا دخلت على مضارع مبنى للمفعول إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم المفعول ، نحو اليجدع واليتقصع ، وقول الفرزدق :

ما أنت بالحكم التُرضى حُكومتُه ولا الأصيلِ ولا ذى الرأى والجدلِ

وإذا دخلتْ على مضارع مبنى للفاعل إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم الفاعل كقوله :

وليس اليَرى للخِلِّ مثلَ الذى يرى له الخلُّ أهلا أن يُعدَّ خليلا

وقوله :

ما كاليروحُ ويغدو لاهياً فرِحاً مشمرٌ يستديم الحزمَ ذو رشَدِ

وقوله :

لا تبعثنَّ الحرب إنى لك الـيُنذِرُ من نيرانها فاتّقِ

وقوله :

فذو المال يؤتى مالَه دون عرضه لما نابه والطارق اليتعمّلُ

وقوله :

أحين اصطبانى أن سكتُّ وإننى لفى شغل عن دخلىَ اليتتبع

وقول أبى على الفارسى فى المسائل العسكرية : إن دخول (أل) على الفعل المضارع لم يوجد إلا فى اليجدع واليتقصع ، وأظن حرفاً أو حرفين آخرين ، ليس كذلك كما ذكرنا ، وسكت عن دخولها على الظرف نحو :

من لا يزال شاكراً على المَعْهْ فهو حَرٍ بعيشةٍ ذاتِ سَعهْ

وقوله .

وغيّرنى ماغال قيساً ومالكا وعمراً وحُجراً بالمشقَّر ألمعا(١)

---

(١) البيت لمتمم بن نويرة فى المفضليات ٢٦٩ .

يريد اللذين معا ـ وقال الكسائى : أراد معا و أل زائدة ـ وعن دخولها على الجملة الاسمية نحو :

بل القومُ الرسولُ اللهِ فيهم هم أهل الحكومة من قصىٍّ

لأنه لايرد النقض بها وإن كانت موصولة اسمية شاذة كشذوذها مع الفعل والكل خاص بالشعر .

قال الشاطبى فى شرح ألفية ابن مالك : وأما أل فمختصة بالأسماء على جميع وجوهها : من كونها لتعريف العهد ، أو الجنس ، أو زائدة ، أو موصولة أو غير ذلك من أقسامها .

واعلم أنّ صريح مذهب الشارح المحقق فى (الضرورة) هو المذهب الثانى وهو ماوقع فى الشعر ، وهو مذهب الجمهور . وذهب ابن مالك إلى أنها ماليس للشاعر عنه مندوحة ، فوصلُ أل بالمضارع وغيره عنده جائز اختياراً ، لكنه قليل ، وقد صرح به فى شرح التسهيل فقال : وعندى أن مثل هذا غير مخصوص بالضرورة لإمكان أن يقول الشاعر : صوت الحمار يجدع ، وما من يُرى للخل ، والمتقصع ، وإذا لم يفعلوا ذلك مع الاستطاعة ففى ذلك إشعار بالاختيار وعدم الاضطرار . وما ذهب إليه باطل من وجوه :

(أحدها) إجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المنزع وعلى إهماله فى النظر القياسى جملة . ولو كان معتبراً لنبهوا عليه . (الثانى) أن الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لايمكن فى الموضع غير ماذكر ، إذ ما من ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره ، ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل . هذه الراء فى كلام العرب من الشّياع فى الاستعمال بمكان لايجهل ، ولا تكاد تنطق بجملتين تَعريان عنها ، وقد هجرها واصل بن عطاء لمكان لُثغته فيها ، حتّى كان

يناظر الخصوم ويخطب على المنبر فلا يسمع فى نطقه راء، فكان إحدى الأعاجيب حتى صار مثلا . ولا مرية فى أن اجتناب الضرورة الشعرية أسهل من هذا بكثير وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد أدى أن لاضرورة فى شعر عربى. وذلك خلاف الإجماع ، وإنما معنى الضرورة أن الشاعر قد لا يخطر بباله إلا لفظة ماتضمنته ضرورة النطق به فى ذلك الموضع إلى زيادة أو نقص أو غير ذلك ، بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتال فى شىء يزيل تلك الضرورة . (الثالث) أنه قد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر ، واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال ، ولا شك أنهم فى هذه الحال يرجعون إلى الضرورة ، لأن اعتناءهم بالمعانى أشد من اعتنائهم بالألفاظ . وإذا ظهر لنا فى موضع أن مالا ضرورة فيه يصلح هنالك فمن أين يعلم أنه مطابق لمقتضى الحال . (الرابع) أن العرب قد تأبى الكلام القياسى لعارض زِحاف ، فتستطيب المزاحفَ دون غيره أو بالعكس، فتركب الضرورة لذلك .

وقد بَسط الردَّ عليه الشاطبى فى شرح الألفية ، وهذا أنموذج منه . ثم قال : وقد بينت هذه المسألة بما هو أوسع من هذا فى باب الضرائر من أصول العربية .

صاحب الشاهد — وهذا البيت ثانى أبيات سبعة أوردها أبو زيد فى نوادره لذى الخِرَق قائل الشاهد الطُهَوىّ وهى :

١٦ (أتانى كلام ابن الثعلبىّ ابن دَيسق ... ففى أىِّ هذا ويلَه يتترَّعُ

يقول الخنى وأبغض العجم ناطقاً ... إلى ربنا صوتُ الحمار اليُجدَّع

فهلا تمنّاها إذ الحربُ لاقحٌ ... وذو النَّبوان قبره يتصدَّع

يأتك حيّا دارم وهما معًا ... ويأتك ألفٌ من طُهيَّة أقرع

فيستخرجَ اليربوع من نافقائه ... ومن جُحره بالشيحة اينقصع

ونحن أخذنا الفارس الخير منكم ... فظل ـ وأعيا ذو الفقَار ـ يُكرّع

ونحن أخذنا ـ قدعلمتم ـ أسيركم ... يساراً فنُحذِىِمن يسارٍ ونَنقَع)

شرح قصيدة الشاهد

قوله « أتانى كلام الثعلبىّ » هو بفتح المثلثة وسكون العين المهملة كما فى نوادر أبى زيد فى نسخة قديمة صحيحة ، نسبة إلى ثعلبة بن يربوع[1] : أبى قبيلة ، لا بمثناة فوقية فغين معجمة نسبة إلى تغلب بن وائل : أبى قبيلة كما ضبطه بعضهم . فإن ابن ديسق هو أبو مذعور طارق بن دَيسق بن عوف ابن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . . كذا سرد نسبه الأسود أبو محمد الأعرابى الغُندِجانى فى شرحه نوادر ابن الاعرابى ، وأورد له شعراً جيداً . وديسق علم منقول ، قال الصاغانى فى العباب : قال الليث : (الديسق) خوان من فضة ، والطريق المستعمل ، والحوض الملآن ، والشّيخ ، والنُّور ، وكل حلى من فضة بيضاء صافية ، ووعاء من أوعيتهم ؛ مأخوذ من الدّسَق بفتحتين وهو امتلاء الحوض ، يقال ملأت الحوض حتى دسق أى ساح ماؤه . وقيل هو بياض الحوض وبريقه . وقوله (يتترّع) التترُّع بفتحتى التاء المثناة فوق والراء ، فى العباب : ترع الرجل كفرح ، إذا اقتحم الأمور مرحاً ونشاطاً . وقيل ترع سارع إلى الشر والغضب ، وتترع إليه بالشر أى تسرع . وكأنه توعده بالقتل والسبى والنهب وما أشبه ذلك . يقول : إلى أى هذه الأمور يسابق بشرّه وَبلائه . وقوله (يقول الخنى . .) البيت ، قال الجوهرى وتبعه الصاغانى : « هذا من أبيات الكتاب » وهذا لا أصل له . وقد تصفّحتُ شواهد سيبويه

(١) ض : « ثعلب بن يربوع » ، صوابه فى ش ومن نص نوادر أبى زيد ٦٦ وفيها : « الثعلبى هذا من بنى ثعلبة بن يربوع » . وانظر الإنباه على قبائل الرواة ٧٧ وجمهرة ابن حزم ٢١٣ .

فى عدة نسخ ولم أجده فيها . قال الصاغانى : لم أجد هذا البيت فى شعر ذى الخِرق ، وقد قرأت شعره فى أشعار بنى طُهيّة . وساق له أبياتاً سبعة لم يكن هذا البيت فيها ، وذكر له بيتاً بدل ما قبل البيت الأخير ، وهو :

(ونحن حَبسنا الدُّهم وسط بيوتكم فلم تقربوها والرماحُ تزعزع)

والخنى بالخاء المعجمة والنون : الفحش من الكلام ، وألفه منقلبة عن ياء ، ولهذا كتبت بالياء . يقال كلام خَنٍ وكلمة خنية ، وقد خنِيَ عليه بالكسر وأخنى عليه فى منطقه ، إذا أفحش . وهو منصوب بالقول لتضمنه معنى الجملة كقلت قصيدةً ، فلا حاجة لتأويل يقول بيفُوه ويتكلّم . وجملة يقول الخنى تفسير لقوله أتانى كلام الثعلبى . و (أبغض) اسم تفضيل على غير قياس ، لأنه بمعنى اسم المفعول من أبغضته إبغاضاً فهو مبغض ، أى مقتُّه وكرهته ، ولأنه من غير الثلاثى ، أو هو[1] من بغُض الشىء بالضم بغاضة بمعنى صار بغيضاً ،
١٧ فلا شذوذ. قال السخاوى فى شرح المفصل : قالوا هو أبغض لى من زيد وأمقت لى منه ، أى يبغضنى أكثر مما يبغضنى زيد ، وقالوا إنه مردود إلى بغُض ومقُت ، يقال بغُض بغاضة إذا صار بغيضاً . قال ابن برِّىّ : إنما جعل شاذاً لأنه جعل من أبغض ، والتعجب لا يكون من أفعل إلا بأشد . وليس كما ظن الجوهرى ، بل هو من بغض فلان إلىّ . وحكى اللغويون والنحويون ما أبغضنى له إذا كنت أنت المبغض له ، وما أبغضنى إليه إذا كان هو المبغض لك . انتهى . وإلى فى التفضيل غير ماذكر فى التعجب . فإن إلى هنا بمعنى عند ومجرورها فاعلٌ معنى . و (العُجم) : جمع أعجم وعجماء ، وهو الحيوان الذى لاينطق . والأعجم أيضا : الإنسان الذى فى لسانه عُجمة ، وإن كان بدويا ، لشبهه

(١) فى النسختين : « وهو ».

بالحيوان . و (ناطقاً) فاعل من النطق ، قال الراغب : النطق فى التعارف : الأصوات المقطّعة التى يظهرها اللسان وتعيها الآذان . . ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيدا أو على طريق التشبيه ، كقول الشاعر(١) :

عجبت لهـا أنَّى يكون غِناؤها فصيحا ولم تفغَر بمنطقها فـا

انتهى . وهو هنا مجاز عن الصوت ، من إطلاق الخاص وإرادة العام ، وهو منصوب على التمييز للنسبة ، وأصله : وأبغض نطق العجم ، أى تصويتها ، فلما حذف صارت نسبة البغض إلى العجم مبهمة ففسرت بالتمييز ، ولابد من هذا المحذوف ليصح الإخبار . أراد الشاعر تشبيه صوته إذ يقول الخنى ، فى بشاعته بصوت الحمار إذ تقطع أذناه . وصوت الحمار شنيع فى غير تلك الحال ، فما الظن به فيها ؟ ! وزعم جماعة أن ناطقًا حال ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : هو حال من العجم . ويَرِد عليه أنه مفرد وصاحب الحال جمع . ومن صححه بإنابة المفرد مناب الجمع ، أو أن ناطقا بمعنى ذات نطق ، فقد تـكلّف . وقال بعضهم : هو حال من أبغض ، ويرد عليه أن الأصح أن المبتدأ لا يتقيد بالحال . وجوز هذا القائل أن يكون حالا من ضمير يقول ، مع اعترافه بأنه يلزم الفصل بين المبتدإ والخبر بالأجنبى . وذهب بعضهم إلى أنه حال من ضمير أبغض ، وهذا سهو ، إذ ليس فيه ضمير ، ولو كان خبراً لتحمله . وقوله (إلى ربنا) متعلق بأبغض . وروى ابن جِنّى فى سر الصناعة : « إلى ربه » فالضمير يرجع إلى ابن ديسق . وقوله (اليجدّع) قال الصاغانى : « الجَدْع بالدال المهملة : قطع الأنف ، وقطع الأذن ، وقطع اليد ، وقطع الشَّفة . وجدعته أى سجنته وحبسته » ثم قال : « وحمار مجدّع مقطوع الأذنين » . وأنشد هذا البيت عن نوادر أبى زيد . وزعم شارح

(١) هو حميد بن ثور . ديوانه ٢٧ والمخصص ١٣ : ٩ .

مغنى اللبيب ـ وهو الحقّ ـ أنّه من جدعت الحمار : سجنته ، قال : لأن الحمار إذا حبس كثر تصويته ، وإذا جعل من الجدع الذى هو قطع الأذن لم يظهر له معنى . قال السيوطى : « وليس كما قال ، لأنّ صوت الحمار حالةَ تقطيع أذنه أكثر وأقبح . وكأنه ظن أن المراد صوته بعد التجديع ؛ وليس كذلك ، بل المراد وقت التجديع » . هذا كلامه ، وفيه نظر فإنه قيل لا يصوت عند قطع أذنه أصلا ، وقيل إن الحمار إذا كان مقطوع الأذن يكون صوته أرفع ، وإنما كان صوت الحمار مستكرها لأنّ أوله زفير وآخره شهيق ؛ وهذه حالة تنفر منها الطباع . وقد ورد تمثيل الصوت المرتفع بصوت الحمار فى القرآن ، قال تعالى فى وصية لقمان

١٨ لابنه : «واغضُضْ من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » ، أى أوحش الأصوات وأقبحها . قال القاضى[1] : «وفى تمثيل الصوت المرتفع به[2] ثم إخراجه مُخرَج الاستعارة مبالغة شديدة . وقال معين الدين الصفوى[3] : « شبه الرافعينَ صوتَهم بالحمير من غير أداة التشبيه ، مبالغةً فى التنفير . ولما كان صوته لا يكاد يختلف وأصواتُ سائر الحيوانات مختلفة جداء أفرد وجمعت . والحمير بمنزلة أسماء الأجناس على الأصح . والظاهر أن أنكر الأصوات الخ كلام لقمان ، وقيل هذا من كلام الله » انتهى . وهذا القول الأخير يناسبه قول الشاعر (إلى ربنا) فإن إلى بمعنى عند . وقال النسفى : ولو كان فى ارتفاع الصّوت فضيلة لم يُستشنع صوت الحمار الذى هو أرفع الأصوات . وقوله : (فهلا تَمنّاها) الضمير راجع إلى معهود فى الذهن ، أى فهلا تمنى الحرب حين كانت حُبلى بمنايا الرجال ،

---

(١) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى صاحب التفسير المتوفى سنة ٦٨٥ . ونسبته إلى البيضاء : بلدة بفارس قرب شيراز . واسم تفسيره « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » .

(٢) لفظ البيضاوى : « بصوته » .

(٣) صاحب « جامع البيان فى تفسير القرآن » ، ولعل عبارته منقولة من كتاب آخر غير التفسير ، لأنها ليست فى تفسير آية « إن أنكر الأصوات » .

ومقارعةِ الأبطال . و (لاقح) من لقِحت الناقة لقَحا ، من باب تعب ، فهى لاقحٌ مطاوع ألقح الفحل الناقة إلقاحا : أحبلها ؛ كذا فى المصباح . وقوله (وذو النَّبَوَان) فى شرح نوادر أبى زيد « وذُو النبوان[١] لم يعرفه أبو زيد » . والنبوان ـ بفتح النون والبا الموحدة ـ اسم ماء بنجد لبنى أسد ، وقيل لبنى السِّيد من ضبّـة . كذا فى معجم البلدان لياقوت الحموى[٢] . ويقال له نبوان أيضاً بلا لام ، قال أبو صخر الهذَلى :

ولها بذى نبَوانَ مـــنزلة   قفرٌ سوى الأرواح والرِّهمِ

أى لهـا بأراضى نبوان منزلة . والمراد بذى النبوان هنا رجل ، وهو إما صاحب هذا المـاء أو لأنه دفن فى أرضها . و (التصدع) : التشقق ، يقال صدعته صدعا ، من باب نفع : شققته . وصدعت القوم صدعا فتصدعوا : فرقتهم فتفرقوا . والمراد به هنا الحَفر والنبش ، أى هلا تمنيتَ الحرب إذ قتلنا منكم ذا النبوان لحفرتَ له قبرا وواريته فيه ، وأنت شديد الحزن عليه ولم تقدر على الأخذ بثاره ؟! وقوله : (يأتِكَ حيا دارم) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ، جزم « يأت » فى جواب شرط مقدر ، أى إن تمنيت حربنا يأتك الحيان من دارم دفعة . ودارم : أبو قبيلتين من تميم . وطُهَيّة : حى من تميم ، سموا باسم أمهم ، وهى طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهى أم أبى سُود وعوف بن مالك بن حنظلة ، والنسبة إليها طُهْوى بسكون الهـاء وبعضهم يفتحها على القياس . و (أقرع) بالقاف : تامّ ، يقال ألْف أقرع ، ودرهم أقرع ، ومِائة قرعاء . وقوله : (فيستخرجَ اليربوع .. الخ) الفاء للسببية ، ويستخرجَ منصوب بأن مضمرة وجوبا ، وهو مبنى للمفعول ، ويجوز بالبناء

(١) ط : « والنبوان » ، وأثبت مافى ش و النوادر ٦٧ .
(٢) فى رسم (النبوان) .

للفاعل نسبة إلى الألفِ . واليربوع دُويبَّةٌ تحفر الأرض — والياء زائدة ، لأنه ليس فى كلام العرب فَعلول سوى صَعفوق على مافيه — وله جحران أحدهما: القاصِعاء وهو الذى يدخل فيه . وأما قول الفرزدق يهجو جريرا :

وإذا أخذتُ بقاصعائك لم تجد أحداً يعينك غير من يتقصّعُ

فمعناه إنما أنت فى ضعفك إذا قصدتُ لك كأولاد اليرابيع لا يعينك إلاضعيف مثلك . والآخر: النافقاء وهو الجُحر الذى يكتمه ويُظهر غيره ، وهو موضعٌ يرققه ، فإذا أُتِىَ من قِبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أى

١٩ خرج . وجمعهما قواصع ونوافق . ونافق اليربوع : اخذ فى نافقائه ، ومنه المنافق ، شبه باليربوع لأنه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذى دخل فيه ، وقيل لأنه يستر كفره ، فشبه بالذى يدخل النفَق — وهو السَّرَب — يستتر فيه . والجحر يكون للضب واليربوع والحية ، والجمع جِحَرة كعنبة[1] وانجحر الضب على انفعل : أوى إلى جحره . وقوله (بالشيحة) رواه أبو عُمر الزاهد وغيره تبعاً لابن الأعرابى : « ذى الشِّيحة » وقال : لكل يربوع شيحة عند جحره . وردّ الأسود أبو محمد الأعرابى الغُندِجانى على ابن الأعرابى وقال : ما أكثر ما يصحّف فى أبيات المتقدمين ، وذلك أنه توهم أن ذا الشيحة موضع يُنبت الشيح ، وإنما الصحيح : « ومن جحره بالشِّيخة » بالخاء المعجمة ، وقال : هى رملة بيضاء فى بلاد بنى أسد وحنظلة . وكذا رواه الجرمى أيضا . والشين فى الروايتين مكسورة . وقوله (اليتقصّع) رواه أبو محمد الخوارزمى عن الرياشى بالبناء للمفعول[2] . يقال تقصّع اليربوع دخل فى قاصعائه ، فتكون صفة

(١) وأجعار أيضا .

(٢) النص فى نوادر أبى زيد ٦٧ وليس فيه قيد « بالبناء للمفعول » لا لفظاً ولا ضبطا .

للجُحر وصلته محذوفة ، أى من جحره الذى يتقصع فيه ، كما قدَّره ابن جنى فى سر الصناعة . وروى بالبناء للفاعل فيكون صفة اليربوع ولا حذف وروله أبو زيد « المتقصَّع » بصيغة اسم المفعول وقال : « والمتقصّع متفعَّل من القاصعاء »، فيكون صفة اليربوع أيضا لكن فيه حذف الصلة . قال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد : رواه لنا أبو العباس ثعلب اليَتقصع واليجدّع ، قال : هكذا رواه أبو زيد . قال : والرواية الجيدة عنده المتقصّع والمجدَّع . وقال : لايجوز إدخال أل على الأفعال ، فإن أريد بها «الذى» كان أفسدَ فى العربية . وكان لا يلتفت إلى شىء من هذه الروايات التى تشذ عن الإجماع والمقاييس . ومعنى البيت : إنكم إن حاربتمونا جئناكم بجيش لُهَام ، يحيطون بكم فيوسعونكم قتلا وأسرا ، ولا نجاة لكم ولو احتلتم بكلّ حيلة ، كاليربوع الذى يجعل النافقاء حيلة للخلاصة من الحارش ، فاذا كثر عليه الحارش أخذوا عليه من نافقائه وقاصعائه ، فلا يبقى له مهرب البتة .

وروى بعض شراح الشواهد هذا البيت بعد البيتين الأولين ، ولم يزد على الثلاثة ، وظن أن قوله يَستخرج اليربوع بالبناء للمعلوم — معطوف على قوله يقول الخنى فقال : ووصفه أخيرا بالخديعة والمكر .

ثم أخذ الشاعر فى الفخر عليه بما فعل قومُه فيهم من القتل والأسر فى الحروب السابقة فقال : (ونحن أخذنا .. الخ) الخير هنا إما أفعل تفضيل أى أفضلكم ، وإما مخفف خيّر بالتشديد ، أى الجيد الفاضل . (ومنكم) على التقديرين متعلق بأخذنا . وقوله (فظلّ) أى استمرّ فى أسرنا . وقوله (وأعيا ذو الفقار) هو بفتح الفاء ، قال الصاغانى : هو مسشر بن عمرو الهَمْدانى . وهو فاعل أعيا ، من أعيا فى مشيه أى كلّ ، بمعنى لم يقدر على شىء . وجملة (يكرَّع) بالبناء للمفعول حال من الفاعل ، ومعناه تقطع أكارعه : جمع كُراع بالضم

وهو — كما قال ابن فارس — من الإنسان : مادون الركبة ، ومن الدوابّ : ما دون الكعب . وروى الصاغانى : « وأضحى ذو الفقار يكرع » فجملة يكرع إما خبر أضحى ، أوحال أيضا إن كانت تامة . وقوله (ونحن أخذنا قد علمتم) الخ يقول : نحن قد فككنا يساراً — الذى أسرتموه — من أسركم بأموالنا . فنحن نُعطى ونضيف من ثروة ، وأنتم صعاليك لا تقدرون على شىء من ذلك . ويسار الأول اسم رجل ، والثانى بمعنى الغنى والثروة . و (نُحذِى) بضم النون وسكون المهملة والذال المعجمة بمعنى نُعطِى ، من الإحذاء وهو الإعطاء . و (ننقع) بالنون والقاف ، يقال نَقَع الجزورَ ينقَع بفتحتين نقوعا ، إذا نحرها للضيافة . قال الصاغانى : وفى كلام العرب إذا نقى الرجل منهم قوماً يقول : ميلوا يُنقع لكم ، أى يجزر لكم ، كأنه يدعوهم إلى دعوته . والنقيعة : الجزور التى تجزر للضيافة . وفسر بعض مَن كتب على نوادر أبى زيد (نُنقع) بقوله نُروى . وهذا غير مناسب . وقال الرياشى : حفظى « ونمنع » ومصدره المنع إما مقابل الإعطاء ، وإما بمعنى الحياطة والنصرة . يقال فلان عزّ ومَنَعة بالتحريك ، وقد تسكن النون ، وكلاهما مناسب لنُحذى . قال الصاغانى : والمانع — من صفات الله تعالى — له معنيان : أحدهما مقابل الإعطاء ، والثانى أنّه يمنع أهل دينه ، أى يحوطهم وينصرهم .

(تتمــــة)

صاحب الشاهد — نسب أبو زيد فى نوادره هذا الشعر لذى الخِرق الطُّهوى قال : « وهو جاهلى » . ومن لقب من الشعراء من بنى طهية ذا الخرق ثلاثة : (أحدهم) خليفة بن حمل بن عامر[1] بن حميرىّ بن وقدان بن سُبيع بن عوف بن مالك ابن حنظلة بن طهية ، ولقب ذا الخرق بقوله :

(١) المؤتلف والمختلف ١٠٩ . والذى فيه : « خليفة بن عامر » بإسقاط « حمل »

ما بال أمِّ حُبيش لا تكلّمنا ... لما افتقرنا وقد نُثرى فنتفقُ
تقطّع الطرفَ دونى وهى عابسة ... كما تَشاوسَ فيك الثائر الحنق
لمّا رأتْ إبلى جاءت حُمولتها ... غرثى عجافا عليها الريش والخرق
قالت : ألا تبتغى مالاً تعيش به ... عما تلاقى وشر العيشة الرَّمَق[1]
فيئى إليك فأنا معشر صُبر ... فى الجدب لا خفّة فينا ولا ملق
إنا إذا حُطمة حتّت لنا ورقا ... نمارس العيش حتى ينبت الورق

(الثانى) قُرط ، ويقال له ذو الخرق بن قرط[2] أخو بنى سعيدة بن عوف ابن مالك بن حنظلة بن طهية ، وهو فارس أيضا . (الثالث) شَمير بن عبد الله ابن هلال بن قُرط بن سعيدة ، كذا فى المؤتلف والمختلف للآمدى[3]. ولم يذكر هذا صاحبُ العباب ولم أر من قيد أحد هذه الثلاثة بكونه جاهليا ، فلا يظهر أن هذا الشعر لمن هو من هؤلاء الثلاثة . وقال العينّى : إن ذا الخرق الطهوى صاحب الشعر اسمه دينار بن هلال . ولا أدرى من أين نقله . وقال شارح شواهد المغنى : وفى المؤتلف والمختلف للآمدى أن اسمه قرط ، شاعر جاهلى ، سمّى بذلك لقوله :

* جاءت عجافا عليها الريش والخرقُ *

وفيه ثلاثة أمور : الأول أن الآمدى لم يذكر هذا الشعر فكيف ينسبه إلى قرط[4] . الثانى أنّه لم يقيد قرطا بكونه جاهليا . الثالث أنّ هذا الشعر

---

(١) ويروى : « الرنق » كما فى نسخة من الأصمعيات . انظر الأصمعيات ١٣٤ بتحقيقنا مع الشيخ أحمد شاكر . والرواية فيها أيضاً : « مما تلاق » .

(٢) فى المؤتلف ١١٩ : « ويقال ذو الخرق بن قرط » رواية أخرى فى اسمه .

(٣) ذكر هذا الثالث فى المؤتلف على أنه حاشية من ابن حبيب لا من صلب الكتاب .

(٤) الحق أن الآمدى ذكره فى موضع متقدم وهو ص١٠٩ كما سبق فى الحواشى .

ليس لقرط ، وإنما هو لخليفة بن حمل كما تقدم آنفا . وفيه أيضا أن الرواية « غرنى عجافا » لا « جاءت عجافا » .

بقى من يلقب بذى الخرق من الشعراء من غير طهية . وهم اثنان : أحدهما ذو الخرق اليربوعى أحد بنى صَبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . والثانى : ذو الخرق بن شُريح بن سيف بن أبان بن دارم . وهذا والذى قبله من شعراء الجاهلية .

ومن غير الشعراء (ذو الخرق) النُّعمان بن راشد بن معاوية بن عمرو
ابن وهب بن مرّة ، كان يُعلِم نفسه فى الحرب بخرق حمر وصفر . ٢١

و (ذوالخرق) أيضا : فرس عَبّاد بن الحارث بن عدى بن الأسود[١] ، كان يقاتل عليه يوم اليمامة . والخرق : جمع خرقة وهى القطعة من الثوب .

ترجمة الأسود الغندجانى

والأسود الغُندِجانى ترجمة ياقوت الحموى فى معجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب[١] ، قال : هو الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابى المعروف بالأسود الغندجانى اللغوى النسابة ، وغندجان بلد قليل الماء لايخرج منه إلا أديب أو حامل سلاح . فى القاموس : غَندَجان بالفتح[٢] بلد بفارس بمفازة مَعطِشَة . وكان الأسود صاحبَ دنيا وثروة ، وكان عارفا بأيام العرب وأشعارها ، قيِّماً بمعرفة أحوالها . وكان مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبى الندى . وكان قد رزق فى أيامه سعادة ، وذاك أنه كان فى كنف الوزير العادل أبى منصور بهرام بن مافنّه ، وزير الملك أبى كالَنْجار[٣] ابن بهاء الدولة

(١) انظر القاموس (خرق) .
(٢) معجم الأدباء ٧ : ٢٦١ — ٢٦٤ .
(٣) ضبطه ياقوت فى معجم البلدان بضم فكسر فسكون .
(٤) فى معجم الأدباء : « كاليجار » .

ابن بويه صاحب شيراز ، وقد خطب له ببغداد بالسلطنة . وكان الأسود إذا صنف له كتابا جعله باسمه . وكان يُفضل عليه إفضالا جما ، فأثرى من جهته . ومات أبو منصور الوزير فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . قال ياقوت : وقرأت فى بعض تصانيفه أنّه صنفه فى شهور سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وقرئ عليه فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وله من التصانيف : فُرحة الأديب ، فى الرد على يوسف بن أبى سعيد السيرافى(١) فى شرح أبيات سيبويه . وكتاب قيد الأوابد فى الرد على ابن السيرافى أيضا فى شرح أبيات إصلاح المنطق . وكتاب ضالّة الأديب فى الرد على ابن الأعرابى فى النوادر التى رواها ثعلبٌ عنه . وكتاب الرد على أبى على النمرى فى شرح مشكل أبيات الحماسة . وكتاب نزهة الأديب فى الرد على أبى على فى التذكرة . وكتاب السّلّ والسرقة . وكتاب الخيل : مرتب على حروف المعجم . وكتاب فى أسماء الأماكن . وأكثرها عندى ، ولله الحمد والمنة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى من شواهد سيبويه(٢) :

٢ (ولا أرضَ أبقلَ إبقالَهَا)

أوله :

(فلا مُزْنَةٌ وَدقت وَدْقَها)

أورده نظيراً لعرفات : فى كونها مؤنثة لايجوز فيها التذكير إلا بتأويل بعيد ، وهو أن يراد بها المكان . وأورده أيضاً فى باب المذكر والمؤنث

---

(١) وأبو سعيد السيرافى هو الحسن بن عبد الله .

(٢) سيبويه ١ : ٢٤٠ .

على أنّه لايحذف علامة التأنيث من المسند إلى ضمير المؤنث المجازى إلالضرورة الشعر . وهو من شواهد الكتاب ومغنى اللبيب . قال ابن خلف: الشاهد فيه أنه ذكّر أبقل وهو صفة للأرض ضرورةً ، حملا على معنى المكان، فأعاد الضمير على المعنى وهو قبيح . والصحيح أنه ترك فيه علامة التأنيث للضرورة واستغنى عنه مما علم من تأنيث الأرض . وإلى هذا الوجه أشار أبو على . وقال غيره : وإنما قبح ذلك لاتصال الفاعل المضمر بفعله ، فكأنه كالجزء منه حتى لايمكن الفصل بينهما بما يسدُّ مسدّ علامة التأنيث . ولا يخفى ما فيه . وعند ابن كيسان والجوهرى أن الفعل إذا كان مسنداً لضمير المؤنث المجازى لايجب إلحاق علامة التأنيث .

وقول بعضهم : وهذا ليس بضرورة لأنه كان يمكنه أن يقول « ولا أرضَ
٢٢ أبقلتِ إبقالها » بنقل حركة الهمزة إلى ماقبلها وإسقاطها — ليس بجيد ، لأن الصحيح أن الضرورة ماوقع فى الشعر ، سواء كان للشاعر عنه فسحة أم لا . وأجاب السيرافى بأنه يجوز أن يكون هذا الشاعر ليس من لغته تخفيف الهمزة ، وحينئذ لايمكنه ماذكره . وذكر ابن يسعون أنّ بعضهم رواه بالتاء بالنقل المذكور . قال ابن هشام : فإن صحت الرواية وصح أن القائل ذلك هو الذى قال ولا أرض أبقل بالتذكير صحَّ لابن كيسان مُدّعاه ، وإلا فقد كانت العرب ينشد بعضهم بعضاً ، وكلٌّ يتكلم على مقتضى لغته التى فطر عليها ، ومن هنا كثرت الروايات فى بعض الأبيات .

وزعم جماعة أنه لاشاهد فيه ، فقال ابن القوّاس فى شرح ألفية ابن معطى أنه روى إبقالها بالرفع ، مسنداً إلى المصدر . ويردّه أن إبقالها منصوب على المصدرالتشبيهى : أى ولاأرض أبقلت كإبقال هذه الأرض . ولو كان كما زعم كان معناه نو الإبقال ، وهو نقيض مراد الشاعر . وزعم بعضهم أن ضمير

أبقل عائد على مذكر محذوف : أى ولا مكان أرض ، فقال أبقل باعتبار المحذوف ، وقال إبقالها باعتبار المذكور . وهذا فاسد أيضاً ، لأن ضمير إبقالها ليس عائداً على الأرض المذكورة هنا ، فتذكير أبقل باعتبار المحذوف لادليل عليه ، ولو قال إن الأرض مما يذكر ويؤنث — كما قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات عندما أنشد هذا البيت : إن الأرض تذكَّر وتؤنّث ، وكذلك السماء ، ولهذا قال أبقل إبقالها — لكان وجهاً .

قال ابن الحاجب فى أماليه : الضمير فى « ودقها » « وإبقالها » ، راجع إلى غير المزنة والأرض المذكورتين ، ولا يستقيم أن يعود إليهما لئلا يصير مخبراً أنّه ليس مزنة تدق مثلَ ودق نفسها ، وهو فاسد . وإن لم تقدّر محذوفاً كان أفسد ، إذ يصير المعنى أنه ليس مزنة تَدِقُ وَدْق نفسها ، والأمر على خلافه ، إذ لاتدقُ مزنة إلاّ ودق نفسها . فوجب أن يكون التقدير فلا مزنة ودقت ودقا مثل هذه المزنة ، المحذوفة . وزعم الصاغانى فى العباب : أن الرواية « ولا روض أبقل إبقالها » ، وهذا لا يصادم نقل سيبويه لأنه ثقة ، والاعتماد عليه أكثر .

فقوله : (فلا مزنة الخ) لا الأولى نافية للجنس على سبيل الظهور عاملة عمل ليس أو ملغاة ، والثانية نافية للجنس على سبيل التنصيص ، و (مزنة) اسم لا إن كانت عاملة عمل ليس ، أو مبتدأ إن كانت غير عاملة ، وصح الابتداء بالنكرة إمّا للعموم وإما للوصف . وجملة (ودقت) محلها نصب : خبر لا ، أو رفع : خبر المبتدأ ، أو نعت لمزنة والخبر محذوف أى موجودة أو معهودة . وجملة (أبقل) خبر لافقط ، ولا يجوز كونها صفة لاسم لا ، كما جوزه شراح الشواهد ؛ لأنه يجب حينئذ تنوين اسم لا لكونه مضارعاً للمضاف . والمزنة — واحدة المزن — السحابة البيضاء ، ويقال المطرة. والمعنى

هنا على الأول . انتهى . وكلاهما غير صحيح ، أما الأوّل فلأن السحابة البيضاء لا ودق لها ، وأما الثانى فيرده قوله تعالى : « أأنتم أنزلتموه من المُزْن » . والودق : المطر ، قال المبرد فى الكامل : يقال وَدَقت السماء يافتى تَدِق ودقا ، قال تعالى: « فترى الودْق يخرج من خِلاله » ، وأنشد هذا البيت .

٢٣ و (أبقل) قال الدينورى فى كتاب النبات : يقال بقل المكان يَبقُل بقولا إذا نبت بقله ، وأبقل يبقل إبقالا وهذا أكثر اللغتين وأعرفهما ، وأكثر العلماء يردّ بقل المكان . وقال بعض الرواة : أبقلت الأرض وأبقلها الله وبَقل وجهُ الغلام إذا خرج وجهه[1] . وقال بعض علماء العربية : أبقل المكان ثم يقولون مكان باقل ، قال : ولا نعلمهم يقولون بقل المكان . ومثلة قولهم أدْرستِ الأرض ونبت دارس ، ولا يقولون غيرها ، وقال أيضاً : أعشب البلد ثم قال بلد عاشب ، وكذا قال أبو عبيدة والأصمعى ، وتبعهما ابن السكيت وغيره ، قالوا : يقال بلد عاشب ، ولا يقال إلاّ أعشب ، وباقل الرِّمْث — وهو نبت — وقد أبقل ، ودارس الرمث وقد أدرس ، فيقولون فى النعت على فاعل ، وفى الفعل على أفعلَ ، كذا تكلمت به العرب . قال الدينَوَرىّ — وتبعه على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة — : وقد جاء عن العرب مايردّ عليهم ، قال رؤبة :

* يملحنَ من كل غَميس مُبقلِ[2] *

وقال ابن هَرْمة :

---

(١) أى بدت لحيته .

(٢) ملح : ورد . والغميس : الجدول الصغير بين البقل والنبات . وفى اللسان (بقل) مع نسبته إلى أبى النجم « يلحن » تصحيف . ولم يرد الشطر فى أرجوزته ولا فى ديوان العجاج .

لرُعْت بصفراء الشّحالة حرّةً ... لها مرتع بين النبيطين مبقلُ[1]

وقال آخر :

* ولا أرضَ أبقل إبقالها *

فجاء به على أبقل يبقل فهو مبقل . وقال النابغة الجعدى :

على جانبىْ حائرٍ مفرط ... ببرث تبوّأنَه معشبِ[2]

وقال الدِّينَوَرىّ فى موضع آخر : « النبات كله ثلاثة أصناف : شىء باق على الشتاء أصلُه وفرعه . وشى آخر يُبيد الشتاء فرعه ويبقى أصله ، فيكون نباته فى أرومته الباقية . وشىء ثالث يبيد الشتاء أصله وفرعه ، فيكون نباته من بزره . وكل ذلك يتفرق ثلاثة أصناف أخر : فصنف يسمو صعداً على ساقه مستغنياً بنفسه عن غيره . وصنف يسمو أيضاً صعداً لا يستغنى بنفسه ، ويحتاج إلى ما يتعلق به ويرتقى فيه . وصنف ثالث لا يسمو ولكن ينسطّح على الأرض فينبت مفترشاً . فيقال لكل ما سما بنفسه : شجر ، دقّ أو جل ، قاوم أو عجز عنه . وقيل له شجر لأنّه شجرَ قَسَما ، فكلُّ ما سمكتَه ورفعته فقد شجرته . وما كان منه ينبت فى بزره ولا ينبت فى أرومته فاسمه البقل . وكل نابتة بقلةٌ فى أول ماتنبت ، ولذلك قيل لوجه الغلام أوّلَ ما يخرج : بقَلَ . وما نبت فى أرومة وكان مما يهلك فرعه فاسمه الجَنْبة ، لأنه فارق الذى يبقى فرعُه وأصله ، وفارق البقل الذى يبيد أصلُه وفرعه فكان جَنبةً بينهما . وما تعلق بالشجر فرقىَ فيه وعصَب به فهو فى طريقة العَصْبَة . وما افترش ولم يسمُ فهو فى طريقة السُّطّاح ، وقد زعم أبو عبيدة أنّه النجم . على أنّ كل ما طلع من الأرض فقد نجم ، فهو نجم إلى أن تتبين وجوهه » . اهـ .

(١) اللسان (بقل) و (برث) .

(٢) ديوانه ص ٣٢ واللسان (برث) .

وقال الجواليقى فى لحن العامة : يذهب العامة إلى أنّ البقل ما يأكله الناس خاصة دون البهائم ، من النبات الناجم الذى لا يحتاج فى أكله إلى طبخ . وليس كذلك ، إنّما البقل العشب وما يُنبت الربيع ممـا تأكله البهائم ، قال الشاعر :

* ولا أرض أبقل إبقالها *

وقال آخر(١) :

قومٌ إذا نبتَ الربيع لهم نبتت عِداتُهمُ مع البقل(٢)

٢٤ وقال زهير :

رأيتَ ذوى الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتّى إذا أنبتَ البقلُ

يقال منه : بقلت الأرض وأبقلت ، لغتان فصيحتان ، إذا أنبتت البقل . قال أبو النجم يصف الإبل :

* تبقّلتْ فى أول التبقّل *

والفرق بين البقل ودِقّ الشجر : أنّ البقل إذا رعى لم يبق له ساق ، والشجر يبقى له .

صاحب الشاهد (تتمة) قال شراح شواهد الكتاب : هذا البيت لعامر بن جُوين الطائى ، وهو أحد الخلعاء الفُتّاك ، قد تبرأ قومه من جرائره . وله حكاية مع امرئ القيس ، وستأتى فى ترجمته إن شاء الله . وصف به أرضاً مخصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث . ولم يذكروا مما قبله ولا مما بعده شيئاً . وقال شارح شواهد المغنى : قال الزمخشرى : أوّله :

---

(١) هو الحارث بن دوس الإيادى ، كما فى حواشى ابن برى على تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقى ص١٣ واللسان (بقل) .

(٢) فى اللسان وتكملة الإصلاح واللآلئ ٢٤ : « عداوتهم » ، وهو الوجه

وجارية من بنات الملو ك قعقعت بالرمح خلخالها
كـكِرفئة الغيث ذات الصبيـ ـرِ ترمى السّحابَ ويُرمى لها
تواعدتَها بعد مرّ النجو م كلفاء تـكثر تهطالها
فلا مزنة ودقت ودقها . . . . (البيت)

انتهى . وقد رأيت البيتين الأولين فى شعر الخنساء من قصيدة ترثى بها أخاها صخراً[1] أولها :

ألا ما لعينى ألا ما لهـا لقد أخضلَ الدمعُ سربالها

ثم وصفت جيشاً فقالت :

ورَجراجة فوقها بيضُها عليها المضاعَف زفْنا لها
كـكِرفئة الغيث ذات الصبيـ ـرِ . . . (البيت المذكور)

وقال شارح ديوانها الأخفش : الرجراجة : الـكتيبة ، كأنها تتحرك وتتمخض من كثرتها . والمضاعَف من الدروع : التى تنسج حلقتين حلقتين . وزِفنا لها : مشينا لها باختيال ، وهى بالزاى المعجمة والفاء ، زاف يَزيف زيفاً وزَيفاناً : تبختر فى مشيته . وشبه الرجراجة فى كثرتها وحركتها وتمخضها بالـكرفئة ، وهى السحابة العظيمة التى يركب بعضُها على بعض حَملا للماء . والحَمل بالفتح : ما كان فى الجوف مستـكناً . والحِمل بالـكسر : ظاهر مثل الوقر على الظهر . شبه الـكرفئة بالناقة يكثر لحمها وشحمها ، يقال : إنّ عليها[2]

(١) فى ديوان الخنساء : مخطوط دار الـكتب رقم ٤٣ ـ أدب : « وقالت لمعاوية أخيها وقتله بنو مرة على غدير قلهى » . وفى الأغانى ١٣ : ١٣١ : « ليست هذه فى صخر ، وإنما رثت به معاوية أخاها » . وبعد هذه الـكلمة فى ط : « وهو جرم بن عمرو بن الغوث بن طيء » ، وهى عبارة مقحمة رجع عليها فى ش . وواضح أنه سهو كتابى ، وإنما هو اسم لقبيلة عامر بن حوين ، كما سيأتى .

(٢) ط : « عليه » ، صوابه فى ـ .

لكرافئ من اللحم والشحم . والصبير : سحاب أبيض . ترمى السحابَ هذه الكرفئة أى تنضم إليه وتتّصل به ، ويُرمى لها بالبناء للمفعول ، أى يُضمّ إليها حتى يستوىَ ويخاولق .

قال ابن الأعرابى : هذا البيت لعامر بن جوين الطائى . وقال الأصمعى : الكرفئة وجمعه كرافئ : قِطع من السحاب بعضها فوقَ بعض . والصبير : السحاب الأبيض

ثم قالت تخاطب أخاها :

وبِيضٍ منعتَ غداةَ الصباح ... وقد كَفَّتِ الرّوعُ أذيالها
وهاجرةٍ حرّها واقدٌ ... جعلتَ رداءك أظلالها
وجامعةِ الجمع قد سقتها ... وأعلمتَ بالرمح أغفالها
ورُعبوبةٍ من بنات الملو ... ك قعقعت بالرمح خَلخالها

بيض ، تعنى جوارى سُبين . كفت : كشفت . والروع : الفزع[1] . وروى ابن الأعرابى : « تكشف للروع أذيالها » . واقد : شديد الحر . جعلت رداءك أظلالها ، أى استظللت فيها بالرداء . وتعنى بجامعة الجمع إبلا كثيرة . قد سقتها إمّا لتزويج وإما لسباء تفكّه . وروى ابن الأعرابى : « ومُعلَمة سقتها قاعداً » معلمة : إبل . قاعداً : أى قاعداً على فرسك . والأغفال : التى لا سِماتِ عليها ولا علامات . تقول : أعلمتَ منها ما كان أغفالا . والرُعبوبة : الناعمة الرخصة اللينة . قعقعت خلخالها ، أى تزوجت بها أو سبيتها، فهو سلبها .

ولا يخفى أن هذه الأبيات غير مرتبطة ببيت الشاهد ، ولا مناسبةَ لها به . والله أعلم .

(١) وأنثه بتضمينه معنى الحرب .

وقد نسب أبو محمد الأعرابى ـ فى فرحة الأديب ـ الأبيات التى نقلت عن الزمخشرى إلى عامر المذكور .

وقال المظهرى ـ فى شرح المفصل ـ كلاما يشبه كلام المبرسمين وهذيان المحمومين ، وهو قوله : قصة هذا البيت أنّ جارية هربت من غارة وفى رجلها خَلخال ، يقول الشاعر : إنّ هذه الجارية تعدو ويصوّت خلخالها كصوت الرعد ، فليس مزنة تمطر مطراً مثل السحاب الذى يشبه هذه الجارية ، وليس أرض تخرج النبات مثل أرض أصابها ذلك السحاب . هذا كلامه[1]

ترجمة عامر ابن جوين

و (عامر بن جوين) صاحب الشاهد : هو ـ كما قال محمد بن حبيب فى أسماء المقتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام[2] ـ : هو عامر بن جُوين ابن عبد رُضاء بن قمران الطائى ، أحد بنى جَرم بن عمرو بن الغوث بن طيء ، كان سيداً شاعراً فارسا شريفا ؛ وهو الذى نزل به امرؤ القيس بن حجر . وكان سبب قتله أن كلبا غزت بنى جَرم ، فأسر بشر بن حارثة وهُبيرة ابن صخر الكلبى ، عامر بن جوين ـ وهو شيخ ـ فجعلوا يتدافعونه لكبره ، فقال عامر بن جوين : لا يكن لعامر بن جوين الهوان ! فقالوا له : وإنك لهو ؟! قال : نعم . فذبحوه ومضوا ، فأقبل الأسود بن عامر فلما رأى أباه قتيلا تتبعهم فأخذ منهم ثمانية نفر ـ وكانوا قتلوا عامراً وقد هبت الصبا ـ فكممهم ووضع أيديَهم فى جفان فيها ماء ، وجعل كلما هبت الصبا ذبح واحداً حتى أتى عليهم .

قال أبو حاتم السجستانى ـ فى كتاب المعمّرين[3] ـ : عاش عامر ابن جوين مائتى سنة .

---

(١) انظر اللسان (صبر) .

(٢) ص ٢٠٩ من المجلد الثانى من نوادر المخطوطات .

(٣) المعمرين ص ٤١ .

ورُضاء بضم الراء والمد ؛ قال ابن الكلبي في كتاب الأصنام[1] : وقد كانت العرب تسمى بأسماء يعبّدونها لا أدرى أعبّدوها للأصنام أم لا : منها عبد رُضاء ، كان بيتا لأبى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهدمه المستوغر فى الإسلام وقال :

ولقد شددتُ على رُضاء شدّة فتركتها تلاً تنازع أسحما

وقران بفتح القاف وسكون الميم وبعدها راء مهملة . وجَرم اسم ثعلبةَ حضنته أمةٌ يقال لها جَرم فسمّى بها ، وابنه الأسود كان شريفا شاعراً . وقبيصة ابن الأسود وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذه نسبة عامر بن جوين من الجمهرة : عامر بن جوين بن عبد رُضاء ابن قران بن ثعلبة بن جيّان (وهو جَرم) بن عمرو بن الغوث بن طيِّ .

ترجمة ابى حنيفة الدينورى

(وأبوحنيفة الدينورى) هو أحمد بن داود بن وَنند[2] . أخذ عن البصريين والكوفيين ، وأكثر أخذه عن ابن السكيت ، وكان نحويا لغويا مهندسا
٢٦ منجما حاسبا ، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه . مات فى جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ؛ قال أبو حيان التوحيدى : أبو حنيفة الدينورى من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له فى كل فن ساق وقدم . وهذا كلامه فى الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ، وأما كتابه فى النبات فكلامه فيه فى عروض كلامِ أبدَى بدوىّ ، وعلى طباع أفصح عربىّ . ولقد قيل لى إن له فى القرآن كتابا يبلغ ثلاثة عشر مجلدا — وما رأيته — وإنه ما سُبق إلى ذلك النمط مع ورعه وزهده وجلالة قدره . وله من الكتب : كتاب الباءة . كتاب ما تلحن فيه العامة . كتاب الشعر

(١) الأصنام ص ٣٠ . وفى نقل البغدادى بعض التصرف .
(٢) هذه الترجمة برمتها من معجم الأدباء ٣ : ٢٦ — ٣٢ .

والشعراء . كتاب الفصاحة . كتاب الأنواء . كتاب فى حساب الدَّور[(١)] . كتاب البحث فى حساب الهند . كتاب الجبر والمقابلة . كتاب البلدان ، كبير . كتاب النبات ، لم يصنف مثله فى معناه . كتاب الجمع والتفريق . كتاب الأخبار الطوال . كتاب الوصايا . كتاب نوادر الجبر . كتاب إصلاح المنطق . كتاب القِبلة والزوال . كتاب الكسوف . وله غير ذلك .

روى أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه قال له عيسى : أيها الشيخ ما الشاة المجثَّمة التى نهى النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم عن أكل لحمها ؟ فقال : هى الشاة القليلة اللبن ، مثل اللَّجْبة ، فقال : هل من شاهد ؟ قال : نعم ، قول الراجز :

لم يبقِ من آل الحميد نسمهْ　　إلا عنيز لجبة مجثَّمهْ

فإذا الحاجب يستأذن لأبى حنيفة الدينورى ، فلما دخل عليه قال : أيها الشيخ ،ما الشاة المجثَّمة التى نُهينا عن أكل لحمها ؟ فقال : هى التى جثّمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها . فقال : كيف تقول وهذا شيخ أهل العراق يقول هى مثل اللجبة؟! وأنشده الشعر . فقال أبو حنيفة : أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة ، إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه ، وإن كان الشعر إلّا لساعته هذه . فقال أبو العباس : صدق الشيخ ، فإنى أنفت أن أرِد عليك من العراق ، وذكرى ما قد شاع ، فأول ما تسألنى عنه لا أعرِفه .
فاستحسن منه هذا الإقرار .

* * *

وأنشد بعده لامرئ القيس ، وهو الشاهد الثالث ، وهو من شواهد س[(٢)] :

(١) فى معجم الأدباء : « الدور » .
(٢) سيبويه ٢ : ١٨ .

٣ (تنوَّرتُها من أذرعات وأهلُها بيثربَ أدنى دارها نظرٌ عالِ)

وقال الشارح : يروى بكسر التاء بلا تنوين ، وبعضهم يفتح التاء فى مثله مع حذف التنوين ، ويروى « من أذرعاتَ » كسائر ما لاينصرف . فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف . والأشهر بقاء التنوين فى مثله مع العلمية .

أقول : أراد بهذا الكلام تقرير ما ذهب إليه تبعاً للربعى والزمخشرى ـ وإن خالفهما فى الدليل ـ من أن تنوين جمع المؤنث السالم تنوين صرف لا تنوين مقابلة ، فإنّ حذف التنوين فى بعض اللغات مما سمى بهذا الجمع ، دليلٌ على أن تنوينه قبل التسمية تنوين صرف . فاستند أولا إلى تجويز المبرد والزجاج حذف التنوين منه مع العلمية ، وثانياً إلى رواية منع الصرف فيه مع العلمية بوجهين : سماعى وقياسى ، فالأول نقله ابن جنى ـ فى سر الصناعة ـ
٢٧ عن بعض العرب فقال : واعلم أنّ من العرب من يشبه التاء فى مسلمات ـ معرفةً ـ بتاء التأنيث فى طلحة وحمزة ، ويشبّه الألف التى قبلها بالفتحة التى قبل هاء التأنيث ، فيمنعها حينئذ الصرفَ فيقول : هذه مسلماتُ مقبلة . وعلى هذا بيت امرئ القيس : « تنورتها من أذرعاتَ » ، وقد أنشدوه من أذرعاتٍ بالتنوين . وقال الأعشى :

تخيّرها أخو عاناتَ شهراً ورجّى خيرها عاماً فعاما[1]

وعلى هذا ما حكاه س من قولهم : هذه قرشياتُ[2] غير منصرفة . انتهى . والثانى أن بعضهم ـ أى بعض النحاة ـ يفتح التاء فى مثله ، أى فى

(١) فى النسختين : « لخيرها » ، صوابه من الديوان ١٣٤ واللسان (عون) ، وقال : « عانات : موضع بالجزيرة تنسب إليها الخمر العانية » .
(٢) فى كتاب سيبويه : « قريشيات » . والنسبتان صحيحتان .

مثل أذرعات مما سمى بجمع مؤنث سالم ، مع حذف التنوين ، أى بفتح التاء ويحذف التنوين منه ، ويروى ذلك البعض من أذرعاتَ بفتح التاء قياساً على سائر مالا ينصرف . فعلى هذين الوجهين أى حذف التنوين مع كسر التاء وحذف التنوين مع فتح التاء التنوين للصرف أى التنوين الذى كان قبل التسمية . فإنّ النحاة اتفقوا على أن التنوين الذى يحذف فيما لاينصرف إنما هو تنوين الصرف .

و (أذرعات) قال ياقوت فى معجم البلدان : وهى بلد فى أطراف الشام يجاور البلقاء وعَمّان ، وينسب إليه الخمر . وقد ذكرتها العرب فى أشعارها لأنها لم تزل من بلادها . والنسبة إليه أذرعىّ . و (يثرِب) زاد الصاغانى : وأثرِب[1] . اسم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ياقوت - نقلا عن الزجاجى : « سُمّيت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طَيبة وطابة ، كراهيةً للتثريب . وسميت مدينةَ الرسول صلى الله عليه وسلم لنزوله بها . ثم اختلفوا فقيل : إن يثرب اسم للناحية التى منها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : بل يثرب ناحية من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم[2] ، وقيل هى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . قال ابن عباس : من قال يثرب فليستغفر الله ثلاثا إنما هى طَيْبَة » . وقال فى المصباح : ثرب عليه من باب ضرب : عتب ولامَ ، وبالمضارع بياء الغائب سمى رجلٌ من العمالقة ، وهو الذى بنى المدينة سميت باسمه ، قاله السهيلى . وأما (يترب) بالمثناة الفوقية بدل المثلثة ، فقال ياقوت : هى بفتح الراء قيل

(١) ط : « ويثرب » صوابه فى سه كما تقتضيه المغايرة .
(٢) فى النسختين : « من ناحية مدينة الرسول » ، صوابه فى معجم البلدان .

قرية باليمامة عند جبل وشم . وقيل اسم موضع فى بلاد بنى سعد . وقال الحسن ابن أحمد الهمْدانى اليمنىّ(١) : هى مدينة بحضرموت نزلها كِندة . وإياها عنى الأعشى بقوله :

* بسهام يثرب أو سهام الوادى(٢) *

ويقال إن عرقوباً صاحب المواعيد كان بها . ثم قال : والصحيح أنه من قدماء يثرب . وأما قول ابن عبيد الأشجعى :

وعدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً مواعيد عُرقوب أخاه بيترب

فهكذا أجمعوا على روايته بالتاء المثناة ؛ قال ابن الكلبى : وكان من حديثه أنه كان رجلا من العماليق يقال له عرقوب ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عرقوب : إذا أطلعَت النخلة فلك طلعها . فلما أتاه للعِدَة قال : دعها تصير بلحاً.
٢٨ فلما أبلحت قال : دعها تصير زهواً ؛ ثم حتى تصير بسراً ؛ ثم حتى تصير رطباً ؛ ثم تمراً . فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدّها ولم يعطه شيئاً ، فصار مثلا فى الخلف » . و (التنوُّر) قال المبرد فى الكامل : المتنوّر الذى يلتمس ما يلوح له من النار . ورد عليه أبو الوليد الوقشى ـ فى شرحه عليه ـ بأن المتنور إنما هو الناظر إلى النار من بعد ، أراد قصْدها أو لم يرد ، كما قال امرؤ القيس : « تنورتها من أذرعات » ، ولم يرد أن يأتيها ، كما لم يُردِ القائل(٣) :

وأشرفُ بالقُور اليَفاع لعلنى أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها

---

(١) هو صاحب كتاب الإكليل ، وصفة جزيرة العرب ، المتوفى سنه ٣٣٤ .
(٢) فى ديوان الأعشى ٩٨ ومعجم البلدان ٢ : ٢٥٨ : « أو سهام بلاد » . وصدره :
* منعت قياس الماسخية رأسه *
(٣) هو توبة بن الحمير من مقطوعة فى الأمالى ١ : ٨٨ ، كما ورد بهذه النسبة فى اللسان (بصر) .

والنظر إلى نارها إنما هو بنظر قلبه، تشوقاً إليها . كما قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى[١] : هذا تحزُّن وتظنّنٌ منه[٢] ، ليس أنه رأى بعينه شيئاً إنما أراد رؤية القلب . ومثله قول الآخر :

أليس بصيراً من رأى وهو قاعد بمكة أهلَ الشام يختبزونا

وقال الأعشى[٣] :

أريتُ القوم ناركِ لم أغمّض بواقصة ومشربنا زَرودُ
فلم أر موقداً منها ولكن لأية نظرة زَهَرَ الوقود[٤]

وجوّز أرباب البديع فى الإغراق من المبالغة أن يكون نظراً بالعين حقيقة . قالوا : لا يمتنع عقلا أن يرى من أذرعات من الشام نار أحبّتِه، وكانت بيثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم على بعد لهذه المسافة، على تقدير استواء الأرض وأن لا يكون ثمّ حائل من جبل أو غيره، مع عظم جِرم النار، وإن كان ذلك ممتنعاً عادة . وجملة تنورتها استئنافية، و (أدنى دارها) مبتدأ و (نظر عالى) خبره بتقدير مضاف . قال أبو على فى الإيضاح الشعرى : ولا يجوز أن يكون نظرٌ خبر أدنى لأنه ليس به، لأن أدنى أفعل تفضيل، وأفعل لا يضاف إلا إلى ما هو بعضٌ له، فوجب أن يكون بعض الدار، وبعض الدار لا يكون النظر فإما أن يحذف المضاف من النظر، أى أدنى دارها ذو نظر، وإما أن يحذف من الأوّل، أى نظرُ أدنى دارها نظر عالى، ليكون الثانى الأوّل. فى المصباح: علا علوًّا من باب قعد : ارتفع، فهو عال . يريد أن أقرب مكان من دارها

(١) المعانى الكبير ص ٤٣٥ .
(٢) ط : « وتمن منه » صواب النص من ش والمعانى
(٣) ديوانه ص ٦٥ .
(٤) زهر السراج والقمر ونحوهما : تلألأ .

بعيد . فكيف بها ودونها نظر عالٍ ! والجملتان الاسميتان حال من ضمير المؤنث في تنوّرتها ، وجاءت الثانية بلا واو كقوله :

وَاللهُ يبقيك لنا سالماً بُرْداك تعظيم وتبجيلُ

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس عدتها ستة وخمسون بيتاً ، وهي من عيون شعره ، وأكثرها وقعت شواهد في كتب المؤلفين : هنا ، وفي مغني اللبيب ، وفي كتب النحو والمعاني . فينبغي شرحها ـ تتميماً للفائدة ـ وإن شرحت هنا بأجمعها طال الكلام . فلنوزعها مع الأبيات التي ذكرت

قصيدة الشاهد منها في هذا الكتاب متفرقة ، فنذكر هنا من أول القصيدة إلى البيت الذي شرحناه :

(ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العُصر الخالي

وهل يعمنْ إلا سعيدٌ مخلدٌ قليلُ الهموم ما يبيتُ بأوجال)

٢٩ قوله « عم صباحاً » هذه الكلمة تحية عند العرب ، يقال : عم صباحاً وعم مساء وعم ظلاماً . والصباح من نصف الليل الثاني إلى الزوال ، والمساء من الزوال إلى نصف الليل الأوّل . قال ابن السيد في شرح شواهد أدب الكاتب « يقال وَعَمَ يَعِمُ كوعد يعد وومق يمق . وذهب قوم إلى أن يم محذوف من ينعم ، وأجازوا عم صباحاً بفتح العين وكسرها ، كما يقال انعَم صباحاً وانعِم . زعموا أن بعض العرب أنشد :

* ألا عَم صباحاً أيها الطلل البالي *

بفتح العين . وحكى يونس أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنترة :

* وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى *

فقال : هو من نعم المطر إذا كثر ، ونعم البحر إذا كثر زَبَدُه ، كأنه

يدعو لها بالسقيا وكثرة الخير . وقال الأصمعى والفراء : إنما هو دعاء بالنعيم والأهل وهو المعروف ، وما حكاه يونس نادر غريب . ولم يذكر صاحب الصحاح مادة وعم قال : «وقولهم عم صباحاً كأنه محذوف من نعم ينعم بالكسر». وزعم ابن مالك فى التسهيل أن عم فعل أمر غير متصرف . قال أبو حيان : ليس الأمر كما زعم ، بل هو فعل متصرف ، وقد حكى يونس وعمتُ الدارَ أعم، أى قلت لها انعمى . قال الأصمعى : عم فى كلام العرب أكثر من انعمْ . وقد روى « ألا انعم صباحاً الخ » . ونَعُم الشيء نعومة صار ناعماً ليناً ، من باب كرم وحذر وحسب . ويقال انعم صباحك أيضاً من النعومة . وصباحاً ظرف أو تمييز محول عن الفاعل . والطلل : ماشخص من آثار الدار . والرسم : مطلق الأثر . والبالى : من بلى الثوب من باب تعب ، بِلَى بالكسر والقصر وبَلاء بالفتح والمد : خلق . أو من بلىَ الميتُ : أفنته الأرض . وقوله « وهل يعمن » هو استفهام إنكارى ، استشهد به ابن هشام ـ فى شرح الألفية ـ على أن مَن يستعمل فى غير العقلاء . وقال العسكرى ـ فى كتاب التصحيف ـ اختلفوا فى معناه لا فى لفظه ، فقال الأصمعى : اللفظ على مذهب أنت يا طلل قد تفرق أهلك وذهبوا ، فكيف تنعم بعدهم ؟ ! أو المعنى كيف أنعم أنا ؟ فكأنه نعنى أهل الطلل . و «العصر» بضمتين : لغة فى العصر وهو الدهر . والخالى : الماضى، قال تعالى : « وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلاَ فيها نذير » . وقوله « وهل يعمن إلا سعيد إلخ » قال العسكرى : المخلّد : الطويل العمر الرخىّ البال ، ومخلد إذا لم يشب . وقيل المخلّد المقرّط ، والقُرط الخلَدة . ورواه بعضهم :

* وهل ينعمنْ الا خلىٌّ مخلَّد *

وقال : يعنى غلاماً حدَثاً خليا من العشق . والأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف ، وفعله من باب تعب .

(وهل يَعمنْ من كان أحدثُ عهده ثلاثين شهراً فى ثلاثة أحوال)

قال العسكرى — نقلا عن الأصمعى وابن السكّيت — يقول : كيف ينعم من كان أقربُ عهده بالرفاهية ثلاثين شهراً من ثلاثة أحوال ، على أن فى بمعنى من . ثم قالا : وقد تكون بمعنى مع ، قال ابن السيد « وكونها بمعنى مع أشبهُ من كونها بمعنى من . ورواه الطوسى: «أو ثلاثة أحوال» . وكل من فسره ذهب إلى أن الأحوال هنا السنون جمع حول(١) . والقول فيه عندى أن الأحوال هنا جمع حال لا جمع حول ، وإنما أراد كيف ينعم من كان أقرب عهده بالنَّعيم ثلاثين شهراً وقد تعاقبت عليه ثلاثة أحوال ، وهى اختلاف الرياح عليه ، وملازمة الأمطار له ، والقدم المغيِّر لرسومه . فتكون « فى » هنا هى التى تقع بمعنى واو الحال فى نحو قولك: مرت عليه ثلاثة أشهر فى نعيم . أى وهذه حاله » .

(ديارٌ لسَلمى عافياتٌ بذِى الخالِ ألحّ عليها كلُّ أسحمَ هطَّالِ)

عافيات : من عفا المنزل يعفو عَفواً وعفوّاً وعفاء بالفتح والمدّ : درس . وذو الخال قال ابن الأثير — فى المرصّع — جبل مما يلى نجداً ، وقيل موضع ، وأنشد هذا البيت . ولم يذكره ياقوت فى معجم البلدان . والأسحم : الأسود ، أراد به السحاب لكثرة مائة . وهذا البيت مصرّع . وديار مبتدأ ، ولسلمى صفةُ ، وعافيات خبره ، وبذى الخال حال من ضمير عافيات ، وجملة ألح خبر بعد خبر .

(وتحسب سَلمى لا تزالُ كعهدنا بوادى الخزامَى أو على رأس أوعالِ(٢))

---

(١) فى النسختين : « جمع سنة » ، صوابه من الاقتضاب لابن السيد ٤٥٣ .
(٢) وروى : « رس أوعال » وبذلك غيرت فى س .

العَهْد: الحال والعِلم ، يقال هو قريب العهد بكذا، أى قريب العلم والحال . والخزامى — بالضم والقصر — خِيرِىّ البر . ووادى الخزامى ورأس أوعال : موضعان . ويروى « ذات أو عال » قال ابن الأثير فى المرصَّع : هى هضبة فيها بئر ، وقيل هى جبل بين علين فى نجد ، والأوعال : جمع وعل . وأنشد هذا البيت :

أى إن سلمى تظنُّ أنها تبقى على الحالة التى كنا عليها فى ذينك المكانين.

(وتَحسَب سَلمى لاتزَال ترى طَلاً   من الوحش أو بَيضاً بميثاء محلالِ)

سلمى فاعل تحسب ، والمفعول الأول من ترى محذوف أى نفسها ، وجملة ترى خبرُ لاتزال — وهذا الإعراب جارفى السابق على هذا الترتيب — والرؤية عِلمية . وطلا مفعولها الثانى ، والطلا بالفتح : ولد الظبية . ومن الوحش صفة طلا ، وبيضا معطوف على طلا ، أراد بيض النعام فى البياض والملاسة والنعومة . والميثاء قال فى العباب : « هو بالفتح الأرض السهلة » . وأنشد هذا البيت ، وقال العسكرى — فى التصحيف — هو بفتح الميم طريق للماء عظيم مرتفع من الوادى ، فإذا كان صغيرا فهى شعبة ، وهو نحو من ثلث الوادى أو أقل ، فإذا كان أكثر من ذلك فهو تَلعة ، فإذا كان مثل نصف الوادى أو ثلثيه فهو مَيثاء . والميث : مالان وسهل من الأرض ، وروى (الميثاء) بالكسر ، وهى الأرض الليِّنة ، وروى (الميتاء) بالكسر وبالتاء المثناة فوق ، وهو الطريق المأتىّ أى المسلوك . والمحلال بالكسر ، من حللت إذا نزلت به ، قال الصاغانى : وأرض محلال إذا أكثر القوم النزول فيها ، وكذلك روضة محلال ، وأنشد هذا البيت . وقال العينى : أى تحسبها ظبية لاتزال تنظر إلى ولدها ، وتحسبها بيض نعام ، وقال بعض شراح

القصيدة : أى بالبادية حيث يكون بيض النعام أو ولد الوحش . اهـ . وهذا لا يخفى ما فيه .

(ليالىَ سلمى إذ تُريك منصَّبا وجِيداً كجيدالرِّيم ليس بمعطالِ)

ليالىَ منصوب بتقدير اذكر ونحوه ، وإذ بدل من ليالى . ومنصَّباً ، قال العسكرى : « من رواه بالنون أراد ثغرها ، والمنصب : المستوى من الأرض المتسق . ومن روى مقصبا بالقاف، أراد شعرها ، قصّبته : جعلته ذوائب ، وشعر مقصّب أى قُصابة [قُصَّابة[١]] . وقال الأصمعى : قصبة قَصبة . وقال غيره : قصيبة وقصائب » انتهى . وفى الصحاح : الذوائب المقصّبة تلوى ليا حتى
٣١ تترجّل ، ولا تضفر ، واحدتها قصيبة وقُصّابة بالضم والتشديد . والمعطال : المرأة التى خلا جيدها من القلائد ، والفعل من باب قتل ، وعَطلا بالتحريك وعطولا بالضم .

(ألا زعمتْ بَسباسةُ اليومَ أننى كبرْت وأن لا يشهد اللهوَ أمثالى)

بسباسة : امرأة من بنى أسد . وكبر : شاخ ، يقال كبر الصبى وغيره ، من باب تعب ، مَكبِرا كمسجد ، وكبراً كعنب . وشهده بالكسر يشهده بالفتح شهودا : حضره . واللهو : مصدر لهوت بالشىء ، إذا لعبت به . قال فى الصحاح : وقد يكنى باللهو عن الجماع . وقوله تعالى : « لو أُردنا أن نتخذ لهواً » ، قالوا : امرأة ، ويقال [ولداً[٢]] .

(بلى ربّ يوم قد لهوتُ وليلةٍ بآنسة كأنّها خطُّ تِمثال)

بلى : حرف إيجاب يختص بالنفى ويفيد إثباته ، وأثبت به هنا الشهود المنفى فى البيت السابق . ورواه ابن هشام فى مغنى اللبيب : « فيارب يوم الخ »

(١) التكملة من تصحيف العسكرى ص ٢٢٨ .
(٢) التكملة من ـــه والصحاح .

وأورده شاهدا على ورود ربّ للتكثير . وجملة قد لهوت صفة يوم ، والعائد محذوف أى فيه ، وصفة ليلة مع العائد محذوف أى لهوت فيها ، ولا يجوز أن يكون الوصف لهما . والآنسة : المرأة التى تأنس بحديثك . والخط : الكتابة ، قال فى العباب : يقال خطّه فلان كما يقال كتبه . وأنشد هذا البيت . وقال فى مادة مثل : والتمثال الصورة ، والجمع التماثيل . وقوله تعالى : « ما هذه التماثيل » ، أى الأصنام . وقوله تعالى : « يعمَلون له مايشاءمن مَحاريبَ وتماثيلَ » وهى صور الأنبياء عليهم السلام ، وكان التصوير مباحا فى ذلك الوقت .

(يضىء الفراشَ وجهُها لضجيعها ⁂ كمصباح زيتٍ فى قناديلِ ذُبّالِ)

الفراش : مفعول مقدم ووجهها الفاعل . والمصباح : السراج . والذبّال بضم الذال وتشديد الموحدة : جمع ذُبّالة وهى الفتيلة ، لغة فى الذُّبال بتخفيف الباء . ويروى : « فى قناديل آبال » : جمع أبيل ، كشريف وأشراف ، وهو الراهب ، قال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

إننى والله فاقبلْ حِلْفتى ⁂ بأبيلٍ كلَّما صلّى جأرْ

وفى ، بمعنى مع .

(كأنَّ على لَبّاتها جمرَ مُصطلٍ ⁂ أصاب غَضًى جزلا وكُفّ بأجذال

وهبّتْ له ريحٌ بمختلَف الصُّوى ⁂ صَبا وشَمالاً فى منازل قُفّال)

اللبة : المنحر ، وموضع القلادة من الصدر ، والمراد هنا هو الثانى . والمصطلى اسم فاعل من اصطلى بالنار . وصلى بها وصليها من باب تعب : وجد حرّها ، وجملة أصاب غضًى صفة لمصطل . والغضى : شجر خشبه من أصلب الخشب ، ولهذا يكون فى فحمه صلابة . وأصاب : وجد . والجزل : الغليظ ، وجزُل الحطب بالضم إذا عظم وغلظ ، فهو جزل . وكُفّ بالبناء للمفعول ، من كففت الثوب ، أى خطت حاشيته ، وهى الخياطة الثانية . أراد : جُعل

حول الجمر أجذال ، وهى أصول الحطب العظام ، جمع جِذْل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة . والمختلف بفتح اللام : موضع الاختلاف أى التردد ، وهو أن
٣٢ تذهب ريح وتجىء ريح . والصُّوى : جمع صُوّة ، كقوى جمع قوّة ، والصوّة قال فى الصحاح : هى مختلف الريح ، وأنشد هذا البيت . والصوّة أيضاً : حجر يكون علامةً فى الطريق ، وليس بمراد هنا ، خلافاً لبعضهم . والقفّال : جمع قافل كعباد وعابد ، والقافل : الراجع من سفره ، وفعله من باب قعد ، ويكون القفول فى المبتدئ للسفر تفاؤلا بالرجوع . بالغ فى سخونة هذه المرأة فى الشتاء حيث وَصف الحلْى الذى على لبّاتها بما ذكر فى البيتين ، وهذا مدح فى النساء ، كما إذا بردت فى الصّيف[1] . قال الأعشى :

ونسخن ليلةَ لا يستطيع نباحا بها الكلب إلا هريرا
وتبرد بردَ رداء العرو س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

(كَذَبتِ لقدأُصبِي على المرء عِرسَه وأمنع عِرسى أن يُزَنّ بها الخالى)

صرّح بتكذيب بسباسة ، حيث زعمت أنه لا يلهو بالنساء فقال : إنى أشوّقُ النساء إلىّ معوجود أزواجهن، ولاأدع أحدا يُتّهم بامرأتى، لأنها لاتميل إلى أحد مع وجودى ، لأنى محبّب عند النساء . وأصبى : مضارع أصبيت المرأة ، بمعنى شوّقتها وجعلتها ذاتَ صبوة وهى الشّوق . والعرس بالكسر : الزوجة . ويُزَنّ : يتهم ، بالبناء للمفعول ، يقال أزننته بشىء : اتهمته به ، وهو يزنّ بكذا ، وأزنّه بالأمر إذا اتهمه به . والخالى قال فى الصحاح : « قال الأصمعى : هو من الرجال : الذى لا زوجة له » . وأنشد هذا البيت .

(ومثلكِ بيضاءِ العوارض طَفلةٍ لعوبٍ تنسّينى إذا قمتُ سِربالى)

---

(١) قال الوزير أبو بكر : شبه توقد الحلى على صدرها بجمر المصطلى . وخص المصطلى لأنه يذكيه ويقلبه ، فهو يتوقد ويظهر جمرة جمرة .

الواو واو رب . وهو خطاب لبسباسة . فى القاموس : العارض والعارضة : صفحة الخد ، وصفحتا العنق ، وجانبا الوجه . والعارضة أيضاً : ما يستقبلك من الشىء ، ومن الوجه : ما يبدو عند الضحك . والطَّفلة بفتح الطاء : الناعمة البدنِ ، والطَّفل : الناعم . واللَّعوب : الحسنة الدَّل. والنسيان : خلاف الذكر . وأنسانيه الله ونَسَّانيه تنسية بمعنًى . ورواه الجوهرى عن أبى عبيدة : « لعوب تناسانى إذا قمت سربالى » . قال : ومعناه تنسينى . والسِّربال : القميص .

(لطيفة طىُّ الكشحِ غيرَ مُفاضة إذا انفتلت مرتجَّةً غيرَ مِتفالِ)

لطف لطفا ولطافة ككرم : صغر ودقّ ، وهو لطيف . والكشح بالفتح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف . وطى الكشح هنا : جدلها وفتلها ، يريد أنّها مجدولة الكشح جدلاً لطيفاً ، فإنَّ هَيف الكشح والخصر ممدوح . والمفاضة من النساء : الضخمة البطن ، وهذا ذمٌّ فيهن ، ومن الدروع : الواسعة ، وهما من الفيض . وانفتلت : انصرفت . ومرتجّة من الارتجاج ، وهو التحرُّك والاضطراب ، أراد عظم كفلها ، وهى خبر تكون محذوفة . والمِتفال بالكسر : من تفِل بالمثناة الفوقيّة والفاء ، قال فى العباب : التَّفَل بالتحريك : مصدر قولك تَفِل الرجل بالكسر ، إذا ترك الطيب ، فهو تفل ، وامرأة تفلة . وفى الحديث : « لا تمنعوا إماء الله مساجدَ الله ، وليَخرجنَ إذا خرجنَ تَفِلاتٍ » ، أى تاركات للطيب . وامرأة متفال ، إذا كانت كذلك ، وأتفله غيره ، ومنه حديث على رضى الله عنه لرجل رآه نائماً فى الشمس :
« قم عنها فإنها تُتفِل الرِّيح ، وتبلى الثوب ، وتظهر الداء الدفين » . وصفها ٣٣
بثلاثة أمور : بِهَضمِ الخصر ، وضخامة الكفَل ، والطيب.

(إذا ما الضجيعُ ابتزَّها من ثيابها تَميلُ عليه هونةً غيرَ مِعطالِ)

ابتزها : نزع بزّها أى ثيابها ، وأراد مطلق النزع والسلب . والمونة والهونة بالفتح والضم : المتئدة . والهَوْن : السكينة والوقار . والمعطال تقدم تفسيره . ويروى « مجبال »(١) قال الأصمعى : معناه هى الغليظة .

(كدِعص النّقا يمشى الوَليدانِ فوقه بما احتسبا من لين مسٍّ وتَسهالِ)

الدعص بالكسر : قطعة من الرمل مستديرة . والنقا : الكثيب من الرمل . أراد تشبيه عجزها بالدِّعص لعظمه ، حتى أنّ ولدين يمكنهما أن يلعبا فوقه من غير ضرر عليهما ، للينه وسهولته . والوليدان : الصبيّان . واحتسب : اكتفى . والتّسهال : السهولة .

(إذا ما استحمّت كان فيضُ حَميمها على مَتنَتيها كالجُمان لدَى الحال(٢))

استحمت : اغتسلت بالحميم ، وهو الماء الحار . ومتنتا الظهر : مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم ، والمفرد متن ومتنة . والجمان بالضم : اللؤلؤ . والحال : وسط الظهر ، ومن الفرس : موضع اللبد . أراد أن الماء الذى ينفصل من ظهرها عند الاغتسال يشبه اللؤلؤ المتناثر .

(تنورتها من أذرعات . . . . (البيت)

الضمير راجع إلى بسباسة . وقد شُرح البيت .

(نظرتُ إليها والنجومُ كأنّها مصابيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفّال)

ضمير إليها راجع إلى النار المفهوم من تنوّرتها ، وجملة والنجوم الخ حال من الفاعل ، وجملة تشبّ حال من ضمير النار . قال ابن رشيق فى العمدة(٣) :

(١) فى ط : « محيال » صوابه فى سه والديوان ٣١ .
(٢) ويروى : « الجالى » وهو الذى يجتليها ، أى يعرضها كما فى شرح الطوسى . الديوان ٣٧٨ .
(٣) العمدة ٢ : ٤٥ .

ومن أبيات المبالغة قول امرئ القيس يصف نارا ، وإن كان فيه إغراق :
نظرت إليها والنجوم ، البيت ؛ يقول : نظرتُ إلى نار هذه المرأة تشبّ لقفال، والنجوم كأنها مصابيح رهبان . وقد قال « تنورتها من أذرعات » البيت ، وبين المكانين بُعد أيام ، وإنما ترجع القفال من الغزو والغارات وجهَ الصباح ، فإذا رآها من مسيرة أيام ، وجهَ الصباح ، وقد خمد سناها وكَلَّ مُوقدها ، فكيف كانت أول الليل ؟ ! وشبه النجوم بمصابيح الرُّهبان لأنها في السَحَر يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدةِ ليلها أجمع ، لا سيما مصابيح الرهبان ، لأنّهم يكلُّون من سهر الليل ، فربّما نعسوا في ذلك الوقت » .

وقال بعضهم : ومن التشبيه الصادق هذا البيت ، فإنّه شبه النجوم بمصابيح رهبان لفرط ضيائها ، وتعهُّد الرهبان لمصابيحهم وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح ، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل وتتضاءل إلى الصبح كتضاؤل المصابيح له .

وقال « تشب لقفال » لأن أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها التي تأوي إليها من مَصيفٍ إلى مشتًى إلى مربع ، أُوقدت لها نيران على قدر كثرة منازلها وقلّتها ، ليهتدوا بها . فشبَّه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها من مكان بعد مكان ، على حسب منازل القفال بالنيران الموقدة لهم .

٣٤ وقد طال الكلام هنا ولم يمكننا أن نترجم امرأ القيس . ونترجمه إن شاء الله في الشاهد الثاني من شواهد شعره .

* * *

وأنشد بعده وفي آخر الشرح ،في التنوين ،وهو الشاهد الرابع :

٤ (أقلّي اللّومَ عاذلَ والعتابَنْ وقُولى إن أصبتُ لقد أصابَنْ)

على أن تنوين الترنم يلحق الفعل والمعرّف باللام ـ وقد اجتمعا فى هذا البيت — والفعلَ سواء كان ماضياً كما ذكر أو مضارعا ، كقوله :

* داينتُ أروىٰ والديونُ تُقضَيَنْ (١) *

وقد لحقت المضمرَ أيضاً كقوله :

* يا أبتا علَّكَ أو عساكن *

قال الشارح : ولم يسمع دخولُها على الحرف ، ولا يمتنع ذلك فى القياس .

أقول : قد سمع فى الحرف أيضاً كما مثّل له شُراح الألفية بقول النابغة :

أفِدَ التَّرحُّل غير أنّ ركابنا لما تزلْ برحالنا وكأن قدن

ولحاق هذا التنوين لما ذكر إنما هو عند بنى تميم ، كما قال الشارح ، وعند قيس أيضاً كما قاله ابن جنِّى فى سر الصناعة .

و (أقلِّى) فعل أمر مسنَد إلى ضمير العاذلة ، يقال أقللته وقلَّلته بمعنى جعلته قليلا ، بتعدية قلّ بالهمزة والتضعيف . وهذا المعنى ليس بمراد ، بل المقصود اتركى اللوم ؛ فإنّ القلة يعبر بها عن العدم كما هو مستفيض . و (اللَّوم) مفعول أقلّى ، وهو مصدر لام يلوم ، ومعناه العذل ، والتوبيخ . و (عاذلَ) منادى محذوف منه حرف النداء ، ومرخم عاذلة ، من عذل يعذل من بابى ضرب وقتل ، بمعنى لام . و (العتاب) معطوف على اللَّوم ، مصدر عاتب معاتبة وعتابا . قال الخليل : العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة أى الغضب . وهذا ليس بمقصود إذْ هو بهذا المعنى لا يكون إلاّ بين متحابَّين ، وإنّما المراد مصدر

(١) قال الميمنى : هذا من تمحّل النحاة ، فإن الشطر لرؤبة . راجع اللآلىء ص ٥٧) ويليه :

* فطلت بعضاً وأدت بعضا *

فكيف تستقيم الأشطار بتنوين الترنم .

عَتَب عليه عتباً من بابى ضرب وقتل ، بمعنى لامه فى تسخُّط . وقوله (قُولى) فعل أمر أيضاً معطوف على أقلى . وقوله (لقد أصابن) مقول القول ، وجملة (إن أصبتُ) معترضة بينهما ، وجواب الشرط محذوف وجوبا يفسره جملة القول .

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة طويله عدد أبياتها مائة و تسعة ، لجرير[1] يهجو عُبيدا الراعى النميرى ، والفرزدق . وسبب هجوه إياهما على ما حكى فى شرح المناقضات ، أنّ عَرَادة النميرى كان نديماً للفرزدق ، فقدم الراعى البصرةَ فقدّم عرادة طعاماً وشراباً ، فدعا الراعىَ ، فلما أخذت الكاس منهما قال عَرادة للراعى : يا أبا جندل ، قل شعراً تفضّل الفرزدق على جرير . فلم يزل يزيّن له ذلك حتى قال :

يا صاحبىّ دنا الأصيلُ فسيرا غلب الفرزدقُ فى الهجاء جريرا

فغدا به عرادة على الفرزدق فأنشده إياه ، وكان عبيد الراعى شاعر مضر وذا سنًّا ، فحسب جرير أنه مغلّب الفرزدقَ عليه ، فلقيه يوم الجمعة فقال : يا أبا جندل : إنى أتيتك بخبر أتانى ، إنى وابن عمى هذا — يعنى الفرزدق — نستبّ صباحاً ومساء ، وما عليك غلبة المغلوب ولا عليك غلبة الغالب ، فإما أن تدعَنى وصاحبى ، وإما أن تغلِّبنى عليه ، لانقطاعى إلى قيس وحَطْبى فى حبلهم . فقال له الراعى : صدقت ، لا أبعِدك من خَير ، ميعادك المِربد . فصحبه جرير ، فبينما هما يستخرج كلٌّ منهما مقالةَ صاحبه رآهما جَندل بن عُبيد
٣٥ فأقبل يركض على فرس له فضرب بغلة أبيه الراعى ، وقال : مالك يراك الناس واقفاً على كلب بنى كليب ؟ ! فصرفه عنه . فقال جرير : أما والله

(١) ديوانه ٦٤ — ٨٠ والنقائض ٤٣٢ .

لأثقلنّ رواحلك . ثم أقبل إلى منزله ، فقال للحسين رَاوِيتِهِ : زد فى دُهن سراجك الليلة ، وأعدِد لوحاً ودواة. ثم أقبلَ على هجاء بنى نمير ، فلم يزل يُملى حتى ورد عليه قوله .

فغُضَّ الطرفَ إنك من نمير ... فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فقال : حسبك ، أطفىء سراجك ونم ، فرَغتُ منه . ثم إنَّ جريراً أتم هذه بعد ، وكان يسمّيها الدامغة أو الدمّاغة ، وكان يسمى هذه القافية المنصورة ، لأنه قال قصائدَ فيها ، كلُّهن أجاد فيها . وبعد أن أتمها أدخل طرفَ ثوبه بين رجليه ثم هَدَر ، فقال : أخزيت ابن يربوع ! حتّى إذا أصبح غدًا ورأى الراعى فى سوق الإبل ، فأتاه وأنشدُه إياها ، حتى وصل إلى قوله :

أجندلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ ... إذا ما الأير فى آست أبيك غابا

فقال الراعى : شراً والله تقول !

علوتُ عليك ذِروة خِنْدِفيّ ... ترى من دونها رُتَباً صعابا

لنا حَوضُ النبي وساقياه ... ومَن ورث النبوّة والكتابا

إذا غضبتْ عليك بنو تميم ... حسبتَ الناس كلهم غضابا

فغضَّ الطرف إنك من نمير ... . . . (البيت [1]) .

فقال الراعى وهو يريد نقضها :

أتانى أنَّ جحش بنى كليب ... تعرّض حَول دِجلة ثم هابا

فأولى أن يظلَّ البحر يطفو ... بحيث ينازع الماء السحابا

أتاك البحرُ يضرب جانبيه ... أغرُّ ترى لِجريته حَبابا

---

(١) ورد فى ط فقط بعده الحرف « ن » ، ولعله إشارة إلى النقائض ، كما يشير بالحرف « س » إلى سيبويه .

ثم كفّ ورأى أن لايجيبه . فأجاب عنه الفرزدق على رويّ قوله :

أنا ابن العاصمين بنى تميم إذا ما أعظم الحدَثان نابا

ثم إنّ الراعى قال لابنه : ياغلام بئسما كسَبتنا قومُنا(١) . ثم قام من ساعته وقال لأصحابه : ركابَكم فليس لكم ها هنا مقام ، فَضَحكم جرير . فقال له بعض القوم : ذلك بشؤمك وشؤم ابنك . وسار إلى أهله ، فلما وصل إليهم سمع عند القدوم :

فغضّ الطرف إنّك من نمير . . . . . . (البيت)

وأقسم بالله مابلّغَها إنسىّ ، وإن لجرير لأشياعاً من الجن . فتشاءمت به بنو نمير وسبُّوه وسبُّوا ابنه . وهم يتشاءمون به إلى الآن .

قال ابن رشيق فى العمدة(٢) : « وممن وضعه ماقيل فيه من الشعر ، حتى أنكر نسبه وسقط عن رتبته ، وعِيب بفضيلته ، بنو نمير . كانوا جمرة من جمرات العرب ، إذا سئل أحدهم : ممن الرجل ؟ فخم لفظه ومدّ صوته وقال : من بنى نمير . إلى أن صنع جرير قصيدته التى هجا بها عُبيد بن حُصينٍ الراعى فسهر لها فطالت ليلته إلى أن قال : فغض الطرف إنك من نمير . . البيت . فأطفأ سراجَه ونام ، وقال : والله قد أخزَيتُهم آخر الدهر . فلم يرفعوا رأساً بعدها ، إلاّ نكس بهذا البيت ، حتّى أن مولى لباهلة كان يرِد سوق البصرة ممتاراً فيصيح به بنو نمير : ياجوذَابَ باهلة ، فقص الخبر على مواليه —
٣٦ وقد ضجر من ذلك — فقالوا له : إذا نبزوك فقل لهم :

فغضّ الطرف إنك من نمير . . . . . . (البيت)

ومرّ بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت فنسيه فقال : غمِّضْ وإلاّ جاءك

(١) انظر النقائض ٤٣٢ .

(٢) العمدة ١ : ٢٦ .

ماتكره ! فكفُّوا عنه، ولم يَعرِضوا له بعدها . ومرت امرأة ببعض مجالس بنى نمير ، فأداموا النظر إليها فقالت : قَبحكم الله يابنى نمير ، ماقَبِلتم قول الله عز وجل : « قُلْ لِلمُؤْمنين يَغُضُّوا مِن أبْصارِهِمْ » ، ولا قول الشاعر :

فغضّ الطرف إنك من نمير . . (البيت)

وهذه القصيدة تسمِّيها العرب الفاضحة ، وقيل سماها جرير الدمّاغة ، تركت بنى نمير بالبصرة ينتسبون إلى عامر بن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميراً إلى أبيه ، هرباً من ذكر نمير ، وفِراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة » .

جمرات العرب

واعلم أنّ جمرات العرب ثلاث : وهم بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضَبة بن أدّ . فطَفِئت جمرتان وهما بنو ضبة لأنّها حالفت الرِّباب ، وبنو الحارث بن كعب لأنّها حالفت مذحجاً ، وبقيت نمير لم تحالف فهى على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له : مَنْ أنت ؟ قال : نميرىٌّ ، إدلالاً بنسبه ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير :

فغضّ الطرف إنك من نمير . . (البيت)

وكعب وكلاب ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة . والتجمير فى كلام العرب التجميع ، وإنّما سموا بذلك لأنّهم متوافرون فى أنفسهم لم يُدخلوا معهم غيرهم. وفى القاموس : الجمرة : النار المتقدة ، وألف فارس ، والقبيلة لاتنضم إلى أحد ، أو التى فيها ثلاثمائة فارس . وجمرات العرب : بنو ضَبة بن أد ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو نمير بن عامر ، أو عبس ، والحارث ، وضبّة لأنّ أمهم رأت فى المنام أنه خرج من فرجها ثلاث جمرات ، فتزوّجها كعب بن المَدَان[1]

(١) وكذا فى القاموس ، والوجه « بن عبد المدان » كما فى اللسان (بيت ، جمر) والمدان : صنم لهم . وانظر للجمرات أيضاً ثمار القلوب ١٢٦ وجنى الجنتين ٣٦ وشمس العلوم ٢٢ والشريشى ١ : ٢٩٨ والحيوان ٥ : ١٢٣ .

فولدت له الحارث ، وهم أشراف اليمن . ثم تزوّجها بَغيض بن رَيث فولدت له عَبساً ، وهم فرسان العرب . ثم تزوّجها أدّ فولدت له ضَبة . فجمرتان فى مضر ، وجمرة فى اليمن .

ترجمة جرير و (جرير) ابنُ عطية بن الخَطَفى بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وجرير من الأسماء المنقولة ، لأن الجرير حبل يكون فى عنق الدابة أو الناقة من أدم ، كذا فى أدب الكاتب . وسمى جريراً لأنّ أمه كانت رأت فى نومها — وهى حاملة به — أنها تلد جريراً ، فكان يلتوى على عنق رجلٍ فيخنقه ، ثم فى عنقِ آخر ، ثم فى عنق آخر ، حتى كاد يقتل عدّةً من الناس ، ففزعت من رؤياها وقصّتها على معبِّر ، فقال لها : إن صدقتْ رؤياك ولدتِ ولداً يكون بلاءً على الناس . فلما ولدته سمّته جريراً . وكان تأويل رؤياها أنه هجا ثمانين شاعراً فغلبهم كلهم إلا الفرزدق . وكانت أمه ترقّصه وهو صغير[1] وتقول :

قصصت رؤياى على ذاك الرجلْ   فقال لى قولاً وليتَ لم يقُلْ
لَتلدِنّ عُضلةً من العُضَل   ذا منطق جزل إذا قال فصل
مثلَ الحسام العَضْب مامسَّ فَصل   يَعدِل ذا الميل ولمّا يعتدل
يُنْهِل سماً من يُعادى ويُعلّ

والخَطَفى لقب جده، واسمه حذيفة ، مصغر حَذْفة ، وهى الرمية بالعصا ، ولُقّب بالخطفَى لقوله :

يرفعنَ بالليل إذا ما أسدفا   أعناقَ جِنّانٍ وهاما رُجّفا
وعنقا باقى الرسيم خطفا

(١) ط : « قصير »، صوابه فى ش .

ويروى «خَيطفا» ، وهو السريع . ويكنى جريرٌ أبا حَزْرة ، بفتح المهملة وسكون المعجمة ، بابن كان له . والحزرة : فعلة من حزرت الشئ ، إذا خرصته وخمّنته ، والحزرة أيضاً : خيار المال ، وحموضة اللبن .

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء « وكان له عشرة من الولد : ثمانية ذكور ، منهم بلال وكان أفضلَهم وأشعرهم .. وله عقب[1] منهم عُمارة ابن عقَيل بن بلال . ومن ولد جرير : نوح وعكرمة ، وكانا شاعرين أيضا . وكان جرير من فحول شعراء الإسلام ، وكان يشبّه بالأعشى ميمون ، وكان من أحسن الناس تشبيباً[2] . قال الأصمعى : سمعت الحى يتحدثون عن جرير أنه قال : لولا ماشغلنى من هذه الكلاب لشبّبت تشبيباً تحنُّ منه العجوز إلى شبابها ، حنين الناقة إلى سقبها . وكان من أشد الناس هجاء » .

وقد أجمع علماء الشعر على أنّ جريرا والفرزدق والأخطل مقدَّمون على سائر شعراء الإسلام ، واختلفوا فى أيُّهم أفضل ، وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله :

ذهب الفرَزْدَقُ بالفخار وإنّما ... حلو الكلام ومرُّه لجريرِ[3]
ولقد هجا فأمضّ أخطلُ تغلب ... وحَوى اللُّهَى بمديحه المشهور

فحكم للفرزدق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجو ، ولجرير بجميع فنون الشعر .

قال المدائنى : كان جرير أعقّ الناس لأبيه ، وكان ابنه بلال أعقّ الناس به[4] . فراجع جرير بلالا فى الكلام ، فقال بلال : الكاذب من ناك أمه !

(١) ط : « ولهم » صوابه فى سه والشعر والشعراء ٤٣٥ وفيه : « ولبلال عقب » .
(٢) فى النسختين : « تشبيهاً » صوابه من الشعراء ٤٣٧ وما يقتضيه السياق .
(٣) أنشد هذا البيت فى الشعراء ٤٣٨ .
(٤) قال الميمنى : « الصواب له ، فإن عق لا يحتاج إلى الباء فى التعدية »

فأقبلَتْ عليه وقالت له : يا عدوّ الله أتقول هذا لأبيك ؟ ! قال جرير : فوالله لــكأنّى أسمعها وأنا أقولها لأبى .

ولما بلغ موتُ الفرزدق جريرا قال :

هلك الفرزدقُ بعد ماجدَّعتُه ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

ثم أطرق طويلا وبكى ، فقيل له : ما أبكاك ؟ قال : بكيت على نفسى ، والله إنّى لأعلم أنى عن قليل لاحِقُه ، فلقد كان نجمنا واحدا ، وكلٌّ واحد منا مشغول بصاحبه ،وقلما مات ضدٌّ أو صديق إلا تبعه الآخر. ثم أنشأ يرثيه :

فُجِعنا بحمّال الديات ابن غالب وحامى تميم عُرضها والبَراجم(١)
بــكيناكَ حِدثانَ الفراق وإنّما بــكيناكَ إذ نابتْ أمورُ العظائم
فلا حَملَتْ بعد ابن ليلى مَهيرةٌ ولا شدَّ أنساع المطىّ الرواسم

ثم لم يلبث أن مات بعد قليل باليمامة .

ذكر من اسمه جرير

وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من اسمه جرير من الشعراء سبعة : أحدهم هذا وتُوفى فى سنة عشر وقيل إحدى عشرة ومائة ، وعمره قد قارب التسعين . والثانى : جرير العِجْلى(٢) ، وهو عصرىّ الأوّل ، وقد رد على الفرزدق . الثالث : جرير بن عبد الله ، أحد بنى عامر بن عُقيل ، فارس شاعر . والرابع : جرير بن عبد المسيح الضُّبعى ، وهو المتلمس صاحب طرفة بن العبد . والخامس : جرير بن كليب بن نوفل ، وهو إسلامى . السادس:جرير بن الغوث ،

---

(١) البراجم فى بنى تميم : عمرو ، وقيس ، وغالب ، وكلفة ، وظليم ؛ وهم بنو حنظلة ابن زيد مناة ، تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع فى الاجتماع . الاشتقاق ١٣٤ واللسان (برجم) . وفى النسختين : « المراجم » بالميم ، وهى على الصواب الذى أثبت فى الشعراء ٤٥٤ . وعرض تميم ، بالضم ، أى معظمها وجمهورها .

(٢) هو جرير بن الخرقاء ، كما فى المؤتلف ٨١ .

أخو بنى كنانة بن القين . السابع : جُرير وهذا مصغّر ، وهو أبو مالك المُدلجى .

* * *

٣٨ وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس ، وهو من شواهد سيبويه[١] ، أنشده فى باب وجوه القوافى ، واستشهد به لما يلزم من إثبات الواو والياء إذا كانتا قافيتين ، كما يلزم إثبات القاف فى المخترق لأنّها حرف الروى :

٥ (وقاتِم الأعماقِ خاوى المخترَقْنْ)

على أن تنوين الترنم قد يلحق الروى المقيَّد فيختص باسم الغالى ، تبع الشارح المحقق فى جعل تنوين الغالى نوعاً من تنوين الترنم لابن جنى ، فإنه قال فى سر الصناعة : الرابع من وجوه التنوين وهو أن يلحق أواخر القوافى معاقباً لما فيه من الغنة لحرف الميم ، وهو على ضربين : أحدهما أن يلحق متمماً للبناء ، والآخر أن يلحق زيادة بعد استيفاء البيت جميع أجزائه ، نيفاً[٢] من آخره بمنزلة الزيادة المسماة خزماً فى أوله . ثم قال : وإنما زادوا هذا التنوين فى هذا الموضع ونحوه بعد تمام الوزن ، لأن من عادتهم أن يلحقوه فيما يحتاج إليه الوزن نحو :

* قِفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلن *

وقوله :

* الحمد لله الوهوب المجزلنْ[٣] *

فلما اعتادوه فيما يكمل وزنه ألحقوه أيضاً بما هو مستغنى عنه . وهذا معنى

(١) سيبويه ٢ : ٣٠١ .

(٢) النيف ، بالفتح ، وكسيد: الزيادة .

(٣) لأبى النجم العجلى من أرجوزته المسماة أم الرجز ، المنشورة بالعدد الثامن من مجلة المجمع العلمى بدمشق سنه ١٩٢٨ .

قول الشارح : «وإنما ألحق بالروى المقيد تشبيهاً له بالمطلق» . وزعم ابن يعيش أن فائدة هذا التنوين التطريب والتغنى . وجعله ضرباً من تنوين الترنم ، وزعم أن تنوين الترنم يراد به ذلك . وهو غلط كما بينه الشارح المحقق . وقال عبد القاهر : فائدته الإيذان بأنّ المتكلم واقف ، لأنه إذا أنشد مجلاً والقوافى ساكنة صحيحة لم يُعلم أواصلٌ هو أم واقف؟ وأنكر هذا التنوين الزجاج والسيرافى ، وزعما أن رؤبة كان يزيد فى أواخر الأبيات (إن) فلما ضعف صوته بالهمزة لسرعة الإيراد ظن السامع أنّه نون ، وفى هذا توهيم الرواة الثقاتِ بمجرد الاحتمال.

وقول الشارح «فيفتح ماقبل النون تشبيهاً لها بالخفيفة ، أو يكسر للساكنين كما فى حينئذ» قال ابن هشام فى شرح الشواهد : والأخفش يسمّى هذا التنوين غالياً ، والحركة التى قبل التنوين غلوًّا ، وهى الكسرة ، لأنّها الأصل فى التقاء الساكنين ، كقولهم يومئذٍ ومهٍ . وزعم ابن الحاجب أنّ الأولى أن تكون الحركة قبلُ فتحةً ، كما فى نحو اضربن ، وأنّ هذا أولى من أن يقاس على يومئذ لأن ذاك له أصل فى المعنى ، وهو عوض من المضاف إليه . ولنا أن قياس التنوين على التنوين أولى ، لاتحاد جنسهما ، ولأنهما يكونان فى الاسم ، والنون لاتكون إلا فى الفعل . ثم إن فتحة اضربَنْ ، للتركيب كما فى خمسة عشر ، لا لالتقاء الساكنين .

والروى هو الحرف الذى تنسب إليه القصيدة ، مأخوذ من الرِّواء ، بالكسر والمد ، وهو الحبل . والمقَيد : الساكن الذى ليس حرف علة .

صاحب الشاهد وهذا البيت مطلع قصيدة مرجّزة مشهورة لرؤبة بن العجاج . وقال ابن قتيبة فى أول كتاب الشعر والشعراء[٢] : حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال :

(١) الشعر والشعراء ص ٥ .

كان ثلاثة إخوة من بنى سعد لم يأتوا الأمصار ، ذهب رجزهم ، يقال لهم نُذير ، ومنيذر ومنذر ، يقال إنّ قصيدة رؤبة التى أولها « وقاتم الأعماق » لنذير .

٣٩ وهذه القصيدة طويلة لا فائدة فى إيراد جميعها ، لكنْ فيها بيت من شواهد التفسير ومغنى اللبيب لا يتَّضح معناه إلا بشرح الأبيات التى قبله ، فلهذا شرحت.

شرح الأرجوزة فقوله (وقاتم) الواو واو رب ، وهى عاطفة لا جارّة ، وقاتم مجرور برب لا بالواو على الصحيح . وقد أنشد الشارح هذا البيت فى ربّ من حروف الجرّ أيضاً على أن ربّ محذوفة بعد الواو ، وذكر أنه يجوز حذفها فى الشعر بعد الواو والفاء وبل . ولم أر من قيَّد حذفها فى الشعر وغيره . وهذا هو مذهب البصريين ؛ وزعم الكوفيون والمبرد أن الجر بالواو لا بربّ ، واستدلوا فى افتتاح القصائد بها ، كهذا البيت . وأجيب بجواز العطف على كلام تقدّم ملفوظٍ به لم ينقل ، أو مقدر حكم له — منوياً فى النفس — بحكم المنطوق به . ورد مذهبهم بوجوه أيضاً :

أحدها : أنها — مع ذكر ربّ — عاطفة باتفاق ، فكذلك مع حذفها ، ولا تنقل عن ذلك إلا بدليل ، والأصل عدمه . قال ابن خالويه : الواو إذا كانت فى أوائل القصائد نحو « وقاتم الأعماق » فإنها تدل على ربّ فقط ولا تكون للعطف ، لأنه لم يتقدَّم ما يعطف عليه بالواو . قال أبو على الفارسى فى نقض الهاذور : هذا شىء لم نعلم أحداً ممن حكينا قوله فى ذلك ذهب إليه ولا قال به ، وليس هذا الذى تَظنّاه من الفصل بين الأوائل وغيرها بشىء ، وذلك أن أوائل القصائد يدخلُ عليها حروف العطف على جهة الخزم ، نحو مارووا من قوله :

* بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا[1] *

---

(١) للعجاج فى ديوانه ٧ واللآلىء ١٥٥ . وروى الشطر بدون الخزم أيضاً .

وكأنه جعله عطفاً على كلام قد كانوا يقولونه ، وقصّةٍ خاضوا فيها ، فعطف الشعر بحرف العطف على ذلك الكلام الذى كانوا فيه .

الثانى : لو كانت الواو عوضاً من ربّ لما جاز ظهورها معها ، لأنه لايجوز أن يجمع بين العوض والمعوّض عنه .

الثالث : أنها لو كانت نائبة عن ربّ لجامعها واو العطف كما تجامعها واو القسم ، كقوله :

* ووالله لولا تمره ما حَببته[1] *

الرابع : أنّ رب تضمر بعد الفاء وبل ، ولم يقل أحد إنهما حرفا جرّ ، فكذلك ينبغى أن يكون الحكم مع الواو .

وقال الشاطبى : وفى هذه الأدلة كلها نظر ، وأقربها الرابع إنْ ثبت الاتفاق من الفريقين على أن الفاء وبل ليستا جارتين عند حذف رب ، فإنّ الفرق بينهما وبين الواو فيه بُعْدٌ وبُعد . فهذه المسألة لا ثمرة لها فى النحو ، وإنّما البحث فيها مظهر للمرتكب الأولى فى ضبط القوانين خاصة . وإذا كان كذلك فما قاله أهل البصرة له وجه صحيح ، وما قاله الآخرون كذلك . والله أعلم .

و (قاتم) قال الأصمعى فى شرح ديوان رؤبة : القُتمة : الغبرة إلى الحمرة ، مصدر الأقتم . وقال ابن السكيت فى كتاب القلب والإبدال : ويقال أسود قاتم وقاتن ، بالميم والنون ، وفعله من بابى ضرب وعلم ؛ وهو صفة لموصوف محذوف أى رب بلد قاتم . و (الأعماق) جمع عمق بفتح العين وضمها ،

(١) لعيلان بن شجاع النهشلى ، كما فى اللسان (حبب) . وعجزه :

* ولا كان أدنى من عبيد ومشرق *

وهو مابعُد من أطراف المفاوز ، مستمار من عمق البئر ، يقال عمقت البئر عمقاً من باب قرب ، وعَماقة بالفتح أيضاً : بعُد قعرها . وتعديته بالهمزة والتضعيف . و (الخاوى) من خوى المنزل ، إذا خلا . و (المخترق) بفتح الراء : مكان الاختراق ، من الخرق بالفتح ، وأصله من خَرقت القميص من باب ضرب إذا قطعته ، وقد استعمل فى قطع المفازة فقيل خرقت الأرض ، إذا جبتها . ومخترق الرياح : ممرُّها .

(مشتبهِ الأعلام لمّاع الخَفَقْ)

٤٠ الأعلام : جمع عَلَم ، وهى الجبال التى يهتدى بها ، يريد أن أعلام هذا البلد يشبه بعضها بعضاً ، فتشتبه عليك الهداية . والخَفْق بفتح الخاء وسكون الفاء : مصدر خفق السراب وخفقت الراية ، من بابى نصر وضرب ، خفقاً ، وخفقاناً ، إذا تحركت واضطربت ؛ وتحريك الفاء ضرورة . يريد أنه يلمع فيه السراب . ومشتبِه ولماع صفتان لقاتم .

(يكلّ وفدَ الريح من حيثُ انخرقْ)

يكل : مضارع كلّ — من باب ضرب — كلالة : تعب وأعيا . ويتعدى بالألف ، وروى بضم الياء مضارع أكلّه ، فالوفد مفعوله ، وضميره المستتر راجع لقاتم ، والجملة على الوجهين صفة لقاتم ، إلاّ أن الرابط فى الوجه الأوّل محذوف أى يكلّ فيه . والوفد : جمع وافد ، من وفد على القوم من باب وعد [وفداً[1]] ووفوداً بمعنى قدم . ووفدُ الريح : أولها ، وهذا مثل . وقوله حيث انخرق : أى حيث صار خرقاً ، والخرق الواسع ، يريد اتّسعَ ، فإذا اتسع الموضع فترت الريح ، وإذا ضاق اشتد مرورها فيه .

(١) التكملة من ~~ . وواو « ووفودا » ثابتة فى ط .

(شأز بمن عَوَّهَ جدْبِ المنطلَقْ)

قال أبو زيد : شئز مكاننا شأزاً : غلظ واشتدّ ، ويقال قلق . وأشأزه : أقلقه . ومثله شأسٌ تصرفاً ومعنى . وهو هنا وصف كصعب بمعنى الغليظ والشديد . وعَوّه بالعين المهملة : مصدره التعويه بمعنى التعريس ، وهو النزول فى آخر الليل . وكل من احتبس فى مكان فقد عوّه . والجدب بالفتح : نقيض الخصب ، وهو هنا وصف كالأوّل ؛ فإنه يقال مكان جدبٌ وأرض جدبة ، ويقال أيضاً مكان جديب وأرض جُدوب[١] ، أى بيِّنُ الجدوبة فيهما . وشأز وجدب وصفان لقاتم . والمنطلق بفتح اللام : محلُّ الانطلاق . يعنى أن هذا البلد شديدٌ على من تلبّث فيه ، غير خصيب على المارّ والسالك .

(ناءٍ من التَّصبيح نَائِى المغتبَقْ)

يقول : هو بعيد من أن يصبحه الراكب فيصطبح فيه أو يأتيه ليلاً فيغتبق ، وهو وصف لقاتم أيضاً .

(تَبدو لنا أعلامُهُ بَعد الغرقْ)

يعنى تظهر جباله بعد أن تغرق فى الآل . وضمير أعلامه لقاتم . ومثله :

ترى قورها يغرقن فى الآل مرّةً وآونة يخرُجنَ من غامرٍ ضحلِ

(فى قِطعِ الآل وهَبْوات الدُّقَق)

متعلق بالغرق قبله . قال الأصمعى . قطع الآل : غُدران من الآل ، جمع قطعة . والآل : قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب : « الفرق بين الآل والسراب : أن الآل يكون أوّلَ النهار وآخره ؛ وسُمِّى آلاً لأن الشخص هو الآل . فلما رفع الشخص قيل هذا آلٌ قد بدا وتبين . أما السراب

(١) بضم الجيم ، وفى اللسان : « كأنهم جعلوا كل جزء منها جدبا ثم جمعوه على ذلك » .

فهو الذى تراه نصف النهار كأنه ماء » . وردّ عليه ابن السِّيد فى شرحه فقال : « إنكار[١] أن يكون الآل هو السراب من أعجب شىء يسمع به » ، وذكر أبياتاً تدل على أن الآل هو السراب . والمبوة : الغبرة . والدُّقق : بضم الدال وفتح القاف الأولى : جمع دُقّة ، وهو التراب الذى كسحته الريح من الأرض .

(خارجةً أعناقُها من معتنَق)

خارجة : حال سببية من الأعلام . وأعناقها : فاعل خارجة ، والضمير للأعلام . والمعتنق : مخرج أعناق الجبال من السراب .

(تنشطَتْهُ كلُّ مِغلاة الوَهقْ)

٤١ هذا جواب ربّ . وقد غفل عنه العينى مع أنّه شرح القصيدة جميعها ، فقال: وجواب وقاتم الأعماق محذوف ، والتقدير ورب قاتم الأعماق الخ قد قطعته أوجُبته أو نحو ذلك . انتهى . وتنشّطته : تجاوزته بنشاط ، قال أبو حاتم : « هو أن تمد يدها ثم تسرع ردها » . والضمير للقاتم . وكلّ فاعل . والمغلاة من النوق : التى تُبعد الخطو وتغلو فيه ، أى تفرط . والوهَق : المباراة فى السير . وقال الليث : المواهقة : المواظبة فى السير ومدّ الأعناق ، وتواهقت الرِّكاب : تسايرت .

(مَضبورةٍ قرواءَ هرجابٍ فُنُق)

المضبورة : المجموعة الخلق المكتنزة . والقَرْواء : الطويلة القَرا ، بالفتح والقصر ، وهو الظهر . وفى الصحاح : « وناقة قرواء : طويلة السنام ، ويقال الشديدة الظهر بيِّنة القَرا » . والهِرجاب بالكسر والجيم : الطويلة الضَّخمة

(١) فى الاقتضاب ١١١ : « وإنكار من أنكر » . . الخ

من النوق . والفنق، بضم الفاء والنون : الناقة الفتية، ولا يقال لشيء من الذكور فنق، وقيل المنعمة في عيشها . وقال الأصمعي : هي الفتية الضخمة . وهذه الكلمات الأربع صفات للمغلاة .

(مائرةِ العَضُدَين مصلاتِ العُنق)

مار الشيء يمور موراً : تحرّك، وجاء، وذهب . أي يَمور ضبعاها لسعة إبطيها وليست بكَنِزَة فرجعُهما سريع . والعَضْدان : بسكون الضاد مخفف من ضمّها، ويروى « الضبعين » بفتح المعجمة وسكون الموحدة، وهو كالعضدين وزنا ومعنى . والمصلات بالكسر، ومثله الصَّلتة بالفتح، وهي التي انحسر الشعر عن عنقها، والهجينة تكون شَعراء العنق، وقيل : هي التي تنصلت في السير أي تتقدم .

(مُسودَّةِ الأعطافِ من وسم العرَق)

مسودّة : مجرور كالمائرة والمصلاتِ، صفات للمغلاة . يقول : قد جهدتْ حتى عرِقت، وتراكب عليها العرَق واسودّ حتى صار وسما . يقال [وسمه[1]] وسما وسمة، إذا أثرّ فيه بسِمة وكيّ . وروى «من وشم» بالمعجمة، يقال : وشم يده وشما، إذا غرزَها[2] بابرة ثم ذرّ عليها النَّئُور وهو النِّيل، والاسم الوشم أيضاً .

(إذا الدليلُ استافَ أخلاقَ الطرُقْ)

إذا : هنا ظرف، وليست شرطية، والعامل فيها ما في كأنّ من معنى التشبيه . واستاف : شمّ، يقال ساف يسوف سَوفاً إذا شم، وذلك بالليل،

(١) التكملة من س .

(٢) ط : « غزها »، والصواب ما أثبت من س . وانظر اللسان (وشم) .

يشمُّ الدليل التراب . وأخلاق الطرق : الدارس منها التى قد أخلقت ، واحدها خَلَق بفتحتين . شبهها بالثوب الخلَق لأن الاستدلال بشم التراب إنما يكون فى الطرق القديمة التى كثُر المشى فيها ، فيوجد رائحة الأرواث والأبوال .

(كأنّها حَقْباء بَلْقاء الزَّلَقْ)

ضمير كأنّها للناقة المغلاة . والحقباء : مؤنث الأحقب ، وهو حمار الوحش سمى بذلك لبياضٍ فى حَقْويه . شبه الناقة بالأتان الوحشية ، وهى فى الجلادة والسُّرعة مثلها . والبلقاء : مؤنث الأبلق . والزَّلَق : عجُز الدابة ، أى المكان الذى تزلق اليدُ عن كفلها أبيضُ وأسود .

(أو جادرُ اللِّيتَين مطوىُّ الحَنَق)

فى العباب : وجَدِر ليته ، إذا بقى فيها جدَر بالتحريك ، أى أثر الكدم والعضّ . وجادر بمعنى ذو جدر . واللِّيت بالكسر : صفحة العنق ، وهما ليتان . يقول : عضتَّه الفحول فصار فى عنقه أثر . ومطوىُّ الحنق ، قال الأصمعى فى شرحه : يقول : طُوِى بالحنق أى بالضُّمر ، يقال أحنق إذا ضَمر ، وإبل محانيق أى ضوامر . وفى الصحاح : حمار محنق : ضَمُر من كثرة الضّراب . ٤٢
شبه الناقة — التى سلكت به هذا البلد الهائل ممّره ، فى الوقت الذى يحار الدليل فى الطرق القديمة التى لا علَمَ بها ، وذلك آية الهلاك — بالأتان الوحشية أو الحمارالوحشى ، الموصوفين بهذه الأوصاف ، وإنما خصّها بالتشبيه لكونهما أجلدَ الوحوش وأسرع . وجادر معطوف على حقباء .

(مُحَلَّج أُدرِجَ إدراجَ الطَّلَق)

هذا وصفٌ للحمار الوحشى . والمحلج : اسم مفعول من حملج الحبل : فتله فتلا شديداً ، وأوله مهملة وآخره معجمة . وأدرج بالبناء للمفعول أيضاً

بمعنى فُتل وطوى . وإدراج بكسر الهمزة : مصدر تشبيهى ، أى كإدراج الطلق. والطَّلَق : بفتحتين : قيد من جلود . وصف هذا الحمار بالضمر واكتناز الخلق ، وذلك أشدُّ لعدْوه

(لَوَّح منه بعدَ بُدْنٍ وسَنَقْ)

يقال : لاحه السفر ولوّحه : غيَّره وأضمره . وضمير منه لجادر الليتين . وفاعل لوّحَ « قُودُ ثمان » فى البيت الثالث بعد هذا . ومن للتبعيض . وبُدْن : بضم فسكون وبضمتين : السِّمَن والاكتناز ، تقول منه بَدَن الرجل بالفتح يبدُن بدناً بالضم فيهما إذا ضخم ، وكذلك بَدَنَ بدانة فهو بادن ، وامرأة بادن أيضاً . فى الصحاح : « والسنق ، بفتحتين : البشم ، يقال شَرِب الفصيل حتى سنق — بالكسر — يسنق بالفتح ، وهو كالتُّخمة » . قال الأصمعى : والسنَق : كراهة الطعام من كثرته على الإنسان حتى لا يشتهيه . قيل لأعرابية : أترين أحداً لا يشتهى الخبيص ؟ قالت : ومن لا يشتهيه إلاّ من سنق منه ؟!

(مِن طول تَعداء الرَّبيع فى الأنق)

هذا علّة للسنق . والأنق بفتحتين : الإعجاب بالشىء ، تقول أنقت به من باب فرح ، فأنا به أنقٌ أى معجب . وقال الأصمعى : الأنق المنظر المعجب ومنه أنيق . يعنى أنّه سنَق من طول ما عدا فى الربيع فى مكان أنيق .

(تلويحَكَ الضّامرَ يُطْوى للسَّبَقْ)

تلويحك : مصدر تشبيهى منصوب بلوّح المذكور قبل ، وهو مضاف إلى الفاعل . والضامر مفعول به . يقول : كما تلوِّح أنت الفرس الضامر تريد أن تسابق عليه . ويُطوى : يجوّع ويضمّر بالبناء للمفعول . والسبق : بفتحتين والسبقة بالضم مثله : الخطر والرَّهن الذى يوضع بين أهل السباق ، والجمع أسباق

(قُودٌ ثمانٍ مثل أمراس الأَبَقْ)

قُود : فاعل لوّح المتقدم ، وهو جمع قوداء بمعنى الطويلة العنق والظهر . والأمراس : جمع مَرَس ، وهو جمع مَرَسة بمعنى الحبل . والأَبق : بفتح الهمزة والموحدة : القنب وقيل قشر القنّب ، وقال الأصمعىّ : هو الكتان يفتل . يقول : هذه الأتن كأنّها حبال من شدة طيّها . وهذه الأوصاف مما تزيد فى نشاط الحمار وجريه ، فإذا كانت الناقة تشبهه فلا شىء أسرعُ منها .

(فيها خُطوطٌ من سواد وبَلَقْ كأنّه فى الجلد توليعُ البهقْ)

البلق بفتحتين والبُلقة بالضم مثله ، وهو سواد وبياض . والتوليع : استطالة البلق . قال الأصمعى : إذا كان فى الدابة ضروبٌ من الألوان من غير بلق فذلك التوليع ، يقال برذون مولع . والملمّع[1] : الذى يكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه ، فإذا كان فيه استطالة فهو مولّع والبهق كما فى المصباح :
٤٣ بياضٌ مخالف للون الجسد وليس ببرص . وقال ابن فارس : سواد يعترى الجلد أو لونٌ يخالف لونه . وفعله من باب تعب ، وهو أبهق وهى بهقاء . وجملة فيها خطوط إما صفة ثالثة لقود ، وإما حال منها ، والرابط الضمير . وبه علم سقوط ما نقله شارح شواهد التفسيرين خضرٌ الموصلى ، من أنّ الضمير راجع إما إلى بقرة يصفها كما فى بعض الحواشى ، أو إلى أفراس كما قال جماعة ، أو إلى أتان كما قاله ابن دريد ، مع أنه لم يتقدّم ذكر شىء من بقر وأفراس . والعجب منه أنه سطر الأرجوزة برمّتها ولم يتأمل مرجع الضمير . وقوله من سواد وبلق ، بيان للخطوط ، يريد أن بعض الخطوط من سواد بحتٍ وبعضها من سواد يخالطه بياض ، فالتقابل بين سوادين . وجملة كأنه فى الجلد الخ صفة للخطوط

(١) فى النسختين : « واللمع »، والوجه ما أثبت . وانظر اللسان (لمع) .

أو للسواد والبلق ، والرابط الضمير بتأويله باسم الإشارة ، واسم الإشارة مؤوّل بالمذكور ونحوه ، وإنما لم يؤوّل بالمذكور ابتداء لأنّ التأويل قد كثر فى اسم الإشارة كما نقلوا عن أبى عبيدة ، أنه قال لرؤبة : إن كنت أردت الخطوط فقل كأنّها ، وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما . فقال رؤبة : أردت كأن ذلك ، ويلك ! وتأويل اسم الإشارة بالمذكور إذا خالف المشار إليه جعله علماء التفسير والعربية قانونا يرجع إليه عند الاحتياج ، وخرّجوا عليه آيات ، منها قوله تعالى: « ذلك بما عصوا » بإفراد اسم الإشارة مع أن المشار إليه شيئان : الكفر والقتل ، وأورد هذا البيت نظيرا له . وزعم ابن جنى فى المحتسب : أنه لو قال قائل إن الهاء فى كأنه عائدة على البلق وحده لكان مصيبا ، لأن فى البلق ما يحتاج إليه من تشبيه بالبهق ، فلاضرورة إلى إدخال السواد معه. انتهى . وفيه أن المحدَّث عنه هو الخطوط ، وهى المشبَّهة بالبهق . فإما أن يرجع الضمير إلى المبين الذى هو المحدث عنه ، أو إلى البيان بتمامه ، وأما إرجاعه إلى بعض البيان فيلزم تشبيه بعضه دون بعض ، وهذا ليس بمقصود ، بل المراد تشبيه الخطوط التى بعضها من سواد بحت وبعضها من سواد فيه سواد وبياض أيضاً ، فتأمل . وروى الأصمعى « كأنها » أيضاً بضمير المؤنث ، وعليها فلا إشكال .

وفى هذه الأرجوزة بيت وهو :

(لواحق الأقرابِ فيها كالمَقَقْ)

أورده الشارح فى حرف الكاف من حروف الجر على أنَّ الكاف فيه زائدة . ونشرحه هناك إن شاء الله تعالى .

و (رؤبة) هو أبو الجحّاف بن العجاج عبدِ الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر ، من بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، هو وأبوه شاعران ، كلٌّ منهما له ترجمة رؤبة

ديوانُ رجز ، وهما مجيدان فيه عارفان باللغة وحشيِّها وغريبها . وهو أكثر شعرا من أبيه وأفصح منه . روى أنَّه قال لأبيه : أنا أشعر منك لأنى شاعر وابن شاعر ، وأنت شاعر فقط . وقيل ليونس النحوى : من أشعرُ الناس(١) ؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل له : لم نعن الرجاز(٢) . قال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنّما الشعر كلام فأجوده أشعره(٣) . قال ابن عون : ما شبَّهت لهجة الحسَن البصرى إلاّ بلهجة رؤبة .

وحكى عن يونس بن حبيب النحوى(٤) أنه قال : كنت عند أبى عمرو ابن العلاء فجاءه شُبيل بن عَزْرة الضُّبعى(٥) فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه لبدة بغلته فجلس إليها ، ثم أقبل عليه يحدّثه فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألتُ رؤبتكم
عن اشتقاق اسمه فما عرفه. قال يونس : فلم أملك نفسى عند ذكر رؤبة فقلت : ٤٤
لعلك تظن أنّ معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ، أفتعرف أنت ما الرُّؤبة ؟ وكررها خمسا فلم يُحِرْ جوابا وقام مغضبا ، فقال لى أبو عمرو : هذا رجل شريف يزور مجلسنا ويقضى حقوقنا . وقد أسأت بما فعلت مما واجهته به ! فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة ، فقال : أو قد سُلِّطت على تقويم الناس ؟ !

وحكى المدائنى قال : قدم البصرة راجزٌ من رجاز العرب فجلس إلى حلقة فيها الشعراء ، وجعل يقول : أنا أرجز العرب، أنا الذى أقول:

---

(١) فى النسختين : « أكثر الناس » . والوجه ما أثبت من الأغانى ٢١ : ٦٠ .

(٢) فى الأغانى : « لم ؟ ولم نعن الرجاز » .

(٣) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى ، أحد رواة الحسن البصرى . تهذيب التهذيب . فى الأصل : «أبو عوف » . صوابه من الأغانى ٢١ : ٦٠ .

(٤) فى الأصلين : « وحكى ابن حبيب عن يونس » والوجه ما أثبت مطابقاً لما فى الأغانى ٢١ : ٥٨

(٥) فى النسختين : « شبل بن عمرو » . صوابه من الاشتقاق ٧٤ ، ١٩٣ حيث تكلم فى الموضع الأخير على اشتقاق اسمه ، ومن الأغانى ٢١ : ٥٧ .

مروان يعطى وسعيد يمنع مروان نبعٌ وسعيد خِروعُ

والله أنا أرجز من العجاج ، فليت البصرة جمعت بينى وبينه — ورؤبة والعجاج حاضرًا المجلس — فقال رؤبة لأبيه : قد أنصفك الرجل فقم إليه . فأقبل عليه وقال : هأنا العجاج[1] وزحف إليه . قال أىُّ العجاجين أنت ! قال : ما خلتك تعنى غيرى ، أنا عبد الله الطويل ، وكان يعرف بذلك . فقال: ما عنيتُك وما قصدتك ، قال : كيف وقد هتفت باسمى وتمنيت أن تلقانى ؟ ! قال : أو مافى الدنيا عجّاج سواك ؟ قال : فهذا ابنى رؤبة . قال : اللهمّ غفراً ، إنما مرادى غيركما . فضحك الناس وكفّا عنه .

قال ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء[2] : قال أبو عبيدة : دخلت على رؤبة وهو يجيل[3] جرذانا فى النار ، فقلت : أتأكلها ؟ قال : نعم أنها خير من دجاجكم التى تأكل العذرة ، إنها تأكل البر والتمر .

وكان رؤبة مقيما بالبصرة ولحق الدولة العباسية كبيرا ، ومدح المنصور وأبا مسلم . ولماظهر بها إبراهيم بن الحسن بن على رضى الله عنه وخرج على المنصور خاف على نفسه من الفتنة ، فخرج إلى البادية فمات بها فى سنة خمس وأربعين ومائة . كذا قيل ، وهذا يخالف ماروى عن يعقوب[4] قال: لقيت الخليل بن أحمد يوما بالبصرة فقال لى : يا أبا عبد الله دفنّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم . فقلت له وكيف ذاك ؟ فقال : هذا حين انصرفنا من دفن رؤبة بن العجاج .

(١) فى الأغانى ١١ : ٦٠ : « هأنذا العجاج » .
(٢) الشعر والشعراء ٥٧٦ .
(٣) فى الشعراء : « يمل » ، أى يشويها فى الملة ، وهى الرماد الحار .
(٤) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدى ، المتوفى سنة ١٨٢ . تاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٢ ووفيات الأعيان ٢ : ٣٣١ . وكانت حياة الخليل ما بين سنتى ١٠٠ و ١٧٥ . والنص فى الأغانى ١٨ : ١٢٥ ، وفيه : « عن يعقوب بن داود » .

ولم أر له في ديوانه من غير الرجز إلا هذين البيتين :

أيها الشامت المعيّر بالشيـ ـب أقِلَنّ بالشباب افتخارا
قد لبستُ الشباب غضا طريا فوجدت الشبابَ . ثوبا معارا

وبيتين آخَرين وهما :

إذا ما الموت أقبل قُبْلَ قوم أ كبّ الخطُّ وانتقِص العديد
أرانا لايفيق الموت عنا كأنّ الموت إيانا يكيد

من اسمه رؤبة — وذكر الآمدى ، فى المؤتلف والمختلف، مَن اسمه رؤبة ثلاثة . أحدهم هذا ، والثانى : رؤبة بن العجاج بن شَدقم الباهلى ، هو وأبوه شاعران ، وكنية هذا أبو َبيْهس (١) ومن شعره :

قالت لنا وقولها أحزانُ ذِروةُ والقول له بيان(٢)
يا أبنا أرَّقنى القِـذّانُ فالنوم لاتطعمه العينانُ(٣)
من وخز بُرغوث له أسنانُ وللبعوض فوقه دَنْدان

الدندنة : الكلام الذى لايفهم ؛ والقِذّان : جمع قُذَذ(٤) وهو البرغوث .
والثالث : رؤبة بن عمرو بن ظهير الثعلبى ، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ابن بغيض .

(تتمة)

٤٥ رؤبة : اسم منقول إمّا من رؤبة بالهمز ، وهى قطعةٌ تَرأب بها الشيء أى تشده بها ، قال صاحب أدب الكاتب (فى باب مايغير من أسماء الناس) :

(١) فى ط : « بهيس » صوابه فى سه والمؤتلف ١٢١ . وانظر القاموس (بهس).
(٢) الرجز فى المؤتلف ١٢١ وشرح شواهد المغنى ٢٠ والضرائر للآلوسى ١٦٣ .
(٣) يستشهد به النحاة على ضم نون المثنى المرفوع .
(٤) فى ط : « قذن » ، تحريف . وانظر اللسان (قذذ)

إن رؤبة بن العجاج بالهمز لاغير . وهذا الحصر باطل لأنّ المهموز فى مثله يجوز تخفيف همزه بلا خلاف . وقد نقض قوله هذا بما ذكره فى أوائل الكتاب فى باب المسمَّين بالصفات وغيرها ، فجوز أن يكون مهموزاً وغير مهموز ، فإنه قال : رُوبة اللبن خميرة تلقى فيه من الحامض ليروب ، وروبة الليل ساعة منه ، ويقال فلان لايقوم بروبة أهله أى بما أسندوا إليه من حوائجهم ، غير مهموز . ورؤبة بالهمز ، قطعة ترأب بها الشيء ، وإنما سمى رؤبة بواحدة من هذه[1] . فذكر لغير المهموز ثلاثة معان ، وبقى له معان أخر : رابعها رُوبة الفرَس وهى طَرقُه فى جِمامه[2] . خامسها يقال أرض روبة أى كريمة . سادسها شجر الزُّعرور . سابعها روبة الرجل عقله . ثامنها الفترة والكسل من كثرة شرب اللبن . تاسعها اللبن الذى فيه زبده ، و الذى نزع زبده ؛ فهو من الأضداد . وله معان أخر .

قال ابن خلف فى شرح شواهد سيبويه : قيل سمى روبة لأنّه ولد نصف الليل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو من شواهد مغنى اللبيب[3] ، وهو الشاهد السادس :

٦ (ياما أُميلِحَ غِزلاناً شَدَنَّ لنا مِن هؤُليّائِكُنّ الضالِ والسَّمُر)

أورده على أنّ التصغير فى فعل التعجب راجع إلى المفعول المتعجب منه ، أى هنّ مليحات ، والتصغير للشفقة . وأنشده فى باب التعجب أيضاً ، على

(١) انظر مثيل هذا النقد لابن السيد فى الاقتضاب ٢٢٦ .

(٢) الطرق ، بالفتح : ماء الفحل . وجمامه : اجتماعه . ط : « جماحه » صوابه فى سه .

(٣) المغنى ٢ : ١٩٢ فى الباب الثامن وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٢٤ .

أن الكوفيين غير الكسائى زعموا اسميته ، واستدلوا عليها بتصغيره فى نحو البيت . وهذا جواب س : قال الشاطبىّ : وعلّل ذلك سيبويه[١] بأنهم أرادوا تصغير الموصوف بالملاحة ، كأنّك قلت مُليِّح لكنهم عدلوا عن ذلك وهم يعنون الأول ، ومن عادتهم أن يلفظوا بالشيء وهم يريدون شيئاً آخر .

وقد ذكر ابن الأنبارى فى كتابه الإنصاف فى مسائل الخلاف جميع أدلة الكوفيين مع أجوبة البصريين عنها فقال : ومن جملة أدلتهم أنهم استدلّوا على اسميَّته بالتصغير . وأجاب عنه بثلاثة أوجه :

أحدها أن التصغير فى هذا الفعل ليس على حدّ التصغير فى الأسماء فإنه ـ على اختلاف ضروبه من التحقير ، والتقليل ، والتقريب ، والتحزن ، والتعطف كقوله صلى الله عليه وسلم : « أصيحابى ، أُصيحابى » ، والتعظيم كقوله :

* دُوَيهِيَةٌ تصفرُ منها الأناملُ[٢] *

والتمدُّح كقوله : « أنا جُذَيلها المحكَّك » فإنه يتناول الاسم لفظاً ومعنى والتصغير اللاحق فعل التعجب إنما يتناوله لفظاً لا معنى ، من حيث كان متوجهاً إلى المصدر ، وإنما رفضوا ذكر المصدر ها هنا ، لأن الفعل إذا أزيل عن التصرف لا يؤكد بذكر المصدر ، لأنه خرج عن منهب الأفعال ؛ فلما رفضوا المصدر وآثروا تصغيره صغروا الفعل لفظاً ووجهوا التصغير إلى المصدر ، وجاز تصغير المصدر بتصغير فعله لأن الفعل يقوم فى الذكر مقام مصدره لأنه يدل عليه بلفظه ؛ ولهذا يعود الضمير إلى المصدر بذكر فعله وإن لم يجر

(١) كتاب سيبويه ٢ : ١٣٥ .

(٢) للبيد فى ديوانه ٢٨ . وصدره :

* وكل أناس سوف تدخل بينهم *

له ذكر ، فكما يجوز عود الضمير إلى المصدر وإن لم يجر له ذكر ، استغناء بذكر فعله ، فكذلك يجوز أن يتوجه التصغير اللاحق لفظ الفعل إلى مصدره وإن لم يجرِ له ذكر . ونظيره إضافة أسماء الزمان إلى الفعل نحو : « هذا يومُ ٤٦ ينفعُ الصادِقينَ صدقُهم » . وإنما جاز لأن المقصود بالإضافة إلى الفعل مصدره ، من حَيث كان ذكر الفعل يقوم مقام ذكر مصدره ، فكما أن هذه الإضافة لفظية لا اعتداد بها فكذلك التصغير لفظى لااعتداد به . الوجه (الثانى) : إنما دخله التصغير حملا على باب أفعل التفضيل ، لاشتراك اللفظين فى التفضيل والمبالغة ، ألا ترى أنك تقول : ما أحسن زيداً — لمن بلغ الغاية فى الحسن — كما تقول : زيد أحسن القوم ، فتجمع بينه وبينهم فى أصل الحسن وتفضله عليهم . و (الثالث) : إنما دخله التصغير لأنه ألزم طريقةً واحدة ، فأشبه بذلك الأسماء ، فدخله بعض أحكامها . وحملُ الشىء على الشىء فى بعض أحكامه لايخرجه عن أصله ، ألا ترى أن اسم الفاعل محمول على الفعل فى العمل ولم يخرج بذلك عن كونه اسما ؟ وكذلك المضارع محمول على الاسم فى الإعراب ولم يخرج بذلك عن كونه فعلا . اهـ .

شرح الشاهد و (يا) حرف نداء ، والمنادى محذوف ، أى ياصاحبى ونحوه . و (الملاحة) : البهجة ، وحسن المنظر . وفعله ملُح الشىء بالضم ملاحة . ومَلح الرجل وغيره مَلحاً من باب تعب : اشتدت زرقته ، وهو الذى يضرب إلى البياض ، فهو أملح وهى ملحاء ، والاسم المُلحة كغرفة . و (الغِزلان) : جمع غزال ، وهو ولد الظبية ؛ قال أبو حاتم : الظبى أوّلَ ما يولد هو طلا ، ثم هو غزال والأنثى غزالة ، فإذا قوى وتحرّك فهو شادن ، فإذا بلغ شهراً فهو شَصَر بمعجمة ومهملة مفتوحين — فإذا بلغ ستة أشهر أو سبعة فهو جَداية — بفتح الجيم — للذكر والأنثى وهو خِشْف أيضاً . والرشأ : الفتىّ من الظباء ، فإذا أثنى فهو ظبى ،

ولا يزال ثنيًا حتى يموت ، والأنثى ثنيةً وظبية . والثنى : الذى يلقى ثنيَّته : أى سنه — من ذوات الظلف والحافر — فى السنة الثالثة ؛ يقال أثنى فهو ثنىٌّ ، فعيل بمعنى فاعل . و (شدنّ) ماضى شدن الغزال بالفتح يشدُن بالضم شدوناً : قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه . وربَّما قالوا شدَن المهر . وأشدنت الظبية فهى مُشدِن ، إذا شدن ولدها ، النون الثانية ضمير الغزلان . وجملة شدنّ صفة غزلان . و (لنا) و (من) متعلقان بشدنّ . وقوله (من هؤليائكنّ) هو مصغر هؤلاء ، شذوذاً ، وأصله أولا بالمد والقصر . وها للتنبيه ، وهو اسم إشارة يشار به إلى جمع سواء كان مذكراً أو مؤنثاً ، عاقلا أم غير عاقل . والكاف حرف خطاب . والنون حرف أيضاً لجمع الإناث .

وقد استشهد به النحاة على دخول ها التنبيه عليه ، وعلى تصغيره شذوذاً ، وقد رواه الجوهرى :

* من هؤليَّاء بين الضَّال والسَّمُر (١) *

وقال : ولم يصغروا من الفعل غير هذا وغير قولهم ما أحيسنه . و (الضال) صفة اسم الإشارة أو عطف بيان . والضالُ : السِّدر البَرىّ ، جمع ضالَة ، ولهذا صح إتباعه لاسم الإشارة إلى الجمع ، وألفه منقلبة من الياء . والسدر : شجر النبق ، الواحدة سدرة . وما نبتَ منه على شطوط الأنهار فهو العُبرىّ ، نسبة إلى العُبر بالضم ، وهو شط النهر وجانبه . (والسَّمُر) بفتح السين وضم الميم : جمع سَمُرة ، وهو شجرُ الطَّلْح . والطَّلْح : نوع من العِضاه ، وهو شجر عظام والعضاه بكسر العين : جمع عضاهة ، وهو كل شجر عظيم وله شوك .

(١) وروى صدره فى الصحاح (ملح) :

* يأما أميلح غزلانا عطون لنا *

أبيات الشاهد وهذا البيت من جملة أبيات ذكرها ابن هشام فى شرح شواهده[١] وهى :

٤٧ (حوراء لو نظرتْ يوماً إلى حجرٍ لأثّرت سَقماً فى ذلك الحجرِ
يزداد توريدُ خدَّيْها إذا لحظت كما يزيدُ نباتُ الأرض بالمطر
فالورد وجنتها والخمرُ ريقتها وضوء بهجتها أضوا من القمر
يامن رأى الخمر فى غير الكروم ومن هذا رأى نبت ورد فى سوى الشجر[٢]
كادت تَرِفُّ عليها الطير من طرب لما تغنت بتغريد على وتر
بالله ، ياظبيات القاع ، قلن لنا ليلاى منكنّ أم ليلى من البشر
ياما أُميلح غزلانا شدن لنا (البيت) . . . .

ورَوى العباسى فى معاهد التنصيص[٣] عن بعضهم أنّه من أبيات لبعض الأعراب . وذكرها فى الدمية للباخَرزىّ[٤] أنّه أول أبيات ثلاثة لبدوى اسمه كامل الثقفى ، ثانيها : بالله يا ظبيات القاع قلن لنا . . البيت . وثالثها :

إنسانة الحىِّ أم أُدمانة السَّمُرِ بالنِّهى رقّصها لحنٌ من الوتر[٥]

وقال العينى : إنّه من قصيدة للعَرْجىّ ، ومنها : بالله ياظبيات القاع . . البيت .

وهذا البيت قد روى للمجنون ، ولذى الرُّمّة ، وللحسين بن عبد الله .
والله أعلم .

---

(١) نص السيوطى فى شرح شواهد المغنى بعد إيراده للأبيات : « هكذا رأيته بخط المصنف فى بعض تعاليقه » . وليس لابن هشام مؤلف خاص لشرح الشواهد .
(٢) كلمة « هذا » ليست فى الاصل ، وبدونها لا يستقيم الوزن . وإثباتها من شرح شواهد المغنى .
(٣) معاهد التنصيص ٣ : ١٦٧ .
(٤) دمية القصر للباخرزى ص ٢٩ .
(٥) ليس البيت ثالث هذه الأبيات ، بل هو أولها ، والثانى فيها هو « ياأميلح » .

ثم رأيت الصاغانى قال فى العباب : يقولون ما أميلح زيدا . ولم يصغروا من الفعل غيره وغير قولهم ما أحيسنه . قال الحسين بن عبد الرحمن العرينى :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا . . . . . . (البيت)

بانت لنا بعيونٍ من براقعها مملوءةٍ مُقَلَ الغِزلان والبقرِ

ياما أميلح غزلان شدن لنا اهـ .

والأدمانة قال الجوهرى : والأدم من الظباء بيضٌ تعلوهن جدد ، فيهن غبرة ، تسكن الجبال، يقال ظبية أدماء . وقد جاء فى شعر ذى الرمة أُدمانة، قال :

أقول للركب لما عارضت أُصُلا أُدمانةٌ لم تُرَبِّبها الأجاليد[1]

وأنكره الأصمعى . والنِّهىُ بكسر النون وسكون الهاء : الغدير فى لغة نجد ، وغيرهم يقول بالفتح ، كذا فى الصحاح .

وقال السَّخاوى فى شرح المفصّل : والنحاة ينشدون : ياما أميلح غزلانا البيت ، ظنا منهم أنه شعر قديم ، وإنما هو لعلى بن محمد العرينى ، وهو متأخر ، وكان يروم التشبه بطريقة العرب فى الشعر ، وله مدح فى على بن عيسى وزير المقتدر . وقتل المقتدر فى شوال سنة عشرين وثلاثمائة . ونسبه قوم من النحاة إلى مجنون بنى عامر وأنشدوا معه : بالله يا ظبيات القاع ، البيت ، والصحيح ما قدمته اهـ

ترجمة العرجى (والعَرْجىّ) اسمه عبد الله ، وهو أموىٌّ ، وإنّما لقب العرجى لأنّه كان يسكن العرج . قال فى الصحاح : « والعرج منزل بطريق مكة ، وإليه

(١) فى الديوان ١٣٣ واللسان والصحاح (أدم) : « لما أعرضت » . و « لم تربها » كذا جاءت فى جميع المراجع ، وهى على لغة من قال :

* يوم الصليفاء لم يوفون بالجار *

ينسب العرجى الشاعر » . ولم يكن له نباهة فى أهله ، مات فى حبس محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومى ، وهو خال هشام بن عبد الملك ، وكان والياً بمكة بعد ضربٍ كثير وتشهير فى الأسواق ، لأنه شبَّب بأمه ليفضحه ، لا لمحبةٍ كانت بينه وبينها . وقال فى حبسه قصيدته التى منها :

كأنِّى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تكُ نسبتى من آل عمرو
أضاعونى وأىَّ فتًى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغر

وكان من الفرسان المعدودين مع مَسلمة بن عبد الملك بأرض الروم . وترجمته مع أحواله مفصَّلة فى الأغانى والمعاهد .

* * *

٤٨ وأنشد فى باب المعرب ، وهو من شواهد سيبويه[1] ، وهو البيت السابع :

٧ (تُـكتِّبانِ فى الطريق لامَ ألفْ)

على أنَّ مقصود الشاعر اللام والهمزة ، لا صورة لا ، فيكون معناه أنه تارة يمشى مستقيماً فتخط رجلاه خطًّا شبيهاً بالألف ، وتارة يمشى معوجا فتخط رجلاه خطًّا شبيهاً باللام . وعليه فالظاهر أن يقول لاما وألفا . ووجهه أنّه حذف التنوين من الأوّل من باب الوصل بنية الوقف ، وحذف العاطف ووقف على الثانى على لغة ربيعة ، وليس فى واحد من هذه الثلاثة ضرورة .

ووجّه هذا البيت ابنُ جنى فى سر الصناعة بوجهين آخرين فقال : « إنّما أراد كأنهما تخطان حروف المعجم ، لا يريد بعضها دون بعض ، وقد يمكن أنه أراد بقوله لام ألف شكل (لا) ، فإنه تلقَّاه من أفواه العامة ، لأنّ الخط ليس له تعلُّق بالعرب ولا عنهم يؤخذ . وقول من لا خبرة له بحروف

(١) سيبويه ٢ : ٣٤ .

المعجم كالمعلّمين لام ألف خطأ ، وصواب النطق به لا ، فإنّه اسمُ الألف اللينة التى تكون قبل الياء فى آخر حروف المعجم » .

وفيما قاله نظر من وجهين :

الأوّل : قال الدمامينى فى شرح المغنى : نسبة العربى الفصيح إلى أنه اعتمد فى النطق على العامّة أمر بعيد لا يلتفت إليه . وقوله لأنّ الخط لا تعلّق له بالفصاحة ساقط ، لأن ما صدر عنه لفظٌ لا خط .

الثانى : أن قوله لام ألف خطأ ممنوع ، فإنه قد ورد فى الشعر ، أنشد أبو زيد فى نوادره[1] لراجزٍ يصف جندباً ، وقيل غرابا :

يخطُّ لامَ ألفٍ موصولِ والزاى والرا أيّما تهليلِ

وسيأتى شرحه فى الشاهد الثانى بعد هذا .

وأما ما أورده أبو بكر الشنوانى فى جواب أسئلة السيوطى السبع بقوله : قال : روى أبو ذرّ الغفارىّ رضى الله عنه أنه قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله كل نبى يرسل بم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل . قلت : يا رسول الله أىُّ كتاب أنزله الله على آدم ؟ قال : كتاب المعجم ألف با تا ثا إلى آخرها . قلت : يارسول الله كم حرفاً ؟ قال : تسعة وعشرون . قلت : يا رسول الله عددت ثمانية وعشرين ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت عيناه ثم قال : يا أبا ذر ، والذى بعثنى بالحقّ نبياً ، ما أنزل الله على آدم إلاّ تسعة وعشرين حرفا . قلت : أليس فيها ألف ولام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لام ألف حرف واحد ، قال : أنزله الله تعالى على آدم فى صحيفة واحدة ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل علىّ ، من لم يعدّ لام ألف فهو برىء منى وأنا برىء منه ، ومن لم يؤمن

(١) نوادر أبى زيد ص ١٦٧ .

بالحروف وهي تسعة وعشرون لا يخرج من النار أبدا[1] » اهـ . فهو موضوع .
قال ابن عراق : سئل عنه ابن تيمية فقال : لا أصْلَ له ، ولوائح الوضع عليه ظاهرة ، ولا سيما فى آخره ، فهو كذب قطعا اهـ

وعلى هذا فالفرق بين لا وبين لام ألف : أن لا اسم الألف اللينة ، ولام ألف اسم لا ، لأنّها على صورة اللام والهمزة إذا كتبتا معا . وعلم مما تقدم أنّ بيت الشاهد إنّما هو بإضافة لام إلى ألف بكون أصل لام ألف مركبا مزجيا ، فأعرب بإضافة أحد الجزءين إلى الآخر على أحد الوجوه . لا كما زعمه الشارح ٤٩
وتبعه الدمامينى فى شرح المغنى .

ثم قال ابن جنى : « وإنما لم يجز أن تنفرد الألف اللينة من اللام وتقام بنفسها ـ كما أقيم سائر حروف المعجم سواها بأنفسها ـ من قِبَل أنها لا تكون إلا ساكنة تابعة للفتحة ، والساكنُ لا يمكن ابتداؤه ، فدُعمت باللام ليقع الابتداء بها . ويؤيد هذا أن واضع حروف المعجم إنما رسمها منثورة غير منظومة ، فلو كان غرضه فى (لا) أن يرينا كيفية تركب اللام مع الألف للزمه أيضاً أن يرينا كيف تركب الجيم مع الطاء ، والقاف مع التاء ، وغير ذلك مما يطول تعداده ؛ وإنما غرضه التوصل إلى النطق بالألف ، فدعم باللام ليمكن الابتداء به . فإن قيل : ما بالهم دعموه باللام دون سائر الحروف ؟ أجيب بأنهم خصّوا اللام من قِبَل انّهم لما احتاجوا لسكون لام التعريف إلى حرف يقع الابتداء به قبلها أتوا بالهمزة فقالوا : الغلام ، فكما أدخلوا الألف قبل اللام كذلك أدخلوا اللام قبل الألف ليكون ذلك ضربا من التقارض » اهـ .

واعترض عليه الدمامينى بأن الذى تُوصّل به إلى النطق بلام التعريف

---

(١) انظر محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر للبسنوى ٦٥ .

هو الهمزة لا الألف ، والذى توصل باللام إلى النطق به هو الألف الهوائى لا الهمزة . فلا تقارض ا هـ .

وفيه أنّهما أخوان يبدل كل منهما إلى الآخر فتبدل الهمزة ألفا فى نحو راس ، وتبدل الألف همزة فى نحو دأبّة وشأبّة وحُبلأً فى الوقف ، وفى هذا القدر من الاشتراك يتحقق التقارض .

واستشهد به سيبويه على أنه ألقى حركة « ألف » على ميم « لام » . وكذلك أورده الشارح فى شرح الشافية [١] أيضاً فى باب التقاء السا كنين . على أنه نقل حركة همزة ألف إلى ميم لام ، كما نقلت حركة همزة أربعة إلى الهاء فى قولك : ثلاثهَ اَربعة ، إذا وصلت ثلاثة بما بعدها .

صاحب الشاهد — وهذا البيت ثالث أبيات ثلاثة لأبى النجم العِجْلى ، وهى :

خَرجتُ من عند زيادٍ كالخرِفْ   تخطُّ رجلاىَ بخطٍّ مختلِفْ
تـكتّبان فى الطريق لام آلف

قال المرزَبانى فى الموشح ـ وهو طبقات الشعراء فى الجاهلية والإسلام [٢] أخبرنى الصُّولىّ قال : حدثنا القاسم بن إسماعيل قال : أنشدنا محمد بن سلام لأبى النجم العجلى ، وكان له صديق يسقيه الشراب فينصرف من عنده ثَملا :

أخرجُ من عند زياد كالخرف . . (الأبيات)

قال الصُّولى : وقد عيب أبو النجم [بهـذا [٣]] فقيل : لولا أنه كان يـكتب ما عرف صورة لام ألف وعناقها [لها [٣]] ا هـ . وقد عرفت ما فيه : وروى أيضاً :

(١) شرح الشافية للرضى ٢ : ٢٢٣ .
(٢) هذا ما كان يفهم البغدادى ، وانظر ما سبق فى الحاشية ٤ من ص ٢٤ .
(٣) التكلة من الموشح ١٧٧ .

أقبلت من عند زياد الخ

والخَرِف : صفة مشبهة من خَرِف الرجل خَرَفا ، من باب تعب : فسَد عقله لكبره . وخط على الأرض خطًا : أعلم علامة . وخط بيده خطا : كتب . وكتَّب ، يقال بالتخفيف والتثقيل ، والتثقيل هنا لتكثير الفعل .

ترجمة أبى النجم (وأبو النجم) هو الفَضْل بن قُدامة بن عُبيد الله بن عبد الله بن الحارث ابن عبدة بن الحارث بن الياس بن المَوْف بن ربيعة بن مالك بن عجل بن لجيم ابن صعب بن على بن بكر بن وائل . وهو أحد رجّاز الإسلاء المتقدمين فى الطبقة الأولى . قال أبو عمرو بن العلاء : هو أبلغ من العجّاج فى النعت . قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء [1] : كان أبو النجم ينزل سو الكوفة . وزاجز العجاجَ فخرج إليه العجاج على ناقةٍ له كوماء ، وعليه ثيابٌ حسان ، وخرج أبو النجم على جمل مهنوء ، وعليه عَباءةٌ ، فأنشد العجّاج : ٥٠

* قد جبر الدينَ الإلهُ فجبرْ *

وأنشد أبو النجم :

* تذكّرَ القلبُ وجهلا ما ذكر *

حتى بلغ قولَه :

إنى وكُلّ شاعرٍ من البشرْ شَيطانُه أنثى وشيطانى ذكر
فما رآنى شاعرٌ إلّا استتر فِعلَ نجوم الليل عاينّ القمر

فبينا هو ينشد ، إذ وثب جمله على ناقة العجاج ، فضحك الناس وانصرفوا يقولون :

* شيطانه أنثى وشيطانى ذكر *

(١) طبقات الشعراء ٥٨٤ — ٥٩١ .

وقال له هشام بن عبد الملك يوما : يا أبا النجم ، حدِّثنى . قال : عنّى أو عن غيرى ؟ قال : بل عنك . قال : إنى لمّا كبرت عرضَ لى البول ، فوضعت عند رجلى شيئاً أبول فيه ، فقمتُ من الليل أبول فخرجَ منى صوت ، فتشدّدت ثم عُدت فخرج منى صوتٌ آخر ، فأويت إلى فراشى فقلت : يا أمّ الخيار ، هل سمعتِ شيئاً ؟ قالت : لا ، ولا واحدة منهما ! فضحك هشام وأحسن إليه بصِلة . وله معه نوادر ومضحكات مذكورة فى الأغانى[1] وغيرها . وسنورد له إن شاء الله منها إذا ورد شاهد من شعره

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن :

٨ (تداعَيْنَ باسم الشِّيب فى مُتثلِّمٍ)

على أنّ اسم الصوت إنما أعرب فى هذا للتركيب ، وإن كان بناؤه أصلياً . يريد أن أسماء الأصوات إذا ركّبت جاز إعرابها ، اعتباراً بالتركيب العارض بشرط إرادة اللفظ لا المعنى ، كما يجوز إعراب الحروف إذا قصد ألفاظها . والإعراب مع اللام أكثر من البناء لكونه علامة الاسم الذى أصله الإعراب ، لكنها لا توجبه بدليل « الآن » و « الذى » و « الخمسة عشر » . كذا فصله الشارح فى باب الصوت .

وعجز هذا المصراع :

(جَوانبُهُ من بَصرةٍ وسِلام)

صاحب الشاهد وهو من قصيدة لذى الرُّمّة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم . وقبل بيت الشاهد :

(١) الأغانى ٩ : ٧٣ — ٧٨ .

أبيات الشاهد

(وكم عَسَفتْ من منهل متخطَّاٍ ... أفلَّ وأقوى ، فالجِمامُ طوامى
إذا ما وردنا لم نصادف بجوفه ... سوى وارداتٍ من قطاً وحمام
إذا ساقيانا أفرَغا فى إزائه ... على قُلُصٍ بالمقفرات حيام

تداعين باسم الشيب . . . . (البيت) .

يصف قطعةَ القفار على إبله . والعسف : الأخذ على غير هدى ، والضمير المستتر راجع إلى الإبل العيس . والمنهل : المورد ، وهو عين ماء ترده الإبل . والمنهل المتخطَّأ : الذى تخطَّأه الناس فلم ينزلوه . وأفلّ ، بالفاء ، فعل ماض بمعنى لم يصبه مطر ، وهو مع ضميره صفة لمنهل ، وهذا سبب كون الناس لم ينزلوا فيه . يقال أرضُ فِلٌّ بالكسر : لا نبات فيها لعدم المطر . وأقوى بمعنى خلا ، يقال أقوت الدار وقويت أيضاً أى خلت . والجِمام : بكسر الجيم جمع جُمّة بضمها ، وهو المكان الذى اجتمع فيه ماؤه . وطوامى : مملوءة ، جمع طامٍ اسم فاعل من طما الماء يطمو طموًّا كسموّ ، إذا ارتفع وملأ النهر . وساقيانا : تثنية ساق ، وهو من يستقى الماء من البئر . والإزاء ، بكسر الهمزة والزاى معجمة : مصب الماء فى الحوض ، قال أبو زيد : هو صخرة ، وما جعلت ٥١
وقايةً على مصبّ الماء حين يفرغ الماء ، ويقال أزّيت الحوض تأزية ، وآزيته بالمد إزاء . وعلى قلص متعلق بأفرَغا . والقُلص ، بضمتين : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة . والحيام بكسر المهملة : جمع حوم ، والحوم بالفتح : القطيع الضخم من الإبل . وبالمقفرات صفة لقُلُص ، من أقفرت الدار : إذا خلت . و (تداعين) : دعا بعضُ القلص بعضاً ، وروى (تنادين) من النداء . والجملة جواب إذاً . و « الشِّيب » بالكسر : حكاية أصوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصَّوت شِيب شِيب ، جعل هذا الصوت مما يدعوهن

إلى الشرب ، ويأتى إن شاء الله تعالى فى باب الإضافة الكلامُ على إضافة «اسم» إلى الشيب . و «المنثِمِ» : المتكسِّر والمتهدم ، أراد فى حوض متثلم ، فحذف الموصوف لدلالة مصبِّ الحوض عليه ، يقال ثلمته من باب ضرب كسرته فانثلم وتثلم . والبصرة ، بفتح الباء : حجارة رخوة فيها بياض ، وبه سميت «البصرة» . والسِّلام بكسر المهملة : جمع سلمة بفتحها وكسر اللام ، وهى الحجارة .

ترجمة ذى الرمة

و (ذو الرُّمَّة) هو غَيلان بالمعجمة ابنُ عقبة ، من بنى صعب بن مالك ابن عدىّ بن عبد مناة . ويكنى أبا الحارث . وسمى ذا الرمة بقوله :

لم يَبقَ فيها أبدُ الأبيدِ غير ثلاثٍ ماثلاتٍ سود
وغير مرضوخ القفا موتود[1] أشعث باقى رُمَّة التقليد

والرُّمة : بضم الراء وتشديد الميم : قطعة من الحبل الخلق ، ويجوز كسرها . وقال ثعلب : إنّ ميّة لقبته بذلك ، وذلك أنه مر بخبائها قبل أن ينشبب بها ، فرآها فأعجبته ، فأحبّ الكلام معها ، فخرقَ دلوه وأقبل إليها وقال : يافتاةُ اخرزى لى هذا الدلو . فقالت : إننى خرقاء — والخرقاء : التى لا تحسن عملا — فخجل غيلانُ ، ووضع دلوه على عنقه ، وهى مشدودة بقطعة حبل بال ، وولّى راجعاً . فعلمتْ مية ما أراد ، فقالت : ياذا الرمة انصرفْ . فانصرف ، فقالت له : إن كنت أنا خرقاء فإنّ أَمَتى صَناع ، فاجلس حتى تخرز دلوك . ثم دعت أمتها قالت : اخرزى له هذا الدلو . وكان ذو الرمة يسمى مية خرقاء لقولها إننى خرقاء . وغلب عليه ذو الرمة لقولها ياذا الرمة ، اهـ .

---

(١) فى النسختين : «موضوح» ، ولا وجه له ، وصوابه من ديوان ذى الرمة ١٥٥ والشعراء ٥٠٨ واللآلى ٨٢ . والرضخ : الشق والدق .

وهذا خلاف ما نقله ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[١] أن مية بنت فلان[٢] ابن طلبة بن قيس . وهى غير الخرقاء ، فإن الخرقاء من بنى البكّاء بن عامر . وكان سبب تشبيبه بها أنه مر فى بعض أسفاره ببعض البوادى ، وإذا خرقاء خارجة من خباء لها ، فنظر إليها فوقعت فى قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها وقال: إنّى رجل على ظهر سفر ، وقد تخرّقت إداوتى فأصلحيها — يستطعم بذلك كلامها — فقالت : والله إنى ما أحسن العمل ، وإنى لخرقاء . والخرقاء : التى لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على أهلها . فشبّب بها وسمّاها خرقاء .

وقال أبو العباس الأحول : سمّى ذا الرمة لأنه خُشى عليه العين وهو غلام فأتى به إلى شيخ من الحىّ ، وصنع له مَعاذةً ، وشُدّت فى عضده بحبل .

والمشهور القول الأول .

قال حمّاد الراوية : امرؤ القيس أحسن الجاهلية تشبيها ، وذو الرمة أحسن الإسلام تشبيها ، وما أخّر القومُ ذكرَه إلا لحداثة سنه وأنهم حسدوه ؛ وكان الفرزدق وجرير يحسدانه على شعره . ولقيه جرير فقال : هل لك فى المهاجاة ؟ ٥٢
قال : لا . قال : كأنك هبتنى . قال : لا والله ، ولكن حرمُك قد هتكهُنّ السّفَل ، وما أرى فى نسوتك مُترقَّعاً[٣] . قال أبو المطرِّف : لم يكن أحد من القوم فى زمانه أبلغَ منه ولا أحسنَ جواباً ، ولقد عارضه رجلٌ بسوق الإبل فى البصرة يهزأ به ، فقال : يا أعرابى ، أتشهد بما لا ترى ؟ قال : نعم ؛ أشهد بأن أباك ناك أمك !

---

(١) الشعراء ٥٠٨ .

(٢) وكذا ورد النص فى الشعر . فلعله نسى اسم أبيها ، أو أهمله للخلاف فقيل مية بنت عاصم ، وقيل مية بنت مقاتل . اللآلئ ٨٢ والاغانى ١٦ : ١١٤ وجمهرة ابن حزم ٢٠٦ .

(٣) مترقعا : موضعا للشتم والهجاء . ط : « مرتما » ـ : « مرتقعا » ، وانظر اللسان (رقع) .

وقال أبو عمرو بن العلاء مرةً : خُتم الشعر بذى الرمة والرجز برؤبة . وقال أخرى — كما فى الموشح للمرزبانى[١] — شعر ذى الرمة نُقط عروس تضمحلُّ[٢] عن قليل ، وأبعار ظباء لها مَشَمٌّ فى أول شمّها ثم تعود[٣] إلى أرواح البعر وإنما وضع منه لأنه كان لا يحسن الهجاء والمدح . . قال المبرد : معنى قوله نقط عروس أنها تبقى أول يوم ثم تذهب ؛ وبعر الظباء إذا شممته من ساعته وجدت فيه كرائحة المسك ، فإذا غبَّ ذهب ذلك منه . وقد أسند هذا التعبير فى حقه إلى جماعة منهم الفرزدق وجرير . قال الأصمعى : إن شِعر ذى الرمة حلوٌ أولَ ما تسمعه ، فإذا كثر إنشاده ضُعف ولم يكن له حسن ، لأن أبعار الظباء أول ما تشم توجد لها رائحةُ ما أكلت من الشيح والقيصوم والجثجاث والنبت الطيِّب الريح ، فإذا أدمتَ شمه ذهبت تلك الرائحة ، ونُقط العروس إذا غسلَتْها ذهبت .

وقال ابن قتيبة[٤] : وقف ذو الرمة فى سوق الإبل ينشد شعره الذى يذكر فيه ناقته صيدح. فوقف عليه الفرزدقُ فقال : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ قال : ما أحسن ما تقول ! قال : فمالى لا أذكر مع الفحول ! قال : قصّر بك عن غاياتهم بكاؤك فى الدِمن ، ونعتُك الأبعار والعطن . ومات بالبادية ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم . أى ابن الأربعين

وقال المفضل الضبى[٥] : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لى يوما : هل لك فى خرقاء صاحبة ذى الرمة ؟ قلت : بلى. فتوجهنا نريدها

---

(١) الموشح ص ١٧٢
(٢) فى النسختين : « يضمحل » ، ووجهه من الموشح .
(٣) فى النسختين : « يعود » . صوابه من الموشح .
(٤) الشعر والشعراء ٥٠٦ .
(٥) الشعر والشعراء ٥١٠ .

فعدل بى عن الطريق بقدر ميل ، فإذا أبياتٌ فقرع باباً منها فخرجت إلينا امرأة حُسَّانة بها قوة(١) فتحدثنا طويلا فقالت : أحججت قبل هذه ؟ قلت : بلى . قالت : فما منعك من زيارتى ؟ أما علمت أنى منسَك من مناسك الحجّ ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعت قول ذى الرمة :

تمامُ الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعةِ اللثام

وفى الأغانى عن ابن قتيبة : أنّ ميّة جعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه . فلما رأته رجلا دميا أسود ، وكانت من أجملِ الناس فقالت : واسَوءتاه ، واضيعة بَدَنتاه ! فقال ذو الرمة :

على وجه مىٍّ مَسحةٌ من ملاحة وتحت الثياب الشَّيْنُ لو كان باديا

قال : فكشفت ثوبها عن بدنها وقالت : أشيناً ترى لا أمَّ لك ؟ فقال :

ألم تر أنَّ المـاء يخبث طعمهُ وإن كان لون الماء أبيضَ صافيا

فقالت : أمّا ما تحت الثياب فقد رأيته وعلمتَ أن لا شين فيه ، ولم يبق إلاّ أن أقول لك هلمَّ حتى تذوق ماوراءه ! والله لا ذقتَ ذلك أبدا . فقال :

فياضيعة الشعر الذى لجَّ وانقضى بمىّ ولم أملك ضلالَ فؤاديا(٢)

قال : ثم صلَح الأمر بينهما بعد ذلك ، فعاد إلى ما كان عليه من حبِّها .

ثم قال صاحب الأغانى : أنّ مية كانت لها بنت [عمٍّ](٣) قالت على ٥٣
لسان ذى الرمة :

---

(١) وكذا فى الاغانى ١٦ : ١١٥ رواية عن ابن قتيبة . وفى الشعر والشعراء : « بها فوه » . والفوه ، بالتحريك : سعة الفم وعظمه .

(٢) فى شرح الأمير للمغنى ١ : ٧٣ نقلا عن هذا الموضع من الخزانة : « ضلالا فؤاديا » .

(٣) التكلة من الأغانى . وفيها : « وكانت لها بنت عم من ولد قيس ، يقال لها كثيرة أم سلهمة » . وانظر أمالى الزجاجى ٥٧ .

* على وجه ميّ مسحة من ملاحة *

الأبيات . فكان ذو الرمة إذا ذُكر ذلك له يتمعّض منه[1] ويحلف أنّه ما قاله قطّ .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع :

٩ (إذا اجتمعوا على ألفٍ وَواو ... وياءٍ هاج بينهمُ جِدالُ)

على أن أسماء حروف المعجم تعرب إذا ركبت وإن كان بناؤها أصليًّا . قيل : حيث كانت معربة لأجل التركيب عُلم أنها قبل التركيب غير معرَبة ، وهذا حكم جميع الأسماء ، سواء قلنا إنها قبل التركيب موقوفة أم مبنية ، فما الفرق بينها وبين سائر الأسماء ؟

أقول : الفرق أن أسماء حروف الهجاء إنّما وضعت لسردها مفردة للتعليم ، لا لأنْ تكون مركبة مع عامل ، فالتركيب فيها عارض بخلاف سائر الأسماء فإنها إنما وُضعت للتركيب ، وسردُها منثورة أمرٌ عارض . ثم رأيت الشارح المحقق قد ذكر ما قلتُه فى مواضع أُخر من شرحه[2] فقال : إن أسماء حروف المعجم لم توضع إلا لتُستعمل مفردات ، لتعليم الصبيان ومن يجرى مجراهم ، موقوفاً عليهم . فإذا استعملت مركبة مع عاملها فقد خرجت عن حالها الموضوعة لها .

وهذا مذهب ابن جنى فى سر الصناعة حيث قال : « اعلم أن هذه الحروف ما دامت حروفَ هجاء فإنها سواكن الأواخر فى الدَّرْج والوقف ، لأنها أصوات بمنزله صه ومه ، فإن وقعت موقع الأسماء أعربت » .

---

(١) فى الأغانى : « يتمعض منه » .

(٢) انظر الرضى على الكافية : ٢ : ١٣٢ . ومنه نقل البغدادى النص الذى سيأتى

وأراد الشارح بإعرابها عند التركيب وجوب إعرابها كما نص عليه فى موضع آخر فقال : « إذا أردت إعراب أسماء حروف المعجم الكائنة على حرفين ضعّفت الألف وقلبتها همزة . ولا تجوز الحكاية فى أسماء حروف المعجم مع التركيب مع عاملها » .

وأغرب السيوطى فى جمع الجوامع وشرحه فقال : « وأسماء الحروف ألف با تا ثا إلى آخرها وقف ، إلاّ مع عامل فالأجود حينئذ فيها الإعراب ومد المقصور منها ، ويجوز فيها الحكاية كهيئتها بلا عامل ، ويجوز ترك المد بأن يعرب مقصوراً منوّناً . كما إذا تعاطفت فإن الأجود فيها الإعراب والمدّ وإن لم يكن عامل » . انتهى .

فجوّز مع العامل الحكاية والقصر ، كما إذا لم تكن مع عامل ؛ وجوز أيضاً إعرابها مع القصر ، وجوز فى التعاطف مع عدم العامل الإعراب والمد .

وأما الأول فصرّح بمنعه ابن جنى والشارح .

وأما الثانى فمنعه ابن جنى أيضاً فقال : فأما ما كان من نحو با تا فإنك متى أعربته لزمك أن تمدّه ؛ وذلك أنه على حرفين ، الثانى منهما حرفُ لين ، والتنوين يدرك الكلمة فتحذف الألف لالتقاء الساكنين ، فيلزمك أن تقول بن وتن يافتى ، فيبقى الاسم على حرف واحد ، فإن ابتدأته وجب أن يكون متحركا ، وإن وقفت عليه وجب أن يكون ساكناً ، وهذا ظاهر الاستحالة . فأما ما روى « شربتُ مَاً » يريد ماء ، فحكاية شاذة لا نظير لها ، ولا يسوغ قياس غيرها عليها ، وإذا كان الأمر كذلك زدت على ألف با تا ألفاً أخرى ، كما رأيت العرب فعلت حين أعربت لوّا فقالوا :

* إن لوّا وإنّ ليتاً عناء[1] *

---

(١) هو الشاهد ٧٣٥ . ومثله فى الأغانى ١٩ : ١٥٨ :

علقت لوا تكررها إن لوا ذاك أعيانا

وأما قول الشاعر :

بخط لام ألفٍ موصول والزاى والرا أيّما تهليل

إنما أراد (والراء) ممدودة ، فلم يمكنه ذلك لئلا يكسر الوزن ، فحذف الهمزة من الراء ، وجاء بذلك على قراءة أبى عمرو وتحقيقه الأولى من الهمزتين إذا التقتا من كلمتين وكانتا جميعاً متّفقتى الحركتين ، نحو: «فقد جاء أشراطها» و « شاء أنشره » ، وكذلك كان أصل هذا « والزاى والراء أيما تهليل » ، فلما اتفقت الحركتان حذف الأولى من الهمزتين .

وأما الثالث فلا وجه للإعراب والمد جميعاً مع عدم العامل .

وأظن أن السيوطى لخص كلامه من الارتشاف لأبى حيّان ، وأصله من المقصور والممدود لابن الأنبارى ، وتبعه أبو على القالى — فى المقصور والممدود له أيضاً — حرفاً بحرف — فقالا : وما كان من حروف الهجاء على حرفين فالعرب تمده وتقصره فيقولون: باء وتاء ، ومنهم من يقصر فيقول با و تا ، ومنهم من ينون فيقول باً و تاً . قال يزيد بن الحكم يذكر النحويين :

إذا اجتمعوا على ألفٍ وواو وياء ... (البيت)

والزاى فيها خمسة أوجه : من العرب من يمدها فيقول زاء فاعلم ، ومنهم من يقول زاى ، ومنهم من يقول هذه زا ، فيقصرها ، ومنهم من ينون فيقول زاً ، ومنهم من يقول زىّ فيشدّد . وأنشد الفراء :

بخط لام ألفٍ موصول والزاى والرا أيما تهليل

انتهى .فأنت تراهما كيف أطلقا ولم يفصّلا ، وهو مخالف لكلام الناس

ومراد الشارح بالتركيب أن تقع مع عامل ، نحو أول الجيم جيم ، وأوسط السين ياء ، وكتبتُ ياء حسنة . وكذلك العطف فيقال : ما هجاء بكر ؟ فنقول.

باء وكاف وراء، وكبيت الشاهد . فإن لم تعطف تَبْن ، فتقول باءْ ، كافْ ، راءْ ، بإسكان الأواخر .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد ليزيد بن الحكم ، كما نسبه إليه الزَّجّاج فى أول تفسيره ، وابن الأنبارى ، وأبو على القالى . وروى الحريرى فى درة الغوّاص[1] عن الأصمعى أنه قال : أنشدنى عيسى بن عمر بيتا هجا به النحويين ، يعنى أنهم إذا اجتمعوا للبحث عن إعلال حروف العلة ثار بينهم جدال . والجدال : مصدر جادل إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، وهذا أصله ، ثم استعمل فى لسان حملة الشرع فى مقابلة الأدلة لظهور أرجحها . وهو محمود إن كان للوقوف على الحق ، وإلاّ فمذموم ، يقال : إن أول من دوّن الجدل أبو على الطبرى . ويروى بدله « قتال » .

ترجمة يزيد ابن الحكم

أما يزيد بن الحكم فهو يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى البصرى ، الشاعر المشهور . ومن قال يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبى العاص فقد وهم ، فإن عثمان جدُّه أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم الطائف . حدث عن عمه عثمان المذكور ، وروى عنه معاوية بن قُرّة وعبدالرحمن بن إسحاق .

حكى أن الفرزدق مرَّ على يزيد هذا وهو يُنشد فى المسجد ، فقال : من هذا الذى ينشد شعرا كأنه شعرنا ؟ قالوا : يزيد بن الحكم . فقال : أشهد بالله أن عمتى ولدته .

وأم يزيد : بكرة بنت الزِّبرقان بن بدر . وأمها هُنيدة بنت صعصعة ابن ناجية . وكانت بكرة أول عربيّة ركبت البحر .

وروى الزجاجى فى أماليه الصغرى قال : ورد يزيد بن الحكم الثقفى من

(١) درة الغواص ١٠٦ .

الطائف على الحجاج بن يوسف بالعراق ، وكان شريفاً شاعراً ، فولاه الحجّاج فارس ، فلما جاء لأخذ عهده قال له : يا يزيد أنشدنا من شعرك — يريد أن ينشده مديحاً له — فأنشده :

مَن يك سائلا عنّى فإنى ... أنا ابن الصَّيدِ من سلَفَىْ ثقيف
وفى وَسط البطاح محلُّ بيتى ... محلّ الليث من وسط الغريف
وفى كعب ومن كالحىّ كعبٍ ... حللت ذُؤابة الجبل المنيف
حويتُ فخارها غورا ونجداً ... وذلك منتهى شرف الشريف
نمانى كلُّ أصيدَ لا ضعيفٍ ... بحمل المعضلات ولا عنيفِ

فوجم الحجاجُ وأطرق ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله ، أحمده وأشكره إذ لم يأت علينا زمان إلّا وفينا أشعر العرب ! ثم قال : أنشدنا يايزيد . فأنشأ يقول :

وأبى الذى فتح البلاد بسيفه ... فأذلّها لبنى الزمان الغابر
وأبى الذى سلب ابن كسرى رايةً ... فى الملك تخفقُ كالعُقاب الكاسر
وإذا فخرتُ فخرتُ غير مكذَّب ... فخراً أدُقّ به فخار الفاخر

فقام الحجاج مغضباً ، ودخل القصرَ وانصرف يزيد ـ والعهد في يده ـ فقال الحجاج لخادمه : اتبعه وقل له ارددْ علينا عهدنا ، فإذا أخذته فقل له : هل ورّثك أبوك مثل هذا العهد ؟ ! ففعل الخادم وأبلغه الرسالة . فردَّ عليه العهد فقال : قل للحجاج : أورثنى أبى مجده وفعاله ، وأورثك أبوك أعنُزاً ترعاها . ثم سار تحت الليل ، فلحق بسليمان وهو ولىّ عهد الوليد ؛ فضمَّه إليه وجعله فى خاصّته. ومدحه بقصائد ، فقال له سليمان : كم كان أُجرىَ لك فى عمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : هى لك علىّ ما دمت حياً .

ومما مدحه به هذه القصيدة ، ومطلعها :

أمسى بأسماء هذا القلبُ معمودا   إذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأنَّ أحور من غزلان ذى بقرٍ   أهدى لنا شبه العينين والجيدا
أجرِى على موعد منها فتُخلفنى   فلا أملّ ولا توفى المواعيدا
كأننى يوم أمسى لا تكلّمنى   ذو بغية يشتهى ما ليس موجودا

ومنها :

سُمِّيت باسم امرئٍ أشبهت شيمته   فصلاً وعدلاً سليمان بن داودا
أحمِدْ به فى الورى الماضين من ملك   وأنت أصبحت فى الباقين محمودا
لا يبرأ الناس من أن يحمدوا ملكا   أولاهم فى الأمور الحلم والجودا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات لعمر بن أبى ربيعة ، وذلك خطأ[1] .

وفى الأغانى بسنده إلى ابن عائشة قال : دخل يزيد بن الحكم على يزيد ابن المهلب فى سجن الحجاج ــ وهو يُعذَّب ــ وقد حل عليه نجم كان قد نُجِّمَ عليه ، وكانت نجومه فى كل أسبوعٍ ستة عشر ألف درهم ، فقال له :

أصبح فى قيدك السَّماحةُ والجـــودُ وفضل الصلاح والحسبُ
لا بطرٌ إن تتابعت نعم   وصابرٌ فى البلاء محتسب
برَّزت سبق الجياد فى مهل   وقصّرتْ دون سعيك العرب ٥٦

قال : فالتفت يزيد إلى مولًى له ، وقال : أعطه نجم هذا الأسبوع ، و نصبر على العذاب إلى السبت الآخر[2] .

---

(١) الأغانى ١١ : ٩٧ .

(٢) بعده فى الأغانى ١١ : ٩٨ : « وقد رويت هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بيض مع يزيد » .

وليزيد بن الحكم عدةُ قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربّه بن الحكم ، وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبى العاصى . ومما قال فى ابن عمه(١) :

ومولًى كذئب السوء لو يستطيعنى أصاب دمى يوماً بغير قتيل
وأعرض عما ساءه ، وكأنما يُقاد إلى ما ساءنى بدليل
مجاملة منى وإكرامَ غيره بلا حسنٍ منه ولا بجميل
ولو شئتُ ـ لولا الحلم ـ جدّعت أنفه بإيعاب جدع بادئ وعليل
حفاظاً على أحلام قومٍ رُزئتهم رزانٍ يزينون الندىّ كهول

وقال فى أخيه عبد ربه :

أخى يسرُّ لى الشّحناء يضمرها حتّى وَرِى جوفَه من غمره الداء
حرّانُ ذو غُصّة ، جُرّعت غصّته وقد تعرّض دون الغصّة الماء
حتّى إذا ما أساغ الريق أنزلنى منه كما يُنزل الأعداء أعداء
أسعى فيكفر سعيى ما سعيتُ له إنى كذاك من الإخوان لقّاء
وكم يدٍ ويدٍ لى عنده ويدٍ يُعدّهن ترات وهى آلاء

و (الغريف) بفتح الغين المعجمة هو الأجمة والغابة .

ترجمة عيسى ابن عمر

وأما عيسى بن عمر فهو عيسى بن عمر الثقفى ، مولى خالد بن الوليد . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى إسحاق . وروى عن الحسن البصرى والعجاج ، ورؤبة ، وجماعة ـ وعنه أخذ الأصمعىّ وغيره ـ وكان يتقعّر فى كلامه ، حكى عنه الجوهرىّ فى الصحاح ، أنه سقط عن حمار ، فاجتمع عليه الناس فقال : مالى أراكم تكأكأتم علىّ تكأكؤكم على ذى جنّة ؟ افرنقعوا عنى(٢) ! واتّهمه عمر بن هُبيرة بوديعة ، فضربه نحو ألف سوط . فجعل يقول :

(١) الأغانى ١١ : ١٠٠ .
(٢) التكأكؤ : التجمع . والجنة : الجنون . والافرنقاع . التفرق .

والله إن كانت إلاّ أثيابا فى أسيفاط قبضها عشّاروك ! مات سنة تسع وأربعين ، وقيل سنة خمسين ومائة[1] ، كذا فى معجم النحويين للسيوطى .

والبيت الذى مثل به ابن جنى ووعدْنا بشرحه هو من أبيات رواها أبو زيد فى نوادره[2] قال : إنها لراجز يصف بها جُندبا ، وهى :

أبيات الشاهد

يحجل فيها مقلزُ الحجول بغياً على شقّيه كالمشكول[3]

بخط لامٍ ألف موصول والزاىَ والرا أيَّما تهليل

خطَّ يد المستطرق المسئول

(الجندب) بفتح الدال وضمها : ضرب من الجراد ؛ وقال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد : قال أبو العباس ثعلب إنه عنى غراباً يحجل . قال فى العباب : الحجَلان : مشية المقيّد ، يقال حجل الطائر يحجل بضم الجيم وكسرها ، إذا نزا فى مشيه ؛ والحجول بفتح المهملة وضم الجيم صفة الجندب أو الغراب . وضمير فيها للأرض . و (المقلز) بكسر الميم وفتح اللام ، أراد به رجل الجندب أو الغراب لأنه اسمُ آلة من قلز الغراب والعصفور فى مشيهما ، ٥٧
وكل من لا يمشى مشياً فهو يقلز بضم اللام وكسرها قلْزاً بسكون اللام . ورواه أبو حاتم بفتح الميم وكسر اللام ، فيكون مصدراً ميميًّا . وزعم الأخفش فى شرح النوادر أنه مقلوب مقزل من القزل بفتحتين وهو أسوأ العرج . وقد قزل[4] بالكسر فهو أقزل ، والقَزَلان : العرَجان ، وقد قزَل بالفتح قزلاناً : إذا مشى مشية العرْجان . ولا حاجة إلى ادّعاء القلب ، لأن مادة (قلز) ثابتة مذكورة

(١) هذا يصحح مافى بغية الوعاة ٢٧٠ : « وقيل سنة خمس ومائة » .
(٢) نوادر أبى زيد ١٦٧ .
(٣) ط : « كالمشلول » ، صوابه من النوادر ومما سيأتى من تفسير .
(٤) ط : « قزله » فى هذا الموضع وفى « مقلوبة من قزل » التالية ، صوابهما من .

فى العباب والقاموس ، ولم يقل أحد إنها مقلوبة من قزل . ثم قال الأخفش : « روى لى ثعلب : مقلز الحجول بكسر الميم ، ولا وجه له عند أهل العربية ، لأنّ المقلز هو الحجول ، ولا يضاف الشيء إلى نفسه : والرفع فى الحجول أجود وإن كان الشعر يصير مُقوًى . وقد روى بالرفع . وفيه مع هذا عيب ، وهو أنه حذف التنوين من مقلز لسكونها وسكون اللام . وحذف التنوين هو الذى شجّع من رواه مخفوضاً ولم يتأمّل المعنى ، والإقواء أصلح من الإحالة . انتهى .

أقول : هذا تطويل بلا طائل ، يعلم فسادُه ممّا قدمناه . على أن المقلز لم يقل أحد إنه بمعنى الحجول . و (البَغْى) هنا : الاختيال والمرح . و (المشكول) : الذى فى رجليه شِكال ، يقال : شكلته شكلاً من باب قتل : قيّدته بالشكال ، وشكلتُ الكتاب شكلاً : أعلمته بعلامات الإعراب . وقوله (بخطّ) الباء متعلقة بيحجل ، ويجوز أن يكون بمثناة تحتية مضارع خطّ ، فيكون ضميره المستتر للمقلز و (لام ألف) مفعوله . و (موصول) وصف اللام ، والصلة محذوفة أى موصول بها أى بالألف . و (الزاى والرا) منصوبان بالعطف على محل لام ألف . وقوله : (أيما تهليل) منصوب بفعل محذوف ، وما زائدة ، أى هلّل تهليلا أىّ تهليل ، وهو مصدر هلّل ، بمعنى نكَص وجبُن وفرّ و (خطًّ) منصوب على المصدر التشبيهى ، أى بخط لام ألف كخط يد الكاهن المسئول منه التكهن . و (المستطرِق) : الكاهن الذى يطرق الحصى بعضَه ببعض ، والطرق : ضرب الكاهن الحصى ، وقد استطرقته أنا ، روى بكسر الراء وفتحها

وقد أورد هذه الأبياتَ ابن الأعرابى أيضاً فى نوادره . قال أنشدنيها المفضّل وذكر داراً خلت من أهلها فصار فيها الغربان والظباء والوحش . ثم قال : المستطرق : الذى يتكهّن ، فإذا سئل عن الشيء خطّ فى التراب ونظر . وحكى عن أعرابى قال : عالجت جارية شابّة فإذا قَلَزَّة كأنها أتان وحش .

قال : القُزُزّة : الشديدة ، والقُلزّ : النحاس الذى لا يعمل فيه الحديد . وقال أبو المنهال : هو القِلزّ ولم يعرف القُلُزّ : اه .

وروى (الحجول) بضمتين على أنه مصدر . وروى (نعبا) بدل بغيا ، بفتح النون وسكون العين المهملة بعدها موحدة ، وهو صوت الغراب . وروى (تفصيل) بدل تهليل .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد العاشر وهو من شواهد سيبويه[1] :

١٠ (أحضُرَ الوغى)

وهو قطعة من بيت وهو :

(ألا أيُّهذا اللائمى أحضُرَ الوغى وأنْ أشهدَ اللذات هل أنت مُخلدى)

على أن نصب (أن) المقدرة فى مثل هذا ضعيف وقال فى باب نواصب الفعل : نصبها فى مثله شاذ ، والكوفيون يجوّزون النصب فى مثله قياساً . ٥٨

أقول : ذهب الكوفيون إلى أنها تعمل محذوفة فى غير المواضع المعدودة . واستدلوا بهذا البيت فقالوا : الدليل على صحة هذا التقدير أنه عطف عليه قوله :(وأن أشهد) فدل على أنها تنصب مع الحذف . ومنع البصريون ذلك بأن عوامل الأفعال ضعيفة لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذفت ارتفع الفعل ؛ ومنه عند سيبويه قوله تعالى : « قل أفغير الله تأمرونِّى أعبد[2] » . وقالوا : رواية البيت عندنا إنما هى بالرفع ، فقال سيبويه أصله (أن أحضر) فلما حذفت

(١) سيبويه (١ : ٤٥٢)

(٢) الآية ٦٤ من سورة الزمر . وقرأ الحسن : « أعبد » بالنصب أيضاً ، كما فى الأشمونى ٣ : ٣١٥ .

(أن) ارتفع ؛ و (أن أحضر) مجرور بنى مقدرة و (أن أشهد) معطوف عليه . وقال المبرِّد : جملة أحضُر حال من الياء . و (أن أشهد) معطوف على المعنى ، لأنه لما قال أحضُر دل على الحضور كما تقول : من كذب كان شراً له ، أى كان الكذب . كذا نقلوا عنه ؛ ولئن صحت رواية النصب فهو محمول على أنه توهم أنه أتى بأن ، فنصب ، كقوله :

بدا لىَ أنّى لستُ مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا (١)

بجر (سابق) على توهم أنه قال : لست بمدرك ما مضى . وهذا لا يجوز القياس عليه .

وروى (ألا أيُّهذا الزاجرى) ، وروى أيضاً (ألا أيُّها اللاحىّ) بتشديد الياء . و (الوغى) : الحرب ، وأصله الأصوات التى تكون فيها ، وقال ابن جنى : الوغى بالمهملة : الصوت ، وبالمعجمة : الحرب نفسها . و (الشُّهود) : الحضور ، يقال : شهدت المجلس بمعنى حضرته . و (أخلده) : أبقاه .

ومعنى البيت : يامَنْ يلومنى فى حضور الحرب لئلا أقتل ، وفى أن أنفق مالى لئلا أفتقر ، ما أنت مخلدى إن قبلتُ منك ، فدعنى أنفق مالى فى الفتوّة ولا أخلّفه لغيرى .

صاحب الشعر وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبد ، وهى إحدى المعلّقات السبع . ونذكر ترجمته وأخباره فى موضع آخر إن شاء الله تعالى (٢) . وبعد هذا البيت:

(فإن كنتَ لا تسطيعُ دفعَ منيّتى فذرنى أبادرْها بما ملكتْ يدى)

---

(١) لزهير بن أبى سلمى أو لغيره . وهو الشاهد ٧٠٤ .

(٢) فى الشاهد ١٥٢ .

يقول : إن كنت لاتقدرُ أن تدفع موتى فذرنى أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالى . يريد أن الموت لابد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر :

١١ (أدنُو فأنظورُ)

وهو قطعة من بيت ثان[١] أنشدهما الفراء ، وهما :

(اللهُ يعلمُ أنَّا فى تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صُورُ
وأنّنى حوثُمَا يثنى الهوى بصرى من حوثما سلكوا أدنو فأنظورُ)

على أن الواو حاصلة من إشباع الضمة، وأصله أنظر . ويروى (إلى إخواننا) بدل أحبابنا . و (الصُّور) بصاد مهملة : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق من صَوِر[٢] يصوَر صوَراً بالتحريك : مال . وأصاره فانصار : أماله فمال . ويجوز أن يكون جمع (صُورة) ، أى إذا تلفتّنا إلى الأحباب عند رحيلهم فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح . و (أنّى) بفتح الهمزة . و (حوْث) ظرف مكان ، لغة فى حيث ، بتثليث الثاء فيهما ؛ وهو خبر أن . و (ما) زائدة . و (ثناه) : أماله . و (الهوى) : العشق ، وهو فاعل ، و (بصرى) مفعوله . أى أنا فى الجهة التى يُميل الهوى بصرى إليها . وقوله : ٥٩
(من حوثما) روى فى الموضعين (حيثما[٣]) متعلق بأدنو وبأنظر ، أى أدنو فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وروى ابن جنى فى سر الصناعة ،

(١) ش مع أثر إصلاح : « من ثانى بيتين » .
(٢) فى الأصل : « صار » .
(٣) وهى رواية الصاحبى ص ٢١ . وروى فى اللسان (شرى) :
وأننى حوثما يشرى الهوى بصرى من حيثما سلكوا أثنى فانظور

وفى الخصائص ، وفى المبهج : (يسرى) بدل يثنى ، وزاد فى المحتسب فقال : هكذا روى أبو على يسرى من سريت ، ورواه ابن الأعرابى (يُشرى) بالشين معجمة أى يعلّق ويحرّك الهوى بصرى ؛ وما أحسن هذه الرواية وأظرفها ! انتهى .

أما الأول فهو مضارع سريت الثوب عنى سرْياً ، لغة فى سروته عنى سرواً بمعنى ألقيته . وأما الثانى فهو مضارع أشريته ، متعدى شرى البرق شرى من باب فرح ، إذا كثر لمعانه ، وشرى زمامُ الناقة إذا كثر اضطرابه ، وشرى الرجل واستشرى إذا لج فى الأمر . وقوله: (أدنو فأنظور) روى ابن جنى موضعه (أثنى فأنظور) ، أى أثنى عنقى فأنظر نحوهم ، من ثناه بمعنى لواهُ . قال أبو على ، وتبعه ابن جنى : لو سميت رجلا بأنظر لمنعته الصرف للتعريف ووزن الفعل ، ولو سميته بأنظور من قول الشاعر « أدنو فأنظور » لصرفته لزوال لفظ الفعل ، وإن كنا نعلم أن الواو إنما تولدت من إشباع ضمة الظاء وأن المراد عند الجميع : أنظر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر :

١٢ (ينباعُ من ذفْرى غَضُوبٍ جسرةٍ)

تمامه : (زيّافةٍ مثل الفنيق المُكدم)

على أن الألف تولدت من إشباع الفتحة ، والأصل ينبع ، كذا قال جماعة ؛ وقال ابن الأعرابى : ينباع ينفعل ، من باع يبوع إذا مرّ مرّاً ليّنا فيه تلوٍّ ، وأنكر أن يكون الأصل فيه ينبع ، وقال : (ينبع) يخرج كما ينبع الماء من الأرض ، ولم يرد هذا ، إنما أراد السّيلان وتلوّيه على رقبتها . وفى العباب :

وانباع العرق سال ، وأنشد هذا البيت ؛ وقال : ويروى (ينبعّ) ، وقيل ينبَع فتولدت الألف من إشباع الفتحة ، ويروى (ينهمّ) أى يذوب ، يقال همّه المرضُ إذا أذابه ، وانهمّ الشحمُ والبرد : ذابا . وإنكار ابن الأعرابى رواية ينبع مردود برواية الثقات ؛ وقوله : ليس المراد ينبع الخ ، مردود أيضاً ، فإنّ (الذفرى) هو الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن . وفاعل ينباع ضمير عائد على الرُّب أو الكُحيل فى البيت السابق ، وجملة ينباع خبر كأنّ ، وهو :

(وكأنّ رُبًّا أو كُحيلا مُعقدا حشّ الوقودُ به جوانب قُمْقُم)

(الربّ) بضم المهملة معروف ، وهو شبيه الدِّبس و(الكُحيل) بضم الكاف وفتح الحاء المهملة : القطران ؛ شبّه عرق الناقة بهما . وقال الخطيب التبريزى : وقيل (الكحيل) هناء تُهنأ به الإبل من الجرب ، شبيه بالنِّفْط ، يقال له الخضخاض . وقال أبو جعفر النحوى : هو ردىء القطِران ، يضرب إلى الحمرة ثم يسودّ إذا عقد . وفى العباب : (الكحيل) مصغر : الذى يطلى به الإبل للجرب وهو النِّفْط ، قاله الأصمعى . قال : والقطران إنما يطلى به للدَّبر والقُراد وشبه ذلك ؛ وأنشد هذا البيت . و (معُقد) : اسم مفعول من أعقد ، وهو الذى أوقد تحته النارُ حتى انعقد وغلظ . قال فى الصحاح: «وعقد الرُّبُّ وغيره أى غلظ ، فهو عقيد ، أعقدته أنا وعقدته تعقيداً . قال الكسائى : يقال للقطِران والربّ ونحوه أعقدته حتى تعقّد » ، وهو وصف الثانى لا الأول فإن ٦٠
الربَّ يكون معقداً . و (حشّ) بالحاء المهملة ، يقال ؛ حششت النار إذا أوقدتها . (والوقود) بفتح الواو : الحطب ، و (الوُقود) بالضم المصدر ؛ وهو فاعل حشّ . و (جوانب) مفعوله ؛ ويجوز أن يكون حشّ بمعنى احتشّ أى اتقد ، كما يقال : هذا لا يخلطه شىء بمعنى لا يختلط به ؛ فيكون (جوانب) منصوبا على الظرف ، كذا فى شرح أبى جعفر النحوى . و (القمقم) كهدهد : الجرة

وآنية معروفة(١) . قال القاضى أبو الحسين الزوزنى فى شرحه : « شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل فى قمقم أو قدت عليه النار ، فهو يترشح به عند الغليان ، وعرق الإبل شبّهه بهما وشبه رأسها بالقمقم فى الصلابة . وتقدير البيت : وكأن ربا أو كحيلا حشّ الوقود بإغلائه فى جوانب قمقم ، عرقُها الذى يترشح منها » اهـ . و (الذِّفرى) بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء ، من القفا : الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن ، يقال هذه ذفرى أسيلة ، لا تنوَّن لأن ألفها للتأنيث ، وبعضهم ينون ويجعل ألفها للإلحاق ، وهى مأخوذة من ذفَر العرق ، لأنها أول ما يعرق من الإبل الذفريان ، وأول ما يبدو فيه السمن لسانه وكرشه ، وآخر ما يبقى فيه السمن عينه وسُلاماه وعظام أخفافه . (والغَضُوب) بالغين والضاد المعجمتين قالوا : هى الناقة العبوس ، والمراد الناقة الصعبة الشديدة المراس ، قال الخطيب فى شرحه تبعاً لأبى جعفر : « الغضوب والغضبى واحد ، وغضوب للتكثير كما يقال ظلوم وغشوم » ؛ وروى شارح شواهد التفسيرين: (من ذفرى أسيل) ، قال : والأسيل من كل شىء : المسترسل الطويل السّهل . وهذه الرواية غير صحيحة ، لأنه إن كان بإضافة ذفرى إليه فكان يجب أن يقول أسيلة لأن كلامه فى الناقة بدليل ما بعده ، وإن كان الأسيل وصفاً للذفرى — وإن صح بتقدير ألفها للإلحاق — لكن تبقى الذفرى غير مقيدة . و (الجسرة) بفتح الجيم وسكون السين المهملة قال فى الصحاح : الجسر العظيم من الإبل ، والأنثى جسرة . وفى الشروح : (الجسرة) الماضية فى سيرها ، ومنه جسر فلان على كذا ، وقيل هى الضخمة

---

(١) وكذا فى القاموس ، ومثله فى المصباح : « والقمقم : آنية العطار . والقمقم أيضاً : آنية من نحاس يسخن فيه الماء ، ويسمى المحم كخضم ، وأهل الشام يقولون غلاية » . وقد رأيت اشتراكهما فى تفسير القمقم وهو مفرد بأنه آنية ، والآنية جمع إناء . ففى عبارتيهما تجوز .

القوية . وروى بدله (حرة) والحر : الجيد الأصيل ، والخالص من كل شيء .
و (الزَّيافة) بفتح الزاى المعجمة وتشديد المثناة التحتية والفاء ، مبالغة زائف ، وهو من زاف يزيف زيفاً وزيفانا إذا تبختر فى مشيته ، كذا فى العباب . وقال الخطيب : هى المسرعة . و (الفنيق) بفتح الفاء وكسر النون : الفحل . (المُكْدم) : الذى لا يؤذى ولا يركب لكرامته على أهله ، والمكدم بضم الميم وسكون الكاف اسم مفعول ، قياسه أن يكون من أكدمه ، لكنهم[1] لم ينقلوا إلاّ كدمه ثلاثيا من الباب الأول والثانى[2] ، قالوا الكدم : العضّ بأدنى الفم كما يكدم الحمار . والمكدَّم بالتشديد : المعضّض . وروى موضعه (المُقْرم) على وزنه ، وهو : البعير الذى لا يُحمل عليه ولا يذلّل ، وإنما هو للفِحلة بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة . قال الزوزنى : يقول : ينبع هذا العرق من خلف أذن ناقة غضوب موثقة الخلق ، شديدة التبختر فى سيرها ، مثل فحلٍ من الإبل قد كدمته الفحول ، شبهها بالفحل فى تبخترها ووثاقة خلقها وضخمها .

صاحب الشاهد وهذان البيتان من معلقه عنترة ، وهى من أجود شعره . وكانت العرب تسميها المذهبة[3] بصيغة اسم المفعول من الإذهاب أو التذهيب ، وهما بمعنى ٦١
التَّمويه والتَّطلية بالذهب .

ومعنى المعلَّقة : أن العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر

(١) فى النسختين : « لكونهم » والوجه ما أثبت .
(٢) يعنى بابى نصر وضرب .
(٣) وهذا غير الاصطلاح الذى جرى عليه ابو زيد القرشى فى تقسيم كتابه « جمهرة أشعار العرب » إذ جعل المذهبات لسبعة من الشعراء وهم عبد الله بن رواحة ، ومالك بن عجلان ، وقيس بن الخطيم ، وأحيحة بن الجلاح ، وابو قيس بن الأسلت ، وعمرو بن امرىء القيس .

فى أقصى الأرض فلا يُعبأ به ولا يُنشده أحدٌ ، حتى يأتىَ مكةَ فى موسم الحج فيعرضه على أندية قريش ، فإن استحسنوه رُوى وكان فخراً لقائله وعلّق على ركن من أركان الكعبة حتى يُنظر إليه ، وإن لم يستحسنوه طُرح ولم يعبأ به.
وأول من علق شعره فى الكعبة امرؤ القيس ، و بعده علقت الشعراء . وعددُ من علّق شعره سبعة ، ثانيهم طَرَفة بن العبد ، ثالثهم زُهير بن أبى سُلمى ، رابعهم لبيد بن ربيعة ، خامسهم عنترة ، سادسهم الحارث بن حلّزة ، سابعهم عمرو بن كلثوم التغلبى ، هذا هو المشهور .

وفى العمدة لابن رشيق[1] : « وقال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة[2] قال : أصحاب السبع التى تسمى السموط[3] امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة ، قال : وقال المفضل : من زعم أن فى السبع التى تسمى السُّموط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل . فأسقطا من أصحاب المعلقات عنترة والحارث بن حلزة ، وأثبتا الأعشى والنابغة . وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر ، فكتبت فى القباطىّ[4] بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال : مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدةٌ يقول : علّقوا لنا هذه ، لتكون

(١) العمدة ١ : ٦٠ — ٦١ .

(٢) كذا خلط ابن رشيق بين قول أبى عبيدة والمفضل ، ولم يطابق ما فى نص جمهرة أشعار العرب ص ٣٤ — ٣٥ . وتبعه البغدادى دون رجوع إلى أصل الجمهرة .

(٣) فى ط وأصل س. «السمط» ، وأثبت ما فى الجمهرة ، وبذلك صححت أيضاً فى س .

(٤) القباطى : جمع قبطية بضم القاف على غير قياس النسب ، وبكسرها على القياس ، وهى ضرب من الثياب ينسب إلى القبط أهل مصر .

فى خزانته[١] » .

ونذكر إن شاء الله خبر كل واحد من أصحاب القصائد ، وأنسابهم ، والسبب الذى دعاهم إلى قول تلك القصائد ، عندما يأتى شعر كل منهم .

وقد طرح عبد الملك بن مروان شعر أربعةٍ منهم وأثبت مكانهم أربعة .

وروى أن بعض أمراء بنى أمية أمر من اختار له سبعة أشعار فسمّاها المعلقات .

والسبب الذى حمل عنترة على نظم هذه القصيدة : أنه كان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة ، حتّى سابّه رجل من قومه فعابه بسواده وسواد أمّه ، وأنه لا يقول الشعر ، فأجابه عنترة أبلغ جواب ـ نقله ابن قتيبة فى طبقات الشعراء[٢] ـ وقال : أما الشعر فستعلم ! فقال هذه القصيدة .

ويستحسن منها قوله فى وصف روضة :

(وخلا الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ غَرِداً كفعل الشارب المترنّم
هزِجاً يحُكّ ذراعه بذراعه فعلَ المكبِّ على الزّناد الأجذمِ)

(البَراح) : الزّوال . و (الغرد) وصف من غرد ، من باب فرح ، إذا تغنّى . يقول : خلا الذباب بهذه الروضة فلا زال يرجّع صوته بالغناء كشارب الخمر . و (الهزَج) : تراكب الصوت . ومعنى يحكّ ذراعه بذراعه يُمرّ إحداهما على الأخرى . و (الأجذم) بالمعجمتين : صفة المكبّ ، وهو المقطوع اليد ، شبّه الذباب إذا سنّ إحدى ذراعيه بالأخرى بأجذم يقدح ناراً بذراعيه ، وهذا من عجيب التشبيه ، يقال : إنّه لم يقل أحدٌ فى معناه مثله ، وقد عدّه

(١) إلى هنا ينتهى نقل البغدادى عن العمدة .

(٢) الشعر والشعراء ٢٠٥ — ٢٠٦ . وقد أغفله البغدادى هنا لطوله .

أرباب الأدب من التشبيهات العُقم ؛ وهى التى لم يسبق إليها ولا يقدر أحد
٦٢ عليها ، مشتق من الريح العقيم ، وهى التى لا تُلقح شجرة ولا تنتج ثمرة ، وقد شبه بعضهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب ، وزاده اللطمَ فقال :

فعلُ الأديب إذا خلا بهمومه فعلُ الذباب يزنّ عند فراغه[1]
فتراه يفرُك راحتيه ندامةً منه ويُتبعها بلطم دماغه

ترجمة عنترة وعنترة هو عنترة العَبْسى بن شدَّاد بن عمرو بن قُراد ؛ قال الكلبى : شدَّاد جدّه غلب على اسم أبيه ، وإنّما هو عنترة بن عمرو بن شداد . وقال غيره : شداد عمه ، تكفّله بعد موت أبيه فنسب إليه . ويقال : إن أباه ادَّعاه بعد الكبر . وذلك أنه كان لأمةٍ سوداء يقال لها زَبيبة ، وكانت العرب فى الجاهلية إذا كان لأحدهم ولد من أَمَةٍ استعبده . وكان لعنترة إخوة — من أمّه — عَبيدٌ . وكان سبب ادّعاء أبى عنترة إياه : أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بنى عبس فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم ، وفيهم عنترة ، فقال له أبوه : كُرّ يا عنترة . فقال : العبد لا يحسن الكرّ إنما يحسن الحِلاب والصر ! قال : كُرّ وأنت حر . فقاتلهم واستنقذ ما فى أيدى القوم من الغنيمة ، فادَّعاه أبوه بعد ذلك .

وهو أحد أغربة العرب وهم ثلاثة . والثانى خُفاف كغراب واسم أمّه ندبة كتمرة ، والثالث السُّليك بالتصغير واسم أمه السُّلَكة بضم ففتح ، وأمهات الثلاثة سُود .

وكان عنترة أشجع أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده ، وكان شهد حرب داحسٍ والغبراء ، وحُمدت مشاهده فيها ، وقتل فيها ضمضما المرىّ :

(١) كذا فى النسختين . و « يزنّ » الوجه فيها يرن ، من الرنين أو الإرنان وهو الصوت . على أن الشعر يبدو أنه لمولد . وقد وردت « زن » بالزاى المعجمة فى المستطرف للأبشيهى ١ : ٣٥ فى الأمثال العامية « زنبور زن على حجر مسن » .

أبا الحصين بن ضمضم ، وأبا أخيه هرم ؛ ولذلك قال فى هذه القصيدة :

(ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تدُر   للحرب دائرة على ابنَىْ ضمضم
الشاتمىْ عِرضى ولم أشتمهما   والناذِرَيْن إذا لم ألقهما دمى
إن يفعلا فلقد تركتُ أباهما   جَزَر السباع وكلِّ نَسر قشم)

وهذا آخر المعلقة .

قال أبو عبيدة : إن عنترة ، بعد ما أوت عبس إلى غطفان بعد يوم جَبَلة وَحمْل الدماء احتاج ؛ وكان صاحبَ غارات ، فكبر وعجز عنها ، وكان له يدٌ على رجل من غطفان ، فخرج يتجازاه فمات فى الطريق .

ونقل عن أبى عبيدة أيضاً : أنَّ طيئًا تدَّعى قتل عنترة، ويزعمون أن الذى قتله الأسد الرَّهيص[1] وهو القائل :

أنا الأسدُ الرهيص قتلت عمرا   وعنترةَ الفوارس قد قتلتُ

والله أعلم . والعنتر[2] فى اللغة: الذباب الأزرق ، الواحد عنترة ؛ قال سيبويه: نونه ليست بزائده .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر :

١٣ (فى كِلتَ رجلَيْها سلاَمى زائدهْ   كلتاهما قد قُرِنتْ بواحدهْ[3])

على أن (كلت) أصلها كلتا ، حذفت ألفها ضرورة ، وفتحة التاء دليل عليها ، رأيت فى حاشية الصحاح : أن هذا البيت من رجز يصف به نعامة ،

(١) فى الاشتقاق ٢٨٠ بتحقيقنا : « قتله طيء فيما تزعم العرب وعامة العلماء . وكان أبو عبيدة ينكر ذلك ويقول : مات بردا وكان قد أسن » .
(٢) فى النسختين : « العنترة » ، والوجه ما أثبت .
(٣) أنشده فى اللسان (كلا) .

فضمير (رجلها) عائد على النعامة . و (السُّلامى) على وزن حُبارى : عظمٌ في فِرسِنِ البعير ، وعظامٌ صغار طولَ إصبع أو أقل في اليد والرجل ، والجمع سُلامَيات. والفِرسن بكسر أوّله وثالثه ، هو للبعير بمنزلة الحافر للفرس. والضمير
٦٣ في (كلتاهما) للرجلين . وقوله (في كلت) خبر مقدّم ، والكسرة مقدرة على الألف المحذوفة ، و (سلامى) مبتدأ مؤخر . و (زائدة) وصفه و (كلتاهما) مبتدأ ، وما بعده الخبر .

وهذا المصراع تأكيد للأول ، وفيه قلب : يجعل المجرور والمرفوع في الأول مرفوعا ومجرورا في الثاني ، أي قرنت بواحدة من السلاميات .

وأورده الشارح ـ مرة ثانية هنا ـ على أن الكوفيين زعموا أن كلت مفرد كلتا ، لكن هذا المفرد لم يستعمل ويجوز استعماله للضرورة ، كما في هذا البيت؛ أقول : (الكوفيون) ذهبوا إلى أنّ كلا وكلتا فيهما تثنية لفظية ومعنوية ، وأصلهما (كُلّ) فكسرت الكاف وخففت اللام وزيدت الألف للتثنية والتاء للتأنيث . وقد بين الشارح مذهبهم ؛ واستدلوا على أنهما مثنَّيان لفظاً ومعنى وأن ألفهما للتثنية ، بالسماع والقياس . أمَّا السماع فنحو هذا البيت ، فأفرد كلت وهي بمعنى إحدَى ، فدل عن أنّ كلتا تثنية وأما القياس فقالوا : الدليل على أنّ ألفهما للتثنية ، أنها تنقلب إلى الياء في النصب والجر إذا أُضيفا إلى المضمر ، ولو كانت ألف قصر لم تنقلب .

وذهب (البصريون) إلى أنهما ليستا بمأخوذتين من كلّ ، لأنّ كلاًّ للإحاطة ، وهما لمعنًى مخصوص ، ليس أحد القبيلين مأخوذاً من الآخر ، بل مادّتهما الكاف واللام والواو وهما مفردان لفظاً مثنَّيان معنى ، والألف في كِلا كألف عصا وفي كلتا للتأنيث ، ويدلّ لما قالوا عود الضمير إليهما تارة مفرداً حملا على اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ، وقد اجتمعا في قوله :

كلاهما حين جدَّ الجرىُ بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابى[1]

ولو كانا مثنيين حقيقة لَزِمَهم أمران :

الأول : كان يجب عود الضمير إليهما مثنى ، مع أن الحمل على اللفظ فيهما أكثر من الحمل على المعنى ؛ ونظيرهما كلّ ، فإنه يجوز عود الضمير إليها مفرداً بالنسبة إلى لفظها ، نحو كل القوم ضربته ، وعوده جمعاً بالنسبة إلى معناها نحو كل القوم ضربتهم ، لكن الحمل على المعنى فيه أكثر من الحمل على اللفظ ، عكس كلا وكلتا .

الثانى : كان يمتنع نحو كِلا أخويك ، لأنه يلزم إضافة الشيء إلى نفسه . ويدل على أن ألفهما ألف مقصورة إمالتُها : كما قرأ حمزة والكسائى وخلف ، بإمالة قوله تعالى : « إمَّا يبلُغنّ عِندكَ الكِبَرَ أحَدُهما أو كِلاهُما » ، وقوله تعالى : « كِلْتا الجنّتين آتتْ أُكُلَها » ، فلو كانت للتثنية لما جاز إمالتُها .

وأجابوا عن الدليل الأوّل بأنه لاحجة فى البيت فإن أصله كلتا ، حذفت الألف ضرورة واكتفى عنها بفتحة التاء ، كما قال الشاعر :

* وصّانىَ العجاج فيما وصّنى[2] *

أراد وصّانى . وقال الآخر :

فلستُ بمدركٍ ما فات منى بلهفَ ولا بليتَ ولا لوَ انى

أراد بلهفى ، فحذفت الألف منهُما ضرورة ، ومثله كثير .

أقول : استدلالهم بهذا البيت على الإفراد يردُّه معناه ، فإن المعنى على التثنية ، بدليل تأكيده بالمصراع الثانى ، فتأمل .

---

(١) البيت للفرزدق فى ديوانه ٣٤ ونوادر أبى زيد ١٦٢ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٨٨ .
(٢) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٨٧ .

وأجابوا عن الدليل الثانى بأنها إنما قلبت فى حال الإضافة إلى المضمر لوجهين : ٦٤

أحدهما : أنّه لما كان فيهما إفرادٌ لفظى وتثنية معنوية ، وكانا تارة يضافان إلى المظهر وتارة إلى المضمر ، جعلوا لها حظًّا من حالة الإفراد وحظًّا من حالة التثنية . وإنّما جعلوهما مع الإضافة إلى المظهر بمنزلة المفرد لأن المفرد هو الأصل ؛ وجعلوهما مع الإضافة إلى المضمر بمنزلة التثنية لأن المضمر فرع والتثنية فرع ، فكان الفرع أولى بالفرع .

والثانى : أنه إنما لم تقلب ألفهما مع المظهر لأنّهما لزمتا الإضافة وجر الاسم بعدهما ، فأشبهتا لدى ، وإلى ، وعلى . وكما أنّ هذه الثلاثة لاتقلب ألفها مع المظهر وتقلب مع المضمر ، كان كلا وكلتا كذلك . ويدل على صحة ذلك أن القلب فيهما يختص بحالة النصب والجر دون الرفع ، لأنّ لديك إنّما تستعمل فى حالة النصب والجر ، دون الرفع ، فلهذا المعنى كان القلب مختصا بهما دون حالة الرفع .

قال ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف(١) : وهذا الوجه أوجه الوجهين ، وبه علل أكثر المتقدمين . قال : والدليل على أنّ الألف فيهما ليست للتثنية أنها لو كانت للتثنية لانقلبت فى حالة النصب والجر إذا أضيفتا إلى المظهر ، لأن الأصل هو المظهر والمضمر فرعه ، فلما لم تنقلب دل على أنها ألف مقصورة لا أنها للتثنية . والله أعلم .

هذا وقد قال أبو حيان فى تذكرته : « هذا البيت من اضطرار الشعراء ، وكلت ليس بواحد كلتا ، بل هوَ جاء بمعنى كِلا ، غير أنه أسقط الألف اعتماداً

(١) الإنصاف ص ٢٦٤ .

على الفتحة [١] التي قبلها ، وعملا على أنها تكنى من الألف الممالة إلى الياء . وما من الكوفيين أحد يقول : كلت واحدة كلتا ، ولا يدعى أنّ لكلا وكلتا واحداً منفرداً فى النطق مستعملاً . فإن ادّعاه عليه مدّع فهو تشنيع وتفحيش من الخصوم على قول خصومهم » . انتهى .

ويؤيده ما رأيته [٢] فى معانى القرآن للفرّاء عند تفسير قوله تعالى « كِلتا الجَنَّتين آتتْ أُكُلها » ؛ وهذه عبارته : وقد تُفرد العرب إحدى كلتى بالإمالة ، وهم يذهبون بإفرادها إلى اثنيتّها . وأنشدنى بعضهم :

فى كلت رجليها سُلامى واحده   كلتاهما قد قُرنت بزائده

يعنى الظليم ، يريد بكلت كلتى [٣]

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع عشر :

١٤ (كِلتَ كفّيه تُوالى دائماً   بجُيوش من عِقابٍ ونِعَمْ)

على أن (كِلت) مفرد كلتا عند الكوفيين . والكلام عليه كالكلام على البيت الذى قبله . ووالى بين الأمرين موالاة ووِلاء : تابعَ . والجيش : الجندُ ، وقيل : الجند السائر لحرب أو غيرها . والعقاب : النّكال . والنِّعم : جمع نِعمة ، وهو المال هنا : والظاهر أن مراد الشاعر : أنّ إحدى يديه تفيد النعم لأوليائه ، والأخرى توقع النقم بأعدائه ، كما قال آخر :

يداك : يدٌ خيرُها يرتجى   وأخرى لأعدائها غائظه

(١) فى النسختين : « الكسرة » ، وصححت فى حاشية ـه : « الفتحة » .
(٢) ط : « على ما رأيته » ، والوجه إسقاط « على » كما فى ـه .
(٣) ط : « كلتا » ، ووجه كتابتها من ـه.

وحينئذ فلا يتأتى قول الكوفيين إن (كِلت) هنا بمعنى إحدى، فوجب أن يكون أصله كلتا، حذفت الألف ضرورة، كما تقدم بيانه فى البيت السابق. وفيه أيضاً ما نقلناه.

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الخامس عشر:

١٥ (كِلانا إذا ما نال شيئاً أفاتَه) ٦٥

تمامه:

(ومَنْ يحترِثْ حَرثى وحَرثَكَ يُهزَلِ)

على أنَّ (كلا) و (كلتا) لو كانتا مثنيين حقيقة لم يجزْ عود ضمير المفرد إليهما، كما عاد ضمير نال المفرد إلى (كلا) فى هذا البيت، فلما عاد إليها ضمير المفرد علم أنها مفردة لفظاً مثناة معنًى، فعاد إليها باعتبار اللفظ، وهو الكثير. ويجوز أن يثنى الضمير العائد إليها باعتبار المعنى.

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات أربعة رواها الرُّواة لتأبط شرًّا، منهم الأصمعى، وأبو حنيفة الدِّينَوَرىّ فى كتاب النبات، وابن قتيبة فى أبيات المعانى(١). وخالفهم أبو سعيد السكّرى، وزعم أنها لامرئ القيس، ورواها فى معلقته المشهورة بعد قوله:

(كأنّ الثريّا علِّقت فى مَصامِها(٢) بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ)

والأبيات هذه:

(وقِربَةِ أقوامٍ جعلتُ عصامَها على كاهل منّى ذَلول مرحَّلِ

(١) المعانى الكبير لابن قتيبة ٢٠٩.

(٢) ط: «مصامه» تحريف.

ووادٍ كجَوْفِ العَير قفرٍ قطعتُه ... به الذئبُ يعوى كالخليع المعيَّلِ
فقلتُ له لما عوى : إنّ شأننا ... قليل الغنى إن كنت لمَّا تَموَّل
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ... ومَنْ يحترِث حرثى وحرثك يهزُلِ)

وهذا الشعر أشبه بكلام اللص والصُّعلوك ، لا بكلام الملوك .

الواو واو رُبَّ . والعصام : الحبل الذى تحمل به القربة ويضعه الرجل على عاتقه وعلى صدره . والكاهل : موصل العنق والظهر . والذَّلول : فعول من ذلَّت الدابة ذِلاًّ بالكسر : سهلت وانقادت ، فهى ذلول . والمرحَّل : اسم مفعول من رحَّلته ترحيلا ، إذا أظعنته من مكانه وأرسلته . يصف نفسه بأنه يخدم أصحابه .

قوله : (و وادٍ كجوف العير . . الخ) الواو حرف عطف ، عطفت على مجرور واو رب ، وجوف العير فيه قولان :

أحدهما : أنه مَثلٌ لما لا ينتفع منه بشىء . قال أبو نصر : والعَير عند الأصمعى الحمار ، يُذهَب به إلى أنه ليس فى جوف الحمار شىء يؤكل وينتفع به إذا صيد ، فجوف الحمار عندهم بمنزلة الوادى القفر . وفى كتاب العشرات للتميمى[1] : فى المثل : تركه جوفَ حمار ، أى ليس فيه ما ينتفع به .

الثانى : أن العَير رجل من العمالقة ، وقيل مِن عاد ، كان له بنون ووادٍ خصيب وكان حسنَ الطريقة ، فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم فكفر بالله وقال : لا أعبدُ ربًّا أحرق بَنىّ ! وأخذ فى عبادة الأصنام ، ودعا قومه إليها فمن أبى قتله ، فسلط الله على واديه ناراً ، فأهلكه وأخرب واديه . والوادى ، بلغة اليمن : الجَوف .

(١) ذكر فى كشف الظنون كتاب العشرات لابن خالويه ، ولم يذكر كتاب التميمى .

قال حمزة الأصبهانى فى أمثاله : قال أبو نصر : قال الأصمعى : حدثنى ابن الكلبى عن فَروة بن سعيد عن عفيف الكندى : أنَّ هذا الذى ذكرته العرب كان رجلاً من بقايا عاد ، يقال له : حِمار بن مُوَيْلع ، فعدلت العرب عن ذكر الحمار إلى ذكر العَير لأنه فى الشعر أخف وأسهل مخرجاً . اهـ .

وقد ضربت العرب المثل به فى الخراب والخلاء فقالوا : « أخرب من جوف حمار » . و « أخلى من جوف حمار » . قال الشاعر :

وبشؤم البغى والغَشم قديماً ما خلا جوفٌ ولم يبق حمار [1] ٦٦

وقالوا أيضاً : أكفر من حمار . وقال بعضهم : أراد بجوف العير وسط السيف . والعير : وسط السيف .

والخليع ، قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى : هو الذى قد خلعه أهله لجناياته . والمعيَّل : الذى تُرك يذهب ويجىء حيث شاء . وقال الخطيب التبريزى : « الخليع : المقامر ، ويقال : هو الذى خلع عذاره فلا يبالى ما ارتكب . والمعيَّل : الكثير العيال ، وأراد يعوى عواء مثل عواء الخليع [2] » . وقوله : « إن كنتَ لما تموّل » لما نافية ، وتموّل : مضارع محذوف منه التاء ، الماضى تموّل [3] إذا صار ذا مال . ومثله مال الرجل يمول ويَمال مَولا ومُؤولا . يقول : إن كنت لم تصب من الغنى ما يكفيك فإن شأننا قليل الغنى : أى أنا لا أغنى عنك وأنت لا تغنى عنى شيئاً ، أى أنا أطلب وأنت تطلب فكلانا لا غنى له . ومن رواه «طويل الغِنى» أراد : همّتى تطول فى طلب الغنى . وروى ابن قتيبة :

وقلت له لما عوى إن ثابتاً [4] *قليلُ . . . . الخ

---

(١) معجم البلدان فى رسم (جوف) .

(٢) النقل من التبريزى بتصرف ، والنص فيه : « والكاف منصوبة بيعوى » .

(٣) ط : « ماضى تمول » ، صوابه فى سـ .

(٤) فى النسختين : « إن شأننا » صوابه فى المعانى الكبير حيث عقب على النص ابن قتيبة بقوله : « وثابت : اسم تأبط شرا » .

وقوله : (كلانا إذا ما نال) إلخ ، نال ينال نيلا : أصابه . وأفاته : فوّته ولم يدّخره . ورواه ابن قتيبة :

* كلانا مُضيعٌ لا خِزانة عنده *

والمضيع ، مِن أضاع المال بمعنى أهلكه .

وروى الدينوَرىّ :

* كِلانا مقلٌّ لا خِزانةَ عنده *

وقال : يقال للعمل فى الحرث — لزرعٍ كان أو لغرس — الحراثة والفِلاحة والإكارة ، ثم قيل للعمل فى كلّ شىء حرث ، فقيل : فلان يحرث لآخرته . يقول : من يكسب كسبى وكسبك لا يستغنى ، لأنه يعيش من الخلس ولا يقتنى .

وقال الخطيب التبريزى : « أى من طلب منى ومنك شيئاً لم يدرك مراده. وقال قوم : معناه مَن كانت صناعته وطلِبته مثل طلبتى وطلبك فى هذا الموضع مات هزالا ، لأنهما كانا بواد لا نبات فيه ولا صيد » .

و (تأبط شرًّا) اسمه ثابت ، وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان[1] ابن عَميثل بن عدىّ بن كعب بن حرب بن تَيم بن سعد بن فَهم بن عمرو ابن قيس عيلان . وأمه أميمة من قين : بطن من فهم . ترجمة تابطشرا

وفى تلقيبه بتأبط شراً أربعة أقوال :

أحدها : وهو المشهور ، أنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : لا أدرى ، تأبط شرا وخرج .

---

(١) انظر نسبه فى جمهرة ابن حزم ٢٣٢ والأغانى ١٨ : ٢٠٩ والشعر والشعراء ٢٧١ والاشتقاق ١٦٢ — ١٦٣ .

الثانى : أن أمه قالت له فى زمن الكمأة : ألا ترى غلمانَ الحى يجتنون لأهلهم الكمأة فيروحون بها ! فقال لها : أعطينى جرابك حتى أجتنى لك فيه . فأعطته فملأه لها أفاعى من أكبر ما قدَر عليه ، وأتى به متأبطاً له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فسَعين بين يديها فى بيتها ، فوثبتْ وخرجت منه ؛ فقال لها نساء الحى : ما ذا كان الذى تأبطه ثابتٌ اليوم ؟ قالت : تأبط شراً .

الثالث : أنه رأى كبشاً فى الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول طول الطريق عليه ، فلما قرب من الحى ثُقل عليه حتى لم يُقلّه ، فرمى به فإذا هو الغول ! فقال له قومه : بم تأبطت يا ثابت ؟ فأخبرهم ، فقالوا : لقد تأبط شراً .

الرابع : أنه أتى بالغول فألقاه بين يديها ، فسئلت أمه عما كان متأبطاً ، فقالت ذلك ؛ فلزمه .

وكان أحدَ لصوص العرب يغزو على رجليه وحده ، وكان إذا جاع نظر إلى الظباء فينتقّى على نظره أسمنَها ، ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه .

وترجمته مذكورة فى الأغانى بحكايات كثيرة يتعجب منها العقل لغرابتها .

وقيس عَيلان تركيب إضافى لأن عيلان اسم فرس قيس لا أبيه كما ظنه
٦٧ بعض الناس ، كذا فى القاموس وغيره . وهو بفتح العين المهملة ، وليس عيلان فى لغة العرب غيره وما عداه غيلان بالمعجمة . وقيس : أبو قبيلة من مضر ، واسمه الناس بن مضر بن نزار ، وقيس لقبه . يقال : تقيَّس فلان ، إذا تشبَّه بهم أو تمسَّك منهم بسبب ، إمّا بحِلْف أو جوار أو وَلاء . قال رؤبة :

* وقيسَ عَيلان ومن تقيّسا *

ثم رأيت فى شرح أدب الكاتب للجواليقى قال ، عند بيت رؤبة هذا : قيس عيلان بن مضر ، ويقال قيس بن عيلان ، واسمه الناس بالنون ، وأخوه

الياس[1] بالياء وفيه المدد . وكان الناسُ متلافا ، وكان إذا نفد ما عنده أتى أخاه الياس فيناصفه ماله أحيانا ويواسيه أحيانا ، فلما طال ذلك عليه وأتاه كما كان يأتيه قال له الياس : غلبتْ عليك العَيلة فأنت عَيلان ، فسمّى لذلك « عيلان » وجُهل « الناس » . ومن قال قيس بن عيلان فإنّ عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فغلب على نسبه اهـ .

ومثله فى الأنساب للكلبي ، قال : كان عيلان عبداً لمضر فحضن ابنه الناس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر ، وهو من شواهد س[2] :

١٦ (فلا أعنِى بذلك أسفَلِيكم ولكنّى أريدُ به الذَّوِينا) .

على أنّ (الذوين) داخلٌ فى حدّ الجمع المذكور على أىّ وجه كان ، لأن واحده ذو .

وأنشده[3] أيضاً فى آخر باب الإضافة على أن قطع (ذو) وإدخال اللام عليه شاذ ، وذلك لإجرائه مجرى صاحب .

وأنشده أيضاً فى باب جمع المذكر السالم على أنه لو اعتبر اللام أى لام الفعل لقال الذَّوَين كالأعلين ، فإن ذو مفتوح العين عند س .

قال أبو على الفارسى فى الإيضاح الشعرى : « كسر العين من الذوِين

---

(١) الأصح أن همزته همزة وصل . وقد يقال « إلياس » بقطع الهمزة . انظر الروض الأنف للسهيلى ١ : ٧ . ومن شواهد الوصل قوله :

إنى لدى الحرب رخى اللبب أمهتى خندف والياس أبى

(٢) كتاب سيبويه ٢ : ٤٣ .

(٣) فى النسختين : « وأنشد » .

وكان حقها أن تفتح ، لأن ذوين جمع ذَوًى ، وقد ثبت بـ « ذواتا أفنان[١] » أن العين مفتوحة » اهـ .

قال فى الصحاح : « ولو سمَّيتَ رجلا ذو لقلت هذا ذَوًى قد أقبل، فترد ما ذهب منه ، لأنه لا يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين ، لأن التنوين يذهبه فيبقى على حرف واحد » .

وأنشده س أيضاً فى باب تغيير الأسماء المبهَمة[٢] إذا صارت أعلاماً خاصة فإنه جمع ذو جمعا سالماً وأفرده من الإضافة وأدخل عليه اللام وجعله اسما على حياله .

قال فى الصحاح : « ولو جمعت ذو مال لقلت هؤلاء ذوون ، لأن الإضافة قد زالت . وأنشد بيت الكميت وقال : أراد أذواء اليمن[٣] .

وكذلك قال أبو البقاء فى شرح الإيضاح النحوى للفارسى : إنما جاز هذا لأنه أراد ملوك اليمن فقد أخرجه إلى باب المفرد ، ولذلك قالوا : الأذواء فى هؤلاء.

لكن قال أبو بكر الزبيدى فى كتاب لحن العامة : « لا يجوز أن تدخل اللام على (ذو) ولا على (ذات) فى حال إفراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف إلى المضمرات ، وإنما تقع مضافة إلى الظاهر . وقد غلط فى ذلك أهل الكلام وأكثر النحويين من الشعراء والكتاب والفقهاء . فأما قولهم فى ذى رُعين ، وذى أصبَح ، وذى كلاع : الأذواء ، وقوله :

(١) الآية ٤٨ من سورة الرحمن .

(٢) ط : « المشبهة » ، صوابه فى ب . وانظر سيبويه ٢ : ٤٢ .

(٣) نص الصحاح : « يعنى به الأذواء ، وهم ملوك اليمن من قضاعة المسمون بذى يزن ، وذى جدن ، وذى نواس ، وذى فائش ، وذى أصبح ، وذى الكلاع ، وهم التبابعة » .

* ولكني أريد به الذوينا *

فليس من كلامهم المعروف ، ألا ترى أنك لا تقول هؤلاء أذواء الدار ولا مررت بأذواء المال . وإنما أحدث ذلك بعض أهل النظر ، كأنه ذهب إلى جمعه على الأصل ، لأن أصل ذو (ذَوَى) فجمعه على أذواء ، مثل قفا وأقفاء . وكذلك الذوون ، كأنه جمعه مفردا وأخرجه مُخرج الأذواء في الانفراد ، وذلك غير مقول ، لأن ذو لا تكون إلا مضافة ، وكما لا يجوز أن تقول هذا ٦٨ (الذو) و (الذوان) فتفرد ، فكذلك لا تقول الأذواء ولا الذوون ، لأن ذو لا تكون إلا مضافة وكذلك جمعها » اهـ .

والصحيح عند س ومن تبعه جواز جمع (ذو) في نحو ذي رعين : مما هو جزء علم على الأذواء والذوين كما في شعر الكميت ، وهو عربيٌّ فصيح . ومراد الزبيدي بتغليط من ذكر : أنهم يقولون الذات وذاته ، فيدخلون اللام عليه ويضيفونه إلى الضمير وهو مؤنث ذو ، وهذا جائز أيضاً وإنْ توقّف فيه أكثر الناس ، فإن الذات قد أجرى مُجرى الأسماء الجامدة ، فإن المراد به حقيقة الشيء ونفسه ، من غير ملاحظة موصوف يجرى عليه .

قال الزركشيّ في تذكرته : « سئل الزمخشريّ عن إطلاق الذات على الله عز وجل ، فأجاب بأنَّها تأنيث ذو بمعنى صاحب ، وهي موضوعة ليوصف بها ما تلبَّس (١) بما يلزمها الإضافة إليه من الأجناس في نحو قولهم : رجل ذومال وامرأة ذات جمال ، ثم قطعت عن مقتضاها وأجريت مُجرى الأسماء الجوامد ، فلا تلزم الإضافة ولا الإجراء على موصوف ، وعُني بها نفس الباري وحقيقته ، وأصلها في التقدير نفسٌ ذات علم وغيره من الصفات ، ثم استغنى بالصفة عن الموصوف ، ومثله كثير . وحُذف المضاف إليه لإرادة التعميم كما تحذف المفاعيل . فإن قلت : كيف جاز إطلاقه على الله مع ما فيه من التأنيث ،

(١) تلبس بالشيء : تعلق به ، كما في اللسان (لبس) .

وهم يمنعون إطلاق (العلاّمة) عليه مع أن تاءه للمبالغة لما فيه من الإيهام ؟ قلتُ: ساغ من حيث ساغ النفْس والحقيقة ، ووجهه أن امتناع علامة لأنه صفة حُذى بها حذو الفعل فى التفصلة بين المذكر والمؤنث ، بخلاف الأسماء التى لا تَجرى على مَجرى الأفعال فى الفرق ، فلما انسلكت الذات فى مسلك الأسماء جرت مجرى النفس والحقيقة . فإن صحَّ ما حكى عن العرب من قولهم: جعل الله مابيننا فى ذاته . وعليه بنى حَبيبٌ[1] قوله :

* ويَضرِبُ فى ذات الإله فيوجِع[2] *

فالكلمة إذن عربية ، وعلى ذلك استعمال المتكلمين » اهـ .

واعلم أن استشهادهم بشعر حَبيبٍ وبما وقع فى الحديث من قوله : « ثلاث كذبات فى ذات الله » لتصحيح هذه اللفظة ، فيه أن بعض المحققين قال : ليس معناه ما ذكروه ، وإنما معنى (ذات) فيه أمور تستند إلى الله مما أراده وأوجبه على عباده ، من طاعته وعبادته والإيمان به ، ونحو ذلك ، وهو المتبادر منه بشهادة السياق والتأمل الصادق .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة الكميت بن زيد ، هجا بها أهل اليمن تعصبا لمضر . وسيأتى فى الشاهد الرابع والعشرين سبب عصبيته لمضر ونظمه لهذه القصيدة .

يقول : لا أعنى بهجوى إياكم أراذلكم وإنما أعنى عِلْيتكم وملوككم . وروى :

---

(١) فى النسختين : « خبيب » مع ضبطه فى ـه بهيئة التصغير ، وإنما هو حبيب ابن أوس الطائى .

(٢) من قصيدة لأبى تمام فى ديوانه ١٩١ وصدره :

* يقول فيسمع ويمضى فيسرع *

والقول مقتبس من كلام عائشة رضى الله عنها إذ تقول فى صفة أمير المؤمنين عمر : « وإذا ضرب فى ذات الإله أوجع » . انظر بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٢ .

لم أقصد بذلك أسفليكم ولكني عَنَيتُ به الذَّوِينا[١]

يقال : عنيته عَنيا من باب رمى : قصدته . فمفعوله (أسفليكم) وهو جمع مذكر سالم . واعتنيت بأمرى : اهتممت واحتفلت . وعَنيت به أعنى ، من باب رمى أيضاً عناية كذلك . وأما المبنيّ لمفعول نحو عُنيت بأمر فلانٍ عناية وعُنِيًّا فهو بمعنى شُغلتُ به . ولتُعن بحاجتي ، أى لتكن حاجتي شاغلةً لسرّك . وربما قيل عَنيت بأمره بالبناء للفاعل . كذا فى المصباح . والأسفلون : ٦٩
جمع أسفل ، وهو خلاف الأعلى . يقال : سفَل سُفولا من باب قعد ، وسفُل من قرب لغة : صار أسفل من غيره . وسفَل فى خلقه وعمله سُفْلا من باب قتل وسَفالا والاسم السُّفل بالضم . ومنه قيل للأراذل سَفِلة بفتح السين وكسر الفاء ، ويجوز التخفيف بنقل الكسرة إلى ما قبلها . وأراد بالذوين الأذواء ، وهم ملوك اليمن المسمَّون بذى يزن ، وذى جدن ، وذى نواس ، وهم التبابعة .

وقال ابن الشجرى فى أماليه[٢] ، وأذواء اليمن منهم ملوك ومنهم أقيال ، والقيل دون الملك . ثم سرد من سُمى بذى كذا من ملوك اليمن ، وبالغ فى جمعها وشرحها ، فمن أرادها فلينظر ثمة .

من اسمه الكميت

ومن يقال له الكميت من الشعراء كما فى المؤتلف والمختلف للآمدى ثلاثة من بنى أسد بن خزيمة .

أولهم : الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة[٣] . ابن الأشتر ابن جحوان — بتقديم المعجمة — ابن قعقس .

والثانى : الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر .

---

(١) كذا بالخزم .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٠ — ١٧٤ .

(٣) فى النسختين : « فضلة » صوابه بالنون ، كما فى المؤتلف ١٧٠ .

الثالث : هو صاحب الشاهد ، وهو الكميت بن زيد بن الأخنَس ابن مُجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عامر بن دويبة [١] بن عمرو ابن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . وهو كوفى شاعر مقدم عالم بلغات العرب،خبير بأيامها ، ومن شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية المقارعين العالمين بالمثالب [٢] ، يقال :ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ماجمع الكميت ، فمن صحَّح الكميتُ نسبَه صحَّ ، ومن طعنَ فيه وهَن .

وسئل مُعاذُ الهراء عن أشعر الناس فقال : من الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعَبيد بن الأبرص ، ومن الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل. فقيل له : يا أبا محمد، مارأيناك ذكرت الكميت ! قال : ذاك أشعرُ الأوَّلين والآخرين .

وقال أبو عِكرمة الضبّيّ : لولا شعر الكميت لم يكن للغة تُرْجُمان ، ولا للبيان لسان . يقال : إنّ شعره بلغ أكثر من خمسة آلاف بيت .

وقال أبو عبيدة : لو لم يكن لبنى أسد منقَبة غير الكميت لكفاهم ، حبَّبهم إلى الناس وأبقى لهم ذكراً .

وقال بعضهم : فى الكميت خصال لم تكن فى شاعر . كان خطيب بنى أسد ، وفقيهَ الشِّيعة ، وحافظ القرآن ، وكان ثَبْت الجَنان ، وكان كاتباً حسن الخطّ ، وكان نسابة ، وكان جدَليـّاً .

وهو أول من ناظر فى التشيُّع مجاهراً بذلك ، وله فى أهل البيت القصائد المشهورة ، وهى أجود شعره .

وكان فى صغره ذكيًّا لوذعيًّا . يقال إنه وقف وهو صبى على الفرزدق

---

(١) فى الأغانى ١٥ : ١٠٨ والمؤتلف : « ذؤيبة » .

(٢) فى الأغانى ١٥ : ١٠٩ : « المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيام ، المفاخرين بها » .

وهو ينشد ، فأعجبه سماعه ، فلما فرغ قال : ياغلام كيف ترى ما تسمع ؟ قال : حسنٌ ياعمّ . قال : أيسرك أنى أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أبغى به بدلا ، ولكن يسرنى أنك أمى ! فحَصِر الفرزدق وقال : ما مرّ بنا مثلها .

وحكى صاعد ، مولى الكميت ، قال : دخلتُ مع الكميت على علىّ ابن الحسين رضى الله عنه فقال : إنى قد مدحتك بما أرجو أن يكون لى وسيلةً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أنشده قصيدته التى أولها :

من لقلبٍ متيَّمٍ مستهامِ   غيرِ ما صبوةٍ ولا أحلامِ

فلما أتى على آخرها قال له : ثوابك نعجزُ عنه ، ولكن ماعجزنا عنه فإن الله لا يعجِز عن مكافأتك : اللهم اغفر للكميت ، اللهم اغفر للكميت . ثم قسّط له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم وقال له : خذ ياأبا المستهلّ . فقال ٧٠
له : لو وصلتنى بدانق(١) لكان شرفًا لى ولكن إنْ أحببت أن تحسن إلىّ فادفع إلىَّ بعض ثيابك التى تلى جسدَك أتبرّكْ بها. فقام فنزع ثيابه ودفعها إليه كلَّها ، ثم قال : اللهم إنَّ الكميت جادَ فى آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضنّ الناس ، وأظهر ما كتمه غيره من الحقّ ؛ فأحيِهِ سعيداً ، وأمِتْه شهيداً ، وأرِهِ الجزاءَ عاجلا ، وأجزل له جزيل المثوبة آجلا ؛ فإنّا قد عجزنا عن مكافأته . قال الكميت : مازلت أعرف بركة دعائه .

وحدَّث محمد بن سهل قال : دخلت مع الكميت على جعفرٍ الصادق فى أيام التشريق فقال : جعِلْتُ فداءك ، ألا أنشدك ؟ قال : إنها أيامٌ عظام . قال : إنها فيكم . قال : هات . فأنشده قصيدته التى أولها :

ألا هل عَمٍ فى رأيه متأملُ   وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ

(١) الدانق ، بفتح النون وكسرها : سدس الدرم ، معرب « دانه » .

وهل أمة مستيقظون لدينهم فيكشف عنه النعسة المتزمِّل(١)
فقد طال هذا النومُ واستخرج الكرى مساويَهم لو أنَّ ذا الميل يُعْدَلُ
وعُطّلت الأحكام حتّى كأنّنا على ملة غير التى ننتحّل
كلامُ النبيين الهُداةِ كلامُنا وأفعالَ أهل الجاهلية نفعل
رضينا بدُنيا لا نريد فراقَها على أنّنا فيها نموت ونُقتلُ
ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جُنةٌ مما نخافُ ومعقِل

فكثر البكاء ، وارتفعت الأصوات ؛ فلما مر على قوله فى الحسين رضى الله عنه :

كأنَّ حُسيناً والبهاليلَ حولَه لأسيافهم ما يختلى المتبقِّل(٢)
وغاب نبىّ الله عنهم ، وفقدُه على الناس رُزءٌ ما هناك مجلِّل
فلم أر مخذولاً أجلَّ مصيبة وأوجبَ منه نُصرة حين يُخذَل(٣)

فرفع جعفرٌ الصادق رضى الله عنه يديه وقال : اللهم اغفر للكميت ماقدم وما أخر ، وما أسرّ وما أعلن ، وأعطه حتى يرضَى . ثم أعطاه ألف دينار وكسوة . فقال له الكميت : والله ما أحببتكم للدنيا، ولو أردتُها لأتيت من هى فى يديه ، ولكننى أحببتكم للآخرة . فأما الثياب التى أصابت أجسادكم فإنى أقبلها لبركتها ، وأما المال فلا أقبله .

وكانت ولادة الكميت سنة ستين ، وهى أيام مقتل الحسين رضى الله عنه ، وكانت وفاته سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد .

وكان السبب فى موته أنه مدح يوسف بن عمر ، بعد عزل خالدٍ القسرىّ

(١) ط : « المترتل » ، صوابه فى س .
(٢) ط : « المتبتل » ، صوابه فى س .
(٣) ط : « لأجل مصيبة » ، صوابه فى س .

عن العراق ، فلما دخل عليه أنشده مديحه معرِّضاً بخالد ، وكان الجند على رأس يوسف متعصبين لخالد ، فوضعوا سيوفهم فى بطنه وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره(١) ؟ ! فلم يزل ينزف الدم منه حتى مات رحمه الله تعالى .

والكميت مشتق من الكُمْتة . يقال للذكر والأنثى ، ولا يستعمل إلا مصغّرا ، وهو تصغير أكمت على غير قياس ؛ والاسم الكمتة ، وهو من الخيل بين الأسود والأحمر . قال أبو عبيد : ويفْرق بين الكميت والأشقر بالعرف والذنب ؛ فإن كانا أحمرين فهو أشقر ، وإن كانا أسودين فهو الكميت . ووجّه تصغيرَه س
بما يستحسن فقال لأنه لم يخلص له لون بعينه فينفرد به مكبرا . والله أعلم . ٧١

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر :

١٧ (وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقانِ مِرداسَ فى مَجمعِ)

على أنَّ الكوفيين وبعض البصريين جوّزوا للضرورة ترك صرف المنصرف بشرط العلمية . وأنشده أيضاً هنا فى آخر الكلام على منتهى الجموع على أنَّ الكوفيين يمنعون الصّرف بالعلمية وحدها ، لأنها سبب قوىٌ فى باب منع الصرف . أراد ببعض البصريين أبا الحسن الأخفش وأبا على الفارسى وابن بَرْهان (٢) .

واشتراط العلمية لمنع الصرف إنَّما هو مذهب السُّهيلى لا غير ، وأما الكوفيون فهم يجيزون ترك الصرف للضرورة مطلقاً ، فى الأعلام وغيرها ، ومن جملة شواهدهم قول الشاعر :

---

(١) استامره : استشاره .

(٢) هو أبو القاسم عبد الواحد بن على بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان الأسدى العكبرى . وبرهان ، بفتح الباء كما فى البغية ٣١٧ والقاموس (برهن) . توفى سنة ٤٥٦ .

فأوفضَ منها وهى ترغو حُشاشة بذى نفسها والسَّيفُ عريان أحمرُ

قالوا : ترك صرف عريان وهو منصرف لأنَّ مؤنثه عُريانة لاعريا، وسيأتى مثله للشارح فى هذا الباب . وقول الفرزدق ـ وقيل هو لابن أحمر ـ :

إذا قال عَاوٍ من تنوخ قصيدة بهاجَربُ عُدَّت على بزوبرا[1]

قالوا : ترك صرف زوبر وهو منصرف ، ومعناه نسبتْ إلىّ بكمالها ، من قولهم أخذ الشيء بزوبره ، إذا أخذه كلَّه . وقيل بزوبَرا ، أى كذبا وزوراً ، وإن كان زوبر عند البصريين معرفة .

قال ابن جنى فى المبهج[2] ، وهو تفسير أسامى شعراء الحماسة : سألت أبا على عن ترك صرف زوبر ، فقال : جعلهاعلماً لما تضمنته القصيدة من المعنى.

وقال الزمخشرى فى المفصل : هو علم للكلّية كسبحان علم للتسبيح .

وكذا ذكره الشَّارح فى باب العلم . نعم أكثر شواهدهم جاءت فى الأعلام، وكأنهم راعَوا بحسب الأغلب العلمية فى منع الصرف وحدها للضرورة . كما أهملوها أيضا للضرورة . فالمسألة ثلاثية : الجواز مطلقاً ، وهو مذهب الكوفيين ، والمنع مطلقاً وهو مذهب البصريين ، والجواز مع العلمية وهو مذهب السهيلى . وقد حكى هذه المذاهبَ الثلاثة الشاطبىُّ فى شرح الألفية .

وقال المبرد : الرواية :

* يفوقان شيخىَ فى مجمع *

قال ابن مالك فى شرح التسهيل : وللمبرِّد إقدامٌ فى ردٍّ مالم يَرو ، مع أن البيت بذكر مرداسٍ ثابت بنقل العدل عن العدل فى صحيح البخارى ومسلم ؛ وذكر

(١) ط : « غاو » ، وأثبت ما فى ش واللسان (زبر) .
(٢) المبهج ص ١٢ .

(شيخي) لايعرف له سندٌ صحيح ولا سبب يدنيه من التسوية ، فكيف من الترجيح ؟! وقال ابن جنى فى سر الصناعة ، بعد أن عارض الرواية المشهورة برواية المبرد : على أنَّ المبرد قد حكى عنهم « سلامُ عليكم » غير منون ، والقول فيه أنَّ اللفظة كثرت فى كلامهم فحذف تنوينها تخفيفاً ، كما قالوا لم يك ولا تُبَلْ ولا أدرْ . انتهى .

يريد : إن سلَّمنا رواية الكوفيين فهو من باب حذف التنوين لا من
باب منع الصرف . وهذا ظاهر فى المنصوب . وليت شعرى مايقول فى المجرور ٧٢
إذا جر بالفتحة ، كقول الشاعر :

قالت أميمةُ ما لثابتَ شاخصا … عارى الأشاجع ناحلاً بالمفصلِ

فثابتَ علم جر بالفتحة ، وقول الآخر :

وإلى ابن أمِّ أناسَ تعمد ناقتى … عمرٍو لتنجح ناقتى أو تتلفُ

فجر أناس بالفتحة ، وأم أناس بنت ذهل بن شيبان[1] وعمرو هو عمرو بن حُجر الكندى . وقوله :

وقائلة ما بال دَوسرَ بعدنا … صحا قلبُه عن آل ليلى وعن هندِ

ونحو هذا من أبيات أخر .

واستدل الكوفيون على جواز ترك الصرف ضرورة بالسماع والقياس: أما السماع ، فكثرة الشواهد وهى تزيد على عشرين بيتاً ذكرها ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف ، وأثبتها (البصريون) بروايات ليس فيها ترك الصرف، فقالوا فى قوله :

---

(١) ط : « ذهل من بنى شيبان » صوابه من ش مع أثر تصحيح . ونسب ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن عكابة نسب مشهور .

* وقائلة مابال دوسر بعدنا *

الرواية : * وقائلة ما للقُريعىّ بعدنا *

وقالوا فى قوله :

ومصعبُ حين جدَّ الأمـ ـرُ أكثرُها وأطيبها

الرواية : « وأنتم حين جد الأمر » . وهكذا رووا فى سائر الأبيات .

فقال الكوفيون : الرواية الصحيحة المشهورة ما رويناه ، ولو سلّمنا صحة روايتكم فما جوابكم عما رويناه مع صحته وشهرته . وأما القياس فإنه لما جاز صرف مالا ينصرف اتفاقا وهو خلاف القياس جاز العكس أيضاً ، إذ لافرق بينهما ، وأيضا فإنه إذا جاز حذف الواو المتحركة ضرورة من قوله :

فبيناهُ يشرى رحلَه قال قائلٌ لِمَن جمل رِخوُ المِلاط نجيب

وأصله (فبينا هو) ، فجواز حذف التنوين ضرورة من باب أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة والتنوين ساكن ، ولا خلاف أنّ حذف الحرف الساكن أسهل من حذف المتحرك .

وأما البصريون فقالوا : لايجوز ترك الصرف ، لأن الأصل فى الأسماء الصرف ، فلو أنّا جوّزنا ذلك أدى إلى ردّه عن الأصل إلى الفرع ، ولالتبس ماينصرف بما لاينصرف . وعلى هذا يُخرَّج حذف الواو من هو فى نحو قوله : « فبيناه يشرى رحله » فإنّه لايؤدّى إلى لَبس . وإنما جاز فى الضرورة صرف مالا ينصرف لأنه من أصل الاسم، فإذا اضطرّوا ردّوه إلى أصله وإن لم ينطقوا به فى السعة ، كما لم ينطقوا بنحو ضننوا فى السعَةِ[1] بخلاف منع الصرف لأنّه ليس من أصل المنصرف ألا ينصرف .

(١) فى مثل قول قعنب بن أم صاحب (اللسان ضنن) :

مهلا أعادل قد جربت من خلقى أنى أجود لأقوام وإن ضننوا

وقد ذهب ابن الأنبارىّ ، فى كتاب الإنصاف[1] مذهب الكوفيين ؛ لكثرة النقل الذى خرج عن هذا الشذوذ والقلة فقال : « ولما صحت الرواية عند الأخفش والفارسى وابن برهان ، من البصريين ، صاروا إلى جواز ترك الصرف ضرورة تبعاً للكوفيين ؛ وهم من أكابر أئمة البصريين والمشار إليهم من المحققين » .

وأجاب عن كلمات البصريين فقال : « أما قولهم : يؤدى ترك الصرف إلى الفرع ؛ قلنا : هذا يبطل بحذف الواو من هو فى قوله « فبيناه يشرى » خصوصاً على أصل البصريين فإن الواو عندهم أصلية ؛ وقولهم : لا التباس بحذفها غير مسلَّم ، فإنك إذا قلت: غزا هو ، بتأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، فإذا حذفت الواو حصل اللبس ، وكذلك يحصل اللبس بصرف مالا ينصرف فإنه يوقع لبسا بين المنصرف وغيره ، ومع هذا وقع الإجماع على جوازه . فإن قالوا : الكلام هو الذى يتحصل القانون به دون الشعر ، وصرف مالا ينصرف لايوقع لبثاً بين ماينصرف وبين مالا ينصرف لأنه لا يلتبس ذلك فى اختيار الكلام ، قلنا : وهذا هو جوابنا عما ذكرتموه ، فإنه إذا كان الكلام هو الذى يتحصل به القانون فترك صرف مالا ينصرف فى الضرورة لايوجب لبساً بينهما ، إذ لا يلتبس ما ينصرف وما لاينصرف فى اختيار الكلام » .

وأطال الكلام فى الرد على البصريين .

وقد أورد الفارسى فى تذكرته على أصل البصريين سؤالا لم يجب عنه فقال : أفيجوز فى الضرورة أن لا يعرب الفعل المضارع ، لأن الأصل كان فيه

---

(١) الإنصاف ص ٢٩٦ . وقد تصرف البغدادى فى النص كثيراً .

أن لا يعرب كما كان الأصل فى الاسم أن يصرف[1] فإذا لم تعربه رددته إلى الأصل فى الضرورة كما رددت الاسم إلى الصرف فى الضرورة. واستشهد على ذلك بقوله « فاليوم أشربْ[2] » ونحو ذلك. قيل : أما الأبيات فليست بدليل قاطع، لأنه يجوز أن يكون أجريت فى الوصل مجرى الوقف، وبقى النظر فى هل يجوز أن لا يعرب.

هذا ما قاله ولم يجب عنه. قال الشاطبى : وكأنه إشكال على مذهب البصريين، لكن الجواب يظهر عنه بأدنى نظر. انتهى.

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات سبعة للعباس بن مرداس الصحابى رضى الله عنه ابن أبى عامر بن حارثة بن عبد بن عبس[3] بن رفاعة بن الحرث بن بُهثة ابن سُليم. أسلم قبل فتح مكة بيسير، وأمُّه الخنساء الصحابية الشاعرة كما يأتى بيانه فى ترجمتها. وكان عباسٌ هذا من المؤلفة قلوبهم. ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حنين إلى أهلها أعطى المؤلَّفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن الحارث بن كَلَدة، والحارث بن هشام، وسُهيل بن عمرو، وحُويطب بن عبد العُزّى، وصفوان بن أمية - وكل هؤلاء من أشراف قريش - والأقرعَ بن حابس بن عقال[4] بن محمد بن سفيان المجاشعى، وعُيينة بن حِصن الفَزارى، ومالك بن عوف النصرى؛ أعطى كلَّ واحد من هؤلاء مائة بعير،

(١) فى النسختين : « أن لا يصرف »، والوجه ما أثبت.

(٢) من قول امرئ القيس فى ديوانه ٢٥٨ :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

(٣) هذا هو الصواب كما فى جمهرة ابن حزم ٢٦٣ بتحقيقنا، والإصابة ٢ : ٤٠٥ ومختلف القبائل ٤٩. وفى بعض نسخ الجمهرة والأغانى ١٣ : ٦٢ : « عبد قيس » تحريف.

(٤) ط : « عنان » س : « عفان »، صوابه من الإصابة ٢٢٩.

وأعطى دون المائة رجالا من قريش ، وأعطى عباس بن مرداس أباعرَ ، فسَخِطها وقال يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم :

أتجعلُ نهبِى ونهب العُبَيْـ ـد بين عُيينة والأقرعِ[1]
وما كان حصنٌ ولا حابس يفوقان مِرداسَ فى مجمع
وما كنت دون امرئٍ منهما ومَن تضعِ اليوم لا يُرفعِ
وقد كنتُ فى الحرب ذا تُدرَإ فلم أُعطَ شيئا ولم أُمنع
إلاّ أفائل من حربة[2] عديدَ قوائمه الأربع
وكانت نهاباً تلافيتها بكرِّى على المهر فى الأجرَع
وإيقاظىَ القومَ أن يرقدوا إذا هجعَ الناسُ لم أهجع

٧٤ النهب : الغنيمة . والعُبيد، بالتصغير : اسم فرس العباس ـ وكان يدعى فارس العبيد ـ وتدرأ ، تفعل بضم التاء وفتح العين مهموز ، من الدرء وهو الدفع ؛ قال فى الصحاح : « وقولهم السلطان ذو تُدرإ : أى ذو عدة وقوة على دفع أعدائه عن نفسه وهذا اسم موضوع للدفع » . وقوله : « فلم أعط شيئاً » إلخ ، أى لم أعط شيئاً طائلا ، أولم أعط شيئا أستحقه وهو المائة، ولم أمنع من الإعطاء لأنى أعطيت بعضاً ، قيل كان أُعطىَ خمسين . واستشهد به النحاة على حذف الصفة لئلا يلزم التناقض. والأفائل : جمع أفيل بالفاء ، كالفصيل وزنا ومعنى ، وقال الأصمعى : هو ابن سبعة أشهر أو ثمانية . ويجمع على إفال أيضاً بكسر الهمزة . وهذه رواية سفيان ابن عيينة ، وروى ابن عقبة وابن إسحاق « إلاّ أفائل أعطيتُها » كذا فى الاستيعاب لابن عبد البر . فلما أنشد هذه الأبيات بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم قال : اقطعوا عنى لسانه ، فأعطى حتّى رضى . وقال سفيان بن عيينة :

(١) السيرة ٨٨١ واللآلئ ٣٢ ـ ٣٣ والشعراء ٢٥٩ ، ٧٢٤ .
(٢) ـــ : « جربة » .

أتمها له مائة . وقال ابن أبي الإصبع ، في تحرير التحبير : قال لعلى « ياعلىّ اقطع لسانه عنى » . فقبَض عَلَى يده وخرج به فقال : أقاطع أنت لسانى يا أبا الحسن ؟ فقال إنى لمِمضٍ فيك ما أُمرت ؟ ثم مضى به إلى إبل الصدقة فقال : خُذ ما أحببت . قال : « وقول على رضى الله عنه أحسن موازبة سمعتها فى كلام العرب » . وفيه روايات أخر حكاها السيوطى فى [شرح] شواهد المغنى[1] . والمرداس : الحصاة التى يُرمى بها فى البئر لينظر هل فيها ماء أم لا . وأخطأ شارح اللبّ حيث قال : إن مرداساً هنا هو رأس الخوارج وكنيته أبو بلال[2] ، وحكى رواية الأبيات للصحابى بِقيلَ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر :

١٨ (أرَّقنى الليلة برقٌ بالتَّهمْ يالك برقاً من يشُقْه لا يُنَمْ[3])

قال الشارح : وكذا (تهام) بفتح التاء فى المنسوب إلى التهم بمعنى تهامة . يريد أن الألف فى تهام بالفتح عوض من إحدى ياءى النسب ، كما فى يمان إذ هو منسوب إلى يمن ، وإنما قيد بفتح التاء لأنك إذا كسرتها قلت تِهامىّ بتشديد الياء لأنه منسوب إلى تهامة بالكسر ، فالألف من لفظها وليست بدلا .

قال المرزوقى فى شرح فصيح ثعلب : رجل تهامٍ أى من أهل تهامة ، والأصل تهمىّ لأن تهما قد وضع موضع تهامة ، لكنهم حذفوا إحدى ياءى النسبة وأبدلوا منها ألفاً ؟ وأنشد هذا البيت عن أبى على الفارسى .

(١) لم أجد هذا النص فيه .

(٢) رأس الخوارج إنما هو مرداس بن حدير بن بلال ، أحد بنى ربيعة بن حنظلة . انظر الكامل ٥٨٤ – ٥٩٢ ليبسك .

(٣) فى معجم ما استعجم ٣٢٢ : « لم ينم » .

وقال ابن جنى فى الخصائص : « فإن قلت : فإن فى تهامة ألفا ، فلم ذهبت إلى أنّ هذه الألف فى تهام عوض من إحدى الياءين للإضافة ، قيل : قال الخليل فى هذا : كأنهم نسبوه إلى فَعْل أو فَعَل ، وكأنهم كفّوا صيغة تهامة وأصاروها إلى تَهْم أو تَهَم ، ثم أضافوا إليه فقالوا : تهام . وإنما مثَّلَ الخليل بين فعْل وفعَل ولم يقطع بأحدهما لأنه قدجاء هذا العمل فى هذين المثالين جميعا ، وهو الشّأم واليمن ، وهذا الترخيم الذى أشرف عليه الخليل ظنا قد جاء به السماع نصا ، أنشدنا أبو على قال : أنشد أحمد بن يحيى :

أرقنى الليلة برق بالتهم * البيت

وقال أبو عبيد البكرى ، فى معجم ما استعجم : التَّهم بفتح أوله وثانيه ، قاله ابن الأعرابى . وأنشد :

أرّقنى الليلة برق بالتهم * . . البيت

ثم قال : « تهامة بكسر أوله : أرض طرفها من قبل الحجاز مدارج العرج ، وأولها من قبل نجد مدارج ذات عرق ؛ وسميت تهامة لتغير هوائها ، من قولهم : تهم الدهن وتَمِهَ ، إذا تغيَّرت رائحته » اهـ .

وقال ابن حجَر فى شرح البخارى : « وتهامة اسمٌ لكل مانزل من بلاد الحجاز ، سميت بذلك من التَّهم بفتح المثناة والهاء ، وهو شدة الحر وركود الريح وقيل تغير الهواء » . لكن صاحب الصحاح والقاموس قالا : إن التَّهم مصدر من تِهامة . وبيَّنه صاحب القاموس فقال : وتهامة بالكسر مكة شرفها الله تعالى وأرض لا بلد ، ووهم الجوهرى . ثم قال : والتَّهْمة بالفتح : البلدة ، ولغة فى تِهامة ، وبالتحريك : الأرض المتصوِّبة إلى البحر كالتَّهَم ، كأنهما مصدران من تهامة لأنَّ التهائم متصوِّبة إلى البحر ، اهـ .

و (أرّقنى) : أسهرنى ، من الأرق بالتحريك وهو السّهر بالليل ، وفعله من باب فرح ، وتعدينه بالتضعيف . و (يالك برقاً) تعجب من البرق واستعظامٌ له ، وقد شرح الشارح فى باب الاستغاثة نحو هذا التركيب ، وبرقا تمييز ، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب . والشوق إلى الشىء : نزاع النفس إليه ، يقال : شاقنى الشىء أى جعلنى مشتاقاً ، وإنما جعله البرق مشتاقاً لأنّ حبيبته فى تلك الأرض تذكّر بالبرق وميض ثناياها فلم تأخذه سِنة ، كما قال الشاعر :

جاريةٌ فى رمضان الماضى[1] تقطّع الحديث بالإيماض

وقال المتنبى :

أذا الغصنُ أم ذا الدّعصُ أم أنت فتنةٌ

وذيَّا الذى قبّلته البرقُ أم ثغر

وأستحسنُ قول ابن نباتة المصرى :

تذكرتُ لمّا أن رأيتُ جبينها هلالَ الدجى ، والشىء بالشىء يذكر

وفاعل يشقْه ضمير البرق ، والهاء مفعول وهو ضمير من الشرطية . (ولا يلم) بالبناء لمفعول ، من اللوم وهو العذل جواب من ، ووجود لا النافية لا يمنع الجزم فإن المضارع المنفى بلا إذا وقع جزاء يجوز جزمه كقوله تعالى : « إن تدعُوهُمْ لا يسْمعُوا دُعاءكم » . ويجوز رفعه ، لكن يجب اقترانه حينئذ بالفاء نحو قوله تعالى : « فمنْ يُؤْمنْ بربّه فلا يخافُ بَخْساً » .

وأورد ابن الأعرابى فى نوادره بعد هذين البيتين ثلاثة أبيات أخر ولم يعزُ الشعر لأحد ، وهى :

---

(١) فى الإنصاف ٩٦ :

* جارية فى درعها الفضفاض *

(مازال يسرى مُنجداً حتّى عتمْ   كأن فى ريّقه إذا ابتسمْ)
(بلقاء تنفى الخيل عن طفل مُتمّ)

ومنجد : من أنجد إذا ذهب إلى النَّجد ، والنجد : كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . وعتم : دخل فى العَتمة ، والمشهور أعتم بالألف ، والعتمة بالتحريك : الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق . والرَّيِّق بالتشديد ، وريِّق كل شىء : أوَّله . والبلقاء : الفرس التى فيها البَلَق ، وهو بياض وسواد . وتنفى : تطرد . والخيل : مفعوله . وعن : متعلق بتنفى . والمُتَمّ بفتح التـاء : الولد الذى يولد لتمام مدته . وهذا البيت مثل بيت أوس بن حجر فى وصف البرق وهو :

كأن ريّقه لما علا شَطِبا   أقرابُ أبلَقَ ينفى الخيلَ رماحِ

قال شارحه ابن السكيت : ريّقه : مسترقّه ليس بمعظمه . والأقراب : جمع القُرْب وهو الـكَشح . يقول : ينكشف البرق كما يرمح الأباق فيبدو بياضه . اه

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر ، وهو من شواهد س(١) :

١٩ (يحدو ثمانىَ مولعاً بلقَاحها)

على أن (ثمانى) لم يصرف فى الشعر شذوذاً ، لما توهم الشاعر أنَّ فيه معنى الجمع ولفظه يشبه لفظ الجمع ، وكان القياس أن يقول : ثمانياً .

قال ابن السيد : فى ثمانى لغتان : الصرف لأنه اسم عدد وليس بجمع ، ومنع الصرف لأنه جمع من جهة معناه ، لأنه عدد للجمع ، بخلاف يمان وشآم ،

(١) سيبويه ٢ : ١٧ .

لأنه غير جمع وفيه جمع ، فإن س وغيره قالوا : إنه شاذ ، توهم الشاعر فيه معنى الجمع فلم يصرفه . ولم يقل أحد إنّه لغة .

وفى شرح شواهد الكتاب للنحاس : قال سيبويه : « وقد جعل بعض الشعراء ثمانى بمنزلة حذارى : حدثنى أبو الخطاب ، أنه سمع العرب ينشدون هذا البيت غير منوَّن . وسمعت أبا الحسن يقول: إنّ هذا الأعرابىّ غلط وتوهم أن ثمانى جمع على الواحد وتوهم أنه من الثمن» اه أى توهم أنه الجزء الذى صير السبعة ثمانية فهو ثمنها . وقال الأعلم الشنتمرى : كأنه توهم أن واحده ثمنية كحذرية ثم جمع فقال ثمانى كما يقال حذارى فى جمع حِذرية ، والمعروف صرفها على أنها اسم واحد أى بلفظ المنسوب ، نحو يمان . والحذرية ، بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وتخفيف المثناة التحتية : قطعة غليظة من الأرض .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(حتى هممنَ بزيغة الإرتاجِ)

وقبل هذا البيت :

(وكأنّ أصل رحالها وحبالها علِّقن فوق قُوَيرحٍ شحَّاجِ)

صاحب الشاهد وهذان البيتان من قصيدة لابن ميّادة ، كما قال السيرافى . شبه ناقته بسرعتها بحمار وحش قارح ، يحدو ثمانى أتن : أى يسوقها مولعاً بلقاحها حتى تحمل ، وهى لا تمكنه فتهرب منه ؛ لأن الأنثى من الحيوان غير الإنسان ، لا تمكّن الفحل إذا حملت . والرحال : جمع رحل ، وهو كل شىء يعدّ للرحيل من وعاء للمتاع ، ومركب للبعير ، وحلس ورسَن . وضمير رحالها للناقة وعلقن بالبناءِ للمفعول ، والنون ضمير الرحال والحبال ، واكتسب المضاف

الجمية من المضاف إليه لأنه يصح سقوطه . والقويرح : مصغر قارح ، وهو من ذى الحافر الذى انتهت أسنانه ، وإنما ينتهى أسنانه فى خمس سنين ، والتصغير للتعظيم. والشحّاج بفتح الشين المعجمة وتشديد الحاء المهملة ، قال فى الصحاح :هو الحمار الوحشى،وهو بدل من قويرح أو عطف بيان . ويحدو بمعنى يسوق،وفاعله ضمير الشحاج ، والجملة صفة له . وأراد بالثمانى أتُنه ولهذا حذف التاء منه ، أو لأن المعدود محذوف . والمولع من أولع بالشىء بالبناء للمفعول ، فهو مُولع به بفتح اللام ، أى أغرى به وعلِق به . واللّقاح كسحاب : ماء الفحل فى رحم الناقة . وفى المصباح : اللّقاح بفتح اللام وبكسرها : اسم من ألقح الذكر الأنثى، ٧٧
أى أحبلها . وحتى غاية لقوله يحدو . وهمّ بالشىء من باب قتل ، إذا أراده ولم يفعله . والزّيغة ، بفتح الزاى المعجمة وسكون المثناة التحتية وبالغين المعجمة ، مصدر زاغ يزيغ ، أى مال . والإرتاج بالكسر : مصدر أرتجت الناقة إذا أغلقت رحمها على ماء الفحل . . يريد أن هذا الحمار عدا خلف أتنه ليلحقها ويركبها حتى تحبل ، فهربت منه ، فكأنه ساقها سوقاً عسيفاً حتّى همت بإسقاط ما أرتجت عليه أرحامَها من الأجنّة وإزلاقه ، وكأن زمام هذه الناقة مرتبط بهذا الحمار الشديد الحرص على اللقاح بأتُنه ، فهى تعدو بعدْوه ، وهذا غاية فى سرعة الناقة . وروى : « بربِقه الإرتاج » والربقة بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وبالقاف أراد به العَقد ، لأنها إذا أغلقت فم الرحم على ماء الفحل فكأنها عقدته ، ومنه الحديث : « فقد خلع ربقة الإسلام من عُنقه » أى عَقد الإسلام . وأصل الربقة واحد الربق بالكسر ، وهو حبل فيه عدة عُرًى تشدّ به البَهْمُ ، الواحدة من العرى ربقة . ولا بد من تقدير مضاف على هذه الرواية ، أى حتى هممن بحل ربقة الإنتاج ، يعنى أرتجت هذه الأتن وانحلّت من شدة الجرى حتى لم تقدر أن تضبط مافى أرحامها .

ولم يقف الأعلم الشنتمرى على البيت الأول . فظن أنّه فى وصف راع فقال : وصف إبلاً أولع راعيها بلقاحها حتى لقحت ، ثم حداها أشدّ الحداء حتى همّتْ بإسقاط ما فى بطونها من الأجنّة .

ترجمة ابن ميادة

وابن ميادة هو أبو شَراحيل وقيل أبو شُرَحبيل. واسمه الرَّماح ، كشدَّاد ابن يزيد . وهو من بنى مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، رهط الحارث بن ظالم، كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة(١). وميادة أمّه ، وهى أم ولد بربرية ، وقيل صَقْلبية كان هو يزعم أنها فارسية . وفى ذلك يقول :

أنا ابن أبى سلمى وجدّىَ ظالم ... وأمّى حصانٌ حصَّنتها الأعاجمُ
أليس غلام بين كسرى وظالم ... بأكرَمِ مَن نيطت عليه التمائم

وسبب تسميتها أنّه لما أقبلوا بها من الشام نظر إليها رجل وهى ناعسة تمايل على بعيرها فقال : إنها لميادة ، فسمّيت به وغلب عليها .

وابن ميادة شاعر مقدَّم فصيح ، لكنه كان متعرضاً للشر طالبا لمهاجاة الناس ومُسابَّة الشعراء ، وله مع الحَكم الخُضرى(٢) مهاجاة ومناقَضات كثيرة وأراجيز طويلة ، وقد أدرك الدولتين . كان فى أيام هشام بن عبدالملك، وبقى إلى زمن المنصور ، ومدح من بنى أمية الوليدَ بن يزيد وعبد الواحد ابن سليمان ، ومن بنى هاشم أبا جعفر المنصور وجعفر بن سليمان . ولما قال من قصيدة :

فَضَلنا قريشاً غيرَ رهط محمد ... وغيرَ بنى مروانَ أهل القبائل

(١) الشعر والشعراء ٧٤٧ — ٧٤٩ والأغانى ٢ : ٨٥ — ١١٦ واللآلى ٣٠٦ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٠ والعينى : ٢١٩ .

(٢) فى النسختين « الحضرى » مع تصحيحها فى سن « الخضرى » وهذا هو الصواب . نسبة إلى خضر بن محارب ، بضم الخاء . وترجمته فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٠ — ٢٤٥ والأغانى ٢ : ٩٤ .

قال له إبراهيم بن هشام : أأنت فضلت قريشاً ؟! وجرّده وضربه أسواطاً .
ولما سمع البيت الوليد بن يزيد قال له : قدّمتَ آل محمد علينا ؟ قال : ما كنت يأمير المؤمنين أظنه يكون غير ذلك . فلما أفضت الخلافة إلى بنى العباس قدِم على المنصور فمدحه ، فقال له لما دخل عليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره ، فجعل يتعجب ، ولم يعد إلى المنصور بعدها لما رأى قلة رغبته فى مدائح الشعراء ، ونزارة ثوابه لهم . وتوفى فى صدر خلافته فى حدود الست والثلاثين بعد المائة .

وبنو ذبيان تزعم أن ابن ميادة آخر الشعراء الذين يستشهد بأشعارهم .

روى أبو داود الفَزازي أن ابن ميّادة وقف يوماً فى الموسم ينشد :

لو آنَّ جميعَ الناس كانوا بتَلْعة وجئتُ بجدِّى ظالمٍ وابن ظالمِ
لظلَّتْ رقابُ الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

والفرزدق واقف عليه متلثم ، فقال له : يا ابن يزيد ، أنت صاحب هذه الصفة ؟ ! كذبتَ والله ، وكذب سامع ذلك منك فلم يكذّبك . قال : فمن يا أبا فراس ؟ قال : أنا أولى به منك . وقال :

لو أن جميع الناس كانوا بتلعة وجئت بجدى دارمٍ وابن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

فأطرق ابن ميادة ولم يجبه ، ومضى الفرزدق وانتحلها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون :

٢٠ * بَلَغْتُها واجتمعتْ أشدِّى *

على أن (أشُدّ) جمع شدّة على غير قياس ، أو جمع لا واحد له بدليل تأنيث الفعل له .

وفى الصحاح . « كان س يقول : واحده شِدّة ، وهو حسن فى المعنى لأنه يقال بلغ الغلام شِدّته ، ولكن لا يجمع فِعلة على أفعُل ، وأمّا أنعُم فإنما هو جمع نُعم بالضم : ضد البؤس . وقيل هو جمع شَدّ بالفتح نحو كلب وأكلب وقيل جمع شِدّ بالكسر مثل ذئب وأذؤب . وكلا هذين القولين قياس وليسا بمسموعين ، وقيل هو جمع لا واحد له من لفظه مثل محاسن ومشابه ، وقيل هو ليس بجمع وإنما هو مفرد جاء على صيغة الجمع مثل آنُك ، وهو الأسرُبّ ولا نظير لهما » .

وهذا قول أبي زيد[1] . وحكى فى همزته الضمة : لغة فى فتحها ، ومعنى الأشدّ القوة وهو ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين . وقيل : إلى أربعين ، أو إلى خمسين . قال سُحَيم بن وَثيل :

أخو خمسين مُجتمعٌ أشُدّى ... ونجّذنى مداورة الشؤون

وفى عمدة الحفّاظ للسّمين : هو جمع شِدّة بمعنى القوة والجلادة فى البدن والعقل ، وقد شدّ يَشِد شدّة إذا كان قوياً ، وأصل الشدّة العقد القوىّ ، وشددت الشىء : قوّيت عقده ، وأشُدّ يستعمل فى العقل وفى البدن وفى قوى النفس .

هذا واستدلال الشارح المحقق — تبعاً لابن الحاجب فى شرح المفصل — بتأنيث الفعل لكون أشد جمعاً محلُّ بحث ؛ فإنّ أهل التفسير واللغة أجمعوا على تفسيره بالقوة ، فيحتمل أن يكون تأنيث الفعل له باعتبار معناه لا لكونه جمعاً ، وكان ينبغى أن يستدل بمادّة الفعل وصيغته ، فإن الجمع معناه تاليف

---

(١) يعنى القول بان (أشد) جمع شدة . انظر النوادر له ٥٤ .

المتفرّق ، والاجتماع مطاوعهُ وهو تألف المتفرق ، فلا يتصور معناه إلاّ بين متعدد ، ولا يكون الاجتماع من شيء واحد . على أن الرواية :

بلغتها مجتمعَ الأشُدّ

بالخطاب لا بالتكلم .

صاحب الشاهد وهو من أرجوزة لأبى نُخيلة مدح بها هشام بن عبد الملك ، منها :

٧٩ (وقلت للعِيس اعتلى وجُدّى فهى تَخَدَّى أحسنَ التخدِّى

قدِ ادّرعنَ فى مَسيرٍ سَمْدِ ليلاً كلون الطيلَسان الجَرد

إلى أمير المؤمنين المُجْدِى ربّ معدّ وسوى معدّ

ممن دعا من أصيدٍ وعبد ذى المجد والتشريف بعد المجد

فى وجهه بدرٌ بدا بالسعد أنت الهمام القَرم عند الجِد

بلغتَها مجتمعَ الأشُدّ فانهلَّ لما قمتَ صوبُ الرعَد)

والعيس : الإبل البِيض يخالط بياضَها شقرة ، مفرده المذكر أعيس والمؤنث عيساء . واعتلى : ارتفعى . والجدّ بالكسر : الاجتهاد فى الأمور ، تقول جدّ فى الأمر يجُدّ بالضم . وتَخدَّى ، بالخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ، أصله تتخدى ، أى تسرع ، حذفت منه التاء : من خدَى البعيرُ يخدِى خدياً : أسرع وزجّ بقوائمه . والسَّمد ، بفتح السين المهملة وسكون الميم ، فى الصحاح : وسمدت الإبل فى سيرها : جدّت . وفى القاموس : هو السَّرمد أى الطويل الدائم ، يقال هو لك سمداً أى سرمداً . والادّراع : افتعال لبس الدِرع وهو قميص المرأة . والطيلسان : من لباس العجم ، لونه أسود للمهابة . والجَرد الخَلَق ، يقال ثوب جرد . والمجدى : اسم فاعل من أجدى عليه بمعنى أعطاه عطاء كثيراً ، من الجَداء والجَدوى بفتح الجيم فيهما ، وهو المطر الذى لا يعرف

أقصاه ، وقيل المطر العام . وربُّ كل شيء : مالكه ومستحقه . ومعدٌّ : أبو العرب وهو معدّ بن عدنان . وقوله (ممن دعا) بيان لقوله (سوى معد) . وقوله (من أصيد الخ) بيان لمن دعا ، أى هو سيد من دعا لنفسه من ملك وسُوقة . والأصيد : الملك . وقوله (أنت الهمام) التفات من الغيبة إلى الخطاب . والهُمام : الملك العظيم الهمة والسيِّد الشجاع . والقَرم بالفتح : السيد ، وأصله الفحل المكرّم لا يُركب ولا يُرحل . والجِد بالكسر ضد الهزل ، تقول جدّ يجِدّ بالكسر . وقوله (بَلغتها) بالبناء للفاعل ، وروى « بُلِّغتها » بالبناء للمفعول والتشديد أيضاً ، وروى أيضاً « طُوِّقتها » بالبناء للمفعول والتشديد أيضاً ، والطوق : حَلْى العنق[1] وكل ما استدار بشىء ، وتطوقه : لبسه . وضمير بلغتها للخلافة المعهودة ذهناً . ومجتمع اسم فاعل حال من ضمير المخاطب ، ولا تضر الإضافة لأنها لفظية . وظهر بهذا أن بيت الشاهد على غير وجهه ، ويحتمل أن يكون من أرجوزة أخرى ، والله أعلم . وانهلّ بمعنى سال إن كان الصَّوْبَ بالباء الموحدة ، وبمعنى ارتفع ، إن كان الصوتَ بالمثناة الفوقية . . يريد إنك لما قمت بأمر الخلافة انفتح أبواب الخير .

وفى الأغانى أن أبا نخيلة قال : قرأتها حتى أتيت إلى آخرها وهممت أن أسأله فيها ، ثم تذكرت أنّ الناس نصحونى على أن لا أسأله شيئاً فإنه يحرم من يسأله ، فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال : الغلام السعدى أشعر من الشيخ أبى النجم العجلى . وخرجت فلما كان بعد أيام أتتنى جائزته . . ولما أفضت الخلافة إلى السفاح نقل هذه الأرجوزة الدالية إليه ، فهى إلى الآن فى ديوانه منصوبة إلى السفاح[2] .

---

(١) فى النسختين : « على العنق » ، صوابه من اللسان والقاموس .

(٢) القصة على هذا الوجه مقتضبة اقتضابا . وهى على تفصيل واضح فى الأغانى ١ : ١٤٠ .

وأبو نُخيلة بضم النون وفتح الخاء المعجمة ، اسم الشاعر لا كنيته . ترجمة أبي نخيلة
كذا فى الأغانى . وقال ابن قتيبة : اسمه يعمر ، وكنى أبا نُخيلة لأنّ أمه ولدته ٨٠
إلى جنب نخلة . ويكنى أبا الجنيد وأبا العرماس ، وهو من بنى حِمَّان بن كعب[1]
ابن سعد ، بكسر المهملة وتشديد الميم . وكان عاقاً لأبيه فنفاه أبوه عن نفسه ،
فخرج إلى الشأم فأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقى مشكوكاً فى نسبه ،
مطعوناً عليه . وكان الأغلبَ على شعره الرجزُ ، وله قصيدٌ ليس بالكثير .
ومن شعره :

وإنّ بقوم سودوك لحاجةً إلى سيّد لو يظفَرون بسيّد[2]

ولما خرج إلى الشأم اتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسنَ إليه ، وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم له فأغنَوه . وكان بعد ذلك قليل الوفاء : انقطع إلى بنى العبّاس ، ولقَّب نفسه بشاعر بنى هاشم ، فمدح الخلفاء من بنى العباس وهجا بنى أمية . وكان طامعاً ، فحمله طمعُه على أن قال فى المنصور أرجوزة يُغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدىّ ، فوصله أبو جعفر بألفى درهم ، وأمره أن يُنشدها بحضرة عيسى ، ففعل فطلبه عيسى فهرب منه ، وبعث فى طلبه مولًى له فأدركه فى طريق خراسان ، فذبحه وسلخ وجهه[3] .

* * *

(١) ط فقط : « حمار بن كعب » ، صوابه فى ش والشعراء لابن قتيبة ٥٨٣ . وانظر الاشتقاق ١٥٤ والأغانى ١٨ : ١٣٩ — ١٥٢ .

(٢) فى الشعراء : « لفاقة » .

(٣) فى الأغانى : « وسلخ جلده » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون :

٢١ (جَذْبَ الصَّرارِيِّينَ بالكُرُورِ)

على أن (الصَّراريّ) جمع (صُرّاء) وهو جمع صارٍ بمعنى الملاح ، وهو السَّفَّان الذى يُجرى السفينة . والصارى بالصاد والراء المهملتين على وزن القاضى معتل اللام بالياء ، وجمعه على صَوارٍ قياسٌ مطّرد لأنه جمع فاعل ، اسماً لا وصفاً ، بخلاف جمعه على صُرّاء ؛ إذ جمع (فاعل) المعتل اللام على (فُعّال) نادر ، نحو جان وجُنّاء ، وغازٍ وغُزّاء ، وقارٍ وقُرّاء ، ولما شابهَ صُرّاء وزن المفرد نحو زُنّار وكُلّاب جاز جمعه على فعاعيل نحو صَراريّ ، كما تقول زنانير وكلاليب ، ثم جُمع الصراريّ جمع تصحيح فقيل الصَّراريّون . هذا تقرير كلام الشارح .

وقال أبو على الفارسيّ فى الإيضاح الشعرى : « الأشبه أن يكون صُرّاء مفرداً جمعه صراريّ ، ألا ترى أن فُعّالا جمعاً كشُهّاد ولم نعلمه جاء مكسراً كما جاء تكسير فِعال نحو جمال وجمائل . وعلى هذا يكون الصُّرّاء كالصارى » .

وكلا هذين القولين خلاف المنقول والمسموع .

أما الأوّل فقد نقل الثقات — كابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق ، والجواليقى ، وابن السِّيد فى شرح شواهد أدب الكاتب ، وصاحب الصحاح والعباب والقاموس — أن الصرارى مفرد مثل الصارى ، وأن جمعه الصَّراريّون ، وأنشدوا له هذا البيت ، وأن جمع الصارى الصُّرّاء كقوله :

* إشراف مُرْدِيّ على صُرّائه *

فيكون (الصَّرارى) من مادة الثلاثى المضعف ، و (الصارى) من مادة الثلاثى المعتل . إلاّ أنّ صاحب القاموس أساء حيث أورد الصراريّ فى المعتل

أيضاً جمعاً للصارى ، مع أن فاعلا لا يجمع على فعاعيل ، وإنما الذى يجمع عليه (فعَّال) بالضم والتشديد كما مر ، أو (فعّال) بالفتح والتشديد نحو : جَبَّار وجبابير .

وزنة فعالىّ غير موجودة فى أوزان المفردات من أبنية سيبويه وغيرها ، فيكون فى الأصل منسوباً إلى (صرارة) وهو اسم نهر ، والذى لم يحج ، والذى لم يتزوج ؛ أو إلى (صَرار) بدون هاء وهو كسحاب وكتاب : اسم واد بالحجاز . ٨١

وأما الثانى فقد قال الفرزدق :

ترى الصَّرارىّ والأمواجَ تضربه لو يستطيع إلى برِّيَّة عَبرا [(١)]

وقال خليفة بن حَمَل الطُّهَوىّ [(٢)] أيضاً :

ترى الصرارىّ فى غبراء مظلمةٍ تعلوه طوراً ويعلو فوقَها تِيَرا [(٣)]

فقد رجع الضمير إليه فى البيت الأول مفردا ثلاث مرات ، وفى البيت الثانى رجع إليه مفردا مرتين .

وقال القطامى ، فى وصف غواصِ دُرَّةٍ شبه حبيبته بها ، من قصيدة :

حتى إذا السُّفْن كانت فوق معتلِج ألقى المعاوزَ عنه ثُمت انكتما

---

(١) ديوان الفرزدق ٢٨٨ برواية : « والأمواج تلطمه » .

(٢) فى اللسان : « خلف بن جبيل » ، تحريف . ولخليفة بن حمل أشعار فى نوادر أبى زيد ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦ .

(٣) ط : « فوقه » صوابه فى سه ونوادر أبى زيد ١٤٦ . وتير ، بكسر ففتح : جمع تارة ، كما فى اللسان . وأنشد :

* يقوم تارات ويمشى تيرا *

وصواب رواية البيت : « عوم الصرارى » لأن قبله فى النوادر :

شبهت قلتهم فى الآل إذ عسفوا حزم الشريف تبارى فوقه زمرا

فى ذى جُلول يقضِّى الموتَ صاحبُهُ إذَا الصَّرارىُّ من أهواله ارتسما[1]

فلو كان جمعاً كما زعما لقال : ارتسموا . قال شارح ديوانه أبو سعيد السكرى : « والصرارىّ الملاح ، والصُّرّاء الملاحون ، والواحد صارّ » .

وأورد الحريرىّ فى درّة الغواص البيت الثانى وزعم أنه يصف فُلكا .

والمعتلِج : اسم فاعل من اعتلجت الأمواج : التطمت واضطربت . والمعاوز بالفتح : جمع مِعوَز بالكسر ، وهو الثوب الخلَق الذى لايتبذَّل ؛ لأنّه لباس المعوزين . والمعاوز مفعول ألقى ، وفاعله ضمير الغواص فى بيت قبله. وانكتم معطوف على ألقى ، وضميره كضميره ، وقوله فى ذى جُلول متعلق بانكتم ، أى توارى فى ماء كثير عظيم . والجُلول : جمع جُلّ ، وهو معظم الشىء ، وقيل الجلول جمع جَلّ بفتح الجيم ، بمعنى الشراع ، يعنى ماء فيه سفنٌ لها شُرُع . والارتسام بالسين المهملة : التكبير والتعوُّذ والدعاء . يقول : إن الملاح دعا وعوّذ حين شاهد عِظم الأهوال بتلاطم الأمواج .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد من أرجوزة للعجاج يصف فيها سفينة . وقبله :

(لَأْياً ينائيها من الجُثور جَذبُ الصَّراريِّين بالكرور
إذْ نَفَحتْ فى جَلّها المسجور[2] حَدواء جاءت من جِبال الطور)

اللأى بفتح اللام وسكون الهمزة : البطء والشدة ، وهو منصوب على نزع الخافض أى بلأى . وينائيها : يباعدها من النأى ، وروى « يثانيها » بالمثلثة والنون من ثناه ، إذا عطفه : والجثور . مصدر جار ، إذا عدل عن

---

(١) فى ط : « إذ الصرارى » ، صوابه فى ش وديوان القطامى ٧٠ واللسان (صرر ، جلل ، رسم) .

(٢) ط : « لفحت » باللام ، واثبت ما فى ش . قال الأصمعى : ما كان من الرياح لفح فهو حر ، وما كان نفح فهو برد .

القصد ، وهو مصدر سماعى جاء على فعول بالضم ، لكن همز عينه على مقتضى القاعدة . ولم أر من نبه على هذا المصدر غير ابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق وابن السيد البطَلْيَوسى فى شرح شواهد أدب الكاتب ، وكلاهما نبها عليه فى هذا البيت ، وكذلك الجواليقى فى شرح أدب الكاتب أيضاً . والكرور : الحبالُ ، واحدها كر بالفتح ، قال أبو حنيفة فى كتاب النبات : قال أبو خَيْرة[1] : الكر الغليظ من الحبال . وقال الطوسى : هو حبلٌ يكون من جلود وغيرها . وأنشد هذا البيت. وجذبُ فاعل يُنائيها . يقول : إذا عدلت هذه السفينة وجارت عن القصد لم يصرفها الملاحون عن ذلك الاَّ بعد بطء ومشقة . ونَفَحت[2] بالحاء المهملة : هبّت . والَجلّ بفتح الجيم : الشراع ، كما تقدم . والمسجوربالسين المهملة والجيم : الذى شدّ بالحبال . ٨٢
قال فى العباب : اللؤلؤ المسجور : المنظوم المسترسل ، قاله أبو عبيد . وأنشد للمخبَّل السعدى :

وإذا ألمّ خيالُها طُرفت عينى فماء شئونها سَجْمُ
كاللؤلؤ المسجور أغفِل فى سِلك النِظام فخانه النظم[3]

والَحدْواء فاعل نَفَحت[4] بالحاء والدال المهملتين ، وهى الريح تحدو السَّحاب ، أى تسوقها ، وهى ريح الشَّمال . والطُّور : جبل ، والريح التى تجىء من قبله هى الشَّمال . وحِيال الطور : ناحيته وإزاؤه ، وهى بكسر الحاء المهملة ، وبالمثناة التحتية ، يقال قعد حياله أى بإزائه . وروى : «من بلاد الطور[5]».

(١) ط : « أبو حبره » صوابه فى ش . وأبو خيرة : أحد رواة الأعراب . ترجم له ابن النديم فى الفهرست ٦٨ . واسمه نهشل بن زيد .
(٢) ط : « لفحت » باللام ، وأثبت ما فى ش . وانظر ما سبق فى الحواشى .
(٣) ط : « أعقل » ، صوابه فى ش والمفضليات ١١٣ .
(٤) ط : « لفحت »
(٥) وروى أيضاً : « من جبال الطور » ، كما فى الاقتضاب ١٧٦ .

والعجاج اسمه عبد الله وكنيته أبو الشعثاء، وتقدم نسبه فى ترجمة ولده رؤبة فى الشاهد الخامس[١] ، وكان يقال له عبد الله الطويل ، ولقب بالعجاج لقوله :

* حتّى يَعِجّ عندها من عجعجا *

وهوأول من رفع الرجز وجعَلَ له أوائل وشبَّهه بالقصيد .

* * *

وأنشد بعده للكميت ، وهو الشاهد الثانى والعشرون :

٢٢ * ولم يَستَرِيثوك حتَّى رمي ... تَ فوقَ الرِجال خِصالًا عُشارا *

على أن (عُشار) المعدول عن عشرة قد جاء فى قول الكميت .

والمسألة مفصَّلة فى الشرح .

قال الحريرى فى درة الغوّاص : « روى خلف الأحمر أنهم صاغوا هذا البناء متَّسقا إلى عُشار ، وأنشد عليه ماعزى إلى أنه مصنوع[٢] منه :

قل لعمرٍو يا ابنَ هند ... لو رأيتَ اليوم شَنّا
لرأتْ عينـاك منهم ... كلَّ ما كنتَ تَمنّى
إذْ أتتنا فيلقٌ شهـ ... ـباء من هَنّا وهَنّا
وأتت دَوسرُ والمَلْـ ... ـحاء سيراً مطمئنا
ومشى القوم إلى القو ... م أُحادَ وأُثنَى[٣]
وثُلاثاً ورُباعا ... وخُماسا فاطّعَنّا

(١) ص ٨٩ .

(٢) ط : « مصوغ » . وفى درة الغواص ٤٠ « موضوع » ، صوابه فى س .

(٣) ط : « أحادى » ، وصححت بحذف الياء فى ش . وفى ط : « ومنى » .

وسُداساً وسُباعا وثمانا فاجتلدنا
وتُساعا وعشارا فأصبنا وأصبنا
لا ترى إلاّ كميّا قاتلا منهم ومنّا

ودلائل الوضع فى هذه الأبيات ظاهرة . وكان خلفٌ الأحمر متَّهماً بالوضع .وشنٌ : قبيلة . والفيلق: الجيش،وأنثه باعتبار الكتيبة. وهنّا بالفتح اسم إشارة للقريب . ودَوسر : كتيبة للنعمان بن المنذر . والملحاء : كتيبة أيضا لآل المنذر .

وترجمة الكميت قد مضت فى الشاهد السادس عشر [١]

قال ابن السيد فى شرح شواهد أدب الكاتب : « ومعنى يستريثوك يجدونك رائثا ، أى بطيئاً ، من الرّيث وهو البطء . ورميت : زِدت ، يقال رمىَ على الخمسين وأرمى ، أى زاد . يقول: لمّا نشأتَ نشء الرجال أسرعتَ فى بلوغ الغاية التى يطلبُها طُلاب المعالى ، ولم يُقنعك ذلك حتّى زدت عليهم بعشر خصال ، فُقْتَ السابقين [٢] وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين » . انتهى .

ووقع فى رواية ابن جنى فى الخصائص (علوت) موضع رميت . وروى أبو جعفر النحاس :

حتى أتيت فوق الرجالِ خِلالاً عُشارا

وروى الحريرى فى الدرة : (نصالا) بدل خصالا ، والأوّل هو الصحيح .

وهذا البيت من قصيدة للكميت ، يمدح بها أبان بن الوليد بن ٨٣
عبد الملك بن مروان وقبله :

(١) انظر ما سبق فى ص ١٤٣ .
(٢) كذا بالقاف بعد الفاء فى النسختين والاقتضاب ٤٦٧ .

(رَجوكَ ولم يبلغ العمر مِنْ لكَ[١] عشراً ولانبتُ فيك اتّغارا
لأدنى خَساً أو زَكا مِن سِنيك إلى أربع فبقَوْك[٢] انتظارا)

وبعده بيت الشاهد . يقول : تبينوا فيك السُّؤدد لسنة أو سنتين من من مولدك فرجوا أن تكون سعيداً أميراً مطاعا رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله (ولا نبتُ فيك اتغارا) أى أثغرتَ ولم تنبت أسنانك بعد . فى الصحاح : « وإذا سقطت رواضع الصبى قيل : ثُغِر فهو مثغور ، فإذا نبتت قيل : اتغر ، وأصله اثتغر فقلبت الثاء تاء ثم أدغمت ، وإن شئت قلت اثغر بجعل الحرف الأصلى هو الظاهر » . وقوله (لأدنى خساً أو زكا) الخسا بفتح الخاء المعجمة: الفَرد، والزَّكا بفتح الزاى المعجمة : الزوج ، وخسا وزكا ينون ولا ينون ، والمعنى أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقلّ ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للنّاس مادلهمّ على مارَجَوه منك وتفرّسوك عند كمال سنك وقوله فبقوك أى انتظروك يقال بقوت الشىء إذا انتظرته ، ومنه يقال للمؤذّنين بُقَاة لأنّهم ينتظرون أوقات الصلاة . وانتظاراً منصوب بقوله بقوكَ لأنه فى معنى انتظروك انتظارا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون ، وهو من أبيات سيبويه[٣] :

٢٣ ﴿ إلاّ عُلالَةَ أو بُدا هَةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزاره ﴾

على أن المضاف يحذف مع دلالة ما أضيف إليه تابع ذلك المضاف عليه .

---

(١) ط : « العمر سنك » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) ط : « فبقون » ، صوابه من ش .
(٣) فى كتابه ١ : ٩١ ، ٢٩٥ .

ذكر الشارح المحقق فى باب الإضافة أنّ هذا مذهب المبرد ، وأيّده بما ذكره هناك على مذهب سيبويه ، وهو أن علالة مضاف إلى المجرور الظاهر ، وبداهه فى الأصل مضاف إلى ضميره ، والتقدير : إلاّ علالة سابح أو بداهته ، ثم حذف الضمير وجعل بداهة بين المتضايفين ، إلى آخر ما ذكره . وسيأتى الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى يخاطب بها شيبان بن شهاب ، منها :

(وهناك يكذب ظنّكم ... أن لا اجتماعَ ولا زياره

ولا براءة للبَرِى ... ء ولا عطاء ولا خفاره

إلاّ عُلالة أوبُدا ... هة سابحٍ نهد الجزاره

إلى أن قال :

ولا نقاتل بالعصىّ ... ولا نُرامى بالحجاره)

يقول : إذا غزَونا كم علمتم أنّ ظنكم بأننا لانغزوكم كذب، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخيل والسلاح غازينَ لكم ، ومن كان بريئا منكم لم تنفعه براءته ، لأنّ الحرب إذا عظمت لحق شرها البرىء كما يلحق المسىء ، يريد إنّنا ننال منكم من المسىء والبرىء بما تكرهون ، ولا نقبل منكم عطاء ولا نعطيكم خفارة تفتدون بهما منا .

والخفارة بالضم والكسر : الذمة ، قال فى المصباح : « خَفَر بالعهد من باب ضرب وفى لغة من باب قتل ، إذا وفى به . وخفرت الرجل : حميته وأجرته من طالبه ، والاسم الخفارة بضم الخاء وكسرها » . وقوله (إلاّعلالة) استثناء منقطع من قوله (لا اجتماع[1]) أى لكن نزوركم بالخيل . والعُلالة بضم العين ٨٤

(١) فى النسختين : « لا اجتلى » ، تحريف . والأبيات فى ديوان الأعشى ١١٤ .

المهملة : بقية جرى الفرس وبقية كل شىء أيضا ، وهو من التعلّل بمعنى التلهّى. والبُداهة بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، وأو للاضراب . ووقع فى رواية ابن جنى فى سر الصناعة والخصائص تقديم (بداهة) فأو على هذا لأحدالشيئين . والسابح : الفرس الذى يدحُو الأرض بيديه فى العدْو ، ويروى بدله (القارح) وهو من الخيل : الذى بلغ أقصى أسنانه ، يقال قرَح ذو الحافر يقرَح بفتحهما قُروحا : انتهت أسنانه ، وذلك عند إكمال خمس سنين. والنَّهد بفتح النون : المرتفع . والُجزارة بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان ، وهذا فى الأصل فيما يذبح ، وسميت بذلك لأن الجزّار يأخذها فى مقابلة ذبحها ، كما يقال أخذ العامل عُمالته بالضم ، فبقى هذا الاسم عليها. يريد أنَّ فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعا، فإنَّه يستحب فى عنق الخيل الطول واللين . وقد فرق سليمان بن ربيعة بين العتاق والُهجن بالأعناق ، فدعا بطِسْت من ماء فوضعت بالأرض ، ثم قدّمت الخيل إليها واحداً واحدا ، فما ثنى سنبكه وهو مقدّم الحافر ثم شرب هَجَّنه ، وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا ، وذلك لأن فى أعناق الهجن قِصَرا ، فهى لا تنال الماء على تلك الحالة حتَّى تثنىَ سنابكها — ويستحبُّ أيضا أن يكون ما فوق الساقين من الفخذين طويلاً فيوصف حينئذ بطول القوائم . قال الشاعر :

شَرَحبٌ سَلهَبٌ كأنَّ رماحاً حَملته وفى السَّراة دموجُ

والشرحب والسلهب ، كلاهما على وزن جعفر ، بمعنى الطويل . والسراة بفتح المهملة : أعلى الظهر . والدموج : دخول بعض الشىء فى بعضه من شدته واكتنازه ، وأمَّا الساقان فيستحب قصرهما . وقال الشاعر :

له متن عَير وساقا ظليم(١)

(١) كتب الميمنى : « المصراع ذكره القالى ونقله البكرى ولم يثبت عليه شيئا » .

العير : الحمار الوحشى . والظليم : ذكر النّعام ، كذا فى أدب الكاتب لابن قتيبة ، وبه يعلم سقوط قول الشنتمرى : « النهد : الغليظ ، والجزارة : الرأس والقوائم ويستحب غلظهما مع قلة لحمهما » . وأوهى منه قول الجوهرى وتبعه صاحب العباب ونقله العينى : « إذا قالوا فرس نهد أو عبل الجزارة فإنما يراد غلظ اليدين والرجلين وكثرة عصبهما ، ولا يدخل الرأس فى هذا ، لأنّ عِظَم الرأس هجنة فى الخيل » . وخَبَط المطرّزى فى شرح المفصل خبط عشواء فقال : « يعنى كنا فى سفر أو حرب انقطع فيها جميع الأفراس عن السّير ، ولم يبق لها جرىٌ إلا علالة أو بداهة فرس سابح » . هذا كلامه ، وكأنه لم يقِف على ما قبله من الأبيات . « وقوله ولا نقاتل بالعصىّ الخ » يصف قومه بأنهم أصحاب حروب يقاتلون على الخيل ، لا أصحاب إبل يرعونها فيقاتل بعضهم بعضا بالعصىّ والحجارة .

(والأعشى) كنيته أبو بصير ، واسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب ابن علىّ بن بكر بن وائل . وكان أبوه قيس يدعى قتيل الجوع : وذلك أنه كان فى جبلٍ فدخل غاراً فوقعت صخرة من الجبل فسدّت فم الغار فمات فيه جوعا. ترجمة الأعشى

وكان الأعشى من فحول شعراء الجاهلية وممن قدّم على سائرهم ، سلك فى شعره كلَّ مسلك ، وقال فى أكثر أعاريض العرب ، وليس ممن تقدم من الفحول أكثرُ شعراً منه . وسُئل ابن أبى حفصة : من أشعر العرب ؟ قال : ٨٥
شيخا وائل : الأعشى فى الجاهليّة والأخطل فى الإسلام. وسئل يونس النحوى: من أشعر الناس ؟ قال : لا أومىء إلى رجل بعينه ، ولكنى أقول : امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

وهو أول من سأل بشعره . وكانوا يسمّونه صنّاجة العرب لجودة شعره . وكان أبو عمرو بن العلاء يفخّم منه ويعظّم محله ويقول : شاعر مُجيد ، كثير الأعاريض والافتنان . وإذا سئل عنه وعن لبيد قال : لبيد رجل صالح والأعشى رجل شاعر .

وروى المفضل بسنده عن الشعبي : قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : أدّبْهم برواية شعر الأعشى ، فإنه — قاتله الله — ما كان أعذبَ بحره وأصلب صخره !

قال المفضل : مَنْ زعم أن أحداً أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر .

وكان الأعشى يفد على الملوك لا سيما ملوك فارس ، ولذلك كثرُت الألفاظ الفارسية فى شعره ، قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء[1] : « وكان الأعشى جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام فى آخر عمره ، ورحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى صلح الحُدَيبية ، فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهه الذى يريد ، فقال : أردت محمداً . قال : إنه يحرّم عليك الخمر والزنى والقمار . قال : أما الزنى فقد تركنى ولم أتركه ، وأما الخمر فقد قضيتُ منها وطراً ، وأما القمار فلعلّى أصيب منه عوضاً . قال : فهل لك إلى خير من هذا ؟ قال : وما هو ؟ قال : بيننا وبينه (هدنة) فترجع عامك هذا ، وتأخذ مائة ناقة حمراء ، فإن ظفر بعد ذلك أتيته، وإن ظفرنا كنت قد أصبت من رحلتك عوضاً . فقال : لا أبا لى ! فأخذه أبو سفيان إلى منزله وجمع عليه أصحابه وقال : يا معشر قريش ، هذا أعشى قيس ، ولئن وصل إلى محمد ليُضَرِّبَنَّ[2] عليكم العرب قاطبة . فجمعوا له مائة ناقة حمراء ، فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بعيره فقتله . انتهى .

(١) الشعراء ٢١٢ .

(٢) التضريب : الإغراء .

وقال شارح ديوانه محمد بن حبيب : وكان الأعشى فيا روى رحل[1] عند ظهور النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى مكة ، وكان قد سمع قراءة الكتب ، فنزل عند عُتبة بن ربيعة ، فسمع به أبو جهل فأتاه فى فتية من قريش، وأهدى له هدية ثم سأله : ما جاء بك ؟ قال : جئت إلى محمد ، إنى كنت سمعت مبعثه فى الكتب لأنظر ماذا يقول ، وماذا يدعو إليه ، فقال أبو جهل : إنه يحرّم الزنى . فقال : لقد كبرت ومالى فى الزنى حاجة . قال : فإنّه يحرّم عليك الخمر. قال : فما أَحلّ ! ! فجعلوا يحدثونه بأسوأ ما يقدرون عليه . فقالوا : أنشدنا ما قلتَ فيه . فأنشد :

ألم تغتمض عيناكَ ليلة أرمدا   وعادك ما عاد السليمَ المسهّدا

وهى قصيدة جيّدة عدّتها أربعة وعشرون بيتاً ، فلما أنشدهم قالوا : هذا رجل لا يمدح أحداً إلا رفعه ، ولا يهجو أحداً إلاّ وضعه . فمن لنا يَصرِفه عن هذا الوجه ؟ فقال أبو جهل للأعشى : أما أنت فلو أنشدته هذه لم يقبلها . فلم يزالوا به ، لشقاوته ، حتّى صدُّوه وخرج من فورته حتّى وصل اليمامة[2] فمكث بها قليلاً ثم مات .

وروى ابن دأب وغيره أنّ الأعشى خرج يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال شعراً ، حتى إذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلتُه فقتلته ، فلما أنشد شعره الذى يقول فيه :

وآليتُ لا أرثى لها من كَلالةٍ   ولا من حَفًى حتَّى تُلاقى محمدا
متى ما تُناخِى عند باب ابن هاشم   تَراحِي وتلقَى من فواضله ندى

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط ثابتة فى سه .
(٢) الوجه : وصل إلى اليمامة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كاد ينجو ولمّا » .

وترد هذه القصيدة إن شاء الله مشروحةً فى شواهد مغنى اللبيب ، فإنه استشهد بغالب أبياتها ، ولم يقع منها شىء فى هذه الشواهد[1] .

وللأعشى أخبار أخر تأتى متفرقة فى شرح شواهد من شعره .

والأعشى فى اللغة : الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ، والمرأة عشواء ، وعشِىَ الرجل بالكسر عشاً بالقصر إذا ضعف بصره ، وكان هذا الأعشى عمى فى أواخر عمره . وعدة من هو أعشى من الشعراء سبعة عشر شاعراً ، ذكرهم الآمدى فى المؤتلف والمختلف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون :

٢٤ (حَلائلَ أسودِينَ وأحمرينا)

وأوله :

(فما وَجدتْ بناتُ بنى نِزار)

على أن جمع أسود وأحمر جمع تصحيح شاذٌ ، كما يجىء فى باب الجمع . وقال فى باب الجمع : فكل صفة لا تلحقها التاء فكأنها من قبيل الأسماء ، فلذا لم يُجمع هذا الجمعَ « أفعَل فَعْلاء وفَعْلان فَعلىٰ » . وأجاز ابن كيسان أحمرون وسكرانون ، واستدل بهذا البيت ، وهو عند غيره شاذ . اهـ .

وبناتُ فاعل وجدتْ ، وحلائل مفعوله ، ونِزار بكسر النون : هو والد مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان . والحلائل : جمع حليل بالحاء المهملة ، وهو

---

(١) يعنى شواهد شرح الرضى على الكافية .

الزوج . والحليلة : الزوجة ، سمّيا بذلك لأن كلاًّ منهما يحلّ للآخر ولا يحرُم ، أو لأن كلا منهما يحُلُّ من صاحبه محلًّا لا يحلّه غيره . وأسودين صفة حلائل .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لحكيم الأعور[1] ابن عَيّاش الكلبي[2] ، من شعراء الشام ، هجا بها مضر ورمى فيها امرأة الكميت بن زيد بأهل الحبس[3] ، لما فرّ منه بثياب امرأته .

وسبب حبس الكميت على وجه الاختصار ، أنّ حكيماً الأعور هذا كان وَلعاً بهجاء مُضَر ، فكانت شعراء مضر تهجوه وتجيبه ، وكان الكميت يقول : هو والله أشعر منكم ! قالوا : فأجِب الرجل ! قال : إنّ خالد بن عبدالله القسريّ محسنٌ إليّ فلا أقدر أن أردّ عليه . قالوا : فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ! فأنشدوه ذلك ، فحَمِيَ الكميتُ لعشيرته فقال المذهّبة التي أولها :

ألا حُيِّيتِ عَنّا يا مَدينا

وأحسن فيها ، وهي زُهاء ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيًّا من أحياء اليمن إلّا هجاهم . ومنها :

ولا أعني بذلك أسفليكم ولكنّي أريد به الذوينا

وتقدم شرحه ، وهو الشاهد السادس عشر ؛ وعرّض الكميت فيها بأخذ الفُرس والحبشة وغيرهما نساء اليمن بقوله :

لنا قمرُ السماء وكلُّ نجم تشير إليه أيدي المهتدينا

(١) الميمني : « حكم ، مصغر فيما أرى » .
(٢) ترجم له ياقوت في معجمه ١٠ : ٢٤٧ وورد ذكره في الحيوان ٢ : ٦ .
(٣) الحبس ، يعني السجن موضع الحبس .

وما ضَربت بناتِ بنى نزار هوائجُ من فحول الأعجمينا

وما حملوا الحميرَ على عِناق مطهمّـــة فيُلفَوا مُنغِلينا

٨٧ والهوائج : جمع هائج ، وهو الفحل الذى يشتهى الضراب . وبلغ خالداً القسرىَّ خبر هذه القصيدة فقال: والله لأقتلنه . ثم اشترى ثلاثين جارية فى نهاية الحسن فروّاهن القصائد الهاشميات للكميت ، ودسّهن مع نخّاس إلى هشام ابن عبد الملك فاشتراهنّ ، فأنشدنه يوماً القصائدَ المذكورة فكتب إلى خالد ، وكان يومئذ عامله بالعراق : أنِ ابعث إلىّ برأس الكميت . فأخذه خالد وحبسه ، فوجّه الكميت إلى امرأته ، ولبس ثيابها وتركها فى موضعه وهرب من الحبس ، فلما علم خالدُ أراد أن ينكّل بالمرأة ، فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا : ماسبيلك على امرأةٍ لنا خُدِعت ! فخافهم وخلّى سبيلَها ، ثم إنّ الكميت اتصل بَمسْلمة بن هشام ، فشفع فيه عندوالده فشفّعه .

وقيل : إنّ سبب هجاء الكميت أهل اليمن أنّ حكيما الأعور هذا ، كان يهجو علىَّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وبنى هاشم جميعاً ، وكان منقطعاً إلى بنى أمية ، فانتدبَ له الكميت رحمه الله تعالى ، فهجاه وسبّه وأجابه ، ولجّ الهجاء بينهما ، وكان الكميت يخاف أن يُفصح بشعره عن على رضى الله عنه ، لما وقع بينه وبين هشام ، وكأنُ يُظهر أنّ هجاءه إياه للعصبية التى بين عدنان جدّ مضر وبين قحطان أبى اليمن .

وقال المستهلّ بن الكميت يوماً لوالده ، لما افتخر فى قصيدةٍ بائية موحّدة ببنى أمية هاجياً بها قحطان : كيف فخرت ببنى أمية وأنت تشهد عليها بالكفر ، فهلّا فخرتَ بعلىّ وبنى هاشم الذين تتولّاهم ؟! فقال : يا بنى ، أنتَ تعلم انقطاع الكلبىّ إلى بنى أمية ، وهم أعداء على رضى الله عنه ، فلو ذكرتُ

عليا لترك ذكرى وأقبل على هجائه ، فأكون قد عرّضتُ عليّا له ولا أجد له ناصراً من بنى أمية ، ففخرت عليه ببنى أمية وقلت : إن نقَضها علىّ قتلوه ، وإن أمسكَ عن ذكرهم ثنيته عن الذى هو عليه . فكان كما قال ، أمسك الأعورُ الكلبىُّ عن جوابه فغلب عليه ، وأفحم الكلبى .

وقال الأعور الكلبى يوماً :

ماسرّنى أن أمّى من بنى أسد — وأنَّ ربىَ نجّانى من النارِ
وأنّهم زوجونى من بناتهم — وأنّ لى كلَّ يوم ألفَ دينار

فأجابه الكميت :

يا كلبُ مالَكَ أمٌّ من بنى أسد — معروفةٌ فاحترقْ يا كلبُ بالنارِ

فأجابه الكلبىّ :

لن يبرحَ اللؤمُ هذا الحىَّ من أسدٍ — حتى يُفرَّقَ بين السبت والأحدِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون :

٢٥ (قد صرَّتِ البَكرةُ يوماً أجمعا)

على أن الكوفيين جوّزوا تأكيد النكرة المحدودة . وقد أورده الشارح فى باب التوكيد أيضاً ، ويأتى الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى .

وهذا البيت مجهولٌ لا يعرف قائله ، حتّى قال جماعة من البصريين : إنه مصنوع .

والبكرة بفتح الموحدة وسكون الكاف ، إن كانت البكرة التى يستقى عليها الماء من البئر . فصرَّت بمعنى صوّتت ، من صرّ البابُ يَصِر صريراً

أى صوّت ، فيكون المعنى : ماانقطع استقاء الماء من البئر يوماً كاملاً ؛ وإن كانت الفتيَّةَ من الإبل مؤنث البَكر وهو الفتيُّ منها — قال أبوعبيدة :

٨٨ البَكر من الإبل بمنزلة الفتى من الإنسان . والبَكرة بمنزلة الفتاة ، والقلوص بمنزلة الجارية والبعير بمنزلة الإنسان ، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة — فصُرّت بالبناء للمفعول ، يقال صَررتُ الناقة : شددت عليها الصِّرار ، وهو خيطٌ يشدّ فوقَ الخِلف والتَّودِية لئلا يرضعها ولدها . والفتيُّ بفتح الفاء وكسر المثناة وتشديد الياء ، هو من الدوابّ:خلاف المسنّ ، وهو كالشابّ من الناس ؛ والأنثى فتيّة ؛ والفتى بالقصر : الشابّ ، والأنثى فتاة . والخِلف بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام : هو لذوات الخف كالثدى للإنسان . والتودية ، بفتح المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر الدال وتخفيف المثناة التحتية ، هى خشبة تشدّ على خِلف الناقة إذا صُرَّت ، وجمعها تَوادٍ كمساجد .

قال العينى ، بعد أن شرحه على الوجه الأول : صدره :

(إنَّا إذا خُطَّافنا تقعقعا)

وفيه نظر من وجهين : الأول أن بيت الشاهد بيت من الرجز ، وليس مصراعاً من بيت حتى يكون ما ذكره صدره .

والثانى : أنه غير مرتبط ببيت الشاهد فإنّ بيت الشاهد لا يصح أن يكون خبراً لقوله (إنّا) ولا جواباً (لإذا) ، اللهم إلاّ إن قدر الرابط ، أى صرت البكرة فيه ، وتكون حينئذ الجملة الشرطية خبراً لإنّا . فافهم . والخُطّاف بالضم والتشديد : حديدة معوجّة تكون فى جانبى البَكْرة فيها المحور ، وكل حديدة معطوفة خطاف . والقعقعة : تحريك الشيء اليابس الصُّلب مع صوت ، والتقعقع مطاوعه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون ، وهو من شواهد المفصل[١] :

٢٦ (أتانى وعيدُ الُحوص من آل جعفر
فيا عَبد عَمرٍو لو نهيتَ الأحاوصا !)

على أن الأحوص بالنظر إلى الوصفية جمع على (الحوص) ، وبالنظر إلى نقله إلى الاسمية بالغلبة جمع على الأحاوص .

وهذا البيت أورده الزمخشرى فى المفصل على أنَّ الأحوص يجمع على هذين الجمعين : أحدهما فُعْل ، ولا يجمع على هذا إلا أفعل صفة ، وشرطه أن يكون مؤنثه على فَعلاء كما هو مبيَّن فى جمع التكسير ، والثانى أفاعل ، ولا يجمع على هذا إلاَّ أفعل اسماً أو أفعل التفضيل .

والبيت من قصيدة لأعشى قيس ، نفَّر فيها عامرَ بن الطُفيل ، قاتله الله تعالى ، ابن مالك بن جعفر ، على ابن عمه عَلقمة الصحابى ، رضى الله عنه ، ابن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة الكلابىّ العامرىّ . قال فى الاستيعاب : وكان سيِّداً فى قومه حليما عاقلا ، ولم يكن فيه ذاك الكرم . صاحب الشاهد

و (الوعيد) : التهديد والتخويف . وأراد بالحوص والأحاوص : أولاد الأحوص بن جعفر ، وهم عوف بن الأحوص ، وعمرو بن الأحوص ، وشُريح ابن الأحوص . والأحوص اسمه ربيعة ، سمِّى أحوص لضيقٍ كان فى عينه . قال فى الصحاح : والحوص أى بمهملتين : ضيق فى مُؤْخر العين ، والرجل أحوص ، ويقال بل هو الضيِّق فى إحدى العينين ، والمرأة حوصاء . وعبدعمرو :

(١) ابن يعيش ٥ : ٦٢ ، ٦٣ . وهو فى ديوان الأعشى ١٠٩ .

قال ابن السيرافى فى شرحه لشواهد إصلاح المنطق : هو عبد بن عمرو ابن الأحوص ، وقال فى الصحاح : عبد عمرو وهو ابن شريح بن الأحوص . وجواب (لو) محذوف أى لو نهيتهم لكان خيراً لهم ، ويجوز أن تكون للتمنى على سبيل التهكم ، وإنّما وجه الخطاب إليه لأنّه كان رئيسَهم حينئذ . وإنما قال الأعشى هذا الكلام لأنَّ علقمة بن عُلاثة كان أوعده بالقتل ، ويدل عليه قوله بعد هذا بأبيات :

(فإن تتعِدْنى أتعدْك بمثلها وسوفَ أزيد الباقياتِ القوارصا)

والقوارص : الكلمات المؤذية ، يريد إنى أزيدك على الإيعاد بقصائد الهجو . ولولا أنها فى صحابىِّ لأوردت منها أبياتا .

وكان سبب تهديد علقمة بالقتل للأعشى : هو أنَّ علقمة بن علاثة كان نافرَ ابنَ عمه عامر بن الطفيل — وكان علقمةُ كريماً رئيسا ، وكان عامر عاهراً سفيهاً — وساقا إبلا جمّة لينحر لها المنفِّر(١) ، فهاب حكّام العرب أن يحكموا بينهما بشىء ، وأتوا هرِم بن قُطبة بن سنان فقال : أنتما كركبتى البعير تقعان معا وتنهضان معا(٢) ، قالا : فأيّنا اليُمنَى ؟ قال : كلا كما يمين . وأقاما سَنة لا يجسر أحد أن يحكم بينهما بشىء ، إلى أن جاء الأعشى علقمة مستجيرًا به ، فقال . أجيرك من الأسود والاحمر . قال : ومن الموت ؟ قال : لا . فأتى عامرا فقال له مثل ذلك ، فقال : ومن الموت ؟ قال : نعم . قال : وكيف ؟ قال إن متّ فى جوارى وَدَيتك . فقال علقمة : لو علمت أن ذلك مرادُه لهان علىّ . ثم إن الأعشى ركب ناقته ووقف فى نادِى القوم وأنشدهم قصيدة نفّر فيها عامرا على علقمة ، منها :

---

(١) نفره على صاحبه تنفيرا : قضى له عليه بالغلبة .

(٢) فى النسختين : « يقعان معا وينهضان معا » . والركبة مؤنثة .

أقول لمـا جاءنى فخره سبحان من علقمةَ الفاخرِ

ومنها :

ولستَ بالأكثر منهم حصى وإنمـا العزةُ للـكاثر

وهما شاهدان من شواهد هذا الـكتاب ، وسيأتى شرحهما إن شاء الله تعالى فى محلِّهما . وبعد أن أنشد القصيدةَ نادى الناسُ : نُفِّرعامرٌ على علقمة ؛ ورووا الشعر وأمضوا حكم الأعشى . ودعواه أنّهما حكّماه باطلة كما يعلمه الناس ، وكان رأى هرِم خلاف ذلك . فلما سمع علقمة بهذا هدّده بالقتل ، فقال الأعشى هذه القصيدة الصادية .

ومعنى المنافرة ، كما فى الصحاح : المحاكمة فى الحسب ، يقال نافره فنفره ينفُره بالضم لا غير ، أى غلبه . والمنفور : المغلوب . والنافر : الغالب . ونفَّره عليه تنفيرا أى قضى عليه بالغلبة ، وكذلك أنفره . والحسب هو من الُحسبان وهو ما يعدُّه الإنسان من مفاخر آبائه ، ويقال حسبه : دينه . ويقال ماله . وقال ابن السكيت : الحسب والـكرم يكونان فى الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، والمجد لا يكون إلاّ بالآباء .

وترجمة الأعشى مرت فى الشاهد الثالث والعشرين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون :

٢٧ (يأبى الظُّلامةَ منه النَّوفلُ الزُّفَرُ)

وأوله : (أخو رغائبَ يعطيها ويُسألُها)

على أنّ الزفر بمعنى السيد ؛ قال الشارح المحقق فى فُعَل ، بضم الفاء إذا كان علما : « يشترط لمنع صرفه جمع شرطين : ثبوت فاعل وعدم فعل

(١) انظر ما مضى فى ص ١٧٥ .

قبل العلمية . أما عُمر وزفر علمين فكان الواجب صرفهما ، لأنّه لما جاء لهما فاعل قبل العلمية جاء فُعَل أيضا نحو عمر جمع عمرة . والزُّفر : السيِّد . قال الأعشى » . وأنشد الشعر ، ثم قال : « لكنهما لما سمّا غير منصرفين حكمنا بأنهما علمان غير منقولين عن فُعَل الجنسيّ ، بل هما معدولان عن فاعل » انتهى . يفهم منه أنه لم يسمع صرف زفر فى العلمية لكن يجوز صرفه باعتبار كونه معدولا من الزافر[1] ، كما صرح به ابن جنى ، ناقلا عن أبى علىّ ، فى كتابه المبهج[2] وهو شرح أسماء شعراء الحماسة ، وعبارته : « زفر معدول عن زافر ، ولذلك لم يصرف لاجتماع التعريف والعدل فيه ، ويدل على أنّه معدول أنّك لا تجده فى الأجناس كما تجد نحو صُردَ ونُغَر ؛ وأما قوله :

يأبى الظُّلامة منه النوفل الزُّفَرَ

فقال أبو على : إنَّك لو سميت بهذا صرفته كما تصرفه إذا سمَّيته صردا وجُرَذا وحُطَما ولبدا » . وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب[3] : « الزفر الناهض بحمله ، وليس زفر هذا الاسم منقولا من هذا الوصف ، ولو كان كذلك لوجب صرفه ، ألا تعلم أن فُعَلاً المعدول عن فاعل لا يجوز دخول اللام عليه ، وذلك نحو زحل وقثم . وقد قال :

يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

فدخول اللام عليه يعرِّفك أنّ زفر الذى ليس مصروفا ليس بهذا لداخليَّة اللام ، ولو سمَّيت رجلا بزفر هذا بعد خلعك اللام عنه لوجب صرفه ، لأنّه حينئذ كصرد ونغر[4] . وهذا واضحٌ ، وهو رأى أبى على وتفسيره » . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « الزفر » . (٢) المبهج لابن جنى ص ٢٠ .
(٣) المبهج لابن جنى ص ٤٩ .
(٤) فى المبهج : « لأنه حينئذ كان يكون كصرد ونغر وجعل » .

والأخ هنا بمعنى المُلابس والملازم للشيء ، فإنّ العرب استعملت الأخ على أربعة أوجه : أحدها هذا كقولهم : أخو الحرب ، والثانى : المجانس والمشابه كقولهم : هذا الثوب أخو هذا ، والثالث : الصديق ، والرابع : أخو النسب وهو قسمان : نسب قرابة وهو المشهور ، ونسب قبيلة وقوم ، كقولهم : يا أخا تميم يا أخا فَزارة ، لمن هو منهم ، وبه فسر قوله تعالى: « يا أختَ هَرُون ». والرغائب : جمع رَغيبة وهى العطايا الكثيرة ، كذا فى الصحاح ، وفى شرح شواهد الغريب المصنَّف لابن السيرافى : والرغائب الأشياء التى يرغب فيها . يريد يعطى مايرغب الرجال فى ادّخاره ويحرصون على التمسك به لنفاسته . وأخو خبر مبتدإ محذوف ، أى هو أخو رغائب ، وجملة يعطيها ويسألها مفسّرة لوجه الملابسة فى قوله : أخو رغائب . ويُسألها بالبناء للمجهول : من السؤال ، ويروى موضعه و (يَسلُبها) بالبناء للمعلوم من السلب . والظُّلامة بالضم ، ومثله الظليمة والمظلمة بكسر اللام وضمها ، وهو ماتطلبه عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ منك. والنَّوفل : البحر ، والكثير العطاء ، وقال ثعلب : النوفل العزيز الذى ينفل عنه الضيمَ أى يدفعه . والزُّفر : الكثير الناصرِ والأهلِ والعدةِ . وقال فى الصحاح : هو السيّد ، لأنه يزدفر أى يتحمل بالأموال فى الحَمالات من دين ودية مطيقاً لها ، وأنشد هذا البيت ثم قال : وإنما يريده بعينه[1] ، كقولك لئن لقيتَ فلانا ليلقينك منه الأسد . ومحصل كلامهم أن (من) تجريدية ، والتجريد — كما فى الكشف — هو تجريد المعنى المراد عما قام به ، تصويراً له بصورة المستقل مع إثبات ملابسةٍ بينه وبين القائم به بأداة أو سياق .

وهذا البيت من قصيدة عدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتاً لأعشى باهلة ، رثى صاحب الشاهد

(١) انظر الصحاح (زفر) . وعبارته تخالف ما هنا . وانظر ترجمة الصحاح فى كشف الظنون .

بها المنتشِر بن وهبٍ الباهلى ، قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف[١] : « أعشى باهلة يكنى أبا قُحفان ، جاهلى، واسمه عامر بن الحارث ، أحد بنى عامر بن عوف
٩١ ابن وائل بن معن ؛ ومعن أبو باهلة ، وباهلة امرأة من همْدان . وهو الشاعر المشهور صاحب القصيدة المرثية فى أخيه لأمّه : المنتشر » انتهى .

ترجمة المنتشر

والمنتشر هو كما قال أبو عبيدة : ابن وهب بن سلَمة بن كَرَاثة[٢] بن هلال بن عمرو بن سلامة بن ثَعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . وكان المنتشر رئيساً فارساً . وكان رئيس الأبناء[٣] يوم أرمام ، وهو أحد يومى مُضَر فى اليمن ، كان يوماً عظيما قتل فيه مُرّة بن عاهان ، وصَلاءة بن العنبر ، والجوح ، ومعارك .

وقال الأصمعى : المنتشر هو ابن هُبيرة بن وهب بن عوف بن حارث بن ورقة بن مالك .

قال السيد المرتضى فى أماليه المسماة (غرر الفوائد ودرر القلائد)[٤] : « وهذه القصيدة من المراثى المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة » قال : « وقد رُويت أنَّها للدعجاء أخت المنتشر ، وقيل لليلى أخته » قال : « ومن هنا اشتبه الأمر على عبد الملك بن مروان فظنَّ أنها لليلى الأخيلية » .

وينبغى أن نورد هذه القصيدة مشروحة لأمور : منها أنها نادرة قلّما توجد ، ومنها أنهـا جيدة فى بابها ، ومنها أن كثيراً من أبياتها شواهد فى كتب العلماء .

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ١٤ . والنص هنا أوفى مما هناك .

(٢) من الكراث ، كسحاب ، وهى ضرب من النبات جبلى يستمشون بلبنه . وانظر اللسان (كرث) .

(٣) الأبناء : م أبناء عسكر الفرس الذين أعانوا سيف بن ذى يزن على الحبشة . وفى ط : « الأنباء » صوابه فى ﺳـﻪ .

(٤) أمالى المرتضى ٢ : ٢٤ .

ونورد أولا خبر المنتشر ، حتّى يظهر بناء القصيدة عليه . وكان من حديثه على مارواه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب فى روايته ديوان الأعشى قال : « خرج المنتشر بن وهب الباهلى يريد حجّ ذى الخلَصة ، ومعه غِلمة من قومه ، والأقيصر بن جابر أخو بنى فَرّاص — وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له — فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب ، وطريقُه عليهم — وكان من حجّ ذا الخلصة أهدى له هَدياً يتحرَّم به ممن لقيه — فلم يكن مع المنتشر هَدىٌ ، فسار حتّى إذا كان بهضب النِّباع انكسر له بعضُ غلمته الذين كانوا معه فصعِدوا فى شعب من النّباع ، فقالوا فى غار فيه ، وكان الأقيصر يتكهّن ، وأنذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب ، فقال الأقيصر : النَّجاء يامنتشر فقد أُتيتَ ؛ فقال : لا أبرح حتى أبرُد[1] . فمضى الأقيصر وأقام المنتشر وأتاه غِلمته بسلاحه ، وأراد قتالهم فأمّنوه ؛ وكان قد أسر رجلا من بنى الحارث بن كعب يقال له هند بن أسماء ابن زنباع ، فسأله أن يَفدىَ نفسه فأبطأ عليه فقطع أنملة ، ثم أبطأ فقطع منه أخرى ، وقد أمنه القوم ووضع سلاحه ، فقال : أتؤمنون مقطَّعاً ؟ وإلٰهى لأؤمّنه ؛ ثم قتله ، وقتَل غلمته . انتهى .

وذو الخَلصة ، بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة : الكعبة اليمانية التى كانت باليمن ، أنفذ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبدالله فخرّبها . وقيل هو بيت كان فيه صنمٌ لدوس وخَثعم وبجيلة وغيرهم . كذا فى النهاية لابن الأثير . وفى الصحاح : هو بيت لخثعم كان يُدعى الكعبة اليمانية ، وكان فيه صنم يدعى الخلصة فهدم . وفى شرح البخارى لابن حجر : « ذو الخلصة بفتح الخاء المعجمة واللام بعدها مهملة . وحكى ابن دُرَيد فتح

(١) يقال برد يبرد بردا : مات .

أوله وإسكان ثانيه . وحكى ابن هشام ضمهما ، وقيل بفتح أوله وضم ثانيه ، والأول أشهر . والخلصة : نبات له حبٌّ أحمر كخرز العقيق ، وذو الخلصة : اسم البيت الذى كان فيه الصنم ، وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذوالخلصة وحكى المبرد أن موضع ذى الخلصة صار مسجداً جامعاً لبلدة يقال لهاالعبلات[1] من أرض خثعم ، ووهم من قال إنه كان فى بلاد فارس » . انتهى .

٩٢٠ ورأيت فى كتاب الأصنام لابن الكلبى : أن ذا الخلصة « كان مروةً بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرةَ سبع ليال من مكة ، وكان سدنتَها بنو أمامة من باهلة بن أعصر ، وكانت تعظّمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السّراة[2] ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن ، وفيها يقول خِداش بن زهير العامرى لعَثعث بن وحشىّ[3] فى عهدٍ كان بينهم فغدر بهم :

وذكّرته بالله بينى وبينه ... وما بيننا من هذه لو تذكّرا
وبالمروة البيضاء يوم تَبالة ... ومحبسة النعمان حيث تنصّرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ، ووفدت عليه وفودها ، قدم عليه جرير بن عبد الله مسْلماً : فقال له : يا جرير ألا تكفينى ذا الخلصة ؟ فقال : بلى ! فوجّهه إليه ، فخرج حتى أتى أحمس من بَجيلة فسار بهم إليه . فقاتلته خثعم وباهلة دونه ، فقتل من سدنته من باهلة

---

(١) فى معجم البلدان (العبلاء) : « والعبلاء وقيل العبلات : بلد لخثعم كان بها ذو الخلصة ، بيت وصنم لهم » . وفى ط : « العيلات » ، صوابه بالباء الموحدة كما فى سـ .

(٢) ط : « بوادى الصراة » ، وأثبت ما فى سـ والأصنام ٣٥ .

(٣) ط : « لعقبة بن وحشى » ، صوابه فى سـ مع أثر تصحيح ، ومن الأصنام وياقوت .

يومئذ مائة رجل ، وأكثر القتلَ فى خثعم وقتل مائتين من بنى قُحافة بن عامر ابن خثعم ، فظفر بهم وهزمهم ، وهدم بنيان ذى الخلصة ، وأضرم فيه النار فاحترق . وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تَبالة . وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدُّنيا حتى تصطكّ ألَيات نساء دَوس على ذى الخَلصة ، يعبدونه كما كانوا يعبدونه[1] » . انتهى .

والقصيدة هذه :

(إنى أتتنى لسانٌ لا أُسَرّ بها ‏ ‏ من عَلْو لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ)

هذا البيت أورده الشارح المحقق ، فى الظروف ، على أن علو روى بضم الواو وكسرها وفتحها .

واستشهد به صاحب الكشاف على أن اللسان فى قوله تعالى : « وجَعَلْنا لهم لسانَ صِدْق عَلِيًّا[2] » أطلق على ما يوجد بها من العطية . واللسان هنا بمعنى الرسالة ، وأراد بها نعى المنتشر ، ولهذا أنّث له الفعل ، فإنه إذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسُن ، وإذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة . روى ثعلب :

إنى أُتيت بشىء لا أُسَرّ به ‏ ‏ من علوَ لا عجب فيه ولا سَخَرُ

وروى أبو زيد فى نوادره :

إنى أتانىَ شىء لا أُسرُّ به ‏ ‏ من عَلُ لا عَجَب فيه ولا سخر

قال : ويروى من عُلو وسخر بضمتَين . قال فى الصحاح : « وعلو مثلث الواو ، أى أتانى خبر من أعلى نجد » . وقال أبو عبيدة : أراد العالية . وقال ثعلب

---

(١) انظر الحديث رقم ٩١٩ من الألف المختارة من صحيح البخارى .

(٢) الآية ٥٠ من سورة مريم .

أى من أعالى البلاد . ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمها، ومن علا، ومن أعلى، ومن مَعال . وقوله (لا عجب) الخ ، أى لا أعجب منها، وإن كانت عظيمة ، لأن مصائب الدنيا كثيرة ؛ (ولا سخر) : بالموت ، وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية ، وهو بفتحتين وبضمتين : مصدر سخر منه كفرح وسخرا بضمتين ومسخرا : استهزأ به .

(فظَلتُ مكتئباً حرّانَ أندُبه وكنت أحذره لو ينفع الحذرُ)

٩٢ وروى : وكنت ذا حذر .

(فجاشتِ النفسُ لمَّا جاء جمْعهم وراكبٌ جاء من تَثليثَ معتمِرُ)

فى الصحاح : « جاشت نفسه أى غثت ، ويقال دارت للغثيان . فإن أردت أنها ارتفعت من حزن أو فزع قلت جشأت ، بالهمز » . وروى بدل جمعهم أى الذين شهدوا مقتله : (فَلُّهم) بفتح الفاء وتشديد اللام ؛ يقال جاء فلّ القوم أى منهزموهم ، يستوى فيه الواحد والجمع ، وربَّما قالوا : فلول وفِلال . وتثليث بالمثلثة : اسم موضع[1] . ومعتمر صفة راكب بمعنى زائر ، ويقال من عمرة الحج .

(يأتى على الناس لا يَلوِى على أحدٍ حتّى التقينا وكانت دوننا مضرُ)

فاعل يأتى ضمير الراكب . ويلوى : مضارع لوى بمعنى توقف وعَرّج ، أى يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرِّج على أحد حتى أتانى ؛ لأنى كنت صديقه . ودون بمعنى قُدّام .

(إنّ الذى جِئتَ من تثليثَ تندُبه منه السَّماحُ ومنه النَّهى والغِيرُ)

أى فقلت لهذا الراكب : إن الذى جئت الخ ، يقال ندب الميت من باب

(١) موضع بالحجاز قرب مكة ، كما فى معجم البلدان .

نصر : بكى عليه وعدّد محاسنه . وجملة « منه السماح » الخ خبر إن . والنهى : خلافُ الأمر . والغِير ، بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية : اسم من غيرت الشيء فتغير ، أقامه مقام الأمر .

(ينعَى امرأً لا تغِبّ الحيَّ جَفنتهُ إذا الكواكب أخطا نوءها المطر)

النعى : خبر الموت ، يقال نعاه ينعاه . قال الأصمعى : كانت العرب إذا مات ميت له قدرٌ ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول : نَعاءِ فلاناً . أى انعه وأظهر خبر وفاته ؛ وهى مبنية على الكسر . ولا يغبّ : هو من قولهم فلانٌ لا يُغِبّنا عطاؤه ، أى لا يأتينا يوما دون يوم ، بل يأتينا كل يوم. والجفنة : القصعة . وأخطاه كتخطاه : تجاوزه . والنوء : سقوط نجم من المنازلْ فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبِه من المشرق يقابله من ساعته فى كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما ، وهكذا كل نجم إلى انقضاء السنة. وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها . يريد أن جفانه لا تنقطع فى القحط والشدة :

(ورَاحت الشَّولُ مغبرًّا مناكبُها شُعثا تغيّر منها النَّىّ والوبرُ)

معطوف على مدخول (إذا) . فى القاموس : « الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفّ لبنها ، والجمع شَول على غير قياس » . وفى النهاية : الشول مصدر شال لبن الناقة أى ارتفع ، وتسمى الناقة الشَّول أى ذات شَول ، لأنه لم يبق فى ضرعها إلاّ شَول من لبن أى بقية ، ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها[1]. وروى (مباءتُها) أى مَراحُها ، بدل مناكبها . و (مغبرّا) يعنى من الرّياح والعَجاج . والنَّىّ بفتح النون : الشحم ،

(١) فى النقل من النهاية بعض التصرف .

ومصدر نوت الناقة تنوى نواية ونيّا إذا سمنت ، يريد أن الجدب وقلة المرعى خشّن لحمها وغيّره .

(وألجأ الـكلبَ مبيَضُّ الصقيع به وألجأ الحىَّ من تَنفاحِهِ الحُجَرُ)

معطوف أيضا على مدخول إذا . وألجأ : اضطرّ ، ويروى : (أجحر) يقال
٩٤ أجحرته أى ألجأته إلى أن دخل جحره . والصّقيع : الجليد . وتنفاحه : ضربه ، وهو مصدر نفحت الريح ، إذا هبّت باردة ، والضمير للصقيع ، والباء فى به بمعنى على ، والضمير للـكلب . والحُجَر بضم الحاء وفتح الجيم : جمع حجرة بالضم : الغرفة ، وحظيرة الإبل من شجر . يقول : هو فى مثل هذه الأيام الشديدة يطعم الناس الطعام .

(عليه أوّلُ زادِ القوم قد علموا ثم المطىُّ إذا ما أرملوا جُزُرُ)

يعنى أنه يرتّب على نفسه زاد أصحابه أوّلا ، وإذا فنى الزاد نحرَ لهم . وأرمل الرجلُ : نفد زاده . والمطىّ : جمع مطية ، وهى الناقة . والجزر بضمتين : جمع جَزور ، وهى الناقة التى تنحر ، وروى بفتحتين : جمع جَزرة ، وهى الناقة والشاة تذبح .

(قد تَـكظِم البُزْلُ منه حين تبصره حتَّى تقطَّعَ فى أعناقها الجِرَرُ)

ويروى :

* وتفزع الشول منه حين يفجؤها *

يقال : كظم البعير بالفتح يكظم بالـكسر كظوما ، إذا أمسك عن الجرّة . وقيل : الـكظم : أن لا يجترّ لشدة الفزع إذا رأت السيف : والبزل : جمع بازل ، وهو الداخل فى السنة التاسعة . والجِرر : جمع جرة بكسر الجيم فيهما ، وهى ما يخرجه البعير للاجترار . يقول : تعوّدت الإبل أنه يَعقِر منها ، فإذا

رأته كظمت على جرّتها فزعا منه . وتَقطع فعل مضارع منصوب بأن[1]

(أخو رغائبَ يعطيها ويُسألها　　يأبى الظُّلامةَ منه النوفلُ الزُفر
لم تر أرضاً ولم تسمع بساكنها　　إلاّ بها من نوادِي وقعه أثر)

نوادي كل شيء بالنون : أوائله وما ندر منه ، واحدُه نادية ، ومنه قولهم : لا ينداك منى سوء أبدا ، أى لا يندر إليك . والوقع : النزول .

(وليس فيه إذا استنظرته عجلٌ　　وليس فيه إذا ياسرته عَسَرُ
وإنْ يُصبْك عدوٌ فى مناوَأة　　يوما فقد كنت َتستعلى وتنتصِر)

ويروى : « فقد كان يستعلى وينتصر » . المناوأة : المعاداة ، يقال ناوأت الرجل مناوأة . وقيل هى المحاربة ، ناوأته أى حاربته . قال الشاعر :

إذا أنت ناوأت القرون فلم تنؤ　　بقرنين عَزّتك القرونُ الكوامل[2]

(من ليس فى خيره مَنٌّ يكدّره　　على الصديق ولا فى صفوه كدر
أخو شُرُوب ومكسابٌ إذا عَدِموا　　وفى المخافة منه الجدُّ والحذر)

الشُّروب : جمع شَرب وهو جمع شارب ، كصحب جمع صاحب . ويروى (أخو حروب) . والمكساب : مبالغة كاسب . والعُدم : الفقر ، وفعله من باب فرح .

(مِردَى حروبٍ ونورٌ يستضاء به　　كما أضاء سوادَ الظلمة القمر)

المردى بكسر الميم ، قال فى الصحاح « هو حجر يُرمى به ، ومنه قيل للشجاع : إنه لمردى حروب » . ومعناه أنّه يقذف فى الحروب ويرَجم فيها . وروى :

(١) وحذفت إحدى التاءين فى أول الفعل تخفيفا .
(٢) عزتك : غلبتك . وفى ط : « غرتك » صوابه فى سه .

* كما أضاء سواد الطخية القمر *

الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة : الظلمة . والطَّخياء بالمد : الليلة
٩٥ المظلمة . يريد أنه كاملٌ شجاعةً وعقلا ، فشجاعتُه كونه يرمى فى الحروب ،
وعقله كون رأيه نوراً يستضاء به ، وهما وصفان متضادان غالبا .

(مُهفهَف أهضَم الكَشحين منخرقٌ عنه القميصُ لسير الليل محتَقِرُ)

المهفهف : الخميص البطن الدقيق الخصر . والأهضم : المنضمّ الجنبين . والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ؛ وهذا مدحٌ عند العرب ، فإنّها تمدح الهزال والضمر وتذمّ السمن . وفى العباب : ورجل منخرق السربال ، إذا طال سفره فشققت ثيابه . ولسير الليل متعلق بما بعده ، وهذا يدلّ على الجلادة وتحمّل الشدائد .

(طاوى المَصير على العَزّاء مُنجرِد بالقوم ليلةَ لا ماءٍ ولا شجر)

الطوى : الجوع ، وفعله من باب فرح ؛ وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً إذا تعمّد الجوع . والمصير : المِعَى الرقيق ، وجمعه مُصران ، كرغيف ورغفان ، وجمع هذا مصارين ، أراد طاوى البطن . والعزّاء بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة : الشدّة والجهد . وقال فى الصحاح : هى السنة الشديدة . والمنجرد : المتشمّر . وقوله « ليلة لا ماءٍ ولا شجر » أى يُرعَى .

(لا يُصعِب الأمرَ إلاّ ريث يركبه وكلَّ أمرٍ سوى الفحشاء يأتمر)

أصعب الأمر : وجده صعباً . وكلّ : مفعول مقدم ليأتمر ، أى يفعل كل خير ولا يدنو من الفاحشة[1] .

---

(١) انظر المواهب الفتحية ٢ : ٢١ .

(لا يهتِكُ السِتر عن أُنثى يُطالعها ولا يُشَدّ إلى جاراته النظرُ)

(لا يتأرَّى لما في القِدر يرقُبه ولا يعضّ على شُرْسوفه الصَّفَرُ)

لا يتأرّى : لا يتحبس ويتلبّث ، يقال تأرى بالمكان ، إذا أقام فيه ، أى لا يلبث لإدراك طعام القدر . وجملة يرقبه حال من المستتر فى يتأرّى ، يمدحه بأنّ همته ليست فى المطعم والمشرب ، وإنما همته فى طلب المعالى ، فليس يرقب نُضج ما فى القدر إذا همّ بأمر له شرف ، بل يتركها ويمضى . والشُّرسوف : طرف الضلع . والصَّفَر : دُوَيْبّة مثل الحيّة تكون فى البطن تعترى مَن به شدّةُ الجوع ، قال فى النهاية ، فى حديث « لا عَدوى ولا هامةَ ولا صَفَر » : إنّ العرب كانت تزعم أن فى البطن حيّة يقال لها الصَّفَر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه ، [وأنّها تعدى(١)] ، فأبطل الإسلام ذلك . وقيل أراد به النبىُّ صلى الله عليه وسلم النسىء الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية : وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام ، فأبطله . انتهى . ولم يرد الشاعر أن فى جوفه صفراً لا يعضُّ على شراسيفه ، وإنما أراد أنه لا صَفَر فى جوفه فيعضّ(٢) . يصفه بشدة الخلق وصحة البنية .

(لا يَغمِز الساقَ من أينٍ ولا وَصبٍ ولا يزال أمامَ القوم يَقتفِر)

لا يغمز الساق : لا يجسُّها(٣) يصف جَلَده وتحمله للمشاق . والأين : الإعياء . والوصب : الوجع والاقتفار بتقديم القاف على الفاء : اتّباع الآثار . فى الصحاح : وقفرت أثره أقفره بالضم ، أى قفوته ، واقتفرت مثله . وأنشد هذا

(١) التكملة من النهاية .

(٢) ومثله فى هذا قول ابن احمر .

* ولا ترى الضب بها ينجحر *

أى ليس بها ضباب تنجحر . وانظر الخزانة ٤ : ٢٧٣ .

(٣) ط : « لا يجبها » ، صوابه فى س .

٦٩ البيت . ورواه أبو العباس فى شرح نوادر أبى زيد[١] (يُقتفر) بالبناء للمجهول ، ومعناه أنه يفوت الناس فيتبع ولا يُلحق .

(لا يأمنُ الناسُ مُمساه ومُصبَحَه ... فى كل فجّ وإن لم يَغزُ يُنتظرُ)

أى لا يأمنه الناس على كلّ حال سواء كان غازياً أم لا ، فإن كان غازياً يخافون أن يغير عليهم ، وإن لم يكن غازياً فإنهم فى قلق أيضاً ، لأنهم يترقبون غزوه وينتظرونه .

(تَكفيه حُزّة فِلذانٍ ألمَّ بها ... من الشِّواءِ ويُروى شُربَه الغُمَر)

الحُزّة بضم الحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة : قطعة من اللحم قطعت طولا . والفِلذان : جمع فِلذ. بكسر الفاء فيهما : القطعة من الكبد واللحم. وألمّ بها : أصابها ، يعنى أكلها. والغُمر بضم الغين المعجمة وفتح الميم : قدَح صغير لا يروى .

(لا تأمنُ البازلُ الكَوماء عَدوتَه ... ولا الأمونُ إذا ما اخرَوَّطَ السَّفَر)

البازل : البعير الذى فطر نابُه بدخوله فى السنة التاسعة ، ويقال للناقة بازل أيضاً يستوى فيه الذكر والأنثى . والكوماء بالفتح : الناقة العظيمة السَّنام . والعَدوة : التعدّى ، فإنه ينحرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل ، أو شابّة كالأمون ، وهى الناقة الموثّقة الخَلق يؤمن عثارها وضعفها . واخروّط: امتدّ وطال .

(كأنَّه بعد صدق القوم أنفسَهم ... باليأس تلمع من قدّامه البُشُر)

لمع : أضاء . والبُشر بضمتين : جمع بشير ، يقول : إذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدّامَه بشيرٌ يبشّره

(١) نوادر أبى زيد ص ٧٦ ، وهى إحدى روايتين فيه .

بالظفر والنجاح ، فهو منطلق الوجه نشيط غير كسلان . قال السيد المرتضى فى أماليه[1] : « قال المبرد لا نعلم بيتا فى يمن النقيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت » .

(لا يُعجل القومَ أن تغلى مراجلُهم   ويُدلج الليلَ حتّى يفسحَ البصَرُ)

يريد أنّه رابط الجأش عند الفزع ، لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الاطِّباخ . وقوله : حتى يفسح البصر ، أى يجد متسعاً من الصبح ، .وقيل معناه ليس هو شَرِهاً يتعجّل بما يؤكل . والمراجل : القدور ، جمع مرجل .

(عِشنا به حِقبة حيّا ، ففارقَنا   كذلك الرمح ذُو النصلين ينكسر)

وروى :   * عشنا بذلك دهراً ثم ودّعنا *

والنصلان هما : السِّنانُ وهى الحديدة العليا من الرمح ، والزُّجّ ، وهى الحديدة السفلى ، ويقال لهما الزُّجّان أيضاً . وهذا مثل ، أى كل شىء يهلك ويذهب .

(فإن جَزِعنا فقد هَدَّت مُصابَتُنا   وإنْ صبرنا فإنّا مَعشرٌ صُبُر)

المصابة بضم الميم بمعنى المصيبة ، يقال : جبر الله مصابته ، وهو فاعل والمفعول محذوف أى قُوَانا . والصُّبُر بضمتين : جمع صَبور ، مبالغة صابر .

(أصبتَ فى حَرَم منّا أخا ثِقة   هِندَ بنَ أسماء لايَهنِى لك الظفَر)

خاطبَ قاتل المنتشر هندَ بن أسماء ، وأراد بالحرم ذا الخَلَصة ، ثم دعا عليه . والتّهنئة : خلاف التعزية .

٩٧

(لو لم تخنه نُفيلٌ وهى خائنةٌ   لصبّح القومَ وِرْداً ماله صَدَرُ)

(١) أمالى المرتضى ٢ : ٢٣

صبّحه : سقاه الصبوح ، وهو الشرب بالغداة ، أراد أنه كان يقتلهم .

(وأقبل الخيلَ من تثليثَ مُصغِيةً   وضمّ أعيُنَها رَغوان أو حَضَرُ)

أقبل الخيلَ : جعلها مقبلة . ومصغية : مائلة نحوكم . ورَغوان وحَضر : موضعان . أى كانت تأتى خيله عليكم فى هذين الموضعين وما كانت تنام فى منزل إلاّ فيهما .

(إذا سلكتَ سبيلاً أنت سالكه   فاذهبْ فلا يبعدَنْكَ الله منتشرُ[1])

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون :

٢٨ (شُمسِ بن مالكِ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(إنى لمُهْدٍ من ثنائى وقاصدٌ   به لابن عمّ الصّدق شُمسِ بن مالكِ)

على أنه مصروف مع أنه معدول عن شَمس بالفتح . وعليه اقتصر فى باب العلم . وإنما صرف لكونه لم يلزم الضم فإنّه سمع فيه الفتح أيضاً ، فلما لم يلزم الضم لم يُعتبر عدله ، ولو لزم الضمّ لصُرف أيضاً لأنه يكون حينئذ منقولا من جمع شموس ، لا معدولا من شمس بالفتح .

وقد تبع الشارحُ المحقق فى رواية الضم والفتح شراحَ الحماسة ، منهم ابن جنّى فى إعرابها فإنه قال : « أما من روى شمس بفتح الشين فأمره واضح كما يسمّى ببدر ونحوه ، ومن رواه شُمس بضم الشين فيحتمل أن يكون جمع شموس ، سُمّى به ، من قول الأخطل :

(١) فى الأصمعيات ٩٢ : « إما سلكت سبيلا كنت سالكها » . وفى جمهرة أشعار العرب ١٣٧ : « فإن سلكت سبيلا كنت سالكها » .

شُمسُ العداوة حتّى يُستقاد لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدَروا[1]

ويجوز أن يكون ضم الشين على وجه تغيير الأعلام ، نحو : مَعديكرِب وثَهلَل ومَوهَبٍ ، ومَوظب ، ومَكوْزة ، وغير ذلك ممـا غيّر فى حال نظائره لأجل العلميـة الحادثة فيـه ؛ وليس فى كلام العرب شمس إلاّ هذا الموضع[2] اهـ .

وفيه نظر ، فإنّ شُمساً فى هذا البيت مضموم الشين لاغير ، وإنّ المضموم غير المفتوح ، كما فصّله الحسن العسكرى فى كتاب التصحيف . فإنه قال بعد ما أورد هذا البيت : « شُمس مضموم الشين : بطن من الأزد من مالك بن فَهم . وكل ماجاء فى أنساب اليمن فهو شُمس بالضم ، وكل ماجاء فى قريش فهو شَمس بالفتح » انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبيات عشرة لتأبّط شراً ، أثبتها أبو تمام فى أول الحماسة ، قال ابن جنى : « ضمير به عندى راجع إلى موصوف محذوف ، أى ثناء من ثنائى . وراجع عند الأخفش إلى نفس ثنائى ، ومن عنده زائدة ، وسيبويه لايرى زيادتها فى الواجب » انتهى . فعلى الأول يكون ما أهدى محذوفاً ، وعلى الثانى مذكوراً ، واللام فى قوله : (لابن عم) متعلقة بقاصد عند البصريين ، يقال قصدته بكذا وقصدت له به ، قال فى العباب : كلُّ ما نسب إلى الصلاح والخير أضيف إلى الصدق فقيل رجل صدقٍ ، وصديقُ صدقٍ .

وتأبّط شراً تقدمت ترجمته فى الشاهد الخامس عشر[3] .

---

(١) ديوان الأخطل ١٠٤ واللسان (شمس) .

(٢) فى القاموس : « الضلال بن ثهلل ممنوعا — كجعفر وقنفذ وجندب : الذى لا يعرف . وكجعفر : موضع قرب سيف كاظمة » . وفيه : « وموظب كمقعد : موضع قرب مكة » . وقال الميدانى : « ثهلل أعجمى فى الأصل ، فلذا منع من الصرف » .

(٣) انظر ما سبق فى ص

ترجمة الحسن العسكرى

وأما (مصنف كتاب التصحيف) فهو أبو أحمد الحسن بن عبد الله
٩٨ ابن سعيد بن إسماعيل العسكرى ، ولد يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ومات يوم الجمعة لسبع خلون من ذى الحجة من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . قال أبو طاهر السِّلَفى : إنّ أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرُّف فى أنواع العلوم ، والتبحر فى فنون الفهوم ، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف ، ومن جملته : كتاب صناعة الشعر . كتاب الحكم والأمثال . كتاب التصحيف. كتاب راحة الأرواح. كتاب الزواجر والمواعظ . كتاب تصحيح الوجوه والنظائر .

وكان قد سمع ببغداد والبصرة وأصبهان[١] وغيرها من شيوخ : منهم أبو القاسم البغوىّ ، وابن أبى داود السجستانى ، وأكثرَ عنهم ، وبالغ فى الكتابة ، وبقى حتى علا به السنّ واشتهر فى الآفاق بالرواية والإتقان ، وانتهت إليه رياسة التحديث والإملاء والتدريس بقُطر خُوزِستان[٢] ورحَل الأجلّاء إليه للأخذ عنه والقراءة عليه . نقلته مختصرا من معجم الأدباء[٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون :

٢٩ (وهُمُ قُرَيشُ الأكرمون إذا انتَمَوا
طابوا فُروعا فى العُلا وعُروقا)

على أن (الأب) ربَّما جعل مؤوّلا بالقبيلة فمنع الصرف ، كما منع قريش الصرف لتأويله بالقبيلة . والأكرمون صفة قريش .

(١) أصبهان بفتح الهمزة ، وقد تكسر ، وممن كسرها السمعانى وأبو عبيد البكرى. انظر معجم البلدان . وفى القاموس : « وقد تبدل باؤها فاء » .
(٢) ط : «خورستان» ، صوابه بالزاى ، كما فى ش .
(٣) معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ — ٢٦٧ .

ومثله لعديّ بن زيد بن الرِقاع العاملي(١) يمدح الوليد بن عبدالملك :

غَلب المساميحَ الوليدُ سماحةً وكفى قريشَ المعضلاتِ وَسادَها

والمساميح : جمع سَمح على خلاف القياس . وقوله إذا انتموا : يقال انتمى إلى أبيه : انتسب ، ونميته إلى أبيه نَميا : نسبته

في العباب : قال ابن دريد : كثر الكلام في قريش ، فقال قوم : سمِّيت قريش بقريش بن مَخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عِيرهم فكانوا يقولون: قدمت عير قريش وخرجت عير قريش ، وقال قوم : سمِّيت قريشا لأن قُصَيّا قرَشها أي جمعها ، فلذلك سمي قصيٌّ مجمّعا . قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب : اشتقاق قريش

أبونا قُصيّ كان يُدعَى مجمِّعا به جمع الله القبائلَ من فِهر

وقال الليث : قريش قبيلة ، أبوهم النّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر ، فكلٌّ من كان من ولد النضر فهو قرشيٌّ دونَ ولد كنانة ومن فوقه . وقال صاحب العباب : « وينقض هذين القولين قولُ ابن الكلبيّ ، لأنه المرجوع إليه في هذا الشأن ، وهو أن قريشا اسمه فِهر بن مالك بن النضر . وفي تسميته قريشا سبعة أقوال : أحدها سمّوا قريشا لتجمُّعهم إلى الحَرَم . ثانيها : أنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها . ثالثها : أنه جاء النضر بن كنانة في ثوبٍ له ، يعني اجتمع في ثوبه فقالوا : قد تقرّش في ثوبه . رابعها : قالوا : جاء إلى قومه فقالوا : كأنه جمل قَريش أي شديد . خامسها : قول ابن عباس لما سأله عمرو بن العاص : بم سميت قريش ؟ قال :

(١) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع ، وينسب أحيانا فيقال عدى ابن الرقاع نسبة إلى جده الأعلى . انظر الشعر والشعراء ٦٠٠ .

بدابّةٍ فى البحر تسمَّى قريشا لاتدع دابة إلا أكلتها ، فدوابُّ البحر كلها تخافها ، قال المُشَمرجُ[1] بن عمرو الحميرىّ :

وقريش هى التى تسكن البحــــر بها سمِّيت قريش قريشا[2]

سادسها : قال عبدالملك بن مروان : سمعت أن قُصَيّا كان يقال له
٩٩ القرَشىّ ، لم يسمَّ قرشىٌّ قبله . سابعها : أنهم كانوا يفتشون الحاجّ عن خَلَّتهم فيسدُّونها » .

ويعلم من هذه الأقوال أن كون قريش أبا إنّما هو على القول الثالث والرابع والسادس .

* * *

وأنشد بعده :

(جَذْبَ الصَّرارِيِّينَ بالكرورِ)

على أنَّ جمع التكسير لايمتنع جمعه جَمعَ سلامة ؛ فإنّ الصَرارى جمع صُرّاء وهو جمع تكسير ، وقد جمع على الصراريين جمع سلامة . وتقدم مافيه مشروحا فى الشاهد الحادى والعشرين فراجعه[3]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون : وهو من شواهد س[4] :

٣٠ (وإذا الرِّجالُ رأوا يزيدَ رأيتَهم
خُضعَ الرقابَ نواكسى الأبصارِ)

(١) ط : « المشمرخ » ، صوابه فى ـه . وانظر القاموس (شمرج) .
(٢) ورد البيت فى النسختين على هيئة المنثور . وانظر اللسان (قرش ٢٢٦) .
(٣) انظر ما مضى فى ص
(٤) سيبويه ٢ : ٢٠٧ .

على أن جمع التكسير نحو نواكس لايمتنع جمعه جمع سلامة كنَوا كِسِين ، كما ذكره أبو على فى (الحجة) .

أقول : ذكره أبو على فى (إعراب الشعر) أيضاً . واعلم أنّ الكلام على هذه الكلمة من ثلاثة وجوه :

(أحدها) : أن نواكس جمع ناكس وهو المطأطىء رأسه ؛ وفاعلٌ إذا كان اسما نحو كاهل ، أو صفة مؤنث سواء كان ممن يعقل نحو حائض أوممن لايعقل نحو ناقة حاسر: إذا أعيت،أو صفة مذكر غير عاقل نحو صاهل — يجمع قياسا على فواعل ، تقول : كواهلُ وحوائض وحواسر وصواهل . أما إذا كان صفة لمذكر عاقل لايجمع على فواعل ، وقد شذت ألفاظ خمسة : وهى ناكس ونواكس ، وفارس وفوارس نحو :

* لولا فوارس من نُعم وأسرتهم *

وهالك وهوالك قالوا : « هالك فى الهوالك » ، وغائب وغوائب ، وشاهد وشواهد ، قال عتبة بن الحارث لجَزء بن سعد :

أحامِي عن ديار بنى أبيكم ومثلى فى غوائبكم قليلُ

فقال له جَزء : نعم ، وفى شواهدنا ! فجمع (عتبة) غائبا على غوائب ، وجمع (جَزء) شاهداً على شواهد . وقد وجهت بتوجيهات :

أما الأول فقد حمله سيبويه على اعتبار التأنيث فى الرجال ، قال : لأنك تقول هى الرجال كما تقول هى الجمال . فشبّهه بالجمال . ومنه أخذ أبو الوليد فقال فى شرح كامل المبرّد : هذا مخرج على غير الضرورة ، وهو أن تريد بالرجال جماعات الرجال ، فكأنه جماعات نواكس وواحده جماعة ناكسة ، فيكون مقيساً جاريا على بابه كقائلة وقوائل . ووجهه ابن الصائغ على أنّه صفة للأبصار

من جهة المعنى ، لأن الأصل قبل النقل نواكسَ أبصارُهم ، والجمع فى هذا قبل النقل سائغ لأنه غير عاقل ، فلما نقل تركوا الأمر على ما كان عليه لأن المعنى لم ينتقل .

وأما الثانى فقالوا : إنه من الصفات التى استعملت استعمالَ الأسماء فقرب بذلك منها ، ولأنه لا لَبس فيه ، لما ذكر سيبويه من أن الفارس فى كلامهم لا يقع إلا للرجال .

وأما الثالث فوجهه أنّه جرى عندهم مجرى المثل ، ومن شأن الأمثال أن لا تغير عن أصلها .

وأما الرابع والخامس فوجههما يعلم مما وجه به الشَّلوبين هوالك ونواكس ، فإنه يجرى فى جميع ما جاء من هذا ؛ وهو قوله : قد عُرف بقولهم أولا « هالك » أنه إنما يريد المذكر ، وكذلك بقوله « وإذا الرجالُ رأوا يزيد » قال : فصار ذلك مما تقدم ذكره من قولهم فارس فى الفوارس وإن لم يكن مثله فى الجملة ، لأن المعنى الذى يتضمنه نواكس يصلح للمذكر والمؤنث ، والمعنى الذى يتضمنه الفوارس لا يصلح إلا للمذكر . هذا قوله ، وهو جارٍ فى الأخيرين ، لأنه إنما يريد فيمن غاب (من رجالكم) ، ولم يرد أنّ مثله فى (نسائهم) قليل ، فعين أنه يريد المذكر من جهة قصده فصار كالفوارس .

قال الشاطبى فى شرح الألفية : « وطريقة المبرد فى جميع ما جاء شاذا من هذا النوع : أنّ فواعل هو الأصل فى الجميع ، وإنما مَنع منه خوف اللبس ، فإذا اضطروا راجعوا الأصل كما يراجعونه فى سائر الضرورات وكذلك حيث أمنوا الإلباس » اهـ . قال المبرد فى الكامل[1] ، بعد ما أورد بيت الشاهد :

(١) الكامل ٢٦٢ برواية : « فإذا الرجال » .

« وفى هذا البيت شىء يستطرفه النحويون ، وهو أنّهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتاً على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث ، لا يقولون ضارب وضوارب ، لأنهم قالوا ضاربة وضوارب . ولم يأت هذا إلا فى حرفين : أحدهما « فارس » لأن هذا مما لا يستعمل فى النساء فأمنوا الالتباس . ويقولون فى المثل : « هو هالك فى الهوالك » فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال ، لأنه مثل ، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال : « نواكسى الأبصار » ولا يكون مثل هذا أبداً إلا ضرورة » اﻫ .

وفيه أنه كان ينبغى أن يقيد النعت بمن يعقل ولكنّه أطلق لشهرته ، وفيه أيضاً أن المسموع خمسة لا ثلاثة كما تقدم[١] .

ثم رأيت فى شرح أدب الكاتب للجواليقى زيادة على هذه الخمسة ، وهى : حارس وحوارس ، وحاجب وحواجب من الحجابة ، نقلهما عن ابن الأعرابى ، ثم قال : ومن ذلك ما جاء فى المثل « مع الخواطىء سهمٌ صائب » . وقولهم : « أمَا وحواجّ بيت الله ودواجّه » جمع حاجّ وداجّ ، والداجّ : الأعوان والمُكَارُون . وحكى المفضّل رافد وروافد ، وأنشد :

* إذا قلّ فى الحىّ الجميعِ الروافدُ *

فالجميع إحدى عشرة كلمة .

(الوجه الثانى) أن المشهور فى رواية هذه الكلمة (نواكسَ) بدون جمعها جمعَ سلامة ، وبه استشهد س وصاحب الجمل وقالا : كان القياس أن يجمع ناكس على أنكاس أو نكّس ، وكأنه حمله على تأنيث الجمع . وقد رواها جماعة جمعها بجمع السلامة ، قال ابن السيد فى شرح كامل المبرد : وهذا أطرف

(١) انظر ليس فى كلام العرب ص ٧٥ .

وأغرب من جمع ناكس على نواكس فإنّه غريب جدّا ، لأن الخليل يرى أن هذا البناء نهاية الجمع . وقال فى شرح أبيات الجمل : ولما كان الجمع الذى ثالثه ألف وبعده حرفان أو ثلاثة لا يتهيأ تكسيره لأنه نهاية التكسير وأريد جمعه لم يكن ذلك إلاّ بأن يجمع جمع سلامة ، لأنه لا يغير الاسم عن لفظه . قال الجاربَردى فى شرح الشافية ، بعد ما قال ابن الحاجب « وقد يجمع الجمع » : أى جمع تكسير وجمع تصحيح بالألف والتاء . وأفاد بقد أنه لا يطّرد قياسا لكنه كثير فى جمع القلة ، قليل فى جمع الكثرة إلا بالألف والتاء .

(الوجه الثالث) أنَّه يتراءى فى ظاهر الأمر تدافعٌ بين هذا الوزن من جمع التكسير وبين جمع التصحيح ، فإن الأول موضوع للكثرة والثانى للقلة .

١٠١ وقد سأل ابن جنى فى إعراب الحماسة عن هذا فقال « فإن قلت : فقد قالوا :

* فهنّ يعلكن حَدائداتها[1] *

وقالوا : * قد جرت الطير أيامِنينا[2] *

وقالوا : صَواحبات يوسف ، ومَواليات العرب ، وقال الفرزق :

* خُضُع الرقابِ نواكسِى الأبصار *

فيمن رواه بالياء ففى هذا على قولك اجتماع الضدين وهو دلالة المثال على الكثرة مع جمعه بالواو والنون والألف والتاء ، وكل واحد منهما على ما قدَّمت موضوع للقلة ! وأجاب عنه بقوله « قيل : لا يكون مفيد القلة فى القِلّة كأن لا يوجد البتة ، ألا ترى أن نفس نواكس وصواحب يفيد بنفسه مفرد الكثرة ! أفتراه إذا جمع جمع القلة يصيره ذلك أن يكون أقلّ

(١) للأحمر ، فى الخصائص ٣ : ٢٣٦ واللسان (حدد ١١٦) .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٣٦ واللسان (يمن ٣٥١) والعينى ٢ : ٤٢٥ . ط : « أيامينا » صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

من أن لا يجمع أصلاً ؟ قد كفاه موضوعه للكثرة من احتياجه إلى تثنية فضلا عن جمع قلة ، أو تجاوز به إلى مثال كثرة ؛ كما أنّ المضمر المجرور وإنْ ضعف عن عطف المظهر عليه بغير إعادة حرف جرّ معه ، فإنّه لا يضعف عن توكيده كررت به نفسه ، وذلك أنه لا يبلغ به الضعف أن يكون أقلّ من لا شيء . وأنت لو قلت مررت بنفسه لكان قولاً جائزا . فاعرفْ هذا النحو » . انتهى كلامه .

وهذه عبارة قلقة يتعسر فهم المراد منها فينبغي شرحها .

فقوله : « فنى هذا على قولك اجتماع الضدين الخ » أقول : لا يخفى عليك أن هذا ليس على ظاهره ، بل إنّما هو فى الحقيقة اعتراضٌ بالترديد بين المحذورين ، ذكر أحدهما لظهوره وترك الآخر اعتمادا على فهم من له حظٌ من قانون المناظرة ؛ وإلاّ فلا يتم التقريبُ أصلا كما لا يخفى . وتقريره أن هذا الجمع جمع القلة يلزم أحد المحذورين : إما اجتماع الضدين على تقدير أن يكون القلة والكثرة موجودتين معا ، أو كون مفيد القلة كان لا يوجد على تقدير إعدام القلة ولم يتعرض لكون مفيد الكثرة كان لا يوجد لأنه لا خفاء فى امتناعه ، ضرورة بقاء الكثرة على حالها بعد أن جمع جمع القلة . وقوله: «قيل لا يكون مفيد القلة فى القلة كأنْ لا يوجد البتة الخ » ظاهره جواب باختيار الشق الثانى ، لكن يحصل منه الجواب باختيار الشقّ الأول أيضا . وتقريره : إنّا لا نسلم لزوم كون مفيد القلة كان لا يوجد على تقدير إعدام القلة ، بل إنما يلزم ذلك أنْ لو كانت القلة منتفية بجميع أنواعها وذلك ممنوع ، لأن وضع لفظ التكسير للكثرة يقتضى انتفاء القلة المباينة لها لا القلة المجامعة معها ، ولا يلزم من انتفاء الأول انتفاء الثانى حتى يكون مفيد القلة كأن لا يوجد . ولا نسلم أيضا لزوم اجتماع الضدين على تقدير وجودهما معا ، بل إنّما يلزم ذلك

أن لو كانت القلة الباقية بعد أن جمع جمع القلة هى القلة المباينة للكثرة المذكورة ، وذلك أيضا ممنوع ، بل مقتضاه اجتماع الكثرة مع القلة المجامعة معها ، ضرورةَ أنّ لفظ القلة يفيد تقليل أفراد مدخولها لا غير ، وهما ليسا بضدّين حتّى يلزم من وجودهما معاً اجتماع الضدين . وقوله « ألا ترى الخ » مع قوله « أفتراه الخ » تنوير لعدم كون مفيد القلة كان لا يوجد . وتقريره : أنك تعرف قطعا أن نفس صواحب وأمثالها يفيد الكثرة بنفسه مفردا ، وتعرف أيضا أن جمعه جمع القلة لا يصيّره إلى أقل من أن لا يجمع ذلك الجمع

١٠٢ أى لا يغيره إلى حكم المفرد حتى يكون جمع القلة فى المفردات المباينة لتلك الكثرة . كيف لا ! ولو كان كذلك يلزم انتفاء الكثرة ، مع أن وضعه[1] كاف فى ذلك من غير احتياج إلى تثنية أو جمع قلة أو جمع كثرة . فظهر لك أن ذلك الجمع لإفادة أمر آخر زائد عليه ، وهو تعليل تلك الكثرة فقط ، فلما كانت القلة المجامعة مع تلك الكثرة باقيةً على حالها لم يكن مفيد القلة كان لا يوجد البتة . وقوله: « كما أنّ المضمر المجرور الخ » تنظير لعدم تغيير جمع القلة مع الكثرة ، وتقريره : أنّ امتناع اجتماع الضدين نظيرُ ضعف عطف المظهر على المضمر بغير إعادة الجار ، وجمع القلة فيما نحن فيه نظيرُ تأكيد المضمر بغير إعادة الجار ، فكما أن ضعف العطف المذكور لكونه كالعطف على بعضِ حروف الكلمة لا ينافى جوازَ التأكيد بغير إعادة الجار ، لأنه كنفسه بناء على تغاير المادتين ــ كذلك امتناع اجتماع الضدين لا ينافى جواز جمع التكسير جمعَ القلة لتغاير المادتين ، وكما أن التأكيد لا يجعل المضمر أقلَّ من أن لا يؤكّد بل يفيد أمراً زائداً عليه وهو التأكيد ، كذلك الجمع فيما نحن فيه لا يجعل

---

(١) ط : « وصفه » ، صوابه فى س .

لفظ التكسير أقلُّ من أن لا يجمع ، بل يفيد أمرا زائداً عليه ، وهو تقليلُ الكثرة الحاصلة من المجامعة معه.

والحاصل : أن ماهو لازم ليس بمحذور ، وما هو محذورٌ ليس بلازم ؛ هكذا ينبغي أن يُفْهم هذا المقام .

وقوله (خُضُع الرقاب) حال من مفعول رأيتَهم ، والرؤية بصرية فى الموضعين ، ولا تضر الإضافة فإنها لفظية ، وكذلك نوا كسى الأبصار ، لأنّ المعنى خُضُعا رقابُهم نوا كسَ أبصارُهم . وخُضُع بضمتين : جمع خَضوع مبالغة خاضع من الخضوع وهو التَّطامن والتواضع ، يقال خضع لغريمِهِ يخضع بفتحهما خضوعاً : ذلّ واستكان ، وهو قريب من الخشوع ، إلاّ أن الخشوع أكثر ما يستعمل فى الصوت والخضوع فى الأعناق ، ولهذا أضافه إلى الرقاب . ويحتمل أن يكون خُضْع بضمة فسكون جمع أخضَع ، وهو الذى فى عنقه تطامن من خلقة ؛ وهذا أبلغ من الأوّل : أى ترى أعناقهم إذا رأوه كأنّها خلقت مُتطامِنة من شدّة تذللهم ؛ و (فُعْل) قياس فى جمع أفعَل وفعلاء صفةً غير تفضيل ، نحو أحمر وحمراء وجمعهما حُمر .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها آل المهلب ، وخص من بينهم صاحب الشاهد ابنه يزيد ، أولها :

(فلَأمدحنّ بنى المهلب مِدحةً غرّاء ظاهرةً على الأشعارِ [1]
مثل النجوم أمامها قمرٌ لها يجلو الدجى ويضيء ليلَ السارى
ورِثوا الطعان عن المهلّب والقِرى وخلائقاً كتدفّق الأنهار
أما البنونَ فإنهم لم يورِثوا كتُراثه لبنيه يوم فخار)

(١) ديوان الفرزدق ٣٧٤ — ٣٧٩ .

إلى أن قال :

(أمّا يزيدُ فإنّه تأبى' له نفسٌ موطّنةٌ على المقدار
ورّادة شُعَبَ المنيَّةِ بالقنا فتُدِرّ كلّ مُعانِدٍ نعّارِ
وإذا النفوس جشأن طامن جأشها ثقةٌ به لحمايةِ الأدبارِ
ملكٌ عليه مهابة الملكِ التَقيْ قمرُ التمام به وشمس نهار
١٠٣ وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم . . . . البيت)

إلى أن قال :

(مازالَ مذ عَقدت يداه إزارَه وسما فأدرك خمسةَ الأشبار
يُدنى خوافقَ من خوافق تلتقى فى كلّ مُعتبَطِ الغبار مُثار)

قوله : (تأبى' له نفس) مفعول تأبى محذوف : أى القعود عن الحروب ونحوه ، وقوله : (موطَّنة على المقدار) أى تقول نفسه عند اقتحام المهالك : لايصيبنى إلاّ ماقدّر الله ؛ والمقدار بمعنى القدَر . وورّادة : مبالغةُ واردة ، صفة نفس . وشُعَب : مفعول ورّادة ، بمعنى فروع المنية وأنواعها ، مستعار من الشُّعَب التى هى أغصان الشجرة ، جمع شعبة . والقنا : جمع قناة وهى الرمح . وتُدر : فاعله ضمير القنا ، من أدرّت الريح السحاب واستدرّته أى استحلبته[1] . وكل : مفعوله . والمعاند : العِرق الذى يسيل ولا يرقأ ، ويقال له عاند أيضاً ؛ وفعله من باب نصر . والنّعار : بالعين المهملة من نعَر العِرق ينعَر بالفتح فيهما ، أى فار منه الدم ، فهو عرق نعّار ونعور . وجشأن : يقال جشأت نفسه ، إذا ارتفعت من حزن أو فزع . والجأش بالهمز : جأش القلب ، وهو رُواعه إذا اضطرب عند الفزع ، يقال فلان رابط الجأش أى يربط نفسه عن الفرار

(١) ط : « استجلبته » بالجيم ، صوابه فى سه .

لشجاعته . وطأمن : مقلوب طمأن بالهمز فيهما بمعنى سكّن. وثقة فاعله . والتَقَى: فعل ماض . وقمر التمـام فاعله ، يقال قمرُ تمام بفتح التاء وكسرها إذا تم ليلة البدر ، وأما ليل التِّمام فمكسور لاغير ، وهو أطول ليلة فى السنة . وقوله : (مازال مذ عقدت يداه . . إلى آخره) هذا البيت استشهد به النحاة فى عدة مواضع ، منهم ابن هشام أورده فى المغنى شاهداً لإيلاء الجملة الفعلية لمذ ، كما يليها الجملة الاسمية . وأورده أيضاً فى شرح الألفية لقوله (خمسة الأشبار) حيث جرد المضاف من أداة التعريف ، وهو حجة على الكوفيين فى جوازهم[1] الجمع بين تعريف المضاف باللام والإضافة إلى المعرفة ، مستدلين بقول عرب غير فصحاء : « الثلاثة الأبواب » ، والمسموع تجريد الأوّل من أداة التعريف ، كما قال ذو الرُّمة أيضاً :

وهل يَرجع التسليمَ أو يكشفُ العمى ثلاثُ الأثافى والديارُ البلاقعُ

وسما : ارتفع وشبَّ ، من السموّ وهو العلوّ ؛ وأدرك بمعنى بلغ ووصل ، وفاعلهما ضمير يزيد . وقوله : خمسة الأشبار ، أراد طول خمسة أشبار بشبر الرجال وهى ثلثا قامة الرجل ، وينسب إليها فيقال: غلام خُماسىّ . قال ابن دريد: غلام خماسىّ قد أيفع . فى الصحاح والعباب : وغلام رباعى وخماسىّ أى طوله أربعة أشبار وخمسة أشبار ، ولا يقال سداسىٌّ ولا سباعىٌّ ، لأنه إذا بلغ ستة أشبار أو سبعة أشبار صار رجلًا . والغلام إذا بلغ خمسة أشبار عندهم تخيَّلوا فيه الخير والشر ، ولهذا قال بعض العرب : أيّما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمتَه قتلته . هذا ماعندى ، وأما الناس فقد اختلفوا فى تفسيره على أقوال :

(أحدها) قال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل : « ومعنى فأدرك خمسة الأشبار : ارتفع وتجاوزَ حدَّ الصبا ، لأن الفلاسفة زعموا أن المولود إذا ولد

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « إجازتهم » أو « تجويزهم » .

لتمام مدة الحمل ولم تغيّره آفة في الرحم فإنه يكون في قدّه ثمانية أشبار من شبر
١٠٤ نفسه، وتكون سُرّته بمنزلة المركز له، فيكون منها إلى نهاية شقه الأعلى أربعة
أشبار بشبره، ومنها إلى نهاية شقه الأسفل أربعة أشبار، ومنها إلى أطراف
أصابعه من يده معاً أربعة أشبار، حتى أنه لو رقد على صلبه وفتح ذراعيه
ووُضع ضابط في سرته وأدير لكان شبه الدائرة. قالوا: فما زاد على هذا أو نقص
فلآفة عرضت له في الرحم، فإنك تجد مَن نصفه الأعلى أطول من نصفه الأسفل
ومَن نصفه الأسفل أطول من نصفه الأعلى، ومَن يداه قصيرتان، ومَن يده
الواحدة أقصر من الثانية. فإذا تجاوز الصبيُّ أربعة أشبار فقد أخذ في الترقي
غاية الكمال». اهـ. وقوله أولاً «ارتفع وتجاوز حدَّ الصبا» شرح به المعنى
المراد ولا حاجة بعده إلى نقل كلام الفلاسفة، لأنه خارج عن المقام، بل مفسد
لأنه رتب بعده قوله «فإذا تجاوز الصبيُّ أربعة أشبار فقد أخذ في الترقي إلى
غاية الكمال» وهذا غير متصوَّر، لأن الطفل الذي تجاوز أربعة أشبار بشبر
نفسه لا يحسن عقد إزاره فضلاً عن الأخذ في الترقي إلى غاية الكمال، وإنما
المعنى تجاوز خمسة أشبار بشبر الرجال، وهي ثلثا قامة الرجل كما ذكرنا.

(ثانيها) أنه أراد بخمسة الأشبار السيف، قال ابن هشام اللخمي في شرح
شواهد الجمل: هذا هو الصحيح لأنه منتهى طول السيف، في الأكثر، كما
أن منتهى طول القوس ثلاث أذرع وإصبع. قال الراجز:

أرمي عليها وهي فَرعٌ أجمعُ وهي ثلاثُ أذرعٍ وإصبع[1]

وإنما زاد إصبعاً لاختلاف أذرع الناس في الطول والقصر. وربما زادوا
شبراً كما قال آخر:

(١) لحميد الأرقط في العيني ٤: ٥٠٤ والخصائص ٢: ٣٠٧ وشرح الجواليقي لأدب
الكاتب ٣٥٣.

* وهي ثلاث أذرع وشبر *

وكما أن منتهى طول القناة أحد عشر ذراعًا[1] . قال عُتبة بن مِرداس[2] :

وأسمرَ خطّيـــا كأن كعوبه نوى القَسْبِ قد أربى ذراعاً على العَشر

وقال البحترى أيضاً :

كالرمح أذرعه عشرٌ وواحدة فليس يُزرى به طول ولا قِصرُ

(ثالثها) أنه أراد عصا الخطبة . وهذا غير مناسب لما قبله ولما بعده .

(ورابعها) أنه أراد الخيزُرانة التي كان الخلفاء يحبِسونها بأيديهم . وهذا أيضاً غير مناسب كالذى قبله . على أن (يزيد) ليس خليفة ولا من نسل الخلفاء وأراد هذا القائل الخلفاء الأمويين .

(خامسها) أنه أراد خلال المجد الخمسة : العقل ، والعفة، والعدل، والشجاعة والوفاء . وكانت عندهم معروفةً بهذا العدد ؛ كذا نقلوه . ولا يخفى أنه لو كان المراد هذا لبقى[3] ذكر الأشبار لغواً .

(سادسها) أنه أراد بخمسة الأشبار القَبر لأن البيت من مرثيَة ، وهذا باطل لا أصل له ، فإنه من قصيدة فى مدح يزيد بن المهلب ، وكان حياً .

واسم زال ضمير يزيد ، وخبرها البيت الذى بعده ، وهو (يدنى خوافق الخ) وأراد بالخوافق الرايات وهو جمع خافقة ، يقال خفقت الراية بالفتح تخفق بالكسر والضم خَفقاً وخَفَقاناً ، إذا تحركت واضطربت . ومعتبط الغبار بالعين والطاء المهملتين ، هو الموضع الذى لم يُقاتَل عليه ولم يُثَر فيه غبار قبل ١٠٥

(١) الذراع أنثى وقد تذكر ، كما هنا . وانظر اللسان (ذرع) .

(٢) كذا والمشهور عتيبة بن مرداس . انظر جمهرة ابن حزم ٢١٣ . وقال ابن قتيبة فى الشعراء ٣٢٩ : « هو عتيبة ويقال : عتبة بن مرداس » .

(٣) ط : « لبقيت » ، صوابه فى س .

ما أثاره هذا الممدوح ، يقال أعبطت الأرضَ ، إذا حفرت منها موضعاً لم يحفر فيها قبل ذلك . والمثار : المهيَّج والمحرَّك . وروى بدله :

(يُدنى كتائب من كتائب تلتقى في ظلّ معترك العَجاج مُثارِ)

والكتائب : جمع كتيبة وهو الجيش . والمعترك : موضع الاعتراك وهو المحاربة ، وأراد بظله الغبار الثائر فى المعركة ، فإنه إذا اشتد لايرى معه ضوء فيصير كالظل الكثيف . ومذ : اسم ، فقيل : إنها ظرف مضاف إلى الجملة ، وقيل : إلى زمن مضاف إلى الجملة ، وقيل : مبتدأ فيجب تقدير زمان للجملة يكون هو الخبر . والإزار : معروف ، وقيل : كنى بعقد الإزار عن شدّه لما يحتوى عليه من كساءى المجد . وهذا يناسب تفسيره خمسة الأشبار بخلال المجد الخمسة . وخمسة الأشبار مفعول أدرك بتقدير مضاف كما تقدم . وقال الأعلم ، على ما نقله اللخمى : « فاعل سما مضمر لدلالة المعنى عليه ، والتقدير : وسما جسمه أو طوله . وفاعل أدرك مضمر أيضاً عائدٌ على الجسم الذى دل عليه المعنى . ومعنى أدرك : انتهى. والأفعال يُحمل بعضها على بعض إذا اشتركت فى المعنى ، والتقدير : انتهى طوله أو جسمه خمسة أشبار ، ويكون انتصاب خمسة أشبار على أنه مفعول على إسقاط حرف الجرّ ، أى انتهى إلى خمسة أشبار » اهـ .

أقول : هذا كلُّه تعسفٌ لا ضرورةَ تدعو إليه ، ومثل هذا قول ابن يسعون فى شرح شواهد الإيضاح : « ويجوز نصبه نصب الظروف بقوله سما ، أى فَعَلا مقدار خمسة الأشبار » اهـ فإنّه تعسف أيضاً ، لأنه يكون المدرك غير معلومٍ ما هو ، وبقى قوله أدرك غير مفيد شيئاً . ومن فسر الخمسة بالسيف والعصا والخيزرانة ، فهو على حذف مضاف ، أى فأدرك أخذ خمسة الأشبار للقتال به أو للحبس باليد أو للخطبة . وقال ابن يسعون ، بعد جعل الخمسة مفعولا

لأدرك على تقدير معناها السيف أو خلال المجد الخمسة ، ما نصه : « ويجوز نصب خمسة نعتا لإزاره ، أو بدلا منه ، أو عطف بيان » . اﻫ فتأمل .

وأما يزيد فهو ابن المهلَّب بن أبى صُفرة ، أحدُ شجعان العرب وكرمائهم . وشهرته فى الشجاعة والكرم غنيّة عن الوصف . كان فى دولة الأمويين والياً على خراسان ، وافتتح جُرجان ودِهِستان وطبرِستان . وبعد الحجاج صار أميرَ العراقَين . وأجمع علماء التاريخ على أنّه لم يكن فى دولة بنى أمية أكرمُ من بنى المهلب كما لم يكن فى دولة بنى العباس أكرمُ من البرامكة . وولد يزيد سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وتوفى مقتولا يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة . وقد ترجمه ابن خلّكان وترجم والدَه بما لا مزيد عليه . وستأتى ترجمة والده فى (رُبَّ) من حروف الجر فى شرح قوله :

* فلقد يكون أخا دَمٍ وذبائح *

ترجمة الفرزدق

والفرزدق هو أبو فِراس ، واسمه همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ١٠٦
ابن زيد مناة بن تميم البصرى . وهمّام بصيغة المبالغة من الهمة . . وقال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء ، بعد أن قال : اسمه همام[1] : وكان للفرزدق إخوة ، منهم : هُميم بن غالب وبه سُمّى الفرزدق ، والأخطل وكان أسنّ منه[2] ، وأخت يقال لها جِعثِن كانت امرأة صدق » ، وكان جرير فى مهاجاته للفرزدق يذكرها بسوء . قال اليربوعى : وكذب عليها جرير وكان يقول : أستغفر الله فيما قلت لجعثن . قال : وكانت إحدى الصالحات .

---

(١) الشعر والشعراء ٤٤٣

(٢) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ١٩ : ٢ : « وكان للفرزدق أخ يقال له هميم ويلقب بالأخطل » .

و (الفرزدق) قال صاحب العباب : قال الليث : الفرزدق : الرغيف الذى يسقط فى التنُّور ؛ ويقولون أيضاً الفرزدقة . قال :وقال بعضهم : هو فتات الخبز . وقال غيره : الفرزدق القطعة من العجين وأصلها بالفارسية بَرازده . وقال ابن فارس : هذه كلمة منحوتة من كلمتين ، من فرز ومن دقّ لأنه دقيق عجن ثم أفرزت منه قطعة ، فهى من الإفراز والدقيق اهـ فلقب بأحد هذه المعانى. ويشهد للأول ما روى أنه كان أصابه جُدَرى وبقى أثره فى وجهه . ويروى أن رجلا قال له : يا أبا فراس ، كأنّ وجهك أحراحٌ مجموعة ! فقال : تأمَّلْ هل ترى فيها حِرَ أمِّك ؟ والأحراح : جمع حِر بالكسر وحذف لام الفعل ، هو فرج المرأة — وأخذ الفرزدق هذا الجواب من كلام أبى الأسود الدِّيلى ، فإنه كما فى الأغانى[1] قال : «كان طريق أبى الأسود إلى المسجد والسوق فى بنى تيم الله بن ثعلبة ، وكان فيهم رجل متفحِّش يكثر الاستهزاء بمن يمرّ به ، فمر به أبو الأسود يوماً فلما رآه قال لقومه : كأنَّ وجهَ أبى الأسود وجهُ عجوز راحت إلى أهلها بطلاق ! فضحك القوم وأعرض عنه أبو الأسود . ثم مرّ بهم ، فقال لهم : كأنَّ غضون قفا أبى الأسود غضون الفِقاح ! فأقبل عليه أبو الأسود فقال : هل تعرف فقحة أبيك فيهن ؟ فأفحمه وضحك القومُ منه ، وقاموا إلى أبى الأسود فاعتذروا إليه ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك » .

ويحتمل أنه لقِّب بالمعنى الثالث ، وبه صرح ابن قتيبة فى أدب الكاتب فقال : « والفرزدق قطع العجين ، واحدها فرزدقة ، ومنه سمى الرجل ، وهو لقبٌ له لأنّه كان جهم الوجه » . ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثانى بأنْ شبه غضون وجهه بفتات الخبز . وقال ابن السيد فى شرح شواهد الجُمَل ، وتبعه فيها ابن هشام اللخمىُّ وابن خلف وغيرهما : قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء :

(١) الأغانى ١١ : ١٠٤ .

« إنما سمّي الفرزدق لغلظه وقصره ، شبّه بالفَتيتة التي تشربها النساء وهو الفرزدقة » اهـ .

أقول : لم أر الفرزدقة بهذا المعنى في اللغة ، ولا الفتيتة بمعنى ما ذكره . على أنّ ابن قتيبة لم يذكر في الطبقات شيئاً في تلقيبه بالفرزدق . ثم رأيت في الأغاني في ترجمته[1] أن الفرزدق الرغيف الضخم الذي يجفّفه النساء للفَتوت . وروَى أن الجهم بن سُويد بن المنذر الجَرمى قال له : ما وجدَت أمُّك اسمًا لك إلاّ الفرزدق الذي تكسّره النساء في سَويقها ! — قال : والعرب تسمى خبز الفَتوت الفرزدق — فقال له الفرزدق : أحقُّ الناس بأن لا يتكلم في هذا أنت ، لأن اسمك اسم متاع المرأة ؛ واسم أبيك اسم الحمار ، واسم جدك اسم الكلب .

وروى بسنده عن أبي عمرو بن العلاء قال : أُخبرت عن هشام العَنَزى أنه قال : جمعنى والفرزدقَ مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : من أنت ؟ قال : أما تعرفنى ! قلت : لا . قال : فأنا أبو فراس ؟ قلت : ومن أبو فراس ؟
١٠٧ قال : أنا الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : أو ما تعرف الفرزدق ؟ ! قلت : أعرف الفرزدق أنّه شيء تتخذه النساء عندنا بالمدينة تتسمّن به ، وهو الفتوت . فضحك وقال : الحمد لله الذى جعلنى في بطون نسائكم » .

وقال السيد المرتضى في أماليه : « والفرزدق لقب ، وإنما لقّب به لجهامة وجهه وغلظه ، لأنّ الفرزدقة هى القطعة الضخمة من العجين ، وقيل إنها الخبزة الغليظة التى يتخذ منها النساء الفَتوت » .

وفى الأغانى بسنده إلى محمد بن وُهيب الشاعر قال : « جلستُ بالبصرة إلى جنب عطّار فإذا أعرابيةٌ سوداء قد جاءت فاشترت من العطار خَلوقا ،

---

(١) الأغانى ١٩ : ٢ .

فقلت له: تجدُها اشترته لابنتها، وما ابنتها إلاّ خنفساء. فالتفتتْ إليَّ متضاحكة وقالت: لا والله! إلاّ مَهاة جَيداء[١]، إن قامت فقناة، وإن قعدت فحصاة، وإنْ مشت فقطاة؛ أسفلها كثيب، وأعلاها قضيب؛ لا كفتَياتكم اللواتى تسمّنونهنّ بالفنوت. ثم انصرفت وهى تقول:

إنّ الفتــوت للفتــاة مَضرَطه يَكرُبها فى البطن حتى تثلِطه[٢]

فلا أعلمنى ذكرتُها إلاّ أضحكنى ذِكرها».

وبالجملة هو وجرير والأخطل النصرانى فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين. واختلف العلماء بالشعر فيه وفى جرير فى المفاضلة. وكان يونس يفضّل الفرزدق ويقول: لولا الفرزدق لذهب شعر العرب. وقال ابن شُبرُمة: الفرزدق أشعر الناس. وقال أبو عمرو بن العلاء: لم أرَ بدوياً أقام فى الحضر إلاّ فَسد لسانه، غير رؤبة والفرزدق.

وفى العمدة لابن رشيق: «كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر شعراء الجاهلية وأشعر شعراء وقته. فقال: أشعر الجاهلية امرؤ القيس، وأضرَبُهم مثلاً طرفة. وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم، وجرير أهجاهم، والأخطل أوصفهم».

وقد طبَّق المفصِلَ الأصبهانىُّ فى قوله حين سئل عنهما[٣]: من كان يميل إلى جودة الشعر وفخامته وشَدة أسره فليقدِّم الفرزدق[٤]، ومن كان يميل

(١) فى الأغانى ١٧ : ١٤٥ : «خبنداة».
(٢) فى الأغانى : «يكربها بالليل».
(٣) الواقع أن أبا الفرج الأصبهانى لم يسأل عنهما، وإنما هو يروى اراء غيره. الأغانى ١٩ : ٤٨.
(٤) فى الأغانى : «فيقدم الفرزدق»، وكذا فى الموضع التالى: «فيقدم جريرا».

إلى أشعار المطبوعين والـكلامِ السمح الجزل فليقدِّم جريراً . قال أبو عبيدة : وكان الفرزدق يشبّه من شعراء الجاهلية بزهير .

وكان صعصعة جدُّ الفرزدق ، كما قال ابن قتيبة فى الطبقات : عظيم القدر فى الجاهلية ؛ وكان اشترى ثلاثين موءودة ثم أسلم وصار صحابياً . وأم صعصعة قُفَيرة — بتقديم القاف على الفاء وبالتصغير — بنتُ مسكين الدارِمىّ ، وكانت أمها أمةً وهبها كسرى لزُرارة ، فوهبها زرارة لهند بنت يثربىّ ، فوثب أخو زوجها ، وهو مِسكين بن حارثة بن زيدبن عبدالله بن دارم، على الأمة فأحبلها فولدت له قُفيرة ، فكان جرير يعيِّر الفرزدقَ بها . وكان لصعصعة قيون — والقين الحداد — منهم جُبير ، ووَقْبان ، ودَيسم ، فلذلك جعل جرير مجاشعاً قيوناً .وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جبير فقال :

وجدنا جُبيراً أبا غالب بعيدَ القَرابة من مَعبدِ

يعنى معبد بن زُرارة . وكان يعيبهم بالخزيرة ، وذلك أن ركباً من مجاشع مرُّوا بشهاب التغلبى فسألهم أن ينزلوا ، فحمل إليهم خَزيرة ، فجعلوا يأكلون
١٠٨ وهى تسيل على لحاهم وهم على رواحلهم . و (الخزيرة) بفتح الخاء وكسر الزاى المعجمتين وبالراء المهملة : قطعُ لحمٍ صغارٌ توضع فى القدر بماءٍ كثير ، فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق . فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة . ويقال خزير أيضاً بدون تاء تأنيث .

وأما غالب أبو الفرزدق فإنّه كان يكنى أبا الأخطل . واستُجير بقبره بكاظمة ، فاحتملها عنه الفرزدق(١) .

وفى نهج البلاغة : وقال على رضى الله عنه لغالب بن صعصعة أبى الفرزدق ،

(١) الميمنى : « أى احتمل الحمالة » . والحمالة كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

فى كلامٍ دار بينهما : ما فعلتْ إبلك الكثيرة ؟ قال : ذَعذعتها الحقوقُ يا أمير المؤمنين . فقال رضى الله عنه : ذاك أحمدُ سبيلها ! قوله ذعذعتها بذالين معجمتين وعينين مهملتين بمعنى فرقتها . يقال ذعذعته فتذعذع ؛ وذعذعةُ السرّ : إذاعته .

قال شارح نهج البلاغة ابن أبى الحديد : « دخل غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عِقال المجاشعى على أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، أيام خلافته — وغالبٌ شيخ كبير، ومعه ابنه همامٌ الفرزدق وهو غلام يومئذ — فقال له على رضى الله عنه : مَن الشيخ ؟ قال: أنا غالب بن صعصعة . قال :ذو الإبل الكثيرة ؟ قال : نعم . قال : ما فعلت إبلك ؟ قال : ذعذعتها الحقوق وأذهبتها الحمالات والنوائب ، قال : ذاك أحمد سبيلها ، مَن هذا الغلام مَعَك ؟ قال : هذا ابنى . قال : ما اسمه ؟ قال : همّام ، وقد روّيته الشعرَ يا أمير المؤمنين وكلامَ العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مُجيداً . فقال : أقرئه القرآن فهو خير له . فكان الفرزدق بعدُ يروى هذا الحديث ويقول : مازالت كلمته فى نفسى . حتّى قيّدَ نفسه بقيدٍ وآلى ألاّ يفكّه حتى يحفظ القرآن . فما فكه حتى حفظه » اهـ .

وقد رَوَى عنه ، عليه السلام ، أحاديثَ وعن غيره من الصحابة . وعاش حتى قارب المائة ، ومات بعلّة الدُّبيلة[1] ، رحمه الله تعالى .

قال النويرى فى تاريخه : مات الفرزذق فى سنة عشر ومائة ، وله إحدى وتسعون سنة ، ومات فيها جرير أيضاً .

وقال السيد المرتضى ، قدّس الله سرّه ، فى أماليه[2] . « الفرزدق مع

(١) الدبيلة ، كجهينة : داء يجتمع فى الجوف ، أو خراج يظهر فيه فيقتل صاحبه .
(٢) الأمالى ١:٦٢ .

تقدّمه فى الشعر وبلوغه فيه إلى الذّروة العُليا[1] ، والغاية القصوى ، شريف الآباء كريم البيت ، له ولآبائه مآثر لا تُدفع ، ومفاخر لا تُجحد .. وكان مائلاً إلى بنى هاشم ، ونَزَع فى آخر عمره عمّا كان عليه من القذف والفسق ، وراجعَ طريقةَ الدين . على أنه لم يكن فى خلال فسقه منسلخاً من الدين جملةً ، ولا مهملاً لأمره أصلاً . . روى أنه تعلّق بأستار الكعبة ، وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف ، وقال[2] :

ألم تَرَنى عاهدتُ ربّى وإننى لَبينَ رِتاجٍ قائمٌ ومَقام[3]
على حَلفةٍ لاأشتمُ الدهرَ مسلماً ولا خارجاً من فىَّ زورُ كلام
أطعتك يا إبليسُ تسعين حِجّةً فلما انقضى عمرى وتمّ تمامى
فزِعت إلى ربى وأيقنتُ أننى مُلاقٍ لأيام الحتوف حِمامى

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى والثلاثون :

٣١ (وشَقَّ له مِن اسمه ليُجِلّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمّدُ)

على أنّه يمكن لمح الوصف مع العلمية ، أى يمكن أن يلاحظ بعد العلمية الوصف الذى كان قبلها وبملاحظته يوضع علما ، فإن (محمدا) وضع علما لنبينا صلى الله عليه وسلم بملاحظة معناه ، فإن معناه فى اللغة ، كما قال صاحب

(١) ط : « العلياء » بالهمزة ، وإنما العلياء بفتح العين مهموزة أو غير مهموزة بمعنى المكان العالى ، أو الفعلة العالية . وأما العليا بضم العين كما أثبت من سه فهى مؤنث الأعلى .

(٢) من قصيدة له يخاطب فيها إبليس ويهجوه ، ويعلن توبته عن هجو الناس . انظر ديوانه ٧٦٩ — ٧٧١ .

(٣) ويروى : « قائماً ومقام » . انظر سيبويه ١ : ١٧٣ والكامل ٦٩ وابن يعيش ٢ : ٦/٥٩ : ٥٠ .

العباب وغيره : الذى كثرت خصاله المحمودة ؛ كما قال الأعشى فى مدح النعمان بن المنذر :

إليك أبيتَ اللعنَ كان كَلالها ... إلى الماجد الفرع الجواد المحمّد

وبعد أن صار علما يجوز أن يلحظ معناه اللغوىّ كما لحظه حسّان فى هذا البيت .

أبيات الشاهد

وهو أول أبيات ثمانية مدح بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم . والصواب فى روايته (شَقّ له من اسمه) بدون واو ، فإنها للعطف ولم يتقدم شىء يعطف عليه ؛ لكن يبقى الشعر مخروما — والخرم جائز عندهم ، وهو بالخاء المعجمة والراء المهملة ، عبارة عن حذف أول الوتد المجموع فى أول البيت ، وذلك نحو فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن — كما أن ضمير (له) راجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ومفعوله محذوف أى شق له اسماً من اسمه ، واسم الله تعالى المشقوق منه : محمود ، بمعنى أن الحمد لا يكون إلاّ له ، ولا يقع إلاّ عليه ، فأراد تبارك وتعالى أنْ يشرك نبيه فى اسم مَن هذا الوصف تعظيم له ، صلى الله عليه وسلم ، فسماه محمدا ، كما سيأتى بيانه . وقوله (من اسمه) بهمزة الوصل ، وسمعت بعضهم يقرؤه بهمزة القطع ، وهو لحن . وقوله ليجلّه روى بدلهَ (كى يجله) .

(نبىّ أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان فى الأرض تُعبَدُ[(1)]

فأمسى سراجاً مستنيراً وهاديا ... يلوح كما لاح الصَّقيل المهنّد

وأنذرنا ناراً وبشّرَ جَنّــة ... وعلمنا الإسلامَ فاللهَ نحمد

وأنت إلهَ العرش ربّى وخالقى ... بذلك ما عُمِّرتُ فى الناس أشهد

تعاليت رَبَّ الناس عن قولِ من دعا ... سواك إلَهاً ، أنت أعلى وأمجد

(١) ديوان حسان ص ٧٨ .

لك الخلق والنَّعماء والأمر كلّه فإياكَ نستهدى وإياك نعبدُ
لأنَّ ثواب الله كلَّ موحِّد جِنانٌ من الفردوس فيها يُخلَّد)

كذا فى ديوانه من رواية أبى سعيد السكرى . ورأيت (فى المواهب اللدنية) قال مؤلفه[1] : ثم إن فى اسمه « محمد » خصائص ، منها أنه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسّان بن ثابت :

(أغرُّ عليه للنبوة خاتَمٌ من الله من نور يلوح ويُشهَد
وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمه إذا قال فى الخمس المؤذّنُ أشهد
وشقَّ له من اسمه ليُجِلّه فذو العرش محمود وهذا محمد)

وعلى هذه الرواية فالواو للعطف ، وفاعل شق ضمير الإله ، والضمير فى له راجع للنبى . ثم قال صاحب المواهب : وأخرج البخارى فى تاريخه الصغير من طريق علىّ بن زيد قال : كان أبو طالب يقول :

وشق له من اسمه ليجله * ... البيت

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفى ألفِ عام ، كما ورد من حديث أنس بن مالك من طريق أبى نُعيم فى مناجاة موسى . وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال : إن الله أنزل على آدم عِصِيّا بعدد الأنبياء والمرسلين ثم أقبل على ابنه شيث فقال : أىْ بنىَّ ، أنت خليفتى من بعدى ، فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى ، وكلما ذكرتَ الله فاذكر إلى جنبه اسمَ محمد ، فإنى ١١٠
رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الرُّوح والطين ، ثم إنى طفت السموات فلم أر فى السموات موضعا إلا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه ؛ وإنّ

(١) هو شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلانى المصرى المتوفى سنة ٩٢٣ .

ربى أسكننى الجنة فلم أر فى الجنة قصراً ولا غُرفة إلّا اسمُ محمد مكتوبا عليها ؛ ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين ، وعلى قَصب آجام الجنة ، وعلى ورق شجرة طُوبَى ، وعلى ورق سِدرة المنتهى ، وعلى أطراف الحُجُب ، وبين أعين الملائكة ، فأكثرْ ذكره فإن الملائكة تذكره فى كلّ ساعاتها .

ولمّا سماه جده عبدالمطلب بمحمد قيل له : كيف سميته باسمٍ ليس لأحد من آبائك وقومك ؟ فقال : لأنى أرجو أن يحمده أهل الأرض كلُّهم ؛ وذلك لرؤيا كان رآها عبدالمطلب كما ذكر حديثها علىٌّ القَيروانى العابر (فى كتاب البستان) قال: كان عبدالمطلب قد رأى فى المنام كأنّ سلسلة من فضة خرجت من ظهره ، لها طرفٌ فى السماء وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأنّها شجرةٌ على كلّ ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلّقون بها ؛ فقصها فعُبِّرت له بمولودٍ يكون من صلبه ، يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب، ويحمده أهلُ السماء والأرض، فلذلك سماه محمدا ، مع ماحدّثته به أمه آمنة حين قيل لها : إنك قد حملتِ بسيّد هذه الأمّة ، فإذا وضعتِه فسمّيه محمدا .

قال السهيلى : محمد منقول من صفة فى معنى محمود ، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار ، لأن المحمّد الذى حمد مرة بعد مرة ، كما أن المكرَّم من أكرم مرة بعد مرة ، وكذلك الممدّح ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ، والله سبحانه سماه به قبل أن يسمى به . علمٌ من أعلام نبوته عليه السلام ، إذْ كان اسمه صادقا عليه ، فهو صلى الله عليه وسلم محمود فى الدنيا بما هَدى إليه ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة . فقد تكرَّر معنى الحمد .

ومحمود أيضاً من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، قال صاحب المواهب : اعلم أن من أسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود ، لأنه تعالى حمد نفسه وحمده عباده؛

وقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم بمحمود . وكذا وقع اسمه فى زبور داود .

وقال الشامى فى سيرته : « ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم المحمود ، وهو المستحق لأن يحمد لكثرة خصاله الحميدة . قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فأصبحَ محمودا إلى الله راجعا ... يبكّيه حقّ المرسَلات ويَحمدُ

وهو من أسمائه تعالى . قال حسان أيضا :

وشق له من اسمه ليجله . . . . البيت اه .

وعليه فهو اسم مشترك بين الله وبين نبيه ، ولم أر من صرح به غير الشامى .

وأما أحمد فهو اسمه عليه الصلاة والسلام الذى سمّى به على لسان عيسى وموسى . قال السهيلى : هو منقول من الصفة التى معناها التفضيل ، فمعنى أحمد: أحمد الحامدين لربه ، وكذلك هو فى المعنى لأنه يفتح عليه فى المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد بها ربّه ، ولذلك يعقد له لواء الحمد . ١١١

وقال السخاوى فى سفر السعادة : أحمد هو مأخوذ من الحمد كما أخذ من الحمرة أحمر ومن الصفرة أصفر ، وأحمد أبلغ من محمد ، كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمّر ومصفّر ، لأنه فى أحمر وأصفر ألزم ، وليس أحمد بمنقول من الفعل المضارع ، ولا هو أفعل فتقول كأكرم ، ومن هذا « الله أكبر » .

ترجمة حسان

و (حسان) هو أبو الوليد بن ثابت بن المنذر الأنصارى من بنى النجار : وأمه الفُريعة بنت خنس[1] من بنى الخزرج . والفريعة بالفاء والعين المهملة مصغر فرَعة بالتحريك وهى القملة الكبيرة .

(١) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ٤ : ٢ : « ابنة خالد بن قيس بن لوذان بن عبد ود ابن ثعلبة بن الخزرج » .

قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء[(١)]: «وهو جاهلى إسلامىٌ متقدم الإسلام، إلا أنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً لأنه كان يرمى بالجبن لعلّة أصابته. وكانت له ناصيةٌ يُسدِلها بين عينيه. وكان يَضرب بلسانه رَوثة أنفه[(٢)] من طوله، ويقول: والله لو وضعته على شَعرٍ لحلَقه، أو على صخرٍ لفلَقه. وعاش فى الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة، فهو من المخضرمين، ومات فى زمن معاوية وكُف بصره فى آخر عمره».

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والثلاثون:

٣٢ (فَتًى فارسىٌّ فى سراويلَ رامحُ)

وصدره: * أتى دُونها ذَبُّ الرِّياد كأنه *

على أن (سراويل) غير منصرف عند الأكثرين كما هنا:

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لتميم بن أُبَىّ بن مُقبِل[(٣)] يصف الثَّوْر الوحشىّ. وضمير دونها لأنثاه، ودُونَ بمعنى قدام. وروى: (يمشّى بها ذبّ الرياد) وروى أيضاً (يرودُ بها). والذبّ بفتح الذال المعجمة وتشديد الموحدة، قال فى الصحاح: هو الثور الوحشى، ويقال له ذَبّ الرِياد لأنه يرود: أى يذهب ويجىء ولا يثبت فى موضع. قال النابغة الذبيانى يصف ناقته:

كأنّما الرَّحلُ منها فوقَ ذى جُدَد ذَبِّ الرياد إلى الأشباح نَظّارِ

---

(١) الشعراء ٢٦٤.
(٢) روثة الأنف: طرفه من مقدمه.
(٣) فى ديوانه ٤١ والجمهرة ١: ٢٧ والمقاييس ٢: ٣٤٩ وأمالى القالى ٢: ١٦٤ واللسان (ذبب، رود، سرل).

وزاد فى العباب فقال : ورجل ذبُّ الرياد : إذا كان زَوّاراً للنساء . قال عبدٌ من عبيد بَجيلة :

قد كنت فتّاحَ أبواب مغلّقة ذبّ الرياد إذا ماخُولسَ النظرُ

وقال القالىُّ فى أماليه(١) : « يقال : فلان ذَبّ إذا كان لايستقر فى موضع ، ومنه قيل للثور الوحشى : ذبّ الرّياد » . وأنشد بيت الشاهد .

وقد خالف أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى(٢) فزعم أن ذبّ الرياد اسم للوَعِل . ونسب البيت إلى الراعى فقال : وقد أحسنَ الراعى فى وصف الوعل ؛ ثم قال « وذَبّ الرياد » علم على الوعل . والصواب ماقدمناه فيهما .

شبّه الشاعر ما على قوائم الثور الوحشىّ من الشعر بالسراويل ، وهو من لباس الفرس ، ولهذا شبّهه بفتى فارسىّ ، وشبه قرنه بالرمح ولهذا قال « رامح » أى ذو رمح ؛ فقوله « فتى » خبر كأن ، و « فارسى » صفة فتى ؛ و « فى سراويل » حال من ضمير فارسى ، إذ هو بمعنى منسوب إلى الفُرس ، أو صفة لفارسى ، ورامح صفة ثانية لفتّى . و (السراويل) يذكر ويؤنث كما فى العباب ، وجرّ بالفتحة لأنه غير منصرف ، قال الشارح المحقق : « واختلف فى تعليله فعندَ س وتبعه أبو على أنّه اسم أعجمى مفرد أعرب كما أعرب الآجُرّ ، ولكنه أشبه من كلامهم مالا ينصرف قطعاً نحو قناديل ، ١١٢
فحمل على ماشابهه فمنع الصرف » .

أقول : الذى رأيته فى تذكرة أبى على مخالَفةُ س فإنّه بعد أن نقل كلام س قال : « سراويل وإن كان واحداً فهو على مثال الجمع الذى لايكون واحد على مثاله ، فأنت مالم تسمّ به فهو منصرف كآجُرّ ، الذى ليس

---

(١) القالى ٢ : ١٦٤ .

فى الواحد ولا غيره على مثاله ، فإذا سمّيت به صار مثل شراحيل اهـ . وكأن أبا علىّ فهِمَ من قول س : أنه أعجمى كما أعرب الآجرّ ، أنه يريد يصرف كما يصرف الآجر ، وليس كذلك ، بل مراده أنه معْرب لا مبنىّ كما أن الآجر معْرب ، بدليل قول س بعده : إلاّ أنّ سراويل أشبَهَ من كلامهم مالا ينصرف فى نكرة ولا معرفة .

ترجمة أبى هلال العسكرى

وأبو هلال العسكرى هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مِهرانَ اللغوىّ العسكرى . وكان تلميذ أبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى ، وافق اسمُه اسمَ شيخه واسمُ أبيه اسمَ أبيه ، وهو عسكرىٌ أيضاً ، فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكرى . وقد ترجمنا (أبا أحمد العسكرى) فى الشاهد الثامن والعشرين[1] .

قال أبو طاهر السِلَفى « سألت الرئيس أبا المظفّر الأبِيوَرْدىّ بهَمَذان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفّة معاً ، قال : كان يبرز[2] احترازاً من الطمع والدناءة والتبذّل ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر ، وله كتاب فى اللغة سماه التلخيص، وهو كتاب مفيد ، وكتاب صناعتى النظم والنثر ، وهو أيضاً كتاب مفيد جداً » . قال ياقوت فى معجم الأدباء : « وذكر غيرُه[3] أن أبا هلال كان ابن أخت أبى أحمد وله من الكتب بعد ما ذكره السِلَفى : كتاب جمهرة الأمثال . كتاب معانى الأدب . كتاب أعلام المعانى ، فى معانى الشعر . كتاب شرح الحماسة . كتاب الأوائل . كتاب الفرق بين المعانى . كتاب نوادر

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٢٠٢ .

(٢) قال الميمنى : « فى معجم الأدباء يبزز ، وفى بغية الوعاة : يتبزز . والغالب على الظن أن معناه يبيع الثياب ، وهى البز » .

(٣) أى غير أبى طاهر السلفى .

الواحد والجمع . كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة . كتاب التبصِرة ، وهو كتاب مفيد . كتاب الدرهم والدينار . كتاب العُمدة . كتاب فضل الغِنى على العُسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصّة . كتابَ المحاسن فى تفسير القرآن ، خمس مجلدات . وكتاب ديوان شعره » .

قال ياقوت : « وأما وفاته فلم يبلغنى فيها شىء ، غير أنى وجدت فى آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة » .

هذا ما ذكره ياقوت . وله عندى كتاب الفروق فى اللغة . وكتاب ديوان المعانى[1] ؛ وهما دالاّن على غزارة علمه . ومن شعره :

إذا كان مالى مالَ من يلقُطُ العجم ... وحالىَ فيكم حالَ مَنْ حاكَ أو حَجَمْ
فأين انتفاعى بالأصالة والحِجا ... وما ربحت كفّى على العلم والحكم !
ومن ذا الذى فى الناس يبصر حالتى ... ولا يلعن القرطاس والحبرَ والقلم

وله أيضاً :

جُلوسىَ فى سوقٍ أبيع وأشترى ... دليلٌ على أنَّ الأنام قُرودُ
ولا خير فى قوم يَذِلّ كرامُهم ... ويعظم فيهم نَذلُهم ويسود
ويهجوهمُ عنّى رثاثة كُسوتى ... هجاءً قبيحاً ما عليه مزيد !

١١٣ ترجمة ابن مقبل — وأما (تميم) صاحب الشاهد فهو ابن أُبىّ بن مُقبل ، وأُبىّ بالتصغير وتشديد الياء ، ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العَجلان بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وكان يبكى أهل الجاهلية . وبلغ مائة وعشرين سنة . وكان يهاجى النَّجاشىّ الشاعر ؛

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٢ .

فهجاه النجاشيُّ فاستعدى عليه عمرَ رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هجانى . فقال عمر : يا نجاشيُّ ما قلت ؟ قال: يا أمير المؤمنين ، قلت ما لا أرى فيه عليه بأساً . وأنشده :

إذا الله جازى أهلَ لُؤم بذلَّة[1] فجازى بنى العَجلان رهط ابن مقبلِ

فقال عمر : إن كان مظلوماً استُجيب له ، وإن لم يكن مظلوماً لم يُستجب له .

قالوا : وقد قال أيضاً :

قُبَيِّلة لا يغدِرون بذمّة ولا يظلمون الناس حبَّة خَردلِ[2]

فقال عمر : ليت آلَ الخطاب كذلك ! قالوا : فإنّه قال :

ولا يَردونَ الماء إلاّ عشيَّة إذا صدَر الوُرّادُ عن كلّ منهلِ

فقال عمر : ذلك أقلُّ للزحام[3] ! قالوا : فإنّه قال :

تَعاف الكلابُ الضاريات لحومَهم وتأكل من كعب بن عَوف ونهشلِ

فقال عمر : يكفى ضَياعا من تأكل الكلاب لحمه ! قالوا : فإنه قال :

وما سُمّىَ العَجلانَ إلاّ لقولهم[4] خُذ القَعب واحلُب أيُّها العبدُ واعجل

---

(١) هذا ما فى س مع أثر إصلاح . وفى ط : « بذمة » . وفى العمدة ١ : ٢٧ وزهر الآداب ٢٠ : « ورقة » وفى البيان ٤ : ٣٧ : « ودقة » .

(٢) قبيلة : مصغر قبيلة ، مبالغة فى هجائهم . وفى ط : « قبيلته » صوابه فى س والبيان والعمدة وزهر الآداب .

(٣) فى العمدة : « ذلك أقل للسكاك ، يعنى الزحام » .

(٤) فى النسختين : « لقوله » ، صوابه من العمدة .

فقال عمر : كلُّنا عبد ، وخير القوم خادمهم ! قال تميم : فسله يا أمير المؤمنين عن قوله :

أولئك إخوان اللَّعين وأُسوة الـ ـهجين ورهطُ الواهن المتذلِّلِ

فقال عمر : أمّا هذا فلا أعذرك عليه ! فحبسه ، وقيل جَلَده .

قال صاحب زهر الآداب[1] : كان بنو العَجلان يفخرون بهذا الاسم ، إذ كان عبد الله بن كعب جدُّهم إنَّما سمى العَجلان لتعجيله القِرى للضيفان : وذلك أن حيّاً من طيِّء نزلوا به فبعثَ إليهم بقِرامُ عبداً له ، وقال له اعجَلْ عليهم . ففعل العبد فأعتقه لعَجلته ؛ فقال القوم : ما ينبغى أن يسمَّى إلاَّ العَجلان . فسمِّى بذلك فكان شرفاً لهم ؛ حتَّى قال النجاشى هذا الشعر فصار الرجل إذا سئل عن نسبه قال : كَعبيّ . ويرغب عن العجلان » .

قال : وزعمت الرواة أنّ بنى العجلان استعْدوا على النجاشى . وذكر هذه الحكاية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون :

٣٣ (عَلَيه من اللُّؤم سِروالةٌ فليس يرِقّ لمستعطِفِ)

على أنَّ السراويل عند المبرّد عربىٌّ ، وهو جمع سروالة ، والسروالة : قطعة خرقة .

أقول : هذا البيت قيل مصنوع ، وقيل قائله مجهول ، والذى أثبته قال : إنّ سِروالة واحدة السراويل ، وكيف تكون سروالة بمعنى قطعة خرقة ،

---

(١) زهر الآداب ٢٠

مع الحكم بأنها واحدة السراويل ، هذا لا يكون ! وقال السيرافى : سروالة لغة فى السراويل ، إذ ليس مراد الشاعر عليه من اللؤم قطعةٌ من جزء السراويل .

١١٤ وسروالة ، فى البيت : مبتدأ مؤخر وعليه خبر مقدم . وقوله : من اللؤم ، كان فى الأصل صفة لسروالة ، فلما قدم عليه صار حالاً منه ، هذا هو المقرر . وقال العينى[1] : ومن اللؤم صفة لسروالة فيكون محلّها الرفع . وهذا خطأ . واللؤم بالهمز : شحّ النفس ودناءة الآباء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون :

٣٤ (جاء الشتاء وقميصى أخلاقْ   شَراذمٌ يَعجبُ منه التَّوّاقْ)

على أن (شراذم) لفظة جمع بالاتفاق[2] .

أقول : نسب أبو حنيفة الدينَوَرىّ فى كتاب النبات هذا البيتَ إلى بعض الأعراب ، وقال : الأخلاق والأرمام والأرماث لا تكون إلاّ فى الُخلقان ، وقال : إنّما نعت الواحد بالجمع لكثرته فيه : كما قالوا بُرمةٌ أعشار إذا انكسرت ، أريدَ أن كسرها كثير .

وفى العباب : وقد خَلُق الثوب بالضم خُلوقة ، أى بلى ؛ وثوبٌ أخلاق : إذا كانت الخلوقة فيه كلّه ، كما قالوا برمة أعشار وأرضٌ سباسب .

وفى الزاهر لابن الأنبارى : وقال الفراء : من العرب من يقول قميص أخلاق وجبّة أخلاق ، فيصف الواحد بالجمع ، لأن الخلوقة فى الثوب تتّسع فيسمى كلُّ موضع منها خَلَقا ثم يجمع على هذا المعنى ، ومن قال جُبّة خَلَق قالوا

(١) العينى ٤ : ٣٥٤ . وانظر ابن يعيش ١ : ٦٤ وهمع الهوامع ١ : ٢٥ .
(٢) انظر اللسان (شرذم).

فى التثنية : جُبَّتان خَلَقان ، وفى الجمع : جباب أخلاق .

والشراذِم بالشين والذال المعجمتين : جمع شِرذمة بكسر الأول والثالث(١) ، قال فى الصحاح : «الشِّرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشىء ، وثوب شَراذمُ أى قطع» . والتوّاق بفتح التاء المثناة الفوقية وتشديد الواو : اسم ابن الشاعر ، قاله الفراء وغيره . وأصله مبالغة تائق ، من تاقت نفسه إلى الشىء بمعنى اشتاقت ، قال الشاعر :

* المرء توّاقٌ إلى مالم ينل(٢) *

وقال صاحب العباب : وروى النواق بالنون ، وقال فى (نوق) : والنواق من الرجال الذى يرُود الأمور ويصلحها . وعلى هذا فيجوز أن يراد به أيضا الرفَّاء ونحوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون ، وهو من شواهد س(٣) :

٣٥ (ولو كان عبدُالله مولًى هجوتُه ولـكنَّ عبدَالله مَولى مَواليا)

على أن بعض العرب يجرُّ نحو (جَوارٍ) بالفتحة فيقول : مررت بجوارىَ كما قال الفرزدق « مولى مَوالىَ » بإضافة موالىَ إلى مولى والألف للإطلاق ، وجمهور العرب يقول : مررت بجوارٍ ، ومولى موالٍ ، بحذف الياء والتنوين ، فى الجر والرفع ، وأما فى النصب عندهما فلا تحذف الياء بل تظهر الفتحة

---

(١) فى النسختين : « والثانى » تحريف .

(٢) فى البيان ٣ : ١٩٤ : « والمرء » . وقبله :

* من عاش دهرا فسيأتيه الأجل *

وبعده : * الموت يتلوه ويلهيه الأمـل *

(٣) سيبويه ٢ : ٥٨ ، ٥٩ .

عليها ، نحو رأيت جوارىَ . والمراد بجوار : ما كان جمعا على هذا الوزن معتل اللام .

وهذا خلاف ماقاله س ، قال الأعلم فى شرح أبياته : « الشاهد فى إجرائه موالىَ على الأصل ضرورة[1] ، وكان الوجه مَوالٍ كجوار ونحوه من الجمع المنقوص ، فاضطر إلى الإتمام والإجراء على الأصل كراهة للزحاف » اهـ .

وكذا قال صاحب الصحاح قال : « وإنما قال مواليا لأنه ردَّه إلى أصله للضرورة ، وإنما لم ينون لأنه جعله بمنزلة غير المعتلّ الذى لاينصرف » .

١١٥ وصاحب اللباب وغيره جعله قولاً للنحويين لا لغةً لبعض العرب ، وقال : ونحو جوارٍ حكمه حكم قاضٍ رفعاً وجراً على الأعرف ، وحكم ضوارب نصبا ، وقيل نصباً وجرا . وبهذا سقط اعتراض ابن أبى إسحاق على الفرزدق فى قوله:

ولو كان عبد الله مولى هجوته . . . . البيت

والمولى : الحليف ، هو الذى يقال له مولى الموالاة ، والحليف : المعاهد ، يقال منه تحالفا ، إذا تعاهدا وتعاقدا على أن يكون أمرهما واحداً فى النُّصرة والحماية ، وبينهما حِلف وحِلْفة بالكسر فيهما أى عهد . والرجل إذا كان ذليلًا يوالى قبيلة وينضم إليهم ليعتزّ بهم ، وإذا والى مَولى كان أذلّ ذليل ، وكذلك القبيلة تُوالِى . وأراد بالموالى الحضرميّين ، وكانوا موالىَ بنى عبد شمس ابن عبد مناف ، يقول: لو كان عبدالله ذليلًا لهجوته ، ولكنه أذلُّ من الذليل لأنه حليفُ الحضرميين ، وهم حلفاء بنى عبد شمس . وهذا مبالغة فى الهجو .

والحضرمىّ : منسوب إلى حَضْرَمَوت ، وحضرموت : بلد وقبيلة . والصواب فى رواية البيت :

---

(١) بقية النقل إنما هو من استنباط البغدادى . وانظر الشنتمرى .

* لو كان عبد الله مولى هجوته *

بحذف الواو وجعلِ البيت مخروما ؛ فإنّه بيتٌ واحد ولم يتقدّمه شيء حتى تكون الواو عاطفة .

ابن أبي إسحاق

وعبد الله هذا هو عبدالله بن أبي إسحاق الزياديّ الحضرمي. قال الواحدي في كتاب الإغراب ، في علم الإعراب : « كان عبدالله من تلامذة عنبسة بن مَعْدان[1] ، وهو[2] من تلامذة أبي الأسود الدؤلي واضع النحو . وليس في أصحاب عنبسة مثل عبدالله ، واسمه ميمون الأقرن ، وهو الذي كان يردّ على الفرزدق قولَه :

وعضّ زمان يا ابنَ مرْوان لم يدع من المال إلاّ مُسحَتاً أو مُجلَّفُ

فهجاه الفرزدق بقوله :

فلو كان عبدالله مولى هجوته . . . . البيت

وكان يقال: عبدالله أعلم أهل البصرة وأعقلهم. وفرّعَ النحو وقاسه . وكان أبو عمرو بن العلاء قد أخذ عنه النحو . ومن أصحاب عبدالله الذين أخذوا عنه النحو عيسى بن عمر الثّقَفي ، ويونس بن حبيب ، وأبو الخطاب الأخفش» اهـ.

وقال أبو بكر محمد بن عبدالملك بن السرّاج المعروف بالتاريخي ، في تاريخ النحاة : وتوفى عبدالله هذا سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وصلّى عليه بلال بن أبي بردة .

(١) ط : « سعدان » صوابه في ش مع أثر تصحيح . وانظر لترجمة عنبسة إنباه الرواة ٢ : ٣٨١ وما به من مراجع .

(٢) أي عنبسة . وفي نزهة الألباء : « وعن أبي عبيدة أنه قال : اختلف الناس إلى أبي الأسود الدؤلي يتعلمون منه العربية فكان أبرع أصحابه عنبسة بن معدان المهري . واختلف الناس إلى عنبسة فكان أبرع أصحابه ميمون الأقرن » .

واعلم أنهم قد ذكروا فى سبب هجو الفرزدق لعبدالله أن عبدالله لحّنه فى قوله « إلاّ مسحتا أو مجلفُ » فإنه عطف المرفوع على المنصوب كما نقله الواحدى وغيره . وسيأتى إن شاء الله شرح هذا البيت مستوفًى فى باب العطف ، فلما بلغ الفرزدقَ تلحين عبدالله إياه هجاه بهذا البيت ، فلما بلغ هجوُ الفرزدق لعبد الله[1] قال : قولوا للفرزدق لحنت فى هذا البيت أيضا ، حيث حرّكت موالىَ فى الخفض .

هكذا روَوا هذه الحكاية ؛ والذى رأيته فى تاريخ النحاة للتاريخى ، المذكور آنفا ، قال حدثنى ابن الفهم عن محمد بن سلّام قال : أخبرنا يونس أن ابن أبى إسحاق قال للفرزدق ، فى مديحه يزيد بن عبد الملك بن مروان :

مستقبلين شَمالَ الشام تَضربُنا على زواحفَ تُزْجى مُخُّها رِيرِ

فقال له ابن أبى إسحاق : أسأت ! موضعها رفع ، وإن رفعتَ أقويت ! وألحّ الناسُ على الفرزدق فى ذلك فقلَبها فقال : ١١٦

* على زواحف نزجيها محاسيرِ *

ثم ترك الرواةُ هذا ورجعوا إلى القول الأوّل . قال يونس : وهذا جيِّد . فلمّا أكثر ابن أبى إسحاق على الفرزدق هجاه فقال :

لو كان عبد الله مولى هجوته . . . البيت

وقد حكى مثل حكاية التاريخى أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة ، قال: « وقد حكى أبو أحمد عبدالعزيز ابن يحيى الجلودى فى إسنادٍ ذكره ، فى أخبار الفرزدق : أن عبد الله بن أبى إسحاق النحوى قال : إنّ الفرزدق لحن فى قوله :

(١) كذا فى النسختين .

* على زواحف تزجى مخُّها رِيرِ *

وأنَّ ذلك بلغ الفرزدق فقال : أما وجَد هذا المنتفخُ الخصيين لبيتى مخرجاً فى العربية ؟ أما إنِّى لو أشاء لقلت :

* على زواحفَ نُزجيها محاسيرِ *

ولـكنَّنى والله لاأقوله ! ثم قال :

فلو كان عبد الله مولى هجوته . . . . البيت

فبلغ ذلك عبدَالله فقال : عُذره شرٌّ من ذنبه ، والخفض فى ريرٍ جيِّد وتقديره على زواحفَ ريرٍ مخُّها تزجى » اهـ كلامه .

وهذا البيت مركب من بيتين وهما :

مُستقبِلينَ شَمال الشَّام تَضربنا بحاصبٍ كنديف القطن منثورِ
على عمائمنا يُلقَى وأرحلُنا على زواحف نزجيها محاسيرِ

والشمال هى الريح المعروفة وهى مفعولةٌ . وجملة تضربنا : حال منها . والحاصب بمهملتين : الريح التى تثير الحصباء . والزواحف : جمع زاحفة بالزاى المعجمة والحاء المهملة ، وهى الإبل التى أعيت فجرّت فراسنها ، يقال زحف البعير إذا أعيا فجرّ فِرسِنَه أى خفّه . ونزجيها : نسوقها ، والإزجاء : السوق. ومحاسير : جمع محسور ، من حسرت البعير حسراً إذا أتعبته فهو حسير أيضاً ، ويقال أحسرته بالألف أيضاً ، ويكون لازماً أيضاً ، يقال حَسَر البعير يحسُر حسوراً ، إذا أعيا . والرِّير ، على ما فى الرواية الأخرى ، هو بإهمال الراءين ؛ قال الفراء : مخٌّ رير بفتح الراء وكسرها ، ورار أيضاً : أى فاسد ذائب من الهزال .

ومن الأمثال : « أسمح من مخة الرير » قال الزمخشري في أمثاله : الرير والزار : المخّ الذي قد ذاب في العظم حتّى كأنه ماء ؛ وسَماحهُ : ذوبه وجريانه .

وترجمة الفرزدق ذكرت في الشاهد الثلاثين[1] .

تتمـــة

قد تكلم ابن جنّي ، في شرح تصريف أبي عثمان المازني المسمى بالتصريف الملوكي[2] ، بتفصيل جيد في الكلام على تنوين (جوارٍ)أحببت أن أذكره هنا قال :

« فأما جَوار وغَواش ونحوهما ، فللسائل أن يقول : لم صرف هذا الوزن ، وبعد ألفه حرفان[3] ؟ وقد قال أبو إسحاق الزجاج في هذا ما أذكره لك : وهو أنه ذهب إلى أن التنوين إنّما دخل في هذا الوزن لأنه عوض من ذهاب حركة الياء ، فلما جاء التنوين وهو ساكن والياء قبله ساكنة التقى ساكنان فحذفت الياء فقيل هؤلاء جوارٍ كما قيل هذا قاض ومررت بقاض ؛ يريد أن أصله هؤلاء جواريُ ، ثم أسكنت الياء استثقالاً للضمة عليها فبقيتْ جواريْ ، ثم عوض من الحركة التنوين فالتقى ساكنان فوجب حذف الياء ، ألا ترى أنّ الحركة لما ثبتت في موضع النصب في قولك رأيت جواريَ لم يؤت بالتنوين ؟ لأنّه إنما كان يجيء عوضاً من الحركة ، فإذا كانت الحركة ثابتة لم يلزم أن يعوض منها شيء . وأنكر أبو علي هذا القول على أبي إسحاق وقال : ليس

(١) انظر ما سبق في ص٢١٧.
(٢) المنصف ٢ : ٧٠ — ٧٥ مع بعض التصرف من البغدادي .
(٣) بعده في المنصف : « الراء والياء والشين والياء » .

التنوين عوضاً من حركة الياء ، وقال : لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعوّض التنوين من حركة الياء فى يرمى ، ألا ترى أن أصله يرمىُ بوزن يضرب ؟ فكما لم نرهم عوّضوا من حركة هذه الياء ، كذلك لا يجوز أن يكون التنوين فى جوارٍ عوضاً من ذهاب حركة الياء . فإن انتصر منتصرٌ لأبى إسحاق فقال : إلزام أبى على إياه لا يلزمه ، لأن له أن يقول إن « جوارٍ » ونحوه اسم والتنوين بابه الأسماء ، و « يرمى » فعل والتنوين لا مدخل له فيه ، فلذلك لم يلزم أن يعوّض من حركته . قيل له : ومثال « مَفاعل » أيضاً لا يدخله التنوين[1] ! فإن قال : مفاعل اسم والاسم مما يصحُّ فيه التنوين . قيل له : لو كان الأمر كذلك لوجب أن يعوّض من حركة الألف فى « حبلى » ونحوِها تنويناً . فإن قال : لو عوض لدخل التنوين مالا ينصرف على وجه من الوجوه ! قيل : وكذلك مثال مفاعل لا ينصرف معرفة ولا نكرة . فإن قال : مفاعل قد ينصرف فى بعض المواضع فى ضرورة الشعر ، وحبلى وبابها لم يصرف قطُّ لضرورة . قيل : إنما لم يصرفوا حبلى للضرورة ، لأنّ التنوين كان يُذهب الألف من اللفظ فيُحصَل على ساكن هو التنوين ، وقد كانت الألف قبله ساكنة فلا يزدادون أكثر مما كان قبل الصرف ، فتركوا الصرف فى نحو حُبلى لذلك . ألا ترى أنهم يصرفون نحو « حمراء » فيقولون مررت بحمراءٍ للضرورة ؟ لأنهم قد ازدادوا حرفاً يقوم به وزنُ البيت ، وهمزة حمراء كألف سكرى وحبلى . والقول فى هذا ما ذهب إليه الخليل وسيبويه : من أن الياء حذفت حذفاً لا لالتقاء الساكنين ، فلما حذفت الياء صار فى التقدير جَوار بوزن جَناح ، فلما نقص عن وزن فواعل دخله التنوين كما يدخل جناحاً ؛ فدلَّ على أن التنوين إنّما دخله لما نقص عن وزنِ ضوارب ، ولذا إذا تم الوزن فى النصب وظهرت الياء امتنع التنوين أن يدخل ،

(١) بعده فى المنصف : « لجرى مجرى الفعل » .

لأنه قد تمّ فى وزن ضوارب ، فالتنوين على هذا معاقِبٌ للياء لا للحركة ، إذ لو كان معاقباً للحركة لوجب أن يدخل فى « يرمى » لأنّ الحركة قد حذفت من الياء فى موضع الرفع .

وشىء آخر يدلُّ عندى على أن التنوين ليس بدلاً من الحركة ، وذلك أن الياء فى جوار قد عاقبت الحركة فى الرفع والجر ، فى الغالب ، وإذا كان كذلك فقد صارت الياء لمعاقبتها الحركةَ تجرى مجراها . فكما لا يجوز أن يعوّض من الحركة وهى ثابتة ، كذلك لا يجوز أن يعوض منها وفى الكلمة ما هو معاقبٌ لها وجارٍ مجراها . وقد دلّت فى هذا الكتاب على أن الحركة قد تعاقب الحرف وتقوم مقامه فى كثير من كلام العرب .

فإن قال قائل : فلِمَ ذهب الخليل وسيبويه إلى أن الياء قد حذفت حذفاً حتّى أنه لما نقص وزن الكلمة عن بناء فواعل دخلها التنوين ؟ قيل : لأنّ الياء قد حذفت فى مواضعَ لا تبلغ أن تكون فى الثقل ، مثل هذا كقوله تعالى : « الكبيرُ المتَعال[1] » ، و « يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ[2] » ، و « يَوْمَ التَّنادِ[3] » وقال الشاعر :

* وأخو الغَوانِ متى يَشَبِ يصرِ منه[4] *

وقال آخر : * دوامى الأَيدِ يخبِطنَ السَّريحا[5] *

(١) الآية ٩ من سورة الرعد . (٢) الآية ٦ من سورة القمر .

(٣) الآية ٣٢ من سورة غافر .

(٤) للأعشى . وعجزه فى ديوانه ٩٨ :

* ويكن أعداء بعيد وداد *

وانظر سيبويه ١ : ١٠ .

(٥) لمضرس بن ربعى الفقعسى . انظر سيبويه ١ : ٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٧٢ . وصدره :

* فطرت بمنصلى فى يعملات *

فاكتفى فى جميع هذا بالكسرة من الياء ، وهو كثيرٌ جداً . فلما كان الاكتفاء بالكسرة جائزاً مستحسناً فى هذه الأسماء الآحاد ، والآحاد أخفُّ ١٨
من الجموع ، كان باب « جوارٍ » جديراً بأن يلزم الحذف لثقله . ألا ترى أنه جمعٌ وهو مع ذلك الجمعُ الأكبرُ الذى تنتهى إليه الجموع ! فلما اجتمع فيه ذلك وكانوا قد حذفوا الياء مما هو أخفُّ منه ألزموه الحذف البتة حتّى لم يجز غيره . وقد حذفت الياء من الفعل أيضاً فى موضع الرفع حذفاً كالمطَّرد كقوله تعالى : « ما كُنّا نَبْغِ[1] » ، « والليلِ إذا يَسْرِ[2] » وهو كثير . فهذا يدلُّك على اطّراد حذف الياء .

فإن قال قائل : الفعل أثقل من الاسم ، فكيف ألزم بابُ جوارٍ الحذفَ ولم يلزموه الفعل ؟ قيل له : لم يلزم فى الفعل ، لأن الياء قد تحذف للجزم حذفاً مطرداً ، فلو ألزموها الحذفَ فى موضع الرفع أيضاً لالتبس الرفع بالجزم ؛ وأجازوا الحذف فى بعض المواضع استخفافاً .

فإن قيل : هلاّ فصلت بين الرفع والجر أيضاً فى جَوارٍ كما فصلت بين الرفع والجزم ! قيل له : الضمة والكسرة وإن اختلفتا فى الصورة فقد اتفقتا فى أنّ كل واحدةٍ منهما حركة ، وأنهما كلتيهما مستثقلتان فى الياء ، فكذلك لم يفصلوا بينهما فى باب جَوار ، واعتمدوا على ما يصحب الكلام من أوله إلى آخره[3] ، وليس كذلك فى الرفع والجزم ، لأنهما لم يتّفقا فى حال كما اتفقت الضمة والكسر . فافهم » .

* * *

(١) الآية ٢٤ من سورة الكهف .
(٢) الآية ٤ من سورة الفجر .
(٣) فى المنصف : « او آخره » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون ، وهو من شواهد س[1] :

٣٦ (سماه الإلهِ فوقَ سبع سمائيا)

وصدره : (له مارأت عينُ البَصير وفوقَه)

أنشده لِما تقدَّم فى البيت قبله .

قال أبو جعفر النحّاس فى شرح شواهد س ، نقلا عن الأخفش ، ومثله ابن جنى فى شرح تصريف المازنى واللفظ له قال : « قد خرج هذا الشاعر عما عليه الاستعمال من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جمع (سماء) على فعائل فشبّهها بشَمال وشمائل ، والجمع المعروف فيها إنما هو (سُمِىّ) على فُعول ، ونظيره عَناق وعُنوق . ألا ترى أن سماء مؤنثة كما أن عَناقاً كذلك ؟

والثانى : أنه أقر الهمزةَ العارضة فى الجمع مع أن اللام معتلة ، وهذا غير معروف ، ألا ترى أن ما تعرض الهمزةُ فى جمعِه ولامُه واو أو ياء أو همزة فالهمزة العارضة فيه مغيَّرة مبدَلة نحو خطيئة وخطايا ، ومطيَّة ومطايا ، ولم يقولوا: خَطائى ولا مَطائى ! .

والثالث : أنه أجرى الياء فى (سمائى) مُجرى الباء فى ضوارب ، ففتحها فى موضع الجر ، والمعروف عندهم أن تقول : هؤلاء جَوارٍ ومررت بجوَار ، فتحذف الياء وتدخل التنوين . وللنحويين فى ذلك احتجاجٌ لـما يذهبون إليه من أنّ أصل مطايا مطائى ، ألا ترى أن الشاعر لما اضطر جاء به على أصله فقال (سمائيا) كما أنّه لـما اضطرّ إلى إظهار أصل (ضنّ) . قال :

(١) سيبويه ٢ : ٥٩ . وانظر الخصائص ١ : ٢١١ ، ٣٣٣ و ٢ : ٣٤٨ واللسان (سما ١٢٢) .

* أنى أجود لأقوام وإن ضَنِنوا[١] *

وكما قال الآخر :

* صددتِ فأطولْت الصدود[٢] *

يريد (أطلْت) . فهذه الأشياء الشاذة فيها حجج فى أن يقولوا : إن أصل هذا كذا .

وكذلك ماحكى عنهم من أنَّهم يقولون : غفر الله له خطائثه — بوزن خطاعه[٣] — فيه دلالة على أن أصل رزايا رزائىْ بوزن رزاعع[٤] . ألا ترى أن رزيئة كخطيئة ! فلا بدّ لهم فى جميع مايدعونه من قياسٍ يرجعون إليه ، أو مسموع يحملون ما غيِّر عليه » . انتهى .

وهذا كلُّه من الأصول لابن السيرافى ، إلاّ أنّ ابن جنّى بسط ما أجمله ابن السراج . .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأمية بن أبى الصلت ، مطلعها :

(ألا كلُّ شىء هالكٌ غيرَ ربّنا ... ولله ميراثُ الذى كان فانيا

وليٌّ : له من دون كل ولاية ... إذا شاء لم يُمسُوا جميعاً مواليا ١١٩

وإن يك شىء خالداً ومعمَّرا ... تأمَّل تجدْ مِن فوقه اللهَ باقِيا

له ما رأت عينُ البصير وفوقَه ... سماء الإلهِ فوق سبع سمائيا)

(١) لقعنب بن أم صاحب . انظر نوادر أبى زيد ٤٤ وسيبويه ١ : ١١ . وصدره :

* مهلا أعاذل قد جربت من خلقى *

(٢) للمرار الفقعسى ، أو عمر بن أبى ربيعة . الخزانة ٤ : ٣٢٥ بولاق . وهو بتمامه :

صددت فأطولت الصدود وقلما ... وصال على طول الصدود يدوم

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح ، وهو المألوف فى التنظير . وفى ط : « خطاعفه » تحريف .

(٤) كذا فى ش . وفى ط : «رزافع» .

وهذه قصيدةٌ عظيمة تشتمل على توحيد الله وقصص بعض الأنبياء كنوح ، ويوسف ، وموسى ، وداود ، وسليمان عليهم السلام[1] .

ويعجبنى منها قوله :

(ألا لن يفوتَ المرء رحمــةُ ربه ... ولو كان تحتَ الأرضِ سَبعينَ واديا
يُعالَى وتدركه من الله رحمــةٌ ... ويضحى ثَناه فى البرية زاكيا)

وقوله فى آخرها :

(وأنتَ الذى من فضل سَيب ونعمةٍ ... بعثتَ إلى موسى رسولاً مُنادِيَا
فقــال : أعنِّى يابنَ أمى فإننى ... كثيرٌ به ياربِّ صِل لى جناحيا
وقلتَ لهارُونَ : اذهبا فتظاهرَا ... على المرء فرعونَ الذى كان طاغيا
وقولا له : آأنت سويتَ هــذه ... بلا وتِدٍ حتّى اطمأنّتْ كما هيا
وقولا له : آأنت رفَّعتَ هــذه ... بلا عَمَــدٍ أرفِقْ إذًا بكَ بانيا
وقولا له : آأنت سوّيت وَسْطها ... منيراً إذا ما جنَّــهُ الليلُ ساريا
وقولا له : مَن أخرجَ الشمسَ بُكرة ... فأصبح ما مسَّت من الأرضِ ضاحيا
وقولا له : مَنْ أنبَتَ الحَبَّ فى الثرى ... فأصبح منــهُ البقلُ يهتزّ رابيا
فأصبحَ منــه حبُّهُ فى رءوسهِ ... ففى ذاك آياتٌ لمن كانَ واعيا)

وقوله : « ولىٌّ له من دون كل ولاية الخ » هو خبر مبتدإ محذوف ، أى ربنا ولىٌّ ؛ وهو فعيل بمعنى فاعل ، من وليه إذا قامَ به ، وكل من ولى أمر أحدٍ فهو وليّه ؛ والضمير فى له راجع لقوله « الذى كان فانيا » . والولاية ، قال أبو عمرو : هى بالكسر فى العمل ، وبالفتح فى الدِّين . وقوله : « إذا شاء الخ » يقول : إذا شاء أماتهم وفرقهم . والموالى : الورثة ، جمع مولى ، قال تعالى

---

(١) عليهم السلام ، ساقطة من ط .

« ولكلٍّ جعلنا مواليَ » ، أي ورثة . وقوله « له ما رأت عينُ البصير الخ » له: خبر مقدم وضميره لربنا ، وما موصولة مبتدأ مؤخر ، وتقديم الخبر للحصر ، أي الذي رأته الأعينُ مِلْكٌ لربنا ليس لأحدٍ شيء منه[1] ، وضمير فوقه عائد لما الموصولةِ . وسماء الإله أراد به العرش ، مبتدأ وخبره الظرف قبله . وقوله « فوق سبع سمائيا » حال من الضمير المستتر في (فوقه) . ومَن رفع سماء الإله بالظرف قبله كان « فوق سبع سمائيا » حالاً من سماء الإله . كذا في إيضاح الشعر لأبي عليّ .

قال ابن جني في الخصائص[2] : « وكان أبو علي ينشدنا : فوق ستّ سمائيا » .

وكذا رأيته أنا قد أثبته في الإيضاح ، وكذلك رأيته أنا أيضاً في ديوان (أميّة) ، فيكون المراد بسماء الإله : السماء السابعة .

أمية بن أبي الصلت ١٢٠ (وأميّة) هو أمية بن أبي الصَّلت ، واسمه : عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف الثّقفيّ . قال الأصمعيّ : ذهب أمية في شعره بعامّةِ ذكر الآخرة ، وعنترة بعامّة ذكر الحرب . وقد صدّقه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض شعره . وفي صحيح مسلم عن الرشيد بن سويد قال : « رَدِفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من شعر أُميّة بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم . قال : هيهِ ! فأنشدته بيتاً ، فقال : هيهِ ، ثم أنشدته بيتاً ، فقال : هيهِ ، حتى أنشدته مائة بيت ، فقال : « كاد ليَسلم » ، وفي رواية : « ليَسْلم في شعره » . وفي رواية : « آمن شعره وكفر قلبه » .

وفي الإصابة عن ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه أنشدِ قول أمية :

---

(١) ش : « منها » .

(٢) الخصائص ١ : ٢١١ .

رَجلٌ وثَور تحت رِجل يمينــهِ والنَّسر للأُخرى وليثٌ مُرصِد[١]

فقال : صدق ، وهذه صفة حَمَلة العرش .

وفى شرح ديوانه لمحمد بن حبيب : يقال : إنّ حملة العرش ثمانية : رجل، وثور ، و نَسر ، وأسد ، هذه أربعة وأربعة أخرى ؛ فأما اليوم فهم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أُيدوا بأربعةٍ أخرى فذلك قوله تعالى : « ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانِيَةٌ » . كذلك بلغنى ، والله أعلم ويقال : إن الذى فى صورة رُجلٍ هو الذى يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم ، وأما الذى فى صورة نَسر فهو الذى يشفع للطَّير فى أرزاقهم . وبلغنى أيضاً أن لكلِّ ملَكٍ منهم أربعةَ وجوهٍ : وجه رجل ، ووجه ثور ، ووجه أسد ، ووجه نسر . اه

وفى الأغانى[٢] بسنده لما أُنشد النبى صلى الله عليه وسلم قول أمية :

الحمــدُ لله مُمسانا ومُصبَحنا بالخــيرِ صبّحنا ربّى ومَسَّانا
ربٌّ الحنيفةِ لم تَنفد خزائنها[٣] مملــوءةً طَبَقَ الآفاقِ أشطانا
ألاَ نبىٌّ لنــا منَّا فيخبرنا ما بعُدُ غايتنا من رأس مجرانا[٤]
بينــا يُربّبنا آباؤُنا هَلـكوا وبينما نقتنى الأولادَ أبلانا[٥]
وقد علِمنا لوَ آنَّ العلمَ ينفعنــا أنْ سوفَ تلحق أُخرانا بأولانا

---

(١) فى الاصابة ١ : ١٣٣ :

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأُخرى وليث يرصد

،وبعده : « فقال: صدق هكذا صفة حملة العرش» .

(٢) الأغانى ٣ : ١٨٣ .

(٣) سـ : « لم تفتت خوائمها » ، وأثبت ما فى ط والأغانى .

(٤) الأغانى : « عيانا » .

(٥) الأغانى : « أفنانا » .

وقد عجبتُ وما بالموتِ من عجبٍ … ما بال أحيائِنا يبكون موتانا!

إلى أن قال :

يا ربِّ لاتجعلَنّى كافراً أبداً … وآجعل سَريرَةَ قلبى الدَّهْرَ إيمانا

وآخلِطْ بهِ[1] بِنْيتى وآخلِطْ به بَشَرى … واللحمَ والدَّمَ ماعُمِّرتُ إنسانا

إنى أعوذُ بمَنْ حجَّ الحجيجُ لهُ … والرّافِعونَ لدين اللهِ أركانا

مسلّمينَ إليـــه عند حجّهم … لم ينتغوا بثوابِ اللهِ أثمـانا

فقال صلى الله عليه وسلم : « آمن شعرُه وكفر قلبه » .

وقال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء[2] : وكان أمية يُخبر أن نبياً يخرُج ، قد أظلّ زمانه ، وكان يؤمّل أن يكون ذلك النبىّ ؛ فلما بلغه خروج النبى صلى الله عليه وسلم كفر به حسداً . ولمـا أنشد النبى صلى الله عليه وسلم شعره قال : « آمن لسانه وكفر قلبه » . وأتى بألفاظ كثيرة[3] لاتعرفها العرب ، وكان يأخذها من الـكتب . منها قوله :

بآيةِ قامَ ينطقُ كلُّ شىء … وخان أمانةَ الديك الغرابُ

وزعم أن الدِّيك كان نديماً للغراب ، فرهنه على الخمر وغدَر به وتركه عند ١٢١
الخمّار ، فجعله الخمّار حارساً .

ومنها قوله :

* قمرٌ وساهورٌ يُسَلُّ ويُغمَدُ *

وزعم أهلُ الـكتاب أنّ (الساهور) غلاف القمر يدخل فيه إذا انـكسف.

---

(١) ب : « نبق » .

(٢) الشعراء ٣٢٩ .

(٣) ب : « بالألفاظ كثيرة » .

وقوله فى الشمس :

ليستْ بطالعة لهم فى رسلها إلاّ معذَّبةً وإلّا تُجلَدُ

وكان يسمّى السموات صاقورة وحاقورة . وعلماؤنا لايرون شعره حجة على الكتاب .

ولما حضرته الوفاة قال :

كلُّ عيش وإن تطاولَ يوماً صائرٌ مرةً إلى أن يزولا
ليتنى كنتُ قبلَ ماقد بدا لى فى رءوس الجبال أرعى الوعولا

قال شارح ديوانه فى شرح بيت الشمس : قال أبو عمرو : قال أبو بكر الهذَلى : قلت لعكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما : أرأيت مابلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لأمية بن أبى الصلت : « آمن شعره وكفر قلبه »؟ فقال : هو حقٌّ ، وما أنكرتم من ذلك ؟ قال : قلنا : أنكرنا قوله :

والشمسُ تصبحُ كلَّ آخر ليلةٍ حمراء يُصبح لونها يتورَّدُ
ليست بطالعةٍ لهم فى رسلها . . . . (البيت)

فما شأن الشمس تُجلد ؟ قال : والذى نفسى بيده ما طلعت الشمسُ قَطْ حتّى ينخَسها سبعون ألف ملك يقال لها : اطلُعى ! فتقول : لا أطلُع على قوم يعبدوننى من دون الله . فيأتيها مَلكان حتى تستقلّ لضياء العباد ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدّها عن الطلوع ، فتطلع على قرنيه فيُحرقه الله تحتها . وما غربت قطّ إلاّ خرّت لله ساجدة ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدّها عن سجودها فتغرب على قرنيه فيُحرقه الله تحتها . فذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « تطلع بين قرنَىْ شيطان ، وتغرب بين قرنى شيطان[1] » .

(١) الخبر برواية أخرى فى الأغانى ٣ : ١٨٤ .

وفى الأغانى[١] عن الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى قال : كان أمية فى الجاهلية نظر الكتب وقرأها ، ولبس المسوح تعبّدا ، وكان ذكر إبراهيم[٢] وإسماعيل والحنيفية ، وحرَّم الخمر ، وتجنَّب الأوثان ، وصام ، والتمس الدين طمعاً فى النبوّة ؛ لأنّه كان قد قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث فى الحجاز من العرب وكان يرجو أن يكون هو ، فلمّا بُعث النبي صلى الله عليه وسلم حسده . وكان يحرّض قريشاً بعد وقعة بدر ويرثى من قتل فيها ، فمنْ ذلك قصيدته الحائية التى نهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن روايتها[٣] التى يقول فيها :

ماذا ببَدْرٍ والعَقَنْـ ـقَلِ من مَرازِبةٍ جَحاجحْ

لأن رءوس من قتل بها عتبة وشيبة : ابنا ربيعة بن عبد شمس ، وهما ابنا خالِهِ ، لأنّ أمّه رقية بنت عبد شمس .

وفى الإصابة : ذكر صاحب المرآة[٤] فى ترجمته عن ابن هشام قال : كان أمية آمَن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فقدِم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر ، فلما نزل بدراً قيل له : إلى أين يا أبا عثمان ؟ فقال : أريد أن أتبع محمداً . فقيل له : هل تدرى ما فى هذا القَليب ؟ قال : لا . قال : فيه شيبة وربيعه[٥] وفلان وفلان . فجدع أنف ناقته وشقّ ثوبه وبكى ، وذهب إلى الطائف فمات بها . ذكر ذلك فى حوادث السنة الثامنة . والمعروف أنه مات

(١) الأغانى ٣ : ١٨٠ .

(٢) ط والأغانى : « وكان ممن ذكر إبراهيم » .

(٣) لكن رويت فى السيرة ٥٣١ والعقد ٣ : ٣٠٠

(٤) مرآة الزمان ، لسبط ابن الجوزى .

(٥) فى الاصابة ١ : ١٣٣ : « فيه شيبة وعتبة ابنا خالك » .

١٢٢ فى التاسعة . ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً ، وصح أنه عاش حتى رثى أهل بدر ، وقيل إنّه الذى نزل فيه قوله تعالى : « الذى آتيناه آياتِنا فانْسَلَخَ منها»(١) . وقيل : إنه مات سنة تسع من الهجرة فى الطائف كافرا قبل أن يُسلِم الثقفيون .

ورأيت فى ديوانه قصيدة مدح بها النبىّ صلى الله عليه وسلم أولها :

لكَ الحمدُ والمنُّ ربَّ العبا ... دِ أنتَ المليكُ وأنت الحكم

إلى أن قال :

ودِنْ دينَ رَبِّكَ حتّى التُّقى ... واجتنبنّ الهوى والضَّجَمْ
محمدٌ أرسَلَه بالهدى ... فعاشَ غنيًّا ولم يهتضم
عطاءٌ منَ اللهِ أعطيَه(٢) ... وخصَّ به اللهُ أهلَ الحرم
وقد علموا أنَّه خيرُهم ... وفى بيتهم ذى الندى والكرم
يَعيبون ما قالَ لمَّا دعا ... وقد فرّج الله إحدى البهم
به وهو يدعو بصدق الحدي ... ثِ إلى الله من قبل زَيغ القَدَم
أطيعوا الرسولَ عبادَ الإله ... تنجون من شرِّ يومٍ ألَمّ
تنجون من ظلمات العذاب ... ومن حرِّ نار على من ظلم
دعانا النبىُّ به خاتم ... فمن لم يُجِبهُ أسرَّ الندم
نبىٌّ هُدًى صادقٌ طيّبٌ ... رحيمٌ رءوفٌ بوصل الرَّحِم
به خَتمَ اللهُ مَن قبله ... ومن بعده من نبى خَتَم
يموتُ كما ماتَ مَن قد مضى ... يُرَدُّ إلى الله بارى النَّسَم
مع الأنبيا فى جِنانِ الخلودِ ... هُمُ أهلها غير حِل القسم

(١) الآية ١٧٥ من سورة الأعراف.
(٢) ط : « اعطيته » .

وقدّس فينا بحبّ الصلاة جميعاً وعلّم خطّ القلم

كتاباً من الله نقرا به فمن يعتديه(١) فقدْ ما أثمْ

ما زائدة ، وأثم فعل ماض .

« تتمـة »

تتبعت من اسمه أمية فوجدتهم خمسة : أحدهم هذا ، والثانى : أمية بن كعب المحاربى ، والثالث : أمية بن خلف الخزاعى . والرابع : أمية بن أبى عائذ الهذلى . والخامس: أمية بن الأسكر الكنانى . ولم يذكر واحداً منهم الآمدى فى كتابه (المؤتلف والمختلف) مع أن هذا من شرط كتابه . من اسمه أمية

ونترجم إن شاء الله من هؤلاء من يأتى له شعر فى هذه الشواهد ، بعون الله تعالى وحسن توفيقه .

* * *

وأنشد بعده : (يَفوقانِ مِرْداسَ فى مَجمعِ)

تقدم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد السابع عشر(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون :

٣٧ (كم دُونَ ميةَ من خرْقٍ ومن عَلمٍ كأنّه لامعٌ عُريانَ مسلوبُ) ١٢٣

(١) ـ : « فمن يقتد به » .

(٢) انظر ماسبق فى ص ١٤٧.

على أن عريان جاء فى ضرورة الشعر ممنوعَ الصرف ، تشبيهاً بباب سكران .

قد تقدم فى الشاهد السابع عشر[1] أنّ الكوفيين يجيزون ترك الصرف للضرورة[2] فى الأعلام وغيرها ، ومن جملة شواهدم :

* والسيف عريان أحمر[3] *

وتقدم . و (كم) هنا للتكثير . و (دون) بمعنى قدام . و (ميّة) اسم محبوبة ذى الرمة ولقبها الخرقاء كما تقدم بيانه فى الشاهد الثامن . وفى أكثر نسخ هذا الشرح (بيشة) بدل مية ، وهو موضع باليمن وهو مأسدة . وفى كتاب النبات للدينورى : بِيشة : واد عظيم من أودية نجد . وهو تحريف من الكتّاب . و (الخرق) بفتح المعجمة وسكون الراء المهملة وبالقاف ، هو الأرض الواسعة التى تتخرّق فيها الرياح . و (العلم) : الجبل ، والمنار الذى يهتدى به فى الطرق . وجملة كأنه صفة للعلم والرابط ضمير كأنه . شبَّهه برجل عريان سلب ثوبه فهو يشير إلى القوم . و (اللامع) من لمع الرجل بيده إذا أشار ، والموصوف محذوف أى رجل لامع . وهذا البيت من أبيات عشرة لذى الرمة . وقبل هذا البيت :

(هيهات خرقاء إلاّ أن يقرّبها ذو العرش والشعشعاناتُ المراجيبُ)

يستبعد الوصول إليها لبعد ما بينهما ، إلا أن يقرّبها الله إليه والجمالُ . والشعشعانة : الناقة الخفيفة الطويلة . والمراجيب : جمع هرجاب ، وهى الناقة الطويلة الضخمة .

ثم بعد أن وصف الناقة فى أبيات ثلاثة قال :

(١) ص ١٤٧ .

(٢) كلمة « ترك » ساقطة من سه .

(٣) انظر ص ١٤٨ فى الشاهد ١٧ والإنصاف ٤٩٧ .

كم دون مية من خرق ومن علم ... (البيت)

وبعده :

(ومن مَلمِّعة غبراء مظلمة ترابُها بالشّعاف الغُبر معصوبُ)

هذا معطوف على قوله من خرق ومن علم . والملمِّعة : اسم فاعل ، وهى الفلاة التى يلمع فيها السّراب ؛ ويقال لها اللّماعة أيضاً . قال ابن أحمر :

كم دونَ ليلى من تَنوفية(١) لمّاعة يُنذَر فيها النذُر

والسراب يقال له يلمع ، ويشبَّه به الكذوب . والشّعاف : رءوس الجبال . والمعصوب : الملفوف عليه كالعصابة . وبعده وهو آخر الأبيات :

(كأن حِرباءها فى كلّ هاجرة ذو شَيبة من رجال الهند مصلوب)

الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحرّ . والحِرباء : دويبة تستقبل الشمس على أغصان الشجر وتدور معها كيف دارت ، ويتلوّن ألوانا بحرّ الشمس يخضرّ كأنه شيخ هندىٌّ مصلوب على عود .

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون ، وهو من شواهد س(٣) :

٣٨ (أنا ابنُ جَلا وطَلاّعُ الثَّنايا متَى أضعِ العِمامةَ تَعرفونى)

على أن (جلا) غير منصرف عند عيسى بن عمر ، لأنّه منقول من الفعل ، ولم يشترط غَلَبة الوزن بالفعل . وأجاب عنه الشارح المحقّق تبعا لغيره بوجهين :

(١) ش : « تنوفة » ، صوابه فى ط واللسان (لمع ، تنف).
(٢) ص ١٠٦
(٣) كتاب سيبويه ٢ : ٧ . وانظر ايضا العينى ٤ : ٣٥٦ وابن يعيش ١ : ٦١، ٣ : ٥٩ ، ٦٢ وهمع الهوامع ١ : ٣ والأصمعيات ص ١٦ .

الأول وهو جواب س : أن العَلَم إنّما هو الفعل مع ضميره المستتر ، فهو
١٢٤ جملة محكية وليس العلَم هو الفعل بدون ضميره . ويردُ عليه أنّ جلا ليس اسماً لأبي الشاعر ولا لقباً له كما يعلم من ترجمته الآتية ، وإنما ابنُ جلا في اللغة المنكشف الأمر ، كما قاله المبرد في الكامل[1] .

وقال القالي في أماليه[2] : يقال هو ابن جلا ، أي المنكشف المشهور الأمر ، وأنشد الأصمعيّ :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا . . الخ

قال : وابن أجلَى مثله . وأنشد للعجاج :

لاقوا به الحجَّاج والإصحارا به ابن أجلَى وافق الإسفارا[3]

قال : ولم أسمع بابن أجلى إلاّ في بيت العجَّاج . وقوله لاقوا به ، أي بذلك المكان . وقوله : والإصحارا ، أي وجدوا به ابن أجلى ، كما تقول لقيت به الأسد أي كأني لقيت بلقائي . وقوله وافق الإسفارا ، أي واضحاً مثل الصبح . وقال ابن الأثير في المرصّع : ابن جلا ، وابن أجلى ، هو الرجل المعروف المشهور والأمر الواضح المكشوف . وزعم بعضهم أنّ ابن جلا اسم رجل كان فاتكاً صاحب غارات مشهوراً بذلك . وأنشد هذا البيت .

وقوله بعد هذا : « وهو في الأصل فعل ماض سمِّي به ، وإنما لم يصرف لأنه أراد به الحكاية » فاسدٌ ؛ لأنه ركب من القولين قولا . وقال الباوَيُّ في كتاب (ألف باه) : ابن جلا وابن أجلى هما بمعنى التجلّي والأمر المنكشف ، وهو أول النهار . وقال صاحب القاموس : وابن جلا الواضح الأمر كابن أجلى .

---

(١) الكامل ١٢٨ ، ٢١٥ .
(٢) أمالي القالي ١ : ٢٤٦ .
(٣) ديوان العجاج ٢٣ .

وقال ابن الأنبارى والقالى فى المقصور والممدود لها : وقولهم أنا ابن جلا : أنا ابن البارز الأمر ، أنا ابن من لا ينكر .

فهذا كلُّه يدل على عدم اختصاصه بأحدٍ ، بل يجوز لكلِّ أحدٍ أن يقول للتمدُّح : أنا ابنُ جلا ، كما قال اللعين المِنقرى يهجو رؤبة بن العجاج :

إنّى أنا ابنُ جلا إن كنتَ تعرفنى يا رؤبَ والحيةُ الصمّاء والجبلُ
أبا لأراجيز يا ابن اللؤم توعدنى وفى الأراجيز خلتُ اللؤمُ والفشلُ

وهذا البيت ينشده النحويون :

* وفى الأراجيز خلتُ اللؤمُ والخوَرُ *

والصواب ما ذكرناه . فإنّ القصيدة لامية ، إلاّ أن يكونَ من قصيدة أخرى رائية . وقال الآخر(١) :

* أنا القُلاخ بن جَناب بن جلا *

قال العسكرى فى التصحيف : جناب جدُّ القلاخ . انتسب إليه . وابن جلا ليس بجدٍّ ، إنما أراد أنا ابن الأمر المكشوف ، مثل قول سُحَيم :

* أنا ابن جَلا وطلاعُ الثنايا * . . . انتهى

الثانى وهو جواب الزمخشرى فى المفصَّل : أن جلا ليس بعلم ، وإنما هو فعل ماض مع ضميره صفة لموصوف محذوف . وبهذا الوجه أورده الشارح فى باب النعت وفى باب أفعال المدح والذم أيضاً ، وضَعَّفه فى الأبواب الثلاثة بأن الجملة إذا كانت صفة لمحذوف فشرط موصوفها أن يكون بعضاً من متقدّم مجرور بمن أو فى كما بين .

(١) هو القلاخ . وانظر التصحيف للعسكرى ٣٨٨ .

ويبقى وجه ثالث ذكره ابن الحاجب فى أماليه وهو أن يكون جلا اسماً لا فعلا ، وأن يكون بتقدير ذى ، أى أنا ابنُ ذى جلا ، والجلا هو انحسار الشعر عن مقدَّم الرأس .

أقول : فى القاموس وغيره : الجلا بالقصر : انحسار مقدَّم الرأس من الشعر أو نصف الرأس ، أو هو دون الصلع ، جَلِيَ كرَضِيَ جلاً . انتهى. وفى المقصور
١٢٥ والممدود لابن الانبارى والقالى : الجلا انحسار الشعر من مقدم الرأس من جانبى الجبهة ، مقصور يكتب بالألف لأنه يقال : رجل أجلى وامرأة جلواء . وعلى هذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ذى ، فإنه يقال فلان ابن كذا بمعنى أنه ملازم له كما يقال أخو حروب . والصَّلَع ونحوه أحد مَخايل الشجاعة وأماراتها ، وقيل من دلائل الكرم ، لأنّ العرب تقول : الذى ولد أصلع يكون كريماً بحسب الغالب . والمراد من وضع العمامة إزالتها عن الرأس ، إما لأن الذى يعرفه إنما رآه مكشوفَ الرأس فى الحروب لكثرة مباشرته إياها فإذا رأى العمامة جهله ، وإمّا لأن الذى يعرفه إنما رآه لابسا آلات الحرب وعلى رأسه البيضة لكثرة حروبه فينحّى عمامته ويلبس البيضة .

وهذا محصل كلام ابن الحاجب فى أماليه ، وعبارتُه : قوله متى أضع العمامة تعرفونى الخ إما أن يريد كثرة مباشرته الحروب فلا يراه الأكثر إلاّ بغير عمامة فقال : متى أضع العمامة يعرفنى الذى ما رآنى إلاّ غير متعمم ، أو يريد أنّنى بكثرة مباشرتى الحروب ولباسى بيضة الحرب فتى أضع العمامة وألبس آلة الحرب يعرفونى . يعنى إذا حاربت عُرفت بأقدامى وشجاعتى . انتهى .

والوجه هو الأوّل ، وقد لحظه ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب فأخذه وضمنه ببعض تغييرٍ فى الرشيد عُمَر الغوى وكان به داء الثَّعلب ، وهو من نوادر ما قيل فى أقرع ، وقال :

عجبت لمعشر غلطوا وغضُّوا من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة يعرفوه

وقال أبو العباس أحمد اللخمى المالكى وتوفى فى سنة ٦٠٣ ثلاث وستمائة :

يُسَرُّ بالعيد أقوامٌ لهم سَعة من الثراء وأمّا المقترون فلا
هل سرَّنى وثيابى فيه قومُ سَبا أو راقنى وعلى رأسى به ابن جلا

يعنى بقوم سبا قوله تعالى : « مزّقناهم كل ممزق » ، وابن جلا ما له عمامة .

وقال ثعلب فى أماليه(١) فى الكلام على هذا البيت : والعمامة تلبس فى الحروب وتوضع فى السلم . وهذا خلافُ الواقع وضد معنى البيت .

وقال الكرمانى شارح شواهد الموشّح (شرح الكافية الحاجبية للخبيصى) : قوله متى أضع العمامة يحتمل معنيين بحسب اختلاف التقديرين :

الأول أن يقدر « على » ، فيكون التقدير متى أضع العمامة على رأسى تعرفونى أنى أهلٌ للسيادة والإمارة .

والثانى أن يقدر « عن » ، أى متى أضع العمامة عن رأسى تعرفوا شجاعتى بواسطة صَلع رأسى ، لأنّه أحد مخايل الشجاعة .

هذا كلامه . ولم يتعرض لمعنى وضع العمامة العينى ولا السيوطى ولا صاحب المعاهد فى شروح شواهدهم(٢) . وطلاع مبالغة طالع يقال : طلعت الجبل طلوعا أى علوته ، يتعدّى بنفسه . وطلعت فيه : رقِيته .

قال ثعلب فى أماليه : من رفع طلاع الثنايا [جعله مدحا لابن ، ومن خفضه

(١) مجالس ثعلب ٢١٢ . ولفظه : « تلبس فى الحرب » .
(٢) شرح شواهد المغنى ١٥٧ ، ٢٥٤ ومعاهد التنصيص ١ : ١٤ .

جعله مدحاً جلا . يعنى أنه روى فيه الخفض والرفع ، والجيد عندى الرفع .
والثنايا[1]] : جمع ثنية .

قال المبرد فى الكامل : هى الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل ، وإنّما أراد أنه جلدٌ يطلع الثنايا فى ارتفاعها وصعوبتها . قال دُريد بن الصمّة يعنى عبد الله أخاه :

كميشُ الإزار خارج نصف ساقه بعيد من السّوءات طلّاع أنجدِ

١٢٦ والنجد : ما ارتفع من الأرض .

وقال ابن قتيبة فى أبيات المعانى[2] : قوله طلاع الثّنايا أى يطلع على الثنايا، وهى ماعلا من الأرض وغلظ . ومثله قولهم : طلّاع أنجُد .

وقال العينى : والثنايا : جمع ثنية ، وهى السنّ المشهورة . وهذا غير لائق به .

وهذا البيت مطلع قصيدة لسُحيم بن وَثيل الرّياحى ، وليس هو للعرجى كما توهمه التفتازانى فى المطوّل . وبعده :

(وإنّ مكانَنا من حِمْيَرىّ مكانُ الليث من وسط العرين
وإنّى لن يعود إلىّ قِرنى غداة الغِبّ إلا فى قرين
بذى لِبَدٍ يصُدُّ الركبُ عنه ولا تُؤْنى قرينتُهُ لحين[3]
عذرت البُزْلِ إذْ هى خاطرتنى فما بالى وبالُ ابنَىْ لَبُون
وماذا يَبتغى الشعراء منّى وقد جاوزتُ حد الأربعين

(١) ما بين المعقفين من ـه وسقط من ط .
(٢) المعانى الكبير ٥٣٠ .
(٣) فى الأصمعيات ١٩ وكذا فى ـه مع أثر إصلاح : « فريسته » .

أخو خمسينَ مجتمعٌ أشُدِّى ونَجَّذَنى مُداورة الشئون
فإنّ عُلالتى وجِراء حولى لذو شِقٍّ على الضَّرَعِ الظُّنون
كريم الخال من سَلَفىْ رِياح كنصل السيف وضّاح الجبين
متى أحلل إلى قطن وزيد وسلمى تكثرِ الأصوات دونى[١]
وهَمّام متى أحلل إليه محلَّ الليث فى عِيص أمين
ألفّ الجانبين به أسودٌ منطقّة بأصلاب الجفون
وإن قَناتنا مشظٌ شَظاَها شديدٌ مَدُّها عُنُقَ القرين)

سبب الأبيات

روى صاحب المعاهد وغيره ، أنَّ السبب فى هذه الأبيات : أنّ رجلا أتى الأبيرد الرياحى وابنَ عمه الأخوص[٢] ، وهما من ردُف الملوك من بنى رياح ، يطلب منهما هِناءً لإبله ، أى قطرانا . فقالا له : إذا أنت أبلغت سحيم بنَ وثيل الرياحيَّ هذا الشعرَ أعطيناك . فقال : قُولا . فقالا : اذهب وقل له :

فإنّ بُداهتى وجِراء حولى لذو شِقّ على الحِطِم الحرونِ

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه[٣] وانحدر فى الوادى يُقبِل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال : اذهب وقل لهما . وأنشد هذه الأبيات . قال : فأتياه واعتذرا له ، فقال : إنّ أحدكما ليرى أنّه صنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا ، وحَسَبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة البعير الأربّ ؟! انتهى .

وفى العمدة لابن رشيق : أنَّ الأخوص والأبيرد ابنى المنذر ، وهما شاعران مُنْلِقان . وقال عبد الكريم : الأبيرد ابن أخى الأخوص . انتهى .

(١) هذا البيت والبيتان بعده لم يرويا فى الأصمعيات .
(٢) ط : « الأحوص » بالحاء المهملة ، صوابه فى ـ .
(٣) ط : « حصاة » ، صوابه فى ـ .

والرُّدُف بضمتين : جمع رِدف بكسر فسكون(١) . والرِّدف هو الذى يجلس على يمين الملك ، فإذا شرب الملك شرب الرِّدف قبل الناس ، وإذا غزا الملك قعد الردف فى موضعه وكان خليفتَه على الناس حتّى ينصرف ، وإذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف ربع الغنيمة .

والبُداهة بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، والجِراء بكسر الجيم : مصدر جاراه مجاراة وجراء ، أى جرى معه . والحول : العام . والشِّق بالكسر : المشقة . والحَطِم بفتح الحاء وكسر الطاء المهملتين : الفرس الهرِم . قال
١٢٧ فى الصحاح : الحطِم المتكسِّر فى نفسه ، ويقال للفرس إذا تهدَّم لطول عمره : حطم . ويقال : حطِمت الدابة بالكسر إذا أسنت ، وحطَمته السن بالفتح حطما . والحَرون : الفرس الذى لايقاد ، وإذا اشتدّ به الجرى وقف .

وهذا البيت تعريضٌ لسحيم بأنه لايبلغ غايتَهما لكبره وعجزه . والأزبُّ بالزاى المعجمة ، والزَّبب هو طول الشعر ، ويقال بعير أزبّ ، ولا يكاد يكون الأزبّ إلاّ نفوراً(٢) لأنّه ينبت على حاجبيه شعرات ، فإذا ضربته الريح نفر .

وقول سحيم (وإن مكاننا من حميرىّ) يأتى فى نسبه أنّ حميرياً أحد أجداده . و (اللّيث) : الأسد . و (العَرين) بفتح المهملة : الأجمة ، والغابة وفيها يكون مأوى الأسد . يريد أنه فى بحبوحة النسب إلى حميرىّ لا فى أطرافه . و (القِرْن) بكسر القاف : الكفء فى الشجاعة ، وقيل عامٌّ . و (الغِبّ) بالكسر : ورود الإبل الماء فى اليوم الثانى ، وغداة الغب : اليوم الذى يسوقون إبلهم فيه . و (القرين) : المقارن والمصاحب . وفى بمعنى مع . وقوله

(١) كذا . ومثله جمعهم للردف أيضا على ردافى . والقياس أن يكون جمع رديف .
(٢) ومنه قولهم فى المثل : « كل أزب نفور » . انظر اللسان (زبب) وأمثال الميدانى ٢ : ٧١ . وقائله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد ، وكان أزب جبانا

(بذى لبد) ، بدل من قوله فى قرين . وفاعل يصدّ ضمير ذى لبد . وضمير عنه وقرينته[1] لِلقرن . وذو اللبِدَ هو الأسد ، بكسر اللام وفتح الباء : جمع لِبدة كقِرَب جمع قِربة ، واللّبدة هى الشعر المتلبّد بين كتفى الأسد . والقرينة : النفس ، يقول : إنّ قِرنى لايقدر أن يقابلنى من خوفه إلاّ مع رفيق ، كالأسد يقدر أن يدفع ركباً عنه ، حتّى تسلم نفسه منّى لحينٍ من الأحيان .

وقوله : (عَذَرت البزل) هو جمع بازل ، وهو البعير المسن . (وخاطرتنى): راهنتنى ، من الخطَر بالتحريك وهو الشىء الذى يُتراهن عليه ، وقد أخطر المالَ : جعله خَطراً بين المتراهنين . وخاطره على كذا : راهنه . وابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة . يقول : إذا راهننى الشيوخ على شىء عذرتهم لأنهم أقرانى ، وأما الشُّبان فلا مناسبةَ بينى وبينهم . وأراد بابنَىْ لبون الأبيرد وابن عمه ، فإنّهما طلبا مجاراته فى الشعر .

وقوله : (وماذا يبتغى الشعراء منى الخ) ، رواه الجوهرى « وماذا يدَّرى الشعراء » . قال : ادّراه : افتعله ، بمعنى ختله ، من درى الصيد إذا خَتَله . واستشهد النحاة بهذا البيت على كسر نون الجمع .

وقوله (أخو خمسين) أى أنا أخو خمسين سنة . واجتماع الأشُدّ عبارةٌ عن كمال القوى فى البدن والعقل . وقال صاحب العباب : والرجل المجتمِع : الذى بلغ أشدَّه واستوت لحيته ، ولا يقال ذلك للنِّساء ، وأنشد هذا البيت لسحيم . وفيه نظر . وقوله : ونجذّنى بالذال المعجمة ، أى هذّبنى . قال فى الصحاح : « ورجل منجَّذ أى مجرَّب أحكمته الأمور » . وهو من الناجذ وهو آخر الأضراس ، ويسمّى ضرس الحِلم بكسر الحاء ، لأنه ينبت بعد البلوغ

(١) ط : « فريسته » ، صوابه فى ش .

وكمالِ العقل. والمداورة : مفاعلة من دار يدور ، بمعنى المعالجة والمزاولة والشئون : الأمور ، والأحوال ، جمع شأن .

وقوله : (فإنّ عُلالتى الخ) العلالة بضم العين المهملة : بقية جرى الفرس . والضَّرَع ، بفتح الضاد المعجمة والراء المهملة : الضعيف . وفى القاموس وضرُع ككرم : ضعف ، فهو ضَرَع محركة ، من قوم ضَرَع محركة أيضاً ، ومهر ضَرَع محركة : لم يقو على العدْو . والظَّنُون بالمعجمة كصبور : الرجل الضعيف والقليل الحيلة . وهذا تعريضٌ بأنّ فيهما ضعفاً لا يقدران على مجاراته وإن كان شيخاً .

وقوله : (كريم الخال) أى أنا كريم الخال . ورِياح بكسر الراء المهملة وبالمثناة التحتية ، هو ابن يربوع وأبو قبيلة سُحيم . وأحلُل : أنزل . وقَطَن وزيد هما خالاه . وسَلمى خالته . وكثرة أصواتهم للترحيب والتهنئة . وهمَّام هو عمه . والعِيص بكسر العين وبالصاد المهملتين : الشجر الكثير الملتفّ . وبيَّن بهذين البيتين سلفَيْه من رياح . والألفُ : الموضع الملتفّ الكثير الأهل . والمنطَّقة : المحزَّمة بالمِنْطقة ، وهى الحزام . يقال : انتطق الرجل وتنطَّق : شدّ وسطه بالمِنْطَقة كمكنسة ، وهى ما يُنتطق به . والجفون : جمع جَفْن بالفتح ، وهو قراب السيف. وأراد بالجفون السيوف ، وبالأصلاب سيورها.

وقوله : (وإنّ قناتنا مَشِظ الخ) مشظ بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وإعجام الظاء : هو الذى يدخل فى اليد من الشوك إذا مُسّ . يقال مشظ من باب فرح : مسّ الشوكَ أو الجذع فدخل فى يده منه شىء ، والشَّظَى بفتح الشين والظاء المعجمتين ، بمعنى الشظيَّة وهى الفِلقة والقطعة من الشىء . والشَّديد من الشدّة . ومدُّها فاعل شديد . و (عُنقَ القرين) منصوب بمدّها . والقرين : القرن المقاوم . والبيت على طريق التشبيه . يقول : من تعرَّض لنا بسوء ناله

مكروه يتأذّى به ، كالذى يمسُّ جلده قناة مَشِظة فيدخل فى جلده من شظاها وهى مع ذلك صُلبة ، من قُرِن بها مدّت عنقه إليها ولم تنثن إليه . كذا فى شرح أبيات الإصلاح لابن السيرافى .

ترجمة سحيم

و (سُحَيم) : مصغر أسحم ، تصغير ترخيم من السُّحْمة بالضم ، وهى السواد . ابن (وَثيل) بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة ، وهو فى اللغة كما فى القاموس : الليف ، والرشاء الضعيف ، والحبل من القِنّب ، والضعيف . وفى الإصابة لابن حجر — وتبعه السيوطى فى شواهد المغنى — أنه بالتصغير ، وهو غير منقول . (ابن أُعَيفر) : مصغر أعفر بالعين المهملة والفاء ، وهو الرمل الأحمر والأبيض وليس بالشديد البياض . وأعيفر (ابنُ أبى عمرو بن إهاب بكسر الهمزة ابن حِمْيَرى) بلفظ النسبة إلى حِمْيَر ، وهو أبو قبيلة من اليمن ، وهو حِمْيَر بن سبأ بن يَشْجب بن يَعْرُب بن قحطان . قال ابن الكلبى فى جمهرة الأنساب : حميرى بن رياح يقال فيه حَمَّرىّ أيضاً أى بفتح الحاء وتشديد الميم .

وزعم الدمامينى فى الحاشية الهندية أنّ الياء فى حميرىّ زائدة(١) ، أو للنسبة بتقدير من نسب حميرى . وهذا من عدم اطّلاعه على نسب الشاعر . وتقدم فى شرح أول بيت من الشواهد(٢) أن حميريًّا أحد آباء ذى الخِرَق الطُّهَوى أيضاً . وحميرىّ بن رياح ، وتقدم ضبطه .

ورياح ابنُ يربوع . ويربوع اثنان : أحدهما يربوع أبو حىّ من تميم ، وهو يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . والثانى أبو بطن من مُرَّة ،

(١) أى كما فى قولهم : «أحمرى» و «أصفرى» و «دوارى» ، للأحمر والأصفر ، يريدون الياء للمبالغة . انظر شرح الشافية للرضى فى أول باب المنسوب .

(٢) ص ٤٢ .

وهو يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غَطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .

وسُحيم بن وثيل يتّصل نسبه بيربوع بن حنظلة ، كما قال ابن الـكلبى فى الجمهرة . فمن بنى حميرى بن رياح بن يربوع بن حنظلة سُحيمُ بن وثيل بن عمرو بن جُوين بن أهَيب بن حميرىّ الشاعر ، القائل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا . . . (البيت)

وهو الذى نافر غالباً أبا الفرزدق فى الإسلام . انتهى

وليس فى آباء سحيم من اسمه جلا . وسحيم شاعر معروف فى الجاهلية والإسلام ، عدّه الُجمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام(١) وقال : سحيم
١٢٩ ابن وثيل شاعر خنذيذ شريف ، مشهور الذكر فى الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع فى قومه .

وقال ابن دريد : عاش سُحيمٌ فى الجاهلية أربعين سنة وفى الإسلام ستين سنة ، فهو من الشعراء المخضرمين ، وله أخبار مع زياد ابن أبيه ، وهو الذى افتخر مع غالب بن صعصعة والد الفرزدق فى نحر الإبل ، فبلغ علياً رضى الله فأفتى بحرمة ما نحره سحيم .

وسنأتى إن شاء الله تعالى هذه القصّة مشروحة فى باب الاشتغال فى قول جرير:

تعُدُّون عَقرَ النِّيب أفضلَ مجدِكم   بنى ضَوْطَرَى لولا الـكمِىَّ المقنَّعا

من اسمه سحيم — وله سَميّان من الشعراء : أحدهما سُحيم بن الأعرف ، وهو من بنى الهجيم ، وكان فى الدولة الأموية ، ولم يذكر ابن قتيبة فى طبقات الشعراء غير هذا(٢)

(١) الحق أنه جعله فى الطبقة الثالثة . ابن سلام ٤٨٥ ، ٤٨٩ .

(٢) الحق أن ابن قتيبة ذكر أيضا سحيم بن وثيل الرياحى فى ٦٢٦ كما ذكر أيضا عبد بنى الحسحاس فى ٣٦٩ . ولعل هذا الخلاف راجع إلى نقص فى النسخ .

وأورد طرفا من شعره . والثانى سُحيم عبد بنى الحَسحاس ، وكان عبدا حبشيًّا ، وهو صاحب القصيدة التى أولها :

عُميرةَ ودّعْ إنْ تجهّزتَ غاديا　　كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

وهو من شواهد مغنى اللبيب ، وسنذكر إن شاء الله ترجمته بتوفيق الله تعالى فى الشاهد الرابع[1] والتسعين .

ولم يذكر الآمدى فى كتابه المؤتلف والمختلف واحداً من هؤلاء الثلاثة ، مع أنه من شرط كتابه .

وقد حصل اللَّبس للعينى فى باب المعرب والمبنى من اتفاق أسماء هؤلاء ، فزعم أنَّ الأول هو الثالث فقال : سحيم بن وثيل الرياحىّ كان عبدا حبشيا ، وكان عبد بنى الحسحاس . هذا فيما قاله الجوهرى . انتهى . مع أن الجوهرى لم يذكر لفظ سحيم فى صحاحه .

وأغربُ من هذا كله أنه أورد أبياتاً قبل بيت « أنا ابن جلا » ، وأكثرها من قصيدة المثقِّب العبدى التى أولها :

أفاطمَ قبــلَ بينِكِ متّعينى　　ومنعُك ما سألتُ كأنْ تبينى

وفيها بيتٌ لعلى بن بدّال ، من بنى سليم وهو :

فلو أنّا على حجرٍ ذُبحنــا　　جَرى الدَّمَيان بالخبر اليقينِ

وهذا ثالث أبيات ثلاثة يأتى شرحها إن شاء الله فى باب المثنى ، وفيها ثلاثة أبيات لسُحيم بن وثيل من الأبيات التى شرحناها ، وهى قوله : أنا ابن جلا البيت . والثانى : وماذا يبتغى الشعراء منّى . . البيت ، والثالث : أخو خمسين مجتمع أشُدّى . . البيت . فما أورده مجموع من شعر شعراء ثلاثة . وقال فى باب

(١) فى النسختين : « الثانى والتسعين » ، والتصحيح للأستاذ الميمنى .

مالا ينصرف عند شرح بيت « أنا ابن جلا » : قائله سحيم بن وَثيل الرياحى ، وقيل المثقّب العبدى ، وقيل أبو زبيد ، وقيل إنّه من قصيدة سُحيم التى أولها :

* أفاطم قبـل بينك مَتّعينى *

« تتمـة »

المخضرَم بالخاءِ والضاد المعجمتين على صيغة اسم المفعول ، ونقل السيوطى فى شرح تقريب النووى عن بعض أهل اللغة كسر الراء أيضا . قال صاحب القاموس : هو المـاضى نصفُ عمره فى الجاهلية ونصفه فى الإسلام ، وقيل : مَن أدركهما . وهذان القولان يعمّان الشاعر وغيره . وقيل : الشاعر[1] الذى أدركهما ، وهذا هو المشهور . وعليه اقتصر صاحبُ الصحاح . ثم توسّعُ حتّى أُطلق على من أدرك دولتين ، كرؤبة بن العجّاج وحمّاد عجرد ، فإنّهما أدركا دولة بنى أمية ودولة بنى العباس .

١٣٠ وقال السيوطى فى شرح التقريب : المخضرم فى اصطلاح أهل الحديث هو الذى أدرك الجاهلية وزمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وفى اصطلاح أهل اللغة هو الذى عاش نصفَ عمره فى الجاهلية ونصفه فى الإسلام ، سواء أدرك الصُّحبة أم لا ، فبين الاصطلاحين عمومٌ وخصوص من وجه ، فحكيم ابن حزام مخضرم باصطلاح اللغة لا الحديث ، وبشر بن عمرو مخضرم باصطلاح الحديث لا اللغة . انتهى .

وفى تعريفه اصطلاح اللغة نظر وتأمل .

ثم قال : والمراد بإدراك الجاهليَّة ماقبل البعثة ، كما قال النووىّ فى شرح مسلم . قال العراقى : وفيه نظر ، والظاهر إدراك قومه أو غيرهم على الكفر

(١) من « وغيره » إلى هنا ساقط من ط .

قبل فتح مكة ، فإنّ العرب بعده بادروا إلى الإسلام وزال أمر الجاهلية ، وخطب صلى الله عليه وسلم فى الفتح بإبطال أمرها . وقد ذكر مسلم فى المخضرمين بشير ابن عمرو ، وإنّما ولد بعد الهجرة .

قال ابن رشيق فى العمدة(١) : قال أبو الحسن الأخفش : ماء خِضْرِم كزبرج ، إذا تناهى فى الكثرة والسّعة ، فمنه سمّى الرجل الذى شهد الجاهليةَ والإسلام : مخضرماً ، كأنه استوفى الأمرين . قال : ويقال أذن مخضرمة ، إذا كانت مقطوعةً ، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام . وحكى ابن قتيبة عن عبدالرحمن عن عمه(٢) قال : أسلم قوم فى الجاهلية على إبل قطعوا آذانها ، فسمّى كلُّ من أدرك الجاهلية والإسلام مخضرما . وزعم أنه لايكون مخضرما حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم(٣) . وهذا عندى خطأ ، لأنّ النابغة الجَعْدى ولَبيدا قد وقع عليهما هذا الاسم . وحكى على بن الحسن كراع : يقال شاعر مُحضرم بحاء غير معجمة مأخوذ من الحضرمة ، وهى الخلط ، لأنه خلط الجاهلية والإسلام(٤) .

وحكى ابن خلكان مع الحاء المهملة كسر الراء أيضا .

واعلم أنّ الشعراء أربع طبقات : الأولى جاهلىٌّ قديم ، الثانية المخضرم ، الثالثة إسلامى ، الرابعة مُحْدَث . وهم أربعة أقسام : شاعر خِنْذِيذ بالخاء والنون والذالين المعجمات على وزن إبريق ، وهو الذى يجمع إلى جيِّد شعره روايةَ الجيد من شعر غيره . وشاعر مُفْلِق وهو الذى لارواية له إلاّ أنه مجوِّد

(١) العمدة ١ : ٧٢ .

(٢) عمه هو الأصمعى .

(٣) بعده فى العمدة : « وقد أدركه كبيرا ولم يسلم » .

(٤) فى العمدة : « بالإسلام » .

كالخنذيذ فى شعره ، والمفلق معناه الذى يأتى فى شعره بالفِلْق بالكسر وهو العَجب ، وقيل هو اسم الداهية . وشاعر فقط وهو الذى فوق الردىء بدرجة . وشُعرور وهو لاشىء . وقيل : بل هم شاعر مفلق ، وشاعر مطلق ، وشويعر ، وشعرور .

وسمى الشاعر شاعراً لأنه يشعر لما لايشعر له غيره ، فإذا لم يكن عندالشاعر توليدُ معنى واختراعه ، واستطراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف به غيره من المعانى ، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ ، وصَرفُ معنى إلى وجه من وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لاحقيقة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون :

٣٩ (نُبِّئْتُ أخوالى بنى يزيدُ ظلماً علينا لهمُ فَدِيدُ)(١)

على أن (يزيد) علم محكىّ لكونه سمّى بالفعل مع ضميره المستتر ، من قولك : المال يزيدُ ، ولو كان من قولك يزيد المال لوجب منعه من الصرف ، وكان هنا مجرورا بالفتحة . و (نُبئت) : مجهول نَبَّأ بالتشديد ، من النبأ وهو الخبر . وقال الراغب : النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علمٌ أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر فى الأصل نبأ حتّى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحقه أن يتعرّى عن الكذب كالتواتر ، وخبرِ الله ، وخبر الرسول . ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال : أنبأته بكذا أخبرته به ، ولتضمنه معنى العلم قيل : أنبأته كذا ، كقولك علّمته كذا .

---

(١) العينى ١ : ٣٨٨ / ٤ : ٣٧٠ وابن يعيش ١ : ٢٨ ومجالس ثعلب ٢١٢ واللسان (فدد) .

قال السمين : أنبأ ونبّأ ، وأخبر وخبّر ، متى تضمنت معنى أعلم تعدّت لثلاثة مفاعيل ، وهو نهاية التعدى . وأمّا أعلمته بكذا فلتضمنه معنى الإحاطة. قيل ونبأته أبلغ من أنبأته ، ولذلك قال تعالى : « مَن أنبأكَ هذا قالَ نبّأنىَ العليمُ الخبير[1] » ، ولم يقل أنبأنى لأنّه من قِبل الله تعالى .

والمفعول الأول هنا ضمير المتكلم فى نُبئت ، والثانى أخوالى ، والثالث جملة لهم فديد . وأصل المفعولين الأخيرين المبتدأ والخبر . والفديد : الصَّوت ، وهو مصدر ، فدّ يفِدّ بالكسر ، أى أن أصواتهم تعلو علينا ولا يوقّروننا فى الخطاب . ورجل فَدّاد بالتشديد : شديد الصوت . وفى الحديث : « إنّ الجفاء والقسوة فى الفدّادين » ، وهم الذين تعلوأصواتهم فى حروثهم ومواشيهم. و (بنى يزيد) هم تجارٌ كانوا بمكة حرسها الله تعالى — وإليهم تنسب « البرود اليزيدية » كما يأتى آنفا — نعت لأخوالى ، أو بيان له ، أو بدل منه .

وقال ابن الحاجب فى الإيضاح : لايحسن أن يكون بدلاً ، لأنَّ البدل هو المقصود بالذكر ، ولو جعلته بدلا لاحتاج إلى موصوف مقدّر ، وهم الأخوال أو ما يقوم مقامهم . ولا حاجة إلى هذا التقدير مع الاستغناء عنه ، فيتعين أن يكون صفة . وقد يجوز البدل على قبحه . انتهى .

وفيه نظر ، فإنّه على تقدير كونه بدلاً لايحتاج إلى موصوف مقدر ، فإنه مذكور ، وهو أخوالى . وليس معنى الإبدال أن يكون المبدل منه لغواً ساقطاً عن الاعتبار ، كيف وقد يعود الضمير عليه فى نحو قُطع زيد إصبعُه ، فلو كان فى حكم الساقط بالكلية لجهل مرجع الضمير ، ولم يقل أحدٌ إنه راجع إلى زيد مقدر مع وجوده ، وإنّما المقصود بالذكر فى بدل الكل المبدل منه والبدل جميعا ، كما حقّقه الشارح المحقق . ويزيده أنّهم جعلوا الجنَّ بدلا

---

(١) الآية ٣ من سورة التحريم .

من شركاء فى قوله تعالى : « وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ » . فلولا اعتبارهما ما كان معنًى لقولنا وجعلوا لله الجن .

وقد تبع ابنُ الحاجب الزمخشريَّ فى هذا ، فإنَّه منع فى كشّافه أن يكون «أن اعبدوا الله» بدلاً من ضمير به من قوله تعالى : « ماقلتُ لهم إلاّ ما أمرتنى به أن اعبُدوا الله » ظنًّا منه أن المبدل منه فى قوة الساقط ، فتبقى الصلة بلا عائد . ووهّمه صاحب المغنى بأن العائد موجودٌ حسًّا فلا مانع . وقد نقض ابن الحاجب ما عدَّه قبيحا هنا بقوله فى أماليه : والأحسن أن يكون «بنى يزيد» بدلاً من أخوالى ، لأنَّ البدل إنما يكون بالأسماء الموضوعة للذوات ، بخلاف ابن فإنَّه موضوع لذات باعتبار معنى هو المقصود وهو البنوّة .

قال الشارح المحقق : الأغلب فى البدل أن يكون جامدا ، بحيث لو حذف الأول لاستقلَّ الثانى ولم يحتج إلى متبوع قبله فى المعنى . انتهى .

ولا يجوز أن يكون (بنى يزيد) المفعولَ الثالث ، لأنه لم يُرِد الإخبار عن أخواله بأنهم بنو يزيد ، ولأن قوله (لهم فديد) يبقى غير مرتبط بما قبله . وقوله (ظلماً) عندى أنه تمييز محوَّل عن المفعول ، أى نُبّئت ظلم أخوالى . وقال ابن الحاجب فى الإيضاح ، واختاره ابن هشام فى شواهده : وقد أجيز أن يكون ظالما مفعولا ثالثا ، يعنى ظالمين ، أو ذوى ظلم ، ويكون ما بعده كالتفسير له . ولا يخفى ما فى هذا . وقال فى أماليه : لايجوز أن يكون حالا ، أى بالتأويل المذكور ، من أخوالى ، لأن المبتدأ لايتقيَّد ، ولا من ضمير (لهم) لأنها لاتتقدم على عاملها المعنوى . وفيه أنه حال من المفعول لا من المبتدأ ، لأنه انفسخ حكمه . وقوله « لأن المبتدأ لايتقيد » فيه مسامحة ، لأنَّ الحال إنّما هى قيد فى عاملها لا فى صاحبها ، ولما كان العامل فى المبتدإ الابتداء ، وهو ليس معنى فعليا ليصح تقييده ، امتنع مجىء الحال منه لذلك . ومن جوّزه

كسيبويه لم يلتزم اتّحاد العامل فيهما ، فجوّز أن يكون العامل فى المبتدإ الابتداء وفى الحال منه الانتساب . واعتُرض بأن الانتساب عاملٌ ضعيف لا يتحقّق إلا بتقدُّم الطرفين عليه . وأجيب بأن قوّة طلب المبتدإ لخبره جعلتْه فى حكم المتقدم . ولا يجوز أيضا أن يكون مفعولًا لأجله كما اختاره العينى ، سواء كان علة لُنبّئت لأنه لم ينبَّأ لأجل ظلمهم ، أو للاستقرار لأنه تقدَّم على عامله المعنوى ، أو للفديد لأنه يلزم تقدم معمول المصدر عليه . وقيل تمييزٌ من (لهم فديد) أى يصيحون ظلما لاعدلا . وفيه أن التمييز لايتقدم على عامله . وقيل هو مفعول مطلق عامله من لفظه محذوفاً . وقال العينى : ويجوز أن يكون حالاً بتقدير جملة ، أى فى حال كونهم يظلمون علينا ظلما ، فحذفت الجملة التى وقعت حالا وأقيم المصدر مُقامها . ولا يخفى أن هذه الوجوه كلّها ظاهرٌ فيها التعسف . وقوله (علينا) إمّا متعلق بظلما[1] أو بقوله (لهم[2]) ، ولا حاجة حينئذ إلى تضمين الفديد معنى الجور ، خلافا للعينى لأنّه يتعدى بعلى . وقوله لهم خبر مقدم لقوله فديد ، وهو بإشباع ضمة الميم ، وإسكانُها خطأ ، لأنه يؤدى إلى جعل كلٍّ مصراع من بحر ، وذلك لايجوز كما بيَّنه الدمامينى فى الحاشية الهنديَّة .

واعلم أن الرواية (يزيد) بالمثناة التحتية ، ورواه ابن يعيش بالمثناة الفوقية . قال ابن الحاجب فى الإيضاح : ومن رواه بالفوقية فقد تنطَّع وتبجَّح بأنه قد علم أن فى العرب « تزيد » بالتاء الفوقية ، وإليه تنسب البرود التزيدية . وهو مردود من وجهين : أحدهما أن الرواية هنا بالتحتية . والثانى أنَّ تزيد بالفوقية فى كلامهم مفرد لا جملة . قال :

(١) كلمة « بظلما » موضعها بياض فى ـــ . وإثباتها من ط .

(٢) ط : « لهم فديد »

يَمْثُرن فى حدّ الظُّباتِ كأنما كُسِيت برودَ بنى تَزيدَ الأذرُعُ (١)

فاستعماله كالجملة خطأ . انتهى .

وفيما قاله أمران : الأول قوله وإليه تنسب البرود التزيدية وإيراده البيت ، أعنى « كسيت برود بنى تزيد الأذرع » مأخوذ من الصحاح ، فإنه قال فيه : وتزيد أى بالمثناة الفوقية وهو تزيد بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة ، وإليه تنسب البرود التزيدية . قال علقمة : •

رَدَّ القيانُ جِمالَ الحىّ فاحتملوا فكلُّها بالتَّزيديات معكوم

وهى برود فيها خطوط حُمر يشبَّه بها طرائق الدم ، قال أبو ذؤيب :

يعثرن فى حدِّ الظبات كأنما كسيت برود بنى تزيد الأذرعُ (١)

انتهى . وفيه أمور :

من اسمه تزيد — الأول أنه قصر فى تعديد من اسمه تزيد ، وهم على ما ذكره العسكرى فى التصحيف ثلاثة : أحدهم تزيد قضاعة ، وهو ما ذكره . والثانى تزيد الأنصار وهو تَزيد بن جُشَم بن الخزْرَج بن حارثة ، منهم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعاذ بن جبل رضى الله عنه . والثالث تزيد تنوخ ، كانت الترك أغارت عليهم فأفنتْهم ، فقال عمرو بن مالك التزيدى :

وليلتنا بآمِدَ لم ننمها كليلتنا بميَّافارِقينا

الثانى قوله تزيد بن حُلوان بالضم ، وتبعه صاحب العباب والقاموس وغيرهما ، صوابه تزيد بن حَيْدان ، نبه عليه العسكرى فى التصحيف فيما تلحن فيه الخاصة (٢).

(١) المفضليات ٤٢٦ والهذليين ١ : ١٠ .
(٢) التصحيف ١٠٥ . وفى الاشتقاق ٥٣٧ أن تزيد بن عمران ابن الحاف .

الثالث قوله وإليه تنسب البرود التزيدية ، صوابه المَوادج التزيدية ، كما قال السكرى . قال : والبرود اليزيدية إنّما هو بالمثناة التحتية منسوبة إلى بنى يزيد بالتحتية ، وبنو يزيد تجار كانوا بمكة حرسها الله ، وهى برود حمر .

وأما قول أبى ذؤيب « كسيت برودَ بنى يزيد الأذرع » فليس إلا يزيد بالياء تحتها نقطتان ، ومن قال فى هذا البيت بنى تزيد بالتاء فقد أخطأ . وقد ادّعى الجهمى النسابةُ على الأصمعى أنه صحّف تزيد بالتاء منقوطة فوقها ، ولا أدرى أصدق الجهمىُّ أم كذب ، لأن الأصمعى ينكر فى تفسير أشعار هذيل من يقول تزيد بتاء منقوطة فوقها[1] . انتهى كلام السكرى .

ورأيت فى شرح أشعار هُذَيل للسكرى فى نسخة بخط أبى بكر القناوى[2] ، وقد قرأها ابن فارس على ابن العميد وعليها خطُّهما ، قال فى تفسير هذا البيت : العامة تقول بنى تزيد ، أى بنقطتين من فوق ، ولم أسمعها هكذا . ورأيت فى شرحها أيضاً للإمام المرزوقى فى هذا البيت : روى الأصمعى بنى يزيد أى بالتحتية وقال : هم تجار كانوا بمكة . وروى أبو عمرو بنى تزيد أى بالفوقية ، وقال: هو تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. واحتج ببيت علقمة :

* فكلها بالتزيديات معكوم *

والظبة : حدُّ السهم والسيف . ومعنى البيت أنّ الحمر تعثرُ والسِّهام فيها ، وأذرعها مما سالت من الدماء عليها كأنها كسيت بروداً حمراً ، شبّه طرائق الدم بطرائق البُرود . انتهى .

---

(١) ط : « فيها » صوابه فى س . والنص منقول عن التصحيف بتصرف .

(٢) كذا ورد هنا ، وفى ٢ : ٤٦٠ — ٤٦٣ : « القارى » ، وهو الصواب ، وهو أحمد بن محمد بن عاصم القارىء . انظر مقدمة شرح أشعار الهذليين للسكرى ص ١٤ .

وفى العباب للصاغانى : قال ابن حبيب : تزيد بالمثناة فوق هو تزيد بن حلوان ، إلى آخر ما ذكره صاحب الصحاح . وقال غير ابن حبيب : يزيد بالمثناة من تحت ، وهم تجار كانوا بمكة . وروى أبو عبيدة : برود أبى يزيد ، وقال : كان يبيع العَصْب بمكة ، وهو ضرب من البرود . وصاحب القاموس قد أخلَّ باختصاره ، حيث لم يقيد بالفوقية أو بالتحتية فإنه قال : تزيد بن حلوان أبو قبيلة ، ومنه البرود التزيدية ، وبها خطوط حمر . فلا يعلم هو بالتاء أم بالياء .

رأيت فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى فى الكلام على جزيرة العرب ، عند ما ذكر تفرُّق كلة العرب ووقوع الحروب بينهم وتشتتهم ، أنَّ تزيد تنوخ هى تزيد قضاعة . قال : وخرجت فرقة من بنى حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة ورئيسهم عمرو بن مالك التزيدى ، فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة ، فنسج نساؤهم الصوف وعَمِلوا منه الزَّرابىّ ، فهى التى يقال لها « العبقرية » ، وعملوا البرود وهى التى يقال لها « التزيدية » ، وأغارت عليهم الترك فأصابتهم وسبَتْ منهم . فذلك قول عمرو بن مالك بن زهير :

١٣٤ ألاَ لله ليل لم ننمه على ذات الحصاب مجنّبينا
وليلتنا بآمِدَ لم ننمها كليلتنا بميَّافارِقينا

وأقبل الحارث بن قُراد البهرانى(١) ومضت بهراء حتّى لحقت بالترك فهزموهم واستنقذوا ما بأيديهم من بنى تزيد . انتهى .

الأمر الثانى فى كلام ابن الحاجب أن قوله تزيد بالفوقية فى كلامهم مفرد

(١) نسبة إلى قبيلة بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ط : « البهرانى » صوابه فى ـ ، كما يقال فى المنسوب إلى صنعاء صنعانى .

لا جملة الخ . أقول : لا مانع من استعماله مفرداً وجملة ، باعتبار نقله مع الضمير وبدونه ، كما استعمل يزيد بالوجهين مع الاعتبارين فى قوله :

* ليبْكِ يزيد ضارِعٌ لخصومة *

فإنّهم قالوا روى ليبك بالبناء للفاعل ويزيد مفعوله وهو منصوب بالفتحة وضارع فاعله ،وروى بالبناء للمفعول ويزيد نائب فاعل،وأى فرق بينهما ؟! تأمل.

« تتمة »

هذا البيت فى غالب كتب النحو ، ولم أظفر بقائله ، ولم يعزُه أحد لقائله غير العينى ، فإنه قال : هو لرؤبة بن العجاج . وقد تصفَّحت ديوانه فلم أجده فيه . والله أعلم .

* * *

باب الفاعل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الأربعون :

٤٠ (جزى ربُّه عنى عدىَّ بن حاتم
جزاء الكلابِ العاوِيات وقد فَعَلْ[1])

على أن الأخفش وابن جنى قد أجازا اتصال ضمير المفعول به بالفاعل مع تقدُّم الفاعل ، لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به كاقتضائه للفاعل .

أقول : وممن ذهب مذهبهما أبو عبد الله الطُّوال من الكوفيين ، وابن مالك فى التسهيل وشرحه ، وأطال فى الردّ عليه الشاطبىّ فى شرح الألفية ونَصَر الإمام عبد القاهر الجرجانى مذهبَ الأخفش فى المسائل المشكلة .

(١) العينى ٢ : ٤٨٧ وابن يعيش ١:٧٦ وهمع الهوامع ١ : ٦٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٠٢ والخصائص ١ : ٢٩٤ .

قال الفَنارىّ فى حاشية المطول : وذهب بعضهم إلى عدم إخلال الإضمار قبل الذكر بالفصاحة ، مستنداً بأن عبد القاهر قدوةٌ فى فنّ البلاغة ، وهو المرجع فيها ، وكلامه حجةٌ مطلقاً . وقد بين ابنُ جنى مذهبه فى الخصائص فقال : وأجمعوا على أن ليس بجائز ضَرَبَ غلامُه زيداً لتقدم المضمر على مظهره لفظاً ومعنى ، وقالوا فى قول النابغة :

جزى ربُّه عنى عدىّ بن حاتم

إن الهاء عائدة على عدىّ خلافاً على الجماعة . فإنْ قيل : الفاعل رتبته التقدم ، والمفعول رتبته التأخر ، فقد وقع كلٌّ منهما الموقعَ الذى هو أولى به ، فليس لك أن تعتقد فى الفاعل إذا وقع مؤخراً أنَّ موضعه التقديم . فإذا وقع مقدماً فقدْ أخذ مأخذه ، وإذا كان كذلك فقد وقع المضمر قبل مظهره لفظاً ومعنًى ، وهذا مالا يجوّزه القياس . قيل : الأمر وإن كان ظاهره ما تقوله فإن هنا طريقاً آخر يسوِّغك غيرَه ، وذلك أن المفعول قد شاع واطَّرد كثرة تقدمه على الفاعل ، حتى دعا ذاك أبا علىّ إلى أن قال إنّ تقديم المفعول على الفاعل قسمٌ قائم برأسه كما أن تقديم الفاعل قسم أيضاً قائم برأسه ، وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً (١) ، فلما كثر وشاع تقديم المفعول صار كأن الموضع له ، حتى إنّه إذا أخر فموضعه التقديم ، فعلى ذلك كأنه قال : جزى عدىَّ بن حاتم ربه ، ثم قدم الفاعل على أنه قد قدره مقدماً عليه مفعوله ، فجاز لذلك . ولا تستنكر هذا الذى صوَّرته لك ، فإنه مما تقبله هذه اللغة ، ألا ترى أن سيبويه أجاز فى جر الوجه من قولك هذا الحسن الوجه أن يكون من موضعين : أحدهما بإضافة الحسن إليه ، والآخر

---

(١) ساق ابن جنى بعد هذا شواهد من القرآن ومن أشعار العرب . والنص منقول من الخصائص بتصرف فى جميع نواحيه .

تشبيهه له بالضارب الرجل ، مع أنا نعلم أن الجر فى الرجل إنما جاءه من تشبيههم ١٣٥
إياه بالحسن الوجه ، لكن لما اطرد الجرُّ فى الضارب الرجل صار كأنه أصل فى بابه ، حتَّى دعا ذاك سيبويه إلى أن عاد فشبَّه الحسنَ الوجه به ، وهذا يدلُّك على تمكن الفروع عندهم ، حتى أن الأصول التى أعطت فروعها حكما قد حارت[1] فاستعارت من فروعها ذلك الحكم ، فكذلك تصيير تقديم المفعول لما استمرَّ وكثر كأنه هو الأصل وتأخير الفاعل كأنه أيضاً هو الأصل. ويؤكد أن الهاء فى ربه لعدى بن حاتم من جهة المعنى ، عادةُ العرب فى الدعاء ، لا تكاد تقول جزى ربُّ زيد عمراً وإنما يقال جزاك ربك خيراً أو شرّاً ، وذلك أوفق لأنه إذا كان مجازيه ربه كان أقدر على جزائه وإيلامه ، ولذلك جرى العرف بذلك فاعرفه. انتهى .

وملخص كلامه أن المفعول فى هذه الصورة متقدم فى الرتبة ، لكن تأخر لضرورة الشعر ، فالضمير المتصل بالفاعل عائد على متقدم حكما . وهذا غير قول الشارح المحقق « لشدّة اقتضاء الفعل للمفعول به » . على أن حفيد السعد قال فى حاشية المطول : فيه أنّ ذلك لا يدفع الاضمار قبل الذكر . نعم لو كان اقتضاء المفعول أشدَّ تم الكلام . انتهى .

وتبع التفتازانى فى المطول الشارح فيما ذكرناه وأورد بيت الشاهد وقوله :

لما عصىْ أصحابُه مصعبا أدّى إليه الكيل صاعاً بصاع[2]

ثم قال : وردَّ بأن الضمير للمصدر المدلول عليه بالفعل أى ربّ الجزاء وأصحاب العصيان ، كقوله تعالى : « اعدلوا هو أقربُ للتّقوى » أى العدل . وأما قوله :

---

(١) وكذا فى الخصائص، أى رجعت . حار يحور : رجع .

(٢) هو الشاهد ٤١ من شواهد الخزانة .

جَزى بنوه أبا الغِيلان عن كِبرٍ وحُسن فعلٍ كما يجزى سِنِمَّارُ

وقوله :

ألا ليتَ شِعْرى هل يَلومَنَّ قومُه زهيراً على ما جرّ من كلّ جانبِ

فشاذ لا يقاس عليه . انتهى .

قال الفنارى : ويمكن أن يقال الضمير فى ربه راجع إلى المتكلّم على طريقة الالتفات عند السكاكى ، على قول امرىء القيس :

* تطاولَ ليلك بالإثمد *

انتهى . ولا يخفى بطلانه لسماجته ، فإن الالتفات إنّما وقع من المتكلم إلى خطاب النفس لا إلى الغيبة . فتأملْ .

والجزاء : المكافأة . و (عن) هنا للبدل كقوله تعالى : « وَاتَّقوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً » . وقوله (جزاء الكلاب) مصدر تشبيهى ، أى جزاء كجزاء الكلاب العاويات ، وهو الضرب والإهانة . قيل : هذا ليس بشىء ، وإنما المراد الكلاب التى تتداعى للسفاد . يقال عاوت الكلبة الكلاب فهى معاوية ، أى دعتهم للسفاد . ولا يكاد يستعمل العُواء للكلاب إلاّ عند السفاد ، والمستعمل فى غير ذلك النُّباح ، وإنما العواء للسباع . وقيل إنّه يعنى بالعاويات المسعورة ، ومن شأنها إذا أُريد برؤها أن يؤخذ سَفُّود فيُدخل فى أدبارها . والسُّعر بضمة وبضمتين ، والسّعار بضمّ أوّله : الجنون . والسَّعِرُ ككتف : المجنون . وروى : «الكلاب العاديات» ، جمع العادى من العَدْو .

١٣٦ دعا عليه بأحد هذه المعانى ثم حقَّقها عليه فقال : « وقد فعل » أى استجاب الله ما دعوتُ عليه وحقّقَه . ومثله للمتنبى :

وهذا دعاء لو سكتُّ كفيتُهُ لأنى سألت الله فيك وقد فعلْ

وجملة وقد فعل حال من ربّه .

وهذا البيت لأبى الأسود الدُّؤلى يهجو به عدىَّ بن حاتم الطائى . وزعم ابن جنى وغيرُه أنه للنابغة الذبيانى . وهو وإن عاصر عديّاً لـكن الذى روى له إنما هو : صاحب الشاهد

جَزى الله عبساً عبس آل بغيض جزاء الـكلاب العاويات وقد فعلْ

وليس فيه مانحن فيه ، وسيأتى الـكلام عليه . وقال العينى : قيل إن قائله لم يُعلم ، حتى قال ابن كيسان : أحسبه مولداً مصنوعاً . قال : والضمير لغير عدى ، فكأنّه وصف رجلاً أحسنَ إليه ثم قال : جزاه ربه خيراً وجَزَى عنى عدىَّ بنْ حاتم شراً ، فحينئذ لاشذوذَ فى البيت . ولا يخفى ركاكته .

ترجمة أبى الأسود

أما أبو الأسود الدُّؤلى فاسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جَندل بن يعمر ابن حُليس[1] بن نُفاثة بن عدىّ بن الدُّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار . وهم إخوة قريش ، لأن قريشاً تختلف فى الموضع الذى افترقت فيه مع بنى أبيها . والنسابون يقولون : إنّ من لم يلده فهر بن مالك بن النضر فليس قرشياً .

وهو واضع علم النحو بتعليم علىٍّ رضى الله عنه ، وكان من وجوه شيعته واستعمله على البصرة بعد ابن عباس . وقبل هذا كان استعمله عمرُ بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما . وتوفى فيما ذكره المدائنى فى الطاعون الجارف فى سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة ، وقيل مات قبل ذلك .

قال الجاحظ[2] : أبو الأسود الدُّؤلى معدودٌ فى طبقاتٍ من الناس ، وهو

---

(١) ـــه : « حلبس » ، وعند ابن خلكان فى ترجمته : « حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة . وهكذا ذكره الوزير أبو القاسم المغربى فى كتاب الإيناس ، وهو مما يحرف كثيرا . فقد وجدت فيه اختلافا . وهذا هو الأصح »

(٢) فى غير الحيوان والبيان والتبين .

فيها كلّها مقدمٌ ومأثور عنه الفضلُ فى جميعها ، كان معدوداً فى التابعين والفقهاء والمحدِّثين ، والشعراء ، والأشراف والفرسان والأمراء ، والدهاة ، والنحويين ، والحاضرين الجواب ، والشِّيعة ، والبخلاء ، والصُّلع الأشراف ، والبخلاء الأشراف . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان أبو الأسود كاتباً لابن عباسٍ على البصرة ، وهو الذى يقول :

وإذا طلبتَ من الخلائق حاجةً ... فادعُ الإلٰه وأحسنِ الأعمالا
فليعطينَّك ما أراد بقدرة ... وهو اللطيفُ إذا أراد فعالا
إنّ العباد وشأنَهم وأمورَهم ... بيد الإلٰه يقلِّب الأحوالا
فدعِ العباد ولا تكن بطِلابهمْ ... لهِجاً تَضَعْضَعُ للعبادِ سؤالا

وفى الأغانى بسنده إلى ابن عياش[1] قال : خطب أبو الأسود امرأةً من عبدالقيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسرّ أمرَها إلى صديقٍ له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد ، فحدّث به ابنَ عم له كان يخطبها ، وكان لها مالٌ عند أهلها ، فمشى ابن عمها الخاطبُ لها إلى أهلها الذين مالُها فى أيديهم فأخبرهم خبر أبى الأسود وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذى فى أيديهم ، ففعلوا ذلك وضارُّوها حتى تزوجت ابنَ عمها ، فقال أبو الأسود فى ذلك :

لعمرى لقد أفشيتُ يوماً فخاننى ... إلى بعض من لم يخش سرّاً ممنعا
١٣٧ فمزّقه مِزق العمى وهو غافلٌ ... ونادى بما أخفيت منه فأسمعا[2]
فقلتُ ولم أفحُش لعاً لك عاثراً ... وقد يعثُر الساعى إذا كان مسرعا[3]
ولستُ بجازيكَ الملامةَ إننى ... أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعا

---

(١) ط : « ابن عباس » ، صوابه فى سه والأغانى ١١ : ١٠٤ .
(٢) العمى : مقصور العماء ، وهو السحاب .
(٣) الأغانى : « لعلك عاثر » ، وهو تحريف ناجم عن سوء السمع . انظر تحقيق النصوص من تأليفى ص ٦٢ .

ولكن تَعلمْ أنه عهدُ بيننا — فبِنْ غيرَ مذموم ولكنْ مودّعا
حديثٌ أضعناه كلانا ، فلن أرى — وأنت نجيّا آخرَ الدهر أجمعا
وكنتَ إذا ضيعتَ سِرّك لم تجدْ — سواك له إلاّ أشتّ وأضيعا

وقال فيه أيضا :

أمنتُ امرأً فى السرّ لم يكُ حازما — ولكنّه فى النصح غير مريبِ
أذاعَ به فى الناس حتّى كأنّه — بعلياء نارٌ أوقدت بثقوب
وكنتَ متى لم تَرعَ سِرّك تنتشرْ — قوارعُه من مُخطىءٍ ومصيب
فما كلُّ ذى لُبّ بمؤتيكَ نصحَه — وما كلُّ مؤتٍ نصحَه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد — فحقٌّ له من طاعة بنصيب

وفى الأغانى أيضا بسنده عن عَوانة(١) ، قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فِناء امرأةٍ بالبَصرة فيتحدّث إليها ، وكانت [بَرزةً(٢)] جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسودَ هل لك أن أتزوّجك ، فإنّى صَناعُ الكفّ حسنةُ التدبير ، قانعةٌ بالميْسور ، قال : نعم . فجمعت أهلَها وتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ماقدّره ، وأسرعت فى ماله ، ومدّت يدها إلى خِيانته(٣) ، وأفشت سرّه ؛ فغدا على مَن كان حضر تزويجَه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا ، فقال لهم :

أَرَيتَ امرأً كنتُ لم أبلُه — فقال اتّخذنى صديقاً خليلا(٤)
فخالتُه ثم أكرمتُـه — فلم أستفد من لدُنه فَتيلا(٥)
وألفيتُـه حـين جرّبتُه — كذوبَ الحديث سَروقا بخيلا

---

(١) الأغانى ١١ : ١٠٧ .
(٢) التكملة من الأغانى . والبرزة ، بالفتح : التى تبرز للرجال وتحادثهم .
(٣) وكذا فى الأغانى . وفى سه : « جبايته » .
(٤) الأغانى : « أتانى فقال اتخذنى » .
(٥) سه فقط : « من لديه » .

فذكّرته ، ثم عاتبتُـه عتاباً رفيقا وقولا جميـلا
فألفيتـه غـير مستعتِب ولا ذاكرَ اللهَ إلاّ قليـلا
ألستُ حقيقا بتوديعـه وإتباع ذلك صُرما طويلا

فقالوا له : بلى والله ياأبا الأسود ! فقال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتُها [لكم[1]] ، وأنا لاأحب أن أستر ما أنكرتُه من أمرها . فانصرفتْ معهم .

وفيه أيضا بسنده إلى ابن عيّاش[2] قال : كان المنذر بن الجارود العَبدىّ صديقا لأبى الأسود ، يعجبه مجالستُه وحديثه ؛ وكان كلٌّ منهما يغشى صاحبَه ؛ وكانت لأبى الأسود مُقَطَّعة من برود يكثر لُبسها فقال له المنذر : لقد أدمنتَ لُبس هـذه المقطَّعة ! فقال أبو الأسود : ربّ مملول لايستطاعُ فراقه ! فعلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة ، فأهدى له ثيابا ، فقال أبو الأسود يمدحه[3] :

كساك ولم تَستكسِه فحمِدته أخٌ لك يعطيك الجزيل ويَاصِرُ
وإن أحقّ الناس ، إن كنت حامدا بحمدك مَن أعطاك والعرضُ وافر

١٣٨ وروى الحريرى فى درة الغواص[4] ، عن عُبيـد الله بن عبـد الله ابن طاهر قال :

اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم ، وابن الأعرابى ؛ فتجاريا الحديث[5] إلى أن حكى أبو نصر : أنّ أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثيابٌ

(١) التكملة من الأغانى .
(٢) ط : « ابن عباس » صوابه فى س والأغانى ١١ : ١١٧ .
(٣) انظر الخبر والخلاف فيه فى سمط اللآلىء ١٦٦ : ١٦٧ .
(٤) درة الغواص ٧١ .
(٥) فى الدرة : « فتجاذبا »

رثّة ، فكساه ثيابا جُدُدا من غير أن عرّض له بسؤال ، فخرج وهو يقول . . .
وأنشد البيتين ثم قال : وأنشد أبو نصر : « ويأصر » يريد به : ويعطف ؛ فقال له ابن الأعرابى : بل هو « وناصر » بالنون ؛ فقال له أبو نصر : دعنى ياهذا ويأصرى ، وعليك بناصرك ! » .

وفى الأغانى أيضاً بسنده إلى أبى عبيدة قال : « كان أبو حرب بن أبى الأسود قد لزِم منزل أبيه بالبصرة ، ولا ينتجع أرضاً ولا يطلب الرزق فى تجارة ولا غيرِها ؛ فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إنْ كان لى رزق فسيأتينى ! فقال له أبوه :

وما طلبُ المعيشة بالتمنّى ولكن ألقِ دَلوك فى الدلاء
تجىء بملئها يوماً ، ويوماً تجىء بحمأة وقليلِ ماء[1]

وفيه أيضاً بسنده إلى عبد الملك بن عمير[2] قال : كان ابن عباس ، رضى الله عنهما ، يكرِم أبا الأسود لمّا كان عاملا بالبصرة لعلى ، رضى الله عنه ، ويقضى حوائجه ، فلما ولى ابنُ عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجَه ، لِما كان يعلمه من هواه فى على ، رضى الله عنه ، فقال فيه ابو الأسود :

ذكرتُ ابنَ عباسٍ بباب ابن عامر وما مرّ من عيشى ذكرتُ وما فضلْ
أميرين كانا صاحبىَّ كلاهما فكلاًّ جزاه الله عنّىَ بما فعل
فإن كان شرًّا كان شرًّا جزاؤه وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدل

وفيه أيضاً بسنده إلى العُتبِىّ قال : كان لأبى الأسود جارٌ فى ظهر داره ، له بابٌ إلى قَبيلة أخرى ، وكان بين داره ودار أبى الأسود بابٌ مفتوح يخرج

(١) كذا فى ط وأصل سه ، وغيرها الشنقيطى إلى « تجئك » فى الموضعين ، مساوقة لما فى الأغانى ١١ : ١١٧ .
(٢) الأغانى ١١ : ١١١ .

منه كلٌّ واحد إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها، وكان الرجل ابنَ عمّ أبى الأسود دنيًا[١] ، وكان شرسًا سيِّئ الخلق، فأراد سدّ ذلك الباب، فقال له قومه: لا تفعل فتضرّ بأبى الأسود وهو شيخٌ ، وليس عليك فى هذا الباب ضررٌ ولا مُؤنة! فأبى إلاّ سدَّه ، ثم ندم على ذلك لأنه أضرّ به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التى يسلكها منه بعُدَ عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه :

بُليتُ بصاحب إنْ أدنُ شبرا يَزِدْنى فى مباعدةٍ ذراعا
وإن أمدُد له فى الوصل ذَرعى يزدْنى فوق قِيس الذَّرع باعا
أبت نفسى له إلاّ اتباعًا وتأبى نفسه إلاّ امتناعا
كِلانا جاهدٌ : أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه أيضًا :

أعصَيتَ أمر ذَوى النُّهىٰ وأطعتَ أمر ذوى الجهالَه
أخطأتَ حين صرمتَنى والمرء يعجز لا محالَه
والعبد يُقرع بالعصا والحرّ تكفيه المقالَه

وقد أطلنا فى إيرادِ شعره، لكنّا أطبنا[٢] : فإن حِكَمه شفاء الصدور ، ودرر قلائد النحور .

١٣٩ عدى بن حاتم
وأما عدىٌّ بن حاتم فنسبته : عدى بن حاتم الطائى بن عبد الله بن سعد ابن حشرج بن امرئ القيس بن عدىّ بن [أخزمَ بن أبى أخزم ، واسمه هَزومة[٣] بن] ربيعة بن جَرول بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوث بن طيِّئ ، بن أدد

(١) ط والأغانى : « دنية » .
(٢) ط : « أطنبنا » ، صوابه فى ش .
(٣) التكلة من ط ، وليست فى ش .

ابن زيد بن كهلان ؛ إلا أنهم يختلفون فى بعض الأسماء إلى طيّء . وكنية عدىّ : أبو طريف . قال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمّرين : « عاش عدى مائة وثمانين سنة » . اهـ

قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى شعبان من سنة سبع . وقال الواقدى: من سنة عشر . وخبره فى قدومه خبرٌ عجيب وحديث صحيح . ثم قدم على أبى بكر رضى الله عنه بصدقات قومه فى حين الرِّدّة ، ومنع قومَه وطائفةً معهم من الردّة بثبوته على الإسلام وحسن رأيه ؛ وكان سريّا شريفا فى قومه ، خطيباً حاضر الجواب ، فاضلا كريما . روى عنه أنه قال : مادخل وقتُ صلاة قطّ إلا وأنا أشتاق إليها . وروى عنه أنه قال : مادخلت على النبى صلى الله عليه وسلم قطّ إلاّ وسَّع لى أو تحرَّك ، ودخلت عليه يوماً فى بيته وقد امتلأ من أصحابه ، فوسّع لى حتى جلست إلى جنبه .

وفى حديث الشعبى ، أنّ عدىّ بن حاتم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إذْ قدم عليه : « ما أظنك تعرفنى ؟ فقال : وكيف لاأعرفك ، وأول صدقة بيّضتْ وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقةُ طيِّء . أعرفُك آمنتَ إذ كفروا ، وأقبلتَ إذ أدبروا ووَفَيت إذْ غدروا » .

ثم نزل عدىٌّ الكوفة وسكنها ؛ وشهد مع على رضى الله عنه الجمل ، وفقئت عينه يومئذ ، ثم شهد مع علىّ رضى الله عنه صِفّين والنَّهروَان ، ومات بالكوفة وهو ابن مائة وعشرين فى سنة سبع وستين . كذا فى الاستيعاب لابن عبد البر .

وأما شعر النابغة الذبيانى فهو[1] :

جَزى الله عَبساً عبسَ آل بغيض جزاءَ الكلاب العاويات وقد فَعلْ

(١) العينى ٢ : ٤٨٧ والفاخر ٢٣٠ والعمدة ١ : ٩٤ والنقائض ٩٩ .

بما انتهكوا من ربِّ عدنانَ جهرةً ... وعوفٌ يناجيهم وذلكمُ جلل
فأصبحتمُ واللهِ يفعلُ ذاكمُ ... يُعِزُّ كم مولى مواليكم شَكَل
وروى : ... يبوكُ النساء المرضعات بنو شَكل
إذا شاء منهم ناشئ دَربخت له ... لطيفةُ طيِّ الكشح رابية الكفل

قال المفضل بن سلمة ، في الفاخر : روى هذا الشعر للنابغة الذبيانى ، وقيل إنه لعبدالله بن هُمارق بضم الهاء وآخره قاف ، وهو أحد بنى عبدالله ابن غطفان . وليس فى هذا الشعر شاهدٌ لما نحن فيه . والسبب فيه : أن بنى عبس لحقت ببنى ضبّة بعد يوم الفَروق ، ثم وقع بينهما دمٌ ففارقتهم عبس فمرّت تريد الشام ، وبلغ بنى عامر ارتفاعُهم فخافوا انقطاعهم من قيس بن زهير رئيس بنى عبس ، فخرجت وفود بنى عامر إليهم فدعتهم إلى أن يرجعوا ويحالفوهم ، فقال قيس بن زهير : حالِفوا قوماً فى صُيّابة بنى عامر ليس لهم عدد فيبغوا عليكم بعددهم ، وإن احتجتم أن يقوموا بنُصرتكم قامت بنو عامر . فحالَفوا معاوية بن شَكَل بن كعب بن عامر بن صعصعة ، فمكثوا فيهم إلى أن قال الشاعر هذه الأبيات يعيِّر بنى عبس ، فلما بلغت قيساً قال : ماله قاتله الله أفسد علينا حِلفنا ! فخرجوا عنهم .

ويبوك : مضارع باك المرأة بمعنى جامعها ، بالباء الموحدة وآخره كاف . ودَربخت بالدال والراء المهملتين وبالباء الموحدة والخاء المعجمة ، يقال دربخت الحمامة لذكرها : طاوعته للسِّفاد . والصُّيّابة بضم الصاد المهملة وتشديد المثناة التحتية : الخالص ، والصميم ، والأصل ، والخيار من كلِّ شيء ، والسيِّد . وصُيّابة القوم : لُبابهم .

* * *

(١) المفضليات ٣٢٣ وشرحها ٦٣٠ والموفقيات ٧٧ ــ ٧٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون :

٤١ (لَمّـا عَصَى أصحابُهُ مُصْعَباً أدّى اليه الـكَيلَ صاعاً بصاعْ)

لِما تقدم فى البيت الذى قبله .

قال حفيد السعد فى حاشية المطول : أفرد ضمير (إليـه) مع أنه راجع إلى الأصحاب ، قصداً إلى كلّ واحد منهم .

وقال الفنارى : قيـل الضمير فى (أدّى) راجع إلى شخص مذكور فيا سبق ، وفى (إليه) راجع إلى مصعب . وقيل : الضمير فى أدّى راجع إلى مصعب وفى إليه راجع إلى أصحابه ، قصداً إلى كل واحد منهم ، أو تقول لمشابهة لفظ (أفعال) للمفرد، ولهذا يجىء فى كثير من المواضع وصفُ المفرد به ، نحو : ثوبٌ أسمال ونطفة أمشاج ، ونظيره قوله تعالى : « وَإنَّ لـكُمْ فى الأنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا فى بُطونه » ؛ فإن الضمير فى بطونه راجع للأنعام . اهـ .

وهذا الـكلام برمّته من (شرح اللبّ) فى باب المفعول المطلق .

وقوله (أدّى إليه الـكيل) الخ ، قال الميدانى فى مجمع الأمثال : « جزاه كيل الصاع بالصاع » أى كافأ إحسانه بمثله وإساءته بمثلها .

وقوله (صاعاً) قال الحفيد : هو فى موضع الحال مثل بايعته يداً بيدٍ ، وهو فى الأصل جملة ، أى صاع منه بصاع ، كذا كتب قدّس سرّه بخطّه فى الحاشية . اهـ .

وقال الفنارىّ : وقوله صاعاً بصاع حال من ضمير أدّى ، والأصل مقابلا صاعاً بصاع ، ثم طُرح مقابلاً وأقيم صاعاً مقامه ، ثم الحال ليست هى صاعاً وحده ، بل هو مع قوله بصاع ، لأن معنى المنوب عنه يحصل بالمجموع ، كذا ذكره صاحب الإقليد فى « كلّمته فاه إلى فىّ » . اهـ .

ومرجع الضميرين على ما تقدم ناشئ عن عدم الاطلاع عليه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للسفّاح بن بُكير بن مَعدان اليربوعى ، رثى بها يحيى ابن شدّاد بن ثعلبة بن بشر ، أحد بنى ثعلبة بن يربوع[1]. وقال أبو عبيدة : هى لرجل من بنى قُريع ، رثى بها يحيى بن ميسرة صاحب مُصعَب بن الزبير ، وكان وفَى له حتّى قتل معه .

وهذه أبيات من مطلعها :

أبيات الشاهد

(صلّى على يحيى وأشياعه ربٌّ رحيمٌ وشفيعٌ مُطاعْ
لما عصَى أصحابُه مُصعباً أدّى إليه الكيلَ صاعاً بصاع
يا سيِّداً ما أنت من سيّدٍ موطّأ البيت رحيبِ الذّراع)

نقلته من المفضّليات وشرحها لابن الأنبارى . فالضمير فى (أدّى) راجع إلى يحيى ، وضمير (إليه) راجعٌ إلى مصعب . ورُوِى البيت أيضاً كذا :

(لما جلا الخُلاّن عن مصعبٍ أدّى إليه القرض صاعاً بصاع)

فلا شاهد فى البيت على هذه الرواية[2] ، وهى رواية المفضل الضبى فى المفضليات .

وجلا بالجيم بمعنى تفرّق ، من الجَلاء بالفتح والمد ، وهو الخروج من الوطن ؛ يقال : قد جَلَوا عن أوطانهم وجلوتُهم أنا — لازمٌ ومتعدٍ — ويقال أيضاً أجلَوا عن البلد وأجليتهم أنا ، كلاهما بالألف . والخُلاّن : جمع خليل .

(١) الميمنى : « فى مقطعات مراث عن ابن الأعرابى ١١٦ : أبو السفاح التغلبى ، أحد ولد بنى عميرة بن طارق بن حصبة ، يرثى يحيى بن مبشر اليربوعى » . وفى الموفقيات للزبير بن بكار أيضا أنه أبو السفاح، وهو بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعى .

(٢) الميمنى : «ورواية الموفقيات : لما جفا المصعب خلانه . فلا شاهد أيضا » .

وقوله « يا سيداً ما أنت من سيد » إلخ ، يأتى إن شاء الله تعالى فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد الأربعمائة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون :

٤٢ (ألا ليتَ شِعرى هل يلومَنَّ قومُه
زُهيراً على ما جَرَّ مِن كلِّ جانبِ)

لِما تقدّم فى البيت الذى قبله .

قال الفنارى : إنما لم يجز ها هنا رجوعُ الضمير إلى المصدر المدلول عليه وهو اللوم ، أو إلى الشاعر على سنن الالتفات ، لأن مقصود الشاعر قومُ زهير ، فإنَّ الذوق السليم يَفهم من هذا البيت تحريضَ أقربائه على لومه ولومَهم على ترك لومه ، ولعل قوم زهير غير قوم الشاعر . والله أعلم . اهـ .

وقوله (على ما جرَّ) فى القاموس : الجريرة : الذنب والجناية ، جرَّ على نفسه وغيره جريرة يجر بالضم والفتح جرًّا . وقال حفيد السعد : قوله على ما جر أى على العار الذى جرّه ومدّه من كلّ جانب وناحية ، بسبب الظلم والعداوة . لكنه قُدِّس سرُّه قد كتب فى الحاشية : يقال جرَّ عليهم جريرة ، أى جنى جناية . وقال الفنارى : وقد يروى بالحاء المهملة والزاى المعجمة ، من الحزّ وهو القطع . اهـ وهذا لا وجهَ له هنا ، والرواية إنما هى الأولى كما يأتى ، وبعده :

(بكَفّى زهير عُصبةُ العَرْج منهمُ ومَن بِيع فى الرَّكْبَين لَحمٍ وغالبِ)

والبيتان من شعر أبى جُنْدَب بن مُرَّة القِرْدىّ . قال السكّرى فى شرح أشعار هذيل : زهير من بنى لِحْيان . وجرّ : جنى ، أى جر على نفسه جرائر .

من كل جانب . وروى (قومَه زهيرٌ) اهـ يعنى بنصب قومه ورفع زهير ، وعليه لا شاهد فيه . وقوله (بكفّى زهير الخ) عصبة مبتدأ والظرف قبله خبره . (ومَن بيع) معطوف على المبتدأ . والعُصبة : الجماعة . والعَرج ، بفتح العين المهملة وسكون الراء بعدها جيم : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، بها قتل قوم زهير وسُبى نساؤهم وذراريهم . وضمير (منهم) لقوم زهير ، والظرف حال من عصبة بتقدير مضاف له وللمعطوف ، أى قُتل العصبة فى العرج وسُبى من بيع فى الرّكبين ، حال كونهم من قوم زهير ، بسبب جناية كفّى زهير . ولحم وغالب بدل من الركبين . ولحم : حىّ من اليمن . وغالب : قبيلة من قريش . ويقدر (منهم) أيضاً بعد قوله : ومن بيع .

سبب الشعر

وسبب هذا الشعر ما رواه السكرى قال : مرِض أبو جندب ، وكان له جارٌ من خزاعة اسمه خاطم[1] ، فقتله زهيرٌ اللِّحيانى وقتلوا امرأته ، فلما برأ أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتّى قدم مكة ، فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف ، فعرف الناس أنه يريد شرًّا ، فقال :

إنى امرؤ أبكى على جارِيَّهْ ... أبكى على الكعبىّ والكعبيَّهْ
ولو هلكتُ بكَيا عليَّهْ ... كانا مكانَ الثوب من حَقويَّهْ

يقال عذت بحقويك . يريد : كانا فى موضع المعاذ ، أى كانا منى بمكانِ مَن أجرْت . فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته ، خرج فى الخُلَعاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بنى لِحْيان ، فخرجوا معه حتى صبّح بهم بنى لحيان فى العَرج ، فقتل فيهم وسبى من نسائهم وذراريهم ، وباعهم فاشترتهم هاتان القبيلتان ، فقال أبو جندب فى ذلك :

---

(١) كذا فى النسختين . وفى شرح أشعار الهذليين ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٨١٠ « حاطم » بالحاء المهملة . واسمه حاطم بن هاجر .

* ألا ليتَ شعرى هل يلومنّ قومُهُ * . . . (البيتين)

والقِرْدى نسبة إلى قرد بكسر القاف ، على لفظ الحيوان المعروف ، وهو بطن من هُذيل بن مدركة بن الياس بن مضر . ولحيان بكسر اللام وسكون المهملة بعدها مثناة تحتية : بطن من هذيل أيضاً . وأبو جندب شاعر جاهلى .

« تتمة »

البيت الذى فى المطول وهو قوله : جزى بنوه الخ

رواه الأصبهانى فى الأغانى فى ترجمة عدى بن زيد كذا :

جَزى بنوه أبو الغيلان مِن كبر وحُسن فعل كما يجزى سنّمار (١)

وذكر فيه جزاء سنمار ، قال : « وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة ، وهو الذى ساح على وجهه فلم يُعرف له خبر ، والشّقيقة — أمّه — بنت أبى ربيعة بن ذُهل بن شيبان . وهو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعة اللخمى . فذكر ابن الكلبى أنه كان سببُ بنائه الخورنق : أن يَزدجِرد بن سابور كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مرىء صحيح من الأدواء والأسقام ، فدُلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنَه بِهرام جُور ابن يزدجِرد ، إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عاملَه على أرض العرب ، وأمره بأن يبنى الخورنق مسكناً له ولابنه ، وينزله إيّاه معه ، وأمره بإخراجه إلى بَوادى العرب ، وكان الذى بنى الخورنقَ رجلاً يقال له سنّمار ، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تُوفّونى أجرتى

(١) الذى فى الأغانى ٢ : ٣٦ فى ترجمة عدى :

جزى بنوه أبا غيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

وتصنعون بى ما أستحقه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ! فقالوا : وإنك لتبنى ما هو أفضلُ منه ولم تبنه ؟ ! ثم أمر به فطُرِح من رأس الجوسق.

وفى بعض الروايات أنه قال : إنى لأعرف فى هذا القصر موضعَ عيب إذا هدم تَداعَى القصر . فقال : أما والله لاتدلّ عليه أحداً أبداً ! ثم رمى به من أعلى القصر[1] فقالت الشعراء فى ذلك أشعاراً كثيرة ، منها قول أبى الطمحان القينى :

جَزاءَ سِنّمار جَزَوْها ، وربِّهــا وباللات والعزّى ، جزاءَ المكفَّر[2]

ومنها قول سَليط بن سعد :

جزى بنوه أبا الغِيلان من كبر وحُسْن فعل كما يجزى سنمار

وقال عبدالعزّى بن امرئ القيس الكلبى ، وكان أهدى إلى الحارث ابن مارية الغسّانى أفراساً ووفد إليه فأعجب به واختصّه ، وكان للملك ابنٌ مسترضَع فى بنى عبد وُدّ — من كلب — فنهشته حيّة فظن الملك أنّهم اغتالوه؛ فقال لعبدالعزّى : جئْنى بهؤلاء القوم ! فقال : هم قومٌ أحرار ليس لى عليهم فضل فى نسب ولا فعل ؟ فقال : لتأتّينى بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ ! فقال له : رجونا من جنابك[3] أمراً حال دونه عقابُك ، ودعا ابنيه شراحيل وعبدالحارث فكتب معهما إلى قومه :

جزانى جزاه اللهُ شرَّ جــزائه جزاء سنمارٍ وما كان ذا ذنب

---

(١) جاء فى القاموس (سنمار) : آو غلام لأحيحة بنى أطمة ، فلما فرغ منه قال : لقد أحكمته . قال : إنى لأعرف حجراً لو نزع لتقوض من عند آخره . فسأله عن الحجر فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم فخر ميتا » .

(٢) المكفر ، كمعظم : المحسن المجحود إحسانه .

(٣) الأغانى : « من حبائك » .

سوى رصّة البنيان عِشرين حجّة يعلّ عليه بالقراميد والسكب[١]

وهى أبيات . قال : فقتله النعمان» .اهـ .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والأربعون :

٤٣ (كأن لم يَمتْ حىّ سواكَ ولم تَقُم
على أحـــدٍ إلاّ عليكَ النوائحُ)

على أنه إذا وقع مرفوع بعد المستثنى فى الشعر أضمروا له عاملا من جنس الأول ، أى قامت النوائح . والمسألة مفصَّلة فى الشرح .

وهذا البيت من أبيات مذكورة فى الحماسة لأشجعَ السُّلمى[٢] وهى :

(مضى ابنُ سعيد حين لم يبقَ مشرقٌ ولا مغربٌ إلاّ له فيه مادح
وما كنت أدرى مافواضلُ كفّه على الناس حتى غيَّبته الصفائح
فأصبح فى لحدٍ من الأرض ميتاً وكانت به حيّا تضيق الصحاصح
سأبكيك مافاضت دموعى فإن تَغِضْ فحسبُكَ منّى ماتُجِنّ الجوانح
وما أنا من رزءٍ وإن جلّ جازع ولا لسرورٍ بعد موتك فارح[٣]
لئن حسنت فيك المراثى وذكرُها لقد حُسنت من قبل فيك المدائح)

كأن لم يمت حى سواك . . البيت .

والصفائح : أحجار عراض يسقف بها القبر . والصحاصح : جمع صحصح ، وهى الأرض المستوية الواسعة . وتغيض : تنقص ، يقال غاض الماء وغضتُه .

(١) كذا . ويروى : «يعلى» . وانظر الحيوان ١ : ٢٣ والأغانى ٢ : ١٤٥ .
(٢) الحماسة بشرح المرزوقى ٨٥٦ — ٨٦٠ . وانظر أمالى القالى ٢ : ١١٨ وزهر الآداب ٧٩٤ والعقد ٣ : ٢٨٧ .
(٣) ويروى : « ولا بسرور » .

وقوله (كأنْ لم يمت) كأن مخفّفة واسمها ضمير شأن . يقول : أفرطَ الحزن عليك حتى كأنّ الموت لم يُعهَد قبل موتك ، وكأن النياحة لم تقم على مَن سواك .

أشجع السلمى

وأشجع هو ابنُ عمرو السُّلَمىّ ، ويكنى أبا الوليد ، من ولد الشّريد بن مطرود السُّلمى ؛ تزوّج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخَص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه فقدمت به أمه البصرة فطلبت ميراث أبيه ، وكان له هناك مال ، فماتت بها . ورَبِيَ أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبته ، ثم كبر وقال الشعر فأجاد وعُدّ فى الفحول ، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس عيلان شاعر ، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، ثم خرج أشجع إلى الرَّقّة والرشيدُ بها ، فنزل على بنى سُليم ، ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة ، فوصله الرشيد فأثرى وحُسنت حاله . ولما ولّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيى خراسان ، جلس لتهنئة الناس،وأنشده الشعراء ، ودخل فى آخرهم أشجع ، فقال : لتأذنْ فى إنشاد شعر قضيتُ به حقّ سودُدك وكمالك ، وخفّفت به ثقل أياديك عندى . فقال : هات يا أبا الوليد ، فأنشده(١) :

أتصبر يا قلب أم تجزعُ فإنّ الديار غـداً بَلقعُ
غـداً يتفرّق أهل الهوى ويكثر باكٍ ومسترجِـع

إلى أن بلغ قوله :

ودوّية بين أقطـارها مقاطع أرضينَ لا تقطع
تجاوزتُها فوق عَـيرانة من الريح فى سيرها أسرع
إلى جعفر نزَعت رغبةً وأىُّ فتى نحوه تنزِع

(١) الميمنى : « هذه العينية طويلة بديعة،سردها الحافظ ابن عساكر فى ترجمة الأشجع ٣ : ٦١ » . وانظر معاهد التنصيص ٢ : ١٣٢ والأوراق للصولى (قسم أخبار الشعراء)

فما دونه لامرئٍ مطمع ولا لامرئٍ غيره مقنع
ولا يرفعُ النـاسُ ما حطَّه ولا يَضعون الذى يرفع
يريد الملوكُ مدَى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وليس بأوسعِهم فى الغِنىٰ ولكنَّ معروفَه أوسع ١٤٤
يلوذ المـلوكُ بآرائه إذا نالَها الحَدَث الأفظع
بديهتُـه مثلُ تدبيره متى رُمتَه فهو مستجمعُ
وكم قائل ، إذْ رأى ثروتى وما فى فضول الغنى أصنع
غداً فى ظلالِ ندىٰ جعفر يجرّ ثياب الغنى أشجعُ
فقل لخراسان تحيا فقـد أتاها ابن يحيي الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

قال الصُّولىّ فى الورقات : قال لى يوما عبدالله بن المعتز : مِن أين أخذ أشجع قوله :

وليس بأوسعهم فى الغنى . . . . (البيت)

فقلت : من قول موسى شَهَوات لعبدالله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

ولم يك أوسعَ الفِتيان مالاً ولـكن كان أرحبَهم ذراعا

فقال : أصبت ، هكذا هو ! اهـ

ورأيت فى الحماسة فى باب الأضياف ، وقال أبو رياد الأعرابىُّ الكلابى :

له نارٌ تشبّ على يَفـاع إذا النيرانُ أُلبِسَتِ القناعا
ولم يك أكثر الفتيان مالا . . . . (البيت)

وإنما لقّب (موسى) بشهوات ، لأنّ عبدالله بن جعفر كان يشتهى عليه موسى شهوات

الشهواتِ فيشتريها له موسى ويتربَّح عليه . وهو مولًى لبنى سهم ؛ وأصله من أذرَبيجان . كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة .

وقال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى[١] : موسى شهوات هو موسى ابن يَسار مولى قريش ، ويقال مولى بنى سهم ، ويقال مولى بنى تَيم ؛ كان يجلب إلى المدينة القَنْد[٢] والسكّر من أذرَبيجان ، فقالت امرأة : ما يزال موسى يجلب إلينا الشهوات ، فغلب عليه . وقال ابن شبّة : كان موسى سئولا مُلحفا ، فإذا رأى مع أحد شيئا يعجبه : من ثوب أو متاع أو دابّة ، تباكى، فإذا قيل له : مالك ! قال : أشتهى هذا ، فسمِّىَ موسى شهوات . وقال ابن الكلبي : سمى بذلك لقوله فى يزيد بن معاوية :

لستَ منّا وليس خالك منا يا مُضيعَ الصلاة بالشهوات

يقال (موسى شهوات) على الصفة ، وعلى الإضافة وهو أصحُّ ، ويكنى أبا محمد ، وهو أخو إسماعيل بن يسار . اهـ .

وبيت موسى شهوات نسبه السَّعد فى المطول ، وصاحب المعاهد فى شواهد التلخيص ، إلى أبى زياد الأعرابى الكلابى كما فى الحماسة . قال الصولى : بعد أن تصرَّف جعفر بالأمر والنهى والتولية والعزل ، بدا للرشيد عزلُه ، فعزله عن خراسان ، فاغتمَّ لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فقال :

أمسَت خُراسان تُعزّى بما أخطأها من جعفر المرتجى
كان الرشيدُ المعتلى أمره ولّى على مَشرِقها الأبلجا
ثم أراه رأيُه أنه أمسى إليه منهم أحوجا

(١) سمط اللآلى ٨٠٧ .

(٢) القند ، بالفتح : عسل قصب السكر إذا جد ، معرب .

كم فرّق الدهرُ بأسبابه من محصَن أهلاً وكم زوّجا
وكم به الرحمنُ من كربة في مدّة تقصُر قد فرّجا

فقال له جعفر : قمت والله بالعذر لأمير المؤمنين ، وأصبت الحق ، وخفّفت ١٤٥
عليّ العزل ! فأمر له بألفِ دينار أخرى .

ولمّا دخل أشجع على الرشيد بالرّقّة كان قد فرغ من قصره الأبيض ، فأنشده :

قصرٌ عليه تحيّة وسلام فيه لأعلام الهدى أعلام
نشرت عليه الأرض كسوتها التى نسجَ الربيعُ وزخرفَ الأوهامُ

إلى أن قال :

وعلى عدوّك يا ابنَ عمّ محمد رصدانِ : ضوء الصبح والإظلامُ
فإذا تنبّه رُعتَه ، وإذا غفا سلّت عليه سيوفَك الأحلام

قال الصُّولى فى الورقات ، بسنده إلى أشجع : إن الرشيد قال لى : من أين أخذت قولك (وعلى عدوك . . البيتين) ؟ فقلت : لا أكذب والله ! من قول النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

فقال صه ! هو عندى من كلام الأخطل لعبد الملك بن مروان — وقد قال له : أنا مجيرك من الجحّاف — فقال : من يجيرنى منه إذا نمْت ؟ !

وترجمة أشجعَ مطولة فى الورقات للصولى ، وفى الأغانى للأصبهانى .
وأشجع ليس ممن يستشهد بكلامه ، فكان ينبغى تأخيره عن البيت الذى بعده .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون :

٤٤ (لا أشتهي يا قومِ إلاّ كارها باب الأمير ولا دفاعَ الحاجبِ)

على أنّ (بابَ الأمير) منصوب بلا أشتهي مقدَّرا . والمسألة مفصلة في الشرح أيضاً .

قال أمين الدين الطّبَرسي ، في شرح الحماسة : هنا (كارها) حال ؛ يقول : لا أعلِّق شهوتي بورود باب الأمير ومدافعةِ الحاجب إلاّ على كَره ؛ يصف ميله إلى البدوِ وأهله وإلفه إيام.

وقال السيد في حاشيته على المطول : قصَر فيه الشاعر نفسَه في زمان اشتهائه بابَ الأمير على صفة الكراهة له ؛ فهو من قصر الموصوف على الصفة . ويمكن أن يقال : قصر فيه اشتهاءه باب الأمير عليه موصوفا بالكراهية له لا يتعداه إليه موصوفا بصفة الإرادة له ، فهو من قصر الصفة على الموصوف . ولك أن تقول قصر اشتهاءه البابَ على أنه مجتمِع مع كراهيته له دون إرادته إياه ؛ فيكون أيضاً من قصر الموصوف على الصفة . ثم اشتهاء الشيء إن لم يكن مستلزما لإرادته لم ينافِ كراهته ، فجاز أن يكون الشيء مشتهًى مكروها كاللّذّات المحرَّمة عند الزهّاد ، كما جاز أن يكون الشيء مراداً منفورا عنه ، كشرب الأدوية المرّة عند المرضى . فإن قيل : الاشتهاء يستلزم الإرادة ، فالجمع بينه وبين الكراهية باختلاف الجهة ، فيشتهي الدخول على الأمير لما فيه من التقرُّب ، ويكرهه لما فيه من المذلّة ودفاع الحاجب ، فبالحقيقة المشتهى هو التقرب ، والمكروه تلك المذلة . اهـ .

وبهذا يُعرف سقوطُ قول بعض شراح الحماسة هنا ، فإنه قال : ليس قوله (كارها) حالا من أشتهي ، لأنه لا يكون كارها للشيء مشتهيا له في حالٍ ،

١٤٦ من أجل أنّ الشهوة منافية للكراهة ، ولكنّه حالٌ من فعل مقدّر ، والمعنى : لا أشتهى باب الأمير ولا آتيه إلا كارها ، أو ولكن آتيه كارها .اهـ.

صاحب الشاهد وهذا البيت أول أبيات ثلاثة مذكورة فى الحماسة ، لموسى بن جابر الحنفى[1] ، والبيتان بعده :

(ومن الرجال أسِنّة مذروبة ومزنَّدون شهودُهم كالغائب
منهم أسودُ لا ترام وبعضُهم مما قَمَشْتَ وضمَّ حبلُ الحاطب)

يشبّه الرجل ، فى مَضائه وصرامته ، وفى دقّته إذا هُزل ، بالسيف والسنان. ومذروبة : محدّدة ، وكذلك مذرَّبة ، وكلّ شىء حدّدته فقد ذرَبته . يقول : من الرجال رجالٌ كالأسنة المطرورة مَضاء ونفاذا فى الأمور . والمزنَّد وكذلك الزند : الضيق ؛ وقولهم : فلان زند متين ، أى زند شديد الضِّيق متين شديد بَخيل . أى إن نالهم خطبٌ ضاقوا عنه ولم يتّجهوا فيه لرشد . وكان من حقه أن يقول : « ومنهم مزندون » ، لكنه اكتفى بالأوّل كقوله تعالى : « منها قائمٌ وحَصِيدٌ » . قال المرزوقى : سمعت أبا على الفارسى يقول : كل صفتين تتنافيان فلا يصح اجتماعهما لموصوف واحد ، فلا بدّ من إضمار (من) معهما إذا فُصّل جملة بهما ، متى لم يجىء ظاهرا ؛ فإن أمكن اجتماع صفتين لموصوفٍ واحد استغنى عن إضمار (من) كقولك : صاحباك منهما ظريف وكريم . وقوله « شهودهم » إلى آخره يروى بدله « حضورهم » ، يريد أنه لاغَناء عندهم فحضورهم كغيبتهم ، كقول الشاعر :

شهدتَ جسيماتِ العُلى وهو غائب ولو كان أيضاً شاهدا كان غائبا

قال الطبرسىّ : يجوز أن يريد بالشهود جمعَ شاهد وهو الحاضر ، وأراد

(١) الحماسة ٣٦٣ بشرح المرزوقى .

بالغائب الكثيرة فتكون جنسا ، وإن كان الشهود مصدرا فالغائب يجوز أن يكون جنساً كالأول ، أى شهودهم كغيبة الغائب بحذف المضاف ، ويجوز أن يكون مصدرا كالباطل . وقوله « منهم ليوث » الخ . يقول : من الرجال رجال كالأسود فى العزة والمنعة ، لا يُطلَب اهتضامُهم ولا يُطمَع فيهم ، ومنهم متفاوتون كقُماش البيت — وهو ردىء متاعِه يُجمع من ههنا وههنا . وقوله : « وضَمّ حبل الحاطب » هو كقول الآخر :

* وكلهمْ يجمعُهمْ بيتُ الأدَم[1] *

قال الأصمعى : بيت الأدَم يجمع الجيِّد والردىء ، ففيه من كل جلد رقعة ؛ وكذلك الحاطب يجمع فى حبله الرطبَ واليابس ، والجزل والشَّخت ، وربما احتطب ليلاً فضم فى حبله أفعى وهو لايدرى . ونحوه قول العامة فى الشىء المتفاوت والقوم المختلطين : « هم خِرق البُرنُس » . استأنف بهذا البيت تلك القسمة على وجه آخر ، فهو من باب البيان : وهو أن يحمل الشاعر معنًى ويفسِّره بما يليه .

وصاحب هذه الأبيات موسى بن جابر الحنفى ، أحد شعراء بنى حنيفة المكثِرين ، يقال له ابن الفُريعَة وهى أمُّه ، كما أنّ حسان بن ثابت رضى الله عنه يقال له ابن الفُريعة ، وتقدّم فى ترجمته[2] . ويقال كان نصرانيًا ، وهو القائل :

وَجدنا أبانا كانَ حلّ ببلدة سِوًى بين قيسِ قيسِ عيلانَ والفِزرِ
برايته أمّا العدوّ فحولَنا مُطيفٌ بنا فى مثل دائرة المهر
فلما نأتْ عنّا العشيرة كُلّها أقمنا وخالفنا السيوفَ على الدهر

---

(١) صدره كما فى ثمار القلوب ١٩٣ وكنايات الجرجانى ١١٧ والعقد ٣ : ٩٩ :
* الناس أخياف وشتى فى الشيم *

(٢) ص ٢٢٧ من هذا الجزء .

كذا فى المؤتلف والمختلف للآمدى .

وسِوًى صفة بلدة بمعنى متوسطة . والفِزْر : لقبٌ لسعد بن زيد مناة .
والمعنى : وجدنا أبانا حلّ ببلدة متوسطة لديار قيس بن عيلان وسعد بن زيد
مناة . يريد : حلّ بين مضر ونأى عن ربيعة ، لأن قيسا والفزر من مضر .
وقوله « فلما نأت » الخ ، يقول : لما خذلتنا عشيرتُنا وهم ربيعة ؛ اكتفينا
بأنفسنا فأقمنا بدار الحفاظ والصّبر ، واتخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر ، وهذا
مثلٌ ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعَددهم وعُدّتهم ، وبلائهم وصبرهم ،
واستغنائهم عن القاعدين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٤٥ (لِيُبْكَ يَزيدُ ضارعٌ لخصومة ومختبِطٌ ممّا تطيح الطوائح)

على أن الفعل المسند إلى (ضارعٌ) حذف جوازاً ، أى (يبكيه) ضارع ؛
وهذا على رواية لِيُبك بالبناء للمفعول ويزيد نائب فاعل . وأما على روايته
بالبناء للفاعل ففاعله ضارع ويزيد مفعوله ولا حذف ولا شاهد . وهذه الرواية
هى الثابتة عند العسكرى ، وعَدّ الرواية الأولى غلطاً ، فإنه قال فى كتاب
التصحيف . فيما غلط فيه النحويون[2] : ومما قلبوه وخالفهم الرواة ، قول
الشاعر « لِيَبْكِ يزيد ضارع » .. البيت . وقد رواه خالدٌ والأصمعى وغيرهما
بالبناء للفاعل من البكاء ونصب يزيد .

ومثله فى كتاب فعلت وأفعلت لأبى حاتم السجستانى ، قال : أنشد

(١) سيبويه ١ : ١٤٥ ، ١٨٣ . وانظر العينى ٢ : ٤٥٤ وابن يعيش ١ : ٨٠
والهمع ١ : ١٦٠ والخصائص ٢ : ٣٥٣، ٤٢٤ والشعراء ٤٧ والتصحيف للعسكرى ٢٠٨ .
(٢) سبق ابن قتيبة فى الشعراء العسكرى فى هذا النقد ، كما نبه الميمنى .

الأصمعىّ « ليبَكِ يزيدَ ضارعٌ » أى بالبناء للفاعل ، ولم يعرف لِيُبكَ يزيد أى بالبناء للمفعول ، وقال : هذا من عمل النحويين .

وزعم بعضُهم أنه لاحذف فى البيت على الرواية الأولى أيضاً ، لجواز أن يكون يزيد منادى وضارع نائب الفاعل ، قال ابن هشام فى شرح الشواهد : والتوجيه الأول أولىٰ لأنه قد روى ليبَكِ يزيد بفتح ياء يبك وكسر كافه ونصب يزيد ، فلما ظهر ضارعٌ فاعلا فى هذه الرواية استحق أن يقدر فاعلاً فى الأخرى ليستويا . وتوهَّم الدمامينى فى الحاشية الهندية ، وتبعه الفنارى فى حاشية المطول ، أن القائل بنداء يزيد يزعم أنه منادى فى الروايتين ، واستشكله بأنه لم يثبت رفع يزيد فى رواية البناء للفاعل . وليس كما توهم ، فإن الذى خرجه على النداء إنما هو على رواية لِيُبكَ بالبناء للمفعول كما نقل ابنُ هشام ، والرواية الأولىٰ أبلغ بتكرار الإسناد إجمالا ثم تفصيلًا ، كما بيَّنه السعد فى المطوّل

وقال ابن خلف : لما قال ليبك يزيد عمَّ المأمورين بالتفجع على هذاالميت والبكاء عليه من كثرة الفَناء ، ثم خص هذين الصنفين من جملة البا كين عليه لشدة احتياجهما إليه ، ثم قال نقلًا عن بعضهم : إن الإبهام على المخاطب فى مثل هذا النحو الذى يقصد به العموم ، تعظيمٌ للمقصود ومدح عميم .

و (يزيد) على رواية البناء للفاعل غير منصرف للعلَمية ووزن الفعل لأنه منقول من الفعل دون ضميره المستتر ، وعلى الرواية الأخرى يحتمل أن يكون كالأول وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون منقولا من الفعل مع فاعله المستتر ويكون حينئذ جملة محكية .

واعلم أن هذا البيت لوقوعه فى المتن شرحه الشارح المحقق ، ونحن نذ كر

ما يتعلق به . فقوله الضارع : الذليل ، من قولهم ضرَع ضَراعة ، فعله من
١٤٨ الباب الثالث ، وورد فى لغة أيضاً من باب تعب ، ويقال أيضاً ضرُع ضَرعاً
كشرُف شرفاً بمعنى ضعُف ، فهو ضَرِع أيضاً تسمية بالمصدر ، كذا
فى المصباح . وقوله : (لخصومة) متعلق بضارع وإن لم يعتمد على شىء الخ .
أقول : ظاهره أنه لم يعتمد على شىء مما ذكر من شروط عمل اسم الفاعل
النصب ، وفيه أنّه معتمد على موصوف مقدر . قال ابن مالك فى الخلاصة :

وقد يكون نعتَ محذوف عُرف   فيستحقُّ العملَ الذى وُصف

ويحتمل أن يكون معناه أنه متعلق بضارع وإن فرض أنه لم يعتمد على شىء ، لأنه يكفيه رائحة الفعل ، وكيف لايتعلق به مع اعتماده على موصوف مقدر ، لكنه بعيد عن السياق .

قال الفنارىّ فى حاشية المطول : « فإن قلت : بل قد اعتمد على الموصوف المقدّر ، أى شخص ضارع ، فعلى تقدير اشتراط الاعتماد فى تعلق الجارّ به لا محذورَ أيضاً ! قلت : إن كفى فى عمله الاعتماد على موصوف مقدر لايتصور الإلغاء ، لعدم الاعتماد حينئذ ، لتصريح الشارح — يعنى السعد — فى شرح الكشاف ، بأنّ ذكر الموصوف مع اسم الفاعل ملتزَم لفظاً أو تقديراً تعيينا للذات التى قام بها المعنى . وهو مخالف لتصريحهم ، اللهم إلا أن يقال : الاعتماد على موصوف مقدّر إنما يكفى لعمله إذا قوى المقتضى لتقديره ، كما فى يا طالعاً جبلًا ، ويارا كباً فرساً ، لانضمام اقتضاء حرف النداء إلى اقتضاء نفس اسم الفاعل ؛ لكن تأتّى اعتبار مثل هذا المقتضى فى كل موضع محلُّ نظر » اه.
وهذا كلام جيد .

وقوله « لأجل الخصومة » أشار إلى أن اللام فى الخصومة لام التعليل ؛ ويحتمل أن يكون بمعنى عند أيضاً . وقوله « فإن يزيد كان ملجأ للأذلاء

والضعفاء » الأولَى ملجأ للأذلاّء والفقراء ، فإنّ المختبط : بمعنى السائل كما فسره الشارح به . وقوله « وتعليقه ببيبك ليس بقويّ فى المعنى[١] » قال الفنارى : لأن مطلق الخصومة ليس سبباً للبكاء ، بل هى بوصف المغلوبية . وقوله « والمختبط الذى يأتيك للمعروف من غير وسيلة » وقع فى بعض النسخ : « الذى يأتى بالليل للمعروف » . والظاهر أن قيد الليل تحريف من النساخ ، وكون الاختباط الإتيانَ للمعروف من غير وسيلة هو قول أبى عبيدة ، فإنه قال : المختبط : الرجل يسألك من غير معرفة كانت بينكما ، ولا يدٍ سلَفت منه إليك ، وعليه فيكون الاختباط متعدياً لمفعول واحد كما مثَّل الشارح المحقق بقوله « يقال اختبطنى فلان» . وقال ابن خلف : الاختباط بمعنى السؤال والطلب ، فهو بمنزلةِ الاقتضاء ، تقول اختبطنى معروفى فخَبطته أى أنعمت عليه ، ومثله اقتضيته مالاً أى[٢] سألته إياه . وحكى بعضهم اختبط فلان فلاناً ورقاً ، إذا أصاب منه خيراً . فعلى تفسير أبى عبيدة فى البيت حذف مفعولٌ واحد ، أى ومختبط ورقاً أو رزقاً أو نحو ذلك . ويجوز أن يكون هذا المفعول ضمير يزيد أى ومختبط إياه . وعلى التفسير الثانى فيه حذف مفعولين أى ومختبط الناسَ أموالهم . ومثله إذا سألت فاسأل الله ، أى إذا سألت أحداً معروفه فاسأل الله معروفه .

وروى : (ومستمنح) بدلَ ومختبط ، أى من استمنحه أى طلب مِنحته وهى العطيّة والرِّفد ، والأصل فى المنحة هى الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها
١٤٩ رجلاً يشرب لبنها ثم يردّها إذا انقطع اللبن ؛ ثم كثر استعماله حتى أطلق على كلِّ عطاء . ومنحته من باب نفع وضرب ، إذا أعطيته .

---

(١) انظر شرح الرضى ١ : ٦٨ .
(٢) فى النسختين « أن »

وصف الشاعر يزيدَ بالنصر والكرم للذليل وطالبِ المعروف[1] ، فيقصده الضارع للخصومة ، ويلتجىء إليه المختبط إذا أصابته شدة السنين .

وقوله « وأصله من خبطت الشجرة الخ » الخبْط بسكون الباء : إسقاط الورق من الشجر بالعصا لعلْف الإبل . والخبَط بفتحتين هو الورق الساقط . والمِخبط بكسر الميم هى العصا التى يخبط بها ، والفعل من باب ضرب . وقال ابن مالك : الأصل فيه أن السارى والسائر لابد من أن يختبط الأرضَ ، ثم اختصر الكلام فقيل للآتى طالباً للجدوى : مختبط . وخبطت الرجل إذا أنعمت عليه من غير معرفة ، وخبطته إذا سألته أيضاً ؛ فهو ضد .

وقوله « وهو إما على حذف الزوائد الخ » أشار إلى أن الطوائح جمع على غير قياس ، لأنّ فعله رباعىّ ، يقال أطاحته الطوائح وطوّحته ، فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمَطاوح ، فإن تكسير مُفعِل مفاعل بحذف إحدى العينين وإبقاء الميم ، وتخريج الجمع على حذف الزوائد هو لأبى على الفارسى ، وتخريجه على النسب هو لأبى عمرو الشَّيبانى ، فإنّ تقديره عنده مما تطيحه الحادثات ذوات الطوائح .

ونقل ابن خلف عن الأصمعى أن العرب تقول : طاح الشىء فى نفسه وطاحه غيره ، بمعنى طوّحه وأبعده ، فعلى هذا يكون الطوائح جمع طائحة من المتعدى قياسا ، ولا شذوذَ .

ولم أر هذا النقل فى الكتب المدوّنة فى اللغة ولا فى غيرها .

وقوله « يقال طاح يطوح الخ » طاح بمعنى هلك ، وكلُّ شىء ذهب وفنى

(١) هذا هو الوجه . وفى النسختين : « وطلب المعروف » .

فقد طاح : وقوله « وطاح يطيح وهو واوى الخ » فيكون أصلهما طوح يطوح بكسر الواو فيهما[1] فأعِلاَّ .

وجعله صاحب العباب ممّا عينُه جاء معتلّا بالواو تارة وبالياء أخرى ولم يعتبر أن الواو صارت ياء بالأعلال . وسبقه ابن جنى فى إعراب الحماسة فإنّه قال : ومن قال طاح يطيح فكان عنده كباع يبيع ، فقياسه أن يقول المَطايح ، فيصحح الياء لأنّها عين مُفعِل .

وقوله « مما تطيح متعلق بمختبط الخ » هذا هو الظاهر المتبادر إليه ، وقال ابن خلف : وقوله مما تطيح ، موضعه رفع على النعت لمختبط ، أوله ولضارع جميعا ، أى كائن أو كائنان ، فتكون (ما) للجنس . ويؤيد هذا التأويل رواية من روى (ممن تُطيح) أى من الذى تطيحه الطوائح فحذف العائد ، وروى أبو على (قد طوّحته الطوائح) وهذا يؤيد كون هذه الجملة نعتا لمختبط لرجوع الضمير إليه مفردا . وقوله « أى يسأل من أجل » أشار إلى أن (مِن) تعليلية . وقال ابن الحاجب في إيضاحه وأماليه : ومن للابتداء أو بمعنى السببية . فالأوّل على أن ابتداء الاختباط من الإطاحة أو سبب الاختباط الإطاحة . فإن قلت : ما الفرق بينهما ؟ قلت : فيه خلاف ، قال أبو حيان : كأن التعليل والسببَ عندهم شىء واحد ، قال السيوطى : هذا هو الحقّ . وفى شرح جمع الجوامع للمحلّى ما يصرّح به ، لأنه قال المعبّر عنه هنا بالسبب هو المعبرٌ عنه فى القياس بالعلة ! وخالفهم ابن السبكى في الأشباه والنظائر فقال : إن الفرق بينهما ثابتٌ لغة ونحواً وشرعا : قال اللغويون :

(١) وكذا فى اللسان : « قال سيبويه فى طاح يطيح : إنه فعل يفعل ، لأن فعل يفعل لايكون فى بنات الواو ، كراهية الالتباس ببنات الياء ، كما أن فعل يفعل لا يكون فى بنات الياء ، كراهية الالتباس ببنات الواو أيضا » .

السبب كلُّ شيء يتوصل به إلى غيره ومن ثَمّ سمّوا الحبل سببا ، وذكروا أنّ العلة : المرض وكلمات يدور معناها على أنّ العلة أمر يكون عنه أمر آخر . وذكر النحاة أن اللام للتعليل ولم يقولوا للسببية . وقال أكثرهم : الباء للسببية ولم يقولوا للتعليل ، وذكر ابن مالك السببية والتعليل . وهذا تصريح بأنّهما غيرانِ . وقال أهل الشرع : السبب : ما يحصل الشيء عنده لا به ، والعلة : ما يحصل به . وأنشد ابن السّمعانى على ذلك :

ألم تر أنّ الشيء للشيء علةٌ ... تكون به، كالنار تُقدح بالزَّندِ!

والمعلول يتأثر عن علته بلا واسطةٍ بينهما ولا شرطٍ يتوقف الحكم على وجوده ، والسبب إنما يُفضى إلى الحكم بواسطة أو وسائط[1] ولذلك يتراخى الحكم عنه حتى توجد الشرائط وتنتفىَ الموانع . وأمّا العلّة فلا يتراخى الحكم عنها ، إذ لاشرط لها ، بل متى وجدت أوجبت معلولها بالاتفاق . . إلى آخر ما فصله .

وقوله : « إذهابُ الوقائع ماله » ، أشار إلى أنّ مفعول تطيح محذوف وهو ماله . وقوله : « أى يبك لأجل إهلاك المنايا يزيد » ، أشار إلى أن مفعول تطيح على هذا التقدير هو يزيدَ ، وأراد بالمنايا أسباب الموت ، إطلاقا لاسم المسبّب على السبب ، وإلاّ فالشخص الواحد لاتهلكه إلاّ منية واحدة . وقوله : « ويجوز أن تكون ما بمعنى التى » ، زاد بعضهم : ويجوز أن تكون نكرة موصوفة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات لنهشَل بن حَرّىّ — على مافى شرح أبيات الكتاب لابن خلف — فى مرثية يزيد ، وهى :

(١) ط : « وسايط » .

أبيات الشاهد (لعمرى لئن أمسى يزيدُ بن نَهشل حَشا جَدَث تسفى عليه الروائح

لقد كان ممّن يبسط الكفَّ بالندىٰ إذا ضنَّ بالخير الأكفُّ الشحائح

فبَعدَك أبدى ذو الضغينة ضِغنة وسدّ لى الطَّرفَ العيونُ الكواشح

ذكرتُ الذى مات الندى عند موته بعاقبهِ إذ صالحُ العيش طالح[1]

إذا أرَقٌ أفنى من الليل ما مضَى تَمطَّى به ثِنْىٌ من الليل راجحُ

ليبك يزيد ضارع .. . . البيت

سقى جَدثاً أمسى بدَومةَ ثاويا من الدَّلو والجوزاء غادٍ ورائحُ

الحشا : ما فى البطن . والجدث بالجيم والثاء المثلثة : القبر . وتسفى : مضارع سفت الريح التراب : ذرته ، ويقال أسفته أيضاً فالمفعول محذوف . والروائح : أى الأيّام الروائح ، من راح اليوم يروح روحا من باب قال ، وفى لغة من باب خاف ، إذا اشتدت ريحه فهو رائح[2] . وأما كونه جمعَ ريح لم أقف على من نبّه عليه ، مع أن ريحاً لم تجمع على هذا الوزن . وضنَّ ، يقال ضن بالشىء يضَنّ من باب تعب ، ضَنّا وضِنّة بالكسر وضَنانة بالفتح : بخِل فهو ضنين ، ومن باب ضرب لغة . والشحائح : جمع شَحيح ، من الشُّحّ وهو البخل ، وفعله من باب قتل ، وفى لغة من بابى ضرب وتعب . أراد : أنه إن فقد بالعدَم فهو حىّ بذكره بالكرم . وما أحسن قول أبى نصر الميكالى :

بانى العلىٰ والمجد والإحسان والفضلِ والمعروفِ أكرمُ بانى

الجودُ رأىُ مسدَّد وموفَّق والبذلُ فعل مؤيّد ومُعان

(١) بعاقبه ، كذا جاء فى سه ، وهو ما يقتضيه تفسير البغدادى فيما بعد . لكن صواب الرواية : « بعاقبة » كما فى ط . والعاقبة : الآخرة . ونحوه فى الأصمعيات ١٠٦ لدريد بن الصمة :

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة وأخلفت كل موعد

(٢) ط : « راح » .

١٥١ والبرُّ أكرمَ ما وعتـه حَقيبة والشـكر أفضل ما حوته يدانِ
وإذا الـكريم مضى وولّى عمرُه كفلَ الثناء له بعُمرٍ ثانِ(١)

ولأجل هذا البيت الأخير أنشدت هذه الأبيات .

وعاه يعيه : حفظه وجمعه . والحقيبة : أصله العجُز ، ثم سمّى ما يحمل من القُماش على الفرس خلف حقيبته مجازاً ، لأنه محمول على العجز .

وقوله (فبعدك أبدى الخ) فيه التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . والضغينة والضغن بالـكسر : اسم من ضغِن صدرُه ضغناً من باب تعب بمعنى حقـد . وسد : أغلق . والطرف : مصدر طرف البصر طرفاً من باب ضرب : تحرّك ونظر ، وهو مفعول مقدَّم . والعيون : فاعل مؤخر . والـكَوَاشح : جمع كاشحة مؤنث الـكاشح ، وهو مضمر العداوة ، وكشَح له بالعداوة : عاداه كـكاشحه ، وإنما نسبه إلى العيون ، لأن العداوة أول ما تظهر من العين ، أى صرت بعدك ذليلاً لا أقدر أن أرفع بصرى إلى أحد . وفى نسخة (وسدّد لى) من التسديد وهو التقويم ، أى صَوّبت نحوى عيونُ الأعداء نظرَها ، وهذه أحسن . وقوله (ذكرت الذى) الخ ، ضمير موته راجع للذى ، وهو العائد ، والباء متعلقة بمات . والعاقب : الذى يخلُف من كان قبله فى الخير ، وضمير « عاقبِهِ(٢) » راجع للندى ، يقول : مات الندى مع من يخلفه عند موت يزيد . ويصح أن يعود الضمير ليزيد . وإذ : متعلقة بذكرت . والصالح من الصلاح ، والطالح من الطلاح وهو ضدُّ الصلاح . والأرق : السَّهر . وتمطّى : امتدّ وطال .

(١) الميمنى : « وتقدم أبو الطيب المتنبى أبا نصر الميـكالى بقوله :
كفل الثناء له برد حياته لمـا انطوى فـكأنه منشور
وتقدمهما آخرون » .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ص ٣١٠ .

وضمير (به) راجع إلى ما مضى . والثِّنْى بكسر المثلثة وسكون النون ، يقال ثِنْىٌ من الليـل أى ساعة ، وقيل وقت . وراجح أى زائد ثقيل ، من رجح الميزان رجوحاً : مال . و (إذا) عاملها تمطَّى . يشكو بهذا البيت طول الليل . وقوله (أمسى بدَومة ثاويا) دومة بفتح الدال والميم : اسم موضع بين الشام والموصل ، وهو من منازل جَذيمة الأبرش ، كان وقع فيه الطاعون ، ذكره الأخطل فى شعره ، كذا فى المعجم لأبى عبيد البـكرى . و (غاد) : فاعل سقى ، واحده غادية وهى السحابة تنشأ غُدوة . والرائح : مطر العشى وهو آخر النهار . وقوله (من الدَّلو) كان فى الأصل صفة لما بعده ، فلما قدم صار حالا ، وإنَّما خصَّ السحاب بكونه من الدلو والجوزاء لـكثرة مائه ، فإن الدلو وسط فصل الشتاء ، فإن الشمس تحُلُّ فيه بالجدى والدلوِ والحوتِ ، والجوزاء آخر فصل الربيع ، والشمس تحل فيه بالحمل والثور والجوزاء .

نهشل بن حرى

و (نَهشل بن حَرِّىٍّ) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين بلفظ المنسوب إلى الحَرّ أو إلى الحَرّة ، وهو ابن ضَمرة بن جابر بن قطَن بن نَهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة [ابن مالك[1]] بن زيد مناة بن تميم . وكان اسم ضَمرة جدّ نَهشل شِقَّة بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف . ودخل على النعمان فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا شِقَّة بن ضَمْرة . قال النعمان : « تسمع بالمُعَيْدىّ لا أن تراه ! » فقال : أبيت اللعن ، إنما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه ، إن نطقَ نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجَنان ! قال : أنت ضَمْرة بن ضَمْرة ؛ يريد أنك كأبيك . كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة[2] .

وكان نَهشل شاعراً حسنَ الشعر ، وهو القائل :

---

(١) التكملة من تصحيحات أحمد تيمور ، ومن زيادات الشنقيطى فى هامش نسخته

(٢) الشعراء ٦١٩ .

ويومٍ كأنَّ المصطَلِينَ بحرِّه وإن لم تكن نارٌ وقوفٌ على جمر
صبرنا له حتى يبوخَ(١) وإنما تُفرِّج أيام الكريهة بالصبر ١٥٢

قال العسكري في التصحيف(٢) : وابنه حَرِّيّ بن نهشل بن حَرِّيّ شاعر أيضا ، وله يقول الفرزدق :

أحَرِّيّ قد فاتتك أختُ مجاشع فُصيلة فانكِح بعدها أو تأيَّم

ونهشل بن حرّيّ من المخضرَمين ، نقل ابن حجر في الإصابة عن المرزُباني : أنه شريف مشهور مخضرم ، بقي إلى أيام معاوية ، وكان مع علي في حروبه ، وقُتل أخوه مالك بصفّين وهو يومئذ رئيس بني حنظلة ، وكانت رايتهم معه ؛ ورثاه نهشل بمراثٍ كثيرة . . قال : وأبوه شاعر شريف مشهور مذكور ، وجده ضَمرة سيدٌ ضخم الشرف ، وكان من خير بيوت بني دارم .

(تتمة)

نسب النحاس هذه الأبياتَ في شرح أبيات الكتاب ، وتبعه ابن هشام ، صاحب الشاهد للبيد الصحابي ؛ وحكى الزمخشري أنها لمزرِّد أخي الشماخ ، وقال ابن السيرافي : هي للحارث بن ضرار النهشلي يرثي يزيد بن نهشل ؛ وقال اللَّبْلي : إنها لضرار النهشلي ، وذكر البعليُّ أنها للحارث بن نُهَيك النهشلي ، وقيل هي للمهلهل .

والصواب : أنَّها لنهشل بن حرّيّ كما في شرح أبيات الكتاب لابن خلف ، وكذا في شرح أبيات الإيضاح . والله أعلم .

* * *

(١) ط : « تبوخ » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : «السكري» صوابه ،في ش مع أثر تصحيح . وانظر التصحيف ٣٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه[1] .

٤٦ (لا تجزعى إن مُنفِسٌ أهلكتُه)

وتمامه : (وإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعى)

على أن الكوفيين أضمروا فعلا رافعا (لمنفس) ، أى إن هلك منفس أو أهلك منفس . وأورده فى باب الاشتغال أيضاً كذا . وأما البصريون فقد رووه :

* لا تجزعى إن مُنفِسا أهلكته *

وكذا أورده سيبويهِ بنصب منفِس على أنه منصوب بفعل مضمر تقديره إنْ أهلكتُ منفسا أهلكتُه ، فأهلكته المذكور مفسِّر للمحذوف .

وهذه الجملة من باب الاشتغال لا تدخل فى الجملة التفسيرية التى لا محل لها من الإعراب وإن حصلَ بها تفسير . قال أبو على فى البغداديات : الفعل المحذوف والفعل المذكور فى نحو قوله : لا تجزعى إن منفسا أهلكته ، مجزومان فى التقدير ، وإن انجزام الثانى ليس على البدلية إذ لم يثبت حذف المبدل منه ، بل على تكرير (إن) أى إن أهلكت منفسا إن أهلكته ؛ وساغ إضمار إن وإن لم يجزْ إضمار لام الأمر إلاّ ضرورة ، لاتساعهم فيها ، بدليل إيلائهم إياها الاسمَ ، ولأن تقدمها مقوّ للدلالة عليها .

وقوله (وإذا هلكت) الواو عطفت هذه الجملة الشرطية على الشرطية التى قبلها ، ولم أر فى جميع الطرق من روى بالفاء بدل الواو إلاّ العينى ،

(١) سيبويه ١ : ٦٧ . وانظر أيضاً العينى ٢ : ٥٣٥ وابن الشجرى ١ : ٢/٣٣٣ : ٣٤٦ وشواهد المغنى للسيوطى ١٦١، ٢٨١ وابن يعيش ١ : ٢/٢٢ : ٨٣ .

فإنه قال : الفاء عاطفة . والمعنى لا يقتضى الفاء فإنها تدل على الترتيب والتعقيب والسببية ، والثلاثة منتفية سواء كان الترتيب معنويا كما فى قام زيد فعمرو ؛ أو ذِكريا وهو عطفُ مفصّلٍ على مجمل نحو : « ونادى نوحٌ ربَّه فقالَ رَبِّ » .

وقوله (فعند ذلك فاجزعى) أورده الشارح فى الفاء العاطفة ، على أن إحدى الفاءين زائدة ، ولم يعيّن أيتهما زائدة . قال أبو على فى المسائل القصرية : الفاء الأولى زائدة والثانية فاء الجزاء ؛ ثم قال : اجعل الزائدة أيَّهما شئت . وعين القاضى فى تفسيره الفاء الأولى ، فإنه أورد البيت نظيراً لقوله تعالى :
« فبذلك فليفرَحُوا » ، فقال : الفاء فى « فبذلك » زائدة ، مثلها الفاء[1] ١٥٣
الداخلةُ على (عند) فى البيت ، وتقديم عند للتخفيف كتقديم ذلك . وسيبويه لا يثبت زيادة الفاء ، وحكم بزيادتها هنا للضرورة . ومَن تبعه وجَّه ما أوهم الزيادة ، فوجَّهها صاحب اللباب بأنها إنَّما كررت هنا لبعد العهد بالفاء الأولى كما كرر العامل فى قوله :

لقد علم الحىُّ اليمانون أننى   إذا قلتُ أمّا بعد أنى خطيبها

أعيد « أنى » لبعد العهد بأننى ، وأجاز الأخفش زيادتها فى الخبر مطلقاً ، وحكى « زيد فوجد » . وقيّده بعضهم بكون الخبر أمراً أو نهياً نحو :

* وقائلة خولان فانكح فتاتهمْ *

وقوله : * أنتَ فانظر لأى ذاك تصيرُ *

وأوّله المانعون بأن التقدير : هذا زيد فوجد ، وهذه خولان ، وبأن الأصل انظر فانظرْ ، ثم حذف انظر فبرز ضميره . والجزَع : قيل هو الحزن ، وقيل أخصُّ منه فإنه حزنٌ يمنع الإنسانَ ويصرفه عما هو بصدَده ويقطعه عنه .

---

(١) كلمة « الفاء » من ش فقط .

وأصله القطع ، يقال جزعت الحبلَ : قطعته لنصفه . ويقال أيضاً : جزعنا الواديَ ، أى قطعناه عرضاً ؛ وقيل هو قطعه مطلقاً . فالجزع بالفتح المصدر ، والجزع بالكسر منقطع الوادى ، وقيل هو الفزع . ومنه قوله تعالى : « أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا » . والفزع أخصّ من الخوف ، وهو انقباضٌ يعترى الإنسان ونفارٌ من كل شيء مخيف ؛ وهو من جنس الجزع . (والمُنْفِس) قال فى القاموس : وشيء نفيس ومنفوس ومُنفس بالضم يُتنافَس فيه ويرغب ، ونفُس ككرم نفاسة ونفاساً بالكسر ونفَساً بالتحريك ، والنفيس : المال الكثير ، ونفِس به كفرح : ضنَّ ، وعليه بخير : حسد ، وعليه الشيء نفاسة : لم يره له أهلا . انتهى . وفى عمدة الحفاظ : وأصل المنافسة مجاهدة النفس للتشبيه بالأفاضل فى غير إدخال ضرر على غيره ، وشيء نفيس منفوس به أى مضنون[1] . و (الإهلاك) لشيء : إيقاع الهلاك به . والهلاك على أربعة أوجه : أحدها وهو المراد هنا افتقاد الشيء عنك وهو موجود عند غيرك ، ومنه : « هَلَكَ عنِّى سلطانيهْ » . والثانى : هلاك الشيء باستحالةٍ وفساد ، كقوله تعالى : « ويُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ » . والثالث : الموت نحو : « إن امرؤٌ هلك » . والرابع : الشيء من العالم وعدمه رأساً ، وذلك هو المسمى فناء كقوله تعالى : « كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهَه » . وقد يطلق الهلاك على العذاب والخوف والفقر ونحوها ، لأنها أسبابُه يقول : لا تجزعى من إنفاق النفائس ما دمتُ حياً ؛ فإنى أحصِّل أمثالها وأُخلفها عليك ، ولكن اجزعى إذا متّ فإنك لا تجدين خلفاً منى .

صاحب الشاهد وهذا البيت آخر قصيدة للنمرِ بن تَولب ، يصف نفسه فيها بالكرم

---

(١) ط : « مفضول » صوابه فى سه .

ويعاتب زوجتَه على لومها فيه ، وكان أضافَه قوم فى الجاهلية فعقر لهم أربع قلائص واشترى لهم زقَّ خمر ، فلامته على ذلك ، فقال هذه القصيدة وهى :

أبيات الشاهد (قالت لتعذُلنى من الليل اسمعِ   سفهٌ تبيُّتُكِ الملامةَ فاهجعى)

قوله (اسمع) مقول قولها ، وقوله (سفه الخ) هو خبر مقدم وتبينك مبتدأ مؤخر . والملامة مفعول تبينك وهو مضاف لفاعله . وروى سفهاً بالنصب فيكون كان مقدرة . وعلى الوجهين الجملة مقولة لقولٍ محذوف ، أى فقلت لها .

يقول : لامت من الليل عجلةً عن الصبح ، وكان ذلك منها سفهاً ، ومثله ١٥٤
قول الشاعر (١) :

هبّتْ تلومُ وبئستساعةاللاحى   هلا انتظرتِ بهذا اللوم إصباحى

والسَّفه : خفة العقل ، والأصل فيه خفّة النسج فى الثوب . يقال ثوب سفيه أى خفيف النسج . والسَّفه أيضاً : خفّة البدن ، ومنه زمام سفيه : أى كثير الاضطراب . واستعمل فى خفّة النفس كنقصان العقل فى الأمور الدنيوية والأخروية . قال تعالى : « فإنْ كانَ الذى عليه الحقُّ سفيهاً » ، أى ضعيف العقل باعتبار خفّته ، ولذلك قوبل بارزانة فقيل : رزين العقل . والتبيُّت : أراد به التبييت لأنه مصدر بيّتَ الأمر ، أى دبره ليلا . والهجوع : النوم بالليل .

(لا تجزعى لغدٍ وأمرُ غدٍ له   أتَعجَّلينَ الشرَّ ما لم تمنعى)

يقول : إننا الآن بخير فلمَ تَعجّلين الشر ما لم تمنعى من الخير . وقوله وأمر غدٍ له ، أى أنّ أمر غد أو رزق غد موكول إلى غد ، فلا ينبغى له التحزُّن منذ اليوم . وقوله أتعجّلين استفهامٌ توبيخى ، وتعجّلين بفتح التاء ، وأصله بتاءين . وأراد بالشر الفقر أو الجزع ، وما مصدرية ظرفية .

(١) هو عبيد بن الأبرص . ديوانه ٧٥ ومختارات ابن الشجرى ١٠٠ .

(قامت تُبكِّي أنْ سَبأتُ لفتية زِقًّا وخابيةً بعَود مُقطَعِ)

تُبكى بضم التاء وكسر الكاف المشددة، يقال بكّاه عليه تبكية أى هيجه للبكاء فمفعوله محذوف. وروى تبا كى أى تتبا كى. وسبأ الخمر مهموز الآخر كجعل سَبْئاً وسباء واستبأها أيضاً، بمعنى اشتراها للشُّرب لا للتجارة. والزِّق بالكسر: جلد يجزز ولا ينتف صوفه، يكون للشراب وغيره، والزُّق بالضم: الخمر نفسها. والخابية: الجرة العظيمة، ويقال الُحبّ والزير. وأصلها الهمز لكن تركوه. والعَود بفتح المهملة: المسنّ من الإبل. والمقطع بزنة اسم المفعول: البعير الذى أُقطع عن الضراب، والبعير قام من المزال. يخبر أنّها لامته فيما لا خطر له.

(وقريت فى مِقْرَى قَلائصَ أربعا وقريتَ بعد قِرىْ قلائصَ أربعِ)

قريت الضيف قرى بالكسر والقَصر، وقَراء بالفتح والمد، أى أضفته. والمَقرى بالفتح: موضع القرى، وبالكسر وكذلك المِقراة القَصعة التى يقرى فيها. وقلائص مفعول قريت، وهى جمع قَلوص وهى الناقة الشابة، ولهذا حذف التاء من العدد. وقوله بعد قرى قلائص أربع، كل لفظٍ مضافٌ لما بعده إلى الآخر. يقول: قريت فى موضع قلائصَ أربعاً ولم يمنعنى ذلك أن قريت بعدهن.

(أتبكِّياً من كلِّ شيء هينٍ سفهٌ بكاء العين ما لم تَدمع)

يقول: سفهٌ بكاؤك من كلِّ شيء لايحزنك ولا تدمع عينك منه، فلو كنتِ حزينة كان أعذرَ لك عندى.

(فإذا أتانى إخوتى فدعِيهمُ يتعلّلوا فى العيش أو يَلهوا معى)

تعلّل بالأمر: تشاغل به. والعيش: الحياة المختصّة بالحيوان، وهوأخص

من الحياة ، لأن الحياة تقال فى الحيوان وفى المَلَك وفى البارى تعالى . واللهو : الشغل عن مهمّات الأمور بما تميل إليه النفس ، والواو فى يلهوا ضمير الجماعة ، ١٥٥
ولام الفعل محذوفة مثل الرجال يعفون .

(لاتطرديهم عَن فراشى إنه لا بدّ يوما أن سيَخلو مَضجعى)

الفراش : البيت ، كذا قال محمد بن حبيب فى شرحه . وهى هنا لفظة قبيحة . وأنْ مخففة من الثقيلة .

(هلَّا سألتِ بعـــادياء وبينه والخلّ والخمرِ التى لم تُمنَع)

قال شارح الديوان محمد بن حبيب : بعادياء يريد عن عادياء . يقول : لم يبق عادياء ، وكذلك أنا أقلُّ بقاء . وهو عادياء أبو السموءل الأزدى الغسانى . وقال آخرون : يريد عاداً . وكل شىء قديم عند العرب عادىّ . وقوله (والخلّ والخمر التى لم تمنع) يعنى الخير والشر ، كما يقال مافلان بخلٍّ ولا بخمر ، أى ليس عنده خير ولا شر . واذهب فما أنت بخل ولا خمر . قال أبو عبيد فى الأمثال : أراد أنّه كان لا يبخل بشىء مما كان عنده .

(وفتاتِهم عَنزٍ عشيةَ أبصرتْ من بُعد مَرأى فى الفضاءومسمعِ
قالت أَرى رجلاً يقلِّب نعـــلَه أُصلا وجوٌّ آمنٌ لم يَفزع)

قوله (وفتاتهم) مجرور ، وعنز عطف بيان عليه ، وهو بفتح العين المهملة وسكون النون وآخره زاى معجمة اسم زرقاءِ اليمامة ، وكانت من جديس بنت ملكهم ، وكانت تغذّى بالمخ . وفى القاموس : وعنز امرأة من طَسْم سُبيت فحملوها فى هودج ، وألطفوها بالقول والفعل ، فقالت : « هذا شرُّ يومىَّ » حين صرت أكرم للسِّباء . ونصب شرّ على معنى ركبت فى شر يوميها (١) .

(١) فى القاموس (عنز) .

ثم قال : وزرقاء اليمامة امرأة من جَديس كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام[1] . انتهى . فتأمل . قال الشاعر :

شَرٌّ يومَيها وأغواه لها ركِبت عنزٌ بحِدْجٍ جملا

وكانت رأت رجلا من طلائع تُبَّع قدامَ الجيش يقلِّب نَعلا من مسيرة ثلاثة أيام ولم يفزع لهم أحد ولم يعلم بمجيئهم . و (الأُصُل) : أصيل، وهو مابعد صلاة العصر إلى الغروب . وقوله (وجو) يريد أهل جوّ ، وجو : اسم بلد ، وهى اليمامة التى تضاف إليها زرقاء اليمامة . وقوله : (وفتاتَهم) قال ابن حبيب : نسب عنزاً إلى بيت عادياء وليست منهم ، وإنما كان شيئاً فى أول الدهر فنسبه إلى بعضهم ، كما قال زهير : « كأحمر عاد » وإنّما كان فى ثمود ، وكما قال آخر :

* مثل النصارى قتلوا المسيحا *

(فكأنَّ صالحَ أهل جوّ غُدوة صُبِحوا بذيفان السِّمام المُنقَعِ)

يريد الجميع ، لأنه إذا هلك الوجوه والصالحون منهم فالذين دونهم أحرى أن يَهلكوا . وقد صُبِحوا بالبناء للمفعول من الصَّبوح ، وهو شرب الغداة ، تقول : صبحتُه صَبحا من باب ضربته . والذَّيفان بفتح الدال وكسرها وبالمثناة التحتية وتهمز فيهما : السم القاتل ، والسمام بالكسر : جمع سم . والمُنقَع : كل ماينقع بالماء ونحوه .

(كانوا كأنعَمِ من رأيتِ فأصبحوا يلوون زادَ الراكب المتمتِّع)

أى كانوا بنعمة وخِصب ثم أصبحوا يعسر عليهم أن يزوّدوا راكبا ، لأنّهم لايقدرون على ذلك . والمتعة : الزاد يقول : ماله متعة ولا بَتاتٌ . يقول

(١) فى القاموس (زرق) .

المسافر متّعنى وبتّتنى[1] وزوّدنى ، كل ذلك بمعنى واحد .

(كانت مقدّمةَ الخميس وخَلفها رَقصُ الركاب إلى الصباح بِتبَّعِ)

الرقص بفتحتين : الخبب ، وهو نوع من السَّير ، وأرقص الرجل بعيره : أى حمله على الخبب . ويروى : « ركض الركاب » . والركاب : الإبل ، واحدُه راحلة . وضمير كانت راجع إلى نظرة عنز[2] المرأةِ المذكورة المفهومة من السياق . وخلف تلك النظرة إبلِ تُبّع تسير إلى الصباح حتّى لحقهم . وتُبَّع : أبو حسان بن تبَّع ، الذى غزا جَديس فقتلهم واستباحَ اليمامة .

(لاتجزعى إنْ منفِسٌ أهلكتُه . . . . . البيت)

وهذا آخر القصيدة .

ترجمة النمر بن تولب

والنمر بن تولب صحابى يعدُّ من المخضرمين ، ونسبه مذكور فى الاستيعاب وغيره . وهو عُكلىٌّ منسوب إلى عُكل بضم المهملة وسكون الكاف ، وهى أَمَة كان تزوَّجها عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ، فولدت له ثلاثة بنين ، ثم مات فحضنتهم عُكلُ فنسبوا إليها .

والنمر شاعر جواد ، واسع العطاء كثير القِرى ، وهّاب لماله ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيِّس[4] لجودة شعره وكثرة أمثاله . ويشبِّه شعره بشعر حاتم الطائى . وقال أبو عبيدة : كان النمر شاعر الرِّباب فى الجاهلية ، ولم يمدح أحداً ولا هجا . ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم مسلماً وهو كبير .

(١) كتب محب الدين الخطيب : « ويقال إلى اليوم فى طرابلس الغرب : بتت العروس ، أى جهزها » .

(٢) ط : « عين » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « الكبش » ، صوابه فى ش والشعراء ٢٦٨ والأغانى ١٩ : ١٠٩

(٤) المعمرين ٦٣ .

قال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمرين : عاش النمر بن تولب مائتى سنة ، وخرف وألقىَ على لسانه : انحروا للضيف ، أعطوا السائل، اصبَحوا الراكب[١] . أى اسقوه الصَّبوح .

قال ابن قتيبة فى ترجمته من كتاب الشعراء : وألقى بعض البطَّالين على لسانه : نيكوا الراكب ، فكان يقولها . ومن شعره :

لاتغضبنّ على امرئٍ فى ماله وعلى كرائم صُلب مالك فاغضب
وإذا تُصبك خَصاصةٌ فارجُ الغنى وإلى الذى يعطى الرَّغائبَ فارغبِ

باب التنازع

أنشد فيه ، وهو الشاهد السابع والأربعون :

٤٧ (فكنت كالساعى إلى مَثْعَبٍ مُوائلا من سَبَلِ الراعدِ[٢])

على أنّ الكسائى وقع فى أشنع مما فرّ منه من حذف الفاعل مضمراً ، لئلا يلزم الإضمار قبل الذكر فى نحو : ضربانى وضربت الزيدين ، مع أنّ الإضمار قبل الذكر قد ورد ، وحذف الفاعل فى غير المسائل المحصورة لم يرد .

و (الساعى) من سعى الرجل فى مشيه وسَعى إلى الصلاة : ذهب إليها على أى وجه كان . وأصل السعى التصرف فى كلّ عمل ، ومنه قوله تعالى : « وأنْ ليسَ للإنسان إلاّ ما سعى » . و (المثعب) بفتح الميم وسكون المثلثة وفتح العين المهملة قال فى الصحاح : هو واحد مثاعب الحياض . وانثعب الماء : جرى فى المثعب ، وثعبت الماء فى الحوض بالتخفيف : فجّرته . والثَّعَب

(١) ط : « أصبحوا » بالهمز ، تحريف .
(٢) هو من شواهد شرح الشافية أيضاً . انظر شرحها للبغدادى ص ١١١

بالتحريك : مسيل الماء فى الوادى . و (الموائل) اسم فاعل من واءلَ منه
على وزن فاعَلَ أى طلب النجاة وهرب . والموئل : الملجأ ، وقد وأل يئل ١٥٧
وألا وَوُءولا على فعول ، أى لجأ . و (السَّبَل) بالسين المهملة والباء الموحدة
المفتوحتين ، هو المطر . و (الراعد) : سحاب ذو رعد ، ويقال رعدت السماء
رعداً من باب قتل ، ورعوداً : لاح منها الرعد . كذا فى المصباح . يقول :
أنا فى التجائى إليه كالهارب من السحاب ، ملتجئاً إلى الميزاب . ومثله
قول الشاعر :

المستجيرُ بعمرو عند كُربته كالمستجير من الرَّمضاء بالنارِ

صاحب الشاهد

والبيت لسعيد بن حسان[1] . وقبله :

(فررتُ من معنٍ وإفلاسه إلى اليزيدىّ أبى واقدِ)

ومعن هو معن بن زائدة، الأمير الجواد ، المضروب مثلا فى الجود والكرم.
وإنّما قال (وإفلاسه) لأنْ الإفلاس لازمٌ للكرام فى أكثر الأيام
و (اليزيدى) هو أحد أولاد يزيد بن عبد الملك .

وقد أورد العتبى هذين البيتين فى تاريخ يمين الدولة محمود بن سُبُكْتُكين
تمثيلاً ، ونسبهما إلى سَعيد بن حسان ، ونقلتهما منه ، لأنى لم أرهما إلاّ فيه ،
ونقلت شرح بيته الأول من شرح التاريخ المذكور لأبى عبد الله محمود بن عمر
النيسابورى الشهير بالنجاتى .

* * *

(١) فى هامش أصل الطبعة الاولى : « سعيد بن حسان لم يدرك معن بن زائدة .
وقد نفى الشارح فيما سيأتى إدراك الفرزدق لمعن وسعيد ، وسعيد قبل الفرزدق » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون :

٤٨ (لاتَخلنا على غَرَاتك إنّا طالما قد وَشى بنا الأعداء[1])

على أن بعضهم جوّز فى السعة حذف أحد مفعولى باب علمت للقرينة ، مستدلاّ بهذا البيت ، أى لاتَخلْنا أذلاّء ، الأولَى هالـكين أو جازعين . والقرينة البيت الذى بعده ، وهو :

(فبقِينا على الشَّناءة تَنمِ ينا جُدودٌ وعِزَّةٌ قَعساء)

أى فبقينا على بغض الأعداء لنا ، ولم يضرنا بغضهم . والشناءة بالفتح والمد : البغض . وتنمينا : ترفعنا ، يقال نماه كذا أى رفعه . والقعساء : الثابتة . والجدود : جمع جَدّ بالفتح ، وهو الحظّ والبخت . وخال يخال بمعنى ظن وحسب . وعلى بمعنى مع . والغَراة بالفتح والقصر اسم بمعنى الاغراء . ويقال أغريته به إغراء فأغرى به بالبناء للمفعول . وقد روى « على غرائك » أيضاً بالمد ، وهو مضاف لفاعله ، والمفعول محذوف أى الملك . وقال أبو زيد فى نوادره[2] : يقال أغريت فلاناً بصاحبه إغراء ، وآسدت بينهما إيساداً ، إذا حملت كلّ واحد منهما على صاحبه حتى غَرِىَ به أى لزق به غَرًى شديداً ، مقصور . غُريت أنا بفلان فأنا أغرى به غَرًى ، إذا أولعت به من غير تحميل . وأنشد هذا البيت وإنّا بالكسر ، لأنّه استئناف بيانى . وطالما أى كثيراً مّا ، وهو فعل مكفوف عن الفاعل لاتصاله بما الكافّة ، وروى أيضاً : « قبلُ ما قد وشى » بضم اللام أى قَبلك ، وما زائدة . ووشى به عند السلطان وشياً : سعى به . وقبل هذا البيت :

(١) ط : « غرائك » ، وهى رواية الأنبارى فى السبع الطوال ٤٥٤ . وأثبت ما فى ـ وهو ما يقتضيه تفسير البغدادى .

(٢) نوادر أبى زيد ١٩٨ .

(أيّها الناطقُ المرقِّشُ عنّا عند عمرو وهل لذاكَ بقاء)

والمرقِّش : المزين ، أراد الذى يزين القول بالباطل . يقول يا أيُّها الناطق عند الملك الذى يبلّغه عَنًّا ما يُريبه فى محبّتنا إياه ، ودخولِنا تحت طاعته ، هل لهذا التبليغ بقاء ! وهو استفهام إنكارى ؛ لأنّ الملك يبحث عنه فيعلم ذلك من الأكاذيب .

١٥٨ وعمرو هو عمرو بن المنذر الأكبر بن ماء السماء ، ويقال له أيضاً عمرو بن هند ، ويلقب بالمحرِّق لأنه حرَّق بنى تميم فى النار ، وقيل بل حرَّق نخل اليمامة . وهو من ملوك الحيرة . عمرو بن هند

وهذه الأبيات من المعلقة المشهورة لابن حِلِّزة ، وهو الحارث بن حلّزة من بنى يشكر بن بكر بن وائل ، وهو بكسر الحاء المهملة وكسر اللام المشددة وهو فى اللغة كما قال الصاغانى : اسم دُوَيْبَّة ، واسم البومة ، والذكرُ بدون هاء ويقال امرأة حلِّزة للقصيرة والبخيلة . والحلِّز : السّيِّئ الخلق ، انتهى . وقال قطرب : حُكى لنا أنّ الحلِّزة ضربٌ من النبات ، ولم نسمع فيه غير ذلك . قال أبو عبيدة : أجود الشعراء قصيدةً واحدةً جيدةً طويلةً ثلاثةُ نفر : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلِّزة ، وطرَفة بن العبد . وزعم الأصمعىُّ أنّ الحارث قال قصيدته هذه وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة . وكان من حديثه أنّ عمرو بن هند لما ملك الحيرة وكان جبّاراً ، جمع بكراً وتغلب فأصلح بينهم ، وأخذ من الحيّين رُهُناً من كل حىّ مائة غلام ، ليكفَّ بعضهم عن بعض ، وكان أولئك الرُّهن يسيرون ويغزون مع الملك ، فأصابتهم سَموم فى بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون ، فقالت تغلب لبكر بن وائل : أعطونا ديات أبنائنا فإنّ ذلك لازمٌ لكم . فأبت بكر ، فاجتمعت

الحارث ابن حلزة

تغلب إلى عمرو بن كلثوم ، فقال عمرو بن كلثوم لتغلب : بمن ترون بكراً تَعصِب أمرها اليوم ؟ قالوا : بمن عسى ، إلاّ برجل من بنى ثعلبة ؟ قال عمرو : أرى الأمر والله سينجلى عن أحمرَ أصلع أصمَّ من بنى يشكر . فجاءت بكر بالنعمان بن هرِم ، أحد بنى ثعلبة بن غنم بن يشكر ، وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم ، فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم : يا أصمُّ جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وقد يفخرون عليك . فقال النعمان : وعلَى من أظلَّت السماء يفخرون . قال عمرو بن كلثوم : والله إنى لولطمتك لطمةً ما أخذوا بها . قال : والله أن لو فعلتَ ما أفلتَّ بها قيسَ أيرأبيك ! فغضب عمرو بن هند ، وكان يؤثر بنى تغلب على بكر ، وجرى بينهما كلام ، فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همَّ بالنعمان ، فقام الحارث بن حلزة وارتجلَ هذه القصيدة ، وتوكَّأ على قوسه فزعموا أنه انتظم (بها) كفَّه[1] وهو لا يشعر من الغضب .

وقال ابن السِّيد فى شرح أدب الكاتب[2] . كان متكئاً على عنزَة فارتزَّت فى جسده وهو لا يشعر . والعنزة بفتح العين المهملة والنون : رمح صغير فيه زج ، أى حديدة . وكان عمرو بن هند شرِّيراً لا ينظر إلى أحد به سوء ، وكان ابن حلزة إنما ينشده من وراء حجاب لبرصٍ كان به ، فلما أنشده هذه القصيدة أدناه حتَّى جلس إليه .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : وكان ينشده من وراء سبعة ستور فأمر برفع الستور عنه استحساناً لها .

* * *

(١) ط : « أنه اقتطم كفه » ، صوابه فى ش .
(٢) الاقتضاب ص ٣٨٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٤٩ (ولو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ ... كفانى ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ
ولكنّما أسعى لمجدٍ مؤثَّلٍ ... وقد يُدرك المجدَ المؤثَّلَ أمثالى)

على أنه ليس من التنازع . وقد بينه الشارح المحقق ، وأصلهُ من إيضاح ابن الحاجب .

وقد تكلم عليه ابنُ هشام أيضاً فى مغنى اللبيب ، فى (لو) وفى الأشياء التى تحتاج إلى رابط من الباب الرابع ، بتحقيقٍ لا مزيد عليه .

١٥٩ بقى أن ابن خلف نقل فى شرح أبيات الكتاب عن أبى عبد الله الحسن ابن موسى الدينوَرىّ أنه قال : والذى يقْوى فى نفسى وما سبقنى إليه أحد أنّ قوله ولم أطلب ، معناه ولم أسعَ ، وهو غير متعدّ فلذلك لم يحفِل به ولا أعملَ الأوّل . ولا أدرى كيف خفى على الأفاضل من أصحابنا ذلك حتى جعلوا البيت شاهداً لجواز إعمال الأوّل . انتهى .

وهذا ليس بشىء ؛ فإن الطلب معناه الفحص عن وجود الشىء ، عيناً كان ذلك الشىء أو معنًى . والسعى : السَّير السريع دون العدْو ، ويستعمل للجِدّ فى الأمر ، وهذا غير معنى الطلب وقد يكون لازماً له ، واستعماله فى اللازم لا قرينةَ له ، مع أنّ الأول متعدّ والثانى لازم ، ولم أطلب[2] مسند إلى ضمير المتكلم فكيف يرفع . و (ما) فى أنّ ما مصدرية لا موصولة ، لاحتياجها إلى العائد المقدر ، أى أسعى له .

(١) سيبويه ١ : ٤١ . وانظر العينى ٣ : ٤٥ وابن يعيش ١ : ٧٨ ، ٨٩ والهمع ٢ : ١١٠ والسيوطى ٢١٩ ، ٢٩٧ والإنصاف ٨٤ وديوان امرئ القيس ٣٩ .
(٢) فى النسختين : « ولم أسع » ، تحريف .

قال ابن خلف : المجد : الشرف ، وأصله الكثرة فكأنّ معناه كثرة الأفعال الجميلة التي توجب لصاحبها الشرف، وهو الارتفاع . انتهى .

ومثله فى عمدة الحفاظ قال : وأصل المجد من مَجَدت الإبل : حصلت فى مرعىً كثير واسع ، وقد أمجدها الراعى : جعلها فى ذلك . وتقول العرب : « فى كلّ شجرٍ نارٌ ، واستَمجدِ المرخ والعَفار » ، ويروى بصيغة الماضى ، والمرخ فاعله ، بمعنى استكثر النار ، وفى القاموس « المجد نيل الشرف والكرم ، أوْلا يكون إلا بالآباء وكرم الآباء خاصة » . والمؤثّل ، قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات: هو المجموع ، ومنه قول امرئ القيس . وقال ابن السكيت : المؤثّل : المستمرّ المثبت ، يقال قد تأثّل فلانٌ بأرض كذا وكذا ، أى ثبتَ فيها . وقال أبو عبيدة : مجد مؤثّل : قديم له أصل ، والتأثّل: اتخاذ أصل مال . والأثْلة بسكون المثلثة : الأصل . قال الأعشى:

* ألستَ منتهياً عن نحت أثْلتنا[1] *

وهذان البيتان من قصيدة لامرئ القيس مطلعها :

قصيدة الشاهد

(ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطّللُ البالى)

وقد شرحنا فى الشاهد الثالث من أولها إلى قوله :

نظرْتُ إليها والنجومُ كأنْها مصابيح رهبان تشبُّ لقفّالِ

عشرين بيتاً[2] وقد أخذ هذين البيتين وبسط معناهما خُفاف بن غُضَين البُرجمى ، كما رأيته فى مختار أشعار القبائل لأبى تمام ، وفى المؤتلف والمختلف للآمدى :

---

(١) عجزه : * ولست ضائرها ما أطت الإبل *

(٢) انظر ما مضى فى ص ٦٠ — ٦٩ .

ولو أنَّ ما أسعى لنفسيَ وحدها   لزادٍ يسير أو ثياب على جلدى
لأنتُ على نفسى وَبلّغَ حاجتى   من المال مالٌ دون بعض الذى عندى
ولكنّما أسعى لمجـد مؤثل   وكان أبى نال المكارم عن جدّى

و (خُفاف) بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء الأولى . و (غُضَين) بضم الغين وفتح الضاد المعجمتين . وأنت بضم الهمزة، فهى ماض، من الأون وهو الدّعة والرفق والمشى الهين . وبعد هذين البيتين وهو آخر القصيدة :

(وما المرء مادامت حُشاشةُ نفسه   بمدركِ أطراف الخطوبِ ولا آلى)

أى ولا بمقصّر ، من ألا يألو بمعنى قصّر . وقبلهما بيتان ، وحكايتهما بين سيف الدولة والمتنبي مشهورة[1] ، وهما :

(كأنّىَ لم أركب جواداً للذّة   ولم أتبطَّن كاعباً ذاتَ خلخالِ ١٦٠
ولم أسبأ الزقّ الروىَّ ولم أقلْ   لخيلىَ كرّى كرّةً بعد إجفال)

أخذهما عبدُ يغوثَ الجاهلىُّ وأودعهما فى قصيدة قالها بعد أن أسر فى يوم الكُلاب الثانى ، ولم يرد عليه ما ورد على امرئ القيس ، وهما :

كأنىَ لم أركب جواداً ولم أقل   لخيلىَ كرى نفّسى عن رجاليا[2]
ولم أسبأ الزقّ الروىّ ولم أقل   لأيسارِ صِدقٍ عظّموا ضوء ناريا

امرؤ القيس

والأيسار : جمع ياسر ، وهو الجازر ، والذى يلى قسمة جزور الميسر .

ونسب (امرئ القيس) على ما فى المؤتلِف والمختلِف[3] : امرؤ القيس

---

(١) انظر المواهب الفتحية ١ : ١٠٧ . وهى فى شرح الواحدى لديوان الطيب ، ونقلها عنه العكبرى فى شرح قوله :

وقفت وما فى الموت شك لواقف   كأنك فى جفن الردى وهو نائم

(٢) انظر المفضليات ١٥٨ .

(٣) المؤتلف والمختلف ص ٩ .

ابن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار بن عمرو بن معاوية ابن ثور بن مُرتِع بن معاوية بن ثور الأكبر — وهو كندة — بن عُفَير ابن عدىّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد ، الشاعر المقدم .

ونسبه لابن الأنبارى فى شرح المعلقات : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كِندة ابن ثور بن مُرتِع بن عُفير بن الحارث بن مرّة بن عدىّ بن أُدَد بن عمرو ابن هَمَيْسَع بن عَريب بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب ابن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالَخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام .

و (مُرْتِع) بسكون الراء وكسر التاء[1] ، ذكره ابن ماكولا هو وابن الكلبى.[2] وقال : سمّى بذلك لأنه كان يقال له أرْتِعنا فيقول : أرتعتكم أرض كذا . والتشديد ذكره أيضاً لغة ، انتهى . وقال الصّاغانى فى التكملة : إنّ مُرتعاً اسمه عمرو ، وذكر بقية نسبه ، وهو أُدَد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان .

قال ابن خلف : ويكنى امرؤ القيس أبا زيد ، وأبا وهب ، وأبا الحارث . وذكر بعض اللغويين أن اسمه حُندُج ؛ وامرؤ القيس لقَب له لقّب به لحاله ، وذلك لأن الناس « قِيسوا » إليه فى زمانه فكان أفضلَهم . والحُندُج بضم الحاء المهملة والدال وسكون النون وآخره جيم ، وهو فى اللغة : الرّملة الطيبة ،

(١) ضبط عند ابن الأنبارى بضم الميم وفتح الراء وتشديد التاء المكسورة لأنه قال : «وإنما سمى مرتعا لأنه كان من أتاه من قومه رتعه ، أى جعل له مرتعا لماشيته» . السبع الطوال ٤ .

(٢) ط : « ابن ماكولا وابن الكلبي » ، وكذا فى المؤتلف للآمدى ٩ .

وقيل : كثيب من الرّمل أصغر من النقا . ويقال لامرئ القيس (ذو القروح) أيضاً لقوله :

* وبدّلت قرحاً دامياً بعد صحّة(١) *

ويقال له (الملك الضِّلّيل) . وحُجر فى الموضعين بضم الحاء المهملة وسكون الجيم ، والمُرار بضم الميم وتخفيف الراءين المهملتين : شجرٌ من أفضل العُشب وأضخمِه ، إذا أكلته الإبل قَلَصت مشافرُها فبدَت أسنانُها ، ولذلك قيل لجدّ امرئ القيس آكل المُرار ، لكَثَرٍ كان به .

وهذه أحواله على وجه الإجمال . قال ابن قتيبة فى ترجمته : « ولما ملك حُجر على بنى أسد كان يأخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سَرَواتهم فقتلهم بالعِصىّ — فسموا عَبيد العصا — وأسَر منهم طائفة فيهم عَبيد بن الأبرص ، فقام بين يدَى الملك وأنشده أبياتاً يرقّقه بها ، منها :

أنت المليكُ عليهمُ وهمُ العبيدُ إلى القيامهْ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردَّهم إلى بلادهم ؛ حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تِهامة تكهّن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدىّ فقال : يا عبادى ؛ قالوا: لبّيك ربّنا ؛ فسَجع لهم على قتل حجر وحرَّضهم عليه ؛ فركبت بنو أسد كلَّ ١٦١
صعب وذلول ، فما أشرقَ لهم الضحى حتى انتهوا إلى حجر فوجدوه نائماً فذبحوه ، وشدُّوا على هجائنه فاستاقوها . وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع فى الشعر بفاطمة ما صنع ، وكان لها عاشقاً ، فطلبها زماناً فلم يصل إليها ، وكان يطلب منها مَوعداً ؛ حتى كان منها يوم الغَدير بدارة جُلجُل ما كان ، فقال :

---

(١) عجزه فى ديوانه ١٠٧ :

* فيالك من نعمى تحولن أبؤسا *

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فلما بلغ ذلك حُجْراً دعا مولًى له يقال له ربيعة فقال له : اقتل امرَأَ القيس وائتني بعينيه ، فذبح جؤذراً فأتاه بعينيه ، فندم حجر على ذلك ، فقال : أَبيتَ اللعنَ ، إنى لم أقتله . قال : فائتنى به : فانطلق ، فإذا هو قد قال شعراً فى رأس جبل ، وهو قوله :

فلا تُسلِمَنّى ياربيعُ لهـذه ... وكنتُ أرانى قبلَها بك واثقا

فردّه إلى أبيه فنهاه عن قول الشعر ، ثم إنه قال :

* ألاعِم صباحاً أيها الطللُ البالى *

فبلغ ذلك أباه فطرده . كذا قال ابن قتيبة .

وفيه أن امرأ القيس قال هذه القصيدة فى طريق الشام عند مسيره إلى قيصر بعد قتل أبيه ، ولعله شعرٌ آخر .

ثم قال ابن قتيبة : فبلغه مقتلُ أبيه وهو بدَمُّون ، فقال :

تطاولَ الليلُ علينا دمُّونْ ... دمّونُ إنّا معشر يمانُونَ
وإننا لأهلنا محبّون(١)

ثم قال « ضيّعنى صغيراً ، وحمّلنى دمَه كبيراً ، لا صحو اليومَ ولا سُكر غداً ، اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ » . ثم آلى : لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه . فلما كان الليل لاحَ له برق فقال :

أرقتُ لبرقٍ بلَيلٍ أهلّ ... يضىء سَناه بأعلى جبلْ(٢)
بقتل بنى أسدٍ ربَّهم ... ألا كلّ شىء سواه جلَلْ

(١) ط : « لأهلها » ، صوابه فى سـ والشعراء ٥٤ .
(٢) فى الشعراء : « الجبل » .

ثم استجاش بكر بن وائل فسار إليهم وقد لجئوا إلى كنانة فأوقع بهم، ونجت بنو كاهل من بنى أسد، فقال:

يالهَفَ نفسى إذ خَطِئْن كاهلا   القاتلينَ الملكَ الُحلاحلا

تاللهِ لايذهبُ شيخى باطلا

وقد ذكر امرؤ القيس فى شعره أنه ظفر بهم، فيأبَى عليه ذلك الشعراء. قال عبيد:

يا ذا المخوِّفُنا بقتـ   ـلِ أبيه إذلالاً وحَينا
أزعمتَ أنّك قد قتلـ   ـتَ سَراتنا كذباً ومَينا

ولم يزل يسير فى العرب يطلب النصر حتى خرج إلى قيصر.. ونظرت إليه ابنةُ قيصر فعشقته فكان يأتيها وتأتيه، وفطن الطَّمَاح بن قيس الأسدى لهما — وكان حُجر قتل أباه — فوشَى به إلى الملك. فخرج امرؤ القيس متسرِّعاً، فبعث قيصر فى طلبه رسولا، فأدركه دون أنقرِة بيوم، ومعه حلة مسمومة، فلبسها فى يوم صائف فتناثر لحمه وتفطّر جسده. وكان يحمله جابر بن حُنَىّ التغلبى. فذلك قوله:

فإمّا ترينى فى رِحالة جابر   على حَرَجٍ كالقرّ تخفق أكفانى
فيارُبَّ مكروبٍ كررتُ وراءه   وعانٍ فككتُ الغُلّ منه ففدّانى ١٦٢
إذا المرء لم يخزُنْ عليه لسانُهُ   فليس على شىء سواه بخزّان

وقال حين حضرته الوفاة:

وطعنةٍ مُسْحَنفِرَهْ   وجفنةٍ مُثعنجِرَهْ

تبقى غداً بأنقِرَهْ

قال ابن السكلبي : هذا آخر شيء تكلّم به ثم مات . وجابر بن حُنَىّ بضم المهملة وفتح النون والياء المشدّدة . والرِّحالة بالكسر : قيل السرج ، وقيل السَّرج من جلودٍ لاخشب فيه يتخذ للركض الشديد . والحَرَج : الضيِّق . والقرُّ بفتح القاف : مركَبٌ للرجال كالهَودج . والمُسْحنفِرِ : الواسع . والمُثمَنجِرِ : السائل المنسكب .

ثم قال ابن قتيبة : قال أبو عبد الله الجُمَحى[1] : كان امرؤ القيس ممن يتعهّر فى شعره ، وذلك قوله :

* فمثلكِ حبلى قد طَرقتُ ومُرضِعٍ[2] *

وقال :

* سموتُ إليها بعد ما نام أهلُها[3] *

وقد سَبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء : من استيقافه صَحبَه فى الديار ، ودقّةِ التشبيه[4] ، وقرب المأخذ . ويستجاد من تشبيهه قوله :

كأنّ عيونَ الوَحش حولَ خِبائنا   وأرحُلِنا الجَزْعُ الذى لم يُثقَّبِ

ومما عيب عليه قوله :

إذا ما الثريّا فى السماء تعرّضت   تعرُّضَ أثناءِ الوشاح المفصَّلِ

قالوا : الثريّا لا تعرُّضَ لها ؛ وإنما أراهُ أراد الجوزاء فذكر الثريّا

(١) ابن سلام ص ٣٤ — ٣٥ .
(٢) تمامه : * فألهيتها عن ذى تمائم محول *
(٣) عجزه : * سمو حباب الماء حالا على حال *
(٤) ط : « ورقة النسيب » .

على الغلط ، كما قال الآخر[1] : « كأحمر عاد » وإنما هو كأحمر ثمود » وهو عاقر الناقة .

وأقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فضلّوا الطريق ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء ، إذْ أقبل راكب على بعير ، وأنشد بعضُ القوم :

ولمّا رأتْ أنّ الشريعةَ همُّها وأن البياضَ من فَرائصها دامى
تيمّمَتِ العَين التى عند ضارجٍ يفيء عليها الظِّلُّ عِرمِضُها طامى

فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس ؛ فقال : والله ما كذب ، هذا ضارجٌ عندكم — وأشار إليه — فمشوا على الركب فإذا ماء غَدَقٌ ، وإذا عليه العِرمِض والظلّ يفيء عليه ، فشرِبوا وحملوا ، ولولا ذلك لهلكوا » . انتهى كلام ابن قتيبة .

(تتمة)

ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف عشرة من الشعراء ممن اسمهم امرؤ القيس واحدٌ منهم صحابى ، وهو امرؤ القيس بن عابِس الكندى[2] . وزاد صاحب القاموس على ما قال الآمدى اثنين وهما صحابيان : أحدهما امرؤ القيس بن الأصبَغ الكلبى ، وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطَّمّاح

من اسمه امرؤ القيس

* * *

(١) هو زهير فى معلقته . والبيت بتمامه :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقد نقل التبريزى فى شرح المعلقات عن المبرد أن هذا ليس بغلط ، لأن ثمود يقال لها عاد الأخيرة ، ويقال لقوم هود : عاد الأولى .

(٢) فى النسختين : «عانس» ، صوابه فى المؤتلف ٩ والإصابة ١ : ٦٤ والقاموس (قيس) والشعراء ٣١٠ ، ٥٦٣

مفعول ما لم يسم فاعله

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون :

١٦٣ ٥٠ (نُبِّئْتُ عمراً غيرَ شاكرِ نِعمتى)

على أن (أعلَمَ) وأخواتها ، مما يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل ، إذا بنيت للمفعول لا ينوب عن الفاعل إلاّ المفعول الأوّل كما فى هذا البيت ، فإنّ ضمير المتكلم كان فى الأصل مفعولاً أوّلا ، والتقدير نبأنى فلان ، فلما بنى فعله للمفعول ناب عن الفاعل . وقد بيّنه الشارح المحقّق . و (عمراً) هو المفعول الثانى ، و (غير) المفعول الثالث ، وأصلهما المبتدأ والخبر .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(والكُفرُ مَخبثةٌ لنفس المنعِم)

وهذا البيت من معلقة عنترة بن شدّاد العَبسىّ . والكفر هنا : الجحد ، يقال: كفر النعمة وبالنعمة ، إذا جحدها . ومخبثَة بفتح الميم،من الُخبث، يقال : خبُث الشىء خبثا من باب قرب : خلاف طاب ، والاسم الخباثة ؛ ومَفعَلة صيغةُ سببِ الفعل والحاملِ عليه والداعى إليه ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « الولد مَجبنة مَبخلة » أى سببٌ يجعلُ والدَه جبانا : لم يشهد الحروب ليربّيه ، ويجعله بَخيلا : يجمع المال ويتركه لولده من بعده . ومثله كثير فى العربيّة . ولم يتكلم علماء التصريف على هذه الصيغة ، قال الخطيب التبريزى فى شرح المعلّقة « يقال طعامٌ مَطيَبةٌ للنفس ومَخبثة لها ، وشراب مَبولة » انتهى . يقول : من أنعمتْ عليه نعمةٌ فلم ينشرُها ولم يشكرها فإن ذلك سببٌ لتغيّر نفس المنعِم من الإنعام على كلّ أحد . وليس المعنى : يتغير نفس المنعم على ذلك الجاحد ، كما قال شراح المعلقة ، فإنه تقصير .

وهذا المصراع من باب إرسال المثل . ولما كان هذا البيت تامّا فى نفسه لم نضف إليه شيئا من هذه القصيدة .

وترجمة عنترة قد تقدمت مع أبيات من هذه المعلقة فى الشاهد الثانى عشر[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون[2] :

٥١ (ولو ولدتْ قُفَيرةُ جروَ كلْبٍ لَسُبَّ بذلك الجرْوِ الكِلابا)

على أن الكوفيين وبعض المتأخرين أجازوا نيابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول الصريح .

قال ابن جنّى فى الخصائص : « هذا من أقبح الضرورة ، ومثله لا يُعتَدّ به أصلا ، بل لا يُثبَت إلاّ محتَرَاً شاذًّا » .

و « بعض المتأخرين » هو على بن سليمان الأخفش تلميذ المبرّد .

و (قُفَيرة) بتقديم القاف على الفاء وبالراء المهملة مصغّرا . اسم أم الفرزدق. وروى (فُكَيهة) أيضا على وزنه ، وهو تحريف . و (الجرو) مثلث الجيم : ولد السباع ، ومنها الكلب .

ذمّ الشاعر قُفَيرة بأنها لو ولدت جرواً لسُبَّتْ جميعُ الكلاب بسبب

(١) ص ١١٨ .

(١) انظر ابن يعيش ٧ : ٧٥ والخصائص ١ : ٣٩٧ والهمع ١ : ١٦٢ وابن الشجرى ٢ : ٢١٥ . ولم يرد البيت فى ديوانه ولا فى النقائض .

ذلك الجروِ ، لسوء خَلقه وخلقه . وقال القالى[١] فى شرح اللباب[٢] « وقيل : الكلاب ليست مفعولَهُ ، بل مفعول ولدت . وجرو نصب على النداء ، أو على الذم . وقيل الكلاب نصب على الذمّ ، وجُمع لأن قُفيرة وجَروا وكلبا ثلاثة » . انتهى .

وهذا التخريج نقله ابن الحاجب فى أماليه عن أبى جعفر النحاس فى كتابه الكافى فى النحو عن أبى إسحاق الزّجاج وقال : « معنى قوله لَسُبَّ : لحصل السبّ بسبب ذلك الجرو » . وهذا مستقيم .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق ، مطلعها :

١٦٤ (أقِلِّى اللومَ عاذلَ والعِتابا وقولى إن أصبتُ لقد أصابا)

وتقدم شرحه مع ترجمة جرير فى الشاهد الرابع[٣] .

وقبل البيت الشاهد :

(وهل أمٌّ تكون أشدَّ رَعياً وصَرًّا من قُفَيرة واحتِلابا)

وقد نقض هذه القصيدةَ عليه الفرزدقُ بقصيدةٍ ، وكلتاهما مسطورة فى النقائض .

* * *

(١) فى النسختين : « التالى » ، وإنما هذا بالفاء ، وهو محمد بن سعيد السيرافى . ذكره السيوطى فى البغية ٤٦ وقال : « المعروف بالفالى ، بالفاء ، صاحب شرح اللباب ولم أقف له على ترجمة » . ومن هذا الشرح نسخة كتبت سنة ٧٧٥ بحيدرأباد . ويوجد كثير من نسخه بالهند ، كما ذكر الميمنى .

(٢) اللباب فى النحو لتاج الدين محمد بن أحمد بن السيف ، المعروف بالفاضل الاسفرايينى ، كما فى كشف الظنون .

(٣) ص ٦٩ — ٧٨ .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والخمسون، وهو من شواهد س[1] :

٥٢ (أمرتُك الخيرَ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(أمرتُك الخيرَ فافعلْ ما أُمرتَ به فقدْ تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَب)

على أن الجُزولىّ منع نيابة المنصوب بسقوط الجار، مع وجود المفعول به المنصوب من غير حذف الجار، وأصله أمرتك بالخير؛ لأنّ أمر يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد، وهو الكاف هنا، وبحرف الجر إلى آخرَ، فالخير منصوب بنزع الباء بدليل (ما أُمرتَ به). قال الأعلَم: «وسوّغ الحذف والنصب: أن الخير اسم فعل يَحْسُنُ أنْ وما عملت فيه فى موضعه، و (أنْ) يحذف معها حرف الجر كثيرا، تقول أمرتك أن تفعل، تريد: بأن تفعل، فإذا وقع موقعَ أن اسمُ فعلٍ شبّه بها فحسن الحذف. فإن قلت أمرتك بزيد لم يجُز أن تقول أمرتك زيدا». انتهى.

ونقل ابن هشام اللخمى هذا الكلام فى شرح أبيات الجمل، إلاّ أنه قال: «الخير مصدر». وهذا ليس بجيّد. قال المرزوقى فى شرح الفصيح، عند قول الشاعر :

ومن يَلْق خيرا يحمَدِ الناسُ أمرَه ومن يَغْوِ لا يَعدَمْ على الغَىّ لائما

«يجوز أن يكون جعل (الخير) كناية عن كل ما يُحمد من إصابة الحق وتعاطى العدل واتّباع الرشد، ويكون (ومن يغوِ) على الضدّ منه، ويجوز أن يكون الخير كناية عن الغنى خاصة، والغىّ كناية عن الفقر. وقد علم أن

(١) سيبويه ١ : ١٧ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٦٥/٢ : ٢٤٠ وابن يعيش ٢ : ٤٤ / ٨ : ٥٠ والهمع ٢ : ٧٢ والسيوطى ٢٤٧ .

الغنى محمود والفقر مذموم ، والعرب تسمى كلّ مرتضى عندهم خيراً وحقّا ، وصوابا وحسنا ، وكلّ مذموم عندهم شرًّا وخطأً ، وسيئة وجهلاوغيّا» .انتهى.

وقد أورد القاضى هذا البيت عند قوله تعالى : « فافعَلُوا ما تُؤْمَرُون » على أنه بتقدير تؤمرون به كما فى البيت . ولا يخفى ركاكة قول شارح شواهده الموصلى : « إن الأمر لايستعمل إلاّ بالباء ، وقد شاع حذفه فى هذا الفعل ، وكثر استعماله أمرته كذا ، حتى لحقت بالأفعال المتعدية إلى مفعولين » . هذا كلامه .

روى أبو علىّ الهَجَرِىُّ فى نوادره(١) : (أمرتك الرشد) بدل الخير ، وهو الصَّلاح وإصابة الصواب ، وفعله من بابى تعب وقتل . و (أُمرتَ) بالبناء للمفعول ، وضمير (به) لما الموصولة أو الموصوفة . والفاء الأولى جواب شرط مقدّر ، أى إن تمتثل فافعل . وقال اللخمى : جوابٌ لما فى الجملة من من معنى الأمر ، والفاء الثانية جواب الأمر . وقال أيضاً « ذا : حالٌ من الكاف فى تركتك ، والعاملُ فيه تركَ ، وهو بمعنى صاحِب ، وهو عند ابن درستويهِ مفعول ثان لتركت لأنها تتعدى إلى مفعولين والثانى هو الأول . وهذا وهم لأن تركت فى معنى خلّيت ، وخليت لا يجئ معها إلا الحال ، فكذلك لايجيء مع تركت إلاّ الحال » . انتهى.

١٦٥ والصواب أن ترك يتضمن معنى جعل فيتعدى تَعديته ، وهذا مستفيض لا يخفى على مثله .

وقال ابن خلف : « وتركتك : إن كان بمعنى صيّرتك كان ذا مال مفعولا

(١) لم يذكر البغدادى هذه النوادر فى مراجعه ، ولم يذكرها إلا فى هذا الباب وباب المفعول فيه . ومن نوادر الهجرى نسخة فى دار الكتب باسم « التعليقات والنوادر » برقم ٢٤٢ لغة . واسم الهجرى هارون بن زكريا .

ثانياً ، كما تقول : تركت زيداً فقيهَ البلد : إذا كنت أنت الذى فقّهته وعلّمته ، ومنه قوله سبحانه : « تَرَكناها آية »(١) أى جعلناها وصيّرناها . وإن كانت بمعنى خلّفتك كان ذا مال حالا ، كما تقول : تركت زيداً وهو فقيه البلد » . انتهى .

و (قد) للتحقيق ، وقال اللخمىّ : يجوز أن تكون للتوقّع أيضاً . و(المال) قال اللخمىّ : فى شرح فصيح ثعلب : هو عند العرب الإبل والبقر والغنم ، ولا يقال للذهب والفضة مال ، وإنما يقال لهما : ناضّ ، وأقلّه ماتجب فيه الزكاة ، وما نقص عن ذلك فليس بمال . وحكى أبو عُمَر صاحب الياقوتة : المال : الصامت والناطق ، فالصامت : الدنانير والدراهم والجواهر ، والناطق : البعير والبقرة والشاة ، قال : ومنه قولهم : مالَه صامتٌ ولا ناطق . ومنهم من أوقع المال على جميع مايملكه الإنسان . وهو الصحيح . انتهى . ويشهد للقول الأخير قوله تعالى : « وَلا تُؤْتُوا السُّفهاء أموالَكم » وهذا لايخصّ شيئاً دون شىء . و (النشب) بالشين المعجمة ، قيل : بمعنى جميع مايملك بمعنى المال ، وقيل : المال الأصيل الثابت بمعنى العَقار كالدُّور والضِّياع ، مأخوذ من نشب الشىء : إذا ثبت فى موضع لزومه . فعلى الأوّل يكون من عطف المترادفين للتوكيد ، وعلى الثانى يكون من عطف الخاصّ على العام . وإن فسِّر المال بغير القول الأخير كان من عطف المتقابلين . وقال الأعلم : « قد قيل : إنّ النشب هنا جميع المال ، فيكون عطفه على الأول مبالغة وتوكيداً ، وسوّغ ذلك اختلاف اللفظين » . وهذا كلامه فتأمّله ! وهذه رواية سيبويه وخَدَمة كتابه(٢) ، ورواه الهجرى فى نوادره : (ذا نسب) بالسين المهملة . قال اللخمى وأبو الوليد

(١) من الآية ١٥ فى سورة القمر .
(٢) ط : « خدمة كلامه » .

الوَقّشي فيما كتبه على كامل المبرد : هذا هو الصحيح ، لأنه لامعنى لإعادة ذكر المال ، وإنما يقول : تركتك غنياً حسيباً . يخاطب ابنه . وقد نسب السيوطي في شرح أبيات المغني هذا الكلام لابن السِّيد البَطَلْيَوْسي فيما كتبه على الكامل . وهذا لا أصل له ، فإنه لم يكتب عليه هنا شيئاً ، وإنّما كتب ما يقارب هذا في أبيات الجمل .

صاحب الشاهد وقد ورد هذا البيت في شعرين : أحدهما في شعر أعشى طَرُود ، والثاني في شعرٍ اختلف في قائله . أما الأول فقد نقله الآمدي في المؤتلف والمختلف وأبو محمد الأعرابي في فُرحة الأديب ، وهو :

(يادارَ أسماء بين السَّفح فالرُّحَبِ أقوَتْ وعفّى عليها ذاهبُ الحُقُب[1]
فما تبيّنُ منها غيرَ منتضد ورواسياتٍ ثلاثٍ حولَ منتصب
وعرصة الدار تستَنُّ الرياحُ بها تحنّ فيها حنينَ الوُلَّهِ السُّلُب
دارٌ لأسماء ، إذْ قلبي بها كلِفٌ وإذ أقرِّب منها غيرَ مقترِب
إنّ الحبيبَ الذي أمسيتُ أهجرُهُ من غير مَقلِيَةٍ مني ولا غضَب
أصدّ عنه ارتقاباً أنْ أُلمّ به ومَنْ يخفْ قالةَ الواشينَ يرتقب
إني حَويت على الأقوام مَكرُمةً قِدماً ، وحذّرني ما يتقون أبي
وقال لي ، قول ذي علمٍ وتجربة بسالفاتِ أمورِ الدهر والحِقَب :
١٦٦ أمرتك الرشد فافعل ما أمرت به . . (البيت) . انتهى

وقال اللخميّ : من قال إنّ البيت لأعشى طَرُود قال بعده :

(لا تبخلنّ بمال عَنْ مذاهبه في غير زَلّة إسراف ولا تَغب
فإن وُرّاثه لن يحمَدوكَ به إذا أجنوك بين اللِّبْنِ والخشب

---

(١) الحقب ، بضمتين وبكسر ففتح .

وقد أورد الهجرىّ أيضاً فى نوادرهِ هذين البيتين بعد البيت الشاهد، وأما الثانى فهو هذا :

« فقال لى، قولَ ذى رأىٍ ومقدرة ... مجرّبٍ عاقلٍ نَزْهٍ عن الرِّيَبِ :
قد نلتَ مجداً، فحاذرْ أن تدنّسه : ... أبٌ كريمٌ وجَدٌّ غيرُ مؤتشب
أمرتكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمرتَ به ... فقد تَركتك ذا مال وذا نَشَب
واتْرُكْ خلائقَ قوم لا خَلاقَ لهمُ ... واعمدلأخلاقِ أهلِ الفضلِ والأدب
وإنْ دُعيتَ لغدرٍ أو أُمرتَ به ... فاهرُبْ بنفسكَ عنه آبِدَ الهرب »(١)

وهذا الشعر قد نسب إلى عمرو بن معد يكرب، وللعبّاس بن مرداس، ولزُرعة بن السائب، ولخُفَاف بن نَدبة.

قال اللخمى : من نسب البيتَ لأحد الثلاثة الأوَل قال قبلَه :

فقالَ لى قولَ ذى رأى ومقدرة . . (البيت)

ونَسبَ قولَه : ... فاترك خلائق قوم لا خَلاَقَ لهم

وقوله : ... قد نلتَ مجداً فحاذرْ أن تدنّسه

البيتين، إلى أعشى طَرود لا غير، وقال : هما بعد البيت الشاهد. وقد نسبَ البيت، فى كتاب سيبويه، لعمرو بن معد يكرب. والله أعلم.

أعشى طرود

وأعشى (طَرود) قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : « لم يُذكر اسمه ولا عُرف نسبُه إلى القبيل. وبنو طَرود، من(٢) فَهْم بن عمرو بن قيس ابن عَيْلان، وهم حلفاء بنى سُليم ثم فى بنى خُفاف. انتهى.

ونقل الصاغانى فى العباب هذا الكلام ولم يزد عليه.

---

(١) كذا فى ط . وفى ـــ مع أثر إصلاح : « أبة الهرب ».
(٢) ط : « منهم » صوابه فى المؤتلف ١٧ وفى ـــ مع أثر إصلاح .

وقال أبو الوليد الوقشيّ نقلاً عن نوادر الهجريّ ، واللخمى نقلا عن أبى مروان عبد الملك بن مِراج : إن أعشى طَرود اسمه إياس بن موسى ، بكسر الهمزة بعدها مثناة تحتية ؛ ولم يزيدا على هذا .

قال المرزُبانىّ : حضَر هوذة بن الحارث ، المعروف بابن حملة[1] ، فى أيام عمر ، العطاء فدعا قبله إياس بن موسى هذا ، فقال هوذة[2] :

لقد دار هذا الأمرُ فى غير أهلهِ فأبصِرْ ، أمينَ الله ، كيف تذُودُ
أيُدْعى جُشَيمٌ والسُّويدُ أمامَنا ويُدعىْ إياس قبلنا وطَرود[3] !
فإن كان هذا فى الكتابِ فَهُمْ إذنْ ملوكٌ سوى حرب ونحن عَبيد[4]

انتهى . وفُهم من هذا أن أعشى طَرود إسلامىّ ، لكن لم يعلم ما هو : صحابىّ أم تابعىّ[5] ؟ والله أعلم .

وقوله : يادار أسماء بين السفح الخ ، قال ياقوت فى معجم البلدان « السَّفح بلفظِ سفح الجبل ، وهو أسفله حيث يسفح فيه الماء . وهو موضع كانت به وقعة بين بكر بن وائل وتميم » . ولم يذكر أبو عبيد[6] هذه الكلمة فى المعجم. والرُّحب بضم الراء وفتح الحاء المهملتين : موضع ، ولم يذكرها أبو عُبيدٍ ولا ياقوت . وأقوتْ : خلت من الأنيس ، كأنه ذهب قوتها . وعفّى عليها ،
١٦٧ بالتشديد كعفَاها : أى طمسها ومَحا علاماتها . والحقب بضمتين : الدهر ، وبكسر ففتح : جمع حِقبة ، وهى السَنة ؛ أى طمسها الدهرُ الذاهب ، والسنون الماضية . وتبيّن : ظهر . والمنتضد : الحجارة المصفوفة بعضها فوق بعض .

(١) كذا فى النسختين ، وفى الإصابة ٩٠١٢ نقلا عن المرزبانى : « بابن الحامة » .
(٢) فى الإصابة : « أيدعى خثيم والشريد » .
(٣) فى الإصابة : « ملوك بنو حر » .
(٤) الميمنى : « ذكره الطبرى وابن شاهين فى الصحابة » .
(٥) أبو عبيد البكرى . وفى ط : « أبو عبيدة » صوابه فى سه مع أثر تصحيح .

وأراد بقوله : راسيات ثلاث : حجارةَ القدرِ الثلاثة ؛ وهو معطوف على منتضد ، وكذلك عَرصة . واستنّت الرياحُ : هبّت عليها من هنا ومن هنا . والوُلَّه : جمع الواله : المرأة التي فقدت ولدها . والسُّلُب بضمتين : اللابسة الثياب السود . وتحنّ : من الحنين بمعنى الأنين . وقوله : وإذ أقرِّب منها . . الخ . أى أمنّى نفسى منها ما لا يكون . والمقليَة بتخفيف الياء : مصدر بمعنى القلى ، وهو البغض والكراهية . والارتقاب : الانتظار . وأن أُلِمّ : أى لأن أَنزل وأُحلّ به . والتَّغَب : بمثناة فوقية فغين معجمة ، قال اللخمىّ : هو جمع تَغْبة وهى السقطة ، وما يعاب به ابنُه . والتغب أيضاً : الهلاك ؛ وقال فى الصحاح : « تغب بالكسر تَغَباً : هلك » . ونَزْه بفتح النون وسكون الزاى : البعيد ؛ سكّن الزايَ ، وهى مكسورة للضرورة . والمؤتشب : المختلط يقال : أشْبت القومَ ، إذا خلطتَ بعضهم ببعض .

المبتدأ والخبر

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والخمسون[١] :

٥٣ (غَيرُ مأسوفٍ علىٰ زَمَنٍ   يَنقَضى بالهَمِّ والحَزَنِ)

أورده مثالا لإجراء (غير) قائم الزيدان ، مُجرى (ما) قائم الزيدان ، لكونه بمعناه .

وتخريج البيت على هذا أحد أقوال ثلاثة هو أحسنها ؛ وإليه ذهب ملك النحاة الحسن بن أبى نزار[٢] ، وابن الشجرىّ أيضا فى أماليه .

(١) انظر العينى ١ : ٥١٣ والهمع ١ : ٩٤ وابن الشجرى ١ : ٣٢ .
(٢) كذا فى النسختين ، وهو أبو نزار الحسن بن أبى الحسن صافى بن عبدالله بن نزار ، صاحب المسائل العشر المتعبات إلى الحشر . ولد سنة ٤٨٩ وتوفى سنة ٥٦٨ . معجم الأدباء ٨ : ١٢٢ وإنباه الرواة ١ : ٣٠٥ والبغية ٢٢٠ .

و (مأسوف) اسم مفعول من الأسف وهو أشد الحزن ، وباب فعله فرح .
و (على زمن) متعلق به على أنه نائب الفاعل . وجملة ينقضى صفة لزمن .
و (بالهمّ) حال من ضميره ، أى مَشوبا بالهمّ .

فلما كانت (غير) للمخالَفة فى الوصف وجرت لذلك مَجرى حرف النفى ، وأضيفت إلى اسم المفعول المسند إلى الجار والمجرور — والمتضايفان بمنزلة الاسم الواحد — سَدّ ذلك مسدّ الجملة ، كأنه قيل : ما يؤسف على زمن هذه صفته .

قال أبو حيان فى تذكرته : ولم أر لهذا البيت نظيرا فى الإعراب إلاّ بيتاً فى قصيدة المتنبى يمدح بها بدر بن عمّار الطَّبَرستانىّ يقول فيها :

ليس بالمنكَر أن برّزت سَبقا　　غيرُ مدفوع عن السَّبق العِرابُ

فالعراب مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ لأنه يصير التقدير : العراب غير مدفوع عن السبق ؛ والعراب جمعٌ فلا أقلّ من أن يقول غير مدفوعة ، لأن خبر المبتدإ لا يتغير تذكيره وتأنيثه بتقديمه وتأخيره .

والقول (الثانى) لابن جنى ، وتبعه ابن الحاجب ، وهو : أن (غير) خبر مقدّم ، والأصل : زمن ينقضى بالهمّ والحزن غير مأسوف عليه ، ثم قدمت عليه وما بعدها ، ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور بعلى على غير مذكور ، فأتى بالاسم الظاهر مكانه وحذف الموصوف ، بدون شرطه المعروف ، ضرورة .

و (الثالث) وهو لابن الخشاب : أن غير خبر لأنا محذوفا ، ومأسوف :
١٦٨ مصدر كالمعسور والميسور أريد به اسم الفاعل ؛ والتقدير : أنا غير آسف على زمن هذه صفته .

صاحب الشاهد　وهذا البيت لأبى نواس ، وهو ليس ممن يستشهد بكلامه ، وإنما أورده

الشارح مثالا للمسألة ، ولهذا لم يقل كقوله . وبعده بيت ثان وهو :

(إنّما يرجو الحياةَ فتًى عاشَ فى أمنٍ من المِحَن)

أبو نواس

و (أبو نواس) هو أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الأوّل بن الصباح الحَكَمى ، بفتح الحاء والكاف ، نسبة إلى الحكم بن سَعدِ العشيرة ، وهى قبيلة كبيرة منها الجرّاح بن عبد الله الحكمى أمير خراسان ، وكان جدّ أبى نواس من مواليه . وإنما قيل له : أبو نواس ، لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقه .

والذؤابة بهمزة بعد الذال المضمومة : الضفيرة من الشعر إذا كانت غير ملويّة ، فإن كانت ملويّة فهى عَقيصة ، والذؤابة أيضاً : طرف العمامة . وناسَ ينوس ، إذا تدلّى وتحرك . والعاتق : مابين المنكِب والعنق ، وهو موضع الرداء .

وقيل : إن خلفا الأحمر كان له وَلاء فى اليمن ، وكان أميلَ الناس إلى أبى نواس فقال له يوما : أنت من اليمن فتَكَنَّ باسم ملكٍ من ملوكهم الأذواء ! فاختار ذا نواس فكناه أبا نُواس ، بحذف صدره ، وغلبت عليه .

ومولده بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل ست وثلاثين ومائة . ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، وقيل سنة ست وقيل سنة ثمان .

ونشأ بالبصرة ثم خرج إلى الكوفة . وقيل بل ولد بالأهواز ، وقيل بكُورة من كُوَر خُوزِستان سنة إحدى وأربعين ومائة . ونقل منها وعمره سنتان إلى البصرة . وأمّه أهوازية اسمها جُلّبان . وكان [أبوه] من أهل دمشق من جند مَرْوان الحِمار ، انتقل إلى الأهواز للرِّباط فتزوّجها .

وقدم أبو نواس بغداد مع والبة بن الُحباب الشاعر ، وبه تخرّج . وعرض القرآن على يعقوب الحضرمىّ . وأخذ اللغة عن أبى زيد الأنصارىّ وأبى عبيدة ، ومدح الخلفاء والوزراء . وكان فى الشعر من الطبقة الأولى من المولّدين .

قال أبو عبيدة : أبو نواس للمُحدثين مثل امرئ القيس للمتقدّمين ، وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد فى الكلّ ؛ وما زال العلماء والأشرافُ يروُون شعره ويتفكّهون به ، ويفضلّونه على أشعار القدماء .

وقال أبو عمرو الشيبانى : لولا أن أبا نواس أفسد بهذه الأقذار — يعنى الخمور — لاحتججنا به ؛ لأنه كان محكَم القول لا يخطئ .

وديوان شعره مختلِف لاختلاف جامعيه ، فإنه اعتنى بجمعه جماعة : منهم أبو بكر الصُّولى ، وهو صغير . ومنهم علىّ بن حمزة الأصبَهانى ، وهو كبير جداً . وكلاهما عندى ، ولله الحمد على نعمه . ومنهم إبراهيم بن أحمد الطبرى المعروف بتوزون(١) ولم أره إلى الآن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون(٢) :

٥٤ (عَلىٰ مثلِها مِنْ أرْبعٍ ومَلاعِبِ   تُذالُ مَصُوناتُ الدُّموعِ السَّواكِبِ)

على أنّه لما أنشد المصراع الأول عارضَه شخص فقال : لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فانخزل منه وترك الإنشاد ، لأن تقديم الخبر فى مثله يوهم الدعاء باللعنة . وسمى ابن أبى الإصبع هذا النوعَ فى تحرير التحبير التوليدَ

١٦٩ وقال : التوليد على ضربين : من الألفاظ ، ومن المعانى : فالذى من الألفاظ هو أن يزوّج المتكلم كلمةً من لفظِه إلى كلمة من غيره فيتولّد بينهما كلام

(١) ط : «بتورون» بالراء المهملة ، صوابه فى سهوابن خلكان وبغية الوعاة وكشف الظنون . قالوا إنه أخذ الأدب عن أبى عمر الزاهد وبرع فيه ، وإنه كان صحيح النقل جيد الخط والضبط ، ولم يصنف شيئا غير جمعه شعر أبى نواس . وكان يسكن بغداد ، وتوفى سنة ٣٥٥ . وجعله البغدادى فى التاريخ ٦ : ١٧ « تيزون » .

(٢) ديوان أبى تمام ص ٤٠ وتحرير التحبير ٤٩٥ .

يناقض غرض صاحب الكلمة الأجنبية ، وذلك فى الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة ، ومثاله ما حكى أن مُصعَب بن الزبير وَسم خيلَه بلفظة « عُدّة » فلما قتل وصارت إلى العراق رآها الحَجّاج فوسم بَعد لفظة عُدّة لفظة « الفِرار[1] » فتولّد بين اللفظتين غيرُ ما أراده مصعب . ومن توليد الألفاظ توليدُ المعنى من تزويج الجمل المفيدة ، ومن لطيف التوليد قول بعض العجم :

كأنّ عِذارَه فى الخدّ لامٌ ... ومَبسِمَه الشهىّ العطِر صادُ
وطُرّةَ شَعرِه ليلٌ بهيمٌ ... فلا عجَبٌ إذا سُرِق الرقادُ

فإنّ هذا الشاعر ولّد من تشبيه العِذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لفظة «لص»،وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر « سرقة النوم » ، فجعل فى هذا البيت توليدا وإدماجا . وهذا من أغرب ما سمعتُ .

ومثاله ما حكى أن أبا تمّام أنشد أبا دُلَف :

* على مثلها من أربع وملاعب *

فقال بعض من أراد نُكتةً[2] : « لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ، فولّد من الكلامين كلاماً ينافى غرض أبى تمام من وجهين : أحدهما خروج الكلام عن التشبيب إلى الهجاء بسبب ما انضمّ إليه من الدعاء . والثانى خروج الكلام عن أن يكون بيتاً من شعر إلى أن صار قطعة من نثر . ومن هذا الضرب قول الشاعر :

(١) سه : « الفرار » بالغين المعجمة وتشديد الراء ، تحريف صوابه فى ط وتحرير التحبير .

(٢) كتب إزاءها فى سه : « نكايته » وفى ط ، سه : « نكته » ، وأثبت ما فى تحرير التحبير .

ألومُ زِياداً في رَكاكةِ عقله ... وفي قوله « أيُّ الرجالِ المهذّبُ »(١)
وهل يُحسنُ التهذيبُ منكَ خلائقاً ... أرقّ من الماء الزُّلال وأطيبُ !
تكلّمَ والنُّعمان شمسُ سمائه ... وكلّ مَليك عند نُعمان كوكبُ
« ولو أبصرتْ عيناه شخصكَ مَرّةً ... لأبصرَ منه شمسَه وهي غَيهبُ »

فإن هذا الشاعر زوّج مدح ممدوحه بتهذيب الأخلاق إلى قول النابغة : « أيّ الرجال المهذب » ، فتولّد بين الكلامين ما ينافي غرض النابغة ، حيث أخرج الشاعر كلامه مُخرج المنكِر على النابغة ذلك الاستفهام ؛ وأوضح مناقضته للنابغة ببيته الثاني وهو قوله : « وهل يحسن التّهذيب . البيت » . وزوّج قوله في عجز البيت الثالث : « وكلّ مليك عند نُعمان كوكب » إلى قول النابغة : « بأنك شمسٌ والملوكُ كواكبُ » بدليل قول الشاعر عن النابغة(٢) : « تكلّم والنعمان شمس سمائه .. البيت » فتولّد بين الكلامين قوله :

« ولو أبصرت عيناه شخصك مَرّة ... لأبصر منه شمسَه وهي غيهبُ »

وأما الضرب (الثاني) وهو ما تولّد من المعاني ، كقول القطامي :

قد يُدرِكُ المتأنّي بعضَ حاجته ... وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزلَلُ

فقال مَنْ بَعده(٣) :

عليك بالقصدِ فيما أنت فاعلُه ... إن التخلّق يأتي دونه الخُلُقُ

(١) زياد ، هو النابغة الذبياني ، واسمه زياد بن معاوية . وهو إشارة إلى قوله :
ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب
(٢) وكذا في تحرير التحبير ٤٩٦ ولا بأس به ، وصححت في ـ : « يعني النابغة » .
(٣) الميمني : « هو سالم بن وابصة الأسدي . الكامل ٩ وشرح شواهد المغني ١٤٣ . ولكنه لم يكن بعد القطامي بمعنى من المعاني . فقد ذكره الطبري في الصحابة وخولف ، غير أنه لا شك في أنه في الطبقة الأولى من التابعين ، مدح عبد الملك . الإصابة . والقطامي كان ابن أخت الأخطل ، فهما معاصران » .

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامى بكماله ؛ ومعنى عجز البيت مولّد بينهما ، وهو قوله :

* إن التخلّق يأتى دونه الخُلُقُ *

والقطامى أخذ معناه من عَدِىّ بن زيد العِبادى حيث قال .

قد يدرِك المبطىء من حظّه والخيرُ قد يسبق جَهد الحريصْ

وعَدِىّ نظر إلى قول جُمانة الجُعفى :

ومستعجِلٍ والمُـكثُ أدنَى لرشده ولم يَدر فى استعجاله ما يبادرُ

ومن التوليد توليدُ بديع من بديع ، كقول أبى تمّام :

لها منظرٌ قَيد النواظر ، لم يزل يروح ويغدو فى خَفارته الحُبُّ(١)

فإنّه ولّد قوله « قيد النواظر » من قول امرئ القيس : « قيد الأوابد » لأن هذه اللفظة التى هى « قيد » انتقلت بإضافتها من الطرد إلى النسيب ، فـكأن النّسيب تولّد من الطّرد . وتناولُ اللفظ المفرد لا يعدّ سرقة .

وإنما سقنا هذا الفصل برُمّته لغرابته ، وقلّما يوجد فى موضع آخر .

وقول أبى تمّام (على مثلها من أربع) ضمير مثلها مفسر بالتمييز المجرور بمن ؛ والأكثر أن يكون التمييز مفسِّراً لضمير نعم وبئس وربّ . قال ابن هشام فى المغنى : والزمخشرىّ يفسر الضمير بالتمييز فى غير بابى نعم وربّ ، وذلك أنه قال فى : « فَسوّاهُنّ سَبْعَ سَموٰات » : الضمير فى فسوّاهن ضمير مبهَم ، وسبع سموات تفسيره ، كقولهم رُبَّه رجُلا ؛ ولولا تشبيهه برُبّه رجلاً لحمل على البدل . و (الأربُع) جمع ربْع بالفتح ، وهو محلّة القوم ومنزلهم

(١) فى تحرير التحبير : « له » تحريف . وانظر ديوانه ٣٠ . وقبله :

كواعب أتراب لغيداء أصبحت وليس لها فى الحسن شكل ولا ترب

و (الملاعب) : جمع مَلْعَب وهو موضع اللعب . و (تُذال) : مبنى للمجهول ، مضارع أذاله بمعنى أهانه ، وهو متعدّى ذال الشى ذَيْلا : هان . والثابت فى نسخ ديوانه وشروحه (أُذيلت) . و (المصونات) : من الصَّوْن وهو خلاف الابتذال . و (السواكب) : المنصبّة ، فإنّ سكب يأتى لازماً ، يقال سكب الماء سكباً وسكوباً انصب ، ويأتى متعدياً ، يقال سكب زيد الماء . قال الإمام أبو بكر بن يحيى الصولى فى شرحه : قد أنكر بعضهم « مصونات الدموع السواكب » وقال : كيف يكون من السواكب ما هو مصون ! وإنما أراد أبو تمام : أذيلت مصونات الدموع التى هى الآن سواكب . ثم قوله : أذيلت بمعنى صُبّت صباً سائلا حتى يصير لها ذيل ، ليس بجيّد ، فإن معنى البيت أهينت الدموع الغزيرة بِسكبها على مثل هذه المنازل، لخلوّها من الحبائب .

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ مدح بها أبا دُلَف القاسم بن عيسى العِجلى ، وبعده :

(أقول لقرحانٍ من البين لم يجد رَسيسَ الهوى بين الحشا والترائب
أَعِنِّى أفرّقْ شملَ دمعى فإننى أرى الشملَ منهم ليس بالمتقارِب)

إلى أن قال :

(إذا العيسُ لاقتْ بى أبادُلَفٍ فقدْ تقطَّعَ مابينى وبين النوائب
هنالك تلقى الجودَ حيثُ تقطَّعت تمائمه والمجدَ مُرخَى الذوائب
تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونُها إذا لم يعوِّذها بِنغْمة طالب[1]

قال الإمام المرزوقى فى شرح ديوانه : « القرحانُ » أصله : الذى لم يصبه

(١) فى النسختين : « بنعمة طالب » ، صوابه فى الديوان ٤١ .

١٧١ الجُدَرِىُّ ، واستعاره هنا لمن لم يمتحن بالنوى ، ولم يدخل فى إسار الهوى . قال فى الصحاح : « رَسُّ الحمَّى ورَسيسها : أول مسِّها » . وقوله : أُعَنِّى أفرّق . . البيت ، قال الصولى : أى لا أرى شملهم مجتمعاً بالرجوع إليها ، يقول : قد اجتمع دمعى ؛ لأنى لم أبك حتى رأيت منازلهم ، فأعنّى بوقفة ثَمَّ(١) معى ، حتى أبكيهم فأستريح . وقوله : إذا العيس لاقت بى . . البيت ، يقول : إذا أقدمتنى الإبلُ إليه انقطعت الأسباب بينى وبين النوائب ، أى لم يبق لها سبيل علىَّ . وقوله : هنالك تلقى الجود . . البيت ، قال الصُّولى : يقال : تقطّعت تمائم فلان فى بنى فلان : إذا تربَّى ونشأ فيهم ؛ وأراد : أن المجد كالآمن فيهم أن يتحول إلى غيرهم ، فيكون قد أحاط به الشرف من كل جانب . ويروى (وافى الذوائب) . وقوله : (تكاد عطاياه) . . البيت ، قال الإمام المرزوقى : يقول : قد تعوَّد هذا الرجل تفريقَ مالِه بالصِّلات ، وتبديدَه بالعطيّات ، حتى تقرُب عطاياه — لو أمسك يوما — من أن تجنَّ إن لم يعلّق عليها عُوَذها من نَغَم الطلّاب والزوّار(٢) . وقوله : يجنّ جنونها ، إنما يريد : يجن صحتها ، أى يصير بدلَ صحّتها جنون ؛ لكنه سماها بما يؤول إليه ، كما يقال خرجت خوارجه ؛ وكذلك عطاياه أى أمواله التى تصير عطاياه ، فسماه بما يؤول إليه .

وقال الصولى : مما أنكر أبو العباس بن المعتز من ردىء طباقه قوله : تكاد عطاياه . . البيت ؛ وفيه استعارة فقال : ولم يجنّ جنون عطاياه انتظاراً للطلب ، بل يبدأ بالعطاء ويستريح . وفيه قبحُ « لم يعوِّذها بنغمة طالب » :

---

(١) كلمة « ثم » ساقطة من ط .

(٢) فى النسختين : « من نعم الطلاب والزوار » .

يعطيها لغير طالب . وفى هذا(١) الاعتراض نظر ، فإن مراده : أنه أغنى الناسَ فلم يبق طالبٌ إلا نادراً ، فإذا أبطأ طالب المعروف جُنّت عطاياه شوقا إليه . فتأمل .

ومنها ، وهو مما يستجاد :

(يرى أقبحَ الأشياءِ أوبةَ آملٍ   كَسْته يدُ المأمول حُلةَ خائبِ
وأحسنَ من نَورٍ يفتّحه الندى   بياضَ العطايا فى سواد المطالب
إذا ألجمت يوما لُجيمٌ وحولَها   بنوالِحصن نجلُالمحصَنات النَجائب
فإنّ المنـايا والصوارمَ والقنا   أقاربُهم فى الروع دون الأقارب
جحافلُ لا يَتركن ذا جَبَرِيّةٍ   سَليماً ولا يحرُبْنَ مَن لم يُحارب
يمدّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ   تصولُ بأسياف قَواضٍ قواضبِ)

ولجيم بالتصغير : أبو عجل جدٌّ أبى دُلف . والِحصن هو ثعلَبة بن عُكابة ؛ وبنو الِحصن أعمامه .

(إذا افتخرت يوماً تميمٌ بقَوسها   فخاراً على ما وطّدت من مَناقبِ
فأنتم بذى قارٍ أمالت سُيوفُـكم   عروشَالذين استرهَنوا قوسَ حاجب)

قال الإمام المرزوقى : يعنى بالقوس قوسَ حاجب بن زُرارة ، رهنَها عند كسرى . وكان السبب فى ذلك أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم كان دعا على مُضَر وقال : « اللهم اشدُد وطأتك على مُضر ، وابعثْ عليهم سنين كسِنِى يوسف » . فتوالت الجدوبة عليهم سبعَ سنين . فلما رأى حاجبٌ الجهدَ على قومه جمع بنى زرارة(٢) . وقال : إنى أزمعت على أنى آتِى الملك — يعنى

(١) ط : « هذه » ، صوابه فى س .
(٢) ط : « فزارة » ، صوابه فى س مع أثر تصحيح .

كسرى — فأطلب أن يأذنَ لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتّى يحيَوا . فقالوا : رشَدت فافعل ! غير أنا نخاف عليك بكرَ بن وائل . فقال : ما منهم وجهٌ إلا ولى عنده يد ، إلا ابن الطويلة التَّيمى ، وسأداويه[1] . ثم ارتحل ، فلم يزل ينتقل فى الإتحاف والبِرّ من الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ١٧٢ ابنُ الطويلة ، فنزله ليلا ، فلما أضاء الفجرُ دعا بنطع ، ثم أمر فصُبَّ عليه التمر ، ثم نادى : حَىَّ على الغَداء ! فنظر ابن الطويلة فإذا هو بحاجب ؛ فقال لأهل المجلس : أجيبوه . وأهدى إليه جُزُراً ، ثم ارتحل ، فلما بلغ كسرى شكا إليه الجهَدَ فى أموالهم وأنفسهم ، وطلب أن يأذن لهم فيكونوا فى حدّ بلاده . فقال : أنتم معشرَ العرب غُدُر[2] ، فإذا أذنتُ لهم عاثوا فى الرعية وأغاروا . قال حاجب : إنى ضامنٌ للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تفى أنتَ ؟ قال : أرهنكَ قوسى ! فلما جاء بها ضحِك مَن حوله ، فقال الملك : ما كان ليُسلِمها ، اقبضوها منه . . ثم جاءت مضَر إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعد موت حاجب فدعا لهم ، فخرج أصحابه إلى بلادهم ، وارتحل عُطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال : ما أنت بالذى وضعتها . قال : أجل إنه هلك وأنا ابنه وفىٌّ للملك . قال : ردُّوا عليه . وكساه حُلّة . فلما وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها ؛ فباعها من يهودىّ بأربعة آلاف درهم . فصار ذلك فخراً ومنقبَة لحاجب وعشيرته . فيقول أبو تمّام : إذا افتخرتْ تميم بذلك ، فأنتم قتلتم الذين كسبوهم هذا المجدَ مما ارتهنوه وهدمتم عزَّهم . وإنما يعنى وقعة ذى قارٍ حين قتلت بنو شَيبان العجَم

(١) فى النقائض ٤٦٢ : « وسأداريه » .

(٢) فى الإصابة ٤ : ٢٤٥ : « أهل غدر » .

ونـكَّلوا فيهم[١] وكان رئيسهم سيّار بن حنظلة العِجلى . وأبو دلف عجلىٌّ ، فلذلك خاطبه بهذا » اهـ .

وقد لمّح بعضهم إلى قوس (حاجب) بقوله فى مليح قَلَندرىّ[٢] قد حلق حاجبه ، فقال :

حَبيبى ، بحقٍّ الله قل لىَ ما الذى دعاك إلى هذا ؟ فقال مجاوبى :
وَعدتُ بوصلى العاشقينَ تعطفاً فلم يثقوا واسترهَنوا قوسَ حاجبى[٣]

ولما أنشد أبو تمام أبا دلف هذه القصيدةَ استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال : والله ، إنها لَدونَ شعرِك . ثم قال له : والله ما مثلُ هذا القول فى الُحسن إلاّ ما رثيتَ به محمد بن حُميد الطوسىّ . فقال : وأىَّ ذلك أراد الأمير ؟ قال : الرائيّة التى أولها :

كذا فليَجِلَّ الخطبُ وليَفدَحِ الأمرُ وليس لعَينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ

وددت والله أنها لك فىَّ ! قال : بل أفدى الأمير بنفسى وأكون المقدَّم قبله . فقال : إنه لم يمتْ من رُثى بهذا الشعر .

أبو تمام الطائى

و(أبو تمام) الطائى هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ ابن يحيى بن مرْوان بن مرّ بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدىّ بن عمرو ابن الغوث[٤] بن طيِّ .

---

(١) ط : « ونـكوا فيهم » .

(٢) القلندرية : طائفة من الصوفية كانوا يحلقون لحام وحواجبهم وشواربهم ويتزيون بزى الأعاجم والمجوس .
انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢٠ وتاريخ ابن كثير ١٤ : ٢٧٤ . ويسميهم ابن بطوطة « القرندرية » .

(٣) ط : « بوصل العاشقين » .

(٤) ط : « يغوث » ، صوابه فى سه واضحا .

وُلد فى « جاسم » بالجيم والسين المهملة ، وهى قرية من قرى الجَيْدُور بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية ، وهو إقليم من دمشق ، فى آخر خلافة الرشيد سنة تسعين ومائة ، وقيل غير ذلك . ونشأ بمصر واشتغل إلى أن صار أوحدَ عصره . كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد . وله (كتاب الحماسة) الذى دل على غزارة علمه وكمال فضله وإتقان معرفته ، بحسن اختياره . وهو فى جمعه للحماسة أشعر منه فى شعره . وله كتاب (مختار أشعار القبائل) ، وهو دونَ الحماسة ، وكلاهما عندى .

ومات سنة اثنتين وثلاثين بعد المائتين ، وقيل غير هذا .

وكان شعره غير مرتب ، فرتبه الصُّولىّ على الحروف ، ثم رتبه علىّ ابن حمزة الأصفهانى[1] على أنواع الشعر . وترجمته طويلة تركناها لشهرتها . ١٧٣

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون ، وهو من شواهد س[2] :

٥٥ * ولقَدْ أمرُّ على اللئيم يَسُبُّنِى فمضَيْتُ ثُمتَ قُلتُ لا يَعنينى *

على أن التعريف غير مقصود قصده ، فإنّ تعريف (أل) الجنسية لفظى لا يفيد التعيين وإن كان فى اللفظ معرفة .

وقد أورد الشارح هذا البيتَ فى الحال ، والإضافة ، والنعت ، والموصوف ، والمعرف بأل أيضاً . وجملة (يسبّنى) وصف اللئيم فى المعنى ، وحال منه باعتبار اللفظ ، والأوّل أظهر للمقصود ، وهو التمدح بالوقار

(١) الميمنى : « غلط ، صوابه أن على بن حمزة بصرى . وحمزة بن الحسن أصفهانى » .

(٢) سيبويه ١ : ٤١٦ . وانظر العينى ٤ : ٥٨ والهمع ١ : ٩/٢ : ١٤٠ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٣ والخصائص ٣ : ٣٣٠ ، ٣٣٢ .

والتحمّل[1] ، لأن المعنى : أمرُّ على اللئيم الذى عادتُه سبّى . ولا شك أنه لم يرد كل لئيم ، ولا لئيما معيَّناً . والواو للقسم ، و (لقد أمر) جوابه ، والمقسم به محذوف ، وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية — كما فى الخصائص لابن جنى — أو للاستمرار التجدّدى . و (مضَيت) معطوف على أمرّ ، بمعنى أمضى ؛ وعبر به للدلالة على تحقق إعراضه عنه . وقوله : (ثُمّت) هى ثُمّ العاطفة ؛ وإذا كانت مع التاء اختصَّت بعطف الجمل . وقوله (لا يَعنينى) أى لا يهمنى أو بمعنى لا يقصدنى . وروى بدل هذا المصراع : « وأعفُّ ثم أقول مايعنينى » يقال : عفَّ عن الشىء من باب ضرب ، عِفَّةً وعفافاً : امتنع .

صاحب الشاهد — وهذا البيت أول بيتين لرجل من بنى سَلول . ثانيهما :

(غَضبانَ ممتلئاً علىَّ إهابُه إنى وحقِّك سُخْطُهُ يُرضينى)

وغضبانَ بالنصب : حال من اللئيم ، أو بالرفع : خبر مبْتدأ محذوف . وممتلئاً : حال سببية من ضمير غضبان . وإهابه : فاعل ممتلئاً ؛ وهو فى الأصل الجلد الذى لم يُدبَغ ، وقد استعير هنا لجلد الإنسان . والسُّخط بالضم : اسم مصدر ، والمصدر بفتحتين بمعنى الغضب ؛ والفعل من باب تعب .

وروى الأصمعى بيتين فى هذا المعنى ، وهما :

لا يَغضبُ الُحرُّ على سِفْلَةٍ والُحرُّ لا يُغضِبه النذلُ
إذا لئيمٌ سبّنى جَهدَه أقول زِدْنى فَلِىَ الفضلُ

وأنشد سيبويه البيت الشاهد ، على أن (أمرّ) قد وضع موضع مررت ؛ وجاز أمرّ فى معنى مررت ، لأنه لم يرد ماضياً منقطعاً ، وإنما أراد أن هذا

---

(١) كذا فى النسختين بالحاء المهملة .

أمره ودأبه ، فجعله كالفعل الدائم . وقيل : معنى (ولقد أمر) : ربما أمرّ ، فالفعل على هذا فى موضعه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون ، وهو من شواهد س[1] :

٥٦ * قد أصبحَتْ أمُّ الخيارِ تدَّعى   علىَّ ذَنباً كلُّه لم أصنَعِ *

على أنَّ الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر يجوز حذفه قياساً عند الفَرّاء إذا كان منصوباً مفعولا به . والمبتدأ : لفظ كلّ . نقل الصفّار أنه مذهب الكسائى أيضاً . وقد نقل ابن مالك فى التسهيل الإجماعَ على جواز ذلك ، وزاد على (كلّ) ما أشبهها فى العموم والافتقار : من موصول وغيره ، نحو : أيُّهم يسألنى أُعطى ، ونحو : رجلٌ يدعو إلى الخير أجيبُ ، أى أعطيه وأجيبه . وقال شرّاح كلامه : لم نر هذا الإجماع ، بل منعه البصريون . وأما نقلُه فى شبه (كل) فقد قال أبو حيان : لا أعلم له سلفاً فى ذلك .

١٧٤ أقول : الصحيح جوازه بقلّة ، لوروده فى المتواتر ، قرأ ابن عامر فى سورة الحديد فقط : « وكلٌّ وعَدَ اللهُ الْحُسْنَى » ، وأمّا فى سورة النساء فقد قرأ مثلَ الجماعة بالنصب .

وقال ابنُ جنى فى المحتسب : « لحذف هذا الضمير وجهٌ من القياس ، وهو تشبيه عائد الخبر بعائد الحال أو الصفة ، وهو إلى الحال أقرب ، لأنها ضرب من الخبر ، وهو فى الصفة أمثل بشبه الصفة بالصلة . وفى حذفه من لم أصنع ما يقوم مقامه ويخلفه ، لأنه يعاقبه ولا يجتمع معه ، وهو حرف الإطلاق

(١) سيبويه ١ : ٤٤ ، ٦٤ ، ٦٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٣٠/٦ : ٩٠ والهمع ١ : ٩٧ وابن الشجرى ١ : ٨ ، ٩٣ ، ٣٢٦ والخصائص ١ : ٢٩٢/٣ : ٦١ .

أعنى الياء فى أصنعى ؛ فلما حضر ما يعاقب الهاء صارت لذلك كأنها حاضرة » اهـ .

ومفهوم قول الفراء أن المبتدأ ، إذا لم يكن كلا يمتنع حذف العائد . والصحيح فيه أيضاً الجواز بقلّة فى الكلام والشعر ، أما الأول فقد قرأ يحيى وإبراهيم والسُّلَمى فى الشواذّ : « أَفَحُكْمُ الجاهِلِيَّةِ يَبغون » بالمثناة التحتية . وأما الثانى فكثير ، منه قول الشاعر :

* فخالدُ يحمَدُ ساداتُنا *

أى يحمده ساداتنا .

واعلم أن الشارح المحقق أورد هذا الشاهد فى باب الاشتغال أيضاً وقال : « يروى برفع كل ونصبه » . وكذلك رواهما سيبويه . وقد أنكر عليه المبرّد رواية الرفع وقال : الذى رواه الجرمى وغيره من الرواة النصب فقط ، ومنع هذه المسألة نظما ونثراً .

قال ابن ولاّد : س أيضاً رواه بالنصب ، وقال : إن النصب أكثر وأعرف ، فأغنَى هذا عن الاحتجاج عليه بقول الجَرمىّ ، ألا ترى قوله إن الرفع ضعيف وهو بمنزلته فى غير الشعر لأن النصب لا يكسر ، ولا يخل به ترك إضمار الهاء ، كأنه قال كله غير مصنوع . وقد روى أهل الكوفة والبصرة هذه الشواهد رفعاً كما رواها س . اهـ .

وظاهر كلام س أن الضرورة ما ليس للشاعر عنه فسحة . وتقدم الكلام عليها فى أول شاهد من هذه الشواهد(١) .

وزعم تقىّ الدين السبكىّ فى رسالة (كلّ) وفى تفسيره : أن رواية النصب

(١) انظر ما مضى فى ص ٣١ — ٣٤ .

تساوى رواية الرفع فى المعنى ؛ وذلك أنه قال : « لا فرق بين الرفع والنصب فى قول س : إن المعنى : كلُّه غير مصنوع . وهذا يقتضى أن النصب أيضاً يفيد العموم ، وأنه لم يصنع شيئاً منه ، لِما تقرّر من دلالة العموم . وقد تأمّلتُ ذلك فوجدتُ قول س أصحَّ من قول البيانيين ، وأن المعنى حضره وغاب عنهم ؛ لأنه ابتدأ فى اللفظ بكلّ ومعناها كلّ فردٍ ، فكان عاملها المتأخر فى معنى الخبر ، لأن السامع إذا سمع المفعول تشوّف إلى عامله كما يتشوَّف سامع المبتدأ إلى الخبر ، وبه يتم الكلام ؛ فكان كله لم أصنع مرفوعاً ومنصوبا سواء فى المعنى ، وإن اختلفا فى الإعراب . ويبعد كل البعد أن يُحمل كلام سيبويه على أن كله لم أصنع بالرفع والنصب معناه عدم صنع المجموع فيكون قد صنع بعضَه ؛ لأنَّ معنى الحديث على خلافه فى قوله : كل ذلك لم يكن » . إلى آخر ما ذكره .

ونقل الدمامينى بعض هذا الكلام فى الحاشية الهندية وقال : وكأن ابن هشام لم يقف على كلام س فنقل تساوىَ المعنى فى الرفع والنصب عن الشَّلوبين وابن مالك ؛ ولو وقف على كلام سيبويه لم ينقل عنهما .

وقد نقل الشيخ بهاء الدين كلام سيبويه فى عروس الأفراح وبيّنه ، تابعاً لوالده السبكى .

ورواية الرفع عند علماء البيان هى الجيدة ؛ فإنَّها تفيد عموم السلب ، ورواية النصب ساقطةٌ عن الاعتبار بل لا تصحّ ، فإنها تفيد سلبَ العموم ، ١٧٥
وهو خلاف المقصود . وما ذكره السبكىّ لم يعرّجوا عليه ؛ وهو مفصّل فى التلخيص وشروحه .

ورأيت للفاضل اليمنى على هذا البيت كلاماً أحببتُ إيراده ، وهو قوله :

« معنى هذا البيت أنّ هذه المرأة أصبحتْ تدّعى علىّ ذنباً ، وهو الشيب والصلع والعجْز وغير ذلك من موجبات الشيخوخة . ولم يقل ذنوباً بل قال ذنباً ، لأن المراد كِبر السن المشتمل على كلّ عيب ، ولم أصنع شيئاً من ذلك الذنب . ولم ينصب كلّه ، لأنه لو نصبه مع تقدُّمه على ناصبه لأفاد تخصيصَ النفى بالكلّ ويعود دليلاً على أنّه فعل بعضَ ذلك الذنب ؛ ومراده تنزيه نفسه عن كلّ جزء منه ، فلذلك رفعه إيذاناً منه بأنه لم يصنع شيئاً منه قط ، بل كلُّه بجميع أجزائه غير مصنوع » .

ثم قال : « ولقائل أن يقول : لما كان الضمير فى كله عائداً إلى ذنباً وهو نكرة ، والنكرة لواحد غير معيّن ، لابد أن يكون المضمر هو ذلك الذنب الذى ليس بمعيّن فقط لإعادة الضمير به ، فلا يكون نفيه نفياً لجميع الذنوب ، فلا يلزم ما ذكره من تنزيه نفسه من جملة الذنوب . لا يقال إن الضمير لما كان عبارةً عن النكرة المذكورة ، ودخولُ النفى عليها يقتضى العمومَ ،فدخول النفى عليه أيضاً يقتضى ذلك ؛ لأنا نقول : إن الفرق ظاهر بين قولنا : لم أصنع ذنباً ، وبين قولنا : لم أصنع ذلك الذنب المذكور الذى ليس بمعيّن ، فى اقتضاء الأول العمومَ دون الثانى » اه .

وقوله : « ولقائل أن يقول إلخ » فيه أنه قال أولا : إن ذنب الشيخوخة يستلزم ثبوته جميعَ الذنوب . وحينئذ نفيُه يستلزم نفىَ جميع الذنوب . وقوله : « والنكرة لواحد غير معيّن » فيه أنه حمل الذنبَ سابقاً على كبر السن المشتمل على كلّ عيب . فالمراد به معيّن ، وأفاد أن كُلاّ حينئذ لاستغراق أجزاء هذا الذنب المعيّن . فإنْ رفع كلّ أفاد استغراق جميع أجزاء ذلك الذنب ، وإن نصب كلّ أفاد سلب العموم لجميع الأجزاء واقتضى ثبوت بعض الأجزاء . فهذا البحث غير وارد . فتأمل .

وبهذا يسقط قوله بعد هذا : « ثم تقول : فتكون القضية حينئذ شخصية ؛ والتقدير : كل ذلك الذنب غير مصنوع لى . وإنما يكون ذلك إذا كان هنالك ذنب ذو أجزاء يمكن الاتصاف ببعضه دون بعض . وعلى هذ إما أن يكون المراد بالكل الكل المجموعى وهو الغالب الظاهر من دخوله فى الشخصيات ، فلا تفاوت فى تقدم السلب عليه وتقديمه على السلب فى عدم اقتضاء شمول النفى جميع الأجزاء ؛ أو يكون المراد كل واحد من الأجزاء كما يستعمل فى الكلىّ باعتبار الجزئيّات فقد يظهر الفرق بينهما ؛ فإنك إن رفعت كلاّ لزم عموم النفى لجميع الأجزاء وإن نصبتها لا يلزم ، مع أن الاستعمال على هذا الوجه فى الشخصىّ قليل ، فإنه لا يلزم صدق ما ذكره من تبرئة نفسه من جملة أجزاء ذلك الذنب الواحد » اه .

وقال ابن خلف : قوله (كلّه لم أصنع) يحتمل أمرين : أحدهما أنه أراد أنه لم يصنع جميعها ولا شيئاً منها ، والوجه الآخر : أنه صنع بعضها ولم يصنع جميعها ، كما تقول لِمن يدّعى عليك أشياء لم تفعل جميعها : ما فعلتُ جميعَ ما ذكرتَ ، بل فعلتُ بعضها . اه

أقول : احتماله لوجهين غير صحيح ؛ فإنّ كُلاًّ منهما مدلولُ روايةٍ يُعلَم وجهها مما تقدم . وقوله : أراد بقوله ذنباً ذنوباً لكنه استعمل الواحد فى موضع الجمع ؛ ليس كذلك ، كما علم من كلام الفاضل اليمنى .

أرجوزة الشاهد

وهذا البيت مطلع أرْجوزة لأبى النَّجْم العِجْلى . وبعده :

(مِنْ أن رأت رأسى كرأس الأصلَع مُيَزَّ عنه قُنْزُعاً عن قُنْزُعِ
جَذبُ الليالى : أبطئى أو أسرعى قَرناً أُشيبيهِ وقَرناً فانزَعى
أفناه قِيلُ الله للشمس : اطلُعى ! حتّى إذا واراكِ أفْقٌ فارجعى

حتى بدا بعدَ السُّخامِ الأفرَعِ   يَمشى كمَشى الأهدَإ المكنَّع
يا ابنةَ عمَّا ، لا تلومى واهجعى   لا يخرِق اللَّومُ حجابَ مسمَعى
ألم يكن يبيضُّ إنْ لم يصلع   إن لم يصبنى قبل ذاكِ مَصْرَعى
أفناه ما أفنى إياداً فاربَعى   وقومَ عادٍ قبلَهم وتُبَّعِ
لا تُسمعينى منك لوماً واسمعى   أيهاتَ أيهاتَ فلا تَطَلَّعى
هى المقاديرُ ، فلومى أودَعى   لا تطمَعى فى فرقتى لا تطمعى[1]
ولا تَرُوعِينى[2] لا تروَّعى   واستشعرى اليأس ولا تَفَجَّعى
فذاكِ خيرٌ لك مِن أن تجزَعى   فتُحبَسى وتُشتَمى وتُوجَعى)

وأمّ الخيار هى زوجة أبى النجم . وقوله : من أن رأت الخ ، مِن تعليلية ؛ وزعم القُونَوىّ فى شرح تلخيص المفتاح أنها بيانية ، ثم قال : « فإن قلتَ : كيف يبين الذنب برؤية أم الخيار ، فإن الرؤية قائمة بها والذنب قائم به ؟ قلت : أراد المرئىّ وأطلق عليه الرؤية للملابسة » . انتهى . والأصلع: هو الذى لم يكن شعر على رأسه ؛ وَصَلِع الرأس صلَعا من باب تعب ؛ والصَّلَع يحدث للمشايخ إذا طعَنوا فى السن ، قال ابن سِينا : « ولا يحدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهنّ ، ولا للخُصيان لقرب أمزجتهم من أمزجة النساء » . والتمييز: العزل ، وفصْل شىء من شىء ، والتشديد للكثرة ، فإنه يقال مازه مَيْزاً ؛ ويكون فى المشتبهات . وضمير عنه للرأس . والقنزع : كقنفذ ، والقُنزعة بضم الزاى وفتحها ؛ وهى الشعر حَوَالَىِ الرأس ، والخصلة من الشعر تترك على رأس الصبى ، أو هى ما ارتفع من الشعر وطال . وأما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن القَنازع فهى أن يُؤخذ الشعر ويترك منه مواضع ، كذا فى القاموس

(١) ط : « لا تطمعى فى فرقع » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .
(٢) ط : « ولا تروعين » ، صوابه فى س .

وجعل النون أصلية . وعن بمعنى بعد . وجذب الليالى : فاعل ميّز ، قال فى الصحاح : جذبَ الشهر : مضى عامّته . وقوله : أبطئى أو أسرعى : حال من الليالى على تقدير القول أو كون الأمر بمعنى الخبر ، وصحّت من المضاف إليه لأن المضاف عامل فيهما ، وقيل : صفة الليالى . ويجوز أن يكون منقطعاً ، أى اصنعى أيتها الليالى فلا أبالى بعد هذا . وقال القُونَوىّ : « وقد يجوز أن يكون استئنافاً ، أمراً لأم الخيار ، على معنى أنّ حالى ما قررت لك فعند ذلك أبطئى أو أسرعى فى قبول العذر فيه ، فلا محيص لى عن ذلك . وهذا بديع » . انتهى .

وهذه غفلة عما بعده وهو : قَرَناً أَشِيبيه الخ ، فإنه خطاب لليالى . والقَرن بفتح القاف : الخُصلة من الشعر ، ونصبه من باب الاشتغال ، والقرن الثانى مفعول لما بعده . وأشيبيه فعل أمر والياء ضمير الليالى ، يقال : أشاب الحزن رأسه وبرأسه بمعنى شيّبه . وقوله : وانزعى : من النَّزَع بفتحتين وهو انحسار الشعر عن جانبى الجبهة[1] من الرأس ، وهو أنزع ، وذلك الموضع النَّزَعة محركة . وقوله : أفناه ، قيل الضمير لجَذْب ، وقيل لشعر رأسه ، وقيل ١٧٧
لأبى النجم ، وهو المناسب لما بعده . وقيلُ الله : أمرُه ، وهو فاعل أفناه ، وهذا يدلُّ على أن الشاعر لا يريد أن المميِّز هو جذب الليالى الذى هو ظاهر كلامه ، بل يريد أن المميز قول الله وأمره . وقوله : حتّى بدا ، فاعله المستتر ضمير أبى النجم . والسُّخام بضم السين والخاء المعجمة : اللين ، يقال ثوبٌ سُخام : إذا كان ليِّن المس مثل الخزّ . وريشٌ سُخام : أى ليِّن رقيق . والأفرع بالفاء ، هو التامّ الشعر ، قال فى الصحاح[2] : ولا يقال للرجل إذا كا

(١) ط : « الجهة » ، صوابه فى ش .
(٢) عن ابن دريد .

عظيم اللّحية أو الجُمّة أفرع وإنما يقال رجل أفرع بضدّ الأصلع » . والأهدأ مهموز كجعفر : الأحدب. والتكنّع : التقبض ، كنِع كفرح : يَبِس وتشنج ، وشيخٌ كنع ككتف : شَنِج . وكنَع كنع كُنوعا : انقبض وانضم . يقول : يمشى أبو النجم بعد الشباب كما يمشى الأحدب المتقبض الكزّ من الكبر . وقوله : يا ابنة عمّا الخ ، استشهد به شراح الألفية على أن أصله : يا ابنة عمّى ، فأبدلت الياء ألفاً . وفاعل يبيض ضمير الرأس . وإياد بالكسر : حىّ من مَعدّ . وقوله : فاربعى ، فى الصحاح « ربَع الرجل يربع بفتحهما : إذا وقف وتحبّس ، ومنه قولهم اربَع على نفسك ، أى ارفق بنفسك وكُفّ » . وأيهاتَ أيهاتَ . لغة فى هيهات . وتَطَلّى بفتح التاء وتشديد اللام وأصله تتطلى بتاءين : من التطلّع للشىء . وقوله : واستشعرى ، يقال : استشعرَ خوفاً ، أى أضمره . واليأس : ضدُّ الرجاء .

وترجمة أبى النجم تقدمت فى الشاهد السابع[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون ، وهو من شواهد س[2] :

٥٧ * ثلاثٌ كلُّهنَّ قَتَلْتُ عَمْداً فَأَخْزَى اللهُ رَابعةً تَعُودُ *

لما تقدم فى البيت قبله : وهو أنه حذف عائد المبتدأ الذى هو (كلّهن) من جملة الخبر حذفاً قياسياً عند الفرّاء . قال الأعلم : « استشهد به س على رفع كلّ مع حذف الضمير من الفعل ، وجعله مثل زيدٌ ضربت ؛ ولو نصب وقال[3] : كلَّه لم أصنع ، وكلَّهن قتلت ، لأجراه على ما ينبغى ولم يحتج

(١) ص ١٠٣ .
(٢) سيبويه ١ : ٤٤ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٢٦ .
(٣) ط : « وقبل » ، صوابه فى س .

إلى الرفع مع حذف الضمير . والقول عندى : أنّ الرفع هنا أقوى من زيد ضربت ، لأن (كُلاّ) لا يحسن حملها على الفعل ؛ لأنّ أصلها أن تأتى تابعة للاسم مؤكِّدة ، كقولك : ضربت القومَ كلهم ، أو مبتدأة بعد كلام نحو : القوم كلهم ذاهب . فإن قلتَ : ضربتُ كلَّ القوم ، وبنيتَها على الفعل لخرجت عن الأصل . فينبغى أن يكون الرفع أقوى من النصب وتكون الضرورة حذف الهاء لا رفعَ كلّ[1] » انتهى .

وتبعه فى هذا ابنُ الحاجب فى شرح المفصّل ونقله عنه السعد فى المطوّل .

ونقل ابن الأنبارى فى الإنصاف[2] أن هذا البيت مما استدل به الكوفيون على جواز تأكيد النكرة ، قال : « ولا حجة لهم فيه ، لأنه محمول على أنه بدل لا تأكيد . ويجوز أن يكون أيضاً ثلاث مبتدأ ، وكلهن مبتدأ ثان ، وقتلت خبر كلهن ، وهما جميعاً خبر ثلاث » انتهى .

وقال أبو جعفر النحاس : « ولا يُنشد ثلاثا بنصبه بقتلت ؛ لأن قوله : كلهن قتلت ، جملة فى موضع نعت لثلاث . ومن رفع قدَّره : لى ثلاث ، ويكون كلهن قتلت نعتاً . وإنّما لم يجز أن يُروىٰ ثلاثا لئلا يتقدم النعت على المنعوت » انتهى .

١٧٨ أقول : مَن رفع وجعل الجملة بعده نعتا قدّر لى ونحوَه خبراً للمبتدإ . وقوله « وإنما لم يجز أن يروى ثلاثا .. الخ » مراده : أنه إذا نصب ثلاث بقتلت كان ثلاثاً منعوتاً بجملة (كلّهن قتلت) ، فيكون قتلت من أجزاء

---

(١) لم يذكر الشنتمرى هذا الكلام عند هذا الشاهد ، وإنما ذكر مثله عند تفسير الشاهد السابق .

(٢) لم أجد هذا الشاهد فى كتاب الإنصاف ، على كثرة التنقيب فيه ، فلعل نسخة البغدادى أتم من النسخ المطبوعة .

النعت لثلاثا ، لأنه بعض الجملة المنعوت بها ، ومع كونه من أجزاء النعت هو عامل فى المنعوت المتقدم ، فيكون المنعوت متأخراً فى الرتبة ، فيلزم تقديم النعت على المنعوت من حيثُ الرتبة . وهذا كلامٌ مخالف للقواعد لا ينبغى تسطيره من مثله .

ونقل ابن خلف عن أبى علىّ : أن ثلاث مبتدأ ، وكلّهن قتلت خبر ، كأنه فى تقدير : زيد أخاه ضربته . وفيه نظر ، فإن الشاهد ليس من باب الاشتغال لعدم الضمير . فتأمّل .

واعلمْ أن الضمير المحذوف من الشاهد تقديره (قتلتها) لأن كُلاّ المضافة إلى المعرفة يكون عائدها مفرداً ، قال تعالى : « وكُلُّهُمْ آتِيهِ » ، وفى الحديث : « كلّكم جائعٌ إلاّ مَن أطعمتُه » ، وقال الشاعر[1] :

وكلّهمُ قد نال شِبْعا لبطنه ... وشِبْعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه

وقال آخر[2] :

وكلُّ القوم يَسأل عن نفَيل ... كأنَّ علَىَّ للحُبشان دَينا

قال أبو حيان : ولا يكاد يوجد فى لسان العرب كلهم يقومون ، ولا كلّهن قائمات ، وإن كان موجوداً فى تمثيل كثير من النحاة . قال السُّبكى ، فى رسالة كلّ : « وقد طلبته فلم أجده . وجوّز ابن مالك وغيرُه أن يُحمل على المعنى فيجمع ، وجعلوا منه : أنتم كلّكم بينكم دِرهم ، قالوا : يجوز كلكم بينه درهم على اللفظ ، وبينكم على المعنى ، وإنْ جعل كلّكم توكيداً جوّز بعضهم أيضا[3] أن يقول بينه ، والمشهور بينكم » انتهى .

---

(١) هو جعفر بن المنيرة ، كما فى الحماسة ٢٦٥ بشرح المرزوقى .

(٢) هو نفيل بن حبيب ، كما فى السيرة ٣٦ والروض الأنف ١ : ٤٦ .

(٣) كلمة أيضا ساقطة من ط .

وقدَّر الضمير هنا بعضهم (قتلتهنّ) ، وكأنه بناه على مذهب ابن مالك . وقدره ابن خلف نقلا عن بعضهم : (قتلته) أو (قتلتهم) . ولا أعرف وجهه .

وقوله : (فأخزى الله) هذه جملة دعائية ، يقال : خزِى الرجل خِزيا ، من باب علم : ذلّ وهان ، وأخزاه الله : أذلّه وأهانه . و (تَعود) من العَود وهو الرجوع ، قال صاحب المصباح : « عاد إلى كذا وعاد له أيضاً عودا وعودة : صار إليه » ، فالصّلة هنا محذوفة أى تعود إلىّ . قال ابن خلف : « يجوز أن يريد بالثلاث ثلاثَ نسوة تزوَّجهنّ ، ويجوز أن يريد ثلاث نسوة هوِينَه فقتلهنّ هواه ؛ أو يعنى غير ذلك مما يحتمله المعنى ؛ وجعل مجىء الرابعة عَوداً — وإن لم تكن جاءت قبل — لأنه جعل فعل صواحبها الماضيات كأنه فِعلُها » . انتهى .

وقال شارح أبيات الموشّح[1] : ويروى : (تقود) من القَوَد ، وهو القصاص .

وهذا البيت — وإن كان من شواهد س — لا يُعرف ما قبله ولا ما بعده ولا قائله ، فإن سيبويه إذا استشهد ببيت لم يذكر ناظمه . وأما الأبيات المنسوبة فى كتابه إلى قائليها فالنسبة حادثة بعده ، اعتنى بنسبتها أبو عُمَر الجرمى. قال الجرمىّ : « نظرت فى كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتا ، فأما ألف فعرفتُ أسماء قائليها فأثبتُّها ، وأما خمسون فلم أعرف أسماء قائليها » . وإنما امتنع سيبويه من تسمية الشعراء لأنه كره أن يذكر الشاعر وبعضُ الشعر يروى لشاعرين وبعضه منحول لا يعرف قائله ، لأنه قدُم العهد به ؛ وفى كتابه الكتاب لسيبويه

(١) الموشح للخبيصى ، وهو شرح له على كافية ابن الحاجب .

شيء مما يروى لشاعرين ، فاعتمد على شيوخه ونسبَ الإنشاد إليهم ، فيقول : أنشدنا ، يعني الخليل ، ويقول : أنشدنا يونس ، وكذلك يفعل فيما يحكيه عن أبي الخطاب وغيره ممن أخذ عنه . وربما قال : «أنشدني أعرابي فصيح» . وزعم بعض الذين ينظرون في الشعر أن في كتابه أبياتاً لا تعرف ، فيقال له : لسنا ننكر أن تكون أنت لا تعرفها ولا أهل زمانك[1] وقد خرج كتاب سيبويه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة ، ونُظر فيه وفتِّش ؛ فما طعن أحد من المتقدمين [عليه[2]] ولا ادَّعى أنه أتى بشعر منكر. ١٧٩
وقد روى في كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع ما فيها ولا ردُّوا حرفا منها[3] .

قال أبو إسحاق : إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة . قال أبو جعفر النحاس : وحدثنا علي بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد : أن المفتّشين من أهل العربية ومن له المعرفة باللغة تتبّعوا على سيبويه الأمثلة ، فلم يجدوه ترك من كلام العرب إلا ثلاثة أمثلة : منها الهُنْدلِع وهي بقلة ، والدُّرْداقِس وهو عظم في القفا ، وشَمَنْصِير وهو اسم أرض .

وقد فسّر الأصمعي حروفا من اللغة التي في كتابه ، وفسر الجَرمي الأبنية ، وفسّرها أبو حاتم وأحمد بن يحيى . وكلٌّ واحد منهم يقول ما عنده فيما يعلمه ، ويقف عما لا علم له به ، ولا يطعن على مالا يعرفه ، ويعترف لسيبويه في اللغة بالثقة وأنه علم ما لم يعلموا ، وروى مالم يرووا .

---

(١) العبارة التالية ، سبقت البغدادي في مقدمته ص ١٦ — ١٧ .
(٢) تكملة ليست في النسختين .
(٣) ـه : « ولا رووا حرفا منها » ، صوابه في ط وما سبق في ص ١٧ .

قال أبو جعفر[١] : لم يزل أهل العربية يفضلون كتاب سيبويه ، حتى لقد قال محمد بن يزيد : لم يعمل كتاب فى علم من العلوم مثل كتاب سيبويه ، وذلك : أن الكتب المصنفة فى العلوم مضطرة إلى غيرها ، وكتاب سيبويه لا يحتاج مِنْ فهمه إلى غيره . وقال أبو جعفر : سمعت أبا بكر بن شقير يقول : حدثنى أبو جعفر الطبرى قال : سمعت الجرمى يقول هذا ! وأومأ بيديه إلى أذنيه ، وذلك أن أبا عُمر الجرمى كان صاحب حديث ، فلما علم كتاب سيبويه تفقّه فى الحديث إذْ كان كتاب سيبويه يُتعلّم منه النظر والتفتيش[٢] . قال أبو جعفر : وقد حكى بعض النحويين أن الكسائى قرأ على الأخفش كتابَ سيبويه ودفع إليه مائتى دينار . وحكى أحمد بن جعفر[٣] : أنَّ كتاب سيبويه وجد بعضُه تحت وسادة الفرّاء التى كان يجلس عليها . وكان المبرّد يقول — إذا أراد مُريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه — : هل ركبتَ البحر؟ تعظيماً لما فيه ، واستصعاباً لألفاظه ومعانيه . وقال المازنى : مَن أراد أن يعملَ كتابا كبيراً فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِى مما أقدم عليه . وقال أيضا : ما أخلو فى كلِّ زمن من أعجوبة فى كتاب سيبويه ، ولهذا سمَّاه الناس قرآن النحو . وقال ابن كيسان : نظرنا فى كتاب سيبويه فوجدناه فى الموضع الذى يستحقُّه ، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح ، لأنه كتاب أُلِّفَ فى زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ ، فاختصر على مذاهبهم

(١) أبو جعفر هذا هو أحمد بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بابن النحاس النحوى المصرى . انظر كتاب سيبويه ١ : ٤ بتحقيق.

(٢) وأما أبو جعفر هذا فهو محمد بن رستم الطبرى . يروى عن المازنى والسجستانى والجرمى . له ذكر فى مجالس العلماء للزجاجى ٦٣ ، ٦٥ ، ٣٠٣ وأمالى الزجاجى ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٣٢٨ .

(٢) فى النسختين : « التفيس » ، صوابه من كتاب سيبويه ص٦ بتحقيق .

(٣) انظر حواشى سيبويه ١ : ٦ بتحقيق .

قال أبو جعفر : ورأيت عليّ بن سليمان يذهب إلى غير ما قال ابن كيسان ، قال : عمل سيبويه كتابَه على لغة العرب وخطبها وبلاغتها ؛ فجعل فيه بيّناً مشروحاً ، وجعل فيه مشتبهاً ، ليكون لمن استنبط ونظرَ فضلٌ . وعلى هذا خاطبهم الله عز وجل بالقرآن .

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله عليّ بن سليمان حسن ، لأن بهذا يشرُف قدر العالم وتفضُل منزلته ، إذ كان يُنال العلم بالفكرة واستنباط المعرفة ؛ ولو كان كلّه بيّناً لاستوى فى علمه جميع من سمعه ، فيبطل التفاضل ؛ ولكن يستخرج منه الشيء بالتدبُّر ، ولذلك لا يملّ ، لأنه يزداد فى تدبره علماً وفهما .

وقال محمد بن يزيد المبرد : قال يونس — وقد ذكر عنده سيبويه — : أظن هذا الغلام يكذب على الخليل . فقيل له : قد روى عنك أشياء فانظر فيها . فنظر وقال : صدق فى جميع ما قال هو قولى .

ومات سيبويه قبل جماعة قد كان أخذ عنهم كيونس وغيره وقد كان يونس مات فى سنة ثلاث وثمانين ومائة . وذكر أبو زيد النحوى اللغوىّ كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه قال : كل ما قال سيبويه «وأخبرنى الثقة[1]» فأنا أخبرته به .

ومات أبو زيد بعد موت سيبويه بنيف وثلاثين سنة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

(١) ط : « وأخبر عن الثقة » ، صوابه فى ش .

(٢) سيبويه ١ : ٤٤ . وانظر العينى ١ : ٥٤٥ وابن الشجرى ١ : ٩٣ ، ٣٢٦ .

٥٨ (فَثَوْبٌ نَسِيتُ وثَوْبٌ أجُرّْ)

أوّله : (فأقبلتُ زحفاً على الركبتين)

على أن حذف الضمير المنصوب بالفعل من الخبر سماعيّ ، أى فثوبٌ نسيته وثوب أجرّه .

قال ابن عقيل فى شرح الألفية : وجاز الابتداء بثوب وهو نكرة لأنه قصد به التنويع .

قال الأعلم : ويجوز عندى أن يكون نسيت وأجرّ من نعت الثوبين ، فيمتنع أن يعمل فيه ، لأنّ النعت لا يعمل فى المنعوت ؛ فيكون التقدير فثوباىَ ثوبٌ منسىّ وثوب مجرور .

وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب : « ومما ذكروا من المسوّغات : أن تكون النكرة للتفصيل ، نحو : فثوبٌ نسيت وثوب أجر . وفيه نظر ، لاحتمال نسيت وأجرّ للوصفية والخبر محذوف ؛ أى فمن أثوابى ثوبٌ نسيته ، ومنها ثوب أجره . ويحتمل أنهما خبران وثَمّ صفتان مقدّرتان ، أى فثوبٌ لى نسيته وثوب لى أجرّه . وإنما نسى ثوبه لشغل قلبه ، كما قال :

* لعوبٌ تنسّينى إذا قمتُ سِربالى (١) *

وإنما جرّ الآخَر ليعفّىَ الأثر على القافة ؛ ولهذا زحف على الركبتين » انتهى .

والقافة : جمع قائف ، وهو من يعرف الآثار ؛ يقال : قفا أثره ، أى تبعه .

وروى : (فلما دنوت تَسَدَّيْتُها فثوبٌ نسيت .. الخ)

(١) لامرئ القيس فى ديوانه ٣٠ . وصدره :

* ومثلك بيضاء العوارض طفلة *

قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات(١) : يقال تسديته : إذا تخطيت إليه ، وقيل علوته . وأنشد هذا البيت . وروى :

* فثوباً نسيت وثوبا أجرّ *

وعليه فهو مفعول لما بعده .

قصيدة الشاهد وهو من قصيدة لامرىء القيس ، عدّتها اثنان وأربعون بيتا . ومطلعها :

(لا وأبيكِ ابنةَ العامرىّ لا يدّعى القومُ أنى أفِرّ)

وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى حروف الزيادة فى آخر الكتاب .

وأثبتَ هذه القصيدةَ له أبو عمرو الشيبانى والمفضّل وغيرهما . وزعم الأصمعى فى روايته عن أبى عمرو بن العَلاء أنها لرجل من أولاد النمِر بن قاسط ، يقال له ربيعة بن جُعْشُم ، وأولها عنده :

(أحارِ بنَ عمرٍو كأنى خَمِر ويَعدو على المرء ما يأتَمِرْ)

وبه استشهد ابن أمّ قاسم(٢) فى شرح الألفية لتنوين الغالى حيث لحق الروىّ المقيّد ، رواه : (ما يأتمِرُنْ) بضم الراء . والهمزة للنداء ، وحارِ مرخّم
١٨١ حارث . قال فى الصحاح : والخُمار : بقية السكر ، تقول منه رجل خَمِر بفتح فكسر ، أى فى عقب خُمار . ويقال : هو الذى خامره الداء ، أى خالطه . وعدا عليه : جارَ . والائتمار : الامتثال ، أى ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشَدٌ فربما كان هلاكه فيه . والواو عطفت جملة فعلية على جملة اسمية على قولين من

(١) هذا تسمح منه ، وذلك أبا بكر محمد بن القاسم ، ابن الأنبارى ، هو راوى المفضليات عن أبيه . وأما الشرح نفسه فهو لأبيه القاسم بن بشار الأنبارى .

(٢) ط : « ابن قاسم » ، صوابه فى سه مع أثر تصحيح ، واسمه الحسن بن قاسم . توفى سنة ٧٤٩ . البغية ٢٢٩ .

ثلاثة أقوال : الجواز مطلقا ، والمنع مطلقا ، والجواز مع الواو فقط . وليست للاستئناف ، ولا للتعليل ، ولا زائدة ، كما زعمها العينى .

وبعد بيت الشاهد :

(ولم يَرَنا كالىءٌ كاشح ولم يُفْشَ مِنَّا لدى البيتِ سِرّ
وقد رابنى قولُها يا هَنا ه، وَيحَكَ أَلحقتَ شرًّا بِشَرّ)

والكالىءُ بالهمز : الحارس والرقيب . والكاشح : المبغض . ورابنى : أوقعنى فى الريبة . وهناهُ : كلمة يُكنى بها عن النكرات[1] ، كما يكنى بفلان عن الأعلام ؛ فمعنى يا هناه يا رجل ؛ ولا يستعمل إلاّ فى النداء عند الجفاء والغلظة . وقوله : ألحقت شراً بشر ، أى كنت متّهما فلما صرت إلينا ألحقتَ تُهمةً بعد تهمة . وهذه الضمائر المؤنثة راجعة إلى (هِرّ) بكسر الهاء وتشديد الراء ؛ وكنيتها أم الحويرث ، وهى التى كان يشبّب بها فى أشعاره ، وكانت زوجة والده ، فلذلك كان طردَه وهمّ بقتله من أجلها .

وفى هذه القصيدة بيتٌ فى وصف فرسه ، يأتى شرحه إن شاء الله فى أفعال القلوب .

وترجمة امرىء القيس تقدمت فى الشاهد [التاسع و] الأربعين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون ، وهو من شواهد س[3] :

٥٩ (لعَمرُكَ ما مَعْنٌ بتاركِ حَقِّه
ولا منسِىءٌ مَعْنٌ ولا متيسِّرُ)

(١) ط : « المنكرات » ، صوابه فى سه .
(٢) ص٣٢٩ من هذا الجزء .
(٣) سيبويه ١ : ٣١ . وانظر همع الهوامع ١ : ١٢٨ وديوان الفرزدق ٣٨٤

على أنّ وضع الظاهر مقام الضمير إن لم يـكن فى معرِض التفخيم فعند
س يجوز فى الشعر بشرط أن يكون بلفظ الأول كهذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو للفرزدق أول بيتين ثانيهما :

(أتطلبُ ياعَورانُ فَضلَ نَبيذهم وعندك يا عَورانُ زِقٌ مُوَكَّرُ)

واللام لام الابتداء . و (العَمْر) : الحياة . والمعنى أنه أقسم بحياة مخاطبه لعزّته عليه . والعَمْر فَتحاً وضَماً واحد ، غير أنه متى اتصل بلام الابتداء مقسَما به وجب فتح عينه ، وإلاّ جاز الأمران . وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره : قسمى ، وسيأتى الـكلام عليه ، إن شاء الله ، فى المفعول المطلق . وجملة (ما مَعنٌ ، الخ) جواب القسم ، وما نافية تميميّة[1] زيدت الباء فى خبرها . ومعن قال أبو على القالى فى ذيل أماليه[2] : قال أبو محلِّم : هو رجل كان كلاّء بالبادية : يبيع بالـكالئ ، أى بالنسيئة ، وكان يُضرب به المثل فى شدة التقاضى . قال سيّار بن هبيرة يعاتب خالداً وزياداً أخوَيه :

يُؤذِّننى هذا ويمنع فضلَه وهذا كمَعْنٍ أو أشدُّ تقاضيا

يؤذّننى : يحرمنى ، مضارع أذّنه بتشديد الذال المعجمة . قال فى المصباح : « وكلأ الدينُ يكلأُ مهموز بفتحتين كلوءاً : تأخّر ، فهو كالئٌ بالهمز ؛ ويجوز تخفيفه فيصير كالقاضى . وقال الأصمعى : هو مثل القاضى ولا يجوز همزه . ونُهى عن بيع الـكالئ بالـكالئ ، أى بيع النسيئة بالنسيئة . قال أبو عبيد : صورته أن يسلم الرجل الدراهمَ فى طعام إلى أجل فإذا حل الأجل يقول الذى عليه الطعام : ليس عندى طعام ولـكن بِعنى إياه إلى أجل ؛ فهذه نسيئة ١٨٢

(١) وذلك لأن الفرزدق تميمى .
(٢) الأمالى ٣ : ٧٢ — ٧٤

انقلبت إلى نسيئة ، فلو قبض الطعامَ ثم باعه منه أو من غيره لم يكن كالئاً بكالئ . ويُعدّى بالهمزة والتضعيف » انتهى .

وقال شراح أبيات الكتاب : عنى بالبيت معن بن زائدة الشيباني ، وهو أحدُ أجواد العرب وسمحائهم . فوصفه ظلماً بسوء الاقتضاء وأخذِ الغريم على عُسرة ، وأنه لا ينسئه بدينه . انتهى .

وهذا غير صحيح ، فإن معن بن زائدة متأخر عن الفرزدق ، فإنه قد تُوفّى الفرزدق فى سنة عشر ومائة ، وتوفى معن بن زائدة فى سنة ثمان وخمسين ومائة.

وقوله : (ولا منسئٌ) هو اسم فاعل من أنسأت الشيء : أخرته ، ويقال أيضاً نسأته ، فعلت وأفعلت بمعنًى ، فالمفعول محذوف أى حقه . قال الشارح : « الرواية بجرّ منسئٌ ، وإذا رفعته فهو خبر مقدم على المبتدأ » . أقول : الجر يكون بالعطف على مدخول الباء الزائدة ، ومعن فاعله أقيم مُقام الضمير ، فيكون من تتمة الجملة الأولى . وإذا رفع كان من جملة أخرى . وبالرفع أنشده سيبويه . قال الأعلم : استشهد به سيبويه على أن تكرير الاسم مظهراً من جملتين أحسن من تكريره فى جملة واحدة ، فلو حمل البيت على أن التكرير من جملة واحدة لقال : ولا منسئٍ معن عطف على قوله : بتارك حقّه ؛ ولكنه كرّره مظهراً ، ولما أمكنه أن يجعل الكلام جملتين استأنف الكلام فرفع الخبر» . وقال ، اعلم(١) أن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكرير ذكره فى جملة واحدة كان الاختيار أن يُذكر ضميره ، لأن ذلك أخفُّ وأنفى للشبهة واللّبس ، كقولك : زيد ضربته ، ولو أعدت لفظه بعينه فى موضع

(١) ش : « وقال الأعلم » ، صوابه ماأثبت من ط. والكلام التالى ليس للأعلم ، بل هو للسيرافى فى شرحه لكتاب سيبويه . انظر السيرافى ١ : ١٧٢ مخطوطة دار الكتب .

كنايته لجاز ولم يكن وجهَ الكلام[1] كقولك : زيد ضربت زيداً — على معنى زيد ضربته — وإذا أعدت ذكره فى غير تلك الجملة جاز إعادة ظاهره وحسُن كقولك : مررت بزيدٍ وزيدٌ رجل صالح ؛ قال تعالى : « وإذا جاءتْهُمْ آيةٌ قالوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتى نُؤْتَىٰ مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أعلمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ[2] » فأعاد الظاهر لأن قوله « الله أعلم » ابتداء وخبر ، وقد مرّت الجملة الأولى . فإذا قلت : ما زيد ذاهباً ولا محْسن زيد ، جاز الرفع والنصب ؛ فإذا نصبت فقلت : ولا محسناً زيد جعلت زيداً هذا الظاهر بمنزلة كنايته ، فكأنك قلت : ما زيد ذاهباً ولا محسناً ، كما تقول ولا محسنا أبوه ، فتعطف محسنا على ذاهبا وترفع زيداً بفعله وهو محسن ، فإذا رفعت جعلت زيداً كالأجنبى ورفعته بالابتداء وجعلت محسنا خبراً مقدّما . واختار سيبويه الرفعَ لأنّ العرب لا تعيد لفظَ الظاهر إلا أن تكون الجملة الأولى غير الجملة الثانية[3] وتكون الثانية مستأنفة كما قلنا فى : « رسلُ اللهِ اللهُ أعلم » . فإذا رفعته فهو مطابق لما ذكرناه وخرج عن باب العيب ، لأنك جعلته جملة مستأنفة . واستشهد سيبويه لجواز النصب وجعل الظاهر بمنزلة المضمر[4] بقوله :

* لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شىءٌ[5] *

---

(١) فى النسختين : « وجه للكلام » ، صوابه من السيرافى .

(٢) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام . وفى السيرافى : « رسالاته » ، وهى القراءة الغالبة ، وقراءة الإفراد هى قراءة ابن كثير وحفص ، ووافقهما ابن محيصن . إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ وتفسير أبى حيان ٤ : ٢١٧ .

(٣) ـــ : « خبر الجملة الثانية » ، صوابه فى ط وشرح السيرافى . وكلمة «الأولى» من السيرافى ، ساقطة من النسختين .

(٤) السيرافى : « بقول سوادة بن عدى » .

(٥) انظر الشاهد التالى .

[فأعاد الإظهار ، وذلك أن قوله لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيء ، الموت الأول هو المفعول الأول لأرى ، ويسبق الموت شيء[1]] في موضع المفعول الثاني وهما في جملة واحدة ، وكان ينبغي أن يقول يسبقه شيء فيضمره .

واستشهد لاختيار الرفع فيما اختاره فيه بقول الفرزدق :

لعمرك ما معنٌ بتارك حقه . . (البيت)

ومعن الثاني هو الأوّل ، فهو بمنزلة قوله ما زيد ذاهباً ولا محسنٌ زيد . وللمعترض أن يقول : الفرزدق تميميّ وهو يرفع خبر ما على كل حال مكنيّا كان أو ظاهراً ، ألا ترى أنّ الفرزدق من لغته أن يقول : ما معن تارك حقه

١٨٣ ولا منسيء هو . فالظاهر والمكني على لغته سواء » انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون ، وهو من شواهد س[2] :

٦٠ (لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شَيء)

تمامه : (نغص الموتُ ذا الغِنى والفقيرا)

لما تقدم في البيت قبله ، أي لا أرى الموت يسبقه شيء أي لا يفوته . وأنشده ثانياً في الإخبار بالذي وجعلَه من قبيل « الحاقّةُ ما الحاقّةُ » مما إظهاره يفيد التفخيم ، فخالف كلامَه هنا . وتبع الشارحُ هنا س .

وخالفه المبرّدُ في هذا وفرقَ بينه وبين ما ذكر ، لأن الموت جلس . وإنما كره زيد قام زيد ، لئلا يتوهم أن الثاني خلاف الأول ، وهذا لا يتوهم

---

(١) التكملة من السيرافي ، وبدونها لا يستقيم الكلام .

(٢) سيبويه ١ : ٣٠ . وانظر الخزانة ٢ : ٤/٥٣٤ : ٥٥٢ وابن الشجري ١ : ٣٤٣ ، ٢٨٨ والخصائص ٣ : ٤٣ وشواهد المغني ٢٩٦ .

فى الأجناس ، قال تعالى : « إذا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأخرَجَتِ الأرْضُ أثقالَهَا » . وكذا إذا اقترن بالاسم الثانى حرف الاستفهام بمعنى التعظيم والتعجب كان الباب الإظهارَ ، كقوله تعالى : « القارِعَةُ مَا القارِعَةُ » و « الحاقةُ ما الحاقَّةُ » . والإضمار جائز كما قال تعالى : « فأُمُّهُ هاوِيَةٌ . وَما أدْراكَ ما هِيَهْ » .

وكذلك لم يرتضه شرّاح أبياته . قال الأعلم — وتبعه ابن خلف ، ومثله لأبى جعفر النحّاس — : استشهد بهذا البيت سيبويه على إعادة الظاهر موضع المضمر ، وفيه قبح إذا كان تكريره فى جملة واحدة ، لأنه يستغنى بعضها عن بعض ، فلا يكاد يجوز إلاّ فى ضرورة ، كقولك : زيد ضربت زيداً ، فإن كان إعادته فى جملتين حسُن ، كقولك : زيد شتمته وزيد أهنته ، لأنه قد يمكن أن تسكت عن الجملة الأولى ثم تستأنف الأخرى بعد ذكر رجل غير زيد . فلو قيل زيد ضربته وهو أهنته ، لجاز أن يُتوهّم الضميرُ لغير زيد ، فإذا أعيد مظهَراً زال التوهُّم . ومع إعادته مضمراً[(١)] فى الجملة الواحدة ، كقولك : زيد ضربته ، لا يُتوهّم الضمير لغيره ، لأنّك لا تقول[(٢)] : زيد ضربت عمراً . والإظهار فى مثل هذا أحسن منه فى هذا ونحوه ، لأن الموت اسم جنس ، فإذا أعيد مظهراً لم يتوهم أنه اسم لشىء آخر . فلذلك كان الإظهار فى هذا أمثَل ، لأنه أشكل .

وقوله : (نغّص الموتُ . الخ) يريد : نغص عيشَ ذى الغِنىُ والفقير . يعنى أن خوف الغنىّ من الموت ينغّص عليه الالتذاذ بالغنى والسرورِ به ، وخوفَ الفقير من الموت ينغّص عليه السعى فى التماس الغنى لأنه لا يعلم أنه

(١) ب : « مظهرًا » ، صوابه فى ط .
(٢) ب : « لأنك تقول » ، صوابه فى ط .

— إذا وصل إليـه الغنى — هل يبقى حتّى ينتفع به ، أو يقتطعه الموت عن الانتفاع ؟

وهذا البيتُ من قصيدة لعدىّ بن زيد ، وقيل لابنه سَوادة بن عدىّ . والصحيح الأول . وأولها : صاحب الشاهد

(طال لَيـلى أُراقبُ التنويرا أرقبُ الليـلَ بالصباح بَصيرًا قصيدة الشاهد
شَطّ وصلُ الذى تريدين منّى وصغيرُ الأمورِ يَجنى الكبيرا
إنّ للدهر صولةً ، فاحذرَنْهـا لا تبيتَنَّ قد أمنتَ الدهورا
قد يبات الفتى صحيحاً فيَرْدَى ولقـد بات آمِناً مسرورا
« لا أرى الموت يسبقُ الموتَ شىء نغّص الموتُ ذا الغنى والفقيرا »
لِلمنـايا مَع الغُدُوِّ رواحٌ كلَّ يوم ترى لهُنَّ عَقيرا
كم تَرى اليوم من صحيح تمنّى وغدا حَشْوَ رَيطـة مقبورا
أينَ أين الفِرار مما سيأتى ! لا أرى طائراً نجا أن يَطيرا ١٨٤
فامشِ قصداً إذا مَشيتَ وأبصِرْ إنّ للقصـد مَنهجاً وجُسورا
إن فى القصد لابن آدمَ خيراً وسبيلا على الضعيف يَسيرا)

و (عدىّ بن زيد) بن حماد بن زيد بن أيوب ، من بنى امرئ القيس ابن زيد مَناة بن تميم . عدى بن زيد

قال صاحب الأغانى(١) : « وكان أيوب هذا أوّل من سمى من العرب أيوبَ . وكان عدىّ شاعراً فصيحاً من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً ، وكذلك أبوه وأمه وأهله . وليس ممن يعدّ فى الفحول . [و(٢)] هو قروىّ

(١) الأغانى ٢ : ١٧ .
(٢) التكلة من الأغانى . وكذلك سائر التكلات فى هذا النص .

قد أخذوا عليه أشياء عِيب فيها . وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان : عدىّ بن زيد فى الشعراء بمنزلة سُهيل فى النجوم : يُعارضها ولا يجرى معها مَجراها . وكذلك عندهم أمية بن أبى الصلت . ومثلهما من الإسلاميينَ : الكميت ، والطِرِمّاح .

وكان سبب نزول آل عدىّ الحيرة أن جدَّه أيوب كان منزله اليمامة ، فأصاب دماً فى قومه ؛ فهرب إلى أوس بن قُلّام : أحد بنى الحارث بن كعب بالحيرة ، وكان بينهما نسبٌ من قبل النساء ، فأكرمه وابتاع له موضع دار [هِ] بثلاثمائة أوقيّة من ذهب ، وأنفق عليها مائتى أوقيّة ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعاتها [1] ، وفرساً ، وقَينة . واتصل بملوك الحيرة وعرفوا حقه وحقّ ابنه « زيد » بن أيوب ، فلم يكن منهم ملك يملِك إلاّ ولِوَلَد أيوب منه جوائز [وحُملان] . ثم إن زيداً نكح امرأة من آل قلام فولدت له « حماداً » . فخرج زيد بن أيّوب يوماً للصيد ، فلقيه رجل من بنى امرئ القيس الذين كان لهم الثأر فاغتال زيداً وهرب ، ومكث حمّاد فى أخواله حتى أيفع وعلمته أمّه الكتابة ؛ فكان أوّل من كتب من بنى أيوب ، فخرج من أكتب الناس حتى صار كاتبَ النعمان الأكبر ؛ فلبث كاتباً له حتى وُلد له ولد فسمّاه « زيداً » باسم أبيه . وكان لحمّاد صديق من دهاقين الفرس اسمه فَرّوخ [2] ماهان . فلما حضرت الوفاةُ حمّاداً أوصى بابنه زيد إلى الدِّهقان — وكان من المَرازبة — فأخذه إليه .. وكان زيد قد حذق الكتابة [والعربية] ، وعلّمه الدِّهقان الفارسيّة . وكان لبيباً ، فأشار الدهقان إلى كسرى أن يجعله على البريد فى حوائجه ، فولاّه وبقى زماناً . ثم إنّ النعمان هلك ، فاختلفَ أهلُ

(١) ط : « برعاها » ، وأثبت ما فى سه والأغانى .

(٢) الميمنى : « الأكثر فى الكتابة فرخ بلا واو ، ومعناه المبارك » .

الحيرة فيمن يملّكونه إلى أن يعقِد كسرى الأمر لرجل منهم[١] ؛ فأشار المرزُبان عليهم بزيد بن حمّاد ، فكان على الحيرة إلى أن ملّك كِسرى المنذرَ ابن ماء السماء . ونكح زيد نعمة بنت ثعلبة العدَويّة فولدت له « عدياً » . وولد للمرزُبان ابن وسمّاه شاهان مَرْد . فلما أيفع عدىٌّ أرسله المرزبان مع ابنه إلى كُتّاب الفارسيّة ، وتعلّم الكتابة والكلامَ بالفارسية ، حتى خرج مِن أفهم الناس وأفصحِهم بالعربية ، وقال الشعرَ وتعلّم الرّمىَ بالنُّشّاب [فخرج من الأساورة الرُّماة] ، وتعلّم لَعِب العجم على الخيل بالصَّوالجة وغيرها . ثم إنّ المرزبان لما اجتمع بكسرى قال له : إن عندى غلاماً مِن العرب هو أفصحُ الناس وأكتبُهم بالعربية والفارسية ، والملك يحتاج إلى مثله . فأحضر المرزُبان عدىَّ بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحسن — وكانت الفُرس تتبرّك بالجميل الوجه — فرغب فيه ؛ فكان عدىٌّ أوّلَ من كتب بالعربية فى ديوان كسرى . فرغب أهلُ الحيرة إلى عدىّ ورهِبوه . ولم يزل بالمدائن فى ديوان كسرى معظماً . وأبوه زيد كان حيًّا ، إلا أن صِيته قد خمل بذكر ابنه عدىّ .
١٨٥ ثم لما هلك المنذر اجتهد عدىّ عند كسرى حتى ملّك النعمانَ بن المنذر الحيرة . ثمّ بعد مدّة افترَوا على عدىّ وقالوا للنعمان : إنّ عديًّا يزعم أنك عامله على الحيرة . فاغتاظ منه النعمان وأرسل إلى عدىٍّ بأنه مشتاق إليه يستزيره[٢] . فلما أتى إليه حبسه ، وبقى فى الحبس إلى أن جاء رسول كسرى ليُخرِجه[٣] ؛ فخاف النعمان من خلاصه فغمّه حتى مات ؛ وندم النعمان على قتله ، وعرف أنّه غُلب على رأيه . ثم إنه خرج يوماً إلى الصيد فلقى ابنا لعدىّ يقال له زيد ؛

(١) الأغانى : « لرجل ينصبه » .
(٢) ط : « ليستزيره » .
(٣) انظر قصة هذا الرسول فى الأغانى ٢ : ٢٦ — ٢٧ .

فلما رآه عرف شبهه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا زيد بن عديّ . فكلمه فإذا هو غلامٌ ظريف ، ففرح به فرحا شديداً ، فقرَّبه واعتذر إليه من أمر أبيه ، ثم كتب إلى كسرى يربيه ويشفع له مكان أبيه . فولاّه كسرى . وكان يلي الكتابة عنده إلى ملوك العرب وفي خواصّ أمور الملك . وكانت لملوك العجم صِفَةَ النساء مكتوبة عندهم ، وكانوا يبعثون في تلك الأرَضينَ تلك الصفة ؛ فإذا وُجِدت حُملت إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب . فلما كتب كسرى في طلب تلك الصفة قال له زيد بن عديّ : أنا عارف بآل المنذر وعند عبدك النعمان — بين بناته وأخواته وبنات عمّه — أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ، فابعثني مع ثِقة من رجالك يفهم العربية حتّى أبلغ ما تحبُّه . فبعث معه رجلا فطِناً وخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجلَ ويُلطِفه حتى بلغ الحيرة ؛ فلما دخل على النعمان قال له : إنّ كسرى قد احتاج إلى نساء لنفسه ولولده ، وأراد كرامتَك بصهره فبعث إليك . فقال النعمان لزيد — والرسول يسمع — : أمَا في مَها السَّواد وعِينِ فارس ما يبلغ به كسرى حاجتَه ؟ ! فقال الرسول لزيد ، بالفارسية : ما المها ؟ فقال له ، بالفارسية : كاوان ، أى البقر . فأمسك الرسول ، وقال زيد للنعمان : إنّما أراد الملك أن يكرمك ، ولو علم أنَّ هذا يشقُّ عليك لم يكتب إليك به . فأنزلها عنده يومين ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذى طلب الملك ليس عندى . وقال لزيد : اعذرنى عنده . فلما رجع إلى كسرى قال زيد للرسول : اصدُق الملكَ عمَّا سمعتَ ، فإنى سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه ! فلما دخلا على كسرى قال زيد : هذا كتابه . فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذى كنتَ خبَّرتنى به ؟ قال : قد كنت خبَّرتك ببخلهم بنسائهم على غيرهم ، وأنَّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُرىَ على الشِّبَع والرِّياش ، وإيثارهم السَّموم

على طِيب أرضك ، حتى إنهم ليسمُّونها السِّجن ، فسلْ هذا الرسول الذى كان معى عما قال ، فإنى أكرم الملك عن مشافهته بما قال . فقال للرسول : وما قال النعمان ؟ فقال له الرسول : إنه قال : أمَا كان فى بقر السواد وفارس ما يكفيه ، حتّى يطلب ما عندنا ؟ ! فعرف الغضب فى وجهه . وسكت كسرى أشهرا — وسمع النعمان غضبَه — ثم كتب إليه كسرى : أن أقبل ، فإن لى حاجةً بك . فخافه النعمان وحمل سلاحَه وما قدر عليه ولجأ إلى قبائل العرب فلم يُجِرْهُ أحد ، وقالوا : لا طاقةَ لنا بكسرى . . حتى نزل بذى قار فى بنى شيبان سرًّا ، فلقى هانئ بن قَبيصة ، فأجاره وقال : لزمنى ذِمامُك ، وإنى مانعُك مما أمنع منه نفسى وأهلى ، وإنّ ذلك مهلكى ومهلكك . وعندى رأىٌ لست أشير به لأدفعك عما تريده من مجاورتى ؛ ولكنه الصواب . فقال : هاته ! قال : إنّ كلَّ أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه ، إلا أن يكون بعد المُلْك سُوقة ؛ والموت نازلٌ بكلّ أحد ، ولأنْ تموت كريماً خير من أن تتجرَّع الذلّ أو تبقى ١٨٦
سوقةً بعد المُلك . . امض إلى صاحبك واحمل إليه[1] هدايا ومالا ، وألقِ نفسك بين يديه ، فإما أن يصفح عنك فعدتَ ملكا عزيزا ، وإما أن يصيبك فالموتُ خير من أن تتلعَّب بك صعاليكُ العرب ويتخطَّفك ذئابها . . قال : فكيف بحُرمى وأهلى ؟ قال : هنَّ فى ذمتى ، لا يخلص إليهن حتى يخلُص إلى بناتى . فقال : هذا — وأبيك — الرأى ! ثم اختار خيلاً وحللا من عَصْب اليمن ، وجواهر وطُرَفا كانت عنده ، ووجَّه بها إلى كسرى ، وكتب إليه يعتذر ويعلمه أنه صائر إليه . فقبلها كسرى وأمره بالقدوم . فعاد إليه الرسول

(١) كذا فى النسختين ، وفى الأغانى ٢ : ٢٧ : «ثم كتب إلى كسرى : إن هديا كان ممن أعين به الملك فى نصحه ولبه ... » الخ . فلعل صوابه « يزكيه » .
(٢) ط : « وكان يلى المكاتبة عند آل ملوك العرب » صوابه فى ش .

وأخبره بذلك وأنه لم يرَ له عند كسرى سوءا . فمضى إليه حتى إذا وصل إلى ساباط لقيه زيد بن عدىّ فقال له : انج نُعَيم ، إن استطعتَ النّجاء ! فقال له النعمان : أفعلتَها يا زيد ! أما والله لئن عشت لأقتلنك قِتلة لم يقْتلها عربىّ قطّ ! فقال له زيد : قد — والله — أخَيت لك آخيّة لا يقطعها المهر الأرِن[1] فلما بلغ كسرى أنّه بالبـاب بعث إليه ، فقيّده وسجنه ؛ فلم يزل فى السجن حتى هلك . وقيل : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات . وذلك قبيل الإسلام بمدّة ، وغضبت له العرب حينئذ ، فـكان قتله سبب وقعة ذى قار » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والستون[2] :

٦١ (إذا المرء لَم يَغْشَ الـكَرِيهَةَ أوشَـكَتْ
حِبالُ المُوَينى بالفـتى أنْ تَقَطّما)

على أن الاسم إن أعيد ثانيا ولم يكن بلفظ الأول لم يجز عند سيبويه ، ويجوز عند الأخفش سواء كان فى شعرٍ أم فى غيره ، كهذا البيت .

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة ، عند قول أبى النّشناش :

إذا المرء لم يَسرَحْ سَواماً ولم يُرِحْ سَواماً ولم تَعطف عليه أقاربُهُ
فَلَلموت خيرٌ للفتى من حياته فقيراً ومن مولًى تدِبّ عقاربُهُ

كان يجب أن يقول : فللموت خير له ؛ فعدل عن المظهر والمضمر جميعا إلى لفظ آخر ، كقوله :

(١) ط : « عليه » ، صوابه فى سه .
(٢) الأرن : النشيط . والآخية : عود كحلقة تشد فيها الدابّة .
(٣) أنظر العينى ٢ : ١٣٢ والخصائص ٣ : ٥٣ والهمع ١ : ١٨٠ والنوادر ١٥٣ والمفضليات ٣٢ .

إذا المرء لم يغش الـكريهة . . (البيت)

وسبب ذلك أن هذا المُظهر المخالف للفظ المظهر قبله ، قد أشبه عندهم المضمر ، من حيث كان مخالفاً للفظ المظهر قبله خلاف المضمر له .

وقال ابن رشيق فى العمدة : « قوله (بالفتى) حشو ؛ وكان الواجب أن يقول (به) لأن ذكر المرء قد تقـدَّم ؛ إلا أن يريد بالفتى معنى الزِّراية والأطنوزة[1] ، فإنه محتمل » اهـ وهذا تخيل دقيق .

و (الغِشيان) : الإتيان ، يقال غِشيته من باب تعب : أتيته . و (الـكريهة) الحرب ؛ وقيل : شدتها ، وقيل : النازلة . وهذا هو المراد هنا . و (أوشكت) : قاربت ودنت و (الحبال) : جمع حَبْل بمعنى السَبَب ، استعير لـكل شىء يتوصَّل به إلى أمر من الأمور . و (الهُوَينى) : الرفق والراحة ؛ اوعده ابن دريد فى الجمهرة فى الـكلمات التى وردت مصغَّرة لا غير ، قال : والهوينى السكون والخفْض . قال السَّمين ، فى عمدة الحفاظ : يقال : فلان يمشى الهوينى وهو مصغر الهُونى ، والهُونى تأنيث الأهون كالفضلى تأنيث الأفضـل . و (بالفتى) الباء للمصاحبة فيكون حالا ، أو بمعنى عَن فيتعلق بمـا بعدها ، وجاز لأنه ظرف ، ومثله قوله تعالى : « وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبابُ » . قال السمين : فى الباء أربعة أوجه : أحدها للحال أى تقطّعت موصولةً بهم الأسباب . ١٨٧
الثانى للتعدية أى قطّعتهم الأسبابُ كقولهم : تفرّقت بهم الطرق أى فرقتهم . الثالث للسببية أى تقطّعت بسبب كفرهم الأسباب التى كانوا يرجون بها النجاة . الرابع بمعنى عَن ، أى تقطّعت عنهم الأسباب الموصِلات بينهم » وهى مجاز ؛

(١) يعنى الطنز والسخرية . وهذه الـكلمة لم ترد فى المعاجم المتداولة .

(٢) العمدة ٢ : ٥٦ .

والسبب فى الأصل الحبل ، ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شيء ، عيناً كان أو معنى . و (تَقَطّعا) أصله تتقطع بتاءين ، وفاعله ضمير حِبال .

وهذا البيت آخر أبيات للكلحَبة العرِينى ، وهى :

أبيات الشاهد

(فإن تَنجُ منها يا حَزِيمُ بن طارق ... فقد تركتْ ما خَلف ظهرِكَ بلقعا
ونادى منادى الحى : أنْ قد أُتِيتمُ ... وقد شَرِبت ماء المزادة أجمعا
وقلتُ لكأسٍ : ألجيها فإنما ... نزلْنا الكَثيبَ من زَرودَ لنفْزَعا
فأدرَك إبقاء العَرادة ظلعُها ... وقد جعلتْنى من حَزيمة إصبَعا
أمرتكمُ أمرى بمنعرَج اللِوى ... ولا أمرَ للمَعصىّ إلاّ مضيَّعا
إذا المرء لم يَغشَ الكريهةَ . . . . . البيت)

وسبب هذه الأبيات أنَّ « الكَلحبة » كان نازلا بزَرود — وهى أرض بنى مالك بن حَنظلة ، وهو من بنى يربوع — فأغارت بنو تغلب على بنى مالك ، وكان رئيسهم حَزيمة بن طارق ، فاستاق إبلَهم ، فأتى الصريخُ إلى بنى يربوع فركبوا فى إثره فهزموه واستنقذوا ما كان أخذه .

فقوله : إن تنج منها ، الضمير راجع إلى فرس الكلحبة . وحَزِيم بفتح الحاء المهملة وكسر الزاى المعجمة : مرخَّم حَزيمة . وهذا البيت يشهد بانفلاته ، وشعر جرير يشهد بأسره ، وهو :

* قُدْنا حَزيمة قد عَلمتم عَنوةً *

ولا مانع منه ، بأن أدركه غيرُ الكلحبة وأسره لمّا ظلَعت فرسه .

قيل : ولما أُسر اختصم فيه اثنان : أحدهما أُنَيف بن جبَلة الضبّىّ ، وهو أحد بنى عبد مناة بن سعد بن ضبّة ، وكان أُنيف يومئذ نازلا فى بنى يربوع وليس معه من قومه أحد . وثانيهما : أُسيد بن حِنّاءة السَّليطىّ . فاختصما

إلى الحارث بن قُراد فحكم : أنّ جزّ ناصيته لأنيف ، وأنّ لأسيد عنده مائة من الإبل . فرضيا بذلك .

والحارث بن قُراد من بنى حِميرىّ بن رياح بن يربوع . وأمّه من بنى عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبّة .

وقوله : (فقد تركت الخ) ، العرب كثيراً ما تذكر أنّ الخيل فعلت كذا وكذا ، وإنما يراد به أصحابها ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يقول : إنْ تنج يا حَزيمة من فرسى لم تُفلت إلاّ بنفسك ، وقد استبيح مالُكَ وما كنتَ حويته وغنمته ، فلم تدع لك هذه الفرس شيئاً .

وقوله : (ونادى منادى الحى . الخ) كأنّ الكلحبة يعتذر من انفلات حزيمة ، يقول : أتى الصريخُ وقد شربت فرسى ملء الحوض ماء . وخيل العرب إذا علمت أنه يُغار عليها — وكانت عطاشاً — فمنها ما يشرب بعض الشرب ولا يَروى ، وبعضها لا يشرب البتة لما قد جرّبت من الشدّة التى تلقى إذا شربت الماء وحُورب عليها . وفاعل شربت ضمير الفرس . وجملة قد شربت حال ، أى أتيتم فى هذه الحال .

١٨٨ وقوله : (وقلت لكأس . البيت) كأس بنت الكلحبة ، وقيل جاريته ؛ والعرب لا تثق فى خيلها إلاّ بأولادها ونسائها . وقوله : لنفزعا ، أى لنغيث ؛ يقول : ما نزلنا فى هذا الموضع إلاّ لنغيث من استغاث بنا . والفزع من الأضداد ، بمعنى الاغاثة والاستغاثة .

وقوله : (فأدركَ إبقاء العَرادة . . الخ) العرادة بفتح العين والراء والدال المهملات : اسم فرس الكلحبة ، كانت أنثى . والإبقاء : ما تبقيه الفرس من العَدْوِ ، إذْ من عتاق الخيل ما لا تعطى ما عندها من العدْو بل تبقى منه شيئاً

إلى وقت الحاجة ؛ يقال : فرس مبقية : إذا كانت تأتى بجريٍ عند انقطاع جريها ، وقتَ الحاجة(١) . يريد أنها شربت الماء فقطعها عن إبقائها ففاته حزيمة . وروى (أنقاء العَرادة) بفتح الهمزة وبالنون : جمع نِقو بالكسر ، وهو كل عظم ذى مخّ ، يعنى ظلَعها وصل إلى عظامها . وروى أيضاً : (إرقال العرادة) بكسر الهمزة وبالقاف ، وهو السَّير السريع ، وهو مفعول ، والظلع فاعل . قال ابن الأنبارى : الظُّلوع فى الإبل بمنزلة الغمْز أى العرج اليسير ، يقال ظلَعَ يظلع بفتحهما ظلعا وظلوعاً ؛ ولا يكون الظلوع فى الحافر إلا استعارة . يقول : فاتنى حزيمة وما بينى وبينه إلاّ قدر إصبع .

وأورد الشارح هذا البيت فى باب الإضافة على أن فيه حذف ثلاثة مضافات ، أى جعلتنى ذا مقدار مسافة إصبع . والأَوْلى تقدير مضافين ، أى ذا مسافة إصبع ، كما قدّر ابنُ هشام فى مغنى اللبيب ؛ فإن المسافة معناها البعد ، والمقدارُ لا حاجة إليه . والمسافة وزنها مَفعَلة ، أى محل السّوف وهو الشمّ وكان الدليل إذا سلك الطرق القديمة المهجورة أخذ ترابها فشمّه ليعلم أعلى قصدٍ هو أم على جَور ؟ وإنما يقصد بشمّ التراب رائحة الأبوال والأبعار ، فيعلم بذلك أنه مسلوك .

وكذلك أورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : « فكانَ قابَ قوْسَين » قال : فيه حذف مضافين ، كما فى هذا البيت . لكن تقديره مقدار مسافة إصبع يحتاج إلى تأويل لصحة الحمل .

وقوله : (أمرتكم أمرى . . الخ) اللِّوى بالقصر هو لوى الرمل ، أى

(١) عبارة أبى زيد فى النوادر : « هى التى يظن أنه لا جرى معها ، فإذا طلب منها وجد عندها » . وفى القاموس : « هى التى يبقى جريها بعد انقطاع جرى الخيل » . وفى الأساس : « هى الخيل التى لا يخرجن ما عندهن من الجرى ، فهن أحرى ألا يلغبن » . واللغوب : التعب .

منقطَعه حيث ينقطع ويفضى إلى الجدَد ؛ ومنعرجه : حيث انثنى منه وانعطف .
وإنما قال بمنعرج اللوى ليعلم أين كان أمرُه أيام ، كما قال الآخر(١) :

ولقد أمرتُ أخاك عَمراً أمرَه   فأبى وضيّعه بذات العُجرُمِ(٢)

وهذا البيت من شواهد سيبويه . أورده الشارح أيضاً فى باب الاستثناء ، على أن نصب المستثنى فى مثله قليل . وقال الخليل : مضيّعاً : حال ، وجاز تنكير ذى الحال لكونه عاماً كأنه قال : للمعصىّ أمره مضيعاً . وبهذا يسقط قول الأعلم حيث قال « الشاهد فيه نصب مضيِّع على الحال من الأمر ؛ وهو حال من نكرة . وفيه ضعف لأن أصل الحال أن تكون للمعرفة » اهـ .

أقول : إنْ جعل حالاً من الضمير المستقرّ فى قوله « للمعصىّ » فإنّه خبر لا النافية ، فلا يرد عليه ما ذكر .

وقال النحاس « ويجوز أن يكون حالاً للمضمر ، التقدير إلاّ أمراً فى حال تضييعه ، فهو حال من نكرة » .

أقول : هذا التقدير من باب الاستثناء ، ومضيّعاً وصف للمضمر لا حال منه .

وقال الأعلم « ويجوز نصبه على الاستثناء ، والتقدير إلاّ أمراً مضيعاً . وفيه قبح لوضع الصفة موضع الموصوف » .

أقول : لا قبح ، فإنّ الموصوف كثيراً ما يحذَف لقرينة .

وقال ابن الأنبارى : « الاستثناء منقطع » . أقول : التفريغ لا يكون ١٨٩

---

(١) هو عمرو بن الأسود ، كما فى الأصمعيات ٧٩ ، ونسب البيت فى معجم البلدان ٦ : ١٢٣ إلى بشر بن سلوة .

(٢) ويروى : « إمرة » و « آمرا » ، و « وضيها » .

فى المنقطع . ثم قال : « ولو رفع فى غير هذا الموضع لجاز بجعله خبراً لِلا » .

أقول : يجب حينئذ أن يقال ولا أمراً للمعصىّ بالتنوين ، إلاّ على مذهب البغداديين .

وقد أورد أبو زيد فى نوادره[1] هذه الأبيات على غير هذا الترتيب ، وروى أولها :

أمرتهم أمرى بمنعرَج اللوى . . (البيت)

ترجمة الـكلحبة و (الـكَلْحَبَة) لقب الشاعر ، وهو بفتح الـكاف وسكون اللام وبعدها حاء مهملة فباء موحدة . ومعناه فى اللغة صَوت النار ولهبها ، كذا فى العباب . وزاد فى القاموس : « وكلحَبَهُ بالسيف : ضربه » . و (العَرينى) نسبة إلى عَرين بفتح العين وكسر الراء المهملتين ، والياء فى فَعيل تثبت فى النسب ، وهو جدّه القريب[2] . ويقال له : (اليربوعى) أيضاً نسبة إلى جده البعيد . وقولهم : الـكلحبة عُرَنىّ نسبة إلى عُرَينه كجُهَنىّ نسبة إلى جُهينَة ، تحريفٌ ، فإن عُرينة بالتصغير بطن من بَجيلة ، وليس من نسبه .

قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : « الـكلحبة اليربوعى اسمه هُبيرة ابن عبد مناف بن عَرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد منـاة ابن تميم ، أحد فرسان بنى تميم وساداتها ، وشاعر ، وهو القائل :

فقلتُ لـكأس ألجميها . . (البيت)

وكذا قال أبو زيد فى نوادره : اسمه هبيرة بن عبد مناف ، عمّ واقد ابن [عبد الله بن[3]] عبد مناف .

(١) نوادر أبى زيد ١٥٣ — ١٥٤ .

(٢) انظر الاشتقاق ٢٢٦ بتحقيقنا .

(٣) التكملة من سه والنوادر .

ومثله قال ابن الأنبارى : الكلحبة : اسمه هبيرة بن عبد مناف .

وقال الصاغانى فى العباب : قال أبو عبيد : كلحبة : اسمه عبد الله بن كلحبة ، ويقال هبيرة بن كلحبة ، فارس العَرادة ، ويقال اسمه حُرَير . وأثبتُ من ذلك أنّ اسمه هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف . . إلى آخر نسبه . وقال صاحب القاموس : الكلحبة شاعر عُرَنىّ ، ولقب هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف ابن عَرين العَرَنى فارس العَرادة . اهـ فتأمّل ما فيه !

والظاهر أن حُريراً ابنه ، وهو بضم الحاء المهملة وفتح الراء الأولى ، كما يفهم من قوله :

لعلّ حُريراً أخطأته مَنيّةٌ ستأتيك بالعلم العَشيّةُ أوغدُ[1]

تقول له إحدى بَلِىٍّ شَماتةً : مَنِ الحنظلىُّ الفارسُ المتفقَّدُ !

فإنه كان أراد بعض ملوك الشام ، فسار حتى [إذا[2]] صار فى موضع يقال له قَرن ظَبى رجَم ، وقال :

رددتُ ظعائنى من قَرن ظَبى وهن على شمائلهنّ زُورُ

فجاور فى بلىّ بن عمرو بن الحافِ[3] بن قضاعة ، فأغار عليهم بنو جشم ابن بكر من بنى تغلب ؛ فقاتل مع بلىّ هو وابنه ، وقد أخذ بنو جشم أموالهم ، حتى ردّها ؛ وجُرح ابنه فمات من جراحته .

ومن شعر الكلحبة يخاطب جاريته كأساً ؛ رواه أبو زيد فى نوادره[4] :

---

(١) ط : « سآتيك » صوابه فى سه . وفى النوادر ١٥٥ : « سيأتيك » .

(٢) التكلة من شرح المفضليات ٢٤ .

(٣) وكذا فى الجمهرة ٤٤١ .

(٤) النوادر ١٥٤ .

يا كأس ويلك إنّى غالنى خلُق على السماحة صُعلوكاً وذا مالِ
تخيَّرى بين راعٍ حافـظٍ بَرَم عَبدِ الرِشاء عليك الدهرَ عمال[1]
وبين أروَعَ مشمولٍ خلائقُه مستغرقِ المـال للذّات مكسال
فأىُّ ذينكِ إن نابتك نائبة ! والقوم ليسوا وإن سُوُّوا بأمثال[2]

قال أبو حاتم : فأىّ بالرفع . قال أبو على : أضمر (اختارى) لأن ذكره قد جرى ، فهو منصوب .

وقال أخوه يردّ عليه :

١٩٠ ألَم تكُ قد جرّبْتَ ما الفقرُ والغِنى وما يَعظ الضِلّيل إلا ألالِكا[3]
عُقوقاً وإفسادا لـكلّ معيشـة فـكيف ترى أمست أضاعةُ مالكا

قال أبو حاتم : إضاعةَ بالنصب . وقال أبو على : ترى المتعـدية لمفعولين ، ألغاها .

« تتمة »

قد أخذ البيتَ الشاهدَ شَبيبُ بن البَرصاء ، وغيّر قافيته وقال :

دعانى حُصَينٌ للفِرار فساءنى مَواطنُ أن يُثنى علىّ فأشتَما
فقلتُ لحِصن : نجّ نفسَك ، إنما يذود الفتى عن حوضه أن يُهدّما
تأخرتُ أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدّما
سيكفيكَ أطرافَ الأسنّة فارسٌ إذا رِيع نادى بالجواد وألجما
إذا المرء لم يَغشَ الـكريهة أوشكت حبالُ الهوينى بالفتى أن تجذّما

(١) ط : « حافظ بدم » ، صوابه فى سه والنوادر .
(٢) فى النوادر : « فأى ذلك » .
(٣) النوادر ١٠٤ .

فى القاموس : وجذَمه بالجيم والذال المعجمة فانجذم وتجذّم : قطعه .

ومثله كثير بين الشعراء . وسيأتى إن شاء الله تعالى له نظائر كثيرة .

شبيب بن البرصاء

والبرصاء هى أم شَبيب . وأبوه اسمه يزيد . وتنتهى نسبته إلى قيس بن عَيلان . وهو ابن خالة عَقيل بن عُلَّفة . وكلٌّ منهما كان شريفا سيدا فى قومه . وكانا من شعراء الدولة الأمويه . وترجمتهما طويلة فى الأغانى ، قال صاحبها : « كان عبد الملك بن مروان يتمثّل بهذه الأبيات لَشبيب بن البرصاء ، فى بذل النفس عند اللقاء ، ويَعجب منه[1] » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون[2] :

٦٢ (فإنّ فؤادى عندَكِ الدهرَ أجمَعُ)

صدره : (فإنْ يكُ جُثمانى بأرضٍ سواكم)

على أن الضمير انتقل من متعلَّق الظرف إلى الظرف وهو (عندك) . ووجه الدلالة أنه ليس قبل (أجمع) ما يصح أن يحمل عليه ، إلا اسم إنّ والضمير الذى فى الظرف والدهر ؛ فاسم إنّ والدهر منصوبان ، فبقى حمله على المضمر فى عندك . قال ابن هشام : « هذا هو المختار ، بدليلين : أحدهما امتناع تقديم الحال فى نحو : زيد فى الدار جالسا ، ولو كان العامل الفعل لم يمتنع . ولقوله :

* فإن فؤادى عندكِ الدهرَ أجمَعُ *

(١) الأغانى ١١ : ٩٤ . وترجمته شبيب فيها ١١ : ٨٩ — ٩٤ . وترجمة عقيل بن علفة فيها ١١ : ٨١ — ٨٩ .

(٢) العينى ١ : ٥٢٥ والهمع ١ : ٩٩ وابن الشجرى ١ : ٥ ، ٣٣٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٨٦ وسمط اللآلى ٥٠٥ .

فأكّد الضمير المستتر فى الظرف ، والضمير لا يستتر إلا فى عامله ؛ ولا يصح أن يكون توكيداً لضمير محذوف مع الاستقرار ، لأن التوكيد والحذف متنافيان ؛ ولا لاسم إنّ على محله من الرفع بالابتداء ، لأن الطالب للمحلّ قد زال » .

وقوله (بأرض سواكم) قال أبو عبيد البكرى فى شرح نوادر أبى على القالى : « يروى بأرضِ سواكم على الإضافة ، وهذا بيّن ؛ ويروى بأرضٍ سواكم يريد بأرضٍ سِوى أرضكم لحذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقامه » اهـ . وقوله (عندكِ) بكسر الكاف ، فإنه خطابٌ لامرأة . فإن قلت : فكيف قال (سواكم) ؟ قلت : قد تخاطب المرأة بخطاب جماعة الذكور مبالغة فى سترها ، ومنه قوله تعالى : « فقالَ لِأَهْلِهِ امكثُوا » .

ابيات الشاهد — وهذا البيت من قصيدة لجميل بن مَعْمَر يتغزّل فيها بمحبوبته بُثينة . وما قبله :

١٩١ (ألا تتّقين اللهَ فيمن قتلتِهِ ... فأمسى إليكم خاشعاً يتضرّع[1])

وبعده :

(إذا قلتُ هذا حينُ أسلُو وأجترِى ... على هجرها ظلّت لها النفسُ تَشفعُ
ألا تتقينَ الله فى قتلِ عاشق ... له كَبِدٌ حَرّى عليك تَقطَّع
غريبٍ مَشوق مُولَع بادّكاركم ... وكلٌّ غريب الدار بالشوق مولَع
فأصبحتُ مما أحدث الدهرُ موجَعا ... وكنتُ لريب الدهر لا أتخشّعُ
فيارَبِّ ، حبّبنى إليها وأعطنى الــمودّة منها ، أنت تعطى وتمنع)

---

(١) ط : « فيما قتلته » ، صوابه ل ــ .

ورأيت فى تذكرة أبى حيّان أن البيت لكثيّر عزّة[1] ، وقال : بعده :

(إذا قلت هذا حينُ أسلو ذكرتها   فظلّت لها نفسى تتوق وتنزِع

والصواب ما قدّمناه .

جميل بن معمر العذرى

و (جميل) هو جميل بن عبد الله بن مَعْمَر ، كذا قال ابن الكلبى وفى اسم أبيه فمن فوقَه خلاف ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف[2] . وصاحبته بثينة . وهما من عُذرة . ويكنى أبا عمرو . وهو أحد عشّاق العرب المشهورين . وكانت بثينة تكنى أمّ عبد الملك ؛ ولها يقول جميل :

يا أمَّ عبدِ الملك اصرِمينى   وبيِّنى صرمَك أوْ صِلينى

ويقال أيضاً : إنّه جميل بن معمر بن عبد الله . والجمال والعشق فى عُذرة كثير . وعشقِ جميل بثينةَ وهو غلام صغير ، فلما كبر خطبها فرُدّ عنها ، فقال فيها الشعر ؛ وكان يأتيها وتأتيه — ومنزلها[3] وادى القُرى — فجمع له قومُها جمعاً ليأخذوه ، فحذّرته بثينة ، فاستخفى وقال :

ولو أنَّ ألفاً دونَ بَثنة كلُّهم   غيارى وكلٌّ مزمِعون على قتلى

لحاوَلتُها ، إمّا نَهاراً مُجاهراً   وإما سُرى ليل ، ولو قطعوا رجلى

وهجا قومَها فاستعدَوا عليه مرْوان بن الحكم — وهو على المدينة من قِبل معاوية — فنذر ليقطعنّ لسانه . فلحق بجُذام فقال :

أتانىَ عن مرْوان بالغيب : أنه   مُقيدٌ دمى أو قاطعٌ من لسانيا

ففى العيس مَنجاةٌ وفى الأرض مَذهبٌ   إذا نحن رفّعنا لهنّ المثانيا

(١) انظر ديوان كثير ١ : ٣٣ وديوان جميل ١١٨ .

(٢) المؤتلف والمختلف ٧٢ .

(٣) ط : « ومنزلها » ، صوابه فى ـــ .

فأقام هناك إلى أن عُزل مروان ، ثم انصرف إلى بلده . ومن شعره فيها :

عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يزل   إلى اليوم ينمى حبُّها ويَزيدُ
وأفنيت عُمرى بانتظار نوالها   فباد بذاك الدهرُ وهو جديدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً   ولا حبُّها فيما يَبيد يَبيدُ

ويستجاد له قوله :

خليلىّ فيما عِشتما هل رأيتما   قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلى

وقالت بثينة ، ولا يُعرف لها شعرٌ غيره :

وإنّ سُلوّى عن جميل لَساعةٌ   من الدهر ما حانت ولا حان حينُها
سواء علينا يا جميل بن مَعمَر   إذا مُتّ بأساء الحياة ولينُها

١٩٢ وترجمة جميل فى الأغانى طويلة جدّاً ، وما ذكرناه ملخّص من طبقات الشعراء لابن قتيبة .

من اسمه جميل

وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف ثلاثةً ممن اسمُه جميل : أحدهم هذا . والثانى : جميل بن المعلّى الفَزارى وهو شاعرٌ فارس ، ومن شعره :

فلا وأبيك ما فى العيش خير   ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

والثالث جميل بن سِيدَان الأسدىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون[١] :

(١) الخصائص ٢ : ٣٨٦ والهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٢٠ : ١٣٠ ، ١٤٠ وابن الشجرى ١ : ١٨٠ وشرح شواهد المغنى ٢٦٣ وأمالى الزجاجى ٨١ وتحرير التحبير ١٤٥ . وسيكرر هذا الشاهد فى الرقم ١١٤ ، فهو سهو من البغدادى .

٦٣ (الا يا نخلةً مِنْ ذات عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ)

لِمـا تقدّم فى البيت قبله ، بدليل العطف عليه . فإنّ قوله (ورحمة الله) عطف على الضمير المستكنّ فى (عليـك) الراجع إلى (السلام) ، لأنه فى التقدير : السّلام حصَل عليكِ ، فحذف حصَل ونقل ضميره إلى عليك واستتر فيه . ولو كان الفعل محذوفاً مع الضمير لزم العطف بدون المعطوف عليه .

وبهذا البيت سقط قول ابن خروف بأنّ الظرف إنما يتحمل الضمير إذا تأخر عن المبتدأ . قال ابن هشام فى المغنى : « قول ابن خروف مخالفٌ لإطلاقهم ولقولِ ابن جنّى فى هذا البيت : إنّ الأولى حملُه على العطف على ضمير الظرف لا على تقـديم المعطوف على المعطوف عليه . وقد اعتُرِض بأنه تخلّص من ضرورة بأخرى ، وهو العطف مع عدم الفصل ، ولم يُعترض بعدم الضمير . وجوابه : أن عدم الفصل أسهل لوروده فى النثر ، كمررت برجلٍ سواءٍ والعدمُ ، حتى قيل : إنه قياس » اهـ .

وإنّما نسب الأولويّة إلى ابن جـنّى لأنه ذهب — تبعاً لغيره — فى حرف الواو من المغنى إلى أنه من باب تقدم المعطوف على المعطوف عليه ، وأنه من خصائص الواو .

وما زعمه الدمامينى فى الاختصاص : بأن السعد قال فى شرح المفتاح إنّ تقديم المعطوف جائز بشرط الضرورة ، وعدمِ التقديم على العامل ، وكونِ العاطف أحد حروف خمسةٍ : الواو ، والفاء ، وثمّ ، وأو ، ولا ، صرّح به المحقّقون . وقال ابن السّيد فى شرح أبيات الجمل : مذهب الأخفش أنّه أراد : عليك السلام ورحمة الله ، فقدّم المعطوف ضرورة ؛ لأن السلام عنده فاعلُ عليك . ولا يلزم هذا سيبويه لأن السّلام عنده مبتدأ ، وعليك خبره ، ورحمة الله معطوف على الضمير المستتر .

وأنشد ثعلب في أماليه(١) هذا البيت هكذا :

(ألا يا نخلةً من ذاتِ عِرق   بَرُودَ الظلِّ شاعَكُمُ السلامُ)

شاعكم : تبعكم ، وعليه لا شاهد فيه . وأنشده صاحب الجمل في باب النداء . قال اللخميّ : ونخلة : منادى منكر وهو الشاهد . وحكى الأعلم : أن كل نكرة تؤنث فلا تكون إلاّ منصوبة وإن كانت مقصودة معيّنة . ونخلة عنده منادى مقصود ولكن لما نوّنها نصبها . قال : وذات عرق : موضع بالحجاز . وسلَّم على النخلة لأنه مهدُ أحبابه وملعبُه مع أترابه ؛ لأن العرب تقيم المنازلَ مقام سُكّانها فتُسلِّم عليها وتكثر من الحنين إليها . قال الشاعر : ١٩٣

وكمثل الأحباب ، لو يعلم العا   ذلُ ، عندى منازلُ الأحبابِ

ويحتمل أن يكون كنى عن محبوبته بالنخلة لئلا يشهرَها ،وخوفاً من أهلها وأقاربها . وعلى هذا الأخير اقتصر ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير في باب الكناية ، قال : ومن نخوة العرب وغيرتهم كنايتهم عن حرائر النساء بالبَيض ؛ وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه : « كأنّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ » ، وقال امرؤ القيس :

وَبيضةِ خدر لا يُرامُ خِباؤها   تمتَّعت من لهوٍ بها غيرَ مُعجَل(٢)

ومن مليح الكناية قول بعض العرب :

ألاَ يا نخلةً من ذات عِرقٍ   عليك ورحمة الله السلامُ
سألتُ الناسَ عنكِ فخبَّرونى   هَناً مِنْ ذاكِ تكرهه الكرامُ
وليس بما أحلّ اللهُ بأسٌ   إذا هو لم يخالطه الحرام

(١) مجالس ثعلب ٢٣٩ .

(٢) ط : « وبيضة خلد ... تمنعت عن لهو » ، صوابه في س . والبيت معروف في معلقته .

فإنّ هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة ، وبالهَناة عن الرفث . فأمّا الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ظريف[1] الكناية وغريبها » اهـ .

وقال شرّاح أبيات الجُمل وغيرهم : بيت الشاهد لا يُعرف قائله ، وقيل هو للأحوص . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون ، وهو من شواهد س[2] :

٦٤ (أَحقًّا بنى أبناءِ سَلمى بن جَندَلٍ
تَهدُّدُكم إيایَ وسْطَ المجالسِ)

على أنّ (تهدّدكم) فاعل الظرف أعنى قوله (حقًّا) لاعتماده على الاستفهام ؛ والتقدير : أفى حقٍّ تهددكم إياى ؟ كما قال الآخر :

* أفى الحقّ أنّى مُغرمٌ بك هائم[3] *

وجاز وقوعه ظرفاً وهو مصدر فى الأصل لما بين الفعل والزمان من المضارعة ، وكأنه على حذف الوقت وإقامة المصدر مقامه ، كما قالوا : أتيتك خُفوقَ النجم ، أى وقت خفوق النجم ، فكأنّ تقديره : أفى وقت حق .

وقال ابن الشجرى فى أماليه : قالوا حقًّا إنّك ذاهب ، وأكْبَرَ ظنى أنك مقيم ؛ يريدون : فى حق ، وفى أكبر ظنى .

---

(١) فى تحرير التحبير : « طريف » ، بالمهملة .

(٢) سيبويه ١ : ٤٦٨ .

(٣) لعائذ بن المنذر ، كما فى العينى ٣ : ٨١ وشرح شواهد المغنى ٦٣ . وعجزه :
* وأنك لا خل هواك ولا خمر *

ولك في أنّ مذهبان : فمذهب سيبويه والأخفش والكوفيين رفعُ أنّ بالظرف ؛ وكلّ اسمِ حدَثٍ يتقدّمه ظرف يرتفع عند سيبويه بالظرف ارتفاعَ الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله : غداً الرحيلُ ، وأحقّاً أنّك ذاهب ، قال : حملوه على أفي حقّ أنّك ذاهب [والحق أنّك ذاهب[1]] . والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع اسم الحدث بالابتداء ويخبر عنه بالظرف المتقدم . حكى ذلك عنه سيبويه في قوله : وزعم الخليل أنّ التهدد ها هنا بمنزلة الرحيلُ بعد غد وأنّ أنّ بمنزلته اهـ . وقال ابن هشام في مغنى اللبيب : أنّ وصلَتها مبتدأ والظرف خبره ؛ وقال المبرد : حقّاً : مصدر لحقّ محذوفاً ، وأنّ وصلتها فاعل اهـ .

وقد استشكل النّحاس قول الخليل أنّ التهدّد هنا بمنزلة الرحيل بعد غد . . الخ ، فقال : وهذا مشكل ، وسألت عنه أبا الحسن فقال : لأنك تقول أحقّاً أن تهدّدوا ، وكذا أحقّا أنك منطلق ، قال : فحقّا عنده ظرف كأنه قال : أفي حقٍّ انطلاقك ؛ قال : وحقيقته أزَمنَ حقّ أنك منطلق[2] ؟ مثل « واسألِ القرْيةَ » . ١٩٤

قال محمد بن يزيد : لم يُجز الخليل كسر إنّ هنا ، لأنه يكون التقدير : إنك ذاهبٌ حقاً ، ثم تقدّم ؛ ومحال أن يعمل ما بعد إنّ فيما قبلها . ولو كان العامل فيها جاز فيه التقديم والتأخير نحو حقاً ضربت زيداً ؛ ولا يجوز حقاً زيد في الدار ، فلذلك اضطر إلى تقدير (في) . وإن قلت : أحقّاً أنك ذاهب ، جاز لأن العامل معنى . اهـ[3] . قال النحّاس : وسمعت أبا الحسن يقول :

(١) التكملة من ش .
(٢) ط : « وحقيقة أن من حق أنك منطلق » ، صوابه في ش .
(٣) ش : « وإن شئت قلت أحق أنك ذاهب جاز لأن العامل معنى أما » .

نظرت فى (أحقا) فلم أجد يصحّ فيه إلاّ قولُ سيبويه : على حذف فى ا ﻫ . أراد بهذا الردَّ على الجرمى فإنه قال فى هذا البيت ونحوه : هو على التقديم والتأخير ، ولا يكون على ما قاله سيبويه : من أنه ظرف ؛ لأن الظرف لم يجيء مصدراً فى غير هذا . وهذا الذى قاله قبيح من جهة أن ما ينتصب لدلالة الجملة عليه متقدم . قال أبو على فى التذكرة هذا ليس بالحسن ، على أن سيبويه قال : غيرَ ذى شكّ أنه خارج . وقولهم : غيرَ ذى شك ، فيه دلالة على جواز نصب حقاً على الظرف ؛ ألا ترى أنه إنما أجاز تقديمه حيث كان غير ذى شك بمنزلة حقاً وفى معناه ؛ فلولا أن حقاً فى معنى الظرف عندهم لم يستعملوا تقديم ما كان فى معناه ، إذ العامل إذا كان معنى لم يتقدّم عليه معموله ؛ فلولا أن حقّا بمنزلة الظرف لَمَا تقدّم على العامل فيه وهو معنى . ويؤكد ذلك أيضاً قولهم : أ كبرَ ظّنى أنك منطلق ، فإجراؤهم إياه مجرى الظرف يدلّ على أن حقاً أيضاً قد أجرىَ مجرى الظرف ، إذْ كانا متقاربَى المعنى . وقد أجرى الجرمىّ هذه الأبيات التى أنشدها سيبويه على أنّها محمولة على المصدر ، وأن ما بعد المصدر محمول على الفعل أو على المصدر ، فإما أن يعمل فيه المصدر وإما أن يعمل فيه الفعل العامل فى المصدر . وهذا الذى أجازه جائز غير ممتنع وهو ظاهر . وقد كنت سألت أبا بكر عنه فقلت : ما تنكر أن يكون محمولا على الفعل ؟ فأجاز ذلك ولم يمتنع منه » ا ﻫ .

و (بنى) منادى مضاف لما بعده . و (سَلمى) بفتح السين . وروى (وعيدكم) بدل تهددكم . (وسْط) بسكون السين : ظرف بمعنى بيَن .

صاحب الشاهد — وهذا البيت للأسوَد بن يَعفُر ، أول أبيات أربعة . وهذا ما بعده :

أبيات الشاهد — (فهلاّ جعلتم نحوَه من وعيدكم على رَهط قَعقاعٍ ورهطا بن حابس)

هُمُ منعوا منكم تُراثَ أبيكم فصار التراثُ للكرام الأكايس
وهُمْ أوردوكم ضَفّة البحر طاميا وهم تركوكم بَيْنَ خازٍ وناكس)

نحوه : أي مثله ، أي مثل ما هددتمونى به . والأكايس : جمع أكيَس ، من الكِياسة وهى الظَّرافة . والضَّفّة بالفتح والكسر : جانب البحر والنهر والبئر . وطامياً : من طما الماء يطمو طُموّاً ويَطمى طُميّا فهو طامٍ : إذا ارتفع وملأ النهر ، وهو بالطاء المهملة . وخازٍ : من خزِىَ بالكسر يخزى خِزياً ؛ إذا ذلّ وهان . والناكس : المطأطئ رأسه .

سبب الأبيات والسبب فى هذه الأبيات كما فى الأغانى[١] : أن أبا جُعَل أخا بنى عمرو ابن حنظلة من البراجم ، جمع من شُذّاذ أسد وتميم وغيرهم ؛ فغزوا بنى الحارث ابن تَيم الله بن ثعلبة ، فنَذِروا بهم وقاتلوهم قتالا شديداً حتى فَضّوا جمعهم ؛ فلحق رجل من بنى الحارث بن تيم الله بن ثعلبة جماعةً من بنى نَهشل فيهم جرّاح بن الأسود بن يعفر ، وحُرير بن شمر بن هِزّان[٢] بن زهير بن جَندل ، ورافع بن صُهَيب بن حارثة بن جندل ، وعمرو والحارث ابنا حرير[٣] بن سَلمى ابن جَندل ؛ فقال لهم الحارثى : هلمّ إلى يا طلقاء فقد أعجبنى قتالكم ، وأنا خير لكم من العطش . قالوا : نعم . فنزل ليجزّ نواصيهم ، فنظر جرّاح بن الأسود إلى فرسه[٤] فإذا هو أجْوَد فرس فى الأرض — يقال لها العَصماء — فوثب فركبها ونجا عليها . فقال الحارثى للذين بقُوا معه : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، نحن لك عليه خفراء . فلمّا أتى جرّاح أباه أمَرَه فهرب بها فى بنى سعد فابتطَنَها

(١) الأغانى ١١ : ٢٣١ — ١٣٢ .
(٢) ﺳ : « هزال » .
(٣) فى الأغانى : « ابنا حدير » .
(٤) الأغانى : « إلى فرس من خيلهم » ، أى من خيل رهط الحارثى .

ثلاثةَ أبطُن — وكان يقال لها العصماء — فلما رجع النفر النهشليّون إلى قومهم قالوا : إنا خفراء فارسِ العَصماء ، فوالله لنأخذنّها . فأوعدُوه ، وقال حُرير ورافع : نحن الخفيران لها — وكان بنو جرول حلفاء بنى سَلمى بن جندل ، على بنى حارثة بن جندل — فأعان على ذلك التيّحان بن بَلْج بن جَروَل بن نهشل . فقال الأسود بن يعفر يهجوه :

أتانى ولم أخشَ الذى ابتَعثا به ... خفيرا بنى سَلمى حُريرٌ ورافع

همُ خيّبونى كلَّ يومِ غنيمةٍ ... وأهلكتُهمْ لو أنّ ذلك نافع

وسيأتى إن شاء الله تعالى شرح هذا مع بقية الأبيات فى آخر الكتاب فى حروف الشرط .

قال : فلمّا رأى الأسود أنهم لا يقلعون عن الفرس أو يردّها أحلفَهم عليها ، فحلفوا أنهم خفراء لها ، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمْهارها ، فردُّوا الفرس إلى صاحبها ؛ ثم أظهر الأمهار بعد ذلك فأوعدوه فيها أن يأخذوها . فقال الأسوَد :

أحقّا بنى أبناء سلمى بنَ جندل[1] . الأبيات الأربعة

و (الأسود) هو ابن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم . الأسود بن يعفر

قال السيوطى[2] : وجعله محمد بن سلاّم فى الطبقة الثانية مع خداش ابن زهير والمخبّل السعدى والنمر بن تولب[3] . وكنيته أبو الجرّاح . وكان ممن

(١) ط : « أحقا بنى اسماء سلمى بن جندل » ، صوابه فى ش .

(٢) شواهد المغنى للسيوطى ٥٢ ، ١٨٨ .

(٣) هذا خلط ، فإن ابن سلام وضع الأسود مع خداش والمخبل فى الطبقة الخامسة . ابن سلام ١١٩ . وأما النمر بن تولب فهو عنده فى الطبقة الثامنة ص ١٢٣ .

يهجو قومه . وترجه الآمدى فى المؤتلف والمختلف فيمن لقب بالأعشى ، فقال : ومنهم أعشى بنى نهشل وهو الأسود بن يعفر بن الأسود بن حارثة ابن جندل بن نهشل بن دارم ، الشاعر المشهور اهـ .

وفى الصحاح « الأسود بن يعفر الشاعر إذا قلته بفتح الياء لم تصرفه لأنه مثل يقتل . وقال يونس : سمعت رؤبة يقول أسود بن يُعفر بضم الياء — أى وبضم الفاء أيضاً — وهذا ينصرف لأنه قد زال عنه شبه الفعل » اهـ .

وهو شاعر مقدَّم فصيح من شعراء الجاهلية . ليس بمكثر . وله القصيدة المشهورة التى أولها :

نام الخلىُّ وما أُحِسُّ رقادى والهمُّ محتضر لدىَّ وِسادى

وفيها أبياتٌ شواهد فى المغنى لابن هشام تشرح هناك إن شاء الله تعالى ، وهى من مختار أشعار العرب ، وحِكَمُها مأثورة .

وكان ينادم النعمان بن المنذر . ولما أسنَّ كُفَّ بصره ، فكان يقاد إذا ذهب إلى موضع .

وابنه (الجرّاح) وأخوه حُطائط شاعران . ومن شعر حُطائط ، يقول لأمه وقد عاتبته على جوده :

أَرِينى جواداً مات هُزلاً لعلّنى أرى ما تَرَينَ أو بخيلا مخلّدا
١٩٦ ذرينى أكنْ للمال ربًّا ولا يكن لىَ المالُ ربًّا تحمَدى غِبَّهُ غدا
ذرينى يكن مالى لعرضى وِقايةً يقى المالُ عرضى قبلَ أن يتبدّدا[1]

* * *

---

(١) ط : « فى المال » ، صوابه فى ســ .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والستون، وهو من شواهد س[1] :

٦٥ (أَكُلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهْ)

على أنه بتقدير (حِوايةُ نَعَمٍ) ليصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمان، فإن قوله (أكلّ عام) منصوب على الظرف فى موضع خبر لقوله (نعمٌ) فوجب تقدير مضاف. وقدّره الشارح المحقّق (حِواية) بدليل تحوونه؛ وهو مصدر حويت الشيء أحويه: إذا ضممته واستوليت عليه وملكته. وقدّره ابن الناظم فى شرح الخلاصة (إحرازُ نَعم). وقدّره ابن هشام (نَهْبُ نَعَم). وقدره ابن خلف (أخذ نعم) أو تحصيل نعم. وقال النحاس: كان المبرّد يذهب إلى أن المعنى: أكلَّ عام حدوث نَعَم! فيكون كلّ منصوبا بالحدوث كما تقول: الليلة الهلالُ. قال أبو الحسن ردّا عليه: ليس النعم شيئاً يحدُث لم يكن، كيوم الجمعة وما أشبهه، ولكن العامل فى كلّ الاستقرارُ والخبرُ محذوف كأنه قال: نَعَمٌ تحوونه لكم اهـ.

أقول: المبرد قدّر هذا المضاف لصحة الإخبار، لا لأنه عامل فى الظرف. وكيف يكون العامل فى كلّ الاستقرار مع كون الخبر محذوفا مقدّراً بلكم! فتأمل.

وقدّر صاحب اللبّ المحذوفَ مثلَ المبرّد، قال شارحه: «يحتمل أن يكون مراده أن المضاف هنا محذوف، أى أحدوث نعم حصل فى كلّ عام، أو أحصل فى كلّ عام حدوث نعم؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فيكون المبتدأ أو العامل فى التقدير حدثاً غير مستمرّ. وأن يكون مراده أنّ

---

(١) سيبويه ١ : ٦٥ . وانظر العينى ١ : ٥٢٨ والإنصاف ٦٢ والمخصص ١٧ : ١٩

للنعم فى نفسه تجدّداً وحدوثاً فى كلّ عام كما أن فى نفس الهلال تجدّداً وحدوثاً فى كل شهر » اهـ .

وفهم من كلامه شيئآن :

الأول الردّ على أبى الحسن فى قوله : « ليس النعم شيئاً يحدث » . والثانى : أنّ نَعَما لا يتعين أن يكون مبتدأ ، بل يجوز أيضاً أن يكون فاعل الظرف . ومثله قال ابن هشام فى شرح الشواهد : « الأحسن أن يكون نَعَمٌ فاعلا بالظرف لاعتماده فلا مبتدأ ولا خبر ، ومع هذا فلا بد من التقدير أيضاً ، لأنه لأجل المعنى لا لأجل المبتـدأ ؛ إذ الذى يحكم له[1] بالاستقرار هو الأفعـال لا الذوات » ا هـ .

وأورد س هذا البيت على أن جملة تحوونه صفة لنعم . واستشهد به أيضاً صاحب الكشاف على تذكير الأنعام فى قوله تعالى : « وإنّ لكم فى الأنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فى بُطونهِ » ، لأنه مذكّر ، كما ذكّر الشاعر الضمير المنصوب فى تحوونه الراجع إلى النعم ، لأن (النَّعَمَ) اسم مفرد بمعنى الجمع ، قال الفراء : هو مفرد لا يؤنث ، يقال هذا نَعَمٌ وارد . وقال الهرَوىّ : والنعم يذكر ويؤنث وكذلك الأنعام تذكر وتؤنث ؛ ولهذا قال : مما فى بطونه ، وفى موضع آخر : مما فى بطونها . قال الراغب فى موضع : النعم مختصّ بالإبل . قال : وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة . ثم قال : لكن الأنعام يقال للإبل والبقر والغنم ، ولا يقال لها أنعام حتى يكون فيها إبل . وقال فى قوله
١٩٧ تعالى « ممّا يأكل الناسُ والأنْعام » : إن الأنعام ها هنا عامٌّ فى الإبل وغيرها .

(١) فى ط : « عليه » .

ورُوى أيضاً : (فى كلِّ عامٍ) بالجارّ بدل الهمزة ، والهمزة للاستفهام الإنكارى . وبعده :

(يُلقِحُه قومٌ وتَنتِجونَهْ أربابُه نَوْكَى فلا يَحمونَهْ)
(ولا يُلاقون طعانًا دونَهْ أَنعَمَ الأبناء تحسبُونَهْ)
(أَيْهاتَ أَيْهات لِما ترجونَهْ)

يقول : يحملون الفُحولة على النُّوق ، فإذا حملت أغرتم أنتم عليها فأخذتموها وهى حَوامل فتلِد عندكم . يقال : ألقح الفحل الناقة : إذا أحبلها . واللَّقاح كسحاب : ماء الفحل . وتَنتِجونه ، بتاء الخطاب ، يقال : نتجَ الناقةَ أهلُها أى استولدوها ، وأنتجتِ الفرَسُ بالهمزة : حان نِتاجها . قال صاحب المصباح : « النتاج بالكسر اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها . وإذا ولىَ الإنسان ناقةً أو شاة ماخِضاً حتّى تضع قيل : نتجها نَتْجاً من باب ضرب ، فالإنسان كالقابلة لأنه يتلقّى الولد ويصلح من شأنه ؛ فهو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد نتيجة . والأصل فى الفعل أن يتعدى إلى مفعولين فيقال نتجها ولداً ، لأنه بمعنى ولّدها ولداً . ويبنى الفعل للمفعول فيحذف الفاعل ويقام المفعول الأول مُقامه . ويقال : نُتجت الناقةُ ولداً إذا وضعته ويجوز حذف المفعول الثانى اقتصاراً لفهم المعنى ، فيقال : نُتجَتِ الشاةُ . ويجوز إقامة المفعول الثانى مقام الفاعل وحذف المفعول الأول لفهم المعنى فيقال : نُتج الولدُ ونُتجت السخلةُ أى وُلدت[1] . وقد يقال : نَتجت الناقةُ ولداً ، بالبناء للفاعل على معنى ولدت أو حملت . قال السَّرقُسْطىّ : نتج الرجلُ الحاملَ : وضعت عنده ، ونَتَجت هى أيضاً : حملت ، لغة قليلة . وأنتجت الفرسُ وذو الحافر بالألف : استبان حملها فهى نتوج » اهـ .

(١) بعده فى المصباح : « كما يقال أعطى درهم » .

وهذا التفصيل لا يوجد فى غير هذا الكتاب ، ولهذا نقل برمّته .

ونَوكى بفتح النون : جمع أنْوَك ، وهو الأحمق الضعيف التدبير والعمل ؛ والاسم النُّوك بالضم والفتح ، نوِك كفرح نَوا كة ونَوكا محرّكة واستنوك ، وهو أنوَك ومستنوِك ، والجمع نوكى كسكرى ونُوك كهوج ، وامرأة نَوكاء من نُوك أيضاً . وأنوَكه : صادفه أنوَكَ وقوله : فلا يحمونه ، أى لا يمنعون من أراد الإغارة عليه . والأبنـاء : كلّ بنى سعد بن زَيد[1] إلاّ بنى كعب بن سعد[2] . وتحسبونه بالخطاب أيضاً . وأيهات : لغـة فى هيهات . وقوله : لما ترجونه ، بالخطاب أيضاً ، أى رَجوا أن يدوم لهم هذا الفعل فى الناس فمنعناهم منه وحمينا ما ينبغى أن نحميَه .

وهذه الأبيات قيلت فى يوم الكـلاب الثانى ، فإن للعرب فيـه يومين عظيمين . وهو بضم الكاف وتخفيف اللام ، وهو ماء لبـنى تميم بين الكوفة والبصرة .

يوم الكلاب الثانى

وكان من حديث هذا اليوم على ما فى شرح المناقضات وفى الأغانى[3] : أنه لما أوقع كسرى ببنى تميم — وذلك أنهم كانوا أغاروا على لَطيمته فلجئوا إلى الكُلاب ، وذلك فى القَيظ ، وقد أمنوا أن تُقطَع عليهم تلك الصحارى ، فدلّ عليهم بنو الحارث بن عبـد المَدان فقَتلت المقـاتلَة وبقى الذرارىّ والأموال — بلغ ذلك مَذحِجاً فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغتنموا بنى تميم ، ثم بعثوا الرسل فى قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة ، فقالت مذحج للمأمور ١٩٨

(١) ط : « كل بنى سعد وبنى يزيد » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وجمهرة ابن حزم ٢١٥ .

(٢) وكذا عمرو بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، قال ابن حزم : « فإنهما يدعون البطون » .

(٣) النقائض ١٠٧٢ والأغانى ١٥ : ٧٠ .

الحارثى الـكاهن : ما ترى ؟ فأشار بالـكفّ عن غزوهم . وزعموا أنه اجتمع من مذحج ولفّها اثنا عشر ألفاً — فـكان رئيسَ مَذحج عبدُ يغوث بن وقّاص(١) ، ورئيس همْدان رجلٌ يقال له ليشْرَح(٢) ، ورئيس كندة البَراء ابن قيس بن الحارث الملك — فأقبلوا إلى بنى تميم فبلغ ذلك سعداً والرِّباب ، فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أكثم بن صيفى فاستشاروه . فقال : « أقلوا الخلافَ على أمرائـكم ، واعلموا أنَّ كثرة الصياح من الفشل ، تثبّتوا فإنّ أحزم الفريقين الرَّكِين ، وربّما عجلةٍ تهَبُ رَيثاً ، وابرُزوا للحرب ، وادّرعوا الليل فإنه أخفى للويل » . فلما انصرفوا من عنـد أكثم تهيئوا للغزو ، واستعدّوا للحرب . وأقبل أهل اليمن فى بنى الحارث من أشرافهم : يزيد بن عبد المَدان ، ويزيد بن المخرَّم ، ويزيد بن اليَكْسُم(٣) بن المأمور ، ويزيد بن هَوْبر ، حتى إذا كانوا بتَيمَن — وهى ما بين نجران إلى بلاد بنى تميم — نزلوا قريباً من الـكُلاب ، ورجل من بنى زيد بن رياح بن يربوع يقال له مشمِّت بن زنباع فى إبل له وهو عند خالٍ له من بنى سعدٍ ، ومعه رجل من بنى سعد(٤) يقال له زهير بن بوّ ، فلما أبصرهم المشمّت قال لزهير : دونك الإبل . وتنحَّى عن طريقهم(٥) حتّى أتى الحىّ فأنذرهم ، فأعدُّوا للقوم وصبّحوهم ، فأغاروا على النعم فأطرَدوه ، وجعل رجلٌ من أهل اليمن يقول :

---

(١) فى الأغانى : « عبد يغوث بن صلاءة ، وكذا فى معجم البلدان (كلاب) . ومنشؤه اختصار النسب ، فهو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة بن المعقل . وانظر سائر نسبه فى الأغانى والمفضليات .

(٢) كذا فى ســ مع أثر تصحيح . وفى ط : « مشرح » وفى الأغانى : « مسرح » .

(٣) كذا فى ســ واضحا . وفى ط : « الطيسم » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من الأغانى .

(٥) الأغانى : « وتنح عن طريقهم » .

فى كلّ عام نَعَم ننتابُهْ على الكُلاب غُيَّباً أربابُهْ

فأجابه غلام من بنى سعد كان فى النَّعَم على فرس له ، فقال :

عما قليل يلحقن أربابه

وروى : عما قليل سُتَرى أربابه

صلب القناة حازما شبابُهْ على جياد ضُمَّر غيابه

وأقبل بنو سعد والرِّباب — ورئيس الرِّباب النعمان بن جِسّاس ، بكسر الجيم وتخفيف السين ، ورئيس بنى سعد قيس بن عاصم . وأجمع العلماء على أن قيس بن عاصم كان الرئيس يومئذ — فقال رجل من بنى ضَبّة (١) حين دنا من القوم — وقال شراح أبيات سيبويه : هو قيس بن حصين بن يزيد الحارثى — :

فى كلّ عام نعم تحوونه . . . الأبيات

وتقدمت سعد والرِّباب فالتقَوا فى أوائل النـاس فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النعم من قبل وجوهه فجعلوا يصرفونه بأرماحهم (٢) ، واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديداً يومَهم ، حتّى إذا كان آخرَ النهار قُتل النعمان بن جِساس ، وظنّ أهل اليمن أنَّ بنى تميم ليسوا بكثير ، حتى قُتِل النعمان فلم يزدهم ذلك إلا جراءة ، فاقتتلوا حتّى حجز بينهم الليل . فلما أصبحوا غدَوا على القتال (٣) . فنادى قيس بن عاصم : يا آل مُقاعس — وهو الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم — فسمع الصوتَ وعلةُ بن عبد الله بن الجَرمىّ

(١) الأغانى : « فقال صبي » ، صوابه «ضبي » .

(٢) ط : « من قبل وجوهها فجعلوا يضربونها بأرماحهم » .

(٣) فى العقد ٥ : ٣٢٧ والأغانى ١٥ : ٧١ زيادة طريفة ، وهى : « فنادى قيس ابن عاصم يال سعد ، ونادى عبد يغوث يال سعد : قيس يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى : يال كعب . فنادى عبد يغوث : يال كعب . قيس يدعو كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن مالك .

وكان صاحب اللواء يومئذ فطرحه ، وكان أوّلَ من انهزم منهم ، وحملت عليهم سعد والرباب فهزموهم وجعل رجل منهم يقول :

يا قوم لا يُفلتْكم اليزيدانْ : يزيد حَزْن ويزيد الرّيانْ
مخرِّم أعنى به والدّيانْ

(مُخرِّم) هو ابن شُريح بن المخرِّم بن حَزن بن زياد بن الحارث بن مالك ابن ربيعة بن كعب بن الحارث . وهو صاحب المخرِّم ببغداد[1] . ١٩٩

وجعل قيس ينادى : يالَ تميم ، لا تقتلوا إلاّ فارساً فإنّ الرجالة لكم ! وجعل يأخذ الأسرى فما زالوا فى آثار القوم يقتلون ويأسِرون حتى أسروا عبد يغوث بن وقّاص . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب المنادى عند شرح قوله :

فيا راكباً إمّا عَرضتَ فبلِّغنْ نَداماىَ من نجران أن لا تلاقِيا

وأما وَعْلة فإنّه لحق رجلاً من بنى نَهد يقال له سَليط بن قَتَب[2] فقال له وعلة : « أردفنى خلفك ! فإنى أتخوّف القتل » . فأبى أن يُردفه ، فطرحه عن قَرَبوسه وركب عليها[3] . وأدركت بنو سعد النهدىَّ فقتلوه ، فقال وَعْلة لما أتى أهله :

لما سمعتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً تطلّع منى ثُغرة النحر جائرُ[4]

يعنى القلب .

(١) انظر معجم البلدان (المخرم) ، ففى هذا خلاف .
(٢) هذا ما فى النقائض . وفى ط : « قتب » . وس : « قشب » .
(٣) س : « فأبى أن يردفه فنجا بحضر »
(٤) ط : « حائر » وفى العقد : « ناحر » ، محرفتان عما فى س . وفى الأغانى : « علمت بأن اليوم أغبر فاجر » . والجائر : حر يؤذى الجوف عند الجوع .

نجوتُ نجاء ليس فيه وَتيرةٌ كأنّي عُقابٌ دون تيمَنَ كاسرُ[١]
وقد قلت للنَّهدىّ هل أنت مُردفى وكيف رداف الفَلِّ أُمُّك عابر![٢]

من العبْرة، يقول: عَبرتْ[٣] أُمُّك، كيف تُردفنى وإنك فَلٌّ منهزم؟!

أُناشده والرَّحْمُ بينى وبينه وقد كان فى نَهدٍ وجَرم تدابرُ[٤]

أى تقاطع وتباغض.

فمن يك يرجو فى تميمٍ هوادةً فليس لجرم فى تميم أواصر

أى قرابات.

فِدىً لكما رجلىّ أُمّى وخالتى غَداةَ الكُلاب إذ تُجَزّ الدوابر[٥]

وذلك أن قيس بن عاصم لما أكثر قومُه القتل فى اليمن أمَرهم بالكفّ عن القتل وأن يجزّوا عراقيبهم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والستون[٦]:

٦٦ (إلاّ جَبْرئيلُ أمامُها)

(١) العقد: «عند تبناء»، والأغانى: «دون تبناء».
(٢) عابر، أى ثاكل، كما فى الاشتقاق ٤٩٦ عند إنشاد هذا البيت وفى ط: «عاثر»، صوابه فى ش والاشتقاق واللسان (عبر).
(٣) ط: «من العثرة يقول عثرت»، صوابه فى ش.
(٤) رواية العقد:

يذكرنى بالآل بينى وبينه وقد كان فى جرم ونهد تدابر

(٥) ط: «رحلى» بالمهملة، صوابه فى ش والمفضليات ١٦٥ وشرح المفضليات ٣٢ س ١٦.
(٦) انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ١: ٣٠٩.

وهو قطعة من بيت وهو :

(شَهِدنا فما نلقى لنا من كَتيبةٍ   يدَ الدهر إلاَّ جَبرئيلُ أمامُها)

على أنَّ الظرف الواقع خبراً إذا كان معرفة يجوز رفعه بمرجوحية ، والراجح نصبه ؛ وهذا لا يختص بالشعر خلافاً للجرمى والكوفيّين .

و (جبرئيل) مبتدأ . و (أمامُها) بالرفع : خبره ، والجملة صفة للكتيبة .

وقد أورد هذا البيت ابن هشام فى شرح بانت سعاد عند قوله :

* غلباء وَجناء عُلكومٌ مذكَّرة[1] *

وروى (نصرنا[2]) بدل شهدنا . ثم قال : « قوافى هذا الشعر مرفوعة ، وإنّما استشهدتُ على جواز رفع الأمام ، لأنَّ بعض العصريّينَ وهِم فيه فزعم أنه لا يتصرّف[3] » اﻫ .

وقوله (يدَ الدهر) بمعنى مدى الدهر ، ظرف متعلق بقوله نلقى . و (من) زائدة . و (كتيبة) مفعول لنلقى . و (لنا) كان فى الأصل صفة لكتيبة فلما قدّم صارَ حالاً منه . والكتيبة : طائفة من الجيش مجتمعة ، من الكَتْب وهو الجمع . ونلقى بالنون وبالقاف الفوقية من اللُّقِيّ ، يقال : لقِيته ألقاه من باب تعب لُقِيًّا ، والأصل على فُعول ، وكل شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه . و (شهدنا) من شهدت المجلس مثلا : إذا حضرته ، فالمفعول محذوف ، أى شهدنا غزواتِ النبي صلى الله عليه وسلم فما لقينا كتيبة . وعبّر بالمستقبل لحكاية الحال الماضية .

---

(١) عجزه ، كما فى حواشى ديوان كعب ١٠ .

* فى دفها سعة قدامها ميل *

(٢) ط : « نصرنا » .

(٣) ط « ينصرف » ، صوابه فى ش .

وهذا البيت لم أر من ذكره ابتداء إلاّ أبا إسحاق إبراهيم بن السرىّ الزّجاج فى تفسيره، أورده عند قوله تعالى: « قُلْ مَنْ كانَ عدُوًّا لجبريلَ » قال: « جبريل: فى اسمه لغات قد قرىء ببعضها، ومنها مالم يقرأ به؛ فأجود اللغات جَبرَئيل بفتح الجيم والهمز، لأن الذى يُروَى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صاحب الصُّور: « جَبْرَئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ». هذا الذى ضبطه أصحاب الحديث. ويقال جَبْريل بفتح الجيم وكسرها؛ ويقال جَـبْرَئل بحذف الياء وإثبات الهمزة؛ ويقال جُبرين بالنون، وهذا لايجوز فى القرآن لأنه خلاف المصحف قال الشاعر:

شهدنا فما نلقى لنا من كتيبة . . (البيت)

وهذا على لفظ ما فى الحديث وما عليه كثير من القرّاء، وقد جاء فى الشعر جبريل، قال الشاعر:

وجِبريلُ رسولُ الله فينا[1] وروحُ القدس ليس له كِفاء اه

ولم يبيّن قائلَ البيتين. وقد بيّنهما الصاغانى فى العباب قال: « وجبرئيل اسم يقال: هو جبر أضيف إلى إيل، وجَبر هو العبد وإيل هو الله تعالى وفيه لغات: جَبرَئيل كجبرعيل، وجَبْرَييل بغير همز .. وأنشد الأخفش لـكعب بن مالك الأنصارى:

شهدنا فما نلقى من كتيبة . . (البيت)

ويقال جِبْريل كحزقيل وأنشد لحسّان بن ثابت.

وجبريل رسولُ الله فينا . . (البيت)

ثم ذكر بقية اللغات.

---

(١) ط: « منا ».

ونسبة ابن هشام فى شرح بانت سعاد ، وابن عادل فى تفسيره هذا البيتَ إلى حسّان غير صحيحة ، لأنه غير موجود فى ديوانه .

كعب بن مالك

و (كعب بن مالك) هو أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردُّون الأذى عنه . وكان مجوِّداً مطبوعاً قد غلب عليه فى الجاهلية أمر الشعر ، وعُرف به ، ثم أسلم وشهد العَقَبة — ولم يشهد بدراً — والمشاهدَ كلّها حاشا تَبُوك فإنّه تخلّف عنها . وقد قيل إنه شهد بدراً . وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم : « وعلى الثلاثةِ الذينَ خُلِّفُوا حتّى إذا ضاقَتْ عَلَيهمُ الأرْضُ[1] . » الآية . والثانى والثالث : هلال بن أميّة ، ومُرارة ابن الربيع[2] ، تخلفوا عن غزوة تبوك ، فتاب الله عليهم وعَذَرهم وغفر لهم ، ونزل القرآن المتلوّ فى شأنهم .

وتُوُفى كعب بن مالك فى مدّة معاوية سنة خمسين ، وقيل سنة ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة .

ولبِس كعبٌ يوم أُحد لأمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت صفراء ، ولبس النبى صلى الله عليه وسلم لأمته ؛ فجرح كعب أحد عشر جرحاً . ولما قال كعب :

جاءت سَخينةُ كى تُغالبَ ربَّها ... فليُغْلبنَّ مُغالِبُ الغَلّاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

وله أشعار حِسان جدًّا فى المغازى وغيرها ؛ كذا فى الاستيعاب .

(١) الآية ١١٨ من سورة التوبة .

(٢) فى تفسير الألوسى : « ويقال فيه ابن ربيعة » .

وأورد له ابن هشام في سيرته مما قاله يوم بدر[١] :

٢٠١ ألا هَل أتى غسّانَ في نأى دارِها   وأخـــبرُ شيء بالأمور عليمُها
بأنْ قدْ رمتْنا عن قِسِيٍّ عداوةٍ   مَعدٌّ معاً جُهّالُهــا وحليمُها
لأنّا عبدنا اللهَ لم نرجُ غيرَه   رجاء الجِنان إذْ أتانا زَعيمُها
نبيٌّ له في قومه إرثُ عزّةٍ   وأعراقُ صِدقٍ هذّبتها أرومُها
فساروا وسرنا فالتقينا كأنّنا   أسود لقاء لا يُرَجّى كليمُها
ضربناهمُ حتى هوى في مَكَرّنا   لمنخر سوء من لؤيٍّ عظيمُها
فولّوا ودُسناهم ببيضٍ صوارمٍ   سواء علينا حِلفها وصَميمُها

اهـ. وفي نسخة (نَفينةُ[٢]) . وسخينة : لقب قريش ، قال في الصحاح : والسّخينة[٣] : طعامٌ يُتّخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقّة وفوق الحساء. وإنّما يأكلون السخينة في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال ، وكانت قريش تعيَّر بها » اهـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون ، وهو من شواهد س[٤] :

٦٧ (فوَرَدنَ والعَيّوقُ مقعَدَ رابئْ الـ
ضُّرَباء خَلفَ النّجم لا يَتَتلَّعُ)

على أن (مقعد) ظرف منصوب وقع خبراً عن اسم عين ، وهو العيّوق .

---

(١) السيرة ٥٢٧ .
(٢) أي بدل « سخينة » ، والنفينة : طعام أغلظ من السخينة .
(٣) كذا في سـ والصحاح . وفي طـ : « وسخينة » .
(٤) سيبويه ١ : ٢٠٥ . وانظر ابن يعيش ١ : ٤١ والميسر والقداح ١٣٣ والأزمنة والأمكنة ١ : ٢٠٩:٢/٢٠٧ والمفضليات ٤٢٤ والهذليين ١ : ٦ .

واستشهد به س على نصب المقعد على الظرفية مع اختصاصه به ، تشبيهاً له بالمكان ؛ لأن مقعد الرابئ مكانٌ من الأماكن المخصوصة ؛ وجاز عمل الفعل فى مثله ولم يجز فى « الدار » ونحوه ، لأنهم أرادوا به التشبيه والمثَل ، فكأنهم قالوا : والعيوق من الثريا مكان قعود الرابئ من الضرباء ، فحذفوا اختصاراً وجعلوا المقعد ظرفاً لذلك ؛ ولا تقع الدار ونحوها هذا الموقع ، فلذلك اختلف حكمهما . كذا قال الأعلم .

وقال الإمام المرزوقى : « ومَقعَد — وإن كان مختصاً فى الأمكنة — جائزٌ أن يكون ظرفًا ؛ لانتقاله عن بابه إلى معنى القرب ، كما أن معقِدَ الإزار ومقعَد القابلة منقولان إليه وجعلا ظرفين ، وكما أن مَناط الثريّا ومَزجرَ الكلب نقلا إلى معنى البعد والإهانة وجعلا ظرفين » .

وقال السيرافى : « اعلم أن هذا الباب ينقسم قسمين : أحدهما يراد به تعيين المنزلة من بعد أو قرب ، والآخر يراد به تقدير القرب والبعد . فأما ما كان من ذلك يراد به تعيين الموضع وذكر المحلّ من قرب أو بعد فإنه يجوز فيه النصب على الظرف والرفعُ على خبر الأول تشبيهاً ؛ والأكثر فيه النصب. ويدلّك على ذلك أنه تدخل الباء عليه فتقول : هو منّى بمنزلة ، كأنه قال : هو منى استقرَّ بمنزلة — والباء وفى بمعنى واحد — و : هو منّى بمزجر الكلب: إذا أردت هو مُهان مباعَد . فإذا نصبت فالناصب استقر ، وإذا رفعت فقلت : هو منى مقعدُ القابلة جعلته بمنزلة قولك : هو قريب كمقعد القابلة ، فإن قلت : هو منى مَناطُ الثريّا فكأنك قلت : هو بعيد . وجاز أن تكون هذه الأشياء ظروفًا ، لأنهم قد اتسعوا فيما هو من الأماكن أخصُّ من هذه فجعلوه ظرفًا ونصبوه — كقولهم : ذهبت الشامَ ، ودخلت البيتَ — تشبيهًا بالأماكن المحيطة كخلفَ وقدّام . قال سيبويه : إنما يجوز هذا فيما تستعمله

العرب ظرفاً من هذه الأماكن ، ولا يجوز القياس عليها » . اهـ

وهذا البيت من قصيدة مشهورة لأبي ذؤيب الهذلي يرثي بها أولاده ، عدتها اثنان وستون بيتاً ، مطلعها :

قصيدة الشاهد

(أمِنَ المنونِ وريبِها تتوجعُ والدهرُ ليس بمعتِبٍ مَنْ يجزَعُ)

ومنها :

(أودى بَنِيَّ وأعقبوني غُصَّةً بعدَ الرُّقاد وعَبرةً لا تُقلِعُ
فغَبَرتُ بعدهمُ بعيشٍ ناصبٍ وإخالُ أني لاحقٌ مستتبعُ
ولقد حَرَصت بأن أدافِعَ عنهم فإذا المنيّة أقبلتْ لا تُدفَعُ
وإذا المنيّة أنشبت أظفارَها ألفيتَ كلَّ تميمة لا تنفعُ
وتجلُّدِي للشـامتِينَ أُريهمُ أني لريب الدهر لا أتضعضعُ
والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليل تقنعُ
والدهرُ لا يبقى على حِدْثانه جَوْنُ السَراة له جدائدُ أَرْبعُ)

على بمعنى مع . والحِدثان بمعنى الحادثة . والسَّراة بفتح السين : أعلى الظهر ، وسراة كل شيء : أعلاه . والجون بفتح الجيم : الأسود المائل إلى الحمرة ؛ وأراد بجون السراة الحمارَ الوحشيّ . والجدائد : الأُتُن التي لا ألبان لها واحدها جَدود بفتح الجيم .

أخذ يسلّي نفسه ويقول : إنْ أُصبتُ ببَنِيَّ فتكدّر بموتهم عيشي فإنَّ الدهر لا يسلم على نوائبه عَيرٌ أسود الظهر له أُتن أربع قد خفّت ألبانها . والمعنى: أن الوحش في تباعدها عن كثير من الآفات التي يقاربها الإنس ، وفي انصرافها بطبعها وحَدسها عن جُلّ مَراصد الدهر ، وعلى نفارها الشديد وحذارها

الكثير وبُعد مراتعها من الصيّاد — ليست تتخلص بجهدها من حوادث الدهر ، بل لابد من هلا كها .

وبعد هذا البيت وصفها بطِيب العيش فى عشرين بيتاً ، إلى أن قال[١] :

فوردن والعيّوق مقعد . . . (البيت)

و (العَيّوق) : كوكب أحمر يطلُع حِيالَ الثريّا وفوقَ الجوزاء . و (المقعد) بفتح الميم : مكان القعود ، ويأتى مصدراً أيضاً . (والرابئ) مهموز الآخر : اسم فاعل من ربأهم ، من باب منع ، بمعنى علا وارتفع ورفع وأشرف ، كارتبأ . و (رابئ الضرباء) هو الذى يقعد خلف ضارب قِداح الميسر ، يرتبئ لهم فيما يخرج من القداح فيخبرهم به ، ويعتمدون على قوله فيه ؛ وهو مأخوذ من ربيئة القوم وهو طليعتهم . والضرباء : جمع ضريب ، ككريم وكرماء، وهو الذى يضرب بالقداح وهو الموكَّل بها ، ويقال له الضارب أيضاً . و (النجم) : الثريا . ويروى (فوق النظم) يعنى نظم الجوزاء[٢] . و (يتتلع) يتقدم ويرتفع ، مأخوذ من التلعة . فقوله : والعيوق مقعد ، جملة اسمية حال من نون وردن ، يقول : وردت الأتن الماء والعيوقُ من النجم مقعدَ رابئ الضرباء من الضرباء ، أى خلفه لا يتقدَّم . وهذا إنما يكون فى صميم الحرّ عند الإسحار . وإنما قال : خلف النجم لأنَّك فى الصيف ترى المجرّة عند الإسحار كأنها ملوّية[٣] فترى العيّوق متخلفاً عن الثريا . وهذا الوقت

---

(١) هذا يوهم أن قبل قول أبى ذؤيب « فوردن » عشرين بيتاً يصف بها ذلك ، وليس كذلك فإن قبله عشرة وبعده تسعة فيكون جميعها عشرين خصت بصفة ما ذكره . ففى العبارة تسامح .

(٢) النظم : ثلاثة كواكب من الجوزاء .

(٣) جعلت فى ـــ : « كأنها مستوى » .

الذى أشار إليه هو وقت ورود الوحش الماء ، ولذلك يكمُن الصَّيَّادون فيه عند المشارع ونواحيها .

ومقعد وخلف : منصوبان على الظرف ، وقع الأول خبرا لقوله : والعيّوق ، والثانى بدلاً منه ؛ كأنه أراد : والعيّوق من خلف النجم مقعدَ رابئ الضُّرَباء

٢٠٣ من الضُّرباء ؛ فحذف من خلف ، لأن البدل وهو قوله : خلف النجم ، يدل عليه ، كما حذف من الضرباء لأن جملة الكلام يدلّ عليه . ويجوز أن يكون خلف النجم فى موضع الحال ، كأنّه قال : والعيّوق من النجم قريبٌ متخلّفاً عنه . ويجوز العكس فيكون خلف النجم خبر المبتدأ ، ومقعد حالاً ، والعامل فيه الظرف ، كأنه قال : والعيوق مستقرٌ خلف النجم قريبا . وجملة لا يتتلع ، إمّا خبر بعد خبر وإمّا حال بعد حال . قال أبو سعيد الضّرير : إنما اشترط التتلّع لأن العيّوق مادام متقدماً على الثريا ففى الزمان بقية من الأبارد — والأبارد : برد أطراف النهار — فإذا استوى العيّوق معها فقد بقى من الأبارد شىء قليل ، فإذا استأخر عنها استحكم الحرّ .

ثم ذكر أبو ذؤيب ، فيما بعد هذا من أبيات ، أن الصياد كن لهن فأهلكها جميعا .

أبو ذؤيب الهذلى

و (أبو ذؤيب) اسمه خويلد بن خالدِ بن محرِّث بن زُبَيد بن مخزوم ابن صاهلة بن كاهل ، أخو بنى مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذيل ابن مدركة بن الياس بن مضر . ومحرِّث بتشديد الراء المكسورة . وزبيد تصغير الزَّبْد وهو العطية ، وقيل براء مهملة .

وكان هلك لأبى ذؤيب بنونَ خمسة فى عام واحد ، أصابهم الطاعون وكانوا هاجروا إلى مصرَ(١) . وهلك هو فى زمن عثمان رضى الله عنه

(١) لليمنى : « وفى التيجان أنهم كانوا قتلوا بذات الهجال ، وكانوا عشرة ، فى خبر طويل » .

فى طريق مصر ، ودفنَهُ ابن الزبير . وقال أبو عمرو الشيبانى : مات فى طريق إفريقية .

وهو شاعر فحل مخضرَم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو أشعر هذيل من غير مدافَعَة . وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى مرض موته فمات النبى صلى الله عليه وسلم قبل قدومه بليلة ، أدركه وهو مسجًّى ، وصلَّى عليه وشهد دفنه صلى الله عليه وسلم .

وحَكى عن نفسه قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، وأوجسَ أهل الحى خِيفة واستشعرتُ حربا[1] ، فبتُّ بليلة طويلة حتى إذا كان وقت السحر هتف الهاتف يقول :

خطبٌ أجلُّ أناخ بالإسلام ... بين النُّخيل ومقعدِ الآطامِ[2]

قُبض النبىُّ محمدٌ فعيونُنا ... تَذرِى الدُّموعَ عليه بالتَّسجام

فوثبتُ من نومى فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلاّ سعد الذابح ، فتفاءلت به ذَبحـا يقع فى الإسلام ، وعلمت أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قُبض .

وسيأتى له أخبار فى هذا الـكتاب إن شاء الله تعالى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون ، وهو من شواهد س[3] :

---

(١) كذا فى النسختين . وفى الإصابة ٧ : ٦٤ : « حوبا » ، وفى الروض الأنف ٢ : ٢٧٧ : « حزنا » .

(٢) الإصابة : « ومعقل الآكام » . والنخيل ، بهيئة التصغير : عين قرب المدينة ، كما فى معجم البلدان .

(٣) سيبويه ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ واللسان (درج ٩٢) .

٦٨ (هُمُ دَرَجَ السُيولِ)

هو قطعة من بيت وهو :

(أنُصْبٌ للمَنيّة يعتَريهم رجالى أم همُ دَرَجَ السُّيولِ)

على أنّ دَرَجا ظرف منصوب وقع خبراً لقوله : هم .

وتقدم الكلام على نظيره قبله .

صاحب الشاهد — وهذا البيت لإبراهيم بن هَرْمة يبكى به قومه لكثرة من فقد منهم .

٢٠٤ و (النُّصب) بالضم : الشىء المنصوب ، والشر والبلاء أيضا ؛ ومنه قوله تعالى : « مَسَّنِيَ الشَّيطانُ بنُصْبٍ وعَذاب » . و (دَرَج) السُّيول : الموضع الذى يمرّ به السيل فينزل من موضع إلى موضع حتّى يستقرّ . والدَّرَج بفتحين : الطريق ، ورجع أدراجه [و[1]] يُكسَر ، أى فى الطريق الذى جاء منه .

يقول : قومى كانوا غرضا للمنيّة فأهلكتْهم أم كانوا فى ممرّ السيل فاجترفهم ؟ فرجالى مبتدأ ونُصْبٌ خبره ، وجملة يعتريهم بالياء التحتية : صفة لنُصب ، وبالتاء الفوقية : حال من المنية ، أى تنزل بهم .

إبراهيم ابن هرمة — وإبراهيم ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن هَرْمة — بفتح الهاء وسكون الراء المهملة — ابن على بن سَلمة بن عامر بن هرمة .

قال ابن قتيبة فى الطبقات : « هو من الخُلَج ، من قيس عيلان ؛ ويقال : إنّهم من قريش» .

---

(١) تكملة ضرورية . والمراد كسر الهمزة ، كما فى اللسان ففيه : « ويقال رجع فلان على حافرته وإدراجه بكسر الألف » .

وفى الأغانى[١] : أن نسبه ينتهى إلى قيس بن الحارث . وقيس هم الخُلُج وكانوا فى عَدْوان ثم انتقلوا إلى بنى نصر بن معاوية بن بكر ؛ فلما استُخلِف عمرُ أتَوه ليفرِض لهم فأنكر نسبهم ، فلما تولَّى عثمان أثبتهم فى بنى الحارث ابن فهر وجعل لهم ديوانا فسمُّوا الخُلُج ؟ لأنَّهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ؛ وقيل لأنهم نزلوا بالمدينة خلف بَطِحان[٢] ، يدفع عليهم إذا جاء السيل ثلاثة خُلُج : جمع خليج .

وابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، قال ابن قتيبة : « حدثنى عبدالرحمن عن عمه الأصمعى أنه قال : ساقةُ الشعراء : ابن ميَّادة ، وابنُ هَرْمة ، ورؤبة ، وحَكَم الخُضْرِىّ ، حىّ من محارب ، وقد رأيتهم أجمعين » .

وكان من مخضرمى الدولتين ، مدح الوليد بن يزيد، ثم أبا جعفر المنصور . وكان منقطعا إلى الطالبيّين. وكان مولده سنة سبعين ، ووفاته فى خلافة الرشيد بعد الخمسين ومائة تقريباً . وله فى آل البيت أشعار لطيفةٌ منها قوله :

ومهما أُلامُ على حبِّهم فإنى أُحبّ بنى فاطمهْ
بنى بنتِ مَن جاء بالمحكما ت والدِّينِ والسنّةِ القائمهْ

قال ابن قتيبة : «وكان ابنُ هَرْمة مولَعاً بالشراب، وأخذه صاحب شرطة

---

(٢) الأغانى ٤ : ١٠١ .

(٣) هذا ضبط اللغويين ، ويضبطه المحدثون بضم الباء . ولكل منهما شاهد . فنى اللغة الأولى قول ابن مقبل :

عفا بطحان من سليمى فيترب فملقى الرجال من منى فالمحصب

وفى اللغة الثانية قوله :

سقيا لسلع ولساحاتها والعيش فى أكناف بطحان

أنشدهما ياقوت فى معجم البلدان ،وذكر أن بطحان أحد أودية المدينة الثلاثة : العقيق، وبطحان ، وقناة .

زياد على المدينة لجلده فى الخمر ، وهو زياد بن عبيد الله الحارثى ، وكان والياً عليها فى ولاية أبى العباس . فلما ولى المنصور شخص إليه فامتدحه فاستحسن شعره وقال : سلْ حاجتَك . قال : تكتب إلى عامل المدينة لايحدّنى فى الخمر . قال : هذا حدٌّ من حدود الله ، وما كنتُ لأعطِّله . قال : فاحتلْ لى فيه ياأمير المؤمنين. فكتب إلى عامله : من أتاكَ بابن هَرْمة سكرانَ فاجلده مائة جلدة واجلد ابن هرمة ثمانين . فكان الناس يمرُّون به وهو سكران ، فيقولون : من يشترى ثمانين بمائة . وترجمته فى الأغانى طويلة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون[2] :

٦٩ (فَساغَ لِىَ الشَّرابُ وكنتُ قبلاً)

على أنَّ أصله « قبل هذا » ، فحذف المضاف إليه ولم ينو لفظه ولا معناه ولهذا نكّر فنوّن . وتتمته :

(أغَصُّ بنُقطة المـاء الحميمِ)

أبيات الشاهد — وهذا آخر أبيات خمسة ليزيدَ بن الصَّعِق وهى :

(ألا أبلغْ لَدَيكَ أبا حُريثٍ … وعاقبةُ المـلامةِ للمُليمِ

٢٠٥ فكيف ترى معاقبتى وسعيى[3] … بأذواد القُصيبة والقَصيمِ

وما برِحتْ قَلوصى كلَّ يوم … تكرّ على المخالِف والمقيمِ

فنمتُ الليلَ إذْ أوقعتُ فيكم … قبائلَ عامر وبنى تميمِ

وساغ لىَ الشرابُ وكنتُ قبلًا … أغصّ بنقطة المـاء الحميمِ)

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط .

(٢) انظر العينى ٣ : ٣٤٥ وابن يعيش ٤ : ٨٨ .

(٣) ش : « ونسمى » .

أبو حريث : كنية[1] الربيع بن زياد العَبسىّ . والمليم : من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه . والمعاقبة : المناوبة ، من العُقبة بالضم وهى النَّوبة . والذَّود من الإبل : ما بين الثلاث إلى العشر ، لا واحدَ لها من لفظها ، والكثير أذواد . والقُصيبة : على لفظ مصغر القصَبة . والقَصيم بفتح القاف وكسر الصاد : موضعان . والخالف : من الخُلوف ، وهم المقيمون فى الحىّ لمـّا تذهب الرجال للغزو[2] . وقوله : وساغ . . إلى آخره ، معطوف على قوله فنمت . وروى (فساغ) بالفاء ، وهو خطأ . والحميم : المـاء الحارّ ، وليس بمرادٍ وإنما أورده للقافية ؛ هو من الأضداد يطلق على المـاء البارد أيضاً . وساغ من باب قال : إذا سهل مدخلُه فى الحلق ، وأسغته : جعلته سائغاً ، ويتعدّى بنفسه فى لغة ، ومن هنا قيل : ساغ فعلُ الشىء وسوّغته : إذا أبحتَه . والشَّراب : ما يشرب من المائعات . وأغصُّ : مضارع غَصِصت بالطعام غَصصاً من باب تعب ، ومن باب قتل لغة ؛ والغُصّة : ما غصّ به الإنسان من طعام أو غَيْظٍ على التشبيه . ويتعدّى بالهمزة ، وهو هنا مستعمل مكانَ الشَّرَق ، لأنه مخصوص بالمـاء ، يقال : شرق بالماء وبرِيقه : إذا لم يبلعهما . والشَّجى بالقَصر يكون فى العَظْم ، يقال شجِىَ بالعظْم من باب فرح ، إذا وقف فى حلقه . والجَرَض بإعجام الطرفين ، يكون من الهمّ والحزن ؛ يقال جرِض بريقه، وهو أن يبتلع ريقه على همّ وحزن بالجهد ، وهو من باب فرح ، والاسم الجرض بفتحتين . وما أحسنَ قول بعضهم :

ذلُّ السُّؤال شجًى فى الحلق معترِضٌ   من دونه شَرَقٌ من بَعده جَرَضُ

سبب الابيات — والسبب فى هذه الأبيات هو ما حكاه أبو عبيدة قال : كانت بلاد

(١) ط : « كنيته » ، صوابه فى ش مع إثر إصلاح .
(٢) كذا فى النسختين ، وهو سهو ، صوابه « حين تذهب الرجال للغزو » .

بنى غَطفان مخصِبة ، فرَعَت بنو عامر بن صعصعة ناحيةً منها ، فأغار الربيع ابن زياد العبسى على يزيدَ بن الصعِق وكان فى كِرش الناس — أى فى جماعتهم — فلم يستطعه الربيع ، فاستفاء سُروحَ بنى جعفر والوحيدِابنى كلاب (واستفاء من الفىء وهى الغنيمة ، أى ردّها معه ، والمعنى فاستاقَ سروحهم ، والسَّرح : الإبل التى ترعى) ، فقال فى ذلك الربيع :

فإذْ أخطأتْ قومَك يايزيدا[1] فأنعِى جعفراً لك والوَحيدا

فحرّم على نفسه يزيدُ بن الصَّعِق الطيبَ والنساء حتّى يغير عليه ؛ فجمع قبائل شتّى ثم أغار فاستاق نَعَماً لهم ، وأصاب عَصافير النعمان بن المنذر — وهى إبل معروفةٌ يقال لها العصافير — فقال يزيد فى ذلك هذه الأبيات . وقال لَبيد ابن ربيعة أيضاً يردّ على الربيع بن زياد حين ذكر جعفراً والوحيد :

لستُ بغافرٍ لبنى بَغيضٍ سفاهتَهم ولا خَطَل اللسان
٢٠٦ سآخذُ مِن سَراتهمُ بعرضى وليسوا بالوفاء ولا المدانى
فإنَّ بقية الأحساب مِنّا وأصحاب الحَمالة والطعان
جراثيمٌ مَنعن بياضَ نجد وأنت تُعَدّ فى الزَّمَع الدَّوانى

وأجابه النابغة الذبيانى وقال :

ألا مَن مُبلغ عنى لبيداً أبا الدرْداء جَحفلة الأتانِ
فقد أزجى[2] مطيّته إلينا بمنطق جاهلٍ خَطِل اللسان[3]

وقول لبيد : خطل اللسان ، يريد طول اللسان . وسمِّى الأخطل لطول

(١) ـــ : « أخطاك قومك » .
(٢) ط : « أرخى » ، صوابه فى ـــ .
(٣) البيتان مما لم يرو فى ديوانه .

لسانه . ويقال شاة خطلاء ، إذا كانت طويلة الأذنين . والسَّراة : الأشراف . وقوله : وليسوا بالوفاء . . الخ ، أى سأنتقم من أشرافهم بسبب عرضى وإن لم يوفوا بعرضى ولا يدانوه . والحَمالة بالفتح : تحمُّل الدية . والجرثومة : التراب المجتمع تجمعه الريح فى أصول الشجر فيتلبّد حتّى يصير كأنه خِلقة . والزَّمع : جمع زَمَعة بالتحريك ، وهى هَنة زائدة فى قوائم الشاة .

وقول النابغة : جحفلة الأتان ، بدل من قوله لبيداً ، وهو بتقديم الجيم على المهملة . والأتان : الحمارة ، وهى كلمة ذمّ . وأزجى[1] : ساق .

(تتمة)

المشهور فى رواية هذا البيت :

فساغ لىَ الشّرابُ وكنت قَبلًا أكاد أغصُّ بالماء الحميم

قال العينى : « قائله عبدالله بن يعرب بن معاوية بن عُبادة بن البكاّء ابن عامر ، وكان له ثأر فأدركه فأنشده » . انتهى . ورواه الثعالبىّ والزمخشرىّ:

* أكاد أغص بالماء الفُرات *

ولعله من شعر آخر ، وكذلك ماروواه أبو حيّان فى تذكرته عن الكسائى:

* أكاد أغصّ بالماء المعين *

لكنه رواه عنه (وكنت قبلٌ) بالرفع والتنوين . ثم قال : قال الفرّاء : هذا التنوين نظير تنوين المنادى المفرد إذا لحقه التنوين فى ضرورة الشعر ، كما قال :

(١) ط : « ارخى » ، صوابه فى س .

قدِّموا ، إذْ قيلَ قيسٌ قدِّموا واْرفعوا المجدَ بأطراف الأسل[(١)]

أراد : يا قيسُ ، فنوّنه ضرورة ، والأجود النصب كما قال الآخر :

فطِرْ خالداً إنْ كنتَ تَستطِيعُ طيرةً ولا تقَعَنْ إلاّ وقلبُكَ طائرُ[(٢)]

قال أبو حيّان : « وهذا الذى اختاره الفراء من نصب المنادى المفرد فى الضرورة هو مذهب أبى عمرٍو وأصحابه ، والمذهب الأول — وهو رفعه منونا — مذهب الخليل وسيبويه وأصحابهما . ومذهبُ أبى عمرو أقيَس » اهـ .

ووجه كونه أقيس أنَّ المنادى مفعول ، والقياس إذا نوّن فى الضرورةْ أن يرجع إلى أصله وهو النصب ، فإنَّ الضرائر تُرجع الأشياء إلى أصولها . وأما رفع قبلٌ مع التنوين فوجهه : أنَّ أصله كان مبنياً على ضمة لحذف المضاف إليه وإرادة معناه ، فنوّن ضرورة كتنوين العلَم المنادى .

يزيد بن الصعق

و (يزيد) هو يزيد بن عمرو بن خويلِد بن نُفَيل بن عمرو بن كلاب الكلابى . وخويلد يقال له (الصَّعِق) قال أبو عمرٍو وابن الكلبى: ابن الصّعق

٢٠٧ إنّما سمى الصعِق لأنه عمل طعاماً لقومه بعُكاظ ، فجاءت ريح بغبار فسبّها ولعنها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته . وقال ابن دريد : الصَّعق : أن يسمعَ الإنسان الهدَّة الشديدة فيصعق لذلك ويذهب عقله . والصَّعِق الكلابى أحد فرسانهم ، سمى الصَّعِق لأن بنى تميم ضربوه ضربة على رأسه فأمّته[(٣)] فكان إذا سمع الصوت الشديد صَعِقَ فذهب عقله[(٤)] . والله أعلم .

* * *

(١) للبيد فى ديوانه ١٩٢ برواية : « واحفظوا المجد » .
(٢) فى ط : « ولا تقفن » .
(٣) ط : « فأدمته » . أمه أما : اصاب ام رأسه .
(٤) انظر الاشتقاق ٢٩٧ .

وأنشد بعده وهو الشاهد السبعون، وهو من شواهد س[1] :

٧٠ (ترتَعُ مارتَعَتْ حتى إذَا ادّكرتْ
فإنّمــا هى إقبالٌ وإدبارُ)

على أن اسم المعنى يصح وقوعه خبراً عن اسم العين إذا لزم ذلك المعنى لتلك العين حتى صار كأنه هى. هذا من قبيل زيد عدْل .

وفيه ثلاثة توجيهات : أحدها : كونه مجازا عقليا بحمله على الظاهر ، وهو جعلُ المعنى نفس العَين مبالغة . والثانى : أنّ المصدر فى تأويل اسم الفاعل فى نحوه وتأويل اسم المفعول فى نحو زيد خَلْق أى مخلوق . والثالث : أنه على تقدير مضاف محذوف أى ذات إقبال .

وهذا البيت للخنساء . قال سيبويه : « جعلتْها الإقبالَ والإدبار مجازا على سعة الـكلام ، كقولك : نهارك صائم وليلك قائم » . صاحب الشاهد

واستشهد به صاحب الـكشاف عندقوله تعالى : «ولـكِنَّ البرَّ مَنِ اتّقى» على أن الإسناد مجازىٌّ ، بدعوى أن المتّقى هو عين البرِّ ، بجعل المؤمن كأنه تجسّد من البر . وكان الزجاج يأبى غير هذا .

قال عبد القاهر : [لم] تردْ[2] بالإقبال والإدبار غير معناهما حتى يكون المجاز فى الـكلمة ، وإنما المجاز فى أنْ جعلتها لـكثرة ما تقبل وتدبر ، كأنها تجسّمت من الإقبال والإدبار . وليس أيضا على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه — وإن كانوا يذكرونه منه — إذ لو قلنا : أريدَ إنما هى ذات

(١) سيبويه ١ : ١٦٩ . وانظر ابن يعيش ١ : ١١٤ وابن الشجرى ١ : ٧١ والخصائص ٢ : ٢٠٣/٣ : ١٨٩ والمنصف ١ : ١٩٧ ودلائل الإعجاز ٢١٢ .

(٢) ط : « تريد » سه : « ترد » بدون لم فيهما . وصوابه من دلائل الإعجاز . والنص مقتبس بتصرف .

إقبال وإدبار أفسدنا الشعر على أنفسنا ، وخرجنا إلى شيء مفسول[1] ، وكلام عامّيّ مرذول ، لامساغ له عند مَن هو صحيح الذوق والمعرفة ، نسّابة للمعانى . ومعنى تقدير المضاف فيه : أنه لو كان الكلام قد جيء به على ظاهره ولم تُقصد لمبالغة لكان حقّه أن يُجاء بلفظ الذات ، لا أنه مراد » اهـ .

وروى الأخفش فى شرح ديوان الخنساء عن ابن الأعرابى أنه روى (فإنما هو) أراد : فإنما فعلُها .

أبيات الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ لها ترثى بها أخاها صخرا تنيف على ثلاثين بيتاً فى رواية الأخفش ، وقبله :

(فما عَجولٌ علىٰ بَوٍّ تُطيف به ... قدْ ساعدتها على التَّحنان أظآرُ)

وبعده :

(لا تَسمن الدهرَ فى أرضٍ وإن رَتعتْ ... وإنّما هى تحنانٌ وتَسجارُ[2]

يوماً بأوجدَ منّى يوم فارقنى ... صَخرٌ ، وللدهر إحلاءٌ وإمرار)

العَجول : الثَّكول ، أراد به الناقة . وروى : (ماأمُّ سَقْب) وهو الذكر من ولد الناقة ، ولا يقال للأنثى سَقْبة ، ولكن : حائل . والبوّ : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلد أمّه ، يُحشى تبناً وهى لا تراه ، ويُدنى منها فتشمّه وتَرأمه فتدرّ عليه اللبن . وساعدتها : وافقتها . والتحنان : الحنين . والآظار : جمع ظئر ، وهى التى تعطف على ولد غيرها .

٢٠٨ يقال (رتعت) الإبل إذا رعت ، وأرتعتها : تركتها ترعى . وروى (ترتع ماغفلت) . و (اذّكرت) أى تذكّرت ولدها ، وأصله اذتكرت .

---

(١) ط : « مفسول » ، ووجهه فى سه ودلائل الإعجاز .

(٢) ط : « وتجسار » ، صوابه فى سه .

وزعم ابن خلف عن بعضهم : أنه فى وصف بقرة أُخِذ ولدُها . وقولها :لا تسمن الدهر الخ ، يقال حنّت الناقة ، إذا طرّبت فى إثر ولدها ، فإذا مدّت الحنين وطرّبت قيل سَجرت بالجيم . وقولها : بأوجدَ منى ، أى بأشدّ منّي وجدا . وللدهر إحلاء وإمرار ، أى سرور وحزن ، يقال ما أحلى ولا أمرّ ، أى ما أتى بحلوة ولا مرّة .

من أبيات القصيدة

ومن هذه القصيدة :

(وإنَّ صخراً لَمولانا وسيّدُنا … وإنّ صخراً إذا نشتو لنَحّارُ

وإنّ صخراً لتَأتمّ الُهداة به … كأنه علَمٌ فى رأسه نار)

قيل إذا اجتمع المولى والسيّد قدّم المولى كما هنا . وروى :

* وإن صخراً لَحامينا وسيّدنا *

وإنما قالت : إذا نشتو لنحّار ، لأن النحر فى الشتاء ، لأن الإطعام فيه أشد مؤُنة . وقولها : لتأتمُّ الهداة به ، أى تجعله الأدلاء إماما . والعَلَم : الجبل ، وكلُّ مُشْرِف ، شبّه بالجبل ، وفى رأسه نارٌ أشدُّ للدلالة والهداية ، وأشهر فى الشرف . وهذا (إيغال) وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها فإن قولها : كأنه علم ، يتم المعنى به ، وهو التشبيه بما هو معروف بالهداية ، فإنّها جعلت أخاها جبلا مشهوراً يُتوجَّه إليه ولا يخفى أمره على قاصٍ ودان ، ثم لما أرادت المبالغة لم تقنع بذلك وأردفته بقولها : فى رأسه نار ، فجعلته بعد أن كان علما يشار اليه ، معلَما بعلامة يعرفه كل من يراه .

الخنساء

و (الخنساء) هى بنت عمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصَيّة ابن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة[1] بن سُلَيم .

(١) ط : « بهثة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

واسمها تُماضِر، بضم التاء المثناة فوق وكسر الضاد المعجمة. قال ابن خلف: قد قالوا للبياض تماضر، وأكثر ما يكون للنساء، ومنه قيل اشتقت المضيرة لبياضها. والخنساء: مؤنث الأخنس، والخنس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة. ويقال لها خُناس أيضا، بضم الخاء غير منصرف للعدل والتأنيث.

وهى صحابية، رضى الله عنها، قدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بنى سُلَيم وأسلمت معهم. وهى أمُّ العباس بن مِرداس، وهى أم إخوته الثلاثة، وكلُّهم شاعر. ولم تلد الخنساء إلا شاعراً، ومن ولدها أبو شَجَرة السُّلَمى[1]. وقال الكلبى: أم ولد مرداس جميعًا إلاّ العباسَ، فإنها ليست أمّه. ولم يذكر مَنْ أمّه. وذكر صاحب الأغانى أن الخنساء أمُّه.

وكان النبىُّ صلى الله عليه وسلم يعجبه شِعرُها ويستنشدها ويقول: هِيهِ ياخُناسُ، ويومىء بيدِه صلى الله عليه وسلم.

ولما قدِم عدىّ بن حاتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحادثه فقال: يارسول الله، إن فينا أشعرَ الناس وأسخى الناس وأفرسَ الناس، قال: سَمِّهِمْ. قال: أمّا أشعر الناس فامرؤ القيس بن حُجر، وأما أسخَى الناس فحاتم بن سعد — يعنى أباه — وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرِب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس كما قلتَ ياعدىّ، أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو، وأما أسخَى الناس فمحمد — يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم — وأما أفرس الناس فعلىّ بن أبى طالب».

واتفق أهل العلم بالشعر أنّه لم تكن امرأةٌ قبلها ولا بعدها أشعر منها.

---

(١) جمهرة ابن حزم ٢٦٦.

وقيل لجرير : من أشعر الناس؟ قال : أنا لولا الخنساء . قيل: بم فضلتْك ؟ ٢٠٩
قال : بقولها :

إنَّ الزمان ومَا يفنىٰ له عجبٌ أبقى لنا ذنَباً واستؤصل الراسُ
إن الجديدَين فى طول اختلافهما لايفسُدان ولكن يفسُد الناس

وكانت فى أوائل أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ، ثم أخوها صخر ، فأكثرتْ من الشعر وأجادت ، وكان أحبَّهما إليها لأنه كان حليما جواداً محبوباً فى العشيرة ، شريفا فى قومه . وكان أبوها يأخذ بيدى ابنيه صخر ومعاوية ويقول : أنا أبو خيرَى مضر . فتعترف له العرب بذلك .

وما زالت ترثى صخرا وتبكيه حتَّى عميت ، وكانت تقول بعد إسلامها : كنت أبكى لصخر من القتل ، فأنا اليوم أبكى له من النار .

ودخلتْ على عائشة رضى الله عنهما وعليها صِدار من شعر[1] فقالت لها : ما هذا ؟! فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ألبس صداراً عليه! قالت : إن له حديثاً . قالت : وما هو ؟ قالت : زوّجنى أبى سيّداً من سادات قومى متلافا معطاء ، فأنفد ماله وقال لى : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر . فأتيناه فقاسمَنا مالَه وأعطانا خير النِّصفين ، فأقبل زوجى يعطى ويهَب ويحمِل ، حتَّى أنفده ، ثم قال لى : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر . فأتيناه وقاسمَنَا ماله وأعطانا خير النِّصفين ، إلى الثالثة ، فقالت له امرأته : أما ترضى أن تقاسمهم مالَك حتى تعطيَهم خير النِّصفين ؟ . فقال :

والله لا أمنحها شِرارها ولو هلكتُ قدّدتْ خِمارها
* واتّخذت من شَعَر صِدارها *

(١) الصدار ، ككتاب : ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر . والمقنعة : ماتقنع به المرأة رأسها .

فذاك الذى دعانى إلى لبس الصدار .

وكان من حديث قتله : أنه جمع جمعاً وأغار على بنى أسد بن خُزيمة ؛ فطعنه ابن ربيعة بن ثور الأسدىّ فأدخل فى جوفه حَلَقا من الدرع فاندمل عليه فأضناه وطال مرضُه وملّه أهله ، فكانوا إذا سألوا امرأته سليمى عنه قالت : لاهو حىّ فيُرجى ولا هو ميْت فيُنعَى(١) — وصخر يسمع كلامَها فيشقّ ذلك عليه — وإذا سألوا أمَّه قالت : أصبَح صالحاً بنعمة الله . فلما أفاق بعض الإفاقة عمَد إلى امرأته فعلّقها بعمود الفُسطاط حتّى ماتت . وقيل : بل قال : ناولونى سيفى لأنظر كيف قوّتى — وأراد قتلها — وناولوه فلم يُطق السيف، ففى ذلك يقول :

أرى أمّ صخر ما تَملّ عيادتى ... وملّت سُلَيمى مضجَعى ومَكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليكِ ومن يغترّ بالحدَثانِ
أهُمّ بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حِيلَ بين العَير والنزَوان
لعمرى ، لقد نبّهتُ من كان نائما ... وأسمعتُ مَن كانت له أذنان
وَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها ... مُعَرَّسُ يَعسوب برأس سِنان
وأىُّ امرىءٍ ساوى بأمٍّ حَليلةً ... فلا عاش إلاّ فى شقاً وهوانِ

وقيل : إن التى قالت ذلك بُديلة الأسديّة ، كان قد سباها من أسد واتّخذها لنفسه . وأنشدوا مكان البيت الأول :

ألا تلكمُ عرسى بُديلة أوجست(٢) ... فراقى وملّت مضجعى ومكانى

قال أبو عبيدة : فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعةٌ مثل اللِّبْدِ(٣)

---

(١) ط : « فيبلى » .
(٢) ط : « أوحشت » ، صوابه فى س .
(٣) هذا الصواب من نوادر المخطوطات ٢ : ٢١٧ . وفى النسختين « مثل اليد » . وفى الأغانى ١٣ : ١٣١ : « مثل الكبد » .

فى موضع الطَّعنة واسترخت ؛ قالوا له : لو قطعتَها لرجونا أن تبرأ ، قال : شأنَكم ، الموت أهونُ علىّ مما أنا فيه . فقطعها ، فيئس من نفسه ومات .

وروى أن امرأته هذه كانت ذات كَفَل وأوراك ، وكانت قد ملّته ، وكان يكرمها ويقدّمها على أهله ؛ فمرّ بها رجلٌ وهى قائمة فقال لها : أيباع هذا الكفَل ؟ فقالت : عما قليل — وصخر يسمع — فقال : لئن استطعت لأقدِّمنَّكِ أمامى . ثم قال لها : ناولينى السيفَ أنظر هل تُقلّه يدى ! فدفعته إليه فإذا هو لايقلّه . فعندها أنشد الأبيات المذكورة .

ذكر ياقوت فى معجم الأدباء فى ترجمة أبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى وقد ترجمناه نحن أيضا فى الشاهد الثامن والعشرين[1] — أن الصاحب ابن عبّاد كان يودّ الاجتماع به ويكاتبه ويستميلُ قلبه ، فيعتلّ عليه بالشيخوخة والكبر ، فلما يئس منه احتال فى جذب السلطان إلى ذلك الصَّوب وكتب إليه حين قرب من عسكر مُكْرَم[2] كتابا يتضمن علومًا نظما ونثراً ، ومنه قوله :

ولمّا أبيتم أن تزوروا وقُلتُمُ : ضَعُفنا فما نقوى على الوَخَدانِ
أتيناكمُ من بُعد أرضٍ نزوركم على منزلٍ بِكرٍ لنا وعَوانِ
نُسائلكم : هل من قِرى لنزيلكم بملء جفون لابملء جِفانِ ؟

فلما قرأ أبو أحمد الكتاب أقعد تلميذاً له فأملى عليه الجواب : عن النثر نثراً ، وعن النظم نظماً ، وهو :

أروم نهوضًا ثم يَثنى عزيمتى تعوُّضُ أعضائى من الرَّجفان[3]

(١) انظر ماسبق فى ص ٢٠٢ .

(٢) عسكر مكرم : بلد مشهور من نواحى خوزستان .

(٣) ط : « تعود أعضائى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وفى معجم الأدباء ٨ : ٢٥٣ : « تعوذ أعضائى » .

فضمّنتُ بيتَ ابنِ الشريد كأنما تعمّدَ تشبيهى به وعَناَنِى :

« أهمّ بأمرِ الحزم لو أستطيعه وقد حِيل بين العَير والنزوان »

فلما بلغت الصاحبَ استحسنها ووقعت منه موقعاً عظيماً ، وقال :لوعرفت أن هذا المصراع يقع فى هذه القافية لم أتعرض لها .

وبقية الحـكاية هناك مسطورة .

وفى الاستيعاب : أن الخنساء حضرت حرب القادسية ومعها بنُوها : أربعة رجال : فقالت لهم : يابنىّ أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ؛ ووالله الذى لاإلَه غيره إنـكم لبنو رجل واحد ، كما أنـكم بنو امرأة واحدة ، ماخُنت أباكم ، ولا فضحت خالـكم ، ولا هجّنت حسبكم ، ولا غيّرت نَسبكم[1] . وقد تعلمون ما أعدّ الله للسلمين من الثواب العظيم فى حرب الـكافرين . واعلموا أن الدار الباقية ، خير من الدار الفانية ؛ يقول الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . فإذا أصبحتم غداً فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدَّموا واحداً بعد واحد ، ينشدون الأراجيز ؛ فقاتلوا حتى استُشهِدوا جميعا . فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرّفنى بقتلهم ، وأرجو من ربّى أن يجمعنى بهم فى مستقرّ

٢١١ رحمته . فـكان عمر رضى الله عنه يعطيها أرزاقَ أولادها الأربعة ، لـكلّ واحد منهم مائة درهم ، حتّى قبض وماتت الخنساء

* * *

(١) فى بعض نسخ الاستيعاب ١٨٢٨ : « ولا غبَّرت نسبكم » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون[1] .

٧١ (أنَا أبو النَّجم وشِعْرِى شِعْرِى)

على أن عدم مغايرة الخبر للمبتدأ إنّما هو للدلالة على الشهرة ، أى شعرى الآن هو شعرى المشهور المعروف بنفسه لاشىء آخر .

استشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ[2]» ، على أن المراد السابقون مَنْ عَرَفتَ حالَهم وبلَغك وصفُهم ، كما فى شعرى شعرى ، أى شعرى ما بلغك وصفه وسمعتَ ببراعته وفصاحته . وصحّ إيقاع أبى النجم خبراً لتضمّنه نوع وصفيّة ، واشتهاره بالكمال ، والمعنى : أنا ذلك المعروف الموصوف بالكمال ، وشعرى هو الموصوف بالفصاحة .

وهذا البيت من أرجوزة لأبى النجم العِجْلِىّ ، وبعده :

(لله دَرّى ما أجنّ صدرى من كلماتٍ باقيات الحرّ

تنامُ عينى وفؤادى يَسرى مع العفاريت بأرضٍ قَفر) من ارجوزة الشاهد

الدَّرُّ فى الأصل اللبن ، يقال فى المدح لله دَرّه أى عمله . وقد شرحه الشارح فى باب التميز بما لا مزيد عليه . وقوله ما أجنّ صدرى ، هو صيغة تعجب من الجنون ، قال فى الصحاح : وقوله ما أجنّه — فى المجنون — شاذّ لايقاس عليه . و (من كلمات) متعلق به ، ومن ابتدائية أو تعليلية .

وأبو النجم تقدمت ترجمته فى الشاهد السابع[3]

* * *

(١) ابن يعيش ١ : ٩٨/٩ : ٨٣ وابن الشجرى ١ : ٢٤٤ والخصائص ٣ : ٣٣٧ والهمع ١ : ٦٠/٢ : ٥٩ .

(٢) الآية ١٠ من سورة الواقعة .

(٣) ص ؟

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون[١] :

٧٢ (رَفَوْنى وقالوا ياخُوَيلِدُ لا تُرَعْ
فقلتُ — وأنـكرتُ الوجوهَ — : هُمُ هُمُ)

لِمـا تقدم فى البيت قبله ، أى هم الذين يطردوننى ويطلبون دمى .

صاحب الشاهد وهذا البيت لأبى خِراش الهذَلىّ ، مطلع قصيدة ، وهى ستة عشر بيتاً ، ذكر فيها تفلُّته من أعدائه حين صادفهم فى الطريق كامنين له ، وسرعة عدْوه حتّي نجا منهم .

روى السكّرىّ فى شرح أشعار الهذليّين عن الأخفش قال : « خرج أبو خِراش وأمّ خراش يريدان بعضَ أهلهما ، فمرّا بخزاعة ، فلما رأتهما خزاعة قالوا : هذا أبو خِراش وامرأته فلاتهِيجوهما حتّي يدَنوا مِنّا[٢] . فقال أبو خراش لأم خراش : فإن سألوك فقولى : تخلّف كأنه يقضى حاجة ، وهو مارٌّ بكم . فمضت حتى إذا علم أبو خراش أنها قد جاوزت الثَّنيّة وأمِنهم جاء يمشى رُويداً حتى مرّ فى وسطهم ، فسلّم فردّوا عليه السلام ، فقال : ممن أنتم ؟ قالوا : إخوتك وبنو عمك فتباعدَ منهم ، فهمّوا به فعدا وعدَوا على إثره ، فأعجزهم وجعلوا ينظرون إليه ويرمونه ، ونجا منهم » اهـ .

وفى الأغانى بسنده : « أن أبا خراش الهذلى خرج من أهله هذيل[٣] ، يريد مكة ، فقال لزوجته أمّ خراش : ويْحك إنى أريد مكة لبعض الحاجة ، وإنّ بنى الدِّيل يطلبوننى بِتِرات ، فإياكِ أن تذكرينى ؟ فخرج بها وكمن لحاجته،

(١) الخصائص ١ : ٣/٢٤٧ : ٣٣٧ والهذليين ٢ : ١٤٤ وشرح السكرى ١٢١٧ .
(٢) ط : « يدنو منها » ، صوابه فى سـ مع أثر تصحيح .
(٣) فى الأغانى ٢١ : ٣٨ : « من أرض هذيل » ، وفى ط : « من اهل هذيل » صواب هذه من سـ .

وخرجت إلى السوق لتشترىَ عطراً وما تحتاجه النساء[1] فمرّ بها فتيانِ من بنى الدِّيل فقال أحدهما لصاحبه : أمُّ خِراش وربِّ الكعبة ؟ فسلّما عليها فقالت: ٢١٢
بأبى أنتما مَن أنتما ؟ ! فقالا : رجلان من أهلِك هذيل . قالت : فإن أباخراش معى فلا تذكراه لأحد ، ونحن رائحون العشية . فجمع الرجلان جماعة وكمنوا فى طريقه ، فلما نظر إليهم قال لها : قتلتِنى . قالت : ما ذكرتك وربِّ الكعبة إلاّ لفَتَيين من هذيل . فقال : والله ماهما من هذيل ولكنهما من بنى الدِّيل ، وقد جلسا لى وجمعا جماعة من قومهما ، فإذا جزتِ عليهم فإنّهم لن يعرِضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم ، فاركضى بَعيرَك وضعى عليه العصا . فكانت على قَعودٍ يسابق الريح . فلما دنا منهم وقد تلثّموا ووضعوا تَمرا على طريقه على كساء فوقف قليلاً كأنه يصلح شيئًا — وجازتهم أم خراش ووضعت العصا على قعودها — وتواثبوا إليه ، فوثب يعدو ، وسبقهم ولم يلحقوه . وقال أبو خراش فى ذلك هذه القصيدةَ » اهـ .

و (رفَونى) قال المفضل بن سلمة فى الفاخر ، والمرزوقى فى شرح الفصيح : رفَوت الرجل : إذا سكّنته — وأنشد هذا البيت — ثم قالا : ويقال رافيت فلانًا أى وافقته . قال الشاعر :

ولما أنْ رأيتُ أبا رُويم ... يُرافينى ويَكره أن يُلاما

وأما رفأت الثوب إذا أصلحت خرقه أرفؤه رفئًا فبالهمز، ومنه : بالرِّفاء والبنين ، إذا دعى للمتزوج .

وفى المقصور والممدود للقالى : الرفاء بالمدّ : الاتفاق والالتئام ، ومنه قولهم : بالرِّفاء والبنين — ونهى رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يقال :

(١) الأغانى : « أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن » .

بالرِّفاء والبنين[1] . وقال أبو عبيد قال الأصمعي : الرفاء يكون على معنيين : يكون من الاتفاق وحسن الاجتماع ، قال : ومنه أُخذ رفء الثوب ، لأنه يُرفأ فيضمّ بعضه إلى بعض ويلأم ، ويكون الرِّفاء من الهدوّ والسكون ، قال :

رفَونى وقالوا يا خويلد . . (البيت)

وحدثنى أبو بكر بن دريد قال : قال الأصمعى فى بيت أبى خراش : أراد رفئونى بالهمز . والدليل على صحّة ما روى أبو بكر قول الأصمعى فى كتاب الهمز : ويقال رفأت الرجل ، إذا سكّنته حتى يسكن . وكذلك : المرافأة مهموز ، والدليل على ذلك قول أبى زيد فى كتاب الهمز : رفأت الثوب أرفؤه رفئًا ، ورفَّأت المملّك ترفئة[2] إذا دعوت له ، ورافأنى الرجل فى البيع مرافأة اهـ فجعله مهموزاً لا غير .

وكذلك قال العسكرى فى كتاب التصحيف : « أخبرنا ابن أبى سعيد أخبرنى طابع[3] سمعت قعنب بن مُحرز[4] يسأل الأصمعى عن قول الشاعر : رفونى وقالوا يا خويلد . . البيت ، فقال قعنب : رقونى بالقاف ، فقال الأصمعى : ما معنى رقونى ؟ قال : رقوه بالكلام . قال يصحّف ويفسر التصحيف : إنما هو رفَونى بالفاء ، وأصله رفئونى من رفأت ، فأزال الهمزةَ الشاعرُ » اهـ .

و (خويلد) : اسم الشاعر . و (لا تُرع) نَهىٌ بالبناء للمفعول ،

---

(١) فى اللسان (رفا) : « وإنما نهى عنه كراهية ؛ لأنه كان من عادتهم ، ولهذا سن فيه غيره » .

(٢) ط : « ترقؤه » ، صوابه فى ش والنوادر ١٩٣ .

(٣) فى التصحيف ٣٧ : « طائع » .

(٤) فى النسختين : « محرر » ، وأثبت ما فى التصحيف .

أى لا يحصل لك رَوع وخوف . وجملة أنـكرتُ حال من ضمير قلت ، بتقدير قد وجملة هُم هم مقول القول[1] .

أبو خراش

و (أبو خراش) قال ابن قتيبة فى الطبقات : « هو خويلد بن مرّة ، أحد بنى قِرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذَيل . أحد فرسان العرب وفتّاكهم . أسلم وهو شيخ كبير وحسن إسلامه » .

وفى تاريخ الذهبى ما يدل على أن إسلامه كان يوم حنين .

وذكره ابن حجر فى القسم الثالث من الإصابة ، وهم المخضرمون الذين لم يرد فى خبرٍ قطّ أنهم اجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم . ٢١٣

وفى الأغانى[2] عن الأصمعى قال : « دخل أبو خِراش مكة فى الجاهلية — وكان ممن يعدو على رجليه فيسبق الخيل — فرأى الوليدَ بن المغيرة له فرسانِ يريد أن يوسلهما [فى الحلبة[3]] فقال : ما تجعل لى إن سبقتُهما عدْوا ؟ قال : إن فعلتَ فهما لك . . فسبقهما » . وقال الـكلبى والأصمعى : « مر على أبى خراش نفر من اليمن حجاجاً فنزلوا عليه فقال : ما أمسى عندى ماء ، ولـكن هذه بُرمة وشاة وقِربة ، فرِدوا الماء فإنه غير بعيد ، ثم اطبخوا الشاة وذَرُوا البرمة والقربة عند الماءِ نأخذهما . فامتنعوا وقالوا : لا نَبرح . فأخذ أبو خراش القربةَ وسعى نحو المـاء تحت الليل فاستقى ، ثم أقبل فنهشتَه حيّة

(١) ط « مفعول القول » .

(٢) الميمنى « هذا النقل عن الأغانى يوجد فى ٢١ ، ٣٩ . وهذا دليل على أن الجزء الحادى والعشرين منه الذى كان طبع أولا بليدن مجموع عن عدة نسخ من الأغانى من زياداتها على طبعة بولاق ، وإنما نبهنا على ذلك لأن دار الكتب المصرية أنكرت هذا الجزء (انظر مقدمتها على الجزء الأول من طبعتها) ، وفى حفظى أنى وجدت فى اللآلى أيضا نقلا عن الأغانى وجدته فى هذا الجزء » .

(٣) التكملة من الأغانى .

فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء ولم يُعلمهم بما أصابه. فباتوا يأكلون ؛ فلما أصبحوا وجَدوه فى الموت ؛ فأقاموا حتى دفنوه. فبلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه خبره فقال : والله لولا أن تكون سنّة لأمرت أن لا يُضاف يَمانىّ بعدها ثم كتب إلى عامله أن يأخذ النفر الذين نزلوا به فيغرّمهم ديته » ..

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث والسبعون[١] :

٧٣ (بنُونا بنُو أبنائنا ، وبناتُنا بنُوهُنَّ أبناء الرجالِ الأباعِدِ)

على أن المبتدأ والخبر إذا تساويا تعريفاً وتخصيصاً يجوز تأخير المبتدأ إذا كان هناك قرينة معنوية على تعيين المبتدأ ، فإنه قدم الخبر هنا على المبتدأ لوجود القرينة من حيث المعنى ، فإنك عرفت أن الخبر هو محطّ الفائدة ، فما يكون فيه التشبيه الذى تذكر الجملة لأجله فهو الخبر ، وهو قوله بنونا ، إذ المعنى : أن بنى أبنائنا مثل بنَينا ، لا أن بنينا مثل بنى أبنائنا .

قال ابن هشام فى شرح شواهد ابن الناظم : « وقد يقال : إن البيت لا تقديم فيه ولا تأخير ، وإنه جاء على عكس التشبيه كقول ذى الرمّة :

* ورملٍ كأوراك العذارىٰ قطعتُه[٢] *

فكان ينبغى للشارح — يعنى ابن الناظم — أن يستدلّ بما أنشده والده فى شرح التسهيل من قول حسّان بن ثابت رضى الله عنه :

قبيلةٌ ألأمُ الأحياء أكرمُها وأغدرُ الناس بالجيران وافيها

(١) ابن يعيش ١ : ٩٩ / ٩ : ١٣٢ والإنصاف ٦٦ والهمع ١ ، ١٠٢ وشرح شواهد المغنى ٢٨٧ .

(٢) عجزه كما فى حواشى سه والديوان ٣١٨ .

* وقد جللته المظلمات الحنادس *

إذ المراد : الإخبار عن أكرمها بأنه ألأم الأحياء ، وعن وافيها بأنه أغدر الناس ؛ لا العكس » . انتهى المراد منه .

وقد منع الكوفيون تأخير المبتدأ ، قال ابن الأنبارى فى الإنصاف ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه ، مفرداً كان أو جملة ؛ فالأوّل نحو ، قائم زيد ، والثانى نحو : أبوه قائم زيد . وأجازه البصريون لمجيئه فى كلام العرب نظماً ونثراً ، ومن النظم قوله : « بنونا بنو أبنائنا .. البيت » . وأطال الكلام فيه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته فى كتب النحاة وغيرهم ؛ قال العينى : « وهذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ، والفرضيّون على دخول أبناء الأبناء فى الميراث ، وأنّ الانتساب إلى الآباء ، والفقهاء كذلك فى الوصية ، وأهل المعانى والبيان فى التشبيه . ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله » اهـ .

ورأيت فى شرح الكرمانى فى شواهد شرح الكافية للخبيصى أنه قال : هذا البيت قائله أبو فراس همّام الفرزدق بن غالب ، ثم ترجمه . والله أعلم بحقيقة الحال . ٢١٤

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون ، قولَ أبى تمام[1] :

٧٤ (لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعابُهُ

وأرْىُ الجنى اشتارتْهُ أيدٍ عواسلُ)

لِما تقدم فى البيت قبله . أى لعابه مثل لعاب الأفاعى .

(١) ديوانه ٢٥٧ .

أبيات الشاهد

وهذا البيت أحد أبيات عشرة فى وصف القلم ، من قصيدة لأبى تمام ، مدحَ بها محمد بن عبد الملك الزيات .

وأبيات القلم هى، هذه ، وهى أحسن وأفخم من جميع ما قيل فى القلم[1] :

(لكَ القلمُ الأعلى الذى بشَبأَتِهِ ... يُنال من الأمر الكُلَى والمفاصلُ
له الخَلوات اللاءِ لولا نَجِيّها ... لما احتَفلت للمُلْكِ تلك المحافل
لعاب الأفاعى القاتلاتِ لعابه .. . . البيت
له ريقةٌ طَلٌّ ، ولكنَّ وقعها ... بآثاره فى الشرق والغرب وابلُ
فصيحٌ ، إذا استنطقته وهو راكب ... وأعجَمُ ، إن ناطقته وهو راجل
إذا ماامتطى الخمس اللِّطافَ وأفرغت ... عليه شِعابُ الفكر وهى حوافل
أطاعتْه أطرافُ الرماح وقوّضتْ ... لنجواه تقويضَ الخيامِ الجحافلُ
إذا استغزر الذهنَ الخلىَّ وأقبلت ... أعاليهِ فى القِرطاس وهى أسافل
وقد رفدتْه الخِنصِرَان وسَدّدت ... ثلاثَ نواحيهِ الثلاثُ الأناملُ
رأيتَ جليلًا شأنُه وهو مُرهَفٌ ... ضَنًى ، وسميناً خطبُه وهو ناحل)

الشَّبا بفتح الشين والقصْر : حدّ كلّ شىء . وقوله : ينال من الأمر ، روى أيضاً « يصاب من الأمر » . والكلى : جمع كُلْيَة وكُلْوة ، جاء بالياء والواو . والمفاصل : جمع مَفصِل ، وهو ملتقى كلّ عظمين ، أراد أن القلم يطبّق المفصل ويصادف المحزّ ، وبه يُنال مقاصد الأمور ، فإنه ينال بالأقلام ، ما يعجز عنه مجالدة الحُسام .

وقوله : له الخلوات الخ ، يعنى أن أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السرّ يُخلى لهم الملوك المجالسَ للمشورة ، وبهم يحصل نظام الملك . والنجىّ :

(١) الحيوان ١ : ٦٧ وأمالى المرتضى ١ : ٥٣٦ .

المسارُّ[١] والتناجي . المسارّة ، وأراد به المشير ، فإنّ المشورة تكون سرًّا غالباً . والاحتفال : حسن القيام بالأمور . والمحافل : جمع محفلٍ كمجلس ومقعد ، وهو المجتمع .

واللُّعاب : ما يسيل من الفم . والقاتلات : صفة كاشفة للأفاعى ، ذكرها تهويلا . والأرْى ، بفتح الهمزة وسكون الراء : مالزق من العسل فى جوف الخليّة . والجنى بفتح الجيم والقصْر : العسل ، والإضافة للتخصيص ؛ فإن الأرى يأتى أيضاً بمعنى مالزق بأسفل القِدر من الطبيخ ، وإنْ جعلتَ الأرى بمعنى العسل والجنى بمعنى كلّ ما يجنى : من ثمرةٍ ونحوها ، يلزم إضافة الموصوف إلى الصفة . واشتارته : استخرجته ، يقال شار فلانٌ العسلَ شَورا وشِيارا وشِيارة : إذا استخرجه ، وكذلك أشاره واشتاره . وأيدٍ جمع يد . والعواسل : جمع عاسلة أى مستخرِجة العسل ، والعاسل : مشتار العسل من موضعه . والمصراع الأوّل بالنسبة إلى الأعداء والثانى بالنسبة إلى الأولياء ، يعنى أن لعاب قلمه بالنسبة إلى الأعداء سمٌّ قاتل ، وبالنسبة إلى الأولياء شفاء عاجل . فقوله : لعابه ، مبتدأ مؤخر ولعاب الأفاعى خبر مقدّم ، وأرى معطوف على الخبر ، وجاز هذا مع تعرّف الطرفين لأن المعنى دالّ عليه ، فإن اللعاب القاتل إنما هو لعاب الأفاعى ، فلعاب القلم مشبَّه به فى التأثير . وعُلم من هذا أنه ليس من التشبيه المقلوب[٢] فإن لعاب القلم قد شُبِّه بشيئين وهما[٣] السمّ والعسل باعتبارين . وإن جعلته من التشبيه المقلوب كان من عطف الجمل ، والخبر فى المعطوف محذوف . وفيه تكلّف .

---

(١) ط : « المساور » بالفك ، والوجه فى سه مع أثر تصحيح .

(٢) انظر مامضى من كلام ابن هشام قريبا .

(٣) فى النسختين : « وهو » .

وقوله : « له ريقة طلٌّ » ريقة مبتدأ ، وطلٌّ وصفه ، والظرف قبله خبره ، والطَّلّ : المطر الضعيف ، والوابل وكذا الوَبل : المطر الشديدُ الضخم القَطْرِ. إنّ مايجرى من القلم حقير تافه فى ظاهر الأمر ، ولكن له أثر خيرٍ عمّ المشارق والمغارب .

وأراد بالخمس اللطاف الأصابع الخمس . والشِّعاب : جمع شِعب بكسرها : الطريق فى الجبل . والحوافل : جمع حافلة ؛ يقال حفَل اللبن وغيره حَفلا وحُفولاً : اجتمع ، واحتفل الوادى : امتلأ وسال .

وقوله : أطاعته أطراف الخ ، هو جواب (إذا) . وروى : « أطاعته أطراف القنا وتقوّضت » ، يقال تقوضت الصفوف : إذا انتقضت ، وأصله من تقويضِ البناء وهو نقضُه من غير هدم . والنجوى : السرّ . وتقويضَ أى كتقويض الخيام . والجحافل : فاعل قوّضت ، وهو جمع جحفل بتقديم الجيم على المهملة كجعفر : الجيش .

واستغزر الدهنَ : وجده غزيرا . وفاعله ضمير القلم . والخلىّ : الخالى . وروى بدله (الذكىّ) أى المتوقد . وإنما تكون أعالى القلم أسافلَ حين الكتابة .

ورفدَته : أعانته . ورأيت : جواب إذا . وشأنه : فاعل جليلًا . وجملة « وهو مرهف » حال ، وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوَه إذا رقّقت شَفرتيه ، ويقال أيضاً رهَفته رهفا ، فهو رهيف ومرهوف . وضنى تمييز ، وهو مصدر ضنِيَ من باب تعب ، إذا مرض مرضاً ملازماً . وسميناً معطوف على جليلا . وناحل : من نحَل الجسم ينحَل بفتحهما نُحولا : سقِم ، ومن باب تعب لغة .

وأبو تمام الطائي مضت ترجمته في الشاهد الرابع والخمسين[1] ولم يورد الشارح المحقق بيته هنا شاهداً ، وإنّما أورده نظيراً لما قبله .

الوزير ابن الزيات

وأما (ابن الزيات) الذي مدحه أبو تمّام بهذه القصيدة فهو أبو جعفر محمد ابن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات ، كان جدّه أبان من قرية يقال لها الدَّسْكَرَة يَجْلِب الزيت . وكان محمدٌ من أهل الأدب فاضلا عالما بالنحو واللغة . ولما قدِم المازنيُّ بغداد في أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يحضرون بين يديه في علم النحو ، فإذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم المازني : ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب — يعني محمد بن عبد الملك — فاسألوه واعرفوا جوابه . وكان يصوّب جوابه ، فعلَا شأنه بذلك .

وكان في أول أمره من جملة الكتاب ، وكان أحمد بن عمّار البصريّ وزيرَ المعتصم ، فورد على المعتصم كتابٌ من بعض الأعمال فقرأه الوزير عليه فإذا في الكتاب ذكر « الكَلأ » ، فقال له المعتصم : ما الكلأُ ؟ فقال : لا أعلم . فقال المعتصم : خليفةٌ أميّ ووزير عاميّ ؟! ثم قال : أبصروا مَن بالباب من الكتاب . فوجدوا محمد بن عبدالملك ، فقال له : ما الكلأُ ؟ فقال : هو العُشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الخلا ، وإذا يبس فهو الحشيش — وشرع في تقسيم أنواع النبات — فعلم المعتصم فضله ، فاستوزره وحكّمه وبسط يده . ١٦

ومدحه أبو تمام بقصائد . ومدحه البحتري بقصيدته الدالية وأحسن في وصف خطّه وبلاغته[2] .

(١) انظر ص ٣٠٦ . وفي الأصل « الثاني والخمسين » خطأ .

(٢) وذلك في أحد عشر بيتا من قصيدته التي مطلعها :

بعض هذا العتاب والتفنيد ليس ذم الوفاء بالمحمود

وكان ابن الزيات هجا القاضيَ ابنَ أبي دُؤاد الإياديّ بتسعين بيتاً ، فعمل القاضي فيه بيتين وقال :

أحسنُ من تسعين بيتاً سدًى جمعُك معناهنّ في بيتِ
ما أحوجَ الملك إلى مَطْرة تغسِل عنه وَضَر الزيت(١)

وقيل : هما لعليّ بن الجهم .

وبعد المعتصم وزَر لابنه الواثق هارون ، فقال ابن الزيات :

قد قلتُ إذ غَيّبوه وانصرفوا من خيرِ قبرٍ لخير مدفون
لن يجبُرَ الله أمةً فقدتْ مثلكَ إلا بمثل « هارون »

وبعد الواثق وزَر للمتوكل . وكان ابن الزيات يدخل عليه المتوكل أيامَ المعتصم والواثق ، فكان يتجهّمه ويحتقره ويستهزئ به ، فحقَد عليه المتوكل ، وبعد أربعين يوماً من ولايته قبض عليه واستصفى أمواله .

وكان ابن الزيات قد اتخذ تَنّوراً من حديد ، وأطراف مساميره المحدودة إلى داخله ، وهي قائمة مثل رءوس المسالّ ، وكان يعذّب فيه أيام وزارته فكيفما انقلب المعذَّب أو تحرّك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه ، وإذا قال له أحد ارحمني أيها الوزير ، فيقول له : الرحمة خَوَر في الطبيعة ! فلما

---

(١) في الأغاني ٢٠ : ٥١ :

أحسن من خمسين بيتا سدى جمعك إياهن في بيت
ما أحوج الناس إلى مطرة تذهب عنهم وضر الزيت

والقصة في ابن خلكان ١ : ٢٥ تخالف هذه ، فإنه قال : وهجا بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة عدد أبياتها سبعون بيتا ، فبلغ خبرها القاضي أحمد — يعني ابن أبي دؤاد — فقال :

أحسن من سبعين بيتا هجا ... الخ كرواية البغدادي

اعتقله المتوكل أمر بإدخاله فى التنوّر ، وقيّده بخمسة عشر رطلا من الحديد . فقال له : يا أمير المؤمنين ارحمنى . فقال له : الرحمة خَوَر فى الطبيعة !! كما كان يقول للناس . وكان ذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين . وكانت مدّة تعذيبه فى التنوّر أربعين يوما إلى أن مات فيه . ووجد مكتوبا بالفحم فى جانب التنوّر :

مَن له عهدٌ بنوم يرشد الصبَّ إليهِ
رحم الله رحيماً دلَّ عينىَّ عليهِ
سهِرتْ عينى ونامت عينُ من هُنتُ عليهِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون[1] :

٧٥ (إلى الملك القَرْم وابنِ الهُمامِ
وليثِ الكتيبة فى المزدَحمْ)

على أنه يجوز عطف أحد الخبرين على الآخر كما يجوز عطف بعض الأوصاف على بعضها كما هنا . قال ابن الهمام : وليث الكتيبة وصفان للملك ، وقد عطفا على الصفة الأولى ، وهى القرم .

واستشهد به الفرّاء فى معانى القرآن وصاحب الكشّاف أيضاً لهذا الأمر . وبعده بيت أورده ابن الأنبارى فى الإنصاف وهو :

(وذا الرأىِ حين تغَمّ الأمورُ بذات الصَّليل وذات اللُّجُمْ)

وقال : « نصب ذا الرأى على المدح » . والقَرْم بفتح القاف : السيّد .

(١) انظر أيضا الخزانة ٢ : ٣٣١ ، ٥٣٤ بولاق والإنصاف ٤٦٩ .

والهُمام : الملك العظيم الهمّة ، والسيد الشجاع السخيّ . والكتيبة : الجيش ، وقيل جماعة الخيل إذا [أ] غارتْ ، من المائة إلى الألف . والمزدحم : محلّ الازدحام ، يقال ازدحم القوم وتزاحموا أى تضايقوا ؛ وأراد به المعركة . والغمّ فى الأصل : ستر كلِّ شىء ، ومنه الغمام لأنه يستر الضوء والشمس ، ومنه
٢١٧ أيضا الغم الذى يغم القلبَ أى يستره ويغشّيه . وقوله : بذات الصليل ، متعلق بالرأى ، وهو البيضة . يقال : صلّ البيض يصلّ صليلا : سُمع له طنين عند القراع . وذات اللجم : الخيل ، وهو جمع لجام . أراد أنه يمدهم بالسلاح والرجال.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون[1] :

٧٦ (فأما القتالُ لاقتالَ لديكمُ)

على أن حذف الفاء الداخلة على خبر المبتدأ الواقع بعد (أما) ضرورة ، فإن القتال مبتدأ وجملة لاقتال لديكم خبره ، والرابط العموم الذى فى اسم لا . قاله ابن إياز فى شرح الفصول . ومثله بيت الكتاب لابن ميّادة :

ألا ليت شعرى هل إلى أم مَعْمَرٍ سبيلٌ فأما الصبرُ عنها فلا صبرا[2]

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : هو بمنزلة قولهم نعم الرجل زيد ، وذلك أن الصّبر عنها بعض الصبر لا جميعه ؛ وقوله : فلا صبر نفى للجنس أجمع فدخل الصبر عنها وهو البعض ، فى جملة ما نفى من الجنس ، كما أنّ زيدا بعض الرجال . فأما البيت الآخر :

فأمّا الصدورُ لا صدورَ لجعفرٍ[3] ولكنّ أعجازاً شديداً ضريرُها

(١) العينى ١ : ٥٧٧/٤ : ٤٧٤ وابن يعيش ٧ : ١٣٤/٩ : ١٢ والمنصف ٣ : ١١٨ والهمع ٢ : ٦٧ .

(٢) فى النسختين : « فلا صبر » ، صوابه من سيبويه ١ : ١٩٣ . والصواب أيضا « إلى أم جحدر » ، وهى صاحبته .

(٣) ط : « فاما الصدود لا صدود » ، صوابه فى ســه .

فالثانى هو الأول سواء ، وكذلك قول الآخر :

فأما القتال لا قتال لديكم . . . . . (البيت)

فالثانى هو الأول ، وكلاهما جنس . انتهى .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(ولـكنّ سيراً فى عراض المواكب[1])

(لـكنّ) اسمها محذوف ، و (سيراً) مفعول مطلق عامله محذوف وهو خبر لـكنّ ، أى ولـكنكم تسيرون سيراً . ويجوز أن يكون سيراً اسم لـكنّ والخبر محذوفاً أى ولـكنّ لـكم سيراً . و (فى عراض) متعلق بتسيرون المحذوف ، وهو جمع عُرض بضم العين وسكون الراء وآخره ضاد معجمة ، بمعنى الناحية . و (المواكب) : الجماعة ركباناً أو مشاة ، وقيل ركاب الإبل للزينة ، من وَكَب يكِبُ وكوباً : مشى فى دَرَجان . وقبل هذا البيت بيت ، وهو :

فضحتم قريشاً بالفِرار وأنتم ... قُمُدّون سُودانٌ عظامُ المناكب

و (القُمُدّ) بضم القاف والميم وتشديد الدال : الطويل ، وقيل الطويل العنق الضخمُهُ ، من القَمَد بفتحتين وهو الطُّول ، وقيل ضخامة العنق فى طول . والوصف أقمد وقُمُدّ ، والأنثى قمداء وقَمُدّة وقمدانية . والسُّودان أراد به الأشراف ، جمع سُود وهو جمع أسود ، أفعل تفضيل من السيادة .

والبيتان للحارث بن خالد المخزومى ، كذا قال ابن خلف . وقال صاحب الأغانى : هما مما هجا بهما قديماً بنى أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس اه . صاحب الشاهد

والحارث هو ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم . الحارث المخزو

(١) ط : «المراكب» صوابه فى ش والمراجع المتقدمة .

قال الزُّبير بن بكار فى أنساب قريش : كان الحارث شاعراً كثير الشعر ، وهو الذى يقول :

من كان يسأل عَنّا أين منزلنا فالأقحُوانة منا منزل قمنُ
إذْ نلبَسُ العيشَ غضًّا لا يكدّره خوفُ الوشاة ولا ينبو بنا الزّمن

٢١٨ والأقحوانة : ماء بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام[١] وكان يزيد استعمله على مكة وابنُ الزبير يومئذ بها ، فمنعه ابن الزبير ، فلم يزل فى داره معتزلا لابن الزبير حتّى ولى عبد الملك بن مروان فولّاه مكة ثم عزله ، فقدم عليه دمشق فلم ير له عنده ما يحبّ ، فانصرف عنه وقال :

عطفتُ عليك النفسَ حتّى كأنما بكفّيك بؤسى أو لديك نعيمها
فما بىَ إن أقصيتنى من ضرَاعة ولا افتقرت نفسى إلى مَن يضيمها[٢]

انتهى . ومن شعره :

أظلومُ إنّ مُصابَكم رجلًا أهدَى السلامَ تحيةً ظلمُ[٣]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون ، وهو من شواهد س[٤] :

---

(١) انظر (أقحوانة) فى معجم البلدان ، ففيه إلى هذين البيتين بيتان آخران . وهناك خبر طريف .

(٢) ط : « يضيرها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ش : « أظليم » ، وهما روايتان . انظر العينى ٣ : ٥٠٢ والهمع ٢ : ٩٤ وابن الشجرى ١ : ١٠٧ ومجالس ثعلب ٢٧٠ والاشتقاق ٩٩ ، ١٥١ .

(٤) سيبويه ١ : ٧٠ . وانظر الخزانة أيضا ٣:٣٩٥/٤ : ٤٢١ ، ٥٥٢ وابن يعيش ١ : ١٠٠/٨ : ٩٥ والهمع ١ : ١١٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٩ ، ٢٩٥ .

٧٧ ﴿ وقائلةٍ خولانُ فانكِحْ فتاتَهم ﴾

عجزه : (وأكرومةُ الحيَّينِ خِلوٌ كما هيَا)

على أن الفاء فى فانكح زائدة عند الأخفش . وخولان مبتدأ ، وانكح خبره . وعند سيبويه غير زائدة ، والأصل : هذه خولان فانكح فتاتهم .

قال ابن خلف : قال أبو على : من جعل الفاء زائدة أجاز فى خولان الرفع والنصب . كقولك : زيداً فاضربه . فإن قلت زيدا فاضربْ جاز عند الجميع . قال تعالى : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » .

ونقل أبو جعفر النحاس عن المبرد أنّه قال : لو قلت هذا زيداً فاضربه ، جاز أن تجعل زيدا عطف بيان أو بدلا ، فلو رفعت خولان بالابتداء لم يجز من أجل الفاء، وإنما جاز مع هذا لأن فيها معنى التنبيه والإشارة . وقال أبو الحسن: ويجوز النصب على الذم . انتهى .

والظاهر أن يقول : ويجوز النصب على المدح كما قال غيره . فإن المرغَّب لايذمّ .

وعلى قول س : فالفاء إما لعطف الإنشاء على الخبر وهو جائز فيما له محل من الإعراب ، وإما لربط جواب شرط محذوف ، أى إذا كان كذلك فانكح . قال سيبويه : قد يحسن ويستقيم أن تقول عبدالله فاضربه ، إذا كان الخبر مبنيا على مبتدأ مظهر أو مضمر ، نحو هذا زيد فاضربه والهلال والله فانظر إليه . وقال السيرافى : الجمل كلّها يجوز أن تكون أجوبتها بالفاء نحو زيد أبوك فقم إليه ، فإنّ كونه أباه سببٌ وعلّة للقيام إليه ، وكذلك الفاء فى فانكح يدلّ على أن وجود هذه القبيلة علة لأن يُتزوّج منهم ويتقرّب إليهم ، لحسن نسائها وشرفها . وفيه إشارة إلى ترتب الحكم على الوصف .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : « رَبُّ السَّمٰوٰاتِ والأَرْضِ

وما بَيْنَهُما فاعْبُدْهُ » ، قال إنّ ربّ خبر مبتدأ ، أى هو رب السماوات كما فى خولان بالرفع ، أى هؤلاء خولان . وخولان : حىّ باليمن . وروى : « فانكح فتاتها » لأنّه أراد القبيلة . وجملة[1] خولان فانكح فتاتهم ، فى محل نصب على أنها مقول القول ، وإنما عمل فيها النصب وهو قائلة لاعتماده على الموصوف المقدر ، أى رب امرأة قائلة . وبه يدفع ما يردُ عليه من أنّ مجرور ربّ غير موصوف بشىء مع أن وصفه واجب ، فإن المجرور هو الوصف ، والموصوف محذوف . أو تقول : الصفة محذوفة ، أى رب قائلة قالت لى . لكن يردُ عليه أنّ ما بعد ربّ يلزمه المضى ، والوصف هنا مستقبل بدليل إعماله . ويدفع أيضاً بأنه أراد حكاية الحال الماضية ، بدليل أن المعنى : قد قيل لى ذلك

٢١٩ فيما مضى ، وليس المراد أنه يقال لى هذا فيما يستقبل . أو أنه ماض وعمل على مذهب الكسائى . قال ابن هشام فى المغنى : وسُمع أعرابىّ يقول بعد انقضاء رمضان : « رُبَّ صائمه لن يصومه ، ويارب قائمه لن يقومه » : وهو مما تمسّك به الكسائى على إعمال اسم الفاعل المجرد بمعنى الماضى . وربَّ هنا للتكثير ، وهى حرف جر لا يتعلّق بشىء ، والفعل المعدّى محذوف ، أى رب قائلة هذا القولَ أدركتها ورأيتها ، فمجرور ربّ جاء فى محل رفع على الابتداء ، أو فى محل نصب على المفعولية على شريطة التفسير . وإن قدّرت أدركت فمحلّه نصب لاغير . وقوله « وأكرومة الحيين خِلو » الأكرومة : فعل الكرم ، مصدر بمعنى اسم المفعول أى ومُكرَمة الحيين . وأراد بالحيين حىّ أبيها وحىّ أمها . والخِلو بكسر الخاء المعجمة : التى لا زوج لها . وهذه الجملة الظاهر أنها فى محل نصب على الحال ، والمعنى : ربّ قائلة قالت لى هؤلاء خولان فانكح فتاتها . فقلت : كيف أنكحها وأكرومة الحيين خاليةٌ عن الزوج ؟ قيل :

(١) ش : « وجلتان » ، صوابه فى ط .

ويجوز أن الجملة من تمام قول القائلة . ولا يخفى أنه لو كان كذلك لكان الوجه أن يقال فأكرومة الحيين ، بالفاء . فتأمل . وقوله « كما هيا » صفة خِلو ، وفيه فعل محذوف أى كما كانت خلوا ، فلما حذفت كان برز الضمير ، وما مصدرية فى الجميع ، ويجوز أيضا أن يكون هى مبتدأ وخبره محذوف وما موصولة ، أى كالحالة التى هى عليها فيما عهدته . والكاف بمعنى على ، ويحتمل أن ما زائدة فيكون ضمير الرفع قد استعير فى موضع الضمير المجرور . والمعنى أنها خلو الآنَ كهى فيما مضى ، والكاف للتشبيه . ويحتمل أيضاً أنها كافّة وهى مبتدأ خبره محذوف ، أى هى عليه . وقد جوّزوا هذه الوجوه إلاّ المصدرية فى قولهم : كن كما أنت ، نقلها ابن هشام فى المغنى فى الكاف وزاد عليها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها ناظم . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون ، وهو من شواهد جمل الزجاجى[١] :

٧٨ (إنّ مَنْ يدخُلِ الكَنيسةَ يوماً يَلقَ فيها جَآذِراً وظِباء)

على أن اسم (إنّ) ضمير شأن ، والجملة الشرطية بعدها خبرها ، وإنما لم يجعل (مَن) اسمها لأنها شرطية ، بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر فى جملته فلا يعمل فيه ما قبله[٢] .

---

(١) انظر أيضا الخزانة ٢ : ٤٦٣/٤ : ١٢ ، ٣٨٠ وابن يعيش ٣ : ١١٥ والهمع ١ : ١٣٦ وابن الشجرى ١ : ٢٩٥ .

(٢) عبارة الرضى ١ : ٩٢ : « وأما كلمات الشرط الجازمة ، الثابتة الأقدام فى الشرطية ، فلا يدخلها شىء من نواسخ الابتداء إلا فى الضرورة ، فيضمر مع ذلك بعدها ضمير الشأن حتى لا تخرج كلمات الشرط فى التقدير عن التصدر فى جملتها ، وذلك نحو قوله : إن من يدخل . . الخ » . فعبارة الرضى أعم وأوضح .

صاحب الشاهد قال ابن السيد فى شرح أبيات الجمل : « هذا البيت للأخطل وكان نصرانياً ، فلذلك ذكر الكنيسة » .

وقال ابن هشام اللخمىّ فى شرحها : « لم أجده فى دايون الأخطل » .

(أقول) : قد فتّشت ديوان الأخطل من رواية السُّكرىّ [1] فلم أظفر به فيه ؛ ولعله ثابتٌ فى رواية أخرى . ونسبه السيوطى فى شواهد المغنى إلى الأخطل وقال : وبعده :

(مالتِ النفسُ بعدَها إذْ رأتها ... فهى ريحٌ وصار جسمى هباء
ليتَ كانتْ كنيسةُ الرُّوم إذْ ذا ... ك علينا قطيفةً وخِباء)

(الكنيسة) هنا : متعبَّد النصارى ، وأصله متعبَّد اليهود ، معرّب كُنِشْتْ بالفارسية [2] . و (الجآذر) : جمع جُؤذُر ، وهو ولد البقرة بضم الذال المعجمة ؛ وحكى الكوفيون فتحها أيضاً ، وسردوا ألفاظاً كثيرة على فُعلَل بضم الأول وفتح الثالث ، منها جُؤذَر وبُرقَع وطُحلَب وجُخدَب
٢٢٠ وضُفدَع ، والبصريون لايعرفون فيها إلاّ ضم الثالث . و (الظباء) : الغزلان ، الواحد ظَبية . يقول : مَن يدخل الكنيسة يَلقَ فيها أشباه الجآذر من أولاد النصارى ، وأشباهَ الظباء من نسائهم . فكَنىَ عن الصبيان بالجآذر ، وعن النساء بالظباء .

وقال اللخمىّ : ويحتمل أن يريد الصور التى يصوّرونها فيها ، لأنّ كنائس الروم قلّ أن تخلوَ من الصور شبيهة بالجآذر والغزلان . قال عمر ابن أبى ربيعة :

(١) الميمنى : « رواية السكرى هى المطبوعة عن نسخة بطرسبرج » .

(٢) هذا الضبط من معجم استينجاس ١٠٥٥ ، ومعناه فى الفارسية « معبد النار » : A fire - temple . وانظر كلام الخفاجى فى شفاء الغليل (كنيسة) .

دُميةٌ عند راهبٍ ذى اجتهاد　　صَوَّروها بجانب المِحْرابِ

ويعنى بالدمية الصورة . والهباء : الغبار الرقيق . والقَطيفة : كساءذوخمل .

ترجمة الأخطل

و(الأخطل) هذا هو التَّغلبيّ الشاعرالمشهور ، من الأراقم ، واسمه غياث ابن غوث[1] بن الصَّلت بن طارقة . وأنهى نسبته الآمدىُّ فى المؤتلف والمختلف إلى تغلب .

قال ابن قتيبة فى أدب الـكاتب : « وسمى الأخطل من الخطَل ، وهو استرخاء الأذنين[2] ومنه قيل لـكلاب الصيد[3] خُطْل » . قال شارحه ابن السيد : « لا أعلم أحداً ذكر أنّ الأخطل كان طويلَ الأذنين مسترخيَهما ؛ والمعروف أنه لقّب الأخطلَ لبذاءته وسلاطة لسانه ، وذلك أن ابنىْ جعيل[4] احتكما إليه مع أمّهما فقال :

لعمرك إنَّنى وابنىْ جُعَيل　　وأمَّهما لَإستارٌ لئيمُ

فقيل : إنّه لَأخطل ! فلزمه هذا اللقب — والإستار معرب جهار ، وهو أربعة من العدد بالفارسية[5] .

وقال بعض الرواة ، وحكى نحو ذلك أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى :

---

(١) ط : « من غوث » ، صوابه فى ش وتيمور . قال الميمنى : ورأيت فى المخطوطات هذا التصحيف — أى تصحيف بن بمن وبالعكس — كثيرا جدا » .

(٢) أراد ابن قتيبة أن كلامه كان مسترخيا كذلك ، وذلك لتعرضه لسفاسف الأمور . وقال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٣٨ : « وإنما سمى الأخطل لسفهه واضطراب شعره . هكذا قال الأصمعى . والخطل : الالتواء فى الكلام ، يقال رمح خطل ، إذا كان شديدا لاهتزاز ، وشاة خطلاء : طويلة الأذنين » . ومثله فى الجمهرة له ٢ : ٢٣١ . وفى اللسان : «وقيل إنما سمى بذلك لطول لسانه». وصرح العينى ١ : ٤٢٥ بطول أذنيه اغترارا بلفظ ابن قتيبة .

(٣) ط : « كلاب الصيد » صوابه ، فى ش وأدب الكاتب والاقتضاب ١٢٤ .

(٤) هما كعب وعميرة ، ذكرهما ابن قتيبة فى الشعراء ٦٣١ .

إنّ السبب فى تلقيبه بالأخطل أن كعب بن جُعَيل كان شاعر تغلب فى وقته ، وكان لايلمّ برهط منهم إلاّ أكرموه وأعطوه ، فنزل على رهط الأخطل فأكرموه ، وجمعوا له غنمًا وحظروا عليها حظيرة ؛ فجاء الأخطل فأخرجها من الحظيرة وفرّقها ، فخرج كعبٌ وشتمه ، واستعان بقومٍ من تغلب فجمعوها له وردّوها إلى الحظيرة ، فارتقب الأخطل غفلته ففرّقها ثانية ، فغضب كعب وقال: كفّوا عنّى هذا الغلام وإلاّ هجوتكم ! فقال له الأخطل : إن هجوتنا هجوناك — وكان الأخطل يومئذ يقرزم .والقرزمة[1] : أن يقول الشعر فى أول أمره قبل أن يستحكم طبعه وتقوىٰ قريحته — فقال كعب : ومن يهجونى ؟ فقال : أنا ! فقال كعب :

* ويل لهذا الوجه غبّ الحمّه[2] *

فقال الأخطل :

* فنــاك كعبُ بن جُعيل أمّهْ *

فقال كعب : إنّ غلامكم هذا لأخطل . ولجّ الهجاء بينهما فقال الأخطل :

سمّيتَ كعباً بِشرٌ العِظامِ وكان أبوك يسمّى الجُعَلْ
وأنت مكانُك من وائل مكانُ القُراد من آست الجملْ

ففزع كعب وقال : والله لقد هجوتُ نفسى بهذين البيتين ، وعلمتُ أنْ سأهجى بهما . وقيل : بل قال : هجوت نفسى بالبيت الأول من هذين البيتين.

(١) فى النسختين : « يفرزم ، والفرزمة » ، والتصحيح للعلامة أحمد تيمور . وفى القاموس : « القرزام ، بالكسر : الشاعر الدون . وهو يقرزم شعره » ومثله فى اللسان وجاء فى الاقتضاب ١٢٤ : «يفرزم» ،وهو تصحيف كذلك . وانظر ما سيأتى فى ص ٣٥١ من صفحات الأصل .

(٢) الاقتضاب : « الجه » .

وقيل إنّ الأخطل اسمه غويث ، ويكنى أبا مالك ، ويلقب دَوْبلا أيضاً ، والدَّوبل : الحمار القصير الذنَب ، ويقال : إنّ جريرا هو الذى لقبه بذلك بقوله:

بكى دَوبل لا يرقِئْ الله دمعه ... ألاَ إنما يبكى من الذلّ دَوبلُ[1]

٢٢١ ومات على نصرانيته ، وكان مقدّماً عند خلفاء بنى أمية ، لمدحه لهم وانقطاعه إليهم . ومدح معاويةَ وابنه يزيد ، وهجا الأنصار رضى الله عنهم بسببه ، فلعنه الله وأخزاه وخذله . وعُمِّر عمراً طويلا إلى أن ذهب إلى النار وبئس القرار .

قال ابن رشيق فى العمدة[2] : « ومن الفحول المتأخرين الأخطل . . وبلغت به الحال فى الشعر إلى أن نادم عبدَ الملك بن مروان وأركبه ظهر جرير ابن عطية الشاعر وهو مسلمٌ تقىّ ، أمره بذلك عبدالملك بسبب شعرٍ خايره فيه بين يديه . وطوّل لسانه حتّى قال مجاهراً لعنة الله عليه — لا يستتر فى الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين — :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعاً ... ولست بآكل لحمَ الأضاحى

ولستُ بزاجرٍ عَنساً بُكوراً ... إلى بطحاء مكةَ للنجاح

ولستُ منادياً أبداً بليلٍ ... كمثل العَير : حىَّ على الفلاح

ولـكنى سأشربها شَمولا ... وأسجدُ عند منبلَج الصبَاح

وقد ردّ على جرير أقبحَ ردّ ، وتناول من أعراض المسلمين وقبائل العرب وأشرافهم مالا ينجو من مثله علوىّ فضلاً عن نصرانىّ .

من لقبه الأخطل وعدّ الآمدى فى المؤتلف والمختلف[3] : مَن لقّب الأخطل أربعة : أحدهم

---

(١) الاقتضاب ١٢٥ : « لا أرقأ الله دمعه » . وانظر اللسان (دبل ٢٥٠) .

(٢) العمدة ١ : ٢١ .

(٣) المؤتلف والمختلف ٢١ .

هذا . والثانى الأخطل الضُّبعى ، كان شاعراً وادّعى النبوة ، وكان يقول : لمضر صدر النبوة ولنا عجزها . فأخذه ابن هبيرة فى دولة الأمويين فقال : ألستَ القائل :

لنا شطر هذا الأمر قسمةَ عادلٍ   متَي جعل الله الرسالة تُرتبا

أى راتبة دائمة فى واحد . قال : وأنا القائل :

ومن عجبِ الأيام أنّك حاكم   علىّ وأنى فى يديكَ أسيرُ

قال : أنشدنى شعرك ، قال : اغرُبْ ويلك ! فأمر به فضربت عنقه . والثالث الأخطل المجاشعي وهو الأخطل بن غالب أخو الفرزدق ، وكان شاعراً ، وإنما كسفه الفرزدق فذهب شعره . والرابع الأخطل بن حمّاد بن الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب .

* * *

وأنشد بعده : (ولو أنّ ما أسعى لِأدنى مَعيشةٍ)

تقدّم شرحه فى الشاهد التاسع والأربعين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون[2] :

٧٩ (قالتْ أُمامة لمّا جئتُ زائرَها   هلّا رَميت َببعضِ الأسهُمِ السُّودِ

لادَرّ دَرُّكِ ! إنّى قدْ رَميتهُمُ   لولا حُدِدتُ ولا عُذْرَى لمحدُودِ)

على أنه ربما دخلت (لولا) على الفعلية كما هنا ، أى لولا الحدّ وهو

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٢٧ .

(٢) انظر ابن يعيش ١ : ٩٥ والإنصاف ٧٣ وابن الشجرى ٢ : ٢١١ واللسان (عذر ٢١٩) .

الحرمان . وهذا البيت يردّ مذهب الفرّاء القائل بأنّ مابعد لولا مرفوع بها ، فلو كانت عاملة للرفع لذكر بعدها هنا مرفوع ، فوجب كونها غير عاملة لعدم مرفوع .

وهذا الذي نسبه الشارح المحقّق إلى الفرّاءِ نسبه ابنُ الأنباري في الإنصاف وابن الشجري في أماليه إلى الكوفيين . وذهب ابن الأنباري إلى صحة مذهبهم وقال : الصحيح ما ذهب إليه الكوفيون من أنّ (لولا) نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم ، فإن التقدير في لولا زيد لأكرمتك : لو لم يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك ، إلاّ أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا (لا) على (لو) فصارا بمنزلة حرف واحد . وأجاب عن البيت بأن لولا هنا هي (لو) الامتناعية و (لا) معها بمعنى (لم) ، لأن لا مع الماضي بمنزلة لم مع المستقبل ، فكأنه قال : قد رميتهم لو لم أحدّ ، وهذا كقوله تعالى : « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » ، أي لم يقتحمها اﻫ .

وقال يوسف بن السيرافي في شرح شواهد الغريب المصنَّف لأبي عُبيد القاسم بن سلّام : لولا لايقع بعدها إلا الأسماء ، وتكون مبتدأة وتحذف أخبارها وجوبا ، وتقع بعدها أنّ المفتوحة المشدّدة ، وهي واسمها وخبرها في تقدير اسم واحد . فلما اضطُرّ الشاعرُ حذَفَ أنّ واسمَها ، أي لولا أني حُدِدت ، يقول : لولا أني حددت لقتلت القوم . وهذا قبيح لأنه يجري مجرى حذف الموصول وإبقاء الصلة . ويجوز أن يكون شبّه لولا بِلوْ فأوْلاَهَا الفعل ، أو شبّه أنّ الشديدة بأنْ الخفيفة ، فأنِ الخفيفة قد تحذف كقوله :

* ألا أيُّهذا الزاجرِي أحضُرَ الوغى[1] *

---

(١) لطرفة . وعجزه :

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فلما استجازُوا حذفَها حذفوا الثقيلة ، لأنهما حرفا مصدر .

صاحب الشاهد

وهذا الشعر للجَموح ، أحد بنى ظَفَر من سُلَيم بن منصور . وبعدهما بيتان آخران وهما :

(إذْ همْ كرِجْل الدَّبى لا دَرَّ دَرُّهمُ   يغزُون كلَّ طُوال المشى ممدودِ
فما تركت أبا بشرٍ وصاحبَه   حتّى أحاط صريحُ الموت بالجيد)

وروى هذه الأبيات الأربعة أبو تمّام فى كتابه مختار أشعار القبائل لراشد بن عبدالله السُّلَمىّ[1] ، ونسبها ابن السيرافى وابن الشجرىّ للجَموح كما ذكرنا .

وقال ابن السيرافي : كان من خبر الجموح الظَفَرىّ أنه بيّت بنى لِحْيان وبنى سَهم بن هذيل ، بوادٍ يقال له ذات البَشام ، وكان الجموح قد جمع جمعاً من بنى سُليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر ، فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت ، وكان فى كنانةِ الجموح نَبْل مُعلَمة بسواد ، حَلف ليرمينّ بها جُمَعَ قبل رجعته فى عَدوِّه . فقُتل أبو بشر وهزم أصحابه وأصابتهم بنو لحيان تلك الليلة ، وأعجز الجموح . فقالت له امرأته وهى تلومُه : هلّا رميتُ تلك النَّبْل التى كنتَ آليت لترمينّ بها !

وأمامة : زوجته . وروى : (لما جئتُ طارقها) . وروى : (هلّا رميتَ بباقى الأسهم السود) .

قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات : وتتخذ السهام من القنا ، وقلّما يرغب فيها أهل البوادى ، لأنّها خِفاف وإن كان مداها أبعد ؛ وقداح أهل البوادى غِلاظ ثِقال عِراض الحدائد فهى قوّية ، إذا نَشِبت فى الصَّيد

(١) صحابى كان يدعى غويا فسماه صلى الله عليه وسلم راشد بن عبد الله . الإصابة والاستيعاب .

فعضّها لم تنكسر وكانت جراحاتها واسعة ، لأنهم أصحابُ صيد وحروب . وسهام القنا سود الألوان ، وإياها عنى الشاعر بقوله :

* هلّا رميتَ ببعض الأسهم السود * اه

وقوله (لا درّ درّكِ) أى فقلت لها : لا كان فيك خير ولا أتيتِ بخير ، يدعو عليها ؛ والكاف مكسورة . و (حُدِدتُ) بالبناء للمفعول حرمت ومنعت ، قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات : يقال حددته حدًّا : إذا منعته .وقد حُدّ الرجل عن الرزق إذا مُنع منه ، وهو محدود . وأنشد هذا البيت . يقول : قد رميتُ واجتهدت فى قتالهم ولكنّى حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . وروى (لادرّ كسبك) . وروى أبو تمام :(للهدرك) فيكون دعاء لها . و (العُذرى) بضم العين والقصر : اسم بمعنى المعذرة ، قال ٢٢٣
فى الصحاح : « عذرته فيما صنع أعذِره عُذْرا وعُذُرا ، والاسم المعذِرة والعُذرَى » . وأنشد هذا البيت . والرِّجْل بكسر الراء وسكون الجيم : القطعة العظيمة من الجراد . والدَّبى بفتح الدال وبالموحدة وبالقصر : أصغر الجراد . والطُّوال كغراب : الطويل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٨٠ (وما لَيلُ المَطِىِّ بنائِمِ)

أصله :

(لقد لُمتِنا يا أمَّ غَيلان بالسُّرى ونمتِ ، وما ليلُ المطىّ بنائمِ)

---

(١) سيبويه ١ : ٨٠ وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٦ ، ٣٠١ والإنصاف ٢٤٣ وديوان جرير ٥٥٣ والنقائض ٧٥٣ .

على أنّ الزمان يسند إليه كثيراً مايقع فيه ، فإن النوم يقع فى الليل ، وقد أسند إليه مجازاً عقلياً ، كقول رؤبة :

* فنـــامَ ليلِى وتجلّى همّى *

فإن قلت : إنّ الشاعر قد نفى النوم عن الليل ، فكيف ذلك مع قول الشارح بأن النّوم قد أُسند إلى الليل ؟ قلتُ : النفى فرع الإثبات .

وقد أورده سيبويه على أن وصف الليل بأنه غير نائم على طريق الاتساع ، والليل لا ينام ولا يوصف بأنه غير نائم ؛ لأنه ليس من الحيوان ، وكان حقه بمنوم فيه . وأراد : وما ليل أصحاب المطى ، فحذف . وأراد بأصحاب المطى من يركب ويسافر ، فلا ينبغى أن ينام من أول الليل إلى آخره .

و (أم غيلان) قال ابن خلف : هى بنت جرير . يقول : لمْتِنا فى تركنا النوم واشتغالنا بالسرى . و (المطىّ) : جمع مطيّة ، وهى الراحلة التى يُمتطى ظهرها أى يُركب . و (السُّرى) : سير الليل .

أبيات الشاهد وهذا البيت من قصيدة لجرير يردُّ بها على الفرزدق . مطلعها :

(لاخيرَ فى مستعجِلات المَلاوم ... ولا فى حبيبٍ وصلُه غيرُ دائمِ
تركت الصِّبا مِن رهبةٍ أن يَهيجنى ... بتُوضِحَ[1] رسمُ المنزل المتقادم
وقال صِحابى : ماله ؟ قلت : حاجةٌ ... تُهيج صُدوعَ القلب بين الحيازم
تقول لنا سلمى : مَن القومُ أن رأتْ ... وُجوهاً عِتاقاً لُوِّحت بالسمائم
لقد لمتِنِا يا أمَّ غيلان بالسُّرى ... . البيت)

والمَلاوم : جمع مَلامة . والمستعجِلات بكسر الجيم . والحيازم : جمع حَيزوم وهو وسط الصدر . وقوله : مَن القوم ، بالاستفهام . وأن رأت ، بفتح همزة

(١) ط : « بتوضيح » ، صوابه فى سه والديوان ٥٥٤ .

أن. ولُوِّحت، بالبناء للمفعول: مبالغة لاحهُ السفرُ أى غيّره. والسمائم: جمع سَموم، وهى الريح الحارّة، مؤنثة. وقوله (لقد لمتنا.. الخ) أى قلتِ لنا[1].

وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع[2].

* * *

اسم ما ولا المشبهين بليس

أنشد فيه، وهو الشاهد الحادى والثمانون، وهو من شواهد سيبويه[3]:

٨١ (مَن صَدَّ عَن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لابَراحُ)

على أنّ (لا) تعمل عمل ليس شذوذا.

وأنشده سيبويه أيضاً على إجراء (لا) مُجرى ليس فى بعض اللغات. فبراح اسمها والخبر محذوف أى لى. قال ابن خلف: ويجوز رفع براح ٢٢٤ بالابتداء، على أن الأحسن حينئذ تكرير (لا) كقوله تعالى: «لا خَوفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يحزَنُون». وقال المبرد، كما نقله النحاس: لاأرى بأساً أن تقول لارجلٌ فى الدار فى غير ضرورة، وكذا لازيد فى الدار، فى جواب هل زيد فى الدار؟

وقوله (فأنا ابن قيس)، أى أنا المشهور فى النَّجدة كما سمعتَ. وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به. وجملة (لا براح لى) حال مؤكدة لقوله:

(١) ط: «قلت لها»، صوابه فى ش.
(٢) فى ص ٧٥.
(٣) سيبويه ١: ٢٨، ٣٥٤. وانظر ابن يعيش ١: ١٠٨ والإنصاف ٣٦٧ وابن الشجرى ١: ٢٣٩، ٢٧٢، ٢/٣٢٣: ٢٢٤ وشرح شواهد المغنى ٢٠٨.

أنا ابن قيس ، كأنه قال : أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب . وإتيان الحال بعد أنا ابن فلان كثير ، كقوله :

* أنا ابنُ دارةَ مشهوراً بها نسبى[1] *

وقيل : الجملة فى محل رفع خبر بعد خبر . وقيل تقرير للجملة التى قبلها . ويجوز نصب ابن قيس على الاختصاص فيتعيّن جملة لابراح لى كونها خبراً لأنا وهو أفخر وأمدح . قال الإمام المرزوقى فى قوله :

* إنّا بنى نَهشل لا ندّعى لأبٍ[2] *

« الفرق بين أن تنصبَ بنى نَهشل على الاختصاص وبين أن ترفع على الخبرية ، هو أنه لو جعله خبراً لكان قصدهُ إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم ؛ وإذا نصبَ أمِن من ذلك . فقال مفتخرا : أنا أذكُرُ مَن لايخفى شأنه ، لأنه يفعل كذا وكذا ! » اه .

و (البراح) بفتح الموحّدة : مصدر برِح الشىء براحا من باب تعب : إذا زال من مكانه .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة مذكورة فى الحماسة هى خمسة عشر بيتاً لسعد ابن مالك ، وأولها :

(يا بؤسَ للحرب التى وضعتْ أراهِطَ فاستراحوا)

---

(١) لسالم بن دارة . وعجزه كما سيأتى فى ١ : ٥٥٣ بولاق :

* وهل بذلك يا للناس من عار *

(٢) لبشامة بن حزن . وعجزه كما فى الحماسة ١٠٢ بشرح المرزوقى :

* عنه ولا هو بالآباء يشرينا *

وهو من أبيات مُغنى اللبيب ، أو رده على أن الأصل : يا بؤسَ الحربِ ، فأقحمت اللام بين المتضايفين تقوية للاختصاص ؛ ثم قال : « وهل انجرار ما بعدها بها أو بالمضاف ؟ قولان : أرجحهما الأول ، لأن الجارّ أقرب ولأنه لايعلّق » .

وفى أمالى ابن الشجرى:قال المبرد : من قال يا بؤساً لزيد جعل النداء بمعنى الدعاء على المذكور ، ومثله : يا بؤس للحرب . . البيت ، كأنه دعاء على الحرب ، وأراد يا بؤس الحرب فزاد اللام . ويجوز عندى أن يكون من قبيل الشبيه بالمضاف نحو : لا مانعَ لما أعطيت ؛ ولم أر مَن جوّزه فيه . ويجوز أن يكون المنادى محذوفا وبؤسَ منصوبا على الذم واللام مقحمة ، أو حذف التنوين للضرورة ، أى ياقوم أذمّ شدّة الحرب .

ومعنى وضعت أراهط : حطّتهم وأسقطتهم ، فلم يكن لهم ذكر شرف فى هذه الحرب ، فاستراحوا من مكابدتها كالنساء ؛ وفيه حذف مضاف أى وضعت ذِكر أراهط ، وهو جمع أرهُط جمع رَهط : وهو النفر من ثلاثة إلى عشرة ، وقد جاء أرهُط مستعملًا ، قال رؤبة :

* وهو الذليلُ نفراً فى أرهُطِهْ *

وزعم أكثر النحويين أن أراهط جمع رَهط على خلاف القياس . وروى برفع أراهط فالمفعول محذوف ، أى وضعتها أراهطُ ؛ والأول أنسب ، فإن هذا الشعر قاله (سعد) فى حرب البسوس حين هاجت الحرب بين بكر وتغلب لقتل كليب ، واعتزل الحارث بن عُباد وقال : هذا أمر لاناقة لى فيه ولا جمل[1] ! فعرّض سعد فى هذا الشعر بقعود الحارث بن عُباد عن الحرب ،

(١) ط : « لا ناقتى فيها ولا جلى » ؛ وأثبت ما فى س مع أثر تصحيح .

كما يأتى بيانه . وزعم الدمامينى فى الحاشية الهندية : أن الوضع هنا معناه الإهلاك ، وذلك لعدم وقوفه على منشأ هذا الشعر .

أبيات الشاهد وبعد هذا البيت :

٢٢٥ (والحربُ لايبقى لجا حِمها التخيّلُ والمِراحُ
إلا الفتى الصبّارُ فى النَّجدات والفرسُ الوَقاحُ)

وهما من أبيات سيبويه ، أوردهما على أن الفتى وما بعده بدلٌ من التخيّل والمراح على الاتساع والمجاز . ولذلك أوردهما الشارح أيضا فى باب المستثنى ، وذلك أنه استثناء منقطع كقولك : ما فيها أحد إلاّ حمارٌ ، فرفع على لغة بنى تميم. ولا يخفى أن هذا البدل ليس بدل بعض كما هو شأنه ، ولهذا قال سيبويه : على الاتساع والمجاز .

ثم أقول : هذا بناء على الظاهر ، وإن اعتُبر حذفُ مُضاف أى ذو التخيّل فالاستثناء متصل ، ويختار فيه الإبدال .

والجاحم بتقديم الجيم على الحاء المهملة : المكان الشديد الحرّ ، مِن جَحمت النار فهى جاحمة : إذا اضطرمت ، ومنه الجحيم . والتخيّل: التكبّر ، من الُخيلاء . يقول: إنها تزيل نَخوة المنخوّ ، وذلك أن أولى الغَناء[1] يتكرّمون عن الخَيلاء ، ويختال المتشبّع فإذا جرب فلم يحمد افتضح وسقط . والمراح بكسر الميم : النشاط ، أى إنها تكفّ حِدّةَ البِطر النشيطِ . وهذا تعريض بالحارث بن عُبَاد بأنه صاحب خيلاء ومراح . والصبّار : مبالغة صابر . والنجدة : الشدة والبأس فى الحرب . والوقاح بفتح الواو : الفرس الذى حافرُه صُلب شديد ، ومنه الوقاحة .

(١) ط : « أولى الغنى »

وقال بعدها بأبيات :

(بِئس الخلائفُ بعدَنا أولادُ يَشكرَ واللَّقاحُ
مِن صَدَّ عَنْ نيرانها . . . . البيت
الموتُ غايتُنـا فلا قَصْرٌ ولا عنهُ جِماحُ
وكأنَّمـا وِرد المنيـ ـة عندنا ماءٌ وَراحُ)

وهذا آخر القصيدة . أى إذا ذهبنا وبقيتْ يشكر وحنيفة فبئس الخلائف هم منّا : لا يحمون حريما ، ولا يأبَوْن ضيما . وكانت حنيفة تلقب : اللَّقاح ، لأنهم لم يدينوا الملكٍ ، يقال حىٌّ لَقاح بفتح اللام ، إذا لم يكن فى طاعة ملك . وقال بعض شراح الحماسة : إنه بكسر اللام ، جمع لَقْحة ، أى إذا خلفنا من لادفاع به من الرجال والأموال فبئس الخلائف بعدنا — جعلَ أولاد يشكر كاللقاح ، وهى الإبل التى بها لبن ، فى احتياجها إلى من يذبّ عنها — وهذا ليس بالوجه ، وإنما مراده ذمّ الحيّين لقعودهما عن بكر فى حربهم . والقَصْر بسكون الصاد : الحبس . والجماح بكسر الجيم : مصدر جمح إذا انفلت وهرب يريد : لا يمكن حبس نفس عن الموت ، ولا مهربَ عنه . والورد[1] : الورود ، وهو دخول الماء ، وقيل حضوره وإن لم تدخله .

سبب حرب البسوس

وهذه القصيدة قالها (سعد) يعرِّض بالحارث بن عُباد لقعوده عن الحرب ، وذلك : أن جسّاسا البكرىّ لما قتل كُليبا التغلبىّ هاجت الحرب بين بكر وتغلب ابنىْ وائل . وهى حرب البسوس : واعتزلها الحارث بن عُبَاد عن هذه الحرب فعرّض به سعد كما قلنا .

قال أبو رياش فى شرح الحماسة : كان الحارث بن عُباد بن ضُبيعة بن قيس

(١) ط : « والمورد » ، صوابه فى سه .

ابن ثعلبة من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين . وكان اعتزل حرب ابني وائل وتنحّى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه ؛ وحلّ وتر قوسه ونزع سنان رمحه ، ولم يزل معتزلا حتى إذا كان فى آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بُجير بن عمرو ابن عُباد فى أثر إبل له ندّت يطلبها ، فعَرض له مهلهِل فى جماعةٍ يطلبون غِرّةَ
٢٢٦ بكر بن وائل ؛ فقال لمهلهِل امرؤُ القيس بنُ أبانَ بنِ كعب بن زهير بن جُشَم ، وكان من أشراف بنى تغلب وكان على مقدّمتهم زمانا طويلا : لا تفعل ! فوالله لئن قتلته ليقتلنّ به منكم كبشٌ لا يُسأل عن خاله : مَن هو ؟ وإياك أن تحقِر البغى فإنّ عاقبته وخيمة ؛ وقد اعتزلنا عمّه وأبوه وأهلُ بيته وقومه . فأبى مهلهل إلاّ قتله ، فطعنه بالرمح وقتله وقال : « بُؤْ بشِسْع نعل كليب » ! — يقال : أبأت فلانا بفلان فباء به : إذا قتلته به ، ولا يكاد يستعمل هذا إلا والثانى كفء للأوّل — فبلغ فعلُ مهلهل عمَّ بجير وكان من أحلم أهل زمانه وأشدّهم بأسا ، فقال الحارث : نِعمَ القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل ! فقيل له : إنما قتل بِشِسْع نعل كليب . فلم يقبل ذلك ، وأرسل الحارث إلى مهلهل : إن كنت قتلت بجيرا بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسى بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلته بشسع نعل كليب ! فغضب الحارث ودعا بفرسه — وكانت تسمّى النَعامة — فجزّ ناصيتها وهلَب ذَنبها[1] ، وهو أول من فعل ذلك بالخيل ، وقال :

قرِّبا مَربِطَ النعامة منّى ... لقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ
لا بجيرٌ أغنى قتيلا[2] ولا رهـ ... ـطُ كليب تزاجَروا عن ضلالِ

---

(١) يقال قد هلب ذنبه ، أى استأصله جزا .
(٢) الميمنى : « وكذا فى كتاب بكر ٦١ حيث القصيدة فى مائة بيت ، ولكنى أرى الصواب : قتيلا » .

لم أكنْ من جُناتها ، علِمَ اللهُ وإنّى لحرها اليوم صالى[1]

قرِّبا مَربِطَ النعــامة منّي إنّ قتلَ الغلام بالشِسْعِ غالى

ولقحت : حملت . والحِيال : أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل . وهذا مثلٌ ضربه ؛ لأن الناقة إذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها ، وإنما يعظّم أمر الحرب لما تولّد منها من الأمور التى لم تكن تحتَسَب .

ثم ارتحل الحارث مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل ، وعليهم يومئذ الحارث بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، فقال الحارث ابن عباد له : إن القوم مستقلّون قومك ، وذلك زادهم جراءة عليكم ، فقاتِلْهم بالنساء ! قال له الحارث بن همّام : وكيف قتال النساء ؟ قال : قلِّدْ كلّ امرأة إداوة من ماء ، وأعطِها هِراوة ؛ واجعلْ جمعهنّ مِن ورائكم فإن ذلكم يزيدكم اجتهادا ؛ وعلّموا بعلامات يعرفْنها : فإذا مرّت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعَشته ، وإذا مرّت على رجل من غيركم ضربته بالهِراوة فقتلته وأتت عليه . فأطاعوه ؛ وحلقت بنو بكر يومئذ رءوسها استبسالاً للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم ؛ واقتتل الفُرسان قتالا شديدا ، وانهزمت بنو تغلب ولحقت بالظُعُن بقيّة يومها وليلتها ، واتّبعهم سَرَعانُ بكر بن وائل[2] ، وتخلّف الحارث بن عباد ، فقال لسعد بن مالك (القائل :

يا بؤسَ للحرب التى وضعت أراهطَ فاستراحوا) :

---

(١) العينى : « الصواب : بجمرها . وفى كتاب بكر : بحرها » .

(٢) سرعان الناس محركة : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، ويسكن . ومن الخيل : أوائلها ، وقد يسكن .

أتُراني ممن وَضَعَته ؟ قال : لا ، ولكن لا مَخبأ لِعطر بعد عَروس .
ومعناه : إن لم تنصر قومك الآن فلمن تدّخر نصرك ؟ !

سعد بن مالك و (سعد) هو سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة ابن صعب بن على بن بكر بن وائل . قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : كان سعد هذا أحدَ سادات بكر بن وائل وفرسانِها فى الجاهلية . وكان شاعرا . وله أشعار جياد فى كتاب بنى قيس بن ثعلبة .

قال : وشاعر آخر اسمه سعد بن مالك بن الأقيصر القُريعى أحد بنى قُريع بن سَلامان بن مُفْرِج . وكان فارساً شاعراً .

آخر الجزء الأول

والحمد لله وحده

الفهارس

فهارس الجزء الأول

١ — فهرس التقديم

صفحة

٢ ـــ فهرس التراجم

الصفحة

الصفحة

٣ — فهرس الشواهد

(خواص الاسم)

(أقسام التنوين)

(المعرب والمبنى)

٢٠	بلغتها واجتمعت أشدى		١٦١
٢١	جذب الصراريين بالكرور		١٦٦
٢٢	ولم يستريثوك حتى رميـ	ـت فوق الرجال خصالا عشارا	١٧٠
٢٣	إلا علالة أو بدا	هة سابح نهد الجزاره	١٧٢
٢٤	فما وجدت بنات بنى نزار	حلائل أسودين وأحمرينا	١٧٨
٢٥	قد صرت البكرة يوما أجما		١٨١
٢٦	أتانى وعبدالحوص من آل جعفر	فيا عبد عمرو لو نهيت الأحاوصا	١٨٣
٢٧	أخو رغائب يعطيها ويسألها	يأبى الظلامة منه النوفل الزفر	١٨٥
٢٨	إنى لمهد من ثنائى وقاصد	به لابن عم الصدق شمس بن مالك	٢٠٠
٢٩	وهم قريش الأكرمون إذا انتموا	طابوا فروعا فى العلا وعروقا	٢٠٢
٣٠	وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم	خضع الرقاب نواكس الأبصار	٢٠٤
٣١	وشق له من اسمه ليجله	فذو العرش محمود وهذا محمد	٢٢٣
٣٢	أتى دونها ذب الرياد كأنه	فتى فارسى فى سراويل رامح	٢٢٨
٣٣	عليه من اللؤم سروالة	فليس يرق لمستعطف	٢٣٣
٣٤	جاء الشتاء وقميصى أخلاق	شراذم يعجب منى التواق	٢٣٤
٣٥	ولو كان عبد الله مولى هجوته	ولكن عبد الله مولى مواليا	٢٣٥
٣٦	له ما رأت عين البصير وفوقه	سماء الإله فوق سبع سمائيا	٢٤٤
٣٧	كم دون مية من خرق ومن علم	كأنه لامع عريان مسلوب	٢٥٣
٣٨	أنا ابن جلا وطلاع الثنايا	متى أضع العمامة تعرفونى	٢٥٥
٣٩	نبئت أخوالى بنى يزيد	ظلما علينا لهم فديد	٢٧٠

(الفاعل)

٤٠	جزى ربه عنى عدى بن حاتم	جزاء الكلاب العاويات وقد فعل	٢٧٧
٤١	لما عصى أصحابه مصعبا	أدى إليه الكيل صاعا بصاع	٢٨٩
٤٢	ألا ليت شعرى هل يلومن قومه	زهيرا على ما جرى من كل جانب	٢٩١
٤٣	كأن لم يمت حى سواك ولم تقم	على أحد إلا عليك النوائح	٢٩٥
٤٤	لا أشتهى يا قوم إلا كارها	باب الأمير ولا دفاع الحاجب	٣٠٠
٤٥	ليبك يزيد ضارع لخصومة	ومختبط مما تطيح الطوائح	٣٠٣
٤٦	لا تجزعى إن منفس أهلكته	وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعى	٣١٤

(اسم ما ولا المشبهين بليس)

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٩/٤٧٢٨

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٧٧٨ ٤

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الأول

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة

١٤١٨هـ = ١٩٩٧م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

البغدادى

١٠٣٠ — ١٠٩٣

مولده ونشأته :

ولد عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادى(١) فى مدينة بغداد سنة ١٠٣٠ . وكانت بغداد فى هذا العهد موضع نزاع وتطاحن بين الدولة الصفوية التى يرأسها الشاه عباس الصفوى(٢) ، الذى عرف بقسوته وفظاظته وجبروته ، وبين الدولة العثمانية التى كان لجنودها من الشراسة والعرامة ما كان مخافة للناس وفزعاً ، بل كان وزراء الدولة العثمانية ممن يهابون سطوة هؤلاء الجنود .

ففى تلك الفترة كان القتال مستمرا ، ورحى الحرب دائرة من حول هذه العاصمة العربية الخالدة . وما زال القتال يشتد ويبلغ أوجه حتى سقطت بغداد فريسة فى أيدى جيوش السلطان العثمانى مراد الرابع . وكانت بغداد كالكرة يتقاذفها كل من الصفويين والعثمانيين .

وفى تلك الظروف الحرجة لم يفت عبد القادر أن يشتغل بالعلم واللغات ،

---

(١) عثرت على هذه النسبة الكاملة فى ختام نسخة البغدادى بقلمه من كتاب فرحة الأديب المودع بدار الكتب .

(٢) حكم إيران من سنة ١٠٨٨ إلى سنة ١٦١٩ م وكان عمره عند توليه الحكم سبع عشرة سنة . وبلغ من قسوته أن قتل ولده البكر صفى ميرزا . تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ٣ : ١٢٠ — ١٢٢ .

وأن يفيد من لغة الفرس والترك إلى جانب إفادته من العربية ، فشق لنفسه بذلك ميدانا فسيحا ، أمكنه فيه أن يشدو من آداب تلك اللغات جميعا[1] .

رحلته الأولى إلى دمشق :

وفى تلك الفترة نظر عبد القادر فى مغادرة وطنه ، واللجوء إلى بلد آمن بعيد عن تلك القلاقل السياسية ، فكان أن نزح إلى دمشق فى نحو سنة ١٠٤٨ واتصل بنقيب أشرافها الطالبيين محمد بن كمال الدين الحسينى شيخ آل حمزة[2] ، فلقى من عطفه وإكرامه ما أنساه قسوة الغربة ، وخصص له منزلا فى المسجد المقابل لداره فى الحى المعروف بزقاق النقيب[3] .

وكان محمد بن كمال الدين أول أستاذ له فى دمشق ، ثم جلس فى حلقة الإمام محمد بن يحيى الفرضى[4] فدرس عليه دراسة واسعة فى علوم العربية .

---

(١) يقول المحبى فى خلاصة الأثر ٢ : ٤٥١ : « وهو أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة ، مع التثبت فى النقل وزيادة الفضل ، والانتقاد الحسن ، ومناسبة إيراد كل شىء منها فى موضعه ، مع اللطافة وقوة المذاكرة وحسن المنادمة وحفظ اللغة الفارسية والتركية ، وإتقانهما كل الإتقان ، ومعرفة الأشعار الحسنة منهما ، وأخبار الفرس . خرج من بغداد وهو متقن لهذه اللغات الثلاث » .

(٢) محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسينى المنتمى، الحنفى المذهب . ولد بدمشق سنة ١٠٢٤ وتوفى سنة ١٠٨٥ . وكان نقيب الشام ، فقيها محدثا نحويا شاعرا ، وكان ممن يكثر السفر إلى بلاد الروم ، ثم رجع إلى الشام وأقام بها وولى النيابة الكبرى . ولما توفى والده ولى مكانه فى النقابة وانعقدت عليه صدارة الشام . وله حاشية على شرح الألفية لابن الناظم وتحريرات على الهداية . وانتفع بعلمه خلق كثير . خلاصة الأثر ٤ : ١٢٤ — ١٣١ .

(٣) حى معروف بدمشق إلى الآن ، كان فيه منزل الأمير عبد القادر الجزائرى وبنيه وأحفاده ، وفيه منازل آل حمزة إلى الآن . وبه كان ينزل الشيخ طاهر الجزائرى قبل مجيئه إلى مصر ، كما ذكر الأستاذ محب الدين الخطيب .

(٤) هو نجم الدين محمد بن يحيى الفرضى ، قال المحبى : « كان اعظم شيخ أدركناه واستفدنا منه . . . ولم أر مثله فى تفهيم الطلبة والحرص على تهذيب قرائحهم » . وكان عالما بالعربية والفرائض والحساب . ومن تلاميذه الشيخ خليل الحمصانى ، وعز الدين خليفة الحمصى . توفى سنة ١٠٩٠ . خلاصة الأثر ٤ : ٢٦٥ — ٢٦٦ .

رحلته إلى مصر وشيوخه فيها :

وكانت الرحلة التالية إلى مصر سنة ١٠٥٠ وكان البغدادي إذ ذاك في العشرين من عمره ، وهي سن الوعي الكامل والنشاط العلمي ، فعقد صلته بأكبر شيخ له ، وهو شهاب الدين الخفاجي(١) صاحب ريحانة الألباء وشفاء الغليل ، كما جلس إلى آخرين من علماء الجامع الأزهر وفطاحله ، منهم الشيخ يس الحمصي(٢) ، والنور الشبراملسي(٣) ، وسرى الدين الدروري(٤) ، والبرهان إبراهيم المأموني(٥) .

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي . ترجم لنفسه في ريحانة الألباء ، بأنه قرأ على خاله أبي بكر الشنواني علوم العربية ، وعلى جماعة من العلماء ثم ارتحل إلى القسطنطينية ، وولي القضاء ببلاد الروم ، ثم في مصر ، ثم عاد إلى بلاد الروم فر على دمشق . وكانت وفاته سنة ١٠٦٩ . قال المحبي : والخفاجي نسبة إلى أبيه خفاجي ، ولا أدري معناه . وأصل والده من سرياقوس : قرية من قرى الخانقاه . ريحانة الألباء ٣٦٨ طبع ١٣٠٦ وخلاصة الأثر ١ : ٣٣١ – ٣٤٣ وجورجي زيدان ٣ : ٣٠٨ .

(٢) هو يس بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن عليم الحمصي الشافعي القاهري المعروف بالعليمي . ولد بحمص ، ثم رحل إلى الشام ونشأ بها وقرأ وتصدر في الأزهر لإقراء العلوم . وتوفي بالقاهرة سنة ١٠٦١ . وهو صاحب الحاشية المشهورة على شرح التوضيح المسمى بالتصريح للشيخ خالد . خلاصة الأثر ٤ : ٤٩١ .

(٣) هو أبو الضياء نور الدين علي بن علي الشبراملسي ، من أهل القاهرة ، وكان من فقهاء الشافعية ، وله حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني ، وأخرى على الشمائل، وغيرها . ولد سنة ٩٩٧ وتوفي سنة ١٠٨٧ . قال في خلاصة الأثر : « والشبراملسي بشين معجمة فموحدة فراء فألف مقصورة ، على وزن سكرى ، كما في القاموس ، مضافة إلى ملس بفتح الميم وكسر اللام المشددة وبالسين المهملة ، أو مركبة تركيب مزج ، وهي قرية بمصر » . خلاصة الأثر ٣ : ١٧٤ – ١٧٧ .

(٤) ويقال سري الدين دوري ، كما في عقد الجواهر والدرر نسخة رامپور .

(٥) كذا في خلاصة الأثر ٢ : ٣٥٢ في ترجمة البغدادي . لكن في خلاصة الأثر في ترجمته هو : الشيخ إبراهيم بن محمد بن عيسى المصري الشافعي الملقب برهان الدين الميموني . وهو الصواب ، وقال : «كان آية ظاهرة في علوم التفسير والعربية ، أعجوبة باهرة في العلوم العقلية والنقلية ... وأبلغ ما كان مشهورا فيه علم المعاني والبيان حتى قل من يناظره فيهما » . وله حاشية على المواهب اللدنية ، وأخرى على تفسير البيضاوي ، وبعض تعليقات على شرح التلخيص للمولى عصام الدين ، المسمى بالأطول . ولد سنة ٩٩١ وتوفي سنة ١٠٧٩ ودفن بتربة المجاورين . قال المحبي : « والميموني نسبة للميمون من الصعيد » . خلاصة الأثر ١ : ٤٥ – ٤٦ .

وكان أستاذاه البارزان هما : الشهاب الخفاجي ، والشيخ يس الحمصي . وهو لا يذكر واحداً منهما في الخزانة إلا بلفظ « شيخنا » . وقد أجازه الخفاجي بمؤلفاته[1] .

وقد حفظ البغدادي في صدر شبابه مقامات الحريري ، وطائفة من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم[2]، فاكتسب بذلك حذقا في نقد النصوص ومقارناتها، وكان أستاذه الخفاجي مع غزارة علمه واتساع أفقه في الاطلاع يقدره قدره ويشهد له بالفضل ، كما أن البغدادي كان يحفظ لأستاذه حقه ، وينتهز الفرصة للإشادة بفضله . ومن ذلك ماروى المحبي في خلاصة الأثر عن مصطفى بن فتح الله قال[3] قلت له — يعني للبغدادي — لما رأيت من سعة حفظه واستحضاره : ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك ! فقال لي : جميع ما حفظته قطرة من غدير الشهاب ، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه ! .

ومع ذلك إن الرجل كان محققاً حر الفكر ،معتزا بعلمه، لاينزل به إلى درك الخضوع لأستاذه ، فهو يعترض عليه في أدب العالم حين وجده يعزو بيت عمرو ابن معديكرب إلى المفضليات إذ يقول[4] : « والعجب من شيخنا الخفاجي أنه نسبه إليه في حاشية البيضاوي وقال : هو من قصيدة مسطورة له في المفضليات ، مع أنه غير موجود في شعره في المفضليات لا من قليله ولا من كثيره » .

وينقل عنه كذلك نصا في الشاهد ٧١٩ نقله أستاذه عن الرضي فيعقب عليه بقوله[5] : « وهذا مخالف لصريح كلام الرضي » . كما تسجل الخزانة اعتراضه على شيخه الخفاجي في مواضع أخرى[6] .

وأحب أن أذكر أيضاً أن البغدادي ذكر شيخه يس الحمصي صاحب الحاشية

(١) انظر صورة الإجازة في ريحانة الألباء للخفاجي ٣٦٨
(٢) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥١ .
(٣) الخزانة ٤ : ٥٦ .
(٤) الخزانة ٤ : ١٧ .
(٥) انظر منها ٣ : ٦٠٣ .
(٦) الخزانة ٣ : ٤١٠ ، ٤٣٢ .

على التصريح فى موضعين من الخزانة[1] ، ولم يذكره فيهما إلا ليعترض عليه ويحقق كلامه ، فقد كان التحقيق ونصرة الحق هو رائده الأول ، بغض النظر عن اعترافه المتوالى بأستاذية شيخيه الإمامين .

مكتبة الشهاب الخفاجى

وقد كان لمكتبة الشهاب فضل عظيم على صاحب الخزانة فى أثناء حياة الشهاب بمقتضى ملازمته له ، وبعد وفاته سنة ١٠٦٩ لأن البغدادى تملك أكثر كتبه ، كما ذكره المحبى[2] .

فمن ذلك ما نرى أن ثبت مكتبة البغدادى مما يقف أمامه الناظر وقفة العجب والدهشة ، لما حواه من نوادر التصنيف وعجائب التأليف .

رحلته الأولى إلى بلاد الروم

ظفرت مصر بإقامة البغدادى فيها طالبا وشيخا ومؤلفا من سنة ١٠٥٠ إلى ١٨ من ذى القعدة سنة ١٠٧٧ أى من سن العشرين إلى سن السابعة والأربعين . ثم عنّ له أن يغادرها إلى القسطنطينية عاصمة آل عثمان ، وكان إذ ذاك قد وصل من تأليفه خزانة الأدب إلى الشاهد ٦٦٩ كما ذكر فى خاتمة الخزانة . ويبدو أنه لم تطب له الإقامة فى تلك الرحلة ، فسرعان ما عاد إلى مصر فى اليوم السابع من ربيع الأول سنة ١٠٧٨ أى إنه قضى فى تلك الرحلة نحو خمسة أشهر .

عودته إلى مصر

وبعد ما رجع إلى مصر عقد سببه بواليها من قبل الدولة العثمانية إذ ذاك ، وهو إبراهيم باشا كتخذا وذلك فى سنة ١٠٧٨ فاتخذه الوالى نديما له وسميرا ، وأحله محلا مرموقا ، واستمرت الصلة بينهما موثقة الأسباب فى مصر نحو سبع سنوات ، إلى السنة التى عزل فيها هذا الوالى بوالٍ آخر هو حسين باشا .

---

(١) الخزانة ٣ : ٤١٠ ، ٤٣٢ .

(٢) فى خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٢ : « ولما مات الشهاب تملك أكثر كتبه ، وجمع كتبا كثيرة غيرها . وأخبرنى عنه بعض من لقيته أنه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة » .

ويبدو أن البغدادى كان محتفظا بولائه لإبراهيم ، أو ان إبراهيم كان مصرا على استصحابه ، فرحلا معا إلى بلاد الروم فى سنة ١٠٨٥ [١] وكان سفرهما بطريق بلاد الشام ، فتسنى للبغدادى أن يدخل الشام مرة ثانية بعد انقضاء ٣٧ عاما بعد دخوله الأول .

وفى هذه الرحلة الثانية قدر له أن يتصل برجل خطير من رجال الدولة العثمانية وهو الوزير احمد باشا بن محمد كوبريلى [٢] . وكان هذا الرجل فى أول أمره من رجال العلم والتعليم ، ثم تقلب فى المناصب المدنية إلى أن ولى الوزارة العظمى وهو لايزال على عرق من محبة العلم والعلماء ، فلما لمس الفضل فى البغدادى أدناه وقربه ، وأحله محل الكرامة والتقدير ، وجعله فى خواصه . وألف البغدادى حاشيته على شرح بانت سعاد لابن هشام ، وجعلها برسمه ، كما سيأتى .

وفى أثناء ذلك عرف فضله السلطان العثمانى محمد بن السلطان إبراهيم [٣] .

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٣ .

(٢) قال المحبى : « ولم يكن فى الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله ، صعبا شديدا فى أمور الشرع ، سهلا فى أمور الدنيا ... وملك من نفائس الكتب وعجائب الذخائر ما لا يدخل تحت الحصر ولا يضبط بالإحصاء » . تولى ولاية روم إيلى فظهرت كفايته ، ثم انتقل إلى حكومة الشام سنة ١٠٧١ ثم ولى الصدارة العظمى بعد وفاة والده سنة ١٠٧٢ وكان السلطان حينئذ بأدرنة ، ثم انتقل إلى القسطنطينية فى سنة ١٠٨٧ فرحل معه إليها ثم أدركه المرض مقدار ستة أشهر فتوفى فى تلك السنة وكانت ولادته سنة ١٠٤٥ . قال المحبى : « وكان قبل وفاته وقف كتبه ووضعها فى خزانة بالتربة المذكورة — يعنى تربته بالقسطنطينية — ورتب لها أربعة حفاظ ، وفيها من نفائس الكتب ما لا يوجد فى مكان . وأخبرنى بعض من أثق به أنها ثمنت بأربعين ألف قرش » . يقول المحبى : هذا فى الوقت الذى يذكر فيه أنه حصل قحط فى الشام وبلغت غرارة الحنطة فى الثمن إلى ثمانين قرشا . خلاصة الأثر ١ : ٣٥٢ — ٣٥٦ . وكوبريلى : نسبة إلى كوبرى : مدينة قرب أماسية ، كما ذكر بروكلمان فى تاريخ الشعوب الإسلامية ٣ : ١٤٦ . والمحبى يجعله « الكوبرى » على غرار النسبة العربية ، لا التركية التى تلحق اللام والياء بالمنسوب . وقد ترجم المحبى لأبيه فى الخلاصة ٤ : ٣٠٩ — ٣١٢ .

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن أحمد خان ، تولى السلطنة بعد قتل أبيه سنة ١٠٥٨ وأقام فى السلطنة ٤١ عاما ثم خلع سنة ١٠٩٩ . تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوى ١٦١ طبع الأزهرية سنة ١٣١١ .

فنال تقديره أيضا . وجعل البغدادى كتابه « خزانة الأدب » باسم هذا السلطان كما ذكر فى مقدمة الخزانة التى بدأ تأليفها سنة ١٠٧٣ وأتمها سنة ١٠٧٨ .

ويذكرون أنه كان مقيما طوال تلك المدة فى مدينة « أدرنة » من بلاد الروم . وقد زاره فيها « المحبى » صاحب خلاصة الأثر ، الذى كان لوالده صلة وثيقة بالبغدادى . يقول المحبى : « فرحب بى وأقبل علىّ ، وكان إذ ذاك فى غاية من إقبال الكبراء عليه » .

شعر البغدادى

يقول المحبى[١] : وكان مع تبحره فى الآداب ومعرفة الشعر لم يتفق له نظم ، حتى طلبتُ من بعض المختصين به شيئا من شعره لأثبته فى ترجمته ، فذكر لى فيما زعم أنه لم يتفوه بشىء منه ترفعا عنه . ثم رأيت الشبلى[٢] ذكر له فى ترجمته هذه الأبيات فى هجاء طبيب يهودى يعرف بابن جميع :

يابن جميع أصبحت تمتحن النحـ ... و ودعواك فيـه منحوله
أمك ما بالهـا فقـد ذهبت ... مرفوعة السـاق وهى مفعوله
فاعِلهـا الأير وهو منتصب ... مسـائل قد أتتك مجهوله
والعـين عطل وعـين عصعصها ... بنقطة الخصيتين مشكوله

وهو كما ترى شعر ماجن متكلف ، وعلى طريقة النحويين .

خط البغدادى

للبغدادى قطعة من شرحه على شواهد شرح التحفة الوردية بخطه ، وهى مسوّدة سيأتى الكلام عليها .

---

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٣ .

(٢) هو جمال الدين محمد بن أبى بكر الشبلى ، صاحب « عقد الجواهر والدرر ، فى أعيان القرن الحادى عشر » . ومن هذا الكتاب نسخة فى خزانة رامپور عدد صفحاتها ٤٨٠ ذكر فيها وفيات هذا القرن . وله كتاب آخر فى التراجم ، عنوانه « المشرع الروى ، فى مناقب السادة بنى علوى » ، منه نسخ فى حضرموت ، كما ذكر الأستاذ محب الدين الخطيب .

ومن خط البغدادى أيضا نسخة من فرحة الأديب ، لأبى محمد الأعرابى كتبها لنفسه ، وهى مودعة بدار الكتب المصرية برقم (٧٨ مجاميع م) جاء فى خاتمتها : « تم هذا الكتاب بعون الله على يد الفقير إلى رحمة ربه الغفور عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادى . كتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده . وكان بدء الكتابة فى يوم الأحد ، وآخرها فى ضحوة يوم الاثنين التاسع عشر من شهر شوال المبارك من شهور سنة ثمان وسبعين بعد الألف من الهجرة . وكان تاريخ الأصل الذى كتبت منه يوم الأحد تاسع وعشرين شعبان سنة اثنين (كذا) وتسعين وخمسمائة . هكذا رأيته مؤرخا . وحسبنا الله ونعم الوكيل » . وكتب البغدادى إلى جوار هذا الكلام : « فيكون مدة كتابته تسعه أيام مع أشغال عائقة . والحمد لله عليه » .

وهذه النسخة فى ٥٨ ورقة صغيرة . وقد نقلت منها نسخة دار الكتب ذات الرقم ٤٤٢١ أدب بقلم محمود فهمى بن محمد بن أحمد بن زين الصياد المرصفى سنة ١٣٤١ .

وذكر الأستاذ عبد العزيز الميمنى أن نسخة مجمع الأمثال للميدانى المحفوظة بخزانة بانكى بور فى الهند عليها خط للبغدادى هذا نصه : « من نعم الله على عبده الفقير إليه عبد القادر بن عمر البغدادى » .

وكذا على كتاب المعمرين للسجستانى الذى طبع فى ليدن من هذا الأصل .

وكذا كتاب الوصايا للسجستانى . وكذلك فى أوربا جزء من كتابه شرح شواهد شرح الشافية بخطه .

ويجد القارئ فى معجم الأدباء لياقوت ٢ : ٩٧ طبع دار المأمون فى ترجمة الحصرى صاحب زهر الآداب مانصه : « وله عندى كتاب الجواهر والملح والنوادر . كتبه عبد القادر البغدادى » .

وكذا فى طبعة مرجليوث قبله . ولا ريب أن هذا من كلام البغدادى تعليق منه على النسخة ، لا من كلام ياقوت . فأقحمه الناسخ فى صلب الكتاب ، ولم يتنبه له مرجليوث ولا القائمون على طبعة دار المأمون .

خاتمة حياته :

ولم يزل البغدادي فى أدرنة مقيما ، عاقداً سببه بالوزير الكوبريلى ، إلى أن أدركته علة شديدة أعجزت نطس الأطباء . يقول المحبي(١) : « ولم يبق طبيب إلا باشر معالجته » . وفى أثناء ذلك ذهب إلى معرة مصرين(٢) . ثم عاد إلى بلاد الروم مرة ثالثة، فابتلى برمد فى عينيه حتى أوشك أن يكف ، وذلك فى سنة ١٠٨٧ كما ذكر هو فى خاتمة كتابة شرح أبيات مغنى اللبيب لابن هشام الذى سيأتى الكلام عليه ، وانقطع بذلك نحو شهر عن التأليف ، ثم برأ بعد ذلك ، وسافر إلى القسطنطينية فى سنة ١٠٩١ ثم سافر من طريق البحر إلى مصر ولم تطل إقامته بها حتى توفى فى أحد الربيعين من سنة ١٠٩٣ .

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٢ .

(٢) بليدة وكورة بنواحى حلب ، بينهما نحو خمسة فراسخ ، كما فى معجم البلدان . وفى الأصل : « معرة مصر » ، تحريف .

مكتبة البغــــدادى

كانت السمة الغالبة على تأليفه هو شرح شواهد العربية فى إسهاب وعناية وتحقيق مع ترجمة قائليها . وهذا الضرب من التأليف كانت له جذور عميقة تمتد إلى أبى الفرج الأصبهانى مؤلف الأغانى ، إذ جعل أبيات الأغانى وسيلة وسلما إلى ترجمة الشعراء والأدباء فى الجاهلية والإسلام ومن كان على صلة بهم وبأخبارهم .

وهذا ثبت أسماء مؤلفاته :

١ — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . (وسأفرد لها ذكراً) .

٢ — شرح شواهد الشافية للرضى والجاربردى . بدأ تأليفه فى يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٠٧٩ وأتمه فى يوم الجمعة ليلة الثالثة عشرة من صفر الخير سنة ١٠٨٠ اى فى أقل من سنة . قال فى مقدمته : « وبعد فلما فرغت بتوفيق الله من شرح شواهد الكافية لنجم الأئمة الرضى الاستراباذى رحمه الله وتجاوز عنه ، رأيت أن ألحق به شرح أبيات شواهد الشافية له أيضا ، وهى مائة وتسعون بيتاً ، لكونهما ككتاب واحد مَتْناً وشرحا ، فكذلك ينبغى أن يكون شرح أبياتهما . وأشار إلى بعض الأفاضل بأن أضم إليها أبيات شرح المحقق العلامة أحمد بن الحسن الجاربردى التى انفرد بها ، لمسيس الحاجة إليها لكثرة تداولها تدريسا ومراجعة حتى يعم النفع ، وهى اثنان وخمسون بيتا ، فأجبته إلى ذلك .

ونهجه فيه مماثل لنهجه فى الخزانة ، مع انتفاعه بالإحالة إلى ما سبق تفصيل له فى الخزانة ، ومع التزامه بالنص على ما فى تلك الشواهد من أبيات سيبويه ، والنص على ما انفرد به الجاربردى .

وقد ألحق البغدادى به فهرسا على حروف الهجاء لمن ترجم لهم فيه ممن يترجموا فى الخزانة ، فإنه اكتفى فى هؤلاء بالتنبيه على مواضعهم فى الخزانة .

والثانية منهما منقولة من الأولى. والأولى وهى الشنقيطية تاريخها سنة ١٢٩٨ ذكر فى خاتمتها أنها منقولة من خط المؤلف. وهى فى ٢٨٠ ورقة. أما تاريخ الثانية المنقولة من الأولى فهو سنة ١٣٤١ .

وعدد من ترجم لهم فى هذا الشرح أربعة وثلاثون كما أحصاهم بقلمه .

ومن هذا الكتاب نسختان بدار الكتب المصرية برقم ٤ – مجاميع ، ٢٨٥ صرف . وتوجد قطعة منه بخط البغدادى فى مكتبات أوربا طبعت صفحة منها بالتصوير الشمسى ، وألحقت بآخر مجموعة ديوان أبى محجن وزهير وغيرهما كما ذكر الأستاذ محب الدين الخطيب .

وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، ملحقاً بشرح شافية ابن الحاجب بمطبعة حجازى سنة ١٣٥٦ .

٣ — شرح مقصورة ابن دريد . ألفه فى شبيبته ، ولعله أول تصانيفه . ذكره فى أثناء الكلام على الشاهد ١٧٨ وقال[1] : « عدتها مائتان وتسعة وثلاثون بيتا ، لها شروح لاتحصى كثرة . وأحسن شروحها شرح العلامة الأديب أبى على محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتى . وقد شرحتها أنا شرحاً موجزا مع إيضاح واف ، وتبيين شاف ، فى أيام الشبيبة ، نفع الله به » .

٤ — شرح أبيات مغنى اللبيب لابن هشام ، كما كتب على النسخة ، ويعرف أيضا بشرح شواهد المغنى . ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية برقم ٢ – نحو . وهذه النسخة فى مجلدين الأول منهما فى ١٠٦١ صفحة والثانى فى ١٠٨٧ تم نسخها فى ٢٠ من رجب سنة ١٣٢٠ وقت إقامة الشنقيطى بالقسطنطينية ، بخط أحمد بن حسونة القفصى السوسى . وفى صدر كل من المجلدين فهرس لما فيه من الشواهد حسب ورودها فى الكتاب . وتشتمل على ٩٤٦ شاهداً .

وقال البغدادى فى خاتمته : « وهذا آخر الأبيات التى ختم المصنف بها كتابه. وقد من الله علينا فى أن وفقنا لشرح أبياته من الأول إلى الآخر ، بعد أن يكاد

---

(١) الخزانة ١ : ٤٩٠ .

يذهب البصر برمد شديد ، فإنى لما وصلت إلى الإنشاد الثالث والأربعين بعد الستمائة حدث لى شقيقة رمدت بها عينى اليمنى ، وانطبقت معها اليسرى ، وذلك فى اليوم الرابع من ذى الحجة ختام سنة سبع وثمانين وألف (١٠٨٧) فرمدت عينى بنزلة حادة مدة ثلاثين يوما ، ففترت النازلة فانفتحت عيناى بعض الانفتاح وهى تحب التغميض ، فما زالت موجعة ونورها ينقص إلى أن كدت لا أبصر شيئاً حتى أنعم الله على بإبصارها ، فرجعت فى تكميل شرح الأبيات فى غرة ربيع الأول من شهور سنة إحدى وتسعين بعد الألف (١٠٩١) ولله الحمد على هاتين النعمتين . وتم شرحها فى وقت العصر من يوم الجمعة السادس من شهر رجب من السنة المذكورة ، ولكنا استعجلنا فى أواخر هذا الشرح لتصمم العزم إلى القسطنطينية لأمر عرض ، فتمّ قبل السفر بخمسة أيام . وكان ابتداء الشروع فى الشرح الساعة السابعة من الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك من السادسة والثمانين بعد الألف من الهجرة (١٠٨٦) .

فأنت ترى كيف كان البغدادى يسجل بدء أعماله العلمية وختامها بهذه الدقة التاريخية . وهو ما يجدر بكل عالم مؤلف أن يصنعه .

٥ — حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام . ومنه ثلاث نسخ : واحدة فى راجپور بالهند كتبت سنة ١١١٢ ، والثانية فى مكتبة أياصوفيا ، والثالثة فى الخزانة التيمورية برقم (٧٤٦ شعر) . وهذه فى مجلدين فى نحو ١٣٠٠ صفحة نسخت سنة ١٣٣٣ أو هى من أنفس ما كتب البغدادى ، شرح فيها شواهد هذا الشرح ومافيه من أمثال أو أمثلة أو نحو ذلك . وشواهده زهاء ٤٠٠ بيت تولاّها بالشرح والتحقيق والنسبة ، وترجمة قائليها من الشعراء ، بل تجاوز ذلك إلى إضافة تراجم بعض من أجرى ذكرهم ابن هشام من علماء وفقهاء وقراء ونحاة وغيرهم .

وذكر البغدادى فى أولها أنه ألف هذه الحاشية لما قرأ هنا الشرح بمصر سنة ١٠٨١ وجعلها برسم الوزير الأعظم بن الوزير الأعظم : أحمد بن محمد ، وزير السلطان محمد بن إبراهيم العثمانى . يعنى أحمد الكوبريلى[1] .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص٨ .

ويقول أيضا: « ولما قدمت فى هذه الوفادة — يعنى وفادته على الوزير المذكور — دمشق الشام فى سابع ذى القعدة من سنة ١٠٨٤ سمع بهذه الحاشية السيد الشهم . . . السيد محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسينى(١) نقيب السادة الطالبية بدمشق المحمية ، استمارها منّى ، فبعد أن تأمّلها دقق نظره فيها ، قرّظها بهذه القصيدة » .

ونص القصيدة فى مقدمة تلك الحاشية .

وذكر البغدادى فى خاتمتها أنه أتمها فى ضحوة ويوم الاثنين ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٠٨٢ .

وفى صدر هذه النسخة التيمورية سبع فهارس بخط أحمد تيمور باشا :

١ — أبيات المتن

٢ — المسائل المتعلقة بالعربية .

٣ — لغات القبائل .

٤ — ما يتعلق بالأدب والشعر والعروض .

٥ — مطالب متنوعة .

٦ — أسماء المترجمين فى الكتاب .

٧ — شواهد الشرح .

٦ — شرح شواهد شرح التحفة الوردية فى النحو ، لابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ .

والتحفة مقدمة فى النحو اختصر فيها ابن الوردى « اللمحة البدرية » لأبى حيان المتوفى سنة ٤٧٥ . والتحفة منظومة أولها :

لله شكرى أبدا وحمدى ... مصليا على النبى العربى

وقد شرحها ابن الوردى نفسه أيضا .

ومن شرح شواهد هذا الشرح مسودة بخط البغدادى فى ٣٧ ورقة الورقة

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٤ .

الأخيرة منها تعد ملحقة بالورقة الثالثة ، كما أشار إلى ذلك البغدادى . وهذه النسخة غير كاملة إذ فيها نقص فى آخرها بأوراق قليلة وهى برقم (١١١٣ نحو) .

ومنه نسخة أخرى كاملة برقم (١١٤٣ نحو) كتبت سنة ١١٣٤ . ونسخة ثالثة بمكتبة تيمور برقم (٢٧٣ نحو تيمور) فى ٣٠٠ صفحة بخط محمود حمدى النساخ سنة ١٣٢٨ . وفى مقدمة التيمورية أربعة فهارس فنية بخط تيمور باشا تتضمن ما يأتى :

١ — بعض مطالب الكتاب .

٢ — الأحاديث والآثار المستشهد بها فى الكتاب .

٣ — الأمثال المستشهد بها فى الكتاب .

٤ — الشواهد الشعرية .

وقد أهدى البغدادى هذا الكتاب إلى الوزير مصطفى بن أحمد بن محمد الكوبريلى .

وكتب البغدادى فى آخر النسخة ما نصه :

« وتم فى ليلة الجمعة التاسعة والعشرين من شهر رجب الفرد من شهور سنة سبع وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية . . . وكان الابتداء فى شرحها فى اليوم السادس من الشهر المذكور . ومن الله بالتسهيل فى جميع الأمور » .

وهذا يعد رقماً قياسيا — كما يقولون — فى سرعة التأليف : أن يؤلف كتاب مثل هذا فى نحو ٢٣ يوماً مع الإجادة والإتقان .

٧ — لغت شاهنامة(١) . شرح فيه باللغة التركية غريب الألفاظ الفارسية الواقعة فى كتاب شاهنامه . وذكر فيه أنه ألفه سنة ١٠٦٧ وكان إذ ذاك فى مصر .

---

(١) الشاهنامة : ملحمة فارسية فى نحو ٦٠ ألف بيت من الشعر الفارسى من بحر المتقارب على نظام المثنوى ، نظمها أبو القاسم الفردوسى المولود فى حدود ٣٣٠ والمتوفى سنة ٤١١ أو ٤١٦ . سرد فيها تاريخ الفرس منذ بدء الخليقة حتى نهاية الدولة الساسانية . وتناول فى أولها التاريخ الأسطورى القديم للفرس المتمثل فى الدولة البيشدادية والكيانية . انظر تاريخ الأدب الفارسى للدكتور رضا زاده ، ترجمة الدكتور هنداوى ص٤٩ — ٦١ .

وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الروسى «كارل زاليمان» (١٨٤٩—١٩١٦) فى بطرسبرج سنة ١٨٩٥ معتمدا على مخطوطة مكتوبة بادرنة سنة ١٠٨٢ أى فى زمن حياة البغدادى .

٨ — شرح التحفة الشاهدية ، وهى منسوبة إلى مؤلفها الشاهدى(١) . وهى منظومة باللغة التركية التى تتخللها بعض الألفاظ الفارسية ، على عدة بحور عروضية عربية مختلفة فى فن التصوف. وقد قام البغدادى بتفسير ألفاظها ومعانيها ، ووجدت له نقداً فى استعمال الشاهدى لبعض الكلمات الفارسية ينم عن علم واسع .

ومن هذا الكتاب نسخة بالمكتبة التيمورية برقم (٥ لغات) أولها : «هذه كلمات عربية إملاء شيخنا وأستاذنا لسان المتكلمين ، حجة المناظرين ، جمال أهل الأدب ، ترجمان العجم والعرب ، مولاى عبد القادر افندى البغدادى — أطال الله بقاءه — على التحفة الشاهدية ، حل به مشكلاتها ، وأزال معضلاتها . جعله الله خالصا لوجهه الكريم ، وللفوز بجنات النعيم » .

ومما يجدر ذكره أن المحبي سماه «شرح الشاهدى الجامع بين الفارسى والتركى»(٢)

٩ — رسالة فى معنى التلميذ . وهى بحث لغوى فيما يتعلق بهذه الكلمة ومادتها وتأصيلها . وقد قمت بنشر هذه الرسالة مرتين : إحداهما فى مجلة المقتطف (عدد مارس سنة ١٩٤٥) . والأخرى فى المجلد الأول من نوادر المخطوطات(٣) مع دراسة فنية لها عن أصول ثلاثة محفوظة بدار الكتب بالأرقام : ٦ مجاميع م ، ١٨١ مجاميع ، ١٢٢ مجاميع . كما أن بالخزانة التيمورية نسخة بخط العلامة أحمد تيمور باشا كتبها لنفسه سنة ١٣٢٢ كما أخبرنى الأستاذ محب الدين الخطيب .

---

(١) الشاهدى أديب تركى من بلدة « مغلة » واسمه إبراهيم دده، وكان من المولوية . وله منظومة أخرى هى « كلشن توحيد » على غرار المثنوى لجلال الدين الرومى . كما أن له شرحا على كلستان السعدى . توفى سنة ٩٢٧ .
وفى الشعراء أيضا شاعر إيرانى من أهل قم يعرف بالشاهدى توفى سنة ٩٢٥ . وشاعر إيرانى آخر من أهل نيسابور . ورابع هندى ، هو مير عبد الواحد البلجرامى .

(٢) انظر خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٣ .

(٣) نوادر المخطوطات ١ : ٢١٧ — ٢٢٥ .

ولم أهتد إلى موضع هذه النسخة التيمورية ، ويبدو أنها فى تضاعيف بعض مجاميع مكتبته . ومنه كذلك نسخة فى بطرسبرج برقم ٤٦ كما ذكر بروكلمان .

١٠ — كتاب فى التراجم بدون عنوان فى مكتبة عاشر افندى(١) ١ : ٦٢٧ .

(٤) انظر بروكلمان ٢ : ٢٠٧ النسخة الألمانية .

خزانة الأدب

وهو الكتاب الذى خلّد اسم البغدادى ، ويعدّ أعلى موسوعة فى علوم العربية وآدابها . شحَنه بالنصوص النادرة ، وحفظ لنا به بقايا من كتب قد فقدت أو اندثرت ، مع عناية حازمة بالنقد والتحقيق لكلّ مايورده من ذلك .

هذا إلى سرده لكثير من أمثال العرب وبيان معانيها ومضاربها واصولها ، وحشده للغات القبائل ولهجاتها ، وحرصه على إيراد قصائد الأبيات التى تعرّض لها ، مع شرح الكثير منها شرحا محقّقا ، مستطرداً فى ذلك إلى أخبار العرب وذكر أيامها فى الجاهلية والإسلام ، إلى العناية الكاملة بالمقصد الأول لشرح الشواهد ، وهو تحقيق المسائل النحوية واستيعاب دراستها ، مع الاعتماد على أمهات النحو ومطولاته ، ومراجع شروح الشواهد ، فى علاج علمىّ نقدىّ .

والخزانة شرح لشواهد الرضى على الكافية ، التى بلغت ٩٥٧ شاهداً من شواهد العربية . وفيها يقول المولى محمد المحبى(١) :

« وألّف المؤلفات الفائقة ، منها شرح شواهد شرح الكافية للرضى الأستراباذى فى ثمانى مجلدات ، جمع فيه علوم الأدب واللغة بأسرها إلاّ القليل ، ملكْتُه بالروم وانتفعت به ، ونقلت منه فى مجاميع لى نفائس أبحاث يعزّ وجودها فى غيره » .

وقد ساق فى مقدمة الخزانة ثبَتا للكتب التى اعتمد عليها فى الشرح والتحقيق ، مصنّفا لها ، فمنها ما هو فى علم النحو ، وما هو فى شروح الشواهد ، ومنها ما هو فى تفسير أبيات المعانى المشكلة ، وما يرجع إلى دفاتر أشعار العرب من الدواوين والمجاميع ، وما يرجع إلى فن الأدب ، وما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب ، وما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم ،

---

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٢ .

وما يرجع إلى كتب اللغة ، وما يتعلق بأغلاط اللغويين ، وكتب الأمثال ، وكتب الأماكن والبلاد .

وهي نحو ٩٤٥ عنوانا إذا ضمت إلى تلك العنوانات شروحها والكتب المؤلفة في تلخيصها أو نقدها جاوزت أربعة آلاف كتاب ، كثير منها قد فقد أوضاع .

وذكر في المقدمة أيضا أنه أهدى (الخزانة) إلى السلطان محمد خان بن إبراهيم خان العثماني(١) . ثم تكلم على ثلاثة أمور :

الأمر الأول : في الكلام الذي يصح الاستشهاد به في اللغة والنحو والصرف .

الأمر الثاني : ذكر المواد التي اعتمد عليها في كتابه ، وهي المراجع المختلفة التي سبقت الإشارة إليها .

الأمر الثالث : يتعلق بترجمة شارح الكافية الإمام الرضي .

والكافية هذه أحد كتابين لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ أحدهما في النحو ، وهو « الكافية » ، والآخر في الصرف ، وهو « الشافية » . وقد شرح الرضي كلا من الكتابين شرحا مسهبا ناقدا محققا ، وكلاهما مطبوع . ويعد هذان الكتابان — أعني الكافية والشافية — النبع الذي استقى منه ابن مالك سرّ تسميته لمنظومته الكافية الشافية التي جمع فيها بين علمي النحو والصرف ، وكانت هي الأصلَ الذي اختزل منه الخلاصة المسماة بالألفية . وكأنّ ابن مالك أراد أن يبين فضله على ابن الحاجب(٢) إذ جمع في منظومته بين علمين ، على حين اقتصر مجهود ابن الحاجب على إفراد كل منهما بكتاب موجز . كما أراد من ناحية أخرى أن يستعلن فضله على ابن معط في منافسته له في تأليفه الألفية .

وشواهد شرح الرضي للكافية بلغت (٩٥٧) شاهداً ، قد يكرّر الواحد

---

(١) تقدمت ترجمته في ص ٨ من هذا التقديم .

(٢) مما يجدر ذكره أن ابن مالك كان يستهين بابن الحاجب إذ يقول فيه : « إنه أخذ نحوه من صاحب المفصل ، وصاحب المفصل نحوى صغير » . انظر ترجمة ابن مالك في بغية الوعاة .

منها فى مواضع مختلفة من الشرح ، فإذا تكرر الشاهد نبّه البغدادى على ذلك ، ولم يدخله فى نطاق العدد .

تاريخ تأليف الخزانة :

يتضح من الفصل الذى تكلمت فيه على مكتبة البغدادى أنه كان حريصا على إثبات تواريخ تأليف كتبه فى بدئها وختامها . وقد صنع ذلك أيضا فى الخزانة . قال فى ختامها :

« وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة فى غرة شعبان . من سنة ثلاث وسبعين وألف (١٠٧٣) وانتهاؤه فى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين (٧٩) . فتكون مدة التأليف ست سنين ، مع ما تخلل فى أثنائها من العطلة بالرحلة ؛ فإنى لما وصلت إلى شرح الشاهد التاسع والستين بعد الستمائة (٦٦٩) سافرت إلى قسطنطينية فى الثامن عشر من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين (٧٧) ولم يتفق لى أن أشرح شيئا إلى أن دخلت مصر المحروسة فى السابع من ربيع الأول من العام القابل ، ثم شرعت فى ربيع الآخر . وقد يسر الله التمام وحسن الختام » .

الطبعات السابقة :

طبعت الخزانة للمرة الأولى فى مطبعة بولاق سنة ١٢٩٩ أى منذ أكثر من ٨٥ عاما فى أربعة مجلدات ، وعلى جوانبها كتاب المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية المعروف بالشواهد الكبرى(١)

(١) جمعها من شروح ابن الناظم ، وابن أم قاسم ، وابن هشام ، وابن عقيل . وعدد الأبيات المستشهد بها ١١٩٤ ، وفرغ منها العينى فى شوال سنة ٨٠٦ . انظر كشف الظنون فى الكلام على ألفية ابن مالك . وقد أخطأ صاحب الكشف وتبعه فى ذلك صانمو فهرس دار الكتب المصرية ، إذ أقحم « شواهد شروح التوضيح لابن هشام » فى أول الشواهد ، فإن العينى لم يتعرض لها ولم يرمز إليها . واقتصر تعرضه ورمزه لما ذكرت على النظام التالى لشراح الألفية :

ظ = ابن الناظم ق = ابن أم قاسم
هـ = ابن هشام ع = ابن عقيل

ومنه خمس مخطوطات بدار الكتب ، بعضها بخط المؤلف العينى . وقد اختصره فى كتاب آخر سماه « فرائد القلائد ، فى مختصر شرح الشواهد » ، وهو المعروف بالشواهد الصغرى . طبع فى مصر بالمطبعة الكاستلية سنة ١٢٩٧ .

العينى(١) . ثم طبعت منها أربعة أجزاء تمثل ثلثها فقط ، أى الجزء الأول و ٢٨٤ صفحة من الجزء الثانى من طبعة بولاق . وذلك فى المطبعة السلفية من سنة ١٣٤٧ — ١٣٥١ بتحقيقى ومقابلتى لطبعة بولاق على مخطوطة الشنقيطى، ومع إضافة تعليقات وتحقيقات للأستاذ عبدالعزيز الميمنى الراجكوتى ، والعلامة احمد تيمور باشا ، بإشراف الأستاذ محب الدين الخطيب أطال الله بقاءه . وكنت إذ ذاك طالبا بتجهيزية دار العلوم ، فلم أفرغ من دراستى بدار العلوم سنة ١٣٥١ حتى فرغت من تحقيق هذه الأجزاء الأربعة فى أربع سنوات . ولعل هذا ما حدا بالأستاذ محب الدين الخطيب أن يقتصر على التنويه باسمى فى أثناء تقديمه للخزانة فى ص ٥ . ولم تتم هذه الطبعة لظروف خاصة .

وفى أثناء ذلك ظهرت طبعة ثالثة ناقصة كالسابقة بعناية الأستاذ الجليل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد فى جزأين اثنين استوعبا المجلد الأول من طبعة بولاق . وذلك فى سنة ١٣٤٧ .

هذه الطبعة :

أما هذه الطبعة الرابعة ، التى أسأل الله العون فى إتمامها فقد دفعنى إلى البدء فيها ندرة نسخ الخزانة ، وعدم وجود طبعة كاملة محققة على النهج العلمى الحديث .

وإنى لآمل من فضل الله أن يسعفنى الوقت والجهد لإتمام هذا العمل الضخم ، وآمل كذلك أن أتمكن من إضافة الفهارس الفنية التى تكشف خبايا هذا الكنز الدفين إن شاء الله .

---

(١) هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحلبى العينى ، نسبة إلى عينتاب ببلاد الشام . ولى الحسبة بالقاهرة بعد تقى الدين المقريزى سنة ٨٠١ ثم ولى قضاء الحنفية بها وتدريس الحديث بالمؤيدية والفقه بالمحمودية . ومن آثاره : عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى . ولد سنة ٧٦٢ وتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٥ . التبر المسبوك للسخاوى ٣٧٥ وبغية الوعاة ٣٨٦ وتاريخ ابن إياس ٢ : ٣٣ .

مخطوطات الخزانة :

إن الأصل الذى أخذت منه طبعة بولاق لا يزال مجهولا(١) ، ولم أهتد بعد إلى مخطوط غير مخطوط الشنقيطى المودع بدار الكتب المصرية برقم (١ ش نحو) وقطعة اخرى هى الجزء الثالث من نسخة أخرى ، أوله « باب شواهد الموصول » ، ونهايته « شواهد المصدر » . كتبت هذه القطعة سنة ١٠٨٠ وهى مودعة بدار الكتب برقم (١٣ ش نحو) وسأستعين بهذه القطعة فى حينها إن شاء الله .

مخطوطة الشنقيطى :

أما مخطوطة الشنقيطى فهى مخطوطة كاملة كتبت بخط بين خط النسخ والفارسى ، غير مراعى فيه تجويد أو دقة فى نظام . وبعض كلمات هذه النسخة مضبوط ، والشواهد فيها مميزة بالمداد الأحمر ، وفى نهايتها ما نصه :

« وكان الفراغ منه فى يوم الأحد المبارك التاسع عشر من شهر ربيع الأول الأنور ، من شهور سنة ١٢٩٢ على يد كاتبه أفقر الورى وأحوجهم إلى مولاه على بن محمد بن مصطفى الشهير بابن رجب وبابن الترجمان ، الجزائرى المنشأ المدنى الدار . كتبه لأخيه فى الله وصديقه ، العلامة الفاضل الورع العامل ، سيد أدباء أهل زمانه الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزى المجاور بالمدينة المنورة ... » :

وهذه النسخة فى مجلدين كبيرين أولهما فى ٣٣٩ ورقة والثانى فى ٣٢٦ ورقة . وفى صدر كل من المجلدين فهرس للشواهد مرتبة قوافيها على حروف الهجاء ، ثم فهرس آخر للقوافى على النمط المتقدم مع إضافة سبب الاستشهاد وصاحب الشاهد ، وذلك على أساس الأبواب التى وردت فيها الشواهد .

وفى صدر المجلد الأول كذلك ترجمة للبغدادى منقولة من خلاصة الأثر .

---

(١) من البديهى أنه غير نسخة الشنقيطى ، للتخالف الشديد بينهما . وجاء فى ١ : ٤٦٠ من طبعة بولاق فى الهامش ما صورته : « بهامش الأصل : وفيه أيضا عيب لم يذكره الشارح ، وهو عيب الردف » . ولا نجد هذا الكلام فى النسخة الشنقيطية .

وكتب الشنقيطى على صدر المجلد الثانى : « ملك بفضل ربه وكرمه محمد محمود ابن التلاميذ التركزى ثم وقفه على عصبته وقفا مؤبدا ، فمن بدله فإثمه عليه . وكتبه محمد محمود بالمدينة المنورة عام ١٢٨٨ » .

فيبدو من هذا أن الشنقيطى لشدة حرصه أثبت هذا التاريخ المبكر قبل أن يتم نسخ الكتاب جميعه بنحو سنة .

ومهما يكن فإن كتابة هذه النسخة استغرقت أربع سنوات على الأقل ، من سنة ١٢٨٨ إلى سنة ١٢٩٢ .

وفى هامش الشنقيطية بعض إصلاحات من الكاتب ، كتداركه لسهو أو خطأ ، أو كقوله : « كذا بخط المؤلف » . كما أن بها بعض تحقيقات بخط الشنقيطى ذاهبة فى الندرة ، وبعض إصلاحات قلمية له سأنبه عليها فى مواضعها .

ويبدو كذلك أن تلك النسخة منقولة عن نسخة البغدادى ، فإنك كثيرا ما ترى بالهامش عبارة « كذا بخط المؤلف » . وكذلك الشنقيطى قد اطلع على نسخة البغدادى فقد كتب فى هامش آخر صفحة منها : « هكذا وجدته بخطه رحمه الله تعالى » . يعنى البغدادى .

وقد عنيت بمقابلة طبعة بولاق على هذه النسخة ذاكراً للمفارقات التى بينهما ، جامعا للصواب من أثنائهما ومن مراجع التحقيق المختلفة ، وحرصت كما حرصت فى طبعة السلفية أن أثبت على جوانب الصفحات الأرقام الدالة على صفحات طبعة بولاق للانتفاع بها فى الإشارات الواقعة فى بحوث العلماء والمستشرقين وللاحالة على المواضع المقبلة التى يحتاج إلى الإشارة إليها فى التعليقات .

ومن الله التيسير والعون ؟

مصر الجديدة فى { ٨ من ربيع الأول ١٣٨٧ / ١٥ من يونية ١٩٦٧ }   عبد السلام محمد هارون

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثاني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

مطبعة المدني

المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٤٨٢٩٧٨٥١

المنصوبات

أنشد فى :

المفعول المطلق

وهو الشاهد الثانى والثمانون ، وهو من شواهد س[1] :

٨٢ ﴿ هذا سُراقةُ للقرآنِ يدرُسهُ   والمرء عندالرُّشا إنْ يَلْقَها ذيبُ ﴾

على أنَّ الضمير فى (يدرسه) راجع إلى مضمون يدرس ، أى يدرس الدرس ، فيكون راجعاً للمصدر المدلول عليه بالفعل ؛ وإنما لم يجز عوده للقرآن لئلّا يلزم تعدّى العامل إلى الضمير وظاهره معاً .

واستشهد به أبو حيّان فى شرح التسهيل على أن ضمير المصدر قد يجىء مراداً به التأكيد ، وأن ذلك لايختص بالمصدر الظاهر على الصحيح .

وأورده سيبويه على أن تقديره عنده : والمرء عند الرُّشا ذئبٌ إن يَلقَها .

وتقديره عند المبرد : إن يلقها فهو ذئب .

وهذا من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يقف على قائلها أحد . قال الأعلم : « هجا هذا الشاعر رجلاً من القرّاء نسب إليه الرياء وقبول الرُّشا والحرص عليها » وكذلك أورده ابن السرّاج فى الأصول .

---

(١) سيبويه ١ : ٤٣٧ . وانظر أيضا الخزانة ٢ : ٣/٢٨٣ : ٥٧٢ ، ٤/٦٤٩ : ١٧٠ والهمع ٢ : ٣٣ وشرح شواهد المغنى ٢٠٠ وابن الشجرى ١ : ٣٣٩ .

وزعم الدماميني فى الحاشية الهندية : أن هذا البيت من المدح لا من الهجاء ، وظنّ أن (سُراقة) هو سُراقة بن جُعشُم الصحابى – مع أنه فى البيت غير معلوم مَن هو – وحرّف فيه تحريفات ثلاثة :

الأول أن الرُّشا بضم الراء والقصر : جمع رشوة ؛ فقال : هو بكسر الراء مع المدّ : الحبل ، وقصَره للضرورة وأنّثه على معنى الآلة . وكلامه هذا على حدّ : « زنّاه وحدّه[1] » .

والثانى : أن قوله يَلقَها بفتح الياء من أُلْقِيَ ، وهو ضبطه بضم الياء من الإلقاء .

والثالث : أن قوله ذيب بكسر الذال وبالهمزة المبدلة ياء وهو الحيوان المعروف ؛ وهو صحّفه ذنَباً بفتح الذال والنون ، وقال : قوله عند الرشا متعلق بذنَب لما فيه من معنى التأخّر ، والمعنى : إن يُلقِ إنسان الرشا فهو متأخّر عند إلقائها ، يريد أن سراقة درس القرآن فتقدّم والمرء متأخر عند اشتغاله بما لا يهم كمن امتهن نفسه فى السقى وإلقاء الأرشِيَة فى الآبار .

هذا كلامه ، وتبعه فيه الشُّمُنّي[2] . فاعتبروا يا أُولى الأبصار !

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون ، وهو من شواهد[3] س :

---

(١) أى اتهمه بالزنى ثم أقام عليه الحد .

(٢) فى هامش أصل الطبعة الأولى : « لم يتابعه الشمنى فيما رأيت ، وانما ذكر عبارته ثم ذكر بعدها الصواب » .

(٣) سيبويه ١ : ٩ . وسيعاد فى ٢ : ٣/٣٣٩ : ٤٤٣ . وانظر الهمع ١: ٦١ وابن الشجرى ٢: ٢٠٨ والخصائص ١ : ٨٩ والانصاف ٦٨٠ وشرح شواهد الشافية ٢٩٠ .

٨٣ ﴿ دارٌ لسُعدىٰ إذْهِ مِنْ هَوا كا ﴾

على أن المصدر بمعنى اسم المفعول أى من مَهوِيِّك .

وبهذا المعنى أورده أيضاً فى باب المصدر ، فإن الهوىٰ بالقصر مصدر هوِيته من باب تعب : إذا أحببته وعلِقت به .

وأنشده أيضاً فى باب الضمير على أن الياء قد تحذف ضرورة من (هى) إذ أصله إذ هِى من هوا كا . ولهذا الوجه أورده سيبويه ؛ قال الأعلم : سكن الياء أولًا ضرورةً ثم حذفها ضرورة أخرى بعدالإسكان تشبيهاً لها بعد سكونها بالياء اللاحقة فى ضمير الغائب إذا سكَن ما قبله ، والواوِ اللاحقة له فى هذه الحال نحو عليه ولديه ، ومنه وعنه(١) . ٢٢٨

ومثله للنحاس قال : « والذى أحفظه عن ابن كيسان : أنّ هذا على مذهب من قال : هىْ جالسة . بإسكان الياء . وهذا قول حسن » اه .

وهذه الياء من سِنْخ الكلمة(٢) ، وحذفها أقبح من حذف الياء فى قوله :

* سأجعل عينيه لنفسهِ مقنعا(٣) *

لأن الياء التى تتبع الهاء فى (نفسه) ليست من بنية الضمير . قال المبرّد : حذَف الياء من قوله : لنفسه ، لأنها زائدة زيدت لخفاء الهاء ، وكذلك الواو ، وأنك تقف بغير ياء ولا واو ؛ فلما اضطُرّ حذَفهما فى الوصل كما يحذفان فى الوقف ؛ ودلّ عليهما ما بقى من حركة كلّ واحد منهما .

---

(١) ط : « وعليه » ، صوابه فى ش .
(٢) السنخ : الأصل . وفى ط « نسيج الكلمة » صوابه فى ش .
(٣) صدره كما فى سيبويه ١ : ٢٩٧ والانصاف ٥١٧ :
* فان يك غثا أو سمينا فاننى *

وقال أبو الحسن الأخفش : حذَف الياء لأن الاسم إنّما هو الهاء ، فردّه إلى أصله ، وحرف اللين اللاحق لها زائد .

وقوله (دار لسعدى) خبر لمبتدإ محذوف أى هذه ، وقدّره ابن خلف : فى دار ، أو هو دار . و (إذ) عاملُه الظرف قبله . قال الأعلم : وصف داراً خلت من سُعدى : هذه المرأة ، وبعُد عهدها بها فتغيَّرت بعدها ، وذكر أنها كانت لها داراً ومستقراً إذْ كانت مقيمة بها ، فكان يهواها بإقامتها فيها .

وهذا البيت أيضاً من الأبيات الخمسين التى لم يعلم قائلها ولا يعرف له ضميمة ، ورأيت فى حاشية اللباب أن ما قبله :

(هل تعرفُ الدارَ علىٰ تِبرا كا)

بكسر التاء المثناة ، وهو موضع . قال أبو عبيد[١] فى معجم ما استعجم : « تِبراك بكسر التاء : موضع فى ديار بنى فَقْعَس » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون[٢] :

٨٤ ﴿ إذا الداعى المثوِّبُ قالَ يالاَ ﴾

وصدره (فخيرٌ نحنُ عند البأس مِنكُمْ)

على أن (اللام) خلطت بـ (يا) أراد أنه خلطت لام الاستغاثة الجارّة بيا حرفِ النداء وجعلتا كالكلمة الواحدة ، وحُكيتا كما تحكىٰ الأصوات ، وصار المجموع شعاراً للاستغاثة .

---

(١) ط : « أبو عبيدة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) أنظر العينى ١ : ٥٢٠ والهمع ١ : ١٨١ والخصائص ١:٢٧٦/٢: ٣/٣٧٥ : ٢٢٨ وشرح شواهد المغنى ٢٠٣ ، ٢٨٦ ونوادر أبى زيد ٢١ .

قال أبو زيد فى نوادره : أراد يا لَبنى فلان ، يريد حكاية الصارخ المستغيث . وهذا مذهب أبى علىّ أيضاً وأتباعه ، والأصل عندهم يا لَبنى فلان أو يا لَفلان ، فحذف ما بعد لام الاستغاثة كما يقال : « ألا تا » فيقال « ألا فا » يريدون : ألا تفعلوا وألا فافعلوا . وهذا أحد مذاهب ثلاثة فيه .

ثانيها : أن المنادى والمنفىّ بلا محذوفان ، أى يا قوم لا تغدوا . ذكره ابن مالك فى شرح التسهيل وابن هشام فى المغنى .

ثالثها : أنه بقية يا آل فلان ، وهو مذهب الكوفيين ، قالوا فى يا لَزيد : أصله يا آل زيد فحذفت همزة أل للتخفيف وإحدى الألفين لالتقاء الساكنين ، واستدلوا بهذا البيت وقالوا : لو كانت اللام جارّة لمَا جاز الاقتصار عليها . قال الشارح المحقق : وهو ضعيف ، لأنه يقال ذلك فيما لا آل له ، نحو : يا لله ويا للدواهى ، ونحوهما .

وأجاب ابن جنى فى الخصائص عن دليلهم بقوله : « فإن قلتَ : كيف جاز تعليق حرف الجر ؟ قلتُ لمّا خُلِط بيا[1] صار كالجزء منها ، ولذلك شبّه أبو علىّ ألِفه التى قبل اللام بألِف باب ودارٍ ، فحكم عليها بالانقلاب . وحَسَّن الحالَ أيضاً شىء آخر : وهو تشبُّث[2] اللام الجارة بألف الاطلاق ، فصارت كأنها معاقِبة للمجرور ، ألا ترى أنك لو أظهرت ذلك المضاف إليه وقلت : يا لبنى فلان ، لم يجز إلحاق الألف هنا ، [وجرتْ ألف الإطلاق][3] فى منابها عما كان ينبغى أن يكون بمكانها ، مجرىٰ ألف الإطلاق ، فى منابها عن[4] تاء التأنيث فى نحو قوله :

(١) ش : « بلا » صوابه فى ط والخصائص ٢ : ٣٧٥ .
(٢) فى النسختين : « تثبت » ، والوجه من الخصائص .
(٣) التكملة من الخصائص .
(٤) ش : « على » ، صوابه فى ط والخصائص .

ولاعَبَ بالعَشِيِّ بنى بَنيــهِ كفِعلِ الهِرِّ يحترش العظايا (١) ٢٢٩

وكذلك نابت واو الإطلاق فى قوله :

* وما كلٌّ من وافىٰ منىً أنا عارفُ *

فيمن رفع كلاً عن الضمير الذى يراد فى عارف . وكما نابَ (٢) التنوين فى نحو يومئذٍ (٣) » .

وقال فى موضع آخر من الخصائص : « وسألنى أبو علىّ عن ألفِ (يا) من قوله يالا ، فى هذا البيت فقال : أمنقلبة هى ؟ قلت لا ، لأنها فى حرف فقال : بل هى منقلبة . فاستدللته على ذلك ، فاعتصم بأنها قد خُلطت باللام بعدها ووقف عليها (٤) فصارت اللام كأنها جزء منها فصارت يالَ بمنزلة قال ، والألف فى موضع العين ، وهى مجهولة فينبغى أن يحكم بالانقلاب عن الواو . وهذا أجمل ما قاله (٥) ، ولله هو ، وعليه رحمته ، فما كان أقوى قياسه ! وأشدَّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسَه (٦) ! وكأنه إنّما كان مخلوقاً له ! وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جِلّة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة زائحةً عِلله ، ساقطةً منه كُلَفُه ، لا يعتاقه عنه ولد ، ولا يعارضه فيه مَتجر ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدمُ به رئيساً إلا بأخَرَة (٧) ! — وقد حطّ

(١) ط : « القطايا » صوابه فى ش والخصائص ٢ : ٣٧٦ .

(٢) فى النسختين : « ناسب » ، صوابه من الخصائص .

(٣) فى الخصائص : « فى نحو حينئذ ويومئذ عن المضاف اليه اذ » .

(٤) ط : « ووقعت عليها » ، صوابه فى ش والخصائص ١ : ٢٧٦

(٥) فى الخصائص : « هذا جُـل ما قاله » .

(٦) ط فقط : « ايناسه » .

(٧) بأخرة ، أى أخيرا . وفى ط : « ولا يخدم به النساء الا بآخرة » ، صوابه فى ش . والرئيس يعنى به عضد الدولة بن بويه ، وقد صنف له الايضاح ، والتكملة .

من أثقاله(١) ، وألقى عصا تَرحاله — : ثم إنى لا أقول إلاّ حقاً ، إنى لأعجب من نفسى فى وقتى هذا كيف تَطُوع لى بمسألة ، أم كيف تطمح بى إلى انتزاع علّة ! مع ما الحال عليه من عُلَق الوقت وأشجانه ، وتذاؤبِهِ(٢) وخَلْج أشطانِهِ ؛ ولولا مساورة الفكر واكتداده(٣) لكنت عن هذا الشأن بمعزِل ، وبأمرٍ سواه على شغل » اﻫ .

ولله درّه ! فكأنما رمىَ عن قوسى ، وتكلّم عن نفسى . والله المشكور فى كل حال ، وهو غنيٌّ بعلمه عن السؤال .

وقوله : (فخيرٌ نحن عند البأس منكم) قد تكلّم الناس على إعرابه قديماً وحديثاً لا سيّما أبو على الفارسى ، فإنه تكلّم عليه فى أكثر كتبه . قال فى التذكرة القصرية : « سألت عن هذا البيت ابنَ الخياط والمعمرىّ فلم يجيبا إلاّ بعد مدّة ، قالا : لا يخلو من أن يكون نحنُ ارتفع بخيرٌ أو بالابتداء ويكون خيرٌ الخبر ، أو يكون تأكيداً للضمير الذى فى خيْر والمبتدأ محذوفٍ أى نحن خير ، لا جائز أن يرتفع بخير لأنّ خيراً لا يرفع المظهر البتّة ، ولا مبتدأً للزوم الفصل بالأجنبيّ بين أفعلَ وبين من ، وهو غير جائز ، فثبت أن نحن تأكيد للضمير فى خير » .

وقد أجمل كلامه هنا ، وفصّله فى المسائل المشكلة ، المعروفة بالبغداديات . وبعد أن منع كونَ نحنُ مبتدأ وخير خبراً قال : « عندى فيه قولان : أحدهما أن يكون قوله خيْر خبَر مبتدأ محذوف تقديره : نحن خير عند البأس منكم ،

---

(١) ط : « وقال وقد حط من أثقاله » ، وكلمة « وقال » مقحمة لم ترد فى ش ولا الخصائص .
(٢) التذاؤب : الاضطراب . وفى النسختين : « وتداويه » صوابه فى الخصائص .
(٣) ط : « واكتداره » ، صوابه فى ش والخصائص .

فنحن على هذا فى البيت ليس بمبتدأ ، لكنه تأكيد لما فى خيْر من ضمير المبتدإ المحذوف ؛ وحسنُ هذا التأكيد لأنه حذف المبتدأ من اللفظ ولم يقع الفصل بشىء أجنبىّ بل بما هو منه ، وقد وقع الفصل بالفاعل بين الصلة وموصولها فى نحو قولهم : ما من أيام أحبَّ إلى الله فيها الصومُ منه فى عشر ذى الحجة وكان ذلك حسناً سائغاً . فإذا ساغ كان التأكيد أسوغ ، لأنه قد يحسن حيث لا يحسن غيره من الأسماء » .

وقال فى الإيضاح الشعرى فى هذا الوجه — بعد أن قال : ونحن الظاهرُ تأكيد للضمير الذى فى خيْر على المعنى : « كان ينبغى أن يكون على لفظ الغيبة، ولكن جاء به على الأصل نحو نحن فعلنا ؛ ويدلّك على أنه كان ينبغى أن يجىء على لفظ الغيبة : أن أبا عثمان قال — فى الإخبار عن الضمير الذى فى منطلق ٢٣٠
من قوله : أنت منطلق — إذا أخبرت عن الضمير الذى فى منطلق من قولك أنت منطلق لم يجُز ،لأنك تجعل مكانه ضميراً يرجع إلى الذى ولا يرجع إلى المخاطب ، فيصير المخاطب مبتدأ ليس فى خبره ما يرجع إليه . فهذا — من قوله — يدلّ على أن الضمير وإن كان للمخاطب فى أنت منطلق فهو على لفظ الغيبة ؛ ولولا ذلك لم يصلح أن يرجع إلى الذى . على أن هذا من كلامهم مثلُ أنتم تذهبون ؛ واسم الفاعل أشبهُ بالمضارع منه بالماضى ، فلذلك جعله مثلَه ولم يجعله مثلَ الماضى فى أنتم فعلتم » اهـ .

ثم قال فى البغداديات : « القول الثانى : أن يجعل خيْر صفة مقدّمة ، يقدّر ارتفاع نحنُ به ، كما يجيز أبو الحسن فى : قائم الزيدان ، أن ارتفاع الزيدان بقائم . فلا يقع على هذا أيضاً فصلٌ بشىء يكره ولا يجوز ، لأن نحن على هذا مرتفع بخير . إلاّ أن ذا قبيح ، لأن خيراً وبابَه لا يعمل عمل الفعل إذا جرى

على موصوفه ، وإعماله فى الظاهر مبتدأً غيرَ جارٍ على شىء أقبحُ وأشدُّ امتناعاً . والوجه الأوّل حسن سائغ » .

قال فى الإيضاح « فإذا جاز ذلك فيما ذكرناه — أى الوجه الأول — لم يكن فيما حمل أبو الحسن عليه البيتَ من الظاهر دلالةٌ على إجازةِ نحو : الخليفة أحبُّ إليه يحيَى من جعفر حتّى يقول : الخليفة يحيَى أحبُّ إليه من جعفر ، أو أحب إليه من جعفر يحيَى ، على ما أجازه سيبويه فى : ما رأيت رجلا أحسنَ فى عينه الكحلُ منه فى عين زَيد ، فلا يفصل بينهما بما هو أجنبىّ منهما » اهـ .

ثم قال فى البغداديّات : « فإن قال قائل : أيجوز أن يكون نخيرٌ خبراً مقدّماً لما بعده وهو نحن ، ويكون منكم غيرَ صلة ولكنها ظرف كقوله :

* ولستَ بالأكثر منهم حصًى *(١)

وتقديره : ولست بالأكثر فيهم ، لا على حدّ : هو أفضل من زيد ، ألا ترى أن الألف واللام تعاقِب مِنْ هنا ؟ ! فالجواب : أنه بعيد ؛ وليس المعنى عليه ، إنما يريد : نحن خير منكم ، وأن الفزع إلينا والاستغاثة بنا ؛ نسُدُّ مالا تسُدُّون ونمنع من الثغور مالا تمنعون . ألا ترى أن ما بعد هذا البيت :

(ولم تثقِ العَواتقُ من غَيور بغَيرته وخَلَّينَ الحجالا)

وقوله : (عندالبأس) العامل فيه خيْر ، ولا يجوز أن يكون متعلّقاً بالمبتدإ المحذوف على أنْ يكون التقدير : فنحن خير عند البأس منكم ، يريد : نحن

---

(١) للأعشى فى ديوانه ١٠٦ وعجزه :

* وانما العزة للكاثر *

عند البأس خير منكم ، لأنك إن نزّلته هذا التنزيل فصلت بين الصلة والموصول بما هو أجنبيٌّ منهما ومتعلقٌ بغيرها ، وإذا قدّرت اتصاله بخير لم يكن فصْل كالم يكن فصل بغيها من قولك : أحبُّ إلى الله عزّ وجل فيها الصّوم » اهـ

و (البأس) بالموحدة لا بالنون ، وهو الشدة والقوة . و (الداعى) من دعوت زيداً : إذا ناديته وطلبت إقباله . و (المثوِّب) اسم فاعل من ثوّب ، قال أبو زيد : « هو الذى يدعو الناس يستنصرهم » ، والأصل فيه : أن المستغيث إذا كان بعيداً يتعرّىٰ ويلوّح بثوبه رافعاً صوته ، ليُرىٰ فيُغاث .

ووثق منه وبه : اطمأنَّ إليه وقوى قلبه . وجملةلم تثق معطوفة على مدخول إذا ، وكذلك جملة خلّين الحجالا . والعواتق : جمع عاتق ، وهى التى خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها الزّوج . والغيور من غار الرجل على حريمه يَغار من باب تعب ، غَيرة بالفتح ، فهو غَيورٌ وغَيْرانُ ، وهى غيور أيضاً وغيرىٰ . وخلّين ، متعدّى خلا المنزل من أهله يخلو خلُوًّا وخَلاء فهو خالٍ . ٢٣١
وصحّفه بعضهم بالحاء المهملة وبالبناء للمجهول على أنه من التحلية وهو التزيين والحِجال بكسر الحاء المهملة : جمع حَجَلَة بالتحريك ، وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار ، كذا فى النهاية . وزاد فى القاموس أنه للعروس . وأخطأ بعضهم حيث قال : هو جمع حِجْل بمعنى الخلخال ، وهذا لا يناسب المقام ، مع أنه لا يجمع على حجال وإنما يجمع على حُجول وأحجال . يريد أنهن فى يوم فزع أو غارة لايثقن بأن يحميَهنّ الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهنّ أوثق منكم .

وهذان البيتان نسبهما أبو زيد فى نوادره لزهير بن مَسعود الضّبيّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون ، وهو من أبيات س[١] .

٨٥ * عمّرتُكِ اللهَ إلاّ ماذَكرتِ لنا هل كنتِ جارتَنا أيام ذِى سَلَمِ *

على أن قولهم (عَمْرَكَ الله) له فعل كما فى هذا البيت وعمّرتكِ بتشديد الميم وضم التاء وكسر الكاف .

وكذلك استدلّ به سيبويه على أنّ عَمرَكَ وضع بدلاً من اللفظ بالفعل ، فلزمه النصب بذكر الفعل مجرداً فى البيت .

قال الأعلم ـ وتبعه ابن خلف ـ : معنى عمّرتك الله ذكّرتك الله وأصله من عمارة الموضع ، فكأنه جعل تذكيره عمارةً لقلبه ، فعمْرك الله مصدر عند سيبويه ، وتقديره أنّ معنى عمْرك عمّرتك الله : أى سألت الله عَمْرك ، وإذا وضح أن عمْرك بمعنى عمّرتك وجب أن يكون مصدراً . وقد ثبت أنهم يقولون: عمرك اللهَ وعمرتك اللهَ بمعنًى ، فيكون اسم الله منصوبا بعمْرك على قولٍ ، وبالفعل المقدر على قول . وفيه معنى السؤال . وقيل منصوب بفعل مقدّر أى سألت الله عمْرك أى بقاءك .

والفرق بينه وبين قول سيبويه وإن كان بمعنىٰ سألت الله تعالى بقاءك : أن عمرك على مذهب سيبويه بمعنى عمّرتك الملتزم حذفه وهو الناصب له ، واسم الله المفعول الثانى ؛ وعلى القول الآخر أنّ عمرك واسم الله مفعولان لسألت المقدّر .

---

(١) سيبويه ١ : ١٦٣ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والهمع ٢ : ٤٥

وروى الشارح عن الأخفش إجازة رفع الجلالة على أنه فاعل . ونسبه أبو حيّان فى الارتشاف إلى ابن الأعرابى . وروى عن الأخفش : أن أصله عنده بتعميرك الله ، حذف زوائد المصدر والفعل والباء فانتصب ما كان مجروراً بها . ويدلّ لما قاله الأخفش وأنه ليس منصوباً على إضمار فعلٍ إدخالُ باء الجرّ عليه ، قال :

* بعَمْرِكَ هل رأيتَ لها سَميًّا *

قال أبو حيّان : والذى يكون بعد نشدتك الله وعمّرتك الله أحدُ ستّة أشياء : استفهام ، وأمر ، ونهى ، وأنْ ، وإلا ، ولمّا بمعنى إلاّ كقوله :

* عمّرتكِ اللهَ إلاّ ما ذكرتِ لنـا *

وإذا كان إلاّ أو ما فى معناها فالفعل قبلها فى صورة الموجَب وهو منفىّ فى المعنى ، والمعنى ما أسألك إلاّ كذا ، فالمثبت لفظاً منفىّ معنىً ليتأتّى التفريغ .

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : فإن قلتَ : تأويل الفعل بالمصدر بدون سابكٍ ليس قياسا فيلزم الشذوذ ، كتسمع بالمُعَيدِىّ أى سماعك ، وادعاء الشذوذ هنا غير متأتٍّ لاطّراد مثل هذا التركيب وفصاحته ! قلتُ : لا نسلّم أن التأويل بدون حرف مصدر شاذّ مطلقاً ، وإنما يكون شاذّاً إذا لم يطّرد فى بابٍ ، أما إذا اطّرد فى باب واستمرّ فيه فإنه لا يكون شاذا ، كالجملة التى يضاف إليها اسم الزمان مثلا نحو : جئتك حين ركبَ الأمير ، أى حين ركوبه .

٢٣٢ وضبط أبو علىّ الفارسى كما نقل ابن خلف عنه أن (ألاّ) فى هذا البيت بفتح الهمزة ، فيكون أصله هلاّ . نقل صاحب التلخيص عن الكسائى :

أن هَلاّ وألاّ بقلب الهاء همزة ولولا ولوما للتنديم فى الماضى ، وللتحضيض فى المستقبل ؛ فالأول نحو : هلا أكرمت زيداً — على معنى ليتك أكرمته ، قصداً إلى جعله نادماً على ترك الإكرام ؛ والثانى نحو : هلا تقوم — على معنى ليتك تقوم ، قصداً إلى حثه على القيام . ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه .

و (ما) زائدة . وهذه الجملة جواب عمّرتك الله . وهو قَسم سؤالىّ . وجملة (هل كنت جارتنا . . الخ) فى موضع المفعول لذكرت معلَّق عنه بالاستفهام ، والأصل هلاّ ذكرت لنا جواب هذا السؤال ؛ وجملة (عمرتك الله) إلى آخر البيت فى محل نصب على أنها مقولة لقوله فى البيت السابق ، وهو :

(إذ كدتُ أنكِر من سلمىٰ فقلت لها لمّا التقينا وما بالعهد من قِدَم)

و (ذو سَلَم) : موضع عند جبلٍ قريب من المدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

والبيتان من قصيدة للأحْوَص الأنصارى . وأنشد سيبويه بيتاً آخر مثل هذا البيت لعمرو بن أحمر الباهلىّ وهو(١):

« عمّرتكَ اللهَ الجليلَ فإننى أَلوِى عليكَ لوَ انّ لُبَّكَ يهتدى »

أَلوِى عليك : أعطف عليك . وقوله : لو انّ لبّك يهتدى ، أى لو أن قلبك يقبل النصيحة ؛ عبّر عنه باللبّ لأنه محله . وجواب القسم السؤالىّ فى بيت بعده وهو :

« هل لامنى مِن صاحبٍ صاحبتُه مِن حاسر أو دارع أو مرتدى »

---

(١) سيبويه ١ : ١٦٣ ابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والمنصف ٣ : ١٣٢

واعلم أن (عمّرتك الله) فى البيتين بتشديد الميم ؛ كما يدل عليه كلام سيبويه المنقول فى كلام الشارح ، وهو قوله : « والأصل عند سيبويه : عمّرتك الله تعميراً الخ[١] » . ومثله فى العباب للصاغانى : وقولهم عمّرتك الله أى سألت الله تعميرك . وأنشدَ البيتَ الأول ، ثم قال : وقال جل ذكره : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ما يَتَذَكَّرُ فيه مَن تَذَكَّرَ[٢] ﴾ . ويجوز عندى أن يكون قولهم عمْرَك الله مصدراً لفعل ثلاثىّ ، وهو : فلان يعمُره من باب نصر ، أى يعبده بالصلاة والصوم ونحوهما ، وفلان عمّار أى كثير الصلاة والصوم ؛ فيكون منصوباً على نزع الباء القسَمية ومضافاً إلى فاعله ، أى بعبادتك الله . ولم أرَ من شرحه على هذا الوجه .

الأحوص ابن محمد

و (الأحوص) من الحوص بمهملتين ، وهو ضيق فى مؤخر العين ، وقيل : فى أحد العينين . وهو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم ابن ثابت ، يسمّى « حَمِىَّ الدَّبْر[٣] » أى محميّها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فى بَعْث فقتله المشركون وأرادوا أن يصلِبوه ويمثّلوا به فحمته الدَّبْر[٤] — وهى النحل — فلم يقدروا عليه .

والأحوص مقدَّم عند أهل الحجاز وأكثر الرواة ، لولا أفعاله الدنيئة ؛ لأنّه أسمحهم طبعاً ، وأسلَسهُم كلاما ، وأصحّهم معنى ؛ ولشعره رونق وحلاوة وعذوبة ألفاظ ليست لأحد . وهو محسِّن فى الغزل والفخر والمدح . وكان يشبِّب بنساء أشراف المدينة ، ويُشيع ذلك فى الناس ؛ فنُهى فلم ينته .

(١) الرضى ١ : ١٠٧

(٢) من الآية ٣٧ فى سورة فاطر .

(٣) أى كان عاصم بن ثابت ، كما فى الاصابة ٤ : ٢ والسيرة ٦٣٩ .

(٤) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل والزنابير . ط : « الدبرة » صوابه فى ش .

فشُكى إلى عامل سليمان بن عبد الملك ، وسُئل الكتابة فيه إليه ، ففعل فكتب سليمان يأمره أن يضرب به مائة ، ويقيمه على البُلُس للناس ، ثم يسيّره ٢٣٣
إلى دَهْلَك(١)، ففعل به ذلك . والبُلُس بضمتين : جمع بلاس بكسر الموحدة(٢)، وهى غرائر كبار من مُسوح يجعل فيها التبن يشهَّر عليها من يُنكَّل به ، وينادى عليه . ومن دعائهم « أرانيك الله على البُلُس » وكان الأحوص يقول ، وهو يطاف به :

ما مِن مصيبة نَكبةٍ أُمنى بها   إلاّ تُعظِّمنى وتَرفع شانى
إنى إذا خفِىَ اللئامُ رأيتَنى   كالشَّمس لا تخفى بكل مكان
إنى على ما قد ترون مُحسَّد   أنمى على البغضاء والشنَآن
أصبحت للأنصار فيما نابهمْ   خلَفاً وفى الشعراء من حسّان

وأقام الأحوص منفيًّا بدَهلَك إلى أن ولى عمر بن عبد العزيز ، فكتب إليه الأحوص يستأذنه فى القدوم ، وسأله الأنصارُ أيضاً أن يُقدِمه إلى المدينة ، فقال لهم : من القائل :

فما هُو إلاّ أنْ أراها فُجاءةً   فأُبهَتَ حتّي لا أكاد أُجيبُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

أَدُورُ ولولا أنْ أرى أُمَّ جَعفرٍ   بأبياتِكُمْ ما دُرتُ حيثُ أَدورُ

---

(١) دهلك : جزيرة بين بلاد اليمن والحبشة ، ضيقة حرجة حارة ، كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها . وعينها الأستاذ أمين واصف فى الفهرست بأنها تجاه مصوع الآن .

(٢) كتب الميمنى :« أظن البلاس معرب بلاس بالفارسية بمعنى الحصير . ثم وجدته والحمد لله فى خروم معرب الجواليقى التى سدها وليم سبيتا فى المجلة الألمانية ٣٣ : ٢٠٨ ــ ٢٢٤ ولفظه : من كلام فارس للمسح بلاس وجمعه بلس هكذا تقول العرب .. الخ » .

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

سَيبقى لها فى مضمر القلب والحشَا ... سَرِيرةُ حُبٍّ يومَ تُبلَى السَّرائرُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

اللهُ بينى وبين قيِّمها ... يفِرُّ منّي بها وأتَّبع(١)

قالوا : الأحوص . قال : لا جرَم ما رددتُه ما كان لى سلطان !

قال أبو عبيدة : كان سبب نفى الأحوص أنَّ شهوداً شهدوا عليه أنه قال : لا أبالى أىَّ الثلاثة أكون ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً(٢) . وكان مشهوراً بالأبنة وانضاف إلى ذلك أنه دخل يوماً على سُكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ، فأذَّن المؤذن فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فخَرَت سكينة برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأحوص :

فخَرَتْ وانتمتْ فقلت : ذرينى ... ليس جهلٌ أتيتِه ببديعِ

فأنا ابن الذى حمَت لحمَه الدَّبـ ... ـرُ قتيلاً للِحيانَ يوم رَجيعِ(٣)

غسلتْ خالىَ الملائكة الأبـ ... ـرارُ مَيْتاً ، طوبَى له من صريع

وكان وفد الأحوص على الوليد بن عبدالملك ممتدحا له فأنزله منزلا وأمر

---

(١) ط : « وأتبعه » ، تحريف . فانه ثانى بيتين فى الأغانى ٤ : ٤٨ أولهما :

كأن لبنى صبير غادية ... أو دمية زينت بها البيع

(٢) فى الأغانى ٤ : ٤٣ عن أبى عبيدة « شهدوا عليه أنه قال : اذا أخذت صريرى « دراهمى » لم أبال أى الثلاث لقيت » .

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط والأغانى : « قتيل اللحيان » . وفى الأغانى أيضا : « يوم الرجيع » . والرجيع : ماء لهذيل بناحية الحجاز .

بمطبخةٍ تمـال عليه(١) . وكان قد نزل على الوليدِ شعيبُ بن عبدالله بن عَمرو بن العاص ، وكان الأحوص يراود وُصَفَاء للوليد خبَّازين(٢) ، يريدهم أن يفعلوا به الفاحشة ، وكان شعيب قد غضب على مولىً له ونحّاه ، فلما خاف الأحوص أن يفتضح بمراودته الغلمان اندسّ لمولى شعيب بذلك فقال : ادخل على أمير المؤمنين فاذكر له أنّ شعيباً راودك عن نفسك . ففعل المولى ، فالتفت الوليد إلى شعيب فقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لـكلامه نبأٌ يا أمير المؤمنين ، فاشددْ به يدكَ يصدُقْك . فشدّ عليه فقال : أمرني الأحوص بذلك . فقال قيّمُ الخبازين : إنَّ الأحوص يراود غلمانك عن أنفسهم . ٢٣٤
فأرسل به الوليد إلى ابن حزم والى المدينة وأمره أن يجلده مائة ، ويصبّ على رأسه زيتاً ، [ويقيمه على البُلُس](٣) ففعل به كما ذكرنا .

ولم يزل الأحوص بدَهلك حتّى مات عمر بن عبد العزيز وتولّى يزيد بن عبد الملك . فبينا يزيدُ وجارية ذات يومٍ تغنيه بعضَ شعر الأحوص فقال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا أدرى ! فأرسل إلى ابن شهاب الزهريّ وسأله ، فأخبره أن قائله الأحوص . قال : وما فعَل ؟ قال : طال حبسُه بدَهلَك . فأمر بتخلية سبيله ووهب له أربعمائة دينار .

وعن ابن الأعرابى : أنّ الأحوص كانت له جارية تسمى « بِشْرة » وكانت تحبُّه ويحبُّها . فقدِم بها دمشق، فحضرته الموت وبكت(٤) فقال الأحوص:

---

(١) ش : « بمطبخه تمال عليه » . وفى الأغانى : « بمطبخه أن يمال عليه » .

(٢) انظر حواشى الحيوان ٥ : ٤٥٧

(٣) تكملة من الأغانى ٤ : ٤٤ كما يقتضيه السياق

(٤) فى الأغانى : « فحضره الموت وبكت » .

ما لجديدِ الموتِ يا بشرَ لذة   وكلُّ جديد تستَلَذّ طرائفُه

ثم مات ، فجزعت عليه جزعاً شديداً ، ولم تزل تبكى عليه وتندُبه حتّى شَهِقت شهقةً وماتت . ودُفنت إلى جنبه .

(تتمة)

لم يذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من اسمه (أحوص) غير هذا . وذكر (الأخوص) بالخاء المعجمة وقال : هو زَيد[1] بن عمرو بن قيس اليربوعى التميمىّ ، وهو شاعرٌ فارس . وأورد له شعراً جيّداً يَفتخر به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون[2] :

٨٦ (قَعيدَكِ أن لا تُسمِعينى مَلامةً   ولا تَنْكَئِي قَرْحَ الفؤادِ فَييجعاَ)

على أن (قعيدَك الله) وعمرك الله « أكثر ما يستعملان فى القسَم السؤالى فيكون جوابهما ما فيه الطلب كالأمر والنهى . وأنْ هنا زائدة » .

قال أبو حيّان فى الارتشاف : ويجيء بعد — قَعْدَ وقعيدك الاستفهامُ وأنْ . ولم يقيّدها بكونها زائدة أو مصدرية أو غيرَهما . ومثال الاستفهام ، قال الأزهرى : قالتْ قُرَيبة الأعرابية :

قَعيدَكِ عَمْرَ الله يا ابنة مالك   ألم تعلمينا نِعْم ماوى المحّصب

ولم أسمع بيتاً جُمع فيه بين العَمْر والقعيد إلاّ هذا . انتهى .

---

(١) ط : « يزيد » صوابه فى ش والمؤتلف ٤٩

(٢) انظر أيضاً الخزانة ٢ : ٢١٤ وهمع الهوامع ٢ : ٤٥ والمنصف ١ : ٢٠٦ والمفضليات ٢٦٩ .

وبقى على أبى حيّان أن يقول : و « اللام » . روى أبو عبيد قعيدك لتفعلن ، و « لا النافية » كما يأتى فى كلام الجوهرىّ .

قال ابن الحاجب فى الإيضاح : وقَعدَك اللهَ عند سيبويه مثل عمرَك اللهَ يجعله بمعنى فعل مقدّر معناه : سألته أن يكون حفيظك ، وإن لم يُتكلّم به . كأنه قيل حفّظتك الله ، من قوله تعالى : « عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ » (١) أى حافظ . ووضَح ذلك فى عَمرَك اللهَ لاستعمال فعله . وإذا تحقّق أن معنى قعدَك الله معنى الفعل المقدّر المذكور ، وضَحَ أيضاً [أن] قعيدَك الله بمعناه وفيه أيضا معنى السؤال ، كعمرك الله .

وقال ابن خلف : يريد سيبويه بقوله : « فقعْدك الله يجرى هذا المجرى ، أن فعل المصادر قد يترك ويكون بمنزلة ما استُعمل الفعل فيه ، فقعْدك بمنزلة قولك : وصْفَك اللهَ بالثّبات وأنه لا يزول (٢) . يريد سألتك بوصفك الله بالثبات ثم حذف الفعل والباء . ولا يستعمل فيه الفعل ولا الباء ، وهو مصدر لا يتصرّف ، أى لا يستعمل فى غير هذا الموضع من الكلام ، ولا يستعمل ٢٣٥
إلاّ مضافاً . انتهى

وقال أبو اسحاق إبراهيم النَّجيرَمِىّ (٣) فى كتاب أَيمان العرب : معنى قعدَك الله وقعيدَك الله : أخصبَ الله بلادَك حتى تكون مقيما فيها قاعداً غير منتجِع.

وقال الجوهرىّ « وقولهم : قعيدَك لا آتيك ، وقعيدَك اللهَ لا آتيك وقَعْدَك اللهَ وقِعْدك اللهَ بالفتح والكسر : يمينٌ للعرب . وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمَر ، والمعنى : بصاحبك الذى هو صاحب كلّ

(١) الآية ١٧ فى سورة « ق »
(٢) ط : « وان لاتزول » ، صوابه فى ش
(٣) ط : « البحيرى » ، صوابه فى ش . وقد طبع كتابه فى المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ بتحقيق محب الدين الخطيب

نجوى ؛ كما يقال : نشدتك الله » . زاد عليه صاحب العباب : وقال أبو عبيد : عُليا مضر تقول : قعيدَك لتفعلنّ كذا ، يعنى أنهم يحلفونه بأبيه ، قال : القعيد : الأب .

وأنكر صاحب القاموس كونَهما للقسم فقال : « قعيدَك اللهَ وقِعْدَك بالكسر استعطاف لا قَسَمٌ ، بدليل أنه لم يجئ جوابُ القسم » . وهذا مخالف للجمهور ؛ فإنّ قوله (لا تسمعينى) جواب لقوله (قعيدَك) ، وكذا : لا آتيك ، فيما نقله الجوْهرىّ . قال صاحب البسيط : ويدلُّ على القسم قولهم : قعدك الله لأفعلنّ . وروى فَقَعْدَكِ[1] بفتح القاف وكسرها . والمفعول الثانى محذوف أى قعدكِ[2] الله . والكاف مكسورة لأنه خطاب مع امرأة كما يأتى بيانه . وجملة (لا تنكئى) لا محل لها من الإعراب ، كجملة المعطوف عليها ؛ يقال نكأت القَرحة ، بالهمز : إذا قشرتها ؛ ونكيت فى العدوّ بلا همز . والقرح كالجرح وزناً ومعنًى . وقوله (فييجعا) منصوب بأن مضمرة بعد الفاء ، فى جواب النهى الثانى . قال ابن الأنبارى : أهل الحجاز يقولون : وجِعَ يَوْجَع ووجِل يوَجَل ، يُقرّون الواو على حالها إذا سكنت وانفتح ما قبلها ، وهى أجود اللغات ؛ وبعض قيس يقول : وجِل ياجَل ووجِع ياجع ؛ وبنو تميم تقول : وَجِع يِيجَع ، وهى شرّ اللغات ؛ لأن الكسر من الياء والياء يقوم مقام كسرتين ، فكرهوا أن يكسروا لِثِقَل الكسر فيها . وقال الفراء : إنما كسر ليتفّق اللفظ فيها واللفظ بأخواتها ؛ وذلك أن بعض العرب يقول : أنا إيجَل وأنت تِيجل ونحن نيجل ؛ فلو قالوا هو يَوَجل كانت الياء قد خالفت أخواتها .

وهذا البيت من قصيدة مشهورةٍ مشروحة فى المفضّليّات وغيرها ، لمتمم

(١) ط : « قعدك » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « قعيدك » .

ابن نُويرة الصحابيّ رضى الله عنه ، يرثى بها أخاه مالك بن نُويرة . وقبل هذا البيت ثمانية أبيات متصلة به وهى :

قصيدة الشاهد

(تقول ابنةُ العَمرىّ مالَكَ بَعْدَمَا أراكَ حديثاً ناعمَ البالِ أفرَعا)

ابنة العمرىّ : زوجته . والحديث : القريب . والأفرَع : الكثير شعر الرأس — تقول له : مالك اليوم متغيّراً بعد أن كنت منذ قريب ناعمَ البال أفرع .

(فقلتُ لها : طولُ الأسَى ، إذ سألتِنى ولَوعة حزن تترك الوجهَ أسفَعا)

الأسْى : الحزن . والتاء من سألتِنى مكسورة . واللَّوعة : الحُرقة . والسُّفعة بالضم : سواد يضرب إلى الحمرة .

(وفقدُ بنى أمٍّ تداعَوا فلم أكنْ خِلافَهُمُ أن أستكين وأضرَعا)

فَقْدُ : معطوف على طول الأسْى . وتداعَوا : تفرقوا ودعا بعضهم بعضاً . وخِلافَهم : بَعدهم وخَلفهم . يقول : لست وإن أصابنى حزنٌ بمُستكينٍ ولا خاضع فيشمت به الأعداء .

٢٣٦ (ولكنّنى أمضى على ذاك مُقْدِماً إذا بعضُ مَن يَلقى الحُروب تكعكعا[1])

التكعكُع : التأخر عن الحروب من الجبن والتهيّب .

(وغيّرنى ما غال قَيساً ومالكا وعَمْراً وجَزْءاً بالمُشقَّر ألمعَا)

غال : أهلك . وقيس وعمرو : رجلان من بنى يربوع ؛ وجَزء هو ابن سعد الرياحىّ ؛ وهؤلاء قتلهم الأسود بن المنذر يومَ المشقَّر . ويعنى بمالك أخاه . و « المُشقَّر » بالشين المعجمة والقاف على زنة اسم المفعول : قصر

(١) ط : « من يلق » صوابه فى ش والمفضليات

بالبَحْرَين ، وقيل : مدينة هَجَر . وقوله : ألمعا ، أى ألمع بهم الموت ، ومعناه ذهب بهم ؛ وقال الكسائى : أراد معاً فزاد أل .

(وما غال نَدمانَىْ يزيدَ ، وليتنى تملّيتُه بالأهلِ والمالِ أجمعا)

النَّدمان بالفتح هو النديم ، وكان يزيد ابن عمه ونديمه .

(وإنى وإن هازَلتنى قد أصابنى من البثّ ما يُبكى الحزينَ المفجَّعا)

يقول : نزل بى ما يغلب الصبر والتجلّد حتّى يحمل صاحبه على البكاء ، وأنا مع ذلك أتجلّد .

(ولستُ إذا ماأحدث الدهرُ نكبةً ورُزءاً بزوّارِ القرائب أخضعا)

يقول : إذا أصابتنى مصيبة لم آت قرائبى خاضعاً لهم لحاجة منّي إليهم ، ولكنَّنى أصبر وأعِفّ مع الفقر .

وبعده : قعيدَك أن لا تسمعينى ملامة .. البيت

متمم بن نويرة و (متمّم) هو ابن نُويرة بن جَمرة « بالجيم » ابن شدّاد بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

وكان متمّم من الصحابة رضى الله عنهم . وأخوه مالك يقال له « فارس ذى الخِمار » بكسر الخاء المعجمة وذو الخمار فرسُه .

قال ابن السِّيد فى شرح كامل المبرد : قولهم فتًى ولا كمالك ! هو مالك ابن نويرة سيّدُ بنى يربوع قتله خالد بن الوليد .

ورأيت رسالة لأبى رياش أحمد بن أبى هاشم القيسى تتضمن قصة قتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة ؛ قال :

كان مالك بن نويرة قدأسلم قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وتصدّق ،

وكان عَريفَ ثعلبة بن يربوع ؛ فقُبض النبي صلى الله عليه وسلم وإبِل الصدقة برَحْرَحان ، وهو ماء دُوَين بطن نخل ، فجمع مالكٌ جمعاً نحواً من ثلاثين فأغار عليها فاقتطع منها ثلاثمائة ؛ فلما قدم بلادَ بنى تميم لامَهُ الأقرع بن حابس ابن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم ؛ وضِرار بن القَعقاع بن مَعبد ابن زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ وبلغ مالكا أنّهما يمشيان به فى بنى تميم ، فقال مالك ـ يعتبهما ويدعو على ما بقى من إبل الصدقة ـ :

أرانى اللهُ بالنَّعَم المندّىٰ ... ببُرقة رَحرحانَ وقد أرانى
أإن قرَّت عيونٌ فاستُفيئت ... غنائم قد يجود بها بنانى
حوَيتُ جميعَها بالسيف صَلتاً ... ولم تُرْعَدْ يداىَ ولا جَنانى
تَمَشّى يا ابنَ عَوذة فى تميمٍ ... وصاحِبَك الأُقيرع تلحيانى ! !
ألم أكُ نارَ رابئةٍ تَلظّىٰ ... فتتّقيا أذاىَ وترهَبانى[1] ؟ !
فقل لابن المَذَبّ يغضُّ طرفاً ... على قطع المذلّة والهوان

وعَوذة : أم ضرار بن القعقاع وهى مُعاذة بنت ضرار بن عمرو الضبّيّ .
والمَذَبَّة : أُم الأقرع بن حابس .

٢٣٧ فلما قام أبو بكر وبلغه قول مالك بعثَ إليه خالد بن الوليد ، وأمره أن لا يأتىَ الناس إلاّ عند صلاة الغداة ؛ فمن سمع فيهم مؤذّناً كفّ عنهم ، ومن لم يسمع فيهم مؤذّناً استحلّهم ؛ وعزم عليه ليقتلنّ مالكا إنْ أخذه . فأقبل خالد بن الوليد حتّى هبط جَوّ البَعوضة ، وبه بنو يربوع ، فبات

(١) ط : « رائبة » ش : « رأيته » ، صوابه ما أثبت . وفى الحيوان ٤ : ٤٧٤ « ونار أخرى وهى النار التى كانوا اذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا عظيما ، وأرادوا الاجتماع ، أوقدوا ليـــلا على جبلهم نار ليبلغ الخبر أصحابهم » . وقد سماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٦١ « نار الانذار » .

عندهم ولا يخافونه ؛ فمرّ على بنى رِياح فوجد شيخاً منهم يقال له مسعود ابن وضام ، يقول :

وحَجَّةٍ أتبعتُها بحَجَّة وهَدْيةٍ أهدَيتها للأبطحِ

فمضى عن رياح حتّى مرّ ببنى غُدانة وبنى ثعلبة فلم يسمع فيهم مؤذّناً فحمل عليهم ؛ فثار الناس ولا يدرون ما بيّتهم ، فلما رأوا الفُرسانَ والجيش قالوا: من أنتم؟ قالوا : نحن المسلمون. قال مالك: ونحن المسلمون ! فلم ينته المسلمون لذلك ووضعوا فيهم السيف وقُتلت غُدانة أشدّ القتل وقُتلت ثعلبة ، وأُعجل مالك عن لبس السلاح ، وإنّ امرأته ليلى بنت سِنان بن ربيعة بن حنظلة قامت دونه عُريانة ودخل القُبّة وقامت دونه ؛ ولبس مالك أداته ثم خرج فنادى : يا آل عبيد . فلم يجبه أحد غير بنى بَهَان(١) فإنهم صدَقوا معه يومئذ وطلعوا من جوّ البعوضة وبلغوا ذات المذاق — وهى أكمة بينها وبين الجوّ ميلانِ أو قدرُ ميل ونصف — ففزعوا من القوم ، غير مالك وغير بقية من ولد حُبشىّ بن عبيد بن ثعلبة ، وكان عدّة من أصيب مع مالك خمسة وأربعين رجلا من بنى بَهان . ثم إن خالد بن الوليد قال : يا ابن نويرة هلمّ إلى الإسلام قال مالكٌ : وتعطينى ماذا ؟ قال : ذِمّةَ الله وذمّة رسوله ، وذمّة أبى بكر ، وذمّةَ خالد بن الوليد فأقبل مالك وأعطاه بيديه ، وعلى خالد تلك العَزْمة من أبى بكر. قال : يامالك ، إنى قاتلك . قال : لا تقتلنى ، قال: لا أستطيع غير ذلك ؛ قال : فأت مالا تستطيع إلا إياه . فقدّمه إلى الناس فتهيّبوا قتله، وقال المهاجرون: أنقتل رجلاً مسلماً ؟! غيرَ ضرار بن الأزوَر الأسدى(٢) من بنى كُوز ، فإنه قام فقتله . فقال متممٌ ابن نويرة يذكر غدره بمالك :

(١) من قبائلهم . وفى القاموس : « وبهان كقطام : امرأة » .

(٢) وكذا فى الكامل ٧٦١ والاصابة ٧٦٩٠ والأغانى ١٤ : ٦٦ . وفى شرح المفضليات ٥٢٦ « ضرار بن الأسود الأزدى » .

نِعم القتيلُ إذا الرِّياح تحدّبت فوق الكَنيف قتيلكَ ابنَ الازورِ(١)
أدعوتَه بالله ثُمَّ قتلته ؟ ! لَو هُو دعاك بذِمّة لم يَغدِرِ
ولَنِعم حَشْو الدِّرع يوم لِقائه ولَنِعم مأوى الطارق المتنوِّرِ
لا يلبَس الفحشاء تحت ثيابه صعبٌ مقادته عفيفُ المِئزرِ

فلما فرغ خالد منهم أقبل المِنهال بن عصمة الرِياحى فى ناس من بنى رياح يدفنون قتلى بنى ثعلبة وبنى غدانة ، ومع المنهال بُردانِ من يَمْنة . فكانوا إذا مرُّوا على رجل يعرفونه قالوا : كفِّنْ هذا يامنهالُ فيهما ؛ فيقول : لا ، حتى أكفن فيهما الجفولَ مالكاً (وهو الكثير الشعَر ، وكان يلقَّب بذلك لكثرة شعَره) وذلك فى يومٍ شديد الريح فجعلوا لايقدرون على ذلك . ثم رفعت الريحُ شَعَره مِن أقصى القوم فعرفه فجاءه فكفَّنه . فذلك قول متمِّم فى أول القصيدة :

لَعمرى وما دهرى بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفَّنَ المِنهال تحت ردائه فتىً غيرَ مِبطانِ العشيات أروَعا
ألم يأت أخبارُ المُحلّ سَراتنا فيغضبَ منها كلُّ من كان موجَعا) ٢٣٨

المُحلّ : رجل من بنى ثعلبة ، مرّ بمالك مقتولا فنعاه كأنه شامت ، فذمَّه متمِّم وأخذ خالد بن الوليد ليلىٰ بنت سنان امرأةَ مالك ، وابنَها جراد بن مالك ؛ فأقدمهما المدينة ، ودخلها وقد غرز سهمين فى عمامته ، فكأنّ عمر غضب حين رأى السهمين فقام فأتى علياً فقال : إنَّ فى حق الله أن يقاد هذا بمالك ؛ قتلَ رجلا مسلماً ثم نزَا على امرأته كما ينزو الحمار . ثم قاما فأتيا طلحة ، فتتابعوا على ذلك . فقال أبو بكر : سيف سلّه الله لا أكون أولَ مَن أغمده ، أكِلُ أمره إلى الله .

(١) فى الكامل والأغانى ١٤ : ٦٧ . « اذا الرياح تناوحت »

فلما قام عُمر بالأمر وفد عليه متمِّم فاستعداه على خالد . فقال : لا أردّ شيئاً صنعه أبو بكر . فقال متمٌّ : قد كنتَ تزعم أنْ لو كنتَ مكان أبى بكر أقدْته به ! فقال عمر : لو كنتُ ذلك اليومَ بمكانى اليومَ لفعلتُ ، ولكنّي لا أردّ شيئاً أمضاه أبو بكر ، ورد عليه ليلى وابنها جرادا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون(١) :

٨٧ ﴿ أيُّها المنكِحُ الثريّا سُهَيلا عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيان !

هى شاميّة إذا ما استقلّتْ وسهيلٌ إذا استقلّ يمانى ﴾

على أن (عمرَك الله) يستعمل فى القسم السؤالى ، ويكون جوابه ما فيه الطلب ، وهو هنا جملة (كيف يلتقيان) فإن الاستفهام طلب الفهم ، وهو هنا تعجُّبٌ . خلافاً للجوهرى فى هذا فانه زعم أن (عمرك الله) هنا فى غير القسم .

وهذان البيتان من قصيدة لعمر بن أبى ربيعة .

و (المنكح) : اسم فاعل من أنكحه أى زوّجه . و (استقلّ) ارتفع .

الثريا و (الثريّا) هى بنت [على بن(٢)] عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وهم العبَلات .

وكانت الثريا وأختها عائشة اعتقتا الغَريض المغنّى ، واسمه عبد الملك ، ويكنى أبا يزيد ، كذا قال المبرّد فى الكامل . قال ابن السيِّد فى شرحه : والعَبلات هم بنو أميّة الأصغر بن عبد شمس – وبنو عبد شمس : أميّة ، [وعَبد أميّة(٣)] ، ونوفل أبناء عبد شمس – نسبوا إلى أمّهم عبْلة بنت

(١) انظر ابن يعيش ٩ : ٩١ وابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والوفيات ١ : ٣٧٨ وملحقات ديوان عمر ٤٩٥ وجمهرة ابن حزم ٧٦ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) التكملة من ط وجمهرة ابن حزم ٧٤

عبيد بن جادِل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهى من البراجم .

ورأيت فى كتب اللهو لابن جردابة [١] أن كنيته أبو زيد ، وقال : هو من مولّدى البربر يضرب العود ، أخذ الغناء عن ابن سُريج ثم حَسده فطرده ، وكان جميلا ، وربّته الثريا وعلمته النوح بالمراثى على من قتله يزيد ابن معاوية يوم الحرة .

وقيل إن الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر .

وذكر الزبير بن بكّار أنها الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر ، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبى جراب العَبْلىّ [٢] الذى قتله داود بن على ، كذا فى الغرر والدرر للشريف [٣] .

وأما « سهيل » فهو سهيل بن عبد الرحمن بن عَوف الزُهرّى . وكنيته سهيل
أبو الأبيض . وأمه بنت يزيد بن سلامة ذى فائش الحميرىّ . تزوّج الثريا ونقلها إلى مصر . فقال عمر بن أبى ربيعة يضرب لها المثل بالكوكبين . فكان يشبِّب بها ، وقال فيها أشعاراً . وكانت تَصيف فى الطائف ، فكان عمر يغدو بفرسه كلَّ غداةٍ فيسائل الذين يحملون الفاكهة عن أخبارها ، فسأل بعضَهم يوماً ، فقال : لا أعلم خبراً غيرَ أنى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحا على امرأة
من قريش اسمها اسم نجم ذهَبَ عنى اسمه . قال عمر : الثريا ؟ قال : نعم . ٢٣٩
وكان قد بلغه أنها عليلة ، فركض فرسَه من أقرب الطريق حتى انتهى إليها

(١) لم يرد ذكره الا فى هذا الموضع .
(٢) النسبة الى العبلات عبلى بالفتح ، وبالتحريك عن ابن ماكولا ، كما فى القاموس .
(٣) امالى المرتضى ١ : ٣٤٦ ــ ٣٤٧ .

وهى تُشرف من ثَنية ، فوجدها سليمةً ومعها أختها ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا والله امرتهم لأخبُر ما عندك !

ولما تزوّج عمر هجرته الثريّا وغضبت عليه فقال :

قال لى صاحبي ليَعلَمَ ما بى : أتُحبّ القتول أخت الرَباب[١]
قلتُ : وجدى بها كوجدك بالما ء إذا ما مُنعتَ بردَ الشراب
مَنْ رسولى إلى الثريّا فإنى ضِقت ذرعا بهجرها والكتاب

ثم تزوّجها سُهيل المذكور وحملها إلى مصر ، وكان عمر غائبا ، فلما بلغه قال :

(أيُّها الطارقُ الذى قد عنانى بعد ما نام سامرُ الرُكبان
زارَ مِن نازحٍ بغير دليل يتخطَّىْ إلىّ حتى أتانى[٢])

إلى أن قال : أيها المنكح الثريا سهيلا . . البيتين

وزعم بعضهم أن سهيلا هو ابن عبد العزيز بن مروان . والصحيح الأول . ثم سار إلى المدينة وكتب إليها :

كتبتُ إليكِ من بَلَدى كتاب مُوَلَّه كمِدِ
كئيبٍ واكفِ العينين بالحَسَرات مُنفردِ[٣]
يُؤرّقه لَهيب الشو ق بين السَّحْر والكبد
فيُمسك قلبَه بيد ويمسح عينه بيدِ[٤]

فلما قرأته بكت بكاء شديداً ثم تمثّلت :

(١) ط : « أتحب البتول » .
(٢) ط : « راد من نازح » صوابه فى ش
(٣) ط : « بالحسرة » صوابه فى ش والديوان والأغانى ١ : ٩٠
(٤) فى النسختين : « ويمسح عينه » ، صوابه من الديوان والأغانى

بنفسيَ مَن لا يستقلّ بنفسه ... ومَنْ هو، إن لم يرحم الله، ضائع

وكتبتْ إليه تقول:

أتاني كتابٌ لم ير الناسُ مثلَه ... أُبِينَ بكافور ومِسكٍ وعنبرِ[1]

فقِرطاسه قُوهيّة ورِباطه ... بعِقدٍ من الياقوت صافٍ وجوهرِ[2]

وفي صدره: منّي إليكِ تحيةٌ ... لقد طال تَهيامي بكم وتذكّري

وعنوانه: مِن مستهامٍ فؤادُه ... إلى هائم صَبٍّ من الحزن مُسعَرِ

روى أن الثريّا وعدَته ليلةً أن تزوره، فجاءت في الوقت الذي وعدَته فيه، فصادفت أخاه الحارث بن ربيعة قد طرقَه وأقام عنده ووجّه به في حاجة ونام مكانه وغطّى وجهه بثوبه، فلم يشعر إلاّ وقد ألقت نفسها عليه تقبّله! فانتبه وجعل يقول: اغرُبي عنّي فلست بالفاسق، أخزاكما الله! فانصرفت. ورجع عمر فأخبره الحارث بذلك، فاغتمّ على ما فاته منها وقال: والله لا تَمسُّك النارُ أبدا وقد ألقت نَفْسها عليك! فقال: عليك وعليها لعنة الله.

وحَكم له[3] بين « الثريّا » و « سهيل » تورية لطيفة؛ فإن الثريا يحتمل المرأة المذكورة وهو المعنى البعيد المورّىٰ عنه وهو المراد، ويحتمل ثريّا السماء وهو المعنى القريب المورّىٰ به. وسهيل يحتمل الرجل المذكور وهو المعنى البعيد المورّىٰ عنه وهو المراد، ويحتمل النجم المعروف بسُهيل. فتمكّن الشاعر أن ٢٤٠
ورّىٰ بالنجمين عن الشخصين ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد. وهذه أحسن تورية وقعت في شعر المتقدمين.

(١) الأغاني ١ : ٩١ : « أمد بكافور »

(٢) في النسختين : « خاف وجوهر » ، صوابه من الأغاني ثم قال أبو الفرج : « وهذا الخبر عندي مصنوع ، وشعره مضعف يدل على ذلك ، ولكني ذكرته كما وقع الي »

(٣) كذا . ولعل معناه اتفق له تورية محكمة لطيفة .

وفى شرح بديعية العُميان لابن جابر : لا يقال إن التورية فى الثريا مرشَّحة بقوله شاميَّة ، إذ ليست من لوازم المورَّىٰ به ؛ ولا مبيَّنة ، إذ ليست من لوازم المورّى ، إذ المرأة شاميّة الدار والنجم أيضاً شامىّ فاشتركا فى ذلك ، ولا يكون الترشيح والتبيين إلاّ بلازم خاصّ . وكذلك التورية فى سهيل ؛ لا يقال إنّها مرشحة ولا مبيَّنة بيَمانٍ ، إذْ هو صفة مشتركة بينهما ، لأن سهيلاً الذى هو رجلٌ يمانٍ كسهيل الذى هو النجم . وسبب هذين : أن سهيلاً المذكور تزوّج الثرّيا المذكورة وكان بينهما بَون بعيد فى الخَلق : كانت الثريا مشهورة فى زمانها بالحسن والجمال ، وكان سهيل قبيح المنظر ، وهذا مراده بقوله : عمرَكَ الله كيف يلتقيان ، أى كيف يلتقيان مع تفاوتٍ ما بينهما فى الحسن والقبح ، انتهى .

عمر بن أبى ربيعة و (عمر) هو عمر بن عبد الله ــ سَمّاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى الجاهلية يسمَّى بَحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة ــ ابن أبى ربيعة ، واسمه حُذيفة ، وكان يلقّب بذى الرمحين ، ابن المغيرة بن عبد الله بن عُمرَ ابن مخزوم[١] المخزومىّ .

ويكنى عمرُ أبا الخطاب . وأبو جهل بن هشام بن المغيرة [ابن[٢]] عمّ أبيه . وأُمُّ عمر بن الخطاب حَنتمة بنت هاشم بن المغيرة[٣] بنتُ عمّ أبيه . وإخوته عبد الله وعبد الرحمن والحارث بنو عبد الله .

---

(١) فى النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وهو تحريف يقع فى كثير من الكتب والمخطوطات . وانما هو « عمر » ، كما فى جمهرة ابن حزم ١٤١ ــ ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ والاشتقاق ٩٩ ، ١٠١ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « بنت هشام بن المغيرة » وكذا فى المعارف ٧٨ صوابه فى ش مع أثر تصحيح وجمهرة ابن حزم ١٤٤ وابن أبى الحديد ٤ : ٢٩٦

وكان عبد الرحمن أخوه تزوّج أمّ كلثوم بنت أبى بكر الصديق بعد طلحة وولدت له . وأعقب الحارثُ . ولا عقب لعُمَر ، وكانت أمُّه نصرانية ، وهى أم إخوته .

ولم يكن فى قريش أشعرُ مِن عمر . وهو كثير الغزل والنوادر والمجون يقال : من أراد رِقّة الغزَل فعليه بشعر عمر بن أبى ربيعة .

ولد ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وهى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فسمّى باسمه .

قال ابن قتيبة : « كان عمر فاسقاً يتعرّض لنساء الحاجّ ويشبّب بهنّ . فنفاه عمر بن عبد العزيز إلى دَهلَك . ثم غزا فى البحر فأُحرقت السفينة التى كان فيها [فاحترق(١)] هو ومن كان معه » .

وفى الأغانى بسنده أنّه نظر فى الطواف امرأةً شريفة ، فكلّمها فلم تجبه ، فقال :

الريحُ تَسْحَبُ أذيالاً وتنشرُها ... ياليتنى كنتُ ممن تسحب الريحُ

فى أبيات . فلما بلَغتْها جزعت جزعاً شديداً . فقيل لها : اذكريه لزوجك واشكيه . قالت : والله ما أشكوه إلا لله ، اللهمَّ إن كان نوّه باسمى ظالماً فاجعله طعاماً للريح . فعدا يوماً على فرس فهبّت ريح ، فنزل فاستتر بشجرة فعصفت الريح فخدشه غصن منها ، فمات من ذلك .

وكان ذلك سنة ثلاث وتسعين ، وقد قارب السبعين أو جاوزها . وقيل عاش ثمانين سنة . وترجمته فى الأغانى طويلة .

* * *

(١) التكملة من ش والشعراء ٥٣٦

وأنشد بعده : ﴿ فإنَّما هى إقبالُ وإدبارُ ﴾

تقدم شرحه فى الشاهد السبعين[1] فى باب المبتدأ[2]

* * *

٢٤١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

٨٨ (عَجَبٌ لِتلْكَ قَضِيَّةً ، وإقامتى فيكم على تلك القضيّة أعجَبُ)

على أنهم يرفعون بعض المصادر المنصوبة بعد حذف عاملها لزيادة المبالغة فى الدوام . بيّن الشارح وجه رفعه على الخبريّة .

وكذلك أورده سيبويه بأنه على إضمار مبتدإ أى أمرى عجب . وقال الأعلم وتبعه ابن خلف : يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء وإن كان نكرة لوقوعه موقعَ المنصوب ، ويتضمّن من الوقوع موقعَ الفعل ما يتضمّن المنصوبُ فيستغنى عن الخبر ، لأنه كالفعل والفاعل ، فكأنه قال : أعجب لتلك القضية . أو خبرُه لِتلك . وهذا هو المعهود فى المصادر المنصوبة : إذا رُفعتْ جعلتْ مبتدأ وجُعل متعلّقها خبراً مثل الحمد لله والسلام عليك لتكون فى معنى الأصل ، أعنى الجملة الفعليّة لا تزيد عليها إلاّ بالدلالة على الثبات ، وقد يجعل غير متعلّقها خبراً كقوله تعالى : « فصبرٌ جميل » أى أحسنُ من غيره . وقضيةً منصوب على التميز للنوع الذى أشار إليه بتلك ، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال ، قال أبو على : كأنه قال : اعجبوا لتلك الفَعْلة

(١) فى النسختين : « الثامن والستين » ، وهو سهو .

(٢) أنظر ص ٤٣١ من الجزء الأول

(٣) وهو من شواهد سيبويه ، ساقط من ش . وانظر سيبويه ١ : ١٦١ وابن يعيش ١ : ١١٤ والهمع ١ : ١٩١ والعينى ٢ : ٣٤٠ عرضا .

قضيّة . وقضيّة هنا بمعنى مقضيّة . وروى : (عجباً) بالنصب على أنه مصدر نائب عن أعجَبُ .

واعلم أن الشارح المحقّق حقّق هنا أن المصدر المنصوب بعد حذف عامله يفيد الدوام ، وإذا رفع وجعل خبراً أفاد زيادة وهى المبالغة فى الدوام . وهذا مناقضٌ لكلامه فى باب المبتدإ فى « سلامٌ عليك » من أن النصب بعد حذف الفعل يدلّ على الحدوث ، فعدلَ إلى الرفع للدلالة على الدوام !

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : « الحقّ ما قاله الرضى فى باب المفعول المطلق ، بخلاف ما قاله فى المبتدأ فإنّه غير مرضى » .

أقول : لو عكس القضيّة لكان أظهر ، فإنه مع النصب الصريح كيف يفيد الدوام ، مع أن الجملة فعليّة ، والتزام الحذف لا ينافيه ، كما فى الظرفية الواقعة خبراً إذا قدّر المتعلّق فعلًا مع أن الجملة اسمية ، ومع هذا فلم يجعلوها للدوام الثبوتى ! فإن ادّعى أنّ العامل مضارع أو اسم فاعل ، وأن كلاًّ منهما محمول على الاستمرار التجدّدىّ لا الدوامى ؛ ورَد عليه أن هذا يحصل مع الذكر ، فتخصيص الحذف به مما لا داعية إليه ، مع أن هذا ليس مراداً له ، بل مراده حصول الاستمرار الثبوتى مع النصب .

وكلام الشارح هنا مخالف لكلام علماء المعانى ، قال السيّد فى شرح المفتاح : إن الاسم كعالم مثلا يدلّ على ثبوت العلم لمن حُكم به عليه ، وليس فيه تعرّض لاقترانه بزمانٍ وحدوثِه فيه ولا لدوامه . نعم لما كان اسم الفاعل جارياً على الفعل جاز أن يُقصد به الحدوث بمعونة القرائن كما فى ضائق ، ويجوز أن يقصد به الدوام أيضاً فى مقام المدح والمبالغة ، وكذا حكم اسم المفعول ، وأما الصفة المشبّهة فلا يقصد بها إلاّ مجرّد الثبوت وضعاً ، أو الدوام

باقتضاء المقام . والجملة الاسمية إذا كان خبرها اسماً فقد يقصد بها الدوام والاستمرار الثبوتى بمعونة القرائن ، وإذا كان خبرها مضارعاً فقد يفيد استمراراً تجدّدياً ، وهذه الإفادة أيضاً بمعونة القرائن كما فى : « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم »(١) لكن هذا الاستمرار التجدُّدى مستفاد من المضارع فى الحقيقة ، ٢٤٢
وفائدة الجملة الاسمية ها هنا تقوى الحكم ، فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام ، فإنّ قولك : زيد قام ، يفيد تجدد القيام » اهـ .

فقول الشارح هنا « إنما وجب حذف الفعل لأن المقصود من مثل هذا الحصرِ أو التكريرِ وصفُ الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له ، ووضع الفعل على الحدوث والتجدد الخ » مشكلٌ ؛ لأنه هنا جملة اسمية خبرها فعل مضارع أو اسم فاعل دالٌّ على الحدوث لعمله ، فهى للاستمرار التجددى لا الدوامى ؛ وحينئذ لا فرق بين ذكر العامل وحذفه ؛ لأن التقدير : ما زيد إلا يسير سيراً ، وزيد يسير سيراً ، فكيف جعل الغرض من هذا الحصر أو التكرير وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له مع أن الجملة اسمية خبرها مضارع ؟

فإن أجيب : بأن الجملة إنما أفادت مع الحصر أو التكرير الدوام الثبوتى للزوم حذف العامل ، ورَد عليه الجملة الاسمّية التى خبرها ظرفيّة إذا قدّر المتعلّق فيها فعلا ، فإنها لا تفيد الدوام الثبوتى مع لزوم حذف العامل .

فإن أجيب : بأن الدالّ على الدوام الثبوتى إنما هو الحصر أو التكرير لا الجملة الإسمية التى قدّر خبرها فعلا ، كما يدل عليه قوله بعد ذلك « لم يكن

(١) الآية ١٥ من سورة البقرة .

فيه معنى الحصر المفيد للدوام » ، ورَد عليه أن كلامهم مطلق لم يقيَّد بهذا القيد .

وقول الشارح : « وإن كان يستعمل المضارع فى بعض المواضع للدوام » لا يخلو عن بحث ، فإن ظاهره أن الدوام الذى يفيده المضارع ثبوتى لاتجددى، إلاّ أن يقال : مراده مطلق الدوام ، وإن كان مختلفاً ، وهذا لا يناسب أول كلامه . وقوله : « وذلك لمشابهته لاسم الفاعل » إنْ حمل اسم الفاعل على العامل فدوامه تجددىّ لاثبوتىّ ، وإن حمل على غير العامل فهو يفيد الاستمرار الدوامىّ لا التجددىّ بالقرينة ، والحمل عليه لا يناسب ، لأن المضارع لايفيد ذلك بل يفيد الاستمرار التجددى . وقوله « فلما كان المراد التنصيصَ على الدوام واللزوم لم يستعمل العامل أصلا » ، يريد أنه قد عُلم أن الدالّ للدوام عنده هو الحصر أو التكريرُ ، فالتزم حذف ما دلالته تنافى ذلك وهو العامل ، لأنه : إما فعل وهو موضوع للتجدّد ، واستعماله فى الدوام إذا كان مضارعاً ليس وضعياً بل بالقرائن ، فنظرنا إلى أصل الوضع والتزمنا حذفه — وفيه أن المحذوف كالثابت ، كما يدل عليه كلامهم فى متعلّق الظرف الواقع خبراً إذا قدر بالفعل . وقوله « أو اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل » أى للتجدّد فلا يفيد الاستمرار وضعاً وإن استعمل فيه بمعونة القرائن ؛ وفيه أيضاً أن المحذوف كالثابت ، وعمله إنما ينافى حمله على الاستمرار الثبوتى إذا كان عاملاً فى المفعول ، أما عمله فى الظرف أو فى المفعول المطلق كما هنا فلا ينافى إفادته للدوام الثبوتى ، وأما إذا عمل فى المفعول به فإنه يفيد الاستمرار التجددى .

أبيات الشاهد

وبيت الشاهد من أبيات سبعة أولها :

(ياجُندَب آخبرنى ولستَ بمخبرى وأخوك ناصحُك الذى لا يَكذبُ

هل فى القضيّة أنْ إذا استغنيتمُ وأَمِنتمُ فأنا البعيـدُ الأجنبُ
وإذا الشدائدُ بالشدائد مَرّةً أشجتـكُمُ فأنا المحبُّ الأقرَبُ
وإذا تـكونُ كريهةٌ أُدعى لها وإذا يُحاسُ الحيسُ يُدعى جُندبُ
٢٤٣ ولِجُندبٍ سَهلُ البلادِ وعذبُها ولى المِلاحُ وخَبتهُنَّ المجـدبُ
عجب لتلك قضية وإقامتى . . . . البيت
هذا وجَدِّكُمُ الصَّغارُ بعينه لا أُمَّ لى إن كان ذاك ولا أبُ !)

وهذا الشعر لضَمْرَةَ [بن ضمرة][(١)] بن جابر بن قَطَن بن نهشـل بن دارم شاعر جاهلى . ويقال : إن ضَمرة كان اسمه شقّة فسماه النعمان ضَمرة بن ضمْرة . وكان يَبَرّ أمه ويخدمُها ، وكانت مع ذلك تؤثر أخاً له يقال له « جُندب » ، فقال هذا الشعر . هكذا رواه ابن هشام [اللخمى] فى شرح أبيات الجمل . ورواه بعضهم : (يا ضَمْر أخبرْنى) وقال : إن قائله ضمْرة . وهو خطأ . و نسبه أبو رياش لهمّام بن مرّة أخى جسّاس بن مرّة قاتلِ كليب . وزعم ابن الأعرابى : أنه قيل قبل الإسلام بخمسمائة سنة . وفى شرح أبيات سيبويه : أنه لبعض مذحج ؛ وقال السيرافى : لزُرافة الباهلى[(٢)]. وقال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو لهُنَيّ بن أحمر ، من بنى الحارث بن مرّة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، جاهلى . وأنشدوا له : (يا ضَمْر أخبرنى) — وهُنَيّ : مصغّر هَن ، وأصله هُنَيْو فأبدلت الواو ياء وأدغمت فى اليـاء لسبقها بالسكون .

ورواهُ أبو محمد الأعرابى عن أبى الندىْ : أنه لعمرو بن الغوث بن طيء ، وأنشدوا له : (ياطَىُّ أخبرنى ولستَ بكاذب)

---

(١) الزيادة عن : ش .
(٢) فى النسختين : « لزراقة » بالقاف ، والتصحيح للميمنى .

قال : أكتبنا[١] أبو الندى قال : « بينا طيِّء جالس ذاتَ يوم مع ولده بالجبلين : أَجا وسَلمى إذ أقبل رجلٌ من بقايا جَديس ممتدّ الخَلْق كاد يسدّ الأفق طولا ويَفْرعهم باعاً ، وإذا هو الأسود بن عَفَار[٢] الجديسيّ ، وكان نجا من حسّان تُبَّع يوم اليمامة[٣] فلحق بالجبلين ، فقال لطيء : مَن أدخلكم بلادي وأورثكم عن آبائي ؟ اخرجوا عنها ، وإلاّ اضربوا[٤] بيننا وبينكم وقتاً نقتتل فيه ، فأيّنا غلب استحقّ البلد ، فاتّعدا لوقتٍ ، فقال طيء لجندب ابن خارجة بن سعد بن فُطرة بن طيء — وأمُّه جَديلة بنت سُبيع بن عمرو من حمير وبها يعرفون وهم جَديلة [طيء[٥]] وكان طيء لها مؤثرا — فقال لجندب : قاتلْ عن مكرمُتك . فقالت أمه آللهِ[٦] لتتركنّ بنيّك ولتعرّضنّ ابني للقتل ! فقال طيّ : ويْحَكِ ، إنما خصصتُه بذلك . فأبتْ . فقال طيء لعمرو بن الغوث ابن طيء : عليك يا عمْرو الرجلَ فقاتلْه . قال عمْرو : لا أفعل . وقال هذه الأبيات ، وهو أوّل من قال الشعر فى طيء بعد طيء فقال طيء : يابنيّ إنها أكرم دارٍ فى العرب . فقال عمرو : لن أفعل إلاّ على شرط أن لا يكون لبنى جديلة فى الجبلين نصيب . فقال له طيء : لك شرطُك . فأقبل الأسود بن عَفَار[٧]

(١) ش : « أنبأنا » مع أثر تصحيح ظاهر .
(٢) ط : « غفار » بالغين المعجمة ، صوابه فى ش ونوادر المخطوطات ٢ : ١١٨
(٣) الذى فى ياقوت : « وكان نجا من حسان تبع اليمامة » . والقصة وردت بمعجمه فى رسم (أجأ)
(٤) كذا . والوجه « فاضربوا »
(٥) التكملة من ياقوت . وفى العرب جديلة آخر أبو قبيلة ، وهو جديلة بن أسد بن ربيعة . تلك امرأة وهذا رجل
(٦) أى والله . وهذه هى الهمزة النائبة عن واو القسم ، كما فى حديث : آلله الذى لا اله غيره » ، وكقول الحجاج فى الحسن البصرى : « آلله ليقومن عبد من العبيد فيقولن كذا وكذا » . انظر الأساليب الانشائية لعبد السلام هارون ص ١٤٧ والهمع ٢ : ٣٩ . وفى ياقوت : « والله » .
(٧) كذا فى ش . وفى ط : « غفار » .

ومعه قوسٌ من حديد و نُشّاب من حديد ، فقال : يا عمرو إن شئتَ صارعتك ، وإن شئتَ ناضلتك . وإلاّ سايَفتك . فقال عمرو : الصِّراع أحبُّ إلىّ فاكسِر قوسَك لأكسِرها أيضا ونَصْطَرِع . وكانت مع عمرو بن الغوث قوسٌ موصولة بزَرَافِينَ[١] إذا شاء شدّها وإذا شاء خلعها ؛ فأهوىٰ بها عمرو فانفتحت الزرافينُ ، واعترض الأسودُ بقوسه و نُشّابه فكسرها فلما رأى عمرو ذلك أخذ قوسَه فركّبها وأوترها وناداه : يا أسود ، استعن بقوسك فالرمى أحبُّ إلىّ . فقال الأسود : خدعتَنى . فقال عمرو : « الحرب خدْعة » ، فصارت مثلا . فرماه عمرو ففلق قلبه ، وخلَص الجبلان لطــيّء ، فنزلها بنو الغوث[٢] ، ونزلت جديلة السَّهل منهما[٣] » اه .

٢٤٤ وروى (أمن السَويّة) أى من العدل . والأجنَب بالجيم والنون : الغريب ، والبعيد ؛ وروى (الأخيَب) أى الخائب وأشجتكم : أحزنتكم ، من الشجىٰ وهو الحزن ، وفعله من باب تعب ، وأشجاه : أحزنه . والحيس بفتح المهملة : لبَن وأَقِط وسمن وتمر ، يصنع منه طعام . والمِلاح بكسر الميم : جمع مَليح ، يقال قَليب مليح أى ماؤه ملح . والخَبت بفتح المعجمة وسكون الموحدة : المطمئنّ من الأرض فيه رمل . والمجدِب اسم فاعل من الجدب بفتح الجيم وسكون المهملة : نقيض الخِصب بكسر المعجمة . وقوله :

(هذا وجَدِّكم الصغارُ بعينه . . . البيت)

---

(١) جمع زرفين ، بكسر الزاى وضمها ، وهى الحلقة . وفى الحديث : « كانت درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات زرافين ، إذا علقت بزرافينها سترت ، واذا أرسلت مست الأرض » .

(٢) فى النسختين : « فنزلها » والوجه ما أثبت من ياقوت

(٣) فى النسختين : « منها » ، والتصحيح من ياقوت . وقد نقد ياقوت القصة فى أربعة أمور ، فانظره فى رسم (أجا) .

هو من شواهد س وغيره . والشاهد فيه رفع الاسم الثانى مع فتح الأول . وذلك إما على إلغاء الثانية ورفع تاليها بالعطف على محل الأولىٰ مع اسمها ، وعلى هذا فخبرهما واحد ؛ وإما على تقدير لا الثانية معتدًّا بها عاملةً عمل ليس ، فيكون لكلٍّ من الأولىٰ والثانية خبر يخصّها ، لأن خبر الأولىٰ مرفوع وخبرَ الثانية منصوب .

وهذا مبتدأ ، وخبره الصَّغَار بفتح الصاد بمعنى الذلّ . وقوله : وجدٍّكم ، جملة قسَمِيّة معترِضة بين المبتدأ والخبر . قال اللخميّ : والجَد هُنا : أبو الأب ، والجدّ أيضاً : البخت والسعد والعظمة . ويروى : (هذا لعمركم) . وقوله : بعينه ، تأكيد للصَّغار ، وزيدت الباء كما يقال جاء زيد بعينه ؛ وقيل : حال مؤكَّدة أى هذا الصغارُ حقًّا . وقال اللخمى : وبعينه حالٌ من الصَّغَار والعاملُ فيه ما فى (ها) من معنى التنبيه ، أو ما فى (ذا) من معنى الإشارة . وذاكَ : فاعلُ كان إذ هى تامة ؛ ويجوز أن تكون ناقصة وخبرها محذوف ، أى إن كان ذاك مرضيا ، ولابدّ على الوجه الأول من حذف مضاف ، أى إن كان رضاء ذاك ، ليصحّ المعنى ، لأنه إنما اشترط أنه لا يرضىٰ بذلك الخسف الذى يُطلب منه ؛ وجملة الشرط معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وسدّ ما قبل الشرط مسدّ الجواب ، أى إن كان ذلك انتفيت من أمىّ وأبى . والمشار إليه باسم الإشارة فى الموضعين الفعلُ الذى فعلوه به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون ، وهو من أبيات س[1] :

٨٩ (فيها ازدِهافٌ أيّما ازدِهافِ)

---

(١) سيبويه ١ : ١٨٢ . وانظر اللسان (زهف) وديوان رؤبة ١٠٠

على أنّه نصب (أيَّما) على المصدر أو الحال ، مع أنه لم يذكر صاحبَ الاسم ولا الموصوف ؛ وهو فى غاية الضعف ، والوجه الإتباع فى مثله ، وهو رفعه صفةً لازدهاف ، لكنّه حمله على المعنى ، لأنه إذا قال فيها ازدهاف فكأنه قال : تزدهف أيَّما ازدهاف .

قال سيبويه : « فإن قلت : له صوتٌ أيَّما صوت ، أو مثلَ صوت الحمار ، أوله صوتٌ صوتاً حسناجاز ؛ زعم ذلك الخليلُ . ويقوّى ذلك أن يونس وعيسىٰ زعما أن رؤبة كان ينشد هذا البيت نصبا » اه .

وزعم الجرمى أن نصبه على إضمار تَزدهِف ، قال : ولا يجوز نصبه بازدهاف ، لأن المصدر لا يعمل فى المصدر .

أرجوزة الشاهد — وهذا البيت من أُرْجوزة طويلة تزيد على ثمانين بيتاً لرؤبة بن العجاج ، يعاتب بها أباه ، منها :

(إنّك لم تُنصفْ أبا الجَحّافِ ... وكان يَرضىٰ منك بالإنصافِ
وهو عليك واسع العِطافِ ... غاديك بالنفع وأنتَ جافى
٢٤٥ عنه ، ولا يخفى الذى تجافى ... كيف تلومُهُ على الإلطافِ
وأنت لو مُلِّكتَ بالإتلافِ ... شُبْتَ له شَوبا من الذُّعافِ
وهو لأعدائك ذو قِرافِ ... لا تُعَجِلَنِّي الحَتْفَ ذا الإتلافِ
والدهر إنّ الدهر ذو ازدلافِ ... بالمرء ذو عطفٍ وذو انصرافِ)

إلى أن قال :

(وإن تشكّيت من الإسخافِ ... لم أرَ عطفاً من أبٍ عَطّافِ
فليتَ حظّى من جَداك الضافى ... والنفع أن تتركنى كفافِ
ليست قُوىٰ حبلىَ بالضِعافِ ... لولا تَوَقٍّ على الإشرافِ

أقحمني فى النَفْنَف النَفناف ِ فى مثل مهوىٰ هُوّة الوَصّاف ِ
قولُك أقوالاً مع التَحلاف ِ فيه ازدهاف أيّما ازدهاف ِ
واللهُ بين القلب والأضعاف ِ

أبو الجحّاف بفتح الجيم وتشديد الحاء المهملة : كنيةَ رؤبة . والعِطاف بكسر العين : الرداء ، مأخوذ من العطف وهو الميل والمحبة . وغاديك : من الغُدْوة وهو من أوّل النهار إلى الزوال ؛ يقال غدا عليه غَدْواً وغُدُوّا بالضم : إذا بكَر ؛ وغاداه : باكره . والجفو : الارتفاع ، والتباعد ، ونقيض الوصل . والإلطاف بكسر الهمزة : البرّ ، يقال ألطفه بكذا أى برَّه . ومُلِّكت بالبناء للمفعول وتشديد اللام . والشَّوب : الخلط . والذُّعاف بضم الذال المعجمة : السمّ ، وقيل سمُّ ساعةٍ . والقِراف ، بكسر القاف : المقاربة . وضمير هو للإتلاف أى إتلافى مقرِّب للاعداء إليك . والازدلاف : الاقتراب ، فى الحديث « ازدلِفوا إلى الله بركعتين » أى تقرَّبوا ، وأصل الزُّلفة المنزلة والُحظوة . وقوله بالمرء ، متعلق بالازدلاف والعطف : الإقبال . والانصراف : الإدبار . والإسخاف بكسر الهمزة وبعد السين المهملة خاء معجمة : رقّة العيش . وسَخْفة الُجوع بالفتح : رقّته وهزاله والعطف : الشَّفقة والعطّاف مبالغة عاطف ، والَجدَى بفتح الجيم والقَصر : الجدوىٰ ، وهما العطية والضّافى بالمعجمة : الكثير ، من ضفا المال : إذا كثر ؛ أو بمعنى السابغ ، يقال ثوب ضاف من ضفا الشىء يضفو ضَفْواً . وقوله : والنفع ، بالجرّ عطفا على جداك ، وروى بدله (والفضل). وقوله : أن تتركنى كفاف ، خبر ليت وأورده ابن هشام فى المغنى على أن فَعال ِ بناؤه على الكسر مشهورٌ فى المعارف كحذام لشبَهه بنزال ، وقد جاء فى غير المعارف ومنه هذا ، والأصل كافًّا فهو حال أو ترك كفاف فمصدر اهـ . وقول الصاغانى فى العباب : كفافِ فى هذا البيت هو من قولهم دعنى كفاف أى كُفَّ

عني وأكفُّ عنك ، أي ننجو رأساً برأس اهـ ، وعليه فهو اسم فعل قد جاء على بابه . والقُوىٰ : جمع قُوّة ، وهي إحدى طاقات الحبل . والضعاف : جمع ضعيف.والتوقِّي : التخوّف ، وأصله جعل النفس في وقاية مما يُخاف . والوقاية : فَرط الصيانة ، وقيل حفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه . والإشراف بكسر الهمزة : النفقة ، كذا في العباب ، أي أني جَلْد غيرعاجزعن الاكتساب
٢٤٦ لولا أني ملازم على خدمتك وحالفٌ على تعظيمك . وأقحمني : أدخلني ، يقال قَحَمَ فلان بنفسه في كذا : إذا دخل فيه من روِيّة ، وفاعله هو « قولك » الآتي . والنفنف بنونين كجعفر : المهوىٰ بين جبلين ، وصقعُ الجبل الذي كأنه جدارٌ مبنيٌّ مستوٍ والنفناف بمعناه ، جعل وصفاً له بمعنى الصعب والشديد . وقوله في مثل مهوىٰ الخ ، بدل من قوله في النفنف . والمهوىٰ ومثله المهواة بمعنى المسقط : اسم مكان من هوىٰ بالفتح يهوِي بالكسر هُوِيًّا بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء ، ويقال لما بين الجبلين ونحوه أيضاً مهوىٌ ، والهوّة بضم بضم الهاء وتشديد الواو : الوَهدة العميقة . و « الوصّاف » بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة : رجل من سادات العرب اسمه مالك بن عامر بن كعب بن سعد ابن ضبيعة بن عجل بن لُجيم ، وسمِّيَ الوصافَ لحديث له(١) ، قال أبو محمد الأعرابي : هوّة الوصّاف في شعر رؤبة . دَحْل بالحزن لبني الوصّاف من بني عجل ، وهُوّة الوصّاف مَثَلٌ في العرب يستعملونه في الدعاء على الإنسان ، يقال كبّه الله في هوّة ابن الوصاف : وقولك : فاعل أقحَمني . وأقوالا : جمع قول بمعنى المقُول.والتَّحلاف بفتح التاء:مصدر بمعنى الحلف ، يقول : إن أقوالك الكاذبة المؤكدة بالأيمان الباطلة غرّتني حتّي أوقعتني في الشدائد والمهالك . وقوله : فيه ، أي في قولك ، أو في التحلاف ، وروى (فيها) أي في الأقوال .

(١) انظر تعليل تسميته بذلك في الاشتقاق ٣٤٥

فى العباب : وازدهَفه : استخفَّه ، وفيه ازدِهاف أى استعجال وتقحّم ، زاد فى القاموس : « وتزيّد فى الكلام » ؛ يريد أنّ كلامه يستخفّ العقول . وأىّ هذه الدالةُ على معنى الكمال ، وإذا وقعت بعد النكرة كانت صفةً لها ، وبعد المعرفة كانت حالاً منها ؛ لكنها نُصبت هنا على المصدرية ، ويجوز رفعها على الوصفية ، وما زائدة . والله مبتدأ والظرف خبره . والأضعافُ : أعضاء الجسد جمع ضِعف بالكسر . أى إن الله عالم بما فى الضمائر ولا يخفى عليه ما تضمره لى .

قصة الشعر

والسبب فى عتاب رؤبة أباه : مارواه الأصمعى قال : قال رؤبة : خرجتُ مع أبى نُريد(١) سليمانَ بن عبد الملك ، فلما سرنا بعضَ الطريق(٢) قال لى . أبوك راجز(٣)وأنت مفحَم . قلت . أفأقول ؟ قال : نعم . فقلت أرجوزة(٤). فلما سمعها قال لى . اسكتْ فضّ الله فاك . فلما وصلنا إلى سليمان أنشدَه أرجوزتى ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما خرجْنا من عنده قلت له : أتسكتنى وتنشده أرجوزتى ؟ ! فقال : اسكت ويلك ! فإنّك أرجز الناس . فالتمستُ منه أن يعطينى نصيباً مما أخذه بشعرى ، فأبَى فنابذته(٥) فقال .

لطالما أجرىْ أبو الجحّافِ ... لهيْئة بعيدة الأطرافِ
يأتى على الأهْلِينَ والألّاف ... سَرهفته ماشئتَ من سِرهافِ
حتى إذا ما آضَ ذا أعرافِ ... كالكَودن المشدود بالإكافِ

---

(١) فى النسختين : « يريد » . وفى شرح شواهد المغنى ٣٢٣ : « أريد » .

(٢) عند السيوطى : « فلما صرنا ببعض الطريق »

(٣) بعده فى السيوطى : « وجدك راجز».

(٤) هى أرجوزة :
كم قد حسرنا من علاة عنس
كما فى السيوطى .

(٥) ط : « فتنابذته » ، صوابه فى ش والسيوطى

قال : الذي عندك لي صَرافِ مِن غير ما كسب ولا احترافِ

فأجبته بهذه الأرجوزة .

وفي كتاب (مناقب الشبّان وتقديمهم على ذوي الأسنان(١)) كان رؤبة يرعى إبل أبيه حتى بلغ ، وهو لا يقرض الشعر ، فتزوّج أبوه امرأة تسمى عقرَب ، فعادت رؤبة ، وكانت تقسم إبله على أولادها الصغار ، فقال رؤبة : ٢٤٧

ما هم بأحقّ منّي لها ! إني لأقاتل عنها السنينَ وأنتجع [بها(٢)] الغيث . فقالت عقرب للعجّاج أسمعُ هذا وأنت حيّ ! فكيف بنا بعدك ؟ فخرج فزبره وصاح به وقال له : اتبع إبلك ، ثم قال :

لطالما أجرىٰ أبو الجحّاف في فُرقة طويلة التجافي

لما رآني أُرعِشتْ أطرافي استعجلَ الدّهرَ وفيه كافي

يخترم الإلفَ مع الأُلّاف

في أبيات . فأنشده رؤبة يجيبه :

إنك لم تنصفْ أبا الجحّافِ وكان يرضى منك بالإنصافِ

وهو عليك دائم التَعطافِ

هكذا روى هذين الوجهين السيوطيّ في شرح شواهد المغني .

وقوله « لطالما أجرى أبو الجحّاف » أجرى : أرسل جَرِيًّا بفتح الجيم

(١) لم يرد في غير هذا الموضع من الخزانة ، وذكره السيوطي مرة أخرى في شرح شواهد المغني ٢٧٢ ولم يذكر مؤلفه كذلك وقال : « وهو كتاب ذكر مؤلفه في خطبته انه ألفه للخليفة جعفر المقتدر ، لأنه تولى الخلافة وسنه ثلاث عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أصغر سنا منه » . وقد ولي المقتدر الخلافة سنة ٢٩٥ وخلع سنة ٢٩٦ ثم عاد الى الخلافة وظل بها الى أن خلع ثانية سنة ٣١٧ . فالكتاب قديم كما رأيت ، وهو مجهول مؤلفه .

(٢) التكملة من شرح شواهد المغني للسيوطي ٣٢٤ . وقد نقل البغدادي منه هذا النص وسابقه كما سيصرح بذلك

وتشديد الياء ـ وهو الرسول ، والأجير ، والوكيل ـ ومفعوله محذوف أى أجرانى ، يقول طالما استخدمنى فى صغره . والهيئة : التهيّؤ ، يقال هاء للأمر يهاء ويَهىء : إذا أخذ له هيئته كتهيّأ له ، وهيّأه تهيئة : أصلحه . والأُلّاف بضم الهمزة وتشديد اللام : جمع آلف كعُمّال جمع عامل والسَّرهَفة : نَعْمة الغذاء بفتح النون ، يقال سرهفت الصبي وسرعفته : إذا أحسنتَ غِذاءه ، والسِّرهاف بالكسر . وروى : سرعافته ما شئت من سرعاف .

وآض بمعنى صار . والأعراف : جمع عُرف الفرس . والكَودن : الفرس الهجين ، والبِرذَون ، والبغل . والإكاف : البَرْذعة . وهذه صفات ذمّ له ، يريد أنه حتى صار رجلا ذا لحية وصَرافِ : اسم فعل أمر بمعنى اصرفْ

وقوله فى الوجه الثانى :

استعجلَ الدهرَ وفيه كافى

كقول الآخر :

* تعينُ علىَّ الدهرَ والدهرُ مُكْتَفٍ *

وقولِ كسرىٰ : « إذا أدبر الدهرُ عن قوم كفىٰ عدوّهم(١) » .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس أوّل الكتاب(٢).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون ، وهو من شواهد سيبويه(٣):

(١) هذه المقارنة لصاحب كتاب « مناقب الشبان » ولم يعزها اليه البغدادى .

(٢) انظر ص ٨٩ من الجزء الأول فى أقسام التنوين .

(٣) سيبويه ١ : ١٩٠ . وانظر أيضا الخزانة ٤ : ١٥ وابن يعيش ١ : ١١٦ والأغانى ١٨ : ١٩٥ ، ١٩٦ والعقد ٤ : ٣٦٣

٩٠ (إنّى لأمنحُكَ الصدُودَ وإنّنى قسماً إليكَ مع الصدُودِ لأمْيَل)

على أن (قسَماً) تأكيد للحاصل من الكلام السابق بسبب إنّ واللام ، يعنى أنّ قسماً تأكيدٌ لما فى قوله : وإننى مع الصدود لأميل إليك : من معنى القسم ، لما فيه من التحقيق والتأكيد من إنّ ولام التأكيد ؛ فلما كان فى الجملة منهما تحقيقٌ والقسمُ أيضاً تحقيقٌ صار كأنه قال : أقسم قسما .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنه جعل قسما تأكيداً لقوله : وإننى إليك لأميل ، وقوله وإننى إليك لأميَلُ جوابُ قسم ، فجعل قسما تأكيداً لما هو قسم . وروى أبو الحسن : (أصبحت أمنحك) كأنه قال : أصبحت أمنحك الصدود ووالله إنى إليك لأميَل . وهم يحذفون اليمين وهم يريدونها ويبقون جوابها اهـ .

وفيه نظر من وجهين : الأوّل أن الجملة ليست جواب قسم محذوف . والثانى : أن المؤكَّد لا يحذف .

٢٤٨ وجعل ابن السّراج فى الأصول التوكيد من جهة الاعتراض فقال : « قوله قسماً اعتراض ، وجملة هذا الذى يجىء معترضاً إنما يكون تأكيداً للشىء أو لدفعه ، لأنه بمنزلة الصفة فى الفائدة يوضّح عن الشىء ويؤكده » .

وقال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « انتصاب قسمٍ ، لا يخلو أن يكون بما تقدّم من قوله إنى لأمنحك الصُّدود ، أو من جملة إننى إليك لأميَل . ولا يجوز الأوّل من حيث كان فى ذلك الحكمُ ، لجواز الفصل بين اسم إن وخبرِها بمعمول جملة أخرىٰ أجنبيّ عنهما ؛ فثبت بذلك أنه من الجملة الثانية وأنه منصوب بفعل محذوف دلّ عليه قوله : وإننى إليك لأميَل ، أى أقسم

قسماً ، وأضمر هذا الفعل ، وإنما سبق الجزء الأولَ من الجملة الثانية وهو اسم إن ، وهذا واضح » اهـ .

قصيدة الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأحْوص الأنصارى ، يمدح بها عمر بن عبد العزيز الأمويّ . وأولها :

(يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ حَذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ موكَّلُ
إنى لأمنحكَ الصدودَ وإننى . . . . البيت
ولقد نزلتَ من الفؤاد بمنزلٍ ما كان غيرُك والأمانةِ يَنزلُ
ولقد شكوتُ إليك بعض صَبَابتى ولَمَا كتمتُ من الصبابة أطولُ(١)
هل عيشُنا بك فى زمانك راجعٌ فلقد تَفَحّشَ بعدك المتعلِّلُ
فصددتُ عنك وما صَددتُ لبغضةٍ أخشىْ مَقالة كاشحٍ لا يغفُلُ(٢)
ولوَ أن ما عالجتُ لِينَ فؤادِه فقسا استُلِينَ به للان الجندلُ
ولئن صددتُ لأنتِ ، لولا رِقبتى أشهى من اللائى أزورُ وأدخلُ
وتجنُّبى بيتَ الحبيب أحبُّه أُرضى البغيض به حديثٌ مُعضِلُ

وقال فى آخرها يخاطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

(وأراكَ تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الحديثِ يقول مالا يَفعلُ
وأرى المدينةَ حين كنت أميرَها أمِنَ البرىء بها ونام الأعزل)

وهذا آخر القصيدة .

---

(١) فى النسختين : « ولقد كتمت » ، والتصحيح للأستاذ الميمنى ، ولم يرد البيت فى قصيدته بالأغانى ١٨ : ١٩٦

(٢) فى الأغانى : « لايعقل » .

وعاتكة هى بنت يزيد بن معاوية(١) وكانت ممن يشبّب بها من النساء . وقوله : أتعزّل ، بالعين المهملة أى أتجنبه وأكون عنه بمعزِل . وقوله : وبه الفؤاد موكّلُ من وكّلته بأمرِ كذا : فوّضته إليه . وقوله : إنى لأمنحك الصدود . . إلخ ، يريد أنه يُظهر هجر هذا البيت ومَن فيه وهو محبٌ لهم خوفا من أعدائه . والواو فى قوله : والأمانة ، واو القسم . وتفحَّش : مِنْ فَحُش الشيء فُحشا مثل قبح قبحاً وزناً ومعنى . والمتعلَّل اسم مفعول من تعلَّل بالشيء : إذا تلهَّى به ، وعلَّله بالشيء إذا ألهاه به كما يعلِّل الصبىّ بشيء من الطعام عن اللبن ، يقال فلان يعلّل نفسه بتَعِلَّة . وجملة قوله : أخشى مقالة كاشح ، استئناف بيانى . ويغفل من باب نصر ينصر .

وقوله : ولو آن ما عالجت . . الخ ، ضمير فؤاده عائد للكاشح ـ وهذا البيت من أبيات مغنى اللبيب(٢) ـ وهو بنقل فتحة الألف إلى واو لوْ ، وما : موصولة اسم أنّ ، وعالجت صلة والعائد محذوف أى به ، وجملة استُلين بالبناء للمفعول خبر لأن ، والجندل نائب الفاعل ، وللان جواب لو وفاعله ضمير الجندل ، وقسا : عطفٌ على الصلة بالفاء وهو خالٍ عن الربط لأن ضميره عائد إلى الفؤاد ، ولما كان فى الفاء معنى السببية اكتفى من الجملتين بضمير واحد ٢٤٩
وهو المجرور المحذوف ، وحذفت به الأولى من الصلة اكتفاء ببِهِ الثانية ، وهو محل الشاهد فى المُغْنى .

---

(١) وفى الأغانى أنها عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية . وفى الوفيات فى ترجمة الربيع بن يونس أنها عاتكة بنت عبد الله[بن يزيد ابن معاويةبن]أبى سفيان الأموى . وكذا فى الأغانى ١٨ : ١٩٨ وفيه أيضا أن عاتكة التى ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وانما هو رجل كان ينزل قرى بين الأشراف ، كنى عنها بعاتكة .
(٢) انظر شرح شواهد المغنى ٢٨١

وقوله لولا رِقبتى ، هو بكسر الراء اسم من المراقبة بمعنى الخوف .

والبيت الأول قد عرّض به بعض المدنيّينَ لأبى جعفر المنصور ، قال المدائنّى (١) : لما حجّ المنصور قال للربيع : أبغِنِي فتًى من أهل المدينة أديباً ظريفاً عالما بقديم ديارها ورسوم آثارها ، فقد بعد عهدى بديار قومى وأريدُ الوقوفَ عليها . فالتمَس له الربيع فتًى أعلمَ الناس بالمدينة ، وأفهَمهم بظريف الأخبار وشريف الأشعار ، فعجب به المنصور ، وكان يسايره أحسن مسايرة ، ويحاضره أزْيَن محاضرة ، ولا يبتدئه بخطاب ، إلاّ على وجه الجواب . فإذا سأله أتى بأوضح دَلالة ، وأفصح مقالة . فأعجب به المنصور غاية الإعجاب وقال للربيع : ادفع إليه عشرة آلاف درهم ـ وكان الفتى مُملِقاً مضطرًّا ـ فتشاغل الربيع عن القضاء ، واضطرته الحاجة إلى الاقتضاء ، وقيل قال له الربيع : لابدّ من معاودته وإن أحببتَ دفعتُ إليك سَلَفاً من عندى حتّى أعاودَه فيما أمرَ لك . فأبقى ذلك حتى إذا كان فى بعض الليالى قال عند منصُرَفه مبتدِئاً : وهذه الدارُ يا أمير المؤمنين دارُ عاتكة التى يقول فيها الأحوص :

* يا بيت عاتكةَ الذى أتعزّل *

ثم سكت فأنكر المنصور هذا من حاله ، وفكّر فى أمره فعرض الشعر على نفسه فإذا فيه :

وأراكَ تفعل ماتقول ، وبعضُهم   مَذِقُ الحديث يقول مالا يَفعلُ

فقال للربيع : أدفعتَ للرجل ما أمرنا له به ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . قال : فليُدفعْ إليه مضاعفا .

(١) انظر الأغانى ١٨ : ٢٠٠ وجمع الجواهر ٧٠ والسمط ٢٥٩

وهذا أحسن إفهام من الفتى وأحسن فهمٍ من المنصور . ولم يسمع في التعريض بألطف منه .

ولقول الأحوص سببٌ ذكره عبد الله بن عبيدة بن عمّار بن ياسر (١) قال : خرجتُ أنا والأحوص بن محمد ، مع عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الحج ؛ فلما كنا بقُدَيد (٢) قلنا لعبد الله ابن الحسن : لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دُباكِل الخزاعي فأنشدَنا من رقيق شعره فأرسل إليه . فأنشدنا قصيدة له يقول فيها :

(يا بيتَ خنساء الذي أتجنّب ... ذهبَ الزمانُ وحبُّها لا يذهبُ)
أصبحتُ أمنحكَ الصُّدود وإنني ... قسماً إليك مع الصدود لأجنبُ
مالي أحنّ إلى جمالك قرّبت (٣) ... وأصدّ عنك وأنت منّي أقربُ
لله درُّك ! هل لديك معُوّل ... لمتيّم أم هل لودِّك مَطلب !
فلقد رأيتك قبل ذاك وإنني ... لموَكّل بهواك لو يُتجنَّب (٤)
إذ نحن في الزمن الرخيّ (٥) وأنتم ... متجاورُون كلامكم لا يرقب (٦)
تبكي الحمامة شجوَها فيَهيجني ... ويروح عازبُ همِّيَ المتأوّبُ (٧)
وتهبُّ سارية الرياح من أرضكم ... فأرى البلاد بها تطلّ وتُجنَب (٨)

(١) انظر جمع الجواهر للحصري ٧١ – ٧٢ والأغاني ١٨ : ١٩٥ .
(٢) قديد ، بهيئة التصغير : موضع قرب مكة
(٣) ط : « قربه » ، صوابه في ش والأغاني وجمع الجواهر .
(٤) في النسختين : « لو متجنب » ، وأثبت ما في جمع الجواهر . وفي الأغاني : « أو يتقرب » .
(٥) في الأغاني : « الزمن الرخاء » . وفي الجمع « الرجي » .
(٦) في النسختين : « متجاوزون » صوابه في الأغاني وجمع الجواهر . وفي الأغاني : « طلاكم لايرقب » وفي جمع الجواهر : « كلاكما » .
(٧) أي فيهيجني بكاؤها ، وفي الأغاني والجمع : « فتهيجني »
(٨) في النسختين : « يطل » صوابه في الجمع والأغاني وتجنب : تصيبها الجنوب ، وهي رياح معها مطر كما في الأزمنة ٢ : ٨٣ . وفي النسختين « يجنب » تحريف . وفي الأغاني والجمع : « وتخصب » .

٢٥٠
وأرى السميَّة باسمكم فيزيدنى شوقاً إليك سميُّك المتغرِّب
وأرى الصَّديقَ يودُّكم فأودُّه إن كان ينسب منكِ أو يتَنسَّب[١]
وأخالقُ الواشين فيك تجملا وهمُ علىَّ ذوو ضغائن دُؤَّب[٢]
ثم اتخذتِهمُ علىَّ وليجةً حتّى غضبتُ ومثل ذلك يُغضِب

فلما كان مِن قابلٍ حجَّ أبو بكر بن عبد العزيز ؛ فلما مرَّ بالمدينة دخل عليه الأحوص بن محمد فاستصحبه ، ففعلَ . فلما خرج الأحوص قال له بعض مَن عنده : ما تريد بنفسك ؟ تقدَم الشام بالأحوص وفيها من يَنفَسُك من بنى أبيك ، وهو من السّفَه على ما علمت ! فلما رجع أبو بكر من الحجّ دخل عليه الأحوص متنجِّزا ما وعده من الصُّحبة . فدعا له بمائة دينار وأثواب ، وقال : يا خال إنى نظرت فيما ضمِنت لك من الصَّحابة ، فكرهت أن أهجُم بك على أمير المؤمنين . فقال الأحوص : لا حاجة لى بعطيّتك ، ولكنّي سُبِعت عندك[٣] . ثم خرج فأرسل عمر بن عبد العزيز إلى الأحوص وهو أمير المدينة ، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار وكساه ثياباً ، ثم قال : يا خال هبْ لى عِرض أخى[٤] . قال : هُو لك . ثم خرج الأحوص وهو يقول فى عَروض قصيدة سليمان المذكورة ، يمدح عمر بن عبد العزيز :

يا بيتَ عاتكة الذى أتعزّل حذر العِدا وبه الفؤاد موكّلُ

(١) وكذا فى جمع الجواهر . وفى الأغانى : « أولا ينسب » .
(٢) فى الأغانى وجمع الجواهر : « وأحالف الواشين » .
(٣) سَبَعه : انتقصه وعابه . وفى ط : « شبعت » صوابه فى ش . وفى جمع الجواهر : « سعيت عندك » وضبطت فيه بضم السين . وفى الأغانى : « لا ولكن قد سبقت عندك » .
(٤) وكذا فى جمع الجواهر . وفى الأغانى ١٨ : ١٩٦ : « يا أخى هب لى عرض أبى بكر » .

حتى انتهى إلى قوله :

فسموتَ عن أخلاقهم فتركتُهم — لِنَداك ، إنّ الحازمَ المتوكّلُ
ووعدتَني فى حاجتِي فصدقتنى — ووفَيت إذ كذبوا الحديثَ وبدّلوا
ولقد بدأت أريد ودَّ مَعاشر — وَعدوا مواعدَ أُخلفت إذ حُصِّلوا
حتّي إذا رجع اليقينُ مَطامعى — يأساً ، وأخلفنى الذين أؤمّلُ
زايلتُ ماصنَعوا إليك برحلة — عَجْلَى، وعندكَ منهم المتحوَّلُ[١]
وأراك تفعلُ ما تقولُ ، وبعضهم — مذِق الحديث يقول مالا يفعل

فقال له عمر بن عبد العزيز : ما أراك أعفيتنى مما استعفيتك !

والأحوص[٢] وإنْ أغار على قصيدة سليمان ، فقد أربىٰ عليه فى الإحسان ، وكان كما قال ابن المرزُبان وقد أنشد لابن المعتز قصيدته فى مناقضة ابن طَباطَبا العَلوىّ التى أولها :

دَعُوا الأسْدَ تسكُنُ غاباتِها — ولا تَدخُلوا بين أنيابها

وقال : أخذه من قول بعض العباسيّين المتقدمين :

دعوا الأُسْد تسكنُ أغيالَها — ولا تقرَبوها وأشبالَها

ولكنه أخذه ساجاً ، وردّه عاجاً . وغلّ قطيفة ، وردّ دِيباجا .

والمذِق بكسر الذال المعجمة : من يخلِط بكلامه كذبًا ، من مذَقت اللبن والشراب من باب قتل : إذا مزجتَه وخلطته .

عاتكة بنت يزيد

و (عاتكة بنت يزيد) المذكورة هى زوجة عبد الملك بن مروان ، وكان

(١) الأغانى : « عنهم متحول » . وفى الجمع : « عنهم المتحول »
(٢) هذا الكلام التالى من جمع الجواهر أيضا ولم يرد فى الأغانى . وأورده الحصرى أيضا فى زهر الآداب ٧٧٩

شديد المحبّة لهـا ، فغاضبته فى بعض الأمور وسدّت الباب الذى بينها وبينه ، فساءه ذلك وتعاظَمه وشكاه إلى من يأنس به من خاصّته ؛ فقال له عمر بن بلال الأسدى : إنْ أنا أرضيتها لك حتى تَرضىٰ فما الثواب ؟ قال : حُكمُك .
٢٥١ فأتى إلى بابها وقد مزّق ثوبه وسوَّده ، فاستأذن عليها وقال : الأمر الذى أتيتُ فيه[١] عظيم ؛ فأُدخِل لوقته فرمى بنفسه وبكىٰ . فقالت : مالك يا عمّ ؟ قال : لى ولدان هما من المبرّة والإحسان إلىّ فى غاية ، وقد عدا أحدُهما على أخيه فقتله وفجعنى به ، فاحتسبته وقلت : يبقى لى ولد أتسلّىٰ به ؛ فأخذه أمير المؤمنين وقال : لا بد من القوَد ، وإلّا فالناس يجترئون على القتل ! وهو قاتِله إلا أنْ يغيثنى الله بكِ ، ففتحتِ البابَ ودخلت على عبد الملك وأكبّت على البساط تقبّله وتقول : يا أمير المؤمنين ، قد تعلم فضلَ عمر بن بلال ، وقد عزمتَ على قتل ابنه فشفّعنى فيه . قال عبد الملك : ما كنت بالذى أفعل : فأقبلتْ فى الضراعة والخضوع حتى وعدها العفوَ عنه — وصلَح ما بينهما ووفىٰ لعمر بمـا وعده به .

كلٌّ هذا من (كتاب الجواهر فى الملح والنوادر) تأليف أبى إسحاق إبراهيم بن علىّ المعروف بالحُصرىّ صاحب زهر الآداب .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الخامس والثمانين[٢]

* * *

وأنشد بعده — وهو الشاهد الحادى والتسعون — قولَ أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم[٣] :

---

(١) فى جمع الجواهر : « الذى جئت فيه »

(٢) أنظر ما سبق فى ص ١٥ وما بعدها من هذا الجزء .

(٣) ديوانه ورقة ٤ نسخة الشنقيطى .

٩١ (إذنْ لا تَبِعناه على كلِّ حالةٍ ‏ ‏ من الدَّهرِ جِدًّا غيرَ قَولِ التهازل)

على أنَّ المصدر المؤكد لغيره يكون فى الحقيقة مؤكداً لنفسه ، لأنه إما مع صريح القول كقوله تعالى : (ذَٰلِكَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحقِّ) ، أو ما هو فى معنى القول كما فى هذا البيت ، فإن قوله (جِدًّا) مصدر مؤكد لما يحتمل غيره ، فإنَّ قوله (اتبعناه) يحتمل أن يكون قاله على سبيل الجِدّ وهو المفهوم من اللفظ ، وأن يكون قاله على طريق الهزل وهو احتمال عقليّ . فأكَّد المعنى الأول بما هو فى معنى القول ، لأنه أراد به : قولاً جدًّا ، والقرينة عليه ما بعده ، فإنَّ قول التهازل يقابل قول الجدّ ، فكان الأولى أن يقول : قول جِدٍّ بالإضافة ليناسب ما بعده ، فيكون لمَّا حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعرابه .

و (غير) بالنصب صفة لقوله جِدًّا ، ولا تضر الإضافة إلى المعرفة فإنها متمكنة فى الإبهام لا تتعرَّف . وزعم ابن السراج أنَّ غيرا إذا وقعت بين ضدين كما هنا اكتسبت التعريف من الإضافة . ويردّه قوله تعالى (نَعْمَلْ صالحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ) وإنْ زعم أنها فى مثل هذا بدل ، يردّه أن غيراً وضعت للوصف ، والبدل بالوصف ضعيف . و (التهازل) بمعنى الهزل ، فإنَّ تفاعلَ قد يأتى بمعنى فعَلَ ، كتوانيت بمعنى ونَيت ، لكنّه أبلغ من المجرد . وقوله : (إذن لا تَّبعناه) جواب قسم فى بيت قبله وهو :

(فواللهِ لولا أن أجىء بسُبَّةٍ ‏ ‏ تجر على أشياخنا فى القبائل)

والضمير المنصوب فى اتبعناه راجعٌ للنبي صلى الله عليه وسلم . وروى (لكنَّا اتبعناه) . والسُّبّة بضم السين ، يقال صار عليه هذا الأمر سُبّة

أى عاراً يُسَبّ به . وتُجَرّ : بفتح الجيم [مضارع جُرّ[1]] ، من جَرّ عليهم جريرة أى جنى عليهم جناية . وفى بمعنى بين .

والبيتان من قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت لأبى طالب عاذ فيها بحَرم مكّة وبمكانه منها ، وتودّد فيها إلى اشراف قومه ، وأخبر قريشاً أنه غير مُسلِم محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدٍ أبداً حتّي يهلك دونه ؛ ومدَحه فيها أيضاً . وقالها فى الشِّـعْب لمـا اعتزل مع بنى هاشم وبنى عبد المطلب[2] قريشاً . ٢٥٢

وسبب دخوله الشِّعب : أن كفار قريش اتفق رأيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أفسدَ أبناءنا و نساءنا . فقالوا لقومه : خذوا مِنّا ديةً مضاعفَة ،ويقتلُه رجل من غيرقريش ، وتريحو ننا وتريحون أنفسَـكم ! فأبىٰ بنو هاشم من ذلك ، وظاهرَهم بنو عبد المطلب . فاجتمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكّة إلى الشِعب . فلما دخلوا الشعب أمررسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكانت متجراً لقريش ، وكان يُثنى على النجاشىّ بأنه لا يُظلَم عنده أحد . فانطلق عامّة من آمن بالله ورسوله إلى الحبشة ، ودخل بنو هاشم وبنو عبدالمطلب الشِّعب مؤمنُهم وكافرهم : فالمؤمن ديناً ، والـكافرُ حَمِيّة . فلما عرفت قريش أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعه قومُه ، أجمعوا على أن لا يبايعوهم ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرِّفق[3] ، وقطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا

(١) التكملة من ط

(٢) فى حواشى ش بخط ناسخها : « قوله بنو عبد المطلب كذا فى جميع النسخ التى وقفنا عليها ، والصواب بنو المطلب بدون عبد ، لأن بنى عبد المطلب من بنى هاشم وأما بنو المطلب فليسوا من بنى هاشم لأن المطلب أخو هاشم »

(٣) الرفق ، بالكسر ، والمرفق كمنبر ومجلس ومقعد : مايستعان به.

طعاماً ولا إداماً إلاّ بادروا إليه واشتروه ، ولا يناكحوهم ولا يقبلوا منهم صُلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتّى يُسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفةً وعلّقوها فى الكعبة ، وتمادَوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاثَ سنين . فاشتدّ البلاء على بنى هاشم ومن معهم ، فأجمعوا على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبَراءة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب : ياعمّ ، إنَّ ربى قد سلّط الأَرضة على صحيفة قريش فلحستْها ، إلاّ ما كان اسماً لله فأبقتْه . قال: أربُّكَ أخبرك بهذا ؟ قال: نعم قال: فوالله ما يدخل عليك أحد! ثم خرج إلى قريش فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبْنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله عليها دابّة فلحست ما فيها فإنْ كان كما يقول فأفيقوا ، فلا والله لا نُسلمه حتى نمُوت ، وإن كان يقول باطلاً دفعناه إليكم . فقالوا : قد رضينا . ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر به ﷺ ، وَقالوا : هذا سحْر ابن أخيك! وزادهم ذلك بغياً وعُدواناً . فقال أبو طالب : يامعشر قريش ، عَلَامَ نُحصَر ونُحبَس ؟ وقد بان الأمر وتبيّن أنكم أهل الظلم والقطيعة! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة وقال : اللهمَّ انصرنا على من ظلمَنا وقطَع أرحامنا واستحلّ مايحرُم عليه منّا . ثم انصرف إلى الشِّعب وقال هذه القصيدة. قال ابن كثير(١): هى قصيدة بليغة جداً ، لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه ، وهى أفحل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى .

وقد أحببتُ أن أوردها هنا منتخَبة مشروحةً بشرح يوفّى المعنىٰ ، محبّة فى النبي ﷺ ، وهى هذه(٢) :

(١) البداية والنهاية ٣ : ٥٧ .

(٢) القصيدة فى أول ديوانه نسخة الشنقيطى والسيرة ١٧٢ والروض الأنف ١ : ١٧٣ وابن كثير فى البداية والنهاية ٣ : ٥٣ . وفيها يقول ابن سلام فى الطبقات ٢٠٤ : « وكان أبو طالب شاعرا جيد الكلام ، وأبرع ما قال قصيدته التى مدح فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى =

(خليليَّ ما أُذنى لأوّل عاذلٍ بصَغْواء فى حقٍّ ولا عِندَ باطل)

بصغواء : خبر ما النافية وهى حجازية ولذا زيدت الباء . والصَّغْو : الميل. وأصغيت إلى فلان : إذا ملِت بسمعك نحوه . ولأوّل عاذل : متعلّق بصغواء وفى حقّ متعلق بعاذل ، أى لا أميل بأذنى لأوّل عاذل فى الحق ، وإنّما قيّد العاذلَ بالأوّل لأنه إذا لم يَقبل عذل العاذل الأوّل فمِن باب أولى أن لا يقبل عذل العاذل الثانى ، فإنّ النفس إذا كانت خالية الذهن ففى الغالب أنْ يستقرّ فيها أولُ مايرِد عليها . ٢٥٣

(خليليَّ إن الرأىَ ليس بشِركةٍ ولا نَهْنَهٍ عند الأمورِ البَلابل)

أراد أنّ الرأى الجيد يكون بمشاركة العقلاء ، فإن لم يتشاركوا : بأن كانوا متباغضين لم يُنتج شيئا ـ والرأى مالم يتخمّر فى العقول كان فَطيرا . والنهنه بنونين وهاءين كجعفر : المضىء والنيِّرُ الشفَّاف الذى يُظهر الأشياء على جليتّها ؟ وأصله الثوب الرقيق النسج ، ومن شأنه أن لا يمنع النظر إلى ما وراءه ، وهو معطوف على شركة . والبلابل إمّا جمع بَلبلَة بفتح الباءين ، أو جمع بَلبال بفتحهما ، وهما بمعنى الهمّ ووساوسِ الصدر ، كزلازل جمع زَلزَلة وزَلزال بالفتح ، وهو إما على حذف مضاف أى ذات البلابل ، أو إنها بدل من الأمور .

(ولمّا رأيتُ القومَ لاوُدَّ عندهم وقد قطَّعوا كل العُرى والوسائلِ

= وأَبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوَجْهِهِ رَبيعُ اليَتَامَى عِصْـمَةٌ للأرَامِلِ
وقد زيد فيها وطولت . رأيت فى كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا ، منذ أكثر من مائة سنة ؛ وقد علمت أن قد زاد الناس فيها فلا أدرى أين منتهاها . وسألنى الأصمعى عنها فقلت : صحيحة جيدة . قال : أتدرى أين منتهاها ؟ قلت : لا أدرى .

ونص ابن سلام محرف غير معقول ، أن يصاحب من ألف كتابا منذ أكثر من مائة سنة ، ولعل صوابه « وهى أكثر من مائة بيت » .

أراد بالقوم كفارَ قريش . والعرا : جمع عُروة ، وهى معروفة ، وأراد بها هنا ما يُتمسّك به من العهود مجازاً مرسَلا . والوسائل : جمع وسيلة وهي ما يتقرَّب به .

(وقد صارحُونا بالعداوة والأذى وقدْ طاوَعوا أمر العدوِّ المُزايلِ)

صارحونا : كاشفونا بالعَداوة صَريحا ـ والصَّراحة وإنْ كانت لازمة لكنها لمَّا نقلت إلى باب المفاعلة تعدَّت . والمزايل : اسم فاعل من زايله مُزايلَة وزِيالا : فارقَه وباينَه ـ وإنما يكون العدوُّ مفارقا إذا صرَّح بالعداوة فلا تمكِن العشرة . ومن قال : المزايل : المعالج ، وظنَّه من المزاولة لم يُصِب .

(وقد حالفُوا قوماً علينا أظِنَّةً يعَضُّون غيظاً خَلْفنَا بالأناملِ)

حالفوا قوما : مثلُ صارحونا فى أنه كان لازما وتعدَّى إلى المفعول بنقله إلى باب المفاعلة . والتحالف : التعاهد والتعاقد على أن يكون الأمر واحداً فى النُّصْرة والحماية ، وبينهما حِلف أى عهد ، والحليف : المعاهد . وعلينا متعلق بحالفوا . والأظِنَّة جمع ظَنين ، وهو الرجل المتَّهَم ، والظِنَّة بالكسر . التُّهمة ، والجمع الظِّنَن ـ يقال منه أطنَّه وأظنَّه : بالطاء والظاء إذا اتَّهمه . قال الشاطبى فى شرح الألفيَّة : « أفعِلة قياسٌ فى كل اسم مذكر رباعى فيه مدة ثالثة ، فهذه أربعة أوصاف معتبرة ، فإن كان صفة لم يجمع قياساً على أفعِلة ، فإن جاء عليه فمحفوظ لا يقاس عليه ، قالوا فى شحيح . أشِحَّة ، وفى ظنين : أظِنَّة . قال تعالى : (أشِحَّةً عليكُم) وقال أبو طالب . . » (وأنشد هذا البيت) .

(صَبرت لهم نفسى بسمْراءَ سَمْحةٍ وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المقاولِ)

الصَّبر : الحبس . والسَّمراء : القناة . والسَّمحة : اللَّدْنة اللينة التى تسمح بالهزّ والانعطاف . والأبيض : السيف . والعضْب : القاطع . والمقاول : جمع

مِقول بكسر الميم : الرئيس ، وهو دون الملك ؛ كذا فى المصباح عن ابن الأنبارى . وقال السُّهيلى فى الروض الأنف : أراد بالمقاول آباءه ، شبَّههم بالملوك ولم يكونوا ملوكاً ولا كان فيهم ملك ، بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هِرقَلْ : هل كان فى آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف من هِبات الملوك لأبيه ؛ فقد وهب ابنُ ذى يَزَن لعبد المطَّلب هِباتٍ جزيلةً حين وفد عليه مع قريش يهنِّئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين . ٢٥٤

(وأحضرتُ عند البيت رَهطى وإخوتى وأمسكت من أثوابه بالوصائل)

الوصائل : ثياب مخطَّطة يمانية كان البيت يكسى بها .

(قياماً معاً مستقبِلينَ رِتاجَه لدى حيثُ يقضى حِلْفَه كلُّ نافل[1])

الرتاج : الباب العظيم ، وهو مفعول مستقبلين . والنافل : فاعل من النافلة وهو التطوّع .

(أعوذ بربِّ الناس مِن كلِّ طاعنٍ علينا بسوءٍ أو مُلحٍّ بباطلِ

ومِن كاشح يسعى لنا بمَعِيبةٍ ومِن مُلحق فى الدينِ مالم نحاولِ)

ملحّ : اسم فاعل من ألحّ على الشىء : إذا أقبل عليه مواظبا . والمعيبة : العيب والنقيصة . ونحاول : نريد .

(وثَورٍ ومَن أرسى ثَبيراً مكانَه وراقٍ لبِرٍّ فى حِراء ونازلِ)

ثور : معطوف على ربِّ الناس . وهو وثَبير وحِراء ، جبال بمكة . والبِرُّ : خلاف الإثم . وهو رواية ابن إسحاق وغيره ، وروى ابن هشام :

(١) فى النسختين : «خلفه » ، صوابه فى الديوان والسيرة

(ليرقى)(١) وهو خطأ ، لأن الراق لا يرقى . وإنما هو لبرٍّ أى فى طلب برٍّ . أقسم بطالب البرّ بصعوده فى حِراء للتعبّد فيه وبالنازل منه .

(وبالبيتِ حقِّ البيت من بطن مكّة   وباللهِ ، إنّ الله ليس بغافلِ
وبالحجر الأسوَد إذ يمسَحونه   إذا اكتنفوه بالضُّحىٰ والأصائلِ)

قال السهيلى : « وقوله بالحجر الأسود فيه زحاف يسمى الكفّ ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، وهو بعد الواو من الأسود . والأصائل : جمع أصيلة ، والأُصُل : جمع أصيل ، وذلك لأن فعائل جمع فعيلة . والأصيلة : لغة معروفة فى الأصيل » انتهى . وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب .

(وموطىء إبراهيم فى الصَّخر رطبةً   على قدميه حافياً غير ناعِلِ)

مَوطىء إبراهيم عليه السلام : هو موضع قدمِه حين غسلت كَنَّتُه رأسَه وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسَه ليغسل — وكانت سارَة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها فى أن يطالع ما تركه بمكّة ، فخاف لها أنه لا ينزل عن دابّته ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غَيرةً من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة ألقى الله فيها أثر قدمه آية . قال تعالى : (فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَقامُ إبراهيم) . أى منها مقام إبراهيم . ومن جعل مقام إبراهيم بدلا من آيات قال : المقام ، جمع مَقامة . وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه .

(وأشواطِ بينَ المروتين إلى الصفا   وما فيهما من صُورة وتماثِلِ)

هو جمع تِمثال ، وأصله تماثيل ، فحذف الياء .

---

(١) يعنى : « وراق ليرقى فى » بدل « وراق لبر فى » . وانظر السيرة ١٧٣ .

(ومَن حجّ بيتَ الله من كلِّ راكب، ومن كلِّ ذى نذر، ومن كل راجل ٢٥٥

فهل بَعد هذا من مَعاذٍ لعائذ وهل من مُعيذٍ يتّقى الله عادلِ)

المعاذ بالفتح: اسم مكان من عاذ فلان بكذا، إذا لجأ إليه واعتصم به. والمعيذ: اسم فاعل من أعاذه بالله أى عصمه به. وعادل: صفة معيذ، بمعنى غير جائر.

(يُطاع بنا العِدَا، ووَدُّوا لوَ انَّنا تُسَدّ بنا أبوابُ تُركٍ وكابُلِ)

العدا بضم العين وكسرها: اسم جمع للعدوّ ضد الصديق، وروى (الأعدا) وهو جمع عدوّ. وتُسَدّ بنا أى علينا. والترك وكابُل بضم الباء: صِنفان من العجم.

(كذبتم وبيتِ الله نترك مكّةً ونَظعَنَ إلاّ أمرُكم فى بلابِلِ)

أى والله لا نترك مكة ولا نظعن منها، لكن أمركم فى هموم ووساوس صدر. وروى: (فى تلاتل) بالمثناة الفوقية، جمع تَلتَلةٍ، وهو الاضطراب والحركة.

(كذبتم وبيتِ الله نُبزَىٰ محمداً ولمّا نطاعنْ دونه ونُناضلِ)

الواو للقسم، ونبزى جواب القسم على تقدير لا النافية، فإنها يجوز حذفها فى الجواب كقوله تعالى: «تَاللهِ تَفْتَؤُ» أى لا تفتؤ. ونُبزىٰ بالبناء للمفعول، أى نُغلب ونُقهَرَ عليه، يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره، كذا فى الصحاح. فهو بالباء والزاى المنقوطة. ومحمّداً منصوب بنزع الباء. ولمّا: نافية جازمة، والجملة المنفية حال من نائب فاعل نُبزىٰ. والطعن يكون بالرمح، والنضال يكون بالسهم.

(ونُسلمُه حتّى نصرَّع حولَه ونذهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ)

ونسلمه بالرفع معطوف على نُبزَى ، أى لا نسلمه ، من أسلمه بمعنى سَلَّمه لفلان ، أو من أسلمه بمعنى خذله . ونصرَّع ونُذهَل بالبناء للمفعول . والحلائل : جمع حَليلة وهى الزوجة .

قال ابن هشام فى السيرة : قال عُبَيدة بن الحارث بن المطَّلب(١) لمَّا أصيب فى قطع رجله يوم بدر : أمَا والله لو أدرك أبا طالب هذا اليومُ لعلم أنى أحقُّ بما قال منه حيث يقول :

كذبتم وبيت الله نُبزَى محمداً . . . . البيت وما بعده

(وينهَضَ قوم فى الحديد إليكم   نهوضَ الروايا تحت ذات الصَلاصلِ)

وينهض بفتح الياء وهو منصوب معطوفا على نصرَّعَ ، والنهوض فى الحديد عبارة عن لُبسه واستعماله فى الحرب . والروايا : جمع راوية ، وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقَى عليه . وذات الصلاصل هى المزادة التى ينقل فيها الماء ، وتسميها العامة الراوية ، والصَّلاصل : جمع صُلصُلة بضم الصادين وهى بقيَّة الماء فى الإداوة . يريد : أن الرجال — مثقلين بالحديد — كالجمال التى تحمل المياه مثقلة ، شبَّه قعقعة الحديد بصلصلة الماء فى المزادات .

(وحتَّى نرىٰ ذا الضِغنِ يركب رَدعَه   من الطعن فِعلَ الأنكب المتحاملِ)

نرىٰ بالنون من رؤية العين . والضِّغن بالكسر الحقد . وجملة يركب حال من مفعول نرى ، يقال للقتيل . رَكِب رَدْعَه : إذ خرَّ لوجهه على دمه .

٢٥٦ والرَّدع بفتح الراء وسكون الدال : اللَّطْخ والأثر من الدم والزعفران . ومن

---

(١) ط : « ابن الحارث بن عبد المطلب » ، صوابه فى ش . وانظر السيرة ٥٢٦ ـ ٥٢٧ . وقد ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق ٨٣ بأنه تصغير عبدة ، أى هو بضم العين

الطعن متعلّق بيركب . والأنكب : المائل إلى جهة ، وأراد كفعل الأنكب ، فى الصحاح : « والنَّكَب أى بفتحتين : داء يأخذ الإبل فى مناكبها فتظلَع منه وتمشى منحرفة ، يقال نكِب البعير بالكسر ينكَب نَكَبا فهو أنكَبُ . وهو من صفة المتطاول الجائر . والمتحامل بالمهملة : الجائر والظالم .

(وإنّا لعمرُ الله إنْ جدَّ ما أرى لتلتبِسَنْ أسيافنا بالأماثلِ)

عمر الله مبتدأ والخبر محذوف أى قسمى ، وجملة لتلتبسنْ جواب القسم ، والجملة القسمية خبر إن . وقوله إن جدّ إن شرطيّة ، وجدّ بمعنى لجَّ ودام وعظم ، وما موصلة ، وأرى من رؤية البصر ، والمفعول محذوف وهو العائد ، وجواب الشرط محذوف وجوباً لسدّ جواب القسم محلّه . والالتباس : الاختلاط والملابسة ، والنون الخفيفة للتوكيد ، وأسيافنا فاعل تلتبس . والأماثل : الأشراف ، جمع أمثَل . والمعنى إنْ دام هذا العناد الذى أراه تنلْ سيوفُنا أشرافكم .

(بكفَّىْ فتيً مثلِ الشِهاب سَمَيدَع أخى ثقةٍ حامِى الحقيقة باسلِ)

بكفَّىْ : تثنية كفّ ، والباء متعلقة بقوله تلتبس — وقد حقّق الله ما تفرّسه أبو طالب يوم بدر . وقوله : مثل الشهاب ، يريد أنه شجيع لا يقاومه أحدٌ فى الحرب ، كأنه شعلة نار يُحرق من يقرب منه . والسَّميدع بفتح السين ، وضمُّها خطأ ، وبفتح الدال المهملة وإعجامُها لا أصل له ، خلافاً لصاحب القاموس ، ومعناه السيّد الموطّأ الأكناف .

قال المبرّد فى أول الكامل[1] : « معنى موطّأ الأكناف : أن ناحيته

(١) الكامل ص ٣ ليبسك .

يتمكّن فيها صاحبُها[١] غير مؤذًّى ولا ناب به موضعهُ . والتوطئة : التذليل والتمهيد ، يقال دابّة وطىء افتى ، وهو الذى لايحرّك راكبه فى مسيره ، وفراش وطىء ، إذا كان وثيراً لا يؤذى جنبَ النائم عليه .

قال أبو العباس : حدّثنى العباس بن الفرج الرياشىّ قال : حدّثنى الأصمعى قال : قيل لأعرابىّ ، وهو المنتجع بن نبهان : ما السَّميدع ؟ فقال : السّيد الموطأ الأكناف . وتأويل الأكناف : الجوانب ، يقال فى المثل : فلان فى كَنَف فلان كما يُقال فلان فى ظلّ فلان وفى ذَرَا فلان[٢] وفى حيّز فلان » . انتهى .

والثقة : مصدر وثقت به أثق بكسرهما : إذا ائتمنته . والأخ يستعمل بمعنى الملازم والمداوم . والحقيقة : ما يحقُّ على الرجل أن يحميه . والباسل : الشجيع الشديد الذى يمتنع أن يأخذه أحدٌ فى الحرب ، والمصدر البسالة ، وفعله بسـل بالضم . وأراد بصاحب هذه الصفات الفاضلة محمّداً صلى الله عليه وسلم .

(وما تَرْكُ قوم لا أبا لَكَ سيِّداً يحوطُ الذِّمارَ غير ذَرْب مُوا كِل)

ما استفهاميّة تعجبيّة مبتدأ عندسيبويه وتركُ خبر المبتدأ ، وعندالأخفش بالعكس . وقوله : لا أبا لك ، يستعمل كناية عن المدح والذم ، ووجه الأوّل : أن يرادنفى نظير الممدوح بنفى أبيه ، ووجهالثانى : أن يراد أنّه مجهول النسب ، والمعنيان محتملان هنا . والسِّيد من السيادة وهو المجد والشرف . وحاطه يحوطه حَوطا . رعاه وفى الصحاح : « وقولهم فلان حامى الذمار ، أى إذا ذَمِرَ وغضب حمى ، وفلان أمنع ذماراً من فلان . ويقال الذِّمار : ما وراء الرجل مما يحقّ عليه أن يحميه ، لأنهم قالوا : حامى الذمار كما قالوا حامى الحقيقة .

(١) فى النسختين : « صاحبه » ، والصواب من الكامل .
(٢) بين هذا وتاليه فى الكامل : « وفى ناحية فلان » .

وسمى ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له ، وسُمِّيت حقيقة لأنه يحقّ على أهلها
الدفع عنها . وظلّ يتذمر على فلان : إذا تنكّر له وأوعده » . والذَّرِب ٢٥٧
بفتح الذال المعجمة وكسر الراء ، لكنّه سكنّه هنا ، وهو الفاحش البذىّ
اللسان . والمواكِل : اسم فاعل مِن واكلت فلاناً مواكلة : إذا اتّكلتَ عليه
واتّكل هو عليك ، ورجل وَكَل بفتحتين ، ووُكَلة كهمزة ، وتُكَلة ،
أى عاجز يَكِلُ أمره إلى غيره ويتّكل عليه .

(وأبيضَ يُستسقىٰ الغمامُ بوجهه ثِمالَ اليتامىٰ عصمةً للأراملِ)

أبيض : معطوف على سيِّد المنصوب بالمصدر قبله ، وهو من عطف الصفات التى موصوفها واحد ؛ هكذا أعربه الزركشىّ فى نكته على البخارىّ المسمّىٰ بالتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح ، وقال : لا يجوز غير هذا . وتبعه ابن حجر فى فتح البارى ؛ وكذلك الدمامينيّ فى تعليق المصابيح على الجامع الصحيح ، وفى حاشيته على مغنى اللبيب أيضاً . وزعم ابن هشام فى المغنى : أن أبيض مجرور بربّ مقدرة وأنّها للتقليل . والصواب الأوّل ؛ فإن المعنىٰ ليس على التنكير ، بل الموصوف بهذا الوصف واحدٌ معلوم . والأبيض هنا بمعنى الكريم . قال السَّمين فى عمدة الحفاظ : عبّر عن الكرم بالبياض ، فيقال : له عندى يدبيضاء أى معروف ؛ وأورد هذا البيت . والبياض أشرف الألوان ، وهو أصلها إذْ هو قابل لجميعها ، وقد كنى به عن السُّرور والبِشر ، وبالسَّواد عن الغمّ . ولما كان البياض أفضلَ الألوان قالوا : البياض أفضل ، والسواد أهول ، والحمرة أجمل ، والصفرة أشكل .

ويستسقىٰ بالبناء للمفعول ؛ والجملة صفة أبيض . والثِّمال : العِماد والملجأ والمُطعِم والمغنى والكافى . والعصمة : ما يعتصم به ويتمسّك ، قال الزركشىّ : يجوز فيهما النصب والرفع . والأرامل جمع أرمَلة وهى التى لا زوج لها ،

لافتقارها إلى من ينفق عليها ، وأصله من أرملَ الرجل : إذا نفِد زاده وافتقر ، فهو مرمل ، وجاء أرملُ على غير قياس . قال الأزهرىّ : لا يقال للمرأة أرملة إلاّ إذا كانت فقيرة ، فإن كانت موسرة فليست بأرملة ، والجمع أرامل ، حتى قيل رجل أرمل إذا لم يكن له زوج . قال ابن الأنبارىّ : وهو قليل ، لأنه لا يذهب[١] بفقد امرأته ، لأنها لم تكن قيِّمة عليه . وقال ابن السكيت : الأرامل : المساكين ، رجالاً كانوا أو نساء .

قال السهيلى فى الروض الأنف[٢] : « فإن قيل : كيف قال أبو طالب : وأبيضَ يستسقى الغمام بوجهه ، ولم يَره قطّ استُسقى به ، إنّما كانت استسقاءاته عليه الصلاة والسلام بالمدينة فى سفَر وحضر ، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له ؟ فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك فى حياة عبد المطّلب مادلّه على ما قال » انتهى .

وردّه بعضهم[٣] بأن قضيّة الاستسقاء متكرّرة ، إذ واقعة أبى طالب كان الاستسقاء به عند الكعبة ، وواقعة عبد المطّلب كان أوّلها أنهم أُمروا باستلام الركن ثم بصعودهم جبل أبى قُبيس ليدعوَ عبد المطلب ومعه النبى صلى الله عليه وسلم ويؤمِّن القومُ ، فسقُوا به .

قال ابن هشام فى السيرة : « حدثنى من أثق به قال : أقحط أهل المدينة فأتَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله

(١) ش : « لأنه يذهب » ، صوابه فى ط واللسان (رمل ٣١٧) حيث نقل نص ابن الأنبارى . وفيه : « لأن الرجل لايذهب زاده بموت امرأته اذا لم تكن قيمة عليه » .

(٢) الروض ١ : ١٧٩

(٣) هو ابن حجر الهيتمى المتوفى سنة ٩٧٣ . أنظر شرحه للهمزية بعد فراغه من تفسير قول البوصيرى :

واذا حلت الهداية قلبا .. نشطت فى العبادة الأعضاء

صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى ، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحى ٢٥٨
يشكون منه الغرق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالَينا ولا علينا ! فانجاب السحابُ عن المدينة فصار حوالَيها كالإكليل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرّه . فقال له بعض أصحابه (وهو على رضى الله عنه) : كأنك أردت يارسول الله قوله :

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه . . البيت

قال أجل ! » انتهى .

وبتصديق النبى صلى الله عليه وسلم كونَ هذا البيت لأبى طالب — وعليه اتفق أهل السِّيَر — سقَط ما أورده الدَّميرىّ فى شرح المنهاج فى باب الاستسقاء عن الطَبَرانىّ وابن سعْدٍ : أن عبد المطّلب استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم فسقُوا ، ولذلك يقول عبد المطلب فيه يمدحه .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه . . البيت

قال ابن حجر الهيتمى فى شرح الهمزيّة : « وسبب غلط الدَّميرىّ فى نسبة هذا البيت لعبد المطلب : ان رُقيقة (براء مضمومة وقافين) بنت أبى صيفىّ بن هاشم[1] ، وهى التى سمعت الهاتف فى النوم أو فى اليقظة ـ لما تتابعت على قريش سنونَ أهلكتْهم ـ يصرخ : يا معشر قريش ، إن هذا النبىّ المبعوث قد أظلَّتكم أيامُه ، فحيَّهلا بالحَيا والخصب . ثم أمرَهم بأن يستسقوا به ، وذكر كيفيّة يطول ذكرها . فلما ذكرت الرواية فى القصّة أنشأت تمدح النبىّ صلى الله عليه وسلم بأبيات آخرُها :

(١) فى النسختين : « هشام » تحريف ، صوابه فى شرح الهمزية وجمهرة ابن حزم ١٤ وسيرة ابن سيد الناس ١ : ٣٩ .

مباركُ الأمرِ يُستسقى الغمامُ به ما فى الأنام له عِدل ولا خطَرُ (١)

فإنَّ الدَّميرى لما رأى هذا البيت فى رواية قصّة عبد المطلب التى رواها الطبرانى ـ وهو يشبه بيتَ أبى طالب إذ فى كلّ استسقاء الغمام به ـ توهمَّ أن بيت أبى طالب لعبد المطلب . وإنما هو لرُقيقة المذكورة . والحكم عليه بأنه عين البيت المنسوب لأبى طالب ليس كذلك ، بل شتّان ما بينهما . فتأمّل هذا المحلّ فإنه مهمّ . وقد اغترّ بكلام الدميرىّ مَن لا خبرة له بالسير» انتهى .

(يلوذ به الهُلاّكُ مِن آل هاشمٍ فهُم عنده فى رَحمة وفواضل)

يلوذ صفة أخرى لموصوفٍ سيد . والهُلاّك : الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلباً لمعروفهم من سوء الحال ؛ وهو جمع هالك ، قال جميل :

أبيتُ مع الهُلاّك ضيفاً لأهلها وأهلى قريبٌ موسِعون ذَوو فضلِ

وقال زياد بن حَمل :

ترى الأرامل والهُلاّك تتبعُه يَستنّ منه عليهم وابِلٌ رذِمُ

(جَزى الله عنا عبدَ شمس ونوفَلا عقوبةَ شَرٍ عاجلا غير آجل)

نوفل هو ابن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصىّ ، وهو ابن العدويّة ؛ وكان من شياطين قريش ، قتله على بن أبى طالب يوم بدر .

(١) قبله ، كما فى سيرة ابن سيد الناس :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالماء جونى له سبل دان فعاشت به الأنعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر

وكان عبد المطلب قد خرج للاستقاء ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام .

(بميزان قسطٍ لا يخِسُّ شعيرة[١] له شاهدٌ من نفسه غير عائل)

بميزان متعلّق بجزىٰ اللهُ . والقِسط بالكسر : العدل . وخسّ يخِسّ من باب ضرب : إذا نقص وخفّ وزنه فلم يعادل ما يقابله . وله أى للميزان ، شاهد أى لسان من نفسه[٢] ، أى من نفس القسط ، غير عائل صفة شاهد ٢٥٩
أى غير مائل ، يقال عال الميزان يعول : إذا مال ؛ كذا فى العباب وأنشد هذا البيت كذا :

بميزان صِدقٍ لايغلّ شعيرة له شاهد . . . . . البيت[٣]

(ونحن الصَّميمُ من ذؤابة هاشمٍ وآل قُصَىّ فى الخطوب اوائلِ)

الصميم : الخالص من كل شىء . والذؤابة : الجماعة العالية ، وأصله الُخصلة من شعر الرأس .

(وكلّ صديق وابن أختٍ نعدّه لَعمرى ، وجدنا غِبَّه غيرَ طائلِ)

الغِبّ بالكسر : العاقبة . ويقال هذا الأمر لاطائل فيه ، إذا لم يكن فيه غَناء ومزيّة ؛ مأخوذ من الطَّول بمعنى الفضل .

(سِوىٰ أن رهطا من كِلاب بن مرّةٍ بَراء إلينا مِن مَعقّة خاذلِ)

قال السهيلى : « يقال قوم بُراء بالضم وبَراء بالفتح وبِراء بالكسر : فأما بِراء بالكسر فجمع برىء مثل كريم وكرام ، وأما بَراء فمصدر مثل سَلام ، والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ، ويقال رجل بَراء ورجُلان بَراء ، وإذا كسرتها أو ضممت لم يجز إلاّ فى الجمع ، وأما بُراء بضمّ الباء فالأصل فيه برآء

(١) فى الديوان : « لا يغيض شعيرة » . وفى حواشيه : أنها فى رواية « يحص » وفى الروض الأنف ١ : ١٧٨ : « يخس شعيرة ، أى ينقص . والخسيس : الناقص من كل شىء . ويروى فى غير السيرة : « يحص بالصاد المهملة ، من حص الشعر ، اذا أذهبه » .

(٢) ط : « أى ميزان من نفسه » ، صوابه فى ش

(٣) يغل ، من الغلول ، وهو الاختلاس . وفى ط : « يقل » محرف .

مثل كرماء واستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فُعَلاء فلما حذفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فُعاء وانصرف لأنه أشبه فعالا » . والمَعَقَّة بفتح الميم : مصدر بمعنى العقوق .

(ونِعم ابنُ أختِ القوم غير مكذَّب زهيرٌ حساماً مفرداً من حمائلِ)

قال ابن هشام فى السيرة : « زهير هو ابن أبى أميّة بن المغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مخزوم[1] ، وأمّه : عاتكة بنت عبد المطلب » انتهى .

وزهير هو المخصوص بالمدح مبتدأ ، وجملة نعم ابن أخت القوم هو الخبر، وغير مكذَّب بالنصب حال من فاعل نعم وهو ابن . ومكذَّب : على صيغة اسم المفعول ، يقال كذّبته بالتشديد : إذا نسبته إلى الكذب ووجدته كاذبا ؛ أى هو صادق فى مودّته لم يُلفَ كاذبا فيها . والُحسام : السيف القاطع ، وهو منصوب على المدح بفعل محذوف أى يشبه الحسام المسلول فى المَضاء . ورواه العينى فى شرح شواهد الألفية : (حسامٌ مفردٌ) برفعهما وقال: «حسام صفة لزهير، وقوله مفرد من حمائل صفة للحسام » وهذا على تقدير صحّة الرواية خبْطُ عشواء ؛ فإن زهيرا علَم وحساماً نكرة ! والمفرد : المجرّد . والحمائل : جمع حِمالة وهى عِلاقة السيف ، مثل المِحمَل بكسر الميم ، هذا قول الخليل ، وقال الأصمعى : حمائل السيف لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها مِحمل كذا فى العباب .

وهذا البيت استشهد به شرّاح الألفية على أنّ فاعل « نِعْمَ » مظهر مضاف إلى ما أضيف إلى المعرّف باللام .

(أشمَّ ، من الشُّمِّ البهاليل يَنتمى إلى حسبٍ فى حَومة المجد فاضل)

---

(١) فى النسختين : « عمروبن مخزوم » ، وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ص ٢٧٢ طبعة أولى .

الشمم : ارتفاع فى قصبة الأنف مع استواءِ أعلاه ، وهذا مما يُمدح به ، وهو أشمّ من قَومٍ شُمّ والبهاليل : جمع بُهلول بالضم ، قال الصاغانى : والبهلول من الرجال : الضحّاك ، وقال ابن عبّاد : هو الحيّ الكريم . ويَنتمى : ينتسب. وفاضل بالضاد المعجمة صفة حَسَب .

(لَعمرى ، لقد كُلِّفتُ وجداً بأحمدٍ وإخوته دأبَ المحِبِّ المواصلِ)

كُلِّفت بالبناء للمفعول والتشديد : مبالغة كلِفت به كلَفا من باب تعب : ٢٦٠
إذا أحببته وأُولِعت به ؛ ووجداً أى كلفَ وجد ، يقال وجَدت به وَجداً : إذا حزِنت عليه . وبأحمد متعلّق بكلّفت ؛ وهو اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم — ويجوز أن يكون من كلّفته الأمرَ فتكلّفه ، مثل حمّلته فتحمّله وزنا ومعنى مع مشقّة ، فوجداً مفعوله الثانى ؛ وبدون التضعيف متعدّ لواحد ، يقال كلِفت الأمرَ من باب تعب : حملته على مشقّة . وأراد بإخوته أولادَه جعفراً وعقيلاً وعليّاً رضى الله عنهم ؛ فإن أبا طالب كان عمّ النبى صلى الله عليه وسلم ، والعمّ أب فأولاده إخوة النبى صلى الله عليه وسلم . ودأبَ مصدر منصوب بفعله المحذوف أى ودأبت دأب المحبّ ، يقال فلان دأب فى عمله : إذا جدّ وتعب .

(فلا زالَ فى الدنيا جَمالاً لأهلها وزَيناً لمن ولاّه ذَبٌّ المشاكلِ)

الذَّبّ : الدفع ؛ والمشاكل : جمع مُشكِلة .

(فمن مثلُه فى الناس ! أىٌّ مؤمَّل إذا قاسَه الحكّام عند التفاضلِ !)

« أىّ » هى الدالة على الكمال ، خبر مبتدإ محذوف أى هو ؛ والمؤمَّل الذى يُرجى لكلّ خير : والتفاضل بالضاد المعجمة ، وهو التغالب بالفضل .

(حليمٌ رشيدٌ عادل غيرُ طائش يُوالى إلَهاً ليس عنه بغافلِ)

أى هو حليم . والطَّيش : النزق والخفّة : ويوالى إلهًا أى يتخذه وليّا ، وهو فعيل بمعنى فاعل . من وليه : إذا قام به . ومنه : (اللهُ وَلِىُّ الذينَ آمَنُوا) .

(فأيَّده ربُّ العبـاد بنَصرِه وأظهرَ ديناً حقُّه غير ناصلِ)

الحقّ : خلاف الباطل ، وهو مصدر حقّ الشىء من باب ضرب وقتل : إذا وجب وثبت . والناصل : الزائل المضمحلّ ، يقال نصل السهم : إذا خرج منه النصل ، ونَصَل الشعر ينصُل نصولا : زال عنه الخضاب .

(فو اللهِ ، لولا أن أجىء بسُبَّةٍ تُجرُّ على أشياخنا فى القبائل
لـكُنّا اتَّبعناه على كلِّ حالة من الدهر جِدًّا غير قول التهازل)

تقدّم شرحهما أوّلا(١)

(لقدْ علموا أنّ ابنَنا لا مكذَّب لدينا ولا يُعنىْ بقول الأباطلِ)

فى النهاية : « يقال عُنيت بحاجتك أُعنيْ بها فأنا بها مَعنىّ ، وعَنيت بها فأنا عانٍ ، والأول أكثر ، أى اهتممت بها واشتغلت » انتهى . وهو من باب تعب .

(فأصبح فينا أحمدُ فى أروَمة يقصِّر عنها سَورةُ المتطاولِ)

تنوين أحمد للضرورة . والأُرومة بفتح الهمزة وضم الراء المهملة : الأصل . والسّورة بالضم : المنزلة ، وبفتح السين السطوة والاعتداء . والمتطاول من الطّول بالفتح ، وهو الفضل ، وهذا بالنسبة إلى المنزلة ؛ أو من تطاول عليه : إذا قهره وغلبه ، وهذا بالنسبة إلى السَّطوة .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٥٦ من هذا الجزء

(حَدِبتُ بنفسى دونه وحَمَيته ودافعت عنه بالذُّرا والـكلاكل)

٢٦١ حدِب عليه كفرح وتحدب عليه أيضاً بمعنى تعطّف عليه ، وحقيقته جعل نفسه كالأحدب بالانحناء أمامه ليتلقَّى عنه ما يؤذيه . ودونه أمامه . والذُّرا بالضم : أعالى الشيء ، جمع ذروة بكسر الذال وضمها . والـكلاكل : جمع كَلْكَل كجعفر ، بمعنى الصدر .

(تنبيـــه)

رواية هذه القصيدة كما سطرت نقلتُها من سيرة الشامى[1] ، ورواها ابن هشام فى السيرة أزيد من ثمانين بيتا[2] ، ومطلعها عنده :

ولَّمـا رأيت القوم لاودّ فيهم وقد قطعوا كُل العُرَى والوسائل

ولم يَذكر البيتين الأوّلين مطلعَ القصيدة فى رواية الشامى ، ولا تعرّض لهما السُّهيلى بشىء .

أبو طالب

و (أبو طالب) هو عم النبي صلى الله عليه وسلم وناصره . ولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وثلاثين سنة . ولمـا مات عبد المطلب وصّى بالنبي صلى الله عليه وسلم إليه ، فكفَله وأحسن تربيته ، وسافر به إلى الشام وهو شابّ ، ولمـا بُعث صلى الله عليه وسلم قام بنصرته وذبّ عنه من عاداه ، ومدحه عدة مدائح .

واسمه عبد مناف على المشهور ، واشتهر بكنيته ، وقيل : اسمه عمران ،

(١) هو محمد بن على بن يوسف الشافعى الشامى المتوفى سنة ٦٠٠ . انظر كشف الظنون ٢ : ٣٩

(٢) وفى رواية أبى هفان لديوانه ١٠٩ بيتا .

وقيل : شَيبة . قال الواقدى : وتوفِّى أبو طالبٍ فى النصف من شوال فى السنة العاشرة من النبوّة ، وهو ابن بضع وثمانين سنة .

واختلف فى إسلامه ، قال ابن حجر : رأيتُ لعلىّ بن حمزة البصرى جزءاً جمع فيه شعر أبى طالب ، وزعم أنه كان مسلماً ومات على الإسلام ، وأن الحشويَّة تزعم أنّه مات كافراً ، واستدلّ لدعواه بما لا دلالة فيه . انتهى .

ومن شعره قوله :

ودعوتَني وزعمتَ أنك صادقٌ ... ولقد صدقتَ وكنتَ قبلُ أمينا
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمّد ... مِن خير أديان البريَّة دينا

ومن شعره الذى قاله وهو فى الشِّعب :

ألا أبلغا عنّي علَى ذاتِ بيننا ... لؤيًّا وخُصّا من لؤىّ بنى كعبِ
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّدا ... نبيّا كموسىٰ خُطّ فى أوّل الكتْبِ
وأنَّ عليه فى العِباد مودّةً ... وخيّر فيمن خصّه الله بالُحبِّ[1]

وهى قصيدة جيِّدة على هذا الأسلوب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون[2] :

---

(١) كذا فى النسختين . وفى السيرة والروض الأنف ١ : ٢٢١ : « ولا خير ممن خصه الله بالحب » . وقد أفاض السهيلى فى تخريج البيت على هذه الرواية

(٢) ابن يعيش ١ : ١١٦ والأغانى ١٤ : ٤٠ ، ٤١ والحماسة ٨٧٥ بشرح المرزوقى ، ومعجم البلدان (راوند) ومعجم ما استعجم (خزاق) وشرح الشريشى للمقامات ٢ : ١٨٧ وسيرة ابن سيد الناس ١ : ٧٢ وفتوح البلدان للبلاذرى ٤٥٤

٩٢ ﴿ أَجِدَّ كُما لا تَقضِيانِ كَرا كُما ﴾

على أن (جِدَّ كما) ليس مصدراً مؤكِّداً لقوله : (لا تقضيان) بل هو إمّا منصوب بنزع الخافض ، وإمّا حال، وإمّا مصدر حُذف عامله وجوبا .

أما كونه ليس مؤكِّداً لمضمون الجملة بعده فلشيئين : الأوّل : أن قوله أجِدَّ كُما لَو جعل مؤكّداً لمضمون ما بعده لـكان مؤكِّداً لمضمون المفرد وهو الفعل فقط ، لا لمضمون الجملة ، كما بيَّنه الشارح . والثانى : أنه إنما يكون المصدر مؤكِّداً لغيره إذا أكّد معنيٰ القول الذى هو مضمون الجملة ، ولا يجوز أن يقدَّر أجدّ كما أقول لا تقضيان ، لفساد المعنى ؛ لأن القول من المتـكلم ، وعدم القضاء من المخاطب .

وأما كونه منصوبا بنزع الخافض فلأنه فى معنيٰ « حقّا » ، وهوعلى تقدير فى ، وجدّك وحقّا متقاربان معنًى ، فالأنسب تقاربهما فى الإعراب أيضا . ٢٦٢

وأما كونه حالاً فمعناه : لا تقضيان كرا كما جادَّين ، فعامل الحال الفعلُ الذى بعدها ، وصاحبها ضمير التثنية .

وأما الثالث فهو مؤكّد لنفسه ؛ لأنه أكّد مضمون المفرد لا مضمون الجملة ، لأنه أكّد الفعل بدون الفاعل ، والفعل يدلّ وحده على الحدث والزمان .

هذا محصل كلامه . والحاليّة لا تطرّد فى كل موضع ، ولهذا ذهب الإمام المرزوقىّ فى شرح فصيح ثعلب ، إلى أن انتصاب أجِدَّ كما إمّا بنزع الخافض وإمّا بفعله المحذوف .

والمفهوم من كلام ابن جنى على هذا البيت فى إعراب الحماسة : أن أجدَّ كُما منصوب بفعله المحذوف. لـكنَّ جعله جملة لا تقضيان حالا غيرُ جيِّد ، لأنها مقيَّدة وجِدَّ كما قيدٌ لها ، والمقيَّد هو أصل الـكلام . ثم جوابه عن إيراده

على جعله الجملة حالا أنّها مصدّرة بعلَم الاستقبال ، بأن الشاعر أراد امتداد الحال فلما لاحظ حال الاستمرار والاستقبال أتى بلا ، غير صحيح ؛ فإن لا ليست للاستقبال على الصحيح ، والمضارع المنفيّ بها يقع حالاً نحو : (ما لَكُمْ لا تَرجُون لِلّٰهِ وَقارا) . وقد تعسّف أيضاً فى نحو « أجِدَّك لا تفعلُ » بأنه على إرادة استمرار حكاية الحال الممتدّة فيما مضىٰ .

قال أبو حيّان فى الارتشاف : ولا تفعلُ عند أبى علىّ حالٌ أو على إضمار أن فحذف أن وارتفع الفعل .

واعلم أن صنيع الشارح المحقّق ، فيه ردٌّ لمن جعل — كابن الحاجب — أجدَّك لا تفعل كذا ، من قبيل المصدر المؤكّد لغيره ، قال ابن الحاجب فى الإيضاح : « أصله لا تفعل كذا جدًّا ، لأن الذى ينبغى الفعل عنه يجوز أن يكون بجدّ منه ويجوز أن يكون من غير جدّ فإذا قال : جدًّا فقد ذكر أحد المحتملين ؛ ثم أدخلوا همزة الاستفهام إيذاناً بأن الأمر ينبغى أن يكون كذلك ، على سبيل التقرير ؛ فقُدِّم المصدر من أجل همزة الاستفهام فصار : أجِدَّك لا تفعل ، ثم لمّا كان معناه تقرير أن يكون الأمر على وَفق ما أخبر صار فى معنى تأكيدِ كلامِ المتكلّم ، فيتكلّم به من يقصد إلى التأكيد وإن كان ما تقدم هو الأصل الجارى على قياس لغتهم . ويجوز أن يكون معنىٰ أجدّك فى مثله : أتفعله جدًّا منك ، على سبيل الإنكار لفعله جدًّا ، ثم نهاه عنه أو أخبر عنه بأنه لا يفعل ، فيكون أجدَّك توكيداً لجملة مقدرة دلّ سياق الكلام عليها . ومما يدلّ على أنهم يقولون أفعلُه جدًّا قولُ أبى طالب :

إذن لاتبعناه على كل حالة . . البيت »

هذا كلامه . وقوله « ثم نهاه عنه » يفهم منه أنّ أجدّك يقع بعدها النهى ،

وكذا قول بعضهم ، أجدَّك هل تفعل كذا ، يفهم منه أن الاستفهام يقع بعده .

وقد قال الشارح المحقق : إن أجدك لا يستعمل إلاّ مع النفى . ولم أرَ هذا التقييد لغيره ، وظاهره : سواء كان النافى لا أو ما أو لن ؛ كقوله :

أجدَّك لن ترى بثُعيلِباتٍ ... ولا بَيْدانَ ناجيةً ذَمولا[1]

أو لم ، كقول الأعشى :

أجِدَّك لم تغتمضْ ليلةً ... فترقدَها مع رُقّادها

٢٦٣ فإن قلتَ : قد وقع بعدها الاستفهام فى هذا البيت الذى أورده ثعلب فى فصيحه وهو :

أجِدَّكَ ما لعينِك لا تنامُ ... كأنّ جفونها فيها كِلامُ

قلتُ : النفى الذى يقع بعد أجدّك موجود وهو قوله لا تنام ؛ والاستفهام الثانى سؤال عن علّة عدم نوم عينه ، ومثله قول كعب بن مالك الصحابى رضى الله عنه فى غزوة الطائف :

أجِدَّهمُ أليس لهم نصيحٌ ... من الأقوام كان لنا عريفا[2]

يخبِّرهمْ بأنا قد جَمعنا ... عِتاقَ الخيلِ والبُخْتَ الطروفا[3]

وفى الارتشاف : ولا يستعمل أجدَّك إلاّ مضافا ، وغالباً بعده لا أو لم أو لن . وفى النهاية لابن الخبّاز قال الأعشى :

---

(١) للمرار بن سعيد الفقعى كما يفهم من اللسان (نشغ ٣٣٩) . وانشدة ثعلب فى مجالسه ١٥٩ وياقوت فى (ثعيلبات) بدون نسبة . وثعيلبات وبيدان : موضعان .

(٢) ش : « من الا ... » وتكملة « الأقوام » من ط والسيرة ٨٧٠ وفيها أيضا : « بنا عريفا » .

(٣) فى السيرة : « والنجب الطروفا »

* أَجِدَّكَ ودَّعتَ الدُّمَى والولائدا[1] *

ودَّعتَ موجبٌ ، وجاء مع لا كثيراً . اهـ

وقد ذكر صاحب الصحاح وغيره : أن أجدّك يجوز فى جيمه الكسر والفتح ، لكن الكسر هو الفصيح ، ولهذا قال ثعلب فى فصيحه : وما أتاك أجِدَّك فمكسور وما أتاك وجَدِّك فمفتوح[2] . وهو من الجِدّ ضد الهزل ، وأصله من الجِدّ فى الأمر بمعنى الاجتهاد فيه ، لأنّ الهازل لا يبذل الاجتهاد فى شىء .

وأغربَ صاحب القاموس حيث جعله مِن جادّهُ بمعنى حاققه ، ثم قال « وأجدّك لا تفعل ، لا يقال إلا مضافاً ، وإذا كسر استحلفه بحقيقته ، وإذا فتح استحلفه ببخته » انتهى . وهذا شىء انفرد به ؛ وكأنه جنح لما ذهب إليه الشَّلَوبين حيث زعم أنّ فيه معنى القسم ، ولذلك قدّم .

وهذا المصراع من شعر لقُسّ بن ساعِدة . وهو :

(خليلىّ هُبّا طالما قدْ رَقدتما «أَجِدَّكُما لا تقضيان كَراكُما »

ألم تعلما أنّى بسَمعان مفرَداً وما لىَ فيه مِن خليلٍ سواكما !

مقيمٌ على قبريكما لستُ بارحاً طَوالَ الليالى أو يجيبَ صداكما !

أبكّيكما طولَ الحياة ، وما الذى يردّ على ذى لوعة أن بكاكما !

كأنّكما ، والموت أقربُ غائب[3] بروحىَ فى قبريكما قد أتاكما !

(١) ط : « والولائد » ، صوابه فى ش والديوان ٤٨ . وعجزه :
وأصبحت بعد الجور فيهن قاصدا *

(٢) نص الجوهرى : « قال ثعلب : ما أتاك فى الشعر من قولك أجدك فهو بالكسر ، فاذا أتاك بالواو وجدك فهو مفتوح » .

(٣) فى الأغانى وشرح المقامات : « أقرب غاية » .

أَمِنْ طول نوم لا تجيبان داعيا كأن الذى يسقى العُقار سقا كما !

فلو جُعِلتْ نفسٌ لنفسٍ وِقايةً لجُدتُ بنفسى أن تكون فدا كما !)

فى سيرة ابن سيِّد الناس بسنده إلى ابن عبّاس فى حديث الجارود ابن عبد الله لما قدم مؤمناً بالنبى صلى الله عليه وسلم وسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن قسّ بن ساعدة ، والحديث طويل ، إلى أن قال ابن عبّاس : وقام رجل أشدقُ أجشُّ الصوت فقال : لقد رأيت من قسّ عجَبا : خرجت أُطلب بعيراً لى حتّي إذا عَسعس الليلُ وكاد الصبح أن يتنفّس ، هتف بى هاتف يقول :

يا أيها الراقد فى الليل الأَحَمّ قد بعث الله نبيًّا فى الحرمْ

مِن هاشم أهل الوفاء والكرمْ يجلو دُجُنّات الليالى والبُهَمْ

قال : فأدرتُ طرْفى فما رأيت [له[1]] شخصا ! فأنشأت أقول :

يا أيها الهاتف فى دُجَى الظُّلَمْ[2] أهلاً وسَهلا بك مِن طيف أَلَمّ ٢٦٤

بَيِّنْ هَداك اللهُ ، فى لحن الكَلِمْ مَنِ الذى تدعو إليه تغتنمْ

فإذا أنا بنحنحة وقائلٍ يقول : ظهر النور ، وبطل الزُّور ، وبَعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحبور ، صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمِغفر ، والوجه الأزْهر ، والحاجب الأَقْمر ، والطرْف الأحور ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ، فذاك محمّد المبعوث إلى الأسود والأحمر ، أهل المدر والوبر . ثم أنشأ يقول :

الحمـــد لله الذى لم يخلق الخلقَ عبَثْ

(١) التكملة من مخطوطة عيون الأثر لابن سيد الناس رقم ١٧٦ تاريخ بدار الكتب وفى المطبوعة من عيون الأثر كما هنا .

(٢) الذى فى سيرة ابن سيد الناس : « داجى الظلم »

ولم يُخلِنا سُدًى من بعد عيسى واكترثْ
أرسل فينا أحمدا خيرَ نبيٍّ قد بُعِثْ
صلّى عليه اللهُ ما حجَّ له ركبٌ وحَثّ

قال : ولاح الصباحُ فإذا أنا بالفَنيق ، يشقشق إلى النُوق ، فملكت خِطامه وعلوت سَنامه ، حتّى إذا لغِب فنزلتُ فى روضة خِضرة ، فإذا أنا بقُسّ ابن ساعدة فى ظل شجرة ، وبيده قضيبٌ من أراكٍ ينكُت به الأرض وهو يقول :

يا ناعيَ الموت والأمواتُ فى جدَث عليهم من بقايا بَزِّهِمْ خِرَقُ
دعهمْ ، فإن لهم يوماً يُصاحُ بهم فهم إذا انتبهوا من نومهم فَرِقوا
حتّى يعودُوا لحالٍ غيرِ حالهم[1] خلْقاً جديداً كما مِن قبلِه خُلقوا
منهمْ عراةٌ ، ومنهمْ فى ثيابهم : منها الجديدُ ومنها المُنهَجُ الخلَق

قال : فدنوتُ منه فسلّمت عليه فردّ علىّ السلام ، وإذا [أنا[2]] بعين خرّارة فى أرض خوّارة ، ومسجد بين قبرين ، وأسدَين عظيمين يلوذان به ، وإذا بأحدهما قد سبق الآخر إلى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء . فضربه بالقضيب الذى فى يده وقال : ارجعْ ثـكِلتك أمك ! حتّي يشربَ الذى ورد قبلَك ، فرجع ثم ورد بعده . فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال : هذان قبرا أخوين كانا لى ، يعبدان الله عزّ وجل معى فى هذا المكان لا يشركان بالله عز وجل شيئاً ، فأدركهما الموت فقبرتهما ، وها أنا بين قبريهما حتى ألحقَ بهما ! ثم نظر إليهما وجعل يقول :

---

(١) فى عيون الأثر : « بحال غير حالهم »
(٢) من عيون الأثر .

خليلىّ هُبّا طالما قد رقدتما　　أجِدّ كما لا تقضيان كراكما

. . . الأبيات السابقة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله قسّا ! إنى أرجو أن يبعثه الله أمّة وحدَه . انتهى .

الأمّة : الشخص المنفرد بدين ، أى يُبعث واحداً يقوم مقام جماعة . والأجشُّ : الغليظ الصوت . وعَسعس الليل : أدبر ؛ ويأتى بمعنى أقبل ، فهو ضدّ . والأحمّ : الأسود . والدُّجُنّة بضمتين وتشديد النون : الظُّلمة ، وكذلك البُهمة وجمعها بُهَم . ولحن القول ، قال الأزهرىّ : هو كالعنوان والعلامة تشير بها فيفطِنِ المخاطَب لغرضك . والنجيب : الكريم من الإبل . والحاجب الأقرن : أراد أنه مفروق ما بين الحاجبين فيكون أبلج نيِّرا . والفنيق : الفحل المكرم من الإبل الذى لا يُركب ولا يُهان لكرامته . ٢٦٥ ويشقشق : يهدر بشِقشِقته . ولغِبَ : تعب . والعين الخرّارة : الغزيرة النَّبع ، من الخرير وهو صوت الماء . والأرض الخوارة : الليّنة السهلة ، من خار يخور : إذا ضعف .

وهُبّا : أمر مسند إلى ضمير الخليلين ، من الهبّ ، يقال هبّ من نومه من باب قتل : إذا استيقظ . وطالما : قال التبريزى فى شرح الحماسة : إن جُعلت ما مصدرية كتبتْ منفصلة ، وإن جعلت كافّة فمتصلة » . والرقود : النوم فى ليل أو نهار ، وخصّه بعضهم بنوم الليل ؛ والأوّل هو الحقّ ، ويشهد له المطابقة فى قوله تعالى : (وتَحْسَبُهُمْ أَيقاظاً وهُمْ رُقودٌ) قال المفسِّرون : إذا رأيتهم حسبتَهم أيقاظاً لأن أعينهم مفتّحة وهم نيام . وتقضيان : من قضيت وطرى : إذا بلغتَه ونِلته . والكَرىٰ : النوم ؛ قالوا : أوّل النوم النُعاس ، والوسَن ثقل النعاس ، ثم الترنيق وهو مخالطة النعاس للعين ،

ثم الكَرىٰ والغَمْض وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان ، ثم الهجود والهجوع ، وهو النوم الغرِق .

وسَمعان بفتح السين . موضع . وبارحاً بالموحدة والمهملة : فاعل من برح الشيء يبرح من باب تعب براحاً : إذا زال من مكانه . وطَوال الليالى بفتح الطاء بمعنى الطُول بضمها ، وهو منصوب على الظرفية ؛ يقال : لا أكلّمه طَوال الدهر وطُول الدهر ، وهما بمعنًى ؛ يريد إننى مقيم أبداً . وأو بمعنى إلى ، أو بمعنى إلاّ ، ويجيب منصوب بأن بعدها . والصَّدى هنا بمعنى ما يبقىٰ من الميت فى قبره ، ومنه قول النَّمر بن تولب الصحابى رضى الله عنه :

أعاذِل ، إنْ يُصبح صَداىَ بقفرة بعيداً نآنى صاحبي وقريبي

ترَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ رَبَّهُ وأنّ الذى أنفقتُ كان نصيبي

وله معانٍ أخر : أحدها ذكر البوم ؛ ثانيها : حُشوة الرأس ، يقال لذلك الهامَة والصّدىٰ ، وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية : أنَّ الرجل كان عندهم إذا قُتل فلم يدرَك به الثأر ، أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدَىٰ — فيصيح على قبره : اسقُونى اسقونى ! فإن قُتل قاتله كفّ ذلك الطائرُ . قال :

يا عَمرو إن لا تدع شتْمى ومنقَصَتِي أضربْك حتّي تقولَ الهامةُ اسقونى(١)

ثالثها : ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمتّسِع من الأرض أو بقرب جبل . رابعها : بمعنى العطَش ، مصدر صدِى يَصدىٰ — والصدأ بالهمزة : صدأ الحديد وما أشبهه ، كذا فى الكامل للمبرد .

(١) لذى الاصبع العدوانى فى المفضليات ١٦٠ . ويروى : « حيث تقول الهامة »

وأبكّيكما ، قال الأصمعى : بكَيت الرجل وبكّيته بالتشديد ، كلاهما إذا بكيت عليه . وما اسم استفهام مبتدأ ، والذى خبره ، أو بالعكس ؛ والمعنى : أى شىء الذى يردّه البكاء على ذى اللوعة ؟ وهى الُحرقة . وروى (ذى عَولة) وهى رفع الصوت بالبكاء بمعنى العويل . أنْ بكا كما : بفتح الهمزة مصدرية ومؤوّلها فاعل يردّ ؛ وروى بكسر الهمزة ، فهى شرطية والجواب مدلول عليه بأبكيكما ، وفاعل يردّ ضمير مفهوم من أبكيكما وهو البكاء ، ويجوز أن يكون دلّ عليه قوله أن بكا كُما . وقوله كأنكما الخ . كأنّ هنا للتقريب ، وجملة قد أتاكما خبر كأنّ ، وفاعل أتىٰ ضمير الموت ، والظرفان متعلقان به ، وجملة والموت أقرب غائب ، اعتراضية . والعُقار بالضم : الخمر . ٢٦٦

والفَدَىٰ بكسر الفاء وفتحها وبالقصر : مصدر فداه من الأسر يفديه : إذا استنقذه بمال ، واسم ذلك المال الفِدية وهو عِوَض الأسير ؛ وأما الفِداء بالكسر والمدّ فمصدر فاديته مفاداة وفِداء : أخذت فِديته وأطلقته ؛ وقال المبرد : المفاداة : أن تدفع رجُلا وتأخذ رجُلا ، والفِدىٰ : أن تشتريه ، وقيل هما واحد .

(تنبيه)

أورد أبو تمّام فى الحماسة هذه الأبيات على غير هذا النمط وقال : ذكروا ان رجلَيْن من بنى أسد خرجا إلى أصبهان ، فآخَيا بِها دِهقانا فى موضع يقال له راوند ، فمات أحدهما وبقىَ الآخر والدهقان ينادمان قبره ويشربان كأسيْن ويصبان على قبره كأساً ؛ فمات الدِّهقان فكان الأسدىُّ ينادم قبريْهما ويشرب قدَحاً ويصبُّ على قبريْهما قدحيْن ، ويترنّم بهذا الشعر :

خليليّ هبّا طالما قد رقدتما . . . . البيت
ألم تعلما ما لى براوند كلها ولا بخُزاق من صديق سواكما ؟
أصبُّ على قبريكما من مُدامة فإلاّ تنالاها تُرَوِّ جُناكما
أقيم على قبريكما . . . . البيت
وأبكيكما حتى الممات وما الذى . . . . البيت
جرى النومُ بين الجلد واللحم منكما كأنكما ساقى عُقار سقاكما

وروى الأصبهانى فى الأغانى بسنده إلى يعقوب بن السكّيت ، أنَّ هذا الشعر لعيسى بن قُدامة الأسدىّ ، قدِم قاشانَ وله نديمان ، فماتا فكان يجلس عند قبرَيهما وهما براوَند بموضع يقال له خُزاق ، فيشرب ويصبّ على القبرَين حتى يقضىَ وطره ثم ينصرف ، وينشد وهو يشرب ـ وروىٰ ما رواه أبو تمام(١) ، وزاد عليه .

«تحمَّل من يبغى القُفول وغادروا(٢) أخا لكما أشجاه ما قد شجاكُما
وأىُّ أخ يجفو أخاً بعد موته فلستُ الذى من بعد موتٍ جفاكما
أناديكما كيما تجيبا وتنطِقا وليس مُجاباً صوتُه من دعاكما
قضيتُ بأنى لا مَحالة هالكٌ وأنى سيعرونى الذى قد عراكما»

وروى الأصبهانى أيضاً بسنده إلى عبد الله بن صالح البجلىّ(٣) أنه قال :

(١) فيه نظر ، فان هناك تخالفا فى الرواية وعدد الأبيات . انظر الأغانى ١٤ : ٤١

(٢) ط : « العقول » ، صوابه فى ش . وفى الأغانى : « من يهوى العقول » .

(٣) وكذا فى ش . وفى الأغانى عن البلاذرى : « عبد الله بن صالح ابن مسلم العجلى » . ونحوه فى فتوح البلدان للبلاذرى ٤٥٤

بلغنى أن ثلاثة نفرٍ من أهل الكوفة كانوا فى الجيش الذى وجّهه الحجّاج إلى الدَّيلم ، وكانوا يتنادمون ولا يخالطون غيرهم ، وإنّهم لعَلَى ذلك إذ مات أحدهم ، فدفنه صاحباه ، فكانا يشربان عند قبره فإذا بلغه الكأسُ هراقاها[1] على قبره وبكيا . ثم إنّ الثانى مات فدفنه الباقى إلى جنْب صاحبه ؛ وكان يجلس عند قبريْهما فيشرب ويصبّ كأسيْن عليهما ويبكى ويقول .... ثم ذكر الأبيات التى تقدم ذكرها ، وقال مكانَ (براوند) : (بقزوين[2]) . قال : وقبورهم هناك تعرف بقبور الندماء .

قال الأصبهانى : وذكر العتبى عن أبيه أنّ الشعر للحزين بن الحارث أحد بنى عامر بن صعصعة ، وكان أحدُ نديميْه من بنى أسد ، والآخرُ من بنى حنيفة فلما مات أحدهما كان يشرب ويصبُّ على قبره ويقول :

لا تُصرِّدْ هامةً من كأسِها ... وأسقِه الخمرَ وإن كان قُبِرْ
كان حُرًّا ، فهوىٰ فيمن هوىٰ ... كلُّ عودٍ ذى شُعوب ينكسِرْ ٢٦٧

ثم مات الآخر فكان يشرب على قبريْهما ويقول :

خليلى هبّا طالمـا قد رقدتما . . الأبيات

وأما أبو عبيد فى معجم ما استعجم ، وياقوت فى معجم البلدان ، فقد نسبا هذه الأبيات للأسدىّ وذكرا حكايته كأبى تمّام ؛ ثم قال ياقوت : وقال بعضهم : إن هذا الشعر لقسّ بن ساعدة فى خليليْن له كانا وماتا . وقال آخرون

(١) ط : « هرق » ش « هرقا » ، صوابهما فى الأغانى وفتوح البلدان

(٢) فى النسختين : « وقال : خزاق مكان براوند بقزوين » صوابه من الأغانى ومن صنيع البلاذرى

هذا الشعر لنصر بن غالب يرثى به أوس بن خالد [وأُنَسا(١)] ، وزاد في الأبيات ونقص ؛ وهذه روايته بعد البيت الأول :

أَجِدَّ كما ما ترثيان لموَجع حزين على قبريكما قد رثا كما
جَرى النوم بين العظم والجلد منكما . . . . البيت
ألم تعلما مالىَ براوند كلِّها . . . . البيت
أصبُّ على قبريكما من مُدامة فإلاّ تذوقاها تُرَوِّ ثرا كما
ألم ترحمانى أننى صرت مفرَدا وأنّىَ مشتاق إلىٰ أن أرا كما
فإن كنتما لا تسمعان فما الذى خليلىّ ، عن سَمْع الدعاء نها كما
أقيم على قبريكما لست بارحا . . . . البيت
وأبكيكما طول الحياة وما الذى . . . . البيت

قال ياقوت « راوند : بُليدة قرب قاشان وأصفهان ، قال حمزة : أصلها راهاوند ، ومعناها الخير المضاعف . قال بعضهم : وراوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الأكبر بن بيوراسف(٢) الضحاك » . انتهى .

وخُزاق بضم الخاء وبالزاى(٣) المعجمتين وآخره قاف : موضع فى سواد أصفَهان . كذا فى المعجم لأبى عبيد ؛ وأنشد هذا البيت . ورأيت فى هامشه بخط من يوثق به : خزاق اسم قرية من قرى راوَند من أعمال أصفهان . والجُثا بضم الجيم وبالثاء المثلثة : جمع جثوة مثلثة الجيم ، وهى الحجارة المجموعة ،

(١) التكملة من ياقوت
(٢) ط : « هراسف » ش : « شراسف » . قال الميمنى : « والصواب كما فى معجم البلدان : « بيوراسف . وأصله بالفارسية بِيوَرْ أَسْب »
(٣) فى النسختين : « والزاى » . والتصحيح لأحمد تيمور .

والجسد . والدِّهقان معرّب دِهجان[1] ومعناه رئيس القرية ؛ وفى القاموس : الدهقان بالكسر والضم زعيم فلاّحى العجم ، ورئيس الإقليم ، معرّب . وقوله « ألم تعلما مالى . . الخ » ما : نافية ، قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « استعملها بعد العِلم وهى مقتضية لمفعولَيها لِما دخلها من معنى القسم ، فكأنه قال : والله مالى براوند من صديق غيركما وجاز استعمال العِلم فى موضع القَسَم من حيث كانا مثبِتين مؤكِّدين » انتهى .

قس ابن ساعدة

و(قس بن ساعدة) إيادىّ بكسر الهمزة ، وإياد : حىٌّ من معدّ بن عدنان . قال الذهبيّ : قس بن ساعدة أورده ابن شاهين وعبدان فى الصحابة . وكذلك قال ابن حجر فى الإصابة : ذكره أبو على بن السكن وابن شاهين وعبدان المروَزىّ وأبو موسى فى الصحابة ، وصرح ابن السكن بأنه مات قبل البعثة .

وفى سيرة ابن سيِّد الناس[2] بسنده إلى ابن عباس قال : قدم الجارود ابن عبد الله ، وكان سيِّدا فى قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى بعثكَ بالحقّ لقد وجدتُ صفتَك فى الإنجيل ، ولقد بشَّر بك ابنُ البَتول ؛ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّك محمد رسول الله . قال : فآمن الجارود وآمن من قومه كلُّ سيِّد . فسُرّ النبى صلى الله عليه وسلم بهم ، وقال : يا جارود ، هل فى جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً ؟ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا من بين [يدى[3]] القوم كنت أقفو أثره ،

(١) أصله بالفارسية « دِهكان » بالكاف الفارسية كما فى معجم استبنجاس ٥٤٩

(٢) سيرة ابن سيد الناس ١ : ٦٩

(٣) التكملة من سيرة ابن سيد الناس

٢٦٨ كان من أسباط العرب(١) فصيحا ، عمّر سبعمائة سنة ، أدرك من الحواريِّين سِمعان ، فهو أوّل من تألّه من العرب ـ أى تعبَّد ـ كأنى أنظر إليه يقسم بالربّ الذى هو له لَيَبلُغَنَّ الكتابُ أجلَه وليوَفَّيَنّ كلّ عامل عمله ؛ ثم أنشأ يقول :

هاج للقلبِ من جواه ادّكارُ ولیالٍ خلالَهن نهارُ

فى أبيات آخرها :

والذى قد ذكرتُ دلّ على الله نفوساً لها هدىً واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رِسلك يا جارود ، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أوْرق ، وهو يتكلم بكلام ما أظن أنى أحفظه . فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، فإنى أحفظه : كنت حاضراً ذلك اليومَ بسوق عكاظ فقال فى خطبته : يا أيها الناس اسمعوا وعوا ، فإذا وعيتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ما هو آت آت . . إلى آخر ما أورده من الوعظ . انتهى .

والذى فى كتاب المعمّرين لأبى حاتم السجستانى : عاش قس بن ساعدة ثلثمائة وثمانين سنة وقد أدرك نبيَّنا صلى الله عليه وسلم ، وسمع النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا ، وأول من قال أمّا بعد . وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب [من فلان(٢)] إلى فلان ابن فلان .

وقال المرزبانى : « ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة » .

---

(١) جمع سبط ، وهو الحسن القد .

(٢) التكملة من ش والمعمرين ٦٩.

وذكر الجاحظ فى البيان والتبيين[١] قساً وقومه وقال : إن له ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته . . وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه . وهذا شرف تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفّق الله ذلك لقسّ لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره الإخلاص ، وإيمانه بالبعث ومن ثَمّ كان قسّ خطيبَ العرب قاطبة .

وفى نسبه خلاف . فقيل : قس بن ساعدة بن حُذافة بن زفر[٢] (وقيل : حُذافة بن زُهر) بن إياد بن نزار . وقيل : هو قس بن ساعدة بن عمرو ابن عدى بن مالك بن ايدعان بن النمر بن واثلة بن الطشان[٣] بن عوذ بن مناة ابن يَقدُم بن أفصىٰ بن دُعمىّ بن إياد . وقيل : هو ابن ساعدة بن عمرو بن شمر ابن عدىّ بن مالك والله أعلم[٤] .

* * *

وأنشد بعده :

(أحقًّا بنى أبناءِ سَلمىٰ بن جَندل تهدُّدُكم إيایَ وسْط المجالسِ)

(١) هذا النقل تبع فيه البغدادى ما ذكره ابن حجر فى الاصابة فى ترجمة (قس) حرفا بحرف . وهو متصرف فيه كثيرا . انظر البيان ١ : ٥٢

(٢) هذا النسب من المعمرين . وفى الاصابة : « بن جذامة بن زفر » .

(٣) وهذا النسب من الأغانى ، وفيها : « واثله بن الطمثان بن زيد مناة بن تهدم » . الخ

(٤) فى الاشتقاق ١٦٩ : « واياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد ، فألحت عليهم الفرس فى الغارة فدخلوا الروم فتنصروا وجهل الناس أنسابهم » .

على أن (حقًّا) ظرف منصوب بتقدير (في)

وتقدم شرحه في الشاهد الرابع والستين من باب المبتدإ(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٩٣ (دعوتُ لِما نابنى مِسوَراً فلَبَّىْ ؛ فلَبَّيْ يدَىْ مِسوَرِ)

على أن (لبّيك) مثنًّى عند سيبويه لا مفرد كلدىٰ قلبت ألفها ياء لمّا أضيفت إلى المضمر ، خلافاً ليونس ، بدليل بقاء يائها مضافة إلى الظاهر كما في هذا البيت .

أما الأوّل فقد قال أبو حيان في الارتشاف : ذهب الخليل وسيبويه ٢٦٩
والجمهور إلى أن لبّيك تثنية لبّ . وحكى سيبويه عن بعض العرب لبٍّ على أنه مفرد لبّيك غير أنه مبنيّ على الكسر كأمس ، وعلّق لقلّة تمكّنه ، ونصبه نصب المصدر كأنه قال : إجابةً . وزعم ابنُ مالك أنه اسم فعل . وهو فاسد لإضافته ؛ ويضاف إلى الظاهر تقول : لَبَّيْ زيد ، وإلى ضمير الغائب قالوا : لبَّيه . ودعوى الشذوذ فيهما باطلة . انتهى .

وهذا مخالف لما قاله ابن هشام في المغني : أن شرط مجرور لَبَّيْ وسعدَيْ وحنانَيْ(٣) ضمير الخطاب ، وشذّ :

(١) أنظر ما مضى ص ٤٠١ من الجزء الأول

(٢) سيبويه ١ : ١٧٦ وانظر العيني ٣ : ٣٨١ وابن الشجرى ١ : ١١٩ وشرح شواهد المغني للسيوطى ٣٠٧ واللسان (لبب ٢٢٧)

(٣) ش مع أثر تصحيح : « وحنانا » ، وليس بشيء .

دعونى فيالَبَّىْ إذا هدرتْ لهم شقاشقُ أقوامٍ فأسكتها بَدْرِى(١)

لعدم الإضافة(٢)، ونحو :

* لقلتُ لبَّيه لِمن يدعونى *

لإضافته إلى ضمير الغيبة، كما شذَّ إضافته إلى الظاهر فى قوله :

* فلبَّىْ فلبَّىْ يدَىْ مِسوَر *

وأمّا (الثانى) فهو اسم مفرد مقصور عند يونس . قال ابن جنّي فى سرّ الصناعة : « أصله عنده لَبَبٌ ووزنه فَعْلَلٌ ، ولا يجوز أن تحمله على فَعَلّ لقلّة فَعَلّ فى الـكلام وكثرة فَعْلَل ، فقُلبت الباء التى هى اللام الثانية من لَبَب ياء هرباً من التضعيف ، فصار لَبَيْ ، ثم أبدل الياء ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها فصارت لبّا ثم إنّها لما وصلت بالـكاف فى لبّيك وبالهاء فى لبّيه قلبت الألف ياء ، كما قلبت فى علىَ ولدَى إذا وَصلتها بالضمير ، ووجه الشبه بينهما : انه اسم ليس له تصرُّفُ غيرِه من الأسماء ، لأنه لا يكون إلاّ منصوباً

(١) جعلت فى ش مع أثر تصحيح « هدرى » ، وهما روايتان . ومن عجب أن الشنقيطى فى نسخته من شرح شواهد المغنى للبغدادى ٢ : ٨٨١ نسخة دار الكتب رقم ٢ نحو ش يصححها أيضا بهذا الرسم مع أن البغدادى يقول فى تفسيرها هناك : « وبدرى : مبادرى ومسارعتى لأدفع عنهم » .

(٢) أقول : فيه نظر ، فان الذى يفهم من سياق كلام ابن هشام أن ذلك شاذ لاضافته الى ضمير المتكلم ، كما أن البيت الآتى شاذ لاضافته الى ضمير الغيبة ، وهما خلاف ضمير الخطاب . وقد صرح الأمير وكذا الدسوقى فى حاشيتيهما على المغنى بأنه مضاف الى ياء المتكلم . وقال الدسوقى : الذال ساكنة ، ووقعت فى النسخ « اذا » بفتح الذال . فصدر البيت عندهما هكذا :

* دعونى فيالَبَّىَّ إذْ هدرتْ لهم *

ولا يكون إلا مضافاً ، كما أنّ إليك وعليك ولديك لا تكون إلاّ منصوبة المواضع ملازمة للإضافة ، فقلبوا ألفه ياء فقالوا : لبَّيك[١] كما قالوا : عليك . ونظير هذا كلا وكلتا فى قلب ألفهما ياء متى اتصلت بضمير وكانت فى موضع نصب أو جر ، ولم يقلبوا الألف فى موضع الرفع ياء لأنَّهما بعُدَا برفعهما عن شبه عليك ولديك ، إذْ كان لا حظّ لهنّ فى الرفع . واحتجّ سيبويه على يونس فقال : لو كانت ياء إليك بمنزلة ياء عليك ولديك لوجب متى أضفتها إلى المظهر أن تقرّها ألفاً ، فلبّيْ فى هذا البيت بالياء مع إضافته إلى المظهر دلالة على أنه اسم مثنّي » .

وأجاب ابن جنّي فى المحتسب : بأن من العرب من يبدل ألف المقصور فى الوقف ياء فيقول : هذه عَصَيْ ورأيت حُبْلَيْ ، ومنهم من يبدلها واواً فيه أيضا فيقول : هذه عصَوْ وحُبلَوْ ، وفى الوصل أيضا نحو هذه حُبلَوْ يا فتيٰ ، ومنه قراءة الحسن : (يومَ يُدْعَوْ كُلُّ أُناسٍ) بضم الياء وفتح العين . وعلى هذا التخريج يسقط قول سيبويه عن يونس . قال أبو عليّ : يمكن يونسَ أن يقول : إنه أجرى الوصل مُجرىٰ الوقف ، فكما يقول فى الوقف : عَصَيْ وفتَيْ ، كذلك قال : فلبَّيْ ، ثم وصل على ذلك . هذا ما قاله أبو عليّ . وعليه يقال : كيف يحسن تقدير الوقف على المضاف دون المضاف إليه ؟ وجوابه أن ذلك قد جاء ، أنشد أبو زيد :

* ضَخمُ نِجارى طيِّبُ عُنصُرِّى *

أراد عنصرى ، فثقّل الراء لنيّة الوقف ثم أطلق ياء الإضافة من بعد .

---

(١) فى النسختين : « اليك » ، صوابه من سر الصناعة مخطوطة دار الكتب ١٢٠ لغة

وإذا جاز هذا التوهُّم مع أن المضاف إليه مضمر ، والمضمر المجرور لا يجوز تصوّر انفصاله ، فجوازه مع المظهر أولىٰ ، من حيث كان المظهر أقوىٰ من المضمر . ومثله قوله :

* ياليتها قد خرجتْ مِن فمهٍ *

أراد : من فمِهِ ، ثم نوى الوقف علىَ الميم فنقّلها على حدّ قولهم فى الوقف: هذا خالدّ وهو يجعلّ ، ثم أضاف على ذلك . ويروىٰ : من فَمّهُ بضم الميم أيضا ، ٢٧٠
وفيه أكثر من هذا . انتهى .

فوزن لبّيك عندهما(١) فعلَيك ، وعند يونس فَعْلَلَكَ .

واعلم أنّ الشارح جوّز أن يكون أصل لبيك إمّا « إلبابَيْنِ » [حذف(٢) منه] الزوائد وإمّا مِن لبّ بالمكان بمعنى أقام ، فلا حذف . وينبغى أن يكون المأخوذ منه هذا ، فإنه لا تكلّف فيه ، وفعله ووصفه ثابت ، أما الفعل فقد روىٰ المفضّل بن سلمة فى الفاخر : أنه يقال : لبّ بالمكان : إذا أقام فيه . وأنشد قول الراجز :

* لبَّ بأرض ماتخطّاها الغنم(٣) *

وأما الوصف فقد قال صاحب الصحاح : ورجل لَبٌّ أى لازم للأمر ، وأنشد :

* لَبًّا بأعجاز المطىّ لاحقا *

---

(١) يعنى الخليل وسيبويه .
(٢) هاتان من ط ، وقد سقطتا من ش دون تبييض.
(٣) الشطر فى اللسان (لبب ٢٢٧ س ٥) والفاخر ٤ بدون نسبة فيهما .

ورجل لبيب مثل لَبّ قال :

فقلت لها فِيئى إليكِ فإنَّني حرامٌ وإنى بعد ذاك لبيب[١]

وقيل : هو بمعنى مُلَبٍّ بالحج ، من التلبية و : حرام بمعنى مُحرِم ، و : بعد ذاك أى مع ذاك . وقيل : إنه مأخوذ من قولهم : دارى تلُبُّ دارك أى تقابلها ؛ فيكون معناه : اتجاهى إليك وإقبالى عليك . حكاهما المفضّل فى الفاخر ، وأسند أوّلها إلى الخليل عن أبى عبيد . وقيل : معناه إخلاصى لك، من قولهم : حسبٌ لُباب .

واختلف فى « كاف » لبّيك ، فقال أبو حيّان فى الارتشاف : وهى فى لبيك وسعديك وحنانيك الواقع موقعَ الذى هو خبر ، فى موضع المفعول ؛ وفى دواليك وهذاذيك وحنانيك إذا وقعت موقعَ الطلب ، فى موضع الفاعل . وذهب الأعلم إلى أن الكاف حرف خطاب فلا موضع لها من الإعراب. وحذفت النون لشبه الإضافة . ويجوز استعمال لبّيك وحده ، وأما سعديك فلا يستعمل إلاّ تابعا للبّيك . انتهى .

وقوله فى البيت (فلبّىٰ) هو فعل ماض ، من التلبية ، وفاعله الضمير العائد إلى (مِسوَر) قال الشارح المحقق « وأما قولهم : لبّىٰ يلبّي فهو مشتقّ من لبّيك ، لأن معنى لبّىٰ : قال لبيك ، كما أن معنى سبّح وسلّم وبسمل : قال سبحان الله ، وسلام عليك ، وبسم الله » .

وهذا مأخوذ من سر الصناعة لابن جنّي فإنه قال : « فأما حقيقة لبّيت عند أهل الصنعة فليس أصلُ يائه باء ؛ وإنما الياء فى لبّيت هى الياء فى قولهم :

(١) للمضرب بن كعب ، أو المخبل السعدى . اللسان (لبب ٢٢٦) وأمالى القالى ٢ : ١٧١ وشروح سقط الزند ١١٤٣

لبّيك وسعديك ، اشتقّوا من الصّوت فعلا مجمّعا من حروفه ؛ كما قالوا من سبحان الله : سبّحت ، أى قلت سبحان الله ؛ ومن لا إله إلا الله : هلّلت ، ومن لا حول ولا قوّة إلا بالله : [حوقلت و(١)] حولقت ؛ ومن بسم الله : بسملت ؛ ومن هلمّ ـ وهو مركب من ها ولمّ عندنا وهلْ وأمَّ عند البغداديين ـ فقالوا : هلممْت . وكتب إلى أبو علىّ فى شىء سألته عنه قال : قال بعضهم: سألتك حاجة فلالَيْتَ لى، أى قلت لى: لا، وسألتك حاجة فلو لَيتَ لى ، أى قلت لى : لولا ، وقالوا : بأبأ الصبيُّ أباه أى قال له بابا . وكذلك اشتقّوا أيضا لبّيت من لفظ لبّيك فجاؤوا فى لبّيت بالياء التى للتثنية » .

ثم قال ابن جنى : « وقولُ من قال : إن لبّيت بالحج إنما هو من قولنا ألبّ بالمكان ، إلى قول يونس أقربُ منه إلى قول سيبويه . ألا ترى أن الياء فى لبّيك عند يونس(٢) إنما هى بدل من الألف المبدلةِ من الياء المبدلة من الباء الثالثة فى لبّب » . انتهى .

وعندى أن التلبية من مادّة معتلّة غير مادّة المضاعف ؛ ونظائره كثيرة مثل صرّ وصرّى ؛ فإن لبّي غير منحصر معناه فى قال لبّيك ، بل يأتى بمعنى أقام ، ولازمَ مثل ألبّ بالمكان ، قال طُفيل الغَنَوىّ ، أنشده المفضّل ٢٧١
فى الفاخر :

رددنَ حصيناً من عدىٍّ ورهطِه وتيم تلبِّي فى العروج وتَحلُب(٣)

أى تلازمها وتقيم بها .

(١) التكملة من سر الصناعة
(٢) ط : « عند سيبويه » ، وأثبت ما فى ش
(٣) الفاخر ص ٤٠ والعروج : جمع عرج بالفتح ، للقطيع من الابل

وقوله (لما نابنى) اللام للتعليل . واستشهد به صاحب الكشّاف على أن اللام فى قوله تعالى : (يدعُوكُمْ ليَغْفِرَ لَكُم(١)) تعليليّة كما فى هذا البيت . و (مِسوَر) بكسر الميم : اسم رجل . والفاء الأولى عطفت جملة لبّى على جملة دعوت ، والثانية سببية ومدخولها جملة دعائيّة ؛ يقول : دعوتُ مِسوراً لدفع ما نابنى فأجابنى ، أجاب الله دعاءه !

قال الشاطبيّ فى شرح الألفيّة : روى فى بعض الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا دعا أحدُكم أخاه فقال لبّيك فلا يقولَنّ لَبَّيْ يديك ، وليقلْ أجابك الله بما تحبّ » . وهذا يشعِر بأنّ عادة العرب إذا دعت فأجيبت بلبّيك أن تقول : لَبَّيْ يديك ؛ فنهىٰ عليه الصلاة والسلام عن هذا القول وعوّض منه كلاماً حَسَناً .

وقال الأعلم : « يقول : دعوت مِسوراً لدفع نائبة نابتنى فأجابنى بالعطاء فيها وكفانى مُؤنتها . وكأنه سأله فى دِية . وإنما لبّى يديه لأنهما الدافعتان إليه ما سأله منه ؛ فخصهما بالتلبية لذلك » .

وهذا البيت من الأبيات الخمسين التى لا يُعرف لها قائل . وقريبٌ منه هذا البيت وهو :

دعوت فتًى أجاب فتًى دعاه   بلبَّيهِ أشمُّ شَمَرْدَلِيّ(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون ، وهو من أبيات س(٣) :

(١) الآية ١٠ من سورة ابراهيم .

(٢) ط : « سمردلى » صوابه فى ش والحماسة ١٨١٧ بشرح المرزوقى . والشمردل : الطويل .

(٣) سيبويه ١ : ١٧٥ . وانظر العينى ٣ : ٤٠١ والخصائص ٣ : ٤٥ والهمع ١ : ١٨٩ والمخصص ١٣ : ٢٣٢ وابن يعيش ١ : ١١٩ ومجالس ثعلب ١٥٧ .

٩٤ (إذا شُقَّ بُرْدٌ شُقَّ بالبُردِ مثلُه دَواليكَ حتّى كُلُّنا غيرُ لابسِ[1])

على أن (دواليك) منصوب بعامل محذوف .

قال : يقال دواليك أى تداوَلِ الأمر[2] دوَالَين ، ظاهره أنّ دواليك بدل من فعل الأمر . وليس كذلك كما يعلم مما سيأتى .

اعلم أنّ دوالين مثنى دوال ، والدِوال بالكسر : مصدر داولت الشىء مداولة ودوالاً ، وبالفتح : اسم مصدر . ورُوى بالوجهين ما أنشده أبو زيد فى نوادره[3] لضباب بن سُبيع بن عوف الحنظلىّ :

جزَونى بما ربّيتهم وحملتهم كذلك ما أنّ الخطوبَ دِوالُ

والتداول : حصول الشىء فى يدِ هذا تارة وفى يد ذاك أُخرى ، والاسم الدولة بفتح الدال وضمّها ، ومنهم من يقول : الدولة بالضم فى المال وبالفتح فى الحرب ، ودالت الأيام مثل دارت وزناً ومعنى . و (دواليك) معناه مداوَلة بعد مداوَلة ، وثنّي لأنه فعل اثنين . قال الشاطبيّ : ولا تجوز إضافته إلى الظاهر ، لا تقول : دوالَى زيد . وقال الأعلم : الكاف للخطاب ولذلك لم يتعرّف بها ما قبلها .

وأنشد سيبويه هذا البيت على أن دواليك مصدر وضع موضع الحال .

---

(١) اغفل هذا الشاهد فى طبعة شرح الرضى للكافية سنة ١٢٧٥ . انظر ١ : ١١٤ س ٦ وتختلف الرواية فى قافيته ، فيروى أيضا : « ليس للبرد لابس » ، كما عند سيبويه وغيره فيكون رويه مرفوعا .

(٢) ط : «تدوّل» مع تشديد الواو ، وفى ش : « تدول » من غير شد ، وأثبت ما فى شرح الرضى ١ : ١١٤

(٣) النوادر ص ١١٥

ودلّ قوله : إذا شُقّ برد ، على الفعل الذى نصَب دواليك ، أى نشقّهما متداوِلَين ، بإضمار فعل له ولها يعمل فى دواليك . ورُوى :

(إذا شقّ بردٌ شقّ بالبرد بُرقُع)

يعنى أنه يشقّ برقعها وهى تشقّ برده . ومعناه : أن العرب يزعمون أنّ المتحابين إذا شقّ كلٌّ واحد منهما ثوبَ صاحبه دامت مودّتهما ولم تفسد[1] . وقال أبو عبيدة : كان من شأن العرب إذا تجالسوا مع الفتَيات للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب لشدّة المعالجة عن إبداء المحاسن . وقيل : إنما يفعلون ٢٧٢
ذلك ليذكر كلٌّ واحد منهما صاحبه به . وقال العينىّ : كانت عادة العرب فى الجاهلية أن يلبس كلٌّ واحد من الزوجين بُرد الآخَر ، ثم يتداولان على تخريقه حتى لايبقىٰ فيه لبس ، طلباً لتأكيد المودّة . وقال الجوهرىّ : يزعم النساء إذا شقّ أحدُ الزوجين عند البِضاع شيئاً من ثوب صاحبه دام الودُّ بينهما ، وإلاّ تهاجَرا .

و (شُقّ) فى الموضعين بالبناء للمفعول ، وبردٌ ومثلُه : نائبا الفاعل ، والباء للمقابلة . والبُرد : الثوب من أىّ شىء كان ، وقال أبو حاتم : لايقال له برد حتّى يكون فيه وَشى ، ، فإن كان من صوف فهو بُردة . وحتّى ابتدائية وكلّنا مبتدأ ، وغيرلابس خبره . وروىٰ العينىّ : (ليس َللبرد لابِسُ) كصاحب الصحاح . وهو غير صحيح ، فإن القوافى مجرورة . وأثبت صاحب الصحاح (هذاذَيك) موضع (دواليك)[2] والصواب ماذكرنا . وأنشده سيبويه أيضاً كصاحب الصحاح ، فيكون فيه إقواء .

---

(١) انظر لشق الثياب ما ورد فى صبح الأعشى ١ : ٤٠٧ ونهاية الأرب ٣ : ١٢٦ وابن أبى الحديد ٤ : ٤٤١ .

(٢) وذلك فى مادة (هذذ) . ورواه أخرى فى (دول) برواية سيبويه .

وهذا البيت من قصيدة لسُحَيم عبدِ بنى الحَسحاس . وأولها :

أبيات الشاهد

(كأنّ الصُّبيريّاتِ يوم لقِيننا ظِباءٌ حَنتْ أعناقَها للمَكانِسِ

وهُنّ بنات القوم إن يشعروا بنا يكنْ فى ثياب القوم إحدى الدّهارس)(١)

وقبل البيت الشاهد :

(فكمْ قد شَقَقْنا من رداء منيَّر على طفلةٍ ممكورة غير عانس)

قال ابن السيد : أراد بالصبيريّات نساء بنى صُبيرة بن يربوع(٢). وحَنت: أمالت . والمكانس : جمع مَكنِس بمعنى الكناس ، وهو موضع الظباء فى الشجر يكتنّ فيه ويستتر ، وكنَس الظبى يكنِس بالكسر . والدّهارس بفتح الدال : الدواهى ، جمع دَهْرَس كجعفر ، والدهاريس جمع الجمع . والرداء المنيَّر : الذى له نِير بالكسر ، وهو علَم الثوب . وجارية طَفْلة بفتح الطاء أى ناعمة . والمناسب لقوله غيرعانس أن يكون طِفلة بكسر الطاء . والممكورة : المطويّة الخلْق من النساء ، يقال : امرأة ممكورة الساقَين أى جدلاء مفتولة . وقال ابن السيد : الممكورة : الطويلة الخلْق . والعانس بالنون ، فى الصحاح : « عنَست الجارية تعنُس عنوسا وعِناسا فهى عانس ، وذلك إذا طال مكثُها فى منازل أهلها(٣) بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار ، وهذا مالم تتزوّج فإن تزوّجت مرة فلا يقال عنست » . يقول : إذا شقّ هؤلاء

(١) ط : « ثبات » ، صوابه فى ش . وفى الديوان ١٥ والعينى : « يكن فى بنات القوم » وفى أمالى الزجاجى ١٣١ : « يكن بنات القوم »

(٢) فى النسختين : « صبيرة » ، صوابه فى الاشتقاق ٢٢١ وجمهرة انساب العرب ٢٢٤ والعينى .

(٣) فى الصحاح : « منزل أهلها »

النساء اللاتى يلعبن معى بُردى شققت أنا أيضا أرديتَهن وبراقعَهُنّ حتى نَعرَى جميعا . ومثل هذا قول رجل من بنى أسد :

كأنّ ثيابى نازعتْ شَوكَ عُرفُط

ترى الثوبَ لم يَخلُق وقد شُقَّ جانبُهْ

ترجمة سحيم و (سُحيمُ عبدُ بنى الحسحاس) من المخضرمين : قد أدرك الجاهلية والإسلام . ولا يعرف له صُحبة . وكان أسودَ شديدَ السواد . وبنو الحسحاس ، قال ابن هشام فى السيرة : هم من بنى أسد بن خزيمة ؛ والحسحاس بمهملات هو ابن نفاثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس . ومن شعر سحيم :

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرّة كرماً أو أسودَ اللون إنّى أبيضُ الخُلُقِ

٢٧٣ وله القصيدة المشهورة التى مطلعها (وهو من شواهد مغنى اللبيب) :

عُميرَةَ ودِّعْ إن تجهَّزْتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

قال المبرِّد فى الكامل : « وكان عبد بنى الحسحاس يرتضخ لُكنةً حبشيَّة ، فلما أنشد عمرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه هذا المطلع قال له عمر : لو كنتَ قدَّمت الإسلامَ على الشيب لأجزتُك . فقال سُحيم :ما سَعَرت — يريد ما شَعَرت » .

وفى الأغانى للأصبَهانىّ من طريق أبى عبيدة قال : كان سحيم أسود أعجمياً أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تمثّل النبى صلى الله عليه وسلم من شعره[1] روى المرزُبانىّ فى ترجمته ، والدِينَوَرىّ فى المجالسة ، من طريق

(١) النص فى الأغانى ٢٠ : ٢ : « ويقال انه تمثل بكلمات من شعره غير موزونة » . لكن البغدادى تابع ابن حجر فى الاصابة .

على بن زيد عن الحسن رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كفىٰ بالإسلام والشيب للمرء ناهيا ؛ فقال له أبو بكر رضى الله عنه إنما قال الشاعر :

* كفىٰ الشيب والإسلام للمرء ناهيا *

فأعادها النبي صلى الله عليه وسلم كالأوّل فقال أبو بكر : أشهد إنك لَرَسولُ الله ، (وما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغِى له) . وقال عمر بن شَبّة : قدم سُحيم بعد ذلك على عمر بن الخطاب فأنشده هذه القصيدة ، فقال له عمر : لو قدَّمت الإسلام لأجزتك .

وقتل سُحيم فى خلافة عثمان : قال ابن حجر فى الإصابة : يُقال: إن سبب قتله أن امرأةً من بنى الحسحاس أسرها بعضُ اليهود واستخصّها لنفسه وجعلها فى حِصن له ، فبلغ ذلك سحيما فأخذتْه الغَيْرة فما زال يتحيّل له حتّى تسوّر على اليهوديّ حصنه فقتله ، وخلّص المرأة فأوصلها إلى قومها ؛ فلقيتْه يوماً فقالت له : يا سُحيم ، والله لوددِت أنّى قدرت على مكافأتك على تخليصى من اليهودىّ ! فقال لها : والله إنكِ لقادرة على ذلك — عرّض لها بنفسها — فاستحيتْ وذهبتْ ، ثم لقيتْه مرة أخرى فعرّض لها بذلك فأطاعته ؛ فهوِيَها وطفِق يتغزّل فيها ، ففطِنوا له فقتلوه خشيةَ العار .

وقال ابن حبيب : أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قولَ سحيم عبد بنى الحسحاس :

الحمدُ للهِ حمداً لا انقطاعَ له ... فليس إحسانه عنّا بمقطوعِ

فقال : أحسنَ وصدق ، وإن الله يشكر مثل هذا ، ولَئنْ سدّد وقارب إنه لمن أهل الجنة . انتهى .

وقال اللخميّ فى شرحِ شواهد الجُمل : « اسم عبد بنى الحسحاس سُحيم ، وقيل اسمه حيّة ، ومولاه جندل بن مَعبد من بنى الحسحاس . وكان سحيم حبشيًّا أعجميّ اللسان ، ينشد الشعر ثم يقول : أهْشَنْتُ[1] والله ، يريد أحسنت والله وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفّان رضى الله عنه: إنى قد ابتعتُ لك غلاماً شاعراً حبشياً . فكتب إليه عثمان: لاحاجةَ لى به فارددْه ، فإنما قُصارىٰ أهلِ العبد الشاعر إنْ شبع أن يشبِّب بنسائهم وإن جاع أن يهجوَهم . فردّه عبد الله ، فاشتراه أبو معبد فكان كما قال عثمان ، رضى الله تعالى عنه : شبّب ببنته عميرة وأفحش وشَهرها . فحرقه بالنار . فمن ذلك قوله فيها :

أَلِكْني إليها عَمرَكَ اللهَ يافتيً ... بآيةِ ما جاءت إلينا تَهادِيا
وبِتنا ، وسادانا إلى علَجانة ... وحِقفٍ تَهادَاه الرياحُ تَهادِيا
وهبّتْ شَمَالٌ آخرَ الليلِ قُرّةٌ ... ولا ثوبَ إلاّ بُردُها ورِدائيا
٢٧٤ تُوسِّدُنى كفًا وتَثنى بمِعصَمٍ ... علىّ وتَحوى رجلَها من ورائيا[2]
فما زال بردى طيّباً من ثيابها ... إلى الحول حتىّ أنهج البرد باليا»

انتهى . ألِكْني إليها : معناه أبلغْ رسالتى إليها . والألوك : الرسالة . وعلَجانة : شجرة معروفة . والحِقف : ما تراكم من الرمل . والقُرة بالضم : البَرْد . وأنهج : أخلق .

وذكر محمد بن حبيب فى كتاب مَن قُتل من الشعراء[3] : أن سحيما كان

---

(١) هذا ما فى ش واضحا . وفى ط : « اهسنت » .
(٢) وكذا فى ديوانه ٢٠ وحماسة ابن الشجرى ١٦٠ . وفى السمط ٧٢١ : « وتحنو رجلها » .
(٣) انظره فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢٧٢

صاحِب تغزّل ، فاتّهمه مولاه بابنته ، فجلس له فى مكانٍ إذا رعى سحيم قالَ فيه[١] . فلما اضطجع تنفَّسَ الصُعَداء ثم قال :

يا ذِكرةً مالكَ فى الحاضر   تَذكُرها وأنت فى السادر
مِن كلِّ بيضاء لها كعثبٌ   مثل سَنام الرُّبَع المائرِ[٢]

فقال له سيّده — وظهر من موضعه الذى كان كمن فيه — : مالَك ؟ فلجلج فى منطقه . فلما رجع وهمّ على قتله خرجتْ إليه صاحبته فحدّثَتْه وأخبرتْه بما يرادُ به ؛ فقام ينفضُ بُرده ويعفّى أثره . فلما انطُلقَ به ليُقتل ضحكت امرأة كان بينه وبينها شىء[٣] فقال :

إنْ تضحكى منى فيارُبَّ ليلةٍ   تركتُكِ فيها كالقَباء المفرَّجِ

فلما قُدّم ليقتل قال :

شُدّوا وَثاقَ العبد لايغلبنْكُمُ   إنّ الحياة من الممات قريبُ[٤]
فلقدْ تحدَّر من جَبين فتاتكُم   عَرَقٌ على ظهر الفراش وطِيبُ[٥]

فقتل . انتهى .

(تتمة)

قال ابن السيد فى شرح شواهد الُجمل ، وتبعه ابن خلف : إن سحيما مصغر أسحم وهو الأسود تصغير ترخيم ، ويجوز أن يكون مصغر سحم وهو ضرب

(١) من القيلولة ، وهو نوم القائلة .

(٢) ط : «لها كفل» ، صوابه فى ش ونوادر المخطوطات . والربع : الفصيل ينتج فى الربيع . والمائر : المضطرب من كثرة شحمه .

(٣) فى نوادر المخطوطات : « كان بينه وبينها هوى شماته »

(٤) فى نوادر المخطوطات : « لا يفلتكم » ، وهو الوجه .

(٥) فى النوادر وفوات الوفيات ١ : ٢١٣ : « رطيب »

من النبات ، والأول أجود ، لأنه كان عبداً أسود . وأما الحسحاس فالأشبه أن يكون اسماً مرتجلاً مشتقاً من قولهم : حسحستُ الشِّواء : إذا أزلتَ عنه الجمر والرماد ، وقد يمكن أن يكون منقولا ، لأنهم قالوا : ذو الحسحاس ، لموضعٍ بعينه انتهى . قال فى الصحاح : والحسحاس : الرجل الجواد ، قال الراجز :

* مُحِبَّة الأَبْرام للحَسْحاس *

فهو قطعاً منقول منه . وقوله : من حسحست الشواء .. الخ قال فى الصحاح « وحسَّت اللحم وحسحسته بمعنًى : إذا جعلته على الجمر . . وحسَّت النار : إذا رددْتها بالعصا على خُبزة المَلّة أو الشواء من نواحيه لينضَج . ومن كلامهم : قالت الخُبزة : « لولا الحسّ ما باليت بالدَّسّ » . فكلامه لا يوافق شيئاً من هذا ، فتأمَّلْ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون وهو من أبيات سيبويه (١) :

٩٥ (ضرباً هَذاذيك وطَعناً وَخْضا)

على أن (هذاذيك) بمعنى أسرِعْ إسراعين ، أى ضرباً يقال فيه هذاذيك .

أراد أن هذاذيك بمعنى أسرعْ ، وأنه بدلٌ من فعل الأمر . ولا يخفى أنه بدل من الهذّ ، وهو فى جميع تصرفاته معناه السُّرعة فى القطع لا السرعة مطلقاً ، بل حكم اللِّحيانىّ فى نوادره أن الهذّ : القطع نفسُه . وأنشد هذا البيت . وكذلك صاحب القاموس ، قال : هذاذيك : قطعا بعد قطع .

(١) سيبويه ١ : ١٧٥ . وانظر العينى ٣ : ٣٩٩ وابن يعيش ١ : ١١٩ والهمع ١ : ١٨٩ ومجالس ثعلب ١٥٧ وأمالى الزجاجى ١٣٢ واللسان (هذذ ٥٤) والمخصص ٦ : ٨٨ ، ١٣/١٠٣ : ٢٣٣ وديوان العجاج ٥٤

وهذاذيك ليس بدلاً من فعل الأمر حتى يُحتاج إلى تقدير القول ليصحّ ٢٧٥
وقوعه وصفاً لما قبله ، بل معناه ضربا يهُذُّ هذاً بعد هذّ ، أي قطعاً سريعاً بعد قطعٍ سريعٍ ؛ فهوصفة بدون إضمار القول ؛ والأنسب تَهذّ به هذاً ، بالخطاب ليظهر كونه مضافاً لفاعله .

وجوّز شُرّاح أبيات سيبويه وأبيات الجمل أن يكون بدلا من قوله ضرباً ، وأن يكون حالا منه على ضعف .

وقال ابن هشام اللخميّ : وقيل : إن هذاذيك منصوب بإضمار فعل من لفظه ، وذلك الفعلُ فى موضع نصب على الصفة للضرب ، وذلك الضربُ منصوب بإضمار فعل من لفظه ؛ كأنه قال : تضربهم ضرباً يهُذّ اللحمَ هَذّاً بعد هذّ ، أو تطعنهم طعناً وخْضاً يردّدُ دماءهم فى أجوافهم . وقال ابن السِّيد : معنى ضربا هذاذيك : ضربا يَهذّك هذّاً بعد هذّ . وهذا عكس المعنى المراد ، كأنه ظن أن المصدر مضاف لمفعوله ؛ وليس كذلك .

وهذا البيت من أرجوزة للعجّاج مدح بها الحجّاج بن يوسف الثقفىّ ، عامَله الله بما يستحقّه ، وذكر فيها ابن الأشعث وأصحابَه . وقبله :

ارجوزة الشاهد

(تجزيهمُ بالطعن فرضاً فرضا وتارة يلقَون قرضاً قرضا
حتى تُقَضِّى الأجلَ المنْقضّا ضرباً هذاذيك وطعنا وخضاً
يُمضى إلى عاصى العُروق النُّحْضاَ)

وفيها يقول :

(جاءوا مُخِلِّينَ فلاقَوْا حَمضا طاغِينَ لا يزجر بعضٌ بعضا)

قوله : تجزيهم ، الخطاب للحجّاج ، والضمير المنصوب لابن الأشعث

وأصحابه ، متعدّ لمفعولين[١] ، يقال : جَزَاه الله خيراً . والطعن يكون بالرمح ، وفعله من باب قتل . والفرض بالفاء : الحزّ فى الشىء ، والثانى تأكيد للأول . والقرض بالقاف : القطع . وتُقضِّى بالبناء للفاعل والخطاب أيضا ، يقال قضّى حاجته بالتشديد كقضى بالتخفيف : أى أتمها . والمنقضّ : الساقط ، يقال انقضّ الجدار أى سقط ، وانقضّ الطائر : هوى فى طيرانه . أى يجازيهم إلى أن يتم أجلهم المنقضّ عليهم انقضاضَ الطير على صيده .

وقوله : (ضرباً هذاذيك) ، ضرباً إما منصوب بفعل محذوف أى تضربهم ضربا والجملة حال من فاعل تُقضِّى ، ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض أى بضرب . و (الوَخْض) بفتح الواو وسكون الخاء المعجمة : مصدر وخضه بمعنى طعنه من غير أن ينفذ من جوفه . يريد : إنك تضرب أعناقهم وتطعن فى أجوافهم . ويُمضى من الإمضاء ، يقال أمضيت الأمر : إذا أنفذته ، ومفعوله النحضَ ، وهو بفتح النون وسكون المهملة ، وهو اللحم . وعاصى العروق أى العروق العاصية . فى الصحاح : العاصى : العِرق الذى لا يرقأ . ومُخِلِّين : اسم فاعل مِن أخل إذا طلب الخُلّة بضم الخاء ، وهى من النبت ما هو حلو . والحَمْض بفتح المهملة وسكون الميم : ما مَلح وأمرّ من النبات كالأثل والطَّرفاء .

وترجمة العجّاج قد تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين[٢] .

* * *

(١) ش : « والجزاء الا أنه متعد لمفعولين » .

(٢) كذا . والصواب أنها فى الشاهد الخامس مع ترجمة ابنه رؤبة . انظر ص ٨٩ من الجزء الأول .

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والتسعون[١] :

٩٦ (جاءوا بمَذْقٍ هلْ رأيتَ الذئبَ قطّْ)

على أن قولهم : (هل رأيت . . الخ) وقعت صفة مَذق بتقدير القول، ٢٧٦
يعني أنّ الجملة التي تقع صفةً شرطها أن تكون خبرية ؛ لأنها في المعنى كالخبر عن الموصوف ؛ فجملة هل رأيت . . الخ ظاهرها أنَّها وقعت صفة لمذق مع أنها استفهامية، والاستفهام قِسم من الإنشاء . فأجاب بأن التحقيق أنَّها معمولة للصفة المحذوفة، أي بمذق مقولٍ فيه : هل رأيت ، أو يقول فيه من رآه هذا القول ونحوَه .

وهذا البيت قد كرّر الشارح إنشاده في هذا الكتاب ؛ فقد أورده في النعت ، وفي الموصول مرتين ، وفي أفعال القلوب ، وفي الحروف المشبَّهة بالفعل . ورواه الدينَوَريّ في النبات ، وابن قتيبة في أبيات المعاني ، والزجّاجيّ وابن الشجريّ في أماليهما :

* جاءوا بضَيح هل رأيتَ الذئب قط *

وقال الدينوريّ : نزل هذا الشاعر بقوم فقَرَوه ضَياحاً ، وهو اللبن الذي قد أُكثر عليه من الماء .

وقال ابن جني في المحتسب : « قوله هل رأيت الخ : جملة استفهاميّة إلا أنها في موضع وصف الضَّيح حملاً على معناها دون لفظها ؛ لأن الصفة ضرب

(١) العيني ٤ : ٦١ والانصاف ١١٥ والهمع ٢ : ١١٧ وشرح شواهد المغنى للسيوطي ٢١٤ والمعاني الكبير ٢٠٤ ، ٣٩٩ والكامل ٥١٨ وأمالي الزجاجي ٢٣٧ وابن الشجري ٢ : ١٤٩

من الخبر ، فكأنه قال : بضيح يشبه لون الذئب : والضيح هو اللبن المخلوط بالماء ، فهو يضرب إلى الخضرة والطُّلْسة » انتهى .

وأورده صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : (واتَّقُوا فِتنةً لا تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَموا(١)) ، على أنّ لا تصيبَنَّ صفةٌ لفتنة على إرادة القول كهذا البيت .

و (المَذْق) : اللبن الممزوج بالماء ، وهو يشبه لون الذئب لأن فيه غُبرة وكُدورة ؛ وأصله مصدر مذقت اللبن : إذا مزجتَه بالماء . و (قط) استعملت هنا مع الاستفهام مع أنها لا تستعمل إلاّ مع الماضى المنفى ، لأن الاستفهام أخو النفى فى أكثر الأحكام . لكن قال ابن مالك : قد تَرِد قطُّ فى الإثبات . واستشهَدَ له بما وقع فى حديث البخارىّ فى قوله : « قصَرْنا الصلاةَ فى السفر مع النبى صلى الله عليه وسلم أكثرَ ما كنا قطّ » . وأما قوله : جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قطُّ ، فلا شاهد فيه ، لأن الاستفهام أخو النفى . وهذا مما خفِىَ على كثير من النُّحاة . انتهى .

وتبعه الكَرْمانىّ عليه فى شرح هذا الحديث .

قال المبرِّد فى الكامل : « العرب تختصر التشبيه ، وربما أومأتْ به إيماء ، قال أحد الرُّجّاز :

(بتنا بحسّانَ ومِعزاهُ يَئِطْ(٢) مازلتُ أسعىٰ بينهم وألتبطْ
حتّي إذا كاد الظلامُ يختلِطْ جاؤا بمذقٍ هلْ رأيتَ الذئبَ قطْ)

يقول : فى لون الذئب . واللبنُ إذا اختلط بالماء ضرب إلى الغُبرة » انتهى .

(١) الآية ٢٥ من سورة الأنفال .

(٢) كذا فى النسختين : « يئط » وهى صحيحة على القول بأن ألف « معزى » للالحاق . وفى اللسان : « وقال الفراء : المعزى مؤنثة ، وبعضهم ذكرها » . والرواية الغالبة : « تئط » .

وبتنا : ماضٍ من المبيت ؛ فى المصباح : بات بموضع كذا أى صار بِهِ سواء كان فى ليل أو نهار ، وبات يفعل كذا : إذا فعله ليلاً ، ولا يقال بمعنى نام . وحسّان : اسم رجل ، ينصرف إن أخذ من الحسن ، ولا ينصرف إنْ كان من الحسّ بالتشديد . والمِعزىٰ من الغنم خلاف الضأن ، وهو اسم جنس ، وكذلك المَعْز ، والواحد ماعِز ، والأنثىٰ ماعزة وهى العنْز. قال سيبويه: « ألف مِعزىٰ للإلحاق بدرهم لا للتأنيث ، فهو منوّن مصروف بدليل تصغيره على مُعيْز ، فلو كانت للتأنيث لم يقلبوها ياء كما لم يقلبوها فى حبيلىٰ » ، وهو مضاف إلى ضمير حسّان . ويئطّ : مضارع أطّ أى صوّت جوفُه من الجوع ، والمصدر الأطيط ، كذا فى الصحاح ، ويأتى بمعنى تصويت الرَّحل والإبل من ثِقَل أحمالها ؛ وعليه اقتصر العينى ، ولا مناسبة له هنا . ورُوى بعده بيتان زيادة فى بعض الروايات وهما : ٢٧٧

* يلمس أُذنَه وحيناً يَمتخط[1] *

يقال : امتخط وتمخَّط أى استنثر ، وربما قالوا : امتخطَ ما فى يده : نزعه واختلسه ، كذا فى الصحاح .

* فى سَمَنٍ منه كثيرٍ وأقِط *

متعلق بقوله يمتخط . والسَّمْن بسكون الميم ، وفتحها هنا للضرورة . والأقِط : قال الأزهرى : اللبن المخيض يُطبخ ثم يترك حتى يَمصُل ؛ وهذا يدلّ على خسّته ودنسه .

(مازلت أسعىٰ بينهم وألتبِط)

---

(١) فى شرح شواهد المغنى : « تلحس أذنيه وحينا تمتخط » .

أعاد الضمير من بينهم إلى حسّان باعتبار حيِّه وقبيلته ؛ وأسعىٰ بينهم أى أتردّد إليهم ؛ وألتبط : أعدو ، يقال التبط البعير : إذا عدًا وضرب بقوائمه الأرض ؛ وتلبّط : اضطجع وتمرّغ . وروى بدله : و (أختبطْ) أى أسأل معروفهم من غير وسيلة ؛ وهذا يدل على كمال شحِّهم حيث كان ضيفاً عندهم لم يُشبعوه مع أنه يعرض لمعروفهم .

(حتَّى إذا كاد الظلامُ يختلط)

غاية لقوله أسعىٰ وألتبط . وكاد : قرب . وروى :

* حتى إذا جَنَّ الظلامُ واختلط *

يريد ستر الظلامُ كلَّ شىء . وصفَهم بالشحِّ وعدم إكرامهم الضيف ؛ وبالَغ فى أنهم لم يأتوا بما أتَوا به إلاّ بعد سعى ومُضىٍّ جانب من الليل ، ثم لم يأتوا إلا بلبنٍ أكثرُه ماء .

وهذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله . وقيل : قائله العجّاج والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه(١):

٩٧ (فقالتْ : حَنانٌ ، ما أَتىٰ بك هٰهنا

أذو نسبٍ أمْ أنتَ بالحىِّ عارفُ)

(١) سيبويه ١ : ١٧١ وعجزه فى ١ : ١٧٥ . وانظر العينى ١ : ٣٥٩ وابن يعيش ١ : ١١٨ والهمع ١ : ١٨٩

على أن (لبّيك ودواليك) ونحوهما ، مصادر لم تستعمل إلاّ للتكرير ، بخلاف (حنانيك) فإنه يستعمل حنان : يريد أن حنانيك لا يلزم أن يكون للتكرير ، بل قد يكون له وقد لا يكون ، بل قد استعمل مفرداً كما فى هذا البيت . ويزاد عليه (دواليك) أيضاً فإنه لا يلزم ، وقد استُعمل مفرده كما تقدّم قريباً[1] .

و (الحنان) الرحمة ، وهو مصدر حنّ يحِنّ بالكسر حناناً وتحنّن عليه : ترحّم ؛ والعرب تقول : حنانك يارَبّ ، وحنانيك بمعنًى واحد أى رحْمتَك ، كذا فى الصحاح . وقال ابن هشام فى شرح الشواهد تبعاً للفارسىّ فى التذكِرة القصْريّة : والأصل أتحنّنُ عليك تحنُّناً ، ثم حُذف الفعل وزوائدُ المصدر فصار حناناً . انتهى . وهذا تكلّف مع وجود حنّ يحِنّ .

وأنشده سيبويه على أن حناناً خبر مبتدأ محذوف ، أى شأنى حنان . والأصل أحِنّ حناناً فحذف الفعل ورفع المصدر على الخبرية لِتُفيد الجملةُ الاسمية الدوامَ : و (ما) استفهامية مبتدأ ، وجملة (أتى بك) خبره : ثم سألَتْه عن علّة مجيئه : هل هو نَسب بينه وبين قومها ، أو لمعرفة بينه وبينهم ؟ والمعنى : لأى شىء جئتَ إلى هنا ، ألك قرابة جئتَ إليهم ، أم لك معرفة بالحىّ ؟ والصواب (تقول) موضع (فقالت) .

وهذا البيت من جملة أبيات للمنذر بن دِرهَمَ الكلبىّ ، ذكرها أبو محمد الأعرابى فى فرحة الأديب ، وياقوت فى معجم البلدان عن أبى الندىٰ ، وهى : أبيات الشاهد

(سقى روضة المَثْرِىّ عنّا وأهلَها رُكامٌ سرىٰ من آخر الليل رادفَ
أمِنْ حبّ أمّ الأشْيَمين وذكرها فؤادُك معمودٌ له أو مقارف[2]

(١) انظر الشاهد ٩٤ ص ٩٩ من هذا الجزء

(٢) فى معجم البلدان (روضة المثرى) : « وحبها » مكان «وذكرها» ولعل صواب هذه : « وحيها » .

تمنَّيتُها حتى تمنيتُ أن أُرى مِن الوجد كلباً للوكيعَين آلف(١)
٢٧٨ أقول ومالى حاجةٌ فى تردّدى سواها بأهل الروض هل أنتَ عاطف(٢)
وأحدثُ عهدٍ من أمية نظرةٌ على جانب العلياء إذْ أنا واقف(٣)
تقول : حنان ما أتى بك هٰهنا أذو نَسبٍ أم أنتَ بالحىّ عارفُ !
فقلت لها : ذو حاجة ومسلِّمٌ فضُمَّ علينا المأزقُ المتضايفُ(٤))

قال ياقوت : روضة المثرِىّ بالثاء المثلّثة ويروى بالمثنّاة . وأراد بالوكيعين: الوكيعَ بن الطُّفيل الكلبيّ وابنهَ . انتهى .

والظاهر أن المثرىّ اسم رجل أضيفت الروضة إليه لكونه كان صاحبها ؛ وهو اسم مفعول من قولهم : ثرى الله القومَ أى كثَّرهم ، فالأصل مَثْرُوىٌ قلبت الواو ياء وأدغمت عملاً بالقاعدة . وأهلَها : معطوف على روضةَ . وركامٌ : فاعل سقىٰ ، وهو بضم الراء السحاب المتراكم بعضه على بعض . والرادف نعته ، ومعناه الراكب خلف الشىء ؛ يريد : سحائب مترادفة بعضها خلف بعض . وجملة سرى . . الخ نعتٌ لركام وصف بها قبل الوصف بالمفرد وقوله أمن حبّ ، الهمزة للاستفهام . والأشيمين : مثنّى أشيَم ، وهو الذى به شامة . والمعمود : السقيم ، يقال عمده المرضُ أى فدَحه ، ورجل معمود وعميد أى هدَّه العشق . ولَه : أى للحبّ والمقارف : المقارب ،

(١) فى معجم البلدان بعده : « وكيع بن أبى طفيل الكلبى وابنه » وهذا تفسير للوكيعين ، على سبيل التغليب .

(٢) فى النسختين : « بأهل الارض » ، صوابه فى معجم البلدان وفرحة الأديب ، مخطوطة دار الكتب رقم ٤٤٢١ وهى بخط البغدادى وفى المعجم : « حاجة هى تردنى » ، وكذلك هى فى احدى روايتى فرحة الأديب .

(٣) البيت محرف تحريفا شديدا فى معجم البلدان .

(٤) فى فرحة الأديب ومعجم البلدان : « فقلت أنا ذو حاجة ومسلم فضم » .

يقال: قارفه أى قاربه . وآلف : اسم فاعل من ألِف يألِف ألفة ، مبتدأ ، للوكيعين خبره ، والجملة صفة كلب . وقوله هل أنت عاطف مقول أقول ، وهو خطاب لصاحبه يطلب منه العطف فى الذهاب إلى حيها معه. وأحدث عهد أى أقرب ما أعهده وأحفظه ، وهو مبتدأ و نظرة خبره . والعَلياء بفتح العين: موضع ، وكل مكان عال مشرفٍ . والمسلِّم ، من التسليم بمعنى التحيّة . وصُمّ بالبناء للمفعول أى سُدّ علينا ، من الصَّم وهو انسداد الأذن ، وصَمّ القارورة أى سدّها وأصَمّها : جعل لها صِماما بالكسر وهو مايسدّ به فمها . والمأزِق بالهمز كمجلس : المضِيق ، من أزِق بالزاى المعجمة والقاف كفرح وضرب أزَقا وأزْقا[1] : ضاق . والمتضايِف : المجتمع الذى أضيف بعضه على بعض .

وممن نسب البيت الشاهدللمنذر بن درهم الكلبي، ابنُ خلف والزمخشرىّ فى شرح أبيات سيبويه وفى الكشاف ، استَشهد به على أن حنانا فى قوله تعالى (وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا[2]) بمعنى الرحمة . وذَكر معه البيت الذى قبله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون :

٩٨ (أرِضاً وذُؤْبانُ الخطوبُ تنوشُنى[3])

على أن (رِضاً) مصدر حذف فعله وجوباً للتوبيخ ، والأصل : أترضىٰ رضا فالهمزة للإنكار التوبيخى ، وهو يقتضى أنّ ما بعدها واقع وفاعلَه ملوم ، والواو واو الحال . و (الذؤبان) : جمع ذئب جمع كثرة ؛ و (الخطوب)

(١) فى النسختين : « وأزوقا » ، صوابه من القاموس .
(٢) الآية ١٣ من سورة مريم .
(٣) لم أجد له مرجعا .

جمع خَطب بالفتح ، وهو الأمر الشديد ينزل على الإنسان ، والإضافة من قبيل لجين المـاء ، أى المصائب التى كالذئاب . و (تنوشنى) مضارع ناشه نَوشا ، أى تناله وتصيبه . وجملة تنوشنى خبر المبتدأ الذى هو ذؤبان . والجملة الاسمية حال من فاعل الفعل المحذوف .

* * *

٢٧٩ وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه[١] .

٩٩ (فاها لِفيكَ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(فقلت له : فاها لِفيكَ ، فإنها قَلوصُ امرئٍ قاريكَ ما أنت حاذِرُهْ)

على أن (فاها لفيك) وضع موضع المصدر ، والأصل فوها لفيك ، فلما صارت الجملة بمعنى المصدر أى أصابته داهية ، أعرب الجزء الأول بإعراب المصدر فصار فاها لفيك . وقيل فاها منصوب بفعل محذوف أى جعل الله فا الداهية إلى فيك . ولهذا الوجه أنشدهُ سيبويه . قال الأعلم : « الشاهد فيه وله فاها لِفيك أى فم الداهية ، ونصبُه على إضمار فعل ، والتقدير : ألصق الله فاها لفيك وجعل فاها لفيك . ووضع موضع دهاك الله فلذلك لزم النصب لأنه بدل من اللفظ بالفعل فجرىٰ فى النصب مَجرى المصدر . وخصّ الفم فى هذا دون سائر الأعضاء ، لأن أكثر المتالف يكون منه بما يؤكل أو يشرب من السُّموم . ويقال : معناه فمُ الخيبة لفيك ، فمعناه على هذا خيّبك الله » .

---

(١) سيبويه ١ : ١٥٩ . وانظر نوادر أبى زيد ١٨٩ ، ١٩٠ وابن يعيش ١ : ١٢٢ والقالى ١ : ٢٣٦ والسمط ٥٣٩

ومثله لأبى زيد فى نوادره ، قال : « وإذا أراد الرجل أن يدعو على رجل قال : فاها لفيك [أى لك الخيبة(١)] » . قال الأخفش فيما كتبه على نوادره : « والذى أختاره ما فسّره الأصمعى وأبو عبيدة فإنهما قالا : معنىٰ قولهم فاها لفيك : ألصق الله فاهاً لفيك ، يعنون الداهيةَ والهَلَكة » .

والأول تقدير سيبويه ، وكلاهما صحيح .

وقوله : (فقلت له) أى لهَوّاس ، وهو الأسد . وقوله (فإنها) أى راحلتى و (القَلوص) : الناقة الشابة . وعنىٰ بامرئٍ نفسَه . وقوله (قاريك . . الخ) أى يجعل موضعَ قِراك وما يقوم لك مقام القِرىٰ ما أنت حاذرُه من الموت ، أى ليس لك قِرىً عندى غير القتل ، مثل قوله تعالى : (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

وقيل : يفسِّر فاها لفيك : أنَّ الشاعر لما غشِى الأسدَ ضربه ضربة واحدة فعضّ التراب فقال له : فاها لفيك يعنى فمَ الأرض .

قال سيبويه : والدليل على أنه يريد بقوله فاها فمَ الداهية قولُ عامر ابن جُوين الطائىّ :

وداهيةٍ من دَواهى المَنون يحسبَها الناسُ لاَ فَا لهَا
دفعت سَنَا برقها إذْ بدت(٢) وكنت على الجهد حمّالهَا

ومعنى لا فا لها : لا مدخل إلى معاناتها(٣) والتداوى منها ، أى هى داهية مشكلة والمنون : الموت . وفا : منصوب بلا ، واللامُ مقحمة والخبر محذوف

(١) التكملة من النوادر ١٨٩ . وبدونها لا يتضح معنى المثلية
(٢) ط : « رفعت » ، صوابه فى ش
(٣) ط : « معاياتها » ، صوابه فى ش

أى فى الدنيا أو فيما يعلمه الناس . والسَّنا هو الضوء ، يريد : أنه دفع شرَّها والتهابَ نارها حِين أقبلت ، وكان هو حمّال ثقلها .

أبيات الشاهد

والبيت الشاهد من أبيات أولها :

(تحسَّبَ هَوّاسٌ وأيقنَ أنّنى   بها مفتدٍ من واحدٍ لا أُغامرُه
ظَلِلْنا معاً جارَينِ نحترسُ الثَّأىٰ   يسائرنى ، مِن خَتله ، وأسائره)
فقلت له فاها لفيك .... البيت

تحسَّب بمعنى حسِب بالتخفيف ، وقيل : هو بمعنى تحسَّس ، يقال : فلان يتحسَّس الأخبار أى يتجسَّس ، وقيل : تحسَّب فى معنى حسِبته فتحسَّب مثل كفَيته فاكتفى ؛ قال النحّاس : معنى تحسَّب اكتفى . وكذلك قال الأخفش فيما كتبه على نوادر أبى زيد عن المبرد أنه قال : معنى تحسَّب اكتفىٰ ، من قولك حَسْبك ، كقوله تعالى : (عَطاء حِسابا) أى كافياً .
٢٨٠ وتقول العرب : ما أحسَبَكَ فهو لى مُحسِب ، أى ما كفاك فهو لى كاف . والهوّاس : الأسد . سمِّى هوّاسا لأنه يَهوُس الفريسة أى يدُقّها ، والهَوْس : الدقّ الخفىّ ؛ وقيل : الهوّاس : الذى يَطأ وطْئاً خفيّاً حتّى لا يشعر به .

قال السِّيرافى : معناه : أنه عرَض الأسدُ لناقة هذا الشاعر ؛ فحكىٰ عن الأسد أنّه توهم أننى أدع الناقة وأفتدى بها من لقاء الأسد ولا أغامره ولا أقاتله ولا أرِد معه غَمرات الحرب . والرواية : (تحسَّب هوّاس وأقبل) ، وروى أيضا (من صاحب لا أغاوِرُه) أى أغور عليه ويغُور علىَّ . وروى : (لا أناظره) . والثأىٰ بالمثلثة والهمز على وزن الفتىٰ : الخرم والفتق . والختل : المكر والخداع .

وهذه الأبيات ، قال الجرمىّ : هى لأبى سِدرَة الأعرابىّ . وقال أبو زيد فى نوادره : إنها لرجل من بنى الهُجيم . وهما شىء واحد ، قال أبو محمد الأعرابى فى فُرحة الأديب : « أبو سدرة هو سحيم بن الأعرف من بنى الهُجَيم ابن عمرو بن تميم . وله مقطّعات مليحة(١) منها قوله (فى حسّان بن سعيد عامل الحجّاج على البَحْرَين) :

إلى حسّانَ مِن أكناف نجد رَحَلْنا العِيسَ تَنفُخ فى بُراها
نعُدُّ قرابة ونعدُّ صِهراً ويَسعد بالقرابة مَن رعاها(٢)
فما جئناك من عُدم ولكنْ يَهشّ إلى الإمارة مَن رجاها
وأيًّا ما أتيتَ فإنَّ نفسى تَعدُّ صلاح نفسك من غِناها »

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء . وفيه وفى قبيلته يقول جرير :

وبنو الهُجيم قبيلة مذمومة صُفرُ اللِحىٰ متشابهو الألوانِ(٣)
لو يسمعون بأكلة أو شَربة بعُمان أصبح جمعُهم بعُمان

يريد : أنهم يوقدون البعر فتصفرُّ لحاهم بدخانه .

وهو شاعر إسلامىٌّ من معاصرى جرير والفرزدق .

---

(١) فى فرحة الأديب : « وله مقطعــات مليحة فى كتاب بنى الهجيم » .

(٢) ورد بعده فى النسختين :

وايــا مــا فعلت فــان نفسى تعد صــلاح نفســك من غنــاها

وهو تكرار للبيت الرابع مع شىء من التغيير ، وأثبت مافى فرحة الأديب والشعراء ٦٢٥

(٣) فى الشعراء : « حصى اللحى » . والأحص : المنجرد الشعر

المفعول به

أنشد فيه وهو الشاهد الموفى المائة ، وهو من أبيات سيبويه(١) :

١٠٠ (فواعِديه سَرْحَتى مالكٍ أو الرُّبا بينهما أسهَلا)

على أن (أسهلَ) مفعول لفعل محذوف ، وهو صفة وموصوفه محذوف أيضا ، أى قُولى : ائت مكانا أسهل .

هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة . ويفهم من تقدير الشارح : أن عشيقته أرسلت إليه امرأة تعيِّن له موضع الملاقاة ، وأمرتْها أن تواعدَه أحدَ هذينِ الموضعين . وكذلك قال ابن خلف : المعنى أنها قالت لأمَتِها : واعدِيه الليلة أن يقصِد السَّرْحتين ويلتمس مكانا سهلاً يقرب من ذلك الموضع ، لأنهما إذا علوا الرُّبا عُرف مكانُهما وشَنع أمرهما . لكن المفهوم من كلام الأعلم : أنه هو الذى أرسل إليها امرأة ، فإنه قال : نصب أسهلَ بإضمار فعل دل عليه ما قبله ، لأنه لما قال فواعديه سَرحتى مالك أو الربا بينهما ، علم أنه مزعج لها داعٍ إلى إتيان أحدهما . فكأنه قال : ائتى أسهلَ الأمرين عليك . ٢٨١

وكذلك نقل النحّاس عن المبرد أن التقدير : وأْتى أسهل المواضع ؛ لأنه لما قال : فواعديه ، أزعجها ، فكأنه قال : اقصدى به أسهل المواضع .

والصواب الأول كما يعلم من البيت الذى بعده ـ ويأتى قريبا ـ وقدّر المحذوفَ بعضُهم من لفظ المذكور ، أى واعديه مكانا أسهل . والمعنىٰ قريب .

(١) سيبويه ١ : ١٤٣ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٤٤ وديوان عمر بن أبى ربيعة ٣٤١

و (أسهل) : أفعل تفضيل من السهولة ضد الحُزونة ؛ وقد سهل بالضم . وتقدير الشارح كابن خلف أسهل من باب حذف المفضّل عليه أى أسهل منهما ، أصوَب من تقدير غيره المضافَ إليه أى أسهل الأمرين أو أسهل المواضع . قال ابن خلف : ويجوز أسهل أن يُعنيٰ به سَهِلا كما يقال : رجل أوجلُ ووَجِل ، وأحمق وحَمِق ، إن أراد أنه يكون وصفاً من السهولة ؛ فمجىء أفعل بمعنى فَعِل وصفاً بابُه السماع ولم يسمع ؛ وإن أراد أنه من السهل نقيض الجبل فلم يُسمع إلاَّ مكان سهل وأرض سهلة . ثم قال : « وقد قيل إنه يجوز أن يكون أسهل اسماً لموضع بعينه » .

أقول : قد فتّشت كتب اللغة وكتب أسماء الأماكن كمعجم ما استعجم ، ومعجم البلدان ، فلم أجد له ذكراً فيها .

والمواعدة : مفاعلة من الطرفين ؛ ووعد يتعدّىٰ بنفسه إلى واحد ، وإلى ثان بالباء ، وقد تحذف فينصب بنزع الخافض ؛ والفعل إذا كان متعدّيا إلى واحد فبنقله إلى باب المفاعلة يتعدّى إلى اثنين ، فالضمير فى واعديه مفعول أول و (سرحتَى مالك) المفعول الثانى بتقدير مضاف ، أى مكانَ سرحتى مالك . وليس سرحتَي مالك اسمَ مكان بل هما شجرتان لمالك . والسَّرحة : واحد السرح ، وهو كل شجر عظيم لا شوك له . والرُّبا : جمع ربوة بتثليث الراء ، وهو المكان المرتفع عما حوله ؛ وكانت الربا بين السرحتين .

وروى الأصبهانىّ فى الأغانى[1] البيتَ هكذا :

« سَلمىٰ عديه سَرحتَيْ مالك أو الرُّبا دونهما مَنزلا »

---

(١) الأغانى ٨: ١٤٤

فعليه فلا شاهد فيه ، ومنزلا إما بدل من الرُّبا أوحال منه ، وسلمىٰ منادى .

وبعد هذا البيت :

(إن جاء فليأتِ على بغلةٍ إنّى أخاف المُهرَ أن يَصهَلا)

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدمت فى الشاهد السابع والثمانين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد المائة :

١٠١ (كِلا طَرَفَىْ قَصْدِ الأُمورِ ذَميمُ)

على أن (القصد) فى الأمر خلاف القصور والإفراط ، فإنه يقال : قصَدَ فى الأمر قصدا : توسّط ، وطلب الأشدّ ولم يجاوز الحدّ . فالقصد فى الأمور له طرفان : أحدهما : القَصْر والتقصير ، وهما بمعنى التوانى فيه حتى يضيع ويفوت ؛ وكذلك الفرْط والتفريط ، فإنه يقال : فرَط فى الأمر فرْطا من باب نصر ، وفرّط تفريطاً ؛ وأما القصور فهو مصدر قصَرت عن الشىء من باب قعد : إذا عجزَت عنه ، وليس هذا من التفريط فى شىء . والطرف الآخر : الإفراط وهو مصدر أفرط فى الأمر : إذا أسرَف وجاوز فيه الحدّ . فكان
٢٨٢ ينبغى للشارح أن يقول : خلاف القصر أو التقصير والإفراط ، أو يقول : خلاف الفرْط أو التفريط والإفراط . والذميم بالمعجمة : المذموم .

وهذا المصراع عجز بيت ، وقبله :

أبيات الشاهد (عليك بأوساط الأمور فإنّها طريقٌ إلى نَهْجِ الصواب قويمُ

(١) انظر ما مضى فى ص ٣٢ من هذا الجزء

ولا تكُ فيها مفْرِطا أو مفرِّطا كلا طرفى قصدِ الأمور ذميمُ)

وهذا نظم للحديث ، وهو : « الجاهلُ إمّا مُفْرِطٌ أوْ مفرِّط » .

ولا أعلم قائل هذين البيتين ولا رأيتُهما إلاَّ فى كتاب العباب فى شرح أبيات الآداب (وكتاب الآداب : تأليف ابن سناء الملك بن شمس الخلافة ، وهو من كتب الأدب ، وقد اشتمل على أبيات ومصاريع كثيرة لغالب الشعراء المتقدِّمين والمتأخِّرين تنيف على ألفَىْ بيت. وقد نسَب كل بيت ومصراع فيه إلى قائله ، مع تتمّة الشعرِ حسنُ بن صالح العدوىّ اليمنىّ ، وسمّى تأليفه : العباب فى شرح أبيات الآداب) وكان المصراع الشاهدُ فى الأصل ، وكمّله بالمصاريع الثلاثة صاحب العباب . وقد ضمّنه أيضاً الإمام الخطابىّ فى نُتفة له وهى :

فسامِحْ ولا تستوفِ حقَّك كلَّه وأبقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمُ
ولا تَغلُ فى شىءٍ من الأمر واقتصدْ « كلا طرفى قصد الأمور ذميم »

و(الخطابى)هو الإمام أبو سليمان حَمْد[1] بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، من ولد زيد بن الخطّاب أخى عمر بن الخطاب ، صاحبُ كتاب معالم السنن وشرح البخارى وغير ذلك . وكان صديق أبى منصور الثعالبى ؛ وأورده فى كتاب يتيمة الدهر وأنشد له نُتَفا جيِّدة . وولد فى سنة تسع عشرة وثلثمائة ومات فى مدينة بُست فى رباط على شاطىء هِند مَنْد[2] يوم السبت السادس ترجمة الخطابى

(١) فى النسختين : « أحمد » . قال الميمنى : « وقد كثر هذا الغلط عند كل من ترجم له كالسمعانى ٢٠٣ واليتيمة ٤ : ٢٣١ . والصواب فى اسمه حمد بسكون الميم . راجع معجم الأدباء . وكان فى ذلك العصر من اسمه حمد . وترى فى أبى العلاء وما اليه ص ١٦٢ ترجمة ابن فورجه ، وهو محمد بن حمد » .

(٢) ط : « هيرمند » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن معجم البلدان والقاموس . وهندمند نهر تقع عليه مدينة بست .

عشر من ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وأنشد له الثعالبى فى اليتيمة :

وما غربة الإنسان فى شُقّة النوىٰ ولكنّها واللهِ فى عدَم الشَكلِ !
وإنى غريبٌ بين بُست وأهلِها وإن كان فيها أسرتى وبها أهلى !

وأنشد له أيضا(١) :

وليس اغترابى فى سِجِستان أننى عَدِمتُ بها الإخوانَ والدارَ والأهلا !(٢)
ولكنّني مالى بها مُشاكِل ، وإنَّ الغريبَ الفردَ مَن يعدِم الشَّكلا !

وأنشد أيضا :

شرُّ السباع العوادى دونه وَزَرٌ ، والناسُ شرُّهُم ما دونه وَزَرُ
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبُعٌ وما نرى بشراً لم يُؤذِه بشرُ

وأنشد أيضا :

ما دمتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهُمُ فإنّما أنت فى دار المداراة
من يدرِ دارىٰ : ومن لم يدرِ سوفَ يُرىٰ
عمّا قليل نديماً للنّدامات

وللثعالبىّ فيه :

أبا سليمان ، سِرْ فى الأرض أو فأقِمْ فأنت عندى دنا مثواك أو شطَنا
ما أنتَ غيرى فأخشىٰ أن يفارقنى قرّبت روحك بل روحى فأنت أنا ٢٨٣

(١) هذا سهو من البغدادى ، فان الذى فى اليتيمة : « وقد أخذ هذا المعنى عمر بن أبى عمر السجزى فقال » . وأنشد البيتين التاليين
(٢) فى النسختين . « غربت » ، صوابه من اليتيمة .

قال السِّلَفى : أنشدنى أبو منصور الثعالبى بنيسابور للخطابى[١] ، بقوله فى الثعالبى :

قلبي رهينٌ بنيسابورَ عند أخ   ما مثله حين تُستَقرىٰ البلادُ أخُ
له صحائفُ أخلاقٍ مهذبةٍ :   منها التقىٰ والنُّهى والحلم تنتسخ[٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد المائة ، وهو من شواهد س[٣] :

١٠٢ (جارِىَ ، لا تَستنــكِرِى عذيرى)
(سَيرى وإشفاقى على بَعيرِى)

على أن (العذير) هنا بمعنى الحال التى يُحاوِلها المرء يُعذَر عليها ، وقد بيّن بقوله : سَيرى وإشفاقى ، الحالَ التى ينبغى أن يُعذَر فيها ولا يُلامَ عليها .

ومثله لابن الشجرىّ فى أماليه فإنه قال : « العذير : الأمر الذى يحاوله الإنسان فيُعذر فيه . أى لاتستنكرى ما أحاوله معذوراً فيه . وقد فسّره بالبيت الثانى » اه ، وعليه فعذيرى مفعول تستنــكرى ، وسَيرى : عطف بيان له أو بدل منه أو خبر مبتدإ محذوف أى هو سيرى . . الخ . ويجوز أن يكون عذيرى مبتدأ خبره سَيْرى الخ ـ كما قال ابن الحاجب فى الإيضاح ـ وعلى هذا فمفعول تستنــكرى محذوف .

(١) الحق أن البيتين التاليين لأبى الفتح البستى يقولهما فى الثعالبى، كما فى اليتيمة ٤ : ٢١٩ فى ترجمة أبى الفتح . والذى أحدث هـذا الخلط أن كلا من أبى الفتح والخطابى بستى .

(٢) اليتيمة : منها الحجا والعلى والظرف تنتسخ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٢٥ ، ٣٣٠ والعينى ٤ : ٢٧٧ وابن الشجرى ٢ : ٨٨ وابن يعيش ٢ : ١٦ ، ٢٠ واللســان (شقر أو عذر ٢٢٢) وديوان العجاج ٢٦

قال الزجاج : العذير : الحال . وذلك أنَّ العجَّاج كان يصلح حِلْسا لجَمله ، فأنكرته وهزئت منه ، فقال لها هذا . قال على بن سليمان الأخفش : العذير : الصَّوت . كأنه كان يرجُز فى عمله بجِلسه فأنكرت عليه ذلك، أى لا تستنكرى صوتى ورفعَه بالحديث ، لأنّى قد كبِرت . والحِلْس للبعير ، وهو كساء رقيق يكون تحت البَرذَعة ، وهو بكسر المهملة وسكون اللام .

وأنشد سيبويه البيت الأول على أنّ (جارى) منادى مرخّم .قال الأعلم : الشاهد فيه حذف حرف النداء ضرورة من قوله جارىَ ، وهو اسم منكور قبل النداء لا يتعرّف إلا بحرف النداء[1] . وإنّما يطّرد الحذف فى المعارف . وردّ المبرّدُ على سيبويه جعلَه الجارِية نكرة ، وهو يشير إلى جارية بعينها فقد صارت معرفة بالإشارة . ولم يذهب سيبويه إلى ما تأوّله المبرِّد عليه : من أنه نكرة بعد النداء ، وإنّما أراد أنه اسم شائع فى الجنس قبل النداء وهو نكرة وكيف يتأول عليه الغلط فى مثل هذا ، وسيبويه قد فرق بين ما كان مقصودا بالنداء من أسماء الأجناس وبين مالم يُقصد قصدَه ! وهذا من التعسّف الشديد والاعتراض القبيح » اه .

وقوله (سَيرى) هو مصدر سار يسير ، يكون بالليل وبالنهار ، ويستعمل لازماً ومتعدّياً ، يقال سار البعير وسِرتُه[2] ويفهم من كلام أبى عبيد القاسم بن سلام فى أمثاله ومن كلام الأعلم ، أنه فعل أمر وصرح به غيره فإنّهما قالا : ومعنى الشعر : ياجارية سِيرى ولا تستنكرى عذيرى وإشفاقى . ويردّه الرواية الأخرى وهى (سَعيي وإشفاقى) كما نقلها الصاغانى وغيره . و (الإشفاق) :

---

(١) فى النسختين : « لايتعرف الا عرف النداء » ، صوابه من الشنتمرى .

(٢) فى النسختين : « وسيرته » ، والوجه ما أثبت . وفى اللسان : « وسار دابته سيرًا وسيرة ومسارا ومسيرًا »

مصدر أشفقت عليه : إذا حنوتَ وعطفت عليه ، وأشفقت من كذا : حذِرت منه . وقوله (على بعيرى) متعلّق بأحد المصدرين على التنازع . .

وهذان البيتان[١] من رجز للعجّاج وبعده :

(وكثرةَ الحديث عن شُقُورى)

(مع اَلجلا ولائحِ القتيرِ)

في الصحاح : « الشُّقور الحاجة ، وعن الأصمعى بفتح الشين ، قال أبو عبيد : الأول أصح لأن الشُّقور بالضم بمعنى الأمور اللاصقة بالقلب المهمّة له ، الواحدةُ شَقْر » اهـ . وفى أمثال أبى عبيد أفضيت إليه بُشقورى[٢] أى أخبرته بأمرى وأطلعته على ما أُسرُّه من غيره : وقال الزُّبيدى فى لحن العامّة : الشّقور : مذهب الرجل وباطن أمره . واَلجلا بفتح الجيم والقصر : انحسار الشعر من مقدّم الرأس يكون خِلقةً ويكون من كبر . والقَتير ، بفتح القاف : الشَّيب . ٢٨٤

قال أبو عبيدة : معناه : لاتستنكرى حالى من الهَرم ياجارية ، ولا كثرةَ ما أحدِّث به من الأسرار . وذلك من أحوال الشيوخ المسانّ وتهاتُر الهرمىٰ .

وترجمة العجّاج تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين[٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد المائة[٤] :

---

(١) يعنى الشطرين ، وكثيرا ما يطلق البيت على الشطر من مشطور الرجز والسريع والمنسرح .

(٢) ط : « أنصيت اليه » ، صوابه فى ش .

(٣) الصواب أنه الشاهد الخامس . انظر ص ٨٩ من الجزء الأول

(٤) أيضا الخزانة ٤ : ٢٩٠ وابن يعيش ٢ : ٣٩ وديوان ذى الرمة ٤٩٠

١٠٣ (وإنْ تعتذرْ بالمَحْلِ مِن ذى ضُروعِها
إلى الضَّيفِ ، يَجْرَحْ فى عَراقيبها نَصْلى)

على أنه حذف مفعول (يَجرح) لتضمّنه معنى يؤثّر بالجرح .

وكذلك جعله ابن هشام فى مغنى اللبيب من باب التضمين ، قال : فإنه ضُمِّنَ معنى يَعِثْ أو يُفسِد ، فإنّ العَيث لازم يتعدّىٰ بفى ، يقال عاث الذئب فى الغنم أى أفسد ، وكذلك الإفساد ؛ قال الله تعالى : (لا تُفْسِدُوا فى الأرض[1]) .

وأنشده صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : (لَأُزَيِّنَنَّ لهم[2]) على أن أُزيّنَنّ متعدٍّ نُزّل منزلة اللازم لإرادة الحقيقة . قال الطِّيبيّ : أى يَعِثِ الجرح فى عراقيبها نَصلى ، جُعل لازما ثم عدّى كما يعدّىٰ اللازم مبالغة .

أبيات الشاهد
وهذا البيت من أواخر قصيدة لذى الرُّمّة عدّة أبياتها ستة وثلاثون بيتاً ، شبّب فيها بمىّ ووصَف فيها القفار وناقته . إلى أن قال :

(أعاذلُ عُوجى مِن لسانكِ عن عَذْلى فما كلُّ من يَهوىٰ رَشَادى على شَكلى
فما لام يوماً مِن أخٍ ، وهو صادقٌ ، إخاىَ ولا اعتلّت على ضيفها إبْلى
إذا كان فيها الرِّسْلُ لم تأتِ دونه فِصالى ، ولو كانت عِجَافاً ، ولا أهْلى
وإن تعتذر بالمحل من ذى ضروعها . . . . البيت)

وبعده أربعة أبيات وهى آخر القصيدة .

فقوله : أعاذل ، الهمزة للنداء وعاذل منادى مرخّم عاذلة . قال الأصمعىّ

(١) الآية ١١ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٣٩ من سورة الحجر .

فى شرح ديوانه : « عوجى من لسانك » أى كفّى ، ولفظ عوجى على الحقيقة اعطفى . والشَّكل : الضَّرب ؛ يقول ما كلّ من يهوى ذلك منّى على طريقتى وعلى مذهبي .

وقوله : فما لام يوماً من أخ ، مِن زائدة وأخ فاعل لامَ ؛ والإخاء بكسر الهمزة : الأخوّة . قال الأصمعى : اعتلّت ، أطلق اللفظ على الإبل ، والمعنى على أصحابها ؛ يقول : لم أبخل فأعتذرَ إلى الضيف .

وقوله : إذا كان فيها الرِّسْل ، ضمير فيها للإبل ، وضمير دونه للرسْل ؛ قال الأصمعى : الرِّسْل : اللبن حلوه وحامضُه ، وخاثره ورقيقه ؛ يقول : لا أسقى فِصالى وأدع ضيفى ، ولو كانت عجافاً مهازيل . يقال : عجف الدابّةُ وأعجفه صاحبه ، وعجفت نفسى عن كذا : إذا صرفتها . وقوله : وإن تعتذر بالمحل ، قال الأصمعى : اعتذارها للضيف : أن لا يرى فيها مُحتلَباً من شدّة الجدْب والزمان ، فإذا كانت كذلك عقرتُها . اهـ

و (المحْل) : انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلأ ، وهو مصدر محِل البلدُ من باب تعب . والمراد بذى ضرعها : اللبن ، كما يقال ذو بطونها ، ٢٨٥
والمراد : الولد . قال الطّيبيّ : « المعنى إن اعتذرتْ بقلّة اللبن ، بسبب القحط ، إلى الضيف أعقِرها لتكون هى عوضَ اللبن » اهـ . والعقر : ضرب البعير بالسيف على قوائمه ، لا يطلق العقْر فى غير القوائم ؛ وربما قيل عقَره : إذا نحره . و (العراقيب) : جمع عُرقوب ، فى الصحاح : « عُرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، قال الأصمعىّ : كل ذى أربع عرقوباه فى رجليه وركبتاه فى يديه . وعرقبت الدابة قطعت عرقوبها . والعرقوب من الإنسان : العصب الغليظ الموتّر فوق العقب » . و (النُّصل) : حديدة السيف والسكين ، والمنصُلُ كقنفذ : نفسُه .

وترجمة ذى الرمّة تقدّمت فى الشاهد الثامن(١).

* * *

المنادى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه(٢) :

١٠٤ (يا بُؤْسَ لِلجهْل ضَرّاراً لِأقوامِ)

على أن المبرد أجاز أن ينصب عاملُ المنادىٰ الحالَ ، نحو : يا زيدُ قائماً ، إذا ناديته فى حال قيامه . قال : ومنه يا بؤس للجهل . . الخ . والظاهر أنّ عامله بؤسَ الذى هو بمعنى الشدّة ، وهو مضاف إلى صاحب الحال ، أعنى الجهل تقديراً لزيادة اللام » .

أقول : مَن جعل عامل الحال النداء جعل الحال من المضاف ؛ وفيه مناسبة جيِّدة ، فإنّ الجهل ضارّ وبؤسه ضرّار ، ومَن جعل ضرّاراً حالا من المضاف إليه جعل العامل المضاف . وممّن جعله من المضاف إليه الأعلم ، قال : «ونصب ضرّاراً على الحال من الجهل » . وإنما كان يرد هذا الاستظهار على المبرّد لو جعل ضرّاراً حالاً من المضاف إليه .

وقد أجاز ابن جنى فى قوله « بقُرّى » من قول الحماسى :

* أَلهَفَىٰ بقُرّىٰ سَحْبلٍ حينَ أجلبت(٣) *

---

(١) انظر ما سبق فى الجزء الأول ص ١٠٦

(٢) سيبويه ١ : ٣٤٦ . وانظر ابن الشجرى ٢ : ٨٠ ، ٨٣ والانصاف ٣٣٠ وابن يعيش ٣ : ٦٨/٥ : ١٠٤ والهمع ١ : ٧٣ وديوان النابغة ٧١

(٣) لجعفر بن علبة الحارثى فى الحماسة ٤٤ بشرح المرزوقى . وعجزه :

* علينا الولايا والعدو المباسل *

الوجهين ، قال : « يجوز أن تجعل بقرّى حالاً من لهفى(١) ، وأن يكون من الألف فى لهفىٰ ، وذلك أنها ياء ضمير المتكلم فأبدلت ألفاً تخفيفاً فيكون معنى هذا : تلهّفت وأنا بقرّىٰ أى كائناً هناك ، كما أن معنى الأول لو أنثته : يا لهفتى كائنة فى ذلك الموضع . فيكون بقرّىٰ فى هذا الأخير حالاً من المنادى المضاف كقوله :

* يا بؤسَ للجهل ضرّاراً لأقوام *

أى يا بؤس الجهل ، أى أدعوه ضرّاراً . وإذا جعلته حالا من الياء المنقلبة ألفاً كان العامل نفس اللهف ، كقولك يا قيامى ضاحكاً ، تدعو القيام ، أى هذا من أوقاتك » اهـ .

وقد قرّر ابنُ الأنبارىّ مذهبَ المبرّد فى الإنصاف فقال : « حكى ابن السرّاج عن المبرّد أنه قال : قلت للمازنى : ما أنكرت من الحال للمدعوّ ؟ قال : لم أنكر منه شيئاً ، إلاّ أن العرب لم تدعُ على شريطة ، فإنّهم لا يقولون يا زيد راكباً ، أى ندعوك فى هذه الحالة ونمسك عن دعائك ماشياً ، لأنه(٢) إذا قال يا زيد فقد وقع الدعاء على كلّ حال . قلتُ : فإن احتاج إليه راكباً ولم يحتجْ إليه فى غير هذه الحالة ؟ فقال : ألستَ تقول يا زيد دعاء حقاً ؟ فقلت : بلى ! فقال : علام تحمل المصدر ؟ قلت : لأن قولى يا زيد كقولى أدعو زيداً ، فكأنى قلت : أدعو دعاء حقاً . فقال : لا أرى بأساً بأن تقول على هذا يا زيد راكباً فالزم القياسَ . قال المبرّد : ووجدت أنا تصديقاً لهذا ٢٨٦
قول النابغة :

(١) ش : « أن تجعل الياء حالا من لهفى » صوابه فى ط .
(٢) ط : ونمسك عن دعائك ماشيئنا الا أنه » ش : « ماشيا الا أنه » . صوابه من الانصاف .

يا بؤس للجهل ضرّاراً لأقوام . » اه

وقال اللخميّ فى شرح أبيات الجمل : و (يا بؤس) منادى مضاف معناه التعجّب ، أى ما أبأس الجهل وما أضرّه للناس ؟ و (ضرّاراً) حال من الجهل أو نصب على القطع على مذهب الكوفيين ، ونظيره عندهم : (والهدْىَ مَعْكوفاً(١)) واللام فى لأقوام زائدة ؛ قال المبرّد : هذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة ، يقولون : هذا ضاربٌ زيداً ، وهذا ضارب لزيد، لأنّها لا تغير معنى الإضافة .

وأورد سيبويه هذا المصراع لكون اللام مقحمة بين المتضايفين وتقدّم الكلام عليها فى الشاهد التاسع والسبعين(٢) .

وهو عجز وصدره :

(قالت بنو عامرٍ خالُوا بنى أَسدٍ)

خالُوا : تارِكوا ، يقال خالىْ يُخالى مخالاة وخِلاء ، كما يقال تارك يتارك ، ويقال للمرأة المطلقة « خليّة » من هذا ، وخلَيت النبت : إذا قطعته .

وهذا البيت مطلع أبيات عدّتها ثلاثة عشر بيتاً للنابغة الذبيانى ، قالها لزُرعة بن عمرو العامرى : حين بعث بنو عامر إلى حِصن بن حذيفة بن بدر وإلى عُيَينة بن حصن الذبيانيَّين : أن اقطعوا ما بينكم وبين بنى أسد من الحِلف ، وألحِقوهم بكنانة بن خزيمة بنى عمّهم ونحالفكم ، فنحن بنو أبيكم .

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الفتح .

(٢) صوابه « فى الشاهد الحادى والثمانين . وانظر ص ٤٧٣ من الجزء الأول

فلما همّ عيينة بذلك قالت لهم بنو ذبيان : أخرِجوا مَن فيكم من الحلفاء ونُخرجَ مَن فينا ! فأبوا من ذلك .

فحكى النابغةُ قولَ بنى عامر . يقول : إن الجهل يضرّ الأقوام ويدعوهم إلى سفاهة الأحلام ؛ أى إن بنى عامر جهّال ، يأمروننا بترك هؤلاء الذين قد أحسنوا عنّا الدفاعَ ، وكثر بهم الانتفاع .

وبعد هذا البيت :

أبيات الشاهد

(يأبىٰ البَلاء فلا نبغى بهم بَدَلاً ولا نُريد خِلاءً بعد إحكامِ
فَصَالِحُونا جميعاً إنْ بَدَا لكمُ ولا تقولوا : لنا أمثالُها عامِ
إنّى لأَخشى عليكمْ أن يكون لكمْ من أجلِ بَغْضائهم يومٌ كأيّامِ
تَبْدو كواكبُه والشمسُ طالعةٌ لا النُّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ)

وعامِ : منادى مرخّم عامر . وقافية البيت الخامس مرفوعة وما عداها مجرور ، وهو عيب يسمّىٰ إقواء . روى المرزُبانىّ فى الموشّح(١) بسنده عن محمد بن سلام قال : « لم يُقوِ أحدٌ من الطبقة الأولىٰ ولا من أشباههم إلاّ النابغةُ فى بيتين : قوله :

أمِنَ آل مَيّة رائحٌ أو مُغتدِى عَجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزوَّدِ
زعم البوارحُ أنّ رِحلتَنا غداً وبذاك خبّرنا الغداف الأسودُ

وقوله :

سقطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتناولتْه واتّقَتْنا باليدِ
بمخضَّبٍ رَخْصٍ كأنّ بنانَه عنَمٌ ، يكاد من اللطافة يُعقَدُ

(١) الموشح ٣٨

ـ العنم : نبت أحمر يُصبغ به ـ فقدِم المدينةَ فعِيبَ ذلك عليه فلم يأْبَه له ، حتى أسمعوه إيّاه فى غناء ـ وأهل القُرَى ألطفُ نظراً من أهل البدو ، وكانوا
٢٨٧ يكتِّبون جواريَهم عند أهل الكِتاب ـ فقيل للجارية : إذا صرتِ إلى قوله : يعقد ، والأسودِ ، فرتِّلى . فلما قالت : الغدافُ الأسودُ ويعقدُ وباليدِ ، علم فانتبه ولم يعُد فيه . وقال : قدمتُ الحجازَ وفى شعرى صَيعة ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس . وفى رواية أخرى أنَّه أصلح الأول بقوله : وبذاك تنعابُ الغداف الأسودِ » اهـ .

ويزاد عليه ما ذكرناه هنا فيكون قد أقوىٰ فى ثلاثة مواضع .

وقوله : يأبىٰ البلاء فما نبغى الخ ، يقول : يأبىٰ علينا أن نخالِيهم(١) ما بلَونا من نصْحهم ، ولا نريد خِلاءه أى متاركة ، بهم : ببنى أسد ، بعد إحكام الأمر بينهم .

وقوله : تبدو كواكبه والشمس طالعة الخ ، رأيت فى ديوانه المصراع الثانى كذا :

* نوراً بنور وإظلاماً بإظلام *

قال شارحه : روى الأصمعىّ :

* لا النورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلام(٢) *

يقول : هو يوم شديد تظلم الشمس من شدَّته فتبدو كواكبه . وقوله : لا النور نور : لا كنوره نورٌ إنْ ظفِر ولا كظلمته إن ظُفر به . وقوله : نوراً بنور كأنه قال : نور مع نور ، يريد بريق البَيض والسيوف ، ونورُ الشمس

(١) ط : « نخالفهم » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « لانور نور ولاظلام اظلام » صوابه فى ش مع أثر تصحيح.

إذا أصاب البَيض صار نوراً مع نور . وقال ابن نصر : قوله : لا النور نور ، يريدُ أن نور هذا اليوم ليس من نور الشمس ، إنّما هو من نور السلاح وبريقه ؛ ولا إظلام هذا اليوم من ظلمة الليل ، إنما ظلمته من كثرة الغبار . وقال : أراد بقوله : تبدو كواكبه ، شَبَّهَ بريقِ البيض وما ظهر من السلاح بالكواكب . وعلى هذا فلا إقواء .

و (النابغة) اسمه زياد بن معاوية . وينتهى نسبه إلى سعد بن ذبيان ابن بَغيض ، وكنيته أبو أمامة وأبو عقرب ، بابنتين كانتا له . النابغة الذبيانى

وهو أحد شعراء الجاهلية وأحد فحولهم ، عدّه الجمحىّ فى الطبقة الأولى بعد امرئ القيس . وسُمِّى النابغة لقوله :

* فقد نَبغتْ لنا منهم شئونُ *

وقيل : لأنّه لم يقل الشعر حتّي صار رجلاً . وقيل : هو مشتق من نبغَت الحمامة : إذا تغنّت . وحكى ابن ولّاد أنه يقال : نبغ الماء ونبغ بالشعر . فكأنه أراد أن له مادّة من الشعر لا تنقطع كمادّة الماء النابغ . قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء : ونبغ بالشعر بعد ما احتنك ، وهلك قبل أن يُهتَر(١) . وهو أحد الأشراف الذين تمحَّض الشِّعر مِنهم(٢)، وهو أحسنهم ديباجةَ شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا . كأنَّ شعره كلامٌ ليس فيه تكلّف. قال الأصمعى : سألت بشاراً عن أشعر الناس ، فقال : أجمع أهل البصرة على امرئ القيس وطرَفة ، وأهل الكوفة على بِشر بن أبى خازم والأعشى ، وأهل الحجاز

(١) احتنك : أحكمته التجارب لتقدم سنه . وأهتر : ذهب عقله . اراد أن مدة قوله الشعر كانت قصيرة .

(٢) هذه العبارة لم ترد فى الشعر والشعراء .

على النابغة وزهير ، وأهل الشام على جرير والفرزدق والأخطل . ومات النابغة فى الجاهلية فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث .

والأبيات الدالية من قصيدة وصف بها المتجردةَ امرأةَ النعمان بن المنذر ، وكان النابغة من خواصّه وندمائه وأهل أنسه ، فرأى زوجته المتجرِّدة يوماً وغشيها أمرٌ سقط نصيفها(١) واستترت بيدها وذراعها . وذكر فى هذه القصيدة أموراً عجيبة منها فى صفة فرجها . ثم أنشدها النابغةُ مُرّةَ بنَ سعيد القُريعىّ فأنشدها مُرَّةُ النعمانَ ، فامتلأ غضباً وأوعد النابغة وتهدَّده. فهرب منه إلى ملوك غسّان بالشام .

وقيل : إن الذى من أجله هرب النابغة : انه كان هو والمنخَّل اليشكرىّ نديمين للنُّعمان ، وكان النعمان دميماً قبيح المنظر ، وكان المنّخل من أجمل العرب ، وكان يرمىٰ بالمتجرِّدة ، وتكلّمت العرب أن ابنىْ النعمان منها كانا منه . فقال ٢٨٨
النعمان للنابغة : يا أبا أمامة ، صِف المتجرِّدة فى شعرك . فقال تلك القصيدةَ ، ووصفها فيها ووصف بطنها وفرْجها وأردافها . فلحقت المنخّلَ من ذلك غَيرة ، فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلاَّ من جرّب ! فوقَر ذلك فى نفس النعمان . فبلغ النابغةَ فخافه فهرب إلى ملوك غسّان ، ونزل بعمرو ابن الحارث الأصغر فمدحه ومدح أخاه ، ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان ، فصار معه إلى أن استعطف النعمانَ بن المنذر فعاد إليه .

ومما قاله فى ملوك غسان ما أنشده ابن قتيبة فى كتاب الشعراء عن الشَّعبى أنه قال : دخلتُ على عبد الملك ، وعنده رجل لا أعرفه ، فالتفتَ إليه عبد الملك فقال : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ! فأظلمَ ما بينى وبينه ، فقلتُ :

(١) كذا فى النسختين ، بدون عائد على الموصوف .

من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتعجّب عبدُ الملك من عَجَلتى فقال : هذا الأخطل!
قلت : أشعر منه الذى يقول :

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُه مُسْتَقْبِلُ الخيْرِ سَريعُ التمامْ
للحارثِ الأكبر والحارث الأصغر والأعرج خيرِ الأنامْ
ثم لهندٍ ولهندٍ ، وقدْ يَنجع فى الرَّوْضات ماء الغمامْ
ستّة آباءٍ هُمُ ماهُمُ (١) همْ خير مَن يشرب صَفو المدامْ

فقال الأخطل : صدَق يا أمير المؤمنين ، النابغة أشعر منى . فقال لى عبد الملك : ما تقول فى النابغة ؟ قلت : قد فضّله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرّة ، خرج وببابه وفد غَطَفان ، فقال : أىُّ شعرائكم الذى يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبة وليس وراء الله للمرء مطلبُ ؟

قالوا : النابغة . قال : فأىُّ شعرائكم الذى يقول :

فإنكَ كالليل الذى هو مدركى وإنْ خلتُ أن المنتأى عنك واسع ؟

قالوا : النابغة . قال : هذا أشعر شعرائكم !

وله القصائد « الاعتذاريّات » المشهورة إلى النعمان بن المنذر ، لم يقل أحد مثلَها . منها قوله :

نُبِّئتُ أن أبا قابوسَ أوعدَنى ولا قرارَ على زارٍ من الأسَدِ

(١) ط : « ستة آباؤهم ماهم » وأثبت ما فى ش . قال الميمنى : « وكذا فى مقدمة جمهرة الأشعار : ستة ، ولكنى أرى الصواب : خمسة ، كما فى ديوانه نسخة شيفر وملحق أشعار الستة والأغانى ٩ : ١٦٢ . وأرى أن تقرأ :

* خمسةُ آبائهم ماهمُ *

ولو نونت خمسة اختل الوزن . وفى الشعراء ١٠٩ : « ستة آبائهم ماهم » .

وتمثّل به الحجّاج بن يوسف حين سَخِط عليه عبد الملك بن مروان .

ومما يُتمثَّل به من شعره :

فلو كفِّى اليمينُ بغتكَ خَوْنا لأفردتُ اليمينُ من الشمالِ

أخذه المثقِّب العبْدىّ فقال :

« فلو أنى تخالفنى شمالى خلافَكَ ما وصلتُ بها يمينى »

وقولُه :

لحمّلتنى ذنبَ امرئٍ وتركتَه كذى العُرِّ يكوىٰ غيره وهو راتع[١]

أخذه الكميت فقال :

« ولا أكوى الصحاحَ براتعاتٍ بهن العُرُّ قبلى ما كُوِينا »

(تتمة)

٢٨٩ من اسمه النابغة ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من يقال له النابغة ثمانيةً : أولهم هذا والثانى : النابغة الجَعْدىّ الصحابى . والثالث : نابغة بنى الديّان الحارثىّ . والرابع : النابغة الشيبانى . والخامس : النابغة الغنوىّ . والسادس : النابغة العَدْوانىّ . والسابع « النابغة الذبيانى » أيضا وهو نابغة بنى قِتَال بن يربوع . والثامن : النابغة التغلَبىّ ، واسمه الحارث[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد المائة[٣] :

---

(١) ط : « فحملتنا » وأثبت ما فى ش . والرواية : « لحملتنى » وفى شرح الوزير أبى بكر : « لكلفتنى » .

(٢) فى المؤتلف ١٩٣ : « واسمه الحارث بن عدوان ، أحد بنى زيد ابن عمرو بن غنم بن تغلب » .

(٣) العينى ٤ : ٢٣٢ وابن يعيش ١ : ١٢٧ ، ١٣٠ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٧٩ ونوادر أبى زيد ١٦٣ والانصاف ٣٢٥ ، ٦٨٢ والهمع ١ : ١٧٤

١٠٥ (يا أبْجَرَ بن أبجرٍ يا أنتا   أنتَ الذى طلّقتَ عامَ جُعتا)

على أن المضمر لو وقع منادى جاز نظراً إلى المظهر(١)، فإن المظهر بصورة الرفع، والضمير ضمير رفع .

قال ابن الأنبارى فى مسائل الخلاف نقلا عن البصريين « بأن(٢) المفرد المعرفة إنّما بنى لأنه أشبه كاف الخطاب، وكاف الخطاب مبنيّة، فكذلك ما أشبهها ووجه الشبه بينهما من ثلاثة أوجه : الخطاب، والتعريف، والإفراد . ومنهم من قال : إنّما بنى لأنه وقع موقع اسم الخطاب، لأن الأصل فى قولك يا زيد : أن تقول : يا إياك ، أو يا أنت ، لأنّ المنادىٰ لمّا كان مخاطَبا كان ينبغى أن يُستغنىٰ عن اسمه ويُؤتى باسم الخطاب، فيقال : يا إياك أو يا أنت، كما قال :

(يا مُرَّ يا ابن واقع يا أنتا)

فلما وقع الاسم المنادى موقعَ اسم الخطاب وجب أن يكون مبنيّا كما أنّ اسم الخطاب مبنىّ » .

وظاهر كلام الشارح المحقّق أن نداء الضمير مطّرد ، وأنه لافرق بين نداء الضمير المرفوع والضمير المنصوب .

قال ابن الحاجب فى الإيضاح : نداء المضمر شاذّ . وقد قيل إنّه على تقدير : يا هذا أنت، ويا هذا إياك أعنى .

---

(١) نص الرضى ١ : ١٢٠ : « وان وقع المضمر منادى جاز : يا أنت (يريد أن يأتى ضمير رفع) نظرا الى المظهر ، قال : يا أبجر ... » الخ . ثم قال : « وجاز : يا اياك (يريد أن يأتى ضمير نصب) نظرا الى كونه مفعولا » . فتأمل عبارة البغدادى وما سيأتى من كلامه .

(٢) كذا فى النسختين . وفى الانصاف : « وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : انما قلنا انه مبنى وان كان يجب فى الأصل أن يكون معربا لأنه أشبه كاف الخطاب » .

وقال أبو حيّان فى تذكرته : « وأما يا أنتا فشاذّ ، لأن الموضع موضع نصب وأنت ضمير رفع ، فحقّه أن لا يجوز كما لا يجوز فى إياك ؛ لكن بعض العرب قد جعل بعض الضمائر نائباً عن غيره ، كقولهم : رأيتك أنت ، بمعنى رأيتك إياك ، فناب ضمير الرفع عن ضمير النصب ، وكذلك قالوا : يا أنتا ، والأصل يا إياك . وقد يقال : إن « يا » فى يا أنت حرف تنبيه ، وأنت مبتدأ وأنت الثانية تأكيد لفظىّ ، والخبر هو الموصول ؛ وهذا أولى من ادّعاء نداء المضمر بصورة المرفوع وجعله شاذّا . وقال ابن عصفور : ولا ينادىٰ المضمر إلاّ نادراً ، والأسماء كلها تنادىٰ إلاّ المضمَرات ؛ أما ضمير الغيبة وضمير المتكلم فهما مناقضان لحرف النداء ، لأنّ حرف النداء يقتضى الخطاب ؛ ولم يجمع بين حرف النداء والضمير المخاطب لأنّ أحدهما يغنى عن الآخر ، فلم يجمع بينهما إلاّ فى الشعر مثل قوله :

يا أقرعَ بنَ حابس يا أنتا أنت الذى . . . . . الخ

فمنهم من جعل يا تنبيها ، وجعل أنت مبتدأ ، وأنت الثانى إما تأكيداً أو مبتدأً أو فصلاً أو بدلاً اهـ . ودل كلامُه على أنّ العرب لاتنادى ضمير المتكلم فلا تقول : يا أنا ، ولا ضمير الغائب فلا تقول : يا إياه ولا يا هو ، فكلام جهلة الصوفيّة فى نداء الله تعالى : يا هُو ، ليس جارياً على كلام العرب » اهـ كلام أبى حيان .

وهذان البيتان من أرجوزة لسالم بن دارة ، وقد حُرِّف البيت الأول على أوجهٍ كما رأيت . وصوابه :

٢٩٠ (يا مُرّ يا ابنَ واقعٍ يا أنتا)

ورواه العينى كرواية الشارح ، وزعم أنّ قائله الأحوص . وهو وهم ، إنما

قوله نثر لا نظم : وهو أنه لمَّا وفد مع أبيه على معاوية خطَب ، فوثب أبوه ليخطُب فكفَّه وقال : يا إياك قد كفيتك .

ومنشأ الوهم : أن النحويين قد ذكروا هذا البيت عقب قول الأحوص مع قولهم (وكقوله) ، فظُنّ أنّ الضمير للأحوص .

وقد صحّفه أبو عبد الله بن الأعرابى أيضا فى نوادره ، ورواه :

* يا قُرّ يا ابنَ واقع يا أنتا *

نبّه على تصحيفه أبو محمد الأسود الأعرابى فيما كتبه على نوادره وسماه « ضالة الأديب » فقال : صحّف أبو عبد الله فى اسم مَن قيل فيه هذا الرّجز فقال : ياقر ، وإنما هو يامرّ ، وهو مرة بن واقع أحد بنى عبد مناف بن فَزارة .

وقوله : (أنت الذى طَلّقت) ، كان القياس طلَّق ، ليعود إلى الموصول ضمير الغائب . قال ابن جنى : هذا كلام العرب الفصيح ؛ وقد جاء أيضا الحمل على المعنى دون اللفظ كهذا البيت .

وكان من قصة سالم بن دارة ومُرّة بن واقع الفزارى : أن قِرفة[1] أحد بنى عبد مناف نَثَلَ حِسياً بزُهمان ، فاستعان بسالم وبمرّة ـ واسم الحسى معلّق ـ فرجز سالم وهو يخرج عن مرة المِسْناة[2] :

أنزلنى قِرفة فى معلّق أترك حبلى مرة وأرتقى
عن مرّة بن واقع واستقى[3]

(١) ط : « قرقة » ، صوابه فى ش وانظر الأغانى ٢١ : ٥١ وقولهم فى المثل : « أمنع من أم قرفة » .

(٢) ط : « المياه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، يقال سنا الدلو ونحوها : جرها من البئر وانتزعها .

(٣) الأبيات فى معجم البلدان (معلق) محرفة تحريفا شديدا .

ثم قال :

ولا يزال قائلٌ : أبِنْ أبِنْ دَلوكَ عن حدِّ الضُّروس واللَّبِنْ(١)

فغضب مُرَّة من ذلك ، وكان عند مرّة امرأةٌ من بنى بدر بن عمرو ، فأسَنت مُرَّةُ فطلّقها (وأهل البادية أفعلُ شىءٍ لذلك) ، فلما أحيا أراد رَجعتها فأبت ، وكان مرّة يحسب أنّ له عليها رجعة ، وأنه إنّما فاكها ، فاحتملت إلى أهلها ، ثم إنّ مرّة حجّ فى أُرْكُوب من بنى فَزارة حجّاج ، وخرج سالم فى أُرْكوب من بنى عبد الله بن غطفان حجاج ، فاصطحبوا ، فنزل مُرّة يسوق بالقوم فقال يرتجز :

لو أنّ بنت الأكرم البدرىِّ رأتْ شحوبى ورأت بَذرِيِّ
وهنّ خُوصٌ شَبَه القِسىِّ يلفُّها لفَّ حصىَ الأتىِّ(٢)
أروَعُ سقَّاء على الطوىِّ

ثم نزل سالمٌ يسوقُ بالقوم ، وقد كانا تضاغَنا ، فرجز :

(يا مرَّ يا ابنَ واقع يا أنتا أنتَ الذى طلّقتَ عامَ جُعتا
فضمَّها البدرىّ إذْ طلّقتا حتى إذا اصطبحتَ واغتبقتا
أصبحْتَ مرتدًّا لما تركتا أردت أن تُرجعها ، كذبتا
أودىٰ بنو بدرٍ بها ، وأُنتا(٣) تقُسِمُ وسط القوم : ما فارقتا

(١) الرجز منسوب فى اللسان (ضرس ٤٢٥) الى ابن ميادة برواية : « أما يزال » . وكذا رواه فى (لبن ٢٥٩) لكن بنسبته الى سالم بن دارة ، ثم قال : « وقيل لابن ميادة » . وهو فى اصلاح المنطق ١٩٠ بدون نسبة برواية اللسان .

(٢) ط : « يلفهما لفى » ، صوابه فى ش .

(٣) من الأون ، وهو البطء ، كما فى التبريزى ١ : ٣٦٧ عند انشاد الرجز .

قد أحسن اللهُ وقد أسأتا فأدِّ رزقَها الذى أكلتا)

انتهى ما أورده الأسود الأعرابى .

وقوله : نَثَل حِسيا بزُهمان ، يقال نثلت البئر نثْلاً وانتثلتها : إذا استخرجت ترابها ، وهو النثيلة بالنون والثاء المثلثة . والحِسى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين : ما تنْشَفُه الأرضُ من الرمل[1] فإذا صار إلى صلابة أمسكتْه ، فتحفر عنه الرمل فتستخرجه ؛ وجمعه الأحساء . وزُهمان بضم الزاء المعجمة[2] وسكون الهاء : وادٍ لبنى فزارة متّصل بالرَّقم ـ بفتح الراء والقاف ـ وهو موضع بالحجاز قريب من وادى القُرىٰ ، كانت فيه وقْعة لغطَفان على عامر . كذا فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى . ٢٩١

وقوله : أبنْ أبنْ ، هو فعل أمر من الإبانة وهو الإبعاد . والضُّروس ، قال فى الصحاح : بضم الضاد : الحجارة التى طويت بها البئر . وأنشد هذا الشعر ؛ وبئر مضروسة وضريس أى مطويّة بالحجارة .

وقوله : فأسنَتَ مُرة ، أى أصابه السنة ، وهى القحط والجدب . وقوله : فلما أحيا ، فى الصحاح : قال أبو عمرو : أحيا القوم : إذا حسنت حال مواشيهم . فإن أردت أنفسَهم قلت : حيُوا . ثم قال : وأحيا القوم أى صاروا فى الحيا ، وهو الخِصب ، والحيا مقصور : المطر والخصب اه . وهو بالحاء المهملة وبعدها ياء آخر الحروف . وقوله فاكهها أى مازحها ، والمفاكهة : الممازحة .

وقوله : البدرىّ ، منسوب إلى بنى بدر بن عمرو . ولو للتمنى لاجواب لها . والشُّحوب : مصدر شحَب جسمه بالفتح يشحُب بالضم : إذا تغيّر . وقوله :

---

(١) ط : « ما تشتفه » ، صوابه فى ش والصحاح واللسان . والمراد ما تشربه الأرض الرملية من الماء .

(٢) ضبطه ياقوت بالضم وبالفتح أيضا .

بذرِّى أى إبلى المفرّقة ؛ ويقال تفرقت إبله شِذَرَ بِذَرَ ، بفتح الشين والباء وكسرها وما بعدها مفتوح : إذا تفرّقت فى كل وجه . وقوله : وهُنّ خُوصٌ : أى غائرات العيون ، جمع أخوَص وخَوصاء ، والفعل خوِص بالكسر أى غارت عينه . ويلفّها : يضمّها ويجمعها . والأتىّ بفتح الهمزة وكسر المثناة الفوقية ، قال فى الصحاح « وأتّيت للماء تأتية وتأتِّيا أى سهلت سبيله ليخرج إلى موضع ؛ والأتىّ : الجدول يؤتّيه الرجل إلى أرضه ، وهو فعيل ؛ يقال : جاءنا سيل أتىّ وأتاوىّ : إذا جاءك ولم يصبْك مطره » . وقوله أروع ، هو فاعل يلفّها ؛ ومعناه : السيد الذى يروعك بجماله وجلاله . وسقّاء : مبالغة ساقٍ . والطوىّ : البئر المطويّة ، أى المبنية بالحجارة .

وقوله : أصبحت مرتدّا . أى راجعا ، والارتداد : الرجوع . وأودىٰ بها : ذهب بها : وقوله : فأدِّ رزقها ، أى أعط صداقها الذى تغلّبْت عليه وأكلته .

سالم بن دارة

و (سالم بن دارة) هو سالم بن مُسافع بن عقبة بن يربوع بن كعب ابن عدىّ بن جُشَم بن عوف بن بُهثَة بن عبد الله بن غَطَفان .

ودارة : لقب أمه ، واسمها سَِقاء[1] ، كانت أخيذة : أصابها زيد الخيل من بعض غطفان وهى حُبلىٰ (وهى من بنى أسد) فوهبها زيدُ الخيل لزهير ابن أبى سُلمى . فربّما نسب سالم بن دارة إلى زيد الخيل . كذا فى كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم تأليف أحمد بن أبى سهل بن عاصم الحلوانىّ ، ومن خطّه نقلت .

وقال التبريزى فى شرح الحماسة : ودارة هو يربوع ، وإنما سمّى دارة

(١) كذا بالقاف فى النسختين .

لأنَّ رجلامن بنى الصارد بن مرّة بن عوف بن سعدبن ذبيان ، يقال له: كعب ، قتل ابن عمٍّ ليربوع بن كعب يقال له : دِرْص ، فقتل يربوع كعباً بابن عمه وأخذ ابنة كعب ، ثم أرسلها فأتت قومها فنعتْ أباها كعباً ؛ فقالوا : مَن قتله ؟ قالت : غلام كأنَّ وجهه دارةُ القمر ، من بنى جُشَم بن عوف بن بهثة . فسمّى بذلك و نسب إليه سالم . ا هـ .

ومثله فى الأغانى . والصحيح الأول ، ويدل له قول سالم :

أنا ابنُ دارة معروفاً بهـا نسبى   وهلْ بدارة ، يا لَلناس ، من عار !

وسالم : شاعر مخضرم : قد أدرك الجاهلية والإسلام . وكان رجلا هجّاء وبسببه قتل . ٢٩٢

قال التبريزى نقلا عن أبى رياش . وكان الذى هاج قتله : أنه كان مُرّة بن واقع من وجوه بنى فَزارة ، وكانت عنده امرأة من أشراف بنى فزارة ، ففا كهته امرأته ذاتَ ليلة فطلّقها البتةَ واحتملتْ إلى أهلها ــ ومُرّة يظن أنه قادر على ردِّها إذا شاء ــ حتى أتى لذلك عامٌ وهما كذلك . ثم خطبها حمل بن القليب الفزارىّ ، ورجل آخر من بنى فزارة يقال له علىّ ، وخطبها ابن دارة . فبلغ ذلك مرّة ، فأراد أن يراجعها فأبت عليه واختارت عليًّا . فركب مرّة بن واقع إلى معاوية ــ وقيل إلى عثمان ــ فقال : إن الأعراب أهل جفاء ، وإنى قد قلتَ كلمة بينىَ وبين امرأتى لم أردْ ما تبلغ ، فتزوّجتْ رجلا ؛ وإنما أتيتك مبادراً قبل أن يبنيَ بها ؛ فامنعْ لى امرأتى . فقال معاوية : لقد ذكرتَ أمراً صغيراً فى أمر عظيم[1] لا سبيل لك عليها .

(١) أغفل البغدادى جملة يكون الكلام بها واضحا ، وهى كما فى ١ : ٣٦٧ : « أمر الله عظيم ، وامرأتك أمرها صغير » .

ففرّق بينهما معاوية ، وهو يومئذ على الشام عاملاً لعثمان ، فقال سالم فى ذلك قبل أن يقدمَ مُرّة عند معاوية والقوم ينتظرونه :

يا ليت مُرّة يأتيها فيجعلَها خيرَ البناء ويجزى منهما الجازى

فجاء مرّةُ وقد ابتنى بها علىّ : فغضب على سالم وجعل يشتمه حتى قال : أيُّها العبد مِن محوّلَة، ما أنتَ وذكر نسائنا ؟ ! (ومحوَّلة بنو عبد الله بن غطفان ، وكان يقال لهم بنو عبد العزَّىٰ ، فوفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : من أنتم ؟ فقالوا : نحن بنو عبد العزَّىٰ فقال صلى الله عليه وسلم : بل أنتم بنو عبد الله ! فسمَّتهم العرب محوَّلة) فقال سالم بن دارة : مهلاً يامُرَّة ، فإنى لم أفعل تأبيداً (كأنه أراد لم آت بآبدة) وما بى بأس ، ولا ذنبَ لى ، وإنما مزحت . فأبىٰ مُرّة إلاّ شتمه . فقال سالم ، وقد غضب :

* يا مُرّ يا ابن واقع يا أنتا *

أوقع « يا » على المنادى المحذوف كأنه قال : يامرّة أنت . وقد ادعىٰ قوم أن أنت يجوز نداؤها . ولا ينبغى أن يُعدَل عن الوجه الأول . . . ثم ذكر الأبيات السابقة وقال :

ثم تواعدا أن يلتقيا ، وعظُم فى صدور بنى فزارة قولُ سالم ، فأغمضوا على ذلك . ثم تواقفَ[1] ابن واقع وسالم علىٰ رِهان ، وفيهم يومئذ ابن بيشة[2] . أحدُ بنى عبد مناف بن عقيل ؛ فقال سالم لجميع بنى فزارة : إنى أحمد الله كعهدكم وبعدكم ، واستعهدكم من مُرَّة . فقال مرّة : والله لا أزال أهجوك مابلّ ريقى لسانى . وجاءت بنو فزارة بامرأةٍ من بنى غراب ترجُز يقال لها : غاضرة . فلما رآها سالم نَهق كما ينهِق الحمار ثم قال :

(١) وكذا فى التبريزى ١ : ٣٦٨ . وفى ش : « توافق » .
(٢) وكذا فى التبريزى . وجعلها الشنقيطى فى نسخته : « بثينة » .

قد سبَّنى بنو الغراب الأحمرِ[١] جُبْناً وجهلاً ، وتمنَّوا منكَرى

كلُّ عجوز منهم ومُعصِرِ غاضرَ ، أدِّى رِشوتى لا تغدرى

وأبشِرى بعَزَب مصدَّر شرّابِ ألبان الخلايا ، مقفرِ

يحمل عَرْداً كالوظيف الأعجرِ وفَيشةً متىٰ ترَيها تشفرى[٢]

حمراء كالنَّورج فوقَ الأندَر تقلِب أحياناً حماليقَ الحِرِ

معقَّــدٍ مشعَّر مســيَّرِ[٣] كأنَّما أحسَّ جيشَ المنــذرِ

إن تمنعى قَعوكِ أمنع محورى لقعوِ أخرى كعْثبٍ مدوّر ٢٩٣

(النورج : شىء يدقّ به أهل الشام حَبّهم) : فلما قالها سالم ألهاها الاسماعُ الردَّ عليه ، ثم لوىٰ دِرعها فكشفَ عنها ، فحجز الناس بينهما وافترقوا ، ولابن دارة الظفر . وعمَّ بنى فزارة بالهجاء لما أعانت عليه بنو غراب[٤] ، وقال يهجو مُرَّة بن واقع الفزارى[٥] :

حَدَبْدَبا بَدَبْدَبا منكَ الآن استمعوا أنشدكُمْ ياولدانْ

إنّ بنى فَزارة بن ذبيان قد طرّقت ناقتُهم بإنسانْ

مُشَيَّأٍ أعجِبْ بخلق الرحمٰن[٦] غلبتم الناسَ بأكل الجُردانْ

كلَّ مِتَلّ كالعمود جَوْفانْ وسَرق الجارِ ونيك البُعرانْ

(١) التبريزى : « يقول الغربان تكون بقعا وسودا وأنتم بنو غراب أحمر ، ينسبهم الى الأعاجم ، لأن الحمرة فيهم أكثر » .

(٢) فى حواشى ش بخط ناسخها : « شفرت المرأة تشفر اذا قربت شهوتها » . وعند التبريزى : « تسفرى » .

(٣) ش : « مقعر مسعر مسير » .

(٤) ط : « بنوغراب » ، صوابه فى ش والتبريزى .

(٥) ط : « المرنى » ، صوابه فى ش .

(٦) التبريزى : « المشيأ : المقبح الوجه . ط : « مشيا » ، صوابه فى ش .

(حدبدبا : كلمة جاء بها فى معنى التعجب مما هو فيه . وأصلها لُعبة يلعب بها الصبيان ـ ويختلف فى لفظها ، فبعضهم يقول حدبدبا بباءين ، وبعضهم يقول : حدندبا ، ومنهم من يقول حديدبا ـ يقول : اجتمعوا ياصبية لتلعبوا هذه اللعبة . وإنما غرضُه أن يعجّب الناس مما هو فيه ، ويعْلمهم أنه فى أمر كلعب الصبيان) .

وقال قصيدةً طويلة فى هجوهم ، منها :

بلّغ فزارة أنّى لن أسالمها   حتّي ينيك زميلٌ أمَّ دينارِ

(هى أم زميل وكانت تكنى أمّ دينار) فحلف زُميل بن أُبير ، أحدبنى عبد الله بن عبد مناف : أن لا يأكل لحماً ولا يغسل رأسه ولا يأتى امرأة حتى يقتله . فالتقى زُميل وابن دارة منحدرٌ إلى الكوفة ، وزميل يريد البادية : فقال له سالم : لاأبالك؟ ألم يأنِ لك أن تحُلّ يمينك[1] ؟ فقال له زميل : إنى أعتذر إليك ، واللهِ مافى القوم حديدة إلاّ أن يكون مِخْيطا . فافترقا . وسار سالم حتى قدم على أخيه بالكوفة فمكث غيرَ بعيد ، ثم لحق بقومه بالبادية ، ثم ورد المدينة ، ثم خرج منها فلقى زُميلاً عِشاء ، وزميل داخل المدينة ، فكلّمه وناداه وقال . . ألا تحُلّ يمينك ؟ ثم انطلق واتبعه زميل وغشِيه بالسيف ، فدفع الراحلة ، وأدركه زميل فضربه فأصاب مُؤخِرة الرحْل وحذا عضدَه ذباب السيف حَذيةً أوضحت ، ورجع إلى المدينة يتداوى بها . فزعموا أن بُسرة بنت عيينة بن أسماء ـ ويقال إنها بنت منظور بن زبّان ، وكانت تحت عثمان بن عفّان ـ دسّتْ إلى الطبيب سمّا فى دوائه فمات ، وقال قبل موته :

أبلغ أبا سالم عنّي مُغَلْغَلَة   فلا تكونَنّ أدنى القوم للعارِ
لاتأخذَنْ مائةً منهم مجلّلة ،   واضربْ بسيفك منظورَبن سَيّارِ

(١) ط : « يمينى » صوابه فى ش . والذى حلف هو زميل .

وقال الناس لما قُتل : قد محَوا عن أنفسهم . وفى ذلك يقول الكميت ابن معروف :

فلا تُكثروا فيها الضّجاج فإنه محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا

انتهى ما أورده التبريزى .

وقال محمد بن حبيب ، فى كتاب المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام[1] : إن سالم بن دارة هجا زميل بن أُبير ، وهو ابن أمّ دينار ، فقال فى قصيدة له طويلة :

آلىٰ ابنُ دارة جَهداً لايصالحُكمْ حتّى ينيك زميل أمَّ دينار

وحكى الحكاية كما ذكرتُ . إلى أن قال : ثم إن زميلا قدم المدينة ٢٩٤
فقضىٰ حوائجه ، حتّى إذا صدَر عن الشُّقْرة[2] سمع رجلا يتغنّى بشعر ، فعَرف زُميل صوت سالم ، فأقبل إليه فضربه ضربتين وعقَر بعيره . فحُمل سالم إلى عثمان بن عفّان ، فدفعه إلى طبيب نصرانى ، حتى إذا برأ والتأمت كلومُه دخل النصرانىّ ، وإذا سالم يُشامع امرأتَه[3] فاحتنقها عليه[4] فقال له النصرانى: إنى لأرى عظما ناتئا ، فهل لك أن أجعل عليه دواء حتى يسقط ؟ قال : نعم ، فافعلْ . فسمَّه فمات . ويقال : إن أمّ البنين بنتَ عيينة بن حصن الفَزارىّ ، وكانت عند عثمان بن عفّان ، جعلت للطبيب جُعلاً حتّى سمه فمات . اهـ .

---

(١) نشرته محققا فى نوادر المخطوطات ٢ : ١٠١ ـ ٢٧٨ . وهذا النص فى ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٢) الشقرة ، بالضم : قرية على طريق المدينة . معجم ما استعجم ٧٤٩ .

(٣) فى النسختين : « واذا سالم مع امرأته » ، صوابه فى كتاب ابن حبيب . شامعها : لاعبها وضاحكها .

(٤) فى كتاب ابن حبيب : « فاحتقنها عليه » .

وافتخر زميل بقتله وقال :

أنا زُميل قاتل ابن دارَهْ وغاسل المَخْزاة عن فَزارهْ[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد المائة ، وهو من شواهد س[2] :

١٠٦ (سَلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ)

على أنه إذا اُضطرّ إلى تنوين المنادى المضموم اقتصر على القدر المضطرّ إليه من التنوين . والقدرُ المضطَر إليه هو النون الساكنة ؛ فألحقت وأبقيتْ حركة ما قبلها على حالها ، إذ لا ضرورة إلى تغييرها ، فإنها تندفع بزيادة النون .

وهذا مذهب سيبويه والخليل والمازني . قال النحّاس والأخفش المجاشعي في المعاياة : وحجتهم أنّه بمنزلة مرفوع ما لا ينصرف ، فلحقه التنوين على لفظه .

واختار الزجّاجي في أماليه هذا المذهب ؛ لكنّه ردّ الحجّة فقال : الاسم العلم المنادىٰ المفرد مبنيّ على الضم ، لمضارعته عند الخليل وأصحابه للأصوات ، وعند غيره لوقوعه موقع الضمير ، فإذا لحقه [التنوينُ[3]] في ضرورة الشعر فالعلّةُ التي من أجلها بُني قائمةٌ بعدُ فيه ؛ فينوّن على لفظه ، لأنا قد رأينا من المبنيّات ما هو منوّن نحو إيهٍ وغاقٍ وما أشبه ذلك . وليس بمنزلة ما لا ينصرف لأن ما لا ينصرف أصله الصرف ، وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة [شعرٍ[3]] ولا غيرهِ إلاّ « أفعَل منِك » فإذا

(١) ط : « أيا زميل » ، صوابه في ش والتبريزى ١ : ٣٧٢ . ولزميل ترجمة في الاصابة ٢٩٧٣

(٢) سيبويه ١ : ٣١٣ . والعيني ١ : ١٠٨ / ٤ : ٢١١ والانصاف ٣١١ وابن الشجرى ١ : ٣٤١ ومجالس ثعلب ٩٢ ، ٢٣٩ ، ٥٤٢ والهمع ٢ : ٨٠ وأمالي الزجاجي ٨١ وشرح شواهد المغنى ١٦٠ والأغاني ١٤: ٦١ ، ٦٢

(٣) التكملة من أمالي الزجاجي

نوّن فإنما يردّ إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منصوبا منوّنا قط في غير ضرورة شعر . فهذا بيّن واضح . اه

وتبعه اللخميّ في أبيات الجمل ، ونقل هذا الكلام بعينه .

قال النحّاس : وحكى سيبويه عن عيسىٰ بن عمر (يا مطراً) بالنصب ؛ وكذلك رواه الأخفش في المعاياة وقال : نصب مطراً لأنه نكرة . وهذا ليس بشيء . قال المبرد : أما أبو عمرو وعيسىٰ ويونس والجرميّ فيختارون النصب ، وحجّتهم أنهم ردُّوه إلى الأصل ؛ لأنّ أصل النداء النصب كما ترده الإضافة إلى النصب ، قال : وهو عندى أحسن لردّه التنوين إلى أصله كما في النكرة .

وهذا البيت من قصيدة للأحوص الأنصارى ، وبعده :

أبيات الشاهد

(فلا غفرَ الإلهُ لمنكحيها   ذنوبَهمُ وإنْ صلُّوا وصاموا
كأنَّ المالكين نكاحَ سلمىٰ   غداةَ نكاحها مطرٌ ، نيامُ
فلو لم ينكحوا إلاّ كَفيئاً   لكان كفيئَها الملكُ الهُمامُ ٢٩٥
فإنْ يكن النكاحُ أحلَّ شيء   فإن نكاحَها مطراً حرامُ
فطلِّقها فلستَ لها بكفء   وإلاَّ يعلُ مفرِقَك الحسامُ !)

في الأغاني بسنده إلى محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاَّد الأنصارى قال :

قَدِم الأحوص البَصرة ؛ فخطب إلى رجل من بنى تميم ابنته ، وذكر له نسبه ، فقال : هاتِ لى شاهداً يشهد أنك ابن حَمِيِّ الدَّبْر وأزوِّجك . فجاءه بمن شهد له على ذلك . فزوّجه إياها ، وشرطت عليه أن لا يمنعها من أحد من أهلها . فخرج بها إلى المدينة ، وكانت أختها عند رجل من بنى تميم قريباً من طريقهم ، فقالت له : اعدِلْ بى إلى أختى . ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم ،

وكانت من أحسن الناس ، وكان زوجها فى إبلِه فقالت زوجة الأحوص له : أقِمْ حتى يأتى . فلما أمسَوا راحَ مع إبله ورعائه(١) وراحت غنمُه فراح من ذلك شيء كثير(٢) ، وكان يسمّىٰ مطراً . فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه ، وكان شيخاً دميماً ، فقالت له زوجته : قم إلى سلفك فسلِّم عليه . فقال الأحوص وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه :

سلام الله يا مطر عليها . . . . . الأبيات

وأشار إلى مطر باصبعه ، فوثب إليه مطرٌ وبنوه ، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجز بينهم . انتهى

وقال الزجاجى فى أماليه الوسطىٰ ، وتبعه اللخمىّ : كان الأحوص يهوىٰ أخت امرأته ويكتم ذلك وينَسِب فيها ولا يفصح ؛ فتزوّجها مطر فغلبه الأمر وقال هذا الشعر(٣) . وبعضهم لما لم يقف على منشأ الشعر قال : مطر اسم رجل وكان دميماً أقبح الناس ، وكانت امرأته من أجمل النساء وأحسنهن وكانت تريد فراقه ولا يرضى مطر بذلك فأنشد الأحوص هذه القصيدة يصف فيها أحوالها . هذا كلامه .

قوله : غداة نكاحها الخ ، الغَداة : الضَّحوة ، وأراد مطلق الوقت . ونكاحها : مصدر مضاف لمفعوله ؛ ومطر : فاعل المصدر ، وهو هنا بمعنى التزوّج والعَقد فى الموضعين ؛ ونيام : خبر كأن ، وروى بدله :

(١) فى النسختين : « راجع ابله ورعاءه » ، صوابه من الأغانى . والتصحيف هنا جد قريب .

(٢) الأغانى : « فراح من ذلك أمر كثير » .

(٣) فى الأمالى : « فبلغه الأمر وقال هذا الشعر . والكلام بعد هذا ليس فى الأمالى

* غداة يَعُرّهم مطرُ نيام *

مضارعُ عرّهم من باب قتل عُرّة بالضم ، وهو الفضيحة والقذر والجرب(١) ، يقال: فلان عُرّة كما يقال قذر للمبالغة .

وقوله : فلو لم ينكحوا .. الخ هو مضارع أنكحت الرجلَ المرأة ؛ فهو متعدّ لمفعولين بالهمزة ، والمفعول الأول ضمير سلمىٰ محذوف ؛ والكفِيء على وزن فعيل بمعنى الكفء والمماثل ، ويقال الكَفوء أيضاً على وزن فَعول .

وقوله : أحلّ شيء ، هو منصوب خبر يكن ، وهو أفعل تفضيل من الحلال ضدّ الحرام ؛ وروى الزجاجي (أحلَّ شيئاً) ، بنصب شيء ، فيكون أحلّ فعلاً ماضياً ؛ وقوله : فإن نكاحها مطراً ، يروى برفع مطر ونصبه وجرّه : فالرفع على أنه فاعل المصدر وهو نكاحها فيكون مضافاً إلى مفعوله ، والنصب على أنه مفعول المصدر فيكون مضافاً إلى فاعله ، والجر على أنه مضاف إليه ووقع الفصل بين المتضايفَين بضمير الفاعل أو المفعول . وقد أورد ابن هشام هذا البيت فى شرح الألفية شاهداً لهذا .

وقوله : وإلاّ يعلُ مفرِقك .. الخ أى وإنْ لم تطلّقها . وهذا البيت شاهد للنُّحاة فى اطّراد حذف الشرط فى مثله . والمفرق بفتح الميم وكسر الراء : الموضع الذى ينفرق فيه الشعر من الرأس ، وأراد به هنا الرأس .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الخامس والثمانين(٢) .

* * *

(١) ط : « والحرب » ، صوابه فى ش

(٢) انظر ص ١٦ من هذا الجزء .

وأنشد بعده، وهو الشاهد السابع بعد المائة:[1] . ٢٩٦

١٠٧ (يا لَلكهول ولِلشُّبانِ للعجبِ)

على أنّ لام المستغاث إنْ عطفت بغير يا كسرت، فلام للشبّان مكسورة، والقياس فتحها، وجاز الكسر لعدم اللبس. وهذا عجز وصدره:

(يَبكيك ناءٍ بعيدُ الدارِ مغتربُ)

يقال بكيته: بمعنى بكيت عليه. والنائى: أراد به بعيد النسب. وبعيدُ الدار وصف ناءٍ، ولا تضرُّ الإضافة إلى المعرفة لأنّها فى نية الانفصال لأن الدار فاعلة فى المعنى.

يقول: يبكى عليك الغريب، ويسرّ بموتك القريب، وهو أحد الأعاجيب.

والكهول: جمع كهل. والشُّبّان: جمع شابّ، قال ابن حبيب. زمان الغلوميّة سبعَ عشرة سنة، منذ يولد إلى أن يستكملها، ثم زمان الشبابيّة سبع عشرة سنة إلى أن يستكمل أربعاً وثلاثين، ثم هو كهل سبع عشرة سنة إلى أن يستكمل إحدىٰ وخمسين سنة، ثم هو شيخ إلى أن يموت.

وهذا البيت من شواهد جمل الزجاجى وغيره. ولم ينسبه أحد إلى قائله.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن بعد المائة، وهو من أبيات سيبويه[2]:

١٠٨ (يا لَعَطّافنا ويا لَرِياحِ)

على أن اللام فى المعطوف فُتحت كلامِ المعطوف عليه، لإعادة يا. وبعده:

---

(١) العينى ٤ : ٢٥٧ والهمع ١ : ١٨٠ والأشمونى ٣ : ١٦٥

(٢) سيبويه ١ : ٣١٩ . وانظر العينى ٤ : ٢٦٨ وابن يعيش ١ : ١٢٨، ١٣١ والهمع ١ : ١٨٠ والأشمونى ٣ : ١٦٥

(وأبِي الحشْرَجِ الفتىٰ النفّاحِ)

فأبِي الحشرج معطوف على يا لَعطافنا . وعطّاف ورِياح وأبو الحشرج : أعلامُ رجال . والنفّاح : الكثير النفح أى العطية : وقبله :

يا لَقومى ، مَن للعلا والمساعى يا لقومى ، مَن للندىٰ والسماح)

المساعى : جمع مَسعاة فى الكرم والجود .

رثىٰ هذا الشاعر رجالا من قومه وقال : لم يبق للعُلا والمساعى مَن يقوم بها بعدهم .

وهذا من الشواهد الخمسين التى لم يُعرف لها قائل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد المائة :

١٠٩ (فيا لَلّهِ من ألمِ الفِراقِ)

على أنَّ المستغاث له قد يجر بمن كما يجر باللام .

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : واعلم أنَّ قولنا المستغاث من أجله أعمُّ من أن يراد المستنصَر له والمستنصَر عليه ؛ إذ كلٌّ منهما وقعت الاستغاثة به لأجله أى بسببه ؛ فإذا كان المستغاث من أجله من النوع الأول لايجوز جرّه بمِن ألبتة بل يجر باللام ؛ وإذا كان من النوع الثانى جاز الوجهان ، فإن جرّ بمن وجب تعليقها بفعل التخليص أو الإنصاف ، وإن جرّ باللام فهى للتعليل ، وتتعلق بالفعل أو الاسم . اهـ

وهذا المصراع من شعر لعُبيد الله بن الحُرّ الجُعْفىّ ، رثى به الحسينَ بن علىّ رضى الله عنهما . وأوله :

أبيات الشاهد (يالكِ حسرةً ، ما دمتُ حيًّا تردَّدُ بين حلقى والترّاقى
حسيناً، حين يَطلبُ بذلَ نصرى(١) على أهل العداوة والشقاقِ
٢٩٧ ولو أنِّى أواسِيه بنفسى لنِلت كرامةً يومَ التلاقى
مع ابن المصطفى ، نفسى فِداه ! فيا لله مِن ألم الفراقِ
غداةَ يقولُ لى بالقَصْر قولا : أتتركنا وتزِمع بانطلاق
فلو فلَق التلهّفُ قلبَ حىٍّ لهمّ اليومَ قلبى بانفلاق !
فقد فاز الألى نصروا حُسيناً وخاب الآخرون أولو النفاق)

قوله : يالك حسرة ، هذا مخروم ؛ والخرم : إسقاط أوّل الوتِد . لكِ بكسر الكاف : ضمير مفسر لقوله حسرةً . وتَردّدُ : مضارع محذوف من أوله التاء . وحسيناً منصوب باذكرْ محذوفا .

وقوله : * فيالله من ألم الفراق *
روى بدلَه: * فولّى ثم ودّع بالفراق *

وعليه فلا شاهد فيه .

قال أبو سعيد السكّرى فى كتاب اللصوص بسنده إلى أبى مِخْنَف لوط ابن يحيى بن سعيد الأزْدى(٢) قال :

كان مِن حديثُ عبيد الله بن الحُرّ : أنّه كان شهد القادسية مع خالَيْه : زهير ومرثد : ابنى قيس بن مَشجَعة . وكان شجاعاً لايعطى الأمراء طاعةً ؛ ثم صار مع معاوية فكان يكرمه ، وكان ينتاب عبيدَ الله أصحابٌ له ، فبلغ ذلك معاويةَ فبعث إليه فدعاه ؛ فلما دخل عليه قال : يا ابن الحرّ ، ما هذه

(١) فى مقتل أبى مخنف لوط ص ٢٩ : « نصر مثلى » .
(٢) أبو مخنف لوط بن يحيى أخبارى تالف لا يوثق به ، قال ابن عدى : شيعى محترق ، روى عن جابر الجعفى ومجالد ، وروى عنه المدائنى وعبد الرحمن بن مغراء . مات قبل السبعين ومائة . لسان الميزان ٤ : ٤٩٢ والفهرست ١٣٦

الجماعةُ التى بلغنى أنها ببابك ؟ قال: أولئك بِطانتى ، أقيهم وأتقى بهم، إن نابَ جَور أمير. فقال معاوية : لعلّك يا ابن الحرّ قد تطلّعت نفسُك نحو بلادك، ونحوَ علىّ بن أبى طالب ! قال عبيد الله : إنْ زعمتَ أنَّ نفسى تطلَّعُ إلى بلادى وإلى علىّ إنى لجدير بذاك ، وإنه لقبيح بى الإقامةُ معك وتركى بلادى . فأما ما ذكرتَ من علىّ فإنك تعلم أنك على الباطل . فقال له عمرو بن العاص: كذبتَ يا ابن الحرّ وأثِمتَ ! فقال عبيد الله : بل أنت أكذبُ منى !! ثم خرج عبيد الله مغضبا وارتحلَ إلى الكوفة فى خمسين فارساً ، وسار يومَه ذلك ، حتى إذا أمسى بلغ مَسالح معاوية فمُنع من السير ، فشدّ عليهم وقتَل منهم نفراً وهرب الباقون ؛ وأخذ دوابّهم وما احتاج إليه ؛ ومضى لا يمرّ بقرية من قرى الشام إلا أغارَ عليها ، حتى قدم الكوفة — وكانت له امرأة بالكوفة وكان أخذها أهلُها فزوّجوها من عِكرِمة فولدت له جارية[1] — فقدم عبيد الله فخاصمهم إلى علىّ بن أبى طالب ؛ فقال له : يا ابن الحرّ ، أنت المالئ علينا عدوَّنا . فقال ابن الحر : أمَا إنّ ذلك لو كان لكان أثرِى معه بيِّنا ، وما كان ذلك ممَّا يُخاف من عدلك . وقاضَى الرجلَ إلى علىّ فقضى له بالمرأة . فأقام عبيد الله معها منقبضاً عن كلّ أمر فى يدَى علىّ ، حتى قُتل علىّ رضى الله عنه ، وحتى ولى عُبيد الله بن زياد وهلك معاوية وولى يزيد ، وكان من أمر الحسين ما كان .

قال أبو مِخنَف : لما أقبل الحسين بن علىّ — رضوان الله عليهما — فأتى قصر بنى مُقاتل ، فلمَّا قتَل عبيدالله بن زياد مسلم بن عَقيل بن أبى طالب وتحدّث أهل الكوفة : أن الحسين يريد الكوفة ؛ خرج عبيد الله بن الحرّ منها متحرِّجاً من دم الحسين ومَن معه من أهل بيته ، حتى نزل قصر بنى مقاتل ، ومعه خيل مضمَّرة ومعه ناسٌ من أصحابه . فلما قدِم الحسين رضى الله

(١) كذا فى ش . وفى المطبوعة (حارثه)

تعالى عنه قصرَ بنى مقاتل ونزل ، رأىٰ فسطاطاً مضروباً فقال : لمن هذا الفسطاط ؟ فقيل : لعبيد الله بن الحرّ الُجعْفىّ — ومع الحسين يومئذ الحجاج ابن مسروق ، وزيد بن مَعقل الُجعفيّان . فبعث إليه الحسينُ الحجاجَ بنَ ٢٩٨
مسروق ؛ فلما أتاه قال له : يا ابن الحرّ ، أجب الحسينَ بن علىّ . فقال له ابن الحرّ : أَبلِغ الحسينَ : أنه إنما دعانى إلى الخروج من الكوفة حين بلغنى أنك تريدها ، فِرارٌ من دمك ودماء أهل بيتك ، ولئلّا أعينَ عليك ؛ وقلتُ إن قاتلتهُ كان علىّ كبيراً وعند الله عظيما ، وإن قاتلتُ معه ولم أُقتل بين يديه كنت قد ضيّعت قتله ؛ وأنا رجل أحمَىٰ أنفاً من أن أمكّن عدوّى فيقتلنى ضَيعة ، والحسين ليس له ناصر بالكوفة ولا شيعةٌ يقاتل بهم. فأبلَغ الحجّاجُ الحسينَ قولَ عبيدالله فعظُم عليه ، فدعا بنعليه ثم أقبل يمشى حتّى دخل على عبيدالله بن الحرّ الفسطاطَ ؛ فأوسع له عن صدر مجلسه وقام إليه حتّي أجلسه . فلما جلس (قال يزيد بن مرة : فحدَّثنى عبيد الله بن الحرّ قال : دخل علىَّ الحسينُ رضى الله عنه ولحيتهُ كأنّها جَناح غراب ! وما رأيت أحداً قطّ أحسنَ ولا أملأَ للعين من الحسين ! ولا رققت على أحد قطّ رِقّتى عليه حين رأيتهُ يمشى والصِّبيان حولَه) فقال له الحسين : ما يمنعك يا ابن الحرّ أن تخرج معى ؟ قال ابن الحرّ : لو كنتُ كائناً من أحد الفريقين لكنتُ معك ، ثم كنت من أشدِّ أصحابك على عدوّك ؛ فأنا أحِبُّ أن تعفيَنى من الخروج معك ، ولكنْ هذه خيل لى مُعَدَّة وأدلّاء من أصحابى ، وهذه فرسى «المحلّقة[1]» فاركبْها ، فوالله ما طلبتُ عليها شيئاً قطّ إلّا أدركتهُ ، ولا طلبنى أحدٌ إلا فُتّهُ ! فاركبْها حتّي تلحقَ بمأمَنك ، وأنا لك بالعِيالات حتّي أؤدّيَهم إليك أوأموتَ وأصحابى عن آخرهم ؛ وأنا كما تعلم إذا دخلت فى أمر لم يضمنى فيه أحد . قال الحسين : أفهذه نصيحة لنا منك يا ابن الحر ؟ قال : نعم واللهِ الذى لا فوقه

(١) فى القاموس (حلق) : « وكمعظمة » : فرس عبيد الله بن الحر » .

شيء ! فقال له الحسين : إني سأنصح لك كما نصحتَ لي ، إن استطعتَ أن لا تسمع صُراخنا ولا تشهدَ وقْعتنا فافعلْ ؛ فواللهِ لا يسمعُ داعيَتنا أحدٌ لا ينصرُنا إلا أكبّه الله في نار جهنم ! ثم خرج الحسين من عنده ، وعليه جبّةُ خزٍّ وكساء وقلنسوة مورّدة (قال : ثم أعدت النظر إلى لحيته فقلت : أسوادٌ ما أرى أم خضاب ؟ قال : يا ابن الحرّ عجَّل على الشيب . فعرفت أنه خِضاب) وخرج عبيدالله بن الحرّ حتى أتى منزله على شاطىء الفرات فنزله . وخرج الحسين رضى الله عنه فأصيب بكرْبَلاء ومَن معه ، وأقبل ابن الحرّ بعدَ ذلك فمرّ بهم، فلما وقف عليهم بكىٰ . ثم أقبل حتى دخل الكوفة ، فدخل على عبيدالله بن زياد بعدَ ثالثةٍ ، وكان أشراف الناس يدخلون عليه ويتفقّدهم — فلمّا رأى ابنَ الحرّ قال له : أين كنت ! قال : كنتُ مريضا . قال : مريض القلب أم مريض الجسد[1] ؟ قال : أمّا قلبي فلم يمرضْ قطّ ، وأما جسدي فقد مَنّ الله تعالى عليَّ بالعافية . قال : قد أبطلْت ! ولكنّك كنتَ مع عدوّنا . قال : لو كنت مع عدوّك لم يخفَ مكاني . قال : أمّا مَعنا فلم تكن ! قال : لقد كان ذاك . ثم استغفل ابنَ زياد والناس عنده فانسلّ منه ثم خرج فنزل المدائن، وقال : لئن استطعت أن لا أرى له وجهاً لأفعلنّ ؛ ورثى الحسينَ وأصحابَه الذين قُتلوا معه بالشعر المتقدّم[2] ، وبقوله :

يقول أميرٌ غادرٌ حقٌّ غادرٍ : ألا كنتَ قاتلتَ الشهيدَ ابنَ فاطمه

(١) في الطبري ٦ : ٢٧٠ عن أبي مخنف : « مريض القلب أو مريض البدن » .

(٢) ذكر الميمني أن الشعر المتقدم ليس في الرثاء ، وانما أنشده على قعوده عن نصرة الحسين بعد أن سار الى كربلاء وفارقه . وقال : « غير أن الأبيات الميمية ليست له البتة ، وانما هي للحر بن يزيد الرياحي ، كما هو عند أبي مخنف ٤٥ . فلا أدري هل هذا الوهم من أبي سعيد ، أو من نساخ كتابه ، أو من البغدادي » . هذا ماذكره ، لكن الطبري يعزو الشعر التالي الميمي الى عبيد الله بن الحر . انظر ٦ : ٢٧٠ — ٢٧١ .

ونفسى على خِذلانه واعتزاله وبيعةِ هذا الناكثِ العهد لائمه(١)
فواندمى أن لا أكونَ نصرتُه ! ألا كلُّ نفس لا تسدِّد ، نادِمَهْ !(٢) ٢٩٩
وإنّى ، لأنّىَ لم أكن من حُماته ، لذو حسرةٍ ما إن تفارقُ ، لازمه !
سقىٰ الله أرواحَ الذين تآزروا على نصرهِ سُقياً ، من الغيث ، دائمه !
وقفتُ على أجداثهم ومَجالِهمْ فكاد الحشا ينقضّ والعين سَاجمه(٣)
لَعمرى لقد كانوا مصاليتَ فى الوغىٰ سِراعاً إلى الهَيجا حُماةً ضَبارمَهْ(٤)
تآسَوا على نَصْر ابن بنت نبيِّهمْ بأسيافهمْ آسادَ غِيلٍ ضراغمَهْ(٥)
فإن يُقتلوا فكلُّ نفسٍ زكيّةٍ على الأرض قد أضحت لذلك واجمه(٦)
وما إن رأى الراءون أصبرَ منهمُ لدى الموت سادات وزُهراً قَماقمه(٧)
أتقتلُهمْ ظُلماً وترجو وِدادَنا فدَعْ خطّةً ليست لنا بملائمه
لعمرى لقد راغمتمونا بقتلهمْ فكمْ ناقمٍ منّا عليكم وناقمه
أهمُّ مراراً أن أسير بجحفلٍ إلى فئةٍ زاغتْ عن الحقِّ ، ظالمهَ
فكُفّوا ! وإلاّ زرتكم فى كتائب أشدَّ عليكم من زُحوف الديالمهَ !(٨)

ثم إن ابن الحرّ لم يزل يشغَب بابن زياد وبالمختار وبمصعَب بن الزبير . وجرت بينه وبين مصعَب محارَبات عديدة . ثم سار إلى عبدالملك بن مرْوان

(١) لم يروه الطبرى
(٢) أبو مخنف : « لا تؤاسيه نادمه »
(٣) الطبرى : « ينفض » أبو مخنف : « ينفت » ط : « ومحالهم» صوابه فى ش وعند ابى مخنف : « على أجسادهم وقبورهم »
(٤) ط : « ضيارمة » صوابه بالباء كما فى ش ، ولعلها جمع ضبارم، وهو الشديد الخلق من الأسد . وعند أبى مخنف : « ليوثا ضراغمه » ، وفى الطبرى : « حماة خضارمه » .
(٥) أبو مخنف : « قشاعمه » .
(٦) الطبرى : « فكل نفس تقية »
(٧) الطبرى : « أفضل منهم »
(٨) الطبرى : « والا ذرتكم » ، وما هنا صوابه

وقال له : إنّما أتيتك لتوجّه معى جنداً لقتال مصعَب بن الزبير . فأكرمه عبدالملك وأعطاه أموالاً وقال له : سرْ فإنى أقطع البعوث وأُمدّك بمائة ألف . فسار ابن الحرّ حتّي نزل بجانب الأنْبار ، واستأذنه أصحابه فى دخول الكوفة . وبلغ ذلك عبيدَالله بن العباس السُّلَمىّ فاغتنم الفرصة فسأل الحارثَ بن عبدالله ، وكان خليفة مصعَب على الكوفة ، وأخبره بتفرّق أصحابه عنه . فبعثه فى مائة فارس من قيس ، واستمدّ خمسمائة فارس منهم أيضا وسار حتّى لَقُوه ، وهو فى عشرة من أصحابه . فأشاروا عليه بالذّهاب فأبىٰ ؛ وقاتلهم حتّي فشتْ فى أصحابه الجراحاتُ فأذن لهم فى الذّهاب ؛ وقاتلهم على الجسر فقتل منهم رجالا كثيرة ، حتّي انتهى إلى المِعبر فدخله . فقالوا : لنَبَطىّ : هذا الرجلُ بُغيةُ أمير المؤمنين ، فإن فاتكم قتلنا كم . فوثب إليه نبطىٌ قوىّ فقبض على عضدَى ابنِ الحرّ ، وجراحاته تشخَب ، وضربه الآخرون بالمجاديف . فلما رأى ابن الحر أن المِعبَر قد قرُب إلى القيسيّة قبض على الذى قبض عليه ، فعالجه حتّي سقطا فى الماء لا يفارقه ؛ حتى غرقا جميعا (وسُمع شيخ يُنادى وينتِف لحيته ويقول : يا بَخْتيار ؟ يا بختيار ؟ فقيل له : مالَكَ ياشيخ ؟ قال : كان ابنى بختيار يقتل الأسد ، وكان يُخرج هذا المِعبَر من الماء فيقرّه ثم يعيده وحدَه ، حتى ابتُلى بهذا الشيطان الذى دخل السفينةَ فلم يُملكه من أمره شيئاً حتّي قذف به فى الماء فغرقا جميعا ! فجعلوا يسكّنونه وهو يقول : ما كان لِيُغرق ابنى إلا شيطان !) فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك جزع عليه جزعاً شديداً وندم على بعثِه إيَّاه ، وتمنى أن يكون بعث معه الجيوش .

وقد فصَّل السكرىّ وقائعه وحروبه ، وجمعَ أشعاره فى كتاب اللصوص (١) بما لا مزيد عليه .

(١) الميمنى : « هو الذى طبع منه المستشرق رايت الانكليزى بليدن فى مجموعة جرزة الحاطب ديوان طهمان الكلابى اللص من غير أن يشعر بذلك . فانظر رسوم أمكنته فى معجم البلدان تجزم بما قلنا » .

٣٠٠ وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد المائة وهو من شواهد س[1] :

١١٠ (يالبَكرٍ أنشِرُوا لى كليباً يالَبكرٍ أين أينَ الفِرارُ)

على أن هذه اللام داخلة على المنادى المهدَّد[2] .

وهذا المعنى هو الجيِّد ، ومأخذه من هذا البيت واضحٌ لاخفاء به ، ولا معنى للاستغاثة فيه كما حققه الشارح .

وفيه مخالفة لسيبويه فى جعلها للاستغاثة .

وحملها النحّاس على الاستهزاء فقال : إنما يدعوهم ليهزأ بهم ، ألا تراه قال : أنشروا لى كليبا .

وقال الأعلم : والمستغاث من أجله فى البيت هو المستغاث به ، والمعنى : يالَبكر أدعوكم لأنفسكم مطالباً لكم فى إنشار كليب وإحيائه ، وهذا منه استطالة ووعيد ، وكانو قد قتلوا كليبا أخاه فى أمر البسوس اهـ .

وكأنّ الشارحَ انتزع ما قاله من هنا . والله أعلم .

أبيات الشاهد وهذا البيت لمهلهل : أخى كليب ، أول أبيات ثلاثة[3] قالها بعد أن أخذ بثار أخيه كليب ، ثانيها :

---

(١) سيبويه ١ : ٣١٨ . والخصائص ٣ : ٢٢٩ والعقد ٥ : ٤٧٨

(٢) بعده فى الرضى ١ : ١٢١ : « نحو يالزيد لأقتلنك » .

(٣) الميمنى : « الأبيات فى حديث البسوس ٥٢ ثمانية مصحفة ، هاكها بعد تصحيحها وتصحيح ما فى الخزانة بقدر الطاقة :

يالَبكرٍ أنشروا لى كليباً يالبكر أين أين الفرار
يالبكرٍ اظْعنوا ثم حُلّوا صَرَّحَ الشرُّ وباحَ السرار =

(تلك شيبانُ تقول لبكرٍ : صرّح الشرّ وباح الشَّرار[١]
وبنو عِجْلٍ تقول لقيس ولتَيم الله : سيروا . فساروا)

وقوله (أنشروا) بفتح الهمزة وكسر الشين ، يقال أنشر الله الميت : إذا أحياه ؛ ويتعدَّى بدون الهمزة أيضاً ؛ فإنّ نشر من باب قعد جاء لازماً نحو : نَشر الموتى : أى حَيُوا ، ومتعدّياً نحو نشرهم الله .

وصرُح الشىء بالضمّ صَراحة وصُروحة : خلَص من تعلُّقات غيره . وباح الشىء يبوح من باب قال : ظهر . والشرار : ما تطاير من النار ، الواحدة شرارة .

= سفهت شيبانُ لما التقينا إنّ عود التغلبي نُضار
يا كليبَ الخيرلستُ براضٍ دون روح تراح منه الديار
أو أغادر قتلى تقرُّ بعينى ويؤدّى ما عنده المستعار
اسألوا جهرة إياداً ولخماً والحليفين حين سرنا وساروا
إذ دلفناهم وبكراً جميعاً فأسرنا سَراتَهم حين ساروا
وقتلنا قيس بن عَيلان حتى أمعنوا فى الفرار حيث الفرار

والأبيات كما ترى من وزنين مختلفين ، الأولى من الرمل ، والآخرة من الخفيف ، فضلا عن الأغلاط . وهى أكثر فى الأصل مما بقى منها هنا . وأرى بعض الأشعار لا سيما الطوال منها مفتعلة ، وان رواها ابن اسحاق والكلبى » .

(١) الميمنى :«وهن على وهن ، والصواب : السرار ،أى ظهر السر. نعم لو كان : باخ الشرار ، بالخاء والشين بمعنى خمدت النار لكـــان شيئا » .

ترجمة المهلهل

و (مهلهل) قال الآمدى : اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث[١] بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب[٢] وهو الشاعر المشهور . ويقال اسمه عدىّ . اﻫ .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : مهلهل بن ربيعة هو عدىّ بن ربيعة . وسُمِّىَ مهلِهلا لأنه هَلهل الشعر أى أرقّه ، ويقال : إنه أوّل من قصَّد القصيد ، قال الفرزدق :

* ومهلهلُ الشعراء ذاك الأولُ *

وهو خال امرىء القيس بن حُجْر صاحب المعلّقة . انتهى .

والصحيح هذا . ويدلّ له أنه ذكر اسمه فى شعره فقال :

---

(١) وكذا فى سمط اللآلىء ١١١ ثم قال : « وقيل : اسمه عدى ، والشاهد لذلك قوله :

ضربت صدرها إلىّ وقالت
يا عديا لقد وقتك الأواقى

ومن قال : ان اسمه امرؤ القيس يروى هذا البيت :

ضربت صدرها إلىّ وقالت يا امرأ القيس حان وقت الفراق

أو يقول :ان هذا انما هو أخوه» . قال الميمنى : «والبيت من قصيدةفى خبر البسوس ص ١١٤ فى خمسة عشر بيتا والأغانى ٤ : ١٤٧ وعند العينى ٤ : ٢١١ . وهذا لفظه : « ضربت صدرها الى وقالت ياعديا ... البيت . أقول قائله هو مهلهل ، واسمه امرؤ القيس .. الخ . فكأنه يرى أن عديا هو أخو امرىء القيس مهلهل . ولكن فى خبر البسوس ٢٩ : « كان لكليب أربعة اخوة : عدى وهو مهلهل ، والسجاد الشاعر ، وامرؤ القيس ، وعبد الله ، بنو ربيعة » . قلت : وفى جمهرة ابن حزم ٣٠٥ : « ومن بنى الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب : كليب ، ومهلهل ، وعدى ، وسلمة ، بنو ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم » .

(٢) فى النسختين : « غانم بن تغلب » ، صوابه فى الجمهرة ٣٠٣ والأغانى ٤ : ١٤٨

ضربتْ صدرها إلىّ وقالتْ : يا عدىّ لقدْ وقَتْكَ الأواقى !

ولم يقل أحدٌ قبله عشرَة أبيات . وقال الغزل وعنى بالنسيب فى شعره . ويقال سُمِّىَ مهلهلا بقوله :

* هلهلتُ أثأر مالكا أو صِنْبِلا (١) *

قال ابن سلاّم : زعمت العربُ أنه كان يتكثّر ويدّعى فى قوله بأكثر من فِعله . وكان شعراء الجاهلية فى ربيعة أولهم المهلهل ، والمرقِّشان ، وسعد ابن مالك(٢) .

و (المهلهل) : أخو كليب الذى هاج بمقتله « حرب البسوس » ، وهى حرب بكر وتغلب ابنى وائل . وكان من خبرها ما حكاه ابن عبد ربه فى العقد الفريد والأصبهانى فى الأغانى . وقد تداخل كلام كلّ منهما فى كلام الآخر .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : ما اجتمعت معدٌّ كلُّها إلا على ثلاثةِ رهط من رؤساء العرب ، وهم عامر ، وربيعة ، وكليب . فالأول(٣) عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث . وهو قائد معدّ يوم

(١) ط : « ضنبلا » بالضاد المعجمة ، صوابه فى ش واللسان (هلل) والمزهر ٢ : ٤٣٤ . وفى القاموس (صنبل) : « وكخندف : علم رجل من تغلب » . وهلهلت : قاربت . وصدره :

لما توغل فى الكراع هجينهم

(٢) النص فى ابن سلام ٣٣ ــ ٣٤ مع بعض خلاف . وبعده فى ابن سلام : « وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسيب بن علس » . ط : « سعيد بن مالك » صوابه فى ش وابن سلام

(٣) فى النسختين : « فهو » ، وما أثبته من العقد ٥ : ٢١٣

٣٠١ البيداء[١] حين تمذجحت مذحِج وسارت إلى تِهامة وهى أول وَقْعة كانت بين تهامة واليمن[٢] .

والثانى : ربيعة بن الحارث بن مرّة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن كعب وهو قائد معدّ يوم السُّلّان[٣] ، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن .

والثالث : كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه « أعزُّ من كليب وائل » وقاد معدًّا كلها [يوم خُزاز[٤]] ففضّ جموع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه معدّ كلها وجعلوا له قَسْم الملك وتاجَه ، وتحيّته وطاعته ، فغبر بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهوٌ شديدٌ وبغىٌ على قومه ؛ حتّى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقعَ السحاب فلا يُرعىٰ حِماه ؛ وكان يحمى من المرعىٰ مدى صوت كلب فيختصّ به ، ويشاركهم فى غيره ؛ ويجيرُ على الدهر فلا تخفر ذمّته ، ويقول : وحش أرضِ كذا فى جوارى فلا يُهاجُ ، ولا يورِد مع إبله أحد ، ولا توقَدُ نار مع ناره ؛ حتى قالت العَرب : « أعزُّ من كليبِ وائل » .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دارٍ واحدة بتهامة ، وكان كليب قد تزوّج [جليلة[٥]] بنت مرّة بن ذهل بن شيبان ، وأخوها جسّاس بن مرّة ؛ وكانت لجسّاس خالة تسمى « البَسوس بنت منقذ التميميّة » ، جاورت ابن أختها

---

(١) البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة ، وهى الى مكة اقرب . معجم البلدان .

(٢) فى النسختين : « وهى أول وقيعة كانت بين تهامة واليمن » ، صوابه فى العقد

(٣) فى النسختين : « الميلان » صوابه من العقد . وانظر معجم البلدان .

(٤) التكملة من العقد . وهو جبل بطخفة بين البصرة الى مكة .

(٥) التكملة من العقد

جسّاساً ، وكان لها ناقة يقال لها . سَراب ، ولها[١] تقول العرب : « أشأمُ من سَراب » ، و «أشأمُ من البَسوس » ، فمرّ إبل كليب بسَراب وهى معقولة بفِناء البسوس ؛ فلما رأت سرابُ الإبلَ خلخلت عقالها[٢] وتبعتْ إبلَ كليب فاختلطتْ بها ، حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معه قوسٌ وكنانة ؛ فلما رآها أنكرها فرماها بسهم فى ضرعها ، فنفرت سرابُ وولّت حتى بركت بفِناء صاحبتها ، وضرعُها يشخَب دماً ولبناً ، فبرزت البسوس صارخةً ، يدها على رأسها ، تصيح : واذُلّاه ؟ وأنشأت تقول :

لعمرىَ ، لو أصبحتُ فى دار منقذ ... لما ضِيم سعدٌ وهو جارٌ لأبياتى[٣]
ولكنَّنى أصبحتُ فى دارِ غُربْةٍ ... متى يَعدُ فيها الذئبُ يعدُ على شاتى
فيا سعدُ لا تُغرَرْ بنفسك وارتحلْ ... فإنك فى قوم عن الجار أموات

فلما سمع جسّاسُ صوتَها سكّنها وقال : والله ليُقتلنّ غداً جملٌ عظيمٌ أعظمُ عَقراً من ناقتك . فبلغ كليباً فظن أنه أراد قتلَ (عُلَيّان) ، وهو فحل كريم له ، فقال : هيهات ، « دون عُلَيَّان خَرطُ القتاد » ثم انتجع الحىُّ فمروا على نهر يقال له «شُبَيْث»[٤] فنهاهم كليب عنه ، ثم على آخر يقال له « الأحصّ » فنهاهم عنه ، حتى نزلوا على الذنائب[٥] فمر جساسٌ بكليب وهو على غدير

(١) فى النسختين وكذا فى العقد : « ولها » ، والوجه ما أثبت .
(٢) فى العقد : « نازعت عقالها حتى قطعته » .
(٣) فى حرب البسوس ص ٣٥ : « فى آل منقر » . وبعد هذه الأبيات الثلاثة فيها أربعة أخرى .
(٤) ط : « شبيب » صوابه فى ش والأغانى ٤ : ١٠٤ . وانظر معجم البلدان (الأحص ، وشبيث) وفى رسم الأحص : « فمروا على نهى يقال له شبيث » . ونحوه فى الأغانى .
(٥) ط : « السائب » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح والأغانى

الذنائب منفردا فقال : أطردْت أهلنا(١) عن المياه حتى كدتَ تقتلهُمْ عطشاً ؟ ! فقال كليب: ما منعناهم من ماء إلاّ ونحن له شاغلون . فقال جسّاس : هذا كفعلك بناقة خالتى قال : أوقَدْ ذكرتها ، [أما إنى(٢)] لو وجدتها فى غير إبل مرّة لاستحللت تلك الإبل . فعطف عليه جسّاس فطعنه فأذراه(٣) ووجد الموتَ فقال : يا جسّاسُ اسقنى ؟ فقال : هيهات ، تجاوزتَ شُبيثاً والأحصّ ؟

ورُوى أن البسوس لمّا صرخت وأحمت جسّاساً ركب فرساً له ، وتبعه عمرو بن الحارث بن ذُهل بن شيبان ، ومعه رمحه ، حتى دخلا على كليبٍ الحمىٰ ، فضربه جسّاس فقصم صُلبه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قَطَنه ، فوقع كليب يفحص برجلِه ، فلما فرغ من قتله جاء إلى أهله وأخبرهم ٣٠٢
بأنه قتل كليباً ثم هرب . وكان همّام بن مرة أخا جسّاس ، وكان ينادم المهلهل أخا كليب ، وكان قد صادقه وواخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيئاً . فجاءت أَمَةٌ إليه فأسرّت إليه قتلَ جساس كليباً ، فقال له مهلهل : ما قالت لك ؟ فلم يخبره . فذكّره العهد ، فقال: أخبرتْ أن أخى قَتل أخاك . فقال: استُ أخيك أضيق من ذلك ! فسكت ، وأقبلا على شرابهما ، فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمّام يشرب شرب الخائف ، فلم تلبث الخمر أن صرعت مهلهِلا ، فانسلّ همام فأتىٰ قومه بنى شيبان وقد قوّضوا الخيام وجمعوا الخيل والنَعم ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له النهى .

---

(١) ط : « ابلنا » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومعجم البلدان (الأحص) والأغانى ٤ : ١٤٠ .

(٢) التكملة من معجم البلدان والأغانى .

(٣) أذراه : ألقاه . وهكذا وردت فى النسختين .

ولما ظهر قتل كليب وأفاق مهلهل اجتمعت إليه وجوه قومه ؛ فاستعدّ لحرب بكر ، وترك النساء والغزل ، وحرّم القِمار والشراب ، وأرسل إلى بنى شيبان وهو فى نادى قومه . فقالت الرسل : إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليباً بناب من الإبل ؛ فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمة ، وإنّا كرهنا العجلة عليكم دون الإعذار إليكم ؛ ونحن نعرِض عليكم إحدى خلال أربع ، لكم فيها مخرَج ولنا مَقنَع. فقال مرّة : ما هى؟قالوا : تحيي لنا كليباً ؛أو تدفع إلينا جسّاساً قاتلَه نقتله به ؛ أو همّاماً فإنه كفء له ؛ أو تمكّننا من نفسك فإن فيكَ وفاءً من دمه . فقال : أما إحيائى كليباً فهذا ما لا يكون ؛ وأما جسّاس فإنه غلام طَعن طعنةً على عجَل ثم ركب فرسه فلا أدرى أىُّ البلاد احتوت عليه ؛ وأما همّام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلُّهم فرسان قومه ، فلن يسلموه إلىّ فأدفعَه إليكم ليُقتل بجريرة غيره ؛ وأمّا أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جَولة فأكون أوّل قتيل فيها(١) فما أتعجّل من الموت ؛ ولكن لكم عندى إحدى خَصلتين : أما إحداها فهؤلاء بَنىَّ الباقون فعلّقوا فى عنق من شئتم نِسعة وانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذبحَ الخروف(٢) وإلاّ فألفُ ناقةٍ سوداء المُقَل(٣) ، أقومُ(٤) لكم بها كفيلاً من بكر بن وائل . فغضب القوم وقالوا : لقد أسأتَ فى الجواب وسُمتَنا اللبنَ مِن دم كليب . ووقعت الحرب بينهم ، ولحقت زوجة كليب بأبيها وقومها . ودعت تغلبُ النمر بن قاسط فانضمّت إليها(٥) وصاروا يداً معهم على بكر ، ولحقت بهم غُفَيلة بن

(١) فى العقد ٥ : ٢١٦ : « بينها » .
(٢) فى العقد : « ذبح الجزور » .
(٣) فى النسختين : « المقلة » ، صوابه فى ش .
(٤) العقد : « أقيم » . وفى الأغانى : « وان شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل » .
(٥) العقد : « فانضمت الى بنى كليب » .

قاسط[١] ،واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوتهم ، وأعظموا قتلَ جساس كليباً بناب من الإبل ، فظعنت لُجيم عنهم وكفّت يشكُر عن نُصرتهم ، وانقبض الحارث بن عُباد فى أهل بيته (وهو أبو بجير[٢] وفارس النعامة) .

قال أبو المنذر : أخبرنى خِراش : أن أول وقعة على ماء كانت بنو شيبان نازلة عليه[٣] ، ورئيس تغلب المهلهل ، ورئيس شيبان الحارث بن مُرّة ، فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة فى شيبان ، واستحرّ القتلُ فيهم ، إلّا أنه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بنى مُرة .

يوم الذنائب

ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم وقعة كانت لهم ، فظفرت بنو تغلب وقُتلت بكرٌ مقتلة عظيمة ، وفيها قتل شَراحيل بن مرّة بن همّام بن مرّة بن ذُهْل بن شيبان (وهو جد الحَوْفَزان ، وهو جدّ معْن بن زائدة . والحوفزان هو الحارث بن شَريك بن عمرو بن قيس بن شَراحيل) قتله عتّاب بن قيس بن زهير بن جُشَم ، وقُتِل الحارث بن مرّة بن ذُهْل بن شيبان ، قتله كعب بن
٣٠٣ زهير بن جشم وقُتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرُو بن مندوس بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة ، وقتل من بنى تيم الله جَميل بن مالك بن تيم الله ، وعبدالله بن مالك بن تيم الله وقُتل من بنى قيس بن ثعلبة [سعد بن ضُبيعة بن قيس، وتميم ابن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الخرِفين[٤]] ، وكان شيخاً كبيراً . فهؤلاء من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب .

(١) غفيلة بن قاسط بن هنب كما فى جمهرة ابن حزم ٣٠٠ ومختلف القبائل ١٣ ونهاية الأرب ٢ : ٣٣٠ والقاموس (غفل) وفى النسختين : « عقيلة » تحريف .
(٢) وفى رواية أنه ابن أخيه ، كما سيأتى فى ص ١٧٢
(٣) هو « النهى » كما فى العقد ٥ : ٢١٨
(٤) التكملة من العقد .

يوم واردات

ثم التقوا بواردات ، وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمَّينا ؛ فظفرت بنو تغلب واستَحَرَّ القتل فى بنى بكر ، فيومئذ قتل شَعْثَم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر ابن ذهل بن ثعلبة ، وسيّار بن حارث بن سيّار ، وفيه قُتل همّام بن مرّة أخو جساس ، فمر به مهلهلٌ مقتولا فقال له : والله ما قُتل بعد كليب قتيل أعزُّ علىَّ فقداً منك ؟ وقتلَه ناشرة ، وكان همّام ربّاه وكفلَه ، كما كان ربّى حذيفةُ ابن بدر قِرْواشاً فقتله يوم الهَباءة .

يوم عنيزة

ثم التقوا بعُنيزة ، فظفرت بنو تغلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائعُ كثيرة ، كلُّ ذلك [كانت(١)] الدائرة فيها لبنى تغلب على بنى بكر .

وقال مهلهل يصف الأيام وينعاها على بكر ، فى قصيدة طويلة أوّلها :

أليلَتنا بذى حُسُمٍ أنيرى إذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحُورى

وقال مهلهل لما أسرف فى القتل :

أكثرتُ قتلىٰ بنى بكر بربِّهم حتّى بكيتُ وما يَبكى لهم أحدُ

آليتُ بالله لا أرضى بقتلهم حتى أُبهرِج بكراً أينما وُجدوا

(قال أبو حاتم : أبهرج : أدعُهم بَهرَجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية ويقال : المبهرَج من الدَّراهم من هذا) . وقال أيضاً :

يا لَبكر أنشروا لى كليباً . . الأبيات الثلاثة

وله أشعار كثيرة فى رثاء أخيه كليب .

ثم إن المهلهل أسرفَ فى القتل ، ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر أوقَع ، وكانت أكثرُ بكر قعدت عن نُصرة بنى شيبان لقتلهم كليباً ، وكان الحارث

(١) التكملة من العقد . وفيه بعده : « الدائرة فيه » .

ابن عُباد قد اعتزل تلك الحروب وقال : « لا ناقةَ لىَ فى هذا ولا جَملَ »
فذهبت مثلا . فاجتمع قبائل بكر إليه فقالت : قد فَنى قومك ! فأرسل بجيراً بجير
ابنَ أخيه إلى مهلهل وقال له : قل له : إنى قد اعتزلتُ قومى لأنهم ظلموك ،
وخلّيتك وإياهم . وقد أدركتَ ثأرك وقتلت قومك . فأتى بجير إليه فقتله
مهلهل (كما تقدّم شرحه عند الكلام على قوله :

مَنْ صدّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيس لا بَراحُ

وهو الشاهد التاسع والسبعون[1]) فبعد ذلك نهض الحارثُ للحرب فقاتَل
تغلبَ حتّي هرب المهلهلُ ،وتفرّقت قبائل تغلب وكان أوّلَ يوم شهده الحارث
ابن عُباد يومُ قِضة (وهو يوم تَحلاق اللِمَ) وفيه أسر الحارث بن عُباد
مهلهلا وهو لا يعرفه (واسمه عدىّ بن ربيعة) فقال له : دُلَّني على عَدىّ
وأخلّى عنك فقال له : عليك العهد بذلك إن دللتك عليه ؟ قال : نعم ؛ قال :
فأنا عدىّ ! فجزّ ناصيتَه وتركه . وقال فيه :

لهفَ نفسى على عدى ولم أعـ ـرِفْ عديًا إذْ أمكنتنى اليدانِ

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان ، قتلهما جَحدر بن ضُبيعة[2].

ثم إن مهلهلا فارقَ قومه ولم يزل مقيما فى أخواله بنى يشكر ضجراً من
الحرب وأرسل الحارث بن عمرو بن معاوية الكندى وهو جد امرىء القيس ٣٠٤
ابن حجر فى الصُّلح بينهم والتمليك عليهم ؛ وقد كانوا قالوا : إنّ سُفهاءنا
غلبوا علينا وأكل القوىّ منا الضعيف ، فالرأى أن نملّك علينا ملكا نعطيه
البعير والشاة فيأخذ من القوىّ ويردّ الظالم ، ولا يكون من بعض قبائلنا فيأباه

(١) صوابه « الحادى والثمانون » . انظر ص ٤٦٧ من الجزء الأول.
(٢) فى النسختين « حجر بن ضبيعة » صوابه من الأغانى والعقد .

الآخرون فلا تنقطع الحروب فأصلح بينهم وشغلهم بحرب اللخميين من بنى غسان ملوك الشام ، وبقى مهلهل وحيداً عند أخواله إلى أن مات . قيل : وُجد ميّتاً بين رجلَىْ جمل هاج عليه . وقيل بل مات أسيراً ، وذلك أنه لما نزل اليمن نزل فى بنى جَنْب (وجَنْب من مَذحِج) فخطبوا إليه ابنته فقال لهم : إنى طريدٌ بينكم فمتى أنكحتكم ؟ قالوا : اقتسروه . فأجبَروه على تزويجها وساقوا إليه فى صَدَاقها أدَماً فقال :

أنكحها فقدُها الأراقمَ فى جَنْب وكان الحِباء من أدمِ

فى أبيات .. ثم انحدر فلقيه عوف بن مالك ، أبو أسماء صاحبةِ المرقّش الأكبر ، فأسره فمات فى أسره .

قال السكّرىّ فى أشعار تغلب : أسر مهلهلا عوفُ بن مالك أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وإن شبّاناً من شبّان بنى قيس بن ثعلبة أتوا عوفَ بنَ مالك ، أحد بنى قيس فقالوا : أرسل معنا مهلهلاً ، فأرسلَه معهم ، فشرب فلما رجع جعل يتغنّي بهجاء بكر بن وائل ، فسمعه عوف بن مالك فغاظه فقال : لاجرم إن لله علىّ نذراً إنْ شرب عندى قطرةَ ماء ولاخمر حتى يُورَدَ الخُضَير[1] (بمعجمتين مصغرا ، وهو بعير لعوف لايرد الماء إلا سِبْعاً[2]) فقال له أناسٌ من قومه : بئسَ ما حلَفتَ! فبعثوا الخيولَ فى طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، ومات مهلهل عطشا . وقيل بل قتل[3] . وكان السبب فى قتله : أنه أسنّ وخرِف ، وكان له عبدانِ يخدُمانه فملّاه ، وخرج بهما إلى سفر ، فبينما هو فى بعض

(١) ش : « حتى يؤوب الخضير » .
(٢) السبع بالكسر : ظمء من أظماء الابل ، وهو أن ترد الماء فى اليوم السابع لشربها الأول .
(٣) انظر كتاب البسوس ١١٦ والعمدة ١ : ٢١١

الفلوات عزما على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قَتَب رَحْلِه ، وقيل أوصاهما :

مَن مُبلغٌ الحيَّينِ أنّ مهلهِلا ... لله درُّ كما ودَرُّ أبيكما

ثم قتلاه ورجعا إلى قومه فقالا : مات : وأنشداهم قوله . فقال بعض ولده قيلَ هي ابنته ـ إنّ مهلهلا لايقول مثل هذا الشعر ! وإنما أراد :

مَن مبلغ الحيَّين أنّ مهلهلا ... أمسىٰ قتيلاً فى الفَلاة مجدَّلا

لله درُّ كما ودرّ أبيكما ... لايبرحُ العَبدانِ حتى يُقتَلا

فضربوا العبدَينِ حتَّي أقرّا بقتله(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

١١١ (أيا شاعراً لاشاعرَ اليومَ مثلُه ... جريرٌ ولكنْ فى كليب تواضعُ)

على أنّ المنادىٰ من قبيل الشبيه بالمضاف إذا كان موصوفا بجملة ؛ فإن جملة (لاشاعر اليوم مثله) من اسم لا وخبرها وهو مِثْله ، صفةٌ للمنادى ، والوصف متقدم على النداء . وبه يسقط ما ذهب إليه سيبويه من أن الوصف بعد النداء ، وتكلّف حتى جعل المنادى فى مثله محذوفا ، وجعل ٣٠٥
شاعراً منصوبا بفعل محذوف .

قال الأعلم : الشاهد فيه على مذهب الخليل وسيبويه نصب شاعراً بإضمار

(١) انظر خبرا مماثلا لهذا فى طبقات الشافعية للسبكى ١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠

(٢) سيبويه ١ : ٣٢٨ والكامل ٦٥٩ والشعراء ٤٧٧ وأمالى القالى ٢: ١٤٢ والمؤتلف ١٤٥

فعل على معنى الاختصاص والتعجب ، والمنادىٰ محذوف ، والمعنى : ياهؤلاء أو ياقوم ، عليكم شاعراً أو حسبكم به شاعراً .

وقال النحاس : كأنه قال : ياقائلَ الشعر عليك شاعراً ، وإنما امتنع عنده أن يكون منادى لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعرٍ بالحضرة وهو إنما قصد شاعرا بعينه وهو جرير ، وكان ينبغى أن يبنيه على الضمّ على ما يجرى عليه المخصوص بالنداء . وقال أحمد بن يحيى : ياشاعراً نصب بالنداء ، وفيه معنى التعجب ، والعرب تنادى بالمدح والذمّ وتنصب بالنداء : فيقولون : يارجلاً لم أرَ مثله ! وكذا ، ياطيبَكِ من ليلة ؟ وكذا ياشاعرا . اهـ

ومثله قول التبريزى أيضا عند قول الحماسى (١) :

أيا طعنةَ ماشيخ كبيرٍ يَفَنٍ بالى

المنادى محذوف .

وشاعراً ليس بمنادى لأنه مقصود إلى واحدٍ بعينه ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : يا هذا حسبُك به شاعراً ، على المدح والتعجّب منه ، ثم بيّن أنه جرير ، ويشبّه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيد . ويجوز أن يكون حسبُك به على شريطة التفسير وبه فى موضع اسم مرفوع لابدّ منه . ويجوز أن تكون الهاء للشاعر الذى جرىٰ ذكره ثم وكّده بقوله جرير ، أى هو جرير . وتقديرُ الخليل ويونس ياقائل الشعر : على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال يا شعراء عليكم شاعراً لا شاعر اليومَ مثلُه : أى حسبكم به شاعراً ، فهذا ظاهر كلام سيبويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر

(١) هو الفند الزمانى . الحماسة ٥٣٧ بشرح المرزوقى .

المذكور ، وينتصب شاعراً على الحال ولا شاعر اليوم فى موضع النعت ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه حتى يكون المنادىٰ معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر فى حال . ما هو شاعرٌ لا شاعر مثله ا ﻫ .

وهذا البيت من قصيدة للصَّلَتانِ العبدىّ عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً أوردها المبرّد فى كتاب الاعتنان ، والقالى فى أماليه ، وابن قتيبة فى كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتا (والاعتنان معناه المعارضـة والمناظرة فى الخصومة ، يقال عنّ له : إذا جادَلَه وعارَضَه . والمِعَنّ بكسر الميم وفتح العين : المعارِض : ومضمون كتاب الاعتنان : بيان الأسباب التى اقتضت التهاجى بين جرير والفرزدق) فادَّعى أنّهما حكماه بينهما فقضى بشرف الفرزدق على جرير وبنى مجاشع على بنى كليب ، وقضى لجرير بأنه أشعرهما . وكليب رهط جرير ومجاشع رهط الفرزدق . والقصيدة هذه :

قصيدة الشاهد

(أنا الصَّلتانُ والذى قد علمتم ... متى مايُحَكَّمْ فهو بالحُكْمِ صَادعُ(١)

أتتنى تميمٌ حين هابتْ قُضَاتُها ... وإنى لبالفَصْل المبيّن قاطعُ(٢)

كما أنفذَ الأعشىٰ قضيّةَ عامرٍ ... وما لتميم مِن قَضَائى رَوَاجع

ولم يَرجِع الأعشى قضيّة جعفرٍ ... وليس لُحكْمى آخرَ الدهر راجع

سأقضى قضاء بينهم غيرَ جائرٍ ... فهل أنتَ للحُكْمِ المبيَّن سامِع

٣٠٦ قضاء امرىء لا يتَّقى الشتمَ منهم ... وليس له فى الحمد منهم مَنَافع(٣)

قضاء امرىء لا يرتشى فى حُكومةٍ ... إذا مال بالقاضى الرُّشا والمطامعُ

---

(١) فى الشعراء والأمالى : « أنا الصلتانى »
(٢) ش : « بالفصل المبين لقاطع »
(٣) فى الأمالى والشعراء « فى المدح » .

فإنْ كنتما حَكّمتمانىَ فاصمُتا ولا تَجزعا وليرضَ بالحكم قانع
فإن تجزعا أو ترضيَا لا أُقِلْكما ، وللحقّ بين الناس راضٍ وجازع
فأقسِم ، لا آلو عن الحقّ بينهمْ فإنْ أنا لم أعدِلْ فقُلْ أنت ضالع
فإن يك بحرُ الحنظليِّين واحداً فما يستوى حيتانُه والضفادع !
وما يستوى صَدر القناة وزُجُّها وما يستوى شُمّ الذُّرا والأجارِعُ !
وليس الذُّنابَى كالقُدَامَى وريشِهِ وما تستوى فى الكفّ منك الأصابع
ألاَ إنّما تحظَى كُليبٌ بِشعرها وبالمجد تحظى دارمٌ والأقارع
ومنهم رءوسٌ يُهتدَى بصدورها والاذنابُ قِدماً للرءوس توابع
أرى الخطَفى بَذَّ الفرزدقَ شعرُه ولكنّ خيراً من كُليب مُجاشِع
« فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلُه جريرٌ ولكن فى كُليب تَوَاضع »
جريرٌ أشدّ الشاعرَيْنِ شكيمةً ولكنْ عَلَتْه الباذخاتُ الفوارع(١)
ويرفعُ من شعر الفرزْدقِ أنه له باذخ لذِى الخَسِيسة رافعُ
وقد يُحمَدُ السيفُ الدَّدَانُ بجفنِه وتَلْقاه رَثًّا غِمْدُه وهو قاطع
يناشدنى النّصرَ الفرزدقُ بعْدَما ألحّتْ عليه من جريرٍ صَواقِعُ
فقلت له : إنى وَنصْرَك كالذى يُثَبِّت أنفاً كَشَمّتْه الجوادِع
وقالت كُليبٌ : قد شرُفنا عليهم فقلت لها : سُدّت عليك المطامع(٢)

قال المبرّد : قال أبو عبيدة : فأمّا الفرزدق فرضى حين شرّفه عليه وقومَه

(١) ط : « عليه » ، صوابه فى ش والأمالى والشعراء
(٢) ط : « شدت » صوابه فى ش والأمالى والشعراء . وفى الأمالى والشعراء : « المطالع » باللام .

على قومه وقال : إنّما الشعر مُروءةُ من لا مُروءةَ له ، وهو أخسّ حظّ الشريف ؛ وأما جريرٌ فغضب من المنزلة التي أنزله إيّاها فقال يهجوه (وهو أحد بني هِجْرِس) :

أقولُ ولم أملكْ سوابقَ عبْرةٍ : متى كان حُكْمٌ في بيوت الهجارِسِ ؟
فلو كنتَ من رهط المعلّى وطارقٍ قضيتَ قضاءً واضحاً غيرَ لابس

قال : والمعلّى أبو الجارود أو جَدّه ، وطارق : ابنُ النعمان من بني الحارث ابن جَذيمة ، وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان . وقال جرير أيضاً :

أقول لعيني قد تحدّر ماؤها متى كان حكم الله في كَرَب النخل(١)

فلم يجبه الصَّلتان فسقط . ا هـ .

أقول : قد أجابه الصلتان بقوله :

تعيِّرنا بالنخلِ والنخلُ مالُنا ووَدَّ أبوكَ الكلبُ لو كان ذا نَخْلِ !
وأيُّ نبيّ كان من غير قريةٍ ! وهل كان حُكْمُ الله إلا مع الرسْلِ

وقيل : هما لُخلَيد عيْنَين . أحد بني عبدالله بن دارم ، وكان ينزل في قرية بالبحرين يقال لها عَيْنَين ، كذا في شرح أمالي القالي لأبي عُبيد البكري(٢)

وقوله « أنا الصلتان والذى » ، روى ابن قتيبة : ٣٠٧

* أنا الصَلَتانيّ الذى قد علمتمُ *

بالنسبة إلى الصَّلَتان ، ومعناه في اللغة : النشيط الحديد من الخيل ، والحمار الشديد .

---

(١) في الشعراء والسمط ٧٦٦ : « أقول ولم أملك سوابق عبرة وفي المؤتلف : « أقول وعيني » .

(٢) السمط ٧٦٦ والروض الأنف ٢ : ١٣٥

وقوله « كما أنفذَ الأعشى قضيّة عامر » ، أشار إلى ما حكم به أعشى قيس بينَ عامر بن الطفيل لعنة الله عليه ، وبين ابن عمّه عَلقَمة بن عُلاثة الصحابىّ رضى الله عنه ، وغلّب الأعشى عامراً على علقمة بالباطل وزعم أنهما حكّماه ؛ وهو كذب ، وقد تقدّم بيانه فى الشاهد السادس والعشرين(١) .

والرواجع : جمع راجعة من رَجعَه بمعنى ردّه ، وأراد بتميم القبيلة .

وقوله : فاصمُتا : أمر من صمَت من باب دخل : إذا سكت وروى المبرّد « فأنصِتا » من أنصت بمعنى سكت واستمع الحديث فالياء من حكّمانى مفتوحة على الرواية الأولى ، ساكنةٌ على الرواية الثانية .

وقوله : لا أُقلْكما : من الإقالة وهى رفع العقد ؛ فإنه عُقد له فى الحكم عليهما كما زعَم ؛ وهو مجزوم فى جواب الشرط .

وقوله : فأقسم لا آلو : أى لا أقصّر ، من الألْو وهو التقصير وروى المبرّد « لا أُلوى » بمعنى لا أُعرض ولا أَحيد . وقوله : فقل أنت ضالع : هو من ضلع من باب نفع : مال عن الحقّ ، يقال ضَلْعك مع فلان أى ميْلك وروى المبرّد « ظالع » بالظاء المشالة ، من ظلع البعير والرجل من باب نفع أيضاً : إذا غمز فى مشيه ، وهو شبيه بالعرَج .

و « الحنظليّين » بالتثنية ، لأن كليب بن يربوع بن حَنظلة قومُ جرير ، ومالكَ بن حنظلة قومُ الفرزدق . والزُّج بضم الزاى المعجمة : الحديدة التى فى أسفل الرمح ، وصدر القناة مِن السنان إلى ثلثها . وشُمُّ الذُرا : أى جبال شُم الذُرا ، يقال جبل أشم أى طويل ، والذُّرا : جمع ذِروة وهو أعلى الشىء .

والأجارع : جمع أجرَع ، وهو رملة مستوية لا تنبت شيئاً ؛ ومؤنثه الجرعاء .

---

(١) انظر الجزء الأول ص ١٨٤

وروى ابن قتيبة والمبرّد : « والأكارع » جمع أكرُع جمع كُراع ، وهو فى الغنم والبقر ، بمنزلة الوظيف فى الفرس والبعير ، وهو مُستدَقّ الساق . فالمراد : بالذرا : جمع ذِرُوة ، بمعنى أعلى السنام .

وقوله : « وليس الذُنابىٰ كالقُدامى » الذنابى بضم الذال والقصْر : ذنَب الطائر وهو أكثر من الذنب ؛ والقدامى بضم القاف والقصْر : إحدى قوادم الطائر ، وهى مقاديم ريشه ، وهى عشرٌ فى كلّ جَناح ، ويقال قادمة أيضاً وجمعها قَوادِم .

وتحظى : من الحظوة بالظاء المعجمة بمعنى الصَّلف والافتخار . و «دارِم» هو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . واسم دارم «بحر» وذلك أن أباهُ أتاه قوم فى حَمالة أى فى طلب دِيَة ، فقال له : يا بحرُ آئتنى بخريطة ، وكان فيها مال، فجاء يحملها وهو يدرِم تحتها من ثِقَلها ، فسمِّى دارما ، يقال درَم فلان : إذا قارب الخُطا . و « الأقارع » أراد به الأقرَعَين ، وهما الأقرع بن حابس وأخوه مَرْثَد التميميّان .

وقوله : أرى الخَطَفَى ، بفتح الخاء المعجمة والطاء والفاء والقصر : اسم والد جرير ؛ سمّاه باسم أبيه . وبذّه : غلبه . وشعرُه : فاعله . والتواضع : الانحطاط من الذل ، والوضيع : الدنىء من الناس . والشكيمة : الشِّدّة ، يقال فلان ذو شكيمة : إذا كان لا ينقاد ، وفلان شديد الشكيمة : إذا كان شديد النفْس أبيّا .

الباذخات : أى المراتب العاليات ، يقال شرف باذخ أى عال ، وكذلك الفوارع : يقال فرَعْت قومى : أى علوتهم بالشرف أو بالجمال :

وقوله « ويرفع من شعر الفرزدق . . الخ » ، يقال : رفعت من خسيسته :

إذا فعلتَ به فعلا تكونُ فيه رفعتُه . يريد أن الفرزدق له شرف باذخ ، ولكن شِعره دنىء . فالقول يرتفع برفعة القائل . وروى المبرّد : ٣٠٨

* ينوء ببَيتٍ للخسيسة رافِع *

أى ينهض ويقوم بالبيت الردىء من الشعر فيرفعه .

والسيف الدَّدَان : الذى لا يقطع . وهذا المصراع ناظرٌ لقوله :

* جرير أشد الشاعرَيْن شكيمةً *

والرثُّ : البالى . والجَفن : قِراب السيف ، وهو الغِمد أيضاً . وهذا المصراع ناظر إلى قوله :

ويرفع من شعر الفرزدق أنه .. البيت

والصواقِع : جمع صاقِعة لغة فى الصاعقة . وقوله « كشّمته الجوادع » قال القالى فى أماليه : « كشَم أنفه . إذا قطعه» . والجوادع : جمع جادعة وهى التى تقطع الأنف . وروى المبرد : « هشَمته الجوادع » .

الصلتان العبدى

و (الصَّلَتان) اسمه قُثَم (بضم القاف وفتح المثلثة) ابن خَبِيّة (بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية ، وأصلها الهمز) وهو أحد بنى محارب بن عمرو بن وَديعة [بن لُكيز بن أفصى[1]] بن عَبْدِ القَيس ، وينسب إليه فيقال (العبدىّ) .

قال الآمدى فى المؤتلف : هو شاعر مشهور خبيث . وشاعران آخران يقال لهما : الصَّلَتان :

أحدهما الصلتان الضبّيّ — قال الآمدى — ولستُ أعرفه فى شعراء بنى

(١) التكملة من المؤتلف ١٤٥

ضبّة وأظنّه متأخراً . قال أبو عمرو بُندار[١] فى كتاب معانى الشعراء[٢] قال أبو زيد — أحسبه أنشدنيه — فى صفة ناقته .

كأن يدَىْ عنسى إذا هىَ هَجّرت ... هِراوةُ حُبِّى تنفضُ الغصنَ اللَّدْنا[٣]

حبِّى : امرأته .

والثانى : الصلَتان الفهمىّ ، قال الآمدى : لستُ أعرفه فى شعرائهم وأظنّه متأخّراً . أنشد له الجاحظ فى البيان والتبيين[٤] :

العبدُ يُقرعَ بالعصا ... والحُرّ تكفيه الإشاره

وذكره ابن المعتز فى سرقات الشعراء ، وحكاه أيضاً عن الجاحظ .

ومن مشهور شعر الصَّلَتان العبْدىّ ما أنشده ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[٥] قوله :

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبـ ... ـيرَ كرُّ الغداة ومرُّ العشِى

إذا هرِمَت ليـلةٌ يومَها ... أتَى بعـد ذلك يومٌ فتِي

نروحُ ونغدُو لحاجاتِنا ... وحاجةُ مَن عاش لا تنقضى

تموتُ مع المرء حاجاته ... وتبقىْ له حاجةٌ ما بقى

(١) بندار بن لُرّة الكرخى كما ذكر الميمنى انباه الرواة ١ : ٢٥٧ ومعجم الأدباء ٧ : ١٢٨ . ويصحف بابن لزة ، وابن لدة . والكرخى . وفى المؤتلف : « بندار بن لرّة الكرخى » .

(٢) فى المؤتلف : « معانى الشعر » .

(٣) ش : « هراوة عيسى » ط : « هراوة حتى » ، صوابهما فى المؤتلف .

(٤) البيان ٣ : ٣٧ . وفيه أن اسم الشاعر « الفلتان الفهمى »

(٥) الشعراء ٤٧٨ . وانظر الحماسة ١٢٠٩ بشرح المرزوقى ومعاهد التنصيص ١ : ٢٧ والسمط ٧٦٦والحيوان ٣ : ٤٧٧ وذكر الجاحظ أن هذه الأبيات للصلتان السعدى ، وهو غير العبدى ، فهو صلتان رابع .

إذا قلتَ يوماً لمن قد ترى : أرونى السرىّ ، أرَوْكَ الغني
ألم ترَ لُقمانَ أوصى بَنيه وأوصيتُ عَمْراً ونعم الوَصِى
بُنىّ ، بداخِبُ نجوى الرجالِ فكنْ عند سرِّك خَبَّ النجى(١)
وسرُّك ما كان عند امرىءٍ وسرُّ الثلاثة غيرُ الخفى

وزاد عليه أبو تمّام فى الحماسة :

كما الصَّمتُ أدنىٰ لبعض الرشاد فبعضُ التكلُّم أدنى لغى(٢)
ودع النفس اتباع الهوى فما للفتى كل ما يشتهى(٣)

ومطلع هذه الأبيات من شواهد تلخيص المفتاح للقزوينى .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد الثانى عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه(٤) :

١١٢ (أعَبداً حلّ فى شُعَبي غريباً ألُؤماً لا أبالَكَ واغترابا)(٥)

على أنّ (جملة حلّ) صفة للمنادى قبل النداء ؛ وهو من قبيل الشبيه ٣٠٩

---

(١) قال المرزوقى : « فالخب المكر بكسر الخاء ، والخب بفتحها : المكار . والنجوى مصدر ، وهو يستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على طريق الستر والكتمان فيقول : اذا ناجيت صاحباً لك فكن خبا فيما تودعه من سرك، فان نجوى الرجال اذا بدأ خبها ومكر اربابها فيها عادت وبالاً وفضيحة » . شن: « بنى اذا خب نجوى » ط : « بنى بدا خبء نجوى » ، صوابهما من الحماسة.

(٢) هذا البيت من رواية التبريزى فقط .

(٣) وهذا البيت لم يرد فى الحماسة ، وليس له مرجع . وفى ط : ودع التقى ... فما للتقى » وأثبت مافى ش

(٤) سيبويه ١ : ١٧٠ ، ١٧٣ . وانظر العينى ٣ : ٤٩/٤ : ٢١٥ . ٥٠٦ ومعجم البلدان (شعبى) وديوان جرير ٦٢

(٥) ضبط فى ش : « اعبدٌ » بالرفع ، وهو خطأ .

بالمضاف وعند سيبويه ما تقدّم ذكره قبل هذا .

قال ابن خلف — تبعاً للنحاس — : « وقوله أعبداً ، أجاز س أن يكون منادى منكوراً ، وأن يكون منصوباً على الحال كأنه قال : أتفخر فى حال عبوديّة ولا يليق الفخر بالعبوديّة ! » اهـ .

وعلى هذا فالهمزة للاستفهام ، [وعبداً[١]] وجملة حلّ وغريباً أحوال من ضمير تفخر ، وعلى الأوّل فجملة حلّ صفة للمنادىٰ ، وغريباً حال من ضمير حلّ ، وقيل صفة أخرى للمنادى :

وقد نقل ابن السِّيد فى شرح أبيات الجمل الوجهين : النداء والاستفهام عن سيبويه .

وأنشد سيبويه هذا البيتَ على أن لؤماً واغتراباً منصوبان بفعل محذوف على طريق الانكار التوبيخى ؛ كأنه قال : أتلؤم لؤماً وتغترب اغترابًا ، ويجوز أن يكون التقدير : أتجمع لؤماً واغتراباً فتنصبها بفعل واحد مضمر . وهذا أحسن لأنّ المنكَر إنما هو جمعُ اللؤم والغربة ؛

(و (اللؤم) بالهمز : ضدّ الكرم ، وهو فعل الأمور الخسيسة الدنيئة ، وفعله من باب كرم .

وقوله (لا أبالك) جملة معترِضة ، وهذا يكون للمدح : بأن يراد نفى نظير الممدوح بنفى أبيه ، ويكون للذم : بأن يراد أنه مجهول النسب وهذا هو المراد هنا . وقال السيوطى فى شرح شواهد[٢] المغنى . « هى كلمة تستعمل عند

(١) التكملة من ش ، وهى تدل على السهو الذى نبهت عليه فى الحاشية السابقة .

(٢) انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٠ . وليس الكلام فيه خاصا بهذا الشاهد ، بل لقول جرير :

يا تيم تيم عدى لا أبالكم لا يلقينكم فى سوءة عمر

الغلظة فى الخطاب ، وأصله أن ينسب المخاطب إلى غير أبٍ معلوم ، شتماً له واحتقاراً ، ثم كثر فى الاستعمال حتى صار يقال فى كل خطاب يُغلَّظ فيه على المخاطب . وحكى أبوالحسن(١) [ابن] الأخضر : كان العرب تستحسن لا أبالك ، وتستقبح لا أمَّ لك ، لأنَّ الأمَّ مشفقة حنينة(٢) » اهـ .

وقال العينى : وقد يُذكر فى معرض التعجّب دفعاً للعين ، كقولهم : لله درّك ! وقد يستعمل بمعنى جِدّ فى أمرك وشمّر ، لأن من له أب يتّكل عليه فى بعض شأنه .

قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل : اللام فى لك مقحَمة والكاف فى محل خفض بها ، لأنه لو كان الخفض بالإضافة أدّى إلى تعليق حرف الجرّ ، فالجرّ باللام وإن كانت مقحمة كالجرّ بالباء وهى زائدة ؛ وإنما أقحمت مراعاة لعملِ لا ؛ لأنها لا تعمل إلاّ فى النكرات ، وثبتت الألف مراعاة للإضافة ؛ فاجتمع فى هذه المسألة شيئان متضادّان : اتصال وانفصال : فثبات الألف دليل على الاتصال من جهة الإضافة فى المعنى ، وثباتُ اللام دليل على الانفصال فى اللفظ مراعاة لعمل لا . فهذه مسألة قد روعيت لفظاً ومعنى . وخبر « لا » التبرئةِ محذوف ، أى لا أبالك بالحضرة .

---

(١) فى النسختين : «أبو الحسن الأخفش» ، صوابه من شرح شواهد المغنى للسيوطى ، ومما سيأتى من نقل البغدادى عنها فى الشاهد ١٣٢ ص ٣٦٠ بولاق . وأبو الحسن بن الأخضر ، هو على بن عبد الرحمن بن مهدى الاشبيلى ، تلميذ الأعلم وأستاذ القاضى عياض . توفى باشبيلية سنة ٥١٤ . انظر بغية الوعاة .

(٢) فى النسختين : «وتستقبح لا أم لك أى مشفقة حنينة» والصواب من السيوطى ، ومما سيأتى فى الشاهد ١٣٢

و (شُعَبَىٰ) بضم الشين والقصر والألف للتأنيث . قال السكرى فى أشعار تغلب : هى جبال منيعة متدانية بين أيسر الشَّمال وبين مغيب الشمس من ضَرِيّة ، على قريب من ثمانية أميال . وقيل جبل أسود وله شعاب فيها أوشال تحبس الماء من سنة إلى سنة . وفى معجم ما استعجم للبكرى : « قال يعقوب : شعبىٰ : جبيلات متشعّبة ، ولذلك قيل شعبىٰ ، وقال عمارة : هى هضبة بحمى ضرية . ومن أصحاب شعبىٰ العباسُ بن يزيد الكندى ، وكان هناك نازلاً فى غير قومه ، قال جرير يعنى العباسَ :

أعَبداً حلّ فى شعَبىٰ غريباً . . . البيت » انتهى .

ومثله لابن السيد فى شرح أبيات الجمل .

قال أبو محمد الأعرابى فى فُرحة الأديب : وإنما عيرّ جريرُ العباسَ بن يَزيد بحلوله فى شعبىٰ ، لأنه كان حليفاً لبنى فَزارة ، وشعبىٰ من بلادهم ، وهو كندىّ والحِلْف عندهم عار .

٣١٠ قال : وكان السبب فى قول جرير هذا الشعر : أنه لما هجا الراعىَ النميرىّ بقوله من قصيدة :

إذا غضبتْ عليك بنو تميم حسبتَ الناسَ كلَّهم غضابا

عارضَه العباسُ بن يزيد الكندىّ ، وكان مقيما بشَعبىٰ ، فقال :

ألا رغِمتْ أنوف بنى تميم فُساة التمر إن كانوا غضابا
لقد غضبتْ علىَّ بنو تميم فما نكأت بغضْبتها ذُبابا
لو اطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السوءات شابا

فقال جرير يهجوه :

إذا جَهل الشقىُّ ولم يقدِّرْ لبعض الأمر أوشكَ أن يُصابا

ستطلعُ من ذُرا شُعَبي قواف على الـكندىّ تَلتهبُ التهابا
أعَبداً حلّ فى شُعَبيْ غريباً . . . . البيت
فما تخفىْ هُضيبةُ حين تمشِى ولا إطعام سَخلتِها الـكلابا[1]
تُخرِّقُ بالمشاقص حالبيها وقد حَلَّت مشيمتها الثيابا[2]

انتهى . ومثله فى الأغانى حكاية عن جرير مع الحجّاج بن يوسف الثقفى قال : هجانى العباس بن يزيد الـكندى بقوله :

ألا رغمت أنوف بنى تميم . . . الأبيات

فتركته خمس سنين لا أهجوه، ثم قدِمت الـكوفة فأتيت مجلس كِندة، فطلبت إليهم أن يكفّوه عنى [فقالوا : مانـكُفُّه[3]] وإنه لشاعر ، وأوعدونى به فمكثتُ قليلاثم بعثوا إلىّ راكباً فأخبرونى بمثالبه وجواره فى طيىء حيث جاور غِفاراً[4] وأحبل أخته هضيبة[5] . فقلت :

إذا جهل الشقى ولم يقدِّر . . . . البيت

(١) هضيبة : أخت العباس بن يزيد الكندى .
(٢) الخطاب فيه للعباس، وكانت هضيبة فجرت،فقتل العباس ولدها فرمى به وقتلها هى أيضا فرمي بها كما سيأتى وكما فى شرح الديوان . وفى الديوان : « يقطع بالمعابل » . وفى الأغانى ٧ : ٤٣ :
« وقد بلت مشيمتها الترابا » .
(٣) التكملة من الأغانى .
(٤) فى الأغانى « عتابا » . وفى ديوان جرير ٦٣ :
أعنابا تجـاور حـين أجنت نخيـل أجـا وأعنزه الربابا
وعناب هذا . رجل من بنى نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيىء ، وهو أبو حريث بن عناب
انظر المؤتلف ١٦١ وشرح الحماسة للمرزوقى ٢٥٥ .
(٥) كذا . والصواب : « وحبلَ أخته هضيبة » ، لأن الذى احبلها فيما يبدو هم بنو عناب ، قال جرير بعدَ البيت السالف :
أصابوا الجار ليلة غـاب عنهـم فبئس القـوم اذ شهدوا وغابا

أَعَبْداً حلَّ فى شُعَبَى غريباً . . . . البيت

فما تخفى هُضيبة حيث تمشى(١) . . . . البيت

تخرّق بالمشاقص حالبيها . . . . البيت

فقد حملت ثمانيةً وأوفتْ بتاسعها وتحسبُها كعابا

انتهى . أراد بَسخلتها : ولدها الذى ولدته لزِنْية ورَمْته للكلاب فأكلته . والمشاقص : جمع مِشْقَص ، وهو النَّصل العريض يكون فى السهم . والحالبان : عِرْقان مكتنفان بالسرّة . ومَشِيمتها : مايخرج بعد الولد . . يعنى أنها لما حبلت(٢) شقّت حالبيها بمشْقص لترمى الولد(٣) . والكَعاب بالفتح ، وهى الكاعب ، وهى الجارية التى نَهَد ثديُها .

وقال اللخمىّ : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها البَعيث ، واسمه خِداش بن بشر المجاشعى . ثم أنشد هذه الأبيات . وقال : أراد بالعبد البعيث .

وقال العينى : هو من قصيدة لجرير يهجو بها خالد بن يزيد الكندىّ(٤) وأولها :

أخالدُ ، عادَ وعدكمُ خِلابا ومنّيت المواعدَ والكِذابا

أخالدُ ، كان أهلك لى صديقاً فقد أمسوا بحبِّكم حِرابا(٥)

(١) فى الأغانى ٧ : ٤٣ : « حين تمسى » .
(٢) ط : « حلبت » ، صوابه فى ش
(٣) الوجه : « شققت » بالخطاب لعباس ، لأن الذى فعل ذلك تخلصا من عارها هو أخوها العباس .
(٤) الظاهر أن هذا وهم من العينى ، فان خالد هنا مرخم خالدة لامرأة يشبب بها ، على عادة الشعراء فى الغزل ، ومطلع قصيدته غزل وفى الديوان ٦٠ بعد البيت الأول من الأبيات التالية :

ألم تتبينى كلفى ووجدى غداة يرد أهلكم الركابا

(٥) ط فقط : « بحيكم » بالياء المثناة ، وأثبت ما فى ش والعينى ، وفى الديوان : « لحبكم » . والحراب : المحاربة ، أو جمع حربة .

بنفسى مَن أزور فلا أراه ويَضرب دونه الخدمُ الحجابا !
أخالد ، لو سألتَ علمتَ أنى لقيتُ بحبكَ العجب العُجابا
ستطلعُ من ذُرا شُعَبي قواف . . . . البيت ٣١١
أعَبداً حلّ فى شُعَبىٰ غريباً . . . . البيت
ويوماً فى فزارة مستجيراً ويوماً ناشداً حِلفاً كِلابا
إذا جَهِل اللئيم ولم يقدِّر . . . . البيت . اه

والظاهر أن هذه الأبيات ليست منتظمة فى نسق واحد . والله أعلم .

(فائدة)

قد جاء على (فُعَلىٰ) تسع كلمات : إحداها : شُعَبىٰ ، وقد شرحت . وثانيها : أُدَمىٰ بالدال والميم ، وهو موضع ، وقيل حجارة حمر فى أرض قُشَير . ثالثها : أُرَبىٰ بالراء المهملة والموحدة ، وهى الداهية . رابعها : أُرَنىٰ بالراء والنون : حَبٌّ يجعل فى اللبن فيثخنه (١) . خامسها : حُلَكَىٰ بالحاء المهملة واللام والكاف لضرب من العَظاء ، وقيل دابّة تغوص فى الرمل . سادسها : جُنَفىٰ بالجيم والنون والفاء ، وهو اسم موضع . سابعها : حُنَفىٰ بالحاء المهملة والنون والفاء ، وهو اسم جبل . ثامنها : جُعَبىٰ بالجيم والعين والموحدة للعِظام من النمل . تاسعها : جُمَدىٰ بالجيم والميم والدال وهو اسم موضع .

وترجمة جرير قد تقدّمت فى أوائل الكتاب فى الشاهد الرابع (٢) .

* * *

(١) ط : « يسخنه » صوابه فى ش . وانظر اللسان والقاموس (أرن) .

(٢) أنظر ما مضى فى الجزء الأول ص ٧٥

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

١١٣ (أداراً بحُزْوىٰ هِجْتِ للعين عَبرةً   فماء الهوىٰ يَرْفَضُّ أو يترقْرقُ)

على أن المنادىٰ من قبيل الشبيه بالمضاف ؛ والجارّ والمجرور صفته قبل النداء .

ولهذا أنشده سيبويه . قال الأعلم : الشاهد فيه نصبُ داراً لأنه منادى منكور فى اللفظ لاتصاله بالمجرور بعده ، ووقوعه موقع صفته ؛ كأنه قال : أداراً مستقرّة بحُزْوى ؛ فجرى لفظه على التنكير وإن كان مقصودا بالنداء معرفةً فى التحصيل . ونظيره مما ينتصب ، وهو معرفة ، لأن ما بعده من صلته ، فضارعَ المضافَ (٢) قولُهم : يا خيراً من زيد ؛ وكذلك ما نقل إلى النداء موصوفاً بما توصف به النكرة جرى عليه لفظ المنادىٰ المنكور ، وإن كان فى المعنى معرفة اهـ .

و (حُزْوىٰ) بضم المهملة وسكون الزاى المعجمة ، قال البكرىّ فى معجم ما استعجم : هو موضع فى ديار بنى تَميم ، وقال الأحول : حُزوىٰ وخَفّان : موضعان قريبان من السَّواد والخورنق (٣) من الكوفة » .

(وهِجتِ) جواب النداء ، ويقال له : المقصود بالنداء . وقال ابن السِّيد: « جملة هجتِ صفة ثانية للمنادى ، أو خبر مبتدإ محذوف أى أنت هجت » .

---

(١) سيبويه ١ : ٣١١ وانظر العينى ٤ : ٢٣٦ ، ٥٧٩ وديوان ذى الرمة ٣٨٩ .

(٢) فى النسختين : « مضارع المضاف » ، صوابه من الشنتمرى ١ : ٣١١ .

(٣) فى النسختين : « والخوارق » صوابه من معجم ما استعجم .

وفيه نظر . وهاج هنا متعدّ ، يقال هجت الشيء وهيّجته : إذا أثرته ، ويأتى لازما ، يقال هاج الشيء : إذا ثار . و (عَبْرةً) مفعوله بفتح العين بمعنى الدمعة و (للعين) كان فى الأصل صفة لعبرة ، فلما قدّم صار حالا منها . والعَبْرة تكون جارية ومتحيّرة وساكنة وقاطرة . و (ماء الهوىٰ) هو الدّمع ، وأضافه إلى الهوى أى العشق ، لأنه هو الباعث لجريانه . و (يرفضّ) بالفاء والضاد : يسيل بعضه فى إثر بعض ؛ وكلُّ متناثِر مرفضّ . و (يترقرق) : يبقى فى العين متحيِّرا يجيء ويذهب ؛ ورقراق السراب من ذلك . وحكى بعضهم أن يترقرق هنا بمعنى يترقّق .

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ طويلة لذى الرُّمّة ، عدة أبياتها سبعة وخمسون بيتاً ، كلّها غزل وتشبيب بمىّ . وقد أخذهُ من « زُهير بن جنَاب » ، وهو شاعرٌ جاهلى من قصيدة فيها :

وذِى دارُسلمىٰ قد عرَفت رسومهَا   فعُجتُ إليها والدموع ترَقْرَقُ ٣١٢
وكادتْ تُبين القولَ لمـّا سألتُها   وتُخبرُنى،لو كانت الدار تنطق!
فيا دار سلمىٰ هجتِ للعين عبَرة   فماء الهوىٰ يرفضّ أو يتدفّق

و « أو » فى البيتين بمعنى الواو . وقد أخذ منه بيتا آخر وهو :

وَقفْنا فسلّمنا فكادت بمُسرِف،   لِعرفانِ صوتى ، دِمنةُ الدارتنَطقُ

و « مُسرِف » بضم الميم وسكون السين وكسر الراء المهملتين(١) اسم موضع .

ومن قصيدة ذى الرُمّة :

(١) هكذا نص البغدادى ، وصوابه « مشرف » بالشين المعجمة ، وبذلك صححها الشنقيطى فى نسخته . وانظر معجم البلدان.

(وإنسانُ عينى يَحسِرُ الماءُ تارةً فيبدو ، وتاراتٍ يَجُمّ فَيغرَقُ)

وهو من شواهد مغنى اللبيب . وحسر الماء من باب ضرب : نضَبَ عن موضعه وغار . ويَجُمُّ بضم الجيم وكسرها : مضارع جمَّ الماء جموما أى كَثر وارتفع . ويغرَق ، بفتح الراء : مضارع غرِق بكسرها . وفى إفراد تارةً أوّلاً وجمعِها ثانياً إشارةٌ إلى أن غلَبة البكاءِ عليه هى غالب أحواله .

وجملة يحسِر الماء وقعت خبرًا عن قوله إنسان عينى ، وهى خالية عن رابط محذوف ، أى يحسر الماء عنه ؛ وقيل : هو ألْ فى الماء ، لنيابتها عن الضمير والأصل ماؤه ؛ وقيل هو على تقدير أداة الشرط ، وقدّره شارح ديوان ذى الرمّة محمدُ بن حَبيب : (إذا) ، وقدره غيره : (إنْ) ، وهو الصحيح لأنَّها أمّ الباب ، فلما حذفت ارتفع الفعل ، والجملة الشرطية إذا وقعت خبراً لمْ يُشترط كون الروابط فى الشرط بل فى أيِّهما من الشرط والجزاء وُجد كَفىٰ . وقال ابن هشام فى المغنى ، تبعا لأبى حيان : الفاء السببية نزّلتْ الجملتين منزلةَ جملةٍ واحدة فا كتُفى منهما بضمير واحد ، فالخبر مجموعهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائة(١) :

١١٤ (ألا يا نخلةً مِنْ ذات عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ)

على أن الجار والمجرور صفة لنخلة قبل النداء ، والمنادىٰ من قبيل الشبيه بالمضاف . وقوله (عليك ورحمة الله السلام) مذهب أبى الحسن الأخفش :

(١) انظر الهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٢٠ : ١٣٠ ، ١٤٠ وشرح شواهد المغنى ٢٦٣ وابن الشجرى ١ : ١٨٠ والخصائص ٢ : ٣٨٦ ومجالس ثعلب ٢٣٩ وأمالى الزجاجى ٨١ وتحرير التحبير ١٤٥ . وهو تكرار للشاهد ٦٣ .

أنه أراد عليك السلام ورحمة الله ، فقدّم المعطوف ضرورةً ؛ لأن السّلام عنده مرفوع بالاستقرار المقدّر فى الظرف . ولا يلزم هذا على مذهب سيبويه ، لأن السلام عنده مرفوع بالابتداء ، وعليك خبر مقدّم ، ورحمة الله معطوف على الضمير المرفوع فى عليك . غير أنه من عطف ظاهر على مضمر من غير تأكيد ، وذلك جائز فى الشعر ، وقد أجازه قوم فى سعة الكلام ، كذا فى شرح أبيات الجمل لابن السِّيد واللَّخمىّ .

وروى ثعلب فى أماليه المصراع الثانى هكذا :

* بَرُودَ الظلِّ شاعَكُمُ السلامُ *

شاعكم : تبعكم . انتهى . و (ذات عرق) : موضع بالحجاز ، وفى المرصَّع لابن الأثير : ذات عِرْق : ميقات أهل العراق للاحرام بالحجّ .

وهذا البيت أوّل أبيات ثلاثة نُسبت للأحوص ، أوردها الدَّميرى وابن أبى الإصبَع فى تحرير التحبير . والبيتان الآخران هما :

سألتُ الناسَ عنكِ فخبَّرونى ... هَناً من ذاكِ تَكرهه الكرامُ ٣١٣

وليس بما أحلَّ اللهُ بأسٌ ... إذا هو لم يخالطْه الحرامُ

قال ابن أبى الإصبع : « ومن مليح الكناية : النخلة ، فإن هذا الشاعر كنَى عن المرأة بالنخلة ، وبالهناة عن الرَّفث ؛ فأما الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ظريف الكناية وغريبها » انتهى .

وأصل ذلك : أن عمر بن الخطاب كان نهى الشعراء عن ذكر النساء فى أشعارهم ، لما فى ذلك من الفضيحة ؛ وكان الشعراء يكنُون عن النساء بالشجر وغيره ، ولذلك قال حُميد بن ثور الهلالىّ :

وهلْ أنا إن علّلت نفسي بسَرحة من السَرحِ مسدودٌ عليَّ طريقُ
أبى اللهُ إلاّ أنّ سَرْحةَ مالك على كلِّ أفنانِ العضاهِ تروقُ

وعُلم بهذا سقوط قول اللخمىّ : سلَّمَ على النخلة لأنّها معهَدُ أحبابه ، أو ملعبُه مع أترابه ؛ لأن العرب تقيم المنازل مُقام سكّانها ، فتسلّم عليها وتُكثر من الحنين إليها ؛ قال الشاعر :

هو البحترى
ديوانه ٨٢ المعارف

وكمثلِ الأحبابِ ، لو يعلَم العا ذل عندى منازلُ الأحبابِ

ويحتمل أن يكون كنى عن محبوبته بالنخلة لئلا يشهرَها ، وخوفاً من أهلها وقرابتها . انتهى .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الثامن والثمانين[١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س[٢] :

١١٥ (فيا راكباً،إما عرَضْتَ فبلِّغنْ نَداماىَ من نَجْرانَ أن لاتلاقِيا)

على أن المنادى هنا عند الكسائى والفرّاء إمّا معرفة بالقصد ، وإمّا أصله يا رجلا راكباً ؛ لأنّهما لا يجيزان نداء النكرة مفردَةً ، بل يوجبان الصفة . والصحيح جواز نداء النكرة غير المقصودة .

وأنشده سيبويه لِما قلنا . قال الأعلم : الشاهد فيه نصب راكب ، لأنه

(١) صوابه الشاهد ٨٥ . وانظر أيضا الشاهد ٩٠
(٢) سيبويه ١ : ٣١٢ . وانظر العينى ٣ : ٤٢ / ٤ : ٤٠٦ وابن يعيش ١ : ١٢٧ ـ ١٢٩ والخصائص ٢ : ٤٤٨ وأمالى القالى ٣ : ١٣٢ والمفضليات ١٥٦ والأغانى ١٥ : ٧٢ وشرح شواهد المغنى ٢٣١

منادى منكور ، إذْ لم يقصد به قصد راكب بعينه ، إنما التمس راكباً من الركْبان يُبلِغ قومَهَ خبرَه وتحيّته ، ولو أراد راكباً بعينه لبناه على الضمّ ولم يَجزْ له تنوينه ونصبه . انتهى .

وأغربَ أبو عبيدة حيث قال : أراد يارا كِباه للندبة ، فحذف الهاء كقوله تعالى: (يا أسَفَا عَلَىٰ يُوسُفَ) ، مع أنّ الثقاتِ رَوَوْه بالنصب والتنوين ، إلاّ الأصمعيَّ فإنه كان ينشده بلا تنوين . كذا نقله ابن الأنباريّ فى شرح المفضليّات .

وهذا البيت من قصيدة عدّتها عشرون بيتاً لعَبد يَغُوثَ الحارثىّ اليمنىّ . قالها بعد أن أسِر فى يوم الكُلاب الثانى : كُلاب تَيم واليمن[1] وقتل أسيراً[2] .

ولمالك بن الرَيْب قصيدةٌ على هذا الوزن والروىّ ، فيها بيت يشبه البيتَ الشاهد ، وهو :

« فيا صاحبي إمّا عرضتَ فبلِّغنْ بنى مازنٍ والرَيْبِ أن لاتلاقِياً »

وهذا غير ذاك قطعاً . فقول شرّاح أبيات سيبويه فى البيت الشاهد : إنه لعبديغوث ، ويروى لمالك بن الريب ، غير جيّد .

و . . . . . .[3] بن جَهم ، أحد بنى الحارث بن سعد من بنى أسد وهو :

أياراكباً إمّا عرَضْتَ فبلغن بنى عمّنا من عبد شَمس وهاشِمِ

---

(١) ش : « تميم واليمن » ، صوابه فى ط . وانظر (كلاب) فى معجم البلدان وما سيأتى فى ٣١٦ بولاق .
(٢) ش : « أسر » ، وبعدها بياض ، مع اسقاط كلمة « وقتل » « قبلها » .
(٣) بياض فى الأصل بمقدار ست كلمات .

٣١٤ أمن عمل الجَرّافِ أمس وظلمِهِ وعُدْوانِهِ أعتبتمونا براسِمِ[1]

عرَضت هنا بمعنى تعرّضت والجَرّاف: اسم رجل، وراسم كذلك: وكان الجرّاف ولى صدقاتِ هؤلاء القوم فظلَمهم، فشكوا فعُزِل وولى راسمٌ مكانه، فظلَم أكثرَ من الجرّاف. والإعتاب: الإرضاء[2] وإزالة الشكوى، وروى: (أعنتّمونا): من الإعنات، وهو الإيقاع فى العَنَت والمشقّة.

و(قصيدة عبد يغوث) مسطورة فى المفضليات، وفى ذيل أمالى القالى[3].

وقد شرحنا يوم الكُلاب الثانى فى الشاهد الخامس والستين[4].

وكان الذى أسر عبدَ يغوث فتًى من بنى عبد شمس أهوجُ، فقالت أمُّه: مَن هذا؟ فقال عبد يغوث: أنا سيّد القوم، فضحكت وقالت: قبّحك الله من سيّدِ قوم، حين أسرَك هذا الأهوج. (وإلى هذا أشار بقوله:

وتضحكُ منى شيخة عبشميّة.. البيت)

فقال: أيتها الحرّة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أعطى ابنَكِ مائةً من الإبل وينطلق بى إلى «الأهتم»؛ فإنى أخاف أن تنتزعنى سعدٌ والرِّباب منه فضمن لها مائةً من الإبل وأرسل إلى بنى الحارث فوجّهوا بها إليه، فقبضها العبشمىّ وانطلق به إلى الأهتم؛ فقال عبد يغوث:

---

(١) أنشده سيبويه ١ : ٢٨٨ مع بيت تال له وهو :
أميرى عداء ان حسبنا عليهما بهائم مال أوديا بالبهائم
وكذا أنشدا فى اللسان (جرف).

(٢) ط : «الارخاء»، صوابه فى ش مع أثر تصحيح.

(٣) وكذا فى البيان ٢ : ٤/٢٩٧ : ٤٥ والنقائض ١٥٢ والأغانى ١٥ : ٧٢ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣١.

(٤) الجزء الأول ص ٤١٠.

أأهتَم ، ياخيرَ البريّة والداً ورهطاً إذا ما الناسُ عَدُّوا المساعيا
تَداركْ أسيراً عانياً فى حبالِكم ولا تَثْقَفَنّي التيمُ أَلقَ الدواهيا

فمشتْ سعد والرِّباب إلى الأهتم فيه ، فقالت الرِّباب : يابنى سعد ، قُتل فارسُنا (وهو النعمان بن جساس) ولم يقتل لكم فارس ، فدفعه إليهم ، فأخذه عصمة بن أُبَيْر التيمىّ فانطلق به إلى منْزله ، فقال عبد يغوث : يابنى تيم ، اقتلونى قِتلةً كريمة ، فقال عصمة : وما تلك القتلة ؟ قال : اسقونى الخمر ، ودَعونى أنوحُ على نفسى ، فجاءه عصمة بالشراب فسقاه ، ثم قطع عرقه الأكحَل وتركه ينزف ومضى ، وجعل معه رجلَيْن فقالا لعبد يغوث : جمعتَ أهلَ اليمن ثم جئت لتصطلِمَنَا ! كيف رأيت صُنعَ الله بك! فقال هذه القصيدة .

قصيدة الشاهد

(ألا لا تلومانى كفىْ اللومَ ما بيا ، فما لكُما فى اللوم خيرٌ ولا لِيا)

فالخطاب لاثنين حقيقة . واللوم مفعول مقدم ، وما فاعل مؤخر . أى كفىْ اللومَ ما أنا فيه ، فلا تحتاجون إلى لومى مع ماترون من إسارى وجَهدى .

(ألم تَعلما أنّ الملامةَ نفعُها قليلٌ ، وما لومى أخى من شِماليا)

شِمال بالكسر بمعنى الخلق ؛ ويروى (أخاً) .

وهذا البيت من أبيات شرح الشافية للشارح ، نقل فيه عن أبى الخطاب : أن شِمالا يأتى مفرداً وجمعا ، وفى هذا البيت جمع ، أى من شمائلى .

(فيا راكباً إما عرَضْتَ فبلِّغنْ ندامايَ مِن نجْران أن لا تلاقيا)

الراكب : راكب الإبل ، ولا تسمِّى العرب راكباً على الإطلاق إلاّ راكبَ البعير والناقة والجمع رُكبان ، والرَّكْب : اسم للجمع عند سيبويه ، وعند غيره جمع راكب كتاجر وتجْر . ويقال لعابر الماء فى زورق ونحوه راكب ، ويجمع على رُكّاب بالضم وبالتشديد ، ولا يقال رُكّاب إلا لركّاب البحر ، ولم يقولوا فيه ركب .

٣١٥ و (إمّا) مركبة من إن الشرطية وما المزيدة ، وعرضْتَ : قال فى الصحاح « عرَضَ الرجلُ : إذا أتى العَروض ، وهى مكة والمدينة وما حولها » ، وأنشد هذا البيت . وقال شرّاح أبيات سيبويه والجُمل : عرّضْتَ بمعنى تعرّضت وظهرْت . وقيل معناه بلغت العِرْض وهى جبال نجد ، تعرف بذلك .

والنَّدامىٰ : جمع نَدمان بالفتح بمعنى نديم ، وهو المُشارب ، وإنّما قيل له نَدمان من النَّدامة لأنه إذا سكر تكلّم بمـا يندم عليه ؛ وقيل : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، وذلك إدمان الشراب ؛ ويكون النَّدمان والنديم أيضاً الُمجالسَ والمُصاحبَ على غير الشراب . ونَجْران ، بفتح النون وسكون الجيم ، قال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : « مدينة بالحجاز من شِقّ اليمن ، سمِّيت بنَجْران بن زيد بن يشجب بن يعرُب ، وهو أول من نزلها . وأطيب البلاد نجْران من الحجاز ، وصَنعاء من اليمن ، ودِمشق من الشام ، والرَّىّ من خُراسان » انتهى .

وبهذا عُرف حُسنُ تفسير الصحاح لعرَضْت .

وأنْ مخفّفة من الثقيلة ؛ لأن التبليغ فيه معنى العلم ، واسمها ضمير شأن محذوف ، والجملة من اسم لا التبرئةِ وخبرها المحذوف أى لنا خبرها ، وجملة أن لا تلاقيا فى موضع المفعول الثانى للتبليغ ، وجوز اللخمىّ أن تـكون تفسيريّة . وقوله «مِنْ نجران» حال من نداماىَ ، لا وصف له ، خلافاً للخمى.

(أبا كَرِب والأيْهَمَيْنِ كِلَيهما وقيساً بأعلىٰ حضْرَمَوتَ اليمانيا)

هؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكرهم عند موته وحنّ إليهم ؛ وهو بدل من نداماى . وأبو كرب والأيهمانِ من اليمن ، وقيس هو ابن معد يكرب ، أبو الاشعث بن قيس الـكندىّ ؛ قال صاحب الأغانى ، وكذا اللخمىّ :

يروى أن قيساً هذا لما بلغه هذا البيت قال: لبَّيْكَ ، وإن كنت قد أخّرتنى »

(جزَىٰ الله قومى بالـكُلاب مَلامةً صَريحَهُمُ والآخَرينَ المواليا)

الصريح :الخالص والمحض . والمواليا : الحلفاء المنضمين إليهم، والـكُلاب بضم الـكاف : اسم موضع الوقعة .

(ولو شئتُ نجَّتنى من الخيل نَهْدَةٌ تُرَىٰ خلفَها الحُوُّ الجيادُ تواليا)

النَّهدة : المرتفعة ، وكل ما ارتفع يقال له نهد . والحُوّ من الخيل : التى تضرب إلى خضرة ، والحُوّة . الخضرة ؛ قال الأصمعى : وإنما خصَّ الحوَّ لأنه يقال : إنها أصبرُ الخيل وأخفُّها عِظاماً(١) إذا عرقت لـكثرة الجرى . وتواليا : جمع تالية أى تابعة ، أى إن فرسى لخفّتها تسبق الحُوّ فهى تتلو فرسى .

(ولـكنَّنى أحمى ذِمارَ أبيكُمُ وكان الرِّماحُ يَختطِفنَ الُمحاميا)

الذِّمار : مايجب على الرجل حفظه : مِنْ منعهِ جاراً أو طلبه ثاراً . وقوله : وكان الرماح الخ ، قال القالى : هذا مثل .

(أقول ، وقد شدُّوا لسانى بِنِسْعة : أمعشرَ تيمٍ أطلِقوا عنْ لِسانيا(٢))

النِّسعة بكسر النون : سَيْر منسوج . وفيه قولان : الأول أن هذا مثل ، وذهب إليه شرّاح أبيات الشعراء والقـالى فى أماليه ، وحكاه ابن الأنبارىّ ٣١٦
فى شرح المفضّليّات وقال : لأنَّ اللسان لا يُشدّ بنِسعة ، وإنما أراد : افعلوا بى خيراً لينطلقَ لسانى بشكركم ، وإنـكم ما لم تفعلوا فلسانى مشدود ، لا أقدر على مدحكم . والثانى أنهم شدّوه بنِسْعة حقيقةً ، وإليه ذهب الجاحظ فى البيان

(١) شرح شواهد شرح الشافية للبغدادى ١٣٥ ــ ١٣٨
وكذا فى أمالى القالى ٣ : ١٣٣ ، وهو كناية عن خفة الحركة
(٢) ويروى : « اطلقوا لى لسانيا » .

والتبيين[١] ، والأصفهانىّ فى الأغانى ، وحكاه أيضاً ابن الأنبارى : بأنّهم ربطوه بِنِسعة مخافةً أن يهجوَهم ، وكانوا سمعوه ينشِد شعراً ، فقال : أطلقوا لى عن لسانى أذمّ أصحابى وأنوح على نفسى ؛ فقالوا : إنك شاعر ، ونحذر أن تهجوَنا . فعاهدَهم أن لا يهجوَهم ، فاطلقوا له عن لسانه . قال الجاحظ : وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكره فى الأعقاب[٢] ، ويُسبّ به الأحياء والأموات ، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق ، وربّما شدّوا لسانه بِنِسْعة ؛ كما صنعوا بعبد يغوث بن وقّاص الحارثى ، حين أسرته تيمُ يوم الكُلاب .

(أمَعشرَ تيم قدْ ملكْتُمْ فأسجِحوا فإنّ أخاكم لم يكنْ من بَوَائيا)

أسجِحوا ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، بمعنى سهلوا ويسِّروا . والبَواء : السَّواء ، أى لم يكن أخوكم[٣] نظيراً لى فأكون بَواءً له .

(فإنْ تقتلُونى تقتلوا بِىَ سيِّداً وإنْ تُطلقونى تَحْرُبونى بماليا)

وتَحْرُبونى : تسلبونى وتغلبونى .

(أحقًّا عبادَ اللهِ أنْ لستُ سامعاً نَشيد الرِّعاءِ المُعْزِبينَ المتاليا)

الرِّعاء : جمع راع . والمعزِب : المتنحِّى بإبله ، وهو اسم فاعل من أعزب بالعين المهملة والزاى المعجمة . والمتَالى : التى نُتجِ بعضُها وبقى بعض ، جمعُ مُتلِيَة وهو اسم فاعل .

---

(١) انظر البيان ٤ : ٤٥

(٢) ط : « ذكرهم فى الأعقاب » . صوابه فى ش . والذى فى البيان : « أن يبقى ذكر ذلك فى الأعقاب » .

(٣) فى النسختين : « أخواكم » تحريف . وفى الامالى : « ان أخاكم لم يكن نظيرا لى »

(وتضحَكُ منّي شيخةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كأنْ لم ترَىْ قبلى أسيراً يمانيا)

هذا البيت من أبيات مغنى اللبيب[١]، قال القالى فى ذيل الأمالى: «قال الأخفش: رواية أهل الكوفة (كأن لم ترى) بالألف، وهذا عندنا خطأ، والصواب ترىْ بحذف النون علامة للجزم». وقال ابن السِيد: قوله: كأن لم ترىْ، رجوع من الإخبار إلى الخطاب، ويروىْ على الإخبار: وفى إثبات الألف وجهان: أحدهما أن يكون ضرورة، والثانى أن يكون على لغة من قال راء. مقلوب رأى، فجزم فصار ترَأْ ثم خفّف الهمزة فقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها، وهذه لغة مشهورة وكأنْ مخفّفة، واسمها مضمر فيها، تقديره على الوجه الأول: كأنكِ لم ترىْ وعلى الوجه الثانى كأنّها لم ترأ.

(وظَلّ نساء الحيّ حَوْلَىَ رُكَّداً يُراوِدْنَ منّي ما تريدُ نسائيا)

(وقد علِمَتْ عِرسى مُلَيكَةُ أنّني أنا الليثُ معْدُوًّا علىَّ وعاديا)

هذا من شواهد س، وأورده الشارح فى شرح الشافية[٢]، وقد وقع فى روايتهما «معدّياعليه وعادِياً» فقال: هذا شاذّ والقياس معدُوًّا عليه، لأنه من العُدوان، لـكنه بناه على عُدِىَ عليه.

(وقد كُنتُ نَحّار الجَزورِ ومُعمِلَ الـ مَطِيّ وأَمضِى حيثُ لا حىَّ ماضيا)

(وأنحَرُ للشَّرْب الـكِرامِ مطيّـتى وأصدَعُ بين القَيْنَتَيْنِ ردائيـا) ٣١٧

الشَّرب: جمع شارب، كصَحْب جمع صاحب. وأصدع: أشقّ. والقَينة: الأمَـةُ مغنّيةً كانت كما هنا أم لا.

(وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصها القنا لَبيقاً بتصريف القَناةِ بنانيا)

---

(١) شرح شواهد المغنى ٢٣١ فى الكلام على شواهد (لم).
(٢) سيبويه ٢ : ٨٣٢ وشرح شواهد الشافية ٤٠٠.

ويروى. «شَمّسها»، بالسين، وهى أجود. ويروى: «نفّرها».
واللبيق: فعيل من اللَّباقة.

(وعاديةٍ سَوْمَ الجرادِ وزَعتُها بكفّى وقد أنحَوا إلىّ العواليا)

العادية: القوم يعدُون، من العدْو وهو الركض وسَوْمَ الجراد أى كسَوْمه، وهو انتشاره. وزَعتُها: كففتها، والوازع: الكافُّ والمانع. وأنحَو الرماح: أمالوها وقصدوا بها، من النَّحو وهو القصد. والعالية من الرمح: أعلاه، ويقال مادون السِّنان بذراع.

(كأنِّى لم أركَبْ جواداً ولم أقلْ لخيلىَ كُرّى نفِّسى عن رجاليا
ولم أسبأ الزِّقّ الروىّ ولم أقل لأيْسارِ صِدقٍ أعظِمُوا ضوء ناريا)

نفّسى: وسِّعى، وروى «قاتلى»، والسِّباء، بالكسر والمد: اشتراء الخمر للشرب لا للبيع. والأيسار: الذين يضربون القداح، جمع ياسر، وفعله من باب ضرب وهذان البيتان مأخوذان من قول امرىء القيس:

كأنِّىَ لم أركبْ جواداً للذّة ولم أتبطّن كاعباً ذاتَ خلخالِ
ولم أسبأ الزِّقّ الروىَّ ولم أقلْ لخيلىَ كُرّى كرّةً بعد إجفالِ

ولم يَرِدْ على عبد يغوث ما ورد على امرىء القيس.

عبد يغوث الحارثى

و (عبد يغوث) هو ابن الحارث بن وقّاص الحارثّى القحطانى.

كان شاعراً من شعراء الجاهلية، فارسا سيّد قومه من بنى الحارث ابن كعب، وهو الذى كان قائدَهم يوم الكُلاب الثانى فأسرته تيم وقتلته، كما ذكرنا. وهو من أهل بيت شعر معرق فى الجاهلية والإسلام، منهم اللَّجلاج الحارثىّ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث وأخوه مُسْهر فارس

شاعر ، وهو الذى طعن عامر بن الطفيل فى عينه يوم فَيف الريح . ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبَة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ، وكان شاعراً صعلوكاً أُخِذ فى دم فحبس بالمدينة ثم قتل صبراً (وستأتى ترجمته فى باب إن المشدّدة فى أواخر الكتاب) .

قال الجاحظ فى البيان والتبيين(١) : ليس فى الأرض أعجب من طرَفة ابن العبد وعبد يغوث ، فإن قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهِيَة .

* * *

وأما قصيدة مالك بن الرَيْب فهى ثمانية وخمسون بيتاً ، وهى هذه(٢) :

ألا ليت شِعرى هل أبيتَنَّ ليلةً ... بجنب الغَضى أُزجِي القِلاصَ النواجيا
فليتَ الغضَى لم يقطع الرَّكب عَرضَه ... وليتَ الغضَى ماشَى الركابَ لياليا
لقد كان فى أهل الغضى لودنا الغضى ... مَزارٌ ولكنّ الغضَى ليس دانيا
ألم ترنى بعتُ الضلالةَ بالهدى ... وأصبحتُ فى جيش ابنِ عفّان غازيا ! ٣١٨
وأصبحت فى أرض الأعادى بُعيد ما ... أرانىَ عن أرض الأعادىّ قاصيا
دعانى الهوىٰ من أهل أُودَ وصحبتى ... بذى الطَّبَسيْنِ فالتفتُّ ورائيا
أجبتُ الهوىٰ لمّا دعانى بزَفرةٍ ... تقنَّعت منها ، أنْ أُلامَ ، ردائيا
أقول وقد حالت قُرى الكُرْدِ دوننا: ... جزَى الله عَمراً خير ما كان جازيا
إنِ الله يرجعْنى مِن الغزو لا أُرىٰ ... وإنْ قلّ مالى طالباً ما ورائيا
تقول ابنتى ، لما رأتْ طولَ رحلتى : ... سِفارُكَ هذا تاركى لا أبا لِيا

(١) البيان والتبيين ٢ : ٢٦٨

(٢) انظر الأمالى ٣ : ١٣٥ والعقد ٣ : ٢٤٥ والعينى ٣ : ١٦٥ والسيوطى ٢١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٤٣ ومعجم البلدان عند ذكر أسماء المواضع التى وردت فيها

لعمرى ، لئن غالتْ خُراسانُ هامتى — لقد كنتُ عن بابَىْ خراسانَ نائيا
فإن أنجُ من بابَى خراسان لا أعُدْ — إليها ، وإن منَّيتمونى الأمانيا
فلله درِّى ، يوم أترُك طائعا — بنىَّ بأعلى الرَّقمتين ، وماليا
ودرُّ الظِباء السانحاتِ عشيّةً — يخبِّرنَ ، أنى هالكٌ ، مَنْ ورائيا
ودَرُّ كبيرَىَّ اللذينِ كلاهما — علىَّ شفيقٌ ناصحٌ لو نهانيا
ودَرُّ الرجال الشاهدين تفتُّكى — بأمرىَ ألاّ يقصُروا مِن وَثاقيا
ودرّ الهوى من حيث يدعو صحابه — ودرّ لَجاجاتى ودرّ انتهائيا(١)
تذكَّرتَ من يبكى علىَّ فلم أجدْ — سِوى السيفِ والرمح الردينىّ باكيا
وأشقرَ محبوكٍ(٢) يجُرّ لجامَه — إلى الماءِ لم يترك له الموتُ ساقيا
ولكن بأكناف السُّمينة نِسْوةٌ — عزيزٌ عليهنّ العشيّةَ ما بيا
صريعٌ على أيدى الرجال بقَفْرة — يُسَوُّون لحدى حيثُ حُمَّ قضائيا
ولمَّا تراءتْ عند مَرْوَ منّيتى — وخَلَّ بها جسمى وحانتْ وفاتيا
أقول لأصحابى : ارفعونى فإنه — يقرُّ بعينى أنْ سهيلٌ بدا لِيا
فياصاحبَيْ رحلى ، دنا الموتُ فانزلا — برابيةٍ ، إنّى مقيمٌ لياليا
أقيما علىَّ اليومَ أو بعْضَ ليلةٍ — ولا تُعْجِلانى ، قد تبيّنَ شانيا
وقوما ، إذا مااستلّ رُوحى ، فهيِّئا — لىَ السِدْرَ والأكفانَ عِند فَنائيا
وخُطّا بأطراف الأسِنَّةِ مضجعى — وردُّا على عَينىَّ فضلَ ردائيا

---

(١) الأمالى : « يدعو صحابتى » .

(٢) الأمالى : « محبوكا » ، وكلاهما جائز فى العربية : أن تعطف على لفظ المجرور بسوى ، أو على معناه . وفى الجمهرة : « وأشقر خنذيذ »

ولا تحسُدانى ، باركَ الله فيكما ، من الأرض ذات العَرْض أن تُوسعاليا
خُذانى فجُرّانى بِبُرْدِى إليكما فقد كان قبلَ اليوم صعباً قِيَاديا
وقد كنتُ عطّافاً إذا الخيلُ أدبرتْ سريعاً إلى الهَيْجا(١) إلى مَنْ دعانيا
وقد كنتُ صبّاراً على القِرْنِ فى الوغى وعن شتمىَ ابنَ العمّ والجارَ وانيا
فطوراً ترانى فى ظِلالٍ(٢) ونَعْمَةٍ ويوماً ترانى والعِتاقُ رِكابيا
ويوماً ترانى فى رَحًى مستديرة تخرّقُ أطرافُ الرماح ثِيابيا
وقوما على بئر السُّمينة(٣) أسمِعا بها الغُرَّ والبيضَ والحسانَ الروانيا :
بأنّكما خلّفْتُمانى بقفرةٍ تَهِيلُ علىَّ الريحُ فيها السوافيا
ولا تَنسيا عهدِى خليلىَّ بعدما تقطّعُ أوصالى وتَبلىٰ عِظاميا ٣١٩
ولنْ يَعْدَمَ الوالُونَ بثًّا يصيبهم ولن يَعدَمَ الميراثَ منّي المواليا
يقولون : لاتَبْعَد ، وهم يدفِنُونني ، وأينَ مكانُ البعد إلاّ مكانيا !
غداة غدٍ يالهفَ نفْسى على غدٍ إذا أدْلَجوا عنّي وأصبحتُ ثاوِيا
وأصبَح مالى مِنْ طَرِيفٍ وتالد لغيرى ، وكان المالُ بالأمس ماليا
فياليتَ شِعْرى هل تغيّرَت الرَحىٰ رحى المُثْلِ(٤) أوأمستْ بفَلْج كماهيا

(١) فى الأمالى : « لدى الهيجا » ، وهو أوفق .
(٢) الأمالى : « فى ظلال » . وفى الجمهرة : « فى ظلال ومجمع »
(٣) ط : « السنينة » ، صوابه فى ش والأمالى . وفى الجمهرة : « بئر الشبيك »
(٤) المثل بضم الميم كما نبه عليه البغدادى فيما يأتى ، وكما فى القاموس . وضبطت فى الأمالى بكسرها كما فى ياقوت (رحى المثل) ولم يصرح بنص فى ضبطها ، وكذا ضبطت فى اللسان (مثل) بالكسر .

إذِ الحيُّ حلّوها جميعاً ، وأنزلوا بها بقراً حُمَّ العيون سَواجيا(١)
وعِينٍ وقد كان الظلام يُجنُّها يسفُنَ الخُزامى مَرَّة والأقاحيا(٢)
وهل أترك العِيسَ العَبالَى بالضحى برُكبانِها تعلو المِتانَ الديافيا(٣)
إذا عُصَبُ الرُكبانِ بين عُنيزة وبَولانَ عاجُوا المبقِياتِ النواجيا(٤)
فيا ليتَ شِعْرى،هل بكت أمُّ مالكٍ كما كنتُ لو عالَوْا بنَعيكِ(٥)باكيا!
إذا مُتُّ فاعتادِى القبورَ فسلِّمى على الرَّمْس،أُسقيتِ السَّحابَ الغواديا
على جدَث قد جرَّتِ الريحُ فوقَهُ تراباً كسَحْقِ المَرْنَبانىِّ هابيا
رهينة أحجارٍ وتُرْبٍ تضمَّنَتْ قراراتُها منّى العظامَ البواليا
فيا صاحبِى ، إمَّا عرَضتَ فبلِّغَنْ بنى مازن والرَّيْب أن لا تلاقيا(٦)
وعَطِّلْ قلوصى فى الرِّكابِ فإنّها ستَفْلِقُ أكباداً وتُبكى بواكيا(٧)

---

(١) الأمالى : « اذا الحى » . وفى الجمهرة : « اذا القوم » .

(٢) وعين ، كذا فى النسختين . وفى الأمالى وياقوت والجمهرة ، « رعين » ، من الرعى . وفى الأمالى وياقوت : « كاد الظلام » . يسفن ، من السوف ، وهو الشم . وفى الجمهرة : « نورها والأقاحيا

(٣) فى الأمالى : « العيس العوالى » . والديافيا ، لم يفسرها البغدادى . وفى الأمالى : « الفيافيا » وياقوت : « القواقيا » ، وفى الجمهرة :

وهل ترك العيس المراقيل بالضحى تعاليها تعلو المتون القياقا

(٤) الجمهرة : « المنقيات المهاريا » . وفى شرحها : « المنقيات : السمان . والمهارى : جمع مهرية » .

(٥) ياقوت فى (بولان) والأمالى : « نعيك » .

(٦) الأمالى : « فيا صاحبا » ، والجمهرة : « فياراكبا » ، و « بنى مالك » .

(٧) الأمالى : « وعر قلوصى » . وفى الأغانى ١١ : ١٤٢ : « ستبرد أكبادا » ، ونسبه الى جعفر بن علبة الحارثى ثم قال : « وهذا البيت بعينه يروى لمالك بن الريب فى قصيدته المشهورة التى يرثى بها نفسه » . وقد روى فى الجمهرة برواية الأغانى .

وأبصرت نارَ المازنيّاتِ مَوهِناً ... بعَلياء يُثنى دونَها الطرفُ وانيا(١)

بِعودَى أَلَنْجُوجٍ أضاء وقودُها ... مهاً فى ظلال السِدْرِ حُوراً جَوازِيا(٢)

بَعيدُ غريبُ الدار ثاوٍ بقَفْرة ... يدَ الدهرِ ، معروفاً بأن لا تدانيا

أُقلّبُ طرفى حولَ رحلى فلا أرى ... بهِ من عيون المؤنِسات مُراعيا

وبالرمل منّا نسوةٌ لو شهِدْنَني ... بكينَ وفدَّين الطبيبَ المداوِيا

وما كان عهدُ الرملِ عندى وأهلِهِ ... ذميماً ، ولا ودّعتُ بالرمل قاليا(٣)

فمنهنّ أمّى وابنتاها وخالتى ... وباكيةٌ أخرى تَهيج البواكيا(٤)

وهذا تفسير ما فيها على الإجمال :

الغضىَ : شجر ينبت فى الرمل ، ولا يكون غضىً إلاّ فى رمل . وأُزجى : أسُوق ، يقال أزجاه إزجاء ، وزجّاه تزجية . والنواجى : السِّراع . وقوله : فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه : أى ليته طال عليهم الاسترواح إليه والشوق . والركاب : الإبل ، جمع راحلة من غير لفظه . وقوله . وليت الغضى ماشَى الركاب أى ليت الغضى طاولَهم . وقوله : لقد كان فى أهل الغضى . . الخ يعنى بعتُ ما كنت فيه من الفتك فى الضلالة ، بأن صرت فى جيش سعيد بن

(١) البيت ساقط من الجمهرة . وفى الأمالى : « رانيا » ، وهو الصواب

(٢) وكذا لم يرو هذا فى الجمهرة . ط : « بعود » مفردا ، وأثبت ما فى ش . وفى ط : « حواريا » ، وش : « جواريا » صوابه من الأمالى

(٣) الجمهرة : « ولا بالرمل ودعت » . وهذا البيت فى الجمهرة مؤخر عن تاليه هنا

(٤) وكذا فى الجمهرة وياقوت . وفى الأمالى : « أمى وابنتاى » وقد ذكر ياقوت هذه القصيدة فى مواضع شتى من معجمه ، ومبدؤها (خراسان) وهو ينبه فى كل موضع على الذى يليه حتى أتمها فى (بولان) . وفى الأغانى ١٩ : ١٦٩ : « قال أبو عبيدة : الذى قاله ثلاثة عشر بيتا ، والباقى منحول ولده الناس عليه » .

عثمان بن عفان . وقوله : دعانى الهوى .. الخ، أُود بضم الهمزة قال البكرى : موضع ببلاد مازن . . وأنشد هذا البيت ، وقال : الطَّبَسانِ : كُورتان بخراسان . يقول : دعانى هوایَ وتشوُّق من ذلك الموضع ، وأصحابى بالموضع الآخر .

٣٢٠ وقوله : أجبت الهوى .. الخ ، يقول : لما ذكرت ذلك الموضعَ استعبرت فاستحييتُ فتقنَّعتُ بردائى ، لكى لا يُرىٰ ذلك منّى . . قال الشاعر :

فكائنْ ترىٰ فى القوم من متقنّعٍ على عَبْرة كادت بها العينُ تسفحُ

وقوله : لا أباليا ، قال القالى : روى « أباً » بالتنوين وبغير تنوين . وقوله : لئن غالت خراسان هامتى ، يريد . أهلكتْ هامتى . وقوله : فلله درّى ، تعجب من نفسه كيف تغرّب عن ولده وماله . قال ابن أحمر :

بان الشبابُ وأفنىٰ ضعفَه العمرُ لله درّى ، فأىَّ العيش أنتظرُ !

تعجّب من نفسه ، أى عيش ينتظر . ويريد بالسانحات : الظباء سنحت له فتطيّر منها . ووراء بمعنى قدام . وقوله : تفتُّكى ، يروى تفنكى بالنون ؛ يقال فنّك فى الشىء : إذا تمادى فيه ، قال الشاعر[١] :

ودِّعْ لَميسَ وَداعَ الصارِمِ اللاحى إذْ فنّكتْ فى فسادٍ بَعد إصلاحِ

وقوله : تذكرت من يبكى علىّ . . الخ ، يقول : كنت أستعمل السيف والرمح فهما لى خليلان ، وأنا هنا غريب فليس أحد يبكى علىّ غيرهما .

والمحبوك : الفرس القوىّ . وقوله : ولكن بأكناف السُّمينة ، بلفظ مصغر السُّمنة ، وهو موضع قريب من أُود المذكور . ومَرْو : مدينة بخراسان .

(١) نسب فى اللسان (فنك) الى عبيد بن الأبرص . والحق أنه لأوس بن حجر مطلع قصيدة فى ديوانه ١٣ . وكثيرا ماتلتبس نسبة أبيات قصيدتيهما الى بيتين .

وقوله : وخلَّ بها جسمى : أى اختلّ واضطربَ . وقوله : يقرّ بعينى أنْ سهيل بدا ليا ، يريد أن سهيلاً لا يُرىٰ بناحية خراسان ، فيقول : ارفعونى لعلّى أراه فتقرّ عينى ؛ لأنه يُرىٰ فى بلده .

وقوله : خُطًّا : أى احفِرا بالرماح . وقوله : فى رحًى مستديرة ، الرحىٰ : موضع الحرب ، ومستديرة : حيث يستدير القوم للقتال . وقوله : البيض الحسان الروانيا : أى النواظر ، جمع رانية ، والرُّنوّ : النظر الدائم . والغُرّ : البيض . والوالون : جمع وال . والموالى : بنو العم والأقربون . والبثّ : أشد الحزن . وقوله : رحىٰ المُثل ، هو بضم الميم وسكون للثلثة : موضع بفلج يقال له : رحى المثل ؛ وفلج : موضع فى بلاد بنى مازن وهو فى طريق البصرة إلى مكة . وقوله : حَلُّوها : نزلوا بها . وأراد بالبقر النساء ، ويروى : « جُمّ القرون » ، أى ليست لها قرون ، شبّهها بالبقر . وسواجى : سواكن . والعِين : بقر الوحش ، والأعيَن : ثوره . والخزامىٰ ، بالقصر خِيرِىّ البرّ ، زهره أطيب الأزهار نفحة . والأقاحىّ : جمع أقحاء ، وهو جمع . والعِيس : الإبل التى تضرب إلى البياض . والعبالى : جمع عبلى(١) وهى الضَّخمة . والمِتان : جمع متن ، وهو ما صلب من الأرض . وعُنيزة : قارَة سوداء فى وادى بطن فلْج . والمبقِيات : التى تُبقى سيرَها . والنواجى : التى تنجو سيرها أى تسرع . والمرَنْبَانىّ : كساء من خزّ ، ويقال : مِطْرَف من وبَر الإبل . وهابياً : من هبا هَبْواً(٢) .

وقوله : رهينة أحجار . . الخ ؛ أى فى القبر علىَّ الترب والحجارة . والقرارة : بطن الوادى حيث يستقرّ الماء ؛ وصيَّره مثلا للقبر وبطنِه . وقوله :

(١) كذا . ولعل صوابها « عبلاء » مؤنث الأعبل

(٢) ش : « هبا يهبو » .

يدَ الدهر ، يقال : يدَ الدهر ، ومدَى الدهر ، وأبدَ الدهر ؛ وكلُّه واحد .

مالك ابن الريب

و (مالك بن الرَّيْب) بفتح الراء وسكون المثناة التحتيّة ؛ هو من مازن تميم ، وكان لصاً يقطع الطريق مع شِظاظ الضبِّيّ الذى يُضرب به المثلُ فيقال : « ألصُّ مِن شِظاظ » .

قال القالى فى ذيل أماليه(١) . « قال أبو عُبيدة : لما ولّىٰ معاويةُ سعيدَ

٣٢١ ابن عثمان بن عفّان خراسانَ ، سار فيمن معه فأخذ طريقَ فارس ؛ فلقيه بها مالك بن الرَّيْب بن حَوط بن قُرط بن حِسْل بن ربيعة بن كابية(٢) بن حُرقوص ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم — وأمّه شهلة بنت سَنيح بن الُحرّ ابن ربيعة بن كابية(٢) بن حرقوص بن مازن — قال : وكان مالك بن الرَّيْب ، فيما ذُكر ، من أجمل العَرب جمالاً وأبينهم بيانا . فلما رآه سعيد(٣) أعجبه (وقال أبو الحسن المدائنى : بل كان مرّ به سعيد بن عثمان بالبادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة حين ولاّه معاويةُ خراسان) ومالكٌ فى نَفَر من أصحابه . فقال له : ويْحك يا مالك ؟ ما الذى يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العَدَاء(٤) وقطْع الطريق ! قال : أصلح الله الأمير ! العجز عن مكافأة الإخوان . قال : فإن أغنيتُك واستصحبتُك ، أتكفّ عما تفعلُ وتتّبعنى ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! أكفّ كفًا ما كفّ أحدٌ أحسنَ منه . فاستصحبه وأجرىٰ عليه خمسمائة دينار فى كلّ شهر ، وكان معه حتى قتل

(١) ط : « قاله القالى فى ذيل أماليه » فيكون الكلام مرتبطا بسابقه ، وليس كذلك ، فان شظاظا لم يرد له فى الأمالى ولا فى ذيلها ذكر . وانما المذكور هو الخبر التالى . انظر الأمالى ٣ : ١٣٥ . والكلام المتقدم لابن قتيبة فى الشعراء ٣١٢ .

(٢) فى النسختين : « كايبة » صوابه بتقديم الباء ، كما فى الأمالى والاشتقاق ٢٠٤ ومختلف القبائل ٣٦ .

(٣) ط : « سعد » ، صوابه فى ش والأمالى .

(٤) العَداء ، بالفتح : تجاوز الحد فى الظلم .

بخراسان . قال : ومكث مالك بخراسان فمات هناك فقال يذكر مرضه وغربته . وقال بعضهم ، بل مات فى غزو سعيد ، طعن فسقط وهو بآخر رَمَق وقال آخرون : بل مات فى خان ، فرثته الجنّ[1] لِما رأت مِن غُربته ووَحْدته ، ووضعت الجنّ الصحيفةَ التى فيها القصيدة تحت رأسه . والله أعلم أىّ ذلك [كان[2]] » ا هـ .

قال ابن قتيبة : ومن شعره يهجو الحَجّاج[3] :

فإن تُنصفوا يا آل مَرْوانَ نقترِبْ إليكُمْ وإلاّ فأْذَنوا ببِعادِ
فإنّ لَنا عنكمْ مَزاحا ومَزحة[4] بِعيس إلى رِيح الفَلاة صوادى
فماذا عسى الحجّاجُ يَبلُغ جَهْدُه إذا نحن جاوزْنا حَفيرَ زيادِ
فلولا بنو مرْوانَ كان ابن يُوسفٍ ـ كما كان ـ عبداً مِن عَبيد إيادِ
زَمانَ هو العبدُ المقِرُّ بذلّة يراوحُ صِبيان القُرى ويُغادى[5]

وليس له عقب . ومما سَبق إليه فأخذ عنه قوله :

العبدُ يُقرَعُ بالعصا والحُرّ يَكفيه الوعيدُ[6]

(١) فى الأمالى : « الجان » .
(٢) التكملة من ش والأمالى .
(٣) الشعراء ٣١٤ والكامل ٢٩٠ مع النسبة لمالك ، وفى الحماسة ٦٧٦ بشرح المرزوقى مع نسبتها الى الفرزدق . ومعجم البلدان بزيادة ونقص فى (حفير زياد) ونسبها الى البرج بن خنزير التميمى ، وقال : « وكان الحجاج قد ألزمه البعث الى المهلب لقتال الأزارقة فهرب منه الى الشام » .
(٤) الشعراء : « ومزحلا » وفى الحماسة : « مزاحا ومذهبا » .
(٥) يقال ان الحجاج كان فى صدر حياته معلما .
(٦) البيان ٣ : ٣٧

وقال آخر[١] :

العبدُ يقرَع بالعصا والحُرّ تكفيه المَلامة[١]

وقال آخر[٢] :

العبدُ يقرعُ بالعصا والحرّ تكفيه الإشاره

* * *

توابع المنادى

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س[٣]:

١١٦ (ياذا المخوِّفنا بمَقتلِ شَيخِهِ حُجرٍ تَمنِّيَ صاحِبِ الأحْلامِ)

على أن (المخوِّفنا) نعت لاسم الإشارة الواقع المبنىّ على ضمة ؛ وهو مضاف إلى ضمير المتكلم مع الغير إضافةً لفظيّة .. قال ابن الشجَرىّ : «هذا سهو، فإن الضمير فى المخوِّفنا منصوب لا مجرور » . ويأتى بيانه فى الشاهد السابع عشر[٤] .

و (أل) موصولة بمعنى الذى . و (بمقتل) متعلق بالمخوِّف ، وهو مصدر

---

(١) هو يزيد بن مفرغ . البيان ٣ : ٣٧ وأمالى الزجاجى ٤٣ والأغانى ١٧ : ٥٤ .

(٢) هو الصلتان الفهمى . الحيوان ٥ : ٦٢ والبيان ٣ : ٣٧ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٠٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢٠ وديوان عبيد بن الأبرص ٢٠ .

(٤) صوابه « العشرين » أى بعد المائة ، وبذلك صححها الشنقيطى فى هامش نسخته ، كما نبه عليه أحمد تيمور .

مضاف إلى مفعوله ، والفاعل محذوف . أى يامن يخوّفنا بسبب قتلنا شيخَه ؛ ٣٢٢
وأراد بشيخه : أباه . و (حُجْر) . بدل من شيخه أو عطف بيان له ، وهو بضم الحاء وسكون الجيم : اسم والد امرئ القيس . وقوله (تَمَنِّيَ صاحبِ الأحلامِ) منصوب على أنه مصدرٌ عاملُه محذوف ، أى تمنّيتَ تمنّيَ صاحبِ الأحلام ، فإنك لا تقدِر على الانتقام . والأحلام : جمع حُلُم بضمتين ، وهو الرؤيا .

وهذا البيت لعَبيد بن الأبرَص الأسَدىّ ، يخاطب به امرأَ القيس صاحبَ المعلقة المشهورة . وبعده :

لا تَبكِنا سفَهاً ولا ساداتِنا   واجعلْ بكاءكَ لابن أمِّ قَطامِ

وسبب قول عَبيدٍ هذا الشعر : أنّ قوم عبيد بنى أسد قتلوا أبا امرىء القيس حجراً ، وهو ابن أمّ قَطام (كما تقدّم بيانه فى الشاهد التاسع والأربعين(١)) فتوعّدهم امرؤ القيس بقوله :

واللهِ لايذهبُ شيخى باطلا   حتى أُبيدَ مالـكا وكاهلا !

(وهما حيّانِ من بنى أسد) . فقال له عَبيد ذلك ؛ وجعل وعيدَه كاذبا وما تمنّاه فيهم غيرَ واقع ، كأضغاث أحلام ، وقال عَبيد أيضا :

يا ذا المخـوّفنا بقـتـ   ـل أبيه إذلالا وَحينا
أزعمتَ أنّكَ قد قَتلـ   ـتَ سَرَاتَنا كذِباً ومَينا
هلاَّ على حجرِ بن أمِّ   قطامِ تبـكى لا علينا
إنا إذا عضَّ الثِّقا   ف برأس صَعْدتنا لوَينا
نَحمى حقيقَتنا وبعـ   ـضُ القومِ يَسقط بينَ بَينا

(١) الجزء الأول ص ٣٢٣ .

هلاّ سألتَ جُموعَ كنـ ـدةَ يوم ولّوا : أينَ أينا

أيام نضربُ هامهم ببواتر حتّى انحنينا

وجموعَ غسّانَ الملو كِ أتينَهُمْ وقد انطوينا(١)

نحن الألىٰ ، فاجمعْ جمو عَكَ ثمّ وجّهْهُم إلينا

واعـلم بأنّ جيـادَنا آلَيْنَ لا يقضِين دينا

ولقد أبحنا ما حميـ ـتَ ، ولا مُبيحَ لمـا حَمينْا

وهذا نصف القصيدة .

وقوله : إذلالاً ، مفعول ثان للتخويف ، وهو مصدر أذلّه الله ، متعدٍّ ذلّ الرجل: إذا ضعف وهان. والحَيْن بالفتح : الهلاك ، مصدر حان. والسَّراة ، بفتح السين : الأشراف ، جمع سريّ ، وأصله سَرُوىٌ على وزن فَعول من السَّرْوِ ، وهو كرمٌ فى مروءة . والمَين: مرادف للكذب . والثّقاف ، بكسر المثلّثة : ما يسوّىٰ به الرماح . والصَّعْدة بالفتح ، قال فى الصحاح : « هى القناة المستوية تنبت كذلك ، لا تحتاج إلى تثقيف » ، وقيل : الرمح القصير، ولوىٰ الرجل رأسه وألوىٰ برأسه : أماله وأعرض . والحقيقة مايحقّ على الرجل أن يحميه كالأهل والولد والجار .

وقال فى الصحاح: « هذا الشىء بينَ بينَ أى بين الجيد والردىء » . ثم أنشد هذا البيت وقال : « أى يتساقط ضعيفاً غير مُعتَدٍّ به . وألف بينَ

---

(١) أتينهم ، يعنى الخيل وان لم يجر لها ذكر . انطوين : ضمرن . وفى النسختين : « أتيتهم » صوابه فى ديوان عبيد ٢٨ والأغانى ١٩ : ٨٥ ومختارات ابن الشجرى ٩٠ وفى حواشى المختارات : « يعنى الخيل انطوين من الضمرة » . وبعده فى الأغانى والمختارات :

لحقـا أياطلهن قد عالجن أسفاراً وأينا

الثانى إشباع وبُنِيا لتضمُّنهما لواو العطف(١) ». والبواتر : جمع باتر ، وهو ٣٢٣
السيف القاطع ، وكأنه لحظ فى السيف مَعنى الحديدة أو آلة القطع فجمعه هذا الجمع ، يدلُّك عليه« انحنين » بضمير الإناث العائد إلى البواتر ، وأنه غلب عليه الاسمية .

والألى بمعنى الذين اسم موصول ، وحذفت الصلة لادّعاء شهرتها ؛ أى نحن الذين عُرفوا بالشجاعة . والجياد : جمع جَواد ، وصفٌ مِن جاد الفرس : أى صار رائعا ، يجود جُودة بالضم فهو جَواد ، للذكر والأنثى . وآلين : أى حلفن ، من الألِيَّة بمعنى اليمين .

(وعَبيد) هو ، بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن الأبرص بن عوف عبيدبن الأبرص
ابن جُشَم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثَعلَبة ابن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدرِكة بن إلياس بن مضر ، الأسدىّ الشاعر ، من فحول شعراء الجاهلية . جعله ابن سلاّم الجُمَحىّ فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقَرن به طرَفة وعَلقمة بن عبدَة .

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : عاش عَبيدٌ هذا أكثرَ مِن ثلثمائة سنة.

وقال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمَّرين :« عاش عبيد مائتى سنة وعشرين سنة . ويقال بل ثلثمائة سنة ، وقال فى ذلك :

ولَتأتِيَنْ بَعْدى قُرونٌ جَمّـةٌ ترعىٰ مخارم أيكة ولدودا(٢)
فالشمسُ طالعة ، وليلٌ كاسفٌ ، والنجمُ يَجرى أنحساً وسُعودا

(١) فى الصحاح : « وهما اسمان جعلا اسما واحدا وبنيا على الفتح » .
(٢) ط : « محارم » صوابه بالخاء المعجمة كما فى ش والمعمرين ٦٠ والديوان ٨١ .

حتى يقال لمن تَعَرّقَ دهره : ياذا الزمانةِ ، هلْ رأيتَ عبيدا
مائتى زمانٍ كامل ونَصِيَّةً[١] عشرين عِشتُ معمّرا محمودا
أدركتُ أوّل مُلكِ نصرٍ ناشئا وبناء شَدّادٍ وكان أبيدَا
وطلبت ذا القَرْنينِ حتّي فاتنى رَكضاً ، وكدت بأن أرى داوُدا
ما تبتغى من بعد هذا عِيشةً إلاّ الخلودَ ! ولن تَنال خُلودا
وليَفنيَنْ هـذا وذاك كلاهُما إلاّ الإلهَ ووجهَه المعبودا

وقال أيضاً :

فنِيتُ وأفنانى الزمان وأصبحتْ لِداتى بنو نَعْش وزهْرُ الفراقد » اه

ومن شِعره :

تذكّرتُ أهلَ الخير والباعِ والندىٰ وأهلَ عِتاقِ الخيل والخمرِ والطِّيبِ
فأصبح منّي كلُّ ذلك قدْ خلا وأىُّ فتى فى الناس ليس بمكذوب !
ترى المرء يَصبو للحيـاة وطيبهـا وفى طولِ عيش المرء برحٌ بتعذيب

ومضمون البيت الأخير مما تداوله الناس قديماً وحديثاً ، قال بعض شعراء الجاهليّة :

كانت قناتى لاتلَين لغامزٍ فألانَها الإصْباحُ والإمساء[٢]

---

(١) النصية : البقية . قال كعب بن مالك :
ثلاثة آلاف ونحن نصــية ثلاث مئين ان كثرنا وأربع
ط : « وبضعة » ش والمعمرين : « ونصيته » والوجه ما أثبت مطابقا للديوان ٨٢ .

(٢) هو عمرو بن قميئة كما فى زهر الآداب ٢٢٣ وليس فى ديوانه والبيت مع قرينه التالى بدون نسبة فى الكامل ١٢٥ وعيون الأخبار ٢ : ٣٢٢ والعقد ٣ : ٥٨

وقال النمِر بن تولب الصحابىّ رضى الله عنه :

يودّ الفتىٰ طولَ السلامة والبقا فكيف ترىٰ طولَ السلامة يفعلُ[(١)]

وتبعه حُميد بن ثَور الهلالىّ ، الصحابىّ أيضاً ، رضى الله عنه :

أرىٰ بصرى قد رابنى بعد صحّة وحسبُك داء أنْ تصحّ وتسلما[(٢)]

وقال آخر : ٣٢٤

ودعوتُ ربّي بالسلامة جاهداً ليُصحِّني ، فإذا السلامةُ داء[(٣)]

وفى معناه قول الخيمىّ من المتأخِّرين :

إذا كان موتُ المرء إفناء عُمرهِ ففى موته من يوم يولَدُ يُشْرَعُ

وأحسن من هذا كلّه قوله ﷺ : « كفىٰ بالسَّلامة داء » ، فإنه أبلغ وأوجز وأسلس وأرشق مما ذكر .

— قال محمد بن حَبيب ، فى كتاب من قتل من الشعراء[(٤)] : ومنهم عَبيد ابن الأبرص الأسدىّ ، وكان المنذر بن امرىء القيس اللخمىّ بن ماء السماء (وهو الذى يسمّىٰ ذا القرنين ، وهو جدّ النعمان بن المنذر) له يوم بؤس ويوم نعيم ،

(١) البيان ١ : ١٥٤ والحيوان ٦ : ٥٠٣ والمعمرين ٦٣ والأغانى ١٩ : ١٥٩ .

(٢) البيان ١ : ١٥٤ والحيوان ٦ : ٥٠٣ وزهر الآداب ٢٢٣ والعقد ٣ : ٥٧ وديوان حميد ٧ .

(٣) هذا البيت قرين البيت الهمزى السابق ، كما فى الكامل وعيون الأخبار وزهر الآداب .

(٤) أسماء المغتالين فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢١١ . والنص هنا أضفى مما فى أسماء المغتالين .

وكان يقتل أولَ من رأىٰ فى يوم بؤسه ؛ فخرج المنذر فى يوم بؤسه فلقى عبيدَ ابنَ الأبرَص فقال له : هلاّ كان المذبوح غيرك ياعَبيد ! فقال « أتتْكَ بحائنٍ رِجْلاه ! » وأرسلَه مَثلا ، فقال له : أَنشِدْنا ياعَبيد ، فقال : «حالَ الجريضُ دون القَريض ، وبلغ الحِزامُ الطُّبْيَين» وأرسلَهما مثلا ، فقال له أنشدنى ، فقال: «المنايا على الحَوايا ! » وأرسله مثلا ، فقال بعض القوم : أنشِدِ الملكَ ، هبِلَتْك أمُّك ! فقال : « وما قولُ قائل مقتول ؟ » وأرسلَه مثلا ، وقال آخر : ما أشدَّ جزَعك بالموت ! فقال « لا يرحلنْ رحلكَ مَن ليس معك ! » وأرسلَه مثلا ، فقال الملك: قد أملَلْتنى فأرِحْنِي قبل أن آمُرَ بك ! فقال عبيد : « منْ عزّ بزّ » ، وأرسلَه مثلا ، فقال الملك : أنشِدْنا قولَك :

* أقفرَ من أهلِه مَلحوبُ *

فأنشدَه :

أقفر من أهلِه عبيــدُ فاليومَ لايُبدى ولا يُعيدُ

(وأنشد هذا البيتَ صاحبُ الكشّاف عند قوله تعالى : « قُلْ جاء الحَقُّ وما يُبدىْ الباطلُ وما يُعيد(١) » على أن هذه الكلمة قد صارت مثلاً فى الهلاك ، من غير نظر إلى مفرداتها ، وهو فى الأصل كناية ، لأن الهالك لم يبق له إبداء ولا إعادة ، كما يقال : لا يأكل ولا يشرب ، أى مات) . فقال له الملك : ويْحك يا عَبيد ! أنشدِنى قبلَ أن أذبحك ! فقال عبيد : والله إنْ مُتّ ما ضرَّنى ! فقال له : لابد من الموت ، فاختر : إن شئت من الأكحَل ، وإن شئت من الأبْجل ، وإن شئت من الوريد : فقال عبيد :

(١) الآية ٤٩ من سورة سبأ .

ثلاثُ خصالٍ كسَحَابات عادٍ ، واردُها شرٌّ ورَّاد[١] وحاديها شرُّ حاد ، ومعادُها شرُّ معاد ، ولا خير فيها لمرتاد ، فإن كنتَ لا بدَّ قاتلي فاسقنى الخمر ، حتّى إذا ذهَلتْ منها ذواهِلى ، وماتت لها مفاصلى فشأنَك وما تريد . ففعل به ما أراد ، فلما طابت نفسُه ودعا به ليقتله أنشأ يقول :

وخيَّرنى ذو البؤسِ فى يوم بؤسِهِ ... خِصالاً أرى فى كلِّها الموتَ قدبرَقْ

كما خُيِّرتْ عادٌ من الدهر مَرّةً ... سحائبَ مافيها لذى خِيرة أنَقْ[٢]

سحائبَ ريحٍ لم توكَّل ببلدة ... فتتركها إلاّ كما ليلةِ الطلَقْ

* * *

وأنشد بعده لرؤبة ، وهو الشاهد السابع عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س[٣] :

١١٧ (إنِّى وأَسْطَارٍ سُطِرْنَ سَطْرَا ... لَقائلٌ : يانصرُ نصرٌ نصرًا) ٣٢٥

على أن التوكيد اللفظىّ فى النداءِ حكمُه فى الأغلب حكمُ الأوّل ، وقد يجوز إعرابه رفعاً ونصباً ، فنصر الثانى رفع إتباعاً للفظ الأوّل ، والثالثُ نصب إتباعا لمحلّ الأوّل .

---

(١) فى النسختين : « وارد » ، صوابه « وراد » كما يقتضيه السجع ، مطابقا لما فى الأغانى ١٩ : ٨٧ ومعجم البلدان (الغريان) . وفى سمط اللآلىء ٨٤٥ :

خيرتنى بين سحابات عاد ... أردت من ذلك شر المراد

والشطر الأول من هذا الذى يوهم أنه شعر ، فى طراز المجالس ١٢٠ .

(٢) هذا ما فى ط والأغانى ١٩ : ٨٧ . وفى ش : « لذى الموت قد برق » ، وهو سهو من الناسخ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٠٤ والعينى ٤ : ١١٦ وابن يعيش ٢ : ٣/٣ : ٧٢ والخصائص ١ : ٣٤٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٧٤ وهمع الهوامع ١ : ٢/٢٤٧ : ١٢١ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٤ .

وضعّف الشارح المحقّق البدلَ والبيانَ في مثله وقال : « لأنهما يفيدان مالا يفيده الأوّلُ من غير معنى التأكيد ، والثانى فيما نحن فيه لا يفيدُ إلاّ التأكيد ».

ومَنع أبو حيّان كونَه من التأكيد اللفظىّ أو البدل ، وحَصره في البيان فقال : « لا يجوز أن يكون نصر الثانى توكيداً لفظياً . قيل : لتنوينه والأوّل ليس كذلك ، ورُدّ بأن هذا القدر من الاختلاف مغتفَر في التأكيد اللفظىّ . وقيل : للاختلاف في التعريف : فيا نصرُ عُرِّف بالإقبال عليه لا بالعلميّة ، والثانى معرَّف بالعلميّة ، فكما لا يجوز جعلُ الثانى في : جاء الغلامُ غلامُ زيد ، تأكيداً لفظيًّا لاختلافهما في التعريف ، فكذلك هذا . ولا يجوز أن يكون بدلاً لأنه منوَّن ، ولا نعتا لأنّه علم » اهـ .

وفيه نظر . فإن اتّحاد جهة التعريف في التأكيد غير مسلّمة ، بل يكفى اختلافها .

ثم قال أبو حيّان : « ولا يجوز أن يكون مرفوعاً على أنه خبر مبتدإ مضمر ، ولا نصبُه على إضمار فعل ؛ لأن هذا النوعَ من القطع إنما تكلّمت به العرب إذا قصدَتِ البيانَ أو المدحَ أو الذمَّ أو الترحّم ، ونصر لا يُفهَم منه شىء من ذلك » اهـ .

وفيه أنه يصحّ نصبه على المدح بدليل ما بعده ، وهو :

(بلّغك اللهُ ، فبلِّغْ نصرا نصرَ بنَ سيّارٍ يُثِبْنِي وَفْرَا)

فإنه رُوى أن نصراً في البيت الأوّل ، وهو صاحبُ نصرِ بن سيّار ، منعه من الدخول إلى نصر بن سيّار وهو أمير خُراسان في الدولة الأمويّة ، فتلطّف به وأقسَم له بأنّه يدعو له ، وطلب منه المعونة .

وقول خضر الموصِلى ، شارح شواهد التفسيرَين : بأنه يجوز نصبه

على الذمّ ، لأنّ الحاجب منعه من الدخول إلى الأمير ، غفلةٌ عن البيت الثانى.

ورُوى نصبه أيضاً : إمّا لما ذكرنا ، وإما للإتباع على محلّ الأوّل ، وإما لأنّه مصدرٌ بدلٌ من فعل الأمر أى انصرنى — وقال بدرُ الدين فى شرح الخلاصة : يجوز كونه مصدراً دعائيّا كسَقياً ورَعياً — فيكون نصر الثالث تأكيداً على الوجوه الثلاثة .

وروى الجرمىّ عن أبى عبيدة أن النصر : العطية ، يريد : يا نصر عطيّةً عطيّةً . ويردّه رواية الرفع . وزعم أبو عبيدة أيضاً : أن نصراً الثانى هو حاجبُ نصر بن سيّار ، والأوّلَ هو ابن سيّار ، فنصبه على الإغراء ، أى يا نصر عليك نصراً . ويردّه شيئان : رواية الرفع ، والدعاء ؛ وفيه أيضاً غفلة عن البيت الثانى .

وروى فى (نصر) الثانى أيضاً ضمُّه بلا تنوين كالأول ، على أنه توكيد لفظىّ له تبِعَهُ فى البناء . وروى صاحب اللباب فيه وجهاً رابعاً : وهو جرّه مع نصب الأول ؛ قال شارحه الفالى[1] : « فيكون المضاف إليه على هذا جنساً ، كما تقول : طلحة الخيرِ ، وحاتِم الجودِ . والتنكير للتفخيم » .

وملخّص ما ذكرنا : أن نصراً الأوّل روى فيه وجهان : ضمُّه ونصبُه ؛ والثانى رُوى فيه أربعة أوجه : ضمُّه ورفعُه ونصبُه وجرُّه ؛ والثالث روى فيه وجه واحد وهو النصب .

(١) الفالى ، بالفاء : نسبة الى فالة ، بلدة قريبة من أيذج من بلاد خوزستان وهو محمد بن سعيد بن محمد بن أبى الفتح السيرافى ، قال السيوطى فى البغية : « صاحب شرح اللباب ، لم أعثر له على ترجمة » وسمى فى اقليد الخزانة « اسماعيل الفالى » قال الميمنى : « منه نسخة كتبت سنة ٧٧٥ هـ بحيدر أباد . ويوجد كثير من نسخه بالهند » .

٣٢٦ واعلم أن الصاغانيّ قال فى العباب ، وتبعه صاحب القاموس : أن اسم الحاجب إنّما هو « نضْر » بالضاد المعجمة ، وأنّ الثلاثة فى البيت الأول بالإعجام ، وإهمال الصاد تصحيف ؛ وأما نصر فى البيت الثانى فهو بالإهمال لا غير . وكذا قال ابن يَسعون : رأيت فى عرْض كتاب أبى إسحاق الزجّاج بخطّ يده وهو أصله الذى قرأ فيه على أبى العبّاس : نضر الذى هو الحاجب بالضاد معجمة .

وأنشده سيبويه بنصب نصر الثانى ؛ قال الأعلَم : الشاهد فيه نصبه نصراً نصراً ، حملاً على موضع الأوّل ، ولو رفع حملاً على لفظ الأوّل لجاز .

قال النحّاس : وقد خُولف فى هذا : فقال الأصمعىّ : النصر : المعونة ؛ فهو على هذا منصوب على المصدر كأنه قال : عوناً عونا .

وقوله :(لقائلٌ) خبر إنّ . وجملة القسَم أعنى قوله : (وأسطار . . الخ) اعتراضٌ بين اسم إنّ وخبرها ، والواو للقسم ، أى وحقِّ أسطارِ المصحَف ، وهو جمع سطْر جمع قلّة كأسطر ، وفى الكثرة : سِطار وسُطور ، ويجمع أسطار على أساطير .

واستشهد صاحب الكشّاف بهذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ إنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأوَّلين(١) ﴾ على أن أساطير جمع أَسطار بفتح الهمزة جمع سطر .. وجملة (سُطِرْن) بالبناء للمفعول صفة لأسطار . و (سطراً) مفعول مطلق . وقوله (يا نصر) إلى قوله (بلّغك الله) مقول القول . وبلّغ بالتشديد متعدّ إلى مفعولين ثانيهما محذوف أى مرادَك ؛ وثلاثيُّه متعدّ إلى واحد ، يقال

---

(١) من الآية ٢٥ من الأنعام و ٣١ من الأنفال .

بلغت المنزل : إذا وَصلته . وبلِّغْ : فعـل أمر ومفعوله الأول محذوف : أى أرْجوزتى ومديحى ونحوهما . و (نصر) الثانى عطف بيـان للأوّل . و (يثِبْنى) مجزوم فى جواب بلِّغْ ، يقـال : أثابه الله أى جزاه وأعطاه . و (الوفر) المال الـكثير .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس[1] . والعجب من الصاغانى حيث ردّ على سيبويه فى أن هذا الشاهد ليس لرؤبة ولم يبين قائله .

وأما (نصر بن سيّار) فقد كان أمير خُراسان فى الدولة الأمويّة ؛ وكان أوّل مَن ولاّه هشام بن عبد الملك . وكانت إقامتـه فى مرو ، إلى أن جاء أبو مسلم الخراسانى إلى مروَ وأرسل إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله وسنة رسوله و « الرِضا » من آل محمّد صلى الله عليه وسلم . فلما رأى نصرٌ ما مع أبى مسلم من اليمانية والربَعيّة والعجَم ، وأنّه لا طاقة له بهم ، أظهر قَبول ما أتاه به وأنه يأتيه ويبايعه ، واستمهلهم ؛ ثم هرب نصر إلى سَرخْس ، واجتمع عليه ثلاثة آلاف رجل ، ثم سار نصر فنزل جِوارَ الرَىّ وكاتَبَ ابنَ هُبَـيرة يستمدُّه ، وهو بواسط ، وقال له : أمِدَّنى بعشرة آلاف قبل أن تمِدَّنى بمائة ألف ثم لا تغنى شيئا . فحبس ابنُ هبيرة رُسلَه وتباطأ ، فأرسل نصر إلى مرْوان ابن محمد يُعْلمه ما فعل ابن هُبيرة . فـكتب مرْوان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمدّه . فجهّز ابن هبيرة جيشا كثيفاً أمّر عليهم « ابن عُطيف » إلى نصر . ولما قدِم نصرٌ إلى الرَّىّ أقام بها يومين ثم مرض ، فحمل إلى ساوةَ فمات بهـا لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وعمره خمس وثمانون سنة . نصر بن سيار

(١) الجزء الأول ص ٨٩ .

وهذه نسبته من الجمهرة : نصر بن سيّار بن رافع بن حَرِّى (بفتح الحاء وكسر الراء المشددة المهملتين) ابن ربيعة بن عامر بن هلال بن عوف بن جُندُع بن ليث ، وينتهى نسبه إلى مدركة بن إلياس بن مضر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد المائة(١) :

١١٨ (علا زيدُنا يومَ النَّقا رَأسَ زيدِكُمْ
بأبيَضَ ماضى الشَّفْرَتَينِ يَمانِ) ٣٢٧

على أن العلَم إذا وقع فيه اشتراك لفظى جاز إضافته للتعيين .

والعلمية قد ذهبت بالإضافة كما يأتى بيانه بعد هذا .

وأورده ابن عقيل فى شرح الألفية على أن(٢) الإضافة من قبيل إضافة الموصوف إلى القائم مقام الوصف ، أى علا زيد صاحبُنا رأس زيد صاحبِكم ، فحذف الصفتان وجعل الموصوف خلفا عنهما فى الإضافة .

و (النَّقا) بالقصر : الكثيب من الرمل ؛ والتعريف للعهد . وأراد باليوم الوقعةَ والحربَ التى كانت عند النقا ، وهذا معنى قولهم : «أيام العرب» . و (الأبيض) السيف ، والماضى : النافذ بالقطع . و (الشَّفرة) بفتح الشين : حدّ السيف ؛ وثنّاه باعتبار وجهيه .

ورواه المبرِّد فى الكامل بتغيير بعض ألفاظه مع بيت آخر وأورده فى أول الثلث الثالث منه فى باب هذه ترجمته : « بابٌ يجمع فيه طرائفُ من

(١) سيأتى أيضا فى ٢ : ٣/١٦١ : ٢٥٢ . وانظر العينى ٣ : ٣٧١ وابن يعيش ١ : ٤٤ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٠ والكامل ٥٢٤ وزهر الآداب .

(٢) ط : « من أن » ، صوابه فى ش .

حسَن الـكلام وجيِّد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار » ثم قال : « وقال رجل من طيِّء — وكان رجل منهم يقال له زيدٌ ، مِن ولد عُروة بن زيدِ الخيلِ ، قتلَ رجلا من بنى أسد يقال له زيد ، ثم أُقيدَ به بعدُ — :

علا زيدُنا يوم الحِمىٰ رأسَ زيدِكُمْ بأبيضَ مشحوذ الغِرار يمانِ

فإن تَقتُلوا زيداً بزيد فإنما أقادكُم السلطانُ بعد زمان . اهـ

ومثله فى أواخر زهر الآداب للحصْرىّ قال : « قال(١) رجل من طيِّء — وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلاً [اسمه زيد(٢)] فأقاد منه(٣) السلطان — فقال يفتخر على الأسديين . . » وأنشد البيتين كرواية المبرِّد . . ولم أر مَن رواه : « يوم النقا(٤) » وظهر بهذا أنه شعر إسلامىّ . فإنَّ زيد الخيلِ من الصَّحابة رضى الله عنهم .

والمشحوذ : مفعول من شحذت السيف أشحَذه شحذاً من باب منع أى حددته ، والمِشْحَذة بالـكسر : المِسَنّ ، والتَّشحيذ : جعل الشىء حاداً . والغِرار بكسر الغين المعجمة ، قال فى الصحاح « والغِراران . شَفْرَتاَ السيف ؛ وكلّ شىء له حدّ فحدُّه غِرارُه » . وقوله : أقادكم السلطان ، أى مكَّنكم من قتله قوَداً (٥) ويقال أقاد السلطانُ القاتلَ بالقتيل : قتله به قَوداً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائة(٦) :

(١) ط : « كان » ، صوابه فى ش وزهر الآداب
(٢) التكملة من زهر الآداب
(٣) ط : « عنه » صوابه فى ش وزهر الآداب
(٤) سيأتى قريبا ان ابن جنى روى : « يوم النقا » ، فى الشاهد التالى . وكذا فى روايات الكامل وابن يعيش .
(٥) ط : « أى كفكم عن قتله قودا » ، وهو عكس المعنى المراد ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح فى « مكنكم » فقط .
(٦) انظر أيضا الخزانة ٣ : ٢٥٢ والعينى ١ : ٢١٨ ، ٥٠٩ وابن يعيش ١ : ٤٤ والانصاف ١٩٨ وشرح شواهد الشافية للبغدادى ١٢

١١٩ (رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيد مباركاً
شديداً بأحناءِ الخلافةِ كاهِلُه)

على أن العلَم إذا وقع فيه اشتراكٌ اتفاقى جاز تعريفه باللام . يعنى : ويزول تعريف العلمية بأن ينكّر ثم يعرف باللام .

قال ابن جنّى فى سرّ الصناعة — ومن خطه نقلت — : واعلم أن قولك : جاءنى الزيدان ، ليس تثنية زيدٍ هذا العلم المعروف ؛ وذلك أن المعرفة لايصحّ تثنيتها فلا تصحّ إلاّ فى النكرات ؛ فلم تثنّ زيداً حتّي سلبتَه تعريفَه فجرى مجرى رجل وفرس ، وحينئذ لم يُستنكر دخولُ لام المعرفة . وقد جاء فى الشعر منه ، قال ابن ميّادة : (وجدنا الوليد بن اليزيد) يريد : يزيدَ . ومما يؤكّد جوازَ خلع التعريف قوله :

* علا زيدُنا يوم النقَا رأسَ زيدِكم *

٣٢٨ فإضافة الإسم تدلّ على أنه قد كان خَلع عنه ما كان فيه من تعرفه ، وكساه التعريفَ بإضافته إياه إلى الضمير ، فجرىٰ فى تعريفه مَجرىٰ أخيك وصاحبك ؛ وليس بمنزلة زَيد ، إذا أردتَ العلَم ، وعلى هذا : لو سألت عن زيد عمرو فى قول من قال : رأيت زيدَ عمرٍو ، لما جازت الحكاية ولكان بالرفع لا غير اهـ ملخصاً .

و (اللام) فى الوليد للمح الأصل ؛ قال بعضهم : نكتة إدخالها فى اليزيد الإتباع للوليد . واستشهد به ابن هشام فى شرح الألفيّة على أن ما لا ينصرف إذا دخلته ألْ ، ولوكانت زائدة ، صُرِفَ كما فى اليزيد . فجعلَها زائدة لامعرفة . و (رأيت) هنا عِلْميّة . و (مباركا) هو المفعول الثانى . و (شديداً) من تعدّد المفعول الثانى ، لأن جزأى باب علم أصلهما المبتدأ والخبر ، والخبر قد

يتعدد . . وإن كانت بَصرِيّة فمباركاً حال من مفعولها — وشديداً تعدّد من تعدُّد الحال أو من ضمير مباركا ، فهى حال متداخلة ؛ والوجهُ الأولُ ، ويؤيده : أنه روى : (وجَدْت) بدل رأيت . و (الوليد) هو ابن يزيد بن عبد الملك بن مرْوان الأمويّ . وشديداً صفة مشبَّهة يعمل عمل فعله : و(كاهله) فاعله . وزعم السيوطى أن فعيلا أُعمل لاعتماده على ذى خبر ، وفيه الفصل بينه وبين مرفوعه بالجار والمجرور . انتهى فتأمل . و (الأحناء) : جمع حِنْو بالكسر ، وهو الجانب والجهة ، وقيل : هو هنا بمعنى السَّرج والقتَب ؛ كُنيَ به عن أمور الخلافة الشاقّة . و (الكاهل) ما بين الكتفين . ورُوى (بأعباء الخلافة) جمع عبء ، وهو كالحمل لفظاً ومعنى . وقال العينيّ : شبّهه بالجمل المحمَّل ، وشبّه الخلافة بالقتَب : وأراد كأنه يحمل شدائدَ أمورِ الخلافة .

أبيات الشاهد وهذا البيت من قصيدة لاميّة ، لابن ميّادة يمدح بها الوليد المذكور ، وليسَ هو أوّلَ القصيدة كما زعم العينيّ ؛ بل هو أوّل المديح ؛ وقبله :

(هممتُ بقولٍ صادقٍ أن أقولَه   وإنّى على رَغْم العَدُوّ لقائلُهْ)

وبعده :

(أضاء سِراجُ المُلْكِ فوقَ جبينه   غداةَ تَناجى بالنجاحِ قوابلُهْ)

وهذا كقول الشاعر :

فى المهد يَنطقُ عنْ سَعادة جَدِّهِ   أثرُ السِّيادةِ ساطِعَ البُرْهانِ

وأول القصيدة :

(ألا تسألُ الرَبْعَ الذى ليسَ ناطقاً   وإنى على أن لا يُبِينَ لَسائِله)

أى إنى مع عدم إبانته لَسائِله .

وترجمة ابن ميّادة تقدّمت فى الشاهد التاسع عشر(١) .

الوليد بن يزيد

و (الوليد بن يزيد) بويع سنة خمسٍ وعشرين ومائة بعد موت عمّه هشام ابن عبد الملك . وقُتل الوليد فى سنة ستٍ وعشرين ، لأنه رمى بالكُفر وغِشْيان أمّهات أولاد أبيه . وكان منهمكا فى اللهو وشرب الخمر وسماع الغِناء . ومما اشتهر عنه : أنه استفتَح المصحفَ الكريمَ فخرج له قوله تعالى : (واسْتَفتَحُوا وَخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنيد(٢)) ، فألقاه ونَصبَه غرَضاً ورماه بالسِّهام ، وقال :

تُهَدِّدُنى بجبَّارٍ عنيد ... فها أنا ذاك جبارٌ عنيد
إذا ماجئتَ ربَّكَ يومَ حشْرٍ ... فقلْ يا ربٍّ مزَّقَني الوليد

فلم يلبثْ بعدذلك إلاّ يسيراً حتى قُتل(٣) كذا فى تاريخ النُّوَيرِىّ وغيره .

٣٢٩ وقُطع رأسُ الوليد ونصب على رمحٍ وطِيفَ به دِمَشْق ، ثم دُفع إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فلما نظر إليه سليمان قال : بُعداً له ! أشهد أنه كان شَرُوباً للخمر ماجناً فاسقاً ، ولقد أرادنى على نفسى — وكان سليمان هذا ممن سعى فى خلعه — وكان عمرُ الوليد حينئذ اثنتين وأربعين سنة،وقيل ثمانى وثلاثين ، وقيل غير هذا . وكانت مدة « سلطنته » سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً .

١ * * *

(١) الجزء الأول ص ١٦٠ وما بعدها .

(٢) الآية ١٥ من سورة ابراهيم .

(٣) انظر أمالى المرتضى ١ : ١٣٠ حيث أورد القصة والشعر . وأيضا رسالة الغفران ٣٧٨ — ٣٨٠ وترجمته فى الأغانى ٦ : ٩٨ حيث أوردا طرفا من شعره الخبيث

وأنشد بعده، وهو الشاهد العشرون بعدالمائة ، وهو من شواهد س[1] :

١٢٠ (يا صاحِ ياذَا الضامِرُ العَنْس)

على أن (الضامر العنْس) و (المخوِّفنا) تركيبان إضافيّان قد وقعا صفتين للمنادىٰ الذى هو اسم إشارة ، وصفة المنادىٰ إذا كانت مضافةً وجب نصبُها فكيف رُفِعتْ إتْباعا للمنادىٰ المفرد ؟

وهذا إشكاله ظاهر .. ونقل الشارح حلّه جوابين ، من الإيضاح لابن الحاجب :

أحدهما : أن أل فى الضامر وفى المخوفنا موصولة ، وهو الواقع صفة : أى الذى ضَمَرتْ عنْسُه والذى خوَّفنا ، والإعراب فى الحقيقة للموصول ، لكنْ لما كان على صورة الحرف نُقل إعرابه إلى صلته عاريَّة .

ثانيهما : أنّ الضامرُ العنْسِ والمخوِّفُنا صفتان لصفةِ اسمِ الإشارة ، أى ياذا الرجل الضامرُ العنْس وياذا الرجل المخوِّفُنا ؛ وإنما قُدِّر هذا : لأن صفة اسمِ الإشارة لا تكون إلاّ مفردة ، وإعراب الرجل رَفْع ، فيجب رفع وصفِه بالتبعيّة له ..

وهذا محصّل كلامه ؛ ويُفهم من هذين الجوابين : أنه لم يُجزْ نصبه ، وهو مخالف لما نقله الفالى[2] فى شرح اللباب قال : « جوّزوا فى نحو :

---

(١) سيبويه ١ : ٣٠٦ . وانظر مجالس ثعلب ٣٣٣ ، ٥١٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢ ، ٣٢٢ والخصائص ٣ : ٣٠٢ ومجالس العلماء ١١١ والأغانى ١٥ : ١٣

(٢) فى النسختين : « القالى » ، وقد نبهت على صوابه فى حواشى ص ٢٢١ وسيتكرر هذا الخطأ فى الأصل ، فاكتفيت بتكرار التنبيه عليه هنا .

* يا صاحِ ياذا الضامرِ العنسِ *

نصبَ الضامر ورفعَه ، كما لو قلت : ياذا الضامر ، رفعاً ونصباً . وكون الوصف فى المخوّفنا مضافاً إلى الضمير كإضافة الضامر إلى العنس وَقع مثله للسيرافى ، قال ابن الشجرىّ فى أماليه : الثانى صحيح لأن الضامر غير متعدّ والاسم الذى بعده فيه أل . وكون المخوّف مثلَه سهوٌ ، لأنه متعدّ وليس بعده اسم فيه أل ، وأنت لا تقول المخوّف زيدٍ ؛ فالضمير فى المخوّفنا منصوب لا مجرور . اهـ

وهذه المسألة غير متَّفَق عليها فإنَّ الرمّانىّ ، والمبرِّد فى أحد قوليه ، والزمخشرىّ قد ذهبوا لما قاله السيرافىّ . كما نقله الشارح المحقِّق فى باب الإضافة ؛ فلا ينبغى الحكم بالسهو على مثل الإمام السيرافىّ .

وأنشد سيبويه هذا المصراعَ برفع الضامر على أن ذا اسم إشارة .. وأُورِدَ عليه أنه لا يستقيم ، لأن ما بعده :

(والرحْلِ والأقتاب والِحلْسِ)

فإن الثلاثة معطوفة على العنْس ، وهى لا توصَف بالضمور(١) . فالصواب إنشاده بالجرّ على أن « ذا » بمعنى صاحب كما أنشده الكوفيّون .

قال أبو جعفر النحّاس : أنشده س وشبّهه بقولك : ياذا الحسنُ الوجهِ . قال أبو إسحاق : وهذا غلَط عند جميع النحويّين : وذلك أن الرواية بالجرّ ، يدلّك أنّ بعده :

(والرحْلِ والأقتاب والِحلس)

(١) وهى ، أى الرحل والأقتاب والحلس

وبه يتبيّن أن ذا بمعنى صاحب ، وكأنه لم يبلغه ما بعده . قال أبو جعفر : سمعت أبا الحسن الأخفش يقول : بلغني أنّ رجلا صاحَ بسيبوَيهِ من منزله وقال : كيف تنشد هذا البيت ؟ فأنشده إياه مرفوعاً ، فقال الرجل : وإنَّ بَعدَه : والرحل والأقتاب والحِلس ! فتركه سيبويه وصعِد إلى منزله . فقال له : أبِنْ لى ٣٣٠
علامَ عُطِف ؟ فقال سيبويه : فلِمَ صعِدْتُ الغُرفة ! إنّى فررت من ذلك . اهـ .

وكذا حكىٰ ثعلبٌ هذه الحكايةَ فى أماليه فى موضعين(١) وقال : « الصواب جَرّ الضامر » . وكذا حكىٰ أبو علىّ فى المسائل البصريّة وابن جنّي فى الخصائص . وقد صحَّحوا كلام سيبويه بأوُجه :

أحدها : قال السيرافى : هذا من باب :

* عَلفتُها تِبْناً وماءً بارداً(٢) *

وقوله :

يا ليتَ زوجَكِ قد غدا متقلِّداً سَيفاً ورُمحا(٣)

على أن يجعل الثانى على ما يليق به ، ولا يخرج عن مقصد الأوّل : فيكون معنى الضامر : المتغيّر ، والرحل محمول عليه ، كأنه قال : المتغير العنْس والرحل . اهـ وتبعه على هذا شُرّاح أبيات الكتاب ، وأبو علىّ الفارسىّ فى المسائل القَصْرية ، بالقاف .

ثانيها : قال أبو علىّ فى إيضاح الشعر — وتبعه ابن جنّي فى الخصائص — :

(١) الحق أنه فى الموضع الأول فقط ص ٣٣٣
(٢) سيأتى الكلام عليه فى ص ٤٩٩ بولاق .
(٣) نسب لعبد الله بن الزبعرى فى الكامل ١٨٩ .

القولَ فى جرّ الرحل : أنه معطوف على مادلّ عليه ما تقـدّم ؛ لأن قوله : ياذا الضامر العنس ، يدلّ على أنه صاحب ضامر ، فحمل الرَّحل على مادلّ عليه هذا الـكلامُ من الصاحب .

ثالثها : قال بعض النحويّين : إن أصله وياصاحب الرحل ، فحذف صاحب لدلالة قوله : يا صاح ، عليه وبقى الجرّ على حاله . قال أبو على : يرِدُ عليه أن كونه صاحباً للمنـادىٰ لايدل على أنه صاحب رحل كما يدل قوله : ياذا الضامر العنس ، على أن له عنساً .

رابعها : قال ابن الحاجب فى الإيضاح : إن سيبويه استدلّ بانشاد هذا المصراع بانفراده على مارواه الثقات ممن لم يعـلم تتمّته ا ه . وهذا مُصادِمٌ لما نقله ثعلبٌ والنحّاس وغيرهما من تلك الحـكاية .

و (صاح) : مرخَّم صاحب . و (الضامر) من ضمَر الحيوانُ وغيرُه من باب قعد : دقّ وقلّ لحمه . و (العَنْس) بفتح العين وسكون النون : الناقة الصُلبة الشديدة . و (الرحل) قال فى المصباح : « كل شىء يعدّ للرحيل من وِعاء للمتاع ومَرْكَب للبعير وحِلسٍ ورَسَن . وجمعه أرحُل ورِحال » . و (الأقتاب) : جمع قتَب بالتحريك ، قال فى الصحاح : هو رَحْل صغير على قدر السَّنام . وروى ابن الشَجرىّ فى أماليه بدلَه : (والأقتادِ) وقال : هو جمع قتَد وهو خشب الرَحْل . و (الحِلس) بكسر المهملة : كساء يجعل على ظهر البعير تحت رَحْله والجمع أحلاس .

وهذا البيت نسبَه بعضُ شُرّاح أبيات الـكتاب، والزمخشرى فى مفصّله ، لخُزَزِ بنِ لَوذانَ السَدوسىّ . قال الأصبَهانىّ فى الأغانى فى ترجمة عُلَيّة بنت المهدىّ العباسىّ : « خُزَز : شاعرٌ يقال إنه قبْلَ امرىء القيس » .

وخزز ، بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى الأولى ، وهو فى الأصل ذَكر الأرنب . ولَوذان ، بفتح اللام وسكون الواو بعدها ذال معجمة .

ونسبه الأصبهانى فى الأغانى لخالد بن المهاجر ، وزاد بعده بيتا ورواه هكذا:

(ياصاح ياذا الضامر العنْس   والرَّحْل ذى الأنساع والِحلْسِ
تسِرى النهارَ ولستَ تاركه[1]   وتَجِدُّ سيراً كلّما تمسى)

فعلى هذا فالرحل هنا بمعنى برذعة البعير ، والأنساع : جمع نِسعة بكسر النون[2] . قال فى الصحاح : « وهى التى تُنسَج عريضًا للتصدير » . والسير يكون بالنهار وبالليل ، ويكون لازماً كما هنا ومتعديًا ، يقال سرت البعيرَ ؛ وهو منصوب على الظرفية ، وكذا النهارَ . وتجدّ . من الجدّ فى الأمر بمعنى ٢٣١
الاجتهاد فيه ، يقال جدّ يَجِدّ من باب ضرَب وقتل ، والاسم الِجدّ بالكسر . وتُمسى : مضارع أمسى الرجل : إذا دخل فى المساء ، والمساء : خلاف الصباح، قال ابن القُوطيّة : هو ما بين الظُّهر إلى المغرب .

وروى صاحب الأغانى أيضا[3] :

أمَّا النهار فلا تقصّره   دَرَكا يزيدك كلّما تمسى

وروى أيضا[4] :

---

(١) كذا فى النسختين ، ولا يكون السرى بالنهار ، انما يكون بالليل ، فالصواب رواية أبى الفرج ١٥ : ١٣ : « سير النهار فلست تاركه » .

(٢) الحق أنه جمع نسع ، بطرح التاء . أما النسعة فواحدة النسع بالكسر .

(٣) الأغانى ٩ : ٤٩ — ٥٠

(٤) الأغانى ٩ : ٦٣ .

أمَّا النهـار فأنت تقطعه رَتَكا، وتصبحُ مثلَ ما تُمسى

والدَّرَك بالتحريك : التَبِعة ، يقال ما لِحقك من دَرَك فعليَّ خلاصُه ، قال رؤبة :

* ما بعدنا من طلب ولا درك *

وتسكَّن راؤه أيضا . والرَّتك بفتح الراء ، والتاء تفتح وتسكَّن : ضَرب من سير الإبل فيه اهتزاز ومقارَبة الخطو فى رَفَلان ، يقال رتَك يرتِك كضرب يضرب .

خالد بن المهاجر و(خالد) قال الأصفَهانى : هو ابن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم[1] . وكان المهاجر والد خالد مع على عليه السلام بصِفِّين ، وكان خالد على رأى أبيه هاشميَّ المذهب ، ودخل مع بنى هاشم الشِّعب ، فاضطغن ذلك ابنُ الزبير عليه ، فألقىْ عليه زقَّ خمر وصبّ بعضه على رأسه ، وشنّع عليه بأنه وجده ثَمِلاً من الخمر فضربه الحدّ . وكان عمُّه عبدُ الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية فى صِفِّين ، ولهذا كان خالد بن المهاجر أسوْأ الناسِ رأيا فى عمِّه . ثم إنَّ معاوية لما أراد أن يُظهر العهدَ ليزيد قال لأهل الشام : إنّى قد كبِرَتْ سِنّى ، ورقَّ جلدى ودقَّ عظمى ، واقتربَ أجلى ، وأريد أن استخلفَ عليكم ، فمنْ تَرَون ؟ فقالوا : عبدَ الرحمن بنَ خالد . فسكت وأضمرها ، ودسَّ إلى ابن أُثال الطبيب ، فسقاه سمًّا فمات ، وبلغ ابنَ أخيه خالدَ بنَ المهاجر خبرُه ، وهو بمكة ، فقال له عروة بن الزبير : أتدع ابن أُثال يُفنى[2] أوصال

(١) ط فى النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وهو خطأ يكثر وروده، والصواب « عمر بن مخزوم » . انظر الجمهرة ١٤٢ ونسب قريش ٤٩٩

(٢) فى النسختين : « أبقى » وفى طبقات الأطباء ١ : ١١٧ ، ١١٨ « نقى » ، صوابهما من الأغانى ١٥ : ١٣

عمِّك بالشام وأنت بمكة مسبلٌ إزارك . تجرُّه وتَخطِر فيه متخايلا ؟ ! فحمِيَ خالد ، ودعا مولًى له يدعىٰ نافعاً ، فأعلمه الخبر وقال له . لابدّ من قتل ابن أثال ! فخرجا حتى قَدِما دمشق ، وكان ابن أثال يُمسى عند معاوية ، فجلس له فى مسجد دمشق إلى أسطُوَانة ، وجلس غلامه إلى أخرىٰ . . فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله ، وثار إليه مَن كان معه ، فحملا عليهم فتفرّقوا حتى دخل خالد و نافع زُقاقاً ضيِّقا ففاتا القوم . وبلغ معاويةَ الخبرُ فقال . هذا خالد بن المهاجر ! اقلِبوا الزُّقاق الذى دخل فيه . . فأُتِىَ به . فقال له معاويه : لا جزاك الله مِنْ زائرٍ خيراً ! قتلتَ طبيبى ! فقال خالد : قتلتُ المأمورَ ، وبقى الآمر فقال : عليك لعنة الله ! واللهِ لو كان تشهَّدَ مرّةً واحدة لقتلتك به ! أمعَكَ نافع ؟ قال . لا. قال : بلىٰ ، واللهِ ما اجترأتَ إلاّ به . ثم أمر بطلَبه فأُتى به فضربه مائة سوط ، وحبَس خالداً ، وألزم بنى مخزوم دِيةَ ابن أثال اثنى عشرَ ألف درهمٍ[١]. وقال خالد فى الحبس :

٢٣٢

إنّما خُطـایَ تقارَبت[٢] مشیَ المقیَّد فى الحصـارِ
فَبِمـا أُمَشیّ فى الأبا طحِ يقتفى أثَرى إزارى
دعْ ذا ، ولـكن هلْ ترىٰ ناراً تُشَبُّ بذى مرارِ[٣]
ما إن تُشَبُّ لِقِـرّةٍ للمصطلين ولا قُتـارِ[٤]

---

(١) بعده فى الأغانى : « أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم ، وأخذ ستة آلاف درهم ، ولم يزل ذلك يجرى فى دية المعاهد حتى ولى عمر بن عبد العزيز ،فأبطل الذى كان يأخذه السلطان لنفسه ، وأثبت الذى يدخل بيت المال » .

(٢) فى الأصل : « اما خطاى فقاربت » ، والوجه ما أثبت من الأغانى . وجواب « ان » فى البيت بعده : « فبما أمشى » .

(٣) ط والأغانى : « بذى مزار » ، وأثبت ما فى ش وطبقات الأطباء .

(٤) الأغانى : « بالمصطلين » .

ما بالُ ليلك ليس ينقُصُ طولَه طولُ النهارِ
لتقاصرِ الأزمانِ أم غَرِضَ الأسيرُ من الإسارِ(١)

ولما بلغت معاويةَ هذه الأبياتُ رقّ له وأطلقه . فرجع إلى مكة ؛ ولمّا لَقِي عُروةَ بن الزُبير قال : أمّا ابن أثال فقد قتلتَه ، وذاك ابن جُرْمُوز يُفنى(٢) أوصال الزُّبير بالبَصرة فاقتله إن كنت ثائراً !(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد س(٤) :

١٢١ (جاريةٌ مِنْ قَيسٍ ابنِ ثَعْلَبَهْ)

على أن تنوين (قيسٍ) شاذّ ، لأن « ابن » وقع بين علمين مستجمِعَ الشروط ، فكان القياس حذفَ تنوين قيْس ، إلاّ أنّه نوّنه لضرورة الشعر .

قال ابن جنّي فى سرّ الصناعة : «من نوّنه لزِمهُ إثباتُ الألف فى ابن خطًّا» .

وقال ابن الحاجب فى الإيضاح : « وزعم قوم أن ابن ثعلبة بدلٌ ، وقصده أن يخرجه عن الشذوذ ، وهو بعيد ، لأن المعنى على الوصف ، وأيضا : فإن خرج عن الشذوذ باعتبار التنوين لم يخرج باعتبار استعمال ابن بدلا » اهـ

---

(١) غرض : مل . وفى الأغانى :
أتقاصر الأيام أم عرض الأسير من الإسار

(٢) فى النسختين : « أبقى » ، صوابه من الأغانى

(٣) تمام الخبر فى الأغانى : « فشكاه عروة الى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، فاقسم عليه أن يمسك عنه ، ففعل » .

(٤) سيبويه ٢ : ١٤٨ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٨٢ والخصائص ٢ : ٤٩١ والهمع ١ : ١٧٦ وابن يعيش ٢ : ٦ .

ومن أولئك القوم ابنُ جنّي ، قال فى سرّ الصناعة : إلى هذا رأيتُ جميعَ أصحابنا يذهبون . والذى أرى أنّ الشاعر لم يُرد أن يُجرىَ ابناً وصفاً على ما قبله ؛ ولو أراد لحذفَ التنوين ؛ ولكنْ أراد أن يَجرى ابناً بدلاً ممّا قبله ، وحينئذ لم يُجعَل معه كالشىء الواحد ، فوجب أن يُنوىَ انفصالُ ابنٍ مما قبله ، ووجب أن يُبتدأ ، فاحتاج إذاً إلى الألف لئلاّ يلزم الابتداء بالساكن . وعلى ذلك تقول : كلمت زيداً ابنَ بكر ، كأنك قلت : كلمت ابنَ بكر ، فكأنك قلت : كلمت زيداً كلّمْت ابن بكر ؛ لأن ذلك شرط البدل ، إذِ المبدَل فى التقدير من جملة ثانية .

وهذا البيت مطلع أرْجوزة للأغلَب العِجْلىّ . وبعده :

(كريمةٌ أخوالها والعَصَبَهْ قَبّاء ذاتُ سُرة مقَعَّبَهْ

كأنّها حُقَّةُ مِسكٍ مُذْهَبَهْ ممكورةُ الأعلىٰ رَدَاح الَجبَهْ

كأنّها حِلْيَة سَيفٍ مُذْهَبَهْ أهوىٰ لها شيخٌ شديدُ العصَبَهْ

خاظى البَضيعِ أيره كالخشَبَهْ فضَرَبتْ بالوَدّ فوق الأرْنَبَهْ

ثم انثنتْ به فُويقَ الرقبهْ فأعلنتْ بصوتها : أنْ يا أبهْ)

(كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبَهْ)

وأراد بجارية : امرأةً من العرب اسمُها كلبة ، كان بينهما مهاجاة ؛ ومن قولها فيه :

ناكَ أبو كلْبة أمّ الأغلبْ فهى على جُردانه توَثّبْ

توثُّبَ الكلْب لِحسّ الأرنبْ

و (جارية) خبر مبتدإ محذوف أى هذه جارية . و (من قيس) صفة لها . وقيس بن ثعلبة : قبيلة .

وهذا البيت من شواهد مغنى اللبيب أيضا ، ولم يورده السيوطى فى شرحها .

٢٣٣ والقبّاء : الضامرة البطن ، مؤنّث الأقبّ . من القَبَب وهو دقّة الخصر . والمقعَّبة : السُّرَّة التى دخلت فى البطن وعلا ما حولها حتى صار كالقعب ، وهو القدَح المقعَّر من الخشب . وضمير كأنها للسرّة . والممكورة : المطويّة الخلْق . وأراد بالأعلىْ : البطنَ والخصر . والرَّداح بفتح الراء : المرأة الثقيلة الأوراك . والحجَبة بفتح الحاء المهملة والجيم : رأس الورِك .وضمير كأنها للجارية. وحلية السَّيف : زينته . ومُذهَبة صفة حلية ؛ وروى الزمخشرىّ فى مستقصى الأمثال :

(كأنها خِلّة سيفٍ مُذهَبه)

بكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام ، قال فى الصحاح : « الخِلّة بالكسر : واحدة خِلَل السيوف ، وهى بطائنُ كانت تغشَّى بها أجفان السيوف منقوشةً بالذهب وغيره » . وأهوىْ بالشىء : إذا أومأ إليه ، وأهوىْ إلى الشىء بيده : مدّها ليأخذه إذا كان عن قرب ، فإن كان عن بعد قيل : هوىْ إليه ، بلا ألفٍ . والخاظى بمعجمتين : المكتنز والمتداخل . والبَضيع : اللحم . والأير : آلة الرجل ؛ وروى الزمخشرى فى المستقصى (عَرْدُهُ كالخشَبه) ، والعَرد بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الشىء الصلْب ، وأراد به الأير . والوَدّ : الوتِد . والأرنبة : طرف الأنف . وأن مفسرة ؛ وروى الزمخشرى :

(وصَرخَتْ منهُ وقالتْ يا أبَهْ)

وقوله : كل فتاة . . الخ ، هو من إرسال المثل ، وليس من كلامها ؛ قال الزمخشرىّ : هو مثل يُضرب فى إعجاب الرجل برهطه وإن كان غير أهل لذلك[1] .

(١) المثل للعجماء بنت علقمة السعدية ، كما فى الميدانى ٢ : ٧٢ والفاخر ٢٥٣ .

الأغلب العجلى

و (الأغلَبُ العِجْلىّ) قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو الأغلب ابن عمرو[١] بن عُبيدة (بالتصغير) ابن حارثة بن دُلَف بن جُشَم بن قيْس ابن سعْد بن عِجْل بن لُجيم (بالتصغير) بن الصَّعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . وهو أرجَز الرُجّاز . وأرصنهُم كلاما وأصحُّهم معانىَ . وهو القائل :

الحِلْمُ بعْدَ الجهلِ قد يثوبُ[٢] وفى الزمانِ عجبٌ عجيبُ
وعِبرةٌ ، لو ينفع التجريبُ واللبُّ لا يَشقىَ به اللبيبُ
والمرء مُحصًّى سَعيُه مرقوبُ يَهرَمُ أو تعتاقه شَعُوبُ

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : كان الأغلبُ جاهليًا إسلاميًا ، وقُتل بنَهاوَنْد . وهو أوّل من أطال الرجزَ ، وكان الرجلُ قبلَه يقول البيت والبيتين إذا فاخر أو شاتَم . وقد ذكره العجاج بقوله :

إنّى أنا الأغلبُ أضحىٰ قد نُشِرْ . . اهـ

وعدّه ابن الأثير فى « أسْد الغابة » من الصحابة .

قال ابن حجر فى الإصابة : « قال ابن قتيبة : أدرك الإسلامَ فأسلم وهاجر ، ثم كان ممن سار إلى العراق مع سعْد ، فنزل الكوفة واستُشهِد فى وقْعةِ نَهاوَند . وقد استدركه ابن الأثير . قلتُ : ليس فى قوله : وهاجر ، ما يدلّ على أنه هاجر إلى النبي ﷺ : فيحتمل أنه أراد : هاجر إلى المدينة بعد موتِه ﷺ . ولهذا لم يذكره أحد من الصحابة[٣] .

(١) وكذا فى المؤتلف ٢٢ . وفى الاصابة وأسد الغابة والشعراء ٥٩٥ والسمط ٨٠١ والأغانى ١٨ : ١٦٤ : « الأغلب بن جشم بن عمرو » .
(٢) فى المؤتلف : « قد ينوب » ، بالنون
(٣) اى من جملة الصحابة . وفى الاصابة : « من الصحابة » .

وقد قال المرزُبانيّ فى معُجَمِه : هو مخضرَم » ا هـ . ولم يذكر ابنُ قتيبة هجرته كما نقلنا ، ولعلّه نقله من كتابٍ آخر . والله أعلم .

وقال أبو عُبيد البكرىّ فى شرح نوادر القالى : الأغلب العجلىّ آخرُ من عمّر فى الجاهلية عُمراً طويلا ، وأدرك الإسلام فحَسُن إسلامُه ، وهاجر ، واستُشهِد فى وقعة نهاوَند .

قال الآمدىّ : مَن يُقال له (الأغلَبُ) من الشعراء ثلاثة : أحدهم هذا . الأغالبة

٣٣٤ والثانى : الأغلب الكلبىّ ؟ ولم أجدْ له فى أشعار كلب شعراً ، وأظنّ شعرَه دَرس فلم يُدرَك .

والثالث : الأغلب بن نباتة الأزدىّ ثم الدَّوسىّ ، أنشد له بُندار شعراً فى معانى الشعر ؛ ولم أرَ له ذكراً فى أشعار الأزْد ، وأظنّه إسلاميا متأخراً ا هـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد المائة(١) :

١٢٢ (طَلَبَ المعَقِّبِ حَقَّهُ المظلومُ)

على أن فاعل المصدر ـ وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه ـ محله الرفع فالمعقِّب فاعل المصدر ، وقد جُرّ بإضافته إليه ، ومحله الرفع بدليل رفع وصْفِه وهو المظلوم .

وهذا عجز ؛ وصدره :

(حتّي تهجَّرَ فى الرواح وهاجَها)

(١) العينى ٣ : ٣١٥ والانصاف ٣٣٢ ، ٣٣١ وابن يعيش ٢ : ٢٤ ، ٦/٤٦ : ٦٦ والهمع ٢ : ١٤٥ وديوان لبيد ١٢٨ .

وهو من قصيدة للبيد بن رَبِيعة الصحابىّ . وصفَ به مع أبيات حماراً ، وأتانهُ ، شبّه به ناقته . وقبله :

(لَوْلا تُسَلِّيكَ اللُّبانةَ حُرَّةٌ   حَرَجٌ كأحناءِ الغَبيطِ عَقيمُ) قصيدة الشاهد

لولا هنا تحضيضية. والتسلية : إزالة الهم ؛ وضمّنه معنى النسيان . واللُّبانة: الحاجة . والحرَج ، بفتح الحاء والراء المهملتين والثالثُ جيم : الناقة الضامرة . والغَبيط ، بفتح الغين المعجمة : الرَّحل ؛ وهو للنساء يُشدّ عليه الهَودَج . وأحناؤه : عِيدانه ، فى الصحاح : « الحِنو بالكسر : واحد أحناءِ السَّرْج والقَتَب . وحِنو كل شىء أيضا : اعوجاجه » . والعقيم : التى لا تلد ؛ يريد : أنها قويّة صُلبة لم يصبْها ما يوهنُها من فقد أولادها وغير ذلك .

(حَرْفٌ أضرَّ بِها السِّفار ، كأنّها   بعد الكَلال مُسَدَّم محجومُ)

الحَرف : الناقة الشديدة . وأضرّ ، بالضاد المعجمة ، بمعنى لصق ودنا دنوًّا شديداً ؛ يقال أضرّ بفلان كذا : أى لصق به ودنا منه . والسِّفار : فاعل أضرّ ؛ وهو مصدر سافر يسافر مسافرة وسفاراً . والكَلال : مصدر كَلّ من المشى : إذا أعيا . والمسدَّم : اسم مفعول ، يقال فحل مسدَّم . إذا جعل على فمه الكِمام بالكسر ، وهو شىء يجعل فى فم البعير ، يقال كَمَمتُ البعيرَ : إذا شددت به فمه فى هياجه ، فهو مكموم . والسَّدِم ، بكسر الدال : الفحل المائج المشتهى الضِراب . والمحجوم : مِن حجمت البعير أحجُمه : إذا جعلتَ على فمه حِجَاما ، وذلك إذا هاج للضراب ؛ والحِجام بتقديم المهملة المكسورة على الجيم : شىء يجعل فى مقدَّم أنف البعير كى لا يعضّ عند هيجانه .

(أو مِسْحَلٌ شَنِجٌ عِضادةَ سَمْحَجٍ   بِسَراته نَدَبٌ لها و كُلومُ)

المِسحل ، بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين : الحمار الوحشىّ ؛

وصف ناقته بأبلغ ما يمكن من النشاط والقوّة على السير ، وذلك أنه شبهها بعد أن كَلّت وأعيت بالفحل الهائج أو بالحمار الوحشى ، وهما ما هما فى القوّة والجلَد ! فما ظنّك بهذه الناقة قبل الإعياء ؟ ! وشَنْج بفتح المعجمة وسكون النون من الشنج ، وهو فى الأصل التقبّض ، وأراد به هنا المُلازم . والعِضادة بالكسر : الجنب . والسَّمْحج ، بفتح السين وسكون الميم وآخره جيم قبلها مهملة : الأتان الطويلة على الأرض . والسَّراة ، بفتح المهملة : الظَّهر . والنَّدَب ، بفتح النون والدال أثر الجرح . والكُلُوم : الجراحات ، جمع كلم بالفتح (وهذا البيت من ٣٣٥
شواهد سيبويه[1] : أورده على أن عضادة ، منصوب بشَنْج نصبَ المفعولِ به) يقول : إنه ملازم لأتانه ، ولشدّته وصلابته قد لازمها وقبضَ الناحيةَ التى بينها وبينه ، ولم يحجزه عن ذلك رَمحُها وعضُّها ، اللذان بظهره منها نَدَب وكُلوم .

ثم أخذ يصفه مع أتانه : بأنهما كانا فى خِصب زمانا ، حتّى إذا هاج النبات ونضَب الماء أسرع معها إلى كُلّ نجدٍ ، يريدانِ أطيب الكلأ وأهنأ المرعى . . إلى أن قال :

(يُوفى ويَرتقِبُ النِّجادَ كأنّه ذو إربةٍ كلَّ المَرام يَرومُ
حتّى تهجَّر فى الرواح وهاجَها « طلبَ المعقِّب حقَّه المظلومُ »
قَرَباً يشُجُّ بها الُحزونَ عشيّةً[2] رَبِذٌ كمِقلاءِ الوليدِ شَتيمُ)

يُوفى : يشرف ، وفاعله ضمير مِسحل . والنِّجاد : جمع نَجد ، وهو المرتفع من الأرض ؛ أى يشرف على الأماكن المرتفعة كالرقيب ، وهو الرجل الذى

(١) سيبويه ١ : ٥٨ وابن يعيش ٦ : ٧٢ . ولم يرد فى شواهد الرضى .

(٢) ط : « يشج به » ، صوابه فى ش والديوان .

يكون رَبيئة القوم يرتفع على مكان عالٍ[1] متجسِّساً . والإِربة ، بالكسر : الحاجة . وكلّ : مفعول مقدم ليروم .

والتهجّر : السير فى الهاجرة ، وهى نصف النهار ، عند اشتداد الحر . وحتى بمعنى إلى . والرَّواح : اسمٌ للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهو نقيض الغدوّ لا الصباح ، خلافا للجوهرى . وهاجها : أزعجها . وطلبَ : مصدرٌ تشبيهىّ أى هاج هذا المِسحل أتناه لطلب الماء طلباً حثيثا كطلب المعقِّب ، وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقّه مرّةً بعد مرّة . واستشهد به صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ[2]﴾ على أن المعقِّب : المقتضِى الذى يطلب الدَّين من الغريم ؛ يقال عقّبَ فى الأمر : إذا تردّد فى طلبه مجِدًّا .

والقَرَب ، محرّكة : سير الليل لورد الغد ، وهو منصوب بيشجّ : أى يقطع ، يقال شجَجْتُ المفازة : إذا قطعتَها ، والباء بمعنى مع . والحُزون : جمع حَزن بالفتح ، وهو ما غلُظ من الأرض . ورَبِذ : أى هو ربذ بفتح الراء وكسر الموحدة وبالذال المعجمة، وهو السريع الخفيف القوائم فى المشى . والمِقلاء ، بالكسر والمد كمِفْعال ، والقُلَة بالضم والتخفيف : هما عودان يلعب بهما الصِبيان ، والأوّل يضرَب به والثانى ينصب ليضرب ؛ يقال قلوت القُلَة بالمِقلاء أقلو قَلْواً . أى أنه يسوقها كما أن المِقلاء يسوق القُلَة . والشَّتِيم : الكريه الوجه يُشتَم لعنفه وغِلْظته ؛ وهو صفة رَبذ .

وقوله : (طلبَ المعقِّب حقَّه) يجوز أن يكون حقَّه مفعولَ المصدر ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط

(٢) الآية ٤١ من سورة الرعد .

وهو الطلب ، ويكونَ مفعولُ المعقِّب محذوفاً ؛ وأن يكونَ مفعولَ المعقِّب ، لأنّه بمعنى الطالب والمقتضِي ، ويكونَ مفعولُ المصدر محذوفاً : على التنازع . وإلى هذا جنح الفارسىّ وقال : فلو قدّم المظلوم على حقّه لم يجزْ ، لأنك لا تصف الموصول ، وهو أل هنا ، حتّى يتمّ بصِلته ، وصلتُه لم تتمّ بعد ، لأن حقّه من صلة المعقِّب ومن تمامه .

وتوجيه هذا الشاهد على ما ذكره الشارح المحقّق هو المشهور والمتداوَل بين الناس ، وهو ليعقوب بن السِكِّيت . وقال أبو حيّان فى تذكِرته : أنشده الفرّاء وهشام . (وهاجَه) بتذكير الضمير ، على أنه عائد على الحمار ؛ وقال : الطلب عندهما فى هذه الرواية مرفوع . وفى البيت تخاريج أخر .

(ثانيها) لأبى حاتم السجِستانىّ قال : المظلوم جارٍ على الضمير الذى فى المعقِّب : يريد أنه بدلُ كلٍّ من الضمير لتساويهما فى المعنى . وقال العينىّ : « هو بدل اشتمال من الضمير » . وفيه أنّ بدل الاشتمال لا بدّ له من ضمير . ٢٣٦

(ثالثها) لأبى على الفارسىّ فى المسائل البَصْرية والقصْرية : وهو أن يكون المظلوم فاعلَ المصدر ويكونَ المصدرُ مضافاً لمفعوله ؛ والمعقِّب حينئذ معناه الماطل ، يقال عقّبنى حقّى أى مطلَني . وعلى هذا فحقّه مفعول المعقِّب لاغير ، وحينئذ لا يجوز تقديم المظلوم عليه لما تقدّم . وكأنه قال : طلبَ المظلومِ الماطلَ حقّه ، فتكون الهاء راجعة إلى المظلوم على نحو : ضرب غلامَه زيدٌ ، لأنها متّصلة بالمفعول ؛ أى طلبَ المدينِ للماطلَ حقَّه أى حقّ المدين فإن الحقّ له لا للمستدين . وقد يجوز أن تكون راجعة للمستدين ، يريد حقّه أى الذى يجب عليه الخروج منه ، وكذلك قوله تعالى (ولِيَلْبِسُوا عليْهِمْ

دِينَهُمْ[١]) فأضاف الدِّين إليهم لِما كان واجباً عليهم الأخذُ به وإن لم يكونوا متدينين به . وكذلك قولُه تعالى : (زَيَّنا لِكلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُم[٢]) أى العملَ الذى أُمروا به ونُدِبوا إليه وشُرع لهم . . قال : وعلى هذا يحتمل أن تكون راجعة إلى المعقِّب بأسره ، وأن تكون راجعة إلى أل ، على قول أبى بكر ، وأن تكون راجعة إلى الذى دلّت عليه أل على قول أبى عثمان . . ونسب أبو حيّان فى تذكِرته قولَ الفارسىّ إلى جماعة من قدماء اللغويِّين ، وقال : تلخيصه : وهاج الحمار الأتان هيجاناً مِثلَ طلبِ المعقِّب حقَّه . وقالوا : موضعُ المعقِّب نصبٌ بالطلب ، وناصبُ الحقِّ المعقِّبُ ، وفاعلُ الطلب المظلومُ . وتفسير يعقِّب حقَّه يطلبه مرّة بعد أخرى اهـ . ولا يخفى أنَّ هذا تخليط بين القولين .

(رابعها) لابن جنّى فى المحتسب : أنّ المظلومُ فاعل حقَّه . قال فى سورة النحل فى توجيه قراءة ابن سِيرينَ : (وإن عَقَّبْتُمْ فعقِّبوا[٣]) . أى إن تتبّعتم فتتبَّعُوا بقدر الحقِّ الذى لكم ، ولا تزيدوا عليه ، قال لَبِيد :

حتى تهجّرَ فى الرواح وهاجَهُ طلبَ المعقب . . . . . . إلخ

أى هاجه طلباً مثلَ طلبِ المعقِّب حقَّه المظلوم ، أى عازَّه[٤] ومنعه المظلوم ، فحقَّه على هذا فعل حقَّه يحقُّه أى لواه حقَّه . ويجوز طلبَ المعقب حقَّه ، فتنصب حقّه بنفس الطلب مع نصب طلب ، كما تنصبه مع رفعه ، والمظلوم صفة المعقب على معناه دون لفظه ، أى أن طلب المعقب المظلوم حقه فى الموضعين جميعاً .

---

(١) الآية ١٣٧ من سورة الأنعام .
(٢) الآية ١٠٨ من سورة الأنعام .
(٣) الآية ١٢٦ من سورة النحل .
(٤) عازه معازة : غالبه . ط : « عاذه » صوابه فى ش.

هذا كلامه . وعليه فينظر : ما فاعل حقّه مع نصب طلب ؟ وأما مع رفعه فهو فاعل هاجه . وينظر أيضاً : ما موضع جملة حقّه المظلومُ من الاعراب . على أنّ حقّه بمعنى لواه حقّه لم أجده فى كتب اللغة . وقوله : « كما تنصبه » أى تنصب الحقّ . وقوله : « مع رفعه » أى مع رفع الطلب . وقوله « فى الموضعين جميعاً » أى فى نصب الطلب ورفعه . وبالجملة كلامه هنا خلافُ كلامِ الناس ، وفيه تعقيد لا يظهر معه المراد . فليُتأمّل .

وقال ابن برّىّ فى شرح أبيات الإيضاح لأبى علىّ . قوله : وهاجه ، أى أثاره يعنى العَير ، والفاعل التهجُّر أو الطلب ، والتقدير : هاجه مثل طلب المعقِّب فحذف المضاف ؛ ويروى « هاَجها » أى هاج العيرُ الأتان ، وطلبَ منصوب على المصدر بما دلّ عليه المعنى ، أى طلبَ الماء كطلب المعقِّب ؛ وإن شئتَ جعلته مفعولا من أجله ، أى هاجها للطلب ، وحقُّه مفعول بالمصدر ، والمعقِّب فاعلٌ أضيف إليه المصدر ، وهو الذى يتبع عقب الإنسان فى طلب حقّ أو نحوه ، والمظلومُ نعت للمعقّب على الموضع . وقال يعقوب : المعقِّب : الماطل ، عقّبنى حقى أى مطَلنى . فعلى هذا يكون المعقِّب مفعولا والمظلوم فاعلا . ٣٣٧
وقيل : المظلوم بدل من الضمير فى المعقب اه كلامه .

لبيد بن ربيعة

و (لَبيد) هو ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعْصعَة الصحابىّ رضى الله عنه . قَدِم على النبي صلى الله عليه وسلم ، سنةَ وفدَ قومُه بنو جعفر بن كلاب ، فأسلم وحسُن إسلامه . وكان لبيد وعَلقمة ابن عُلاثة العامريّانِ من المؤلَّفة قلوبهم ؛ وهو معدود فى فحول الشعراء المجوِّدين ، كذا فى الاستيعاب .

وقال ابنُ قتيبة فى كتاب الشعراء : كنيته أبو عقيل . وكان من شعراء

الجاهليّة وفُرسانهم . وكان الحارث الغسّانىّ ، وهو الأعرج ، وجّه إلى المنذر ابن ماء السماء مائة فارسٍ وأمَّره عليهم ؛ فساروا إلى عسكر المنذِر وأظهروا أنهم أتوه داخلين عليه فى طاعته ، فلما تمكّنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقُتِل أكثرهم ونجا لَبيد ، فأتى ملكَ غسّان فأخبره ، فحملَ الغسّانيون على عسكر المنذِر فهزموهم — فهو يوم حَليمة . وحليمة : بِنْتُ ملك غسّان ؛ وكانت طيَّبتْ هؤلاء الفِتيان وألبستهم الأكفان . ولما أسلم مع قومه رجع قومه إلى بلادهم ، وقَدِم هو الكوفةَ ؛ فأقام بها إلى أن مات ؛ فدفن فى صحراء بنى جعفر بن كلاب . ويقال : إن وفاته كانت فى أوّل مدّة معاوية رضى الله عنه ومات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة . انتهى .

وقال فى الاستيعاب : قد قيل : إنه مات بالكوفة أيام الوليد بن عُقبة فى خلافة عثمان وهو أصحُّ . فبعث الوليد إلى منزله عشرين جَزُوراً فنُحِرَتْ عنه .

ثم قال ابن قتيبة : ولم يقل شعراً فى الإسلام إلاّ بيتاً واحداً ، قال أبو اليقظان وهو قوله :

الحمدُ لله ، إذ لم يأتنى أَجَلى   حتّي كسانى من الإسلام سِربْالا !

وقال غيره : بل هو قوله :

ما عاتَبَ المرءَ الكريمَ كنفْسِهِ   والمرء يُصْلِحُهُ الجليسُ الصالحُ

وكتب عمر بنُ الخطاب إلى عامله المغيرة بن شعبة بالكوفة : أن استنشِدْ مَنْ عندك مِن شعراء مِصْرك ما قالوه فى الإسلام . فأرسل إلى الأغلب العِجْلىّ أن أنشدنى ، فقال :

لقدْ طَلبتَ هيِّناً موجودا   أرجَزاً تريدُ أم قَصيدا

ثم أرسل إلى لبيد : أن أنشِدْنى ؛ فقال : إن شئت ما عُفى عنه (يعنى الجاهلية) قال : لا ، ما قلتَ فى الإسلام . فانطلق إلى بيته فكتب سُورةَ البقرة فى صحيفة ثم أتىٰ بها فقال : أبدلنى اللهُ هذه فى الإسلام مكانَ الشعر . فكتب بذلك المغيرة إلى عمر ، فنقصَ من عطاء الأغلب خمسمائة ، وزادها فى عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة . فكتب الأغلب إلى عمر : يا أمير المؤمنين تنقُصُ عطائى أنْ أطَعْتُك ! فردَّ عليه خمسمائة وأقرَّ لبيداً على الألفين والخمسمائة فلما كان زمَنُ معاويةَ رضى الله عنه وأراد أن يجعل عطايا الناس ألفين قال له : هذان الفَوْدان فما هذه العِلاوة [1] ! فقال له لَبيد : أموتُ ويبقىٰ لك الفَوْدانِ والعِلاوة ، وإنما أنا هامةُ اليوم أو غد ! فرقَّ له وترَك عطاءه على حاله . فمات بعد ذلك بيسير ولم يقبِضها .

وفى الاستيعاب : ذكر المبرِّدُ وغيره : أن لبيداً كان شريفاً فى الجاهلية والإسلام ؛ وكان نذر أن لا تهُبَّ الصبَا إلاّ نحرَ وأطعم ؛ وأنّ الصبَا هبّتْ يوماً ، وهو بالكوفة مُقتِر مُمِلق ، فعلم بذلك الوليدُ بن عقبة بن أبى مُعَيْط — وكان أميراً عليها لعثمان — فخطب الناسَ فقال : إنكم قد عرفتم نذر أبى عَقيل ، وما وكّد على نفسه ؛ فأعينوا أخاكم . ثم نزل ، فبعث إليه بمائة ٣٣٨
ناقة وبعث الناسُ إليه ، فقضىٰ نذره — وفى خبرِ غيرِ المبرِّد : فاجتمعتْ عنده ألفُ راحلة — وكتب إليه الوليدُ :

أرَىٰ الجزّارَ يَشحَذ شَفرتَيه إذا هبّتْ رياحُ أبى عَقيلِ
أغرُّ الوجه أبيضُ عامرىٌّ طويلُ الباع كالسَّيف الصَّقيلِ

---

(١) فى الشعراء ٢٣٣ : « فما بال العلاوة ؟ » وبعده : « يعنى بالفودين الألفين ، وبالعلاوة الخمسمائة ، وأراد أن يحطه اياها » . وأصل الفود : العدل من أعدال البعير . أما العلاوة فما يكون بين العدلين من خشبته ونحوها .

وَفى ابنُ الجعفرىّ بحلْفَتَيهِ[1] على العِلاّتِ والمالِ القليل
بِنَحْرِ الكُومِ إذ سُحبت عليه ذيول صَباً تجاوَبُ بالأصيلِ

فقال لَبيد لابنته[2] : أجيبيه ، فقد رأيتنى وما أعيا بجواب شاعر ! فأنشأتْ تقول :

إذا هبّتْ رياحُ أبى عقيلِ دعَونا عند هَبَّتها الوَليدا
أشمَّ الأنف أصيدَ عَبشَمِيا أعان على مُروءته لَبيدا
بأمثال الهِضاب ، كأنّ رَكبا عليها من بَنى حامٍ قُعودا
أبا وهبٍ ، جزاك الله خيراً نَحرْناها وأطعَمْنا الثريدا[3]
فعُدْ ، إنّ الكريم له مَعاد وظَنّي بابنِ أروىْ أن يَعُودا[4]

فقال لها لبيد : قد أحسنتِ لولا أنك استزدْتِه ! فقالت : والله ما استزدْته إلاّ لأنّه مَلِك ، ولو كان سُوقة لم أفعَل .

وقالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله لبيداً حيث يقول :

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهمْ وبقِيتُ فى خَلْفٍ كجلد الأجرَبِ
لا ينفَعونَ ولا يُرَجّىَ خيرُهم ويُعابُ قائلُهم وإن لم يشغَب

قلت : فكيف لو أدرك زماننا ! انتهى . . والخلف بسكون اللام :

---

(١) كذا فى الاستيعاب ١٣٣٦ والشعراء . وفى أمالى ابن الشجرى: « بما عليه » وفى الكامل ٤٦٦ : « بما لديه »

(٢) فى الاستيعاب : « فلما أتاه الشعر وكان قد ترك قول الشعر قال لابنته » .

(٣) ط : « الوليدا » صوابه فى ش والمراجع السابقة وفى الكامل .

(٤) الكامل ٤٦٧ : «فعِيدانُ الكريم له معاد» والاستيعاب والشعراء . « يا ابنى أروى » لكن فى الشعراء « أن تعودا » ، وأثبت ما فى ش والكامل . وأروى أم الوليد ، وهى أروى بنت كريز

النسل الطالح ، وبفتح اللام : النسل الصالح . والشَّغْب : تحريك الشَّرّ والفِتنة[١] .

ثم قال ابن قتيبة : و (مُلاعِبُ الأسِنّة) عمُّ لَبيد . وهو عامر بن مالك .
وسُمِّي مُلاعِب الأسنّة بقول أوس بن حَجَر :

ولاعبَ أطرافَ الأسِنَّةِ عامرٌ فراحَ له حظُّ الكتيبةِ أجمعُ

وكان مُلاعِبُ الأسِنّة أخذ أربعينَ مِرْباعاً في الجاهلية .

و (أرْبَد بن قيس) الذى أتى رسول الله ﷺ غادراً مع عامر بن الطفيل هو أخو لبيد لأمّه ، فدعا اللهَ عليهما ، فمات عامر بالطاعون ونزلتْ صاعقة على أرْبَدَ فأحرقته . ويقال : فيه نزلت : (ويُرسِلُ الصواعِقَ فيُصيبُ بها مَن يشاء[٢]) . ورثاه لبيد بأشعار كثيرة . انتهى

وروى أبو حاتم السجستانىّ فى كتاب المعمَّرين[٣] ، بسنَده إلى الشعبىّ قال : أرسل إلىَّ عبدُ الملك بنُ مروان ، وهو شاكٍ ، فدخلتُ عليه فقلت : كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحتُ كما قال ابن قَمِيئة الشاعر :

كأنّى وقد جاوزتُ تِسعينَ حِجَّة خلعتُ بها عنّي عِذار لجامِي

رَمَتْنى بناتُ الدهر من حيثُ لا أرى فكيفَ بمن يُرمى وليس برامِ

فلو أنّها نَبْلٌ ، إذاً لاتقيتُها ولكنّني أُرمىٰ بغير سِهام

إذا ما رآنى الناسُ قالوا : ألم تكنْ جليداً شديدَ البطشِ غير كَهام

فَنيتُ ولم يفنَ من الدهر ليلة ولم يُغنِ ما أفنيت سلك نظام[٤] ٣٣٩

---

(١) ط : « والشغب ، بالتحريك : تهييج الشر » وفى ش : والشغب تحريك الفتنة » ، وقد جمعت الصواب منهما . وفى اللسان : « الشغب ، بسكون الغين : تهييج الشر والفتنة »

(٢) الآية ١٣ من سورة الرعد

(٣) المعمرين ٦١ ، ٨٩

(٤) وكذا فى المعمرين ٦١ لكن فى المعمرين ٨٩ : « فأفنى وما أفنى =

على الراحتين مَرَّةً ، وعلى العصا ... أنوء ثلاثاً بعدهنّ قيامى

فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنّك كما قال لبيد بن ربيعة :

نفسى تَشكى إلىّ الموتَ مُجهِشةً ... وقد حملتُكِ سَبعاً بعد سَبعينا

فإن تزادى ثلاثا تُحدثى أملا ... وفى الثلاثِ وفاء للثمانينا

فعاش والله حتّي بلغ تسعينَ حِجّة ، فقال :

كأنى وقد جاوزتُ تِسعين حِجَّةً ... خلعتُ بها عن مَنكِبَيّ ردائيا

فعاش حتى بلغ عَشراً ومائة سنة ، فقال فى ذلك :

أليسَ فى مائةٍ قد عاشها رجلٌ ... وفى تكاملِ عَشر بَعدَها عمرُ

فعاش والله حتى بلغ عشرين سنةً ومائة ، فقال فى ذلك :

وغَنِيتُ سَبتاً بعد مجرىٰ داحسٍ ... لو كان للنفس اللَّجوج خُلودُ[1]

فعاش والله حتى بلغ أربعين ومائة سنة ، فقال فى ذلك :

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولِها ... وسؤالِ هذا الناسِ : كيف لبيدُ ؟

فقال عبدُ الملك : والله ما بِىَ بأس ، اقعدْ حدِّثني ما بينك وبينَ الليل . فقعدْتُ فحدَّثتُه حتّي أمسيتُ ، ثم فارقتُه فمات فى ليلته .

* * *

= من الدهر » ، وكذا فى الديوان ٢٣ : « وافنى وما افنى » . ط : « ولم يفن ما أفنيت » صوابه فى ش والمعمرين والديوان . وسلك النظام : الخيوط ينظم بها الدر ونحوه .

(١) ط : « وغنيت ستا » ، وهو تحريف ظاهر . والسبت ، كفلس : الدهر

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائة، وهو من شواهد سيبويه[1] :

١٢٣ (فإنْ لمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عدنانَ والداً ودونَ مَعدٍّ، فلْتَزَعْكَ العَواذِلُ[2])

على أن (دون) بالنصب معطوف على محلّ الجار والمجرور، أعنى (مِنْ دون). وكذلك أورده سيبويه قال: وكأنّه قال: فإن لم تجد دونَ عدنانَ والداً ودونَ معدٍّ.

قال ابن هشام فى المغْنى: شرط العطف على المحل إمكان ظهور ذلك المحل فى الفصيح نحو: ليس زيد بقائم ولا قاعداً، فإنه يجوز أن تسقط الباء وتنصب، ولا يختص مراعاة الموضع بأن يكون العامل فى اللفظ زائداً كما مثل، بدليل:

فإن لم تجد من دون عدنان والداً . . . . البيت

وهذا البيت من قصيدة أزْيَد من خمسين بيتاً للبيد بن ربيعة الصحابىّ، رضى الله عنه، رثى بها النعمانَ بن المنذرِ ملِكَ الحيرة.. وأولها:

قصيدة الشاهد

(ألا تَسألانِ المرء ماذا يُحاولُ أَنَحبٌ فيُقضىٰ أمْ ضلال وباطلُ
حبـائلهُ مبثُوثةٌ فى سبيلهِ ويَفنيٰ إذا ما أخطأته الحبائلُ
إذا المرء أسرىٰ ليـلةً خال أنَّه قضىٰ عملا، والمرء ماعاش عامل
فقولا له، إن كان يُقسِم أمرَه: ألمّا يعظْك الدهرُ، أمُّك هابل
فتعلَمَ أن لا أنتَ مُدرِك مامضىٰ ولا أنت مما تَحذرُ النفسُ وائلُ
فإن أنتَ لَم تصدُقْكَ نفسك فانتسب لعلَّك تَهديك القرونُ الأوائلُ

(١) الخزانة أيضا ٣ : ٦٦٩ والإنصاف ٢٠٨ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٣ وديوان لبيد ٢٥٥

(٢) ش : « اذا لم تجد »، صوابه فى ط والمراجع السابقة

٣٤٠

«فإنْ لم تجِدْ من دُون عَدنانَ باقياً ودونَ معدّ فلْتَزَعْكَ العواذلُ»
أرىٰ الناسَ لا يدرُون ماقدرُ أمرِهمْ بلىٰ كلّ ذى رأيٍ إلى اللهِ واسلُ
ألا كلُّ شىءٍ ماخلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائل !
وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم دُوَيْهِيَةٌ تَصفَرُّ منها الأنامل !
وكلُّ امرئٍ يوماً سيَعلَمُ سعيَه إذا كُشِفَتْ عندالإلٓه الحصائل)

قوله : ألا تسألان المرء . . البيت ، يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (ماذا)[1] . وقوله : حبائلُه مبثوثة . . البيت ، الحبائل : جمع حِبالة وهى الشَّرَك ، والضمير للموت ، وأراد بحبائله : الأحداثَ التى هى سبب الموت ومبثُوثةٌ : منصوبةٌ على طُرُقهِ . والهاء فى سبيله عائدة على المرء . ويفنيْ : يهرَم .

وسرى وأسرى بمعنىً . يقول : إذا سهر المرء ليلةً فى عمل ظن أنه قد فرغ منه ، وهو ماعاش يعرضُ له مثلُ ذلك ، وهو أبداً مادام حيًّا لا ينقطع عملُه ولا حوائجه . وقوله : فقولا له إن كان . . إلخ ، أقسَمَ بمعنى قدّر ، يعنى : قولا له ، إن كان يدبّر أمرَه وينظر فيه : ألم يعظك مَن مضيْ قبلك فى سالف الدهر ، هل رأيته بقى عليه أحد . ثم دعا عليه فقال : أمُّك هابل ! يقال هبلتْه أى ثكلتْه .

وقوله : فتعلم ، بالنصب جواب لمّا . وأنْ مخفّفة من الثقيلة . ووائل : من وألَت النفسُ بمعنى نجت ، والموئِل : المنجىْ .

وقوله : فإن أنت لم تصدُقْك . . إلخ ، يقول: إن لم تصدُقك نفسُك عن هذه الأخبار ، بل كذَبَتك ، فانتسِب : أى قلْ أين فلان ابن فلان ، فإنك

(١) انظر الشاهد ٤٤٥ .

لا ترى أحداً بقى ؛ لعلّك تهديك هذه القرونُ وتُرشِدك . ورُوى : فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسِب .

قال أبو علىّ فى إيضاح الشعر : « أنت مرتفع بفعل فى معنى هذا الظاهر ، أى فإن لم تنتفع . ولو حُمل أنت على هذا الفعل الظاهر ، الذى هو ينفعك ، لوجب أن يكون موضعَ أنت إيّاك ، لأنّ الكاف الذى سببه مفعولة منصوبة ». وهذا أولىٰ من تقدير ابن قاسم فى شرح الألفيّة : أن أصله فإن ضلات لم ينفعك. وزاد الفارسىّ على الوجه الثانى : أن فيه إنابة الضمير المرفوع عن المنصوب . والقرون : جمع قَرن ، وهو أهل زمان واحد .

وقوله (فإن لم تجد . . إلخ) تَزَعْكَ : تكفّك ، قال أبو الحسن الطوسىّ فى شرح ديوان لَبيد : وزعه يزَعه ، بالفتح ، ويزِعهُ ، بالكسر ، وزْعا ووزُوعا : إذا كفّه . وعدنان جدّه الأعلىٰ ، لأن مضر بنُ نزار بن معدّ بن عدنان . يقول : لم يبق لك أبٌ حىّ إلى عدنان ، فكُفَّ عن الطمع فى الحياه . . ومعنى البيتين : أن غاية الإنسان الموت ، فينبغى له أن يتّعظ : بأن ينسب نفسه إلى عدنان ، فإن لم يجد مَن بينَه وبينه من الآباء باقيا ، فليعلم أنه يصير إلى مصيرهم ، فينبغى له أن ينزِع عما هو عليه . و (العواذل) هنا حوادث الدهر وزواجرُه ، وإسناد العذْل إليها مجاز . وقال الطوسىّ : العواذل : النساء .

وقوله : أرى الناس . . الخ ، الواسل : الطالب الذى يطلُب ، مِن قولك. أنت وسيلتى إلى فلان . واستشهد به صاحب الكشاف على أن الوسيلة فى قوله تعالىٰ : (وابتغُوا إليْهِ الوَسيلة[1]) ما يُتوسل به إلى الله تعالى ، من فِعل الخيرات واجتناب المعاصى . والواسل : هو الراغب إلى الله ؛ يعني ذو

(١) الآية ٣٥ من سورة المائدة .

وسيلة أو هو كتامرٍ ولابنٍ . ورُوى (لُبّ) وهو العقل ، بدل (رأى) .
والمعنى : أرى الناسَ لايعرفون ماهم فيه من خطَر الدنيا وسرعة زوالها ،
فالعاقل اللبيب مَن يتوسل إلى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح . ٣٤١

وقوله : ألا كل شىء . . إلخ ، قد وقع فى بعض الروايات هذا البيت أولَ القصيدة فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال . أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لبيد :

ألا كلُّ شىء ماخلا اللهَ باطلُ

وفى روايةٍ لهما : « أشعرُ كلمةٍ تكلَّمت بها العربُ كلمةُ لبيد . . الخ » . وقد رُوى أيضاً بألفاظ مختلفة ، منها . « إن أصدق كلمة . . » ومنها . « إن أصدق بيت قاله الشاعر . . » ومنها . « أصدق بيت قالته الشعراء . . » وكلّها فى الصحيح ومنها . « أشعر كلمة قالتها العرب . . » .

قال ابن مالك فى شرح التسهيل : وكلها من وصف المعانى بما يوَصف به الأعيان ، كقولهم . شِعْرٌ شاعر ، ويصاغ منه أفعل باعتبار ذلك المعنى فيقال : شعرك أشعَرُ مِن شِعْره .

وروىٰ ابن إسحاق فى مغازيه . أن عثمان بن مَظعُون رضى الله عنه مرّ بمجلس من قريش فى صدر الإسلام ، ولبيد بن ربيعة رضى الله عنه ينشدهم :

* ألا كلُّ شىء ما خلا اللهَ باطلُ *

فقال عثمان رضى الله عنه : صدقْتَ . فقال لبيد :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ *

فقال عثمان : كذبتَ ، نعيمُ الجنة لايزول أبداً ! فقال لبيد : يا معشرَ قريش واللهِ ما كان يُؤذىٰ جليسُكم فتىً حدَث هذا فيكم ؟ فقال رجل :

ان هذا سفيه من سفهائنا قد فارقَ ديننا ، فلا تجِدَنّ فى نفسك من قوله . فردّ عليه عثمان ، فقام إليه ذلك الرجلُ فلطم عينَه فخضَرها(١) ، فقال الوليد ابن المغيرة لعثمان : إنْ كانت عينُك لغَنيّةً عما أصابها ، لم ردَدْتَ جوارى ! فقال عثمان : بلْ واللهِ إنّ عينيَ الصحيحةَ لفقيرةٌ لمثلِ ما أصابَ أختَها فى الله ، لا حاجة لى فى جوارك ! .

وروى أحمد بن حنبل فى زوائد الزهد(٢) : أن لبيداً قَدِم على أبى بكر الصّديق رضى الله عنه فقال :

* ألا كلُّ شىءٍ ماخلا اللهَ باطل *

فقال : صدقت . قال :

* وكلّ نعيم لا محالة زائل *

فقال : كذبتَ ، عند الله نعيمٌ لا يزول ! فلما ولّىٰ قال أبو بكر رضى الله عنه ربّما قال الشاعرُ الكلمةَ من الحكمة !

وأخرج السِّلَفىّ فى المشيخة البَغدادية من طريق هاشم ، عن يعلى عن ابن جراد ، قال : أنشدَ لَبيدُ النبيَّ ﷺ قولَه :

* ألاَ كلُّ شىءٍ ما خلا الله باطلُ *

فقال له : صدقتَ ! فقال :

---

(١) فى النسختين . « فحضرها » مع تشديد الضاد فى ش . وفى شرح شواهد المغنى ٥٦ : « فخصرها » ، وقد جمعت بين الرسمين ، يقال خضر النخل يخضره خضرا : قطعه . واختضر الجارية ، اذا اقتضها قبل بلوغها .

(٢) كذا . وانما الزوائد لولده عبد الله بن أحمد . وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل . انظر كشف الظنون ٢ : ٢٧٩ .

* وكلّ نعيمٍ لا محالة زائلُ *

فقال له: كذبتَ، نعيمُ الآخرة لا يزول!

وأجاب العينيُّ عن ذلك من وجهين: الأوّل: أن لبيداً إنما قال ذلك قبل أن يسلم، فيمكن أن يكون فى اعتقاده فى ذلك الوقت أنّ الجنة لا وجود لها، أو كان يعتقد وجودَها ولكن لا يعتقدُ دوامَها، كما ذهبت إليه طائفةٌ من أهل الأهواء والضلال. والثانى: أنه يمكن أن يكون أراد به ما سوى الجنةِ من نعيم الدنيا لأنه كان فى صدَد ذمّ الدنيا وبيانِ سُرعة زوالها. وأمّا تكذيب عثمان إياه فلكونه حمل الكلام على العموم. انتهى.

وقال ابن حجر فى شرح البخارى، فى باب الشعر: التعبير بوصف كلّ شئ بالبطلان تندرج فيه العبادات والطاعات، وهى حقٌّ لا مَحالة؛ وأجيب: بأن المراد ماعدا اللهَ وما عدا صفاتِه الذاتيةَ والفعليّة من رحمة وعذاب؛ أو المراد بالبطلان الفناء لا الفساد، وكلُّ شئ سوى الله تعالى جائزٌ عليه الفناء لذاته، حتّي الجنة والنار، وإنما يبقيان بابقاء الله تعالى لهما وخلقِ الدوام لأهلهما. والحقُّ على الحقيقة مَن لايجوز عليه الزوال لذاته. انتهى.

ومثله للسُّيوطى، فى البدور السافرة، عند ذكر قوله تعالى: (كلُّ شَئٍ هالكٌ إلاّ وجهَهُ(١)). أى قابل للهلاك؛ وكلّ محدَث قابل لذلك وإنْ لم يَهلِك، بخلاف القديم الأزلىّ. ويؤيِّد ذلك أنّ العرش لم يَرِدْ خبرٌ أنه يَهلِك. فلتكن الجنّة مثلَه. وقال فى موضع آخر من ذلك الكتاب وفى بحر الكلام: ٣٤٢
قال أهل السنّة: سبعةٌ لا تفْنَى: العرش والكرسىّ واللّوح والقلم والجنّة والنار بأهلهما والأرواح. وقال صاحب المفهِم شرحِ مسلم، وكذا البَيْهقى وغيره من

(١) الآية ٨٨ من سورة القصص

المحدّثين : إن هذه السبعة يقع لها هلاك نسبيٌّ ، وهو غِشيان يمنع الإحساس ، وفناء ما من الأوقات . قلت : والظاهر وقوع ذلك ، على تقدير صحته ، بين النفختين ، عند قوله عز وجل : (لمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ[1]) فلا يجيبه أحدٌ كما وردت به الروايات . انتهى

والباطل هنا الذاهب الزائل ، ومعناه الهالك الفانى : أى القابل للهلاك والفناء . وقال بعضهم : الباطل فى الأصل ضدّ الحقّ ، والمراد به هنا الهالك . وقال العينّي : « الباطل : ضدّ الحق ؛ وفى عرف المتكلّمين : الباطل ، الخارج عن الانتفاع ؛ والفاسد يقرب منه ، والصحيح : ضدّه ومقابله . وفى عرف الشرع : الباطل من الأعيان : مافات معناه المقصودُ المخلوق له من كلّ وجه ، بحيث لم يبق إلا صورته ، ولهذا يذكر فى مقابلة الحقّ الذى هو عبارة عن الكائن الثابت ؛ وفى الشرع يراد به ما هو المفهوم منه لغة ، وهو ما كان فائت المعنى من كل وجه مع وجود الصورة ، إما لانعدام محلّية التصرّف كبيع الميتة والدم ، أو لانعدام أهلية المتصرّف كبيع المجنون والصبيٍّ الذى لا يعقل . فإن قلتَ : مامعناه هنا ؟ قلت: المعنى كل شىء سوى الله تعالى زائلٌ فائت مضمحلٌّ ليس له دوام . انتهى

والمحالة بفتح الميم : الحِيلة ، قال الجوهرىّ : قولهم لا محالة أى لابدّ . وقوله: وكل أناس سوف تدخل بينهم . . الخ يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (ماذا[2]) .

وقوله : وكل امرئٍ يوما . . الخ ، سعيه : عمله . والحصائل : الحسنات والسيئات التى بقيت له عند الله تعالى ؛ وهو بالحاء والصاد المهملتين .

---

(١) الآية ١٦ من سورة غافر

(٢) وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الأربعمائة .

ثم شرع بعد هذا فى تقلّب الدهر بأهله ، وبدأ بذكر النعمان وما كان فيه من سَعَةِ الملك ونعيم الدنيا ، ثم ذكر ملوكَ الشام آلَ غسانَ وما فعل الدهر بهم فبادوا كأن لم يكونوا ، فقال :

(ليَبْكِ على النُّعمانِ شَرْبٌ وقَيْنَةٌ ومُخْتبِطاتٌ كالسَّعالى أرامِلُ)

الشَّرْب : جمع شارب ، يريد أصحابه الذين كان يشاربهم . والقَينة : الخادم[1] . والمختبطات الفِرَق السائلات المعروف . والسعالى : الغِيلانُ ، شبّه السائلاتِ بها ، فى سوء حالهنّ وقبحهنّ . والأرامل : المحاويج الجياع من أرملَ القوم : إذا نفد زادهم وجاعوا . وقال فى آخر القصيدة :

(فأمسىٰ كأحلامِ النِيامِ نعيمُهُمْ وأىّ نعيم خِلْتَه لايزايلُ)

فظهر بهذا أن هذه القصيدة ليستْ فى مدح النعمان كما زعم من تكلّم على هذه الأبيات ، بل هى بالرثاء أشبه ، لاسيما أوائل القصيدة فإنها تناسب ماقلنا . والله أعلم .

وترجمة لبيد تقدمت فى البيت الذى قبل هذا البيت .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

---

(١) الخادم يقال للمذكر والمؤنث أيضا .

(٢) سيبويه ١ : ٣٤ . وانظر أيضا الخزانة ٢ : ١٤٣ والانصاف ٣٣٢ وابن يعيش ٢ : ٩/١٠٩ : ٤ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٤ والشعراء ٤٥ وتصحيف العسكرى ٢٠٧ والقالى ١ : ٣٦ والسمط ١٤٨ – ١٤٩

٣٤٣ ١٢٤ (فَلَسْنا بالجبالِ ولا الحديدَا)

على أن قوله (الحديدا) معطوف على محلّ الجارّ والمجرور وهو قوله: (بالجبال)، وهو خبر ليس والباء زائدة. وكذلك أورده سيبويه. وهو عجزٌ وصدرُه:

(مُعَاوِيَ، إنّنا بَشَرٌ فأسجِحْ)

و (معاويَ) منادىً مرخّم معاوية بن أبى سفيان. و (أسجِحْ) بقطع الهمزة وتقديم الجيم على المهملة؛ ومعناه ارفق وسهِّلْ. وخدٌّ أسجَح أى طويل سهْل.

وقد ردَّ المبرد على سيبويه روايته لهذا البيت بالنصب؛ وتبعه جماعةٌ منهم العسكرىّ صاحب التصحيف قال: ومما غلِط فيه النحويّون من الشعر ورووه موافقاً لما أرادوه، ما رُوى عن سيبويه عندما احتجّ به فى نسَق الاسمِ المنصوب على المخفوض. وقد غلِط على الشاعر، لأنّ هذه القصيدة مشهورةٌ، وهى مخفوضةٌ كلّها. وهذا البيت أولها. وبعده:

أبيات الشاهد (فَهَبْنا أُمّةً ذهبتْ ضِياعاً يزيدُ أميرُها وأبو يزيدِ
أكلْتم أرضَنا فجرَدْتُموها فهلْ مِن قائم أو مِن حَصيدِ
أتَطمعُ فى الخلود إذا هلَكنا وليس لنا ولا لك مِن خلودِ
ذرُوا خَونَ الخلافةِ، واستقيموا، وتأميرَ الأراذل والعبيدِ
وأعطونا السّوِيّةَ لا تَزرْكُمْ جنودٌ مردَفاتٌ بالجنودِ)

صاحب الشاهد وهذا الشعر لعُقَيْبة بن هُبيرة الأسدىّ؛ شاعرٌ جاهلىٌّ إسلامىّ. وفد على معاوية بن أبى سفيان فدَفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات، فدعاه معاوية

فقال له : ما جرّأك عليّ ؟ قال : نصَحْتُكَ إذ غشُّوك ، وصدَقتك إذْ كذَبوك !
فقال : ما أظنّك إلاّ صادقاً ! فقضى حوائجَه .

ويروى أن أبا بُردة بن أبي موسى الأشعريّ جاء إلى معاوية فقال له :
يا أمير المؤمنين ، إن عُقيبةَ أخا بني أسد هجاني ؟ فقال : وما قال لك ؟ قال :
قال لي :

* فما أنا من حُدَّاث أمِّكَ بالضحى(١) *

فقال له معاوية : ليس من حُدَّاثها ! قال : وقال لي :

* ولا مَنْ يُزَكّيها بظَهْرِ مَغيبِ *

فقال معاوية : لكنّ اللهَ ورسولَه والمهاجرين والأنصارَ يُزَكّونها ؛ وكانت
تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقال لي :

* وأنتَ امرؤٌ في الأشعرينَ مقابل *

فقال : صدق . قال : وقال لي :

* وفي البيتِ والبَطْحاء حَقٌّ غريبِ *

فقال : صدق ، ليس لك في البيت ولا في البَطْحاء حقٌّ ! قال : يا أمير المؤمنين
فندَعُه على هذا ؟ قال : ما قال لي أشدُّ مما قال لك . . وقرأ له الأبيات ؛
فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تصنع به ؟ قال : تعالَ ندعُ اللهَ عليه .

و (عقيبة) بالقاف يحتمل أن يكون مصغّر عُقْبة (كظلمة) وهي بقيّة

(١) في النسختين : « حراث » وكذا « حراثها » في الشرح التالي .
وقد كتب الشنقيطي الحرف (د) فوق كل من « حراث » و « حراثها » في
الشرح بعده ، اشارة الى صوابها

المرَق ونحوِ ذلك تردّ فى القدر المستعارة؛ أو مصغّر العُقْبة بمعنى النَّوْبة ، يقال تمّتْ عُقْبتك . وهما يتعاقبان أى يتناوبان .

وقوله : فجرّدتموها ، أى قشرتموها كما يُجرّد اللحمُ من العظْم وقوله : فهل من قائم ، يعنى : القرىٰ التى أُهلكت ، منها قائم قد بقيت حيطانه ، ومنها حصيد قد امّحى أثره(١) والخَوْن ، بفتح الخاء وسكون الواو : مصدر كالخيانة . والتأمير : تفعيل من الإمارة . والسويّة : المساواة : والنَّصَفة .

٣٤٤ ولم أرَ لعُقيبةَ هذا ذكراً فى كتب الصحابة ، ولم يذكره ابن حجر أيضاً فى الإصابة من المخضرمين . والظاهر أنه من المخضرمين .

وأجاب الزمخشريّ ، تبعاً لما قاله ابن الأنبارى فى الانصاف ، بأن هذا البيتَ روى مع أبيات منصوبة ومع أبيات مجرورة ، فمن رواه بالجرّ روىٰ معه الأبيات المتقدمة ، ومن رواه بالنصب روَى معه :

(أدِيروها بنى حَرْب عليكمْ ولا ترْمُوا بها الغرضَ البعيدا)

يقول : ضمّوا الخلافةَ والوِلاية إليكم ، ولا ترموا بها أقصى المرامى : أى لا تطرحوا النظر فى أمرنا وتتركونا مع الولاة الذين من قِبَلكم يجورون علينا . .

وهذا الشعر لعبد الله بن الزَّبِير الأسدىّ . قالوا : وليس يُنكَر أن يكونَ بيتٌ من شعرين معاً(٢) ، لأن الشعراء قد يستعير بعضُهم من كلام بعض ، وربما أخذَ البيتَ بعينه ولم يُغيِّره كقول الفرزدق :

---

(١) الحق أن القائم والحصيد ، انما هو صفة للزروع . ولكنه تبع فى ذلك السيوطى فى شرح الشواهد ٢٩٥ . وقال السيوطى : « كقوله تعالى : منها قائم وحصيد » . لكن شتان ما بين معنى البيت ومعنى الآية .

(٢) فى النسختين : « بيتا » ، وان كان الشنقيطى قد صححها .

ترى الناسَ ماسِرْنا يسيرُون خَلفَنا وإنْ نحنُ أومأنا إلى الناس وقّفوا

فإن هذا البيت لجميل بن عبد الله[١] ، انتحله الفرزدق .

وأورد ابن خلف نظيرَ هذا فى شرح أبيات الكتاب ما يزيد على مائة بيت . ومثلُ ما نحن فيه قولُ الأخنَس بن شهاب اليشكرىّ :

إذا قصُرت أسيافُنا كان وصلُها خطانا إلى أعدائنا فنضارِبُ

والقصيدة مرفوعة القوافى ، وأخذه قيس بن الخطيم ، وجعله فى قصيدة مجرورة القوافى ، وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى الظروف .

وزعم السيرافىّ : أن شعر عُقيبة الأسَدىّ يجوز فى إنشاد قَوافيه الجرُّ والنصب . قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل : وهذا وهمٌ لأن فيها ما يجوز فيه الوجهان عند البصريين ، ومنها ما لا يجوز فيه عندهم إلاّ وجهٌ واحد ؛ ولايجوز أن يُنشَد بعضُ القصيدة منصوباً وبعضُها مرفوعاً على طريق الإقواء ، لأن الإقواء فى الغالب إنما يكون بين المرفوع والمجرور لما بينهما من المناسبة ؛ فأما مايصحّ فيه الوجهان فالبيت الأوّل والثالث والخامس ، والنصب فيه عطفٌ على خَون الخلافة ، ويجوز أن يكون معطوفاً على تأمير الأراذل ، على حذف مضاف ؛ فأما البيتان الباقيان فلا يصحّ فيهما النصب على مذهب البصريّين ، ويجوز على مذهب الكوفيّين ، لأنهم يجيزون ترك صرف ما ينصرف[٢] فى الشعر ضرورة اﻫ . ولا يخفى أن الكوفيين إنما يجيزون ترك صرف المنصرف إذا كان علماً ، يكتفون بشَطر العلّة كما هو المشهور ، وقدّمنا فى أول باب مالا ينصرف ما يغنى عن إعادته هنا[٣] .

(١) لم أجده فى ديوانه ، ولم يسجله فى الزيادات جامعه .
(٢) فى النسختين : « مالا ينصرف » ، والوجه ما أثبت .
(٣) أنظر الجزء الأول ص ٣١ وما بعدها

وقيل: إنه من شعر آخر لعبد الله بن الزَّبِير وهو:

رمى الحَدَثانُ نسوةَ آلِ حربٍ   بمِقْدارٍ سَمَدْنَ له سُمودَا
فرَدَّ شُعورَهُنَّ السُودَ بِيضاً   وردَّ وُجوهَهُنَّ البيضَ سودَا
فإنَّكَ لو سَمعتَ بكاءَ هندٍ   ورملَةَ إذْ تَصُكّانِ الخُدودا
سَمعتَ بكاءَ باكيةٍ حزينٍ   أبانَ الدهرُ واحِدَها الفقيدا!
معاويَ، إنّنا بشرٌ فاسجحْ   . . . . البيت

ولا يخفى أن هذا البيت أجنبيٌّ من هذه الأبيات، ويدلّ عليه: أن أبا تمام أنشدَ هذه الأبياتَ لمن ذكرنا، في باب المراثى من الحماسة (١)، بدون البيت الأخير ولم يذكره أحدٌ من شراحه.

والحدَثانُ بالتحريك: الحادثة، ونائبة الدهر. والمِقدار: ما قدّره الله تعالى. وفيه قلبٌ أى رمى تقديرُ اللهِ نسوةَ آل حرب بحدَثان. والسُّمود: تغيُّر الوجْه من الحزن.

عبد الله ابن الزبير — و (ابن الزَّبير) هو عبد الله بن الزَّبير بن الأشيَم بن الأعشىٰ بن بَجرة (بفتح الموحدة والجيم) وينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة. والزَّبِيرُ بفتح الزاى وكسر الموحدة.

وعبد الله شاعرٌ كوفيّ المنشأ والمنزِل. وهو من شعراء الدولة الأمويّة
٣٤٥ ومن شيعتهم والمتعصّب لهم؛ فلما غلَب مُصعَب بن الزُبير على الكوفة أُتىَ به أسيراً، فمنّ عليه ووصلَه وأحسن إليه؛ فمدَحه وأكثرَ من مدْحه وانقطع إليه

(١) انظر الحماسة ٩٤١ بشرح المرزوقى . وقد نسبت الأبيات فى زهر الآداب ٤٠٥ الى ابن الزبير أيضا . وفى عيون الأخبار ٣ : ٦٧ الى فضالة بن شريك . وفى القالى ٣ : ١١٥ الى الكميت بن معروف .

فلم يزل معه حتى قُتِلَ وعمى بعد ذلك ، ومات فى خلافة عبد الملك بن مرْوان . وكان الحجاج أرسله فى بَعْثٍ إلى الرَّىّ فمات بها . وكان أحَدَ الهجّائين[1] ، يخافُ الناس شرَّه وله حكايات مسطورة فى الأغانى .

ومن شعره يمدح عمرو بن عثمان بن عفّان — وكان رآه عمرو فى ثياب رثّة فاقترضَ ثمانية آلاف درهم باثنيْ عشرَ ألفاً وأرسلها إليه مع رِزْمة ثياب[2] فقال (وهو من أبيات تلخيص المفتاح) :

سأشكرُ عَمراً إن تراخت مَنِيّتى أيادىَ لم تُمْنَنْ وإنْ هىَ جَلّتِ[3]
فتى غيرَ محجوب الغنيْ عن صديقه ولامظهرِ الشكوىْ إذا النّعلُ زلّت
رأى خلّتي من حيثُ يَخفىْ مكانُها فكانتْ قذىْ عينيه حتى تجلّتِ

ومدحَ أسماء بن خارجة الفَزارىَّ بقصيدة منها :

تراه إذا ما جئتَــه متهلّــلا كأنّك تعطيه الذى أنت سائله[4]
ولو لم يكنْ فى كفّه غيرُ روحه لجادَ بها ، فليَتّقِ اللهَ سائلُه[5]

فأثابه أسماء ثواباً لم يرْضه ، فغضب وقال يهجوه :

بنتْ لــكمُ هندٌ بتلذيع بَظْرها دَكاكينَ مِن جصٍّ عليها المجالسُ
فواللهِ لولا رهْزُ هنــدٍ ببظرها لُعــدّ أبوها فى اللئامِ العوابس

فبلغ ذلكَ أسماء فركب إليه واعتذر إليه من ضيق يده وأرضاه ، وجعل له على نفسه وظيفةً فى كل سنة . فكان بعد ذلك يمدحه ويفضّله . وكان أسماء

(١) ط : « واحد الهجائين » ، صوابه فى ش والأغانى ١٣ : ٣١
(٢) كذا . وانظر الأغانى ١٣ : ٣٣ .
(٣) انظر تحقيق نسبة هذا الشعر فى حواشى السمط ١٦٦ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٨ بتحقيق عبد السلام هارون
(٤) هذا البيت ليس له ، انما هو لزهير فى ديوانه ١٤٢
(٥) ينسب هذا البيت الى أبى تمام فى ديوانه ٢٣٢

يقول لبنيه : والله مارأيت قطُّ جصًّا فى بنـاء إلاّ ذكرتُ بَظر أُمكم هندٍ فخجلتُ »(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائة (٢) :

١٢٥ * يَسمَعُها لاهُهُ الـكُبارُ *

على أنه قيل إنّما جاز يا الله للزوم اللام للـكلمة ، فلا يقال لاهُ إلاّ نادراً كما فى هذا الشعر .

وإنما عبّر بقيل ، لأن أبا علىّ الفارسى قال : « أل عوضٌ من الهمزة ، إذ أصله إلَه ، ويدلُّ على ذلك : استجازتهم لقطع الهمزة فى القسَم والنداء ؛ فلو كانت غير عوض لم تثبُت كما لم تثبُت فى غير هذا الاسم . ولا يجوز أن يكون للزوم الحرف ، لأن ذلك يُوجب أن تُقطَع همزةُ الذى والتى . ولا يجوز أيضاً أن يكون لأنها همزة مفتوحة وإنْ كانت موصولة ، كما لم يجزْ فى ايم الله وايمن الله . ولا يجوز أيضاً أن يكون ذلك لـكثرة الاستعمال ، ٣٤٦
لأن ذلك يوجب أن تقطع الهمزة أيضاً فى غير هذا ممـا يكثر استعمالهم له . فعلمنا أنّ ذلك لمعنًي اختُصّت به ، ليس فى غيرها . ولا شيء أولىٰ بذلك المعنى ، من أن يكون للعوض من الحرف المحذوف ، الذى هو الفاء . ا هـ .

وكون لفظ الجلالة أصله (لاهٌ) هو أحد قولى سيبويه فيـه . واختاره المبرّد ، قال : أصله لاه على فعل مثل ضرب(٣) ، ثم دخلت أل عليه تعظيما لله

(١) انظر الأغانى ١٣ : ٣٣

(٢) انظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥ وتصحيف العسكرى ٣١٠ واللسان (أله ٣٦٢) وديوان الأعشى ١٩٥

(٣) وقال ابن الشجرى : « أصله ليه ، فعل مثل جبل ، فصارت ياؤه ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها » .

عزّ وجل وإبانة له عن كلّ مخلوق ، فهو اسمٌ وإن كان فيه معنى فعل . وأصل لاه : لَوَه أوليَه . قال : « ولو كان كما ذكر سيبويه : أنّ أصله إلاه ، لكان قد حذف فاء الفعل وعينه ، لأنه يحذف همزة إلَه وهى فاء الفعل ثم تذهب العين إذا دخل الألف واللام ؛ ولم نر شيئا يحذف فاؤه وعينه .

قال السَّخاوىّ فى سِفْر السعادة : « وليس كما قال ، فإن عينه باقية لم تحذف » .

والعجَبُ من السخاوىّ حيث نقل عن المبرّد بأن قول ابن عبّاس : الله هو الله ذو الألوهية يألَه الخلق ، وقرأ ابن عباس : ﴿ وَيَذَرَكَ وإلَهَتَكَ[1] ﴾ أى وعبادتك ، لأنهم كانوا يعبدون فرعون اهـ . يؤيّد القولَ بكون أصله (لاه) ولم يتعقبه بشىء ! مع أنَّه إنما يؤيّد من قال : إن أصله إلَه . فتأملْ .

وقال ابن الشجرىّ فى أماليه : « والذى ذهب إليه س : من أن أصل هذا الاسم إله ، قولُ يونس والأخفش والكسائىّ والفرّاء وقطرُب . وقال بعد وفاقه لهؤلاء : وجائزٌ أن يكون أصله لاه وأصل لاه ليَه على وزن فَعَل ثمّ أدخل عليه أل . واستدلّ بقول بعض العرب : لَهْىِ أبوك ، يريدون لاه أبوك . قال : فتقديره على هذا القول فَعَل ، والوزن وزن باب ودار . وأنشد . . لاهه الكبار ، وقوله : لاه ابن عمك . . البيت . اهـ كلام سيبويه . وأقول : لاه على هذا تامّ ، على وزن جبَل ، ومن قال لَهْىِ أبوك فهو مقلوب من لاه ، قدّمت لامه التى هى الهاء على عينه التى هى الياء فوزنه فلْع ، وكان أصله بعد تقديم لامه على عينه لِلَّهْىِ ، فحذفوا لام الجرّ ثم لامَ التعريف ،

---

(١) الآية ١٢٧ من سورة الأعراف .

وضمّنوه معنى لام التعريف فبنوه ؛ كما ضمّنوا معناها أمسِ فوجب بناؤه . وحرّكوا الياء لسكون الهاء قبلها وكانت فتحة لخفّتها » . ا هـ كلام ابن الشجَرىّ .

أقول : البيتان اللذان أوردهُما لَيْساَ فى كتاب س ، وليس فى الشعر دليلٌ على أنّ الله أصله لاه ، لجواز أن يكون لاه مخفّف إلٓه حُذفت الهمزة لضرورة الشعر ، بدليل الجمع على آلهة دون ألْوِهَة أو ألْيِهَة .

وقال خضر الموصِلىّ : استشهد به على أن أصل الله لاه ، لأن الضرورة تردّ الأشياء إلى أصولها . وفيه نظر ، لجواز أن يكون لاه لفظا مستقلاً برأسه بمعنى إلٓه ا هـ . قال أبو علىّ ، فى نقض الهاذور : فإن قيل : قَد قال الشاعر : « لاهُه الكُبار » لقد أخرج الألف واللام من الاسم وأضافَه . قيل : إنّ الشاعر لما رأى الألف واللام فيه على حدّ ما يكون فى الصفات التى تَغلب ، ورأى أن هذه الصفات إذا غلبت صارتْ كالأعلام ، فلا تحتاج إلى حرف التعريف فيها ، كما لم يُحتَجْ إليها فى الأعلام . أخرجه على ذلك كما قال الآخر :

* ونابغة الجَعْدِىّ بالرَّمل بيته[1] *

حيث غلب الوصف فصار يعرف به كما يعرف بالعلَم ؛ فكذلك الاسم . ومع هذا فكأنه ردّ الاسم ، للضرورة ، إلى الأصل المرفوض الاستعمال . وهذا لا يجوز استعماله سائغا مطردا .

والأزهرىّ أورد هذا الشعر على غير هذه الرواية ، قال فى التهذيب : وقد كثر اللهمّ فى الكلام حتى خفّفت ميمها فى بعض اللغات ؛ وأنشدنى بعضهم : ٣٤٧

(١) عجزه كما فى اللسان (نبغ ٣٣٦) وسيبويه ٢ : ٢٤
عليه صفيح من تراب موضع *
وفى أمالى ابن الشجرى : « منضد » : وحكى الشنتمرى قافية : « وجندل » .

(كحَلْفةٍ من أبى رياح   يَسمعُها اللهُمَّ الكُبار)

وإنشاد العامّة : يسمعها لاُهه الكبار . اه

وأورده جماعة من النحويِّين ، منهم المرادى فى شرح الألفيّة :

(يسمعها لاهُمَّ الكبار)

على أن فيه شذوذين : أحدها استعماله فى غير النداء لأنه فاعل يسمعها ، والثانى تخفيف ميمه ، وأصلها التشديد .

وقال العسكرىّ فى كتاب التصحيف : روى الأصمعىّ (يسمعها الواحد الكُبار) ، ورواية غيره (لاهه) اه .

قال أبو علىّ ، فى نقض الهاذور : وأما قول من قال لاهُمَّ الكبار ، فالقول فيه : أنه بنى من الاسم والصوت اسماً ، كما بنى التهليل من هلّل ، وبأبأ من بأبى ، ثم صار اسماً كما صارت هذه الأشياء اسما ، وأصله الصوت اه .

والكبار وصفُه . قال ابن عقيل فى شرح التسهيل : ومذهب سيبويه والخليل أن اللهم فى النداء لا يوصف ، لكونه مع الميم كالصوت . وأما « لاهم الكبار » فقيل فيه : لما كان غير منادى وُصِف ؛ وقيل رفع على القطع .

و (أبو رياح) : رجل من بنى ضُبيعة . وهو حصن[١] بن عمرو بن بدر . أبو رياح
وكان قَتل رجلا من بنى سعد بن ثعلبة فسألوه أن يحلف أو يُعطىَ الدية ، فحَلَف ثم قُتِل بعد حَلْفتِه . فضربته العرب مثلاً لما لا يغنى من الحَلِف ؛ قاله ابن دُرَيد فى شرح ديوان الأعشى . وهو بمثناة تحتيّة ، لا بموحَّدة كما زعم شرّاح الشواهد .

(١) فى شرح ثعلب لديوان الأعشى : « حصين » .

قال العسكرىّ فى كتاب التصحيف : « زعم بعض المصحِّفين : أن الإنسان إذا صحّف فى مثل هذا لم يكن ملُوماً . وليس كما قال ؛ وهل العيب واللوم إلاّ على تصحيف الأسماء ! وليس يُعرف فى أسماء العرب فى الجاهلية رباح بباء تحتها نقطة واحدة إلا فى أسماء عَبيدها ، إلا فى اسم رُجلين : أحدهما رباح ابن المغترف بغين معجمة ، وآخر [1] . وأما قول الأعشى : كحَلْفة من أبى رياح ، فهو بياء تحتها نقطتان ؛ من بنى تيم بن ضُبيعة » اه .

و (الكُبار) بضم الكاف وتخفيف الموحدة : صيغة مبالغة الكبير بمعنى العظيم ، وهو صفة (لاهُه) . و (الحَلْفة) بالفتح : المرّة من الحَلِف بمعنى القسم . وقوله : (من أبى رياح) صفةٌ لحلفة : أى كحَلْفةٍ صادرةٍ منه . وروى بدل يسمعها : (يشهدها) ، والضمير للحلفة ، والجملة صفة ثانية لحلفة . وقبله :

(أقسمْتُم حُلفًا جِهاراً : إنْ نحنُ ما عندنا عِرارُ)

وحُلفاً : جمع حالف . وإنْ : مخففة من الثقيلة . وعِرار بكسر المهملة : اسم رجل .

والبيتان من قصيدة للأعشى ميمون ذكر فيها مَن أهلكه الدهر من الجبابرة . ومطلعها :

(ألم ترَوا إرَماً وعاداً أفناهمُ الليلُ والنّهارُ !
وقبلَهمْ غالتِ المنايا طَسْماً فلمْ ينجِها الحِذارُ
وحَلّ بالحىّ من جَديسٍ يومٌ من الشرِّ مُستَطارُ

(١) كذا . ولم يعينه . انظر التصحيف ٣١١

وأهلُ جَوٍّ أتتْ عليهمْ فأفسدتْ عَيْشَهُمْ فبارُوا

فصَبّحتهم من الدّواهى جائحةٌ عُقْبُها الدّمارُ(١)

ومرّ دهرٌ على وَبارٍ فهلكتْ جهرةً وبارُ) ٣٤٨

الرؤية عِلْمّية ، وجملة أفناهم هو المفعول الثانى ؛ لا أنّها بَصريّة ؛ خلافا للعينيّ . وروى « أودىْ بها الليلُ والنهار » ، وهو بمعنى أفناهم . وإرم بكسر الهمزة ، قال البكريّ ، فى معجم ما استعجم : هو أبو عَوْص ، بالصاد وفتح العين ، وعاد : ابن عوص ؛ وإرَم هو ابن سام بن نوح عليه السلام ؛ قال الهمْدانى : نزل جَيرونُ بن سعد بن عادٍ دمشق ، وبنى مدينتها ، فسمِّيت باسمه جَيرون . . قال : وهى إرمُ ذاتُ العماد ، يقال : إن بها أربَعمائة ألف عمود من حجارة . . قال : وإرم ذات العماد المعروفة بتيه أبْيَن ، وبجانب هذا التيه منهل أهل عدَن ، وبتيه أبْـيَن مسكن إرَم بن سام بن نوح ؛ فلذلك يقال : إن إرم ذات العماد فيه .

واختلف أهل التأويل فى معنى إرم فقال بعضهم : إرم : بلدة ؛ وقيل : إنها دِمَشق ؛ وقيل هى الإسكَنْدريّة ؛ وقال مجاهد رحمه الله : إرم : أمّة ، وقال غيره : من عاد . ومعنى ذات العماد على هذا ذات الطول .

وطَسم وجَديس : قبيلتان من عاد كانوا فى الدهر الأوّل فانقرضوا . . وبيان انقراضهم ، كما قال محمد بن حبيب فى كتاب المغتالين(٢) : أنّ ملك

(١) ط : « نائحة » ، وكذا فى ش لكن دون اعجام ، صوابه من الديوان ١٩٤ .

(٢) انظره فى نوادر المخطوطات ٢ : ١١٧ ــ ١١٨

طَسْمَ - عِمْلِيقَ بنَ لاوَذَ[١] بن إرمَ بن سامِ[٢] بن نوح - تعدّى فى الظلم والتجبّر . وأتته يوماً امرأة من جَديس اسمها هزيلة ، وكان زوجها طلّقها وأراد أخذ ولدها منها ، فقالت: أيُّها الملك ، إنّى حملته تِسعاً ، ووضعتُه دَفعاً ، وأرضعتُه شَفعاً ، حتى إذا تمّت أوصاله أراد أن يأخذه كَرْها ، وأن يتركنى من بعده وَرْهاً ! فقال لزوجها : ما حجّتكَ ؟ قال : أيها الملك ، إنّها قد أُعطِيت المهرَ كاملا[٣] ، ولم أُصِبْ منها طائلا ، إلاّ وليداً خاملا ؛ فافعلْ ما كنت فاعلا . فأمر بالغلام أن ينزع منهما جميعاً ويُجعَل فى غلمانه ؛ وقال لهُزيلة : أبغِيه ولَدا ، ولا تنكحى أحداً ؛ أو اجزيه صَفَدا . فقالت هُزيلة : أمَّا النكاح فإنما يكون بالمهر ، وأمَّا السِّفاح فإنما يكون بالقهر ؛ وما لى فيهما من أمر ! فلما سمع عِمليقُ كلامها أمر أن تباع مع زوجها ، فيُعطَى زوجها خُمس ثمنها ، وتعطَى هُزيلة عُشر ثمن زوجها ، ويُستَرَقّا . فأنشأتْ تقول :

أتينا أخا طَسْمٍ لِيَحكُمَ بيننا ... فأنفذ حكما فى هُزَيلةَ ظالما

لعمرى ، لقد حُكّمتَ لا متورِّعا ... ولا كنتَ فيما يُبرِمُ الحكمُ عالما[٤]

فلما سمع عمليقُ كلامها أمر أن لا تُزَوَّج بِكرٌ من جَديسَ فتهدى إلى زوجها إلاّ يفْتَرِعْها[٥] هو قبل زوْجها ، فلقُوا من ذلك جهداً وذلا . فلم يزل على

---

(١) فى النسختين : « لوز » وفى أصل نوادر المخطوطات وابن الأثير ١ : ٢٠٣ : « لوذ » ، صوابهما ما أثبت من الأغانى ١٠ : ٤٥ والاشتقاق ٨٣ ونهاية الأرب ١ : ٢٩٢ فهو المطابق للترجمة العربية ، وان كان أصله فى العبرية « لُود » بضم اللام وآخره دال مهملة . انظر التكوين ١٠ : ٢٢ .

(٢) الصواب أن لاوذ أخو ارم لا ابنه ، كما فى سفر التكوين .

(٣) الذى فى الأغانى عن ابن حبيب عن ابن الاعرابى ١٠ : ٤٦ : « انى قد أعطيتها المهر كاملا » .

(٤) وكذا فى الأغانى . وفى كتاب ابن حبيب : « فيما تبرم الحكم » .

(٥) كذا فى النسختين . وفى كتاب ابن حبيب : « الا يؤتى بها عمليق فيفترعها » .

هذا أربعين سنة حتّى زُوجت الشّموس عميرة بنت غفار الجديسيّة[١] أخت الأسود (الذى وقع إلى جبلى طيّ وسكنوا الجبلين بعده[٢]) فلما أرادوا أن يُهدوها إلى زوجها ، انطلقوا بها إلى عمليقٍ لينالَها قبله ، ومعها القينات يغنين ويقلن :

ابْدى بعِمْليقٍ ، وقُومى واركَبي ! وبادرى الصبْحَ لأمرٍ مُعجِبِ[٣]
فسوفَ تَلْقَيْنَ الذى لم تطلُبي ! وما لِبِكر عنده مِنَ مَهْرَب !

فلما أدخلت عليه افترعَها ، وخلّى سبيلها . فخرجت إلى قومها فى دمائها شاقّة دِرعَها عن قُبُلها ودُبرها ! وهى تقول :

٣٤٩ لا أحدٌ أذلَّ من جَديسِ أهكذا يُفعَل بالعروس !
يرضىٰ بهذا ، يالقومى . حرٌّ ! أهدى وقدأعطى وسِيقَ المَهْرُ[٤]
لأخذُه الموتَ كذا لنفسِهِ[٥] خيرٌ مِنَ أن يُفعَل ذا بعِرسِهِ

وقالتْ تحرِّض قومَها :

أيصلُحُ ما يُؤتىٰ إلى فتَياتِكم وأنتمْ رجالٌ فيكم عددُ النمل ؟[٦]
وتُصبح تَمشى فى الدّماء صبيحة شَميسة زُفّتْ فى النساء إلى البعْل[٧]

---

(١) فى كتاب ابن حبيب : « عفيرة بنت عفار » . وفى الأغانى : « عفيرة بنت عباد » .
(٢) فى الأغانى ١٠ : ٤٦ : « الذى دفع الى جبل طىء فقتله طىء وسكنوا الجبلين من بعده » .
(٣) فى كتاب ابن حبيب : «بأمر معجب» وكذا فى المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ ٢١٤
(٤) فى محاسن الجاحظ : « من بعد ماأهدى وسيق المهر
(٥) فى المحاسن : « لأن يلاقى المرء موت نفسه »
(٦) المحاسن : « وأنتم رجال كثرة عدد الرمل
(٧) فى كتاب ابن حبيب : « عشية زفت » . وفى الأغانى :
وتصبح تمشى فى الرعاء عفيرة عفيرة زفت فى النساء الى بعـــل

فإن أنتمُ لم تَغضَبوا بعد هذه
فكُونوا نساء لا تَغِبُّ عن الكحل(١)

ودونكمُ طيبَ العَروسِ ، فإنّما
خُلِقتُمْ لأثواب العَروس وللغَسْل(٢)

فلو أنّنا كنّا رجالاً وأنتم نساء ، لكنّا لا نقيم على الذلّ(٣)

فبُعداً وسُحقاً للذى ليس دافعاً ويختالُ : يمشى بيننا مِشْيةَ الفحْل(٤)

فموتوا كراما أو أميتوا عدوّكم ودنوا لنارالحرب بالحَطب الجَزْل(٥)

فلما سمع قولَها أخوها الأسود — وكان سيّداً مطواعاً — قال لقومه : يا معشر جَديس ، إنّ هؤلاء القومَ ليسوا بأعزّ منكم فى داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا [وعليهم(٦)] وأنتم أذلُّ من النيبِ ، فأطيعونى يكنْ لكم عزُّ الدهر ، وذهابُ ذلّ العمر . فقالوا : نطيعك ، ولكنّ القومَ أكثر منّا وأقوى . قال : فإنى أصنعُ للملِك طعاماً ثم أدعوهم إليه ، فإذا جاءوا يرفُلون فى حللهم مشَينا إليهم بالسيوف فقتلناهم ، وأنا أنفرد بعمليق ، وينفردُ كلُّ واحد منكم بجليسه ! فاتخذ الأسوَد طعاماً كثيراً ، وأمر القوم فاخترطوا سيوفَهم ودفنوها فى الرمل ، ودعا القوم فجاءوا ، حتّى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديَهم إلى الطعام ، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم ، فشدّ الأسود على

(١) كذا (ش) وفى ط : « من الحل » ، وفى كتاب ابن حبيب : «من الكحل » ، وفى الأغانى : « لا تعاب من الكحل .
(٢) وكذا فى كتاب ابن حبيب ، وفى الأغانى : « وللنسل » .
(٣) فى الأغانى : « وأنتم نساء »
(٤) ط : « ليس رافعا » ، صوابه للشنقيطى فى نسخته والأغانى
(٥) وابن حبيب والأغانى : « ودبوا » بالباء .
(٦) التكملة من ابن حبيب والأغانى .

عِمليق ، وكلٌ رجل على جليسه . فلما فرغوا من قتل الأشراف شدّوا على السِفْلة فأفنوهم ، ونجا بعضُ طسم ، فاستغاث بحسّان بن تبّع ، فغزا حسّان جديساً فقتلها وأخرب ديارهم وتفانى الحيان فلم يبق منهم أحد .

وَجَوّ بفتح الجيم وتشديد الواو ، وهى منازل طسْم وجديس ، وكان هذا الاسم فى الجاهليّة حتّي سمّاها الحِميَرىُّ لما قتَلَ المرأةَ التى تسمّى اليمامة باسمها وقال الملك الحميرىّ :

وقُلْنا وسمّوها اليمـامةَ باسمها   وسرنا وقلنـا لا نريد إقامة

والعُقْب ، بضم العين وسكون القاف : العاقبة . والدمار : الهلاك . وقوله : ومرَّ دهر على وبار . . الخ ، هذا البيت من شواهد النحويِّين(١) ، وأوّل من استشهد به سيبوَيه : على أن وبار رفع ، والمطرد فيما كان آخره راء من وزن فَعالِ أن يبنى على الكسر فى لغة الحجاز . وأورده شُرّاح الألفيّة شاهداً على ورود وَبار على اللغتين : إحداهما البناء على الكسر ، والثانية إعرابها إعرابَ مالا ينصرف .وزعم أبو حيّان : أنه يحتمل أن يكون وبارُ الثانى فعلاً ماضياً مسنداً إلى الواو . قال الأعلم : « وبار : اسم أمّة قديمة من العرب العاربة هلكت وانقطعت كهلاك عاد وثمود » .

وقال البكرىّ فى معجم ما استعجم : « قال أبو عمرو : وبار بالدهناء ، بلاد بها إبل حُوشيَّة ، وبها نخلٌ كثيرٌ لا يأبرُه أحدٌ ولا يَجُدُّه ؛ وزعم أنّ ٣٥٠
رجلاً وقع إلى تلك الأرض ، فإذا تلك الإبل تَرِدُ عَيناً وتأكل من ذلك التمر ، فركب فحلاً منها ووجّهه قِبَلَ أهله ، فاتبعته تلك الأبل الحُوشِيّة فذهب إلى أهله . وقال الخليل : وبار كانت مَحَلَّة عاد ، وهى بين اليمن ورمال يَبرِين ؛

(١) انظر ابن يعيش ٤ : ٦٤ والعينى ٤ : ٣٥٨ والهمع ١ : ٢٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١١٥ .

فلما أهلك الله عاداً ورِثَ محلّتهم الجن ، فلا يتقارُّبها أحدٌ من الناس[١] ، وهى الأرض التى ذكرها الله تعالى فى قوله : (واتّقُوا الذى أمَدَّكُمْ بمـا تَعلَمُونَ . أمَدَّكُمْ بأنْعامٍ وبَنِينَ ، وجَنّاتٍ وعُيُونٍ[٢]) . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصِلّى : كان من شأن دُعَيمِيص الرمل العبدىّ ، الذى يضرب به المثل فيقال : أهدى من دُعَيمِيص الرمل[٣] ، إنه لم يك أحدٌ دخل أرض وَبار غيره ، فوقف بالموسم بعد انصرافه من وَبار ، وجعل يُنشِد :

مَنْ يُعْطِنِى تسعاً وتسعين نعجةً   هِجاناً وأُدْماً أهدِهِ لوَبارِ[٤]

فلم يجبْه أحدٌ من أهل الموسم إلاّ رجل من مَهَرة[٥] ، فإنه أعطاه ماسأل، وتحمّلَ معه فى جماعة من قومه بأهلهم وأموالهم ، فلمـا توسّطوا الرملَ طَمَست الجنّ بصرَ دُعيمِيص ، واعترته الصَّرْفة فهلَك هو ومَن معه جميعا .

وترجمة الأعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين[٦] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائة[٧] :

---

(١) يقال ما يتقار فى مكانه ، أى ما يستقر .

(٢) الآية ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة الشعراء .

(٣) الميدانى ٢ : ٣٣٠ والعسكرى ٢١٢ وثمار القلوب ٨١ والأزمنة والأمكنة ٢/٢١٥

(٤) وكذا فى معجم ما استعجم ١٣٦٦ . وجعلها الشنقيطى « وتسعين لقحة » . وفى ط : « أهدها » صوابه فى ش والمعجم .

(٥) قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون . هكذا يرويه عامة الناس . والصحيح مهرة بالتحريك . وجدته بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لايختلفون فيه » . وانظر بقية كلامه

(٦) الجزء الأول ص ١٧٥ .

(٧) الحماسة ٣٧٨ بشرح المرزوقى

١٢٦ (مَعاذَ الإلَهِ أنْ تكونَ كظَبْيَةٍ ولا دُميةٍ ولاعَقيلةِ رَبْرَبِ)

على أن (أل) فى (الله) بدل من همزة إلَه ، فلا يجمع بينهما إلا قليلا : كما فى هذا البيت .

وهذا البيت من أبيات عشرة للبَعيث بن حريث ، أوردها أبو تمّام فى الحماسة . وأوّلها :

أبيات الشاهد

(خَيالٌ لأمّ السلسبيل ، ودُونَها مسيرة شهرٍ للبَريد المذَبِّب

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا ، فرَدَّ بتأهيلٍ وسهل ومرحبِ

مَعاذَ الإلَه أن تكونَ كظبيةٍ . . . . البيت

ولكنّها زادتْ على الحُسْنِ كلّه كمالاً ، ومِن طيب على كلّ طيِّب)

خَيال : مبتدأ خبرُه محذوف ، أى خيالها أتانى وبينى وبينها مسيرة شهر للبريد المسرِع ، والخيال يذكّر ويؤنّث ، ونكّره لأنه رآه على هيئات مختلفة ، فاعتقدأنه عِدّةُ خيالات قصدإلى واحدٍ منها . وأمُّ السلسبيل : امرأة ، ولو كان فى شعر مولّد لجاز أن يعنى بالسَّلسبيل الريقَ ، على وجه التشبيه . والبريد : الدابة المركوبة ، معرَّب دُمْ بُرِيدَه(١) ، أى محذوفة الذنَب ، فإن الرسُل كانت تركب البغالَ المحذوفة الذنَب ، ويطلق على الرَّسول أيضا ، لركوبه إياها. والمذبِّب : اسم فاعل ، مِن ذبّب فى سيره ، أى جدّ وأسرع ، بذال معجمة والباء الأولى مشدّدة . ورُوى (المدئّب) مِن دأَب يدْأب بالهمزة : إذا جدّ وتعب . وهاتان الروايتان للآمدى فى المؤتلف والمختلف . وروىْ شُرّاح الحماسة : (المذبذَب) قال التبريزىّ : هو الذى لا يستقرّ ، وقال الطبرسىّ : المذبذب والمذبب ، الأصل فيهما يرجع إلى الطرد والاستعجال ، والمسرع المستعجل يتذبذب أى يضطرب .

(١) معجم استينجاس ٥٣٥ ، ومعناه المبتور المقطوع .

وقوله : فقلت له ـ وروى « لها » ـ أى للخيال فيهما . وأهلا منصوب بفعل مضمر ، أى أتيتَ أهلا لا غرباء . والتأهيل : مصدر أهّلته : إذا قلتَ له أهلا . وقوله « معاذ الإله » منصوب على المصدر أى أعوذ بالله مَعاذاً . ٣٥١
وكأنّه أنِف وتبرّأ من أن تكون هذه المرأة فى الحسن بحيث تشبَّه بالظبية ، أو الصورة المنقوشة ، أو بكريمة من بقر الوحش . والدُّمْية بالضم : الصورة من العاج ونحوه ؛ قال أبو العلاء : سُمّيتْ دُمية لأنها كانت أولا تُصوَّر بالحمرة ، فكأنها أُخِذت من الدمٌ . والعطف من قَبيل : « أبىَ اللهُ أن أسمُو بأمٍّ ولا أبِ » ، لما اشتمل المتقدّم على معنى النفى ، كأنه قال : لا أشبِّهها بظبية ولا دُمية ؛ تعوَّذَبالله من تشبيه خليلته بأحد هذه الثلاثة كما يشبِّه الشعراء بها . وعقيلة كلِّ شىء : أكرمه . والرَّبْرَب : القَطيع من بقر الوحش .

وقوله : ولكنها زادت . . الخ ، بيَّن به لِمَ أنكر تشبيهها بغيرها . وكمالاً : تمييز ؛ أى يزيد حسنها على كلّ حسنْ كمالاً ؛ لأنه لا حُسْنَ إلاّ وفيه نقص ، سوى حُسنها ؛ وكذلك كلّ طِيب يتخلّله حطيطة إلاّ طِيبها(١). وقوله : من طِيب قال التبريزىّ : أى وزادت من طِيبها على كل طيّب طِيباً . وقال الطبرسى : ولما كان كمالاً تمييزاً ، دخله معنى مِن ، فحسُن أن يقول : ومن طِيب . ورأيت فى بعض شروح الحماسة : أراد : زادت بحسنها كمالاً على كلّ حسَن ؛ فحذف للعلم به ، لأنك لا تقول للحسْن : هو أكمل من الحسَن ، لاختلاف الجنس ، لأن الحسْن عرَض والحسَن جسم .

البعيث و (البَعيث) قال الآمدىّ : « هو البَعيث بن حُريث بن جابر بن سُرَىَ

(١) الحطيطة : النقص ، وأصله مايحط من جملة الحساب فينقص منه المعجم الوسيط .

ابن مسلمة بن عُبيد بن ثعلبة(١) بن يربوع بن ثعلبه بن الدُّول بن حنيفة ابن لُجيم . . شاعر محسنٌ. وهو القائل :

خيالٌ لأم السلسبيل ودونها . . البيت

وهى أبيات جياد مختارَة . ا هـ

و (البَعيث) بفتح الموحدة وكسر العين المهملة ، قال ابن جنّي : « هو اسم مرتجل للعلميّة ، ويمكن أن يكون صفة منقولة فيكون فعيل فى معنى مفعول » . وقال أبو رياش : « ابن حُريث هذا ، ليس بصاحب القبّة بصفّين » . وحُريث بالتصغير وسُرَىّ وعُبيد كذلك . والدُّول ، بضم الدال وسكون الواو . ولُجيم ، قال أبو العلاء : يجوز أن يكون تصغير ترخيم للجم أو لجام ، أو تصغير لُجَم ، بضم ففتح ، واللُّجَم : دوَيْبة يُتشاءم بها ، وتُوصف بالعُطاس ، قال الراجز :

أغدُو فلا أحاذرُ الشَّكيسا ولا أخاف اللُّجَمَ العطُوسا(٢)

وذكر الآمدىّ شاعرَين آخَرين يقال لهما (البَعيث) أحدهما المجاشعىّ ؛ واسمه خِداش ، وهذا شاعر مشهور دخل بين جرير وغسّان السَليطىّ وأعان غسّان ، فنشِبَ الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق وسقط البَعيث . والثانى : البَعيث التَّغلَبىّ ، بمثنّاة فمعجمة ، وهو بَعيث بن رِزام ، وكان يهاجى زُرعة ابن عبد الرحمن . وقال القَطامىّ :

إنَّ رِزاماً غرَّها قِرْزامُها(٣) قُلْفٌ على أزبابها كِمامُها

(١) التبريزى فى شرح الحماسة « بن سلمه بن عبد بن ثعلبه » .
(٢) ط واللسان (لجم) : « العاطوسا » مع نسبته فى اللسان الى رؤبة برواية « ولا أحب » بدل « ولا أخاف » .
(٣) فى النسختين : « فرزامها » صوابه فى المؤتلف ٥٧ ومما سبق فى ١ : ٢٢٠ بولاق والقاموس (قرزم)

القِرْزام : الشاعر الدُّون ، يقال هو يُقرزم الشِعر(١) . وإنما يعنى بَعيث بنى رِزام . ومنه يُعلم أنَّ بَعيث بنى رزام إسلامىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائة(٢) :

١٢٧ (إنَّ المنايا يطَّلِعْنَ على الأُناسِ الآمنينــا)

على أن اجتماع أل والهمزة فى (الأُناس) لا يكون إلاّ فى الشعر ، والقياس الناس ، فإنّ أصلَه أناس ، فحذفت الهمزة وعوِّض عنها أل ، إلاّ أنها ليست لازمة ، إذ يقال فى السَّعةَ ناس .

أقول : هذا يدلّ على أن أل فى البيت ليست عوضاً من الهمزة ،
٣٥٢ إذ لو كانت عوضاً لم يجزْ أن يقال ناس : من غير همزة ولا أل ، إذ لا يجوز الخلوّ عن العوض والمعوَّض عنه . وما ذكره ـ مِن كونه عوضاً مِن الهمزة ـ هو مذهب سيبويه ، وتبعه الزمخشرىّ والقاضِى(٣) وغيرُهما .

وذهب أبو علىّ الفارسىّ فى الأغفال (وهو كتاب ذكر فيه ما أغفله شيخه أبو إسحاق الزّجاج) . أنّ أل ليست عوضاً من همزة أناس .

وقد عزا إليه السيِّد فى حاشية الكشاف خلافَ هذا فقال : « وتوهَّم أبو علىّ فى الأغفال أنّ اللام فى الناس أيضاً عوض ، إذ لا يجتمعان فى الأُناس إلاّ ضرورة . ورُدّ بكثرة استعمال ناس منكَّراً دونَ إله ، وبامتناع يا الناس دون يا الله » . انتهى .

(١) فى النسختين : « الفرزام ... » ، و « يفرزم الشعر » صوابه فى المؤتلف وما سبق

(٢) انظر أيضا أمالى ابن الشجرى ١ : ١٢٤/٢: ١٢ والخصائص ٣: ١٥١ وابن يعيش ٢: ٩/٥ : ١٢١ وشرح شواهد الشافية ٢٩٦ ومجالس العلماء ٧٠

(٣) يعنى القاضى البيضاوى صاحب التفسير

فقد انعكس النقل عليه من هذا الكتاب ! مع أنّه قد ردّ عليه ابن خالويه فيما كتبه على الأغفال ، وتعقّبه أبو على فيما كتبه ثانياً (وهو ردّ على ابن خالويه ، وسمّاه نقض الهاذور) ، وبسط الكلام فيه كل البسط . وأنا أورده مختصراً لتقف على حقيقة الحال . وهذه عبارته :

« ثم ذكر هذَراً ليس من حُكمه أن نتشاغل به ، وإن كان جميعُ ما هذَر به غيرَ خارج من هذا الحكم . . ثم حكىٰ قولَنا وهو : فإن قال قائل : أوَ ليس قد حُذفت الهمزة من الناس كما حذفت من هذا الاسم حذفاً ! فهل تقول : إنها عوض منها كما أن اللام عوض من الهمزة المحذوفة فى اسم الله . . إلى آخر الفصل فقال المعترِض : أمّا ادّعاؤه أنّ أل ليست عوضاً من الهمزة فى أناس كما كانت فى هذا الاسم فليس على ما ذكر . . فلم يزد على الإنكار والادّعاء ؛ لتركنا طريقةَ سيبويه وحَمْلَ كلامِه المطلَقِ على المقيَّد المخصوص ؛ وتَظَنِّي المعترِض أن الهمزة سقطت منهما على حدٍّ واحد ، وأنّ أل فى الناس عوض من حذف الهمزة كما كان ذلك فى اسم الله ، تَظَنٍّ على عكسِ ما الأمرُ عليه : وذلك أن قول سيبويه : « ومثل ذلك أناس ، فإذا أدخلتَ الألف واللام عليه قلتَ الناس » ليس يدلّ قولُه : ومثل [ذلك] أناس ، أنّ التماثل بينهما يقع على جميعِ ما الاسمانِ عليه ؛ إنمـا يدلّ على أن المماثلة تقع على شىء واحد . ألا ترىٰ أنّ مِثْـلا إذا أضيف إلى معرفة جاز أن يوصف به النكرة ؟ لأنّ ما يتشابهان به كثير ، وإنمـا يتشابهان فى شىء من أشياء . ومِن ثَمّ كان نكرة ، وكان هذا الأغلب . ولو كان التشابه يقع بينهما فى كلّ ما يمكن أن يتشابها به لكان مخصوصاً غيرَ مبهَم ، ومحصوراً غير شائع . وفى أنّ الأمر بخلاف هذا ، دلالةٌ على أنّ الظاهر [من] كلام سيبويه ليس على ما قدّره هذا المعترض ، يدلّ على ذلك ما ذهب إليه أهل العلم فى قوله تعالى : ﴿ فَجَزَاءٌ

مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ[1] ﴾ فقال قائلون : جَزاء مثلُ ما قتل فى القيمة ، وقال قائلون : جزاءُ مثلُه فى الصورة ، ولم يذهب أحد — فيما علمناه — إلى أن المعنى جزاءُ مثلُ ما قتل فى القيمة والصورة جميعاً . فكذلك قول سيبويه : « ومثل ذلك أُناس » ، إنما يريد مثلَه فى حذف الفاء فى ظاهر الأمر لو لم تدلَّ دَلالةٌ على أن قولهم الناس ، ليس كاسم الله : فى كون الألف واللام عوضاً من الهمزة المحذوفة . فكيف وقد قامت الأدلّة على أن قولهم الناس : قد فارق ما عليه هذا الاسم فى باب العوض — على ما سنذكره إنْ شاء الله — وإذا كان الأمر فى إضافة مثلٍ ما قلنا ، تبيّن أن هذا المعترِض لم يعرف قولَ سيبويه . وليس فى لفظ سيبويه شىء يدلّ على أن الهمزة فى أناس مثلَ الهمزة ٣٥٣
فى الاسم الآخر : فى أنّه عُوِّض منها شىء كما عُوِّض هناك . ويبيِّن ذلك : أنه حيث أراد أن يُرِىَ النظائرَ فى العوض أفرَد ذكر الاسم فقال : وهى فى إلٰه بمنزلة شىء غير منفصل من الكلمة ، كما كانت الميم فى اللهم غير منفصلة ، وكما كانت التاء فى الجحاجحةِ والألفُ فى يمان وأختيها بدلا من الياء . فأما الدلالة على أنّ حرف التعريف ليس بعوض ، فهى أن الألف واللام تدخل مع الهمزة فى نحو ما أنشده أبو عثمان عن أبى عمرو :

إنّ المنـايا يطّلعْـ ـنَ على الأُناس الآمنينا

وأنّ الأناس وأناس فى المعنى واحد ، إلاّ فيما أحدثَ حرفُ التعريف من التعريف . وقد جاء فى كلامهم ناسٌ وأناس . فمن يقول أناس يقول الأناس ، ومن يقول ناس يقول الناس . وأنشد محمّد بن يزيد :

وناس من سَراة بنى سُليم وناس من بنى سعد بن بكر

(١) الآية ٩٥ من سورة المائدة

ومما يغلِّب أنّ هذه الهمزةَ لا يلزم أن يكون منها عوض ، أنّ من يردّ الأصولَ المحذوفة فى التحقير ومَن لا يردّ ، اتفقوا عندنا جميعا على أنْ حقَّروا أناساً : نُويسا . فدلّ ترك ردِّ الأصل فى التحقير ممن يردّ ، على أنّ هذا الحذف[1] قد صار عندهم كالحذف اللازم فى أكثر الأمر ، نحو : حاشَ لله ، ونحو لا أدْرِ . وما كان من الحذف عندهم هكذا ، يبعد أن يعوّض منه ، وقد كان أولىٰ من التعويض ردُّ ما هو منه إليه ، فلما لم يقولوا أنيّس عند سيبويه ، فى تحقير ناس ، ولا عند يونس وأبى عثمان ، كان أن لا يعوَّض منه أولىٰ .

ومما يبيِّن حسْنَ الحذف منه وسهولتَه : أنه جمع ، والجموع قد تخفَّف بما لا يخفَّف الآحاد به ، ألا ترى أنّهم قالوا: عِصِىّ ودُلِىّ ، فأجمعوا على القلب فى هذا النحو ! وكذلك نحو بِيض ، فكما خفّفوا هذا النحو من الجمع ، كذلك قولهم أناس — بالحذف — منه . . ويدلّك على أنه جمع : أنّهم قالوا فى الإضافة إلى أناس : إنسانىّ ، كما قالوا فى الإضافة إلى الجميع[2] : جمعىّ . فعلمتَ أنّ أُناساً فى جمع إنسان ، كتُؤام فى جمع توأم ، وبُراء فى جمع برىء ، ورُخَال وظُؤار وثُناء ، ونحوِ ذلك . فكما أجروه مُجرىٰ الجمع فى هذا ، كذلك أجروه مجراه فى الحذف منه ، كما خفّفوا ما ذكرنا بالقلب فيه .

ومما يغلّب أن قولنا الناس على الحذاء الذى ذكرنا من التخفيف بالحذف ، أنّ ما فى التنزيل من هذا النحوِ عليه ، نحو : (الذينَ قالَ لهمُ الناسُ إنّ الناسَ قدْ جَمَعُوا لَكُمْ[3]) ونحو : (أعوذُ بِرَبِّ الناسِ . مَلِكِ الناس)

(١) ط : « الحرف » صوابه فى ش

(٢) ش : « الى الجمع » ، تحريف

(٣) الآية ١٧٣ من سورة آل عمران

فهذا إنّما أدغم لام المعنى فى النون على حدّ ما أدغم فى : النشر ، والنشز ، والنعمان ، لا على حدّ تقدير الهمزة فيه وتخفيفها . ألا ترى أنّه لو كان على تقدير أناس لم يدغم ؛ لأن الحرفين ليسا مثلين كما كانا مثلين فى الاسم الآخر ، إنّما هما متقاربان ، والأكثر فى المتقاربين إذا تحرّك الأوّل منهما فالأقيس أن لا يدغم الأوّل فى الثانى كما يدغم المِثْلان . وذلك : أنّ مباينة الحرفين فى المخرج إذا انضم إليها الحركة قويا على منع الإدغام ، فامتنع كما يمتنع لحجز الحرف بينهما ، وليس كذلك المِثْلانِ إذا حَجزت بينهما الحركة ، لأن الحركة أقلّ وأيسر فى الصوت من الحرف ، فلم يبلغ من قوّتها أن تحجُز بين المثلين ؛ ٣٥٤
ويمنع الإدغام كما يمنع منه فى أكثر الأمر إذا انضم إلى الحركة الاختلاف فى مَخرجى الحرف .

وأما قول صاحب المأخُوذ : والدليل على صحّة ذلك ، وأن هذا هو الذى ذهب إليه سيبويه وإن كان عنده عوضاً فى هذا الموضع أيضا : أنّه تعاطىٰ الفرق بينهما . . فتعاطيه الفرقَ بينهما لا يدلّ أنْ كان تعاطىٰ على اتفاقهما عنده ، وليس لنَسخِه كلامَ سيبويه فى جملة المأخَذ فائدة ، ولا معنى لاحتجاج مَن احتجَّ بشىء لا يعرِفه ولا يفهَمه ، وإنما وكْده فى غالب رأينا بتسويد الورَق وإفساده .

وأما تفسير المعترض لقولنا انهما لو كانتا ههنا عوضاً كما[1] هما فى هذا الاسم لفُعل بهما ما فُعل بالهمزة فى اسم الله . فإنْ عنىٰ به[2] أنّهما كانتا تلزمان ثم كانت الألف تنقطع فى النداء ، فليس على ما قدّر ، ولكن المراد به :

---

(١) فى النسختين : « عما » ، والوجه ما أثبت

(٢) ش : « فانى أعنى به » .

أن الألف واللام فى الاسمين لو كانا على حدٍّ واحد ، لكان الناس إذا سقط منه حرف التعريف — لا يدلّ على ما كان يدلّ عليه والحرفُ لاحقٌ به ، كما أنه فى اسم الله إذا خرج منه لا يدلّ على ما يدلّ عليه وهو فيه .

وأما قوله حاكياً لكلامنا : فأما استدلاله على أنهما فى الناس غيرعوض بقول الشاعر : « على الأُناسِ الآمنينا » وأنه لو كان عوضا لم يكنْ لِيجتمع مع المعوَّض منه ، فهذا يلزمه بعينه فيما ذهب إليه فى اسم الله . وذلك أنه يقال له : ألستَ تقول الإِلَه ، فتُدخلَ الألفَ واللام على إلَه ولا تحذفَ الهمزة مع دخولها . . إلى آخر الهذَر . أقول : ليس الأمر كما تظنّاه هذا العامىّ المريض ، لِماَ ذكر سعيد عن قَتادة فى قوله تعالى : (هلْ تَعلَمُ لهُ سَمِيّا(١)) : لا سمىّ لله ولا عدْل له ، كلٌّ خلْقِه مقرٌّ له ومعترف له أنّه خالقه . ثم يقرأ : (ولئِنْ سألتَهمْ مَنْ خلَقَهمْ ليَقولُنّ اللهُ(٢)) فالاسم الذى لا سمىّ للقديم سبحانه وتعالى فيه ، لا يخلو من أن يكون اللهَ أو الرحمنَ ، فلا يجوز أن يكون الرحمنَ ، لأنّه وإن كان اسماً من أسماء الله فقد تُسُمِّى به ، وقد قالوا لمسيلمة : رَحمان ، وقالوا أيضاً فيه : رحمان اليمامة ، وذكر بعض الرواة : أنهم لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن قالت قريش : أتدرون ما الرحمن ؟ هو كاهن اليمامة ! فهذا يدلّ على أنّهم كانوا لا يحظُرُون التسمية به . فإذا كان قد سمِّى به ، ثبت أن الاسم الذى لا سمىَّ له فيه هو « الله » وهذا الاسم إنما يكون بهذا الوصف إذا لزمه الألف واللام ، فأما إذا أُخرجا منه وأُلحقَ الهمزةَ فقيل : إلَه والإِلَه ، فليس على حدِّ قولهم « الله » فى الاستعمال

(١) الآية ٦٥ من سورة مريم
(٢) الآية ٨٧ من سورة الزخرف

ولا فى المعنى ، ألا ترى أنه إذا قال إله صار مشتركا غير مخصوص وجاز فيه الجمع!
وأما فى المعنى: فإنه يعمل عملَ الفعل كقوله تعالى : (وهُوَ الذى فى السماءِ(١)
إلَه) الظرف يتعلق بما فى إلَه من معنى الفعل ، وإذا دخلته الألف واللام لم
يعمل هذا الحد لخروجه عن حد المصادر . فإن قلتَ : (وهُوَ اللهُ فى السماواتِ
وفى الأرض يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ(٢)) فإنّ الظرف لا يتعلّق بالاسم على
حدّ ما تعلق بإلَه إلا على حد ما أذكره لك : وهو أن الاسم لما عرف منه
معنى التدبير للأشياء والحفظ لها وتصوّرها(٣) فى نحو : (إنّ اللهَ يُمسِكَ
السَمٰواتِ والأرضَ أنْ تزُولا(٤)) صار إذا ذُكِر كأنه قد ذُكِر المدبِّر
٣٥٥ والحافظ المثبِّت ، فيجوز أن يتعلّق الظرف بهذا المعنى الذى دلّ عليه الاسمُ
بعد أن صار مخصوصاً ، وفى أحكام الأسماءِ الأعلام التى لا معنى فعلٍ فيها ، فبهذا
يتعلّق الظرف . وعلى هذا تقول : هو حاتمٌ جواداً ، وزهيرٌ شاعرًا ، فتعلّق
الحال بما دخل فى هذه الأسماء من معنى الفعل ، لاشتهارها بهذه المعانى ،
ولولا ذلك لم يجز . فإذا كان كذلك ، علمتَ أن هذا الاسم إذا أخرجتَ منه
الألف واللام فقلتَ إلَه لم يكن على حدِّ قولنا الله ، وليس كذلك الناس والأُناس ،
لأنّ المعنى فى كلا الحالين فيه واحد ، ألا ترىٰ أنه اسم العين لا مناسبة بينه وبين
الفعل ! وهذا الذى عناه سيبويه عندنا بقوله : وذلك أنّه من قِبَل أنه اسمٌ
يلزمه الألف واللام لا يفارقانه ، فصار كأنّ الألف واللام فيه بمنزلة الألف
واللام اللتين من نفس الحرف . وليس فى الناس والأُناس كذلك ، ألا ترى
أنك إذا أخرجتهما من الاسم دلّ على أنّ الأعيان التى يدلّ عليها حسبما يدلّ

(١) الآية ٨٤ من سورة الزخرف
(٢) الآية ٣ من سورة الأنعام
(٣) كذا فى النسختين .
(٤) الآية ٤١ من سورة فاطر

عليها وهما فيه ، وليس فى اسم الله كذلك ؛ فإذا كان الأمر فيه على ما ذكرناه، وضحَ الفصلُ بين الاسمين إذا أخرج منهما الألف واللام . مما وصفنا لم يكن إخراج الألف واللام من اسم الله سبحانه كإخراجه من الناس حذوَ القُذّةِ بالقُذّة . انتهى كلام أبى علّى . وقد حذفنا منه مقدار ما أثبتْنا ، وسقنا هذا الـكلامَ بطُوله لـكثرة فوائده .

واعلم أنهم اختلفوا فى (ناس) فقال الجمهور : أصله أناس ، فقيل : جمع إنسان ، وقيل : اسم جمع له . وقال الـكسائىّ : هو اسم تامّ وعينه واو ، من ناس ينوس إذا تحرّك . وعلى هذا فإطلاقه على الجن واضح ، قال فى القاموس: « والناس يكون من الإنس والجن » إلاّ أن قوله أصلُه أناس ، مع جعلِه من مادة (نوس) غير صحيح ، وصرّح به جماعة من أهل اللغة ، فإن العرب تقول : ناسٌ من الجنّ ، وفى الحديث « جاء قومٌ فوقفوا . فقيل : مَن أنتم ؟ قالوا : ناس من الجن » ولذا جوّز بعضهم فى قوله تعالى : (منَ الجِنّة والنّاسِ) أن يكون بياناً للناس . وقيل : أصله (نَسِيٌ) من النّسيان، فقدمت اللام على العين وقلبت ألفا ، فصار ناساً .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات لذى جدَن الحِميرىّ الملك ، كما فى كتاب المعمّرين لأبى حاتم السجستانى(١) ، قال : عاش ثلثمائة سنة ، وقال فى ذلك :

لـكلِّ جنبٍ اجتنيْ مُضطجَعْ(٢) والموتُ لا ينفعُ منه الجزعْ
اليوم تُجزَوْنَ بأعمالـكمْ كلُّ امرئٍ يحصُدُ مما زَرَعْ(٣)

---

(١) المعمرين ٣٣ ــ ٣٤ . والأبيات ٢٦ بيتا فى الجمهرة ١٣٧ ــ ١٣٨

(٢) فى النسختين : « مضجع » صوابه من المعمرين وجمهرة أشعار العرب ١٣٧ . وقد طبعت نسخة ليدن من المعمرين ــ وهى أصل طبعة مصر ــ من نسخة البغدادى

(٣) فى النسختين : « مما يزرع » صوابه من المعمرين والجمهرة . وفى الجمهرة : « ماقد زرع » .

لو كان شىء مفلِتاً حتفه أفلت منه فى الجبال الصدَّع

وقال أيضاً :

أبيات الشاهد

(يا اِجتَنِيْ مهلاً ذَرِينا أفى سِفاءٍ تعذُلينا[1]
يا اِجتَنِيْ تَستَعْتِبينا فلا وربِّك تُعتَبِينا
يومٌ يغيِّر ذا النَّعيم وتارةً يشفى الحزينا
إنّ المنايا يطّلعن على الأُناس الآمنينا
فيدَعْنَهم شتّى ، وقد كانوا جَميعاً وافرِينا)

٣٥٦ فقوله : اجتنى ، اسم امرأة ، منقول من الفعل الماضى من اجتنى الثمرة ، وهو منادَى بحرف النداء المحذوف . ومُفلِتا:اسم فاعل من أفلتَه : إذا أطلقه . والصَّدَّع بفتح الصاد والدال : الوعِل . والسِّفاء ، بكسر السين المهملة : مصدر سافاه مسافاة وسِفاء : إذا سافهه . واستعتب : طلبَ الإعتاب ، والإعتاب : مصدر أعتبه : إذا أزال عتابه وشكواه ، فالهمزة للسلب. وعتَب عليه من باب ضرب وقتل : إذا لامه فى تسخّط . والعتاب : مصدر عاتبه . وقوله : تُعتَبينا هو جواب القسَم[2] بتقدير لا النافية ، كقوله تعالى : (تاللهِ تفتَؤُ تذْكُرُ يُوسُفَ[3]) وهذا بالبناء للمجهول . وقوله : يومٌ ، أى للدهر يومٌ يغيِّر صاحبَ النعيم نعيمَه . ويشفى بالفاء . والمنايا : جمع مَنيَّة ، وهى الموت . ويطَّلعن : يُشرِفْن ويقربن . والآمنين : جمع آمن بمعنى مطمئن ، يقال أَمِن البلدُ : إذا

(١) السفاء ، كسحاب : الطيش والخفة ، ومثلها « السفاه »

(٢) ط : « تعتبينا مصدر هو جواب القسم » ، وكلمة « مصدر » مقحمة ، خط عليها الشنقيطى فى نسخته

(٣) الآية ٨٥ من سورة يوسف

اطمأنَّ . وقوله : فيدعنهم ، رُوى بدله : (فيذرْنهم) . وشتّى : متفرقين ، وهو جمع شتيت . ووافرين : جمع وافر ، من وفَر الشىء من باب وعد وفوراً : تمّ وكمَل .

وزعم بعضُهم ، فيما كتبه على تفسير البيضاوى : أن بيت الشاهد من قصيدة لعَبيد بن الأبرص ، قال : وأولها كما فى الحماسة البصْريّة :

نحنُ الألىٰ فاجمعْ جمو عَك ثمّ وَجِّهْهم إلينـا

وفيه نظر من وجهين(١): الأول أن هذا البيت لم يذكره صاحب الحماسة فى تلك القصيدة ، والثانى : أن أوّل القصيدة إنما هو :

ياذا المخوِّفنا بقتل أبيه إذلالاً وحَينا

والبيت الذى أورده من أواخرها كما تقدم .

وذوجَدَن ، بفتح الجيم والدال : اسم مرتجَل ، وهو من أذواء اليمن(٢) . والأذواء بعضهم ملوك وبعضهم أقيال ، والقَيل دون الملك ، قال فى الصحاح : « والقَيل : ملك من ملوك حميردون الملك الأعظم ، والمرأة قيلة . وأصله قيِّل بالتشديد ، كأنه الذى له قول ، أى ينفذ قوله ، والجمع أقوال وأقيال أيضاً ، ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشدَّداً . والمِقوَل بالكسر : القَيل أيضاً بلغة أهل اليمن ، والجمع المقاول » .

---

(١) الميمنى : « بل من ثلاثة أوجه . والثالث : اختلاف القافية مابين الآمينا والينا » .

(٢) ذكر الميمنى أن أذواء اليمن مستقصاة فى المجلة الألمانية Z. D. M. G ٢٩ : ٦٢٠ . قلت : وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٠ ـ ١٧٢ والاشتقاق ٥٢٥ ـ ٥٣٣

ومن الأذواء الأوائل (أبرَهَةَ ذو المنار) ، والمنار مَفعَل من النور[١] . .
وابنه (عمرو ذو الأَذْعار) بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة ، زعموا أنّه حمل معه إلى اليمن نَسْناساً فذُعر الناس منه . وصحفه ابن الشجرىّ فى أماليه بالدال المهملة فقال : والأدعار جمع دَعِر ـ أى بفتح فكسر ـ وهو العُود الكثير الدخان[٢] . وأُنكِر عليه فى بغداد فأصرّ عليه . . وبعد ذى الأذعار بِدهر (ذو مُعاهِرِ) واسمه حسّان . ومعاهر من العَهْر وهو الفجور . وبعده (ذورُعين الأكبر) واسمه يَرِيم ـ ورُعين : اسم حصن كان له ؛ وهو فى الأصل تصغير رَعْن ، وهو أنف الجبل . ويَرِيم : من قولك رام من مكانه ، أى برح وانفصل منه . و (ذو رعين الأصغر) واسمه عبد كُلال بضم الكاف وتخفيف اللامين.
وبعده بدهر (ذو شَنَاتِر) واسمه ينوف ؛ من ناف الشىء ينوف : إذا طال وارتفع . والشَّناتر بفتح الشين المعجمة والنون : الأصابع فى لغة اليمن . ومنهم (ذو القَرنين) واسمه الصَّعْب . (وذو غَيمان) وهو من الغَيْم الذى هو العطش
٣٥٧ وحرارة الجوف ؛ بالغين المعجمة . و (ذو أَصْبَح) بفتح الهمزة ، وإليه نسبت السِّياط الأصبَحيّة . و (ذو سَحَر) بفتح المهملتين و (ذو شَعْبان) . . و (ذو فائش) واسمه سلامة : وفائش : من الفِيَاش وهو المفاخرة و (ذو حُمَام) والحُمام بضم المهملة : حُمَّى الإبل[٣] .

---

(١) أما أبرهة فاسم حبشى ، كما ذكر ابن دريد فى الاشتقاق ٥٣٢ . وقال : « وذو المنار : أول من بنى الأميال على الطرق فسمى ذا المنار » .

(٢) فى أمالى ابن الشجرى بعده : « وقيل هو الأذعار بالذال المعجمة، جمع ذعر

(٣) كذا فى الأصل والأمالى . وفى القاموس (حمم) : « وكغراب : حمى جميع الدواب » .

و (ذو تُرْخُم) بضم المثناة والخاء المعجمة ، وفتحها وسكون الراء[١] : من قولهم : ما أدرى أى تَرْخُم هو : أى أىّ الناس . وتُرَخَم قبيلة باليمن أيضاً .

و (ذو يَحصِب) من قولهم حَصَبه يحصِبه : إذا رماه بالحصباء ، وهى الحَصى الصغار .

و (ذو عَسِيم) بفتح العين وكسر السين المهملتين ، من العَسَم بفتحتين وهو يُبْس فى المرْفق ، أو من العَسْم بالسكون وهو الطمع . .

و (ذو قُثَاث) بضم القاف وتخفيف المثلّثتين من قولهم قثّ يقُثّ : إذا جمع . .

و (ذو حُوال) بالضم واسمه عامر . وحُوال من المحاولة وهى الطلب .

و (ذو مِهدَم) وهو مِفعل بالكسر ، من هدمت البيت .

[وذو الجناح[٢]] واسمه شمر . . و (ذو أَنَس) والأَنَس بفتحتين : الجماعة من الناس .

و (ذو سُحَيم) وهو تصغير أسحم وهو الشديد السواد .

و (ذو الكُبَاس) بضم الكاف وآخره مهملة ، وهو الرجل العظيم الرأس.

و (ذو حُفار) بالضم من قولك حفَر البئر .

و (ذو نُواس) ، واسمه زُرعة[٣] . ونُواس بالضم من النَّوْس ،

---

(١) ترخم ، كجندَب وجندُب ، ومثل طحلب وطحلب وعنصَر وعنصر ، كما فى القاموس

(٢) التكملة من أمالى ابن الشجرى ١٧١ ، ساقطة من النسختين

(٣) زرعة ، بضم الزاى وفى ط : « ذرعة » صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى والروض الأنف ١ : ٢٩

وهو تذبذُب الشيء وشدّة حركته . وسُمّى بذلك لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقه(١) ، وكان غلاماً حسناً من أبناء الملوك ، أراده على نفسه ذو الشناتر، فوجأه بخنجر كان قد أعدّه له فقتله ، ورضيته حميرُ لنفسها لِما أراحها من ذى الشناتر . وذو نواس هو صاحب الأخدود الذى ذكره الله عزّ وجل ، صاحب الأخدود
وكان يهودياً فخدّ الأخدود لقومٍ من أهل نجران تنصّروا على يد رجل من قبل آل جفنة دعاهم إلى اليهودية فأبوا فحرقهم ، ثم ظهرت الحبشة على اليمن فحاربوا ذا نُواس أشدّ حرب ، فلما أيقن بالهلاك اعترض [البحرَ(٢)] بفرسه فكان آخرُ العهد به .

ومنهم (ذو الكُلاع الأكبر) و (ذو الكلاع الأصغر) وأدرك الأصغر الإسلامَ ، كتب إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم مع جرير بن عبد الله البَجلى فأسلم ، وأعتق يوم أسلم أربعة آلاف عبد ؛ وهاجر بقومه فى أيام أبى بكر رضى الله عنه إلى المدينة . ثم سكنوا حِمْص .

واشتقاق الكُلاع ، بضم الكاف وفتحها ، من الكَلَع بالتحريك ، وهو شُقاقٌ ووَسَخ يكون فى القدم ؛ يقال منه كلِعت رجلُه .

ومنهم (ذو عَثْكلاَن) بفتح العين وسكون المثلثة ، وهو اسم مرتجل .

و (ذو ثُعْلُبان) بالضم وهو ذكر الثعالب .

و (ذو زَهْران) ، و (ذو مَكارِب) أى ذو مفاصلَ شِداد ، جمع مُكرَب كمكرم .

و (ذو مُنَاخ) بالضم وكان نزل ببعْلَبَك .

---

(١) مابعده الى « وذونواس » لم يرد فى أمالى ابن الشجرى
(٢) التكملة من أمالى ابن الشجرى .

و (ذو ظَلِيم) واسمه حَوشَب ، وهو العظيم البطن . والظَّلِيم : ذَكرُ النعام . وشهد ذو ظَلِيم صِفينَ مع معاوية رضى الله عنه .

ومنهم (ذو يزَن) مَلِك اليمنَ بعد ذى نُواس فهزمته الحبشة ، واقتحم البحر فهلك . ويزَن : اسم مرتجل ، وهو غير منصرف ، لأن أصله يزأن على وزن يسأل ؛ فخففوا همزته فصار وزنه يَفَل ؛ ومنهم من ردّ عينه فى النسب فقال رمح يزَأنىّ : وقيل إن أصله من وزَن يزِن ، فحذفت الواو ثم أبدلت الكسرة فتحة . واسم ذى يزن : عامر بن أسلم بن زيد بن غوث الحميرى والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه[1] :

١٢٨ (مِنَ اَجلك يا التى تيَمّتِ قَلبى وأنتِ بَخِيلةٌ بالوَصْل عنّى)

على أنّه شاذ : لأن فى لام (التى) اللزوم فقط وليس فيها العوضية أيضاً . ٣٥٨

قال بعض شرّاح المفصّل : ولو قلتَ : تقديره : من أجلك يا حبيبتى التى تيمْتِ قلبى ، لم يبق إشكال ؛ لأن (التى) لم تكن منادى على هذا التقدير . انتهى

وروى (فدَيتُك يا التى الخ) . ومعنى تيّمت : ذلّت واستعبدت ؛ ومنه تَيْم اللاتِ أى عبْد اللات . وروى : (وأنتِ بخيلة بالودِّ عنّى) ، أى علىّ

و (منَ اَجلك) يقرأ بنقل فتحة ألف أَجلك إلى نون مِن . وقوله : من اَجلك علّةٌ معلولُها محذوف ، أى من أجلك قاسيت ما قاسيت ؛ أو خبر

---

(١) سيبويه ١ : ٣١٠ . وانظر الانصاف ٢٠٩ وابن يعيش ٢ : ٨ والهمع ١ : ١٧٤

مبتدأ محذوف ، أى من أجلك مقاساتى . وكان القياس أن يقول تيمّمَتْ بتاء التأنيث على الغيبة ، لكنْ جاء على نحو قوله :

* أنا الذى سَمَّتْنِ أُمّى حيدَرهْ (١) *

والقياس سمَّتهُ . وجملة أنت بخيلة [حال(٢)] عاملها تيمّمتِ .

وهذا من الأبيات الخمسين التى لم يعرف لها قائل ولا ضميمة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المائة (٣) :

١٢٩ (فيا الغُـلامانِ اللّذانِ فرَّا إيَّا كُماَ أن تَـكْسِباناَ شَرًّا)

على أنه أشذُّ مما قبله : إذ ليس فى أل التى فى الغلامين لزوم ولا عوض .

وخرّجه ابن الأنبارىّ فى الإنصاف على حذف المنادىٰ وإقامة صفته مقامه قال : « التقدير فيه وفى الذى قبله ، فيا أيها الغلامان ، وياحبيبتى التى ؛ وهذا قليل بابُه الشعر » . وإيّا كما : تحذير . وأن تَكسِبانا : أى مِن أن تكسبانا ؛ وماضيه كسَبَ يتعـدّى إلى مفعولين ، يقـال : « كسبتُ زيداً مالاً وعلماً أى أنلتهُ » .

قال ثعلب : كلّهم يقول : كَسَبكَ فلانٌ خيراً ، إلاّ ابن الأعرابىّ فإنه يقول : « أكسبك بالألف » كذا فى المصباح .

وهذا البيت شائعٌ فى كتب النحو ، ولم يُعرف له قائل ولا ضميمة .

* * *

(١) من شواهد الخزانة ٢ : ٥٢٣ ، ٥٣٤ بولاق وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥٢ والهمع ١ : ٨٦ مع نسبته الى على بن أبى طالب .

(٢) التكملة من ش .

(٣) العينى ٣ : ٢١٥ وابن يعيش ٢ : ٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٨٢ والانصاف ٣٣٦ والهمع ١ : ١٧٤ والأشمونى ٣ : ١٤٥

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد المائة [١] :

١٣٠ * إنّى اذا ما حَدَثٌ أَلَمَّا   أقولُ : يا اللّهمَّ يا اللّهُمَّا *

على أن اجتماع يا والميم المشدّدة شاذّ .

والحدث محرّكة : ما يحدث من أمور الدهر . وروى أبو زيد فى نوادره :

(إنّى إذا ما لَمَمٌ أَلمّا)

هو بفتحتين مقارفة الذنب[٢] ، وقيل هو الصغائر . وألّم الشىء : قرُب . وأقول : خبرُ إنّ ، وإذا : ظرف له .

وهذا البيت أيضاً من الأبيات المتداولة فى كتب العربيّة ، ولا يعرف قائله ولا بقيّته . وزعم العينيّ أنه لأبى خِراش الهذلىّ . قال : وقبله :

إنْ تغفرِ اللّهُمّ تغفرْ جمّا   وأىُّ عبدٍ لك لا ألَمّا

وهذا خطأ ؛ فإن هذا البيت الذى زعم أنه قبله ، بيتٌ مفرد لا قرين له ، وليس هو لأبى خِراش ، وإنّما هو لأميّة بن أبى الصَّلت ، قاله عند موتِه ، وقد أخذه أبو خِراش وضمّه إلى بيت آخر وكان يقولها ، وهو يسعى بين الصفا والمروة ، وهما :

٣٥٩ لاهُمّ هذا خامسٌ إنْ تمّا   أتمه اللهُ وقد أتمّا

إن تغفر اللّهم تغفر جمّا   . . . . الخ

وقد تمثّل به النبى ﷺ وصار من جملة الأحاديث ؛ أورده السيوطىّ

(١) العينى ٤ : ٢١٦ ونوادر أبى زيد ١٦٥ والانصاف ٣٤١ وابن يعيش ٢ : ١٦٠ والهمع ١ : ١٧٨ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٣ واللسان (أله ٣٦٢) والمخصص ١ : ١٣٧١

(٢) ط : « مقاربة الذنب » صوابه فى ش

فى جامعه الصغير ، ورواه عن الترمذىّ فى تفسيره ، وعن الحاكم فى الإيمان والتوبة عن ابن عباس رضى الله عنهما .

قال المناوىّ فى شرحه الكبير : يجوز إنشاد الشعر للنبي ﷺ وإنما المحرَّم إنشاؤه . ومعناه إن تغفرْ ذنوبَ عبادك فقد غفرتَ ذنوباً كثيرة ؛ فإنّ جميع عبادك خطّاءون . وقوله : لا ألمَّا أى لم يلم بمعصية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات جمل الزجّاجىّ[1] :

١٣١ (وماعليكِ أنْ تَقُولى[2] كُلّما سبَّحتِ أو صَلّيتِ : يااللهُمَّ ماَ)
(أرْدُدْ علينا شَيخَنا مُسَلَّما)

على أنّ (ما) تزاد قليلا بعد (يا اللهم) .

هذا الرجز أيضاً مما لا يُعرف قائله . وزاد بعد هذا الكوفيّون :

(مِنْ حَيْثُما وكيفَما وأينَما فإنّنا من خَيرِه لن نُعْدَما)

فقوله (وما عليكِ . . الخ) ما استفهامية ، والمعنى على الأمر . والتسبيح : تنزيه الله وتعظيمه وتقديسه . و (صَلّيتِ) بمعنى دعوت ، أو الصلاةِ الشرعية . وروى بدله : (هلّلت) ، أى قلت : لا إله إلا الله ؛ كما أن سبحت : قلت سبحان الله . و (الشيخ) هُنا : الأَب أو الزوج . و (مسلّماً) : اسم مفعول من السلامة . وقوله : من حيثُما ، أى من حيثما يوجد . . الخ . وقوله : فإننا من خيره ، الخير هنا : الرزق والنفع . ولن نُعدَما بالبناء للمفعول .

(١) الانصاف ٣٤٢ والهمع ٢ : ١٥٧ واللسان (أله ٣٦٢)
(٢) ط : « تقول » صوابه فى ش والمراجع السالفة

أمرَ بُنَيَّته أو زوجته بالدعاء له ، إذا سافرَ وغاب ، فى أوقات الدعوات وفى مظانّ القَبول : كما فعلتْ بنت الأعشىٰ ميمون[(١)] :

تقولُ بنتى وقدْ قُرِّبتُ مُرْتحَلا   يا ربِّ جنِّبْ أبى الأوصابَ والوجعَا
عليكِ مثلُ الذى صلَّيتِ فاغتمِضى   نوماً فإنَّ لجنبِ المرء مُضطَجعَا

وقال أيضاً :

تقول ابنتى حين جدّ الرحيلُ   أُرانا سواءً ومَنْ قد يَتِمْ
أبانا ، فلا رِمْتَ مِن عندِنا   فإنّا بخيْر إذا لم ترِم
ويا أبتَا ، لا تزُلْ عندَنا   فإنَّا نخافُ بأن تُختَرَم
أُرانا إذا أضمرتك البلا   دُ نُجفىٰ ويُقطَع مِنَّا الرحِم

فقوله : قُرِّبتُ ، بالبناء للمفعول[(٢)] ، والمرتحَل : الجمل الذى وضع عليه الرحل ، وهذا كناية عن الرحيل . والأوصاب : جمع وصَب ، وهو المرض . وصلَّيتِ : دعوت . ويَتِمَ ييتَم من باب تعب وقرب : إذا صار يتيما . ورام يريم بمعنى برِح يبرح . ولا تزُلْ من زال يزول ، والأفعال الثلاثة بعده بالبناء للمفعول .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[(٣)] :

(١) ط : « أعشى ميمون » ، صوابه فى ش . يعنى بنته التى قال فيها هذا الشعر .

(٢) كذا فى النسختين ، وقد غيرها بكلمة « للفاعل »

(٣) سيبويه ١ : ٢٦ ، ٣١٤ . وانظر الخزانة ٢ : ١١٦/٤ : ٢٧٣ بولاق ابن يعيش ٢ : ١٠ ، ١٠٥ / ٣ : ٢١ والعينى ٤ : ٢٤٠ والخصائص ١ : ٣٤٥ وابن الشجرى ٢ : ٨٣ وشرح شواهد المغنى ٢٨٩ وديوان جرير ٢٨٥

١٣٢ (يا تيمُ تيمَ عَدِيٍّ لا أبا لَكُمُ
لا يُلْقِيَنَّكُمُ فى سَوْءَةٍ عُمَرُ)

٣٦٠ على أن (تيماً) الأوَّل يجوز فيه الضم والنصب ؛ وفى الثانى النصب لا غير ؛ وبيَّنه الشارح المحقّق .

قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل : وأضاف تيما إلى عدىّ للتخصيص . واحترز به عن تيم مرَّة فى قريش ، وهم بنو الأدرم ؛ وعن تيم غالب بن فهر، فى قريش أيضاً ؛ وعن تيم قيس بن ثعلبة ؛ وعن تيم شيبان ؛ وعن تيم ضَبَّة . وعدىّ المذكور هو أخو تيم ، فإنهما ابنا عبد مَناة بن أُدّ بن طابخة ابن الياس بن مضر .

ومعنى (لا أبا لكم) ، الغلظة فى الخطاب ، وأصله أن يُنسَب المخاطبُ إلى غير أب معلوم شتماً له واحتقاراً ، ثم كثرت فى الاستعمال حتى جعلتْ فى كل خطاب يُغلَظ فيه على المخاطب . وحكىٰ أبو الحسن بن الأخضر : أن العرب كانت تستحسن لا أبالك ، وتستقبح لا أمَّ لك ؛ لأن الأم مشفقة حنينة، والأب جائرٌ مالك(١) . وتقدّم الكلام عليه مفصلاً فى الشاهد الثانى عشر بعد المائة(٢) .

وقوله : (لا يُلقينّكم) بالقاف من الإلقاء وهو الرمى ؛ قال ابن سِيدَه : من رواه بالفاء فقد صحّف وحرّف . ورُوى : (لا يوقِعَنّكم) ، والنهى واقع فى اللفظ على عمر ، وهو فى المعنى واقعٌ عليهم . و (السَّوْءَة) بالفتح : الفَعلة

(١) وكذا فى شرح شواهد المغنى حيث ورد هذا النص ، وقد جعلها الشنقيطى : « حائز مالك » .

(٢) انظر ص ١٨٣ من هذا الجزء .

القبيحة ، أي لا يوقعنكم عمر في بليّة ومكروه لأجل تعرّضه لي ، أي امنعوه من هجائي حتّي تأمنوا أن ألقيكم في بليّة ، فإنكم قادرون على كفّه ؛ فإذا تركتم نهيه فكأنكم رضيتم بهجوه إيايَ .

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها عُمر بن لجأ التيمى (ولجأ بفتح اللام والجيم وآخره همزة) ومنها :

أبيات الشاهد

(تعرَّضت تَيْمٌ لي عمداً لأهجُوَها(١) كما تعرّضَ لِاستَ الخاريء الحجرُ
أنتَ ابن بَرْزَةَ ، منسوبٌ إلى لجإ عند العُصارَة والعيدان تُعتَصرُ
خلِّ الطريقَ لمن يبني المنـارَ به وابرُز ببرزَة حيثُ اضطرّك القدرُ
أحينَ صرتُ سِماماً يابنى لجَـأ وخاطرَتْ بيَ عَنْ أحسابها مُضَرُ)

وهي قصيدة طويلة أفحشَ فيها . فلما توعدّهم فيها أتوه به مُوثَقا وحكّموه فيه ، فأعرض عن هجوهم .

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء(٢) : لمـا بلغ ذلك تيما أتوا عمرَ وقالوا: عرّضتنا لجرير ، وسألوه الكفّ ، فأبى وقال : أكفُّ بعد ذكره أمي ؟!

وبَرزة هي أم عُمر بن لجأ . يقال فلان عصارة فلان أي ولده . وهو سَبٌّ.
وقوله : خلّ الطريق .. الخ ، هذا من أبيات سيبويه ، أورده على أنّ فيه إظهارَ الفعـل قبل الطريق والتصريحَ به ؛ ولو أضمره لـكان حسناً ، على ما بيّنه(٣) .

---

(١) ط : « تعرض التيم » ، والتصحيح للشنقيطي في نسخته . وهذا من تصحيف السمع بفعل الادغام .
(٢) الشعراء ٦٦٣
(٣) انظر سيبويه والأعلم ١ : ١٢٨

يقول : خلِّ طريقَ المعالى والشرف والمفاخرة ، واتركه لمن يفعل أفعالاً مشهورة كأنَّها الأعلام التى تنصب على الطريق وتبنى من حجارة ليُهتدىٰ بها ؛ وعيَّرَه بأنه يقول : ابرزْ بها عن الناس وصِرْ إلى موضع يمكنك أن تكون فيه لما قضى عليك . وقيل : معناه : دعْ سبيلَ الرشاد لطالبيه ، وأبرزْ إلى سبيل الغيِّ إذا اضطرَّك قضاء الله وقدره ؛ يعرِّض بأن أمَّه كانت فاجرة .

والسِّمام بالكسر : جمع سمّ وهو الشيء القاتل . وخاطره على كذا أى راهنه ، من الخطَر ، وهو السَّبَق ، بتحريكهما ، وهو الشيء الذى يُتراهن عليه . ورُوى بدله : (وحاضَرَت) ، بالحاء المهملة والضاد المعجمة ، يقال حاضرْته عند السلطان ، وهو كالمغالبة و المكابرة .

٣٦١ وأجابه عمر بن لجأ بقصيدة منها :

لقدْ كذَبتَ ، وشرُّ القولِ أكذَبُه(١) ما خاطرتْ بكَ عَن أحسابها مُضَرُ

بلْ أنتَ نَزْوةُ خوَّارٍ على أمَةٍ لنْ يسبِقَ الحلَبات اللؤمُ والخوَرُ

ما قلتَ مِنْ هذِهِ إنِّى سأنقضُها يا ابنَ الأتان ، بمثلى تُنقَض المِرَرُ

والنزوة : مصدر نزا الذَّكَرُ على الأنثى ؛ وهذا يقال فى الحافر والظِّلف والسباع . والخوّار : من الخوَر ، وهو ضعف القلب والعقل . والحلَبات بالحاء المهملة .

وكان سببَ التهاجى بين جرير وعُمر بن لجأ ، هو ما حكاه المبرِّد فى (كتاب الاعتنان) عن أبى عبيدة(٢) : أنَّ الحجّاج بن يوسف الثقفىّ

(١) ط : « وسوء القول » ، صوابه فى ش وابن سلام ٣٦٥ والنقائض ٤٨٨

(٢) انظر أيضا النقائض ٤٨٧

سأل جريراً عن سبب التهاجى بينه وبين شعراء عصره ، فبيَّن له جريرٌ سببَ كلّ واحد . إلى أن قال الحجاج : ثم مَن ؟ قال : ثم التيمىّ عُمر بن لجأ . قال : وما لَكَ وله ؟ قال : حسدنى فعابَ علّى بيتاً كنتُ قلتُه ، فحرّفه :

لقَومىَ أحمىْ للحقيقةِ منكُمُ وأضربُ للجبّار والنَّقْعُ ساطعُ
وأوثقُ عند المرهفات عَشِيَّةً لَحَاقاً إذا ما جَرَّد السيفَ لامِعُ

فقال لى : إنما قلتَ :

* وأوثقُ عند المردَفات عشِيَّة *

فصيّرتَ نساءك قد أُردفن غدوة ولحقتَهنَّ عشيَّة وقد فُضحن ، ولم أقُلْه كما حكىْ . قال الحجّاج : فما قلت له ؟ قال : قلت له أحذِّره وأحذِّر قومَه :

يا تيمَ تيمَ عديٍّ لا أبالَـكُم ... البيت

قال : فنقضَ علىَّ بأشدَّ مما قلتُ له فقال :

لقد كذبتَ وشرُّ القول أكذبُه ... البيت

قال أبو عبيدة : وأما كِرْدِينُ المِسمَعىّ(١) فأخبرنى قال : كان بدء الشرّ بين ابن لجأ وجرير : أن لقمان الخزاعىّ قدِم على صدَقات الرِّباب ، فحضرتْه وجوه الرِباب وفيهم عُمر بن لَجأ ، فأنشده :

تَأوَّبنى ذِكرُ لزَوْلَة كالخبَل وماحيثُ تلقىْ بالكثيب ولا السَّهَلْ
تُريدِينَ أن أَرضىْ وأنتِ بَخيلةٌ ومَن ذا الذى يُرضى الأخِلاّء بالبَخَلْ

(١) هو مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع ، الملقب بكردين جمهرة ابن حزم ٣٢٠

حتى فرَغ منها . فقال له لقمان : مازلنا نسمع بالشام أنّ هذه لجرير !
فقال عمر بن لجأ : إنى لأ كذبُ شيخ فى الأرض إن ادَّعيت شعر جرير .
ثمّ أنشدته على رءوس الناس وجماعات الرِّباب !! فأبلغ لقمان جريراً مقالة
عُمر ، قال : فزعم عُمر أنك سرقتها منه ! فقال جرير : وأنا أحتاج إلى أن
أسرق شعر عمر وهو القائل فى إبله ووصفها حتّي جعلها كالجبال ثم جعلَ فحلَها
كالظَّرِب (وهو الجبل الصغير فى الغلظ من الأرض) فقال :

* كالظَّرِب الأسوَدِ من وَرائها *

ثم قال : * جَرَّ العَروسِ الثِّنْيَ مِنْ رِدائها *

والله ما شعرُه من نمَط واحد ، وإنّه لمختلِف العُيون ! فأبلغ لقمانُ عمرَ
قول جرير وما عابَ مِن قوله ؛ فقال عمر : أيعيبُ جرير قولى :

* جرَّ العروس الثِّنيَ مِنْ ردائها *

وإنّما أردت لِينَه ولم أردْ أثره ؛ وقد قال هو أقبَح مِنْ هذا ، حين يقول :

* وأوثقُ عند المردَفات عشِيَّة *

فلحقَهنّ بعد ما نُسكِحْنَ وفُضحن ! فقال جرير : حرَّفَ قولى ، إنما قلت
« عند المرهَفات عشية » . فوقع الشرُّ بينهما . انتهى

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب(١) .

* * *

٣٦٢ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد
س(٢) :

---

(١) انظر الجزء الأول ص ٧٥

(٢) سيبويه ١ : ٣١٥ والعينى ٤ : ٢٢١ وابن يعيش ٢ : ١٠ والهمع
٢ : ١٢٢ وشرح شواهد المغنى ٢٧٩ والمنصف ٣ : ١٦ والسيرة ٧٩٤
والروض الأنف ٧ : ٢٥٨

١٣٣ *(يا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ تَطاوَلَ الليلُ عليكَ فانزِلِ)*

لما ذكر فى البيت قبله . وهو ظاهر .

و (اليَعْمَلات) . بفتح الياء والميم : الإبل القويّة على العمل . و (الذُّبَّل) : جمع ذابل ، أى ضامرة من طول السفر . وأضاف زيداً إليها لحسْن قيامه عليها ومعرفته بحُدائها . وقوله (تطاول الليل عليك . . الخ) رُوى : (هُدِيتَ) بدل عليك ، وهو المناسب. أى انزل عن راحلتك واحْدُ الإبل ، فإن الليل قد طال ، وحدثَ للإبل الكَلال ؛ فنشِّطْها بالحُداء ، وأزِلْ عنها الإعياء .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لعبد الله بن رَوَاحة الصحابىّ رضى الله عنه ، لا لبعض ولد جرير ، خلافاً لشرّاح أبيات سيبويه . وهو بيتان لا ثالث لهما ، قالها فى غزوة مُؤْتَة (وهى بأدنى البَلْقاء من أرض الشام) وكانت فى جمادىٰ الأولى من سنة ثمان من الهجرة .

قال ابن عبد البرّ فى الاستيعاب(١) : « ذكر ابن إسحاق عن عبد الله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : كان زيدُ بن أرقَم يتيماً فى حِجر عبد الله بن رَوَاحة ، فخرج به معه إلى مُؤْتة يحمله على حَقيبةِ رَحْلِه ، فسمعه زيد بن أرقم من الليل وهو يتمثَّل أبياتَه التى يقول فيها :

إذا أدَّيتِنى وحَملْتِ رَحْلى مَسيرةَ أربعٍ بعد الحِساءِ
فشأنَكِ فانعَمى وخَلاكِ ذمٌّ ولا أرجِعْ إلى أهلى ورائى
وجاء المؤمنون وغادرُونى بأرض الشامِ مُنتهِىَ الثَّواء

فبكىٰ زيد بن أرقم ؛ فخفَقه عبدُ الله بن رَواحة بالدِّرّة وقال : ما عليك

(١) فى ترجمة زيد بن أرقم

يا لُكَع أنْ يرزقَني اللهُ الشهادةَ وترجعَ بين شُعْبَتَي الرَّحل ؟ ! . . ولزيد ابن أرقم يقول عبدُ الله بن رَوَاحة :

يا زيد زيدَ اليعمَلات الذُّبَّل　　تطاولَ الليل ـ هُدِيتَ ـ فانزل

وقيل : بل قال ذلك فى غزوة مُؤْتة لزيد بن حارثة » انتهى .

وهذا الثانى بعيد فإنّه يُستبعَد أن يقال لأمير الجيش : انزل عن راحلتك واحْدُ الإبل ؛ فإن زيد بن حارثة كان أمير الجيش فى غزوة مؤتة كما سيأتى .

ومُؤتة بضم الميم والهمز . وقوله : إذا أدّيتنى ، خطاب لراحلته . وقوله : الحِساء ، بكسر الحاء المهملة وبعدها سين مهملة ، قال المبرد فى الكامل : « هو جمع حِسْى (بكسر فسكون) وهو موضعُ رملٍ تحته صلابة ، فإذا مَطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعتْه الصلابة أن يغيض ومنع الرملُ السمائمَ أن ينشفه(١) فإذا بُحث ذلك الرمل أصيب الماء . ويقال حسى وأحساء وحِساء . وقوله : وخلاكِ ذمّ أى تجاوزك الذمّ ، دعاء لها . وقوله : ولا أرجع ، مجزوم بالدعاء ؛ ومعناه اللهم لا أرجع » انتهى .

وقوله مُنتهِيَ الثَّواء هو اسم فاعل منصوب على الحال .

عبد الله ابن رواحة

و (عبد الله بن رَوَاحة) أنصارى خزْرَجىّ . وهو أحد النقباء . شهد العَقَبة ، وبَدراً ، وأُحُداً ، والخندقَ ، والحديْبِيَة ، وعُمرةَ القَضاء ، والمشاهِد كلّها إلاّ الفتح ، ومات بعدَه ، لأنه قُتل يوم مُؤتة شهيداً . وهو أحد الأمراء فى غزوة مؤتة ، وأحدُ الشعراء المحسنين الذين كانوا يردّون الأذىٰ عن رسول الله ﷺ . وفيه وفى صاحبيه حسّان وكعْب بن مالك نزلت : (إلاّ الذينَ ٣٦٣ آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ وذكَرُوا اللهَ كثيرا(٢)) الآية .

(١) السمائم : جمع سموم ، وهى الريح الحارة ليلاً أو نهاراً . وفى النسختين : « ومنع الرمل السماء أن ينشفه » صوابه من الكامل ٧٦

(٢) الآية ٢٢٧ من الشعراء

وسبب غزوة مُؤتة : أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عُمير الأزديّ بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم ، وقيل إلى ملك بُصرىٰ ، فعرَض له شُرَحْبيل ابن عمرو الغسّانى ، فأوثقَه رِباطا ، وضرَب عنقَه صَبْرا (ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره) فاشتدَّ ذلك عليه حين بلغه الخبر ، فبعث بَعثه ﷺ إلى مُؤتة واستعمَل عليهم زَيد بن حارثة وقال : إنْ أُصيبَ زيدٌ فجعفر بن أبى طالب ، فإن أصيبَ فعبد الله بن رَواحة . فتجهَّز ثلاثة آلاف رجل ، ثم مضَوا حتى إذا كانوا بتُخوم البَلْقاء لقيتهم جموعُ هِرَقْلَ والعرب فى مَشارفَ من قرى البَلْقاء ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤتة (وكان الرومُ مائة ألف . وانضمَّ إليهم من لَخم وجُذام والقَين وبَهراء[1] وبَلِيّ مائةُ ألف أخرى) ثم التقَوا فاقتتلوا . فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى قُتِل شهيداً ، فأخذها جعفر ثم قتِل ، ثم أخذها عبد الله بن رَواحة فقُتِل ، فأخذ الرايةَ خالدُ بن الوليد ودافع الناسُ ، ثم انحازَ وانحِيزَ عنه حتّى انصرف بالناس إلى رسول الله ﷺ

زيد بن أرقم

وأما (زيد بن أرقم) فهو أنصارى خزرجيّ من بنى الحارث بن الخزْرَج . وزيد بن أرقم هو الذى رفع إلى رسول الله ﷺ عن عبد الله بن أبيّ ، ابن سَلول[2] قولَه : لئنْ رجَعنا إلى المدينةِ ليُخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذلّ ، فأكذَبه عبدُ الله بن أبيَّ وحلف ، فأنزل الله تصديقَ زيد بن أرقم ، فبشّره أبو بكر بتصديق الله إيَّاه . وجاء إلى النبي ﷺ ، فأخذ بأذن زيد وقال : « وَفَتْ أذنك يا غلام » . وشهد مع عليّ وقعة صِفين ؛ وهو معدود فى خاصَّة أصحابه .

---

(١) فى النسختين : « والقيس » صوابه فى ش والسيرة وسيرة ابن سيد الناس ٢ : ١٥٣ . وفى ط : « وبهرام » صوابه فى ش والسيرة وسيرة ابن سيد الناس .

(٢) سلول : جدة عبد الله ، نسب اليها . جمهرة ابن حزم ٣٥٥ . لكن فى الاشتقاق ٤٥٩ أن سلول أمه .

ونزل الكوفة وسكنها وابتنى بها داراً ، وبها كانت وفاته فى سنة ثمان وستين.

و (أما زَيد بن حارثة) فهو مولى رسول الله ﷺ ، كان أصابه سِباء فى الجاهليَّة فاشتراه حكيم بن حِزام لعمَّته خديجة بنت خُويلد ، فوهبته خديجة لرسول الله ﷺ ، فتبنّاه رسولُ الله ﷺ بمكة قبل النبوَّة ، وهو ابن ثمان سنين . ثم إن ناساً من كلْب حجُّوا فرأَوا زيداً فعرَفهم وعرَفوه ، فقال لهم : أبلِغوا أهلى هذه الأبيات ، فإنِّى أعلم أنَّهم قد جزِعوا علىَّ ، فقال :

أحِنّ إلى قومى وإنْ كنتُ نائياً ... فإنّى قَعِيدُ البيتِ عند المشاعرِ(١)

فَكُفُّوا مِنَ الوجْدِ الذى قدْ شجاكمُ ... ولا تُعمِلوا فى الأرضِ نَصَّ الأباعرِ

فإنّى ، بحمدِ اللهِ ، فى خير أُسرَةٍ ... كرام مَعَدّ كابراً بَعْدَ كابر

فانطلق الكلبيّون فاعلَموا أباه فقال : ابنى وربِّ الكعْبة ! ووصفوا له موضَعه وعند مَنْ هو . فخرج حارثةُ وكعبُ أخوه(٢) لِفدائه وقَدِما مكة ، فدخلا على النبي ﷺ فى المسجد فقالا : يا ابنَ عبدِ المطَّلِب ، يا ابن هاشم ، يا ابن سيِّد قومه ، أنتمْ أهلُ حرم الله وجيرانهُ ، تفُكُّون العانىَ وتُطلقون الأسير ، جئناكَ فى ابنِنا عبدِك ، فامننْ علينا ، وأحسِن إلينا فى فدائه . قال :

٣٦٤ مَن هو ؟ قالا . زَيد بن حارثة . فقال ﷺ . أدْعُوه فأخيِّره ، فإن اختاركم فهو لكم ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختارُ على منْ اختارنى أحداً . قالا . قد زدتنا على النِّصْف وأحسَنت . فدعاه فقال . هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا أبى وهذا عمى ! قال : فأنا مَن قدْ علمتَ ورأيتَ صحبتى لك ، فاخترْنى أو اخترْهما . قال زَيد : ما أنا بالذى أختارُ عليك أحداً ، أنت منّي

(١) ط : « نابيا » ، صوابه فى ش والاستيعاب والروض الأنف ١ : ١٦٤ . وفى الروض أيضا : « بأنى قعيد البيت »

(٢) فى الاستيعاب : « حارثة وكعب ابنا شراحيل » .

مكان الأبِ والعمّ ! فقالا : ويحكَ يازيد ، أتختار العُبوديّة على الحُرّية ؟! قال : نعم ، قد رأيت مِن هذا الرجل شيئاً ، ما أنا بالذى أختار عليه أحدا ! فلما رأى رسولُ الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحِجْر فقال : يامَن حَضر ، اشهدُوا أنَّ زيداً إبنى يرثنى وأرِثُه . فلما رأى ذلك أبوه وعمُّه طابتْ نفوسهما ، فانصرَفا . ودُعِىَ زيدَ بنَ محمد ؛ حتى جاء الله بالإسلام فنزلت . (ادْعُوهُمْ لآبائهم[1]) ، فدُعىَ يومئذٍ زيدَ بن حارثة ؛ وكان يقال له زيد بن حارثة حِبّ رسول الله ﷺ وشهد بدراً وزوَّجه مولاته أُم أَيمن ، فولدت له أسامة . وقُتِل زيد بمؤْتة سنة ثمان من الهجرة ، وهو كان الأميرَ على تلك الغزوة . رُوى عنه ﷺ أنه قال : « أحبُّ الناس إلىَّ مَنْ أنعمَ اللهُ عليه وأنعمتُ عليه » يعنى زيدَ بنَ حارثة . أنعمَ الله عليه بالإسلام ، وأنعمَ عليه ﷺ بالعِتق .

ولخّصتُ التراجم من الاستيعاب ، والغزوة من سيرة ابن سيِّد الناس .

واعلم أنّى رأيتُ فى نوادر ابن الأعرابى أرجوزة عدّتها اثنان وعشرون بيتاً مطلعها :

* يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلات الذُبّل *

قال : « أنشدنى بُكير بن عبيد الرَّبعىّ . ولا أعلم مَنْ هو : أهو سابق على عبد الله بن رَوَاحة أم لاحقٌ له ؟ » . والظاهر أنه بعده ، فإنّ الرجز فى الجاهلية كان لا يتجاوز الأبيات الثلاثةَ والأربعة ، وإنما قصّده وأطاله الأغلب العجلىّ كما تقدم بيانه فى ترجمته[2] . والله أعلم

* * *

(١) الآية ٥ من الأحزاب

(٢) انظر ص ٢٣٩ من هذا الجزء .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائة[1] :

١٣٤ (فلاَ وَاللهِ لا يُلْفىٰ لِمـا بى ولا لِلِمـا بهـمْ أبدًا دَواء)

على أن اللام الثانية فى قوله (لِلِما) مؤكِّدة للّام الأولىٰ .

ويأتى إن شاء الله تعالى ما يتعلّق به فى باب التوكيد، وفى الباء والكاف أيضاً من حروف الجر[2] .

وهذا البيت من قصيدة لمسْلم بن مَعْبَد الوالِبىّ . قال أبو محمد الأسود الأعرابىّ فى ضالّة الأديب : كان السبب فى هذه القصيدة : أنّ مُسْلماً كان غائباً فكتب إبله للمصدِّقِ (أى لعامل الزكاة) وكان رُقَيْع وهو عُمارة ابن عبيد الوالبىّ عَرِيفاً، فظنّ مُسْلمٌ أنَّ رُقيعاً أغراه (وكان مسلم ابنَ أخت رقيع وابنَ عمِّه)، فقال :

قصيدة الشاهد

(بكتْ إبلى، وحُقّ لها البكاء، وفرَّقها المظالمُ والعَداء

إذا ذَكرت عَرافةَ آلِ بشْر وعيشاً ما لأوّله انثناء

ودهراً قد مضىٰ ورجالَ صِدّقٍ سعَوا، قد كان بعدَهم الشقاء

إذا ذُكر العَريف لها اقشعرَّت ومسّ جلودَها منه انزِواء

فظلّتْ وهىَ ضامِزَةٌ تَفادىٰ من الجِرّات جاهدها البلاء[3]

وكِدْنَ بذى الرُّبا يدعُون باسمى ولا أرضٌ لدَىَّ ولا سَماء

(١) انظر الخصائص ٢ : ٢٨٢ ومعانى الفراء ١ : ٦٨ وابن يعيش ٧ : ٨/١٨ : ٩/٤٣ : ١٥ والهمع ٢ : ٧٨ ، ١٢٥ ، ١٥٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٢

(٢) الخزانة ٢ : ٤/٣٥٢ : ٢٧٣ بولاق

(٣) الضامزة : التى تمسك جرتها فى فيها . وبعير ضامز : لايرغو . ط : « ضامره »، صوابه فى ش

٣٦٥

تؤمّل رَجْعةً منّي ، وفيها كتابٌ مثل ما لزِق الغِراء
عَذرتُ الناسَ غيرَك فى أمور خلوتَ بها فما نفَع الخلاء
فليس على ملامتِناكَ لومٌ وليس على الذى نلقىٰ بقاء
ألمّا أنْ رأيتَ الناس آبتْ كلابُهُمُ علَيَّ لها عُواء
ثنيتَ رِكاب رَحْلك مَعْ عدوٍّ لمختَتِل ، وقد بَرِحَ الخفاء(١)
ولا خيتَ الرجالَ بذاتِ بينى وبينِك ، حين أمكنك اللِّخاء
وأىّ أخٍ لسِلْمكَ بعْدَ حربى إذا قومُ العدوّ دُعُوا فجاءوا
فقام الشرُّ منكَ وقمتَ منه على رِجْلٍ وشالَ بكَ الجزاء
هنالِك لا يقوم مقامَ مثلى مِن القوم الظَّنونُ ولا النساء
وقد عيَّرتَني وجفَوْتَ عنّي فما أنا وَيْبَ غيرِك والجفاء
وقد يَغنىٰ الحبيبُ ولا تُراخِي مودّتَه المغانمُ والحِباء(٢)
ويُوصَل ذو القرابة وهو ناءٍ ويبقىٰ الدِّينُ ما بقى الحياء
جَزىٰ الله الصحابةَ عنكَ شرًّا وكلُّ صحابة لهمُ جزاء
بفِعلِهم ، فإنْ خيراً فخيراً وإنْ شرًّا : كما مُثِل الحِذاء
وإيّاهم جزى عنّي ، وأدّىٰ إلى كلٍّ بما بلغَ الأَدَاء(٣)
وقد أنصفتُهم والنِّصف يَرضىٰ به الإسلامُ والرحِمُ البَواء
لدَدْتُهمُ النصيحةَ كلَّ لدٍّ فمجُّوا النصحَ ثم ثنَوْا فقاءوا

(١) ش : « ركاب رجلك » .
(٢) ط : « ولا ترخي »
(٣) فى النسختين : « الأذاء »

وكنتُ لهم كداء البطْن يُوذِى وراءَ صحيحه مرضٌ عَياء
جَوِينَ من العداوة ، قد وَرَاهم نَشيشُ الغيظِ والمرض الضَّناَء
إذا مولًى رهبتُ اللهَ فيه وأرحاماً لها قَبْلى رِعاء
رأىٰ ما قد فعلتُ به مَوَالٍ فقد غمِرتْ صدورُهمُ وداءوا
فكيفَ بهم ! فإن أحسنتُ قالوا أسأتَ ، وإن غفرتُ لهمْ أساءوا
فلا وأبيكَ لا يُلفىٰ لما بى ولا للما بهمْ أبداً شِفاء)

وبقى من القصيدة اثنا عشر بيتاً وَصف إبلَه فيها .

قوله : المظالم والعَداء ، هو جمع مَظْلِمة بكسر اللام وهو ما أخذه الظالم ، وكذلك الظُّلامة والظليمة . والعَداء بالفتح : الظلم وتجاوز الحدّ ، وهو مصدر عدا عليه . وقوله : إذا ذَكرت ، ظرف لقوله بكت إبلى ؛ وفاعل ذكرتْ ضمير الإبل . وانثناء : انكفاف ؛ يقال ثناه : إذا كفّه . وقوله : ورجالَ صدق سَعَوا ، بالنصب معطوف على عَرافةَ ؛ وسعوا أى تعاطَوا أخْذَ الزكاة ؛ والساعى : من وَلى شيئاً على قوم ، وأكثر ما يقال ذلك فى وُلاة الصدَقة . والانزواء : التقبّض . وتفادى من كذا : إذا تحاماه وانزوىٰ عنه . وقوله : عذرتُ الناس غيرك ، خطاب لرُقَيع ابن عمّه ؛ وخلوتَ بها بالخطاب أى سخرتَ بها ، يقال خلَوت به : إذا سخرتَ منه . وقوله : ملامتناك ، أى لومتنا إياك . وقوله : ألمّا ، الهمزة استفهام توبيخى ؛ ولمّا بمعنى حين ، متعلقّة بقوله ثنيتَ . وآبت : رجعت . وبرح : زال . ولاخيتَ ، بالخاء المعجمة : مالأت وساعدت . ٣٦٦
والظَّنون بالفتح : الرجل السيىء الظن ، وهو فاعل يقوم . وويبَ بمعنى ويل . وقوله : يَغنىٰ الحبيبُ ، أى يصير غنيًا ولا تراخى[1] المغانمُ والعطاء مودّتَه .

(١) ط : « ترخى » ، واثبت ما فى ش

والصَّحابة : الأصحاب . والحِذاء بالكسر : النعل ؛ واحتذى : انتعل ؛ أراد : كما صُنِع مثلُ الحِذاء مطابقاً له . وأنصفت الرجل إنصافاً : عاملته بالعدل ؛ والاسم النصفَة بالتحريك ؛ والنَّصْف بفتح فسكون(١) . والبَواء ، بفتح الموحدة والمد : السَّواء . وقوله لدَدْتُهم النصيحة ، اللّدود بالفتح : ما يُصَبُّ من الأدوِية فى أحد شقِي الفم ؛ ولددته لدًّا : صببت فى فيه صبًّا . ومجَّه : رماه . وثنوا : عطفوا ومالوا . وقوله : وقاءوا ، بالقاف من القىء ؛ وصحّفه العينيّ تحريفاً فاحشاً فقال : « قوله : وفاءوا ، خبر مبتدإ محذوف ، أى وهم فاءوا ؛ والجملة حالية » اهـ وهذا مما لا يُقضىٰ منه العجب . وقوله : وكنت لهم كداء البطن . . الخ ، داء البطن : الإسهال ؛ ويوُذِى من الأذِيَّة ، والواو مسهَّلة من همزة ، والجملة حال من الداء ؛ ووراء بمعنى خلْف وبعد ؛ وضمير صحيحه لداء البطن ؛ والمرض العَياء بالفتح هو المرض الذى تعيا عنه الأطبَّاء ؛ والجملة الاسمية حال أيضا من البطن . يريد أن ما أضمروه من بغضى قاتِلُهم لا محالة ، لأنى كنت عندهم بمنزلة داء البطن المؤذى ، نشأ من أهونه ماعجَز عنه الأطبّاء كالزَّحير والسِلّ . وقوله : جوين من العداوة الخ ، هذا بيان لما قبله ؛ وجَوِينَ منصوب بفعل محذوف أى أراهم جوين ، وهو جمع جَوٍ : صفة مشبهة من الجوَىٰ كعَمٍ من العمىٰ ، جمع على طريقة جمع المذكر السالم ، والجوى : الحُرْقة وشدَّة الوجد مِنْ عِشْقٍ أو حزن ؛ ووراهم ، من ورَىٰ القيحُ جوفَه وَرْيا : إذا أكله ؛ ونشيش : فاعل وراهم ، والنشيش : صوت الماء ونحوِه إذا غُلى على النار . والضَّناء بالفتح والمد : اسم مصدر ضنِيَ ضَنًي من باب تعب : مرض مرضاً ملازما حتًي أشرف على الموت . كذا فى المصباح . وقوله : إذا مولًى رهبت

(١) وكذا بكسر فسكون ، وضم فسكون . وفى القاموس : « وبالكسر ويثلث : النصعة » .

الله فيه [الخ . المولى هنا ابن العم ، ورهبتُ الله فيه[١]] أى خفت الله في جانبه . وقوله : قَبْلى ، بفتح القاف وسكون الموحدة . والرِّعاء : جمع راع من الرعاية ، وهى تفقّد الشىء وتحفّظه . وقوله : رأى ما قد فعلت به . . الخ ، ما : موصولة أو نكرة موصوفة مفعول أوّل لرأى ، والمفعول الثانى محذوف أى سوأ ونحوه ؛ ومَوالٍ : فاعل رأى ، وهو جمع مولى ؛ وغَمِرتْ : من الغِمْر بالكسر ، وهو الحقدُ والغلُّ ، يقال غَمِرَ صدرُه علىّ بالكسر ، يَغْمَر بالفتح ، غَمْرًا بسكون الميم وفتحها مع فتح الأوّل فيهما . وداءوا أى مرضوا ، وهو فعل ماض من الداء ، يقال داء الرجل يَداء داء إذا أصابه المرض . وقوله : فكيف بهم ، أى فكيف أصنع بهم .

وقوله : (فلا وأبيك . . الخ) ، جملة لا يلفىٰ جواب القسم ، أى لا يوجد شفاء لما بى من الكدر ولا لما بهم : من داء الحسد ؛ واللام الثانية مؤكّدة للأولىٰ . وروى صاحب منتهىٰ الطلب من أشعار العرب[٢] .

فلا واللهِ لا يلفىٰ لما بى   وما بهم من البلوىٰ[٣] .. الخ

وعليه فلا شاهد فيه .

مسلم الوالبي

و (مسلم) شاعر إسلامى فى الدولة الأموية . وهو ابن مَعْبَد بن طوّاف (بتشديد الواو) ابن وَحْوَح (بحاءين مهملتين) ابن عُوَيمر (مصغّر عامر) الوالبيّ (نسبة إلى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة بن مدرِكة)

* * *

(١) التكملة من ش

(٢) ط : « منتهى أشعار العرب » ش : « منتهى الارب من أشعار العرب » ، والوجه ما أثبت . وانظر مقدمة الخزانة

(٣) فى النسختين : « وشأنهم من البلوى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

٣٦٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات س[١] :

١٣٥ (وصالياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ)

على أنه يمكن أن تكون (الكاف) الثانية مؤكِّدة للأولى ؛ قياساً على اللامين فى البيت الذى قبله ، فلا يكون فى البيت دليل على اسميّة الكاف الثانية .

وهو من قصيدة لخِطام المجاشعىّ[٢] . وهى من بحر السريع ؛ وربما حسب من لا يحسن العَروض أنّه من الرجَز كما توهَّمه بعضهم ؛ لأن الرجز لا يكون فيه معولات فيردّ إلى فعولات . ومثله :

* قد عرَّضت أرْوَىٰ بقولٍ إفنادْ[٣] *

وهو مستفعلن مستفعلن فعولات . وأوّلها :

(حَىِّ ديارَ الحىِّ بينَ السَّهبينْ[٤] وطَلْحةِ الدَّوم وقد تعفَّيْنْ)
(لم يَبْقَ مِنْ آيٍ بها يُحَلَّيْنْ[٥] غيرَ حُطامٍ ورَمادٍ كِنْفَيْنْ)
(وغيرَ نؤْيٍ وحِجاَجىْ نؤْيَيْن وغيرَ وَدٍّ جاذلٍ أو وَدَّين)
(وصالِيَاتٍ كَكَما يُؤَثْفَينْ)

(١) سيبويه ١ : ١٣ ، ٢٠٣/٢ : ٣٣١ . وانظر ما سيأتى فى ٢ : ٣٥٣ و ٤ : ٢٧٣ بولاق وشرح شواهد الشافية ٥٩ والعينى ٤ : ٩٥٢ وابن يعيش ٨ : ٤٢ ومجالس ثعلب ٤٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٢ والخصائص ٢ : ٣٦٨

(٢) وفى شرح شواهد الشافية : « ونسبه الصقلى شارح أبيات الايضاح للفارسى ، والجوهرى فى الصحاح الى هميان بن قحافة » .

(٣) ط : « ابعاد » ، صوابه فى ش واللسان (فند ٣٣٥) وفسره بقوله : « انما أراد : بقول ذى افناد »

(٤) ط:«دار الحى»، ولا يستقيم به الوزن ، وصوابه فى ش واضح

(٥) فى النسختين : « تحلين » ، والوجه ما أثبت من شرح شواهد الشافية .

ومنها :

(وَمَهْمَهَيــن قَذَفين مَرْتَيــنْ ظَهْرَاهُما مِثْلُ ظُهور التُرْسَيْنْ)
(جُبْتُهما بالنَعْت لا بالنَّعتَيْن على مُطارِ القَلبِ سامى العَينَيْنْ)

فقوله : حيٍّ ، فعلُ أمرٍ من التحيّة . والحىُّ : القبيلة . والسَّهبان : موضع، وكذا طَلحة الدَّوم ؛ ولم يذكرهما البكرى فى معجم ما استعجم[1] . والنون فى تعفّين : ضمير ديار الحىّ ، وتعفى بمعنى عفا اللازم ، يقال عفا المنزل يعفو عَفْواً وعُفُوّا وعَفاء بالفتح والمدّ : درس . ويتعدى أيضاً ؛ فإنه يقال عفَته الريح . والآى : جمع آية بمعنى العلامة . وضمير تحلّين لديار الحىّ ، والتحلية : الوصف ، يقال حلّيت الرجل تحلية : إذا وصفته . يقول : لم يبق من علامات حاولهم فى ديارهم تحلّيها وتصفها[2] غير ما ذكر . ومن زائدة . وآى : فاعل لم يبق . وغير منصوب على الاستثناء . وجملة يُحلّين[3] صفة لآى . وبها متعلّق به . والحُطام بضم المهملة : ما تـكسَّر من الحطب ، والمراد به : دِقّ الشجر الذى قطعوه فظلّلوا به الخيام . ورَماد مضاف إلى كنفين ، أى رماد من جانبي الموضع ؛ ولو روى بالتنوين لم يكن خطأ . فـكَنْف بفتح الـكاف وسكون النون : الناحية والجانب ، وأصله بفتح النون ، وقيل هو هنا بكسر الـكاف وسكون النون ، بمعنى وعاءٍ يجَعَل الراعى فيــه أداتَه . والنُؤْىُ بضم النون وسكون الهمزة : حَفِيرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر ، ويؤخذ ترابها ويُجعل حاجزاً للبيت ؛ فجعلَ ذلك الحاجزَ كحِجاج العين ، وهو بكسر المهملة وفتحها وبعدها جيمان : العَظْم الذى ينبت عليــه الحاجب . والجاذل ، بالجيم والذال المعجمة : المنتصب ، جَذَل جذُولا :انتصب وثَبت . والوَدّ : الوتِد .

(١) وكذا لم يذكرهما ياقوت .
(٢) ط : « ووصفها » ، صوابه فى ش وشرح شواهد الشافية
(٣) فى النسختين : « تحلين » ، صوابه من شرح شواهد الشافية

و (صاليات) : أراد بها الأثافىّ ، لأنها صَلِيت بالنار أى أُحرقت حتى اسودّت ، وهى معطوفة على حُطام ، أى وغير أثافىّ صاليات ؛ وليست الواو واوَ رُبَّ ، خلافاً لابن يسعون ؛ بدليل أنه رُوى بدلها (وغيرُ سُفْعٍ) : جمع أسفَع ، أراد بها الأثافىّ أيضاً ، لأنها قد سفَعَتْها أى سوَّدتْها وغيّرتْ لونها . ورُوى أيضاً : (وماثلاتٍ) أى منتصبات . و (الأثافىّ) : جمع أُثفِيّة وهى الأحجار التى ينصب عليها القِدْر . و « ما » فى قوله : (ككما) قال الفارسىّ فى التذكرة القَصْريّة ، « يجوز أن تكون مصدريّة ، كأنه قال : مثل الإثْفاء ، ويجوز أن تكون موصولة بمنزلة الذى كقوله : ٣٦٨

* فإنّ الذى حانت بفَلْج دماؤُهم[1] * » اﻫ

والكاف الأولى جارّة والثانية مؤكِّدة لها ، كما قال الشارح . وهذا مأخوذ من الكشّاف ، قال فى تفسير قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ[2]) : لك أن تزعم أن كلمة التشبيه كرِّرت للتأكيد كما كرّرها مَن قال :

* وصالياتٍ ككما يُؤْثفَيْنْ *

وإذا كان من باب التوكيد جاز أن يكون الكافان اسمَيْن أو حرفَيْن فلا يكون دليل على اسميّة الثانية فقط .

وقال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب[3] : « أجرى الكاف الجارّة مُجرىٰ مِثل ، فأدخل عليها كافاً ثانية ؛ فكأنه قال : كمثل ما يؤثفين . وما ، مع الفعل ، بتقدير المصدر كأنه قال : كمثل إثفائها أى إنها على حالها حين أُثفيتْ . والكافان لا يتعلقان بشىء ، فإنّ الأولى زائدة والثانيةَ قد

(١) أى الذين . والبيت لأشهب بن رميلة سيأتى فى ٢ : ٥٠٧ بولاق وعجزه :

* هم القوم كل القوم يا أم خالد *

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى

(٣) الاقتصاب ٤٣٠

أجريت مجرى الأسماء لدخول الجارّ عليها ؛ ولو سقطت الأولى وجب أن تكون الثانية متعلّقة بمحذوف صفة لمصدر مقدَّر محمول على معنى الصاليات، لأنها نابت مناب مُثْفيات ؛ فكأنه قال : ومثفيات إثفاء مثلَ إثفائها حين نُصِبَتْ للقِدْرِ . ولا بدَّ من هذا التقدير ليصحّ اللفظ والمعنى . وأما قوله : يؤثفين ، فقد اختلف النحويون فى وزنه : فقال قوم : وزنه يُؤفعلن ، والهمزة زائدة فكان يجب أن يقول يُثْفين ، لكنّه جاء على الأصل ضرورة كما قال الآخر :

* فإنه أهلٌ لأن يُؤكْرَما(١) *

وعلى هذا فأثفيّة أُفعُولة . فأصلها أُثفُوِيَة ؛ قلبت الواو ياء وأُدغمت وكسرت الفاء لتبقى الياء على حالها ، واستدلّوا على زيادة الهمزة بقول العرب: ثَفَيْتُ القِدْرَ إذا جعلتَها على الأثافيّ . . وقال قوم : وزنه يُفَعْلِين ، فالهمزة أصل، ووزن أُثفيّة على هذا فُعْلِيّة ، واستدلّوا بقول النابغة :

لا تقذِفَنِّي برُكن لا كِفاء له وإنْ تأثَّفكَ الأعداء بالرِّفَدِ

فقوله تأثَّفك وزنه تفَعَّلك ، لا يصح فيه غيره ؛ ولو كان من ثفَّيت القدر لقال تَثَفَّاك(٢) . ومعناه صار أعدائى حولك كالأثافيّ تظافراً(٣) .

قال ابن جنّي فى شرح تصريف المازنى : « ويُفَعْلِين أولىٰ من يُؤفعَلن ، لأنه لا ضروة فيه » .

وقوله : ومهمهين قَذَفَين . . الخ هذا البيت من شواهد النُّحاة ، أنشده الزّجاج(٤) فى باب ماجاء من المثنى بلفظ الجمع » . وسيأتى إن شاء الله تعالى

---

(١) لأبى حيان الفقسى ، العينى ٤ : ٥٧٨ ، ٩٥٣ وشرح شواهد الشافية ٥٨

(٢) الى هنا ينتهى نقل البغدادى عن الاقتضاب ٤٣٠

(٣) التظافر : التضافر .

(٤) ش : « الزجاجى » .

فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الخمسمائة فى باب المثنّي. والمهمه: القفر المَخُوف، قال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل: واشتقاقه من قولك مَهْمَهْتُ بالرجل: إذا زجرتَه فقلتَ له: مَهْ مَهْ. أراد: أنّ سالكه يُخفى صوته وحركته من خوفه، فإن رفعَ صاحبُه صوتَه قال له: مَهْ مَهْ. ونظير هذا ما ذكره اللغويّون فى قول أبى ذؤيب(١):

* على أطرِقاَ باليات الخيامِ *

فإنهم ذكروا: أن أطرِقاَ موضع، وأنّه سمّى بذلك لأن ثلاثة أنفُس مرّوا به، فتكلّم أحدهم مع صاحبه، فقال لهما الثالث. أطرِقا.

والقَذَف، بفتح القاف والذال المعجمة: البعيد من الأرض. والمَرْت، بفتح الميم وسكون المهملة: الأرض التى لا ماء بها ولا نبات. والظَّهر: ما ارتفع من الأرض، شبّهه بظهر تُرْس: فى ارتفاعه وتعرّيه من النبت، كما قال الأعشى: ٣٦٩

وفلاةٍ كأنّها ظَهرُ تُرْسٍ ليسَ إلاّ الرجيعَ فيها علاقُ

وقوله: جبتهما بالنعت.. الخ، أى نُعِتا لى مرّة واحدة فلم أحتج إلى أن ينعتا لى مرّةً ثانية، وصفَ نفسهَ بالحِذق والمهارة: وهذا يشبه ما أنشده الفارسىّ فى التذكرة:

ومهمهٍ أعوَرِ إحدىٰ العَينينْ بصيرِ الآخرىٰ وأصمِّ الأُذْنينْ
قطعتُه بالسَّمْت لا بالسمْتينْ

قوله: أعور الخ، قال أبو على: كانت فى هذا الموضع بئران فعورتْ

(١) ط: «أبى ذنب» صوابه فى ش. والبيت بتمامه فى الهذليين ١: ٦٤
على أطرقا باليات الخيا * م الا الثمام والا العصى

إحداها وبقيت الأخرى ، فلذلك قال : أعورِ إحدى العينين . وقوله : وأصمّ الأُذنين ، يعنى . أنه ليس به جبَلٌ فيسمعَ صوت الصدى منه . وقوله : بالسَّمت . .الخ ، أى قيل لى مرّة واحدة فا كتفيت . وواو « ومهمهين » واو رُبّ وجوابها جُبْتُهما .

خطام المجاشعى (خِطام المجاشِعى) بكسر الخاء المعجمة ، ومعناه الزمام . قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو خِطامُ الرِّيح المجاشعىّ الراجز ، وهو خِطام بن نصر ابن عياض بن يربوع ، من بنى الأبيض بن مُجاشِع بن دارِم . وهو القائل :

* وماثلاتٍ كما يُؤثفَينْ * اهـ

وذكر الصاغانى فى العباب : أن اسمه بِشْر (بكسر الموحَّدة وسكون الشين المعجمة) .

وقال الآمدى : ومنهم من يقال له : « خِطام الكلب » واسمه بُجير (بضم الموحَّدة وفتح الجيم) ابن رِزام[1] ، ذكره ابن الأعرابى ولم ينسبُه ، وأنشد له :

والله ما أشبهَنى عِصامُ لا خُلُقٌ منهُ ولا قَوامُ
نمتُ وعرقُ الخال لا ينامُ[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه[3] :

(١) ط : « دارم » ، صوابه فى ش والمؤتلف ١١٢
(٢) السمط ٧٩٥ والكامل ٧٩ وطراز المجالس ١٤٨
(٣) سيبويه ١ : ٩٢ . وانظر العينى ٤ : ٤٥١ وابن يعيش ٣ : ٢١ والخصائص ٢ : ٤٠٧ وشرح شواهد المغنى ٢٧٠

١٣٦ (بينَ ذِراعىْ وَجبْهَةِ الأسَدِ)

هذا عجزٌ وصدره :

(يا مَنْ رأى عارِضاً أُسَرُّ بهِ)

على أنّ المضاف إليه محذوف ، بقرينة المضاف إليه الثانى ، أى بين ذراعَىْ الأسد وجبهتِه .

تقدَّم الكلام على مثل هذا فى الشاهد الثالث والعشرين[١] ومَن : منادى وقيل : محذوف المنادى ، أى يا قوم ، ومَن استفهامية . والرؤية بصرية . والعارض . السَحاب الذى يعترض الأفق . وجملة . أُسَرُّ به ، صفةٌ لعارض . والذِراعان والجبهة : من منازل القمر الثمانية والعشرين ، فالذراعان أربعة كواكب ، كل كوكبين منها ذراع .

قال أبو إسحاق الزجّاج فى (كتاب الأنواء) . ذراع الأسد المقبوضة[٢] ، وهما كوكبان نيِّران بينهما كواكبُ صغار يقال لها « الأظفار » كأنها فى مواضع مخالب الأسد ، فلذلك قيل لها الأظفار . وإنّما قيل لها الذراع المقبوضة لأنّها ليست على سَمْت الذراع الأخري ، وهى مقبوضة عنها ، ونوءها يكون لليلتين تمضيان من كانونَ الثانى ، يَسقط الذراع فى المغرِب غُدوة وتطلُع البلْدة والنَّسر الطائر فى المشرِق غُدوة . وفيه يجمد الماء ويشتد البرد . والجبهة : أربعة كواكب فيها عِوَج ، أحدها برّاق وهو اليمانى منها ، وإنّما سمِّيت الجبهةَ لأنّها كجبهة الأسد . ونوءها يكون لعشرٍ تَمضى من شُبَاط ، تسقط الجبْهة فى المغرب غدوة ، ٣٧٠

ويطلع سَعْدُ السعُود من المشرق غُدوة . وفيه تقع الجمرة الثالثة ويتحرَّك أوَّل

(١) الجزء الأول ص ١٧٢ وما بعدها .

(٢) فى الأزمنة ١ : ١٨٩ ، ٣١٧ أنهما ذراعان : مقبوضة ومبسوطة

العُشب ، ويصوِّت الطير ويُورق الشجر ، ويكون مطرٌ جَوْد . ويسمى نوءَ الأسَد ، لأنه يتصلَ بها كواكب فى جبهة الأسد . . وخَصَّ هاتين المنزلتين لأنَّ السحاب الذى ينشأ بنَوء من منازل الأسد يكون مطره غزيراً ، فلذلك يُسرُّ به. والنوء : غيبوبة الكوكب فى المغرب غُدوة وطلوع رقيبه فى المشرق غدوة ، وسمِّى النوء لأنه ناء أى نهض للغيوب . قال الزّجّاج : والذى أختار مذهبُ الخليل : وهو أن النوء اسم المطر الذى يكون مع سقوط النجم ، فاسم مطر الكوكب الساقط النوء اه .

وكانت العرب تزعم أنه يحدث عند نوء كلِّ منزلٍ مطرٌ أو ريح ، أو حَرّ أو برد ، وهذا الذى روى فى الحديث . أن النبي ﷺ قال . « ثلاثٌ مِنْ أمر الجاهليَّة : الطعن فى الأنساب ، والنِّياحة ، والاستسقاء بالأنواء » ، وهو أن تضيف المطرَ إلى الكوكب الذى ينوء .

قال الأعلم : « وصف عارضَ سحابٍ اعترض بين نَوء الذراع ونوء الجبهة ؛ وهما من أنواء الأسد ؛ وأنواؤه أحمَدُ الأنواء . وذكر الذراعين ، والنوء إنّما هو للذراع المقبوضة منهما[1] لاشتراكهما فى أعضاء الأسد[2] . ونظير هذا قوله تعالى (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللؤْلؤُ والمَرْجان) يريد من البحرين المِلح والعذب ، وإنّما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح ، لا منهما .

وهذا البيت للفرزدق . وتقدمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين[3] .

* * *

(١) ما هنا يصحح ما فى الشنتمرى ١ : ٩٢

(٢) ط : « أعداب الأسد » صوابه فى ش والشنتمرى

(٣) الخزانة ١ : ص ٢١٧

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد س[١] .

١٣٧ (كِلِينى لِهَمٍّ يا أُمَيمةَ ناصِب)

هذا صدر ؛ وعجزه قد أنشده فى باب النعت[٢] .

(وليلٍ أُقاسيهِ بَطىءِ الـكَواكب)

على أن (أُميمةَ) جاء بفتح التاء ؛ والقياسُ ضمُّها .

واختلفوا فى التوجيه . فقال الجمهور . إنّه مرخّم ، والأصل يا أُميم ؛ ثم أدخلت الهاء غيرَ معتدٍّ بها ، وفتحت لأنها وقعت موقع ما يستحقّ الفتح وهو ما قبل هاء التأنيث .

ولأبى علىّ الفارسىّ فيه قولان : أحدهما أن الهاء زائدة ، وفتحت إتباعاً لحركة الميم . والثانى أنها أدخلت بين الميم وفتحتها ، فالفتحة التى فى أولها هى فتحة الميم ثم فتحت الميم إتباعاً لحركة الهاء . . وقيل : جاء هذا على أصل المنادى ولم ينوَّن لأنه غير منصرف . وقيل : هو مبنيّ على الفتح ؛ لأن منهم من يبنى المنادى المفرد على الفتح ، لأنها حركة تشابه حركة إعرابه ، فهو نظير : لا رجلَ فى الدار .

وقوله (كلينى) أمرٌ من وَكَلْت الأمر إليه وَكْلا من باب وعد ، ووُكولا : إذا فوّضته إليه واكتفيت به . و (أميمة) تصغير ترخيم أمامة ، وهى بنته . و (ناصب) بمعنى مُنصب : من النصَب وهو التعب ، فجاء به

---

(١) سيبويه ١ : ٣١٥ ، ٢/٣٤٦ : ٩٠ والعينى ٤ : ٣٠٣ وابن يعيش ٢ : ١٢ : ١٠٧ وابن الشجرى ٢ : ٨٣ والهمع ١ : ١٨٥

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٦ بولاق .

على طرح الزائد وحمله سيبويه على النسيب ، أي ذي نصب ، كما يقال طريق خائف أي ذو خوف . و (أقاسيه) : أكابده . يقول : دعيني لهذا الهمِّ المتعِب ومقاساةِ الليل البطيء الكواكب بالسهر ؛ ولا تزيديني لوماً وعذلاً ؛ وجعلَ بُطء الكواكب دليلاً على طول الليل كأنها لا تغرُب فينقضيَ الليل . وما أحسنَ قولَ بعضِهم(١) :

لا أظلِمُ الليلَ ولا أدّعى ... أنّ نجوم الليل ليستْ تَغُورْ

٣٧١ ليلى كما شاءت فإن لم تجىء ... طال وإن جاءتْ فليلى قصير

وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ للنابغة الذبيانيّ ، مدح بها عَمرو بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِر (بفتح وكسر ؛ ويقال شِمْر بكسر فسكون) حين هرب إلى الشام لمّا بلغه سعْي مُرّة بن ربيعة بن قُرَيع به إلى النعمان بن المنذر ، وخافه . وهذا عن أبي عبيدة . وقال غيره : هو ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر . وبعده :

أبيات الشاهد (تطاوَلَ حتّى قلتُ ليسَ بمنقَضٍ ... وليس الذى يَرعى النجومَ بآيب

وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همِّه ... تضاعفَ فيه الحزنُ من كلّ جانب

---

(١) هو ابن بسام ، كما فى نهاية الأرب ١ : ١٣٥ وحماسة ابن الشجرى ٢١٤ ونثار الأزهار لابن منظور ٢٣ وزهر الآداب ٧٤٩ وديوان المعانى ١ : ٣٤٨ والمختار من شعر بشار ٢٠ . وذكروا أنه أخذه من على ابن الخليل حيث يقول :

لا أظلم الليل ولا أدعى ... أن نجوم الليل ليست تزول

ليلى اذا شاءت قصير اذا ... جادت فان ضنت فليلى طويل

أو : ليلى كما شاءت قصير اذا ... جادت وان زارت فليلى قصير

وفى السمط ٣١٠ وشرح الشريشى للمقامات ٢ : ١٥٣ نسب بيتا الخزانة الى بشار .

علىَّ لعمرٍو نعمةٌ ، بعد نِعمةٍ لوالده ليستْ بذات عَقارب)

ومنها :

(ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهمْ بهنّ فُلولٌ من قِراع الكتائب)

وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (المستثنى) .

قوله : وصدر ، معطوف على قوله « لهمّ » فى أوّل البيت . وأراح ، بمهملتين : متعدِّى راحت الإبل بالعشىّ على أهلها : أى رجعت من المرعى إليهم . والعازب ، بالعين المهملة والزاى المعجمة : الغائب ، من عزَب الشىء عُزوبا من باب قعد : بعُد ، وعزَب من بابى قتل وضرب : غاب وخفى . وقوله : لوالده ، أى لوالد عمرو ؛ صفة لنعمة ، أى بعد نعمة كائنة لوالده وقوله : ليست . . الخ ، الجملة صفة إما لنعمةٌ المرفوعة أو لنعمةٍ المجرورة ؛ أى نعمة غير مَشُوبة بنقمة كنعمة النعمان بن المنذر . (وعمرو) هذا هو الغسّانى من ملوك الشام .

قال ابن رَشيق فى العمدة(١) : « أوّل من ولى الشامَ من غسّان الحارث ابن عمرو محرِّق(٢) . سمِّى بذلك لأنه أوّل من حرَّق العربَ فى ديارها ، وهو الحارث الأكبر ، يكنى أبا شمر . . ثم ابنه الحارث بن أبى شَمِر ، وهو الحارث الأعرج ؛ وأمُّه مارية ذات القُرطين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية الكندىّ ؛ وأختها هند الهنود امرأة حُجر آكل المرار الكندى . وإلى الحارث الأعرج زحف المنذِر الأكبر فانهزم جيشه

(١) العمدة ٢ : ١٧٨

(٢) فى النسختين : « عمرو ومحرق » ، صوابه فى العمدة . وجعلها الشنقيطى بقلمه : « بن عمرو وهو محرق »

وقُتل هو . . ثم الحارث الأصغر بن[١] الحارث الأعرج بن الحارث . . ومن ولد الأعرج عَمرُو بن الحارث ، وكان يقال له أبو شمر الأصغر . وله يقول نابغة بني ذبيان :

عليَّ لعمرٍ نعمةٌ ، بعد نعمةٍ لوالده ليست بِذات عقارِب

(والنُعمان بن الحارث) هو أخو الحارث الأصغر . وله يقول النابغة :

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُه مستقبلُ الخير سريعُ التمام[٢]

وللنُّعمان ثلاثة بنين : عمرو ، وحجر ، والنعمان .

ومن ولد الأعرج أيضاً : المنذر ، والأيهَم أبو جَبَلة . وجبَلَةُ آخر ملوك غسّان ، وكان طوله اثنَيْ عشر شِبرا وهو الذى تنصَّر فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٣] » .

« وكان أصل هؤلاء من اليمن ، وكانوا من غسّان ، وقيل من قضاعة . وأوّل ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك . ثم من بعده ابنه مالك . ثم من بعد مالك ابنه عمرو . . إلى خروج مزَيقِيا — وهو عمرو بن عامر — من اليمن فى قومه من الأزد . وسُمّى مزُيقِيا لأنه كان يمزِّق كل يومٍ حُلّة ، لا يعود إلى لُبسها ، ثم يهبُها . وسُمّى عامرٌ ماءَ السماء لأنه كان يُحيي[٤] فى المَحْل فينوب عن الغيث بالعطاء . ومزيقيا : ابن حارثة الغِطريف بن ثعلبة البُهلول بن امرئ ٣٧٢

(١) فى النسختين : « ثم الحارث الأعرج » ، صوابه فى العمدة .

(٢) انظر ما مضى فى الشاهد ١٠٤ وكذا جمهرة القرشى ٢٦ والأغانى ٩ : ١٦١

(٣) المنقول التالى متقدم فى الترتيب عند ابن رشيق على هذا المنقول

(٤) ط : « يجتنبى » . وأثبت ما فى ش . وفى العمدة : « يجىء » وفى بلوغ الأرب ٢ : ١٧٣ : يحتبى » .

القيس البِطْريق بن مازن قاتل الجوع ابن الأزد[(١)] . لما خرج مزيقيا من اليمن كان معه رجل اسمه جِذْع بن سِنان فنزلوا بلادعَكّ ، فقتل جِذعٌ ملكَ بلادِ عَكّ ، وافترقت الأزد ، والملِكُ فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فانصرف عامله فحارب جُرهُم فأجلاهم عن مكّة واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث . وجاء قصيّ بن كِلاب ، فجمّع معدّا — وبذلك سمى مجمِّعاً — واستعان ملكَ الروم فأعانه ، وحارب الأزدَ فغلبهم واستولى على مكة . فلما رأت الأزدُ ضيقَ العَيش بمكّة ارتحلت ، وانخزعتْ خُزاعة لوِلاية البيت — وبذلك سُمِّيت — فصار بعض الأزْد إلى السواد فملّكوا عليهم مالكَ بنَ فَهْم أبا جَذِيمة الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب — فهُمُ الأَوس والخزرَج — وصار قوم إلى عُمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، وأتاه عامل الملك فى خَرْج وجب عليه ، فدفع إليه سيفَه رهنا ، فقال له الرومىّ : أدخِلْه فى حِرِ أمِّك ! فغضب جِذْع وقنَّعه به فقيل : «خذ من جذع ما أعطاك ، وصارت مثلا . ثم استولوا على الشام» كما تقدم ذكره . والله أعلم .

(تتمة)

روى المرزُبانى فى الموشّح[(٢)] عن الصُّولىّ بسنده : أن الوليد بن عبد الملك تشاجر مع أخيه مَسْلَمة فى شعر امرئ القيس والنابغة الذبيانى فى وصف طول الليل أيّهما أجود ، فرضيا بالشَّعبىّ فأُحضِر ، فأنشده الوليد :

كِلينى لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ . . الأبيات الثلاثة

وأنشده مَسْلَمة قولَ امرئ القيس :

---

(١) كذا . وانظر العمدة وبلوغ الأرب .
(٢) الموشح ٣١

وليلٍ كموجِ البحر ، أرْخَى سُدُولَه علىّ بأنواع الهموم ، ليَبْتَلِي

السُّدول : الستور . ويبتلى : [ينظر[١]] ما عندى من صبر أو جزع

فقلتُ له ، لمّا تمطّى بِصُلبِه وأردفَ أعجازاً وناء بكَلْكَلِ

تمطّى : امتد . وصُلبُه : وسطه . وأردف : أتبع . وأعجازه : مآخيره . وناء : نهض . والكلكل : الصدر .

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ، ألا انْجَلِي بصُبْحٍ ، وما الإصباحُ منكَ بأمثَلِ

أى : ما الإصباح بخير لى منك . [والياء فى انجلى أثبتها فى الجزم على لغة طيّء[١]] .

فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَهُ ، بكلِّ مُغارِ الفَتْل ، شُدَّت بيَذْبُلِ

المغار : الحبْل المحكَم الفتل . ويَذْبُل : جبل .

كأنَّ الثُرَيّا عُلِّقَت فى مَصَامِها بأمراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

فى مصامِها : فى مقامها . والأمراس : الحبال . والجندل : الحجارة . والصمّ : الصلاب .

قال : فضرب الوليدُ برجله طربا ! فقال الشَّعبيّ : بانت القضيّة !

قال الصُّولىّ : فأما قول النابغة :

* وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همِّهِ *

فإنّه جعلَ صدرَه مألفاً للهموم ، وجعلها كالنَّعَم العازبة بالنّهار عنه ، الرائحةِ مع الليل إليه ، كما تُريح الرُّعاةُ السائمةَ بالليل إلى مكانها[٢] . وهو أوّل مَنْ وصف أن الهموم متزايدة بالليل ، وتبعه الناس ، فقال المجنون :

(١) التكملة من الموشح .
(٢) الموشح : « الى أماكنها » .

يَضُمُّ إلىَّ الليلُ أطفالَ حبِّها(١) كما ضمَّ أزرارَ القَميصِ البَنائقُ

وهذا من المقلوب ، أراد : كما ضمَّ أزرارُ القميص البنائقَ — ومثلُ هذا كثير — فجعل المجنون ما يأتيه فى ليلهِ ، ممّا عَزَبَ عنه فى نهاره ، كالأطفال الناشئة . وقال ابن الدُّمَيْنة :

٣٧٣

أظلُّ نهارى فيكم مُتعلِّلا ويَجمعنى والهمَّ بالليل جامعُ(٢)

(ويُروى صدره : أقضِّى نهارى بالحديث وبالمنى(٣))

فالشعراء على هذا متّفقون ، ولم يشذَّ عنه منهم إلا أحذقُهم بالشعر وهو امرؤ القيس : فإنّه بِحذقه وحُسن طبْعه وجودة قريحته ، كرِه أن يقول : إنّ الهمَّ فى حُبِّه يخفّ عنه فى نهاره ، ويزيد فى ليله ؛ فجعل الليلَ والنهار سواءً عليه فى قلقه وهمّه وجزعِه وغمه ؛ فقال :

ألا أيها الليل الطويل . . البيت

وقد أحسن فى هذا المعنى الذى ذهب إليه ، وإن كانت العادة غيرَه ، والصورةُ لا توجبه . وقد صبَّ الله على امرئ القيس بعده شاعراً أراهُ استحالةَ معناه فى المعقول ، وأن الصورةَ تدفعه ، والقياسَ لا يوجبه والعادةَ غيرُ جارية به ؛ حتى لو كان الرادّ عليه من حُذّاق المتكلمين ، ما بلغ فى كثير نثرِه ، ما أتى به فى قليل نظمه ؛ وهو الطِّرِمّاح بن حكيم الطائى : فإنه ابتدأ قصيدةً فقال :

٣٧٤

ألا أيُّها الليل الطويل ، ألا اَصبِحِ ببَمّ ، وما الإصباح فيكَ بأروَحِ(٤)

فأتى بلفظ امرئ القيس ومعناه ، ثم عطف محتجًّا مستدرِكاً فقال :

(١) فى الموشح : « أطفال حبكم »
(٢) ط : « بالهم والليل جامع » . وانظر ديوانه ٨٨ .
(٣) هذا الكلام للبغدادى ، وما بعده للمرزبانى
(٤) بم : أرض من كرمان . وفى النسختين : « بيم » صوابه فى الديوان ٦٨ ومعجم البلدان والأغانى ١٠ : ١٤٨ واللآلىء ٢٢٠ وديوان المعانى ١ : ٢٤٦ وفى زهر الآداب ٧٤٨ : « بيوم » تحريف .

بَلَى ، إنّ للعينين فى الصُّبْح راحةً لطرحهما طرْفَيهما كلَّ مَطْرَح

فأحسَنَ فى قوله وأجمَل ، وأتى بحقّ لا يُدْفَع ، وبيّن عن الفَرْق بين ليله ونهاره . وإنّما أجمع الشعراء على ذلك ، من تضاعُف بلائهم بالليل وشدّة كلَفهم ، لقلّة المساعِد وفَقْدِ الحبيب ، وتقييدِ اللَّحْظِ عن أقصى مرامى النظر[1] ، الذى لا بدّ أن يؤدِّىَ إلى القلب بتأمّله شيئاً يخفِّف عنه[2] ، أو يغلب عليه فينسى ما سواه . وأبيات امرئ القيس فى وصف الليل ، اشتمل الإحسان عليها ، ولاح الحذقُ فيها ، وبانَ الطبع بها ؛ فما فيها مَعابٌ إلاّ من جهة واحدة عند الحذّاق بنقد الشعر ، وهو قوله : (فقلت له لما تمطّى . . البيت) لم يَشرح (فقلت له) إلا فى بيت بعده . وهذا عَيب ؛ لأن خير الشعر ما لم يحتَجْ بيتٌ منه إلى بيت آخر . وقد تبع الناس امرأ القيس وصدّقوا قوله ، وجعلوا نهارهم كليلهم ، فقال البحترى فى غضب الفَتْح عليه :

وألبستَني سُخطَ امرئ بتُّ مَوهِنا أرى سُخْطَه ليلاً مَعَ الليل مظلِما

وكأنّه من قول أبى عُيينة فى التذكُّر لوطنه :

طال من ذِكرِه بجُرْجان لَيلِى ، ونهارى علىَّ كالليل داجى »

وترجمة النابغة الذبيانى قد تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة[3] .

الترخيم

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد س[4] :

(١) فى النسختين : « مرام النظر » ، صوابه من الموشح ٣٣ .
(٢) فى النسختين : « يخف عنه » ، ووجهه من الموشح .
(٣) أنظر ص ١٣٥ من هذا الجزء .
(٤) سيبويه ١ : ٣٤٣ والعينى ٤ : ٢٩٠ وابن يعيش ٢ : ٢٠ وابن الشجرى ١ : ١٢٦/٢ : ٨٨ والانصاف ٤٣٧ وديوان زهير ٢١٤

١٣٨ (خُذُوا حَظَّكمْ يا آلَ عِكْرِمَ واذكُرُوا   أواصِرَنا، والرَّحْمُ بالغَيبِ تُذْكَرُ)

على أن الكوفيين أجازوا ترخيم المضاف، ويقع الحذف فى آخر الاسم الثانى، كما فى البيت وفى أبيات، أخر كثيرة، والأصل: ياآل عكرمة. وقالوا: المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشيء الواحد، فجاز ترخيمه كالمفرد. ومنع البَصريّون هذا الترخيمَ وقالوا: لاحجة فى هذا البيت وأمثاله، لأنه محمول على الضرورة. ٣٧٤
والترخيم ضرورةً جائز فى غير النداء أيضا كقوله:

أودىٰ ابن جُلهُم عبّاد بصِرْمته   إنّ ابنَ جُلْهُم أمسىٰ حيَّة الوادى[1]

أراد جُلهُمة.

وهذا البيت من أبيات تسعة لزهير بن أبى سُلمى. قالها لبنى سُلَيم، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غَطفَان. وهى هذه: قصيدة الشاهد

(رأيتُ بنى آلِ امرئ القيس أصْفَقوا   علينا، وقالوا: إنّنا نحنُ أكثرُ
سُلَيمُ بنُ منصور، وأفناء عامر،   وسعدُ بن بكر، والنُّصور، وأعصُرُ)

بنو آل امرئ القيس: هوازن وسُلَيم بالتصغير. وقوله: أصفقوا علينا، أى اجتمعوا، يقال أصفق القومُ على كذا: إذا اجتمعوا عليه. وقوله: سُلَيم ابن منصور، أى منهم سليم. وأفناء عامر: قبائلها. وسعد بن بكر، من هوازن، وهم الذين كان النبي ﷺ مسترضَعاً فيهم. والنُّصور: بنو نصر، وهم من هوازن أيضا، سمِّى كل واحد منهم باسم أبيه ثم جُمع. وأعصُر أبو غَنيّ وباهلة. وكل هؤلاء من ولد عكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس عَيلان ابن مضر.

(١) أنظر الشاهد ١٤١ فيما سيأتى. ط: «بصدمته» تحريف

(خذوا حظَّكم يا آل عكرِمَ واذكروا أواصرَنا والرَّحْم بالغيب تذكر

خُذوا حظَّكم من وُدِّنا، إنّ قُرْبنا إذا ضرَّستنا الحرب نارٌ تسعَّرُ)

(الحظّ) النصيب. يقول: صونوا حظّكم من صلة القرابة، ولا تُفسدوا ما بيننا وبينكم، فإنَّ ذلك مما يعود مكروههُ عليكم. و(آل عكرمة) هم بنو عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ورخَّم عكرمة ضرورة. و(الأواصر): جمع آصرة، وهى ما عطفك على رجلٍ. من رحمٍ أو قَرابة أو صهر أو معروف. والرِّحم: موضع تكوين الولد — وتخفَّف بسكون الحاء مع فتح الراء، ومع كسرها أيضا فى لغة بنى كلاب — ثم سمِّيت القرابة والوُصلة من جهة الوَلاء رحما، فالرحم خلاف الأجنبيّ، وهو مؤنث فى المعنيَين. والرحم التى بين قوم زهير وبينهم: أن مُزَينة من ولد أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر، وهؤلاء من ولد قيس بن عيلان بن مضر.

وقوله: إذا ضرَّسْتنا الحرب، أى عضّتنا بأضراسها، وهذا مثلٌ للشدة. يقول: إذا اشتدّت الحربُ فالقربُ منا مكروه، وجانِبنا شديد. وضربَ النار مثلا لذلك. ومعنى تسعَّرُ — وأصله تتسعر — تتقّد

(وإنَّا وإياكم إلى ما نسومُكمْ لَمِثلانِ، أو أنتم إلى الصُّلح أفقرُ)

يقول: نحن وأنتم مثلان فى الاحتياج إلى الصلح وترك الغزو، بل أنتم إلى ذلك أحوج وأشدُّ افتقاراً إليه. ومعنى نسومكم: نعرض عليكم وندعوكم، يقال سمته الخسفَ، أى طلبت منه غير الحقّ وحملتُه على الذلّ والهوان.

(إذا ما سمعنا صارخاً مَعجتْ بنا إلى صوته وُرْقُ المَراكِل ضُمَّرُ)

الصارخ هنا المستغيث. ومعّجت بنا، أى مرت مرًّا سريعاً فى سهولة. وقوله: ورق المراكل ضمَّر، هو جمع أورق وهو الأسود فى غبرة، والمركل

كجعفر : موضعُ عقِب الفارس من جنب الفرس . أى قد تحاتَّ الشعَرُ وتساقط عن مَرَاكلها فاسودّ موضعه ، لكثرة الركوب فى الحرب. ٣٧٥

(وإن شُلَّ رَيعانُ الجميع مَخافةً تقول جهاراً: ويلكم لا تُنفِّروا[1]!
على رِسْلِكم، إنا سنُعدى وراءكم فتَمنعكم أرماحُنا أو سنُعذِرُ
وإلاّ ، فانّا بالشَّرَبَّة فاللوى نُعقِّرُ أُمّاتِ الرِباعِ ونَيْسِرُ)

يقول : إن أحسّ القوم بالعدوّ فطردوا أوائل إبلهم وصرفوها عن المرعى ، أمرناهم بأن لا يفعلوا ، وقلنا لهم مجاهرة : ويلكم! لا تنفّروا ولا تطردوها ، فنحن نمنعها من العدوّ ونقاتل دونها .

وشلّ بالبناء للمفعول : طُرِد[2] . وريْعان كل شىء : أوّله . وقوله : على رِسلكم ، بالكسر ، أى على مهلكم ورفقكم ؛ والمعنى : أمهلوا قليلا . وقوله : سنعدِى وراءكم ، أى سنعدى الخيلَ وراءكم ؛ يقال عدا الفرسُ وأعداه فارسه . وقوله : سنُعذِر ، أى سنأتى بالعذر فى الذبّ عنكم ؛ يقال أعذر الرجل فى الأمر : إذا اجتهد وبلغ العذر . وقوله : وإلاّ فإنا . . الخ ، يقول : وإن لم يكن قتال فانّا بالشَّرَبَّة ، أى بمنازلها التى تعلمون ، نحن فيها آمنون ، نضرب بقِداح الميسر وننحر النُّوق الكريمة .

والرِّباع : جمع رُبَع ، وهو ما نُتج فى الربيع . وقداح الميسر تعدّ عندهم من المكارم ، يتفاخرون بلعبها فى القحط . ويقال فيما لا يعقل : أمّ وأُمّات ، وفيما يعقل : أُمّهات ؛ وربما استُعمل كلّ واحد منهما مكانَ صاحبه . ونَيسِر : نقامر : وفعله من باب وعد .

(١) ش : « يُشْلَ » فى المتن والشرح بعده ، تحريف فقد فسره البغدادى بأنه بمعنى طرد . والشل : الطرد . وما أثبته أيضا هو رواية الديوان ٢١٦ .

(٢) ش : « يطرد »

ورُوِى :

* وإن شَدّ رُعْيان الجميع مخافة *

وشدّ بمعنى فرّ . ورُعيان : جمع راع . . ووراءكم : أمامكم . وسنعذر رُوِى بالمثناة الفوقية ، والضمير للرماح . والشَّرَبَّة بفتح الشين والراء وتشديد الموحدة : موضع ببلاد غطفان . وكذلك اللِّوىٰ .

زهير و (زهير) هو زهير بن أبى سُلمى . واسم أبى سُلمى ربيعة بن رِياح المزَنىّ من مزينة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ؛ وكانت مَحلّتهم فى بلاد غطفان . فيظنّ الناس أنه من غطفان ، أعنى زهيراً ، وهو غلط . كذا فى الاستيعاب لابن عبد البرّ . وكأن هذا ردٌّ لما قاله ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[1] فإنه قال : « زهير هو ابن ربيعة بن قُرط . والناس ينسبُونه إلى مزينة ؛ وإنما نسبهُ إلى غطفان » اهـ .

وسُلمى بضم السين قال فى الصحاح : « ليس فى العرب سُلمى بالضم غيره » ورِياح بكسر الراء وبعدها مثناة تحتية .

وزهير أحد الشعراء الثلاثة الفحول، المتقدّمين على سائر الشعراء بالاتفاق ، وإنّما الخلاف فى تقديم أحدهم على الآخر وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبيانى . قال ابن قتيبة[2] : « يقال : إنّه لم يتصل الشعر فى ولدِ أحد من الفحول فى الجاهليّة ما اتصل فى ولد زهير ، وفى الإسلام ما اتصل فى ولد جرير . وكان زهيرُ راويةَ أوس بن حجَر . وعن عكرمة بن جرير قال : قلت لأبى : مَنْ أشعَرُ الناس ؟ قال : أجاهليّة أم إسلاميّة ؟ قلت : جاهليةً . قال : زهير .

(١) الشعراء ٨٦ .

(٢) الشعراء ٨٦ ، ٨٧

قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد نعت الملوك ، ويصيب صفة الخمر . قلت له : فأنت ؟ قال : أنا نحرت الشِّعْرَ نحراً » .

وقال ثعلب ، وهو ممن قدّم زهيراً : كان أحسنَهم شعراً ، وأبعدهم من سُخْف ، وأجمعَهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق ، وأشدَّهم مبالغة فى المدح ، وأكثرَهم أمثالاً فى شعره . وقال ابن الأعرابى : لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سُلمى شاعرة ، وأخته ٣٧٦
الخنساء شاعرة ، وابناه كعب وبُجير شاعرين ، وابنُ ابنه المضرَّب بن كعب[1] شاعراً ، وهو الذى يقول :

إنّى لأحبِسُ نفسى وهى صابرة[2] عن مُصعَب ولقد بانت لى الطرق
رُعْوى عليه كما أرعىٰ على هَرِم[3] جدِّى زهيرٌ وفينا ذلك الخُلُق
مدْحُ الملوكِ وسَعيٌ فى مَسَرَّتهم ثم الغِنىٰ ، ويد الممدوح تَنطلق

وكعب هو ناظم :

* بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ *

وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى فى أفعال القلوب[4] .

قال ابن قتيبة : وكان زهيرٌ يتألّه ويتعفّف فى شعره ، ويدلُّ [شعرُه[5]] على إيمانه بالبعث ، وذلك قوله :

يُؤَخَّرْ فيودَعْ فى كتابٍ فيُدَّخَرْ ليومِ الحسابِ أو يُعَجَّلْ فينقم

---

(١) انظر سبب تنقيبه بالمضرب فى الشعراء ٩٢
(٢) الأغانى ٩ : ١٥١ : « وهى صادية » .
(٣) الأغانى : « رعوا عليه » .
(٤) فى الشاهد ٧١٤ .
(٥) التكملة من ش وابن قتيبة ٨٨ .

وشبه زهير امرأةً بثلاثة أوصاف فى بيت واحد فقال :

تنازعها المها شَبَهاً ودُرُّ الـ بحور وشاكهت فيها الظباء[١]

ففسّر ثم قال :

فأمّا ما فُويقَ العِقْدِ منها فمن أدْماء مَرتعُها الخَلاء
وأما المقلتانِ فمن مَهاةٍ وللدُّرُّ الملاحة والصَفاء

وقال بعض الرواة : لو أنّ زهيراً نظر إلى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرىّ[٢] ما زاد على ما قال :

فإنّ الحقَّ مقطعُه ثلاثٌ : يَمينٌ أو نِفار ، أو جلاء

يعنى يميناً ، أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات ، أو جلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحقّ وتتّضح الدعوى » .

وديوان شعر زهير كبير ، وعليه شرحان ، وهما عندى والحمد لله والمنّة ، أحدهما بخطّ مهلهل الشهير الخطّاط صاحب الخطّ المنسوب .

وغالب شعره مدْحٌ فى هرِم بن سِنان أحد الأجواد المشهورين ، ومن شعره فيه قوله :

صحا القلبُ عن سلْمَى وقد كاد لا يسلو

قال صاحب الأغانى[٣]. هذه القصيدة أوّلُ قصيدة مدح بها زهير هَرِماً ، ثم تتابع بعده . وكان هرِمٌ حلَفَ أن لا يمدَحهُ زهيرٌ إلا أعطاه، ولا يسألهُ إلاّ أعطاه،

(١) ط والشعراء : « تنازعت المها » ، وفى ط : « وشابهت » .
(٢) انظرها فى البيان ٢ : ٤٨ .
(٣) الأغانى ٩ : ١٤٦ .

ولا يسلِّم عليه إلاّ أعطاه : عبداً أو وليدةً أو فرساً. فاستحيا زهير منه ، فكان زهير إذا رآه فى ملأ قال . أنعِموا صباحاً غير هَرِم ، وخيرَكم استثنيتُ . .

وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم : أنشِدْنى بعضَ مدح زهيرٍ أباك ؛ فأنشده فقال عمر : إنْ(١) كان ليحسن فيكم المدح . قال : ونحن والله [إن(٢)] كنا لنُحسِنُ له العطيَّة . قال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .

وفى رواية عمر بن شَبَّة : قال عمر لابن زهير : ما فعلَتِ الحللُ التى كساها هرِمٌ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الحُللَ التى كساها أبوك هرماً لم يُبلِها الدهر !

ويستجاد قوله فى هرِم :

قد جعلَ المبتغُون الخير فى هِرم   والسائلون ، إلى أبوابه طرُقا

من يَلْقَ يوماً عَلَى عِلاَّته هَرِماً   يَلْقَ السماحةَ فيه والندىٰ خُلُقا

ورُوِى أن زهيراً كان يَنظِم القصيدة فى شهر ، وينقِّحها ويهذِّبها فى سنة ، وكانت تسمَّىٰ قصائده (حَوليّات زهير) . وقد أشار إلى هذا البهاء زهير ٣٧٧
فى قوله من قصيدة :

هذا زُهيرُكَ لا زُهير مُزَينة   وافاك لا هَرِما على عِلاّتِهِ

دَعْهُ وحَولياته ثم استمعْ   لزهيرِ عَصرِكَ حُسْنَ لَيْلِيَّاتِهِ

وكان رأىٰ زهيرٌ فى منامه فى أواخر عمره : أنّ آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسُّها بيده ، ثم تركه فهوىٰ إلى الأرض . فلما احتُضِر قصَّ رؤياه على ولده كعب ثم قال : إنّى لا أشك أنه كائنٌ من خبر السماء بعدِى ؛ فإن كان

(١) فى النسختين : « انه » ، والوجه من الأغانى .
(٢) التكملة من الأغانى

فتمسَّكوا به وسارعوا إليه. ثم تُوفيِّ قبل المبعث بسنة. فلما بُعثَ ﷺ، خرج إليه ولدُه كعبٌ بقصيدته (بانت سعاد) وأسلَم، كما يأتي بيانها فى أفعال القلوب إن شاء الله تعالى.

وروى أيضاً: أنَّ زهيراً رأىٰ فى منامه أنَّ سبباً تدلّىٰ من السماء إلى الأرض وكان الناس يمسكونه[1]، وكلما أراد أن يمسكه تقلّص عنه. فأوَّله بنبيٍّ آخرِ الزمانِ، فإنه واسطة بين الله وبين الناسِ، وأنّ مدّته لا تصل إلى زمن مبعثه، وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائة[2]:

١٣٩ (أبا عُرْوَ لاتبعَدْ، فكلُّ ابنِ حُرَّةٍ
سيَدعُوه داعى مَوْتَةٍ فيُجيبُ)

لما تقدّم فى البيت قبله: فانّ (أبا عُرْوَ) منادى بحرف النداء المحذوف؛ وأبا منادى مضاف لما بعده، وعُرو: مرخّم عروة: والكلام عليه كما تقدم فى البيت قبله

قال ابن الشجرىّ فى أماليه: «ومما يدلّ على مذهب سيبويه — ولم يكن فيه ما تأوّله أبو العباس المبرِّد فى بيت زهير، فزعم أنه أراد: يا آل عكرمٍ، بالجرّ والتنوين — قولُ الشاعر:

أبا عُرْوَ لا تَبْعَد . . . البيت

(١) ط: «كأن الناس يمسكونه»، صوابه من ش

(٢) أنظر أيضا العينى ٤: ٢٨٧ وأمالى ابن الشجرى ١: ١٢٩ والانصاف ٣٤٨ وابن يعيش ٢: ٢٠

ألا ترى أنه لا يمكنُ أبا العبّاس أن يقول : إن عروة قبيلة ، كما قال ذلك فى عكرمة ! ولا يمكنه أن يقول : أراد أبا عُروٍ ، بالجرّ والتنوين . فمنعه من ذلك أن عُروة لا ينصرف للتأنيث فى التعريف(١) » انتهى

وروى ابنُ الشجرىّ هذا البيتَ كرواية الشارح المحقِّق ؛ وأنشده ابن الأنبارىّ فى مسائل الخلاف ، وكذا ابن هشام فى شرح الألفية :

* سَيَدْعُوه داعى مِيتةٍ *

بكسر الميم . والمِيتة : الحالة التى يموت عليها الإنسان . وزاد ابن السكِّيت (فى كتاب المذكر والمؤنث) رواية : (ستدعوه) بمثنّاة فوقية لا تحتيّة على أن قوله (داعى) اكتسب التأنيث من إضافته إلى المؤنث . وكذلك أورده الفرّاء عند تفسير قوله تعالى : (إنَّهاإنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَل(٢)) . قال : فإن قلتَ : إنّ المثقال ذَكَر ، فكيف قال تكُ ؟ قلتُ : لأن المثقال أضيف إلى الحبّة ، وفيها المعنى ، كأنه قال : إن تكُ حبّة . ثم أنشدَ البيت فقال : أنّث فعلَ الداعى ، وهو ذَكَر . لأنه ذهب إلى الموتة .

وقوله : (لا تبعَد) أى لا تهلك ، وهو دعاء خرج بلفظ النهى ، كما يخرج الدعاء بلفظ الأمر وإن كان ليس بأمر ، نحو : اللهم اغفر لنا . يقال بعِد الرجلُ يبعَد بعَداً من باب فرح ، إذا هلك ، وإذا أردت ضدّ القرب قلت : بعُد يبعُد بضم العين فيهما ، والمصدرُ على وزن ضدّه وهو القرب ؛ وربّما استعملوا هذا فى معنى الهلاك لتداخل معنييهما . فإن قيل : كيف قال لا تبعدَ وهو قد هلك ؟ أُجيب بأنّ العَرب قد جرت عادتُهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ، ٣٧٨

(١) ش : « لا ينصرف فى التعريف » .
(٢) الآية ١٦ من سورة لقمان .

ولهم فى ذلك غرضان : أحدهما أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنَّهم لا يصدِّقون بموته . وقد بيّن هذا المعنى النابغةُ الذبيانىّ بقوله :

يقولون «حِصْنٌ» ثم تأبى نفوسُهم وكيفَ بحِصْنٍ والجبالُ جُنُوحُ ؟
ولم تَلفِظ الموتى القبورُ ، ولم تزَلْ نجومُ السماءِ ، والأديمُ صحيح

أراد : أنهم يقولون : مات حصن ؛ ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ، ويقولون : كيف يجوز أن يموت ، والجبال لم تنسف ، والنُّجوم لم تنكدِر ، والقبور لم تُخرِج موتاها ، وجِرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث .

وهكذا تستعمله العرب فيمن هلك فساء هلاكُه وشقَّ على من يفقِده . قال الفَرَّار السُّلَمىّ :

ما كان ينفعنى مقالُ نسائهم ، وقتلتُ دون رجالهم : لا تبعَدِ[1]

ومثله قول مالك بن الرَّيب من قصيدة تقدَّمت[2] :

يقولون : لا تَبعَد ، وهم يدفِنوننى وأينَ مكانُ البعد إلاّ مكانيا !

والغرض الثانى : أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا يُنسَى ؛ لأن بقاء ذكرِ الإنسان بعد موته بمنزلة حياته ؛ كما قال الشاعر :

فأثنُوا علينا ، لا أبا لأبيكمُ ! بأفعالنا ، إن الثناء هو الخُلْدُ[3]

وقال آخر :

فإنْ تكُ أفنتهُ الليالى فأوشكتْ فإنّ له ذكراً سيُفنى اللياليا

(١) فى الحماسة ١٩٢ بشرح المرزوقى : « خلف رجالهم » .
(٢) انظر ص ٢٠٥ من هذا الجزء
(٣) البيت للحادرة الذبيانى فى البيان ٣ : ٣٢٠ والحيوان ٣ : ٤٧٥ ويروى . « بأحسابنا » و « بإحساننا » .

وقال المتنبي ، وأحسن :

ذِكْرُ الفتى عمرُه الثانى ، وحاجته   ما قاتَهُ ، وفضولُ العيش أشغالُ[1]

وقد بيَّن الفرار السُّلَمىّ ومالك بن الريب ما فى هذا من المحال فى البيتين المذكورين .

وقوله : (فكلّ ابن حُرّة) الفاء للتعليل . يقول : لا أنسى اللهُ ذكرك بالثناء الجميل فى الدنيا ، فإن الإنسانَ لا بدّ له من الموت ، فانْ ذُكِر بالجميل فكأنّه لم يمُتْ . وذكَرَ الحُرّةَ وأراد المرأة ؛ أو تقول : أبناء الحرائر إذا كان لا بدّ لهم من الموت ، فموتُ أبناء الإماء من بابِ أولىٰ . . والسين فى قوله : (ستدعوه) للتأكيد لا للتسويف . وقوله . (فيجيب) معطوف على ستدعوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

١٤٠ (دِيارُ مَيَّةَ إذْ مَىٌّ تُساعِفُنا   ولا يَرَىٰ مِثْلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ)

على أن الترخيم فى غير النداء ضرورة ، إذ (مىّ) مرخّم مية وهو غير منادى .

وأنشد سيبويه هذا البيت فى كتابه فى موضعين : أحدهما هذا ؛ قال : وأما قول ذى الرُّمّة :

(١) كذا « قاتة » بالقاف فى النسختين ، ويؤيده ما قال العكبرى : « قال ابن القطاع : صحف الرواة هذا البيت فرووه : فاته ، بالفاء ، والصواب بالقاف » .

(٢) سيبويه ١ : ١٤١ ، ٣٣٣ . وانظر نوادر أبى زيد ٣٢ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٩٠ والهمع ١ : ١٦٨ وديوان ذى الرمة ٣ .

ديار مَيَّة إذ مىُّ تساعِفنا . . البيت

فزعم يونس أنه كان يسمِّيها مرّةً ميًّا ومرّة ميّة . انتهى . وكذا فى الصحاح قال : « مية اسم امرأة ، ومىّ أيضاً » . وعلى هذا فيكون ما فى البيت على أحد الوجهين ، فلا ترخيم ولا ضرورة ، فيكون مىُّ مصروفاً كما يصرف دعْد ، لأنه ثلاثىّ ساكن الوسط .

قال ابن الشجرىّ فى أماليه : « ومنع المبرّد من الترخيم فى غير النداء على لغة من قال يا حارِ بالكسر » ، إلى أن قال : وكذلك يقولون فى قول ذى الرمة : ٣٧٩

ديار ميّة إذ مىُّ تساعفنا[1] . . . البيت

أنه كان مرّة يسميها ميًّا ومرّة يسميها ميّة . قال : ويجوز أن يكون أجراه فى غير النداء على يا حارُ بالضم ، ثمّ صرفه لما احتاج إلى صرفه . قال : وهذا الوجه عندى ، لأن الرواة كلهم ينشدون :

فيا مىُّ ما يدريكِ أينَ مُناخنا . . البيت[2] انتهى

والموضع الثانى من كتاب سيبويه أورده على أن ديارَ ميّة منصوب بإضمار فعل كأنه قال : أذكرُ ديارَ مية ، ولا يذكر هذا العامل لكثرته فى كلامهم ، ولِما كان فيه من ذكر الديار قبل ذلك . ونص كتابه : «ومما التُزم فيه الإضمار قولُ الشعراء : ديار فلانة ، قال :

ديارَ ميَّة إذ مىُّ تساعفنا . . البيت

---

(١) فى النسختين « يا دار مية » وان كان الشنقيطى حورها الى « ديار » ، وصوابه من أمالى ابن الشجرى .

(٢) البيت لذى الرمة فى ديوانه ١٧٢ . وعجزه فيه وفى الامالى : « معرقة الألحى يمانية سجرا »

كأنه قال: أذكُرُ[١]. ولكنه حذف لكثرة الاستعمال » ثم قال : «ومن العرب من يرفع الديار ، كأنه يقول تلك ديار فلانة » . انتهى

ويجوز أن يكون مجروراً على أنه بدلٌ من دارٍ في بيت قبله بثلاثة أبيات ، وهو :

(لا ، بلْ هو الشوقُ من دارٍ تخوَّنَها مَرًّا سَحابٌ ومرًّا بارحٌ تَرِبُ[٢])

وهما من قصيدة طويلة جدًّا في النسيب بميَّة ووصْفِها ، وهي أحسن شعره ، حتى قال جرير : ما أحببت أن يُنسَب إلىّ من شعر ذي الرمّة إلاّ هذه القصيدة ، فإن شيطانه كان فيها ناصحاً[٣] ولو خرس بعدها لكان أشعر الناس.

وروى الأصمعيّ في شرح ديوانه عن أبي جَهمة العدويّ قال : سمعت ذا الرمّة يقول : مِن شعري ما ساعدني فيه القول ، ومنه ما أجهدت فيه نفسي ، ومنه ما جُننت فيه جنوناً . فأما الذي جننت فيه فقولي :

* ما بالُ عينكَ منها الماء ينسكبُ[٤] *

وأما ما طاوعني فيه القول ، فقولي :

* خليليّ عوجا من صدور الرواحلِ[٥] *

وأما ما أجهدت فيه نفسي فقولي :

* أأَن ترسّمتَ من خَرقاء منزلةً * اه

---

(١) الشنتمرى : « أذكر ديار مية واعنيها » .

(٢) ط : « مر السحاب ومر بارح ترب » ، صوابه في ش والديوان واللسان (خون)

(٣) ط : « ناضحا » ، صوابه في ش

(٤) ط : « عنيك » ، صوابه في ش والديوان

(٥) في النسختين : « عن صدور » ، وصححها الشنقيطي في نسخته

أبيات الشاهد ومن أوّل القصيدة إلى بيت الشاهد عشرة أبيات لا بأس بإيرادها وهى هذه :

(ما بالُ عَيْنكَ منها الماء يَنسكِبُ كأنّه من كُلًى مَفرِيَّةٍ سَرَبُ)

الكُلى : جمع كُلية ، وهى الرُّقعة تكون فى أصل عرَوْة المزادة . والمفريّة: المقطوعة المخروزَة ؛ يقال فريت الأديم : إذا شققته وخرزته ، وأفريته : إذا شققته . ففرىٰ بلا ألف : شقٌّ معه إصلاح ، وأفرى مع ألف : شقّ فى فساد . وسَرِب،رواه أبوعمرو بكسر الراء،بمعنى السائل، ورواه الأصمعى وابن الأعرابى بفتحها ؛ قال : السرب الماء نفسه الذى يُصبُّ فى المزادة الجديدة لكى تبتلّ مواضع الخرْز والسُّيور ؛ سرِّبْ قِرْبتك : أى صُبَّ فيها الماء حتى تستحكم مواضع الخرْز .

(وَفْرَاء غَرْفِيّةٍ أثأىٰ خوارزُها مُشلشَلٌ ضَيَّعتهُ بينها الكُتَبُ)

وفْراء أى ضخمة ، صفة مفريّة ، أى مزادة وفراء . وغَرفية : منسوبة إلى الغَرف وهو دباغٌ بالبحرْين ، وقيل : شجر يدبغ به ؛ وقال أبو عمرو : هو الأرطىٰ مع التمر والمِلح ، يدبغ به . وأثأى : أفسد ، ومفعوله محذوف أى الخرز ؛ يقال أثأيت الخرز : إذا خرمته . والخوارز فاعل أثأى ، وهو جمع خارزة ، وهى التى تَخيط المزادة المشلشل : نعت سَرَب وهو الماء الذى يتصل تقاطره ولا ينقطع . والكُتَب ، بالمثناة الفوقية : الخُرَز ، جمع كُتْبة ؛ وكل شيء ضممته فقد كتبته . ٣٨٠

(أستحدَثَ الركْبُ عن أشياعهم خبراً أمراجع القلبَ من أطرابهِ طَرَبُ[1])

(١) ويروى : « أم عاود القلب » . وانظر الديوان ص ١ .

الرَّكْبُ : أصحاب الإبل ، جمع راكب كصحب جمع صاحب . والأشياع : الأصحاب . وأستحدَثَ بفتح الهمزة : استفهام . يقول : بكاؤك وحزنك ألخبرٍ حدَث ، أم راجعَ قلبك طرب ؟ والطرب : استخفاف القلب فى فرح كان أو حزن .

وهذا البيت من شواهد شرح الشافية للشارح المحقّق(١) :

(مِن دِمنةٍ نَسفَت عنها الصبَّا سُفَعاً كما تُنَشَّر بعد الطِّيَّة الكُتُبُ
سَيلا من الدِّعْصِ أَغْشَتْهُ معالمها(٢) نَكباء تَسحَبُ أعلاهُ فَينسَحِبُ)

كأنه قال : راجع القلبَ طربٌ من دمنة ، أى من أجل دمنة . ورُوى : (أم دمنة) كأنه قال : أم دمنة هاجت حزنك ! والدِّمْنة : آثار الناس وما لطّخوا وسوّدوا . والسُّفع : قال الأصمعىّ : هى طرائق الرمل ، سُود وحمر. ونصب سُفعاً بنسفَت وأتبع السيل سُفَعاً ، وذلك السفع سيل من الدعص . يريد رملا سال من دعص ، جعله كالنعت للسيل ، فكأنه قال : كشفت الصَّبا عن الدمنة سفعا ، ورَدَّ سيلاً على السفع . يقول : فظهرت الأرض كما تنشَّر الكتب بعد أن كانت مطوية . وقال ابن الأعرابى : السُّفَع جمع سُفْعة ، وهو سواد تدخله حمرة ، تكون فى الأثافى . ونصب سفعًا على الحال ، ونصب سيلاً بنسفت : وخفض أبو عمرو سُفَع ، اتبعه الدِّمنة . والطِّيَّة بالكسر : الحالة التى يكون عليها الانسان ، والمفتوح منه فعلة واحدة . وقوله : سَيلاً من الدعص الخ ، يقول : سيلاً أغشته إياها النكباء . والدِّعص : رمل منفرد متلبّد ليس بعظيم . والنَّكباء : كل ريح انحرفت بين ريحين . وقوله : أعلاه ، يعنى أعلى هذا

(١) انظر شرح شواهد الشافية ١٨٩ .

(٢) ويروى : « معارفها » .

السيل الذى سال من الدِّعص، وليس سيلَ مطر، إنّما هو رملٌ انهال إلى هذه الدمنة فغشّى آثارها، والنكباء التى أغشت المعالم سيلاً من الدعص فغطّته فجاءت بعده فنسفته. وتسحبه: تجره وتذهب به، وينسحب أى فينجرّ هو أيضاً.

(لا بَلْ هو الشَّوقُ من دارٍ تَخوَّنَها   مَرًّا سحابٌ ومَرًّا بارحٌ تَرِبُ[١])

يقول: ليس هذا الحزن من أثر دمنة، ولا من خبر الركب، إنما هو شوقٌ هيَّج الحزنَ، من أجل دارٍ ذكرت مَن كان يحلّها. وتخوّنها: تعهّدها وتنقّصها، يقال: فلان تَخوّنه الحمى، أى تعهَّده. والبارح: الريح الشديدة الهُبوب فى الصيف. والتَّرِب: التى تأتى بالتراب.

(يبدُو لعينَيكَ منها وهى مُزمِنةٌ   نُؤىٌ ومُستَوقَدٌ بالٍ ومُحتطَبُ)

يبدو: يظهر. ومُزمنة: التى أتى عليها زمان. والنؤى: حاجز يحفر حول البناء ليردّ السيل. والمستوقَد: موضع الوقود. والبالى: الدارس. والمحتطَب: موضع الحطب.

(إلى لَوائحَ من أطلالِ أحْوِيةٍ   كأنها خِلَلٌ مَوشِيَّةٌ قُشُبُ)

أى مع لوائح. يقول: يبدو لك هذا مع ذاك. واللوائح: ما لاح لك من الأطلال. والأحوية: جماعة بيوت الحىّ، الواحد حواء. والخِلل: أغماد السيف، جمع خِلّة بالكسر. والقُشُب تكون الجُدُد والأخلاقَ. شبه آثار الدار بأغماد السيوف الموشّاة المخلِقة. والقشب هنا الجدُد[٢]. ومَوشيّة: موشّاة ٣٨١

(بجانب الزُّرقِ لم تطمِسْ معالِمَها   دوارجُ المُور والأمطارُ والحِقَبُ)

(١) المر: المرة، أو هو جمع للمرة، كما فى اللسان.

(٢) كذا، والوجه أن تكون الأخلاق لا الجدد.

يقول : هذا النؤىُ مع هذه الأطلالَ ، بهذا المكان . والزُّرْق ، بضم الزاى وسكون المهملة : أنقاء بأسفل الدَّهناء لبنى تميم . والدوارج : الرياح التى تدرُج : تذهب وتجىء . والمُور بالضم : التراب الدقيق . والأمطار بالرفع . والحِقَب ، بكسر ففتح : السنون ، الواحد حِقبة . لم تطمس : لم تمح . ويقال دوارج الرياح : أذيالها ومآخيرها .

(ديار ميَّة إذ مىٌ تساعفنا . . . البيت)

تساعفنا : تدانينا وتواتينا . وعُجم بالضم : لغة فى العجم بفتحتين ، وهو فاعل يَرَىٰ البَصرِيّة . ثم أخذ بعد هذا فى وصفها .

وترجمة ذى الرمَّة تقدمت فى الشاهد الثامن[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد المائة[2] :

١٤١ (للهِ ما فَعَلَ الصوارمُ والقنا فى عَمرِو حابِ وَضَبَّةَ الأغْنام)

لما تقدم فى البيت قبله ، فإن قوله : (حاب) مرخّم حابس فى غير النداء ، وهو ضرورة ، وهو فى المضاف إليه أبعَد . وأبقىٰ كسرةَ الباء من حابس بعد الترخيم على حالها . وأصله (عمرو بن حابس) فحذف ابنا وأضاف عمراً إلى حابس .

وقال ابن سيدهْ صاحبُ المحكم (فى شرح ديوان المتنبى) : أراد عمرو حابسٍ فرخّم المضاف إليه اضطراراً كقوله ــ أنشده سيبويه :

أودى ابنُ جُلْهُمَ عَبّادٌ بصِرْمته إنّ ابنَ جُلْهُمَ أمسىٰ حَيّة الوادى

(١) انظر ص ١٠٦ من الجزء الأول

(٢) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢ : ٢٨٥

قال : أراد ابنَ جلهمة[1] . والعرب يسمُّون الرجل جُلهمة والمرأة جُلْهُم[2] .
كل هذا حكاه سيبويه .

وهذا البيت من قصيدة لأبى الطيِّب المتنبى . قالها فى صباه ، عند ما اجتاز برأس عَين فى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وقد أوقع سيف الدولة بعمرو ابن حابس من بنى أسد ، وبنى ضَبَّة ، ورياح من بنى تميم ؛ ولم ينشدْه إيَّاها .
فلما لقيه دخلت فى جملة المديح . ومطلع القصيدة :

(ذِكَرُ الصِبا ومَرَاتِعُ الآرامِ   جلَبتْ حِمامى قبلَ وقتِ حِمامى)

إلى أن قال فى مدح سيف الدولة :

(وإذا امتَحَنْتَ تكشَّفتْ عزماتُه   عن أوْحَدِىِّ النقض والإبرام
وإذا سألتَ بَنانَهُ عن نَيـله   لم يرضَ بالدُّنيا قضاء ذِمام
مَهلاً ، ألاَ لله ما صنع القَنا   فى عمرٍو حابِ وضَبّةَ الأغنامِ)

جعل هؤلاء أغناما ، لأنهم كانوا جاهلين حين عَصوه ؛ حتّى فعل بهم ما فعل . وهو بالنون لا بالمثناة الفوقية ، إذ هو غير مناسب ، إذ الأغتَمَ : الأعجمُ الذى لا يفصح شيئاً ، والجمع الغُتم . وزعم ابن سيدهْ فى شرحه : أن هذا هو المراد هنا ، قال : والأغتام : جمع أغتم ، كسّر أفعَل على أفعال ، وهو قليل ، ونظيره أعزَل وأعزال بإهمال الأوّل ، وهو الذى لا سلاح معـه ، وأغرَل وأغرال بإهمال الثانى ، وهو الذى لم يختن . ٣٨٢

وبعده :

(لمّـا تحـكَّمَتِ الأسِنَّة فيهم   جارتْ ، وهُنَّ يجُرنَ فى الأحكام

(١) الذى فى كتاب سيبويه ١ : ٣٤٤ : « أراد أمه جلهم »
(٢) فى النسختين : « جلهمة » ، صوابه من سيبويه وممانقله عنه ابن منظور فى اللسان (جلهم) . والبيت للاسود بن يعفر .

فتركتهم خَلَل البيوت كأنَّما غَضِبتْ رءوسهم على الأجسامِ)

أى غزوتهم فى عُقر دارهم حتى[1] تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رءوس

المتنبى

وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب (إيضاح المشكل لشعر المتنبى ، من تصانيف أبى القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهانى) وهذا الإيضاح قاصرٌ[2] على شرح ابن جنّي لديوان المتنبى ، يوضّح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو ممن عاصر ابنَ جنّى ؛ وألَّف الايضاح لبهاء الدولة بن بويه . قال : « وقد بدأت بذكر المتنبّي ومَنشئه ومُغترَبه ، وما دلّ عليه شعره من معتقده إلى مختتم أمره ، ومَقْدمه على الملك — نضّر الله وجهه — بشيراز وانصرافه عنه . إلى أن وقعتْ مقتلتُه بين دَيرقُنّة[3] والنُّعمانية واقتسام عقائله وصفاياه . . حدثنى ابن النجّار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة فى محلّةٍ تعرف بكِندة ، بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رَوّاء ونَسّاج . واختلف إلى كتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً ؛ فنشأ فى خير حاضرة . وقال الشعر صبيّاً . ثم وقع إلى خير بادية باديةوما بلاد قبة حصلَ فى بيوت العرب[4] ، فادَّعى الفضولَ الذى نُبِز به ، فنمى خبره إلى أميرِ بعض أطرافها — فأشخص إليه من قيّده وسار به إلى محبسِه ، فبقى يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسِم به ، فى كلمته التى يقول فيها :

فمالكَ تقبلُ زورَ الكلام وقدرُ الشهادةِ قدر الشهودِ
وفى جُود كفَّك ما جُدْت لى بنفسى ولو كنتُ أشقىَ ثمودِ

(١) ط : « التى » ، صوابه فى ش

(٢) الوجه « مقصور » .

(٣) المعروف « ديرقنى » بضم القاف وتشديد النون مع القصر كما فى ياقوت .

(٤) كذا فى ط . وفى ش : « وما بلاد قنة . ولعله الى خير بادية ، بادية اللاذقية . وحصل فى بيوت العرب » . أنظر الصبح المنبى ١ : ٢٥

وقد هجاه شعراء وقته فقال الضّبي :

الزمْ مقالَ الشعرِ تحظَ بقُربةٍ ... وعن النبُوَّة، لا أباك، فانتزِحْ
تربَحْ دماً قد كنتَ توجبُ سفكه ... إن المتمَّع بالحياة لمَن ربحْ

فأجابه المتنبي[١] :

أمرى إلىّ فإنْ سمحتُ بمهجةٍ ... كرُمتَ علىَّ فإنّ مثلى مَن سَمحْ

وهجاه غيره[٢] فقال :

أطَلْتَ يا أيها الشقىُّ دَمكْ ... بالهذَيان الذى ملأْتَ فَمَكْ
أقسمتُ لو أقسمَ الأميرُ على ... قتلِكَ قبل العشاء ما ظلمكْ

فأجابه المتنبى :

همُّك فى أمردٍ تُقلِّب فى ... عَين دواةٍ من صُلْبه قلمكْ[٣]
وهمّتى فى انتضاء ذى شُطَب ... أقدُّ يوماً بحدِّه أدَمَكْ
فاخسَ كُليباً واقعدْ على ذنَب ... واطلِ بما بين أليتَيك فمَكْ

وهو فى الجملة خبيث الاعتقاد . وكان فى صغره وقع إلى واحدٍ يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة ، فهوّسه وأضلّه كما ضلّ . وأمّا ما يدلُّ عليه شعره فمتلوّن . وقوله :

٣٨ هوّنْ على بصرٍ ما شَقّ مَنظَرُه ... فإنّما يقَظات العَين كالحُلُمِ[٤]

(١) أنظر زيادات شعر المتنبى للميمنى ص ١٥ .
(٢) قال الميمنى : « ليس هو غير الضبى كما زعم ، بل هوهو . راجع زيادات شعره ٣٦ على اختلاف فى تسمية الضبى والضب » .
(٣) قبله فى الزيادات ٣٦ :
ايها أتاك الحمام فاخترمك ... غير سفيه عليك من شتمك
(٤) ديوان المتنبى ٢ : ٣٨٥ . منظره ، بالرفع ، يعنى ما صعبت رؤيته ، من المكاره ونحوها . وروى بالنصب أيضا ، فالمراد شق البصر وفتحه ، باقتضائه النظر اليه .

مذهب السوفسطائية . وقوله :

تمتعْ من سهادٍ أو رُقادٍ ولا تأملْ كرًى تحت الرِّجامِ
فإنّ لثالث الحالين معنًى سوى معنى انتباهِك والمنامِ

مذهب التناسخ . وقوله :

نحن بنو الدنيا فما بالُنا نعافُ ما لا بدَّ من شُربِهِ
فهذه الأرواحُ من جَوِّه وهذه الأجسامُ من تُربه

مذهب الفضائيّة . وقوله فى أبى الفضل بن العَميد :

فإن يكنِ المهدىُّ قد بان هَديُه فهذا ، وإلا فالهدىُ ذا فما المهدِى[1]

مذهب الشيعة . وقوله :

تَخالفَ الناسُ حتّى لا اتفاق لهم إلاّ على شَجَبٍ،والخُلفُ فى الشَّجَبِ
فقيل : تَخلُصُ نفسُ المرءِ باقيةً وقيل: تَشرَكُ جِسمَ المرءِ فى العطَبِ

فهذا من يقول بالنفس الناطقة ؛ ويتشعّب بعضه إلى قول الحشيشيّة . والإنسان إذا خلع رِبقة الإسلام من عنقه ، وأسلمه اللهُ عزّ وجل إلى حوله وقوّته ، وجدَ فى الضلالات مجالاً . واسعا ، وفى البدع والجهالات مناديحَ وفُسَحا .

ثم جئنا إلى حديثه وانتجاعه ، ومفارقته الكوفةَ أصلا ، وتَطوافه فى أطراف الشام ، واستقرائِه بلادَ العرب ومقاساته للضرّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحَقارة ما يوصل به ؛ حتى أنّه أخبرنى أبو الحسن الطرائفىّ

(١) فى الديوان : « من بان هديه » .

بغداد — وكان لقى المتنبّي دفعات فى حال عسره ويسره — : أنّ المتنبّي قد مَدَح بدون العشرة والخمسة من الدراهم . وأنشد فى قوله مصداقاً لحكايته :

انصُرْ بجودِكَ ألفاظاً تركتُ بها ، فى الشرق والغرب ، مَنْ عاداكَ مكبوتا
فقد نظرتُك حتّى حانَ مُرتَحَلٌ وذا الوَداعُ ، فكن أهلاً لما شِيتا

وأخبرنى أبو الحسن الطرائفى قال : سمعت المتنبّي يقول : أوّل شعر قلتُه وابيضّت أيامى بعده ، قولى :

أيا لائمى ، إنْ كنتُ وقتَ اللوائمِ علمتُ بما بى بين تلك المعالم[1]

فانى أعطيتُ بها بدمشق مائةَ دينار . . ثم اتصلَ بأبى العشائر فأقام ما أقام ، ثم أهداه إلى سيف الدولة ، فاشترط أنّه لا ينشد إلاّ قاعداً وعلى الوحدة ، فاستحملوه وأجابوه إليه. فلمّا سمع سيف الدولة شعرَه حكم له بالفضل ، وعدَّ ما طلبه استحقاقاً .

وأخبرنى أبو الفتح عثمان بن جنّي : أن المتنبي أسقط من شعرِه الكثيرَ ، وبقى ما تداوله الناس . . وأخبرنى الحلبي ، أنه قيل للمتنبّي : معنى بيتكِ هذا أخذتَه من قول الطائى . فأجاب المتنبّي : الشعر جادّة ، وربّما وقع حافرٌ على حافر !

وكان المتنبي يحفظ ديوانَى الطائيَّين ، ويستصحبُهما فى أسفاره ويجحدهما ، فلما قُتِل توزّعت دفاتره ، فوقع ديوان البحترى إلى بعض من درَس علّي ، وذكر أنه رأى خطّ المتنبّي وتصحيحَه فيه .

وسمعت من قال : إنّ كافوراً لما سمع قوله :

(١) كذا ، وصوابه « أنا لائمى » ، أى أنا مثل لائمى ، كما فسره بذلك الواحدى والعكبرى وابن جنى .

٣٨٤ إذا لم تنُطْ بى ضيعةً أو ولاية فجودُك يكسونى وشُغْلُك يَسْلُبُ

يلتمس ولاية صَيدَاء . فأجابه : لستُ أجسُر على توليتك صيدَاء ، لأنك على ما أنت عليه : تحدِّث نفسك بما تحدّث ؛ فإن ولّيتك صيداء ، فمن يطيقك ؟!

وسمعتُ أنه قيل للمتنبي : قولك لكافور :

فارمِ بى حيثُما أردْتَ فإنّى أسَدُ القلبِ آدَمِيُّ الرُّواء

وفؤادى من الملوكِ ، وإن كا نَ لسانى يُرىٰ من الشعراءِ

ليس قولَ ممتدح ولا منتجع ، إنّما هو قول مضادّ ! فأجاب المتنبي إلى أن قال : هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :

يقرُّ بعينى أن أرىٰ قِصَدَ القنا وصرعىٰ رجالٍ فى وغًى أنا حاضرُه

وأحدها يقول :

يقرُّ بعينى أن أرى مَن مكانَها ذُرَا عقِدات الأجرَع المتقاودِ(١)

ثم أقام المتنبي عند سيف الدوله على التكرمة البليغة : فى إسناء الجائزة، ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلادَ الروم ؛ وتأصّل حالاً(٢) فى جنبته بعد أن كان حَويلة . وكان سيفُ الدولة يستحبّ الاستكثار من شعره والمتنبي يستقلّه ؛ وكان ملقيٌّ من هذه الحال ، يشكوها أبدا ، وبها فارقَه حيث أنشده :

وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظرِهِ إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُّلَم

وآخرها :

(١) البيت من ابيات ثلاثة لنبهان بن عكى العبشمى ، كما فى الكامل ٣١ نسبها القالى فى أماليه ١ : ٦٣ الى أعرابى .

(٢) كذا فى ط . وفى ش : « وتأثل حالا » .

بأىٍّ لفظ يقول الشعْرَ زِعنِفَةٌ يجوزُ عندك لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ[(١)]

وقال فى أخرى :

إذا شاء أن يهزَا بلحية أحمقٍ أراه غُبارى ثم قال له الْحق[(٢)] !

فلما انتهتْ مدّته عند سيف الدولة استأذنه فى المسير إلى إقطاعه[(٣)] فأذن له ، وامتدّ باسطاً عنانه إلى دمشق ، إلى أن قصد مِصر فألمّ بكافور ، فأنزله وأقام ما أقام . إلاّ أن أوّلَ شعره فيه دليلٌ على ندمه لفراق سيف الدولة ، وهو :

كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا وحسبُ المنايا أنْ يكُنَّ أمانيا

حتى انتهى إلى قوله :

قواصدَ كافورٍ توارِكَ غيرِهِ ومَنْ قصدَ البحرَ استقلَّ السواقيا

وأخبرنى بعض المولَّدين ببغداد ، وخالُه أبو الفتح يتوزّر لسيف الدولة : أنّ سيف الدولة رسم لى التوقيع[(٤)] إلى ديوان البِرّ[(٥)] بإخراج الحال فيما وُصِل به المتنبّي ، فخرجتْ بخمسة وثلاثين ألف دينار فى مدّة أربع سنين .

ثم لما أنشد الثانيَة كافوراً خرجتْ موجّهة يشتاق سيف الدولة . وأولها :

فراقٌ ، ومَنْ فارقت غيرُ مُذَمَّمِ وأَمٌّ ، ومن يمّمت خيرُ مُيَمَّمِ[(٦)]

وأقام على كُرْه بمصر إلى أن ورد فاتكُ غلامُ الإخشيديّ من الفيّوم

(١) فى ديوانه بشرح العكبرى :« تقول الشعر » ، و « تجوز عندك» .
(٢) ويروى : « أن يلهو » .
(٣) كان هذا الاقطاع يسمى صفا ، كما فى معجم البلدان (صف) ورسالة الغفران ٣٥٤ . وفى ش : « الى الطاعة » ، تحريف .
(٤) ط : « وسم الى التوقيع » .
(٥) ش : « ديوان أكبر » .
(٦) ط : « غير ميمم » .

— وهى وبيئة ، فنبتْ به واجتواها — وقادوا بين يديه فى مدخله إلى مصر ٣٨٥
أربعةَ آلاف جَنيبة منعلَة بالذّهب ، فسمّاه أهلُ مصر بفاتك المجنون. فلقيه المتنبّي فى الميدان على رِقْبَةٍ من كافور فقال :

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ فليُسعدِ النطقُ إنْ لم يُسعدِ الحالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ، ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار . ثمّ مضىٰ فاتك لسبيله ؛ فرثاه المتنبّي وذمّ كافورا :

أيموتُ مثلُ أبى شجاعٍ فاتكٍ ويَعيشُ حاسدُهُ الخصِىُّ الأوكَمُ!

فاحتال بعده فى الخلاص من كافور ؛ فانتهز الفرصة فى العيد — وكان رسم السلطان أن يُستَقْبَل العيدُ بيوم ، وتُعدَّ فيه الخِلَع والحُملانات وأنواعُ المبارّ ، لرابطة جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العِيد تفرّق ، وثانى اليوم يذكر له مَن قبِل ومن ردّ واستزاد — فاهتبل المتنبّي غفلةَ كافور ، ودفن رماحه برا ، وسار ليلته وحمل بغاله وجماله وهو لا يألو سيراً وسُرًى هذه الليلة ، مسافة أيام[1] ؛ حتى وقع فى تِيه بنى إسرائيل ؛ إلى أن جازه على الحِلَل[2] والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن . ونزل الكوفة وقال يقصّ حاله .

ألا ، كلُّ ماشيةِ الخيزَلَىْ فِدَا كلُّ ماشيةِ الهَيدَبىْ

وفيها يقول :

ضربتُ بها التِّيهَ ضربَ القِما رِ : إمّا لهـذا ، وإما لذا

(١) مفهوم العبارة أنه قطع فى اليوم والليلة مسيرة أيام والذى فى ش : « هذه الثلاثة أيام » اى ايام رسم كافور المشار اليها .
(٢) جمع حلة ، بالكسر ، وهى جماعة بيوت الناس ، أو مائة بيت ». وفى ط : « على الحال » صوابه فى ش

ثم مدح بالكوفة دبير بن يشكرو[١] ، وأنشده فى الميدان ؛ فحمله على فرس بمركب ذهب .

وكان السببَ فى قصده أبا الفضل بن العميد ، على ما أخبرنى أبو على ابن شبيب القاشانى — وكان أحد تلامذتى ، ودرس عليَّ بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين، وتوزّر للأصبهبد بالجبل، وأبوه أبو القاسم توزّر لوشمكير بجرجان — عن العلويّ العباسيّ نديم أبى الفضل بن العميد (الذى يقول فيه :

أبلغْ رسالاتى الشريفَ ، وقلْ له : قدْكَ اتّئدْ أربيتَ فى الغُلَواءِ[٢])

أن المعروف المطوّق الشاشى كان بمصر وقتَ المتنبي فعمَد إلى قصيدته فى كافور :

* أُغالبُ فيكَ الشَّوقَ والشوقُ أغلبُ *

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل ؛ وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة المتنبى إلى أبى الفضل وزعم أنّه رسوله . فوصله أبو الفضل بألفى درهم ؛ واتصل هذا الخبر بالمتنّبي ببغداد ؛ فقال : رجلٌ يعطى لحامل شعرى هذا، فما تكون صلته لى ؟ وكان ابن العميد يَخرج فى السنة من الرىّ خَرجتين إلى أرَّجان ، يَجبِي بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم فنمَى حديثُه إلى المتنبي

(١) كذا فى ط . وفى ش مع تصحيح للشنقيطى : « ديسم بن شادكويه » . وضبط فى ديوان المتنبى بشرح الواحدى ٣٢٥ بمباى وأوربا ٧٢٨ : «دِلَّيرَ بن لَشكَرَوَزَّ» كما ذكر الميمنى . لكن ورد فى ديوانه بشرح العكبرى ٢ : ٢٠٧ :

فلست غبيناً لو شريت منيتى باكرام دلَّيرَ بن لَشكَرَوَزَّلىَّ

والبيت من قصيدته التى مطلعها :

كدعواك كل يدعى صحة العقل
ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

(٢) اقتبسه من قول أبى تمام فى ديوانه .

قدك اتئد أربيت فى الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائى

بحصوله بأرَّجان، فلما حصلَ المتنبّي ببغداد نزل رَبَضَ حُميد ، فركب إلى المهلّبي ،
فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه ، وصاعدُ خليفتُهُ دونه ، وأبوالفرج الأصبهانى
صاحب كتاب الأغانى . فأنشدوا هذا البيت :

سقى اللهُ أمواهاً عرَفتُ مكانَها ... جُراما وملْكوماً وبَذَّرَ فالغَمرا[1]

وقال المتنبّي : هو جُرابا ، وهذه أمكنةٌ قتلتُها علما ، وإنما الخطأ وقع
من النقَلة ! فأنكَره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن ٣٨٦
الأخفش صاحب سيبويه فى كتابه جراما بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء
اللغة[2] وتفرق المجلس عن هذه الجملة . ثم عاوده اليومَ الثانى وانتظر المهلبىّ
إنشاده فلم يفعلْ ، وإنما صدّه ما سمعه من تماديه فى السُّخف ، واستهتاره بالهزل ،
واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ، وكان المتنبّي مُرَّ النفس صعْبَ الشكيمة
حادًّا مجدًّا ، فخرج، فلما كان اليوم الثالث أغرَوا به ابنَ الحجّاج حتى علّق
لجامَ دابّته فى صينية الكرخ[3] ، وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب ،
وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلم فينا ومَن ... يَلزم أهلَ العلم توقيرُه

فصبر عليه المتنبّي ساكناً ما كتاً ، إلى أن نجزَّها ، ثم خلَّى عنان دابته ،

(١) لكثير عزة عند سيبويه ٢ : ٧ وابن يعيش ١ : ٦١ والمنصف ٢ : ١٥٠/٣ : ١٢١ والسيرة ٦٥

(٢) الذى فى سيبويه « جرابا » بالباء . قال الميمنى : « اتفق الرواة على أنها جراب بالباء . قال السهيلى ١ : ١٠١ : يحتمل أن يكون بمعنى جريب ، نحو كبار وكبير . والجريب : الوادى . ومثله فى معجم ياقوت من غير حوالة عليه . والجراب ذكرها البكرى أيضا . ولم أجد الجرام فى شىء من المعاجم مما يحضرنى » .

(٣) كتب الميمنى : « يمكن أن تكون الصينية ، محلة بكر فى بغداد نسبت اليه ، فرقا بينها وبين الصينية : بليدة تحت واسط ، التى ذكرها ياقوت » . وقد وردت فى النسختين : « صينبة » بالباء الموحدة بعد النون

وانصرف المتنبيّ إلى منزله وقد تيقّن استقرارَ أبي الفضل بن العميد بأرَّجان وانتظارَه له فاستعدَّ للمسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنّي عن عليّ بن حمزة البَصريّ[1] قال : كنتُ مع المتنبيّ لمّا ورد أرَّجان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيِّقة البُقعة والدُّورِ والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركتُ ملوكَ الأرض وهم يتعبَّدون بي، وقصدتُ ربَّ هذه المدَرَة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاى أبو الطيِّب المتنبيّ خارجَ البلد ـ وكان وقتَ القيلولة ، وهو مضطجعٌ فى دَسته ـ فثار من مضجعه واستثبته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ، فركب واستركبَ من لقيه فى الطريق ، ففصَل عن البلد بجمعٍ كثير . فتلقّوه وقضَوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبى الفضل ، فقام له من الدَّست قياماً مستوياً ، وطُرِح له كرسىٌّ عليه مِخدَّةُ ديباج ، وقال أبو الفضل : كنتُ مشتاقاً إليك يا أبا الطيِّب . ثم أفاض المتنبيّ فى حديث سفره ، وأنّ غلاماً له احتمل سيفاً وشذَّ عنه . وأخرج من كمِّه عُقَيب هذه المفاوضة دَرْجاً فيه قصيدته :

* بادٍ هواكَ صبَرتَ أو لم تصبِرا *

فوحىْ أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاسٍ فيه مائتا دينار ، وسيفٍ غشاؤُه فضّة ، وقال : هذا عوضٌ عن السيف المأخوذ ، وأفرد له داراً نزلها . فلما استراح من تعَب السفر كان يغْشىْ أبا الفضل كلّ يوم ويقول : ما أزورك إكباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله . وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوانَ

(١) ترجم له ياقوت فى معجمه ١٣ : ٢٠٨ كما ترجم فى البغية ٢٢٧ قال ياقوت : « ولما ورد المتنبى الى بغداد كان بها ،وفى داره نزل » . وقال السيوطى : توفى سنة ٣٧٥ .

اللغة الذى جمعَه ويتعجَّب من حفظه وغزارة علمه . فأظلَّهم النيروز ، فأرسل أبو الفضل بعضَ ندمائه إلى المتنبي : كان يبلُغنى شعرُك بالشام والمغرب ، وما سمعتُه دونه ! فلم يُحِرْ جوابا ، إلى أن حضره النَّيروز وأنشدْ مهنئًا ومعتذِراً فقال :

هل لعُذرى إلى الهمام أبى الفضـ ـل قبولٌ ، سواد عينى مدادُهْ

ما كفانى تقصيرُ ما قلتُ فيه عن علاه حتَّي ثناه انتقادُه

إنّني أصيد البُزاة ، ولـكـ ـنَّ أجلَّ النُجوم لا أصطادُه

ما تعوّدتُ أن أرىٰ كأبى الفضـ ـل وهذا الذى أتاه اعتياده(١)

فأخبرنى البديهىّ ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبى قال بأرَّجان : الملوك ٣٨٧
قُروديشبه بعضُهم بعضا ، على الجودة يعطون . وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ؛ وهو من أجاود زمانِ الديلم .

وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قَزْوين فأنشده وأمّله مادَّة نفقةٍ يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أأقلامٌ بكفِّك أم رماحٌ وعزمٌ ذاك ، أم أجلٌ مُتاحُ

فقال أبو المطرِّف : أعطوه ألف دينار .

وكذلك أبو الفضل البَلعَمِيّ وزير بُخارىٰ ، أعطى المطرانىّ الشاعر على قصيدته التى أولها :

* لا شربَ إلاَّ بسَير الناى والعُودِ *

(١) فى الأصل : « كأبى الفتح » ، صوابه من الديوان ومما يقتضيه المقام .

خمسةَ عشر ألف دينار .

وكذلك خلفُ صاحب سجستان ، أعطى أبا بكر الحنبليّ خمسة آلاف دينار على كلمةٍ فيه .

وكان سيف الدولة لا يملك نفسه ؛ وكان يأتيه علَويّ من بعض جبال خراسان كلّ سنة فيعطيه رسمًا له جاريا على التأبيد ؛ فأتاه وهو فى بعض الثغور ، فقال للخازن : أطلقْ له مافى الخزانة ؛ فبلغ أربعين ألف دينار . فشاطر الخازنَ وقبض عشرين ألف دينار ، إشفاقًا من خلل يقع على عسكره فى الحرب .

وأخبرنى بعض أهل الأدب أنّه تعرَّضَ سائلٌ لسيف الدولة وهو راكب، فأنشده فى طريقه :

أنتَ عليٌّ وهــذه حلبُ قدْ فنيَ الزادُ وانتهىٰ الطلبُ

فأطلق له ألفَ دينار .

وتعرّض سائل لأبى علىّ بن الياس وهو فى موكبه ، فأمر له بخمسمائة دينار فجاءه الخازن بالدواة والبياض . فوقّع بألفى دينار . فلما أبصره الخازنُ راجَعه فيها . فقال أبو علىّ : الـكلام ريح ، والخطُّ شهادة ، ولا يجوز أن يشهد علىَّ بدون هذا .

ثم إن أبا الطيِّب المتنبّي لما ودّع أبا الفضل بن العَميد ، ورد كتابُ عضدِ الدولة يستدعيه ، فعرّفه ابنُ العميد ، فقال المتنبى : مالى وللدَّيلم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل منّي ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به . فأجاب بأنى ملَقّى من هؤلاء الملوك : أقصِد الواحدَ بعد الواحد ، وأملّكهم شيئا يبقى ببقاء النَّيِّرين ، ويُعطوننى عرَضًا فانياً ؛ ولى ضجَرات واختيارات ؛

فيعوقوننى عن مرادى ، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه ! فكاتب ابنُ العميد عضدَ الدولة بهذا الحديث . فورد الجواب بأنه مملَّك مُرادَه فى المقام والظَّعْن . فسار المتنبّي من أرَّجان ، فلمّا كان على أربعة فراسخَ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبى عمر الصبّاغ أخى أبى محمد الأبهرىّ صاحب كتاب حدائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشدَه . فقال المتنبّي : الناس يتناشدون فاسمعْهُ . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس العالى . فبدأ بقصيدته التى فارق مصر بها :

ألا كلُّ ماشيةِ الخيزَلىٰ فِدَى كلُّ ماشيةِ الهَيدَبىٰ

ثم دخل البلدَ فأُنزل داراً مفروشة ؛ ورجع أبو عُمر الصبّاغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتاً من كلمته وهى :

فلما أنخْنا ركزْنا الرما حَ حولَ مكارِمنا والعُلا
وبتْنا نقبِّلُ أسيافنـا ونمسحُها من دماءِ العِدا
لِتعلَمَ مِصرُ ومَن بالعراقِ ومَن بالعَواصِم أنّى الفتىٰ ٣٨٨
وأنّى وفيتُ وأنّى أبَيت وأنى عتَوت على مَن عتا

فقال عضد الدولة : هُوذا(١)، يتهدّدنا المتنبي !

ثم لما نفضَ غبارَ السفَر واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ، فلما توسَّط الدار انتهى إلى قرب السرير مصادمة ، فقبّل الأرض واستوىٰ قائماً وقال : شكرتُ مطيَّةً حملتنى إليك ، وأملاً وقف بى عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من مصر ، وعن على بن حمدان ؛ فذكره وانصرف وما أنشده فبعد أيامٍ حضر السِّماطَ وقام بيده دَرْج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

(١) ش : « هونا » ، واثبت مافى ط

* مَغانى الشِّعبِ طيباً فى المغانى[١] *

فلما أنشدها وفرغوا من السماط ، حمل إليه عضُد الدولة من أنواع الطِّيب فى الأردية الأمنانَ من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقّب بالمجروح وكان اشتُرِى له بخمسين ألف شاة ، وبَدْرةً دراهمُها عدليَّة ، ورداء حشوُه ديباجٌ رومىٌّ مفصَّل ، وعمامةً قوِّمت بخمسمائة دينار ، ونصلاً هندياً مرصَّع النِّجاد والجفن بالذّهب . وبعد ذلك كان ينشده فى كل حدَث يحدُث قصيدة ، إلى أن حدثَ يوم نثرِ الورد ، فدخل عليه والملك على السرير فى قبَّة يَحسِر البصَرُ فى ملاحظتها والأتراك ينثرون الورد ، فمثَل المتنبيّ بين يديه وقال : ما خدمَتْ عينى قلبى كاليوم ؟ وأنشأ يقول :

قد صدَق الوردُ فى الذى زعما أنَّك صيَّرتَ نثره دِيَما
كأنما مائجُ الهواءِ به بحرٌ حوىٰ مثلَ مائِهِ عَنَما[٢]

فحُمل على فرس بمركب ، وأُلبِس خِلْعة مَلَكيّة ، وَبَدرةٌ بين يديه محموله .

وكان أبو جعفر وزيرُ بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحِفظ المنازلَ والمناهلَ من مصر إلى الكوفة وتعرُّفها منه ؛ فقال : كنت حاضرَه ؛ وقام ابنُه يلتمس أجرةَ الغسّال ، فأحدَّ المتنبّي إليه النظرَ بتحديق فقال : ما للصعلوك والغسّال ! يحتاج الصعلوكُ إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قِدْرَه ، ويُنْعِل فرسه ، ويَغسِل ثيابه ! ثم ملأ يده قُطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتابُ أبى الفتح ذى الكفايتين بن أبى الفضل — وكان من أجاود

---

(١) ط : « مغانى الشيب » صوابه فى ش والديوان . والبيت مطلع قصيدة يذكر فيها شعب بوان . وعجزه كما فى الديوان ٢ : ٤٤٣

* بمنزلة الربيع من الزمان *

(٢) ط : « مانج الهواء » ، صوابه فى ش والديوان ٢ : ٣٨٦

زمانِ الديلم ، فرّق فى يوم واحد بشِبْدِيز قرْمِيسِينَ ، ألفين وخمسمائة قطعة إبريَسم — ومضمونُه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبّي وتشوّفه إلى نظرته[1] فأجابه المتنبى[2] :

بِكُتْبِ الأنامِ كتابٌ وَرَدْ   فدتْ يدَ كاتبـهِ كلُّ يدْ
إذا سَمِعَ النـاسُ ألفـاظَـه   خَلَقْنَ له فى القـلوب الحسَدْ
فقلت ، وقد فرسَ النـاظرين   كذا يفعلُ الأسدُ ابنُ الأسد[3]

فلما عاد الجواب إلى أبى الفتح ، جعل الأبياتَ سُورةً يدرسُها ، ويحكم للمتنبى بالفضل على أهل زمانه . . فقال أبو محمد بن أبى الثبات البغداديّ :

لَواردُ شِعر كذَوْبِ البَرَد   أتانا به خاطرٌ قد جَمَـدْ
فأقبـل يعضَغُـه بعضنُـا   وهمُّ السنانير أكلُ الغُدَدْ
وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ   ويسبق من عفوه المقتصدْ ٣٨٩
ولو وليَ النقـدَ أمثـالُه   لظلّتْ خفافِيشُنا تنْتقد

فاستخفّ أبو الفتح به وجرّه برجله . ففارقهم وهاجر إلى أذرَبِيجان ، والأميرُ أبو سالم ديسم بن شادكويه[4] على الإمْرة ، فاتَّصل به وحظيَ عنده على غاية الإكرام .

---

(١) ش : « الى تطرفه »

(٢) ومثله عند البديعى ١ : ١٩٦ لكن عند العكبرى ١ : ٢٧٣ أنه أجاب بها ابن العميد

(٣) عند العكبرى : « وقد فرس الناطقين » .

(٤) ط : « شاركويه » .

وقال عضد الدولة : إن المتنبّي كان جيّدُ شعره بالعرب[١] . فأخبر المتنبّي به فقال : الشعر على قدر البقاع .

وكان عضد الدولة جالساً فى البستان الزّاهر يوم زينته ، وأكابرُ حواشيه وقوفٌ ؛ فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكارىّ : ما يُعوِز مجلسَ مولانا سوىٰ أحد الطائيَّين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما . فلما أقام مدّة مُقامه وسمع ديوان شعره ، ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأثقاله وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز .

وأخبرنا أبو الحسن السوسىّ ، فى دار الوقف بين السُّورَين ، قال : كنت أتولّى الأهوازَ من قبل المهلَّبىّ ، وورد علينا المتنبى ونزل عن فرسه ومِقوَدُه بيده ، وفتح عِيابَه وصناديقَه لبللٍ مسّها فى الطّريق ، وصارت الأرضُ كأنها مَطارفُ منشورة[٢] ؛ فحضرْته أنا وقلت : قد أقمتُ للشيخ نُزُلا . فقال المتنبي : إن كان ثمّ فآتيه[٣] . ثم جاءه فاتك الأسدىّ بجَمْع وقال : قدم الشيخُ فى هذه الديار وشرّفها بشِعره ، والطريق بينه وبين دَيرقُنّة خَشِنٌ قد احتوشَتْهُ الصعالكة ؛ وبنو أسدٍ يسيرون فى خدمته إلى أن يقطع هذه المسافةَ ويبرّ كلّ واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبّي : ما أبقى الله بيدى هذا الأدَهم وذُبابَ الُجراز الذى أنا متقلّدُه ، فإنّى لا أفكّر فى مخلوق ! فقام فاتك ونفضَ ثوبَه وجمع من رُتوت الأعاريب الذين يشربون دماء الحجيج حَسْواً ، سبعين رجلاً ورصَد له ؛ فلما توسّط المتنبّى الطريقَ خرجوا عليه فقتلوا كلّ من كان فى صُحبته ، وحَمل فاتكٌ على المتنبي وطعنه فى يساره ،

(١) ش : « بالغرب »

(٢) ش : « مطارد منشورة » صوابه فى ط .

(٣) ط : « فهاته » ، ش : « فآته » .

ونكّسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت ، إلا أنَّه رجع يطلب دفاتر أبيه فقنَع خلفه الفرسَ أحدُهم وجزّ رأسه ، وصبّوا أمواله يتقاسمونها بطُرطُورة .

وقال بعضُ من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسيّة ، وإنما كان سيفُ الدولة سلّمه إلى النخّاسين والرُّوّاضِ بحلب ، فاستجرأ على الركض والُحضْر ؛ فأما استعمال السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما فى كلامه من (الغريب المصنّف) سوى حرف واحد هو فى (كتاب الجمهرة) وهو قوله :

* يطوى المجلِّحةُ العُقُدْ[(١)] *

وأما الحكمُ عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعانى ، ونعتُ الخيل والحرب من خصائصه ، وما كان يرادّ طبعَهَ فى شىء مما يسمح به ، يقبل الساقط الردىء كما يقبل النادر البدْع . وفى متن شعره وَهْى ، وفى ألفاظه تعقيد وتمويص » اهـ كلامه مع بعض اختصار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[(٢)] :

١٤٢ (ألاَ أضْحَتْ حِبالُكُمُ رِمامًا وأضحتْ منك شاسعةً أمامًا)

على أن ترخيم غير المنادى فى الضرورة جائز ، سواء كان على تقدير

---

(١) الذى فى ديوانه ١ : ٢٣٣ :

وامضى كما يمضى السنان لطيتى أو ى كما تطوى المجلحة العُقد

(٢) سيبويه ١ : ٣٤٣ ونوادر أبى زيد ٣١ والعينى ٤ : ٢٨٢ ، ٣٠٢ وابن الشجرى ١ : ١٢٦/٢ : ٧٩ ، ٩١ والانصاف ٣٥٣ وديوان جرير ٥٠٢

الاستقلال — وهو لغة من لا ينتظر — أو على نية المحذوف — وهو لغة من ينتظر ، كما فى هذا البيت .

٣٩٠ فإنَّ (أُماما) أصله أُمامة ؛ فلما حذف الهاء أبقى الميم على حالها ، والألف للإطلاق ؛ فلو كان على تقدير الاستقلال بجعل ما قبل الآخر فى حكم الآخر ، لضمَّ الميمَ رفعاً ، لأنه اسمُ (أضحى) . و (شاسعة) أى بعيدة خبرها .

قال الأعلم الشنتمرى : « وكان المبرد يردّ هذا ، ويزعم أنّ الرواية فيه :

* وما عهدى كعهدِك يا أُماما[1] *

وأن عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير أنشده هكذا . وسيبويهِ أوثقُ من أن يتَّهم فيما رواه » انتهى .

وقال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد الأنصارى : « العرب فى الترخيم على لغتين : فمنهم من يقول إذا رخّم حارثاً ونحوَه : ياحارِ بكسر الراء وهو الأكثر ؛ فالثاء على هذه اللغة فى النيَّة ، فمن فعل هذا لم يُجزْ مثلَه فى غير النداء إلاّ فى الضرورة ؛ وأنشد سيبويه لجرير :

ألا أضحتْ حبالُكُمُ رِماما . . البيت

فأجراه فى غير النداء لِمَا اضطُرّ ، كما أجراه فى النداء ؛ وهذا من أقبح الضرورات . . وأنشد [نا] المبرِّد هذا البيت عن عُمارة :

* وما عهدى كعهدك يا أُماما[2] *

على غير ضرورة . وأنشد سيبويه لعبد الرحمن بن حسّان :

(١) الذى فى شرح الأعلم : « وما عهد كعهدك يا أماما » . وان كانت رواية سيبويه تطابق رواية الرضى .

(٢) الذى فى النوادر : « وما عهد كعهدك »

* من يفعلِ الحسناتِ اللهُ يشكرُها *

فحذف الفاء لِمـا اضطُرّ .

وأخبرنا المبرِّد عن المازنى عن الأصمعَى : أنه أنشدهم :

* من يفعل الخيرَ فالرحمنُ يشكرُه *

قال : فسألته عن الرواية الأولى ، فذكر أنّ النحويين صنعوها . ولهذا نظائر ليس هذا موضع شرحها .

ومنهم من يقول يا حارُ بضم الراء ، فلا يعتدّ بما حذف ويجريه مجرى زيد ؛ فحكم هذا فى غير النداء كحكمه فى النداء ؛ وعلى هذا أجرى قول ذى الرمّة :

* ديار ميّة إذ « مىّ » تساعِفنا[1] *

وهذا كثير . وكلٌّ ما جاءك ، مما حُذف ، فقِسْهُ على ما ذكرت لك » اهـ وفيه نظر فتأمل .

و (الرمام) قال الأعلم : جمع رميم ، وهو الخلَق البالى ؛ يريد : أن حبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطّعت للفراق الحادث بينهما . والصوابُ ما قاله النحاس : أن الرمام جمع رُمّة بالضم وهى القطعة البالية من الحبل .

أبيات الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير بن الخَطَفى ؛ وبعده :

(يشقُّ بها العساقلَ مُوَجداتٌ وكلُّ عرَنْدسٍ ينفى اللُّغاما)

والعساقل : جمع عَسقلة أو عُسقول ، وهو السراب واضطرابه . يريد سيرها فى الفلوات راجعةً إلى محضَرها ، بعد انقضاء زمن الانتجاع . ووهم العينيّ فقال : « العساقل : ضربٌ من الكمأة » . وروى النحاس عن أبى

---

(١) ط : « يادارمية » ، صوابه في ش . وانظر النوادر ٣٢ .

الحسن الأخفش (يشقّ بها الأماعَز) قال : يشقّ : يعلو ، وضمير بها لأمامة . والأماعز : جمع أمعَز ومَعزاء ، بالعين المهملة والزاى المعجمة ، وهو الموضع الصلب يخلطه طين وحصًى صغار ، قال زهير :

يَشجُّ بها الأماعز وهى تهوِى هُوِىَّ الدَّلوِ أسلمَها الرِشاء

والمُوجَدَة ، بضم الميم وفتح الجيم : الناقة القوية المحكمَة ، قال فى الصحاح : « ناقة أُجُد بضمتين : إذا كانت قويّة مُوثقة الخَلْق ، ولا يقال للبعير أُجُد وآجدها الله ، فهى موجَدة القِرى أى موثّقة الظهر ، وبناء موجد ، والحمد لله الذى آجدَنى بعد ضعف ، أى قوّانى » . والعرندس ، كسفرجَل : الجمل الشديد . واللُّغام ، بضم اللام وبعدها غين معجمة : ما يطرحه البعير من الزَّبَد لنشاطه .

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده :

٣٩١ (كِلِينى لهمّ يا أُميمةَ ناصب وليل أُقاسيه بطىء الكواكب)

تقدم شرحه قبل هذا بأربعة شواهد[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[3] .

(١) انظر ص ٧٥ من الجزء الأول

(٢) انظر ص ٣٢١ من هذا الجزء

(٣) سيبويه ١ : ٣٣١ . وانظر الخزانة ٤ : ٦٤ والعينى ٤ : ٢٩٥ وابن يعيش ٧ : ٩١ والهمع ١ : ١١٩ ، ١٨٥ وشرح شواهد المغنى ٢٨٧ وديوان القطامى ٣٧

١٤٣ (قِفى قبلَ التفرُّقِ يا ضُبَاعا ولايكُ مَوقفٌ منكِ الوَداعا)

على أنه مرخَّم (ضُبَاعة) فحذفت الهاء للترخيم ، وألف الترخيم تغنى عنها.

قال الأعلم وغيره : الوقف عليها عوضًا من الهاء ؛ لأنهم إنمـا رخّموا ما فيه الهاء ، ثم لما وقفوا عليه ردّوا الهاء للوقف ، فلما لم يمكنهم ردُّ الهاء ههنا ، جعل الألف عوضا منها على ما بيَّنه سيبويه .

قال الدَّمامينى فى شرح التسهيل : « قد يقال : لا نسلّم أن هذه الألف عوض عن التاء المحذوفة ، بل هى ألف الاطلاق . وهذه المسألة لا يستدلّ عليها بالشعر ، فإن ثَبتَ فى النثر مثلُ ذلك تمّت الدعوى ، وإلاّ فلا » .

قوله (ولا يك موقف . . الخ) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة ، كأنه قال : لا تجعلى هذا الموقف آخِر وَداعى منك . والوجه الآخر أن يكون على الدعاء ، كأنه قال : لا جعل الله موقِفَكِ هذا آخر الوداع . كذا فى شرح أبيات الجمل للخمىّ . ففيه حذف مضاف من الوداع ، وقدَّره بعضهم : مَوقفَ وَداع ، وهذا أحسن . وروى أبوالحسن الأخفش ، وهو سَعيد ابن مَسْعَدة المجاشِعىّ (فى كتاب المعاياة) :

* ولا يك موقفاً منك الوَداعا *

وقال : « نصب موقفا لأنه أراد : قفى موقفاً ، ولا يكن الوداعا . هذا إنشاد بعضهم فيما ذكروا ، ورفع بعضهم موقفاً ، وهو أبينها » اه . وعليه فاسم يكُ ضمير المصدر المفهوم من قفى ، كأنه قال : ولا يكنْ موقفُك موقفَ الوداع . وقوله : « ورفع بعضهم موقفاً . . الخ » هو المشهور فى الرواية ، لكن فيه الإخبار بالمعرفة عن النكرة . وسيأتى الكلام عليه ، إن شاء الله تعالى ، فى باب الأفعال الناقصة .

و (ضُبَاعة) بنت زُفَر بن الحارث الآتى ذِكره .

قال اللخمى : وفيه عطف المعرب على المبنى ، لأنَّه عطَف ولا يك ، وهو معرب ، على قفى وهو مبنى ، وإنما سوّغ ذلك وجودُ العامل وهى لا ، كقوله تعالى : (وقالَ الذين كَفَروا للذينَ آمَنوا اتّبِعُوا سَبيلَنا ولْنَحمِلْ خطايا كم[1]) ولو قلت : اقصدْنى وأُكرِمْك ، بالجزم على اللفظ ، لم يجزْ على مذهب البصريين ؛ لأن اقصدْنى فعل مبنىّ لا جازم له ، فلا يعطف على لفظه ؛ كما لا يجوز : هذهِ حَذامِ وأُختِها — بالجرّ على لفظ حذامِ — فإن قلت : اقصدْنى فَلأُحدِّثك، فأدخلت لام الأمر، جازت المسألة كما تقدَّم فى الآية .. أقول : هذا مايتعجَّب منه ؛ فإن العطف فيه إنما هو من عطف جملة على جملة ، لا من عطف معرب على مبنىّ ؛ ولا حاجة إلى التطويل من غير طائل .. قال : وفيه حذف النون من يكن تخفيفاً ، وسوَّغ ذلك كثرةُ الاستعمال ، أو للجزم على مذهب أبى على .

قصيدة الشاهد وهذا البيت مطلع قصيدة للقَطامىّ ، مدح بها زُفَر بن الحارث الكلابى . وكان بنو أسد أحاطوا به فى نواحى الجزيرة وأسروه يوم الخابور وأرادوا قتله ، فحال زُفر بينه وبينهم ، وحماه ومنعه ، وحمله وكساه ، وأعطاه مائة ناقة . فمدحه بهذه القصيدة وغيرها ، وحضّ قيساً وتغلب على السّلم . وبعد هذا البيت :

٣٩٢ (قِفى فادِى أسيركِ، إنّ قومى وقومَك لا أرىٰ لهمُ اجتماعا

وكيف تجامُعٌ مع ما استَحَلّا من الحُرَم الكِبارِ وما أضاعا

ألمْ يحزُنْكِ أنّ حِبالَ قيس وتغلبَ قد تباينتِ انقطاعا

(١) الآية ١٢ من سورة العنكبوت .

يُطيعون الغُواةَ ، وكان شرًّا لمؤتمِرِ الغَواية أنْ يُطاعا
ألم يحزُنْكِ أنَّ ابنَيْ نزارٍ أسالاَ من دمائهما التِلاعا)

إلى أن قال :

(أمورٌ لو تلافاها حليمٌ إذاً لَنَهىٰ وهبَّبَ ما استطاعا
ولـكنّ الأديمَ إذا تفرّىٰ بِلًى وتَعَيُّناً غَلَبَ الصَّنَاعا[1]
ومَعصيةُ الشفيق عليك ممَّا يَزيدكَ مرَّةً منه استماعا
وخيرُ الأمرِ ما استقبلت منه وليسَ بأن تتبَّعه اتّباعا
كذاك ، وما رأيتُ الناس إلاّ إلى ما ضرَّ غاوِيَهمْ سِراعا
تراهم يَغمِزون مَن استركّوا ويجتنبون مَنْ صدَق المِصاعا)

وقوله : فنى فادى أسيرك ، خطاب لضُباعة بنت زُفَر ، لأنه كان عند والدها أسيراً . والمُفاداة : أخذ الفدية من الأسير وإطلاقه . والحبال : المواصلة والعهود التى كانت بين قيس وتغلب . وتباينت : تفرقت . روى أن ضُباعة لمـّا سمعت قوله ألم يحزنك إلخ قالت : « بلى والله لقد حزَنَنى » . وأحزننى وحزَننى لغتان . والمؤتمر : الذى يرى الغواية رأيا ، ويأمر بها نفسه . يقول هو : شرٌّ للغاوى أن يُطاع فى غيِّه . وابنا نزار . ربيعة ومضر . والتَّلعة : مسِيل من الارتفاع إلى بطن الوادى . وتلافاها : تدارَكها . وهبّب بالقتل ، بموحّدتين ، أى أمَر به . وتفرّىٰ : تشقّق . [وتعيّن[2]] السِقاء والمزادة : إذا رقّت منهما مواضعُ وتهيّأت للخرق . والصنَّاع ، بالفتح : الحاذقة بعمل اليدين . وقوله :

(١) ط : « وتعيبا » ، صوابه فى ش والديوان ٣٦ .

(٢) هذه التكملة من ش

ومعصية الشفيق . . الخ ، يقول : إذا عصيتَ الشفيقَ عليك ، الحريصَ على رشدك ، تبينتَ فى عواقب أمرك الزلل ، فزادك ذلك حرصاً على أن تقبل نصحه . وقوله : وخير الأمر ما استقبلت ، أى خير الأمر ماقد تدبّرت أوّله فعرَفت إلامَ تئول عاقبته ، وشرّه ماتُرِك النظر فى أوله ، وتُتُبِّعت أواخره بالنظر . واستشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ[1]) ، على أن تقبّل بمعنى استقبل ، كتعجّله وتقصّاه بمعنى استعجله واستقصاه ، من استقبل الأمرَ : إذا أخذه بأوائله ، كما فى البيت . وقوله : كذاك وما رأيت الناس . . الخ ، ورُوى :

* إلى ما ضرَّ جاهلَهم سِراعا *

أى يسارع الجاهلُ إلى ما يضره . وقوله : تراهم يغمزون . . الخ ، استركّوا : استضعفوا ، والركيك : الضعيف . والمِصاع ، بالكسر : المجالَدة بالسيف . يقول : يستضعفون الضعيفَ فيطعنون فيه . والغمزُ هنا : الإشارة بالعين والرأس .

ترجمة القطامى

و (القطامىّ) اسمه عُمير بن شُييم التغلبيّ : تغلب بن وائل . وعُمير مصغر عمرو ، وكذلك شييم مصغّر أشيم ، وهو الذى به شامة . ويقال شِييم بكسر الشين أيضاً ، وضبطه عيسى بن إبراهيم شارح أبيات الجمل : سُديم ، بسين مهملة مضمومة . وله لقبان أحدهما القَطامى ، منقول من الصّقر ، لأنَّ الصقر
٣٩٣ يقال له قَطامىّ ، بفتح القاف وضمِّها ؛ وهو مشتقّ من القطَم بالتحريك ، وهو شهوة اللّحم وشهوة النّكاح ؛ يقال فحل قَطِمٌ : إذا هاج للضِراب .

(١) الآية ٣٧ من آل عمران

وهو لقبٌ غلب عليه ، لقوله :

يَصُـكّهنّ جانبـاً فجانبـا   صكَّ القَطاميّ القَطا القوارِبا

واللقب الآخر « صريع الغوانى » . قال النطّاح : أوّل من سمِّى صريع الغوانى ، القطامىُّ بقوله :

صريع غوانٍ راقَهنَّ ورُقنَه   لدنْ شَبَّ حتى شابَ سودُ الذوائب

أى صرعَه حبّهن حتى لا حَراكَ به . والغوانى : الشوابّ . وقال أبو عبيدة : ذوات الأزواج غَنِينَ بأزواجهنّ .

وصريع الغوانى لقب « مسلم بن الوليد » أيضاً ، لقّبه هارون الرشيد ، بقوله :

هل العيش إلاّ أنْ تروحَ مع الصِّبا

وتغدُو صريعَ الكأسِ والأعيُن النُّجلِ !

والقطامى كان نصرانياً فأسلم . وهو ابن أخت الأخطل النصرانى المشهور . وعدّه الجمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام . قال بعضُ علماء الشعر : أحسنُ الناس ابتداءً فى الجاهليّة ، امرؤ القيس ، حيث يقول :

ألا عِمْ صباحاً أيّها الطللُ البالى   وهل يعِمَنْ مَن كان فى العُصُر الخالى

وفى الإسلام ، القطامىّ ، حيث يَقول :

* إنّا مُحَيُّوكَ فاسلَم أيُّها الطللُ *

ومن المولَّدين ، بشّار ، حيث يقول :

أبى طللٌ بالجزْعِ أنْ يتكلما   وماذا عليـه لو أجاب مُتيَّما

وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف مَن يقال له القطامى ثلاثة : أولهم هذا ، والثانى : القطامىّ الضُّبَعىّ ، ضُبيعة بن ربيعة بن نزار : أحد ولد   القطاميون

كان الساهرىّ [١] و صاحبَ شراب ؛ ومن شعره :

أفرُّ إذا أصبحتُ من كلِّ عاذلٍ فأُمسِى وقَدْ هانتْ علىَّ العواذلُ

وكان أبوه من أصحاب خالد القسرىّ . والثالث القطامىّ الكلبى ، واسمه الحصين [٢] ؛ وهو أبو الشرْقىّ بن القطامىّ . شاعر محسن ؛ وهو القائل لما بلغه خبر يزيد بن المهلَّب :

لعلّ عينى أن ترى يزيدَا يقودُ جيشاً جحفلا رشيدَا

ترىٰ ذَوِى التاج له سُجودا [٣]

زفر بن الحارث — وأمّا (زُفَر بن الحارث) فهو أبو الهذيل زُفر بن الحارث بن عبد عمرو ابن معُاذ [٤] بن يزيد بن عمرو بن الصَّعِق بن خُلَيد بن نُفيل بن عمرو بن كِلاب الكلابىّ .

كان كبيرَ قيس فى زمانه ، وفى الطبقة الأولى من التابعين ، من أهل الجزيرة . وكان من الأمراء . سمع عائشة ومعاوية . وشهد وقْعة صِفِّين مع معاوية أميراً على أهل قِنّسرين ؛ وشهد وقعة مَرْج راهِط مع الضحّاك بن قيس ، فلما قُتل الضحّاك هرب إلى قِرقِيسا [٥] ، ولم يزل متحصّناً فيها حتّى مات فى خلافة عبد الملك بن مروان ، فى بضع وسبعين .

(١) ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٣١٦ وقال : « ومنهم الساهرى ، وقد باد نسله . والساهرى منسوب الى الساهرة ، وهى أرض بيضاء » . وفى المؤتلف ١٦٦ أنه الساهرى بن وهب بن جلى بن أحمس »

(٢) فى المؤتلف : « الحصين بن حمال بن حبيب ، أحد بنى عبدود ابن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف » .

(٣) بين هذا الشطر وسابقه فى المؤتلف :

تسمع للأرض به وئيدا لا برما هذا ولا حسودا

(٤) فى المؤتلف ١٢٩ : « زفر بن الحارث بن معاذ» . معان تصحيف

(٥) قرقيسا ، بالكسر ويقصر : بلد على الفرات ، كما فى القاموس وقال : سمى بقرقيسا بن طهمورث . وجعله ياقوت : « قرقيسياء » بياء ثانية وبفتح القاف الأولى مع المد ، ثم قال : « ويقال بياء واحدة » .

وكان الضحّاك بن قيس ومعه النُّعمان بن بَشير الأنصاريّ يدعو في الشام لعبد الله بن الزُّبير ، ومرْوانَ بن الحكم مع بني أمية يدعو لنفسه ؛ فالتقى الفريقان في مَرْج راهط ، وكان مع الضحّاك ستون ألفَ فارس ، ومع مروان ثلاثة عشر ألفاً . فقال عُبيد الله بن زياد لمرْوان : إن فُرسان قيس مع الضحّاك ، فلا نَنالُ منه إلاّ بكيد ! فأرسل مرْوانُ إلى الضحّاك ، يسأله الموادَعة حتّي ننظر في المبايعة لابن الزبير ، فأجابه الضحّاك ، ووضع أصحابه سلاحَهم ؛ فقال ابن زياد : دونَك ! فشدّ مرْوان على الضحّاك ، فقُتِل الضحّاك والنعمان ورجالُ قيس . ولما هرب زُفَر ، جاءته خيلُ مرْوان ففاتها وتحصَّن ، وقال في ذلك : ٣٩٤

أَرِيـني سلاحي لا أبالَكِ ، إنّني ... أرى الحربَ لا تزدادُ إلاّ تماديا (١)
أتانيَ عن مرْوانَ بالغيبِ أنّه ... مُقيدٌ دَمي أو قاطعٌ من لسانيا
وفي العِيس مَنجاةٌ وفي الأرض مَهربٌ ... إذا نحن رفَّعنا لهُنّ المثانيا (٢)
فلا تحسَبوني ، ان تغيّبتُ غافلاً ... ولا تفرحوا ، إن جئتكم ، بلِقائيا
فقد ينبُت المرعىٰ على دِمَن الثرىٰ ... له ورَقٌ مِن تحته الشرُّ باديا
ويَمضي ولا يبقىٰ على الأرض دِمنةٌ ... وتَبقى حَزَّازاتُ النفوس كما هِيَا ؟ (٣)
ويذهَبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتُه ... بصالح أيّامي وحُسْنِ بَلائيا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد المائة (٤) :

(١) الأبيات في الطبرى ٧ : ٤١ ـ ٤٢ في حوادث سنة ٦٥
(٢) سبق هذا البيت والذى قبله في ١ : ١٩١ بولاق منسوبين الى جميل . ط : « لهن المباينا » ، صوابه في ش والمرجعين السابقين
(٣) هذا البيت والذى قبله ركب صدر أولهما على عجـز الثانى فصارا بيتا واحدا عند الطبرى هكذا :
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا
(٤) انظر المخصص ١٥ : ١٢٢ واللسان (طرق ٨٨ كرا ٨٤) وأمثال الميدانى ١ : ٣٩٥ والكامل ٢٦١

١٤٤ (أطْرقْ كرَا)

وهو صدر بيت وهو :

(أطرِقْ كَرا أطرِقْ كَرا إنّ النَعام فى القُرىٰ)

على أن (الكرا) ذَكَر الكَرَوان وليس مرَّخماً منه .

وهذا بيت من الرجز ؛ وهو مثَل . وقد اختُلف فى قدره ، وفى معنى الكرا والكروان ، وفى معنى البيت :

أما (الأوّل) فقد أورده ابن الأنبارىّ ، وابن ولاّد ، وأبو علىّ القالى ، والجوهرىّ فى الصحاح ، والصاغانى فى العباب ؛ كما ذكرنا ؛ وأورده المبرّد فى الكامل ، والزمخشرى فى مستقصى الأمثال ، والشارح أيضاً فى آخر بحث الترخيم هكذا : « أطرق كرا إنَّ النعامَ فى القُرىٰ » بناء على أنه نثر لا نظم ، وصوابه أطرقْ كرا مرّتين ، كما نبّه عليه ابن السِّيد البطلْيَوسىّ فيما كتبه على الكامل . وزاد الشارح هناك[1] ، « ما إنْ أرىٰ هُنا كَرا » ولم أر هذه الزيادة لغيره .

وأما (الثانى) : فالمشهور أن الكَروان طائر طويل العنق والرجلين ، أغبر ، له صوت حَسن ، وهو أكبر من الحمامة . وقال أبو حاتم فى كتاب الطير : الكَروان القَبَج[2] أى الحجَل . وقيل : هو الُحبارىٰ . وقال الزمخشرىّ : هو ذكر الُحبارىٰ . وقيل : هو الكُرْكىّ . والكرا يكتب بالألف . قال المبرِّد : وهو مرخم الكَروان وتبعه من جاء بعده . قال القالىُّ :

---

(١) الرضى ١ : ١٤٦

(٢) ط : « الصبيح » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وهو معرب « كبك » الفارسية .

السكرا : السكَروان . وهو عند أهل النظر والتحقيق من أهل العربية ترخيم كِروان . وإنّما أراد الراجز : أطرق يا كروان ، فرخّم .

وما قاله الشارح من أنّ السكرا ذكر السكَروان ذكره صاحب القاموس أيضاً ، ونسبه ابن عَقيل فى شرح التسهيل إلى المبرّد . والظاهر من كلام ابن الأنبارى وابن ولّاد الترادفُ ، فإنهما قالا : السكرا : السكَروان . لا أنَّه مرخّم منه . وكذلك قال الأعلم فى شرح ديوان طرَفة : إن السكروان طائر يقال ٣٩٥
له السكرا أيضاً ، ومنه المثل أطرق كرا . . الخ . وكذلك قال فى أمثاله أبو فَيد مؤرِّج بن عمرو السَّدوسىّ : « إن كرا اسم ، وكِروان اسم ، فإنهم قالوا : هو مثل مُضَبَّر وضُبارم ، وعَيطاء وعَيطَمُوس ، وأهوج وهَيْجَمُوس . وهو أشبه الأمرين ، لأنَّهم جمعوه فقالوا : كراً وكِرْوان مثل فتى وفِتْيان ، قال طرفة :

لنـا يوم وللسكِرْوانِ يومٌ تَطيرُ البائساتُ ولا نَطيرُ(١)

فجعله جماعة السكرا ، ألا ترى [أنّه(٢)] قال : البائسات ؟ وكذلك تنشده العرب ولم ترهم رخّموا ثم جمعوا على الترخيم . وجمعوه على السكِرْوان بالسكسر ولم يقولوا : السكَراوين والسكِروانات » . انتهى

وعلى هذا يسقط منه شذوذانِ : الترخيم ، وتغييره ويبقى شذوذ واحد ، وهو حذف حرف النداء [مع اسم الجنس . ويدلُّ على الترادف وعلى أنه ذَكَرُه ورودُ السكَرا فى غير النداء(٣)] .

أنشد ابن ولّاد والزمخشرى للفرزدق قولَه :

(١) هذا البيت هو الشاهد ١٥٢ .
(٢) تكملة يقتضيها الكلام .
(٣) هذه التكملة من ش

أ ألآنَ لمّا عضّ نابي بمسحلي وأطرق إطراق الكَرا من أحاربُه

وقال آخر :

إذا رآني كلُّ بَكْرِيّ بكىٰ أطرَقَ في البيت كإطراق الكَرا

وأما معناه فقد قال ابن الأنباري والقاليّ : معنى البيت : أغضِ فإن الأعزّاء في القرىٰ ، والكروان طائر ذليل يقول : ما دام عزيزٌ موجوداً ، فإياك أيّها الذليل أن تنطق . ضرب به مَثلاً .

وقال الشارح المحقق في آخر بحث النداء : « هو رُقية يصيدون بها الكرا فيسكُن ويُطرق حتّي يصاد » . وهو في هذا تابع للزمخشري فإنه قال : « يقال للكروان ذلك إذا أريد اصطياده . أي تطأطأ واخفِض عنقَك للصَّيد ، فإنّ أكبر منك وأطولَ أعناقاً ، وهي النعام ، قد صِيدَت وحملت من الدَّوِّ إلى القُرىٰ . يُضرَب لمن تكبّر وقد تواضع مَن هو أشرفُ منه . ومثله لصاحب القاموس ، فإنه قال : «وأطرِقْ كرا ،يضرب لمن يخدَع بكلام يُلطَّفُ له ويراد به الغائلة » .

وقال ابن الحاجب في الإيضاح : وأطرِق كرا مثلٌ لمن يتكلّم وبحضرته أولىٰ منه بذلك : كأنّ أصله خطابٌ للكروان بالإطراق لوجود النعام ؛ ولذلك يقال إنّ تمامه :

. . . أطرِقْ كرا إنّ النعام في القُرىٰ

ويقال إنّ الكَروان يخاف من النعام .

ومثله في العباب للصاغاني فإنه قال : وأطرقَ : أرخىٰ عينه ينظر إلى الأرض ؛ وفي المثل : أطرق كرا . . البيت . يضرب للمُعجَب بنفسه ، وللذي ليس عنده غَناء ويتكلّم ، فيقال : اسكت وتوقَّ انتشارَ ما تلفظ به ؛ كراهيةَ ما يتعقّبه .

وقولهم : إن النعام فى القرىٰ أى تأتيك فتدوسك بمناسمها . ويقال أيضاً : أطرق كرا يجْلب لك[1] يضرَب للأحمق فى تمنّيهِ الباطل فيصدّق .

وقال الأعلم الشنتمرىّ فى شرح الأشعار الستة : يضرب للرجل يَظُنّ أنّك محتاج إليه ، فتقول له : اسكنْ فقد أمكننى مَن هو أنبلُ منك وأرفع . والنعام إنّما يكون فى القِفَار ، فاذا كان بالقُرى فقد أمكَن . انتهى

(تتمة)

كَرَاون يجمع على كراوين كوَرَشان يجمع على ورَاشين ، وقالوا يجمع أيضاً على غير قياس على كِرْوان بكسر الكاف وسكون الراء كما يجمع وَرَشان على ورِْشان ، وهو جمع بحذف الزوائد . كأنّهم جمعوا كراً مثل أخٍ وإخوان . ٣٩٦

قال ابن جنّي فى الخصائص : وذلك أنّك لمّا حذفت ألفَه ونُونه بقى معك كَرَوَ ، فقلبت واوه ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها طرَفاً ، فصارت كرا ، ثم كسّرت كرا على كرْوان كشَبَث وشِبْثان ، وخَرَب وخِرْبان . وعليه قولهم فى المثل : أطرقْ كرا ، إنّما هو عندنا ترخيم كَرَوان على قولهم يا حارُ ، بالضم . قالوا : والألف فى كِرْوان إنما هى بدل من الألف المبدلة من واو كرَوان . انتهى

وزعم الرياشى أنَّ الكَرَوان والكِرْوان للواحد ، وكذلك وَرَشان وورْشان . ويردّه قول ذى الرُمّة :

مِنَ آل أبى موسى ، ترى الناسَ حولَه كأنّهمُ الكِرْوانُ أبصَرْنَ بازيا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والاربعون بعد المائة ، وهو من شواهدس[2]:

(١) الذى فى الميدانى : « يحلب » بالحاء المهملة

(٢) سيبويه ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦ وابن الشجرى ٢ : ٨١

١٤٥ (فقالوا تعالَ يا يزِى بنَ مُخَرَّمٍ فقلتُ لهم : إنّى حَليفُ صُداء[1])

على أنّ المرخم يجوز وصفه إلاّ عند الفرّاء وابن السرّاج ، أراد الشاعر : يا يزيد بن مخرّم .

وعند سيبويه حذفت الدال للترخيم ، والياء لالتقاء الساكنين . وقال الفرّاء : كلاهما حذف للترخيم . فإنّ مذهبه حذف الساكن مع الآخر فى الترخيم ، فيقول فيمن اسمه قِمَطْرياقِم ، كذا فى الإيضاح لابن الحاجب .

قال الشاطبيّ فى شرح الألفيّة : شرط المؤنث بالتاء المرخّم أن لا يكون موصوفاً ؛ لأن الترخيم حذف آخر الاسم للعِلْم به ، والصفة بيان للموصوف لعدم العلْم به ، فهما متدافعان . ولذلك قال سيبويه فى قوله :

* إنّك يا مُعاوِ ، يا ابنَ الأفضَل[2] *

إنه ترخيم بعد ترخيم . وقد نصّ على هذا الرمّانى ، وتبعه ابن خروف ، وقال فى البيت : لا يصلح فيه النعت ، لأنه منادى مرخّم ، فهو فى نهاية التعريف ، فنعْته بعيد . فعلى هذا يكون قول يزيد بن مخرّم ـ وأنشده سيبويه ـ :

فقلتم تعالَ يا يزى بنَ مخرّم . . البيت

شاذًا . ويجرى مجرى النعت على هذا التقدير التوابعُ كلّها : من العطف البيانىّ والتوكيد ، إلاّ البدلَ ففيه بحث ، وإلاّ العطفَ النسَقىَّ فإن كل واحد منهما ، أعنى من المعطوف والمعطوف عليه ، مستقلّ بالعامل من جهة المعنى . وفيه نظر أيضاً . انتهى

(١) وكذا عند ابن الشجرى . وفى سيبويه : « مُحزِّم »

(٢) سيبويه ١ : ٣٣٤ والخصائص ٣ : ٢١٦ والهمع ١ : ١٨٤ وديوان العجاج ٤٨ . ورواية الديوان :

* انك يايزيد يابن الأفحـــل *

ثم قال : وهذا الشرط منازَعٌ فيه . وأجاب الشَّلَوبين بأنه قد يتوجّه العِلْم المشتَرَط فى الترخيم على الاسم ، وعدمُ العلْم على المسمَّى ، فلا يتدافعان . وأما بيت سيبويه فلعلّه إغرابٌ من سيبويه ، إذْ كان الوجه الآخر لا غرابة فيه ، أو لعلّه اختيار منه لذلك الوجه ؛ لأنّه موضع مدح ، فتكرير النداء فيه أفخم من الإتيان به وصفاً . هذا ما قال ؛ ويقوّيه أن سيبويه أنشد :

* فقلتم تعالَ يا يزى بنَ مخرِّم *

على أنّه ليس من الشاذّ ، بل على أنه من الجائز بإطلاق ، وهو مع ترخيم الهاء أجود ، ومثله قول امرئ القيس :

* أحارِ بنَ عمرٍو كأنّى خَمِرْ *

وهذا الشاهد دالّ على جواز ترخيم الموصوف من باب الأَوْلى ، لأنّه من الموصوف بابن ؛ وتقرّر فى الكلام صيرورة ابن مع الموصوف فى حكم المركب ، بدليل حذف التنوين . فإن كان هذا يجوز ترخيمه ، فمن باب أَولىٰ جواز ترخيم نحو : يا طلحة الفاضل ، ويا حارث الفاضل ؛ فتقول : يا طلح الفاضل ويا حار الفاضل . وكذلك المعطوف والمؤكد والمبدل منه . انتهى

و (مخرّم) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشدّدة[1] .

٢٩٧ و (يزيد بن المخرِّم) من أشراف بنى الحارث من أهل اليمن . والمخرِّم هو ابن شُريح بن المخرِّم بن حَزْن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب ابن الحارث .

وكان يزيد بن المخرّم ممن جاء مع عبد يغوث الحارثى فى يوم الكُلاب

(١) أنظر ما سبق فى ص ٣٧٨ حاشية : ١ من هذا الجزء .

الثانى (وقد مضى شرحه فى الشاهد الخامس والستين[1]) ، وقُتِل يزيد ابن المخرِّم فى ذلك اليوم مع يزيد بن عبد المَدَان ويزيد بن الهَوْبَر[2] . وأُسِر عبد يغوث (كما تقدَّم شرحه) . ولما وقعت الهزيمة عليهم ، جعلَ رجلٌ من بنى تميم يقول :

يا قَوم لا يُفلِتكمُ اليزيدانْ يزيد حَزْن ويزيد الديان

ويروى : مخرِّماً أَعنى به والدَّيّان[3]

وصُداء بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وبالمدّ : حىٌّ من اليمن ، منهم زياد بن الحارث الصُّدَائىّ الصحابىّ رضى الله عنه .

والحليف : المحالف والمعاهد . وروى البيت هكذا :

(فقلتم تعالَ يا يزى بنَ مخرِّم فقلت لكم : إنّى حليف صُداء)

وهو من أبيات ليزيد بن المخرِّم المذكور آنفا .

* * *

وأنشد بعده : كلينى لهمٍّ يا أميمة ناصب[4]

وتقدَّم شرحه قبل هذا بثمانية شواهد[5]

* * *

(١) الجزء الأول ص ٤١٠/٤١١ وما بعدها

(٢) ش : « ويزيد هو ابن الهوبر » ، صوابه فى ط

(٣) انظر رواية الرجز فيما سبق ، وكذا فى الأغانى ١٥ : ٧٠

(٤) ط : « يا أمية » ، صوابه فى ش

(٥) ص ٣٢١ من هذا الجزء .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[١] :

١٤٦ (عَجِبْتُ لمولُودٍ وليسَ له أبٌ وذِي وَلَدٍ لم يَلْدَهُ أبَوَانِ)

على أن سيبويه استشهد به فى ترخيم أسحار[٢] فى أنك تحرّكه بأقرب الحركات إليه ، وكذا تقول : اِنطَلْقَ إليه ، فى الأمر ؛ تسكّن اللام فتبقى ساكنة والقاف ساكنة، فتحرّك القاف بأقرب الحركات إليها وهى حركة الطاء .

قال أبو جعفر النحاس : « فإن قيل : فقد جئتَ بحركة موضعَ حركة ، فما الفائدة فى ذلك ؟ فالجواب: أنّ الحركة المحذوفة كسرة » انتهى . أى فالفتحة أخفّ منها . فأصل (يَلْدَه) يلِدْه بكسر اللام وسكون الدال للجزم ، فسكّن المكسور تخفيفا ، فحرّكت الدال دفعاً لالتقاء الساكنين بحركة ، وهى أقرب الحركات إليها ، وهى الفتحة ؛ لأن السّاكن غير حاجز حصين[٣] . قال المبرّد فى الكامل : كل مكسور أو مضموم ، إذا لم يكن من حركات الإعراب، يجوز فيه التسكين . وأنشدَ هذا البيتَ وقال : لا يجوز ذلك فى المفتوح لخفّة الفتحة . انتهى

ووقع هذا البيت فى رواية سيبويه :

(ألا ربَّ مولودٍ وليس له أب)

وكذا أوردَه ابن هشام فى مغنى اللبيب شاهداً على أن ربّ تأتى بقلة لإنشاء

(١) سيبويه ١ : ٣٤١ و ٢ : ٢٥٨ . وانظر العينى ٣٠ : ٣٥٤ والخصائص ٢ : ٣٣٣ وابن يعيش ٤ : ٩/٤٨ : ١٢٣ ، ١٢٦ والهمع ١ : ٢/٥٤ : ٢٦ وشرح شواهد المغنى ١٣٦

(٢) ط : « استحار » ، صوابه فى ش وسيبويه وشرح الرضى ١ : ١٤٠ . وفى القاموس . الإسحارّة ، والإسحارّ ، ويفتح والسُّحار : بقلة تسمّن المال

(٣) الوجه « حاجز غير حصين » .

التقليل، كهذا البيت، وفى الأكثر أنها لإنشاء التكثير. وكذا أورده غيره.
ولا تلتفتْ إلى قول ابن هشام اللخميّ مع رواية سيبويه: «الصوابُ عجبت لمولود». لأنّ الروايتين صحيحتان ثابتتان.

ونسبه شرّاح أبيات سيبويه لرجل من أزْد السّراة. وبعده:

(وذى شامَةٍ سَوداء فى حُرِّ وجهِهِ   مخلَّدَةٍ لا تنقضى لأوانِ
ويكمُل فى خَمسٍ وتسعٍ شبابُهُ   ويَهرَم فى سَبعٍ معا وثمانِ)

وعلى هذه الرواية لا وصفَ لمجرور ربّ، لأنه لا يلزم وصفه عند سيبويه ومن تبعه. فجملة (وليس له أب) حال من مولود؛ والعامل محذوف، وهو جواب ربّ، تقديره: يُوجَد ونحوه. والتزم المبرِّد وتابِعوه وصفَ مجرورها؛ فتكون الجملة صفة له، والواو هى الواو التى سمَّاها الزمخشريّ واو اللُّصوق، أى لصوق الصفة بالموصوف، وجعل من ذلك قوله تعالى: (وما أهلَكْنا مِنْ قَرْيَة إلاّ وَلَها كتابٌ مَعْلُوم[1]). و (ذىولد) معطوف على (مولود). ٣٩٨
وأراد بالأوّل عيسىٰبنَ مريم، وبالثانى آدمَ أباالبشر عليهما السلام، قال أبو على الفارسيّ: إن عَمراً الجَنْبيَّ سأل امرأ القيس عن مُرادِ الشاعر، فأجابه بهذا الجواب — وجَنْب بفتح الجيم وسكون النون: قبيلة فى اليمن؛ وعمرٌو هذا منسوب إليها — وقيل: أراد بذى الولد البيضة، وقيل: أراد به القوس وولدها السهم لم يلده أبوان، لأنه لا تتّخذ القوسُ إلاّ من شجرة واحدة مخصوصة. وهذانالقولان من الخرافات؛ فإنّ البيضةَ متولّدة منأنثى وذكر، والقوسَ لا تتّصف بالولادة حقيقة؛ وإن أراد بها التولّد وهو حصول شىء من شىء فليست مما ينسب إليه الوالدان.

(١) الآية ٤ من سورة الحجر.

وأراد بذى شامة: القمر، فإنَّه ذو شامة، وهى المَسْحة التى فيه، يقال: إنهامن أثر جَناح جبريل عليه السلام لما مسحه؛ والشامة: علامة مخالفة لسائر البدن؛ والخال هى النكتة السوداء فيه. وأراد بكمال شبابه فى خمس وتسع، صيرورتَه بدراً فى الليلة الرابعة عشرة، لأنّه حينئذ فى غاية البهاء والضياء، كما أن الشابّ فى غاية قوّته وحسن منظره فى عنفوان شبابه. وأراد بهَرَمه ذهابَ نوره ونقصانَ ذاته فى الليلة التاسعة والعشرين، فإن السبعة والثمانية، وهى خمسة عشر، إذا انضمّت مع الخمسة والتسعة، المتقدّمة، وهى أربعة عشر، صارت تسعة وعشرين. وهذا الضمّ استفيد من قوله: معا. ورُوى: (مضَتْ) بدلَ معاً. وروىٰ بعضهم: (وذى شامةٍ غرّاء) أى بيضاء؛ وهذا غير مناسب. وحُرّ الشىء: خالصه؛ وحُرّ الوجه: ما بدا من الوجنة، أو ما أقبل عليكَ منه، أو أعتَقُ موضعٍ فيه. ومخلّدة بالخاء المعجمة والدال، أى باقية؛ وهو بالجرّ صفة لشامة، وبالنصب حال منها للمسوِّغ. وروىٰ بعضهم: (مجلّلة) اسم فاعل من التجليل، بجيم ولامين وهو التغطية. وهذا أيضاً غير مناسب. وفسّرها بعضُهم بذات العز والجلال. وروى أيضاً: (مجلّحة) بتقديم الجيم على الحاء المهملة؛ وفسّره بمنكسفة وهذا كلُّه من ضِيق العطَن: لا الروايةُ لها أصل، ولا هذا التفسيرِ ثابتٌ فى اللغة. واللام فى قوله: لأوَان، بمعنى فى، كقوله تعالىٰ: (وَنَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليَوْمِ القيامَةَ[1])، وقولهم: مضىٰ لِسبيله؛ أو بمعنى عند، كقولهم: كتبته لخمسٍ خَلَون؛ أو بمعنى، بعد كقوله تعالى: (أقمِ الصلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْس[2]). قال البيضاوىّ، فى قوله تعالى: (لا يُجَلِّيها لِوَقتِها إلاّ هُو[3])؛ لا يظهر أمرها فى وقتها. والمعنى:

(١) الآية ٤٧ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ٧٨ من سورة الاسراء.

(٣) الآية ١٨٧ من سورة الأعراف.

أن الخفاء بها استمرّ على غيره إلى وقت وقوعها . واللام للتأقيت كاللام فى قوله تعالى : (لدُلوكِ الشَّمس) . وقال العينيّ : « هى للوقت . ولا يقال : هذا إضافه الشيء إلى نفسه ، لأنَّ المعنى لوقتٍ وُقّت ، لأن التغاير فى اللفظ كافٍ فى دفع ذلك » . انتهى . فتأمل . وروى : (لا تنجلى لزمان) . وذكّر العدد فى الجميع ، لأنه باعتبار الليالى . وجملة يَكمُل ، من الفعل وضميره المستتر ، معطوف على جملة لا تنقضى . ولا يضرُّ تخالفهما نفياً وإثباتاً .

و (أزْد السَراة) : حىٌ من اليمن . والأزْد اسمه دِرْءٌ[1] ، بكسر ٣٩٩
الدال وسكون الراء المهملتين وبالهمز . والأسْد لغة فى الأزْد ؛ بل قيل : السين أفصح من الزاى[2] . والأزْد : ابنُ الغَوث بن نَبْت بن مالك بن أُدَد بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يعرُب بن قَحْطان . . والغَوثُ بفتح الغين المعجمة والثاء المثلثة[3] ونَبْت : بفتح النون وسكون الموحدة وبالتاء المثنّاة . وأُدَد : بضم الهمزة وفتح الدال الأولى . وسبأ : بفتح السين المهملة وفتح الموحّدة والهمزة[4] . ويشجب : بفتح المثنَّاة التحتيَّة وسكون الشين المعجمة وضم الجيم وبالباء الموحَّدة . ويعرب بفتح المثناة التحتيَّة وسكون العين المهملة وضم الراء المهملة وبالباء الموحَّدة . كذا فى جامع الأصول لابن الأثير ، وغيرِه من كتب الأنساب .

(والسَّراة) بفتح السين المهملة هو أعظم جبال العرب . روى أبو عبيد

(١) فى نهاية الأرب ٢ : ٣١١ : « وأما الأزد بن الغوث ، واسمه دراء مثل رداء ، وقيل : دره مثل درع .. » . وهذا نص نادر

(٢) انظر الصحاح (أزد) والاشتقاق ٤٣٥

(٣) أى وبالثاء المثلثة .

(٤) أى وبالهمزة . معجم البكرى ٩ :

البـكرى فى معجم ما استعجم بسنده إلى سعيد بن المسيَّب : أنَّه قال : لما خلق الله عزَّ وجلَّ الأرضَ ، مادتْ بأهلها ؛ فضربها بهذا الجبل يعنى السراة فاطمأنَّت . قال أبو عبيد : وطولُ السَّراة : ما بين ذات عِرْق إلى حدّ نَجْرانِ اليمن . وبيت المقدس فى غربىّ طولها . وعرضُها ما بين البحر إلى الشَّرَف . فصار ما خلف هذا الجبل فى غربيّه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريِّين[1] وعكّ وكنانة[2] إلى ذات غرق وا لجُحْفة ، وماوالاها وصاقبها وغار من أرضها الغَور : غَور تِهامة ، وتِهامة تجمع ذلك كلَّه . وغَور الشَّام لا يدخل فى ذلك . وصار ما دون ذلك فى شرقيّه من الصحارى إلى أطراف العراق والسَّماوة وما يليها نجداً ؛ ونجد يجمع ذلك كلَّه . وصار الجبل نفسه سراتَه وهو الحجاز . وما احتجز به فى شرقيّه من الجبال وانحاز إلى ناحية فَيْد [والجبلين إلى المدينة ومن بلاد مذحج تثليثَ . وما دونها إلى ناحية فيد[3]] فذلك كلّه حجاز . وصارت بلاد اليمامة والبحْرين وما والاها[4] : العَروض ، وفيها نجدٌ وغَور ، لقربها من البحر وانخفاضِ مواضعَ منها ومسايلِ أوديةٍ فيها ، والعَروض يجمع ذلك كلَّه . وصار ما خلف تَثْليث وما قاربها ، إلى صنْعاء وما والاها من البلاد ، إلى حَضْرَموت والشِّحْر وعُمان ، وما بينهما اليمنَ ؛ وفيهما التهائم والنجود ؛ واليمن يجمع ذلك كلّه . وذات عِرْق فصلٌ ما بين تهامة ونجد والحجاز . وقيل لأهل ذات عرق : أمُتْهِمُون أنتم أمْ مُنْجِدون ؟ قالوا لا متْهمون ولا منْجدون . انتهى كلام أبى عُبيد .

وقال ابن مكرّم فى لسان العرب: « السراة جبل بناحية الطائف . قال

(١) فى النسختين ، وكذا أصل معجم البكرى ٩ : « الى أسياف الحرمين بلاد الاشعريين ، صوابه فى معجم ياقوت .
(٢) فى النسختين : « عك وكنانة » ، صوابه من معجم البكرى٩ ..
(٣) التكملة من معجم البكرى .
(٤) فى معجم البكرى : « وما والاهما » .

ابن السكيت : الطَّود : الجبل المشرف على عرَفة ينقاد إلى صنعاء يقال لهـا السراة فأوّله سراة ثقيف ، ثم سراة فهْم وعَدْوان ثم الأزد » . انتهى

قال ابن عبد البرّ فى مقدّمة الاستيعاب[1] : الأزْد جرثومة من جرائم قحطان وافترقت فيما ذكر أبو عبيدة[2] وغيره من علماء النسب على نحو سبع وعشرين قبيلة . . ثم ذكَرَها . . ويقال لبعضٍ منهم : أزْد السراة ، وهو من أقام منهم عند جبل السراة . ولبعض آخر : أزْد عُمان ، بضم العين المهملة وتخفيف الميم ، وهو بلد على شاطىء البحر ، بين البصرة وعَدَن ، أضيفوا إليه لسكناهم فيه . ولبعضٍ آخر : أزد غَسّان بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة ، وهو اسم ماء بين زَبيد ورِمَع — وهما واديان للأشعريين — فمن شرب منه منهم سُمّى أزد غسّان — وهم أربع قبائل — ومن لم يشرب منه لا يقال له ذلك ، قال حسّان بن ثابت رضى الله عنه :

إمّا سألتَ فإنا معشَرٌ نُجُبٌ الأزد نِسبتُنا ، والماء غَسّانُ[3]

٤٠٠ ومنهم من يقال له أزد شَنُوءة — على وزن فَعولة — وهو اسم أبيهم ، سُمّى به لشنآن وقع بينهم . واسمه الحارث — وقيل : عبد الله — بن كعب ابن مالك بن نصر[4] بن الأزد . قال فى الصحاح « أزد أبوحىّ من اليمن . يقال أزد شَنوءة وأزد عُمان وأزد السَراة . قال النجاشىّ :

وكنت كذى رِجْلين : رِجلٍ صحيحة ورجلٍ بها رَيْبٌ من الحدَثانِ

(١) كذا . ولم أجد للأزد ذكرا فى مقدمة الاستيعاب . وانظر تاج العروس (أزد)

(٢) فى ط : « ابن عبدة » . صوابه فى ش وتاج العروس

(٣) ديوان حسان ٤١٣ والسيرة ٦ .

(٤) ط : « النصر » ، صوابه فى ش وجمهرة ابن حزم ٣٧٦ ونهاية الأرب ٢ : ٣١٢

فأمّا التى صحّت فأزْدُ شَنُوءة وأمّا التى شُلّتْ(١) فأزد عُمانِ

ورأيت فى (الملحقات) التى ألحقها صاحب المختصر ، الذى اختصره من جمهرة الأنساب لابن الكلبى ، بعد أن نقل كلام الصحاح ما نصُّه : « لم أجد فى الجمهرة . لابن دريد لذلك ذكراً ؛ بل رأيت فى العجالة فى النَّسب أن شنوءة اسمه الحارث وقيل عبد الله . فقوله : إنه الحارث ، أقرب إلى الصواب . فالحارث هو الذى ولَد هذه البطونَ والقبائلَ ، من دَوس و نصر وغامد وماسخة وغيرهم . وأهل عُمان الآن يقولون : إنهم شَنوءة ؛ وهم من دوس ثم من مالك ابن فَهم بن غَنْم بن دَوس . وهذا الذى ظهر من صحّة ذلك ، يبطل تقسيمَ الشاعر فى هذا البيت ، وقولَه إنَّ أزد عُمان غير أزد شَنوءة ، وقولُ الجوهرى : يقال أزد شَنُوءة وأزد عُمان وأزد السَراة ، إنْ أراد به التقسيم على ثلاث قبائل ففاسد ، وذلك : أن أزد السراة أيضا من أزد شَنوءة فيهم من يذكر ؛ وهم ثُمالة ، تحلّ بلداً بالسَّراة اسمه قَوسى ؛ ودوس ، منهم مُنْهِب بن دَوس بالسراة . والأقرب أن يقال : إن هذا كقولهم غسّان والأنصار وخزاعة ؛ وكلّهم غسّان ؛ وإنّما تجدَّد للأنصار وخُزاعة هذان الوصفان ، فبقيت تسمية غسَّان للشاميّين . ا هـ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المائة(٢) :

١٤٧ (يا مَرْحَبَاهَ بحِمَارِ ناجيَهْ)

---

(١) ش : « خلت » ، تحريف ، صوابه فى ط ونوادر أبى زيد ١٠ وحماسة ابن الشجرى ٣٣

(٢) الخصائص ٢ : ٣٥٨ والمنصف ٣ : ١٤٢ وابن يعيش ٩ : ٤٦ ، ٤٧ والهمع ٢ : ١٥٧

على أن هاء السكت الواقعةَ بعد الألف ، يضمُّها بعضُ العرب ويفتحها في حالة الوصل ، في الشعر .

قال ابن جنّي في باب الحُكم يقف بين الحُكْمَين من الخصائص : « ومن ذلك بيت الكتاب :

* له زجلٌ كأنّهُ صوتُ حادٍ(١) *

فحذف الواو من كأنّه ، لا على حدّ الوقف ، ولا على حدّ الوصل ؛ أما الوقف فيقتضي بالسكون : كأنّهْ ، وأما الوصل فيقتضي بالمطل وتمكين الواو : كأنّهُو(٢) فقوله إذن : كأنّهُ ، منزلة بين الوصل والوقف . وكذلك أيضا قوله :

يا مرحَباهَ بحمار ناجِيهْ إذا أتَى قرّبته للسانيهْ

فثبات الهاء في مرحباه ليس على حدّ الوقف ولا على حدّ الوصل ، أما الوقفُ فيؤذِن بأنّها ساكنة ، وأما الوصل فيؤذن بحذفها أصلا ، فثباتها في الوصل متحرّكةً منزلةٌ بين المنزلتين » اهـ

وقوله : (يا مرحباه) المنادى محذوف ؛ ومرحبا مصدر منصوب بعامل محذوف ، أي صادف رُحباً وسَعة . حذف تنوينه لنيّة الوقف ، ثم بعد أن وصل به هاء السكت عنّ له الوصلُ فوَصل . و (الحمار) مذكر ؛ والأنثى أتان ؛ وحِمارة بالهاء نادر ؛ وهو مضاف إلى ناجية . و (ناجية) بالنون والجيم : اسم

(١) في النسختين : « صوت حمار » صوابه من سيبويه ١ : ١١ والخصائص ١ : ١٢٧/٢ : ١٧ ، ٣٥٨ والانصاف ٥١٦ وديوان الشماخ ٣٦ .

(٢) في النسختين : « كأنه » ، والأوفق في الرسم ما أثبت عن الخصائص .

شخص ؛ وبنو ناجية قوم من العرب ؛ وناجية : ماء لبنى أسد ، وموضع بالبَصرة ؛ والناجية : الناقة السريعة ، وليست بمرادٍ هنا . والباء متعلّقة بقوله ٤٠١
مرحبا . والسانية : الدَّلو العظيمة وأداتها ، والناقة التى يُسنيٰ عليها ، أى يستقى عليها من البئر . وفى المثل : « سَيرُ السَّوانى سفرٌ لا ينقطع » . يقال : سَنَتِ الناقة تسنو سُناوة وسناية : إذا سقت الأرض ؛ والسَّحابة تسنو الأرضَ والقومُ يسنون لأنفسهم : إذا استقوا ، والأرض مَسنُوّة ومسنِيّة بالواو والياء . وأراد بتقريب الحمار للسانية : أن يُستقىٰ عليه من البئر بالدلو العظيمة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] :

١٤٨ (فى لَجّةٍ أَمْسِكْ فلاناً عنْ فُلِ)

على أن (فُلا) مما يختصّ بالنداء ، وقد استعمله الشاعر فى الضرورة غير منادى .

قال صاحب اللباب : ووزنه فُعَل تقديراً ، والذاهب منه الواو ، فيكون أصله فُلَو كصُرَد فذهبت الواو تخفيفاً . وذلك لأنّ الاسم المتمكّن لا يكون على حرفين ، فلا بدّ من تقدير حرف ثالث ، وحرفُ العِلّة أولى لكثرة دوره ، والواو أولى لأنّ بناتِ الواو أكثر .

(١) سيبويه ١ : ٣٣٣/٢ : ١٢٢ والعينى ٤ : ٢٢٨ وابن الشجرى ٢ : ١٠١ وشرح شواهد المغنى ١٥٤ والسمط ٢٥٧ واللسان (لجج ١٧٩ فلن ٢٠٢)

أرجوزة الشاهد

وهذا البيت من أرجوزة طويلة لأبى النَجم العِجْلى[(١)]، وصف فيها أشياء كثيرة. أولها:

(الحمد لله العَلىِّ الأجلَلِ الواسع الفضْلِ الوَهُوبِ المجزل
أعطى فلم يَبخَل ولم يُبخَّلِ كُومَ الذُّرى من خَول المخوَّلِ
تبقَّلتْ مِن أول التبقُّلِ بين رِماحَىْ مالكٍ ونَهشَلِ
يدفعُ عنها العزُّ جهلَ الجُهَّلِ)

إلى أن قال:

(وقد جعلْنا فى وَضِينِ الأحبُلِ جوزَ خُفافٍ قلبُه، مُثْقلِ
أخْزَمَ، لا قُوقٍ ولا حَزَنْبَلِ مُوَثَّقِ الأعلىْ أمينِ الأسفل
أقبَّ من تحتُ عريضٍ مِن عَلى معاوِدٍ كَرَّةَ أدبِرْ أقبل)

إلى أن قال:

(وصَدَرتْ بعدَ أصيل الموصل تمشى من الرِدَّةِ مشىَ الحُفَّلِ
مشىَ الروايا بالمَزاد الأثقَل)

إلى أن قال:

(تثِيرُ أيديها عجاج القَسْطَلِ إذْ عصَبتْ بالعَطن المغَرْبَل
تَدافُعَ الشِّيبِ ولم تقِتِّلِ فى لَجَّةٍ أمسِكْ فلاناً عن فُلِ)

(١) نشرها بهجة الأثرى فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٨ : ٤٧٢ - ٤٧٩ سنة ١٩٢٨ فى ١٩١ شطرا وسماها أم الرجز، ثم نشرها الميمنى فى الطرائف الأدبية ٥٥ - ٧١ فى ١٩١ شطرا زاد بعدها شطرين من جمهرة ابن دريد واعترض على تسميتها أم الرجز مع أنها فى نص الأغانى ٩ : ٧٤ « فلما فرغ منها قال رؤبة : هذه أم الرجز »، فرؤبة هو الذى سماها بذلك.

ومنها فى صفة الراعى :

(تفلى له الريحُ ولمّا يَفْتَلِ لِمَّةَ قفرٍ كشعاع السُّنْبُلِ
يأتى لها من أيْمُنٍ وأشْمُلِ وبُدِّلتْ والدهرُ ذو تبدُّلِ
هَيفاً دَبوراً ، بالصَّبا والشمألِ)

وهى طويلة جدّا .

قال الأصبهانىّ فى الأغانى[1] : ورد أبو النَّجم على هشام بن عبد الملك فى الشعراء ؛ فقال لهم هشام : صفوا لى إبلاً فقطِّروها وأوردوها وأصدِرُوها ، حتّى كأنّى أنظر إليها . فأنشدوه . . وأنشده أبو النجم هذه الأرْجوزة بديهة[2] . ٤٠٢

وكان أسرع الناس بديهة . قال الأصمعى : أخبرنى عمى قال أخبرنى ابن بنت أبى النجم قال : قال جدِّى أبو النجم : نظمت هذه الأرجوزة فى قدر ما يمشى الإنسان من مسجد الأشياخ إلى مسجد حاتمٍ الجزار ومقدار ما بينهما غَلوة سهم[3] (أى مقدار رمية) .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[4] : « أنشد أبو النجم هذه الأرجوزةَ هشامَ بنَ عبدِ الملك — وهى أجودُ أرجوزة للعرب — وهشامُ يصفِّق بيديه[5] استحساناً لها ؛ حتى إذا بلغ قولَه فى صفة الشمس :

(١) الأغانى ٩ : ٧٥

(٢) انظر الأغانى . ولم يكمل البغدادى هنا خبر أبى النجم مع هشام كما ساقه أبو الفرج ، لكنه سيتمه بعد شرحه

* صغواء قد كادت ولما تفعل *

(٣) فى الأغانى ٩ : ٧٦ : « غلوة أو نحوها »

(٤) الشعراء ٥٨٦

(٥) فى النسختين : « بيده » ، والوجه من الشعراء ، ويد وحدها لاتصفق .

(حتّى إذا الشّمسُ جلاها المجتلىْ بين سِماطَىْ شفقٍ مُرَعْبلِ
صَفْواء ، قد كادتْ ولمّا تفعَل فهى على الأفقِ كعَين الأحوَل)

أمر بوجْءِ رقبته وإخراجه[1] . وكان هشام أحول » اهـ

وقوله : الحمد لله العلىّ الأجلَل ، أورده علماء البلاغة على أن الأجلل ، بفكّ الإدغام ،مما يخلّ بالفصاحة[2] ، والفصيح الأجلّ ، وهو القياس . وأورده ابن هشام أيضاً فى آخر (الأوضَح) على أن فكّ الإدغام فيه للضرورة ، مع أنّ الإدغام واجب فى مثله . ورواه سيبويه : « الحمدُ لله الوَهوبِ المجزِل » ، وأنشده على أنّ حذف الياء المتّصلة بحرف الروىّ جائز على ضعف ؛ تشبيهاً لها فى الحذف بياء الوصل الزائدة للترنم ، كما فى قوله المجزل ونحوه . . وكأنّ هذه الرواية مركبة من بيتين . والمجزل : مِن أجزل له فى العطاء : إذا أوسعه . والبخل عند العرب : منع السائل مما يفضُل عنده ، وفعله من باب تعب وقَرب . وبخّله بالتشديد : إذا نسبه إلى البخل ، وأما أبخله بالهمز فمعناه وجده بخيلاً . وكُومَ الذُرى : مفعول أعطى ، وهو جمع كَوماء بالفتح والمد ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . وذُرى الشىء بالضم أعاليه ، جمع ذُروة بالكسر والضم أيضاً ، وهى أعلى السنام أيضا. والخوَل بفتحتين : العطيّة . والمخوِّل ، اسم فاعل : المعطى. فى العباب : الخول: العطيّة ، وقوله تعالى : (وترَكتُمْ ماخوَّلناكُمْ[3]) أى أعطيناكم وملّكناكم . وأنشدَ هذا البيت . وقوله : تبقّلت . . الخ ، البقل : كلّ نباتٍ اخضّرت له الأرض . وتبقّلتِ الناقةُ مثلا وابتقلت : رعت

(١) يقال وجأه باليد وبالسكين وجئا : ضربه .
(٢) انظر معاهد التنصيص ١ : ٧
(٣) الآية ٩٤ من سورة الأنعام

البقلي . ومالك ، هو ابن ضُبيعة بن قيس من هَوازن . ونهشل ، هو أبو دارم قبيلة من ربيعة .

قال الأصفهانيّ فى الأغانى : « وكان سببَ ذكرِ هاتين القبيلتين أعنى بنى مالك ونهشل[1] : أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، وحروباً فى بلادهم ، فتجافىٰ جميعُهم الرعىَ فيما بين فَلْج والصَّمّان ، مخافة الشر ، حتّى عفا كلؤه وطال . فذكر : أن بنى عجل جاءت لعِزِّها[2] إلى ذلك الموضع فرعَتْه ، ولم تخف رماحَ هذين الحيَّين . ففخَر به أبو النجم » اه .

وفَلْج ، بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . والصَّمّان ، بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم ، قال البكريّ فى معجم ما استعجم : فَلْج : موضع فى بلاد مازن ، وهو فى طريق البَصرة إلى مكة ، وفيه منازل للحاجّ . وقال الزجّاج : فَلْج بين الرُّحَيل إلى المجازة ، وهو ماء لهم . وقال أبو عبيدة : لما قَتلِ عِمْرانُ ابن خُنيس[3] السَّعدى ، رجلَيْن من بنى نهشل بن دارم ، اتهاماً بأخيه المقتول فى بِغاء إبله ، نشأت بين بنى سعد بن مالك وبين بنى نهشل حربٌ تحامىٰ الناسُ ٤٠٣
من أجلها ما بين فَلْج والصَّمّان ، وهو على وزن فَعْلان : جبل يخرج من البَصْرة على طريق المنكدِر ، لمن أراد مكة .

وقال ابن الأعرابيّ فى نوادره : « كان رجل من عَنَزَة دعا رؤبةَ ابنَ العجّاج فأطعمه وسقاه ؛ فأنشده فخرَه على ربيعة ؛ فساء ذلك العنزيَّ

(١) الذى فى الأغانى ٩ : ٧٤ : « قال ابو عمرو : وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين – يعني بني مالك .. الخ » . فالكلام ليس للأصفهانى ، وانما هو لأبى عمرو الشيبانى .

(٢) الأغانى : « لغزوها » . وما هنا اشبه بالقصة وبالرجز : « يدفع عنها العز جهل الجهل » .

(٣) ط : « خشيش » ش : « خشيس » ، صوابهما من معجم البكرى (فلج) .

فقال لغلامه سِرًّا : اركب فرسي وجئني بأبي النجم . فجاء به وعليه جُبّةُ خَزّ وبتٌّ[1] ، في غير سراويل . فدخل وأكل وشرب . ثم قال العَنَزِيّ : أَنْشِدْنا يا أبا النجم — ورؤبةُ لا يعرفه — فانتحىٰ في قوله :

* الحمدُ لله الوهوب المجزل *

يُنشِدها ، حتّى بلغ :

تبقّلتْ من أوّل التبقّل بين رماحيْ مالك ونهشل

فقال له رؤبة : إنَّ نهشلاً من مالك ، يرحمك الله ! فقال : يا ابن أخي ، الكَمَرُ أشباهُ الكَمَر ، إنّه ليس مالك بن حنظلة ، إنّه مالك بن ضُبيعة ! فخزيَ رؤبة وَحيَ من غلبة أبي النجم له . . ثم أنشد أبو النجم فخره على تميم ؛ فاغتمّ رؤبة وقال لِصاحب البيت : لا يحبُّك قلبي أبدا ! » اهـ

واستشهد صاحب الكشّاف بقوله :

* بين رماحيْ مالك ونهشل *

عند قوله تعالى (اثنتيْ عَشْرَةَ أسبَاطا[2]) على جمع الأسباط ، مع أنّ مميز ما عدا العشرة لا يكون إلاّ مفردًا . لأنّ المراد بالأسباط القبيلة ؛ ولو قيل: سبطا ، لأوهم أن المجموع قبيلةٌ واحدة ؛ فوضع أسباطاً موضع قبيلة ، كما وضع أبو النّجم رماحاً ، وهو جمع ، موضعَ جماعتين من الرماح ، وثنّى على تأويل : رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة. فالمراد : لكلٍّ فرد من أفراد هذه التثنية جماعة ، كما أنّ لكلٍّ فردٍ من أفراد هذا الجمع ، وهو أسباط ، قبيلةً .. وفاعل تبقّلت ، ضمير كُوم الذُرى زعم بعض شرّاح شواهد التفسير : أنّ هذا البيت

(١) البت : كساء غليظ من وبر أو صوف .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

فى وصف رَمَكَة مرتاضة اعتادت ممارسة الحروب ، حتّى تحسب أرضَ الحرب روضةً تتبقّل فيها . ولا يخفى أن هذا كلامُ من لم يقف على سِياق هذا البيت ولا سِباقه . مع أنَّ هذا الزاعمَ أورد غالبَ الأرْجوزة ولم يتفهَّم المعنىٰ .

وقوله : يدفع عنها العزّ . . الخ ، العزّ : فاعل يدفع ، وهو بمعنى القوّة والمَنعة ؛ وجهل الجُهَّل : مفعولُه ، أى سفاهة السفهاء ؛ وضمير عنها راجع إلى كوم الذرى وقوله : وقد جعلنا فى وَضِين .. الخ ، هذا فى وصف بَعير السانية ؛ والوَضين : نِسعٌ عريض كالحِزام يُعمَل من أدَم ، قال الجوهرىّ : « الوضين للهودج بمنزلة البِطان للقتَب ، والتصديرِ للرحْل ، والحِزام للسَرْج ؛ وهما كالنسع إلا أنهما من السيور إذا نسج بعضُه على بعض . . [(١)] تقول : وضَنتُ النِّسع أضِنُه وَضْنا : إذا نسجتَه » . والأحبُل : جمع حبْل . والجوْز ، بفتح الجيم وآخره زاى معجمة . مفعول جعلْنا ؛ وجوز كلِّ شىء : وسطه . والخُفاف بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاءين ، بمعنى خفيف ؛ وهو منوّن ؛ وقلبُه فاعل خفاف ، وهو صفة لموصوف محذوف أى بعير خفاف . والمثقّل : الثقيل ، صفة ثانية . يريد : شدَدنا الوضينَ فى وسط بعير خفيفِ القلب ذكىّ من ثقل بدنه وضخامته. والأحزَم : خلاف الأهضَم ؛ وهو أن يكون موضع حزامه عظيماً ؛ وهو صفة ثالثة . والقُوق ، بضم القاف الأولى : الفاحش الطوُّل ؛ وهو صفة رابعة . والحزَنْبَل ، بفتح الحاء المهملة والزاى المعجمة وسكون النون وفتح الموحدة : القصير . وقوله : موثّق الأعلىٰ . . الخ ، بالجرّ صفة خامسة ، وأراد بالأعلى ٤٠٤
ظهرَه ، وبالأسفل بطنَه [(٢)] ؛ وأمين بمعنى مأمون ، صفة سادسة. وقوله: أقبٌ..الخ

(١) انظر الصحاح (وضن) .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى ش ، كتب ازاءه فيها فى الهامش « قوائمه » .

مجرور بالفتحة ، صفة سابعة ؛ وعريض صفة ثامنة ؛ والقَبَب : الضُمْر ؛ يعنى أنّ خصرَه ضامر — والخصر تحت المتن — وأنّ متنه عريض . وتحتُ مبنىّ على الضم(١) .

ومِن عَلي ، يكتب بالياء ؛ وليست الكسرة فى اللام كسرة إعراب ألا ترى أنه معرفة وليس بنكرة . ألا ترى أنّ معناه وكويته فوق نواظره أو النواظرِ منه ! فهو إذن معرفة ، لأنه يريد به شيئاً مخصوصاً ، فهو إذن كقول أوس :

فملّك بالّليط الذى تحت قشره كغِرقىء بيض كنّه القيضُ مِن عَلُ

أى من أعلاه ، وقال الشَنْفَرىٰ :

إذا وردتْ أصدرتُها ، ثمَّ إنَّها تثوبُ فتأتى من تُحيتُ ومن علُّ

وإنما تُعرب عَلُ إذا كانت نكرة ، كقولهم فى النكرة : من فوقٍ ومن علٍ ، إذا لم تردْ أمراً معلوماً . فقوله : فوق النواظر من علٍ ، عَلٍ منه ، كشج وعَمٍ ووزنه فَعِل ، والياء فيه لام الفعل ، والكسرة فى اللام قبلها ككسرة الضاد من قاض . فاعرفْ ذلك . وفيه عشر لغات : أتيته من علٍ ومن عَلُ ومن عَلِي ومن علَا ومن عَلْوُ ومن عَلْوَ ومن عَلْوِ ومن علوِ ومن عالٍ ومن معالٍ . ومثله سواء قولُ العجلىّ :

---

(١) النص التالى من كلام ابن جني ، وقد سقط من النسختين التنبيه على ذلك في أوله ، وان كانت نهاية النص تشعر بأنه لابن جنى . وقد فحصت الخصائص ، وكذا سر الصناعة ، وكلاهما لابن جنى فلم أعثر على هذا النص ، وأخيرا وجدته فى اعراب الحماسة لابن جنى عند قول ربيعة بن مقروم الضبى :

أوجيته عنى فأبصر قصده وكويته فوق النواظر من على

انظر كتاب التنبيه الورقة ١٥ من نسخة دار الكتب المصرية ٤٤ أدب .

* أقبَّ من تحتُ عريضٍ من علَى *

أراد من أعلاه. ألا تراه قرنه بالمعرفة المبنيّة وهى تحتُ! فعَلى إذن معرفة، فهو كشج، وكسرةُ لامه ككسرة زاى غاز، والكلمة مبنيّة على الضم، وفى الياء تقدير ضمة البناء. فبيت ربيعة وبيت العجلى هذان جميعاً سواء، ولكنّ بيت امرئ القيس الذى هو قوله:

* كجلمود صخر حَطّه السيلُ من عَلِ *

عل فيه نكرة، ألا ترى أنه لا يريد من أعلى شىء مخصوص! فالكسرةُ إذن فى لام عل كسرةُ إعراب، ككسرة دال يدٍ و[ميم[1]] دم اهـ كلام ابن جنّي مختصراً.

وقد قرّر ابن هشام أيضا فى المغنى: أن على، متى أريد به المعرفة كان مبنيا على الضم تشبيها بالغايات كما فى قوله:

* أُرمَضُ من تحتُ وأُضحى مِن علُه[2] *

والهاء للسكت، قال: إذِ المراد فوقيّة معيَّنة لا فوقيّة مطلَقة. والمعنى: أنه تصيبه الرمْضاء من تحتِه وحَرُّ الشمس من فوقه. ومثله قول الآخر يصف فرسا:

* أقبّ من تحتُ عريض من علِ * اهـ

وقد أشار بقوله: «ومثله يصف فرساً» إلى أن ضمّة البناء فى عل إمّا ملفوظة كما فى قوله: وأضحى من علُه، وإما مقدّرة كما فى قول أبى النجم:

(١) التكملة من كتاب اعراب الحماسة المسمى بالتنبيه .

(٢) الرجز لأبى ثروان . انظر شرح شواهد المغنى ١٥٣ وابن يعيش ٤ : ٨٧ والهمع ٢ : ٢١٠ . وقبله :

* يارب يوم لى لا أظلله *

« عريض من عل » فلا يرِدُ الاعتراضُ عليه بأنه أنشده بالبناء على الضم ، والقوافى كلّها مجرورة . لكن يبقى عليه أنّ البيت فى وصف بعير السانية ، لافى وصف فرس . فتأمَّلْ وأنصِفْ .

قوله : معاوَدٍ كرّةُ . . الخ ، معاوَد : اسم مفعول ، وهو بالجرّ صفة تاسعة ؛ أى يعاد عليه مراراً قولُ أقبلْ على البئر إذا تفرَّغت الدلو ، أدبر عنها إذا امتلأت . وكرّةُ بالرفع نائب فاعل معاوَد وهو مضاف لما بعده . وقوله : تمشى من الردة ، فى الصحاح : « والرِّدّة بالكسر : امتلاء الضَرع من اللبن قبل النَتاج ، عن الأصمعى . وأنشد لأبى النجم تمشى من الردة . . البيت » اهـ ، ويجوز أن تكون مصدَر قولك ردّه يردّه رَدّا ورِدّة ؛ والردّة الاسم من الارتداد . وقال ابن السيرافى فى (شرح أبيات إصلاح المنطق) : يصف إبلاً ٤٠٥
قد أكثرت من شُرب الماء فأثقلها الرىّ والردّة ترادّ فى أجوافها ، يقال أرَدَّت فهى مُرِدّ . إذا انتفخت من الماء ، أو انتفخ ضرعها من غير لبن . يقول : تمشى من كثرة شرب الماء كمشى التى أثقلها كثرةُ ما فى ضرعها . والحافل : التى اجتمع فى ضرعها اللبن اهـ . ومشىَ : مصدر منصوب ، أى مشياً كمشى الحُفَّل ، وهو جمع حافل ، من حفَل اللبنُ فى الضرع : إذا اجتمع . والرَّوايا : جمع راوية ، من روىْ البعير الماء : حَمله ، فهو راويةٌ ، الهاء فيه للمبالغة ، ثم أطلقت الراوية على كلِّ دابّة يُستقىْ الماء عليها . والمزاد : جمع مَزادة ، وهى الراوية التى تعمل من جلود . وقوله : تثير أيديها . . الخ ، الضمير إلى كُوم الذُرى . والقَسطل ، بالقاف : الغبار ، والعجاج : ما ارتفع منه . وعصَبت بالعين والصاد المهملتين ، قال فى الصحاح: « وعصبت الإبلُ بالماء : إذا دارتْ به . قال الفرّاء : عصَبت الإبل وعصِبت بالكسر : إذا اجتمعت » . والعطَن ، بفتحتين : مبرك الإبل عند الماء لتشرب عَللا بعد نَهَل ، فإذا

استوفت رُدّت إلى المرعى . والمغربَل : المنخول ، أى أن تراب العَطَن كأنّه منخول ، لكثرة ما انسحق منه ، لشدّة الحركة . وقوله : تدافُعَ الشِيب ، مصدرٌ تشبيهىّ ، وعامله محذوف ، وهو معطوف على عصبت ، أى اجتمعت وتدافعت تدافعاً كتدافع الشيوخ ، والشِّيب بالكسر جمع أشيَب ، وهو الشيخ . وقوله : ولم تِقِتِّلِ أصله تَقتَتِل ، فأسكن التاء الأولى للإدغام ، وحرّك القاف لالتقاء الساكنين بالكسر ، فصار تَقِتّل ثم أتبع أوّل الحرف ثانيه فصار تِقِتّلِ بثلاث كسرات . واللَّجة ، بفتح اللام وتشديد الجيم : اختلاط الأصوات فى الحرب ، فى الصحاح : « وسمعت لَجّة الناس بالفتح ، أى أصواتهم وضجّتهم » . وأنشدَ هذا البيتَ . وفى متعلقة بتدافُعَ . وقوله : أمسِكْ فلانا . الخ هو على إضمار القول ، أى فى لَجّة يُقال فيها : أمسك .. الخ . قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل ، تبعاً لابن السِّيد : شبّه تزاحمها ومدافعةَ بعضها بعضاً بقومٍ شيوخٍ فى لجّة وشرٍّ ، يدفع بعضهم بعضاً ، فيقال . أمسكْ فلاناً عن فلان أى احجُز بينهم . وخصّ الشيوخَ لأنَّ الشبابَ فيهم التسرُّع إلى القتال . فلذلك قال : تدافُعَ الشِيب . . الخ . أى هى فى تزاحم ولاتقاتُل ، كالشيوخ . وقد غفل عن هذا المعنى الأعلمُ الشنتمرىّ فى شرح أبيات س فقال : « إن معناه خذ هذا بدم هذا وأيسر(١) هذا بهذا » هذا كلامه ! وكأنه لم ينظر إلى ما قبله من الأبيات . وأعجبُ منه قولُ ابن السَّيِّد(٢) ، فيما كتبه على هذا الكتاب ، فى شرح بيت الشاهد : إن معناه : قد كثر أصوات الرُعاة يقول بعضهم لبعض : أمسِك البعير الفلانىّ عن البعير الفلانى لئلا يضرّه .

(١) الذى فى الأعلم ١ : ٣٣٤ : « وأسر » فعل أسر من الأسر ، وهو الصواب

(٢) الميمنى : « هو ابن السيد مشددا ، الشريف الجرجانى . وله كأبيه حاشية على شرح الرضى . ويأتى قريبا فى الشاهد ١٥٢ » .

هذا كلامُه ! مع أنّه سطّر ما قبلَه من الأبيات وشرحَها من شرح اللباب للفالى.

وقوله : تَفلى له الريحُ . . الخ ، الفَلْى : مصدر فَليت رأسه من باب رمى . إذا نقّيته من القمْل ؛ وافتلىٰ هو : إذا نقّاه ؛ ويَفتلِ : مجزوم بلمّا محذوف الياء من آخره يريد : أن الريح تهبّ على رأسه فتفرّق شعره كأنها تفْليه وهو لم يَفْتلِ شعره لشعَثه وقلة تعهُّده نفسَه . واللِّمَّة ، بكسر اللام : الشعر الذى يُلمّ بالمنكِب أى يقرب منه ؛ وهو مفعول تَفلى على التنازع . والقفْر ، بفتح القاف ٤٠٦
وسكون الفاء ، وأصله بالكسر : وصفٌ من قفِر زيدٌ ، من باب فرح : إذا قلّ لحمه . وشَعاع السُّنبُل بفتح الشين المعجمة : سَفَاهُ ؛ وقد أشعّ الزرع : أخرج شَعاعه ؛ وأسفى الزرعُ : إذا خشُن أطراف سنبله . والسُّنبل هنا سنبُل الحنطة والشعير ونحوهما شبّه شعره المنتفشَ بشوكِ سنبل الزرع . وقوله : يأتى لها . . الخ ، فاعل يأتى ضميرُ الراعى ؛ وضميرُ لها ، لكوم الذرى ؛ قال صاحب الصحاح : « أى يعرض لها من ناحية اليمين وناحية الشمال . وذهبَ إلى معنى أيمُن الإبل وأشمُلها فجمع لذلك » اهـ .

وأورده سيبويه على أنّ الشاعر لما جرّ أيمُناً وأشمُلاً بمن ، أخرجهما عن الظرفية . وزعم الأعلم الشنتمرىّ أنّ هذا البيت فى وصف ظليم ونعامة ، قال : « يعنى : كلّما أسرعتْ إلى أُدْحِيِّها وهو مَبِيضُها[1] عرض لها يميناً وشمالاً مزعجاً لها » وهذا كما ترى لا أصل له . وقوله : وبدِّلت والدهرُ ذو تبدُّل . . الخ ، نائب الفاعل ضمير الريح ؛ والهَيف بفتح الهاء مثل الهُوف بضمها : ريح حارّة تأتى من اليمن ، وهى النَّكباء التى تجرى بين الجَنوب والدَّبور من تحت مجرى سهيل . والصَّبا : ريح ؛ ومهبُّها المستوى أن تهبَّ من موضع مطلَع

(١) ط : « الى ادحتيها وهو بيضتها » ش : « الى أدحيها وهو بيضها » ، صوابه من الأعلم ١ : ١١٢

الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدَّبور : الريح التى تقابل الصَّبا . والشمْأَل بسكون الميم وفتح الهمزة بعدها : الريح التى تقابل الجنوب . فكان الواجب أن يقابل الشمأل بالجنوب . لكنَّه لضرورة النظم أقام الهَيفَ مُقام الجنوب لقربها من الجنوب . وفيه لفّ ونشر غير مرتّب ؛ أى بدَّلت الريح فجاءت الدبور بدلَ الصَبا وجاءت الهَيف ، أى الجنوب ، بدلَ الشمال . ففيه دخول الباء على المتروك ، وهو المشهور وسُمع خلافه أيضاً . وأورده ابن هشام فى المغنى على أن جملة : والدهر ذو تبدّل ، معترِضة بين الفعل ومفعوله ، للتأكيد والتسديد .

وقوله : بين سِماطَىْ شفَق مُرعَبل ، السِّماط بالكسر : الصفّ والجانب ، والسماطان من الناس والنخل : الجانبان ، يقال مشى بين السماطين وأنشدَ القصيدةَ بين السِماطين . والمرعبَل . المقطَّع . وروى بدله (مهوَّل) . وصغواء بالغين المعجمة ، من صغَت النّجومُ ، إذا مالت للغروب . وقوله : قد كادت ، أى قاربت الشمس أن تغيب ولم تغِب بالفعل .

روى صاحبُ الأغانى[1] : أن أبا النجم لما بلغ ذكر الشمس فقال : وهى على الافق كعين . . وأراد أن يقول : الأحول ، فذكر حوَل هشام فلم يتمّ البيت وأُرتِجَ عليه . فقال هشام : أجزْ : فقال : كعين الأحول . فأمر هشام بإخراجه من الرُّصافة[2] (ويقال لها رُصافة هشام[3] ، وهى مدينة فى غربىّ

(١) الأغانى ٩ : ٧٥
(٢) فى الأغانى : « فأمر هشام بوجء عنقه وأخرجه من الرصافة »
(٣) فى الأصلين : « رصافة الشام » ولكن الشنقيطى غيرها بقلمه برسم (رصافة هشام) . والرصافة : علم مشترك بين أماكن شتى ، ذكر منها ياقوت رصافة أبى العباس بالأنبار ، ورصافة البصرة ، وبغداد ، والحجاز ، والشام ، وقرطبة ، والكوفة ، ونيسابور ، وواسط . والمعروف أن رصافة الشام أقدمهن . وما بين القوسين من الكلام هنا من تعليق البغدادى ، ولم يذكر فى الأغانى . وجاء فى معجم البكرى ٦٥٤ : « الرصافة بضم أوله : رصافة هشام بن عبد الملك بالشام »

الرَّقَّة ، بينهما أربعة فراسخ على طرف البرّيّة ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها فى الصيف ، وكانت قبلُ من بناء الملوك الغسانيّين) ثم قال لصاحب شرطته : إياك وأن أرى هذا ! فكلّم وجوهُ الناس صاحبَ الشُّرْطة أن يقرّه . ففعل . فكان يصيب من فُضول أطعمة الناس ويأوى بالليل إلى المساجد . . قال أبو النجم : ولم يكن فى الرُّصافة أحدٌ يُضيف إلاّ سليمُ بنُ كَيسان الكلبيّ ، وعمرو بن بسطام التغلبيّ[1] فكنت أتغدّى عند سليم ، وأتعشّى عند عمرو ، وآتى المسجد فأبيت فيه . فاغتمّ هشامٌ ليلةً ، وأراد محدِّثاً يحدّثه ، فقال لخادمٍ له : أبغِني محدِّثا أعرابيًّا أهوجَ شاعراً يَرْوى الشعر . فخرج الحاجب[2] إلى المسجد فإذا هو بأبى النجم ، ٤٠٧
فضرَبه برجله وقال له : قمْ أجبْ أميرَ المؤمنين . فقال : أنا أعرابىٌّ غريب . قال : إيَّاكَ أبغى فهلْ تروى الشعر[3] ؟ قال : نعم ، وأقوله[4] . فأقبلَ به حتى أدخله القصرَ وأغلق الباب — فأيقنَ بالشرّ — ثم مضى فأدخله على هشام فى بيت صغير ، بينه وبين أهله ستر رقيق ، والشَّمَعُ بين يديه [يَزْهر[5]] . قال : فلما دخلت قال لى : أبو النجم ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، طريدك . قال : اجلسْ . فسألنى وقال : أين كنت تأوى ؟ فأخبرته الخبر . قال : ومالك من الولد والمال ؟ قلتُ : أمّا المال فلا مال لى ، وأما الولد فلى ثلاث بنات وبُنىٌّ يقال له شَيَّان[6] (بفتح الشين وتشديد الياء المثناة التحتيّة) قال : هل أخرجت من بناتك ؟ قلت : نَعم ، زوَّجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز

(١) فى الأغانى ٩ : ٧٥ : « التغلبى » .

(٢) فى الأغانى : « الخادم »

(٣) فى النسختين : « أبغى قال تروى الشعر » . وما أثبته من الأغانى ٩ : ٧٦ أصح وأولى

(٤) ط : « وأقول » صوابه من ش والأغانى

(٥) يزهر : يتلألأ . وهذه التكملة من الأغانى .

(٦) كذا . وفى الأغانى : « شيبان »

فى أبياتنا، كأنها نعامة! قال: وما وصّيت به الأولى؟ — وكانت تسمى بَرّة — قال:

أوصيت من برّة قلباً حرّا بالكلبِ خيراً، والحماةِ شرّا
لا تسأمى ضرباً لها، وجرّا حتّى ترىْ حلوَ الحياة مرّا
وإن كستْكِ ذهباً ودُرّا والحيَّ عُمّيهم بشرٍّ طرّا

فضحك هشام وقال: فما قلت فى الأخرى؟ قال: قلتُ:

سُبّي الحماةَ وابهَتي عليها وإن دنَتْ فازّلفى إليها[(١)]
وأوجعى بالفِهر ركبتَيها ومَرفِقَيها، واضربى جنبَيها
وقعّدى كفّيك فى صُدغيها لا تخبرى الدهر بذاك ابنيها[(٢)]

فضحك هشام حتّى بدت نواجذه، وسقط على قفاه. وقال: ويحك! ما هذه وصيّة يعقوب لولده! قال: ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين! قال: فما قلت فى الثالثة؟ قال: قلتُ:

أوصيكِ يا بنتى فإنّى ذاهبُ أوصيكِ أن يحمَدك الأقاربُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ الساغبُ[(٣)] ويرجع المِسكينُ وهو خائبُ
ولا تنى أظفارُكِ السّلاهِبُ لهنَّ فى وجه الحماة كاتبُ[(٤)]
والزوجِ، إنّ الزوجَ بئس الصاحبُ

قال: فأى شىء قلتَ فى تأخير تزويجها؟ قال: قلتْ:

(١) كذا. وفى الأغانى: «فازدلفى»، وكلاهما صحيح
(٢) بدله فى الأغانى:
وظاهرى النذر لها عليها لا تخبر الدهر به ابنتيها
(٣) ط: «الشاغب»، صوابه فى ش والأغانى
(٤) الأغانى «منهن» موضع «لهن»

كأنَّ ظلاَّمةَ أخت شيَّان يتيمة ووالدها حيَّان
الجيدُ منها عُطُلٌ والآذان وليس للرجلين إلاَّ خيطان[١]
وقُصَّة[٢] قد شيَّطتها النِّيران تلك التي يضحك منها الشيطان[٣]

فضحك هشام وضحكت النساء لضحكه، وقال للخَصىّ: كم بقى من نفقتك؟ قال: ثلثمائة دينار. قال أعطِه إيَّاها يجعلها فى رجلى ظلاَّمة مكان الخيطين[٤].

٤٠٨ وتقدمت ترجمة أبى النجم فى الشاهد السابع من أوائل الكتاب[٥].

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المائة[٦]:

١٤٩ (أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوى إلى بيتٍ قَعِيدتُه لَكاعِ)

على أن (لَكاعِ) مما يختصّ بالنداء، وقد استعمل فى غير النداء ضرورة.

قال المبرّد فى الكامل: يقال فى النداء للئيم يالُكَع، وللأنثى يالَكاعِ؛ لأنه موضع معرفة.. فإن لم ترد أن تعدله عن جهته[٧] قلت للرجل: يا ألْكَع، وللأنثى يا لَكْعاء. وهذا موضع لا تقع فيه النكرة. وقد جاء فى الحديث:

---

(١) جعلها الشنقيطى: «وليس فى الرجلين». وفى الأغانى: «وليس فى الساقين».
(٢) ط: «وقضة»، صوابها فى ش. والشطر ساقط من الأغانى
(٣) الأغانى: «يفزع منها».
(٤) فى النسختين: «الخيطان» وقد تصح على الحكاية، لكن فى الأغانى وتصحيح الشنقيطى: «الخيطين».
(٥) الجزء الأول ص ١٠٣
(٦) العينى ١: ٤٧٣/٤: ٢٢٩ وابن الشجرى ٢: ١٠٧ وابن يعيش ٤: ٥٧ والكامل ١٤٧ والهمع ١: ٨٢، ١٧٨ وديوان الحطيئة ١٢٠
(٧) فى النسختين: «جهة»، صوابه فى الكامل

«لاتقوم الساعةُ حتَّي يليَ أمورَ الناسِ لُكَعُ ابنُ لكع» . فهذا كناية عن اللئيم ابن اللئيم . وهذا بمنزلة عُمر ينصرف فى النكرة ولا ينصرف فى المعرفة . ولكاع مبنيّ على الكسر . وقد اضطر الحطيئة فذكر لَكاع فى غير النداء ، فقال يهجو امرأته :

أطوِّف ما أطوِّفُ . ثم آوى . . البيت

وقعيدة البيت : ربّة البيت وصاحبته . وإنما قيل : قعيدة ، لقعودها وملازمتها .

قال المدائنيّ فى كتاب (النساء الفوارك) إنّ امرأة الحطيئة نشَزت عليه وسألته الفُرقة ، فقال :

أُجوِّل ما أُجوِّل ثم آوى . . البيت

قال المرزوقى فى (شرح فصيح ثعلب) : هذا البناء يراد به المبالغة . ومعنى لكاع : المتناهية فى اللؤم . والفعل منه لكِعت لكَعا ولَكاعة ، وهى لكعاء ومَلكَعانة . والأصل فى اللكع : الوسخ . و « ما » مع ما بعدها فى تأويل المصدر الذى يراد به الزمان ؛ والتقدير : أطوف مدّة تطويفى .

وأورد ابن عقيل فى شرح الألفيّة[1] هذا البيتَ شاهداً على وصل ما المصدرية بالمضارع المثبَت ؛ وهو قليل ؛ والكثير وصلها بالمضارع المنفىّ أو الماضى .

ومعنى البيت : أطوِّف نهارى كلّه فى طلب الرزق ؛ فإذا أويتُ عند الليل فإنّما آوى إلى بيتٍ قيِّمتُه القاعدة فيه لئيمة .

والمصراع الأوّل مأخوذ من قول قيس بن زهير بن جَذيمة :

(١) عند الكلام على الموصول ١ : ١٢٥

أطوِّف ما أطوِّف ثم آوى إلى جارٍ كجار أبى دُواد

جار أبى دواد وأبو دُواد هو أبو دُواد الإياديّ الشاعر المشهور . وجاره : كعب بن مامة الإيادى الجواد المشهور . وقيل بل هو الحارث بن همّام بن مرّة ، وكان أسَرَ أبا دُواد وناساً من قومه ، فأطلقَهم وأكرم أبا دواد وأجاره — فمدحه أبو دواد — وأعطاه وحلَف أن لا يذهب له شيء إلاّ أخلفه له .

ويقال : إن ولدَ أبى دواد لعب مع صبيانٍ فى غدير فغمسوه فمات ؛ فقال الحارث : لا يبقى صبيٌ فى الحى إلاّ غُرّق ، فودى ابنه بديات كثيرة

و (آوِى) : مضارع أوىٰ إلى منزله من باب ضرب أُوِيًّا : إذا أقام به وانضمّ ولجأ إليه . ومعنى (أطوّف) : أكثر الطواف أى الدَّوران . ومثله

٤٠٩ أجوِّل ، وزناً ومعنى .

وهذا بيت مفردٌ هجا به امرأته كما ذكرنا .

الحطيئة و (الحطيئة) اسمه : جَرْوَل بن أوس [بن مالك[1]] بن جُؤيّة بن مخزوم ابن مالك بن غالب بن قُطيعة (بالتصغير) ابن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث ابن غطَفان بن سعد بن قيس بن عيلْان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان

وكنيته أبو مُليكة (بالتصغير) . واختُلف فى تلقيبه بالحُطَيْئة (بضمّ الحاء وفتح الطاء المهملتين وسكون المثنّاة التحتيّة وبعدها همزة) فقيل : لقِّب بذلك لقصره وقربه من الأرض ؛ فى الصحاح : « والحطيئة : الرجل القصير ؛ قال ثعلب : وسمِّى الحطيئةَ لدمامته » . وقيل : لأنّه ضرَط بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ ! فقال حُطيئة ؛ يقال حطأ : إذا ضرط . وقيل : لأنه كان محطوء الرِجْل ؛ والرِجل المحطوءة : التى لا أخْمَص لها .

(١) التكملة من الأغانى ٢ : ٤١ والاصابة (الحطيئة) رقم ١٩٨٧ وابن سلام ٨١

وهو أحد فحول الشعراء، متصرِّف فى فنون الشعر : من المديح، والهجاء، والفخر ، والنسيب . وكان سفيها شرِّيرا . ينتسب إلى القبائل ، وكان إذا غضب على قبيلة[١] انتمى إلى أُخرى . قال ابن السكِّيت : كان الحطيئة مغموز النسب ، وكان من أولاد الزنى الذين شرُفوا . قال : وكان أوس بن مالك العبْسى تزوّج بنت رباح[٢] بن عوف الشَّيبانيّة ، وكانت لها أَمَة يقال لها الضّراء[٣] ، فأعلقَها أوسُ . وكان لبنت رباح أخٌ يقال له الأفقمَ ؛ فلما ولدت الضّراء جاءت به شبيهاً بالأفقمَ . فقالت مولاتها : من أين لك هذا الصبيّ ؟ قالت : من أخيك — وهابت أن تقول : من زوجك — ثم مات الأفقم وترك ابنين من حرة[٤] وتزوّج الضراءَ رجلٌ من عبس ؛ فولدت له ابنين ، فكانا أخَوى الحطيئة من أمّه . وأعتقت بنتُ رباح الحطيئةَ وربّته فكان كأنه أحدُهم[٥] ، ثم اعترفت أمُّه بأنه من أوس . وترك الأفقمُ نخيلاً باليمامة ؛ فأتى الحطيئة أخَويه من أوس فقال لهم : أفرِدوا لى من مالكم قِطعة . فقالا : لا ، ولكن أقمْ معنا نُواسِك[٦] . فهجاها . وسأل أمه : مَن أبوه ؟ فخلطت عليه ، فغضب عليها وهجاها ، ولحق بإخوَته . من بنى الأفقمَ ونزل عليهم فى القُرَيّة وقال يمدحهم :

إنّ القريَّة خيرُ ساكِنِها أهلُ القُرَيّة من بَنِى ذُهْل[٧]

(١) فى النسختين : « قبيلته » ، صوابه من الاصابة
(٢) فى الأغانى : « رياح » بالياء المثناة ، وكذا فى الموضعين التاليين
(٣) فى الأغانى : « وكان لها أمة يقال لها الضراء » ، وقد تكررت « الضراء » فى الأغانى بهذا الرسم
(٤) الأغانى : « ثم مات أوس وترك ابنين من الحرة » .
(٥) ط : « فكان أحدهم » ، الأغانى : « فكان كأنه أحدهما » .
(٦) ط : « نواسيك » ، وكلاهما صحيح .
(٧) كذا فى النسختين . وفى الأغانى والديوان ٩٠ : « ان اليمامة»

الضامنونَ لِمَالِ جَارِهم حتّى يتمّ نَوَاهِضُ البَقْلِ(١)
قومٌ إذا انتسبوا ففرْعُهُم فَرعِي وأثبتُ أصلِهم أصْلى

وسألهم ميراثَه من الأفقَم، فأعطوه نُخيلات، فلم تقنعه. فسألهم ميراثه كاملاً(٢) فلم يعطوه شيئا. فغضب عليهم وهجاهم ثم عاد إلى بنى عَبْس وانتسب إلى أوس بن مالك.

قال ابن قتيبة: «وكان الحطيئة راويةَ زهير. وكان جاهليّاً إسلامياً. ولا أراه أسلم إلاّ بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ لأنّى لم أجد له ذكراً فيمن وفد عليه من وفود العرب؛ غير أنّي وجدته فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه يقول:

أطعنا رَسُولَ الله إذْ كان حاضرًا فيا لهفتى، ما بالُ دينِ أبى بكْر!
أيورثها بكراً إذا مَاتَ بَعدَه فتلكَ، وبيتِ اللهِ، قاصمةُ الظَهْر

وقال ابن حجر فى الإصابة: كان أسلم فى عهد النبى ﷺ ثم ارتدّ ثم أسر، وعاد إلى الإسلام.

٤١٠ وروى [ابن أخى(٣)] الأصمعىّ عن عمّه قال: كان الحطيئة جشعاً سئولا ملحفاً دنِىء النفس كثير الشرّ بخيلاً، قبيح المنظر رثّ الهيئة، مغموزَ النسب فاسدَ الدين؛ وما تشاء أن تقول فى شعر شاعر عيباً إلاّ وجدته، وقلّما تجد ذلك فى شعره.

(١) ط: «المال جارهم» صوابه فى ش والديوان. وفى الأغانى: «لمال غيرهم».

(٢) ط: «كملا». والكمل: الكامل، لايثنى ولا يجمع

(٣) التكملة من الأغانى. وهو عبد الرحمن بن عبد الله، ابن أخى الأصمعى. البغية ٢٩٩

وقال أبو عبيدة : التمس الحطيئةُ ذاتَ يوم إنساناً يهجوه ، فلم يجده ، وضاق ذلك عليه ، فجعل يقول :

أبَتْ شفتاىَ اليومَ إلاّ تكلُّما   بسوءٍ ، فما أدرى ، لمن أنا قائله

وجعل يهدِرُ بهذا البيتِ فى أشداقه ، ولا يرى إنساناً ، إذ اطّلع فى حوض فرأى وجهَه فقال :

أرىٰ لِىَ وجهاً شوّه الله وجهَه   فقُبِّحَ مِن وجهٍ وقُبِّحَ حاملُه[1]

وكان الكلب بن كنيس تزوَّج الصراء أمَّ الحطيئة ، فهجاه وهجا أمَّه فقال :

ولقد رأيتُكِ فى النساءِ فسؤتِني   وأبا بَنيكِ فساءنى فى المجلس

فى أبيات[2] .

وقال يهجو أمّه :

جَزاكِ اللهُ شرًّا مِن عَجوزٍ   ولقّاكِ العقُوقَ من البَنينِ

فقد ملّكت أمرَ بنيك حتى   تَركْتِهم أدقّ من الطَحين

لسانُكِ مِبردٌ لا عيبَ فيه   ودَرُّكِ دَرُّ جاذبةٍ دَهين[3]

وقال يهجوها أيضاً :

تنحَّىْ فاجْلِسِي منّي بعيداً   أراحَ اللهُ منك العالَمينا

أَغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سرًّا   وَكانُوناً على المتحدّثينا

حَياتُكِ ما عَلِمْتُ حياةُ سَوءٍ   وموتُكِ قد يَسُرُّ الصَّالحينا

(١) فى الأغانى والشعراء : « شوه الله خلقه » .

(٢) انظر الأغانى ٢ : ٤٣ حيث الأبيات وقصتها

(٣) فى النسختين : « درجارية » صوابه فى الأغانى ٢ : ١٦٣ دار الكتب ، واللسان (دهن) . والجاذبة : الناقة جذبت لبنها من ضرعها فذهب صاعدا . والدهين : البكيئة القليلة اللبن.

وقال فى هجاء أبيه وعمّه وخاله :

لَحَاكَ اللهُ ثمّ لَحَاكَ حقًّا أبًا ، ولَحَاكَ مِن عمٍّ وَخالِ
فَنِعْمَ الشيخُ أنتَ لدى المَخَازِى(١) وبِئْسَ الشَّيخُ أنتَ لَدَى المَعَالى
جَمعتَ اللُّؤْمَ ، لا حَيَّاكَ رَبِّى ! وأَبْوابَ(٢) السَّفَاهَةِ والضَّلال

قال ابن قتيبة : ودخل الحطيئة على عُتيبة بن النهّاس العِجْلىّ ، فسأله فقال: ما أنا فى عمل فأعطيك من غدده(٣) وما فى مالى فضلٌ عن قومى . فلما خرج ، قال له رجل مِن قومه : أتعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا الحطيئة ! فأمر بردّه ؛ فلما رجع قال : إنك لم تسلّم تسليمَ الإسلام ، ولا استأنست استئناسَ الجارِ ، ولا رحَّبتَ ترحيب ابنِ العمّ . قال : هو ذلك . قال : اجلس ، فلك عندنا ما تحبّ . فجلس فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ومن يَجعل المعروفَ من دونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ ، ومَنْ لا يتّقِ الشتمَ يُشْتَمِ

قال : ثم من ؟ قال : أنا ؟ فقال عتيبة لغلامه : اذهبْ به إلى السوق ، فلا يُشيرَنّ إلى شىء إلاّ اشتريتَه له . فانطلقَ به الغلام ، فجعل يعرِض عليه الحِبَرة واليَمْنَةَ وبياض مصر ، وهو يشير إلى الكرابيس والأكسيةِ الغِلاظ . فاشترى له بمائتى درهم ، وأوقر راحلتَه بُرًّا وتمراً ؛ فقال له الغلام : هل من حاجةٍ غير هذا ؟ قال : لا ، حسْبى ؟ قال : إنّه قد أمرنى أن لا أجعل لك علّة

(١) فى النسختين : « على المخازى » صوابه من الشعراء . ومنه ومن الأغانى نقل البغدادى جميع الأهاجى المتقدمة .

(٢) عند ابن قتيبة : « وأسباب » .

(٣) وكذا فى الشعراء ٢٨٣ . وفى القاموس : « الغدة : القطعة من المال ج غدائد » . وفى شرح ديوان الحطيئة ٩٠ « ما أنا فى عدد فأعطيك من عدده » وكذا فى الأغانى : « من عدده »

فيما تريد . قال : حسبك لا حاجة بى أن يكون لهذا يدٌ على قومى أكثر من هذه . . ثم ذهب فقال :

٤١١ سُئلتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعْطِ طائلاً فَسِيَّانِ لا ذَمٌّ عليكَ ولا حَمْدُ
وأنتَ امرؤٌ لا الجودُ منك سَجِيَّةٌ فتُعطِى،وقد يُعدى على النائل الوُجْدُ

وأتى الحطيئةُ كعبَ بن زهير ، فقال له : قد علمتَ روايتى لكم وانقطاعى إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيرى وغيرَك ، فلو قلتَ شعراً تبدأ فيه بنفسك ، ثم تثني بى ، فإنَّ الناسَ لأشعاركم أروىٰ . فقال كعب :

فمن للقوافى ، شانها مَنْ يحوكُها إذا ماثوىٰ كعبٌ وفوَّزَ جرْوَلُ ؟
نقول ولا نَعيا بشىءٍ نقوله(١) ومن قائليها من يُسىء ويعمل
نُثقِّفُها حتَّى تلينَ متونُها فيقصُر عنها كلُّ ما يُتمثَّلُ

وفى الأغانى عن جماعة : أن الحطيئة لما حضرته الوفاة ، اجتمع إليه قومه فقالوا : أوصِ ، يا أبا مُليكة . قال : ويلٌ للشعر من راوية السوء ! قالوا : أوصِ يرحمك الله ! قال : مَن الذى يقول :

إذا نبضَ الرامُون عنها ترنَّمتْ ترنُّمَ ثَكلىٰ أوْجَعَتْهَا الجنائزُ

قالوا : الشّماخ . قال : أبلغوا غطَفان أنّه أشعرُ العرب ؟ قالوا : ويحك ، أهذه وصيّة ؟ ! أَوصِ بما ينفعُك ! قال : أبلغوا أهل ضابىء(٢) أنّهشاعر ، حيث يقول :

لِكلِّ جديدٍ لذةٌ غير أنَّني وجدتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ !

(١) فى النسختين : « ولا نعنى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته ومن الأغانى ٢ : ٤٤

(٢) هو ضابىء بن الحارث كما فى أمثال الميدانى ٢ : ١٥٥

قالوا : أوص ، ويحك ، بغير ذا . قال : أبلغوا أهلَ امرئ القيس[١] أنه أشعر العرب ، حيث يقول :

فيالَكَ مِنْ ليلٍ كأنَّ نجومَهُ بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّت بيَذْبُلِ !

قالوا : اتق الله ، ودعْ عنك هذا ! قال : أبلِغوا الأنصارَ أنّ صاحبَهم[٢] أشعرُ العرب ، حيث يقول :

يُغشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ لا يَسألونَ عن السَوادِ المُقْبِلِ

قالوا : إنَّ هذا لا يغنى عنك شيئاً ، فقل غير ما أنت فيه . فقال :

الشِّعرُ صعبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذَا ارتقى فيه الذى لا يَعْلَمُهْ

زَلَّتْ به إلى الحضيض قَدَمُهْ يريد أن يُعرِبَهُ فيُعْجِمُهُ

قالوا : هذا مثل الذى أنتَ فيه[٣] . فقال :

قَدْ كُنْتُ أحياناً شديدَ المعتَمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ على خَصْمٍ أَلَدّ[٤]

فَوَرَدَتْ نَفْسِى وما كادَت تَرِدْ

قالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، واللهِ ، ولكنْ أجزعُ على المديحِ الجيِّد يُمدحُ به مَنْ ليس له أهلاً . قالوا : فمن أشعر الناس ؟ فأومأ بيده إلى فيه ، وقال : هذا اللسان إذا طمع فى خير . واستعبرَ باكياً . قالوا له : قلْ : لا إله إلاّ الله . فقال :

(١) فى النسختين : « أبلغوا امرأ القيس » ، صوابه من الأغانى ٢ : ٥٧

(٢) يعنى حسان بن ثابت .

(٣) فى الأغانى : « الذى كنت فيه » .

(٤) الأغانى : « الخصم الد »

قالتْ وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بربِّى منكم وحُجْرُ(١)

فقيل له : ما تقول فى عبيدك ؟ فقال : هم عبيدٌ قِنٌّ ما عاقبَ الليلُ النّهار .
قالوا : فأوصِ للفقراء بشى . قال : أوصيهم بالإلحاح فى المسألة ، فإنها تجارةٌ لن تَبور ، واستُ المسئولِ أضيَق ! قالوا : فما تقول فى مالِكَ ؟ قال : للأنثى من ولدى مِثلاَ حظٌ الذكر(٢) . قالوا : ليس هكذا قضى الله . قال : لكنّي هكذا قضيتُ . قالوا : فما توصى لليتامى ؟ قال : كلُوا أموالهم ، وَنيكوا أمّهاتِهم . ٤١٢
قالوا : فهل شىء تعهَد فيه غير هذا ؟ قال : نعم ، تحملونى على أتانٍ ، وتتركونى راكبَها حتى أموتَ ؛ فإنّ الكريمَ لا يموت على فراشه ، والأتان مركَبٌ لم يمتْ عليه كريمٌ قطّ . فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها ، حتى مات .

وفى الإصابة لابن حجر : أنه عاش إلى زمن معاوية رضى الله عنه .

* * *

الاختصاص

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون بعد المائة ، وهو من شواهدس(٣) :

١٥٠ (بِنا ، تميماً ، يُكشَفُ الضَّبابْ(٤))

على أن المنصوب على الاختصاص ربما كان علَماً .

أقول : تميم ، هو تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر . وهذا ليس مرادَ الشاعر ؛ وإنما مراده القبيلة . و (الضَّباب) جمع ضَبابة ، وهو

---

(١) حجر ، بالضم ، أى رفع ، كما فى اللسان (حجر ٢٣٩) عند انشاد هذا الرجز .
(٢) كذا فى ط والأغانى . وفى ش : « مثل حظ الذكر » .
(٣) سيبويه ١ : ٢٥٥ ، ٣٢٧ وانظر العينى ٤ : ٣٠٢ وابن يعيش ٤ : ٣٠٢ وملحقات ديوان رؤبة ١٦٩
(٤) قبله فى الديوان :
* راحت وراح كعصا السيساب *

ندىً كالغبار يغشى الأرضَ بالغَدَوات ؛ وأضَبَّ يومُنا بالهمزة : إذا صار ذا ضباب . فضرب الضَّبابَ مثلا لغمّة الأمر وشدّته ، أى بنا تُكشَفُ الشدائدُ فى الحروب وغيرها .

وأنشده س على أنّ تميما منصوبٌ بإضمار فعل ، على معنى الاختصاص والفخر .

و (بنا) متعلق بقوله : (يكشف) . وقدّم للحصر .

وهذا البيت من أرجوزة لرؤبة بن العجّاج وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد الخامس من أوائل هذا الكتاب(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد المائة(٢) :

١٥١ (إنَّا بَنِي ضَبَّةَ ، لا نَفِرُّ)

على أنّ بَنى ضبّة منصوب على الاختصاص ، تقديره : أخصّ بنى ضبّة الجملة معترضة بين اسم إنّ وخبرها ، وهو جملة لا نفرّ ، جىء بها لبيان الافتخار .

و (ضبّة) هو ابن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر . وأبناء ضبّة ثلاثة : سعد ، وسُعيد (بالتصغير) ، وباسل وهو أبو الدَّيلم .

قال أبو عُبيد القاسم بن سلّام : خرج باسل بن ضبّة مغاضباً لأبيه ، فوقع بأرض الديلم ، فتزوّج امرأة من العجم ، فولدت له دَيلماً . فهو أبو الديلم .

* * *

(١) ص ٨٩ من الجزء الأول

(٢) لم أجده فى غير الخزانة

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد المائة(١) :

١٥٢ (لنا يومٌ وللكِرْوَانِ يومٌ   تَطِيرُ البائِساتِ ولا نَطِير)

على أنَّ (البائساتِ) منصوب على الترحّم .

وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبْد، هجا بِها عَمرو بن المنذر بن صاحب الشاهد امرئ القيس، وأخاه قابوسَ بن المنذر — وأمُّهما بنت الحارث بن عمرو الكِندىّ آكل المُرار — وهذه أبياتٌ ثمانية منها :

أبيات الشاهد
(فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمرٍو   رَغُوثاً حولَ قُبَّتِنا تَخورُ
من الزَّمِراتِ أسبَلَ قادِماها،   وضرَّتُها مُرَكَّنَةٌ دَرورُ
يُشارِكنا لنا رَخِلانِ فيها   وتعلوها الكِباش وما تنورُ
لعمرِكَ، إنَّ قابوسَ بنَ هندٍ   ليَخلِط مُلْكَه نَوكٌ كثيرُ
قسمتَ الدهرَ فى زمنٍ رخىٍّ   كذاك الحكمُ يقصِدُ أو يجور ٤١٣
لنا يومٌ وللكروان يومٌ   . . . . . . البيت
فأمّا يَوْمُهُنّ فيوم سوءٍ   تُطارِدُهنّ بالحَدَبِ الصُّقورُ
وأمّا يومُنا فنظلّ رَكْباً   وُقوفاً ما نَحُلُّ ولا نَسيرُ)

وكان السبب فى هذه القصيدة — على ما حكىَ المفضّلُ بن سلمة فى كتابه (الفاخر) — أن عمرو بن المنذر، كان يرشّح أخاه قابوس بن المنذر ليملك بعده، فقدِم عليه المتلمِّس وطرَفة، فجعلهما فى صَحابة قابوس، وأمرهما بلزومه . . وكان قابوسُ شابّاً يعجبه اللهوُ، وكان يركب يوماً فى الصيد فيركض يتصيّد وهما معه يركضان، حتى يرجعا عشيّة وقد تعبا، فيكون قابوسُ من الغد

(١) الشعراء ١٤٠ والفاخر ٧٤ وديوان طرفة ٧

فى الشراب ، فيقفان بباب سُرادقه إلى العشىّ . فكان قابوس يوماً على الشراب ؛ فوقفا ببابه النهارَ كلّه ، ولم يصلا إليه ؛ فضجر طرَفة فقال هذه القصيدة .

وقال يعقوب بن السِكّيت ، والأعلم الشَنتمرىّ (فى شرحهما لديوان طرفة) : إن عَمرو بن هند المذكور ، كان شِرّيراً ؛ وكان له يوم بؤس ويوم نعمة ؛ فيومٌ يركبُ فى صيده يقتُل [أوّل(١)] مَن يَلقىٰ ، ويومٌ يقف الناسُ ببابه ، فإن اشتهىٰ حديثَ رجل أذِنَ له ، فكان هذا دهره كلَّه . فهجاه طرفة وذكر ذلك بقوله : فليت لنا مكان . . الخ ، الملْك ، بفتح الميم وسكون اللام وأصلُها الكسر : وصفٌ مِن ملك على الناس أمْرهم : إذا تولّى السلطنة . ولنا : خبر ليتَ مقدَّم ، ورَغوثاً : اسمها مؤخرّ ؛ ومكانَ الملك : ظرف ، وكان فى الأصل صفة لرَغوث فلمّا قدم صار حالاً . والرَّغُوث ، بفتح الراء وضم الغين المعجمة وآخره ثاء مثلثة : النعجة المرضِع ؛ يقال رغَث الغلامُ أمّه : إذا رضِعها . وتخور : تصوِّت ؛ وأصل الخوار للبقر . فجعله طرَفةُ للنعجة .

وقوله : من الزَّمِرات . . الخ ، بفتح الزاى المعجمة وكسر الميم أى القليلات الصُّوف ، وخصَّها لأنَّها أغزر ألباناً ؛ يقال رجل زَمِر المروءة : إذا كان قليلَها . والقادمان : الخِلْفان ؛ وأصل القادمين للناقة ، لأنّ لها أربعة أخلاف : قادمين ، وآخرين ؛ فاستعار القادمين للشاة . وأسبَل : طال وكمل والضَّرّة ، بفتح الضاد المعجمة . لحم الضَّرع . والمركَّنة : التى لها أركان ، أى جوانب وأصل ؛ وقيل : هى المجتمعة . والدَّرُور ، بفتح الدال : الكثيرة الدَّرّ .

وقوله : يشاركنا . . الخ ؛ الرَّخِل ، بفتح الراء وكسر الخاء المعجمة : الأنثى من أولاد الضأنِ . ولنا : حال من رَخِلان ؛ وكان قبل التقديم صفة ،

(١) التكملة من ديوان طرفة

أى يشاركنا فى لبنها رخلان لنا . وتَنور ، بالنون : تنفِر ، والنَّوَّار : النَّفور . يصف غزارة دَرِّها وكثرةَ أولادها ، وأنَّها قد أَلِفت الذكورَ فما تنفر منها .

وَقوله : نَوكَ كثير ، النوك بالنون : الحماقة ، وكثير : يروى بالمثلّثة وبالموحَّدة . وكان قابوسُ يحمَّق ويُزَنُّ فى نفسه .

وقوله : قسمتَ الدهر . . الخ ، هو بالخطاب ، على طريقة الالتفات : إمَّا من قابوسَ على قول المفضَّل بن سلمة ، وإما من عمرو على القول الآخر ، يخاطبه ويذكر ما كان من يوم صيده ويوم وقوف الناس ببابه . وقد بيّنه فى الأبيات التى بعده . والرخِيّ : السهل الليّن . وكذاك الحكم ، جملة اسميّة على حذف مضاف ، أى ذو الحكم . أرسلها مثلا . وقوله : يقصد . . الخ ، بيان لجهة التشبيه . ويقصِد : مِن قصَد فى الأمر قصْداً ، من باب ضرب : ٤١٤
إذا توسّط وطلب الأسدّ ولم يجاوز الحدّ . وقوله : لنا يوم . . الخ ، مبتدأ وخبر وروى فى أكثر الروايات :

* لنا يوماً وللكِرْوان يوماً *

بنصب يوماً فى الموضعين على أنَّه بدل كلٍّ من الدهر . والكِرْوان بكسر الكاف وسكون الراء ، قال الأعلم[1]: « هو جمع كَرَوان ، وهو طائر ، ونظيره شَقَذان وشِقْذان ، ووَرَشان ووِرْشان ، وحمار فَلَتان والجمع فِلْتان . وقد يكون كِرْوان جمعَ كَراً مثل فتًى وفِتْيان وخَرَب وخِرْبان » انتهى .

ولم يذكر فى أمثاله أبو فيد مؤرِّج بن عمرو السَّدوسىُّ إلاّ الوجه الثانى كما تقدّم فى الشاهد الرابع والأربعين بعد المائة[2] ، قال : قالوا : كراً وكِرْوان مثل فتًى وفتيان . وأنشد هذا البيت .

(١) أى فى شرح ديوان طرفة
(٢) أنظر ص ٣٧٤ من هذا الجزء

وزعم ابن السَّيِّد ، فيما كتبه على هذا الكتاب[١] : أنّ الكروان هنا مفرد بفتح الكاف والراء ، وأن التأنيث باعتبار قصد الأفراد من الجنس . انتهى .

والبائساتِ ، منصوب على الترحُّم كما يقال : مررت به المسكينَ . وفاعل تطير ، ضمير الكروان . ورُوى بالرفع أيضاً ، قال ابن السكّيت : وهو الأكثر وقال الأعلم : والرفع على القطع ، وقد يكون على البدل من المضمر فى تطير . وهو جمع بائسة ، من البؤس بالضم وسكون الهمزة ، وهو الضرّ ؛ يقال : بئِسَ ، بالكسر : إذا نزل به الضرّ ، فهو بائس : وقوله : لا نطير ، بنون المتكلّم مع الغير .

وقوله : فأمّا يومهنّ . . الخ السَّوء بفتح السين ؛ قال الأزهرىّ فى تهذيبه : « وتقول فى النكرة : هذا رجلُ سَوءٍ ، وإذا عرَّفتَ قلتَ : هذا الرجل السَّوء ، ولم تُضِفْ . وتقول : هذا عملُ سَوءٍ ، ولا تقل عمل السَّوء ، لأن السَّوء يكون نعتاً للرجل ، ولا يكون السَّوء نعتاً للعمل ، لأن الفعل من الرجال ؛ وليس الفعل من السوء . كما تقول : قوْل صِدقٍ وقول الصدقِ ورجل صدقٍ ، ولا تقول رجل الصدق لأن الرجل ليس من الصدق » انتهى . ورُوى بدله (نحْسٍ) وهو بمعناه . والحدَب بفتح المهملتين : ما ارتفع من الأرض وغلظ . يقول : يوم الكِرْوان يومُ نحسٍ ، لمطاردة الصقور لهن . وقوله : ما نحُلُّ ولا نَسير ، أى نحن قيام على بابه ، ننتظر الإذن ، فلا هو يأذن فنحلّ عنده ، ولا هو يأمرنا بالرجوع فنسير عنه . ونحُلُّ مضارع حلَّ يحُل حُلولاً ؛ من باب قعد : إذا نزل .

---

(١) ش : « وزعم السيد » .

و (طرَفة) ، هو طرفة بن العبْد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل. الشاعر المشهور . طرفة

وطرَفة بالتحريك ، فى الأصل : واحد الطَرْفاء وهو الأثْل(١) ، قال فى القاموس : الطرَفة محركة : واحدة الطَّرْفاء ، وبها لقّب طرَفة بن العبد ، واسمه عمرو ، ولقب ببيتٍ قاله(٢) .

وهو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس . ومَرتَبته ثانى مرتبة ؛ ولهذا ثُنّى بمعلّقته . وقال الشعرَ صغيراً . قال ابن قتيبة : هو أجود الشعراء قصيدةً . وله بعد المعلقة شعرٌ حسن . وليس عند الرواة من شعره وشعر عَبيدٍ إلاّ القليل . وقُتل وهو ابن ست وعشرين سنة .

وكان السبب فى قتله : أنه وفد مع خاله المتلمِّس على عمرو بن هند، فأكرمهما وبقيا عنده مدّة (قال المفضَّلُ بن سلمة) : وكان لطرفة ابنُ عمٍ عند عمرو ابن هند واسمه عبدُ عَمْرٍو بن بشر بن عمرو بن مَرثَد بن سعد بن مالك ابن ضُبيعة — وكان طرفة عدوًّا لابن عمّه عبد عمرو — وكان سميناً بادناً ، فدخل على عمرو بن هند الحمَّام ، فلما تجرّد قال عمرو بن هند : لقد كان ابن عمّك طرفةُ رآك حين ما قال — وكان طرَفة هجا عبدَ عمرو ، فقال فيه ٤١٥
من جملة أبيات :

ولا خَيْرَ فيه ، غير أنّ له غنًى   وأنّ له كشحاً ، إذا قام ، أهضَما

---

(١) فى القاموس : « الطرفاء : شجر ، وهى أربعة أصناف ، منها الأثل، الواحدة طرفاءة وطرفة محركة » .

(٢) هو كما فى القاموس والمزهر ٢ : ٤٤١ :

لا تُعجِلا بالبكاء اليوم مطرَفاً   ولا أميريكما بالدار إذ وقفا

فلما أنشد الأبياتَ لعبد عمرو قال له عبد عمرو : ما قال لك شرٌ مما قال لى ؛ ثم أنشده :

فليتَ لنا مكانَ الملكِ عمرٍو . . (الأبيات المتقدِّمة)

فصدّقه عمرو بن هند وقال له : ما أصدّقك عليم — مخافةَ أن تدركه الرحمُ وينذرَه — فمكث غير كثير ، ثم دعا المتلمّس وطرَفة ، وقال : لعلكما قد اشتقتما إلى أهلكما ، وسَرَّكما أن تنصرفا ! قالا : نعم ! فكتب لهما إلى عامله على هجَر أن يقتلهما . وأخبَرَهما أنه قد كَتَب لهُما بحِباء ، وأعطىٰ كلَّ واحد منهما شيئاً فخرجا — وكان المتلمس قد أسنَّ — فمرَّا بنهر الحِيرة على غِلمانٍ يلعبون ؛ فقال المتلمس : هل لك أن ننظر فى كتابينا ، فإن كان فيهما خيرٌ مضيناه ، وإن كان شراً ألقيناهما ؟ فأبىٰ عليه طرفة . فأعطىٰ المتلمّسُ كتابَه بعضَ الغلمان ؛ فقرأه عليه ، فإذا فيه السوء . فألقى كتابه فى الماء ، وقال لطرفة : أطِعْنى وألقِ كتابَك ! فأبىٰ طرفةُ ومضى بكتابه إلى العامل ، فقتله . ومضى المتلمّس حتى لحق بملوك بنى جَفنة بالشام اه .

ورَوىٰ يعقوبُ بن السكِّيت (فى شرح ديوانه) القصّةَ بأبسط من هذا ، قال : إنّ طرفة لمّا هجا عمرَو بنَ هند بالأبيات المتقدِّمة ، لم يَسمعها عمرو ابن هند . حتّى خرج يوماً إلى الصيد فأمعنَ فى الطلب ، فانقطع فى نفرٍ من أصحابه ؛ حتى أصاب طَريدتَه فنزل ، وقال لأصحابه : اجمعوا حطباً — وفيهم ابن عمٍّ طرفة — فقال لهم : أوقدوا . فأوقدوا ناراً وشَوىٰ . فبينما عمرٌو يأكل من شوائه وعبدُ عمرٍو يُقدّم إليه ، إذْ نظر إلى خَصْر قميصه منخرقاً ، فأبصر كشحه ، وكان من أحسن أهل زمانه جِسْما — وقد كان بينه وبين طرفة أمرٌ وقع بينهما منه شرٌّ ، فهجاه طرفة بأبيات — فقال له عمرو بن هند — وكان

سمع تلك الأبيات — : يا عبد عمرو ، لقد أبصر طرَفةُ حُسنَ كشحك ، ثم تمثّل فقال :

ولا خير فيه غيرَ أنّ له غنًى   وأنّ له كشحاً ، إذا قامَ ، أهضَما

فغضب عبدُ عمرو مما قاله وأنِف ، فقال : لقد قال للملك أقبحَ من هذا ! قال عمرو . وما الذى قال ؟ فندِم عبدُ عمرو ، وأبى أن يُسمعه . فقال . أسمِعْنيه ، وطرَفة آمِن . فأسمعَه القصيدةَ التى هجاه بها (وشرحنا منها ثمانية أبيات تقدّمت) فسكت عمرو بن هند على ما وقَر فى نفسه ، وكره أن يعجّل عليه ، لمكان قومه ؛ فأضرب عنه — وبلغ ذلك طرَفةَ — وطلب غِرّته والاستمكانَ منه ؛ حتى أمن طرفة ولم يخَفْه على نفسه ، فظنَّ أنه قد رضى عنه . وقد كان المتلمّس — وهو جرير بن عبد المسيح — هجا عمرَو بنَ هند . وكان قد غضب عليه ؛ فقدم المتلمّسُ وطرَفة على عمرو بن هند ، يتعرَّضان لفضله . فكتب لهما إلى عامله على البحرين وهجَر . وكان عامله فيهما فيما يزعمون ربيعةُ بنُ الحارث العبدىّ ، وهو الذى كتب إليه فى شأن طرَفة والمتلمّس — وقال لهما : انطلقا إليه فاقبِضا جوائزَ كما . فخرجا . فزعموا أنّهما لمّا هبطا النَّجف قال المتلمّس : يا طرَفة ، إنّك غلامٌ غِرٌّ حديثُ السنّ ، والملكُ مَن قد عرَفتَ حِقدَه وغَدْره ، وكلانا قد هجاه ؛ فلست آمنا أن يكون قد أمر فينا بشرّ ؛ فهلمّ ننظرْ فى كتابينا ، فإن يكن أمَر لنا بخير مضينا فيه ، وإن يكن قد أمر فينا بغير ذلك لم نُهلِك أنفسنا ! فأبى طرَفةُ أن يفكّ خاتَم الملِك ، وحرص(١) المتلمّس على طرَفة فأبى .
١٦ ٤ وعدَل المتلمّس إلى غلام من غِلمان الحِيرة عِبادىّ فأعطاه الصحيفة ، فقرأها ، فلم يصل إلى ما أُمِر به فى المتلمس حتّى جاء غلامٌ بعده فأشرف فى الصحيفة

(١) الأغانى ٢١ : ١٢٥ : « وحرض » بالضاد المعجمة

لايدرى لمن هى[١] فقرأها فقال : ثَكِلَت المتلمسَ أمُّه ! فانتزع المتلمّسُ الصحيفةَ من يد الغلام ، واكتفى بذلك من قوله ، واتّبع طرفة فلم يدركه ، وألقى الصحيفةَ فى نهر الحيرة ، ثمّ خرج هاربا .

وقد كان المتلمّس فيما يقال قال لطرفة حين قرأ كتابه : تعلّم ، أنّ فى صحيفتك لَمِثل الذى فى صحيفتى ! فقال طرفة : إن كان اجترأ عليك فما كان لِيجترئْ علىّ ، ولا لِيغرّنى ، ولا لِيقدم علىّ ! فلما غلبه سار المتلمّس إلى الشام ، وسار طرفة حتّى قَدِم على عامل البحْرَين وهو بهجَر . فدفع إليه كتابَ عمرو بن هند ، فقرأه فقال : هل تعلم ما أُمرتُ به فيك ؟ قال : نعم ، أمرتَ أن تجيزنى وتحسنَ إلىّ . فقال لطرفة : إن بينى وبينك لخئولةً أنا لها راعٍ ، فاهرُبْ من ليلتك هذه ، فإنى قد أُمِرتُ بقتلك ؛ فاخرجْ قبل أن تصبح ويَعلم بك الناس ! فقال له طرفة : اشتدّتْ عليك جائزتى وأحببتَ أن أهرُبَ وأجعلَ لعمرو بن هند على سبيلا ، كأنّى أذنبت ذنبًا ؟ ! والله لا أفعلُ ذلك أبدا ! فلما أصبح أمرَ بحبسه . وجاءت بكرُ بن وائل فقالت : قدِمْ طرَفة ! فدعا به صاحبُ البحْرَين ، فقرأ عليهم كتابَ الملك ، ثمّ أمر بطرفة وحُبِس ، وتكرّم عن قتله ، وكتب إلى عمرو بن هند : أن ابعثْ إلى عمَلِك[٢] ، فإنّى غير قاتل الرجل . فبعث إليه رجلاً من بنى تغلب ، يقال له عبد هند ابن جرذ[٣] ، واستعمله على البحْرين وكان رجلاً شجاعًا ، وأمره بقتل طرفة

---

(١) ط : « من هو » صوابه فى ش . وفى الأغانى : « لايدرى ممن هى » وانظر القصة هناك مروية عن ابن السكيت

(٢) كناية عن استقالته . وانظر شرح القصائد السبع ١٢٧

(٣) فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢١٤ وشرح القصائد السبع الطوال ١٢٧ : « عبد هند بن جرَد » . وفى احدى نسخ القصائد السبع : « بن خُردّ » ط : « عبد بن هند » تحريف ، صوابه فى ش وشرح القصائد السبع

وقتل ربيعة بن الحارث العبدىّ فقدِمها عبدهند، فقرأ عهدَه على أهل البحرَين، ولبث أيّاماً. واجتمعت بكر بن وائل فهمّت به، وكان طرفة يحضّضهم. وانتدَب له رجلٌ من عبد القيس ثم من الحوَاثر يقال له «أبوريشة» فقتلَه. فقبْرُه اليوم معروف بهجَر.

وزعموا أنّ الحواثر ودَته إلى أبيه وقومه(١).

وقالت أخت طرفة تهجو عبد عمرو، لِما كان من إنشاده الشعر للملك:

ألا ثكلتْكَ أمكَ عبدَ عمرو … أبِالخَرباتِ آخيتَ الملوكا

همُ دحوْك للوَرِكين دحًّا … ولو سألوا لأعطيت البُروكا

ورثتْ طرفةَ أخته بقولها(٢):

عَدَدنا له ستًّا وعشرين حِجَّةً … فلما توَفَّاها استوىٰ سيِّداً ضَخْما

فُجِعْنا به لمّا رجَونا إيابَهُ … على خيرِ حالٍ: لاوَليداً ولا قَحْما

اﻫ. ومثله فى (كتاب الشعراء لابن قتيبة) قال: وكان طرَفة فى حسبٍ من قومه جريئاً على هجائهم وهجاءِ غيرهم. وكانت أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مَرْثد، وكان عبدُ عمرو سيِّدَ أهلِ زمانه، فشكت أخت طرَفة شيئاً من أمر زوجها إليه، فقال:

ولا عيب فيه غير إن له غنًى … . . . . . البيت

وإنّ نساء الحىّ يعكُفن حولَه … يقُلن عَسب من سَرارةِ مَلْهَما

(وأهضم: منقبض. وسَرارة بالفتح: خيار. ومَلْهَم، بالفتح: موضع

---

(١) وكذا فى شرح القصائد السبع والأغانى ٢١ : ١٣٢ وفى ط فقط: «ردته الى أبيه وقومه»، تحريف

(٢) ش: «ورثت طرفة بقولها».

كثير النخل) فخرج عمرو بن هند يتصيَّد ، ومعه عبدُ عمرو ، فأصاب حماراً فعقَره ، فقال لعبدعمرو : انزلْ إليه ! فنزل إليه فأعياه ، فضحك عمرو بن هند وقال : لقد أبصرَك طرَفةُ حين قال :

٤١٧ ولاعيبَ فيه غير أنّ له غنًي . . . . البيت

وقال فى آخرها : ويقال : إنّ الذى قتله المعلّى بن حنش[1] العبدى والذى تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأَيفُلىّ[2] حىٌ من طَسْم وجَديس .

ثم قال : وكان أبو طرفة مات ، وطرَفةُ صغير ، فأبى أعمامه أن يقسِموا ماله ، فقال :

ما تَنظُرونَ بمالِ وَرْدَةَ فيكمُ صَغُرَ البنونَ ورهط وَردةَ غُيَّبُ[3]
قد يَبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُه حتّي تظلَّ له الدماء تَصببُ
والظُّلم فرَّقَ بين حيَّي وائلٍ بكرٌ تساقيها المنايا تغلِب
والصِّدقُ يألفه الكريم المرتجىٰ والكِذْب يألفه الدنِىء الأخيَب

ويقال : إنّ أول شعرٍ قاله طرفة ، أنه خرج مع عمِّه فى سفر ، فنصَب فخًا فلما أراد الرحيل قال :

يالكِ من قُبَّرةٍ بمَعْمَرَ خلا لكِ الجوّ فبيضى واصفِرى
ونقِّرى إن شئت أن تُنقِّرى قد رُفِعَ الفخّ ، فماذا تحذَرى
لا بدَّ يوما أن تُصادى فاصبِرى . اهـ

---

(١) ط : « خش » ، صوابه فى ش والشعراء ١٣٨

(٢) وردت هذه الكلمة مهملة الاعجام فى النسختين ، واعجامها من الشعراء ١٣٨

(٣) ط : « صفر البنون » ، صوابه فى ش والشعراء . وورده أم طرفة كما فى الشعراء

وعمرو بن هند المذكور هو من ملوك الحيرة . كان عاتياً جبّاراً ، ويسمى محرِّقا أيضاً ، لأنه حرّق بنى تميم ، وقيل : بل حرّق نخل اليمامة . والنعمانُ ابن المنذر صاحبُ النابغة أخو عمرو بن هند[1] . وسيأتى إن شاء الله تعالى ، نسبةُ عمرو بن المنذر فى نسبة أخيه النعمان بن المنذر[2] فى الشاهد الثالث بعد هذا .

(تتمة)

ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف مَن اسمُه طرفة من الشعراء أربعة ، أوّلهم هذا . من اسمه طرفة

و (الثانى) طرفة بن ألاءة بن نَضْلَة بن المنذر بن سَلمىٰ بن جَنْدَل بن نهشَل بن دارم .

و (الثالث) طرفة الجَذَمىّ أحد بنى جَذيمة العبسى[3] . و (الرابع) طرفة أخو بنى عامر بن ربيعة .

* * *

(١) صاحب النابغة هذا هو النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس بن عدى . وأما عمرو فهو عمرو بن هند نسب الى أمه ، واسمه عمرو بن المنذر بن امرىء القيس . انظر العمدة ٢ : ١٧٩ فعمروبن هند عمه لا أخوه . وسيأتى ذلك فى الشاهد ١٥٥ نقلا عن العمدة . فيبدو أن صواب العبارة « ابن أخى عمرو بن هند »

(٢) كذا . والوجه « فى ترجمة ابن أخيه النعمان بن المنذر » حسب ما يفهم من نص العمدة الذى اعتمد عليه البغدادى

(٣) فى المؤتلف ١٤٦ : أحد بنى جذيمة بن رواحة بن قطيعة بن عبس بن بغيض » . وفى القاموس : « طرفة الخزيمى من بنى خزيمة بن رواحة » تحريف . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٥١

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه(١) :

١٥٣ (ويَأوِى إلى نِسْوَةٍ عُطلٍ وشُعْثاً مَراضيعَ مثلَ السعالى)

على أن قوله : (شُعْثاً) منصوبٌ على الترحّم كالذى قبله .

قال سيبويه : وشعثاً منصوب باضمار فعل . قال الأعلم : « لأنه لما قال : نسوةٍ عُطّل ، عُلِم أنهنّ شُعْثٌ . فكأنه قال : وأذكرُهُنّ شعثاً . إلاّ أنه فعل لا يظهر ، لأن ما قبله دلّ عليه فأغنى عن ذكره » .

وقال ابن خلف : الشاهدُ أنّه نصَب شُعُثاً ، كأنه حيث قال : إلى نسوة عُطّل ، صرن عنده ممّن عُلم أنهنّ شُعث ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهنّ وتشويهاً . قال الخليل: كأنه قال : أذكرهنّ شعثاً ، إلا أنّ هذا فعلٌ لا يستعمل إظهاره ، لأن ما قبله قد دلّ عليه فأغنيَ عن ذكره ، على ما يجرى الباب عليه فى المدح والذمّ(٢) .

٤١٨ وأنشده سيبويه فى موضع آخر(٣) أيضاً قبل هذا يجرّ شعثٍ عطفاً على عطّل . وقال(٤) : « وإن شئت جررت على الصفة . وزعم يونس أن ذلك أكثر ، كقولك مررت بزيد أخيك وصاحبِك » . ثم قال(٥) : « ولو قال : فشُعْث، بالفاء لقُبح » .

---

(١) سيبويه ١ : ١٩٩ ، ٢٥٠ وانظر العينى ٤ : ٦٣ وابن يعيش ٢ : ١٨ والهذليين ٢ : ١٨٤ ومعانى الفراء ١ : ١٠٨

(٢) انظر سيبويه ١ : ٢٥٠ وقارن ما نقل هنا عن الخليل بما هو مسطور هناك

(٣) يعنى ١ : ١٩٩ وفى ط : « فى مواضع أخر » ، صوابه فى ش

(٤) يعنى فى ص ٢٥٠ لا ص ١٩٩ .

(٥) أى فى ص ١٩٩ لا ص ٢٥٠ .

قال النحّاس : ومعنى قوله : لقبُح : لايجوز . لأنّ عطّلاً وشعْثاً صفتان ثابتتان معاً فى الموصوف ، فعطفت إحداهما على الأخرىٰ بالواو ، لأن معناها الاجتماع ؛ ولوعطفت بالفاء لم يجزْ لأنّه لم يُردْ أنّ الشعَثَ حصل لهنّ بعد العطَل .

وأورد هذا البيتَ صاحبُ الكشّاف عند قوله تعالى : (وَأُولُو العِلْمِ قائماً بالقسْطِ(١)) على أن المنتصب على المدح كما يجيء معرفة يجيء نكرة ، كما فى شعثاً فإنه منصوبٌ على الترحّم .

وأورده أيضاً ابنُ الناظم وابنُ هشام فى شرح الألفيّة ، على أن قوله : شُعثاً ، منصوب بفعل مضمر على الاختصاص ، ليبيّن أنّ هذا الضربَ من النساء أسوأ حالاً من الضرب الأوّل الذى هو العُطّل منهنّ . ومثل هذا يسمّىٰ نصباً على الترحّم .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : لايجوز أن يكون شُعثاً منصوباً مفعولا معه ، لأن شرطه التشريك مع المرفوع فى نسبة الفعل . وقد توهّم مَن لاعِبرة به جوازَ : سرت والجبلَ ؛ وهو غير جائز ، إذ الجبل لا يسير ؛ ولو سُلّم جوازُه فلا بدّ من تأويله ، وهو أن يجعل كأنّ كلَّ جزءٍ من الجبل سائر ، لأنه إذا سار من موضع [من(٢)] نواحى الجبل فذاك مفارقٌ له .

والبيتُ مطلق الرويّ ، فهو بكسر اللام من السعالى ، كما أنشده سيبويه . قال النحّاس : هكذا أخذناه عن أبى إسحاق ، وأبى الحسن ، وهو الصواب . وأنشد هذا البيت العَروضيّون ، منهم الأخفش سعيد : « مثلَ السعَالْ » بإسكان اللام . ولا يجوز إلاّ ذلك على ما رووه ؛ لأنهم جعلوه من المتقارِب من الضرب الثانى من العروض الأولى .

(١) الآية ١٨ من آل عمران
(٢) التكملة من أمالى ابن الحاجب مخطوطة دار الكتب رقم ٢٦ نحو

وقوله : (ويأوى . الخ) فاعل يأوى ، ضميرُ الصيّاد : أى يأتى مأواه ومنزله إلى نسوة . وعُطّل : جمع عاطل،قال فى الصحاح : « والعطَل بالتحريك : مصدر عطِلت المرأة : إذا خلا جيدُها من القلائد ، فهى عُطْل بالضم وعاطل ومِعطال . وقد يُستعمل العَطَل فى الخلوّ من الشىء ، وإن كان أصله فى الحلْى ، يقال عطِل الرجل من المال والأدب فهو عُطل ، بضمّة وبضمّتين » . وهذا هو المراد هنا ؛ لأن المعنى : أنّ هذا الصيّاد يَغيب عن نسائه للصيد ، ثم يأتى اليهنّ فيجدُهُنّ فى أسوأ الحال .

و (الشُّعْث) جمع شَعثاء ، من شعِث الشعر شَعثاً فهو شعِث ، من باب تعب : تغيّر وتلبّد لقلّة تعهُّده بالدهن ؛ ورجل أشعث وامرأة شعثاء . و (المراضيع) : جمع مِرضاع ، بالكسر وهى التى تُرضِع كثيراً .

و (السَّعالى) بفتح السين ، قال أبو علىّ القالىّ ، فى كتاب المقصور والممدود : السِّعْلى ، بالكسر وبالقصر : ذَكَر الغِيلان ، والأنثى سِعلاة : وقال الأصمعىّ : يقال : السِّعلاة : ساحرة الجنّ . حدّثنا أبو بكر بن دريد قال : ذكر أبو عبيدة ، وأحسب الأصمعىّ قد ذكره أيضاً ، قال لقِيَت السِعلاةُ حسَّانَ بنَ ثابت فى بعض طرُقات المدينة — وهو غلام ، قبل أن يقول الشعر — فبركت على صدره ، وقالت : أنتَ الذى يرجو قومُكَ أن تكون شاعرَهم ؟ ! قال : نعم ؟ قالت : فأنشدْنى ثلاثة أبيات على روىٍّ واحد ، وإلاّ قتلتُك ؟ فقال :

إذا ما ترَعرعَ فينا الغلامُ   فما إنْ يُقال له : مَنْ هُوَهْ ٤١٩
إذا لم يَسُد قبلَ شدّ الإزارِ   فذلك فينـا الذى لا هُوَه
ولى صاحبٌ من بنى الشَّيْصَبانِ   فحيناً أقولُ وحينـاً هوه

فخلّتْ سبيله . ا هـ .

والشَّيصبان ، بفتح الشين المعجمة وبعدها ياء مثنّاة تحتيّة وبعدها صاد مهملة مفتوحة وبعدها باء موحدة ، قال ابن دريد فى الجمهرة : هو ابن جنّىّ من الجن . . وأنشد هذا البيت .

وروى أبو سعيد السكّرىّ هذا البيت فى أشعار هذيل كذا :

له نسوةٌ عاطلاتُ الصدو رِ عُوجٌ مراضيعُ مثلُ السَّعالى[(١)]

وقال : عُوج : مهازيل مثل الغِيلان فى سوء الحال ؛ هو جمع عَوجاء . قال فى الصحاح : « والعوجاء : الضامرة من الإبل » . وعلى هذه الرواية فلا شاهد فى البيت .

وهذا البيت لأميّة بن أبى عائد الهذلىّ من قصيدة طويلة عدتها ستة وسبعون بيتاً[(٢)] ، على رواية أبى سعيد السكّرىّ (فى أشعار الهذليّين) وهذا مطلعها :

(إلا يا لَقومِ لِطَيف الخيالِ يؤرِّقُ من نازحٍ ذى دَلال[(٣)])

الطَّيف هنا مصدر طاف الخيال يَطيف طَيفاً . ويؤرِّق : يسهِّد . وقوله : من نازح ، أى من حبيب بعيد .

وهذا من أبيات سيبويه ، أورده شاهداً على فتح اللام الأولى وكسر

---

(١) ط : « مراضع » صوابه من الهذليين وتصحيح الشنقيطى فى نسخته

(٢) الحق أن عدتها ٨٣ بيتا كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ٤٩٤ ــ ٥١٤ بتحقيق عبد الستار فراج

(٣) يالقوم ، بكسر الميم ، وكما قال الصبان فى حاشيته ٣ : ١٦٦ : « بحذف ياء المتكلم والدلالة بالكسر عليها »

الثانية فرقا بين المستغاث به والمستغاث من أجله . قال سيبويه[1]: معناه : مَن لطيف الخيال من نازحٍ ذى دلال يؤرّقنى . وذكّر النازح لأنّه أراد الشخص . والدلال : الدلالة بحسنٍ ومحبَّةٍ ونحوها .

(أجاز إلينـا على بُعدِه ، مَهاوىَ خَرْقٍ مَهابٍ مَهَالِ)

أجاز الخيالُ : أى قطع إلينا على بعده . مَهاوى : مواضع يُهوَى ويسقط فيها وهو مفعول أجاز . والخرق ، بالفتح : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح . ومَهَاب ، بالفتح : موضع هَيبة[2]. ومَهال : موضع هَوْل .

(صحَارٍ تَغَوَّلُ جِنَّانُها وأحدابَ طَودٍ رفيع الجبالِ)

صحارٍ : جمعُ صحراء . وتغوّلُ : تتلوَّن كالغول . والجِنّان بالكسر : جمع جانّ ، وهو أبو الجنّ . وأحداب ، منصوب بالعطف على مهاوىَ ، وهو جمع حَدَب بالتحريك ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(خيالُ لجعْدَةَ قد هاج لى نُكَاساً من الحُبِّ بعد اندِمالِ)

أى ذلك الخيالُ خيالُ جعدةَ . يقال : عرض لى نُكْس ونُكاس بضمهما . واندمل : أفاق بعضَ الإفاقة .

(تَسَدَّىْ مع النوم تِمثالها دُنُوَّ الضَّباب بطَلٍّ زُلالِ)

---

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٣١٩ ولعل الكلام : « قال شراح أبيات سيبويه » . ورواية البيت فى سيبويه والأعلم :

ألا يالقوم لطيف الخيال أرق من نازح ذى دلال

ففيه الخرم فى أول الشطر الثانى كقول امرىء القيس :

* وابن جريج كان فى حمص أنكرا *

أو تكون لام « الخيال » فى أول الشطر الثانى فتكون العروض محذوفة .

(٢) ط : « هبة » ، صوابه فى ش .

أى غشِينَا خيالُها كما تغشّى الضبابُ الأرضَ . الأصمعى : الضَّباب : الغيم . والطَّلّ : الندىٰ . والزُّلال : الصافى .

(فباتتْ تسائِلنا فى المنـامِ وأحبِبْ إلىّ بذاك السؤالِ[1])

(تُثَنِّي التحيةَ بعـد السلَامِ ثُمَّ تَفَدَّى بعمٍّ وخالِ)

(فقدْ هاجنِي ذكرُ أمِّ الصبيِّ مِن بعد سُقْم طويلِ المِطال) ٤٢٠

أى المطاولة .

(ومَرِّ المنونِ بأمرٍ يَغو لُ من رُزْء نفسٍ ومن نَقص مالِ)

مرٍّ بالجر عطف على قوله من بعد سُقم .

(إلى الله أشكو الذى قدْ أرىٰ من النائبـات بعاف وعالِ)

أى تأخذ بالعفو والسهولة أو تقهر[2] فتعلو وتعظم ؛ يقال عاله الأمر : إذا تفاقم به ، شكا إلى الله ما أصابه من دهره .

(وإظلالَ هـذا الزَّمانِ الذى يُقلِّبُ بالنـاس حالاً لحالِ[3])

معطوف على الذى وهو مصدر أطلّ على الشىء بمعنى أشرف عليه .

(وجَهدَ بلاءٍ إذا ما أتىٰ تَطاوَلُ أيّامُهُ والليـالى)

عطف على الذى أيضاً .

(فسَلِّ الهُموم بعَيرانةٍ مُواشكةِ الرَّجْعِ بعدالنِّقَالِ[4])

أى سريعٌ رجعُ يديها . والمناقلة : ضرب من السير .

---

(١) ويروى : « فبات يسائلنا »
(٢) ط : « أى تقهر » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته
(٣) ويروى : « تقلب بالناس »
(٤) ط : « انتقال » ، وهى رواية صحيحة أيضا ، لكن التفسير بعده يقتضى ما اثبت من ش

ثم أخذ فى وصف ناقته . . إلى أن شبهها بحمار الوحش ، ووصفه بشيء كثير إلى أن ذكر أنه أورد أُتُنَهُ المـاء . . فقال :

(فلما وردنَ صدرن النَّقيلَ أوبَ مَرَامى غوىٍّ مُغالى)

النقيل : المناقلة فى السير ؛ وأصله إذا وقع فى حجارةٍ ناقَل ، وهو أن ينقل قوائمه يضعها بين كلِّ حجرَين . والمُغالى : المُرامى الذى يغالى فى الرمى غيرَه ، ينظران أيُّهما(١) أبعدُ سهماً . يقول : آبت كأَوب السهام . وأوبها إذا نزع النازع فى القوس ، فإذا أُرسل السهم فقد آب من حيث نزع .

(فأسلـكها مَرْصَداً حافظاً به ابنُ الدُجى لاصقاً كالطِّحَالِ)

أى فأسلَـكَها الفحل ، وهو حمار الوحش ، مَرصداً ، أى مكانا يرصُد به الرامى الوحش . وقوله : به ، أى بالمرصد . وابن الدُّجىٰ : الصيّاد ؛ وهو جمع دُجْيَة ، وهى بيت الصائد ، تكون حَفيرةً يسترفيها لئلَّا يراه الوحش . وقوله : لاصقاً . . الخ ، يقول : قد لصِق الصيّاد بأرضِ حَفيرته ليخفىٰ عن الصيد كما لصِق الطِّحالُ بالجنب .

(مُقِيتاً مُعيداً لأكل القَنيصِ ذا فاقةٍ ملحماً للعيـالِ)

المُقيت : المقتدر ، من أقات على الشيء بمعنى اقتدر عليه . والمعيد : الذى قد اعتاد صيدَ القنيص . والملحِم : اسم فاعل من أَلحم(٢): إذا أطعم اللحم.

(ويأوى إلى نسوةٍ عُطّل . . . البيت)

---

(١) فى النسختين : « الذى يغالى فى الرمى أيهم » وتكملة العبارة وتصحيحها من السكرى ٥٠٧ والترقيم هناك موهم فصححه كما هنا . وفى السكرى : « أبعد غلوا » .

(٢) ط : « لحم » صوابه فى ش

فاعله ضمير ابن الدُّجىٰ وهو الصيّاد .

(تَراحُ يداه بمحشُورةٍ[1] خَواظِى القِداحِ عِجَافِ النِصالِ)

فى الصحاح : « راحت يدُه بكذا : خفَّت له » . والمحشورة : نَبْل قد ألطِف قُذَذُها ، وهو أسرع لها وأبعد . وخواظى القداح : جمع خاظية ، أى متينة مكتنزة . والقداح : جمع قِدْح بالكسر ، وهو عُود السهم . وعجاف النصال : أى قد أُرهِفت حتى دقّت[2] .

ثم وصف قوسَه ونبالَه وصدقَ رميه . . إلى أن قال :

(فعَمّا قليـلٍ سَقاها معـاً بمُزْعِفٍ ذَيْفانٍ قِشْبٍ ثُمالِ) ٤٢١

المزعِف[3] : الموت السريع . والذَّيفان : السم . والقِشب ، بالكسر : أن يُخلط بشىء ليَقتُل . وثُمال ، بالضم : مُنقَع . شبّه السهام به .

(سِوى العِلْجِ أخطأه رائغاً بنَجراء ذات غِرارٍ مُسَالِ)

يقول : سقاها بمزعف[4] سوى العِلج ، أخطأه فلم يصبه . والعِلج ، بالكسر : الحمار الغليظ . ونَجْراء : صقيلة عريضة . وغرارها : حدّها . ومُسَال : ممطول ، ومنه خد أسيل وأُسال[5] .

(فَجـالَ عليهِنَّ فى نَفْرِه ليَفتَنَّهُنَّ لزَول الزَّوال)

---

(١) فى النسختين : « تروح » ، صوابه مما يقتضيه التفسير التالى ، من شرح الهذليين .

(٢) ط : « رقت » بالراء . وفى شرح السكرى : « وعجاف : مرهفة رقاق » .

(٣) حورها الشنقيطى هنا وفى متن البيت الى « المذعف » بالذال ، وكلاهما صحيح وان كانت رواية السكرى بالزاى

(٤) جعلها الشنقيطى : « بمذعف » .

(٥) كذا فى النسختين ، ولم أجده

جال عليهن : أقبلَ واعتمد عليهن فى نفْره حتى نفر . ليفتَنّهنّ : أى ليشْتَق بهن[١] ، أى ليزول بهن عن الرامى[٢] .

(فلمّا رآهنّ بالجلْهَتَين يَكبُون فى مُطْحَرَاتِ الإلاَلِ)

الجَلْهة : ما استقبلت من الوادى . يكبُون فى مُطحَرات ، يعنى سهاما . والمطحَر : الملزق . والإلال بالكسر : جمع ألّة ، بالفتح والتشديد ، وهى الحرْبة .

(رمىٰ بالجراميز عرْض الوَجين وأرمَدَّ فى الجرى بعدَ انفتالِ[٣])

رمى : أى الحمار ، يقال : رمى بالجراميز أى بنفسه . والوَجين : ما اعترض لك من غلظ . وأرمدّ : أسرع فى العدْو بعد أن كان انفتل انفتالةً فجال .

ثمّ وصَفَ الحمارَ بشدّة عدْوه حينما نفر من الصيّاد ورأىٰ اتُنَه مصرعَة .. إلى أن قال :

(أُشبّه راحلتى ما ترىٰ جَواداً ، ليُسمَع فيها مقالى
وأنْجُو بها عن ديار الهوا نِ غيرَ انتحالِ الذليل للمُوالى)

بها : أى براحلتى . والمُوالى : الذى يقول أنا مولاك . يقول : ليس كما ينتحلُ الذليلُ للموالى . أى لا أقول ذلك ولا أفعله أى انتحالا .

(وأطّلبُ الحبَّ بعدَ السُلُوِّ حتّى يقالَ : امرؤٌ غيرُ سالِ)

---

(١) فى النسختين : « ليشنق بهن » ، صوابه فى شرح السكرى واللسان « فتن » وفيه : « افتن الحمار بأتنه واشتق بها : اذا أخذ فى طردها وسوقها يمينا وشمالا ، وعلى استقامة وعلى غير استقامة ، فهو يفتن فى طردها أفانين الطرد » .

(٢) ط : « عن الرى » ، صوابه فى ش والسكرى .

(٣) ط : « بالحراميز » و « أرمد » ، صوابه فى ش والسكرى

اشتهى أن يعاود الحبَّ والهوى ، بعد ما رأى الناسُ أنه قد أقلع

(أسلِّي الهمومَ بأمثالها وأطوى البلادَ وأقضى الكَوالى)

أي وأقضى ما تأخر عليَّ من الحقوق . يقالَ دَيْن كالىءٌ : إذا تأخر . أى أقضى الدَّين بوِفادةٍ على هذه الراحلة ، إلى ملك ؛ أو أضرب فى الأرض لمكسب

(وأجعلُ فُقْرتَها عُدَّةً إذا خِفتُ بَيُّوتَ أمرٍ عُضالِ)

وهذا آخر القصيدة(١) يقال : بعير ذو فُقْرة : إذا كان قويًّا على الركوب . وبَيُّوت : هو أمرٌ جاء بَياتاً . وعُضال : شديد . يقول : أجعلُها عُدَّة ، إذا نزل بى أمرٌ معضل هربت عليها .

و (أميّة) هذا ، هو أمية بن أبى عائذ . (بالذال المعجمة) العَمْرى . أحد بنى عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل(٢) . . شاعر إسلامىّ مخضرم ، على ما فى الإصابة عن المرزبانىّ . أمية ابن أبى عائذ

وفى الأغانى : أنه من شعراء الدولة الأموية وأحدُ مدَّاحهم . له فى عبد الملك ابن مروان وعبد العزيز قصائد(٣). وقد وفد إلى عبد العزيز بن مرْوانَ بمصر ، وأنشد قصيدته التى أولها(٤) : ٤٢٢

(١) آخرها فى رواية الأصمعى فقط . والا فان بعدها بيتين آخرين ، من رواية الجمحى كما فى شرح السكرى ٥١٤

(٢) فى النسختين : « تيم بن سعد بن هذيل » ، صوابه من الأغانى ٢٠ : ١١٥ وجمهرة ابن حزم ١٩٧ والمعارف ٣٠ قال ابن قتيبة : « والعدد فى سعد بن هذيل ، تميم بن سعد ، وحريث بن سعد ، ومنعة بن سعد ، وخزاعة بن سعد ، وجهامة بن سعد ، وغنم بن سعد » .

(٣) فى الأغانى : « قصائد مشهورة » .

(٤) الأبيات فى الأغانى ٢٠ : ١١٥ ـ ١١٦ أحد عشر بيتا . والثالث هنا ليس فيها ، وانما هو فى شرح السكرى لأشعار الهذليين حيث أخذ المصنف الأبيات .

ألاَ إنَّ قلبي مع الظاعنينا حَزين ، فمن ذا يُعزِّى الحزينا
وسار بمدحةِ عبدِ العزيـ ـزِ ركبانُ مكّةَ والمنجدُونا
وقد ذهَبوا كلَّ أوبٍ بها فكلُّ أناس بِها مُعجَبونا
محبَّرة ، من صحيح الكلا مِ ، ليستْ كما لفَّق المحدثونا

وطال مُقامه بمصر عنده ، وكان يأنس به ، ووصله بصلات سَنيّة ، فتشوّق إلى البادية وإلى أهله ، فأذِنَ له ووَصَله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائة [1] :

١٥٤ (لحا اللهُ جرْماً كُلَّما ذرَّ شارِقٌ
وُجوهَ كِلاب هارَشَتْ فازْبأرَّتِ)

على أن قوله : (وجوهَ كلاب) منصوبٌ على الذمّ .

وهذا البيت من أبيات لعمرو بن مَعْدِ يكرِبَ . وهى :

(ولمّا رأيتُ الخيلَ زُوراً ، كأنَّها جَداولُ زرْعٍ أُرسِلَتْ فاسبَطَرَّتِ
فجاشتْ إليَّ النفسُ أوّلَ مرةٍ فرُدَّتْ على مكروهها فاستقرَّت
عَلامَ تقولُ الرمحَ يثقِلُ عاتقى إذا أنا لم أَطعُنْ إذا الخيلُ كَرَّتِ
لحا اللهُ جَرْماً كلّما ذرّ شارقٌ وجوهَ كلاب هارشت فازبأرّت
فلم تغْنِ جرْمٌ نَهْدَها أنْ تلاقيا[2] ولكنَّ جرْماً فى اللِّقاء ابذَعَرَّت

---

(١) الحماسة بشرح المرزوقى ١٦٠ والحيوان ١ : ٣١٨ والسمط ٣٦٦

(٢) وكذا فى الحماسة ١٦١ برواية : « اذ تلاقيا » . وروى : « أن تلاقتا » .

ظلِلْتُ كأنّى للرماحِ دَرِيّةٌ (١) أقاتِلُ عن أبناء جَرْمٍ ، وفَرّتِ
فلو أنّ قومى انطقتْنى رماحُهُمْ نطَقْتُ ، ولكنّ الرماحَ أجَرّتِ)

هذا المقدار أورده أبو تمّام فى الحماسة . وفى ديوانه أكثر من هذا .

وقصة هذه الأبيات[٢] : هو ما حكاه المفضّل الطبرسىّ فى شرح الحماسة : أنّ جَرْما ونهداً ، وهما قبيلتان من قضاعة ، كانتا من بنى الحارث بن كعب ؛ فقتلت جَرْمٌ رجلاً من أشراف بنى الحارث ؛ فارتحلتْ عنهم وتحوّلت فى بنى زُبَيد . فخرجت بنو الحارث يطلُبون بدم أخيهم ، فالتقوا ؛ فعبّأ عمرٌو جرماً لنهد ، وتعبّأ هو وقومه لبنى الحارث . ففرّت جرْم ، واعتلّت بأنها كرهت دماء نهد ؛ فهزمت يومئذ بنو زُبيد . فقال عمرٌو هذه الأبياتَ يلومُها . ثم غزاهم بَعدُ ، فانتصفَ منهم .

فقوله : زُوراً ، هو جمع أزْوَر ، وهو المعوجّ الزَّوْر ، بالفتح ، أى الصّدر . يقول : لما رأيتُ الفُرسانَ منحرفين للطعن ، وقد خلّوا أعنّةَ دوابّهم وأرسلوها علينا ، كأنّها أنهارُ زَرْعٍ أُرسِلَتْ مياهُها فاسبطرّت ، أى امتدّت . والتشبيه وقَع على جرى الماء فى الأنهار ، لا على الأنهار ؛ فكأنّه شبّه امتداد الخيل فى انحرافها عند الطعن ، بامتداد الماء فى الأنهار وهو يطّرد ملتوياً ومضطربا . وهذا تشبيه بديع .

وقوله : فجاشت .. الخ ، جاشت : ارتفعت من فزع . وهذا ليس لكونه جبانًا ، بل هذا بيان حالِ النفس . ونفسُ الجبان والشجاعِ سواء فيما يدهَمهما عند الوهْلة الأولىٰ ، ثم يختلفان : فالجبان يركب نَفْرته ، والشُّجاع يدفعها

(١) ط : « دريئة » ، وهى مع صحتها لاتلائم تفسير البغدادى التالى . وفى شرح المرزوقى : « ذكر أبو زيد أنها تسمى دريئة الصيد بالهمز » .
(٢) القصة بتفصيل واضح فى معجم البكرى ٤١ ــ ٤٢

٤٢٣ فينبُت . قال أبو عبيدة : قال عبد الملك بن مرْوان : وجدت فُرْسانَ العرب ستّة نفر : ثلاثة منهم جزعوا من الموت عند اللقاء ، ثم صبَروا ، وثلاثة لم يجزعوا : قال عمرو :

فجاشت إلىّ النفس أول مرة . . . . البيت

وقال ابن الإطْنابة :

وقولى كلَّما جشأتْ وجاشت : مكانَكِ ، تُحمَدى أو تَستَريحى

وقال عنترة :

إذْ يتَّقون بى الأسِنَّةَ لم أخِمْ عنها ، ولكنِّى تضايقَ مُقْدَمى[(١)]

فأخبر هؤلاء الثلاثةُ أنّهم هابوا ثم أقدموا[(٢)] . وقال عامر بن الطفيل :

أقول لنفسٍ ما أريدُ بقاءها أَقِلِّى المِراح أنّني غيرُ مدبرِ[(٣)]

وقال قيس بن الخطيم :

وإنّىَ فى الحربِ الضَروسِ مُوَكَّلٌ بإقدام نفسٍ ما أريدُ بقاءها[(٤)]

وقال العبّاس بن مرْداس :

أشُدُّ على الكتيبةِ لا أُبالى أحتفى كان فيها أم سِواها

فأخبَر هؤلاء أنّهم لم يجزعوا .

---

(١) فى النسختين : « ان يتقون » ، وحورها الشنقيطى الى الصواب : « اذ يتقون »

(٢) ط : « قدّموا » ، وهى صحيحة ، اذ تاتى قدم بمعنى تقدم ، ومنه قول لبيد :

قدموا اذ قيل قيس قدموا وارفعوا المجد بأطراف الأسل

(٣) ط : « أقلى المراحم » ، صوابه فى ش مع اثر تصحيح والمفضليات ٣٦٢ وديوان طفيل ١٢٠ . ويروى « المراء » كما فى حماسة ابن الشجرى ٧ . « والشكوك » كما فى السمط ٣٤٤

(٤) ديوان قيس ١٠ . وشرح شواهد المغنى ١٨٦

الفاء زائدة ، وجاشت : جواب لمّا عند الكوفيين والأخفش . وعند البصريين للعطف ، والجواب محذوف يقدّر بعد قوله : فاستقرّت ، أى طاعنت أو أبليت . والقرينة عليه قوله : علام تقول الرمح .. البيت ، كذا قال شراح الحماسة وهذا تعسّف نشأ من أبى تمام ، فإنه حذف بيت الجواب اختصاراً كعادته . لكنْ كان على الشارح مراجعة الأصل . والجواب هو البيت الثالث المحذوف ، وهو :

(هتفتُ فجاءتْ من زُبَيدَ عصابةٌ   إذا طردت فاءتْ قريباً فكرَّتِ)

و « فاءت بمعنى رجعت » . وأوّل مرّة : ظرف . وقوله : علام تقول الرمح .. الخ ، أورده ابن هشام فى المغنى ، على أن (على) فيه تعليليّة . وأورده فى شرح الألفيّة أيضاً شاهداً على إعمال (تقول) عمل ظنّ . وما استفهامية ، ولهذا حذف ألفها . وأثقله الشيء : أجهده . والعاتق : ما بين المنكب والعنق وهو موضع الرداء .

قال ابن جنّي (فى إعراب الحماسة) : يروى الرمح بالنصب والرفع : فأما الرفع فعلى ظاهر الأمر ، وأما النصب فعلى استعمال القول بمعنى الظنّ ، وذلك مع استفهام المخاطب ، كقوله :

* أجُهّالا تقولُ بنى لؤىٍّ[1] *

وعلى قوله :

* فمتى تقولُ الدّارَ تجمعُنا[2] *

---

(١) تمامه كما فى مخطوطة اعراب الحماسة ٤٤ ادب بدار الكتب :
لعمر ابيك ام متجاهلينا
وسيأتى فى ٤ : ٢٣ بولاق . وانظر العينى ٢ : ٤٢٩
(٢) صدره كما فى العينى ٢ : ٤٣٤ وديوان عمر ٣٩٤ :
أما الرحيل فدون بعد غد

وروى لنا أبو عليٍّ بيت الحطيئة :

إذا قلتُ أنى آيبٌ أهلَ بلدةٍ حطَطتُ بها عنهُ الوَلِيَّة بالهَجْر

بفتح الهمزة من أنّى قال : ومعناها إذا قدّرتُ وظننتُ أنّى آيب .

فإن قيل : فليس هنا استفهام ، فكيف جاز استعمال القول استعمال الظن ؟ قيل : لم يجز هذا للاستفهام وحدَه ، بل لأنّ الموضع من مواضع الظنّ . ولو كان للاستفهام مجرَّد من تقاضى الموضع له وتلقّيه إياه فيه ، لجاز أيضا أأقول زيدا منطلقا ، وأيقول زيد عمراً جالساً[1] . ولما لم يجز ذلك — لأنه لا يكاد يستفهم عن ظنٍّ غيره — علمتَ به أن جوازَه إنما هو لأنّ الموضعَ مقتضٍ له . ٤٢٤ وإذا كان الأمر كذلك ، جاز أيضا : « إذا قلتُ أنِّى آيبٌ » بفتح همزة أنّى ، من حيث كان الموضع متقاضياً للظنّ . وهذه رواية غريبة لطيفة . ولو كسرتَ هنا همزةَ إنَّ ، لـكان كالرفع فى قولك : أتقول زيدٌ منطلق ، إذا حكيت ولم تُعمِل .

وأما (إذا) و (إذا) فى البيت ، ففيهما نظر : وذلك أنَّ كل واحدةٍ منهما محتاجة إلى ناصب هو جوابها ، وكل واحدةٍ منهما جوابها محذوف يدل عليه ما قبلها . وشرح ذلك أن تقول : إنَّ إذا الأولىٰ جوابها محذوف ، حتّى كأنه قال : إذا أنا لم أطعُنْ وجب طرحى الرمحَ عن عاتقى . فدلَّ قوله : « علامَ تقولُ الرمحَ يثقِلُ عاتقى » على ما أراده من وجوب طرح الرمح إذا لم يطعن به ، كقولك : أنت ظالم إن فعلت ، أى إن فعلتَ ظلمت ودلّك « أنت ظالم » على ظلمت . وهذا بابٌ واضح . . وإذا الأولىٰ وما ناب عن

---

(١) ط : « لجاز أيضا أقول زيدا منطلقا ويقــول » دون همزة الاستفهام وفى ش مثله لكن بزيادة همزة الاستفهام « وأيقول » واعتمدت فى تصحيح العبارة واكمالها على مخطوطة ابن جنى ليتسق الكلام ويصلح.

جوابها فى موضع جواب إذا الثانية ، أى نائبٌ عنه ودالّ عليه وتلخيصه : أنه كأنَّه قال : إذا الخيل كرّت وجب إلقائى الرمحَ مع تركى الطعن به . ومثله من التركيب : أزورك إذا أكرمتنى ، إذا لم يمنعنى من ذلك مانع[1] ! فاعرفْ صحّة الغرض فى هذا الموضع ، فإنّه طريقٌ ضيّق ، وكلُّ مُجتازٍ[2] فيه قليل التأمُّل لمحصول حديثه ، فإنما يأنس بظاهر اللفظ ، ولا يوليه طرفاً من البحث . انتهى باختصار .

والتّبريزىّ جعلَ إذا الأوّلى ظرفا لقوله : يُثْقِل ، وإذا الثانية ظرفا لقوله : لم أطعُن ، بضم العين ، لأنه يقال طعنه بالرمح من باب قتل .

وقوله : (لحا الله جَرْما . . الخ) أصل اللحْو نزع قشر العُود . يدعو عليهم بالهلاك : أى قشرهم الله غداةُ كلِّ يوم . والذُّرور فى الشمس ، بالذال المعجمة : أصله الانتشار والتفريق ، ويقال ذرّت الشمس : طلعت . و (شارق) : الشمس . و (كلّما) : منصوب على الظرف . ووجوه : منصوب على الذمّ والشتم ، ويجوز أن يكون بدلاً من جَرْما . و (هارشتْ) ، فى الصحاح : « الهراش : المهارَشة بالكلاب ، وهو تحريشُ بعضها على بعض » . وقوله : (فازبأرّت) أى انتفشت حتى ظهر أصولُ شعرها ، وتجمّعت للوثب . وهذه الحالة أشنع حالات الكلاب . وهذا تحقيرٌ[3] للمشبَّه ، وتصويرٌ لقباحة منظره . شبّه وجوهَهم بوجوه الكلاب فى هذه الحالة .

---

(١) فى النسختين : « اذا أكرمتنى ، أى اذا لم يمنعنى » . وكلمة « أى » تحيل المقصود وتفسده ، واعتمدت فى حذفها على مخطوطة اعراب الحماسة لابن جنى

(٢) فى النسختين : « وكل محتار » . صوابه من ابن جنى

(٣) فى النسختين : « تحقيق » .

وقوله : فلم تُغْنِ جَرْمٌ . . الخ أى لم تقاومْ جَرْم نَهداً بل فرّت منها . وقال الطبرسىّ : لم تغن أى لم تـكفّ جرمٌ نهداً ، ولـكنها فرّت ، قال الشاعر :

* وأغْنِ نفسَكَ عنّا أيُّها الرجُلُ *

وابذعرّت : تفرّقت : وقال الإمام المرزوقى(١) : والمعنى : لم تنصر جرم نهداً وقت الالتقاء ؛ ولـكنّ جرماً انهزمتْ وهامت على وجهها فمضت ، واصطلت نهدٌ بنار الحرب ، ومسّت حاجتها إلى من ينصرها ويذبُّ عنها الأعداء . وأضاف نهدها إلى ضمير جرم ، لأن اعتمادهم كان عليها ، واعتقادَهم الا كتفاء بها ا هـ .

وهذا غفلة عن سبب الأبيات . وإضافة نهد إلى ضمير جَرْم للملابسة ، فإن جرماً أعدّت لمقاتلة نهد ، كما أن زبيداً أعِدَّت لمقاتلة بنى الحارث .

وقوله : ظلِلت كأنّى . . الخ أى بقيتُ نهارى منتصباً فى وجوه الأعداء ، والطَّعنُ يأتى من جوانبي ، أذبُّ عن جَرْم وقد هربتْ . فالدرِيَّة هى الحلْقة التى يُتعلَّم عليها الطعن ؛ وأما الدرأة بالهمز ، فهى الدابّة التى يستتر بها من الصيد ؛ يقال : درأتُها نحوَ الصيد وإلى الصيد وللصيد : إذا سُقْتَها ، من الدرْء وهو الدفع . وجملة كأنّى خبر ظللت . وجملة أقاتل حال ؛ ويجوز العكس . قال يوسف بن السِيرافى (فى شرح شواهد إصلاح المنطق) : يقول : صرت ٤٢٥
لـكثرة الطعن فىَّ ، ودخولِ الرماح فى جسدى ؛ كالحلْقة التى يُتعَلَّم عليها الطعن . وحكايته : أن جرماً كانت مع زُبيد ، ونَهداً مع بنى الحارث بن كعب ؛ فالتقوا ، فانهزمت جرم وبنو زُبيد وكاد عمرٌو يؤخذ ، وقاتلَ يومئذ قتالا شديداً .

---

(١) شرح الحماسة ١٦١ . وفى الاقتباس من نص المرزوقى تقديم وتاخير .

وقوله : فلو أنّ قومى ، يقول : لو صبروا وطعنوا برماحهم أعداءهم ، لأمكننى مدحُهم ، ولكنّ فِرارَهم صيّرنى كالمشقوق اللسان ؛ لأنّى إن مدحتهم بما لم يفعلوا كذبت ورُدَّ علىّ يقال أجررت لسانَ الفصيل : إذا شققتَ لسانه لئلا يرضعَ أُمّه .

قال أبو القاسم الزجّاجىّ (فى أماليه الوسطى) أخبرنا ابن شقير قال : حضَرتُ المبّرد وقد سأله رجلٌ عن معنى قول الشاعر :

فلو أنّ قومى أنطقَتْنى رماحُهم . . البيت

فقال : هذا كقول الآخر :

وقافيةٍ قِيلَتْ فلم أستطِعْ لها دِفاعاً إذا لم تضربوا بالمناصلِ
فأدفعَ عن حقٍّ بحقٍّ ، ولم يكن لِيَدفع عنكُمْ قالةَ الحقِّ باطلى

قال أبو القاسم : معنى هذا : أنَّ الفصيل إذا لهِج بالرضاع جعلوا فى أنفه خِلالة محدّدة ، فإذا جاء يرضع أُمّه نخستها تلك الخِلالة ، فمنعته من الرضاع ؛ فإن كفّ . . وإلا أَجرُّوه . والإجرار : أن يشقّ لسانُ الفصيل أو يُقطع طرفه ، فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة . فقال قائلُ البيتِ الأوّل : إنّ قومى لم يقاتلوا ، فأنا مُجَرٌّ عن مدحهم ، لأنِّى ممنوع ؛ كأنّ رماحهم حِين قصّروا عن القتال بها أَجرّتنى عن مدحهم ، كما يُجَرّ الفصِيلُ . عن الرضاع . ففسّره أبو العباس بالبيتين اللذين مضيا . وللإجرار موضع آخر ، وهو أن يطعن الفارس الفارسَ فيمكن الرمح فيه ، ثم يتركه منهزماً يجرُّ الرمحَ ، فذلك قاتل لا محالة . ومنه قول الشاعر(١) .

---

(١) هو عنترة . ديوانه ١٥٩ وتصحيف العسكرى ٣٣ ، ٩٦

وآخَرَ منهمُ أجررتُ رُمحى وفى البَجْلىِّ مِعبَلةٌ وقيعُ[(١)]

وقول الآخر[(٢)].

ونَقِى بأفضل مالِنا أحسابَنا ونُجِرُّ فى الهيجا الرماحَ وندعى اه

قوله . وندّعى أى ننتسب فى الحرب كما ينتسب الشجاع فى الحرب فيقول: أنا فلانُ ابن فلان .

عمرو بن معديكرب

و (عمرو) هو الصحابىّ ابن مَعْدِيكَرِب بن عبد الله بن عمرو ابن عُصْم بن عمرو بن زُبيد الأصغر — وهو منبه — بن ربيعة بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن منبّه بن زُبيد الأكبر بن الحارث بن صَعْب بن سعد العشيرة بن مَذحِج بن أُدَد بن زيد بن كَهْلان بن سبأ[(٣)] .

ومعدى اشتقاقه مثل اشتقاق مَعْدان ، ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من العُدْوان ، فقلبت الواو ياء لما بنى على مَفْعِل أو يكونَ بنى على مفعول ، فقلبت الواو ياء ، ثم خففت الياء لطول الاسم ، لأنه جعل مع كَرِب كالاسم الواحد .

و (كرب) يجوز أن يكون من الكَرْب الذى هو أشدّ الغمّ ، أو من كرب فى معنى قارَب ، أو من أكربْتُ الدلو : إذا شددتَها بالكَرَب ، وهو الحبْل الذى يُشَدّ على العَراقى ، قال ابن جنى : فسّره ثعلب: أنه عدَاه الكَرْبُ ، أى تجاوزه وانصرف عنه .

---

(١) البجلى ، بسكون الجيم لافتحها ، نسبة الى بجلة ، من بنى سليم . وأخطأ الأصمعى فرواه بفتح الجيم منسوبا الى بجيلة . وانظر اللسان (بجل ، عبل ، وقع) والاشتقاق ٥١٦

(٢) هو الحادرة الذبيانى . المفضليات ٤٥ . قال الميمنى : « وقد وقفت على نسخة ديوانه ملوكية بخط ياقوت الخطاط ، وقابلت طبعة ليدن عليها ، وأخذت فى تصحيحها لغرض الطبع ، الا أن حادثة عظيمة أصبت بها حالت دون ذلك » .

(٣) الميمنى : « فى نسب عمرو بن معديكرب خلاف وارتباك . راجع السمعانى ٢٧١ والأغانى ١٤ : ٢٤ والاصابة ٥٩٧٠ والاستيعاب» .

و (عُصْم) بضم العين وسكون الصاد المهملتين . و (زُبيد) مصغر زُبدة
أو زَبْد ، والزَّبْد . العطاء ، يقال : زبده زَبْداً : إذا أعطاه . وقال شارح ٤٢٦
ديوانه : وسمى زُبيداً ، لأنه قال : من يَزْبُدُنى نصره ، أى يرفِدُنى . والزَّبْد
فى كلام العرب : الرِفْد والمعونة . ا ﻫ وكذا رأيتِ فى جمهرة الانساب . إنما سُمّى
زُبيداً ، لأنه قال : من يَزْبُدُنى نصره ، لما كثر عومته وبنو عمّة فأجابوه
كلّهم . فسُمُّوا كلُّهم زبيداً مابين زبيد الأصغر إلى منبّة بن صعب ، وهو زبيد
الأكبر . وأخوه زبيد الأصغر كلهم يدعى زبيداً ا ﻫ :

وكنية عمرو أبو ثور . وهو الفارس المشهور ، صاحبُ الغارات والوقائع فى الجاهلية والإسلام . قال فى الاستيعاب : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فى سنة تسع. وقال الواقدىّ : فى سنة عشر ، فى وفد زُبيد فأسلم ا ﻫ .وأقام مُدّة فى المدينة ، ثم رجع إلى قومه وأقام فيهم سامعاً[1] مطيعاً ، وعليهم فَرْوة بن مُسَيك ، فلما تُوفِّىَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ارتدَّ .

قال النوَوىّ (فى تهذيب الأسماء واللغات) : ارتدّ مع الأسود العنسىّ ، فسار إليه خالد بن سعيد فقاتله ، فضربه خالد على عاتقه فانهزم ، وأخذ خالدٌ سيفَه . فلما رأى عمرٌو الأمداد من أبى بكر ، رضى الله عنه ، أسلَم ، ودخل على المهاجر بنأبى أميّة بغير أمان ، فأوثقه وبَعث به إلى أبى بكر ، فقال له أبو بكر: أما تستحى كل يوم مهزوماً أو مأسوراً ؟ لوعزّزتَ هذا الدين لرفعك الله ؟ قال: لا جرم ، لأقبلنّ[2] ولا أعود . فأطْلَقَه وعاد إلى قومه . ثم عاد إلى المدينة ، فبعثه أبو بكر رضى الله عنه إلى الشام ، فشهد اليرمُوك . ا ﻫ .

وله فى يوم اليرْموك بلاء حسن ، وقد ذهبت فيه إحدى عينيه . ثم بعثه

(١) فى الاصابة : « مسلما »
(٢) ش : « لأقتلن » وفى التهذيب للنووى : « لأقبلن » .

عمر رضى الله عنه إلى العراق ؛ وله فى القادسية أيضاً بلاء حسن ، وهو الذى ضرب خَطم الفيل بالسيف ، فانهزمت الأعاجم ، وكان سببَ الفتح . ومات فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة .

وفى كيفية موته خلاف . قيل : مات عطشاً يوم القادسيّة ، وقيل : قُتِل فيه ، وقيل : بل مات فى وقعة نَهاوَند بعد الفتح ، وقيل : غير ذلك . وعمره يومئذ مائة وعشرون ، وقيل : مائة وخمسون . ولم يذكره السِجستانىّ فى المعمَّرين .

روى أنّ رجلا رآه وهو على فرسه ، فقال : لأَنظرُ ما بقى من قوة أبى ثور . فأدخل يده بين ساقِه وجنْبِ الفرس ، ففطن لها عمرو ، فضمّ رجلَه وحرَّكَ الفرس فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس ولا يقدِر أن ينزِع يدَه ، حتى إذا بلغَ منه صاح به ، فقال له . يا ابن أخى : مالكَ ؟ قال : يدى تحت ساقك ؟ فخلّى عنه . وقال له : إنّ فى عمِّك بقيّة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائة وهو من شواهد سيبويه[1] .

١٥٥ (أقارِعُ عَوْفٍ ، لاأُحاوِلُ غيرَها وجوهَ قُرُودٍ تَبتغى مَنْ تجادِعُ)

لِما تقدَّم فى البيت قبله ، أعنى أن نصب (وجوهَ) على الشتم .

قال النّحاس : ويجوز رفعه على إضمار مبتدأ ، أو على أن تجعله بدلاً من أقارِع عوف: تبدل النكرةَ من المعرفة ، مثل: (لنَسْفَعًا بالناصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كاذِبَةٍ[2])

ونقل ابن السِّيد البَطَلْيوسىّ عن يونس بن حَبيب ؛ فى أبيات المعانى ؛ أنه

(١) سيبويه ١ : ٢٥٢ وابن الشجرى ١ : ٣٤٤ وديوان النابغة ٥٣
(٢) الآية ١٥ ، ١٦ من سورة العلق

قال : لو شئتَ رفعتَ ما نصبته على الابتداء وتُضمِر فى نفسك شيئاً لو أظهرته لم يكن ما بعدَه إلا رفعًا ؛ كأنك قلت : لهم وجوهُ قرودٍ ا ه

صاحب الشاهد وهذا البيتُ للنابغة الذبيانى ، من قصيدةٍ يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ، ممّا وشَتْ به بنو قُريع . وقبلَه :

٤٢٧ (لَعَمْرى ، وما عَمْرى عَلَىَّ بهيِّن   لقد نطقَتْ بُطْلاً علىَّ الأقارعُ)

واستشهد به ابن هشام فى المغنى[1] على أنّ جملةَ « وما عَمْرى عَلَى بهين » معترضةٌ بين القَسم وجوابه . . العَمْر بفتح العين ، هو العُمْر بضمها ، لكن خُصَّ استعمالُ المفتوح فى القَسم . أى ما قَسمى بعَمْرى هيِّنٌ علىَّ ، حتّي يَتّهِمَ متّهِمٌ بأنّى أحلفُ به كاذباً . والبُطل ، بالضم ، هو الباطل ؛ ونصب على المصدر ، أى نطقت نطقاً باطلاً .

وقوله : (أقارعُ عوف) بدلٌ من الأقارِع . و (لا أُحاول) لا أُريد . والمجادعة ، بالجيم والدال المهملة ، هو أن يقول كلٌّ من شخصين : جَدعاً لك ! أى قطَع اللهُ أنفَك . وهى كلمة سبٍّ ، من الجدْع وهو قطع الأذن والأنف . يقول : هم سفهاء يطلبون مَن يشاتمهم . و (الأقارع) هم بنو قُرَيع بن عوف ابن كعب بن زيد مناة بن تميم ، الذين كانوا سعَوا به إلى النعمان حتى تغيَّر له . وسمّاهم أقارعَ ، لأنَّ قُريعا أباهم سُمِّى بهذا الاسم . وهو تصغير أقرع ، ولهذا جمعه على الأصل . والعرب إذا نسبتِ الأبناء إلى الآباء فربّمـا سمّتْهم باسم الأب ، كما قالوا : المَهالبة والمَسامعة فى بنى المهلب وبنى مِسْمَع[2] . وزعم

(١) انظر شرح شواهد المغنى ٢٧٦ وسيبويه ١ : ٢٥٢

(٢) المهالبة : بنو المهلب بن أبى صفرة . وذكر ابن حزم أن له ثلثمائة ولد . الجمهرة ٣٦٧ ــ ٣٧٠ . وأما المسامعة فهم بنو مسمع بن شيبان بن شهاب . الاشتقاق ٣٥٥ ــ ٣٥٦

الدمامينيّ (فى الحاشية الهندية) أنّ الأقارع جمع أقرع . ثم نقل من الصحاح أنّ الأقرَعين : الأقرعُ بن حابس وأخوه مرْثد . وهذا ، كما ترىٰ ، لا مناسبةَ له هنا .

والسبب فى غضب النعمان على النـابغة ، هو ما حكاه شارح ديوانه وغيرُه ، عن أبى عمرو وابنِ الأعرابى ، أنهما قالا : كان النابغةُ ممن يجالس النعمانَ ويسمرَ عنده ورجلٌ آخر من بنى يشكُر يقال له : المنخَّل ، وكان جميلاً يتَّهم بالمتجرِّدة امرأةِ النعمان . وكان النعمان قصيراً دميما ، قبيحَ الوجه أبرش . وكانت المتجرِّدة ولدت للنعمان غلامين . وكان الناس يزعمون أنهما ابنا المنخَّل . وكان النابغة رجلاً حليماً عفيفاً ، وله منزلة يُحسَد عليها . فقال له النعمان يوماً — وعنده المتجردة والمنخل[1] — صِفْها يا نابغة ، فى شعرك . فقال قصيدتَه الداليَّة التى أولُهــا :

* أمن آل ميَّةَ رائحٌ أو مغتَدى *

— وستأتى إن شاء الله تعالى فى هذا الـكتاب — فوصف النابغة فيها بطنَها ورَوَادفَها وفرْجها و لذّة مُجامعتها . فلما سمع المنخَّل هذه القصيدة لحِقته غَيرة . فقال للنعمان : ما يستطيع أنْ يقول هذا الشعرَ إلاّ مَن قد جرَّب ! فوقَرَ ذلك فى نفس النعمان. ثم أتىٰ النعمانَ بعد ذلك رهطٌ من بنى سعد بن زيد مَناة بن تميم ، وهم بنو قُرَيع ، فبلّغوه أن النابغةَ يصف المتجرِّدة ويذكر فيها ، وأن ذلك قد شاع بين الناس . فتغيّر النعمان عليه . وكان للنعمان بوّابٌ يقال له عِصام بن شَهْبَر الجَرمىّ . فأتىٰ النابغةُ ، فقال له عِصام : إنّ النعمان واقعٌ بك فانطلِقْ . فهرَب النابغة إلى غسّانَ ملوكِ الشام ، وهم آل جَفْنة ، ومكث

(١) فى ش : « والنابغة » ، والأوفق ما فى ط

عندهم ، ومدحهم بقصائد (كما تقـدّم فى الشـاهد الخامس والثلاثين بعد المـائة[1]) .

وكان سببَ وقوع بنى قريع فى النابغة عند النعمان : هو ما حكاه أبو عبيدٍ والأصمعىّ قالا : كان لمرّة بن رَبيعة بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم ، سيفٌ جيِّد . فحسده النابغة فدلّ على السيفِ النعمانَ بنَ المنذر ؛ فأخذه من مُرّة ، فحقَدمرّةُ ، على النابغة وأرصد له بِشرّ ، حتّي تمكن منه ، فوقع فيه عند النعمان ؛ فبعد أن هرب النابغةُ ومكث عند آل جفنة أرسل إلى ٤٢٨
النعمان قصائدَ يعتذرُ إليه بها ، ويحلف له : أنه ما فرَط منه ذنْب . واشتدّ ذلك على النعمان ، وعرفَ أنّ الذى بلغَه كذِب . فبعث النعمان إلى النابغة : « انّك لم تعتذر من سَخْطةٍ إن كانت بلغتك ، ولـكنّا تغيَّرنا لك من شىء مما كنّا لك عليه ؛ ولقد كان فى قومك ممَنع وتحصين ، فتركتَه ؛ ثم انطلقت إلى قوم قتلوا جَدِّى ؛ وبينى وبينهم ما قد علمت » . وكان النعمان وأبوه وجدُّه قد أكرموا النابغةَ وشرّفوه وأعطُوه مالاً عظيماً ، حتى كان لا يأكل ولا يشرب إلا فى أوانى الذهب والفضة . ثم بلغ النابغةَ أنّ النعمان ثقيل ، من مرض أصابه حتّي أشفِق عليه منه ، فأتاه النابغةُ ، فرضىَ عنه النعمان ، ووهب له مائةَ بعير من عصافيره وهى إبل كانت للنعمان تسمّى بها .

والنابغة قد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد المائة[2] .

والنعمان هذا ، آخر ملوك الحِيرة . ثم ولى بعده إياس بن قَبيصة الطائىّ ثمانية

(١) صوابه « السابع والثلاثين بعد المائة » . انظر ص ٣٢١ من هذا الجزء ، وأما الخامس والثلاثون فليس فيه ذكر للنابغة

(٢) الصواب أنه الشاهد ١٠٤ انظر ص ١٣٥ من هذا الجزء

أشهر ، واضطرب مُلك فارس ، وضعفوا — وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم — وأتى الله عز وجل بالإسلام فغزا أهلَه النبي ﷺ[١] .

وأول مَن ملك الحيرة مالك بن فَهْم بن عمرو بن دَوس بن الأزْد . ملك العربَ بالعراق عشرين سنة . والحيرة هى أرض فى العراق ، بلدة قريبة من الكوفة . قال الهمْدانىّ فى جزيرة العرب[٢] : سار تُبَّع أبو كرب فى غزوته الثانية . فلما أتى موضعَ الحِيرة خلّف هناك مالكَ بن فهم بن غَنْم بن دَوْس ، على أثقاله . وتخلّف معه من ثقل من أصحابه ، فى نحو اثنى عشر ألفاً . وقال : تحيَّروا هذا الموضعَ[٣] فسُمِّى الموضعُ الحيرة (وهو من قولهم : تحيّر الماء . إذا اجتمع وزاد[٤] ؛ وتحيّر المكان بالماء : إذا امتلأ[٥]) فمالكٌ أول ملوك الحيرة وأبوهم . وكانوا يملكون ما بين الحِيرة والأنبار وهِيتَ ونواحيها ، وعينَ التمر وأطرافَ البَرارى : الغُمَير والقُطْقُطانة وَخِفْيَّةَ[٦] . وكان مكان الحِيرة [من[٧]] أطيبِ البلاد ، وأرقّه هواء ، وأخفّه ماء ، وأعْذاه تُربة[٨] ، وأصفاه جوًّا ، قد تعالىٰ عن عَمْق الأرياف ، واتّضع عن حُزونة

(١) الذى فى العمدة ٢ : ١٧٩ : « بالنبى »

(٢) الحق أن النقل التالى انما هو للهمدانى فى كتاب آخر غير صفة جزيرة العرب . والنص فى معجم البكرى ٤٧٩ مسبوقا بجملة « قال الهمدانى » ، دون تقييد بكتاب خاص . فلعل البغدادى توهم أنه من صفة جزيرة العرب حين وجد هذا النص فيه

(٣) وكذا فى معجم ما استعجم ، مع أن تحير الماء فعل لازم

(٤) ش : « ودار »

(٥) هذا التفسير من زيادات البغدادى ، وليس فى معجم البكرى

(٦) كذا فى ط ومعجم ما استعجم وجعلها الشنقيطى بقلمه « وحَفْيَة » وبوضع حاء معجمة تحت الحرف الأول توكيدا للضبط ، ولم أجده فى كتاب مما لدىّ

(٧) التكملة من معجم البكرى

(٨) يقال عذا البلد : طاب هواؤه . والعذاة : الأرض الطيبة . ط : « وأعذبه تربه » ، صوابه فى ش ومعجم البكرى . وفى بعض مخطوطات البكرى : « وأعدله » تحريف كذلك .

الغائط ، واتصل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام ، لأنها كانت من ظهر البرّيّة على مرفأ سفن البحر ، من الهند والصين وغيرها اهـ

قال ابن رشيق فى العمدة(١) : وملك بعد مالك بن فَهْم ابنُه جَذيمة ابن مالك ، وهو الأبرش والوضّاح ، وكان ملكه ستّين سنة . ثم عمرو بن عدىّ ابن نصر بن ربيعة اللخمىّ — وعمرو هذا هو ابن أخت جَذيمة الأبرش وفيه قيل : « شبَّ عمرٌو عن الطَّوق » ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عدىّ ، ويقال : بل الحارث بن عمرو ، وأنه هو الذى كان يدعى محرِّقا . ثم النعمان بن امرئ القيس ، وهو النعمان الأكبر ، الذى بنى الخورنق . ثم المنذر بن امرئ القيس وهو المنذر الأكبر ابن ماء السماء ، أخو النعمان الأكبر(٢) . ثم المنذر ابن المنذر وهو الأصغر . ثم أخوه عمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند ، وسمّى محرقاً أيضا ، لأنه حرّق بنى تميم ، وقيل بل حرّق نخل اليمامة . ثم النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة وهو آخر ملوك لخم كما ذكرنا(٣) .

واعلم أنَّ هذه القصيدة غالبُ أبياتها شواهدُ فى كتب العربية ، وهى خمسة وثلاثون بيتا . فلا بأس بإيرادها مختصرةً تتميماً للفائدة . وهى على هذا الترتيب : قصيدة الشاهد

(عفَا ذو حُسًى من فَرْتَنَى فالفوارعُ فجنْبَا أريكٍ فالتِّلاعُ الدوافِعُ) ٤٢٩

عفا : درس وامّحى . وذو حُسى : بلد فى بلاد بنى مُرّة ، وهو بضم الحاء

(١) العمدة ٢ : ١٧٩

(٢) فى النسختين : « أبو النعمان الأكبر » ، وانما هو أخوه ، كما فى العمدة . وأبوهما هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدى .

(٣) انظر ماسبق فى ص ١٣٥ من هذا الجزء وما بعدها

والسين[١] المهملتين والقصر . وفَرْتَنيٰ : أي من منازل فَرْتَنيٰ ، وهو بفتح الفاء وسكون الراء وبعدها تاء مفتوحة يليها نون ، قال في الصحاح : « هو مقصور وهو اسم امرأة . والعرب تسمّي الأَمة فرتنى[٢] » . والفوارع : جمع فارعة ، قال في الصحاح : « وفارعة الجبل : أعلاه . وتلاع فوارع : مشرفات المسايل » . وأَريك بفتح الهمزة وكسر الراء ، قال البكرى في معجم ما استعجم : « هو موضع في ديار غنيّ بن يعصر » . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : « وقال أبو عبيدة : أَريك في بلاد ذبيان قال : وهما أريكان : أريكُ الأسْوَدُ ، وأريكُ الأبيض . والأريك : الجبل الصغير . وقال الأخفش : إنما سُمّي أريكا ، لأنه جبلٌ كثيرُ الأراك » . والتِّلاع بالكسر : مجارى الماء إلى الأودية ، وهي مَسايل عِظام . والدوافع : تدفع الماء إلى المَيْثِ ، والمَيْث يدفع إلى الوادى الأعظم . كذا في الشرح .

(فمجتَمع الأشراج ، عفّىٰ رسومَها مَصايفُ مرّتْ بعدَنا ومَرابعُ)

قال أبو عبيدة : مجتمع الأشراج : مسايل في الأرض تصب إلى الأودية ؛ والواحد شَرْج ، بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وآخره جيم . والرسوم : الآثار . وعفّى : درَس ومحا[٣] . والمصايف : جمع مصيف . ومرابع : جمع مربع[٤] .

---

(١) كذا . يعنى « وبالسين » لابضم السين . وهذا مالوف من تعبير البغدادى .

(٢) ط : « تسمى المرأة فرتنى » . صوابه في ش والصحاح واللسان (فرتن) .

(٣) درس ، يلزم ويتعدى كما هنا . قال :

درسته الريح ما بين صبا وجنوب درجت حينا وأصل

(٤) ط : « والمصايف ، جمع صيف ، ومرابع : جمع ربيع » والوجه من ش

(توهّمتُ آياتٍ لهـا فعرَفْتُها   لستةِ أعوامٍ، وذا العامُ سابعُ)

أراد آيات الدار . واللام بمعنى بَعْد أى بعد ستّة أعوام . وتوهّمت : تفرّست .

وهذا البيت من شواهد أبيات سيبويه[1] ، أنشده على أنّ العامُ صفةٌ ذا ، وسابعُ خبر اسم الإشارة . وأورده ابن هشام أيضاً فى شرح الألفيّة ، على أن سابعاً استُعمل مفرداً ليفيد الاتصاف بمعناه مجرَّداً ؛ وهذا بخلاف ما يستعمله الشخص مع أصله ليفيد أنّ الموصوف به بعضُ العدد المعيَّن ، نحو : سابعُ سبعة ، وثامنُ ثمانية ، ونحوِهما .

(رَمادٌ ككُحلِ العينِ ماإنْ تُبينُه   ونُؤىٌ كجِذْمِ الحَوْضِ أثْلَمُ خاشعُ)

أى من الآيات رماد ونؤىٌ . استأنف وفسّر بعضَ الآيات . زعموا : أن الرماد يبقىٰ ألف سنة . وروى : (لأْياً أُبينُه) اللأْى ، بفتح اللام وسكون الهمزة : البطء ، ونصب على نزع الخافض : أى أستبينه بعد بطء . والنُّؤىُ ، بضم النون وسكون الهمزة . حفيرة تحفَر حول الخِباء ويجعلُ ترابُها حاجزاً لئلا يدخله المطر . والجِذْم ، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة : الأصل والباقى . وخاشع : لاطىء بالأرض ، قد اطمأن وذهب شخوصه .

(كأنَّ مَجرَّ الرامساتِ ذُيُولَهَا   عليه قَضِيمٌ نمّقتْه الصَّوانعُ)

هذا البيت أورده الشارح المحقق (فى شرح الشافية) فى باب المنسوب[2] ، على أن فيه حذف مضاف : أى كأنّ أثر مجرّ الرامسات . ومَجرّ مصدر ميمىّ

(١) سيبويه ١ : ٢٦٠

(٢) أنظر شرح شواهد الشافية للبغدادى ١٠٦ وابن يعيش ٦ : ١١٠ ، ١١١

لا اسم مكان ، فإن أسماء المكان والزمان والآلة لا ترفع فضلاً عن أن تنصب .
٤٣٠ وذيولها : قد انتصب بمجَر ، فمجَرّ مصدر مضاف لفاعله ، وذيولها مفعوله ، وإنما كان بتقدير مضاف ، وهو أثر مجرّ أو مكان مجرّ ؛ لأنّه إنْ كان مصدراً فلا يصح الإخبار بقوله قضيم ؛ وإن كان اسمَ مكان فلا يصحّ نصْبه المفعول . والرامسات : الرياح الشّديدة الهبوب ، من الرّمس وهو الدفن . وذيولها : مآخيرها : وذلك أن أوائلها تجيء بشدّة ثم تسكن . ورُوِى بجر (ذيولِها) على أنه بدل من الرامسات ، وعليه فالمجرّ اسم مكان ، ولا حذف . والقضيم : حصير منسوج ، خيوطُه سيور . كذا فى القاموس وكذا قال شارح ديوانه : « شبّهَ آثار هذه الرامسات فى هذا الرسم ، بحصير من جريدٍ أو أدم[1] » ترمُله الصوانع ، أى تعمله وتخرُزه . ومثله لذى الرمة :

* ريحٌ لها من هِبابِ الصيف نَمِيم[2] *

أى نمنمة كالوشى . وقال العجاج :

* سجاحة الأولى دَروج الأذيالْ *

ولا يناسبه قولُ الجار بردى (فى شرح الشافية) : إن القضيم جلدٌ أبيض يكتب فيه ؛ فإنَّ الصوانع جمع صانعة ، والمعهود فى نساء العرب النَّسجُ وما أشبهه ، لا الكتابة . والمعنى يقتضيه أيضاً ؛ فإن الرمل الذى تمرّ عليه الريح يشبه نسجَ الحصير . والصُّنع : إجادة الفعل وليس كل صنع فعلا ؛ ولا يجوز نسبته إلى الحيوانات غير الآدميّين ، ولا إلى الجمادات ، وإن كان

(١) فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغة ص ٥٠ : « ومن روى عليه حصير ، فهو حصير يعمل من جريد وأدم

(٢) كذا فى النسختين . وفى الديوان ٥٧٧ واللسان (نمم) :

* فيفا عليه تذيل الريح نميم *

وصدره فى الديوان :

* والركب تعلو بهم صهب يمانية *

الفعل ينسب إليهما . ولا يقال صَنَعٌ بفتحتين ، إلا للرجُل الحاذق المجيد ، ولا صَناع ، بالفتح ، إلاّ لامرأة تتقن ما تعمله ضدّ الخرقاء . وفى القاموس : « رجل صنع اليدين بالكسر والتحريك ، وصنيع اليدين وصَنَاعهما : حاذقٌ فى الصنعة . وامرأة صَنَاع اليدين كسحاب : حاذقة ماهرة بعمل اليدين وجمعهما صُنُع كَكُتُب(١) » . وقوله : نمَّقته : أى حسَّنته . قال الشارح : كل ما أُلزق بعضه إلى بعض وأُقيم سطورُه ، من نخل أو كتاب ، فهو مُنَمَّق .

(على ظَهْر ِمِبْناةٍ جَديدٍ سيُورُها يَطوفُ بها وسطَ اللَطيمة بائعُ)

قال أبو عبيدة : المِبناة ، بكسر الميم وسكون البـاء الموحدة : نِطعْ . يقول : هذا الحصير على هذا النطع ، يطوف به بائع فى الموسم . قال الأصمعىّ : كان من يبيع مَتاعاً يفرُش نِطْعا ، ويضع عليه متاعه ، والنِّطع يسمَّى مِبناة . فيقول : نشر هذا التاجرُ حصيراً على نِطع . وإنّما سمِّيت مِبناة ، لأنها كانت تتّخذ قباباً ، والقُبّة والبناء سواء ؛ والأنطاع تبنى عليها القباب . والنِطْع ، بكسر فسكون وبفتحتين وكعنب : بِساط من الأديم . واللطيمة ، قال أبو عمرو : سوقٌ فيها بزّ وطِيب . وقال أبو عبيدة : اللطيمة : العِير التى تحمل دِقّ المتاع وأفضلَه وتحمل إلى الأسواق والمواسم ؛ ولا تسمى لَطيمة إلاّ وفيها طِيب . وقوله : جديدٍ سيورها ، أراد الأديم ، وأنشد :

* وقُدَّتْ من أديمهم سُيورى *

(فأسبـلَ منِّي عَـبرة فرددتُهـا على النَّحْر : منها مُسْتَهِلٌ ودامعُ(٢))

مستهِلٌّ : سائل منصبٌّ له وقع ؛ ومنه استهلّت السماء بالمطر : إذا دام مطرها . ودامع : قاطر .

(١) الذى فى القاموس : « وحكى : رجال ونسوة صنع بضمتين » .
(٢) فى النسختين : « وهامع » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته

(على حين عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا فقلت: أَلمَّا تَصْحُ ، والشَّيْبُ وازع !)

يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى باب الظروف[1]

(وقد حالَ همٌّ دونَ ذلك داخلٌ دخولَ الشَّغافِ تبتَغيه الأصابعُ)

أى دون هذا الذى أشبِّب به[2] وأبكى عليه هو الصِبا . وروى : (وقد ٤٣١
جالَ همٌّ) . ورُوى أيضا :

ولكنَّ همًّا دونَ ذلِك داخلٌ مكانَ الشَّغافِ . . . . .

أى غِلاف القلب . وقال الأصمعىّ : الشَّأف : داء يدخل تحت الشراسيف فى البطن فى الشق الأيمن ، إذا التقىْ هو والطِحالَ مات صاحبُه . يقول : هذا الهمّ الذى هوَ بى هو موضعَ الشَغاف الذى يكون فيه القلب . ثم رجع إلى الشغاف فقال : تبتغيه الأصابع : أى تلتمِسه أصابعُ المتطبِّبين ، ينظرون أنَزلَ من ذلك الموضع أم لا ، وإنّما ينزل عند البرء : قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب[3]) : « هذا قول الأصمعىّ وأبى عبيدة . وقيل معناه : تلتمسه ، هل انحدر نحو الطحال فيتوقّع على صاحبه الموت ، أم لم ينحدر فترجى له السلامة » وقال أبو على البغدادىّ : يعنى أصابع الأطباء يلمَسُونَنى ، هل وصل إلى القلب أم لا ؟ لأنه إذا اتصل بالقلب تلِف صاحبه . وإنّما أراد النابغةُ : أنه مِن موجدة النعمان عليه ، بين رجاء ويأس ، كهذا العليل الذى يخشى عليه الهلاك ، ولا يأسَ مع ذلك مِن برئه . وهذان التأويلان أشبهُ بغرض النابغة من التأويل الأول .

(وَعيدُ أبى قابوسَ فى غير كُنْهِهِ أتانى ودونى راكِسٌ فالضَواجِع)

---

(١) وهو الشاهد ٤٩٩ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣٩٦ .

(٢) ط : « أشيب » ، صوابه فى ش .

(٣) الاقتضاب ٣٤٢ .

أبو قابوس . كنية النعمان بن المنذر . قال الأصمعىّ : أى جاءنى وعيده فى غير قدر الوعيد . أى لم أكن بلغتُ ما يغضب علىَّ فيه . وراكس : واد . والضوَّاجع : جمع ضاجعة ، وهو منحني الوادى .

(فبِتُّ كأنّى ساورتنى ضَئيلةٌ من الرُّقْش فى أنيابها السُّمُّ ناقعُ)

المساوَرة : المواثبة ، والأفعى لا تلدغ إلاّ وثباً . وضئيلة : هى الحية الدقيقة القليلة اللحم . والعرب تقول : سلّط الله عليه أفعىً حارية . تحرى : أى ترجع من غلظ إلى دقّة ، ويقلُّ دمها ويشتدّ سمها . قال :

داهية قد صغُرت من الكِبَرْ جاء بها الطُّوفان أيامَ زَخَرْ[1]

وقوله : ناقع : أى ثابت ، يقال : نقَع ينقَع نقوعاً : إذا ثبت . والرُّقشُ من الحيّات : المنقَّطة بسواد . وهى من شرارها ، فلذا خصّها بالذكر . وقال شارح ديوان الحطيئة فى شرح هذا البيت من شعره :

كأنى ساورَتْنى ذاتُ سمٍّ نَقيعٍ ما يلائمها رُقاها

النقيع : المنقوع المجموع ؛ وذلك : أن الحيّة تجمع سمّها من أول الشهر إلى النصف منه ؛ فإن أصابت شيئاً لفظته فيه ؛ وإن جاء النصف ولم تصبْ شيئاً تنهّشه لفظته مِنْ فيها بالأرض ، ثم استأنفت تجمع إلى رأس الشهر ؛ ثم تفعل كفعلها الأول فهذا دأبها الدهر كلّه اهـ . وهذا البيت من أبيات سيبويه[2] ، أورده على أن ناقعاً رفع على أنّه خبر عن السمّ ، ويجوز فى غير الشعر ناقعاً على الحالية . وقوله : فى أنيابها ، هو الخبر . وأورده المرادىّ فى شرح الألفيّة ، وكذلك ابن هشام فى المغنى[3] ، على أنّ بعضهم قال : ناقع صفة للسمّ — وهو

(١) الرجز لخلف الأحمر ، أو النابغة . انظر الحيوان ٤ : ١١٩ .
(٢) سيبويه ١ : ٢٦١
(٣) شرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٠٥ . وانظر جمع الهوامع ٢ : ١١٧ والدرر اللوامع ٢ : ١٤٨

ابن الطَراوة — فإنّه قال : يجوز وصفُ المعرفة بالنكرة إذا كان الوصف خاصّا لا يُوصف به إلاّ ذلك الموصوف . وهذا لا يجيزه أحد من البصريّين
٤٣٢ إلاّ الأخفش . ولا حجّة فى هذا البيت قال ابن هشام[١] : إنّه خبرٌ للسمّ . والظرف متعلّق به ، أو خبرٌ ثان .

(يُسَهَّدُ فى ليل التِّمَامِ سَليمُها   لحلْىِ النساءِ فى يَدَيْهِ قَعاقِعُ)

ليل التِّمام بكسر التاء : أطول ليلة فى السنة . والسليم : اللديغ . قال الزّجاجى فى أماليه الصغرى[٢] : سمت العربُ الملسوعَ سليما تفاؤلاً ، كما سمّوا المهلكة مَفازة ، من قولهم فوّز الرجل : إذا مات ؛ كأنهما لفظتان لمعنى . وكان ينشد قول الشاعر :

كأنى من تذكُّر آل ليلَى   إذا ما أظلَمَ الليلُ البهيم
سَليمٌ بانَ عنه أقرَبُوه   وأسلَمه المداوى والحميمُ

ولو كان على ما ذَهَبَ إليه فى السَّليم ، لقيل لكل من به علّة صعبة : سليم ؛ مثل المبرسَم والمجنون والمفلوج ؛ بل كان يلزم أن يقال للميت : سليم اﻫ .

وفيه أن المنقول عنه أنه هو وابن الأعرابىّ قالا : إن بنى أسد تقول : إنما سمى السليم سليماً لأنه أُسلِمَ لما به . على أن العلة لايجب اطّرادها : فتأملْ .

وقوله : لحلى النساء الخ ؛ كان الملدوغُ يُجعَل الحلى فى يديه والجلاجل حتّى لا ينام فيدِبَّ السم فيه .

(١) فى النسختين : « قال هشام » . وانما هو ابن هشام فى المغنى، فى النوع الثانى من الجهة السادسة من الجهات التى يدخل منها الاعتراض على المعرب .

(٢) انظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق عبد السلام هارون ص ٢٢٠ وما فى حواشيها من تعليق على هذا النص .

(تَناذَرَها الراقُون من سُوء سَمِّها ُتطلِّقه َطوراً ، وطَوراً تراجعُ)

وروى أيضاً : (تناذرَها الحاوون) وهو جمع حاوٍ ، وهو الذى يمسك الحيّات . أى أنذر بعضُهم بعضاً بأنّها لا تجيب راقياً . وروى : (من سوء سَمْعها) يعنى أنَّها حيّة صمّاء[١] وقوله : تطلّقه : تخفّ عنه مرّة وتشتدّ عليه مرّة . قال المبرِّد فى الكامل[٢] — عندما أنشدَ هذه الأبياتَ الأربعة ، من قوله : وعيد أبى قابوس ، إلى هذا البيت — ومن التشبيه الصحيح هذه الأبيات ، وهذه صفة الخائف للهموم ؛ ومثل ذلك قول الآخر :

تَبيتُ الهمومُ الطارقاتُ يَعُدْنَني كما تعترى الأوصابُ رأسَ المطلَّقِ[٣]

والمطلَّق هو الذى ذكره النابغة فى قوله : تطلقه طوراً . . الخ . وذلك أنّ المنهوش إذا ألحَّ الوجعُ به تارة وأمسك عنه تارة ، فقد قارب أن يُوءسَ من برئه[٤] . وإنّما ذكر خوفَه من النعمان ومايعتريه من لوعة فى إثر فترة . والخائف لا ينام إلاّ غراراً ، فلذلك شبّه بالملدوغ المسهَّد . ا هـ

(أتانى أبيتَ اللعنَ أنّكَ لُمتَنى وتلكَ التى تَستَكُّ منها المسامعُ
مقالةُ أنْ قدْقلتَ : سوفَ أنالُه وذلك مِنْ تِلقاء مثلِكَ رائعُ)

قال ابن الأنبارىّ فى شرح المفضَّليات : « قوله : أبيت اللعن : أى أبيت أن تأتى من الأخلاق المذمومة ما تلعَن عليه . وكانت هذه تحيّة لَخم وجُذام ، وكانت منازلهم الحيرة وما يليها . وتحيّةُ ملوك غسان : يا خير الفتيان ، وكانت

---

(١) ورواه ابن الأعرابى : « من سوء سِمعها » بكسر السين ، والسمع الذِّكر . انظر شرح الوزير أبى بكر .

(٢) الكامل ٥٠٧ .

(٣) أنشده فى اللسان (طلق)

(٤) ط : « يؤيس من برئه » ، وكلاهما صحيح . وأيس : لغة فى يئس .

منازلهم الشام . وحكى ثعلب عن الفرَّاء أن المشْيخة كانوا يُضيفونه على الغلط ، لأنه إذا أضافه خرجَ ذمًّا ، فيقول : أبيَت اللَّعنِ ، كأنَّهم شبَّهوه بالإضافة على الغلط . وقال : أراد بيت اللعن أى يا من هو بيت اللعن . والقول هو الأوَّل » ا هـ . وتستك : تنسد ولا تسمع . وروائع : مفزع ومخوِّف . وقوله : مقالة أن قد قلت ، تفسير لأنك[1] رواه الأصمعى برفع مقالة على أنَّه بدل من :
٤٣٣ أنَّك لمتنى . وروُى بفتح التاء أيضاً . قال الأخفش فى كتاب المعاياة : إنه نصب ملامة[2] على : أنك لمتنى . ، فجاء به من بعد ماتم الاسم ، وهو من الصِّلة ، وهذا ردىء . ا هـ . وقال ابن هشام فى المغنى : ويحكى أن ابن الأخضر[3] سئل بحضرة ابن الأبرش عن وجه النصب[4] فى قول النابغة : مقالة أن قد قلت وأنشد البيتين . فقال :

ولا تصحبِ الأردىٰ فتردَى مع الرَّدِى[5]

فقيل له : الجواب ؟ فقال ابن الأبرش : قد أجاب . يريد أنَّه لما أضيف إلى المبنيّ اكتسب منه البناء ، فهو مفتوح لا منصوب ، ومحله الرفع بدلاً

---

(١) ط : « للآتى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) هذا بناء على رواية : « ملامة أن قد قلت » . وكان أولى به أن يتقدم بالتنبيه على ذلك فى فعل فى شرحه لشواهد المغنى (مخطوطة دار الكتب ٢ نحو ش) . وقد فسر قول الأخفش : أن ملامة نصبت على أنك لمتنى ، بقوله : (يريد أن ملامة مفعول مطلق عامله لمتنى)

(٣) هو على بن عبد الرحمن بن مهدى ، ابن الأخضر الاشبيلى المتوفى سنة ٥١٤ كما فى بغية الوعاة .

(٤) قال البغدادى فى شرحه لشواهد المغنى (المخطوطة سالفة الذكر ج ٢ : ٨٢٢) : « كذا فى النسخ ، وصوابه : عن وجه الفتح » والبغدادى ألف شرح شواهد المغنى بعد تأليفه للخزانة

(٥) عجز بيت لطرفة هو ختام معلقته فى بعض الروايات . وصدره
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

من : أنك لمتنى ؛ وقد روى بالرفع . وهذا الجواب عندى غير جيّد ؛ لعدم إبهام المضاف . ولو صحّ لصحّ البناء فى نحو : غلامك وفرسه ، ونحو هذا ، ممّا لا قائل به .

ثم قال : وإنّما هو منصوب على إسقاط الباء ، أو بإضمار أعنى ، أو على المصدرية . وفى البيت إشكالٌ ، لو سأل السائل عنه كان أولىٰ ، وهو إضافة « مقالة » إلى أنْ قد قلت ، فإنه فى التقدير مقالة قولك ، ولا يضاف الشىء إلى نفسه . وجوابه : أن الأصل مقالة فحذف التنوين للضرورة ، لا للإضافة ؛ وأنْ وصِلَتُها بدلٌ من مقالة ، أو من أنّك لمتنى ، أو خبرٌ لمحذوف . وقد يكون الشاعر إنّما قال : مقالةً ان ، بإثبات التنوين ونقل حركة الهمزة ، فأنشده الناس بتحقيقها ، فاضطُرُّوا إلى حذف التنوين ا هـ .

ولا يخفى أنّ هذا كلّه تعسفٌ ، وإنما هو من إضافة الأعمّ إلى الأخص ، لأن (مقالة) أعمُّ من (قولك) . وهى من الإضافة البيانيّة كشجرِ الأراك . أى مقالة هى هذا القول .

(أُتوعِد عَبداً لم يَخُنْكَ أمانةً وتَترُكَ عبداً ظالماً وهو ضالعُ)

قال أبو عبيدة : ظالم : جائر متحامل . وضَلَعَ أى جار . وروى : (ظالع) أى مذنب ، أخِذ مِنْ ظلْع البعير وهو أن يَقِيَ[(١)] ويعرُج .

(حَمَلْتَ علىَّ ذنبَه وتركتَه كذِي العُرِّ يُكوى غيرُه وهوراتِعُ)

هذا البيت من شواهد أدب الكاتب لابن قتيبة[(٢)] . قال الأصمعىّ : العَرّ بالفتح : الجرب نفسه . وأنشد :

---

(١) يقال وقى يقي ، أى ظلع وعرج ، وفرس واقية للتى بها ظلع . انظر اللسان (وقى ٢٨٥) . وفى النسختين : « يتقى » ، تحريف .
(٢) أدب الكاتب ٢٤٠ والاقتضاب ٣٧١

* كالعُرِّ يكمُنُ حيناً ثم يَنتشرُ *

والعُرّ بالضمّ : قَرْح يأخذ الإبل فى مشافرها وأطرافِها شبيهٌ بالقَرَع ، وربَّما تفرّق فى مشافرها مثل القُوباء ، يسيل منه ماء أصفر .

قال ابن السِّيد (فى شرحه لأدب الكاتب) : فى معناه خمسة أقوال :

أحدها : أن هذا أمرٌ كان يفعله جُهّال الأعراب ؛ كانوا إذا وقع العر فى إبلِ أحدِهم اعترضوا بعيراً صحيحاً من تلك الإبل فكووا مِشْفَره وعضدَه وفخذه ، يَرَوْنَ أنهم إذا فعلوا ذلك ذهبَ العُرُّ من إبلهم . كما كانوا يعلّقون على أنفسهم كُعوبَ الأرانب خشيةَ العطَب ، ويفقئون عينَ فحل الإبل لئلاّ تصيبَها العين . وهذا قول الأصمعىّ وأبى عمرو وأكثر اللغويِّين .

ثانيها : قال يونس : سألت رؤبة بنَ العجّاج عن هذا ، فقال : هذا وقولُ الآخر :

* كالثور يُضرَب لمّا عافتِ البقرُ *

شىء كان قديماً ، ثم تركه الناس . ويدلّ عليه قول الراجز :

وكانَ شكرُ القومِ عند المِنَنِ(١) كَىَّ الصحيحاتِ وفقءَ الأعيُنِ

ثالثها : قيل : إنما كانوا يكوون الصحيح لئلا يتعلّق به الداء ، لا ليبرأ السقيم ؛ حكى ذلك ابنُ دريد .

رابعها : قال أبوعبيدة : هذا [أمرٌ(٢)] لم يكن ، وإنماهومثلٌ لاحقيقة . ٤٣٤

---

(١) ط : « كان شكر » ش : « كان شكر » والتصحيح للعلامة الألوسى فى بلوغ الأرب ٢ : ٣٠٦ فيما نقله من الخزانة .

(٢) التكملة من الاقتضاب .

أى أخذتَ البرىء وتركتَ المذنب ، فكنتَ كمن كوىٰ البعير الصحيحَ ، وترك السقيم ؛ لو كان هذا مما يكون . قال : ونحوٌ من هذا قولهم : « يشرب عجلانُ ويَسكر مَيسرة » . ولم يكونا شخصيْن موجوديْن .

خامسها : قيل : أصل هذا : أن الفصيل كان إذا أصابه العُرُّ لفسادٍ فى لبن أمِّه عمَدوا إلى أمه فكوَوْها ، فتبرأ : ويبرأ فصيلها ببرئها ، لأن ذلك الداء إنّما كان سرى إليه فى لبنها . وهذا أغرب الأقوال وأقربها إلى الحقيقة .

ومن روى كذى العَرّ بفتح العين ، فقد غلِط . لأن العَرّ الجرب ؛ ولم يكونوا يكوون من الجرب ، وإنما [كانوا [1]] يكوون من القروح التى تخرج فى مشافر الإبل وقوائمها خاصّة . وقوله : كذى العرّ ، حال من مفعول تركته ؛ أو تقديره : تركاً كترك ذى العر [2] ، وجملة « يُكوىٰ غيره » تفسيرية ، وجملة « وهو راتع » حال من غير . وهذا ضربه مثلا لنفسه . يقول : أنا برىء ، وغيرى سقيم ؛ فحمّلتنى ذنب السقيم ، وتركته . وقد قال الكميت :

ولا أكوى الصِّحاحَ براتعات بهنّ العُرُّ قبلِى ما كُوِينا

قال ابن أبى الإصبع (فى التحبير [3]) أنشد ابنُ شرف القيرَوانىّ ابنَ رَشيق :

غيرى جنىٰ ، وأنا المعاقَبُ فيكم فكأنّنى سبّابة المتندِّمِ

وقال له : هل سمعتَ هذا المعنى ؟ فقال : سمعتُه ، وأخذتَه أنت وأفسدتَه ! فقال : ممن ؟ فقال : من النابغة الذبيانىّ حيث يقول :

---

(١) التكملة من الاقتضاب .
(٢) يعنى أنه مفعول مطلق .
(٣) يعني تحرير التحبير . انظر التحرير ص ٥٠٩

وكلّفتني ذنبَ امرئٍ وتركتَه كذى العُرّ يُكوىٰ غيره وهوراتعُ

[فهذا المعنى الذى أخذته . و[١]] أمّا إفساده فلأنك قلتَ فى صدر بيتك : إنّك عُوقبت بجناية غيرك ، ولم يعاقَب صاحبُ الجناية ؛ ثم قلتَ فى عجز بيتك : إن صاحبَ الجناية قد شَرِكك فى العقوبة . فتناقض معناك : وذلك أنك شبّهت نفسك بسبّابة المتندم ، وسبّابةُ المتندِّم أوّلُ شىء يألمُ فى المتندِّم ثم يشرَكها المتندِّمُ فى الألم ؛ فإنّه متى تألّم عضوٌ من الحيوان تألّم كلّه ، لأنّ المدرِك من كلِّ مدركٍ حقيقتهُ ، وحقيقتهُ — على المذهب الصحيح — هى جملته المشاهَدةُ منه والمكوىّ من الإبل يألم وما به عُرّ ، وصاحب العرّ لا يألم جملة . فمن ههنا أخذتَ المعنى وأفسدتَه انتهى .

وهذا تدقيق فلسفىٌّ لا مدخل له فى الشعر .

(وذلك أمرٌ لم أكنْ لِأقولَه ولو كُبِّلت فى ساعِدَىَّ الجوامعُ)

كُبِّلتْ : جُمعت من الكبل وهو القيد . والجوامع : الأغلال ؛ جمع جامعة .

(أتاك بقولٍ لَهلَهِ النسج كاذباً ولم يأتِ بالحقّ الذى هو ناصعُ[٢])

يقال : ثوب لَهْلَه النسج وهَلْهَل النسج : إذا كان رقيقاً ، وكذلك هلهال . ولهذا سمّى الشاعرُ المشهور المهلهل[٣] ، لأنه أوّل من أرقّ الشعر . وقيل : سمّى ببيتٍ قاله . وناصع : بيّنٌ واضح .

(لعَمْرى ، وما عَمرى علىَّ بهيّنٍ . . . . البيت)

(أقارعُ عَوفٍ لا أحاول غيرها[٤] . . . . البيت)

(١) التكملة من النسخة الخطية لتحرير التحبير المحفوظة بدار الكتب برقم ٤٦٥ بلاغة .

(٢) انظر المعانى الكبير لابن قتيبة ٨٢٧

(٣) انظر ص ١٦٤ من هذا الجزء .

(٤) ط : « أقارع عوفا » صوابه فى ش والديوان

تقدّم شرحُهُما .

(أتاكَ امرؤٌ مُستعلِنٌ لى بِغْضَةً له من عَدُوٍّ مثلَ ذلك شافعُ)

فإنْ كنتَ لاذا الضغنِ عنى مَنكّلا ولا حَلِفى على البراءة نافع ٤٣٥

ولا أنا مأمونٌ بشىءٍ أقولهُ وأنت بأمرٍ لا محالةَ واقعُ

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِك رِيبةً وهل يَأْثمنْ ذو إمّةٍ وهو طائعُ)

الضِّغن بالكسر : الحقد . والإمّة ، بالكسر : الدِّين ، بالكسر ، والقصدُ والاستقامة . يقول : هل يأثم مَن كان على طريقةٍ حسنةٍ وهو طائع .

(بمصطَحَباتٍ من لَصافٍ و ثَبْرةٍ[(١)] يزُرنَ أُلالاً ، سيْرُهنّ تدافعُ)

الباء متعلّقة بحلفت . وأراد بالمصطحَبات الإبل التى يحجّ عليها من لصاف وثبْرة . ولَصافِ ، بفتح اللام وكسر الفاء كحذامِ ، ويجوز أن يكون كسَحابٍ ، وهو جبل فى بلاد بنى يربوع . وثَبْرة فى بلاد بنى مالك . وأُلال ، بضم الهمزة[(٢)] ولامين : جبل صغير عن يمين الإمام بعرفة[(٣)] . وقوله : سيرهُنّ تدافع : أى من الإعياء : أى يتحاملن تحاملا ، من الجَهد والتعب .

(تَمام تُبَارى الشمسَ خوصاً عيونُها لهنّ رذايا بالطريق ودائع)

قال الشارح : تَمام بالفتح ؛ طير يشبه السُّمانَى سريع الطيران ، شبّه الإبلَ بها . تبارى الشمسَ ، يعنى فى ارتفاعها . ويروى : (تُبارى الريح) أى تعارضها لسُرعتها . والخُوص ، بالخاء المعجمة : جمع خَوْصاء : أى غائرة عيونُها ذاهبة فى الرأس من الجَهد . والرذايا : المُعْيِيَات ، أرذاهنّ السفر فلم تنبعث ، فتُركت

(١) فى النسختين : « وبثره » فى متن البيت وشرحه ، والصواب ما أثبت من الديوان ومعجم ياقوت (ثبرة ، وألال)

(٢) فى ياقوت أنه بفتح الهمزة ، بوزن حمام . ثم قال : « وقد روى الال ، بوزن بلال » .

(٣) فى ياقوت : « قال ابن دريد : جبل رمل بعرفـات عليه يقوم الامام

وأُخذ عنها رحلها . وقد أرذيت الشيء :طرحته ؛ يقال جمل رَذىّ وناقة رذيّة .
وكذلك المُعيِيَة والطَّليح والطِّلْح والرَّجيع . وودائع : قد استُودعت الطريقَ .

(عليهنّ شُعْثٌ عامدون لبِرِّهِمْ   فهُنّ كآرامِ الصَّريم خواضعُ)

ويروى : (فهن كأطراف الحَنِيّ) وهو جمع حَنِية ، وهى القوس التى حُنِيت . يقول : قد ضَمَرت الإبلُ ودَقّت من السير . وخواضع : خواشع . والآرام : جمع رِيم . والصَّريم : ما انفرد من الرمل :

(إلى خير دِينٍ نسكُه قد علمتَه   وميزانه فى سُورة المَجْدِ ماتِعُ)

إلى : متعلّقة بقوله : عامدون . وميزانه : سننه وشرائعه . والسُّورة ، بالضم . المنزلة . وماتع : مرتفع ؛ يقال : مَتَع النهار : إذا علا .

(فإنّكَ كالليلِ ، الذى هو مُدْرِكى   وإنْ خِلتُ أنّ المنتأىٰ عنكَ واسعُ)

المنتأىٰ على وزن مفتَعل ، من النأى وهو البُعد ؛ يقال : انتأىٰ القومُ : أى تباعدوا .

قال أبو علىّ (فى إيضاح الشعر) : يحتمل أن تكون إنْ نافية ، كأنك قلت : ما خلتُ أنّ المنتأىٰ عنك واسع ، لأنك كالليل المدركى أينما كنتُ . ويجوز أن تكون إن للجزاء ، كأنه قال : إن خلتُ أن المنتأىٰ عنك واسع ، أدركتَنى ولم أفُتْك ، كما يدركنى الليل . والأوّل أشبه اه .

وقد اعترض الأصمعىّ على النابغة فى هذا البيت فقال : تشبيه الإدراك بالليل ، يساويه إدراك النهار ؛ فلِمَ خصّه دونه ! وإنما كان سبيله أن يأتىَ بما ليس له قسيم ، حتى يأتى بمعنًى ينفرد به ! (أقول): إنما قال : كالليل ، ولم يقل:

كالصُّبح مثلا ، لأنه وصفه فى حال سُخطه ، فشبّهه بالليل وهولِه . فهى كلمة جامعة لمعانٍ كثيرة . كذا فى تهذيب الطبع(١) .

وهذا البيت من شواهد تلخيص المفتاح ، أورده شاهداً لمساواة اللفظ للمعنى .

وما أحسن قولَ ابن هانىء الأندلسىّ فى هذا المعنى :

أينَ المفَرُّ ! ولا مفَرَّ لِهاربٍ ولك البَسيطان : الثرى والماء

(خطاطيفُ حُجْنٌ فى حبال متينةٍ تُمَدُّ بها إيدٍ إليكَ نوازعُ)

الخطاطيف : جمع خُطّاف ، وهى الحديدة التى تخرج بها الدِّلاء وغيرها من البئر . وحُجْن : معوجّة ، جمع أحجن وحجناء . يقول : أنا فى قبضتك تقدر علىَّ متى شئتَ ، لا أستطيع الهربَ منك . وهو مثَل . ونوازع : جواذب يقال : نزعت من البئر دلواً أو دلوين . وبئر نزوع : إذا كان يُستقَى منها باليد

(سيُبلغ عذراً أو نجاحاً من امرئٍ إلى ربِّه ربُّ البريّةِ راكعُ)

راكع : فاعل سيبلغ ، وهو بمعنى الخاضع والذليل ، يعنى به نفسه .

(وأنتَ ربيعٌ ينعشُ الناسَ سَيبُه وسَيفٌ أُعيرتْهُ المنيّةُ قاطع

أى أنت بمنزلة الربيع . ينعش : يرفع ويجبرُ . وسَيبه : عطاؤه . أى أنت سيب وعطاء لوليِّك ، وسيفٌ لأعدائك

(وتُسقى إذا ماشئتَ غير مصرَّدٍ بزَوْراء فى أكنافها المِسْكُ كارعُ

غير مصرَّد : أى غير ممنوع ولا مقطوع . يقال : صرّد علىّ الشراب : إذا

---

(١) ذكر المستشرق كرنكو أنه فى نوادر اللغة ، لأبى محمد قاسم بن محمد الأصفهانى ، كما ذكر الميمنى فى الاقليد ٣٧ قال الميمنى : « والذى فى ياقوت فى ترجمة ابن طباطبا صاحب عيار الشعر أن تهذيب الطبع له ٦ : ٢٨٤ مرجليوث . وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا » .

سقاه دون الريّ ؛ وهو التصريد . والزَوراء : إناء مستطيل من فضّة . وقال صاحب الصحاح : هو القدح . وكارع : أى أنّ المسك على شفاه ذلك الإناء

وقال الأصمعىّ : الزَوراء : دار بالحيرة ، وحدّثنى من رآها وزعم أنّ أبا جعفرٍ هدَمها .

(أبَى اللهُ : إلاّ عَدلَه ووَفاءه فلا النُّكْرُمعروفٌ ولاالعُرفُ ضائعُ)

وهذا آخر القصيدة ، أى ما يريد الله إلاّ عدلَ النعمان بن المنذر ، وإلا وفاءه ، فلا يدعه أن يجورَ ولا أن يغدِر ، فلا النّكر يعرفُه النعمانُ ، ولا الجميل يضيع عنده .

تم الجزء الثانى

والحمد لله وحده

(١)

فهرس التراجم

الصفحة

(ب)

فهرس الشواهد

(المفعول المطلق)

(المفعول به)

(المنادى)

(ما يختص بالنداء)

(الاختصاص)

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثالث

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

باب الاشتغال

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد المائة[1] :

١٥٦ (فكلاً أراهُمْ أصبَحُوا يعقِلونَهُ ... صَحِيحاتِ مالٍ طالعاتٍ بمَخْرِمِ)

على أنه مما اشتغل الفعلُ فيه بنفس الضمير . إذ التقدير : يعقلون (كُلاًّ)

هذا البيت من معلَّقة زُهير بن أبى سُلمى . وضمير الجمع فى المواضع الثلاثة عائدٌ إلى الحىّ ، وهم قبيلة بنى ذُبيان . وقوله : (فكلاً) أى فكلَّ واحد من المقتولين المذكورينَ قبل هذا البيت . وروى الأعلم : (يعقلونهم) بإرجاع الضمير إلى كلٍّ مجموعاً ، باعتبار المعنى ، نحو قوله تعالى : (كلٌّ فى فلَكٍ يَسْبَحُونَ[2]) . ويعقلونه أى يؤَدُّونَ عَقْلَه ، أى دِيَتَه . يقال عقَلت القتيلَ ، من باب ضَرب : أدَّيت دِيته ، قال الأصمعىُّ : سُمِّيتِ الدِيَةُ عقْلاً تسميةً بالمصدر ، لأن الإبل كانت تُعقَل بفِناء ولىِّ القتيل ، ثم كثر الاستعمال حتى أطلق العقل على الدّية ، إبلاً كانت أو نقداً . وعقَلت عنه : غرِمت عنه مالزمه من دية وجناية . وهذا هو الفرق بين عقلته وعقلت عنه : ومن الفرق بينهما أيضاً ، عقلت له دم فلان : إذا تركتَ القَوَد للدية . وعن الأصمعىّ : كلّمت القاضىَ أبا يوسف ، بحضرة الرَّشيد ، فى ذلك ، فلم يفرقْ بين عقلته وعقلت عنه حتى فهّمته . كذا فى المصباح .

فتفسير الأعلم (فى شرحه للديوان) يعقلونه ، بقوله : يغرَمون ديته ؛

(١) البيت من معلقة زهير .

(٢) الآية ٣٣ من سورة الأنبياء :

غير جيّد . والمعنى : أرى حيّ ذبيان أصبحوا يعقلون كلَّ واحدٍ من المقتولين من بنى عبس . فالرؤية واقعة على ضمير الحىّ ؛ والعقلُ واقع على ضمير كلّ ؛ فلا يصح قول أبى جعفر النحوى وقولُ الخطيب التبريزى ، فى شرحيهما لهذه المعلقة : إن كلاًّ منصوب بإضمار فعلٍ يفسِّره ما بعده ، كأنه قال : فأرى كلاً . ويجوز الرفع على أن لا يضمر ، لـكن النصب أجود ، لتعطف فعلاً على فعل ؛ لأن قبله « ولا شاركت فى الحرب » اهـ . ووجه الرفع حينئذ : أن يكون كلّ مبتدأ ، وجملة يعقلونه الخبر ، وما بينهما اعتراض .

وقوله : (صحيحات مال) أى ليست بعِدَة ولا مطل . يقال : مال صحيح : إذا لم تدخله علة فى عِدَة ومطلٍ اهـ(١) . والمـال عند العرب : الإبل ، وعند الفقهاء : ما يُتموَّل : أى ما يعدّ مالاً فى العرف . وقوله : (طالعات بمخْرِم) هو بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة(٢) ، وهو الثَّنيّة فى الجبل ، والطريقُ . يعنى : أن إبل الديَة تعلو فى أطراف الجَبل عند سَوقها إلى أولياء المقتولين . يشير إلى وفائهم . وروى أبو جعفر والخطيب المصراعَ الثانى :

* عُلالةَ ألفٍ بَعد ألف مُصَتَّم *

والعُلالة بضم المهملة ههنا : الزيادة . وبناء فُعالة ، للشيء اليسير نحو القلامة . والمصتَّم بضم الميم وفتح الصـاد المهملة وتشديد المثناة الفوقيّة : التامّ والـكامل .

ورَوى صَعُوداء فى شرحه لديوان زهير :

* صحيحات ألفٍ بَعد ألفٍ مُصتَّم *

---

(١) كذا فى النسختين ، ولم يتبين أول النص ، فلعل فى الـكلام سقطا .

(٢) أى ، وبكسر الراء ، لا كما يوهمه قوله ، فإن تركه لتقييدها يشعر بأنها مفتوحة ، وليس كذلك .

وقال : مصتَّم : مكمَّل ؛ يقال مال صَتْم : تامٌّ كثير ، ويقال أُعطيته ألفاً مصتَّمة : أى كاملة .

والبيت المذكور . على رواية الأعلم ، ملفَّق من بيتين . وهذه روايته :

فكلاً أراهُمْ أصبحوا يَعقلونهمْ ... عُلالةَ ألف بعد ألف مصتَّم

تُساقُ إلى قَومٍ لِقَوْم غَرامةً ... صَحيحاتِ مالٍ ، طالعاتٍ بمَخْرِمِ

وقال : وقوله « تساق إلى قوم » أى يَدفع إبلَ الدية قومٌ إلى قوم لِيُبلِغوها هؤلاء .

سبب الشعر وينبغى أن نورد ما قبل هذا البيت ، حتَّى يتَّضح معناه ، وكذلك السبب الذى قِيلتْ هذه القصيدةُ لأجله ، فنقول : قال الشراح : إنَّ زهيراً مدح بهذه القصيدة الحارثَ بن عوف وهَرِم بنَ سِنان المرِّيَّين ، وذكر سعيَهما بالصلح ١
بين عَبْس وذُبيان ، وتحمُّلَهما الحَمالة . وكان وَرْد بن حابس العبسيّ قتل هَرِم ابن ضَمضم المرىّ ، فى حرب عبس وذبيان قبل الصلح ، وهى حرب داحس ؛ ثم اصطلح الناسُ ولم يدخل حصين بن ضمضم أخو هرم بن ضمضم فى الصُّلح ، وحلف : لا يغسل رأسَه حتى يقتُل وردَ بن حابس ، أو رجلا من بنى عبس ثم من بنى غالب ! ولم يُطلع على ذلك أحداً . وقد حمل الحَمالة الحارثُ بن عوف ابن أبى حارثة ، وهَرِم بن سنان بن أبى حارثة . فأقبل رجلٌ من بنى عبس ثم من بنى غالب حتى نزل بحصين بن ضَمضم ؛ فقال : مَن أنت أيها الرجل ؟ ٤٣٨
فقال : عبسيّ . فقال : مِن أىّ عبس ؟ فلم يزل ينتسبُ حتَّى انتسب إلى غالب . فقتله حصين فبلغ ذلك الحارثَ بن عوف وهرم بن سنان ، فاشتدّ عليهما ؛ وبلغ بنى عبس ، فركبوا نحو الحارث . فلما بلغ الحارثَ ركوبُ بنى عبس وما قد اشتدَّ عليهم من قتل صاحبهم — وإنما أرادت بنو عبس أن يقتلوا

الحارث — بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنه . وقال للرسول : قل لهم : آللبنُ أحبُّ إليكم أم أنفُسكم ؟ فأقبل الرسول ، حتى قال ما قال ؛ فقال لهم الربيع بن زياد : إن أخاكم قد أرسل إليكم : آلإبلُ أحبُّ إليكم أم ابنُه تقتلونه ؟ فقالوا . نأخذ الإبلَ ونصالح قومنا ويتمّ الصلح . فقال زهير فى ذلك هذه القصيدة .

أبيات الشاهد

وبعد أن تغزّل بخمسة عشر بيتاً قال :

(سَعَىٰ ساعياً غيظِ بن مُرّةَ بعدَما تبزّلَ ما بين العَشيرة بالدَّمِ)

الساعيان : الحارث بن عوف وهرم بن سنان ، وقيل : خارجة بن سنان ؛ وهو أخو هرم بن سنان ؛ وهما ابنا عمّ للحارث بن عوف ، لأنهما ابنا سنان ابن أبى حارثةَ والحارثُ هو ابن عوف بن أبى حارثة ، و [ابن أبى حارثة[1]] هو ابن مرّة بن نُشْبة بن مرّة بن غيظ [بن مرّة[2]] بن عوف بن سعد ابن ذبيان .

ومعنَى سَعيا : أى عمِلا [عَمَلاً[3]] حسناً حين مَشيا للصلح وتحمّلا الديات. وتبزّل ، أى تشقّق . يقول : كان بينهم صلح ، فتشقّقَ بالدم الذى كان بينهم ، فسَعيا فى إحكام العهد بعد ما تشقّق بسفك الدماء .

(فأقسمتُ بالبيتِ الذى طافَ حولَه رجالٌ بَنَوْهُ ، من قريش وجُرْهُم)

أراد بالبيت الكعبةَ المعظَّمة . وجُرهُم : أمّة قديمة ، كانت أربابَ البيت قبل قريش . وبنَوْه بفتح النون ، من البناء ، وضمُّها خطأ .

(يميناً لَنعِمَ السيِّدانِ وُجِدتُما على كلِّ حالٍ: مِنْ سَحيلٍ ومُبرَمِ)

(١) التكملة من ش .

(٢) التكملة من ش .

(٣) التكملة من ش .

يميناً : مصدر مؤكِّد لقوله أقسمت ، وجملة لنعم السيدان .. الخ ، جواب القسم .

وهذا البيت أورده الشارح المحقِّق (في باب أفعال المدح[١]) على أن المخصوص بالمدح إذا تأخَّر عن نِعْم ، يجوز دخول نواسخ المبتدإ عليه ، فإن ضمير التثنية في « وجدتما » هو المخصوص بالمدح ، وقد دخل عليه الناسخُ وهو وُجد . وعلى متعلِّقةٌ به . والسَّحيل ، بفتح السين وكسر الحاء المهملتين : المسحول ، أي الذي لم يُحكم فتلُه . والمبرَم : مفعول من أبرم الفاتل الحبلَ : إذا أعاد عليه الفتل ثانياً بعد أوَّل ؛ فالأوّل سَحيل والثاني مبرم . وقيل : السحيل : ما فُتل من خيط واحد ؛ والمبرم : ما فتل من خيطين . وأراد بالسحيل الأمرَ السهل الضعيف وبالمبرم الشديدَ القويَّ .

(تداركتُما عَبْساً وذُبيانَ بَعْدَما تفانَوْا ودقُّوا بينهُمْ عِطرَ مَنْشِمِ)

عَبْس وذُبيان : أخوان ، وهما ابنا بَغيض بن رَيْث بن غطَفان بن سعد ابن قيس بن عَيْلان بن مضر . أي تداركتماهُما بالصلح ، بعد ما تفانوا بالحرب. « ومَنشم » المشهور بفتح الميم وسكون النون وكسر الشين المعجمة[٢] زعموا أنها امرأة عطّارة من خُزاعة ، تَحالفَ قومٌ فأدخلوا أيديَهم في عطرها على أن يقاتلوا حتَّى يموتوا . فضرَب زهير بها المثل . أي صار هؤلاء في شدّة الأمر بمنزلة أولئك . وقيل : كانوا إذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم ، فتشاءمُوا بها . وزعم بعضهم : أنَّها امرأة من بني غُدانة ، وهي صاحبة

(١) هو الشاهد ٧٦١ من الخزانة .

(٢) ويقال بفتحها أيضاً . وانظر قول هشام الكلبي في التفرقة بينهما في اللسان (نشم ٥٦) حيث جعل التي بكسر الشين منشم بنت الوجيه ، من حمير . والتي بفتحها امرأة من العرب كانت تنتجع العرب تبيعهم عطرها .

« يسارِ الكواعب[١] » وكانت امرأةَ مولاه ، وكان يسارٌ من أقبح الناس ؛ وكان النساء يضحكن من قبحه ، فضحكت منه منشمُ يوماً ، فظن أنها خضعت إليه ، فراودها عن نفسها ، فقالت له : مكانَك ؟ فإن للحرائر طيباً . فأتت بموسى فأشمّته طيباً ، ثم أنحت على أصل أنفه[٢] فاستوعبته قطعاً ، فخرج هارباً ودمه يسيل . فضرب المثل فى الشرّ بطيب منشم . وقيل غير ذلك .

(وقد قلتُما إنْ نُدركِ السّلمِ واسعاً بمالٍ ومَعروفٍ مِن القول ، نَسْلمْ)

السلم : الصلح ، يذكّر ويؤنّث ، وهنا مذكر ، لقوله : واسعا : أى ممكنا . وقال الأعلم : أى كاملاً ممكينا . وقوله : نسلم ، أى من أمر الحرب . وروى بضم النون ، أى نوقِع السلم بين القوم والصلحَ .

(فأصبحتُما منها على خَيرِ مَوطنٍ بعيدَينِ فيها من عُقوق ومَأثَمِ)

أى أصبحتما من الحرب على خير منزلة . ومِن للبدل . وبعيدَين ، خبر بعد خبر . والعقوق : قطيعة الرحم . والمأثم : الإثم .

(عَظيمَينِ فى عُلْيا معَدٍّ وغيرها ومن يَستبحْ كنزاً من المجد يَعظُمِ)

عُليا معدّ : مؤنث أعلى ؛ أى فى عُليا منزلة هذه القبيلة . وروى بدل وغيرها « هديتُما » وهو دعاء ، أى دامت هدايتكما إلى طريق الفلاح . ومعنى يستبحْ كنزاً ، يُصِبْ مجداً مباحاً . والكنز كناية عن الكثرة . يقول : مَن فعل فعلَكما فقد أبيح له المجد ، واستحقّ أن يعظُمَ عند الناس . روى يعظُمْ بالفتح أى يَصِرْ عظيما ، وبالضم مع كسر الظاء أى يأت بأمرٍ عظيم ، ومع فتح الظاء أى يعظِّمه الناس . وعظيمين خبرٌ ثالث .

---

(١) انظر خبره فى النقائض ٨١٦ ، ١٠٩٣ والفاخر ٩٩ والروض الأنف ١ : ٢/١٦ : ٨٢ وثمار القلوب ٨٢ ونهاية الأرب ٣ : ٣٦ فى مثل « صبرا على مجامر الكرام » .
(٢) فى معظم المراجع أنها قطعت مَذاكيره لا أنفه .

(فأصبح يُحدىٰ فيهمُ مِن تلادكمْ مغانمُ شَتّىٰ من إفالِ المزنَّم)

يُحدى : يساق ، من الحُداء . وروى « يجرى » . والتِّلاد بالكسر : ما ولد عندهم أصله ، وهو المال القديم ؛ ثم كثر استعمالهم إياه ، حتى قيل لِلْمِلْك الرجل كلّه : تِلاد . وشتّي : متفرقة . والإفال ، بالكسر : جمع أَفيل وأَفيلة ، وهو الفَصيل ؛ وإنما خصّ الإفال ، لأنَّهم كانوا يغرمون فى الدية صغار الإبل . والمزنَّم : فحلٌ معروف ، نَسَبَ الإفالَ إليه . والتزنيم : سِمَة يوسَم بها البعير : وهو أن يُشقَّ طرف أذنه ويفتل ، فيتعلّق منه كالزَنَمة . ورُوى « من إفال مُزَنَّمٍ » و « من نِتاجٍ مزنَّم » .

(تُعَفَّى الكلومُ بالمِئينَ فأصبحتْ ينجِّمُها مَن ليس فيها بمجرم)

أى تُمحَى الجراحات بالمئينَ من الإبل ؛ وإنما يعنى أنَّ الدماء تسقط بالديات . وقوله : ينجِّمها ، أى تُجعَل نجوماً على غارمها . ولم يُجْرِمْ فيها أى لم يأت بجُرمٍ ، مِن قتلٍ تجب عليه الدية ، ولكنّه تحمّلها كرماً وصلةً للرحم .

(ينجِّمها قومٌ لقومٍ غَرامةً ولم يُهَرِيقُوا بينهمْ ملءَ مِحْجَمِ)

يعنى أنّ هذين الساعيين حملا دماء من قُتِل ، وغرم فيها قومٌ من رهطهما ؛ على أنهم لم يصبُّوا دم أحدٍ ملءَ محجم . أى أنهم أعطَوا فيها ولم يقتُلوا . ويهَرِيقوا : أصله يُرِيقوا ، وزيدت الهاء المفتوحة .

(فمن مُبلغُ الأحلافِ عنّي رسالةً وذُبيانَ : هلْ أقسمتمُ كلَّ مُقْسَمِ ؟
فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما فى نفوسكمْ ليَخفى ، ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعْلَمِ) ٤٤٠

الأحلاف : أسد وغطفان وطيّئ . ومعنى هل أقسمتم الخ ، أى هل حلفتم كلَّ الحلف لتَفعلُنَّ ما لا ينبغى ؟ وهذا البيت أورده ابن هشام فى المغنى (فى بحث هل) . وقوله : فلا تكتمن الله . . الخ ، أى لا تضمروا خلافَ

ما تظهرونه ، فإن الله يعلم السرَّ ، فلا تـكتموا ما فى أنفسكم من الصلح وتقولوا : لا حاجة لنا إليه . وقيل معنى قوله : هل أقسمتم ، هل حلفتم على إبرام حبل الصلح فتخرجوا من الحنث ، فلا تُخفوا اللهَ ما تضمرون من الغدر و نقض العهد . و يُـكتَم : بالبناء للمفعول ، بخلاف يَعلم ، فإنه للفاعل .

(يُؤخَّرْ فيوضَعْ فى كتابٍ فيدَّخَرْ ليوم الحسابِ أو يُعجَّل فينقِمِ)

جميع الأفعال بالبناء للمفعول ، ما عدا الأخير ؛ يقال نَقَم منه من باب ضرب ، بمعنى عاقبه وانتقم منه . ويؤخَّر : بدل من يعلم ، وقيل : جزم فى جواب النهى ، وهو الصواب .

(وما الحربُ إلاَّ ما علمتمْ وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجَّم)

يقول : ما الحرب إلاَّ ما جرَّبتم وذقتم ، فإياكم أن تعودوا إلى مثلها . وقوله : وما هو عنها ، أى ما العلم عن الحرب بالحديث ، أى ما الخبر عنها بحديثٍ يُرجَم فيه بالظن . فقوله « هو » كناية عن العِلم . لأنَّه لما قال إلاَّ ما علمتم ، دلَّ على العلم . كذا قال الخطيب وأبو جعفر النحوى . وقال صَعوداء فى شرحه : هو ضمير ما ، وكأنه قال : وما الذى علمتم . وقال الزوزنى : « هو ضمير القول لا العلم ، لأن العلم لا يكون قولا ، أى وما هذا الذى أقول بحديث مرجَّم ، أى هذا ما شهدتْ عليه الشواهدُ الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون » وقال الأعلم : هو كناية عن العلم ، يريد : وما علمتم بالحرب . وعن : بدل من الباء ، أى ما هو بالحديث الذى يرمى به بالظنون ويُشَكّ .

وأورد الشارح المحقق هذا البيتَ (فى باب المصدر(١)) على أنَّ ضمير المصدر يعمل فى الجار والمجرور ؛ وقال : أى ما حديثى عنها . فجعلَه ضميرَ

(١) الشاهد ٥٩٥ من الخزانة .

الحديث . والمرجَّم : الذى يرجَّم بالظُنون ؛ والترجيم : الظن . والمعنى : أنه يحضّهم على قَبول الصلح ، ويخوِّفهم من الحرب :

(مَتى تبعثُوها تبعثوها ذميمــةً وتضرى[1] إذا ضرّيتموها فتضرَمِ)

أى إن لم تقبلوا الصلح ، وهِجتم الحربَ ، لم تحمَدوا أمرها . والبعث : الإثارة . وذميمة : أى تذمّون عاقبتها . وروى : (دميمة) بالمهملة : أى حقيرة ؛ وهذا باعتبار المبدأ : وضرِى بالشىء ، من باب تعب ، ضراوة : اعتاده واجترأ عليه ؛ ويُعدَّى بالهمزة والتضعيف ؛ قال صَعوداء فى شرحه : مِن العرب مَن يهمز ضرِى ، فيقول : قد ضرىءُ به : فمن هذه اللغة تقول : « وتضرأ إذا ضرأتموها » وضرِمَت النارُ ، من باب تعب ، أيضاً : التهبت .

(فتعرُكــكُمُ عركَ الرحَى بثفالهــا وتَلْقَحْ كِشافاً ، ثم تَحمِلْ فتُتْئِمِ[2])

معطوف على جواب الشرط ، ويقرأ بضم الميم للوزن — قال صعوداء : وإن رفعته مستأنفا كان صوابا . (أقول) : يمنعه ما بعده من الأفعال السبعة ، فإنها مجزومة — أى تطحنكم وتهلككم[3] : وأصل العرك : دلك الشىء : والثِّفال : بكسر المثلثة : جلدة تكون تحت الرحَى إذا أديرت يقع عليها ٤٤١
الدقيق : والباء للمعيّة نحو قوله تعالى : (تَنْبُتُ بالدُّهن[4]) : أى ومعها الدهن : وجاء فلانٌ بالسيف : أى ومعه السيف : والمعنى : عركَ الرحَى طاحنة ؛

(١) وفى رواية التبريزى والزوزنى وابن الأنبارى : (وتضر) بالجزم عطفا على ما قبله .

(٢) ط : (فتتأم) ، صوابه فى ش . والرحى يائية واوية يقال رحوان ورحيان ، والياء أعلى .

(٣) ط : (تطحنكم وتهلكهم) باختلاف الضميرين ، صوابه فى ش .

(٤) الآية ٢٠ من « المؤمنون » .

لأنّ الرحَى لا تطحن إلاّ وتحت مجرى الدقيق ثِفال : فعرك : مصدر مضاف إلى فاعله ، والمفعولُ محذوف أى الحبّ .

قال صَعوداء : فظَّع بهذا أمرَ الحرب ، وأخبر بأشدّ أوقاتها . قال : والكِشَاف ، فى لغة كنانة وهذيل وخُزاعة : الإبل التى لم تحمل عامين : وتميم وقيس وأسد وربيعة يقولون : الكِشاف التى إذا نُتِجَتْ ضرَبها الفحلُ بَعد أيام فلَقِحت ، وبعضهم يقول : هى التى يُحَمل عليها فى الدم : وأبو مضر يردّ هذا كلَّه ، ويزعم أنّ الفحل لا يدنو من الناقة ما دامت فى دَمِها ، وأنشد :

* طَبّ بعسٍ البول غير ظلاّمْ *

قال : فهو لا يدنو منها حاملاً ، فكيف يدنو إليها فى دمها ! وقال : الكِشاف عندنا : أن يحمل على الناقة عامين متوالين وذلك مُضرٌ بها ، وهو أردأ النتاج : وإلى هذا ذهب زهير أى إنّ الحرب تتوالى عليكم فينالكم منها هذا الضرر : ورُوى : « ثم تحمل فُتتِمْ[1] » والإتآم : أن تضع اثنين : وليس فى الإبل إتآم ، إنما الإتآم فى الغنم خاصّة ، وإنما يريد بذلك تفظيع الحرب وتحذيرهم إياها . جعل آفة الحرب إياهم بمنزلة طحن الرحَى الحبَّ ، وجعل صنوف الشر تتولّد من تلك الحروب ، بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمّهات .

قال أبو جعفر والخطيب : شبه الحرب بالنّاقة ، لأنه جعل ما يُحلب[2] منها من الدماء بمنزلة ما يُحلب من الناقة من اللبن ، كما قال :

إنّ المهالب لا يزال لهم فتًى   يَمرِى قوادمَ كُلِّ حربٍ لاقِح

---

(١) ط : (فتتأم) ، صوابه فى ش .

(٢) ط (يجلب) بالجيم ، صوابه فى ش والتبريزى ١٥٥ .

وقيل : إنَّمـا شبه الحرب بالناقة إذا حَملتْ ثم أرضعت[١] لأنَّ هذه الحروب تطول ؛ وهى أشبه بالمعنى : وقوله[٢] تُتْئِم : أى تأتى بتَوأمين ، الذكر توأم والأنثى توأمة .

(فتنتجْ لـكم غِلمانَ أشأمَ كلُّهم كأحْمر عادٍ ثم تُرضِعْ فتَفْطِمِ)

معطوف على قوله فُتْئِم . نُتجت الناقةُ ولداً ، بالبناء للمفعول : إذا وضعته . وأشأم : قال أبو جعفر والخطيب : فيه قولان : أحدهما أنه مصدر ؛ كأنه قال : غلمانَ شؤم ؛ والآخر : أنه صفة لموصوف ، أى غلمان امرئْ أشأم أى مشئوم . وقال الأعلم : أشأم هنا صفة للمصدر على معنى المبالغة ، والمعنى : غلمان شؤم أشأم ، كما يقال : شغل شاغل : وكلهم : مبتدأ ؛ وكأحمر عاد : خبَره . . وقال صَعوداء : وإن شئت رفعت كُلاً بأشأم ، كما تقول مررت برجال كريمٍ أبوهم . . وفيه أن كُلاّ إذا أضيفت للضمير لا تقع معمولة لعامل لفظى .

ويريد بأحمر عاد : عاقرَ الناقة ؛ واسمُه قُدار بن سالف ؛ وأحمر لقبه . قال الأصمعىّ : أخطأ زهير فى هذا ، لأن عاقر الناقة ليس من عاد ، وإنما هو من ثمود . وقال المبرّد : لا غلَط ، لأنَّ ثمود يقال لها عادُ الآخرة ، ويقال لقوم هود عادُ الأولى ؛ والدليل على هذا قوله تعالى : (وأنَّه أَهلَكَ عاداً الأولى[٣]) . وقال صَعوداء والأعلم : لا غلَط ، لـكنّه جعل عاداً مكان ثمودَ اتساعا ومجازا ، إذ قد عُرِف المعْنِيُّ ، مع تفاوت[٤] ما بين عاد وثمود فى الزَّمن والأخلاق .

والإرضاع والفطم معروفان ، أى لا تَنزع إلاّ عن حولين . وإنما أراد

(١) التبريزى : ثم « أرضعت ثم فطمت » .

(٢) فى النسختين : « وقولهم » .

(٣) الآية ٥٠ من سورة النجم .

(٤) ط : (تقارب) ، وأثبت ما فى ش .

طولَ شدّتها ، وأنها لا تنقطع إلا عن تَمام ؛ لأنّ المرأة إذا أرضعت ثم فطَمت فقد تمّت .

٤٤٢ (فتغْلِلْ لـكم ما لا تُغِلُّ لأهْلها قُرًى بالعراق مِن قَفيزٍ ودِرْهَمِ)

معطوف على قوله (فتَفطم) : أى فتغْلِلْ لـكم هذه الحربُ من الدّيَات بدماء قتلا كم مالا تُغلُّ قرى بالعراق وهى تغلّ القفيز والدرهم . وهذا تهكّم بهم واستهزاء : يقال : أغلّت الضيعةُ بالألِفِ . صارت ذاتَ غَلّة[1] : والغلّة : كلّ شىء من رَيْع الأرض ، أو من أُجرتها ، ونحو ذلك :

(لعَمْرِى ، لنِعمَ الحىُّ جرّ عليهم ، بما لا يُواتيهم ، حُصينُ بن ضَمْضَمِ)

جرّ : من الجريرة : وهى الجناية : وفاعله حُصين : والجملة صفة لموصوف محذوفٍ هو المخصوص بالمدح ، أى لنعم الحىّ حىٌّ جرّ عليهم . . الخ . . وعمرى مبتـدأٌ خبرُه محذوف أى قسَمى . وجملة لنعم الحىّ الخ جواب القسَم . ولا يواتيهم : لا يوافقهم ، روى : (لا يُماليهِمْ) والممالأة : المعاونة . وحصين ابن ضمضم هو ابن عمٍّ النابغة الذبيانىّ ، لأنّ النابغة هو ابن معاوية بن ضِباب ابن جابر بن يربوع بن غَيظ [ابن مُرَّة[2]] بن عَوف بن سعد بن ذبيان ؛ وحصين هو ابن ضمضم بن ضِباب ، إلى آخر النسب . وجنايته : أنّه لمـا اصطَلحت قبيلة ذبيانَ مع قبيلة عَبْس ، أبىٰ حصينُ بن ضمضمٍ أن يدخل فى الصُّلح ، واستتر منهم ، ثم عَدَا على رجل من بنى عبس فقتله كما تقدم بيانه[3] . وإنما مدح حىّ ذبيانَ ، لتحمُّلهم الدياتِ ، إصلاحاً لذات البين :

(وكانَ طوىٰ كشحاً على مُستَكِنّةٍ فلا هوَ أبداها ولم يَتجمْجَم)

(١) ط : (ذا غلة) ، صوابه فى ش .
(٢) التكملة من ش وللمعارف ٣٨ .
(٣) انظر ما مضى فى ص ٥ من هذا الجزء وما بعدها .

طوىٰ ، بإضمار (قد) عند المبرّد ، قال : لأنّ كان فعلٌ ماض اسمُها ضمير حصين ، ولا يُخبر عنه إلاّ باسم أو بما ضارعه . وخالفه أصحابه فى هذا . . والكشح : الجنب ، وقيل : الخاصرة ؛ يقال طوىٰ كشحَه على فَعلةٍ : إذا أضمرها فى نفسه . والمستكِنّة : المستترة ؛ وهى صفة لموصوف ، أى غدرة مضمَرة ، أو نيّة مستترة ، أو حالة مستكنة ؛ لأنه كان قد أضمر قتل وَردِ بنِ حابس القاتِلِ أخاه هرمَ بنَ ضمضم أو يقتلَ رجلاً من بنى عبس ؛ ولهذا كان أبىٰ من الصلح . وقوله : ولم يتجمجم ، أى لم يَدعِ التقدُّمَ فيما أضمر ولم يتردّدْ فى إنفاذه ؛ يقال جمجم الرجلُ وتجمجم : إذا لم يبيّن كلامه : وسيأتى هذا البيت ، إن شاء الله ، فى خبر كان(١) :

(وقال : سأقْضى حاجتى ثم أتّقى عَدُوِّى بألفٍ من ورائىَ مُلجَم)

حاجته : هى إدراك ثأره . وملجَم ، قال صَعوداء : يروىٰ بكسر الجيم أى ألف فارس ملجِمٍ فرسَه ؛ وروى بفتحها أى ألف فرَس ملجَم . والفرس ممَّا يذكَّر ويؤنث .

(فشدَّ ولم تَفزَعْ بيوتٌ كثيرةٌ لدى حيثُ ألقتْ رَحلَها أمُّ قَشْعَمِ)

أورد ابن هشام هذا البيتَ فى المغنى(٢) على أنّ (حيث) قد تجرُّ بغير مِن ، على غير الغالب . وقوله : فشد الخ ، أى حَمَل حصينٌ على ذلك الرجلِ من عَبس فقتله . ولم تَفزَعْ بيوت كثيرة أى لم يعلم أكثر قومِه بفعله . وأراد بالبيوت أحياء وقبائل . يقول : لو علموا بفعله لفزعوا أى لأغاثوا الرجل المقتول ولم يدَعوا حصيناً يقتلُه . وإنما أراد بقوله هذا ألاّ يفسدوا صلحهم

(١) هو الشاهد ٢٤٦ .
(٢) انظر شرح شواهد المغنى ١٣٢ .

بفعله . وروى : (ولم يُفْزَعْ بُيوتٌ) بالبناء للمفعول . قال الخطيب : أى لم يُفزَع أهلُ بيوت ، يقول شدّ على عدوّه وحْدَه فقتله ، ولم يفزع العامّة بطلب واحد ، أى لم يستعن عليه بأحد ، وإنما قصد الثأر . وقيل : معناه أى لم يعلموا به . وروى : (ولم يُنظِرْ بيوتا) أى لم يؤخّر أهلَ بيتٍ ورد بن حابس فى قتله ، ٤٤٣
لـكنه عجل فقتل هذا الرجل . يقال : أنظرته ، بالألِف ، أى أخّرته . وروى أيضا : (ولم يَنظُر) من نظرت الرجلَ : أى انتظرته . وقوله : لدى حيث الخ ، أى حيث كان شدّة الأمر ، يعنى موضعَ الحرب ؛ وأمّ قَشعم هى الحرب ، ويقال : هى المنية . والمعنى أنّ حُصينا شدّ على الرجل العبسى فقتله ، بعد الصلح ، وحين حطّتْ رحلَها الحربُ ووضعت أوزارَها ، وسكنت . ويقال : هو دُعاء على حصين : أى عدا على الرجلُ بعد الصلح ، وخالف الجماعة ، فصيّره الله إلى هذه الشدّة ! ويكون معنى ألقتْ رحلها ، على هذا ثَبتت وتمكّنت . وقيل : أم قشعم : كُنية العنـكبوت ، وقيل : كنية الضبع . والمعنى : فشدّ على صاحب ثأره بمضيَعَة من الأرض . . وقال صعوداء فى شرحه : وقال قوم : أمّ قشعم : أم حصينٍ هذا الذى شَدّ : أى فلم يفزع البيوت التى بحضرة بيت أمّه . والرحل : ما يستصحبه المسافر من المتاع والثياب . وسيأتى هذا البيت ، إن شاء الله تعالى ، فى الظروف .

(لدى أسدٍ شاكِى السلاحِ مُقَاذِفٍ له لِبَدٌ ، أظفارُه لم تُقَلَّم)

لدى : متعلقة بقوله ألقت رحلها . وهذا البيت من أبيات تلخيص المعانى وغيرِه على أنّ التجريد والترشيح قد يجتمعان : فإن شاكِى السلاحِ تجريدٌ ، لأنه وصفٌ بما يلائم المستعارَ له وهو الرجل الشجاع ، وما بعده ترشيح لأنّ هذا الوصف مما يلائم المستعار منه وهو الأسد الحقيقى . قال الأعلمُ والخطيب : أراد بقوله لدى أسدٍ ، الجيشَ ، وحملَ لفظ البيت على الأسد . وقال الزوزنى : البيت

كلُّه من صفة حصين بن ضمضم . . وهو الصواب . وقوله : شاكى السلاح ، أى سلاحه شائكة حديدة ذو شوكة وأراد شائك فقلُبت الياء من عين الفعل إلى لامه ، يجوز حذف الياء فيقال شاكٌ ، ويكون شاك على وزن فعِلٍ كما قالوا رجل خافٌ ومالٌ ، وأصلة خَوِف ومَوِل فيقال شاك. ومقاذِف : مرامى ، يروى باسم الفاعل والمفعول . وروى أيضاً (مقذَّف) اسم مفعول ، وهو الغليظ الكثير اللحم . واللِّبد بكسر اللام : جمع لِبدة وهى زُبرة الأسد ؛ والزُّبْرة : شعر متراكبٌ بين كتفَى الأسد إذا أسنّ . والأظفار : السلاح . وتقليمها : نقْصُها . يقول : سلاحه تامّ حديد(١) . قال الأعلم : وأوّل مَن كنى بالأظفار عن السلاح أوسُ بن حَجَر ، فى قوله :

لَعمركَ إنّا والأحاليفَ هؤُلاَ   لَفى حِقبة أظفارها لم تُقَلَّمِ

ثم تبعه زهير ، والنابغة فى قوله :

وبنو جَذيمة لا مَحالة أنّهم   آتُوكَ غيرَ مقلمى الأظفارِ

أى ليس سلاحهم بناقص . وقال الزوزنى : قوله لم تقلم ، يريد أنّه لا يعتريه ضعف ولا يَعيبه(٢) عدم شوكةٍ ، كما أنّ الأسد لا تقلّم براثنه .

(جرىءٍ ، متي يُظلَم يُعاقِبْ بظُلْمِه   سريعاً ، وإلاّ يُبدَ بالظلم يَظلِمِ)

جرىء بالجرّ صفة لأسدٍ ، المراد به حصين بن ضمضم ، ويجوز رفعه ونصبه . ومتى يُظلَم وإلاّ يُبدَ ، كلاهما بالبناء للمفعول . ويُعاقِبْ ويَظلم ، بالبناء للفاعل . والجرىء : ذو الجراءة والشجاعة . يقول : هو شجاع ، متى ظُلِم عاقب ٤٤٤

(١) ط : (جديد) بالجيم ، صوابه فى ش .
(٢) فى شرح الزوزنى : (ولا يعيبه) .

الظالم بظلمه سريعاً ، وإن لم يظلمه أحدٌ ظلمَ الناسَ إظهاراً لعزّة نفسه وشدّة جراءته . وسريعاً حال أو صفةُ مصدر ، أى يعاقبْ عقاباً سريعاً . وقوله : وإلاّ يُبْدَ ، الأصل فيه الهمز ، من بدأ يبدأ ، إلا أنّه لما اضطُرّ أبدل من الهمزة ألفاً ثم حذف الألف للجزم ، وهذا من أقبح الضرورات ، ولهذا أورده الشارح المحقق فى أوّل شرح الشافية .

وحكى عن سيبويه : أن أبا زيد قال له : مِن العرب مَن يقول قريت فى قرأت ، فقال سيبويه : كان يجب أن يقول أقرِى ، حتى تكون مثلَ رميت أرمى . وإنما أنكر سيبويه هذا ، لأنه إنما يجىء فعلت أفعل بفتح العين فيهما إذا كان عينُ الفعل أو لامُه من حروف الحلق ، ولا يكاد يكون هذا فى الألف ، إلاّ أنّهم قد حكَوا أبىٰ يأبىٰ ، فجاء على فعَل يفعَل . قال أبو إسحاق : إنّما جاء هذا فى الألف لمضارعتها حروف الحلق ، فشبِّهت بالهمزة . يعنى فشبِّهت بقولهم قرأ يقرأ وما أشبهه .

(رَعَوا مارَعَوْا مِن ظِمْئِهِمْ ثم أورَدوا غماراً تسيلُ بالرماح وبالدمِ)

هذا إضرابٌ عن قصّة حصين إلى تقبيح الحرب والحثّ على الصلح .

الظِمء بالكسر وآخره همزة ، أصله العطش ، وهو هنا ما بين الشَّرْبتَين . والغمار : جمع غَمْر بالفتح ، وهو الماء الكثير . يريد : أقاموا فى غير حرب ، ثم أوردوا خيلهم وأنفسهم الحربَ ، أى أدخلوها فى الحرب : أى كانوا فى صلاح من أمورهم ثم صاروا إلى حرب يُستعمل فيها السلاحُ وتسفَك الدماء . وضرَبَ الظمء مثلاً لما كانوا فيه من ترك الحرب ، وضرَب الغمار مثلا لشدّة الحرب . وروى : (تفَرَّىٰ بالسلاح وبالدم) وأصله تتفرّى بتاءين أى تتفتّح وتتكشّف .

(فقضَّوْا مَنايا بينَهُم ثم أصدَروا إلى كلأٍ مُستَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ)

الـكلأُ : العشب . وقضّاه : أحكمه ونفّذه . وأصدر : ضدُّ أورد . واستَوْبلت الشيء : استثقلته ؛ والوبيل: الوخيم الذى لا يُمْرِىءُ[1]. يقول: فقتل كل واحدٍ من الحيَّين الآخر؛ فقوله : فقضوا منايا بينهم، أى أنفذوها بمـا بعثوا من الحرب ثم أصدَروا إلى الـكلأ أى رَجعوا إلى أمرٍ استوبلوه. وضربَ الـكلأ مثلا . والمستوبَل : السيِّء العاقبة . أى صار آخر أمرهم إلى وَخامةٍ وفساد .

(لعمرُكَ ما جرّت عليهمْ رِماحُهمْ دمَ ابنِ نَهيكٍ أو قتيلَ المثلَّمِ
ولا شارَكوا فى القوم فى دمِ نَوفلٍ ولا وَهَب منهم ولا ابن المحَزَّمِ)

يقول : هؤلاء الذين يعطون دية القتلى لم تجرّ عليهم رماحهم دماء المذكورين . وابنِ نَهيك بفتح النون وكسر الهاء . ونوفل ، ووهب (بفتح الواو والهاء) ، وابن المحزَّم (بالحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة المفتوحة) كلُّهم من عبس . وجرّت : جنَت . والمعنى : أنّ رماحهم لم تقتل أحداً من هؤلاء الذين يَدُونهم ، وإنّما يُعطُون الدياتِ تبرُّعاً ولم يشاركوا قاتليهم فى سفك دمائهم. وروى: (ولا شاركت فى الحرب). والضمير للرماح ؛ قصد بهذا أن يبيِّن براءة ذِمّتهم عن سفك دمهم ، ليكون ذلك أبلغَ فى مدحهم لعقلهم القتلى . ٤٤٥

(فكلاًّ أراهم أصبحوا يَعقلونه . . . . البيت)

أى فكلُّ واحدٍ من هؤلاء المقتولين المذكورين فى البيت الذى قبلَه .

(لحىٍّ حِلاَلٍ يَعْصِمُ الناسَ أمرُهُمْ إذا طلعت إحدى الليالى بمعظَمِ)
(كرامٍ ، فلا ذو الوِتر يدرك وِتْرَه لديْهم ، ولا الجانى عليهم بمُسْلَمِ)

قوله : لحىّ ، هو حال من قوله صحيحات مال ، أو أنه بدلٌ من قوله لقوم ، أو خبر لمبتدأ محذوف أى هى لحى حلال أى المال الصحيحات لحى .

---

(١) فى اللسان : (وقالوا : هنئنى الطعام ومرئنى ، وهنأنى ومرأنى ، على الإتباع ، إذا أتبعوها هنأنى قالوا : مرأنى، فإذا أفردوه عن هنأنى قالوا : أمرأنى ، ولا يقال أهنانى) .

وأراد بهذا الحيّ حيّ الساعِيَين بالصُّلح بين عبس وذبيان : قال الأعلم : الحِلال : جمع حِلة بالكسر ، وهي مائة بيت . يقول : ليسُوا بحِلّةٍ واحدة ، ولكنهم حلال كثيرة . وقوله : يعصم الناسَ أمرُهم ، أي يلجئون ، إلى هذا الحيِّ ويتمسّكون به فيعصمهم مما نابهم . وأصل الحِلّةِ الموضع الذي يُنْزَل به ، فاستعير لجماعة الناس . وقوله : إحدى الليالي ، أراد ليلة من الليالي ؛ وفي الكلام معنى التفخيم والتعظيم ، كما يقال : أصابته إحدى الدواهي : أي داهية شديدة . والمعظَم : الأمر العظيم : وقوله : فلا ذو الوتر ، يقول : هم أعزّة لا ينتصر منهم صاحب دمٍ ، ولا يدرِكُ وِتَرَه فيهم . وقوله بمسلَم ، أي إذا جنى عليهم جانٍ منهم شرّاً إلى غيرهم لم يسْلموه لهم ، لعزِّهم ومَنَعَتهم .

واعلم أنّ هذه الأبياتَ التي أوردناها على هذا الترتيب ، هي رواية الأعلم وقدّم بعضهم هذين البيتين وأوردهما بعد قوله سابقاً :

فتغلِلْ لكمْ ما لا تُغِلُّ لأهلِها . . . . البيت

والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده

(قد أصبحَتْ أمُّ الخِيار تدَّعي علَيَّ ذنباً كلُّهُ لم أصنَعِ)

تقدم شرحه في الشاهد السادس والخمسين(١) .

* * *

(١) انظر الجزء الأول ص ٣٥٩ واستشهد به الشارح المحقق هنا على أن (لم) ليست من الحروف المستحقة للصدارة حتى لايجوز أن يعمل ما بعدها فيماقبلها ، لأن ما بعدها قد عمل فيما قبلها . وذلك ـ كما صرح الرضي ـ لامتزاجها بالفعل بتغييرها معناه إلى الماضي فصارت كالجزء منه . ومثلها في ذلك (لن) و (لا) بخلاف (ما) و (إن) النافيتين .

وأنشدَ بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المــائة ، وهو من شواهد سيبويه(١) :

١٥٧ (ألقى الصَحيفةَ كىْ يُخَفِّفَ رَحلَهُ والزادَ حتى نَعْلَهُ ألْقاهــا)

على أن (حتَّى) وإن كانت يستأنف بعدها الــكلام ، إلاّ أنّها ليست متمحِّضة للاستئناف، فلم يكن الرفع بعدها أولى ، فهى كسائر حروف العطف . يعنى أنه يجوز فى (نعله) النصب ، والرفع :

أما النصب فمن وجهين : أحدهما نصبه بإضمار فعل يفسره (ألقاها) كأنه قال : حتى ألقى نعله ألقاها ، كما يقال فى الواو وغيرها من حروف العطف . ثانيهما : أن يكون نصبه بالعطف على الصحيفه ، وحتّي بمعنى الواو ، كأنه قال : ألقى الصحيفة حتى نعلَه، يريد و نعله ، كما تقول : أكلت السمكةَ حتى رأسَها ، [بنصب رأسهــا(٢)] أى ورأسَها ، فعلى هذا الهــاء(٣) عائدةٌ على النعل أو الصحيفةِ ، وألقاها تــكريرٌ وتوكيد .

فإن قلتَ : شرط المعطوف بحتَّي أن يكون إمّا بعضاً من جمع ، كقدِم الُحجّاجُ حتَّي المشاةُ . أو جزءا من كلٍّ ، نحو : أكلت السمكة حتى رأسَها ، أو كجزء ، نحو : أعجبتنى الجاريةُ حتَّي حديثُها ؛ فكيف جاز عطف نعله ، مع أنه ليس واحداً مما ذكر ؟ قلتُ : جاز ، لأنّ ألقى الصحيفةَ والزاد ، فى معنى ألقى ما يثقله ؛ فالنعل بعض ما يُثقِل .

٤٤٦

(١) سيبويه ١ : ٥٠ . وانظر أيضاً الخزانة ٤ : ١٤٠ والعينى ٤ : ١٣٤ وابن يعيش ٨ : ١٩ والهمع ٢ : ٢٤ ، ١٣٦ وشرح شواهد المغنى ١٢٧ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٤٦ وبغية الوعاة ٢٩٠ .
(٢) التكملة من ش .
(٣) كذا . والصواب (ها) .

وأما الرفع فعلى الابتداء ، وجملة ألقاها هو الخبر . فحتى ، على هذا . وعلى الوجه الأوّلِ . من وجهى النصبِ ، حرفُ ابتداء ، والجملة بعدها مستأنَفة .

وزعم ابن خلف : أن حتّي هنا عاطفة والجملة بعدها معطوفة على الجملة المتقدّمة وهذا شيء قاله ابن السِّيد ، نقله عنه ابن هشام فى المغنى ، وردّه بقوله : لأن حتى لا تعطف الجمل ، وذلك لأن شرط معطوفها أن يكون جزءاً مما قبلها أو كجزء ، وهذا لا يتأتى إلاّ فى المفردات . وقد نازعه الدمامينيّ فى هذا التعليل.

وأنشد سيبويه هذا البيتَ على أنّ حتى فيه حرف جر ، وأن مجروزها غاية لما قبله ، كأنه قال : ألقى الصحيفة والزاد وما معه من المتاع حتى انتهى الإلقاء إلى النعل . وعليه فجملة ألقاها للتأكيد ، والضمير يجوز فيه أيضاً أن يعود على النعل وعلى الصحيفة . فقوله : (حتى نعله ألقاها) روى على ثلاثة أوجه .

صاحب الشاهد — وهذا البيت لأبى مرْوان النحويّ وبعده :

(ومضى يظنُّ بَرِيدَ عمرٍو خلفَه   خوفاً ، وفارقَ أرضَه وقَلاها)

وهما فى قصّة « المتلمس » حين فرّ من عمرو بن هند . حكى ذلك الأخفش عن عيسى بن عمر ، فيما ذكره الفارسيّ .

وكان المتلمسُ قد هجا عَمْرَو بنَ هند ، وهجاه أيضاً طرَفة ، فكتب لهما إلى عامله بالبحرَين كتابَين ، أوهمهما أنّه أمر لهما بجوائز — وهو قد أمره فيهما بقتلهما — فلما وصلا إلى الحِيرة ، دفع المتلمّس كتابَه إلى غلامٍ ليقرأه ؛ فإذا فيه : « أما بعد ، فإذا أتاك المتلمّسُ فاقطع يديه ورجليه ، وادفنه حيًّا » ، فرمى المتلمّسُ كتابه فى نهر الحِيرة وهرب إلى الشام — وقد ذكرنا خبرهما

فى الشاهد الذى قبل هذا بأربعة شواهد(١) فصارت صحيفةُ المتلمّس مثلاً فيما ظاهِرُه خيرٌ وباطنه شرٌّ .

والصحيفة : الكتاب . وقوله : ألقى الصحيفة ، أى رماها بنهر الحِيرة ، كما أخبر المتلمّسُ عن نفسه بقوله :

قذفْتُ بها فى النهر من جَنْبِ كافرٍ كذلك أقْنُو كل قِطٍّ مُضَلَّلِ

وروى أيضا : (ألقى الحقيبة) وهى خُرْج يحمل فيه الرجلُ متاعه . وروى أيضا : (ألقى الحَشِيّة) وهى الفراش المحشوُّ(٢) بالقطن أو الصُّوف يُنام عليه ، قال عنترة :

* وَحَشِيّتى سَرْجٌ على عبلِ الشَّوَى *

وأوضحه محمّد بن هانئ الأندلسىُّ بقوله :

قومٌ يبيت على الحشايا غيرُهُمْ ومَبيتهم فَوق الجيادِ الضُّمَّرِ

وزعم ابن السِّيد ، وتبعه غيره : أن الحشيّة ما يركَب عليه الراكبُ . وأورد بيت عنترة . وهذا غير لائق به . وقال ابن هشام اللخمىّ : الحشيَّة : هى البَرذعة المحشُوَّة . والرَّحل هنا بمعنى الأثاث والمتاع . وقد أنكره الحريرى (فى دُرّة الغواص) بهذا المعنى ، ورد عليه ابن بَرّىّ فيما كتبه عليه فقال : « قال الجوهرىّ : الرحل : منزل الرجل وما يستصحبه من الأثاث ، والرحل أيضا : رحل البعير وهو أصغر من القَتَب . فقد ثبت فيه الرحل بمعنى الأثاث . وقد فُسِّر بيتُ متمم بن نُويرة على ذلك وهو قوله :

(١) هو الشاهد ١٥٢ ص ٤١٥ وما بعدها من الجزء الثانى .

(٢) ط : (المحشى) صوابه فى ش ، والفعل واوى . وأما الحشية فأصلها حشيوة على وزن فعيلة .

كريم الثنا حُلو الشمائل ، ماجد ، صَبور على الضَّرَّاءِ مُشترك الرحل(١)

٤٤٧ قالوا : أراد بالرحل الأثاث . ومثله قول الآخر :

أَلقى الصحيفة كى يخفِّف رحلَه . . . . البيت

قالوا : رحله : أثاثه وقُماشه . والتقدير عندهم : ألقى قُماشه وأثاثه حتى ألقى نعله مع جملة أثاثه . وإنما قدّروه بذلك ، ليصح كون ما بعد حتَّي فى هذا الموضع جزءاً مما قبلها . وعليه فسِّر قوله تعالى حكايةً عن يوسف : (قالوا جَزاؤُهُ مَنْ وجِدَ فى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُه(٢)) قالوا : رحله : أثاثه ، بدليل : (ثم استَخرَجها مِنْ وِعاءِ أخِيه(٣)) انتهى كلام ابن برّى .

وقد فسّر ابن السيد (الرَّحل) فى شرح أبيات الجمل بقوله : « الرحل للناقة كالسَّرج [للفرس(٤)] » وتبعه عليه ابن هشام اللخمىّ وابن خلَف وغيرُهما . وهذا مع كونه غيرَ مناسب ، كان الصواب أن يقول : والرحل للبعير ، لا للناقةُ ! قال الأعلم : « كان الواجب ، فى الظاهر ، أن يقول : ألقى الزاد كى يخفِّف رحلَه والنعلَ حتى الصحيفة ، فيبدأ بالأثقل ثم يُتبعه الأخفَّ ، فلم يمكنه الشعر . أو يكون قدّم الصحيفة لأن الزاد والنعل أحقُّ عنده بالإبقاء ، لأنَّ الزاد يبلّغه الوجْهَ الذى يريده ، والنعلَ يقوم له مقام الراحلة إنْ عَطِبت ، فاحتاج إلى المشى ، فقد قالوا : كاد المنتعِل أن يكونَ راكباً » .

(١) كذا فى النسختين . والثناء ، كما فى اللسان : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وليس من الضرورى تصحيحها بالثنا بتقديم النون .

(٢) الآية ٧٥ من سورة يوسف .

(٣) الآية ٧٦ من سورة يوسف . وقد وقعت محرفة فى النسختين ، بل فى مطبوعتى السلفية ودار العصور برسم « فاستخرجها من وعاء أخيه » وقد رددتها الآن إلى حقها بحمد الله .

(٤) التكملة من هامش الشنقيطية ، وبجانبها كلمة « صح » بخط ناسخها .

والبريد : الرسول ، ومنه قول العرب : « الحمَّى بَرِيد الموت » : وعمرو هو عمرو بن هند الملك ملك الحِيرة . وقد ذكرنا ترجمته قبل هذا الشاهد ببيتين[١]

قال ابن خلف : « أنشد سيبويه هذا البيت لأبى مروان النحوىِّ ، قاله في قصّة المتلمِّس حين فرَّ من عمرو بن هند ، حكى ذلك الأخفشُ عن عيسى ابن عمر فيما ذكره الفارسى . ونسبَه الناسُ إلى المتلمّس » انتهى . صاحب الشاهد

ونَسَبَه ياقوت الحموىّ فى معجم الأدباء إلى مرْوان النحوىِّ لا أبى مرْوان ، قال : سمعت بعض النحويين ينسب إليه هذا البيت ، وقال فى ترجمته : هو مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلَّب بن أبى صُفْرة المهلبىُّ النحوىّ ، أحد أصحاب الخليل المتقدِّمين فى النحو ، المبرِّزِين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

١٥٨ (فلا حَسَباً فَخَرْتَ به لِتَيمٍ ولا جَدًّا إذا ازدَحَم الُجدُودُ)

على أنه يجوز النصب فى قوله (حسباً) والرفعُ ؛ لوقوعه بعد حرف النفى .

أمّا نصبُه ، فبفعل مقدَّر متعدّ إليه بنفسه ، فى معنى الفعل الظاهر ؛ والتقدير : فلا ذكرتَ حسباً فخَرت به . ولا جَدًّا معطوف على قوله حسباً . وهو بمنزلة قولِك : أزيداً مررتَ به . وإنّما لم يجزْ إضمار الفعل المتعدِّى بحرف

---

(١) الذى فى الشاهد الذى قبل هذا ببيتين ليس فيه إلا إشارة صغيرة لعمرو بن هند تتعلق بنسبه . لكن انظر الخزانة ج ٢ ص ٤٥٠ : من هذه الطبعة تجد شيئاً عن حياة هذا الرجل .

(٢) سيبويه ١ : ٧٣ . وانظر ابن يعيش ١ : ١٠٩/٢ : ٣٦ وديوان جرير ١٦٥ .

الجر ، لأن ذلك يؤدّى إلى إضمار حرف الجر ؛ ولا يجوز إضماره ، لأنه مع المجرور كشىء واحد ، وهو عامل ضعيف ، فلا يجوز أن يُتصرَّف فيه بالإضمار والإظهار كما يُتصرَّف فى الفعل .

وأما الرفع ، فعلى الابتداء ؛ وجملة فخرت به صفته ، ولئيم هو الخبر . وروى بدلَ قوله : لئيم (كريم) وهو الثابت . وجَدًّا معطوفٌ على حسباً . قال السيرافىّ : لما جاز الرفع مع الاستفهام ، وإن كان الاختيارُ النصبَ ، كان الرفعُ فى حروف النفى أقوىٰ ، لأنها لم تبلغ أن تكون فى القوّة مثل حروف الاستفهام .

و (الحسَب) : الكرم وشرف الإنسان فى نفسه وأخلاقه . و (الجدّ) : أبو الأب . يقول : ما ذكرتَ لئيمٍ حسباً تفتخر به ، لأنك لم تجد لها شيئاً تذكره ، ولا لك جدٌّ شريف تعوِّلُ عليه عند ازدحام الناس للمَفاخِرِ عليه[1] .

٤٤٨ وقيل : الجدّ هنا : الحظّ ، أى ليس لئيم حظٌّ فى علو المرتَبة والذكر الجميل .

صاحب الشاهد وهذا البيتُ من قصيدة طويلة (لجرير) هجا بها الفرزدقَ وتيمَ الرِّباب ، وليست من النقائض ، وهى إحدى القصائدِ الثلاث التى هى خيرُ شِعْرِه . كذا فى منتهى الطلب من أشعار العرب . وزعم الأعلم ، وتبعه ابن خلف وغيره . أن جريراً هجا بها عُمَرَ بن لجأ ، وهو من تيم عدىّ .

والرِّباب بكسر الراء : جمع رُبّ بضمّها ، قال ابن الكلبىّ فى جمهرة الأنساب : « ولد [عبدُ[2]] مَنَاة بن أد تيماً ، وهم الرِّبابُ ، وعَدِيًّا ، بطنٌ ، وعوفاً والأشيَب ونوراً ؛ وإنما سُمُّوا الربابَ ، لأنّ تيما ، وعديًّا ، ونوراً ،

---

(١) كذا فى النسختين ، والوجه حذف (عليه) من أحد الموضعين .

(٢) التكملة من ش وجمهرة ابن حزم ١٩٨ وللمعارف ٣٤ .

وعوفاً ، وأشيبَ ، وضَبَّةَ بن أُدّ ، غمسوا أيديَهم فى الرُّبِّ فتحالفوا على بنى تميم ؛ فسمُّوا الرِّبابَ ، فهم جميعاً الرِّبابُ ، وخُصَّتْ تَيمُ أيضاً بالرِّباب » : انتهى :

أبيات الشاهد

ومن هذه القصيدة :

(لَقدْ أخزَى الفرزدقُ رهطَ لَيلى ... وتَيمٌ قد أقادهمُ مُقِيدُ

خصَيتُ مجاشِعاً وجدَعتُ تيما ... وعندى ، فاعلموا ، لهمُ مزيدُ

أتيماً تجعلونَ إلىَّ نِدًّا ! ... وهلْ تيمٌ لِذى حسَب نَديدُ

أزيدَ مناةَ تدعو(١) يا آبن تيم ! ... تبَيَّنْ أينَ تاهَ بك الوعيدُ

أتوعدُنا وتمنعُ ما أردْنا ... ونأخذُ من ورائك(٢) ما نُريدُ

ويُقضَى الأمرُ حين تغيبُ تيمٌ ... ولا يُستَأذَنونَ(٣) وهم شهُودُ

فلا حسبٌ فخرتَ به كريمٌ ... ولا جَدٌّ ، إذا ازدحم الجدودُ

لئامُ العالمينَ كِرامُ تيمٍ ... وسيِّدهم ، وإن زَعمُوا ، مَسُودُ

وإنَّكَ لو لقِيتَ عبيدَ تيم ... وتيماً ، قلتَ : أيُّهما العَبيدُ

أرىٰ ليلاً يخالفهُ نهارٌ ... ولؤمُ التَيم ، ما اختلفَا ، جَديدُ

بخُبْثِ البَذْرِ ينبُتُ بذر تيم(٤) ... فما طابَ النباتُ ، ولا الحصيدُ

تمنّي التيمُ أن أباه سعدٌ ... فلا سعدٌ أبوه ، ولا سعيدُ

وما لَكُمُ الفوارسُ يا ابن تيم ، ... ولا المستأذَنون ، ولا الوُفودُ

أهانكَ بالمدينة ، يا ابن تيم ، ... أبو حفص ، وجدَّعكَ النشيد

وإنَّ الحاكمين لغَيرُ تيم ... وفينا العزُّ والحسبُ التَليدُ

(١) فى الديوان : « توعد » .
(٢) ط : « رواتك » ، صوابه فى ش .
(٣) الديوان : يستأمرون » .
(٤) الديوان : « حرث تيم » .

وإنّ التيمَ قد خَبثوا وقَلّوا فما طابوا ولا كثُر العديدُ
إذا تيمٌ ثوَتْ بصعيدِ أرضٍ بكىٰ مِنْ خبْثِ رِيحهم الصَّعيدُ
أتيماً تجعلونَ إلى تميم بَعيدٌ فضلُ بينهما بَعيدُ
كساك اللؤمُ لؤمُ أبيك تيمٍ ، سَرابيلاً بنائقهُنَّ سُود

وقوله : أتيما تجعلون إلىّ ندًا البيت ، أورده صاحبُ الكشّاف والقاضى على أنّ النِدَّ مِنْ قوله تعالى : (فلا تَجْعَلوا لِلهِ أندَاداً[1]) بمعنى المِثْل المناوىء أى المعادى وهو مِن ندّ نُدوداً : إذا نفَر ، ونادَدْت الرجلَ : خالفته ، خُصَّ بالمخالف المماثِل فى الذات كما خُصَّ المساوى للماثل فى القدْر . قال السعد : وإلىَّ ، كان فى الأصل صفة لقولِهِ ندًّا ، فلمَّا قدّم صار حالا منه ، وإلى بمعنى اللام. وقال السَيِّد : هذا لا يصحّ ، لأن ندًّا خبرُ المبتدإ في الأصل ، وإنما هو حال من قوله تيما . . وفيه : أن تيما فى الأصل مبتدأ ، وعند سيبويه يجوز مجىء الحال من المبتدإ ، وعند الأخفش من الخبر . والاستفهامُ للإنكار . والتنوينُ فى (ذى حَسَب) للتحقير ، يعنى أنّ تيماً ليس ندًّا لِذى حسبٍ حقيرٍ ، فكيف يجْعَلُ نِدًّا لمثْلى ! ويجوز أن يكون للتعظيم ، ويريد بذى حسبٍ نفسَهُ . والنَديد بمعنى النِدّ . ٤٤٩

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد المائة ، وهو من الحماسة[3] :

(١) الآية ٢٢ من سورة البقرة .
(٢) الجزء الأول ص ٧٥
(٣) انظر أيضاً الخزانة ٣ : ١٧٠ بولاق والحماسة ١٢٤ بشرح المرزوقى .

١٥٩ (إذَا الخصْمُ أبْزَى مائلُ الرأسِ أنْكَبُ)

وقبله :

(فهلاّ أعدُّونى لمثلى ، تفاقَدُوا !)

على أنّ (إذا الشرطيّة) يجوز عند الكوفيّين وقوعُ الجملة الاسمية بعدَها لكن بشرط كونِ خبرها فعلاً ، إلا فى الشاذّ كهذا البيت .

قال ابن جنّي فى إعراب الحماسة : « يروى إذْ وإذا جميعا : فمن رواه إذْ ، حكى الحالَ المتوقَّعة ، كقول الله سبحانه : (إذِ الأَغْلالُ فى أعْنَاقِهِمْ(١)) ومن رواه إذا ، فهو كقولك : أتيتك إذَا زيدٌ قائم ، وهذا جائز على رأى أبى الحسن : وذلك أنه يجيز الابتداء بعد إذا الزمانيّةِ المشروطِ بها » . انتهى

و (أبزَى) من قولهم: رجل أبزَى وامرأة بَزْواء ، وهو الذى يَخرُج صدرُه ويَدخل ظهرُه . وأبزى ههنا مَثَلٌ ، ومعناه الراصد المخاتِل ، لأنّ المخاتل ربّما انثنى فيخرج عجزُه . وقال أبو رياش : أبزى : تحامَلَ على خَصْمه ليظلِمه . . فجعل أبزى فعلا ، ولا يمتنع ذلك ، وإنّما المعروف أن يقال : بزَوت الرجل ، ومنه اشتقاق البازى من الطير ، إذا استُعمِل على وزن القاضى . وعليه فالخصم مرفوع بفعل يفسِّره أبزى ، ويُرفَع (مائل الرأس) على أنّه بدلٌ من الخصْم . و (الأنكب) : المائل ، وأصله الذى يشتكى مَنْكِبَيه فهو يمشى فى شِقّ . ومائل الرأس أى مُصعِّر من الكِبْر .

وقوله : (تفاقدوا) دعاء قد اعترض به بَيْن أوّل الكلام وآخره يقول : هلاّ جعلونى عدّة لرجلٍ مثلى — فَقَدَ بعضُهم بَعضاً — وقد جاءهم الخصمُ

---

(١) الآية ٧١ من سورة غافر .

متأخِّرَ العُجز مائلَ الرأس منحرفا . وهذا تصويرٌ لحال المقاتل إذا انتصب في وجه مقصوده ، وهو أبلغ في الوصف مِن كلّ تشبيه . ومثلُه قول الآخَر :

* جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطّ *

ألا ترىٰ أنه لو صوّر لونَ المذقِ لمَا قال : هل رأيت الذئب قطّ .

والمعنى : لِمَ أفاتوني أنفسَهم ؟ وهلاّ ادّخروني ليوم الحاجَة إذا كان الخصمُ هكذا ؟ !

أبيات الشاهد وهذا البيت من أبيات خمسةٍ في الحماسة ، لبعض بني فقْعَس ، أوّلُها :

(رأيتُ مَوَاليَّ الأُلىٰ يخذُلونَني عَلَى حدَثانِ الدهْرِ إذْ يتقَلَّبُ)

الموالي هنا : أبناء العمّ . والألىٰ في معنى الذين ، ويخذلونني مِنْ صلته . يقول : رأيت أبناء عمِّي هُمُ الذين يقعُدون عن نصرتي على تقلّب الزمان وتصرُّف الحدَثان . وقوله : على حدثان الخ ، حالٌ : أي يخذلونني مُقاسِياً لِما يحدُث في أوانِ تقلُّبه وتغيُّره :

(فهَلاَّ أعدّوني لمثلي ، تفاقدوا ، إذا الخصمُ أبزى مائلُ الرأسِ أنكَبُ
وهَلاَّ أعدّوني لمثلي ، تفاقدوا وفي الأرضِ مبثوثٌ شُجاعٌ وعَقرَبُ)

كرّره تأكيداً وتفظيعا للأمر . والمعنى : هلاَّ جعلوني عُدّةً لرجلٍ مثلي في الناس — فقدَ بعضُهم بعضا — وقد انتشر أعداءٌ كثيرة وأنواعٌ من الشرّ
٤٥٠ فظيعة ! والشجاع : الحيّة . وكنى به وبالعقرب عن الأعداء والشرّ . وارتفاعُ شجاعٍ ، يجوز أن يكون على البدل من مبثوث ، ويجوز أن يكون على الابتداء ، ومبثوثٌ خبره قُدّم عليه .

قال ابن جنّي (فى إعراب الحماسة) : يروَى مبثوثا ومبثوثٌ : فمن نصَب فلأنّه صفةُ نـكرةٍ قُدّم عليها فنُصِب على الحال منها ، ومن رَفَع رَفع بالابتداء وجعَل شجاعٌ وعقربُ بدلاً من مبثوثٌ . فإن قلتَ : فهلّا قال : وفى الأرض مبثوثون أو مبثوثان ؟ قلت : فيه جوابان : أحدهما أنه لم يُرَدْ بشجاعٌ وعقربٌ الاثنان الشافعان للواحد ، وإنّمـا أريدَ به الأعداء ، الذين بعضهم شُجعانٌ وبعضهم عقاربُ ، أى أعداء فى خبثهمـا ونُـكْرِها ؛ فلمّا لم يُرِد حقيقة التثنية — وإنمـا أراد الأعداء — ذهبَ به مذهَبَ الجنس . . والوجه الآخر : أنْ يكون أراد : وفى الأرض مبثوثاً شجاع : أى شجاعٌ مبثوث ، فلمّا قدّمــه عليه نصبه حالاً منه ، ثم عطف عقربٌ على الضمير فى مبثوثا . وكذلك إذا رفعتَ تعطفُ عقربُ على الضمير فى مبثوث ، فإذا سلـكْتَ هذه الطريقَ سقطت عنك كُلْفة الاعتذار من تَرْك التثنية . انتهى ملخّصاً .

(فلا تأخُذوا عقْلاً من القوم، إنّنى أرى العارَ يبقىٰ والمعاقلُ تَذْهَبُ
كأنّك لم تُسْبَقْ مِن الدهر ليـلةً إذا أنتَ أدرَكتَ الذىأنتَتطلبُ)

لك فى المعاقل الرفعُ على الاستئناف والنصبُ عطفا على العار . يقول : لا تَرغبوا فى قَبول الدية ، فإنه عار ، والعارُ يبقىٰ أثره والأموال تفنى .

والمعاقل : جمع المَعْقُلة والمعقِلة ، بضم القاف وكسرها ، والميم فيهمـا مفتوحة . والعقل : الدية ، وأصله الإبل كانت تُعَقل بِفناء ولّى المقتول ، وهو مصدرٌ وصِف به . وحــكىٰ الأصمعىّ : صار دَمُه مَعْقُـلة على قومه : أى صاروا يَدُونَه .

وقوله : كأنّك لم تُسْبَقْ الخ ، يقول : مَنْ أدرَكَ ما طلبه مِن الثأر

فكأنه لم يُصَبْ ولم يُوتَر . وهذا بعثٌ وتحضيض على طلب الدم والزهدِ في الدية .

و (بنو فقعَس) : حيٌّ من بني أسد ؛ وفَقْعسٌ اسم مرتجَل غير منقول ، وقيل : الفقعَسة : البلادة . قال ابن الـكلبيّ في جمهرة الأنساب : فقعس : ابن طريف بن عمرو بن قُعَيْن (بالتصغير) ابن الحارث بن ثعلَبة بن دُودانَ ابن أسد بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

ونسب صاحبُ الحماسة البصريّة هذه الأبياتَ إلى عَمرو بن أسد الفقعسيّ والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(لا تجزعي إنْ مُنْفسٌ أهلَكتُه وإذا هلَكت فعند ذلك فاجزَعي)

تقدّم شرحُه مستوفىً في الشاهد السادس والأربعين(١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستّون بعد المائه ، وهو من شواهد سيبويه(٢)

١٦٠ (إذا ابنُ أبي موسى بِلالاً بَلَغْتِهِ فَقَامَ بفَأْسٍ بَيْنَ وِصْلَيكِ جازِرُ)

على أنّه يقدَّر على مذهب المبرّد ، في رواية رفع ابن ، إذا بُلِغ ابنُ أبي موسى ، بُلِغ بالبناء للمفعول ، فيكون (ابنُ) نائبَ الفاعل لهذا الفعل المحذوف . وبلالاً ينبغي أن يكون بالرفع ، لأنّه بدلٌ من ابن أو عطفُ بيان له ؛

(١) انظر ماسبق في ص ٣١٤ من الجزء الأول .

(٢) في كتابه ١ : ٤٢ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٣٠/٤ : ٩٦ وابن الشجري ١ : ٣٤ والخصائص ٢ : ٣٨٠ وديوان ذي الرمة ٢٥٣ .

٤٥١ وقد رأيته مرفوعاً فى نسختين صحيحتين من إيضاح الشعر لأبى علىّ الفارسىّ إحداهما بخطّ أبى الفتح عثمان بن جنّي . وفى نسَخ المغنى وغيره نصْبُ بلال مع رفع ابن . قال الدمامينيّ فى شرحه : « وبلالاً منصوب بفعل محذوف آخر يفسِّره بلغْتِه ، والتقديرُ : إذا بُلِغَ ابنُ أبى موسى بلغتِ بلالاً بلَغتِه » . ولا يخفى ما فيه من التكلّف والتقدير المستغنى عنه . وقد رُوى بنصب ابن أيضاً ، قال سيبويه : « والنصب عربىّ كثير ، والرفع أجْوَد » . قال النحّاس : وغلّطه المبرّد فى الرفع ، لأنّ إذا بمنزلة حروف المُجازاة ، فلا يجوز أن يرتفع ما بعدها بالابتداء . قال أبو إسحاق الزجّاج : الرفع فيه بمعنى إذا بُلِغ ابنُ أبى موسىٰ . وكذلك قال أبو على : إن إذا هذه تضاف إلى الأفعال ، وهى ظرف من الزمان ، ومعناها على أن تدخل على الأفعال[١] ، لأنّ معناها الشرط والجزاء ، وقد جُوزى بها فى الشعر ، فإذا وقع بعدها اسمٌ مرتفع ، فليس ارتفاعه بالابتداء ، ولكن بأنّه فاعل[٢] ، والرافع له يفسِّره الفعلُ الذى بعد الاسم ، كأنه قال : إذا بُلِغ ابنُ أبى موسى بلال بلغتِه ، وكذلك إذا ولِيها اسمٌ منصوب صار على تقدير : إذا بلغْتِ ابنَ أبى موسى بلالاً بلغتِه .

وقال أبو علىّ أيضاً (فى إيضاح الشعر) : قال القطامىّ :

إذا التيّازُ ذو العضلاتِ[٣] قُلنا : إليكَ إليكَ ، ضاقَ بها ذِراعا

فاعل ضاق ضمير التيّاز ، وضاق جوابُ إذا ، والتيّاز يرتفع بفعل مضمَر يفسِّره قلنا ، التقديرُ : إذا خُوطِب التيّاز . وقلنا معناه قلنا له ، وهو مفسِّر

(١) ط : « من الأفعال » صوابه فى ش .

(٢) المراد بالفاعل هنا الفاعل أو ما ينوب عنه : وفى النسختين : « بابه فاعل » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « الفضلات » ، صوابه فى ش والديوان ٤٤ واللسان (تيز ١٧٩) .

لخوطِبَ أو كُلِّمَ ونحوِ ذلك مما يفسِّره قلنا له ، وهو رافع التياز ، كإنشاد مَن أنشَد :

* إذا ابنُ أبى موسى بلالاً بلغتِهِ *

والمعنى : ضاق ذَرْع التّياز بأخْذ هذه الناقة ، لأنّه لا يضبطها ، من شدَّتها ونشاطها ، فكيف مَنْ هو دونه ؟ ومَن أنشد : « إذا ابنَ أبى موسى بلالاً » بالنصب ، نصب التياز أيضاً ، فهو بمنزلة إذا زيداً مررت به جئتك ، ويقوّى إنشادَ من أنشد : إذا ابنُ أبى موسى ، بالرفع ، قولُ لبيد :

فإن أنتَ لم ينفعْك علمُك فانتسِبْ لعلّك تَهديك القرونُ الأوائلُ

ألا ترى أنّ أنت يرتفع بفعلٍ فى معنى هذا الظاهرِ كانَ لو أظهرته « فإن لم تنتفع » ! ولو حُمل أنت على هذا الفعل الظاهرِ الذى هو ينفعك ، لوجب أن يكون موضعَ أنت إيّاك ، لأن الكاف الذى هو سببُهُ هى مفعولةٌ منصوبة ؛ فهذا البيت يقوّى إنشادَ من أنشد : إذا ابنُ أبى موسى ، بالرفع على إضمار فعل فى معنى الظاهر نفسه . انتهى .

وقوله (فقام بفأس) هو جواب إذا . ودخلت الفاء على الفعل الماضى لأنّه دعاء ، كما تقول : إن أعطيتنى فجزاك الله خيراً ؛ ولو كان خبراً لم تدخل عليه الفاء . والفأسُ معروفة ، وهى مهموزة ، وروى بدلها : (بنَصْل) بفتح النون ، والنَّصلُ : حديدة السَّيف والسكّين . والوِصل بكسر الواو : المفصِل وهو ملتقى كلِّ عظمين ، وهو واحد الأوصال ؛ والمراد بوصليها : المفصِلان اللذان عند موضع نحرها . و (الجازر) : اسم فاعل من جزَر الناقةَ : إذا نحرها ؛ وهو فاعل قام . و (بلال) هذا هو بلال بن أبى بُرْدة بن أبى موسى الأشعرىّ . والتاء من بلغته مكسورة خطابٌ لناقته . وكذلك الكافُ

فى وِصلَيكِ ، دعاء عليها بالنحر والجزْر . إذا بلّغته إلى ابن أبى موسى . وقد عِيب عليه هذا كما سيأتى .

٤٥٢ وهذا البيت مِن قصيدةٍ لذى الرُمَّة غَيلان ، مدح بها بلالاً ، مطلعها :

(لميَّـةَ أطلالٌ بحُزْوىٰ دَوائِرُ عَفَتها السَّوافى بَعْدَنا والمَواطِرُ)

إلى أن قال :

(إلى ابنِ أبى موسىٰ بلالٍ طَوَتْ بنا قِلاصٌ ، أبوهُن الجَديلُ وداعِرُ[1]

بلاداً يبيتُ البُومُ يَدعُو بَنَاتِه بها ، ومِنَ الأصداءِ والجنِّ سامرُ

تمرّ[2] برَحْلى بَـكْرة حِميَرِيَّة ضِناكُ التَوالى عَيطَلُ الصدر ضامرُ)

تمرّ[2] : تمضى . والضِّناك بالكسر : المكتنزة الغليظة ، وتواليها : مآخيرها . والعَيطَل : الطويلة .

(أقول لها ، إذْ شمّرَ السَيرُ واستوتْ بها البيدُ واستنّتْ عليها الحرائرُ :

إذا ابن أبى موسى بلالا بلغته . . . . البيت

شمّر السير : قلّص . واستوت بهـا البيد : أى لا عَلَمَ بها . واستنّت : اطّردت . والحرائر : جمع حَرور ، وهى ريح السَموم .

بلال بن أبى بردة — وبلال هو ابن أبى بُرْدة ابن أبى موسى الأشعرىّ . قال ابن حجر (فى التهذيب) : هو من الطبقة الخامسة من التابعين ، مات سنة نيّف وعشرين ومائة وقال (فى تهذيب التهذيب) هو أمير البَصْرة وقاضيهـا . روىٰ عن

---

(١) فى النسختين : « داغر » ، تصحيف . صوابه من الصحاح والقاموس واللسان وفى القاموس : والإبل الداعرية منسوبة إلى فحل منجب أو قبيلة من بنى الحارث بن كعب ، وهو داعر بن الحماس » .

(٢) فى النسختين : « تمرى » فى الموضعين ، وصححها الشنقيطى مطابقا بذلك الديوان ٢٥٢ والمخصص ٧ : ٥٨ .

أنس ، فيما قِيل ، وعن أبيه وعمّه أبى بكر ، روىٰ له التِرمِذىّ حديثاً واحداً ، وذكره البخارى فى الأحكام ، وذكره الصِقِلّىّ فى كتاب الضعفاء . قال خليفة الخيّاط : ولاّه خالد القَسْرىُّ القضـاء سنة تسع ومائة ؛ وحُكى عن مالك ابن دِينار أنّه قال لما ولىَ بلالُ القضاء :

* يالكِ أُمّةً هلَـكت ضَياعاً(١) *

فلم يزل قاضياً حتى قدِم يوسفُ بنُ عمر ، سنةَ عشرين ومائة ، فعزله .

وروى المبرد : أنّ أوّل من أظهر الَجور من القضاة فى الحـكم بلال ، وكان يقول : إنَّ الرَجلين ليختصمان إلىّ فأجد أحدَهما أخفَّ على قلبى فأقضى له !

وروى ابن الأنبارىّ أنه مات فى حَبس يوسف بن عمر ، وأنّه قتله دهاؤه وقال للسجّان : أعْلِمْ يوسفَ أنّى قدْ مُتُّ ، ولك منى ما يغنيك ! فأعلمه فقال يوسف : أحِبُّ أنْ أراه ميْتاً ؛ فرجَع إليه السجّان فألقى عليه شيئاً فغمّه حتّي مات ؛ ثمّ أراه يوسفَ .

وقال جُويريَة بن أسماء : لمّـا وَلى عمر بن عبد العزيز ، وفدَ إليه بلال فهنّأه ، ثم لزِم المسجدَ يصلّى ويقرأ ليلَه ونهاره ؛ فدسّ عمر إليه ثقةً له ، فقال له : إن عملتُ لك وِلايَة العِراق ، ما تعطينى ؟ فضَمِن له مالاً جزيلا ، فأخبَرَ بذلك عمرَ فنفاه وأخرجه وكتب إلى عامله على الـكوفة : إنّ بلالاً غرّنا بالله فـكِدْنا نغْترّ به ، ثم سبَـكناه فوجدناه كلّه خبَثا .

وترجمة ذى الرمّة تقدّمت فى الشاهد الثامن فى أوائل الـكتاب(٢) روىٰ

---

(١) لعقيبة بن هبيرة الأسدى ، كما فى الخزانة ١ : ٣٤٣ بولاق وفى الدرر اللوامع ١ : ١٣١ .
فهبها أمة ذهبت ضياعاً يزيد أميرها وأبو يزيد
(٢) انظر ما مضى فى ص ١٠٦ من الجزء الأول .

المرزُبانىّ فى كتاب الموشَّح(١) عن أبى بكر الجُرجانىّ عن المبرّد عن التوَّزىّ أنه قال : أنشدَ ذو الرُّمّة قصيدتَه فى بلال بن أبى بُرْدة ، فلما بلغ قولَه :

إذا ابنُ أبى موسى بلالاً بلغته . . . . البيت

قال له عبد الله بن محمد بن وَكيع : هلّا قلتَ كما قال سيدُك الفرزدق :

قد استَبْطأتُ ناجيةً ذَمولاً وإنَّ الهمَّ بى وبها لسامى

أقول لِناقتى ، لمّا تَرامتْ بنا بيدٌ مسَربَلة القَتامِ :

إلامَ تَلَفَّتِينَ وأنتِ تحتى وخيرُ النـاسِ كلِّهِم أمامى

متى تَرِدى الرُّصافةَ تَستريحى من التصدير والدَّبر الدوامى ؟ ٤٥٣

قال الأصبهانىّ فى الأغانى : « وقد أخذ هذا المعنى من الفرزدق داودُ ابن سَلْمٍ فى مدحِهِ قُثَمَ بن العبّاس أخا عبد الله بن العبّاس ـ رضى الله عنهم ـ فأحسَن وقال :

يا ناقَ إنْ أدنيتِنى من قُثَمْ(٢) عَتَقْتِ مِن حَلِّى ومن رِحلتى

حالفنى اليسرُ وزال العَدمْ إنك إن أدنَيتِ منهُ غداً

بدرٌ ، وفى العِرنينِ منهُ شمَمْ »(٣) فى كفِّه بَحْرٌ ، وفى وجهه

وقال التاريخىّ : لمـا أنشدَ مرْوانُ بن أبى حَفصة يحيى بنَ خالد :

إذا بلّغتْنا العيسُ يحيى بنَ خالدٍ أخذنا بحَبْلِ اليسر وانقطع العسرُ

قال له يحيى : لا عليك أن لا تقول شيئاً بعد هذا !

---

(١) الموشح ١٧٤ .

(٢) فى النسختين : « ومن رحلى » ، صوابه من الأغانى ٥ : ١٣٣ وفى ط : « إن أديتنى » ، صوابه فى ش . وفى معجم الأدباء ١١ : ٩٧ والكامل ٣٦٩ : « من حل ومن رحلة ياناق إن قربتنى » .

(٣) فى الأغانى : « فى وجهه بدر فى كفه بحر » .

أقول : الفرزدقُ قد سلك طريقةَ الأعشىٰ ميمون فى (١)مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله :

فآليتُ لا أرثى لها من كَلالة ولا مِن وَجًى حتّي تلاقى محمّدَا
متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم تُراحي وتَلْقَىْ من فواضله ندَىٰ

وذو الرُّمّة مأخذه من قول الشمّاخ :

رأيت عرَابة الأوسىَّ يسمو إلى الخيرات منقطعَ القرينِ
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تَلقّاها عَرَابة باليمينِ
إذا بلّغتِنى وحَملتِ رحلى عَرَابةَ فاشرَقى بِدَم الوَتين

قال المبرّد فى الكامل : « وقد أحسن كلّ الإحسان فى قوله :

إذا بلّغتنى وحملت رحلى . . . . البيت

يقول : لستُ أحتاجُ أن أرحَل إلى غيره . وقد عابَ بعض الرواة قولَه : فاشرقى بدم الوتين ، وقال : كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، للأنصاريّة المأسورة بمكّة وقد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله : إنّى نذرتُ إن نجوتُ عليها أن أنحرَها : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لبِئسَما جزيْتِها » . وقال صلى الله عليه وسلم « لا نذرَ فى معصية الله جلَّ وعزّ ، ولا نذر للإنسان فى غير ملكه » .

ومما لم يُعَبْ فى هذا المعنى قولُ عبد الله بن رَوَاحة الأنصارىّ لما أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفرٍ ، على جيش مُؤتة :

(١) ط : « أعشى ميمون » صوابه فى ش .

إذا بلّغتنى وحَملتِ رَحلى مسيرةَ أربعٍ بعد الحِساء
فشأنَكِ فانعَمى وخَلاكِ ذمٌّ ولا أرْجعْ إلى أهلى ورائى

قال بعض العلماء ، فيما كتبه على الكامل : هذه المرأة غفارية لا أنصارية .

وقد تبع الشّمّاخَ(١) فى إساءته أبو دَهْبَلٍ الْجُمَحىُّ أيضاً ، فى قوله يمدح المغيرة بنَ عبدِ الله ، وهو مَطلعُ أبياتٍ له فيه(٢) :

يا ناقُ سيرى واشرَقى بِدَم إذا جِئتِ المُغيرهْ
سيُثيبنى أُخرىْ سوا كِ ، وتلك لى منهُ يَسيرهْ
إنّ ابن عبد الله نِعْــمَ أخو الندى وابنُ العشيره(٣)

وتبعه أيضاً ابنُ أبى العاصية السُّلَمىّ(٤) ، فإنّه لما قدِم على مَعْن بن زائدة بصنعاء نحر ناقتَه على بابه ، فبلغ ذلك معناً فتطيّر وأمر بإدخاله ، فقال : ماصنعتَ ؟ قال : نذرتُ أصلحك الله ! قال : وما هو ؟ فأنشدَه من أبيات : ٤٥٤

نذرٌ علَى لئِنْ لقيتُكَ سالماً أن يَستمِرَّ بها شِفارُ الجازرِ

فقال معن : أطعمونا من كَبِد هذه المظلومة !

وأوّل من عابَ على الشّماخ عرَابةُ ممدوحُه فإنّه قال له : بئسما كافأتَها به . وكذا عابَ عليه أُحيحَة بن الجُلاَح ، فإن الشّماخَ لما أنشده البيتَ قال له أحيحة : بِئْسَ المجازاةُ جازيتَها !

(١) هذا النص من الموشح ٧٠ وإن لم ينص البغدادى على ذلك .
(٢) كتب الميمنى : « أبيات القصيدة اثنتا عشرة فى ديوانه رواية الزبير ، طبع فى المجلة (R. A. C. G) . وفيه : أخو الندى .
(٣) ط : « أخو الذرى » والتصحيح للشنقيطى بقلمه ، ولم يرد فى الموشح .
(٤) فى الموشح : وتبعهما أيضاً .

وممَّن ردَّ عليه من الشعراء أبو نُواس : روىٰ المرزبانيُّ فى كتاب الموشَّح(١) بسنده عن أبى نواس ، أنه قال : كان قول الشماخ عندى عيباً ، فلما سمعتُ قولَ الفرزدق تبعتُه فقلتُ :

وإذا المطىُّ بنا بلَغْنَ مُحَمَّداً فظُهورهُنَّ على الرِّحال حرامُ(٢)
قَرَّبْنَناَ مِنْ خيرِ مَنْ وَطِىء الحصا فلها علينا حُرْمَةٌ وذِمامُ

وقلتُ أيضاً :

أقولُ لناقتى ، إذ قرَّبتنى : لقد أصبحتِ عندى باليمين
فلَمْ أجْعلكِ للغرْبانِ نُحْلاً ولا قلتُ اشرَقى بدم الوتين
حَرُمتِ على الأزِمَّةِ والوَلايا وأعلاقِ الرِحالةِ والوَضين

الولايا : جمع وَلِيَّة وهى البَرذَعة . والأعلاق : ما علِّق على الرحل من العهون وغيره . والوَضين : حِزام الرَّحل .

قال ابن خلِّكانَ فى ترجمة ذى الرّمة : « أبو نواس هو الذى كشف هذا المعنى وأوضحه ، حتى قال بعضُ العلماء — ولا أستحضر الآن مَن هو القائل — لمّا وقف على بيت أبى نواس : هذا المعنى ، واللهِ ، الذى كانت العربُ تحوم حولَه فتخطئُه ولا تصيبه : فقال الشّماخ كذا وقال ذو الرّمة كذا ، وما أبانَه(٣) إلاّ أبو نواس بهذا البيت ؛ وهو فى نهاية الحسْن » اهـ .

وقد تقدّم أن أوّل مَن كشف هذا المعنى الأعشىٰ ، لا أبو نواس .

---

(١) الموشح ٦٩ .

(٢) كذا فى ط والموشح بالحاء المهملة ، ولها وجه صالح يؤيده قول أبى نواس فى الأبيات النونية التالية :

حرمت على الأزمة والولايا وأعلاق الرحالة والوضين

لكن الرواية المعروفة : « الرجال » بالجيم ، كما فى ش .

(٣) ش : « وما أتى به » صوابه فى ط .

وردّ أبو تمّامٍ أيضاً على الشّماخ تابعاً لأبى نواس :

لستُ كشمّاخِ المذمَّمِ فى سوءِ مُكافأتِه ومُجتَرَمِهْ

أشرَقَها مِن دَمِ الوتين ، لقد ضَلَّ كريمُ الأخلاق عن شِيَمِهْ

ذلكَ حكمٌ قضى بفيصله أُحيحَةُ بنُ الجُلاحِ فى أُطُمِهْ(١)

وروىٰ المرزُبانىُّ أيضاً عن أحمد بن سليمان بن وهب أنّ محمد بن علىّ القنبرىّ الهَمْدانى(٢) أنشد عُبيد الله بنَ يحيى بن خاقانَ ، قولَه من قصيدة :

إلى الوزير عُبيدِ الله مَقْصَدُها أعنى ابنَ يحيى حياةَ الدينِ والكرَمِ

إذا رميتِ برَحلى فى ذَراه فلا نلتُ المنى منه إن لم تشرَقى بدمِ

وليس ذاكِ لجُرْمٍ منكِ أعلَمه ولا لجهلٍ بما أسديتِ من نِعَمِ

لكنّه فِعلُ شمّاخٍ بناقته لدى عَرابةَ إذْ أدَّته للأُطُمِ

فلما سمع عبيدُ الله هذا البيتَ قال : ما معنى هذا ؟ فقال له أبى سليمان(٣) : ٤٥٥
أعزّ الله الوزير ! إن الشّماخَ بن ضِرار مدَح عَرَابة الأوسىّ بقصيدة ، وقال فيها يخاطب ناقته :

إذا بلّغتنى وحملتِ رحلى . . . . البيت

فعاب من فعله هذا أبو نواس فقال :

(١) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان أبى تمام ، وإنما وردت منسوبة إليه فى الموشح ٦٩ ويبدو أنها ليست له ، بدليل قول المرزبانى : « ورويت لغيره » .

(٢) فى الموشح : « الهمذانى » بالذال المعجمة .

(٣) فى النسختين : « فقال له ابن سليمان » والوجه ماأثبت مطابقا لما فى الموشح ٧٠ وذلك لأن المتحدث هنا هو أحمد بن سليمان ، فيقتضى سياق الكلام ـ إن كان هو القائل ـ أن يقول (قلت) . ولشىء آخر ، وهو أن الذى فى الموشح بعد قول عبيد الله الآتى : « هذا على صواب والشماخ على الخطأ » ، هو « فقال له أبى » ، دون ذكر لسليمان . وهذا معزز لما ذكرت .

أقول لناقتى إذ قرّبتنى . . . . البيتين

فقال عبيد الله : هذا على صواب ، والشّماخ على خطأ ، فقال له أبِى[١] : قد أتىٰ مولانا الوزير بالحقّ ، وكذا قال عَرابة الممدوحُ للشّماخ لما أنشده هذا البيت : بئسما كافأتَها به اهـ .

(تتمات)

(الأولى) قول الشّماخ : «تلقّاها عَرابة باليمين» قال المبرّد فى الكامل[٢] : قال أصحاب المعانى : معناه بالقوّة . وقالوا مثلَ ذلك فى قول الله عزّ وجل : (والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بيمينه[٣]) اهـ .

قال الحاتمىّ : أخذ الشّماخ هذا مِن قول بِشْر بن أبى خازم :

إذا ما المكرُماتُ رُفِعْنَ يوماً   وقصَّر مُبتَغوها عن مَداها

وضاقت أذرُعُ المثرِينَ عنها ،   سما أوسٌ إليها فاحتواها

ورأيت فى الحماسة البصريّة نسبةَ البيت لُجندب بن خارجة الطائىّ الجاهلىّ ، ورواه هكذا :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ   سما أوسٌ إليها فاحتواها

وذكر بيتين قبله ، وهما :

إلى أوسِ بن حارثةَ بنِ لأْمٍ   ليقضىَ حاجتى فِيمن قضاها

فما وطِىءَ الحصى مثلُ ابنِ سُعدى   ولا لَبِسَ النِعالَ ولا احتَذاها

وروىٰ أبو الفرج صاحبُ الأغانى[٤] عن الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن

(١) هذا ما فى الموشح ، وهو الصواب . وفى النسختين : « فقال له ابن سليمان » .
(٢) الكامل ٧٥ ليبسك .
(٣) الآية ٦٧ من سورة الزمر .
(٤) الأغانى ٨ : ١٠١ .

إسحاق عن أبيه أنَّه قال : عرابة الذى عناه الشّماخ بمدحه ، هو أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن أوس بن قَيظيّ بن عمرو بن زيد بن جُشَم ابن حارثة بن الحارث بن الخزْرج : وإنما قال له الشّماخ الأوسيّ وهو من الخزرج ، نسبةً إلى أوس بن قيظي[1]. قال أبو الفرج : لم يصنَع إسحاق شيئاً ! عَرابةُ من الأوس لا من الخزرج ، وإنّما وقع عليه الغلطُ فى هذا ، لأنَّ فى نسب عَرابة الخزرجَ ، وفى الأوس رجل يقال له : الخزرج ، ليس هو الجدَّ الذى ينتمى إليه الخزرجيُّون الذى هو أخو الأوس ، هذا الخزرجُ بنُ النبيتِ بن مالكِ بن الأوس. .وردَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أُحُد ، لصِغَره مع تسعةِ نفرٍ : منهم ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأبو سعيد الخُدْرىّ ، وأُسَيْد ابن ظُهَيْر . . وأبوه أوس من المنافقين الذين شهدوا مع النبى صلى الله عليه وسلم أُحُداً ، وهو الذى قال : (إنَّ بُيوتَنا عَوْرَةٌ وما هى بِعَورَة[2]) وكان من وُجوههم . وقد انقرض عقِبُ عَرابة فلم يبق منهم أحد . اهـ

قال المبرّد فى الكامل[3] : قال مُعاوية لعرابة بن أوس بن قيظيّ الأنصاريّ : بِمَ سُدتَ قومَك ؟ قال : لستُ بسيِّدهم ، ولكنى رجلٌ منهم ! فعزَم عليه ، فقال : أعطَيت فى نائبتهم ، وحَلمت عن سَفيهم ، وشدَدت على يدَىْ حليمهم ؛ فمن فعل منهم مثلَ فعلى فهو مثلى ، ومن قصَّر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوَزنى فهو أفضل منى . وكان سبب ارتفاع عَرابة : أنّه قدِم من سفر ، فجمعه الطريق والشّماخَ بن ضِرار المرّىّ فتحادثا ، فقال له عرابة : ما الذى أقدمك المدينة؟ فقال : قدمتُ لِأمتار بها[4] ؛ فملأ له عرابة رَواحلَه بُرًّا وتمراً ، وأتحفَه بغير ذلك ، فقال الشّماخ ذلك . اهـ

(١) فى الأغانى : « نسبة إلى أبيه أوس بن قيظى » .
(٢) الآية ١٣ من سورة الأحزاب .
(٣) الكامل ص ٧٥ . (٤) فى الكامل : « لأمتار منها » .

٤٥٦ (الثانية) تتعلّق بشعر الفرزدق .

قال القالىّ فى أماليه[١] : حدّثنا أبو بكر قال : أخبرنى أبو عثمان عن التوّزىّ عن أبى عبيدة قال : خرج جَرير والفرزدق إلى هشام بن عبد الملك ، مرتدِفَين على ناقة ، فنزل جرير يبول ، فجعلت الناقة تتلفّت ، فضربها الفرزدق وقال :

علامَ تَلفّتينَ وأنتِ تحتى . . . . البيتين

ثم قال : الآن يجىء جرير فأنشِدُه هذين البيتين فيردّ علّى :

تَلفَّتُ أنها تحتَ ابنِ قينٍ ، إلى الـكِيرَين والفأسِ الـكَهام[٢]
مَتى تَرِدِ الرُصافةَ تُخزَ فيها كخِزيك فى المواسم كلَّ عامِ

فجاء جرير ، والفرزدقُ يضحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا فراس ؟ فأنشده البيتين ، فقال جرير :

* تَلفَّتُ أنَّها تحت ابن قين *

كما قال الفرزدق سواء . قال الفرزدق : والله لقد قلتُ هذين البيتين ! فقال جرير : أمَا علمتَ أنّ شيطاننا واحد !! اهـ

(الثالثة) تتعلّق بشعر أبى نواس الأوّل :

قال ابن خلّكان ، فى ترجمته : لهذا البيت حكاية جرت لى مع صاحبنا جمال الدين محمود بن عبد الله الإربِلىّ ، الأديب المُجيد فى صنعة الألحان وغير ذلك ، فإنه جاءنى إلى مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة فى بعض شهور سنة خمس وأربعين وستمائة ، وقعد عندى ساعة — وكان الناس مزدَحمين

(١) الأمالى ٢ : ٢٣٥ .

(٢) ط : « الكرين » ، صوابه فى ش وديوان جرير ٥٠٢ والأمالى . وجرير يلهج أبدا بذكر القيون وأدواتهم إذا انتحى هجاء الفرزدق .

لكثرة أشغالهم حينئذ — ثم نهَضَ وخرج ، فلم أشعر إلاّ وقد جاء غلامٌ وفى يده رقعة مكتوبٌ فيها هذه الأبيات(١) :

يا أيُّهـا المَولى الذى بوجوده أبدت محاسنَها لنـا الأيّامُ

إنى حجَجْتُ إلى جَنابك حجةَّ الأشواق، مالا يوجِبُ الإسلام(٢).

وأنختُ بالَحرم الشريف مَطيّتى فتسرّبتْ واستاقهـا الأقوامُ

فظلِلتُ أُنشِدُ عند نشْدانى لها بيتاً لمن هُو فى القَريض إمامُ :

« وإذا المطىُّ بنا بلَغنَ محمّداً فظهورُهنَّ على الرِحال حرام(٣) »

فوقفتُ عليها وقلتُ لغلامه : ما الخبر ؟ فقال : إنه لمـا قام من عندك وجدَ مِداسَه(٤) قد سُرِقَ فاستحسنتُ منه هذا التضمينَ — والعربُ يشبِّهون النعلَ بالراحلة، وقد جاء هذا فى شعر المتقدّمين والمتأخّرين، واستعمله المتنبّي فى مواضعَ من شعره — ثم جاءنى من بعدُ جمالُ الدين المذكورُ ، وجرى ذكر هذه الأبيات فقلت له : ولكن أنا اسمى أحمد لا محمد ! فقال : علمتُ ذلكَ ولكنْ أحمدُ ومحمّدُ واحد . . وهذا التضمين حسن، ولو كان الاسم أىّ شىء كان . اهـ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستّون بعد المـائة ، وهو من من شواهدس(٥) .

---

(١) ابن خلكان ١ : ١٣٦ : « فلم أشعر إلا وقد حضر غلامه وعلى يده » .

(٢) هذا البيت ساقط من ش .

(٣) ش وابن خلكان : « على الرجال » وانظر ماسبق فى ص ٤٠ من هذا الجزء

(٤) فى المصباح (دوس) : « وأما المداس الذى ينتعله الإنسان . فان صح سماعه فقياسه كسر الميم لأنه آلة ، وإلا فالكسر أيضاً حملا على النظائر الغالبة من العربية .

(٥) سيبويه ١ : ٤٥٨ . وانظر أيضاً الخزانة ٣ : ٦٣٩ وابن يعيش ٩ : ١٠ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٢ والانصاف ٦١٧ .

١٦١ (فمتى واغلٌ يَزُرْهُمْ يُحَيُّو هُ وتُعْطَفْ عليه كأسُ السـاقى)

على أنه فصلَ اضطراراً بين مَتَى وبجزومه فعلِ الشرط بواغل ، فواغل فاعلُ فعل محذوف يفسِّره المذكور : أى متى يزرْهم واغل يزرهم . وروى أيضاً (يجئْهم) وروى أيضاً (يَنُبْهم) من ناب ينوب .

والواغل : الرجل الذى يدخل على من يشربُ الخمرولم يُدْعَ ، وهو فى الشَّراب بمنزلة الوارش فى الطعام ، وهو الطفيلّى ، يقال : وغَلَ بالفتح يغِل بالكسر وغْلا بالسكون فهو واغل ووغْل أيضاً بالسكون ، كذا فى كتاب النبات للدينَوَرىّ . ٤٥٧

والكأس بالهمز مؤنّثة ، قال أبو حنيفة (فى كتاب النبات) — وذَكَر أسماء الخمر فقال — : ومنها الكاس ، وهو اسم لها ، ولا يقال للزجاجة كأس إن لم يكن فيها الخمر ثم أوردَ حججاً على ذلك ، منها قول الله تعالى : (يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأسٍ مِنْ مَعِينٍ[1]) وقد ردّ عليه أبو القاسم علّى بن حمزة البصرىّ اللغوىّ ، فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة ، فيما كتبه على كتاب النبات ، فقال : « قد أساء فى هذا الشرطِ الكأسُ : نفس الخمر كما قال ، والكأس : الزجاجة ، وقولُ الله تعالى الذى احتجّ به هو حُجَّةٌ عليه ، ومثله قوله تعالى : (بأكْوابٍ وأبارِيقَ وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ[2]) أى ظرفٍ فيه خمر من هذه التى هذه صفتُها . وقد قال سبحانه : (وكأساً دِهاَقا[3]) والدِّهاق : الملأىٰ . ولا يجوز أنه أراد خمراً ملأىٰ . وهذا فاسد من القول . والعرب تقول : سقاه كأساً مُرَّة ، و : جرّعه كأساً من السمّ ، وقال :

* وقد سقَى القومَ كأسَ النَّعْسَةِ السَّهَرُ[4] *

(١) الآية ٤٥ من الصافات . (٢) الآية ١٨ من الواقعة .
(٣) الآية ٣٤ من النبأ .
(٤) لأبى دهبل الجمحى ، كما فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٣٥٠ . وصدره :
* أقول والركب قد مالت عمائمهم *

وأوضحُ من هذا كلِّه وأبعدُ من قول أبى حنيفة ، ما أنشده أبو زياد لريسبان بن عُميرة — من بنى عبد الله بن كلاب — :

وأوّلُ كأس من طَعامٍ تَذُوقه ذرا قُضُبٍ يجلو نَقِيًّا مفَلَّجا

فجعلَ سِوَا كها كأسا ، وجعلَ الكأس من الطعام ، وبعَّضَ مِنْ[1] تبعيضاً يدلّ على صحّة ما قلناه . وقال آخر[2] .

مَن لم يمُت عَبْطةً يمُتْ هرَما للموتِ كأسٌ والمرء ذائقهـا

وقال كُراع :الكأس : الزجاجة، والكأس أيضا : الخمر . فبدأ بقولنا.اه

وتُعطَفْ بالبناء للمفعول .

وهذا البيت من قصيدة لعدىّ بن زَيد العِبادِىّ . وبعده : صاحب الشاهد

(ويقولُ الأعداء : أودىٰ عدِىٌّ وبنوه قد أيقنوا بعَـلاق)

وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الستين[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد المـائة ، وهو من شواهد سيبويه[4] .

١٦٢ (صَعْدَةٌ نابِتَةٌ فى حائرٍ أينمَا الريحُ تميِّلْهـا تَمِلْ)

لما تقدّم قبله . فتكون الريح فاعلة بفعل محذوف يفسّره المذكور : أى أينما تميِّلْها الريحُ تُميِّلها .

(١) أى بعض الحرفُ من ، أى أفاد التبعيض .

(٢) هو أمية بن أبى الصلت كما فى العينى ٢ : ١٨٧ وديوانه ٤٢ ، وعيون الأخبار ٢ : ٣٧٤ ونسب فى الكامل ٤٣ إلى رجل من الخوارج .

(٣) الخزانة ١ : ص ٣٨١

(٤) سيبويه ١ : ٤٥٨ . وانظر أيضاً الخزانة ٣ : ٦٤٢ ، ٤٦٠ بولاق ، والعينى ٤ : ٤٣٤ ، ٥٧١ وابن الشجرى ١ : ٣٣٢، ٣٤٧ والانصاف ٦١٨ .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لابن جُعيل ، منها هذه الأبيات :

أبيات الشاهد

(وضَجيعٍ قد تعلَّلْتُ به طيِّبٍ أردانُه غيرِ تَفِلْ
فى مكانٍ ليس فيه بَرَمٌ وفراشٍ مُتَعالٍ مُتْمَهِلْ
فإذا قامتْ إلى جاراتِها لاحت الساقُ بخلخالٍ زَجِلْ
وبمَتْنَيْنِ إذا ما أدبَرتْ كالعِنانين ، ومُرْتجٍّ رَهِلْ
صَعدةٌ قد سَمَقَتْ فى حائر . . . . البيت)

الضَّجيع : المضاجِع ، مثل النديم بمعنى المنادم والجليس بمعنى المجالس ، من الضُّجوع وهو وضع الجنب على الأرض ؛ وهو مجرور بربَّ المقدرة بعد الواو ؛ وجملة « قد تعلّلت » جواب ربّ وهو العامل فى مجرورها ؛ وقد وقع جواب ربّ قبلَ وصْفه ، والتعلّل : التلهّى . وطيّب : صفةُ ضجيع ، وأرْدانُه : فاعله . والتَفِل ، بفتح المثّناة الفوقيّة وكسر الفاء ، وصفٌ من تفِلت ٤٥٨ المرأةُ تَفَلاً فهى تَفِلة ، من باب تعب : تركت الطِّيب والأدهان . والبَرَم بفتحتين : مصدرُ برِم به ، بالكسر : إذا سئمه وضجر منه . وفراش مطوف على مكان . ومُتْمَهِل : آسم فاعل من اتمهلّ الشىء ، على وزن اقشعرّ ، أى طال واعتدل ؛ وأصل المادة تَمْهَل بمثناة فوقية فميم فهاء فلام . وزَجِل ، بفتح الزاى المعجمة وكسر الجيم : أى مصوِّت : وذلك أنّهم كانوا يجعلون فى الخلاخيل جَلاجل . وقوله : وبمتْنين ، هو تثنية مَتن ، وهو — كما قال ابنُ فارس — مكتنَفا الصُلْب من العصَب واللحم ؛ وهو متعلّق بمحذوف ، أى وإذا ما أدبَرَت أدبَرَت بمتنين كالعِنانين وبمرتجّ الخ ، وهو مثنّى عِنان الفَرَس ؛ وعِنانا المتن : حَبْلاه ؛ أراد أنّ خَصْرَها مجدولٌ لَطيف ؛ وأراد بالمرتجّ الكفلَ . والرَّهِل ، بفتح فكسرٍ : المضطرب .

وقوله (صَعدة) أى هى صَعْدة ؛ والصَّعدة : القناة التى تنبُت مستويةً فلا تحتاج إلى تثقيفٍ[١] وتعديل ؛ وامرأةٌ صعدة : مستوية القامة ، شبّهها بالقناة. وأنشده الجوهرىّ — فى مادة صعد — ولم ينسُبه إلى أحد . وقال العينيّ : نسبه الجوهرىّ إلى الُحسام بن صُدَاء الكلبى . ولا أدرى أين ذكره

و (الحائر) بالحاء المهملة ، قال أبو نصر : يقال للمكان المطمئن الوسَط المرتفِع الحروف : حائر — وأنشد هذا البيت — وإنما قيل له حائر ، لأنَّ الماء يتحيّر فيه فيجىء ويذهب . . قال الأعلم : الحائر : القرارة من الأرض يستقرّ فيها السيل فيتحيّر ماؤه : أى يستدير ولا يجرى ، وجعلَها فى حائر لأنَّ ذلك أنعَمُ لها وأشد لتثنّيها[٢] إذا اختلفت الريح اهـ . وقال أبو بكر الزُّبيدىّ (فى كتاب لحن العامّة) : ويقولون للحَظيرة تكون فى الدار حيرا ، ويجمعونه أحيارا . والصواب حائر وجمعه حُورانٌ وحِيران . وبالبصرة حائر الَحجّاج ، معروف . وقال أحمد بن يحيى ثعلب : الحائر هو الذى تسمِّيه العامّة حِيراً وهو الحائط اهـ .

وروىَ بدلَ نابتة : (قد سَمَقَتْ[٣]) أى طالت وارتفعت .

ابن جعيل

و (ابن جُعَيل) صاحب هذا الشعر ، بضم الجيم مصغّر جُعَل . واسمه كعب بن جُعيل بن قُمير ، مصغّر قمر ، ابن عُجْرة بن ثعلبةَ بن عوف بن مالك ابن بكر بن حَبيب بن عمرو بن تغلِب بن وائل . وهو شاعر مشهور إسلامىّ كان فى زمن معاوية . وفيه يقول عُتبة بن الوَغْل[٤] التغلبيّ :

(١) ط : « تثقيق » ، صوابه فى ش .

(٢) كذا عند الأعلم (سيبويه ١ : ٤٥٨) . وفى ط : « وأسد لنبتها » ، وفى ش « وأشد لنبتها » .

(٣) ط « سمت » صوابه فى ش .

(٤) هكذا ضبطه البغدادى بقلمه فى نسخته من فرحة الأديب التى سبقت الإشارة إليها فى التقديم .

سمِّيت كعبا بِشرِّ العظامِ وكان أبوك يُسمَّى الجُعَلْ
وإنَّ مكانَك من وائلٍ مكان القُرادِ من آستِ الجَمَلْ[1]

هكذا ذكره الآمدىّ فى المؤتلف والمختلف، ونسب إليه الشعر الذى منه بيت الشاهد.

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[2]: «وكعب بن جُعَيل هو الذى قال له يزيد بن معاوية: اهجُ الأنصار، فدَلّه على الأخطل. ولكعبٍ هذا أخٌ يقال له عُمير بن جُعيل بالتصغير، وهو شاعر أيضاً، وهو القائل يهجو قومه:

كسا اللهُ حيَّيْ تغلبَ ابنةَ وائلٍ مِن اللؤمِ أظفاراً بطيئا نصُولها!

ثم ندم فقال:

ندِمتُ على شتمى العشيرة بعد ما مَضَتْ واستتبَّتْ للرواة مَذاهبُهْ
فأصبحتُ لا أستطيعُ دفعاً لما مضى كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ فى الضَّرع حالبُه»

٤٥٩ وفى الشعراء شاعر آخر يقال له ابن جُعيل بالتصغير، واسمه شبيب التغلَبِيّ وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى فى خبر ما ولا[3] وفيهم أيضاً من يقال له «ابن جُعَل» مكبَّرا، وهو تغلَبِيّ أيضاً كالذَين قبله، واسمه عَميرة — بفتح العين — ابن جُعَل بن عمرو بن مالك بن الحارث بن حبيب بن عمرو ابن غَنْم بن تغلب بن وائل، شاعرٌ جاهليٌّ، وهو القائل:

فمن مبلغٌ عنّي إياسَ بنَ جندلٍ أخا طارقٍ، والقولُ ذو نَفَيانِ
فلا توعِدَنّى بالسلاحِ، فإنّما جمعتُ سلاحى رهبةَ الحدَثانِ!

(١) هذا البيت نسبه الأعلم فى شرح أبيات سيبويه إلى الأخطل.
(٢) الشعراء ٦٣١ — ٦٣٢.
(٣) فى الشاهد ٢٨٣.

جمعت ردينيًّا كأنّ سِنانه   سَنَا لهبٍ لم يتصِلْ بدُخان

كذا فى المؤتلف أيضاً للآمديّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد المائة ، وهو من شواهد س (١) .

١٦٣ (ألا رَجُلاً جَزاهُ اللهُ خيراً   يدُلُّ على محصِّلةٍ تُبيتُ)

على أنّ (ألا) عند الخليل قد تكون للتحضيض ، كما فى هذا البيت ، أى ألا تُرُونِي رجلا — هو بضمّ التاء من الإراءة ، لا بفتحها من الرؤية .

قال سيبوَيه : وسألت الخليل عن هذا البيتِ ، فزعم أنه ليس على التمنّي ، ولكنْ بمنزلة قول الرجل : فهلاّ خيراً من ذاك ؟ كأنه قال : ألا تُرُونى رجلا جزاه الله خيرا !

قال ابن هشام فى المغْنى « ومن معانى ألاَ العرضُ والتحضيضُ ، ومعناها طلب الشىء ؛ ولكنّ العرْضَ طلبٌ بِلين ، والتحضيضَ طلبٌ بحثٍّ ؛ وتختصّ ألا هذه بالفعليّة ، ومنه عند الخليل هذا البيت ، والتقدير عنده : ألا تُرُونى رجلاً هذه صفته ! فحُذِف الفعلُ مدلولاً عليه بالمعنى . وزعم بعضُهم : أنه محذوف على شريطة التفسير ، أى ألا جزىٰ الله رجلاً جزاه خيرا . وألا على هذا للتنبيه . وقال يونس : ألا للتمنِّي ، ونوّنَ الأسم للضرورة . . وقولُ الخليل أوْلىٰ ، لأنه لا ضرورة فى إضمار الفعل بخلاف التنوين . وإضمار الخليل

(١) سيبويه ١ : ٣٥٩ . وانظر الخزانة ٢ : ١١٢ ، ١٥٦ /٤ : ٤٧٧ بولاق والعينى ٢ : ٣/٣٦٦ : ٣٥٢ . وابن يعيش ٢ : ١٠١ ، ١٠٢ وشرح شواهد المغنى ٧٧ ، ٢١٩ ونوادر أبى زيد ٥٦ .

أولى من إضمار غيره ، لأنه لم يُرِدْ أن يدعوَ لرجل على هذه الصفة ، وإنما قصد طلبَه . وأما قول ابن الحاجب في تضعيف هذا القول : إنَّ « يدُلُّ » صفةٌ لرجل فيلزم الفصل بينهما بالجملة المفسِّرة وهي أجنبيّة ، فمردود بقوله تعالى (إنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ له وَلَد[1]) ثم الفصل بالجملة لازم وإن لم تقدّر مفسِّرة إذ لا تكون صفةً[2] لأنها إنشائية اه كلام المغنى .

وقدّر العاملَ غيرُ الخليل ألا أجد رجلا . وقدَّره بعضهم ألاَ هاتِ رُجلا . ورُوى أيضاً (ألا رجلٍ) بالرفع والجرّ ، فالرفع اختاره الجوهريّ على أنه فاعل لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، أى ألا يدلّ رجل . وقيل : رجل مبتدأ تخصَّصَ بالاستفهام والنفى ، وجملة يدلّ خبرُه . والجرّ على تقدير ألا دَلالةَ رجل ، فحذف المضاف وبقى المضاف إليه على حاله . وقال الصاغانى فى العباب : الجر على معنى أماَ مِنْ رجل . وهما ضعيفان . وجملة جزاه الله خيرا دعائيَّة لا محلَّ لها .

صاحب الشاهد — وهذا البيت من قصيدة طويلة لعمرو بن قِعاس المُراديّ . وهذا مطلعها وأبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(ألا يا بَيتُ بالعَلياء بَيتُ ولولا حبُّ أهلِكَ ما أتيتُ

ألا يا بيت أهلُك أوعدونى كأنّى كلَّ ذنبِهِم جنَيت

٤٦٠ ألا بَكَرَ العواذل فاستَميتُ وهل من راشدٍ لى أن غوَيتُ[3]

---

(١) الآية ١٧٦ من النساء .

(٢) فى النسختين : « إذ لا تكون مفسرة » وهو خطأ ظاهر ، فإن الجملة الانشائية يصح التفسير بها ، وصوابه من مغنى اللبيب (مبحث ألا) .

(٣) فى النسختين : « إما غويت » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته ومما سيأتى فى الشرح .

إذا ما فاتني لحمٌ غريضٌ ضربتُ ذراع بَكرى فاشتويت
وكنت متى أرىٰ رِقًّا مريضا يُصاحُ على جِنازته بكيتُ
أُمَشِّى فى سَراة بنى غُطيف إذا ما سامَني ضَيمٌ أبَيتُ
أرجِّلُ لِمّتي وأجرُّ ذيلى وتحمل بِزّتى أُفُقٌ كميتُ
وبيتٍ ليس مِن شَعَر وصوفٍ على ظهر المطيَّة قد بنيتُ
ألا رجلاً جزاه الله خيراً يدلُّ على محصلةٍ تبِيتُ
ترجِّل لمّتى وتقُمُّ بيتى وأُعطيها الإتاوةَ إن رضِيتُ)

والبيت الأوّل من شواهد سيبويه ، نسبه إلى عمرو بن قِعاس ، وأورده فى باب النداء . قال الأعلم : الشاهد فيه رفع البيت ، لأنه قصدَه بعينه ولم يصِفْه بالمجرور بعده فينصبَه ، لأنه أراد : لى بالعلياء بيتٌ ولكنى أو ترك عليه لمحبتى فى أهلك .

وقوله : كأنّى كلَّ ذنبهم أتيتُ ، قال المازنىّ : معناه : كأنّى جنيت كلَّ ذنبٍ أتاه إليهم آت . وقوله : فاستميَت : أى علوت عن سَماع عذلهنّ ؛ وهو افتعلت من السموّ ، أى أنا أعلىٰ من أن أُلامَ على شئ ؛ وهل من راشد لى إن غوَيت . واللحم الغريض : الطرىّ . والبَكر بالفتح . والرِّقّ بكسر الراء المهملة . يصف نفسَه بالعفّة ورقّة القلب . وأُمشّى بالتشديد : لغة فى أمْشى بالتخفيف . وغُطيف بالتصغير جدّه الأعلىٰ . والبِزّة ، قال فى المصباح : يقال فى السلاح بِزّة بالكسر مع الهاء ، وبَزٌّ بالفتح مع حذفها . وروىَ بدله : (وتحملُ شِكّتى) بكسر الشين وهى السلاح أيضاً . وأفُق بضمّتين : الفرس الرائع ، للأنثى والذكر ؛ كذا فى العباب . وأنشدَ هذا البيت . والكُميت من

الخيل : بين الأسود والأحمر ، وقال أبو عُبيد : ويُفرق بينه وبين الأشقر بالعُرْف والذَّنَب: فإن كانا أحمرين فهو أشقَر، وإن كانا أسودَين فهو الكميت وقوله : وبيت ليس من شعر الخ ، يريد : إنّني جعلت ظهرَ المطيّة بدلاً من البيت . وهذا أبلغُ من قول محمَّد بن هانىء الأندلسىّ :

قومٌ يبيتُ على الحشايا غيرُهمْ ومَبيتُهم فوقَ الجِياد الضُمَّرِ

والحشايا : جمع حشيَّة ، وهي الفِراش .

وقوله : (يدلّ على محصَّلة تبِيت) المحصِّلة بكسر الصاد قال الجوهرىّ وابن فارس[(١)] — وتبعهما صاحب العباب والقاموس وغيرُهما — : هى المرأة التى تحصِّل تراب المعدِن . وأنشدوا هذا البيتَ . قال ابن فارس : وأصل التحصيل استخراجُ الذهب من حجر المعدن ، وفاعلُه المحصِّل . وهذا ، كما ترىٰ ركيكٌ ، والظاهر ماقاله الأزهرىّ فى التهذيب ، فإنه أنشَد هذا البيتَ وما بعده وقال : هما لأعرابى أراد أن يتزوَّج امرأة بمُتْعة . فصادُه مفتوحة . وأنشد الأخفش هذا البيتَ (فى كتاب المعاياة) وقال : قوله محصَّلة موضع يجمع الناسَ أى يحصِّلهم . وتبيت فعلٌ ناقص مضارعُ بات ، اسمها ضمير المحصَّلة ، وجملة ترجِّل لِمَّتى فى محل نصب خبرها . وفيه العيب المسمى بالتضمين وهو توقف البيت على بيت آخر[(٢)] وخرّجه بعضهم على أنه بضم أوله من أبات ، أى تجعل لى بيتاً أى امرأة بنكاح ؛ وعليه فلا تضمين ؛ لكنّي لم أجدْ أباتَ بهذا المعنى فى كتب اللغه . وزعم الأعلم أنّه فعلٌ تام فقال : « طلبُها للمبيت إمّا ٤٦١

(١) ط : « وابن قابوس » صوابه فى ش وشرح شواهد المغنى للبغدادى ١ : ٣٧١ مخطوطة دار الكتب .

(٢) فى هامش أصل المطبوعة كما ذكر مصححها : « وفيه أيضاً عيب لم يذكره الشارح ، وهو عيب الردف »

للتَّحصيل أو الفاحشة » . وروى بعضهم : (تَبيث) بالمثلَّثة وقال : العرب تقول : بُثْتُ بالشيء بَوثا وبِثته بَيثا : إذا استخرجتَه . أراد امرأة تعينه على استخراج الذهب من تراب المعدن . وهذا غفلة عما قبله وما بعده .

والترجيل : التسريح وإصلاح الشعر ، واللِّمةُ بالكسر : الشعر الذى يجاوز شحمةَ الأذن . وقَمَّ البيتَ قمًّا — من باب قتل — : كنسه . والإتاوة قال فى المصباح : وأتوته آتوه إتاوة بالكسر : رشوَته .

و (عمرو بن قِعاس) بكسر القاف بعدها عين ، قال الصاغانى فى العباب : ويقال ابن قِنْعاس أيضاً : أى بزيادة نون بينهما . عمرو بن قعاس

وهذه نسبته من جمهرة ابن الكلبيّ : عمرو بن قِعاس بن عبد يَغوثَ بن مخدش بن عَصَر — بالتحريك — ابن غَنْم — بفتح فسكون — ابن مالك ابن عوف بن منبّه بن غُطيف بن عبد الله بن ناجية بن مالك بن مراد ؛ المرادِيّ المَذحِجِيّ . ومن ولد [عمرو[1]] ابنِ قِعاس هانئُ بن عُروة بن نِمْران ابن عمرو بن قِعاس ، قتلَه عبيد الله بن زياد مع مُسلم بن عقَيل بن أبى طالب وصلَبهما اهـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد المائة[2] :

١٦٤ (تَعُدُّونَ عَقْرَ النِيبِ أفضلَ مَجْدِكُمْ
بنى ضَوطَرَى لولا الكَمِيَّ المقنَّعا)

(١) التكملة من ش وتحتها كلمة « صح » .
(٢) انظر أيضاً الخزانة ٤ : ٤٩٨ والكامل ١٥٨ والعينى ٤ : ٤٧٥ وابن الشجرى ١ : ٢٧٩ ، ٢/٣٣٤ : ٢١٠ وابن يعيش ٢ : ٣٨ ، ١٠٢/٨ : ١٤٤ ، ١٤٥ والخصائص ٢ : ٤٥ وشرح شواهد المغنى ٢٢٩ وديوان جرير ٣٣٨ .

على أن الفعل قد حُذف بعد (لولا) بدون مفسِّر : أى لولا تعدّون

قال المبرّد فى الكامل : لولا ، هذه ، لا يليها إلاّ الفعل لأنّها للأمر والتحضيض مُظهراً أو مضمَراً كما قال :

تعدُّون عَقْر النِيب . . . . . . البيت

أى هلاّ تعدّون الكمِىَّ المقنّعا .

ومثلَه قدّر ابنُ الشجرىّ فى أماليه وقال : أراد لولا تعدّون الكمىَّ ، أى ليس فيكم كمىّ فتعدّوه .

وكذلك قدّره أبو علىّ (فى إيضاح الشِعر ، فى باب الحروف التى يحذف بعدها الفعل وغيره) وقال : فالناصب للكمىّ هو الفعلُ المرادُ بعد لولا، وتقديره : لولا تلقَون الكمىّ ، أو تبارزون ، أو نحوُ ذلك ؛ إلا أن الفعل حُذف بعدها لدلالتها عليه .

فكل هؤلاء كالشارح جعل لولا تحضيضيَّة وقدّر المضارعَ لأنها مختصة به. وخالفهم ابن هشام فى المغنى ، فجعلها للتوبيخ والتنديم وتختصُّ بالماضى ، وقال : « الفعل مضمَر ، أى لولا عددتم . وقولُ النحويِّين : لولا تعدّون ، مردودٌ ، إذ لم يُرد أن يحضّهم على أن يعُدّوا فى المستقبل ، بل المرادُ توبيخُهم على ترك عدّه فى الماضى . وإنما قال تعدُّون على حكاية الحال ، فإن كان مراد النحويين مثلَ ذلك فحسَن » اهـ .

و (تعدّون) اختُلف فى تعديته إلى مفعولين : قال ابن هشام فى شرح الشواهد : « اختُلف فى تعدِّى عدّ بمعنى اعتقد إلى مفعولين ، فمنعه قوم وزعموا فى قوله :

لا أعُدُّ الإقتار عُدماً ، ولـكنْ فقدُ مَن قد رُزِيتُه الإعدامُ[1]

أنّ عُدماً حالٌ . وليس المعنى عليه . وأثبته آخرون مستدلين بقوله :

فلا تعدُدِ المولىٰ شريكَكَ فى الغنيٰ ولـكنّما المولىٰ شريكُكَ فى العدَمِ[2]

وقولِه : تعدّون عَقر النيب .. الخ اهـ

وجهُ الاستدلال فى البيت الأوّل أنّ قوله شريكَكَ . وفى البيت الثانى أن قوله أفضل مجدكم ، معرفتان لا يجوز نصبهما على الحاليّة ، لأنها واجبة التنـكير .

٤٦٢ وقوله : (الـكمىّ المقنّعا) منصوب على أنه المفعول الأوّل لتعدّون المحذوف بتقدير مضاف ، والمفعول الثانى محذوف : أى لولا تعدّون عقر الـكمىّ أفضلَ مجدكم . ولا يجوز أن يكون من العدّ بمعنى الحساب ، قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل « وأما عدَّ ، مِن العدد وهو إحصاء الشئ ، فيتعدّىٰ لمفعولين أحدهما بحرف الجرّ . وقد يحذف — تقول : عددَتك المال ، وعددت لك المال » اهـ . فهو متعدّ باللام ؛ وتقدير (مِنْ) لا يستقيم . وقدّر بعضهم من حروف الجرّ مِن ، وقال : هلاّ تعدّون ذلك من أفضل مجدكم . نقله ابن المستَوفى فى شرح أبيات المفصل . وفيه نظر . وذكَر أيضاً وجوهاً أُخَر : (منها) أنّ أفضل مجدكم بدلٌ من عَقْر النيب . وفيه أن هذا ليس بدلَ اشتمال ولا بدلَ بعض لعدم الضمير ، ولا بدلَ كلّ لأنّه غيره ، ولا بدلَ غلطَ لأنَّه لم يقع فى الشعر . و (منها) أنّه منصوب على المصدر بتقدير مضاف أى تعدّون عقر النيب عدَّ أفضلَ مجدكم . و (منها) أنه نعت أو عطف بيان .

---

(١) لأبى دواد الإيادى فى العينى ٢ : ٣٩١ .
(٢) للنعمان بن بشير فى العينى ٢ : ٣٧٧ .

و (العقر) . مصدر عقَر الناقةَ بالسيف من باب ضرب : إذا ضرب قوائمَها به . قال فى المصباح : لا يطلق العقْر فى غير القوائم ، وربما قيل : عقر البعير : إذا نحره . و (النِّيب) : جمع ناب ، وهى النـاقة المسنّة . و (المجد) : العز والشرف . و (بنى ضوطرىٰ) : منادىٰ ، قال ابن الأثير فى المرصَّع : بنو ضوطرىٰ ــ ويقال فيه : أبو ضوطرىٰ : هو ذمّ وسبّ . وأنشدَ هذا البيت وقال : وضوطرىٰ هو الرجل الضخم اللئيم الذى لا غَنـاء عنده ، وكذلك الضَوطر والضيطر . ومثله فى سِفْر السعادة ، وزادَ ضَيطاراً ، وقال : وجمع ضَيطار ضياطرة . وقال حمزة بن الحسين : العرب تقول : يا ابن ضَوطر ، أى يا ابنَ الأمَة . وقال اللخمىّ : الضَّوطر : المرأة الحمقـاء . و (الـكمىّ) : الشجاع المتـكمِّى فى سلاحه ، لأنه كَمى نفسَه أى سترها بالدِرع والبَيضة ، كذا فى الصحاح . و (المقنّع) بصيغة اسم المفعول الذى على رأسه البيضة والمغفَر . حاصل المعنى : أنّـكم تعدّون عقر الإبل المسنّة التى لا ينتفَع بها ولا يرجىٰ نسلُها أفضلَ مجدكم ، هلا تعدُّون قتلَ الشجعان أفضلَ مجدكم ؟ وهذا تعريضٌ بجبنهم وضعفهم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران .

صاحب الشاهد — وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق .

قضية عقر الإبل — و (قضيّة عقْر الإبل) مشهورة فى التواريخ ، محصَّلها أنه أصاب أهلَ الـكوفة مَجاعة ، فخرج أكثر الناس إلى البوادى — وكان غالب أبو الفرزدق رئيسَ قومه — فاجتمعوا فى أطراف السَماوة من بلاد كلْب على مسيرة يوم من الـكوفة ، فعقر غالبٌ لأهله ناقةً صنع منها طعاماً وأهدىٰ إلى قوم من تميم جِفاناً ، وأهدى إلى سُحيم جفنةً فـكفاها وضربَ الذى أتىٰ بها ، وقال : أنا مفتقرٌ إلى طعام غالب ؟ ! ونحر سُحيم لأهله ناقة ؟ فلما كان من الغد نحر غالبٌ لأهله ناقتين ونحر سحيم ناقتين ؛ وفى اليوم الثالث نحر غالبٌ ثلاثاً فنحر

سحيم ثلاثاً ؛ فلما كان اليومُ الرابع نحر غالب مائةَ ناقة ولم يكن لسحيم هذا القدر فلم يعقر شيئاً ؛ ولما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفةَ قال بنو رياح لسحيم : جررت علينا عارَ الدهر ، هلاّ نحرت مثل ما نحر غالب ، وكنّا نعطيك مكانَ كلِّ ناقةٍ ناقتين ؟! فاعتذر أن إبله كانت غائبة ، ونحرَ نحوَ ثلاثمائة ناقة . وكان فى خلافة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فمنَعَ الناسَ من أكلها ٤٦٣
وقال : إنّها ممّا أُهِلّ لغير الله به ولم يكن الغرضُ منه إلاّ المفاخرة والمباهاة ! فجمِعَت لحومُها على كُناسة الكوفة ، فأكلها الكلابُ والعِقْبان والرّخَم .

وقد أورد القالىّ هذه الحكايةَ فى ذيل أماليه[1] بأبسَط ممّا ذكرناه ، وأورد ما قيل فيها من الأشعار وما مُدِح به غالبٌ وهُجى به سُحيم .

﴿ تتمّة ﴾

بيت الشاهد نسبه ابنُ الشجَرىّ فى أماليه للأشهب بن رُميلة . وكذا غيره . والصحيح أنه من قصيدة لجرير لا خلافَ بين الرواة أنّها له . وهى جواب عن قصيدةٍ تقدّمت للفرزدق على قافيتها . وكان الفرزدق تزوّج حَدْراء الشَيبانيّة ، وكان أبوها نَصرانيًا وهى من ولد بِسْطام بن قيسٍ ، وماتت قبل أن يصل إليها الفرزدق وقد ساق إليها المهر ، فترك المهرَ لأهلها وانصرف . وكان جرير عاب عليه فى تزويجها ، فقال الفرزدق فى ذلك من قصيدة :

يقولون زُرْ حَدْراءَ ، والتُّربُ دونَها ، وكيف بشىءٍ وصلُه قد تقطّعا
يقول ابنُ خِنْزِيرٍ : بكيتَ ، ولم تكن على امرأةٍ عَينى إخالُ لِتَدمعَا

(١) ذيل الأمالى ٥٢ — ٥٤ .

وأهوَنُ رزءٍ لامرئٍ غيرِ عاجزٍ رَزيّةُ مُرتجٍّ الروادف أفرعا
وما مات عند ابنِ المراغة مثلُها ولا تبعتْه ظاعناً حيث دعدَعا

فأجابه جرير بقصيدة طويلة منها :

(وحدراء لو لم يُنجها اللهُ برّزت إلى شرِّ ذى حرثٍ دَمالا ومزرعا[1]
وقد كان رجساً طُهِّرتْ من جِماعِهِ وآب إلى شرِّ المضاجع مَضجَعا)

ثم قال :

(تعدُّون عقر النِيب أفضلَ سعيكِم ، بنى ضَوطَرَىٰ ، هلاّ الكميَّ المقنّعا
وقد علِم الأقوامُ أنّ سيوفَنا عَجمنَ حديدَ البَيضِ حتى تصدّعا
ألا ربَّ جبّارٍ عليه مهابةٌ سقَيناه كأسَ الموت حتّى تضلّعا)

والقصيدتان مسطورتان أيضاً فى منتهى الطلب من أشعار العرب .

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب[2] . وتقدمت ترجمة سُحيم بن وَثيل أيضاً فى الشاهد الثامن والثلاثين[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد المائة[4] :

١٦٥ (ونبِّئتُ لَيلىٰ أرسلَتْ بشفاعةٍ إلىَّ ، فهلاَّ نفسُ لَيلىٰ شَفيعُها)

على أن الجملة الاسميّة قد وقعت فيه بعد أداة التحضيض شذوذا .

---

(١) الدمال ، كسحاب : السماد . ط : « ومن رعا » صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن ديوان جرير ٣٣٦ .
(٢) الجزء الأول ص ٧٥
(٣) الجزء الأول ص ٢٦٥
(٤) انظر أيضاً الخزانة ٣ : ٤/٥٩٧ : ٤٩٨ ، ٥٢٤ بولاق والعينى ٣ : ٤/٤١٦ : ٤٥٧ ، ٤٧٨ والحماسة ١٢٢٠ بشرح المرزوقى وشرح شواهد المغنى ٧٩ .

هذا البيت أورده أبو تمّام فى أوّل باب النسيب من الحماسة ، مع بيت ثان وهو :

(أأ كْرَمُ مِن ليلىْ علَىّ فتبتغى به الجاهَ أم كنتُ امرأً لا أُطِيعها)

قال ابن جنّي فى إعراب الحماسة : « هلاّ من حروف التحضيض ، وبابه الفعل ، إلاّ أنّه فى هذا الموضع استعمل الجملة المركَّبة من المبتدإ والخبر فى موضع المركّبة من الفعل والفاعل ؛ وهذا فى نحو هذا الموضع عزيزٌ جدّا » وكذا قال شرّاح الحماسة . وخرّجه ابن هشام فى المغنى على إضمار كانَ الشأنيّة ؛ أى فهلاّ كان هو أى الشأن . ثم قال : وقيل : التقدير فهلاّ شفعت نفسُ ليلى ! لأنّ الإضمار من جنس المذكور أقيَس . وشفيعُها على هذا خبرٌ لمحذوف أى هى شفيعها . ونسب أبو حيّانَ الوجهَ الأوّل لأبى بكر بن طاهر ، ونسب الوجه الثانىَ إلى البصريّين . ٤٦٤

ونُبِّئْ يتعدّى لثلاثة مفاعيل ، المفعول الأوّل التاء وهى نائب الفاعل ، وليلىْ المفعولُ الثانى ، وجملة أرسلَتْ فى موضع المفعول الثالث . وقوله : بشفاعة أى بذى شفاعة ؛ فالمضاف محذوف أى شفيعاً . يقول : خُبِّرْتُ أنّ ليلى أرسلتْ إلىّ ذا شفاعة ؛ تطلبُ به جاهاً عندى ، هلاّ جعلت نفسَها شفيعَها .

وقوله : أأ كرَم من ليلىْ الخ ، الاستفهام إنكارٌ وتقريع . أنكر منها استعانتَها عليه بالغير . وقوله : فتبتغى ، منصوبٌ فى جواب الاستفهام ، لكنّه سكّنه ضرورة . وأم متّصلة ، كأنه قال : أىَّ هذينِ توهّمتْ ، طلبَ إنسان أ كرَم علىَّ منها أم اتّهامَها لطاعتى لها ؟ ! وخبر أ كرمُ علىَّ محذوفٌ ، والتقدير أ كرم من ليلىْ موجوداً فى الدنيا . وقد أورد ابن هشام هذا البيتَ فى الباب الخامس من المغنى ، شاهداً على اشتراط الصفة لما وطِّىء به من خبر

أو صفةٍ أو حال . وفى أمالى ابن الشجَرىّ : فى البيت إعادة ضمير من أطيعها ضميرَ متكلّم وفاقاً لـكنتُ ، ولم يُعَد ضميرَ غائب وفاقاً لامرأً ، على حدّ (بلْ أنتُم قومٌ تجْهَلُون[1]) .

والبيتان نسبهما ابنُ جنّي فى إعراب الحماسة للصِمَّة بن عبد الله القُشَيْرىّ

قال أبو رِياش فى شرح الحماسة : « وكان مِن خبر هذين البيتين ، أنّ الصِمَّة بن عبد الله كان يهوىٰ ابنة عمِّه ، تسمَّى ريَّا ، فخطبها إلى عمّه فزوّجه على خمسين من الإِبل ، فجاء إلى أبيه فسأله فساق عنه تسعاً وأربعين ، فقال : أكمِلْها ! فقال : هو عمُّك وما يناظرك فى ناقة ! فجاء إلى عمّه بها ، فقال : والله لا أقبلُها إلاّ كلَّها . فلَجَّ عمُّه ولجّ أبوه ؛ فقال : والله ما رأيت ألأمَ منكما ، وأنا ألأمُ منكما إنْ أقمت معكما ! فرحل إلى الشام فلقى الخليفة فكلّمه ، فأعجب به وفَرض له ، وألحقه بالفُرسان . فكان يتشوّق إلى نجْد ، وقال هذا الشعر » اهـ .

الصحة القشيرى والصمّة ، كما فى جمهرة الأنساب ، هو الصِمّة بن عبد الله بن الحارث ابن قُرَّة بن هُبيرة . كان شريفاً ، شاعراً ، ناسكاً عابداً — وقُرَّة بن هبيرة وَفد على رسول الله ﷺ ، فأكرمه وكساه واستعمله على صدَقاتِ قومه — وينتهى نسبه إلى قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية ابن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيلان ابن مضر .

(تتمّة)

نسب العيْني البيتَ الشاهدَ إلى قيس بن الملوَّح . قال : ويقال : قائله ابنُ الدُّمينة .

---

(١) الآية ٥٥ من سورة النمل .

ونسبه ابن خَلِّكانَ فى وَفَيات الأعيان — على ما استقرّ تصحيحه فى آخر نسخة منها — لإبراهيم بن الصولىّ ؛ وأنّ أبا تمّام أورده فى باب النسيب من الحماسة . وذكر أنّ وفاة إبراهيم بن الصولىّ فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، ووفاةَ أبى تمّام فى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . والله تعالى أعلم .

* * *

باب التحـــذير

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والستون بعد المائة ، وهو من شواهد س(١) .

١٦٦ (فإيّاكَ إياكَ المِراءَ فإنّهُ إلى الشَّرِّ دَعَّاءٌ وللشرِّ جالبُ) ٤٦٥

على أن حذف الواو شاذّ .

قال س : « اعلم أنّه لا يجوز أن تقول إياكَ زيداً ، كما أنّه لا يجوز أن تقول : رأسَكَ الجدارَ . وكذلك : إياكَ أن تفعلَ ، إذا أردتَ : إياكَ والفعلَ . فإذا قلتَ : إيّاكَ أن تفعل ، تريد : إيّاكَ أعظ مخافةَ أن تفعل ، أو من أجل أن تفعل ؛ جاز » .

يعنى أنّ [أنْ(٢)] تقع بعد إيَّاك على وجهين :

---

(١) فى كتابه ١ : ١٤١ . وانظر العينى ٤ : ٣٠٨ . ١١٣ وابن يعيش ٢ : ٢٥ والخصائص ٣ : ١٠٢ ومعجم المرزبانى ٣١٠ .
(٢) التكملة من ش بخط الشنقيطى .

أحدهما أن تجعل أن تفعل مصدراً هو مفعول به ، كما تقول : إياك وزيداً ، وأصلُه أن تقول : إيّاك وأن تفعل ، كما قلتَ : إياك وزيداً ، ولكنهم حذفوا الواوَ لطول الكلام . ويقدّر أيضاً إيّاك من أن تفعل إذا حذّرتَه الفعل .

والوجه الآخر : أن تجعل أن تفعل مفعولاً له ، وهذا لا يحتاج إلى حرفِ عطف ، ويجوز أن يقعَ المصدر موقعَه .

فإذا وقع أن والفعل بمنزلة المفعول ، ثم أوقعت المصدر موقعَه ، لم يك بدٌّ من إدخال الواو عليه كما تدخل على غيره من المفعولات .

ثمّ قال سيبويه : « إلاّ أنهم زعموا أن ابن أبى إسحاق أجاز هذا البيت » ، وهو قوله : فإياك إياك المراء .. الخ

والشاهد فيه أنه أتى بالمراء وهو مفعول به ، بغير حرف عطف . وعند سيبويه أنّ نصب المراء بإضمار فعل ، لأنّه لم يعطف على إياك . وابن أبى إسحاق ينصبه ويجعله كأنْ والفعلِ ، وينصبه بالفعل الذى نصب ايَّاك ، وسيبويه يقدِّر فيه : اتّقِ المراء ، كما يقدر فعلا آخر ينصِب إيَّاك . وقال المازنى : لمّا كرّر إيّاك مرَّتين ، كانَ أحدُهما عوضاً من الواو . وعند المبّرد : المراء بتقدير أن تمارى ، كما تقول : إيّاك أن تمارى : أىْ مخافةَ أن تمارى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه أبو بكر محمد التاريخى فى طبقات النُّحاة — وكذلك ابن برّىّ فى حواشيه على دُرّة الغَوّاص الحريريّة ، وكذلك تلميذه ابن خلَف فى شرح شواهد سيبويه — للفضل بن عبد الرحمن القُرَشّى ، يقوله لابنه[1] القاسم بن الفضل . قال ابن برّىّ : وقبل هذا البيت :

(١) ط : « لابن » ، صوابه فى ش .

(مَن ذا الذى يرجو الأباعدُ نفعَه   إذا هو لم تصلُح عليه الأقاربُ)

والأباعد : فاعل يرجو . يريد : كيف يرجو الأجانبُ نفعَ رجل أقاربُه محرومون منه .

و (المراء) : مصدر ماريته أماريه مماراة ومراء : أى جادلته . ويقال ماريته أيضاً : إذا طعنتَ فى قوله ، تزييفاً للقول ، وتصغيراً للقائل . ولايكون المراء إلاّ اعتراضاً ، بخلاف الجدال : فإنّه يكون ابتداء، واعتراضاً. والجِدَال(١) مصدر جادل : إذا خاصم بما يشغَل عن ظُهور الحق ووضوح الصواب . كذا فى المصباح .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستّون بعد المائة ، وهو من شواهد س(٢) .

١٦٧ (أخاكَ أخاكَ إنّ مَنْ لا أخاله   كَساعٍ إلى الهَيْجا بغَير سِلاحِ)

على أن (أخاك) منصوب على الإغراء ، وهو مكرّر . يريد : الزم أخاك . غير أن هذا مما لا يحسنُ فيه إظهارُ الفعل عند التكرير ، ويحسن إذا لم يكرّر لأنّهم إذا كرّرُوا وجعلوا أحَد الاسمين كالفعل ، والاسمَ الآخرَ كالمفعول ، وكأنّهم جعلوا أخاك الأوّل بمنزلة الزم ، فلم يحسن أن تَدخُل الزمْ على ما قد جُعل بمنزِلَة الزمْ .

وجملَة (إنّ من لا أخاله الخ) استئنافٌ بيانىّ . وأكّد لأنّه جواب عن السبب الخاص . ومَنْ : نكرة موصوفة بالجملة بعدَها ، وقيل : موصولة .

---

(١) ط : « والجدل » صوابه فى ش .

(٢) سيبويه ١ : ١٢٩ ونسبه الأعلم إلى إبراهيم بن هَرْمَة القرشى ، وإن كان البغدادى قد نسبه إلى مسكين الدارمى . وانظر العينى ٤ : ٣٠٥ والخصائص ٢ : ٤٨٠ والهمع ١ : ١٧٠/٢ : ١٢٥ .

٤٦٦ ولا : نافية للجنس ، وأخا : اسمُها ، واللام مقحَمة بين المتضايفين ، نحو قولهم : « يا بؤس للحرب » والخبر محذوف أى موجود ونحوُه .

قال ابن هشام فى المغنى : « ومن ذلك قولهم : لا أبا لزيد ، ولا أخا له ، ولا غلامَىْ له ؛ على قول سيبويه : إنّ اسمَ لا مضافٌ لما بعد اللام . وأمّا على قول مَنْ جعل اللامَ وما بعدها صفةً ، وجعلَ الاسمَ مشبَّها بالمضاف لأنّ الصفة من تمام الموصوف ، وعلى قولِ من جعلهما خبراً ، وجعل أبا وأخا على لغةِ مَن قال : إنّ أباها وأبا أباها ، وجعل حذف النون على وجه الشذوذ ؛ فاللام للاختصاص ، وهى متعلِّقة باستقرار محذوف . ا هـ

وقوله : (كساع إلى الهيجا الخ) خبر إنّ يقول : استكثرْ من الإخوان ، فهُم عُدَّة تستظهِرُ بها على الزمان ؛ كما قال النبي ﷺ : « المرء كثيرٌ بأخيه » . وجعلَ مَن لا أخا له يستظهِرُ به ، كمن قاتل عدوَّه ولا سلاح معه . وقد صدَق فإنَّ مَن قطع أخاه وصَرَمه ، كان بمنزلة مَن قاتل بغير سلاح .

وقد أورد هذا البيتَ أبو عُبيد القاسم بن سلاّم فى أمثاله وقال : « هو مثلٌ فى استغاثة الرجل بأهل الثقة » .

و (الهيجا) : الحرب ؛ تمد وتقصر . قال ابن خلف : وهى فَعْلاء أو فَعْلَى فمن قصرَها فيكون المحذوف منها ألفَ المدِّ دون ألف التأنيث . وإنما كان حذف ألف المدّ أولىٰ من حذف ألف التأنيث لوجهين : أحدهما أنّ ألف التأنيث لمعنى ، وألف المدّ لغير معنى ؛ فكان حذفُ ما ليس لمعنى ، أولىٰ مما جاء لمعنى . والثانى : أن جميع ما قُصر ، مِما همزته للتأنيث ، لا ينصرف بعد القصر ؛ ولو كان المحذوف منه همزةَ التأنيث لانصرفَ الاسم ، لزوال علامة التأنيث ، كما صرفت قُريقرٍ وحُبَيِّرٍ مصغرى قَرقَرىٰ وحُبارىٰ ، لزوال علامة التأنيث منه . ألا ترى قولَه :

يارُبَّ هَيجا هى خيرٌ منْ دَعَهْ

قصَره ولم يَصرِفه ؟ والقصر فيها ضرورة ، وقيل : هو لغة . ولو كان المحذوف منه ألفَ التأنيث لقال : يا رُبَّ هيجاً هو خير ، وكان ينوِّن هيجاً فيذكِّرها ويقول : هو خير ، ولا يقول : هى خير . ا ه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبيات لمسكينٍ الدارِمىّ . وبعده :

أبيات الشاهد

(وإنّ ابنَ عمِّ المرء فاعلمْ جَناحُهُ وهل يَنهض البازى بغير جَناح

وما طالبُ الحاجات إلاّ معـذِّباً وما نال شيئاً طالبٌ لنجاحِ !

لحا اللهَ مَنْ باع الصديقَ بغيره ، وما كلُّ بيع بعته برَباح !

كمُفْسِدٍ أدناهُ ومُصلِح غيرِه ولم يَأتمر ، فى ذاك غيرُ صلاح ؟)

فى الأغانى وغيره : أن مسكيناً الدارمىّ لما قدم على معاوية أنشده :

إليكَ ، أميرَ المؤمنين ، رحلَتُها تُثير القطا ليلاً وهُنَّ هُجُود

على الطائر الميمون والجَدّ صاعد(١) لـكلِّ أُناسٍ طائرٌ وجُدود

إذا المِنبَرُ الغربىُّ خلَّى مكانه(٢) فإنّ أميرَ المؤمنينَ يزيدُ

وسأله أن يفرض له ، فأبىٰ عليه — وكان لا يفرض إلاّ لليمَنَ — فخرج من عنده وهو يقول :

أخاكَ أخاكَ إنّ من لا أخا له . . . . الأبيات

ولم يزل معاوية كذلك حتّى كثُرَت اليمنُ وعزّت قحطانُ وضعُفت عدْنان فبلغ معاويةَ أنّ رجلاً من اليمن قال : هممت أن لا أحل حَبوتى حتى أُخرِجَ كلَّ نزارىّ بالشام . ففرض من وقته لأربعةِ آلافِ رجل من قيس . فقدم ٤٦٧

(١) فى النسختين : « ساعد » . صوابه من الشعراء ٥٢٩ والأغانى ١٨ : ٧٢ .
(٢) ط : « حل مكانه » ، صوابه فى ش والشعراء ، وفى الأغانى . « خلاه ربه » .

لذلك على معاوية عُطاردُ بن حاجب ، فقال له : ما فعل الفتى الدارمىُّ الصبيحُ الوجه الفصيحُ اللسان — يعنى مِسكينا — فقال : صالحٌ يا أميرَ المؤمنين ؛ قال : أعلِمْه أنّى قد فرضت له ، فله شَرَف العَطاء[(١)] وهو فى بلاده ، فإنْ شاء [أن[(٢)]] يقيمَ بها أو عندنا فليفعل ، فإنّ عطاءه سيأتيه ، وبشّرْه بأنّى قد فرضتُ لأربعة آلافٍ من قومه . فكان معاويةُ يُغزى اليمنَ فى البحر وتميماً فى البَرّ ، فقال النَجاشىّ ، وهو شاعر اليمن[(٣)] :

ألا أيُّها الناس الذين تَجمَّعوا بعَكّا ، أُناسٌ أنتمُ أم أباعر
أيَترك قيساً[(٤)] آمنين بدارهمْ ونَركبٌ ظهر البحرِ والبحرُ زاخر
فواللهِ ، ما أدرى ؛ وإنّى لسائلٌ أهمْدانُ تحمى ضيمَها أم يُحابِرُ[(٥)]
أم الشرفُ الأعلىٰ من اولادِ حِمْيَر بنو مالك أنْ تَستمرّ المرائرُ[(٦)]
أأوصىٰ أبوهم بينَهم أنْ تَواصَلوا وأوصىٰ أبوكم بينكم أنْ تَدابَروا؟!

فرجع القومُ جميعاً عن وَجهِهم ، فبلغ ذلك معاويةَ ، فسَكّن منهم ، وقال : أنا أُغزيكم فى البحر لأنّه أرفقُ من الخيل وأقلُّ مُؤونة ! وأنا أعاقبكم فى البرّ والبحر[(٧)] . ففعَل ذلك .

---

(١) فى الأغانى ١٨ : ٧٠ : « قد فرضت له فى شرف العطاء » .
(٢) التكملة من الأغانى .
(٣) فى الأغانى : « فقال شاعر اليمن » . وبعد إنشاد الأبيات : « قال ويقال إن النجاشى قال هذه الأبيات .
(٤) الأغانى : « أتترك قيس » .
(٥) يحابر بن مالك بن أدد ، أبو مراد . ثم سميت القبيلة باسمه .
(٦) الأغانى : « إذ تستمر » .
(٧) المعاقبة هنا بمعنى المناوبة .

مسكين الدارمي

و (مسكين الدارمى) اسمه ربيعة بن عامر بن أُنيف بن شُريح بن عمرو ابن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم .

قال الـكلبيّ : كلُّ عُدَس فى العرب بضم العين وفتح الدال ، إلاَّ عدُسَ ابن زيد هذا ، فإنه مضموم الدال . هكذا فى جمهرة النسب .

ومسكين الدارمىّ شاعر شجاعٌ من أهل العراق ، ولقّبَ المسكينَ لقوله :

أنا مسكينٌ لمن أنكرنى ولمن يَعرفنى جِدٌّ نَطِقْ (١)

ولقوله :

وسمِّيتُ مِسكيناً ، وكانت لحاجة وإنّى لمسكين إلى اللهِ راغبُ (٢)

وهذه القصيدة من أحسن شعره :

اتَّق الأحمقَ أنْ تصحَبَه إنّما الأحمقُ كالثوب الخلَق
كلّما رقّعتَ منه جانباً حرّكته الريحُ وَهناً فانخرقْ
أو كصَدعٍ فى زجاج فاحشٍ هل ترى صَدْعَ زُجاج يتفّق !
وإذا جالستَه فى مجلس أفسد المجلس منه بالُخرُقْ
وإذا نَهْنَهْتَهُ كى يرعوِى زادَ جهلاً وتمادىٰ فى الُحمُقْ

(١) الأغانى ١٨ : ٦٨ .

(٢) ورد فى هامش النسختين ما نصه : « كذا هذا البيت فى أكثر الدواوين والتواريخ ، وأنشدنيه شيخنا الإمام ابن الشاذلى غير مرة :

وسميت مسكينا ومابى حاجة وإنّى لمسكين إلى الله راغبا .

وقال لى : هكذا الرواية فيه والله أعلم . ا هـ ابن الطيب » .

قلت : والذى فى الشعراء ٥٢٩ وأمالى المرتضى ١ : ٤٧٣ والأغانى ١٨ : ٦٨ : « وكانت لجاجة » بجيمين .

وإذا الفاحشُ لاقى فاحشاً فهنا كُمْ وافَق الشنُّ الطَبَقْ
إنمـا الفُحْشُ ومن يَعتادُه كغُرابِ السَّوء ما شاء نعَقْ
أو حِمارِ السَّوءِ إن أشبعته رمَح النـاسَ وإن جاع نَهَقْ ٤٦٨
أو غُلامِ السَّوءِ إن جوَّعتَه سَرق الجارَ وإن يَشبَع فسَقْ
أو كغَيرَىٰ رفَعت من ذيلها ثم أرختْه ضِراطاً (١) فانمزقْ
أيُّها السائلُ عمّـا قد مضى (٢) هل جديدٌ مثلُ ملبوسٍ خَلَقْ
أنا مسكينٌ لمن أنكَرنى ولمن يَعرِفُني جِدٌّ نطِـقْ
لا أَبيع الناسَ عِرضى ، إنّني لو أبيعُ النـاسَ عرضى لنفَقْ

ومن شعره يرثى ابن سُميّة (٣) :

رأيتُ زِيادةَ الإسلام ولّتْ جِهاراً حين ودعنا زيادُ

وردّ عليه الفرزدق بقوله :

أمسكينُ ، أبكى اللهُ عينَك ، إنّما جرىٰ فى ضلالٍ دمعُها إذْ تحدَّرا
بكيتَ امْرأً من أهل مَيسانَ كافراً ككسرىٰ علىٰ عِدّانه (٤) أو كقَيصرا
أقول لهم ، لمـا أتانى نعيُّه : بهِ لا بظبى بالصَّريمة أعفَرا

قال الزمخشرىّ فى أمثاله : « به لا بِظَبي ، مثلٌ : أى جعلَ اللهُ ما أصابه

---

(١) كذا . والصواب : « ضرار » كما فى الشعراء ٥٣٠ .
(٢) فى الشعراء : « عمن قد مضى » .
(٣) يعنى زياد ابن أبيه . وسمية أمه .
(٤) فى النسختين : « على أعدائه » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته مطابقا بذلك مافى اللسان (عدد) والأغانى ١٨ : ٦٨ . وفى معجم ياقوت : « على علاته » تحريف . والعدان : الزمان والعهد .

لازماً مؤثّرا فيه ، ولا كان مثلَ الظبى فى سلامته منه . يُضرَبُ فى الشماتة » .
وأنشد هذا البيتَ .

ثمّ رأيت المَيدانىّ قال : « الأعفر : الأبيض . أى لِتنزلْ به الحادثةُ لا بظبى . يُضْرَب عند الشماتة . قال جريرٌ حين نعى إليه زيادُ ابنُ أبيه . . »
وأنشد هذا البيت ، وقال : ومثله .

* بِهِ لا بكلبٍ نابحٍ فى السَّباسبِ *

ومن شعر مسكين :

اِصحب الأخيارَ وارغبْ فيهمُ   ربَّ مَن صحبتَه مثـل الجربْ
واصدُق الناسَ إذا حدَّثتهمْ   ودعِ الـكِذْبَ لمن شاء كذَبْ
ربَّ مهزولٍ سمينٌ عِرضُهُ   وسمينِ الجسم مهزولُ الحسَبْ

ومن شِعره الجيِّدِ مما أثبته السيدُ المرتضىٰ علم الهُدىٰ فى أماليه الدرر والغرر :

إن أدعَ مِسكيناً فما قصرَتْ   قِدرى بيوتُ الحىِّ والجُدْرُ
ما مسَّ رَحْلى العنـكبوتُ ولا   جَدَياتُه من وَضعِه غُبْرُ(١)
لا آخذ الصِبيانَ ألثَمهُمْ   والأمرُ قد يُغزَىٰ به الأمر
ولربَّ أمرٍ قد تركتُ ، وما   بينى وبين لقـائه سِترُ
ومُخاصمٍ قاومتُ فى كَبَدٍ   مثلِ الدِّهان فـكان لى العذر
ما علّتى(٢) قومى بنو عدُسٍ   وهمُ الملوكُ وخالى البِشر

(١) ط : « رجلى » ، صوابه فى ش وأمالى المرتضى .
(٢) المرتضى : « ماعابنى » .

عمِّي زُرارةَ غيرِ منتحَلٍ وأبي الذي حدَّثتَه عمرو
في المجد غُرَّتُنا مبيَّنة للناظرين كأنّها البدرُ
لا يرهبُ الجِيرانُ غدرَتَنا حتّى يواريَ ذِكرَنا القبرُ
لَسنا كأقوامٍ إذا كلَحت إحدى السنينَ فجارُهُم تمر
مولاهُمُ لحمٌ على وَضَمٍ تنتابُه العِقبانُ والنسْر ٤٦٩
ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ وإليه قَبْلي تُنزَل القِدر
ما ضرَّ جاريَ أنْ أُجاورَه[1] أن لا يكونَ لبيته ستْرُ
أعشَى إذا ما جارَتي خرجتْ حتّي يُواريَ جارتي الخِدر[2]
وَيَصمُّ عما كان بينهما سمعي، وما بي غيرَه وَقر[3]

قوله : فما قصَرت قدري الخ ، أي سُترت . يريد : أنّها بارزةٌ لا يحجبها السَّواترِ والحيطان . وقوله : ما مسّ رَحْلِي العنكبوت الخ ، هذه كناية مَليحة عن مواصَلة السيرَ وهجر الوطَن ، لأنَّ العنكبوتَ إنّما ينسِجُ[4] على مالا تناله الأيدي ولا يكثر استعماله . والجدَيات : جمع جَدْية بالسكون ، وهي باطن دفّة الرَّحل . وقوله : لا آخذُ الصِبْيان الخ ، يقول : لا أُقبِّل الصبيَّ وأنا أُريدُ التعرُّض لأمّه . ومثله لغيره :

ولا أُلقي لِذي الودَعات سَوطي أُلاعِبه وريبَته أُريد

(١) المرتضى : « إذ أجاوره » .
(٢) المرتضى : « أعمى إذا ما جارتي » .
(٣) التفسير التالي من أمالي المرتضى بنصه ، وإن لم ينص البغدادي عليه .
(٤) المرتضى : « تنسج » وفي اللسان : « الفراء : والعنكبوت أنثى ، وقد يذكرها بعض العرب . وأنشد قوله :
على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت قد ابتناها »

وأنشد ابنُ الأعرابيّ فى مثله :

إذا رأيتَ صبيَّ القوم يَلثَمه ضخمُ المناكب لا عمٌّ ولا خالُ
فاحفظْ صبيّك منه أن يدنّسَه ولا يغرّنْك يوماً قلةُ المـال

وقوله : قاومت فى كبَد الخ ، الـكبد : المزَلّة التى لا تثبت فيها الأرجُل . والدِهان : الأديم الأحمر . وقوله : فـكان لى العذر ، إنما يكون العذر إذا كان ثَمَّ ظلُم ؛ فيقول : إنما أقاوم وأخاصم مظلوماً متعدًّى عليه ؛ وإذا كان كذلك ، فيجب الاعتذار على الظالم ويكون العذر لى ، كقوله :

فإن كان سحراً فاعذريني على الهوَى وإن كان داء غيرَهُ فلَكِ العذرُ

وقوله : فجارهم تمر ، أى يُستحلىٰ الغدر به كما يُستحليٰ التمر . وقوله : نارى ونار الجار واحدةٌ الخ ، يقال : إنه كانت له امرأة تماضةٌ[1] ؛ فلما قال ذلك قالت له : أجلْ ، إنّما ناره ونارك واحدة لأنّه أوقد ولم توقِد ، والقدر تُنزل إليه قبلك ، لأنّه طَبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه . . وقوله : أن لا يكون لبيته سِتر ، يقال : إنّها قالت له : أجلْ ، إن كان له ستر هتـكتَه !

وقوله : أعشى إذا ما جارتى خرجت ، استشهد به فى التفسير عند قراءة (ومَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرحمن[2]) بفتح الشين ، ولأجله أوردتُ هذه القصيدةَ ، فإن شُرّاح شواهد التفسير اختلفوا فى هذا البيت : فبعضهم نسبه إلى حاتِم الطائىّ ، وبعضهم نسبه إلى غيره . قال صاحب الـكشّاف : ومن يَعش بضم الشين وفتحها ؛ والفرق بينهما : أنّه إذا حصَلت الآفةُ فى بصره قيل:

(١) ماضه مماضة ومضاضاً : لاحاه ولاجه . وفى أمالى المرتضى : « تماظه » ، بالظاء ، وهما بمعنى .

(٢) الآية ٣٦ من الزخرف . وقراءة « يعشَ » بفتح الشين هى قراءة يحيى بن سلام والحسن البصرى ، كما فى تفسير أبى حيان ٨ : ١٥ — ١٦ .

عشِىَ ، وإذا نظر نظر العُشْى ولا آفة به قيل : عَشَا . ونظيره عرِج لمن به الآفة ، وعرَج لمن مشىٰ مشية العُرْجان من غير عَرَج ، قال الحطيئة :

* متىٰ تأتِه تعشُو إلىٰ ضَوء ناره[1] *

أى تنظر إليها نظرَ العُشْى ؛ لمـا يُضعِف بصرَك من عِظم الوَقود ، واتساع الضَّوء . وهو بيِّنٌ فى قول حاتم :

أعشُو إذا ما جارتى برزَتْ حتّي يوارىَ جارتى الخِدْرُ

وقرئ « يَعشُو[2] » . ومعنى القراءة بالفتح : ومَن يَعْمَ عن ذكر الرحمن ، وهو القرآن . وأما القراءة بالضمّ فمعناها : ومن يتعامَ عن ذكره ،

٤٧٠ أى يعرف أنه الحقُّ وهو يتجاهل ويتغابىَ . اهـ مختصراً .

* * *

باب المفعول فيه

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والستّون بعد المـائة ، وهو من شواهد س[3] .

١٦٨ (فلأَ بغِيَنَّـكُمُ قناً وعُوارِضاً ولأُقبِلَنَّ الخيلَ لابَةَ ضَرْغَدِ)

على أن (قناً وعُوارضا) منصوبان على إسقاط حرف الجرّ ضرورة ، لأنّهما مكانان مختصّان ، لاينتصبان انتصابَ الظرف . وهما بمنزلة ذهبتُ الشامَ فى الشذوذ.

(١) تمامه كما فى الديوان ٢٥ :

* تجد خيرنار عندها خير موقد *

(٢) هى قراءة زيد بن على ، كما فى تفسير أبى حيان ٨ : ١٦ .

(٣) فى كتابه ١ : ٨٢ ، ١٠٩ بولاق . وانظر ديوان عامر بن الطفيل ١٤٤ وأمالى ابن الشجرى ٢٤٨ .

أو عَدَ أعداءه بتتبعهم ، والإيقاع بهم حيث حلُّوا فى المواضع المنيعة . ومعنى لأبغينّكم : لأطلبنّكم . والبغى له معنيان : أحدهما الطلب ، يقال : بغيت الضالّة . فهو متعدّ إلىٰ مفعول واحد . والآخَر الظلم والتعدِّى ، يتعدى بعلَىٰ ، يقال : بغىٰ فلانٌ على فلان . فهو فعل لازم .

و (قناً) قال أبو عُبيد البكرىّ فى معجم ما استعجم : هو بفتح القاف وبعده نون ، وهو اسم مقصور يكتب بالألف ، لأنَّه يقال فى تثنيته : قنوانِ ؛ هو جبلٌ فى ديار بنى ذُبيان ، قال النابغة[(١)] :

فإمَّا تُنكِرِى نسبي فإنِّى   من الصُّهب السِّبالِ بنى ضِبابِ
فإنَّ منازلى وبلادَ قومى   جُنوبُ قناً هنالِكَ كالهِضابِ[(٢)]

وقال أبو عمرو الشيبانى : قَناً ببلادى بنى مُرَّة ؛ وقال الشّمّاخ :

تَرَبَّعَ من جَنبَيْ قَناً فعُوارِضٍ   نِتاجَ الثُّرَيَّا نوءها غير مُخدِجِ[(٣)]

وينبئك أنّ قناً جبلانِ ، قولُ الطِرِمَّاح :

تحالَفَ يَشْكُرُ واللؤمُ قِدْماً   كما جَبلا قَناً متحالفانِ

ولكونه اسم جَبَلين يثنّىٰ فيقال : قنَوين ، قال الشّمّاخ :

كأنَّها وقد بدا عُوارِضُ   والليلُ بينَ قَنَوَين رابضُ
بجَلهَةِ الوادى قَطاً نَواهضُ

وبما ذكرنا لا يُلتفت إلى قول ابن القوطيّة ، كما نقله أبو حيّان

---

(١) البيتان ليسا فى ديوانه . وانظر معجم ما استعجم ١٠٩٦ .

(٢) فى معجم ما استعجم : « هنالك فالهضاب » .

(٣) ش : « فتاج الثريا » صوابه فى ط والديوان ١٣ وروايته فيه :

تربع من حوض قنانا ونادقا   نتاج الثريا حملها غير مخدج

نتاج الثريا ما ينبته مطرها . وحملها : ماؤها . غير مخدج : غير ناقص .

فى تذكرته : لا أعرف قناً فى الأمكنة ، وإنما هو قَباً بالموحّدة ، وليس قُبا المدينة ولا قُبا بطريق مكّة ، هذان يذكَّران ويؤنّثان ، وذلك يذكّر لا غيره ومن ذكّره قصَره وصرفه ، ومن أنّثه مدّه ولم يصرفه اه

وأقول : لم يذكُر أحدٌ ممّن ألّف فى المقصور والممدود ، أن قنا يمدّ .

وروى ابنُ الأنبارىّ فى المفضّليّات :

* فلأُنعِينّكُم المَلا وعُوارِضا *

والمَلا بالفتح : من أرض كلب . وأنعينّكم من النَّعى ، بالنون ، أى لأذكرنّ معايبكم وقبيحَ أفعالِكم . يقال : فلان ينعىٰ على فلان ذنوبَه : أى يذكرها ويَصِفها . ورَوىٰ الحِرمازىّ : « فلأُ بغينّكُم الملا » من البَغْى ، وهو الطلب . ولم يقع فى رواية ابن الأنبارىّ : قنا ، بدلَ الملا . ٤٧١

و (عُوارِض) بضم العين المهملة وكسر الراء وبعدها ضاد معجمة : جبل لبنى أسد ، وقال أبورياش : هو جبل فى بلاد طيّئ ، وعليه قبر حاتم . وهذا هو الصحيح . كذا فى معجم ما استعجم . و (اللابة) : الحَرّة بالفتح ، وهى أرض ذات حجارة [سُودٍ[1]] . و (ضرْغَد) بفتح الضـاد والغين وسكون الراء ، قال أبو عُبيد البكرىّ : هى أرض لهذيل وبنى غاضرة وبنى عامر ابن صعصعة ، وقيل هى حرّة بأرض غطَفان من العالية ، وقال الخليل : ضرغد : اسم جبل ، ويقال : موضع ماء ونخل اه . وقال أبو محمد الأعرابى ضرغد من مياه بنى مُرّة .

وقوله : ولأُقبلنّ الخيلَ ، هكذا رواه سيبويه . وفيه قولان :

---

(١) قيد للحجارة ، وبدونه لا يتحقق معنى الحرة ، ولعلها سقطت من النساخ .

(أحدهما) لأبى علىّ الفارسىّ ، وهو أنّه فعل لازمٌ يتعدَّى بحرف الجرّ ، والأصلُ لأُقبلَنَّ بالخيل إلى لابة ضَرغد . كذا حكاه عنه أبو البقاء فى شرح الإيضاح للفارسىّ ، وابنُ خلف فى شرح أبيات سيبويه ، والسَّخاوىُّ فى سِفر السعادة (١) قال : لأنّ أقبلَ فعلٌ غير متعدّ كقوله تعالى : (فأقْبَلَ بَعْضُهُمْ علىٰ بَعْضٍ (٢)) وتقول : أقبلت بوجهى عليه ؛ فأجاز هنا حذفَ حرْفَىْ جرٍّ فى فعلٍ واحد . وهذا تعسُّف ، مع أنّه منَع حذْفَ علىٰ ، من قولهم : كررت على مِسْمَعى ، وهو حرفٌ واحد .

والقول (الثانى) للعبدَرىّ شارحِ الإيضاح ، وهو أنّ أقبل هنا متعدّ بمعنى جَعَلَ مقابِلا ، وليس ضدّ أدبر . والمعنى : لأجعلنّ الخيلَ تقابِل ؛ فهو متعدّ إلى مفعولين . وهذا هو المعروف فى اللغة ، فإنّ قَبَل بدون همزة يتعدّى إلى مفعول واحد بمعنى استقبل ، وأقبل بالهمز يتعدَّىٰ إلى مفعولين قال أبو زيد فى نوادره : قَبَلَت الماشيةُ الوادى تقبُله قُبولاً ؛ إذا استقبلَتْه ، وأقبلْتها إيّاه . وقال صاحب الصحاح : وأقبلْته الشىء : أى جعلته يَلِى قبالته ؛ وأقبلتُ الإبلَ أفواهَ الوادى . وحكى السخاوىّ فى سِفر السعادة عن شيخه الإمام الشاطبىّ : أقبلته الرُمح : إذا جعلته قِبَله . وقال أبو حيّان فى تذكرته : ما نقله أبو زيد نقله الهجرىّ أيضاً فى نوادره ، وفى الحديث : أن حكيم بن حِزام كان يشترى العِير من الطعام والإدام ثم يُقبِلُها الشِّعبَ . وأنشد الشَّيبانىّ :

أكلِّفُها هَواجِرَ حامياتٍ وأُقبِلُ وجهَها الريحَ القَبولا اهـ

وروىٰ غير سيبويه ، منهم ابن الأنبارىّ فى شرح المفضليات :

---

(١) منه نسخة فى دار الكتب المصرية بخط البغدادى (برقم ٧٨ مجاميع م) كتبها سنة ١٠٧٤ ومعها كتاب فرحة الأديب للأسود الغندجانى بخط البغدادى أيضاً .
(٢) الآية ٥٠ من الصافات ، و ٣٠ من القلم .

* ولأهبطنَّ الخيلَ لابةَ ضرغد *

قال : وروى أيضاً : « ولأوردنَّ الخيل » .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ عدّتها ثلاثةَ عشَر بيتاً لعامر بن الطُّفيل العامرى . قال أبو محمد الأعرابى : قالها عامر يوم الرقم ، يوم هزمتهم بنو مُرَّة ففرَّ عامر ، واختنق أخوه الحكم بن الطفيل . وفى ذلك اليوم قَتَل عُقبة بن أُنيس الأشْجَعىّ مائةً وخمسين رجلاً من بنى عامر ، أدخلهم شِعبَ الرَّقَم فذبحهم . فسمِّى عقبة ذلك اليوم مُذَبِّحاً . والمخاطَب بشعر عامرٍ بنو مُرَّةَ وفزارة . وقنا وعُوارض : ٤٧٢
جبلان من بلاد بنى فزارة . . وأوّلها :

(ولتَسألنْ أسماء وهى حَفيَّةٌ نُصَحاءها : أطُرِدْتُ أم لم أُطرَدِ)

قصيدة الشاهد

قال ابن الأنبارى : أسماء بنت قُدامة بن سكين الفَزارىّ ، قال أبو محمد الأعرابىّ : كان يهواها عامرٌ ويشبِّب بها فى شعره ، وكان قد فَجَر بها . انتهى . ونصَحاء : جمع نَصيح . ورَوىٰ شارحُ ديوانه : (فُصَحاءها) بالفاء ، قال : هو جمع فصيح . وطُردتُ ، بالبناء للمفعول والتَّكلُّم .

(قالوا لها : فلقد طَرَدْنا خيلَه قَلَحَ الكلابِ . وكنتُ غير مُطَرَّدِ)

قَلَحَ منصوبٌ على الذمّ ؛ والقلَح : صفرة تعلو الأسنانَ ، شبّه عامر بنى فَزارة بها . وجملة وكنتُ إلى آخره حال .

(لا ضَيرَ ، قدْ عَركتْ بمرّةَ بَرْكَها وتركْنَ أشجَعَ مثلَ خُشْبِ الغرْقَدِ)

هذا البيت لم يروه المفضّل فى المفضّليّات ولا شرّاحُها . قال شارح الديوان(١) : يقال للصَّدر : بَرْك بالفتح ، وبِركة بالكسر . وأشجَع قبيلة . والغرقد : شجَر .

(١) ذكر الميمنى انه الأنبارى .

(فلأبغينّكم قناً وعُوارِضا . . . . البيت)

هذا التفاتٌ من الغَيبة إلى التكلّم . خاطَبَ بنى فَزارة .

(بالخيل تعثُر فى القَصيدِ كأنّها حِدَأٌ تتَابَعُ فى الطريق الأقصَدِ)

القَصيد : كِسَر القنا ، جمع قَصِيدة . والحِدَأ كعنب : جمع حِدَأة كعنبة ، وهى طائر معروف . وبالخيل : متعلّق بأقْبِلنَّ فى البيت قبلَه . وجملة تعثُر حالٌ من الخيل .

(فى ناشئ من عامرٍ ومجرِّبٍ ماضٍ إذا سقط العِنانُ من اليدِ)

لم يرْوِ هذا البيت أيضاً صاحب المفضليات[1] . قال شارح الديوان : الناشئ الحدث حين نشأ . وقوله : سقط العنان ، أى لشدة الجَهْد .

(ولأثأرَنَّ بمالكٍ وبمالكٍ وأخى المروْرَاةِ الذى لم يُسنَدِ)

معطوف على قوله : فلأبغينكم . يقول : لأدركنّ بثأر مالك ومالك ، أى لأقتُلَنَّ بهما . والمروراة بالفتح : موضعٌ بظهر الكوفة ؛ وقال البكرىّ فى المعجم : هو جبلٌ لأشجَع . وقوله لم يسند : أى لم يُدفَن ولكنْ تُرِك للسباع تأكلُه .

(وقتيلُ مُرَّةَ أثأَرَنَّ فإنّه فرْغٌ وإنّ أخاهمُ لم يُقصَدِ)

قتيل يروى بالحركات الثلاث : بالجر عطفاً على ما قبله أو الواو للقسم ، وبالرفع على المبتدأ والخبر أثأرن ، وبالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف يدل عليه أثأرن . وليس مفعولَ أثارن المذكور ، لأنَّ الفعل المؤكَّد لا يتقدَّم معموله عليه . ومُرة : قبيلة . وأثأرنَّ ، توكيدُه يأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى

(١) ط : « لصاحب المفضليات » ، صوابه فى ش . وذكر الميمنى أن البيت لم يرد فى ديوانه ، وإنما هو عند السيوطى ٢١٦ عن شرح أبيات الإيضاح .

فى أدوات القسم[١] وفِرغ روى بكسر الفـاء والغين المعجمة بمعنى الهَدَر ؛ وروى بفتحها مع العين المهملة . أراد أنَّه رأسٌ عالٍ فى الشَّرف . ولم يُقصَد : ٤٧٣
لم يقتل ؛ يقال : أقصدت الرجل : إذا قتلته . يقول : قتيلُ بنى مُرّةَ صار دمُه هدَراً ، فلا بد من أخذ ثأرِه منهم ، فإنَّ أخا بنى مرة لم يُقتل إلى الآن ، فلا بدَّ من قتلهم وأخذ الثأر منهم .

وبقيّة الأبيات لا حاجةَ لَنا بها .

عامر ابن الطفيل

و (عامر بن الطفَيل) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرىّ . وهو ابن عمٍّ لبيدٍ الصحابىّ . وكنية عامر فى الحرب أبو عَقيل ، وفى السِّلْم أبو علىّ . وكانت أصيبت إحدىٰ عينيه فى بعض الحروب .

قال ابن الأنبارىّ فى شرح المفضّليّات : كان عامرٌ من أشهر فُرْسان العربِ ، بأساً ونجدة ، وأبعدِها اسماً ؛ حتّي بلغَ أنّ قيصرَ كان إذا قدِم عليه قادمٌ من العرب قال : ما بينَك وبينَ عامر بن الطفيل ؟ فإن ذَكر نسباً عظُم عندَه ؛ حتّي وفد عليه عَلقمة بن عُلاثة فانتسب له . فقال : ابنُ عمٍّ عامرِ ابن الطُفيل ؟ فغضب علقمةُ ، وكان ذلك ممّا أوغر صدرَه وهيّجه إلى أن دعاه إلى المنافرة . وكان عمرو بن معْديكرِبَ — وهو فارسُ اليَمَن — يقول : ما أُبالى أىَّ ظعينةٍ لقيتُ على ماء من أمْواه معَدّ ، ما لم يلقَني دونَها عبْداها أو حُرَّاها ! ويعنى بالحرَّينِ : عامرَ بنَ الطُّفيل ، وعُتيبةَ بن الحارث بن شهاب اليربوعىّ ؛ وعنيٰ بالعبدين : عنترةَ العَبْسىَّ والسُّلَيكَ بنَ السُّلَكة . قال الأثرم : ويقال : كانت المنافرة أنّ علقمةَ بن عُلاثة شَرِب الخر ، فضربه عمرُ الحدَّ ، فلحق بالروم فارتدّ ؛ فلمّا دخل على ملك الروم قال : انتسبْ .

(١) فى الشاهد الثانى عشر بعد الثمانمائة .

فانتسب له علقمة . فقال : أنت ابنُ عمٍّ عامرِ بن الطُفيل ؟ فقال : ألا أُرانى لا أُعرفُ ها هنا إلاّ بعامر ؟! فغضِب فرجَع فأسلم (وتقـدم بيان المنافرة فى الشاهد السادس والعشرين[1]) .

ولمّا قدمت وفودُ العرب على رسول الله ﷺ فى سنة تسعٍ من الهجرة ، قدم وفدُ بنى عامر ، فيهم عامرُ بن الطفيل ، وأَرْبَد بن قيسٍ أخو لبيدٍ الصحابىّ لأمِّه — وكانا رئيسَى القوم ومن شياطينهم — فقدم عامر بن الطفيل عدوُّ الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدرَ به ؛ وقد قال له قومه : ياعامر ، إنّ الناس قد أسلموا فأَسلِمْ .قال : والله لقد كنتُ آليت أنْ لا أنتهى حتى تتبع العرب عَقِبي[2] فأنا أتّبع عقِب هذا الفتىٰ من قريش ! ثم قال لأربَدَ : إذا قدِمنا على الرجل فإنّى شاغلٌ عنك وَجهَه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُهُ بالسيف ، فلمّا قدِما على رسول الله ﷺ وجعل يكلِّمه وينتظر منْ أربَدَ ما كان أمره به ، فجعل أربدُ لا يُحير شيئاً ، فلمّا رأىٰ عامرٌ ما يصنعُ أربدُ قال له عامر : أتجعلُ لى نصفَ ثِمار المدينة ، وتجعلنى ولىَّ الأمر من بعدكَ وأسْلِم[3] ؟ فأبىٰ عليه صلى الله عليه وسلم ، فانصرف عامرٌ وقال : أمَا والله لأملأنَّها عليك خيلاً ورجالاً . فلمّا ولّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ اكفِنى عامرَ بنَ الطفيل . فلمّا خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد : ويلكَ يا أربدُ : أينَ ما كنتُ أمرتُكَ به ! والله ما كان على ظَهر الأرض رجلٌ أخوفُ عندى علىَّ منك ! وآيمُ اللهِ لا أخافُكَ بعدَ اليوم أبداً . قال : لا أبالَك ! لا تعجَل علىّ ! واللهِ ما هممتُ بالذى أمرتَني به من أمره إلاّ دَخلتَ بينى وبين الرجل حتّي

(١) فى الجزء الأول من الخزانة ص ١٨٣ وما بعدها
(٢) ط : « عن تتبع العرب عقبي » ، صوابه فى ش والسيرة ٩٣٩ .
(٣) ط : « وتجعلنى ولى الأرض بعدك فأسلم » ، صوابه فى ش.

ما أرىٰ غيرَك ، أفأضربُك بالسَّيف ؟ ! وخرجا[١] راجعين إلى بلادهم ، حتّى إذا كانوا ببعض الطريق ، بَعث اللهُ على عامر بن الطفيل الطّاعونَ في عنقه ، ٤٧٤ فقتله الله في بيت امرأةٍ من بني سَلُولَ فجعل يقول : « يا بني عامر ! أغُدَّةً كغُدّة البَكر في بيت امرأةٍ من بني سَلول[٢] ! » ثم خرج أصحابُه حين وارَوه الترابَ ، حتّى قدِموا أرضَ بني عامر ، فقالوا : ما وراءكَ يا أربد ؟ قال : لاشيء ، واللهِ لقد دعانا إلى عبادة شيءٍ لَوددْتُ أنّه عندي الآنَ فأرميَه بالنَّبْلِ حتّى أقتلَه . فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين ، معه جملٌ له يبيعه ، فأرسلَ اللهُ عليه وعلى جَمَله صاعقةً فأحرقتهما .

وروىٰ ابنُ الأنباريّ في شرح المفضّليّات : لمّا مات عامرٌ نصبت بنو عامرٍ أنصاباً[٣] ، ميلاً في مِيل حِمًى على قبره ، لا تُنْشَر فيه راعيةٌ ، ولا يُرعىٰ ، ولا يسلُكه راكبٌ ولا ماشٍ ، وكان جبّار بن سَلْمىٰ بن عامر بن مالك غائبا ، فلمّا قدم قال : ما هذه الأنصاب ؟ قالوا : نصبناها حِمًى على قبر عامر . فقال : ضيّقتم على أبي عليّ ، إنَّ أبا عليّ بانَ من الناس بثلاث : كان لايعطَش حتّى يعطَش الجملُ ، وكان لايضلُّ حتى يضلَّ النجم ، وكان لا يَجبُن حتّى يجبُنَ السيل !

ولعامرٍ وقائعُ في مَذحِج وخَثعم وغطَفان وسائرِ العرب .

* * *

(١) في السيرة ٩٤٠ : « وخرجوا » .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال أغدة كغدة الإبل وموتا في بيت سلولية » .

قال الميمني : وهو مثل عند الميداني ٢ : ٣ والعسكري ٢٦ وثمار القلوب ٣٨٢ والنويري ٣ : ٤٢ واللآلي ٧١ .

(٣) الأنصاب : جمع نُصُب ، بضمتين ، وهي كل ماعبد من دون الله . ط « نصابا » صوابه في ش وابن الأنباري ٧٠٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستّون بعد المائة ، وهو من شواهدس[(١)] :

١٦٩ (لَدْنٌ بِهزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ)

على أنّ حذفَ حرف الجرّ من (الطريق) شاذّ . والأصلُ : كما عسل فى الطريق الثعلبُ .

قال ابن هشام فى المغنى : « وقول ابن الطّرَاوة : إنّه ظرفٌ ، مردودٌ بأنّه غير مبهَم . وقوله : إنّه اسم لكلِّ ما يقبل الاستطراقَ فهو مبهَمٌ لصلاحيتَه لكلِّ موضع ، منازَعٌ فيه ؛ بل هو اسمٌ لما هو مستطرَق . انتهى

وقال الأعلم : استشهد به سيبويه على وصول الفعل إلى الطريق ، وهو اسم خاصّ للموضع المستطرَق ، بغير واسطةِ حرفِ جرٍّ تشبيهاً بالمكان ، لأنّ الطريق مكان . وهو نحوُ قول العرب : ذهبتُ الشامَ . إلاّ أنّ الطريق أقربُ إلى الإبهام من الشام ، لأنّ الطريق تكون فى كلِّ موضعٍ يُسارُ فيه ، وليس الشام كذلك .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من قصيدة طويلة عدّتُها اثنان وخمسون بيتاً ، لساعدةَ ابنِ جؤيّة الُهذلىّ . وقبل بيت الشاهد هذه الأبيات :

أبيات الشاهد

(فتعاوَرُوا ضَرْباً ، وأُشْرِعَ بينَهم أَسَلاتُ ما صاغَ القُيونُ ورَكّبوا

مِن كلِّ أسحَمَ ذابلٍ ، لا ضَرَّهُ قِصَرٌ ، ولا رَاشُ الكُعوبِ مُعَلَّبُ

خِرْقٍ من الخطىّ أُغمِضَ حدُّه مِثْلِ الشِّهابِ رَفعتَه يتلهَّبُ

مما يُتَرَّصُ فى الثِّقاف يَزِينُه أَخْذَىٰ كخافيةِ العقاب مُحَرَّبُ

(١) فى كتابه ١ : ١٦ ، ١٠٩ . وانظر الخصائص ٣ : ٣١٩ وابن الشجرى ١ : ٤٢ / ٢ : ٢٤٨ وشرح شواهد المغنى ٥ ، ٢٩٩ والأشمونى ٢ : ٩١ ، ٩٧ والتصريح ١ : ٣١٢ وديوان الهذليين ١ : ١٩٠ وشرح أشعار الهذليين ١١٢٠ .

لدن بهزِّ الكفّ يعسل متنُه . . . . البيت)

التعاوُر : التداوُل بالطَّعن وغيره . والضَّبْر بفتح المعجمة وسكون الموحَّدة : مصدر ضَبَر : إذا وثَب ؛ والضَّبْر : الجماعة أيضا . ورُوى موضعَه : (ضَرباً) . وأشرعْت الرمحَ : أى أملْته . والأسَلات : الرماح . والقُيون : جمع قَين ، وهو الحدّاد . وأراد : بما صاغ القيونُ الأسنّةَ . وقوله : مِن كلِّ أسحم : أى أسوَد . وروى بدله : (أسمر) . وكذلك رُوى : (أظمَى) وهو بمعناه . وأراد به الرُّمح . وذابل : قد جفّ وفيه لِين . يقول : ليس به قصرٌ فيضرَّه ولا ضعفٌ فينشدّ . فى الصحاح : « ورمح راشٌ أى خوّار . وناقة راشَة : ضعيفة » . وهو من مادة الريش . وهو خبر مبتدإ محذوف : أى ولا هو راشُ

٤٧٥ الكعوبِ ومُعَلّب : خبرٌ بعد خبر . والمعلَّب : اسم مفعول من علّبت الشيء : إذا شدَدته وحزَمته بعِلْباءِ البعير ؛ والعلباء بالكسر والمدّ : عصَب العنق . وقوله : خِرْقٍ من الخطِّىّ ، هو بكسر الخاء وسكون الراء وبالجر : صفة لأسحمَ ذابلٍ . قال السكرىّ فى شرح أشعار هذيل : « يعنى بالخِرق الرُّمحَ ؛ ضربهُ مثلاً . يقول : هو فى الرماح مثلُ الخِرْق فى الفتيان . والخِرق : الذى فيصرّف فى الأمور ويتخرّق فيها . وأُغمِض حدُّه : يعنى أُلطِف ورُقِّق حدُّ السنان . والشِّهاب : السِراج ، شبَّه السنانَ به ؛ عن غير أبى نصر . وقال الأخفش : خرِق : ماضٍ . وروى بعضُهم .

* خَرِق من الخَطّىّ أُلزم لَهْذَماً *

والخَرِق ، أى بفتح فكسر : الطويل . واللهذم : الحديد القاطع » انتهى.

وقوله : مثلِ الشهاب بالجرّ : صفةُ أخرى . وقوله : مما يُترَّصُ الخ ، يعنى هذا الرمحُ مما يُترَّصُ أى يُحكَم ؛ فى الصحاح : أترصتُه وترصته : أى أحكمته

وقوّمته ، فهو مُتَرَّص وتَرِيص . وهو بالتاء المثناة والراء والصاد المهملتين . والثِّقافُ بالكسر : الخشبة التي يقُوَّم بها الرمح . وقوله : أخذىٰ : أى سنانٌ أخذىٰ ، وهو بالخاء والذال المعجمتين ، وهو صفة . قال السكّرىّ : أخْذَى : منتصب مثل الأخذى(١) من الكلاب وهو المنتصب الأذن . وشبّهه بخافية العُقاب فى الدِّقّة ، والخافية : ما دون الرِّيشات العَشْر من مقدّمِ الَجناح ، وهى ريشةٌ بيضاء . ومخرَّب ، بالخاء المعجمة . يقول : كأنّه غضبانُ من الحرص أن يقعَ فى الدم . يقال : خرّبته بالتشديد فخرِب كفرح . أى أغضبته فغضب .

وقوله (لَدْن بهزّ الكف الخ) بجر لدن صفة أخرى لأسحمَ ذابل ، ويجوز رفعه على أنّه خبر لمبتدإ محذوف أى هو لدن ، واللَّدْن : اللَّيِّن الناعم . ويَعسِل : يشتدّ اهتزازه . وعسَل الثعلبُ والذئب فى عَدْوه : إذا اشتدّ اضطرابه ، بفتح السين فى الماضى وكسرها فى المستقبل ، والمصدرُ عَسَلاً وعَسَلانا بتحريكهما . والباء فى قوله : بهزّ ، بمعنى عند متعلقة بلَدْن . قال ابن خلف ، فى شرح أبيات سيبويه : والأحسن أن يكون ظرفا ليعسِل : أى يعسل متنَه عند هزِّه : فإن قيل : إن (فيه) ظرفٌ قد عمِل فيه يعسِلُ ، فكيف يعمَل فى ظرفٍ آخر ؟ فالجواب : أنّهما ظرفان مختلفان : لأنّ فيه ظرفُ مكان وبهزّ ظرفُ زمان . والهزّ مصدر مضاف إلى الفاعلِ ، والمفعولُ محذوفٌ : أى بهزّ الكفّ إيّاه . وقال أبو علىّ ، فى إيضاح الشعر : التقدير فى قوله يعسِل متنُه ، يعسل هو ، يريد أنّه لا كَزازة فيه إذا هززته ولا جُسُوّ . ومثل ذلك قول الآخر(٢) :

(١) ط : « مثل الأخذة » صوابه فى ش . ولم أجد هذا الشرح للسكرى فى أشعار الهذليين .

(٢) هو تميم بن مقبل ، كما فى ديوانه ٣٢٨ والأمالى ١ : ٢٢٩ والحيوان ٥ : ٢٩ والموشح ١٥ .

أو كاهتزازِ رُدَينيٍّ تعاوَرَه أيدى التِجارِ فزادُوا متنَه لِينا

ومثل ذِكر المتن فى هذه المواضع والمرادُ الجمهورُ[1] ، قولُ الآخر :

* يغشيْ قَرَا عاريةٍ أقراؤه *

ألا ترىٰ أن المعنى يغشى هذه الفلاة ، ولا يريدُ تخصيصَ مكان منها دونَ مكان . قال ابن خلف : ويجوز أن يريد ثَعلَب الرُّمح ، وهو طرفه الداخل فى جُلْبة السِنان: أى يضطربُ وسطه كما يضطرب طرفه ، لاعتداله واستوائه . ونبّه بالأبعَد على الأقرَب ، لأنّه إذا اهتزّ وسَطه ، فأطرافُه أولىٰ . انتهى . ولا يخفىٰ أنّ ذكر الطريق على هذا يكون لغواً . والهاء من (فيه) ضميرُ الهزّ ، كما قاله أبو علىّ وابنُ الشجرىّ . وأعاده ابنُ خلف على لَدْن . وجملة (يعسل متنُه) مفسِّرة لقوله : لدْن . وما ذكر هو رواية س . ورواه السكّرىّ فى أشعار هذيل كذا : ٤٧٦

(لَذٌّ بهزّ الكفِّ يَعسِلُ نَصْلُه)

واللَّذّ بالفتح : اللذيذ . يقول : هذا الرمح إذا هُزَّ بالكفّ فهو لذيذ أى تلتذّه الكفّ . والالتذاذ فى التحقيق لِصاحب الكفّ . وقال السكرىّ : يضطرب نَصْله كما يضطربُ الثعلبُ فى الطريق إذا عَدَا ؛ والنصل : السنان . ورواية سيبويه هى الجيِّدة .

ساعدة بن جؤية

وابن جُؤَيَّة (كما قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف[2]) ساعدَةُ بنُ جُؤَيّة . أخو[3] بنى كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن إلياس بن مُضَر . شاعر محسّن جاهلى . وشعره محشوّ بالغريب والمعانى الغامضة ، وليس فيه من المُلَح ما يصلُح للمذاكَرة . انتهى

(١) الجمهور : واحد الجماهير ، وهى الجماعات .

(٢) المؤتلف والمختلف ٨٣ . (٣) ش : « إحدى » ، صوابه فى ط .

وهو شاعرٌ مخضرمٌ : أدرك الجاهليّة والإسلام، وأسلم ، وليست له صحبة. كذا قال ابن حجر فى الإصابة . فقول الآمدىّ : « جاهلىّ » ليس كما ينبغى .

وجُؤَيّة بضم الجيم بعدها همزة مفتوحة وبعد الهمزة ياء مشدّدة . هذا هو المشهور . وهو مصغر، وفى مكبَّرِهِ خمسةُ أقوال بيّنها ابنُ خلف فى أوائل شرح أبيات سيبويه . ومقابلُ المشهورِ أنّه (ساعدة بن جُوين) . والله أعلم .

وذكر الآمدى أن ابن جؤيّة شاعر آخر ، اسمه عائذ بن جؤية النصْرى[1] اليربوعىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[2] :

١٧٠ (عزَمْتُ على إقامةِ ذى صَباحٍ   لِأمْرٍ مّا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ)

على أنّ الشاعر جرّ (ذى صَبَاحٍ) على لغة خثعم . وهو ظرف لا يتمكّن، والظروف التى لا تتمكّن لا تُجَرُّ ولا تُرفَع . ولا يجوز مثلُ هذا إلاّ فى لغة هؤلاء القوم ، أو فى ضرورة .

قال سيبوَيه : وذو صباحٍ بمنزلة ذاتَ مَرَّة ، تقول : سِيرَ عليه ذا صَباحٍ . خبرنا بذلك يونس . إلا أنّه قد جاء فى لغة خثعم مفارقاً لِذاتِ مَرَّةٍ ولِذات

(١) فى النسختين : « النضرى » بالضاد المعجمة ، والصواب ما أثبت ، لأن نسبه ينتمى إلى يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، كما فى المؤتلف : وانظر جمهرة ابن حزم ٢٦٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ١١٦ وانظر ابن الشجرى ١ : ١٨٦ وابن يعيش ٣ : ١٢ والهمع ١ : ١٩٧

ليلةٍ[١] . وأما الجيِّدة العربية فأن تكون بمنزلتها (يريد بمنزلتها : ظرفا) قال رجل من خثعم : عزمت على إقامة . . البيت . فهو على هذه اللغة يجوز فيه الرفع . انتهى .

وقال أبو البقاء فى شروح الإيضاح : قيل : هو بمنزلة ذاتَ مرَّة ، إلاّ أنّه أخرجه عن الظرف بالإضافة إليه ، وقيل : ذو زائدة : أى على إقامة صباح .

وجعل ابنُ جنِّي ، فى الخصائص ، إضافة ذى إلى صباحٍ من إضافة المسمَّى إلى الاسم ، نحو : كان عندنا ذاتَ مرّة ، أى الدَّفعة المسمّاةَ مرّة ، والوقتَ المسمَّى صباحا . وأنشدَ هذا البيت .

قال أبو علىّ الفارسىّ (فى التذكرة) : هذا البيتُ قاله الشاعر ولم يقل بيتاً غيرَه . وكان استمان هو وقومُه بملكٍ على أعدائهم ؛ فقال : إن أردتم أعَنْتُكُمْ ، على أن يكون النَّهبُ لى ! فقالوا : لا نريد ذلك ! فقاتَلوا أعداءهم بأنفسهم ، فاستظهرَ عليهم أعداؤُهم ؛ فلمّا رأىٰ استظهارَهم عليهم أعانَهم راضياً بأن لا يكون له النهب. فقال هذا الشاعرُ هذا البيتَ فقطْ يمدحُه . فاللام متعلّقة بيُسَوَّد ، كأنّه قال : يُسوَّد لأمرٍ مَن يَسود : أى بِعقله وفَضله يَسُود ، ليس للاشىء ، بل لأمرٍ فيه . انتهى .

وفيه : أنّه ليس بيتاً مفرداً ، وإنّما هو من أبيات . وليست القِصّة كما ذكرها : قال أبو محمّد الأعرابيّ فى فُرحة الأديب : هذا البيت لأنَس بن مدركة الخثعَمىّ . وذلك : أنه غزا هو ورئيسٌ آخرُ من قومه بعضَ قبائلِ العرب متسانِدَين ، فلما قرُبا من القوم أمسَيا فباتا حيث جَنَّ عليهم الليل ، فقام صاحبه ٤٧٧

(١) فى النسختين : فى لغة خثعم « ذات مرة وذات ليلة » وتصحيحه وإكماله من سيبويه ١ : ١١٥ .

فانصرف ولم يغنم ، وأقام أنس حتى أصبح ، فشنّ عليهم الخيلَ فأصاب وغنِم ، وغَنَّم أصحابَه[(١)] . فهذا معنى قوله : عزَمتُ على إقامةِ ذى صَباح . وهو آخر الأبيات . قال أبو الندى : وكان أنسٌ مجاوراً لِبنى الحارث بن كعب ، فوجَد أصحابُه منهم جفاءً وغِلْظة فأرادوا أن يفارِقوهم ، فقال لهم : أقيموا إلى الصباح ؛ فلمّا ظفر بنو الحارث ببنى عامر ، يوم فَيف الريح[(٢)] ، قال عند ذلك ما قال . وأول الأبيات :

(دعوتُ بنى قُحافة فاستَجابوا فقُلتُ : رِدُوا فقد طابَ الوُرودُ
دعوتُ إلى المِصاعِ[(٣)] فجاوبونى بورْدٍ ما يُنَهْنِهُه المُذيدُ[(٤)]
كأنّ غَمامةً بَرَقَتْ عليهمْ من الأصْيافِ ترجُسُها الرُّعودُ[(٥)]
عزمتُ على إقامةِ ذى صباح . . . . البيت) انتهى

ولا يخفى أنّ هذه الأبياتَ أجنبيّةٌ لا يَظهر ارتباطُها بالبيت الأخير .

والمِصاع : مصدر ماصَع أى قاتَل . والمَصْع : الضرب بالسيف . وقوله : (على إقامة ذى صَباح) لا يبعد أن يكون على تقديرِ : على إقامة ليلٍ ذى صباح . و (ما) زائدةٌ للتوكيد . يقول : عزمت على الإقامة إلى وقت

(١) هكذا ضبطت « غنم أصحابه » بخط البغدادى ، فى فرحة الأديب .
(٢) الميمنى : راجع لخبر يوم فيف الريح النقائض ٤٦٩ والعقد ٣ : ٤٠٩ والميدانى ٢ : ٣٣١ ، ٢٦٦ ، ٣٥٨ ، والعمدة ٢ : ١٦٧ ونهاية القلقشندى ٣٦٦ .
(٣) فى النسختين : « إلى الصباح » ، صوابه من فرحة الأديب مخطوطة البغدادى بدار الكتب ، كما أن التفسير يقتضى ذلك .
(٤) المذيد : الذى يعين على الطرد والدفع ، يقال أذاده : أعانه على الذود . ش : « المريد » ط : « المديد » صوابه من فرحة الأديب .
(٥) ترجسها ، من الرجس ، بالفتح ، وهو الصوت الشديد من الرعد . ط : « ترجيها » صوابه فى ش وفرحة الأديب . وفى فرحة الأديب : « من الأضياف » بالضاد المعجمة .

الصَّبّاح ، لأنّى قد وجدتُ الرأىَ والحزمَ قد أوجبا ذلك . ثم قال : (لأمرٍ مّا يُسوَّد مَن يَسُود) ، يريد : أنّ الذى يُسوِّده قومُه لا يسوِّدونه إلاّ لشىء من الخصال الجميلة والأمور المحمودة رآها قومُه فيه فسوَّدوه لأجلها .

وأنشد صاحبُ الكشّاف هذا البيتَ فى سورة الإخلاص ، فى جواب السائل : لِمَ كانت هذه السورة مع قِصَرها عِدْلَ القرآن ؟

قال الجاحظ فى كتاب (شرائع المروءة) : وكانت العربُ تُسوِّد على أشياء : أمّا مُضَر فتسوِّد ذا رأيها ، وأما ربيعة فمن أطعمَ الطعامَ ، وأما اليَمن فعلى النسَب . وكان أهلُ الجاهليّة لا يسوِّدون إلاّ مَن تكاملَتْ فيه ستُّ خصال : السَّخاء ، والنجدةُ ، والصبر ، والحلم ، والتواضع ، والبيان ؛ وصار فى الإسلام سبعا . وقيل لقيس بن عاصم : بِمَ سُدْتَ قومَك ؟ قال : ببَذل الندىٰ ، وكفّ الأذىٰ ، ونُصْرة المولى ، وتعجيل القِرىٰ . وقد يُسوَّد الرجلُ بالعقل والعِفّة والأدب والعلم . وقال بعضهم : السُّودد اصطناع العشيرة ، واحتمال الجريرة . وقال الأصمعىّ : ذكَر أبو عمرو بنُ العلاء عيوبَ جميعِ السادة ، وما كان فيهم من الخِلال المذمومة ، إلى أن قال : مارأيتُ شيئاً يمنعُ من السُودد إلاّ قدْ رأيناه فى سيِّد : وجدنا الحداثةَ تمنع السُّودد ، وسادَ أبو جهل بن هشام وما طَرَّ شاربُه ، ودخل دارَ النَدْوة وما استوت لحيته . ووجدنا البُخل يمنع السُوددَ ، وكان أبو سُفيانَ بخيلاً عاهراً ، وكان عامر بن الطُفيل بخيلاً عاهراً [1] وكان سيِّداً . والظُّلم يمنع من السُودد ، وكان كُليبُ بن وائل ظالماً ، وكان سيِّدَ رَبيعة ، وكان حُذيفة بن بدر ظالماً ، وكان سيِّدَ غطفان . والحُمق يمنع السُوددَ ، وكان عُيَيْنة بن حِصْنٍ أحمقَ وكان سيِّداً . وقِلّة العدد تمنع السُودد ، وكان السيل

(١) فى النسختين « قاهرا » والشنقيطى فى نسخته جعلها « فاجرا » ، ولعل الوجه ما أثبت.

ابن معبد سيِّداً ولم يكن بالبَصرة مِن عشيرته رَجلان . والفقر يمنع السُودد ، وكان عُتبة بن ربيعة مملِقاً ، وكان سيِّداً .

٤٧٨ وناظم هذا البيت أنَسُ بن مُدرِك الخثعميّ ، كما ذكرنا . وهو جاهليّ . وصَحَّفه ابنُ خلَف فى شرح أبيات سيبوَيه ، بأوسِ بن مُدْرِك ، وقال : أوس من الأسماء المنقولة إلى العلميّة . والأوسُ هنا الذئب ، وإن أمكن أن يكون من العطيّة .

وكشفتُ عن اسمِه فى الجمهرة لابن الكلبيّ فوجدته قال فى جمهرة خثعم ابن أنمار ، ما نصُّه : « أنَسُ بن مُدرك[1] بن كُعيب — بالتصغير — بن عمرو ابن سعد بن عوف بن العَتيك بن حارثة بن سعد بن عامر[2] بن تيم الله ابن مبشِّر بن أكْلُب بن ربيعة بن عِفْرِس بن حُلْف[3] بن أفتَل وهو خثعم . وهو أبو سفيان الشاعر . وقد رَأَس » انتهى .

ونقل ابنُ خلَف عن الجاحظ : أنّ هذا البيتَ لإيَاس بن مُدرِكة الحنَفيّ . وهذا غيرُ مناسبٍ ، فإنّهم نقلوا أنّ قائلَ هذا البيتِ خَثعمىٌّ لا حنَفيّ . وخَثْعَم أبو قبيلةٍ من اليمن ، وهو خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغَوث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد المائة :

---

(١) ويقال ابن مدركة كما فى الأغانى ٧ : ١٦١/٩ : ١٦ والعينى ٤ : ٣٩٩ .

(٢) ط : « تامر » صوابه فى ش والمعمرين للسجستانى .

(٣) كذا ضبطه ابن حزم فى الجمهرة ٣٩٠ بالحاء غير منقوطة مضمومة ولام ساكنة ، ثم قال : وفى الناس يقول حلف بالحاء مفتوحة غير منقوطة ولام مكسورة . وفى النسختين « خلف » بالخاء المعجمة . وضبطه فى القاموس (حلف) بفتح الحاء وسكون اللام .

١٧١ (صَلاءَةُ وَرْسٍ وَسْطُها قَدْ تَفَلَّقا[١])

على أن (وسْط) ساكنة السين ، قد تتصرّف وتخرج عن الظرفية كما في هذا البيت .

وصدرُه : (أتتْه بمَجلوِمٍ كأنّ جبينه)

فوسْطُها مرفوع على أنّه مبتدأ ، وجملة قد تفَلّق خبره .

كذا أورده أبو عليّ الفارسيّ في الإيضاح الشعريّ ، وابن جِنّي في الخصائص وأوردا له نظائر .

قال ثعلب في الفصيح : جَلَس وسْطَ القوم ، بسكون السين ؛ وجلس وسَطَ الدار واحتَجم وَسَط رأسِه ، بفتح السين[٢] . قال شارحُه الإمامُ المرزوقيّ : النحويُّون يَفصِلون بينهما ويقولون : وسْط ، بسكون السين ، اسمُ الشيء الذي ينفكّ عن المحيط به جوانبُه ، تقول : وسْط رأسِه دُهنٌ ، لأنّ الدُّهن ينفكّ عن الرأس ووسَط رأسه صُلب لأن الصُّلب لا ينفكُّ عن الرأس . وربّما قالوا : إذا كان آخرُ الكلام هو الأوّل فاجعلْه وسَطاً بالتحريك ، وإذا كان آخرُ الكلام غيرَ الأوّل فاجعَلْه وسْطاً بالتسكين . وحَكَى الأخفش : أنّ وسطاً قد جاء في الشعرِ اسماً وفارَقَ الظرفيّة ، وأنشدَ بيتاً آخِرُه « وسْطُها قدْ تفلّقا » وسْطُها مبتدأ مرفوع . ويقال وَسَطت الأمرَ أسِطُه وَسْطا بالسكون . وأبو العباس

(١) ديوان الفرزدق ٥٩٦ وابن الشجرى ٢ : ٢٥٨ والخصائص ٢ : ٣٦٩ والهمع ١ : ٢٠١ ونوادر أبي زيد ١٦٣ .

(٢) الميمني : نظم هذا الفرق يوسف بن محمد العقيلي من رجال الدرر الكامنة . فقال (البغية ٤٢٤ والتاج) :

فرق ما بين قولهم وسَطَ الشيء ووسط تحريكاً أو تسكيناً

موضع صالح لبَينٍ فسكّنْ ولِفِي حرِّكَنْ تراه مُبيناً

كجلسنا وسط الجماعة إذ هم وسَطَ الدار كلهم جالسينا

ثعلبُ راعىْ ، فيما اختاره هنا ، أنّ وسطا إذا كان بعضَ ما أُضيف إليه يُحرَّك السينُ منه ، وإذا كان غيرَ ما أضيف إليه يسكَّنُ سينهُ ، ألا ترىْ أن وَسَط الدار بعضُها ، وأنّ وسْط القوم غيرُهم ! فأمّا تفسيرهم لوسطَ ببَيْنَ ، فبَيْنَ لشيئين يتباين أحدُهما عن الآخر فصاعداً ، تقول : بينَ زيد وعمرو بينٌ ، لتباينهما ، وإن كرّرت بينَ للتأكيد جاز . ووَسطَ لشيئين يتّصل أحدُهما بالآخر ، تقول : وسَطَ الحصير قلم ، ولا تقول : بينَ الحصير قلم ، إلا أنّه يُستعار فيُوضعُ بدلاً منه . انتهى .

وقال ابن هشام اللخمى فى شرح الفصيح : وسَطُ الشيء وأوسطه : ما بين طرَفيه ، فإذا سكّنتَ السين كان ظرفا ، وإذا فتحتَها كان اسما ؛ فإنّما يكونُ اسما إذا أردتَ به الوسطَ كلَّه ، ويكون ظرفاً إذا لم تُرِد به الوسطَ كلَّه وذلك إذا حسُنت فيه فى ، تقول : قعدت وَسْطَ الدار ، فوسط الدار ساكن الوسَط — وهو السين — لأنّه ظرف ولأنّك لا تأخذ بقعودك وَسَطَ الدار كلَّه ، وإنّما تريد قعدت فى وسط الدار ، فلمّا أسقطت فى ، انتصبَ على الظرف . ٤٧٩
فإن قلت : ملأتُ وسَطَ الدارِ قمحا ، فتحتَ السين لأنّه مفعول به ، لأنّ ملأت لا يقع إلا على الوسَط كلّه ، فقمحٌ نصب على التمييز ، لأنّ التقدير ملأت وَسَطَ الدار من قمح . وكذلك تقول : حفرتُ وسَطَ الدار بئراً ، وبنيت وسَطَ الدار مجلساً ؛ فوسَطَ مفعول به ، وبئراً ومجلساً منصوبان على الحال . قال أبو عليّ فى التذكرة : « فإنْ قلتَ : إنه فى حال ما يُحفَر ليس ببئر ؛ فإنّ ذلك تجوُّز ؛ ألا ترىْ قوله تعالى (إنّى أرانى أعصِرُ خمْراً[1]) فالبئر أقربُ من هذا ؛ ألا ترىْ أنّ هذا فى حال العَصْر ليس بخمر حتّى يشتد !

(١) الآية ٣٦ من يوسف .

وبعض الآبار فى العمق أقلّ من بعض ، ولا يخرجه ذلك عن أن يكون بئراً . ويجوز أن يحمل حَفرت على معنى جعلت ، فتنصبه على أنّه مفعول ، فإنّ هذا مذهبُ البصريِّين . وأكثرُ اللغَويِّين يجعلون الوسْط والوسط بمعنى واحد ، وهو مذهب أبى العبّاس ، وتمثيله يدلُّ على ذلك ، لأنه قال : وجلس وسْط الناس ، يعنى بينهم ، بسين ساكنة — على أنّ وسطاً ظرف ، ولذلك قدَّرَهُ بالظرف — ثم قال : وجلس وسَطَ الدار واحتجم وسطَ رأسه بتحريك السين. وهذا لا يجوز عند البصريّين ، لأنّه إذا فتح السينَ كان اسما وإذا كان اسما لم ينصبه إلاّ الفعلُ المتعدِّى . فقولُه : جلس وسَطَ الدارِ واحتجم وسَطَ رأسِهِ ، بفتح السين ، لا يجوز لمِا قدَّمنا . فإن سكّنت السين كان ظرفا وكان العامل فيه جلس . فاعلْم ذلك » انتهى .

وهذا مخالفُ لمِا قاله الامامُ المرزوقىّ ، فتأمل !

وروى أبو الحسن علىّ بن محمد المدايني فى كتاب النساء الناشزات — كما سيأتى[١] — (نصفُها قد تعلقّا[٢]) . وعليه لاشاهدَ فيه .

والمجلوم بالجيم واللام : اسم مفعول منْ جلمت الشيء جَلْمـا ، من باب ضرب : قطَّعته ، فهو مجلوم ، وجَلَمت الصوفَ والشعَرَ : قطعته بالجلمين : وهذا هو المراد هنا : قال صاحب المصباح : «الجلَم بفتحتين : المِقراض ، والجلَمان بلفظ التثنية مثلُه ، كما يقال فيه : المقراض والمقراضان والقلَم والقلَمـان . ويجوز أن يُجعل الجلمان والقلمان اسماً واحداً على فَعَلان ، كالسَّرَطان والدَّبَران ، وتجعل النون حرف إعراب . ويجوز أن يَبقيا على بابهما فى إعراب المثنّي ، فيقال : شرَيت الجلمين والقلمين » انتهى .

---

(١) فى الصفحة التالية ؟

(٢) كذا فى النسختين . ورواية المدائنى الآتية للبيت : « قد تفلقا » .

وهذه رواية أبى زيد وغيره . ورواه أبو حاتم : (أتته بمَحْلوق) من حَلق رأسَه بالموسى ، مثلا ، من باب ضرب .

والجبين : ناحية الجبهة من مُحاذاة النَّزَعة إلى الصُدْغ ، وهما جَبينانِ : عن يمين الجبهة وشمالها ، قاله الأزهرىّ وابنُ فارس وغيرُهما . فتكون الجبهةُ بين جبينين . وجمعه جُبُن بضمتين وأَجْبِنَة مثل أسلحة ، كذا فى المصباح .

و (الصَّلاَية) بفتح الصاد : الحجر الأملس الذى يُسحَق عليه شىء ، ويقال : صَلاءة أيضاً بالهمزة . ورُوِىَ هنا بهما . قال فى الصحاح : « والصَّلاية : الفِهرْ : أى حجرٌ مِلء الكفّ ، وإنّما قال امرؤُ القيس :

* مَداكَ عَرُوسٍ أو صَلاَية حَنظَل[1] *

فأضافه إليه ، لأنّه يفلَق به إذا يبِس » . و (الوَرْس) بفتح الواو وسكون الراء : نبتٌ أصفرُ يزرَع باليمن ويُصبَغ به ، وقيل : صِنف من الكُرْكم ، وقيل : يشبهه . وقوله : (قد تفلّقا) يقال : فلَقته فلْقا من باب ضرب : شققته فانفلق ، وفلّقته بالتشديد : مبالَغة ، ومنه خوخ مُفلَّق ، اسم مفعول ، وكذلك المشمش[2] ونحوه : إذا تفلّق عن نواه وتجفّف ، فإن لم يتجفَّفْ فهو فُلُّوق ، بضم الفاء واللام مع تشديدها . وتفلَّقَ الشىء : تشقّق ، كذا ٤٨٠
فى المصباح .

وهذا البيت من أبيات ثمانيةٍ للفرزدق ، رواها أبو الحسن علىُّ بن محمد المدائنى ، فى كتاب النساء الناشزات ، قال : زوّج جريرُ بنُ الخطَفى بنته

(١) صدره عند ابن الأنبارى والتبريزى : « كأن سراته لدى البيت قائما » . وعند الزوزنى : « كأن على المتنين منه إذا انتحى » وعند ابن الأنبارى فى رواية : « كأن على الكتفين منه » . فعلى الرواية الأولى يكون « مداك » ومابعده مرفوعين . وعلى التاليتين يكون النصب .

(٢) فى النسختين « المشمس » ، صوابه ما أثبت .

عُضيدة بن عُضَيدة ابن أخي امرأته[١] وكان منقوص العضُد ، فخلعها منه ، أي طلّقها بفدية فقال الفرزدق :

ما كانَ ذنبُ التي أقبلتَ تعتِلُها حَتَّي اقتحمتَ بها أُسْكُفَّةَ البابِ
كِلاهما حينَ جدَّ الجرىُ بينهما قد أقلعا وكِلا أنفَيهما رَابى
يا ابنَ المَراغة ، جهلاً حينَ تجعلُها دونَ القَلوص ودُونَ البَكرِ والنابِ

وقال الفرزدق أيضا :

لئن أُمَّ غَيلانَ استحلَّ حَرامَها حِمارُ الغَضا من ثِقْلِ ما كان رَنَّقَا[٢]
لَمَا نالَ راقٍ مِثْلَها مِن كمابة[٣] علمناهُ ممَّن سار غرباً وشرَّقا
حبتَهُ بمخلوقٍ كأنَّ جبينَه (صَلايةُ ورْسٍ نِصفُها قد تفلَّقَا)
إذا بركتْ لابنِ الشَّغور ونُوِّخَتْ[٤] على رُكبتيها للبُروك وألحقا
فما من دِراكٍ فاعلَمَنَّ لنادمٍ[٥] وإن صكَّ عينيهِ الحمار وصفَّقا
وكيفَ ارتدادى أُمَّ غَيلانَ بعدَما جرى الماء فى أرحامِها وترقرَقا

(١) فى الديوان ٣٣ : « وقال فى أم غيلان بنت جرير ، وكان جرير زوجها الأبلق الأسيدى » . والأبلق : لقب لعضيدة . وقد ضبط فى النقائض ٨٤٣ « عصيدة » بالتصغير وبالصاد المهملة ، وفى طبقات ابن سلام ٣٢٣ « عصيدة » بالتكبير وبالصاد المهملة أيضا . وابنة جرير هذه هى زينب ، كما فى النقائض ٨٤٣ وكنيتها أم غيلان كما فى الشعر . وامرأة جرير هذه هى أمامة كما فى طبقات ابن سلام . وفى ش : « بنته عضيدة من عضيدة » مع أثر تصحيح فى « من » . والصواب ما فى ط .

(٢) ط : « حمار النقصا » صوابه فى ش والديوان ٥٩٦ والنقائض ٨٤١ . وفى الديوان والنقائض : « من تفل ما كان ريقا » يريد : تفل عليه بريقه حين رقاها . لكن شرح البغدادى فيما بعد يقتضى الإبقاء على ما ورد فى النسختين .

(٣) كذا . والصواب كما فى الديوان والنقائض : « فما نال راق مثلها من لعابه » .

(٤) ط : « إذا برك الابن » صوابه فى ش والديوان والنقائض .

(٥) فى النسختين : « نفادم » صوابه فى الديوان والنقائض .

ستعلم مَن يَخزَى ويفضَحُ قومه إذا ألصقتْ عند السِفاد وألصقا
أُبَيلِقُ ، رَقّاء ، أُسَيِّدَ رهطِه إذا هُوَ رِجْلَىْ أمِّ غَيلانَ فرَّقا

فأجابه جرير بن الخطَفَى :

هلاّ طلبتَ بعقْرِ جِعْثِنَ مِنقَراً وبَجرّها وتركت ذكر الأبلقِ[1]
سَبْعون والوصفاء مَهْرُ بناتِنا إذ مَهْرُ جِعْثِن مثلُ حَزْر البُندُقِ[2]
كم قد أُثيرَ عليكم مِن خِزيةٍ ليس الفرزدقُ بعدها بفرزدق

انتهى ما أورده المدائنيّ .

وقوله : أقبلتَ تعتُلها ، يقال : عتلْت الرجلَ أعتُلِه من بابَى نصر وضرب : إذا جذبتَه جذباً عنيفاً . وضمير المؤنَّث لعُضَيدة بنتِ جرير[3] .

وروى أبو زيدٍ فى نوادره :

* ما بالُ لومِكُما إذ جئتَ تَعتُلها[4] *

خطاباً لجرير وزوجته ، من اللَّوم وهو التعنيف . وروى المبرّد فى الاعتنان : « ما بالُ لومكِها » بضمير المؤنّث فيكون ضميرَ بنته عُضَيدة[5] . وقوله : حتى اقتحمت بها الخ ، أى إلى أن أدخلتَها عتَبة بابِك .

---

(١) بجرها : مصدر ميمى من الجر بمعنى السحب . وفى ديوان جرير ٤٠٦ : « وبجرها » .

(٢) سبعون ، أى سبعون ناقة . والحزر : الحدس والتخمين . وفى الديوان والنقائض ٨٤٥ : « مثل حر البيذق » .

(٣) كذا . والصواب لأم غيلان بنت جرير .

(٤) الذى فى النوادر ٦٢ : « ما بال لو مكها وجئت تعتلها » . وأصل النوادر المطبوعة صحيح جدا ، وهو بخط صاحب اللسان (والنسخة الآن محفوظة فى الخزانة التيمورية برقم ٣٧٥ لغة فيحتمل أن يكون البغدادى سها فنسب إحدى الروايتين إلى غير موضعها من النوادر والاعتنان كما سيأتى .

(٥) كذا . وانظر ما سبق من التنبيه .

وقوله : كلاهما حين[1] جد الجرى الخ ، ضمير التثنية لابنة جرير عُضيدة ولزوجها . وزعم العينىّ وغيرُه أنّ الضمير للفرسَين . وزاد شارح شواهد المغنى أنّ فيه التفاتاً ، والأصل كِلا كما . وردّ عليه شارح المغنى الحلبيُّ ، بأنّه يأباه قولُ الشارحِينَ أنّ البيتَ فى وصف فرسين تجاريا . وهذا لا أصل له ، وكأنّهم فهموه من ظاهر البيت ، وسببُه أنّهم لم يقفوا على منشأ الشعر . وقوله : جدّ الجريُ أى اشتدّ العَدْو . وقوله : قد أقلعا ، يقال : أقلَع عن الأمر إقلاعاً : إذا تركه ؛ والصلة هنا محذوفة ، أى أقلعا عن الجرى . وقوله : رابى ، من الرَّبْو وهو النفَس العالى المتتابع ، يقال : ربا يربو : إذا أخذه الربْو . والبُهر بضم الباء
٤٨١ وهو تتابع النفَس . وهذا تمثيل وتشبيه ؛ يقول : إنّ بنتَ جرير وزوجَها قد افترقا حين حصَلت الألفة بينهما ، ولم يمضيا على حالها ، فهما كفرسَين جدَّا فى الجرى ووَقفا قبلَ الوصول إلى الغاية .

وهذا البيتُ من شواهد مغنى اللبيب وغيرِه من كتب النحو ، وأوردَ شاهداً على أنّ (كِلاَ) يجوز مراعاة لفظها فيعود الضمير إليها مفرداً ، ومراعاةُ معناها فيعودُ الضمير عليها مثنًى ؛ وقد اجتمعا فى هذا البيت .

وقوله : يا ابنَ المَرَاغة الخ ، المراغة : الأَتَان . [والفرزدق يقول لجرير يا ابن المراغة تعييراً له بأن عشيرته بنى كليب أصحاب حَمير . وقال الغورى : لأنّ أمه ولدته فى مراغة الإبل . وقال ابن عبّاد : المراغة الأتان[2]] لا تمنع الفُحولة ؛ وبذلك هجا الفرزدقُ جريراً . وقال بعضهم : المَراغَةَ أُمُّ جرير لقّبها به الأخطلُ . يريد أنّها كانت مَراغةً للرّجال ، كذا فى العباب للصاغانى .

---

(١) ط : « حتى » ، صوابه فى ش .

(٢) هذه التكملة من ش ، وقد سقطت من ط .

وقوله : جهلاً حين تجعلها الخ ، يريد أنك جهلت فى تزويجك إياها لغير أهل الإبل .

وقوله : لئن أمُّ غَيلان الخ ، أمّ غيلان هى بنت جرير ، وأراد بحِمار الغضا زَوجَها ، وهو فاعل استحلّ ؛ وحرامَها مفعوله . يقول : إن استحلّ بُضْعها ما كان حراما عليه قبل العقد . ورنّق بالراء المهملة والنون بمعنى أقام ؛ فى العباب : ورنّق القوم بالمكان : إذا أقاموا به ، ورنّق الطائر : إذا خفَق بجَناحيه ورفرف فوق الشىء ولم يطِرْ . أراد مِن كثرة إقامته مع الإلحاح .

وقوله : لمَا نالَ راقٍ الخ ، هذا جوابُ القسَم ، وجوابُ الشرطِ محذوف ، وراق ، بالتنوين ، اسمُ فاعلٍ مِنْ رقِيتُ السَّطْح والجبلَ : علوته[1] يتعدّى بنفسه . ومثلَها مفعوله . وكِعابة ، بكسر الكاف : مصدر كعَبت الجاريةُ تَكعُبُ كُعوباً وكِعابة إذا بدا ثديُها ، فهى كاعب وكَعاب بالفتح ؛ وفيه مضاف محذوف : أى من ذات كِعابة . وقوله : علمناه ، الجملة صفة راق .

وقوله : حبتَه بمحلوق ، أى خصّصته بإعطاء فرْجٍ محلوق . ورُوى « أتته بمحلوق » . وهذا البيت فى صفة الفرج .

وقوله : إذا بركتْ لابن الشغَور الخ ، هذه كلمة سبّ ؛ والشَّغور ، فى الأصل : الناقة التى تَشغَر بقوائمها إذا أُخِذَت لتُرْكبَ أو تحلَب . وقوله : ونوِّخت ، بالنون والخاء المعجمة بالبناء للمفعول ، يقال : تنوَّخ الجملُ الناقةَ :

(١) الظاهر أنه من الرقيا ، فى النقائض ٨٤١ أن جريرا أصابته حمرة فتورم ، وكان رجل من بنى أسيد بن عمرو بن تميم يقال له الأبلق يرقى من الحمرة ويداوى ، فأتى ابن الخطفى فقال له : ما تجعل لى إن داويتك حتى تبرأ ؟ ، قال جرير : أجعل لك إن أبرأتنى من وجعى هذا حكمك . فداواه ورقاه حتى برىء فقال له جرير : احتكم . فاحتكم عليه الأبلق أن يزوجه أم غيلان بنت جرير فزوجه إياها .

أناخها ليَسفَدَها . والبرُوك : مصدر برَك برُوكاً أى استناخ ، قال جرير[١] :

وقد دَميتْ مَواقِعُ رُكبتَيها من التَّبْراكِ ليس من الصَّلاةِ

وَقوله : ألحقا ، من ألحق الشىء بالشىء أى أوصله به ، معطوف على بركتْ .

وقوله : فما من دِراك الخ ، أى لا يقدر أن يلحقَهما قادمٌ عليهما ، أى لا يتفرَّقا منه لشدَّة شبَقِهما . وقوله : وإن صكّ الخ ، إنْ وصليّة وصكّه : ضربه ، والحمارُ فاعله . والتصفيق : الرّد والصرف .

وقوله : أبيلق رَقَّاء ، مصغّر أبلَق وهو اسم زوج بنت جرير ؛ ورقّاء مبالغةُ راقٍ صفة لأبيلق . وأسيِّد مفعولُه مضاف لما بعده . قال المبرد فى الاعتنان كان جرير زوَّج بنتَه الأبلَق الأُسَيدِى ، أسيِّد بن[٢] عمرو بن تميم فلم يحمَدْه . وذكرَ هجاء جرير إيّاه ورهطه .

وقوله : هلاّ طلبتَ بعُقْر الخ ، العُقْر بالضم : دية فرج المرأة إذا غُصِبتْ على نفسها . وجِعِثِن بكسر الجيم والمثلثة : اسم أخت الفرزدق . ومِنقَر بكسر الميم وفتح القاف . أراد أولادَ الأشدّ المنقرىّ ، وكان عِمرانُ بنُ مرّة المِنقرىُّ أسرَ جِعثنَ أُختَ الفرزدق يوم السِّيدَانِ ، وفيه يقول جرير :

غمَزَ ابنُ مُرَّةَ يا فرزدقُ كَينَها غمْزَ الطبيب نَغانغ المعذُورِ

خزِىَ الفرزدقُ بعد وَقْعةِ سبعةٍ[٣] كالحُصْن من ولد الأشَدّ ذُكورِ[٤] ٤٨٢

(١) ديوانه ٨٦ .

(٢) فى النسختين : « بنى عمرو » . وانظر الاشتقاق ٢٠١ ، ٢٠٦ والجمهرة ٢١٠

(٣) فى النسختين : « تسعة » وإن كان الشنقيطى حورها إلى « سبعة » مطابقة لما فى ديوان جرير .

(٤) الأشد هو سنان بن خالد المنقرى ، كما فى الاشتقاق ٢٥١ .

وقال أيضاً (١) :

على حفَرِ السِّيدانِ لاقَيتَ خِزْيةً ... ويومَ الرحالِم يُنْقِ ثوبَكَ غاسِلُه (٢)

وقد نوَّختْها مِنقرٌ قد علمتم ... لِمعتَلجِ الدأياتِ شَعْرٍ كَلاكِلُه (٣)

يفرِّجُ عِمرانُ بنُ مُرّة كَينَها ... وَينزُو نُزَاءَ العَيرِ أعلق حائله (٤)

والغمز : شبه الطعن والدفع . والكَيْنُ : لحم الفرْج . والنغانغ : أورام تحدُث فى الحلق . والمعذور : الذى أصابته العُذْرة ، وهو وجع الحلْق . يريد أنّ أخته نـكَحها ، حين أُسِرَتْ ، سبعةٌ من ولد الأشدّ المِنقرَىّ . ويقال : علِقَت الأنثي من الذكر وأعلقت : إذا حملت . والحائل : التى يضربها الفحل فلا تحمِل . وهذا افتراء من جرير على جِعثِن ، فإنّها كانت من النساء الصالحات ، وقد اعترف جريرٌ بقذفه إيّاها وندم عليه ، وكان يستغفرُ الله ممّا قذَفها به ، كما مرّ .

والأبلق . زوج بنت جرير . وقوله : سبعون وانوصفاء ، هوجمع وَصيف . يريدُ أنّ مَهرَ بناتِنا سبعون من الإبل مع انوصفاء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد المائة :

١٧٢ (ألاَ قالتِ الخَنساءِ يومَ لَقِيتُها : ... أَرَاكَ حَدِيثاً نَاعِمَ البالِ أفْرَعَا (٥))

---

(١) ديوان جرير ٤٨٤ والنقائض ٦٨٢ .

(٢) ط : « ولم الدحا » ، صوابه فى ش والديوان والنقائض .

(٣) فى الديوان والنقائض : « الدأيين » . والدأيات : جمع دأية ، وهى فقار الـكاهل . وفى الديوان والنقائض : « بمعتلج » .

(٤) فى الديوان والنقائض : « حابله » بالباء .

(٥) الحماسة ٣٢١ بشرح المرزوقى وللمفضليات ٢٦٨ .

على أنّ صفة الزمان القائمةَ مقامَ الموصوفِ يلزمُها الظرفيّة عند سيبويه ، كما فى هذا البيت . أى زماناً حديثا :

وهذا البيت أوّلُ أبياتٍ ثلاثةٍ مذكورة فى الحماسة ، ثانيها :

فقلتُ لها : لا تنكِرِينى فقلّما يَسُودُ الفتىٰ حتّي يَشِيبَ ويَصْلعا
ولَلقارِحُ اليَعْبُوب خيرٌ عُلَالةً من الجَذَعِ المُرْخَي وأبعَدُ مَنْزَعا)

الرواية فى الحماسة وشروحها :

* ألا قالتِ العَصماء لمّا لقيتُها *

والعصماء امرأة . و (الحديث) هنا : نقيض القَديم ، وهو هنا ظرف . يقول : قالت لى هذه المرأةُ لمّا التقيتُ معها : أعلَمك عن قريبٍ ناعمَ الحال أفرعَ ، أى تامَّ شعر الرأس ، لم يتسلّط صَلعٌ ، ولا حَدَثَ انحسارُ شعر ، فكيف تغيَّرتَ ، مع قربِ الأمد ! والرؤية بصريّة ، وناعمَ البال مفعوله ، وأفرعا صفتُه . وناعمٍ : من نعُم الشىء بالضم : أى صار ناعماً ليّناً ، وكذلك نعِم ينعَم مثل حذِر يحذَر ، وفيه لغة ثالثة مركبة بينهما : نعِم ينعُم ، بكسر الأول وضمّ الثانى ، ولغة رابعة نعِم ينعِم بكسر عينيهما ، وهو شاذّ ، كذا فى الصحاح .

و (البال) : القلب ، وخطر ببالى : أى بقلبي ؛ وهو رخىّ البال أى واسع الحال ، وهذا هو المراد . قال ابن الأنبارىّ فى شرح المفضّليّات : « والأفرَع بالفاء والراء والعين المهملتين ، هو الكثيرُ شعرِ الرأس ؛ يقال : رجل أفرع وامرأة فرعاء ، وقد فرِع من باب فرِح . وضدُّ الأفرَعِ الأزعرُ ؛ والمرأة زَعْراء » انتهى . وقال صاحب الصحاح : « الفرَع بفتحتين : مصدر الأفرَع وهو التامُّ الشعر ؛ وقال ابن دريد : امرأة فرعاء : كثيرة الشعر ، قال :

ولا يقال للرجل إذا كان عظيم اللِحية أو الُجمَّة أفرع ، وإنّما يقال أفرع لضدّ الاصلَع » انتهى .

وهذا المصراع الثانى قد وقع فى قصيدة متمّم بن نُويرة التى رثى بها أخاه مالكَ بنَ نويرة ، وهو :

٤٨٣ تقول ابنةُ العَمْرِىِّ مالك بعدَما أراكَ حديثاً ناعمَ البالِ أفرَعا

وقوله : فقلت لها الخ ، يقول : قلت لهـا : لا تستنكِرِى مارأيتِ من شحوب لونى وانحسار شعر رأسى ، فما ينال الفتىْ السيادة حتّى يستبدل بشبيبته شيباً ، وبوُفور شعرِ رأسه صلَعاً . وقوله : وللقارح اليعْبوب الخ ، القارح من الخيل بمَنْزِلةِ البازل من الإبل ، وهو الذى تمتْ واستَحكَمتْ قُوَّته . والقروح : انتهاء السّن ، واليعبوبُ : الفرس الـكثير الجرى ، والجَذَع : ماله سنَتَان . والعُلالة بالضم : بقيّة الجرى ، ويريد به هنا الجرى . والمرخَى : الذى يُرخَى فى سيره قليلاً قليلاً ، لا يُكلَّف أكثرَ من ذلك . ويُروىْ : (المرخِى) بكسر الخاء ، والإرخاء : لينٌ فى العدْو . ويُروى بفتح الخاء وهو المرسَل المهمَل . والمنزَع النزوع إلى الغاية . وانتصاب مَنزعاً وعُلالة على التمييز ، وهذا مثلٌ ضرَبَه فى تفضيل نفسه ، مع شيخوخته وقد أدَّبه الدهر ، على الأحداث الذين لم يجرِّبوا الأمورَ فيقول : لَلفرسُ المتناهى فى القوّة والسنّ ، الذى يَجرى جرِيةَ المـاء ، سهُولةً ونفاذا ، خيرٌ بقاء وأبعدُ غاية من ابن سنَتَين[١] وهو مُهمَلٌ لم يؤدَّبْ بإسراجٍ ولا إلجام .

وهذا الشعر لم يَذكرْ قائله أحدٌ من شُرَّاح الحماسة .

* * *

(١) ط : « سنين » ، صوابه فى ش ، وهو تفسير الجذع .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث والسبعون، بعد المائة:

١٧٣ (باكَرْتُ حاجتَها الدَّجاجَ بسُحْرَةٍ)

عجزُه:

(لأُعَلَّ مِنْها حِينَ هَبَّ نيامُها[١])

على أن (الدَّجاجَ) منصوبٌ على الظرف بتقدير مضافَين، أى وقت صِياح الدجاج، إذا كانت باكرتُ بمعنى بَكَرْت، لا غالبتُ بالبُكور.

أقول: باكَرَ متعدٍّ بنفسه إلى مفعول واحد، قال فى المصباح: «وباكرت بمعنى بكَرت إليه». و(حاجتَها): مفعول باكَرْت[٢]. وبكَرَ بالتخفيف، من باب قعد، فعلٌ لازم يتعدّى بإلى؛ يقال: بكَرإلى الشىء بمعنى بادر إليه أىَّ وقتٍ كان. وقال أبوزيد فى كتاب المصادر: بكَر بُكوراً وغَدا غدُوًّا، هذانِ من أوّل النهار. فإذا نُقِلَ إلى فاعَلَ للمغالَبة، تعدَّى إلى مفعولٍ واحد. ومعنى (المغالَبة) أن يغلب[٣] الفاعلُ المفعولَ فى معنى المصدر. فضميرُ المتكلِّم — الذى هو التاء — فاعل، وقد غالبَ الدَّجاجَ — وهو المفعول — فى البكور فغلَبه فيه. فيكون حاجتَها منصوباً بنزع الخافض، وهو إلى، لأنّ أصلَ باكَرَ يتعدَّى به كما ذكرنا. فإذا كان باكر من باب المغالبة، كان للتكثير فى البكور إلى الحاجة، نحو ضاعفت الشىء بمعنى كثّرت أضعافه، فيكون قوله: حاجتَها، مفعولَه، ويكون الدجاج منصوباً على الظرف بتقدير مصدر مضاف، والتقدير صِياحَ الدجاج؛ وهذا المصدر نائب عن اسم الزمن الواقع ظرفا، أى وقتَ صياحه. وقد ذكر ابنُ قُتَيبة هذا البيتَ

(١) البيت من معلقة لبيد. وانظر المعانى الكبير ٤٠٣.
(٢) ط: «بكرت»، صوابه فى ش.
(٣) ط: «يفعل»، صوابه فى ش.

فى أبيات المعانى، وحمله على المغالبة مع تقديره المضاف، فقال: «أى بادرت بحاجتى إلى شربها أصواتَ الديَكَة، لأشربَ منها مَرَّةً بعد مرّة: وهو العَلَل» انتهى ومعنى بادرت سبقت: وكذا قال شرّاح المعلقات:

وهذا البيت من معلَّقة لَبيدِ بن ربيعةَ المشهورةِ وقبلَه:

(أُغلِى السِباء بكلِّ أَدْكَنَ عاتقٍ   أَوْ جَوْنةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامها

بصَبوحِ صافيةٍ وجذبِ كَرِينةٍ   بمُوَتَّرٍ تأتاله إبهامُها

باكرتُ حاجتَها الدَجاجَ بسُحرةٍ   . . . . البيت) ٤٨٤

قوله: أغلى، بضم الهمزة، أى أشترى غالياً. والسباء، بالكسر والمد: اشتراء الخمر، ولا يستعمَل فى غيرها، يقال: سبأت الخمرَ بالهمز أسبؤها بالضم سبْئاً، بسكون الباء، ومَسْبَأً: إذا اشتريتَها لتشربَها: قال ابن هَرْمة:

كأساً بفيها صهباءَ معْرَقَةً[1]   يَغلو بأيدى التِجَارِ مسبَؤُها

أى إنّها من جودتها يغلو اشتراؤها؛ واستبأتها مثله؛ والاسم السِباء على فِعالٍ بكسر الفاء؛ ومنه سمِّيت الخمر سَبيئة على وزن فَعيلة، وخمّارها سَبّاء على فعّال بالتشديد. وأمّا إذا اشتريتها لتَحملَها إلى بلدٍ آخر، قلتَ سبيتُ الخمر، بلا همز، كذا فى الصحاح. والباء بمعنى مع. والأدكن: الزِّقُّ الأغبَر. والعاتق، قيل: هى الخالصة — يقال لكل ما خَلَص: عاتق — وقيل: التى عتقتْ، وقيل: التى لم تُفتَح. فهو من صفة الخمر، وهو الصحيح،

(١) ط: «مفرفة» ش: «مفرقة» صوابهما ما أثبت. والمعرقة: التى تمزج قليلا، كأنه جعل فيها عرق من الماء. ومثله قول البرج بن مسهر:

رفعت برأسه وكشفت عنه   بمعرقة ملامة من يلوم

وانظر شرح شواهد المغنى ٢٧٩. وقبل البيت كما فى اللسان (سبأ):

خود تعاطيك بعد رقدتها   إذا يلاقى العيون مهدؤها

لأنه يقال : اشترى زقَّ خمرٍ ، وإنّما اشترى الخمر : فعاتق مضاف إليه . وقيل : العاتق من صفات الزقّ ، فهو وصفٌ لأدكن . والجونة بفتح الجيم : الخابيةَ . وقُدِحَتْ بالبناء للمفعول بمعنى غُرِفت ، والمِقدَحة بالكسر : المِغرفة ؛ وقيل : قِدحَت : مُزِجت ؛ وقيل : معناهُ بُزِلت ، يقال : بَزَلت الشىء بَزْلا ، بالموحّدة والزاى المعجمة إذا ثقبته واستخرجتَ ما فيه . وفُضّ : كُسِر ؛ وخِتامها : طينها . وفيه تقديم وتأخير ، أى فُضّ ختامها وقُدِحت ؛ لأنّه ما لم يُكسَر ختامُها لا يمكن اغترافُ ما فيها . يقول : أشترِى الخمرَ غاليةَ السعرِ : باشتراءِ كلِّ زقّ أدكنَ أو خابيةٍ سوداء قد فُضّ ختامها واُغتُرِف منها . وتحرير المعنى : أشترى الخمرَ للنُدَماء عند غَلاء السعر . وأشترى كلَّ زقّ مقيَّرٍ أوخابيةٍ مقيَّرةٍ . وإنما قيِّرا لئلاّ يرشَحا بما فيهما .

وقوله : بصَبُوح صافية الخ ، الصَّبوح : شُرب الغداة ، ويريد بالصافية الخمر ، والكَرِينة ، بفتح الكاف وكسر الراء المهملة : المغنّية بالعود ، والكِران بكسر الكاف ، هو العود : والموتَّر : العود الذى له أوتار . وتأتالَه بفتح اللام الجارّة : من قولك تأتّيت له ؛ كأنّها تفعل ذلك على مهَل وترسّل . ويروى : (تأتالُه) بضمّ اللام : من قولك أُلتُ الأمر : إذا أصلحته ، كذا فى شروح المعلّقات[1] . وروى : (وصَبوحِ صافية) : بواوِ رُبّ ، والمعنى : كم صَبوحٍ من خمر صافية ، استمتعت باصطباحها ، وجذبِ عوّادة عوداً موتَّرا يُعالجُه[2] إبهامُ العوّادة ، استمتعت بالإصغاء إلى غِنائها .

وقوله : (باكرت حاجتها) الخ : باكرتُ متعلّقُ قوله : بصَبوحِ صافية ، على رواية الباء ، وهو جوابُ واوِ ربَّ على رواية الواو . ورُوى : (بادرت)

(١) انظر أيضا رسالة الغفران ١٠٨

(٢) فى النسختين : « معالجة » تحريف .

موضعَ باكرت . وضمير حاجتَها راجعٌ إلى الصافية المرادِ منها الخمر ، ومعناه : حاجتى فى الخمر ، فأضاف الحاجةَ إلى ضمير الخمر اتّساعا وجعلَه الشارحُ المحقِّق — فيما يأتى قريباً — من باب إضافة المصدر إلى ظرفه وقال : إلاّ أنه كالمضاف إلى المفعول به المنصوبِ بنزع الخافض ، أى حاجتى إليها وهو فى الحقيقة بمعنى اللام[1] . وروى فى ديوانه : (باكرتُ لذتَّها الدَّجاج) وهو جمع دَجاجة ، بفتح الدال وكسرها ، يطلق على الذكر والأنثى ، والهاء للواحد من الجنس ، والمراد هنا الدُّيوك . والمعنى : باكرت بشُربها صِياح الدِيكة . و (السُّحْرة) بالضم : أوَّل السَّحَر . وقوله : (لأُعَلَّ) متعلّق بباكرت وبالبناء للمفعول ، من العَلَل وهو الشرب الثانى ، وقد يقال للثالث والرابع : عَلَل من قولهم : تعلّلت به : أى انتفعت به مرَّة بعد مرّة ، والنهل محرّكة : الشُّرْب الأوّل . ٤٨٥
أى تعاطيت شُربَها قبلَ صَدْح الديك ، لأُسقَى منها مرّة بعد أُخرى ، أى حينَ استَيقظ نِيامُ السَحرِ . وهَبَّ من نومه : استيقظ . ونِيام : جمع نائم . ومثلُه للنابغة الجعْدىّ :

سَبَقَتْ صِياحَ فَرارِيجِها وصوتَ نَواقيسَ لم تُضْرَبِ

قال الأصمعىّ : الفراريج : الدِيَكة . وقال جريرٌ مثلَه :

لما تذكَّرتُ بالدَّيرينِ أرَّقني صوتُ الدَجاج وضَربٌ بالنواقيس[2]

وترجمة لبيد بن ربيعة تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[3]

* * *

---

(١) انظر شرح الرضى ١ : ١٧٤ . وموضع الاستشهاد بهذا الشطر مرة ثانية يكون بعد الشاهد التالى لهذا ، ولكن البغدادى أهمل ذكره كما سترى مكتفيا بإشارته هنا إليه .

(٢) هما دير فطرس ودير بولس ، بظاهر دمشق .

(٣) انظر الخزانة ٢ : ص ٢٤٦

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد المائة[١] :

١٧٤ (يا سارِقَ الليلةِ أهلَ الدار)

على أنه قد يُتوسّع فى الظروف المتصرِّفة، فيضاف إليها المصدرُ والصفةُ المشتقة منه، فإنّ الليل ظرفٌ متصرِّف، وقد أضيف إليه سارق وهو وصف.

وقد وقع هذا فى كتاب سيبويه. وأورده الفرّاء أيضاً فى تفسيره، عند قوله تعالى (فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ[٢]) وقال : « أضاف سارقَ إلى الليلة ونصَب أهلَ. وكان بعض النحْويِّين ينصب الليلةَ ويخفض أهل، فيقول : يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار » هذا كلامه.

قال ابن خروف فى شرح الكِتاب : « أهلَ الدار منصوب بإسقاط الجارّ، ومفعولُه الأوّل محذوف والمعنى : يا سارق الليلةِ لأهل الدار متاعاً، فسارق متعدّ لثلاثة، أحدها الليلة على السعَة، والثانى بعد إسقاط حرف الجر، والثالث مفعول حقيقى. وجميع الأفعال متعدِّيها ولازمها يتعدَّى إلى الأزمنة والأمكنة » انتهى.

وفيه نظر، فان أهل اللغة نقلوا : أنّ سرق يتعدَّى بنفسه إلى مفعولين، قال صاحب المصباح وغيره : سرقه مالاً يسرقه من باب ضربَ، وسرَق منه مالاً، يتعدّى إلى الأول بنفسه وبالحرف على الزيادة انتهى.

فجعَلَ مِنْ فى المثال الثانى زائدة. فالصواب أنّ الليلة هو المفعول الأوّل، وأهلَ الدار بدلٌ منها، فيقتضى أن يكون منصوباً بسارقَ آخر، لان البدل

(١) وهو أيضا من شواهد سيبويه ١ : ٨٩، ٩٩. وقال ابن الشجرى فى أماليه ٢ : ٢٥٠ : « ومثل هذا فى الشعر جائز، قال :

* يا سارق الليلة أهل الدار * ».

وانظر ابن يعيش ٢ : ٤٥، ٤٦

(٢) الآية ٤٧ من سورة إبراهيم.

على نيّة تكرار العامل، والمفعول الثانى حُذف لإرادة التعميم أى متاعاً ونحوَه.

قال السيّد فى شرح الكشّاف: «وأهل الدار منصوب بسارق لاعتماده على حرف النداء، كقولك: ياضاربا زيداً، وياطالعاً جبلاً. وتحقيقه: أنّ النداء يناسب الذات، فاقتضى تقدير الموصوف، أى ياشخصاً ضارباً» انتهى. ولم يُجر للمفعول الثانى ذِكراً، وكأنه لوضوحه تركَه.

وقول الفَنارىّ فى حاشية المطول: الظاهر أنَّ انتصاب أهل الدار بمقدّر، أى احذرْ أهلَ الدارِ، خلافُ المعنى المقصود. قال السيّد: والاتساع فى الظرف أن لايقدَّر معه (فى) توسُّعاً، فينصب نصب المفعول به، كقوله: ويوماً شهدناه، أو يضاف إليه على وتيرته كـ(مالك يوم الدين) وسارقَ الليلة حيث جعل اليومَ مملوكا والليلةَ مسروقة وأما (مكرُ الليلِ والنهار[1]) فإنْ جعلا ممكوراً بهما — كما يقتضيه سياق كلامه فى المفصّل — كان مثالاً لما نحن فيه: من إجراء الظرف مجرى المفعول به، وإن جُعلا ماكِرَين[2] كانا مشبِّهين به فى إعطاء الظرف حكم غيره. والإضافة فى الكلّ بمعنى اللام. ولم يقيِّد المصنف — يعنى الزمخشرىّ — الإضافَةَ بمعنى فى، وإن كانت رافعة مئونة الاتساع ٤٨٦
وما يتبعه من الإشكال، إمّا لأنّ إجراء الظرف مُجرى المفعول به قد تحقّق فى الضمائر بلا خلاف، وصورة الإضافة لما احتملت وجهَين كانت محمولة على ما تحقّق، فلا إضافةَ عندهم بمعنى فى. وإما لأنّ الاتّساع يستلزم فخامةً فى المعنى، فكان عند أرباب البيان بالاعتبارِ أولى. ومَنْ أثبتها من النُّحاة فلِنَظَرِه فى تصحيح العبارة على ظاهرها. انتهى كلامه.

(١) الآية ٣٣ من سورة سبأ.

(٢) ط: «مؤكدين»، صوابه من ش.

وقوله : « وما يتبعه من الإشكال » هو وصف المعرفة بالنكرة ، لأنّ الإضافة على الاتساع لفظيّة ، فيشكل كونُه صفةً للاسم الكريم ؛ فلو كانت الإضافة بمعنى « فى » لكانت معنويّة وصحّ الوصفُ به ، لحصول التعريف للمضاف ؛ بناء على أنّ الإضافة اللفظية لا تكون على تقدير حرف .

واعلم أنّ صاحب الكشّاف قال فى (مالك يوم الدين) : معنى الإضافة على الظرفيّة — بعد أنْ قال : إنّ يوم الدين أُضيف إليه مالك على الاتساع — فظاهره التنافى بينهما ، لأنّ الإضافة على الاتساع لفظيّة ، وكون المعنى على الظرفيّة يقتضى أنّ الإضافة معنويّة . فدفعه السيِّد بقوله : يعنى أنّ الظرف — وإن قُطِع فى الصورة عن تقدير فى ، وأُوقع مَوْقِع المفعول به — إلا أنّ المعنى المقصودَ الذى سيق الكلام لأجله ، على الظرفية ؛ لأنّ كونه مالكاً ليوم الدين كنايةٌ عن كونه مالكاً فيه للأمرِ كلّه ، فإنّ تملُّكَ الزمانِ كتملُّك المكانِ يستلزم تملُّكَ جميعِ ما فيه . انتهى .

وإضافةُ الوصف إلى الظرف المذكور ، من قبيل المجاز اللغوىّ عند السيِّد ، ومن باب المجاز الحُكمىّ عند التفتازانىّ .

وردّه السيِّدُ بقوله : « ومن قال : الإضافة فى مالك يومِ الدين مجازٌ حُكمىّ ، ثمّ زعم أنّ المفعولَ به محذوف عامٌّ يشهد لعمومه الحذف بلا قرينة ؛ وردَ عليه أنّ مثلَ هذا المحذوفِ مقدّرٌ فى حُكم الملفوظ ، فلا مجازَ حُكمياً كما فى « واسألِ القرْية [1] » ، إذ كان الأهلُ مقدّرا » . انتهى .

* * *

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[١] :

١٧٥ (أستَغْفِرُ اللهَ ذنباً)

هو قطعة من بيت ، وهو :

أستَغفِرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحصيَهُ[٢] ربَّ العبادِ إليه الوجهُ والعَمَلُ

على أنّ الأصل استغفر الله من ذنب ؛ فحذف مِنْ لأنّ استغفر يتعدّى إلى المفعول الثانى بمن .

ومعناه طلب المغفرة أى الستر على ذنوبه . وأراد بالذنب جميعَ ذُنوبه ؛ فإنّ النكرة قد تعمُّ فى الإثبات . ويدلّ عليه قوله : « لستُ محصيَهُ » أى أنا لا أُحصى عددَ ذُنوبى التى أذنبتُها ، وأنا أستغفر اللهَ من جَميعها . و (ربّ العباد) صفة للاسم الكريم . قال الأعلم : والوجه هنا : القصد والمراد ، وهو بمعنى التوجّه ، أى إليه التوجه فى الدعاء والطلب والمسألة ، والعبادةُ والعملُ له . يريد : هو المستحقّ للطاعة .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسينَ التى لا يُعرَف قائلها .

* * *

٤٨٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد المفصّل[٣] :

(١) فى كتابه ١ : ١٧ . وانظر الخصائص ٣ : ٢٤٧ وابن يعيش ٧ : ٦٣/٨ : ٥١ والعينى ٣ : ٢٢٦ والهمع ٢ : ٨٢ والأشمونى ٢ : ١٩٤ والتصريح ١ : ٣٩٤ .

(٢) فى النسختين : « أحصيه » وإن كان الشنقيطى حورها فى نسخته إلى « محصيه » ، وهو الصواب ، كما فى المراجع وما سيأتى فى الشرح .

(٣) ابن يعيش ٣ : ٨ . وانظر العينى ٣ : ٣٥٩ .

١٧٦ (كَوكبُ الخرقاءِ)

وهو قطعة من بيت ، وهو :

إذا كَوكبُ الخرْقاءِ لاحَ بسُحْرَةٍ سُهَيلٌ ، أذاعَتْ غزْلَها فى القرائبِ

على أنّ الشىء قد يضاف إلى الشىء لأدنى ملابَسة .

بيانه : أنّ الخرقاء هى المرأة التى لا تحسِن عمَلا ، والأخرَق : الرجل الذى لا يحسن صَنعةً وعمَلا — يقال : خرُق بالشىء من باب قرب : إذا لم يَعرِفْ عملَه . وذلك إمّا من تنعُّم وترفُّه ، أو من عدم استعدادٍ [و] قابليَّة . ومنه الخرقاء صاحبة ذى الرُّمَّة ؛ فإنه أوّلَ ما رآها أراد أن يَستطعِم كلامَها ، فقدَّم إليها دلواً فقال : اخرُزيها لى ؛ فقالت : إنى خرقاء . أى لا أُحسِن العمل ! وليس الخرقاء هنا المرأةَ الحمقاء ، كما تُوُهِّم — فأضاف الكوكبَ إلى الخرقاء ، بملابسةٍ أنّها لما فرّطت فى غزلها فى الصَّيف ولم تستعِدَّ للشتاء استغزَلتْ قرائبَها عند طلوع سُهَيل سحراً — وهو زمان مجىء البرد — فبسبب هذه الملابَسة سمِّى سهيلٌ كوكبَ الخرقاء .

والإضافة لأدنى ملابسة ، من قبيل المجاز اللغوىّ عند السيِّد ، ومن المجاز العقلىّ عند التفتازانىّ . قال السيِّد فى شرح المفتاح فى بيان الإضافة لأدنى ملابسة : « الهيئة التركيبيّة فى الإضافة اللاميّة موضوعة للاختصاص الكامل المصحِّحِ لأن يُخبر عن المضاف بأنّه للمضاف إليه . فإذا استُعمِلتْ فى أدنى ملابَسةٍ ، كانت مجازاً لُغوياً ، لا حُكمِيًا ، كما تُوُهِّمَ . لأنّ المجاز فى الحكم إنّما يكون بصرف النسبة عن محلّها الأصلىّ إلى محلٍّ آخَر ، لأجل ملابسةٍ بين المحلَّين . . وظاهرٌ أنّه لم يقصِدْ صرفَ نسبةِ الكوكب ، عن شىء ، إلى الخرقاء بواسطة ملابسةٍ بينهما ، بل نسبَ الكوكب إليها لِظُهور جدِّها فى تهيئة ملابس

الشتاء : بتفريقها قُطنَها فى قرائبها ليُغزَل لها فى زمان طلوعه ، الذى هو ابتداء البرد ؛ فجُعِلتْ هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص الكامل . وفيه لطف » . انتهى كلامه .

وبه يسقط أيضاً كلام السيِّد[1] عيسى الصفَوىّ فى جعله هذه الإضافةَ حقيقيّة وليست من المجاز فى شىء ، فإنّه قال فى مناقشته : فإنّ ذلك مما لم يُفهَم من كلامهم ، والأصل الحقيقة . مع أنّهم صرحوا بأنّ اللام معناه الحقيقىّ مطلقُ الاختصاص بمعنى المناسبةِ التامّةِ وزيادة الُخصوصيّة . فلا مجاز فى قولنا كوكب الخرقاء . انتهى .

و (كوكب الخرقاء) : فاعلٌ بفعل محذوف يفسِّره لاح . و (سهيلٌ) بالرفع : عطف بيان لكوكب الخرقاء . وجملة (أذاعت) جواب إذا . وأذاعت أى فرّقت ، وفاعله ضمير المضاف إليه ، أعنى الخرقاء . ورُوى : (أشاعت غزْلَها) أى فرّقته ، متعدّى شاع اللبنُ فى الماء : إذا تفرَّق وامتزج به . قال الأصمعىّ : إذا طلع سهيل عند غروب الشمس أوَّلَ الليلِ ، كان وقت تمام السنة ؛ وفى الشتاء يطلع من أوّل الليل ؛ وفى آخر الصيف قُبيلَ الشتاء من آخر الليل .

وقد أنشد ابن السكِّيت هذا البيت فى أبيات المعانى ، وأورد بعده :

(وقالت: سَماء البيتِ فوقَكَ مُنهِجٌ ولمّا تُيسِّرْ أحبُلاً للركائب)

وقال : تقول لزوجها — إذا لاح سهيل — : سماء البيت فوقَكَ مُنهِج ، أى مخلق ، ولمّا تيسِّر لركائبنا أحبُلاً ، فكيف تنتجع على هذه الحالة ؟ انتهى .

فجملة قالت معطوفٌ على أذاعت .

---

(١) ط : « أيضا ما للسيد » ، صوابه فى ش .

٤٨٨ قال ابن الأنباريّ : البيت عند العرب إنّما هو من صوف أو شَعَر ؛ فإذا كان من شجر فهو خَيمة . والسماء : السقف ، مذكّر ، وكل عالٍ مُظِلٍّ سماء . والمُنهِج: اسم فاعل من أنهج الثوبُ : إذا أخذ فى البِلى . وتُيسّر : تسهَّل وتهيّأ ، مجزوم بلمّا . وأحبُل : جمع حبْل وهو الرَّسَن ونحوُه . والركائب : جمع ركاب ، والركاب بالكسر : الإبل التى يُسارُ عليها ، الواحدة راحلة ، وليس له واحدٌ من لفظه .

* * *

باب المفعول له

أنشد فيه ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه(١) :

١٧٧ (يرْكَبُ كُلَّ عاقرٍ جُمْهُورِ مَخافةً وزَعَلَ المحْبُورِ)
(والهَوْلَ مِنْ تهوُّلِ الهُبورِ)

على أن (زَعلَ المحبور) و (الهولَ) مفعول لأجله . وفيه ردٌّ على الجرمىّ فى زعمِهِ أنّ المسمَّى مفعولاً لأجله هو حالٌ . فيلزَم تنكيره .

وبيان الردّ : أنّ الأوّل معرَّف بالإضافة ، وهى إضافة معنويّة ؛ والثانىَ معرَّفٌ بألْ ، فلا يكونان حالَين ، فتعيَّن أن يكون كلٌّ منهما مفعولاً لأجله .

وقال ابن برّىّ ، فى شرح أبيات الإيضاح : وانتصاب مخافةَ ، وزعلَ والهولَ ، المعطوفينِ عليه ، على المفعول له . وأصله اللام ، فلمّا سقط الخافضُ تعدَّى إليه الفعل . والرِياشىّ زعم أنّه لا يكون إلا نكرةً كالحال والتمييز . وسيبوَيه يجيزُ الأمْرين . انتهى .

(١) فى كتابه ١ : ١٨٥ . وانظر ديوان العجاج ٢٨ وابن يعيش ٢ : ٥٤ .

وهذا من أرجوزة للعجّاج . شبّه بعيرَه فى السُّرعة بالثَّور الوحْشيّ الموصوف بهذا الوصف . فقوله (يركب) فاعلُه ضمير الثورِ الوحشىّ الذى خافَ من الصياد فذهب على وَجهه مسْرِعاً ، يصعد تِلالَ الرمْل ، ويعتسف المشاقّ . و (العاقرُ) : العظيم من الرمْل الذى لا يُنبِتُ شيئاً ، شبِّه بالعاقر التى لا تَلِدُ قال أبو عبيدة : العاقر من الرمل : العظيم . وقال غيره : المشرِف الطويل . وهذا التفسير كلُّه واحد ؛ لأنّ المشرفَ الطويلَ والرملَ العظيم لا يُنبِتُ ، لعدم التراب والرطوبة التى يَكسِبُها المطمئنُّ السهلُ من الرمل . و (الُجمهور) بالضم : الرملة المشْرِفة على ما حَولها ، وهى المجتمِعة ؛ وهو صفةٌ لعاقر . وإنّما خصّه ، لأن بقر الوحش إذا دهِمَها القانصُ اعتصمت بركوب الرمل ، فلا تقدِرُ الكلابُ عليها . وقوله (مخافة) ، مفعول لأجله . قال صاحب اللباب : المفعول له علّةُ الإقدام على الفعل ، يكون سبباً غائياً كقوله :

وأغفرُ عوراء الكريمِ ادّخارَه[1]

وسبباً باعثاً ليس غايةً يُقصَدَ قَصدها ، نحو قوله — وأنشدَ شعرَ العجّاج — فالخوف ، والزَّعل ، والهَوْل ، كلٌّ منها سببٌ باعثٌ على ركوب الجمهور ، لا سببٌ غائىٌّ . و (زعَلَ) معطوفٌ على مخافة ؛ وهو بالزاى المعجمة والعين المهملة بمعنى النشاط ، مصدر زَعِلَ من باب فرح ؛ والوصف زَعِلٌ بالكسر . قال ذو الرُّمّة يصف ثوراً :

ولّى يَهُذُّ انهزاماً وَسْطَها زَعِلاً جَذْلانَ قد أفرَختْ عن رُوعِه الكُرَبُ[2]

وقال طرَفة بن العبد :

(١) انظر الشاهد ١٧٩ فيما سيأتى .
(٢) يهذ : يقطع الفلاة . وفى ديوانه ٢٧ : « يهز انهزاما » وفى شرحه : « أى يمر مرا سريعا » . ط : « يهر » ، وأثبت ما فى ش .

* وبلاد زَعِلٍ ظِلمانُها[١] *

و (المحبور) : اسم مفعول من حَبَرَنى الشىء إذا سَرَّنى ؛ من باب قتل .
٤٨٩ فزَعَلَ مصدرٌ مضاف إلى فاعله ، فليس مفعولاً لأجله لاختلاف الفاعل ، وإنّما هو مصدرٌ تشبيهىّ . أى زَعلاً كزَعَل المحبور ، فالمحذوف هو المفعول له. وقوله : و (الهَوْلَ) معطوف على مخافة ؛ وهو مصدرُ هالَهُ يهولُه هوْلاً : إذا أفزعه . قال الشارح : فالهول معناه الإفزاع لا الفزَع ، والثور ليس بمُفزِع بل هو فزِع . فالفاعلان مختلفان . وقد جوَّزه بعضُ النحويِّين، وهو الذى يقوَى فى ظنى وإن كان الأغلبُ هو الأوّل[٢] أ هـ .

وقد فسّره شراح أبيات الكتاب بالفزع ، وهو المشهور . وعليه فالفاعل متَّحد .

ونقل أبو البقاء فى شرح الإيضاح الفارسىّ عن بعضهم أنّه معطوفٌ على كلّ عاقر ، أى يركب كل عاقرٍ ، ويركب الهول ؛ فيكون مصدراً بمعنى اسم المفعول .

و (التهوُّل) تفعُّلٌ منه ؛ وهو أن يعظُم الشىء فى نفسك حتى يهُولك أمرُه . و (الهُبور) جمع هَبْر بفتح فسكون ، وهو ما اطمأنّ من الأرض وما حوله مرتفع . وروى شارح اللب :

* والهولَ من تهوُّرِ الهُبور *

وقال : الهول : الخوف . والتهوُّر : الانهدام . أى ولمخافته من تهوُّر

(١) عجزه كما فى ديوان طرفة ٦٦ :

* كالمخاض الجرب فى اليوم الخدر *

(٢) انظر شرح الرضى ١ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

الأمكنة المطمئنّة . وقد استدلّ صاحبُ اللبِّ لتعريف المفعول له بزعلَ المحبور فقط ، من هذا الشعر . قال شارحه : وإنّما لم يذكر آخرَ البيت — ليكون شاهداً أيضاً للمفعول له المعرَّفِ باللام ، وهو الهول ، كما ذكرَ المعرَّف بالإضافة ـ لأنّه ذكَر فى شرح أبيات الكتاب أنّ الهول عطفٌ على كلّ ؛ وعلى هذا يكون مفعولا به لا مفعولاً له ؛ فلا يكون الإتيانُ به نصاً فى الاستشهاد . اهـ

قال ابن خلف : زعلَ المحبور عطف على مخافَة ، والهولَ معطوف على كلّ ثم قال : والأصل لمخافةِ ، ولزعلِ المحبور ، وللهولِ ، أى لأجل هذه الأشياء يركبُ كلَّ كثيب . هذا كلامه .

وترجمة العجاج تقدمت فى الشاهد الحادى والعشرين[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائة ، قول ابن دُرَيد :

١٧٨ (والشَيخ إن قوَّمته مِنْ زَيغِه لَم يقِمِ التثقيفُ مِنه ماالتَوىٰ)

على أنه يجوز أن يقال ضربته تقويماً فما استقام ، إذ قد يطلق أنه حصل التأثير[2] .

والتقويم : التعديل ، يقال : قوّمته تقويماً فتقوّم ، بمعنى عدّلته فتعدل ، ومثله أقامَه أى عدله . و (الزيغ) الميل ، يقال زاغت الشمسُ تَزيغ زَيغاً وأزاغَهُ إزاغة أى أماله . و (التثقيف) تعديل المعوَجّ . و (منه) متعلّق بيقُم . و (ما) موصولة أو موصوفة ، ويجوز أن تكون مصدريّة . و (التوىٰ) تعوّج ؛ وفاعله ضميرُ ما على الأوّل ، وضمير الشيخ على الثانى . وجملة الشرط والجزاء فى محلّ رفع خبر المبتدإ الذى هو الشيخ .

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٠ (٢) انظر شرح الرضى ١ : ١٧٦

صاحب الشاهد وهذا البيت من مقصورة ابن دُريد المشهورة . وقبلَ هذا البيت :

بعض المقصورة
(والناسُ كالنبتِ : فمنهُ رائقٌ غَضٌّ نضيرٌ عُودُه مُرُّ الجَنيٰ
ومنه ما تقتحِمُ العينُ فإنْ ذُقتَ جَناهُ انساغَ عَذباً فى اللَّها
يُقَوِّم الشارخُ مِنْ زَيْغانِه[1] فيَستوى ما انعاج مِنهُ وانحنيٰ
والشيخ إن قوّمتَه من زَيغه . . . . البيت
٤٩٠ كذلك الغُصنُ : يسيرٌ عطفُه لَدْناً ، شديدٌ غَمزُه إذا عَسا
مَن ظلَمَ الناسَ تحامَوْا ظلمَهُ وَعزَّ فيهم جانِباه واحتمىٰ
وهمْ لمن لانَ لهم جانبُه أظلمُ من حيّاتِ أنباثِ السَفىٰ
والناسُ كُلاًّ إنْ فحصتَ عنهمُ جميعَ أقطارِ البلاد والقُرى[2]
عبيدُ ذى المال ، وإن لم يطعموا من غمره فى جُرْعةٍ تَشفى الصدىٰ
وهمْ لمن أملقَ أعداءٌ وإن شاركهمْ فيما أفادَ وحوَىٰ)

وتقتحمه العينُ . تفوته وتزدريه . واللَّها بالفتح : جمع لَهَاة ، وهى ما بين منقَطعِ أصلِ اللسان إلى منقَطع القلب من أعلى الفم . والشارخ : الشابّ . والزيغان : العدول عن الحق ؛ وانعاج . انعطف . و « ما » فيه الوجهان . وقوله : كذلك الغصن ، الإشارة راجعة إلى تقويم الشارخ والشيخ . واللَّدْن : اللّين ، والطرىّ . والغمز : العصر باليد والهزُّ . وعسا : صلب واشتدّ . وقوله : أظلم من حيّات الخ ، الأنباث : جمع نَبْث بنون فموحّدة فمثلّثة ؛ فى القاموس : النَّبْث كفلس : النبش ، وقيل : التراب المستخرج من البئر . والسَّفَى ، بسين مهملة مفتوحة وفاء : التراب ؛ وهذا من قولهم فى المثل : « أظلمُ من

(١) الأصل فى ياء الزيغان ، هو الفتح ، وأسكنه للضرورة .
(٢) الميمنى : «هذا البيت لا يشبه سائر المقصورة ولا يوجد فى طبعة الجوائب ١١٢ ولا فى غيرها»

حيّة[١] » لأنّها لا تحفر جُحراً ، وإنما تأتى إلى جُحر قد احتفره غيرُها فتدخل فيه وتغلِب عليه ؛ فكلّ بيت قصدت إليه هربَ أهلُه منه وخلَّوه لها .

وهذه القصيدة طويلة ، عدّتُها مائتان وتسعة وثلاثون بيتاً ، لها شروح لا تُحصىٰ كثرة . وأحسن شروحها شرح العلاّمة الأديب أبى على محمّد ابن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمىّ السَّبْتيّ . وقد شرحتها أنا شرحاً موجَزاً مع إيضاح وافٍ ، وتبيين شافٍ ، فى أيام الشبيبةِ . نفع الله به .

ومدح ابنُ دريد بهذه المقصورة الشاهَ وأخاه أبا العباس إسماعيل ابنَي مِيكال يقال : إنها اشتملت على نحو الثلث من المقصور . وفيها كلّ مثَلٍ سائر ، وخبرٍ نادر ؛ مع سلاسة ألفاظٍ ، ورشاقة أُسلوبٍ ، وانسجام معان يأخذ بمجامع القلوب .

وهذه نُبذةٌ من نسَبه وأحواله . وهو أبو بكر محمّد بن الحسَن بن دُريد[٢] وينتهى نسبُه إلى الأزْد بن الغَوْث ، ومنه إلى قحطان ، وهو أبو قبائل اليمن .

ولد بالبَصرة فى سنة ثلاثٍ وعشرين ومائتين ، ونشأ بها ، وتعلّم فيها ؛ ثم ارتحل منها مع عمّه عند ظهور الزِنج ، وسكَن عُمان ، وأقام اثنتىْ عشرةَ سنة ؛ ثم عاد إلى البَصرة ، وسكن بها زماناً ؛ ثم خرج إلى نواحى فارس ، وصحب ابنَيْ مِيكال — وكانا يومئذ على عمالة فارس — وعمِل لهما كتابَ الجمهرة ، وقلّداه ديوان فارس ، فكانت الكتبُ لا تُكتَب إلاّ عن رأيه[٣] ، ولا يَنفُذ أمرٌ إلاّ بعد توقيعه . وكان سخيّاً [متلافاً[٤]] لا يُمسك درهما .

(١) انظر الحيوان ١ : ٢٢٠/٤ : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٠٠/٦ : ٤٠١ .
(٢) دريد : مصغر أدرد تصغير ترخيم . والدرد ، محركة : ذهاب الأسنان .
(٣) سه : « وكانت لا تصدر كتب فارس إلا عن رأيه » .
(٤) التكملة من سه .

ومدحهما بهذه القصيدة المقصورة ، فوصلاه عشرة آلاف درهم[(١)] . ثمّ انتقل من فارس إلى بغداد ، ودخلها سنة ثمان وثلثمائة ، بعد عزل ابنَي ميكال وانتقالهما إلى خراسان . ولما دخل بغداد أنزله عليُّ بنُ محمّد فى جواره وأفضلَ عليه ، وعرَّف الخليفةَ المقتدرَ العباسيَّ مكانَه من العلم ، فأجرىٰ عليه فى كل شهرٍ خمسين ديناراً ، ولم تزل جاريةً عليه إلى حين وفاته . وتُوفِّى يومَ الأربعاء لاثنتَي عشرةَ ليلةً بقيت من شعبانَ سنة إحدىٰ وعشرين وثلثمائة ببغداد .

٤٩١ وكان مواظباً على شُرب الخمر ، قال أبو منصورٍ الأزهريّ : دخلتُ عليه فرأيته سكرانَ فلم أعدِلْ إليه[(٢)] . وقال ابن شاهين : كنّا ندخُل عليه فنستحيي ممّا نرى عنده من العِيدان والشَّراب المصفَّى . وعرض له فى رأس التسعينَ من عُمره فالجٌ وسُقِيَ التِرْياقَ فبَرِىء وصحَّ ورجَعَ إلى أفضلِ أحواله . ثم عاوده الفالج بعد عام ، لغذاءٍ ضارٍّ تناولَه ، فكان يحرِّك يديه حركةً ضعيفة ، وبطَل من مَحزِمه إلى قدميه ، فكان إذا دخل عليه داخلٌ ضجَّ وتألَّم لدخوله . قال تلميذه أبو عليّ القالىّ : كنتُ أقول فى نفْسى : إن الله عزّ وجل عاقبَه لقوله فى هذه المقصورة ، يخاطب الدهر :

مارستَ مَنْ لو هوتِ الأفلاكُ مِنْ جوانبِ الجوِّ عليه ماشَكا

وكان يصيح من الداخل عليه صياحَ من يُنخَس بالمسالِّ — والداخلُ بعيد — وكان مع هذه الحال ثابتَ الذهن كاملَ العقل . وعاش مع الفالج عامَين . وكنت أسأله عن أشياء فى اللغة فيردُّ بأسرعَ من النفَس ، بالصواب . وقال لى مرّة — وقد سألته عن بيت — لئن طُفِئَتْ شَحمتاَ عينىَّ لمْ تجد مَنْ يَشفِيك من العلم . وكان ينشد كثيراً :

(١) الصواب (بعشرة آلاف درهم) .
(٢) كذا فى النسختين . وفى معجم الأدباء ١٨ : ١٣١ : « فلم أعد إليه » .

فواحَزنى أن لا حياة لذيذة ولا عملٌ يرضَىٰ به اللهُ صالحُ !

وأشهر مشايخه : أبو حاتم السِجِستانىّ ، والرياشىّ ، وعبدُالرحمن ابن أخى الأصمعىّ ، والأُشْناندَانىّ . وسمع الأخبار من عمِّه الحسين بن دُريد ، ومن غيره . وله من التآليف : الجمهرة فى اللغة ، وكتاب السَّرْج واللجام ، وكتاب الأنواء وكتاب المجتنى[1] وهذه الكتب عندى والحمد لله والمنّة .. وله كتاب الاشتقاق ، وكتاب الخيل الكبير ، والصغير ، وكتاب الملاحن[2] وكتاب زوّار العرب[3] ، وكتاب الوشاح[4] ، وغير ذلك .

وكان واسعَ الرواية لم يُرَ أحفظ منه ؛ وكانوا يقرءون عليه دواوين العرب فيسابِق إلى إتمامها ، من حفظه . وله شعر رائق . قال بعض المتقدّمين : ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء .

قال المسعودىّ فى مُروج الذهب : كان ابن دريد ببغدادَ ممّن بَرع فى زماننا فى الشعر . وانتهى فى اللغة ؛ وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدّمين . وشعره أكثر من أن يُحصىٰ .

* * *

---

(١) فى النسختين : « المجتبى » ، تحريف ، وقد طبع الكتاب فى حيدر أباد ١٣٤٢ بعناية المستشرق الفاضل كرنكو . وقال ابن دريد فى أوله : « سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه ظرائف الآثار ، كما تجتنى أطايب الثمار » .

(٢) طبع فى مصر سنة ١٣٤٧ بتحقيق إبراهيم بن طفيش الجزائرى سنة ١٣٤٧ وطبع كذلك فى مصر سنة ١٣٢٣ وقبل ذلك فى ليدن سنة ١٨٥٩م وجوتا سنة ١٨٨٢م . وفى النسختين : « الملاحم » ، تحريف .

(٣) وكذا عند ابن خلكان . وعند ابن النديم والقفطى : « رواة العرب » . وهذا كله تحريف ، صوابه « رواد العرب » . وقد طبع هذا الكتاب فى مجموعة « جرزة الحاطب وتحفة الطالب » فى ليدن سنة ١٨٥٩ م باسم « السحاب والغيث ، وأخبار الرواد وما حمدوا من الكلأ » .

(٤) منه ورقتان فى (الميكروفلم) رقم ١٨٩٥ فى مجموعة من مكتبة الاسكوريال .

وأنشد بعده، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد المائة، وهو من شواهد سيبويه(١) :

١٧٩ (وأَغْفِرُ عَوراء الكَرِيمِ ادِّخارَهُ
وأُعرِضُ عن شَتمِ اللَئيمِ تَكرُّما(٢))

على أنه يَرِدُ على مَن اشترط التنكيرَ في المفعول له هذا البيتُ وبيتُ العجّاج السابِقُ. فإنّ قوله: (ادّخارَه) مفعول له، وهو معرفة.

قال الأعلَم: «نصب الادخارَ والتكرُّمَ على المفعول له؛ ولا يجوز مثلُ هذا حتّي يكون المصدرُ من معنى الفعل المذكور قبلَه، فيضارعَ المصدرَ المؤكِّد لفعله، كقولك: قصدتك ابتغاء الخير. فإن كان المصدرُ لغير الأوّل لم يجُزْ حذفُ حرف الجرّ، لأنّه لا يشبه المصدر المؤكِّد لفعله، كقولك: قصدتُك لرغبة زيدٍ في ذلك، لأنّ الراغب غير القاصد» انتهى.

لكن المبرّد أخرجَهما من هذا الباب وجعَلهما من باب المفعول المطلق، قال في الكامل: «قوله: ادّخارُه، أي أدّخرُه ادّخارا. وأضافَه إليه كما تقول: ادّخاراً له. وكذلك تكرما، إنّما أراد التكرُّمَ فأخرجَه مُخرَجَ أتكرّم ٤٩٢
تكرُّما» انتهى.

و(أغفر): أستُر؛ يقال: غفر الله لى، أى ستر عنّي العقوبة فلم يعاقبْني. و(العَوراء) بالفتح: الكلمة القبيحة؛ ومنه العَورة للسَوءة

(١) فى كتابه ١ : ١٨٤. وانظر ديوان حاتم ١٠٨ والكامل ١٦٥ ونوادر أبى زيد ١١٠ وابن يعيش ٢ : ٥٤ والعينى ٣ : ٧٥ والأشمونى ٢ : ١٨٩ والتصريح ١ : ٣٩٢.

(٢) ويروى: «وأصفح عن شتم اللئيم» و«وأصفح عن ذات اللئيم» كما فى نوادر أبى زيد ١١٠.

وكلُّ ما يُستحَى منه . و (الادّخار) افتعال من الذُخر . وروى أبو زيد في نوادره :

* وأغفرُ عوراء الكريمِ اصطِناعَهُ *

وهو افتعال أيضاً من الصُّنْع ، وهو الفعل الجميل . و (الإعراض) عن الشيء : الصفح عنه . يقول : إذا بلغتني كلمةٌ قبيحةٌ عن رجُل كريم قالَها فيّ ، غفرتُها له لأجل كرمه وحسبَه ، وأبقَيتُ على صداقته وادّخرتُه ليومٍ أحتاجُ إليه فيه — لأنّ الكريم إذا فرّط منه قبيحٌ ندمَ على ما فعل ، ومنَعه كرمُهُ أن يعود إلى مثله — وأُعرِضُ عن ذمِّ اللئيم ، إكراماً لنفسي عنه ! وما أحسنَ قولَ طرَفَةَ بنِ العبْد[1] :

وعَوراء جاءت من أخٍ فرددتُها ... بِسالمةِ العَينينِ طالبةٍ عُذْرا !

وهذا من إحكام صَنعة الشعر ومقابلةِ الألقاب بما يُشا كلها ويتمِّ معانيها : وذلك أنّه لمّا كان الكلامُ القبيحُ يشبَّه بالأعورِ العينِ ؛ سُمِّي ضدُّه سالمَ العينين .

وقد أورد صاحبُ الكشّاف هذا البيتَ في التفسير ، عند قوله تعالى (حَذَرَ المَوْتِ) على أنّه مفعول له ، معرَّفاً بالإضافة ، كما في ادّخارَه .

وهو من قصيدة طويلةٍ لحاتمٍ الطائيّ ، تتعلق بالكرم ومكارم الأخلاق . وهي مسطورة في الحماسة البصريّة وغيرها . وهي هذه :

(وعاذِلَتين هَبّتا بعد هَجعةٍ ... تلُومانِ مِتلافاً مُفيداً مُلوّما

(١) لم يرد هذا البيت في ديوانه . ونسب في ذيل الأمالي ٦٢ إلى حاتم طيّ ، وليس في ديوانه أيضا . وانظر الحيوان ٦ : ٤٠ .

تلومانِ ، لمّا غوّرَ النجمُ ، ضَلّةً ، فتيً لا يرى الإنفاقَ فى الحمد مَغرَما(١)

فقلتُ ، وقد طال العتابُ عليهما وأوعدتمانى أن تَبينا وتَصرِما :(٢)

ألا لاَ تلُومانى على ما تقدَّما كفى بصُروف الدهر للمرء مُحكِما

فإنّكما لا ما مضى تدرِكانه ، ولستُ على ما فاتنى متندِّما

فنفسك أكرمْها ، فإنّك إن تَهُن عليكَ فلن تلقى لها الدهرَ مُكرِما(٣)

أهِنْ للذى تَهوى التلادَ ، فإنّه إذا مُتُّ كان المالُ نهباً مقسَّما

ولا تشقَيَنْ فيه فيَسعَدَ وارثٌ به، حين تغشى أغبَرَ الجوفِ مُظلِما(٤)

يقسِّمه غُنماً ويَشرى كِرامَه وقد صرتَ فى خطٍّ من الأرضِ أعظُما(٥)

قليلاً به ما يحمدَنّك وارثٌ إذا نالَ ممّا كنتَ تجمَعُ مغنَما(٦)

تحلَّمْ عن الأدنَينَ واستبقِ وُدَّهمْ ولن تستطيعَ الحِلمَ حتّى تحلَّما

وعوراءَ قد أعرضتُ عنها فلم تَضِرْ وذى أَوَدٍ قوَّمتُه فتقوَّما

وأغفر عوراءَ الكريم ادّخارَه(٧) . . . . البيت

ولا أخذُلُ المولى وإن كان خاذلاً ولا أشتُم ابنَ العمِّ إن كان مُفحَما

ولا زادَنى عنه غناى تَباعُداً وإن كان ذا نقصٍ من المال مُصرِما(٨)

(١) النوادر : « لما غور النسر » .
(٢) الديوان : « ولو عذرانى » .
(٣) الديوان : « فلن تنق » بالقاف .
(٤) الديوان : « تخشى » ، والنوادر : « تحشى » .
(٥) النوادر : « يبيعه غنما » .
(٦) الديوان « قليل .. إذا ساق » . وفى النوادر : « تجمع مقسما » .
(٧) فى الديوان والنوادر « اصطناعه » .
(٨) ط : « مناى » صوابه فى سه والديوان . ط : « مضرما » صوابه من سه :
والمصرم : القليل المال .

وليل بهيمٍ قد تسربلتُ هولَه إذا الليلُ بالنِكسِ الدنىء تجهَّما[1]
ولن يَكسِب الصُّعلوكُ حمداً ولا غنى إذا هو لم يركبْ من الأمر مُعظِما
لحا اللهُ صُعلوكاً مناهُ وهمُّه مِن العيش أن يَلقَى لَبوساً ومَغنَما ! ٤٩٣
يَنامُ الضحى، حتَّى إذا نومُه استوى تنبَّه مَثلوجَ الفؤاد مُورَّما[2]
مقيماً مع المثرِينَ ليس ببارحٍ إذا نال جَدوَى من طعامٍ ومَجثِما
ولله صعلوكٌ يساوِرُ همَّه ويمضى على الأحداث والدهرِ مُقدِما !
فَتَى طِلِباتٍ لا يرى الخَمصَ تَرحة ولا شَبعةً إنْ نالَها عدَّ مَغنَما
يرى الخَمص تعذيباً، وإنْ يَلقَ شَبعة يَبِتْ قلبُه، من قِلَّةِ الهمِّ مُبهَما[3]
إذا ما رأى يوماً مكارمَ أعرضتْ تيمَّمَ كُبراهنَّ ثُمَّتَ صَمَّما
ويَغشَى إذا ما كان يومٌ كريهةٍ صدورَ العوالى، فهْوَ مختضبٌ دَما
يرى رُمحَه، ونَبلَه، ومِجَنَّهُ وذَا شُطَبٍ عَضْبَ الضريبةِ مِخذَما
وأحناء سَرجٍ قاترٍ، ولجامَه، عَتادَ فتًى هَيجا، وطِرفاً مسوَّما[4]
فذلك إن يَهلِكْ فحُسنَى ثناؤُه وإن عاشَ لم يقعُد ضعيفاً مذمَّما)

قوله : هَبَّتا ، أى استيقظتا . وغوَّرَ النجمُ : أى غابت الثريا . وقوله : ضَلّة ، هو قيدٌ فى اللوم ، لامه ضَلّة : إذا لم يوفَّق للرشاد فى لومه . والمَغرَم بالفتح الغرامة . وأغبر الجوف : القبر ، ومثله : خَطٌّ من الأرض . وقوله : حتى تحلَّما ، أى تتحلَّم أى تتكلَّف الحِلم . وهذا البيت من شواهد مُغنى اللبيب .

---

(١) الديوان والنوادر : « بالنكس الضعيف » .
(٢) الديوان : « ليله استوى » . والمورم : الضخم من الرجال .
(٣) فى النسختين : « ولم يلق شبعة » صوابه من الديوان والنوادر .
(٤) ط : « سرج قاتر » صوابه فى ش والديوان ، وسيفسرها البغدادى .

وقوله : فلم تَضِرْ ، من ضار يضير ضدّ نفع . والأَوَد بفتحتين : الاعوجاج . والنِكْس ، بكسر النون : الردئ ، وأصله السّهم الذى كُسر فُوقُه . وتجهّم : كلَح وجهُه . ولحاَ الله : قبحَ اللهُ . والصُّعلوك بالضم : الفقير . ومثلوج الفؤاد : البليد الذى ليست فيه حرارةٌ من الهِمّة . والمَجْثِم ، بفتح الميم وكسر المثلّثة : مكان الجثوم ، وهو بُرُوك الطائر . وقوله : ولِلهِ صُعلوك ، تعجُّبٌ ومدحٌ ، يقال عند استغراب الشىء واستعظامِه ؛ أى هو صُنْع الله ومُختارُه ، إذ له القدرة على خلق مثله . ويُساوِر : يواثب . وهمّه ، أى عزمَه ، مفعول . وقوله : ويمضى على الأحداث ، أى لا يشغَله الدهرُ وحوادِثه فى حالة إقدامِه على ما يُريد . وقوله : فتي طَلِباتٍ ، إشارةٌ إلى علوّ همّته . والخَمْص بالفتح : الجوع . والترْحة : ضدُّ الفَرْحة . والشّبْعة : المرّة من الشّبع . وثُمّتَ : حرفٌ يعطف الجُمَل . ورمحَه ، وما عطف عليه : مفعولٌ أوّل ليَرى ؛ وعَتادَ هو المفعول الثانى . وذا شُطَب ، هو السيف ، جمع شطبة : وهى الطَريقة فى مَتْن السيف . والمِجَنّ بالكسر : التُرْس والدَّرَقة . والعَضْب : القاطع . والضَّريبة : موضع الضرب والمِخذَم بكسر أوّله وبالمعجمتين : السيف القاطع ؛ وبإعجام الثانى فقط ، من الخَذْم وهو القطع السريع . والأحْناء : جمع حِنو بالكسر ، يطلق على ما فيه اعوجاجٌ من القتَب والسَّرْج وغيرها . والقاتر ، بالقاف وبالمثنّاة الفوقيّة : الواقى والحافظ ، لا يَعقر ظهْر الفرس . وعَتاد ، بالفتح : العُدَّة . وطِرْفا : معطوف على رمحَه الذى هو أوّل مفعولَى يرى ؛ وهو الكريم من الخيل . والمسوَّم المُعلَم تشهيراً لعِتْقه ولكرمه ، من السُّومة وهى العلامة ، أو المسيَّب فى المرعى ولا يركب إلاّ فى الحروب . وقوله : فذلك إن يَهلِك الخ ، الحُسنى : مصدر كالبُشرى ؛ وقيل : اسم للإحسان .

٤٩٤ والمعنى : لله فقيرٌ[١] يواثبُ همَّتَه ويَمضي مُقدِماً على الدهر ، والحالُ أنّه فتيّ طَلِباتٍ يتجدّد طلبُه كلَّ ساعة ، والدّهرُ يُسعفه بمطلوبه لجِدّه ورَشده ، ولا يرى الجوعَ شدَّةً ولا الشِّبَعَ غنيمةً ، لعلوِّ همّته . فإن يَهلِك فله ثناء حَسَن ، وإن يَعِشْ يَعِشْ ممدَّحاً معزَّزاً .

واستشهد صاحب الكشّاف بهذه الأبيات ، من قوله : صُعلوكٌ يُساورُ همه ، إلى آخر الأبيات السبعة[٢] عند قوله : (أولٰئكَ عَلىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِم[٣]) على أنّ اسمَ الإشارة ، وهو أولئك ، مؤذِنٌ بأنّ المذكورِينَ قبلَه أهلٌ لاكتسابِ ما بعدَه للخصال التي عُدَّت لهم . فإنّه تعالى ذكَر المتّقين بقوله : (هُدًى لِلْمُتَّقِين[٤]) ثم عدَّدَ لهم خِصالاً مِنْ كونهم يُؤمنون بالغيب ، ويُقيمون الصلاةَ ، ويُنفقون ممّا رزقهم الله ، ويؤمنون بما أنزل على رسوله ، ويوقنون بالآخرة . ثم عقّب ذلك بقوله :

فذلك إن يَهلِك فحُسنَى ثناؤُه . . . . البيت

حاتم الطائي و (حاتم) هو حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحَشْرَج بن امرِئ القَيْس ابن عَدِيّ بن أخزَم الطائيّ[٥] الجواد المشهور ، وأحد شعراء الجاهليّة . ويكنَى أبا عديّ ، وأبا سفّانة ، بفتح السين وتشديد الفاء . وابنه أدرك الإسلام وأسلَم .

---

(١) فى النسختين : « سر فقير » ، وحورها الشنقيطى إلى ما أثبت .

(٢) لم يستشهد الزمخشرى بألفاظ هذه الأبيات ، ولم يذكر أنها سبعة . ونص كلامه : « كما قال حاتم : ولله صعلوك . ثم عدد له خصالا فاضلة . ثم عقب تعديدها بقوله : فذلك إن يهلك .. إلى آخر البيت » .

(٣) الآية ٥ من سورة البقرة .

(٤) الآية ٢ من سورة البقرة .

(٥) ط : « أحزم » ، صوابه فى ش . وهو أخزم بن أبى أخزم الذى يضرب المثل فيقال « شنشنة أعرفها من أخزم » . الاشتقاق ٣٩١ .

وقد مضت ترجمته فى الشاهد الثامن والخمسين[1] .

أخرج أحمدُ فى مُسنَده ، عن ابنه عَدىٍّ قال : قلتُ يا رسولَ الله : إنّ أبى كان يَصِلُ الرحمَ ويفعل كذا وكذا، قال : إنّ أباكَ أرادَ أمراً فأدركَه، يعنى الذِّكْرَ .

وكانت سَفّانةُ بنتهُ أُتِىَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا محمّد ، هلَكَ الوالدُ ، وغابَ الوافدُ ؛ فإنْ رأيتَ أنْ تُخلِّىَ عنِّى ، ولا تشمِتَ بى أحياء العرَب ! فإنّ أبى سيِّدُ قومه : كان يفكُّ العانىَ ، ويحمى الذمارَ ، ويفرِّج عن المكروب ، ويُطعم الطعامَ ، ويُفشى السَّلام ، ولم يطلبْ إليه طالبٌ قطُّ حاجةً فردَّه ! أنا ابنة حاتم طَىّ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جاريةُ ، هذه صفة المؤمن ! لو كان أبوكِ إسلامياً لترحّمنا عليه ! خلُّوا عنها ، فإنّ أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق ! »

قال ابنُ الأعرابىّ : كان حاتمٌ من شعراءِ الجاهليّة ، وكان جواداً يُشبه جودَه شعرُه ، ويصدِّق قولَه فعله ؛ وكان حيثُما نزلَ عُرِف مَنزِله ؛ وكان مظفَّرًا : إذا قاتَل غلَب ، وإذا غَنِم أنهبَ ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سَبَقَ ، وإذا أسَر أطلق ؛ وكان أقسمَ بالله : لاَ يقتُلُ واحدَ أمِّه ، وكان إذا أهلَّ رجبٌ نحر فى كلِّ يوم عشرةً من الإبل وأطعَم الناسَ واجتمعوا عليه . وكان أوَّل ما ظهرَ من جُوده ، أنّ أباه خَلّفه فى إبله ــ وهو غلام ــ فمرَّ به جماعةٌ من الشعراء ، فيهم عَبيدُ بنُ الأبرَص وبِشْر بن أبى خازم ، والنابغة الذُبيانى ، يريدون النُّعمانَ بن المنذر ؛ فقالوا له : هل مِنْ قِرًى ؟ (ولم يَعرِفْهم) فقال : أتسألونى القِرىٰ وقدْ رَأيتم الإبلَ والغنمَ ؟ انزِلوا ! فنزلوا ، فنحر

---

(١) كذا . وصوابه فى الشاهد الأربعين . انظر الجزء الأول ص ٢٨٦ .

لكل واحدٍ منهم ، وسألهم عن أسمائهم ؛ فأخبروه ؛ ففرّق فيهم الإبلَ والغنمَ ، وجاء أبوه ، فقال : ما فعلتَ ؟ قال : طوّقتُك مجدَ الدهر ، تطويق الحمامة ، وعرّفه القضيّة . فقال أبوه : إذاً لا أساكنُك بعدَها أبدا ، ولا أوويك ! فقال حاتم : إذاً لا أبالى !

وأخبار كرم حاتم كثيرة وشهيرة .

ونذكر قضيّة قِراه بعد موته[1] :

روى مُحرِز مَولى أبى هريرة قال : مرّ نفرٌ من عبد القيس بقبرِ حاتم ، فنزلوا قريباً منه . فقام إليه رجل يقال له أبو الخيبَرىّ ، وجعل يَركُض برجله قبرَه ، ويقول : اقْرِنا . فقال بعضهم : وَيلكَ ! ما يدعوك أن تَعرِض لرجلٍ قد مات ؟ ! قال : إن طيِّئاً تزعُم أنّه ما نزل به أحدٌ إلاّ قراه . ثمّ أجنّهم الليل ، فناموا . فقام أبو الخيبرىّ فَزِعاً ، وهو يقول . واراحِلتاه ! فقالوا له : مالك ؟ قال : أتانى حاتم فى النوم وعقَر ناقتى بالسيف ، وأنا أنظر إليها ؛ ثمّ أنشدَنى شعراً حفظته ، يقول فيه : ٤٩٥

أبا الخيبَرِى وأنت امرؤٌ ظلومُ العشيرة شتّامُها
أتيتَ بصَحْبِكَ تبغى القِرى لدى حُفرةٍ قد صَدَتْ هامُها[2]
أتبغى لِىَ الذمَّ عند المبيت وحولك طىٌّ وأنعامُها
فإنا سنُشبِع أضيافَنا ونأتى المطىَّ فنعتامُها

فقاموا وإذا ناقة الرجل تَكُوس عَقيراً ؛ فانتحروها وباتوا يأكلون ،

(١) انظر المستجاد رقم ٣٧ والمحاسن المنسوب للجاحظ ٦٣ والبيهقى ١ : ١٤٦ والقالى ٢ : ١٥٥ والإصابة (ترجمة أبى الخيبرى) .

(٢) ويروى : « صيحت هامها » ، وفى معنى (صدت هامها) قول ذى الإصبع :
يا عمرو الا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

وقالوا قرانا حاتم حيًّا وميتاً ! وأردفوا صاحبهم وانطلقوا سائرين ، وإذا برجل راكب بعيراً ويقود آخر قد لحقهم ، وهو يقول : أيُّكم أبو الخيبَرىّ ؟ قال الرجل : أنا . قال : فخذ هذا البعير ، أنا عَدِىٌّ بن حاتم ، جاءنى حاتمٌ فى النوم وزعَم أنّه قَراكم بناقتك ، وأمرنى أن أحملَك ؛ فشأنَك والبعيرَ ؛ ودفعه إليهم وانصرف . وإلى هذه القضيّة أشار ابن دارة الغطفانىّ فى قوله يمدح عدىّ بنَ حاتم :

أبوك أبو سفّانة الخير لم يزلْ لَدَنْ شَبَّ حتّى مات فى الخير راغبا
به تُضرَب الأمثالُ فى الشعر ميِّتاً وكان له إذ ذاك حيًّا مصاحِبا[1]
قَرى قبرُه الأضيافَ إذْ نزلوا به ولم يَقرِ قبرٌ قبلَه الدهرَ راكبا[2]

* * *

باب المفعول معه

أنشد فيه وهو الشاهد الثمانون بعد المائة :

١٨٠ (جَمَعْتَ ، وفُحْشاً ، غِيبةً ونَميمةً
ثلاثَ خِلالٍ لستَ عنها بمرعَوِى[3])

على أن أبا الفتح بن جنّي أجاز تقدُّمَ المفعول معه على المعمول المصاحب ، متمسِّكاً بهذا البيت ، والأصل جمعتَ غِيبةً وفُحشاً . والأولَى المنع ، رعاية لأصل الواو . والشعر ضرورة .

(أقول) : أجازه[4] ابن جني فى الخصائص قال : ولا يجوز تقديم المفعول

(١) فى ديوان حاتم ١١٢ : « فى الجود ميتا » و « إذا كان حيا » .
(٢) الديوان : « قط راكبا » .
(٣) الخصائص ٢ : ٣٨٣ والقالى ١ : ٦٨ والعينى ٣ : ٨٦ والهمع ١ : ٢٢٠ والأشمونى ٢ : ١٣٧ والتصريح ١ : ٣٤٤ / ٢ : ١٣٧ .
(٤) ط : « ذكره » ، وأثبت ما فى ش .

معه على الفعل ، من حيث كانت صورة هذه الواوِ صورةَ العاطفة ، ألا تراك لا تستعملها إلاّ فى الموضع الذى لو شئت لاستعملت العاطفة فيه ! فلما ساوقت(١) حرف العطف قبح : والطيالِسةُ جاء البَرْدُ ، كما قبح : وزيدٌ قام عمرو ؛ لـكنّه يجوز جاء والطيالسةَ البَرْدُ كما تقول : ضربت وزيداً عمراً ؛ قال :

جمعتَ وفحشاً غِيبة ونميمة . . . . . البيت . انتهى

وقال ابن الشجرىّ فى أماليه : ولا يجوز تقديم التابع على المتبوع للضرورة إلاّ فى العطف(٢) دون الصفة والتوكيد والبدل . ثم قال : وإنما جاز فى الضرورة تقديمُ المعطوفَ ، لأن المعطوف غيرُ المعطوف عليه ، والصفة هى الموصوف ، وكذلك المؤكَّد عبارة عن المؤكَّد ، والبدل إما أن يكون هو المبدل أو بعضه ، أو شيئاً ملتبساً به . ومثلَه :

ألا يا نخلةً من ذات عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ . . اﻫ ٤٩٦

فجعلَه من باب تقديم المعطوف ، لا من باب تقديم المفعول معه ، لأنه هو الأصل . لـكنْ فى تنظيره نظر ، فإنّ قوله ورحمة الله ، معطوف عند سيبويه على الضمير المستكنّ فى الظرف أعنى قوله عليك كما تقدم بيانه(٣) . وقوله خلالاً(٤) ، بدل من قوله غيبة ونميمة وفحشاً ، جمع خَلّة بالفتح كالخصلة لفظاً ومعنى . وارعوى عن القبيح : رجعَ عنه .

وهذا البيت من قصيدة جيِّدة فى بابها ، ليزيدَ بن الحـكم بن أبى العاص

---

(١) ط : « سوفت » سه : « سوقت » صوابهما من الخصائص .

(٢) ط : « لا فى العطف » ، صوابه فى سه وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٩ .

(٣) الخزانة ١ : ص ٣٩٩ : ٢ ص ١٩٢

(٤) هذا التفات عن روايته للبيت إلى رواية الفارسى فى المسائل البصرية ، وهى كما سيأتى : « خلالا ثلاثا » . وقد جعلها الشنقيطى : « ثلاث خلال » .

صاحب الشاهد

الثَّقَفِيّ . قال الأصبهانيّ في الأغاني[١] : عاتب في هذه القصيدة ابنَ عمِّه عبدَ الرحمن بن عثمانَ بن أبي العاص ، وله قصائد أخر يعاتب فيها أخاه عبدَ ربِّه ابنَ الحكم .

وأورد هذه القصيدة القاليُّ في أماليه[٢] والأصبهانيّ في أغانيه ، وابنُ الشجريّ في أماليه مختصرةً . وفي رواية كلٍّ واحدٍ منهم ما ليس في رواية الآخر .

وأوردها أبو عليّ الفارسيُّ بتمامها في المسائل البصرية وهذه روايته — لكنه قال : قالها لأخيه من أبيه وأمِّه عبد ربِّه بن الحكم . وليس كذلك كما يظهر منها :

(تُكاشِرُني كُرْهاً كأنَّكَ ناصحٌ وعينُك تُبدي أنّ صدرَك لي دَوِي

لسانُكَ لي أرْيٌ وغَيبُك عَلْقَمٌ وشرُّكَ مبسوطٌ وخيرُك ملتوي[٣]

تُفاوضُ مَنْ أطوِي طَوَى الكَشحِ دونَه ومِن دون مَنْ صافيتَه أنت منطوِي

تُصافحُ مَنْ لاقيتَ لي ذا عَداوةٍ صِفاحاً وعَنّي بينُ عينِك منزوِي[٤]

أراكَ إذا استغنَيتَ عنّا هجرتَنا وأنتَ إلينا عند فقرِكَ مُنضوِي

إليك انعوَى نُصحي ومالي كلاهما ولستَ إلى نصحي ومَالي بمُنعوِي

أراك إذَا لم أهوَ أمراً هَوِيتَه ولستَ لما أهوَى من الأمرِ بالهوِي

(١) الأغاني ١١ : ١٠٠ . وقال أبو الزعراء : إن بعض أبياتها لطرفة . فقال الأصبهاني : « ما اظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه » .

(٢) الأمالي ١ : ٦٨ .

(٣) في النسختين : « وعينك علقم » ، وقد يتجه ، لكنه يعارض كلام الفارسي نفسه في هذا البيت كما سيأتي ، ولا يتفق مع رواية القالي وإن كان يوافق ما في الأغاني .

(٤) وكذا في الأغاني ، ورواية القالي : « وعني بين » .

أراكَ اجتويتَ الخيرَ مِنّي وأجتوى … أذاكَ فكلٌّ مُجْتوٍ قُرْبَ مجتوى(١)

فليتَ كَفافاً كان خيرُكَ كلُّه … وشرُّكَ عنّي، ما ارتوى الماءَ مُرْتَوِى

لعلَّكَ أنْ تنأى بأرضِكَ نِيّةٌ ! … وإلاّ فإنّى غيرَ أرضِكَ مُنتَوى

تَبَدَّلْ خليلاً بى ، كشكلِكَ شَكلُه ، … فإنّى خليلاً صالحاً بك مقتوى

فلَمْ يُغْوِنى ربّى فكيفَ اصطِحابُنا … ورأسُك فى الأَغوى مِن الغَىِّ منغوى!

عدوُّك يخشى صَولتى إن لقيتُه … وأنت عدوّى ليس ذاك بمستوى

وكم موطنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوى … بأجْرامِهِ من قُلّة النِيق مُنهَوِى

نَداك عن المولى ونصرُك عاتمٌ … وأنتَ له بالظُّلْمِ والغِمْرِ مختوى

تودُّ له ، لو نالَهُ نابُ حيَّةٍ … رَبيبِ صَفاةٍ بين لِهْبَين مُنحَوِى

إذا ما بنى المجدَ ابنُ عمِّكَ ، لم تُعِنْ … وقلتَ: ألا يا ليتَ بُنيانَهُ خَوِى(٢)

كأنّكَ إنْ قيلَ ابنُ عمِّكَ غانمٌ … شَجٍ أو عَميدٌ أوْ أخو مَغْلةٍ لَوِى(٣)

تملأْتَ من غيظٍ علىَّ ، فلم يزلْ … بكَ الغيظُ حتى كدتَ فى الغيظِ تنشوى

فما بَرِحتْ نفسٌ حسودٌ حُشِيتَها … تذيبُكَ حتى قيلَ: هل أنتَ مكتوِى(٤)

وقال النِطاسيُّون : إنّكَ مُشعَرٌ … سُلالاً ! ألا بل أنتَ من حسدٍ جَوِى(٥) ! ٤٩٧

---

(١) رواية أبى الفرج :

أراك احتويت الخير منى وأحتوى … أذاك فكل يحتوى قرب محتوى

فيحسن صدر الكلام ويفسل آخره ، وهو محرف ما هو هنا وفى الأمالى .

(٢) القالى والأصبهانى : « ألا ياليت » .

(٣) الأغانى :

كأنك إن نال ابن عمك مغنما … شج أو عميد أو أخو علة لوى

(٤) الأمالى : « حسبتها تذيبك » ، والأغانى : « حسبتها بذنبك » .

(٥) الأمالى : « ذوى » .

فديتَ امرأً لم يدوَ للنأى عَهــدُهُ ... وعهدُكَ من قبلِ التنائى هو الدَوِى
« جمعتَ وفحشاً غِيبةً ونميمةً : ... خِلالا ثلاثاً لستَ عنها بمرعوى »
أفحشاً وخِبًّا واختناءً على الندَى ... كأنّك أفعى كُديةٍ فرَّ ، مُحجَوى
فيدحو بك الداحى إلى كلِّ سَوءةٍ ... فياشرَّ مَن يدحو بأطيَشِ مُدْحَوى[1]
أتجمعُ تسآلَ الأخِلاَّءِ ما لَهمْ ، ... ومالكَ من دون الأخلاء تحتوى !
بَدَا منكَ غشٌ طالما قد كتمتَه ... كما كتمتْ داءَ ابنها أمُّ مُدَّوِى)

قوله : تكاشرنى الخ ، يقال : كاشَر الرجلُ الرجلَ : إذا كشَر كل واحد منهما لصاحبه ، وهو أن يبدىَ له أسنانَه عنــد التبسُّم ، وكرها بضمّ الكاف وفتحها : مصدرٌ وُضِع فى موضع الحال ، والدَّوِى : وصفٌ من الدَّوَى بالفتح والقصر : المرض ، دوِىَ يدوَى كفرح يفرح ؛ ودَوِى صدرُه أيضاً أى ضَغِن .

وقوله : لسانك لى أرىٌ الخ ، الأرْى : العسل ، والعَلْقم : الحنظل ، وحذف أداة التشبيه للمبالغة . قال أبو علىّ فى الإيضاح الشعرىّ : اللسان هنا إمّا بمعنى الجارحة ، أو بمعنى الكلام : فإن جعلته من هذا أمكن أن يكون لى متعلِّقا به ، كقولك : كلامُك لى جميل ؛ وإن جعلتَه بمعنى الجارحة احتمل أن تريد المضاف فتحذفَه ، فإذا حذفته احتمل وجهين : أحدهما أن يكون من قبيل صلَّى المسجدُ ، أى أهلُه ، والآخر أن تحذف المضافَ فتجعل اللسانَ كالكلام ، كما قالوا اجتمعت اليمامةُ : أى أهلُ اليمامة ، فجعلوهم كأنّهم اليمامة ، فإذا جعلتَه كذلك أمكنَ أن يتعلَّق به لى ، كما يتعلّق بالوجه الأوّل . ويجوز أن يكون لى ،

---

(١) الأغانى :

ويدعو بك الداعى إلى كل سوءة ... فياشر من يدعو إلى شر من دعى

وقوله : أرْىٌ ، الخبَر ، مثل : حلوٌ حامض . ويجوز فيه أن تجعله خبراً لقوله لسانُك ، وتريد به الجارحة ، لأنّك تقول : فلان لطيف اللسان ، تريد به الـكلامَ وتلقِّيَ الناسِ بالجميل ، فيحتمل ضمير المبتدأ ، وتجعلَ أرْياً بدلاً من الضمير فى لى . ويجوز أن يكون لى حالًا ، كأنّه أراد : لسانك أرْىٌ لى فيكون صفةً فلمّا تقدم صار حالاً . . فإن قلتَ : إنّ أرْىٌ معناه مثل أرْى ، فالعامل معنى فعلٍ لم يجز تقدُّم الحال عليه ! فأقول : لك أن تضمر فعلاً يدلّ عليه هذا الظاهرُ ، فيُنصَب الحالُ عنه ، كأنّه قال : لسانك يُستحلَى ثابتاً لى . أو لأنّها كالظرف ، فعمل فيها المعنَي . وأن تَجعَل اللِّسان حدثاً أشبهُ للتشاكل[1] لأنه عُطِفَ عليه ، وهو الغَيب اهـ .

وقوله : تُفاوض من أطوِى الخ ، فاوضه : إذا أظهر له أمرَه ، وأطوى ضدّ أنشُر[2] ، والطَّوَى : الجوع ، وهو مصدر طوِىَ يطوَى من باب فرح ، وهو مفعولُ أطوى : أى تظهر أمرَك لمن أُخفى عنه جوعى ، أى تنبسط فى الـكلام عند عدوٍّ ولاأظهِره على شيء من أمورى ، وتنقبض عن أصدقائى ولا تظهرهُم على شيء من أمرك نِـكايةً فىّ .

وقوله : وعنّي بينُ عينك منزوى ، بينُ مرفوع بالابتداء لأنّه اسمٌ لا ظرف ، ومنزوى خبره ، وعنّي متعلق به ، يقال : انزوت الجلدة فى النار : أى اجتمعت وتقبّضت ، و : زوى مابين عينيه أى قبضها .

وقوله : وأنت إلينا عند فقرك منضوى ، انضوى إليه . لجأ وانضم إليه

وقوله : إليك انعوى نُصحى ومالى ، انعوى بمعنى انعطف وهو مطاوع[3] عويته أى عطفته .

(١) فى النسختين : « التشا كل » .

(٢) فى النسختين : « النشر » ، وحورها الشنقيطى إلى « أنشر » .

(٣) ط : « بمعنى عطف ، وهو مضارع » ، صوابه فى س .

وقوله : أراك إذا لم أهوَ أمراً ، هوِىَ الشئ يهواه هوًى من باب فرح : إذا أحبّه ، وهَوَى بالفتح يهوِى بالكسر هُوِيًا ، وكذلك انهوى : إذا سقط إلى أسفل ، وقد جاء(١) فى قوله :

وكم موطن لولاى طحتَ كما هوى . . . . البيت

وقوله : أراك اجتويت الخير ، اجتواه بالجيم أى كرهه . وقوله : فليت كَفافا كان خيرك الخ ، يأتى شرحُه إن شاء الله تعالى فى ليت من أخوات الحروف المشبَّهة فى أواخر الكتاب(٢) . وقوله لعلك أنْ تنأى الخ ، أى أرجو أن تَنأى من أرضك أى تبعد عنها ، من النأى وهو البُعد ، وإلاّ : أى وإن لم تنأ ، فإنّى عازمٌ على الرحيل عنها(٣). يقال : نويت نِيّة وكذلك انتويت ، أى عزمت .

وقوله : بك مقتوى ، قال فى الصحاح : « القَتْو : الخدمة . وقَتَوت أقتُو قَتْواً ومَقْتي : أى خدمت . يقال للخادم مَقْتَوِىّ — بفتح الميم وتشديد الياء — كأنّه منسوب إلى المَقْتَي وهو مصدر . . ويجوز تخفيف ياءِ النسبة ». قال أبو علىّ فى الإيضاح الشِعرىّ : نصب خليلا بفعلٍ مضمَر يدلّ عليه مقتَوى . أى أقتو [ى] خليلاً . ويأتى شرح هذه الكلمة مفصّلة فى الشاهد الثالث والخمسين من بعد الخمسمائة .

وقوله : وكم موطن الخ ، طاح الرجل يطوح ويطيح : إذا هلك . والأجرام : جمع جِرم بالكسر ، وهو الجسم ، كأنّه جعل أعضاءه أجراماً توسعاً ، أىْ سقط بجسمه وثِقْله . وليس معناه هاهنا الذنوب كما فسّره ابن

(١) فى النسختين : « جاء » .
(٢) فى الشاهد الرابع والثمانين بعد الثمانمائة .
(٣) ط : « عن الرحيل عنها » ، صوابه فى ش .

الشجريّ به ، فإنّه غير مناسِب . والنِيق بكسر النون : أرفَعُ الجبل . وقُلّته : ما استدَقّ من رأسه . وسيأتى ، إن شاء الله تعالى ، شرحُ هذا البيت فى باب الضمائر[1] .

وقوله : نداك عن المولى ، الندَى : الُجود . والمولى : ابنُ العمّ . وعنْ متعلّقة بعاتم ، أى بطيء ؛ يقال : عتَم من باب ضرب : إذا أبطأ وقصّر . ونصرُك : معطوفٌ على نَداك ، وخبره محذوف والغِمر . بكسر الغين المعجمة : الِحقد والغلّ ؛ يقال : غمِرَ صدرُه علىّ من باب فرح . ومختوِى بالخاء المعجمة : الجائر المسقِط[2] .

وقوله : تودّ له لونَابَهُ نابُ حيّةٍ ، الحيّة معروفة ، تكون للذكر والأنثى ، قالوا : فلان حيّةٌ ذكر ، والتاء للواحد من الجنس ، كبطّة ودجاجة ، وهنا بمعنى الذكَر بدليل الوَصف للربيب ، من ربّ فلانٌ ولدهَ بمعنى ربّاه ، فَعيل بمعنى مفعول. والصَّفاة : الصخرة الملساء . واللِهْب ، بكسر اللام ، ومثله اللِّصْب ، قال أبو علىّ فى المسائل البصرية : هو الشقّ فى الجبل . والمنحوِى ، بالنون والحاء المهملة : المجتمِع .

وقوله : ليت بُنيانَه خَوِى ، يقال : خوى المنزلُ من باب رضى يرضى ورمى يرمى ، لغتان : أى سقط ؛ قال تعالى : ﴿ فهِىَ خاوِيةٌ على عُرُوشِها[3] ﴾ أى ساقطة على سقوفها .

وقوله : شجٍ أو عميد الخ ، هو خبر كأنّ ، والشَّجِى : الحزين المهموم . والعَميد : الذى قد عَمَده المرض ، أى هدّه حتى احتاج إلى أن يُعمَد : أى

---

(١) فى الشاهد ٣٩٥ .

(٢) كذا فى ط ، وهو الصواب . وفى ش : المقسط » .

(٣) الآية ٤٥ من سورة الحج .

يستَنْد[1] فهو فعيل بمعنى مفعول . والمَغْلَة بفتح الميم وسكون الغين المعجمة ، قال أبو علىّ : علّة تـكون فى الجوف . واللوِى : الذى فى جوفه وجع ، تقول: لوِىَ لوًى كفرح فرحًا .

وقوله : فما برحت نفسٌ حسودٌ الخ ، النفس تذكّر وتؤنث ، ولهذا وصفها بالمذكّر وأنّث لها الفعل والضمير . وحُشِيتها بالبناء للمفعول والخطاب ، من الحشو ، يقال : حشَوت الوسادةَ وغيرَها حشواً . وروى (حسِبتها) بضمير المتكلّم من الحساب وهو الظنّ . والنِّطاسيُّون : العلماء بالطِبّ ، الواحد نِطاسىّ . ومُشعَر : اسم مفعول : أى ملبَسٌ شِعاراً ، بالـكسر ، وهو ما ولى الجسدَ من الثياب . والسُلاَل بالضمّ : مرض السلّ . والجوى : من الجوَى وهو داء قلب[2] ، وفعله من باب فرح . ٤٩٩

وقوله : لم يدوَ للنأى عهده ، تقدم تفسير دَوِى . وقوله : أَخُشًا وخِبًا الخ الخِب بكسر الخاء المعجمة : مصدر خَبِبْتَ يارجلُ تَخبّ خِبًا ، من باب علم : إذا خدَع ومـكر . والاختناء بالخـاء المعجمة وبعد المثنّاة الفوقيّة نون قال أبو علىّ القالى فى أماليه : هو التقبّض . والندَى : الجود . والـكُدْية بالضمّ : الأرض الصُلْبة . وأراد بالأفعى الأُفعوانَ وهو ذكَر الحيّات ، ولهذا أرجع الضمير إليه مذكّرا . ومُحْجَوِى بتقديم المهملة على الجيم ، قال أبو علّى القالىّ فى أماليه نقلا عن ابن دريد : المحجَوِى المنطوى .

وقوله : فيدحو بك الداحى الخ ، الدحو : الرمى ، يقال : ادْحه أى ارمِه ، ويقال للفرس : مرّ يدحو دَحواً ، وذلك إذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سُنبُكه عن الأرض كثيراً . والسَّوءة بالفتح : القبح والعيب . وأطيَش من الطَّيْش

(١) فى النسختين : « أى يشتد » .
(٢) جعلها الشنقيطى : « داء قلبى » .

وهو الخفّة . ومُدحوىّ أى مرمىّ ، بناه من ادحَوَاه لغة فى دحاه أى رماه

وقوله : « كما كتمت داء ابنها أمُّ مُدَّوِى » قال الأصمعىّ فى كتاب الصفات ، وابنُ دريد فى الجمهرة ، وأبو علىّ القالىّ فى أماليه ، وابنُ الأثير فى المرصَّع واللفظ له : أمّ مُدَّوِى يُضرب بها المثل لمن يورِّى بالشىء عن غيره ويَكنى به عنه . وأصله أنّ امرأة من العرب خطبت على ابنها جارية ، فجاءت أمُّها إلى أمِّ الغلام تنظُر إليه . فدخل الغلام فقال لأمه : أدَّوِى ! بتشديد الدال على أفتعل . فقالت له : اللجام معلّق بعمود البيت فِى السَّرْج فى جانبه . فأظهرت أنّ ابنها أراد أداة[1] الفرَس للركوب فكَتَمَتْ بذلك زَلَّة ابنها عن الخاطبة . وإنّما أراد ابنُها بقوله أدّوى ، أكلَ الدُّوَاية بضمّ الدال ، وهى القشرة التى تعلو اللبَن والمرق ، تقول منه : دوّى اللبن بتشديد الواو ، وقد ادَّويت على وزن افتعلت فأنا مُدَّوٍ بتشديد الدال فيهما ، أى أكلت الدُّواية . وأنشد هذا البيت .

وترجمة يزيد بن الحكم تقدمت فى الشاهد التاسع فى أوائل الكتاب[2]

* * *

وأنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد المائة :

١٨١ (عَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً[3])

على أن التقدير : وسقيتُها ماءً . وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب : وقيل

---

(١) فى النسختين : « إداوة » وجعلها الشنقيطى « أداة » .

(٢) الخزانة ١ : ص ١١٣

(٣) الخصائص ٢ : ٤٣١ وابن الشجرى ٢ . ٣٢ وابن يعيش ٢ : ٨ والعينى ٣ : ١٠١/٤ : ١٨١ والهمع ٢ : ١٣ وشرح شواهد المغنى ٣١٤ وأمالى المرتضى ٢ : ٢٥٩ والأشمونى ٢ : ١٤٠ والتصريح ١ : ٣٤٦ .

لا حذفَ ، بل ضَمّن علَفتُها معنى أنلتها وأعطيتها . وأُلزِموا صحّةَ نحوِ علفتُها ماءً بارداً وتبناً ، فالتزَموه محتجّين بقول طرَفة :

* لها شَنَبٌ ترعى به الماءَ والشجرْ[(١)] *

وأورده صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : (أفيضُوا عَلَيْنا مِنَ الماءِ أو ممّا رَزَقَكُمُ اللهُ[(٢)]) على تضمين أفيضوا معنى ألقُوا ، ليصحّ انصبابه على الشراب والطعام معاً ، أو على تقديرٍ بعد أو[(٣)] أى أو ألقوا مما رزقكم الله ، كهذا البيت فى الوجهين .

وأورد له العلّامة الشيرازىّ والفاضلُ اليمنيُّ صدراً ، وجعل المذكورَ عجزاً هكذا :

(لما حطَطْتُ الرحلَ عنها واردا عَلَفْتُها تبناً وماءً باردا)

وجعله غيرُهما صدراً وأورد عجزا كذا :

(حتّى شَتَتْ همّالةً عيناها)

ولا يُعرَف قائله . ورأيتُ فى حاشية نسخةٍ صحيحة من الصحاح أنّه لذى الرُّمّة ففتّشتُ ديوانه فلم أجدْه فيه .

٥٠٠ وشَتَت بمعنى أقامت شتاءه ، فى القاموس : شتا بالبلد أقام به شتاء كشتّى وتشتّى ، وفاعله ضمير مستتر عائد إلى ما عاد إليه ضمير عَلَفتها . وهمّالة حال من الضمير المستتر ، وهو من هملَت العينُ : إذا صبَّت دمعَها . وعيناها فاعله .

---

(١) الشنب : حدة الأنياب . ط : « سبب » وقد صححها الشنقيطى بما أثبت مطابقا ما فى الديوان ٤ وانظر العينى ٤ : ١٨١ وشرح شواهد المغني ٣١٤ .
(٢) الآية ٥٠ من سورة الأعراف .
(٣) أى على تقدير عامل بعد « أو » أى أو ألقوا .

وزعم العينيّ أنّ شتّت بمعنى بدت — ولم أرَ هذا المعنى فى اللغة — وأنّ عيناها فاعله وهمّالة تمييز . وهذا خلاف الظاهر . فتأمّلْ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد المائة ؛ وهو من شواهد سيبويه(١) :

١٨٢ (وما النَجْدِيُّ والمُتَغوِّرُ)

وهو قطعة من بيت لجميل بن معمر وهو :

(وأنتَ امرؤٌ من أهل نجدٍ ، وأهلُنا تَهَامٍ ، وما النَجْدِيُّ والمتغوِّرُ !)

على أنّ الرفع فى مثله أَوْلى من النصب على المفعول معه .

قال المبرِّد فى الكامل : قولهم : ما أنت وزيد ، الرفعُ فيه الوجه ، لأنّه عطَف اسماً ظاهراً على اسمٍ مضمر منفصل وأجراه مُجراه ، وليس ههنا فعل فيحمَل على المفعول ، فكأنّه قال : ما أنت وما زيد ، وهذا تقديره فى العربيّة ومعناه ، لست منه فى شىء ، وهذا الشعر كما أصِف لك يُنشَد :

وأنتَ امرؤٌ من أهلِ نجدٍ ، وأهلُنا تَهَامٍ ، فما النجدى والمتَغوِّرُ !

وكذلك قولُه :

تكلّفنى سَوِيق الكَرْم جَرْمٌ وما جَرْمٌ وما ذاكَ السَويقُ(٢) !

فإن كان الأوّل مضمراً متّصلاً ، كان النصبُ ، لئلا يحمل ظاهر الكلام على مضمر(٣) ؛ تقول : مالك وزيداً ، فإنّما تنهاه عن ملابسته ، إذ لم يجزْ وَزيد

(١) فى كتابه ١ : ١٥١ وديوان جميل ٩١ والعينى ٤ : ٤٠٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٠ والكامل ١٨٨ .

(٢) نسب فى حواشى سيبويه والكامل إلى زياد الأعجم .

(٣) فى الكامل : « لئلا يحمل ظاهر على مضمر » .

وأضمرتَ ؛ لأنّ حروف الاستفهام للأفعال ، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير إضمارٍ ، نحو قولك : ما زلتُ وعبدَ الله حتّى فعَل ، لأنّه ليس يريد ما زلتُ وما زال عبدُ الله ، ولكنه أراد : ما زلت بعبد الله ، فكان المفعولُ مخفوضاً بالباء فلمّا زال ما يخفضه وَصل الفعلُ إليه فنصبَه ، كما قال تعالى (وَٱخْتَارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ سبْعِينَ رَجُلاً[1]) . فالواو فى معنى مع ، وليست بخافضة ، فكان ما بعدها على الموضع ؛ فعلى هذا يُنْشَد هذا الشعر :

فما لكَ والتلدُّدَ حَوْلَ نجدٍ وقد غَصَّتْ تِهامةُ بالرجالِ[2]

ولو قلتَ : ما شأنك وزيداً ، لاختِيرَ النصب ، لأنّ زيداً لا يلتبس بالشأن ، لأنّ المعطوف على الشيء فى مثل حاله . ولو قلت : ما شأنُك وشأنُ زيدٍ ، لرفعته ، لأنّ الشأن يعطف على الشأن . وهذه الآية تفسَّر على وجهين من الإعراب : أحدهما هذا وهو الأجود ، وهو قوله تعالى (فَأَجمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكاءَكم[3]) فالمعنى — والله أعلم — مع شركائكم ؛ لأنك تقول : جَمَعْتُ قومى وأجمعت أمرى[4] ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه لأن المعنى يرجع إلى شيء واحد فيكون كقوله[5] :

يا ليت زوجَكِ قد غَدا متقلِّداً سيفاً ورُمْحا

وقال الآخر :

* شرّاب أَلبان وَسَمْنٍ وأَقِطْ *

(١) الآية ١٠٥ من سورة الأعراف .

(٢) نسب فى حواشى الكامل إلى مسكين الدارمى .

(٣) الآية ٧١ من سورة يونس .

(٤) فى النسختين : « وجمعت أمرى » ، والمعروف ان الجمع مشترك بين الذوات والمعانى ، وأن الإجماع مختص بالمعانى فلا يكون فى الذوات .

(٥) هو عبد الله بن الزبعرى ، كما فى حواشى الكامل .

انتهى كلام المبرّد ، ولجودته سُقناه برمّته .

وقوله : (وما النجْدِيُّ والمتغوِّر) ما مبتدأ والنجدى خبره . والمعنى : ٥٠١
أنّ أهلى يرتابون بكَ إذا وجدوك عندهم ، لأنّك غريبٌ بعيدُ الدار منهم ، فينكرون كونَك بينهم ؛ فيجب أن تتجنّبَ وتُعرِض . تحذِّره بنى عمِّها كما يأتى بيانه فى الأبيات . . و (تَهام) بفتح التاء منسوب إلى التَّهَم بفتحتين ، بمعنى التِّـهامة بكسر التاء ، وقد بيّنا هذا مشروحاً فى الشاهد الثامن عشر من أوائل الـكتاب[1] . وتَهَام خبرٌ عن قوله (وأهلُنا) وإعرابه كقاض . ولم يقل تَهَامُون ، لأنّه نظر إلى لفظ أهل وهو مفرد ؛ ويجوز نظراً إلى المعنى تَهامون .
وقال ابن خلَف : إنّما قال تهام ، لأنّه اكتفى بالواحد عن الجمع ، كقوله :

* كأنّ عينيّ فيها الصاب مذبوحُ[2] *

هذا كلامه فتأمّـله .

و (نجد) قال فى الصحاح : هو من بلاد العرب ، وهو خلاف الغَور ، والغَورُ هو تهامة ؛ وكلُّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نَجْد ؛ وهو مذكّر ، وتقول : أنجدنا أى أخذنا فى بلاد نجد . وفى المثل : « أَنجَدَ مَنْ رأى حَضَنا » ، وذلك إذا علا من الغَور . وحَضَنٌ محرّكة : جبل . و (المتغوِّر) اسم فاعل مِن تغوَّر فلان : إذا انتسب إلى الغَور . وغار وغَوَّر أيضاً بالتشديد : إذا أتى الغور ؛ قال فى المصباح : « والغور المطمئنّ من الأرض . والغور قيل يطلق على تهامة وما يلى اليمن » ، وقال الأصمعىّ : ما بين ذات عِرْق والبحر

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٥٤ وما بعدها

(٢) لأبى ذؤيب الهذلى فى الهذليين ١ : ١٠٤ . وصدره :

* بات الخلى وبت الليل مشتجرا *

غورٌ وتِهامة ، فتهامة أوّلها مدارج ذاتِ عِرْق من قِبَل نجد إلى مرحلتين وراء مكة ، وما وراء ذلك إلى البحر فهو الغَور » .

والبيت من قصيدة . وقبله :

أبيات الشاهد

(وآخرُ عهدٍ لى بها يوم ودَّعت ... ولاح لها خدٌّ مليح ومَحجِرُ
عَشِيَّةَ قالت : لا يَضيعنَّ سِرُّنا ... إذا غبتَ عنّا ، وارعَهُ حينَ تُدبِرُ !
وأعرِضْ إذا لاقيتَ عيناً تخافُها ... وظاهِرْ ببغضٍ ، إنّ ذلك أسترُ
فإنّك إن عرَّضتَ بى فى مَقالةٍ ... يَزِدْ فى الذى قد قلتَ واشٍ مكثِّرُ
ويَنشرُ سرًّا فى الصديق وغيرِه ... يَعِزُّ علينا نشرُه حين ينشر
وما زلتَ فى إعمال طَرفِك نحوَنا ... إذا جئتَ[1] حتّى كاد حبُّك يَظهَرُ
لأهلِىَ ، حتَّى لامنى كلُّ ناصح ... شفيق له قُربَى لدىَّ وأيصرُ[2]
وقَطّعنى فيك الصديق ملامة ... وإنّى لأعصى نهيَهم حين أُزجر[3]
وما قلتُ هذا ، فاعلِمنّ تجنِّياً ... لِصَرم ، ولا هذا بِنا عنكَ يُقصِرُ[4]
ولكنّنى ــ أهلى فداؤكَ ! أتّقى ... عليكَ عيونَ الكاشحين وأحذر
وأخشى بنى عمّى عليكَ ، وإنّما ... يَخاف ويُتّقى عِرضَه المتفكِّرُ
« وأنت امرؤ من أهل نجدٍ وأهلنا ... تَهَامٍ وما النجْدىُّ والمتغوِّرُ ! »
وطَرْفُكَ إمّا جئتَنا فاحفظنَّه ... فزَيغُ الهوَى بادٍ لمن يتبصَّرُ

(١) بدله فى ط : « بعينك » .
(٢) ط : « له قرى لدى وأبصر » صوابه فى ـ والديوان . وفى الديوان : « لدينا »
(٣) سقطت الكلمتان الأوليان من ـ ، كما سقطت الأولى وحرفت الثانية إلى « قيد » فى ط ، وإكماله وتصحيحه من الديوان ومراجعه .
(٤) فى النسختين : « تجنبا » صوابه من الديوان ومراجعه . وفى النسختين : « ولا هذا بساعة يقصر » ، صوابه من الديوان ومراجعه .

وقد حُدِّثوا أنّا التقينا على هوًى فكلّهمُ من غُلّة الغيظ مُوقَرُ(١)
فقلت لها : يا بَثْنَ أوصيتِ حافظاً وكلُّ امرئٍ لم يَرعَهُ اللهُ مُعْوِرُ
سأمْنَح طَرفى حين ألقاكِ غيرَكُمْ لـكيما يَروا أنّ الهوى حيثُ أُنظرُ
وأكنى بأسمـاءِ سواكِ ، وأتّقى زيارتَـكم ، والحبُّ لا يتغيَّر ! ٥٠٢
فـكم قدْ رأينا واجداً بحبيبه ، إذا خاف ، يبدى بُغضَه حين يَظهرُ !)

وفى هذه الأبيات استشهاد ، ولهذا ذكرناها

وترجمة جميل بن مَعْمَر العذرى تقدمت فى الشاهد الثانى والستين(٢).

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد المائة ، قولَ الراعى . وهو من شواهد س(٣):

١٨٣ (أزمانَ قَومى والجَماعةَ كالذى منَعَ الرِحالةَ أنْ تَميل مَميلا)

على أنه على تقدير : أزمان كان قومى والجماعةَ . فالجماعة مفعول معه على تقدير إضمار الفعل .

قال سيبويه : زعموا أنّ الراعى كان ينشد هذا البيت نصباً . وقال : كأنّه قال : أزمان كان قومى مع الجماعة . وحذف كان لأنهم يستعملونها كثيراً فى هذا الموضع ، ولا لَبس فيه ولا تغيير معنى(٤) .

(١) فى الديوان : « من حمله الغيظ » .
(٢) الخزانة ١ : ص ٣٩٧
(٣) فى كتابه ١ : ١٥٤ . وانظر العينى ٢ : ٩٥ / ٣ : ٩٩ والهمع ١ : ١٢٢ / ٢ : ١٥٦ وشرح شواهد المغنى ٢٥١ / والأشمونى ٢ : ١٣٨ والتصريح ١ : ١٩٥ وجمهرة القرشى ١٧٦ .
(٤) إلى هنا كلام سيبويه مع تصرف فى اللفظ .

ومثله قوله تعالى (واتَّبَعُوا ما تَتْلوا الشَّياطينُ علَى مُلْكِ سُلَيمانَ[1]) أراد ما كانت تتلو .

قال ابن عصفور : وإنّما حمل على إضمار كان — ولم يحملْ على تقدير حذفِ مضافٍ إلى قومى ، فيكون التقدير : أزمان كونِ قومى والجماعة — لأنّ المصدر المقدَّر بأن والفعلِ من قَبيل الموصولات ، وحذف الموصول وإبقاء شيءٍ من صلته لا يجوز . فإن قلتَ : ما الدليل على أن قومى من قوله : أزمان قومى ، محمولٌ على فعل مضمر ؟ قلتُ : لأنّه ليس من قبيل المصادر ؛ وأسماء الزمان لا يضاف شىء منها إلاّ إلى مصدر أو جملة تكون فى معناه ، نحو : هذا يومُ قدومِ زيد ؛ وقولهم : يوم الجَمَل ، ويوم حَليمة ، فهو على حذف مضاف ، أى يوم حرب الجمل ونحوه .

قال الأعلم : « وصفَ ما كان من استواء الزمانِ واستقامةِ الأمور ، قبلَ قتل عثمان وشمول الفِتنة . وأراد التزامَ قومِهِ الجماعةَ وتركَهمُ الخروجَ على السلطان . والمعنى : أزمانَ قومى والتزامهم الجماعةَ وتمسّكهمْ بها كالذى تمسَّك بالرِحالة ومنعها من أن تَميل وتسقط . والرِّحالة (بالكسر) : الرحل ، وهى أيضاً السَّرْج . ضربها مثلا » اهـ .

وهذا البيت من قصيدة طويلة عدّتُها تسعةٌ وثمانون بيتاً ، للراعى . مَدح بها عبدَ الملك بنَ مرْوان ، وشكا فيها من السُعاة ؛ وهم الذين يأخذون الزكاة من قِبَل السلطان . وهى قصيدة جيِّدة ، كان يقول : من لم يَروِ لى من أولادى هذه القصيدةَ وقصيدتى التى أولُها :

بانَ الأحبةُ بالعهدِ الذى عَهِدوا

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

— وهى فى هذا المعنى أيضاً — فقد عقَّني :

وقبلَ بيت الشاهد :

(أوَلِىَّ أمْرِ اللهِ إنّـا مَعْشَرٌ … حُنَفَاه نسجدُ بُـكْرةً وأصِيلا

عُرْبٌ نرى للهِ فى أموالنـا … حَقَّ الزكاةِ مُنَزَّلاً تنزيلا

قومٌ على الإسلام ، لمّا يَمنَعُوا … ما عُونَهم ويُضيِّعوا التهليـلا

فادفَعْ مظالمَ عيَّلت أبنـاءنا ، … عنّا ، وأنقِذْ شِلْوَنا المأكولا

فنُرى عَطِيَّةَ ذاك ـ إن أعطيتَه ـ … مِن ربنا فضلاً ومنك جَزِيلا

أنت الخليفةُ حِلمُـه وفَعـالُه … وإذا أردتَ لظـالمٍ تنـكيلا

وأبوكَ ضارَبَ بالمدينة ، وحدَه ، … قوماً هُم جعلوا الجميعَ شُكولا ٥٠٣

قتلوا ابنَ عفّانَ الخليفةَ مُحْرِماً … ودعَا فلم أرَ مثـلَه مخذولا

فتصدَّعتْ من بعد ذاكَ عَصاهُمُ … شِقَقاً وأصبح سيفُهم مسلولا

حتّى إذا استعرتْ عَجاجةُ فتنةٍ … عَمياء ، كان كتابُها مفعُولا (١)

وَزَنتْ أميّةُ أمرَها فدعَتْ له … من لم يكن غُمراً ولا مجهولا

مَرْوانَ أحزَمَها إذا نزلت به … حُدْبُ الأمورِ وخَيْرَها مسئولا (٢)

أزمانَ رفَّـعَ بالمدينـة ذيلَه … ولقد رأى زرعاً بها ونَخيلا (٣)

وديارَ مُلكٍ خرّبتها فِتنْـةٌ … ومُشيَّداً فيـه الحمامُ ظَلِيلا

إنّى حلفتُ على يَمينٍ بَرَّةٍ … لا أكذِبُ اليومَ الخليفةَ قِيلا :

(١) ط : « قرت » ، صوابه فى سـه . وفى الجمهرة : « نزلت عماية فتنة » .

(٢) فى الجمهرة : « حدث الأمور » وبعده فى التفسير : « حدث الأمور : حوادثها »

(٣) الجمهرة : « ولقد يرى » .

ما زُرتُ آلَ أبى خُبَيْبٍ وافداً   يوماً أريد لبَيعَتى تبْديلا
مِن نِعمَةِ الرحمٰن لا مِن حيلتى   إنّى أعُـدّ له علىَّ فُضُولا
« أزمانَ قومى والجماعةَ كالذى   لَزِم الرِّحالة أن تَميل مَميلا »)

إلى أن قال :

(إنّ السُّعاة عَصَوكَ حين بَعثتَهم   وأتَوا دَواهىَ، لو علمتَ، وَغُولا[1]
إنّ الذين أمرتَهم أن يَعدلوا   لم يفعَلوا ممّا أمَرْتَ فَتيلا
أخَذوا المَخَاض من الفَصيلِ غُلُبّةً   ظلُماً ويُكتَب للأمير : أفيلا
أخذوا العَرِيفَ فقطَّعُوا حَيزومَه   بالأصبَحيَّة ، قائماً مغلولا
أخذوا حَمُولَتَه فأصبحَ قاعداً   ما يَستطيعُ من الديار حَوِيلا
يدعو أميرَ المؤمنين ، ودونَه   خَرْقٌ تجُرّ بهِ الرياحُ ذُيولا !)

قوله : قوم على الإسلام لمّا يمنعوا ماعونهم ، أورده الزمخشريّ فى تفسيره عند قوله تعالى (وَيَمنَعُونَ الماعُونَ[2]) على أنّ الماعون الزكاة . والتهليل هو قول لا إله إلاّ الله ، أراد كلمة التوحيد . وقوله عَيَّلت أبناءنا ، التعييلُ : سوء الغِذاء ، وعيَّل الرجلُ فرسَه : إذا سيّبه فى المَفازة . والإنقاذ : التخليص . والشِّلْو ، بالكسر : العِضو . والشُّكول جمع شَكل بفتح أوّله وكسره : الشِّبه والمِثل ، أى جعلوا الناسَ متخالِفِينَ بعد أن كانوا متّحدين . وقوله : قتلوا ابن عفّان الخ ، يقال : أحرم الرجل إذا دَخل فى حُرمةٍ لا تُهتك . قال العسكريّ (فى باب ما وهم فيه علماء الكوفيِّين ، من كتاب التصحيف[3]) :

(١) ط : « وأتوا دواعى » ، صوابه فى ـــ والجمهرة .
(٢) الآية ٧ من سورة الماعون .
(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف ص ١٢١ . وانظر أيضا ص ١٢٧ .

أخبرنا أبو عليّ الكوكبيّ حدّثني محمّد بن سُويد حدّثني محمّد بن هُبيرة قال : قال الأصمعيّ للكسائيّ — وهما عند الرشيد — : ما معنى قولِ الراعى :

قتلوا ابنَ عفّانَ الخليفةَ مُحرِما . . . . البيت

فقال الكِسائى . كان مُحرِماً بالحجّ . قال الأصمعيّ : فقوله :

قَتَلوا كِسْرَى بليلٍ مُحرِما فتولّى لم يُمتَّعْ بكَفَنْ[1]

هل كان محْرِماً بالحجّ ؟! قال الرشيد للكسائى : يا عليُّ إذا جاء الشعر فإيّاك والأصمعيَّ ! قال الأصمعيّ مُحْرِم أى لم يأتِ ما تستَحَلُّ به عُقوبته ؛ ومن ثَمَّ قيل مسلِم مُحْرِم : أى لم يُحِلَّ من نفسه شيئاً يوجب القتل . وقوله : قتلوا كسرى مُحْرِماً ، يعنى حرمةَ العهد الذى كان له فى أعناق أصحابه اه . ٥٠٤

وقوله : حُدْبُ الأمور ، جمع أحدَب وحَدْباء ، أراد الأمور المشكلة . وقوله : مازرت آل أبى خُبَيب الخ ، أبو خُبيب هو عبد الله بن الزُّبير ، وكان ادّعى الخلافةَ يومئذٍ فى الحجاز . وقوله : إنّى أُعدّ له علىّ فضولا ، هو جمع فَضْل بمعنى الإحسان والإنعام ، وهو العامل النصبَ على الظرفيّة فى (أزمانَ) ويجوز رفعه على الابتداء والخبر محذوف ، أى من الفضول أزمانُ قومى الخ . قال صاحب كتاب التنبيه على ما أشكل من كتاب سيبويه : ويجوز رفع أزمان على أنّه خبر مبتدإ محذوف ، دون إظهار كان ، والواو واو معَ أيضا ، فتكون إضافة أزمان إلى الجملة الإسمية على هذا . ثم قال : والأوّل ، أى النصب على الظرفيّة ، أحسن وأكثر اه .

والسُّعاة : جمع ساع ، وهو كلّ من وَلِىَ شيئاً على قوم ، وأكثر ما يقال

(١) البيت لعدى بن زيد ، كما فى شرح ما يقع فيه التصحيف ١٢٧ . وانظر ملحقات ديوان عدى ١٧٨ .

ذلك فى وُلاة الصَّدقة أى الزكاة . وقوله : أخذوا المَخاض من الفصيل الخ ، المخاض : النوق الحوامل ، واحدها خَلِفة[١] . والفصيل : ابنها . والغُلُبَّة ، بضم الغين واللام وتشديد الموحّدة ، هى الغَلَبة بالتحريك والتخفيف . وهو وظلماً مصدران وَقعا حالَين من فاعل أخذوا . ويجوز نصب الثانى بالأوّل على أنّه مصدر معنوىّ . والأفيل ، كـكريم ، من أولاد الإبل : ما أتى عليه سبعة أشهر ، وهو منصوب بيَـكتُب بالبناء للفاعل ، أى يكتب الساعى . وعلى رواية البناء للمفعول ، وهى المشهورة ، مفعولٌ لفعل محذوف ، أى ويكتُب أخَذْنا من فلان أفيلا . وأورد ابنُ هشام هذا البيتَ فى المغنى على أنّ مِنْ فيه للبدل : أى تأخذ المخاض بدلَ الفصيل . قال ابن يَسعون : ويجوز أن لا تـكون بدليَّة ، بل متعلّقة بأخذوا أى انتزعوه من أمّه . ورُوى بدلَه (مِن العِشار) فهى بيانيَّة : أى كائنة من العِشار . وقوله : أخذوا العريف ، هو رئيس القوم ومتكلّمهم . والأصبَحيَّة هى السِّياط منسوبة إلى ذى أَصْبَحَ من ملوك اليمن ، فإنه الذى اخترعَها . والخَرْق بالفتح : الفلاة .

الراعى و (الراعى) اسمه عُبَيد بن حُصَين (بتصغيرهما) ابن مُعاوية بن جَندَل ابن قَطَن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمير بن عامر بن صعصعة . وكنية الراعى : أبو جندل . ولُقِّبَ الراعىَ لـكثرة وصفه الإبلَ والرِعاء فى شعره . وقيل : لُقِّب به ببيت قاله[٢] .

وقال ابن قُتَيبة : اسمه حُصين بن مُعاوية . وكان يقال لأبيه فى الجاهلية الرئيس . وولدُه وأهلُ بيتِه فى البادية سادة أشراف .

---

(١) ومثله الركاب بمعنى المطى ، واحدها راحلة من غير لفظ الجمع ، وكذا واحدة الإبل ناقة .

(٢) هو كما فى الأمالى ٢ : ١٤٠ والمزهر ٢ : ٤٤٢ عن القالى .

وهو شاعر فحلٌ مشهور ، من شعراء الإسلام ، مقدَّم . ذكره الجُمحىُّ في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميّين . وكانَ يقدِّم الفرزدقَ على جرير ، فاستَكفَّه جرير فأبى ، فهجاه بقصيدته البائيّة التى مطلعها :

* أقِلِّى اللومَ عاذلَ والعِتابا *

ففضحه بها . وتقدَّم بيانه فى ترجمة جرير فى أوائل الكتاب[1] .

وفى المؤتلف والمختلف للآمِدىّ : مَنْ لَقَبُهُ الراعى من الشعراء اثنان : أحدهما هذا ، والثانى اسمه خَليفة بن بشير بن عُمير بن الأحوص من بنى عدىّ بن جَناب . وقيل غير ذلك[2] .

* * *

باب الحال ٥٠٥

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد المائة[3] :

١٨٤ (يَقولُ ، وقَد تَرَّ الوَظيفُ وَسَاقُها
أَلَسْتَ تَرَى أنْ قَدْ أتَيْتَ بمُؤْيد ؟!)

على أنّه يخرج عن تعريفِ الحالِ الحالُ التى هى جملةٌ بعدَ عاملٍ ليس معه ذو حال .

(١) الخزانة ١ : ص ٦٩ وما بعدها
(٢) انظر المؤتلف ١٢٢ ففى النقل تصرف كبير .
(٣) البيت من معلقة طرفة . وانظر المنصف لابن جنى ١ : ٢٦٩ .

بيانه : أنّ جملة (وقد ترّ الوَظيف) حال ، وعاملها يقول ، ولا صاحب لها ؛ وأمّا فاعل يقول — وهو الضمير المستتر فليس صاحبَ الحال ، لأنّها لم تبيّن هيئتَه ، إذْ ليست من صفاته . وهذا إنّما يرد على تعريف المصنّف الحالَ فإنّه اعتَبر فيه تبيينَ الهيئة ولا يرد على تعريف الشارح ؛ فإنّه لم يعتبر فى الحدِّ تبيين الهيئة . وقد أوّل الناسُ تعريفَ المصنِّف على وجوه ، منهم السيّدُ ركن الدين فى شرحه الكبير على الكافية ؛ وابنُ هشام فى شرح التسهيل ومغنى اللبيب ، وكذا الدَّمَامينيُّ وغيره .

(وتَرّ) بالمثنّاة الفوقيّة والراء المهملة ، قال ابن دُريد : تَرّ العظمَ يَتُرُّه تَرًّا إذا قطعه ؛ وكذلك كلّ عضو انقطع بضَرْبة واحدة فقد تُرَّ تَرًّا ، ويُنشَد بالوجهين قولُ طرَفة . وأنشَد هذا البيتَ فى الجمهرة . يريد أنّ ترّ ، ورد لازماً ومتعدياً . وروى برفع (الوظيف) على أنه فاعل ترّ اللازم ، بمعنى انقطع وفسّره يعقوب بن السكّيت فى شرح ديوان طرَفة ، وتبعه الأعلم فى شرحه ، بقوله : طنّ وندر . ورُوى بنصب (الوظيف) على أنّه مفعول ترَّ المتعدّى ، بمعنى قطع ، وفاعله ضمير العضب فى بيتٍ قبله . وقوله : (وَساقها) معطوف عليه بالوجهين ؛ وضمير المؤنّث راجع إلى الكَهاة فى بيتٍ قبله ، وهى الناقة الضّخمة . والوظيف ما بين الرُسْغ [١] وفى اليد : ما بين الرسغ والذراع . وقوله : (ألستَ تَرَى الخ) مقول القَول . والخطاب فى الثلاثة لطرفة ، والاستفهام للتوبيخ . والرؤية يجوز أن تكون بَصَرِيّة ، فَأنْ مع ما بعدها فى تأويل مفرد منصوب على أنّه مفعول الرؤية ؛ وأنْ تكونَ عِلميّة ، فأنْ مخفّفة مِن الثقيلة واسمُها ضمير شأن وجملة قد أتيتَ خبرها ، وهى مع معمولها سادّةٌ مَسَدَّ المفعولين

(١) كذا فى النسختين . ولعله : « والوظيف فى الرجل ما بين الرسغ والساق » . وانظر اللسان (وظف) .

للرؤية . (والمؤيِد) : على وزن اسم الفاعل ، قال الأعلم : هو الداهية ؛ وأصلها من الأيْد وهو القوّة ؛ كأنّها داهيَة ذات شِدّة وقوّة . ورواه الخطيب التِبريزىّ فى شرح المعلّقات ، بزنة اسم المفعول أيضاً وقال : أى جئتَ بأمرٍ شديد يشدَّد فيه : من عقرك هذه الناقة . وليس المؤيد[1] من الوأد ، كما توهمه السيِّد فى حواشى هذا الكتاب ، فإنه قال : وأَدَه أى دفنَهَ حياً ، والمؤيد : الداهية . قال ابنُ جِنّى فى المنصف[2] ، وهو شرح تصريف المازِنىّ : الفعل المعتلّ العين إذا صحّ ما قبلَ عينه نقلت حركة عينه[3] إلى السا كن قبلها ، نحو أقام واستقام . فأمّا ما اعتلّت فاؤه ، فإنّك لا تنقل إليها حركة العين ، وذلك قولك فى أفعلْت ، نحو آيمت وآولت ، من آمَ وآلَ . لأنه لمّا اعتلت الفاء وهى همزة فقلبت ألفاً صحّت العين ، وعلى ذلك قول الشاعر :

* كرأس الفدَن المؤيَدِ[4] *

فهذا مُفعَل بزنة اسم المفعول ، من الأَيْد وهو القوّة ؛ ولم يقل المؤاد — أى بهمزة ممدودة بعد الميم المضمومة — وقال طرفة : « أنْ قد أتيتَ بمؤيد » ، وهى الداهية وهى بزِنَة اسم الفاعل من الأيد أيضاً ، ولم يقل المُئيد — ٥٠٦
أى بميم مضمومة فهمزة مكسورة بعدها مثنّاة تحتيّة — وقالوا : آيدته فى أفعلته من الأيد ، وأيّدته فعَّلته . وآيدته قليلة مكروهة ، لأنك إن صَحّحْتَ فهو ثقيل ، وإن أعللتَ جمعتَ بين إعلالين . فعُدِل عن أفعلته إلى فعّلته فى غالب الأمر اهـ .

---

(١) كذا فى النسختين . ولعلها « الموئد » .

(٢) طبع فى مصر سنة ١٣٧٣ بتحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين .

(٣) ط : « نقلت حركته » ، صوابه فى سه . وانظر المنصف .

(٤) البيت للمثقب العبدى ، كما فى السمط ١١٣ . وهو بتمامه :

يُنْبِى تَجَالِيدِى وأقتَادَها   نَاوٍ كَرأْسِ الفَدَنِ المُؤْيَدِ

وهذا البيت من معلَّقة طرَفة بن العبد المشهورة . وهذا ما قبْلَه :

(وبَرْكٍ هُجُودٍ قد أثارتْ مَخافتى نَوادِيَها أمْشى بعَضْبٍ مجرّدِ
فمَرّتْ كَهاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُلالةٌ عَقِيلةُ شيخ كالوَبيل يَلَنْدَدِ
يقولُ وقد ترَّ الوظيف وساقها . . . . البيت
وقال ألا ماذا تَرَوْنَ بشارب شديدٍ علينا بَغيُهُ متعمّدِ[1]
فقالوا[2] : ذَروه ، إنما نفعها له وإنْ لا تردُّوا قاصىَ البَرْك يَزْدَدِ
فظلَّ الاماء يَمْتَلِلْنَ حُوارَها وتَسعَى علينا بالسَديف المَسرهدِ)

قوله : وبَرْك ، بفتح الموحَّدة ، مجرورٌ بواوِ ربَّ ؛ قال أبو عبيدة : البرك يقع على جميع ما يبرك من الجمال والنُوق على الماء وبالفَلاة من حرّ الشّمس أو الشبَع ، الواحد بارك وباركة . وقيل : البرك : جماعة إبل الحىّ ، وقيل لها برك لاجتماع مباركها . وبَرَكَ البعيرُ : إذا ألقى صدرَه على الأرض . والهُجود : النيام ، جمع هاجد وهاجدة ؛ ومصدره الهجود أيضاً بمعنى النوم كالقعود والجلوس . ومخافتى : فاعلُ أثارت ، وهو مصدرٌ مضاف إلى المفعول ، والفاعلُ محذوف أى مخافتها إياىَ . ونَوادِيها : مفعولُ أثارت ، أى أوائلَها وما سبق منها ؛ وهو بالنون ، يقال : لا يَنْداك منّى أمرٌ تكرهه ، أى لا يسبق إليكَ منّى وإنما خص النوادىَ لأنّها أبعدُ منه عند فِرارها . فيقول : لا يفلتُ من عَقرى ما قرُبَ ولا ما شَذّ فندّ . وقال ابن السكّيت : النوادى الثِقال أيضاً من الإبل ، الواحدة نادية . وجملة أمْشى ، حالٌ من الياء فى مخافتى . والعَضْب :

(١) ب : « نعيه » .
(٢) ويروى : « فقال » و « وقال » . وصوب التبريزى رواية « وقالوا » ، وقال : « من روى فقال فروايته بعيدة ، لأنه يحتاج إلى تقدير فاعل » .

السيف القاطع . والمجرّد : المسلول من غِمْده . يقول : رُبَّ إبلٍ كثيرةٍ باركةٍ قد أثارت نوادىَ هذا البَرْكِ عن مباركها مخافتها إياىَ فى حال مشيي إليها بسيفٍ مسلولٍ قاطع . يريد أنّه أراد أن ينحر لأضيافه بعيراً فنفَرت منه لتعوّدِها ذلك منه .

وقوله : فمرّت كَهاة الخ ، الكَهاة بفتح الكاف ، قال ابن السكّيت : هى الناقة الضخمة . وهذا هو المناسب ، لا ما قاله شُرّاح المعلّقات : من أنها الناقة المسِنّة الضخمة . والخَيف بفتح الخاء المعجمة ، قال ابن السكّيت : هو جِلد الضرع وقالوا: هو جلد الضَّرْع الأعلى الذى يسمَّى الجِراب . يقال : ناقة خَيفاء ، إذا كان ضَرْعُها كبيراً . وجُلالة بالرفع : صفة كَهاة ؛ وهى بضمّ الجيم بمعنى الجليلة والعظيمة . وعَقيلة شيخٍ : صفةٌ ثالثة ،أى خير ماله ؛ والعقيلة : الكريمة. وهذا الشيخ قال ابن السكيت : هو بعض بنى عمٍّ طرفة ، كان طرفة عقَر له ناقة .

وقال الزَوزَنيّ : أراد بالشيخ أباه ، يريد أنّه نحر كرائمَ مالِ أبيه لنُدَمائه . وقيل : بل أراد غيره ممن يُغير على ماله . وقوله : كالوبيل ، صفة شيخ . قال ابن السكّيت : الوبيل العصا . وقال الزوزَنىّ : [الوبيل : العصا الضخمة[1]] فى الصحاح : الوبيل : الحُزْمة . فعلى هذا شبَّه عظامَه فى اليبوسة بالحطب ، والشيخَ بأنّه حزمة من الحطب . واليلندد : السيء الخلُق الشديد الخصومة ؛ صفة ثانية للشيخ . وقوله : يقول وقد ترّ الوظيف الخ ، أى قال الشيخ فى حال عقرى هذه الناقةَ الكريمة النجيبة . ومثلها لا يُعقَر للأضياف ـ ٥٠٧
وقوله : وقال ألا[2] ماذا ترون الخ ، فاعل قال ضميرُ الشيخ صاحب الناقة ؛ وذا اسم موصول ؛ وما استفهام منصوب بترون ؛ والباء متعلّقة بمحذوف .

(١) التكملة من الزوزنى .
(٢) فى ط : « إلى » فى هذا التفسير ، وفى النص السابق فى البيت ، تحريف .

أى قال الشيخ ، مستشيراً أصحابه : ما الذى ترون أن نفعل بطرَفة شارب الخمر يَبغى علينا بعَقْر كرائم أموالنا ؟ وقوله : فقالوا ذروه الخ ، أى ذَروا طرَفة فإنَّ نفعَها للشيخ ، فإنَّ طرَفة يُخلِف عليه ويَزيده ؛ وإن لم تردُّوا قاصىَ إبلكم يَعقِرْ منها أيضاً . وقيل : معناه : إن لم تردُّوا قاصىَ البَرْك وتردوه إلى أوله زاد فى نِفاره وذهَب . والقاصى : اسم فاعل مِن قَصا يقصو قُصُوًّا : إذا بعُد . وقوله : فظلّ الإماء الخ ، يمتَلِلْن بكسر اللام : أى يَشوِين فى المَلّة وهى الرَّماد الحارّ . والإماء : الخدَم . والحُوَار بضمّ المهملة : ولد الناقة . والسَّديف : قطَع السَنام . والمُسَرْهَد : المَرِىء الحسن الغذاء ، وقيل السمين . أى فظلّ الإماء يشتوين الولد الذى خرج من بطْنها تحْت الجمْر والرمادِ الحارّ ، وتَسعى الخدمُ علينا بقطَع سَنامها للقطْع يريد أنَّهم أكلوا أطايبها وأباحوا غيرها للخدَم . وذِكْرُ الحُوَار يدلّ على أنَّها كانت حُبلى ـ وهى من أنفَس الإبل عندهم .

وترجمة طرَفة بن العبد تقدمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد المائة :

١٨٥ (وقدْ أغْتَدِى والطَيرُ فى وُكناتِها بمنجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هيكَلِ)

لِمـا تقدَّم قبلَه . وقد بيّنّاه .

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة[2] . وقوله : (وقد أغتدى) أى أخرج غدْوةً للصيد . و (الوُكنات) الواو مضمومة ، والكاف

(١) الخزانه ٢ : ص ٤١٩

(٢) انظر له أيضاً الخصائص ٢ : ٢٢٠ وابن يعيش ٢ : ٣/٩٦ : ٩/٥١ : ٩٥ وشرح شواهد المغنى ٢٩٢ .

يجوز ضمُّها وفتحها وسكونها ، جمع وُكْنة بضمّ فسكون . قال ابن جنّى فى المحتسب : « ومن ذلك قراءة عبدالكريم الجزَرى : (فتَكنْ فى صَخْرَة[1]) بكسر الكاف ، من قولهم وَكَنَ الطائر يَكِنُ وُكونا : إذا استقرّ فى وُكْنته ، وهى مقره ليلاً ، وهى أيضاً عُشه الذى يَبيض فيه . وكأنّه من مقلوب الكَوْن ، لأنّ الكون الاستقرر » اهـ .

والقاف لغة فى الكاف ، يقال وُقْنة ووُقنات . ورُوى (فى وُكُراتها) بضمّتين جمع وُكر بضمّة فسكون ، وهو جمع وَكْر بفتح فسكون ، والوكر : مأوى الطائر فى العُشّ . و (الطَّير) : جمع طائر كصَحْب جمع صاحب . وهذا المصراع قد استعمله امرؤ القيس فى قصيدته اللاميّة ، قال :

وقد أغتدى والطيرُ فى وُكناتها لِغَيثٍ من الوَسْمىّ رائدهُ خالى

وفى الضاديّة[2] أيضاً ، وتمامه :

* بمنجردٍ عَبْل اليدَين قَبيض *

وفى البائية أيضا[3] ، وتمامه :

* وماء الندَى يَجرى على كلّ مِذْنَب *

وهذا البيت قد وقع فى قصيدةٍ لعلقمةَ الفحلِ أيضا . وجملة : « والطير فى وكناتها » حالٌ من ضمير المتكلّم ، أى أغدو إلى الصيد ملابساً لهذه الحالة . و (المنجرد) من الخيل ، قيل : الماضى فى السير ، وقيل : القليل الشعر القصيرُه . وبمنجرد متعلّق بقوله أغتدى . و (الأوابد) : الوحوش ، جمع آبده .

---

(١) الآية ١٦ من سورة لقمان .
(٢) ط : « الصادية » صوابه فى ش . وانظر ديوانه ٧٥ .
(٣) انظر ديوانه ٤٦ .

٥٠٨ يريد أنّ هذا الفَرس من سُرعته يَلحق الأوابد فيَصير لها بمنزلة القَيد . قال أبو عليّ فى التذكِرة : قيد الأوابد ، صفةٌ ، وهو مصدر كأنّه قال : يقيِّد الأوابد ، ثم استعمَل المصدر : بحذف الزيادة ، فوصف به . وقال التِبْرِيزىّ : تقدير قيد الأوابد ، ذى تقييد الأوابد . قال الباقِلاّنىّ فى إعجاز القرآن(١) : قوله قيد الأوابد — عندَهم — من البديع ومن الاستعارة ، ويروْنه من الألفاظ الشريفة ؛ وعنَي بذلك أنّه إذا أرسل هذا الفرسَ على الصيد ، صار قيداً لها ، وكانت بحال المقيَّد من جهة سُرعة عَدْوه . وقد اقتدى به الناسُ واتّبعه الشعراء ، فقيل قيد النواظر ، وقيد الألحاظ ، وقَيد الكلام ، وقيد الحديث ، وقَيد الرُّهان ، قال ابن يعفُر :

بمقلّص عَتد جَهير . شدُّه قيدِ الأوابدِ والرِهانِ جَواد

وقال أبو تمّام :

لها مَنظرٌ قَيْدُ الأوابد لم يَزَلْ يَروح ويغدو فى خفارته الُحبُّ

وقال آخر :

ألحاظُه قَيدُ عُيونِ الورَى فليسَ طرْفٌ يتَعدّاه

وقال آخر :

* قيَّد الُحسْنُ عليه الَحدَقا(٢) *

و (الهيكل) قال ابن دريد : هو الفرس العظيم الِجرْم .

وبعد هذا البيت بيتٌ هو من شواهد مغنى اللبيب ، وهو :

(مِكَرٍّ مِفرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً كجلمُودِ صَخْرحطّه السيلُ من عَلِ)

(١) إعجاز القرآن ١٠٧ .

(٢) ط : « الحدقان » صوابه فى إعجاز القرآن ، ومن ش مع أثر محو للنون .

مِكرٍّ ومِفرٍّ بكسر الميم فيهما وجرِّهما : أى فرس صالح للكرّ والفرّ . والكرّ : العطف ، يقال : كرَّ فرسَه على عدوّه . أى عطَفه عليه . ومِفعَل يتضمّن مبالغةً ، كقولهم : فلان مِسْعَرُ حَرْبٍ ، وفلانٌ مِقْوَل ومِصقع . وإنّما جعلوه متضمِّناً مبالغةً ، لأنّ مِفعَلاً يكون من أسماء الأدوات ، فكأنّه أداة للكرّ والفرّ ، وآلةٌ لتُسعِرَ الحربَ أى تلهِبَها ، وآلةُ الكلام . ومُقبل ومُدبر ، بضمّ ميميهما : اسما فاعل من الإقبال والإدبار . والجُلمود ، بالضم : الصخر العظيم الصُّلْبُ . والحطّ : إلقاء الشىء من عُلْو إلى أسفل . وعلٍ ، بمعنى عالٍ أى من مكان عال .

وفى هذا البيت (الاتساع) قال ابن أبى الإصبَع ، فى تحرير التحبير[١] : الاتساع أن يأتىَ الشاعرُ ببيت يتّسع فيه التأويل ، على قدر قُوى الناظر فيه ، وبحَسَب ما تحتمل ألفاظُه ، كقوله فى صفة فَرس :

مِكرّ مِفرّ مقبل مدبر معاً . . . . البيت

لأنّ الحجر يطلب جهة السُفل لكونها مركزَه ، إذْ كلُّ شىء يطلب مركزَه بطَبعه ؛ فالحجر يُسرع انحطاطَه إلى السفل من العُلو ، من غير واسطة فكيف إذا أعانته قوّة دُفّاع السيل من علٍ ! فهو ، حالَ تدحرُجِه ، يُرى وجهُه فى الآنِ الذى يُرى فيه ظهره ، بسرعةِ تقلّبه ، وبالعكس . ولهذا قال : مقبل مدبر معاً ، يعنى يكون إدباره وإقباله مجتمعَيْنِ فى المعِيَّة ، لا يُعقَل الفرقُ بينهما . وحاصلُ الكلام وصفُ الفرس بلين الرأس وسُرعة الانحراف — فى صدر البيت — وشدّة العدْو — فى عجزه . وقيل : إنّه جمعَ وَصْفَى الفرسِ بحُسْن الخلْق وشدَّة العدْوِ ، ولكونه قال فى صدر البيت إنّه حسن الصورة كامل

---

(١) تحرير التحبير ٤٥٤ .

النصبة فى حالتى إقباله وإدباره ، وكرِّه وفرِّه ؛ ثم شبّهه بجلمود صخر حطّه السيلُ من العلو بشدّة العدْو ؛ فهو فى الحالة التى ترى فيها لَبَبَهُ ترى فيها كفَلَه ؛ وبالعكس . هذا ، ولم تخطُر هذه المعانى بخاطر الشاعر فى وقت العمل ، وإنّما الكلام إذا كان قويّا من مثل هذا الفحل ، احتمل لقوّته وُجوهاً من التأويل ، بحسَب ما تحتمل ألفاظه ، وعلى مقدارِ قُوى المتكلّمين فيه . ومثله أيضاً[1] : ٥٠٩

إذا قامتا تَضوَّعَ المسكُ منهما نَسيمَ الصبَا جاءتْ بريّا القرَنفل

فإنَّ هذا البيت اتّسع النقّاد فى تأويله : فمن قائلٍ : تضوّع المسك منهما بنسيم الصبا[2] ، ومن قائل : تضوّع نسيمُ الصبا منهما ، ومن قائلٍ : تضوّع المسكُ منهما تضوُّعَ نسيم الصبَا — وهذا هو الوجه — ومن قائلٍ : تضوَّع المسكُ منهما — بفتح الميم ، يعنى الجلد — بنسيم الصَّبا .

وقال ابنُ المستوفى فى شرح أبيات المفصَّل : حدّثنى الإمام أبو حامد سليمان ، قال : كنّا فى خُوارَزْم ، وقد جرى النظرُ فى بيت امرئ القَيس :

إذا قامتا تضوَّع المسكُ منهما . . . . البيت

فقالوا : كيف شبَّه تضوُّع المسك بنسيم الصَبا ، والمشبَّه ينبغى أن يكونَ مثلَ المشبَّه به ، والمسك أطيبُ رائحة ! وطال القول فى ذلك فلم يحقّقوه ، وكان سألنى عنه ، فأجبْت لوقتى أنّه شبّه حركة المسك منهما عند القيام بحركة نَسيم الصَبا ، لأنَّه يقال تضوّع الفرْخ أى تحرّك ، ومنه تضوَّع المسكُ تحرّك وانتشرت رائحته : وذلك أنّ المرأة توصَف بالبطء عند القيام ، فحركة المسك تكون إذاً ضعيفةً مثلَ حركة النسيم ، وانتشارُه كانتشاره ؛ فالتشبيه صحيح .

---

(١) الكلام على البيت التالى متقدم فى تحرير التحبير على الكلام فى البيت السابق .
(٢) تحرير التحبير : « نسيم الصبا » ، وما هنا صوابه .

والنسيم : الريح الطيّبة ، ونسيم الريح أوّلها حين تُقبل بلين . ولقائل أن يقول : إن نسيم الصبا — وهى الريح الطيبة إذا جاءت بريّا القَرَنفُل ، وهى أيضاً ريح طيّبة ، قاربت ريح المسك . وبعد أن جرى ذلك بمدّة طويلة وقَع إلىّ كتابُ أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ ، فى شرح القصائد السبعيّات ، فوجدته ذكر عند هذا البيت قولاً حسنا ، وهو قوله : ومعنى تضوّع أخذ كذا وكذا . وهو تفعَّل من ضاع يضُوع ، يقال للفرْخ إذا سمع صوتَ أمّهُ فتحرك : قد ضاعته أمُّه تضُوعه ضَوْعاً[1] . فلا حاجة مع قوله أخذ كذا وكذا إلى تمحُّل لذلك ، ويكون التقدير : تضوّع المسكُ منهما تضوُّعَ نسيم الصَبا ، أى أخذ كذا وكذا كما أخذ النسيم كذا وكذا . اهـ .

وترجمة امرئ القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد المائة[3] :

١٨٦ (كأنَّ حَوَامِيَــه مُدْبِراً خُضِبْنَ وإنْ لم تَــكُنْ تُخْضَبِ)

على أن (مدبراً) حال من المضاف إليه ، وهو الهاء فى حَوَامِيَه .

صاحب الشاهد — وهذا البيتِ من قصيدةٍ فى وصف فرس ، للنابغة الجَعْدىّ . وقبله :

٥١٠ (كأنَّ تماثيـلَ أرْساَغِهِ رِقابُ وُعُولٍ على مَشْرَبِ

كأنَّ حَوَاميَــه مُـدْبراً . . . . البيت)

وبعده :

(١) فى شرح القصائد السبع ٢٩ : « ضاعه صوت أمه يضوعه ضوعا » .

(٢) الخزانة ١ : ص ٣٢٩ ومابعدها

(٣) ديوان النابغة الجعدى ص ٢٠ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦

(حِجارةُ غَيْلٍ برضْراضَةٍ كُسِينَ طِلاءً من الطُّحْلبِ)

التماثيل : جمع تِمثال بالكسر ، وهى الصورة . والأرساغ : جمع رُسْغ بالضمّ ، وهو ، من الدوابّ : الموضعُ المستدِقُّ بين الحافر وموضع الوَظيف من اليد والرجل ، ومن الإنسان : مفصلُ ما بين الكفّ والساعد والقدم إلى الساق[1] والوعول : جمع وَعل ، قال ابن فارس : هو ذكر الأروى وهو الشاة الجبليّة . وكذلك قال فى البارع ، وزاد : والأنثى وَعِلة بكسر العين ، وتسكّن فيهما . والمشرَب بالفتح موضع الشُرب . وهذا البيت من التشبيه البديع الذى لم يُسبَق إليه : شبّه أرساغه فى غلظها ، وانحنائها ، وعدم الانتصاب فيها ، برقاب وُعولٍ قد مدّتْها لتشربَ الماء[2] . وهذا البيت من شواهد أدب الكاتب[3] قال : « ويُستحبّ أن تكون الأرساغ غِلاظاً يابسة » . وأنشد هذا البيت .

وقوله : (كأنَّ حَوامِيَه . . الخ) الحوامى : جمع حاميَة بالحاء المهملة ، وهى ما فوق الحافر ، وقيل : هى ما عنْ يمين الحافر وشِماله ؛ ولكل حافرٍ حاميَتان ؛ قال ابن قتيبة : هما عن يمين السُنبُك وشِماله . والسُّنبُك بالضمّ : طرف مقدَّم الحافر . و (تخضب) بدلٌ من (تكُن) بدل اشتمال ، لاشتمال الخضاب على الكَون . وهو من قبيل بدل الفعل من الفعل ، ولهذا ظهر الجزم . وكُسر للقافية .

والحجارة : جمع حَجر وهى الصَّخرة . والغَيْل ، بفتح الغين المعجمة : الماء الجارى على وجه الأرض . والرَّضراضة : الأرض الصُلبة ، قال ابن السكّيت

(١) هذا التفسير من المصباح المنير .
(٢) قوله « وهذا البيت » إلخ اقتبسه البغدادى من ابن السيد فى الاقتضاب ٣٣٧ .
(٣) أدب الكاتب ص ٩٩ ط : التجارية ١٩٦٣ .

فى أبيات المعانى : ورضراضة : أرضٌ مرصوصة بحجارة بالضاد المعجمة والمهملة قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب (١) : ويستحب أن تكون الحوافرُ صِلاباً غير نَقِدَة — والنقَد ، بالتحريك : أن تراها متقشّرة — وتكونَ سُوداً أو خضراً لا يبْيضّ منها شىء ؛ لأنّ البياض فِيها رقّةٌ اهـ . شبّه حوافره بحجارة مقيمة فى ماءٍ قليل . وذلك أصلبُ لها ، يقال للصخرة التى بعضُها فى الماء وبعضها خارج : أتَانُ الضَّحْل — والضَّحْل : الماء القليل — وذلك النهايةُ فى صلابتها . وإيّاها عنى المتنبّي بقوله :

أنا صخرةُ الوادى إذا ما زُوحِمَتْ وإذا نطقتُ فإنّنىَ الجوزاء (٢)

وإذا كانت جوانبُ الحوافر صِلاباً على الوصف الذى ذُكر ، وكانت سوداً أو خضراً ، فقلاديها أصلبُ وأشدُّ سواداً وخضرة . وكُسِين ، بالبناء للمفعول من الكُسْوة . والنونُ ضمير الحجارة . والجملة حالٌ من ضمير الظرف ، أعنى قولَه برضراضة . والطِّلاء بالكسر : كلّ ما يُطلَى به ؛ وهو المفعول الثانى لكسا . يقال طلَيته به : أى لطخته به . والطّحلب ، بضمّ اللام وفتحها مع ضمّ الطاء ، وتكسر أيضاً مع كسر الطاء ، وهو خُضرة تعلو الماء المزمِن . وقد طَحلبَ الماء فهو مُطَحلِب بكسر اللام وفتحها .

قال ابن الشجرىّ فى المجلس الثالث من أماليه عند قول المسيَّب بن عامر فى مدح عُمارة بن زِياد العبْسىّ :

كسَيفِ الفرند العَضْب أخلِصَ صقلُه تَراوحهُ أيدِى الرجال قيـاما (٣)

(١) أدب الكاتب ص ١٠٠ ط : التجارية ١٩٦٣ . وفى لفظه بعض اختلاف

(٢) فى ديوان المتنبى ١ : ١٢ : « فإننى الجوزاء » .

(٣) فى النسختين : « كيف الفرند » و « ترى وجه أيدى » صوابهما من أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧ .

٥١١ إنّ قوله قياماً ، نصب على الحال من الرجال . والحالُ من المضاف إليه قليلة ، ومن ذلك قولُ الجَعْدىّ :

* كأنّ حواميَهُ مدبراً *

نصب مدبراً على الحال من الهاء . . . وأنشدوا فى الحال من المضاف إليه قولَ تأبَّطَ شرًّا :

سلبتَ سلاحى بائساً وشتمتَنِي فيا خَيرَ مَسْلُوبٍ وياشرَّ سالبِ

ولستُ أرى أنّ بائساً حال من الياء فى سلاحى ، ولـكنّه عندى حالٌ من مفعول سلبتَ المحذوف ، والتقدير : سلبتَنى بائساً سلاحى[1] . ومثله قوله تعالى : (ذرْنى وَمَنْ خَلَقتُ وَحِيدا[2]) وقوله تعالى : (أهـٰذَا الذى بَعَثَ اللهُ رَسُولا[3]) أى خلقتُه ، وبعَثَه . وإنَّما وجب العدول إلى ما قلنا ، لعزّة حال المضاف إليـه . فإذا وجدتْ مندوحةٌ وجب تركه . وسلَب يتعدّى إلى مفعولَين يجوز الاقتصار على أحدهما ، كقولك : سلبت زيداً ثوباً ، وقالوا : سُلِبَ زيدٌ ثوبُه ، بالرفع على بدل الاشتمال ، وثوبَه ، بالنصب على أنّه مفعول ثان ؛ وفى التنزيل (وإنْ يَسْلُبْهم الذبابُ شيئاً لا يَستَنْقِذُوه منه[4]) فيجوز على هذا أن نجعل بائساً مفعولا ثانياً بتقدير حذف الموصوف ، أى سلبتَ سلاحى رجلاً بائساً ، كما تقول : لتعامِلنّ منّي رجلاً مُنصِفا . وممّا جاءت الحال فيه من المضاف إليه ، قوله تعالى : (قُلْ بلْ مِلّةَ إبراهِيمَ حَنِيفا[5]) قيل : إنّ حنيفاً حالٌ من إبراهيم ؛ وأوجهُ من ذلك ، عندى ، أن تجعله حالاً من المِلّة

---

(١) بعده فى الأمالى : « وجاء بالحال من المحذوف لأنه مقدر عنده منوى » .
(٢) الآية ١١ من سورة المدثر .
(٣) الآية ٤١ من سورة الفرقان .
(٤) الآية ٧٣ من سورة الحج .
(٥) الآية ١٣٥ من سورة البقرة .

وإن خالفها بالتذكير ، لأنّ الملة فى معنى الدين ، ألا ترى أنّها قد أبدلت من الدين فى قوله تعالى : (ديناً قِيَماً مِلّةَ إبراهِيم[١]) فإذا جعلتَ حنيفاً حالا من الملّة ، فالناصب له هو الناصب للمِلّة ، وتقديره : بل نتّبِع ملّة إبراهيم حَنيفا . وإنّما أضمر نتّبع لأنّ ما حكاه الله عنهم من قولهم : (كونُوا هُوداً أو نَصارَى تَهتَدُوا[٢]) معناه اتّبعوا اليهوديّة أو النصرانية ؛ فقال لنبيّه ﷺ : قلْ بلْ نتبعُ مِلّة إبراهيم حنيفا . . وإنّما ضُعف مجىء الحال من المضاف إليه ، لأنّ العامل فى الحال ينبغى أن يكون هو العامل فى ذى الحال . اهـ كلامه .

وقال أيضاً ، فى المجلس الرابع والعشرين[٣] : وأمّا قوله مُدْبرا ، فحالٌ من الهاء ، والعامل على رأى أبى علىّ ما تقدّره فى المضاف إليه من معنى الجارّ . يعنى أنّ التقدير كأنّ حوامىَ ثابتةٌ له مدبراً ، أو كائنةٌ له . قال : ولا يجوز تقديمُ هذه الحالِ ، لأنّ العامل فيها معنًى لا فعلٌ محْض . قال : ولا يجوز أن يكون العاملُ ما فى كأنَّ مِنْ معنى الفعل ، لأنّه إذا عمل فى حالٍ لم يعمل فى أخرى . يعنى أنَّ كأن قد عمل فى موضع خُضِبْن النصبَ على الحال ، فلا يعمل فى قوله مدبرًا . وهذا القول يدلُّ على أنّه يُجيز أن يَنصبِ حالَ المضاف إليه العاملُ فى المضاف . وإذا كان هذا جائزاً عنده ، فإنْ جعل خُضِبْن خبرَ كأنّ فالعامل إذاً فى مدبراً ما فى كأنّ من معنى الفعل . وهذا إنّما يجوز إذا كان المضاف ملتبساً بالمضاف إليه : كالتباس الحوامى بما هى له ؛ ولا يجوز فى ضربت غلامَ هندٍ جالسةً ، أن تنصب جالسة بضربْت ، لأنّ الغلام غير مُلتبس بهند كالتباس الحوامى بصاحبها . ولا يجوز عندى أن تنصب جالسة

---

(١) الآية ١٦١ من سورة الأنعام .
(٢) الآية ١٣٥ من سورة البقرة .
(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٧ .

٥١٢ بما تقدّره من معنى اللام[١] فى المضاف إليه ، فكأنّك قلت : ضربت غلاماً كائناً لهندٍ جالسةً ، لأنّ ذلك يوجب أن يكون الغلامُ لهندٍ فى حال جلوسها خاصّة ، وهذا مستحيل . وكذلك قوله : كأنّ حواميَه مُدْبراً ، إن قدّرت فيه : حوامىَ ثابتةً له مُدبراً ، وجب أن يكون الحوامى له فى حال إدباره دون حال إقباله . وهذا يوضّح لك فسادَ إعمالك فى هذه الحالِ معنى الجارّ المقدَّرِ فى المضاف إليه . ولا يجوز إذن ضربت غلامَ هند جالسةً لذلك ، ولعدم التباس المضاف بالمضاف إليه . ونظير ما ذكرناه : من جواز مجىء الحال من المضاف إليه إذا كان المضاف ملتبساً به ، قوله تعالى (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ[٢]) أخبر بخاضعين عن المضاف إليه ، ولو أخبر عن المضاف لقال خاضعةً أو خُضَّعاً أو خَواضِع . وإنّما حسُن ذلك ، لأنّ خضوع أصحاب الأعناق بخضوع أعناقهم . وقد قيل فيه غيرُ هذا ، وذلك ما جاء فى التفسير من أنّ المراد بأعناقهم كبراؤهم . وقال أهل اللغة : أعناقهم : جماعاتهم ، كقولك : جاءنى عُنُق من الناس : أى جماعة . فالخبر فى هذين القولين عن الأعناق . وقوله : خُضِبن[٣] ، عند أبى علىّ فى موضع نصب بأنّه حال من الحوامى ، ولم يجعله خبر كأنّ لأنّه جعل خبرَها قولَه حجارةُ غَيْل ، ولم يُجزْ أن يكونا خبرين لكأنّ : على حدّ قولهم هذا حلوٌ حامض ، أى قد جمع الطعمين ، قال : لأنّك لا تجد فيما أخبروا عنه بخبرين أن يكون أحدُهما مفرداً والآخر جملة : لا تقول زيدٌ خرجَ عاقلٌ . والقول عندى : أن يكون موضعُ خضبن رفعاً بأنّه خبر كأن ، وقوله حجارةُ غَيْل خبر مبتدإ محذوف ، أى هى حجارة غيل ، وأداة التشبيه محذوفة ، كما قال[٤] :

---

(١) ـه : « الكلام » صوابه فى ط وأمالى ابن الشجرى .
(٢) الآية ٤ من سورة الشعراء .
(٣) هذا الكلام فى الأمالى متقدم على الكلام السابق ، أى فى ١ : ١٥٦ .
(٤) هو النابغة ديوانه ٦٤ واللسان (كرر ٤٥٢ كدن ٢٣٧ أضا ٤٠) .

* فهنّ إضاءٌ صافياتُ الغَلائل[1] *

أى مثلُ إضاء، والإضاء: الغُدران، واحدها أضاة[2] فَعَلة جُمعت على فِعال، كرقَبة ورِقاب: شبّه الدروعَ فى صَفائها بالغُدْران.

و (النابغة الجَعْدىّ) كنيته أبو ليلى، وهو كما فى الاستيعاب: قيس ابن عبد الله. وقيل: حيّان[3] بن قيس بن عبد الله بن عَمرو بن عُدَسَ ابن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقيل: اسمه حيّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَسَ بن ربيعة بن جَعْدة. وإنّما قيل له النابغة، لأنّه قال الشعر فى الجاهلية، ثمّ أقام مدّةً نحوَ ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فيه فقاله؛ فسمّى النابغة. وهو أسنُّ من النابغة الذبيانى، لأنّ الذبيانىّ كان مع النعمان بن المنذر، وكان النعمان بن المنذر بعدَ المنذر ابن محرِّق، وقد أدرك النابغةُ الجعْدىّ المنذرَ بنَ محرِّق ونادمَه. ذكر عمر ابن شبّة أنّه عمِّر مائةً وثمانين سنة، وأنّه أنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه: النابغة الجعدى

لبست أُناساً فأفنَيتهم وأفنيت بعد أُناسٍ أُناسا
ثلاثة أهلِين أفنَيتهم وكان الإلَهُ هو المستآسا

فقال له عمر: كم لبثت مع كلّ أهل؟ قال: ستّينَ سنة.

وقال ابن قتيبة[4]: عمرَ الجعدىّ مائتين وعشرين سنة ومات بأصبهان.

---

(١) صدره: * علين بكديون وأبطن كرّة *
(٢) ط: « أضاءة » صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى.
(٣) فى الإصابة والاستيعاب ٤ : ١٥١٤ : « حبان » وفى إحدى نسخ الاستيعاب: « حيان » وفى الأغانى ٤ : ١٢٧ : « حسان ».
(٤) فى الشعر والشعراء ٢٤٨ — ٢٤٩.

ولا يدفع هذا ما مرّ ، فإنّه أفنى ثلاثة قرون فى مائة وثمانين سنة ، ثم عمّر إلى زمن ابن الزُبير وبعده .

والبيتان من قصيدة سينيّة . والمستآس : المستعاض ، مُستفعَل من الأوس ، والأوْس : العطية عوضاً . وبعدها :

٥١٣ وعِشتُ بعَيشَين ، إنّ المنو ن تلقى المعايش فيها خساسا

فحيناً أصادف غِرّاتِها وحيناً أصادِف منها شِماسا

شهدتُهمُ لا أرجِّى الحيا ةَ حتّى تساقَوا بسمر كئاسا(١)

وهو جمع كأس .

قال السِجِستانى فى كتاب للمعمّرين(٢) : وقال حين وفَت له مائة واثنتا عشرة سنة :

مضَتْ مائةٌ لعامٍ وُلِدت فيه وعشرٌ بعدَ ذاك وحِجّتانِ

فأبقى الدهرُ والأيّامُ منّي كما أبقَى من السيف اليمَانى

تفَلّلَ وهو مأثورٌ جُراز إذا جُمعت بقائمِه اليدانِ(٣)

ألا زعمت بنو كعب بأنّى ـ ألا كذبوا ! كبيرُ السنّ فانى(٤)

فمن يَحرصْ على كِبَرى فإنّى مِن الفِتيان أزمانَ الخُنانِ

الخُنان : مرضٌ أصاب الناس فى أُنوفهم وحُلوقهم ، وربّما أخذ النعَمَ ، وربّما قتل اهـ . وهو بضمّ الخاء المعجمة وبعدها نون مخففة ، فى القاموس :

(١) السمر : الرماح . وروى : « بسم » كما فى حواشى الشعراء .
(٢) المعمرين ٦٥ .
(٣) ط : « وهو عانور » صوابه فى المعمرين وسه مع أثر تصحيح وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٤ .
(٤) فى الإصابة : « بنو أسد بأنى أبو ولد » .

والخُنان ، كغراب : زكام الإبل ؛ وزمن الخُنان كان فى عهد المنذر بن ماء السماء وماتت الإبل منه[1] .

ووفد الجعدىُّ على النبي صلى الله عليه وسلم مُسْلِماً ، وأنشده ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أوّل ما أنشده قوله فى قصيدته الرائية[2] :

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرَّة نيِّرا
وجاهدتُ حتّى ما أحسُّ ومَن معى سُهَيلاً ، إذا ما لاح ثُمَّتَ غَوَّرا[3]
أقيمُ على التقوَى وأرضَى بفعلها وكنتُ من النار المَخُوفة أحذَرا

إلى أن قال :

وإنّا لَقومٌ ما نُعَوِّد خيلَنا ، إذا ما التقَينا ، أن تَحيد وتَنفِرا
ونُنكِر يوم الرَوعِ ألوانَ خيلِنا مِن الطعنِ حتّي تحسب الجَونَ أشقرا[4]
وليس بمعروفٍ لنا أنْ نرُدَّها صِحاحاً ، ولا مستنكراً أن تُعقَّرا
بلغنا السماء مجدُنا وسناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا[5]

وفى رواية عبد الله بن جراد :

علَونا على طُرِّ العِباد تكرُّما وإنّا لنرجو فوقَ ذلكَ مَظهَرا

---

(١) فى الأغانى ٤ : ١٢٨ : « سئل محمد بن حبيب عن أيام الخنان : ما هى ؟ فقال : وقعة لهم ، فقال قائل منهم وقد لقوا عدوهم : خنوهم بالرماح ! فسمى ذلك العام بالخنان » .

(٢) هى فى ديوانه ٧٠ — ٧٦ وجمهرة القرشى ١٤٥ — ١٤٨ وهى أولى المشوبات . ورويت أيضا فى الاستيعاب ٤ : ١٥١٥ — ١٥١٦ واللآلئ ٢٤٧ ، ٧٧٢ وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٧ .

(٣) فى أمالى المرتضى : « ثم تنورا » .

(٤) فى الإصابة والأمالى : « نحسب » بالنون .

(٥) الأغانى والإصابة : « مجدنا وجدودنا » وفى الجمهرة : « بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا » .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إلى أين يا أبا ليلى ! فقال : إلى الجنة ! فقال : نعم إن شاء الله !

ولا خيرَ فى حلم إذا لم تَكن له ... بَوادرُ تَحمى صفوَه أنْ يُكدَّرا
ولا خيرَ فى جهل إذا لم يكن له ... حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفضُضِ الله فاك ! فكان من أحسن الناس ثَغراً ؛ وكان إذا سقطت له ثَنيّة نبتت ، وكان فوه كالبدر[(١)] المتهلّل يتلألأُ ويَبرُق .

وهذه القصيدة طويلة : نحو مائتى بيت ؛ وأنشد جميعَها للنبى صلى الله عليه وسلم وأوّلها :

خليليَّ غُضّا ساعةً وتَهجّرا[(٢)] ... ولُوما على ما أحدثَ الدهرُ أو ذَرا

وهى من أحسن ما قيل من الشعر فى الفخر بالشجاعة ، سَباطةً ، ونَقاوة ، وحَلاوةً . ومنها : ٥١٤

تذكّرتُ والذكرى تهيج على الفتى ... ومِن حاجة المحزونِ أن يتذكّرا
نداماىَ عِندَ المنذر بن محرِّق ... أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرضِ مقفِرا[(٣)]
تَقَضّى زمانُ الوَصْل بينى وبينَها ... ولم ينقض الشوقُ الذى كان أكثرا
وإنّى لأستَشفى برُؤية جارِها ... إذا ما لِقاؤها علىَّ تعذّرا
وألقى على جِيرانها مَسْحة الهوى ... وإن لم يكونوا لى قَبيلاً ومعشرا

(١) سه : « كالبرد » .
(٢) ويروى : « عوجا ساعة » .
(٣) ط : « عبد المنذر » ، صوابه فى سه وسائر المراجع .

تردَّيتُ ثوبَ الذلِّ يومَ لقيتُها   وكان ردائى نخوة وتجبرا(١)
حسبنا زماناً كلَّ بيضاء شحمةً   ليالىَ إذ نغزو جُذاماً وحِمْيَرا(٢)
إلى أن لقينا الحىَّ بكر بنَ وائلٍ   ثمانينَ ألفاً دارعِينَ وحُسَّرا
فلما قَرعنا النبْعَ بالنبع : بعضه   ببعض ، أبتْ عِيدانُه أنْ تكسَّرا
سَقيناهمُ كأساً سَقَونا بمثلها   ولكنَّنا كنَّا على الموت أصبرا !

قال عمر بن شبَّة : كان النابغةُ الجعدىّ شاعراً مقدَّماً ، إلاّ أنّه كان إذا هاجى غُلِب ؛ وقد هاجى أوسَ بنَ مَغْرَاء ، وليلى الأخيَليَّة ، وكعبَ ابنَ جُعَيل ، فغلبوه — وهو أشعر منهم — مراراً . ليس فيهم من يقرب منه . وكان قد خرج مع علىّ رضى الله عنه إلى صِفِّين ، فكتب معاوية إلى مرْوانَ ، فأخذ أهلَ النابغة ومالَه ، فدخل النابغةُ على معاوية ، وعنده مرْوان وعُبيد الله ابن مروان(٣) ، فأنشده :

مَن راكبٌ يأتى ابنَ هندٍ بحاجتى   على النأى والأنباء تنمى وتُجْلَبُ !
ويُخبِر عنِّي ما أقولُ ابنَ عامرٍ   ونِعْمَ الفتى يأوى إليه المعصَّبُ !
فإن تأخذوا أهلى ومالى بِظِنَّة   فإنِّى لأحرار الرجال مجرِّبُ(٤)
صبورٌ على ما يكره المرء كلِّه   سِوَى الظلمِ ، إنِّى إن ظلِمتُ سأغضبُ

(١) ط : « نجوة ونجبرا » صوابه فى سه والديوان .

(٢) البيت وما بعده إلى آخر الأبيات فى ديوانه ، ولم يذكر فى جمهرة القرشى . ورواها أبو تمام فى الحماسة ١٥٥ — ١٥٦ بشرح المرزوقى منسوبة إلى زُفَر ابن الحارث الكلابى .

(٣) فى النسختين : « وعبيد الله بن مروان » وجعلها الشنقيطى فى نسخته « وعبد الله ابن عامر » ، مطابقا ما فى الأغانى ٤ : ١٣٨ .

(٤) الأغانى : « فانى لحراب الرجال » .

فالتفتَ معاويةُ إلى مروانَ فقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن لا تردّ عليه شيئاً ! فقال : ما أهونَ عليك أن يَقطع عليَّ عِرضي ثم تَرويه العرب ! أما والله إن كنتَ لممَّن يرويه ! أردُد عليه كلَّ شيء أخذتَه . . ثم أقحَمَتْه سَنَةٌ ، فدخل على ابن الزُّبير فى المسجد الحرام يَستَجْدِيه — ومدَحه بأبيات — فأعطاه من بيت المال قلائصَ سبْعاً ، وفرساً رَجيلا : وأوقر له الرِّكابَ بُرًّا وتمْراً وثياباً .

وفى تاريخ الإسلام للذهبيّ : أنّ النابغة قال هذه الأبيات (١) :

المرء يهوَى أن يَعيـــش ، وطُول عُمرٍ قد يضُرُّه
وتَتابُعُ الأيّامِ حـــتّي ما يرى شيئاً يسُرُّه
تَفنى بشاشتُه ويَبـــقى بعد حُلوِ العيش مُرُّه

ثم دخل بيته فلم يخرج منه حتى مات .

وفى الاستيعاب : كان النابغة يذكُر فى الجاهليّة دينَ إبراهيم والحنيفيّة ، ويصوم ، ويستغفِر — فيما ذكروا — وقال فى الجاهلية كلمته التى أوّلُها :

الحمد لله لا شريكَ لهُ من لم يقلْها فنفسَه ظَلما(٢)

وفيها ضُروبٌ من دلائل التوحيد ، والإقرارِ بالبعث والجزاء والجنّة ٥١٥
والنار ، وصِفَةِ بعضِ ذلك : على نحو شعر أُميّة بن أبى الصَّلْت . وقد قيل إن هذا الشعر لأمية بن أبى الصلت ، ولكنّه قد صحّحه يونس بن حبيب ، وحمّادُ

---

(١) وكذا فى حماسة البحترى ١٣٦ ومجموعة المعانى ١٢٥ وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٦ . ونسب إلى النابغة الذبيانى فى الشعراء ١١١ ومقدمة جمهرة القرشى ٢٨ .

(٢) انظر قصيدة البيت فى الشعراء ٢٥٣ والديوان ١٣٢ والخزانة ٤ : ٤ .

الراوية ؛ ومحمّدُ بن سلاّمٍ ، وعلىُّ بن سليمانَ الأخفشُ ، للنابغة الجعدىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد المائة[1] :

١٨٧ (عَوْذٌ وبُهْثَةُ حاشِدونَ ، عليهمُ حِلَقُ الحديدِ مُضاعَفاً يتَلَهَّبُ)

على أنّه قد جاء فيه الحال من المضاف إليه : كالبيت الذى قبله . أعنى قوله مضاعفاً حال من الحديد .

قال أبو علىّ فى المسائل الشيرازيّات : قد جاء الحال من المضاف إليه فى نحوِ ما أنشدَه أبو زيد .

عَوْذٌ وبُهْثَةُ حاشِدون ، عليهمُ حَلَقُ الحديدِ مُضاعَفاً يتلهبُ

انتهى كلامه . قال ابن الشجرىّ ، فى المجلس السادس والسبعين ، فى أماليه : الوجه فى هذا البيت فيما أراه ، أنّ مضاعَفاً حالٌ من الحلَق لا من الحديد ، لأمرين : أحدهما أنّه إذا أمكن مجىء الحال من المضاف كان أولى من مجيئها من المضاف إليه ، ولا مانع فى البيت من كون مضاعَفاً حالاً من الحلَق ، لأنّنا نقول : حلَقٌ محكَمٌ ومُحكَمة . والآخر أنّ وصْفَ الحلَق بالمضاعف أشْبَه ، كما قال المتنبى :

أَقبلتَ تبسِمُ والجيادُ عوابسٌ يَخْبُبْنَ بالحلَق المضاعف والقَنا

ويجوز أن يُجعل مضاعفاً حالاً من المضمَر فى يتلهّب ، ويَتلهَّب فى موضع الحال من الحلَق ؛ فكأنه قال : عليهم حَلَقُ الحديدِ يتلهَّبُ مضاعَفا .

---

(١) انظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/١٦٧ : ٣٢٧ والهمع ١ : ٢٤٠ ونوادر أبى زيد ١١٣ .

وقال فى المجلس الخامس والعشرين مثلَ هذا ، ثم قال : ويتوجّه ضعفُ ما قاله من جهةٍ أخرى : وذلك أنّه لا عامل له فى هذه الحال ، إذا كانت من الحديد ، إلاّ ما قدّره فى الكلام من معنى الفعل بالإضافة . وذلك قوله : ألا ترى أنّه لا تخلو الإضافة من أن تكون بمعنى اللام أو مِن . وأقول : إنّ مضاعَفاً فى الحقيقة إنّما هو حال من الذِكْرِ المستكنّ فى عليهم ، إن رفعتَ الحلق بالابتداء ؛ فإن رفعتَه بالظرف على قول الأخفش والكوفيِّين فالحال منه ، لأنّ الظرف حينئذ يخلو من ذكر اه .

و (عَوذ) بفتح للمهملة وآخره ذال معجمة ، هو عَوذ بن غالب بن قُطَيعة — بالتصغير — ابن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غطَفان . و (بُهْثَة) بضمّ للموحّدة ، وهو بُهثَة بن عبد الله بن غطَفان . فبُهثة ابن عمٍّ بَغيض . وغطَفان هو ابن سعد بن قَيسِ عَيْلانَ بن مضر ، كذا فى جمهرة الأنساب لابن الكلبيّ .

و (حلَق الحديد) قال صاحب العباب : الحلْقة بالتسكين : الدِّرْع ، والجمع الحلَق بفتحتين على غير قياس ، وقال الأصمعى : حِلَق بالكسر مثل بَدْرة وبِدر ، وقَصْعة وقِصَع . وفى المصباح . الحلْقة : السلاح كلُّه . ثم أورَد الجمعَ مثلَ ما أورده صاحبُ العباب ، وقال : وحكى يونس عن أبى عمرو بن العلاء أنّ الحلقة بالفتح لغة فى السكون ، وعلى هذا فالجمع بحذف الهاء قياسٌ مثل
٥١٦ قصَبة وقصَب . وجمع ابنُ السرّاج بينهما وقال : فقالوا حلَق ثم خفّفوا الواحد حين ألحقوه الزيادةَ ، وغير المعنى . قال : وهذا لفظ سيبويه . وأمّا حلْقة الباب ، فقد قال صاحب العُباب والمصباح : هى بالسكون أيضاً ، تكون من حديد وغيره ؛ وحلْقةُ القوم كذلك ، وهم الذين يجتمعون مستديرين . وقال صاحب العباب : قال الفرّاء فى نوادره : الحلِقة بكسر اللام لغة بلحارثِ بن كعب ، فى الحلْقة بالسكون والحلَقة بالفتح قال ابن السكّيت : سمعتُ أبا عمرو الشَّيبانى

يقول : ليس فى كلام العرب حَلَقة بالتحريك ، إلاّ فى قولهم : هؤلاء حَلَقَة ، للذين يحلِقون الشعر جمع حالق اه .

فقول الشاعر : حلق الحديد ، المراد من الحلَق الدُّروع ، سواء كسرت الحاء أو فتحت . وإضافتها إلى الحديد كقولهم : خاتمُ فِضة ، وثوبُ خَزٍّ . فالمضاعَف لا يكون حالاً إلاّ من ضمير الحلَق المستقرّ فى الجارّ والمجرور الواقعَين خبراً ، أو من الحلَق على مذهب سيبويه : من تجويزه مجئ الحال من المبتدإ ، أو من ضمير يتلهَّب . ولا يصحُّ أن يكون حالاً من الحديد إذ لا معنى له . فتأمّلْ . وأيضاً الدِّرعُ المضاعَفة هى المنسوجة حَلْقتين حلْقتين ، قيل : ويجوز أن يراد بالمضاعَفة درعٌ فوقَ أخرى . و (يتلهّب) : يشتعل ، استُعير لِلمعانِهِ . و (الحشْد) يكون لازماً ومتعدِّياً ، يقال حشد القومُ ، من باب قتل وضرب : إذا اجتمعوا . وحشدتُهم : أى جمعتهم .

وهذا البيتُ من أبياتٍ لزيدِ الفَوارسِ ، أوردها أبو محمّد الأعرابىُّ فى كتاب ضالّة الأديب . وهى :

(دُلِهْتِ أنْ لم تسألى أىّ امرئٍ ... بلِوَى النَّقيعة إذ رِجالُكِ غُيَّبُ

إذ جاء يومٌ ضَوءه كظَلامِهِ ... بادى الكواكبِ مُقْمَطِرٌّ أشهَبُ

عَوذٌ وبُهثَةُ حاشدونَ عليهمُ ... حلَقُ الحديد مضاعَفاً يتلهَّبُ

وَلَّوْا تَكبُّهم الرِّماحُ كأنّهمْ ... أثْلٌ جَأفْتَ أُصولَه أو أثأبُ

لَدُ غُدوةٍ حتّى أغاثَ شريدَهُمْ ... جوُّ العشارةِ فالعيونُ فزُنقبُ

فتركتُ زراً فى الغبار كأنه ... بشَقيقتَي قُدَميّةٍ متلبِّبُ)

قال أبو محمّد الأعرابىّ : كان سبب هذه الأبيات ، أنّه أغار زرٌّ بن ثعلبة أحدُ بنى عَوذ بن غالب بن قُطيعة بن عَبْس ، فى بنى عبس وعبدِ الله بنِ غطَفان ،

فأصابوا نَعَماً لبنى بَكر بن سعد بن ضبَّة ، فطردوها . فأتاهم الصَّريخ ، ورئيسُهم يومئذ زيدُ الفوارس ، حتّى أدركوهم بالنَّقيعة تحتَ الليـل ؛ فقتلوا زِرًّا ، والجنيد[1] بن تيجان[2] من بنى مخزوم ، وابن أزنم من بنى عبد الله بن غطفان . فقال زيد الفوارس هذه الأبياتَ فى ذلك ا ﻫ .

قوله : دُلِّهت بالبناء للمفعول وخطاب المؤنثة ، من التَّدْليه[3] وهو ذَهاب العقل من همٍّ وعِشق ونحوِه . دعاء عليها أنْ لم تسألْ عنه[4] أىُّ فارس كان هناك ! وأىّ امرئٍ خبر مبتدإ محذوف ، أى أنا ؛ ويجوز نصبه على أنّه خبر كان المحذوفةِ مع اسمها ، أى أىَّ امرئٍ كنت ، وبهـا يتعلَّق الظرفان . وإذ الثانية بدلٌ من إذ الأولى . والنَّقيعة ، بالنون : موضع بين بلاد بنى سَليط وضبّة . واللوى : ما التوى من الرمل . ويوم مُقمطِرٌ : مشتدٌّ ، اقمطرّ أى اشتدّ . وأشهب : من الشُّهْبة ، وهو بياضٌ يصدَعه سَواد . وقوله : وَلَّوا تكبُّهم الخ ، ولّوا : أدبروا ، وجملة تكبُّهم حالٌ من الواو ، كبَّه : قلبه وصرَعه . والرماح : جمع رمح وجأفت الشجرةَ ، بعد الجيم همزة : أى قلعتها . والأثأب بالمثلثة ٥١٧
كجعفر : شجر ، الواحدة أثْأبة . والشريد : الطريد المهزوم ، وهو مفعول . وجوّ العشارة فاعله ، وهو موضع ، وكذلك العيون . وزنقب بالزاى والنون والقاف . وقوله : بشقيقتَي قُدَميّة ، هو مثنّي شقيقة ؛ والشقيقة كلُّ ما انشقّ نِصفين وكلٌّ منهما شَقيقة ؛ أى كأنّه ملفوفٌ بشُقَّتَي ثوب قُدَميّة . وقُدَم بضم القاف وفتح الدال : حىٌّ باليمن ، وموضع تُصنَع فيه ثيابٌ حُمْر . ومتلبِّب ،

(١) ط : « والجند » .

(٢) كذا . والمعروف « تيحان » بالحاء المهملة .

(٣) فى النسختين : « من التدلهة » وصححها الشنقيطي بما أثبت .

(٤) ط : « تسأله عنه » صوابه من ش .

من تلبَّبَ بثوبه : إذا التفَّ به وتشمَّر . ولبّبته تلبيباً إذا جمعتَ ثيابَه عند نحره فى الخصومة ثم جرَرْتَه .

وزيدُ الفوارسِ هو ابن حُصينٍ بن ضِرارٍ الضبيٍّ وهو جاهليّ . وذكره الآمديّ فى المؤتلِف والمختلف ، ولم يرفَعْ نسبَه ، ولا ذكر له شيئاً من شِعره . وهذه نسبته من جمهرة ابن الكلبيّ : زيد الفوارس بن حُصين بن ضِرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بَجَالَةَ بن ذُهْل بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبّة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان . وضرار بن عمرو وكان يقال له : « الرَّدِيم » لأنّه كان إذا وقف فى الحرب ردَم ناحيتَه — أى سدّها — وطالت رياسته ، وشهد يومَ القرُنَتَين ، ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه ، وزيدُ الفوارسِ كان فارسَهم . ولهذا قيل له : زَيد الفوارس . زيد الفوارس

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد المائة[1] :

١٨٨ (وإنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنا المنايا مُقدَّرةً لنا ، ومقدَّرِينا)

على أنّه يجوزُ عطفُ أحدِ حالَى الفاعل والمفعول على الآخر ، كما فى هذا البيت : فإنَّ (مقدّرة) حالٌ من الفاعل ، وهو (المنايا) ، و (مقدَّرينا) حالٌ من المفعول ؛ أعنى ضميرَ المتكلم مع الغير . أىْ تدركنا المنايا فى حال كوننا مقدَّرين لأوقاتها وكونها مقدَّرة لنا .

و (المنايا) : جمع مَنيّة وهى الموت ، وسمّى منيّة لأنه مقدّر ، من مَنَي له أى قدّر ، قال أبو قِلابَة الهُذَلىّ :

(١) لم أجد من استشهد به غيره .

فلا تَقُولنْ لشيءٍ سوفَ أفعلُه حتّي تلاقيَ ما يَمْنِي لك المانى(١)

أى ما يقدِّر لك القادر .

وهذا البيت من معلّقة عمرو بن كلثوم التغلبيّ . وهذا مطلعها :

(ألا هُبِّي بصَحنك فاصبَحِينا ولا تُبقِى خُمورَ الأندَرِينا
مشَعْشَعةً كأنَّ الُحصَّ فيها إذا ما الماء خالَطَها سخينا
تجورُ بذى اللُّبانةِ عن هَواه ، إذا ما ذاقَها ، حتَّي يَلينا ؟
تَرى اللَّحِزَ الشَّحيحَ ، إذا أُمِرَّتْ عليه ، لمالِه فيها مُهينا ؟
صَددتِ الكأسَ عنّا أمَّ عمرٍو ، وكان الكأسُ مَجْراها اليمينا ؟
وما شرُّ الثلاثة ، أمَّ عمرٍو ، بِصاحبكِ الذى لا تَصبَحينا !
وإنّا سوفَ تدركنا المنايا . . . . البيت)

ألا : حرفٌ يفتتَح به الكلام ، ومعناه التنبيه . وهُبِّي : معناه قومى من نومك ؛ يقال : هبَّ من نومه يهُبُّ هبًّا ، إذا انتبَه وقام من موضعه . والصَّحْن : القدَح الواسع الضخم . وقوله : فاصبحينا ، أى اسقينا الصَّبوح وهو شُرب الغَداة يقال : صَبَحهُ بالتخفيف صَبْحاً بالفتح . والأندَرين : قرية بالشام كثيرةُ الخمر ؛ وقيل : هو أندَر ، ثمَّ جمعه بما حوالَيه ؛ وقيل : هو أندَرون . وفيه لغتان ، منهم من يُعربه إعرابَ جمع المذكّر السالم ، ومنهم من يُلزمه الياء ويجعل الإعراب على النون ، وقال الزجّاج : يجوز مع هذا لزومُ الواو أيضاً . ٥١٨

وقوله : مشعشعة كأنّ الخ ، المشعشَعَة : الرقيقة من العَصْر أو من المِزاج ،

(١) وكذا فى اللسان (منى) . وروى فى شرح أشعار الهذليين ٧١٣ وديوان الهذليين ٣ : ٣٩ : « ما يمنى لك المانى » ، ووردت نسبته أيضا إلى سويد بن عامر المصطلق فى اللسان .

يقال: شَعْشِعْ كأسَك: أى صُبَّ فيها ماء ؛ منصوبٌ على أنّه مفعول اصبَحينا، أى اسقينا ممزوجةً ؛ وقيل : حالٌ من خمور ؛ وقيل بدل منها . والحُصُّ ، بضمّ المهملة : الوَرْس وهو نبت أصفر يكون باليمن ، وقيل هو الزعفران .
وقوله : سخينا قال أبو عمرو الشَيبانيّ : كانوا يسخّنون لها الماء فى الشتاء ثمّ يمزُجُونها به فهو على هذا حالٌ من الماء . وقيل : هو صفةُ موصوفٍ محذوف ، أى فاصبحينا شَراباً سخيناً . وفيه نظر . وقيل : سَخينا فِعْلٌ : أى جُدْنا ، يقال سَخِيَ يَسخَى ، من باب تعب ، والفاعل سخٍ ؛ وفيه لغتان أُخريان : إحداهما سخا يسْخو فهو ساخٍ من باب علا ، والثانية سخُوَ يسخُو مثل قرب يقرب سَخاوة فهو سخيّ . ويُروى : (شَحِيناً) بالشين المعجمة ، أى إذا خالطها الماء مملوءة به ، والشَّحْن : المَلء ، والفعل من باب نفع ، والشَحين بمعنى المشحون .

وقوله : تجور بذى اللُّبانة الخ ، من الَجور وهو العدول . واللُّبانة : الحاجة يَمدحُ الخمرَ ويقول: تَعدِل بصاحب الحاجة عن حاجته وهواه إذا ذاقها حتّى يَلين . أى هى تُنسى الهمومَ والحوائجَ أصحابَها ، فإذا شربوها لانُوا ونَسُوا أحزانَهم وحوائجهم .

وقوله : ترى اللَّحِز الخ ، اللَّحِز بفتح اللام وكسر المهملة وآخره زاى معجمة : الضيِّق البخيل ، وقيل : هو السيّئ الخلق اللئيمُ . وقوله : إذا أُمِرَّت عليه ، أى أُديرت الكأسُ عليه . والمعنى : أنّ الخمر إذا كثر دَورانُها عليه أهانَ مالَه وجاد بِهِ .

وقوله : صددتِ الكأسَ عنّا الخ ، أى صرفتِ الكأسَ عنّا إلى غيرنا . وهذا البيت من شواهد سيبويه(١) على أنّ قوله اليمينا نصب على الظرف .

(١) فى كتابه ١ : ١١٣ ، ٢٠١ .

وفيه أربعة أوجه : أحدُها أن يكون مَجراها بدلاً من الكأس وهو مصدر لا مكان واليمينَ ظرفُ خبر كانَ . الثانى : أنّ اليمين خبر كانَ ، لا ظرف ، لكنْ على حذف مضاف أى مَجرى اليمين . الثالث : مَجراها مبتدأ ، واليمينَ ظرفُ خبره ، والجملة خبر كانَ : الرابع : أن يُجعل المجرى مكاناً بدلاً من الكأس ، واليمين خبر كان ، لا ظرف . وأمّ عمرو ، منادى . قال ابن خلف : هى أمُّ الشاعر ، وكان هوَ جالساً مع أبيه وأبى أمّه ، وكانت تسقى أباها وزوجَها وتُعرِض عنه استصغاراً له ، فقال لها : إذا سقيتِ إنساناً كأساً اجعلى الكأسَ بعدَه للذى على يمينه حتّى ينقضى الدَّور ، ولا ينبغى أن تَحقِرينى ، فلست بشرِّ الثلاثة ! يعنى نفسَه وأباه وأباها ا هـ . وهذا بعيد .

قال شُرّاح المعلّقات : وبعضهم يَروى هذين البيتين لعَمْرو ابن أخت جَذيمة الأبرش(١) : وذلك أنّه لمّا وجده مالكٌ وعقيل(٢) فى البرّيّة ، وكانا يشربان ، وأمّ عمرو هذه تصدُّه عنه الكأس ، فلمّا قال هذا الشعر سَقَياه وحملاه إلى خاله جَذيمة . وله خبر طويل مشهور .

وقوله : (وإنّا سوف تدركنا) الخ ، معنى هذا البيت فى اتصاله بما قبلَه ، أنه لمّا قال لها هبِّي بصحنك ، حثّها على ذلك . والمعنى : فاصبَحينا من قبل حضور الأجَل ، فإنّ الموت مقدَّر لنا ونحن مقدَّرون له .

وهذه القصيدة أنشدَها عمرو بن كلثوم ، فى حَضرة الملكِ عمرو بن هند — وهو ابنُ المنذر — وهندٍ أمّه ، ارتجالاً ، يذكر فيها أيّام بنى تغلِبَ

(١) انظر رسالة الغفران ١٨١ — ١٨٢ والعمدة ٢ : ٢١٧ .

(٢) هما نديما جذيمة اللذان ضُرب المثل بهما فى امتداد الصحبة وطول المنادمة . ولما وجدا عمرًا بالبرية وكان قد استهوته الجن فيما زعموا . رداه إلى جذيمة ، فأثابهما فى ذلك بصحبته ، فلزماه أربعين عاما حتى ضرب الدهر بينهما . انظر ثمار القلوب ١٤٣

ويفتخر بهم . وأنشدَ أيضاً عند الملك يومئذٍ ، الحارثُ بنُ حِلِّزة قصيدتَه التى أولُها : ٥١٩

* آذنَتْنا ببينها اسْماء *

وتقدّمت حكايتها(١) . قال معاوية بنُ أبى سفيان : قصيدةُ عمرو بن كلثوم ، وقصيدةُ الحارث بن حِلِّزة ، من مفاخر العرب ، كانتا معلَّقتين بالكعبة دهراً .

قال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء(٢) : قصيدةُ عمرو بن كُلثُومٍ من جيِّد شِعر العرَب ، وإحدى السبع . ولشغف تغلِبَ بها قال بعضُ الشعراء :

أَلْهى بنى تغلِبٍ عن كلِّ مَكرُمةٍ   قصيدةٌ قالها عَمْرُو بن كُلثُومِ(٣)
يُفاخِرون بها مذْ كان أوَّلُهمْ   يا لَلرجال لِشعر غير مَسْئوم(٤)

وكان سبب هذه القصيدة ما رواه أبو عمرو الشيبانىّ ، قال : كانت بنو تغلب بن وائل من أشدِّ الناس فى الجاهليّة . وقالوا : لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلتْ بنو تغلبَ الناسَ . ويقال: جاء ناسٌ من بنى تغلِب إلى بكر بن وائل يستسقونهم ، فطردتهم بكرٌ ، للحقْد الذى كان بينهم ، فرجَعوا ، فمات منهم سبعون رجلاً عطشاً . ثم إنّ بنى تغلبَ اجتمعوا لحرب بكر بن وائل ، واستعدَّت لهم بكر ، حتّى إذا التقوا كَرِهوا الحربَ ، وخافوا أن تعود الحرب بينهم

(١) انظر الخزانة ١ : ٣٢٥ وما بعدها

(٢) الشعر والشعراء ١٨٨ .

(٣) سه فقط : « تكرمة » .

(٤) الشعر للموج التغلبى ، وهو قيس بن زمان بن سلمة بن قيس بن النعمان ، وهو ابن أخت القطامى . المؤتلف ١٨٧ ومعجم المرزبانى ٤٧٨ . وقصيدته بكاملها فى ديوان عمرو بن كلثوم ص ٢١ ، وفى الأغانى ٩ : ١٧٦ أن الشعر لبعض شعراء بكر بن وائل وانظر البيان ٤ : ٤١ .

كما كانت ، فدعا بعضُهم بعضاً إلى الصلح ، فتحاكموا إلى الملك عمرو بن هند ، فقال عمرو : ما كنتُ لِأحكمَ بينكما حتّي تأتونى بسبعين رُجلاً من أشراف بكر بن وائل ، فأجعلَهم فى وثاقٍ عندى ، فإن كان الحق لبنى تغلِبَ دفعتهم إليهم ، وإن لم يكن لهم حقٌ خلّيتُ سبيلَهم . ففعلوا ، وتواعدوا ليومٍ بعينه يجتمعون فيه . فجاءت تغلبُ فى ذلك اليوم يقودها عمرو بن كلثوم ، حتى جلس إلى الملك . وقال الحارث بن حِلِّزة لقومه ، وهو رئيس بكر بن وائل : إنِّى قد قلت قصيدةً فمن قام بها ظفر بحُجّته وفَلَج على خصمه ! فروّاها ناساً منهم ، فلمّا قاموا بين يديه لم يرضَهم ، فحين علم أنّه لا يقوم بها أحدٌ مقامَه قال لهم : والله إنِّى لأَكره أنْ آتىَ الملكَ فيكلّمَنى من وراء سبعة ستُور ، وينضحَ أثَرى بالماء إذا انصرفتُ عنه — وذلك لِبرص كان به — غير أنّى لا أرى أحداً يقوم بها مَقامى ، وأنا محتمل ذلك لكم . فانطلَق حتّى أتى الملك ؛ فلمّا نظر إليه عمرو بن كُلثوم قال للملك : أهذا يُناطِقنى وهو لا يُطيق صدرَ راحلته ؟! فأجابه الملك حتّي أفحمه . وأنشد الحارثُ قصيدتَه :

* آذنتنا ببينها أسماء *

وهو من وراء سبعة سُتور — وهند تسمع — فلمّا سمعتها قالت : تاللهِ ما رأيتُ كاليومِ قطُّ رجلاً يقول مثلَ هذا القولِ يُكلَّم من وراء سَبعة ستور ! فقال الملك : ارفعوا ستراً ! ودنا . فما زالت تقول ويُرفَع سِترٌ فستر ، حتّي صار مع الملك على مجلِسه ، ثمّ أطعمه فى جَفنته ، وأمر أن لا يُنضَح أثَره بالماء ، وجزَّ نواصىَ السَّبْعِينَ الذين كانوا فى يديه من بكر ، ودفعها إلى الحارث ، وأمره أن لا ينشد قصيدته إلاّ متوضِّياً . فلم تزل تلك النَّواصى فى بنى يشكر

بعد الحارث وهو [مِن[١]] ثعلبة بن غَنَم من بنى مالك بن ثعلبة . وأنشد قصيدتَه عمرُو بن كلثوم . هكذا نقل الخطيب التِبريزىّ عن أبى عمرو الشيبانىّ . وهذا مخالف لما نقلناه عنه عند ذكر معلَّقة الحارث بن حِلِّزة[٢] والله أعلم .

عمرو ابن كلثوم

وعمرو صاحب هذه المعلَّقة هو عمرو بن كُلثومِ بن مالك بن عتّاب بن سعد ابن زُهير بن جُشَم بنِ بكر بن حُبَيِّب بن عمرو بن غَنْم بن تغلِب بن وائل .

قال أبو عبيد البكرىُّ ، فى شرح نوادر القالىّ[٣] ، عمرو بن كلثوم شاعرٌ فارس جاهلىّ ، وهو أحد فُتّاك العرَب ، وهو الذى فتك بعمرو بن هند . ٥٢٠ وكنيته أبو الأسود . وأخوه مُرَّة هو الذى قتل المنذرَ بنَ النُعمان . وأمُّه أسماء بنتُ مهلهِل بن ربيعة . ولما تزوّج مهلهِلٌ هنداً بنت عتيبة[٤] ، ولدت له جارية ، فقال لأمِّها : اقتُليها وغيِّبيها ! فلمّا نام هتَف به هاتفٌ يقول :

كم مِنْ فتى مؤمَّلْ وسيِّدٍ شمردَلْ
وعددٍ لا يُجهَلْ فى بطنِ بنت مهلهِلْ

فاستيقظ ، فقال : أين بنتى ؟ فقالت : قتلتُها . فقال : لا ، وإلٰهِ ربيعة ! وكان أوّلَ من حلف بها . ثم ربّاها وسمّاها أسماء ، وقيل ليلى . وتزوّجها كلثومُ بن مالك . فلمّا حملت بعمرٍو أتاها آتٍ فى المنام فقال :

يا لَكِ ، لَيْلَى ، مِن وَلَدْ يُقدِم إقدامَ الأسدْ

(١) ط : « وهو ثعلبة » ، والتكملة من ش وشرح التبريزى للقصائد العشر . على أن الذى من ثعلبة بن غنم ليس الحارث ، بل هو النعمان بن هرم زعيم بكر فى ذلك اليوم . انظر مقدمة التبريزى على كل من معلقة عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة .
(٢) الخزانة ١ : ص ٣٢٥
(٣) سمط اللآلىء ٦٣٥ .
(٤) فى السمط : « هند بنت نعج بن عتبة » .

مِن جُشَمٍ فيه العَدَدْ أقول قولاً لا فنَد[١]

فلما ولدت عَمراً أتاها ذلك الآتى فقال :

أنا زعيمٌ لكِ ، أمَّ عمرِو بماجدِ الَجدِّ كَريم النَّجْرِ[٢]

أشجعَ من ذى لِبَدٍ هِزَبْرِ وَقّاصِ أقرانٍ شديدِ الأسْرِ

يَسودُهم فى خمسةٍ وعشرِ

وكان كما قال ، سادهم وهو ابنُ خمسَ عشرةَ سَنَة . ومات وهو ابن مائة وخمسين سنة اه .

وقال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[٣] ؛ عمرو بن كلثوم جاهلىٌّ قديم ، وهو قاتلُ عمرو بن هند الملك . . وكان سبب ذلك أنّ عمرو بن هند قال ذاتَ يومٍ : هل تعلَمون أحداً من العرب تَأنف أمُّه من خدمة أمّى ؟ قالوا : لا نَعلمها ، إلاّ ليلى أمَّ عمرو بن كلثوم ! قال : ولِمَ ذلك ؟ قالوا : لأنّ أباها مهلهلُ بن ربيعة ، وعمَّها كليبُ وائل أعزُّ العرب ، وبعلَها كلثومُ بن مالك فارسُ العرب ، وابنَها عمرو بن كلثوم سيِّد من هو منه ! فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره[٤] ويسأله أن يُزير أمَّه أمَّه . فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة فى جماعةٍ من بنى تغلب ، وأقبلت ليلى فى ظُعُنٍ من بنى تغلِب ؛ وأمر[٥] عمرُو بن هند برِواقه فضُرب ما بين الحِيرة والفرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته ، فحضروا . ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ، ودخلت ليلى بنت مهلهِل

---

(١) الفند : الكذب . فى النسختين : « لانفد » وصححها الشنقيطى فى نسخته ، مطابقا مافى السمط .

(٢) النجر : الأصل والأرومة . ط : « النحر » صوابه فى ش والسمط .

(٣) الشعراء ١٨٥ — ١٨٨ .

(٤) ط : « ليستزيره » وأثبت مافى ش والشعراء .

(٥) ط : « وأم » صوابه فى ش والشعراء .

على هندٍ قُبَّتَها — وهند أمّ عمرو بن هند عمّة امرئ القيس الشاعر ، وليلى بنتُ مهلهل هي بنت أخي فاطمة بنت ربيعة أمِّ امرئ القيس — فدعا عمرو ابن هند بمائدةٍ فنصبها ثمّ دعا بالطُّرَف . فقالت هند : يا لَيلى ، ناوِليني ذلك الطبَقَ ! فقالت : لتقمْ صاحبةُ الحاجة إلى حاجتها ! فأعادت عليها . فلمّا ألحّت صاحت ليلى : واذُلّاه ! يا لَتغلِب ! فسمعها ابنُها عمرو بن كلثوم ، فثار الدمُ في وجهه ، فقام إلى سيفٍ لعمرو بن هند معلّقٍ بالرِواق — وليس هناك سيفٌ غيره — فضرب به رأسَ عمرو بن هند حتّى قتله ، ونادى في بني تغلبَ فانتهبوا جميعَ ما في الرِواق ، واستاقوا نجائبَه ، وساروا نحو الجزيرة . . . وابنه عتّاب بن عمرو بن كلثوم قاتِلُ بِشر بن عمرو بن عُدس . وأخوه مُرّة ابن كلثوم قاتِلُ المنذرِ بن النعمان بن المنذر . ولذلك قال الأخطَل : ٥٢١

أبَني كُليبٍ ، إنّ عَمَّيَّ اللذا قَتَلا الملوكَ وفَكَّكا الأغلالا

والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد المائة (١) :

١٨٩ (كأنَّه خارجاً مِنْ جنب صَفْحَتِه سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِندَ مُفْتَأَدِ)

على أنّ (خارجاً) حالٌ من الفاعل المعنويّ وهو الهاء . لأنّ المعنى يشبه خارجاً . وقد بيّنه الشارح المحقّق .

وعامل الحال ما في كأنّ من معنى الفعل ؛ قال أبو عليّ الفارسيّ في الإيضاح الشعريّ ـ وقد أورَد هذا البيتَ في باب الحروف التي تتضمّن معنى الفعل ـ :

(١) انظر الخصائص ٢ : ٢٧٥ وأمالي ابن الشجري ١ : ١٥٦ / ٢ : ٢٧٧ وديوان النابغة ٢٠ .

العامل فى خارجاً ما فى كأنّ من معنى الفعل . فإن قلتَ : لمَ لا يكون العاملُ ما فى الكلام من معنى التشبيه ، دونَ ما ذكرتَ ممّا فى كأنّ من معنى الفعل ؟ فالقول أن معنى التشبيه لا يمتنع انتصابُ الحال عنه ، نحو : زيد كعمرو مقبلاً ؛ إلاّ أنّ إعمالَ ذلك فى البيت لا يستقيم ، لتقدُّم الحال ، وهى لا تتقدَّم على ما يعمَل فيها من المعانى .

والهاء فى (كأنّه) عائدة على المِدرَى المرادِ به قَرْنُ الثور . والضمير فى (صفحته) راجعٌ إلى ضُمْران وهو اسم كلب . و (السُّفُّود) خبر كأنّ ، بفتح السين وتشديد الفاء المضمومة ، وهى الحديدة التى يُشوى بها الكَباب . و(الشَّرْب) بالفتح : جمع شارب . ونَسُوه أى تركوه حتّى نضِج ما فيه . شبّه قرنَ الثور النافذَ فى الكلب بسَفُّودٍ فيه شِواء . والمفتأَد ، بفتح الهمزة قبل الدال : المشْتَوى(١) والمَطْبَخ ؛ وهو محلُّ الفَأْد بسكون الهمزة ، وهو الطبخ والنضج ، سواء كان فى قِدر أو شواء(٢) . والمفتئِد ، بكسر الهمزة : اسمُ فاعل ، وهو الذى يعمل المَلّة ؟ والفئيد ، على فَعيل : كلُّ نار يُشوى عليها .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة للنابغة الذُّبيانىّ ، يمدح بها النُّعمانَ بنَ المنذر ، ويعتذر إليه فيها ممّا بلغه عنه . وقد بيّنّا سببَ اعتذاره فى ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة(٣) .

وهذه القصيدة أضافها أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوىّ(٤)

---

(١) ط : « المستوى » صوابه فى ش وشرح التبريزى للقصائد ،

(٢) ط : « قدراً أو إشواء » . والقدر بالفتح مصدر قدر بمعنى طبخ . والإشواء : مصدر أشوى بمعنى شوى كما فى المصباح

(٣) الخزانة ٢ : ص ١٣٠ وما بعدها

(٤) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى النحوى ، المعروف بابن النحاس ، المتوفى سنة ٣٣٨ . وشرحه للمعلقات السبع منه نسخ بدار الكتب المصرية .

إلى المعلّقات السبع ، لجودتها . وقد أورد الشارحُ المحقّق فى شرحه عدّةَ أبيات منها . وقبل هذا البيت :

أبيات الشاهد

(كأنّ رَحْلى ، وقد زال النهارُ بنا ... بذى الجُلَيل ، على مُستأنس وَحَدِ[(١)]

من وحشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أكارعُه ... طاوِى المَصيرِ كسَيف الصَّيْقَل الفَرَدِ

سَرَتْ عليه من الجَوزاءِ ساريةٌ ... تُزجى الشَمالُ عليه جامدَ البَرَدِ

فارتاعَ مِن صَوت كَلّابٍ فباتَ له ... طوعُ الشوامتِ مِن خَوفٍ ومن صَرَدِ

فبثّهنّ عليه واستمرّ به ... صُمْعُ الكعوب بريئاتٍ من الحَرَدِ

فهابَ ضُمْرانُ منه حيث يُوزِعُه ... طَعْنَ المُعارِكِ عند المُحْجَرِ النَجِدِ

شَكَّ الفريصةَ بالمِدرَى فأنفذَها ... شكَّ المبيطِر إذْ يَشفِى من العَضَدِ

كأنّه ، خارجاً من جَنبِ صَفحتِه ... سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوه عند مُفْتَأَدِ

فظَلَّ يَعجُمُ أعْلى الرَّوقِ منقبضاً ... فى حالكِ اللون صَدْقٍ غيرِ ذى أوَدِ

لما رأى واشقٌ إقعاصَ صاحبه ... ولا سبيلَ إلى عَقْلٍ ولا قَوَدِ ٥٢٢

قالت له النفسُ : إنّى لا أرى طَمَعاً ... وإنّ مَولاكَ لم يَسْلَمْ ولم يَصِدِ

فتلكَ تُبلِغُنى النُعمانَ ، إنّ له ... فضلاً علَى الناسِ فى الأدنَى وفى البَعَدِ

الرحل : الناقة . وزال النهار : أى انتصف ، وهو من الزّوال . وبنا : الباء بمعنى على . والجُليل ، بضمّ الجيم[(٢)] : الثُمام ، وهو موضع ، أى بموضعٍ فيه هذا النبت . وهذا النَّبتُ لا تأكله الدوابّ . والمستأنِس : الناظر بعينيه .

---

(١) الجليل ضبطها البغدادى بالضم ، كما أثبت . والمعروف فتح الجيم ، كما فى اللسان . قال : « واد لبنى تميم ينبت الجليل وهو الثمام » . وفى معجم البلدان حيث ضبطه بالفتح أيضا : وذو الجليل : واد قرب مكة » . وأنشد عجز البيت .

(٢) (انظر التعليق السابق ، ولم أجد من ضبطه بالضم ، فلعلها محرفة عن الجليل « بفتح الجيم » .

ورُوى : (مستوجِس) وهو الذى قد أوجَس فى نفسه الفزع ، فهو ينظر . والوَحَد ، بفتحتين : الوحيد المنفرد ، وهو صاحبها : وعلى بمعنى مع . وجملة وقد زال النهار الخ ، حال . وهذه الأمور مما يوجب الإسراعَ ؛ فإنّ المسافر فى فَلَاةٍ يجدّ فى السير بعد الزوال ليصل إلى منزلٍ يجد فيه رفيقاً وعَلَفاً لدابته .

وقوله : من وحش ، شبَّه ناقته بثور وحشيّ موصوفٍ بهذه الصفات الآتية . وخصّ وحشَ وَجْرة لأنّها فلاةٌ بين مَرَّان وذات عِرْق ، ستُون ميلاً ؛ والوحش يكثر فيها ، ويقال إنّها قليلة الشرب فيها(١) . والمَوْشِيّ ، بفتح الميم : اسمُ مفعول من وشَيت الثوب أشيه وَشْياً وشِيةً : أى لوَّنته ألواناً مختلفة . وأراد به الثورَ الوحشيّ ، فإنّه أبيضُ ، وفى أكارعه أى قوائمه نُقَط سُود ، وفى وجهه سُفْعة . ومَوشِيّ بالجرّ صفة وحش ، وأكارعُه فاعله . وطاوى المَصير أى ضامره ؛ والمصير المِعَى ، وجمعه مُصْران ، وجمع مُصران مَصارين . وقوله : كسيف الصَّيقَل ، أى يلمع . والفَرد ، بكسر الراء وفتحها وسكونها : الثور المنفرد عن أُنثاه ، وكذلك الفارد والفريد .

وقوله : سَرَتْ عليه الخ ، السارية : السحابة التى تأتى ليلاً . ومعنى سرتْ عليه الخ ، أى مُطِر بنَوءِ الجوزاء . وتُزجى ، مصدرُه الإزجاء بالزاى والجيم ، وهو السَوق . والشَمال فاعله ، وهى ريحٌ معروفة . وجامدَ البرد : مفعوله : أى ما صلُب من البَرَد .

وقوله : فارتاعَ من صَوت الخ ، أى فزع الثورُ وخاف . والكَلَّاب ، بالفتح : الصَّيَّاد صاحب الكِلاب . وله : أى للكلَّاب . والفاء فى قوله : فبات ، عاطفة . وطَوعُ مرفوع ببِبات. والمعنى عند الأصمعىّ : فبات للكَلَّاب

(١) انظر شرح التبريزى . وفى شرح الوزير أبى بكر زيادة توضيح .

ما أطاعَ شوامتَه ، من الخوف والصَّرَد . وعند أبى عُبيدة : فبات له ما يسرُّ الشوامت . ورُوى (طَوعَ) بالنصب ، فمرفوع بات ضميرُ الكَلاّب ، وله أى لأجل الثور ، والشوامت : القوائم[1] ، جمع شامتة . أى فبات قائماً بين خوف وصَرَدَ — وهو مصدر صَرِد من باب فرح : إذا وجد البَرْد .

وقوله : فبثَّهنَّ عليه الخ ، بثّ : فرّق ، وفاعله ضمير الكَلاَّب ، وضمير المؤنّث المجموعُ للكِلاَب المفهومةِ من الكَلاَّب ، وضمير عليه للثور ؛ وكذلك ضمير به . وأراد بصُمْعِ الكعوبِ قوائمَ الكلاب ، والصُمْع : الضوامر الخفِيَّة ، الواحدة صَمْعاء . والكُعوب : جمع كَعْب ، وهو المفصِل من العِظَام . قال أبو الفرج الأصبهانىّ فى الأغانى : يعنى بصُمع الكعوب أنّ قوائمه لازقة محدَّدة الأطراف مُلْسٌ ليست بهزيلات[2] . وأصل الصَّمَع دقّةُ الشىء ولطافته[3] . وبريئاتٍ حالٌ من الكعوب . والحَرَد ، بفتح المهملتين : أراد به العَيْب ، وأصله استرخاء عَصَبٍ فى يد البعير من شِدَّة العِقال ، وربما كان خِلقةً ؛ وإذا كان به نَفَضَ يديه وضرب بهما الأرضَ ضرباً شديداً .

وقوله : فهاب ضُمرانَ ، هو بضمّ الضاد المعجمة : اسم كلب . منه أى من الثور . وروى الأصمعىّ وأبو عبيدة (فكانَ ضُمْرانُ مِنه) . ويُوزِعه : يُغريه . فى الصحاح : أوزعته بالشىء فأُوزِعَ به ، فهو موزَع به ، أى مُغرًى به . أى كان الكلب من الثور حيثُ أمره الكَلاّب أن يكون . وطعن ٥٢٣

(١) انوزير أبو بكر : من نصب أراد بالشوامت القوائم . ومثله للتبريزى . وليس ما يمنع أن يراد بالشوامت من يشمت من الأعداء .

(٢) جعلها الشنقيطى « برهيلات » .

(٣) إلى هنا عبارة أبى الفرج فى الأغانى ٩ : ١٦٧ وفيها بدل « هزيلات » « وهلات » ، وبدل « دقة » « رقة » وليس فيها كلمة « ملس » وانظر شرح الوزير.

المُعارِك ، بالنصب ، أراد : يطعُن طعناً مثلَ طعن المُعارك . ورُوى (ضَرْبَ المُعَارِك) وهو مثله . والمعارِك : اسم فاعل بمعنى المقاتل . والمُجْحَر : اسمُ مفعول من أجحرته ، بتقديم الجيم على المهملة ، أى ألجأته إلى أن دخل جُحْره فانجحر . و (النَّجُد) يُرْوَى بفتح النون وضمّ الجيم ، بمعنى الشجاع ، من النَّجدة وهي الشجاعة ، يقال نَجُد الرجل بالضمّ ، فهو وصف للمُعارِك . ورُوى (النَّجِد) بفتح النون وكسر الجيم ، وهو إمّا بمعنى الشجاع ، فإنّ الوصف من النجْدة جاء بضمّ الجيم وكسرها ، وإمّا وصفٌ من نجِد الرجلُ من باب فرح أى عرِق من عمل أو كَرْب وشدّة ، واسم العَرَق النَّجَد بفتحتين ، ومنه قوله فى هذه القصيدة : « بعد الأين والنَّجَد » . وقد نُجِد يُنْجَد بالبناء للمفعول نَجَدا بفتحتين ، أى كُرِب ، فهو منجود ونجيد أى مكروب . وعلى هذا فهو وصف المجحَر . ورُوى أيضاً (النَّجَد) بفتحتين ، فهو على حذف مضاف ، أى ذى النَجَد . وروى أبو عبيدة : (حيثُ يوزعه طَعْنُ) بالرفع ، وقال : رفَع ضُمران بكانَ وجعل الخبر فى منْه ، أى كانَ الكلبُ من الثور كأنّه قطعة منه ، فى قُرْبه . وارتفع الطعنُ بيوزِعُه . وقال : سمعتُ يونس ابنَ حبيب يجيب بهذا الجواب فى هذا البيت .

وقوله : شكّ الفَريصةَ الخ ، فاعل شكّ ضميرُ الثَور . والفَريصة : اللَّحمة بين الجَنْب والكتِف ، التى لا تزال تُرعَد من الدابّة ، وهى مَقتَل . وأراد بالمِدْرَى قرنَ الثَور : أى شكّ الثورُ بقرنه فريصةَ الكلْب . وشكّ منصوبُ على المصدر التشبيهىّ ، أى شكّا مثلَ شكّ المبيطِر وهو البَيطار . ويَشفى : يُداوى ليحصُلَ الشفاء . والعَضَد ، بفتحتين : داء يأخذ الإبل فى أعضادها[1] فيُبَط[2] تقول منه : عضِد البعيرُ من باب فرح .

(١) ط : « أعضائها » ، صوابه فى ش والتبريزى والأغانى والوزير .
(٢) بط الجرح يبطه بطا : شقه . والمبطة : المبضع .

وقوله : (كأنَّه خارجاً الخ) أى كأنَّ القَرْن فى حال خُروجه سَفُّودٌ . ومثلُه قول أبى ذؤيب الهُذلىّ :

فكأنَّ سَفُّودَينِ لمَّا يُقتِرا عَجِلا له بِشواءِ شَرْبٍ ينزَعُ

أى فكأنَّ سفودين لم يقترا بِشواءِ شَرْبٍ ، يُنزَع ، أى هما جَديدان(١) . شبّه قرنَيه بالسفُّودين . وقوله : عَجِلا له ، أى للثور بالطعن الواقع بالكلاب

وقوله : فظل يعجُم الخ ، عجمَه يعجُمه : إذا مضغَه . والرَّوق بالفتح : القَرْن . والحالك : الشديد السواد . والصَّدْق بالفتح ، هو الصُلْب بالضم . والأَوَد ، بفتحتين : العوَج ، أى ظلّ الكلب يمضُغ أعلى القَرْن لمّا خرج من جَنْبيه ، فى حالك ، يعنى القرن فى شدّة سواده . أى تقبّض واجتمع فى القَرن لِماَ يجدُ من الوجع ؛ كما تقول : صلّى فى ثيابه . قال ابن قُتيبة فى أبيات المعانى(٢) — وقد شرح أبياتاً خمسة إلى هنا — : من عادة الشعراء إذا كان الشعرُ مديحاً وقال : كأنّ ناقتي بقرةٌ أو ثورٌ أن تكون الكلابُ هى المقتولة . فإذا كان الشعرُ موعظةً ومرثيةَ أن تكون الكلابُ هى التى تقتُلُ الثورَ والبقرة : ليس على أنّ ذلك حكايةُ قصَّةٍ بعينها .

وقوله : لمّا رأى واشقٌ إقعاصَ الخ ، واشقٌ : اسم كلب . والإقعاص : الموت السريع ، يقال رماه فأقعصَه : إذا قتله ، وأصله من القُعاص بالضمّ وهو ٥٢٤ داء يأخذ الغنم فتموت سريعاً . والعقل : إعطاء الديَة . يقول : قُتِل صاحبُه فلم يعقل به ولم يُقَدْ به(٣) .

(١) فى النسختين : « حديدان » تصحيف . وفى شرح المفضليات للأنبارى ٨٧٤ : « لما يُقتِرا » : جديدان لم يستعملا : أو « لما يَقتُرا » يبردا ، هما حارّان .

(٢) المعانى الكبير ٢٢٤ .

(٣) ش : « ولم يفديه » ط : « ولم يفده » صوابهما من شرح الوزير أبى بكر ٢١ .

وقوله : قالت له النفس الخ ، هذا تمثيل ، أى حدّثته نفسُه بهذا ، أى باليأس منه . والمولى : الناصر والصاحب ، وهو هنا الكلب . لم يسلم من الموت ولم يَصِدِ الثور . وقيل : للمولى صاحبُ الكلاب ، لم يسلم من الضرر لأنّ كلبه قتل . وقوله : فتلك تبلغنى النُّعمان الخ ، أى تلك الناقةُ التى تشبه هذا الثورَ تُبلِغنى النعمانَ . وقوله : فى الأدنى الخ ، البعَد بفتحتين قيل : إنّه مصدر ، ويستوى فيه لفظُ الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث ، وقيل : إنّه جمع باعدٍ مثل خادم وخَدَم ؛ وعلى هذا اقتصر صاحب الصحاح وأنشَدَ البيت ، أى فى القريب والبعيد . وروى ابنُ الأعرابىّ (وفى البُعُد) بضمّتين ، وهو جمع بعيد . وروى أبو زيد (وفى البُعَد) بضمّ ففتح ، وهو جمع بُعدَى مثل دُنَى جمع دنيا ، وسُفَل جمع سُفْلَى .

وقد لخّصتُ شرحَ هذه الأبيات ، مع إيضاح وزيادات ، من شرح ديوان النابغة ومن شرح القصيدةِ للخطيب التبريزىّ ومن أبيات المعانى لابن قتيبة . ولله الحمد .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] :

١٩٠ (فأرسَلَها العِراكَ ولم يَذُدْها ولم يُشْفِقْ على نَغَص الدِخالِ)

على أن المصدر المعرَّف باللام قد يقع حالاً كما فى البيت : فإنّ العراك مصدرُ عاركَ يعارِكُ معاركةً وعِراكاً ، يقال أورَدَ إبلَه العراكَ : إذا أوردها جميعاً الماء ، كما فى قولهم : اعتركَ القومُ : أى ازدحَمُوا فى المعركة .

(١) فى كتابه ١ : ١٨٧ . وانظر ديوان لبيد ٨٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٦٤ وابن يعيش ٢ : ٦٢ / ٤ : ٥٥ والإنصاف ٨٢٢ والعينى ٣ : ٢١٩ والهمع ١ : ٢٣٩ والتصريح ١ : ٣٧٣ .

وفيه مذاهب : الأولُ مذهب سيبويه : أنّه مصدر وقع حالاً . الثانى مذهبُ أبى علىّ الفارسىّ . وبيَّنهما الشارح المحقِّق . الثالث مذهب ابنِ الطَّرَاوة ، وهو أنّ العراكَ نعتُ مصدرٍ محذوف ، وليس بمحال ، أى فأرسلها الإرسالَ العِراك .

وزعم ثعلبُ أنّ الرواية : (وأوردَها العِراك) وأنّ العراكَ مفعولُ ثانٍ لأوردَها . وأمّا قولهم : أرسلها العراك ، فهو عند الكوفيِّين مضمّن أرسلها معنى أوردها ، فهو مفعول ثان لأوردَها . و (الإرسال) : بمعنى التخليةَ والإطلاق ، وفاعلُه ضمير الحمار ، وضميرُ المؤنَّث لأتنِه وهى جمع أتانةَ [1] . و (الذَّود) : الطرد . و (لم يشفق) أى الحمار ، من أشفق عليه : إذا رحمه . و (النَّغَص) بفتح النون والغين المعجمة وإهمال الصاد : مصدر ، فى الصحاح : نغِصَ الرجُل بالكسر ينغَص نغَصاً : إذا لم يتمّ مُراده ، وكذلك البعير : إذا لم يتمّ شربه . وأنشدَ هذا البيت . ورُوى (نغْض) بالضاد المعجمة أيضاً ، لكنّه بسكون الغين ، وهو التحرُّك وإمالة الرأس نحوَ الشىء ؛ يريد أنّها تُميل أعناقَها إلى الماء بشدّة وتعب . قال السيرافىّ : يريد أنّ بعضها يزحَم بعضاً ، حتّى لا يقدر أن يتحرّك لشدّة الازدحام ؛ فهو واقف مزحوم ، لا يقدر أنْ يشرب ، ولا يتمكن من الحركة . و (الدِّخال) بكسر الدال : أن يُداخَل بعيرٌ قد شرب مرّةً فى الإبل التى لم تشرب حتّى يشربَ معها ، إذا كان كريمًا أو شديدَ العطش أو ضعيفاً . وقال الأعلم : الدِّخال : أن يُدخَل القوىّ بين ضعيفين أو الضعيفُ بين قويَّين فيتنغّص عليه شربه .

وهذا البيت من قصيدة للَبيدِ بن رَبيعة الصحابىّ ، وصفَ به حُمُرَ وحْش

---

(١) فى القاموس أن الأتانة قليلة ، والأكثر الأتان بدون هاء . وكلمة « جمع » ساقطة من ش .

تعدو إلى الماء . يقول : أورد العَير أتُنه الماء دَفعةً واحدة ، مزدحِمة ، ولم يشفق على بعضها أنْ يتنغّص عند الشرب ، ولم يُذدْها لأنّه يخاف الصيّاد . بخلاف الرِعاء الذين يدبِّرون أمرَ الإبل ، فإنّهم إذا أوردوا الإبلَ جعلوها قطعاً قِطعا ، حتّي ترَوى . وقبله : ٥٢٥

أبيات الشاهد

(رَفعْنَ سُرادِقاً فى يومِ ريحٍ يُصفَّق بين مَيل واعتدالِ)

أراد بالسُّرادق الغُبار . ويصفّق : يردَّد ، تارة مائلاً وتارة مستوياً . والنون ضمير الأُتُن . ورأيتُ فى ديوانه : (فأوردَها العِراكَ) . وفاعله ضمير العير . وهذه القصيدة مطلعها :

(ألم تُلمِمْ على الدِّمَنِ الخوالى لسلمَى بالمَذَانبِ فالقُفالِ)

وترجمة لَبيد تقدمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

١٩١ (جاءوا قَضّهُمْ بقَضيضهِمْ)

هذا مأخوذٌ من بيتٍ أورده سيبويه .

(أتتنى سُلَيمٌ قضَّها بقَضِيضِها تمسّح حَولى بالبَقيع سِبالَهَا)

أنشده على أنّ قضّهم مصدرٌ وقع حالاً . وبيّنه الشارح المحقّق بما لا مزيد عليه . وقال الأعلم : معنى قضّها بقضيضها : منقضّا آخرُهم على أوّلهم ؛ وأصل

(١) الخزانة ٢ : ص ٢٤٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ١٨٨ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٦٣ والأغانى ٨ : ١٠٠ وديوان الشماخ ٢٠ .

القضّ الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الانقضاض ، كقولهم : عُقاب كاسرة ، أى منقضّة انتهى . والكسر : الوقوع على الشىء بسرعة .

وهذا البيت للشّماخ . وبعدَه :

(يقولون لى: يا، احلفْ ولستُ بحالفٍ ، أُخادِعُهمْ عنها لـكيما أنالهَا
ففرّجتُ غَمّ النفس عنى بحَلْفةٍ كما قدّت الشّقْراء عنها جِلالهَا

فقوله : أتتنى سُلَيم ، بالتصغير ، ورُوى بدله (تميم) وهما قبيلتان . والسِّبال جمع سَبَلة وهى مُقدَّم اللحية . أراد أنّهم يمسحون لحاهم وهم يتهدّدونه ويتوعّدونه . وقال الأعلم : يمسّحون لحاهم تأهُّباً للكلام . والبَقيع : موضعٌ بمدينة الرسول ﷺ .

وقوله : يقولون لى يا احلف ، أى يا رجلُ احلِفْ ، أو يا للتنبيه . وقوله : أخادعهم عنها ، أى عن الحَلفة التى طالَبونى أن أحلِف بها ، فأقول لهم لا أحلف ، وأُظهِرُ أنّ الحلف يشقّ علىّ ، حتّى يلحوا فى استحلافى ، فإذا استحلفونى انقطعت الخصومة بيننا . وقوله : لـكيما أنالها ، أى أنال الحَلفَة واليمين . ومثله قول بعضهم :

سألونى اليمينَ فارتعْتُ منها ليُغَرُّوا بذلك الإنخداعِ
ثمّ أرسلتُها كمنحدَرِ السيـــلِ تعالَى من المكان اليَفاع

ومثله لابن الرومىّ :

وإنّى لذو حَلِفٍ كاذبٍ إذا ما اضطُرِرْتُ وفى الحال ضِيقُ
وهل من جُناحٍ على مُسلِمٍ يدافِع بالله ما لا يطيقُ(١) !

(١) طراز المجالس ١٢٩ وشرح المقامات للشريشى ١ : ٩٩ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٣١ وسمط اللآلى ١٨٨ .

وقَدّ بمعنى شقّ وقطع طولاً . يريد : كشفت هذا الغمّ عنّي باليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرَها بشَقٍّ جُلِّها عنه .

وسبب هذه الأبيات ، على ما روى محمّد بن سلام[١] ، قال : كانت عند الشمّاخ امرأةٌ من بنى سُليم ، فنازعته وادّعت عليه طلاقاً ، فحضر معها قومُها فأعانوها . فاختصموا إلى كَثِير[٢] بن الصَّلْت — وكان عثمانُ بن عفّان ٥٢٦
رضى الله عنه قد أقعده للنظر بين الناس — فرأى كَثِير أنّ لم عليه يميناً ، فالتوى الشمّاخ باليمين يحرّضهم عليها ، ثمّ حلَف . وقال هذه الأبيات .

وعن القاسم بن معن[٣] قال : كان للشمّاخ امرأةٌ من بنى سُليم ، فأساء إليها وضربَها وكسر يدَها ، ثمّ لما دخل المدينةَ فى بعض حوائجه ، تعلّقت به بنو سُليم يطلبون بظُلامة صاحِبَتهم ، فأنكر ، فقالوا له : احلِف ! فجعل يُغلِظ أمرَ اليمين وشِدّتَها عليه ، ليرضَوا بها منه ، حتّى رَضُوا . فحلَف ، وقال :

(ألا أصبحتْ عِرسى من البيت جامحاً بخَير بلاء ، أىُّ أمرٍ بدا لَها
على خيْرةٍ كانت ، أم العِرسُ جامحٌ ، فكيفَ وقد سقنا إلى الحىّ مالَها
ستَرجعُ غضبَى نَزْرة الحظُّ عندَنا كما قطعتْ عنّا بليلٍ وِصالَها
أتتنى سُليم قضها بقضيضها . . . . الأبيات الثلاثة)

وقيل : سببها أنّه هجا قوماً فاستحلفوه ، فحلَف وتخلّص منهم .

ترجمة الشماخ

والشمّاخ اسمه مَعقِل بن ضِرار الغطَفانىّ . وهو مُخضرم : أدرك الجاهليّة والإسلام . وله صُحبة . وجعله الجُمحىّ فى الطبقة الثالثة[٤] من شعراء الإسلام ،

(١) طبقات ابن سلام ١١٢ .
(٢) ط : « بشر » صوابه فى ش وابن سلام والأغانى ٨ : ٩٩ نقلاً عن ابن سلام .
(٣) الخبر عن الأغانى ٨ : ١٠٠ .
(٤) فى النسختين « الثانية » صوابه من الطبقات . وانظر الطبقات ص ١٠٣ .

وقرنَه بالنابغة الجعدىّ ولَبيد وأبى ذؤيب الهذلى . وقال : إنّه كان شديدَ مُتونِ الشعر ، وأشدَّ كلاماً من لبيد[١] ، وفيه كَزازة ، ولَبيدٌ أسهلُ منه منطقا[٢] .

وقال الحُطَيئة فى وصيّته : أبلِغوا الشمّاخَ أنّه أشعَرُ غطفان . وهو أوصف الناس للحَمير ، يروى أنّ الوليدَ بن عبد الملك أُنشِد شيئاً من شعره فى وصف الحمير فقال : ما أوصَفَه لها ! إنّى لأحسَب أنّ أحدَ أبويه كان حَمّاراً ! وكان الشمّاخ يهجو قومَه وضيفَه ويمنُّ عليهم بقِراه . وهو أوصَف الناسِ للقوس ، وأرجزُ الناس على البديهة ، وشهد الشمّاخ وقعة القادسيّة . قال المرزبانىّ : وتوفى فى غزوة مُوقَان فى زمن عثمانَ بن عفّان رضى الله عنه .

قال ابن قُتيبة ، فى كتاب الشعراء[٣] : أمّ الشمّاخ مِن وَلَد الُخرْشُب ، وفاطمة بنت الخرشب أمّ ربيع بن زياد وإخوته العبسيِّين الذين يقال لهم : الـكَمَلة[٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد المائة ، قولَ المتنبّي[٥] :

١٩٢ (وقَبَّلْتنى على خوفٍ فماً لِفَمِ)

وصدره :

قبّلتُها ودُموعى مَزْجُ أدمعِها

(١) كذا فى الأغانى عن ابن سلام . والذى فى الطبقات : « أشد أسر كلام من لبيد » .
(٢) انتهى كلام ابن سلام .
(٣) الشعراء ٢٧٥ .
(٤) انظر الكامل ١٣٠ وجمهرة ابن حزم ٢٥٠ .
(٥) ديوان المتنبي ٢ : ٣٠٢ .

على أنّ قوله : (فماً) حالٌ ، وصاحبُ الحال ضمير قبّلتني المستتر ، أي جاعلةً فاها على فيّ .

أبيات الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ قالها في صباه ، مطلعُها :

(ضَيفُ أَلمَّ برأسي غير محتشِمِ والسَّيفُ أحسنُ فِعلاً منه باللِّمَمِ
إِبْعَدْ ، بعِدْتَ بياضاً لا بياضَ له لَأَنتَ أسودُ في عيني مِن الظُّلَمِ
بحبِّ قاتلتي والشيب تغذيتي : هوايَ طفلاً ، وشيبي بالغَ الحُلُمِ
فما أمرُّ برسمٍ لا أسائِلُه ولا بذاتِ خِمارٍ لا تُريقُ دَمي
تنفَّستْ عن وفاءٍ غير منْصَدِعٍ ، يومَ الرحيلِ ، وشَعبٍ غيرِ ملتئمِ
قبّلتُها ودُموعي مَزْجُ أدمعِها وقبّلتني ، على خوف ، فماً لفمِ
٥٢٧ فذُقتُ ماءَ حياةٍ من مُقبَّلِها لوصابَ تُرباً لأحيا سالفَ الأُمَمِ)

قوله : ضيفُ أَلمَّ برأسي الخ ، عنَى بالضيف الشيب . والمحتشِم : المنقبض المستحيي . يريد . أنّ الشيبَ ظهر في رأسه دفعة مِن غير أن يظهرَ في تَراخٍ . وهذا معنى قوله : غير محتشم . ثمّ فضّلَ فعلَ السيف بالشَعر ، على فعل الشيب به ، لأنّ الشيب أقبحُ ألوان الشعر . وهذا مأخوذ من قول البُحتُريّ :

وَدِدتُ بياضَ السيف يومَ لقِينَني(١) مكانَ بياضِ الشَّيبِ منه بمَفرِقي

وقوله : إِبْعَد بعِدت بياضاً الخ ، دعاء على الشَيب . وبعِد يبعَد من باب فرح : إذا هلَك وذلّ . والبياض الأوّل : الشَّيب ، والثاني : الرَّونق والحسْن . وأسودُ ، هنا : واحد السُود . والظُّلَم : الليالي الثلاثُ في آخر الشهر . يقول

(١) في النسختين : « لقيتني » بالتاء ، وإنما هو ضمير الغواني في بيت قبل هذا وهو :

أُجدك ما وصل الغواني بمطمع ولا القلب من رق الغواني بمعتق

لِبَياض شَيبه : أنتَ عندى واحدٌ من تلك الظلَم . كقول أبى تمّام فيه :

له مَنظرٌ فى العين أبيضُ ناصعٌ ولكنَّه فى القلب أسودُ أسفعُ

وقيل : أسودُ أفعلُ تفضيلٍ جاء على مذهب الكوفيِّين . وهذا من أبيات مغنى اللبيب .

وقوله : بحبٍّ قاتلتى الخ ، عَنَي بقاتلتِه حبيبتَه . يعنى أنّ حبَّها يقتله . والباء من صلَة التغذَية . يقول : تغذّيت بهذين : الُحبِّ والشيب . ثمّ فسّر ذلك بما بعدَه . يقول : هويتُ وأنا طفلٌ وشبتُ حين احتلمتُ لِشدّة ما قاسيتُ من الهوى : فصار غذائى . فقوله : شوائِ مبتدأ ، وطفلاً حالٌ سدّ مسدَّ الخبر ؛ ومثله ما بعده . وقد فصَّل بهذا ما أجمله أوّلا ، لأنّه بيَّن وقتَ العِشق ووقتَ الشَّيب .

وقوله : فما أمرُّ برسمٍ الخ ، الرسْم من أثَر الدار : ما كان ملاصقاً بالأرض . والطَّلَل : ما كان شاخصاً . يقول : كلُّ رسمٍ يُذكرنى رسمَ دارها ، فأسأله تسلّياً ؛ وكلُّ ذاتِ خِمارٍ تُذكّرِنيها ، فتريق دمى ؛ وقوله : تنفّستْ عن وفاءٍ الخ ؛ يقول : تنفّستْ يومَ الوَداع تحسُّراً على يوم فراق ، عن وفاء ، يعنى عمّا فى قلبها من وفاءٍ صحيحٍ غيرِ منشقّ . ويريد بالشُّعب الفراق ؛ من قولهم : شعبته : إذا فرقته . والمعنى : وعن حُزْن شَعْب . فحذف المضاف . وقوله : قبّلتُها ودموعى الخ ، أى بكَينا جميعاً حتّي امتزجتْ دموعى بدُموعها ، فى حال التقبيل . والمَزج : المِزاج ، مصدرٌ سمِّي به الفاعل . يقول : دموعى ما زَجتْ دموعَها . ونصَب فماً على الحال .

قال أبو حيّان فى الارتشاف : قال الفرّاء : أكثر كلامِ العرب كلّمتُه فاهُ إلى فىّ بالنصب ، والرفعُ صحيح وفيما أشبه هذا ، نحو : حاذيته ركبتَه

إلى ركبتى ، والأكثر فيه بالرفع . وإذا كان نكرة فالنصب المؤثَر المختار ، نحو : كلّمته فماً لفم ، وحاذيته ركبةً لرُكبة . ورفعُه وهو نكرةٌ جائزٌ على ضعف ، إذا جعلت اللام خبراً لفم ؛ وإن وضعت الواو موضعَ الصفة ، فقلت : كلّمته فوه وفىّ . وحاذيته ركبتُه وركبتى ، فالوَاوُ تعمل ما تعمل إلى ، والنصب معها سائغٌ على إعمال المضمر اهـ كلام الفرّاء . قال أبو حيّان : ويعنى بقوله : « والنصب معها » أى مع الواو فى الثانى . « سائغٌ على إعمال المضمر » يعنى جاعلاً ، أى جاعلاً فاه ، وجاعلاً ركبتَه . ويُقتَصر فى هذا على مَوردِ السماع . ولو قدّمتَ حرف الجرّ فقلت : كلّمنى عبدُ الله إلى فِىّ فوه ، لم يجز النّصبُ باجماع من الكوفيين ، وتقتضيه قاعدةُ قولِ سيبَويه فى أنّه لا يجوز : إلى فىّ ، تبيين[1] ، كلَكَ بعد سَقياً لك ؛ وتقديم لك على سَقياً لا يجوز ، فينبغى أن لايجوز هذا . فلو قدَّمت فاه إلى فىّ على كلّمته ، فقلت : فاه إلى فىّ كلّمتُ زيداً ، فأجازه سيبويه وأكثر البصريّين ، واتّفق الكوفيّون على منعه ، وتبعهم بعض البصريّين . فلو قلت : فوه إلى فىّ كلّمنى عبدالله ، لم يجز ذلك عند أحدٍ من الكوفيّين ، ولا أحفظ نصّاً عن البصريّين ، والقياسُ يقتضى الجواز . اهـ ٥٢٨

وقوله : فذقتُ ماء حياةٍ الخ ، جعل ريقَها ماء الحياة ، على معنى أن العاشق إذا ذاقه حَيِيَ به . ومعنى لو صاب تُرباً لو نزل على ترابٍ : من قولهم : صاب المطر يصوب صوباً ، بمعنى أصاب . يقول : لو وقع ريقُها على الأرض لأحيا الموتى من الأمم المتقدِّمة . وأوّلُ هذا المعنى للأعشى :

لو أسندَتْ ميْتاً إلى نَحْرِها عاشَ ، ولم يُنقل إلى قابرِ

(١) ش « قاعدة قول سيبويه فى أن إلى فى تبيين» وما أثبته من ط هو الموافق لما فى الارتشاف مخطوطة دار الكتب ٧٢٨ نحو ص ٧٥٦ .

فنقل أبو الطيِّب الإحْياء إلى ريقها .

وما شرحتُ به هذه الأبيات فهو من شرح الإمام الواحديّ ، لخّصته منه باختصار : وترجمة المتنبِّي تقدّمتْ في البيت الحادى والأربعين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(ولقَدْ أمُرُّ على اللئيمِ يَسُبُّني فمَضيْتُ ثُمّتَ قُلتُ لا يَعنِيني[2])

على أن اللام فى اللئيم زائدة . قد تقدّم الكلام على هذا البيت فى الشاهد الخامس والخمسين[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد المائة[4] :

١٩٣ (فَما بالُنا أمْسِ أُسْدَ العَرِينِ ومَا بالنا اليومَ شاءَ النَّجَفْ)

على أنّ أُسْدَ العرين ، وشاء النجف ، حالانِ ، إمّا على تقدير مِثل ، وإمّا على تأويلهما بوصف ، أى شجعاناً وضعافاً . وهذا ظاهر .

وهذا البيتُ آخر أبياتٍ أربعةٍ لأحد أصحاب علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهى : أبيات الشاهد

(أيمنعُنا القومُ ماءَ الفـراتِ وفينا السيوفُ وفينا الحجَفْ

(١) الخزانة ٢ : ص ٣٤٧

(٢) الخصائص ٣ : ٣٣٠ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٣ والعينى ٤ : ٥٨ والهمع ١ : ٩ / ٢ : ١٤٠ وشرح شواهد المغنى ١٠٧ والأشمونى ١ : ١٨٠ / ٣ : ٦٠ ، ٦٣ والتصريح ٢ : ١١١ .

(٣) الخزانة ١ : ص ٣٥٧

(٤) وقعة صفين ١٦٥ .

وفينا عليٌّ ، له صَولةٌ إذا خوّفوه الرَّدَى لم يَخَفْ
ونحن الذينَ ، غَداةَ الزُبيرِ وطَلْحةَ خُضْنا غِمارَ التَلَف
فما بالنا أمس أسْدَ العرين . . . . الخ)

ومنشؤها على ما ذُكِر فى كتاب الفتوح وكتاب الروضة للحجوريّ : أن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، لمّا نزل بصِفِّينَ — وصِفِّينُ مدينة عتيقة من بناء الأعاجم ، على شاطئ الفرات ، بالقرب من قِنَّسرين — فسبقه معاوية إلى الفرات ، ومنع عليًا وأصحابه من الماء ، فأرسل عليٌّ رضى الله عنه إلى معاوية ، الأشعثَ بنَ قيسٍ ، وصعصعةَ بنَ صُوحَان ، وقال : اذهبا إلى معاوية وقولا له : خيلُك حالتْ بيننا وبين الماء ، ونحن نكْرَه قتالَكم قبل الإعذار ! فأبلغاه الرسالة ، وجرى بينهم [كلام[1]] : فقال الأشعث : إنّك إنْ تمنعْنا الماء ترَمنًا مالا تريد ، فخلِّ عن الماء قبل أن تُغلَب عليه ! وقال ابن صُوحان : إنّا لا نموت عطَشاً وسيوفُنا على عواتقنا ! فاستشار معاويةُ أصحابه ، فقال له الوليد بن عُتبة — وهو أخو عثمان من أمّه — : امنعْهم كما منعوه عثمان ! فقال عمرو بن العاص : ما أظنّ علياً يظمأ وفى يده أعِنَّة الخيل وهو ينظر إلى الفرات ، فخلِّ عنه وعن الماء . وقال ابن أبى سَرح : أمنعهم الماء منعَهم الله إياه ! فقال ابن صوحان : إنّما منعه الله الفَجَرة مثلَك ومثلَ هذا الفاسق : الوليد . وبقى أصحابُ عليّ يومَهم وليلتَهم عِطاشاً . فسمع عليٌّ رضى الله عنه صبيا ينشد : ٥٢٩

أيمنعنا القومُ ماءَ الفراتِ . . . (الأبيات الأربعة)

ورجع الأشعث فقال : أيمنعنا القومُ وأنت فينا ! خلِّ عنِّى وعنهم غداً ! قال عليّ : ذلك إليك . فنادى منادٍ له : من كان يريد الماء والموتَ فميعاده

(١) التكملة من هامش ش .

الصبْح ! فأصبح عَلَى بابِ مِضرَبِه[١] أربعةَ عشرَ ألفا ، وسار القومُ وكلٌ يرتجز برجَزِه ، ثم قال الأشعث : تقدَّموا ! فلمّا أشرفوا على الماءِ قال لأصحاب معاوية : خلُّوا عن الماء وإلاَّ وردْناه ! فقال أبو الأعور السُلَمىّ : لا والله ، حتّي تأخذَنا السيوفُ وإيّاكم ! فقال الأشعث للأشتَر : أقحِمِ الخيلَ ! فأقحَمَها حتى غمستْ سَنابكها فى الماء ، وأخذ القومَ السيوفُ فولّوا عن الماء اهـ.

فقوله : وفينا السيوف وفينا الحَجَف ، هو جمع حَجَفة بفتح الحاء المهملة والجيم ، يقال للتُرْس إذا كان من جُلود ليس فيه خشبٌ ولا عقب : حجفة ودَرَقة ؛ كذا فى العُباب . وقال ابن دُريد فى الجمهرة : هى جلودٌ من جلود الإبل يُطارَق بعضُها على بعض ويُجعلُ منها التّرسَةَ . وقوله : ونحن الذين غداة الزُّبير ، يُشير به الى وقعة الجَمل . والغِمار : جمع غَمرة بالفتح ، وهى الشدّة . وقوله : أُسدَ العرين ، هو بفتح العين المهملة . فى الصحاح : العَرين والعَرينة : مأوى الأسد الذى يألفُه ؛ يقال : ليثُ عَرينةٍ وليثُ غابة . وأصل العرين جماعة الشَّجر . وقوله . شاء النَجَف ، الشاء : جمع شاة ، فى الصحاح : الشاة من الغنم تذكّر وتؤنّث ، والجمع شِياهٌ بالهاء فى أدنى العدد ، تقول : ثلاث شياه ، إلى العشرة ؛ فإذا جاوزت فبالتاء ، فإذا كثرت قيل هذه شاء كثيرة . وجمع الشاء شُوِىّ . والنَّجَف ، بفتح النون والجيم ، قال ابن الأعرابى : هو الحلْب الجيِّد حتى ينفض الضَّرع[٢] ؛ يقال : انتجفتُ الغنمَ : إذا استخرجتَ أقصى ما فى الضَّرع من اللبن ، وانتجفتِ الريحُ السحابَ : إذا استفرغته ؛ وانتجاف

(١) المضرب : الفسطاط العظيم ، وضبطه صاحب القاموس كمنبر . قال الزبيدى : وضبطه شيخنا كمجلس .

(٢) ش « ينقص الضرع » تصحيف .

الشىء : استخراجه ، وكذلك استنجافه . والنَّجَف والنَّجَفَة أيضاً : مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد ، والجمع نِجَاف . وقال ابن الأعرابى : النَّجفة المسنَّاة ؛ والنَّجَف : التَّلّ . وقال الأزهرىّ : النَّجَفَة التى هى بظاهر الكوفة هى المسنَّاة تمنع ماء السيل أن يَعلوَ منازلَ الكوفة ومقابرَها ؛ وفيه مرقدُ علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه . قال إسحق بن إبراهيم الموصلى يمدح النجف[1] :

ما إن أرى الناس فى سهْل وفى جبلٍ أصفَى هواءً ولا أعذَى من النَجَفِ[2]

والبال هنا بمعنى الشأن والحالِ ؛ وهو العامل فى أمس وفى الحال ، لكونه بمعنى الفعل . قال التفْتازانىّ — عندما قال الزمخشرىّ فى سورة آل عمران : ما بالُه وهو آمن — قوله : وهو آمن حالٌ عاملُه ما فى بال من معنى الفعل ؛ ولم نجد فى الاستعمال هذه الحالَ بالواو ، قال :

ما بالُ عينِك منها الماء ينسكب[3] انتهى

٥٣٠ واعلم أن مجىء الحال بعد ما بال أكثرىّ ، وقد يأتى بدونها ، كقوله تعالى (فَمَا بالُ القُرونِ الأُولى[4]) . وقد وردت الحالُ بعدَه على وجوه : منها مفردة كبيت الشاهد ، كقوله[5] :

(١) فى معجم البلدان (النجف) : « يمدح الواثق ويذكر النجف » .

(٢) وكذا فى ياقوت ، والوجه «رأى» ، وفى الأغانى ٥ : ٨٨ : « لم ينزل الناس» وأعذى ، من قولهم عذا البلد يعذو : طاب هواؤه . والعذاة : الأرض الطيبة البعيدة عن الماء والوخم . وفى النسختين والأغانى : « أغذى » صوابه فى ش .

(٣) هو أول بيت فى ديوان ذى الرمة . وعجزه :

* كأنه من كلى مفرية سرب *

(٤) الآية ٥١ من سورة طه .

(٥) زاد الشنقيطى فى هامش نسخته : « ومنها ماهى جمع » بعد كلمة « الشاهد » ، وهو سهو ، فإن « معلقات » حال مفردة أيضا كما هو فى اصطلاح النحاة ، لأنها ليست بجملة ولا شبهها .

فما بالُ النجومِ معلَّقاتٍ ... بقَلب الصَّبِّ ليسَ لها براحُ

ومنها ماضيَّة مقرونة بقد، كقول العامريّ :

ما بالُ قلبِك يا مجنونُ قد هَلِعا ... من حُبِّ من لا ترى فى نَيلِهِ طَمَعا

وبالواو معها ، كقوله :

ما بالُ جهلِك بعد الحِلم والدِينِ ... وقد علاكَ مَشيبٌ حين لا حينِ(١)

وبدون قد ، كقوله أيضاً :

فما بالُ قلبي هدَّه الشوقُ والهوَى ... وهذا قميصى من جوَى الحزْن باليا(٢)

ومضارعيّة مثبتة ، كقول أبى العتاهية :

ما بالُ دينِكَ ترضى أن تدنِّسه ... وثوبُ دُنْياكَ مغسولٌ من الدنَس

وبالواو ، كقوله :

فما بالُ من أَسعَى لأجبُر عظمَهُ ... حِفاظاً، وينوِى من سَفاهتِهِ كَسْرِى(٣)

ومنفيّة ، كما أنشده ابن الأعرابى :

* وقائلةٍ ما بالُه لا يزورُها *

ومنها اسميّة غير مقترنة بواو ، كقول ذى الرُّمّة :

ما بالُ عينِكَ منها الماء ينسكِبُ

* * *

---

(١) البيت لجرير فى ديوانه ٥٨٦ وسيبويه ١ : ٣٥٨ .

(٢) ط : « قده الشوق » وأثبت ما فى ش .

(٣) البيت لابن الذئبه الثقفى ، كما فى مجالس ثعلب ١٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٦٤ وأمالى القالى ٢ : ١٧٢ . ونسب إلى الأجرد الثقفى فى الشعراء ، ولعامر الجرمى فى حماسة الحماسة ١٠٤ ولكنانة بن عبديا ليل الثقفى فى حماسة ابن الشجرى ٧٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] :

١٩٤ (وَمَا حَلَّ سَعْدِىٌّ غَرِيباً بِبَلْدَةٍ)

على أنّه يجوز تنكيرُ صاحبِ الحال إذا سبقَه نفى : فإنّ (غريباً) حالٌ من (سَعْدِىّ) وهو نكرة . وجاز لأنّه قد تخصّص بالنفى . وببلدة متعلّقٌ بقوله حلّ أى نزل وأقام .

وهذا صدر ، وعجزه :

(فيُنْسَبَ ، إلاّ الزِّبرِقانَ له أبُ[2])

قال أبو عليّ الفارسىّ فى التذكرة القصْريّة : قِيل : نصب الشاعر غريباً على الحال فى قوله فينسَبَ كأنّه قال : وما حلّ سعدىّ ببلدة فينسَب إلى الغربة . وهذا لا يجوز : أعنى نصبَ غريباً بيُنْسَب ، لتقدّمه عليه ، لأنّ تقديم الصلة على الموصول لا يجوز ، والفِرارُ ممّا يجوز إلى مالا يجوز مرفوض . ولكنّه حالٌ من النكرة . فاعلم ذلك ا هـ .

وروى أيضاً (وما حَلَّ سَعدِىٌّ غريبٌ) بالرفع ، فعلى هذا هو وصفٌ لسَعْدىّ . استشهد به سيبويه على نصب (يُنسَبَ) بعد الفاء على الجواب مع دخول إلاّ بعده للإيجاب ، لأنّها عرضَت بعد اتّصال الجواب بالنفى ، ونصبه على ما يجب له . . ويجوز الرفع أيضاً .

(١) فى كتابه ١ : ٤٢٠ .
(٢) ضبطت « الزبرقان » بالرفع فى كتاب سيبويه ، ويرى البغدادى هنا نصبها .

وأورده الشارح المحقّق فى نواصب الفعل المضارع أيضاً على أنّ النفى راجعٌ إلى يُنسَب ، أى يحُلّ ولا ينسب ؛ قال : « ولولا أنّ ما بعد الفاء منفىّ ، لما جاز الاستثناء ، إذ المفرّغ لا يكون فى الواجب » إذ التقدير ما نُسِبَ ذلك السَّعدىّ إلى أحدٍ إلاّ إلى الزبرقان . فالزبرقان منصوبٌ بنزع الخافض وهو إلى ، وجملةُ له أب حالٌ من الزبرقان أى فى حال كون الزبرقان أباً لذلك السّعدىّ . والزبرقانُ سيِّد قومه وأشهرهم ، فإذا تغرَّب رجلٌ من بنى سعد ، وهم رهط الزبرقان ، فسئل عن نسبه ينتسب إليه لشرفه وشُهرته . ٥٣١

الزبرقان بن بدر والزّبرقان من الصحابة ، وهو حُصين بنَ بدر بن امرئ القيس بن خَلَف ابن بَهْدَلَةَ بن كعب بن سعد بن زيدِ مناةَ بن تميم . قال ابن عبد البرّ فى الاستيعاب : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه — وكان أحدَ ساداتهم — فأسلموا . وذلك فى سنة تسعٍ . فولاّه صدَقاتِ قومه . وأقرّه أبو بكر وعمر على ذلك . وإنما سمِّى الزبرقانَ لحُسنه ؛ شبِّه بالقمر ، لأنّ القمر يقال له الزبرقان . قال الأصمعىّ : الزبرقان : القمر ؛ والزبرقان : الرجل الخفيف اللِحْية . وقد قيل : إنّ اسمَ الزبرقانِ القمرُ ابن بدر[1] . والأكثر على أنّه الحصين بن بدر . وقيل : بل سمِّى الزبرقانَ لأنّه لبس عمامةً مزبْرَقَة بالزعفران . والله أعلم اهـ .

اللعين المنقرى وهذا البيت من قصيدة للَّعين المِنقَرىّ . واسمه مُنازل بن زَمَعه . وكنيته أبو أُكيدِر ، مصغّر أكدَر ، من بنى مِنقَر ، بكسر الميم وفتح القاف ، وهو

---

(١) لعل ذلك لقول الشاعر فيه ، وقد يكون تغييرا لضرورة الشعر :

سيدركنا بنو القمر بن بدر   سراج الليل للشمس الحصان

انظر الاستيعاب ٥٦١ .

مِنقَر بن عُبيد ، بالتصغير ، ابنُ مقاعِس وهو الحارث بن عَمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم .

واللَعِين شاعرٌ إسلاميّ فى الدولة الأمَويّة . قال ابن قُتيبةَ فى كتاب الشعراء(١) ، وللمبرّدُ فى الاعتنان واللفظ له ، قال راوياً عن أبى عبيدة : اعترض لَعينُ بنى مِنقَر(٢) لجرير والفرزدق فقال :

سأقضى بين كلْب بنى كُليب ... وبين القَين قَينِ بنى عِقالِ
بأنّ الـكلبَ مَرتعُه وخيمٌ ... وأنّ القَينَ يعمل فى سِفالِ

فلم يُجِبْه أحدٌ منهما ، فقال :

فما بُقْياَ علىَّ تركتُمانى ... ولـكنْ خِفتُما صَرَدَ النبالِ
فدونـكما انظُرا : أهَجوتُ أم لا ... فذُوقا فى المواطن مِنْ نِبالى
وما كان الفرزدقُ غيرَ قَينٍ ... لئيمٍ خالُهُ ، للؤْمِ تالى
ويترُكُ جَدَّه الخطَفى جريرٌ ... ويندُبُ حاجباً وبنى عِقال

فلم يلتفتا إليه فسقط اهـ .

قوله : فما بُقيا علىَّ الخ ، البُقيا بالضمّ : الرحمة والشفقة . وصَرِدَ السهمُ من باب فرح ، من الأضداد ، إذا نَفَذ وإذا نـكل . فيكون المعنى على النفوذ إنّـكما خفتما نفوذَ سهامى فيكما أى هجائى . وعلى معنى النُكول أى خفتما أن لا تنفُذ سهامُـكما فىَّ فعجَزتما عنّي .

وقد تمثّل بهذا البيت هارونُ الرشيدُ لمّا أراد قتلَ جعفرِ بن يحيى البرمكىّ . قال ابن قُتيبة : وكان اللعين هجاّء للأضياف ، قال :

---

(١) الشعراء ٤٧٤ .
(٢) ط « ابن منقر » صوابه فى ش .

وأبغض الضيفَ ، ما بى جُلّ مأكَلِه إلاّ تنفُّجُه عندى إذا قعدا
ما زال ينفُج كِتفَيه وحبْوَتَه حتّى أقولُ : لعلّ الضيفَ قد ولَدا(١)

ووجه تلقيب اللعين بهذا على ما رواه صاحب زَهر الآداب ، قال : سمَعه عمر بن الخطّاب يُنشد شعراً ، والناس يُصلّون ، فقال : من هذا اللعينُ ؟ ! فَعلِق به هذا الاسم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد المائة :

١٩٥ (لميّةَ موحِشاً طللٌ قديمُ(٢))

على أنّهم استشهدوا به لتقدُّم الحال على صاحبها المنكّر . وفيه ما بيّنه الشارح المحقّق . قال ابن الحاجب فى أماليه على أبيات المفصّل : يجوز أن ٥٣٢
يكون موحشاً حالاً من الضمير فى لميّة ؛ فجَعْلُ الحال من المعرفة أولى مِن جعْلها من النكرة متقدّمةً عليها ، لأنّ هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ، فكان أولى .

وممن استشهد بهذا البيت ، على ما ذكره الشارح ، ابنُ جنّي فى شرح الحماسة عند قوله :

وهلاّ أعدُّونى لمثلى ، تفاقَدوا ! وفى الأرض مبثوثاً شجاعٌ وعقربُ(٣)

قال : من نصب مَبثوثاً فلأنّه وصفُ نكرة قدّم عليها ، فنُصِب على الحال منها ، كقوله :

لعزّةَ موحشاً طللٌ قديم

(١) فى الحماسة ١٨٠٦ بشرح المرزوقى . « مازال ينفج جنبيه »
(٢) ابن يعيش ٢ : ٦٢ ، ٦٤ والتصريح ١ : ٣٧٥ .
(٣) هذا هو الشاهد ١٥٩ وقد سبق فى هذا الجزء ص ٢٩

ومنهم صاحب الكشّاف ، أورده عند قوله تعالى (وَجَعَلنا فِيها فِجاجاً سُبُلا[١]) على أنّ فجاجاً كان وصفاً لقوله سبُلاً ، فلمّا تقدّم صار حالاً منه .

ومنهم الخبيصىّ فى شرحه للكافيَة الحاجبيّة ، قال : قدَّم الحالَ وهو موحشا ، على ذى الحال وهو طلل ، لئلاّ يلتبس بالصفة . . قال شارح شواهده الكَرْمانىّ : هذا لا يصلح لمطلوبه من وجوه : الأوّل أنّه محتمل غيرمنصوص ، إذ لا نسلِّم أنّه حال من طلل ، لجواز كونه حالاً من ضمير الظرف ، فلا يكون ذو الحال نكرة . الثانى : أنّه لو تأخّر عن ذى الحال لا يلتبسُ بالصفة ، لأنّ ذا الحال مرفوعٌ والحالَ منصوب . الثالث : أنّه لا يجوز أن يكون حالاً من طلل ، لأنّه مبتدأ ، والحال لا تكون إلاّ من الفاعل أو المفعول أو ما فى قوّتهما اه . وفى كلّ من الأخيرين نظر ظاهر .

وقد تكلّم السخاوى على هذا البيت فى سِفر السعادة[٢] بما يشبه كلام الشارح ، إلاّ أنّ فيه زيادةً تتعلّق بمذهب الأخفش . وهذا ملخّصه : قال النُّحاة : انتصب موحشاً على الحال من طَلَلُ ، والعاملُ الجارّ والمجرور . وهذا كلام فيه نظر ، لأنّ الجارَّ والمجرور إمّا أن يقال فيه ما قال سيبويه أو ما قال الأخفش — وبينَ مذهبَ سيبويه وما يرِد عليه من اختلاف العامل فى الحال وذِيها[٣] — ثمّ قال : وإن قُلنا بقول الأخفش فارتفاع طللٌ على أنّه فاعل والرافع له الجارُّ والمجرور ، ولا مِرْية[٤] على قول الأخفش أنّ العامل فى الحال

(١) الآية ٣١ من سورة الأنبياء .

(٢) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٧٨ مجاميع م) كتبها البغدادى بخطه سنة ١٠٧٤ .

(٣) أى صاحبها . وغيرها الشنقيطى بقلمه إلى « ربها » .

(٤) ش : ولا مزية « صوابه فى ط . والمرية : الشك .

هو العامل فى ذيها(١) . فإذا كان العامل غير متصرّف لم تتقدّم الحال عليه ولا على صاحب الحال ؛ ألا ترى أنّه لا يجوز هذا قائماً زيد . ولا قائماً هذا زيد . والذى ينبغى أن يقال : العاملُ فى الحال الجارُّ والمجرور ، وصاحبُ الحال الضميرُ الذى فى الجارّ والمجرور اه .

وبعد هذا :

(عفّاه كلُّ أسحَمَ مستَديمُ)

والطلل : ما شخَص من آثار الدار . والموحِش : مِن أوحشَ المنزلُ : إذا ذهب عنه الناس وصار ذا وَحشة ، وهى الخلوة والهمّ ، كذا فى الصحاح . وعفاه بمعنى درسّه وغيَّره . وعفا يأتى متعدِّياً ، يقال عفَت الريح المنزلَ ، ويأتى لازما ، يقال عفا المنزلُ : إذا اندرس وتغيّر . والأسحم هو الأسوَد ؛ والمراد هنا السَّحاب ، لأنّه إذا كان ذا ماءٍ يُرى أسوَد لامتلائه . والمستديمُ : صفةُ كلّ ، وهو السحاب المطرِ مَطَرَ الديمة ؛ والدِّيمة : مَطْرةٌ أقلُّها ثلث النهار أو ثلث الليل .

وهذا البيت ، مَن روَى أوّلَه (لعزّة مُوحِشاً الخ) قال . هو لـكثيِّر عزّة ، منهم أبو علىّ فى التذكرة القَصْرية . ومَن رواه (لميَّة مُوحِشاً) قال : إنه لذى الرُّمّة ، فإنّ عزّة اسمُ محبوبةِ كثيّر ، ومَيَّة اسم محبوبة ذى الرُّمّة . والشاهد المشهور فى هذا المعنى هو :

لميَّة موحِشاً طَلَلُ يَلوحُ كأنّه خِلَلُ ٥٣٣

وقد قيل : إنّه لـكثيِّر عَزّة . والخِلَل بالـكسر : جمع خِلّة ، قال

---

(١) انظر ما سبق فى الحواشى .

الجوهريّ : الخلّة بالكسر : واحدة خِلَل السيوف ، وهي بطائنُ يغشّى بها أجفانُ السيوفِ منقوشة بالذّهب وغيره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد المائة(١) :

١٩٦ (لَئِنْ كانَ بَرْدُ الماءِ ،حرّانَ صادياً إلىَّ حبيباً إنّها لَحبيبُ)

على أن الحال تقدّمت على صاحبها المجرور بالحرف : فإنّ قوله : (حرّانَ صادياً) حالانِ ، إمّا مترادفتان أو متداخِلتان ، تقدمّتا على صاحبهما ، وهو الياء المجرورُ بإلَى . وإلى بمعنى عند متعلّقة بقوله حبيباً وهو خبر كانَ .

قال ابن جنّي في إعراب الحماسة : « وقد يجوز في هذا ، عندي ، وجهٌ آخرُ لطيفُ المعنى ، وهو أن يكون حرّانَ صادياً حالاً من الماء ، أي كان برد الماء في حال حِرّته وصداه حبيباً إليّ ، وصفَ الماء بذلك مبالغةً في الوصف وجاء بذلك شاعرُنا فقال :

* وجُبتُ هجيراً يترك الماء صادياً(٢) *

وإذا صَدِيَ فحسُبك به عطشاً ! فإن أمكن هذا ، كان حملُه عليه جائزاً حسناً ورأيت أبا عليّ يستسْهل تقديم حالِ المجرور — في نحو هذا — عليه ، ويقول : هو قريب من حال المنصوب » اه .

أقول : أراد بشاعره أي بشاعر عصره ، أبا الطيِّب المتنبي . الوجه

---

(١) الشعراء ٦٠٥ والكامل ٣٧٩ والعيني ٣ : ١٥٦ والأشموني ٢ : ١٧٧ وديوان كثير ٢ : ١٩٢ وديوان عروة بن حزام الورقة ٥

(٢) صدره في ديوان المتنبي ٢ : ٤٦٨ :

* لقيت المروري والشناخيب دونه *

الذى أبداه تخيُّلٌ صحيح ، فإنَّ الإنسان يحبُّ أن يكون الماء بارداً فى حال كونه حارّاً . ولكنَّ الوجهَ الأوَّل أحسنُ وأبلغ ، فإنَّ الماء الباردَ أحبُّ إلى الإنسان عند عطشه وحرارته من كلِّ شىء . وهذا المعنى هو المتداوَل الشائع ، قال المبرّد فى الكامل : هو معنى صحيحٌ ، وقد اعتوره الحكماء وكلهم أجاد فيه .

ومثل بيت الشاهد قولُ عمر بن أبى ربيعة :

قلتُ وَجدى بها كوَجْدِكَ بالما ءِ إذا ما مُنِعتَ بَرْدَ الشرابِ !

فإنّ قوله : إذا ما منعتَ برد الشراب ، يفيد ما أفاده قولُه : إلىّ حرّانَ صادياً ، فإنّه يريد عنه وقت الحاجة إليه ، وبذلك صح المعنى . ومثله قول القَطامىّ :

فهُنَّ ينبذن مِن قولٍ يُصِبْنَ به مَوَاقعَ الماءِ مِنْ ذى الغُلَّة الصادى

ينبذن : يرمين به ويتكلّمن . والغُلّة ، بالضم : حرارة العطش .

ويروى عن علىّ رضى الله عنه ، أنّ سائلا سأله فقال : كيف كان حبُّكم لرسول الله ﷺ ؟ فقال : كان واللهِ أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا ، وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء الباردِ على الظمأ ! !

والقول فيه كثير . وتعليقُ كونِها حبيبةً إليه على كون الماء حبيباً إليه فى تلك الحالة ، من باب التعليق على المحقّق . وقد تعسَّف بعضُهم فى جعل البرْد مصدراً ناصباً لحرّانَ وصادياً على المفعوليّة بتقدير الموصوف — أى جوفاً حرّانَ — وأنّ المرادَ جوفُ نفسه . وذلك هرباً من وقوع الحال فى مثل هذه

الصورة . حتّى إنّ بعضَهم مع عدم التأويل يقول : لا حجّة فيه ، لأنّ الشعر محلُّ الضرورة .

وقوله : (لئن كان) اللامُ هى اللام المؤذِنة ، وهى الداخلة على أداة شرطٍ ، للإيذان بأنّ الجوابَ بعدها مبنيٌّ على قَسمٍ قبلَها ، لا على الشرط . وتسمَّى الموطِّئة أيضاً ، لأنّها وطّأت الجوابَ للقسم أى مهّدته له ، سواء كان القسمُ ٥٣٤
غيرَ مذكور كقوله تعالى : (لَئِنْ أُخرِجُوا لا يَخرُجُونَ[1]) أم كان مذكوراً قبلها ، كما هنا ، فإنّ قبلَ هذا البيتِ قولَه :

(حلَفتُ بربٍّ الراكِعِينَ لربِّهمْ خشُوعاً ، وفوقَ الراكِعِين رَقيبُ)

فجملة إنّها لحبيب ، جوابُ القسمِ المذكور وهو حلَفت . وقد أخطأ من قال : إنّ هذه الجملةَ جوابُ الشرط . مع أنّ هذا القائل نقل ضابطةَ اللام الموطِّئة عن مغنى اللبيب . وضمير إنّها لعَفْراء بنتِ عمِّ عُرْوةَ بنِ حِزَام . والبيتان له من قصيدة أوّلُها :

(وإنى لَتعرُونى لذِكراكِ رَوعةٌ لَها بَين جِلدى والعِظَام دَبيبُ
وما هُو إلاّ أنْ أراها فُجاءةً فأُبهتَ حتّى ما أَكادُ أُجيبُ
وأُصْرَفُ عَنْ رأيِى الذى كنتُ أُرْتَئِى وأُنسَى الذى أعددتُ حين تَغيبُ
ويُضمِر قلبِي عُذرَها ، ويعينها عليَّ ، فمالى فى الفؤادِ نصيبُ[2]
وقد علمتْ نفسى مكانَ شفائُها قريباً ، وهلْ مالا يُنالُ قريبُ
حلَفتُ بربٍّ الراكعين لربِّهم . . . . البيتين
وقلتُ لعرّافِ اليمامة : داوِنى ! فإنّكَ إن أبرأتَنى لطبيبُ

(١) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٢) فى الديوان والشعراء والأغانى ٢٠ : ١٥٦ : « ويظهر قلبي » ويعينها عليه ، أى يمينها على نفسه . وفى المراجع : « ويعينها علىّ » .

فما بِيَ من سُقمٍ ولا طَيفِ جِنَّةٍ ولكنّ عمّى الحميرىّ كذوبُ
عشيّةَ لا عفراء دانٍ مَزارُها فتُرجَى، ولا عَفراء منكَ قريبُ
فلستُ برائى الشمْسِ إلاّ ذكرتُها ولا البدرِ إلاّ قلتُ سوف تثوبُ
عَشيّةَ لا خلْفِى مفرٌّ ، ولا الهوى قريبٌ، ولا وَجدى كوجد غَريبِ
فوا كبِداً أمستْ رُفاتاً كأنَّما يُلذِّعها بالكفِّ كفُّ طبيبِ

وفى البيتين الأخيرين إقواء .

عروة ابن حزام

وعُروةُ بن حِزامٍ هو مِن عُذْرة ، أحدُ عُشّاق العرب المشهورين بذلك ، إسلامىّ : كان فى مدة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .

قال أبو عبد الله محمّد بن العباس اليزيدىّ — فى روايته ديوانَ عُروة بن حِزام عن أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن لقيطِ بن بُكَير المحاربىّ (١) — قال : كان من حديث عُروة بن حزام وابنة عمّه عَفراء ابنة مالك ، العذريَّين ، أنّهما نشئا جميعاً ، فتعلّقها علاقَةَ الصَّبِىّ ، وكان قديماً فى حجر عمّه ، وبلَغَ فكان يسأله أن يزوّجه إياها ، فيسوِّفُه ، حتّى خرج فى عِيرٍ لأهله إلى الشام ، فقدم علىٰ أبى عفراء ابنُ عمٍّ لها من أهل البلقاء ، وكان حاجًا ، فخطبها ، فزوّجه إيّاها ، فحملها . وأقبل عُروة فى عِيره ، حتى إذا كان بتَبوكَ نظر إلى رُفقةٍ مُقبلة من قِبَل المدينة ، فيها امرأةٌ على جمل ، فقال لأصحابه : والله لكأنّها شمائلُ عَفراء ! فقالوا : ويحكَ ، ما تزال تذكُر عفراء ، ما تُخلُّ بذكرها فى حالٍ من الأحوال ! فلم يَرُعْ إلاّ بمعرفتها ، فوقَف متحيِّراً لا يردُّ جواباً . حتّى إذا فقَدها قال :

(١) ط : « بن بكر الجادى » ش : « بن بكر المجارى » ، صوابه ما أثبت. ولقيط بن بكير ترجم له فى الفهرست ١٣٨ ومعجم الأدباء ١٧ : ٣٦ كان عالما صدوقا من رواة الكوفة توفى سنة ١٩٠ فى خلافة الرشيد .

وإنى لتعرونى لذكراكِ روعةَ . . . . الأبيات المتقدّمة

ثم أخذه مرض السّلّ حتّى لم يُبقِ منه شيئاً . فقال قوم : هو مسحور ؛ وقال قوم : به جِنّة . وكان باليمامة طبيبٌ يقال له « سالم » فصار إليه ومعه أهله ؛ فجعل يَسقيه الدواء فلا ينفعه ؛ فخرجوا به إلى طبيبٍ بحُجْر ، فلم ينتفع بعلاجه ، فقال :

٥٣٥ جَعلتُ لعرّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ وعرّافِ حَجْرٍ ، إنْ هما شَفَيانى
فما تَرَكا مِن حيلةٍ يَعلمانِها ولا سَلوة ، إلاّ بها سَقَيانى
فقالا : شفاكَ اللهُ ! واللهِ ما لنا بما حُمِّلت منك الضلوعُ يَدانِ

قال النُعمان بن بَشير : بعثَني معاويةُ مصدّقاً على بنى عُذرة ، فصدّقتهم ثم أقبلتُ راجعاً ، فإذا أنا ببيتٍ مُفردٍ[1] ليس قُربَه أحد ، وإذا رجلٌ بفِنائه لم يَبق منه إلاّ عَظمْ وجلِد ، فلمّا سمع وَجْسِى ترنّم بقوله :

وعينانِ : ما أوفيتُ نَشزاً فتَنظُرا بمأقَيهما إلاّ هُما تَكِفانِ
كأنّ قَطاةً عُلِّقت بجَناحها على كَبِدى ، من شدّة الخفقان

قال : وإذا أَخَواتُه[2] حولَه أمثالَ الدُمَى فنظَر فى وجوههنّ ، ثم قال :

مَن كانَ من أَخَواتى باكياً أبداً فاليومَ ! إنِّى أُرانى اليومَ مقبُوضا
يُسمِعْنَنيهِ ، فإنّى غيرُ سامِعِهِ إذا عَلوتُ رقابَ الناسِ مَعْرُوضا

---

(١) فى الشعر والشعراء ٦٠٨ حيث نقل منه البغدادى : « ببيت حريد » وهو الفريد الوحيد المنعزل .

(٢) فى النسختين : « إخونه » ، وإنما هن أخواته الإناث . وفى الديوان : « وإذا والله أمثال الدمى حوله : أخواته وأمه وخالته » ، وفى الشعراء : « وإذا أمثال التماثيل حوله : « أخواته وأمه وخالته » .

قال : فبرزْن ، واللهِ ، يَضرِبْن وجوهَهُنَّ ، ويَنتِفْن شعورَهنّ . فلم أبرحْ حتّي قَضى . فهيّأت من أمره ودفنتُه . كذا قال ابنُ قتيبةَ فى كتاب الشعراء .

وحكى هذه الروايةَ راوى شعرِه ، عن عُروة بن الزبير ، ثم قال : ومرّ ركبٌ بوادى القُرى ، فسألوا عن الميّت ، فقيل : عروة بن حزام — وكانوا يَرِدُون البَلقاء — فقال بعضُهم لبعضٍ : واللهِ لنأتينّ عَفراء بما يسوءها . فساروا حتّي مرُّوا بمنزلها ، وكان ليلاً ، فصاح صائحٌ منهم — وهى تسمع — فقال :

ألا أيُّها البيتُ المغفَّل أهلُه　　إليكم نَعينا عُروةَ بنَ حزامِ

ففهمتْ عفراء الصوتَ ونادتْ بهم :

ألا أيُّها الركبُ المخِبُّون،ويْحكمْ !　　أحقًّا نعيتُم عُروةَ بنَ حِزامِ (١)

فقال بعضهم :

نعمْ ، قد دفنّاهُ بأرض نَطِيّةٍ　　مقيماً بها فى سَبْسَبٍ وإِكامِ (٢)

فأجابته وقالت :

فإن كانَ حقًّا ما تقولونَ فاعلموا　　بأنْ قد نَعيتُم بدرَ كلِّ تِمامِ (٣)

نَعيتم فتًي يُسقَى الغَمامُ بوجهه　　إذا هى أمستْ غيرَ ذاتِ غَمامِ

فلا نفَع الفِتيانَ بعدَكَ لذةٌ　　ولا ما لقُوا من صِحّة وسلامِ

(١) المخبون : المسرعون ، من الخبب . ط : « المجنون » صوابه فى ش والديوان والأغانى ٢٠ : ١٥٥

(٢) النطية : البعيدة : وفى النسختين : « بطيئة » ولا وجه له ، والصواب من ديوان عروة الورقة ٧ . ويروى أيضاً « بعيدة » كما فى شرح الديوان .

(٣) فى الديوان : « كل ظلام » .

وبِنْتَ الحبالَى لا يُرجِّين غائباً ولا فَرِحاتٍ بعدَهُ بغُلامِ

ثم أقبلتْ على زوجها فقالت له : إنّه قد بلغنى من أمر ذلك الرجل ما قد بلغك ، والله ما كان إلا علَى الحسَنِ الجميل ، وقد بلغنى أنّه مات ، فإنْ رأيتَ أن تأذنَ لى فأخرجَ إلى قبره ! فأذِنَ لها ، فخرجتْ فى نسوةٍ من قومه تندبه وتبكى عليه ، حتّى ماتت .

قال : وبلغنى أنّ معاوية بن أبى سفيانَ قال : لو علمتُ بهما لجمعتُ بينهما .

(تنبيه)

٥٣٦ نسب المبرّد فى الكامل بيتَ الشاهد إلى قيس بن ذَريح ، وذكر ما قبله كذا :

حَلفتُ لها بالمشْعَرَينِ وزمزمٍ ، وذُوالعرشِ فوقَ المُقسِمِينَ رقيبُ
لئن كان بردُ الماء حرّان صاديا . . . . البيت

ونسبه العَينيّ إلى كثيِّر عزّة ، وقال : هو من قصيدة أوّلها :

أَبَى القلبُ إلاّ أمَّ عمرٍو وبُغّضتْ إلىَّ نساء ما لهنَّ ذنوبُ
حلفتُ لها بالمأزمينِ وزمزَم ولله فوقَ الحالِفين رقيب
لئن كان بَرْدُ الماء حَرّانَ صادياً . . . . البيت

والصحيح ما قدّمناه . والبيتان من شعر غيره دَخيل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد المائة[1] :

---

(١) انظر الحماسة ١١٤٨ بشرح المرزوقى وعيون الأخبار ١ : ٢٤٧ والأشمونى ٢ : ١٧٨ .

١٩٧ (إذا المرء أعْيَتْهُ المُروءةُ ناشئاً فَمطْلَبُها كَهْلاً عليهِ شَدِيدُ)

لِما تقدّم قبله .

قال ابن جنّي فى إعراب الحماسة : كهلاً حالٌ من الهاء فى عليهِ ، تقديره : فطلبها عليه كهلاً شديد . ثم قال : فإن قلتَ : فهلاّ جعلتَ كهلاً حالاً من الضمير فى المطْلَب ! قيل : للمصدر الخبر لا يضمرُ فيه الفاعل ، بل يحذف معه حذفاً . انتهى

وهذا البيت أحد أبياتٍ أربعة مذكورة فى الحماسة ، وهى :

(متَى ما يرى الناسُ الغنيَّ ، وجارُه فقيرٌ ، يقولوا : عاجزٌ وجَليدُ
وليس الغِنى والفقرُ مِنْ حيلة الفتى ولـكنْ أحاظٍ قُسِّمَتْ وجُدودُ
إذا المرء أعيتْه المروءةُ ناشئاً . . . . البيت
وكائنْ رأينا مِن غَنيٍّ مذَمَّمٍ وصُعلوكِ قومٍ ماتَ وهو حَميدُ)

جملة وجاره فقير : من المبتدإ والخبر ، حالٌ من الغنىّ . ويقولوا جواب الشرط . وقوله : عاجز وجليد ، خبرمبتدإ محذوف ، أى هذان عاجز وجليد ؛ والجملة مقُول القَول : والجليد : من الجَلادة وهى الصَّلابة ، أرادالقوّة على السعى وتحصيل المال . وقوله : ولـكنْ أحاظٍ ، قال الأعلم : جمع حَظّ على غير قياس ، ويقال : هو جمع أحْظٍ ، وأحْظٍ جمع حَظّ وأصلُه أحْظُظ فأبدل من إحدى الظاءين ياء كراهةَ التضعيف . ويجوز عندى أن يكون أحظٍ جمعَ حظوة ، وهى بمعنى الحظّ ، وفعلها حظِيت أحظَى ؛ فلا شذوذ . انتهى . والحظّ : النصيب . والجُدود : جمع جَدّ بفتح الجيم وهو البَخْت . أى أنَّ الغنى والفقر مماّ قدَّره الله ، فهى حُظوظ وجُدود خلقوا لها على ما علِم اللهُ من مصالح عباده .

وقوله : (أعيتْه) أى أتعبته ؛ متعدّى عِيى بالأمر إذا عجَز عنه ،

من باب تعب و (المروءة) : آدابٌ نَفسانيّة تحمل مراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسن الأخلاقِ وجميلِ العادات . يقال : مَرُؤ الإنسان ، فهو مَرِىءٌ — مثل قرُب فهو قريب — أى ذو مروءة . قال الجوهرىّ : وقد تُشَدَّد فيقال مُرُوّة . ورُوى : (أعيته السِيادة) . و (ناشئاً) مهموزُ اللام ، فى الصحاح : الناشىء : الحدث الذى جاوز حدَّ الصغر ؛ والجارية ناشِىءٌ أيضاً . وهو حالٌ من مفعول أعيته . و (المطّلَب) مصدرٌ بمعنى الطلب . و (الكهل) : الرجل الذى جاوز الثلاثين ووَخَطَه الشَّيبُ ، وقيل : مَن بلغَ الأربعين ؛ والمرأة كهلة .

وكائنْ بمعنى كم للتكثير ، ومذمّم أى غير محمود كثيراً ، والتشديد للمبالغة من الذمّ وهو خلاف المدح والصعلوك ، بالضم : الفقير . أى كم مِن غنيٍّ ساعدَته الدُّنيا ثم أصبح مذموماً لبخله ودَناءته ، وكم من فقير تجمّل وأنفق مانال فحمِدَه الناس .

صاحب الشاهد — وهذه الأبيات لرجلٍ من بنى قُريع (بالتصغير) وهو قُريع بن عَوْف ابن كعب بن زيدِ مناةَ بن تميم[١] ؛ كذا فى حماسة أبى تمام وحماسةِ الأعلم . وعيّنه ابنُ جنّيٍ فى إعراب الحماسة فقال : هو المَعلوط بن بدل القُريعى[٢] . وفى حاشية صحاح الجوهرى (فى مادة حظ) هى للمَعْلُوط السعدىّ ، وتروى لسُويد بن خَذّاق العبدى[٣] وكذا قال ابن برّى فى أماليه على الصحاح والله أعلم .

(١) كذا فى النسختين . والصواب « بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم » كما فى جمهرة ابن حزم ٢١٩ — ٢٢٠ والاشتقاق ٢٣٩ ، ٢٥٤ .

(٢) هو قريعى ثم سعدى ، وإن كان صنيع البغدادى يوهم أنهما شخصان ، فهم بنو قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . انظر جمهرة ابن حزم والاشتقاق .

(٣) من قولهم خذق الطائر وخزق ، إذا رمى بذرقه . وفى النسختين : « حذاق » صوابه بالخاء المعجمة كما فى الاشتقاق ٣٣١

و (المَعلوط) اسم مفعول من علَطه بسهْمٍ علْطاً : إذا أصابه به . وهو بالعين والطاء المهملتين .

ثم رأيتُ فى كتاب العباب ، فى شرحِ أبيات الآداب تأليف حسَن ابن صالح العدَوىّ اليمنىّ ، قال : البيتُ الشاهد للمخبَّل السَّعْدىّ ، من أبيات مشهورة متداوَلةٍ فى أفواه الناس ، أوَّلها :

(ألا يا لقَومى لِلرُّسوم تَبيدُ   وعهدُك ممَّنْ حَبلُهنَّ جديدُ)(١)

وللدار بَعْدَ الحىِّ يُبكيكَ رسْمُها   وما الدارُ إلاَّ دِمنةٌ وصَعيدُ

لقد زادَ نفسى بابن وَرْدٍ كرامةً   علىَّ رجالٌ فى الرجال عَبيدُ

يَسُوقُونَ أموالاً وما سَعِدُوا بها   وهمْ عند مَثْناةِ القيامِ قُعودُ

ولا سَوَّد المالُ اللئيمَ ولا دنا   لِذاكَ ولكنَّ الكريمَ يسودُ

وكائنْ رأينا من غنيٍّ مذمَّمٍ   وصُعلوكِ قومٍ ماتَ وهو حَميد

وليس الغِنى والفقرُ من حِيلة الفتى   ولكنْ أحاظٍ قسِّمتْ وجُدودُ

وما يكسب المالَ الفتى بجلاده   لديه ، ولكنْ خائبٌ وسَعيدُ

إذا المرء أعيتْه المروءة ناشئاً   . . . . البيت

وترجمة المخبَّل السعدىّ تأتى فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الأربعمائة .

* * *

وأنشد بعده :

(فما بالُنا أمسِ أُسْدَ العرينِ   وما بالُنا اليومَ شاء النَّجفْ)

(١) ط : « حلهن » صوابه فى ش .

وتقدم شرحه قريباً[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد المائة :

١٩٨ (بدَتْ قمراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ وفاحتْ عَنْبراً ورَنَتْ غزالا[2])

٥٣٨ على أنّ قمراً وما بعده ، من المنصوبات أحوالاً مؤوّلة بالمشتقّ ؛ أى بَدَتْ مضيئةً كالقمر ، ومالت متثنّية كخُوطِ بانٍ ، وفاحت طيّبةَ النَشْر كالعنبر ، ورنَتْ مليحةَ المنظرِ كالغزال .

قال الواحدىّ : هذه أسماء وضعت موضعَ الحال . والمعنى : بدَت مشْبهة قمراً فى حسنها ، ومالت مشْبهة غصنَ بانٍ فى تثنّيها ، وفاحتْ مشْبهة عنبراً فى طيب رائحتها ، ورنَتْ مشْبهةً غزالاً فى سواد مُقْلتها . وهذا يسمّى التدبيج فى الشعر ، ومثله :

لاحتْ هلالاً ، وفاحت عنبراً وشَذَتْ
مِسكاً ، وماستْ قضيباً ، وانثنتْ غصُنا

ومثله :

سفَرنَ بُدُوراً ، وانتَقَبْنَ أهِلّةً ، ومِسْنَ غصوناً ، والتفَتْن جآذرا[3]

انتهى . فقوله : (بدَت) يقال بدا يبدُو وبدُوًّا . أى ظهَر ظهوراً بيِّناً . و (الخُوط) بضمّ الخاء المعجمة : الغصن الناعم لِسَنَة[4] . وقيل : كلّ قضيب .

(١) انظر ماسبق فى هذا الجزء ص ٢٠١
(٢) ديوان المتنبى ٢ : ١٦٢ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٧٤ .
(٣) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٧٤ .
(٤) جعلها الشنقيطى : « نبته » .

و (فاحتْ) . من فاح المسك فَوحاً وفَيْحاً : انتشرت رائحتُه خاصٌ فى الطِيب . و (رَنا) : من الرنوّ كدُنُوّ ، وهو إدامة النظر بسكون الطَرْف كالرَنا ، ولهوٌ مع شغلِ قلبٍ وبصرٍ وغلبةِ هوى ؛ والرَّنا : مايُرنى إليه لحسنه . كذا فى القاموس . وضمير بدت راجعٌ إلى حبيبته ، فى قوله قبلَ هذا :

(بجِسْمِىَ مَنْ بَرَتْهُ ، فلو أصارتْ   وِشاحِى ثَقْبَ لؤلؤةٍ لَجالا)

أى أفدى بجسْمِى الحبيبةَ التى نحلَتْه وبَرَته ، حتى لو جعلتْ قِلادتى ثَقْبَ دُرَّةٍ لجالَ جسمى فيه ، لدقّته .

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى الطيِّب المتنبِّي ، مَدح بها بدرَ بن عمَّار بن إسماعيلَ الأسدىَّ . صاحب الشاهد

وترجمة المتنبِّي تقدّمتْ فى البيت الحادى والأربعين بعد المائة[١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد المائة :

١٩٩ (كدأبِكَ مِنْ أمِّ الحُويرِثِ قَبْلَهَا   وجارتِها أمِّ الرَّبابِ بمأسَلِ)[٢]

على أنّ الدأبَ يعبَّر به عن كل حدثٍ لازمٍ : كالحسْن والجمال . أوغير لازم : كالضرب والقتل ؛ ولهذا يتعلّق به الجارّ والمجرور ، والظرفُ ، والحال.

فقوله : (كدأبك) بمعنى كتمتُّعِك . فكَنَى ولم يصرِّح .

أقول : جعْل الدأبِ هنا كنايةً عن التمتّع لاوجْهَ له ، كما يعلم قريبا .

(١) الخزانة ٢ : ص ٣٤٧

(٢) من معلقة امرىء القيس . وانظر المنصف لابن جنى ١ : ١٥٠ .

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس المشهورة ومطلعها :

(قِفانَبكِ مِن ذِكرَى حَبيبٍ ومَنزِلِ بسِقْطِ اللوى بين الدَّخول فَحوملِ
فتوضِح فالمقراةِ ، لم يعفُ رسْمُها لِما نسَجَتْها من جَنوب وشَمْأل
وقوفاً بها صَحبي علَيَّ مطيَّهمْ يقولونَ : لاتهلكْ أسًى ، وتَحمَّلِ
وإنَّ شِفائى عَبْرةٌ مُهراقةٌ فهل عندَ رسم دارسٍ من مُعَوَّلِ
كدأبِكَ من أمِّ الحويرثِ قبلَها وجارتِها أمِّ الرَّباب بمأسلِ)

والبيتان الأوّلان يأتى شرحهما ، إن شاء الله عزّ وجلّ ، فى أواخر الكتاب ، فى الفاء العاطفة[1] .

وقوفاً بها صحبي الخ ، متعلّق بقوله : قفانبك ، فكأنّه قال : قِفا وقوف صحبي بها على مطيّهم ، أو قفا حالَ وقوفِ صحبي . وقوله بها متأخر فى المعنى[2] ، يريد قفانبك فى حالِ وقْف أصحابى مطيّهم علىّ . وقوله : وإنّ شفائى عَبرةٌ الخ ، ٥٣٩
العَبْرة : الدمعْة . والمهراقة : المصبوبة ؛ وأصلها مُرَاقة من الإراقة ؛ والهاء زائدة . ومعوّل : موضع عَويل أى بكاء ، أو بمعنى موضع ينال فيه حاجة : يقال عوّلت على فلان أى اعتمدت عليه .

قال الباقِلاّنىّ (فى معجز القرآن[3]) عند الكلام على معايب هذه القصيدة : هذا البيت مختلٌ من جِهةِ أنّه جعلَ الدمعَ فى اعتقاده شافياً كافياً ، فما حاجتُه بعد ذلك إلى طلب حيلة أخرى عند الرسوم ! ولو أراد أن يحسن

(١) انظر الشاهد الحادى والخسين بعد الثلثمائة .
(٢) انظر لهذه العبارة وما قبلها إعجاز القرآن ٢٤٧ .
(٣) اسمه المعروف إعجاز القرآن . انظر منه ص ٢٤٧ .

الكلامُ لوجَب أن يدلّ(١) على أنّ الدمع لا يَشفيه لشدَّة مابه من الحزن ، ثم يسائل هل عند الرَّبْع من حيلةٍ أخرى(٢) وفى هذا مع قوله سابقاً لم يعف رسمها تناقضَ الكلامان وليس فى هذا اقتصار(٣) ؛ لأن معنى عفا ودرس واحد فإذا قال « لم يعف رسمها » ثم قال « قد عفا » فهو تناقض لا محالة ، واعتذار أبى عبيدة أقرب لوصحّ ، ولكن لم يردْ هذا القول موردَ الاستدراك على ما قاله زهير ، فهو إلى الخلل أقرب . انتهى .

وقوله : كدأبك من أمِّ الخ ، قال أبو جعفر النحّاس فى شرحه ، وتبعه الخطيب التبريزىّ : الكاف تتعلّق بقوله قفا نبك ، كأنّه قال : قفا نبك كدأبك فى البكاء ، فهى فى موضع مصدر . والمعنى بكاء مثلَ عادتك . ويجوز أن تتعلق بقوله : وإنّ شفائى عبَرة ، والتقدير : كعادتك فى أن تُشفَى من أمِّ الحويرث . والباء فى قوله : بمأسَل، متعلّقة بدأبك ؛ كأنّه قال : كعادتك بمأسَل . وهو جبل . وزاد الخطيب : « وأمُّ الحويرث هى هرِّ(٤) أمّ الحارث ابن حصُين بن ضَمْضَمْ الكلبىّ ، وأم الرَّباب من كلْب أيضاً . يقول : لقيتَ

(١) وكذا فى إعجاز القرآن ، وإن كان فى بعض أصوله هناك « يدخل » .

(٢ — ٣) مابين هذين الرقمين هنا على جانب من التحريف لا يستطاع معالجته ، وأنقل هنا ما يقابله من إعجاز القرآن « ٢٤٥ — ٢٤٦ » : ثم فى هذه الكلمة خلل آخر ، لأنه عقّب البيت بأن قال :

* فهل عند رسم دارس من معول *

فذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه ، كما قال زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القدم نعم وغيرها الأرواح والديم

وقال غيره : أراد بالبيت الأول أنه لم ينطمس أثره كله ، وبالثانى أنه ذهب بعضه ، حتى لا يتناقض الكلامان . وليس فى هذا انتصار » .

ثم إن الرواية الصحيحة فى بيت زهير هى : « بلى وغيرها » . انظر ديوان زهير ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٢٧ وأمالى المرتضى ٢ : ١٩٤ وشرح القصائد السبع ٢٦ وسمط اللآلى ٩٤٤ .

(٤) فى النسختين : « هرة » ، وأصلحها الشنقيطى فأزال التاء بقلمه ، كما شرح التبريزى للمعلقات ، وشرح القصائد السبع الطوال ٢٩ وسمط اللآلى .

مِن وقوفك على هذه الديارِ وتَذَكُّرِك أهلَها كما لقِيتَ من أمّ الحويرث وجارتها . وقيل : المعنى : كأنّك أصابك من التعب والنَّصَب من هذه المرأةِ كما أصابكَ من هاتين المرأتين » انتهى .

وقال أبو عُبيد البكرىّ فى شرح أمالى القالى(١) : أم الحويرث التى كان يشبِّب بها فى أشعاره ، هى أخت الحارث [حُصَين(٢)]بن ضَمضَم ، من كلب ، وهى امرأة حُجْرٍ أبى امرئ القيس ، فلذلك كان أبوه طرده ونفاه وهَمّ بقتله انتهى . وهذا هو الصواب .

وقال الزوزنىّ : يقول عادتك فى حبٍّ هذه كعادتك فى تَينِك ، أى قلة حظّك من وصال هذه كمعاناتك الوجدَ بهما . وقوله . قبلها ، أى قبلَ هذه التى شغِفتَ بها الآن . والدأْب : العادة ، وأصلهما(٣) متابعَة العمل والجِدّ فى السعى انتهى كلامه .

فجعَل الزوزنىّ قولَه كدأبك خبرَ مبتدإٍ محذوف . وهذا أقرب من الأوّلَين . فعُلِم مما ذكرنا أنّ الدأب كنايةٌ إمّا عن البكاء ، وإمّا عن المعاناة والمشقّة . والتَّمتعُ لا مساس له ها هنا ، فتأمل .

وترجمة امرئ القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين(٤) .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الموفى المائتين(٥) :

(١) سمط اللآلىء ٩٤٤ .
(٢) التكملة من سمط اللآلىء .
(٣) عند الزوزنى : « أصلها » بإفراد الضمير .
(٤) الخزانة ١ : ص ٣٢٩
(٥) معلقة عنترة . وانظر الخصائص ٢ : ٢١٦ والعينى ٢ : ٤١٤ والهمع ١ : ١٥٢ والتصريح ١ : ٢٦٠ .

٢٠٠ (ولقَدْ نزلتِ ـ فلا تَظُنّي غيرَه ـ
مِنّي بمنزلَة المحَبّ المكْرَم)

على أنّ معناه نزلتِ قريبةً مني قربَ المحَبِّ المكْرم . وإنّما عُدّى بمن ، لكون معنى بمنزلة فلان : قريباً قُربَه أو بعيداً بُعْدَه .

وهذا البيت من معلّقة عنترةَ العبسيّ . قال أبو جعفر النحاس فى شرحه ، — وتبعه الخطيب التبريزيّ — الباء فى قوله : (بمنزلة) متعلّقة بمصدر محذوف ، لأنّه لمّا قال : (نزَلت) دلَّ على النزول . وقوله : بمنزلة ، فى موضع نصب ، أى ولقد نزلتِ منّي منزلةً مثلَ منزلة المحَبّ . وقال الزوزنيّ : ٥٤٠
يقول : ولقد نزلتِ من قلبي منزلةَ من يُحَبُّ ويكْرَم .

والتاء فى (نزلتِ) مكسورة ، لأنّه خطابٌ مع محبوبته عَبْلة ، المذكورة فى بيت قبلَ هذا(١) وقوله : (فلا تظنّي غيره) ، مفعول ظنّ الثانى محذوفٌ اختصاراً لا اقتصاراً ، أى فلا تظنّي غيره ، واقعاً أو حقًّا ؛ أى غيرَ نزولكِ منّي منزلة المحَبّ . وبه استشهد شُرّاح الألفيّة وغيرُهم بهذا البيت . و (المحَبّ) : اسم مفعولٍ جاء على أحبَّ وأحببت وهو على الأصل ، والكثيرُ فى كلام العرب محبوب(٢) . قال الكسائيُّ : محبوب من حَببت ؛ وكأنّها لغة قد ماتت . أى تُركت . وقال الأصمعيّ : تَحبّ بفتح التاء ، ولا أعرفه فى غير التاء ؛ ولا أعرف حببت . وحكى أبو زيد أنّه يقال حَببت أحِبّ وأنت تَحِبّ ونحن نَحِبّ . و (والمكْرَم) : اسم مفعول أيضاً ؛ والواو

(١) القبنية هنا مطلقة ، وإلا فان « عبلة » قد ذكرت قبله بثلاثة أبيات فى قوله :
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتثلم

(٢) أى أن الأكثر فى اسم المفعول مجيئه من الثلاثى « محبوب » ، كما أن الأكثر فى اسم الفاعل مجيئه من المزيد « محِب » .

فى (ولقد) عاطفةٌ . وجملة (لقد نزلت) الخ جوابُ قَسَم محذوف، أى ووالله لقد نزلتِ ، كقوله تعالى : « ولَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَه(١) » . وقوله : « فلا تظنّي غيره » جملة معترضة بين المجرور ومتعلَّقِه ، فإنّ منّي متعلّق بنَزَلتِ . ولقد خبَط هنا خَبْطاً فاحشاً شارحُ شواهدِ الألفيَّة ، فى قوله : الواوُ للقسمِ وجوابُ القسم قولُه : فلا تُظنِّي غيره ، ثم قال : قوله فلا تظنِّي نهىٌ معترِضٌ بين الجارِّ والمجرور ومتعلقه ، والباء فى بمنزلة بمعنى فى ، أى نزلت منِّي فى منزلة الشىء المحبوب المكْرَم . هذا كلامه ؛ ولا يقع فى مثله أصاغرُ الطَّلَبة .

وترجمة عنترة تقدمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد المائتين :

٢٠١ (خرَجتُ مَعَ البازِى علىَّ سوادُ(٣))

هذا عجز ، وَصدره :

(إذا أنكرتْني بلدةٌ أو نكِرْتُها)

على أن الجملة الاسميّةَ الحاليّة إذا لم يكن مبتدؤها ضميرَ صاحبِ الحال ، فإنْ كان الضمير فيما صدّر به الجملة فلا يُحكم بضعفه مجرّداً عن الواو ، كجملة علىَّ سواد ، فإنّها حال من التاء فى خرجتُ .

فى المصباح : « أنكرته إنكاراً : خلافُ عرَفته ؛ ونكِرته مثل تعبت كذلك ، غير أنّه لا يتصرّف » . أى إذا لم يعرِف قدرى أهلُ بلدةٍ

(١) الآية ١٥٢ من آل عمران .
(٢) الخزانة ١ : ص ١٢٨
(٣) ديوان بشار ٣ : ٤٩ والأغانى ٣ : ٤٩ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٧ .

أو لم أعرِفْهم خرجتُ منهم مبتَكراً مصاحباً للبازى ، الذى هو أبكَرُ الطُّيور ، فى حال اشتمالى على شىء من سواد الليل . و (البازى) على وزن القاضى ، فى الأصل : صفةٌ من بَزَا يبزُو : إذا غلَب. ويُعرَب إعرابَ المنقوص. والجمع بُزاة .

وهذا البيتُ من أبياتٍ لبشّارِ بن بُرْد ، مدَح بها خالداً البرمكى ، وكان قد وفد عليه وهو بفارس ، فأنشدَه :

(أخالدُ ، لَم أهبط إليكَ بذِمَّةٍ ... سِوى أنَّني عافٍ وأنتَ جوادُ [1]

أخالدُ ، إنَّ الأجرَ والحمدَ حاجتى ... فأيُّهما تأتى فأنتَ عِمادُ

فإن تُعطِني أُفرِغْ عليكَ مدائحى ... وإنْ تأبَ لم تُضْربْ علَيَّ سِدادُ [2]

رِكابى على حَرْفٍ ، وقلبى مشيَّعٌ ، ... وما لى بأرضِ الباخلين بِلادُ

إذا أنكرتْني بلدةٌ أو نَكِرْتُها ... خرجتُ مع البازى، علَيَّ سَوادُ [3])

يقال : هبَط من موضع إلى موضع : إذا انتقل إليه ، والهَبوط : الحدور كرسول فيهما . والذّمة هنا العهد والحرْمة . والعافى : مِن عَفوته : إذا أتيته ٥٤١
طالباً لمعروفه ، وجمعه العُفاة ، وهم طُلاّب المعروف . وهذا مثلُ قولِ دِعْبِلٍ لمّا وفد على عبدِ الله بن طاهر :

جئتُك مستشفعاً بلا سَبَبٍ ... إليك ، إلاّ لحرمة الأدَبِ

فاقضِ ذِمامى ، فإنّني رجلٌ ... غيرُ مِلحٍّ عليكَ فى الطلبِ

فبعَث إليه عبدُ الله بعشرة آلاف دِرهم ، وبهذين البيتين :

(١) فى الديوان : «لم أخبط إليك بنعمة» وفى الأغانى : «لم أخبط إليك بذمة» .
(٢) وكذا فى الأغانى . وفى الديوان : «لايضرب عليك سداد» .
(٣) فى الديوان : «نهضت» بدل «خرجت» .

أعجلْتَنا فأتاكَ عاجلُ بِرِّنا ولو انتظرتَ كثيرَهُ لم نقْلِلِ

فخُذ القليلَ، وكنْ كأنّك لم تَسَلْ ونكونُ نحنُ كأنّنا لم نَفْعَلِ

وقد تداول هذين البيتين كثيرٌ من الكرماء ؛ فيظنّ الناسُ أنّهما لمن تداوَلهما .

والحَرْف : الناقة القويّة . والمشيَّع ، على وزن المفعول : الشجاع ، كأنّ له شِيعةً ، أى أتْباعا وأنصارا .

روَى الأصبهانىُّ (فى الأغانى) أنّ بشّاراً لمّا أنشَد هذه الأبياتَ دعا خالدٌ بأربعةِ أكياس ، فوضع واحداً عن يمينه ، وآخر عن شِماله ، وآخر بَين يديه ، وآخر من ورائه ؛ وقال : يا أبا مُعاذ ، هل استقلّ العماد ؟ فلَمَس الأكياسَ ثم قال : استقلّ والله أيُّها الأمير !

بشار ابن برد

و (بشّار بن بُرْد) أصله من طُخارِسْتان[1] من سبْي المهلَّب بن أبى صُفْرة — وهى ناحيةٌ كبيرة مشتملة على بُلدانٍ على نهر جَيْحون مما وراء النهر — وكنيته أبو مُعاذ ، ولقَبه المرعَّث — وهو الذى فى أذنه رِعاث ، وهو جمع رُعْثة ، وهى القِرَطة — لقِّب به لأنّها كانت فى صغَره معلَّقة فى أذنه[2] . وهو عُقَيلى بالولاء ، نسبةً إلى عُقَيل بن كعب (بالتصغير) وهى قبيلة . وقيل : إنّه ولد على الرِقّ أيضاً وأعتقته امرأةٌ عُقَيليّة . ووُلِدَ أكْمه جاحظَ الحدَقتين قد تغشّاهما لحمٌ أحمر . وكان ضخماً عظيم الخَلْق والوجه مجدَّرا . وهو فى أوّل مرتبة المحدَثين من الشعراء المجيدين . وقد نشأ بالبصرة ، ثمّ قَدِم بغدادَ ومدح المهدىَّ بن المنصور العباسىّ ، ورُمى عنده بالزندقة : رُوى

(١) ضبط فى القاموس وابن خلكان بضم الطاء ، وفى معجم البلدان بفتحها .

(٢) انظر لتلقيبه بالمرعث قولين آخرين فى الأغانى ٣ : ٢٢ عن محمد بن سلام .

أنّه كان يفضِّل النارَ على الأرض ، ويصوِّب رأىَ إبليسَ فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ، ونُسِب إليه قولُه :

الأرضُ مظلمةٌ ، والنارُ مُشرِقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانت النارُ (١)

فأمر المهدىُّ بضربِهِ ، فضُرِب سبعين سوطاً ، فمات من ذلك ، وذلك فى سنةِ ثمانٍ وستِّين ومائة ، وقد نيف على تسعين سنة . ومن شعره :

يا قوم أُذنى لبعْض الحىِّ عاشقةٌ والأذن تعشَق قبلَ العين أحْيانا
قالوا : بمن لا تَرَى تَهْذِى ؟ فقلت لهم : الأذن كالعينِ تُوفى القلبَ ما كانا (٢)

ومن هجائه للمهدىّ قولُه :

خليفــةٌ يزنى بعمّــاتِه يَلعبُ بالدَّبُّوق والصَّوْلَجـان
أبدلنــا اللهُ به غــيرهُ ودسّ مُوسَى فى حِرِ الخيزُران

وبينَه وبين حمّاد عَجْرَد أهَاجٍ فاحشةٌ ، ومن هجوه فيه :

نِعْمَ الفتَى ، لو كان يعبُدُ ربَّه ويقيمُ وقتَ صَلاتِهِ ، حمّادُ
وابيضّ من شُرب المُدامةِ وجهُه وبياضه يومَ الحساب سوادُ (٣) ٥٤٢

وقُتل حمّادُ عَجْرَد على الزندقة أيضاً فى سنة ستّ وستّين ومائة (٤) . ودُفن بشارٌ على حمّاد عَجْرد فى قبر واحدٍ (٥) ، فكتب أبو هشامٍ الباهلىُّ على قبرهما :

---

(١) انظر البيان ١ : ١٦ . وقد رد عليه قوله صفوان الأنصارى فى البيان ١ : ٢٧ .

(٢) ش : «تونى القلب» ، أى تؤنبه وتعطيه .

(٣) لعله تابع صاحب الوفيات فى إيراد هذا البيت بعد سابقه ، والحق أن بينهما ثالثاً ، كما فى الحيوان ٤ : ٤٤٥ والأغانى ٥ : ١٦٢ مع نسبة الشعر فى الأغانى إلى أبى الغول :

هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يسنها الحداد

(٤) ش : « ست وثمانين ومائة » . وفى الوفيات ١ : ٨٩ : « سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة ، وقد نيف على تسعين سنة » .

(٥) فى الأغانى ٣ : ٩٧ وابن خلكان (فى ترجمة حماد عجرد) أنهما قبران .

قد تبعَ الأعمَى قفا عَجْرَدٍ فأصبحا جارَيْن فى دارِ
صارَا جميعاً فى يدَى « مالك » فى النارِ . والكافرُ فى النار
قالتْ جميعُ الأرضِ : لا مرحباً بقُرب حمّادٍ وبشّارِ

وترجمته فى الأغانى طويلة .

وأمّا (خالد) فهو خالد بن بَرمَكَ البرمكيّ(١) . وكان بَرْمَكُ من مجوس بَلخ وكان يخدمُ « النوبَهار(٢) » وهو معبدٌ للمجوس بمدينة بلْخ تُوقَد فيه النيران . وكان برمك عظيمَ المقدار ، وسادَ ابنهُ خالدٌ ووَزَر لأبى العباس عبدِ الله السفّاح العبّاسىّ . وهو أوّل مَن وزَر مِن آل برمك . ولم يزل وزيراً إلى أن توفى السفاحُ ، ثمّ وزَر لأخيه أبى جعفرٍ المنصور ، إلى أن توفى فى سنة ثلاث وستين ومائة . وكانت ولادته فى سنة تسعين من الهجرة .

يحيى البرمكى

و (يحيى البرمَكىّ) هو أبو جعفر والفضل ، قال المسعودىّ : لم يبلغْ مبلغَ خالدِ بن برمكَ أحد من ولده : فى جوده ، ورأيه ، ورياسته ، وعلْمه ، وجميع خلاله ، لا يحيى ، فى رأيه ووفور عقله ، ولا الفضل بن يحيى ، فى جوده ونزاهته ، ولا جعفر بن يحيى ، فى كتابته وفصاحة لسانه ، ولا محمّد بن يحيى ، فى سَرْوه وبُعد همّته ، ولا موسى بن يحيى ، فى شجاعته ورياسته .

* * *

(١) لياقوت فى رسم (نوبهار) بحث ممتع فى اشتقاق كلمة « برمك » إذ قال : « كانوا يسمون السادن الأكبر برمك ، لتشبيههم البيت بمكة ، يسمون سادنه ابن مكة فكان كل مَن ولى منهم السدانة برمكا » .

(٢) معناه الربيع الجديد ، ونُو بالضم بمعنى الجديد ط : « النور بها » ش : « النور بهاد » ، صوابهما ما أثبت . وفيه يقول الشاعر :

أوحش النوبهار من بعد جعفر ولقد كان بالبرامك يعمر

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثاني بعد المائتين :

٢٠٢ (نَصَفَ النهارُ الماء غامِرُهُ)

هذا صدرٌ وعجزه : (ورَفيقُهُ بالغَيْبِ ما يدرِي[1])

على أن ضمير صاحب الحال إذا كان في آخر الجملة الحاليّة ، فلا شكّ في ضعفه وقلّتِهِ[2] : فإنّ الماء مبتدأ ، وغامِرُه خبرُه ، والجملة حالٌ من ضمير نَصَفَ العائدِ إلى الغائص ، والضمير الذي ربط جملة الحال بصاحبها ، في آخرها . وهذا على رواية نصبِ (النهار) على أنّه مفعول به — قال صاحب المصباح[3] : نَصفْت الشيء نَصفاً ، من باب قتل : بلغت نِصفْه — وأما على رواية رفعه فالجملة حالٌ منه ؛ ولا رابط ، فتقدَّر الواو . وعليها كلام صاحب المغني ، قال : وقد تخلو الجملة الحاليّة من الواو والضميرِ ، فيقدَّر الضمير في نحو : مررت بالبُرِّ قفيزٌ بدرهم ؛ أو الواوُ ، كقوله يَصِف غائصاً لطلب اللؤلؤ انتَصفَ النهارُ وهو غائصٌ وصاحبُه لا يدري ما حالُه :

نَصف النهارُ الماء غامره . . . البيت . انتهى

فنصَف على هذا أيضاً من باب قتل ، قال صاحب المصباح[3] : إن بلغ الشيءُ نصفَ نفسِه ، ففيه لغات : نصف ينصُف من باب قتل يقتل ، وأنْصف بالألف ، وتنصَّف ؛ وانتصف النهار : بلغت الشمسُ وسط السماء ، وهو وقت الزوال » .

(١) ابن يعيش ٢ : ٦٥ وأمالي ابن الشجري ٢ : ١٩٠ والهمع ١ : ٢٤٦ وشرح شواهد المغني ٢٩٧ والأشموني ٢ : ١٩٢ .

(٢) ط : « فلا شك في ضعفه وقوته » ، وهو من عجيب التحريف . صوابه في ش وشرح الرضي للكافية ١ : ١٩٤ .

(٣) ط : « المفتاح » صوابه في ش . والنص في المصباح المنير .

وقد أثبت هاتين الروايتين العسكريُّ فى كتاب التصحيف[1] ، والسيِّد الجرجانيُّ فى شرح المفتاح . أمّا العسكرىّ فهذا كلامُه : قال الرياشىّ : « الذى يروى نَصف النهارُ ، بالرفع ، يريد معنى الواو أى انتصف النهارُ والماء غامره وهو تحت الماء ، يعنى الغوّاص ، وشريكه بالغيب ، أى بحيث يغيب عنه ولا يدرى ما حاله ؛ وإنّما يغوص بحبل معَه طرَفُه وطرفُه الآخرُ مع صاحبه . قال الرياشىّ: الحال إذا لم يرجع إلى الأوّل منها شىء فهو قبيح فى العربية . قال : وإذا صَيَّرتَه ظرفاً فهو جيِّد فى العربية . وقال المازنىّ : الجيِّد نصب[2] النهارَ على الظرف » انتهى . وكونُ النصبِ على الظرف ، تجوّز ؛ والصواب على المفعوليّة . ٥٤٣

وأما السيِّد فقد قال : « النهار منصوب ، من نصفت الشىء : بلغت نصفَه . والمراد طول مُكثه تحتَ الماء . وفى الصحاح برفع النهار ، من نصف الشىءُ : بمعنى انتصف . فالجملة الحاليّة حينئذ خالية عن الضمير أيضا ، فاحتاج إلى أن قدّر الواو محذوفة ، أى والماء غامره أى ساتره » انتهى فعُلم من هذا أنّ مَن قال بوجود الضمير فى هذه الجملة ، جعَل صاحبَ الحال ضمير الغوّاص المستترَ فى نَصَف الناصبِ للنهار . وأن من قال بعدم الضمير ، جعَلَ الجملةَ حالاً من النهار المرفوع بنصف وقدّر الواو للربط ، وأمّا الضمير الموجود فغير رابطٍ ، لأنّه ليس عائداً على صاحب الحال ، وهو النهار ، بل هو عائدٌ على الغوّاص .

والعَجب من كلام ابن الشجرىّ فى أماليه ، فإنّه جعل الجملةَ حالاً من النهار المرفوع ، وقال : « الرابط الضمير » وهذا لا يصحّ فإنّ الضمير ليس للنهار .

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٢٨٥ .

(٢) ط : « نصف » صوابه فى ش .

وهذه عبارته : ولو حذفتَ الضمير من جملة الحالِ المبتدإ به واكتفيت بالواو ، جاز ، نحو : جاء زيد وعمرو حاضر . ولو حَذفتَ الواوَ اكتفاء بالضمير فقلت : خرج أخوك يده على وجهه ، جاز ، كقوله :

نصف النهار الماء غامره . . . . انتهى

وأعجبُ منه قول ابن السِيد فى شرح شواهد أدب الكاتب ، فى جعله الجملة حالاً ، وصاحبَ الحال غيرَ مذكور فى هذا البيت ، بل هو فى بيتٍ قبلَ هذا بأبيات . وهذا كلامه : « جملة الماء غامرُه حالٌ وكذلك الجملة التى بعدها . وكان ينبغى أن يقول : والماء غامره ، فيأتىَ بواو الحال ؛ ولكنّه اكتفى بالضمير منها . ولو لم يكن فى الجملتين عائدٌ إلى صاحب الحال لم يجزْ حذف الواو . وأما صاحب هاتين الحالين فليس بمذكور فى البيت ، ولكنه مذكور فى البيت الذى قبله ، وهو :

« كَجُمانة البحْرىّ جاء بها غوّاصُها من لُجّة البحرِ » انتهى

وأغربُ من هذين القولين صنيعُ ابن جنّي فى سرِّ الصناعة ، فإنه حكم على هذه الجملة بأنه لا رابط معها . ثم نقض كلامَه بجعلِ الضمير رابطاً للحال بصاحبها المحذوف . وهذا ما سطّره : إذا وقعت الجملةُ الاسمية بعد واو الحال كنتَ فى تضمينها ضميرَ صاحبِ الحال وتركِ تضمينها إيّاه مخيراً ؛ فالأوّل نحو جاء زيد وتحته فرس ، والثانى جاء زيد وعمرو يقرأ . فأمّا إذا لم يكن واوٌ فلا بدَّ من الضمير ، نحو أقبل محمّد على رأسه قَلَنْسُوة . وإذا فَقدتْ جملةُ الحال هاتين الحالتين ، انقطعتْ ممّا قبلها ، ولم يكن هناك ما يربط الآخر بالأول ؛ وعلى هذا قولُ الشاعر :

نصفَ النهارُ الماء غامرُه . . . . البيت

يصف غائصاً غاص فى الماء من أوّل النهار وهذه حالُه . فالماء من غامِرُه ربطت الجملة بما قبلها حتى جرَتْ حالاً على ما فيها ، فكأنّك قلت : انتصف النهارُ على الغائص غامراً له الماء ، كما أنك إذا قلت : جاء زيد ووجهه حسَن ، فكأنك قلت : جاء زيد حسناً وجهه . هذا كلامه فتأمله .

٥٤٤ وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمونٍ ، مدحَ بها قيسَ بنَ مَعْدِ يكرِبَ الكِندىَّ . وقد أجاد فى التغزُّل بمحبوبته فى أوَّلها ، إلى أن شبهها بالدُرَّة ، ثم وصفَ تلك الدُرَّة كيف استُخْرِجتْ من البحر فقال :

(كجُمَانةِ البَحْرىّ جاء بها غوّاصُها من لُجّةِ البحرِ(١)
صُلبُ الفؤادِ رئيسَ أربعَةٍ متخالِفِى الألوانِ والنَّجْرِ
فتنازَعُوا حتّى إذا اجتمعوا ألقَوا إليه مقالِدَ الأمْرِ
وعَلَتْ بهم سجْحاء خادِمةٌ تَهوى بهمْ فى لُجّةِ البحرِ(٢)
حتى إذا ما ساء ظنُّهمُ ومضَى بهمْ شهرٌ إلى شهرِ
ألقَى مَراسِيَه بتهلُكةٍ(٣) ثُبّتَتْ مَراسِيها فما تَجرى
فانصبّ أسقَفُ رأسُهُ لَبِدٌ نُزِعَتْ رباعِيَتاه للصَّبْرِ
أشْفَى يمجُّ الزَيتَ ملتمسٌ ظمآنُ ملتهبٌ من الفَقْرِ
قَتَلَتْ أباه ، فقال : أتْبَعُهُ أو أستفيدَ رَغيبةَ الدَهْرِ
نَصَفَ النهارُ الماء غامِرُه ، وشريكُهُ بالغَيْبِ ما يَدْرى

(١) قابل الأستاذ الميمنى هذه الأبيات على نسخة رامبور من ديوان الأعشى ، فأثبت مقابلته هنا .

(٢) فى نسخة رامبور من ديوان الأعشى : « سجحاء حارسه » بدون نقط فى الكلمة الأخيرة .

(٣) رامبور : « بمهلكة » :

فأصابَ مُنيتَه ، فجاء بها صَدَفيَّةً كمضيئةِ الجمرِ
يُعْطَى بها ثمناً ويمنعُها ويقولُ صاحبُه : ألا تشرى ؟(١)
وترى الصوَّارى يسجدُونَ لها ويضمُّها بيدَيه للتَّجْرِ(٢)
فلتلك(٣) شِبْهُ المالكيَّةِ إذْ طَلعتْ ببهجتِها من الخِدرِ)

الُجمانة ، بضمّ الجيم : حبَّة تُعَمل من فضّة كالدرّة ، وجمعها جُمَان . أى هى كجُمانة البَحْرىّ . وصُلبُ الفؤادِ ، بالضمّ : أى قوىُّ الفؤاد وشديدُه ، هو صفةٌ لغوّاص . ورئيسَ أربعة بالنصب حال منه ، وقوله : متخالِفِى الألوان : صفة أربعة ، والإضافة لفظيّة . والنُّجْر ، بفتح النون وسكون الجيم : الأصل . أى أنّ هؤلاء الأربعةَ أصلهم مختلف ، وكذلك ألوانُهم مختلفة . والسَّجحاَء ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة : [الطويلة(٤)] الظَّهر ؛ وأراد بها السَّفينة . والمَراسى : جمع مِرْساة بالكسر ، وهى آلة تُرسَى بها السفينة . وقوله : فانصبَّ أسقفُ الخ . أى رمى بنفسه فى البحر وغاصَ لإخراج الدر . والأَسقَف ، بفتح الألف والقاف ، من السَّقَف بفتحتين ، وهو طولٌ فى انحناء . ولَبِدُ ، بكسر الباء أى متلبد . وأشْفَى فعل ماض ، يقال أشفى على الشىء : أى أشرَفَ عليه . ويمجُّ : يقذف مِن فِيه ، كما هو عادة الغائص . وفاعلهما ضمير أسقَف . وملتمسٌ وما بعده من الوصفين نُعوت لأسقف . وقوله : قتلَتْ أباه الخ ، أى أنَّ أباه هلَك فى حُبِّ هذه الدرّة أو فى تحصيلها ، فقال

(١) تشرى هنا بمعنى تبيع كما سيأتى ، وكما فى قول يزيد بن مفرغ :
وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامه
(٢) ط : « للتحر » صوابه من ش والتفسير التالى .
(٣) ط : « فتلك » ، صوابه من ش .
(٤) التكملة من القاموس .

هذا الغائص : أتبع أبى فى الهلاك أو أستفيدَ مالاً كثيراً . والرَّغيبة : العطاء الكثير . وقوله : نصف النهار . . الخ رُوى (ورفيقُه) بدل (وشريكه) . ومُنْيَتَهُ ، هى ما يتمنّاه . وصدفيّة : حالٌ من الضمير المجرور بالباء . ويُعطَى ، بالبناء للمفعول . ويمنَعها أى ويمنع الدرّة من البيع . وقوله : ألا تَشرى : أى ألاَ تَبيعها . والصَّوارى : جمع صارٍ ، وهو الملاَّح والبحْرىّ . وروى (الشَّوارى) بدلَه ، وهو جمع شارٍ بمعنى المشترى . وسجودُهم لها ، لعزّتها ونَفَاستها . والتَّجْر : مصدر تَجَرَ تَجراً وتِجارة من باب نصر . ٥٤٥

ومن أبيات المديح :

(أنتَ الرئيسُ ، إذا هُمُ نزَلوا ... وتواجَهوا كالأُسْدِ والنُمرِ
أو فارسُ اليَحْموم يتبعُهم ... كالطَّلْقِ يَتْبَعُ ليلةَ البَهْرِ
ولأنتَ أشجعُ مِن أُسامةَ إذ ... يَقَعُ الصُراخُ ولُجَّ فى الذُّعْرِ[(١)]
ولأنتَ أجودُ بالعطاءِ مِن الرَّ ... يَّانِ لما ضُنَّ بالقَطرِ[(٢)]
ولأنْتَ أحيا من مُخبَّأةٍ ... عذراءَ تقطُنُ جانِبَ الكِسْرِ
ولأنتَ أبيَنُ ، حين تنطِقُ مِن ... لُقمانَ لمّا عَىَّ بالأمرِ[(٣)]
لو كنتَ مِن شىءٍ سوى بَشَرٍ ... كنتَ المنوِّرَ ليلةَ البَدرِ[(٤)]

فارسُ اليحموم هو ملك العرب النعمانُ بن المنذر . واليحموم : اسم فرسه

(١) رامبور : « دعيت نزال ولج » .
(٢) ط : « فى القطر » صوابه فى ش والديوان .
(٣) ط : « ولأنت أحكم » ، وأثبت مافى ش والديوان . وفى الديوان أيضا : « عى بالمكر » وفى شرح شواهد المغنى : « ولأنت أنطق ... بالفكر » .
(٤) ينسب هذا البيت أيضاً إلى زهير . ديوانه ٩٥ وبشرح الأعلم ٦٤ . والشعراء ٨٨ ونسبه ابن قتيبة فى الشعراء ١٣٠ إلى المسيب بن علس .

والطَّلْق ، بالفتح ، الليلة التى لا حَرَّ فيها ولا برد . وليلةُ البَهْر : ليلة البدر ، حين يبهَرُ النجومَ أى يغلبها بنوره .

قيس بن معد يكرب

وقَيْس بن مَعْدِ يكربَ الكِندىّ ، مات فى الجاهليَّة ، يقال له الأشجّ لأنه شُجَّ فى بعضِ أيامهم . وله عدّة أولادٍ ، أكبرُهم حُجَيّة ، وبه كنى زماناً ثم كنى بولده « الأشعث » واسمه معْد يكرب ، وسمِّى الأشعثَ لأنه كان أبداً أشعثَ الرأس ؛ وقد أسلم ووُلد له « النُّعمان بن الأشعث » وقد بُشِّرَ به وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله لَجَفْنةٌ من ثريدٍ أطعِمُها قومى ، أحبُّ إلى منه ! وهلَك صغيراً . وللأشعث عدّة أولاد أيضاً ، منهم « قيس بن الأشعث » وأخذ قَطيفةَ الحسين رضى الله عنه يوم قُتِل ، فكان يقال له : قيس قطيفة .

ولقيس بن معد يكربَ بنتٌ اسمها « قَتيلة » تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتُوفِّى قبل أن تصل إليه . وابنه « سيف بن قيس » وفد على النبىّ صلى الله عليه وسلم فأمره أن يؤذِّن لهم ؛ فأذّن حتى مات . كذا فى جمهرة الأنساب لابن الكلبىّ .

وأعشى ميمون صاحب الشعر ، تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الثالث والعشرين(١) ، وقد نقلتُ شعره هذا من ديوانه(٢) . وقد رواها له أبو عُبيدةَ ،

---

(١) الخزانة ١ : ص١٧٥

(٢) ظ : « وقال قد نقلت » صوابه فى ش . الميمنى : القصيدة وجدتها فى نسخة ديوان الأعشى ببلد رامبور (الهند) غير منقوطة فى ٥٢ بيتا وليست فى طبعة الديوان لأنها رواية ثعلب ، إلا أن مصححها الأستاذ رودلف غبر ، ألحقها فيما جمعه من شعر المسيب ٣٥١ ولكنها مخرومة مبتورة عنده . وكان الماجز قد قام بجمع بعض الفوائد على طبعته بعد عثوره على نسخة رامبور الرديئة ، وتطبع فى المجلد الثانى المشتمل على الترجمة الألمانية بالعربية ، كما قد كتب به الأستاذ المشار إليه » .

وابنُ دُرَيد ، وغيرها . وأمّا الأصمعىّ فقد أثبتها للمسيِّب بن عَلَس الجُماعى ، وهو خال الأعشى ميمون المذكور ، وهو أحد الشعراء الثلاثة المقِلّين الذين فُضّلوا فى الجاهليّة .

قال أحمدُ بن أبى طاهر : كان الأعشى راوية المسيّب بن عَلَس — والمسيّب خاله — وكان يَطْرُد شعرَه(١) ويأخذ منه . كذا فى الموشّح للمرزُبانىّ .

والمسيِّب : اسم فاعل(٢) لُقِّبَ به لأنه كان يرعى إبل أبيه فسيَّبها ، فقال له أبوه : أحقُّ أسمائِك المسيَّب . فغلَب عليه . وقال ابن دُريد فى كتاب الاشتقاق : إنّ اسمه زُهير ، وإنّه لقِّب بالمسيَّب لقوله :

فإن سَرَّكم ألاَّ تئوب لقاحُكم غِزاراً ، فقولوا للمسيّب يلحق(٣)

وهو جاهلىّ ولم يدرك الإسلام . ونسبه فى الجمهرة كذا : المسيّب ابن عَلَس بن مالك بن عمرو بن قُمامة بن زيد بن ثعلبَة بن عدِىّ بن مالك ابن جُشَمَ بن بلال بن جُماعة بن جُلَىّ بن أحْمَسَ بن ضُبيعة بن ربيعة بن نزار ٥٤٦
ابن مُضَر — وعَلَس بفتح العين واللام ، منقولٌ من اسم القُراد(٤) . وقُمامة بضمّ القاف ، وجُماعة بضمّ الجيم ؛ وروى ابنُ السكِّيت خُمَاعة بالخاء المعجمة

---

(١) ط : « يطرى » صوابه فى ش والموشح . والطرد : السرقة والاغتصاب وسارق الشعر لا يطرى من سرق منه .

(٢) الصواب أنه كمعظم ، كما فى القاموس . وفى شرح الأنبارى للمفضليات ٩٢ : « إنما لقب زهير بن علس بالمسيب حين أوعد بنى عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر ابن ضبيعة : قد سيبناك والقوم » .

(٣) فى النسختين : « بالحق » ، صوابه من الاشتقاق ٣١٦ . فيحتمل أن يكون صواب ماهنا « ياالحق » بحذف المنادى .

(٤) قيل إن « علس » اسم أمه ، فلا يصرف .

المضمومة . وجُلَيّ بضم الجيم وفتح اللام وتشديد المثنّاة التحتيّة . وأحمس أفعل من الحماسة . وضُبيعة بالتصغير .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث بعد المائتين :

٢٠٣ (فألْحَقَهُ بالهادِياتِ ودونَه جَواحِرُها في صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ[1])

على أنّ قوله : (ودونه جَواحرها) جملة حاليّة ، لا الظرف وحدَه حالٌ والمرفوع بعده فاعله ، خلافاً لمن زعمه في نحو : جاءني عليه جُبَّةُ وشيٍ ، لأنّه لو كان من الحال المفردَة لامتنعت الواوُ ، فإنّها لا تكون مع الحال المفردة ؛ فلمّا ذكِرَتْ في بعض المواضع ، عُرف أنّ الجملة حالٌ لا الظرف وحدَه . . وصاحبُ الحال الهاء في قوله : (فألحقَه) وهي ضمير المفعول . وفاعل ألحقه ضميرٌ مستتر راجعٌ إلى الغلام في بيتٍ قبله . والهاء ضمير الكميت . أي فألحقَ الغلامُ الكميتَ بالهاديات ، ويجوز العكسُ ؛ فيكون فاعل ألحقَ ضميرَ الكميت والهاء ضميرَ الغلام أي فألحق الكميتُ الغلامَ بالهاديات . وأراد بالهاديات أوائلَ الوحش ومتقدّماتها — يقال : أقبلَتْ هوادي الخيلِ : إذا تقدّمت أوائلُها — جمع هاديَة ، والهادي : أوّل كلِّ شيء . وضمير (دونَه) يعود على ما عاد عليه الهاء . و (جواحرها) : أي متأخراتها — والهاء ضمير الهاديات — وهو جمع جاحرة ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، يقال جَحرَ فلانٌ أي تأخّر . وجواحرها مبتدأ ودونَه الخبر تقدم عليه ، والجملة حالٌ كما تقدّم أي ودونَ مكانه ، أو ودونَ غايته التي وصل إليها ، أو دون بمعنى عند ؛ وقيل : دُونَ هنا بمعنى أقربَ . وردّه الزوزنيُّ بأنّه إنما يكون

(١) الشاهد من معلقة امرئ القيس .

دون بمعنى أقرَب منه إذ أُتِيَ باسمَين ، نحو هذا دونَ ذاك[١] . و (الصَّرَّة) بفتح الصاد وتشديد الراء المهملتين ، يجوز أن يكون هنا إمّا بمعنى الضَّجّة والصَّيحة ، وإمّا بمعنى الجماعة ، وإمّا بمعنى الشدّة من كرب أو غيره ؛ وقيل الصَّرَّة هنا الغُبار فقوله : فى صَرَّة ، فى بعض الوجوه حالٌ من الهاديات ، وفى بعضها حال من جواحرها ، كذا قال الزوزنىّ[٢] . ويجوز أن يتعلّق الجارّ فى جواحرها . وجملة (لم تَزَيَّلِ) صفة صَرة ؛ وأصله تتَزَيّل ، بتاءين ، أي لم تتفرق . وصفَ بهذا البيت شدّةَ عدْوِ فرسِهِ ، يقول : إنّ هذا الفرسَ لمّا لحق أوائلَ الوحش ، بقيتْ أواخرُها لم تتفرَّق ؛ فهى خالصةٌ له .

وهذا البيتُ من جملة أبياتٍ فى وصف الفرَس ، من معلّقة امرئُ القيس المشهورة ، والأبيات هذه :

أبيات الشاهد

(وقد أغتَدِي والطيرُ فى وُكُناتِها بمنجردٍ قَيدِ الأوابدِ هَيكلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجلمودِ صَخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ
كُميتٍ يزِلُّ اللِبْد عن حالِ مَتْنِهِ كما زَلّتِ الصَّفواء بالمتنزل
على الذَّبْلِ جيّاشٌ كأنَّ اهتزامَهُ إذا جاشَ فيه حَمْيُهُ ، غَلْيُ مِرْجَلِ
٥٤٧ يَزِلّ الغلامُ الخِفُّ عن صَهَواته ويُلوِى بأثواب العَنيفِ المثقَّلِ
دَرِير كخُذْرُوف الوَليـدِ أمَرَّه تتابُعُ كفَّيْهِ بخَيْطٍ مُوَصّلِ
له أيطَلا ظَبْيٍ ، وساقا نَعامةٍ ، وإرخاء سِرْحان ، وتقريبُ تتفل

(١) العجب أن الزوزنى فى شرحه للبيت لم يعارض أن تكون دون بمعنى أقرب بل هو لم يثبت غير هذا المعنى قال : لافهى دونه ، أىأقرب منه . فلعله من سهو البغدادى ، ولم يتعرض التبريزى لهذه الكلمة .

(٢) لم أجد هذا الكلام أيضاً عند الزوزنى ، وانظر الحاشية السابقة . ولعلهما عن شارح آخر غير الزوزنى ، كما أنه غير التبريزى وابن الأنبارى .

مِسحٍّ إذا ما السابحاتُ على الوَنا ... أثَرْنَ غباراً بالكَديد المركَّلِ
ضليعٍ ، إذا استدبرتَه سدَّ فَرْجَه ... بضافٍ فُويق الأرضِ ليس بأعزَلِ
كأنّ سَراتَه لَدَى البيت قائماً ... مَداكُ عَروسٍ أو صَلاية حنظَلِ[1]
كأنّ دِماء الهاديات بنحره ... عُصارةُ حِنَّاء بشَيبٍ مُرجَّلِ
فعنَّ لنا سِربٌ كأنّ نعاجَه ... عَذارى دَوارٍ فى مُلاءٍ مُذيَّلِ
فأدبَرْنَ كالجِزْعِ المفصَّل بينَه ... بجيدِ مُعَمٍّ فى العَشيرة مُخوَلِ
« فألحقَه بالهادياتِ ودونَه ... جواحِرُها في صَرَّة لم تَزَيَّلِ »
فعادى عداءً بينَ ثَورٍ ونعجة ... دِراكاً ولم يَنضَحْ بماء فيغسَلِ
فظلَّ طُهاة اللحمِ ما بينَ منضِجٍ ... صَفيفَ شواءٍ أو قديرٍ معجَّلِ
ورُحنا يكادُ الطَرفُ يقصُرُ دونَه ... متى ما تَرَقَّ العينُ فيه تَسهَّلِ
فباتَ عليه سَرجُه ولجامُه ... وباتَ بعينى قائماً غيرَ مُرسَلِ)

قوله : وقد اغتدى الخ ، تقدّم شرحه قريباً[2] . وقوله : مِكرٍّ مِفرٍّ الخ ، بكسر أوّلها وفتح ثانيهما ، وهما بالجرّ صفتان لقوله منجرد ، وكذلك مُقبل ومُدبر ، صفتان له ، لكنّهما اسما فاعلٍ بضم أوّلها . قال صاحب القاموس : كرّ عليه : عطَف ، وعنه : رجع ؛ فهو كرّار ومِكرّ بكسر الميم . وقال

(١) هذا البيت لم يرد فى ش وورد فى ط بلفظ :
كأن على الكتفين منه إذا انتحى ... مداك عروس أو صلاية حنظل
وهى غير الرواية التى اعتمدها المؤلف بالشرح فيما سيأتى . وأظن أن البيت كان ساقطا من نسخة المؤلف سهواً ، فأثبته ناسخ أصل المطبوعة الأولى أو طابعها وفق الرواية المشهورة .

(٢) انظر ص ١٥٦ وما بعدها من هذا الجزء

الزَوزَنىّ : مِفعَل يتضمَّن مبالغة ، كقولهم : فلانٌ مِسعَر حرب . وإنما جعلوه متضمِّناً مبالغةً لأنّ مِفعَلاً يكون من أسماء الأدوات كأنه أداة للكَرّ والفرّ وآلة لتسعّر الحرب » . والجُلمود ، بالضمّ : الصَّخرة الملساء . وعلٍ بمعنى فوق ؛ واستشهد به سيبوَيه وصاحبُ مغنى اللبيب على أنّه بمعناه ، وأنّ الجرَّ بمنْ لأنّه قدّره نكرة غير مضاف إلى شىء فى النيَّة .

قال ابن رشيق فى باب الاتساع ، من العمدة « إنّ الشاعر يقول بيتاً يتّسع فيه التأويل ، فيأتى كلٌّ واحدٍ بمعنى ، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوّته واتساع المعنى ، من ذلك قولُ امرئ القيس :

مِكرٍّ مفرٍّ مُقبلٍ مدبرٍ معاً . . . . البيت

فإنّما أراد أنّه يصلح للكرّ وللفرّ ، ويحسُن مقبلاً ومدبراً . ثمّ قال : معاً ، أى جميع ذلك فيه . وشبّهه فى سرعته وشدّة جريه بجلمودٍ حطّه السيل من أعلى الجبل — وإذا انحطّ من علٍ كان شديدَ السُّرعة ؛ فكيف إذا أعانته قوّة السيل من ورائه ! — وذهب قوم ، منهم عبد الكريم ، إلى أنّ معنى قوله : كجلمود صخر الخ ، إنّما هو الصَّلابة ؛ لأنّ الصخر عندهم كُلّما كان أظهرَ للشمس والريح كانَ أصلَب . وقال بعض مَن فسّره مِن المحدَثين : إنّما أراد الافراط : فزعم أنّه يُرَى مُقبلاً مدبراً فى حال واحدة عندَ الكرّ والفرّ ، لشدَّة سرعته ؛ واعتَرضَ على نفسه فاحتجّ بما يُوجَد عِياناً ، فمثّله بالجُلمود المنحدِرِ من قُنّة الجبَل : فإنّك ترى ظهرَه فى النَّصبة ، على الحال التى ترى فيها بطنه وهو مقبل إليك . . ولعلّ هذا ما مرّ قطُّ ببال امرئ القيس ، ولا خطَر فى وهْمه » انتهى .

وحاصل هذا وصفُه بلين الرأس ، وسرعة الانحراف ، فى صدر البيت ،

وشدَّة العدْو فى عجزه . وقيل : إنه جمع وصفَى الفَرَس بحسن الخَلْق وشدّة العدْو ، لكونه قال فى صدر البيت : إنّه حسَنُ الصورة كاملُ النَّصْبة فى حالتَيْ إقباله وإدباره وكَرّه وفَرّه ، ثمّ شبّهه فى عجز البيت بجلمودِ صخر حطّه السيل من العلو ، لشدّة العدْو ، فهو فى الحالة التى ترى فيها لَببَهَ ترى فيها كفلَه . وبالعكس .

وقوله : كميت يزلّ اللبِدْ الخ ، الكميت : الذى عُرْفه وذنَبه أسْوَدان ؛ وهو مجرورٌ صفةُ منجرد . والحال : مقعَد الفارس من ظهر الفرس . والمتْن : ما اتَّصل بالظَهر من العجز . والصَّفْواء : الصَّخرة الملْساء التى لا يثْبُت فيها شىء . والمتنزّل ، اسم فاعل : الطائر الذى يتنزّل على الصخرة ؛ وقيل : هو السَيْل ، لأنّه يتنزّل الأشياء ؛ وقيل : هو المطر . والباء للتعديَة . يقول : هذا الكميتُ يزِلُّ لِبدُه عن حال مَتْنه ، لانمِلاس ظهره[1] واكتِنازِ لحمه — وهما يُحمَدان من الفَرَس — كما يُزِلّ الحجرُ الأملسُ النازلَ عليه ، فلا يثبت عليه شىء .

وقوله : على الذَّبْل جيّاش الخ ، الذَّبْل : الضمور . والجَيّاش : الفرس الذى يَجيش [فى[2]] عدْوِه ، كما تجيش القدْر فى غلَيانها . واهتزامه : صوته . وحَمْيه : غليه . والمِرْجَل ، بكسر الميم : كلّ قِدْرٍ من حديد ، أو حَجَر ، أو نُحاس ، أو خزَف أو غيره . يقول : تغلى حرارة نشاطه على ذُبول خَلْقه وضُمْر بَطْنه ، وكأنّ تكسُّر صهيله فى صدره غليانُ قِدْر . جعله ذكى القلب نشيطا فى العدْو مع ضُمْره ثم شبّه تكسُّر صهيله فى صدره بغليان القِدر[3] .

(١) فى النسختين « لاغلاس ظهره » ، وأصلحها الشنقيطى بما أثبته .
(٢) التكملة من ش والزوزنى .
(٣) انظر هذا الكلام عند الزوزنى .

ورُوى (على العَقْبِ جياش) . والعَقْب ، بفتح فسكون : جَرْىٌ بعْدَ جرْى ؛ وقيل : معناه إذا حرّكته بعَقِبك جاشَ ولم تحتجْ إلى السوط ، فإذا كان آخرُ عدْوه على هذه الحالة ، فما ظنُّك بأوله ؟ ! وجيّاشٍ بالجرّ صفة منجرد .

وقوله : يَزِلّ الغلامُ الخِفُّ الخ ، يزلّ : يزلق . والخِفّ بكسر المعجمة : الخفيف ؛ وسمع أبو عُبيدة فتحها . والصَّهْوة : موضع اللِبْد ، وهو مقعد الفارس . وجمعها بما حوْلها(١) . ويُلوى ، بالضمّ : أى يُذهبها ويُبعِدها . والعَنيف : مَن ليس له رِفْق . والمثقَّل : الثقيل . قال بعضهم : إذا كان راكبُ الفرس خفيفاً رَمَى به ؛ وإن كان ثقيلاً رَمى بثيابه . والجيِّد أنّ المعْنِي بأثواب العنيف نفسُه ، لأنّه غير حاذقٍ بركوبه . وقيل : معناه أنّه إذا ركبه العنيف لم يتمالك أن يُصلح ثِيابه ، وإذا ركبه الغلامُ الخِفّ زلّ عنه لسرعته ونشاطه ، وإنّما يصلح له مَن يُداريه .

وقوله : درير كخُذْرُوف الوليد الخ ، درير : مستدرّ فى العدْو . ويصف سرعة جريه : والخُذْرُوف ، بالضمّ : الفرّارة(٢) التى يلعب بها الصِبيان يُسمع لها صوت . وأمَرَّه : أَحْكم فَتْله . يقول : هو يُدِرّ الجرىَ أى يديمه ويواصله ويُسرع فيه إسراع خُذروف الصبى إذا أَحْكَم فتل خَيطه وتتابعتْ كَفّاه

(١) هذا الكلام للتبريزى ، وقال الزوزنى : « وإنما عبر بصهواته ولا يكون له إلا صهوة واحدة لأنه لا لبس فيه ، فجرى الجمع والتوحيد مجرى واحداً عند الاتساع ؛ لأن إضافتها إلى ضمير الواحد تزيل اللبس ، كما يقال رجل عظيم المناكب وغليظ المشافر ، ولا يكون له إلا منكبان وشفتان » .

(٢) كذا فى النسختين . والصواب « الخرارة » بالخاء كما هو عند التبريزى فى الشرح ، والزمخشرى فى الأساس (خرر) واللسان (خذرف) . وانظر القاموس (خذرف ، خرر) والخذروف لا يفر ، وإنما هو يدور ويصوت ، فيترجم بأنه « الدوارة » كما فى شرح البطليوسى ، وبأنه « الخرارة » .

فى فتله وإدارته بخيطٍ انقطَعَ ثم وُصِل . وذلك أشدّ لدَورانه لانملاسه[1] .

وقوله : أيطَلَا ظَبْيٍ الخ ، الأَيْطَل : الخاصرة : وإنّما شبّهه بأيطَل الظّبي لأنّه طاوٍ . وقال : ساقا نعامة ، والنعامة قصيرة الساقين صُلْبتُهما ، وهى غليظة ظَمْياء ليست برَهِلة . ويستحبُّ من الفَرَس قِصَر الساق ، لأنّه أشدُّ لرمْيها لوظيفها . ويُستحَبّ منه مع قِصَر الساق طولُ وَظيفِ الرجْل وطولُ الذراع ، لأنّه أشدّ لدحْوِه أى لرميه بها . والإِرْخاء : جرىٌ ليس بالشديد . وفرسٌ ٥٤٩
مِرْخاء . وليس دابّةٌ أحسَنَ إرخاء من الذئب . والسِّرحان : الذئب . والتقريب : أن يرفع يدَيه معاً ويضعَهما معاً . والتتفل بضمّ التاء الأولى وفتحها مع الفاء : ولد الثعلب ، وهو أحسن الدوابّ تقريبا .

وقوله : مِسَحّ إذا ما السابحات الخ ، المِسَحّ ، بكسر الميم : الفرَس الذى كأنّه يصبُّ الجرىَ صبّاً . والسابحات : اللواتى عَدْوُهنّ سِباحة . والسباحة فى الجرى : أن تدحُوَ بأيديها دحواً : أى تبسُطَها . والوَنا ، بفتح الواو والنون ، يمدّ ويقصر : الفتور . والكَديد ، بفتح الكاف : الموضع الغليظ . والمركّل ، اسم مفعول : الذى يركّل بالأرجل . يقول : إنّ الخيلَ السّريعة إذا فترت فأثارت الغبارَ بأرجُلها من التعب ، جرى هذا الفرسُ جرياً سهلاً كما يسُحُّ السَّحابُ المطر . وعلى تتعلّق بأثَرْنَ ، وكذلك الباء .

وقوله : ضليع إذا استدبَرْتَه الخ ، الضليع : العظيم الأضلاعِ المنتفخُ الجَنْبَين[2] ضلُع يضلُع ضَلاعة . والاستدبار : النظر إلى دُبُر الشىء . والفَرْج ، هنا : ما بين الرِّجْلين . والضافى : السابغ . والأعزل : المائل الذَّنَب . ويُكره

(١) فى النسختين : « لاغلاسة » صوابه من الزوزنى ، وفيه : « لا غلاسه ومرونه على ذلك » وانظر الحاشيه (١) ص ٢٤٥ من هذا الجزء

(٢) ط « الجبين » ، صوابه فى ش .

من الفرَس أن يكون أعزلَ ذنبُه إلى جانب ، وأن يكون قصير الذنَب ، وأن يكون طويلاً يطأ عليه . ويستحبُّ أن يكون سابغاً قصيرَ العَسِيب .

وقوله : كأنّ سَراتَه لدى البيت الخ ، السَّراة بالفتح : الظهر . والمَداك ، بالفتح : الحجَر الذى يُسحَق به ؛ والمِدْوَك بالكسر : الحجر الذى يُسحَق عليه ؛ من الدَّوْك وهو السحق والطَحْن . والصَّلاية بالفتح : الحجر الأملس الذى يُسحَق عليه شئٌ . يقول : إذا كان قائماً عند البيت غير مُسْرج رأيتَ ظهْره أملسَ ، فكأنّه مَداكُ عَروسٍ : فى صفائها وانملاسها . وإنّما قيّد المَداك بالعَروس ، لأنّه قريبُ العَهْد بالطيب . وقيَّد الصَّلاية بالحنظل ، لأنّ حَبَّ الحنظَل يخرج دهنه فيَبرُق على الصلاية . ورواه العسكرىّ فى التصحيف[1] (صرَاية) ، قال : ومِمَّا يُروى على وجهين «مداك عروس أو صَرَاية حنظل»: رواية الأصمعىّ « صَرَاية » بالصاد مفتوحة غير معجمة وتحت الياء نقطتان ، وهى الحنظلة الخضراء ؛ وقيل : هى التى اصفرّت ، لأنّها إذا اصفرّت برَقت ، وهى قبل أن تصفَرَّ مغبرَّة . قال : ومثله :

إذا أعرضَتْ قلت دُبَّاءة من الخُضْر مغموسة فى الغدُر[2]

أى مِنْ بريقها ، كأنّها قَرعة . قال الشاعر :

كأنَّ مَفارِق الهامات مِنهمْ صَرايات تهاداها الجَوارى

ورواه أبو عُبيدة « صِراية » بكسر الصاد ، وقال : هو المـاء الذى ينقَع فيه الحنظل — ويقال صَرى يَصرِى صَرياً وصراية — وهو أخضرُ صافٍ . ورواه بعضهم « صَرابة حنظل » بباء تحتها نقطة واحدة . فمن قال هذا أراد الملوسة والصفاء . يقال : اصرأبَّ الشىء أى املاسَّ . انتهى .

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٢٣ .

(٢) البيت لامرىء القيس فى ديوانه ١٦٦ .

وقوله : كأنَّ دماء الهاديات بنحْره الخ ، الهاديات : المتقدِّمات والأوائل . ويريد بعُصارة الحِنَّاء ما بقى من الأثر . والمرجَّل ، بالجيم : المسَرَّح ، والترجيل : التسريح . يقول : إنَّه يلحق أوَّلَ الوحش — فإذا لِحق أوَّلَها عُلِم أنَّه قد أحرز آخرها — وإذا لحقها طعَنها فتصيب دماؤُها نحْرَه . وقوله : فَعَنَّ لنا سِرْب الخ ، عَنَّ : عرَض وظهر . والسِّرْب ، بالكسر : القطيع من البقر ، والظِباء ، والنساء . والنِّعاجُ : جمع نعْجة ، وهى الأنثى من بقر الوحش ، ٥٥٠
ومن الضأن . « ودَوَار » بالفتح : صنَم كانوا يدُورون حولَه أسابيع ، كما يُطاف بالبيت الحرام . والمُلاء ، بضمِّ الميم : جمع مُلاءة ، وهى المِلْحَفة . والمذيَّل : السابغ ؛ وقيل : معناه له هدب ؛ وقيل : إنَّ معناه له ذيل أسود . وهو أشبه بالمعنى ، لأنَّه يصف بقر الوحش ، وهى بيضُ الظهورِ سودُ القوائم . يقول : إنَّ هذا القطيعَ من البقَر يلُوذ ببعْضِه ويدُور كما تدور العَذارى حولَ دَوَار . وهو نسك كانوا فى الجاهلية يدورون حوله . وقال العسكرىّ فى التصحيف : « يروى دُوار ، بدال مضمومة ودَوار ، بدال مفتوحة وواو مخففة . وهو نُسكٌ كان لهم فى الجاهليّة يُدار حولَه . ودَوَّار — فى غير هذا ، بفتحة الدال وتشديد الواو — سجنٌ فى اليمامة . ودُوَّار ، مضموم الدال مثقَّل الواو : موضع » انتهى .

وقال الزَوزَنى : والمذيَّل : الذى أُطِيل ذيلُه وأُرخى . يقول : تعرّض لنا قطيعٌ من بقَر الوحش كأنَّ إناثَه عَذارى يَطُفْن حولَ حجرٍ منصوب يُطاف حوله ، فى مُلاءٍ طويلة الذيل . شبَّه البقر فى بياض ألوانها بالعذارى ، لأنَّهنَّ مصُوناتٌ بالخدور لا يغير ألوانهن [حَرُّ الشمس] وغيره(١) وشبَّه

(١) ط : « لايغير ألوانهن غبرة » وفى ش : « لايغير ألوانهن وغيره » وتصحيحه من الزوزنى ، وفيه : « لايغير ألوانهن حر الشمس وغيره » .

طولَ أذنابها وسبوغ شَعرها بالملاء المذيّل . وشبّه حُسن مشيها بحسن تبختُر العذارى فى مشيهنّ .

وقوله : فأدبرن كالَجزْع المفصَّل الخ ، الَجزع ، بالفتح : الخرَز ، وقال أبو عُبيدة بالكسر ، وهو الخرَز الذى فيه سوادٌ وبياض . وبِجيد : أى فى جِيد ، وهو العنق ومعنى مُعِمّ مُخوِل له أعمام وأخوال ، وهم فى عَشيرة [واحدة[1]] كأنّه قال : كريم الأبوين . وإذا كان كذلك كان خرَزه أصفى وأحسَن . يصف أنّ هذه البقرَ من الوحش تفرّقت كالَجزْع ، أى كأنّها قِلادة فيها خرَز قد فُصِّل بينه بالخرز ، وجُعِلت القِلادةُ فى عُنق صبيٍّ كريمِ الأعمامِ والأخوال . شبّه بقرَ الوحش بالخرَز اليمانىّ ، لأنّه يسودُّ طرفاه وسائرُه أبيض ، وكذلك بقرُ الوحش يسودُّ أكارعُها وخُدودها، وسائرُها أبيض . شرط كونَه جِيدَ مُعِمّ مُخول ، لأنّ جواهر قِلادة مثلِ هذا الصبيّ أعظمُ من جواهر قلادةِ غيره . وشرط كونَه مفصَّلاً لتفرّقِهنّ عند رؤيته .

وقوله : فألحقه بالهاديات ، تقدّم شرحه[2] . وقوله : فعادى عداءً بين ثَور ونعْجة الخ ، عادَى : والى بين اثنين فى طَلَق ، ولم يعرَق أى أدرك صيده قبل أن يعرَق . وقوله : فيغسَل ، أى لم يعرَق فيصيرَ كأنّه قد غُسل بالماء . ودِراكاً بمعنى مدارَكة ، فى موضع الحال . ولم يرد ثَوراً ونعجة فقطْ ، وإنّما أراد الكثير ؛ والدليل عليه قوله دِراكاً ، ولو أرادها فقطْ لاستغنى عنه بعادَى . وفيه مبالغةٌ لا تخفى .

وقوله : فظلّ طُهاةُ اللّحم الخ ، هو جمع طاهٍ ، وهو الطبّاخ . والصّفيف : الذى قد صُفِّف مُرقّقا على الجمر ، وهو شواء الأعراب . والقدير : ما طبخ

(١) التكملة من التبريزى .

(٢) فى ص ٢٤١ من هذا الجزء وهو بيت الشاهد .

فى قِدر . ووُصف بمعَجّل ، لأنهم كانوا يستحسنون تعجيلَ ما كان من الصيد ويستطرفونه . يقول : ظلّ المُنضِجون اللحم وهم صِنفان : صِنف يُنضجون شواءً مصفوفاً على الحجارة فى النار والجمر ، وصِنفٌ يطبُخون اللحمَ فى القِدر . يقول : كثُر الصيدُ فأخصبَ القومُ فطبَخوا واشتَوَوْا . ومِن للتفصيل والتفسير(١) ، نحو هم من بينِ عالِمٍ أو زاهد ، يريد أنّهم لا يعدُون الصِنفين . وصَفيفَ منصوبٌ بمنضج ، وهو اسم فاعل . وقدير : مجرور بتقدير مضافٍ معطوف على مُنضِج ، والتقدير : أو طابخِ قدير ، أولا تقديرَ لكنّه معطوفٌ على صفيف ، وخُفِض على الجِوار أو على توهُّم أنّ الصفيفَ مجرورٌ بالإضافة ، ٥٥١
وعند البغداديِّين هو معطوف على صَفيف من قبيل العطف على المحلّ ، ولا يشترطون أن يكون المَحلّ بحقّ الأصالة . كذا فى مغنى اللبيب .

وقوله : ورُحنا يكاد الطرف الخ ، يقول : إذا نظرَتِ العينُ إلى هذا الفرَس أطالت النظر إلى ما يُنظَر منه ، لحسْنه ، فلا تكاد العينُ تستوفى النظرَ إلى جميعه . ويحتمل أن يكون معناه : أنه إذا نظرتَ إلى هذا الفرس لم تُدِمِ النظرَ إليه لئلاّ يصابَ بالعين ، لحسنه . وقوله : متى ما تَرَقّ الخ ، أى متى نظرتْ إلى أعلاه نظرَتْ إلى أسفله ، لكماله ، ليستتمّ النظر إلى جميع جَسَده . وأصلهما تَترقّ وتَتَسَهّل بتاءين ، وجُزِما على أنّ الأوّل فعلُ الشرط والثانى جوابه . وما زائدة ، ورُوى :

(ورُحنا وراحَ الطِّرْفُ ينفُضُ رأسَه)

والطِّرف ، بالكسر : الكريم الطَرَفين . وينفض رأسه ، من المرح والنشاط .

---

(١) انما يستقيم هذا على رواية : « من بين منضج » ، لكن الرواية التى أوردها البغدادى من قبل « ما بين منضج » .

وقوله : فباتَ عليه سَرْجُه ، فى بات ضميرُ الـكميت ، وجُملة عليه سرجه خبر بات ، وباتَ الثانى معطوفٌ على الأوّل ، وبعيني خبره ، أى بحيث أراه ، وقائماً حال ، وغيرَ مرسل أى غيرَ مهمل . ومعناه : أنّه لما جيء به من الصَّيْد لم يُرفَع عنه سَرجُه وهو عَرِقٌ ، ولم يقلع لجامه فيعتلف[1] على التعب فيؤذِيه ذلك . ويجوز أن يكون معنى فبات عليه سرجه الخ ، أنهم مسافرون ، كأنّه أراد الغدُوّ فـكان مُعَدًّا لذلك . والله أعلم .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد المائتين :

٢٠٤ (وإنّ امرأً أَسْرَى إليكِ ودُونَه
مِنَ الأرْضِ مَوماةٌ وبَيداء سَمْلَقُ[3])

لما تقدَّم قبله : فإنّ جملة قوله : (ودونَه من الأرض مَوماة) من المبتدإ والخبر ، حالٌ لا الظرف وحدَه ، كما بيّنّاه . وصاحبُ الحال الفاعلُ المستتر فى قوله أسرى العائد إلى امرئ . وأسرى بمعنى سرى ، قال فى الصحاح : « وسَريت سُرًى ومَسْرًى وأسريت ، بمعنًى : إذا سِرت ليلاً . وبالألِف لغةُ أهلِ الحجاز ، وجاء القرآن بهما جميعاً . والـكاف من إليكِ مكسورةٌ ، لأنّه خطابٌ مع ناقته . و (دون) هنا بمعنى أمامَ وقدّامَ . و (المَوماة) بالفتح : الأرض التى لا ماء فيها ، وفى القاموس : الموماء والمَوماة : الفَـلاة ، والجمع

(١) فى النسختين : « فيتعلق » صوابه من التبريزى .
(٢) الخزانة : ١ ص ٣٢٩
(٣) ابن الشجرى ١ : ٣١٧ والإنصاف ٥٨ وديوان الأعشى ١٤٩ .

الموامى . وأشار إلى أنّها فَوْعَلة : لأنّه ذكرها فى المعتلّ الآخِرِ بالواو . و (البَيداء) : القفر ، فَعْلاء من باد يبيد : إذا هلك . (والسَّمْلَق) الأرض المستوية . وبَيداء معطوف على موماة وسَملق صفته ، وجملة أسرى إليكِ صفة امرئ . وخبر إنّ (لَمحقوقةٌ) فى بيتٍ بعدَه ، وهو :

(لَمحقوقةٌ أن تَستجيبي لصَوتهِ وأنْ تعلَمى أنَّ المُعَانَ مُوَفَّقُ)

وقد أنشد المحقّق الشارح هذين البيتين فى باب الضمير[1] على أنّ الكوفيين استدلُّوا بهذا على أنّه يجوز تركُ التأكيدِ بالمنفصل ، فى الصفةِ الجارية على غير مَن هى له ، عند أمن اللَّبس ؛ والأصل لمحقوقة أنت . وهذه مسألةٌ خِلافيّة بين البصريِّين والكوفيِّين يأتى الكلامُ فيها إن شاء الله تعالى فى باب الضمير .

ومطلع هذه القصيدة :

(أرِقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ وما بىَ من سُقمٍ وما بى مَعْشَقُ)

قال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[2] : سمع كسرى أنوشِروانَ يوماً الأعشى يتغنى بهذا البيت ، فقال : ما يقول هذا العربىّ ؟ قالوا : يتغنَّى بالعربية . قال : فسِّروا قوله . قالوا : زعم أنّه سهِر من غير مَرَض ولا عِشْق . قال : فهذا إذاً لِصٌّ . ٥٥٢

وبعد هذا المطلع بأبياتٍ فى وصف الخمرة ، وهو من أبيات الكشّاف والقاضى :

(تُريكَ القَذى مِن دُونِها وهىَ دونَه إذا ذَاقَها مَنْ ذَاقَها يتمطّقُ)

(١) انظر الشاهد السابع والثمانين بعد الثلثمائة .
(٢) الشعر والشعراء ٢١٤ .

وهذا وصفٌ بديع فى صَفاء الخمرة . والتّمطّق : التذوق . قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : أراد أنّها من صفائها تُريك القَذاة عاليةً عليها ، والقَذى فى أسفلها فأخذه الأخطل فقال :

ولقد تُباكِرُنى على لَذّاتها   صهباء عاليـة القذَى خرطومُ

اهـ ، وسيأتى إن شاء الله عزّ وجل ، بعضُ هذه القصيدةِ فى باب الضمير وبعضها فى عَوْضُ من باب الظروف(١) .

وترجمة الأعشى تقدّمت فى الشاهد الثالث والعشرين(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد المائتين(٣) :

٢٠٥ (كما انتفَضَ العُصْفُورُ بلَّله القَطْرُ)

هذا عجز ، وصدره :

(وإنّى لتعْرُونى لذِكْراكِ هَزّةٌ)

على أنّ الأخفَش والكوفيِّين استدلّوا بهذا على أنّه لم تجبْ (قدْ) مع الماضى المثبَت الواقع حالاً ؛ فإنّ جملة (بلَّله القَطْرُ) من الفعل والفاعل ، حالٌ من العُصفور وليس معها قد ، لا ظاهرةً ولا مقدَّرة .

وهذه المسألة أيضاً خلافيّة : ذهبَ الكوفيُّون إلى أنّ الماضيَ المثبَت

---

(١) فى الشاهد السابع والثمانين بعد الثلثمائة ، ثم الشاهد الحادى والعشرين بعد الخمسمائة .

(٢) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٣) ابن يعيش ٢ : ٧٦ وشرح شواهد المغنى ٦٢ والعينى ٣ : ٦٧ ، ٢٧٨ والقالى ١ : ١٤٩ والأغانى ٢١ : ٩٧ والانصاف ٢٥٣ والهمع ١ : ١٩٤ والأشمونى ٢ : ١٢٤ ، ٢١٥ والتصريح ١ : ٣٣٦ / ٢ : ١١ وشرح السكرى للهذليين ٩٥٧ .

بدون قد ، يقع حالاً بدليل قوله تعالى (أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ[١])
فحَصِرَتْ حالٌ بدليلِ قراءة الحَسَن البِصْرِيّ ويَعقوبَ والمفضَّلِ عن عاصم[٢] :
(أَوْ جَاؤُكم حَصِرَةً صُدُورُهُمْ) وقول أبي صخرٍ الهُذليّ :

* كما انتَفَضَ العُصفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ *

وقال البصريُّون : لا يجوز وقوعُه حالاً بدون قَدْ ، لوجهين : أحدهما أنّه لا يدلّ على الحال[٣] ؛ والثانى أنّه إنما يصلح أن يوضع موضعَ الحال ما يصلُح أن يقال فيه الآنَ[٤] ، نحو : مَررت بزيدٍ يُضْرَبُ ؛ وهذا لا يصلح فى الماضى ؛ ولهذا لم يجز ما زال زيد قام ، وليس زيد قام ، لأنّ ما زال وليس يطلبانِ الحال وقامَ ماضٍ ، ولا يلزم على كلامنا إذا كان مع الماضى قد ، لأنّ قد تقرِّب الماضيَ من الحال . وأما الآية والبيت ، فقدْ فيهما مُقدَّرة ؛ وقال بعضهم : حَصِرَتْ صفةٌ لقومٍ المجرورِ فى أوّل الآية ، وهو : (إلاَّ الذين يَصِلونَ إلى قَوْمٍ) وما بينهما اعتراض ، ويؤيِّده أنه قُرِئَ باسقاط أَوْ . وعلى ذلك يكون جاؤكم صفةً لقَوم ويكون حَصِرَتْ صفةً ثانيةً . وقيل : صفة لموصوف محذوف أى قوماً حصرتْ صدورُهم . قال صاحب اللباب : وهذا مذهب سيبويه ؛ وهو ضعيف ، لأنّه إذا قدّر الموصوف يكون حالاً موطّئة ، وصفة الموطئة فى حكم الحال فى إيجاب تصدُّرها بقدْ ، وهو يَمنع حذفَ قدْ ، لا سيّما والموصوف محذوف ، فإنّ الصفة تكون فى صورة الحال ، فالإتيان بقدْ يكون أَولى .

(١) الآية ٩٠ من سورة النساء .

(٢) وكذا حفص عن عاصم فيما ذكر المهدوى . وحكى عن الحسن « حصرات » بالجمع ، كما قرىء « حاصرات » . وقرىء « حصرة » بالرفع على أنه خبر مقدم ، فهى جملة اسمية فى موضع الحال . تفسير أبى حيان ٣ : ٤١٧ .

(٣) ط : « يدل على الحال » صوابه فى ش . وفى الإنصاف : « أحدهما أن الفعل الماضى لايدل على الحال ، فينبغى ألا يقوم مقامه » .

(٤) فى الإنصاف : « الآن أو الساعة » .

وقال المبرّد : جملة حَصِرَت ، إنشائيّـةٌ معناها الدعاء عليهم ، فهى مستأنَفة . ورُدّ بأنّ الدعاء عليهم بِضيق قلوبهم عن قتال قومهم لا يتّجه . وقيل : حَصِرَت بدَل اشتمال من جاؤكم لأنّ المجىء مشتملٌ على الحصَر . وفيه بُعـدٌ ، لأنّ الحصَرَ من صفة الجائين ، لا من صفة المجىء .

٥٥٣ وقد بَسط ابنُ الأنباريّ الـكلامَ على هذه المسألة ، فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف .

واستشهد ابنُ هشام بهذا البيت فى شرح الألفيّة على أنّ المفعولَ له يُجر باللاّم إذا فقد بعض شروطه ، فإنّ قوله هنا لذكراك ، مفعولٌ له جُرَّ باللامِ ، لأنّ فاعله غيرُ فاعل الفِعل المعلَّل : وهو قوله لَتَعرونى ؛ فإنّ فاعلَه هَزّةٌ ، وفاعلَ ذِكراكِ المتـكلّم ، فإنّه مصدرٌ مضاف لمفعوله وفاعلُه محذوف ، أى لذكرى إيّاك .

و (الهَزّة) بفتح الهاء : الحركة[1] ، يقال هززْت الشىءَ : إذا حرّكته ؛ وأراد بهـا الرِّعْدة . ورُوى بدلَها (رِعْدة) . وروى القالىّ فى أماليه (فَتَرة[2]) . وسُئل ابنُ الحاجبِ : هل تصحُّ رواية القالى ؟ فأجاب : يستقيم ذلك على معنيَين : أحدهما أن يكون معنى لَتعرونى لتُرعِدنى ، أى تَجعل عندى العُرَواء ، وهى الرِّعْدة ، كقولهم : عُرِىَ فلانٌ[3] : إذا أصابه ذلك ، لأنّ الفتور الذى هو السـكونُ عن الإجـلال والهَيبة ، يحصُل عنه الرِّعْدة غالباً عادةً ، فيصحُّ نسبةُ الإرعاد إليه ؛ فيـكون كما انتفض منصوباً انتصابَ

(١) وبالـكسر : النشاط والارتياح .

(٢) لم أجد هذه الرواية عند القالى ، وإنما الرواية عنده هى « هزة » . فيحتمل أن تـكون رواية نسخة من الأمالى ، لأن كثيرا مما أشار البـكرى فى التنبيه إلى أن القالى أخطأ فيه ورد فى الأمالى المطبوعة مُصححاً أو مغيراً .

(٣) كذا فى ش . وفى ط : « عرا فلان » .

قولك : أخرجته كخرُوجِ زيد ، إمّا على معنى كإخراج زيد[1] ، وإمّا لتضمّنه معنى خرج غالباً ، فكأنّه قيل خرج ، فصحّ لذلك مثل خروج زيد ، وحسن ذلك تنبيهاً على حصول المطاوِع الذى هو المقصود فى مثل ذلك ، فيكون أبلغَ فى الاقتصار على المطاوع، إذْ قد يحصلُ المطاوع دونَه مثل أخرجته فلا يخرج . والثانى : أن يكون معنى لَتعرونى لَتأتينى وتأخذُنى فترة ، أى سكون ، للسرورِ الحاصل من الذكرى ؛ وعبَّر بها عن النَّشاط لأنها تستلزمه غالباً ، تسميةً للمسبَّب باسم السبب ، كأنّه قال : لَيأخذُنى نشاطٌ كنشاطِ العصفور . فيكون كما انتفض ، إمّا منصوباً نصبَ له صوتٌ صوتَ حِمار — وله وجهان : أحدهما أن يكون التقدير يصوِّت صوتَ حمار ، وإن لم يجزْ إظهارُه استغناء عنه بما تقدَّم . والثانى أن يكونَ منصوباً بما تضمَّنته الجملة من معنى يصوِّت — وإمّا مرفوعاً صفة لفَتْرة ، أى نشاطٌ مثلُ نشاطِ العصفور . . وهذه الأوجه الثلاثة المذكورة فى الوجه الثانى ، فى إعراب كما انتفض ، تجرى على تقدير رواية رعدة وهزّة . وروى الرمّانى عن السكّرىّ عن الأصمعىّ :

إذا ذُكرتْ يرتاحُ قلبي لذِكرِها ... كما انتفضَ العصفورُ بلّله القطرُ

وهذا ظاهر اهـ

و (انتفَض) بمعنى تحرّك ، يقال : نفضت الثوب والشجر : إذا حرّكته ليسقطُ ما فيه . وبلّه يبلّه بلاًّ : إذا ندّاه بالماء ونحوه . و (القَطْر) : المطَر .

وفى شرح بديعيّة العُميانِ لابن جابر : أنّ هذا البيت فيه من البديع صنعة (الاحتباك) وهو أن يُحذف من الأوّل ما أُثبتَ نظيرُه فى الثانى ، ويُحذَفَ

(١) فى النسختين : « كإخراج خروج زيد » والوجه ما أثبت .

من الثانى ما أُثبت نظيرُه فى الأوّل ؛ فإنّ التقدير فيه . وإنّى لتعرونى لذكراك هزّة وانتفاضة كهزة العصفور وانتفاضته . فحذف من الأوّل الانتفاضُ لدلالة الثانى عليه ، وحُذف من الثانى الهزّة لدلالة الأوّل عليه اهـ .

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى صخر الهُذَلىّ . أورد بعضَها أبو تمّام فى باب النسيب من الحماسة ، وكذلك الأصبهانىُّ بعضَها فى الأغانى ورواها تماماً أبو علىّ القالى فى أماليه ، عن ابن الأنبارى وابن دُريد . وهى هذه :

(لليلَى بذاتِ الجيشِ دارٌ عرفتُها ... وأُخرى بذاتِ البَيْن آياتُها سَطْرُ
كأنّهما مِلآنِ لم يتغيَّرا ... وقد مرّ للدارَين من عهدنا عصر[1]
٥٥٤ وقَفت بربعيها[2] فعىَّ جوابُها ... فقلت ــ وعينى دمعُها سَرَبٌ هَمْرُ :
ألا أيُّها الركبُ المخِبُّون ، هل لكمْ ... بساكنِ أجْراعِ الحمَى بعدنا خُبْرُ[3]
فقالوا : طوينا ذاكَ ليلاً ، وإن يَكنْ ... به بعضُ مَن تهوَى فما شعَرَ السفْرُ
أمَا ، والذى أبكَى وأضحكَ والذى ... أَماتَ وأحيا والذى أمرُه الأمرُ
لقدْ كنتُ آتيهَا،وفى النفسِ هَجرُها ... بتاتاً لأُخرَى الدهرِ ما طلعَ الفجرُ
فما هُوَ إلاّ أنْ أراها فُجاءةً ... فأُبْهتَ لا عُرفٌ لدىَّ ولا نُكْرُ
وَأنسى الذى قد كنتُ فيهِ هجرتُها ... كما قدْ تُنَسِّى لُبَّ شاربِها الخمرُ
وَما تركتْ لى مِنْ شذى أهتدى به ... ولا ضِلَعٍ إلاّ وفى عظْمِها كسر[4]
وَقد تركتْنِي أغبِطُ الوحشَ أن أرى ... قرينين منها لم يفزِّعهما نَفْرُ[5]
ويمنَعنى من بعض إنكارِ ظلْمِها ... إذا ظلَمتْ يوماً وإن كان لى عذرُ

(١) الأمالى : « من بعدنا » .
(٢) الأمالى : « برسميها » .
(٣) الأمالى : « بأجراع » .
(٤) الأمالى : « شدى » و « فى عظمها وقر » .
(٥) الأمالى : « أليفين منها لايروعهما الذعر » .

مَخافةَ أنِّى قد عَلمت لئن بدا لى الهجرُ منها ما على هَجْرها صبرُ
وأنّىَ لا أدرى إذا النفسُ أشرفَتْ على هَجرِها ما يَبلُغَنّ بىَ الهجر[1]
أبى القلبُ إلاّ حُبَّها عامريّةً لها كُنيةٌ عَمْرٌو، وليس لها عمرو
تكاد يدى تَندَى إذا ما لمستُها وينبُت فى أطرافها الورَق الخضْر[2]،
وإنِّى لَتعرُونى لذِكراكِ فَتْرة كما انتفضَ العصفورُ بلَّله القَطْر[3]،
تمنّيتُ من حُبِّى عُليّةَ أنّنا على رَمَثٍ فى البحر ليس لنا وَفْرُ
على دائمٍ لا يعبُر الفُلْكَ مَوْجه ومن دوننا الأعداء واللّجج الخُضر
فنَقضى همومَ النفْس فى غير رِقبةٍ ويُغرق من نخشى نميمتَه البحر[4]،
عجِبتُ لِسعَى الدّهر بَيني وبينَها فلما انقضَى ما بينَنا سَكنَ الدهر
فيا حبَّ ليلَى، قد بلغتَ بىَ المدَى وزدتَ على ما لَيس يبلغُه الهجرُ
ويا حبَّها زِدنى جوًى كلَّ ليلةٍ ويا سَلوةَ الأيّامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ
فليس عَشيّات الحِمى برواجعٍ لنا أبداً ما أبرمَ السَّلَمُ النَّضْر[5]،
هجرتُك حتّى قيل: ما يعرف الهوَى، وزُرتكِ حتّى قيل: ليس له صَبْرُ
صَدقتِ! أنا الصبُّ المصابُ، الذى به تباريحُ حُبٍّ خامرَ القلبَ أو سِحْرُ
فيا حبّذا الأحياء ما دمتِ حَيّةً ويا حَبّذا الأمواتُ ما ضَمّكِ القبرُ)

فقوله: مِلآنِ، أصلُه من الآنِ[6]. وقوله: أمَا والذى أبكَى وأضحكَ

---

(١) ط: «بها الهجر».
(٢) الأمالى: «النضر».
(٣) انظر لكلمة «فترة» ما سبق فى حواشى (٢) ص ٢٥٦ من هذا الجزء.
(٤) ط: «ويغدو من نخشى نميمته»، صوابه من الأغانى وتصحيح الشنقيطى بقلمه.
(٥) كذا فى النسختين، والمعروف: «فليست».
(٦) فى الهمع للسيوطى عند الكلام على الآن: قال الفراء: وذهب بعضهم إلى أنه معرب وفتحته إعراب على الظرفية، واستدل له بهذا البيت. قال السيوطى: والمختار عندى القول بإعرابه، فهو منصوب على الظرفية، وإن دخلته (من) جر.

الخ ، هو من أبيات الكشّاف ومغنى اللبيب ، أنشده فى أمّا . وقوله : فما هو إلاّ أن أراها فُجاءة الخ ، هو من أبيات سيبويه[١] ، ويأتى شرحه إن شاء الله عزّ وجل فى نواصب الفعل[٢] . وقوله : وما تركت لى من شَذًى ، هو بفتح الشين والذال المعجمتين ، بمعنى الشدّة وبقيّة القوّة . والضِّلَع ، بكسر الضاد وفتح اللام . وقوله : تمنّيت من حُبِّي عُلَيّة أنّنا على رَمَث ، هو بفتح الراء والميم وبالثاء المثلثة ، قال القالى : أعواد يُضَمّ بعضُها إلى بعضٍ كالطَّوْف[٣] ، يركبُ عليها فى البحر . وقوله : ما أبرَمَ السَلَمُ النَّضْرُ ، يقال أبرم السَّلَمَ : إذا خرجَتْ بَرَمتُه وهى ثمرته . قال فى الصحاح : « البرَمَ محرّكةً : ثمر العِضاه ، الواحدة بَرَمةٌ ؛ وبَرَمةُ كلّ العِضاه صفراء إلاّ العُرفط فإنّ بَرَمته بيضاء ؛ وبرَمة السَلَم أطيبُ البَرَم ريحاً » . ٥٥٥

حكى الأصبهانىّ فى الأغانى عن أبى إسحاقَ إبراهيمَ الموصلىّ قال : دخلتُ على الهادى فقال : غنّني صوتاً ، ولك حُكمُك ! فغنّيته :

وإنّى لتَعرونى لذِكراكِ هِزّةٌ كما انتفض العصفورُ بلّله القَطْرُ

فقال : أحسنتَ والله ! وضرَب بيده إلى جيب دُرّاعته[٤] فشقّ منها ذراعاً ، ثمّ قال : زدنى ! فغنّيته :

هجرتُكِ حتى قيل : لا يعرف الهوَى وزُرتكِ حتى قيل : ليس له صَبر

فقال : أحسنتَ . ثم ضرب بيده إلى دُرّاعته فشقّ منها ذراعاً آخر ؛ ثم قال : زدنى ! فغنيتُه :

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٠ .
(٢) انظر الشاهد السبعين بعد الستمائة من الخزانة ، وسيبويه .
(٣) ط ، « كالطوق » ، صوابه فى ش .
(٤) الدّراعة ، كرمانة : جُبة مشقوقة المقدم .

فيا حبها زدني جوًى كلَّ ليلةٍ ويا سلوة الأحباب موعدُك الحشرُ

فقال : أحسنتَ ! وشقَّ باقي دُرّاعته من شدّة الطرب ، ثمّ رفع رأسه إليّ وقال : تمنَّ واحتَكِم ؟ فقلتُ : أتمنّى عيْن مَرْوان بالمدينة . قال : فرأيته قد دارتْ عَيناه في رأسه ، فخِلتُهما جَمْرتين ، ثم قال : يا ابن اللَّخْناء ، أتريد أن تَشْهَرني بهذا المجلِس ، وتجعلَني سَمَراً وحَديثاً ، يقول الناس أطرَبَه فوهبه عَيْن مَروان . أما والله لولا بادرةُ جهلِك التي غَلَبت على صحّة عقلك ، لألحقتُك بمن غَبَر من أهلك . وأطرق إطراقَ الأفعُوان ، فخِلتُ مَلَكَ الموتِ بيني وبينه ينتظِر أمره . ثم رفعَ رأسه وطلب إبراهيمَ بن ذَكْوانَ وقال : يا إبراهيم خُذْ بيدِ هذا الجاهِل وأَدْخِله بيتَ المـال ، فإنْ أخذ جميعَ ما فيه فدعه وإيّاه ؟ قال : فدخلتُ وأخذتُ من بيت المال خمسين ألف دينار .

أبو صخر الهذلي

و (أبو صَخر الهذليّ) هو عبد الله بن سَلْم(١) السهْميّ الهذليّ شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأمويّة . كان متعصِّباً لبنى مَرْوانَ موالياً لهم ، وله في عبد الملك بن مَرْوان وأخيه عبدِ العزيز مدائحُ كثيرة . ولمّا ظهر عبدُ الله ابن الزُّبير في الحجاز وغلَب عليها ، بعد موت يزيدَ بنِ معاوية ، وتشاغَل بنو أميّة في الحرْب بينهم في مَرْج راهطٍ وغيره دخل عليه أبو صخر الهذليُّ في هُذَيل ، ليقبِضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهواهُ في بنى أميّة ، فمنعه عطاءه ؛ فقال : تمنَعُني حقّاً لي وأنا امرؤ مسلمٌ ما أحدثْتُ في الإسلام حدَثاً ولا أخرجت من طاعة يداً ! قال : عليكَ ببنى أميّة ، اطلُبْ منهم عطاءك ! قال : إذاً أجدُهمْ سَبْطةً أكفُّهم ، سَمْحةً أنفسهم ، بُذَّلاً لأموالهم ، وَهّابين لمجتدِيهم ، كريمة

(١) في النسختين : « سالم » ، صوابه من الأغاني ٢١ : ٩٤ عن السكري وحواشي اللآلي ٣٩٩ ، وفي شرح السكري للهذليين ٩١٥ : « بن سلمة » وكذا في شرح شواهد المغني ٦٢ . وعند العيني ١ : ١٦٢ « مسلم » .

أعراقُهم ، شريفةً أُصولهم ، زاكية فروعهم ، قريباً من رسول الله ﷺ نسبُهم وسبَبهم [(١)] ؛ لهم السودد فى الجاهلية [(٢)] والمُلْكُ فى الإسلام ، لا كَن لا يُعَدُّ فى عِيرها ولا نَفيرها ، ولا حَكم آباؤه فى نَقِيرها وقِطْميرِها ، ليس من أحلافها المطيَّبين ، ولا من ساداتها المطعِمين ، ولا من هاشِمها المنتخبين [(٣)] ، ولا عبدِ شمْسها المسوَّدين ؟! وكيفَ تُقاسُ الأرؤس بالأذْناب [(٤)] وأينَ النَصلُ من الجفن ، وأين السِّنان من الزُّجّ والذُّنابَى من القُدامى ؟! وكيف يُفضَّل الشَّحيحُ على الجواد ، والسُّوقةُ على الملوكِ ، والجائعُ بخلاً على المطعِم فضلاً ؟! فغضب ابنُ الزبير حتَّى ارتعَدت فرائصه ، وعَرِق جبينُه ، واهتزّ من قَرْنه إلى قدَمه وامتُقِع لونه ، ثم قال له : يا ابن البوَّالة على عَقبيها ، يا جِلفُ يا جاهل ، أما والله لولا الحرماتُ الثلاثُ : حُرْمة الإسلام ، وحُرمة الشهْر الحرام ، وحرمة الحَرَم ؛ لأخذتُ الذى فيه عيناك ! ثم أمَرَ به إلى سجنِ عارِم [(٥)] ، فحبس فيه مدّة ، ثم استوهبته هُذيل ومَن له فى قريش خُئُولة ، فأطلقه بعد سنَة ، وأقسم أن لا يعطيه عطاء مع المسلمين أبداً . فلمّا كان عامُ الجماعة [(٦)] وولى عبدُ الملك ٥٥٦

(١) بين هذا الكلام وتاليه فى الأغانى ٢١ : ٩٤ : « ليسوا إذا نسبوا بأذناب ولا وشائظ ولا أتباع ، ولا م فى قريش كفقمة القاع » .

(٢) فى النسختين : « لهم سودد فى الجاهلية » ، والأوفق ما أثبت من الأغانى .

(٣) ط : « هاشميها » ، صوابه فى ش والأغانى . وقبل هذه الفقرة فى الأغانى : « ولا من جوداتها الوهابين »

(٤) الأغانى : « وكيف تقاتل » ، صوابها « تقابل » .

(٥) فى القاموس : « سجن عارم حبس فيه عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية » وقال ياقوت فى (عارم) : « ثم كان بعد ذلك سجناً للحجاج ، ولا أعرف موضعه ، وأظنه بالطائف » .

(٦) فى النسختين : « الحجاج » ، وصححها الشنقيطى بما أثبته . وعام الجماعة هو العام الذى أجمع الناس فيه على عبد الملك بن مروان ، وهو سنة ٧٣ انظر الطبرى فى حوادث سنة ٨٦ وهذا هو عام الجماعة الثانى ، لأنه سبق عام جماعة قبله وكان ذلك سنة ٤١ حين أجمعت كلمة الأمة الإسلامية على معاوية بعد تنازل الحسن بن على .

ابن مرْوان وحجّ ، لقيه أبو صَخر ، فقرَّبه وأدناه وقال له : إنه لم يَخْفَ علىَّ خبرُك مع الملحِد[1] ، ولا ضاعَ لدىَّ هواك ولا موالاتُك . فقال : إذا شَفَى اللهُ منه نفسى ، ورأيتهُ قتيلَ سيفِك وصريعَ أوليائك ، مصلوباً مهتُوكَ السِتْر ، مفرّق الجمْع ، فما أُبالى ما فاتنى من الدنيا ! ثم استأذَنه فى مديح ، فأنشده قصيدةً ، وأمر له عبدُ الملك بما فاته من العطاء ، ومِثْلِهِ من ماله ، وحمَله وكساه . كذا فى الأغانى .

* * *

وأنشد بعده :

(يقولُ ، وقد ترّ الوظيفُ وساقُها : ألستَ تَرَى أنْ قد أتَيْتَ بمؤْيِدِ)

تقدّم شرحه فى الشاهد الرابع والثمانين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

٢٠٦ (أفى السِّلمِ أعياراً ، جَفاء وغِلْظةً
وفى الحربِ أشباهَ النِّساءِ العَوارِكِ)

على أنّ (أعْياراً) و (أشْباهَ النساءِ) منصوبان على الحال عند السيرافى ومَن تبعه ، وعلى المصدر عند سيبويه .

قال السُّهيلى فى الروض الأنُف : هذا البيتِ لِهند بنتِ عتبة[4] ، قالته

(١) مع الملحد ، ساقطة من الأغانى .
(٢) الخزانة : ص ١٥١ من هذا الجزء .
(٣) فى كتابه ١ : ١٧٢ . وانظر السيرة ٤٦٨ والروض الأنف ٢ : ٨٢ ـ ٨٣ والعينى ٣ : ١٤٢ .
(٤) لم ينسبه السهيلى ، وإنما فسره ، والنسبة فى أصل السيرة .

لفَلّ قريشٍ حين رجَعوا من بَدْر . يقال : عرَكت المرأة : إذا حاضَت . ونصبَ أعياراً على الحال ، والعاملُ فيه مختزَل ، لأنّه أقام الأعيار مُقامَ اسمٍ مشتق ، فكأنّه قال : فى السلم بُلداء جُفاةً مثلَ الأعيار . ونصبَ جفاء وغلظة نصبَ للمصدرِ الموضوعِ موضعَ الحال ، كما تقول : زيد الأسدُ شِدّةً ، أى يُماثله مماثلة شديدة ، فالشدّة صفة للمماثَلة ، كما أنّ المشافَهة صفة للمكالَمَة إذا قلتَ : كلّمته مشافهة ، فهذه حالٌ من المصدر فى الحقيقة . وتعلُّق حرفِ الجرّ من قولها أفى السلم ، بما أدّته الأعيار من معنى الفعل ، فكأنّها قالت : أفى السلم تتبلّدون . وهذا الفعل المختزَلُ الناصبُ للأعيار ، ولا يجوز إظهارُه اهـ . وزعم العَينىّ أنّ قوله : جفاء ، منصوبٌ على التعليل ، أى لأجلِ الجفاءِ والغلْظة . ولا يخفى سقوطه . والهمزة للاستفهام التوبيخىّ . و (السلم) بكسر السين وفتحها : الصُّلح ، يذكَّر ويؤنث . و (الأعيار) : جمع عَير بالفتح : الحمار أهليًّا كان أمْ وحشِيا ، وهو مَثَلٌ فى البَلادة والجهل . و (الجفاء) قال فى المصباح : وجفا الثوبُ يجفُو : إذا غلُظ ، فهو جافٍ ، ومنه جفاء البَدْو ، وهو غِلْظتهم وفَظَاظتهم . والغِلْظة بالكسر : الشدّة وضد اللِّينِ والسَّلاسة . وروى (أمثال) بدل قوله أشباه . و (العَوارك) : جمع عارِك ، وهى الحائض ، من عرَكتِ المرأة تعرُك ، كنصر ينصر ، عروكاً أى حاضَت . وبَخّتْهم وقالت لهم : أتجفون الناسَ وتُغلِظون عليهم فى السلم ، فإذا أقبلتِ الحربُ لِنْتُم وضعفتم ، كالنساء الحُيض ؟ ! حرّضتِ المشركينَ بهذا البيت على المسلمين . والفَلّ بفتح الفاء : القوم المنهزمون .

557 هند بنت عتبة — وهند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمْس بن عبد مناف ، القرشيّة العبشميّة ، والدة معاوية بن أبى سفيان ، أخبارُها قبلَ الإسلام مشهورة . وشهدت أُحُداً وفعلتْ ما فعلتْ بحمزة ، ثم كانت تؤلِّب وتحرِّض على المسلمين ، إلى أن جاء

الله بالفتح ، فأسلم زوجها ، ثم أسلمت هى يومَ الفتح . كذا فى الإصابة لابن حَجَر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد المائتين[١] ، وهو من شواهد س[٢] :

٢٠٧ (أنا ابنُ دَارةَ مَشْهُوراً بِها نَسَبِي ... وَهَلْ بِدَارَةَ يالَلنّاسِ مِنْ عارِ)

على أن قوله (مشهوراً) حالٌ مؤكِّدة لمضمون الخبر . ومضمونه هنا الفخر ورُوى : (أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي) . وقوله : نَسَبِي ، نائبُ الفاعلَ لقوله مشهوراً . والباء مِن بها متعلّقة به لا نائبُ الفاعل ، كما وَهِم العينى . وهذه الحال سببيّة . و (هل) للاستفهام الإنكارىّ . و (من) زائدة ، و (عار) مبتدأ منعَ من رفعه حركةُ حرف الجرّ الزائد . و (بدارةَ) خبرُه . و (يالَلنّاسِ) اعتراضٌ بين المبتدأ والخبر . ويا لِلنداء لا للتنبيه ؛ ولَلنّاسِ منادى ، لا أنّ المنادَى محذوفٌ تقديره : قومى[٣] . واللام للاستغاثة ، وهى تدخل على المنادى إذا استُغيث نحو : يالله ، لا أنّها للتعجُّب المجرَّد خلافاً للعينىّ فى الثلاثة . و(دارة) اسمُ أمِّ الشاعر ، وهو سالم بن دارة[٤] ، قال ابن قتيبة :

---

(١) الحق أن هذا الشاهد هو (الثامن) بعد المائتين ، وأن قبله شاهدا قد سقط ، ليس يدرى سبب سقوطه بدليل أن الشاهد التالى رقمه هو (التاسع بعد المائتين) . والشاهد المفقود هو كما فى شرح الرضى ١ : ١٩٦ وسيبويه ١ : ١٧٢ :

أفى الولائم أولاداً لواحدةٍ ... وفى العِيادةِ أولاداً لِعَلَّاتِ

وفى نسخة ش عولجت أرقام الشواهد بعد هذا بأن جعل الشاهد التالى لهذا هو الثامن بعد المائتين . ثم سلسلت أرقام الشواهد إلى آخر الكتاب .

(٣) ط : « إلا أن المنادى محذوف . . . الخ » ، وهو تناقض ظاهر ، صوابه من ش ، ويدل له أيضا قول البغدادى قريبا : خلافا للعينى فى الثلاثة .

(٤) فى النسختين : « سالم بن أبى دارة » بإقحام « أبى » ، صوابه فى الشعراء ٣٦٢ والأغانى ٢١ : ٤٩ والمؤتلف ١١٦ ونوادر المخطوطات ١ : ص ٩٢ .

وهى من بنى أسد ، وسمّيت بذلك لأنّها شبّهت بدارةِ القمر ، من جمالها . وقال الحُلوانيّ فى كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمّهاتهم : « دارةُ لقبُ أمه ، واسمها سَيفاء ، كانت أخيذةً أصابها زيدُ الخيلِ من بعض غطفان من بنى أسد ، وهى حُبلى ، فوهبها زيدُ الخيل لزُهير بن أبى سُلمى . فربُّما نُسِب سالمُ بن دارة إلى زيد الخيل » اهـ . وقال أبو رياش فى شرح الحماسة ، والأصبهانيّ فى الأغانى : دارة لقبُ جدِّه ، واسمُه يَربوع . وعلى هذا قد رُوى :

(أنا ابنُ دارةَ معروفاً بها نسبَي)

ورُوى أيضاً : (معروفاً له نسبَى)

قصيدة البيت

وهذا البيت من قصيدة طويلةٍ لسالم بن دارةَ[1] ، هجا بها زُميل بن أُبير أحدَ بنى عبدِ الله بن [عبد] مناف الفَزارى[2] منها :

(بلّغ فَزارةَ إنّى لن أسالِمَها حتّى ينيكَ زميلُ أمَّ دينارِ
لا تأمَنَنَّ فَزاريًّا خَلوتَ به بعد الذى امتلّ أيرَ العَيرِ فى النارِ
وإنْ خلوتَ به فى الأرض وَحْدَ كما فاحفَظْ قَلوصَك وا كْتُبْها بأَسْيارِ
إنّى أخافُ عليها أنْ يُبَيِّتَها عارِى الجواعِرِ يَغشاها بقُسْبارِ
أنا ابنُ دارةَ معروفاً له نسبَي وهَل بِدارةَ يا لَلنّاس مِن عار
جُرثُومة نَبتتْ فى العِزِّ واعتَدلتْ تَبغى الجرائمَ مِنْ عُرفٍ وإنكارِ
مِن جِذْم قيسٍ ، وأخوالى بنو أسَدٍ من أكرمِ الناسِ ، زَنْدى فيهمُ وارى)

وأمّ دينار هى أمُّ زُميل . وقوله : بعد الذى امتلّ أيرَ العير الخ : العَير ،

(١) انظر لها الروض الأنف ٢ : ٢٨٨ وشرح الحماسة للتبريزى ١ : ٢٠٥ والإصابة ٣ : ١٦٢ .

(٢) التكملة من الخزانة ٢ : ١٢٧ سلفية ، وجمهرة ابن حزم ١٧٦ والاشتقاق ١٠٦ .

بالفتح : الحمار . وامتلّ أيرَ العير أى شَوى أير الحمار فى المَلّة ، وهى الرّماد الحارّ . وبنو فزارة يُرْمون بأكل أير الحمار مشويا . وسيأتى إن شاء الله تعالى شرح هذا مستوفى فى باب المثنى . والقلوص : الناقة الشابّة . واكتُبْها : من كتبَ الناقةَ يكتبها بضمّ التاء وكسرها : ختَم حَياءها أوخزَمَها بسَيرٍ أو حلْقةِ حديد لئلاّ يُنزَى عليها . والأسيار : جمع سَير من الجلد . وعارى الجواعر : أى بارز الاسْت والفقْحة . والقُسبار ، بضمّ القاف : الذَّكَر الطويل العظيم . وجُرثومة الشىء ، بالضمّ : أصلُه . وتَبغى : مِن البَغْى ، يقال بغَى عليه بغْياً : إذا علا عليه واستطال ؛ فأصلُه تبغى على الجرائم . والعُرف ، بالضمّ : المعروف . والجِذم ، بالكسر والفتح : الأصل . وورَى الزَّنْد : كرَمى : ٥٥٨
خرج نارُه ؛ ويقال : « ورت بك زِنادى » يقال هذا فى التمدّح والافتخار . وتقدّمَ سببُ هجوِه لبنى فَزارةَ وسببُ هذه القصيدةِ ، مع ترجمته ، فى الشاهد الخامس بعد المائة[1] .

* * *

باب التمييز

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع بعد المائتين[2] :

٢٠٩ (وستُّوكَ قد كرَبَتْ تَكمُلُ)

على أنّ العددَ الذى فى آخره النون يُضاف إلى صاحبه أكثرَ من إضافته إلى المميز . أى قرُب أن يكمُل ستُّون سنةً من عُمرك .

(١) الخزانة ٢ : ص ١٣٩ وما بعدها
(٢) انظر الهمع ١ : ٢٥٤ والأغانى ١٨ : ١٩٣ .

وهذا المصراع من قصيدةٍ للكميت بن زيد ، مدَح بهـا عبدَ الرحمن ابن عَنْبَسة بن سعيد بن العاص بن أميَّة . وأوّلُها :

(أأبكاكَ بالعُرُفِ المَنْزِلُ وما أنتَ والطَّلَلُ المحْوِلُ
وما أنتَ ، ويكَ ، ورسمُ الديارِ وستُّوكَ قد كَرَبتْ تَكمُلُ)

قال الأصبهانيّ فى الأغانى : « كان بين بنى أَسد وبين طيِّء حربٌ ، فاصطلحوا وبقى لِطَيِّءٍ دمُ رَجلين ، فاحتمل ذلك رجلٌ من بنى أسد ، فمات قبل أن يوَفِّيه(١) . فاحتمله الكميت ، فأعانه فيه عبد الرحمن بن عَنبسة ، فمدحه الكميت بهذه القصيدة ؛ وأعانه الحَكَم بن الصَلْت الثقفىّ ، فمدحه بقصيدته التى أولها :

[رأيت الغوانى وحشا نفورا

وأعانه زياد بن المغفَّل الأسدى فمدحه بقصيدته التى أولها(٢) :]

* هل للشبَاب الذى قد فات من طلب *

ثم جلس الكميت ، وقد خرج العطاء . فأقبل الرجلُ يُعطى الكميتَ المائتين والثلثمائةِ وأكثرَ وأقلَّ ؛ وكانت دية الأعرابىّ ألفَ بعير ، ودية الحَضَرىّ عشرةَ آلاف درهم ؛ وكانت قيمة الجمل عشرةَ دراهمَ ، فأدّى الكميتُ عشرين ألفاً عن قيمة ألفَى بعير » اهـ

فقوله : أأبكاك ، يخاطب نفسَه ويقرِّرها مستفهِماً . والعُرُف ، بضمّ العين والراء المهملتين : موضع . والمنزل : فاعلُ أبكاك ؛ قال الزمخشرىّ فى كتاب

(١) فى الأغانى : « قبل أن يؤديه » .
(٢) التكملة من الأغانى .

الأمكنة والمياه : عُرْفة الأملَح ، وعُرْفة رقد ، وعرفة أعيار[١] : مواضعُ تسمَّى العُرَف[٢] . وأنشدَ بيتَ الكميت . وفى المحكَم لابن سِيدهْ : العُرُف بضمّتين موضع ، وقيل جبل . وأنشد البيت أيضا . وكذا ضبطه أبو عُبيد البكرىّ فى معجَم ما استعجم ، وقال : هو ماء لبنى أسد . وأنشد البيت ، وقال : ويخفّف بسكون الراء ، قال عبّاس بن مرداس :

خُفافيّةٌ بطنُ العَقيق مَصِيفُها ... وتحتلُّ فى البادِينَ وجْرَةَ والعُرْفا

فدلّ قولُ عبّاس أنّ العُرف بوادى بنى خُفَاف اهـ .

وقوله : وما أنتَ الخ ، استفهامٌ توبيخىّ ينُكر بكاءه ، وهو شيخٌ ، على الأطلال . والطَّلَل : الشاخِص من آثار الدار ، وشخصُ كلّ شىء . والمُحوِل : اسم فاعل مِن أحولَ الشَّىْء : إذا مرّ عليه حَولٌ ، وهى السنة . ووَيْك : كلمة تفجّع ، وأصله ويلَك . و (ستُّوكَ) مبتدأ ، وما بعده خبره ، والجملة حالية . و (كَرَبَ) بفتح الراء كُرُوباً : دنا . وكَرَبَ من أخوات كاد تعمل عملَها ، واسمها ضمير الستّين . وجملة (تكمُل) فى موضع نصبٍ خبرها .

وترجمة الكميت بن زيد تقدّمت فى الشاهد السادس عشر[٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد المائتين : ٥٥٩

٢١٠ (فيالَكَ مِنْ لَيلٍ كأنَّ نجُومَهُ ... بكُلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بيَذْبُلِ[٤])

---

(١) فى النسختين : « أعيال » صوابه فى كتاب الزمخشرى ٧١ ومعجم البلدان .

(٢) العرف : جمع عرُفة ، وهى كل متن منقاد ينبت الشجر ، ذكر منها ياقوت ثلاث عشرة عرفة وانظر القاموس (عرف) .

(٣) الخزانة ١ : ص ١٤٤

(٤) الشاهد من معلقة امرىء القيس . وانظر العينى ٤ : ٢٦٩ والهمع ٢ : ٣٢ وشرح شواهد المغنى ١٩٥ والأشمونى ٢ : ٢١٧ .

على أن قوله : (منْ ليلٍ) تمييزٌ عن المفرد الذى هو الضمير المبهم فى قوله (يا لك) .

وفيه أنّ الضمير غيرُ مبهَم ، لتقدُّم مَرجِعه فى البيت قبلَه ، وهو قوله « ألا أيّها الليلُ الطويلُ » كما يأتى ، فالتمييز فيه عن النسبة لا عن المفرد ، ومِنْ لبيان الجنس . وقال المرادىّ فى شرح الألفيّة : مِنْ زائدة فى الكلام الموجَب ، ولهذا يُعطَف على موضع مجرورها بالنصب ، كقول الحطيئة :

يا حُسْنَهُ مِنْ قَوامٍ ما ومُنْتَقباً[1]

وصحّح هذا أبو حيّان فى الارتشاف . و (يا) : حرف نداء ، واللام للتعجُّب تدخل على المنادى إذا تُعُجِّب منه . ولأجل هذا أورد ابنُ هشامٍ هذا البيتَ فى المغنى ؛ قال فى شرح بانت سُعاد : الأصل يا إياك أو يا أنت ، ثمّ لمّا دخلت لامُ الجرّ انقلبَ الضميرُ المنفصل ، المنصوبُ أوالمرفوع ، ضميراً متّصلاً مخفوضاً . وأورده المرادىّ فى شرح الألفيّة على أنّ اللام فيه للاستغاثة ، استغاث به منه لطوله ، كأنّه قال : يا ليلُ ما أطولَكَ ! قال ابنُ هشام : وإذا قيل يا لَزيد بفتح اللام فهو مستغاث ، فإن كسرت فهو مستغاثٌ لأجله ، والمستغاث محذوف ، فإن قيل يا لك احتملَ الوجهين . والباء فى قوله : (بكل) متعلّقة بُشدَّت . و (المغار) بضمّ الميم : اسمُ مفعول بمعنى المُحكَم ، من أغَرْتُ الحبلَ إغارةً : إذا أُحكمتَ فَتْله . و (يذبُل) : اسم جبَل ، لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل ، وصرفه للضرورة . يقول : إنّ نجوم الليل لا تفارق محالّها ، فكأنّها مربوطة بكلّ حبْل مُحْكم الفَتْل فى هذا الجبَل . وإنّما استطالَ الليلَ لمقاساةِ الأحزان فيه .

---

(١) ط : « ومنتقبا » والقصيدة بائية ، وهى مفتتح ديوان الحطيئة . وصدره :

* طافت أمامة بالركبان آونة *

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس المشهورة . وفيها خمسة أبيات في وصف الليل ، وهي : صاحب الشاهد

(وليلٍ كموج البَحْر أرخَى سُدولَه علىَّ بأنواعِ الهُموم لِيَبتَلى أبيات الشاهد
فقلتُ له لمـا تمطَّى بصُلْبِه وأردفَ أعجازاً وناءَ بكَلْكَلِ
ألاَ أيُّها الليلُ الطويلُ ، ألا انجلِي بصُبح ، وما الإِصباحُ مِنكَ بأمثَلِ
فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَهُ . . . . البيت
كأنَّ الثريّا عُلِّقت فى مَصامِها بأمراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ)

فقوله : وليل ، الواو واو ربَّ والسُدول : السُتور ، جمع سُدلْ ؛ وسدل ثوبَه : إذا أرخاه . يقول : رُبَّ ليل يُحاكى أمواجَ البحرْ فى توحُّشه وهَوله ، وقد أرخَى على ستورَ ظَلامِهِ معَ أنواع الحزن لِيختبرنى : أأصبر أمْ أجزَع ! وهذا ، بعد أن تغزَّلَ ، تمدَّحُ بالصَّبرْ والجلَد . وقوله : فقلت له لمّـا تمطّى الخ ، تمطّى : امتدّ . وناءَ: نهض. والكَلكَل: الصدر . والأعجاز: الأواخر ، جمع عَجُز؛ وهو من استعمال الجمع موضع الواحد . وقد استشهد ابنُ مالكٍ بهذا البيت على أنّ الواوَ لا تدلّ على الترتيب ، لأنّ البعير ينهَض بكلكله ، والأصل : فقلت له لمّـا ناء بكلكله وتمطّى بصلبه وأردف أعجازَه .

وقوله : ألا أيُّها الليلُ الطّويل الخ ، انجلِي : أمرٌ بمعنى انكشِفْ ؛ والياء إشباع . والإصْباح : الصَّباح . والأمثَل : الأفضَل . وأورد هذا البيتَ فى تلخيص المفتاح على أنّ صيغة الأمر فيه للتمنِّي ، ومعناه تمنّى زوالِ ظلام الليل ٥٦٠
بِضياء الصبُح ؛ ثم قال : وليس الصباح بأفضل منك عندى ، لاستوائهما فى مقاساة الهموم ، أو لأنّ نهاره يظلم فى عينه لتوارد الهموم . فليس الغرض طلبَ الانجلاء من الليل لأنه لا يقدر عليه ، لكنّه يتمناه تخلّصاً مما يَعرض له

فيه ، ولاستطالة تلك الليلة كأنّه لا يرتقِب انجلاءها ولا يتوقّعه . فلهذا حُمل على التمنى دون الترجّي(١) .

قال الإمام الباقلاّنىّ ، فى إعجاز القرآن(٢) : « ومما يعدّونه من محاسن هذه القصيدة هذه الأبياتُ الثلاثة ، وكان بعضهم يعارضُها بقول النابغة :

كِليني لِهمّ يا أُميمةَ ناصب ... وليلٍ أُقاسيه بطيء الكواكبِ
وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همّه ... تضاعَفَ فيه الحُزْنُ مِن كلّ جانب
تقاعَسَ حتّى قلتُ ليسَ بمنقضٍ ... وليسَ الذى يتلو النجومَ بآيبِ

وقد جرى ذلك بين يدى بعضِ الخلفاء ، فقدّمتْ أبياتُ امرىء القيس واستُحسِن استعارتُها ، وقد جعل لليل صدراً يثْقُل تنحّيه ، ويُبطىء تقضّيه ؛ وجعلَ له أردافاً كثيرة . وجعل له صُلباً يمتدّ ويتطاول . ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمّام من الاستعارات الوحشيّة البعيدة المستنكَرة . ورأوا أنّ الألفاظَ جميلةٌ . واعلم أنّ هذا صالحٌ جميلٌ ، وليس من الباب الذى يقال إنّه متَناهٍ عجيب . وفيه إلمام بالتكلّف ، ودخول فى التعمّل » انتهى .

وقوله : كأنّ الثريّا عُلّقت الخ ، المَصام بفتح الميم : موضع الوقوف . والأمراس : الحبال ، جمع مَرَس محرّكة . والجَندَل : الحجارة . يقول : كأنّ الثريّا مشدودةٌ بحبالٍ إلى حجارةٍ ، فليست تمضى .

قال العسكرىّ فى التصحيف(٣) : ومما خالف فيه ابنُ الأعرابى الأصمعىّ فى المعنى لا فى اللفظ ، قولُه :

كأنّ الثريّا علّقت . . . . البيت

(١) هذا من كلام العباسى أيضاً فى معاهد التنصيص ١ : ٩٠ .
(٢) إعجاز القرآن ٢٧٥ — ٢٧٦ .
(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٢٢ .

فالماء فى مَصامِها عند الأصمعىّ ترجع إلى الثريّا . ومعنى مَصامِها : مَوضعُها ومُقامها . وهو يصف الليلَ وأنّ نجومَه لا تَسير ، من طوله ، فكأنّ لها أواخىّ فى الأرض تحبسها . هذا مذهب الأصمعىّ . ورأيتُ هذا البيتَ فى نوادر ابن الأعرابىّ وفسّره بتفسيرٍ عجيب ، فقال ورواه :

(كأنّ نجوماً عُلِّقت فى مَصامِه)

ثم فسّر وقال : شبَّه ما بين الحوافر وجُثمانه ، بالأمراس ، وصُمّ جَندل ، يعنى جثمانه . فأخذ هذا البيتَ وصيَّره فى وصف الفرس ، وحمَلَه على أنّه بَعدَ :

(وقد أغتدى والطيرُ فى وكناتها بمنجَرد قيدِ الأوابد هيكل) ا ه

وترجمة امرئ القيس قد تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشرَ بعد المائتين[2] :

٢١١ (وَيلُمِّها رَوْحَــةً والرِّيحُ مُعْصِفَةٌ
والغَيثُ مُرْتَجِزٌ والليل مُقْتَرِبُ)

لما تقدّم قبله ، أعنى كونَ التميز يكون عن المفرد إذا كان الضمير مبهَماً لا يعرَف المقصودُ منه ؛ فإنّ الضمير فى (ويلُمِّها) لم يتقدَّم له مرجعٌ ، فهو مبهَم ، ففسّره بقوله : (رَوحةً) فهو تمييز عن المفرد ، أى وَيلُمِّ هذه الروحةِ فى حال عصف الريح . فجملة والريح معصفة حال . و (مُعصِفة) : شديدة ، يقال : أعصَفَتِ الريحُ وعصَفت ، لغتان ؛ والغَيث هنا : الغيم . ومُرتجز : مصوِّت ، يريد صوت الرَّعد والمطر . و (مقترب) : قد قرب .

(١) الخزانة ١ : ص ٣٢٩
(٢) ديوان ذى الرمة ٣٣ .

أبيات الشاهد ٥٦١ وهذا البيتُ من قصيدةٍ طويلةٍ جدًّا لذى الرُّمَّةِ . وهذا البيتُ من أواخرها . شبَّه بعيره بالنَّعام فى شدَّة العَدْو ، ثم وصفَ النعامَ بما يقتضى شدةَ إسراعه فقال :

(حتَّي إذا الهَيقُ أمسَى شامَ أفرُخَهُ   وهُنَّ لا مُؤيِسٌ نأياً ولا كَثَبُ
يَرْقَدُّ فى ظِلِّ عرَّاصٍ ويطْرُدُه   حَفيفُ نافجةٍ عُنوانُها حَصِبُ
تَبرى له صَعلةٌ خَرْجاء خاضعةٌ   فالخرْقُ دونَ بناتِ البَيضِ مُنْتَهَبُ[1]
كأنّها دلوُ بِئرٍ جَدَّ ماتحُها   حتّي إذا ما رآها خانَها الكَرَبُ
ويلُمُّها روحة . . . . البيت
لا يَذْخَرانِ مِن الإيغالِ باقيةً   حتّي تكاد تفرّى عنهما الأُهُبُ)

الهَيق ، بالفتح : ذَكَر النعام . وشام : نظَر إلى ناحيةِ فراخِه . وأفرُخ : جمع فَرْخ . وهُنَّ : أى الأفرخ . والنَّأى : البُعد . والكَثَب ، بفتح الكاف والمثلَّثة القُرْب . يقول : موضعُهنَّ ليس منه بالبعيد الذى يُؤيِسه من أنْ يطلبَهنَّ أى يحمله على اليأس ، ولا بالقريب فيفْتُر[2] . وقوله : يرقَدّ ، أى يعدو الهَيق عَدْواً شديداً . والعَرَّاص ، بمهملات : غَيمٌ كثيرُ البرق . والحَفيف ، بإهمال الأول : صوت الريح . والنافجة : الريح الشديدة الباردة . وعُنوانُها : أوائلها . وحَصِب ، بفتح فكسر : فيه ترابٌ وحَصْباء ، وهذا مما يوجب الإسراعَ إلى المأوى . وقوله : تَبرِى له صَعَلةٌ الخ ، تَبرِى : تعرض لهذا الهَيق . صَعْلة : نعامة دقيقة العنق وصغيرة الرأس . خَرْجاء : مؤنث الأخرَج ، وهو ما فيه سَواد وبَياض . خاضعة : فيها طمأنينة . والخَرْق ، بالفتح : الأرض البعيدة ،

(١) ط : « متهب » صوابه فى ش والديوان ٣٢ .
(٢) ط : « فيغير » ، صوابه فى ش .

تنخرق فيها الرياح . وبَنات البَيض : الفراخ ، لأنّها تخرُج من البَيضة . يقول : الهَيق والصعْـلة يعدُوان عدْواً شديداً كأنّهما ينتهبانِ الأرضَ انتهاباً ، كأنهما يأ كلانها ، من شدة العدْو ، فهما يركضان إلى فراخهما خائفَين البردَ والمطر وغيرَهما . وقوله : كأنّها دلو الخ ، أى كأنَّ هذه الصعْـلةَ دَلوٌ انقطع حبلُها بعد أن وصلت إلى فَم البـئر فمضَت تهوِى ، شبَّهها بهذه الدلوِ التى هَوَتْ إلى أسفل . وجَدَّ : اجتهد . والماتح ، بالمثنّاة الفوقيّة : المستقى من البئر بالدلو . والـكَرَب : العقد[1] الذى على عَراقىّ الدَّلْو ؛ والعَراقى : العُودان اللذان فى وسط الدلو . والمراد بخانها الـكَرَب ، انقطع .

وقوله : (ويُلمها رَوْحةً ، الخ) أى ويلَ أُمٍّ هذه الروحة . وإنما لم يجز أن يعود الضميرُ على صَعْلة ، كما عاد عليها ضمير كأنّها فى البيت المتقدّم ، لأنه قد فُسِّر بروحة ، والتفسير يجب أن يكون عينَ المفسَّر ، والرَّوحة غير الصعْلة ؛ فلا يفسِّرها . ولو قال : ويلمِّها رائحة ، لـكان مرجعُ الضمير معلوماً : مِنْ صَعْلة ، وكان من تمييز النسبة لا المفرد . و (الروحة) مصدر راح يرُوح رَواحا[2] ورَوحة : نقيض غدا يغدو غدُوًّا . والرواح أيضاً : اسمٌ للوقت مِن زوال الشمس إلى الليل .

وقوله : لا يَدخَرانِ : أى لا يُبقِيان ، يعنى الهَيقَ والصعْـلة . والإيغال : الجِدُّ فى العَدْو . والباقية : البقِيَّة . وتفَرّى : تشقَّق . والأُهُب ، بضمّتين : جمع إهَاب ، أراد جلودَها . وهذا غايةٌ فى شدّة العدْو .

واعلم أنّ قولهَم : ويلُمِّهِ وَوَيلُمِّها ، قال ابن الشجَرىّ : يروى بكسر اللام

---

(١) كذا فى النسختين ، وقد فسر فى المعاجم بأنه الحبل . وانظر ما سيأتى فى الشاهد ٢١٤ .

(٢) ط : « رواحة » صوابه فى ش .

٥٦٢ وضمِّها ، والأصل ويلٌ لأمِّهِ ، فحذف التنوين ، فالتقَى مثلان : لامُ ويل ولام الخفض ، فأُسكنت الأولى وأدغمت فى الثانية فصار ويلٌ أمِّ مُشدداً واللام مكسورة ، فخفّف — بعد حذف الهمزة — بحذف إحدى اللامين . فأبو على ومَن أخذ أخْذَه نصُّوا على أن المحذوفَ اللامُ المدغمة ، فأقرُّوا لامَ الخفض على كسرتها ، وآخرون نصُّوا على أنّ المحذوفة لامُ الخفض ، وحرّكوا اللامَ الباقية بالضمّة التى كانت لها فى الأصل . انتهى .

قال أبو علىّ فى الإيضاح الشِعرىّ : حذف الهمزة من أُمّ فى هذا الموضع لازم ، على غير قياس ، كقوله :

* يابا المغِـيرة والدنيا مفجِّعة [1] *

ثم سُئِل لِمَ لا يجوز أن يكون الأصل وىْ لامّه ، فتكون اللام جارّة ووَىْ للتعجُّب ؟ فأجاب بأنّ الذى يدلّ على أنّ الأصل ويلٌ لامّه ، والهمزةَ مِن أمٍّ محذوفةٌ قولُ الشاعر [2] :

لأمٍّ الأرضِ ويلٌ ما أجنَّتْ غداةَ أضرَّ بالحسَنِ السبيل

وقال ابن السِّيد ، فى شرح شواهد أدب الكاتب : ويلمه بكسر اللام وضمّها : فالضمّ أجاز فيه ابن جنّي وجهين : أحدهما أنّه حذَف الهمزةَ واللام وألقى ضمّة الهمزة على لام الجرّ ، كما رُوى عنهم (الحمدُ لُلّه) بضمّ لام الجرّ . وثانيهما : أن يكون حذَف الهمزة ولامَ الجرّ ، وتكون اللام المسموعة [3]

(١) ويروى : « أبا المغيرة » كما فى العقد ٣ : ٥٩ ، ٢٤١ . والبيت لحارثة بن بدر الغدانى ، كما فى العقد . وعجزه :

* وإن من غرت الدنيا لمغرور *

(٢) هو عبد الله بن عنمة الضبي ، كما فى الحماسة ١٠٢١ بشرح المرزوقى واللسان (ضرر ، حسن) . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ٥ .

(٣) وكذا فى الاقتضاب ٣٦٤ وجعلها الشنقيطى فى نسخته « اللام المضمومة » .

هى لامُ ويل . وأما كسْر اللام ففيها ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون أراد ويلَ أمِّه ، بنصب ويل وإضافته إلى الأمّ ، ثم حذَف الهمزةَ لكثرة الاستعمال ، وكسرَ لام ويل إتباعاً لكسرة الميم . والثانى : أنْ يكون أراد ويلٌ لأمِّه ، برفع ويل على الابتداء ولأمِّه خبرُه ، وحذَف لامَ ويلْ وهمزة أُمّ ، كما قالوا أيْشٍ لك ، يريدون أىّ شىء . فاللام المسموعة على هذا لامُ الجرّ . والثالث : أنْ يكون الأصل وَىْ لأمِّه ، فيكون على هذا قد حذفَ همزة أمّ لا غير ؛ وهذا عندى أحسنُ هذه الأوجه ، لأنّه أقلّ للحذف والتغيير . وأجاز ابنُ جنِّي أن تكون اللامُ المسموعة هى لام ويل ، على أن يكون حذفَ همزةَ أمّ ولامَ الجرّ وكَسَر لام ويل إتباعاً لكسرة الميم . وهذا بعيد جداً . هذا إعلالها . وأما معناها فهو مدحٌ خرج بلفظ الذمّ : والعربُ تستعمل لفظَ الذمِّ فى المدح ، يقال : أخزاه اللهُ ما أشعرَه ! ولعنه اللهُ ما أجرأه ! وكذلك يستعملون لفظَ المدح فى الذمِّ ، يقال للأحمق : يا عاقل ؛ وللجاهل : يا عالم : ومعنى هذا يا أيُّها العاقلُ عندَ نفسِهِ أو عنـد مَن يظنّه عاقلاً : وأمّا قولهم : أخزاه الله ما أشعره ! ونحو ذلك من المدح الذى يُخرجونه بلفظ الذمّ فلهم فى ذلك غرضان : أحدهما : أنّ الإنسانَ إذا رأى الشىءَ فأثنى عليـه ونطَق باستحسانه ، فربّما أصابه بالعين وأضرَّ به ، فيعدِلون عن مدحِهِ إلى ذمّه لئلاّ يؤذوه : والثانى : أنهم يريدون أنّه قد بلغ غايةَ الفضل وحَصَـل فى حدِّ مَن يُذَمُّ ويُسَبُّ ، لأنّ الفاضل يَكثُر حسّادُه والمعادون له ، والناقص لا يلتفت إليه : ولذلك كانوا يرفعون أنفسَهم عن مهاجاة الخسيس ومجاوبة السفيه(١) :

---

(١) إلى هنا ينتهى كلام ابن السيد ، وهو فى الاقتضاب ٣٦٤ — ٣٦٥ . وقد تصرف فيه البغدادى بالتقديم والتأخير .

وفى القاموس : رجل وَيلمّهُ ، بكسر اللام وضمها ، داهٍ : ويقال للمستَجاد : ويلْمّهُ ، أى ويلٌ لأمّهِ ، كقولهم : لا أبَ لك ، فركّبوه وجعلوه كالشئُ الواحد ثمّ لحقتْه الهاء مبالغةً كداهية : انتهى :

وهذا استعمال ثانٍ ، جعل المركّب فى حكم الكلمة الواحدة : وليست الهاء فى آخره ضميراً ، بل هى هاء تأنيث للمبالغة ، فلا تعريف : ولهذا يقع وصفاً للنكرة ، قال أبو زيد فى كتاب مسائيةَ : يقال هو رجلٌ وَيلْمّهْ : ٥٦٣

وروى ابنُ جنّي فى سرّ الصناعة عن أبى علىّ عن الأصمعىّ أنّه يقال : رجل وَيْلُمّة . قال : وهو من قولهم :

ويلُمّ سعدٍ سعداً (١)

والاشتقاق من الأصوات بابٌ يطول استقصاؤه ؛ وعلى هذا يجوز دخول لام التعريف عليه ؛ قال الرياشىّ : الويلمّهِ (٢) من الرجال : الداهية الشديد الذى لا يطاق . ولا يُلتفَت إلى قول أبى الحَسن الأخفش — فيما كتبه على كتاب مَسَائِيَة — : « من كلام العرب السائر أنْ يقولوا للرجل الداهيَة : إنّه لَويلُمّهِ صَمَحْمَحاً ، والصمحمَح : الشديد ، هذا هو المعروف ؛ والذى حكاه أبو زيد غير ممتنع ، جَعَلَه اسماً واحداً . [فأعرَبه (٣)] فأمّا حكاية الرياشىّ : فى إدخال الألف واللام على اسمٍ مُضاف ، فلا أعلم له وجها ، انتهى .

---

(١) لكبيشة بنت رافع فى السيرة ٦٩٩ تندب به سعد بن معاذ حين استشهد يوم الخندق . قال ابن اسحاق : « يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » .

(٢) فى النسختين : « الويلمة » بالتاء ، صوابه من كتاب مسائية لأبى زيد ٢٤٤ ومن النقد التالى لأبى الحسن الأخفش .

(٣) التكملة من كتاب مسائية الملحق بنوادر أبى زيد .

أقول : الذى رواه عن العرب مِن قولهم إنّه لَوَيلُمّةٌ صَمَحْمَحاً ، غير الذى قاله أبو زيد كما بينّاه : فإنّه جُعِل الكلمتان(١) فى حكم كلمةٍ واحدة ، فلا إضافة فيه ، والهاء للمبالغة ، والكلمة حينئذ نكرة ، فيدخل عليها لام التعريف . فتأمّلْ .

وترجمة ذى الرُّمّة تقدَّمتْ فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد المائتين(٣) :

٢١٢ (وَيْلُمِّ أيّام الشباب مَعيشةً مَعَ الكُثْرِ يُعْطاه الفتَى المتلِفُ النَّدِى)

على أنّ قوله : (معيشةً) تمييزٌ عن النسبة الحاصلة بالإضافة ، كما بينه الشارح المحقّق .

وقوله : (ويلمِّ أيّام) الخ ، دعاء فى معنى التعجُّب ، أى ما ألذَّ الشبابَ مع الغنى . وقد بيّنّا قبل هذا البيت أصلَها ومعناها . قال الطَّبَرْسىّ فى شرح الحماسة : ويل ، إذا أضيفت بغير لام ، فالوجْهُ فيه النصب ، تقول : ويل زيد ، أى ألزم الله زيداً ويلاً . فإذا أضيفت باللام فقيل : ويلٌ لزيد ، فالوجه أن تُرفَع على الابتداء . وجاز ذلك مع أنّه نكرة ، لأنّ معنى الدعاء منه مفهوم ، والمعنى : الويلُ ثابت لزيد . فالأصل فى البيت : ويلٌ لأمٍّ لذات الشباب . قصد الشاعر إلى مدْح الشباب وحَمْد لذّاتِه بين لذّات المعاش . وقد طاعَ

---

(١) ش : « جعل الكلمتين » .
(٢) الخزانة ١ : ص ١٠٦ .
(٣) انظر له ديوان علقمة ١٣٥ والبيان ٣ : ٣٤ والحماسة ١٢٠٢ بشرح المرزوقى والسمط ٤٢٩ واللسان (نجد ، قلل) .

لصاحبه الكُثْر — وهو كثرة المال — فاجتمع الغِنَى والشبابُ له وهو سخيّ . انتهى

صاحب الشاهد وهذا البيت أوّل أبياتٍ أربعةٍ لعلْقمة بن عَبَدة . وهى ثابتة فى ديوانه. وقد اقتصر أبو تمّام فى الحماسة على البيت الأوّل والثانى ، وهو :

(وقد يَعقل القُلُّ الفتى دُونَ همّهُ وقد كان ، لولا القُلُّ ، طلّاعَ أَنْجُدِ)

ونَسَبَهما لبعض بَنى أسد . ونسبهما فى مختار أشعار القبائل ، لابنه وهو خالد بن علقمة بن عَبَدة . ونسبهما بعضهم لابن ابنه ، وهو عبد الرحمن ابن علىّ بن علقمة بنعَبَدة . ونسبهما الأعلم الشنتمرىّ فى حماسته ، لحميد ابن سجار الضبيّ . وكذا هو فى حاشية الصحاح منسوب لحميد .

و (الكُثْر) بضمّ الكاف ومثله القُلّ : المال الكثير والمال القليل ؛ يقال : ماله قُلٌّ ولا كُثر . قال أبو عبيد : سمعتُ أبا زيد يقول : الكُثْر ، والكثير واحد : قال فى الصحاح : هما بالضمّ والكسر . وقوله : مع الكُثر ، فى موضع النصب صفة لمعيشة . وجملة يُعطاه الخ ، بالبناء للمفعول : حال من الكُثْر ؛ والهاء ضمير الكثر ، وهو المفعول الثانى للعطاء . والفتى نائبُ الفاعل ، وهو مفعوله الأوّل . والمتلِفُ ، بالرفع : صفة للفتى ؛ وكذلك الندى . ٥٦٤

ورُوى : (يُعطاهاَ) بضمير المؤنّث على أنّه عائد على المعيشة مع قَيْدها .

و (الفتى) قال فى الصحاح : هوالسَّخىُّ الكريم ، يقال : هو فتيٌّ بيِّنُ الفتوّة ، وقد تفتّي وتفاتَى ؛ والجمع فِتيانٌ ، وفِتْية ، وفُتُوّ على فعول ، وفِتيّ مثل عصيّ . و (المتلِف) : المفرّق لماله ، يقال رجل متلِفٌ لماله ومتلاف بالمبالغة . و (النديّ) : السخيّ ، قال فى الصحاح : وندَوت من الجود ، يقال : سَنّ للناس الندَى فنَدَوْا بفتح الدال ، ويقال : فلان نَدِيّ الكفّ : إذا كان سَخيًّا . وقد رُوى فى ديوانه البيتُ هكذا :

(ويلٌ بلذَّات الشباب مَعيشة . . . .)[١] الخ

ورُوى أيضاً :

(فويلٌ لذّاتِ الشبابِ معيشةً)

وقوله : وقد يَعقِل القُلُّ ، مِن عقلَه ، من باب ضرب ، إذا منعه . والقُلّ، بالضمّ فاعل ، والفتى مفعول . وروى : (وقد يَقصُر القُلّ) مِن قصَره : إذا حَبسه ، أو من قصَرت قَيدَ البعير : إذا ضيَّقته ، من باب دخل يدخل . ورُوى أيضاً : (وقد يُقعِد القلّ) مِن أقعده : إذا منعه من القيام لحاجته . والهَمّ ، بالفتح : أول العزيمة ، قال ابن فارس : الهمّ : ما هممت به ؛ وهممت بالشئ همّا ، من باب قتل : إذا أردتَه ولم تفعله ؛ ومثله الهِمّة بالكسر وبالتاء . وقد يُطلَق على العزم القوىّ ، كذا فى المصباح . ودونَ بمعنى قَبْل . وأنْجُد : جمع نُجْد ، وهو ما ارتفعَ من الأرض . قال فى الصحاح : ومنه قولهم فلان طَلّاعُ أنجد وطَلّاع الثنايا : إذا كان سامياً لمعالى الأمور .

ومعنى هذا البيتِ قد تداوله الشعراء وتصرَّفوا فيه ، منهم مُسْلم بن الوليد ، فقال :

عرَف الحقوقَ وقصَّرت أموالُه عنها وضاقَ بها الغنيُّ الباخل[٢]

ومنه قول آخر[٣] :

أرى نفسى تَتوق إلى أمورٍ يقصِّر دونَ مبلَغهنّ مالى[٤]

---

(١) ش : « للذات » مع أثر تغيير .

(٢) ملحقات ديوان مسلم ٣٣٤ عن الغيث المسجم ، وليس فى صلب ديوانه .

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، كما فى عيون الأخبار ١ : ٣٤٠ والحماسة ٤٤٠ بشرح المرزوقى .

(٤) فى عيون الأخبار : « خالى » .

فلا نَفْسى تطاوعنى ببُخْلٍ ولا مالى يبلِّغنى فَعالى

ومنه قول الآخر :

رزُقت لبًّا ولم أُرزَقْ مُروءتَه وما المروءة إلاّ كِثْرة المالِ[1]

إذا أَردتُ مُساماةً تقَاعَدَ بى عمّا أحاوِل منها رِقّةُ الحالِ

وقريبٌ منه قول الآخَر :

الناسُ اثنانِ فى زمانِك ذا لو تبتغى غَير ذينِ لم تَجِدِ :

هذا بخيلٌ وعنده سَعَة ، وذا جوادٌ بغير ذاتِ يدِ

وأما البيتان الأخيران من الأبيات الأربعة فهما :

(وقد أقطعُ الخَرْقَ المخوفَ به الردَى بعَنْسٍ كجفن الفارسىّ المسَرَّدِ[2]

كأنّ ذِراعيها على الخلِّ بعدَ ما وَنينَ ذراعا ماتحٍ متجرِّدِ)

والخَرق ، بالفتح : الأرض الواسعة التى تنخرِق فيها الرياح . والردَى نائب فاعل المخوف . والعَنْس ، بفتح العين وسكون النون : الناقة القويّة الشديدة . والخَلّ مصدر خلَّ لحمه خَلاّ وخُلولا : أى قَلّ ونحُف ، كذا فى العباب . وقوله : ونين ، فعل ماض من الونَى بالقصر وهو الضعف والفتور والكلال والإعياء . والماتح : الذى ينزل البئر فيملأُ الدلو ، وذلك إذا قلّ ماؤها ، وفعله ماح يميح . وأما الماتح بالمثنّاة الفوقيّة ، فهو مستقى الدّلو . والمتجرِّد : المشمِّر ثيابَه . ٥٦٥

علقمة بن عبدة

و (عَلقَمَة) شاعرٌ جاهلىّ ، ونسبته — كما فى الجمهرة لابن الكلبىّ والمؤتلف والمختلف للآمدىّ — عَلقَمة بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس بن عَبيد ابن ربيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم انتهى . وعَبَدة بفتح العين والباء ؛

(١) البيتان فى البيان ٣ : ٢٠٦ وعيون الأخبار ١ : ٢٣٩ .

(٢) كذا فى الديوان . وفى النسختين : « المفرد » .

وأما عبْدة بن الطبيب فهو بسكون الباء . كذا فى الصحاح . والعَبَدة محرَّكة بمعنى القوّة ، والسِّمَن ، والبقاء ، وصَلاءة الطِّيب ، والأَنَفة .

قال صاحب المؤتلف والمختلف(١): عَلقَمة فى الشعراء جماعة ليسوا ممّن أعتمد ذِكرَه ؛ ولكنْ أذكرُ عَلقَمَةَ الفحلَ ، وعَلقمة الخَصِىَّ — وهما من رَبيعةِ الجُوعِ — فأمّا عَلقمةُ الفحلُ فهو علقمة بن عَبَدة . . . إلى آخر نسبه المذكور . ثم قال : وقيل له عَلقَمة الفحلُ ، مِن أجل رجلٍ آخر يقال له علقمة الخصِىّ . وأما عَلقمة الخَصىّ ، فهو علقمة بن سَهْل أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيدِ مَناةَ بن تميم ؛ ذكر أبو اليقظان أنّه كان يُكنى أبا الوضّاح . قال : وكان له إسلامٌ وقدْر . وكان سببَ خِصائه أنّه أُسِر باليمن ، فهرَب فظُفِرَ به ، فهرب ثانية ، فأخِذ وخُصِى . وكان شاعراً ؛ وهو القائل :

يقولُ رجالٌ مِنْ صديقٍ وصاحبٍ : أراكَ أبا الوضّاحِ أصبحتَ ثاويا
فلا يعدَمِ البانُونَ بيتاً يكُنُّهم ولا يعدَم الميراثَ منى المواليا
وخفّتْ عيونُ الباكياتِ وأقبلوا إلى مالِهمْ قد بِتُّ عنه بمالِيا
حراصاً على ما كنتُ أجمعُ قبلَهم ؛ هنيئاً لهم جَمْعى وما كنتُ آليا اهـ

وقال غيره : إنما لُقِّب بالفحل لأنّه خَلَف على امرأة امرئْ القيس لما حَكَمت له بأنّه أشعر منه . وذلك ما حكاه الأصمعىّ : أنّ امرأ القيس لمّا هرب من المنذر بن ماء السماء ، وجاوَرَ فى طيِّئ ، تزوّج امرأة منهم يقال لها أمّ جُندب . ثم إنّ علْقمة بن عبدَة نزل عنده ضيفاً وتذاكرا الشعر ، فقال امرؤ القيس : أنا أشعَرُ منك ! وقال علقمة : أنا أشعر منك ! واحتكما

(١) المؤتلف والمختلف ١٥٢ .

إلى امرأته أمّ جُندبٍ لتحكم بينهما ، فقالت : قُولاَ شِعراً تصِفان فيه الخيلَ على رويّ واحد . فقال امرؤ القيس :

خَليلىّ مُرّا بى على أمّ جُندبٍ لنَقضىَ حاجات الفؤادِ المعذّبِ

وقال علقمة :

ذهبت مِنَ الهِجران فى كلّ مَذهَبِ ولم يكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ

ثم أنشداها جميعاً . فقالت لامرئْ القيس : علقمة أشعَرُ منك ! قال : وكيف ذلك ؟ قالت : لأنّك قلت :

فللسَّوط أُلهوبٌ وللسَّاق دِرَّة وللِزّجْرِ مِنه وقعُ أهوجَ مِنعَبِ(١)

فجَهدتَ فرَسَك بسوطك ومَرَيْتَه بساقك ، وقال علقمة :

فأدرَكهنّ ثانياً مِن عِنانه يمرُّ كَمرّ الرائحِ المتحلِّبِ

فأدرك طريدتَه وهو ثانٍ من عنان فرسه ، لم يَضْرِبه بسوط ، ولا مرَاه بساق ، ولا زَجره ! قال : ما هُو بأشعرَ منّى ، ولـكنّكِ له وامق ! فطلّقَها ، فخلَفَ عليها علقمة ، فسمِّى بذلك ، الفحل . وقد أورد ابن حَجر فى الإصابة ابنَه ، فى المخضرمين ، فيمن أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يره ، قال : علىّ بن علقمة بن عبَدَة التميمىّ ، ولد علقمةَ : الشاعرِ المشهور الذى يعرف بعلقمة الفحل ، وكان من شعراء الجاهليّة من أقران امرئْ القيس . ولعلّ هذا ولدٌ اسمُه عبد الرحمن ، ذكَره المرزُبانىّ فى معجم الشعراء . فيلزم مِن ذلك أن يكون أبوه من أهل هذا القسم ، لأنّ عبد الرحمن لم يدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم . انتهى ٥٦٦

* * *

(١) وكذا فى الديوان ٥١ واللسان (نعب) . لـكن فى ش ولم بمسس بتغيير : « أخرج مهذب » وهى رواية اللسان (هذب) .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائتين :

٢١٣ (لله دَرُّ أنُوشِرْوانَ منْ رَجُلٍ   ما كانَ أعرَفَهُ بالدُّونِ والسِفَلِ[1])

على أنّ قوله (مِنْ رجلٍ) تمييزٌ عن النسبة الحاصلة بالإضافة . وقد بيّنه الشارح المحقّق رحمه الله تعالى .

و (أنُوشِرْوانَ) هو أشهر ملوك الفُرْس وأحسنُهم سيرةً وأخباراً . وهو أنوشِرْوان ابن قُباد[2] ابن فيروز . وفى أيامه وُلد النبيُّ صلى الله عليه وسلم . وكان ملكاً جليلاً محبَّباً للرعايا ، فتح الأمصارَ العظيمة فى الشرق ، وأطاعته الملوك . وقتَلَ مَزْدَكَ الزِّنديقَ وأصحابَه — وكان يقول بإباحة الفُروج والأموال — فعظُم فى عيون الناس بقتله . وبنى المبانىَ المشهورة ، منها السُّور العظيم على جبل الفَتح عند باب الأبواب ، ومنها الإيوانُ العظيم الباقى الذِّكر ؛ وليس هو المبتدئُ ببنائه ، بل ابتدأ به سابورُ ، وأنُوشِرْوانَ أتمَّه وأتقنَه ، حتّي صار من عجائب الدنيا ؛ وانشقَّ لولادة النبيّ صلى الله عليه وسلم . وأخبار أنوشِروانَ مشهورة فلا نُطيل بها .

وقوله : (ما كانَ أعْرَفَه) كان زائدة بين ما وفعلِ التعجّب . و (الدُّون) بمعنى الردىء ، وهو صفة ، ومنه ثوبٌ دُون ؛ وقيل : مقلوب من الدنُوّ ؛ والأدنى : الردىء . وفى القاموس أنّ الدُّون للشريف والخسيس ، ضدّ . و(السِّفَل) بكسر السين وفتح الفاء : جمع سِفْلة ، بكسر الأوّل وسكون الثانى ، والأصل فتح الأوّل وكسر الثانى نحو كَلمة وكِلْمة . قال صاحب القاموس وسِفْلة الناس بالكسر ، وكفَرِحة : أسافلهم وغوغاؤهم ؛ وسَفِلة

---

(١) لم أجد له مرجعاً غير الخزانة .

(٢) ويقال « قباذ » بالذال المعجمة أيضا . معجم استينجاس ٩٥١ .

البعير ، كفرحة : قوائمه انتهى . والأوّل مستعارٌ من الثانى ؛ وأصل الأوّل كفرحة ، وقد يخفّف بحذف حركة الأوّل ونقل الكسر إليه ، كما يقال فى لَبِنة لِبْنة ؛ أو أنّ سِفْلة جمع سَفِيل ، كعِلْية جمع علىّ ؛ كذا فى الأساس . والفعل سفُل ككرم سَفالة ، بالفتح : أى نذُل نذالة . وأما السَّفَلة بالتحريك فهو جمع سافل . وقول مُكانس :

واترُكْ كلام السفله والنُّكتةَ المبتَذَله[1]

يجوز أن يقرأ بفتحتين وبفتحة فكسرة . قال فى المصباح : « سفَل سُفولا ، من باب قعد ، وسفُل من باب قرُب ، لغة : صار أسفل من غيره ، فهو سافل . وسفَل فى خلقه وعمله سَفْلا ، من باب قتل ، وسَفالا ؛ والاسم السُّفل بالضم . وتسفَّل . خلافُ جاد ؛ ومنه قيل للأراذل سَفِلة ، بفتح فكسر ، وفلان من السَّفِلة . ويقال أصله سَفِلة البهيمةِ ، وهى قوائمها . ويجوز التخفيف .. والسُّفْل خلاف العُلو ، بالضمّ ، والكسرُ لغة ؛ وابنُ قتيبة يمنع الضمّ . والأسفل خلاف الأعلىٰ » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائتين[2] :

٢١٤ (والأكرَمِينَ ، إذا ما يُنسَبُون ، أبَا) ٥٦٧

هذا عجز ؛ وصدره :

(سِيرى أُمامَ فإنَّ الأكثرِينَ حَصًى)

(١) ط : « والنكبة » ، صوابه فى ش .
(٢) ديوان الحطيئة ٦ والهمع ٢ : ٩٧ .

على أنّه كان الظاهر أن يقول آباء بالجمع؛ وإنّما وحّد الأبَ لأنّهم كانوا أبناء أبٍ واحد .

وقوله : (سِيرى) فعل أمرٍ للمؤنّثة . و (أُمام) بضمّ الهمزة : منادَى مرخَّم؛ أي يا أُمامة . و (حَصًى) تمييز للأكثرِين ، وكذلك (أبا) تمييز للأكرمين . ومعنى الحصى العَدَد؛ وإنّما أُطلق على العدد لأنّ العرب أُمِّيّون لا يقرءون ولا يعرفون الحساب ، إنّما كانوا يعدون بالحصى فأطلق الحصَى على العدَد واشتقّ منه الفعل(١) فقيل أحصيت الشئ أى عددته . و (إذا) : ظرف للأكرمين . و (يُنسَبون) بالبناء للمفعول . و (الأكرمين) معطوفٌ على اسم إنّ ، وخبرُها (قومٌ) فى البيت الذى بعده ، وهو :

(قومٌ هُمُ الأنفُ ، والأذنابُ غيرُهُمُ ومَن يُسوِّى بأنف الناقةِ الذَنَبا
قومٌ إذا عقَدُوا عَقْداً لجارِهِم شَدُّوا العِناَجَ وشدُّوا فوقَه الكَرَبا)

صاحب الشاهد

وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ للحُطيئة يمدح بها بَغيض بن عامر بن لَأْى ابن شَمّاس(٢) بن لأى بن أنف الناقة ، واسمه جَعفر ، بن قُرَيع (بالتصغير) ابن عَوف بن كعب بن سعد بن زيدِ مَناةَ بن تميم . ويهجو الزِبرقان واسمه ، حُصين (بالتصغير) ابن بدر بن امرئ القيس بن خلَف [بن بَهْدَلَة(٣)] ابن عوف بن كعب المذكورِ نسبُه . وإنّما لقِّب جعفرٌ بهذا ، لأنّ أباه نَحر جَزوراً ، فقسَّمها بين نسائه؛ فقالت له أمُّه — وهى الشَمُوس؛ من بنى وائل ابن سعدِ هُذيم — : انطلِقْ إلى أبيك فانظُرْ هل بقى شئ من الجَزور عنده؟

---

(١) فى النسختين : « من الفعل » .

(٢) وكذا فى طبقات ابن سلام ٩٧ لكن فى مقدمة ديوانه ٣ والأغانى ٢ : ٥٠ وجمهرة ابن حزم ٢٢٠ : « بغيض بن عامر بن شماس بن لأى بن أنف الناقة » .

(٣) التكملة من الاشتقاق ٢٠٤ والجمهرة ٢١٨ — ٢١٩ والأغانى ٢ : ٥٠ .

فأتاه فلم يجد إلاّ رأسها ، فأخذ بأنفها يجرّه ، فقالوا : ما هذا ؟ قال : أنف الناقة . فسمّي أنف الناقة . وكان آل شمّاس في الجاهليّة يُعيَّرون به ويغضبون منه . ولمّا مدحهم الحطيئة بهذا — وإنّما مدح منهم بَغيض بنَ عامر — صار فخراً لهم . وأراد بأنف الناقة بَغيضاً وأهلَ بيته . وأراد بالذَّنَب الزبرقان وأهلَ بيته .

قال ابن رشيق — في بابِ مَن رفعَه الشعر ومَن وضعه ، من العُمدة(١) — : كان بنو أنف الناقة يَفرَقون من هذا الاسم ، حتّي إنّ الرجلَ منهم كان يُسأل : ممّن هو ؟ فيقول : من بني قُرَيع . فيتجاوز جعفراً أنفَ الناقة ويُلغي ذِكرَه فِراراً من هذا اللّقب . إلى أن قال الحطيئة هذا الشعر ، فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمُدُّون به أصواتَهم في جهارة .

وقوله : قوم إذا عقدوا عقداً الخ ، هذا البيت من شواهد أدب الكاتب(٢) عَقَد الحبلَ والعَهْد يعقده عقداً . والعناج ، بكسر للمهملة والنون والجيم : حبل يُشَدّ أسفلَ الدَّلو العظيمة إذا كانت ثقيلة ثم يُشدّ إلى العَرَاقيّ فيكون عوناً لها وللوَذَم فإذا انقطعت الأوذامُ فانقلبتْ أمسكها العِناج ولم يدَعْها تسقُط في البئر ، يقال : عَنَجْتُ الدلوَ أعنُجها عنْجاً ، من باب نصر ، والعِناج اسم ذلك الحبل ، يقال قولٌ لا عِناج له : إذا أُرسِل على غير رَويّة . وإذا كانت الدلو خفيفة فعناجها خيطٌ يُشدّ في إحدى آذانها إلى العَرقُوة . والوَذَم : السُّيور التي بين آذان الدَّلو وأطراف العراقيّ . والكَرَب ، بفتحتين : الحبل الذي يُشدّ في وسط العَراقيّ ثم يثنّي ويُثلَّث ليكون هو الذي يلي الماء ،

---

(١) العمدة ١ : ص ٢٥ ط : الخانجي .

(٢) أدب الكاتب ص ١٤١ سلفية والاقتضاب ٣٥١ .

فلا يعفَن الحبل الكبير . يقال : أكْرَبْت الدلوَ فهي مُكرَبة . والعَراقيّ :
العُودانِ المصلَّبان تُشدّ إليهما الأوذام . وأراد الحطيئة أنّهم إذا عقدوا عقداً ٥٦٨
أحكموه ووثَّقوه كإحْكام الدلو إذا شُدّ عليها العِناج والكرب . وليس هناك
عِناج ولا كَرَب في الحقيقة ، وإنّما هو تمثيل ومطلع هذه القصيدة :

(طافَتْ أُمامةُ بالرُّكبانِ آونةً يا حُسْنَه مِنْ قوامٍ مّا ومُنْتَقبا)

واستشهد به المراديّ في شرح الألفيَّة على أنّ مِنْ في التمييز زائدة ،
ولهذا صحّ عطف المنصوب على مجرورها . أي يا حسنَه قواماً ومنتقباً .
وآونة : جمع أوانٍ ، كأزمنة جمع زَمان ، وقوله : يا حُسْنَه ، لفْظه لفظُ النداء ،
ومعناه التعجب ، فيا للتنبيه لا للنداء ، والضمير مبهَم قد فسِّر بالتمييز . والقَوام ،
بالفتح ووهِم مَن ضبطه بالكسر : القامة ، يقال : امرأة حَسَنة القَوام أي القامة.
وما : زائدة : والمُنتقَب ، بفتح القاف : موضع النِّقاب . وبعده بأبيات :

(إنّ آمرأً رهطُه بالشام مَنزِلُهُ برَمْلِ يَبْرِينَ جاراً شَدَّ ما اغتربا)

وأورده ابنُ هشام في أواخر الباب الخامس من المغني على أنّ أصله :
ومنزله برمل يبرين ، فحذف حرف العطف ، وهو الواو ؛ وبابُه الشعر . ثم
قال : « كذا قالوا ؛ ولك أن تقول الجملة الثانية صفة ثانية لا معطوفة » .
وقوله : امرَأً عنى الحطيئة بالمرء نفسَه . وقوله : رهطُه بالشام ، جملةٌ اسميّة
صفة لاسم إنّ ، وأراد : بناحية الشام ؛ فإنّ الحطيئة عَبْسيّ ومنزل بني عَبْس
شَرْج والقَصِيم والجِواء(١) وهي أسافل عَدَنة(٢) ؛ وكان الحطيئة جاور بفَيض

(١) في النسختين . « الجوى » صوابه من ياقوت والقاموس ، وهو في مطلع معلقة عنترة . والجواء يمد ولا يقصر ، كما في كتاب المقصور والممدود لابن ولاد ٢٦ .
(٢) عدنة : موضع بنجد في جهة الشمال من الشربة . وفي ش : « عذبة » تحريف .

ابن شمّاس المذكور ، برمل (يَبْرين) وهى قرية كثيرة النخل والعيون بالبَحْرَين بحِذاء الأَحْساء ، لبنى عوف بن سعد بن زيد مناة ، ثمّ لبنى أنف الناقة . وإعرابها بالواو رفعاً ، وبالياء نصباً وجرًّا ، وربَّما التزموا الياء وجعلوا الإعراب بالحركات على النون ، ويقال أيضاً رمل أَبْرين ، ولابن جنّي فيه كلامٌ جيِّد نقله ياقوت فى معجم البلدان . وقوله : منزله برمل يَبرين ، جملة اسميّة ثانية ، إمّا معطوفة بالواو المحذوفة ، وإمّا صفة ثانية لاسم إنّ . وجاراً : حالٌ من المضمر المستقرٌ فى قوله : برمل يبرين ، العائد على المنزل . وقوله : شدّ ما اغتربا ، منصوبٌ على التعجُّب ، وما مصدريّة ، أى ما أشدّ اغترابَه ، والجملة خبر اسم إنّ . ومثله قول جَرير :

فقلت للرَكْبِ إذْ جدّ المسيرُ بنا ما بُعْدُ يَبرينَ مِن باب الفراديسِ (١)

وبابُ الفَراديس من أبواب الشام . وإنّما بسطتُ شرحَ هذا البيت ، لأنّه وقع فى مغْنى اللبيب ولم يشرحْه أحدٌ من شُرّاحه بشىء .

وسبب مَدْحِ الحطيئة بَغيضاً وهجوِ الزِبْرِقان ، هو ما ذكره الأَصبَهانىُّ فى الأغانى(٢) أنّ الزبرقان قدِم على عُمر ، رضى الله عنه ، فى سنةٍ مجدبةَ ليؤدِّى صدَقاتِ قومه ، فلقيه الحطيئة بقَرقَرى ، ومعه ابناه أوسٌ وسوادةُ ، وبناته وامرأته ، فقال له الزبرقان — وقد عَرَفه ، ولم يعْرِفه الحطيئة — : أين تريد ؟ فقال : العراقَ ، فقد حَطمتنا هذه السنة ! قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت أن أصادِف بها رجلاً يَكفينى مؤنةَ عِيالى وأُصْفيه مدائحى ! فقال له الزبرقان : قد أصَبْتَه ، فهل لك فيه يُوسِعك تمراً ولبَناً ، ويجاورُك أحسنَ جِوار ، قال :

---

(١) فى النسختين : « للـكرب أوجد » ، وأصلحها الشنقيطى بما أثبت من الديوان ٣٢٢ .

(٢) الأغانى ٢ : ٥٠ .

هذا وَأبيك العيشُ ، وما كنت أرجو هذا كلَّه ! عِنْدَ مَنْ؟(١) قال: عندى . قال : ومَن أنت ؟ قال : الزبرقان . فسيّره إلى أمه — وهى عمّة الفرزدق — وكتب إليها : أنْ أحسِنى إليه وأكثرى له من التمر واللبن . وقال آخَرون : ٥٦٩
بل سيّره إلى زوجته هُنَيدة(٢) بنت صَعْصَعة المجاشِعيّة ، فأكرمْته وأحسنتْ إليه ، فبلغ ذلك بَغيض بن عامر ، من بنى أنف الناقة ، وكان يُنازِع الزبرقانَ الشرف ، وكان الحطيئهُ دَمِيمًا سيِّء الخُلْق فهان أمرُه عليها وقصّرتْ به ؛ فأرسل إليه بَغيضٌ وإخوته : أن ائتنا . فأبَى وقال : شأن النساءِ التقصيرُ والغفلة ، ولستُ بالذى أحمِل على صاحبها ذَنْبها ! وألحّوا عليه فقال : إنْ تُرِكتُ وجُفيت تحوّلت إليكم . وأطمَعُوه ووعدوه وعداً عظيماً ، فدسُّوا إلى زوجة الزِبْرِقان أنّ الزبرقان يُريد أن يتزوّج ابنته مُليكة — وكانت جميلةً — فظهر منها جَفوَة . وألحّوا عليه فى الطلب فارتحل إليهم ، فضربوا له قُبّة ، وربطوا بكلّ طُنُب من أطنابها حُلّة هَجَرِيّة(٣) وأراحوا عليه [إبِلَهُمْ(٤)] وأكثروا عليه التمرَ واللبن . فلمّا قدِم الزبرقانُ سأل عنه ، فأُخبِر بقصّته ؛ فنادىٰ فى بنى بَهدلة بن عوف وركب فرسَه وأخذ رمحه ، وسار حتّى وقف على القُرَيعيِّين ، وقال : ردُّوا علىّ جارى ! قالوا ما هو لك بجارٍ ، وقد أطرحتَه وضيّعته ! وكاد أن يقع بين الحيَّين حرب . فاجتمع أهل الحِجا ، وخيّروا الحطيئة ، فاختار بَغيضاً ؛ وجعل يمدح القُرَيعيِّين من غير أن يهجوَ الزبرقان — وهم يحرِّضونه

---

(١) فى الأغانى بعد كلمة « كله » : « قال : فقد أصبته . قال : عند من » .

(٢) كذا فى الأغانى فى غير ما موضع . وفى النسختين : « عبيدة » . وانظر العقد ٢ : ١٩٦ وثمار القلوب ٢٣٦ حيث ذكرا أن هنيدة هذه زوج الزبرقان بن بدر وعمة الفرزدق . وكانت تلقب « ذات الخمار » .

(٣) استظهر مصححو الأغانى ٢ : ١٨٢ أنها « حلة هجرية » بالجيم .

(٤) التكملة من الأغانى .

على ذلك وهو يأبىٰ — حتّى أرسل الزبرقان إلى رجلٍ من النمِر بن قاسط ، يقال له دِثار بن شيبان ، فهجا بغيضاً وفضّل الزبرقان ، فقال من جملة أبيات :

وَجدنا بيت بَهْدَلَةَ بنِ عوفٍ   تعالَى سَمْكُه ودَجا[1] الفِناءُ
وما أضحى لشَمّاسِ بن لَأيٍ   قديمٌ في الفَعال ولا رِباءُ
سِوى أنّ الحطيئةَ قال قولا   فهذا مِنْ مقالته جَزاءُ

ولما سمع الحطيئةُ هذا ، ناضل عن بغيضٍ وهجا الزبرقان ، في عدة قصائد ؛ منها قوله :

واللهِ ما معشَرٌ لامُوا امرأً جُنُباً   من آلِ لَأْيِ بن شمّاس بأكياسِ
ما كان ذَنبُ بغيضٍ ، لا أبا لكُمُ !   في بائسٍ جاء يحدُو آخرَ النّاسِ
لَقد مَرَيْتُكُمُ لو أنّ دِرّتَكُمْ   يوماً يجيءُ بها مَسْحِي وإبْسَاسي
فما مَلكتُ .. بأنْ كانت نفوسُكُمُ   كَفَارِكٍ كَرِهتْ ثَوبي وإلْباسي
حتى إذا ما بَدَا لي غَيبُ أنفسِكُمْ   ولم يكنْ لجِرَاحي فيكمُ آسي
أزمعتُ يأساً مُبيناً من نَوالِكُمْ   ولَن تَرى طارداً للحُرِّ كاليأس[2]
٥٧٠ ما كان ذَنبُ بغيضٍ أنْ رأى رجلاً   ذا فَاقةٍ عاشَ في مُستَوعِرٍ شاسِ
جاراً لِقَومٍ أطالُوا هُونَ مَنْزِلِه   وغادَروه مُقيماً بين أرْمَاسِ
مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلابُهمُ   وجَرَّحُوهُ بأنيابٍ وأضْرَاسِ
دعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لبُغيَتِها   واقعُدْ فإنّك أنتَ الطّاعِمُ الكاسي
مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَم جَوازِيَه   لا يَذهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والناسِ
ما كان ذَنبيَ أنْ فَلّتْ معاوِلَكُمْ   مِن آلِ لَأيٍ صَفَاةٌ أصلُها رَاسي

---

(١) دجا : اتسع وامتلأ بأهله ، ومنه دجا الإسلام أي انتشر . ط : «دحى الفناء» ش : « دحى الفناء » وفي الأغاني : «ودحا الفناء» .

(٢) ط : « كالياسي » صوابه في ش والأغاني . والياس : اليأس .

قد ناضَلوكَ فسلُّوا مِن كِنانَتِهم مجداً تليداً ونَبلاً غيرَ أَنكاسِ

والجُنُب بضمّ الجيم والنون : الغريب . والبائس هنا الحطيئة ، وهو الذى لقى بؤساً وشدّةً من الفقر ، يقال(١) : أصابت الناسَ سنةٌ شديدة ، وكان الحطيئة فيمن انحدرَ مع الناس ، فلم يكن به مِن القوّة أن يكون فى أوّل الناس . وقوله : لقد مَرَيتُكم الخ ، أى طلبتُ ماعندكم ؛ وأصله من مَرَيت الناقة ، هو أن يمسَح ضرعَها لتدِرّ . والدِّرَّة بالكسر : اللّبَن . والإبساس : صوتٌ تُسكَّن به الناقةُ عند الحلب ، يقول : بَسْ بَسْ . وقوله : فما ملكتُ بأن كانت الخ ، يقول : لم أملك بُغضكم فأجعله حُبًّا . والفارك : المرأة المُبغضة لزوجها . وقوله : كرِهَتْ ثوبى ، أى كرهتْ أنْ تدخل معى فى ثوبى وأن تُدخلَنى فى ثوبها(٢) . وقوله : حتّى إذا ما بدا لى الخ ، أى بدا لى ما كان غائباً فى أنفسكم من البِغضة . ولم يكنْ فيكم مصلحٌ لما بى من الفَساد وسوء الحال . والآسى : المداوِى . وقوله : أزمعتُ يأسًا الخ ، هو من أبيات مغنى اللبيب ، أورده على أنّ بعضهم قال مِنْ متعلّقة بيأسًا ، والصواب أنّ تعلّقها بيَئِسْتُ محذوفة ، لأنّ المصدر لا يوصَف قبل أن يأتى معمولُه . والإزماع : تصميم العزم . والمستَوعَرُ : المكان الوَعْر . والشأس : المكان المرتفع الغليظ . والهُون بالضمّ : المذلة . وغادروه : أى تركوه كالميّت بين أموات القبور . وقوله ما كان ذنبى الخ ، فلّتْ بالفاء : ثلمت ، والفلول : الثُّلَم . والصَّفاة ، بالفتح : الصخرة الملساء . أى أردتموهم بسوء فلم تعمَل فيه معاولُكم . يقول : ما كان ذنبى ! فإنّى مدحت هؤلاء لأنّهم أشرفُ منكم ولهم مجدٌ راسٍ لا تُطيقون إزالَته . وقوله : قد ناضلوك الخ ، النِّكس ، بالكسر : السَّهم يُقلَب فيجعل أسفلُه أعلاه إذا

(١) فى النسختين : « يقول » .

(٢) ط : « وأن تدخلنى فى ثوبى » ، صوابه فى ش .

انكسر طَرفه . والمناضلة : المفاخرة . وأراد بالمجد القديم النَّواصىَ ؛ وكانت العرب إذا أنعمتْ على الرجل الشريف المأسور جَزُّوا ناصيتَه وأطلقوه، فتكون الناصية عند الرجل يفخَر بها . وقوله : دَعِ المكارم الخ ، أورده الفرّاء فى معانى القرآن فى سورة هود ، على أنّ الكاسى بمعنى المكسوّ ، كما أنّ
٥٧١ العاصم فى قوله تعالى : (لا عاصِمَ اليوْمَ[1]) بمعنى المعصوم . قال : ولا تنكرنّ أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى أن قوله (مِنْ ماءٍ دَافِق[2]) بمعنى مدفوق ، و (عيشة راضية[3]) بمعنى مرْضيّة ؛ يستدلّ على ذلك بأنّك تقول : رُضِيَتْ هذه المعيشة ، ودُفِق الماء ، وكُسِىَ العُريان ، بالبناء للمفعول ، ولا تقول ذلك بالبناء للفاعل .

ولما بلغ الزبْرقان هذا البيتُ استعدىٰ عليه عمرَ بنَ الخطّاب ، رضى الله عنه ، فقال : ما أُراه هَجاك ، ولكنّه مَدَحَك . فقال : سلْ حسّانَ بن ثابت . فسأله ؛ فقال حسّان : هَجاه وسَلَح عليه ! فحبسه عمر ؛ فقال وهو فى الحَبْس :

ماذا تَقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ   حُمْرِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ألقيتَ كاسِبَهم فى قَعْرِ مُظلمةٍ   فاغفرْ ، عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ

(ذو مَرَخ : اسم مكان[4] ؛ وأراد بالأفراخ أطفالَه الصِغار . وحُمر الحواصل ، يعنى لا ريشَ لها) وتكلَّم فيه عَمرو بن العاص ؛ فأخرجَه عمر ، فقال : إيّاكَ وهِجاء الناس ! قال : إذاً يموت عيالى جوعاً ! هذا مكسبى ومنه مَعاشى !

(١) الآية ٤٣ من سورة هود .
(٢) الآية ٦ من سورة الطارق .
(٣) الآية ٢١ من سورة الحاقة و ٧ من القارعة .
(٤) هو واد بين فدك والوابشية ، كما فى معجم البلدان .

وعنْ زَيد بن أسلَمَ(١) عنْ أبيه قال : أرسل عمرُ إلى الحطيئة — وأنا عنده ؛ وقد كلّمه عمرو بن العاص وغيرُه فأخرجه من السجن — فأنشده :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخ

فبكَىٰ عمرُ ثمّ قال : علىَّ بالكرسىِّ ؛ فجلس عليه ، وقال : أشيروا علىَّ فى الشاعرِ ، فإنّه يقول الهجْوَ ويشبِّب بالنساء وينسب بما ليس فيهم(٢) ويذمُّهم ، ما أُرانى إلاّ قاطعاً لسانه ! ثم قال : علىَّ بطَسْتٍ ؛ ثمَّ قال : علىَّ بالمِخصَف ، علىَّ بالسكِّين ، بل علىَّ بالموسىٰ ! فقالوا : لا يعودُ يا أميرَ المؤمنين ؛ وأشاروا عليه أنْ قُلْ : لا أعودُ . فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين .

وروىٰ عبدُ الله بن المبارَك : أنّ عُمر رضى الله عنه لمّا أطلق الحطيئةَ أراد أن يؤكّد عليه الُحجّة ؛ فاشترى منه أعراضَ المسلمينَ جميعاً بثلاثة آلافِ درهم . فقال الحطيئة فى ذلك :

وأخذتَ أطرافَ الكلامِ فلم تَدَعْ   شتماً يضرُّ ولا مديحاً يَنفعُ
وحَميتنى عِرضَ اللئيم فلَم يَخفْ   منِّي وأصبحَ آمناً لا يفزَعُ(٣)

وقد ترجَمنا الحطيئة فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة(٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامسَ عشَرَ بعد المائتين(٥) :

٢١٥ (فَاصدَعْ بأمرِكَ ماعَلَيْكَ غَضَاضةٌ   وآبشَرْ بذاكَ وقَرَّ مِنْهُ عُيونَا)

---

(١) زَيد بن أسلَم العدوى مولى عمر ، روى عن أبيه وابن عمر وأبى هريرة وأَنَس . توفى سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب . ط : يزيد بن أسلم وكذا فى الأغانى ٢ : ٥٣ . تحريف .

(٢) فى الأغانى : « وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم » .

(٣) فى الأغانى ٢ : ٥٤ : « فلم يخف ذمى » .

(٤) الخزانة ٢ : ص ٤٠٦

(٥) شرح شواهد المغنى ٢٣٥ عرضا . وليس فى ديوان أبى طالب .

على أنَّه يجوز جمعُ المثنّي فى التمييز إذا لم يُلبس : إذا كان الظاهر أن يقال : وقَرَّ منه عَينين أو عيناً . لـكنّه جمع لعدَم اللبْس ، ولأنَّ أقل الجمع اثنانِ على رأى .

٥٧٢ وهذا البيت أحد أبياتٍ خمسة لأبى طالب عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم . وهى :

(واللهِ لنْ يَصلِوا إليكَ بجَمْعِهِم حتَّي أُوَسَّدَ فى الترابِ دَفِينا
فاصْدَعْ بأمْرِكَ ، ما عليكَ غَضاضةٌ وأبشِرْ بذاكَ وقَرَّ مِنه عُيونا
ودَعوتَني وزعمتَ أنّكَ ناصحٌ ولقَدْ صدَقتَ وكنتَ ثَمَّ أمِينا
وعَرَضتَ دِيناً لا مَحالة أنّه مِن خيرِ أديانِ البَريّة دِينا
لولا المَلَامةُ أو حِذارُ مَسَبّةٍ لوَجَدْتَني سَمحاً بذاك مُبينا)

قال السُّيُوطىّ فى شرح شواهد المغنى : أخرج ابنُ إسحاقَ ، والبَيْهَقىُّ فى الدلائل ، عن يعقوبَ بنِ عُتبة بن المُغيرة بن الأخنَس : أنّ قريشاً أتت أبا طالب فكلّمتْه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه ، فقال له : يا ابنَ أخى ، إنّ قومَك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا ، فأبقِ علىَّ وعلىٰ نفسِك ولا تحمِّلنى مِن الأمْر ما لا أطيقُ أنا ولا أنت ، فاكففْ عن قومك ما يَكرهون من قولك . فظنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنّه قد بَدَا لعمّه فيه وأنه خاذِلُه ، فقال : ياعمِّ ، لو وُضعت الشمسُ فى يمينى والقمر فى يسارى ، ما تركتُ هذا الأمرَ حتّي يُظهِرَه الله أو أهلِكَ فى طلَبه ؟ ثم استَعْبَر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكىٰ ، فلما ولّى قال له — حينَ رأىٰ ما بلَغَ من الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم — : يا ابن أخى امضِ على أمرِكَ وافعلْ ما أحببت ،

فوالله لا أُسلِمُك لشيء أبدا . وقال أبو طالب فى ذلك هذه الأبيات[1] انتهى.

وقد أنشد الزمخشريُّ هذه الأبيات عند قوله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنأَوْنَ عَنْهُ[2]) من سورة الأنعام بناء على القول بأنّها نزلت فى أبى طالب .

وقوله : والله لن يَصِلوا إليك الخ ، أنشدَ هذا البيتَ ابنُ هشام فى المغنى على أنّ القَسمَ قد يُلقَى بلن نادراً . ونازَعه الدمامينيّ فى الحاشية الهندية ، بأنّه يحتمِل أن يكون ممّا حذِف فيه الجوابُ لدلالة ما بعده عليه ، تقديره : والله إنك لآمنٌ على نفسِك ، فيكون قوله : لن يَصِلوا إليك الخ ، جملةً مستأنفة لا جوابَ القسم . وأُوَسَّد ، بالبناء للمفعول : مِن وسَّدته الشىء : إذا جعلتَه تحتَ رأسِه وسادة . ودَفينا : حالٌ من ضمير أوسَّد بمعنى مدفون . وقوله : فاصْدَعْ بأمْرِك الخ ، يقال : صدَعْت بالحقّ إذا تكلّمت به جِهاراً . وقيل فى قوله تعالىٰ (فاصْدَعْ بما تُؤمَر[3]) أى شُقّ جماعاتِهمْ بالتوحيد ، وقيل : افرُق بذلك بين الحقّ والباطل ، وقيل : أظهِرْ ذلك . وهو مأخوذٌ من قولهم : صدَعت القومَ صدعاً فتصدّعوا : أى فرّقتهم فتفرّقوا . وأصل الصَدْع الشقّ . وروى (فانفذ بأمرك) . والغَضَاضة ، قال فى الصحاح : يقال ليسَ عليك فى هذا الأمر غَضاضة أى ذِلّة ومنقَصة . وفى المصباح : غضّ الرجل صوتَه ٥٧٣
وطرفه ، ومِن طرْفه وصوته غضًّا ، من باب قتل : خَفَض ؛ ومنه يقال غضّ

---

(١) الخبر عند السيوطى ٢٣٥ . وقد عمل البغدادى هنا على أن يقارب فى الألفاظ بين ما كتبه السيوطى ، وما هو عند ابن إسحاق فى السيرة ١٦٨ . وأما الأبيات فقد أغفلها ابن اسحاق ، والثانى عند السيوطى هكذا :

فامض لأمرك ما عليك غضاضة ... أبشر وقر بذاك منه عيونا

وفى السيوطى فى البيت الثالث « قبل » موضع « ثم » ، وفى الرابع : « قد عرفت » بدل « لا محالة » وفى الخامس « سبة » مكان « مسبة » .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الأنعام .

(٣) الآية ٩٤ من سورة الحجر .

من فلان غَضّاً وغَضاضة : إذا تنقّصه . وقوله : وأَبْشِر بذاك ، أي بعدَم وُصولهم إليك ، أو بظهور أمرك ، أو بانتفاءِ الغضاضة عنك ، أو بالمجموع ؟ ويكون ذاك إشارةً إلى ما ذُكر . وابشَر ، بفتح الشين ، لأنّه يقال بَشِرَ بكذا يَبْشَر ، مثل فرح يفرح وزناً ومعنى ، وهو الاستبشار أيضاً ؛ والمصدر البُشور ، ويتعدّى بالحركة فيقال بشَرته أبْشُره ، من باب قتل ، في لغة تِهامةَ وما والاها ؛ والاسم منه البُشْر بضمّ الباء ، والتعديَة بالتثقيل لغةُ عامّةِ العرب ، كذا في المصباح[1] . وقوله : وقَرّ منه عيوناً : أي مِن أجله . قال الطِّيبيّ : « وإنما جمع العين ، لأنّ المرادَ عيون المسلمين ، لأنّ قرّة عينِه عليه الصلاة والسلام قرّةٌ لأعيُنهم » . وهذا المعنى صحيح ، إلاّ أنّ اللفظ لا يساعد . وهو تمييز محوَّل عن الفاعل . قال ثعلبُ في فصيحه : وقرِرْت به عيناً أقَرُّ بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل ؛ وقرَرْتُ في المكان أقِرّ ، بفتحها في الماضي وكسرها في المستقبل ؛ ومصدر الأوّل القُرّ والقُرور بضمّ أولهما ؛ ومصدر الثاني القَرار والقَرّ بفتحهما . قال شارحه أبو سَهل الهَرَويّ : قولهم : أقَرّ اللهُ عينَك ، معناه لا أبكاك اللهُ فتسخنَ بالدمع عينُك ؛ فكأنّه قال : سرّك الله ؛ ويجوز أن يكون صادفتَ ما يرضيك لتقِرّ عينُك من النظر إلى غيره . وأما قول بعضهم : معناه بَرّد اللهُ دَمعتَها ، لأنّ دمعة السُّرور باردة ودَمعة الحزن حارّة فإنّه خطأ ، لأنّ الدمع كلّه حارّ . . وقوله : ودعوتَني ، أي إلى الإيمان . وزعمتَ : أي قُلت ؛ فإنّ الزعمَ أحد معانيه القول ؛ ورُوى بدلَه . (وعلمتُ) فهو بضمّ التاء . وثَمّ بفتح الثاء إشارة إلى مقام القول

---

(١) اعتمد البغدادى على مافى المصباح ، والحق أن ذلك غير متعين ، فى القاموس « وبشرت به ، كعلم وضرب : سررت » . كما يصح أن تكون أمرا من أبشر إبشاراً ، مطاوع بشره بالتخفيف ، كما فى قوله تعالى : « وأبشروا بالجنة » ، وحذفت همزة القطع للضرورة ، لتوافق الرواية الثانية فى البيت التى أوردتها فى حواشى الصفحة السابقة .

والنصح أو الدّعوة ، وروى بدله : (قبْلُ) بضمّ اللام : أى قبلَ هذا . وقوله : وعَرّضت الخ ، مِن زائدة على رأى مَن يقول بزيادتها فى الإثبات ، أوتبعيضيّة : أى من بعض الأديان الفاضلة . وديناً الثانى ، إمّا تمييز وإمّا تأكيد للأوّل . وقوله : لولا المَلامة ، أى لولا ملامة الكُفّار لى والحِذار ، بالكسر : المحاذَرة . وسَمْحاً : منقاداً . ومُبيناً : مظهِراً ، من الإبانة وهى ضدّ الإخفاء .

وترجمة أبى طالب تقدّمت فى الشاهد الحادى والتسعين[1]

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد ، السادس عشر بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢١٦ (ثلاثُونَ للهَجْرِ حَوْلاً كَميلاَ)

وهذا عجزٌ وصدره :

(على أنَّني بعدَ ما قدْ مَضَىٰ)

على أنّه فصل بالمجرور ضرورةً بين التمييز وهو (حَولاً) وبين المميِّز وهو (ثلاثون) . ٥٧٤

وأنشده سيبويه فى باب كَمْ ، مع بيت بعده ، وهو :

(يذَكِّرُنيكِ حَنينُ العَجُولِ ونَوحُ الحَمامةِ تدعو هَديلا)

قال الأعلَم فى شرح أبياته : الشاهد فى فصله بينَ الثلاثين والحَول بالمجرور

(١) الخزانة ٢ : ص ٧٥

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ٤٩٢ والإنصاف ٣٠٨ وابن يعيش ٤ : ١٣٠ والعينى ٤ : ٤٨٩ والهمع ١ : ٢٥٤ وشرح شواهد المغنى ٣٠٧ والأشمونى ٤ : ٧١ .

ضرورة . فجعلَ سِيبَوَيه هذا تقويةً لما يجوز فى كَمْ من الفصْلِ عوضاً لما مُنِعتْه من التصرُّف فى الكلام بالتقديم والتأخير ، لتضمُّنها معنى الاستفهام والتصدُّر بها لذلك . والثلاثون ونحوها من العدد لا تمتنع من التقديم والتأخير لأنّها لم تتضمَّن معنًى يجبُ لها به التصدُّر ، فعملتْ فى المميِّز متّصلاً بها على ما يجب فى التمييز . انتهى

وقوله : على أنّني ، متعلِّق بما قبله من الأبيات ، لا بقوله يذكِّرنيك ، كما زعمه شارحُ شواهد المغنى ، فإنّ يذكرنيك خبر أنّني . و (الحوْل) : العام ، وقال صاحب المصباح : حال حَوْلاً ، من باب قال : إذا مضىٰ ؛ ومنه قيل للعام حَول وإنْ لم يَمض ، لأنّه سيكون حولاً ، تسميةً بالمصدر ؛ والجمع أحوال . و (الكَميل) : الكامل . و (ثلاثون) فاعل مضىٰ . والذِّكر متعدٍّ لمفعول واحد ، يقال ذكَرته بلسانى وبقلبي ؛ والاسم ذُكر بالضمّ والكسر ، نصّ عليه جماعةٌ منهم أبو عُبيدة وابن قُتيبة ؛ وأنكر الفرّاء الكسرَ فى القلب وقال : اجعلْنى على ذُكرٍ منك بالضمّ لا غير . ويتعدّى إلى مفعولين بالألف والتضعيف كما هنا ، فإنّ الياء مفعول أوّل والكاف مفعول ثان . وحنينُ فاعلُه . ونَوْحُ معطوف عليه . والحنين : ترجيع الناقة صوتَها إثرَ وَلَدِها ؛ هذا أصله ، ومنه معنى الاشتياق . والعَجول من الإبل : الوالهُ التى فقدت ولدَها بذبحٍ أو مَوت أو هِبَة ؛ وقيل الناقة التى ألقت ولدَها قبل أن يتمّ بشهر أو بشهرين . ونَوح الحَمامة : صوتٌ تستقبل به صاحِبَها ؛ لأنّ أصلَ النَّوح المقابلة[1] ؛ وجملة تدعو حال مِن الحمامة . والهَديل ، قال ابن قُتيبة فى أدب الكاتب : العرب تجعله مرّةً فرخاً تزعم الأعراب أنّه كانَ على عهد نوح

---

(١) ط : « التقابل » .

عليه السلام ، فصاده جارحٌ من جوارح الطير ، قالوا : فليس مِن حمامة إلاّ وهى تبكى عليه . ومرّةً يجعلونه الطائرَ نفسَه . ومرّةً يجعلونه الصوت انتهى فعلى الأوّل هو مفعول تدعو بمعنى تبكيه وترثيه ، وكذلك على الثانى ، بمعنى تطلبه ليسافدها ، لأنّه بمعنى الذَّكَر . قال فى العباب : الهديل : الذَّكَر من الحمام ، وقيل الحمام الوحشىّ كالقمارىّ والدُّباسىّ . وعلى الثالث مفعول مطلق ، وناصِبه إمّا تدعو بمعنى تَهْدِل ، وإمّا فعلٌ مقدَّر من لفظه ، أى تهدِل هديلاً . قال فى العباب : والهديل : صوت الحمام ، يقال هدَل الحمامُ يهدِل هَديلاً مثل هدَر يهدِر هديراً . وقال الجاحظ[1] : يقال فى الحمام الوحشىّ من القَمارىّ والفَواخِت والدَّبَاسىّ وما أشبه ذلك : هدل يهدِل هديلاً ويقال هدر الحمام يهدر . وقال أبو زيد : الجمل يهدر ولا يقال باللام[2] . ولا يجوز على هذا أن ينتصب هديلاً على الحال من ضمير تدعو ، لأنّ مجىء المصدر حالاً سماعىٌّ ، ولا ضرورة هنا تدعو إليه . ٥٧٥

ومعنى البيتين : لم أنس عهدَكِ على بعده ، وكلّما حنّتْ عَجولٌ أو صاحتْ حَمامةٌ رَقّتْ نفسى فذكرتُكِ .

وهما من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يُعرف لها قائل . ونقل العَينىّ عن الموعب ، أنّهما للعبّاس بن مِرْداس الصحابىّ والله أعلم — وتقدّمت ترجمة العبّاس فى الشاهد السابع عشر[3] — وكذا رأيته أنا فى شرح ابن يسعون على شواهد الإيضاح لأبى علىّ الفارسىّ ، منسوباً إلى العبّاس بن مرداس .

* * *

(١) فى الحيوان ٣ : ٢٤٣ .

(٢) الذى فى الحيوان : « وأما أصحابنا فيقولون : إن الجمل يهدر ولا يكون باللام ، والحمام يهدل وربما سكن الراء » . وانظر شرح شواهد المغنى .

(٣) الخزانة ١ : ص ١٥٢

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد المائتين ، وهو من شواهد س[١] :

٢١٧ (تقولُ ابنَتى حِين جَدَّ الرحيـــلُ أبرَحتَ رَبًّا وأبرَحتَ جارا)

على أن (ربًّا) و (جاراً) تمييزان . قال ابن السرّاج فى الأصول : وأمّا الذى ينتصب انتصابَ الاسم بعد المقادير ، فقوله : ويحَه رجلاً ، ولله دَرُّه رجلاً ، وحَسْبُك به رجلاً ؛ قال عبّاس بن مرداس :

ومُرَّةُ يحْمَعْهمْ إذا ما تبدَّدوا ويَطعُنهمْ شَزْراً فأبرحْتَ فارسا[٢]

قال سيبويه : كأنّه قال : فـكفىٰ بك فارساً ، وإنما يريد كَفيْتَ فارساً ؛ ودخلت هذه الباء توكيداً . ومنه قول الأعشىٰ :

فأبرَحتَ رَبًّا وأبرَحتَ جاراً . . . . انتهى

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة للأعشىٰ ، مدح بها قيسَ بن مَعْد يكربَ الكِنْدىّ وكان الأعشىٰ مدَحه بقصيدةٍ داليّة ، فقال له قيس : إنّك تَسرق الشعر ؛ فقال له الأعشى : قيِّدنى فى بيتٍ حتّى أقول لك شعراً . فحبسه وقيَّده . فقال عند ذلك هذه القصيدة . وزعم ابن قُتَيْبة أنّ القائل له إنّما هو النعمان بن المنذر وهذا غير صحيح ، بدليل قوله فيها :

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٩ . وانظر ديوان الأعشى ٣٧ ونوادر أبى زيد ٥٥ والتصريح ١ : ٣٩٩ .

(٢) كذا فى ط ، ش ، وحورها الشنقيطى إلى « يحميهم » مطابقا بذلك ما فى سيبويه والأصمعيات ٢٠٦ . على أن « يجمعهم » فيه إسكان آخر المضارع المرفوع ، وورد مثله فى قول امرئ القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

أبيات الشاهد

(إلى المرءِ قيس نُطيل السُرىٰ ونَطوى مِن الأرض تِيهاً قِفارا)

ومطلع هذه القصيدة:

(أأزْمَعْتَ مِن آل ليلىٰ ابتكارا وشطَّتْ على ذى هوًى أن تُزارا)

إلى أن قال بعد ثلاثة أبيات[1]:

(وشَوقٍ عَلوقٍ تناسيتُه بزَيّافةٍ تستخفُّ الضِّفارا[2]
بَقيّةُ خَمْسٍ مِن الراسما ت بيض تُشَبِّهُن الصُّوارا
دُفعن إلى اثنين عند الخُصُوص وقد حَبَسا بينهنَّ الإصارا ٥٧٦
فهذا يُعِدُّ لهنَّ الخلا ويَنقُل ذا بينهنَّ الحِضارا
فكانتْ بقيّتهنَّ التى تَروق العُيونَ وتَقضى السِفارا[3]
فأبقىٰ رواحى وسيرُ الغُدوِّ منها ذُؤابَ جِداءٍ صِغارا[4]
أقول لها حينَ جدّ الرحيـــلُ أبرحْت جدًّا وأبرحتِ جَارا
إلى المرء قيس نُطيل السُرىٰ ونَطوى من الأرض تِيهاً قِفارا[5]
فلا تشتَكِنَّ إلىَّ السِفارَ وطولَ العَنا واجعَليه اصطبارا
رَواح العشيِّ وسَير الغُدوِّ يَدَ الدهرِ حتّي تلاقى الخِيارا
تُلاقِينَ قيساً وأشياعَه يُسَعِّر للحرب ناراً فنارا)

قوله: وشوقِ عَلوق، أى ربَّ شوق، وهو مضاف إلى عَلوق. والعَلوق بفتح المهملة: الناقة التى تُعطَّف على غير ولدها فلا تَرْأمه وإنّما تشمُّه بأنفها

(١) الحق أنه بعد ستة عشر بيتا من أول القصيدة. انظر الديوان ٣٤ — ٣٧.
(٢) فى الديوان: «بجوالة».
(٣) فى الديوان: «فكانت سريتهن».
(٤) فى الديوان: «ذوات حذاء».
(٥) لم يرد هذا البيت فى ديوانه.

وتمنع لبنَها . والعلوق أيضاً من النِّساء : التى لا تحبُّ غير زوجها ، ومن النوق : التى لا تألف الفحل ولا ترأم الولد . والزَّيَّافة : الناقة المسرِعة ، وقيل المتبخترة ، من زاف يزِيف زَيفا : إذا تبختر فى مِشيته . والضُّفار : جمع ضَفْرة وضَفيره ، بالضاد المعجمة والفاء ، وهى البطان المعرَّض ؛ والبِطان بالكسر هو للقَتَب الحزامُ الذى يُجعَل تحتَ بطن البعير ، وهو بمنزلة التصدير للرحل : وقوله : بقيَّة خمس ، أى تلك الزيَّافة بقيَّة نوقٍ خمس . والراسمات ، من الرَّسِيم وهو ضربٌ من سير الإبل السَّريع ، وقد رسَم يرسُم رسيًا . وبِيض : جمع بيضاء أى كريمة . والصِّوار ، بضمّ الصاد وكسرها : القطيع من بقر الوحش ؛ والجمع صِيران . وقوله : دفعن إلى اثنين الخ ، أى دفع قرينه[1] تلك النوقَ الخمس إلى رَجلين عند الخُصوص ، وهو موضع قُرْبَ الكُوفة . والإصار بكسر الهمزة ، قال الصَّغانىّ فى العباب : والإصار والأيصر : حبلٌ قصير يُشَدُّ به فى أسفل الخباء إلى وَتِد ؛ وكلُّ حَبْل يُحبس به شىء أو يُشَد به فهو إصار ، قال الأعشى يصف النوق . . وأنشَد هذا البيت . وقوله : فهذا يُعِدّ : أى يهيء . والخَلا ، بفتح الخاء المعجمة : الحشيش الرَّطْب . والحَضار ، بفتح المهملة وكسرها وبعدها ضاد معجمة : الكرائم من الإبل ، كالمِجان : واحده وجمعُه سواء . وقوله : فكانت أى تلك الزيَّافة . والسِّفار ، بالكسر : المسافَرة والسَّفَر ، وهما قطع المسافة . وقوله : فأبقى رَواحى الخ ، الرواح : مصدر راح يرُوح ، وهو نقيض غَدَا يغدو غُدوًّا . والذُّؤاب : جمع ذُؤابة ، ٥٧٧ بذال مضمومة بعدها همزة فموحَّدة ، وهى الجلدة التى تعلَّق على آخرة الرَّحل . والجِداء : جمع جَدْية ، بالجيم ، وهى شىء يحشىَ تحتَ دفَّتَي السَّرج والرَّحل .

(١) ط : « قرينة »

أراد أنّها لم يبقَ من ظهرها شيء من كثرة السّير . ثمّ بعد وصفِ ضُمرها ببيتين آخَرين قال :

(أقول لها حين جدَّ الرحيلُ . . . . البيت)

أى أقول لتلك الزيّافة . وجدَّ بمعنى اشتدّ . وأبرحتِ بكسر التاء خطاب للزيّافة . قال أبو عُبيد فى الغريب المصنَّف : ما أبرح هذا الأمر : ما أعجبه . وأنشَدَ هذا البيت . قال شارحُ أبياته ابنُ السِيرافىّ : المعنى اخترتِ ربًّا وهو الملك ، وجاراً عظيم القدر . وقيل أبرحت [أعجبت[1]] قال صاحب الصحاح وتبعه صاحب العباب : وأبرحَه أى أعجَبه . وأنشد هذا البيت وقال : أى أعجبت وبالغت . وأبرحَه أيضاً بمعنى أكرمه وعظّمه . . وعلى هذا فربًّا مفعول به ، وهو بمعنى المالك والسيِّد ، والمراد به نفْس الشاعر أو ممدوحه . وهذا هو الظاهر المتبادر من سَوق الكلام . وقال صاحب العباب : ويُروىٰ :

(تقول له حِينَ حانَ الرحيـلُ أبرحتَ . . . الخ)

أى تقول للأعشى الناقةُ : أبرحتَ بى فى طلب ربّك هذا الذى طلبتَه وعذّبتنى وحَسّرتنى انتهى . . وعلى هذا فأبرحتَ معناه أصبتَنى بالبَرْح وهو الشدّة والعذاب ، ويكون ربًّا أصله فى طلبِ ربّك . ولا يخفىٰ هذا التعسُّف ، مع أنّ هذه الروايةَ غير ثابتة ، وغير منْسجمة مع ضمير الغائب . وقال ابن حبيب : يريد : تقول له ناقته : أعظَمت وأكرمْت ، أى اخترت ربًّا كريماً وجاراً عظيم القَدْر يُبْرِح بمن طَلَب شأوَه . وروى أيضاً — كما فى الشرح :

(تقول ابنتى حين جدَّ الرحيلُ . . . البيت)

وإنّما رُوى ، فى كتاب س وفى نوادر أبى زيد ، العجزُ مقروناً بالفاء هكذا :

(١) التكملة مما يستفاد من الشرح التالى .

(فأبرحْت ربا وأبرَحْت جارا)

وتمَّمه شُرَّاح شواهده بما ذكره الشارح[١]. وهذه الرواية لا ارتباط لها بما بعدَها ، كما هو الظاهر . قال أبو عُبيدة ، كما فى النوادر : أبرحتَ فى معنى صادفت كريماً . وقال غيره : أبرحت بمن أراد اللَّحاق بك تُبْرِح به فيَلقَى دون ذلك شِدَّة . والبَرْح : العذاب والشدَّة ؛ ومن ذلك برَّحت بفلان[٢] انتهى . فالربّ على الأوَّل الممدوح ، وعلى الثانى الصاحب . وقال النحّاس : قال الأصمعىّ : أبرحْت ربًّا أى أبلغْت . وقال الأسعدى : أبرح فلانٌ رجلاً : إذا فضله . وهذا كلُّه على أنَّ ربًّا مفعول به لا تمييز . وقال الأعلَم : قوله : فأبرحْت ربا الخ ، الشاهد فيه نصب ربٍّ وجارٍ على التمييز . والمعنى أبرَحْت مِن ربٍّ ومن جارٍ ، أى بلغْت غايةَ الفضل فى هذا النوع . وصدر البيت :

(تقول ابنتى حين جد الرحيل أبرحتَ ربًّا) الخ

والمعنى على هذا . أبرَحَ ربكَ وأبرَحَ جارُك . ثمّ جُعِل الفعل لغير الربّ والجارِ ، كما تقول : طبتَ نفساً : أى طابت نفسُك . وهذا أبْيَنُ من التفسير ٥٧٨
الأول ، وعليه يدلُّ صدر البيت . وأراد بالربِّ الملكَ الممدوح . وكلُّ من ملَك شيئاً فهو ربُّه . انتهى .

---

(١) هذا دليل على أن صدر البيت فى الكتاب ١ : ٢٩٩ لم يكتبه سيبويه وأنه زيادة طرأت بعد زمن تأليفه . والتاء فى (فابرحت) و (أبرحت) مضبوطة فى النوادر بالفتح ، ولا ضير فى هذا فإنه المناسب لما سيق بعد من التفسير ، وضبطت كذلك فى الكتاب بالفتح ، وإنما هذا مجاراة لهذا الصدر الزائد بدليل ما سيأتى من شرح الأعلم وقوله : « وهذا أبين من التفسير الأول » وما سيجىء من قول البغدادى بعده : « والمقدار الذى أورده س هجز . . . الخ » .

(٢) انظر نوادر أبى زيد ص ٥٥ . والنقل هنا يصحح خطأين هناك : الأول « أبرحت ممن » ، صوابه « بمن » ، والثانى «فتلقى » بالتاء ، وصحته « فيلقى » بالياء ، كما هنا .

وقال الشارح المحقّق : أبرحتَ أى جئت بالبَرْح وصرت ذا بَرْح؛ والبَرْح : الشدَّة . فمعنى أبرحتَ صرتَ ذا شِدَّة وكمال ، أى بالغت وكملت ربّا . فهو نحو كفى زيدٌ رجلاً ، أى أبرحَ جارُهو أنت . . فالربّ على قول الأعلم الممدوحُ ، وعلى قول الشارح نفسُ الشاعر ؛ ومعنى البيت على هذا إنّما هو بقطع النظر عمّا بعده وقبله ؛ وإلاّ فلا يناسب السِّياق . والمقدارُ الذى أورده س ، عجزٌ للصدر الذى هو :

(أقولُ لها حين جدَّ الرحيلُ)

والفاء من تصرُّف النُسّاخ ، فتكون التاء مكسورة ، والمعنى على ما ذكره الأعلم — والله أعلم — وأورد قبلَه قول العبّاس بن مِرداس السُلَمىّ :

ومُرَّةُ يَحميهم إذا ما تبدَّدوا ويَطْعُنُهم شَزْراً فأبْرَحْتَ فارسا[1]

قال الأعلم : « المعنى فأبرَحْتَ من فارسٍ ، أى بالغتَ وتناهيت فى الفُروسيّة ـ وأصل أبرحتَ مِن البَراح ، وهو المتّسِع من الأرض المنكشف ـ أى تبَيَّنَ فضلك تَبَيُّنَ البَراحِ من الأرض[2] » .

وترجمة الأعشى ميمون تقدَّمت فى الشاهدَ الثالث والعشرين وترجمة قيس أيضاً تقدّمت فى الشاهد الثانى بعد المائتين[3] .

* * *

(١) كذا ورد واضحاً فى ش بخط ناسخها ، ولا أثر لقلم الشنقيطى فيه أما المطبوعة الأولى فالذى فيها « يجمعهم » . انظر حواشى ٢ : ص ٣٠٢ من هذا الجزء

(٢) كلمة « من الأرض » ساقطة من ش . وفى ط : « أى تبين فضلك وتبين » باقحام واو قبل « تبين » .

(٣) انظر لترجمة الأعشى الخزانة ١ : ص ١٧٥ ولترجمة قيس الخزانة ٣ : ص ٢٣٩

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشرَ بعد المائتين :

٢١٨ (يا جارَتا ما أنتِ جارَه[1])

على أن (جارة) تمييز ، لأنّ ما الاستفهاميّة تفيد التفخيم ، أى كَمُلتِ جارَة .

وهذا المصراع عجز ؛ وصدره :

(بانَتْ لتحزنَنا عَفارَه)

صاحب الشاهد والبيت مطلع قصيدةٍ للأعشى ميمون . . قال الشاطبيّ فى شرح الألفيّة : أجاز الفارسيُّ أن تكون جارة فى هذا البيت تمييزاً ، لجواز دخول مِن عليها ، لأنَّ ما استفهامٌ على معنى التعجُّب ، فجارة يصحُّ أن يقال فيها : ما أنت مِن جارة ؛ كما قال الآخر :

يا سيِّداً ما أنتَ مِن سيِّد مُوَطَّأ الأكنافِ رَحْب الذِراعْ[2] انتهى

وروى أوّلَه أبو علىّ فى إيضاح الشعر :

بانت لِطيَّتها عَراره يا جارَةً ما أنْتِ جارَه

والطِّيّة ، بالكسر وتشديد الياء التحتيّة : النِّيَّة والقصد . وعَرارة : امرأة

وقال قبلَه فى قول الشاعر :

وأنت ما أنت فى غَبراء مُظلِمةٍ :

٥٧٩ الظرف حال ، والعامل ما فى قوله ما أنت مِن معنى المدح والتعظيم ، كأنّه قال : عظمت حالاً فى غبراء . وليس فى الكلام ما يصحُّ أن يكون عاملاً فى الظرف غيرَ ما ذكرنا ، وإذا صحَّ معنى الفعل ـ وذلك من حيث ذكرنا ـ

(١) ديوان الأعشى ١١١ وابن يعيش ٣ : ٢٢ والأشمونى ٣ : ١٧ .

(٢) البيت للسفاح بن بكير فى المفضليات ٣٢٢ والهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٥١ : ٩٠ .

كان قولُ الأعشى : جارة ، فى موضع نصب بما فى ما أنت ؛ كما ذكرنا . انتهى . ولا يصح أن تكون ما نافيةً كما زعمه العينيّ ؛ لأنّ نصب جارة على التمييز إنّما هو من الاستفهام التعجّبي . وهذه عبارته : « ما نافية وأنت مبتدأ وجارة خبره . ويُروى : (ما كُنتِ جارَه) فهذا يؤكّد معنى النفى . ويجوز أن تكون ما استفهاميّة فى موضع الرفع على الابتداء ، وأنت خبره ، وجارة تكون تمييزا والمعنى عظمتِ مِن جارة . انتهى . ولا يخفى أنّ المعنى ليس على النفى ؛ وإنّما هو على التعجُّب كما ذكره الجماعة .

و (بانت) : من البَيْن وهو الفِراق . وقوله : (لتحزننا) يجوز فتح التاء وضمّها ، فإنّه يقال حزَنه يحزُنه ، وهى لغة قريش ، وأحزنه يُحزِنه ، وهى لغة تميم ؛ وقد قرئ بهما . وحزِن يأتى لازماً أيضا[1] ، يقال حزِن الرجل فهو حزِن وحزين ، من باب فرِح يفرح . و (عَفارة) بفتح العين المهملة : اسم امرأة ؛ وهى فاعلٌ لأحد الفعلين على سبيل التنازع . وقوله : (يا جارتا) الخ ، هو التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وجارة الرجل : امرأته التى تجاوره فى المنزل . و (ما) : اسم استفهام مبتدأ عند س وأنت الخبر ؛ وعند الأخفش بالعكس . وقال العينيّ[2] : عَفارة : امرأة يحتمل أن تكون هى الجارَة أو غيرها ، فإنْ كانت عينَها فقد انتقل من الإخبار إلى الخطاب ، والجارَة هنا زوجته انتهى . . والظاهر أنّ الجارَة هى عَفارة وأنّها عشيقته فتأمّلْ . ثمّ رأيت فى شرح شواهد الإيضاح لأبى علىّ الفارسىّ لابن برّىّ قال ـ وأنشد :

(يا جارتا ما أنت جاره)

---

(١) كذا فى النسختين ، وظنى أن «أيضا» « مقحمة » .

(٢) لم أجده فى شرح الشواهد فلعله مما سقط من شواهد العينى المطبوعة .

وقبله :

(بانت لتحزننا عَفاره)

ويروى :

بانت لِطِيَّتِها عفاره

هو لأعشى بنى قيس ، والجارة هنا زوجُه ، قال ابن دريد : والطِّيَّة : المنزل الذى تنويه . وعَفارة : اسم امرأة ويحتمل أن تكون هى الجارَة وغيرها ، فإن كانت الجارة فقد انتقل من الإخبار إلى الخطاب . وقوله ياجارتا ، يريد يا جارتى ، فأبدل من الكسرة فتحة فانقلبت الياء ألفا لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها ؛ ويجوز أن تكون ألفَ النُدبة ، لمّا وَصَلَها حذف الهاء ، كأنّه لمّا فقدها ندَبَها . وقوله : ما أنت جاره ، ما نافية وأنت مبتدأ أو اسم ما ، وجارة إما فى موضع نصب خبر لِما ، وإمّا فى موضع رفع خبر لأنت . ويُروى : (ما كُنت) فهذا يؤكّد معنى النفى ، كما قال تعالى (ما هذا بَشَرا[1]) ويجوز أن تكون ما استفهاماً فى موضع رفع بأنّها خبر أنت ، وجارة فى موضع نصبٍ على التمييز ؛ أى ما أنت منْ جاره . ويجوز أن تكون حالا ، والعامل فيها معنى الكلام ، أى كَرُمت جارةً ، أو نَبُلْتِ جارة . ويجوز أن تكون ما مبتدأ — وإن كانت نكرة — لما فيها من معنى التفخيم والتعجُّب ، ولأنّها تقع صدراً ؛ غير أنّه أوقعها على مَن يعقل ، فكان الوجه ما بدأنا به . ٥٨٠

هذا كلامه برُمّته ، وتعسُّفه ظاهر .

وقال شارحُ آخرُ لأبيات الإيضاح : « جلَبَه أبو علىّ شاهداً على أنّ

---

(١) الآية ٣١ من سورة يوسف .

جارةً الموقوفَ عليها ، يحتمل أن تكون تمييزاً لإمكان [إدخال[١]] مِنْ عليها . ويحتمل أن تكون حالا » . ثمّ إنّه أخذَ جميعَ الكلام الذى نقلناه من ابن برّى .

وترجمةُ الأعشى تقدّمت الحَوالة عليها فى البيت الذى قبل هذا . وبعد هذا البيت :

(أرْضَتْكَ مِنْ حُسْنٍ ومِنْ دَلٍّ تُخالِطه غَرارَهْ
وسَبَتْكَ حِينَ تبسَّمتْ بينَ الأرِيكة والسِتارَهْ)

والغرَارة ، بفتح المعجمة : الغفلة كالغِرّة بالكسر . والأريكة : السَّرير المزيَّن ؛ والجمع أرائك .

كَمَلَ الجزء الأول من المطبوعة الأولى ويليه الثانى وأوله باب المستثنى

* * *

باب المستثنى

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائتين[٢] :

٢١٩ (وَبَلْدةٍ ليسَ بها طُورِىُّ ولا خَلا الجِنَّ بها إنسِىُّ)

على أنّ تقدُّم المستثنى على المنسوب والمنسوبِ إليه شاذ[٣] . والأصل : ولا بها إنسىٌّ خلا الجنّ .

(١) التكملة من هامش ش وإلى جوارها كلمة « صح » .

(٢) نوادر أبى زيد ٢٢٦ والمنصف ٣ : ٦٢ والإنصاف ٢٧٤ والهمع ١ : ٢٢٦ ، ٢٣٢ وديوان العجاج ٦٨ واللسان (طور ، طأى) .

(٣) فى النسختين : « المستثنى غير المنسوب والمنسوب إليه شاذ » تحريف . وفى الرضى ١ : ٢٠٩ : إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب أن يتأخر عما نسب إلى المستثنى منه ، نحو ماجاءنى إلا زيدا أحد . وإن تقدم على المنسوب — يعنى الحكم — وجب تأخيره عن المستثنى منه ، نحو القوم إلا زيدا ضربت . ولا يجوز عند البصريين تقدمه عليهما فى الاختيار » . عليهما أى المنسوب وهو الحكم ، والمنسوب إليه وهو المستثنى منه ، فلا يقال إلا زيداً القوم ضربت .

قال ابن الأنباريّ فى الأنصاف : ذهب الكوفيّون إلى أنّه يجوز تقديمُ حرف الاستثناء فى أوّل الكلام نحو إلاّ طعامَك ما أكل زيدٌ ، نصَّ عليه الكسائى ، وإليه ذهب الزَّجَّاجُ فى بعض المواضع ؛ واستدلوا بهذا البيتِ ونحوه . ومنعه البصريُّون ، وأجابوا عن البيت بأنّ تقديره : وبلدةٍ ليس بها طوريّ ولا إنسيٌّ ما خلا الجنَّ . فحذف إنسيًّا وأضمر المستثَني منه ، وما أظهَره تفسيرٌ لمَّا أضمَره[1] . وقيل : تقديره : ولا بها إنسيٌّ خلا الجنّ . فبِها مقدرة بعدَ لا ، وتقديم المستثنَي[2] فيه للضرورة ، فلا يكون فيه حجّة .

صاحب الشاهد وهذان البيتان من أُرجوزة للعجّاج . وقوله : (وبلدة) الواو فيه واو ربٍّ ؛ والبلدة : الأرض ، يقال هذه بلدتنا أى أرضنا . وروى أبو عُبيد البكرىُّ فى شرح نوادر القالىّ[3] والصاغانى فى العُباب :

(وخفْقَةٍ ليس بها طُورىُّ)

بفتح الخاء المعجمة والفاء والقاف[4] ؛ وقال : الخَفْقة : المَفازة المَلْساء ذات آل . قال أبو عُبيد : هذا صحّة إنشاده ، لأنّ قبلَه :

(وبلدةٍ نِياطُها نَطِىُّ)

أى بعيد . وبعدَه :

(للرّيح فى أقْرابها هُوِىُّ)

والأقراب : الجوانب . وجملة : (ليس بها طُورىّ) صفة بلدة . وطورىّ

(١) هذا الجواب ذكره الرضى أيضا فى شرحه ١ : ٢٠٩ .

(٢) ش : « الاستثناء » .

(٣) اللآلىء ٥٦٦ وفيه كما فى الأمالى ١ : ٢٥٥ : « طوئى » والطوئى كالطورى وزنا ومعنى .

بمعنى أحد ، لا يكون إلاّ مع النفْى كما هنا ؛ وهو فى الأصل منسوب إلى طُور
الدار ، قال شارح النوابغ الزمخشرية : طُورَ الدار بالضمّ هو ما يمتدّ معها من ٣
فِنائها وحُدودها ، تقول : أنا لا أطور بفلان ولا أطور طورَه : أى لا أدور حوله ولا أدنو منه انتهى . ولا وجه لقول أبى علىّ القالىّ فى أماليه : إن طُوريًّا منسوب إلى الطُّورة ، وهى فى بعض اللغات الطِّيَرة — على وزن العنبة — وهو ما يتشاءم به من الفـأل الردئ . وقد رواه أبو زيد فى نوادره بهذا اللفظ(١) . وكذلك صاحبُ الصحاح والعباب وغيرهم . ورواه أبو علىّ القالىّ فى أماليه (طوئىّ) على وزن طوعِىّ قال : أنشدنى أبو بكر بنُ الأنبارى وأبو بكر بن دُريد ، للعجّاج :

(وبلدةٍ ليس بها طوئىّ)

وهو بمعنى طُورىّ . وزاد فيها لغتين أيضا ، قال : يقال ما بها طُؤوىّ(٢) على مثـال طُعْوىّ ، وما بها طاوىٌ غير مهموز . وأورد فيها كلمات كثيرة فى هذا المعنى تلازم النفى ، كقولهم : ما فى الدار أحد ، وما بها عَريب ، وما بها دَيّار . وكأنّه ، والله أعلم ، استقصى فيها جميعَ هذه الألفاظ . وقوله : ولا الخ ، الواو عطفتْ جملة بها إنسىٌّ على جملة بها طورىّ المنفيّة بليس ؛ ولا لتأكيد النفى ، إلاّ أنّه فصَل بين العاطف والمعطوف بجملة خلا الجنّ ، لضرورة الشعر . قال ابن السرّاج فى الأصول : وحكى عن الأحمر أنّه كان يجيز : ما قام صغير ولا خلا أخاك كبير . وإنّما قاسه على قوله :

---

(١) الذى فى النوادر : « طؤوى » . وأنشده فى اللسان (طأى) : « طوئى » وقال : س « وما بالدار طوئى مثل طوعى ، وطؤوى ، أى ما بها أحد » .

(٢) ط : « طوئى » ش : « طؤى » والوجه ماأثبت ، كما فى الأمالى .

وبلدةٍ ليس بها طُورِىٌّ ولا خَلَا الجنَّ ولا إنسىٌّ

وليس كما ظنَّ ، لأنَّ إنسىَّ مرتفعٌ بِها على مذهبهم . انتهى .

و (خَلَا) : أداة استثناء ، ومثلها عَدَا يكونان فعلين وينصب ما بعدهما على المفعول به ، لأنّ معناها عند سيبويه جاوَز ؛ وفاعلهما ضميرُ مصدرِ الفعل المتقدّم على قولٍ ومنه — فى خلا — ما أنشده ابنُ خروف وغيرُه : (ولا خلا الجنَّ) بالنصب . ويكونان حرفين وينجرُّ ما بعدهما على أنّهما حرفاَ جرّ ، ومنه — فى خلا — قول الأعشىٰ :

خَلَا اللهِ ما أرجُو سِواكَ ، وإنّما أعُدُّ عِيالى شُعبةً مِن عيالِكا[1]

وهذا كله ما لم تتصلْ بهما ما المصدريّة . فإن اتّصلت بهما فإنّ المختار النصب ، والجرُّ قليل ، وتكون ما معَ ما بعدها فى تأويل مصدرٍ منصوبٍ نصبَ غير وسوى ، عند ابن خروف ، ومصدرٍ فى موضع الحال عند السِيرافى .

و (إنسىّ) : واحد الإِنس ، بالكسر ، وهو البشَر ، يفرق بينه وبين واحده بياء النسبة كرومٍ ورومىّ . فقوله : خلا الجنّ استثناء منقطع ، لأنّه من غير جنس المستثنى منه .

وترجمة العجّاج تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] :

---

(١) هكذا نسبه البغدادى إلى الأعشى ، وليس فى ديوانه . وانظر العينى ٣ : ١٣٧ والهمع ١ : ٢٢٦ ، ٢٣٢ واللسان (خلا ٢٦٦) .

(٢) الخزانة ١ : ص ١٧٠

(٣) فى كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر ديوان الهذليين ١ : ١١٦ ومعجم البلدان (رهوة).

٢٢٠ (فإنْ تُمسِ في غارٍ برَهْوَةَ ثاوياً أنيسُكَ أصداءُ القُبورِ تَصيحُ)

على أنّه جعل الأصداء أنيساً ، مجازاً واتّساعاً . لأنّها تقوم — فى استقرارها بالمكان ، وعمارتها له — مقامَ الأناسيّ .

وقوّى سيبويه بهذا مذهبَ بنى تميم فى إبدال ما لا يعقل ممّن يعقل ، إذ قالوا : ما فى الدار أحد إلا حمارٌ ، فجعلوه بمنزلة ما فى الدار أحد إلاّ فلان .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى ذُؤيب الهُذَلىّ رثى بها ابنَ عمٍّ له قُتِل . مطلعُها :

أبيات الشاهد

(لَعَمْرُكَ إنّى يومَ فارقتُ صاحبي على أنْ أراه قافلاً لَشحيحُ
وإنّ دُموعى إثْرَهُ لَكثيرةٌ لوَ انّ الدُموعَ والزَّفيرَ يُريحُ
فواللهِ لا أنسى ابنَ عمٍّ كأنّه نُشيبة ما دامَ الحَمامُ يَنوحُ) ٤

إلى أن قال بعد أبياتٍ ثلاثة :

(فإنْ تُمسِ فى رَمْسٍ برَهْوَةَ ثاوياً أنيسُكَ أصداءُ القُبورِ تَصيحُ
على الكُرْهِ منّي ما أُكفكِفُ عَبْرةً ولكنْ أُخَلِّى سَرْبَها فتَسيحُ
فما لكَ جيرانٌ ، وما لكَ ناصرٌ ولا لَطَفٌ يَبكى عَليكَ نَصيحُ![1])

قوله : (فإنْ تُمسِ) يقال أمسى : إذا دخل فى المَساء ، وهو خلاف أصبح : إذا دخل فى الصباح . قال ابن القوطيّة : المساء ما بين الظهر إلى المغرب . و (الرَّمْس) : القبر ؛ قال فى المصباح : « رمست الميت رمْساً ، من باب قتل : دفنته . والرمس : التراب ، تسمية بالمصدر ثم سمى القبر به ، والجمع رموس . وأرمسته بالألف لغة » . و (رهْوة) : مكان ، قال ياقوت

(١) نصيح : ذو نصح ، كما فى شرح ديوان أبى ذؤيب ص ١١٧ . ش « فصيح » صوابه فى ط والديوان .

فى معجم البلدان : قال أبو عبيد : الرَّهوة : الجَوْبه تـكون في مَحَـلّة القوم يسيل إليها ماء المطر . وقال أبو سعيد(١) : الرهو : ما اطمأنّ من الأرض وارتفع ما حوْله ، قال : والرهوة شِبه تلّ يكون فى متون الأرض على رءوس الجِبال ومَساقط الطيور والصقور والعِقبان . ورهوة طريق بالطائف ، وقيل هو جبل فى شِعر خُفاف بن نُدْبة ، وقيل عقَبة فى مكانٍ يُعرف . وقال الأصمعىّ : رهوة فى أرض بنى جُشَمَ ونصرٍ ابنىْ معاوية بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة .

و (ثاويًا) خبر قوله (تُمسِ) وهو متعلّق برهوة ، يقال ثوى بالمكان وفيه : إذا أقام . و (أنيسك) مبتدأ ، و (أصداء) خبره ، والجملة حال من ضمير ثاويًا . وجملة تصيح صفة لأصداء ؛ ولا يضرّ إضافته إلى المعرّف باللام ، لأنّ اللام للجنس ومدخلها قريبٌ من النكرة . والأنيس : المؤانس ؛ وفعله أنِسْت به إنسًا من باب علم ، وفى لغةٍ من باب ضرب ؛ والأُنس بالضمّ اسم منه ؛ واستأنست به وتأنّست به : إذا سكن القلب ولم ينفر ، كذا فى المصباح : والأصداء : جمع صَدًى بالقصر ، وهو ذَكَر البوم ، وهو يسكن فى القبور ، وقال الأعلم : هو طائرٌ يقال له الهامة يزعمُ الأعرابُ أنّه يخرُج من رأس القتيل إذا لم يُدرَك بثأره فيقول : اسقونى ! اسقونى ! حتّي يُؤخذَ بثأره . وهذا مثل ؛ وإنّما يُراد به تحريضُ وليِّ المقتول على طلب دَمِه . فجعلَه جهلةُ العَرب حقيقة . انتهى .

وقوله : على الكُره منِّي ، متعلّق بقوله : أكفكف ؛ يقال كفكفت الدمع والرجلَ : إذا كففته ومنعته . والعَبْرَة ، بالفتح : الدّمعة ؛ وفعله عَبِرتْ عينُه كفرِحَت ، والسَّرْب ، بفتح السين وسكون الراء المهملتين : الطريق ،

(١) فى معجم البلدان : « أبو عبيد » ، وبعده : « الرهوة » . وفى مقدمة معجم البلدان أن لأبى سعيد السيرافى كتاباً فى جزيرة العرب .

يقال خَلٍّ له سَرْبه . وقوله : فما لك جيران الخ ، هذه الجملة جواب قوله فإن تُمس . وجِيران : جمع جار . ولَطَف بفتح اللام والطاء المهملة ، هو الرقيق والملاطِف . وهذا الكلام منه على طريق التحزُّن والتحسُّر .

وقد تقدمت ترجمةُ أبى ذؤيب فى الشاهد السابع والستين[1] والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢٢١ والحربُ لا يَبقَى لجا حِمها التَخيُّلُ والمِراحُ[3]
إلاّ الفتَى الصبّارُ فى النّجَدَاتِ والفرَسُ الوَقاحُ

على أنّ الفتى وما بعده استثناء منقطع ، بدلٌ من قوله : التخيُّلُ والمراح . والجاحم ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة : المكان الشديد الحرّ ، من جَحَمتِ النارُ فهى جاحمة : إذا اضطرمَت[4] ، ومنه الجحيم . والتخيُّل : التكبُّر من الخيَلاء . يقول : إنّ الحرب تزيل نَخوة المنخُوّ . وذلك أنّ أصحاب الغَناء يتكرّمون عن الخُيَلاء ، ويختال المتشبّع ، فإذا جُرِّب فلم يُحمَد افتضَحَ وسقَط . والمِراح ، بالكسر : النشاط . أى أنّها تكفُّ حِدّة البَطِر النشيط[5] ، والصّبّار : مبالغة صابر . والنّجدة : الشدّة والبأس . والوَقاح ، بالفتح : الفرَس الذى حافرُه صُلبٌ شديد ، ومنه الوَقاحة .

---

(١) الخزانة ١ : ص ٤٢٢
(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٦ . وانظر الحماسة ٥٠٢ بشرح المرزوقى .
(٣) فى النسختين : « لجاحها إلا التخيل » ، وقد رجح الشنقيطى على « إلا » .
(٤) ط : « اضطربت » .
(٥) ط : « النظر » ، صوابه فى ش .

وهذان البيتان قد تقدَّم شرحهما مفصَّلًا في الشاهد الحادي والثمانين ، في اسم ما ولا المشبهتين بليس[(١)]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[(٢)] :

٢٢٢ (عَشِيّةَ لا تُغنى الرماحُ مكانَها ولا النَّبْلُ ، إلّا المشْرَفيُّ المصمِّمُ)

على أنّ ما بعد إلاّ ، وهو المشرفيّ ، بدلٌ من الرماح والنَّبْل ، والاستثناء منقطع .

وأورده صاحب الكشّاف ، أيضاً ، شاهداً على رفع الاسم الكريم في قوله تعالى (قُل لا يعْلَمُ مَنْ في السَموات والأرضِ الغَيْبَ إلاّ اللهُ[(٣)]) وإنّما رفع على لغةِ تميم . والحجازيُّون ينصِبونه مطلقاً .

وقد جاء هذا البيت في شعرَين ، قافية أحدِهما مرفوعة ، وقافية الآخر منصوبة . والأوّل هو الشائع المستشهَد به ، وقد ورد في كتاب سيبويه مُغْفَلًا ، ولم ينسبُه أكثر شُرّاح شواهده .

والمنصوب جاء في قصيدةٍ للحُصَين بن الحُمام المرِّيّ . أمّا الأوّل فهو لِضرار بن الأزْوَر الصَحابيّ من قصيدةٍ قالها في يوم الرِدّة : قال أبو محمد الأعرابيُّ (في فُرحة الأديب) : أكتَبنا أبو الندىٰ : قال ضرار بن الأزوَر وهو فارس المجبَّر في الرِّدّة ، لبني خزيمة — وكان خالدُ بن الوليد بعثَه في خيل

(١) الخزانة ١ : ص ٤٧٠
(٢) في كتابه ١ : ٣٦٦ . وانظر العيني ٣ : ١٠٩ والأشموني ٢ : ١٤٧ .
(٣) الآية ٦٥ من سورة النمل .

علي البَعوضة : أرض لبنى تميم ، فقَتل عليها مالكَ بن نُويرة فارسَ بنى يربوع ، وبنو تميم تدَّعى أنّه آمنَه . فقاتل يومئذٍ ضرارُ بن الأزوَرِ قتالاً شديداً — فقال فى ذلك ، وبلغه ارتدادُ قومِهِ من بنى أسد :

(بنى أسدٍ قد ساءنى ما صنَعتم ... وليس لقومٍ حاربوا الله مَحْرَمُ
وأعْلَمَ حقا أنّكم قد غوَيتم ، ... بنى أسدٍ ، فاستأخروا أو تقدَّموا
نهيتكمُ أن تنهبوا صدَقاتِكم ... وقلتُ لكم يا آلَ ثعلَبةَ اعلَموا
عَصيتمْ ذوى أحلامِكمْ وأطعتمُ ... ضُجَيماً ؛ وأمرُ ابنِ اللقَيطةِ أشأمُ
وقد بعثوا وفداً إلى أهل دُومةٍ ... فقُبِّحَ مِن وفدٍ ومَنْ يتيمَّمُ [1]
ولو سَألَتْ عنا جَنوبُ لُخبِّرت ... عشيَّةَ سالت عَقرَباء بها الدم [2]
عَشيةَ لا تُغنى الرِّماحُ مكانَها ... ولا النَّبلُ إلاَّ المشرفىُّ المصمِّمُ
فانْ تبتغى الكفّار غيرَ مُنيبةٍ ، ... جنوبُ ، فإنّى تابعُ الدينِ فاعلموا [3]
أقاتِلُ ، إذْ كانَ القتالُ غنيمةً ... وَللهُ بالعَبْدِ المجاهِدِ أعلَمُ)

ضُجَيم هو طُليحة [4] بن خُويلد ، وكانت أمُّه حِميَرِيّة أخيذة . وابن اللقيطة : عُيينة بن حِصْن . وقوله : يا آل ثعلبة ، أراد ثعلبة الحلاَّف بن دُودان بن أسد [5].

---

(١) فى معجم البلدان (دومة الجندل) : « وما قد تيمموا » .

(٢) ط ومعجم البلدان : « ولو سئلت » : صوابه فى ش وفرحة الأديب بخط البغدادى ، وهى محفوظة بدار الكتب برقم (٧٨ مجاميع م) الورقتين ٢٧ ، ٢٨ . وقد تابعتُ فى ضبط كل هذا النقل ما كتبه هناك بقلمه . وفى معجم البلدان : « عقرباء وملهم » . وروى ابن السيرافى : « عقرباء من الدم » على الإقواء ، وردها عليه أبو محمد .

(٣) البلدان : « غير ملية . . . تابع الدين مسلم » .

(٤) فى النسختين وفرحة الأديب : « ضلحة » ، وإنما هو بالتصغير ، كما فى الإصابة وجمهرة ابن حزم ١٩٦ ، ٤٤٣ والاشتقاق ٥٥١ .

(٥) الذى فى الجمهرة ١٩٢ أن الحلاف هو الحارث الحلاف بن سعد بن ثعلبة ابن دودان .

وقال لنا أبو الندى : عَقرباء بالبـاء : أرض باليمامة . قال : وعَقْرَما بالميم باليمن ، وأنشد لرجلٍ من جُعْفِيّ[1] فى قتل مالكٍ بن مازن[2] أحد بنى ربيعة ابن الحارث :

جَدعتمْ بأفعى بالذهابِ أنوفَنَا ... فمِلنا بأنفيكم فأصبَح أصْلَمَـا[3]

فمن كانَ محزوناً بمقتلِ مالك ... فانّا تركناه صَريعاً بعَقْرَما ا هـ

وقوله عشيَّة سالت هو بتقدير مضاف أى لخبَّرت خبرَ عشيّةَ سالت[4] . وعشيّة الثانية بدل منها . وجنوب فيما بعد هذا منادى ، وهى امرأة .

و (العَشِيَّة) واحدة العَشِىّ ، قال فى المصباح : العَشىُّ قيل ما بين الزّوال إلى الغُروب ، ومنه يقال للظُّهر والعصر صَلاتا العَشِىّ ؛ وقيل هو آخر النهار ، وقيل العَشىّ من الزّوال إلى الصباح ، وقيل العشى والعشاء من صلاة المغرب إلى العتَمة . وجملة (لا تُغْني الرّماحُ) الخ فى محل جرٍّ بإضافة عشيَّة إليها . و (مكانَها) ظرف لقوله لا تُغنى ، وهو العـامل فيه . قال العَينيّ : الضمير فى مكانها للحرب ، يدلّ عليه لفظ الجهاد ، لأنّه لا يكون إلاّ بمكان الحروب . وأغنيت عنك بالألِف ، مغنيَ فلان : إذا أجزأت عنه وقمت مَقامه . وحكىٰ الأزهرىّ : ما أغنى فلانٌ شيئاً ، بالغين والعين ، أى لم ينفع فى مهمٍّ ولم يَكف مُؤنة . وقوله : (ولا النَّبلُ) بالرفع عطفاً على الرماح . والنَّبْل بالفتح : السهام العربية ، وهى مؤنّثة ، ولا واحد لها من لفظها ، بل الواحد سَهْم . وقوله :

---

(١) معجم البلدان : « جعفر » تحريف .
(٢) معجم البلدان عن ابن الـكلبي فى الجمهرة : « أسلم بن مالك بن مازن » .
(٣) جعله كالأفعى فى شدته . والذهاب : غائط من أرض بنى الحارث بن كعب ، كما فى ياقوت . ط : « بأنى مالك بألوفنا » ، صوابه فى ش واضحاً وفى فرحة الأديب ، ومعجم البلدان (عقرما) ، وهو موضع باليمن .
(٤) ط : « خبر عن عشية سالت » ، وهو خطأ تنبه له ناشر المطبوعة الأولى .

(إلاّ المشرفىُّ) بالرفع على لغة تميم بدل من الرِّماح والنَّبل ، وإن لم يكن من جنسهما ، مجازاً على ما تقدَّم قبله . ولا وجه لما نقله ابنُ الأنبارىُّ عن بعضهم : من أنّ نصب المشرفىّ على المعنى ، قال : كأنّه أراد بقوله : لا تُغنى الرماح ، أى لا تستعملها ولا تستعمل إلاّ المشرفىّ . وهذا تعسُّف ظاهر . والمشرفىُّ بفتح الميم ، هو السيف المنسوب إلى مَشارف ، قال البَكرىّ فى معجم ما استعجم : قال الحربىّ : والمشارف قُرًى مِنْ قرى العرب تدْنو من الرِيف ، واحدها مَشْرَف . وقال[1] فى موضع آخر : وهى مثل خَيْبَر ودومة الجندل[2] وذى المرْوة والرَّحْبة . وقال البكرىّ ، فى مؤتة أيضا : وكان لقاؤهم — يعنى المسلمين — الرومَ فى قرية يقال لها مَشارفُ مِن تُخوم البَلقاء ، ثمّ انحاز المسلمون إلى مؤْتة وهو موضع من أرض الشام من عمَل البلْقاء . فالسيف المشْرَفىّ ، إن كان منسوباً إلى الأوّل فالنسبة على القياس ، لأنّ الجمع يُرَدّ إلى الواحد فينسَب إليه ، وإن كان منسوباً إلى الثانى فالنسبة على خلاف القياس . وبهذا التحقيق يُعرَف مافى قول الصاغانىّ وغيره : والسيوف المشْرَفيّة منسوبة إلى مشارف الشّام ، قال أبو عُبيدة : هى قُرًى[3] من أرض العرب تدنو من الريف ، يقال سيف مشرفىٌّ ولا يقال مَشارفىّ ، لأنّ الجمع لا ينسَب إليه إذا كان على هذا الوزن . انتهى . وقال صاحب المصباح — بعد أن نقل هذا — وقيل هذا خطأ ، بل هى نسبة إلى موضع من اليمن . وقال ابن الأنبارىّ فى شرح

(١) الكلام للبكرى ، والضمير راجع إلى الحربى .

(٢) ط : « دومة والجندل » صوابه فى ش ومعجم البكرى . ودومة الجندل ، بضم أوله وفتحه ، وقد أنكر ابن دُريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين ، كما ذكر ياقوت .

(٣) وفى العمدة ٢ : ١٨٠ قول ثالث إنها منسوبة إلى مشرف : قرية باليمن . وفى ياقوت قول رابع إنها منسوبة إلى مشرف ، وهو المشرف بن مالك بن ذعر بن حجر ابن جزيلة بن لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب .

المفضّليات ، عند الـكلام على هذا البيت : والمشرفىُّ منسوبٌ إلى المشارف ، وهى قرًى للعرب تدنو من الريف ، ويقال بل هى منسوبة إلى مَشْرَفٍ ، رجل من ثَقيف[١] فالقول الأوّلُ [هو القول الأول[٢]] من كلام البكرىّ
٧ ويدل على الجمعيّة دخول اللام عليها فى كلامهما[٣] و (المصمّم) : اسم فاعل من صمّم ، قال صاحب الصحاح : وصمّم السيفُ : إذا مضىٰ فى العَظْم وقطعه ، فإذا أصاب المَفْصل وقطَعه يقال : طَبّق . قال الشاعر يصف سيفاً :

* يصمّم أحياناً وحيناً يطبّقُ[٤] *

ومثله قول ابن الأنبارىّ : والمصمِّم الذى يَبرى العَظْم بَرْياً ، حتّى كأنه وقع فى المَفصل من سرعة مَضائه . والمطبِّق الذى يقع على المَفصل ، ومنه قول الـكميت يصف رُجلاً شبّهه بالسيف :

فأراكَ حينَ تُهَزُّ عند ضريبةٍ فى النـائبات مصمِّماً كمطبِّقِ

أى هو يمضى فى نفس العَظْم ويَبْريه ، وكأنّه إنّمـا طَبّق أى وقع على المَفصِل . فهذا الرجل حين يُهَزّ لما ينوب من الخطوب ، كهذا السيف فى مضائه ، أى يركب مَعـالىَ الأمور وشِدادها ، ولا يَثْنيه شىء ، كهذا السيف . وإنّما كانت الرماح والنَّبل لا تُغنى ، لأنّ الحرب إذا كانت بالليل لا تغنى إلاّ السيوف ، لاختلاط القوم ومواجهةِ — بعضِهم بعضاً ، كذا قال العَينى . وهذا مِن تفسير العشيَّة بالليل . وليس كذلك ، بل هو من شدَّة المحارَبة حيث استَقلّ عملَهما فنازَلَ بالسيف : وذلك أنّ أوّلَ الحرب المناضلةُ بالسِّهام ، فإذا

(١) انظر الحاشية السابقة ، فهذا قول خامس .
(٢) التـكملة من ش .
(٣) أى ابن الأنبارى والبـكرى . ط : « كلامها » صوابه فى ش .
(٤) وكذا ورد الشطر فى اللسان (صمم ٢٤٠) بدون نسبة .

تقاربوا فالتراشُق بالرماح[1] فإذا التقَوا فالمجالَدة بالسيوف . فالشاعر يَصِف شدّة المحارَبة ، بالتقاء الفريقين ، فلم يفِدْ حينئذ إلاّ التضارُب بالسيوف .

وأما الثانى ، وهو الشعر المنصوب ، فمطلع القصيدة :

(جزَى اللهُ أفْناء العشيرة كلَّها   بِدَارةِ مَوْضوعٍ عُقوقاً ومأثَما
بنى عمِّنا الأدنَينَ منهمْ ورهطَنا   فَزارة إذْ رامتْ بنا الحرب مُعظَما
ولمّـا رأيتُ الودَّ ليس بنافِعِى   وإن كان يوماً ذا كواكِبَ مُظلِما
صبَرْنا ، وكان الصبرُ منّا سجيةً ،   بأسيافنا يقطَعْن كفّاً ومِعصَما
يفلِّقنَ هاماً مِن رجالٍ أعِزَّةٍ   علينا ، وهمْ كانوا أعقَّ وأظلَما
فليتَ أبا شِبْلٍ رأى كرَّ خَيلِنا   وخَيلِهِم بين السِّتارِ فأظلَما
نطارِدُهم نَستنقِذُ الجُرْدَ كالقَنا   ويَستنقِذونَ السمهرىَّ المقوَّما
عَشِيّةَ لا تغنى الرماح مكانَها   ولا النَّبْلُ ، إلا المشرفىَّ المصمِّما
لدنْ غُدوة حتّى إذا الليلُ ما تَرى   من الخيل إلا خارجيا مسوَّما[2]

وهذه القصيدة مسْطورة فى المفضليّات ، وعدتها واحد وأربعون بيتا[3] .

وأفناء العشيرة : أوباشهم ، يقال هو من أفناء الناس : إذا لم يُعلم ممَّن هو . ودارة مَوضوع : اسم مكان ، وكذلك السِّتار وأظلَم ، موضعان . وقوله : نطاردهم الخ ، هذا هو العامل فى عشيّة . ورُوى :

(١) كتب الشنقيطى فى هامش نسخته : « قلت : قوله فبالتراشق بالرماح » خطأ محض ، والصواب : فالتطاعن بالرماح ، لأنها هى التى يطعن بها فقط ، ولأن الرشق بالسهام وحدها » .

(٢) فى المفضليات ٦٥ : « حتى أتى المليل » ، وفى الحماسة « من الصبح حتى تغرب الشمس » .

(٣) هى اثنان وأربعون بيتا .

« نُقاتِلهم نَستنقِذ الجُرْدَ كالقَنا ويستودعون السَّمْهرِىَّ المقوَّما »

وروى ابن قتيبة :

« نحاربُهم نستودِع البيضَ هامَهُم ويستودعون السَّمهرىَّ المقوَّما[1] »

والجُرْد : الخيل القصيرة الشعور ، وذلك مدحٌ لها . والسمهرىّ : القنا .
والمقوّم : المعدّل المثقَّف . يقول : نحن نستنقِذ الخيل الجُرْدَ منهم ، وهم
يستنقذون الرماحَ منّا بأن نطعُنَهم بها ونتركها فيهم . وقوله : لدن غدوة الخ ، ٨
ظرف لنُطاردهم أيضا . والخارجىُّ من الخيل : الجواد فى غير نسب تقدّمَ له ،
كأنّه نَبَغ بالجودة ، وكذلك الخارجىُّ من كلِّ شىء . والمسوَّم : المُعْلَم للحرب.
يقول : إنّ الناس انكشفوا فى هذه الحرب فلم يبقَ إلاّ أهلُ هذه الخيل
الأشِدّاء ، الذين سوّموا أنفسَهم وخَيلهم ، شجاعةً وجَراءة ، لأنّه لا يثبت
عند انهزام الناس إلاّ الأبطال .

وفى هذه القصيدة بيتٌ من شواهد سيبويه ، وأورده المرادىّ فى باب إعراب الفعل من شرح الألفيّة :

(ولولا رجالٌ من رِزامِ بن مازِنٍ وآلِ سُبَيع أو أسوءكَ عَلْقَما[2]
لأقسمتُ : لا تنفكُّ منِّي مُحاربٌ على آلة حدباء حتّي تَنَدّما)

أورده شاهداً على نصب أسوءك بإضمار أنْ بَعْدَ أو . ورِزامٌ هو رِزامُ ابن مازنِ بن ثَعلبةَ بن سعد بن ذُبيان.ووهِم العَينيّ فزعم أنّه أبو حَيٍّ من تميم ، قال : وهو رِزام بن مالك بن عمرو بن تميم . . وسُبَيع بالتصغير ، هو سُبيع بن عمرو بن فُتَيَّة (مصغَّر فتاة) ابن أمة بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة

---

(١) فى الشعراء ٦٣٠ : « ويستودعونا » .
(٢) فى سيبويه ١ : ٤٢٩ : « من رزام أعزة » .

ابن سعد بن ذُبيان[١] . وكان سُبَيع شريفاً ، وهو صاحب الرُّهن التى وُضعت على يديه فى حرب عَبْس وذُبيان ، ولمّا حضره الموتُ قال لابنه مالك بن سبيع : إنّ عندى مَكْرُمة لا تَبيد أبداً إن احتفظْتَ بهذه الأُغَيلِمة . . وعَلْقَم منادى مرخمُ علقمة ، وهو علقمةُ بن عبيد بن عبد بن فُتَيَّة المذكور . . وآلِ سبيع بالجرِّ عطفاً على مجرور مِنْ[٢] . وأسوءك مؤوّل بمصدر معطوف على رجال . ورُوى . (ولولا رِجالٌ من رِزام أعزّةٌ) بالرفع صفة رجال [٣] .

وقوله : لأقسمتُ لا تنفكّ الخ ، هو جواب لولا . وقوله : لا تنفكّ الخ ، جواب القسم . ومُحارِب : قبيلة ، وهو محارب بن قَيس بن عَيلان[٤] . والآلة : الحالة ، والحدْباء ، بالحاء المهملة : الصعْبة . والمعنى : لولا أنّ هؤلاء الرجال أو مساءتك لُحِلتَ على أمرٍ عظيمٍ صعْب ، لا تطمئنُّ عليه إذا ركبتَه . وتنَدّم أصله تتندّم بتاءين ، فحذف إحداهما .

وأمّا (ضِرار بن الأزور) فهو مالك بن أوس بن جَذيمة[٥] بن ربيعة ابن مالك بن ثعلبة بن دُودانَ بن أسدِ بن خُزَيمة الأسَدىّ . الفارس ، الشاعر ، الصحابىّ . أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأنشده : ضرار ابن الأزور

خَلَعتُ القِداحَ وعِفْتَ القيا … نَ والخمرَ تَقليةً وانتهالا[٦]

(١) انظر مختلف القبائل ٣٣ وشرح ما يقع فيه التصحيف للعسكرى ٤٩٣ .
(٢) ضُبطت فى كتاب سيبويه بالرفع عطفاً على « رجال » .
(٣) وهى رواية سيبويه ، كما تقدم .
(٤) كذا ، وإنما هو محارب بنى خصفة بن قيس بن عيلان . جمهرة ابن حزم ٢٥٩ والاشتقاق ٢٩٢ والمعارف ٣٨ .
(٥) فى الإصابة ٤٢٦٧ « خزيمة » وفى الاستيعاب ١٢٠٤ « جذيمة » كما هنا .
(٦) فى الاستيعاب : « تعلة وانتهالا » وفى رواية أخرى فيها : « والخمر أشربها والثمالا » وفى هوامش ض عن غير مصدر معروف :

تركت القيان وعزف القيان … وأدمنت تصلية وابتهالا

وفى الخيل لابن الأعرابى :

جمنت القداح وعزف القيا … ن والخمر تصلية وابتهالا

وكرّى المحبَّرَ في غمرة وجَهْدى على المسلمين القتالا[١]
فيا ربِّ لا أُغْبَنَنْ بَيعتى فقد بِعتُ أهلى ومالى بِدالا[٢]

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « رَبح البيع » .

قال البَغوىّ : ولا أعلم لِضرار غيرَها ويقال : إنّه كان له ألْف بعير بِرُعاتها ، فترك جميعَ ذلك وحضَر وقْعة اليَرْمُوك وفتْحَ الشام . وكان خالدُ ابن الوليد بعَثَه فى سَرِيّةٍ فأغارَ على حيٍّ من أسَد ، فأخذوا امرأةً جميلة ؛ فسأل ضرارٌ أصحابَه أن يهبُوها له ، ففعلوا ، فوطئها ثمّ ندم ؛ فذكر ذلك لخالدٍ فكتب إلى عُمر رضى الله عنه ، فكتب إليه : أن ارضَخْه بالحجارة ! فجاء الكتاب وقد مات ضرار .. وقيل : إنّه ممن شرب الْخمر مع أبى جَندل ، فكتب فيهم أبو عُبيدة إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أن ادعُهُمْ فسائِلهمْ ، فإن قالوا إنّها حلالٌ فاقتلهم ، وإن زعموا أنّها حرام فاجلِدْهم ! ففعل ، فقالوا : إنها حرام ؛ فجلدهم .

وضِرارُ هو الذى قَتَلَ مالكَ بنَ نُويرة بأمرِ خالدِ بن الوليد — كما تقدَّم شرحُه مفصَّلاً فى الشاهد السادس والثمانين[٣] واختُلف فى وفاة ضرار ، فقال الواقدىّ : استُشهد باليمامة : وقال موسى بن عقبة : بأجْنادِين . وقيل : نزل حَرَّانَ فمات بها . والله أعلم .

الحصين ابن الحمام

وأما الحُصَين بن الحُمَام المُرِّىّ ، فهو جاهلىّ . وهو بضم الحاء وفتح الصاد

---

(١) فى النسختين : « وكر المجنب » ، وأثبت مافى الاستيعاب والخيل لابن الأعرابى ٥٦ ، إذ أن المحبر هو اسم فرس ضرار كما تقدم قريبا . وفى الإصابة وأصول الاستيعاب : « المجبر » بالجيم ، تحريف .
(٢) عند ابن الأعرابى ، وكذا فى الاستيعاب : « صفقتى » .
(٣) الخزانة ٢ : ص ٢٠ وما بعدها

المهملتين . والحُمَام بضمّ الحاء المهملة وتخفيف الميم . وهو فارسٌ شاعر . قال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء(١) : هو من بنى مُرة ، جاهلى ، يُعَدُّ من أوفياء العرب . قال أبو عبيدة : اتّفقوا على أنّ أشعَر المُقِلِّين ثلاثة : المسيّب ابن علَس ، والحُصين بن الحُمام ، والمتلمِّس .

وهذه نسبته ، كما فى الجمهرة وشرح المفضّليّات : الحُصَين بن الحُمام ابن رَبيعة بن مُسَاب (بضمّ الميم وتخفيف السين) ابن حرام بن وائلة(٢) ابن سَهْم بن مُرَّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غطَفان ابن سعْد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س(٣) :

٢٢٣ (ولا عَيبَ فيهمْ غيرَ أنّ سُيوفَهمْ
بِهنّ فُلولٌ مِنْ قِراعِ الكَتائب)

على أنّه عند سيبويه استثناء منقطع جُعل كالمتّصل ، لصحة دخول البدل فى المبدَل منه . وبيّنه الشارح المحقّق أحسن بيان .

وقوله : (أنّ سيوفهم الخ) مؤول بمصدرٍ مجرور ، أى غير كونِ سيوفهم بها فلول الخ . و (الفُلول) : جمع فَلّ ، بفتح الفاء ، وهو كسْرٌ فى حَدّ

(١) الشعراء ٦٣٠ .

(٢) ط والأغانى ١٢ : ١١٨ : « وائلة » ، صوابه فى ش وابن سلام ١٣١ وشرح المفضليات ١٠١ وجمهرة ابن حزم ٢٥٤ ، وقد ضبطت مساب فى شرح المفضليات بفتح الميم .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٦٧ . وانظر الهمع ١ : ٢٣٢ والكامل ٣٢ ، ١٩٦ وشرح شواهد المغنى ١٢١ ومعاهد التنصيص ٢ : ٣١ وديوان النابغة ٦ .

السَّيف ، وسيفٌ أفلُّ بيِّنَ الفَلَل ، يقال فلّه فانفلّ أى كسره فانكسر ، وفللت الجيش أى هزمتهم . و (القِراع) المضاربة ، مصدر قارعه ، يقال قرعته بالمقرعة(١) : إذا ضربته بها ، وقرعت الباب : إذا طرقته . و (الكتائب) : جمع كَتيبة ، وهى الطائفة المجتمعة من الجيش .

وهذا البيت مشهورٌ ، قد تداوله العلماء فى تصانيفهم ، وقد أورده علماء البديع شاهداً لتأكيد المدح بما يُشبه الذمّ ، فإنّه نفىٰ العيب عن هؤلاء القوم على جهة الاستغراق ، ثمّ أثبتَ لهم عيباً وهو تثلُّم سيوفهم من مُضارَبة الجيوش . وهذا ليس بعيب ، بل هو غاية المدح ، فقد أكّد المدحَ بما يشبه الذمّ . وأورده صاحب الكشّاف أيضا ، عند قوله تعالى : (لئلاّ يكونَ للناس عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إلاّ الذين ظَلَموا مِنْهم(٢)) . على أنّ الآية أشبهُ بتأكيد الذمّ بما يشبه المدحَ : عكس البيت فإنّ إطلاق الحجّة على قول الذين ظلموا ، ذمٌّ فى صورة مدح ، لا أنّه مدحٌ فى صورة ذمّ . وأورده سيبويه فى باب ما لا يكون إلاّ على معنىً ولكن . قال النحّاس : فرّق سيبويه بين هذا الباب وبين الباب الذى قبله ، لأنّ الذى قبله يجوز فيه الرفع والنصب ، والنصبُ أجوَد ، وهذا الباب لا يجوز فيه عنده إلاّ النصب ، لأنّه ليس من الأوّل فى شىء . وأجاز المبرد فى جميع ما فى هذا الباب الرفع ، وكذا فى : لاعيب فيهم غيرِ أنّ سيوفَهم انتهى . وعلى قول المبرّد فتكون غيرُ بدلاً من الضمير المستقرّ فى الظرف .

---

(١) ط : « قارعته بالمقرعة » ش : « قرعته بالقرعة » ، وقد جمعت الصواب منهما .

(٢) الآية ١٥٠ من سورة البقرة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنّابغة الذُبيانىّ ، مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر ، ملوك الشام الغسّانيّين ، وذلك لمـّا هرب من النُّعمان بن المنذر اللَّخْمىّ ، من ملوك الحيرة . وليس الممدوح بهـا النعمان بن الحارث — كما وهم شارحُ شواهد المغنى — لتصريح للممدوح بها فى القصيدة ، كما سيأتى . ومطلع القصيدة :

أبيات من قصيدة الشاهد

(كِلينى لهمّ ٍ يا أُميمةُ ناصبِ   وليل أُقاسيهِ بطَىءِ الـكَوا كبِ)

وتقدّم شرح هذا البيت وسبب هروبه[1] ، فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة مفصلاً[2] . وقال بعد ثلاثة أبياتٍ شُرِحت هناك :

(حلَفْتُ يميناً غيرَ ذى مَثْنَوِيَّة   ولا عِلْمَ إلاّ حُسْنُ ظَنٍّ بصاحب :

لئن كان لِلقَبرين قبر بجِلق   وقبرٍ بصيَداء التي عِندَ حارِبِ[3]

ولِلحارث الجَفْنيِّ سيِّدِ قومه ،   ليَلتمِسَنْ بالجمع أرضَ المحاربِ)

البيت الأوّل من شواهد سيبويه ، أورده بنصب ما بعد إلاّ على الاستثناء المنقطع ، لأنّ حُسن الظنّ ليس من العلم . ورفعهُ جائز على البدل من موضع العلم وإقامة الظنّ مُقام العـلم اتساعاً ومجازاً . وقوله : غير ذى مَثْنَوِيّة ، هو مصدر بمعنى الاستثناء فى اليمين ، أى حلَفت غير مُسْتثنٍ فى يمينى ، ثقةً بفعل هذا الممدوح ، وحُسْنَ ظنٍّ به .

(١) أنكر بعضهم صحة « الهروب » وصححها بالهرب ، ووجدتها فى شعر للطفيل بن عامر بن واثلة عند الطبرى ٨ : ١٣ .

متى نهبط المصرين يهرب محمد   وليس بمنجى ابن اللعين هروب

(٢) الخزانة ٢ : ص ٣٢١ وما بعدها

(٣) كذا فى النسختين وكذلك فى معجم البلدان (حارب) وهى رواية صحيحة والذى فى الديوان : « الذى عند حارب » . وفى شرح الديوان ٣ : « قال أبوعمرو : صيداء : أرض بالشام . وقال الأثرم : حارب : اسم رجل ، وقيل هو موضع » . وقال ياقوت : « هو موضع من أعمال دمشق بحوران قرب مرج الصفر » .

وروى أبو عبيدة :

* وما ذاك إلاّ حسنُ ظنٍّ بصاحبِ *

وعليه فلا شاهد فيه ، والإشارة لليمين . . وجملة المصراع الثانى على الروايتين معترضة بين القَسم وجوابه . وقوله : لئن كان للقبرين الخ ، اللام الداخلة على إنْ موطِّئة للقسم ، أى وطّأت أنّ الجوابَ الذى بعد الشرط للقسَم ، فجملة قولِه الآتى : ليلتمسن بالجمع الخ ، جواب القسم . وجوابُ الشّرط محذوفٌ دلّ عليه جوابُ القسم ، واسم كان ضمير عمرٍو الممدوح المتقدّم فى قوله :

(علىَّ لعمرٍو نعمةٌ بعد نِعمةٍ لوالدِه ليستْ بذاتِ عَقاربِ)

وأراد بالقبرين المقبورَينِ : الحارث الأعرج ، ابن الحارث الأكبر ، وهو الجفنيّ الآتى ذكْره : يقول : لئن كان عَمْرُو ابنَ هذين الرجلين المقبورَين فى هذين المكانين ، ليُمْضِينَّ أمرَه وليلتمِسَن أرضَ مَنْ حارَبَه . وجِلِّق بكسر الجيم واللام المشدّدة ، هى الشام . وصَيداء : مدينة بالشام بالساحل . وحارِب : موضع ، وقيل اسم رجل . وقوله : وللحارث الجَفْنيّ الخ ، بفتح الجيم ، وهو جَفْنة بن عمرو مُزيقياء بن عامر بن ماء السماء ، وهم الملوك الذين كانوا بالشام . وقوله : ليلتمسن ، هذا جواب القسم مؤكّد بالنون الخفيفة . وقوله : بالجمع ، أى بجموع العساكر والجيوش .

وقال بعد ما ذُكِر :

(لهُمْ شِيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيرَهمْ من الناسِ ، والأحلامُ غيرُ عَوازبِ
مَجلّتُهُمْ ذاتُ الإلٰهِ ، ودِينُهمْ قَويمٌ ، فما يَرجُونَ غيرَ العواقبِ)

والشِّيمة : الطبيعة . وقوله : والأحلام الخ ، أى لا تعزُب عقولهم عنهم كما

تعزُب الماشية عن أهلها ، أى لا تغيب . وقوله : مجلتهم ذات الإله ، المجلّةُ بفتح الميم والجيم : الكتاب ، لأنّه يُجَلّ ويُعظَّم ، وأراد به الإنجيل ، لأنّهم كانوا نَصارىٰ . قال العسكرىّ (فى كتاب التصحيف[1]) : قرأته على ابن دُريد : (مَجلّتهم) بالجيم ، وقال لى : سمعتُ أبا حاتم يقول : رواية الأصمعىّ بالجيم ، قال : وهو كتاب النصارى[2] . وكذا كلّ كتابٍ جمَع حِكمةً وأمثالاً ، فهو عند العرب مَجلّة ، ومن هذا سمّى أبو عُبَيدة[3] كتابه الذى جمَع فيه أمثالَ العرب المجَلَّة[4] . وروى أيضاً : (مَحلّتهم) بالحاء المهملة أى منزلتهم بيت المقدس وأرض الشام ومنازل الأنبياء وهى القُدس . وروى ابن السِكّيت : (مخافَتهم) يريد يخافون أمرَ الله . وذاتُ الإله : كتابه . ١١
وقَويم : مستقيم . وقوله : فما يَرجُون الخ ، قال الأصمعىّ : أى ما يطلبون إلاّ عواقبَ أمورِهم ، فليس يَرجون شيئاً من أمْر الدنيا ، وإنّما يرجون ما بعد الموت .

وبعد البيت المستشهَد به ، أعنى قوله :

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهم . . . . البيت :

(تُخُيِّرْنَ من أزمانِ يومِ حَليمةٍ إلى اليومِ قد جُرِّبن كلَّ التَّجارب)

وأورده ابنُ هشامٍ فى المغْني على أنّ (مِنْ) تأتى لابتداء الغاية فى الزمان

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٥٧ .
(٢) فى كتاب العسكرى : « وهو الكتاب كتاب النصارى » .
(٣) فى النسختين : « أبى عبيد » ، صوابه من العسكرى . وقال الميمنى : المعروف أن أمثال أبى عبيد تسمى الأمثال السائرة كما فى الخزانة فى غير ما موضع ، فلعل الصواب « أبو عبيدة » لأن لأبى عبيدة أيضاً كتابا فى الأمثال .
(٤) إلى هنا ينتهى نص العسكرى . والذى فى الفهرست ٧٩ ، ٨٠ « كتاب الأمثال » .

أيضاً ، وهو مذهب الكوفيّين والأخفش والمبرّد وابن دُرُسْتَوَيْهِ ، بدليل : (مِنْ أوّلِ يَوْمٍ[١]) . وفى الحديث : « فمُطِرْنا من الجمعة إلى الجمعة » . وهذا البيتُ . وقيل : التقدير : منْ مُضِيّ أزمان ، ومِن تأسيسِ أوّلِ يَوم . وردّه السُّهيلى بأنّه لو كان هكذا لاحتِيج إلى تقدير الزمان[٢] ! وتُخُيِّرن وجُرِّبن كلاهما بالبناء للمفعول ؛ والنون ضمير السيوف . والتجارِب جمع تجرِبَة . وكلٌّ منصوبٌ على المصدر . وإلى متعلّقة بقوله تُخُيِّرن .

يوم حليمة

ويوم حَليمة[٣] ، قال العسكرىُّ فى التصحيف[٤] : هو يومٌ كان بين ملوكِ الشام ، من الغسّانيين ، وملوكِ العراق ، قُتل فيه المنذر — إمّا جَد النعمان أو أبوه — وقيل فى هذا اليوم « ما يوم حليمةَ بِسرّ » انتهى .

وفى (الدُّرّة الفاخرة) لحمزة الأصبهانىّ ، وهى الأمثال التى جاءت على وزن أفعل التفضيل ، وكذلك فى مستقصى الأمثال للزمخشرىّ ، واللفظُ للأوّل : « أعزُّ من حَليمة[٥] » هى بنت الحارث بن أبى شِمْر الغسّانى الأعرج ملك عرب الشام ، وفيها سار المثل[٦] فقيل : « ما يومُ حَليمة بسِرّ » أى خفىّ . وهذا اليوم هو اليوم الذى قتل فيه المنذرُ بن المنذر ملكُ عرب العراق ، فسار بعَرَبها إلى الحارث الأعرج الغسّانىّ — وهو ابن الحارث الأكبر ، وكان فى عرب الشام — وهو أشهر أيّام العرب . وإنّما نُسب هذا اليومَ إلى حَليمة

(١) الآية ١٠٨ من سورة التوبة .
(٢) فى حاشية الأمير على المغنى : « الظاهر أنه لارد ، وأنه لامانع من جعل نفس المغنى والتأسيس مبدأ ، كما تجعل الدار مبدأ للخروج ولا حاجة لتقدير زمن » . فانظره .
(٣) انظر أمثال الميدانى ٢ : ٢٠٢ ، ٣٦٢ وثمار القلوب ٢٤٨ .
(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ٤٤٤ فى باب مايشكل من أيام العرب ووقائعها .
(٥) أمثال العسكرى ١٨٤ وثمار القلوب ٢٤٨ والكامل ٤٠١ وكنايات الجرجانى ١٠٥ ونهاية الأرب ٣ : ٥١ .
(٦) ط : « سائر المثل » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

لأنَّها حضرت المعركة مُحضِّضة لعسكر أبيها ؛ فتزعم العربُ أنَّ الغبار ارتفع فى يوم حَليمة حتَّى سدَّ عينَ الشمس وظهَرت الكواكبُ المتباعدة عن مطلَع الشمس ، فسار المثلُ بهذا اليوم فقالوا : « لأُرِيَنَّكَ الكواكب ظُهرا » .

وأخذه طرَفة فقال :

إنْ تُنَوِّلْه فقد تمنَعُه وتُريه النجمَ يَجرى بالظُّهُرْ . اهـ

وفى شرح ديوان النابغة : سبب ذلك أنَّ المُلك كان فى الضَّجاعِم ، فأتىٰ رجلٌ منهم رجلاً من غسَّانَ يقال له جِذْع ، فسأله الخراج ، فأعطاه ديناراً ؛ فقال : هاتِ آخرَ ، وشدَّد عليه ، فاستأجله فلم يفعَل ، فلما ضَيَّق عليه دخل جِذعٌ منزلَه فالتحف على سيفه ثم خرج ، فضرب به الضَّجْعَمىَّ فقتَله . فقال القاتل[1] : « خُذْ من جِذعٍ ما أعطاك » . ووثبتْ غسَّانُ ورأَسوا عليهم رجلاً ، ثمّ أوقعوا بالضَّجاعم فغلبتْهم غسَّانُ وأخذَت الملكَ منهم . . وأما حَليمة فهى ابنة الغسَّانى الذى رُئِّس عليهم ، وكانت من أجمل النساء ، فأعطاها طِيباً وأمرها أن تطيِّب مَن مرَّ بها من جنده ؛ فجعلوا يمرُّون بها وتطيِّبهم ، فمرَّ بها شابٌّ فلمَّا طيَّبته تناولها فقبَّلها ؛ فصاحت وشكَت ذلك إلى أبيها ؛ فقال : اسكُتى ١٢
فما فى القوم أجلدُ منه ، حينَ فَعل هذا بكِ واجترأ عليكِ ، فإنَّه إمَّا أن يبلىَ بَلاءً حَسَناً ، فأنتِ امرأتُه ، وإمَّا أنْ يُقتَل ، فذاكِ أشدُّ عليه ممَّا تريدين به من العقوبة ، فأبلىٰ الفتَى ، ثم رجع فزوَّجَه ابنته حَليمة . انتهى

وفى القاموس : وحَليمة بنت الحارث بن أبى شِمْر ، وجّه أبوها جيشاً إلى المنذرِ بن ماء السماء ، فأخرجت لهم مِرْكَنا مِن طيبٍ وطيَّبتهم منه[2] —

(١) ط : « القائل » ، صوابه فى ش . وانظر القاموس (جذع ، حلم) .

(٢) النقل إلى هنا عن القاموس (حلم) ، وسائر القصة إلى كلمة « المخبل » . من مادة (جذع) ، وما بقى لم أعثر على مكانه من القاموس .

والمِرْكَن، بكسر الميم : الإجّانة التى تُغسل فيها الثياب — وسببه : أنّ غسان كانت تؤدّى كلّ سنة إلى مَلكِ سَليحٍ دينارَين من كلّ رجل، وكان يلى ذلك سَبْطةُ بنُ المنذر السَّليحىّ، فجاء سَبْطةُ يسأل الدينارين من جِذْعِ بن عمرٍو الغسّانىّ، فدخل جِذعٌ منزلَه فخرج مشتملاً بسيفه ، فضرب به سَبْطةَ حتى بَرَد ، وقال : خُذْ من جِذعٍ ما أعطاك . يُضرَب فى اغتنام مايجودُ به البخيل .

وسَليح ، كجريح : قبيلة باليمن . وجِذع ، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة

ثم إنّ جيش الحارث توجه إلى المنذر ، فقالوا : أتينا مِن عندِ صاحبنا ، وهو يَدِين لك ويُعطيك حاجتك ، فتباشر هو وأصحابه وغَفَلوا بعض الغفلة ، فحمل ذلك الجيشُ على المنذر فقتلوه . فقيل فى ذلك اليوم : « ما يوم حليمة بِسِرٍّ » أى بخفىّ . فصار يُضرَب لكلّ أمر مشهور .

وترجمة النابغة تقدّمت فى الشاهد الرابع بعد المائة(١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٢٢٤ (فتى كَمَلَتْ أخلاقُه، غيرَ أنّه جوادٌ فما يُبقى مِن المال باقيا)

لما تقدّم قبلَه. قال ابن جِنّي فى إعراب الحماسة(٣) : أخبرنا أبو بكرٍ محمّدُ ابن الحسن ، قراءة عليه ، عن أحمدَ بنِ يحيى قال : لما أنشدته — يعنى ابنَ الأعرابيّ — قولَ الشاعر :

ولاعيبَ فيهمْ غير أنّ سُيوفهم . . . . البيت

(١) الخزانة ٢ : ص ١٣٥

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٧ . وانظر ديوان النابغة الجعدى ١٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٠٩ والهمع ١ : ٢٣٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٩٦٩ .

(٣) كتاب التنبيه على شرح مشكل الحماسة الورقة ١٤٤ مخطوطة أحمد الثالث .

قال : هذا استثناء قَيْسٍ[(١)] ، يقولون : غيرَ أنّ هذا أشرفُ من هذا ، وهذا أظْرف من هذا . يكون مدحاً بعد مدح . وأنشدَ فيه أيضاً :

فتًى تمّ فيه ما يسُرُّ صديقَه ... على أنّ فيه ما يَسوء الأعاديا

انقضت الحكاية . وهذا الاستثناء على إغرابه[(٢)] جارٍ مجرى الاستثناء المعهود ، ألا ترى أنّه إذا قال : فتىً تمّ فيه ما يسرُّ صديقه ، جاز أن يظن أنه مقصور على هذا وحده ، فإذا قال : على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا ، أزال هذا الظنَّ ، وصار معناه أنّ فيه مسرةً لأوليائه ومساءةً لأعدائه ، وليس مقصوراً على أحد الأمرين . فهو إخراجُ شيء من شيء ، لخلاف الثاني الأول . وكذلك : فتى كملت أخلاقُه . . البيت ، لما كان إتلافه للمال عيباً عند كثيرٍ من الناس ، استثنى هذه الحالةَ فأخرَجها من جُملة خِلال المدح ، لمخالفتها إيّاها عندَهم وعلى مذهبهم . وليس شيء يُعْقَد[(٣)] على أصله فيخرج عنه شيء منه[(٤)] في الظاهر ، إلاّ وهو عائد إليه وداخل فيه في الباطن ، مع التأمُّل[(٥)] . انتهى كلامه .

وأورده علماء البديع أيضاً في باب[(٦)] تأكيدِ المدح بما يشبه الذمّ .

وهذا البيت من أبيات للنابغة الجعديّ ، رثى بها أخاه . وقد أوردها أبو تمّام في باب المراثي من الحماسة ، وهي من قصيدةٍ . . وقبله :

(ألَم تعلَمي أنّي رُزِئت مُحارباً ... فما لكِ منه اليوم شيء ولا ليا[(٧)]

---

(١) كذا ضبط بالإضافة في كتاب ابن جني .

(٢) في كتاب ابن جني . « على إعرابه » بالعين المهملة .

(٣) ط : « يعقد » صوابه في ش وكتاب ابن جني ، وفيه : « يعقد عقد » .

(٤) ابن جني : « فيخرج عنه شيء منه » .

(٥) ابن جني : « ومع التأمل » .

(٦) في النسختين : « كتاب » .

(٧) ط : « شيئا » صوابه في ش والديوان ١٧٣ .

١٣ ومِنْ قبلِهِ ما قدْ رُزِئتُ بوَحْوَحٍ   وكانَ ابنَ أُمّي والخليلَ المصافيا
فتًى كملتْ خَيراته غير أنّه   جوادٌ فما يُبقى من المال باقيا
فتًى تمّ فيه ما يسرُّ صديقَه   على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا
يقول لمن يَلحاه فى بَذْل مالِه :   أأُنفِق أيّامى وأتركُ ماليا !
يُدِرُّ العُروقَ بالسِّنان ويشترى   من الحمدِ ما يَبقَى، وإنْ كان غاليا)

قوله : ألم تعلمى الخ ، يخاطب امرأتَه . ومحارب ، قال أبو عُبيد البكرىّ فى شرح نوادر القالىّ[(١)] : « هو مُحارب بن قيس بن عُدَس ، من أشراف قومه » . وهو تفجّعٌ وتوجُّع . يقول : قد فُجِعنا به فأصبحنا لا نستمتِع به ولا ننتفع بمكانه . ثم ذكَر أنّه قد فُجِع قبله بأخيه وَحْوح ؛ وهو مأخوذ من قولهم وحوَح الرجلُ : إذا ردَّد صوتاً فى صدره ، وهو نحو النحنحة .

وقوله : فتًى كملت الخ ، رُوى أيضاً : (فتى كملت فيه المُروءة) ؛ ويجوز أن يحمل الفتى على ابنه وعلى أخيه . . قال المرزُبانىّ فى الموشَّح[(٢)] : أخبرنى الصُولىُّ عن أبى العَيناء عن الأصمعىّ قال : أنشدت الرشيدَ أبياتَ النابغة الجَعْدىّ ، من قصيدته الطويلة :

فتى تم فيه ما يسر صديقه   . . . . البيت
فتى كملت أعراقُه غير أنّه   . . . . البيت
أشمُّ طويلُ الساعدَين سَمَيدَعٌ   إذا لم يرُح للمجد أصبحَ غاديا[(٣)]

فقال الرشيد : ويله ، لِمَ لَمْ يروِّحْه فى المجد كما أغْداه ! ألاّ قال :

(١) سمط اللآلى ٦٢٧ .
(٢) للموشح ٦٧ .
(٣) فى الموشح : « شمردل » .

* إذا راح للمعروف أصبح غاديا *

فقلت : أنت واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، فى هذا ، أعلم منه بالشعر .

ومن أبيات الغزل فى هذه القصيدة :

بَدَتْ فِعلَ وُدّ ، فلمّا تبعتُهــا   تولّتْ وبَقّتْ حاجتى فى فؤاديا

وحلّتْ سوادَ القلبِ لا أنا باغياً   سِواها ، ولا فى حُبِّها مُتَراخِيا

قال شارح أبيات الموشّح : قوله فعل ذى وُدّ ، إمّا مصدرٌ لبَدَت ، لأنّ المصادر وما يشتقّ منها يعبَّر عنها بلفظ الفعل ، قال تعالى : (والذِينَ هُمْ للزَّكاةِ فاعلُون[1])أو لفعلٍ محذوف ، أى بدت وفعلَتْ فعلَ ذى ودّ ، أى فاعلةً فِعلَه. وقال العَينيّ : هو بتقدير : كفعل ذى وُدّ ، والمعنى : فعلتْ معى فعلَ ذى محبة . .
وقوله : وحلّتْ سوادَ القلب ، هذا البيت من شواهد النحاة أوردوه شاهداً على عملِ « لا » عمــلَ ليس فى المعرفة ، وهو شاذّ . وأجيب عنه بوجهين : أحدهما أنّ الأصل لا أرى باغياً ، فلما حذف الفعل برزَ الضمير ، فباغياً حال .
والثانى : أنّ أنا مبتدأ ، والفعل المقدَّر المذكور خبره . ورُوى (لا أنا مبتغ سِواها[2]) وعليه لا شاهدَ فيه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائتين[3] :

٢٢٥ (فما تركَ الصنْعُ الذى قدتركْتَهُ   ولا الغيظُ منّي ليسَ جِلداً وأعظُما)

على أنّ ليس ، ولايكون ، وخَلَا ، وعَدَا ، لا يستعمَلن فى الاستثناء

(١) الآية ٤ من سورة المؤمنون .
(٢) فى النسختين : « أنا لامبتغ سواها » تحريف ، صوابه من أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٨٢ .
(٣) الأغانى ٤ : ٤٩ .

المفرَّغ ، وقد جاء التفريغ فى ليس ، كما فى البيت ، فإن المستثنى منه محذوف ، أى ما ترك الصنع شيئاً إلاّ جِلداً وأعْظُماً . فالمنصوب بعد ليس خبرها ، واسمُها قد بيّنه الشارح . والرواية إنّما هى .

(فما ترك الصنعُ الذى قد صنعتَه)

١٤ بالخطاب مع عُمر بن عبد العزيز ، أراد بصنعه تقريب ضَدّه : زيدِ بن أسلم[١] ، وما عامل به الأحوص من الجفاء . وقوله (ولا الغيظُ) عطف على الصنع .

ثم ذكر الشارحُ أنّ هذه الأفعال لم تستعمَل إلاّ فى الاستثناء المتصل . . أقول : قد وردت خَلَا فى الاستثناء المنقطع ، كقول العجّاج — وهو من أبياته — كما مرّ شرحه[٢] :

وبلدةٍ ليس بها طُورىُّ ولا خَلا الجنّ بها إنسىُّ

فإن قوله إنسىّ هو المستثنى منه ، والجن هو المستثنى ، وجنس كلّ منهما مغايرٌ لجنس الآخر .

صاحب الشاهد
والبيت من قصيدةٍ للأحوص الأنصارى — وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخامس والثمانين[٣] —

روَى صاحبُ الأغانى بسنده : أنّ عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة أدنى زيدَ بن أسلمَ[٤] ، وجفا الأحوص ، فقال له الأحوص :

ألستَ أبا حفص ـ هُدِيتَ ـ مُخبِّرى أفى الحقِّ أنْ أُقصَى وتُدنِي ابنَ أسلما

(١) الخزانة ٣ : ص ٢٩٥ من هذا الجزء .
(٢) الخزانة ٣ : ص ٣١١ من هذا الجزء .
(٣) الخزانة ٢ : ص ١٦ .
(٤) فى النسختين : « يزيد بن أسلم » ، صوابه فى الأغانى ٤ : ٤٩ وقد سبقت ترجمته فى ٢٩٥ من هذا الجزء .

فقال عمر : ذلك هو الحقّ . . . قال الزبير : وأنشدنيها عبدُ الملك ابن الماجُشُون[١] :

قصيدة الشاهد

ألا صِلَةُ الأرحامِ أقربُ للتُقى   وأظهرُ فى أكْفائه لو تكرَّما
فما تركَ الصُّنعُ الذى قد صنعتَه   ولا الغيظُ منِّي ليس جِلداً وأعْظُما
وكنّا ذَوِى قربَى إليكَ فأصبحتْ   قَرابتُنا ثدياً أجَدَّ مصرَّما[٢]
وكنت لما أرجوه منكَ كبارقٍ   لوَى قَطرَه من بعد ما كان غَيَّما[٣]
وقد كنتَ أرجَى الناسِ عِندى مودّةً   ليالىَ كان الظنُّ غَيباً مُرَجَّما
أعُدُّكَ حِرْزاً إن جَنيتُ ظُلامةً   ومالاً ثَرِيًّا حينَ أحمِلُ مغْرَما
تَداركْ بعُتْبى عاتباً ذا قرابة   طوَى الغَيظَ لم يفتح بسُخْطٍ له فما[٤] اهـ

وهذه القصيدة أرسلها إلى عمرَ وهو منفىّ بدَهْلَك ، كان سليمان بن عبد الملك قد نَفَاه — لما تقدَّم فى ترجمته — فبقى هناك محبوساً مدَّة سليمان ؛ ثم ولى

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون . والماجشون لقب ليعقوب بن أبى سلمة عم والد عبد الملك ، ومعناه المورّد بالفارسية ، لقبته بذلك سُكينة بنت على بن الحسين ، لأنه كان أبيض تعلوه حمرة . وقد غلب هذا اللقب على هذه الأسرة . توفى سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب ووفيات الأعيان واللآلىء ٦٤٤ .

(٢) فى النسختين : « تدنى أجذ » ، وفى الأغانى : « ثديا أحذ » ، كلاهما تحريف ما أثبته . وفى اللسان عن الأصمعى : « يقال جُدّ ثدى أمه بالبناء للمجهول — وذلك إذا دعى عليه بالقطيعة » .
وأنشد :

رويد عليا جدماثدى أمهم   إلينا ولكن ودم متماين

(٣) الأغانى : « وكنت وما أملت منك » .

(٤) هذا الصواب من الأغانى . وفى النسختين :

تدارك بعتبى عاتب ذا قرابة   طوى العقب لم يفتح لسخط له فا

وفى ط : « طوى العتب » .

عمرُ بن عبد العزيز فكتب إليه يستأذنه فى القُدوم ويمدحه ، فأبىٰ أن يأذنَ له . وكان فيما كتب إليه :

أيا راكباً إمّا عرَضْتَ فبلّغنْ   هُديتَ ، أميرَ المؤمنين رسائلى
وقل لأبى حَفْصٍ إذا ما لقيتَه :   لقد كنتَ نفّاعاً قليلَ الغوائل
فكيفَ ترَى للعيش طِيباً ولَذّةً   وخالُك أمسى مُوثقاً فى الحبائلِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائتين(١) :

٢٢٦ (وكلٌّ أبِىٌّ باسلٌ غيرَ أنَّني   إذا عرَضَتْ أُولى الطَّرائدِ أبسَلُ)

على أنّ غيراً تستعمَل فى الاستثناء المتّصل . وقد مرّ ما فيه آنفاً .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ مشهورة للشَّنْفَرىٰ تسمَّى لاميَّةَ العَرب ، مطلعها :

أبيات الشاهد

(أَقِيموا بنى أُمّى صدورَ مطيِّكُمْ   فإنِّى إلى قومٍ سِواكُمْ لأمْيَلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ   وشُدَّت لِطيّاتٍ مَطايا وأرحلُ
وفى الأرضِ منأًى للكريمِ عن الأذىٰ   وفيها لمن خافَ القِلى متعزَّلُ
لَعَمْرُكَ ما بالأرض ضِيقٌ على امرىءٍ   سَرىٰ راغباً أو راهباً وهو يَعقلُ
وَلى دونكم أهلونَ : سِيدٌ عَمَلَّسٌ   وأرْقَطُ زُهلُولٌ وعَرْفاء جيأَلُ
هم الأهلُ ، لا مستودَعُ السِّرِّ ذائعٌ   لدَيهِمْ ، ولا الجانى بما جَرَّ يُخذَلُ
وكلٌّ أبِىٌّ باسلٌ غيرَ أنّني   . . . . البيت
وإنْ مُدّتِ الأيدى إلى الزادِ لم أكُنْ   بأعجَلِهِمْ إذْ أجشَعُ القومِ أعجَلُ
وما ذاكَ إلاّ بَسْطة عن تفضُّلٍ   عليهِمْ وكان الأفضلَ المتفضِّلُ)

(١) انظر لامية العرب .

وهذه القصيدة قد شرحها جماعةٌ ، منهم الخطيب التّبريزىّ ، والزمخشرىّ ، وابن الشَّجَرىّ ، وابن أكرم[1] . ولم يحضُرنى الآن غيرُ الأوّل والثانى : قال القالىُّ فى أماليه[2] : إنّ القصيدة المنسوبة إلى الشَّنفرى ، التى أوّلها : « أقيموا بنى أُمّى صدورَ مطيِّـكم » هى من المقدّمات فى الُحسن والفصاحة والطول . وكان أقدَرَ الناس على قافية . انتهى . وعِدّتها ثمانية وستُّون بيتاً ، وقد استشهد الشارحُ منها بستّة أبيات أُخَرَ فى باب الجمع ، وفى الأفعال الناقصة ، وفى ربَّ من حروف الجر ، وفى حروف الشرط[3] .

وقوله : أقيموا بنى أمّى الخ ، يقال أقام صدرَ مطيته . إذا جدّ فى السير ، وكذلك إذا جدّ فى أىّ أمرٍ كان . يؤْذن قومَه بالرحيل ، وأنّ غفلتهم عنه توجب مفارقتَهم . وبَنى أمّى : منادى ، وأضاف الأبناء إلى الأمّ لأنّها أشدُّ شفقةً ، كما قيل فى قوله تعالى حكايةً عن هرون : (يا ابنَ أمَّ[4]) . وأميَل ، هنا بمعنى مائل ، ونظيره كثير نحو أكبر وأوحد .

وقوله : فقد حُمّت الحاجاتُ الخ ، يريد تنبّهوا من رَقْدتكم ، فهذا وقت الحاجة ، ولا عُذر لكم ، فإنّ الليل كالنهار فى الضَّوء والآلةُ حاضرة . وحُمّت بضمّ الحاء المهملة ، يقال حُمّ الشىء ، بالبناء للمفعول : أى قُدِّر وهُيِّىء . وأقمر الليلُ : أى أضاء . والطِّيَّة ، بكسر الطاء المهملة ، قال صاحب الصحاح : « الطِّيَّة النِّيَّة ، قال الخليل : الطِّيَّة تكون منزلاً وتكون منتأى ، تقول : مضى

(١) وكذا شرحها أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، وقد طبع الشرح فى مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ .
(٢) الأمالى ١ : ١٥٦ .
(٣) هذ الإحصاء من أدلة عناية البغدادى بمؤلفاته .
(٤) الآية ٩٤ من سورة طه .

لِطيَّته : أى لنيته التى انتواها ، وبعدت عنَّا طيَّته وهو المنزل الذى انتواه ؛ ومضىٰ لطيَّته ، وطِيَّة بعيدة : أى شاسعة » .

وقوله : وفى الأرض منأى الخ ، المنأى : اسم مكانٍ مِن نأىٰ أى بَعُد ؛ وهو متعلِّق قوله عن الأذى . والقِلَىٰ ، بكسر القاف : البُغض ، وإن فتحتَها مددت . ومُتعزَّل ، بفتح الزاء : اسم مكان مِن تعزَّله بمعنى اعتزله .

وقوله : ولى دونَكم الخ ، أورد الشارح هذا البيتَ فى باب الجمع . ودون هنا بمعنى غير . والسِّيد ، بكسر السين : الذئب ، والأنثى سِيدة ، وربّما سمِّى به الأسد . والعَمَلَّس ، بفتح العين والميم واللام المشدّدة : القوىُّ على السير السريع . وأراد بالأرقَط النَّمِر ، وهو ما فيه سوادٌ يشوبه نُقَطٌ بيض . والزُّهلول بضمّ الزاى : الأملس ، وفى العباب : يقال للضبُع عَرْفاء لكثرة شَعَر رَقبتها . وأنشد هذا البيت . وجَيأل ، على وزن فيعل : اسم للضبع معرِفة ، وتكون بدلاً من عرفاء ، وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث .

وقوله : هم الأهل الخ ، أى ما ذكرتُه من الوحوش هم الأهل لا غيرهم . وبيَّن وجه انحصارِ الأهليّة فيهم دونَ مَن عداهم من الإنس بقوله : لا مستودع السِرّ إلى آخره ، أى السرّ المستودَع عندهم غير ذائع . والجانى : اسم فاعل[1] ١٦
مِن جنىٰ عليه جناية : أى أذنب . والباء سَبَبيّة . وجَرَّ بمعنى جَنى ، يقال جرَّ عليهم جَريرةً أى جنى عليهم جناية . ويُخذَل ، بالبناء للمفعول ، مِن خذلته وخذلت عنه ، من باب قتل ، والاسم الخِذْلان : إذا تركتَ نُصرته وإعانته وتأخَّرتَ عنه .

(١) ط : « اسم فعل » ، صوابه فى ش .

وقوله : (وكلٌّ أبيٌّ الخ) أى كلٌّ واحدٍ من هذه الوحوش . والأبيُّ : الصعب الممتنع ؛ من أبىٰ يأبى فهو آبٍ وأبيٌّ . و (الباسِل) : الجرىء الشجيع ؛ من بَسُل بَسالة ، مثل ضخم ضخامة ، بمعنى شجُع فهو باسل . وقوله : غير أنني الخ ، استثناء منقطع . و (عَرضتْ) مِنْ عرض له كذا ، من باب ضرب : أى ظهر . و (أُولى) : مؤنث الأوّل . و (الطّريدة) : ما طَردْتَ من صيد وغيره ، والمراد هنا الفُرسان ومطاردة الأقران فى الحرب إذا حمل بعضُهم على بعض ؛ يقال هم فُرسان الطِّراد . و (أبسَلِ) : أفعل تفضيل .

وقوله : وإنْ مُدّت الأيدى الخ ، وصفَ عدمَ شَرَهه على الطعام وصبْرَه على الجوع . وهذا مدحٌ عند العرب . والزاد : ما يؤكل ؛ وأصله الطعام المتّخذ للسفر . والباء فى قوله : بأعجلهم ، زائدة دخلت فى خبر الكَون المنفيّ . وقد استشهد له شُرّاحُ الألفيّة بهذا البيت . وأجشَع : أفعل تفضيل من الجشع بفتحتين ، وهو أشدُّ الحرص ؛ وفعله من باب فرح . وأعجَل ، الأول ، بمعنى عَجِلٍ بفتح فكسر ، لا أنّه أفعل تفضيل كالثانى ، لأنّ مراده أن ينفيَ العَجلة عن نفسه إذا مدَّ القومُ أيديَهم إلى الزاد ؛ وليس فى نفى زيادة العجلة كبيرُ مَدح . والشرط والجواب ، هنا ، كلاهما حكاية حالٍ ماضية ، ولذلك صحَّ وقوعُ لم فى جواب الشرط .

وقوله : وما ذاك إلاّ بسطةٌ الخ ، الإشارة راجعةٌ إلى عدم مدِّ يده إلى الزاد مستعجِلاً ، وقيل راجعة إلى مجموع ما مدَح به نفسَه . والبَسْطة : السَعة . والتفضُّل : الإِنْعام ؛ يقال تفضَّلَ عليه وأفضَل إفضالاً بمعنًى . والأفضَل خبر كان تقدّم على اسمها وهو المتفضِّل .

و (الشَّنْفَرىٰ) شاعرٌ جاهليٌّ قَحْطانيٌّ من الأزْد . وهو كما فى الجمهرة وغيرها من بنى الحارث بن ربيعة بن الأَواس بن الحَجْر بن الهِنْء بن الأزد . الشنفرى

وهو بفتح الشين وآخره ألف مقصورة وهو اسمه. والأواس بفتح الهمزة [(١)] . والحجْر بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم . والهنْء بتثليث الهاء وسكون النون وبعدها همزة . وزعم بعضهم أنّ الشنفَرىٰ لقبُه — ومعناه عظيم الشَفَة — وأنّ اسمه ثابت بن جابر . وهذا غلط كما غَلِط العَينىُّ فى زعمه أنّ اسمه عمرو بن برّاق (بفتح الباء وتشديد الراء المهملة) بل هما صاحباه فى التلصُّص ، وكان الثلاثة أعدَى العَدَّائينَ فى العرب ، لم تلحقْهم الخيل ؛ ولكن جرى المثلُ بالشنفَرىٰ فقيل : « أعدَى من الشنْفَرىٰ » .

ومن حديثه ما ذكره أبو عمرو الشيبانىُّ — كما نقله ابنُ الأنبارىّ فى شرح المفضليات ، وحمزةُ الأصبهانىُّ فى الدُّرَّة الفاخرة — ، قال : أغار تأبَّطَ شرًّا — وهو ثابت بن جابر — والشَّنْفَرىٰ الأزْدىُّ ، وعمرو بن برّاق علي بَجيلة (بفتح الباء وكسر الجيم) . فوجدوا بَجيلةَ قد أقعَدُوا لهم على الماء رصَداً ؛ فلمّا مالُوا له فى جوف الليل قال لهم تأبَّطَ شرًّا : إنّ بالماء رصداً . وإنّى لأسمعُ وَجيبَ قلوبِ القومِ — أى اضطرابَ قلوبهم — قالوا : والله ما نسمع شيئاً ، ولا هو إلاّ قلبك يَجِب ! فوضع يدَه على قلبه فقال : والله ما يَجِب وما كان وجّاباً ! قالوا : فلا والله ما لنا بُدٌّ من وُرود الماء ! فخرج الشَّنفرىٰ ، فلمّا رآه الرصَد عرَفوه ، فتركوه فشرِب ثمَّ رجَع إلى أصحابه فقال : والله ما بالماءِ أحدٌ ، ولقد شربتُ من الحوض ! فقال : تأبَّط شرًّا : بَلىٰ ، لا يريدونَكَ ولكنْ يريدُونَنى . ثمَّ ذهب ابنُ برّاقٍ فشرِب ثم رجع ، فلم يعْرِضوا له ، فقال : ليس بالماء أحد ! فقال تأبَّط شرًّا : بَلىٰ ، لا يريدونك ولكنْ يريدونَني ! 17
ثم قال للشَّنفرىٰ : إذا أنا كَرَعت فى الحوض فإنّ القوم سيَشُدُّونَ علىَّ

(١) ضبط فى شرح المفضليات للأنبارى ١٩٥ هكذا : « الإواس بن حِجْر » .

فيأسِرونني ، فاذهبْ كأنَّك تهرُب ثم ارجعْ فكنْ في أصل ذلك القرْن ، فإذا سمعتَني أقول : خذُوا ، خذوا فتعالَ فاطلِقْني . وقال لابن برّاق : إنّي سآمُرك إن تستأسِرَ للقوم ، فلا تُبعِدْ منهم ولا تمكّنهم من نفسك . ثم أقبلَ تأبّط شرّا حتّي ورد الماء ، فلما كرِعَ في الحوض شدُّوا عليه فأخذوه وكتفوه بوَتَر ، وطار الشنفَرىٰ فأتىٰ حيثُ أمرَه ، وانحاز ابن برّاق حيثُ يرونه ؛ فقال تأبّط شرّا : يا بجيلة ، هل لكم في خير ! هل لكم أن تُياسرونا[1] في الفِداء ويَستأسِرَ لكم ابنُ براق ! فقالوا : نعم ، ويلَك يا ابنَ برّاق ! إنّ الشنفَرىٰ قد طار ، فهو يصطلي نارَ بني فلان ، وقد علمتَ الذي بيننا وبين أهلك ، فهل لكَ أن تَستأسِر ويُياسرونا[2] في الفِداء ! فقال : أما والله حتّي أرُوز نفْسي شوطاً أو شوطين . فجعَل يَعدُو في قِبَلِ الجبل ثمَّ يرجع ، حتّي إذا رأوا أنّه قدْ أعيا وطَمِعوا فيه اتّبعوه ، ونادىٰ تأبّط شرّا : خذُوا ! خذوا ! فذهبوا يسعَون في أثَره ؛ فجعل يُطمِعهم ويُبعِد عنهم ؛ ورجَع الشّنفَرىٰ إلى تأبّط شرّا فقطع وَثاقه ، فلمّا رآه ابنُ برّاقٍ قد قُطِع عنه انطلَق ، وكرَّ إلى تأبّط شرّا فإذا هو قائم ؛ فقال : أعجبَكم يا معشر بَجيلة عدْوُ ابن برّاق ، أمَا والله لأعدُونّ لكم عدْواً أُنسيكُمُوه ! ثم انطلقَ هو والشنفرىٰ . انتهى .

السليك وخبره

ومن المشهورين في العَدْو (السُّلَيك بن السُّلَكَة) وهو تميميّ من بني سعد . والسُّلَيْك بالتصغير : فرْخ الحَجَلة[3] ، والأنثى سُلَكة بضم السين وفتح اللام ؛ وهي اسمُ أمِّه ، وكانت سوداء ، وإليها نُسِب . وذكر أبو عبيدة

---

(١) في النسختين : « أن تياسرونا » .

(٢) في النسختين : « وكروا » ، صوابه في شرح المفضليات للأنباري ٦ .

(٣) كونه بالتصغير ليس قيداً ، بل هو تقرير للصيغة ، فانه يقال للذكر من فراخ القطا أو الحجل سلك ، كصرد ، ويجمع هذا على سلكان بالكسر كصردان ، فالتصغير ليس أصلاً .

السُّلَيكَ في المَدَّائين ، مع المنتَشِر بن وَهْب الباهلى ، وأوفىٰ بن مَطَر المازنىّ . والمَثَلُ للسُّليك من بينهم ، فقيل : أعدىٰ من السُّليك » .

ومن حديثه فيما ذكره أبوعبيدة ، كما نقله حمزة الأصبهانىُّ فى الدرّة الفاخرة: أن السُّليك رآته طلائعُ لجيشِ بكرِ بن وائل ، جاءوا متجردين[١] ليُغيروا على بنى تميم ، ولا يُعلَم بهم ، فقالوا : إنْ عَلِم بنا السليكُ أنذرَ قومَه فبعثوا إليه فارسَين على جَوادين ، فلمّا هايجاه خرج يعدُو كأنّه ظَبي ، فطارداه يوماً أجمَع ، ثم قالا : إذا كان الليلُ أعيا فيسقُط فنأخذه . فلمّا أصبحا وجدا أثَره قد عثَر بأصل شجَرة ، وقد وثَب وانحطمت قوسُه ، فوجدا قطعةً منها قد ارتزّت بالأرض ، فقالا : لعلّ هذا كان من أوّل الليل ثم فتَر ، فتبعاه فإذا أثَره متفاجّاً[٢] قد بَالَ فى الأرض وخَدَّها ، فقالا : مالَه ! قاتَلَه الله ! ماأشدّ مَتْنَه[٣] ! والله لا نتبعُه ! فانصرفا . ووصل السُّليك إلى قومه فأنذرهم ، فكذبوه لبُعْد الغاية ، وجاء الجيش فأغاروا عليهم .

رجعنا إلى حديث الشَّنفَرىٰ . روىٰ الأصبهانىّ فى الأغانى ، وابنُ الأنبارىّ فى شرح المفضّليات[٤] : أنّ الشنفرىٰ أسرته بنو شَبابة (وهم حىٌّ من فَهم بن عمرو بن قَيس عَيلان) وهو غلامٌ صغير ، فلم يزلْ فيهم حتّى أسرتْ بنو سَلامانَ بن مُفرِج (بسكون الفاء وآخره جيم) رجلاً من فَهْم ثم أحدَ بنى شَبابة (بفتح الشين المعجمة) ، ففدته بنو شَبابة بالشّنفرى ، فكان الشّنفرى فى بنى سَلامان (بفتح المهملة) يَظُنُّ أنّه أحدُهم ، حتى نازعته ابنةُ الرُّجل ١٨

(١) فى الأغانى ١٨ : ١٣٦ : « جازوا منحدرين » .
(٢) متفاج ، من الفجج ، وهو تباعد ما بين الرّجلين .
(٣) وكذا فى الأغانى . والمتن : الصلابة والقوة . ويقال أيضاً متن فى الأرض ، إذا ذهب .
(٤) انظر شرح الأنبارى ١٩٦ .

الذى كان فى حِجْره — وكان قد اتَّخذه ابناً — فقال لها : اغسِلى رأسى يا أُخَيَّة فأنكرت أن يكون أخاها فلَطَمته ، فذهب مغاضباً إلى الذى هو فى حِجْره فقال له : أخبرنى مَنْ أنا ؟ فقال له : أنت من الأواس بن الحجر[1] ؛ فقال : أمَا إنّى سأقتُل منكم مائةَ رجل بما اعتَبدْتمونى ! ثم إن الشَّنفرى لزم دارَ فَهْم وكان يغير على بنى سَلامانَ على رجليه فيمن تبعه من فَهم ، وكان يغير عليهم وحدَه أكثر ، ومازال يقتل منهم حتّى قتل تسعة وتسعين رجلا ، حتّى قعد له فى مكانٍ أَسِيدُ بنُ جابر السَّلَامانىّ (بفتح الهمزة وكسر السين) ومع أَسِيدِ ابنُ أخيه وحَازمٌ البقْمى[2] — وكان الشَّنفرى قَتَلَ أخا أَسِيد بن جابر — فمر عليهم الشَّنفرى ، فأبصر السوَّادَ بالليل فرماه — وكان لايرى سواداً إلّا رماه — فشَكّ ذراعَ ابن أخى أَسِيدٍ إلى عضُده ، فلم يتكلّم ، وكان خازمٌ منبطحاً يرصُده ، فقطع الشنفرى بضربة أُصبَعين من أصابع خازم ، وضبطه خازم حتّى لحقه أسيدٌ وابن أخيه ، فأخذوا سِلاحَ الشّنفرى وأسَرُوه وأدّوه إلى أهلهم ، وقالوا له : أَنشِدْنا فقال « إنّماَ النَّشيد على المَسرّة » فذهبتْ مثلا . ثم ضربوا يدَه فقطعوها ؛ ثم قالوا له — حين أرادوا قتله — : أين نَقْبُرُكَ ؟ فقال :

لاتقبُرونى ! إنّ قَبرى مُحرّمٌ عَليكمْ ؛ ولكنْ أبشِرى أمّ عامرِ[3]
إذا احتُملتْ رأسى وفى الرأسِ أكثرى وغُودِرَ عند الملتقَى ، ثَمّ سائرى[4]

(١) انظر حواشى ص ٣٤٤ من هذا الجزء .

(٢) فى ش وشرح المفضليات ١٩ : « حازم » ، وفى الأغانى ٢١ : ٨٨ : « الفهمى » صوابه ما هنا وهو ما فى شرح المفضليات ١٩٦ فإن الفهميين كانوا أصحاب الشنفرى . وفى الشرح : « البقوم من حوالة بن الهنء بن الأزد » . ولا تكاد تجد « حازم » بالحاء المهملة فى أعلام الجاهلية .

(٣) وكذا فى الحماسة ٤٨٧ بشرح المرزوقى وفى ذيل الأمالى ٣٦ : « لا تقتلونى إن قتلى محرم » .

(٤) فى الحماسة وشرح المفضليات : « إذا احتملوا » .

هنا لكَ لا أرجو حياةً تسُرُّنى سَجيسَ الليالى مُبسَلا بالجرائرِ

وكانت حَلْفَةُ الشنفرىٰ على مائةِ قتيل من بنى سَلامان ، فبقى عليه منهم رجلٌ إلى أن قُتل . فمرَّ رجلٌ من بنى سَلامانَ بجمجُمته ، فضربها برجله فعقَرته فتمَّ به عددُ المائة ! .. وذرِع خطوُ الشنفرى يومَ قُتل ، فوُجد أوّلُ نزوةٍ نزاها إحدى وعشرين خُطْوة ، والثانية سبعَ عشرةَ خُطْوة ، والثالثة خمسَ عشْرةَ خُطْوة .. وكان حَرام بن جابر — أخو أُسيد بن جابر المذكور — قَتَل أبا الشنفرى ؛ ولمّا قدِم مِنًى ، وبها حَرام بن جابر ، فقيل للشنفرى : هذا قاتل أبيك ، فشدّ عليه فقتله ، ثم سبقَ الناسَ على رجْليه وقال :

قَتَلْتُ حَراماً مُهْدِياً بملبِّدٍ ببطْنِ مِنًى وسْطَ الحَجيجِ المصوِّتِ

فرصَد له أُسيد بن جابر ، فأمسكه مع ابن أخيه[1] .

وقيل فى سبب قتل الشنفرى غير هذا ، وهو مسطورٌ فى شرح المفضّليّات والأغانى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

٢٢٧ (فى ليلةٍ لا نَرىٰ بِها أحَداً يَحكى علينا ، إلاّ كَواكِبُها)

على أن قوله (كواكبُها) بالرفع بدلٌ من الضمير فى (يحكى) الراجع إلى

---

(١) عند الأنبارى : « ابنى أخيه » .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦١ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٧٣ . وشرح شواهد المغنى ١٤٢ والهمع ١ : ٢٢٥ والأغانى ١٣ : ١١٥ وملحقات ديوان عدى بن زيد ١٩٤ .

(أحد) ، مع أن مرجع الضمير ليس معمولاً للابتداء أو أحدِ نواسخه . وأما (نرى) فهى بَصَرِيّة ، والمبْصَرُ هو أحد وكواكبها ، لا أنّها قلبيّة فتكون من النواسخ ؛ خلافاً لسيبويه فيهما : أى فى اشتراط مرجع الضمير أن يكون معمولاً للابتداء أو ناسخِه ، وفى جعله نرى قلبيَّة .

هذا محصَّل ما نقله الشارح المحقّق عن سِيبَوَيه ؛ وليس فى كلام سيبويه ١٩
فى هذا المقام واحدٌ منهما ، ولعلّ ما نقله الشارح ثابتٌ فى موضع آخر من كتابه . وأما عبارته هنا فهى هذه : « وتقول ما مررت بأحد يقول ذاك إلاّ عَبْدِالله ، وما رأيت أحداً يفعل ذلك إلاّ زيداً . هذا وجه الكلام . وإن حملته على الإضمار الذى فى الفعل ، فقلت : إلاّ زيدٌ — فرفعْتَ — فعرَبيٌّ ، قال الشاعر :

فى ليلةٍ لا نَرى بها أحداً يحكى علينا إلاّ كواكبها

وكذلك ما أظنُّ أحداً يقول ذلك إلا زيداً . وإن رفعتَ فجائزٌ حسَن . وإنّما اختِير النصب ههنا ، لأنّهم أرادوا أن يجعلوا المستثنَى بمنزلة المبدَل منه ، ولا يكونُ بدلاً إلاّ من منْفِىّ ، لأنّ المبدل منه منصوبٌ منفىّ ، ومُضمَره مرفوع ، فأرادوا أن يجعلوا المستثنى بدلاً من أحد ، لأنّه هو المنفىّ ، وجعلوا يقولُ ذلك وصفاً للمنفىّ . وقد تكلّموا بالآخَر لأنّ معناه معنى المنفىّ إذْ كان وصفاً لمنفى . انتهى كلام سيبويه(١) .

وهو صريح فى عدم اشتراط واحدٍ منهما ، يدلُّك عليه عطفُ قوله : وكذلك ما أظنّ أحداً يقول ذلك إلاّ زيداً ، على قوله : ما رأيتُ أحداً يفعل ذلك إلا زيدًا ؛ فإنّه سوّى بين الفعل القلْبىّ والفعل البَصَرىّ وغيرهما .

(١) نقلا عن أمالى ابن الشجرى . وانظر سيبويه ١ : ٣٦١ .

ومعنى قوله : تكلَّموا بالآخر ، أى تكلّموا بالرفع فى المستثنى .

وكذلك فى شرح أبيات سيبويه للنحّاس والأعلم : قال النحّاس : قال محمّد بن يزيد : أبدل الكواكب من المضمَر فى يحكى ؛ ولو أبدله من أحد لكان أجوَد ، لأنّ أحداً منفىٌّ فى اللفظ والمعنى ، والذى فى الفعل بعدَه منفىٌّ فى المعنى . قال : ومثل ذلك ما علمت أحداً دخل الدار إلاّ زيداً ، وإلاّ زيدٌ ، النصب على البدل مِن أحد وعلى أصل الاستثناء ، والرفع على البدل من المضمر . انتهى

قال ابنُ هشام فى المغنى فى القاعدة التى يُعطَى الشىء فيها حكمَ ما أشبهه فى معناه ، من الباب الثامن : قولهم إنّ أحداً لا يقول ذلك ، فأُوقعَ أحد فى الإثبات لأنّهُ نفسُ الضمير المستتر فى يقول ، والضميرُ فى سياق النفى ، فكأنّ أحداً كذلك وقال :

فى ليلةٍ لا نَرَى بها أحداً . . . . البيت

فرفع كواكبُها بدلاً من ضمير يحكى ، لأنّه راجع إلى أحد ، وهو واقع فى سياقِ غير الإيجاب ، فكان الضمير كذلك .

وقال أيضاً ، فى باب الاستثناء ، من الجهة الخامسة فى الباب الخامس : « إن قلت ما رأيت أحداً يقول ذلك إلاّ زيدٌ ، إنْ رُفع زيدٌ فرفعهُ من وجهٍ وهو كونه بدلاً من ضمير يقول ، ومنه هذا البيت . وإنْ نُصب فنصبُه من وجهَين على البدلية من أحد ، وعلى الاستثناء . فإن قلت : ما أحد يقول ذلك إلاّ زيد ، فرفعه من وجهين : كون زيد بدلاً من أحد ، وهو المختار ، وكونه بدلاً من ضميره ؛ ونصبُه من جهة وهو على الاستثناء » وسيأتى بيان هذا فى الشرح قريبا .

وقد نقل الدَّمامينيُّ هنا ما اعترض به الشارحُ المحقِّق على سيبويه ولم يزدْ عليه بشيء . وقال ابنُ الشجَريّ فى أماليه : رفع كوا كبُها على البدل من المضمَر فى يحكى ، ولولا احتياجه إلى تصحيح القافية كانَ النصبُ فيها أولى من ثلاثة أوجه : إبدالها من الظاهر الذى تناوله النفى على الحقيقة ، والثانى نصبها على أصل باب الاستثناء كقراءة ابن عامر : (ما فَعَلُوه إلاّ قليلاً منهم[1]) والثالث أنّه استثناء من غير الجنس كقولك : ما فى الدار أحدٌ إلاّ الخيامَ . وأهلُ الحجاز مجمِعون فيه على النَّصب ، وعلى ذلك أجمع القُرَّاء فى قوله تعالى : (ما لَهُمْ بهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتّباعَ الظَّنّ[2]) انتهى

وقوله : (يحكى عَلَينا) الحكاية بمعنى الرواية . وعلى بمعنى عَنْ ؛ وقد يقال ضمِّن يحكى معنى يَنُمّ . قالها ابن هشام فى الباب الأوّل من المُغنى .

وهذا البيت نسبَهَ الشارح المحقّق إلى عدىِّ بن زيد ، موافقةً لشُرّاحِ شواهد سيبويه ولم ينْسُبْه سيبويه فى كتابه إلى أحد ، وإنّما أورده غُفلا . وقد تصفّحتُ ديوان عدىِّ بن زيدٍ مرّتين فلم أجده فيه ؛ وإنما هذا البيت من أبياتٍ لأُحَيْحة بنِ الجُلاَح الأنصارىّ ، أثبتها له الأصبهانىُّ فى الأغانى ، وهى :

(يَشتاقُ قَلبى إلى مُلَيكَةَ لو أمسىْ قريباً لمن يُطَالبُها[3]

---

(١) الآية ٦٦ من سورة النساء . وهى قراءة أبى ، وابن أبى إسحاق ، وابن عامر ، وعيسى بن عمر . تفسير أبى حيان ٣ : ٢٨٥ .

(٢) الآية ١٥٧ من سورة النساء . وفى النسختين : « وما لهم به من علم » بإقحام الواو ، وهو تحريف رددته إلى نصابه . وفى الكتاب العزيز فى الآية ٢٨ من سورة النجم : « وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن » فهذه بالواو فى أولها .

(٣) الأغانى ١٣ : ١١٤ ، ١١٥ : « أمست قريبا ممن » .

ما أحسنَ الجيدَ من مُلَيكة والـ ـلَبَّاتِ إذ زانَهـا ترائبُها
ياليتَنى ليلةً ، إذا هجَعَ الـ ـنَّاسُ ونامَ الكِلابُ ، صاحبُها
فى ليلةٍ لا نَرَى بهـا أحداً يحكى علينا ، إلاّ كواكبُها
لِتَبكنى قَينةٌ ومِزْهَرُها ولْتَبكنى قَهوةٌ وشارِبُها
ولْتَبكنى ناقةٌ إذا رُحِلتْ وغابَ فى سَرَبَخٍ مناكِبُها
ولْتَبكنى عُصبةٌ إذا اجتمعَتْ لم يَعلَمِ الناسُ ما عواقبُها !)

وبهذه الأبيات عُرف أنّ القافية مرفوعة .

وقوله : لو أمسى الخ ، لو للتمنى ؛ واسم أمسى ضمير القلب ؛ ومَن موصولة بمعنى : التى . ومُليكة ، بالتصغير : اسم امرأة . وقوله : ما أحسنَ الجيدَ ، ما تعجُّبيّة . واللَّبّة بفتح اللام : موضع القِلادة من الصَّدر . والتَّرائب : جمع تَريبة وهى عظام الصَّدر مابين التَّرقُوتين إلى الثدْى . وقال ابن الشجَرىّ : « اللبّة : الموضع الذى عليه طرَف القِلادة . والترائب واحدتها تَريبة ، وقيل تريب ، وهو الصدر ، وإنّما جمعَهما بما حولها ؛ كأنّه سمّى مايجاور اللبّة لَبّةً ، وما يجاور التريبةَ تريبة ؛ كما قالوا : شابتْ مفارِقُه » . وقوله : ياليتنى ليلةً الخ ، صاحبُها خبر لَيت ؛ وليلةً ظرفٌ لصاحبُها ؛ وإذا بدلٌ منها بدل اشتمال ، والضمير مقدَّر أى هجع الناس فيها .

وقوله : (فى ليلةٍ لا نرى بها .. الخ) فى ليلةٍ بدل من قوله إذا ، وجملة لانرى بها الخ صفة ليلة ؛ ونرى بالنون ، ويروى بالتاء ؛ وهو قريب . وجملة يحكى علينا : صفة أحداً . ورُوى بدله : (يسعَى علينا) مِن سعى به إلى الوالى : إذا وشَى به ونمَّ عليه .

وقوله لتبكنى ، هو أمر الغائب . والقَينة ، بالفتح : الأمَة ، مغنِّيَةً كانت كما هنا أو غير مغنِّية . والمِزْهر ، بكسر الميم : العُود الذى يُضرَب به ، من آلات الملاهى . والقَهوة : الخمر . وقوله : إذا رُحِلت ، بالبناء للمفعول ، من

رحلت البعيرَ رَحلاً ، من باب نفع : إذا شددتَ عليه رحلَه ؛ وهو أصغر من القتَب . وقوله : وغابَ فى سَرْبَخٍ الخ ، السَّرْبَخ ، بفتح السين وسكون الراء المهملتين وفتح الموحَّدة وآخره خاء معجمة : الأرض الواسعة . وقوله : ما عواقبها ، ما استفهاميَّة مبتدأ وعواقبها الخبر ، والجملة فى موضع مفعولَى علِم المعلَّق عن العمل بالاستفهام . وقال ابنُ الشجَرىّ فى أماليه ، مشيراً إلى أنّ هذا البيتَ لأُحَيْحَةَ بن الجُلاحِ بقوله : « والبيت الذى أنشده سيبوَيه شاهداً على جواز الرفع ، مِنْ مقطوعةٍ لرجلٍ من الأنصار . ورُوِى أنّه لمّا أُدخِلت حبَّابةُ على يزيدَ بنِ عبد الملك ، دخلتْ وعليها ثيابٌ مُعَصْفَرَةٌ ، وبيدها ٢١
دُفٌّ ، وهى تَصفِقُه بيدها وتغنِّى بهذه الأبيات :

ما أحسَنَ الجيدَ من مُلَيكة والـلَّبَّاتِ إذْ زانها ترائبُها !
يا ليتَنِى ليلةً ، إذا هجَعَ الناسُ ونامَ الكِلابُ ، صاحبُها
فى ليلةٍ لا نرى بها أحداً يَحكى علينا ، إلاّ كواكبُها

ثم قال ابنُ الشجرىّ : « ووقَع فى أكثرِ نسَخ كتاب سيبويه غيرَ منسوب إلى شاعرٍ مسمّىً ، ووجدتُه فى كتاب لُغوىّ منسوباً إلى عَدىّ بن زيد ، وتصفَّحتُ نسختين من ديوان شعر عدىٍّ فلم أجد فيهما هذه المقطوعة ، بل وجدتُ له قصيدةً على هذا الوزن وهذه القافية ، أولها :

لم أرَ مِثلَ الأقوامِ فى غَبَنَ الأيَّام ينسَوْنَ ما عواقبُها
يَرون إخوانَهم ومَصْرعَهمْ وكيفَ تعتاقُهم مَخالبُها
فما تُرجِّى النفوسُ مِنْ طلَبِ الخيْر وحُبُّ الحياةِ كاذبُها[1] »

---

(١) كذا هنا وفى أمالى ابن الشجرى ، وحماسة البحترى ١٢٥ وأوله عنده : « ماذا ترجى » ، وهى صحيحة يؤيدها الشرح التالى لابن الشجرى إذ يقول : « إن حب النفوس للحياة قد يستجيل بغضا ، لكنها فى الأغانى ٢ : ٣٧ : «كاربها» قال أبو الفرج : « كاربها هنا : غامها . . . يقال كربة الأمر وكرثه . . . إذا غمه » وانظر ديوان عدى ٤٥ .

ثم قال : « قوله : فى غبَن الأيّام ، يدلُّ على أنّهم قد استعملوا الغبَن المتحرِّك الأوسط فى البيع ، والأشهر غبَنه فى البيع غبْناً ، بسكون وسطه ؛ والأغلب على الغبَن المفتوح أنْ يستعمَلَ فى الرأى ، وفعلُه غَبِن يَغبَن ، مثل فرح يفرح ، يقال غبِنَ رأيُهُ ، والمعنى : فى رَأْيه . ومفعول الغَبَن فى البيت محذوف ، أى فى غبَن الأيّام إيّاهم . ومما استعمِل فيه الغبن المفتوح الأوسط فى البيع ، قول الأعشىٰ :

لا يقبَلُ الرِشوةَ فى حُكمِه ولا يُبالى غَبَنَ الخاسرِ

وقوله : ما عواقبها ، ما استفهاميَّة وينسَون معلَّقٌ كما عُلِّق نقيضُه ، وهو يعلمون ؛ والتقدير : ينسَون أىُّ شىء عواقبُها . ومعنى قوله : وحبُّ الحياة كاذِبُها ، أنّ حبَّ النفوس للحياة قد يستحيل بغضاً ، لِما يتكرّر عليها من الشدائد والآفات التى يتمنى صاحبُها الموتَ ، كما قال المتنبِّي :

كَفَىٰ بكَ داء أنْ ترىٰ الموتَ شافياً وحَسْبُ المَنَايا أن يَكُنَّ أمانيا » ا هـ

وبعد أن نسبَ هذه الأبياتَ صاحبُ الأغانى لأُحَيحة بن الجُلاح ، بيَّن منشأها فقال : إنّ تُبَّعاً الأخيرَ ، وهو أبو كَرِب بن حسَّان بن تُبَّع بن أسعَد الحِميَرىّ[1] ، أقبلَ من اليمن يريد الشرقَ كما كانت التبابعة تفعَل — فمرَّ بالمدينة فخلَّف بها ابنَه ومضى ، حتّي قَدِم العراق ، فنزل بالمشقَّر ؛ فقتِل ابنه بالمدينة غِيلة فبلغه الخبر ، فكرَّ راجعاً حتّي دخل المدينة ، وهو مُجمِعٌ على

(١) الأغانى : « وهو أبو كرب بن حسان بن أسعد الحميرى » .

إخرابها، وقطع نخلها، واستئصالِ أهلها وسبْي الذرّيّة ؛ فنزل بسفحِ أُحدٍ فاحتفر بها بئراً — فهى التى يقال لهـا إلى اليوم : بئر المِلك — ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه ، فكان ممَّن أرسل إليـه زيدُ بن ضبيعة ، وابن عمِّ زَيد بن أمية ، وابن عمه زيد بن عبيد وكانوا يسمّون الأزياد[1] ، وأُحيحة بن الجلاح ؛ فلما جاء رسوله قال الأزياد : إنّما أرسَل إلينا ليُملِّكنا على أهل يثرب ! فقال أُحيحة : واللهِ ما دَعاكُم لخير ! — وكان يقال إنّ مع أحيحة تابعاً من الجِنّ يُعْلِمه الخبر ، لكثرة صوابه ، لأنّه كان لا يظنُّ شيئاً إلاّ كان كما يقول — فخرجوا إليه ، وخرج أُحيحة ومعه قَينةٌ له ، وخباء ، وخَمر ، فضَرب الخباء وجعَل فيه القَينة والخمر ، ثم استأذن على تبّـعٍ ، فأذن له وأجلسه على زِرْبِيَّة تحتَه ، وتحدّث معه وسأله عن أمواله بالمدينة ؛ فجعل يُخبره عنها ، فخرج مِن عنده فدخل خباءه فشرب الخمر ، وقرَض أبياتاً وأمر القَينة أن تغنِّيَه بها ؛ وجعل تُبّـعُ عليه حرساً وكانت قينته تُدعى مُليكة ، فقال : ٢٢

يَشتاق قلبي إلى مُليكة لو أمسَى قريباً لمن يُطالبُها !

الأبيات المتقدِّمة . فلم تزل القينة تغنِّيه بذلك يومَه وعامّةَ ليلته ؛ فلمّا نام الحرسُ قال لها : إنّي ذاهب إلى أهلي فشُدِّي[2] عليك الخِباء ، فإذا جاء رسولُ الملك فقولى : هو نائم ؛ فإذا أبَوا إلاّ أن يُوقظونى فقولى: قد رجَع إلى أهله وأرسلَني إلى الملك برسالة ، فإن ذهبوا بكِ إليه فقولى له : يقول لكَ أُحيحة « اغدِرْ بقَينةٍ أوْ دَعْ » ثم انطلقَ فتحصَّن فى أُطُمِه الضّحْيان ، فأرسل تُبّعٌ من جوف الليل إلى الأزْياد فقتلهم ، وأرسل إلى أُحيحةَ ليقتله فخرجت إليهم القَينة ، فقالت : هو راقد فانصرفوا وتردَّدوا عليها مِراراً ؛ كلَّ ذلك تقول : هو

(١) عددم فى الأغانى ١٣ : ١١٥ أربعة ، بتكرير الأوسط فيما أرى .
(٢) فى الأغانى : « فسدى » بالسين .

راقد ! ثم عادوا فقالوا : لتُوقِظِنّه أو لندخُلَنَّ عليكِ ؟ قالت : فإنّه قد رَجع إلى أهله وأرسلَني إلى الملك برسالة ! فذهبوا بها إلى الملك وأبلغته الرسالة ، فجرّد له كتيبةً من خيله ثم أرسلهم فى طلبه ، فوجدوه قد تحصَّن فى أُطُمه ؛ فحاصَروه ثلاثاً ، فكان يقاتِلهم بالنّهار ويَرميهم بالنّبْل والحجارة ، ويرمى إليهم فى الّليل بالتّمر ؛ فلما مضت الثلاثُ رجَعوا إلى تُبّعٍ فقالوا : بعثْتَنا إلى رجل يقاتلنا بالنهار ويُضيفنا فى الليل ! فتركَه وأمرهم أن يحرقوا نخلَه ، وشبَّت(١) الحربُ بين أهل المدينةُ : أَوسِها وخَزْرجِها ويهودِها ، وبين تُبّع ، وتحصّنوا فى الآطام ؛ فخرج رجلٌ من أصحاب تُبعٍ حتّي جاء بنى عَدىٍّ بن النَّجار وهم متحصِّنون فى أُطمهم ، فدخل حديقةً من حدائقهم فرقى(٢) بها عَذْقاً منها يجُدّها(٣) ، فاطّلعَ إليه رجلٌ مِن بنى عَدىٍّ من الأُطم ، فنزل إليه فضربه بمِنْجل حتّي قتله ، ثمّ ألقاه فى بئر ؛ فلما انتهى ذلك إلى تُبّعٍ زاده غيظاً وحَنَقا ، وجَرَّد إلى بنى النّجار جَريدةً من خيلِه ، فقاتلهم بنو النّجّار ... فبينا يُريد تُبّعُ إخرابَ المدينة أتاه حَبْرانِ من اليهودِ فقالا : أيُّها الملك ، انصرفْ عن هذه البلدة ، فإنّها محفوظة ، وإنّها مُهاجَرُ نبيٍّ من بني إسماعيلَ ، اسمُه أحمد ، يخرُج من هذا الحرم . فأعجبه ماسمِع منهما وكفَّ عن أهلها . انتهى مانقلته من الأغانى مختصراً .

والأُطُمُ ، قال فى الصحاح : هو مثل الأُجْمِ ، يخفَّف ويثقَّل ، والجمع آطام وهى حُصون لأهل المدينة ، والواحدة أطَمة بفتحات . والضَّحْيان ، بفتح الضاد المعجمة وسكون الحاء المهملة وبعدها ياء مثنَّاة تحتيَّة : اسم حصنٍ لأُحَيحة ،

---

(١) ط : « وشدت » ، صوابه فى ش والأغانى .

(٢) فى النسختين : « فرى » ، وصححها الشنقيطى فى نسخته بما يطابق الأغانى . وفى الأغانى ١٣ : ١١٦ : « فرقى عذقا منها يجبره » .

(٣) العذق بالفتح : النخلة بحملها . وبالكسر : كباسة التمر .

وقد بينه صاحبُ الأغانى بعد هذا فقال : وكان لأُحيحة أُطمان ، أُطُم فى قومه يقال له المستظَلّ ، وهو الذى تحصَّن فيه حين قاتل تُبعاً أبا كَرِب الحِيرىّ ، وأطمه الضَّحْيان بالعُصْبة فى أرضه التى يقال لها الغابة ، بناه بحجارة . وكانت الآطام عزَّهم ومنعَتَهم وحصونَهم التى يتحرزون فيها من عدوِّهم . انتهى كلامه .

وقد خالفَ بينَ كلامَيْه فقال هناك : تحصَّن بأطمه الضَّحيان . وقال فى موضع آخر : تحصَّن فى أُطمه المستظلّ . ٢٣

أحيحة بن الجلاح

و (أُحيحة) هو أُحيحة بن الجُلاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبيٰ بن كُلْفة بن عَوف بن عمرو بن عَوف بن مالك بن الأوس . ويكنى أُحيحة أبا عَمْرو .

و (أُحيحة) بضمّ الهمزة وبالحاءين المهملتين : مصغر الأَحيحة ، وهو الغَيظ وحزازة الغمّ[1] . و(الجُلَاح) بضمّ الجيم وتخفيف اللام وآخره حاء مهملة وهو فى اللغةُ السيل الجُرَاف . و(الحَريش) بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين وآخره شين معجمة ، وهو نوعٌ من الحيَّات أرقَط . و (جحجَبي) بحاء مهملة ساكنة بين جيمين مفتوحتين وبعد الموحدة ألف مقصورة ، وهذه المادة غير مذكورة فى الصحاح ، قال صاحب القاموس : « جحجب العدوَّ : أهلكه ؛ وفى الشيء : تردَّد وجاء وذهب . وجَحْجَب : اسم . وجحجَبىٰ : حىٌّ من الأنصار » انتهى .[2] و (كُلْفة) بضمّ الكاف وسكون اللام .

وكان أُحيحةُ سيِّدَ الأوس فى الجاهليَّة ، وكانت أمُّ عبدِ المطلب بن هاشم تحتَه . والمنذر بن محمد بن عقُبة بن أُحيحة ، صحابىٌّ شَهِد بدراً وقُتل يومَ بئرِ

(١) وفى الاشتقاق ٤٤١ : « واشتقاق جحجبى من الجحجبة ، وهو التردد فى الشىء والمجىء والذهاب » .

(٢) جاءت « حزازة » بزاءين معجمتين فى النسختين .

مَعُونة ، كذا فى الجمهرة . وعدَّ عبدانُ فى الصحابة محمَّدَ بنَ عقبة هذا ، لكنَّه نسبَه إلى جدِّه فقال : محمد بن أحيحة . وقال : بلغنى أنّه أوّلُ من سمِّى محمداً ، وأظنُّه أحدَ الأربعةِ الذين سمُّوا محمّداً قبل مولِد النبيّ ﷺ . وأبوه كان زوجَ سَلمى أمِّ عبدِ المطَّلب . قال ابن الأثير : مَنْ يكونُ أبوه تزوج أمَّ عبد المطلب ، مع طُولِ عُمرِ عبدِ المطلب ، كيف تكون له صُحبة مع النبيّ ﷺ ؟! هذا بعيد ، ولعلّه محمّد بن المنذر بن عُقبة بن أحيحة الذى ذكروا أباه فيمن شَهِد بدراً . قال ابن حَجَر فى الإصابة : وفيه نظر ، لأنّهم لم يذكروا للمنذر ولداً اسمُهُ محمّد . انتهى . والصواب مافى الجمهرة[1] ، وبه يزول الإشكال .

قال صاحبُ الأغانى[2] : وكانت عند أُحيحة سَلمىْ بنتُ عمرو بن زَيدِ ابن لَبيدِ بن خِداش ، إحدى نساءِ بنى عدىّ بن النجار ، له منها عمرو ابن أحيحة ، ثمّ أخذها هاشمٌ بعد أُحيحةَ فولدت له عبدَ المطَّلب بن هاشم ؛ وكانت امرأةً شريفة لا تنكِح الرجالَ إلاّ وأمرُها بيدها ، وإذا كرهتْ من من رجل شيئاً تركَته . وكان أحيحةُ كثيرَ المال شحيحاً عليه ، يبيع بيعَ الربا بالمدينة ، حتّى كاد يُحيط بأموالهم ؛ وكان له تسعٌ وتسعون بئراً[3] كلُّها يُنضَح عليها ؛ وكان له أُطُمان : أُطُم فى قومه يقال له المستظَلّ — وهو الذى تحصَّن فيه حين قاتلَ تبَّعاً الحِميرىّ — وأطمه الضَّحيان بالعُصْبة فى أرضه التى يقال لها الغابة ، بناه بحجارةٍ سود ويزعمون أنّه لمّا بناه أشرَف هو وغلامٌ له[4] ثم قال : لقد بنيتُ حِصْناً حَصيناً ما بنيْ مثله رجلٌ من العربِ أمنعَ منه[5] ،

(١) انظر أيضاً السيرة ٣٢٢ ، ٤٩٤ ، ٦٤٩ .
(٢) الأغانى ١٣ : ١١٩ والأغانى ١٣ : ١١٨ .
(٣) ط : « بعيرا » ، صوابه فى ش والأغانى ١٣ : ١١٨ ، ويؤيده تذكير « تسع » .
(٤) فى النسختين : « لما بناه هو وغلام له أشرف » صوابه من الأغانى .
(٥) فى الأغانى : « ما بنى مثله رجل من العرب أمنع ولا أكرم » .

ولقد عرَفتُ موضِعَ حَجرٍ منه لو نُزِع وقعَ جميعاً . فقال غلامُه : أنا أعرفه ! قال : فأرِنيه يا بُنيّ ! قال : هو هذا ! وصرف إليه رأسه ، فلما رأى أحيحةُ أنّه قد عرَفه دفعَه مِن رأس الأُطُم فوقع على رأسه فمات . وإنّما قتلَه لئلاّ يعرِفَ ذلك الحجرَ أحدٌ . فلما بناه قال :

بنيتُ بعدَ مُسْتَظَلٍّ ضاحياً بنيته ، بعُصْبةٍ ، مِن ماليا
للستر مما يتبع القواضِيا أخشى رُكَيبا أو رُجَيلا غاديا[1]

٢٤ وسيأتى — إن شاء الله تعالى — تتمّة الكلامِ عليه فى شرح شواهد الشافيّة[2] ، عندشرحِقوله : أخشى رُكَيبا أو رُجيلا غاديا . فإنّه من شواهده وشواهد الكشّاف أيضاً . ولم يعرف أحد تتِمتَّه ولا أصله ، ممّن كتب على الكشّاف وغيره .

المحمدون فى الجاهلية

واعلم أنّ جملةَ مَنْ سمّى بمحمّد فى الجاهليّة ، ذكَرهم ابنُ حَجَر فى شرح البخاريّ . وهذا كلامه[3] :

قال عِياضٌ : حمىٰ اللهُ عزَّ وجلَّ هذا الاسمَ أن يسمّى به أحدٌ قبلَه ؛ وإنّما سمّى بعضُ العرب محمّداً قُربَ مِيلاد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لمّا سمِعوا من الكُهّان والأحبار ، أنّ نبيًّا سيُبعَث فى ذلك الزمان يسمّى محمّداً ، فرجَوا أنْ يكونوا هم ، فسمَّوا أبناءهم بذلك ، وهم ستّةٌ لا سابعَ لهم . كذا قال . وقال السُّهيلىُّ فى الروض الأُنف : لا يُعرف فى العرب مَن تسمّى محمّداً قبلَ النبيّ صلى الله عليه وسلم إلاّ ثلاثة : محمّدُ بنُ سفيانَ بن مجاشع ، ومحمّد بن أُحيحة

(١) فى ــ : « والسر مما » ، وفى الأغانى : « عاديا » بالعين المهملة .
(٢) شرح شواهد الشافية ١٥٠ .
(٣) فتح البارى ٦ : ٣٥٨ — ٣٥٩ .

ابن الجلاح ، ومحمد بن حُمْران بن ربيعة . وسبق السُّهيليَّ إلى هذا القولِ أبو عبدِ الله بن خالَوَيه (فى كتاب ليسَ(١)) . وهو حصْرٌ مردود . وقد جمعتُ أسماء مَنْ تَسمَّى بذلك فى جزءٍ مفردٍ فبلغوا نحوَ العشرين ، لكنْ مع تكرير فى بعضهم و وَهمٍ فى بعض ، فتَلخَّص منه خمسةَ عشرَ نفسا .

وأشهرهم محمّد بن عَدىّ بن ربيعة التميمىّ السعدىّ . وقد سئل محمّدُ ابنُ ربيعةَ — والسائلُ ابنُه — قال له : كيفَ سمّاك أبوكَ فى الجاهليّة محمّداً ؟ قال : سألتُ أبى عمّا سألتَنى فقال : خرجتُ رابعَ أربعةٍ من بنى تميم أنا أحدُهم ، وسُفيان بن مُجاشِع ، ويزيد بن عَمرو بن ربيعة ، وأُسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر ، نريد ابنَ جفْنةَ الغسَّانىّ بالشام ، فنزلنا على غَدير دَير ، فأشرفَ علينا الدَّيْرانىُّ فقال لنا : إنّه سَيبعث منكمْ وشيكاً نبيٌّ ، فسارِعوا إليه . فقلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد . فلمّا انصرفنا وُلِد لكلٍّ منّا ولدٌ فسماه محمّداً . وقال ابن سعد ، عن علىِّ بن محمّدٍ عن مَسلمَةَ بن محارب عن قَتادة بن السَّكن قال : كان فى بنى تميمٍ محمّدُ بن سفيانَ بنِ مجاشع ، قيل لأبيه : إنّه سيكون نبىٌّ فى العرب اسمُه محمد ، فسمى ابنه محمّداً . فهؤلاء الأربعة ليس فى السِّياق ما يُشعِر بأنّ فيهم مَن له صُحبة ، إلاّ محمّدَ بنَ عَدىّ . قال ابن سعدٍ لمّا ذكَره فى الصحابة : عداده فى أهل الكوفة . وذكر عَبْدان المرْوَزِىّ أنّ محمّد بن أُحيحة ابن الجُلاَح أوّلُ من تسمَّى محمّداً فى الجاهليّة ، وكأنّه تلقّى ذلك مِن قصّة تُبَّعٍ لماحاصرَ المدينةَ وخرج إليه أُحيحةُ المذكور هو والحَبْر الذى كان عندَهم بيثرِب ، فأخبره الحَبْر أنّ هذا بلدُ نبىٍّ يبعَث يسمّى محمداً ، فسمَّى ابنه محمّداً . وذكر البلاذُرِىُّ منهم محمّدَ بن عُقبَة بن أُحيحة ، فلا أدرى : أهما واحدٌ نُسب مرّةً إلى أبيه ومرةً

(١) لم أجد هذا النص فى كتاب ليس .

إلى جَدِّه، أم هما اثنان . . (أقول : الصواب أنهما واحدٌ نُسِبَ مرّةً إلى أبيه ، ومرّة إلى جَدّه ، كما تقدّمَ بيانه [١])

ثمّ قال ابن حَجر : ومنهم محمد بن براء البكريّ ، ذكره [ابن[٢]] حبيب . وضبط البلاذرى أباه فقال : محمد بن برّ (بتشديد الراء ليس بعدها ألف) بن طريف بن عُتْوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة ؛ ولهذا نسبوه أيضاً العُتْواريّ . وغفَل ابنُ دِحية فعدّ فيهم محمَّدَ بن عُتوارة ، وهُو هو ، نُسِب إلى جدِّه الأعلى . ومنهم محمد بن اليحمديّ الأزديّ ، ذكره المفجع البصريّ فى كتاب المنقذ[٣] . ومحمد بن خَولى الهمْدانىّ . ذكره ابن دُرَيد[٤] . ومنهم محمد بن حِرماز بن مالك ، ذكره أبو موسىٰ فى الذيل . ومنهم محمد بن حُمْران بن أبى حُمران ، واسمه ربيعة بن مالك الُجعفىّ ، المعروف بالشويعر ، ذكره المرزُبانيّ فقال : هو أحد من سُمِّي فى الجاهلية محمداً ، وله قصَّة مع امرئ القيس[٥] . ومنهم محمَّدُ بن خُزَاعيٍّ بن عَلقمة بن حرابة[٦] السُلَميّ ، من بنى ذَكْوان ، ذكره ابن سعد عن عليٍّ بن محمَّد عن سلمة بن الفضل[٧] عن محمد بن إسحاق قال : سُمِّي محمد بن خزاعيّ طمعاً فى النُبوّة . وذكر الطبرانىّ أنّ أبرَهَة الحبشىَّ توجّهَ وأمره أن يغزُوَ بنى كنانة فقتلوه ، وكان ذلك من أسباب قصة الفيل . وذكر محمد بن سعد لأخيه قيسِ بن خزاعىّ يَذْكُره[٨] من أبيات يقول فيها :

(١) انظر ما مضى فى ص ٣٢٦ سلفيه .
(٢) التكملة من فتح البارى . وانظر حواشى الاشتقاق ٩ .
(٣) فتح البارى : « المعقد » ، تحريف .
(٤) فى الاشتقاق ص ٩ .
(٥) وكذا فى الاشتقاق ٨ — ٩ ، ٤٠٨ .
(٦) ـه : « حرامة » .
(٧) فى النسختين : « سلمه بن الفضل » صوابه من الإصابة فى ترجمة محمد . وانظر تهذيب التهذيب ٤ : ١٥٤ فقد ذكر أنه ليس أثبت فى ابن إسحاق من سلمة هذا .
(٨) فى النسختين . « فذكره » . وأثبت ما فى فتح البارى ٦ : ٣٠٩

فَذلِكُمْ ذو التاج مِنَّا مُحَمَّدٌ ورَايَتُه فى حَومة الموتِ تخفقُ

ومنهم محمّد بن عمر بن مُغْفِلٍ (بضمّ أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام) وهو والدُ هُبَيْبٍ (بموحَّدَتين ، مصغر) وهو على شرط المذكورِين ، فإنّ لولده صحبةً . ومات هو فى الجاهليَّة . ومنهم محمّد بن الحارث بن حديج[1] ابن حويص ، ذكره أبو حاتم السِجستانىّ فى كتاب المعمّرين ، وذكر له قصّةً مع عُمر ، وقال : إنّه أحدُ مَن تسمَّى محمّداً فى الجاهليّة . ومنهم محمّد الفقيمىّ ، ومحمّد الأسيدىّ ذكرهما ابن سعد ولم ينسُبهما بأكثر من ذلك . . فعُرِف بهذا وجهُ الردِّ على الحصر الذى ذكره القاضى عِياض . وعجبٌ من السُهيلى ، كيفَ لم يقف على ما قاله القاضى مع كونه قال قبله[2] ؟ ! . وقد تحرّر لنا من أسمائهم قدرُ الذى ذكره القاضى عِياض مرّتين بل ثلاثَ مرّات ، فإنّه ذكر فى الستّة الذين جزَم بهم: محمّدَ بنَ مسلمة وهو غلط[3] فإنّه وُلد بعد ميلاد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ففضل له خمسةٌ . وقد خَلَص لنا خمسةَ عشَر[4] ، والله أعلم . انتهى ما قاله ابن حَجر .

وقال زين الدين العراقىّ : قلت : عدّه — أعنى عياضاً — محمّدَ بنَ

(١) سه وفتح البارى : « خديج » كتب مصحح المطبوعة الأولى : « ضبطه الزرقانى على المواهب بمهملتين فتحتية فجيم مصغر » .

(٢) فتح البارى : « كان قبله » .

(٣) الميمنى : « تسرعه إلى تغليط عياض لا وجه له ، فإن ولادته بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، لا تنفى تسميته بمحمد قبل المبعث ، وهو مرادهم بذلك . ولعله نظر إلى قول ابن دُريد فى الاشتقاق : ومحمد بن مَسلمة الأنصارى ، سمى فى الجاهلية محمدا » .

(٤) الميمنى : « ليس هذا التخلص من عنائه بل هو للحافظ مغلطاى . وهذا لفظه فى حاشية الاشتقاق ٦ : بلغ أسماء من سمى محمدا خمسةَ عشرَ رجلاً ذكرتهم فى كتابى المسمى بالإشارة . اهـ . فرجع الحق إلى نصابه والحمد لله . وقد أقر الحافظ نفسه بذلك فى الإصابة رقم ٨٤٩٨ . والإشارة لعله يريد ما كتبه على كتاب ليس » .

مسلمة، فيه نظر من حيثُ أنّه وُلد بعدَه بعشْر سنين، ولكنّه صحيح من حيث أنّه لم يكن ظهرت النُّبوَّة والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائتين:

٢٢٨ * قَلَّمَا عَرَّسَ حَتَّي هِجتُهُ بالتَّباشيرِ مِنَ الصُّبحِ الأُوَلْ[1] *

على أنّ أبا عليّ قال: إنّ (قلَّما) قد تجيء بمعنى إثبات الشيء القليل، كما في هذا البيت، والكثير أن تكون للنفي الصرْف. وهذا كلام أبي عليّ في الإيضاح الشعريّ[2] قال: وأما قولُ لبيد:

* قلّما عرّس حتّي هجتهُ *

فإنّ قولهم قلما، يستعملَ على ضربين: أحدهما أن يكون بمعنى النفي لايثبَت به شيء، والآخر أن يكون خلافَ كثُر يُثبَت به شيء قليل. فمن الأوّل قولهم: قلّما سرت حتّي أدخلَها، فتنصِب الفعلَ معه بعد حتّي، كما تنصِب في قولك: ماسرت حتّي أدخلَها؛ ومنه: قلّما سرتُ فأدخلَها فتنصِب معه الفعلَ بعد الفاء كما تفعلُ ذلك بالنفي، ومنه قلَّ رجلٌ جاءني إلاّ زيدٌ؛ كما تقول: ماجاءني إلاّ زيدٌ؛ فهذا في هذه المواضع بمنزلة النفي. ولو أردتَ نفيَ كثُر لجاز الرفعُ في الفعل بعد حتَّي، كما تقول: سرت قليلاً حتّي أدخلُها. ولو أُجريَ هذا الضربُ مُجرىٰ الأوّل — على معنى أنّ القليل لم يُعتدَّ به لقلّته — لكان ذلك قياساً على كلامهم؛ ألا تراهم قالوا: ما أدرِي أأذّن أو أقام، فجُعِل

---

(١) ديوان لبيد ١٨٢ والمعاني الكبير ٧٣.

(٢) الكلام التالي لم أجده في نسختيْ دار الكتب من الايضاح، والأولى منهما برقم ١١٢٠ نحو وعليها هذه العبارة: من نعم الله على عبده الفقير الله ... عبد القادر ابن عمر البغدادي. والثاني برقم ١٠٠٦ نحو، وهي تزيد على الأولى زيادة كبيرة.

الفعلُ غيرَ مُعتَدٍّ به ؛ والبيت ممّا قد ثبت فيه التعريس ولم ينفِه ألبتّة ، يدلُّكَ على ذلك قولُ ذى الرُّمَّة :

٢٦ زارَ الخيالُ لمىٍّ هاجعاً لَعِبَتْ به التَّنائفُ والمَهْرِيَّةُ النُّجُبُ(١)

مُعَرِّساً فى بياضِ الصُّبح وَقعتهُ وسائرُ السير إلاّ ذاك منْجذِبُ

انتهى . بيانه : أنّ ذا الرمة أراد بالهاجع المعرِّسَ نفسَه . والهاجع : النائم . ولعبت به : ترامَتْ به بلْدة إلى بلدة . والمَهْرِيّة ، بالفتح : الإبل المنسوبة إلى مَهْرة ، وهى حى باليَمَن . والنُّجُب : جمع نجيب : كرام الإبل . والتعريس : الإقامة فى آخر الليل . ومعرساً : صفة هاجعاً . أى زارنى خيالُ مىٍّ وأنا معرّس نائم . وجملة فى بياض الصبح وقعته ، صفةٌ لقوله : معرساً . يريد الوقعة التى ينامها عند الصُّبح ؛ لأنّ كلَّ مَن سار ليلتَه فذلك وقتُ إراحته ونومه . ويُروَى : (وسائرُ الليـل) . ومنجذب : خبر سائر أى ماض . وقوله : إلاّ ذاك ، استثناء للتعريس من السير ؛ وهذا وجه الدليل . ويروى أيضاً : (فى سَوادِ اللَّيل) . والتفسير فى السَّير واللَّيل والسَّواد سواء . وهذا الشعر من قصيدةٍ طويلة لذى الرمّة مطلعُها :

ما بالُ عينك منها الماء ينسكب

وهذه القصيدة أوّل ديوانه .

واعلم أنّ أبا علىٍّ قد تكلّم هنا على أقلّ وقلّ وقلّما ، بكلامٍ جيِّدٍ قد اختصره الشارح المحقّق ، أحببتُ أن أنقله هنا برمّته تتميماً للفائدة : قال(٢) :

(١) ديوان ذى الرمة ص ٧ .

(٢) وهذا النقل أيضا لم أجده فى نسختىْ الإيضاح السالفتى الذكر . والظاهر أن لأبى على إيضاحين : الإيضاح النحوى ، والإيضاح الشعرى .

اعلم أنّهم قالوا : أقلُّ رجلٍ يقول ذلك ، وأقلُّ امرأةٍ تقول ذلك ، وأقلُّ امرأتين تقولان ذلك ؛ فحملوا الصفةَ فيها على المضاف إليه أقلّ لا على أقلّ .
فإن قال قائل : ما موضعُ تقول ذلك وتقولان ذلك ؟ فالقول فيه : أنّ موضعَه جرٌّ على ما عليه استعمالهم ؛ ولا يجوز أن يكون موضعُه رفعاً ، لأنّه لو كان رفعاً لكان ينبغى أن يكون محمولاً على أقل ، إمّا أن يكون وصفاً له أو خبراً .
فإن قلتَ : إذا كان أقلُّ مبتدأً فما خبره ؟ فالقول فيه : أنّه لا يخلو من أن يكون مضمراً متروكَ الإظهار والاستعمال ، كما كان خبرُ الاسمِ بعدَ لولا كذلك[1] . أو يكون قد استُغنى عن الخبر بالصفة الجارية على المضافِ أقلُّ إليه ، وصار أقلُّ لا خبر له لما فيه مِن معنى النفى ، كما أنّ قلّما فى قولهم :

. . . . قلّما وصالٌ على طول الصدود يدومُ[2]

غير مسند إلى فاعلٍ ؛ لما فيه من معنى النفى ، فكما صار قلَّ غيرَ مسندٍ إلى فاعلٍ ، كذلك أقلُّ غير مسنَد إليه خبَر ، لأنّ كلاًّ واحدٍ منهما قد جرى مَجرى صاحبه ؛ ألا ترى أنّهم قالوا قلَّ رجلٌ يقولُ ذلك إلا زيدٌ ، كما قالوا : ما رجلٌ يقول ذلك إلا زيدٌ ، وقالوا : أقلُّ رجلٍ يقول ذلك إلاّ زيدٌ ، فأبدلوا زيداً من أقلُّ وأجرَوه مُجرى قلَّ رجلُ يقولُ ذلك إلا زيدٌ ! ألا ترى أنّه لم يُبْدَل من رجلٍ المجرورِ بل أُجرى مُجرى قلَّ رجلُ فأمّا صفة الاسم الذى يضاف إليه أقلّ ، فإنّه يكون فعلاً أو ظرفاً ، لأن الظرف كالفعل والفاعل ؛ ألا ترى أنّه فى صلة الموصول كالفعلِ : فى استقلال الموصول به[3] ! وقال

(١) الرضى : « وفيه نظر ، لأنه لامعنى لقولك أقل رجل يقول ذلك إلا زيد موجود كما لا معنى لقولك أقائم الزيدان موجود » .

(٢) للمرار الفقعسى فى سيبويه ١ : ١٢ ، ٤٥٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٣٩ ، ١٤٤ والإنصاف ١٤٤ والمنصف ١ : ١٩١/٢ : ٦٩ . وصدره :

* صددت فأطولت الصدود وقلما *

(٣) ـــ : « كالفعل فى الاستمال الموصوف به » .

أبو الحسن: لو قلتَ أقلُّ رجُلٍ ذى جُمّة، أو نحو ذلك، لم يحسن. قال أبو علىّ: وإنّما امتنع هذا، لأنّ أقلّ قد أُجرى مُجرى حرفِ النفى فلم يظهر له خبر، كما أنّ قلّ جرى مجراه فلم يُسنَد إلى فاعل. فإذا علمتَ أنّه قد أُجرى مجرى حرفِ النفى — بما ذكرتُ، وبأنّهم قالوا: قلَّ رجلٌ يقول ذلك إلاّ زيدٌ — كان قولهم: أقلُّ رجل يقول ذلك، أقلّ فيه بمنزلة حرف النفى؛ وحرف النفى
٢٧ ينبغى أن يدخل على كلامٍ تامّ، والكلام التامُّ الفعلُ والفاعلُ وما فى حكمهما من الظروف، وليس المبتدأ وخبرُه ممـا يجرى مجرى الفعل والفاعل هنا. ألا ترى أنّ أبا الحسَن يقول: لو قلتَ أقلُّ رجل وجهُه حسَن، لم يحسُن. فدلّ ذلك على أنّهم جعلوا أقلّ بمنزلة ما، وما حقُّها أن تنفىَ فعلَ الحـال، فى الأصل؛ ويؤكّد ذلك أنّه صفة؛ والصفة ينبغى أن تـكون مصاحبـةً للموصوف، فـكما لا تدخل ما فى نفى الفعل إلاّ على فعل وفاعل، كذلك ينبغى أن يكون الوصفُ الواقعُ بعد الاسم المضاف إليه أقلُّ فعلاً وفاعلاً، أو ظرفاً، لأنّ الظّرف كالفعل. وإذا كانت كذلك، فلو أوقعت جملة من ابتداء وخبر بَعْدَه لم يحسُن، لأنّ ما فى الأصل لا تنفيها، إنّما تنفى الفعلَ؛ ولو أوقعت صفةً لا معنى للفعل فيها، نحو ذى جُمّة، وما أشبهها ممّا لا يشابه الفعل، لم يجز. ولو أوقعت الصفة المشابهة للفعل، نحو ضارب وصالح لم يحسُن فى القياس أيضاً، ألا ترى أنّ هذا موضعُ جملة، واسم الفاعل لا يسدُّ مسدَّ الجملة؛ ولذلك لم تستقلَّ الصلة به، واسم الفاعل فى صفة الاسم المجرور برُبَّ أحسنُ منه فى صفة الاسم المضاف إليه أقلُّ. لأنّ ربَّ وما انجرَّ به من جملة كلام، ألا ترى أنّ الفعل الذى يتعلّق به مرادٌ، وإن كان قد يترك من اللفظ، كما أنّ ما يتعلّق به الـكاف، من قولك: الذى كزيد، كذلك: فإذا كانت كذلك كانت فَضلة، والفضلة لا تمتنع أن تُوصَف بالصفات التى لا تناسب الفعل والتى تناسبهُ،

وليس صفة المضاف إليه أقلّ كذلك ، ألا ترى أن أقلّ بمنزلة حرف النفى كما كان قلّ كذلك ، وحكم حرف النفى أن يدخل على جملة . ووجه جواز وصف الاسم المضاف إليه أقلُّ بصالح ونحوه هُوَ أنّ [(١)] هذا الضربَ قد أجرى مجرى الجُمَل فى غير هذا الموضع ، ألا ترى أنّ سيبويه قد أجاز حكاية عاقلة لبيبة ونحوها إذا سمِّى بها ، فجعَله فى ذلك بمنزلة الجمل ، حيث كان فى حكمها ، من حيث كان حديثاً ومحدَّثا عنه ، وقد جرى هذا النحو مجرى الفعل والفاعل أيضاً فى الاسماء المسمّى بها الفعل ، فكذلك فيما ذكرنا . والأقيَس فيما يُجرُّ بربَّ أن يُوصَف بفعلٍ وفاعل ، لأنّ أصلَ ربّ وإن كان كما ذكرنا ، فقد صار عندهم بمنزلة النفى ، ألا ترىٰ أنّها لا تقع إلاّ صدرًا كما أنّ النفى كذلك ! وأنّ المفرد بعد قلّ دلّ [(٢)] على أكثرٍ من واحد ، وهذا مما يختصّ به النفى ونحوه ! فإذا كان كذلك ، صار ذلك الأمر كالمرفوض ، وصار الحكم لهذا الذى عليه الاستعمال الآن . وقد صار كالنفى بما لزمه بما ذكرنا ، كما صار أقلُّ رجلٍ بمنزلة ذلك ، فكما أنّ حكم صِفة المضافِ إليه أقلُّ أن يكون على ما ذكرنا ، كذلك حكم ما انجرّ برُبَّ . ومما يدلُّ على أنّ أقلّ منزّلٌ منزلةَ النفى ، امتناعُ العوامل الداخلة على المبتدإ من الدخول عليه ، امتناعَها من الدخول على ما لزمَه حرفُ النفى . وممّا جرى مَجرى أقلُّ رجل ، فيما ذكرنا ، قولهُم : خَطيئة يوم لا أصيدُ فيه ؛ ألا ترىٰ أنّ الكلام محمولٌ على ما أضيف خطيئة إليه ، كما كان محمولاً على ما أضيف أقلُّ إليه ، ولم يعدْ على خطيئة ممّا بعده ذِكر ، كما لم يعدْ على أقلّ شىء ممّا بعده . وقياس خطيئة أن تمتنع العواملُ الداخلة على المبتدإ والخبر من الدخول عليها ، كما امتنعت من الدخول على أقلّ ، لاتّفاقهما فيما ذكرتُ

(١) فى النسختين : « وأن » . وبدله فى الرضى : « فلإعطائه معنى الفعل » .

(٢) كذا فى النسختين ، وغيره الشنقيطى بقلمه هكذا « بعده قد دل » .

وفى المعنى ، ألا ترىٰ أنّه يريد ما يومٌ لا أصيد فيه إلاَّ الخطيئة[١] ، فصار كقولهم أقلّ من جهة المعنى ومن جهة حمْل ما بعدها على ما أُضيف إليه من

دونها . والقياس فيها وفى أقلّ أن يكون ما جرىٰ بعدهُما من الـكلام قد سدّ ٢٨

مسدّ الخبر ، وصار معنى أقلُّ امرأتين تقولان ذلك ، ما امرأتان تقولان ذلك ؛ وكذلك خطيئة ، فحُمل الـكلام علىٰ المعنى ، فلم يُحتَج إلى إضمار خبرٍ كما لم تحتج إليه فى قولك : أذاهبٌ أخَواك ، وما أشبهه . انتهى كلام أبى عليّ ، وسُقناه برمّته لِنفَاسَته .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد من قصيدةٍ طويلةٍ للَبيد بن رَبيعة الصحابىّ ، عدّة أبياتها خمسة وثمانون بيتاً ، ولا بدّ من ذكرِ أبياتٍ متّصلة به ليتّضح معناه ، وهى :

أبيات الشاهد

(وَمجُودٍ مِن صُباباتِ الـكَرىٰ ... عاطفِ النُّمْرُقِ صَدْقِ المبْتذَلْ
قال هجِّدْنا فقد طالَ السُّرىٰ ... وقدَرنا إنْ خَنىٰ الدهرِ غَفَلْ
يتّقى الأرضَ بدَفّ شاسِفٍ ... وضُلوعٍ تحتَ صُلْبٍ قد نَحَلْ
فلمّا عرّسَ حتّى هجتُه ... بالتَّباشير مِنَ الصُّبح الأُوَلْ
يلمِسُ الأحلاسَ فى منزِله ... بيدَيه ، كاليَهودىِّ المُصلّ
يَتمارَى فى الذى قلتُ له ... ولقدْ يَسمَعُ قولى حيَّهلْ
فورَدْنا قبلَ فُرّاطِ القَطا ... إنّ مِنْ وِرْدِى تَغْليسَ النَّهَلْ)

قوله : ومجُودٍ من صُبابات الخ ، الواو واو رُبَّ ؛ والمجود : الذى جاده النُعاس[٢] وألحَّ عليه حتّى أخذه فنام ؛ من الَجود بالفتح وهو المطر الغزير ،

(١) سـ : « الخطأ » . وانظر لقولهم خطيئة يوم لا أصيد فيه سيبويه ١ : ونهاية مادة (خطأ) من اللسان .

(٢) ط : « الناس » صوابه فى سـ .

يقال أرض مَجُودة أى مَغيثة ، وجِيدَت الأرضُ : إذا مُطِرت جَوْدا . وقال أعرابىّ : المجود : الذى قد جاده العطش أى غلبه ، كذا فى شرح أبى الحسَن الطُّوسى . وهذا لا يناسب قوله : صُبابات الكرىٰ ، فإنّ الكرَى النومُ وصُبابته بقيّته . والجيِّد ما ذكره صاحب القاموس : من أنّ الجُوَاد ، كغراب : النُّعاس ، وجادَه الهوىٰ : شاقَه وغلَبَه ؛ وبهذا يلتئم بما بعده . يريد : أنّه هبَّ من نومه قبل أن يستكمِلَه ، فهو نَعْسَانُ من بقيّة النوم . وقوله : عاطف النُّمْرُق ، صفة مَجُود ، والإضافة لفظية ، يريد عطَف نُمرُقَتَه وثَنَاها فنام . والنمرقة ، مثلّثة النون : الوِسادة والطِّنفسة فوق الرحْل ، وهى المرادة هنا ؛ والطنفسة مثلّثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، وبالعكس : البِساط . وقوله : صَدْق المبتذَل ، بفتح الصاد أى جَلْد قوىّ لا يغيِّر عند ابتذاله نفسَه ولا يسقُط ؛ ولا يجوز أن يقال صَدْق المبتذل ، إلاّ إذا امتُهِن ووُجد صادق المَهْنة يُوجَد عنده ما يُحَبُّ ويُراد . وفى القاموس : الصَّدْق : الصُّلْب المستوى من الرماح والرجالِ ، والكاملُ من كلِّ شىء ؛ وهى صَدْقَة . والمبتذَل : مصدرٌ بمعنى الابتذال ، وهو ضد الصِّيانة ، يقال سيف صَدْق المبتذَل أى ماضى الضريبة .
وقوله : قال هجّدنا الخ ، قال هو متعلّق رُب . والتهجيد من الأضداد : يقال هجّده إذا نوّمه ، أى دعنا ننام ، وهو المراد هنا ، وهجّده : إذا أيقظه . والفاء للتعليل . والسُّرىٰ بالضمّ : سير عامّة الليل . وقوله : وقدرنا ، أى وقدَرنا على ورود الماء ، وذلك إذا قرُبوا منه . وفى القاموس : وبيننا ليلة قادرةٌ : هيِّنة السَّير لا تعبَ فيها . والخنىٰ ، بفتح المعجمة والقصْر : الآفة والفساد ؛ أى إنْ غفل عنّا فسادُ الدهر فلم يعُقْنا . وقيلَ : قدَرنا ، أى على التهجيد ؛ وقيل : على السَّير . وقوله : يتقى الأرض الخ ، أخبرَ عن صاحبه النعسانِ بأنّه ٢٩
يتّقى الأرض أى يتجافىٰ عنها . والدَفّ ، بفتح الدال : الجنْب . ورُوى :

(يتقى الرِّيحَ) . والشاسف ، بتقديم المعجمة على المهملة : اليابس ضُمْراً وهزالاً ، وقد شَسَف كنصر وضرب وكرم ، شُسُوفاً وشَسافة ، ويكسَر : إذا يبس ونحل جسمُه ، كمنع وعلم ونصر وكرم ، نُحولاً : ذهب من مرضٍ أو سفَر .

وقوله : (قلّما عرّس الخ) ما المتّصلة بِقَلّ كافّةٌ لها عن طلب الفاعل ، وجاعلةٌ إيّاها بمنزلة ما النافية فى الأغلب ، وهنا لإثبات القِلّة كما تقدّم ؛ وما تتّصل بأفعالٍ ثلاثة فتكفّها عن طلب الفاعل ، وهى قَلّما وطالما وكثُر ما ، وينبغى أن تتّصل بالأوّلَين كتابةً . و (التعريس) : النزول فى آخر الليل للاستراحة والنَّوم ، ومثله الإعراس . و (هِجتُه) : أيقظته من النوم ؛ وهاج يَهيج يجيء لازماً ومتعدّياً ، يقال هاج : إذا ثار ، وهجته : إذا أثرته . وحتّى هنا حرف جرّ بمعنى إلاّ الاستثنائية ، أى ما عرّس إلاّ أيقظته ، أى نامَ قليلا ثم أيقظته ؛ وأكثر دُخولها على المضارع ، كقوله :

ليسَ العطاءُ من الفُضولِ سَماحةً حتّى تَجودَ وما لديكَ قَليلُ(١)

وقوله : (بالتّباشير) أى بظهورها ؛ والتباشير : أوائل الصبح ، وهو جمع تَبشير ، ولا يُستعمَل إلاّ جمعاً ؛ قال فى القاموس : التباشير البُشرى ، وأوائل الصبح وكلّ شيء ، وطرائقُ على الأرض من آثار الرياح ، وآثارُ بجنْب الدّابّة من الدَّبَر ، والبواكر من النَّخل ، وألوان النخْل أوّلَ ما تُرطِب . انتهى

ولكونه مشترَكاً بين هذه المعانى ، بيّن المرادَ بقوله : (من الصبح) و (الأُوَل) صفة التباشير ، وهو بضمّ الهمزة وفتح الواو جمع أولى مؤنث

---

(١) البيت للمقنع الكِندى . انظر العينى ٤ : ٤١٢ وشرح شواهد المغنى ١٢٨ .

الأوّل ، كالكُبَر جمع كُبرى . وقد جاء هذا المصراعُ الثانى فى شعر النابغة الجعدىّ ، وهو :

وشمولٍ قَهْوةٍ باكرتُها فى التَّباشير من الصُبح الأُوَلْ

والنابغة وإن كان عصرِىَّ لَبيد ، إلاّ أنّه أسنُّ منه — كما بيّنّاه فى ترجمتهما(١)— وقد عيب هذا البيتُ على النابغة ، قال صاحب تهذيب الطبع : وأما الأبيات المستكرهة الألفاظ ، المتفاوتة النسج ، القبيحة العبارة ، التى يجب الاحتراز منها كقول(٢) النابغة الجعدىّ :

وشمولٍ قهوةٍ باكرتُها فى التَّباشيرِ من الصُّبح الأُوَلْ

يريد بالتباشير الأُوَل من الصُبح . وعابه المرزُبانىّ أيضاً فى كتابه الموشّح(٣).

وقوله : يلمس الأحلاسَ ، فاعل يلمس ضمير المجُود . واللَّمْس : الطَّلَب ، وفعله من بابَى قتل وضرب . والأحلاس . جمع حِلْس ، بالكسر ، وهو كِساء رقيق يكونُ على ظهر البَعير تحتَ رَحْله . أى يطلبها بيديه وهو لا يعقِل من غلَبةِ النعاس . وقوله : كاليهودى المُصَلْ ، قال الطوسىّ فى شرحه : كأنه يهودىٌّ يصلّى فى جانب يسجُد على جبينه هذا . كلامه . واليهودىُّ يسجد على شِقٍّ وجهه ، وأصلُ ذلك أنّهم لما نُتق الجبلُ فوقَهم ، قيل لهم : إمّا أن تسجدوا وإمّا أن يُلقى عليكم ، فسجدوا على شِقّ واحدٍ مخافةَ أن يسقط عليهم الجبل ، فصار عندهم سُنّةً إلى اليوم . وقوله : يمارِى فى الذى قلتُ له الخ ،

(١) هذا سهو من البغدادى ، فإنه إنما تعرض للمقارنة بين سن النابغتين فى هذا الجزء من الخزانة ص ١٦٧ . وترجمة لَبيد تقدمت فى ٢ : ص ٢٤٦

(٢) الوجه : « فكقول » .

(٣) الموشح ص ٦٧ .

هذا البيت أورده الشارح فى اسم الفعل(١)، وهناك يشرح إن شاء الله تعالى .
٣٠ التمارى فى الشيء والامتراء فيه : المجادلة والشكُّ فيه ؛ يقال ما ريت الرجل أُماريه مِراءً ومماراة : إذا جادلته ؛ والمِرية : الشكّ . قال الطوسىّ : يقول : قال له الصبحَ ، والنجاء ، قدْ أصبحتَ ، ونحو هذا من الكلام . وحَيَّهَلْ : أى أسرِع وأعجِل : قال السيِّد المرتضىٰ فى أماليه(٢) : (غُرَر الفوائد ، ودُرَر القلائد) : قد قال الناسُ فى وصف قلّة النوم . ومواصلة السُّرىٰ والإدلاج ، وشَعَث السارِينَ ، فأكثروا ؛ فمن أحسن ما قيل فى ذلك قولُ لَبِيد . وأُنشدَ هذه الأبياتَ الخمسةَ ، وأورد لها نظائرَ جيِّدة . وقوله : فوردنا قبل فُرَّاط القطا الخ ، القَطا مشهورٌ بالتبكير والسَّبْق إلى الماء : وفُرَّاط القَطا : أوائلها ؛ وهو جمع فارطٍ ، يقال فرطت القومَ أفرُطهم فرطاً ، من باب نصر : أى سبقتهم إلى الماء . وقوله : إنّ من وِردىَ الخ ، أى من عادتى . والتغليس : السير بغَلَس ، وهو ظُلمة آخر الليل ؛ يقال غلَّسنا الماء أى وردناه بغَلَس . والنَّهَل : الشَّرْبة الأولىٰ ؛ والعَلَل الشَّربة الثانية : قال الطُّوسىّ : قال أبو الوليد : أراد المنهَل ، ولكنّه لم يستقم له البيت .

وترجمة لَبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة(٣) ومطلع هذه القصيدة :

(إنّ تقوىٰ ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذْن الله رَيْثى والعَجَلْ(٤)
أحمَدُ اللهَ ، فلا نِدَّ له بيدَيه الخيرُ ، ما شاءَ فعلْ)

---

(١) وهو الشاهد الحادى والستون بعد الأربعمائة .
(٢) أمالى المرتضى ١ : ٥٤٧ .
(٣) الخزانة ٢ : ص ٢٤٦
(٤) ـــ : « وعجل » .

من هَداه سُبُلَ الخير اهتدى ناعِمَ البال ، ومَن شاء أضَلّْ)

قوله : خير نَفَل ، هذه رِواية الأصمعيّ ، وروى أبوعبيدة : (خير النَّفَل) والنفل : الفضل والعطيّة ؛ كذا قال الطوسيّ : واستشهد صاحب الكشّاف بهذا البيت فى سورة الأنفال على أنّ النفَل بالتحريك الغنيمة . وأصله الزيادة ، ولهذا يقال هذا نفَل أى فَضْل وزيادة ؛ ومنه النافلة فى الصلاة . والرَّيث مصدر رِثْت أريث : إذا أبطأت .

قال السيِّد المرتضىٰ فى أماليه[1] : وممّن قيل إنّه على مذهب الجَبْر من المشهورين ، لَبيدُ بن ربيعةَ العامرىّ واستدلَّ بقوله :

إنَّ تَقوىٰ ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذنِ اللهِ رَيْثى والعَجَلْ
مَنْ هَداه سُبُلَ الخير اهتدَى ناعمَ البالِ ، ومَنْ شاء أضَلّ

وإن كان لاطريق إلى نَسَب الجَبْر إلى مذهب لبيدٍ إلاّ هذان البيتان ، فليس فيهما دلالةٌ على ذلك . وأمّا قوله : وبإذن الله رَيثى والعَجَل ، فيحتمل أن يريد بعلمه ، كما يُتأوَّل عليه قوله تعالى : ﴿ وَما هُمْ بِضَارِّين بِهِ مِنْ أحدٍ إلاَّ بإِذْنِ اللهِ[2] ﴾ : أى بعلمه . وإن قيل فى هذه الآية انّه أراد : بتخليته وتمكينه — وإن كان لاشاهد لذلك فى اللغة — أمكن مثلُه فى قوْل لبيد . وأمّا قوله : مَنْ هداه سُبُلَ الخير الخ ، فيحتمل أن يكون مصروفاً إلى بعض الوُجوه التى يُتأوَّل عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن ، ممّا يليق بالعدل ولايقتضى الإجبار ، اللهمَّ إلاّ أن يكون مذهب لبيد فى الإجبار معروفاً بغير هذه الأبيات ، فلا يُتأوَّل له هذا التأويل ، بل يحمَل على مراده ، على موافقة المعروف من مذهبه . انتهى كلامه .

* * *

(١) أمالى المرتضى ١ : ٢١ .
(٢) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المائتين :

٢٢٩ ﴿ وما اغترَّه الشَّيبُ إلاّ اغترارَا[١] ﴾

٣١ على أنّ ما بعدَ إلاَّ مفعول مطلق مؤكِّد للفعل قبلَه .

ووجَّه الشارحُ المحقِّق صحَّةَ التفريغ في المفعول المطلق المؤكَّد . وقوله : إنَّ ابنَ يَعيشَ قال: أصلُه وما اغترَّه اغتراراً إلاَّ الشيبُ ، فقدَّم وأخر . فهذا القول إنّما هو لأبي عليٍّ الفارسيّ ، وابنُ يَعيشَ مسبوقٌ به . قال ابنُ هشامٍ في المُغْنَي : قال الفارسيُّ : إنّ إلاّ قد توضَع في غير موضعها مثل : ﴿إنْ نَظُنُّ إلاّ ظنًّا﴾[٢] . وقوله :

وما اغترَّه الشَّيبُ إلاَّ اغتراراً

لأنّ الاستثناء المفرَّغ لايكون في المفعول المطلق التوكيديّ ، لعدم الفائدة فيه . وأجيب : بأنّ المصدر في الآية والبيت نَوْعيٌّ على حذف الصفة ، أي إلاَّ ظنًّا ضعيفاً ، وإلاّ اغتراراً ضعيفاً . انتهى . وكذا قال الخُفاف الإشبيليّ في شرح الجمل : قال : وهذا عندي أن تكون إلاّ في موضعها ، ويكونَ ممّا حُذف فيه الصفة لفهم المعنى ، كأنّه قال : إنْ نظنُّ إلاّ ظنًّا ضعيفاً ، وما اغترَّه الشَّيب إلاّ اغتراراً بَيِّناً[٣] . وهذا أَولى لأنَّه قد ثبت حذفُ الصفة ولم يثبتْ وضعُ إلاّ في غير موضعها . وهذا جوابٌ ثانٍ ، لكنْ جواب الشارح المحقّق أدقّ .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

---

(١) ديوان الأعشى ٣٥ وابن يعيش ٧ : ١٠٧ وشرح شواهد المغنى ٢٤٠ ،

(٢) الآية ٣٢ من سورة الجاثية .

(٣) كذا في النسختين ، ولعلها « هينا » .

(أَحلَّ له الشَّيبُ أثقالَه)

وأحلّ : أنزل ؛ والإِحْلال : الإنزال . والأَثقال : جمع ثَقَل بفتحتين ، وهو متاع المسافر وحَشَمُه .

والبيت من قصيدةٍ للأعشى مَيمون ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب(١) . وهذا مطلع القصيدة :

(أأزمعتَ مِنْ آلِ لَيلى ابتكارا وشَطَّتْ على ذى هوًى أنْ تُزارا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد المائتين :

٢٣٠ (يُطالِبُنى عمِّى ثمانين ناقةً ومالىَ يا عَفراء إلاَّ ثمانيـا(٢))

على أنّ الفرّاء يُجيز النصب على الاستثناء المفرَّغ ، نظراً إلى المقدَّر ؛ استدلالاً بهذا البيت : فإن المستثنى منه محذوفٌ تقديره : ومالى نوقٌ إلاّ ثمانيا . وردَّه الشارح المحقّق بما ذكره(٣) .

أقول : هذا البيت من قصيدةٍ نونيَّة طويلةٍ ، عدَّتها ثلاثة وسبعون بيتاً ، لعُرْوة بن حِزامٍ العُذْرىّ . والبيت قد تحرَّف على مَن استشهَد به ، وروايته هكذا :

(يُـكلِّفنى عمِّى ثمانين بَـكْرةً وَما لىَ يا عَفراء غيرُ ثمانِ)

ورُوى أيضاً :

(يُـكلِّفنى عمِّى ثمانينَ ناقةً وما لىَ والرحمنِ غيرُ ثمَانِ

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٢) ديوان عروة ٤ وأمالى القالى ٣ : ١٦٠ برواية : « غير ثمان » .

(٣) شرح الرضى على الكافية ١ : ٢١٧ .

وعلى هذا فالاستثناء على الطريقة المألوفة .

وهذه القصيدة ثابتةٌ فى ديوانه أقلَّ ممّا ذكرنا ، وعدَّتها على مافيه ثلاثة وثلاثون بيتاً ، وأوردها بالعدد الأوّلِ[١] القالىُّ فى آخر ذيل أَماليه وفى أوّل نوادره[٢] . وقد ترجمْنا عُرْوة بنَ حِزامٍ مع عَفراء العذريِّين ، وذكرنا حكايتَهما مفصَّلة فى الشاهد السادس والتسعين بعد المائة[٣] .

والقصيدة غراميَّةٌ فلا بأس بإيرادها ؛ لانسجامها ورقَّتها ، وأخْذها بمجامعِ القلوب . قال القالىُّ فى الذيل وفى النوادر : قال أبو بكر : وقصيدة عُروة النونيَّةُ يختلف الناسُ فى أبيات منها ، ويتفقون على بعضها ؛ فأوَّل الأبياتِ المجمَع عليها وما يتلوها ، ممّا لايُختَلف فيه ، أنشدنى جميعَه أبى رحمه ٣٢
الله ، عن أحمد بن عُبيد وغيره ، وعبدُ الله بن خلفٍ الدلاَّل عن أبى عبد الله السَّدوسىّ ، وأبو الحسن بن براء عن الزُّبَير بن بكَّار ؛ وألفاظهم مختلطةٌ بعضُها ببعض :

(خليلَىَّ مِنْ عُليا هِلالِ بنِ عامرٍ بصنعاء عُوجا اليومَ وانتظرانى
ولا تَزهَدا فى الأجر عندى وأجْمِلا فإنَّكما بى اليومَ مُبتَليانِ
ألم تعلما أنْ ليسَ بالمَرْخِ كلِّه أخٌ وصَديقٌ صالحٌ ، فَذَرانى

(١) عدد أبياتها فى الأمالى اثنان وثمانون ، لا ثلاثة وسبعون . وسيسرد البغدادى هذه القصيدة ثلاثة وسبعين بيتاً ، فلعلها كذلك فى نسخة من الأمالى . وعدد أبياتها فى الديوان ١٢٨ بيتاً .

(٢) الميمنى : لا قرار له ، فتارة يسمى الجزء اللاحق بذيل الأمالى : صلة الذيل ، وأخرى : النوادر ، وأخرى غير ذلك على أن هذه القصيدة ليست فى آخر ذيل الأمالى بل هى مطلع صلة الذيل التى سماها هنا (النوادر) غلطاً . وانظر ٣ : ١٥٧ من الطبعة الثانية . والقصيدة أو بعضها فى الأغانى ٢٠ : ١٥٤ والعينى ٢ : ٥٥٣ والسيوطى ص ١٤٠ وتزيين الأسواق ص ٧٣ .

(٣) فى هذا الجزء من الخزانة ص ٢١٥ .

أفى كلِّ يومٍ أنت رامٍ بلادَها ... بعينين إنساناهما غَرِقانِ
ألا فاحملانى ، باركَ اللهُ فيكما ! ... إلى حاضرِ الرَّوحاء ثُمَّ دَعانى
على جَسْرة الأصلاب ناجيةِ السُّرى ... تُقطِّع عَرْضَ البيدِ بالوخدَانِ
ألِما على عَفراء ، إنّكما غداً ... لشحطِ النوى والبَيْنِ مُعترفان(١)
فياواشِيَيْ عفرا ، دَعانى ونظرةً ... تَقَرُّ بها عيناىَ ، ثُمَّ كِلانى
أغرَّكما منى قميصٌ لبِستُه ... جديدٌ وبُردا يَمْنةٍ زَهَيانى(٢)
متى ترفعا عنِّي القميصَ تَبَيَّنا ... بِى الضُّرَّ من عفراء يا فتَيان(٣)
وتعترفا لحماً قليلًا وأعظُما ... دِقاقاً وقلباً دائمَ الخفقان
على كبدى من حُبِّ عفراء قُرْحةٌ ... وعيناىَ ، مِنْ وجْدٍ بها ، تَكِفَان
فعفراء أرجى الناس عندى مَوَدَّةً ... وعفراء عنِّي المعرَضُ المتدانى

قال أبو بكر : قال بعض البصريِّين : ذكَّر المعْرِض ، لأنه أراد : وعفراء عنِّي الشخص المعْرض . وقال الكوفيّون : ذكَّره بناء على التشبيه ، أى وعفراء عنِّي مثل المعْرض ، كما تقول العرب : عبد الله الشمسُ مُنيرةً ، يريدون مثلُ الشمس فى حال إنارتها .

فياليت كلَّ اثنين بينهما هوًى ... من الناسِ والأنعام يلتقيان(٤)
فيقضى حَبيبٌ مِن حَبيب لُبانةً ... ويَرعاهُما ربِّى فلا يُرَيانِ

ويُروى : (فيسترُهْما ربِّى) على أنّ الأصلَ يسترُهما ، فسكَّن الراء لكثرة الحركات .

---

(١) فى الديوان والأغانى والأمالى : « بشحط » .
(٢) فى الديوان : « زهوان » ، وفى الأمالى : « زهيان » .
(٣) ط : « الضد » تحريف ، وفى سـه : « الداء » وأثبت مافى الديوان والأمالى وفى الديوان أيضا : « حتى تكشفا عنى القميص » .
(٤) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى : « يأتلفان » .

هوىً ناقتى خلفى وقُدّامىَ الهوىٰ ، وإنّى وإيّاها لمختلفانِ
هوایَ أمامى ليس خلْفى مُعرَّجٌ وشَوقُ قَلوصى فى الغُدوِّ يمانِ
هوایَ عِراقىٌّ ، وتَثنى زمامَها لبرقٍ ، إذا لاح النُّجومُ ، يمانِ
مَتى تجمَعى شَوقى وشوقَكِ تَظْلَعى ومالكِ بالعبءِ الثقيلِ يَدانِ
يقول لىَ الأصحاب ، إذْ يعذلوننى : أشوقٌ عِراقىٌّ وأنتَ يمانِ !
وليس يمانٍ للعراق بصاحب عسىٰ فى صُروف الدهرِ يلتقيانِ
تحمَّلتُ مِن عَفراء ما ليس لى به ولا للجبالِ الراسياتِ يدانِ
كأنَّ قَطاةً عُلِّقتْ بجَناحها على كَبِدى مِن شِدَّة الخفَقان !
جعلتُ لِعرَّاف اليمامةِ حُكمَه وعرّافِ حَجْرٍ إنْ هما شفَيانى[1]
فقالا : نعم ، نَشفى من الداء كلّه وقاما مع العُوَّادِ يَبتدِرانِ[2]
٣٣ فما تركا مِنْ رُقيةٍ يَعلَمانِها ولا سَلوةٍ إلاّ وقد سَقَيانى
ولا شفَيا الداء الذى بىَ كلَّه وما ذَخَرا نُصحاً وما أَلَوانى
فقالا : شفَاك اللهُ ، واللهِ ما لَنا بما ضُمِّنَت منكَ الضلوعُ يدانِ !
فَرُحتُ من العرَّاف تَسقُط عِمَّتى عن الرأس ما أَلتاثُها بِبَنانى
معى صاحِبا صِدْقٍ ، إذا ملت ميلةً وكانا بدَفَّىْ نِضوتى عدَلانى[3]
فيا عمٌّ ياذا الغَدْرِ لا زلتَ مُبتلًى حليفاً لهمٍّ لازمٍ وهوانِ
غَدرتَ ، وكان الغَدرُ منكَ سجيَّةً فألزمتَ قلبى دائمَ الخفقانِ

(١) الأمالى : « وعراف نجد » . وحَجر ، بالفتح ، هى اليمامة .
(٢) ط : « يبتدرانى » وأثبت مافى س والديوان والأمالى .
(٣) فى النسختين : « وكان » ، صوابه فى الديوان والأمالى .

وأورثْتَنِي غمًّا وكرباً وحسْرةً ... وأورثتَ عيني دائمَ الهَمَلانِ[1]

فلا زلتَ ذا شوقٍ إلى مَن هويته ... وقلبك مقسومٌ بكلِّ مكانِ

وإنِّي لأهوى الحشرَ، إذ قيل إنني ... وعفراءَ يومَ الحشرِ مُلتقيانِ

ألا يا غُرابَي، دِمنةِ الدار، بيِّنا: ... أبا لهَجْرِ من عفراء تنتحبانِ

فإن كان حقًّا ما تقولانِ فاذهَبا ... بلحمي إلى وكريكما فكُلانِي

كِلانيَ أكلاً لم يرَ الناسُ مثلَه ... ولا تهضِما جَنْبيَّ وازدرِداني

ولا يعلمنَّ الناسُ ما كان ميتتي ... ولا يأكلنَّ الطيرُ ما تذَرانِ[2]

ألا لعنَ اللهُ الوُشاةَ وقولَهم: ... فلانةُ أمستْ خُلَّةً لفُلانِ

إذا ما جلسْنا مجلساً نستلِذُّه ... تواشَوا بنا، حتَّى أملَّ مكاني

تكنَّفني الواشُون مِن كلِّ جانبٍ ... ولو كان واشٍ واحدٌ لكفاني

ولو كان واشٍ باليمامة دارُه ... أحاذره مِن شؤمه، لأتاني[3]

يكلِّفني عمِّي ثمانينَ بكْرة ... ومالِيَ والرحمنِ غيرُ ثمانِ[4]

فيا ليتَ مَحْيانا جميعاً، وليتنا ... إذا نحن مُتنا ضمَّنا كفَنانِ

ويا ليتَ أنَّا الدهرَ في غير ريبةٍ ... خَليَّان نرعى القفْرَ مؤتلفانِ

فواللهِ ما حدَّثتُ سِرَّكِ صاحباً ... أخاً لي ولا فاهتْ به الشفتانِ

سِوى أنَّني قد قلتُ يوماً لصاحبي ... ضحًى وقَلُوصانا بِنا تخدانِ

ضُحَيًّا ومسَّتْنا جَنوبٌ ضعيفةٌ ... نسيمٌ لريَّاها بنا خفقانِ[5]

---

(١) ط: «وألبستني غما»، وأثبت ما في ش والديوان والأمالي.

(٢) الديوان والأمالي: «ما كان قصتي».

(٣) في رواية بالديوان: «وداري بأعلى حضرموت أتاني».

(٤) الأمالي: «ثمانين ناقة».

(٥) ط: «ضحينا» صوابه في ش والديوان والأمالي.

تحمّلتُ زفْراتِ الضحىٰ فأطقتُها ... ومالى بزَفْرات العَشِىِّ يدانِ

فيا عمٌّ لا أُسقِيتَ مِنْ ذى قرابة ... بلالاً ، فقد زَلّت بكَ القدَمانِ

ومنَّيتَني عَفراء حتّي رجوتُها ... وشاعَ الذى مُنِّيتُ كلَّ مكانِ

فوالله لولا حُبُّ عفراء ما التقىٰ ... علىَّ رواقا بيتِك الخَلَقانِ

خَلِيقان هَلْهالانِ لا خيرَ فيهما ... قبيحانِ يَجرى فيهما اليَرَقانَ (١)

رواقان خفّاقانِ لا خيرَ فيهما ... إذا هبّت الأرواحُ يَصْطَفِقانِ (٢)

ولم أتبعَ الأظعانَ فى رَونق الضُّحىٰ ... ورَحْلى على نَهّاضة الحَدَيانِ

لِعفراء إذْ فى الدهر والناس غِرّةٌ ... وإذْ خُلُقانا بالصِّبا يَسَرانِ ٣٤

لأدنوَ من بيضاء خفّاقةِ الحشا ... بُنَيّةِ ذى قاذورة شنَآنِ

كأنّ وشاحَيها إذا ما ارتدَتْهما ... وقامتْ ، عِنانا مُهْرةٍ سَلِسانِ

يَعَضُّ بأبدانٍ لها ملتقاهما ... ومَتْناها رِخْوان يضطربان (٣)

وتحتهما حِقْفان قد ضربَتْهما ... قِطارٌ من الجَوزاءِ ملتبدانِ (٤)

أعفراء كم مِن زَفرةٍ قد أذقتِنى ... وحُزنٍ ألجَّ العينَ فى الهَمَلانِ (٥)

---

(١) عجزه فى الديوان : « إذا هبت الأرواح يصطفقان » ، وما هنا يطابق مافى الأمالى . وفى البيت إقواء .

(٢) ط : « رواقك » ، صوابه فى سـ والأمالى . وفى الأمالى : « رواقان هفهافان » ، وفى الديوان :

رواقان تهوى الريح فوق ذراهما ... وبالليل يسرى فيهما الثقلان

(٣) كذا فى النسختين ، والذى فى الديوان والأمالى : «ومتناهما» وهما صحيحان

(٤) ط : « خفقان » ، صوابه فى سـ والديوان والأمالى .

(٥) فى النسختين : « الج » صوابه فى الديوان والأمالى ، وقال اللحيانى فى تفسير قوله تعالى : « ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » ، أى يُلجهم ، قال ابن سيده : فلا أدرى أمن العرب سمع يلجهم ، أم هو ، إدلال من اللحيانى وتجاسر .

قلتُ : البيت شاهد على تعدية ألج ، فنبس إدلالا من اللحيانى .

وعينانِ ما أوفيتُ نشزاً فتنظرا بمأقيهما إلاّ هما تـكِفانِ !
فهل حادِيا عفراء ـ إن خِفْتُ فوتَها عليَّ ، إذا ناديتُ ـ مُرعَوِيان
ضرُوبان للتالى القَطُوفِ إذا وَنى مُشيحانِ من بَغضائنا حذِرانِ (١)
فما لـكما من حادِيَين ! رُميتُما بحمىً وطاعونٍ ، ألا تقفان
وما لـكما مِن حاديينِ ! كُسِيتما سَرابيلَ مُغلاةً من القَطِرانِ
فويلى على عَفراء ويلاً كأنّه على الـكبْدِ والأحشاءِ حَرُّ سنان (٢)
ألا حبذّا من حبِّ عَفراء « مُلتقَى نَعَمْ وألالا » حيثُ يلتقيانِ

قال أبو بكر : أخبرنى أبى عن الطوسىّ قال : أراد بقوله : مُلتقى نعَمْ وألالاَ ، شفتيها ، لأنّ الـكلمتين فى الشفَتين تلتقيان . ورُوى :

ألا حبّذا من حبِّ عَفراء ملتقَى نعامٍ وبِرْكٍ حيثُ يلتقيانِ (٣)

وقيل (٤) : هما موضعان .

لوَ انّ أشدَّ الناس وجداً ومثلَه من الجنِّ بعدَ الإنْسِ يلتقيانِ ،
فيشتـَكِيان الوجدَ ثُمّتَ أشتكى ، لأضعفَ وَجدى فوقَ ما يجِدانِ
فقد تَركَتني ما أعِى لمحدِّث حديثاً وإنْ ناجيته ونجانى
وقد تركتْ عفراء قلبى كأنّه جَناحُ غُرابٍ دائمُ الخفَقانِ)

* * *

(١) ط : « إذا دنا » صوابه فى سه والديوان والأمالى ،
(٢) فى الديوان والأمالى : « حد سنان » .
(٣) ط : « عذراء » صوابه فى سه مع أثر تصحيح ، ومن الديوان والأمالى ومعجم البلدان برسم (البرك) .
(٤) فى الديوان والأمالى : « وقال » ، يعنى الطوسى .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد المائتين :

٢٣١ (مَهامِهاً وخُروقاً لا أنيسَ بها إلاّ الضوابحَ والأصْداء والبُومَا[1])

على أنّ النصب فيه قليل ، كقوله : لا أحدَ فيها إلاّ زيداً .

وفيه أنّ البيت من الاستثناء المنقطع ، فإنّ الضوابح وما بعده ليستْ من جنس الأنيس ، بخلاف المثال فإنّه استثناء متّصل .

والبيت قد أنشده الفرّاء للنّصب على الانقطاع ، كما نقله السيد المرتضى فى أماليه عند الكلام على قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لا يموتُ لمؤمنٍ ثلاثةٌ من الأولاد[2] فتمسُّه النارُ إلاّ تَحِلّةَ القَسَم » قال : الاستثناء منقطع ، كأنّه قال : [فتمسُّه النار[3]] ، لكنّ تحِلّةَ اليمين ، أى لكنّ ورودَ النار لا بدَّ منه ؛ فجرى مجرى قول العرب : سار الناس إلاّ الأثقال[4] ، وأنشد الفراء :

مَهامِهاً وخُروقاً لا أنيسَ بها . . . . البيت[5]

وهذا البيت آخر أبياتٍ عدّتُها أحدَ عشرَ بيتاً للأسود بن يَعْفُر ؛ [وهى] فى [آخر] المفضّليّات[6] :

(قد أصبحَ الحبْلُ مِنْ أسماءَ مَصروما بعد ائتلافٍ وحُبٍّ كان مكتُوما ٣٥

واستَبدَلتْ خُلّةً منّى ، وقد علمتْ أنْ لن أبيتَ بوادى الخسفِ مَذمُوما

(١) المفضليات ٤١٩ وأمالى المرتضى ٢ : ٥٢ .

(٢) كذا فى ط والأمالى . وفى ش : « الولد » وفى هامشها : « خ:الأولاد » أى فى نسخة .

(٣) التكملة من ش والأمالى .

(٤) بعده فى أمالى المرتضى : « وارتحل العسكر إلا أهل الخيام » .

(٥) الذى فى الأمالى : « مهامها وحذوفا » ، وفى الأمالى وشرح الكافية للرضى ١ : ٢٢٠ : « إلا الصوائح » ، وصحفت فى الرضى فجاءت « إلا الصوابح » .

(٦) ص ٨٤٦ — ٨٤٩ .

عَفٌّ صَليبٌ إذا ما جُلْبَةٌ أَزَمَتْ مِن خيرِ قومِكَ موجوداً ومعدوما
لما رأتْ أنَّ شَيبَ الرأسِ شامِلُه بعد الشباب، وكان الشيبُ مسئوما
صدَّتْ وقالتْ: أرى شيباً تَفَرَّعَه إنَّ الشبابَ الذى يَعلو الجراثيما
كأنَّ ريقَتَها بعد الكَرَىٰ اغتَبَقَتْ صِرْفاً تَخَيَّرَها الحانُونَ خُرْطُوما
سُلَافَةَ الدَّنِّ مرفوعاً نصائبُه مُقلَّدَ الفَغْوِ والريحانِ مَلثُوما
وقد ثوىٰ نِصفَ حولٍ أشهُراً جُدداً ببابِ أَفَّانَ يبتارُ السَّلاليما
حتَّى تناولها صَهباء صافيةً يَرشُو التجَّارَ عليها والتَّراجيما
وتَمحةِ المشى شِمْلالٍ قطعتُ بها أرضاً يَحارُ بها الهادُونَ دَيموما
مَهامِها وخروقاً لا أنيسَ بها . . . . البيت)

قوله: قد أصبح الحبلُ، هو الوصلُ. والمصروم: المقطوع. وقوله: واستبدلت خلّةً الخ الخُلة: الخليل؛ وهو فى الأصل مصدرٌ ولهذا يكون للواحد والجمع والمؤنَّث. قال الأصمعىّ: الخسفُ: الذُّلّ؛ وأصله أن تبيت الدابّةُ على غير علَف، ثمّ أُطلِق على من أقام على ذُلّ. وقوله: عفٌّ صَليبٌ. إلى آخره، الصَّليب: الجَلْد على المصائب، الصبورُ على النوائب. والجُلْبة، بضمّ الجيم وبالموحدة. القَحط. ورُوى: (إذا ما أَزْمةٌ أزَمَت) والأزْمة: الشدَّة؛ وأزَمَت: اشتدَّت، من باب ضرب؛ وأصل الأزْم العَضّ بالأسنان يقول: أنا صبورٌ على النوائب فى الجدْب، حيث لا يقوم أحدٌ بحقٍّ يَنوبه، لشِدَّة الزمان. والموجود: الحىّ؛ والمعدوم: الميّت. وقوله: وكان الشيبُ مسئوماً، قال الضَّبِّيّ: مسئوم: مملول، مفعول من سئِمته سآمة، إذا مللته. وقوله: أرىٰ شَيباً تفرَّعه، قال الضَّبِّيّ: تفرَّعه أى صار فى فُروعه، وفرْع كلّ شىء: أعلاه. والجُرثُومة، بالضمّ: أصل الشجَرة تجمع إليها الرياحُ

الترابَ . يريد : أنّ الشباب يعلو ويرتفع مالا يقدر عليه الشيوخ ؛ وإنّما هذا مثَل . وقوله : كأنّ رِيقتها الخ ، اغتبَقَتْ مِنَ الغَبوق وهو شُرب العَشيّ . والصِّرْف : ما لم يُمزَج . والحانونَ : جمع حانٍ بالمهملة ، وهو الخمّار . والخُرطوم : أول ما ينزل من الدَنّ (١) شبَّه رائحة فِيها وطعْم ريقِها بعد السكرى بريح الخمْر الصِّرْف . قال الأصمعيّ : إنّما خصَّ الغَبوق لأنّه أقربُ من نومها ؛ قال : وإنّما خصَّ الحانِينَ لأنّهم أبصَرُ بالخمر مِن غيرهم . وقوله : سُلافةَ الدَّنِّ الخ قال الضبّيّ : أراد بالمرفوعِ نَصائبُه الإبريقَ يُقلَّد الرَّيحانَ . ونصائبه : قوائمه . والفَغْوُ ، بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة : ضَرْبٌ من النَّبت يكون طَيِّباً ، وقد قيل إنّه الحِنّاء ، وهو الفاغِيَة . وقال أحمد : نصائبه ما انتصب عليه الدَّنُّ من أسفله ، وهو شيء محدَّد دقيق ؛ يجعَل لهُ ذلك ليُرْفَع الدَّنُّ للرِّيح والشَّمس . يقول : قُلِّد هذا الدَّنُّ الريحانَ . وهذا مثَلٌ ؛ يقول : مِنْ طِيب رائحته كأنّه قُلِّد الرَّيحانَ والمِسْك . ولذلك ذكر الفَغْو يريد ريح الرَّيْحان . ويُرْوَى (الريحان) نصباً وخفضاً . وقوله : وقد نوىٰ نِصفَ حَوْلٍ الخ ، باب أفَّانَ بفتح الهمزة وتشديد الفاء : موضع . ويَبتار : يختبر ويمتحِن . والسَّلالِم : ما يتَّصل به ٣٦
إلى حاجته . ورُوى (يَبْتاع (٢)) . والمعنى : يصونها فى مكانٍ مرتفع . وأنكر أحمدُ ما قال الضبّيّ فى الإبريق وقال : لم يذكر الإبريقَ بعد ، وإنما نوىٰ نِصف حولٍ ليشتريَ الخمر ، أى فهو يطلبها ، لم يشترها بعد ؛ وكيف يجعلها فى الأباريق ؟ وإنّما هو يَبتار : يصعد سُلَّماً بعد سُلم ، لأنّها وُضعت على السُّطوح لبروز الشمس والريح . وقوله : حتى تناولها الخ ، قال الضبّيّ : الصَّهباء من عِنَبٍ أبيض ، والصافية : الخالصة . والتِّجار : جمع تاجر ، وهم تُجّار الخمر . والتَّراجيم : خَدَمٌ

(١) ط : « الدم » صوابه فى سه وشرح الأنبارى للمفضليات ٨٤٨ .

(٢) ط : « ينتاع » بالنون ، صوابه فى سه وشرح المفضليات ٨٤٩ .

من خَدَم الخمّارين ؛ ويقال : يريد التراجمة ، لأنّ باعةَ الخمر عُجْمٌ يحتاجون إلى من يُفهِم الناسَ كلامَهم . وقوله : وسَمْحةِ المشْى ، الواو واو رب . والسَّمْحة : السَّهلة . والدَّيموم : القَفْر التى لا ماء فيها ولا عَلَم . والشِّمْلال : السريعة .

وقوله : (مهامهاً . . الخ) هو بدلٌ من قوله : أرضا ، فى البيت السابق . والمهمه : القفر . (والأنيس) : مَن يُؤنَس به وإليه . و (الضَوابح) : جمع ضابِح ، بالضاد المعجمة وبالموحَّدة والحاء المهملة ، وهو الثَّعلَب ؛ والضُّباح بالضم : صوته . و (الأصداء) : جمع صدًى ، وهو ذَكر البُوم . و (الخُروق) : جمع خَرْق ، بفتح الخاء المعجمة وآخره قاف ، وهى الفلاة التى تنخرق فيها الرياح .

وترجمة الأسود بن يعفر تقدَّمت فى الشاهد الرابع والستين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢٣٢ (ولا أمرَ للمَعْصىِّ إلاّ مُضيَّعا)

هذا عجزٌ . وصدره :

(أمرتُكمُ أمرى بمُنعرَجِ اللِوىٰ)

لما تقدَّم قبله . وقوله : وقال الخليل : مضيَّعا حالٌ الخ ، بهذا يسقُط قولُ

(١) فى الخزانة ١ : ص ٤٠٥

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٢ ، وانظر نوادر أبى زيد ١٥٣ والمفضليات ٣٢ ونقائض جرير والأخطل ٩٤ .

الأعلم حيث قال فى شرح شواهد سيبويه : « الشاهد فيه نصب مضيَّع على الحال من الأمْر ، وهو حالٌ من النكرة ، وفيه ضَعفٌ لأنّ أصلَ الحال أن يكون للمعرفة » انتهى .

وأقول : إنْ جُعِلَ حالاً من الضمير المستقرّ فى قوله : للمعصىّ ، فإنّه خبرُ لا النافية ، فلا يَرِد عليه ما ذكر .

وقال النحّاس : « ويجوز أن يكون حالاً للمضمَر ، التقدير : إلاّ أمراً فى حال تضييعه ، فهو حالٌ من نكرة » .

أقول : هذا التقدير يقتضى أن يكون مضيَّعا صفةً لا حالاً .

وقال الأعلم : « ويجوز نصبه على الاستثناء ، والتقدير : إلاّ أمراً مضيَّعا . وفيه قبح ، لوضع الصفة موضعَ للموصوف » .

أقول : لا قُبح ، فإنّ الموصوف كثيراً ما يُحذَف لقرينة .

وقال ابن الأنبارىّ فى شرح المفضّليّات : « الاستثناء منقطع ، ولو رفع فى غير هذا الموضع لجاز بجعله خبراً لِلا » .

أقول : يجب حينئذٍ أن يقال ولا أمراً للمعصىٌّ بالتنوين إلاّ ، هذا مذهب البَغداديِّين .

وهذا البيت من أبيات للكَلْحَبَة العُرَنىّ ، وقد شرحناها وذكرنا موردِها مفصَّلا وترجمناه فى الشاهد الحادى والستين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائتين :

---

(١) الخزانة ١ : ص ٣٨٨ وما بعدها وقد وقع البغدادى فيما نبه عليه هناك من أن العرنى تحريف وأن الصواب (عرينى) وقد صححه الشنقيطى فى نسخته .

٢٣٣ (رأيتُ الناسَ ما حاشَا قُرَيشاً فإنّا نحنُ أفضلُهمْ فَعالا [١])

على أن الأخفش رَوَىٰ حاشا موصولةً بما المصْدريَّة .

قال ابن عَقيل فى شرح التسهيل : وسيبويه منعَ من دخول ما على حاشا ، قال : لو قلت أتونى ما حاشا زيداً ، لم يكن كلاما . وأجازه بعضهم على قلّة .. ٣٧ وأخطأ العَينيُّ حيث زعم أنّ ما هنــا نافية ، فإنّ مرادَ الشاعر تفضيلُ قومِهِ على ما عدا قريشاً ، لا تفضيلُ قومه على قريش أيضاً . وقياسه[٢] على قول النبيّ ﷺ : أُسامةُ أحبُّ الناس إليَّ ما حاشا فاطمة . فى أنّ ما نافية ، كما قال صاحبُ المغْني ، يردُّه أنّه صرّح أنّ ما فى البيت مصدريّة ، فإنّه قال : « وتوهّم ابنُ مالك أنّ ما فى الحديث ما المصدريّة وحاشا الاستثنائية ، فاستدلّ به على أنّه قد يقال قام القوم ما حاشا زيداً ، كما [قال[٣]] رأيت الناسَ ما حاشا قريشاً . . البيت انتهى كلام المغنى .

و (رأيتُ) : من الرؤية القلْبية ، تطلُب مفعولَين ، والثانى هنا محذوف تقديره : دونَنا ، أو الجملةُ الاسميّة هى المفعول الثانى والفــاء زائدة كما قال الدمامينيّ . وزعم العَينيّ ، وتبعه السُّيوطيّ فى شواهد المغنى : أنّ رأيت من الرأى ، ولهذا اكتفى بمفعولٍ واحد . وهذا لا معنًى له هنا . فتأمّل . ورُوى أيضاً : (فأمّا الناسُ ما حاشا قُريشا) فالفاء فى المصراع الثانى فاء الجواب .

و (الفَعال) بفتح الفاء قال ابن الشّجَرىّ فى أماليه : هو كلُّ فعلٍ حسن : من حلم ، أو سخاء ، أو إصلاحٍ بين الناس ، أو نحو ذلك . فإن كُسِرَت فاؤه صلَح لما حسُن من الأفعال وما لم يحسُن .

(١) العينى ٣ : ١٣٦ والهمع ١ : ٢٣٣ وشرح شواهد المغنى ١٢٧ والأشمونى ٢ : ١٢٥ والتصريح ١ : ٣٦٥ .

(٢) الضمير عائد إلى العينى . وانظر العينى ٣ : ١٣٦ والمغنى (مبحث حاشا) .

(٣) التكملة من المغنى .

وهذا البيت قال العينىُّ ، وتبعه السيوطى : إنّه للأخطل من قصيدة . وقد راجعتُ ديوانَه مرّتينِ ولم أجدْه فيه ، ورأيتُ فيه أبياتاً على هذا الوزن يهجو بها جريراً ويفتخر بقومه فيهـا ، وليس فيها هذا البيت ، وأوّل تلك الأبيات :

لقـد جاريتَ يا ابن أبى جَريرٍ عَذُوماً ليس يُنظِرُكَ المِطالا (١)

والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعـد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٢٣٤ (سُبحانَه ثمَّ سُبحاناً نَعوذُ بهِ وقَبلَنا سبَّحَ الجُودِىُّ والجُمُد)

على أنّ سبحان الله فيه بمعنى سبحاناً . يريد : أنّ سبحانَ غير عَلَمٍ ، لمجيئه نـكرةً كما هنا ، ومعرفاً بالإضافة وباللام كما بيَّنه فى باب العَلَم . ويأتى الـكلام عليه إن شاء الله .

وأنشده سيبويه على أنّ تنـكيره وتنوينَه ضرورة ، والمعروف فيـه أن يضافَ أو يجعل مفرداً معرفة ، كقوله :

سُبحان مِن عَلقَمَةَ الفاخِرِ(٣)

(١) عذوما ، من العذم ، وهو العض بالأسنان ، والعذوم : اللوام ، وأصله من العض. ط : « عزوما » من العزم ، والوجه ما أثبت من ش والديوان ١٦٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ١٦٤ . وانظر ديوان أمية بن أبى الصلت ٣٠ ومعجم البـكرى ٣٩١ وابن يعيش ١ : ٣٧ ، ١٢٠/٤ : ٣٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٨/٢ : ٢٥٠ والهمع ١ : ١٩٠ .

(٣) للأعشى . انظر الشاهد التالى . وصدره :

* أقول لمـا جاءنى فخره *

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من أبياتٍ لورقةَ بنِ نوفل ، قالها لكُفّار مكّةَ حين رآهم يعذِّبون بِلالاً على إسلامه ؛ وهي [١] :

(لقد نصحْتُ لأقوامٍ وقلتُ لهمْ : أنا النّذيرُ فلا يغرُرْكُمُ أحدُ
لا تعبُدُنَّ إلهاً غيرَ خالقِكمْ فإنْ دُعيتمْ فقولوا : دونه حَدَدُ [٢]
سبحانَ ذى العرشِ لا شىء يعادِلُه ربُّ البريّةِ فردٌ واحدٌ صَمَدُ
سبحانَه ثم سُبحاناً نعوذُ به وقَبلَنا سبّحَ الجوديُّ والجُمُدُ [٣]
مُسخَّرٌ كلُّ مَنْ تحت السماءِ له لا ينبغى أن يناوى مُلكَه أحدُ
لم تغنِ عن هُرمزٍ يوماً خزائنُه والخُلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلَدوا
ولا سليمانَ إذْ دانَ الشُّعوبُ له الجنُّ والإنسُ تجرى بينها البُرُدُ
لا شىء مما ترى تَبقَى بَشَاشَتُه يَبقَى الإلَه ويُودى المالُ والولدُ) ٣٨

قوله : دونه حَدَد ، هو بفتح الحاء والدال المهملتين ، قال صاحب الصحاح : دونَه حَدَد أى منع . وأنشد هذا البيت . وهو من الحدّ بمعنى المنع ؛ أى قولوا : نحن نمنع أنفسَنا من عبادةِ إلَه غير الله . . وقوله : (نعوذ به) أى كلما رأينا أحداً يعبُد غيرَ الله عذْنا برحمته وسبَّحناه حتّى يعصمَنا من الضلال . وروى الرياشىّ : (نعودُ له) بالدال المهملة واللام ، أى نعاوده مرّة بعد أخرى . و (الجُودِىّ) : جبل بالمَوصِل ، وقيل بالجزيرة ، كذا ورد فى التفسير ؛ قال أبو عُبيد فى المعجم : رُوى أنّ السفينة استقلّت بهم فى اليوم العاشر من

(١) انظر الروض الأنف ١ : ١٢٠ والبداية والنهاية ٢ : ٢٩٨ والأغانى ٣ : ١٥ حيث نسَبَ الشعر إلى ورَقة بن نوفل . قال السُّهيلى : نسبه أبو الفرج إلى ورقة . وفيها أبيات تنسب إلى أمية بن أبى الصلت .

(٢) فى الروض والأغانى : « حدد » .

(٣) الروض : « سبحانا يدوم له » ، وفى الأغانى .

رجب ، واستقرّت على الُجوديّ يوم عاشوراء من المحرَّم . وروى سعيدٌ عن قَتادة أنّ البيت بُني من خمسة أجبُل : من طُورِ سَيناء ، وطُور زَيتا[(١)] ، ولُبنانَ ، والُجوديّ ، وحِراء . والُجمُد (بضمّ الجيم والميم ، وتخفّف الميم أيضاً بالسكون) . قال أبو عبيد : هو جبلٌ تِلقاء أسنُمة ، قال نُصَيب[(٢)] :

وعَن شمائلهم أنقاء أسنُمةٍ ... وعن يَمينِهم الأنقاء والُجمُد

وقال فى أسنمة : بفتح الألف وسكون السين وضمّ النون [وكسرها معاً[(٣)]] وقال عُمارة بن عَقيل : هى أُسنُمة بضمّ الهمزة والنون ، وقال : هى رملة أسفَلَ الدَّهناء على طريق فلْج وأنتَ مُصعِدٌ إلى مكّة ، وهو نَقاً محدَّد طويل ، كأنّه سَنام انتهى . ورُوِى أيضاً : (وقبلُ سبَّحه الجودىُّ . . الخ) بضمّ لام قبل .. وقوله : لا ينبغى أن يناوى الخ ، أى يعادى ؛ وناواه :عاداه ؛ وأصله الهمز لأنّه من النوء وهو النُّهوض . ورُوِى : (أنْ يُساوى) أى لا يعادِله . وقوله : ولا سليمان إذ دانَ الخ ، دان بمعنى ذلَّ وأطاع . والشُّعوب : جمع شَعْب ، بفتح فسكون ، وهو ما تشعَّب أى تفرَّق من قبائل العرب والعجم ؛ وبينه هنا بقوله : الجنُّ والإنس ؛ وضمير بينهما للشعوب . والبُرُد بضمّتين . جمع بَريد ، وهو الرسول . وقوله : ويُودِى المال الخ ، يقال أودى الشىء : أىْ هلك ، فهو مُودٍ .

---

(١) وطور زَيتا ، ساقط من ط . وفى ش : « وطور تيناء » صوابه من معجم مااستعجم ٤٠٣ ، وتاريخ مكة للأزرقى ٣٠ . والأزرق يروى الخبر عن زَيد بن نافع عن سعيد عن قَتادة . وفى النسختين ، وكذا فى معجم البكرى : « وروى أبو سعيد عن قتادة » ، وكلة « أبو » مقحمة . وهو سعيد بن أبى عَروبة . قال فى التهذيب : « وقال ابن أبى خيثمة : أثبت الناس فى قتادة سعيد بن أبى عروبة ، وهشام الدستوائى » .

(٢) فى معجم ما استعجم ٣٩١ حيث نقل البغدادى : « النصيب » .

(٣) التكملة من معجم ما استعجم ١٥١ .

ورقة بن نوفل

وورقة بن نوفل يعدّ من الصحابة : وقد ألّف أبو الحسن برهان الدين إبراهيمُ البِقاعىّ الشافعىّ ، تأليفاً فى إيمان ورقةَ بالنبيّ وصحبتِه له ، ﷺ ، ولقد أجادَ فى جمعه ، وشدَّد الإنكار على مَن أنكر صحبته ، وجمعَ فيه الأخبارَ التى نُقلت عن ورقة ، رضى الله عنه ، بالتصريح بإيمانه بالنبى ﷺ ، وسروره بنبوّته ؛ والأخبارَ الشاهدةَ له بأنّه فى الجنة ، وما نقله العلماء من الأحاديث فى حقّه ، وما ذكروه فى كتبهم المصنفّة فى أسماء الصحابة ؛ وسمّى تأليفَه : (بذل النُّصْح والشفَقَة ، للتعريف بصُحبة السيِّدِ وَرَقة ، وقال فى ترجمته : هو ورَقة بن نَوفَل بن أسد بن عبد العُزَّىٰ بن قُصىّ ؛ يجتمع مع النبيّ ﷺ فى جدِّ جَدِّه . قال الزُّبَير بن بَكَّار : كان ورقة قد كَرِه عبادةَ الأَوثان ، وطلَبَ الدينَ فى الآفاق ، وقرأ الكتب ؛ وكانت خديجةُ رضى الله عنها تسأله عن أمر النبى ﷺ ، فيقول لها : ما أُراه إلاّ نبيَّ هذه الأمّة الذى بشَّر به موسىٰ وعيسىٰ . وقال ابن كَثير[1] : قال ابن إسحاق : وكانت خديجةُ بنت خُويلدٍ بن أسد بن عبد العُزَّى ذَكرتْ لوَرقة — وكان ابنَ عمِّها ، وكان نَصرانيًّا قد تتبَّع الكتب وعَلِم من عِلْم الناس — ما ذكر لها غلامُها ، يعنى مَيْسَرة ، من أمر الراهب [يعنى الذى قال له لمّا نزل محمد ﷺ تحت شجرة قريبة من الراهب[2]] فى السفْرة التى سافرها لخديجة إلى الشام : ما نَزَل تحتَ هذه الشجرة إلاّ نبيٌّ وما كان مَيسرة يرى منه إذ كان الملَكان يُظلاّنه ؛ فقال ورقة : إنْ كان [هذا[2]] حقا يا خديجة ، إنّ محمّداً لَنبيٌّ هذه الأمّة ، وقد عرفتُ أنّه كائنٌ لهذه الأمة نبيٌّ يُنتظَر ، هذا زمانه . قال : فجعل ورقة يستبطىء الأمرَ ويقول : حتّى متى ! وقال فى ذلك : ٣٩

(١) البداية والنهاية ٢ : ٢٩٦ .

(٢) التكملة من ش .

لَجِجْتُ وكنتُ فى الذِّكرى لَجُوجا ... لِهَمٍّ طالما بَعَثَ النَّشِيجا
ووصفٍ من خَديجةَ بعدَ وصفٍ ... فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المَكَّتَيْن على رجائى ... حديثَكِ أن أرى منه خروجا(١)
بما خبَّرتِنا من قول قَسٍّ ... من الرُّهبان أكره أن يعوجا
بأنّ محمّداً سيَسُود يوماً ... ويَخصِمُ من يكون له حَجِيجا
ويُظهِر فى البلاد ضياء نُورٍ ... يُقيم به البَرِيَّة أن تموجا(٢)
فيلقى من يُحاربُه خَساراً ... ويلقى من يُسالمه فُلوجا(٣)
فياليتى إذا ما كان ذاكُمْ ... شَهِدتُ وكنتُ أوَّلَهم وُلوجا
أرجِّى بالذى كرهوا جميعاً ... إلى ذى العرش إن سَفَلوا عُروجا
وهل أمرُ السفاهة غيرُ كُفرٍ ... بمن يَختارُ مَنْ سَمَكَ البُروجا(٤)
فإن يَبقَوا وأبقَ تكنْ أمورٌ ... يضِجُّ الكافرونَ لها ضَجِيجا
وإن أهلِكْ فكلُّ فتًى سيَلقى ... من الأقدار مُتْلِفة خروجا(٥)

ومات ورقة فى فترة الوحى، رضى الله عنه، قبل نزول الفرائض والأحكام.

---

(١) فى النسختين «المكتبين» صوابه في ش مع أثر إصلاح والبداية والنهاية والسيرة ١٢١ والروض الأنف ١ : ١٢٥ قال السّهيلى : « ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر » . وكانت قريش قبيل الإسلام فريقين : أحدهما قريش الظواهر ، وهم الذين يتحرجون أن يبنوا إلى جنب بيت الله بيوتاً فنزلوا فى ظواهر مكة ، والآخرون المقيمون ببطحاء مكة مجاورين البيت ، كان يقال لهم قريش البطاح .

(٢) هذا يوضح معنى النور والضياء ، فالضياء هو المنتشر عن النور ، والنور هو الأصل . عن السهيلى .

(٣) الفلوج : النصر والغلبة . ط : « من يجاريه » ، صوابه فى ش والسيرة والبداية والنهاية .

(٤) ط : « الشفاعة » صوابه فى ش . وفى السيرة والبداية « السفالة » .

(٥) ط : « متلفه » صوابه فى ش والسيرة والبداية .

وقال الزُّبير فى كتاب نسَب قريش : ورقة بن نوفلٍ لم يعقِب وقال رسول الله ﷺ : « لا تَسبُّوا ورَقة ، فإنى رأيته فى ثيابٍ بيض » . وهو الذى يقول(١) :

ارفعْ ضعيفَك لا يَحُرْ بك ضعفُه يوماً فتدرِكَه العواقبَ قد نَما(٢)

يَجزِيكَ أو يُثنى عليك ، وإنَّ مَنْ أثنى عليكَ بما فعلتَ كمن جزى

ومرَّ ببلال بن رَباح رضى الله عنه ، وهو يُعذَّب برمْضاء مكّة فيقول : أحَدٌ ! أحَدٌ ! فوقف عليه فقال : أَحدٌ أَحد واللهِ يا بلال ! ونهاهم عنه فلم ينتهوا ، فقال : والله لئن قتلتموه لأتخذَنَّ قبرَه حَنانا ! وقال :

* لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم *

. . . الأبيات التى شرحناها وفيها بيت الشاهد .

وقد نسَب هذه الأبيات إلى ورقة السُّهيلىُّ أيضاً ، وكذا الحافظ أبو الربيع الكَلاعىّ فى سيرته . وقال السهيلىّ : قوله : حنانا ، أى لأتخذنَّ قبره مَنسِكا ومُترَحَّما ، والحنان : الرحمة .

وقد وقع بيت الشاهد فى كتاب س غيرَ معزوٍّ إلى واحد ، واختلف شُرّاحُ شواهده ، فأكثرهم قال : إنَّها لأميَّة بن أبى الصلت ، وقال بعضهم : إنّها لزَيد بن عَمرو بن نُفَيل . والصواب ما قدَّمناه .

(١) البيتان التاليان نُسبا أيضا إلى الغَريض اليهودى وهو السموءل بن عاديا . أو ابنه سعية بن غريض ، ولزيد بن عمرو بن نفيل ، ولزهير بن جناب ، ولعامر المجنون الجرمى الذى يقال له مدرج الريح ، قال أبو الفرج ٣ : ١٣ « والصحيح أنه لغريض أو لابنه » ونُسبا فى السمط ٢٠٦ إلى ورقة كما هنا ، وكذلك فى حماسة البحترى ٣٩٨ وجعله يهوديا وفى الشعراء ٣٤١ والعقد ١:٢٧٩/٥ : ٢٧٥ إلى زهير ابن جناب . وفى اللآلىء ٢٠٦ .

(٢) فى الشعراء والعقد « عواقب ماجنى » .

وحاصل ما ذكره البِقَاعىُّ فى شأن ورَقة بن نوفل : أنّه ممن وحَّد الله فى الجاهليّة ، فخالفَ قريشاً وسائرَ العرب فى عبادة الأوثان وسائرِ أنواع الإشْراك ، وعرَف بعقله الصحيح أنّهم أخطئوا دينَ أبيهم إبراهيم الخليلِ عليه السلام ، ووحَّد الله تعالى واجتهد فى تطلب الحَنِيفيَّة دينِ إبراهيم ليعرف أحبَّ الوجوه إلى الله تعالى فى العبادة ؛ فلم يكتَفِ بما هَدَاه إليه عقله ، بل ضرب فى الأرض ليأخُذَ علمَه عن أهل العلم بكتُبِ الله المنْزَلة من عنده ، الضابطةِ للأديان ، فأدّاه سؤاله أهلَ الذكرِ الذين أمر اللهُ بسؤالهم إلى أن اتّبَعَ [الدين(١)] الذى أوجبه الله فى ذلك الزمان ، وهو الناسخ لشريعة موسىٰ عليه السلام : دين النَّصرانيّة ، ولم يتّبعهم فى التبديل ، بل فى التوحيد ؛ وصار يبحث عن النبيّ ﷺ الذى بَشَّر به موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ، فلما أخبرته ابنةُ عمِّه الصدِّيقة الكبرىٰ خديجةُ رضوان الله عليها بما رأت وأُخبرتْ به فى شأن النبيّ ﷺ من المَخَايل : بإظلال الغمام ، ونحوها ، تَرَجَّى أن يكون هو المبشَّر به ، وقال فى ذلك أشعاراً يتشوَّق فيها غايةَ التشوُّق إلى إنجاز الأمر الموعود ، لينخلِع من النَّصرانية إلى دينه ، لأنه كان قال لزَيد بن عمرو بن نُفيل — لمَّا قال لهم العلماء : إنّ أحبَّ الدين إلى الله دينُ هذا المبشَّر به — : أنا أستمرُّ على نَصْرانيَّتى إلى أن يأتى هذا النبيّ ! فلما حقّق الله الأمرَ وأوقعَ الأرهاصاتِ : بالسَّلام من الأشْجار والأَحجار على النبي ﷺ ، وبمناداة إسرافيلَ عليه السلامُ للنبيِّ ﷺ مع الاستتار منه ، وخافَ النبيُّ ﷺ من ذلك فاشتدَّ خوفه ، فنقل ذلك إلى ورقة رضى الله عنه ، اشتدَّ سرورُه بذلك وثبَّته ، وشدَّ قلبَه وشجَّعه . فلمّا بَدَا له الأمر بفراغ نَوبة إسرافيلَ وأتاه جبريلُ عليه السلام وفعلَ ما أمره اللهُ به : من شقِّ صدرِه

(١) التكملة من ش .

الشَّريف ، وغَسْلِ قلبِه وإيداعِهِ الحكمةَ والرحمةَ وما شاء الله ، وتبدَّى له جبريلُ وأُنزل عليه بعضُ القرآن وأخبره به ، قَفَّ شعَرُ ورقة وسبَّح اللهَ وقدَّسه ، وعظُم سروره بذلك ، وشهد أنَّه أتاه الناموسُ الأكبرُ الذى كان يأتى الأنبياء قبلَه عليهم السلام ، وشهد أنَّه الذى أُنزِل عليه كلامُ الله ، وشهِد أنَّه نبيُّ هذه الأمَّة ، وتمنَّى أن يعيش إلى أن يجاهد معه . هذا ، مع ما لَه بالنبيِّ عليه الصلاة والسلامُ وزوجِهِ الصدِّيقـة خَديجةَ ، من عظَم القُرْب ، والانتساب الموجب للحبِّ ، رضى الله عنه وأرضاه !

ومن شعره :

أتُبكِر أم أنتَ العشيَّةَ رائحُ ... وفى الصدْرِ من إضمارِكَ الحزنَ قادحُ(١)

لفرقةِ قومٍ لا أحبُّ فِراقَهم ... كأنَّكَ عنهم بَعْدَ يومينِ نازحُ

وأخبارِ صِدْقٍ خبِّرتْ عن محمَّدٍ ... يخبِّرها عنه إذا غابَ ناصحُ

فتَاكِ الذى وَجَّهْتِ ، يا خيرَ حُرَّةٍ ... بغَورٍ وبالنَّجْدينِ حيثُ الصَّحاصحُ(٢)

إلى سوقِ بُصرى فى الرِّكابِ التى غدتْ ... وهُنَّ من الأحمـالِ قُعْصٌ دَوالحُ(٣)

يخبِّرنا عن كلِّ حبرٍ بعلمِهِ ... ولِلحقِّ أبوابٌ لهنَّ مَفاتحُ(٤)

بأنَّ ابنَ عبدِ الله أحمدَ مُرْسلٌ ... إلى كلِّ من ضُمَّتْ عليه الأباطحُ

وظَنِّي به أن سوفَ يُبعَث صادقاً ... كما أُرسِل العبْدانُ : هودٌ وصالحُ

(١) ط : « وفي الصبر » صوابه في ش والروض ١ : ١٢٧ والبداية ٢ : ٢٩٧ وفي ش : « قارح » .

(٢) ط : « وفي النجدين » ، وأثبت ما في ش والروض والبداية . وفي الروض : « فتاك التى وجهت » ، وفي البداية : « أتاك الذى وجهت » .

(٣) في ط : « ذوابح » صوابه فى ش مع أثر تصحيح والروض الأنف والبداية . وهو من قولهم دلح بحمله ، إذا مشى به وقد أثقله .

(٤) الروض : « تخبرنا عن كل خير » والبداية « فيخبرنا عن كل خير » .

وموسيٰ وإبراهيمُ ، حتَّي يُرىٰ له ... بَهاء ومنشورٌ من الذِكْر واضحُ
ويَتبعهَ حيًّا لُؤىٌّ بن غالب ... شبابُهمُ والأشيَبون الجحَاجحُ
فإن أبقَ حتَّى يدركَ الناس أمره ... فإنِّى به مُستبشرُ الودِّ فارحُ(١) ٤١
وإلاّ فإنِّى يا خَديجةُ ، فاعلمى ، ... عَن أرضِكِ فى الأرض العَريضة سائحُ(٢)

ومن شعره أيضاً :

وإن يكُ حقًّا يا خديجةُ ، فاعلمى ... حديثُكِ إيّاها فأحمدُ مُرسَلُ
وجبريلُ يأتيه وميكالُ فاعلَمى ، ... من الله وحىٌ يشرحُ الصَّدرَ مُنزَلُ
يفوزُ به مَن فاز فيهـا بتوبةٍ ... ويشقىٰ به العاتى الغَرير المضَلَّلُ
فريقانِ : منهم فِرقةٌ فى جِنانِه ... وأُخرىٰ بأجوازِ الجحيم تُغلَّلُ
فسبحانَ مَن تَهوى الرياحُ بأمره ... ومَن هو فى الأيَّام ما شاء يَفعَلُ
ومَنْ عرشُه فوقَ السماواتِ كلِّها ... وأقضاؤه فى خَلقه لا تبدَّلُ

ومن شعره أيضاً :

يا لَلرجالِ وصَرْفِ الدهر والقَدَر ... وما لشىء قضاهُ اللهُ من غِيَرِ(٣)
جاءتْ خديجةُ تَدْعونى لأُخْبِرَها ... وما لَنـا بِخَفِىِّ الغَيب مِن خَبَرِ
جاءتْ لتسألَنِي عنه لأُخبِرَها ... أمراً أُراه سيأتى الناسَ من أخرِ
فخبَّرَتْنى بأمرٍ قد سمعت به ... فيما مضىٰ من قديم الدَهْرِ والعُصُرِ
بأنَّ أحمـدَ يأتيه فيُخبرهُ ... جِبريلُ أنَّكَ مبعوثٌ إلى البَشَرِ
فقلتُ علَّ الذى تَرْجينَ يُنْجِزُهُ ... لكِ الإلهُ فرَجِّى الخيرَ وانتظرى

(١) في الروض والبداية : « حتى يدرك الناس دهره » .
(٢) أورد بعده في البداية أبياتاً أربعة زادها الأموى .
(٣) في الروض ١ : ١٢٥ : « لصرف الدهر » .

وأرسليه إلينا كى نسائله عن أمره، ما يرى فى النّوم والسَّهرِ
فقال حين أتانا منطقاً عَجباً يَقِفُّ منهُ أعالى الجِلد والشعَرِ :
إنِّى رأيتُ أمينَ الله واجَهنى فى صورةٍ أُكمِلتْ مِن أعظمِ الصُّوَر
ثم استمرّ فكاد الخوفُ يَذعَرُنى مِمَّا يسلِّم ما حَولى من الشجَرَ
فقلت : ظَنِّي ، وماأدرى أيصدُقُني ، أنْ سوف يُبعثُ يتلو مُنزَلَ السُّور(١)
وسوف أُبْليكَ إن أعلنتَ دعوتَهم من الجهاد بِلا مَنّ ولا كَدَرِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٢٣٥ (سُبحانَ مِن علقمةَ الفاخِر)

هذا عجز ، وصدره : (أقولُ لمَّا جاءنى فخرُه)

على أنّ ترك تنوين (سُبحان) ليس لأنّه غير منصرفٍ للعلميَّة وزيادة الألف والنون ، بل لأجل بقائه على صورة المضاف لما غلب استعماله مضافاً والأصل سبحان الله ، فحذف المضاف إليه للضرورة . وهذا ردٌّ على سيبويه ومَن تبعه ، فى زعمه أن سبحان علَمٌ غير منصرف . ويأتى إن شاء الله تعالى بقيَّةُ الكلام عليه فى باب العلَم .

قال الراغب : « قوله : سبحان مِن عَلقمةَ الفاخر » تقديره : سبحان علقمة ، على التهكُّم ، فزاد فيه مِن ، ردًّا الى أصله ؛ وقيل : أراد سبحان الله مِنْ أجلِ علقمة ، فحذف المضاف اليه » اهـ .

(١) الروض : « تبعث تتلو » .

(٢) فى كتابه ١ : ١٦٣ . وانظر ديوان الأعشى ١٠٦ وابن يعيش ١ : ٣٧ ، ١٢٠ وابن الشجرى ١ : ٢/٣٤٧ : ٢٥٠ ومجالس ثعلب ٢٦١ والخصائص ٢ : ١٩٧ ، ٣/٤٣٥ : ٤٢ والهمع ١ : ١٩٠ .

أقول : الوجه الأول ضعيفٌ لغةً وصناعة : أمّا الأوّل فلأن العرب
٤٢ لا يستعملونه إلاّ مضافاً إلى الله ، ولم يسمع إضافته إلى غيره ؛ وأمّا صناعةً فلأنَّ مِن لا تزاد فى الواجب عند البصريّين ـ وسبحانَ فى البيت للتعجُّب ، ومِن داخلة على المتعجب منه ؛ والأصل فيه أن يسبِّح اللهُ تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثُر حتى استعمل فى كلّ متعجَّبٍ منه . قال بعضهم : يستلزم التنزيهُ التعجُّبَ مِن بُعد ما نُزِّه عنه من المنزَّه فكأنّه قيل ماأبعده منه ، فقد يُقصَد به التنزيه أصلاً والتعجُّب تبعاً ، كما فى (سُبحانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ[١]) وقد يقصد به التعجُّب ويجعل تنزيهه تعالى ذَريعة له ، فيسبّح اللهُ عند رؤية العجيب من صنائعه . ثم كثر حتي استُعمِل عند كلّ تعجب من شىء[٢] كما فى : (سُبحانَكَ هذا بُهْتَانٌ عَظِيم[٣]) اهـ .. والمعنى أعجب من علقمة إذ فاخر عامرَ بن الطُّفيل .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون ، قبّحه الله تعالى ! هجا بها علقَمَةَ ابن عُلاثة الصَّحابىّ رضى الله عنه ، ومدح ابنَ عمِّه عامراً المذكور ، لعنه الله تعالى ! وغلّبه عليه فى الفخر .

سبب القصيدة

وسبب هذه القصيدة أنّ علقمة بن عُلاثة الصحابىّ نافر ابن عمِّه عامرَ بنَ الطُّفيل عدوَّ الله ـ والمنافرة : المحاكمة فى الحَسب والشرف ـ فهاب حُكّامُ العَرَب أن يحكُموا بينهما بشىء ـ كما تقدّم فى الشاهد السادس والعشرين[٤] ، ثم أنّ الأعشى مدح الأسودَ العنْسىّ فأعطاه خمسمائة مثقال ذَهبًا[٥] ، وخمسمائة

(١) الآية ١ من سورة الإسراء .
(٢) ط : « عند كل من يعجب من شىء » ، صوابه فى ش .
(٣) الآية ١٦ من سورة النور .
(٤) انظر الخزانة ١ : ص ١٨٣ وما بعدها
(٥) الذى فى الأغانى ٨ : ٨٠ : « فقال الأسود : ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرضا . فأعطاه خمسمائة مثقال دهنا » ، وهو الوجه .

حُلَلاً وعَنبرًا ، فخرج فلمّا مرَّ ببلاد بنى عامر ــ وهم قوم علقمة وعامر ــ خافهم على مامعه ، فأتىٰ علقمةَ بنَ عُلاثة فقال له : أجِرْنى ! قال : قد أجرتُك من الجنّ والإنس ، قال الأعشىٰ : ومن الموت ، قال : لا . فأتىٰ عامرَ بنَ الطفيل فقال له : أجرنى ! قال : قد أجرتك من الجنّ والإنْس ، قال الأعشىٰ : ومن الموت ؟ قال عامر : ومن الموت أيضاً ! قال : وكيف تُجيرنى من الموت ؟ قال : إنْ مُتَّ فى جوارى بعثتُ إلى أهلك الدية ! قال : الآن علمتُ أنّك قد أجرتنى! فحرَّضه عامرٌ على تنفيره على عَلقمة ، فغلّبه عليه بقصائد ، فلمّا سمع علقمةُ نذَر ليقتُلَنَّه إن ظَفِر به ، فقال الأعشى هذه القصيدة . ومطلعها :

(شاقكَ مِنْ قَتْلَةَ أطلالُها بالشَّطِّ فالجزع إلى حاجرِ[1]

لو أسنَدَتْ ميتاً إلى نحرِها عاشَ ولم يُنقَل إلى قابرِ

حتى يقولُ الناسُ ممَّا رأوا يا عجبـاً للميِّت النـاشرِ

دَعْها ، فقد أعذَرْتَ فى ذكرها ، واذكُر خَنيْ عَلقمةَ الخاترِ

أسفَهًا تُوعِدنى جاهـلاً لستَ على الأعداء بالقادرِ[2]

يَحلفُ بالله : لَئِن جاءه عنّى نَبأً من سامعٍ خابرٍ ،

لَيجعلَنِّي ضُحكةً بعدَها ، خُدِعْتَ يا علقمُ مِن ناذرِ)

إلى أن قال :

---

(١) فى القاموس (قتل) : « وسموا قتلة كهمزة » . وفى النسختين : « قيلة » صوابه من الديوان ١٠٤ وشرح شواهد المغنى ٣٠٥ وصبح الأعشى ١ : ٣٨٨ حيث القصيدة . وقتلة : فتنة لآل عمرو بن مرثد ، كان الأعشى قد تزوجها ، وأكثر من ذكرها فى شعره . . انظر ديوانه ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٦ وهى التى يسميها حينا « قتيلة » .

(٢) ط : « فسفها » وأثبت ما فى ش . وفى الديوان : « أجذعا توعدنى سادرا » .

(إنَّ الذى فيه تَماريتُما بُيِّن للسامعِ والناظرِ
ماجُعِلَ الجِدُّ الظَّنونُ الذى جُنِّبَ صَوبَ اللَّجِب الماطِرِ
مِثلَ الفُراتىِّ إذا ماجرىٰ يَقذِف بالبُوصىِّ والماهِرِ ٤٣
أقول ، لمّا جاءنى فخرُه : سُبحانَ مِن علقمةَ الفاخرِ
علقمُ لاتَسْفَهْ ولا تَجعلَنْ عِرضَك للوارد والصادرِ
وأوَّل الحُكْمَ على وجهه ، ليس قضائى بالهوى الجائرِ (١)
حكّمتموه فقضىٰ بينكم أبْلجَ مثلَ القمرِ الباهرِ
لايأْخُذ الرّشوة فى حُكمِهِ ولا يُبالى غَبنَ الخاسرِ
سُدْتَ بنىالأحوص لاتعدُهم وعامرٌ سادَ بنى عامرِ (٢)
قد قلتُ شعرى فمضىٰ فيكما فاعترف المنفورُ للنافرِ)

وهى قصيدة طويلة ، ومنها :

ولستَ بالأكثر منه حصًى وإنَّما العِزَّة للكاثرِ) (٣)

وسيأتى شرحه مع أبياتٍ فى باب أفعل التفضيل .

وقد نهى النبيُّ ﷺ عن رواية هذه القصيدة ، ولهذا لم أذكرها كلها .

قال السيوطىُّ فى شرح شواهد المُغْنى : وعلقمة بن عُلاثة صحابىٌّ ، قَدِم على رسول الله ﷺ وهو شيخٌ فأسلَم وبايَع ، وروَىٰ حديثاً واحداً . أخرج

(١) فى الديوان : « أوِّل » .

(٢) فى الديوان : « لم تعدم » . وفى الأغانى ١٥ : ٥٥ والسيوطى : « إن تسد الحوص فلم تعدم » .

(٣) المشهور فى الرواية « منهم » . وقال البغدادى فى الشاهد ٦١٧ : « والرواية الصحيحة فى هذا البيت — كما رواه أبو زيد فى نوادره ، وهى ثابتة فى ديوانه ويدل عليها سياق الأبيات — إنما هى : « منه ، أى من عامر » . وأقول : الثابت فى نوادر أبى زيد ٢٥ : « منهم » مؤيدا بالتفسير . ففى تفسير النوادر : « أراد بأكثر منهم حصى » . كما أن رواية الديوان هى « منهم » .

ابن منده وابنُ عساكر من طريق الأعمش عن أبى صالح قال حدثنى علقمة ابن عُلاثة قال: أكلتُ مع رسول الله ﷺ رءوساً. واستعمله عمر بن الخطاب على حوران، فمات بها. وأخرج أبو نعيم والخطيب وابن عساكر عن محمّد ابن مَسلمة قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ وعنده حسّان، فقال: ياحسّانُ أنشِدْنا مِن شعْرِ الجاهليَّة ماعفا الله لنا فيه، فأنشده حسّان قصيدةَ الأعشىٰ فى علقمة ابن عُلاثة:

علقمُ ما أنتَ إلى عامرٍ   الناقضِ الأوتارِ والواترِ

فقال النبى ﷺ: ياحسّانُ لاتُنْشِدْنى مثلَ هذا بعد اليوم! » فقال حسّان: يارسولَ الله، مايمنعُني من رجلٍ مُشركٍ هو عند قيصرَ [أنْ[1]] أذكُرَ هجاءً له؟ فقال: «ياحسّان إنِّى ذُكِرتُ عند قَيصرَ وعنده أبو سُفيانَ ابنُ حَرب وعَلقَمة بن عُلاثة، فأمّا أبوسفيانَ فلم يترُكْ فيَّ، وأمّا علقمةُ فحسن القَول، وإنّه لايشكرُ اللهَ من لا يشكر الناس» فقال حسّان: يارسولَ الله، مَن نالتك يدُه وجبَ علينا شكرُه! وقال وَكيع، فى الغرر، عن الزُّهرىّ: قال: رَخَّص رسول الله ﷺ فى الأشعار كلِّها، إلاّ هاتين الكلمتين[2]: التى قال أُميّةُ بن أبى الصَّلْت فى أهل بدر[3].

ماذا ببدرٍ فالعَقَنْـ   قَلِ من مَرازبةٍ جَحاجِحْ[4]

والتى قال الأعشى فى علقمة بن عُلاثة:

---

(١) التكملة من ش وشرح شواهد المغنى ٣٠٧

(٢) الميمنى: وثالثة نَهَى عنها. وهى للأفوه الأزدى. ومنها:

ريشت جُرم نبلا فرمى   جرمها منهن فوق وغرار

(٣) السيرة ٥٢١ والروض ٢: ٦٤

(٤) فى النسختين: « فى العقنقل » صوابه فى السيرة وابن سلام ٢٢١ والإصابة

* شاقك من قَتْلَةَ أطلالها[1] *

انتهى مارواه السيوطىّ

قال شارح ديوان الأعشى محمّدُ بن حَبيب وكذلك ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[2] : إنّ علقمة بن علاثة لما نذر بدم الأعشى جعلَ له على كلّ طريق رَصَداً ، فاتّفق أنّ الأعشى خرج يريد وَجهاً ومعه دَليل ، فأخطأ به الطريق
٤٤ فألقاه على ديار بنى عامر بن صعصعة ، فأخذه رهطُ عَلقمة بن علاثة فأتَوه به ، فقال له علقمة : الحمدُ لله الذى أمكننى منك ! فقال الأعشى :

أعلَقمُ قد صيّرَتنى الأمورُ   إليكَ وما أنتَ لى منقصُ[3]
فهبْ لى ذُنوبى فدتكَ النُّفوسُ   ولا زلتَ تنمو ولا تنقُص

فقال قومُ عَلقمة : ياعلقمة اقتُله وأرِحْنا منه والعَربَ من شرّ لسانه ! فقال علقمة : إذاً تُطلبوا بدمه ، ولا يُغسَلَ عنّي ماقاله ، ولا يُعرفَ فضلي عند القدرة ! فأمر به فحُلّ وَثاقُه وألقِى عليه حُلّة ، وحمَله على ناقة وأحسَن عطاءه وقال : انجُ حيث شئتَ[4] ، وأخرَج معه من بنى كلابٍ مَن يُبلغه مأمَنَه ، فقال الأعشى بعد ذلك :

علقمُ ياخيرَ بنى عامرٍ   للضيفِ والصاحبِ والزائرِ
والضاحك السنّ على هِمَّةٍ   والغافر العثرة للعاثرِ[5]

(١) فى النسختين : « قيلة » . وانظر ما سبق من تحقيق
(٢) الشعراء ٢١٦
(٣) فى الديوان ٣٣ : « وما كان لى منكص »
(٤) فى ط : « حيث منيت » ، صوابه فى ش والسيوطى ٣٠٦
(٥) فى الشعراء : « على همه »

وترجمة عَلْقمة بن عُلاثَة تقدّمت فى الشاهد السادس والعشرين[١] ، وترجمة عامر بن الطفَيل فى الشاهد الثامن والستّين بعد المائة[٢] .

وقتلة[٣] : اسم امرأة . والشَّطّ : جانب النهر ، وموضع. والخَنيٰ : الفُحْش . والخاتر : الغادر . وقوله ماجُعِل الجدُّ الخ مانافية ، والجُدُّ بضمّ الجيم : البئر القديمة التى لايُدرىٰ أفيها ماء أم لا . والصَّوْب : المطَر . واللَّجِب ، بفتح اللام وكسر الجيم : السَّحاب والفُرَاتىّ ، يعنى الفراتَ المعروف ، أو الماء المعروف . والبُوصِىّ ، بضمّ الموحّدة : ضربٌ من السُّفن . والماهر : السابح[٤] . يريد أنّ البئر التى بها ماء ليست كالبحر الذى تجرى فيه السفن وغيرُها . وجملة (سبحانَ مِن عَلقمةَ الفاخرِ) مقُول القَول . والفاخر ، بالخاء المعجمة . والمنفور : المفْضول : والنافر : الفاضل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائتين :

٢٣٦ (وما أُحاشِى مِنْ الأَقْوامِ مِنْ أحدِ[٥])

هذا عجزٌ ، وصدرُه : (ولا أرىٰ فاعلاً فى الناسِ يُشْبِهُهُ)

على أنّ المبرّد استدلّ به على فعليَّة حاشىٰ ، بتصرفه .

قال ابنُ الأَنبارىّ ، فى مسائل الخلاف : ذهب الكوفيُّون إلى أنّ حاشا

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٨٣ وما بعدها

(٢) الخزانة ٣ : ص ٨٠ وما بعدها

(٣) انظر حواشى ص ٣٩٩ من هذا الجزء

(٤) ط : « السائح » ، صوابه فى ش وشرح ثعلب بأسفل ديوان الأعشى ١٠٥

(٥) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٨/٨٥ : ٤٨ ، ٤٩ ومجالس ثعلب ٥٠٤ والإنصاف ٢٧٨ والهمع ١ : ٢٣٣ والأشمونى ٢ : ١٦٧ وشرح شواهد المغنى ١٢٧

فى الاستثناء فعل ماض ، وذهب بعضُهم إلى أنه استُعمِل استعمالَ الأدوات ؛
وذهب البصريُّون إلى أنّه حرفُ جرّ ، وذهب أبو العبّاس المبرّد إلى أنّه
يكون فعلاً ويكون حرفاً . أمّا الكوفيُّون فاحتجُّوا على فعليته بالتصرُّف
كقول النابغة :

* وما أُحاشى مِنَ الأقوامِ مِن أحدٍ *

وبأنّ لامَ الخفضِ تتعلَّق به ، قال تعالىٰ : (حاشَ لِلّه(١)) وحرف الجرّ
إنّما يتعلَّق بالفعل لا بالحرف ؛ وبأنَّ الحذف يلحقه ، فإنّهم قالوا فى حاشا لله :
حاشَ لله . واستدلّ البصريُّون على حرفيّته بأنّه لا يقال ما حاشا زيداً ،
كما يقال ما خَلا زيداً وما عدَا عمرا ، وبأنّ نون الوقاية لا تلحقه فلا يقال
حاشانى ؛ ولو كان فَعلاً لَقِيل . وأجابوا عن قول الكوفيِّين بالتصرُّف ،
بأنّ أُحاشى مأخوذٌ من لفظ حاشىٰ وليس متصرِّفاً منه ، كما يقال بَسمَل ، ٤٥
وهلَّل ، وحَمْدَل ، وسَبْحَل ، وحَوْقَل : إذا قال بسم الله ، ولا إله إلا الله ؛
والحمدُ لله ، وسُبحانَ الله ، ولا حَولَ ولا قوّة إلاّ بالله ؛ وكذلك يقال لبَّى ،
إذا قال لبَّيك . فكما بُنيت هذه الأفعالُ من هذه الألفاظ وإن كانت
لا تتصرَّف ، فكذلك ههنا . وقولهم : إنّ لامَ الجرِّ تتعلَّق به ، قلنا : لا نسلِّم ،
فإنَّها زائدة لا تتعلَّق بشىء . وأما قوله تعالى : (حاشَ لِلّه) فليس لهم فيه حُجَّة ،
فإن حاشَ فيه ليست للاستثناء وإنّما هى للتنزيه . وقولهم : لحقه الحذف ، قلنا :
جوابه من وجهين : أحدهما أنَّ الأصل حاش لله والألف فى حاشا حدثت
زيادتُها ، والثانى أنّ الحرف يدخله الحذف كثيراً ، كرُبَّ وإنَّ ، يلحقهما
التخفيف ، وكقولك : سَوْ أفعَلُ فى سوف أفعل ؛ ويقال فيه سَفَ أفعلُ
أيضاً اهـ كلامه مختَصَرا .

(١) الآيتين ٣١ ، ٥١ من سورة يوسف

وبهذا وبكلام الشارح المحقق يُردُّ على ابن هشام ، فى المغني ، قوله انّ أحدَ أوجه حاشا أنْ تكونَ فعلاً متعدّياً متصرّفاً ، تقول : حاشيته بمعنى استثنيته ، ودليل تصرُّفه قوله :

ولا أُحاشى من الأقوامِ مِن أحَد

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للنابغة الذُّبيانى مدَح بها النُّعمانَ بن المنذر ملكَ الحيرة ، وقد تقدَّم شرحُ أبياتٍ منها فى الشاهد التاسع والثمانين بعد المائة (١) . وقبله :

فتِلك تُبْلِغني النُعمانَ إنّ لَه فضلاً على الناسِ فى الأدنىٰ وفى البعدِ
ولا أرىٰ فاعلاً فى الناس يُشبهه ولا أُحاشِى منَ الأقوام من أحَدِ
إلاّ سليمانَ إذْ قال الإلٰه له : قُمْ فى البَرِيّة فاحدُدْها عن الفَنَدِ

وقوله : فتلك تبلغنى ، الإشارة إلى الناقة التى وصفها فى أبياتٍ شُرِحت هناك . وقوله : ولا أُحاشى ، أى لا أستثنى أحداً ممّن يفعل الخير فأقول حاشا فلان . ومن زائدة ، وأحد مفعول . . وقوله : إلاّ سليمان ، هذا استثناء من قوله : من أحد ، أو بدل من موضع أحد ، والمراد به سُليمان بن داود عليهما السلام ، وإذ تعليليّة . وقوله : إذ قال الإلٰه له الخ ، يريد لكونه نبياً ، إذ الخطاب إنّما يكون مع الأنبياء ، وإنّما خصّ بالذكر من الأنبياء سليمانَ لأنّه كان له المُلكُ مع النُبوّة . يريد : لا يشبهه أحدٌ ممّن أوتىَ المُلكَ ، إلاّ سليمان النبيّ . وقوله : فاحدُدْها ، أى امنَع البريّة ، والحدّ : المنع ، ورجُلٌ محدود : ممنوع ، والحدّاد : السجان ، لأنّه يمنع . والفَنَد ، بفتح الفاء والنون : خطأ الرأى والضّنيع ، وقال ابن الأعرابىّ : الفند : الظلم .

(١) الخزانة ٣ : ص ١٨٧ وما بعدها

وترجمة النابغة تقدّمتْ فى الشاهد الرابع بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٢] :

٢٣٧ (لم يَمنعِ الشُّربَ منها غَيْرَ أن نطقَتْ)

هذا صدرُ البيت ، وأنشده بتمامه فى باب الظروف ، وتمامه :

(حَمامةٌ فى غُصونٍ ذاتِ أَوْقالِ[٣])

على أنّ (غير) إذا أُضيفت إلى أنْ أو أنّ المشدّدة ، فلا خلاف فى جواز بنائها على الفتح . . فإن قلتَ : أن حرفٌ ، والحرف لا يضاف إليه ! قلتُ : قال ابن هشامٍ فى حواشى الألفيّة : إنّهم جعلوا ما يُلاقى المضافَ من المضاف إليه كأنّه المضافُ إليه ؛ ونظيره تعليلُ الزمخشريِّ البناء فى يوم فى (يَوْمَ لا تَمْلِكُ[٤]) بإضافة يوم إلى لا ؛ والحروف مبنيّة ، مع علمنا بأنّ أحداً لا يتخيّل الإضافة إلى الحرف . وجعل بعضهم المضافَ إليه مجموعَ (أنْ نَطَقَتْ حَمامة) أى جملتها . قال الدّمامينى فى شرح المغنى المزج : سأل بعضُ الناس كيف أُضيفت غير[٥] لِمَبْنِيٍّ ، مع أنّ هذا المضافَ إليه فى تقدير مُعْرب ، ٤٦

(١) الخزانة ٢ : ص ١٣٥

(٢) فى كتابه ١ :٣٦٩ ، وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٤٦ : ٢٦٤ وابن يعيش ٣ : ٨/٨٠ : ١٣٥ والإنصاف ٢٨٧ والهمع ١ : ٢٩١ وشرح شواهد المغنى ١٥٦ والتصريح ١ : ١٥ واللسان (وقل)

(٣) ويروى : « فى سحوق ذات اوقال » ، كما فى اللسان (وقل) وقال : « السحوق : ما طال من الدوم . وأوقاله : ثماره »

(٤) الآية ١٩ من سورة الانفطار

(٥) ط : « غير المبنى » ، صوابه فى ش

وهو النطق ، فلم تُضَف فى الحقيقة إلاّ لمعرب ، فقلت : المعْرب إنّما هو الاسم الذى يؤوَّل به ، وأمّا الحرف المصدرىّ وصلِته فمبنيٌّ ، ألا تراهم يقولون : المجموع فى موضع كذا . . إلى آخر ما بيّنه . وظاهره جواز بناء (غير) عند إضافتها إلى أحد هٰذين اللفظين من المبنيّات لا غير . وقد عمَّم سيبويه وغيرُه فى إضافتها إلى كل مبنيّ ؛ قال ابن هشام فى المغنى ، فى (غير) انّه يجوز بناؤها على الفتح إذا أضيفت لمبنيّ كقوله :

لم يمنعِ الشربَ منها غيرَ أنْ نطقَتْ . . . . البيت

وقوله :

لُذْ بقيسٍ حينَ يأبىٰ غيرَهُ تُلْفِهِ بحراً مُفيضاً خيْرَهُ[1]

وذلك فى البيت الأوّل أقوىٰ ، لأنّه انضمَّ إلى الإبهام والإضافة لمبنيّ تضمُّنُ غير معنى إلاّ ، وقال (فى الأمور التى يكتسبها الاسم بالإضافة ، من الباب الرابع) : إنَّ البناء يكون فى ثلاثة أبواب : أحدها أن يكون المضاف مبهَما كغير ، ومثل ، ودُون . الثانى : أن يكون المضاف زماناً مبهَما والمضاف إليه إذْ ، نحو (ومِنْ خِزْيِ يومَئِذٍ[2]) . الثالث : أن يكون المضاف زماناً مبهَما والمضاف إليه فعلٌ مبنيٌّ ، سواء كان البناء أصليًّا كقوله : على حين عاتبت المشيب[3] .

أو عارضاً كقوله : على حينَ يستَصبين[4] .

(١) انظر شرح شواهد المغنى ١٥٦ والعينى ٣ : ١٣٨

(٢) الآية ٦٦ من سورة هود

(٣) من صدر بيت للنابغة ، هو بتمامه .

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألما أصح والشيب وازع

(٤) قطعة من بيت ، هو بتمامه كما فى العينى ٣ : ٤١٠ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ :

لأجتذبن منهن قلبي تحلما على حين يستصبين كل حليم

وكذلك يجوز البناء إذا كان المضاف إليه فعلاً معرَباً أو جملة اسمية على الصحيح اهـ .

وقد بيَّن الشارحُ المحقِّق علَّة البناء ، فى الظروف ، وفى الإضافة .

وقد ذهب الكوفيّون إلى جواز بناء (غير) فى كل موضع يحسن فيه (إلاّ) سواء أضيفت إلى متمكِّن أو غير متمكِّن . وقد بسطَ الكلام ابنُ الأنباريُّ ، فى مسائل الخلاف ، على مذهبِهم ، وذكر ماردَّ به البصريون عليهم مفصَّلاً ، ومن أحبَّ الاطلاعَ عليه فلينظرْه هناك .

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى قَيس بن الأسلت . وقبله :

(ثمَّ ارعوَيت وقد طال الوقوفُ بنا فيها ، فصرتُ إلى وَجناء شِملالِ
تعطيك مشياً وإرْقالاً ودأْدأَةً إذا تَسَرْبلَتِ الآكامُ بالآلِ
تَردى الإكامَ إذا صرَّتْ جنادبُها منها بصُلبٍ وَقاحِ البطْن عَمَّالِ
لم يَمنع الشُّربَ منها غيرَ أنْ نطقَت . . . . البيت)

قوله : ارعويت ، أى رجعت . والوَجناء : الناقة الشديدة ، وقيل العظيمة الوَجنتين . والشِّملال ، بالكسر : الخفيفة السريعة . وضمير فيها للدار . يريد : أنه طال وقوفُه على دار حبيبته وليس فيها أحد . والإرقال : مصدر أرقلتِ الناقةُ : إذا أسرعتْ ، وكذلك الدأْدأَة مصدر دأْدأتْ بمعناه ، وهما نوعٌ من العَدْو . وقوله : إذا تسربلت الخ ، الظرف متعلِّق بقوله تعطيك ، يريد : وقت اشتداد الحرِّ فى الظهيرة ، لأنَّ الآكام ـ وهى الجبال ـ إنما تتسربل بالآل ـ وهو السَّراب ـ عند الظهيرة . والسِّربال : القميص ، وتسربل أى لبِس سِربالاً ، والآكام فاعلُه ، وهو جمع أُكُم بضمّتين ، كأعناق جمع عُنُق ، وهو جمع إكام بالكسر ، مثل كُتُب جمع كِتاب ، والإكام أيضاً جمع
٤٧ أَكَم بفتحتين ، مثل جبال جمع جبل ، وأَكَم أيضاً جمع أَكَمة بفتحات . يقول:

إنّها نشيطة فى العدْو وقتَ الهاجرة . وقوله تَردى الإكامَ الخ ، مِن ردى الفرسُ بالفتح يَردى رَدْيا ورَدَيَانا : إذا رجم الأرض رجْماً ، بينَ العدْو والمشْى الشديد . والإكام ، بالكسر : جمع أكَم بفتحتين كما تقدَّم ، والأكمة : الجبَل الصغير . وإذا متعلّق بقوله تَردى . وصَرَّت : صوَّتت . والجنادب : جمع جُنْدب ، وهو نوعٌ من الجراد يصوِّت عند اشتداد الهاجرة . وقوله : بصُلب ، أى بخفٍّ صلبٍ شديد . والوَقاح ، بالفتح : هو الصُّلْب ، ومنه الوقاحة لصلابة الوجه . يريد : انّ خُفَّها ظَهْرُه وبَطنه صلبٌ . وعَمّال ، بالفتح مبالغة عامل ، وهو المطبوع على العمل .

وقوله : (لم يَمنَعِ الشربَ منها . . الخ) ضميرُ منها راجعٌ للوجناء ، والشّرب مفعول يمنع ، وغيرَ فاعلُه لـكنَّهُ بنى على الفتح جوازاً لإضافته إلى مبنيّ . ورُوِى الرفع أيضاً . و (نَطَقَتْ) : صوَّتت وصدَحت ، عبَّر عنه بالنُّطق مجازاً . و (فى) بمعنى على . و (ذاتِ) بالجرّ صفة لغصونٍ ، لا بالرفع صفة لحمامةٌ كما وهم ابن المستوفى فى شرح شواهد المفصَّل . و (الأوقال) : جمع وَقْل ، بفتح الواو وسكون القاف ، قال الدِّينَوَرىُّ (فى كتاب النبات) : قال أبو عبد الله الزُّبير بن بَكّار : المُقْل إذا كان رطْباً لم يُدرِك فهو البَهْش ، فاذا يبِس فهو الوَقْل ، والدَّوم : شجر المُقل . وأنشد هذا البيت اهـ : وبهذا التفسير قد أصابَ المحزّ وطبّق المفْصِل ، وبه يضمحلُّ التعسُّف الذى ارتكبه شُرّاح الشواهد . قال ابن السّيرافىّ (فى شرح شواهد إصلاح المنْطق) : يريد لم يمنعْها أن تشرب إلاّ أنّها صوّتت حمامة فنفرت . يريد : أنها حديدةُ النفْس ، يخامِرها فزَعٌ وذُعر ، لحدّة نفسها . وذلك محمودٌ فيها اهـ .

و (أبو قيس بنُ الأسْلَت) قال صاحبُ الأغانى : لم يقعْ إلىَّ اسمُه . أبو قيس ابن الأسلت

والأسلت لقبُ [أبيه(١)] واسمه عامر بن جُشَم بن وائل بن زيد(٢) بن قَيس ابن عُمارة(٣) بن مُرة بن مالك بن الأوس .. وهو شاعرٌ من شعراءِ الجاهليّة. وكانتْ الأوس قد أسندَتْ إليه حربَها يومَ بُعاث ، وجعلته رئيساً عليها فكفى وساد . وأسلم عُقْبةُ بن أبي قيس(٤) ، واستشهد يومَ القادسية . وكان يزيدُ بن مِرْداس السُّلمى قَتَل قيسَ بنَ أبي قيس(٥) فى بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارونُ بن النُّعمان بن الأسْلَت ، حتى تمكن من يزيدَ بن مِرداس فقتله بقيس — وهو ابن عمِّه — ولقيسٍ يقول أبوه ، أبو قيس بن الأسْلَت :

أقَيْسُ إنْ هَلَكتُ وأنتَ حَيٌّ فلا تعدمْ مواصلةَ الفقيرِ(٦)

وقال هشام بن الكلبى : كانت الأوس قد أسندوا أمرَهم فى يوم بُعاثٍ إلى أبى قيس بن الأسلت ، فقامَ فى حربهم وآثرَها على كلِّ أمر ، حتّى شحبَ وتغيّر ، ولبثَ أشهراً لايقرُب امرأته(٧) ، ثمَّ إنّه جاء ليلةً فدقّ على امرأته ففتحتْ له ، فأهوى إليها بيده فدفعتْه وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : واللهِ ماعرفتُك حتّى تكلّمتَ ! فقال فى ذلك أبو قيسٍ القصيدةَ التى أوّلها:(٨)

قالتْ ولم تَقصِدْ لِقيل الخنى : مهلًا فقد أبلغتَ أسماعى
استنكَرَتْ لوناً له شاحباً والحربُ غولٌ ذاتُ أوجاعِ(٩)

(١) التكملة من الأغانى ١٥ : ١٥٤
(٢) فى النسختين : « يزيد » ، صوابه من الإصابة والأغانى وجمهرة ابن حزم ٣٤٥
(٣) وكذا فى الأغانى ، لكن فى الإصابة ٩٣٥ من باب الكنى ، والجمهرة : « عامر »
(٤) الجمهرة ٣٤٥
(٥) الجمهرة ٣٤٦
(٦) وكذا فى الأغانى ، لكن فى الإصابة عن الأغانى: « فلا يعدم فواضلك الفقير »
(٧) فى الأغانى : امرأة
(٨) انظر المفضليات ٢٨٤ وجمهرة القرشى ١٢٦
(٩) ويروى : « أنكرته حين توسمته » فى المفضليات والجمهرة .

مَنْ يذُقِ الحربَ يجدْ طعمَها مُرًّا ، وتتْرُكه بجَعجاعِ

قدْ حصَّت البَيضةُ رأسى ، فما أطعَم نوماً ، غيرَ تَهجاعِ ٤٨

أسعى على جُلِّ بنى مالكٍ كلُّ امرئٍ فى شأنه ساعى[١]

لاناُلمُ القتلَ ، ونجزى به الـ أعداءَ كَيلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ

اهـ كلام الأغانى .

وقال ابن حَجَر (فى الإصابة): أبو قيس بن الأسلت اسمه صَيفىٌّ، وقيل: الحارث، وقيل: عبدالله، وقيل: صِرمة[٢] وقيل غير ذلك .. واختُلف فى إسلامه: فقال أبو عُبيدٍ القاسمُ بن سلّام فى ترجمة ولده عُقبة بن أبى قيس: له ولأبيه صحبة. وذكر عبدُ الله بن محمّد بن عمارة بن القدّاح بأسانيد عديدة: كان أبو قيس يحضُّ قومَه على الإسلام، وذلك بعد أن اجتمع بالنبي ﷺ وسمع كلامه. وكان يتألّه فى الجاهليّة ويدعى الحنيفيّة، وكان يقول: ليس أحدٌ على دين إبراهيمَ إلا أنا وزيدَ بن عمرو بن نُفيل. وكان يذكر صفةَ النبيّ ﷺ وأنّه يهاجر إلى يثرب. وشَهِد وقعة بُعاث، وهو يوم للأوس على الخزرج، وكانت قبلَ الهجرة بخمس سنين. وزعموا أنّه لمّا حضره الموتُ أرسل إليه النبىُّ ﷺ يقول له: «قل لا إله إلاّ اللهُ أشفَع لك بها» فسُمِـعَ يقول ذلك، وقيل: قال: واللهِ لاأسلمُ إلى سنَة فمات قبل الحول، على رأس عشرة أشهرٍ من الهجرة، بشهرين. وقد جاء عن ابن إسحق: أنّه هرَب إلى مكّة فأقام بها مع قريش إلى عام الفتح اهـ باختصار. وعلى هذا فكان ينبغى لابن حجرَ ألاّ يذكره فى القسم الأوّل، وهم الذين جزم بصُحْبتهم .

(١) ط : «حبل بنى مالك» صوابه فى س والمفضليات والجمهرة والأغانى والشاهد ٤٣٣

(٢) ط : «صرمة»، صوابه من س مع أثر تصحيح ومن الإصابة .

روى صاحبُ الأغاني بسنده إلى المبرّد قال: قال لي صالحُ بن حسَّان: أنشدْني بيتاً خَفِراً في امرأةٍ خَفِرةٍ شَريفة، فقلنا: قول حاتم:

يُضيءُ لها البيتُ الظَّليل خَصَاصُهُ ... إذا هي يوماً حاوَلَتْ أن تَبَسَّما (١)

فقال: هذه من الأصنام، أريد أحسنَ من هذا! قلنا: قول الأعشى:

كأنّ مِشْيَتَها مِن بيت جارتِها ... مَرُّ السَّحابةِ: لا رَيثٌ ولا عَجَلُ

فقال: هذه خَرَّاجة وَلاَّجة! قلنا: بيت ذي الرُّمَّة:

تنوء بأُخراها فلأياً قِيامُها ... وتمشي الهُوَينيٰ من قَريب فتبهر (٢)

فقال: ليس هذا ممّا أردتُ، إنّما وصَفَ هذه بالسِمَن وثِقَل البَدَن! فقلنا: ما عندنا شيء. فقال: قول أبي قيس بن الأسلت:

ويكرِمُها جاراتُها فيزُرْنَها ... وتَعتلُّ عن إتيانهنَّ فتُعذَرُ

وليس لها أن تَستَهين بجارةٍ، ... ولكنَّها منهن تَحيا وتَخفَرُ (٣)

ثم قال: أنشدوني أحسن بَيتٍ وُصفتْ به الثريا: قلنا: بيت ابن الزَّبِيرِ الأسَديّ:

وقد لاحَ في الغَور الثُرَيّا كأنَّما ... به رايةٌ بيضاء تَخفُق للطعْنِ

قال: أُريد أحسنَ من هذا، قلنا: بيت امرئ القيس:

إذا ما الثريّا في السماء تعرَّضتْ ... تعرُّضَ أثناء الوِشاح المفصَّلِ

قال: أريد أحسنَ من هذا، قلنا: بيت ابن الطَّثرية:

(١) الخَصَاص، كسَحَاب: الفرج بين الأصابع ونحوها. ط: «خصاصة» صوابه في س مع أثر تصحيح ومع الضبط، ومن الأغاني.

(٢) ط: «فتنهر»، صوابه من س وديوان ذي الرمة ٢٢٧ والأغاني ١٥: ١٥٩

(٣) في النسختين: «تستعين»، صوابه من الأغاني ومعاهد التنصيص ١: ١٤٢

إذا ما الثريّا فى السماء كأنّها جُمانٌ وهىٰ مِن سِلْكه فتسرَّعا[1]

٤٩ قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : ما عندنا شىء ، قال : قول أبى قيس ابن الأسلَت :

وقد لاحَ فى الصبْح الثُّريّا لمن رأىٰ كعُنقُودِ مُلاَّحيةٍ حينَ نوَّرا[2]

قال : فحكم له عليهم فى هذين المعنَيين بالتقدُّم . انتهى .

وهذا البيت الأخير من أبيات علم المعانى ، ولأجله أوردتُ هذه الحكاية .

(تتمة)

البيت الشاهد ، كونُه لابن الأسلت هو ما ذكره أبو حنيفة الدِّينَورىُّ (فى كتاب النَّبات) ، وهو فى معرفة الأشعار أديبٌ غير مُنازَع فيها . وقد نسبَه الزمخشرىُّ فى الأحاجىِّ إلى الشّماخ ، وقد راجعتُ ديوانَه فلم أجدْه فيه . ونَسبَه بعضُ شُرَّاح [شواهد كتاب[3]] سيبوَيه لرجلٍ من كِنانة . ونسبَه بعضُ فضلاء العجم فى شرح أبيات المفصّل تبعاً للزمخشرىِّ فى شرح أبيات الكِتاب لأبى قيس بن رِفاعةَ الأنصارىّ .

أقول : لم يُوجَد فى كتب الصحابة مَن يقال له أبو قيس بن رِفاعة ، وإنّما الموجود قيس بن رِفاعة[4] وهو واحد أو اثنان . قال ابن حَجَر (فى الإصابة) فى القسم الأوّل : قيس بن رفاعة الواقِفىّ ، من بنى واقِف

(١) وكذا فى الأغانى ومعاهد التنصيص . لكن فى إعجاز القرآن ٢٦٥ : وديوان المعانى ١ : ٣٣٤ وحماسة ابن الشجرى ٢١٤ : « فتبددا » .

(٢) معاهد التنصيص ١ : ١٢٨ .

(٣) التكملة من هامش بخط ناسخها وبجانبه « صح » .

(٤) انظر تحقيق هذا فى هوامش الخزانة ٣ : ٣٧٨ سلفية .

ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، الأنصاريّ . ذكره المرزُبانيُّ فى معجَم الشعراء وقال : أسْلَمَ ، وكان أعوَر ، وأنشد له :

أنا النذيرُ لكمْ مِنِّي مجاهرةً كى لا نلام على نَهى وإنذار[1]
مَن يَصْلَ نارى بلا ذَنبٍ ولا تِرةٍ يَصْلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غدَّارِ
وصاحبُ الوِتر ليس الدَّهرَ يُدرِكُه عندى ، وإنّى لَدَرَّاكٌ لأوتارى

ثم قال ابن حجر : قيس بن رِفاعة بن المميس[2] بن عامر بن عانس بن نمير الأنصاريّ ذكره العدويُّ وقال : كان شاعراً ، وأدرك الإسلام فأسلم . وذكره ابنُ الأثير فقال : كان من شعراء العرب . قلت : يحتمل أن يكون الذى قبلَه . انتهى .

قلتُ : كيف يكون هو الذى قبلَه مع اختلاف النَّسبين ؟ ! والظاهر أنَّهما اثنان . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائتين[3] :

٢٣٨ (غَيرَ أنّى قدْ أستعِين على الهـ مِّ إذا خَفّ بالثوىِّ النجاء)

على أن (غيراً) يجوز أن تكون مبنيَّة على الفتح لإضافتها إلى أنّ المشدّدة ، ويجوز أن تكون منصوبةً لكونها استثناء منقطِعا .

---

(١) فى النسختين : «وإقدار» ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته وعن الاصابة ٧١٦٣

(٢) ـ : «المميسر» . والذى فى الإصابة ٧١٦٤ : « قيس بن رفاعة بن المممر ابن عامر بن عائش الأنصارى »

(٣) من معلقة الحارث بن حلزة . وانظر الصفحة التالية

وهذا البيت من قصيدةِ الحارث بن حِلِّزة اليَشكُرِيّ ، وهى سابعة المعلّقات السبعة(١) وأوّلها :

(آذنَتْنا بِبَينِها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ
آذنتنا ببينها ثمَّ ولَّتْ ليتَ شِعرى ! متى يكونُ اللِّقاءُ
بَعدَ عَهدٍ لها بِبُرْقة شَمّاً ءَ فأدنى ديارِها الخَلْصاءُ
لاأرى مَن عهدتُ فيها ، فأبكى اليومَ دَلْهاً ، وما يَرُدُّ البكاءُ !
وبعينيكَ أوقدتْ هندُ النا رَ أصيلاً تُلوِى بها العَلياءُ
أو قدتْها بين العَقيق وشَخْصَين نِ بعُودٍ ، كما يلوحُ الضِّياءُ
فتنوَّرتُ نارَها مِن بعيدٍ بخَزازَ هيهاتَ مِنْكَ الصلاءُ(٢)
« غيرَ أنّى قدَ اَستعينُ على الهمْ مِ إذا خفَّ بالثَّوِىِّ النجاءُ » ٥٠
بزَفوفٍ كأنّها هِقلةٌ أُمْ مُ رِئالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفاءُ)

قوله : آذنتْنا ، أى أعلمْتنا . والبَين : الفِراق . وأسماء : حبيبته . والثاوى : المقيم ، يقال ثوى يثوِى ثَواءً وثَواية : إذا أقام ؛ وروى جماعةٌ من اللُّغويِّين أثوى بمعناه(٣) وأنكرها الأصمَعىّ . ويُمَلُّ بالبناء للمفعول ، من المَلَل وهو الضَجَر والسأم . وهذا المصراع الثانى من قبيل إرسال المثل .

وقوله بعد عهدٍ لها الخ ، البُرْقة ، بالضمّ : رابيةٌ فيها حجارةٌ يخلِطها

(١) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية . وفى حاشية الصبان على الأشمونى ٤ : ٦١ : « فلو قدم وجعل اسم العدد صفة جاز إجراء القاعدة وتركها ، كما لو حذف تقول مسائل تسع ورجال تسعة ، وبالعكس . كما نقله الامام النووى على النحاة . فاحفظها فإنها عزيزة » .

(٢) لم يذكر البغدادى فى الشرح إلا هذه اللغة فى خزاز ، وهى التى وردت فى ط . لكن فى ش « خزازى » ، وهى لغة أخرى روى بها البيت .

(٣) وشاهده قول الأعشى :

أثوى وقصر ليلة ليزودا ومضى وأخلف من قتيلة موعدا

رمل وطين ؛ وشَماء: اسم أكَمَة . وأدنى : أقرب . والخَلْصاء: موضع أيضاً . يقول: عزمتْ على فراقِنا بعد أن لقيتُها ببُرْقةِ شمَّاء ، والخَلْصاء هي أقرب ديارها إلينا .

ثم أورَد بيتين آخرَين فيهما أسامى أماكنَ معطوفة على الخلْصاء، لا فائدة فى إيرادها .

وقوله : لا أرى مَنْ عهدت الخ ، دلْهاً أى باطلاً ، وهو مفعولٌ مطلق ، وقيل : هو من قولهم دَلَّهنى أى حيَّرنى ، فهو تمييز . يقول: لا أرى فى هذه المواضع مَن عهدتُ ، وهى أسماء ، فأنا أبكى اليومَ بكاء باطلاً ، أو ذاهبَ العقل . وما استفهاميَّةٌ للإنكار ، أى لا يردّ البكاء شيئاً على صاحبه . يعنى: لمّا خلتْ هذه المواضعُ منها بكيتُ جزعاً لِفراقها ، مع عِلمى أنّه لا فائدةَ فى البكاء . ورُوى أيضا :

لا أرى مَن عَهدتُ فيها فأبكى أهلَ وُدِّى وما يُرِدُّ البكاء

أى فأنا أبكى أهلَ مودَّتى ، شوقاً إليهم ، حين نظرتُ إلى منازلهم الخالية ، ورُوى أيضاً : (وما يحير البكاء) مِن أحاره بالمهملة أى رَجعَه .

وقوله : وبعينيك أوقدتْ الخ ، أى وترى بعينيك أو بمرأى عينيك ؛ يقال : هو منِّي بمرأى ومسمَعٍ : أى حيثُ أراه وأسمعه . والمعنى : أوقدتْ النارَ تَراها لقُربها منك . وهند ممَّن كانت تواصله بتلك المنازل . وأصِيلا : ظرف بمعنى العشيّ ؛ ورُوى بدله (أخيراً) أى فى آخر عهدِكَ بها . يقول : قد رأيتَ نارَها بتلك المنازل ، ثم رأيتَها قد نزلت بالعلياءِ ، فرأيتَ نارها من بعيد . والعَلْياء ، بالفتح : ما ارتفع من الأرض ؛ وإنّما يريد العَالية وهى أرض الحجاز وما والاها من بلادِ قيس . ويقال : قد ألْوَت الأرضُ بالنار تلوى بها إلواءً : أى رَفعَتْها ؛ وكذلك الناقة : ألوت : إذا رفعتْ ذَنبَها فلوَّحتْ به .

وقوله : أوقدتَها بين العَقِيق الخ ، العَقيق وشَخْصان ، قال الأخفش : شخصان : أكَمَة لها قرنان ناتئان ، وهما الشعبتان . والعُود هو عُود البَخُور . وأراد بالضياء ضياء الفَجْر[١] ، وقيل ضياء السِّراج .

وقوله : فتنوَّرتُ نارها الخ ، يقال : تنوَّرتُ النار : إذا نظرتَها بالليل لتعلم: أقريبة هى أم بعيدة ؟ أكثيرة أم قليلة ؟ وخَزَازُ ، بفتح الخاء المعجمة والزاءين المعجمتين : موضع . وقوله : هيهات الخ ، يقول رأيتُ نارها فطمِعْتُ أن تكون قريبة ، وتأمّلتُها فإذا هى بعيدة بخَزَاز ، فلمّا يئستُ منها قلت : هيهات ! أخبر أنّه رآها بالعلياء ، ثمّ أخبر أنّه رآها بين العَقيق وشخصين ، ثمّ بخَزَاز ، وهو جبل . والصِّلاء : مصدر صلا النارَ وصلِيَ بالنار يَصلىٰ صِلاء . إذا ناله حَرُّها .

وقوله : (غيرَ أنى قد استعين . . الخ) بنقل حركة الهمزة إلى دال قد[٢] و (خَفَّ) فلان للمضيّ ، إذا تحرّك لذلك ؛ يقال خفّ يَخِف خِفّة . و(الثَّوِىّ) مبالغة ثاوٍ : أى مقيم . و (النَّجاء) بفتح النون والجيم : للمضىّ ؛ يقال منه نجا ينجو نَجاء ونَجْواً . والباء للتعدية . أى اذا اضطُرَّ المقيمُ للسفرِ وأقلقَه السير والمضى ، لِعِظَم الخطْب وشدّة الخوف . وبهذا البيت خَرَج من صفة النساء وصار إلى صفة ناقته على طريقة الاستثناء المنقطع من قوله فتنوّرت ، أو من قوله وما يردُّ البكاء ، أى وما يردُّ علىّ بكائى بعد أن تباعدَتْ عنّي فاهتممت بذلك ، لكنّي أستعين على همِّى بهذه الناقة الآتى وصفها فيما بعد . فغير للاستثناء المنقطع ، وفتحتها إمّا حركة اعراب ، وإمّا فتحة بناء ، بنيت لإضافتها إلى مبنيّ ، فتكون حينئذ فى محل نصب . ٥١

(١) ط : « الفىء » ، ولا يكون للفىء ضياء ، وإنّما الفىء ظل يفىء من جانب المغرب إلى جانب المشرق بعد الزوال ، صوابه فى سه والتبريزى فى شرح المعلقة

(٢) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله بنقل الحركة إلخ لا حاجة إلى ذلك ، لاستقامة الوزن بدونه » .

وقوله : بزَفوفٍ كأنّها الخ ، الباء متعلِّقة بأستعين . والزَّفوف ، بفتح الزاى المعجمة وبفاءين ، أراد به الناقة السريعة ؛ من الزَّفيف وهو السُّرعة ، وأكثر ما يستعمل فى النَّعام . شبَّه ناقته فى وَطاءتها وسُرعتها بنعامة تزِفُّ — والزَّفيف مثل الدفيف — وذلك أنّ النعامة إذا عدَتْ نَشرت جَناحَيها ورَفعتْ ذنَبها ومرّت على الأرض أخفَّ من الريح ، وربَّما ارتفعَتْ من الأرض لخفَّتها . والزفيف للنَّعام ، والدَّفيف للطير ؛ يقال زفَّ النعام يزِفُّ زَفًّا وزَفيفاً ، ودَفّ الطَّير يدِف دَفًّا ودَفيفاً . والهِقْلة ، بكسر الهاء وسكون القاف : أُنثَى النعام ، والهقل ذكَره . والرِّئال ، بكسر الراء المهملة بعدها همزة مفتوحة : جمع رَأْل ، بفتح الراء وسكون الهمزة ، وهو ولد النَّعام . والدَّوِّيّة ، بتشديد الواو ، منسوبة إلى الدَّوّ وهى الأرض البعيدة الواسعة ؛ وهو صفة أمّ ؛ وكذلك سقْفاء ، من السَّقَف ، بفاء بعد قاف ، وهو طولٌ في انحناء ، والذكر أسقَف . يقول : أستعين على إزالة همٍّ بناقةٍ مسرعة كأنَّها فى إسراعها نعامةٌ لها أولاد ، طويلةٌ منحنيةَ لا تفارق المَفاوِز .

وقد تقدّمتْ ترجمةُ الحارث بن حِلِّزة ، مع شرح أبياتٍ من هذه المعلَّقة ، فى الشاهد الثامن والأربعين(١) ، فى باب التنازُع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد س(٢) :

٢٣٩ (أُنيخَتْ فألقتْ بَلْدةً فوقَ بَلْدةٍ
قَليلٍ بها الأصواتُ إلاّ بُغامُها)

(١) الخزانة ١ : ص ٣٢٥ وما بعدها .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٠ ، وانظر الهمع ١ : ٢٢٩ وشرح شواهد المغنى ٧٨ ، ٢٤٨ والأشمونى ٢ : ١٥٦ واللسان (بغم) وديوان ذى الرمة ٦٣٨ .

على أنّ (إلاّ) صفة للأصوات ، وهى وإن كانت مُعرَّفةً بلام الجنس فهى شبيهة بالمنكر . ولمّا كانت إلاّ الوصفيّةُ فى صورة الحرف الاستثنائيّ نُقل إعرابُها الذى تستحقّه إلى ما بعدها ؛ فرَفْعُ (بُغامُها) إنّما هو بطريق النقل مِن إلاّ إليه . والمعنى : أنّ صوتاً غيرَ بُغامِ الناقة قليلٌ فى تلك البلدة ، وأمّا بغامها فهو كثير .

قال الشارح المحقّق : « ويجوز فى البيت أن تكون إلاّ للاستثناء وما بعدها بدلاً من الأصوات ، لأنّ فى قليلٍ معنى النفى » . والمعنى على هذا : ما فى تلك البلدة مِن جنس الأصوات إلاّ بُغامها ، بخلاف المعنى الأوّل ، فإنّه يقتضى أن يكون فيها صوتٌ غير البُغام لكنّه قليلٌ بالنسبة إلى البُغام . قال : « ومذهب سيبويه جوازُ وقوعِ إلاّ صفةً ، مع صحّة الاستثناء » . نسَبَ ابنُ هشامٍ فى المغنى هذا الجوازَ إلى جماعات من النحويّين ، ثمّ قال : وقد يقال إنّه مخالفٌ لمثال سيبويه : لو كان معنا رجلٌ إلاّ زيدٌ لغُلِبْنا ؛ ولقوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا[1]) قال : فلا يجوز فى إلاّ هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى ، إذ التقدير حينئذ : لو كان فيهما آلهةٌ ليس فيهم الله لفسدتا ؛ وذلك يقتضى بمفهومه أنّه لو كان فيهما آلهةٌ فيهم الله لم يفسُدا ؛ وليس ذلك المراد . ولا من جهة اللفظ ، لأنّ آلهة جمعٌ منكَّر فى الإثبات فلا عمومَ له ، ٥٢
فلا يصحُّ الاستثناء منه ، لو قلتَ قام رجل إلاّ زيد ، لم يصحّ اتفاقا . انتهى .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرُّمّة وقبله :

أبيات الشاهد (ألا خَيَّلتْ مىٌّ وقد نامَ صحبَتِى فما نَفَّرَ التهويمَ إلاّ سَلامُها
طُروقاً وجُلْبُ الرَّحلِ مشدودةٌ به سَفِينةُ بَرٍّ تحتَ خدِّى زِمامُها

(١) الآية ٢٢ من الأنبياء .

« أُنيخَتْ فألقَتْ بلدةً فوقَ بلدةٍ قَليلٍ بها الأصواتُ إلاّ بُغامُها »
يَمانِيَةٌ في وَثْبِها عَجْرَفِيَّةٌ إذا انضمَّ إطْلاها وأودىٰ سَنامُها)

قوله : ألا خيَّلت مَيٌّ الخ ، خيَّلت أي رأينا منها خيالًا[1] جاء في المنام . وميٌّ : اسم محبوبته . وجملة قد نام الخ حاليّة . والتهويم : مصدر هوَّم الرجل : إذا هزَّ رأسَه من النُعاس . يقول : نفَر نومُنا حينَ سلَّم الخيالُ علينا . وقوله : طُروقا الخ ، الطُّروق مصدر طرَق : أي أتى ليلاً ؛ وهو من باب قعد . يريد : خيَّلَتْ طُروقاً . وجُلْب الرحْل ، بكسر الجيم وضمِّها : عيدانه وخشَبه ؛ وهو مبتدأ ، ومشدودةٌ خبره ، وسفينة نائب فاعل الخبر ؛ وبه أي بالجلب . وأراد بسَفينة البَرّ الناقة . وزمامُها مبتدأ ، وتحتَ خدِّي خبره ، والجملة صفة سفينة يريد : أنّه كان نزَل عن ناقته آخرَ الليلِ وجَعَل زمامَها تحتَ خدِّه ونام .

وقوله : (أُنيخَتْ فألقت . الخ) هو مجهولُ أنخْتُها : أي أبْرَكْتُها . والبَلدة الأولى : الصدْر ، والثانية : الأرض . أي أُبْرِكَتْ فألقتْ صدرَها على الأرض . والضمير في أُنيخت ، وألقت ، وبغامُها ، راجعٌ إلى سفينةُ برٍّ المرادِ بها الناقة . و (قَليلٍ) بالجرّ صفةٌ سببيّةٌ للبلدة الثانية . و (الأصوات) : فاعل قليل ؛ والرابط ضمير بها . ويجوز رفع قليل على أنّه خبر الأصوات والجملة صفة . و (البُغام) بموحَّدة مضمومة بعدها غين معجمة ، قال صاحب الصحاحِ : بُغام الظَبْية : صوتُها ؛ وكذلك بُغام الناقة : صوتٌ لا تُفصح به ؛ وقد بغمت تبغِم بالكسر .

وقوله يَمانية في وثبها الخ ، بالتخفيف ، أي هذه الناقة منسوبةٌ إلى اليمن .

---

(١) وفي شرح الديوان ٦٣٨ : « خيلت : أرتنا خيالها في النوم » وفي ط : « رأينا منها خيالا » :

والوثب ، بالمثلّثة : مصدر وثَب وَثباً ووُثوباً : إذا طَفَر . والعَجْرَفيّة : الجفاء وركوب الرأس[1] ، وهو أن يسير سيراً مختلطاً . وإطلاها : خاصرتاها ، مثنّى إطل بكسر الهمزة . وأودَى : ذهب وهلك . يقول : هى فى ضُمْرها هكذا شديدة ، فكيف تكون قَبل الضُّمْر ؟ !

وترجمة ذى الرُّمَّة تقدّمت فى الشاهد الثامن من أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] :

٢٤٠ (وكلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخُوهُ   لَعَمْرُ أبيكَ إلاّ الفرقَدانِ)

على أنّ (إلاّ) صفةٌ لكلّ ، مع صحّة جَعْلِها أداةَ استثناء ، ونصبِ الفرقدين على الاستثناء ، كما هو الشرط فى وصْفيّة إلاّ .

قال ابن هشام فى المغني : والوصف هنا مخصِّص ، فإنّ ما بعْد إلاّ مطابقٌ لما قبلها ، لأنّ المعنى : كلُّ أخوين غير هذين الكوكبين متفارقان . وليست إلا استثنائيّة ، وإلاّ لقال : إلاّ الفرقدَين ، بالنصب ، لأنه بعد كلامٍ تامٍّ موجَب كما هو الظاهر مع كونه لِمُستغرِق وهو كلُّ أخٍ ؛ كما نصب الشاعر فى هذا البيت — وهو من أبياتٍ مذكورةٍ فى مختار أشعار القبائل ، لأبى تمّام صاحب الحماسة ، لأسعد الذُّهْلىّ — وهو :

وكلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخوه   لشَحط الدار إلاّ ابنَي شَمامِ ٥٣

(١) فى النسختين : « وركوب للرأس » ، وقد صححها الشنقيطى بما أثبت .

(٢) فى الخزانة ١ : ص ١٠٦ وما بعدها

(٣) فى كتابه ١ : ٣٧١ وانظر الكامل ٧٦٠ والإنصاف ٢٦٨ وابن يعيش ٢ : ٨٩ والهمع ١ : ٢٢٩ وشرح شواهد المغنى ٧٨ والأشمونى ٢ : ١٥٧ وحماسة البحترى ٢٣٤ .

قال أبو عُبيد القاسم فى أمثاله : ابَنى شَمام هنا : جبلان . وهو بفتح الشين المعجمة وكسر الميم كَحَذامِ[1] . وفى المرصّع لابن الأثير : ابنا شمام جَبَلان فى دار بنى تميم ممّا يلى دارَ عمرو بن كلاب ، وقيل : شمام هو جبلٌ . وابناه : رأساه ، وأنشد الخليل :

وإنــكما على غِيَرَ الليـالى لأبقىْ مِنْ فُروعِ ابنَي شمامِ ا هـ

وقال حمزة الأصبَهانىّ فى أمثاله التى جاءت على أفعل : ابنا شمام : هضبتان فى أصل جبلٍ يقال له شَمام .

وعند ابن الحاجب فى البيت الشاهد شذوذٌ من ثلاثة أوجه : أحدها : أنّه اشترط فى وقوع إلا صفةً تُعذّرُ الاستثناء ، وهنا يصحُّ لو نصَبه : وثانيها : وصْفُ المضاف ، والمشهور وصفُ المضاف إليه . وثالثها : الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر ، وهو قليل . قال صاحب المقتبس : وفى البيت تخريجٌ يتراءى لى غيرَ بعيد عن الصواب ، وهو أن يُجعَل قولُه : مفارقه أخوه ، صفةً لـكلّ — وساغ ذلك لـكونه نـكرة ، إذْ إضافتُه لفظيَّة ـ ثم يُجعل إلاّ الفرقدان خبراً للمبتدإ الموصوف ، ولا يَخرُج جعلُها خبراً عن الوصفيَّة ، لأنّ الخبر أيضاً صفة حقيقيَّة . فتكون إلاّ فى قوله تعالى : (إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا[2])صفة نحويَّة وفى البيت صفة معنوية . وبهذا الوجه يَخرُج الـكلام عن تخلُّلِ الخبر بين الصفة والموصوف . وتقديرُ البيت على ماذكرتُ : وكلُّ أخٍ مفارق أخاه مُغايرٌ للفرقَدين : أى ليس على صفتهما ، لأنهما لايفترقان منذ كانا . انتهى . وردَّه السيِّد عبدُ الله (فى شرح اللُّبّ) بقوله : ولا يجوز أن يجعل مُفارقُه صفةً

(١) ط : « كجذام » ، صوابه فى سه

(٢) الآية ٢٢ من الأنبياء

وإلاّ الفرقدان خبراً حتى يتخلّص من هذه الفسادات كما قيل ، لفساد المعنى . ووجهُه أنّ المراد الحكم على كلّ أخٍ بأنّه مفارقٌ أخاه فى الدنيا سِوى الفرقدَين فإنّهما لا يفترقان إلاّ عند فناء الدنيا ، وليس المعنى على ماذكره ، فإنّه يقتضى مفهومُه أنّ كلّ أخٍ لا يفارق أخاه مثلُ الفرقدين فى اجتماع الشَّمْل . وليس فى الدنيا أخوانِ لا يفترقان . فتأمَّلْ .

وفى البيت تخاريجُ أُخر : إحداها للكوفيّين ، نقله عنهم ابنُ الأنبارى فى مسائل الخلاف : أنّ إلاّ هنا بمعنى الواو ، وهى تأتى بمعناه كثيراً كقوله تعالى : (لئلا يكونَ للناسِ عَلَيْكُم حُجّةٌ إلاّ الذين ظَلَموا[1]) أى ولا الذين[2] ظلموا لا تكون لهم أيضاً حجّة ؛ وقوله تعالى : (لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِن القَول إلاّ من ظُلِم[3]) أى ومن ظُلِم لا يُحِبُّ أيضاً الجهرَ بالسُّوءِ منه — وكذا قال السيِّد المرتضى فى أماليه فى أحدِ أوجهِ إلاّ فى قوله تعالى : (خالدِينَ فيها مادامتِ السمواتُ والأرضُ إلاّ ماشاء ربُّك[4]) : إنّ إلا بمعنى الواوِ — وأوْرَدَ هذا البيت وغيرَه شاهداً لمجيء إلاّ بمعنى الواو[5] — وأجابَ البصريُّون أنّ إلاّ فى البيت بمعنى غير ، وفى الآيات للاستثناء المنقطع . (ثانيها) ماذهب إليه الكسائى . أنّ أصله إلاّ أن يكون الفرقدان ؛ وقد ردّ سيبوَيه هذا القولَ كما بيَّنه الشارح المحقِّق .

قال أبو علىّ — فى الإيضاح الشِّعْرِىّ — : أنشد سيبويه هذا البيت[6]

---

(١) الآية ١٥٠ من البقرة .
(٢) كذا فى ط والإنصاف ، لكن جعلها الشنقيطى فى نسخته : « أى والذين »
(٣) الآية ١٤٨ من النساء
(٤) الآية ١٠٧ من سورة هود
(٥) أمالى المرتضى ٢ : ٨٧ — ٩١ .
(٦) فى النسختين : « على البيت » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

وقال : لا يجوز أن يكون قوله : إلاّ الفَرقدان ، على تقدير إلاّ أن يكون الفرقدان . وإنّما لم يجزْ هذا لأنّك لاتحذف الموصولَ ، وتدَع الصلة ، لأنّ الصلّة تُذكر للتخصيص والإيضاحِ للموصول ، فإذا حذفتَ الموصولَ لم يَجُزْ حذفه وذكرُك مايكون إيضاحاً له . ونَظير ذلك أجمعون فى التوكيد ، لا يجوز أن تَذكُره وتحذِف المؤكَّد . فإنْ قلتَ : لم لايكونُ كالصفة والموصوف ٥٤
فى جواز حذف الموصوف وذكر الصفة ، وكذلك تحذف الموصولَ وتذكُر الصلة ؟ قلتُ : لم يكن فى هذا كالوصف إذا كان مفرداً ؛ ألا ترى أنّ الوصف إذا كان مفرداً كان كالموصوف فى الإفراد ، وإذا كان مثله جازوقوعُه مواقع الموصوفِ ، من حيثُ كان مفرداً مثلَه ، مع استقباحٍ لذلك . فأمّا الصلة فلا تقع مواقعَ المفرد ، من حيث كانت جُملاً ، كما لم يجز أن تبدَل الجمل من المفرد ، من حيث كان البدلُ فى تقدير تكرير العامل ، والعامل فى المفرَد لايعمَل فى لفظ الجملة ، فكذلك لايجوز أن تَحذف الموصولَ وتقيم الصلة مقامه . فإن قلتَ : هلّا جاز حذفها كما جاز حذف الصلّات وإبقاء الموصولة ، كقوله : بعد اللتيا والتى(١) ؟ قلت : إبقاء الموصول وحذفُ الصلة أشبَهُ من عكس ذلك ، لأنّ الموصول مفرد وليس كالصلة التى هى جملة ؛ فكذلك جاء فى الشعر ولم يمتنع ، كما لايمتنع أن يذكَرَ المؤكَّدُ ولا يذكر التأكيد . ولو ذكرتَ أجمعون ونحوَه ، ولم تَذكُر المؤكَّد لم يجز . انتهى كلام أبى علىّ ؛ ولكثرة فوائده نقلناه برُمّته .

(ثالثها) : مانقله بعض شُرّاح أبيات المفصَّل مِن فضلاء العجم ، وهو أنّ إلاّ هنا بمعنى حتّى ، والمعنى : كلُّ أخٍ مفارقه أخوه حتّي إنّ الفرقدين ، مع

(١) إشارة إلى قول العجاج فى ديوانه ٦ وسيبويه ١ : ٣٧٦/٢ : ١٤٠ :

* بعد اللتيا واللتيا والتى *

شدّة اجتماعهما وكثرة مصاحبتهما ، يُفَرِّق كلٌّ واحدٍ منهما عن صاحبه ؛ فما ظنُّك بغيرهما ! قال : وعلى هذا تكون إلاّ مستعملةً استعمالَ حتّي ، للمناسبة بين الاستثناء والغاية ؛ ويكون ذلك كقولهم : مات الناسُ حتّي الأنبياء . هذا كلامه ، وليس المعنى على ما زعمه ، وفيه تعسُّفٌ أيضاً .

(رابعها) : ما ذكره ابنُ الأنباريّ في مسائل الخلاف : أنّ إلاّ هنا للاستثناء المنقطع ، قال : أراد لكن الفرقدان فإنّهما لا يفترقان ، على زعمهم فى بقاء هذه الأشياء[1] . هو غير متبادَر منه ، وهو كقول الأعلم فى شرح أبيات الكتاب : « وهذا على مذهب الجاهليّة » ، مع أنّ قائل هذا البيتِ صحابيٌّ كما سيأتى . وسبقهُما المبرّد فى الكامل ، فإنه بعد أن نَسَب البيتَ لعمرو بن معد يكرب ، اعتذر عنه فقال : وهذا البيت قاله قبل أن يُسلِم . ثم أورد عقبَه بيتَ أبى العَتاهِيَة ، دليلاً على ما فهمه ، بقوله : وقال إسماعيلُ ابن القاسم :

ولم أرَ ما يدومُ له اجتماعٌ سيفترِقُ اجتماعُ الفَرقدينِ

ونحن نقول : محمل هذا البيت أنّهما يفترقان عند قيام الساعة . ولكل وجهة . و (الفرقدان) : نجمان قريبان من القُطْب لا يفارق أحدُهُما الآخر .

وبقى فى البيت احتمالُ وجهٍ آخر ، لم أرَ مَن ذكره ، وهو أن تكون إلاّ للاستثناء ، والفرقدان منصوبٌ بعد تمام الكلام الموجَب ، لكنّه بفتحةٍ مقدرة على الألف ، على لغة من يُلزم المثنّي الألفَ فى الأحوال الثلاثة ، وهى لغة بنى الحارث بن كعب . والله أعلم .

(١) فى الإنصاف : « على زعمهم فى بقاء هذه الأشياء المتأخرة إلى وقت الفناء »

وقوله : (وكلُّ أخٍ مفارقه أخوه) قال الفالىّ [١] فى شرح اللبـاب :
يحتمل وجوهاً من الإعراب : أحدها أن يكون كلُّ مبتدأ ومفارقه خبره
وأخوه فاعل مفارقه . الثانى : أن يكون كلُّ مبتدأ ومفارقه مبتدأ ثانياً وأخوه
خبره والجملة خبر الأول . الثالث : أن يكون كلُّ مبتدأ وأخوه مبتدأ ثانياً ٥٥
ومفارقه خبر المقدَّم والجملة خبر الأوّل . الرابع : أن يكون كلُّ مبتدأ ومُفارِقه
بدلاً منه وأخوه خبر كلّ : أى مفارقُ كلِّ أخٍ أخوه . الخامس : أن يكون
مفارقه بدلاً من كلّ وأخوه مبتدأ وكلُّ أخٍ مفارقُه خبرٌ مقدَّم انتهى .

وقوله : (لَعَمْرُ أبيـك) مبتدأ خبره محذوف تقـديره : قسَمى . والجملة معترضة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت جاء فى شعرَين لصحابيَّين : أحدهما عَمرو بن مَعْدِ يكرب ، أنشده الجاحظ فى البيان والتبيين له ، وكذا نَسبه إليه المبرّد في الـكامل ، وصاحب جمهرة الأشعار ، وغيرهم — وتقدَّمت ترجمتـه فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة [٢] — .

حضرمى ابن عامر

الثانى حَضْرَمىُّ بن عامر الأسَدىّ : قال الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) : هو حَضْرَمىُّ بن عامر بن مُجَمِّع بن مَوْءَلَة بنِ هشامِ بن ضب [٣] بن كعب ابن القين بن مالك بن ثَعلَبة بن دُودان بن أسد . وهو شاعرٌ فارس سيِّد ، وله فى كتابِ بنى أسدٍ أشعارٌ وأخبارٌ حِسَان ، وهو القائل :

ألا عجِبَت عُميرةُ أمْسِ لمّـا   رأتْ شيبَ الذُّؤابة قد علَانى
تقول : أرى أبِى قد شَابَ بعدى   وأقْصَرَ عنْ مطالبَةِ الغَوانى [٤]

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، وإنّما هو الفالى بالفاء ، صاحب شرح اللباب
(٢) الخزانة ٢ : ص٤٤٤
(٣) وكذا فى المؤتلف ٨٤ ، لـكن فى الإصابة : « ضبة » .
(٤) فى النسختين : « قد أرى أبى » ، صوابه من المؤتلف وشرح شواهد المغنى .

إلى أن قال :

وذى فَخْمٍ عزَفْتُ النفسَ عنهُ حِذارَ الشامتِينَ ، وقد شَجانى
قطَعتُ قَرِينتى عنه فأغنى غِناه فلم أراه ولم يرانى(١)
وكلُّ قرينةٍ قُرِنَتْ بأخرى ولو ضَنَّت بها ، ستفْرّقانِ
وكلُّ أخٍ مفارِقُه أخوه لعمرُ أبيك إلا الفرقدانِ
وكلَّ إجابتى إيّاه أنّى عَطفتُ عليه خوّارَ العِنانِ(٢) اه

والذؤابة : الخصلة من الشعر . والفَخْم ، بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة : التعظُّم والاستعلاء ، ومثله الفُخَيمة بالتصغير . وعزَفْت ، بالعين المهملة والزاى والفاء ، أى صرفت . وحِذارَ مفعولٌ لأجله لقوله عزفت . وجملة وقد شَجانى ، أى أحزننى ، حالية . وقوله : قطعتُ قرينتى ، هو جواب رُبَّ المقدَّرة فى قوله : وذى فَخْم . ومعناه كلُّ نفسٍ مقرونةٍ بأخرى ستفارقها . وضنّت : بَخلت . وقوله : وكلَّ إجابتى ، كلَّ فعلٌ ماض من الكَلال . ويُروى : (وكان إجابتى إيّاه(٣)) .

وحَضْرَمِىّ بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وبعد الراء ميم مكسورة بعدها ياء مشدّدة . ومُجُمِّع بوزن اسم الفاعل من جمّع تجميعاً . ومَوْءَلة ، بفتح الميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ، قال فى القاموس : وبنو مَوْءلة

(١) شرح شواهد المغنى : « فلن أراه ولن يرانى » ، والرواية هنا على لغة مَن يرفع المضارع بعد « لم » كما جاء فى قوله :

لولا فوارس من ذهل وإخوتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

(٢) السيوطى : « فكان إجابتى »

(٣) كتب مصحح المطبوعة الأولى ، أى طبعة بولاق : « بياض بالأصل ، وبهامشه لعل موضع البياض : وخوار العنان : سهل المعطف كثير الجرى . اهـ » . وليس فى ... أثر للبياض .

كمَسْعَدَة : بطن ، وهو مَفعلة اسم مكان من وأل إليه يئل بمعنى لجأ وخلَص ؛ والموئل : الملجأ . وضبطه ابن حَجَر فى الإصابة مَوَلة بفتحات ، وأورد حمام بدل هشام(١) وأورد باقىَ النسب كما ذكرنا ، وقال : ذكره ابن شاهين وغيره فى الصحابة . وروىٰ أبو يعلى وابن قانع(٢) ، من طريق محفوظ بن علقمة ، عن حَضرمىّ بن عامر الأسدىّ ـ وكانت له صحبة أنّ رسولَ الله ﷺ قال :
٥٦ « إذا بالَ أحدُكم فلا يَستقبِلُ الريحَ ولا يستَنْجى بيمينه » ـ قال السيوطىُّ فى شرح شواهد المغنى : ولم أقف لحضرمىّ على رواية غير هذا الحديث .

قال ابن حَجَر : وروىٰ ابن شاهين من طريق المدائنى عن جماعة أنّهم قالوا : وفد بنو أسد بن خزيمة ، وفيهم حضرمىّ بن عامر وضِرار بن الأزوَر ، وسَلمة وقَتادة وأبو مُكعِت . فذكر الحديثَ فى قصّة إسلامهم وكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتاباً . قال : فتعلَّم حضرمىّ بن عامر سورة (عَبَسَ وَتَوَلَّى) فزاد فيها : «وهو الذى أنعَمَ على الحُبلىٰ ، فأخرجَ منها نَسَمةً تسعىٰ» ، فقال له النبيُّ ﷺ : « لا تزِدْ فيها » .

وأخرجه من طريق منجاب بن الحارث من طُرُقٍ ذكر فيها(٣) أنّ السورة (سَبِّح اسمَ ربِّك الأعلى) وروى عمر بن شَبّة بإسنادٍ صحيح إلى أبى وائل قال : « وفد بنو أسدٍ فقال لهم النبىُّ ﷺ : مَن أنتم ؟ قالوا : نحن بنو الزِنْية أحلاس الخيـل ! قال : بل أنتم بنو الرِشْدة ! فقالوا : لا ندَعُ اسمَ أبينا » وذكر قصّة طويلة .

وقال المرزُبانىُّ فى معجمه : كان حضرمىٌّ يكنى أبا كِدام(٤) ؛ ولمّا سأله

(١) السيوطى : « بدل همام » .
(٢) فى النسختين : « ابن نافع » ، وأثبت مافى الإصابة وشرح شواهد المغنى .
(٣) فى النسختين : « ذكرها فيها » ، وصوابه من الإصابة
(٤) كِدام ككتاب

عمر بن الخطاب عن شعره فى حرب الأعاجم ، أنشده أبياتاً حسنة فى ذلك .

وروى أبو عليٍّ القالىُّ (١) من طريق ابن الكلبيِّ قال : كان حضرمىٌّ ابن عامر عاشِرَ عَشَرةٍ من إخوَتِه ، فماتوا فورِثهم ، فقال فيه ابنُ عمٍّ له يقال له جَزْء بن مالك : يا حضرمىُّ ورِثتَ تسعة إخوةٍ فأصبحتَ ناعماً ! فقال حضرمىٌّ ، من أبيات :

إن كنتَ قاوَلتَنى بها كذِباً جزء ، فلاقيتَ مثلَها عجِلا (٢)

فجلس جَزْء على شَفيرِ بئر هو وإخوته ـ وهم أيضاً تسعة ـ فانخسفت بهم فلم ينج غيرُ جَزْء ، فبلَغ ذلك حضرمىَّ بنَ عامر فقال : كلمةٌ وافقَتْ قدَرا ، وأبقَتْ حِقْدا ! انتهى ما أورده ابن حجر فى الإصابة .

وهذا البيت الذى نقله عن أبى علىٍّ القالىّ ، هو أحد أبياتٍ ثلاثةٍ أوردها ابنُ السِّيد البَطَلْيوسىُّ فى شرح شواهد أدب الكاتب (٣) وهى :

يزعمُ جَزْء ولم يَقُل جَلَلاَ أنّى تَرَوَّحتُ ناعمـاً جَذِلا

إنْ كنتَ أزْنَنْتَني بها كذباً جَزء ، فلاقيتَ مثلَها عجِلا

أفرَحُ أنْ أُرْزَأ الكِرامَ وأنْ أُورَثَ ذَوداً شصائصا نَبَلا

وجَزْء ، بفتح الجيم وسكون الزاى وثالثه همزة ؛ وهو منادى فى البيت الثانى . والجلل هنا بمعنى الحقير (٤) ويأتى بمعنى العظيم أيضاً ، وهو من الأضداد .

---

(١) فى الأمالى ١ : ٩٧

(٢) الأمالى : « إن كنت أزننتنى » .

(٣) فى النسختين : « آداب الكاتب » تحريف

(٤) تبع البغدادى فى هذا ابن السيد فى الاقتضاب ٣٦١ . ولا تعارض بين هذا التفسير وبين رواية القالى : « ولم يقل سدداً » إذا المعنى أنه لم يوفق إلى السداد ، فأتى بزعمه أمراً معظما .

وتَرَوَّحَ بالحاء المهملة : صار ذا راحة . وناعم : وصفٌ من النعيم ، وهو الخَفْض والدَّعَة والمال . وجَذْلان بمعنى فرحان ، من الجَذل ، بفتحتين ، وهو الفرَح . وأزْنَنْتَني : اتّهمتنى ؛ يقال زَنَنْته وأزننته بكذا : إذا اتّهمته به ونسبتَه إليه . وقوله : أفرح ، أراد أأفرح ، على معنى التقرير[1] والإنكار ، فترك ذكر الهمزة وهو يريدها حين فُهِم ما أراد ؛ وهذا قبيح ، وإنّما يحْسُن حذفها مع أمْ .

وقد أورده صاحب الكشاف فى تفسيره دليلاً على حذف همزة الاستفهام.

والرُّزء ، براء مضمومة وزاى ساكنة بعدها همزة ، قال صاحب القاموس: رزأه مالَه ، كجعَلَه وعمِلَه ، رُزءًا بالضمّ : أصاب منه شيئاً . فالمفعول الثانى فى البيت محذوف ، أى أرْزَأ الكرامَ مالَهم . وأورث بالبناء للمفعول . والذَّود من

٥٧ الإبل : دون العشرة ، وأكثرُ ما يُستعمل فى الإناث . والشَّصائص التى لا ألبان لها ؛ الواحد شَصُوص ، بفتح المعجمة وإهمال الصادين ؛ يقال شَصَّت الناقة وأشَصّت . والنَّبَل ، بفتح النون والموحّدة : الصِّغار ؛ قال فى القاموس : والنَّبَل محرَّكة : عِظام الحجارة والمدَرِ وصغارُهما .

(تتمة)

أوردَ الآمدىُّ (فى المؤتلف والمختلف) اثنَين من الشعراء ممّن اسمه حَضْرَمىّ ، أحدهما هذا الصحابىّ .

والثانى حَضْرَمىُّ بنُ الفَلَنْدَح (بفتح الفاء واللام وسكون النون وفتح الدال وآخره حاء مهملة) قال : هو أخو بنى حَرام بن عُوف المَشْجَعىّ . وبنو مَشْجَعة بن تَيم بن النّمر بن وَبَرة ، أبو كلب بن وَبَرة ؛ شاعرٌ ، وهو القائل : حضرمى بن الفلندح

(١) فى النسختين : « التقدير » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته

إذا نفحتْ من نحوِ أرضكِ نفحةٌ رياحُ الصَّبا[1] يا قَيْلُ طابَ نسيمُها
كأنّكِ فى الجلباب شمسٌ نقيَّة تَجوّبُ[2] عنهايومَ دَجْنٍ غيومُها: انتهى

وقيل مرخّم قيلة[3] بالقاف اسم امرأة ، ولا أعرف هل هو إسلامىٌّ أو لا . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد المائتين :

٢٤١ (ولم يَبْقَ سوى العُدْوا نِ دِنّاهُم كما دانوا)[4]

على أن (سِوى) قد خرجت من الظرفيّة إلى الاستثناء عند الكوفيِّين ، وهى هنا مرفوعة بضمّة مقدّرة على الألف على أنّها بدلٌ من فاعل لم يبقَ المحذوفِ ، أى لم يبق شىء سوى العُدْوان . وهذا عند البصريِّين شاذ لا يجىء إلا فى ضرورة الشعر .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للفِنْد الزِمّانىّ ، قالها فى حرب البَسُوس[5] ؛ أورد قطعةً منها أبو تمّامٍ فى أول الحماسة ، وهى :

أبيات الشاهد

(صَفَحْنا عن بنى ذُهلٍ وقُلنا : القومُ إخوانُ
عَسَى الأيامُ أن يَرْجِعْـنَ قوماً كالذى كانوا
فلمّا صَرّح الشَّرُّ فأمسى وهو عُريانُ
ولم يَبْقَ سِوى العُدوا نِ ، دِنّاهُمْ كما دانوا

(١) فى المؤتلف ٨٥ : « الصبايا قبل » ، وما هنا صوابه .
(٢) المؤتلف : « تجرب » بالراء ، وما هنا صوابه
(٣) انظر الحاشية ١ : ص ٣٩٩ من هذا الجزء
(٤) العينى ٣ : ١٣٢ والهمع ١ : ٢٠٢ والأشمونى ٢ : ١٥٩ والتصريح ١ : ٣٦٢ والحماسة ٣٥ بشرح المرزوقى وأمالى القالى ١ : ٢٦٠ وشرح شواهد المغنى ٣١٩
(٥) كتاب البسوس ٩٣

مَشَيْنا مِشْيةَ اللَّيثِ، غَدَا ، والليثُ غَضبانُ
بضربٍ فيه توهينٌ وتخضيعٌ وإقرانُ
وطَعنٍ كفَم الزِقِّ غَدَا والزِّقُّ ملآنُ
وبعضُ الحلمِ عندَ الجهـل للذلَّة إذعانُ
وفى الشرِّ نجاةٌ حيـ نَ لا ينجيك إحسانُ)

الصفح : العفو ، وحقيقته أعرضْنا عنهم وأوليناهم صَفْحَة عُنُقنا . ورُوى : (عن بنى هِنْدٍ) ، وهى هند بنت مُرّ بن أُدّ أُختُ تميم . وقوله : عسى الأيّام الخ ، قال المرزوقىّ : لا يجوز أن يكون الذى بمعنى الذين ، لأنّ الموصول والصلة يصير صفةً لقومٍ آخرين كالقوم المذكورين ، بل التقدير : أن يرددْن دأبَ القومِ كائناً كالدّأب الذى كانوا عليه . وفى هذا الوجه يجوز أن يكون الذى للجنس ، كما قال تعالى (والذى جاء بالصِّدْق وصَدّق به [(١)]) ثم قال : (أولئك) . والفصل بين هذا الوجه والوجهِ الأوّل أنه أمّل فى الوجه الأول أنّهم إذا عفَوا عنهم أدّبتهم الأيّامُ وردّت أحوالَهم كأحوالهم فيما مضى : فى الاتفاق والتوادّ ؛ وفى الوجه الثانى أمّل أن يرجع الأيام أنفسَهم ، إذا صفَحوا عنهم ، كما عهِدت : سلامةَ صُدور وكَرَمَ عُهود[(٢)] انتهى .

ومعنى يَرْجعن يردُدن من باب فَعل وفعَلته ، يقال رَجع فلان رُجوعاً ومَرْجِعاً[(٣)] ورُجعاناً ورجَعته رجْعاً ؛ والعائد محذوف : أى كالذى كانوه ، وهو خبر كان .

(١) الآية ٣٣ من الزمر

(٢) النقل هنا مقتضب فارجع إلى شرح المرزوقى ٣٤ .

(٣) بكسر الجيم كما فى القاموس ، وكذلك مرجعة بكسرها . ونبه على شذوذهما .

وهذا البيت أورده ابن هشام فى المغْنى على أنّ بعضهم استدلّ به على أنّ المعرفة إذا أُعيدَت نكرةً كانت عَيْنا(١) ، على القاعدة المشهورة .

و (صرّح) بمعنى انكشف ، ويأتى أيضاً متعدِّياً بمعنى كشفه . وجملة (وهو عريان) خبر أمسىٰ ؛ وذِكرُ العُريانِ مَثَلٌ لظهور الشرّ . ورُوى (فأضحىٰ وهو عُريان) وهذه أحسَن ، لأنّ الشىء فى الضُّحى أشْهَر . وقوله : (ولم يَبقَ سوى العُدْوان) معطوفٌ على قوله صرّح . وقوله : (دنّاهم .. الخ) جوابُ لمّا . والعُدوان : الظُّلم الصريح . والدِّين : الجزاء . وأورد البيضاوىُّ هذا البيتَ فى قوله تعالى : (مَالِكِ يَومِ الدِّينِ) على أن الدِّين الجزاء . والمعنى : لما أصَرّوا على البغى وأبَوا أن يَدَعوا الظلمَ ، ولم يَبق إلاّ أن نقاتلهم ونعتدىَ عليهم كما اعتدَوا علينا ، جازَيناهم بِفِعْلهم القبيحِ كما ابتدءونا به . وإطلاق المُجازَاة على فعلهم مشاكَلةٌ ، على حدِّ قوله تعالى : (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيه(٢)) .

وقوله : مَشَينا مِشيَة الخ ، هذا تفصيلٌ لما أجمله فى قوله دِنّاهم ، وتَفسيرٌ لكيفيّة المجازاة . وكرَّر الليثَ ولم يأت به مضمَراً ، تفخيماً وتعظيماً . والمعنى: مَشينا إليهم مِشيَة الأسد ابتكر وهو جائع . وكنىٰ عن الجوع بالغضب ، لأنّه يصحبَه . وغدَا بمعجمة فمهملة ، ولا يجوز بمهملتين لأنّ الليث لايكون ماشياً عادياً فى حال . فإن قيل : اجعلْه من العدْوان ، قلتُ : الليث لايمشى فى حال عُدوانه وإنّما يشُدُّ شدًّا ؛ ويجوز على رواية (شَددْنا شَدَّة الليث) على أنّه من العُدوان .

(١) الوجه عينها ، أى عين المعرفة .

(٢) الآية ١٩٤ من سورة البقرة

وقوله: بضربٍ فيه توهينٌ الخ ، الباء تتعلّق بمشينا . والتوهين: التضعيف والإقران: مواصَلة لافُتور فيها: ورُوى:

بضربٍ فيه تفجيعٌ وتأييمٌ وإرنان

والتأييم: جعل المرأة أيِّما ، والأيِّم هى التى قُتِل زوجُها أو مات . والإرنان ، من الرنين والبكاء ، يقال رنّ وأرنّ .

وقوله: وطعنٍ كفم الزِّقّ الخ ، غذا بمعجمتين بمعنى سال ، يقال غذا يغذو غَذْواً والاسم الغذاء ، أى وطعنٍ فى اتِّساعه وخروجِ الدم منه كفَم الزِّقّ إذا سال بما فيه وهو مملوء . وجملة غذا مع ضميره بتقدير قد ، حاليّة .

وقوله: وبعض الحلم الخ ، الإذعان: الانقياد ، يقال أذعَنَ لكذا: إذا انقادَ له ؛ وأذعن بكذا: إذا أقرَّ به . اعتذَرَ فى هذا البيت عَن تركهم التحلُّم مَع الأقرباء ، بأنّه كان يُفضى إلى الذُّلّ .

وقوله: وفى الشرِّ نجاةٌ الخ أراد فى دفع الشرّ ؛ ويجوز أن يريد وفى عمل الشر نجاةٌ ، كأنّه يريد: وفى الإساءة تَخلصٌ إذا لم يخلِّصك الإحسان .

الفند الزمانى

و (الفِنْد الزِمّانىّ) اسمه شَهْلُ بنُ شَيبانَ بن ربيعةَ بن زِمَّان الحَنَفىّ . فهو منسوبٌ إلى جَدِّ أبيه . (وشَهْل) بالشين ، وليس فى العرب شَهْل بالمعجمة إلاّ هو وشَهْل بن أنمار من قبيلة بَجيلة . و (زِمّان) بكسر الزاى وتشديد الميم ، هو إمّا فِعْلان مِن زممت ؛ أو فِعّال من الزمن . و (الفِنْد) بكسر الفاء وسكون النون: القطعة من الجبل ، وإنّمالقِّب به ، لأنّ بكر بن وائل بعثوا إلى بنى حَنيفة(١) ــ فى حرب البَسوس ــ لينصروهم ، فأمدُّوهم به وكتبوا إليهم: قد بعثنا إليكم بثلثمائة فارس ! فلمّا أتى بَكراً وهو مُسِنٌّ قالوا: وما ٥٩

(١) ط: « إلى بكر بن حنيفة » ، صوابه فى س والأغانى ٢٠ : ١٤٤

يغنى هذا العَشَبة ! قال : أو ماترضَون أن أكون لكم فِنْداً تأوُون إليه ؟ فلقِّب به .. والعَشَبة ، بفتحات العين المهملة والشين المعجمة والتاء الموحّدة : الشيخ الكبير ؛ ويقال العَشَمة بالميم بدل الموحّدة ، كذا فى إعراب الحماسة لابن جنّي .

وفى الأغانى(١) : كان الفِنْد أحدَ فرسان ربيعةَ المشهورين المعدُودين ، شَهِد حَربَ بكرٍ وتَغلِبَ وقد قارب المائةَ سنة ، فأبلى بلاء حسناً . وإنّما لقِّبَ فِنْداً ، لأنّ بكرَ بن وائل بَعثُوا إلى بنى حَنيفة يستنصِرُونهم . وذكر الحكايةَ التى ذكرناها ، ثم قال : فوجَّهوا إليهم بالفِنْد الزِمّانىّ ؛ فى سبعين رجلاً ، وكتبوا إليهم : إنّا قد بعثنا إليكم ألفَ رجلٍ !

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد المائتين(١) :

٢٤٢ (تَجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقَتِي وما عَدَلت عَنْ أهلِها لِسِوَائِكا)

على أنّ خروج (سَواء) عن الظرفيَّة شاذٌ خاصٌّ بالشعر ، وإذا خرجت كانت بمعنى غير .

وقد استفتى بعضُهم من جملة أسئلة أربعة : هل تكونُ سواء بمعنى غير ؟ فأجابه أبو نزار الملقَّبُ بملك النُّحاة ، بأنّه قد نُصّ على أنّها لاتأتى إلاّ ظرفَ مكان ، وأنّ استعمالها اسماً متصرِّفاً بوجوه الإعراب بمعنى غير خطأٌ .

ونقل ابن الشَّجَرىّ فى أماليه صورةَ الاستفتاءِ الأسئلة الأربعة ، وما أجاب

(١) وهو من شواهد س فى كتابه ١ : ١٣ ، ٢٠٣ ولا أدرى كيف أهمل البغدادى الإشارة إليه . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٥ / ٢ : ٤٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ وابن يعيش ٢ : ٤٤ ، ٨٤ والإنصاف ٢٩٥ والهمع ١ : ٢٠٢ وديوان الأعشى ٦٥ .

به أبو نزار ، وجوابَ الإمام أبي منصور الجَواليقيّ[1] واستجهَلَ أبا نزار وذمَّه، وخطَّأه تبعاً للجواليقيّ ، وأجاب هو أيضاً عن الأسئلة وقال فى سُِوَى : وأمَّا سوى فإنَّ العرب استعملتها استثناء ، وهى فى ذلك منصوبة على الظرف ، بدلالةِ أنّ النصب يظهر فيها إذا مُدَّت ؛ فإذا قلتَ أتانى القوم سواءك فكأنّك قلت مكانَك . واستدلّ الأخفشُ على أنّها ظرف بوصلهم الاسمَ الناقصَ بها فى نحو:أتانى الذى سوَاك . والكوفيُّون يرونَ استعمالها بمعنى غير . وأقول : إدخال الجارّ عليها فى قول الأعشى :

وما قصدتْ مِنْ أهلِها لِسوائكا

يخرجُها عن الظرفيَّة . وإنّما استجازت العربُ [ذلك[2]] فيها تشبيهاً لها بغير ، من حيث استعملوها استثناء . وعلى تشبيهها بغيرٍ قال أبو الطيِّب :

أرض لها شرفٌ سواها مثلها لو كان مثلك فى سواها يوجد

رفع سوى الأولى بالابتداء وخفض الثانية بفى ، فأخرجهما من الظرفيَّة . فمن خطّأه فقد خطّأ الأعشىٰ فى قوله : لسوائكا ؛ ومَن خطّأ الأعشى فى لغته التى جُبِل عليها ـ وشعرُه يُستشهَد به فى كتاب الله تعالى ـ فقد شهِد على نفسه بأنّه مدْخُول العقلِ ضاربٌ فى غَمْرة الجهْل . ومن العجب أنّ هذا الجاهلُ يُقدِم على تخطئة سلف النحويِّين وخلَفهِم ، وتخطئة الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميِّين ، ولا يؤثر عنه أنَّه قرأ مُصَنَّفاً فى النحو إلاّ مقدِّمةً من تأليف عبد القاهر الجُرجَانىّ ، قيل : إنّها لاتبلغ أن تكون فى عَشْر

(١) انظر الأشباه والنظائر للسيوطى ٣ : ٦٦ ، ٦٩

(٢) التكملة من سه وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٢٤ والأشباه والنظائر ٣ : ٦٩

أوراق ! وقيل : إنّه لا يملك من كتب النحو واللغة ما مقداره عشر[1] أوراق ! وهو مع ذلك يردُّ بقِحَّته على الخليل وسيبوَيه ! إنَّها لوصمة اتّسم بها زمانُنا هذا لا يَبيدُ عارُها[2] ولا ينقضى شَنَارُها. وإنّما طلب بتلفيق هذه الأهواس، أن تُسَطّر فتوى ، فيُثبَت خطُّه فيها مع خطّ غيره فيقال : أجاب أبو نزار بكذا ، وأجاب غيره بكذا ! وقد أدرك لَعمرُ الله مطلوبَهُ ، وبلغ مقصودَه ؛ ولولا إيجاب حقِّ مَن أوجبتُ حقَّه والتزمتُ وِفاقَهُ ، واحترمتُ خطابه ، لصنْتُ خَطّى ولفظى عن مجاورة خطّه ولفظه : انتهى كلام ابن الشجَرىّ . ٦٠

وأجاب الجواليقىّ بقوله : وأمّا سوى فلم يختلفوا فى أنّها تكون بمعنى غير ، تقول : رأيتُ سواك : أى غيرك . وحكى ذلك أبو عُبيد عن أبى عبيدة . وقال الأعشى :

* وما قصدَتْ عن أهلها لسوائكا[3] *

أى لغيرك ، وهى أيضاً غير ظرف ؛ وتقدير الخليل لها بالظرف فى الاستثناء بمعنى مكان وبدل ، لا يخرجها عن أن تكون بمعنى غير . وفيها لغات : إذا فتِحتْ مُدَّت لا غير ، وإذا ضُمَّت قُصِرت لا غير ، وإذا كُسِرت جاز المدّ والقصرُ أكثر . وما يحمل المتكلّم بالقول الهُراء إلاّ فشُوُّ الجهل . انتهى .

وقد حكى ابنُ الأنبارىّ (فى مسائل الخلاف) مذهبَ البصريِّين والكوفيين مفصَّلا ، فلا بأس بإيراده مجمَلاً . قال : ذهب الكوفيُّون إلى أنّ

(١) ط : « عشر أوراق » صوابه فى سه والمرجعين السالفين .

(٢) ط : « لا يبيد » ، صوابه فى سه مع أثر تصحيح والمرجعين السابقين .

(٣) ط : «عن » ، صوابه من المراجع المتقدمة ، وبذلك صححت فى سه . وإنما تأتى « عن » مع رواية « وما عدلت » .

سواء تكون اسماً وتكون ظرفاً ، واحتجُّوا على أنّها تكون اسماً بمنزلة غير ولا تلزم الظرفيَّة ، أنَّهم يُدخلون عليها حرفَ الخفض ، قال المرّار بن سلامة العِجْلىّ :

ولا يَنطق الفحشاء مَن كان مِنهُمُ إذا جلسوا مِنّا ولا مِن سِوائنا

وقال الآخر :

وما قصَدت من أهلها لسوائكا

وقال أبو دُواد :

وكلُّ مَن ظنَّ أن الموتَ مُخطِئُه مُعلَّل بسواءِ الحق مكذوبُ [(١)]

وقال الآخر [(٢)] :

أكرُّ على الكتيبة لا أُبالى أفيها كان حَتفى أمْ سواها

ورُوى عن بعض العرب أنّه قال : أتانى سواؤُك ؛ فرفع . وذهب البصريون إلى أنّها لا تكون إلاّ ظرفاً ، واحتجُّوا بأنها مااستعملت فى اختيار الكلام [(٣)] إلاّ ظرفاً ، قالوا : مررت بالذى سواك . فوقوعها صلة يدلُّ على ظرفيَّتها ، بخلاف غير . وقولِهم : مررت برجُل سواكَ ، أى برجلٍ مكانك ، أى يُغنى غَناءك ويسدّ مَسدَّك . والذى يدلُّ على تغايُر سوىً وغير ، أنّ سوى لاتضاف إلاّ إلى معرفة ، نحو مررت برجل سواكَ ، وسوى العاقل ؛ ولو قلتَ: سوى عاقل لم يجُزْ ، ولو قلتَ غيرِ عاقل ، جاز . ويدلُّ على ظرفيَّة سوى ، أنّ العامل يتعدّاها ، قال لَبيد :

وابذُلْ سَوامَ المالِ إ نَّ سواءها دُهْماً وجُونا

(١) كذا فى ط . وفى سه : « محلل » ، والذى فى الإنصاف « معلل » .
(٢) هو العباس بن مرداس كما سبق فى الخزانة ١ : ص ١٠٢ وما بعدها
(٣) ط : « خيار الكلام » صوابه فى سه والإنصاف .

فنصَب سواءها على الظرف وردُّها بأنّ . . وأجابوا عن الأبيات بأنّه إنّما جاز ذلك لضرورة الشعر ، وعندنا يجوز خروجُها عن الظرفيَّة فى ضرورة الشعر ، ولم يقع الخلافُ فى حال الضرورة ، وإنّما استعمَلوها بمنزلةِ غير فى الضرورة ، لأنّها فى معناها ؛ وليس شىء يُضطرُّون إليه إلاّ ويحاولون له وجهاً . وأما رواية : أتانى سواؤك ، فروايةٌ تفرَّد بها الفرّاء عن أبى ثَرْوان ؛ وهى رواية شاذَّة غريبة ، فلا يكون فيها حُجّة . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدة للأعشى ميمون ، مدحَ بها هَوْذة(١) بن علىّ ابن ثمامة الحَنَفى ، ومطلعها :

(أحيَّيْتَ تيًا أم تُرِكْتَ بدائكا وكانتْ قَتولاً للرجال كذلكا(٢)
وأقصرتَ عن ذِكرى البطالةِ والصِّبا وكان سفيهاً ضَلّة من ضلالكا(٣)
٦١ وما كان إلا الحَيْنَ يومَ لقيتَها وقَطْعَ جديدٍ حبلُها مِنْ حبالكا
وقامتْ تُريني بعدَ ما نام صحبتى بياضَ ثَنَاياها وأسودَ حالكا)

ثم وصف الفقر والفاقة فى أبيات . . إلى أن قال :

(إلى هَوذَةَ الوهّابِ أهديتُ مِدْحتى أرجِّى نَوالاً فاضلاً مِن عطائكا
تجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقتِي وما عَمَدَتْ من أهلها لسوائكا
ألمّتْ بأقوامٍ فعافتْ حِياضهم قَلوصى ، وكان الشربُ فيها بمائكا(٤)
فلمَّا أتتْ آطامَ جوٍّ وأهلَه أُنيخَتْ فألقتْ رحلَها بفِنائكا(٥)

(١) وردت « هوذة » فى ط بالدال المهملة فى جميع مواضعها هنا ، وهو تصحيف ظاهر :
(٢) فى ديوانه ٦٤ : « أتشفيك تيا » :
(٣) فى الديوان : « وكان سفاها » :
(٤) فى الديوان : « الشرب منها » .
(٥) ط : « فألق » ، صوابه فى ش ، وفى الديوان ٦٦ : « وألقت » :

سَمعتُ برَحْب الباعِ والجودِ والندىٰ فألقيتُ دَلوى فاستقَتْ برِشائكا
وما ذاكَ إلاَّ أن كفَّيكَ بالندىٰ يَجُودانِ بالإعطاءِ قبلَ سُؤالكا
فتيً يحمل الأعباء ، لو كان غيرُهُ من النَّاس ، لم يَنْهضْ بها متماسِكا
وأنت الذى عوَّدْتنى أنْ تَريشَنى وأنتَ الذى آوَيتَنى فى ظلالكا
وإنَّك فيما نابنى بىَ مُولَعٌ بخيرٍ وإنِّى مُولَعٌ بثنائكا
وجدتَ عَليًّا بانيًا فورِثتَه وطَلْقًا وشيبانَ الجوادَ ومالِكا
ولم يَسْعَ فى العَلياء سَعيَكَ ماجدٌ ولا ذو إنًا فى الحىِّ مثل إنائكا
وفى كلِّ عام أنت جاشمُ رِحلةٍ تَشُدُّ لأقصاها عزيم عزائكا[١]
مورِّثةٍ مالاً وفى المجد رِفعةً لما ضاعَ فيها مِن قُروءِ نسائكا)

قوله : أحيَّتْك ، الهمزةُ للاستفهام ، والتحيّة معروفة . وتَيّا بفتح المثنّاة الفوقيّة وتشديد المثنّاة التحتيّة ، الظاهرُ أنّه اسمُ محبوبته[٢] وقد تغزّل بها فى أكثر قصائده ، كقوله :

تذكرت تَيًّا وأترابَها وقد أخْلَفَتْ بعضَ ميعادها

وقوله :

عَرفتَ اليومَ من تَيًّا مُقاما بجوٍّ أو عرَفْتَ لها خِياما

وقيل : إنّها اسم اشارةٍ بمعنى هذه . وأراد بالأسود الحالكِ شعرَها .

وقوله : (تجانَفُ عَنْ جوٍّ . . الخ) أصله تتجانف بتاءين من الجنف وهو الميل . و (جَوّ) بفتح الجيم وتشديد الواو : اسم اليمامة فى الجاهليّة ، حتّي سمّاها الحميرىُّ لمّا قتل المرأةَ التى تُسمّى اليمامة باسمها ، وقال الملك الحميرىّ :

---

(١) ط : « عرائكا » صوابه فى سه والديوان
(٢) فى شرح ثعلب بالديوان ٦٤ : « تيا بالفتح وتيا بالكسر : مثل تلك » :

وقُلنا فسَمُّوها اليمامةَ باسمها   وسِرنا وقلنا لا نريد إقامة

وقال الأعشى فى مدح الحنَفىّ أيضاً ، وهو صاحب اليمامة ، ويذمُّ الحارث ابن وَعلة :

وإنّ امرأً قد زرتُهُ بعد هذه   بجَوّ لخيرٌ منكَ نَفْساً ووالدا

كذا فى معجم ما استعجم للبكرىّ . ورُوى (عن جلِّ اليمامة) وفى الروايتين حذف مضاف ، فالأوّل عن أهل جوِّ اليمامة ، والثانى عن جُلّ أهل اليمامة : أى مُعظَمَ أهلها . يعنى : أنّه لم يقصِد سواه من أهل اليمامة . وضمير (أهلِها) لليمامة . وجَعل الميلَ عن غير هَوذة إلى هَوذة فِعْلَ الناقة ، وإنّما هو فِعل صاحبِها . واللام فى (لسوائكا) بمعنى إلى غيرك .

قال صاحب التصحيف[1] : قال أبو عُبيد : لا يكون سواء وسوى اسماً ، هوَ صفة ، وقال فى قوله : ٦٢

وما قصدتْ من أهلها لسوائكا :

قال الزجاج : سواء زيد وعمرو فى معنى ذوا سواء ، وسواء عنده مصدر ، وإنّما هو لمكان سوائكا . انتهى .

وقال ابن وَلاّد (فى المقصور[2] والممدود) : سوى بمعنى غير مكسورُ الأوّل مقصور ، يكتب بالياء ، وقد يفتح أوّله فيمدّ ، ومعناه معنى المكسور قال الأعشى بفتح ومدّ :

* وما قصدت من أهلها لسَوائِكا *

وقوله : وجدْتَ عَليًّا بانياً الخ ، علىّ أبوه ، وطَلْق وشيبانُ ومالكٌ

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٩٨

(٢) المقصور والممدود ٥٤

أعمامُه . وقوله : لِمَا ضاعَ فيها مِن قُروء نسائــكا ، يعنى الغزوة التى شغلته عن وطء نسائه فى الطُهْر .

وهذه القصيدة تُشْبه أشعارَ المحْدَثين والمولّدين فى الرقّة والانسجام ؛ ولهذا أوردنا أكثرها .

وترجمة الأعشىٰ تقــدّمت فى الشاهد الثـالث والعشرين من أوائل الـكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائتين[2] :

٢٤٣ (خالَطَ مِنْ سَلْمىٰ خَياشِيمَ وَفَا)

على أنّ أصله (وفَاها) فحذف المضاف إليه .

قال أبو علىّ (فى إيضاح الشعر) : اعلم أنّ أبا الحسن الأخفشَ قال فى قول الراجز :

خالط من سَلمىٰ خياشيمَ وفا :

إنّ التقدير : وفاها ، فحذف المضاف إليه . وكذلك قال فى قوله : ليسَ غَيْرَ : إنّ التقدير ليس غَيْرَهُ . وحكىٰ بعضُهم أنّ من الناس من قد لحَّنَه . والتلحين ليس بشىء ؛ لاحتماله ما قال أبو الحسن . وفيه قولٌ آخر : أنّه جاء على قول مَنْ لم يُبْدِل من التنوين الألف فى النصب ولـكن جعـل النصب فى عدم إبدال التنوينْ ألفاً كالجرّ والرفع ، كما جعلوا النصبَ فى نحو :

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٢) ديوان العجّاج ٨٣ وابن يعيش ٦ : ٨٩ والعينى ١ : ١٥٢ والهمع ١ : ٤٠ ويس ١ : ١٢٥ والمخصص ١ : ١٣٦ — ١٣٨ / ١٤ : ٩٦ / ١٥ : ٧٨ :

كَفَى بالنأْى مِنْ أسماء كافِ[1]

مثل الجرّ والرفع . وكذلك جُعِل النصب مِثلهما فى نحو قوله :

وآخذ من كل حىٍ عُصَم[2]

أى عُصَماً . وهذه اللغة ، وإن لم يحكها سيبويه ، فقد حكاها أبو الحسن وغيره . ووجْهُها من القياس ما أعلمتُك . فإذا جاز أن يُقدَّر على هذه اللغة قدَّرناه عليها ، وكانت الألف فى الكلمة ، التى هى بدلٌ من عين الفعل ؛ وجاز ذلك لأنّه ليس يبقى الاسم المتمكّن على حرف . ألا ترى أنّ الألف منقلبةٌ عن العين ، فصار فى ذلك كالأسماء التى لما أُمِنَ إلحاقُ التنوين بها جاز أن تبقى على حرفين أحدُهما حرفُ لِين : كقوله : ذو — التى فى معنى الذى — وذا ، وتا ، ونحو ذلك ممّا جاء على حرفين أحدُهما حرفُ لين ، لمّا لم يكن ممّا يلحقه التنوين . فكذلك « خياشيم وفا » لا يمتنع أن يكون على حرفين أحدُهما حرفُ لِين ، على الوجه الذى ذكرنا . انتهى

وبسط هذا الكلامَ فى التذْكِرة القصْرية ، وأطال وأطابَ فى المسائل العسكرية .

وهذا البيت من أُرجوزةٍ للعجّاج ، مطلعها :

(ياصاحِ ، ما هاجَ العيونَ الذُّرَّفا مِنْ طَلَلٍ أمسىٰ يحاكى المصْحَفا
رُسومُهُ والمذهَبَ المزخْرَفا جرَتَ عليه الريحُ حتّى قد عفَا)

والبيت الأوّل من شواهد شروح الألفية فى التنوين ، إلى أن قال :

(١) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٤٢ وعجزه :

« وليس لحبها إذ طال شاف »

(٢) للأعشى فى ديوانه ٢٩ . وصدره :

« إلى المرء قيس أطيل السرى »

(خالَطَ مِنْ سَلمى خَياشيمَ وفا صَهْباء خُرْطُوماً عُقاراً قَرْقفا)

٦٣ والخياشيم: جمع خَيشومٍ، وهو أقصى الأَنف. والصَّهباء: فاعل خالَط، وهى الخمر، سمِّيت به للونها وهو الصُّهْبة وهى الشُّقْرة. والخرطوم: السُّلافة؛ فى الأساس: وشَرِب الخرطومَ: أى السُّلافة لأَنّها أوّل ما ينعصر. والعُقار، بالضمّ: الخمْر، سمِّيت بذلك لأَنّها عاقرت العقلَ على قَول. يَصِف طِيبَ نكهتها كأَنّ فيها خمراً. وإنّما جمع الخياشيمَ باعتبار أجزائه وأطرافِهِ. وحيثُ كان الأصل فاها، فحذف المضاف إليه، ينبغى أن يكون خَياشيم كذلك أيضاً، أى خياشيمها وفاها.

وترجمة العجّاج تقدَّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب[١].

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد المائتين[٢]:

٢٤٤ (وَلا سيّما يوماً بِدَارةِ جُلْجُلِ)

على أنّه رُوى بنصب (يوم) بعد (لا سيما).

وقد ذكر الشارح المحقِّق ما قيل فى توجيهه. وهذا عجزٌ، وصدرُه:

ألا رُبَّ يومٍ صالحٍ لك مِنهُما

---

(١) الخزانة ١: ص ١٧٠

(٢) من معلقة امرئ القيس: وانظر ابن يعيش٢: ٨٦ والهمع ١: ٢٣٤ وشرح شواهد المغنى ١٤١، ٢٤٧ والأشمونى ٢: ١٦٧ والتصريح ١: ١٤٤

وسيّ بمعنى مِثْل ، وأصله سِيْوٌ[1] وقال ابن جنى : سِوْىٌ من سويته فتسوّى ؛ فلما اجتمع حرفا العلّة وسَبق أحدُهما بالسكون ، قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء .

ويجوز فى الاسم الذى بعدها الجرُّ والرفعُ مطلقاً ، والنصب أيضاً إذا كان نكرة ؛ وقد روى بهنَّ فى قوله : ولا سيما يوم . والجرُّ أرجَحُهَا[2] وهو على الإضافة ؛ و (ما) إمّا زائدة ، وإمّا نكرة غير موصوفة ويوم بدلٌ منها . والرفعُ على أنّه خبر لمبتدإ محذوف والجملة صلةُ ما إن كانت موصولة ، أو صفتها إن كانت نكرةً موصوفة ، تقديره : لا مثْلَ الذى هو يومٌ ، أو لا مثلَ شىء هو يوم . وسِيّ فى الوجهين نكرة ، لأنه بمعنى مِثل فلا يتعرَّف فى الإضافة ، لتوغُّله فى الإبهام ؛ ولهذا جاز دخول لا التى لنفى الجنس . وضُعِّف الرفعُ بحذف العائد المرفوع مع عدم الطُول فى نحو لا سيما زيدٌ — وأما فى البيت فقد طالت الصلةُ أو الصفة بالجارّ والمجرور بعد يوم فإنّه صفته — وبإطلاقِ ما على مَنْ يعقِل . كذا قال ابنُ هشامٍ (فى المغْني) وفيه : أنّه لا مانع من الإطلاق ، قال تعالى : (والسَّماءِ وما بنَاها . والأرضِ وما طَحَاها . ونَفْسٍ وما سَوَّاها[3]) ولهذا لم يتعرَّض له الشارح المحقِّق .

وعلى الجرّ والرفع ففتحةُ سِيّ إعرابٌ لأنّه مضاف ، فيكون اسمَ لا والخبرُ محذوفٌ أى لنا . قال ابن هشام[4] : « وعند الأخفش ما خبرٌ لِلا . ويلزمه قطعُ سيّ عن الإضافة من غير عوض . قيل : وكون خبر لا معرفةً . وجوابه

(١) ط : « سو » ، وصوابه فى ش .
(٢) فى النسختين : « أرجحهما » ، والصواب من المغنى ١ : ١٢٣
(٣) الآيات ٥ — ٧ من سورة الشمس
(٤) فى المغنى ٢ : ١١ عند الكلام على (ما)

أنه يُقدَّر ما نكرةً موصوفة ، أو يكون قد رجع إلى قول سيبويه فى لا رجلَ قائم : إنّ ارتفاع الخبر بما كان مرتفعاً به ، لا بلا النافية . وفى الهيتيّات[1] للفارسىّ : إذا قيل : قاموا لا سيَّما زيد ، فلا مهملة وسىّ حال ، أى قاموا غيرَ مماثلين لزيدٍ فى القيام . ويردُّه صحّةُ دخول الواو ، وهى لا تدخل على الحال المفْردة ، وعدمُ تكرار لا ، وذلك واجبٌ مع الحال المفْردة » انتهى .

وأما من نصَب فقد تكلفوا لتوجيهه : فقيل : إنّه تمييز ثم قيل : ما نكرة تامّة مخفوضة بالاضافة وكأنّه قيل : ولا مثل شىء ؛ ثم جىء بالتمييز . ففتحة سىّ إعرابٌ أيضاً . وقال الفارسىّ : ما حرفُ كافٌ لسىّ عن الإضافة ، فأشبهت الإضافةَ فى : على التَّمرة مثلها زُبْداً . ففتْحتُها على هذا بناء . وقيل : منصوبٌ بإضمار فعلٍ ، أى أعنى يوماً . وقد بيّنه الشارح المحقِّق . وقيل : على الاستثناء . وقيل منصوبٌ على الظرف ويكون صلةً لما . كذا فى شرح اللبّ .

٦٤

وأما انتصابُ المعرفة نحو : ولا سيما زيداً ، فقد منعه الجمهور ، وقال ابن الدهّان : لا أعرف له وجهاً . وقد وجَّهه الشارح المحقِّق بأنه تمييز . وقال ابن هشام : « ووجَّهه بعضُهم بأنّ ما كافة ، وأنّ لا تنزّلت منزلة إلاّ فى الاستثناء ورُدّ بأن المستثنى مُخرَجٌ ، وما بعدها داخلٌ من باب الأَوْلىٰ . وأجيب بأنّه مخرَجٌ ممّا أفهمه الكلامُ السابقُ من مساواته لما قبلها . وعلى هذا فيكون استثناء منقطعا » انتهى .

وأُورِدَ أيضاً على جعْلها للاستثناء ، بأنّها لو كانت بمعنى إلاّ لما جاز دخولُ الواو العاطفة عليه ، كما لا يجوز دخولها على إلاّ . وأجيب بأنّ معنى لا سيَّما ،

---

(١) مسائل لأبى على الفارسى أملاها فى « هِيت » بالكسر ، وهى بلدة على الفرات .

خُصوصاً ؛ فكأنّه قال : وخصوصاً هذا اليومَ ، أى فأخصُّ هذا اليومَ من سائر الأيام خصوصاً ، لكونه أبلغَ فى الحظوة منها ؛ فهو فى المعنى مقدَّر بفعل ينصبه . وإنّما أُطلق عليه أنّه بمنزلة إلاّ نظراً إلى المعنى ، لأنّ الاستثناء أيضاً تخصيص . وإنّما أدخل الواو نظراً إلى المعنى أنّه مقدَّرٌ بجملة ، أى وأخصُّ هذا اليومَ لأنّه ليس مثلَ الأيام الصالحة بل هو أفضل . كذا فى شرح اللباب .
وقد جعلها الشارح واو الاعتراض ، وبيَّن المعنى ، ثم ذكر أنّ قولهم : ولا سيما ، قد تحذف واوُها وقد تخفف ياؤها ، كقوله .

فِهِ بالعُقود وبالأيمانِ لا سِيَمَا عَقْدٌ وَفاء مِنْ أعظَمِ القُرَبِ

لكن قال ثعلب : مَن استعمله على خلافِ ما جاء فى قوله : ولا سيّما يوم بدارة جُلجل ، فهو مخطئٌ .

(تتمة)

فى شرح التسهيل : قد يقع بعد ما ظرفٌ نحو : يُعجبنى الاعتكافُ لا سيّما عند الكعبة ، قال :

يَسُرُّ الكريمَ الحمدُ لا سِيّما لدىٰ شهادةِ مَنْ فى خيره يتقلَّب

وقد تقع جملة فعليّة كقوله :

فُقِ الناسَ فى الخير لا سيّما يُنيلك من ذى الجلال الرِضا[1]

والغالب وصلها بالاسميّة . وقال المرادىّ : إنّه وقع بعدها الجملة الشرطية ؛ فما كافّة بناء على أنّ الشرطيّة لا تكون صلةً للموصول . وفيه كلامٌ فى شروح الكشاف . وهذا كما حكىٰ الجوهرىُّ : فلان يكرمُني لا سيّما إنْ زُرتُه .

(١) سه : « بنيلك » . والصواب أن تكون فعلاً كما فى ط . وانظر الهمع ١ : ٢٣٥

ولا يصحُّ جعلُ ما زائدة ، لأنّه يلزم إضافة سيّ إلى الجملة الشرطية ، ولا يضاف إلى الجمل إلاّ أسماء الزمان .

وقد يقع بعدها جملةٌ مقترنة بالواو فعليّة كما وقع فى عبارة الكشاف : لا سيّما وقد كان كذا ، واسميّة كما فى قول صاحب المواقف : « لا سيّما والهِمَمُ قاصرة » .

وفى شرح التسهيل : انّه تركيبٌ غيرُ عربيّ ، وكلام الشارح يخالفه . وفى شرح المواقف أنّ قوله : والهمم قاصرة ، مؤوّل بالظرف نظراً إلى قرب الحالِ من ظرف الزمان ، فصحّ وقوعُها صلة لِماَ . وهذا من قبيل الميل إلى المعنى والإعراضِ عن ظاهر اللفظ ، أى لا مِثلَ انتفائه فى زمان قُصور الهمم . وهذا لا يرضاه نحويٌّ ، كيف والجملة الحاليّة فى محل النصب ، والصلة لا محل لها ؟!

أبيات الشاهد

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس المشهورة . وهذه أبياتٌ منها :

٦٥ (وإنَّ شِفائى عَبْرةٌ لو سَفحتُها ... فهل عندَ رسمٍ دارسٍ مَن معوَّلِ
كدأبكَ مِن أمِّ الحُويرث قبلها ... وجارتِها أمِّ الرَّباب بمأسَل
إذا قامتا تضوَّعَ المسكُ منهما ... نَسيمَ الصَبا جاءتْ بريّا القرَنفُلِ
ففاضتْ دموعُ العينِ منّي، صَبابة ، ... على النَّحر حتّي بلَّ دَمعى مِحْمَلى[1]
ألاَ رُبَّ يومٍ صالحٍ لك مِنهُما ... ولا سيَّما يوماً بدارةِ جُلجُلِ[2]
ويومَ عقرتُ للعذارىٰ مَطِيَّتى ... فياعجبًا لرحلِها المتحمَّلِ
فظلَّ العَذارىٰ يرتَمِين بلَحمها ... وشحمٍ كهُدَّاب الدِّمَقْس المفتَّلِ

(١) ط : « محل » صوابه فى س
(٢) س : « يوم »

ويومَ دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنيزةٍ فقالت : لك الويلات ! إنّك مُرجلى
تقولُ ، وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً : عَقرتَ بَعيرى يا امرأ القيسِ فانزلِ
فقلتُ لها : سِيرى وأرخى زِمامَه ولا تُبعِدِينى مِن جَنَاكِ المعلَّلِ)

البيتان الأوّلان قد تقدَّم شرحُهما فى باب الحال فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائة [١] .

وقوله : إذا قامتا الخ ، ضمير المثنَّى لأُمِّ الحويرث وأُمِّ الرَّباب . وتضوع : فاحَ متفرِّقا . والمِسك يذكَّر ويؤنّث ، وكذلك العنبر ، ومَن أنَّثه ذهب به إلى معنى الريح ، ورواه (تَضَوَّعُ المِسكُ) على أنّه فعل مضارع أصله تَتَضوع بتاءين . ونصب نسيمَ الصَّبا لأنّه قام مقام نعتٍ لمصدرٍ محذوف ، قال ابن هشامٍ فى المغْني ، فى بيان كيفية التقدير : إنّه إذا استدعى الكلامُ تقديرَ موصوف وصفةٍ مضافة ، مثلاً ، فلا يقدَّر أنّ ذلك حُذف دَفعةً واحدة ، بل على التدريج ، نحو : تضوَّع المسكُ منهما نسيمَ الصبا ، أى تضوُّعاً مثلَ تضوُّع نسيمِ الصبا . انتهى .

وأورد صاحبُ تحرير التحبير هذا البيتَ فى باب الاتساع [٢] ، وهو أن يأتى الشاعرُ ببيتٍ يتّسع فيه التأويلُ على قدْر قُوىَ الناظر فيه ، وبحسَب ما تحتمله ألفاظه : فإنّ هذا البيت اتّسعَ النقادُ فى تأويله : فمِن قائلٍ [٣] : تضوَّع المسكُ منهما تضوُّعَ نسيمِ الصبا — وهذا هو الوجهُ عندى — ومن قائلٍ : تضوع المَسك منهما ، بفتح الميم يعنى الجلد ، بنَسيم الصَّبا . انتهى .

(١) فى هذا الجزء ص ٢٢٣ وما بعدها
(٢) تحرير التحبير ٤٥٤ وقد تصرف البغدادى فى نقله
(٣) فى تحرير التحبير : « فمن قائل تضوع مثل المسك منهما نسيم الصبا ، ومن قائل تضوع نسيم الصبا منهما ، ومن قائل تضوع المسك منهما ... الخ » .

والريّا : الرائحة الطيِّبة لا غير . وجملة جاءت الخ ، بتقدير قد ، حالٌ من الصَبا . و نسيم الصَبا هُبوبها بضَعف . قال الدِينَوَرِىُّ (فى كتاب النبات) : القَرنفُل أجودُ ما يُؤتى به من بلاد الصين ، وقد كثر مجىء الشعرِ بوصف طِيبه . . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : وقالوا : قد أخطأ امرؤُ القيس ، فإنه لا يقال تضوَّع المسكُ حتّى كأنّه ريّا القَرنفُل ، إنّما كان ينبغى أن يقول : تضوَّعَ القَرنفل حتّى كأنّه ريا المسك . انتهى .

وقد تبعه الإمامُ الباقِلاّنى (فى كتاب إعجاز القرآن[1]) قال : وفيه خَلَل[2] ، لأنّه بعد أن شبّه عَرْفَها بالمسكِ شبَّه ذلك بنسيم القَرنفُل . وذِكرُ ذلك بعدَ المِسك نقصٌ . وكذلك قوله : إذا قامتا تضوَّع المسكُ منهما . ولو أرادَ أن يجوِّد أفاد أنّ بهما طيباً على كلِّ حال . فأما فى حال القيامِ فقط ، فذلك تقصير . وقوله : نسيم الصبا ، فى تقدير المنقطع عن المصراع الأوّل[3] . انتهى .

والعَيبان الأخيران ليسا كما زعمه ، فتأمَّل .

٦٦ وقوله : ففاضتْ دموعُ العَين الخ ، فاضت : سَالَت . والصَّبابة : رِقة الشّوق ، ونصْبها على أنّها مفعولٌ له . والمِحْمَل ، بكسر الأوّل : السير الذى يُحمَل به السّيف ، قال شُرّاح المعلّقة : وممّا يُسأل عنه هنا أن يقال : كيف يُبلُّ الدمعُ مِحمَلَه وإنّما المِحْمَل على عاتقه ؟ فيقال : قد يكون منه على صدره فإذا بكى وجرى عليه الدمعُ ابتلّ — وقال الإمام الباقِلاّنىّ[4] : « قوله :

(١) إعجاز القرآن ٢٤٨ — ٢٤٩
(٢) إعجاز القرآن : « ثم فيه خلل آخر »
(٣) بعده فى الإعجاز : « لم يصله به وصل مثله »
(٤) إعجاز القرآن ٢٤٩

منّي ، استعمانه ضعيفة ، عند المتأخّرين ، فى الصنعة [١] ؛ وهو حشوٌ غير مَليح ولا بديع . وقوله : على النحر ، حشوٌ آخر لأنّ قوله : بلّ دمعى مِحْمَلى ، يُغنى عنه . ثمّ قوله : حتّي بلّ دَمعى الخ ، إعادةُ ذكر الدّمْع حشوٌ آخر ، وكان يكفيه أن يقول : حتّي بلّت محملى . فاحتاج لإقامة الوزن إلى هذا كلّه . ثمّ تقديره أنّه قد أفرط فى إفاضة الدمع حتّي بلّ محملَه تفريطٌ منــه وتقصير ، ولو كان أبدعَ لـكان يقول : حتّي بلّ دمعى مغَانيَهم وعِراصَهم . ويشبه أن يكون غرضُه إقامةَ الوزن والقافية ، لأنّ الدمعَ يَبعُد أن يبلّ المِحمَل ، وإنّما يقطُر من الواقف والقاعدِ ، على الأرض . أو على الذيل . وإنْ بلّه فلقلّته وأنّه لا يقطُر . وأنت تجد فى شعر المتأخّرين ما هو أحسَنُ [٢] من هذا البيت » انتهى .

وقوله : (ألا رُبّ يومٍ صالح . . الخ) رُبّ هنا للتكثير ؛ ومنهما أى من أمّ الحويرث وأمّ الرَباب . ورُوى :

* ألا ربّ يومٍ لك منهنّ صالح *

أى من النساء وفيه الـكفُّ وهو حذف النون من مفاعيلن . والمعنى : ألا ربّ يوم لك منهن سرورٌ وغِبطة بوصال النسـاءِ وعيشٍ ناعم معهنّ . وقوله : ولا سيّما الخ ، أى وليس يومٌ من تلك الأيّام مثلَ يوم دارة جُلجُل ، فإنّ هذا اليوم كان أحسن الأيّام وأفضلَها . يريد التعجُّبَ من فضل هذا اليوم . ودارة جُلجُل ، بضم الجيمـين : اسم غَدير ؛ قال البـكرىّ (فى معجَم

(١) ط : « فى الصفة » صوابه فى ش والإعجاز .

(٢) فى النسختين : « أحد » صوابه من الإعجاز ، ونصه : « وأنت تجد فى شعر الخبزرزى ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأعجب »

ما استعجم) : قال أبو عُبيدة : دارة جُلجل موضعٌ بديار كِندة . وقال أبو الفرج : قال الكلبيّ : هو عند عين كندة . انتهى .

قال الإمام الباقِلاّنيّ (١) : وهذا البيت خالٍ من المحاسن والبديع ، خاوٍ من المعنى ؛ وليس له لفظٌ يروق ، ولا معنيً يرُوع ؛ من طباع السُّوقة ؛ فلا يرعك تهويله باسم موضعٍ غريب .

وقوله : ويومَ عقَرتُ الخ ، يومَ معطوف على يوم فى قوله : ولا سيّما يوم ، لكنّه بُني على الفتحة لإضافته إلى مبنيّ ؛ أو هو منصوبٌ بتقدير : اذكرْ . والعقْر : الضرب بالسيف على قوائم البعير ؛ وربّما قيل عقَره : إذا نَحَره . والعَذَارىٰ : البنات الأبكار . والرَّحْل : كلُّ شيءٍ يُعَدُّ للرحيل : من وعاءٍ للمتاع ، ومَركَب للبعير ، وحِلْس ورَسَن . والمتحمّل : اسم مفعول ، أى المحمول . وأورد ابن هشامٍ هذا البيت (فى المغْني) على أنّ لامَ للعذارى للتعليل . وقوله : فيا عجبًا ، الألِف بدل من الياء فإنّها تبدل فى النداء إليها جوازاً . ويقال : كيف يجوز أن يُنادىٰ العجبُ وهو ممّا لا يجيب ولا يفهم ؟ فالجواب : أنّ العرب إذا أرادت أن تُعظِم أمرَ الخبر جعلته نداء ؛ قال سيبويه : إذا قلت يا عجباً كأنّك قلت : تعالَ يا عجبُ فإنّ هذا من إبّانك . فهذا أبلغ من قولك تعجّبت . والمعنى : انتبهوا للعجب كذا فى شروح المعلّقة .

وقال الإمامُ الباقِلاّنيّ (٢) : قال بعض الأدباء : قوله يا عجبا ، يعجّبهم من سَفَهِه فى شَبابه من نحره ناقتَه لهنّ (٣) . وإنّما أراد ألاّ يكون الكلامُ من هذا المصراع منقطعاً عن الأوّل ، وأراد أن يكون الكلامُ ملائماً له . وهذا

(١) إعجاز القرآن ٢٥٠

(٢) إعجاز القرآن ٢٥١

(٣) فى النسختين : « ناقته أى » صوابه فى إعجاز القرآن

الذى ذكره بعيد ، وهو منقطع عن الأول ؛ وظاهر أنه يتعجب من تحمل العذارى رحله . وليس فى هذا تعجب كبير ، ولا فى نحر الناقة لهن تعجب . وإن كان يعنى به أنهن حملن رحله ، وأن بعضهن حملته ، فعبر عن نفسه برحله ، فهذا قليلاً[1] يشبه أن يكون عجباً . لكن الكلام لا يدل عليه. ولو سلم البيتُ من العيب لم يكن فيه شىء غريب ، ولا معنى بديع ، أكثرُ من سَفاهته[2] ، مع قلَّة معناه وتقارُب أمره ، ومشاكلته طبْعَ المتأخرين . ومن أول القصيدة[3] لم يمرّ له بيتٌ رائع ، وكلامٌ رائق . ٦٧

وقوله : فظل العذارى الخ ، يرتمين : يناول بعضُهنَّ بعضا . والهُدّاب ، بالضمّ والتشديد ، هو الهُدْب وهو طرف الثوب الذى لم يتمَّ نسجُه . والدِّمَقْس : الحرير الأبيض ويقال له القزّ[4] . قال الإمام الباقِلاّنىّ : هذا البيت يعدُّونه حسناً ، ويعدُّون التشبيهَ مَليحاً واقعاً . وفيه شىء : وذلك أنه عرَّف اللحمَ ونكَّر الشحم ، فلا يعلم أنه وصف شحمها ، وذكر تشبيهَ أحدِهما بشىء واقع ، وعجَز عن تشبيه القسمة الأولى فمرَّتْ مُرسَلة ؛ وهذا نقصٌ [فى الصنْعة[5]] وعجز عن إعطاء الكلام حقَّه . وفيه شىء آخر من جهة المعنى : وهو أنه وصف طعامَه لضيوفه بالجوْدة ، وهذا قد يعاب ، وقد يقال : إنّ العربَ تفتخر بذلك ولا تَراه عيباً ، وإنما الفُرْسُ هم الذين يرَوْن هذا عيباً شنيعاً . وأما تشبيه الشَّحْم بالدِّمَقْس فشىء يقع للعامَّة ويجرى على ألسنتهم ،

(١) ط : « قليل » ، وكان فى ـه الف فى نهاية الكلمة فمحيت ، والوجه ما أثبت من أصل ـه ومن إعجاز القرآن .

(٢) فى النسختين : « سلامته » ، وهو عكس المراد ، صوابه فى إعجاز القرآن

(٣) فى الإعجاز : « وإلى هذا الموضع »

(٤) ـه : « ويقال هو القز »

(٥) التكلة من إعجاز القرآن

فليس بشىء قد سَبَق إليه . وإنّما زادَ[١] المفتّل للقافية ، وهذا مفيد . ومع ذلك فلست أعلَم العامّة تذكر هذه الزيادة . وفيه شىء آخر : وهو أنّ تبجّحه بما أطعم الأحبابَ مذمومٌ ، وإنْ سُوِّغ التبجّح بما أُطعِمَ الأضيافُ ؛ إلا أنْ يُورد الكلام مُورَدَ المُجون ، على طرائق أبى نواس [فى[٢]] المزاح والمداعَبَة .

وقوله : ويومَ دخلتُ الخ ، هو معطوفٌ على يوم عقرت . والخِدْر ، بالكسر : الهَودج هُنا . وخدر عنيزة بدلٌ منه . وعُنَيزة بالتصغير : لقبُ ابنة عمِّه فاطمة . وفيه ردٌّ على من زعم أنّه لم يُسمَع تلقيبُ الإناث . وأنشد ابن هشامٍ هذا البيت (فى بحث النون ، من المغْنِي) على أن التنوين اللاحقَ لعُنيزة تنوينُ الضرورة ، وهو التنوين اللاحق لما لا ينصرف . وقوله : مُرْجلى : اسمُ فاعل من أرجلته إذا صيَّرته راجلاً ؛ ورَجل الرجلُ يَرْجَلُ ، من باب علم : إذا صار راجلاً . وقوله : لكَ الويلاتُ ، فيه قولان : أحدهما : أن يكون دعاء منها عليه إذ كانت تخاف أن يَعقِر بعيرَها . والثانى : أن يكون دعاء منها له على الحقيقة ، كما تقول العرب للرجل إذا رمىٰ فأجاد : قاتله الله ما أرماه ! وحقيقةُ مثلِ هذا أنه يَجرىَ مجرى المدحِ والثناء . وقال الإمام الباقِلاّنىّ : دخلتُ الخدر خدر عنيزة ، ذكرَه تكريراً[٣] لإقامة الوزن ، لا فائدةَ فيه [غيره[٤]] ، ولا مَلاحةَ ولا رونق . وقوله : فقالت لك الخ ، الكلام مؤنّثٌ من كلام النساء ، نقله من[٥] جهته إلى شعره ؛ وليس فيه غير هذا . انتهىٰ .

---

(١) فى النسختين : « أراد » صوابه من الإعجاز

(٢) التكملة من الإعجاز

(٣) فى النسختين : « ذكر تكريره » صوابه فى الإعجاز ٢٠٣

(٤) التكملة من إعجاز القرآن

(٥) فى النسختين : « من » ، وأثبت ما فى الإعجاز

وطَعنُه الأول ليس بصحيح ، لأنه من باب الإبهام والتفسير ، وهو عندهم من محاسن الكلام .

وقوله : تقول وقد مالَ الخ ، الغَبيط ، بفتح المعجمة : الهودج بعينه ، وقيل قَتَب الهَودَج ، وقيل مَرْكَبٌ من مَراكب النساء . وعَقَرتَ هنا بمعنى جَرحتَ ظهره — قال الإمام الباقِلاّنيّ : كرّر قولَه سابقاً بقوله : تقول وقد مال الخ ، ولا فائدةَ فيه غير تقدير الوزن ، وإلاّ فحكاية قولها الأوّل كافٍ . وهو فى النظم قبيح ، لأنه ذكر مرّة « فقالت » ومرة « تقول » ، فى معنًى واحدٍ وفصْل خفيف . وفى المصراع الثانى أيضاً تأنيثٌ من كلامهنّ . انتهى .

٦٨ طعنُه الأوّل غيرُ واردٍ ، لأنّه من باب الإطناب ، بسَطَه ثانياً للتلذُّذ والإيضاح . وقوله ثانياً تقولُ ، غيرُ مَعيبٍ ، لأنّه من حكاية الحالِ الماضية وقد عُدَّ حسَنا .

ثم قال الباقِلاّنيّ : وذكر أبو عبيدة أنه قال : عقرت بعيرى ولم يقل ناقتى ، لأنّهم يحملون النِّساء على ذكور الإبل لأنَّها أقوىٰ . وفيه نظر ، لأنّ الأظهر أنّ البعير اسمٌ للذكر والأنثىٰ . واحتاج إلى ذكر البعير لإقامة الوزن(١) .

وقوله : فقلتُ لها سِيرى الخ ، جناها : ما اجتنيٰ منها من القُبَل . والمعلَّل : المُلْهِى الذى يعلله ويتشفَّى به . ورُوِى بفتح اللام ، أى الذى عُلِّل بالطِيب أى طُيِّب مَرّةً بعد مرّة ، مِن العَلَل بفتحتين وهو الشرب الثانى . ومعنى البيت : أنّه تهاونَ بأمر الجمل فى حاجته ، فأمَرَها أن تُخلِّىَ زِمامَه ولا تُبالىَ بما أصابه . قال الباقِلاّنيّ : هذا البيت قريب النسْج ، ليس له معنًى بديع ولا لفظ شريف ، كأنّه من عبارات المنحطِّين فى الصنعة .

(١) إلى هنا نهاية النقل عن الإعجاز ٢٥٤

والمراد باليوم فى هذه المواضع مطلقُ الوقت والزمان ، وإلاّ فجميع هذه الأمور قد صَدَرت فى يوم واحد ، كما يُعرف من خبر (يومِ دارة جُلجُل) وقد رواه ابن الأنباريّ فى شرح المعلّقة قال : كان من حديثه على ما حدَّث ابن رَألان[1] عن أبى شَفْقَل[2] ، راوية أبى فِراس همّام بن غالب الفرزدق أنّه قال : لم أرَ أرْوىٰ من الفرزدقِ لأخبار امرئ القيس وأشعاره ! وخرجنا يوماً إلى المِرْبد بعَقِب طَشٍّ قد وَقَع[3] ، واتّصل به خبرُ نسوةٍ أشرافٍ قد خَرَجن إلى مُتَنَزَّهٍ لهنّ ؛ فقال : سِرْ بنا ؛ حتّي قَرُب من مُجتَمَعِهنّ ؛ فخلّفنى وصار إليهنّ ؛ فلمّا رأينه قلن : قد علمْنا أنّا لن نفوتك . فلم يزل يومَه الأطوَلَ يحدِّثهنّ ويفاكِهُهنَّ ويُنْشِدُهنَّ إلى أنْ ولّى النهار ؛ ثم انصرف إلىّ فقال : سِرْ بنا . فلم أرَ يوماً قطُّ أشبهَ بيوم دارة جُلجُلٍ مِنْ يومنا هذا ! ثم أنشأ يحدِّث حديثَ يومِ دارة جلجل : فقال : حدَّثنى الثقَةُ أنّ حىَّ امرئ القيس تحمّلوا — وهو يومئذ شابٌّ حديثُ السنِّ ، يهوىٰ ابنةَ عمٍّ له ، يقال لها : فاطمة ، ويكنى عنها بعُنيزة — وتخلّف النساء وفيهنّ فاطمة ، وارتحل امرؤ القيس لا يرى[4] الحىُّ مَسيرَه ، إلى أن نأىٰ عن الحىّ فأخفىٰ شخصَه بقرب غديرٍ يُعرف بدارة جُلجل ، وقال لمن كان معه : سيمرُّ النساء بالغَدير ، فلا بدَّ أن يتبرَّدن فيه . وأمعنَ الحىُّ فى المسير وارتحل النساء بعدهم ، فمررن على الغدير ، ولا يدرين أنّ وراءهن أحداً ، فنزلنَ وعند الغَدير شجرة ،

(١) فى النسختين : « ابن والان » صوابه من شرح القصائد السبع ١٣ ، واسمه عبد الله .

(٢) ط : « ستنقل » س : « شنغل » صوابهما ما أثبت ، انظر القاموس ولسان العرب والأغانى ١٩ : ٩ ، ٣٦ . وهذا الرجل وسابقه يرويان عن الفرزدق ، ليس غيرهما كما فى الأغانى .

(٣) الطش والطشيش : مطر ضعيف فوق الرذاذ

(٤) فى النسختين : « ليرى » ، وهو عكس المعنى

فأنخْنَ إبلَهُنَّ إلى تلك الشجرة ، ونزَعْن ثيابَهن فدخَلْن الغَـدير ، وجاء امرؤ القيس فأخذ ثيابهنَّ وقال : لا تأخذ امرأةٌ منكنّ ثيابَها حتّى تخرج كما هي ! فناشدْنَه اللهَ وطلبنَ إليه ، حتّي طال يومُهنّ وخَشِين أن يفوتَهُنَّ المنزل ، فجعَلن يَخرُجنَ واحدةً واحدة ، حتّي بلغ إلى فاطمة فرآها واستَمتَع بالنظر إليها ، ثم قلن له : قد أتعبتَنا فاجلِسْ ! فجلس يُنشدهن ويحدّثهن ويَشربُ من شرابٍ معَه ، فقالت إحداهن : أطعِمْنا لحماً . فقام إلى مطيّته فنحَرها وأطعمهنّ من لحمها ، وشرب حتّي انتشى . . حتّي إذا أرادوا الرواح قالت امرأةٌ منهنّ : أتدعْنَ امرأ القيس يَهلِك ! فقالت فاطمـة : فَـكّـكن رَحْله واحملنَه معَـكنّ وأنا أحمله معي في هودجي ؛ ففعلن ، فجعل يُميل رأسَه إليها فيقبّلها — وجعَل هَوْدجُها يميل بها وهي تنادي به وتقول : قد عقرتَ بعيري فانزل ! — حتّي إذا بلغ قريباً من الحيِّ كَمَن في غَمْض من الأرض . وسار النساء حتّي لحقن برحالهنّ . انتهى .

وروى ابنُ عبدِ ربِّه (في العِقْد الفَريد[1]) نحواً من هذا ، مع بعض مخالفة . ونصُّه : قال الفرزدق : أصابنا بالبصرة ليلاً مطرٌ جوْد ، فلمّا أصبحتُ ركِبت بَغلتي وسرت إلى المِرْبَد ، فإذا أنا بآثارِ دوابّ ، فاتّبعت الأثر حتّي انتهيتُ إلى بغال عليها رِحالٌ موقوفةٍ على غَدير ، فأسرعت إلى الغدير فإذا فيه نسوةٌ مُستنقِعات في الماء ، فقلْت : لم أرَ كاليوم أشبهَ بيومِ دارةِ جُلجُل ، وانصرفت مستحيياً ، فنادينَني : يا صاحب البغلةِ ، ارجِعْ نسألْك عن شيء . فرجَعت إليهنّ فقعدن في المـاء إلى حلوقهنّ ثم قلن : باللهِ لَمّا أخبرتَنا ما كان من حديث دارة جلجل ! قلت : حدَّثني جَدّي — وأنا يومئذ

(١) العقد ٦ : ٢٩٥

غلامٌ حافظ — أنّ امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمّه فاطمة ـ ويقال لها عُنيزة ـ وأنّه طلبها زماناً فلم يَصِلْ إليها ، حتّى كان يومُ الغدير وهو يومُ دارة جلجل : وذلك أنّ الحىّ تحمّلوا ، فتقدّم الرجال و [تخلّفَ[١]] الخدَمُ والثّقَل ؛ فلمّا رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف بعد ما سار مع رجال قومه غَلوة ، فكَمَن فى غامض[٢] حتى مرّ به النساء ، وفيهن عنيزة ، فلمّا وردن الغدير قلن : لو نزلنا فاغتسلنا فى هذا الغَدير فذهبَ عنّا بعض الكَلال ! فنزلن فى الغدير ونحّين العبيد ، ثم تجرّدن فوقفْن فيه[٣] ؛ فأتاهن امرؤ القيس فأخذ ثيابَهنّ فجمَعها وقعَد عليها ، وقال : واللهِ لا أعطى جاريةً منكنّ ثوبَها — ولو قَعَدتْ فى الغدير يومَها — حتّى تخرج متجرِّدة فتأخذَ ثوبها ! فأبيْنَ ذلك عليه ، حتّى تعالَى النهارُ ، وخشِينَ أن يقصِّرن عن المنزل الذى يُرِدْنه ، فخرجنَ جميعاً غيرَ عُنيزة فناشدته الله أن يَطرح ثوبَها ، فأبَى ، فخرجتْ فنظر إليها مُقبلةً ومُدْبِرة ، وأقبلنَ عليه فقلن له : إنّك عذّبتنا وحبَستنا وأجَعْتَنا . قال : فإنْ نحرتُ لكنَّ[٤] ناقتِي أتأ كلن معى ؟ قلن : نعم ! فجرّد سيفَه فعرْقبَها ونحرَها ثم كشطَها ، وجمعَ الخدمُ حطباً كثيراً فأجَّجن ناراً عظيمة ، فجعل يقطَع أطايبَها ويُلقى على الجمر ، ويأ كلنَ ويأ كلُ معهنّ ، ويشرب من فَضلة خمرٍ كانت معه ويُغنّيهنّ ، ويَنبذ إلى العبيد من الكَباب ؛ فلمّا أرادُوا الرحيلَ قالتْ إحداهنّ : أنا أحمل طِنفِستَه ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحلَه وأنساعه[٥] . فتقسّمنَ متاعَه وزاده وبقيتْ عُنيزة لم تحمِل شيئاً ، فقال لها :

---

(١) التكملة من العقد والأغانى ١٩ : ٢٧
(٢) الأغانى : « غابة » محرف ، وفى العقد : « غيابة » .
(٣) العقد : « فوقفن فيه »
(٤) ط : « لكم » صوابه فى ـ والعقد
(٥) ط : « رأسه وأنساعه » صوابه فى ـ والعقد

يا ابنةَ الكِرام ، لا بُدّ أن تحمليني مَعَكِ فإنّى لا أطيق المشى ! فحملتْه على غاربِ بَعيرها ، فكان يجنَح إليها فيُدخل رأسَه فى خِدْرها فيقبِّلها ، فإذا امتنعت مالَ هودجُها فتقول : عقرتَ بعيرى فانزِلْ ! . . وكان الفرزدق أروىٰ الناسِ لأخبار امرئ القيس وأشعاره ، وذلك أن امرأ القيس رأىٰ من أبيه جفوةً فلحق بعمه شُرَحْبِيل بن الحارث ، وكان مُسترضَعاً فى بنى دارم [فأقامَ (١)] فيهم . وهم رهط الفرزدق . انتهى .

وقد روىٰ أيضاً خبرَ هذا اليومِ أبو زكريَّا يحيىٰ بن علىٍّ الخطيبُ التِبريزىّ ، فى شرح هذه المعلَّقة على وجهٍ مجمل .

وتَرْجمة امرئ القيس تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد المائتين (٣) :

٢٤٥ (فأنتِ طلاقٌ ـ والطلاقُ أَلِيّةٌ ـ ثلاثاً ومن يَخْرَقْ أعَقُّ وأظلَمُ)

على أنّ الواو فى قوله : (والطلاق أليّة) اعتراضيّة ، والجملة اعتراضٌ للتقوية والتسديد بين قوله : (فأنت طلاق) و : (ثلاثا (٤)) . وقد ردّه أبو علىّ كما سيأتى .

و (الأليّة) : اليمين . أراد أنّ الطلاق يَلزَم المطلِّق كما يَلزَم الوفاء

(١) التكملة من العقد .
(٢) الخزانة ١ : ص ٣٢٩
(٣) مجالس العلماء للزجاجى ٣٢٨ وابن يعيش ١ : ١٢ وشرح شواهد المغنى ٦١ والأشباه والنظائر ٣ : ٤/٤٢ : ٢٢٠
(٤) فى النسختين : « فانت طلاق ثلاثا » ، وصوابه ما أثبت

بمضمون اليمين . والرواية الصحيحة : (والطَّلاق عزيمة) ، ووقع فى أكثر النسخ المصراعُ الأوّلُ فقط ، اكتفاء بشهرة الشعر .

وقد نقل السعد كلامَ الشارح هنا (فى بحث الجملة الحاليّة من المطوّل) قال الفنارىُّ فى حاشيته : قوله :

فأنتِ طلاقٌ والطلاق ألية (آخره) : بها المرء ينجو من شِباك الطَّوامث

الشِّباك : الحبائل . والطوامث : الحُيَّض ؛ مِن طَمَثت المرأة : حاضَت . وفى وقوع هذه الجملة متوسِّطة بين أجزاء كلام واحد ، كما هو الظاهر من كلامه ، نوعُ خفاء ، إذ الظاهر أنّ قوله : بها المرء الخ ، كلامٌ مستقلّ . وقيل : آخر المصراع المذكور :

* ثلاثاً ومن يَخرَقْ أعقُّ وأظلَمُ *

لكن الرواية فى هذا البيت (عزيمة) مكان (أَلِيّة) . ولعلَّ فيه روايةً أخرى لم أطَّلع عليها . انتهى .

وقال بعضهم : هذا الاعتراض على مذهب الزمخشرىّ ، فإنَّ الاعتراض عنده ما يُساق لنكتةٍ سوى رفعِ الإيهام . ويكون لا محلَّ لها .

وهذا البيت مبنيٌّ على مسألة فقهيّة . وأوّل من تكلَّم عليه الإمام محمّد ابنُ الحسَن ، أو الكسائىُّ ، على اختلاف سيذكر .

ونقل ابنُ هشامٍ فى المغْني الجوابَ وبحثَ فيه وزاد ، ثمّ تكلّم عليه السيد معين الدين الإيجىّ فى رِسالةٍ أفردَها وزاد على ابنِ هشامٍ فيما استنبطه . وكلٌّ منهما لم يرَ ما كتبه عليه أبو علىٍّ الفارسىُّ (فى المسائل القَصْرية) وقد تنبَّهَ لما قالاه وردَّه ، فينبغى أن نُورد كلامَ كلٍّ منهم على حِدَة ، لكنْ نُقدِّمُ ابتداء ذكرَ السائل والمجيب أوّلاً فنقول :

قال أبو عليّ الفارسيُّ : حدثنا الشيخ أبو الحسن الكَرْخيُّ عن يحيى ابن الحَريش الرَّقِّيِّ قال : أرسلني الكِسائيُّ إلى محمّدِ بن الحسن ، أسألُه عن الجوابِ في هذه الأبيات :

(إن تَرفُقي يا هندُ فالرفْقُ أيمنُ وإن تَخرَقي يا هندُ فالخُرْقُ أشأمُ
فأنتِ طلاقٌ ، والطلاقُ عَزيمة ثلاثاً ؛ ومن يخرِقْ أعقُّ وأظلَمُ
فَبِيني بها أنْ كُنت غيرَ رَفيقةٍ فما لامرئ بعدَ الثلاث مُقدَّمُ)

قال : فأتيت محمّدَ بنَ الحسن بالأبيات فقال : إنْ نصب الثلاث فهي ثلاثُ تطليقات ، وإنْ رفع الثلاث فهي واحدة ، كأنّه أراد أن يخبر أنّ عزيمة الطلاق ثلاث . قال : فرجَعْتُ إلى الكِسائيِّ فأخبرتُه بقول محمّد ، فتعجّبَ من فطنته . انتهى .

وهذا هو المسطور في كُتب الحنفيّة كالمبسوط والزَّيلعيّ ؛ لكنْ ذكروا أنّ رسول الكسائي إلى محمّد هو ابن سَماعة . ولا مخالفةَ ، لجواز أنْ يكونا ذهبا معاً برسالة الكسائيّ ، وكلٌّ منهما حكَى الجواب .

وقال ابن هشام (في المغني) : كتب الرشيدُ ليلةً إلى القاضي أبي يوسُفَ يسأله عن قول القائل — وأنشد الأبيات[1] — فقال : ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها ؟ قال أبو يوسف : فقلت : هذه مسألةٌ نحويّة فقهية ، ولا آمنُ الخطأَ إنْ قلتَ فيها برأيي . فأتيت الكسائيَّ وهو في فراشه فسألته ، فقال : إنْ رفع ثلاثاً طَلَقت واحدةً لأنّه قال أنت طلاق ، ثم أخبرَ أنّ الطلاق التامَّ ثلاث ؛ وإنْ نصبها طَلَقَت ثلاثاً ، لأنّ معناه : أنت طالق ثلاثاً ،

(١) إنما أنشد ابن هشام البيتين الأولين فحسب ، وأما ثالثهما فقد أنشده بعد تمام القصة ، وبعد الكلام على البيت الشاهد

٧١ وما بينهما جملة معترضة . فكتبتُ بذلك إلى الرشيد ، فأرسلَ إلىّ بجوائز فوَجَّهتُ[1] بها إلى الكسائى . انتهى ملخّصاً . هذا كلامه .

وقال السيد معين الدين : قد وجدتُ فى كتابٍ من كُتب النحو أنّ المسألة قد وقعت بين الإمام محمّدٍ والكسائىّ بحضرة الرشيد ، فقال الكسائىّ : أنت يا محمّدُ تزعمُ أنّ الماهر فى علمٍ يمكنُ أن يَستنبط من العلوم ، وأنت ماهرٌ فى الفقه فاستنبِط من هذا البيت . فقال : فى نصب العزيمة ورفع الثلاث طلقة ، وفى رفعها ونصب الثلاث ثلاث . فقال الكسائىّ : أصبتَ ، والقول ما قُلت ! انتهى .

و (الرِّفق) من باب قتل : خلاف (الُخرْق) والعنف ؛ وخرِق خرَقا ، من باب فرح : إذا عمِل شيئاً فلم يرفُق فيه ؛ فهو أخرقُ وهى خرقاء ، والاسم الُخرْق بالضمّ . و (أيمَن) وصفٌ بمعنى ذى يُمْن وبركة ، لا أنّه أفعلُ تفضيل . وكذلك (الأشام) معناه ذو شآمة ونحُوسة . و (العزيمة) قال الكرمانىّ فى شرح البخارىّ : هى فى الأصل عقْد القَلْب على الشىء ، استُعمل لكلّ أمرٍ محتوم . وفى الاصطلاح : ضدُّ الرخصة . وفعله من باب ضرب ، يقال : عزم على الشىء وعزمَه عزماً بمعنى عقد ضميره على فعْله . وقال النَّوَوى : حقيقة العزم حدوثُ رأيٍ وخاطرٍ فى الذهن لم يكن . والعزم والنيّة متقاربان يقُامُ أحدُهما مقُامَ الآخر . و (يَجنى) مضارع جنىٰ على قومه جناية : أذنب ذنباً يؤاخَذ به . وروىٰ الجماعة : (ومن يَخرَق) فقال ابن يعيش : مَن شرطيّة . وردّ عليه الدماميني بأنّه يلزمه حذف الفاء والمبتدإ من جملة الجزاء ، والتقدير : فهو أعقُّ وأظلم ؛ وليس هذا بمتعيِّن لجواز أن تكون موصولة ،

(١) ـــه : « فتوجهت » صوابه فى ط ومجالس العلماء والأشباه والنظائر ٣ : ٤٢

وتسكينُ القـاف للتخفيف ، كقراءة أبى عمرو : (وما يُشْعِرْكُم[1]) . بإسكان الراء . و (أعقُّ) خبر مَنْ الموصولة ، فلا حذفَ ولا ضرورةَ ولا قبح . انتهى .

والذى ذكره الجعبرىّ : أنّ وجهَ الإسكان فيه طلب التخفيف عند اجتماع ثلاثِ حركات ثِقـالٍ من نوع واحد أو نوعين . ويَخْرق ليس منهما . وأما التسكين فى قوله :

فاليومَ أشْرَبْ غير مُستحقِبٍ[2]

فقد قيل إنّه للضرورة . . وقوله : (أعقّ) من العُقوق وهو ضدّ البِرّ .

وقوله : فبينى بها الخ ، هى أمرٌ من البَينُونة وهى الفراق ؛ وضمير بها للثلاث أى كونى ذاتَ طلاقٍ بائن بهذه التطليقات الثلاث ، لكونِك غير رفيقة . فأنْ مفتوحة الهمزة مقدَّرٌ قبلَها لام العلة . ومُقَدّم : مصدرٌ ميمىّ : أى ليس لأحدٍ تقـدمٌ إلى العِشْرة والألفة بعد إيقـاع الثلاث . كذا قال الدمامينيّ . وأجاز بعضهم أن يكون مُقدّمٌ بمعنى مَهْرٍ مقدّم : أى ليس له بعدَ الثلاث مَهْرٌ يقدّمه لمطلَّقته ثلاثاً ، إلاّ بعد زوج آخر . فيكون اسمَ مفعول . هذا كلامه .

وأمّا ما بحثه ابنُ هشامٍ بعـد الجواب المذكور فهذا نصُّه : أقول : إنّ الصوابَ أنّ كلاًّ من الرفع والنصب محتمِل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة : أمّا الرفع فلأنّ أل فى الطلاق إمّا لمجاز الجنس وإمّا للعهد الذِكْرىّ : أى وهذا الطلاق المذكور عزيمةٌ ثلاثُ . فعلى العَهْدية تقع الثلاث ، وعلى الجنسيّة تقع

---

(١) من الآية ٩ فى سورة الأنعام

(٢) صدر بيت لامرئ القيس : وتمامه :

* إثماً من الله ولا واغل *

واحدة . وأمّا النصب فلأنّه محتمِل لأن يكون على المفعول المطلق — وحينئذ يقتضى وقوعَ الثلاث ، إذ المعنى : فأنت طالق ثلاثاً ، ثم اعترض بينهما بقوله والطلاق عزيمة — ولِأنْ يكون حالاً من الضمير المستتر فى عزيمة ، وحينئذ لا يلزم وقوعُ الثلاث ، لأنّ المعنى : والطلاق عزيمة إذا كان ثلاثاً ، فإنّما يقع

٧٢ ما نواه . هذا ما يقتضيه اللفظ مع قطع النظر عمّا بعده ، فإنّه يعيِّن الثلاث . انتهى كلامُه .

وقال الفَنارىُّ (فى حاشية المطوَّل) : قد انتصر جدُّنا شمسُ الدين الفنارىُّ للكسائىِّ وأبى يوسفَ حيث قال : ولقائل أن يقول : إنّما لم يعتبر الكسائى وأبو يوسف ، حين ارتفاع الثلاث ، كونَ اللام للعهد ؛ لأنّ ثلاث وعزيمة لا يصحُّ أن يكونا خبرين عن الطّلاق المعهود ، فإنَّ الطلاقَ رُخصةٌ وليس بعزيمة . وكذا حين انتصاب الثلاث ، لا يصحُّ أن يكون ثلاثاً حالاً من ضمير عزيمة ، لما قلنا . فلم يتعيَّن أيضاً — قالَ — اللهمَّ إلاّ أن تحمل العزيمةَ على المعنى اللغوىِّ . والعُرفُ أملَكُ . وفيه بحثٌ : أمّا أوّلاً فلأنّه لا دخل فى لزوم المحذور المذكور لجعل اللام للعهد ، إذْ منشؤه عدم اجتماع الثلاث والعزيمة ، وهذا الاجتماعُ لازمٌ على تقدير الحَمْل على مجاز الجنس ؛ اللهمَّ إلاّ أن يُرادَ الحملُ على الجنس المطلَق ، ويُجعَلَ الإخبارُ بالعزيمة والثلاث بالنظر إلى أنواع الطلاق . وأمّا ثانياً : الأملَكُ[1] فى مثله هو العُرف العامّ ؛ فالظاهر أنّ للمعنى : الطلاقُ الذى ذكرتُ ليسَ بلغْوٍ ولا لَعب ، بل هو معزومٌ عليه . نعمْ الكلامُ ، على تقدير جعلِ ثلاثاً حالاً من المستتر فى عزيمة ، محتملٌ لوقوع الثلاث ، بأن يكون المعنيْ والطلاق الذى ذكرتُه إذ كان ثلاثا . فتأمَّلْ . انتهى .

---

(١) كذا فى النسختين باسقاط فاء الجواب

ونازعه الدّمامينىّ فى الأخير فقال : الكلام محتملٌ لوقوع الثلاث على تقدير الحال أيضاً ، بأن تجعل أل للعهد الذِكرىّ ، كما تقدّم له فى أحد وجهىْ الرفع . كأنّه قال : والطلاق الذى ذكرتُ معزومٌ عليه حالَ كونه ثلاثاً . ولا يقدر حينئذ إذا كان ، بل إذْ كان .

وأمّا كلام السيّد مُعين الدين ، فإنّه قال : الشعر يحتمل اثنَىْ عشَر وجهاً ، لأنّ اللام إمّا للجنس وإمّا للعهد ، وعزيمة إمّا مرفوع وإمّا منصوب على الحال أو على المفعول المطلق[1] ، فخرج من ضرب أربعة فى ثلاثة : اثنا عشر ؛ لكن أربعةً منها تركيبٌ باطل . أمّا الثمانية فعلى تقدير أنّ اللام (للجنس) إمّا أن يكون عزيمة وثلاث مرفوعين ، فيلزمه على ما قال ابن هشام واحدة ؛ والظاهر أنّه يلزمه ثلاث إذْ ليس الطّلاق عندَه إلاّ عزيمة ثلاث ، وطلاقه فرد ممّا ادّعاه . وإمّا أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث مرفوعاً ، فيلزمه واحدة ، وهو أحد وجهىْ الإمام محمّد ، وفيه أنّ ذا الحال مبتدأ . وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث حالاً من المستتر فى عزيمة ، يلزمه واحدة ؛ وهو وجهٌ ثان لابن هشام وللإمام ؛ لكنْ فى كلام الإمام إيهام ، لأنّه يحتمل أن يكون ثلاث مفعولاً مطلقاً ، وحينئذٍ يَلزمه ثلاث . وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعا وثلاث مفعولاً مطلقاً فيلزمه ثلاث ؛ وهو ثالث وجوه ابن هشام . فهذه وجوهٌ أربعة .

وعلى تقدير أنّ اللام (للعهد) إمّا أن يكون عزيمة وثلاث مرفوعَين ، كأنّه قال : أنت طلاقٌ وهذا الطلاق عزيمة ثلاث ، فيلزمه ثلاث ، وهو رابع وجوهِ ابن هشام . وإمّا أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث مرفوعاً ، فيلزمه ثلاث .

(١) كذا فى النسختين ، وكتب مصحح الطبعة الأولى ما نصه : « ولعل الصواب : وعزيمة إما مرفوع وإما منصوب ، وثلاث إما مرفوع ، أو منصوب على الحال ، أوعلى المفعول المطلق يدل على ذلك التقسيم الآتى » .

وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث منصوباً حالاً من المستتر ، فتلزمه ثلاث . وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث مفعولاً مطلقاً ، فيلزمه ثلاث . فهذه أربعة أخرى فتكون ثمانية .

وأمّا الأربعة التي فسدت لأجل الإعراب فهي ، بتقدير أنّ اللام (للجنس) إمّا أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث حالاً من المستتر أو مفعولا مطلقا . وبتقدير أنّ اللام (للعهد) إمّا أن يكون [عزيمة[1]] منصوباً وثلاث ٧٣
حالاً من المستتر أو مفعولاً مطلقاً . وعلى الوجهين وهو أنّه حال ، يلزمه واحدة وعلى الوجهين الآخرين يلزمه ثلاث . هذا كلامه .

وقد كتب ابن قاسم العبادىّ على مواضعَ من هذه الرسالة ، فكتب عند قوله « الشِّعْر يحتمل اثنَيْ عشَر وجْها » : لا بدّ على سائر التقادير فى وقوع أصل الطلاق ، عند الشافعيّة ، من النيّة ، كما هو ظاهر ، لأنّ أنتِ طلاقٌ[2] من الكنايات عندهم . وكتب عند قوله : « والظاهر أنه يلزمه ثلاث » : قد يمنع من هذا الظاهر عند الشافعيّة أنّ أنتِ طلاقٌ كنايةٌ عندَهم ، وشرط تأثير الكناية فى أصل الوقوع والعَدَدِ النيّةُ . ولا يقوم مقامَ النِيَّة ما اقترن بالكناية مما يدلُّ على الوقوع أو العِدّة من القرائنَ ؛ ولهذا صرَّحوا بعدم الوقوع بقوله أنتِ بائنٌ بينونةٌ محرِّمةٌ ولا تحِلِّين لى أبداً ، إذا لم يَنْوِ . وحينئذ فالقياس فى قول الشاعر : فأنتِ طلاق ، عدمُ الوقوع رأساً إنْ لم ينو . فإن نوىٰ الطلاقَ الثلاثَ وقع الثلاثُ ، وإن نوىٰ أصلَ الطلاق فقطْ فالقياسُ وقوعُ واحدة . وقوله : والطلاق عزيمة ثلاث ، على تقدير رفع عزيمة وثلاث

---

(١) التكملة من سه .

(٢) سه : « أنت طالق » .

وكونِ ألْ في الطَّلاق للجنس ، لا يصلح لتقييد الطلاق الذي أوقعه بالثلاث ؛ لأنّه إن أراد أنّ جنس الطلاق ليس إلاّ الثلاث ، فهو غير صحيح ، إذ الجنسُ موجودٌ في الواحدة والثِنْتَين أيضاً ؛ وإن أراد أنّ الجنسَ قد يكونُ في الثلاث ، فهذا لا يقتضى تقييدَ هذا الطلاقِ الواقع بالثلاث ؛ فليُتأمَّل . وما ذكرناه لا ينافيه قول الروض : فإن قال أنتِ بائنٌ ثلاثًا ونوى الطلاقَ لا الثلاثَ وقعن أي الثلاث . انتهى ، لأنّه قيّد البينونة التي نوىٰ بها الطلاقَ ، بالثلاث ، وما ذكر لا تقييدَ فيه ، ولا ارتباط فيه للثلاثِ بالطلاق الذي أوقعه . فليتأمل . وكتب عند قوله : « وطلاقُه فَرْدٌ ممّا ادّعاه » قد يقال : ما ادّعاه ليس بصحيح بظاهره إذ جنْس الطلاقِ لا ينحصر في الثلاث ، فلا يلزم أن يكون طلاقُه فرداً من جنس الثلاث ؛ نعم إنْ قصد ذلك بأن قصد طلاقاً من أفراد الثلاث فسلَّمٌ ؛ فليتأمل . . وكتب عند قوله : « وفيه أنّ ذا الحال مبتدأ » : قد يقال هذا لا يرِد ، لأنّ المراد أنّ هذا التقدير والحمل(1) يقتضى هذا الحكم ، وأما أنّ هذا التقدير ضعيفٌ فشيء آخر لا ينافى ذلك . . وكتب عند قوله : « وحينئذ يلزم ثلاث » : هذا ظاهرٌ إن أُريد المفعول المطلق من طالق لا من الطلاق .

وكتب شيخُنا الشِهاب الخفَاجيُّ ، عند بيانه للأربعة التي فسدت لأجل الإعراب : وما ادّعاه من بُطلان الوجوه الأربعة إذا رفع الطلاق ونصب عزيمة وثلاث ، على الحاليّة أو المفعوليّة ، غير مسلَّم ، لأنّه يجوز أن يكون خبرَ مبتدإ مقدَّر : أي وهذا الطلاق . وباب التقدير واسع . انتهى .

هذا ما وقفتُ عليه ممّا كتب على هذا الشعر . وكلامُهم دائرٌ على أنّ ثلاثاً إمّا مفعولٌ مطلق لطلاق المنكّر أو المعرّف ، وإمّا حال من الضمير المستتر .

---

(1) ط : « والحل » ، صوابه في سه .

ومنع الكلَّ أبو علىّ (فى المسائل القصْرية) ومنع كونَه تمييزاً أيضاً، وعيَّن أن يكون ثلاثاً مفعولاً مطلقاً إمّا لعزيمة أو لَطُلِّقتِ محذوفاً، وإمّا ظرف لعزيمة. وحقّق أنّ مُفادَ البيت الطلاقُ الثلاث لا غير | و إ هذا كلامُه: قوله:

فأنتِ طلاقٌ والطلاق عزيمة ثلاث . . . . البيت

٧٤ لا يخلو إذا نصبتَ ثلاثاً أن يكون متعلّقا بطلاق أو غيره، فلا يجوز أن يكون متعلّقا بطلاق؛ لأنّه إنْ كان متعلّقا به لم يَخْلُ من أن يكون طلاقُ الأوّلَ أو الثانى، فلا يجوز أن يكون متعلّقا بطلاقُ الأوّل، لأنّ الطلاق مصدرٌ فلا يجوز أن يتعلّق به شىء بعدَ العطف عليه، ولا يجوز أن يَنصبَ ثلاث طلاق الثانى؛ لأنّه قد أخبر عنه للفصل. فإذا بطل الوجهان جميعاً، ثبتَ أنّه متعلّقٌ بغيره: فيجوز أن يكون متعلّقا بعزيمة، أى أعزمُ ثلاثاً؛ ولم يُحتَجْ إلى ذكر الفاعل لأنّ ما تقدّم من قوله: فأنت طلاق، قد دلّ على الفاعل، ألا ترى أنّ معناه: أنت ذاتُ طلاق، أى ذات طلاق، أى قد طلّقتك. فلا فصلَ بين أنتِ ذاتُ طلاق، وبين قد طلقتك، لمّا أضفتَ المصدر إلى الفعل استغنيتَ عن إظهار المفعول، بَجْرْىِ ذكره فى الكلام. فحذفته كما استغنيت[1] عن ذكر المفعول فى قوله: (والحافِظِينَ فُرُوجَهم والحافِظاتِ[2]) فلم يحتجْ إلى ذكر الفاعل فى عزيمة إذ كان مصدراً كالتذير والتكبير، وكما لم يحتج إليه فى قوله تعالى: (أو إطعامٌ فى يومٍ ذى مَسْغَبَةٍ. يَتيماً[3]) لتقدّم ذكره، فلذلك لم يُحتج إلى ذكر الفاعل فى عزيمة فصار كأنّه قال: أنت طلاق والطلاقُ عزيمتى ثلاثاً، أى أعزِمُه ثلاثاً. فيكون ثلاثاً

(١) لعلها «كما استغنى».
(٢) الآية ٣٥ من الأحزاب.
(٣) الآيتين ١٤، ١٥ من سورة البلد.

المنصوبُ متعلقا بعزيمة ، أو يكونُ تعلقه به على جهة الظرف ، كأنه قال : أعزم ثلاث مرات أو ثلاثَ تطليقات ، فإذا كان كذلك وقع ثلاث تطليقات لتعلّق الثلاث بما ذكرناه ، ولا يجوز أن يكون أقلّ من ذلك لتعلقه بالعزيمة . والأشبهُ فيمن نصب ثلاثاً أن يكون الطّلاق الثانى المعرّفُ باللام يراد به الطلاقُ المنكور الذى تقدَّم ذكره ، أى ذلك الطلاق عزَمْتُه ، أى عزمت عليه ثلاثاً . فإذا كان كذلك لم يتجه إلاّ إلى الإيقاع للثلاث ، وأما إذا رفع ثلاثاً أمكن أن يكون المراد : الطلاق عزيمة ثلاث ، أى جنس الطلاق ذو عزيمة ثلاث ، وأمكن أن يكون طلاق ذو عزيمة ثلاث . فإذا أمكن أن يكون المرادُ به طَلاقَه خاصّةً ، وأمكن أن يكون غيرَ طلاقه ولكنْ جنسَ الطلاق ، لم نُوقِع به شيئاً حتّى يتَيقّنَ ذلك بإقرارٍ من المطلّق أنّه أراد ذلك ، فأمّا إذا لم يقترن إلى هذا اللفظ ، الذى يحتمل الطلاق الخاصّ والطلاقَ العامَّ ، شىء يُدَلُّ به أنّه يريد به طلاقَه خاصّة ، لم نُوقِعْه . والأشبَهُ فى قولهم : واحدة ، واثنتان ، وثلاث ، فى الطلاق ، وإيصالِهِمْ إيّاه بهنَّ ، أن يكون مراراً ، فينتصب على أنّه ظرفٌ من الزمان ، يقوّى ذلك قوله تعالى (الطلاقُ مَرّتان[1]) والمعنى : الطلاق فى مرتين ، إلاّ أنّه اتّسع فيه فأُقيم مُقامَ الخبر ، كما أُقيم ظرفُ الزمان مُقامَ الفاعلِ فى قولهم : سِيرَ عليه طَوْرانِ ، وسِير عليه مَرّتان وشهران ، فكذلك قوله مرّتان . وإذا كان كذلك كان قولهم : أنت طالق واحدة ، كأنّك قلت أنت طالق مَرّة ، وأنت طالق ثنتين ، أى مرتين . وكذلك ثلاثاً . فيكون ذلك ظرفاً من الزمان . ويجوز فيمن نصب ثلاثاً فى البيت أن لا يحمله على عزيمة ، ولكن يحمله على فعلٍ مضمَر ، كأنّه لما لم يجز أن يحمله على طلاق الأوّل ولا على طلاق الثانى ، وكان المعنى والمراد أن يكون الثلاث محمولاً

(١) الآية ٢٢٩ من سورة البقرة .

على الطلاق ، أضمر طلّقت . ودلّ عليه ما تقدّم من ذكر الطلاق ؛ فكأنه قال :
طلّقتك ثلاثاً . فأمّا حملُ الثلاث على التفسير فى قولهم : أنت طالق ثلاثاً ،
فليسَ ذلك من مواضع التفسير ، ألا ترى أنّ التفسير جميع ما كان منتصباً
منه فقدّره(١) النحويون على جواز إدخال مِنْ فيه ، وأنّ منه ما يُرَدُّ إلى الجمع ٧٥
ومنه ما يُقَرّ على الواحد ، كقولهم : عشرون من الدّراهم ، ولله دَرُّه مِن رجل .
ولا يجوز ذلك فى هذا ، ألا ترى أنّه لا يستقيم : أنت طالقٌ من واحد ،
ولا من العدد ، ولا ما أشبه ذلك ! فإذا كان كذلك لم يكن تفسيراً . وأيضاً
فإنّ التفسير لا يجوز أن يكون معرّفاً ، والتعريفُ فى هذا غيرُ ممتنع ، تقول :
أنتِ طالقُ الثلاثَ ، وأنتِ طالقُ الثّنتين أو الطلقتين . فإذا كان كذلك
كان ظرفاً ، والظرف يكون تارةً معرفة وتارة نكرة .

وقد تقول : أنتِ طالقٌ من ثلاثٍ ما شئتِ ، فيكون ما شئتِ معرفة ، كأنّك قلت : الذى شِئْتِهِ ؛ فيكون معرفة . ولو كان تفسيراً لم تقع المعرفة فى هذا الموضع .

ولا يجوز أن ينتصب على أنّه حال ، لأنّه لو كان حالاً لم يجز أن يقع خبراً للابتداء فى قوله : (الطّلاقُ مَرّتان) كما لا يكون الحال خبراً للمبتدأ . ولو قلت : قمتُ خلفَك ، فنصبت خلفك على تقدير الحال ، أى قمتُ ثابتاً فيه ، لم يجز الإخبار عنه ، لأن الحال لا يكون خبرَ مبتدأ .

فإنْ قلت : يكون قوله : والطلاق عزيمة ، اعتراضاً بين الصلة والموصول ، وتحمل ثلاثاً على الطلاق الأول(٢) ؛ قيل : لا يجوز أن تحمله على الاعتراض ،

(١) كذا فى ط . وفى سه : « فقد » وأمامها بياض يتسع لثلاث كلمات : وبالهامش « لعله اتفق » ، أى لعله ، فقد اتفق النحويون .
(٢) كذا فى ط . وفى سه : « وتحمل طلاقا على الثلاث الأول » .

كما أنّ قولَه : (وأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً [١]) في قولنا اعتراض ، ألا ترى أنّ ذلك اعتراضٌ بين الخبر والمخبر عنه ! وكذلك قوله تعالى : (قُلْ إنّ الهُدىٰ هُدىٰ الله [٢]) اعتراضٌ بين المفعول الذى هو (أن يُؤْتىٰ أحد [٣]) . ولا يعترض بين الطلاق وثلاث ، لأنّه لا مِثل له يُشَبَّه به .

هذا كلام أبى علىٍّ ، وقد حذفنا منه بعضَ ما يُسْتغنيٰ عنه . وفى مَنْعِهِ الاعتراضَ ردٌّ على الشارح وغيرِه ، حيثُ جعلوا الجملةَ معترِضةً ، كما تقدّم التنبيهُ عليه .

* * *

كمل الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله « باب خبر كان وأخواتها »

﴿ والحمد لله وحده ﴾

---

(١) الآية ١٨ من سورة الحديد . وفى الآية ٢٠ من المزمل : « وأقرضوا الله قرضا حسنا » بصيغة الأمر ، وليست مرادة هنا ، بل المراد قوله تعالى فى سورة الحديد : « إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم » حيث اعترضت الجملة بين اسم إن وخبرها .

(٢) الآية ٧٣ من آل عمران : وتمامها : « ولا تؤمنوا إلا لمن تَبِع دينكم قل إن الهدى هُدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » . وانظر تفسير أبى حيان ٢ : ٤٩٤ — ٤٩٧ .

(٣) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله اعتراض بين المفعول ، هكذا بالأصل الذى بأيدينا ، ولعله : اعتراض بين الفعل الذى هو تؤمنوا وبين المفعول ... الخ » .

(١)

فهـــرس التراجم

الصفحة

(ب)

فهرس الشواهد

الاشتغال

« التحذير »

« المفعول فيه »

« المفعول له »

« المفعول معه »

« الحال »

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الرابع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

بســم الله الرحمن الرحيــم

باب خبر كان وأخواتها

أنشد فيه، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائتين:

٢٤٦ (وكان طوَى كَشْحاً على مُسْتَكِنَّةٍ)

هذا صدر عجزه: (فلا هو أبداها ولم يتقدَّمِ)

على أن خبر (كان) يجوز أن يجيء ماضياً بدون تقدير قد.

وهذا البيت من معلقة زُهير بن أبي سُلمى، وقبله:

(لَعمري لنِعْم الحيُّ جرَّ عليهمُ بما لا يُؤاتيهم حُصَينُ بن ضَمضَمِ)
(وكان طَوى كَشحاً . . . . البيت)

جرَّ من الجريرة، وهي الجناية. ويؤاتيهم: يوافقهم. حُصَينُ بن ضَمْضَم هو ابنُ عم النابغة الذُّبياني، وجنايته أنَّه لما اصطلحت قبيلة ذبيان مع قبيلة عبس، امتنع حُصين بن ضَمضم من الصُّلح واستتر منهما، ثم عدا على رجل من بني عبس فقتله. وإنَّما مدح حيَّ ذبيان لتحملهم الديات إصلاحاً لذات البين.

وضمير (كان) و (طوى) لحصين بن ضَمْضَم. و (الكَشح) الخاصرة، يقال: طوى كَشحَه عن فَعْلةٍ، إذا أضمرها في نفسه. و (المستكنَّة): المستترة، أي أضمر على غدرة مستترة؛ لأنه كان قد أضمر قتل وَرْد ابن حابس فإنَّه كان قتل أخاه هَرِمَ بن ضَمْضَم. وقوله (فلا هو أبداها .. الخ) المعنى: فلم يظهرها ولم يتقدَّم فيها قبل مكانها. ويروى (ولم يتجمجم)

٧٦ بجيمين أى لم يَتَنهنهْ عمّا أراد ممّا كتم . وتـكون لا مع الماضى بمنزلة لم مع المضارع فى المعنى ، كقوله تعالى : ﴿فَلَا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ[1]﴾ أى لم يقتحمها . وقال أميّة بن أبى الصَّلْت :

إنْ تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جمّا وأىُّ عبدٍ لك لا ألمّا[2]

أى لم يلمّ بالذنب . وقوله (وكان طَوى) هو عند المبرّد بإضمار قد ، أى قد طوى . قال : لأنّ كان فعل ماض فلا يُخبر [عنه[3]] إلاّ باسم أو بما ضارعه . قال : ولا يجوز كان زيد قام ، لأنّ زيد قام يغنيك عن كان . وخالفه أصحابه فقالوا : الماضى قد ضارع الاسم أيضاً فهو يقع خبراً لـكان ، كما يقع الاسم والفعل المستقبل ، وأما قولك كان زيد قام فإنّما جىء بكان لتؤكّد أن الفعل لِما مضى .

وقد تقدّم فى الشاهد السادس والخمسين بعد المائة أول باب الاشتغال[4] شرح هذين البيتين مع أبياتٍ كثيرة من هذه المعلقة ، وذكرنا سبب نظمها بما لا مزيد عليه إن شاء الله تعالى .

وتقدم أيضاً ترجمة زهير بن أبى سُلمى فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[5] .

* * *

(١) الآية ١١ من سورة البلد .

(٢) الأغانى ٣ : ١٨٣ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢/١٤٤ : ٩٤ ، ٢٢٨ والانصاف ٧٦ وشرح شواهد المغنى ٢١٣ واللسان (لمم) .

(٣) التكملة من ش . وفى شرح القصائد للتبريزى ١١٦ : «عنها» .

(٤) الخزانة ٣ : ٣ ـ ١٨ .

(٥) الخزانة ٢ : ٣٣٢ ـ ٣٣٦

وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المائتين :

٢٤٧ (أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذى أخنى على لُبَدِ[١])

على أن خبر (أضحى) يجوز أن يكون فعلاً ماضياً بدون قد ، فأهلُها اسمُ أضحى ، وجملة احتملوا فى محل نصب على أنها خبر أضحى ، ولا تقدَّر قد كما ذهب إليه ابن مالك ، خلافاً للمبرد كما تقدم بيانه[٢] .

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى مدح بها النعمان بن المنذر واعتذر إليه مما بلغه عنه ؛ وهى من الاعتذاريّات ، وقد ألحقوها لجودتها بالمعلّقات السبع . وهذا أولها :

أبيات الشاهد

يا دارَ ميةَ بالعَلياء فالسَّنَدِ أقوت وطال عليها سالفُ الأبَدِ
وقفتُ فيها أُصَيلاً كى أسائلَها عَيَّتْ جواباً وما بالرَّبع من أحد
إلاَّ أوارىَّ لأْياً ما أبيِّنُها والنؤْىُ كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ
ردَّتْ عليه أقاصيه ولبَّده ضَربُ الوليدة بالمسحاة فى الثَّأَدِ
خلَّتْ سبيلَ أتِىٍّ كان يحبسُه ورفّعته إلى السَّجْفَين فالنضَدِ
أضحتْ خلاء وأضحى أهلُها احتملوا . . . . البيت

قوله : يا دارميّة الخ قال الأصبهانى فى الأغانى[٣] : « قال الأصمعى : يريد يا أهل دار مية[٤] . وقال الفرّاء : نادى الديار[٥] لا أهلَها ، أسفاً عليها

(١) همع الهوامع ١ : ١١٤ والأشمونى ١ : ٢٣٠ وديوانه ١٧ .
(٢) فى أواخر الشاهد السابق .
(٣) الأغانى ٩ : ١٧٦ .
(٤) ش : « يادارمية » .
(٥) فى الأغانى : « انما نادى الدار » ، بالافراد . وهو الوجه .

وتشوّقاً إليها[١] . وقال : أقوتْ ولم يقل أقويتِ ، لأنَّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشىء ثم يتركوه ويكنُون عنه[٢] . اهـ

العَلياء بالفتح والمد : المكانُ المرتفِع من الأرض . قال ابن السكّيت : قال بالعلياء فجاء بالياء لأنَّه بناها على عَلِيت بالكسر . والسَّنَد : سند الوادى فى الجبل ، وهو ارتفاعه حيث يُسنَد فيه ، أى يصعد . وأقوت : خلَت من أهلها . والسالف : الماضى . والأبد : الدهر . ويأتى الكلام على هذا البيت إن شاء الله تعالى بأكثر من هذا فى الفاء من حروف العطف[٣] .

٧٧ قوله : « وقفت فيها » الخ ، الأصيل ما بعد الظُهر إلى الغُروب ، ورُوى أُصَيلاناً مصغَّر أُصلان ، وهو جمع أصيل ، كرغيف ورُغفان ، وقيل هو مفرد كغُفران ، وهو الصَّحيح لأن جمع الكثرة إذا صُغِّر رُدَّ إلى مفرده . ورُوى : وقفتُ فيها طويلاً ، أى وقوفا طويلا . وقوله عيَّتْ ، يقال عييتُ بالأمر ، إذا لم تعرف وجهه . وجواباً قيل منصوب على المصدر أى عيَّتْ أن تجيب . والرَّبع : المنزل فى الربيع ، ثم كثر حتَّى قيل كل منزل رَبع .

وقوله : إلاَّ أواريَّ ، بالنصب لأنه استثناء منقطع . والنُّؤى معطوف عليه . وروى « إلا أوارِيُّ » ، بالرفع على أنه بدل من موضع قوله : من أحد الواقع فاعلاً للظرف ، والأوارىّ هى الأواخىّ جمع آرىّ وآخيَّة بالمد والتشديد فيهما . والآرىُّ : محْبِس الدابة ، والآخيّة قطعة من حبل يُدفن طرَفاه فى الأرض وفيه عُصَيّة أو حجَر ، فتظهر منه مثلُ عُروة تُشَدُّ إليه الدابَّة . وقد

(١) الأغانى : « الى أهلها »
(٢) الأغانى : « ويكفوا عنه » ، وما هنا صوابه .
(٣) فى الشاهد ٨٨٩ .

تسمّى الآخيّة آريًا ، وفعلهما آريت الدابة وأخّيتها بتشديد الثانى . واللأى ، بفتح اللام وسكون الهمزة : البطء ، يقال فعل كذا بعد لأى ، أى بعد شِدّة . ولأى لأياً والتّأى ، أى أبطأ إبطاء . والمعنى : بعد بطء تعرّفتها . والنُّؤْى بضم النون وسكون الهمزة : حَفيرة حوْل الخباء والبيت يجعل ترابُها حاجزاً حولَهما لئلّا يَصل إليهما ماء المطر . والمظلومة : الأرض التى قد حُفر فيها فى غير موضع الحَفر . والجَلَد ، بفتح الجيم واللام : الأرض الغليظة الصُّلبة من غير حجارة ، وإنّما قصدَ الجَلَد لأنّ الحفرَ فيها يصعُب فيكون ذلك أشبهَ شىء بالنؤى . قال ابن السكيت : إنّما قال بالمظلومة لأنّهم مرّوا فى تربةٍ فحفروا فيها ، حَوضاً وليست بموضع حَوض ، فجعل الشىء فى غير موضعه .

وهذا البيت يأتى الكلام عليه أيضاً إن شاء الله فى خبر ما ولا[1] .

وقوله : « رُدَّت عليه أقاصيه » الخ ، أقاصيه نائب فاعل رُدَّت ، والضمير للنؤى . والأقاصى : الأطراف وما بعُد منه ، أى والأقصى على الأدنى ليرتبع . ولبَّده : سكّنه ، أى سكَّنه حفر الوَليدة وهى الأمَة . والثَّأْد ، بفتح المثلثة والهمزة : الموضع الندىُّ الترابِ ، أى فى موضع الثأد .

وقوله : « خلَّت سبيلَ أتىّ » الخ ، الأتىّ : السَّيل الذى يأتى ، ويقال للنهر الصغير . يقول : لما انسدَّ سبيلُ السَّيل سهّلَتْ له طريقاً حتّى جرى ، أى تركت الأمةُ سبيلَ الماء فى الأتىّ ، ورفَّعته أى قدّمت الحفر إلى موضع السَّجْفين وأوصلته إليهما . وليس الترفيع هنا من ارتفاع العلوّ ، بل هو من قولهم : ارتفع القوم إلى السلطان . والسَّجفان : سِتران رقيقان يكونان فى مقدَّم البيت : والنَّضَد ، بفتح النون والضاد المعجمة : مانُضِد من متاع البيت .

---

(١) فى الشاهد ٢٧٢ .

وقوله : « أضحت خَلاء » الخ ، أى أضحت الدار . والخَلاء بالفتح والمد : المكان الذى لاشىء به . واحتملوا : حمَلوا جمالهم وارتحلوا . قال فى الصحاح : وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة :

* أخْنى عليها الذى أخْنى على لُبَدِ *

ولُبَد : آخر نسور لقمان بن عاد ، وهو منصرف لأنّه ليس بمعدول ، وفى المثل « أعْمَرُ من لُبَد » . قال الزمخشرىّ : وهو نَسْر لقمان العادىّ ، سمَّاه لبداً معتقداً فيه أنه أبدٌ فلا يموت ولا يذهب ، ويزعمون أنه حين كبر قال له : انهض لُبَدُ فأنت نَسْر الأبد . قال فى الصحاح : وتزعم العرب أنّ لقمان هو الذى بعثته عادٌ فى وفدها إلى الحرم يستسقى لها ، فلما أُهلِكوا خُيِّرَ لقمان بين

لقمان صاحب النسور

٧٨ بقاء سبع بَعَرات سُمْر[١] ، من أظبٍ عُفْرٍ ، فى جبَل وعرٍ ، لا يمسُّها القَطْر ؛ أو بقاء سبعة أنسرٍ كلما هلك نسر ، خَلف بعده نسر . فاختار النسور ، فكان آخر نسوره يسمَّى لبداً ، وقد ذكرته الشعراء ، قال النابغة :

أضحت خَلاء وأضحى أهلُها احتملوا . . . البيت

ولقمان هو ممن آمن بهودٍ عليه السلام ، وهلك قومُه لكفرهم به — عليه السلام — فأهلكهم الله تعالى بالرِّيح « سَبْعَ لَيال وثمانيةَ أيَّامٍ حُسُوما[٢] » فلم تدَعْ منهم أحداً وسَلِم هودٌ ومَن آمن معه . وأرسلت عليهم يومَ الأربعاء فلم تَدُرِ الأربعاء وعلى الأرض منهم حىٌّ .

لقمان المذكور فى القرآن

وأما لقمان المذكور فى القرآن فهو غيره ، قال صاحب الكشّاف : هو

(١) فى النسختين : « بقرات » ، بالقاف ، صوابه بالعين كما فى الصحاح .

(٢) الآية ٧ من سورة الحاقة .

لقمان بن باعوراء ، ابن أخت أيّوب أو ابن خالته ، وقيل : كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داودَ عليه السلام وأخذ منه العلم ، وكان يفتى قبل مبعث داود فلما بُعث قَطع الفتوى فقيل له ، فقال : ألا أكتفى إذا كُفيت ؟ وقيل : كان قاضياً فى بنى إسرائيل . وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبياً . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لقمان لم يكن نبياً ولا ملكا ؛ ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتقَ ورضى قولَه ووصيّته ، فقصَّ أمره فى القرآن ليتمسَّكوا بوصيته . وقال عكرمة والشَّعبى : كان نبيّاً . وقيل : خُيِّر بين النبوّة والحكمة[1] . وعن ابن المسيّب : كان أسودَ ، من سُودانِ مِصر ، خيّاطاً . وعن مجاهد : كان عبداً أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين . وقيل : كان نجاراً ، وقيل كان راعياً ، وقيل : كان يحتطبُ لمولاه كلَّ يوم حُزمة[2] . اهـ

وهو متأخّر عن لقمان العادىّ ؛ لأن هوداً متقدّم على أيوب وداود ، يقال للعادىّ « لقمان صاحب النسور » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

---

(١) بعده فى الكشاف : « فاختار الحكمة » .

(٢) فى الكشاف : « كان راعيا وكان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة » .

(٣) فى كتابه ١ : ١٣١ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤١/٢ : ٣٤٧ وابن يعيش ٢ : ٩٦ ، ٨/٩٧ : ١٠١ وشرح شواهد المغنى ٦٨ والعينى ٢ : ٦٦ والهمع ١ : ١٢١ والأشمونى ١ : ٢٤٢

٢٤٨ (قد قِيلَ ذلك إنْ حقًّا وإنْ كَذِباً
فما اعتذارُك من شيء إذا قِيلا)

على أنّ (كان) تحذف مع اسمها بعد إن الشرطية ، أى إنْ كان ذلك حقاً. جعله صاحب اللباب من قبيل : « الناسُ مَجزِيُّون بأعمالهم : إن خيراً فخير ، وإن شرًّا فشرّ » فى الوجوه الأربعة . قال شارحه الفالى[1] : يجوز فيه أربعة أوجه : رفعهما ، ونصبهما ، ورفع الأوّل ونصب الثانى ، وبالعكس . وتقدير الرفع فيهما : إنْ وقع حقٌّ وإن وقع كذبٌ ، أو إن كان فيه — أى فى المقول — حقّ وإن كان فيه كذب . ونصبهما على أنّهما خبر كان ، والتقدير: إن كان المقول حقًّا وإن كان المقول كذبا . وأما رفعُ أحدهما ونصب الآخر فيظهر من بيان نصبهما ورفعهما . وإنما قال : « ومنه[2] » لأن الوجوه الأربعة كانت فى الشرط والجزاء وهو إنخيراً فخير ، وفى البيت الوجوه فى الشرطين ، وهما إنْ حقاً وإن كذبا .

وقوله : (قيل ذلك) المشار إليه البرَص الذى فى استه .

قصيدة الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنعمان بن المنذر أوّلها :

(شَرِّدْ برحلكَ عنّى حيثُ شئتَ ولا ... تُكثِرْ علىَّ ودعْ عنك الأقاويلا
فقد رُميتَ بداءٍ لستَ غاسلَه ... ما جاورَ السَّيلُ أهل الشام والنيلا
فما انتفاؤك منه بعد ما قطعَتْ ... هُوجُ المطىّ به أكناف شِمليلا
قد قيل ذلك إنْ حقاً وإن كذباً ... فما اعتذارُك من شىء إذا قيلا
٧٩ فالحقْ بحيثُ رأيتَ الأرضَ واسعةً ... وانشُرْ بها الطرفَ إنْ عرضاً وإنْ طولا)

(١) ش : « القالى » ، صوابه بالفاء .
(٢) منه ، أى من بيان نصبهما ورفعهما . والوجه حذف الواو .

قوله شرّد برحلك أى أبعده وارحلْ عنى . وقوله فقد رُميت روى بدله :

* فقد ذُكرتَ به والركبُ حامله *

وضمير به وحامله للبرص المذكور . وقوله شمليلا قال البكرى فى (معجم ما استعجم) : هو بكسر أوله وإسكان ثانيه بعده لام مكسورة على وزن ِفعليل بلد ، وأنشد هذا البيت . ومن العجائب تفسير العَينىّ إيّاه بالناقة الخفيفة ؛ وكأنّه يكتب من غير أن يتصوّر المعنى .

سبب الشاهد والسبب فى هذه الأبيات هو مارواه أبو الحسن الطوسىّ فى (شرح ديوان لبيد) والمفضّل بن سلمة فى (الفاخر) وابن خلف فى (شرح أبيات سيبويه) — وقد تداخل كلامُ كلٍّ منهم فى الآخَر — أنَّ وفد بنى عامر منهم طُفيل بن مالك ، وعامر بن مالك ، أتَوا النعمانَ بنَ المنذر أولَ ماملك، فى أُسارى من بنى عامر يشترونهم منه ، ومعهم ناس من بنى جعفر ، ومعهم لبيدٌ وهو غلام صغير فخلّفوه فى رحالهم ودخلوا على النُّعمان فوجدوا عنده الربيعَ بن زياد العبسىّ وكان نديمَ النعمان قد غلَب على حديثه ومجلسه ، فجعل الربيع يهزأ بهم ويسخر منهم لعداوة غَطَفان وهَوازن ، فغاظهم ذلك ، فرجَعوا بحالٍ سيّئة ، فقال لهم لبيد : إنكم تنطلقون بحال حسنة ، ثم ترجعون وقد ذهب ذاك وتغيّر . قالوا : خالك — وكانت أُمّ لبيد عبسية — كلّما أقبل علينا بوجهه صدّه عنّا بلسانٍ بليغ مطاع . فقال لهم لبيد: فما يمنعكم من معارضته ؟ قالوا : لحسن منزلته عند النعمان. قال : فانطلقوا بى معكم . فأزمعوا أن يذهبوا به ، وحلقوا رأسه وألبسوه حُلّةً وغدا معهم ، فانتهوا إلى النعمان وربيعٌ معه وهما يأكلان طعاماً ، وقيل تمراً وزُبداً ، فقال لبيد : أبيت اللعنَ ، إنْ رأيت أن تأذنَ لى فى الكلام . فأذن له ، فأنشد :

مهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكل معهْ إنَّ استَه من بَرَصٍ ملمَّعهْ
وإنّه يُدخل فيها إصبعه يُدخلها حتّى يوارى أشجعَهْ
كأنما يطلبُ شيئاً ضيَّعه

وسيأتى شرح هذه الأبيات إن شاء الله تعالى فى رُبَّ من حروف الجرّ[1].

فرفع النعمان يدَه وأفَّفَ وقال : كُفَّ ويلك ياربيع ، إنى أحسبك كما ذكر . فقال الربيع : إنَّ الغلام لكاذب . فترك النعمان مؤاكلته وقال : عُدْ إلى قومك . فمضى الربيع لوقته وتجرَّد وأحضَر من شاهد بدنَه وأنه ليس فيه سُوء ، ولحق بأهله ، وأرسل إلى النعمان بأبيات ، منها :

لئنْ رَحَلتُ ركابى لا إلى سَعَةٍ مامثلُها سَعةٌ عرضاً ولا طولا
ولو جَمعتَ بنى لخم بأسرتها لم يَعدِلُوا ريشةً من ريش قتميلا

— وروى : شَمويلا[2] — فأجابه النعمان :

شرِّدْ برحلك عنّي حيث شئت ولا تُكثر علَّ ودعْ عنك الأقاويلا

الأبيات :

والنعمان بن المنذر هو آخر ملوك الحيرة تقدّمت ترجمته فى الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة[3].

الربيع بن زياد — وأما الربيع فهو الربيع بن زياد العبسى ، قال الزمخشرى (فى مستقصى
٨٠ الأمثال) : « أنجب من بنت الخُرْشُب » هى فاطمة الأنمارية ، ولَدت لزياد

(١) فى الشاهد السادس والتسعين بعد السبعمائة .

(٢) وكذا فى الفاخر ١٧٣ . وفى اللسان (سمل) والأغانى ١٤ : ٩٢ : « سمويلا » بالسين المهملة .

(٣) الخزانة ٢ : ٤٤٩ — ٤٥١

العبسي الكَمَلَةَ : ربيعاً الكامل ، وعُمارة الوهّاب ، وقيسَ الحِفاظِ ، وأنَس الفوارس . وقيل لها : أىُّ بنيكِ أفضلُ ؟ فقالت : « ربيع ، بل عُمارة ، بل قيس ، بل أنس ، ثكلتهم إن كنتُ أعلم أيهم أفضل ، والله إنّهم لكالحلْقة المفْرَغة لا يُدرَى أين طرفاها » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1] :

٢٤٩ (أبا خُراشةَ أمّا أنتَ ذا نَفَرٍ فإنَّ قومىَ لم تأكلهمُ الضبُعُ)

على أن أصل (أما أنت) : لِأَنْ كنتَ . كما شرحه الشارح المحقق وبيَّنَ مختاره ، وسيأتى فى الشاهد الذى يليه ذكرُ من وافقه .

وهذا البيت ونحوُه اختلَف فى تخريجه أهل البلدين ، قال أبو علىّ (فى البغداديات) : قال سيبويه : سألته — يعنى الخليلَ — عن قوله أما أنت منطلقاً أنطلقُ معك ، فرفع وهو قول أبى عَمرٍو ، حدّثنا به يونس ، يريد أنه رفع أنطلقُ ولم يجزمه على أنّه جزاء . وحكى أبو عُمر الجَرْمىّ[2] عن الأصمعى

---

(١) فى كتابه ١ : ١٤٨ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٨١ والمنصف ٣ : ١١٦ وابن الشجرى ١ : ٣٤ ، ٢/٣٥٣ : ٣٥٠ والانصاف ٧١ وابن يعيش ٢ : ٨/٩٩ : ١٣٢ وشرح شواهد المغنى ٤٣ ، ٦٥ والعينى ٢ : ٥٥ والهمع ١ : ١٢٢

(٢) فى النسختين : « أبو عمرو » ، وصححه الشنقيطى بقلمه فى نسخته على الصواب المعروف . واسمه صالح بن اسحاق ، أخذ النحو عن الأخفش ويونس ، واللغة عن الأصمعى وأبى عبيدة . وتوفى سنة ٢٢٥ . بغية الوعاة .

فيما أُظنّ المجازاة بأمّا المفتوحة الهمزة وزعم أنه لم يَحكِه غيره . وهذا الذى حكاه أبو عُمَر يقوّيه الذى ذكرنا وهو :

* أبا خُراشة أمّا أنتَ ذا نفرٍ *

لأنه ليس فى البيت ما يُحمل عليه أن فيتعلّق به ، كما أنها فى قولهم أما أنت منطلقاً أنطلق معك متعلق بأنطلق معك .

فإنْ قلت : يكون متعلقاً بفعل مضمر يفسّره ما بعده ، فالجواب ما يكون تفسيراً [1] لا يعطف به على المفسَّر ، ألا ترى أنَّك تقول : انْ زيداً ضربته ، ولا يجوز ، إنْ زيداً فضربته ، فإذا لم يجز كانت الفاء فى فانّ قومى جوابَ شرط وأنت مرتفع بفعل مضمر .

فان قلت : قد تزاد الفاء كما حكى أبو الحسن : أخوكَ فوجد ، فاحملْها فى البيت على هـذا ليصحَّ إضمار الفعل المفسَّر ، وفى حمل البيت عليه تقويةٌ لما ذهب إليه سيبويه من أن أمَّا فى البيت إنما هى أنْ الناصبة ضمَّت إليها ما ، إلا أن القول بزيادتها ليس من مذهبي اهـ .

وقال ابن الحاجب فى (أماليه) : دخول الفاء هنا فى المعنى كدخولها فى جواب الشرط ، لأنّ قولك لِأنْ كنتَ منطلقاً انطلقتُ ، بمعنى قولك إن كنتَ منطلقا انطلقتُ ، لأن الأول سببٌ للثانى فى المعنى ، فلما كان كذلك دخلت دلالةً على السببية كما تدخل فى جواب الشرط ، فلهذا المعنى جاءت الفاء بعد الشرط المحقّق والتعليل ، وهى لهما جميعاً فى المعنى . اهـ

وقال ابن خلف : قال علىٌّ بن عبد الرحمن : عندى فيه وجهٌ آخر ، وهو أن تجعل الفاء جواباً لما دلّ عليه حرف النداء المقدّر ، من التنبيه

---

(١) ش : « فان جواب مايكون تفسيرا » ، صوابه فى ط

والإيقاظ ، كأنه قال : تنبَّهْ وتيقّظ . فإنَّ قومى لم تأكلهم الضبع . وفيه نظر .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : الفاء لتعليل « لم أذلّ » المقدّر ، والمعنى : لكونك ذا نفر لم أذلّ ، فإنَّ قومى . كذا فى الإقليد . ويجوز أن تكون الفاء جزاء الشرط فى قوله أمّا أنت ، بناء على مذهب الكوفيين : من أنَّ أصل أنْ فى هذا إنْ المكسورة التى للجزاء وأنّها إنما تفتح إذا دخلت عليها ما ، ليليَها الاسم . ويجيزون أمّا زيد قائماً أقم معه بفتح الهمزة اه .

وقال علىّ بن عبد الرحمن : وفى البيت عندى حذف يقوم من بقيّته الدلالةُ عليه ، وهو بَطِرْتَ أو بغَيتَ أو فخرتَ ، وبه يتعلّق الجارّ ، ثم استأنف فقال : إن قومى الخ . ٨١

وقوله (أبا خُراشة) بضمّ الخاء منادىً بحذف حرف النداء المقدّر[١] .

وأبو خراشة كنيةُ واسمه خُفاف بن نَدْبَة بضمّ الخاء وتخفيف الفاء . ونَدْبَة بفتح النون وسكون الدال بعدها موحَّدة ، وهى اسم أمّه اشتهر بها .

خفاف بن ندبة وخُفا ف صحابى شهد فتح مكةَ مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه لواء بنى سُليم ، وشهد حنيناً والطائف أيضاً ، وهو ممن ثبت على إسلامه فى الردّة ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها . وكان أسودَ حالكا ، وهو أحد أغربة

(١) ط : « بحذف النداء المقدر » ، وكلاهما صحيح . وكلمة «حرف» فى ش كتبت بخط الناسخ تحت كلمة « بحذف » بينها وبين كلمة « النداء » .

العرب الثلاثة[١] ، وهو ابن عم الخنساء الصحابية الشاعرة ، وتأتى له ترجمة أبسطُ مما هنا فى محله إن شاء الله تعالى[٢] .

و (أنت) اسم لكان المحذوفة ، و (ذا نفر) خبرها . وعند ابن جنى هما معمولان لما الواقعة عوضاً من الفعل ، ومُصلحةً للفظ لتزول مباشرة أنْ الاسم وهذه عبارته (فى الخصائص) : فإن قلت : بم ارتفع وانتصب أنت منطلقاً[٣] ؟ قيل بما ، لأنَّها عاقبت الفعلَ الرافعَ الناصب فعملت عملَه من الرفع والنصب ؛ وهذه طريقة أبى على وجِلّة أصحابنا ، من قِبَل أن الشيء إذا عاقب الشيء ولىَ من الأمر ما كان المحذوف يليه ؛ من ذلك الظرفُ إذا تعلّق بالمحذوف فإنه يتضمّن الضمير الذى كان فيه ، ويعمل ما كان يعمله[٤] : من نصبه الحال والظرف . وعلى ذلك صار قوله « فاه إلى فىَّ » من قوله : كلمته فاه إلى فىَّ ، ضامناً الذى[٥] كان فى جاعلا لمَّا عاقبه . اهـ

قال ابن خلف : وعلى هذا يُلغَز فيقال : هل تعرف (ما) فى كلام العرب رافعةً للاسم وناصبة للخبر ، وليست بالنافية التى يُعملها أهل الحجاز بل هى موجبةٌ لا نافية ؟

---

(١) أغربة العرب فى الجاهلية خمسة لا ثلاثة ، وهم : عنترة بن شداد ، والسليك بن السلكة ، وأبو عمرو بن الحباب ، وخفاف بن ندبة ، وهشام بن عقبة بن أبى معيط . كما ذكر البغدادى فى الشاهد ٤١١ . ومثله فى اللسان (غرب ١٣٨) . فلعل صواب ما هنا « الثلاثة عشر » ، فقد عد صاحب اللسان ثمانية أغربة آخرين من الاسلاميين . فانظره .

(٢) فى الشاهد ٤١١ وهو قول خفاف بن ندبة :

فقلت له والرمح يأطر متنه تأمل خفافا اننى أنا ذلكا

(٣) وكذا فى الخصائص ٢ : ٣٨١ . وفى ش : « أما أنت منطلقا » .

(٤) أى ما كان يعمله المتعلق المحذوف .

(٥) فى الخصائص : « ضامنا للضمير الذى »

وروى أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) وتبعه ابنَ دُريد (فى الجمهرة) :

* أبا خُراشة أما كنت ذا نفرٍ *

وعليها فلا شاهد فى البيت ، وما زائدة . وهذه الرواية تؤيدُ قول الكوفيين القائلين إنّ أنْ المفتوحة شرطيةٌ يجازَى بها .

ومن الغرائب ما نقله صاحب (نفحات الأرَج ، فى شرح أبيات الحجج) عن الأصمعىّ أنّ العرب تجازى بأنت فتقول: أما أنت منطلق أنطلقْ معك . وهذا نادر ولا يعتبر ، فإن المجازاة لا تقع إلاّ على الفعل ، وأمّا الأسماء فإنّها لا يصحّ عليها المجازاة . كذا فى (شرح أبيات الموشح) .

و (النفر) قال الفرّاء : نفرُ الرجل : رهطه ، ويقال لعدّة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وهذا هو المشهور . و (الضَّبُع) قال حمزة الأصبهانى (فى أمثاله التى على وزن أفعَل) عند قوله « أفسد من الضبُع » : إنها إذا وقعت فى الغنم عاثت[1] ولم تكتفِ بما يكتفى به الذئب . ومن إفسادها وإسرافها فيه استعارت العرب اسمَها للسنة المجدبة فقالوا : أكلتنا الضبع . وقال ابن الأعرابى : ليس يريدون بالضبع السنة ، وإنما هو أنّ الناس إذا أجدبوا ضعفُوا عن الانتصار وسقطت قُواهم فعاثَت فيهم الضباعَ والذئاب فأكلتْهم ، ومنه قوله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر . . . . البيت

(١) عاثت : أفسدت .

أى إن قومى ليسوا بضعافٍ تَعيث فيهم الضباع والذئاب[1]. وإذا اجتمع الذئب والضبع فى الغنم سلمت الغنم ، ومنه قولهم اللهم ذئباً وضبعاً،أى أجمعهما فى الغنم ؛ لأن كلا منهما يمنع صاحبه اهـ .

صاحب الشاهد وهذا البيت من أبيات للعباس بن مِرْداس السُّلَمى ، لا للهُذَلى كما زعم

٨٢ بعض شرّاح أبيات المفصل . وبعده :

(السِّلمُ تأخذ منها ما رضِيتَ به والحربُ يكفيك من أنفاسها جُرَعُ)

وهذا البيت استشهد به البيضاوى عند قوله تعالى : ﴿ ادخلُوا فى السِّلم كافَّةً[2] ﴾ على أن السِّلم تؤنث كالحرب . قال صاحب (الصحاح) : السلم الصلح تفتح وتكسر وتذكر وتؤنث . وكذلك استشهد به ابن السكيت (فى إصلاح المنطق[3]) قال التبريزى (فى إيضاح الإصلاح) : الجُرَع : جمع جُرْعة ، وهى ملء الفم . يخبره أنَّ السلم هو فيها وادع[4] ينال من مطالبه ما يريد ، فإذا جاءت الحرب قطَعتْه عن لذّاته وشغلته بنفسه اهـ .

---

(١) أما الذئاب فستأكل أحياءهم ، وأما الضباع فتصيب موتاهم . والمراد وقوعهما فى القوم متفرقين . أما اجتماعهما فان معه السلامة للأقوام ، لاشتغال كل واحد منهما بصاحبه ، ومنه قول الشاعر ، كما فى اللسان (ضبع) .

تفرقت غنمى يوما فقلت لها يارب سلط عليها الذئب والضبعا

(٢) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة .

(٣) اصلاح المنطق ٣٥ ، ٣٩٩ .

(٤) ط : « رادع » ، صوابه بالواو من الدعة ، كما فى ش .

وهذا تحريضٌ على الصلح وتثبيط عن الحرب . وأراد بأنفاسها أوائلَها ، ومن فى الموضعين[١] ابتدائية .

والعباس بن مرداس صحابىٌّ أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وهو ممن حرَّم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابعَ عشر من أوائل الكتاب[٢] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد المحسون بعد المائتين[٣] :

٢٥٠ (إمّا أقمتَ وأمّا أنتَ مرتحلاً فالله يكلأُ ما تأتى وما تذَرُ)

على أنّه يدل لصحة قول الكوفيين : كونَ أنْ المفتوحة الهمزة أداةَ شرط ، مجىء الفاء فى جوابها مع عطف (أمَّا أنت) على (إمَّا أقمت) بكسر الهمزة .

قد صوَّب ابن هشام أيضاً (فى المغنى) رأى الكوفيين ، كما صوَّب الشارح المحقِّق ، واستدلَّ لهم بعينِ ما استدلَّ به الشارح ، وهذا من توافق الخاطر[٤] كما يقال « قد يقع الحافر موضع الحافر » . وهذه عبارته :

(١) هما « منها » و « من أنفاسها » . ط : « وهى فى الموضعين » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ١ : ١٥٢ .

(٣) ابن يعيش ٢ : ٩٨ ، ٩٩ وشرح شواهد المغنى ٤٤ .

(٤) كانت حياة ابن هشام ما بين سنتى ٧٠٨ ، ٧٦١ . وقد أكمل الرضى شرحه للكافية سنة ٦٨٦ أى قبل مولد ابن هشام . ويشير البغدادى بقوله « توافق الخاطر » الى أن ابن هشام مع تأخره عن الرضى لم يطلع على كتابه « شرح الكافية » . والعلة فى هذا ان الشرح لم ينقل من بلاد العجم إلى مصر الا بعد أبى حيان وابن هشام . انظر مقدمة البغدادى فى الجزء الأول من الخزانة ص ٢٩ .

ويرجّح مذهب الكوفيين عندى أمور : أحدها توارد إن المفتوحة والمكسورة على المحلّ الواحد والأصل التوافق ، وقرئ بالوجهين فى قوله تعالى : ﴿أن تَضِلَّ إحداهما[1]﴾ ، ﴿ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أنْ صَدُّوكُمْ[2]﴾ ، ﴿أفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أن كُنتُمْ قَوْماً مُسْرِفين[3]﴾ . ورُوى بالوجهين قوله :

* أتغضب إن أُذنا قُتيبة حُزَّتا[4] *

الثانى مجىء الفاء بعدها كثيراً كقوله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر . . . . البيت

الثالث عطفها على إن المكسورة فى قوله :

إما أقمت وأما أنت مرتحلا . . . . البيت

الرواية بكسر إنْ الأولى وفتح الثانية . فلو كانت المفتوحة مصدريّةً لزم عطف المفرد على الجملة . وتعسَّفَ ابنُ الحاجب فى توجيه ذلك فقال : لما كان معنى قولك إن جئتنى أكرمتك ، وقولك أكرمك لاتيانك إيّاى واحداً ، صح عطف التعليل على الشرط فى البيت . وكذلك تقول : إن جئتنى وأحسنت

(١) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة . وقرأ بكسر الهمزة فى « ان » حمزة والأعمش ، والباقون بفتحها . تفسير أبى حيان ٢ : ٣٤٩

(٢) الآية ٢ من سورة المائدة . وقرأ بكسرة همزة « ان » ابو عمرو وابن كثير ، والباقون بفتحها . تفسير أبى حيان ٣ : ٤٢٢

(٣) الآية ٥ من سورة الزخرف . وقد قرأ نافع والأخوان بكسر الهمزة وقرأ الجمهور « أن » بفتحها ، وزيد بن على : « اذ كنتم » . تفسير أبى حيان ٨ : ٦ .

(٤) للفرزدق فى ديوانه ٨٥٥ . وعجزه :

* جهارا ولم تغضب لقتل ابن حازم *

إليَّ أكرمتك ، ثم تقول : إن جئتنى ولإحسانك إليّ أكرمتك ، وتجعل الجواب لهما اهـ . وما أظنّ أنَّ العرب فاهت بذلك يوماً . انتهى كلام ابن هشام .

وكلامُ ابن الحاجب الذى نقله هو فى (الإيضاح شرح المفصل) ، وقد اختصر كلامَه ، وهذه عبارته : وقد روى قوله :

إماَ أقمتَ وأما أنت مرتحلا . . . . البيت

بكسر الأول وفتح الثانى . أمّا كسر الأوّل فلأنّه شرط فوجب كسره ، ودخول ما عليه كدخولها فى قولك : إمّا تكرمْني أكرمْك . وفتح الثانى واجب لأنه مثل قولك : أما أنت منطلقاً . وقد تقدّم ذكره .

٨٣ وقوله (فالله يكلأُ ما تأتى الخ) فجواب الشرط معلَّل بقوله أمَّا أنت مرتحلا . وصحّ أن يكون لهما جميعاً من حيث كان الشرط والعلّة فى معنًى واحد ، ألا ترى أن قولك إن أتيتنى أكرمتك بمعنى قولك أكرمتك لأجل إتيانك ؟ فإذا ثبت أنَّ الشرطية والتعليلَ بمعنًى واحدٍ صحّ أن تعطف أحدَهما على الآخر وتجعل الجواب لهما جميعاً فى المعنى ، فصار مثل قولك : إن أكرمتنى وأحسنتَ إليَّ أكرمتك ، إلاّ أنَّه وضع موضع أحسنت إليّ لفظَ التعليل ، فصار كأنَّك قلت : إن أكرمتنى فلأجل إتيانك فأنا أكرمك . وذلك سائغ . هذا كلامه .

وقد ناقش الدمامينيُّ كلام ابن هشام فى الأدلّة الثلاثة بالتعسّف كما لا يخفى على من تأمله . (والكلاءة) بالفتح والمدّ : الحفظ ، وما موصُولة والعائد محذوف أى ما تأتيه وما تذره . و (تذر) بمعنى تترك ، وقد أماتوا ماضيه ، ومصدرَه ، واسمَ فاعله ، واسمَ مفعوله كيدع .

وهذا البيت مع استفاضته فى كتب النحو لم أظفر بقائله ولا بتتمته والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٢٥١ (ومِنْ عِضَةٍ ما ينبُتَنَّ شَكيرُها)

على أن زيادة (ما) للتأكيد بمنزلة اللام ، ولأجلها جاز تأكيد الفعل بالنون . وسيأتى نقل كلام سيبويه فى آخر الشاهد السادس والأربعين بعد التسعمائة[٢] فى نون التوكيد .

قال الصاغانى — تبعاً لصاحب الصحاح وغيره — : الشكير : ما ينبت حول الشجرة من أصلها ، قال :

(إذا مات منهم ميت سُرِق ابنهُ ومن عِضَةٍ ما ينبتنَّ شكيرُها)

يريد أنَّ الابن يشبه أباه ، فمن رأى هذا ظنَّه هذا فكأن الابن مسروق .

وفى فعله يقال : شكِرت الشجرة تَشكَر شَكَراً ، من باب فرح ، أى خرج منها الشكير . وهذا التفسير منقول من (تهذيب الازهرى) .

وأورد الزمخشرى المصراع الثانى (فى أمثاله) وقال : والعِضَة بالهاء والتاء جميعاً . والشكير : الورق . ويروى « فى عِضَةٍ ما ينبت العود » ، يضرب فى مشابهة الرجل أباه اهـ .

وكذلك اقتصر ابن هشام (فى حواشى التسهيل) عليه ، لكنه قال : هذا

(١) فى كتابه ٢ : ١٥٣ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٩/١٠٣ : ٥ ، ٤٢ وشرح شواهد المغنى ٢٥٨ والتصريح ٢ : ٢٠٥ والأشمونى ٣ : ٢١٧ والحماسة بشرح المرزوقى ١٠٩٢

(٢) كذا فى النسختين ، والصواب « بعد آخر الشاهد السابع والأربعين بعد التسعمائة » حيث كرر هذا الشاهد لمناسبة تأكيد الفعل المستقبل فى غير الشرط .

مثلٌ لمن أظهر خلاف ما أبطن . والعضة : شجرة ، وشكيرها : شوكها ، وقيل صغار ورقها . يعنى أنَّ كبار الورق إنّما تنبت من صغارها ، أى ما ظهر من الصغار يدلُّ على الكبار . اهـ .

وهذا التفسير مبنيّ على قطع النظر عن المصراع الأوّل .

وقوله (سُرق ابنه) اختُلف فى ضبطه ، فالجمهور على أنه بالبناء للمفعول بتقدير سُرق منه ، وضبطَه الخطيب التبريزى بالبناء للفاعل على تقدير سَرق ابنه صورتَه وشَمائله . وضبطه بعضهم « شَرُفَ ابنه » بالمعجمة والفاء والبناء للمعلوم ، من الشرف وهو المجد ، ولا يخفى ركاكته . و (العضة) : واحدة العِضاه عِضاهة وعضهة بكسر فسكون ، وعضة بحذف الهاء الأصلية كما حذف من الشَّفة . اهـ . وعلى هذا فالعضة بالتاء لا بالهاء .

وروى أبو محمد الاعرابى هذا البيت (فى كتاب السَّلة والسَّرِقة) على ما تقدَّم ، وقال : ومَثَلٌ آخر :

ومن عضة ما ينبتنَّ شِكيرُها قديماً ويُقتَطُّ الزِناد من الزَّندِ

ولم يورد شرَّاح أبيات سيبويه هذا المصراع فى شواهده . ٨٤

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

---

(١) فى كتابه ١ : ١٣٤ ، وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٢٢ وابن يعيش ٤ : ١٠١/٨ : ٣٥ وشرح شواهد المغنى ٢٨٣ والعينى ٢ : ٥١ والتصريح ١ : ١٩٤ والهمع ١ : ١٢٢ والأشمونى ١ : ١٩٤

٢٥٢ (مِنْ لَدُ شَولاً فإلى إتلائها)

على أن (كان) قد تحذف بعد (لَدُ) كما هنا ، والتقدير : من لدُ كانت شولاً .

قد ذكر الشارح فى الظروف أنّ لدن بجميع لغاتها معناها أوّل غاية زمانٍ أو مكان ، وقلّما يفارقها مِنْ ، فإذا أضيفت إلى الجملة تمحّضت للزمان ، لأنّ ظروف المكان لا يضاف منها إلى الجملة إلاّ حيث ، ويجوز تصدير الجملة بحرفٍ مصدرىّ لما لم يتمحّض لدن فى الأصل للزمان ؛ فنَصَب هنا شولاً لأنه أراد بِلَدُ الزمانَ ، ولَدُ إنما يضاف إلى ما بعده من زمان يتّصل به أو مكان إذا اقترنت به إلى ، والشَّولُ لا يكون زماناً ولا مكاناً ، فلما لم يجز أن يُضاف لَدُ إليها نَصبهَا على أنها خبر لكان المقدَّرة .

و (الشَّوْل) بفتح الشين المعجمة وسكون الواو : اسم جمع شائلة بالتاء ، وهى الناقة التى ارتفع لبنها وجفّ ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر وثمانية . واسم كان للمقدَّرة ضمير النوق فى كلامٍ تقدّم قبله ، وأضمِرت كان هنا لوقوعها فى مثله كثيراً ، وحُذفت نون لدن لكثرة الاستعمال . وقيل شَوَلاً هنا مصدر شالت الناقة بذنبها ، أى رفعته للضِّراب ، فهى شائل بغير تاء ، والجمع شُوَّل كراكع ورُكَّع ، فيكون التقدير : من لدن شالت شولا ، فليس فيه حذفُ كان مع اسمها بل هو من باب حذف عامل المصدر المؤكِّد . وللمصادر تستعمل فى معنى الأزمنة ، كجئتك صلاةَ العصر . قال أبو على : الأشبه أن يكون المصدر فى نحو هذا على فعلان ، فلذلك لم يقوّه سيبويه .

قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : وقد يرجح كونه من باب حذف

عامل المصدر المؤكَّد ، ورُدَّ[1] بأنه روى من لَدُ شولٍ بالخفض ولا يقال من لدُ النُّوق فإلى إتلائها . ويجاب بأن التقدير من لدن شوَلان شَوْل أو زمان شول أو كون شول ، فحذف المضاف . والتقدير الأخير أولى ليتَّحد المعنى فى الروايتين ولكن يحتاج على هذا التقدير إلى الخبر ، أى موجودةً . فإنْ قُدِّر الكون مصدرَ كان التامَّة لم يحتج إلى ذلك ، ولكن لا يقع التوفيق بين الروايتين فى التقدير . وقد يرجَّح الثانى برواية الجَرْمى « من لَدُ شوْلاَ » بغير تنوين على أن أصله شولاء بالمد فقصرَه للضرورة ، ولكن هذه الرواية تقتضى أن المحدَّث عنه ناقة واحدة . ومن الغريب أنَّ بعضهم زعم أن انتصاب شولا بعد لدُ على التمييز أو التشبيه بالمفعول به ، كانتصاب غدوة بعدها فى قولهم لدن غدوةً وأنه لا تقدير فى هذا البيت . وهذا مردود باتفاقهم على اختصاص هذا الحكم بغُدْوَة وأنه لم يسمع غُدْوة مع حذف النون من لدن . اهـ

وتقدير الشارح المحقق كان بدون أن للمصدرية هو الصَّواب خلافاً لسيبويه فإنّه قال : التقدير من لد أنْ كانت شولا . قال ابن الدهَّان : الحامل له على هذا التقدير أنَّ لدن لا تضاف عنده إلى الجمل ، وردَّ هذا الحامل بلزوم أن يقدِّر سيبويه أنْ فى قوله :

* لدُن شبَّ حتى شاب سود الذوائب[2] *

ونحوه ، وهو كثير ، وذلك بعيد .

واختلف فى تقدير سيبويه : قال الشاطبى (فى شرح الألفيّة) : فقيل هو ٨٥

(١) هذه الكلمة ساقطة من ش .

(٢) للقطامى فى ديوانه ، وهو أول من سمى صريع الغوانى لقوله :

صريع غوان راقهني ورقنه   لدن شب حتى شاب سود الذوائب

تقديرٌ معنوى لا إعرابى ، لأنّ شولاً يصير على ذلك التقدير من صلة أنْ ، وللموصول لا يحذف ويبقى بعض الصلة ، نصَّ عليه سيبويه فى باب الاستثناء فى قوله « الاّ الفرقدان[1] » وإنّما التقدير : من لدُ كانت ، أى من لدكونها شولاً ، لأن الجملة تقدَّربالمصدرإذا أضيف إليها الظرف . هذا مأخذ ابن خروف وابن الضائع وابن عصفور ، وهو رأى الناظم . وظاهر السِّيرافى وجماعةٍ أنه تقديرٌ إعرابىٌ لأنه قدَّرها بأنْ كما قدَّرها سيبويه : من لد أنْ كانت شولاً . قال : والمصادر تستعمل فى معنى الأزمنه نحو مقدمَ الحاج ، وخلافةَ المقتدر ، وصلاةَ العصر . وهذا رأى الشَّلَوبين وابن أبى غالب ، قال ابن مالك : وعندى أن تقدير أنْ مستغنىً عنها كما يستغنى عنها بعد مُذ . اهـ . وفى القول الثانى نظر ، فإنّ الإشكال باقٍ بحاله ولم يجيبوا عنه . فتأمل .

وقوله (فالى إتلائها) بكسر الهمزة هو مصدر أتْلَت الناقة إذا تلاها ولدها أى تبعها فهى مُتْلِيَة ، والولد تِلو ، بكسر فسكون ، والأنثى تِلوة ، والجمع أتلاء بالفتح .

وهذا البيت من الرجز المشطّر[2] ، وهومن الشواهد الخمسين التى لايعرف قائلها ولا تتمتها . والله أعلم .

---

(١) قطعة من بيت لعمرو بن معد يكرب ، أو حضرمى بن عامر . انظر الكتاب ١ : ٣٧١ وحماسة البحترى ٢٣٤ والكامل ٧٦٠ والمؤتلف ٨٥ وامالى المرتضى ٢ : ٨٨ . والبيت بتمامه :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك الا الفرقدان

(٢) جعلها الشنقيطى فى نسخته « المشطور »

باب المنصوب بلا التى لنفى الجنس

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد المائتين[١] :

٢٥٣ ﴿ أوْدَى الشبابُ الذى مجدٌ عَواقِبُهُ

فيه نَلَذُّ ولا لَذّاتَ للشَّيبِ ﴾

على أن جمع المؤنث السالم يبنى على الفتح مع لا ، بدون تنوين ، كلذّاتَ فى البيت ، فإنّه مبنىٌّ مع لا على الفتح ، ورواه شرّاح الألفية بالفتح والكسر ، كما يجوز مثله فى الجمع المؤنث السالم المبنىّ مع لا .

وهذا البيت من قصيدة لَسَلامةَ بن جَندلٍ السعدىّ عدّتها اثنان وثلاثون بيتاً ، وهى مسطورة فى المفضّليات أوّلها : صاحب الشاهد

(أودَى الشبابُ حميداً ذو التَعاجيبِ أودَى وذلك شأوٌ غير مطلوبِ

ولّى حثيثاً وهذا الشَّيبُ يطلبه لو كان يُدركُه ركضُ اليعاقيب أبيات الشاهد

أودَى الشبابُ الذى مجدٌ عواقبُه . . . . . البيت

يومانِ يومُ مَقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سَيرٍ إلى الأعداء تأويب)

قوله أودى أى ذهب واضمحلّ ، وحميداً حالٌ من الشباب أى محموداً . وكرّر أودى للتأكيد ، والمراد به التحسّر والتفجّع لا الإخبار المجرّد . قال ابن الأنبارىّ : التعاجيب العَجَب ، يقال إنّه جمع لا واحدَ له . وروى « ذو الأعاجيب » جمع أعجوبة ، والمعنى : كان الشباب كثير العجَب ، يُعجب الناظرين إليه ويروقهم . واسم الإشارة لمصدر أودى . والشأو مهموز الوسط :

---

(١) انظر شذور الذهب ٨٥ والعينى ٢ : ٣٢٦ والتصريح ١ : ٣٢٨ والهمع ١ : ١٤٦ والأشمونى ٢ : ٨ والمفضليات ١٢٠ وديوان سلامة بن جندل ٧ .

الطَلَق . يقال جرى الفرس شأواً أو شأوين أى طَلَقاً أو طَلَقين ، ويأتى بمعنى السَبْق أيضاً ، يقال شأوته أى سبقته . يقول : وذلك الإبداء شأوه سابق قد مضى لا يُدرك ولا يُطلب . وروى بدل أودى « ولَّى » .

وقوله : ولَّى حثيثاً الخ ، أى ذهب الشباب وأدبر حثيثاً سريعاً . وجواب لو محذوف ، أى لطلبته ولكنه لا يُدرك . واليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو
٨٦ ذكر الحَجَل . وخصَّ اليعقوب لسرعته . قال ابن الأنبارى : وقال عُمارة : اليعاقيب يعنى به ذوات العَقْب من الخيل . والعَقْب : أن يجىء جرىٌ بعد جرى . وروى أبو عمرو : « ركضَ اليعاقيب » بالنصب . يقول : لو أدرك طالب الشباب شبابه بركضٍ كركض اليعاقيب لطلبه ، ولكنّ الشباب إذا ولَّى لم يُدرَك . ويقال : إن معناه ولَّى الشباب حثيثاً ركض اليعاقيب وهذا الشّيب يتبعه . ويروى « جرىَ اليعاقيب » .

وقوله (أودى الشباب . . الخ) قال ابن الأنبارىّ : يقول : ذهب الشباب الذى إذا تُعقّبت أموره وُجد فى عواقبه الخير إمّا بغزو أو رحلة أو وِفادة إلى ملك . وعواقبه : أوَاخره . وقال أحمد : قوله (مجدٌ عواقبه) أى آخر الشباب محمود ممجّد إذا حلَّ الشيب وذُكر الشباب ، فحمد الشباب لذمّه ، والمجد : كرم الفعل وكثرة العطاء . يقال فى مَثل : « فى كلِّ شجرٍ نارٌ ، واستمجد المَرْخُ والعَفار » أى كثُرت ناراهما . وإنّما يمجُد الرجل بفعله ، وإنّما يمكنه الفَعال وهو شابٌ قوىٌ نشيط . وقوله (فيه نَلَذّ) بفتح اللام ، أى إنّما تكون اللذاذة والطِّيب فى الشباب ، والجملة استئنافٌ بيانى . و « الشُّيب » بالكسر : جمع أشيب ، وهو الذى ابيضّت لحيته ، يريد ليس فى الشَّيب ما يُنتفع به ، إنّما فيه الهَرَم والعِلل . وإنّما جمع اللذة

لأنه أراد أنواعَ اللذائذ . وروى أيضاً (ذاك الشباب الذى يحمدُ عواقبه) . ولم يروِ أحدٌ (إنّ الشباب) بدل (أودى) فيما رأينا . وزعم ابن هشام فى شرح شواهده أن الرواية بإنّ ، وأن ابن الناظم حرّفه فرواه (أودى الشباب) قال : ولولا (أنّ) لبقى قوله (فيه تلذ) غير مرتبط بشىء . وهذا كما ترى عسفٌ فى الرواية وتخطئهٌ للمصيب .

وقوله يومان يوم الخ ، قال ابن الأنبارى عن الرُّستَمىّ : فسّر العواقب بقوله يومان وبما بعده فى البيتين فقال : يومٌ فى المجالس خطيباً ويومُ سير إلى الأعداء ، والكبير يعجز عن هذا . والمقامة بالفتح : المجلس ، وروى أبو عمرو بالضم بمعنى الإقامة . والأندية : الأفنية . والندىّ والنادى : المجلس . قال أحمد : أراد به اللهو والتنعّم . وتأويب : صفة سير ، وهو السُّرعة فى السير والإمعانُ فيه ، يقال أوّب الرجل في سفره تأويباً ، إذا أمعن . وقال أحمد : أوّب : وصل الليل بالنهار مع الإمعان .

وفى هذه القصيدة أبيات من شواهد أدب الكاتب وغيره .

و (سلامة) هذا قال يعقوب بن السكيت : هو سَلامة بن جندل ابن عبد عمرو بن عبيد بن الحارث بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مَناةَ بن تميم ، قال : وكان من فُرسان العرب المعدودين وأشِدّائهم المذكورين اهـ. سلامة بن جندل

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[1] : سلامة بن جندل جاهلى قديم ، وهو من فرسان تميم المعدودين ، وأخوه أحمر بن جندل من الشعراء والفرسان ،

(١) الشعراء ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

وكان عمرو بن كلثوم أغار على حيٍّ من بنى سعد[١] فأصابَ فيهم ، وكان فيمن أصاب الأحمر بن جندل . وكان سلامة أحدَ نُعّات الخيل ، وأجود شعره قصيدته التى أولها :

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيبِ أودى وذلك شأوٌ غير مطلوبِ

انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين[٢] :

٨٧ ٢٥٤ *لو لم تكنْ غَطَفانٌ لا ذُنوبَ لها
إذن لَلامَ ذَوُو أحسابِها عمرا*

على أن (لا) هنا زائدة مع أنّ النكرة بعدها مبنية معها على الفتح . قال ابن عصفور (فى المقرَّب) : أنشد أبو الحسن الأخفش :

لو لم تكن غَطَفان . . . . البيت

والمعنى لها ذنوب إلىّ . وعمل لا الزائدة شاذّ .

وقد تكلّم أبو علىّ الفارسىّ (فى المسائل المنثورة) على هذا البيت بكلام فيه قلاقة وهو قوله : يعترض فى هذا البيت معترضٌ فيقول : الكلام إيجاب ، ومعناها أنّ لغطفان ذنوبا ، فكان الكلام إيجابا ، ولا لا تدخل على الإيجاب . فوجه ما قاله أنه لم يردْ هذا ، وإنما أراد بقوله لا ذنوب لها أنّ

---

(١) فى الشعراء : « من بنى سعد بن زيد مناة » .

(٢) انظر الخصائص ٢ : ٨٧ والهمع ١ : ١٤٧ وديوان الفرزدق ٢٨٣

الكلام الأول قد تمَّ وتقضّى ، فأتى بالجملة الثانية وهى الجحد ، فجعلها خبراً للنكرة حيث كانت جملة . ومثل ذلك فى الجحد قد قالت العرب : كان زيد يقوم أبوه ، فقد جعل يقوم أبوه جملة فى موضع الخبر وإن كان جحداً ، فكذلك جاز له أن يجعل(١) النفى فى موضع خبر الإيجاب وإن كان إيجابا . ولا يلزم تأويل من تأوَّل هذا فقال : إن المعنى ذلك لأنّه وجه من القياس ، وهو ما ذكرنا ، فلا يلزمه التأويل لأن التأويل أيضاً ينساغ على ذلك فيجعل إيجاباً ، لأنّ الإيجاب والنفى جميعاً إخبارٌ ، فلك أن تجعل كل واحد خبرا عن الآخر من حيث كان ذلك فى الجحد . هذا كلامه .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق هجا بها عُمر بن هبيرة الفَزارى أوّلها : صاحب الشاهد

(يا أيها النابحُ العاوى لِشقْوته إليك أخبرْك عمّا تجهلُ الخبرا
لو لم تكن غطَفان . . . . البيت)

إلى أن قال :

(جهّزْ فإنك مُمْتارٌ ومنتجعٌ إلى فَزارةَ عِيراً تحمل الكمَرا أبيات الشاهد
إنّ الفَزارى ما يَشفيه من قَرَم أطايبُ العَيْر حتَّى ينهش الذكرا
إن الفزاريَّ لو يعمى فيُطعمهُ أيرَ الحمار طبيبٌ أبرأ البصرا)

النابح والعاوى ، من نبح الكلب وعوى بمعنى صوَّت . وإليك اسم فعل وأصل معناه : ضمَّ رحلك وثِقْلك إليك واذهب عنى . وأخبرْك جزم فى جوابه ، ، والخبر مفعول أخبرك ، وعمّا متعلّق بما بعده .

(١) ط : « أن يحصل » ، صوابه فى ش .

وقوله : (لو لم تكن غطفان الخ) لا من حيث للمعنى زائدة ، وأصل الكلام لو لم تكن ذنوبٌ لغطفان ، وجملة لا ذنوب لها خبر الكون .

وغطفان أبو قبيلة ممنوع من الصرف للعلمية والزيادة ، وصرفه هنا للضرورة . وهو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، وهو الجدّ الأعلى لفَزارة ، لأن فَزارة هو فَزارة بن ذبيان بن بغَيض بن رَيث بن غطفان . وفزارة اسمه عمرو ، ضربه أخٌ له ففزَره فسمّى فزارة .

وأراد بالذَّنب الإساءة ، أى لو كانت غطفان غير مسيئة إلىّ لَلام أشرافُها عمر بن هبيرة فى تعرّضه إلىّ ومنَعوه عنّى . وعمر عامل من عمّال سليمان ابن عبد الملك من بنى أميّة وقوله (إذن لَلامَ الخ) جواب لو الشرطية ، وكثيرا مّا يُصدَّر جوابها بإذن ، واللام للتأكيد ، واللَّوم : التعنيف ، وروى أيضاً :

* إلىَّ لام ذوو أحسابها عمرا *

وذوو فاعل لام ، جمع ذو بمعنى صاحب . والأحساب : جمع حسَب ، وهو ما يُعَدُّ من المآثر ؛ وهو مصدر حَسُب على وزن كرم . قال ابن السكّيت :
٨٨ الحسب والكرم يكونان فى الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف . ورجل حسيب : كريم بنفسه . قال : وأما المجد والشرف فلا يُوصَفُ بهما الشخص إلاّ إذا كان فيه وفى آبائه . وقال الأزهرىّ : الحسب الشرف الثابت له ولآبائه . و (عمر) مفعول لامَ والألف للاطلاق .

وقوله : « جهّز فإنّك الخ » الممتار : اسم فاعل من امتار المِيرة لنفسه بالكسر ، وهى الطعام . ومارهم مَيراً من باب باع ، إذا أتاهم بالمِيرة . ومنتجع بمعنى : منتفع ، وأصله من انتجع القومُ إذا ذهبوا لطلب الكلأ فى موضعه ،

وإلى متعلقة بجُهِّز، وعِيراً مفعول جُهِّز، وهو بكسر المهملة : القافلة، قالوا : وأصل العِيرِ الإبل التي تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة : والكَمَر بفتح الكاف والميم : جمع كَمَرة، قال صاحب المصباح : الكمرة الحشفة وزناً ومعنًى وربَّما أطلقت الكمرة على جملة الذكر مجازا .

والقَرَم بفتحتين مصدر قرِم اللَّحْمَ[1] من باب فرح، إذا اشتدّت شهوته له . ومِنْ للتعليل، وأطايب : فاعل يشفيه، جمع أطيب . والعَيْر بفتح المهملة : الحمار الوحشى . وحتَّى بمعنى إلاَّ . والنَّهسُ : مصدر نَهَست اللحم من بابى ضرب ونفع، إذا أخذته بمقدَّم الأسنان، والمعروف بالسين المهملة، وروى بالمعجمة أيضاً . وبنو فزارة يُرمَون بأكل أير الحمار، وبسرقة الجار، وبنيك الإبل، كما قال سالم بن دارة :

إنَّ بنى فَزارة بن ذُبيانْ قد غلبوا النَّاس بأكل الجُردانْ
وسَرِقِ الجار ونيكِ البُعْرانْ

والجُردان بضم الجيم : وعاء قضيب الحمار . وسيأتى إن شاء الله شرح هذا مفصَّلاً فى باب المثنى[2] .

وترجمة الفرزدق قد تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين[3] .

* * *

(١) فى اللسان : « يقال قرمت الى اللحم ، وحكى بعضهم فيه قرمته » .

(٢) فى الشاهد السبعين بعد الخمسمائة . وقد سبقت ترجمة سالم ابن دارة فى ٢ : ١٣٨ .

(٣) فى الجزء الأول من الخزانة ص ٢١٧ .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائتين وهو من شواهدس[١] :

٢٥٥ (بَكَتْ جزَعاً واسترجعتْ ثم آذنتْ
رَكائبُها أنْ لا إلينا رجوعُها)

على أن «لا» يجوز عدم تكريرها مع المفصول عند المبرّد وابن كيسان كما في البيت، وعند غيرهما شاذّ.

وقد أنشده سيبويه ومن تبعه على عدم تكرير لا مع المعرفة، وهو الوجه.

قال أبو عليّ (في المسائل المنثورة) : إذا كان بعد لا معرفةٌ ارتفعت المعرفةُ بالابتداء، وهو قولك : لا أبوك، فيرتفع بالابتداء ويكون خبره مضمراً وتكون لا جواباً، كأنه قال : هل أبي، فقال : لا أبوك. فنفى أن يكون أباه. وأما قول الشاعر : بكت جزَعاً واسترجعت. البيت، فرفع رجوعُها بالابتداء وأضمر الخبر كأنّه قال : موجود أو واقع، وجعل إلينا تبييناً مثل قوله سبحانه ﴿إنّي لَكُماَ لمن الناصحين[٢]﴾. اهـ

وزعم صدر الأفاضل (في التحبير)، كما نقله عنه بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصَّل، وبعضٌ آخر في شرح أبيات الموشح، أنّ لا هنا ليست بالنافية للجنس، إنّما هي التي تدخل على الفعل المضارع. و (رجوعها) مرفوع على أنه فاعل فعل مضمر، تقديره ألاّ يقع رجوعها. ألا ترى أنّه لو لم

---

(١) في كتابه ١ : ٣٥٥ . وانظر أمالي ابن الشجري ٢ : ٢٥٥ وابن يعيش ٢ : ١١٢/٤ : ٦٥ ، ٦٦ والهمع ١ : ١٤٨ والأشموني ٢ : ١٨ .
(٢) الآية ٢١ من سورة الأعراف .

تضمر فيه الوقوع لزم التناقض ، وهذا لأنَّ الإيذان يقتضى ألاّ يكون الرجوع فى الحال متحقّقاً كما يقال : هذه العارضة تؤْذن بالاستسقاء ، إذا لم يكن واقعاً ، ولو لم يضمر الفعل فيه لاقتضت لا أن يكون انتفاء الرجوع ٨٩
فى الحال متحقّقاً . اهـ .

ولا يخفى أن هذا ليس من المواضع التى يُحذف فيها الفعل ويبقى الفاعل . ويندفع ما عدَّه تناقضاً بجعل خبر رجوعها اسم فاعل من الوقوع . فتأمل .

وقوله (بكت جزَعا) هو مفعول مطلق نوعىٌّ أى بكاه جزع ، ويجوز أن يكون مفعولا لأجله . وروى : (قضت وطراً واسترجعت) وفى الاسترجاع هنا قولان : أحدهما أنه من الاسترجاع عند المصيبة[1] وهو قول ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ[2] ﴾ ، وثانيهما أنه طلب الرجوع من الرَّحيل لكراهة فراق الأحبَّة .

وقوله[3] : (ثم آذنت الخ) ركائبها فاعل آذنت ، جمع رَكوبة ، وهى الراحلة التى تُركب . وآذنَتْ بمعنى أشعرت وأعلمت . جعل تهيؤُ الإبل للرّكوبِ عليها كأنه إعلامٌ منها بالفراق . وفى إسناد الإيذان للركائب دون الحبيبة أمرٌ لطيف لا يخفى حسنه . وقال بعضهم : فيه حذف مضاف ، أى أصحاب ركائبها أو حداتُها . وهذا كالثَّوب المغسول لا طراوة له ولا رونق .

وقوله (أنْ لا إلينا الخ) أن هنا مفسِّرة للإيذان ، وهى الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه . وقال شرَّاح أبيات المفصَّل إنَّما هى المخففة من الثقيلة ، قالوا . والأصل بأنه ، والضمير للشأن .

---

(١) ط : « أنه استرجاع عند المصيبة » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) الآية ١٥٦ من سورة البقرة .
(٣) ط : « وهو قوله » ، صوابه فى ش .

والبيت ظاهره إخبارٌ،ومعناه : تأسُّف وتحسُّر . وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1].

٢٥٦ (وأنتَ امرُؤٌ منّا خُلقتَ لغيرنا
حيـاتُكَ لا نفعٌ وموتكَ فاجعُ)

على أنّ « لا » يجوز عدم تكريرها مع المنكّر غير المفصول مع إلغائها عند المبرّد وابن كيسان ، وعند غيرهما شاذّ .

قال الأعلم : وسوّغ الإفرادَ هنا أنّ ما بعده يقوم مقام التكرير في المعنى ، لأنّ قوله وموتك فاجع دلّ على أنّ حياته لا تضرّ . يقول : هو منّا في النسب إلاّ أن نفعه لغيرِنا ، فحياته لا تنفعنا لعدم مشاركته لنـا ، وموته يفجعنا لأنّه أحدنا اهـ .

وقوله (لا نفعٌ) هو مبتدأ ، وخبره محذوف أي فيها ، والجملة خبر قوله حياتك . وأكثر الرواية على إسقـاط الواو أوّله على أنه مخروم[2] وهو الصواب ، لأنّه لم يتقدّمه شيء حتى تـكون الواو عاطفة .

---

(١) في كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر ابن يعيش ٢ : ١١٢ والهمع ١ : ١٢٨ والأشموني ٢ : ١٨ .

(٢) ط : « مخزوم » بالزاي ، وصححها الشنقيطي في نسخته بالراء . وفرق بين الخرم والخزم . فالخرم : ذهاب أول حرف من وتد الجزء الأول في البيت ، وأجازوا أن يقع في مبدأ الجزء الثاني منه ، كما وقع لامرىء القيس في رواية السكري :

وهذا البيت نسبه شراح أبيات الكتاب لرجل من بنى سَلُول ، ونسبه العسكرى (فى كتاب التصحيف) والأديب إبراهيم الُحصْرى (فى زهر الآداب) للضحَّاك بن هنّام[1] الرقَاشّى . وزاد الحصرى بعده بيتين وهما : صاحب الشاهد

(وأنت على ما كان منكَ ابنُ حرَّةٍ أبِيٌ لمـا يرضى به الَخصم مانعُ[2]
وفيك خِصالٌ صالحاتٌ يَشِينُها لديك جَفـاءٌ عنده الوُدُّ ضائع)

قوله : وأنت على ما كان الخ أى أنت مع ما كان منك إلينا من سوء المعاملة ، ابنُ حرّة أبىّ ذوحميَّة ، مانعٌ لمـا يرضى به الخصم .

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) : المقول فيه هذا الشعر هو الحضين[3] بن المنذر ، وقائله الضحاك بن هَنّام . اهـ .

وضبط العسكرى ابن هَنّام بفتح الهـاء والنون المشدَّدة ، وقد وقع فى بعض كتب الأدب مصحفا بهمّام بالميم بدل النون ، وشذَّ ياقوت الحموى فنسبه (فى مختصر جمهرة الأنساب) إلى جَنَف بن مالك بن الحارث بن ثعلبة ، وينتهى نسبه إلى قُضاعة إحدى قبائل اليمن . ٩٠

= لقد انكـــرتنى بعلبك واهلهـــا وابن جريج كان فى حمص انكرا
وأما الخزم بالمعجمة فهو زيادة فى أول البيت لايعتد بها فى التقطيع ، من حرف الى أربعة ، كقوله (وهو من الهزج) :

(اشدد) حيازيمك للموت فـــان المـــوت لاقيكـــا
ولا تجـــزع من المـــوت اذا حـــل بواديكـــا

(١) فى زهر الآداب ٦٥٢ : « بن همام » تحريف ، كما سياتى

(٢) فى زهر الآداب : « وانى لما يرضى به الخصم مانع » وفى نسخة : « طائع » .

(٣) ط : « الحصين » صوابه بالضاد المعجمة كما فى ش

وضبط العسكرى (فى كتاب التصحيف[1]) المتعلق بعلم الحديث الحضين بن المنذر بقوله : حُضَين الحاء مضمومة غيرُ معجمة والضاد معجمة مفتوحة ونون ، هو حُضَين بن المنذر أبو ساسان الرَّقاشى ، من سادات ربيعة ، وكان صاحب راية أمير المؤمنين علىّ يومَ صِفِّين ، وفيه يقول أمير المؤمنين رضى الله عنه :

لمن رايةٌ سوداء يخفُق ظلُّها إذا قيل قدِّمْها حُضَينُ تقدَّما

ثم ولاه إصطَخر . وكان يُبخَّل ، وفيه يقول زياد الأعجم :

يسُدُّ حضين بابَه خشيةَ القِرى بإصطخَر والشاةُ السمين بدرهمِ

وفيه يقول الضحَّاك بن هنَّام :

وأنتَ امرؤ منَّا خلقتَ لغيرنا حياتك لا نفعٌ وموتك فاجع

وروى الحديث عن عثمان وعلىّ ، وعن مجاشع بن مسعود ، والمهاجر بن قنفذ .

وروى عنه الحسن ، وعبد الله بن الداناج ، وعبد العزيز بن مَعْمَر ، وعلىّ بن سُويد بن منَجوف .

ولا أعرف من يُسمَّى حُضيناً بالضاد المعجمة غيرَه ، وغير من ينسب إليه من ولده . ومن أولاده : يحيى بن حضين ، وساسان بن حُضَين ، وعياض بن حضين . وفى يحيى يقول الفرزدق :

واصرفِ الكأس عن الفا تر يحيى بن حضينِ

انتهى ما أورده العسكرىّ .

* * *

(١) ط : « كتابه التصحيف » ، واثبت ما فى ش .

وأنشد بعده :

(من صَدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيس لا بَرَاحُ[(١)])

على أن « لا » هنا بمعنى ليس، ولهذا لم تكرَّر . قال الشارح المحقق : قد تقدَّم أنه لم يثبت عملُ لا عملَ ليس . وهذا مخالف لقول أبي عليّ (في المسائل المنثورة) إنّ لا في هذا البيت أُريدَ بها ليس والخبر محذوف ، أى لنا ، وكذلك قوله في الجحيم حين لا مُستصرَخ ، أراد لنا . اهـ

وهذا البيت قد تقدّم الكلام عليه في الشاهد الحادى والثمانين في اسم ما ولا المشبهتين بليس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين وهو من أبيات سيبويه[(٢)] :

٢٥٧ (تَركتنى حينَ لا مالٍ أعيش به وحين جُنَّ زمانُ النَّاسِ أو كَلِبا)

على أنّ عدم تكرّر (لا) في مثل هذا شاذ .

وأنشده س على إضافة حين إلى المال وإلغاء لا وزيادتها في اللفظ[(٣)] .

وهذه عبارة س : اعلم أنّ لا قد تكون في بعض المواضع هي والمضاف إليه بمنزلة اسم واحد ، وذلك قولهم : أخذْته بلا ذنب ، وغضبتَ من لا شيء ، وذهبت بلا عَتاد ، والمعنى ذهبت بغير عَتاد . وتقول إذا قلّت الشيء : ما كان

(١) هو الشاهد الحادى والثمانون . وقد سبق في ١ : ٤٦٧ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٥٧ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ والهمع ١ : ٢١٨

(٣) ط : « والغاء لا لازيادتها في اللفظ » ، صوابه في ش .

إلاّ كلاشيء ، وإنّك ولا شيئاً سَوَاء . ومن هذا النحو قول الشاعر :

تركتَنى حين لا مال أعيشُ به . . . . البيت انتهى

٩١ وجوّز أبو علىّ الفارسى (فى المسائل المنثورة) الحركاتِ الثلاثَ فى مال ، قال : الجرُّ على الإضافة ، والرفع على أن تضيف حين إلى الجمل ولا عاملةٌ عملَ ليس ، والنصب تجعله كما كان مبنيًا ولا تعمل الإضافة ، كما تقول جئت بخمسة عشر فلا تعمل الباء . انتهى

و (جُنّ) بضمّ الجيم من الجنون يقال أجنّه الله بالألف فجُنّ بالبناء للمفعول فهو مجنون . و (كَلِبا) الكَلَب : مصدر كلِب كَلَباً فهو كَلِبٌ ، من باب تعب ، وهو داء يشبه الجنون يأخذه فيعقِر الناس . ويقال لمن يعقره كَلِب أيضاً . وكَلَبُ الزمانِ : شدّته : وضرَبَ الجنونَ والكَلَب مثلاً لشدّة الزمان .

الشاهد أبيات وهذا البيت [من قصيدةٍ[1]] لأبى الطفيل عامر بن واثلة الصحابىّ ، رثى بها ابنَه طُفيلا . وهذه أبيات منها :

(خلَّى طُفَيلُ علىَّ الهمَّ فانشعَبا — وهدَّ ذلك رُكنى هِدَّة عجبا

وابنَىْ سُمَيّةَ لا أنساهما أبداً — فيمن نسيتُ ، وكلٌّ كان لى وَصَبا

فاملِكْ عَزاءك إنْ رُزِء نُكِبتَ به — فلن يردَّ بكاء المرءِ ما ذهبا

وليس يَشفى حزيناً من تذكُّرِه — إلاّ البكاء إذا ما ناح وانتحبا

فإنْ سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها — ولا محالةَ أن يأتى الذى كُتِبا

فما لغطَنْك من رىّ ولا شِبَعٍ — ولا ظلِلتُ بباقى العيش مرتقباً[2]

(١) تكملة ليست فى النسختين

(٢) فى الأغانى ١٣ : ١٦١ ، مع كثير من التحريف :

فما لبطنك من رى ولا شبع — ولا ظللت بنا فى العيش مرتعبا

فارقتني حين لا مال أعيش به . . . . البيت)

روى الأصبهانى بسنده (فى الأغانى) أنّ أبا الطُّفيل دُعى إلى مأدُبة فغنَّت فيها قينة بهذا الشعر ، فبكى أبو الطفيل حتّى كاد يموت . وفى رواية أخرى : فجعل ينشِج ويقول : هاهْ هاهْ طُفيل — ويبكى — حتّى سقط على وجهه ميتا .

وأراد بابنَي سُمَيَّة عبّاداً وعُبيد الله ابنى زياد بن سميّة . والوصب : المرض. والعَزاء بالمد : الصبر . وقوله فما لفظتُك من رِيّ الخ ، أى ما رميتك فى القبر لأجل أكلك وشربك بخلا .

و (أبو الطُّفيل) هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عُمير[1] بن جابر ابن حميس بن جُدَىّ بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة ابن مدركة بن الياس بن مُضَر بن نزار . وغلبت عليه كنيته . ومولده عامَ أُحد ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمانىَ سنين ، ومات سنة مائة وهو آخر من مات ممّن رأى النبى صلى الله عليه وسلم . وقد رُوى عنه نحو أربعة أحاديث ، وكان محبًّا فى على رضىالله عنهما ، وكان من أصحابه فى مشاهده وكان ثقةً مأموناً يعترف بفضل الشَّيخين ، إلاّ أنه كان يقدّم عليًّا . توفى سنة مائة من الهجرة . ولما قتل على رضى الله عنه انصرف إلى مكة فأقام بها حتّى مات ، وقيل أقام بالكوفة ومات بها ، والأوّل أصحّ . أبو الطفيل

وقد ذكره ابن أبى خيثمة فى شعراء الصحابة . وكان فاضلا عاقلا ، حاضر

---

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٠٩ والاصابة ٦٧٠ من قسم الكنى : « عمرو » ، وما فى النسختين يوافق ما فى جمهرة ابن حزم ١٨٣

الجواب فصيحاً . وكان يتشيّع فى علىّ ويفضله ، وهو شاعر مُحسن ، وهو القائل :

أيدعونَني شيخاً وقد عِشتُ حِقبةً وهُنَّ من الأزواج نحوى نوازعُ

وما شابَ رأسى من سِنينَ تَتابعتْ علىَّ ولكنْ شيَّبتنى الوقائعُ

هذا ما ذكره صاحب الاستيعاب .

٩٢ وقال صاحب الأغانى : كان أبو الطفيل مع أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه ، ورَوى عنه . وكان من وجوه شيعته ، وله منه محلٌّ خاص يُستغنى بشهرته عن ذكره ، ثم خرج طالباً بدم الحسين — رضى الله عنه — مع المختار ، وكان معه حتّى قتل المختار . ولمّا استقام لمعاوية أمرهُ لم يكن شىء أحبَّ إليه من لقاء أبى الطفيل ، فلم يزل يكاتبه ويُلطِف له حتّى أتاه ، فلمّا قدِم عليه جعل يكلّمه[1] ، ودخل عليه عمرو بن العاص ومعه نفر ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟ هذا فارس صِفِّينَ وشاعرُها ، خليلُ أبى الحسن . ثم أنشد من شعره . قالوا : نَعَمْ هو أفحش شاعر وألأم جليس ! فقال معاوية : يا أبا الطفيل أتعرفهم ؟ قال : ما أعرفهم بخير ، ولا أُبعِدهم من شرّ ! ثم قال له معاوية : ما بلغ من حبِّك لعلىّ ؟ قال : حبُّ أمِّ موسى لموسى ! قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال : بكاء العجوز الثَّكلى والشَّيخ الرَّقوب ، وإلى الله أشكو التقصير ! قال معاوية : لكنّ أصحابى هؤلاء لو كانوا سُئلوا عنّى ما قالوا فىّ ما قلتَ فى صاحبك . قالوا : إذاً والله ما نقول الباطل ، فقال لهم معاوية : لا والله ولا الحقَّ تقولون !

ولمّا رجع محمدُ بن الحنفية من الشام حبسه ابنُ الزبير فى سجن عارم ،

---

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٥٩ : « جعل يسائله عن امر الجاهلية »

فخرج إليه جيش من الكوفة ، عليهم أبو الطفيل ، حتى أتَوْا السجن فكسروه وأخرجوه ، وكتب ابنُ الزبير إلى أخيه مصعب أن يسيِّر نساء كلِّ مَن خرج لذلك ، فأخرج مُصعَبٌ مع النساء أمَّ الطفيل امرأةَ أبى الطفيل ، وابناً له صغيرا يقال له يحيى ، فقال فى ذلك :

إن يكُ سيرها مُصعبٌ فانِّى إلى مُصعَب مُذنِبُ
أقود الكتيبةَ مستلئِما كأنِّى أخو عَرَّة أجربُ
عَلىَّ دلاصٌ تخيَّرتُها وفى الكفِّ ذو رونق مِقضَبُ،[1]
فلو أنَّ يحيى به قوةٌ فيغزو مع القوم أو يركبُ !
ولكنَّ يحيى كفرخ العقا ب فى الوكرِ، مستضعَفٌ أزغبُ

ولما دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير بمكة . قال : أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تُصبكَ من الأيَّام جائحةٌ لا أبكِ منك على دنيا ولا دين[2]

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفقِّه الناس ، وعبيدالله أخوه يُطعم الناس فما بقَّيا لك . فأحفَظَه ذلك فأرسل صاحبَ شرطته عبد الله بن مُطيع ، فقال: انطلقْ إلى ابنَىْ عبَّاسٍ فقل لهما : أعمَدْتما إلى راية تُرابيَّة قد وضعَها الله فنصبتماها ؟ بدِّدا عنِّى جموعكما ومن ضَوَى إليكما من ضُلّال أهل العراقِ ، وإلَّا فعلتُ وفعلت !! فقال له ابن عبَّاس : قل لابن الزبير :

---

(١) مقضب : قاطع . وفى الأغانى : « يقضب »

(٢) الرواية المشهورة : « لم أبك » . وانظر المصون للعسكرى ٢١ . وليس فى قصيدة ذى الاصبع المروية فى المفضليات ١٦٠ وأمالى القالى ١ : ٢٥٥

يقول لك ابن عباس : ثـكلتك أمك ، والله ما يأتينا من الناس إلاّ رجلان : طالب فِقه ، أو طالبُ فضل ، فأىَّ هذين تمنع ؟ فقال أبو الطفيل عامر ابن واثلة :

لا دَرَّ دَرُّ الليالى كيف تضحكنا … منها خطوب أعاجيب وتُبكينا
ومثل ما تحدث الأيّام من غِيَر … يا بنَ الزُّبير عن الدنيا تسلّينا⁽¹⁾
٩٣ كنّا نجىء ابنَ عباس فيقْبِسنا … علماً ويُكسبنا أجراً ويَهدينا
ولا يزال عبيدُ الله مترَعة … جِفانُه ، مطعِماً ضيفاً ومسكينا
فالبرُّ والدينُ والدنيا بدارِهما … ننال منها الذى نبغى إذا شِينا
إن النبى هو النُور الذى كُشفَتْ … به عَماياتُ باقينا وماضِينا⁽²⁾
ورهطه عصمةٌ فى ديننا ، ولهم … فضلٌ علينا وحقٌّ واجب فينا
ولستَ ـ فاعلمْ ـ أولانا بهمْ رحما … يا ابنَ الزُبير ، ولا أولى به دينا⁽³⁾
ففيمَ تمنعهمْ منّا وتمنعنا … منهمْ وتؤذيهمُ فينا وتؤذينا
لن يؤتى الله من أخزى ببغضهم … فى الدين عِزًّا ولا فى الأرض تمكينا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد س⁽⁴⁾ :

---

(١) ط : « بابن الزبير » صوابه فى ش والأغانى ١٣ : ١٦١

(٢) ش : « عماية » .

(٣) الأغانى : « أولى منهم رحما » .

(٤) فى كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ . وليس فى ديوان العجاج ولا ملحقاته .

٢٥٨ (حنَّتْ قَلوصى حينَ لا حِينَ مَحَنْ)

على أنّ الشاعر أضاف حين الأول إلى الجملة ، كما تقول : حين لا رجلَ فى الدار ، أى حين لا حين حنينٌ حاصل .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب حين بلا التبرئة(١) [وإضافة حين إلى الجملة(٢)] وخبر لا محذوف والتقدير حين لا حين محنٍّ لها ، أى حنّت فى غير وقت الحنين . ولو جررتَ الحين على إلغاء لا جاز . والقَلوص : النّاقة الشابّة بمنزلة الجارية من الأناسىّ . وحنينُها : صوتُها شوقا إلى أصحابها . والمعنى أنّها حنّت إليها على بُعدٍ منها ، ولا سبيل لها إليها . انتهى

وقدّر ابنُ الشجرىّ الخبر لنا ، بالنون(٣) ، والصواب ما قبله .

وجوّز أبو على (فى المسائل المنثورة) الحركات الثلاث فى حين الثانى : النصب على إعمال لا عمل إنّ ، والرفع على إعمالها عمل ليس ، والجرّ على إلغائها وإضافة حين الأوَّل إلى الثانى .

وقال أبو على (فى التذكرة القصرية) لا يقدّر للا هذه فى رواية النصب خبر ؛ فإنّه قال عند الكلام على قولهم : ألا ماء بارد : قال المازنىّ : يرفع بارد على أنه خبر ويجوز على قياس قوله ، أن يرتفع لأنه صفة ماء ويضمر الخبر . ويجوز نصبه على قوله أيضاً على أنه صفة والخبر مضمر ، ويجوز على قياس سيبويه ومن عدا المازنى ألا ماء بارد بلا تنوين ، إلاّ أنّك لا تضمر لها خبراً

(١) ش : « نصب حين بالتبرئة »

(٢) التكملة من الأعلم .

(٣) الذى فى أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ : « لهـا » بالهاء لا بالنون : والدقة تقتضى عزو هذا الخطأ الى النسخة لا الى المؤلف .

لأنها مع معمولها الآن بمنزلة اللفظة الواحدة ، كقولهم : جئت بلا مال وغضبت من لا شيء ، أي بفتحهما ، فلا يلزمك إضمارُ الخبر في هذه المسألة . ومثله قوله :

* حنّت قلوصي حين لا حين محنّ *

أضاف حين إليها كما تضيفه إلى المفرد . وقد يحتمل هذا عندي أنْ يكون إضافة إلى جملة والخبر محذوف ، كما يضاف أسماء الزمان إلى الجمل ، وذلك لأنّ حنّت ماض ، فحين بمعنى إذْ ، وهي مما يضاف إلى المبتدأ والخبر . فأما قوله حين لا حين فالثاني غير الأوّل ، لأنّ الحين يقع على الكبير واليسير من الزمان[1] ، قال :

* تطلّقه حيناً وحيناً تراجع[2] *

ولا زائدة ، ولا تكون غير زائدة لما في ذلك من النقض . وقالوا في قوله تعالى ﴿ تُؤْتى أُكلَهَا كلَّ حِين[3] ﴾ : ستة أشهر ، فيكون على هذا حين حين من إضافة البعض إلى الكلّ نحو : حَلْقة فضّة ، وعيد السّنة ، وسبت الأسبوع ، فلا يكون إضافة الشيء إلى نفسه . ومثله قول الفرزدق :

ولولا يومُ يومٍ ما أردنا جزاءك والقروضُ لها جزاء

فيومُ الأوّلُ وضح النهار ، والثاني البرهة كالتي في قوله ﴿ ومَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ[4] ﴾ ﴿ والأَمْرُ يَوْمَئِذٍ[5] لِلّهِ ﴾ . وأنشد أبو عمرو :

---

(١) ش : « يقع على الجزء اليسير من الزمان » صوابه في ط .
(٢) للنابغة في ديوانه ٥٢ وصدره :
* تناذرها الراقون من سوء سمعها *
(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .
(٤) الآية ١٦ من سورة الأنفال .
(٥) الآية ١٩ من سورة الانفطار .

حبّذا العَرْصات يَوْماً في ليـالٍ مقمِراتِ[1]

فقال يوماً في ليال، أراد المرّة دون العاقب لليل. انتهى.

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يُعرف قائلها ولا تتمة لها. والله أعلم بحقيقة الحال.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد المائتين، وهو من أبيات سيبويه[2]:

٢٥٩ (ما بالُ جَهْلِكَ بعدَ الحِلْمِ والدين وقد عَلاكَ مَشيبٌ حين لاحين)

على أنّ الأولى أنْ[3] تكون لا فيه زائدة لفظاً ومعنى.

قال سيبويه: إنما أراد حين حين، ولا بمنزلة ما إذا ألغيت.

قال الأعلم: وإنما أضاف الحين إلى الحين لأنه قدر أحدها[4] بمعنى التوقيت، فكأنه قال: حين وقت حدوثه ووجوبه، هذا تفسير سيبويه. ويجوز أن يكون المعنى: ما بالُ جهلك بعد الحلم والدين، حين لا حين جهلٍ وصِبا، فتكون لا لغواً في اللفظ دون المعنى. انتهى.

ولم يتنبّه ابن الشجرى (في أماليه) لمراد سيبويه بعد نقل عبارته، ففهم

---

(١) فتح عين الكلمة في نحو «العرصات» واجب واسكانه ضرورة شعرية كما أسكنت من «زفرات» في قول عروة بن حزام (القالى ٣ : ١٦٠) : وحملت زفرات الضحى فأطقتها ومالى بزفرات العشى يدان

(٢) في كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩/٢ : ٢٣٠ والهمع ١ : ١٩٧ وديوان جرير ٥٨٦

(٣) في النسختين : «قد»، ولا وجه له.

(٤) في الشنتمرى : «لأنه قد رأى أحدهما».

أنَّ لا زائدة لفظا فقط فقال : حين الأوّل مضاف إلى الثانى ، وفصلت لا بين الخافض والمخفوض كفصلهما فى جئت بلا شىء ، كأنه قال : حين لا حينِ لهو فيه ولعب ، أو نحو ذلك من الإضمار ، لأنّ المشيب يمنع من اللهو واللعب . هذا كلامه ، وقد أورده فى معرض الشرح لكلام سيبويه .

وقد طبّق المفصل أبو على الفارسى (فى الحجة) فى الكلام على آخر سورة الفاتحة ، قال : لافيه زائدة ، والتقدير : وقد علاك مشيبٌ حين حين ، وإنّما كانت زائدة لأنّك إن قلت : علاك مشيبٌ حيناً فقد أثبتّ حيناً علاه فيه المشيب . فلو جعلت لا غير زائدة لوجب أن تكون نافية على حدّها فى قولهم : جئت بلا مال . فنفيت ما أثبت من حيث كان النفى بلا عاماً منتظماً لجميع الجنس ، فلمّا لم يستقم حمله على النفى للتدافع العارض فى ذلك ، حكمتَ بزيادتها ، فصار التقدير : حين حين . وهذه الإضافة من باب حلقة فضة ؛ لأنّ الحين يقع على الزمان القليل كالساعة ونحوها ، يدلّ على ذلك قوله :

* تطلّقه حيناً وحيناً تُراجع[1] *

ويقع على الزمان الطويل كقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ من الدَّهر[2] ﴾ ، وعلى ما هو أقصر من ذلك كقوله تعالى : ﴿ تؤتى أُكلها كلَّ حينٍ[3] ﴾ ، فصار حين حين كقول الآخر[4] :

ولولا يوم يومٍ ما أردنا جزاءك والقروضُ لها جزاء

(١) انظر الحاشية الثانية من ص ٤٦ .

(٢) الآية الأولى من سورة الانسان .

(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .

(٤) هو الفرزدق . ديوانه ٩ وسيبويه ٢ : ٥٣ .

وليس هذا كقوله :

* حنَّت َقلوصى حين لاحين مَحَنّْ *

لأنَّه فى قوله لاحين محنّ ، نافٍ حيناً مخصوصاً لا ينتفى بنفيه جميعُ الأحيان ، كما كان ينتفى بالنفى العامِّ جميعها ؛ فلم يلزم أن تكون لا زائدة فى هذا البيت كما لزم زيادتها فى حين لاحين . فهذا الحرف يدخل فى النّكرة على وجهين : أحدهما أن يكون زائداً كما مرّ فى بيت جرير ، والآخر أن يكون غير زائد . ٩٥
فإذا لم يكن زائداً كان على ضربين أحدهما : أن تكون لا مع الاسم بمنزلة اسم واحد نحو خمسة عشر [و] نحو غضبت من لا شىء فلا مع الاسم المنكور فى موضع جرّ بمنزلة خمسة عشر ، ولا ينبغى أن يكون من هذا الباب قوله :

* حنَّتْ قَلوصى حين لا حين محنّْ *

لأن حين هنا منصوب نصباً صحيحاً ، لإضافته ، ولا يجوز بناء المضاف مع لا كما جاز بناء المفرد معها ، وإنّما حين فى البيت مضافة إلى جملة كما أنها فى قوله تعالى : ﴿ حينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النار[1] ﴾ ، إلاّ أنّ الخبر محذوف وخبر لا يحذف كثيراً . ونظير هذا فى حذف الخبر من الجملة المضافِ إليها ظرفُ الزمان قولهم : كان هذا إذْ ذاك . (والآخر) أن لا تعمل فى اللفظ ويراد بها معنى النفى ، فتكون صورتها صورةَ الزيادة ومعنى النفى فيه مع هذا صحيح ، كقول النابغة :

---

(١) الآية ٣٩ من سورة الأنبياء .

أمسى ببلدة لا عمٍّ ولا خالِ(١)

وقال الشّماخ :

إذا ما أدلجت وصفَت يداها لهـا إدلاج ليلة لا هجوعِ(٢)

وقال رؤبة :

وقد عرفت حين لا اعترافِ(٣)

وبيت الكتاب(٤) .

تركتني حين لا مالٍ أعيش به (البيت)

وهذا الوجه عكسُ ما جاء فيما أنشده أبو الحسن من قول الشاعر(٥) :

لولم تكن غطَفان لا ذنوبَ لها إلىّ لامتْ ذَوُو أحسابِها عُمرا

ألا ترى أنّ لا فى المعنى زائدة وقد عمِلت ، وفى قوله : ليلة لاهجوع ، وبابه ، معنى النفى فيه صحيحٌ ولم تعمل . انتهى كلام أبى على .

(١) عجز بيت للنابغة الذبيانى من أبيات خمسة يرثى بها أخاه صحارا . وهى فى ديوانه ٩١ بيروت ١٣٤٧ وأربعة منها فى معجم البلدان (أبوى) . وصدره :

* بعد ابن عاتكة الثاوى على أبوى *

وعاتكة هى أم النابغة . وأبوى : موضع أو جبل بالشام

(٢) ديوان الشماخ ٥٨ واللسان (وصف)

(٣) ديوان رؤبة ١٠٠ برواية : « قد اعترفت » . وفى ط : « لقد عرفت » ، وأثبت ما فى ش .

(٤) هو الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين .

(٥) هو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين .

أبيات الشاهد

وهذا البيت مطلعُ قصيدة لجرير بن الخَطَفَى هجابها الفرزدق ، وبعده

(للغانيات وصال لستُ قاطعَه على مواعيدَ من خُلفٍ وتلوين[١]
إنّى لأرهبُ تصديقَ الوشاة بنا وأن يقول غَوِىٌّ للنوى بينى[٢]
ماذا يَهِيجُكَ من دارٍ تُباكِرُها أرواحُ مُخْتَرَق هُوجِ الأفانين)

وجرير قد تقدمت ترجمته فى الشاهد الرابع من أول الكتاب[٣] والخطاب لنفسه . وقد التزمَ الإتيانَ بالحال بعد ما بالُ ، فجملة وقد علاك مشيبُ حال والظرف الأول متعلق بجهلك والثانى متعلق بقوله علاك .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستُّون بعد المائتين .

٢٦٠ (فى بئرِ لا حُورٍ سَرى وما شَعَرْ)[٤]

على أنّ (لا) فيه زائدة لفظاً ومعنى ، أوّلُ من قال بزيادتها فى هذا البيت أبو عبيدة ، وتبعه جماعة منهم ابن دريد (فى الجمهرة) قال فيها : ومن أمثالهم « حُورٌ فى مَحارة » يُضرب للرجل الذى لا يعرف وجه أمره ، وأنشد هذا البيت وقال : لا هنا لغو . ومنهم أبو منصور الأزهرىّ (فى التهذيب) إلاّ أنه قال : حُور أصله حُؤور مهموز ، فخفّفه الشاعر بحذفِ الهمزة .

---

(١) ط : « وصيل » ش : « وصل » ، وأثبت ما فى الديوان ٥٨٦ .

(٢) فى الديوان : « أو أن » .

(٣) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٤) ديوان العجاج ١٦ والخصائص ٢ : ٤٧٧ وابن يعيش ٨ : ١٣٦ ومعانى القرآن للفراء ١ : ٨

ومنهم صاحب الصحاح قال فيه : حار يحور حَوراً وحُؤوراً :رجع . يقال حار بعد ما كار ، ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر ، أى من النُّقصان بعد الزيادة .

٩٦ وكذلك الحُور بالضمّ ، وفى المثل « حُورٌ فى مَحارة » أى نقصان فى نقصان ، يضرب للرجل إذا كان أمره يُدْبِر . والحُور أيضاً : الاسم من قولك طحنت الطاحنةُ فما أحارَت شيئاً أى ماردَّت شيئاً من الدقيق . والحُور أيضاً : الهلَكة قال الراجز :

* فى بئر لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ *

ولا زائدة .

ومنهم صاحب العباب ونقل كلام الصحاح برمّته وزاد فى المثل قولهم : حُور فى مَحارة ، هذا خلاف ما روى ابنُ الأعرابى أنه بفتح الحاء ، قال ابن الأعرابىّ : يقال فلانٌ حَور فى محارة هكذا سمعته بفتح الحاء ، يضرب مثلاً للشىءِ الذى لا يصلح أو كان صالحا ففسد :

ومنهم الزمخشرى (فى تفسيره ، وفى مفصله) قال : لا فى سورة القيامة فى قوله تعالى ﴿ لا أُقْسِم ﴾ زائدة كما زيدت فى هذا البيت . ومنهم ابن الشجرىّ (فى أماليه) قال : ومما زيدت فيه قولُ العجّاج :

* فى بئر لا حُور سَرَى وما شَعَرْ *

معناه فى بئر حُورٍ أى فى بئر هلاك .

وذهب جماعةٌ إلى أنّ لا هنا نافية لا زائدة ، أوّلُهم الفرّاء قال (فى آخر سورة الفاتحة من تفسيرِه) : إذا كانت غير فى معنى سوى لم يجز أن تكرَّ عليها لا ، ألا تَرى أنّه لا يجوز : عندى سوى عبد الله ولا زيد . وقد قال

بعض من لا يعرف العربيّة إن معنى غير فى الحمد معنى سوى وإنّ لاصلة فى الكلام، واحتجّ بقول الشاعر :

* فى بئر لا حُورٍ سَرَى وما شعر *

وهذا غير جائز لأن المعنى وقع على مالا يتبيّن فيه عمله فهو جَحدٌ محض، وإنما يجوز أن تجعل لاصلة إذا اتّصلت بجحد قبلها[1] وأراد فى بئر لاحور، فلا هى الصحيحة فى الجحد، لأنه أراد فى بئر ماء لا يُحير عليه شيئاً، كأنك قلت إلى غير رشد توجه وما درى، والعرب تقول : طحنت الطاحنةُ فما أحارت شيئاً، أى لم يتبيّن لها أثرُ عمل . انتهى

وتبعه ابن الأعرابى فى نوادره .

ومنهم ابن جنّى قال (فى الخصائص) قال ابن الأعرابى فى قوله :

* فى بئرِ لا حُور سَرَى وما شَعَرْ *

أراد حؤور . أى فى بئر لا حؤور ولا رجوع، قال : فأسكنت الواو الأولى وحذفت لسكونها وسكون الثانية بعدها .

ورأيت (فى شرح شواهد الموشّح والمفصّل) قال صدر الأفاضل : الحُور هنا : جمع حائر، من حار إذا هلك . ونظيره — على ماحكاه الغُورِىّ — قُتْل : جمع قاتل، وبُزْل جمع بازل، وقُرْح جمع قارح . ويحتمل أن يكون اسم جمع حائر، أى هلك، وقيل هى بئر سكنها الجنّ . انتهى

وهذا البيت من أرجوزة طويلة للعجّاج، وهى نحو مائتى بيت مدح بها صاحب الشاهد

(١) بعده فى معانى القرآن : « مثل قوله :

ما كان يرضى رسول الله دينهم والطيبان أبو بكر ولا عمر » .

عُمَرَ بن عبيد الله بن مَعْمَر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجّهه لقتال أبى فُدَيك الحرَورِىّ فأوقع به وبأصحابه ومطلعها :

أرجوزة الشاهد

(قدْ جَبَرَ الدينَ الإلهُ فجَبَر   وعوَّرَ الرحمن مَن ولّى العوَرْ
فالحمد لله الذى أعطى الشَّبَرْ   موالىَ الحقِّ أن المولى شَكَرْ)

إلى أن قال :

واختارَ فى الدين الحَرورىُّ البَطَرْ   فى بئر لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ
بإفْكه حتّى رأى الصُّبْحَ جَشَرْ

الجَبْر : أن تغنىَ الرجل من فقره ، أو تصلح عَظمه من كسر ، يقال جبر
العظمَ جبراً ، وجبر العظمُ بنفسه جُبوراً أى انجبر ، وقد جمعهما العجّاج .
وعوَّر بفتح المهملة وتشديد الواو ، أى أفسد الله من ولاّه الفساد . والشَّبَر ،
بفتح الشين المعجمة والموحّدة: الخير ، ويُروى « الحَبَر » بفتح المهملة ٩٧
والموحّدة ، وهو السرور . ومَوالىَ الخير ، بفتح الميم ، يريد العبيد ، وهو مفعول
ثان لأعطى ؛ وروى مُوالى بضم الميم ، فيكون من صفة الله ، ونصبه على المدح .
والمولى بالفتح : العبد . والحرَورىُّ ، أراد به أبا فُدَيك ، بالتصغير الخارجىّ .
قال فى الصحاح : وحَرَوراء : اسم قرية يمد ويقصر[1] نسبت إليها الحَرورِيّة
من الخوارج ، كان أوّل مجتمعهم بها وتحكيمهم منها . وقوله بإفكه الخ الباء
سببية متعلقة بقوله سرى ، والإفْك : الكذب ، مأخوذ من أفكته إذا
صرفتَه . وكلُّ أمرٍ صُرف عن وجهه فقد أُفِك . وجَشَر الصبح ، بالجيم
والشين المعجمة يجشُر جشوراً إذا انفلق وأضاء ؛ وروى :

(١) ضبطه ياقوت بفتح الراء الأولى ، وفى القاموس كجلولاء ، ومثله فى اللسان (حرر) حيث ضبط بالقلم بضم الراء الأولى .

* حتَّى إذا الصبحُ جَشَرْ *

وملخّص هذه القصّة (كما فى نهاية الأرب فى فنون الأدب ، للنُّويرى) أنَّ أبا فديك وهو من الخوارج ، واسمه عبد الله بن ثَور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب ، غلب على البحرين فى سنة اثنتين وسبعين من الهجرة ، فبعث خالد ابن عبد الله القَسْرىّ أميرُ البصرة أخاه أميةَ بنَ عبد الله فى جُندٍ كثيف ، فهزمه أبو فُديك وأخذ جاريةً له فاتّخذها لنفسه ، فكتب خالد إلى عبد الملك بذلك ، فأمر عبد الملك عُمر بن عُبيد الله بن مَعْمر أن ينْدُبْ الناسَ مع أهل الكوفة والبصرة ويسير إلى قتاله ، فانتدبَ عشرةُ آلافٍ وسار بهم ، وجعل أهلَ الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عُبيد الله ، وأهلَ البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن مَعْمَر — وهو ابن أخى عُمر — وجعل خيله فى القَلب ، وساروا حتى انتهوا إلى البحرَين فاصطفّوا للقتال . فحمل أبو فديك وأصحابه حملةَ رجل واحدٍ فكشفوا ميسرةَ عمر حتى أبعدوا إلاّ المغيرةَ بن المهلّب وفُرسانَ الناس فانهم مالوا إلى صف أهل الكوفة بالميمنة ، ثم رجع أهل الميسرة وقاتلوا واشتدّ قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج ، وحمل أهل الميمنة حتّى استباحوا عسكر الخوارج وقتلوا أبا فُديك وحصروا أصحابه ، حتى نزلوا على الُحكم ، فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة . ووجدوا جاريةَ أميّة بن عبد الله حُبلى من أبى فُديك وعادوا إلى البصرة ، وذلك فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة . اهـ

وبما ذكرنا يطبّق للمفصِلُ ويُصابُ المحزّ .

ولمّا لم يقف شُرّاح الشواهد على ما مرّ قالوا بالتخمين ورَجموا بالظنون ، منهم بعض فضلاء العجم قال (فى شرح أبيات المفصل) وتبعه فى شرح شواهد

الموشّح : قيل يصف فاسقا أو كافرا . والمعنى على الأوّل أنّ الفاسق سرى بإفكه وأباطيله فى بئر المهلكة من المعاصى وما علم لفرط غفلته إذا صار فيها، حتّى إذا انفلق الصبح وأضاء الحقّ وانكشف ظلمات الشبه واطلع عِلمَ معايَنَة(١) لكنْ لم ينفعه ذلك العلم . وعلى الثانى : أن الكافر سرى بإفكه وبُطلانِه فى ورطة الهلاك من كفره وما شعَر بذلك لإعراضه عن الآخرة ، حتّى إذا قامت القيامة علم أنه كان خابطاً فى ظلمات الكفر ، ولكنّه لا ينجيه من عذاب الله . هذا محصول ما قيل فيه ، ولا يبعد أن يكون هذا وصفاً لرجل جرىء خوّاض فى المهالك سالك فى مسالك الجنّ(٢) . وهذا مما تتمدّح به العرب ، وأشعارُهم ناطقة بذلك . ومعنى قوله بإفكه ، أنه يكذِب نفسَه إذا حدّثها بشىء ولا يصدُقها فيه ، ويقول لها : إن الشىء الذى تطلبينه بعيد ، لتزداد جِدّاً فى طلبه ، ولا تتوانى فيه ، ولذلك قال لَبيد :

٩٨ اكْذِبِ النفسَ إذا حدّثْتَها إنّ صدقَ النفس يُزْرى بالأمَلْ

والمعنى سار ليلاً هذا الرجلُ ، لجرأته وجلَادته ، فى مهاوى الهلاك أو فى المواضع الخالية التى يسكنها الجنّ ، حتّى أضاء الصبح وما شعَر به ذلك(٣) الذى ألقى بيده فى المهالك وهو غافل عن ذلك لعدم مبالاته . وهذا المعنى أشبه بمذهب العرب . هذا كلامه .

وترجمة العجّاج تقدمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب(٤) .

---

(١) ش : « على معانيه » .
(٢) جعلها الشنقيطى فى نسخته « فى مساكن الجن » .
(٣) ط : « وما شعر بذلك » ، وأثبت ما فى ش .
(٤) الخزانة ١ : ٨٩ ، ١٧٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه(١) :

٢٦١ (لا هَيْثَمَ الليلةَ للمَطِىِّ)

على أن (لا) النافية للجنس لا تدخل على العلَم ، وهذا مؤول إمّا بتقدير مضاف وهو مِثل ، وإمّا بتأويل العلم باسم الجنس . وقد بيَّنهما الشارح المحقق .

وقد أورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً(٢)﴾ على أنه على تقدير مثلُ ملء الأرض ، فحذف مثل كما حُذفت من لا هيثم الليلة .

قال الفاضل اليمنيّ : وقد اعتُرض هذا بوجهين : أحدهما التزامُ العرب تجرُّدَ الاسم المستعمَل ذلك الاستعمالَ عن الألف واللام ، ولم يجوِّزوا: قضيةٌ ولا أبا الحسن ، كما جوَّزوا ولا أبا حسن ، ولو كانت إضافة مثل منويَّة لم يحتج إلى ذلك . والثانى : إخبار العرب عن المستعمل ذلك الاستعمال بمثل ، كقول الشاعر :

تبكِّى على زيدٍ ولا زيدَ مثلُه　　برىءٌ من الحمَّى سليمُ الجوانحِ(٣)

ولو كانت إضافة مثل منويَّة لكان التقدير : ولا مثل زيد مثله ، وهو فاسد . انتهى

(أقول) : لا يضر هذا الالتزام فإنّه واردٌ على أحد الجائزين ، فإنّ أل

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٥٤ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ وابن يعيش ٢ : ١٠٢ ، ٣/١٠٣ : ٤ : ١٢٣ والهمع ١ : ١٤٥ والأشمونى ٢ : ٤٠ .

(٢) الآية ٩١ من سورة آل عمران .

(٣) لم يعرف قائله . وانظر الهمع ١ : ١٤٥ ويس ١ : ٢٣٦ .

للمح الأصل ، والغالب عدم ذكرها ، مع أنها علامة لفظيَّة للتعريف . وتعريف العَلمية وإن كان أقوى منها إلاّ أنه معنوى ، فلو وجدت مع لا لـكان القبح ظاهرا .

ثم رأيت (فى تذكرة أبى حيّان) ما نصه : قال الفرّاء من قال قضية ولا أبا حسن لها لا يقول ولا أبا الحسن لها ، بالألف واللام ، لأنها[1] تمحّض التعريف فى ذا المعنى وتبطل مذهبَ التنكير . وقال : إنما أجزنا لا عبدَ اللهِ لك بالنصب ، لأنّه حرف مستعمل ، يقال لـكلّ أحد عبد الله ، ولا نجيز لا عبد الرحمن ولا عبد الرحيم ، لأن الاستعمال لم يلزم هذين كلزومه الأولَ . وكان الـكسائىُّ يقيس عبد الرحمن وعبد العزيز على عبد الله ، وما لذلك صحة اهـ .

وأما جعله بتأويل اسم الجنس فقد قال سيبويه : وقالوا قضية ولا أبا حسن لها ، قال الخليل : نجعله نـكرة . فقلت : كيف يكون هذا وإنما أرادوا عليًّا عليه السلام ؟ فقال : لأنه لا يجوز لك أن تُعمل لا إلاّ فى نـكرة ، فاذا جعلت أبا حسن نـكرة حسُن لك أن تعمل لا ، وعلم المخاطَب أنه قد دخل فى هؤلاء المنـكورين .

و (هيثم) اسم رجل كان حسنَ الُحداء للإبل ، وقيل كان جيّد الرِّعية ، والسياقُ يدلُّ للأول كما يظهر . وكذلك قال بعض شراح أبيات المفصَّل : المراد هيثم بن الأشتَر ، وكان مشهوراً بين العرب بحسن الصوت فى حدائه الإبلَ وكان أعرفَ أهلِ زمانه بالبَيداء والفلَوات وسَوق الابل . و (للمطىِّ) خبر لا

٩٩ وهو ظرف مستقرّ عامل فى الليلة ، وبعده :

(ولا فتًى مثلُ ابنِ خَيْبَرِىِّ)

---

(١) ش : « لازما » ، صوابه فى ط .

قال الصاغانى (فى العباب) : ذِكر مِثل هنا يعيِّن أن يكون ماقبله بتقدير لا مثل هيثم ، وابن خيبرىّ : قال ابن الكلبىّ (فى جمهرة نسب عُذرة) : فمن بنى ضُبيس جَميل بن عبد الله بن مَعْمَر بن الحارث بن خَيبرى ابن ظَبيان اه.

وجميل هذا هوصاحب بُثينة المشهور ، وهو المراد بابن خيبرىّ : فيكون نسب إلى أحد أجداده . ومدحه بالفتوَّة لأنه كان شجيعاً يحمى أدبار المطىّ من الأعداءِ .

وقال بعضهم : المراد بابن خَيبرىّ علىّ رضى الله عنه، والإضافة للملابسة. وهذا لا أصل له . وقيل أراد به مَرْحَبا ، وهو الذى بارزه علىٌّ رضى الله عنه يوم خيبر فقتله .

وهذا الشاهد[1] من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعيَّن قائلها . وقد أورد هذين البيتين أبو عبيد فى الغريب المصنَّف مع أبيات قبلهما ، وهى :

(قد حَشَّها الليلُ بِعَصْلبىٍّ مُهاجرٍ ليس بأعرابىٍّ
أرْوعَ خَرّاجٍ من الدوِّىِّ عَمَرَّسٍ كالمرَس الملوىِّ
لا هيثمَ الليلةَ للمطىِّ ولافتىً مثلُ ابن خيبرىِّ)

قال الصاغانى (فى العباب) : العصلّبىّ ، بفتح العين وسكون الصاد المهملتين : الشديد الباقى على المشى والعمل . وأنشدَ الأبياتَ عن الفراء (فى نوادره) لبعض بنى دُبير بضم الدال وفتح الموحدة مصغراً ، وهى قبيلة من بنى أسد . وقال شارح (شواهد الغريب) ابنُ السيرافىّ : يقال حشّ النار يحُشُّها حشًّا ، إذا بالغ فى إيقادها وإحمائها . وإنما يريد أنّ الابل قد رُميت برُجل

(١) ط : « وهذا الثانى » ، صوابه فى ش .

عَضَلْبىٍّ يُسرع سَوقها ولا يدعها تَفْتُر كما تُحَشُّ النار . وحَشّ بحاء مهملة وشين معجمة . ويروى : « قد لفّها الليل » أى الليل جعل هذا الرجل ملتفاً بها . وإنّما نسب الفعل إلى الليل لأنّ الليل حمله على الجِدّ فى السير . وجعله مهاجراً ، والمهاجر الذى هاجر إلى الأمصار من البادية فأقام بها وصار من أهلها ، ليكون سيره أشدّ . [وخص المهاجر] لأنّه من أهل المصر الذى يقصده ، فله بالمصر مايدعوه إلى إسراع السير ؛ ويجوز أن يكون خصّ المهاجر لأنه أعلم بالأمور من الأعرابىّ وأبصر بما يُحتاج إليه . والأروع : الحديد الفؤاد . والدّوىّ : جمع دوّيّة ، يريد أنه ذو هِداية وبَصر بقطع الفلوات والخروج منها . والعمرّس : الشديد ، بفتح العين والميم وتشديد الراء وبالسين المهملات . والمَرَس : الحبل ، واحد الأمراس . والملوىّ: المفتول انتهى كلامه .

والدّوىّ بتشديد الواو والياء قال (فى الصحاح) : الدوّ والدوّىّ : المفازة وكذلك الدوّيّة ، لأنّها مفازة مثلها ، فنسبت إليها ؛ كقولهم دهرٌ دوّار ودوّارىّ . وعُرف بهذا السياق أنّه مدحٌ لهيثم فى جَودة حُدائه المنشط للإبل فى سيرها ، وأنّه لايقوم أحدٌ مقامه ، ولا يسدّ مسدّه فى حُدائها . وظهر منه أيضاً أن المراد لامثل هيثم ، لا تأويله باسم الجنس لشهرته فى صفة الحداء . فتأمل .

وزعم بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) أنّ هذا الكلام تأسُّف وتحسُّر عليهما . وكأنّه فَهِم أنهما ماتا والشعر مرثيّة فيهما . أو هما غائبان عن المطىّ فى تلك الليلة .

تتمة

قال أبو حيّان (فى تذكرته) : قال الكسائىُّ فى قول العرب لا أبا حمزةَ لك : أبا حمزة نكرة ؛ ولم ينصب حمزة لأنه معرفة . لكنهم قدّروا أنه آخر ١٠٠
الاسم المنصوب بلا فنصب الآخر ، كما تفتح اللام فى لا رجل . وقال : سمعت العرب تقول : لا أبا زيدَ لك ، ولا أبا محمدَ عندك ، فعلّة نصبهم محمداً وزيداً أنّهم جعلوا أبا محمد وأبا زيد اسماً واحداً ، وألزموا آخرَه نصبَ النكرة . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1] :

٢٦٢ (أرى الحاجاتِ عندَ أبى خُبيب
نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ فى البِلادِ)

على أن التقدير إمّا : ولا أمثال أمية فى البلاد ، وإمّا : ولا أجواد فى البلاد ، لأنّ بنى أُميَّة قد اشتهروا بالجود . فأوّلَ العلَمَ باسم الجنس لشهرته بصفة الجود .

وهذا البيت من أبيات لعبد الله بن الزّبير الأسدىّ ، قالها فى عبد الله صاحب الشاهد ابن الزّبير بن العوّام وكان شديد البخل، قال الحصرىّ فى (زهر الآداب) قال

(١) فى كتابه ١ : ٣٥٥ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ وابن يعيش ٢ : ١٠٢ وشذوز النهب ٢١٠ والهمع ١ : ١٤٥ والأشمونى ٢ : ٤ والأغانى ١ : ٨/١٠ : ١٦٣ وزهر الآداب ٤٧٤ .

أبو عبيدة : وفد عبد الله بن الزَّبير الأسدى على عبد الله بن الزُّبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ بيني وبينك رَحِماً من قبل فلانة الكاهلية وهى عمَّتنا وقد ولدتكم[1]. فقال ابن الزُّبير: هذا كما وصفت ، وإن فكرت[2] فى هذا وجدت الناس كلهم يرجعون إلى أب واحد وإلى أمّ واحدة . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ نفقتى قد ذهبت . قال: ما كنتُ ضمنتُ لأهلك أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم. قال: يا أمير المؤمنين إنّ ناقتى قد نقِبت ودَبِرت . قال: أنجِدْ بها يَبرُدْ خفُّها ، وارقعها بسِبتٍ واخصفها بِهُلْب ، وسِرْ عليها البَرْدَين تصحَّ. قال : إنما جئتك مستحملا ولم آتك مستوصفاً ، فلعن الله ناقة حملتنى إليك ! قال ابن الزُّبير : إنّ وراكبها . فخرج وهو يقول :

أرى الحاجاتِ عند أبى خُبيب ... نَكِدن ولا أميـة فى البلاد
من الأعياص أو من آل حرب ... أغرُّ كغُرَّة الفرس الجواد
ومالى حين أقطع ذاتَ عِرق ... إلى ابن الكاهلية من معاد[3]
وقلتُ لصحبتى : أدنُوا رِكابى ... أُفارِقْ بطن مكَّة فى سواد[4]

فبلغ شعرهُ هذا عبدَ الله بن الزُّبير فقال : لو علم أنَّ لى أمًّا أخسَّ[5]

(١) فى زهر الآداب : « هى أختنا وقد ولدتكم ، وأنا ابن فلانة فلانة عمتى » .

(٢) ط : « نكرت » ، صوابه فى ش وزهر الآداب وتاريخ الخلفاء للسيوطى ٨٣ .

(٣) زهر الآداب : « من مفاد » ، تحريف .

(٤) فى النسختين : « عن سواد » صوابه فى زهر الآداب وتاريخ الخلفاء وما يقتضيه الشرح التالى .

(٥) زهر الآداب : « أحسن » وما هنا صوابه . وفى الأغانى ١ : ٨ : « علم أنها شر أمهاتى فعيرنى بها وهى خير عماته » .

من عمته الكاهلية لنسبى إليها . وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب .

قال الصولى[١] : أخذ المعتصم من محمد بن عبدالملك الزيات فرساً أشهب[٢] كان عنده مكينا ، وبه ضنينا ، فقال :

قالوا جزعت فقلت إنّ مصيبة [جلّت] رزيّتها وضاق المذهب[٣]

قال أبو بكر الصولى : هكذا[٤] أنشدنيه ابن المعتز على أنّ إنّ بمعنى نعم ؛ وأنشد النحويون :

قالوا كبرتَ فقلتُ إنّ ، وربما ذَكر الكبيرُ شبابَه فتطرَّبا

انتهى كلام الحُصْرى .

وكذا نقل السيوطى فى تاريخ الخلفاء . وهذه الحكاية عن تاريخ ابن عساكر من طريق أبى عبيدة .

وقوله : إنّ ناقتى قد نقبت ، فى الصحاح : ونقِب البعير بالكسر : إذا رقّت أخفافه . ودبِر البعير بالكسر وأدبره القَتَبُ ، إذا جرحه ، وهى الدَّبَرَة بفتحات . وأنجدَ ، إذا أخذ فى بلاد نجد . وهو من بلاد العرب ، وهو خلاف الغَوْر وتِهامة.وكل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . ونجد ١٠١
موصوف بالبرد . والسِّبت بكسر السين وسكون الموحدة : جلود البقر المدبوغة بالقرَظ تُحذى منه النعالَ السِبْتية . والهُلب ، بضم الهاء : شَعر الخنزير الذى يُخرز به ، الواحد هُلْبة ، وكذلك ماغلظ من شعرِ الذنَب وغيره . والبَرْدان :

---

(١) عن زهر الآداب أيضا ٤٧٥ .

(٢) فى زهر الآداب : « أشهب أحم » .

(٣) جلت ، ساقطة من النسختين . واثباتها من زهر الآداب .

(٤) فى النسختين : « هذا » . وأثبت ما فى زهر الآداب .

العصران، وكذلك الأبردان وهما الغداة والعشيّ ؛ ويقال ظلاّهما . ومستحِيلا أى طالباً أن تحملنى على دابة .

وأبو خبيب، بضم الخاء المعجمة وفتح الموحّدة الأولى كنية عبد الله ابن الزُبير كنى بأكبر أولاده ؛ قال الثعالبي (فى لطائف المعارف) كان له ثلاث كُنًى : أبو خبيب ، وأبو بكر ، وأبو عبد الرحمن ، وكان إذا هجى كنى بأبى خبيب .

ونـكِدن من نـكِد نـكَداً من باب تعب ، فهو نـكِد ، إذا تعسّر . ونـكِد العيشُ نـكَداً ، إذا اشتدّ . وأميّة : أبو قبيلة من قريش ، وهما أميّتان : الأكبر والأصغر ، ابنا عبد شمس بن عبد مناف أولاد عَلّة ؛ فمن أميّة الـكبرى أبو سفيان بن حرب ، والعنابسُ ، والأعياص . وأميّة الصغرى هم ثلاثة إخوةٍ لأمٍّ اسمها عَبلة يقال لهم العَبَلات بالتحريك . والأعياص بإهمال الأوّل والآخر ، هم من قريش أولاد أميّة بن عبد شمس الأكبر ؛ وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص ، والعِيص ، وأبو العيص . وذات عرق ، بالـكسر : ميقات أهل العراق ، وهو من مكة نحو مرحلتين ؛ ويقال هو من نجد الحجاز . والصُّحبة أراد به الأصحاب ، وهو فى الأصل مصدر . وأدنُوا بفتح الهمزة : أمر مسند لجماعة الذكور ، من الإدناء . وركابى : إبلى . وأفارقْ مجزوم فى جواب الأمر .

وعبد الله بن الزّبير بفتح الزاى وكسر الموحدة ، قد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[١] .

---

(١) كذا فى النسختين ، وصوابه الرابع والعشرين بعد المائة . انظر الخزانة ٢ : ٢٦٤ .

وروى الأصبهانى فى الأغانى(١) هذه الأبياتَ لعبد الله بن فَضالة بن شريك بن سليمان بن خُوَيلِد ، وأنهى نسبه إلى أسد بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر . قال : وعبد الله بن فَضالة هو الوافد على ابن الزُّبير ، والقائل له : إنّ ناقتى قد نقِبت . وذكر القصة بعينها ، إلى قوله فقال له ابن الزُّبير : إنّ وراكبَها . فانصرف وهو يقول :

أقول لِغلمتى شُدُّوا ركابى ... أجاوزْ بطن مَرٍّ فى سواد
فمالى حين أقطعُ ذاتَ عِرق ... إلى ابن الكاهلية من معاد
سيُبعِد بيننا نصُّ المطايا ... وتعليقُ الأداوى والمزادِ
وكلُّ معبَّد قد أعلمته ... مناسِمُهنَّ ، طَلّاعَ النِجاد
أرى الحاجات عند أبى خبيب ... . (البيتين)

ثم قال الأصبهانى : وذكر ابن حبيب أنّ هذا الشعر لأبيه فَضالة مع ابن الزُّبير ، وزاد فيها :

شكوت إليه أنْ نقِبت قَلوصى ... فردَّ جوابَ مشدودِ الصِّفادِ
يضنُّ(٢) بناقة ويروم مُلكا ... محالٌ ذاكُم غيرُ السداد
وَلِيتَ إمارةً وبخلت لمّا ... وليتَهم بملك مستفاد
فإن وَلِيتْ أميّةُ أبدلوكم ... بكلِّ سَمَيدَعٍ وارى الزناد
من الأعياص أو من آل حرب ... أغرَّ كغرّة الفرس الجواد
إذا لم ألقهم بمِنًى فإنى ... بجوٍّ لا يَهشّ له فؤادى(٣) ١٠٢

(١) الأغانى ١٠ : ١٦٢ .
(٢) ش : « فضن » . وما فى ط يطابق الأغانى ١٠ : ١٦٥ .
(٣) فى النسختين : « اذا لم ألقهم عنى » ، والتصحيح للشنقيطى مطابق لما فى الأغانى ١٠ : ١٦٥ .

سيدنيني لهم نصُّ المطايا وتعليقُ الأداوَى والمـزادِ
وظهـرُ معبَّد قد أعلمتـه مناسِمُهُنّ طُلّاعَ النجـادِ

مع أبيات ثلاثة أخر . قال ابن حبيب : فلما ولىَ عبدُ الملك بعث إلى فضالة يطلُبه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقة تحمل أوقارها بُرّا وتمراً. قال : والكاهلية التي ذكرها هي بنت جبيرة من بنى كاهل بن أسد ، وهي أم خويلد بن أسد بن عبد العزىّ . هذا ما أورده الأصبهانى .

وزعم بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) أنّ الكاهليّة هى أم عبد الله بن الزُّبير ، وهذا لا أصل له . وزعم أيضاً أن ابن الزَّبِير صاحب هذه الأبيات اسمه عبد الله بن فضالة ، ونقله عن صدر الأفاضل .

وقوله : أقول لِغلمتى ، هو بكسر المعجمة : جمع غُلام . وبطن مَرّ ، بفتح الميم : موضع بقرب مكة شرّفها الله . وقوله : فى سواد ، أى فى ظلام الليل . ونصُّ المطايا : مصدر مضاف إلى مفعوله ، من نَصصت الدابّةَ : استحثثتها واستخرجتُ ما عندها من السَّير . والأداوَى بفتح الواو : جمع إداوة بالكسر ، وهى المِطْهرة . والمزاد ، بالفتح : جمع مزادة ، وهى شَطر الراوية ، والقياس كسر الميم لأنَّها آلة يستقى فيها ، وهى مَفْعَلة من الزاد لأنّه يتزوَّد فيها الماء . والطريق المعبَّد ، من التعبيد ، وهو التذليل . والمناسم : جمع مَنسِم كمجلس : طرَف خفّ الإبل . وطُلّاع حال من ضمير المطايا جمع طالعة . والنِّجاد ، بكسر النون بعدها جيم : جمع نجد ، ككلب وكلاب ، وهو ما ارتفع من الأرض . والصِّفاد بكسر الصاد : ما يوثَق به الأسير من قِدّ وقَيد وغُلّ ، أى أجابنى بجوابِ عاجز مقيَّد لا يقدر على شىء . والسَّميدع ، بفتح السين : السيِّد الذي يَسهُل الوصول إليه . وجوّ ، بفتح الجيم وتشديد الواو : اسم موضع .

وفَضالة بن شُريك الأسدى بفتح الفاء ، أورده ابن حجر (فى الإصابة) فضالة بن شريك من المخضرمين الذين أدركوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولم يُعلَم اجتماعهم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٢٦٣ (فلا أبَ وابناً مِثْلُ مَروانَ وابنِهِ)

هذا صدرٌ وعجزه : (إذا هُو بالمجد ارتدَى وتأزّرا)

على أنه عطف الابنَ بالنصب على لفظ اسم لا المبنى ، ويجوز رفع المعطوف باعتبار محلّ لا واسمها ، فإنّهما فى محلّ رفع على الابتداء . وإنّما جاز الرفع لأنّ لا إذا لم تتكرّر فى المعطوف وجب فتح الأوّل وجاز فى الثانى النصب والرفع .

قال أبو علىّ (فى المسائل البصرية) : مِثل يحتمل أن يكون صفة وأن يكون خبراً . فإن جعلته صفةً احتمل أمرين : يجوز أن تنصبه على اللفظ ، لأنّ اللفظ منصوب فتحمله عليه ، وإن حملته على الموضع هنا كان أقبح منه فى غير هذا الموضع ، وذاك أنّك لما عطفت بالنصب فقد أنبأت أنه منصوب ، فإذا رفعته بعد ذلك كان قبيحا ، لأنّك كأنك حكمت برفعه بعد ما حكمتَ بنصبه . وهذا عندى أقبح من أن تحمَل الأسماء المبهمة على المعنى ثم تُرْجَعَ إلى اللفظ ، لأنّ الاسم كما يعلم منه الإفراد فقد يعلم منه الجمع ، فتكون دلالته على ذا كدلالته على ذا ، ولا يعلم من الرفع النصبُ ولا من النصب الرفع ؛

(١) فى كتابه ١ : ٣٤٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ١٠١ ، ١١٠ والهمع ٢ : ١٤٣ والعينى ٢ : ٣٥٥ والتصريح ١ : ٢٤٣ .

فلهذا يُستحسَن حمل الصفة هنا على اللفظ . فإن قلت : فصفةُ أيِّ الاسمين
هو ؟ فإنّا لا نقول صفة أحدهما ، ولكن صفتهما جميعا ؛ ألا ترى أنّه قد ١٠٣
أضيف إلى مروان وعطف ابن عليه ، فكأنّه قال مثلهما ؛ ألا ترى أنّ العطف بالواو نظير التثنية ؛ فكما أنّ مِثْلُهُمْ في قوله تعالى ﴿إنَّكُمْ إذاً مِثْلُهُمْ﴾(١) خبر عن جميع الأسماء حيث كان مضافا إلى ضمير الجمع ، كذلك يكون مثل وصفاً للاسمين جميعا وتضمر الخبر إذا جعلته صفة .

فإن جعلت مِثْلاً الخبر رفعت لا غير ولم تضمر شيئا ؛ ومثل ذلك :

* ولا كريمَ من الوِلدان مصبوحُ(٢) *

وقد يستقيم أن تجعله هنا وصفا على الموضع وتضمر ، ولا يقبح من حيث قبُح في قوله : فلا أب وابنا . فأما : إذا هو بالمجد ارتدى ، فالعامل في إذا معنى المماثلة ، جعلته خبراً أو وصفا . وإن شئت جعلتَ العامل في إذا الخبر إذا أضمرت . انتهى كلام أبي علي .

وقال ابن هشام (في شرح شواهده) : وروى ابن الأنباري :

* إذا ما ارتدى بالمجد ثم تأزّرا *

ورواية سيبويه أولى ، لأن الائتزار قبل الارتداء . والواو لا ترتيب فيها بخلاف ثمّ . والمجد : العزّ والشرف ؛ ورجل ماجد : كريم شريف . وارتدى : لبس الرداء . وتأزّر : لبس الإزار ، والإزارُ : الثوب الذى يستر النصف

(١) الآية ١٤٠ من سورة النساء .

(٢) لرجل من النبيت بن قاصد ، كما في الأعلم (سيبويه ١ :٣٥٦) .
وصدره : * ورد جازرهم حرفا مصرمة *
وانظر ابن الشجرى ٢ : ٢١٢ وابن يعيش ١ : ١٠٤ ، ١٠٧ والعيني ٢ : ٣٦٨ .

الأسفل ، والرداء : ما يستر النصف الأعلى . قال الأعلم : مدح مرْوانَ ابنَ الحكَم وابنَه عبدَ الملك بن مروان ، وجعلهما لشهرة مجدهما كاللابسين له المرتدَيين به ، وجعل الخبر عن أحدهما وهو يعنيهما اختصاراً ، لعلم السامع اهـ .

ولقد كذب الشاعر في هذا المدح فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى حق مروان : « الوزَغ بن الوزَغ[1] » .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف لها قائل . وقال ابن هشام (فى شواهده) : إنّه لرجل من عبد مَناة بن كنانة ، والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢٦٤ (ألاَ طعانَ إلا فرسانَ عاديةٍ إلاّ تجشُّؤَكم حولَ التنانيرِ)

على أن (لا) إذا تقدّمها همزة الاستفهام تعمل كعملها مجردةً منها .

قال سيبويه : واعلم أنّ لا فى الاستفهام تعمل فيما بعدها كما تعمل فيه إذا كانت فى الخبر ، فمن ذلك قوله : ألا طعان ... البيت .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : ألا تأتى للتوبيخ والإنكار كقوله :

ألا طعانَ ألا فرسان .... البيت

(١) ش : « بن الوزغة » .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر شرح شواهد المغنى ٣٢٢ والهمع ١ : ١٤٧ / ٢ : ١٣٩ / ٤٠٩ والعينى ٢ : ٣٦٢ والأشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان حسان ٢١٥ .

وللتمنى كقوله :

أَلا عُمْرَ وَلَّى مُسْتَطَاعٌ رجوعُهُ فيرأَبَ ما أثْأَتْ يَدُ الغَفَلاتِ

ولهذا نصب يرأب لأنّه جواب تمنٍّ مقرون بالفاء . وللاستفهام عن النفى كقوله :

* ألا اصطبارَ لسلمى أم لها جَلدُ[١] *

وفى هذا البيت ردٌّ على من أنكر وجودَ هذا القِسم وهو الشّلَوبين . وهذه الأقسام الثلاثة مختصَّة بالدخول على الجملة الاسميَّة وتعمل عمل لا التبرئة ، ولكن تختصّ التى للتمنّي بأنّها لا خبر لها لفظاً ولا تقديراً ، وبأنّها لا يجوز مراعاة محلّها مع اسمها ، وبأنَّها لا يجوز إلغاؤها ولو تكررت . أمّا الأوّل فلأنّها بمعنى أتمنّى ، وأتمنّى لا خبر له ، وأمّا الأخيران فلأنهما بمنزلة ليت . ١٠٤
وهذا كلّه قول سيبويه ومن وافقه . اهـ باختصار .

وزعم الزجاجىّ (فى الجُمَل) أنّ ألاَ فى هذا البيت للتمنّي . وليس كذلك ، لأنّ البيت من الهجو ، ولو كان تمنّياً لما كان ذمّاً .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات لحسّان بن ثابت الصحابى رضى الله عنه ، هجا بها بنى الحارث بن كعب المذحِجىّ ، جعلهم أهلَ أكل وشرب ، لا أهل غارة وحرب ، يقول : لا خيلَ تعدُون بها على الأقران ، ولا طعانَ لكم فى نحور الشُّجعان ، إلاّ الأكل والجُشاء عند التنانير ، فليس لكم رغبةٌ فى طلب المعالى ، وإنما فعلُكم فعلُ البهائم . كما قال الآخر[٢] :

---

(١) للمجنون ، كما فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ١٥/والعينى ١ : ٣٥٨ وديوانه ٢٢٨ . وعجزه : اذا ألاقى الذى لاقاه أمثالى

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان. سيبويه ١ : ٤٧٥ والهمع ٢ : ٣ .

إنّي رأيت من المكارم حسبُكم أن تلبسوا حُرَّ الثياب وتشبعوا

فإذا تُذوكرت المكارم مَرَّةً في مجلس أنتم به فتقنَّعوا

وزعم اللخميّ (في [شرح[1]] أبيات الجمل) أنّ الاستفهام هنا للتقرير، قال: قرَّرَهم على ما علم من أمرهم. فيكون المقرر النفي وما بعده.

و (طِعان): مصدر طاعن بالرُّمح. و (الفُرسان): جمع فارس. و (عادية) بالمهملة والنصب: صفة لفرسان، وقيل حال منه، والخبر محذوف أي لكم، وهو مِن عدا عليه بمعنى اعتدى، والمصدر العُدوان. والعرب تتمدَّح به باعتبار ما يلزمه من الشجاعة. وقيل: هو من العَدْو أي الجرى، وقيل هو بالمعجمة من الغدوّ، وهو التبكير، لأنّ العرب تبكر للغارة والحرب. قال النحاس: وعند أبي الحسن الأوّل هو الأحسن، لأنَّ العادية تكون بالغداة وغيرها. وروى بالرفع على الروايتين على أنّه صفة لفرسان على الموضع، وقيل خبر. وقوله: إلا تجشؤكم بالنصب على الاستثناء المنقطع، قيل: ويجوز رفعه على البدل من موضع ألا طعان على لغة تميم. قال النحاس: هذا غلط والصواب عند أبي الحسن النصب. والتجشؤ: خروج نفَسٍ من الفم ينشأ من امتلاء المعدة، يقال تجشّأ تجشُؤاً وتَجشئةً مهموز، والاسم الجُشَاء بضم الجيم وفتح الشين. قال الأصمعيّ: ويقال الجُشاء على فُعال، كأنّه من باب العطاس والسعال. قال اللخميّ: وروى «إلا تَحَشُّؤُكم» بالحاء المهملة، مأخوذ من الُمحْشَأ، وهو الكساء الغليظ الذى يُشتَمَل به؛ فمعناه على هذا: إنكم تشبعون وتلتفّون فى الأكسية، وتنامون عند التنانير. انتهى. والمِحشأ على

(١) التكملة للشنقيطي في نسخته.

وزن مِفْعَل[١] والجمع المحاشىء بالهمز على وزن مفاعل . و (التنانير) : جمع تَنُّور وهو ما يُخبز فيه .

والأبيات هذه برُمّتها[٢] :

أبيات الشاهد (حارِ بن كعب ألا أحلامَ تَزْجُرُكم عنّا ، وأنتم من الجُوف الجماخيرِ

لا عيبَ بالقوم من طول ولا عظمٍ جسمُ البغال وأحلامُ العصافيرِ

كأنّهم قَصب جُوفٌ مكاسره مثقَّب فيه أرواح الأعاصير

دَعُوا التخاجؤ وامشُوا مِشيةً سُجُحا إنّ الرجال أولو عَصْبٍ وتذكيرِ

لاينفعُ الطُّول من نُوك القلوب ، ولا يَهدى الإلهُ سبيلَ المعشر البُور

إنّى سأنصر عِرضى من سَراتكم إنّ الحِماسَ نَسِىٌّ غيرُ مذكور

ألفى أباه وألفى جدَّه حُبِسا بمعزِلٍ عن معالى المجد والخيرِ

١٠٥ ألا طِعانَ ألا فرسان عادية . . . . البيت)

كذا فى شرح أبيات الجمل لابن السِّيد وغيره ، من رواية محمد بن حبيب لديوان حسان .

وقوله : حارِ بن كعب ، هو مرخَّم حارث ، وبه استشهد الزجاجى (فى جُمَله) . والأحلام : العقول ، جمع حِلم بالكسر . والجُوف ، بضم الجيم : جمع أجوف ، وهو الخالى الجوف . والجماخير : جمع جُمخُور ، بضم الجيم والخاء المعجمة بينهما ميم ساكنة ، وهو العظيم الجسم الخوّار . وقوله : لا عيب

(١) ش : « مفعال » وهى صحيحة أيضا فى اللغة ، ولكنها لا تستقيم مع جمعها مفاعل التالى .

(٢) كتب الميمنى : الأبيات مع خبرها فى تهاجى النجاشى وعبد الرحمن فى الموفقيات Z. D. M. G. V 54 P. 427-428 ، والديوان ليدن ص ٤٨ ، والحواشى (٧٧) . وفيها : « ألا الأحلام » .

بالقوم، روى أيضاً: «لا بأس بالقوم». يريد أنّ أجسامهم لا تُعاب، هي طويلة عظيمة ولكنّها كأجسام البغال لا عقولَ لها. هكذا رواه الناس؛ ورواه الزمخشريّ: «جسم الجمال وأحلام الخ» عند قوله تعالى: ﴿حتّى يَلِجَ الجمل فى سَمِّ الخِياط[1]﴾ على أنّ الجمل مَثَلٌ فى عظم الجِرم، وهذا مثلُ قول بعضهم[2]:

وقد عظُمَ البعير بغير لُبٍّ ... فلم يستغنِ بالعظم البعيرُ

وقال آخر:

فأحلامُهم حِلْمُ العصافير دِقَّةً ... وأجسامهم جسمُ الجمائل أو أجفى

وهذان البيتان أوردهما سيبويه على رفع الجسم والأحلام على إضمار مبتدإ لِما أراد من تفسير أحوالهم، دون القصد إلى الذم. والتقدير أجسامهم أجسام البغال، وأحلامهم أحلام العصافير: عِظماً وحقارة. ويجوز أن يريد لا أحلام لهم، كما أنَّ العصفور لا حِلم له؛ ولو قصد به الذمَّ فنصبه بإضمار فعل لجاز.

قال ابن خلف: ذكر سيبويه هذا الشعر بعد أبياتٍ أنشدها وذكر فيها أسماء قد نصبت على طريق الشتم والتحقير، ورفَع قوله جسم البغال وأحلام العصافير. وقوله: ولم يرد أن يجعله شتماً، يريد أنّه لم يجعله شتماً من طريق اللفظ، إنّما هو شتمٌ من طريق المعنى، وهو أغلظ من كثير من الشتم. وأفرد الجسم وهو يريد الجمع ضرورة، كقوله[3]:

* فى حَلْقِكم عظمٌ وقد شَجِينا *

---

(١) الآية ٤٠ من سورة الأعراف.
(٢) هو العباس بن مرداس. الحماسة ١١٥٥ بشرح المرزوقى.
(٣) هو المسيب بن زيدمناة الغنوى، كما ذكره الأعلم ١ : ١٠٧.

وقوله : كأنّهم قصب الخ ، هو جمع قصَبة ، والجُوف جمعٌ كما مرّ . ومكاسره مبتدأ جمع مَكسِر أى محلّ الكسر ، ومثقّب خبره ، والأرواح : جمع ريح . والتخاجُؤ ، بعد المثناة الفوقية خاء معجمة وبعدها جيم بعدها همزة ، هو مشى فيه تبختر . والمِشيَةُ السُجُح ، بضمّ السين المهملة والجيم بعدها حاء مهملة : السَّهلة الحسنة . وأولو عَصْب : أصحاب شِدَّة خَلق ، يقال رجل معصوب الخلق . والنُّوك ، بضم النون : الحماقة . والبُور : جمع بائر ، وهو الهالك . والحِماس بكسر الحاء المهملة ، من بنى الحارث بن كعب . والنِسىُّ : المنسىّ الخامل الذكر . وقوله . حُبِسا بالبناء للمفعول ، من الحبس . والمجد : الشرف . والخِير بكسر المعجمة : الكرم .

وسبب هجو حسّان بنى الحارث أنّ النّجاشى هجا بنى النَّجّار من الأنصار بشعرٍ يقول فيه :

لستم بنى النجار أكْفاء مثلِنا فأبعد بكم عَمًّا هنالك أبعد[1]
فإن شئتمُ نافرتُكم عن أبيكمُ إلى من أردتم من تِهامٍ ومُنجِدِ

قال السكرىّ (فى ديوان حسّان) : ذكروا أنّ الأنصار اجتمعوا فى مجلسٍ فتذاكروا هجاء النجاشىّ إيّاهم فقالوا : مَنْ له ؟ فقال الحارث بن مُعاذ بن عفراء : حسّانُ له . فأعظم ذلك القومُ فتوجّه نحوه — والقوم كلُّهم مُعْظِمٌ لذلك — فلما دخل عليه كلّمه فقال : أين أنتم عن ابنى عبد الرحمن ! قال : ١٠٦
إيّاك أردنا ، قد قاوله عبدُ الرحمن فلم يصنع شيئا . فوثب وقال : كنْ وراء

(١) الميمنى : الأبيات ستة فى الموفقيات ، وفيه : « فلستم » من غير خرم و « فأبعدكم عما هنالك » . وأقول : فى ش : « فأبعد بكم هنالك » ، وفى ض : « فأبعدكم هنالك » ، فلعل الوجه ما أثبت .

الباب واحفظْ ما أُلقِي . فضربتْه [زافرة(١)] البابِ فشجَّته على حاجبه ، فقال : بسم الله ، ثم قال : اللهم اخلُف فيَّ رسولَك اليوم صلى الله عليه وسلم ! قال الحارث : فعرَفت حين قالها ليَغلبنه . فدخل وهو يقول :

أبنى الِحماس أليس منكم ماجدٌ   إن المروءة فى الِحماس قليلُ
يا ويلَ أمِّكُمُ وويلَ أبيكمُ   ويلاً تردَّدَ فيكمُ وعويلُ

إلى أن قال :

فاللؤم حلَّ على الِحماس فما لهمْ   كهلٌ يسودُ ولا فتًى بُهْلولُ

ثم مكثَ طويلا فى الباب يقول : والله ما بلغتُ ما أريد . ثم ألقَى علىَّ :

حارِ بنَ كعبٍ ألا أحلام تزجرُكم . . . الأبيات التى تقدمت .

ثم قال للحارث : اكتبْها صُكوكا فألقِها إلى غِلمان الكُتَّاب ، قال الحارث : ففعلت ، فما مرَّ بنا بضع وخمسون [ليلةً(٢)] حتى طرقت بنو عبد المدان حسان بالنجاشىِّ موثَقا ، فقال حسّان لبنته : نادِى بأبياتِ أُطُمِ حسَّان ليأتيَك قومُك فيحضروا . فلم يبق أحدٌ إلاَّ جاء ومعه السلاح . فلما اجتمع الناسُ وُضِع له مِنبر ونزل وفى يده مِخصرة ، فقام عبد الله بن [عبد(٣)] المدان فقال : يا ابن الفُريعة ، جئناك بابن أخيك فاحكمْ فيه برأيك ، فأُتى بالنجاشى فأُجلسَ بين يديه واعتذر القومُ ، فقال حسَّان لابنته : هاتى البقية

(١) التكملة من ديوان حسان طبع ليدن ١٩١٠ ص ٧٦ من الشرح . وزافرة الباب : مقدمه وأنفه . وانظر شرح البرقوقى لديوان حسان ٣٥٧ .
(٢) التكملة من شرح الديوان ص ٧٧ .
(٣) التكملة من شرح الديوان ٧٧ . والمدان ، كسحاب : صنم لهم .

التى بقيت من جائزة معاوية . فأتته بمائة دينار إلاَّ دينارين ، فقال : دونكَ هذه يا ابن أخى . وحمله على بغلةٍ لعبد الرحمن ، فقال له ابن الديَّان[(١)] : كنّا نفتخر على الناس بالعظم والطُّول فأفسدته علينا . قال : كلاّ ، أليس أنا الذى أقول :

وقد كنّا نقول إذا رأينا لذى جِسمٍ يُعدُّ وذى بيان
كأنَّك أيُّها المعطَى بياناً وجسماً من بنى عبد المَدان

انتهى ما أورده السكّرىّ .

وعبد المَدان هو ابن الديّان بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة ابن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة (بضم المهملة وخفة اللام) ابن جَلْد (بفتح الجيم وسكون اللام) ابن مالك بن أُدد .

وبنو الديّان ساداتُ بنى الحارث بن كعب . وكان بنو الحارث إحدى جَمَرات العرب .

وترجمة حسان بن ثابت تقدمت فى الشاهد الحادى والثلاثين[(٢)] .

النجاشى الشاعر

والنجاشى اسمه قيس بن عمرو ، من رهط الحارث بن كعب ؛ وكان فيما رُوى ضعيفَ الدين : ذُكر أنه شرب الخمر فى رمضان ، وثبتَ عند علىٍّ عليه السلام فجلده مائةَ سوط ، فلما رآه قد زاد على الثمانين صاح به : ما هذه العلاوة يا أبا الحسن ! فقال علىٌّ رضى الله عنه : لجراءتك على الله فى رمضان .

قال ابن هشام اللخمىّ (فى شرح أبيات الجمل) : روى أنه لما هاجَى

---

(١) هو عبد الله بن عبد المدان بن الديان ، كما سيأتى .
(٢) الخزانة ١ : ٢٢٧ .

النجاشيُّ عبدَ الرحمن بنَ حسان أعانه أبوه بالشعر المذكور . ورُوى من طريق أخرى أنَّه لما مضت مدَّةٌ لمهاجاة عبد الرحمن بن حسان للنجاشيِّ علم بذلك أبوه حسَّان ، فقال له : يا عبد الرحمن ، أرِنِي ما جرى بينك وبين الحارثيّ . ١٠٧
فأنشده لنفسه وللحارثيّ ، فقال له : يا عبد الرحمن ؛ إنى أُراه قد أكلك ، فهل تحبُّ أن أعينَك ؟ قال : نعم يا أبتِ . فقال حسان الأبياتَ المذكورة . ثم ذكر بقية القصة من كِتاف النَّجاشي وعَفْو حسان عنه . والله أعلم أىَّ ذلك كان .

تتمة

كونُ البيت الشاهد لحسّان هو ما رواه السكّرىّ وغيره من جملة الأبيات المذكورة ، إلاَّ ابن السِّيرافى والزمخشرىّ ، فإنه رواه فى شرح أبيات سيبويه من قصيدة لخِدَاش بن زُهير يخاطب بها بعض بنى تَميم ، من أجل مسابقةٍ كانت بينهم وبين كُرْز بن ربيعة — وهو من رهط خِداش — وأول القصيدة :

أبلغ أبا كَنَف إمّا عرضتَ له ... والأبجرَين ووهباً وابنَ منظورِ
ألاَ طعانَ[1] ألا فُرسانَ عاديةٍ ... إلاّ تجشُّؤكم حولَ التنانيرِ
ثم احضُرونا إذا ما احمرَّ أعينُنا ... فى كل يومٍ يزيلُ الهامَ مذكورِ
تلقَوا فوارسَ لا مِيلاً ولا عُزُلا ... ولا هَلابيج روّاثينَ فى الدُّورِ
تلقَوا أُسيداً وعمراً وابنَ عمِّهما ... ورقاء فى النفَر الشُّعْثِ المغاويرِ

(١) فى فرحة الأديب الورقة ٥٦ ، ٥٧ من مخطوطة دار الكتب ٧٨ مجاميع ، وهى بخط البغدادى : « ألا جفان » .

من آل كوز غداة الرَّوع قد عُرِفوا عند القتال إلى رُكنٍ ومحبورِ (١)
يحدون أقرانَهم فى كل مُعْتَرك طعناً وضرباً كشقٍّ بالمناشيرِ

وهى قصيدة تزيد على عشرين بيتا أوردها أبو محمد الأعرابىّ (فى فُرحة الأديب)، وقال: كان من قصةّ هذا الشعر أن أوّلَ ما هاج بين قريش وبين بنى عامر بن صعصعة أنّ كُرْزَ بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة راهنَ أسيداً وَعمراً وعبدَ الله بنى العَرِقة، من بنى تيم بن غالب وهم تيمُ الأدرم، على فرسٍ لهم يقال له البرق، والسَّبَقُ ثلاثون ناقة (٢). وجعلوا المَدَى والمضمار إلى كُرْز، فجعل المَدى ما بين السجسج (٣) إلى ذات الفلج، وحمل كُرز على فرسه المجالدَ بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر، فجاء سابقاً وهلَك البرق، فأخذ السَّبَقَ وناشدوه فى ردِّه فأبى، فلبثوا قريبا من سنتين، ثم ركب بنو العَرِقة فلقوا أُسيد بن مالك، وعمرو بن مالك، وعثمان بن أسيد من بنى عامر بن ربيعة، بأسفل العقيق، فى إبل لهم فيها بَكْرة يقال لها العِنب، عُشَراء، فطردوا الإبل فاستقبلها عثمان بن أسيد ينفّر فيها بثوبه (٤) وبعثَ أَمَةً نحوَ أبيه وعمّه مُغَوِّثاً (٥) فركب أبوه فرساً كبيرة وركب

(١) فى فرحة الأديب: «من آل كرز» بالراء قبل الزاى. وفى ط: «ومحسور»، صوابه فى ش وفرحة الأديب.

(٢) فى الفرحة: «والسبق ثلاثون، معها مثلها. ليس فيها حذاء ولا جداء ولا أباء ولا حنفاء ولا ذات عوار»

(٣) هذا ما فى الفرحة بخط البغدادى. وفى ط: «السحج»، وفى ش: «السجيج».

(٤) ط: «بها بثوبه»، وأثبت ما فى ش.

(٥) فى النسختين: «مغويا»، صوابه فى الفرحة. والتغويث: الاستغاثة.

عمّة بنتها فرساً صعبة ، فلما لحق بالقوم قال عمرو بن مالك : أعلمونا مَن أنتم ؟ قالوا : قريش . قالوا : وأيّهم ؟ قالوا : بنو العَرِقة . قالوا : فهل كان منّا حدث[1] ؟ قالوا : لا ، إلاّ يوم البرق . فقال لهم : احبسوا العِنَب ، احبسوا العنب ، احبسوا اللّقحة : لِقْحة من لا يغدر[2] ! فقال لهم عمرو : لا والله لا نرضع منها قادماً ولا آخراً ! قال : إنّا لا نرضع الإبل ولكن نحلبُها . وحمل عليه فقتله ، وحمل أُسيدُ بن مالك على أُسيد بن العَرِقة فقتله ، فقال فى ذلك :

إنى كذاك أضرب الكمىّ ... ولم يكن يشقى بىَ السمىّ

فذلك يوم العنب . وقال خداش بن زهير فى ذلك :

١٠٨ نكُبُّ الكُماة لأذقانها ... إذا كان يومٌ طويلُ الذنَبْ

كذاك الزمانُ وتصريفُه ... وتلك فوارسُ يومِ العِنَبْ

ثم وقع بينهم بعد ذلك التغاور والقتال ، فقال فى ذلك خداش بن زهير القصيدةَ التى منها :

ألا طعان ألا فرسان عادية ... (البيت)

وخداش بن زهير شاعر جاهلىّ ، وقيل مخضرم كما يأتى فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة .

* * *

(١) فى الفرحة . « منا من حدث » .

(٢) جعلها الشنقيطى فى نسخته : « يعذر » .

وأنشده بعده، وهو الشاهد الخامس والستون بعد المائتين[١] :

٢٦٥ (ألاَ سبيلَ إلى خمرٍ فأشربَها
أمْ لا سبيلَ إلى نَصرِ بنِ حَجَّاجِ)

على أنّ (ألا) فيه للتمنى . ولهذا سمّيت قائلة هـذا البيت المتمنّية ، وضُرب بها المثل فقيل : « أصبُّ من المتمنّية » ، وضُرِب به المثل أيضاً فقيل « أدنَفُ من المتمنَّى » كما يجىء شرحه .

قال ابن برّى (فى شرح أبيات الإيضاح ، للفارسى) : قبله :

(ياليتَ شِعرىَ عن نفسى أزاهقةٌ مِنّي ولم أقض ما فيها من الحاج)

وأنشده الفارسىّ على أن خبر ليت محذوف . قال ابن برّى : والبيت لفُريعة بنت همّام ، وتعرف بالذلفاء وهى أمُّ الحجاج . انتهى .

وقال حمزة الأصبهانى (فى الدرّة الفاخرة) : وأما قولهم أصبُّ من المتمنّية فإنَّ هذا المثل من أمثال أهل المدينة سار فى صدر الإسلام . والمتمنّية : امرأة مدنية عشِقت فتًى من بنى سُليم يقال له نصر بن الحجاج بن عِلاط ، وكان أحسن أهلِ زمانه صورةً ، فضنِيت من أجله ودنِفت من الوجد به ، ثم لهِجت بذكره حتّي صار ذكره هِجِّيراها ، فقال أحمد بن أعثم (فى الفتوح) : كان السبب فى ذلك : أنّ امرأة من أهل المدينة يقال لها الذّلفاء هويتْ نصر بن الحجَّاج ، فأرسلت إليه ودعتْه إلى نفسها ، فزجرَها ولم يوافقها ، فبينا عمر

---

(١) انظر أيضا ابن يعيش ٧ : ٢٧ وطبقات الشافعية ١ : ٢٨ .

ذات ليلة يَعُسُّ(١) فى بعض سكك المدينة إذْ سمع نشيدَ شعرٍ من دار ، فوقف يسمع فإذا الذلفاء تقول(٢) :

ألا سبيلَ إلى خمر فأشربَها (البيت)

فلما سمع عمر الشعر أمرَ بالذلفاء فأُخرجت من منزلها فحبَسَها ، فعلمت الذلفاء أنَّه قد سمعها وهى تُنشد الشعر ، فكأنها أنفت على نفسها أن يعاقبها ، فكتبت إليه :

قل للإمام الذى تُخشى بوادرُه (الأبيات الآتية)

فلما نظر عمر فى الأبيات أطلقها من الحبس ، وأرسل إلى نصر فحلق جُمّتَه ونفاه إلى البصرة .

قال حمزة الأصبهانى : قال النسابون : هذه المتمنّية هى الفُريعة بنت همّام ، أم الحجّاج بن يوسف الثقَفى ، وكانت حين عشقت نصراً تحت المغيرة بن شُعبة ، واحتجُّوا فى ذلك بحديث رووْه ، وهو أنَّ الحجاج حضر مجلس عبدالملك يوماً ، وعروةُ بن الزبير يحدِّثه ويقول : قال أبو بكر كذا ، وسمعت أبا بكر يقول كذا — يعنى أخاه عبدَ الله بن الزبير — فقال له الحجاج : عند أمير المؤمنين تُكنّي أخاك المنافقَ ، لا أُمَّ لك ! فقال له عُروة : يا ابن المتمنِّية ، أَلِيَ تقول لا أُمّ لك ، وأنا ابن إحدى عجائز الجنة : صفية ، وخديجة وأسماء ، وعائشة !

---

(١) بدلها فى ش : « مطل » .

(٢) الميمنى : « الخبر فى المصارع ٤٠٥ ومحاسن الجاحظ ٢٢٠ والبلوى ٢ : ٥١٣ » .

كذا قال ابن الأثير (فى المرصَّع) : ابن المتمنِّية هو الحجّاج بن يوسف الثقَفى ، من قول أمّه :

ألا سبيلَ إلى خمرٍ فاشربها . . . . البيت

وقد ذكَر خبرَها مع نصرٍ جماعة منهم الجاحظُ (فى كتاب المحاسن والمساوى[١]) ، وأبو القاسم الزجّاجى (فى أماليه الوسطى) ، وأبو الحسن على ابن محمد المدائنى (فى كتاب المغرَّبين) ، وحمزة الأصبهانى (فى أمثاله) ، والسُّهيلى (فى الروض الأنف) ، وإسماعيل بن هِبَة الله الموصلى (فى كتاب غاية السائل[٢] ، إلى معرفة الأوائل) وقدجمعت بين ما اتّفقوا عليه وبين ما انفردوا به . قالوا :

أوّل من عَسَّ بالليل فى الإسلام عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، فبينما يعسُّ ليلةً سمع امرأةً تقول :

ألاَ سبيلَ إلى خمرٍ فأشرَبها أم لا سبيل إلى نصر بن حجّاجِ
إلى فتىً ماجدِ الأخلاق ذى كرم سهلِ المحيّا كريمٍ غير لجلاج[٣]

كذا رواها الجاحظ . وروى المدائنى البيت الثانى مع بيتين آخرين لرجل من ولد الحجّاج بن عِلاط وهما :

تَنْميه أعراقُ صِدقٍ حين تنسُبُه ذى نَجَدات عن المكروب فرّاجِ

(١) هو المعروف بكتاب « المحاسن والأضداد » . وهو غير المحاسن والمساوى للبيهقى .

(٢) فى ش : « الوسائل » . ولم يذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) طبقات الشافعية : « غير ملجاج » . وقد روى هذين البيتين وما بعدهما منسوبين الى تلك المرأة .

سامى النواظر من بَهزٍ لَه كَرَمٌ ... تُضيء سُنّتُهُ فى الحالك الداجى[1]

وروى صاحبُ الأوائل البيتَ الأوَّل :

إلى فتى ماجدِ الأعراق مُقتبَل ... تضيء صورتُه فى الحالك الداجى
نعمَ الفتى فى سواد الليل نُصرته ... لبائسٍ أو لملهوفٍ ومُحْتاجِ

وزاد المدائنى :

يا مُنيةَ لم أُرَبْ فيها بضائرةٍ ... والناسُ من صادق فيها ومن داجى[2]

ثم قال : وقال قومٌ : هذا الشعر مصنوع إلاّ البيت الأول .

فقال عمر : من هذه المتمنّية ؟ فلزمها هذا الاسم ، واستلبتْه نساء المدينة فضربنَ به المثل[3] وقلن : « أصَبُّ من المتمنِّية » .

وقال الزجّاجى : لما أنشدَت :

ألاَ سبيلَ إلى خمرٍ فأشربَها ... . البيت

قالت لها امرأةٌ معها : مَنْ نصرُ بن حجّاج ؟ قالت : رجلٌ وددتُ أنّه معى فى ليلةٍ من ليالى الخريف فى أطول ليلةٍ من ليالى الشتاء وليس معنا أحد ! فدعا بها عمرُ فضربها بالدِّرّة ضرَباتٍ ، ثم سأل عنها فلم يُخبَر عنها إلاّ بخير ؛

(١) بهز : حى من بنى سليم بن منصور بن عكرمة ، منهم الحجاج بن علاط الصحابى . جمهرة ابن حزم ٢٦٢ .

(٢) فى النسختين : « من راج » ، صوابه بالدال ، كما فى الطبقات . والداجى ، من المداجاة ، وهى المداراة والمساترة .

(٣) ش : « بها المثل » .

فلما كان من الغدِ أرسل إلى نصر بن حجّاج فأحضره ، وله شَعرة[١] فقال : إنّه ليُتَمثّل بكَ ويُغنّى بك ! وأمر بشَعْرته فحُلقت ، ثم راح إليه بالعشىّ فرآه فى الحِلاق أحسنَ منه فى الشَّعرِ ، فقال : لا تُساكنّي فى بلدة ، فاختر أىَّ البُلدان شئت ! فكتبت المرأة إلى عمر :

قل للإمام الذى تُخشى بوادرُه ما لى وللخمر أو نصر بن حجّاج
إنّى عنيت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف فاصر ساجى[٢]
لا تجعلِ الظنَّ حقًّا أو تيَقّنَه إنّ السبيل سبيل الخائف الراجى
إنّ الهوى زَمّهُ التقوى فحبَّسه حتّى أقرّ بإلجام وإسراجِ

فبعث إليها عمر : لم يبلغْنا عنك إلاّ خير !

وقال حمزة : فلما أصبح عمر أحضر المتمنّىَ فلما رآه بهره جمالُه فقال له : أنت تتمنّاك الغانيات فى خدورهن[٣] ، لا أمَّ لك ، أما والله لأزيلنّ عنك الجمال ! ثم دعا بحجّام فحلق جُمّته ، ثم تأمّله فقال : أنت محلوقًا أحسنُ ؟ فقال :
١١٠ وأىُّ ذنب لى فى ذلك ؟ فقال : صدقتَ ، الذنبُ لى إذا تركتك فى دار الهجرة[٤] . ثم أركبه جملاً وسيّره إلى البصرة وكتب به إلى مجاشع بن مسعود السُلَمىّ : بأنّى قد سيَّرت المتمنّىَ نصرَ بن حجّاج السُلَمىَّ إلى البصرة.

وكما قالوا بالمدينة : أصبُّ من المتمنّية قالوا بالبصرة : « أدنَفُ من المتمنَّى »

(١) فى اللسان : « والشعرة : الواحدة من الشعر . وقد يكنى بالشعرة عن الجمع كما يكنى بالشيبة عن الجنس » .

(٢) فى النسختين : « بعدهما » . وأثبت ما فى الطبقات .

(٣) فى أمثال الميدان ١ : ٣٧٩ : « أأنت الذى تتمناك الغانيات فى خدورهن » .

(٤) كذا . وفى أمثال الميدانى : « ان تركتك فى دار الهجرة » .

وذلك أن نصر بن حجّاج لما ورد البَصرة أخـذ الناسُ يسألون عنه ويقولون: أين المتمنَّى الذى سيّره عمر؟ فغلب هذا الاسم عليه بالبصرة، كما غلب ذلك الاسمُ على عاشقته بالمدينة.

ومن حديث هذا المثل الثانى: أنّ نصراً لما نزل البصرةَ أنزله مُجاشع ابن مسعود منزلَه، من أجل قرابته، وأخدمه امرأته شُميلة[1] — وكانت أجمل امرأةٍ بالبصرة — فَعلِقته وعَلِقَها، وخفىَ على كلٍّ واحد منهما خبر الآخر، لملازمة مجاشعٍ لضيفه، وكان مجاشعُ أميًّا ونصرٌ وشميلةُ كاتبين، فعيلَ صبرُ نصر فكتب على الأرض بحضرة مجاشع: إنى أحببتُكِ حبًّا لو كان فوقَكِ لأظلَّك، أو تحتَكِ لأقلَّك. فوقَّعت تحته غير محتشمة: وأنا كذلك. فقال مجاشع لها: ما الذى كتَبَ؟ فقالت: كتب كم تَحلُب ناقتكم. فقال: وما الذى كتبتِ؟ قالت: كتبتُ وأنا. فقال مجاشع: ما هذا لهذا بطِبْق! فقالت: أصدُقك، إنه كتب كم تُغِلُّ أرضُكم؟ فقال مجاشع ما بين كلامه وجوابكِ هـذا أيضاً قرابة! ثم كفأ على الكتابة جَفنةً ودعا بغلام من الكتّاب فقرأه عليه، فالتفت إلى نصر فقال: يا ابن عمّ ما سيَّرك عمر إلى خير[2]، قمْ فإنَّ وراءك أوسعُ لك. فنهض مستحيياً وعدل إلى منزل بعض السُّلَميين[3]، ووقَع لجنبه وضَنِي من حُبِّ شُميلة ودنِف حتّى صار رحمة[4]، وانتشر خبره فضربَ نساء البصرة به المثل فقلن: «أدنف من

(١) وكذا عند الميدانى. وفى الطبقات أنها كانت تسمى الخضراء.

(٢) فى الميدانى: «من خير».

(٣) فى النسختين: «المسلمين»، صوابه من الميدانى.

(٤) الميدانى: «حممة». والحممة: واحدة الحمم، وهو الفحم البارد.

المتمنَّى » . ثم إنَّ مجاشعاً وقف على خبر علّة نصر فدخل عليه عائداً ، فلحقته رِقَّة لِمـا رأى به من الدَّنَف فرجَع إلى بيته وقال لشُميلة : عزمتُ عليك لمـّا أخذتِ خُبزاً فلبَكتِه بسمن ثم بادرتِ به إلى نصر . فبادرتْ به إليه فلم يكن به نهوض ، فضمّته إلى صدرها وجعلت تُلْقِمه بيدها فعادت قواه وبرأ كأن لم تكن به قَلَبة[1] ، فقال بعض عُوّاده : قاتل الله الأعشى[2] حيث قال :

لو أسنَدَت ميْتاً إلى نحرها   عاشَ ولم يُنقَل إلى قابر !

فلما فارقته عاوده النُّكس ، ولم يزلْ يتردَّد فى علته حتىَّ مات منها . كذا قال حمزة وصاحب الأوائل .

وقال المدائنى : إن عمرَ لما أخرج نصراً من المدينة إلى البصرة قال نصر : يا أمير المؤمنين أعلِمْهم أنك إنما أخرجتنى لهذا الشعر لا لغيره . وروى عن قَتادة أن نصراً لما أتى البصرةَ دخل مجاشعُ بن مسعود عائداً له ، وعنده شُميلة بنت جُنادة بن أبى أُزَيهر[3] فجرى بينهما كلامٌ ولم يفهمْ منه مجاشعٌ إلاّ كلمةً واحدة من نصر : قال : وأنا . فلما خرج نصرٌ قال لها : ما قال لك ؟ قالت : قال لى : كم لبن ناقتكِم هذه فأخبرته ، قال : ما هذا جوابُ كلامه ! وأرسل إلى نصر فسأله وأعظم عليه ، فقال : قالت لى إنِّى أحبُّك حباً شديداً لو كان فوقَكَ لأظلّك ، ولو كان تحتكَ لأقلّك ، فقلتُ : وأنا . قال : فأنزِل لك عنها ؟ قال : أذكِّرُك اللهَ أن يبلغ هذا عُمَر مع مافعل بى ! وأمّا حديث العامة فيقولون : كتَبَتْ له فى الأرض هذا الكلام ، فقال : وأنا ، فسمعها مجاشع

(١) يقال ما بالعليل قلبة ، أى ما به شىء . لايستعمل الا فى النفى . اللسان (قلب) .

(٢) بعده فى الميدانى : « فكأنه شهد منهما النجوى حيث قال » .

(٣) ط : « أبى أزهر » .

فلما خرج أكبَّ قَعباً على الكتاب ودعا من قرأه له(١) . انتهى .

وأمّا الزّجاج فإنه قال بعد ما قرأ خطّهما : ثم التفت إليه فقال : ١١١
يا ابن أخى ، إنْ يكن الطلاق ثلاثاً فهى طالقٌ ألفاً ! فقال : وهى طالقٌ إنْ جمعنى وإياها بيتٌ أبداً ! ثم ارتحل إلى فارس . وقال فى امرأة مجاشع : كانت امرأته يقال لها خضراء بنى سليم ، وكانت من أجمل النساء ، وهى أوّل من لبس الشُّفوف .

وحكى السُّهيلى (فى الروض الأُنُف) هذه الحكايةَ على خلاف ما تقدّم قال : الحجاج بن عِلاط وهو والد نصر الذى حلق عمرُ رأسه ونفاه من المدينة ، فأتى الشامَ فنزل على أبى الأعور السُّلمىّ ، فهوِيَته امرأته وهوِيَها ، وفطن أبو الأعور لذلك بسببٍ يطول ذكره ، فابتنى له قُبَّة فى أقصى الحىّ فكان بها ، فاشتدّ ضَناه بالمرأة حتى مات كَلَفاً بها ، وسُمّى المضنَى ، وضُربت به الأمثال. وذكر الأصبهانى (فى كتاب الأمثال له) خبرَه بطوله . انتهى .

قال المدائنىُّ وصاحب الأوائل : وبعد أن أقام نصرٌ بالبصرة حولا كتب إلى عمر رضى الله عنه :

لعمرى لئن سَيّرتَني أو حرمتَنى ... وما نلتُ ذنباً إنّ ذا لحرامُ
ومالىَ ذنبٌ غير ظنٍّ ظننتَه ... وفى بعض تصديق الظنون أثامُ
أأن غنّتِ الحوراءُ ليلا بمُنيةٍ ... وبعضُ أمانىِّ النساء غَرام
ظننتَ بىَ الظنَّ الذى ليس بعده ... بقاءٌ ومالى فى النَّدىّ كلام
وأصبحتُ منفيًا على غير ريبة ... وقد كان لى بالمكّتين مقام
ويمنعنى مما تظنُّ تكرُّمى ... وآباءُ صدقٍ سالفون كرام

(١) ش : « على الكتابة ودعا من قراها له » .

ويمنعها مما تمنّت صلاتُها وطولُ قيامٍ ليلَها وصيامِ
فهاتان حالانا، فهل أنت راجعى وقد جُبَّ منى كاهلٌ وسنام

قال الجاحظ : ردّه عمر بعد هذه الأبيات لما وصف له من عفته .

وقال صاحب الأوائل : فلما وصلت الأبيات إلى عمر ونظر فيها كتب إلى أبى موسى الأشعرىّ وأمره بالوَصاة به إنْ أحبّ أنْ[1] يقيم بالبصرة ، وإن أحبّ الرجوع إلى المدينة فذاك اليه . قال : فاختار الفتى المقام بالبصرة ، فلم يزل مقيماً بها إلى أن خرج أبو موسى إلى محاربة أهل الأهواز ، فخرج معه نصر بن حجاج فى الجيش ، وحضر معه فتح تُستَر . انتهى .

وروى الزجاجى (فى أماليه) أن نصراً أرسلَ هذه الأبياتَ إلى عمر حين نفاه إلى البصرة ، فبعث إليه عمر : أن لا رَجْعة . فارتحل إلى البصرة فنزل على مجاشع إلى آخر الحكاية .

هذا ما اطّلعت عليه ، ولا يخفى ما فيه من الاختلاف من جميع الجهات حتى فى البيت الشاهد ، فالرواية المتقدمة هى رواية الجاحظ وحمزةَ الأصبهانى والسُّهيلى . وروى المدائنى :

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربَها أم من سبيلٍ إلى نَصر بن حَجّاجِ

وروى صاحب الأوائل :

هل من سبيل إلى خمر فاشربَها أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجّاج

(١) كلمة « أن » ساقطة من ط ، واثباتها من ش .

وهاتان الروايتان لا يناسبان تسمية المرأة بالمتمنّية ، وتسميه نصر بالمتمنَّى[١] . وروى الزجّاجى المصراع هكذا :

(أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج)

ورواه أبو على الفارسى (فى إيضاح الشعر) عن أبى عبيدة : ١١٢

(أوْلا سبيل إلى نصر بن حجاج)

على أنّ أو بمعنى الواو . قال : تمنّتهما جميعاً ، وجعله مثل أو فى قوله[٢] :

وكان سِيَّانِ ألا يُسرحوا غنماً أو يُسرحوه بها واغبّرت السُّوحُ[٣]

وأشربَها منصوب بأن مضمرة بعد الفاء فى جواب التمنى .

* * *

وأنشد بعده :

ألاَ رُجلاً جَزاه الله خيراً يدلُّ على محصِّلة تَبيتُ

على أن يونس قال : أصله ألا رجلَ ، فنوِّن للضرورة ، وألا عنده فيه للتمنى . وعند الخليل ليست للتمنّي وإنما هى للتحضيض ، ورجلا منصوبٌ بفعل محذوف تقديره : ألا تُرُونني رجلا ، بضم تاء تُرُونني .

وقد تقدم شرح هذا البيت مفصّلا فى الشاهد الثالث والستين بعد

---

(١) هذا عجب من البغدادى . فان التمنى واضح فى الشعر بأسلوب الاستفهام

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلى . ديوان الهذليين ١ : ١٠٧ . وسيأتى الشاهد فى ٢ . ٣٤٢ وهو الشاهد ٣٥٥ .

(٣) غنما : جعلها الشنقيطى فى نسخته : « نعما » .

المائة[١] . وفى هذا البيت تضمين [٢] لأن خبر تَبيت فى بيت بعده وهو :

تُرجِّـل لِمَّتي وتقُمّ بيتى وأُعطيها الإتَاوة إن رَضيتُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٣] :

٢٦٦ (وَيلْمُهَا فى هَوَاءِ الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذى فى الأرضِ مَطْلُوبُ)

على أنَّ قوله مطلوبُ ، عطف بيان لاسم لا المضاف : فإن الـكاف اسمٌ مضاف لاسم الإشارة فى محل نصب بلا على أنه اسمها ؛ وقد تبعه البيان بالرفع باعتبار أنّ لامع اسمها فى محلّ رفع على الابتداء والخبر محذوف أى موجود ونحوه . ويجوز أن يكون مطلوب صفة اسم لا ، ولا يضرّ إضافة الـكاف إلى اسم الإشارة ، فإنها بمعنى مثل ، وهى لاتتعرَّف بالإضافة إلى المعرفة . هذا محصَّل ما قاله الشارح المحقق .

وفيه أنّهم قالوا : إن البيان يكون فى الجوامد ، والصفةُ تـكون فى المشتقّات ، فـكيف لايكون فرق بين البيان والوصف .

وقد أورد سيبويه هذا البيت من باب الوصف لا غير . قال الأعلم : الشاهد فيه رفع مطلوب حملا على موضع الـكاف ، لأنها فى تأويل مثل

(١) الخزانة ٣ : ٥١ .

(٢) وخرجه بعضهم على أن « تبيت » مضارع أبات ، أى تجعل لى بيتا أى زوجة . وعلى هذا التأويل ينتفى التضمين ، وهو توقف البيت على بيت آخر .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٥٣/٢ : ١٧٢ . وانظر العمدة ١ : ٦٠ وديوان امرىء القيس ٢٢٧ .

وموضعها موضع رفع ، وهو بمنزلة لا كزيد رجل . ولو نُصب حملاً على اللفظ أو على التمييز لجاز . انتهى

ونقل ابن السرّاج فى الأصول عن سيبويه أنّ اسم لا فى مثل هذا محذوف والكاف حرف ، وهذا كلامه : وتقول لا كزيدٍ رجلٌ ؛ لأنّ الآخِر هو الأوّل ولأنّ زيداً رجل ، وصار لا كزيد كأنك قلت : لا أحدٌ كزيد ثم قلت رجل ، كما تقول لا مال له قليل ولا كثير على الموضع . وقال امرؤ القيس :

ويلمّها فى هواء الجو طالبة . . . . : . . . . البيت

كأنه قال : ولا شيء كهذا ، ورفع على الموضع ، وإن شئت نصبت على التفسير كأنه قال : لا أحد كزيد رجلا . قال سيبويه : ونظير لا كزيد فى حذفهم الاسم قولهم : لا عليك ، وإنما يريدون لا بأس عليك ولا شيء عليك ، ولكنه حُذف لكثرة استعمالهم إياه . انتهى

واعلم أنه يجوز أن يكون مطلوب مبتدأ مؤخرا واسم لا بمعنى ليس والظرف قبله الخبر . قال النحاس : فى شرح أبيات الكتاب ناقلاً عن أبى الحسن الأخفش : هذا هو الجيد .

وقوله : (ويلمّها) . الخ ، هذا فى صورة الدعاء على الشيء ، والمرادُ به التعجب ، والضمير المؤنث مفسّر بالتمييز ، أعنى طالبةً المراد بها العقاب ، وهو تمييز عن النسبة الحاصلة بالإضافة ، وقد أوضحها الشارح المحقق فى باب التمييز . ١١٣
ومعنى الكلام : ما أشدّ طيرانَ هذه العقاب فى هواء الجوّ . وويل إذا أضيفت فالوجه النصب ، كقولك ويلَ زيد ، لكنها هنا مضمومة اللام أو مكسورة والأصل ويلُ لأمّها . قد تقدّم شرح جميع هذا مفصّلاً فى الشاهد الثامن والتاسع

بعد المائتين[١] .

وهذه رواية النحاة ، وأما الثابت فى ديوان امرئ القيس فهو :

لا كالتى فى هواء الجوّ طالبة (البيت)

و (الهواء) : الشىء الخالى ، و (الجوّ) : ما بين السماء والأرض ،فهو من قبيل إضافة الصفة إلى موصوفها . وأراد بالمطلوب الذئب ، فإنه وصف عقاباً تبعت ذئباً لتصيدَه ، فتعجَّب منها فى شدّة طلبها ، وتعجَّب من الذئب أيضاً فى سرعته وشدة هَربه منها .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لامرئ القيس وهى[٢] :

أبيات الشاهد

(الخيرُ ما طلعت شمسٌ وما غَرَبت ، مُطلَّبٌ بنواصى الخيل معصوبُ
قد أشهدُ الغارةَ الشعواءَ تحملنى جَرْداءُ معروقةُ اللَّحيَيْن سُرحُوبُ[٣]
كأنها ، حينَ فاض الماءُ واختلفت ، صقعاءُ لاح لها بالسَّرحة الذيب
فأبصرَت شخصَه من دون مَرْقَبةٍ ودونَ موقِعها منه شنَاخيب
فأقبلت نحوَه فى الريح كاسرةً يحثُّها من هواء الجوّ تصويب
صَبَّت عليه ولم تنصبَّ من أمَمٍ إنَّ الشقَاءَ على الأشقَيْنَ مصبوب
كالدَّلو بُتَّتْ عُراها وهى مُثقَلَة إذْ خانَها وَذَمٌ منها وتكريب
لا كالتى فى هواءِ الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوب

---

(١) صوابه الحادى عشر والثانى عشر بعد المائتين . الخزانة ٣ : ٢٧٣ - ٢٨٤

(٢) نسبه الأعلم فى شرح شواهد الجزء الثانى من الكتاب الى النعمان ابن بشير ، بعد ما نسبه فى الجزء الأول منه الى امرىء القيس . وفى ديوان امرىء القيس ٢٢٥ أن القصيدة يقال انها لابراهيم بن بشير الأنصارى .

(٣) هذا البيت من شواهد العروض . وصحح ابن يسعون أنه لعمران بن ابراهيم الأنصارى . السيوطى ١٦٩ . وفى الارشاد الشافى للدمنهورى أنه عمر بن ابراهيم الأنصارى .

كالبرق والريح مَرًّ منهما عَجَبٌ ما في اجتهاد عن الإسراح تغبيب
فأدركتْه فنالتــه مخالبُهــا فانسلَّ من تحتها والدَّفُّ مثقوبُ)

وقوله : الخير ما طلعت الخ ، الخير مبتدأ ومُطَّلب خبره ، ووزنه مفتعل من الطلب فأبدل وأدغم : وما مصدرية ظرفية . ومعصوب خبر بعد خبر بمعنى مشدود ، والباء متعلقة بما قبلها أو بما بعدها ويضمر لأحدها ، فهو من التجاذُب كقوله تعالى : ﴿ لا تَثْرِيبَ عليكُمُ اليومَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ[1] ﴾ . وهذا يشبه الحديث وهو : « الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

وقوله : قد أشهد الغارة الخ ، قد هنا للتكثير ، وأشهد : أحضُر . والشَّعواء ، بالعين المهملة : المتفرقة الفاشية . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . ومعروقة اللحيين ، أي قليلة لحم الَّلحيين بفتح اللام ، وهما العظمان اللذان ينبُت عليهما الأسنان . والسرحوب ، بضم المهملتين : الطويلة الظهر السريعة . وهذان الوصفان مدحٌ في الخيل .

وقوله : كأنَّها حين فاض ، الضمير للفرس ، أي كأنّها حين عرقت فأمتلأ عرقُها . واختلفت ، أي استقت ماء ، يريد كأنها استقت ماء من شدّة عرقها ، أو معناه تردّدت هنا وهنا ، فإنّ الاختلاف يأتي بمعنى التردُّد . وصقعاء خبر كأنها ، وهي العقاب بيضاء الرأس ، قال في الصحاح : والأصقع من الخيل والطير وغيرهما : الذي في وسط رأسه بياض ، يقال عُقابٌ صقعاء ، والاسم الصُّقعة انتهى . ولاح : ظهر . والسَّرحة : شجرة . وقيل موضع ، يقول : كانت العقاب واقفة تبصر صيداً ، فلاح لها الذئب . ١١٤

وقوله : فأبصرت شخصَه الخ ، المَرقَبَة بالفتح : الموضع العالى الذى

---

(١) الآية ٩٢ من يوسف .

يُرقَب فيه العدّو . وموقع[1] العقاب الموضع الذى هى واقفة عليه . والشَّناخيب : رءوس الجبال . أى بين موقعها من الذئب وبينه رءوسُ جبال عالية .

وقوله : فأقبلت نحوه الخ، أى نحو الذئب . وكسْر الطائرُ : إذا صفّ جناحيه . والتصويب : الانصباب .

وقوله : صبّت عليه الخ ، الأَمَم ، بفتحتين : القُرب ، يقال أخذتُ ذلك من أمَم . والأشقَينَ : جمع أشقى . وهذا المصراع من إرسال المثل .

وقوله : كالدلو بُتّت عراها الخ، شبّه هُوِىَّ العقاب بسرعةِ هُوِىَّ الدلو الملأى إذا انقطع حَبْلها . وبُتَّت : قُطعت ، من البتّ . والعُرا : جمع عُرْوة . والوَذَم ، بفتح الواو والذال المعجمة : السيور التى بين آذان الدلو وأطراف العَرَاقىّ ، وهى العيدان المصلَّبة تشدّ من أسفل الدلو إلى قدر ذراع أو ذراعين من حبل الدلو مما يلى الدلو ، فإن انقطع حبلها تعلّقت بالوذَم . والتكريب : شدّ الكَرَب ، بفتحتين ، وهو الحبل الذى يشدّ فى وسط العَرَاقى ، ثم يُثَنَّى ثم يثلَّث ليكون هو الذى يلى الماء فلا يَعفَن الحبل الكبير .

وقوله : (لا كالتى فى هواءِ الجوّ طالبة الخ) قال ابن رشيق (فى العمدة) : هذا البيت عند دعبل أشعر بيت قالته العرب ، وبه قدَّمه على الشعراء .

وقوله : كالبرق والريح الخ ، يقول : إنّ العقاب والذئب مرُّهما وسرعتُهما كالبرق والريح . والتغبيب : الفتور والتقصير ، يقال غبَّب فلان فى الحاجة ، إذا لم يبالغ فيها ، وهو من الغَبّ بالغين المعجمة بعدها موحدة .

وقوله : فأدركته فنالته الخ ، انسلّ أى انفلت ، والدَّفّ ، بفتح الدال

(١) ط : « وموضع » ، صوابه فى ش .

وتشديد الفاء : الجنب ، يعنى أفلت الذئبُ من العقاب ونجا ، لكن ثقبت جنبهَ .

وترجمة امرئ القيس قد تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٢] :

٢٦٧ (لا كالعَشِيَّةِ زائراً ومَزُورا)

على أن (زائراً) قيل منصوب على تقدير فعل ، أى لا أرى كعشية اليوم زائراً . وإنما لم يجعل الكاف اسماً للا مضافا إلى العشية ويكون زائراً عطفَ بيان للكاف تَبِعَهُ على اللفظ أو صفةً على طِرْز البيت الذى قبله ، لأنّ الزائر غير العشية ، فلما كان الثانى غير الأوّل لعدم صحة الحمل جعلت لا نافية للفعل المقدّر دون كونها نافية للجنس .

وصاحب هذا القيل هو سيبويه ، وهذا نصُّه : وأما قول جرير :

* لا كالعشيّة زائراً ومَزورا *

فلا يكون إلاّ نصباً ، من قِبَل[٣] أنّ العشية ليست بالزائر ، وإنّما أراد لا أرى كالعشية زائرا ، كما تقول ما رأيت كاليوم رجلا ، فكاليوم مثل قولك فى اليوم لأن الكاف ليست باسم . وفيه معنى التعجب كما قال تالله رجلا ،

---

(١) الخزانة ١ : ٣٣٠ .

(٢) سيبويه ١ : ٣٥٣ . وانظر مجالس ثعلب ٣٢١ وابن يعيش ٢ : ١٤٤ وديوان جرير ٢٩٠ .

(٣) فى النسختين : « من قبيل » ، صوابه من سيبويه .

وسبحان الله رجلا ، إنّما أراد تالله مارأيت رجلا وسبحان الله مارأيت رجلا ؛ ولكنّه يترك إظهار الفعل استغناء ، لأنّ المخاطَب يعلم أن هذا الموضع إنما يضمر فيه هذا الفعلُ لكثرة استعمالهم إياه . انتهى

قال الأعلم : أصله لا أرى زائراً ومزوراً كزائر العشية ومزُورها ، فحذف اختصاراً للعلم ، كما قالوا : ما رأيت كاليوم رجلا أى كرجل أراه اليوم .
١١٥ ولا تجيزنّ(١) فى هذا رفع الزائر ، لأنّه غير العشية ، وليس بمنزلة لا كزيد برجل ، لأنّ زيداً من الرجال . انتهى

وقد نقل أبو العباس ثعلب (فى أماليه) قاعدةً لحذف الفعل مع الظرف الزمانى ، قال : حكى الكسائىّ نزلنا المنزلَ الذى البارحةَ ، والمنزل الذى آنفا ، والمنزل الذى أمس . فيقولون فى كلّ وقت شاهدوه من قرب ، ويحذفون الفعلَ وحده كأنّهم يقولون : نزلنا المنزل الذى نزلنا أمس ، والذى نزلناه اليوم ؛ اكتفوا بالوقت من الفعل ، إذْ(٢) كان الوقت يدلّ على الفعل وهو قريب . ولا يقولون الذى يومَ الخميس ، ولا الذى يومَ الجمعة . وكذا يقولون : لا كاليوم رجلا ، ولا كالعشيّة رجلا ، ولا كالسّاعة رجلا ، فيحذفون مع الأوقات التى هم فيها . وأباه الفرّاء مع العَلَم . وهو جائز وأنشد :

* لا كالعشيّة زائراً ومَزُورا(٣) *

وكلّ ما كان فيه الوقت فجائز أن يكون يحذف الفعل معه ، لأن الوقت القريب يدلّ على فعلٍ لقربه . انتهى

---

(١) الذى فى الأعلم : « ولا يحسن » .

(٢) فى النسختين : « اذا » صوابه من مجالس ثعلب .

(٣) بعده فى المجالس : « لأنى أقول لقيتك العام ولا أقول لقيتك السنة » .

وقد قدَّر أبو عليّ الفارسيّ (فى المسائل المنثورة) فعلين، قال: نصب زائراً لأنَّ الفعل مقدّر، فكأنّ تقديره: لا أرى زائراً ومزُوراً له كرجل أراه العشيّة. فنصبه على الفعل وحذف ذلك لما فى الكلام من الدّلالة عليه. ويجوز الرفع ههنا، وهو قبيح لأنَّ الزائر ليس هو العشيّة، ويجوز رفعه كأنّك أردت كصاحب العشيّة، فحذفت صاحباً وجعلت العشية إذا رفعتها دلالة على ما حذفت.

هذا وقد اعترض عليهم الشارح المحقِّق فى إخراجهم لا هذه عن الباب مع قولهم إنَّ الأصل كزائرِ العشية بتقدير المضاف، قال: مع تقديرهم هذا صار الآخرهو [الأصل[1]] الأوّل، كما فى قولك: لا كالعشيّة عشيةٌ، [وعَشيّةٌ[2]]، فيجوز أن يكون زائراً تابعاً على اللفظ. وهذا حقٌ لا ينبغى العدول عنه. وأل فى العشيّة للعهد الحضوريّ، كقوله تعالى: ﴿اليومَ أكمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ[3]﴾.

و (العشيّة) قال ابن الأنباريّ: مؤنّثة، وربّما ذكّرتها العرب على معنى العشيّ. وقال بعضهم: العشيّة واحدة جَمْعُها[4] عشيّ؛ والعشيّ قيل: ما بين الزوال إلى الغروب، ومنه يقال للظهر والعصر صلاتا العشيّ؛ وقيل هو آخر النهار[5]؛ وقيل من الزّوال إلى الصباح؛ وقيل العشيُّ والعشاء من صلاة المغرب إلى العَتَمة. كذا فى المصباح. وأراد بالزائر نفسه، وبالمزور من يهواه.

(١) التكملة من شرح الرضى ١ : ٢٤٣ .
(٢) التكملة من شرح الرضى .
(٣) الآية ٣ من سورة المائدة .
(٤) ط : « جمعهما »، صوابه فى ش .
(٥) ط : « الليل »، صوابه فى ش .

وهذا المصراع عجز وصدره :

(يا صاحبيَّ دنا الصباحُ فسِيرًا[١])

صاحب الشاهد — والبيتُ من قصيدةٍ لجرير بن الخطَفى يهجو بها الأخطل النصرانىّ مطلعها :

(صَرَمَ الخليطُ تبايُنا وبُكوراً وحسِبتَ بينَهمُ عليك يسيرا)

وفيها بيتان من شواهد الكشّاف (أحدهما) فى سورة مريم وهو :

(إنّى إذا مضرٌ علىَّ تحدَّبتْ لاقيتَ مطَّلَع الجبال وُعورا[٢])

على أن اطّلع فى قوله تعالى : ﴿ اطّلَعَ الغَيْبَ[٣] ﴾ بمعنى ارتقى ، من قولهم اطّلع الجبل . ومُطَّلَع الجَبَل مَصعده ومُرتقاه . ووعور : جمع وعر وهو المكان الخشن الصعب ، ونصبه إما على أنه مفعول لاقيتَ ومطّلع الجبال ظرف ، وإما حال من الجبال على أن المطّلع مصدر ، أو حال من المطّلع بتقدير تعدّده لإضافته إلى متعدد . ورُوى (وَعُورا) بفتح الواو : بمعنى أنه من الفخر بمكان لا يُنال . و (الثانى) فى الملائكة وهو :

١١٦ (مَشقَ الهواجرُ فى القِلاص مع السُّرى حتّى ذَهبن كلاكلاً وصُدورا)

أورده عند قوله تعالى ﴿ فَلاتَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ[٤] ﴾ . والرواية المعروفة :

---

(١) اشترك معه الراعى فى هذا الصدر فقال (الأغانى ٧ : ٤٢) :
يا صاحبى دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق فى الهجاء جريرا

(٢) تحدبت عليه : تعطفت وحنت حنوا عليه . ووقعت فى طبعة السلفية « تحدثت » خطأ .

(٣) الآية ٧٨ من سورة مريم .

(٤) الآية ٨ من سورة فاطر .

مَشَقَ الهواجرُ لحمهن منَ السُّرى حتّى ذهبن الخ

وكذا أنشده سيبويه ، قال الأعلم : الشاهد فى نصب كلا كِلاً بقوله ذهبن نصْبَ التميز ، لا نصبَ التشبيه بالظرف . وعبر [سيبويه[١]] عما أراد من نصب هذا ونحوه على التميز ، بذكره الحال ، لما بين التميز والحال من المناسبة بوقوعهما نكرتين بعد تمام الكلام ، وتبيينهما للشيء المقصود من النوع ، تقول ذهب زيد ظَهْراً وصَدْراً ، وتغيّر وجهاً وجسما ؛ تريد ذهب ظهره وصدره ، وتغيّر وجهه وجسمه . فعبّر سيبويه عن التميز بالحال . وعلى هذا يُجرَى سائرُ الأبيات . انتهى

والمشق : الترقيق والإهزال . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى نِصف النهار وقتَ اشتداد الحرّ . والسُّرى : سير الليل . ومن فى الرواية الثانية بمعنى مع . والكلاكل : جمع كلكل كجعفر ، وهو الصَّدر ، وعطف عليه الصدور للتفسير ، أو أنّه أراد بالكلاكل أعلى الصدر . وصف رواحلَ أنضاها دُءوب السير فى الهواجر والليل حتّي ذهب لحوم صدرها .

وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع فى أول الكتاب[٢].

* * *

وأنشد بعده : (ياتيم تيم عدِيٍّ)

وهو قطعةٌ من بيت هو :

ياتَيم تيم عَدىٍّ لا أبالكُمُ لا يُلْقِيَنَّكُمُ فى سَوْءةٍ عُمَرُ

---

(١) التكملة من الأعلم ١ : ٨١ .

(٢) الخزانة ١ : ٧٥ .

وقد تقدَّم شرحه مفصّلا فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد المائة[١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد المائتين[٢] :

٢٦٨ (وقد ماتَ شمّاخٌ وماتَ مُزرِّدٌ   وأىُّ كَرِيمٍ لا أباكَ مُخَلَّدُ)

على أن إضافة أبا إلى الضمير بدون اللام شاذّة لا يقاس عليها . قال ابن السرّاج (فى الأصول) : والشاعر قد يُضطرّ فيحذف اللام ويضيف ، قال الشاعر[٣] :

أبالموتِ الذى لابدّ أنى   مُلاقٍ لا أباكِ تخوّفينى

وقال الآخر :

وقد مات شمّاخٌ ومات مزردٌ   وأىُّ كريمٍ لا أباكَ مُخَلَّدُ

وكذا أنشدها المبرد (فى الكامل[٤]) .

قال أبو على (فى التذكرة) قال أبو عثمان : لم يجىء فى باب النفى مثل لا أباك مضافا بغير لام إلاّ هذا وحده . وأنشد البيتين .

ولا يخفى أن هذا البيت من قصيدةٍ عينيّة لمسكين الدارمى ، وليس فيها الضرورة . والمصراع هكذا :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٩٨ .

(٢) شذور الذهب ٤١٣ والهمع ٢ : ٩٥ وديوان حسان ١٥٠ من قصيدة مكسورة الروى مطلعها :

لقد لعن الرحمن جمعا يقودهم   دعى بنى شجع لحرب محمد

(٣) هو أبو حية النميرى ، كما سيأتى .

(٤) الكامل ٣١٣ ، ٥٦٣ برواية « يخلد » .

* وأيّ كريم لا أبا لكَ يُمنَع *

وهي قصيدة أورد فيها شعراء كلٌّ منهم نَسب قبره إلى بلده ومسقط رأسه وذكر حالَ الشعراء المتقدِّمين وأنّهم ذهبوا ولم يبق منهم أحدٌ ، يصغّر أمر الدنيا ويحقّره . وهذه أبيات منها :

ولست بأحيا من رجالٍ رأيتهم ... لكلِّ امرئ يوما حِمَامٌ ومَصرعُ
دعا ضابئاً داعى المنايا فجاءه ... ولما دعوا باسم ابن دارة أسمعوا[(١)] ١١٧
وحِصنٌ بصحراء الثَّوِيّة بيتُه ... ألاَ إنّما الدنيا متاعٌ يُمتَّعُ[(٢)]
وأوسُ بن مَغْراء القُرَيعىُّ قد ثوى ... له فوق أبيات الرِّياحىِّ مَضجعُ[(٣)]
ونابغةُ الجعدِىُّ بالرَّمل بيتُه ... عليه صفيحٌ من رُخام مُوَضَّعُ[(٤)]
وما رَجَعت من حِميرىٍّ عصابةٌ ... إلى ابن وَثيل نفسَه حين تُنزَعُ
أرى ابن جُعيل بالجزيرة بيتَهُ ... وقد ترك الدُّنيا وما كان يَجمع
بنجرانَ أوصالُ النَّجاشىِّ أصبحت ... تلوذ به طيرٌ عُكوفٌ ووُقَّعُ
وقد مات شمَّاخ ومات مزرّدٌ ... وأىُّ عزيزٍ لا أبا لكَ يُمنَعُ
أولئك قومٌ قد مضوا لسبيلهم ... كما مات لُقمانُ بن عادٍ وتُبّعُ

قوله : ونابغة الجعدىّ الخ، هذا البيت من شواهد سيبويه ، وأراد بالرمل رمل بنى جَعْدة ، وهى رمالٌ وراء الفَلْج من طريق البصرة إلى مكة . وابن

---

(١) فى النسختين : « ضانيا » وصححها الشنقيطى فى نسخته « ضابئا » . وهو ضابئ بن الحارث البرجمى الذى هم بقتل عثمان . وابن دارة هو سالم بن دارة ، وقد سبقت ترجمته فى ٢ : ١٤٤ .

(٢) هو حصن بن حذيفة بن بدر .

(٣) الرياحى ، هو سحيم بن وثيل ، من شعراء الأصمعيات .

(٤) ط : « مرصع » ، صوابه فى ش وسيبويه ٢ : ٣٤ واللسان (نبغ) .

وَثيل هو سُحيم بن وَثيل بن حِميرىّ . وكعب بن جُعيل دفن بجزيرة ابن عُمر لأنّها بلاد بنى تغلب ، ودفن النجاشى بنجرانَ لأنه من اليمن بلاد بنى الحارث ابن كعب .

وقوله : وقد مات شمّاخ ومات مزرِّد ، هما أخوان لأبٍ وأمّ ، وصحابيان، وشاعران .

وقد تقدَّمت ترجمة الشمَّاخ فى الشاهد التسعين بعد المائة [١] ، واسمه مَعقِل بن ضرار ، والمزرِّد اسمه يزيد بن ضِرَار ، وإنَّما سمى مزرِّداً بقوله [٢] :

فقلت تزرَّدْها عُبيد فإننى لدُرْدِ الموالى فى السنين مزرِّدُ [٣]

ولهما أخ آخر شقيقهما وهو جَزْء بن ضِرار ، بفتح الجيم وسكون الزاى بعدها همزة . ومات الشمّاخ وجَزْءٌ متهاجِرَين .

وسبب ذلك على ماروى الكلبىّ أنَّ الشمَّاخ كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها كلبَةَ بنت جَوَّال ، وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر ، فخطبها فأجابته وهمَّت أن تتزوّجه ، ثم خرج إلى سفرٍ له فتزوَّجها أخوه جَزء ، فآلى الشمّاخ أن لايكلّمُه أبداً ، وهجاه بقصيدته التى يقول فيها :

---

(١) كذا ، وصوابه الحادى والتسعين بعد المائة . الخزانة ٣ : ١٩٦ .

(٢) فى نوادر المخطوطات ٢ : ٣٠٩ : « وهو يزيد ، وانما زوده قول الحادرة له » . وانشد البيت التالى .

(٣) فى النسختين : « لزرد » وصححها الشنقيطى بما أثبت . انظر الاشتقاق ١٧٤ والمؤتلف ١٩٠ وشرح الأنبارى للمفضليات ١٢٧ . وفى الشعراء فى ٢٧٤ : « لدرد الشيوخ » . والدرد : جمع أدرد ، وهو الذى ليس فى فمه سن .

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نظرةٍ سقيمُ فؤادٍ حبُّ كَلْبَةَ شاغلُه

فماتا متهاجرين .

وقوله : لا أبا لك ، جملة اعتراضية بين أىٍّ عزيز وهو موصوف وبين يُمنَع وهو صفة لأىّ . وكذلك يخلَّد ومخلَّد على تلك الرواية . قال المبرد (فى الكامل) : لا أبا لك هى كلمة فيها جفاء وغِلظة ، والعرب تستعملها عند الحثّ على أخذ الحقّ والإغراء ، وربَّما استعملتها الجفاةُ من الأعراب[1] عند المسألة والطلب فيقول القائل للأمير والخليفة : انظر فى أمر رعيّتك لا أبا لك .

وسمع سليمانُ بن عبد الملك رجلاً من الأعراب فى سنة مجدبة يقول :

ربَّ العبادِ مالنا وما لكا قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا

أنزلْ علينا الغيثَ لا أبا لكا

فأخرجه سليمانُ أحسنَ مُخرج فقال : أشهد أنَّه لا أبا له ولا ولد ولا صاحبة، وهو الأحد الصمد .

وقال رجلٌ من بنى عامر بن صعصعة أبْعَدَ من هذه الكلمة لبعض قومه :

118 أبنى عُقيل لا أبا لأبيكم أبِّى وأىُّ بنى كلاب أكرمُ اه

وقال ابن هشام (فى شرح بانَتْ سعاد) عند قوله :

فقلتُ خلُّوا سَبيلى لا أبا لَكُمُ فكلُّ ماقدَّر الرحمنُ مفعولُ :

اعلم أن قولهم : لا أبا له ، كلامٌ يستعمل كناية عن المدح والذمّ ، ووجه

(١) ط : « استعمتنيا من الجفاة الأعراب » . وفى ش : « استعمتنها من الجفاء الاعراب » ، صوابه من الكامل .

الأوَّلِ أن يراد نفى نظير الممدوح بنفى أبيه ، ووجه الثانى أن يراد أنه مجهول النسب . والمعنيان مُحتملان هنا ؛ أمَّا الثانى فواضح لأنَّهم لما لم يُغنُوا عنه شيئا أمَرهم بتخلية سبيله ذامًّا لهم ؛ وأمَّا الأوّل فعلى وجه الاستهزاء . انتهى .

وزاد عليه شارحها البغدادى قال : تقول العرب لا أبا لك ولا أبَ لك ، يستعمل فى التفجُّع والتعجّب ، ويقال فى المدح والذم ؛ وربَّما قالوا لا أباك وهو نادر . وأمَّا لا أمَّ لك فلا يقال إلاَّ فى الذمّ وحده ، دلَّ على ذلك استقراء كلام العرب

وقال ابن جنِّي (فى الخصائص[1]) : إن قلتَ إنَّ الألف فى لا أبا لك تُؤذِن بالإضافة والتعريف ، واللام تؤذن بالفصل والتنكير ، فقد جمعت على الشىء الواحد فى الوقت الواحد معنيين ضدَّين[2] قلتُ : الفرق واضح ؛ فإنّه كلام جرى مجرى المثل ، فإنَّك لا تنفى فى الحقيقة أباه وإنما تخرجه مُخرَج الدعاء عليه ، أى أنت عندى ممن يستحق أن يُدْعَى عليه بفقد أبيه . كذا فسره أبو على ، وكذلك هو لمتأمِّلِه ؛ ألا ترى أنه قد أنشد توكيداً لما رآه من هذا المعنى فيه قولَه :

* وتترك أخرى فردةً لا أخا لها *

ولم يقل لا أخت لها ؛ ولكنْ لمَّا جرى هذا الكلام على أفواههم لا أبا لك ولا أخا لك ، قيل مع المؤنَّث على حدِّ ما يكون عليه مع المذكَّر ،

---

(١) الخصائص ١ : ٣٤٣ .

(٢) بعده فى الخصائص : « وهما التعريف والتنكير . وهذان كما ترى متدافعان » .

فجرى نحواً من قولهم لكلّ أحدٍ : مِنْ ذكَر وأنثى ، واثنين واثنتين وجماعة : الصَّيفَ ضيَّعْتِ اللبن — على التأنيث ، لأنَّه كذا جرى أوّله [١]

وأما قوله :

أبالموت الذى لابدَّ أنّى ملاقٍ لا أباكِ تخوِّفينى

فقد قال شارح أبى علىٍّ الفارسى [٢]: هو لأبى حية النُّميرى قاله أبو عمرو ، قال : جلبه أبو علىّ شاهداً على حذف هذه اللام ضرورة ، فثبوت الألف فى أبا دليلُ الإضافة والتعريفِ ، ووجود اللام دليل الفصل والتنكير . حذف لامَ الجرّوهو يريدها ؛ ولولا أنّها فى حكم الثابت فى اللفظ لما عملت لا ، لأنّها لا تعمل إلاّ فى نكرة . فأما دلالة الألف فيه وحذفِ النون من نحو لا يدَىْ بها لَكَ على إرادة الإضافة ، فلأنّ وجود العمل مانعٌ فيها من اللفظ ، فضعف اقتضاء المعنى مع وجود المانع اللفظى . فإنَّ هذا مثلٌ لم يُقْصَد به نفى الأب وإنّما قُصِدَ به الذمّ . وكذلك لا يدى لك ، إنّما المراد لا طاقة لك بها . وهو قياس من النحويين على قولهم لا أبا لك . وفى الكتاب : لا أبا فاعلم لك ؛ وفيه دليل على أنّه ليس بمضاف . ويجوز أن تكون الألف لام الكلمة كما قال :

* إنّ أباها وأبا أباها *

فأمّا قوله تخوّفينى ، فإنَّه أراد تخوِّفينَنى فحذف إحدى النونين : فقيل حذف الأولى كما حُذف الاعراب ، فى قول امرئ القيس :

---

(١) الى هنا ينتهى كلام الخصائص بدون تنبيه من البغدادى . وسيستأنف النص بعد قليل .

(٢) الميمنى : « الظاهر شرح شواهد ايضاح ابى على الفارسى . وشراحها عدة تراهم فى اقليد الخزانة » .

* فاليوم أشربْ غيرَ مستحقِب[١] *

وقال المبرِّد : حذف الثانية ، وهو أولى لأنَّها إنما زيدت مع الياء لِتَقِيَ الفعل من الكسرة ، والأولى علامة الرفع . انتهى كلامه[٢] .

١١٩ وإذا كان الأمر كذلك علم أنَّ قولهم لا أبالك إنما فيه تعادِي ظاهرِه ، واجتماعُ صورتى الفصل والوصل والتعريف والتنكير لفظاً لا معنى . . . . ونحن إنّما عقدنا فساد الأمر وصلاحَه على المعنى كأن يكون الشيء الواحد في الوقت الواحد قليلاً كثيرا . هذا ما لا يدّعيه مدّع .

ويؤكّد عندك خروجه مَخرج المثل كثرته فى الشعر ، وأنّه يقال لمن له أب ولمن ليس له أب . وهو دعاء فى المعنى لا محالة ، وإن كان فى اللفظ خبراً ؛ ولو[٣] كان دعاء مصرّحا وأمراً مَعْنيًّا لما جاز أن يقال لمن لا أب له ؛ لأنه إذا كان لا أب له لم يجز أن يدْعى عليه بما هو فيه لا محالة ؛ فيُعلَم أنه لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظِهِ ، وإنّما هى خارجة مخرج المثل ، قال عنترة :

فاقْنَيْ حيَاءكِ لا أبالك واعلمى أنى امرؤ سأموتُ إن لم أُقتَلِ

---

(١) عجزه كما فى ديوان امرىء القيس ١٢٢ :
* اثما من الله ولا واغل *

(٢) بعده فى ش : « واثنى واثنين وجماعة ضيعت اللبن على التأنيث لأنه كذا جرى أوله » ، وصواب « واثنى » و « أنثى » ، وهو تكرار لما سبق فى نهاية النص السابق المقتبس من الخصائص . والنص التالى ، هو تكملة من البغدادى للاقتباس السالف من الخصائص ، وموضعه فيها ص ٣٤٣ .

(٣) كلمة « ولو » ساقطة من ش ثابتة فى ط والخصائص ١ : ٣٤٤ .

وقال :

أَلْقِ الصحيفةَ لا أبا لك انَّه يُخْشَى عليك من الحِباءِ النقرسُ[١]

وقال .

أَبالموت الذى لابُدّ أنى مُلاقٍ لا أباكِ تخوِّفينى

أراد : لا أبا لك فحذف اللام . وقال جرير :

* ياتيم تيم عدىٍّ لا أبا لكم[٢] *

وهذا أقوى دليل على كونه مثلاً لا حقيقة . ألا ترى أنه لايجوز أن يكون لتيم كلِّها أبٌ واحد ، ولكن معناه كلُّكم أهلٌ للدعاء عليه والإغلاظِ له .

وقال الحطيئة :

أَقِلُّوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أوسُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا

فإن قلت : فقد أثبتَ الحطيئة فى هذا البيت ما نفيتَه فى البيت قبله ، فجعل للجماعة أبا واحداً ، وأنت قلتَ إنه لا يكون لجماعةِ تيم أبٌ واحد . قيل : الجواب عنه من وجهين : أحدهما أنه مثلٌ لا يريد حقيقة الأب ، وإنّما غرضه الدعاء مُرسَلا ، ففحَّش بذكر الأب . والآخر : يجوز أن يريد بأبيكم الجمع ، أى لا أبا لآبائكم ، يريد الدعاء على آبائهم من حيث ذكرها ، فجاء به جمعا مصححاً على قولك أب وأبون ، قال :

---

(١) البيت للمتلمس ، كما فى ديوانه المخطوط ٨ واللسان (نقرس) .

(٢) عجزه ، كما فى الخصائص وديوان جرير ٢٨٥ . وما سبق فى ٢ : ٢٩٨ :

* لا يلقينكم فى سوءة عمر *

فلما تبيَّنَّ أصواتَنا بكَين وفدَّيننا بالأبينا(١)

انتهى كلامه باختصار .

* * *

وأنشد بعده :

* يا بُؤسَ للجَهْل ضَرَّاراً لأقْوامِ *

هذا عجز وصدره :

(قالتْ بنو عامر خالُوا بَنى أسدٍ)

وقد تقدَّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد الرابع بعد المائة(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س(٣) :

٢٦٩ (كأنَّ أصواتَ ، مِنْ إيغالِهنَّ بنا ،

أواخِرِ المَيْس إنقاضُ الفَراريجِ)

على أنّه قد فصل ، لضرورة الشعر ، بالظرف بين المتضايفين . والأصل : كأنَّ أصواتَ أواخِر المَيْس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج .

---

(١) البيت لزياد بن واصل . كما سيأتى فى الكلام على الشاهد ٣٢٨ ، وهو من شواهد سيبويه ٢ : ١٠١ .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٠ .

(٣) فى كتابه ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٠٤ والانصاف ٤٣٣ وابن يعيش ١ : ٢/٣٠١ : ٣/١٠٨ : ٤/٧٧ : ١٧٢ وديوان ذى الرمة ٧٦٦ .

فى الأصول لابن السرّاج : وقبيح أن تَفصل بين الجارّ والمجرور فتقول لا أخا هذين اليومين لك[1] قال سيبويه : هذا[2] يجوز فى ضرورة الشعر لأن الشاعر إذا اضطر فَصل بين المضاف والمضاف إليه . وأنشد هذا البيت .

و (من) للتعليل و (الإيغال) : الإبعاد ، يقال أوغل فى الأرض ، إذا أبعَدَ فيها ، حكاه ابن دريد قال : وكلّ داخلٍ فى شئ دخول مستعجل فقد أوغلَ فيه . وقال الأصمعى فى شرح هذا البيت : الإيغال : سرعة الدخول فى الشىء ، يقال أوغل فى الأمر : إذا دخل فيه بسرعة . والضمير للإبل فى بيت قبله . و (الأواخر) : جمع آخِرة ، بوزن فاعلة ، وهى آخرة الرحل ، وهو العُود الذى فى آخر الرحل الذى يَستند إليه الراكب ، ويقال فيه مُؤْخر الرحل . قال ابن حجر (فى فتح البارى) : هو بضم أوله ثم همزة ساكنة ، وأما الخاء فجزَم أبو عبيد بكسرها وجوَّز الفتح ، وأنكر ابن قتيبة الفتح ، وعكس ذلك ابن مكىّ فقال : لا يقال مُقدِم ومُؤخر بالكسر إلاّ فى العين خاصة ، وأمّا فى غيرها فيقال بالفتح فقط . ورواه بعضهم بفتح الهمزة وتشديد الخاء . انتهى . وقال صاحب الصحاح : ومُؤخِر العين ، مثل مؤمن : الذى يلى الصُدغ ، ومُقْدِمُها : الذى يلى الأنف ، ومُؤْخرة الرحل أيضاً لغة قليلة فى آخرة الرحل ، وهى التى يستند الراكب إليها . قال يعقوب : ولا تقل مُؤَخَّرة انتهى . و (المَيْس) بفتح الميم : شجر يُتَّخذ منه الرحال

---

(١) قد يقال لاجار ولا مجرور هنا . فالجواب أن اللام فى « لك » لتوكيد اضافة الأخ الى ضمير المخاطب ، فهى زائدة لذلك . فهذا قول . ويصح فى مثل هذا التركيب أن تكون اللام أصلية ويكون الظرف فى موضع النعت أو الخبر .

(٢) ط : « وهل » ش : « وهو » ، صوابهما فى سيبويه ١ : ٣٤٧ .

والأقتاب ، وإضافة الأواخر إليه كإضافة خاتَم فضةً . و (الإنقاض) : مصدرُ أنقضَت الدجاجة : إذا صوَّتت — وهو بالنون والقاف والضاد المعجمة — ورُوى بدله : « أصوات الفراريج » جمع فرُّوجة ، وهى صغار الدَّجاج . يريد أنَّ رحالهم جُدُد وقد طال سيرهم فبعض الرحل يحكّ بعضاً فتصوَّت مثلَ أصوات الفراريج ، من شدّة السير واضطراب الرحل .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لذى الرُّمّة . ومن أبيات هذه القصيدة قوله :

أبيات الشاهد (وراكدِ الشمس أجّاجٍ نَصبتُ له حواجبَ القوم بالمَهْرِيَّة العُوجِ
إذا تنازع جالا مَجْهَلٍ قَذَفٍ أطرافَ مُطَّرِدٍ بالحرِّ منسوجِ
تَلوى الثنايا بأحقِيها حواشِيَه لَىَّ المُلاءِ بأبواب التَّفاريج)

أى ربَّ يوم راكدِ الشمس ، أى لا تكاد شمسه تزول من طوله . وأراد بالأجّاج أنّ ذلك اليوم له توهّج واشتعال كالأُجاج بالضم ، وهو اللهب . وقوله : نصبت له الخ ، أى استقبلته بحواجب القوم . والمَهْرِيّة : الإبل المنسوبة إلى مَهْرة . والعُوج : التى ضَمَرت فاعوجّت .

وقوله : إذا تنازع الخ ، إذا ظرف لقوله نصبت ، أى رب يوم نصبت له حواجبَ القوم إذا تنازع الخ . وأخطأ مَن جعلها شرطيّة وجعل جوابها البيت الذى بعدها .

والجالان ، بالجيم : جانباً بلدٍ مَجْهَل . وقَذَف — بفتح القاف والذال — : البعيد . أراد أن الجالين تنازعا أطراف طريق مطّرد بالحرّ ، أى كأنّه ماء يجىء ويذهب يتبع بعضه بعضا ، يعنى السَّرابَ ، فإنه يطّرد كالماء ونسجُه من الحر .

وقوله : تلوى الثنايا فعل وفاعل ، وحواشيه مفعول . والثَّنايا : الطُّرُق في الجبال . والأحْقِي جمع حَقْو ، بفتح فسكون : الوسط ، وأصل الحقو الخصْر وموضع شدّ الإزار ، والباء بمعنى على . والحواشي : الأطراف والنواحي . والضمير راجع إلى المطّرد المراد به السَّراب . ولَيَّ المُلاء : كطَيّها ، وهو مصدر تشبيهي لقوله تلوى. والمُلاء بالضم والمدّ : المِلْحفة إذا كانت من ١٢١
لِفْقَة واحدة . والأبواب : جمع باب . والتفاريج (كما في العباب عن ابن الأعرابي) : فَتحات الأصابع ، واحدها تِفراج بالكسر وخرُوق الدّرابزين أيضا . وأنشد هذا البيت وقال : الثنايا الطرق في الجبال . يقول : الثنايا تلوى حواشي السراب أي بلغ السرابُ أوساطَ الثنايا . وحواشيه : أطرافه ، قال شارح الديوان : الثنايا تَلوِي أي تلفّ حواشيَ السَّراب بأوساطها كما يُلوى المُلاء بالمصاريع ، وقيل الدرابزين : وما سمعت أنَّ المُلاء يلوى بمصاريع الأبواب . انتهى .

وجوابه أنَّ مراد الشاعر أنَّ الستائر تُوضع وتُربط على الدرابزين وأبوابها للتجمُّل كما يفعله الأغنياء .

وهذا البيت أورده صاحب (الكشّاف) عند قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ الليلَ عَلى النَّهارِ ويكوِّرُ النّهارَ عَلىَ اللَّيل[1] ﴾ على تشبيه كل منهما باللباس الذي يُكوَّر ويُلَفّ على اللابس ؛ فإنَّ أحدَهما لمّا كان غاشياً للآخر أشبه اللباسَ الملفوف على لابسه في ستره إيّاه واشتماله عليه وتغطّيه به ، كما شبّه ذو الرمة طيّ الهضاب حواشيَ السراب بطيِّ الستائر بالأبواب[2] .

(١) الآية ٥ من الزمر .

(٢) في النسختين : « الساتر بالأبواب » ، وصوابه من مقتضى التفسير السابق .

وقد أخطأ شارح شواهد التفسيرين فى قوله : تلوى الثنايا ، جواب فى البيت الذى قبله . فتأمَّلْ .

وترجمة ذى الرمة قد تقدمت فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب[1]

باب خبر ما ولا المشبهتين بليس

أنشد فيه ، وهو الشاهد السبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2]

٢٧٠ (وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا ودَوْلَةُ آخرِينَا

على أن (ما الحجازيّة) إذا ريد بعدها (إن) لا تعمل عمل ليس ، كما هذا البيت .

قال الأعلم : إنْ كافّة لما عن العمل ، كما كفّت ما إنّ عن العمل . والطِب بالكسر ههنا بمعنى العلّة والسَّبب ، أى لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنّما كان ما جرى به القدر من حُضور للنية ، وانتقال الحال عنّا والدُّولة .

وقال فى الصحاح : تقول ما ذلك بِطِبِّي أى دَهرى وعادتى . وأنشد ها البيت للكميت[3] . وهذه النسبة غير صحيحة كما يأتى بيانه قريبا .

و (الجبن) : ضدُّ الشجاعة ، وهو مصدر جبُن جَبناً كقرب قرباً ، فهو جَبانٌ أى ضعيف القلب . والجُبْن المأكول فيه ثلاث لغات ، أجودها سكو

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٧٥/٢ : ٣٠٥ . وانظر السيرة ٩٥٠ والخصائص ٣ : ١٠٨ والمنصف ٣ : ١٢٨ وشرح شواهد المغنى ٣٠ والهمع ١ : ١٢٣

(٣) الذى فى الصحاح (طبب) : « قال الشاعر » ، بدون تعيين فلعل النسبة من نسخة خاصة للبغدادى .

الباء والثانية ضمّ الباء للإتباع ، والثالثة وهى أقلّها التّشديد[١] كذا فى الصباح و (المنايا) : جمع منيّة ، وهى الموت ، لأنّها مقدَّرة ، مأخوذة من المَنا بوزن العصا وهو القدَر ، يقال مُنِى له أى قُدِّر بالبناء للمفعول فيهما .

روى السيِّد علم الهدىٰ المرتضى (فى أماليه) أنّ مُسلماً الخزاعىَّ ثمّ المصطلِقىَّ قال : شهدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قولَ سُويد بن عامر المصطلِقى[٢] :

لا تأْمَنَنَّ وإنْ أمسيتَ فى حَرَمٍ ... إنَّ المنايا بكَفَّىْ كلِّ إنسانِ[٣]
واسلُكْ طريقَك تَمشى غيرَ مختشِعٍ ... حتّى يُبَيَّنَ ما يمنى لك المانى[٤]
فكلُّ ذى صاحب يوماً يفارقُه ... وكلُّ زادٍ وإن أبقيته فانِ
والخيرُ والشرُّ مقرونانِ فى قَرَنٍ ... بكلِّ ذلكَ يأتيك الجديدانِ[٥]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدركته لأسلم . انتهى .

وأنشد فى الصحاح لهذا المعنى قوله :

* حتّى تلاقىَ ما يَمنى لك المانى * ١٢٢

(١) أى تشديد النون .

(٢) أمالى المرتضى ١ : ٣٦٨ وكذا فى العقد ٥ : ٢٧٥ ونسبت فى ديوان الهذليين ٣ : ٣٦ – ٣٩ وشرح السكرى ٧٠٩ لأبى قلابة الهذلى . وكذلك حماسة البحترى ١٣٢ قال : « ورويت لغيره » .

(٣) وكذا فى أمالى المرتضى . وفى الهذليين والسكرى : « بجنبى كل انسان » .

(٤) المرتضى والهذليين والسكرى : « حتى تبيَّنَ » .

(٥) فى الهذليين وشرح السكرى : « ان الرشاد وان الغى فى قرن » .

وفى حواشيه : أوّله :

ولا تقولنْ لشىء سوف أفعلُه حتّى تَبيَّنَ ما يَمنى لك الخ

قال : والبيت لأبى قِلابة الهُذَلى . والله أعلم .

والدّولة بالفتح : الغلَبة فى الحرْب ، وبالضمّ تكون فى المال ، وقيل هما بمعنًى اسمٌ لقولك تداول القومُ الشىء ، وهو حصولُه فى يد هذا تارةً وفى يد هذا أخرى . ودالت الأيام تَدُول ، كدارت تدور وزنًا ومعنى .

وروى ابن هشام (فى السيرة) بدله : (وطُعْمَة آخرينا) .

وفيه مع ذكر الجبن مالا يخفى .

وأورد ابن قتيبة (فى ترجمة خُفاف بن نَدبة من كتاب الشعراء[1]) قوله :

فلم يكُ طِبّهم جُبنٌ ولكنْ رَميناهم بثالثة الأثافى

قال : وهذا مما يُسأل عنه[2] .

أقول : ثالثة الأثافى هى الجبل ، لأنه يجعل حجَران إلى جنبه فيكون الثالثَ ، فيقول : كانوا شجعانا ليس فيهم جُبْن ولكن رميناهم بداهية عظيمة مثلِ الجبل . وقد روى أبو عبيدة البيتَ هكذا :

فلما أنْ أبوا إلاّ علينا رميناهم بثالثة الأثافِى

---

(١) الشعراء ٣٠١ .

(٢) الميمنى : « هذه الأبيات يسميها قدامى العلماء أبيات المعانى . وقول ابن قتيبة مما يسأل عنه ، لم تكرر فى كتابه الا مرة أخرى واحدة قبل بيت قاله يحيى بن نوفل فى سالم بن المسيب :

فتى قد كان يعمل اصبعيه بنافذة من البيض القصار

" يعنى الابرة ، يريد أنه كان خياطا » . انظر الشعراء ٧٢٠ .

وهذا البيت من أبياتٍ لفروة بن مُسَيكٍ المُرَادىّ ، رواها أهل السير صاحب الشاهد كابن هشام[١] والكلاعىّ وغيرهما ، وهى :

(فإن نَغْلِب فغلّابون قِدْماً وإن نُغلَبْ فغير مغلَّبينا
وما إن طِبُّنا جُبْنٌ ولكن منايانا وطُعْمَةُ آخرينا
كذاك الدهر دُولته سِجالٌ تَكُرُّ صروفُه حيناً فحينا
فبينا ما نُسَرُّ به ونرضى ولو لُبِست غَضارته سنينا
إذَا انقلبت به كَرّاتُ دهرٍ فألفيتَ الأُلى غُبِطوا طَحينا
فمن يَغبِط بريب الدهر منهم يجدْ ريبَ الزمان له خؤونا
فلو خلَد الملوكُ إذن خَلَدنا ولو بقىَ الكرامُ إذن بَقِينا
فأفنى ذلكم سَرَواتِ قومى كما أفنى القرون الأوّلينا)

قوله : فغير مغلَّبينا ، المغلَّب المغلوب مراراً . والسِجال بالكسر : مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب ، قال الميدانى (فى أمثاله) : المساجلة أن تصنع مثلَ صنيع صاحبك مِن جرْى أو سَقى ، وأصله من السَّجل وهى الدلو فيها ماء قلَّ أو كثر . وحقيقة السجال المغالبة بالسَّقى بالسجل ، ومنه معنى المباراة والمفاخرة والمعارضة . وتَكُر : ترجع . والصُّروف : الحوادث . والغَضارة بالفتح : الخير والخِصب . وألفَيت : وجدت . وغُبِطوا بالبناء للمفعول من الغبطة اسم من غبَطْته غَبطا من باب ضرب ، إذا تمنّيت مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه ، لِمَا أعجبك منه وعظُم عندك . ورَيب الدهر : ما يحدث منه . والخؤون بفتح المعجمة : مبالغة الخائن . وقوله : فأفنى ذلكم . الإشارة لكَرّات الدهر وحوادثه . والسَّرَوات : جمع سَرَاة بفتح السين ، وهو مفرد

(١) السيرة ٩٥٠ والروض الأنف ٢ : ٣٤٤ .

بمعنى الرئيس والشريف، وليس جمعَ سريّ كما يأتى بيانه فى موضع آخر .

١٢٣ وفَروةُ بن مُسَيك صحابىٌّ أسلم عامَ الفتح، وذلك [أنه] لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة ودانت له قريش عرفت العرب أنّهم لا طاقة لهم بحَربه فدخلوا فى دين الله أفواجاً، فقدمت عليه وفود العرب. وممن قَدِم فروةُ بن مُسَيك المرادى، قدم إلى المدينة وكان رجلا له شرف، فأنزله سعد ابن عبادة عليه، ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالسٌ فى المجلس، فسلَّم عليه ثم قال: يا رسول الله، أنا لِمَنْ ورائى من قومى. قال: أين نزلت يافروة؟ قال: على سعد بن عبادة. قال: بارك الله على سعد بنُعبادة. وكان يحضر مجلسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعلَّم القرآن وفرائضَ الإسلام. وكان بين مُراد وهَمْدان قُبيلَ الإسلام وقعةٌ أصابت فيها هَمْدان من مراد — وكان يقال لذلك اليوم يوم الرَّدْم[1] فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا فروة، هل ساءك ما أصابَ قومك يوم الرَّدْم؟ قال: يا رسول الله من ذا يصيب قومَهُ مثلُ ما أصاب قومى لا يسوؤه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمَا إنَّ ذلك لم يزدْ قومَك فى الإسلام إلاّ خيراً. وفى ذلك اليوم قال فَروة هذه الأبيات. واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُراد وزُبيد ومَذْحِج، وبعث معه خالدَ بن سعيد بن العاصى على الصدقة، وكتب فيها كتاباً لا يعدُوه إلى غيره، وكان خالدٌ معه فى بلاده حتى توفِّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. كذا فى سيرة ابن هشام والكلاعى.

فروة بن مسيك

وذكر الواقدى أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمله أيضاً على

(١) الميمنى: «تبع البغدادى فى هذا التصحيف عامة نسخ السيرة والاصابة، والصواب أنه يوم الرزم، كما هو عند البكرى وياقوت والبلجرامى. وعند السيوطى ٣١: يوم الرذم مصحفا».

صدقات مَذحِج . وذكر غيره أنه انتقل إلى الكوفة فسكنها . وأخرج ابن سعد أنّ رسول الله أجاز فروة بأثنتى عشرة أوقيّة ، وحمله على بعير نجيب ، وأعطاه حلّةً من نسج عُمان .

وفروة بفتح الفاء وسكون الراء بعدها واو ، ومُسيك بضم الميم وفتح السين .

ومُراد : قبيلة باليمن .

فإن قلت : كيف اعترف بالانهزام مع ما فيه من العار ؟ قلت : هذا موقوف على سماع قصته فإن أصحاب المعانى لا يقدرون على فهم مثل هذا إلا بقصّته[1] .

وهى كما رواها أبو محمد الأعرابى (فى فرحة الأديب) : أنه كان صنم مرادٍ فى أعلى وأنعَم ، وهما بطنان من مُراد ، فقالت أشرافٌ [من] مُراد : [مابالُ] آلهتِنا لاتكون فى عَرانيننا[2] ! فأرادوا انتزاع الآلهة منهم، فخرجوا منهم فأتوا بنى الحارث فاستجاروا بهم ، وأرسلت مراد إلى بنى الحارث أن أخرجوا إخوتَنا من داركم وابعثوا إلينا برجلين منكم لنقتلهما بصاحبنا — وكانت مراد تطلب بنى الحارث بدم ، فلما رأى الحصين بن يزيد بن قَنان أنّ مراداً قد ألحت فى طلب أصحابهم هابَهُم وعلم أنه لاطاقة له بهم . وكانت مراد إذا قُتل منهم رجلٌ قَتَلوا به رجلين ، وكانوا لايأخذون الدية إلاّ مضاعفةً — فسار حصين بن يزيد ، وهو رئيس بنى الحارث ، إلى عُمير ذى

(١) مثل هذا الكلام لأبى محمد الأعرابى فى فرحة الأديب ٥٤ بخط البغدادى ، فما وضعته من النص الآتى بين معكفين فهو من هذا الكتاب .

(٢) ط : « فقالت أشراف مراد الهنا لا يكون فى عرانينا » ش : « فقالت أشراف مراد الهنا لايكون فى عرانيننا » ، صوابه من فرحة الأديب .

مُرّان ، فسأله أن يركب معه إلى أرحبَ فيصلح بينه وبينهم ، ويسألهم الحلفَ على مراد ، لأنه كان بينه وبين أرحب دماء ، فركب معه إليهم فأصلح بينهم وسألهم أن ينصروه ويحالفوه على مراد ، فقال الحصين : يامعشر أرحب ، إنّى لست بأسعد بهلاكِ مرادٍ منكم — وكانت أرحبُ تغاور مراداً قبل ذلك — فحالفته أرحب ؛ فسار حصين بن يزيد ببنى الحارث ، وسارت البادية
١٢٤ من همدان وعليهم يزيد بن ثُمامة الأرحبي الأصمّ ، وأقبلت مراد [كأنّهم حَرَّة سوداء يدِفّون دفيفاً] ، وعليهم الحارث بن ظَبيان المثلّم ، وكان يكنى أباقيس الأنعمى ، فاقتتلوا بموضع يقال له الردم[1] إلى جنب أباء قتالا شديداً ، فتضعضعت بنو الحارث وأقبل عليهم الحصين فقال : يابنى الحارث ، والله لئن لم تضربوا وجوهَ مرادٍ بالسّيوف حتى تخلوَ لكم العَرْصة لأتركنّكم تنفّلون فى العرب ! ثم أقبل على بادية همدان فقال : يامعشر همدان الصّبرَ الصبرَ ، لاتقول مراد إنّا لجأنا إلى عدَد همدان وعِزّها فلم يُغنوا عنّا ! فاقتتل القوم قتالا شديداً فقُتل الحصين وصبر الفريقان جميعاً ، فتهيّأت بنو الحارث للفِرار وتضعضعت أرحب ، وقد كانوا أحضروا النّساء معهم فجعلوهنّ خلف ظهورهم ، فلمّا رأت أرحب النساء قد بدت خلاخيلُها للفِرار عادوا للقتال وقالوا : لا نفرّ [حتى يَفِرّ] يغوث ! وصبروا للقوم ، وصبرت بنو الحارث معهم ، فانهزمت مراد واستذرع القتلُ فيهم ، وسبَوْا نساء من نسائهم ، فأدرك الإسلامُ وهُنّ فى دُور همدان ، وقُتل المثلّم رئيس مراد ، وعزيز ، وقيس ، ونِمْران ، ومُمَىّ ، المراديّون . وقتل فى ذلك اليوم الحصين بن يزيد الحارثى . وقال فى ذلك يزيد ابن ثمامة الأرحبى :

---

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص ١١٦ .

لقد علم الحىُّ المصبَّح أنَّني ... بجنب أباه غيرُ نِكس مُواكِل
تركت عزيزاً تحجِل الطيرُ حوله ... وغشّيت قيساً حدَّ أبيضَ فاصِلِ(١)
ونِمْرانَ قد قضّيت منه حَزازةً ... على حَنَق يوم التفاف القبائل(٢)
عِكَبٌّ شفيتُ النفسَ منه وحارثٌ ... بنافذةٍ فى صدره ذى عوامل
وأردَتْ سُميًّا فى المَكرِّ رماحُنا ... وصادف موتاً عاجلاً غير آجل

وبهذه القصيدة(٣) يعرف معنى قوله :

* فإنْ تَهزمْ فهزّامون قِدما * (البيت)

وذلك أن مراداً لم تدر عليهم دائرة قبل يوم الردم(٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد المائتين(٥) :

٢٧١ (بَنى غُدانةَ ماإنْ أنتمُ ذَهباً ... ولا صريفاً ولكنْ أنتمُ الخزَفُ)

على أنه قد جاءت (إن) بعد (ما) غير كافّة . وقد بينه الشارح المحقق.

قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : النصب رواية يعقوب بن السكيت، والرفع رواية الجمهور على أنَّ إن كافّة لما عن العمل . قال : وزعم الكوفيون

---

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « قاصل » بالقاف ، وفى اللسان : « وسيف قاصل ، ومقصل ، وقصال : قطاع » .

(٢) ط : « منهم » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٣) كذا فى النسختين ، وهى صحيحة ، وقد تكون « القصة » .

(٤) انظر ما سبق من تحقيق الكلمة فى حواشى ص ١١٦ .

(٥) شرح شواهد المغنى ٣١ وشذور الذهب ١٩٤ والتصريح ١ : ١٩٦ والعينى ٢ : ٩١ والهمع ١ : ٢٣

على رواية النصب أنّ إنْ نافية لا كافة. ويلزمهم أن لا يبطل عملها كما لا يبطل عملُها إذا تـكرّرت على الصحيح، بدليل قوله:

لا يُنسِكَ الأسَى تأسِّياً فما ما من حمامٍ أحدٌ معتصما[١]

ومعنى: هذا البيت: لا يُنسِك ما أصابك من الحزن على من فقدته أن تتأسّى بمن سبقك ممّن فَقَدَ أحبابه، فليس أحدٌ ممنوعا من الموت. ومن زعم أنّ ما إذا تكرّرت يبطل عملها جعل منفيّ ما الأولى محذوفا، أى فما ينفعك الحزن، وهو تكلّف.

واستشهد شراح الألفية بهذا البيت — على رواية رفعه — على أنّ إن فيه كافّة. و (بنى غُدانة) منادى بتقدير يا، وغدانة بضم الغين المعجمة: حىٌّ من يربوع من بنى تميم. و (الصَّريف) بفتح الصاد والراء المهملتين، قال
١٢٥ ابن السكّيت: هو الفضّة. وأنشد هذا البيت. و (الخَزَف) بفتح المعجمتين قال ثعلب (فى أماليه): هو ماعُمِل من طين وشُوِى بالنار حتى يكون فخّاراً. وأنشد هذا البيت: ولم أرَ مَنْ نسب هذا البيتَ لقائله مع كثرة الاستشهاد به فى كتب النحو واللغة. والله أعلم

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد المائتين، وهو من شواهد س[٢]:

---

(١) العينى ٤ : ١١٠ والهمع ١ : ١٢٤/٢ : ١٢٥ والأشمونى ٣ : ٨٣ ويس ٢ : ١٣٠

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر الانصاف ٢٦٩ والعينى ٤ : ٨/٤٩٦ : ١٢٩ والهمع ١ : ٢٢٣، ٢/٢٢٥ : ١٥٨ وديوان النابغة ١٦ .

٢٧٢ (إلاَّ أوارىَّ ماإنْ لا أبيِّنها)

على أنَّ الفرّاء أنشده بالجمع بين ثلاثة أحرف نافية ، والرواية : (لأياً ماأبينها) . هذه الرواية أنشدها الفراء (فى تفسيره المسمَّى بمعانى القرآن فى أواخر سورة يونس) عند قوله تعالى ﴿ فلولا كانتْ قريةٌ آمنَتْ فنفَعَها إيمانُها إلاَّ قومَ يونُس[1] ﴾ . وهذا نص كلامه : فى قراءة أُبَىٍّ (فهلاَّ) لأنَّ معناها أنَّهم لم يؤمنوا ، ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله ، ألا ترى أنَّ مابعد إلاَّ فى الجحد يتبع ماقبلها فتقول : ماقام أحـدٌ إلاَّ أبوك ، وهل قام أحدٌ إلاَّ أبوك ، لأنَّ الأب من الأحد : فإذا قلت : مافيها أحد إلا كلباً وحمارا ، نصبت لأنها منقطعةٌ مما قبلَ إلاَّ[2] ، إذ لم يَكن[3] من شكله ولا جنسه : كذلك كان قوم يونس منقطعين من قوم غيره من الأنبياء . ولو كان الاستثناء هاهنا وقع على طائفةٍ منهم لـكان رفعًا . وقد يجوز الرفع فيها كما أن المختلف فى الجنس قد يتبع فيه مابعد إلاَّ ماقبل إلا كما قال الشاعر[4] :

وبلدةٍ ليس بهـا أنيسُ   إلا اليعافير وإلا العيسُ

والنصبُ فى قوله تعالى : ﴿ مالهُمْ بهِ منْ علْمٍ إلا اتباعَ[5] الظَّن ﴾ لأنَّ تتبُّع[6] الظنّ لا ينسب إلى العلم . وأنشدونا بيت النابغة بالنصب :

---

(١) الآية ٩٨ من سورة يونس . وانظر معانى الفراء ١ : ٤٧٩

(٢) فى النسختين : « لأنهم منقطعون مما قبل الا » ، صوابه من معانى الفراء .

(٣) فى النسختين : « لم يكونوا » صوابه من معانى الفراء .

(٤) هو جران العود . ديوانه ٥٢ . وسيأتى الكلام عليه فى الشاهد ٨٠٤ .

(٥) الآية ١٥٧ من النساء .

(٦) فى المعانى : « لأن اتباع » .

. . . . وما بالربع مِنْ أحَدِ
إلا أواريَّ ماإن لا أبيِّنها[١] . . . .

قال الفرّاء : جمع فى هذا البيت بين ثلاثة أحرفٍ من حروف الجحد : لا ، وإن ، وما . والنصب فى هذا النوع المختلفِ من كلام أهل الحجاز ، والإتباعُ من كلام تميم . انتهى كلام الفرّاء .

وأراد اجتماعها على سبيل التوكيد ، لا أنّ الثانى نافٍ للنفى فيُثبِت ، والثالثَ نافٍ للثانى فيَنْفى .

وقد أورد الفرّاء (فى تفسيره) الرواية التى ذكرها الشارح فى أواخر سورة النساء عند قوله تعالى ﴿ لا خَيْرَ فى كثيرٍ مِنْ نجْواهُم إلا مَنْ أمَرَ بِصَدَقةٍ[٢] ﴾ قال : مَنْ فى موضع خفضٍ ونصبٍ[٣] : الخفضُ إلا فيمن أمَرَ بصدقة . والنَّجوى ههنا رجال كما قال تعالى : ﴿ وإذْهُمْ نجْوَى[٤] ﴾ ومن جعل النَّجوى فِعلاً كما قال تعالى : ﴿ ما يَكُونُ مِنْ نجْوى ثَلاثةٍ[٥] ﴾ فَمَنْ حينئذ فى موضع رفع . وأما النَّصب فأن تجعل النجوى فعلًا فإذا استثنيت الشىء من خلافه كان الوجه النصبَ ، كما قال الشاعر :

. . . . وما بالربع مِنْ أحد
إلا أواريَّ لأياً ما أبينها والنُّؤى كالحوض بالمظلومة الجَلَد

---

(١) فى النسختين : « لا ان ما » ، صوابه من معانى الفراء ومما سبق .

(٢) الآية ١١٤ من سورة النساء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٨٧ .

(٣) وكذا فى معانى الفراء ، مع أنه تعرض للرفع فيما بعد

(٤) الآية ٤٧ من الاسراء .

(٥) الآية ٧ من المجادلة .

وقد تكون فى موضع رفع وإن رُدَّت على خلافها ، قال الشاعر :

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العيس[1] انتهى

وإنَّما سقنا كلاَمه فى الموضعين بُرمّته للتبرك ، وليُعلَمَ طرز تفسيره ، فإنه لقدمه قلّما يطلع عليه أحد[2] .

وقد أورده الزجاجى[3] بهذه الرواية أيضاً (فى تفسيره المعروف بمعانى القرآن) فى سورة البقرة عند قوله تعالى : ﴿ إنّكُمْ ظَلَمْتُمْ أنفُسَكُمْ باتخاذِكُمُ ١٢٦
العِجْل[4] ﴾ قال : الظُّلم فى اللغة : وضع الشىء فى غير موضعه ، العرب تقول : « مَنْ أشبهَ أباه فما ظَلَمَ » معناه لم يقع الشبهُ غيرَ موقِعِه ؛ ويقال ظلم فلان سِقاءه إذا شرب وسَقَى منه قبل إدراكه ، وأرض مظلومة ، إذا حُفر فيها ولم يكن حُفِر فيها قبلُ ،وإذا جاء المطر يقربها ويتخطّاها . قال النابغة :

إلا الأُوارىَّ لأياً ما أبينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ

وأورده الزجّاج أيضا عند قوله تعالى : ﴿ ولَوْ أنّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أنِ اقتُلُوا أنفُسَكُمْ أو اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُم[5] ﴾ . قال : وأمّارفع (إلاّ قليلٌ منهم) فعلى البدل من الواو ، والمعنى ما فعله إلا قليل . والنصب جائز فى غير القرآن على معنى ما فعلوه ، أستثني قليلا منهم . وعلى ما فسّرناه فى نصب

---

(١) سبق الكلام عليه قريبا .

(٢) طبع معانى القرآن للفراء بدار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ بتحقيق الاستاذين أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار .

(٣) الميمنى : « الصواب الزجاج ، والتفسير المذكور له للزجاجى . وهو على الصواب فى سائر المظان . انظر اقليد الخزانة » .

(٤) الآية ٥٤ من البقرة .

(٥) الآية ٦٦ من النساء .

الاستثناء فإن كان فى النفى نوعان مختلفان فالاختيار النصب ، والبدل جائز ، تقول : ما بالدار أحدٌ إلا حِماراً . قال النابغة الذبيانى :

وَقَفْتُ فيها أُصَيلالاً أُسائِلُها عَيَّتْ جَوَابًا وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إلا أواريَّ لأيًا ما أبيِّنها . . . . الخ

فقال : ما بالربع من أحد ، أى ما بالربع أحدٌ إلاّ أواريَّ . لأنَّ الأواريَّ ليست من الناس . وقد يجوز الرفع على البدل وإن كان من غير جنس الأوّل كما قال الشاعر :

وبلدةٍ ليسَ بها أنيسُ إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العيسُ

فجعل اليعافير والعيس بدلاً من الأنيس . وجائز أن يكون جعل أنيسَ ذلك البلد اليعافير والعيس . انتهى كلامه .

وقد رويا كلاهما إلاّ الأواريُّ معرّفا ومنكّرا . قال أبو البقاء (فى شرح الإيضاح) حكى عبدُ القاهر عن شيخه عبد الوارث ابن أخت أبى علىّ أنّه قال : الجيّد أن يروى « إلاّ الأواريّ » بالألف واللام ، ليكون الفتح خالصاً . وإذا نُكّر جاز أن يكون بدلاً من أحد ، ولكن لم يُكْسر لأنه غير منصرف . انتهى .

وقوله : « وإذا نكّر جاز أن يكون بدلاً من أحد » هذا الجواز ممنوع عند البصريين . وقد بينه ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) قال : ويروى عن الكسائى أنّه أجاز خفض الأواريّ على البدل من لفظ أحد . وهذا عند البصريِّين خطأ ؛ لأنه يصير التقدير : وما بالربع إلاّ من أوارى ؛ فتكون من زائدة فى الواجب . ومِنْ لا تزاد إلاّ فى النفى . ولو أنها مِن التى تدخل على الموجب والمنفىّ لجاز ذلك كقولك : ما أخذت من أحد إلا زيدٍ درهماً .

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى مدح بها النعمانَ بنَ المنذر، صاحب الشاهد واعتذر إليه مما بلغه عنه . وهذا مطلع القصيدة :

(يا دارَمَيَّــةَ بالعَلْيَــاء فالسَّنَــدِ أَقْوَتْ وَطالَ عليها سَالِفُ الأَبَدِ
وقفتُ فيهــا أُصيــلانًا أُسائلُهــا عيَّتْ جوابًا ومابالرَّبع مِنْ أَحَدِ[1]
إلا الأواريّ لأيا . . . . البيت)

وقد تقدّم شرح أبيات كثيرة منها فى عدّة مواضع[2] .

وقد أورد سيبويه هذه الأبيات الثلاثة ، قال الأعلم : الشاهد فى قوله : إلا الأواريَّ بالنصب على الاستثناء المنقطع ، لأنها من غير جنس الأحدِينَ . والرفع جائز على البدل من الموضع . والتقدير : وما بالربع أحد إلا الأواريُّ . ١٢٧
على أن يُجعل من جنس الأحدِينَ اتِّساعا ومجازاً . انتهى .

قال ابن السِّيد : الرفع على البدل من موضع من أحد . لأنّ مِن زائدة وأحد مرفوعٌ فى المعنى وإن كان مخفوضًا فى اللفظ ، وليست ببدل من موضع الجارّ وحده ، ولا من موضع المجرور وحده ، ولـكنها بدل من موضعهما معًا .

والبيت الأول يأتى شرحه إن شاء الله فى الفاء من حروف العطف[3] .

وقوله : وقفت فيها[4] البيتين ، وصف أن دارميَّة خلت من أهلها ، فسألها توجُّعا وتذكّراً لمن حلّ بها فلم تجبه ، إذْ لا مجيب بها ولا أحدَ فيها إلا الأواريَّ ، وهى محابس الخيل ، واحدها آرىّ ، وهو من تأرّيت

(١) ش : « أصيلالا » ، وهى رواية ولغة فى « أصيلان » بالنون .
(٢) الصواب فى موضعين . انظر الشاهد ٢٣٦ وقد سبق فى ٣ : ٤٠٣ والشاهد ٢٤٧ وسيأتى فى ٤ : ٣ بولاق .
(٣) وهو الشاهد ٨٨٩ .
(٤) ط : « وقفت بها » ، صوابه فى ش .

بالمكان : إذا تحبستَ به . واللأْى : البُطء . والمعنى : تبيّنتها بعد بُطءٍ لتغيُّرها . والنؤىُ : حاجز حولَ الخباء يَدفع عنه الماء ويُبعده ؛ وهو من نأيت إذا بعدت . وشبَّهه فى استدارته بالحوض . والمظلومة : أرض حُفر فيها الحوض لغير إقامة لأنَّها فى فَلاة فظُلمت بذلك ، وإنما أراد أنَّ حفر الحوض لم يُعمّق فذلك أشبه للنؤى ، ولذلك جعلها جَلَدا ، وهى الصُّلبة .

هذا ما قاله الأعلم إجمالا ، وأما تفصيلا ، فقوله : « أصيلانا » منصوب على الظرف وفيه ثلاثة أقوال : الأوّل أنه مصغر أَصِيل على غير قياس كأنه تصغير أُصلان ، قاله ابن السيد . الثانى : أنه تصغير أُصلان وهو جَمع أصيل كرغفان جمع رغيف . وردَّه أن جمع الكثرة لا يصغَّر إلاّ بردِّه إلى المفرد . الثالث : أنه مصغَّر أُصلان أيضًا ، لكن أُصلانا اسمٌ مفرد بمعنى الأصيل مثل الثُّكلان والغفُران . حكى هذين القولين شارحُ الديوان واللخمىّ . وروى أيضًا : « أصيلالا » بإبدال النون لامًا . والأصيل : الوقت بعد العصر إلى المغرب . وروى أيضًا :

* وقفت فيها أصِيلاً كى أسائلَها *

وروى أيضا :

* وقفت فيها طويلاً كى أسائلها *

وهو إمَّا بتقدير وقوفا طويلا وإمّا بتقدير وقتًا طويلا . وقوله : أسائلها ، الجملة حال : إمّا من تاء وقفتُ فهى جارية على من هى له ، وإمّا من ضمير فيها فتكون لغير من هى له . وإنما جاز الوجهان لأنّ فى أسائلها ضميراً راجعًا إلى السائل وضميراً راجعًا للمسئول ، واستتر الضمير مع جريان الحال على غير من هى له لأنّ الفعل يستتر فيه ضمير الأجنبى وغيره ، لقوّته فى الإضمار . فعلى

الأوّل تقديره مُسائلَها ، وعلى الثانى مُسائلَها أنا ، باظهار الضمير . ولا يجوز أن تكون الجملة حالاً من الضميرين على حدّ لقيته راكبين ، لاختلاف العاملين ، ولِمَا فى ذلك من التناقض . كذا قال ابن السيد .

وقوله : عيَّت ، استئناف بيانىّ ، وقيل حال ، بتقدير قد ، من ضمير الدار فى أسائلها . يقال عَيِيت بالأمر بالكسر : إذا لم تعرف وجهه ، وروى أيضًا : « أعيت » بالألف ، أى عَجَزت . وجوابًا : إمّا تمييز محوّل عن الفاعل أى عىّ[1] جوابُها ، ثم أسند الفعل إلى ضمير الدار . وهذا كقوله[2] :

* وقفت برسمها فعىَّ جوابها[3] *

وإمّا منصوب بنزع الخافض أى عيَّت بجواب ، ذكرهما ابن السيد .

وقال اللخمىّ : جوابًا منصوب على المصدر ، أى عيَّت أن تجيب جوابا . وفيه نظر ظاهر .

وقوله : وما بالربع الخ ، قال ابن السِّيد . إن شئت جعلتَها لا محلّ لها من الإعراب ، وإن شئتَ كانت حالاً من ضمير عيّت المستتر أو من ضمير أسائلها ، ويلزم على هذا تقدير ضمير صاحب الحال ، أى وما بالربع منها . وعند الكوفيّين أل فى الربع مُعاقِبة للضمير ، أى وما بربعها . انتهى . ١٢٨

والرَّبع ، بالفتح : مَحَلّة القوم ومنزِلهم أينما كان . والمربع ، كجعفر : منزلهم فى الرَّبيع خاصّة . ولم يصب اللخمىّ فى قوله : الربع المنزلُ فى الربيع

---

(١) ط : « عن » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٢) هو أبو صخر الهذلى . أمالى القالى ١ : ١٤٨ .

(٣) عجزه :

* فقلت وعينى دمعها سرب همر *

خاصةً ، ثم كثر في كلامهم حتى قيل لكل منزل ربع ، وقوله : مِن أحد ، من زائدة ، وأحد فاعل الظرف . وقوله :

* إلاّ الأوارىّ لأْيًا ما أُبيِّنها *

الأوارى يقال لها الأواخىُّ أيضًا ، وهما جمع آريّة وآخيّة بمد الهمزة وتشديد الياء فيهما ، وهى التى تُحبَس بها الخيل من وتِد وحَبْل . واللأْى ، قال ابن السيد : هو مصدر لم يُستعمل منه فعل إلاّ بالزيادة ، يقال التأى ولا يقال لأى . والمظلومة فيها أقوال : قيل هى الأرض حُفر فيها ولم يكن بها حفرٌ قبل ذلك ، وقيل هى التى أتاها سيلٌ من أرض أخرى ، وقيل هى أرض مُطرت فى غير وقتها . وشِعْر النابغة يقتضى الأوّل . وقال ابن السكيت : إنما قيل بالمظلومة ، لأنّهم مرُّوا فى بريَّة فحفروا فيها حوضًا وليس بموضع حفر ، فجعلوا الشىء فى غير موضعه . والجَلَد ، بفتح الجيم واللام : الأرض الصُّلبة من غير حجارة ، قال ابن السيد : وخصّها بذلك لأنّها إذا كانت صُلبة تعذّر الحفرُ فيها فلم يعمق الحفر فيها ، فهو أولى لتشبيه النؤى به . وفى رواية : الأوارىُّ والنؤىُ ، بالرفع على لغة تميم ، بالإبدال من موضع [من[1]] أحد ، وذلك على ثلاثة أوجه :

الأوّل أنّه أراد ما[2] بالربع إلاّ الأوارىّ ، فذكر مِن أحدٍ تأكيداً ، وكأنه فى التقدير : ما بالربع شىء أحدٌ ولا غيرُه إلاّ الأوارىّ .

والوجه الثانى : أنه جعل الأوارىَّ من جنس أحد على المجاز ، كما تقول

(١) التكملة من ش .

(٢) سقطت « ما » من المطبوعة .

تَحِيَّتُه السَّيف ، وما أنت إلا أكلٌ وشرب ؛ فجعل التحيةَ السيفَ ، وجعله الأكل والشرب مجازا .

والوجه الثالث : أنّه خلط من يَعقل بما لا يعقل ، ثم غلَّب من يعقل فقال : وما بالربع من أحد ، وهو يريد من يعقل ومالا يعقل ، ثم أبدل الأوارىّ من لفظٍ اشتمل عليه وعلى غيره .

والقولان الأوّلان لسيبويه ، والثالث للمازنى .

وقوله : كالحوض ، قال ابن السيد : يحتمل وجهين : إنْ جعلت النؤى مرفوعاً بالابتداء فالظرف خبره ، وإنْ جعلته مرفوعاً بالعطف على الأوارىّ فالظرف حال من النؤى — كمن نصب النؤى بالعطف على الأوارىّ — وعامل الحال إذا نُصب النؤى معنى الاستثناء ، وإذا رفع فمعنى الاستقرار فى قوله بالربع . وقوله : بالمظلومة ، حال من الحوض والعامل مافى الكاف من معنى التشبيه[1] . فإن قلتَ : أىُّ (ما) هى فى قوله لأيا ًما أبينها ؟ قلتُ : هى كالتى فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أنْ يَضرِبَ مَثلاً ًما بعُوضةً[2] ﴾ قال صاحب الكشّاف : وما هذه إبهاميّة ، وهى التى إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاماً وزادته شياعاً وعُموما ، كقولك : أعطنى كتاباً ًما — تريد أىَّ كتاب كان — أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثاَقَهُم[3] ﴾ انتهى . فالمعنى أنّ هذا الربع لخلوّه من الأهل

(١) ط : « فى معنى التشبيه » ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ٢٦ من البقرة .

(٣) من الآية ١٥٥ من النساء « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله » ، والآية ١٣ من المائدة « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية » .

قد سَفت الريح عليه التراب حتّى خفيت الأواريُّ فيه ، فلا تظهر للناظر باديْ بدء ، وإنّما يستبينها ببطء بعد التأمُّل .

فإنْ قلت : رواية الفَراء[1] تناقض روايةَ الجمهور ؛ فإنّ روايته صريحة فى نفى استبانة الأواريّ ، وحينئذ لا معنى لاستثناء الأوارى . قلتُ : هى بتقدير ما أبينها بسرعةٍ بل ببطء ، فتطابق رواية الجمهور ويصحّ الاستثناء .

١٢٩ فإن قلتَ : هل يصحُّ أنْ تكون «ما» فى رواية الجمهور نافية ؟ قلتُ : لا ، لأنّ المعنى حينئذ أنّ الأواريَّ لم أتبيّنْها ببطء بل بسرعة . وهذا خلاف مراد الشاعر ، فتأمّل . وفى ذكر الأواريّ دلالة على أنّ أهل الرَّبع ذَوُو عزّ وشجاعة لاقتنائهم الخيل . والله أعلم .

وترجمة النابغة الذُّبيانى قد تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد المائتين[3] :

٢٧٣ (وما الدَّهْرُ إلاّ مَنْجنُونًا بأهْلِهِ وَما صاحِبُ الحاجاتِ إلاّ مُعَذَّبا)

على أن يونس استدلَّ به على إعمال ما مع انتقاض نفيها بإلاّ .

وأجيب بأن المضاف محذوف من الأوّل ، أى [يَدور[4]] دورانَ منجنون ، ويدور خبر المبتدأ ، فحذف هو والمصدر وأقيم منجنون مقام المصدر .

---

(١) للفراء روايتان ، وانما يريد البغدادى رواية « الا أوارى لا ان ما ابينها » .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٣) انظر المقرب لابن عصفور والتصريح ١ : ١٩٧ والأشمونى ١ : ٢٤٨

(٤) التكملة من ش .

وأنَّ الثانى أصله وما صاحب الحاجاتِ إلاّ يعذَّب معذَّبا أى تعذيباً ، فيعذّب خبر المبتدإ، فحذف وبقى مصدره . فلا عمل لما فى الوضعين .

وخرَّجه صاحب اللب على أنه بتقدير : وما الدهر إلاّ يُشبه منجنونا ، وما صاحب الحاجات إلاّ يشبه معذّبا ، فهما منصوبان بالفعل الواقع خبرا ؛ ومعذَّب على هذا اسم مفعول ، وهذا أقل كُلْفة .

وقال شارح اللب السيدُ عبد الله : ويجوز أن يكون — أى منجنونا — منصوباً على الحال والخبر محذوف ، أى وما الدّهر موجوداً إلاّ مثلَ المنجنون، لا يستقرُّ فى حالة . وعلى هذا تكون عاملة قبلى انتقاض نفيها . وكذا يكون التقدير فى الثانى : أى وما صاحب الحاجات موجوداً إلاّ معذّباً . ولا تقدّر هنا مِثْل ، لأنّ الثانى هو الأوّل .

وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : وجوّز ابن بابْشاذَ أن يكون الأصل إلاّ كمنجنون ، ثم حذف الجارّ فانتصب المجرور . ومن زعم أن كاف التشبيه لا يتعلق بشىء فهذا التخريج عنده باطل ، إذْ كان حقُّه أن يرفع المجرور بعد حذفها ، لأنّه كان فى محلّ رفعٍ على الخبريَّة ، لا فى موضع رفع باستقرارٍ مقدَّر ؛ فإذا ذهب الجارُّ ظهر ما كان للمحلّ . انتهى .

وعندى أن يكون من قبيل تأويل من قرأ : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةً(١) ﴾ بالنصب ، أى نُرَى عصبة . والظاهر أن هذا أسهل .

ورواية البيت كذا هى الرواية المشهورة ، ورواه ابن جنّي (فى المحتسب) عند قراءة ابن مسعود : ﴿ إنْ كلٌّ إلاّ لَيُوَفِّيَنَّهُم(٢) ﴾ من سورة هود :

(١) الآية ٨ ، ١٤ من يوسف .

(٢) الآية ١١١ من هود . وانظر المحتسب ١ : ٣٢٨ طبع لجنة احياء التراث .

أرى الدهر إلاّ مَنْجَنُونًا بأهله وما طالبُ الحاجات إلاّ معلَّلا

قال : معنى هذه القراءة مَا كُلٌّ إلاَّ واللهِ ليوفينَّهم ، كقولك : ما زيدٌ إلاّ لأضربنَّه ، أى ما زيد إلاّ مستحق لأن يقال فيه هذا . ويجوز فيه وجه ثانٍ : وهو أن تكون إنْ مخفَّفة من الثقيلة وتجعل إلاّ زائدة . وقد جاء عنهم ذلك ، قال :

أرى الدّهر إلاّ منجنونا (البيت)

أى أرى الدهر منجنونًا بأهله يتقلَّب بهم ، فتارة يرفعهم وتارة يخفضهم . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : إنّما المحفوظ : وما الدهر . ثم إن ثبتت روايته فيتخرّج على أنّ أرى جوابٌ لقسم مقدَّر وحذفت لا ، كحذفها فى : ﴿ تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ[1] ﴾ ، ودلّ على ذلك الاستثناء المفرغ . انتهى .

وهذا البيت نسبه ابن جنى (فى كتاب ذا القد[2]) لبعض العرب . ١٣٠
و (المنجنون) : الدولاب الذى يستقى عليه ؛ وهو مؤنث . قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنيّ المسمى بالمنصف) : ليس منجنون من ذوات الخمسة ، هذا محال ، لأجل تكرير النون ، وإنما هو مثل حنْدَقُوق ملحق بعَضْرفوط . ولا يجوز أن تكون الميم زائدة : لأنّا لا نعلم فى الكلام مَفْعَلولا . ولا يجوز أن تكون الميم والنون جميعاً زائدتين ، على أن تكون الكلمة ثلاثيّة من

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) فى هامش ش والمطبوعة : « ذا القد كتاب جمعه ابن جنى من كلام شيخه أبى على رحمهما الله تعالى » . قال الميمني : « وكذا فى نسخة من الأدباء ، وفى أخرى : ذى القد » . وانظر معجم الأدباء ١٦ : ١١٣ حيث

لفظ الجن ، من جهتين : إحداهما أنك كنت تجمع فى أول الكلمة زيادتين وليست الكلمة جارية على فعل مثل منطلق ومستخرج . والأخرى : أنّا لا نعلم فى الكلام مَنْفعولا فيُحمل هذا عليه . ولا يجوز أيضاً أن تكون النون وحدَها زائدة: لأنها قد ثبتت فى الجمع فى قولهم مناجين ، ولو كانت زائدة لقيل مجاجين ، فإذا لم يجز أن تكون الميم وحدها زائدة ، ولا النون وحدها زائدة ، ولا أن يكونا كلتاهما زائدتين ، لم يجز إلاّ أن يكونا أصلين وتجعلَ النون لاماً مكرَّرة ، وتكون الكلمة مثل حَنْدَقوق ملحقة بعَضْرَفُوط .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد المائتين وهو من شواهد س(١) :

٢٧٤ * فأصبَحوا قد أعادَ اللهُ دُولَتَهُمْ
إذْ هُمْ قُرِيشٌ وإذْ ما مِثْلَهُمْ بَشَرُ *

بأنّ سيبويه حكى أن بعض الناس ينصب (مثْلَهُم) . وهذا لا يكاد يعرف . وقيل : إن خبر ما محذوف ، أى إذْ ما فى الدنيا بشر ، ومثلَهم حال من بشر ، وانتصابه عند الكوفيين على الظرف أى فى مثل حالهم وفى مثل مكانهم من الرفعة .

قول سيبويه مبنى على إعمال ما ، والقولان بعده مبنيان على إهمالها . قال

(١) فى كتابه ١ : ٢٩ . وانظر مجالس العلماء للزجاجى ١١٣ وشرح شواهد المغنى ٨٤ ، ٢٦٥ والعينى ٢ : ٩٦ والتصريح ١ : ١٩٨ والهمع ١ : ١٢٤ ، ٢١٩ ، ٢٤٩ والأشمونى ١ : ٢٣٠ ، ٢٤٨ وديوان الفرزدق ٢٢٣ .

سيبويه : وهذا لا يكاد يعرف ، كما أنّ ﴿ لاتَ حِينُ مَناص[1] ﴾ كذلك . وربَّ شيء هكذا . قال السيرافيّ : يعني أنّ نصب مثلَهم بشر على تقديم الخبر قليل ، كما أنّ (لاتَ حينُ مَنَاص) بالرفع قليل لا يكاد يعرف . انتهى .

وقال أبو جعفر النحّاس : يذهب سيبويه إلى أنه نصب مثلهم على أنه خبر وإنْ كان مقدماً ، فكأنه يجيز ما قائماً زيد . (أقول) : كيف ينصبونه مقدماً ؟ قال النحاس : سألت أبا إسحاق عما قاله المبرد فقال : إنّه لعمري من بني تميم . ولكنه مسلم قدقرأ القرآن وقرأ فيه : ﴿ ما هذا بشرا[2] ﴾ وقرأ : ﴿ ما هنّ أمّهاتِهم[3] ﴾ فرجع إلى لغة من ينصب ، فلا معنى للتشنيع بأنه من بني تميم . انتهى .

أقول : من نصب لا ينصب مع تقدُّم الخبر ، فلا يصحّ هذا جواباً . وقيل : أراد الفرزدق أن يتكلّم بلغة الحجاز فغلط . وهذا باطل ، فإن العربيّ لا يمكن أن يغلَط لسانه ، وإنما الجائز غلطه في المعاني .

وقال الأعلم : والذي حمله عليه سيبويه أصحُّ عندي وإنْ كان الفرزدق تميمياً : لأنّه أراد أن يخلِّص للمعنى من الاشتراك : وذلك أنه لو قال فيه إذ ما مثلهم بشر بالرفع ، لجاز أن يُتوهَّم أنه من باب ما مثلُك أحداً ، إذا نفيت عنه الإنسانية والمروءة ، فإذا قال : ما مثلَهم بشر بالنصب لم يتوهَّم ذلك وخلص المعنى للمدح دون توهُّم الذم. فتأمّله تجده صحيحاً . والشعر موضع ضرورة،

---

(١) الآية ٣ من سورة ص . وقراءة رفع الحين هي لأبي السمال ، مع ضم تاء « لات » وقرأها عيسى « ولاتَ حينُ مناصَ » . تفسير أبي حيان ٧ : ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٢) الآية ٣١ من يوسف .

(٣) الآية ٢ من المجادلة . ويبدو أن في هذا النص سقطا .

ويحتمل فيه وضع الشيء في غير موضعه دون إحرازِ فائدة ، فكيف مع وجود ذلك . وسيبويه ممن يأخذ بتصحيح المعانى وإن اختلفت الألفاظ ، فكذلك[1] وجَّهه على هذا وإنْ كان غيره أقرب إلى القياس . انتهى .

يريد بتخليص المدح أنك إذا قلت ما مثلك أحداً فنفيت الأحديّة احتمل المدح والذم ، فإن نصبت المِثْل ورفعت أحداً تعين للمدح . انتهى[2] . ١٣١

قال ابن هشام (في شرح شواهده) : وفيه نظر ؛ فإنّ السياق يعيّن الكلام للمدح .

وقال في الرد على المبرد أحمدُ بنُ محمد بن ولّاد : إنَّ الرواة عن الفرزدق وغيره من الشعراء قد تُغَيِّر البيتَ على لغتها وتَرويه على مذاهبها ، مما يوافق لغة الشاعر ويخالفها ، ولذلك كثرت الروايات في البيت الواحد . ألا ترى أنّ سيبويه قد يستشهد ببيتٍ واحد لوجوهٍ شتّى ! وإنّما ذلك على حسب ماغيّرته الرواة بلغاتها ، لأنَّ لغة الراوى من العرب شاهدٌ ، كما أنَّ قول الشاعر شاهد ، إذا كانا فصيحين . فمن ذلك ما أنشده سيبويه :

بدا لىَ أنّى لستُ مدركَ ما مضى ... ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائياً[3]

---

(١) فى الأعلم : « فلذلك » ، وبذلك غيرها الشنقيطى فى نسخته فيما غيره بقلمه ، وكلاهما صحيح فى العربية .

(٢) يبدو أن هذه الكلمة مقحمة ، فان الكلام رأى خاص للبغدادى لا اقتباس له من غيره .

(٣) البيت لزهير نسبه سيبويه اليه فى ١ : ٨٣ ، ٤١٨ ، ٢/٤٥٢ : ٢٧٨ . ورواية « سابقا » فى أول موضع فقط . لكنه نسبه فى ١ : ١٥٤ الى صرمة الأنصارى مع رواية الجر . ورواه بدون نسبة ومع الجر فى ١ : ٢٩٠ .

ورواه أيضاً : (ولا سابقاً) فى موضع آخر . وكذلك قول الأعور الشَّنِّىِّ :

فليس بآتيك مَنْهِيُّها ولا قاصر عنك مأمورُها[1]

بالرفع والجر . وهذا كثير جداً . انتهى .

وفيه أن بيت[2] الفرزدق ليس على لغة الحجاز ولا على لغة تميم وغيرها فكيف يكون من قبيل لغة الراوى ! فتأمَّلْ .

والقول الأوّل من القولين هو للمازنى ، وتبعه المبرد وقال : كأنّ مثلَهم صفةٌ لبشر فلما قدّم عليه صار حالا .

قال السيد عبد الله (فى شرح اللب) : وفيه نظر لأنّ الحال فضلة يتم الكلام بدونها ، وههنا لا يتمّ الكلام بدون مثلهم ، فلا يكون حالاً .

وردّه ابن هشام أيضاً (فى شرح شواهده) بأن معانىَ الأفعال لا تعمل مضمرة . والكوفيُّون القائلون بنصب مثل على الظرف يقولون : أصله ما بشر فى مكانٍ مثل مكانهم ، ثم أنيبت الصفة عن الموصوف ، والمضافُ إليه عن المضاف . قال ابن هشام : ورُدّ بأنّ الصفة إنّما تخلُف الموصوف إذا اختُصَّت بجنسه ؛ ولهذا جاز رأيت كاتباً ، وامتنع رأيت طويلا .

وبقى تخريج آخر لم يذكره الشارح المحقّق ، وهو أنّ مثلهم خبر ما التيميّة ؛ لكن بنى مثلَ على الفتح لإضافته إلى مبنىٍّ ، ؛ فإنّ المضاف إذا كان مُبهَماً كغير ومثل ودون وأضيف إلى مبنىّ بُنىَ كقوله تعالى : ﴿ إنَّهُ لَحَقٌّ

---

(١) سيبويه ١ : ٣١ . ونسبه فى العمدة ١ : ١٣ الى عمر بن الخطاب، أو الأعور الشنى وفى العقد ٣ : ٢٠٧ لمحمد بن حازم .

(٢) فى النسختين : « باب » وحورها الشنقيطى فى نسخته الى « بيت » .

مثلَ ما أنّكُمْ تَنطِقونَ[1] ﴾ فيمن فتح مثل ، أو كقراءة بعضهم : ﴿ أنْ يُصيبَكُمْ مثلَ ما أصابَ[2] ﴾ بالفتح . وهذا أقرب الأقوال .

وزعم ابن مالك أنّ ذلك لا يكون فى مِثْل ، لمخالفتها للمبهمات بأن تثنّى وتجمع .

وقوله : (إذ هُمْ قريش الخ) إذ فى الموضعين للتعليل . وبه استشهد ابن هشام فى هذا البيت (فى المغنى) .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها عمرَ بن عبد العزيز الأموى . وهذه أبيات منها[3] :

أبيات الشاهد (تقولُ لمّا رأتنى وهى طيِّبة على الفراش ومنها الدَّلُّ والخفَرُ
أصدِرْ همُومَكَ لا يقتُلْكَ واردُها فكلُّ واردةٍ يوماً لها صَدَرُ)

إلى أن قال :

فعجْتُها قِبَلَ الأخيارِ منزلةً والطيّبِي كلَّ ما التاثت بها الأُزُرُ[4]
إذا رجا الركب تعريساً ذكَرت لهم عيشاً يكون على الأيدى له دِرَرُ[5]
وكيف ترجون تغميضاً وأهلُكُمُ بحيث تلْحَسِ عن أولادها البقرُ

(١) الآية ٢٣ من الذاريات .

(٢) الآية ٨٩ من هود . وقراءة النصب هى قراءة مجاهد والجحدرى وابن أبى اسحاق ، ورويت عن نافع أيضا . تفسير أبى حيان ٥ : ٢٥٥ .

(٣) ديوان الفرزدق ٢٢٠ ـ ٢٢٤ .

(٤) فى الديوان : « به الأزر » :

(٥) فى الديوان : « غيثا يكون » .

١٣٢ سيرُوا فإنّ ابنَ ليلى عن أمامكم وبادروه فإن العُرفَ يُبتَدَر[1])

إلى أن قال:

(وما أُعيدَ لهم حتّى أتيتَهم أزمانُ مروان إذْ فى وحشها غِرَرُ
فأصبحوا قد أعاد الله دَولتهم إذْ هم قريشٌ وإذ ما مثلَهمْ بشَرُ
ولن يزال إمامٌ منهم ملكٌ إليه يَشخَص فوق المِنبر البَصَرُ
إن عاقبوا فالمنايا من عقُوبتهم وإنْ عفَوْا فذَوو الأحلام إن قَدَروا)

قوله : ومنها الدلّ والخفر ، الدلّ بفتح الدال : مصدر دلّت المرأة من بابى ضرب وتعب . وتدللت تدلّلا ، والاسم الدَّلال وهو جُرءَتها فى تكسُّر وتغنُّج ، كأنّها مخالِفَة وليس بها خلاف . كذا فى المصباح . والخَفَر ، بفتح المعجمة ، وهو شدّة الحياء . وقوله : أصدِرْ همومَك ، أى اصرفْها عنك ، يقال صدر القومَ وأصدرناهم إذا صرفتَهم . وقوله : فكل واردة ، تعليل لقوله أصدِرْ .

وقوله : فعجُتْها قِبَلَ الأخيار الخ ، يقال عجت الناقة أعُوجها : إذا عطفتَ رأسها بالزمام ، والضمير للناقة . والقِبَل ، بكسر القاف وفتح الموحَّدة : الجهة . ومنزلةً تمييز . والطيِّبي معطوف على الاخيار وهو جمع مذكَّر سالم حذفت نونه للإضافة ، والمفرد طيِّب . والتاثت : التفّت ؛ يقال لاث عمامتة يَلُوثها ، إذا لفّها على رأسه . وضمير بها لما الموصولة . والأُزُرُ : جمع إزار ، وهو ما يستر من

(١) فى الديوان : « من أمامكم » . وفى العينى ٣ : ٦٢٦ : « فان أبا ليلى أمامكم » . ولاتصح ، فان الممدوح بالقصيدة عمر بن عبد العزيز ، وأمه هى ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، كما أن أم أبيه هى ليلى بنت الأصبغ بن زيادة الكلبى .

السرّة إلى أسفل. والرِّداء: ما يستر من المَنْكِب إلى أسفل. وهذا كناية عن وصفهم بالعفّة؛ والعرب تكنى بالشيء عمّا يحويه ويشتمل عليه، كقولهم: ناصح الجيب، أى الفؤاد. أراد أنّهم أخيار ذوو عفة.

وهذا البيت أورده ابن قاسم (فى شرح الألفيّة) على أنَّ الطيِّبي صفة مشبهة مضافة إلى مضاف إلى الموصول.

وقوله: إذا رجا الركبُ الخ، التعريس: النزول فى آخر الليل للاستراحة والنوم.

وقوله: بحيث تلحس الخ، أى فى موضع قفر لا نباتَ به ولا ماء.

وابن ليلى هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وليلى هى أمّه، وهى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه. والعُرف، بالضم: المعروف.

وقوله: إذ فى وحشها غِرَرَ، الغرر بالكسر: جمع غِرّة، وهى الغفلة. يريد أن وحشَها لا يَذعرها أحد، فهى فى غِرَّة من عيشها، يقال هو فى غرّة من العيش، إذا كان فى عيش ليس فيه كدر ولا خوف. وأزمانُ: نائب فاعل أُعيد. وأتيتَهم: خطابٌ لعمر بن عبد العزيز. وضمير وحشها للمدينة المنوَّرة.

قال ابن خلف: مدح الفرزدق بهذا الشعر عمرَ بن عبدالعزيز. وكان قد ولى المدينة. يقول: وما أُعيدَ لأهل المدينة ولمن بها من قريش أزمانٌ مثلُ أزمانِ مرْوانَ فى الخِصب والسَّعة، حتّى وَلِيت أنتَ عليهم فعاد لهم مثلُ ما كانوا فيه من الخير حين كان مروانُ والياً عليهم، فأصبحوا بولايتك عليهم قد أعاد الله نعمتهم عليهم.

وقال الأعلم: مدح بالشعر بنى أميّة فقال: كان مُلكُ العرب فى الجاهلية

لغير قريش وسائر مضر ، وكانوا أحقَّ به لفضلهم على البشر ، فقد أصبحوا والإسلام فيهم ، فعاد إليهم ما رجع عن غيرهم بما كان واجباً لهم بفضلهم . انتهى .

والمعنى هو الأول ويدلّ له قوله : قد أعاد الله نعمتهم ، فإنّ نعمتهم كانت
١٣٣ منقطعةً بعزل مرْوان وأعيدت إليهم بتولية عمر بن عبد العزيز عليهم ، فإنّ العَود رُجوع الشيء إلى الشيء بعد انفصاله عنه . وأما قوله : فعاد إليهم بعد ما خرج عن غيرهم ، فهذا انتقال لا عود .

وقوله : قد أعاد الله نعمتهم ، هذه الجملة خبر صار . والعجب من العينى فى قوله صار من الأفعال الناقصة[1] ، وجعله هذه الجملة حالا مع أنه لم يعيّن الخبر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائتين :

٢٧٥ (لوَ اَنَّكَ ياحُسينُ خُلِقْتَ حُرًّا
وما بالحرِّ أنتَ ولا الخليقِ[2])

على أن فيه دليلاً على جواز تقديم الخبر المنصوب ، إذ الباء لا تدخل إلاّ على الخبر المنصوب .

وعلى هذا بنى أبو علىّ والزمخشرى امتناعَ دخولها على ما التميمية ،

(١) كذا ، وفى هامش ش : « صوابه أصبح » .

(٢) فى الانصاف ٢٠٠ والمقرب ٣٥ وشرح شواهد المغنى ٤١ والتصريح ٢ : ٣٢٣ : « ولا العتيق » ، وفى يس ٢ : ٢٣٣ : « ولا الخليق» كما هنا .

وأجازه الأخفش . قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : أمّا ما أنشده بعض البغداديين :

أما واللهِ عالِمِ كلِّ غيب وربِّ الحِجْرِ والبيتِ العتيقِ
لوَ انّك ياحُسَين خُلِقْتَ حرًّا وما بالحرِّ أنت ولا الخليقِ

فإنّه يكون شاهداً على ما حكاه أبو عمرو فى نصب خبر ما مقدّما . ومن دفع[1] ذلك أمكن أن يقول إن الباء دخلت على المبتدأ ، وحمل ما على أنها ما التميمية . ويقوى أن ما الحجازيّةَ أنّ أنت أخصُّ من الحُرّ ، فهو أولى بأن يكون الاسمَ ويكون الحرّ الخبر . انتهى

أقول : من يدفع ذلك يقول إنّ البـاء زيدت فى خبر ما التميمية ، ولا يذهبُ أن مدخولهـا مبتدأ . والصحيح أنّها تزاد فى خبر ما على اللغتين ، وهو ظاهر كلام سيبويه فى باب الاستثناء فى مسألة مازيد بشىء إلاّ شىء لا يعبأ به .

قال الشاطبيُّ (فى شرح الألفيَّة) : والأصحُّ ما ذهب إليه سيبويه من أوجه :

أحدها : أنّ بنى تميم يدخلونها فى الخبر ، فيقولون : ما زيد بقائم ، فإذا لم يدخلوها رفعوا . قال ابن خروف : إنّ بنى تميم يرفعون ما بعدها بالابتداء والخبر ، ويدخلون الباء فى الخبر لتأكيد النفى . ثم حكى عن الفرّاء أنّه قال : أنشدتنى امرأةٌ :

أما واللهِ أنْ لو كنتَ حُرًّا وما بالحرِّ أنتَ ولا العتيقِ

(١) فى النسختين : « رفع » وحورها الشنقيطى الى « دفع » بالدال .

قال : فأدخلت الباء فيما يلي ما . فإن ألغيتها رفعت . انتهى

وقد أنشد سيبويه للفرزدق وهو تميمي :

لَعَمْرُكَ ما معنٌ بتـاركِ حقِّهِ ولا مُنسِئٌ مَعْنٌ ولا مُتَيَسِّرُ

وهو كثير في أشعارهم لمن بحثَ عنه .

والثاني : أن الباء إنما دخلت على الخبر بعد ما لكونه منفيًّا ، لا لكونه خبراً منصوبا ؛ ولذلك دخلت في خبر لم يكن ولم تدخل في خبر كنت . وإذا ثبت أن المسوّغ لدخولها إنّما هو النفي فلا فرق بين منفيٍّ منصوب المحل ومنفيٍّ مرفوع المحل .

والثالث : أنه قد ثبت دخول الباء مع إبطال العمل ومع أداةٍ لا عملَ لها البتة ، نحو قوله[1] :

لعمرُكَ ما إن أبو مالك بواهٍ ولا بضعيفٍ قُواه

وأنشد الفارسي (في التذكرة) للفرزدق :

١٣٤ يقول إذا اقْلَولَى عليها وأقْرَدَتْ ألا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بدائم[2]

وإنّما دخلت بعد هل لشبهها بحرف النفي ؛ فدخولها بعد النفي المحض وهو ما التميميّة أحقّ . قال ابن مالك : لأن شبه ما بها أكمل من شبه هل بها . ثم ذكر ماحكى الفرّاء عن كثيرٍ من أهل نجد : أنّهم يجرّون الخبر بعدما بالباء وإذا أسقطوا الباء رفعوا . قال ابن مالك : وهذا دليل واضحٌ على أن دخول

---

(١) هو المتنخل الهذلي ، كما سيأتي في الشاهد التالي .

(٢) انظر شواهد المغني للسيوطي ٢٦٢ والعيني ٢ : ١٣٥ ، ١٤٩ والهمع ١ : ١٢٧/٢ : ٧٧ وديوان الفرزدق ٨٦٣ .

الباء جارّة للخبر بعدما [لا(١)] يلزم منه كون الخبر منصوبَ المحل ، بل جاز أن يقال هو منصوب المحلّ وأن يقال هو مرفوع المحلّ ، وإنْ كان المتكلم به حجازياً ، فإنّ الحجازىّ قد يتكلم بغير لغته وغيره يتكلّم بلغته . إلاّ أنّ الظاهر أنّ محلّ المجرور نصبٌ إن كان المتكلّم حجازياً ، ورفعٌ إن كان تميميًا أو نجدياً . قال : فمن دخول اللغة التميميّة فى الحجازيّة كسرُ هاء الغائب بعد كسرة أو ياء ساكنة ، وإدغامُ نحو: ﴿ولا يُضارَّ كاتِبٌ ولاَ شَهِيدٌ(٢)﴾ ورفع الله من قوله تعالى : ﴿قلْ لا يعْلم مَنْ فى السَّمٰوَاتِ والأرْضِ الغَيْبَ إلا اللهُ(٣)﴾ لأنَّ اللغة الحجازية بهُ وفيهُ بالضمّ ، ولا يضارَرْ بالفكّ ، وإلاّ اللهَ بالنصب لأنَّ الاستثناء منقطع . قال : وإذا جاز للحجازىّ أن يتكلّم باللغة التميميّة جاز للتميمى أن يتكلّم باللغة الحجازية ، بل التميمىّ بذلك أولى لوجهين : أحدهما أنّ الحجازية أفصح ، وانقياد غير الأفصح لموافقة الأفصح أكثر وقوعا من العكس . والثانى أنَّ معظم القرآن حجازىٌّ والتميميون متعبِّدون بتلاوته كما أنزل ، ولذلك لا يقرأ أحد منهم ما هذا بَشَرٌ(٤) إلا مَن جهل كونه منزلا. هذا ما قاله ، وفيه نظر لا يليق بهذا الموضع . انتهى ما أورده الشاطبي .

وروى الفرّاء هذا البيت (فى تفسيره) كذا :

أما والله أن لو كنتَ حرًّا ... وما بالحرِ أنت ولا العَتيقِ(٤)

أنشده فى سورة الجنّ عند قوله تعالى : ﴿وإنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ(٥)﴾

---

(١) تكملة تقتضيها صحة الكلام .

(٢) الآية ٢٨٢ من البقرة .

(٣) الآية ٦٥ من النمل .

(٤) ط : « بشرا » ، صوابه فى ش بالرفع .

(٥) الآية ١٦ من الجن .

قال : قد اجتمع القراء على كسر إنّا فى قوله تعالى : ﴿ فقالوا إنّا سَمِعْنَا قُرآناً عجباً[١] ﴾ واختلفوا فيما بعدذلك فقرءوا : وأنا ، وإنّا إلى آخر السورة ، فكسروا بعضاً وفتحوا بعضاً . فأمّا الذين فتحوا كلّها فإنّهم ردّوا أنّ على قوله ﴿ فَآمَنّا به ﴾ وآمنّا بكلٍّ ذلك ، ففُتحت أنّ لوقوع الإيمان عليها . ويقوِّى النصب قوله تعالى : ﴿ وأن لَو استَقَاموا ﴾ فينبغى لمن كسر أنْ يحذفَ أنْ من لو ، لأنّ إنّ إذا خفّفت لم تسكن فى حكاية ؛ ألا ترى أنّك تقول : أقول لو فعلتَ لفعلتُ ، ولا تدخل أن . وأما الذين كسروا كلّها فهم فى ذلك يقولون : وأنْ لو استقاموا ؛ فكأنّهم أضمروا يميناً مع لو وقطعوها عن النّسَق ، فقالوا : والله أنْ لو استقاموا . والعرب تدخل أن فى هذا الموضع مع اليمين وتحذفها ، قال الشاعر[٢] :

* فأقسِمُ لو شىء أتانا رسوله[٣] *

وأنشدنى آخر :

أما والله أنْ لو كنتَ حُرًّا . . . . . . البيت

ومن كسر كلّها ونصب ﴿ وأنّ المساجِدَ لله ﴾ خصّه بالوحى ، وجعل وأن لو مضمرة فيها اليمينُ على ما وصفت لك . انتهى .

وكذا أورده ابن هشام (فى المغنى) فى بحث أنْ وجعلها زائدة ، قال :

ومن مواضع زيادتها أن تقع بين لو وفعل القسم ، مذكوراً كقوله[٤] :

---

(١) الآية الأولى من الجن .

(٢) هو امرؤ القيس . ديوانه ٢٤٢ . وهو الشاهد ٨١٧ .

(٣) عجزه :

* سواك ولكن لم نجد لك مدفعا *

(٤) هو المسيب بن علس ، من أبيات فى شرح شواهد المغنى ٤١ والخزانة ٤ : ٢٢٦ بولاق . وعجزه :

* لكان لكم يوم من الشر مظلم *

فأقسم أنْ لو التقينا وأنتم . . . .

أو متروكا كقوله :

أما والله أنْ لو كنتَ حُرًّا . . . . . . البيت

١٣٥ وهذا قول سيبويه[١] وغيره . وفى مقرب ابن عصفور : أنها فى ذلك حرف جىء به لربط الجواب بالقسم . ويُبعده أنَّ الأكثر تركها ، والحروف الرابطة ليست كذلك . انتهى .

ونقضه الدمامينى باللام الداخلة على جواب لو المنفى[٢] كقولك :

* ولو نُعطَى الخيارَ لما افترقنا[٣] *

فإنَّها حرف رابط، والأكثر تركها نحو: ﴿وَلَوْ شاء رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ[٤]﴾ انتهى وأنشده المرادى أيضاً كذا (فى شرح الألفية) شاهداً على أنَّ أنْ رابط لجواب القسم .

وقوله :

أما والله عالمِ كلِّ غيب . . . الخ

(١) الحق أن سيبويه لايرى زيادتها ، بل يعدها موطئة للقسم . سيبويه ١ : ٤٥٥ والرضى ٢ : ٣١٦ والخزانة ٤ : ٢٢٥ بولاق فى الشاهد ٨١٦ .

(٢) هذا ما فى ش . وفى ط : « على الجواب المنفى » .

(٣) ط : « تعطى » ، صوابه فى ش والسيوطى ٢٢٨ والهمع ٢ : ٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٣ .

(٤) الآية ١١٢ من الأنعام . وفى الأنعام غيرها ١٣٧ : « ولو شاء الله مافعلوه » .

أمَا بالتخفيف حرف تنبيه يستفتح به الكلام ، وجواب القسم محذوف أى لقاومتك ، أو في بيتٍ آخر .

وقوله : لوَ اَنّك ، يقرأ بنقل فتحة الألف من أنَّك إلى واو لو . والحرُّ من الرجال : الكريم الأصل الذى خلص من الرقّ مطلقاً ، سواء كان رقّ العبودية أو رقّ النفس ، بأن تستخدمه فى الرذائل . والخليق : الجدير واللائق . أي ولا أنت جدير بأنْ تكون حرّا . والعتيق ، على رواية الفرّاء وغيره ، هو الكريم والأصيل . والذى خلص من الرق عتيق أيضاً . ولذِكرهِ بجنب الحرّ حُسْنُ موقع .

وهذان البيتان لم أعرف قائلهما . وقال العينى ، فى البيت الشاهد : أنشده سيبويه ، ولم يعزه إلى أحد . أقول : لم ينشده سيبويه ولا وقع فى كتابه . وصوابه أنشده الفراء فإنَّه أوّل من استشهد به . والله أعلم

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والسبعون بعد المائتين(١) :

٢٧٦ (لَعَمْرُكَ ما إنْ أبو مالكٍ بِوَانٍ ولا بِضَعِيفٍ قُواه)

على أنَّ الباء تزاد بعد ما النافية المكفوفة بإنْ اتفاقاً . وهذا يدلُّ على أنه لا اختصاصَ لزيادة الباء فى خبر ما الحجازيّة .

صاحب الشاهد — وهذا البيت أول أبياتٍ للمتنخِّل الهُذَلىّ يرثى بها أباه ، وبعده :

(١) الهمع ١ : ١٢٧ والأشمونى ١ : ٢٥٢ والهذليين ٢ : ٢٩ والشعراء ٦٤٣ وأمالى المرتضى ١ : ٣٠٦ .

(ولا بألدَّ له نازِعٌ يُغارِى أخاه إذا ما نَهاه[1]
ولكنَّه هيِّنٌ لينٌ كعالية الرُّمْح عَرْدٌ نَساه
إذا سُدْتَه سُدْتَ مِطواعةً ومَهْماَ وَكلْتَ إليه كَفاه
ألا مَنْ ينادى أبا مالكٍ أفى أمرنا هُوَ أمْ فى سِواه
أبو مالكٍ قاصرٌ فَقْرَه على نَفْسِه ومُشيعٌ غِناه)

وقوله : (لعمرك ما إنْ الخ) اللام لام الابتداء ، وفائدتها توكيد مضمون الجملة . وعَمْرك ، بالفتح ، بمعنى حياتك مبتدأ خبره محذوف ، أى قسمى . وجملة ما إن أبو مالك الخ جواب القسم . وأبو مالك هو أبو الشاعر . واسمه عُويمر ، لأنَّ المتنخِّل اسمه مالك بن عويمر كما يأتى قريباً . ولم يصب ابن قتيبة فى كتاب الشعراء فى زعمه أنه يرثى أخاه أبا مالك عويمراً . (وَانٍ) : اسم فاعل من ونى فى الأمر وَنًى ووَنْياً من بابى تعب ووعد ، بمعنى ضعف وفتر . وروى بدله (واهٍ) وهو أيضاً اسم فاعل من وهَى من باب وعد ، بمعنى ضعف وسقط . والقُوَى : جمع قُوَّة خلاف الضعف ، قال فى الصحاح : ورجل شديد القُوى ، أى شديد أسر الخَلْق . يريد أن أباه كان جلداً شهماً لا يَكِلُ أمره إلى أحد ، ولا يؤخِّره لعجزه إلى وقت آخر .

١٣٦ وقوله : ولا بألدّ الخ ، الألدّ : الشديد الخصومة ، من اللَّدَد بفتحتين وهو شدّة الخصومة . قال السكرى (فى شرح أشعار هذيل) هنا ، وتبعه السيِّد المرتضَى (فى أماليه) : ومعنى له نازع أى خُلُق سَوء ينزِعه من نفسه ـ يريد أنه من نزَعت الشىء من مكانه من باب ضرب بمعنى قلعته ـ ويجوز أن يكون من قولهم لعلّ له عرقاً نزع أى مال بالشبه . ويقولون أيضاً : العرق نزّاع .

(١) ط : « بغارى » ، صوابه فى ش والشرح التالى .

ونزع إلى أبيه ونحوه فى الشبه أى ذهب . وهذا عندى أولى . وقوله : يغارى أخاه ، قال السكّرى ، وتبعه السيد المرتضى : أى يُلاحى ويشارّ ، من غاريت بين الشيئين ، إذا واليت بينهما . قال أبو عبيدة : وهو من غُرِى بالشىء يُغْرَى به . أقول : كونه من غَرِى فلان إذا تمادى فى غضبه أولى . وروى بدله : (يعادى) من العداوة ضدّ الصداقة . وهذا وما قبله كلاهما داخلان تحت النفى .

وقوله : كعالية الرمح الخ ، عالية الرمح : ما دخل فى السنان إلى ثلثه . ومعنى كونه ليّنا كعالية الرمح أنّه إذا دعى أجاب بسرعةٍ كعالية الرمح ، فإنه إذا هُزّ الرمح اضطرب وانهزّ للينه ، بخلاف غيره من الأخشاب فإنه لا يتحرّك طرفها إذا هُزّت لصلابتها ويبسها . وقوله : عرد نساه ، العَرْد ، بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الشديد . والضمير لأبى مالك . والنَّسا ، قال الأصمعىّ : بالفتح مقصور : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتّى يبلغ الحافر ، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرَى النَّسا بينهما واستبان . وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الرَّبلتان وخفِىَ النَّسا . وإذا قالوا : إنه لشديدُ النَّسا فإنّما يريدون به النَّسا نفسه ، كذا فى الصحاح . قال السكرىّ : أراد غليظ موضع النسا .

وقوله : إذا سُدْته سدت الخ قال السيد المرتضى: ومعنى سُدْتَه من المساوَدَة التى هى المسارَرَة ، والسِّواد هو السِّرار ، كأنه قال : إذا ساررتَه طاوعك وساعدك . وقال قوم : هو من السيادةِ فكأنّه قال : إذا كنتَ فوقه سيِّدا له طاوعك ولم يحسدْك ، وإن وكلت إليه شيئا كفاك . وقوم ينشدونه :

* إذا سُستَه سُسْت مِطواعةً *

ولم أجد ذلك فى رواية . انتهى . وهذه الرواية أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة (فى مختار أشعار القبائل) . وسسته ، من سست الرعيّة سياسة . والمِطواع : الكثير الطَّوع أى الانقياد ، والتاء لتأكيد المبالغة . واقتصر السكّرىُّ على المعنى الثانى فقال : يقول إذا كان لك السؤدد عليه أطاعك ولم يحسدك . ومهما وكلت إليه أى مهما تركته وإيّاه كفاه . انتهى

والسِّواد بالكسر كالسِّرار وزناً ومعنى .

وهذا البيتُ يأتى شرحه إن شاء الله فى الجوازم[1] وقوله : أفى أمرنا هو الخ ، يعنى غَيبته عنّا ألِينفعنا كما كان تعوَّد[2] ، أم لشىء آخر كالموت . وهذا كلام المتولِّه الذى حصل له ذهول لعظم ما أصابه . وقال السكرىّ : هذا منه توجُّع ، أراد من ينادى أبا مالك فيسأله أمضَى أم قد ذهب ، وأمره يصير إلينا أم يذهب ؟ وقال الباهلى : أمرُنا أمْرُه .

وقوله : قاصر فقره على نفسه ، هو من القَصْر وهو الحبس . والمُشيع : من الإشاعة ، وهى الإذاعة . يريد أنه إذا افتقر أخفى فقره ، وإذا أثرى أذاع غناه ليُقصَد من كلِّ جهة ، وهذا من شرف النفس .

وهذه الأبيات على هذا الترتيب للمتنخِّل الهُذَلىِّ رواها ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) ، والسكرىُّ (فى أشعار هذيل) ، والسيد المرتضَى (فى أماليه) والأصبهانى (فى أغانيه) . وروى أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) البيت الشاهد مع بيتين آخرين لذى الإصبع العَدْوانىّ هكذا :

---

(١) وهو الشاهد ٦٨٥ .

(٢) ش : « يغزو » .

١٢٧ وما إن أُسيدٌ أبو مالك بوانٍ ولا بضعيفٍ قواه
ولـكنّه هـيِّنٌ لـينٌ كعالية الرمح عَرْدٌ نَساه
فإن سُسته سُستَ مِطواعةً ومهما وَكَلتَ إليه كَفاه

وأَسِيد ، بفتح الهمزة وكسر السين المهملة .

المتنخل الهذلى

والمتنخِّل ، بكسر الخاء المشددة اسم فاعل من تنخَّل ؛ يقال تنخلته : أى تخيَّرته كأنك صفّيته من نُخالته . وللتنخل لقبٌ ، واسمه مالك وهو جاهلى . ونسبته : مالك بن عُويمر[1] بن عثمان[2] بن خُنيس[3] بن عادية ابن صعصعة بن كعب بن طابخة ، أخو بنى لِحيان بن هذيل بن مُدرِكة . شاعرٌ محسن من شعراء هذيل .

قال الآمدى[4] : والمتنخِّل السعدىّ شاعر أيضاً ، لم يقع إلىّ من شعره . واستشهد الـكسائىّ والفرّاء بقوله[5] :

يا زبرقانُ أخا بنى خَلَفٍ ما أنت وَيبَ أبيكِ والفَخرُ

ومن شعر المتنخل الهذلِىّ ، أنشده أبو عبيد البـكرىّ (فى شرح نوادر القالى) وليس موجودا فى رواية السكرىّ :

لا يُنسىءِ اللهُ مِنّا معشراً شَهِدوا يومَ الأُميلِح لا عاشُوا ولا مَرِحوا

(١) وقيل « عمرو » .
(٢) وقيل « عثم » .
(٣) وقيل « حبيش » . وانظر الأغانى ٢٠ : ١٤٥ والمؤتلف ١٧٨ واللآلى ٧٢٤ والعينى ٣ : ٥١٧ .
(٤) فى المؤتنف والمختلف ١٧٨ .
(٥) هو المخبل السعدى . سيبويه ١ : ١٥١ والهمع ٢ : ٤٢ والخزانة ٢ : ٥٣٥ بولاق .

عَقُّوا بسهم فلم يَشْعُر له أحدٌ   ثم استفاءوا وقالوا حبَّذا الوَضَحُ

قال البكرىّ[١] : هذا من شعر يهجو به ناساً من قومه كانوا مع أبيه حُجّاجا يومَ قُتل. وقوله : لا ينسئُ الله ، أى لا يؤخِّر الله موتهم ؛ من الإنساء وهو التأخير. قال أبو العبَّاس ثعلب : التَّعقِيَة : سهم الاعتذار. قال ابن الأعرابىّ : أصل هذا أن يَقتل الرجل رجلاً من قبيلته فيُطلب القاتل بدمه ، فتجتمع جماعةٌ من الرؤساء إلى أولياء المقتول بديةٍ مُكمَلة ويسألونهم العفو وقبولَ الدية ؛ فإن كان أولياؤه ذوى قوَّة أبَوا ذلك ، وإلاّ قالوا لهم : بيننا وبين خالقنا علامةٌ للأمر والنَّهى ؛ فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون : أن نأخذ سهماً فنرمىَ به نحو السماء ، فإنْ رجع إلينا مضرَّجاً بالدم فقد نُهينا عن أخذ الديَة ، وإن رجع كما صعد فقد أُمِرْنا بأخذها. وحينئذ مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية. وكان مسح اللحية علامةً للصُّلح ، قال الأسعر[٢] الجُعْفى :

عقّوْا بسهم ثم قالوا سالِمُوا   ياليتنى فى القوم إذْ مسَحُوا اللحى[٣]

قال ابن الأعرابىّ: مارجع ذلك السهمُ قطُّ إلاّ نقياً ، ولكنهم يعتذرون به عند الجهّال. انتهى.

وعقّوا ، بضمّ القاف وفتحها ، لأنهُ جاء من بابين فإنه يقال : عقَّ بالسهم إذا رمىَ به نحو السماء وذلك السهم يسمَّى عقيقة بقافين ، ويقال له أيضاً : سهم

(١) ش : « السكرى » ، صوابه فى ط .

(٢) فى النسختين : « الأشعر » وحور الشنقيطى نقط الشين الى سكون فوق السين ، وهو الصواب . والأسعر الجعفى من شعراء الأصمعيات ، لقب بالأسعر لقوله :

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك   لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

(٣) انظر الأصمعيات ١٥٩ برواية « مسحوا لحاهم ثم قالوا سالموا ».

الاعتذار . فعقُّوا بضم القاف . ويقال عقَّى بسهمه تعقية : إذا رماه فى الهواء . فعقَّوا بفتح القاف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائتين[١] :

٢٧٧ (نَدِمتُ على لسانٍ كانَ مني فليتَ بأنَّه فى جَوْفِ عِكْمِ)

على أنَّ الباء قد تزاد بعد ليت كما هنا .

قال أبو زيد (فى نوادره) : الباء زائدة ، والوجه فليت أنّه[٢] .

قال أبو على (فى التذكرة القصريّة) : وجه زيادة الباء فى اسم ليت شبهُ
١٣٨ ليت لنصبها ورفعها بالفعل ، والفعل يصل تارةً بنفسه وأخرى بالباء ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى[٣]﴾ ، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحقُّ المبين[٤]﴾ .

ومثله فى أنه لما أشبه الفعل عُدِّى تعديته تارةً بنفسه وأخرى بحرف الجر يا زيدُ ويالزيد .

فإن قلتَ : فهل يكون على إضمار اسم ليت كقوله :

ألا ليت أنِّى يوم تدنُو منيتّي شمِمْتُ الذى مابين عَينيك والفمِ ؟

فإنّ ذلك لا يستقيم ، لئلا يبتدأ بأنّ مفتوحة .

وسدَّ الظرف فى خبر أنَّ مسدَّ خبر ليت كما سدّ فى قولك علمت أن زيداً فى الدار مسدَّ المفعول الثانى . وجوازُ حذف الخبر فى ليت وأنّ وبابه ، بوقوع الجمل أخباراً لها . انتهى .

---

(١) نوادر أبى زيد ٣٣ وديوان الحطيئة ٦١ واللسان (عكم ، لسن) .

(٢) فى النوادر : « والوجه فليته » .

(٣) الآية ١٤ من سورة العلق .

(٤) الآية ٢٥ من سورة النور .

وقال (في الحجة) عند قوله تعالى: ﴿ولكنَّ الشَّياطينَ كَفَروا[1]﴾ من سورة البقرة: فأما ما أنشده أبو زيد:

ندمت على لسانٍ فات منّي (البيت)

فيحتمل أمرين: أحدهما أن تكون الباء زائدة وتكون أنّ مع الجار في موضع نصب، ويكون ما جرى في صلة أنَّ قد سدّ مسد خبر ليت، كما أنها في ظننت أنّ زيداً منطلق كذلك. ويحتمل أن الهاء مرادة ودخلت الباء على المبتدإ كما دخلت في بحسبك أن تفعل ذلك. ولا يمتنع هذا من حيث امتنع الابتداء بأنّ، لمكان الباء، ألا ترى أنّ أنّ قد وقعت بعد لولا في نحو قولك: لولا أنك منطلق، ولم يجر ذلك الامتناع مجرى أنَّك منطلق بلغني، لأنّ المعنى الذي له لم يبتدأ بالمفتوحة — مع لولا — معدوم. انتهى كلامه.

وروى شارح ديوان الحطيئة: (فليت بيَانَه)، فلا شاهد فيه.

وهذا البيت من أبيات للحطيئةِ قالها لأبي سهم عوذ بن مالك بن غالب[2]. وهي أربعة أبيات في ديوانه. وكذلك قال أبو زيد (في نوادره): قال المفضَّل لم أسمع غير هذه الأربعة الأبيات، وهي: أبيات الشاهد

(فيا نَدَمى على سَهْمِ بن عَوْذٍ[3] نَدامةَ ما سَفِهتُ وضلَّ حلمي

ندِمتُ نَدامة الكُسَعيِّ لمَّا شَرَيتُ رضا بني سَهْمٍ برَغمي

(١) الآية ١٠٢ .

(٢) ش: « عود بن غالب » باسقاط « مالك »، وفي النسختين: « عود » بالدال، صوابه « عوذ » بالذال المعجمة كما في شرح السكري لديوان الحطيئة ٦٠ .

(٣) في النوادر: « سهم بن عوف ».

ندمتُ على لسانٍ فاتَ منى ... فليت بأنَّه فى جوف عِكْمِ
هُنالِكمُو تهدَّمت الرَّكايا ... وضُمِّنَت الرَّجا فهوَتْ بذمِّ)

قوله : فيا ندمى ، قال أبو عُمَر[1] الجَرْمى : أراد فيا ندامتاه ، فحذف الهاء لما وصل الكلام . ويروى : (يا ندمى) بإسقاط الفاء . (وندامةَ) بالنصب ، وما مصدريّة أى ندامةَ سفَهى ، ويشهد له الرواية الأخرى وهى (نَدامة أنْ سَفِهت) ، وقد رواها شارح ديوانه . والسفَه : طيشٌ وخفّة عقل . والحِلم ، بالكسر : العقل .

والكُسَعىُّ : رجل جاهلىٌّ كانت له قوس رمى عليها بالليل حميراً من الوحش ، فظن أنه أخطأ — وكان قد أصاب — فغضب فكسرها ، فلما أصبح رأى الحمير مجدَّلةً فندم على كَسْر قوسه . فضُرب به المثل فقيل : « أندَم من الكُسَعىِّ » ، و : « نَدِمت ندامةَ الكُسَعىِّ » .

وشرح هذا المثل مفصَّل فى أمثال حمزة والمَيدانىّ والزمخْشرىّ .

وشرَيت هنا بمعنى بعت . يقول : بِعْتُ رضامِ برغمٍ منّي .

وقوله : (ندمت على لسانٍ الخ) قال شارح الديوان : اللسان ها هنا الكلام فيكون مجازاً أطلق عليه اسم آلته . وقال أبو زيد : اللسان ها هنا المنطق . وقال ابن الأنبارىُّ (فى شرح المفضّليات) : اللسان ها هنا الرسالة ، أورَده نظيراً لمطلع قصيدة مرقش الأكبر :

أتتنى لسانُ بنى عامرٍ ... فجلَّت أحاديثُها عن بَصَرْ ١٣٩

---

(١) فى النسختين : « أبو عمرو الجرمى » وهو خطأ يتكرر كثيرا .

وقد تكلّم أبو على (فى الإيضاح الشعرىّ) على اللسان بكلام مبسوط على قول يزيد بن الحكم :

لسانُك لى أرىٌ وعينك عَلْقَمٌ   وشرُّكَ مبسوطٌ وخيرك مُلتوِى

وقد تقدم هذا البيت فى قصيدته مشروحةً فى الشاهد الثمانين بعد المائة[1] فأحببت أن أورده هنا لحسنه ، قال : ليس يخلو اللسان من أحد المعنيين ، إمّا أن يكون الجارحةَ ، أو التى بمعنى الكلام كقوله عز وجل : ﴿وما أرسلنا مِن رَسُولٍ إلاّ بِلِسانِ قَوْمِه[2]﴾ كأنّ المعنى : بلغتهم . ومما يقوِّى ذلك إفرادُ اللسان حيث أريد به الجارحة ، قال عز وجل : ﴿ واختِلافُ ألسِنَتِكُمْ وألْوَانِكُمْ[3]﴾ . وأنشد أبو زيد :

ندمت على لسانٍ كانَ منّى   . . . . البيت

فبهذا يُعلم أنه لا يريد به الجارحة ، لأنّ الندم لا يقع على الأعيان ، إنما يقع على معانٍ فيها . فإن قلت : فقد قال :

* فليت بأنه فى جوف عِكم *

إنما يكون العين. قيل : هذا اتساع ، وإنما أراد فليتَه كان مطويًا لم ينشر ؛ كما قال أوس :

ليس الحديثُ بِنُهبَى بينهنّ ولا   سرٌ يحدِّثْنَه فى الحىّ منشورُ

فليس المنشور هنا كقولك نشرت الثوب الذى هو خلاف طويته ، وإنّما يريد أنه لا يذاع ولا يشاع ، فاتّسع . وكذلك قوله :

(١) الخزانة ٣ : ١٣٤ .
(٢) الآية ٤ من ابراهيم .
(٣) الآية ٢٢ من الروم .

* إنّى أتانى لسانٌ لا أُسَرُّ به[١] *

انتهى المراد منه

وتقدّم بقيّة هذا على بيت ابن الحكم هناك . ومراد أبى علىّ بالاتساع الاستخدام ، فانَّ اللسان أريد بظاهره معنى وبضميره معنىً آخر ، كقوله[٢] :

إذا نزَل السماءُ بأرض قوم رَعيناه وإنْ كانوا غِضابا

وكانَ هنا تامة بمعنى حدث وجرى ، ويروى بدله (فات منى) . و (العِكْم) بكسر المهملة : العِدْل ، وقال شارح الديوان : هو مثل الُجوالِق .

وقوله: هنالكم الخ أى عند ذلك القول الذى صدر منّى فى حقهم . والركايا : الآبار ، جمع رَكىّ ، ونائب فاعل ضُمِّنت ضمير الركايا ، والرجا مفعوله الثانى . قال فى الصحاح : وكلُّ شىء جعلته فى وعاء فقد ضمّنته إياه . والرجا بالجيم قال شارح الديوان : هو جانب البئر من داخل ، وجُولها بالضمّ : جوانبها من خارج . والرَّجا : الناحية من كلّ شىء ، قال أبو زيد : الرجا هنا بمعنى الأرجاء . يريد أنه مفرد معرَّف باللام وقع موقعَ الجمع ، لأن البئر لها نَواحٍ . يقول : عندما صدر منى قولٌ فى حقّهم كأنّ الآبار تهدّمت وسقطت علىَّ بجميع نواحيها بسبب ذمّى . وروى (بذمٍّ) بالتنكير . قال شارح ديوانه : أى بذمٍّ الركايا . وقال أبو على فى (التذكرة) : يقول، كالذى حفر بئراً وهو حين حَفَرها لم يقدِّر أنها تقع على فساد ، فلما أنْ حفرها وقع على فساد ، فبناها

(١) لأعشى باهلة يرثى المنتشر . انظر الأصمعيات ٨٩ وحواشيها . وعجزه :

* من علو لاعجب منه ولا سخر *

(٢) هو معود الحكماء معاوية بن مالك بن جعفر ، أو جرير . معاهد التنصيص ١ : ٢/٢٢٨ : ١٣٩ وديوان جرير ١٧ .

على ذلك وتهدَّم ما بنى ؛ وكان قبل ذلك يأمُل التمام لِما يريد . فمثل هذا لمّا أن مدح على رجاءِ تمام للمدح فأخلف فهوى بذمّ . انتهى

ثم رأيت ديوانَ الحطيئة جمع أبى سعيدَ السكّرىّ من رواية محمد بن حبيب وقبل هذه الأبيات قصيدةٌ فى ذمٍّ بنى سَهم بن عوذ[1] بن مالك بن غالب ابن قُطيعة بن عَبْس — وهم بنو عمِّه — منها :

ولو وجدت سَهمٌ على الغيِّ ناصراً لقد حلَبت فيه زماناً وصَرَّتِ[2]

ولـكنَّ سهماً أفسدت دارَ غالبٍ كما أعدَتِ الُجربُ الصِحاحَ فعَرَّتِ ١٤٠

قال السكّرىّ : كان من حديث هذه القصيدة أنّ بنى مالك بن غالب — وهم رهط الحطيئة — وبنى سهم بن عَوذ بن مالك بن غالب أغاروا — وفيهم سُمَـير المخزومىّ ، ورئيسهم قدامة بن علقمة ، ومعهم المسيّب — على هوازنَ فأصابوا سبياً وإبلا ؛ فتنازع المسيب وسمير فى الإبل ، فغلب عليها المسيّب . ثم إن سميراً خرج بِنَفَرٍ من قومه حتى أتوا الابل فأطردوها ؛ فلما أتى المسيبَ الخبر ركب بأصحـابه [فالتقوا[3]] فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل منهم أربعة نفر ، وذهب بها سمير . وكان قال هذه الأبيات قبل أن يذهب بها سميرٌ ، فلما ذهب بها سمير ندم الحطيئة مما قال فقال :

فياندمى على سَهْم بن عوذٍ (الأبيات الأربعة)

---

(١) فى النسختين : « عود » فى جميع المواضع ، صوابه بالذال المعجمة كما سبق .

(٢) فى الديوان : « لقد حلبت فيها نساء وصرت » ، وقال فى شرحه : « يقول : سبين فصرن رواعى » .

(٣) التكملة من شرح الديوان .

قال السكّرى : أراد باللسان الشعر ، يريد : وددت أنَّ الشعر الذى قلتُ فيهم كان مخبوءًا فى جُوالق . والرجا : ما بين رأس البئر إلى أسفلها ، فجعله ها هنا أسفلها . وقوله : وضمِّنت الرجا ، يريد أنها تهدّمت فصار أعلاها فى أسفلها . فلذلك جعل أسفلَها تضمَّن أعلاها . وهذا مثل . وهوت بذمٍّ : سقطت مذمومة[1] إنتهى كلامه .

وترجمة الحطيئة قد تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] :

٢٧٨ (مشائيم ليسوا مُصلِحينَ عَشيرةً
ولا ناعِبٍ إلا ببِينٍ غُرابُها)

على أن (ناعبٍ) عطف بالجرّ على (مصلحين) المنصوب على كونه خبر ليس لتوهّم الباء ، فإنها تجوز زيادتها فى خبر ليس ، ويسمّى هذا فى غير القرآن العطف على التوهّم ، وفى القرآن العطف على المعنى

وأنشده سيبويه فى موضعين بروايتين ، الأول أنشده (ولا ناعباً) بالنصب للعطف على مصلحين ، استشهد به على نصب عشيرة بمصلحين لأنّ

---

(١) الذى عند السكرى : « وبذم ، هذا مثل . يريد سقطت مذمومة» .
(٢) الخزانة ٢ : ٤٠٦ .
(٣) فى كتابه ١ : ٨٣ ، ١٥٤ ، ٤١٨ والخصائص ٢ : ٣٥٤ والانصاف ١٩٣ ، ٣٩٥ ، ٥٩٥ وابن يعيش ٢ : ٥/٥٢ : ٧/٦٨ : ٥٧/ ٨ : ٦٩ وشرح شواهد المغنى ٢٩٥ والأشمونى ٢ : ٢٣٥ وديوان الفرزدق ٢٣ .

النون فيه بمنزلة التنوين في واحده ، وكلاهما يمنع من الإضافة ويوجب نصب ما بعده ، والثانى بجرّ (ناعب) على توهّم الباء فى خبر ليس .

ولم يجز المبرد إلاّ نصب ناعب ، قال : لأنّ حرف الجر لا يضمر .

وقد بيّن سيبويه ضعفه وبُعدَه مع أخذه لذلك عن العرب سماعاً ، فلا معنى للرد عليه .

وأورده صاحب الكشّاف نظيراً لقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرسولَ حَقٌّ[1] ﴾ قال : شهدوا معطوف على ما فى إيمانهم من معنى الفعل ، فهو من قبيل عطف الفعل على المصدر بتقدير أن ، إذ المعنى بعد أن آمنوا وشهدوا ، كما جرّ الشاعر ناعباً بتوهم الباء فى خبر ليس .

وهذا البيت من قصيدةٍ عدّتها ستة وعشرون بيتاً ، للأخْوَص اليرْبوعى . صاحب الشاهد

وهذه أبيات منها أنشدها الجاحظ (فى كتاب البيان[2]) :

أبيات الشاهد

(وليس بِيَرْبوع إلى العقل حاجةٌ سِوى دَنَسٍ يسودُّ منه ثيابُها[3]

فكيف بنوكى مالكٍ ان غفَرتم لهم هذه أم كيف بعدُ خِطابها[4]

(١) الآية ٨٦ من آل عمران . وكذا استشهد به صاحب الكشاف فى سورة هود : « ومن وراء اسحاق يعقوب » بنصب يعقوب . وكذا عند قوله تعالى فى سورة المؤمن : « اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل » بجر السلاسل .

(٢) البيان ٢ : ٢٦١ .

(٣) فى النسختين : « يسود منها » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٤) البيان : « ان كفرتم » والكفر والغفر بمعنى .

مَشائيم ليسوا مُصلحين عشيرةً . . . . البيت
فإن أنتمُ لم تَقتُلوا بأخيكم فكونوا بغايا بالأكُفِّ عيابُها[١]
سيُخبِرُ ما أحدثتُمو فى أخيكم رفاقٌ من الآفاق شتَّى إيابُها)

قال أبو محمد الأسود الأعرابىّ (فى فرحة الأديب) : هذا الشعر لقتال
١٤١ كان بين بنى يربوع وبين بنى دارِم . فأراد بقوله مشائيم بنى دارم بن مالك لا بنى يربوع . وكان من قصة هذا الشعر أنَّ ناساً من بنى يربوع وبنى دارم اجتمعوا على القَرعاء ، فقُتل بينهم رجلٌ من بنى غُدانة يكنى أبا بدر ؛ فقالت بنو يربوع : والله لا نبرح حتَّى ندرك ثأرنا ! فقالت بنو دارم : إنّا لا نعرف قاتله فأقيموا قَسامةً نعطيكم حقَّكم . فقالت بنو غُدانة : نحن نفعل . فأخرجوا خمسين لحلفوا كلّهم إلاّ رجلاً — أنَّ الذى قتل أبا بدرٍ عُبيدُ بن زُرعة ؛ فقال الباقى من الخمسين أليس تدفعون إلينا عبيداً[٢] إذا أنا أكملت الخمسين ؟ قالوا : لا ، ولكنّا نَدِيه لأنّا لا ندرى من قتله . فقال الباقى عند ذلك — وهو أبو بَيْض الغُدانى — والله لا أكملهم أبداً ، ولا يفارقنا عُبيد حتّى نقتله ! فقام ضِرار بن القعقاع بن مَعبد بن زُرارة ، وشَيبان بن حنظلة بن بِشْر ابن عَمرو فكفلا بعُبيد ؛ فدفعته بنو غُدانة إليهما ، فلما جنَّهم الليل قال ضرار وشيبان لعُبيد : انطلقْ حيث شئت . وغدت بنو غُدانة على بنى دارم ؛ فقالوا لهم : إنَّ صاحبكم قد هرب ولكن هذه الدِّيةُ ، فاقبلوها من إخوتكم ، ولا تطلبوا غير ذلك فتكونوا كجادِعِ أنفه ، ولو علمنا مكان صاحبكم

(١) كذا فى ش مع الوضوح . وفى ط : « لم تعقلوا » .
(٢) كذا فى فرحة الأديب ، وسقطت من النسختين كلمة « عبيدا » ، وفى ط : « تدفعونه » .

قصَدْنا إليه . فلمّا سمعهم الأخوص يذكرون الدية قال : دعونى أتكلّم . قالوا : تكلّمْ يا أبا خولة . فقال هذه الأبيات من قصيدة .

قوله : وليس بيربوع إلى العقل الخ ، يقول : إنّ العقل لا ينفعهم بل يضرّهم ويكسبهم عاراً . ونَوكى ، بالفتح جمع أنوَك كأحمق وحمقى ، وزناً ومعنى ، أى كيف العِشرة معهم . ويروى بدل خِطابها (سبابها) بالكسر : مصدر سابّه أى شاتمه .

و (مشائيم) : جمع مشئوم كمقصور ، قال (فى الصحاح) وقد شأم فلان قومَه يشأمهم فهو شائم : إذا جرّ عليهم الشؤم ؛ وقد شُئِم عليهم فهو مشئوم : إذا صار شؤما عليهم ، وقوم مشائيم . وأنشد هذا البيت .

وقال السيد المرتضى[1] رحمه الله تعالى : « إنّ العربَ لا تعرف هذا ، وإنما هو من كلام أهل الأمصار . وإنما تسمّى العربُ مَن لحقه الشؤمُ مشئوما ، كما فى قول علقمةَ بن عَبَدة :

ومَن تعَرَّضِ للغِرْبانِ يَزجُرُها على سلامته لا بدَّ مَشئومُ »

و (عشيرة) الرجل : بنو أبيه الأدنون . قال الأعلم : نسبهم إلى الشؤم وقلّة الصلاح والخير فيقول : لا يصلحون أمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ، ولا يأتمرون بخير ، فغرابهم لا ينعِبُ إلاّ بالتشتيت والفراق . وهذا مثل للتعصّب[2] منهم والتشؤّم . و (النعيب) بالعين المهملة : صوت الغراب ومدّه عنقه عند ذلك ؛ ومنه يقال ناقة نعوب : إذا مدّت عنقَها فى السير . وقال ابن

(١) أمالى المرتضى ١ : ٥٧٨

(٢) فى الأعلم ١ : ٨٣ : « للتطير » . وفى ش : « للتعظيم » ، وأثبت ما فى ط .

السيرافى (فى شرح شواهد إصلاح المنطق) : يقال نعَبَ الغراب : إذا صاح . وهم يتشاءمون بصوت الغراب . وإنما ذكر هذا على طريق المثل وإن لم يكن غراب ، كما يقال فلان مشئوم الطائر ، ويقال طائر الله لا طائرك . انتهى .

وقال ابن خلف : وقولهم « أشأم من غراب البين » فانّما لزمه هذا الاسم لأنّ الغراب إذا بان أهلُ الدار لنُجعةٍ وقَع فى مواضع بيوتهم يتلمس ما يأكله ؛ فتشاءموا به وتطيَّروا منه ، إذ كان لا يعترى منازلهم إلاّ إذا بانوا ، فسمَّوه غرابَ البين . ثم كرهوا اطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة ، فعلموا أنه نافذ البصر صافى العين ، حتى قالوا : « أصفى من عين الغراب » كما قالوا : ١٤٢
« أصفى من عين الديك » ، فسمَّوه الأعورَ كنايةً ، كما كنَوا عن الأعمى فسمَّوه أبا بَصير ، وكما سمَّوا الملدوغ سليما ، والفيافىَ مَفاوز . وهذا كثير . ومن أجل تشاؤمهم بالغُراب اشتقّوا من اسمه الغُربة ، والاغتراب ، والغَريب . وليس فى الأرض شىء ممّا يتشاءمون به إلاّ والغراب عندهم أنكد منه . وذكر بعض أصحاب المعانى أن نعيب الغراب يُتطيَّر منه ونَغيقه يُتفاءل به ، وأنشد قولَ جرير :

إنّ الغُراب بما كرِهتُ مُوَلَّع بنَوى الأَحِبَّة دائمُ التَّشحاجِ
ليتَ الغُرابَ غَداة يَنعِب دائباً كان الغرابُ مقطَّع الأَوداج

ثم أنشد فى النغيق :

تركتُ الطير عاكفةً عليه وللغِربان من شِبَعٍ نغيقُ

قال : ويقال نَغَق الغراب إذا قال : غِيقْ غِيقْ . فيقال عندها نَغَق بخير . ونعب نعيباً : إذا قال غاقٍ غاقٍ . فيقال عندها نعَب ببين . قال : ومنهم من يقول نَغَق ببين . وأنشد فى ذلك :

أبقَى فِراقهمُ فى المقلتين قَذًى   أمسى بذاك غراب البين قد نَعَقا

قال: وبعض العرب قد يتيمَّن بالغراب فيقال: «هم فى خَيرٍ لا يُطار غرابه» أى يقع الغراب فلا ينفِّر، لكثرة ما عندهم. فلولا تيمُّنهم به لكانوا ينفِّرونه.

وقال الدافعون لهذا القول: الغراب فى هذا المثل السواد، واحتجوا بقول النابغة:

ولرهطِ حرّاب وزيد سورةٌ   فى المجد ليس غُرابُها بمطارِ [(١)]

أى من عرض لهم لم يمكنه أن ينفِّر سوادهم لعزِّهم وكثرتهم.

وقوله: فكونوا بَغايا الخ، البغايا جمع بَغِيّ، يقال بغتِ المرأةِ بِغاء بالكسر والمد أى زنت فهى بغىٌّ. والعِياب، بكسر المهملة: جمع عَيبة بفتحها وهى مايجعل فيه الثياب.

وقوله: سيُخبر ما أحدثتمو الخ، المآب: المرجع، أى إذا رجعت الرفاق تفرَّقت فى كل وجه وانتشر فيهم قبح صنيعكم، ونقله مَن سمِعه إلى من لم يسمعه.

والأخوص، بالخاء المعجمة، يقال رجل أخوص بيِّن الخوَص: أى غائر العينين وقد خَوِص بالكسر وأما الأحوص بالحاء المهملة فليس هذا، وكثيراً مايصحف به. والحَوَص: ضِيق فى مؤخرِ العين.

(١) سورة المجد: أثره وعلامته وارتفاعه. والذى فى ديوانه ٣٥ واللسان (قدد، سور): «حراب وقد» بفتح قاف «قد». وقالوا: حراب وقد: رجلان من بنى أسد.

الأخوص الرياحي اليربوعي

قال الآمِديُّ (في المؤتلف والمختلف) : الأخوص ، بالخاء المعجمة ، اسمه زيد بن عمرو بن قيس بن عتّاب بن هَرْمِيٍّ بن رياح بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، شاعر فارس . وهو القائل :

وكنتُ إذا ما بابُ ملْكٍ قرعتُهُ ... قرعتُ بآباءٍ ذَوِى شرفٍ ضَخْمِ[1]
بابناء عتّاب وكان أبوهم ... إلى الشرف الأعلى بآبائه يَنمى
وهمْ مَلَّكوا الأملاكَ آلَ محرِّقٍ ... وزادوا أبا قابوسَ رُغماً على رغم
وقادوا بِكَرْهٍ من شِهابٍ وحاجب ... رءوسَ مَعَدٍّ في الأزِمَّة والخُطُمِ
أنا ابن الذى سادَ الملوكَ حياتَه ... وساس الأمورَ بالمروءة والحِلم
١٤٣ وكنّا إذا قوم رَمَينا صفاتَهمْ ... تركنا صُدوعاً بالصفاة التى نَرمى
حَميناً حِمَى الأُسْدِ التى لشبولها ... تجرٌ من الأقران لحماً على لحم
ونَرعَى حِمى الأقوام غيرَ مُحرَّم ... علينا ولا يُرعَى حمانا الذى نحمِي

وله (في كتاب بني يربوع) أشعارٌ جياد مما تنحّلته من قبائلهم[2]. انتهى

وكتب أبو محمد بن عبد الله ابن بَرِّيّ النحوى (في هامشه) أنّ صاحب المؤتلف والمختلف لم يذكر الأخوص الرياحي ، وهو قيس بن زيد بن عمرو بن عتاب بن رياح . قال : ومن شعره :

مشائيم ليسوا مُصلحين عشيرةً ... . البيت

---

(١) الميمني : « الأبيات في النقائض ٦٨ لشريح بن الحارث اليربوعي ، وهي تسعة . وفي ص ٣٠٠ للأخوص بزيادة : وفي نسخة وهو الصحيح : وقال شريح بن الحارث اليربوعي ، وهي عشرة . وفي البلدان (طخفة) خمسة للأخوص مصحفا » .

(٢) الميمني : « وفي النقائض ٩١٩ أيضا أبيات له . وهي بعينها في الاصابة ٢٩٩٨ » .

وفيه انَّ الأخوص الرياحى نُسب تارة إلى جدّه الأدنى وهو رياح ، وتارة إلى جدّه الأعلى وهو يربوع :

وقدَّم ابن بَرّى بعض الأسماء على بعضها والصواب ما أثبته الآمدىّ .

ويؤيده ماقاله ياقوت (فى مختصر جمهرة الأنساب) ، فانه لما ذكر أولاد هَرْمىّ بن رياح قال : ومنهم عتَّاب بن هَرْمىّ بن رياح ، وهو رِدْف النعمان والمنذرِ أبيه . ومن ولده الأخوص بنُ عمرِو بن قيس بن عتَّاب ، والحرُّ ابنُ يزيدَ بن ناجية بن قعنْبِ بن عَتَّاب المقتولُ مع الحسين بن على عليهما السلام . انتهى .

وظهر من هذا أنَّ الأخوص الرّياحى إسلامى[1] . والله أعلم .

ثم رأيت (فى ضالة الأديب لأبى محمد الأعرابى) شعراً له يتعلق بإبل الصدقة . فعلم أنّه إسلامىٌ . وهو معاصر لسُحَيم بن وَثِيل .

* * *

وأنشد بعده :

(مُعاوىَ إنَّنا بَشرٌ فأسْجِحْ فَلسنا بالجبال ولا الحَديدَا)

على أنَّ قوله (الحديدا) معطوف على محل قوله (بالجبال) ، فإنَّه فى محل نصبٍ ، لأنه خبر ليس ، والباء زائدة .

و (مُعاوى) منادَى مرخّم معاوية بن أبى سفيان . و (أَسجِحْ) بفتح الهمزة وكسر الجيم : فعل أمر بمعنى ارفُق وسَهِّل .

---

(١) الميمنى : « كان فى خلافة عثمان . وانظر النقائض ٩١٨ والاصابة ٢٩٩٨ » .

وقد تقدَّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة[١] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد المائتين :

٢٧٩ ﴿ إنْ هُو مُسْتَوْلِياً على أحَدٍ إلاَّ على أضْعَفِ المَجَانينِ[٢] ﴾

على أن المبرد أجاز إعمال (إن) النافية عمل ليس ، واستشهَد بهذا البيت : فهو اسمها ومستولياً خبرها .

(وإنْ) كما النافية الحجازية فى الحكم ، لا تختص فى العمل بنكرةٍ دون معرفة ، بل تعمل فيهما . قال ابن هشام (فى المغنى) : أجاز الكسائىّ والمبرِّد إعمال إن عمل ليس ، وقرأ سعيد بن جُبير : ﴿ إنِ الذينَ تَدْعُون مِنْ دُونِ اللهِ عِباداً أمْثَالَكم[٣] ﴾ بنون خفيفة مكسورة لالتقاء الساكنين ، ونصب عباداً وأمثالكم .وسُمِع من أهل العالية : إنْ أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية. وإنْ ذلكَ نافعَكَ ولا ضارَّكَ . انتهى .

وقال (فى شرح شواهده) : كذا خرَّج ابن جنِّي قراءة سعيد بن جبير ، فظنَّ أبو حيان أن تخريجها على ذلك يوقع فى تناقض القراءتين ، فإنَّ الجماعة يقرءون بتشديد النون وفتحها ورفع عباد وأمثالكم ، وذلك إثبات ، وقراءة سعيد على هذا التخريج نفىٌ . فخرَّجها على أنَّها المؤكدة خففت ونَصبت الجزأين كقوله :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٦٠ .

(٢) شذور الذهب ٢٧٨ والعينى ٢ : ١١٣ والتصريح ١ : ٢٠١ والهمع ١ : ١٢٥ والأشمونى ١ : ٢٥٥ .

(٣) الآية ١٩٤ من الأعراف .

١٤٤ * إنّ حرّاسَنا أُسْدًا[1] *

ولم يُثبت الأكثرون إعمالَها النصب فى الجزأين وتأوّلوا ما أوهم ذلك . ثم إن القائلين به لم يَذكروه إلاّ مع التشديد ، لا مع التخفيف . ثم إنّ التناقض الذى توهَّمه مدفوع ، لأنّهم أمثالهم فى أنَّهم مخلوقون وليسوا أمثالَهم فى الحياة والنطق . وقراءة سعيد على هذا التخريج أقوى فى التشنيع عليهم من قراءة الجماعة ، ويؤيدها ما بعدها من قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا[2] ﴾ . . . . الآيات . انتهى .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه[3]) : إذا كانت إنْ نافية فسيبويه لا يرى فيها إلاَّ رفع الخبر . وإنَّما حكم بالرفع لأنَّها حرف جحد يُحدث معنى فى الاسم والفعل كألف الاستفهام ، وكما لم تعمل ما التميميَّة ، وهو وفاقٌ للقياس . ولما خالف بعضُ العرب القياسَ فأعملوا ما ، لم يكن لنا أن نتعدّى القياسَ فى غير ما . وغيرُ سيبويه أعمل إنْ على تشبيهها بليس كما استحسن ذلك فى ما ، واحتجَّ بأنه لا فرق بين إنْ وما فى المعنى ؛ إذ هما لنفى ما فى الحال ، وتقع بعدهما جملة الابتداء كما تقع بَعد ليس . وأنشد :

إنْ هو مستوليًا على أحدٍ إلاّ على حزبه الملَاعين

وهو قول الكسائىّ والمبرد . ووافق الفرَّاء فى قوله سيبويه . انتهى .

ورويَ العجز أيضاً : (إلاَّ على حزبه المناحيسِ)

---

(١) لعمر بن أبى ربيعة . شرح شواهد المغنى ٤٥ والهمع ١ : ١٣٤ والأشمونى ١ : ٢٦٩ . وليس فى ديوانه .

(٢) الآية ١٩٥ من الأعراف .

(٣) لم أجد هذا النص فى نسخة أمالى ابن الشجرى المطبوعة ، ومن المعروف أنها ناقصة الآخر فى أصلها .

قال ابن هشام : وفى البيت شاهد على مسألة أخرى ، وهى أنّ انتقاض النفى بعد الخبر لا يقدح فى العمل ، ومثله فى ذلك قول الآخر :

إنِ المرء مَيْتاً بانقضاء حياته ولكن بأن يُبغى عليه فيُخذلاَ(١)

وهذا الشاهد مع كثرة دورانه فى كتب النحو لم يعلم له قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد المائتين :

٢٨٠ * ولاَتَ ساعةَ مَنْدَمِ(٢) *

على أن الفراء قال : لا يختصّ عمل لات بلفظ الحين ، بل تكون مع الأوقات كلِّها . وأنشد هذا الشعر .

أقول : لعلّ الفرّاء قال مانقله الشارح المحقق عنه فى غير تفسيره ، وأما فى تفسيره فإنّه لم يتعرّض لهذا ولا لغيره أيضًا . وروى هذا الشعر على أنّ لات فيه حرف جرّ ؛ وهذه عبارته فى سورة ص ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَنَادَوْا وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ(٣) ﴾ : يقول ليس حين فرار . والنَّوْص : التأخّر . ومن العرب من يضيف لات فيخفض ، أنشدونى :

* ولاتَ ساعةَ مَنْدمِ *

ولا أحفظ صدره . والكلام أن يُنْصب بها فى معنى ليس ، أنشدنى المفضّل :

---

(١) ط : « ان المرء منا » ، صوابه ما اثبت من تصحيح الشنقيطى والعينى ٢ : ١٤٥ والهمع ١ : ١٢٥ والأشمونى ١ : ٢٥٥ .

(٢) شذور الذهب ٢٠٠ والعينى ٢ : ١٤٦ والهمع ١ : ١٢٦ والأشمونى ١ : ٢٥٦ .

(٣) الآية ٣ من ص .

تذكَّر حبَّ ليلى لاتَ حينًا وأضحى الشيبُ قد قطع القَرينا

فهذا نصب . وأنشد بعضهم :

طلَبوا صُلحَنا ولاتَ أوانٍ فأجَبْنا أنْ ليس حينَ بقاءِ[1]

فخَفَضَ أوانٍ . فهذا خفض . انتهى كلام الفرّاء .

فظهر من كلامه أنّه ليس فيه تقييد معمول لات بزمان ولا غيره .

وقد نقل عنه ابن هشام (فى المغنى) تبعاً لأبى حيّان (فى الارتشاف) خلافَ ما نقله الشارح المحقق ، قال : اختُلفَ فى معمولها : فنصَّ الفرّاء على أنّها لا تعمل إلاّ فى لفظ الحين — وهو ظاهر قول سيبويه — وذهب الفارسىّ وجماعة إلى أنها تعمل فى الحين وفيما رادفه . ثم قال بعد هذا : زعم الفرّاء أنّ لاتَ تستعمل حرفاً جارّاً لأسماء الزمان خاصّة .

١٤٥ قال الدمامينى : بين نقلِ ابن هشام ونقل الرضىّ عن الفرّاء تخالُف. فإنْ قلتَ : هلاَّ حملتَ نقل الرضىّ عن الفرّاء : أنها تكون مع الأوقات ، على ما إذا كانت عاملة للجر كما نقله المصنف هنا ، وحملت حكاية كلام المصنف أوّلاً أنها لا تعمل إلا فى لفظ الحين على ما إذا كانت عاملة عمل ليس ، فلا يكون بين النقلين تعارض . قلتُ : لاَ ، لأنّ الرضىَّ لما ذكَر عنه أنها تعمل فى الأوقات[2] أنشد :

* ولاتَ ساعةَ مندم *

والرواية فيه بنصب الساعة . فلم يبق إذا للتوفيق مجال . انتهى .

---

(١) لأبى زبيد الطائى . انظر الشاهد ٢٨٢ .

(٢) ش : « أنها لا تعمل فى الأوقات » ، وهو خلاف ما تقدم .

أقول . قد وقع هذا الشعر فى كلام الشارح المحقق مجملا ، لايعلم هل هو منصوب أو مجرور ، وبان لك من نقلنا لكلام الفرّاء أنّ الرواية عنه عن العرب الجرّ ، فكيف تكون الرواية فيه النصب ؟ نعم رُوِى النصب عن غير الفرّاء ، وبه أورده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) فتكون ساعةَ خبر لات واسمها محذوف . ويجوز الرفع بقلة على أنها اسم لات والخبر محذوف فيقدَّر فى الأوّل : ولات ساعةٌ لك ساعةَ مندم ، أو ولات الساعةُ ساعةَ مندم . وقدَّر الشارح المحقّق فى الآية أى لات الحينُ حينَ مناص .

فإن قلت : إنهم قالوا لات لاتعمل إلا فى اسم زمان منكَّر ، فكان الظاهر فى البيت التقدير الأوّل ، وفى الآية نحو ما قدَّره الشاطبي ، وهو ولاتَ حينُ يُنادَونَ فيه حينَ مناص .

قلتُ : إنّهم قالوا (منهم ابن هشام ، فى المغنى) : إن لات لاتعمل فى معرفة ظاهرة ، فمفهومه أنها تعمل فى معرفة مقدَّرة . ونقَل ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) عن شرح الكافية لابن مالك : لابدّ من تقدير المحذوف معرفةً لأنّ المراد نفى كون الحين الحاضر حيناً ينُوصون فيه أى يهربون أويتأخّرونَ ، وليس المراد نفى جنس حين للمناص ، ولذلك كان رفع الحين الموجود شاذاً لأنه محوج إلى تكلّفِ مقدرٍ يستقيم به المعنى ، مثل أن يقال معناه ليس حين مناص موجوداً لهم عند تناديهم ونزول مابهم ، إذْ قد كان لهم قبل ذلك حينُ مناص ، فلا يصحّ نفى جنسه مطلقاً بل مقيّدا .

وقول الشارح المحقق « وتعمل عملَ ليس بكَسع التاء » أى بلحاقها للات وتبعها إيّاها . قال الصاغانىّ (فى العباب) فى فصل الكاف من باب الهمزة : كسأ القوم وكسَعهم : إذا تبعهم . وهذه عبارة مألوفة للنحاة قديماً وحديثاً . قال

ابن مالك (فى التسهيل) هنا : وتُكسَع بالتاء فتختصّ بالحين أو مرادفه .
وقول الشاطبيّ : كُسعت بالتاء أى ضُرِب فى عجُزها بها[1] فيه تكلّف
للمناسبة . وكذلك قول شارح اللباب : يقال كسعت فلانا : إذا ضربتَ دبره
بيدك أو بصدر قدمك . أو من كسَعتُ الناقة ، إذا ضربت خِلفَها بالماء البارد
ليترادّ اللبن فى ضرعها[2] . انتهى

ويقدَّر فى الساعة[3] نحولات ساعةُ مندم ساعةً لك . وقدّر الشارح المحقق
فى الآية تبعًا لأبى علىّ (فى المسائل المنثورة) أى لات حينُ مناص حاصلاً .
وفيه أنهم قالوا : إنَّ عمل لات مختصٌّ بالحين اسمًا وخبراً . قال ابن مالك :

وما للاتَ فى سِوى حين عمَلْ وحذفُ ذى الرفع فَشا والعكس قَلّ

فالظاهر نحو ما قدَّره الشاطبى أى ولات حينُ مناص حينًا يُنادون فيه .
وقد جاء عمل لات فى غير الحين شذوذاً فى قول الحماسىّ[4] :

١٤٦ لهفى عليك لِلهفةٍ من خائفٍ يبغى جِوارَكَ حين لات مجيرُ

ولا ينبغى حمل الآية على هذا .

فإن قلتَ : اجعلْ حاصلاً صفةَ زمان محذوفٍ أى حينًا حاصلا ونحوه .
قلتُ : شرط هذا اختصاص الصفة بالموصوف ، وما هنا ليس كذلك .

ثم قال الشارح المحقق : « ولا يجوز أن يقال بإضمار اسمها ؛ لأنّ الحروف
لا يُضمَر فيها » .

(١) هذا الصواب فى ش . وفى ط : « أى ضرب عجزها فى عجزها » .
(٢) ط : « فى ظهرها » .
(٣) ش : « فى الثانى » .
(٤) هو عبد الله بن أيوب التيمى يرثى منصور بن زياد . الحماسة ٩٥٠ بشرح المرزوقى وشرح شواهد المغنى ٣١٣ .

أقول : يريد الردَّ على المصنف (فى الإيضاح) فإنَّه عبّر هناك بالإضمار دون الحذف . وهذا شىء قد سبقه سيبويه فيه ، فإنه كثيراً ما يطلق لفظ الإضمار على الحذف . وكذلك فعل صاحب اللبّ ، قال : واسم لات حينَ محذوف أو مضمر ، لجريها مجرى الفعل فى إلحاق التاء عند الخليل وسيبويه . وقال السيد شارحه : فإنَّه لما أُلحقت التاء صارت شبيهة بليسَ صورة ومعنى ، فحسن إضمار الإسم فيها كما فى ليس . وحمل ابن خروفٍ كلامَ سيبويه على التجوّز لا على حقيقة الإضمار ، بناء على أنَّها عنده حرف لا فعل ، فإنَّهم قد اختلفوا فى حقيقتها على ثلاثة مذاهب[1] ، كما اختلفوا فى عملها .

فالأول فيه أربعة مذاهب :

(أحدها) أنها كلمة واحدة فعل ماض ، وفيه قولان : أحدهما أنها فى الأصل بمعنى نقَص ، من قوله تعالى : ﴿ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً[2] ﴾ فإنه يقال لاتَ يَلِيت كما يقال ألَت يألِت — وقد قرئ بهما — ثم استعملت للنفى كما أنَّ قلَّ كذلك ؛ قاله أبو ذَرٍّ الخُشَني فى شرح كتاب سيبويه ، نقله عنه أبو حيان (فى الارتشاف) وابن هشام (فى المغنى) . والقول الثانى : أنَّ أصلها ليس أبدلت سينها تاء ، كما قالوا سِتّ والأصل سِدْس بدليل التصغير على سُدَيْس والتكسير على أسداس ، فصارت ليت ، ثم انقلبت الياء ألفاً لتحركها فى الأصل وانفتاح ما قبلها ، إذ أصلها عندهم لَيِس بكسر الياء فصارت لات ، فلمَّا تغيرت اختصت بالحين .

---

(١) فى حواشى الطبعة الأولى : « قوله على ثلاثة مذاهب ، هكذا بالأصل ، والصواب : أربعة ، بدليل ما بعده . نعم ان ابن هشام فى المغنى اقتصر على ثلاثة مذاهب ، وهى ما عدا الأخير هنا » .

(٢) الآية ٣ من سورة ص .

والمذهب (الثانى) أنّها كلمتان : لا النافية ، والتاء لتأنيث اللفظ ، كما شرحه الشارح المحقق — وهذا مذهب الجمهور .

و (الثالث) أنّها حرف مستقلّ ليس أصلُها ليس ولا لا ، نقله الشاطبىّ — فى شرح الألفية .

(الرابع) أنها كلمة وبعض كلمة ، وذلك أنها لا النافية والتاء زائدة فى أول الحين . ونسب هذا إلى أبى عبيد[1] وابن الطَّرَاوة . قال ابن هشام (فى المغنى) : واستدلّ أبو عُبيد بأنه وجدها فى الإمام — وهو مصحف عثمان ابن عفان — مختلطة بحين فى الخطّ . ولا دليل فيه ، فكم فى الخطّ من أشياء خارجة عن القياس ويشهد للجمهور أنه يُوقف عليها بالتاء والهاء ، ورُسمت منفصلة من الحين ، وأن التاء قد تكسر على أصل حركة التقاء الساكنين . وهو معنى قول الزمخشرىّ : وقرئ بالكسر على البناء كجَيْرِ . انتهى. ولو كان فعلاً ماضياً لم يكن للكسر وجه .

وأما الاختلاف فى عملها ففيه أربعة مذاهب أيضاً :

(أحدها) أنها لا تعمل شيئاً ، فإنْ وليها مرفوع فمبتدأ حذف خبره ، أو منصوب فمفعول بفعل محذوف وهو قول الأخفش ، والتقدير عنده فى الآية : لا أرى حينَ مَناص ، وعلى قراءة الرفع ولا حينُ مناص كائن لهم .

(الثانى) : أنها تعمل عمل لا التبرئة وهو عمل إنّ . وهذا قولٌ آخرُ للأخفش والكوفيين.

(الثالث) : أنها حرف جرّ عند الفرّاء على ما نقل عنه .

(١) انظر تحقيق البغدادى لنسبة هذا القول الى أبى عبيد فى أول الشاهد التالى .

(الرابع): أنها تعمل عمل ليس ، وهو قول الجمهور . قال أبو حيان (فى الارتشاف) : والعطف على خبر لات عند من أعملها إعمال ليس
١٤٧ كالعطف على خبر ما الحجازية ، لات حين جزع ولات حين طيش ولات حين قلق بل حين صبر ، تنصب فى الأولى وترفع فى الثانية كما كان فى ما ولا النافية . ثم قال : وقد جاءت لات غير مضاف إليها حين ولا مذكور بعدها حين ولا ما رادفه ، فى قول الأفوه الأوْدىّ :

تركَ النَّاسُ لنـا أكنافَهُمْ وتولَّوا لاتَ لم يُغْنِ الفِرار

قال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : وهذا يدلّ على أن لات لا تعمل وإنّما هى فى هذا البيت حرف نفى مؤكَّد بحرف النفى الذى هو لم . ولو كانت عاملةً لم يجز حذف الجزأين بعدها ، كما لا يحذفان بعد ما ولا العاملتين عمل ليس .

والبيت الشاهد الذى قال الفرّاء لا أحفظ صدره ، رواه مع صدره ابن السكيت (فى كتاب الأضداد) ، وهو[(١)] :

(ولَتعرِفنَّ خلائقـاً مشمولةً ولتندمنَّ ولاتَ ساعةَ مَنْدَم)

قال فيه قال ابن الأعرابىّ ، يقال أخلاق مشمولة أى مشئومة ، وأخلاق سَوء . وأنشد :

ولتعرفن خلائقاً مشمولة . . . . . البيت

ويقال أيضاً رجل مشمول الخلائق : أى كريم الأخلاق . قال : وأنشد أبو عمرو لرجل من بنى سعد :

---

(١) الميمنى : « ابن السكيت رقم ٢٩٠ والأصمعى ١٨ وابن الأنبارى ١٠٩ فى كتب الأضداد » .

كأن لم أعش يوماً بصهباء لَذَّةٍ ولم أندُ مشمولاً خلائقُه مِثلى ... انتهى

وأند ، بالنون قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) ناديت الرجل مثل نادمت وهو المجالسة ، ولم أندُ : لم أجالس . والنادى منه ، هو المجلس . وأنشد هذا البيت .

وزعم الشاطبي أنَّ هذا البيت برمَّته رواه الفراء عن المفضّل . وهذا لا أصل له ؛ وإنما الذى رواه عن المفضّل البيت الذى بعده كما هو ظاهر من نقل عبارة الفرّاء .

ورأيت ابن عقيل وغيره ذكر للبيت الشاهد روايةً غير ما نقلناه ، جعله صدراً وتمَّمه بعجزُ كذا :

ندم البغاةُ ولات ساعةَ مندمٍ والبغى مرتَعُ مُبتغِيه وخيمُ

وقال : هو لرجل من طيء . أى ولات الساعة ساعة مندم . وهذا هو المشهور المتداول فى كتب النحو .

وقال العينى : قائله محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمى ؛ ويقال مهلهل بن مالك الكنانى . والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد المائتين :

٢٨١ (العَاطِفُونَ تَحِينَ ما مِنْ عاطفٍ والمطمون زمانَ أينَ المطْعِمُ(١))

على أن أبا عبيد زعم أنَّ التاء فى قولهم لات حين مناص من تمام حين

---

(١) مجالس ثعلب ٤٤٢ والانصاف ١٠٨ والأشمونى ٤ : ٣٣٩ واللسان (ليت ٢٩٢ حين ٢٩١) .

كما فى هذا البيت . ومثله لصاحب اللب وغيره قال : وعن أبى عبيد : تحين لغة فى حين ، ولا لنفى الجنس .

أقول : إنَّ أبا عبيد لم يذهب إلى هذا ، وإنما هو قول للأموى[1] نقله عنه (فى كتابه فى اللغة ، المشهور بالغريب المصنف) وهذه عبارته فيه : وقال الأحمرَ : تالآن فى معنى الآن ، و أنشدنا :

نوِّلى قبلَ نأى دارى جُمَانا وصِلِينا كما زعمتِ تالآنا[2]

١٤٧ وكذلك قال الأموىّ ، وأنشد لأبى وَجْزة[3] :

العاطفون تحينَ ما من عاطفٍ والمُفضلونَ يداً إذا ما أنعَمُوا[4]

قال : وإنما هو حين[5] ، قال : ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاص﴾ معناه لا حينَ مناص . انتهى كلامه .

فعُلِم به أنَّ القول بكون لات حين هو لا تحين والتاء زائدة إنما هو قول

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص . ذكره الزبيدى فى الطبقة الثالثة من اللغويين الكوفيين وقال : وروى عنه أبو عبيد وغيره . بغية الوعاه ٢٨٢ وقال ابن النديم فى الفهرست ٧٢ : « وليس من الأعراب . لقى العلماء ودخل البادية وأخذ عن الفصحاء من الأعراب . وله من الكتب : كتاب النوادر ، كتاب رحل البيت » . وهو شارح قصائد أبى حزام العكلى فى مجموع أشعار ٨٥ ـ ١٠٧ الملحقة بالجزء الأول من مجموع أشعار العرب نشر وليم بن الورد البروسى فى ليبسك سنة ١٩٠٢ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٤٠٤ والانصاف ١١٠ واللسان (حين) .

(٣) ط : « لأبى وجرة » صوابه فى ش .

(٤) ش : « أسغبوا » .

(٥) ش : « تحين » .

الأمويّ لا أبى عبيد ، وإن اشتهر النقل عنه . وقد ردَّه الشارح المحقّق ولم يبين موقع التاء فى هذا البيت . وقد رأيت فى تخريجه وجهين :

(أحدهما) ذكره ابن جنّي (فى سر الصناعة) وسبقه ابن السيرافى (فى شرح شواهد الغريب المصنف) وأبو على (فى المسائل المنثورة) : وهو أنها فى الأصل هاء السكت لاحقة لقوله العاطفون ، اضطُرَّ الشاعر إلى تحريكها فأبدلها تاء وفتحها . قال ابن جِنّي : أراد أن يجريه فى الوصل على حدٍّ ما يكون عليه فى الوقف ، وذلك أنه يقال فى الوقف هؤلاء مسلمونه وضاربونه ، فتلحق الهاء لبيان حركة النون ، كما أنشدوا :

أهكذا يا طيب تفعلونه أعَلَلاً ونحن منهلُونَه

فصار التقدير العاطفونه ، ثم إنَّه شبه هاء الوقف بهاء التأنيث ، فلما احتاج لإقامة الوزن إلى حركة الهاء قلبها بتاء ، كما تقول فى الوقف : هذا طلحهْ ، فإذا وصلت صارت الهاء تاء فقلت هذا طلحتنا . وعلى هذا قال العاطفونه . ويؤنس بصحّة هذا قول الراجز :

من بعدِ ما وبعدِ ما وبعدِ مَتْ صارت نفوسُ القوم عند الغَلْصمَتْ(١)

أراد : وبعد ما ، فأبدل الألف فى التقدير هاء ، فصارت بَعْدَمه ، ثم إنّه أبدل الهاء تاء لتوافق بقية القوافى التى تليها ، وشجّعه شبه الهاء المقدرة فى قوله وبعدمه بهاء التأنيث فى طلحة وحمزة ، ولما كان يرام قد يقولون فى الوقف :هذا

(١) لأبى النجم العجلى فى مجالس ثعلب ٣٢٧ والخصائص ١ : ٣٠٤ وشرح شواهد الشافية ٢١٨ والعينى ٤ : ٥٥٩ والتصريح ٢ : ٣٤٤ والهمع ٢ : ٢٠٩ والأشمونى ٤ : ٢١٢ .

طلْحتْ وحمزتْ قال هو أيضاً وبعدمت ، فأبدل الهاء المبدلة من الألف تاء . وليس شىء مما يُضطَرّون إليه إلاّ وهم يحاولون به وجهاً . فإذا جاز أن تشبّه هاء وبَعْدَمَهْ بتاء التأنيث حتى يقال فيها وبعدمتْ جاز أيضاً أن تشبه هاء العاطفونه بهاء التأنيث فيقال العاطفونت ؛ وفتحت التاء كما فتحت فى آخر رُبّتَ وثُمّتَ . انتهى مختصراً .

قال ابن السِيرافى : ويجوز أن ينشد (العاطفونهْ) بإسكان الهاء ، فيكون قد أضمر وجعل مستفعلن فى موضع متفاعلن . وأظنّ أنّ الرواة غيّروه وحرّكوه طلباً لأن يكون الجزء تاماً على الأصل . انتهى

والوجه (الثانى) ذكره ابن مالك (فى التسهيل) وتبعه شارح اللبّ : وهو أن التاء بقيّة لات ، فحذفت لا وبقيت التاء . قال : وقد يضاف إلى لات حين لفظاً أو تقديراً ، وربما استغنى مع التقدير عن لا بالتاء . ومثّل ابن عقيل للأوّل بقوله :

وذلك حين لاتَ أوانَ حلم ولكنْ قبلَها اجتنبوا أذاتِى

ـ أى أذيّتى ـ ومثّل للثانى بقوله :

تذكّرَ حُبَّ ليلى لات حيناً وأمسى الشيبُ قد قَطع القَرينا

أى حين لات حين تذكر . ومثل للثالث بقوله :

العاطفونت حينَ ما مِنْ عاطفٍ . . . . البيت

أى حين لات حين ما من عاطف ؛ فحذف حين ولا . ١٤٩

هذا كلامهما ولا يخفى تعسّفه . وتخريج هذا البيت على زيادة التاء أسهل وأقل كلفة من هذين التخريجين وإن كان لا يطّرد زيادة التاء فى كل موضع فيه لا . وهذه التاء زيادتها غير مطّردة وغير لازمة . وقد سمع زيادتها مع لفظ

الآن أيضاً ، قال أبو زيد (فى نوادره) : سمعت من يقول حسبك تالآن ، يريد الآن . وقال ابن أحمر :

نَوِّلى قبل نأى دارى جُمانا وصِلِينا كما زعمتِ تالآنا

أى كما زعمت الآن . ونولى أمر من النوال وهو القُبْلة . وجُمانا : منادى مرخم جُمانة بضمّ الجيم وهو امرأة ، والألف للاطلاق .

وهذا البيت الشاهد من قصيدةٍ لأبى وَجْزَة السعْدِىّ مدح بها آل الزبير ابن العوام ؛ لكنّه مركّب من مصراعى بيتين وقع فى صحاح الجوهرى هكذا فتبعه الشارح المحقّق وغيره . والذى فى ديوانه كذا : صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(وإلى ذَرا آلِ الزُّبير بفضْلهم نِعْم الذَّرا فى النائبات لَنا هُمُ
العاطفون تَحِينَ ما مِنْ عاطفٍ والمسبغون يداً إذا ما أنعموا
واللاحقون جِفانَهمْ قَمَعَ الذُّرا والمطعِمون زمانَ أينَ المطْعِمُ
والمانعون من المضيمة جارَهم والحاملون إذا العشيرة تَغْرم)

والذَّرا بالفتح : كلّ ما استترت به ، يقال أنا فى ظلّ فلان وفى ذَراه أى فى كنفه وسِتره . والنائبات : شدائد الدهر وحوادثه . وفى واللام متعلّقان بالذَّرا ، لأنه بمعنى الملتجأ . وهم هو المخصوص بالمدح .

و (العطفُ) : الشفقة والتحنّن . و (تَحِينَ) ظرف للعاطفون ، والتاء زائدة أو أنّها متصلة بما قبلها على أنها هاء السكت كما بيّنّاه ؛ وعلى هذين القولين ما نافية وحين مضافة إلى الجملة المنفيّة ، فإنّ مِن زائدة وعاطف مبتدأ خبره محذوف أى يوجد ونحوه ؛ أو أنه بقية لات وحين خبرها واسمها محذوف كما قال ابن مالك . وفيه غرابةٌ ، حيث يحذف العامل ويبقى منه حرف واحد وهو مع ذلك عامل ، وهذا لا نظير له . وينظر على هذا فى حين ، هل

هى مضافة إلى الجملة المنفية ، أو أنَّ ما ليست نافية ؟ فإن كانت نافية انتقض النفى الأوّل بها . وهذا غير مراد الشاعر . وإن كانت غير نافية فينظر من أى أنواع ما هى . وبالجملة : كون التاء بقيّة لات يشكلُ عليه معنى البيت وإعرابه ولا داعىَ إلى هذا كلّه . وقال ناظر الجيش : وتخريج البيت على ما ذكره المصنّف لا يتعقّل ، لأنّه يكون المعنى هم العاطفون وقت ليس الحين حين ليس ثَمَّ عاطف . و (المسبغون) : مِن أسبغ الله النعمة : أفاضها وأتمّها . وسبَغت النعمة : اتَّسعت . وروى صاحب الغريب المصنَّف : (المُفْضلون) بدل المسبغون من الإفضال وهو الإنعام ؛ والجيِّد هو الأول . و (اليد) : النعمة . يقول : هم يعطفون على من سألهم واحتاج إليهم ، إذا اشتدت الأحوال وأجدب الزمان ، ولم يجد المسترفِد رافداً ؛ وإذا أنعموا أوسعوا على المنعَم عليه إفضالا ونائلا .

وقوله : واللاحقون الخ ، أى والمُتْبِعون ؛ يقال لحِقته ولحِقت به من باب تعب لحَاقا بالفتح : إذا تبعته وأدركته ؛ وألحقته بالألف مثله ؛ ولحقه الثمن لحُوقا : لزمه ؛ فاللحُوق : اللزوم ، واللحَاق : الإدراك . كذا فى المصباح .
١٥٠ والجِفان ، بالكسر : جمع جَفنة بالفتح ، وهى القَصْعة الكبيرة للطعام . والقمَع بفتح القاف والميم : جمع قَمَعَة بالتحريك ، وهى رأس السَّنام ؛ والذُّرا بالضمّ : جمع ذُروة بضم الذال وكسرها : أعلى السَّنام ؛ وإنّما خصَّه لأنّه أطيبَ لحم الإبل عندهم . وزمانَ ظرف للمطعمون ، وهو مضاف للجملة بعده لكن بتقدير مضاف أى زمان سؤال أين المطعم . ورواه الأموىّ على ما نقله أبو عبيد فى الغريب المصنّف :

* والمطعمونَ زمانَ ما مِن مطعمِ *

فيكون فى البيت على هذه الرواية إقواء . مَدَحهم بأنّهم يطعمون الفقراء أطيبَ اللحم فى أيام القحط والجدب ، وفى الزمان الذى يتساءل الناس عن الكرماء المطعِمين للطعام .

وقوله : والمانعون الخ ، الهضيمة : المظلمة ، فعيلة بمعنى فاعلة ، من هضمت الشيء إذا كسرته . والحاملون : من حمل الديَة . يقول : إنْ وُزِّعت دية قتيلٍ على عشيرته حملها عنهم ودفعها من ماله .

وتركيب بيت من بيتين ونحوه فى الاستشهاد شائع عند المصنّفين يفعلونه قصداً ، إما لأنّ المعنى متفرّقا يكون فى أبيات ، وإمّا لأنّ فى أحد المصراعين قلاقةً معنى أو لغة ، فيختصرونه بأخذ مصراعين منه ، كما فعل ابن الشجرى وابن هشام (فى المغنى) فى قوله :

وناهدةِ الثّديين قلت لها اتّكى فقالت على اسم الله أمرُك طاعة[1]

وهو من شعرٍ لعمر بن أبى ربيعة . وله حكاية ذكرها الجاحظ (فى المحاسن والمساوى) . والأصل هكذا :

وناهدةِ الثديين قلتُ لها اتّكى على الرمل من جَنْباته لم توسَّدِ[2]
فقالت على اسم الله أمرك طاعته وإن كنت قد كلّفت ما لم أعوّدِ

فأخذ منهما مصراعين ، ولم يتنبه لهذا أحد من شرّاح المغنى . وكما فعل الزمخشرى (فى المفصّل) وغيره كابن هشام (فى المغنى) فى قوله :

---

(١) انظر الخصائص ٢ : ٣٦٢ وابن الشجرى ١ : ٣٢٠ والأغانى ١ : ٧٥ وشرح شواهد المغنى ٣١٤ .

(٢) فى المحاسن والأضداد ٢٦١ : « فى ديمومة لم توسد » وفى الأغانى ١ : ٧٥ : « من جبانة لم توسد » .

حاشيا أبا ثوبان انّ له ضَنًّا على المَلْحاةِ والشَّتْمِ

وهو من قصيدة مسطورة فى المفضليات(١) ، والأصل :

حاشا أبا ثوبان انّ أبا ثوبان ليس بِبُسكْمَةٍ فَدْمِ
عمرو بن عبد الله إنّ به ضنًّا على الملحاةِ والشتمِ

أبو وجزة و (أبو وجزة) هو بفتح الواو وسكون الجيم بعدها زاى معجمة ، يقال رجل وَجْز أى سريع الحركة ، وامرأة وَجْزة .

وأبو وجزة اسمه يزيد بن عبيد ، وقيل ابن أبي عبيد . وهو شاعر ومحدث ومقرئ ، كذا قال الصاغانى (فى العباب) . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو من بنى سعد بن بكر بن هوازن أظآرِ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعراً مُجيداً ، وهو الذى روى الخبر فى استسقاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وتوفّى بالمدينة سنة ثلاثين ومائة ، وهو أوّل من شبّب بعجوز(٢) .

أقول : أبو وجزة إنما هو من بنى سُلَيم بالتصغير ، وإنّما نشأ فى بنى سعد فغلب عليه نسبهم . وقال صاحب التقريب والتهذيب : أبو وجزة السعدى
١٥١ المدنىّ الشاعر ثقة ، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من التابعين ، ثم ذكر مشايخه وتلاميذه .

* * *

(١) المفضليات ٣٦٧ وبشرح ابن الأنبارى ٧١٨ من قصيدة للجميح الأسدى .

(٢) الذى فى الشعراء ٦٨٤ والأغانى ١ : ٧٧ عن ابن قتيبة : « وهو أحد من شبب بعجوز » .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد المائتين :

٢٨٢ * طلبوا صُلْحَنَا ولاتَ أوانٍ فأجَبْنَا أنْ لَيْسَ حين بَقَاءِ[١] *

على أن أصله عند المبرد والسيرافى : ولات أوانَ طَلَبوا ، فحذفت الجملة وبنى أوان على السكون أو على الكسر ، ثم أبدل التنوين من المضاف إليه كما فى يومئذ .

قال ابن هشام (فى المغنى) : قرئ ﴿ولاتَ حين مناصٍ[٢]﴾ ، بخفض الحين، فزعم الفرّاء أن لات تستعمل حرفاً جارًّا لأسماء الزمان خاصة ، وأنشد :

* طلبوا صُلحَنا ولات أوانٍ *

وأجيب عن البيت بجوابين :

أحدهما : على إضمار مِن الاستغراقية . ونظيره فى بقاء عمل الجارّ مع حذفه وزيادته قوله :

* ألا رجلٍ جزَاه الله خيرا[٣] *

---

(١) ديوان أبى زبيد الطائى ٣٠ والخصائص ٢ : ٣٧٧ والانصاف ١٠٩ والمخصص ١٦ : ١١٩ وابن يعيش ٩ : ٣٢ وشرح شواهد المغنى ٢١٩ ، ٣٢٤ وشذور الذهب : ٢٠١ والعينى ٢ : ١٥٧ والهمع ١ : ١٢٦ والأشمونى ١ : ٢٥٦ . ونحوه قول ابن حلزة اليشكرى فى العقد ٢ : ٣١٩ :

طلبوا صلحنا ولات أوان ان ما يطلبون فوق النجوم

(٢) الآية ٣ من سورة ص .

(٣) لعمرو بن قعاس ، كما فى الخزانة ٣ : ٥١ . وعجزه :

* يدل على محصلة تبيت *

فيمن رواه بجرّ رجل .

والثانى : أن الأصل : ولات أوانَ صلح ، ثم بنى المضاف لقطعه عن الإضافة ، وكان بناؤه على الكسر لشبهه بنزالِ وزناً ، ولأنه قدِّر بناءه على السكون ثم كسر على أصل التقاء الساكنين كأمس ، ونوّن للضرورة ، وقال الزمخشرى للتعويض كيومئذ . ولو كان كما زعم لأُعرب لأن العوض ينزّل منزلة المعوَّض منه .

وعن القراءة بالجواب الأوّل ـ وهو واضح ـ وبالثانى وتوجيهه : أنّ الأصل حين مناصهم ثم نزّل قطع المضاف إليه من مناص منزلة قَطعِهِ من حين ، لاتّحاد المضاف والمضاف إليه ، قاله الزمخشرى . وجعل التنوين عوضاً من المضاف إليه ثم بنى الحين لإضافته إلى غير متمكن . انتهى .

والأولى أن يقال : إنّ التنزيل المذكور اقتضى بناء الحين ابتداء ، وإنّ المناص مُعْرب وإن كان قد قطع عن الإضافة بالحقيقة ، لكنه ليس بزمان ، فهو ككل وبعض . انتهى كلام ابن هشام .

(أقول) : تقدير المضاف إليه جملة هو المناسب لتشبيه أوان بيومئذ فى البناء وفى كون التنوين بدلاً من المضاف إليه ، وأما تقديره مفرداً ثم تعليل بنائه بقطعه عن الإضافة كما صنع ابن هشام تبعاً لغيره ففيه أنّ ما ذكره مختص بالظروف النِّسْبية ، ويكون بناؤها حينئذ على الضمّ ، وأما أوان فإنّه ظرف متصرف كما يأتى قريباً وليس مضموما ، كقبل وبعد . ويجوز أن يقدّر المضاف إليه ولات أوان نصطلح ، فإن المنفىّ فى الحقيقة هو أوان الصلح ، أو يقدَّر جملة اسمية أى ولات أوانَ صُلحُنا ممكن ، فأوان خبر لات وهو منصوب لفظاً أو مبنى على الفتحة لإضافته إلى مبنىّ ، واسمها محذوف أى ولات الأوان .

قال أبو على (فى المسائل المنثورة) : قال أبو العباس المبرد : أوان هنا مبنيّة، لأنّ أوان تضاف إلى المبتدأ والخبر، فكأنك حذفت منه المبتدأ والخبر، فنوّنت ليعلم أنك قد اقتطعت الإضافة منه.

ولم يرتض ابن جنى (فى الخصائص) كون التنوين عوضا عن الجملة كيومئذ وفرّق بينهما بأن إذْ ظرف ناقص، وأوان ظرف متصرّف. قال: وتأوّل أبو العباس المبرد قول الشاعر :

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ . . . . . . البيت

على أنّه حذف المضاف إليه أوان فعوض التنوين عنه، على حدّ قول الجماعة فى تنوين إذ. وهذا ليس بالسهل، وذلك أنّ التنوين فى نحو هذا إنما دخل فيما لا يضاف إلى الواحد أى المفرد، وأما أوان فمعْرب ويضاف إلى الواحد كقوله[1] : ١٥٢

فهذا أوان العِرْض حَىَّ ذبابُه زنابيره والأزرقُ المتلمِّسُ

وقد كسَّروه على آونة وتكسيرهم إياه يبعده عن البناء، لأنّه أخذٌ به فى شقّ التصريف والتصرُّف.

وكذا قال (فى سرّ الصناعة) : ذهب أبو العباس إلى أن كسرة أوان ليست إعراباً ولا هى علَماً للجر، ولا أنَّ التنوين الذى بعدها هو التابع لحركات الإعراب، وإنما تقديره عنده أنّ أوان بمنزلة إذْ، فى أنَّ حكمه أن يضاف إلى الجملة نحو قولك: جئتك أوانَ قام زيد، وأوَانَ الحجاجُ أميرٌ،

---

(١) هو المتلمس . ديوانه ٦ والحماسة ٦٦٢ بشرح المرزوقى . وبهذا البيت سمى المتلمس، واسمه جرير بن عبد المسيح الضبعى .

أى إذ ذاكِ كذلك ، فلمّا حذف المضاف إليه أوَان ، عوِّض من المضاف إليه تنويناً . والنون عنده كانت فى التقدير ساكنة كسكون ذال إذْ ، فلما لقيَها التنوينُ ساكِناً كسِرت النون لالتقاء الساكنين . فهذا شرح هذه الكلمة وقوله هذا غير مَرضيٍّ ، لأن أوانًا قد يضاف إلى الآحاد ، نحو قوله(١) :

* هـذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ *

وقوله :

* فهذا أوان العِرْض(٢) *

وغير ذلك . فإن قيل : فإذا كان الأمر كذلك فهلاّ حركوا النون فى يومئذ وأوان لسكونها وسكون الذال والنون قبله ، ولم يحرِّكوها لذلك دونه ؟ فالجواب : أنّهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يقولوا إذْنِ ، فيشبه التنوين الزائدُ النونَ الأصلية . وأيضا فلو فعلوا ذلك فى إذْ لما أمكنهم أن يفعلوه فى أوان ، لأنهم لو آثروا إسكان النون لما قدَروا على ذلك ، لأنَّ الألف ساكنة قبلها ، وكان يلزمهم من ذلك أن يكسروا النون لسكونها وسكون الألف ، ثم يأتى التنوين بعدها ، فكان لا بد أيضاً من أن يقولوا أوان . فإن قيل : فلعلّ على هذا كسرهم النونَ من أوان إنّما هو لسكونها وسكون الألف قبلها ، دونَ أن يكون كسرهم إياها ، لسكونها وسكون التنوين بعدها ، [فالجواب ما تقدم ذكره من أنّ كسرهم ذال إذ لسكونها وسكون التنوين بعدها(٣)].

فعلى هذا ينبغى أن يحمل كسر النون من أوان ؛ لئلا يختلف الباب ،

---

(١) هو رشيد بن رميض ، كما فى البيان ٢ : ٣٠٨ والكامل ٢١٥ والعقد ٤ : ٥/١٢٠ : ١٧ وابن يعيش ٩ : ٣٢ .

(٢) البيت للمتلمس ، وقد سبق قريبا .

(٣) التكملة من سر الصناعة مخطوطة دار الكتب ١٢٠ لغة .

ولأنَّ أوان أيضاً لم ينطق به قبل لحاق التنوين لنونه فيُقَدَّرَ مكسورَ النون لسكونها وسكون الألف قبلها ، وإنما حذف منه المضاف إليه وعوِّض منه التنوين عقيب ذلك ، فلم يوجد له زمن يلفظ به بلا تنوين ، فيلزم القضاء بأن نونه إنَّما كسرت لسكون الألف قبلها ، فاعرف ذلك من مذهب أبى العباس . وأمّا الجماعة غيرَه وغيرَ أبى الحسن فعندهم أنّ أوان مجرورة بلات ، وأن ذلك لغة شاذَّة . ورَوينا عن قطرب قال : قراءة عِيسى : ﴿ ولات حينِ مناصٍ ﴾ بالجرّ . انتهى كلامه .

وهذا حقٌّ لا شبهة فيه ، فالوجه كون لات فيه حرف جرّ كما نقله الفرّاء فى قوله .

* ولاتَ ساعةِ مندم *

بجرّ ساعة . وفى هذا البيت أيضاً .

وكذلك نقله أبو على (فى المسائل المنثورة) عن أبى عُمَرَ الجَرْمى . واستشكله أبو علىّ بأنّ حروف الجرّ لا بدّ أن تتعلّق بشىء ، ولات هنا لا تتعلق بشىء — كما بيَّنه الشارح — وجوابه : أنَّ لنا حروفَ جرّ لاتتعلّق بشىء ، منها لولا فى نحو قوله : لولاى ولولاه ، فليكن هذا منها .

وقول ابن هشام : « وزعم الفرّاء أن لاتَ تجرّ أسماء الزمان خاصّة » تقدم النقل عنه قبل هذا بشاهدين ، أنَّه لم يقيِّد معمول لات بشىء ، سواء كانت جارّة أو عاملةً عمل ليس .

١٥٣ وقوله : « وأجيب عن البيت بجوابين : أحدهما على إضمار من الخ » ، هذا الجواب فاسد ، لأنّ تقدير مِنْ يقتضى أن لا يكون لها معمول ، وإذا لم يكن لها معمول اقتضى كونها غير عاملة . والجواب إنّما هو لبيان عملها .

ومِن الغريب قول أبى حيّان على ما نقله السّمين (فى إعرابه) : إن مِن المقدّرةَ ومجرورَها موضعُهما رفع على أنّهما اسم لات . قال : كما تقول ليس من رِجل قائما ، والخبر محذوف . هذا كلامه .

وقوله : « وعن القراءة بالجواب الأوّل » . وهذا الجواب لا يصحُّ هنا أيضاً لما بيّنّاه .

وقوله : « وتوجيهه أنّ الأصل حين مناصِهم الخ » وهذا الأصل لا يصحّ ، لأنّ معمول لات لايجوز إضافته إلاّ إلى نكرة .

ودعوى أنّ المضاف وهو حين اكتسب البناء من المضاف إليه ، ففيها أنّ شرط اكتساب البناء بالإضافة فى مثله أن يكون المضاف زماناً مبهما ، وللمضاف إليه إما إذْ ، أو فعل ، أوجملة اسمية ؛ ومناص ليس واحداً منها . ثم إنّ البناء إنما سمع فيما ذكرنا على الفتح لا على الكسر .

ونقل السمين (فى إعرابه) عن الأخفش أنّه خرّج البيت على حذف مضاف ، أى ولات حين أوان ، فبقى المضاف إليه مجروراً بعد حذف المضاف . وردّ عليه مكّى بأنّه كان ينبغى أن يقوم المضاف إليه مقام المضاف . وأجاب عنه السَّمين بأنّ بقاء مثله على الجرّ قليل ، ومنه قراءة من قرأ : ﴿واللهُ يُرِيدُ الآخِرةِ[1]﴾ بجرّ الآخرة .

أقول : تقدير هذا المضاف لا قرينة تدلُّ عليه ، وإنْ صحّ إضافة حين إلى أوان بجعل الحين عامّاً والأوان خاصّا بحمله على أوان الصلح .

ثم قال السمين : وقال الزجّاج : الأصل ولات أواننا ، فحذف المضاف إليه

(١) الآية ٦٧ من الأنفال . وقراءة الجر هى قراءة سليمان بن جماز المدنى . تفسير أبى حيان ٤ : ٥١٨ ـ ٥١٩ .

فوجب ألاّ يعرب ، وكسره لا لتقاء السا كنين . قال أبو حيان : ومنه أخذ الزمخشريّ قوله أصله ولا أوان صلح .

أقول : عبارة الزجاج (فى تفسيره) : ومن خفض جعلها مبنيّة مكسورة لالتقاء السا كنين ، كما قالوا فداءٍ لك فبنوه على الكسر . ولما قال ولات أوان جعله على معنى ليس حين أواننا ، فلما حذف المضاف إليه بنى على الوقف ثم كسر لالتقاء السا كنين . والكسر شاذّ شبيه بالخطأ عند البصريّين . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة لأبى زُبيدٍ الطائىّ النَّصرانىّ . سببها ما حكاه أبو عمرو الشيبانى وابن الأعرابى قالا : نزل رجلٌ من بنى شَيبان اسمه المُكّاء برجل من طيّء ، فأضافه وسقاه ، فلمّا سكر وثب إليه الشيبانىُّ بالسيف فقتله وخرج هاربا . وافتخر بنو شيبانَ بذلك ، فقال أبو زُبيد هذه القصيدة . وهذه أبيات منها : صاحب الشاهد

قصيدة الشاهد

(خبَّرتنا الركبانُ أنْ قد فرحتم ... وفخرتم بضَربةِ المُكَّاء
ولعمرى لَعارُها كان أدنى ... لكمُ من تُقًى وحسن وفاء
ظلّ ضيفا أخوكمُ لأخينا ... فى صَبوح ونَعْمة وشِواء
لم يَهَب حُرمةَ النديم ـ وحقّتْ ـ ... يالقَومى لِلسَّوءة السوْآء
فاصدُقونى وقد خَبَرتم وقد ثا ... بَتْ إليكم جوائِبُ الأنباء
هل علمتم من معشرٍ سافهونا ... ثم عاشوا صفحاً ذوى غُلواء
كم أزالت رماحُنا من قَتيلٍ ... قاتلونا بنكبة وشَقاء
بعثوا حربَنا إليهم وكانوا ... فى مقامٍ لو أبصروا ورَخاء
ثم لمّا تشذّرتْ وأنافت ... وتصلَّوْا منها كريهَ الصِّلاء

طلبوا صلحنا، ولات أوانٍ ، فأجبنا أنْ ليس حينَ بقـاء
ولعمرى لقد لَقُوا أهلَ بأس يصدُقون الطِّعانَ عند اللقاء
ولقد قاتلوا فما جبُن القو مُ عن الأمَّهاتِ والأبناء)

١٥٤ إلى أن قال :

(فاصدُقونى أسُوقة أم ملوك أنتمُ ، والملوكُ أهلُ علَاء
أبدِىءٌ أن تقتلوا إذْ قتلتم أم لـكم بَسطةٌ على الأكفاء
أم طمعتم بأن تُريقوا دِمانا ثم أنتم بنجـوةٍ فى السماء
فلحا الله طالبَ الصلح منَّا ما أطاف المُبِسُّ بالدَّهناء
إنَّنا معشرٌ شمائلنا الصبّْـ ـرُ ودفعُ الأسى بحسن العزاء
ولنا فوق كلِّ مجدٍ لواءٌ فاضلٌ فى التمـام كلَّ لواء
فإذا ما استطعتمُ فاقتلُونا من يُصَبْ يرتَهَنْ بغير فِداء)

المـُكَّاء ، بضم الميم وتشديد الكاف : اسم الشيبانى القاتل . وعارها : عار الضَّربة .

وقوله : لم يهب حرمـة النديم إلخ ، أورده صاحب الـكشَّاف عند قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ[1] ﴾ على أنَّ السوءة مايقبح كشفه . والسَّوءة السَّوْآء ، على وزن الليلة الليلاء : الخصلة القبيحة . ويَهبْ : مِن الهَيبة والخوف . والمعنى أنه لم يُعْظِمْ حـرمة الصاحب ، وحقَّت تلك الحرمة بأن تهاب . ثم نادى قومة ليعجبهم من النظر إلى هـذه الفضيحة التى هى هتك حرمة النـديم . وروى : (ولـكن) بدل قـوله : (وحقَّت) .

(١) الآية ٣١ من سورة المائدة .

وقد وقع العجز شاهداً فى الكشّاف ، قال الطيبيّ : إنّى لم أظفر بصدره ولا بقائله .

وجوائب الأنباء : جمع جائبة ، من الجَوْب وهو القطع . قال فى الصحاح : يقال هل جاءكم جائبةُ خبر : أى خبر يجوب الأرضَ من بلد إلى بلد . وقوله : سافهونا ، من السَّفَه وهو ضدُّ الحلم . وصفحاً : إعراضا عنهم . وذوى : حال من الواو فى عاشُوا . والغُلَواء بضم المعجمة : النشاط ومرح الشباب .

وقوله : لو أبصروا ، لو للتمنّي . ورخاء : معطوف على مقام .

وتشذَّرت ، بالشين والذال المعجمتين ، قال فى الصحاح : يقال تشذَّر فلان : إذا تهيأ للقتال ، وتشذَّر القوم فى الحرب : أى تطاولوا . وأنافت : زادت . وتَصَلَّوا : من صلِيَ بالنار صَلًى ، من باب تعب : وجَدَ حرَّها . والصِّلاء ككتاب : حرّ النار .

وقوله : (طلبوا اصلحنا الخ) هو جواب لمَّا . ومن العجائب قول العيني : طلبوا فعل وفاعله مستتر فيه ، ولات أوان فى محل الحال من الصلح وقوله : (فأجبنا) معطوف على طلبوا ، وأن مصدرية يقال أجابه بكذا . وقال السيوطى : هى تفسيرية . و (حين) خبر ليس أى ليس الحين حين بقاء . و (البقاء) : اسم من قولهم أبقيت على فلان إبقاء : إذا رحمته وتلطّفت به . والمشهور أنَّ الاسم منه البُقيا بالضم ، والبَقْوى بالفتح . وقال العينى وتبعه السيوطى : المعنى بقاء الصلح .

وقوله : أبدىءٌ ، الهمزة للاستفهام الإنكاريّ ؛ وبدىء بالهمز كبديع ١٥٥
وزنا ومعنى . وقُتِّلوا بالبناء للمفعول ، وقَتَلتم بالبناء للفاعل .

وقوله : ثمَّ أنتم بنجوة الخ ، النَّجوة بفتح النون وسكون الجيم : المكان المرتفع .

وقوله : فلحا الله ، أى قَبحَ الله .

وقوله : ما أطاف إلخ ، ما مصدريَّة ظرفيَّة . وأطاف وطاف بمعنى دار حول الشىء . والمُبِسّ : حادى الإبل ، وهو فى الأصل اسم فاعل من أبسَسْتُ الإبل : إذا زجرتَها . والدَّهناء : موضع فى بلاد بنى تميم .

ويُصَبْ ويُرْتَهَنْ كلاهما بالبناء للمفعول .

أبو زبيد وأبو زُبيد اسمه المنذر بن حرملة[1] من طيّء . قال أبو حاتم (فى كتاب المعمَّرين) وابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) وغيرهما : عاش أبو زُبيد مائة وخمسين سنة ، وكان نصرانيًّا ومات على نصرانيته .

وألحقه الجمحىُّ بالطبقة الخامسة من شعراء الإسلام[2] . وكان أعورَ آدمَ طُوَالاً : طولُه ثلاثةَ عشر شِبراً . وكان من زُوَّار الملوك وخاصَّةً ملوكَ العَجم . واستعمله عمرُ بن الخطاب على صدَقات قومِه ولم يَستعمل نَصرَانيًّا غيرَه. وكان عثمان بن عفَّان يُقرِّبُه ويُدنِى مجلِسَه . وكان مُغرًى بوصف الأسد بعبارات

(١) الميمنى : « تبع البغدادى فى هذا ابن قتيبة فى الشعراء والمعمرين والعينى ٢ : ١٥٦ والمعروف بالعكس ، أى حرملة بن المنذر . راجع الاشتقاق ٢٣١ واللآلى وابن عساكر ٤ : ١٠٨ والجمحى ، والأدباء والاقتضاب ٢٩٩ والسيوطى ٢١٩ والاصابة رقم ٤٨٠ من الكنى ، الى غيرهم . ولو جسرت على ضعف منتى وقلة حيلتى لقلت ان أبا حاتم أول من صحف على جلالته ، فتبعه من عثر على كتابه . وقال الأصبهانى ١١ : ٢٣ انه هو الصحيح ، بعد أن ذكر القولين » .

(٢) انظر ابن سلام ٥٠٥ والأغانى ١١ : ٢٣ .

مهولة تُزعج السامع ، حتى كأنه يُشاهد الأسد فى حضوره ؛ فقال له عثمان رضى الله عنه ، يوماً : إنى لأحسَبُكَ جَباناً . فقال : كلاً ياأمير المؤمنين ، ولكن رأيتُ منه منظراً وشَهِدتُ منه مَشْهَداً لا يَبرَحُ ذِكره يتردَّد ويتجدَّد فى قلبى !

ثُم وصَفَ ما شاهد منه — ونَقَل كلامَه برمَّته صاحبُ الأغانى — إلى أن قال له عثمان رضى الله عنه : اسكتْ قَطَعَ الله لسانك ، قد أرعبتَ قلوب المؤمنين !

وقال الطبرى[1] : كان أبو زيد فى الجاهلية مقيمًا فى أخواله بنى تغلب بالجزيرة ، وفى الإسلام منقطعاً إلى الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط فى ولاية الجزيرة وولاية الكوفة ، ولم يزل به الوليد حتَّى أسلم وحسُن إسلامه .

هذا كلامه ، وهو خلاف ما قال العلماء : أنَّه مات على نصرانيته .

قال صاحب الأغانى : ولمّا وفد أبو زبيد إلى الوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة أنزله دار عقَيل بن أبى طالب ، على باب المسجد ، فاستوهبها منه فوهبها له ؛ فكان ذلك أوّل ما طُعن به على الوليد ، لأنّ أبا زبيد كان يخرج منها إلى الوليد فيسمرُ عنده ويشرب معه ، ويشقّ الجامع وهو سكران ؛ فلمّا شُهِد على الوليد بشرب الخمر عزله عثمانُ عن الكوفة وحدَّه فى الخمر .

وقال ابن قتيبة : ولما اعتزل الوليدُ بن عقبة عليًّا[2] ومعاوية صار إلى الرَّقّة ، وكان أبو زبيد ينادمه .

وقال صاحب الأغانى : ومات الوليد قبل أبى زبيد ، فمرّ أبو زبيد بقبره فوقف ثم قال :

---

(١) الطبرى ٣ : ٦٠ فى حوادث سنة ٣٠ .

(٢) فى النسختين : « على » . وانظر الشعراء ٢٦١ .

يا هاجرى إذْ جئت زائرَه ما كاَن من عاداتك الهجرُ
يا صاحبَ القبرِ السَّلامُ على من حالَ دون لقائه القبرُ

ثم انصرف . وكان يجىء إلى قبره فيشرب عنده ويصبُّ الشراب على قبره ويبكى . وبقى أبو زُبيد إلى أيام معاوية .

قال أبو حاتم وغيره : كان يجعل له فى كل يوم أحد طعامٌ كثير ، ويهيَّأ له شرابٌ كثير ، ويذهب أصحابه يتفرَّقون فى البِيعة ويحملنَه النساء فيضعنه فى ذلك المجلس ، فيشرب وَالنّصارى حوله ؛ فجاءه الموت فقال :

إذا جعل المرء الذى كان حازماً يُحَلُّ به حَلَّ الحُوارِ ويُحملُ[1]
فليس له فى العيش خير يريده وتكفينُه مَيتاً أعفُّ وأجملُ
أتانى رسولُ الموت يامرحبًا به لآتيَه وسوف واللهِ أفعلُ ١٥٦

ثم مات فجاءه أصحابه فوجدوه ميتا ، فدفن على البُلَيخ ، وهو موضع إلى جانب قبر الوليد بن عقبة . وفى ذلك يقول أشجعُ السُّلَمىُّ وقد مرَّ بقبرهما :

مررت على عظام أبى زُبيدِ وقد لاحت ببلقعةٍ صَلودِ[2]

---

(١) ط : « حال الحوار » ، وأثبت ما فى ش والشعراء والأغانى . وانظر سائر الروايات فى ديوان أبى زبيد ١٣٢ .

(٢) فى أدب النديم لكشاجم ٣٥ :

مررت على عظام أبى زبيد رهينا تحت موحشة صلود
نديم للوليد ثوى فأضحى مجاور قبره قبر الوليد
وما أدرى بمن قصر المنايا باشجع أو بحمزة أو سعيد

وحمزة وسعيد : صديقان له وقفا معه على قبرهما ، قال كشاجم : « فيقال انهم ماتوا على هذا النسق أولا أولا » .

وكان له الوَليدُ نَديمَ صدقٍ فنادم قبرُه قبرَ الوليدِ[1]

* * *

وأنشد بعده : ﴿ ألاَ رجُلٍ ﴾

على أنّ رجلاً مجرور بمن المقدرة . وهو قطعة من بيت ، وهو :

(ألا رجلٍ جزاه الله خيراً يدلُّ على محصِّلة تَبيت)

وتقدم شرحه فى الشاهد الثالث والستين بعد المائة[2] . وذكر الشارح المحقّق هناك أن (رجل) يروى (ألا رجلا) وبالرفع وبالجرّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد المائتين[3] :

٢٨٣ ﴿حنّتْ نَوَارُ ولاتَ هَنّا حَنّتِ
وبدا الذى كانت نوارُ أجَنّتِ ﴾

على أنَّ هنَّا فى الأصل للمكان ، استعير للزمان ، وهو مضاف إلى الجملة الفعلية ، وهو حنت .

يريد أن لات مع هنا عاملة عمل ليس أيضاً لا مهملة ، وإلاّ لما احتاج إلى هذا التأويل فى هَنّا . واعلم أن هَنّا بفتح الهاء وكسرها مع تشديد النون ، حكاها السيرافى وقال : الكسر ردىء . ووهم العينى هنا فضبط الهاء بالضمّ ، وتبعه السيوطى (فى شرح شواهد المغنى) . وهى عند أهل اللغة قاطبة اسم إشارة

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) الخزانة ٣ : ٥١ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٥ ، ١٧ وشرح شواهد المغنى ٣١١ والعينى ١ : ٤١٨ والهمع ١ : ٧٨ ، ١٢٦ والأشمونى ١ : ١٤٥ ، ٢٥٦ .

للقريب ، وعند ابن مالك للبعيد . قال صاحب الصحاح : هَنَّا بالفتح والتشديد معناه ههنا ، وهَنَّاك أى : هُنَاك . قال :

لما رأيت مِحمَلَيْها هَنَّا محدّرين كدتُ أن أُجَنَّا(١)

ومنه قولهم : تجمَّعوا من هَنَّا ومن هَنَّا ، أى من ههنا ومن ههنا . انتهى .

ومِن لازم اسم الإشارة التعريف ، وعدم إضافته إلى شىء ، وقد ورد فى الشعر كثيراً لات هَنَّا ، فالتزم أبو على الفارسى وتبعه ابن مالك إهمال لات ، لأنَّها لا يصح إعمالها فى معرفة ومكان ، وقالا : إذا دخلت لات على هَنَّا كانت مهملة وكانت هَنّا منصوبة على الظرف فى موضع رفع على الخبر لمبتدإ بعدها ، سواء كان اسماً نحو :

« لات هنّا ذكرى جُبيرة(٢) »

وأورد عليه ابن هشام (فى المغنى ، وفى شرح شواهده) أنّ فيه الجمع بين معموليها ، وإخراج هنّا عن الظرفية ، وإعمال لات فى معرفة ظاهرة ، وفى غير الزمان — وهو الجملة النائبة عن المضاف وحذف المضاف إلى جملة . انتهى .

وذهب بعض شُرّاح المفصَّل إلى أن هنّا خبر لات واسمها محذوف ، وأنّ هنّا بمعنى الحين ، والتقدير ليس الحين حين حنينها .

وهذا مراد الشارح المحقق ؛ فقوله : « إنّ هَنّا فى الأصل للمكان استعير للزمان » قصد به الردَّ على أبى علىّ ومن تبعه ، بأنّ هنّا ليست على أصلها

---

(١) ليزيد بن الأعور الشنى من أرجوزة طويلة فى الخصائص ١ : ٢٤٧ . وانظر اللسان (هنن ٣٢٨) .

(٢) قطعة من بيت للأعشى ، سيرد بتمامه قريبا .

حتَّى يلزم المحذور ، بل قد استعيرت للزمان فهي ظرف بمعنى حين ، وكان
١٥٧ أصلها الإشارة للمكان ، فتُوُسِّع فيها فجعلت مجرَّدة للزمان . والمعنى(١) في جميع
ماورد شاهد له ، فتبقى لات على ما عهد لها من العمل عند سيبويه ومن تبعه ،
والاستعارة هنا بمعنى التوسُّع .

وقوله : « وهو مضاف إلى الجملة » أراد به الردَّ على ابن عصفور : بأنَّ
هَنَّا خبر لات لا اسمها ، وأنَّها مضافة إلى الجملة بعدها ، لا أنَّ الجملة خبر لات
بتقدير مضاف .

والشارح المحقِّق قد أخذ كلامه هذا من الإيضاح لابن الحاجب ، فإنه
قال في فصل إضافة أسماء الزمان إلى الجمل : هَنّا في قوله ولات هنا حنّت ،
البيت ، محمول على الزمان لأمور :

أحدها : أنّ لا التي لنفي الجنس المكسوعة بالتَّاء لا تدخل إلاّ على
الأحيان .

والثاني : أنَّ المعنى إنكار الحنين بعد الكبر ، وذلك إنما يتحقَّق
بالزمان لا بالمكان .

والثالث : أنَّه لو جُعل للمكان لم يصحَّ إضافته إلى الفعل ، إذ لم يُضَفْ
من أسماء المكان إلى الأفعال إلاّ الظروفُ غير المتمكّنة كحيث . انتهى .

وقد ذهب ابن الخبَّاز أيضاً (في النهاية) إلى أنّ هَنَّا مضافةٌ إلى الجملة
بعدها . نقله عنه ابن هشام (في شرح شواهده) ، وردّه بأن اسم الاشارة
لا يضاف . وهذا الردُّ غير متَّجه ؛ فإنّ من يجعلها مضافة إلى الجملة كالزمخشريّ

(١) ش : « والعيني » ، تحريف .

(فى المفصَّل) لم يقل إنّها اسم إشارة مضافة إلى الجملة ، إذ [١] من القواعد أنّ أسماء الإشارة لا تصحّ إضافتها إلى شيء ، وإنما هى عنده مجرّدة لمعنى الحين .

وبما ذكرنا يسقُط أيضاً توقُّف الدماميني (فى شرح التسهيل) عندما نقل كلامَ الشارح هناك وقال : قوله : « وهو مضاف إلى الجملة » إن كان مع التزام أنّه اسم اشارة فمشكل ، لأنّه لا يضاف ، وإن كان مع ادّعاء التجرّد عنها فيحتاج إلى نقل ا هـ .

ومنه تعلم فساد كلام الشاطبيِّ أيضاً وجعلِهِ هَنّا اسمَ إشارة للزمان مع إعمال لات ، فإنّه قال : فإن قيل من شرط لات عملُها فى زمان منكَّر ، وقولُهم ولات هَنّا حنّتِ ونحوُه ، هَنّا فيه معرفة وهى إشارة للمكان . . فالجواب أنّ هَنّا لا تختصّ بالإشارة إلى المكان ، بل قد يراد بها الزمان ؛ ومن ذلك هذه المواضع ، فإنّ معناها الإشارة إلى الزمان ، أى ذكرى جُبَيرة ليس فى هذا الزمان ، وحنينها ليس فى هذا الوقت . وأمّا عملها فى المعرفة فإنّها عند ابن مالك غير عاملة فى هذه المواضع ا هـ .

فإن قلت : كيف التزم الشارح المحقّق أن تضاف هَنّا إلى الجملة وقد وقع بعدها المفرد فى قول الأعشى :

لاتَ هَنّا ذِكْرَى جُبَيرةَ أم مَنْ جاء منها بطائفِ الأهوالِ [٢]

وفى قول الطِرِمّاح :

لاتَ هَنّا ذكرَى بُلَهنيةِ الدهرِ وأنّى لذِى السِّنينَ المَواضِى [٣]

(١) بدله فى ش : « للعلم » .

(٢) ديوان الأعشى ٣ .

(٣) فى جمهرة القرشى ١٩٠ والديوان ٨٠ : « وانى ذكرى السنين المواضى » .

(قلتُ): ذِكرى مفعول مطلق عامله محذوف ، أى لات هنّا أذكر ذِكرَى جُبَيرة ، فالجملة محذوفة مع بقاء أثرها .

و (الحنين) : الشوق ونزاع النفس إلى شيء . والتاء من حنّت وأجنّت مكسورة للوزن . و (نوّار) : فاعل حنّت مبنيٌّ على الكسر فى لغة الجمهور وعند تميم معْرب لا ينصرف ، وهو من أسماء النساء مأخوذ من نارت المرأة تَنُور : إذا نفَرت من الريبة ، وجمع نَوّار نُور بالضمّ . وجملة (ولات هنّا حنّت) حال من نوار . قال ابن هشام : وتكون حالا إذا وقعت بعد الواو . و (بَدَا) بمعنى ظهر . و (نَوار) الثانى قد وضع موضع الضمير . و (أجنّت) بالجيم : أخفت وسترت . وبعد هذا البيت بيت ثانٍ لا ثالث له ، وهو : ١٥٨

لما رأت ماءَ السَّلَى مشروباً والفرثُ يُعصَر فى الاناء أرنَّتِ

والسَّلَى بفتح السين المهملة والقصر ، هى الجلدة الرقيقة التى يكون الولدُ فيها من المواشى ، وهى المَشيمة له . والفَرْث ، بالفتح : السِّرجين ما دام فى الكَرِشِ . وأرنّت من الرَّنّة وهو الصوت ؛ يقال رنّت تَرِنّ رنينا وأرنّت إرنانا : إذا صاحت . وإنما صاحت نَوارِ وبكت لأنّها تيقَّنت فى تلك المفازة الهلاكَ حيث لا ماء إلاّ ما يُعصَر من فَرث الإبل وما خرج من المَشِيمة من بطونها .

صاحب الشاهد

وهذان البيتان اختُلف فى قائلهما :

شبيب بن جعيل

فقيل : شَبيب بن جُعَيل التغْلَبيّ ، وهو جاهليّ . وإليه ذهب الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) قال[1] : وشبيب هذا كان بنو قُنَينة[2] الباهليُّون

---

(١) المؤتلف والمختلف ٨٤

(٢) كذا فى النسختين : « قنينة » بنونين ، وقد ضبطه البغدادى =

أسروه فى حرب كانت بينهم وبين بنى تغلِب ، فقال شبيب هذين البيتين لما رأى أمَّه نوار أرنّت ، وهى بنت عمرو بن كلثوم .

حجل بن نضلة
وقيل : هو حَجْل بن نَضْلة ، وهو جاهلى أيضاً . وهو قول أبى عُبيد ، وتبعه ابن قُتَيبة (فى كتاب الشعراء) وأبو علىّ (فى المسائل البصرية) قالوا : قالها فى نوار بنت عمرو بن كُلثُوم لمّا أسرها يوم طَلْح ، فركب بها الفلاةَ خوفاً من أن يُلحَق . والله أعلم .

ومنه تعرف أنّه لا وجه لقول ابن الحاجب المتقدِّم هُنا : إنّ معنى البيت إنكار الحنين بعد الكبر ، وذلك إنّما يتحقق بالزمان لا بالمكان .

قال ابن قتيبة والآمدىّ : قد نقص حرف من فاصلة البيت الثانى ، وبعض الناس[1] يسمّون هذا إقواء ، لأنه نقص من عروضه قُوّة ، وكان يستوى البيتُ بأن يقول متشرّباً . يقال أقوى فلان الحبلَ : إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى . والمشهور أنّ الإقواء — كما قال أبو عمرو بن العلاء — هو اختلاف الإعراب فى القوافى : وذلك أن تكون قافية مرفوعة ، وأخرى مجرورة . وبعض الناس يسمِّى هذا الاختلاف الإكفاء . اهـ

= بذلك كما سيأتى . والصواب « قتيبة » كما فى المؤتلف وجمهرة ابن حزم ٢٤٥ والاشتقاق ٢٧١ بتحقيق كاتبه . قال ابن دريد : « وقتيبة تصغير قتب البطن . والأقتاب : الأمعاء » . وهم بنو قتيبة بن معن بن مالك ابن أعصر ، وهم باهلة . ولكنى أبقيت النص على خطئه لأن البغدادى قيده به .

(١) بعض الناس هو أبو عبيد ، ولكن الخليل كان يسميه المقعد ، وقد تكلم على هذا العيب بما لا مزيد فيه أبو العلاء فى شرح قول الربيع بن زياد العبسى :

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار

وانظر العمدة ١ : ٩٤ .

و (جُعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة . و (التغلَبيّ) بالمثنّاة من فوق بعدها غين معجمة . و (قُنَينة) بضم القاف ونونين[1] .

و (عمرو بن كلثوم) هو صاحب المعلقة إحدى المعلقات السبع ، وقد تقدَّمت ترجمته[2] .

و (حَجْل) بفتح المهملة وسكون الجيم . و (نَضْلة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة .

تتمة

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح شواهد المفصَّل) عند شرح هذا البيت : نَوار اسم لابنة عبد شمس ، وكانت قد عشقت مِلكاً ، فهمَّ الملك بأن يُوقع بعبد شمس ، فشَعرت نوار بذلك وآذنت أباها ، فقال رجل من أقربائها : حنَّت نوار ، أى اشتاقت إلى من تحبه وليس الوقت وقتَ الحنين والاشتياق إليه ، لظهور العداوةِ بيننا ؛ وظهر الذى كانت هذه المرأة أجنَّته وسترته من الاشتياق .

هذا كلامه ، وهو خطأ فاحش ، وما قاله شرحٌ لمثل وهو : حَنَّت ولات هنَّت وأنَّى لكِ مقروع[3] » .

(١) لا أدرى من أين أخذ البغدادى هذا الضبط . وانظر ما سبق فى الحواشى .

(٢) فى الخزانة ٣ : ١٨٣ .

(٣) الميمنى : « المثل عند الميدانى ١ : ١٧٠ ، ١٣٠ ، ١٧٦ والفاخر رقم ٤٤٩ والعينى طبعتاه ٤ : ٢٩ ، والعسكرى بومباى ٧٤ ، ١٠٠ و ١ : ١٩٣ ، ٢٥٦ مصر والمستقصى » .

وقد خبط خبط عشواء أيضاً فى بيانه كما يعلم وجهه مما سيأتى .

وهذا المثل أورده الجوهرى (فى مادة ليت ، وفى مادة هنت[1]) وزعم أنه شعر ، وليس كذلك وإنما هو نثر . قال : يقال هَنَّ يَهِنّ هنيناً أى حنّ . وذكره أبو عبيد (فى أمثاله) ، والرواية عنده حنّت ولات هنّت إلى آخره ، قال : يضرب مثلاً لمن يتّهم فى حديثه ولا يصدق ، وأوّل من قاله مازن
١٥٩ ابن مالك بن عمرو بن تميم ، لابنة أخيه الهَيجُمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم حين أخبرت أباها أنّ عبد شمس بن سعد بن زيد مَناة يريد أن يُغير عليهم ، فاتّهمها مازنٌ ، لأنّ عبد شمس كان يهواها وكانت تهواه ، فقال مازن هذه المقالة . انتهى كلامه .

وأورده صاحب اللباب للردّ على أبى عُبيد فى زعمه أن تاء لا تحين من الحين . قال شارحه الفالى : وجه الاستدلال أنّ التاء دخلت مع لا على هنَّت ، فليس جزءاً من الحين ؛ وهنَّت بمعنى حنَّت ؛ ومقروع : لقب عبد شمس ابن سعد ، وفيه يقول مازن بن مالك فى الهَيجُمانة بنت العنبر بن تميم :

حنَّت ولات هنَّت [وأنَّى لكِ مقروعُ[2]] ، وهو مثل ؛ وأصله أنّ الهيجمانة بنت العنبر كانت تعشق عبد شمس — وكان يلقَّب بمقروع — فأراد أن يغير على قبيلة الهيجمانة ، وعلمت بذلك فأخبرت أباها ، فقال مازن : « حنَّت ولات هنَّت » ، أى اشتاقت وليس وقتَ اشتياقها . ثمّ رجع من الغيبة إلى الخطاب فقال : « وأنَّى لكِ مقروع » أى من أين تظفَرين به . يضرب لمن يحنّ إلى مطلوبه قبل أوانه . انتهى

---

(١) كذا فى النسختين ، وصوابه (هنن) .

(٢) التكملة من ش . وقد أورده فى اللسان (هنن ٣٢٨) مسبوقا بقوله « قال الشاعر » . جعله شعرا ، خلافا لقول البغدادى فيما سبق .

وفى هذا المثل شىء لم يُتنبَّه له ، وهو أنَّ لات فيه لا اسم لها ولا خبر ، لانّها دخلت على فعل ماض فتكون مهملة كما تقدَّم .

وقول صاحب القاموس تبعاً لصاحب العباب : لا تكون لات إلاَّ مع حين ، وقد تحذف وهى مرادة كقوله : « حنت ولات هنت وأنى لكِ مَقروع » فإن أراد أنَّ الزمان المحذوف معمولها — فهذا غير صحيح ، لأنّه لا يجوز حذف معمولى لات كما لا يجوز جمعهما . وإنْ أراد أنَّها مهملة وأنَّ الزمان لابدَّ منه لتصحيح استعمالها فغير صحيح أيضاً ، لأنها إذا أهملت دخلت على غير الزمان أيضاً ، كما تقدَّم بيت الأفوه الأوْديّ عن أبى حيَّان . والله تعالى أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد المائتين[١] :

٢٨٤ (أفى أثَرِ الأظعَانِ عَينُكَ تَلْمَحُ نَعَمْ لاتَ هَنَّا، إنَّ قَلْبَكَ مِتْيَحُ)

على أنَّ (هَنَّا) فيه ظرف زمان مقطوع عن الإضافة ، والأصل لات هَنَّا تلمح ، فحذف تلمح لدلالة ما قبله عليه ؛ فهنَّا فى موضع نصب على أنَّه خبر لات ، واسمها محذوف ، والتقدير ولات الحين حين لمح عينك ، كما حذفت الجملة فى قوله :

* لاتَ هَنَّا ذِكرَى جُبيرة[٢] *

والفرق بينهما : أنَّ الجملة حذفت هنا ولم يبق لها أثر ، وفى لات هَنَّا ذكرى جبيرة حذفت الجملة وبقى أثرها ، كما تقدم بيانه فى البيت الذى قبل هذا .

---

(١) اللسان (تيح ٢٤١ هنن ٣٢٩) ومعجم البلدان (شرف) .

(٢) قطعة من بيت الأعشى الذى مضى قريبا ص ١٩٨ فى الشاهد ٢٨٣ .

فإن قلتَ : لو كان هَنًّا مقطوعةعن الإضافة ـ كما زعم الشارح المحقق ـ لوجب أن يلحقها التنوين عوضاً من المضاف إليه الجُمْلىّ كما قال هو في باب الإضافة : إنَّ الظروف التي فيها معنى النسبة كقبل وبعد إنْ قطعت عن الإضافة بنيت على الضمّ ، وإن كانت غير ذلك وجب إبدال التنوين عوضاً من المضاف إليه كإذٍ وأوانَ . وقال فى شرح بيت لاتَ أوانٍ قبل هذا : ولا يعوّض التنوين فى المبنيات من المضاف إليه إلاّ إذا كان جملة .

قلت : لم يلحق التنوين لأنَّ ألف هنا للتأنيث ، فهو مقدّر فيها .

فإن قلتَ : أىُّ ضرورة إلى ادّعاء حذف الجملة المضاف إليها هَنًّا ، مع أنَّه لم يقل به أحد ، ولا ابن الحاجب ؟

قلتُ : لمَّا حقق أن هَنًّا قد تجردت لظرف الزمان ، كان الظرف لابدَّ له من مظروف ، والنفى فى الحقيقة متوجهٌ إليه ، ولولا اعتباره لمَا كان معنًى

١٦٠ لقولنا لات هَنًّا ، إذْ لا فائدة فى نفى الظرف . وهذا المحذوف ملحوظ أيضاً عند من جعل هَنًّا إشارة للمكان ، فإنَّه لا يتم المعنى بدونه ، إذْ لابدَّ للإشارة من مُشارٍ إليه ؛ فيكون المنفىُّ فى الحقيقة هو المشار إليه .

هذا ما أمكننى أن أفهم [فى] كلامه فى لات هَنًّا ، ولله درّه ! ما أدقَّ نظره ، وألطف فكره (وفوقَ كلِّ ذى علم عليم) . والله أعلم

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ للراعى ، عدتُها سبعة وخمسون بيتاً ، مدح بها بشرَ بنَ مرْوان المرْوانىّ ، وبعده :

(ظَعائنَ مِينافٍ إذا مَلَّ بلدةً أقام الركابَ باكرٌ متروِّحُ)

فقوله : (أفى أثَرِ الأظعان) الهمزة للاستفهام ، وفى متعلِّق بقوله تلمح ، وقدِّم لأنَّه هو المستفهَم عنه . و (عينكُ) مبتدأ وتلمح خبره . و (الأظعان) :

جمع ظَعينة ، قال ابن الأثير (فى النهاية) : الظعينة المرأة ، وأصل الظعينة الراحلةُ التى ترحل ويُظعَن عليها أى يُسار ؛ وقيل للمرأة ظعينة لأنّها تظعَن مع الزوج حيثُما ظعن ، أو لأنّها تحمل على الراحلة إذا ظعنت ؛ وقيل الظعينة المرأة فى الهودج ثمّ قيل للهودج بلا امرأة ظعينة ؛ وجمعها ظُعُن ، وظعائن ، وأظعان ؛ وظعَن يظعَن ظَعناً بالتحريك : إذا سار . انتهى . و (اللَّمح) : الإبصار الخفيف ، قال صاحب الصحاح : لمحه وألمحَه ، إذا أبصره بنظر خفيف. و (نَعَمْ) : إعلام للمستفهِم السائل . و (المِتْيَح) بكسر الميم وسكون المثنّاة الفوقيّة وفتح للمثنّاة التحتيّة ؛ قال ابن حبيب (فى شرح ديوان جِران العَود) : المِتيح الذى يأخذ فى كلّ جهة ، وهو مِفْعل ، كأنّه أُتيح له إتاحة أى قُدِّر . وقال ابن دريد (فى الجمهرة) رجل مِتيح : إذا كان قلبه يميل إلى كلّ شىء . وكلاهما أنشد هذا البيت .

والميناف ، بكسر الميم بعدها ياء ، أصلها الهمز ؛ قال (فى العباب) رجل مئناف أى سائر فى أول النهار ، وقال الأصمعىّ : رجل مئناف : يرعى ماله أُنُفَ الكلأ ، يقال أَنفَت الإبلُ أَنفا : إذا وطئت كلأً أُنُفا ، بضمّ الألف والنون ، أى عُشباً لم يُرعَ ولم يُدَسْ بالأرجل . والبلدة : الأرض . وأقامه مِن موضعه : خلافُ أقعده . والركاب : الإبل التى يُسار عليها ، الواحدة راحلة ، لا واحد لها من لفظها .

ومعنى البيت أن الشاعر خاطب نفسه لما رآها ملتفتة إلى حبائبها ، ناظرةً إلى آثارها بعد الرحيل ؛ فاستفهمها بهذا الكلام ، ثم أجاب جازماً بأنّ عينها ناظرة إلى أثرهنّ . وسفَّهها فى هذا الفعل بأن اللمح ليس صادراً فى وقته ، لأن صاحبهن ملتزم أسفار ، ومقتحم أخطار ، شأنه الذّهاب ، وعدم الإياب ؛ فلا ينبغى لها أن تكتسب من النظرة ، شدائد الحسرة .

وقوله : إنْ قلبك مِتْيَح ، استئناف بيانىٌ وقع جواباً لسؤال عن سببٍ خاص نشأ من الجملة المنفية ، كأنّ نفسه قالت له : هل أنا فى هذا الفعل مِتيح ؟ فأجابها بالجملة المؤكدة . وقوله : ظعائن ميناف ، أى هنّ ظعائن ؛ والجملة الشرطية صفة لميناف . وجملة : أقام الخ ، جواب إذا · وبا كرٌ فاعل أقام أى سائق با كر ؛ متروِّح : أى شأنه سوق الإبل بالغداة والرواح .

فإن قلتَ : كيف يرتبط الجواب بالشرط مع خلوِّه عن ضمير الميناف ؟

قلتُ : هو بتقدير أقام الركاب بأمره . ثمّ وصف رحيل الميناف ونزولَه ومنازلَه فى أبيات كثيرة .

وترجمة الراعى قد تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة[١] .

* * *

باب المجرورات

الإضــــافة

١٦١ أنشد فيها :

(ولَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئيمِ يَسُبُّنِى)

على أنَّ ذا اللام فى أصل الوضع لواحدٍ معين ، وقد يستعمل بلا إشارة إلى معيَّن ، كاللئيم ، فإنَّ المراد منه لئيمٌ من اللؤماء ، أىَّ لئيمٍ كان .

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .

وتمامه : (فمَضيتُ ثُمّتَ قلتُ لا يَعْنِينى)

وقد تقدّم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والخمسين(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(علَا زَيْدُنا يَوْمَ النَّقَا رَأْسَ زَيدِكُمْ بِأَبيَضَ ماضِى الشَّفْرَتينِ يَمانِى)

على أن العَلَمَ إذا أضيف نـكِّر بجعله واحداً مِن جملةِ مَن سُمّى بذلك اللفظ، كزيد ، فإنّه معرفة بالعلمية ولمّا أضيف نـكِّر وا كتسب التعريفَ من الإضافة.

وقد تقدّم الكلام عليه أيضاً فى الشاهد الثامن عشر بعد المائة(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد المائتين :

٢٨٥ (إن قُلتَ خَيراً قال شَرًّا غَيرُهُ)

على أن ابن السَّرّاج نقض به ما قاله ابن السَّرِىّ ـ وهو أبو اسحق إبراهيم ابن السَرِىّ الشهير بالزجاج — من أن (غير) إذا أضيفت إلى معرَّف له ضدٌ واحد تعرَّفت ، كقولك : عليك بالحركةِ غيرِ السكون . ووجه النَّقض : أن غيراً فى البيت قد أضيفت إلى ضمير الخيْر ـ وهو ضد الشر ـ ولم تتعرَّف ، بدليل وقوعها صفة لقوله شرًّا .

---

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٢٤ .

ونقض عليه أيضاً بقوله تعالى: ﴿نَعْمَلْ صالحاً غيرَ الذى كُنَّا نَعْمَلُ[(1)]﴾

وأجاب الشارح المحقق بأنّ غيراً فيهما بدَل لا صفة ؛ ويجوز أن تكون صفةً على الأكثر الأغلب ، وهو عدم تعرّفها بالمضاف إليه . هذا كلامه ؛ وما نسبه إليهما لم أره فى كلامهما .

أما ابن السَّرِىّ فهذه عبارته فى تفسير الفاتحة : وقوله تعالى : ﴿غيرِ المغضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فيُخفَض على ضربين : على البدل من الذين، كأنّه قال : صراطَ غيرِ المغضوب عليهم ؛ ويستقيم أن يكون غير المغضوب عليهم من صفة الذين ، وإن كان غير إنّما أصله فى الكلام أن يكون صفةً للنكرة ، تقول مررت برجلٍ غيرِك ، فغيرك صفة لرجل ، كأنّك قلت مررت برجل آخر . ويصلح أن يكون معناه مررت برجل ليس بك ، وأنّما وقع ههنا صفة للذين لأنّ الذين ههنا ليس بمقصود قصدهم ، فهو بمنزلة قولك إنّى لأمرُّ بالرجلِ مثلِك فأكرمه . انتهى كلامه .

فعلم منه أن وقوع غير صفةً للذين لتأويل الذين بما يقرب به من النكرة ، وهو كون المعرّف الجنسى قريباً من النكرة ، لا لكونها وقعت بين ضدّين كما نقل عنه الشارح المحقّق .

وأما ابن السرّاج فقد قال فى باب الإضافة (من الأصول) : وأمّا مثل وغير وسوى ، فإنّهنّ إذا أضفن إلى المعارف لم يتعرّفن ، لأنك إذا قلت مثل
١٦٢ زيد فمثله كثير : واحدٌ فى طوله ، وآخر فى علمه ، وآخر فى صناعته ، وآخر فى حسنه . وهذا يكاد يكون بلا نهاية . وكذلك غير إذا قلت غير زيد ؛ لأن

(1) الآية ٣٧ من فاطر .

كلّ شيء إلا زيد فهو غير زيد . فهذا وما أشبهه لا يتعرّف بالإضافة . فإن أردت مثل زيد المعروف بشبه زيد كان معرفة . انتهى .

فليس فيه ردٌّ ولا شِعْر .

وقد نسب ابن هشام (فى المغنى) إلى ابن السرّاج ما نسبه الشارح المحقّق إلى ابن السرىّ .

والمصراع من أبياتٍ أوردها ابن الأعرابى (فى نوادره) للأسود بن يعفُر ، وهى : صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(إنَّ امرأً مولاه أدْنا دارِه فيما أَلَمَّ وشرُّه لكَ بادِى[1]
إن قلتَ خيراً قال شرًّا غيرَه أو قلتَ شرًّا مدَّه بمِدادِ
فلئن أقمتَ لأظعنَنَّ لبلدةٍ ولئن ظعنتَ لأُرسِيَنْ أوتادى
كان التفرُّق بيننا عن مِرَّةٍ فاذهبْ إليكَ فقدشفيتَ فؤادى)

وقوله : إن امرأً مولاه الخ المولى هنا يجوز أن يكون ابنَ العمّ ، وأن يكون الناصر ، وأن يكون الجار . وأدنا[1] بمعنى أضعف وأذلّ ؛ من الدناءة فسُهِّل . وفى للسببية ، وألَمّ من اللَّمَم ، وهو مقاربة الذنب . وبادِى : ظاهر . ومولاه مبتدأ وأدنا[1] خبره والجملة صفة لاسم إنَّ ، وخبرُها الجملة الشرطية ، وهو قوله : (إن قلتَ خيراً الخ) . وقلتَ فى الموضعين بفتح التاء . وقوله : (مدَّه الخ) أى زاده بزيادة متصلة .

وقوله : فلئن أقمتَ الخ ، هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب . وقوله : لأُرسِيَنْ ، النون الخفيفة للتأكيد . والإرساء : الإثبات، يقال رسا الشىء يرسو :

(١) رسمت فى النسختين بالياء ، وانما هى مسهلة من أدنأ .

إذا ثبت ؛ وأرساه : أثبته . وأراد بأوتاده أوتاد الخيمة . وإرساؤها كناية عن الإقامة .

والمِئْرة ، بكسر الميم وسكون الهمزة ، هى العداوة ، قال أبو زيد : مأرت بين القوم مأراً وماءرت مماءرة : أى عاديت بينهم وأفسدت . قال : والاسم المِئْرة . وإليك اسم فعل بمعنى تنحّ وابعد .

والأسود بن يعفر شاعر جاهلىٌّ ، تقدّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والستين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد المائتين[2] :

٢٨٦ (أماوِىَّ إنّى رُبَّ واحدِ أُمِّهِ
أجَرْتُ فلا قَتْلُ عليه ولا أسْرُ)

على أن (واحد أُمّه) نكرة لا يتعرّف بالإضافة وإنْ أضيف إلى المعرفة ، لتوغله فى الإبهام ، إذ لاينحصر بالنسبة إلى مضاف إليه معيَّن ، إذ بعد الاضافة لا يتعيَّن للمضاف أيضاً ، فهو نظير غيرك ومثلك ، ولذلك وقع مجروراً لربّ .

١٦٣ والشارح المحقّق نسب جعلَه منكَّرا إلى بعض العرب ، واستدل له بدخول ربّ عليه ، فإنَّها لا تدخل إلاّ على نكرة . وغيرُه نسَبَ التنكير إلى بعض النحاة ؛ ويؤيّده قول ابن الأنبارى (فى الزاهر) : إنّ الفرّاء وهشاماً قالا :

---

(١) الخزانة ١ : ٤٠٥ .

(٢) همع الهوامع ٢ : ٤٧ وديوان حاتم ١١٨ واللسان (وحد ٤٦٣) .

نَسِيجُ وَحْدِه وعُيَيْرُ وَحْدِه، وواحدُ أمِّه، نكرات. والدليل على هذا أن العرب تقول: رُبَّ نسيجِ وحدِه قد رأيت، وربَّ واحد أمِّه قد أجرْت.

واحتجَّ هشامٌ بقول حاتم:

أماويَّ إنّى رُبَّ واحدِ أمِّه . . . . البيت

قال شارح اللباب وغيره: والأكثر أن يكون معرفة على قياس الإضافة إلى المعارف، وأمّا وروده نكرةً فنادر، إنّما جاء فى الشعر.

وقول الشارح المحقّق: «وليس العلة فى تنكيرهما ما قال بعضهم إنّ واحد ١٦٣
مضاف إلى أم» إلى آخره، هو كلام عبد القاهر الجرجانى، قال: والضمير المتصل ببَطن وأمّ، لايجوز أن يعود إلى نفس واحد وعبد، لأنّ المضاف يكتسب من المضاف إليه التعريف، فإذا كان تعريف أمّ بإضافتها إلى ضمير الواحد، كان التماس تعريف الواحدِ منها محالاً، وكان بمنزلة تعريف الشىء بنفسه، فوجب أن يعود الضمير إلى شىء غير عبد وواحد؛ يجوز أن تقول: زيد عبدُ بطنه، فيكون تعريف عبد بغير ضميره. قال: فإذا قلت جاءنى واحدُ أمِّه، وعبدُ بطنه، جاز أن يكون معرفة بأنْ يتقدّم الذكر، كأنّك قلت جاءنى الكامل النبيل الذى عرفته. وإذا جعل نكرة فعلى أنّه يوصف به نكرة محذوفة كما فى البيت، كأنّه قال إنسانٌ واحدُ أمِّه؛ بمنزلة قولك: ربَّ إنسان عزيز معظَّم، لأنّ ربَّ لا تدخل على المعارف. انتهى كلامه.

وقوله: (أماويَّ الخ) الهمزة للنداء، وماويَّ منادى مرخّم ماويَّة، وهى زوجة حاتم. والماويّة فى اللغة: المرآة التى يُرى فيها الوجه؛ كأنها منسوبة إلى الماء، فانّ النسبةِ إلى الماء مائىّ وماوىّ. و (رُبَّ) هنا لإنشاء

التكثير[1] والعامل فى محلّ مجرورها (أجَرْتُ) بالجيم والراء المهملة ، بمعنى أمّنته مما يخاف ؛ يقال استجاره أي طلب منه أن يحفظه فأجاره . وروى بدله : (أخذت) .

قال الزمخشريّ (فى أمثاله) عند قوله « أجْوَد من حاتم » : كان إذا قاتل غلَب ، وإذا غنِم أنهَب ، وإذا سُئل وهب ، وإذا ضَرَب بالقِدْح سبَق ، وإذا أسر أطلَق ، وإذا أثرى أنفق . وكان أقسم بالله لا يقتل واحدَ أمّه . انتهى .

وروى صاحب اللباب المصراع الثانى هكذا :

* قتلتُ فلا غرْم علىّ ولا جَدْلُ *

من جدل عليه : إذا صال عليه بالظُّلم . وليس كذلك ؛ فإنّ البيت من قصيدةٍ رائيّة وهى :

قصيدة الشاهد

(أماوىّ ، قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ وقد عَذرتْنى فى طِلابكمُ عُذُرُ
أماوىّ ، إنّ المـال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديثُ والذِّكْرُ
أماوىّ ، إنّى لا أقول لسـائلى إذا جاء يوماً حلَّ فى مالنا النَّزْرُ
أماوىّ ، إمّا مانعٌ فمبيِّنٌ وإمّا عطـاء لا يُنَهْنِهُهُ الزجرُ
أماوىّ ، مايُغنى الثراء عن الفتى إذا حَشرجَتْ يوماً وضاق بها الصدرُ
أماوىّ ، إنْ يُصبح صداىَ بقفرةٍ من الأرض لاماء لدىَّ ولا خَمرُ

(١) فى النسختين : « التنكير » ، تحريف . قال ابن هشام فى المغنى : « وليس معناها التقليل دائما خلافا للأكثرين ، ولا للتكثير دائما خلافا لابن درستويه وجماعة ، بل ترد للتكثير كثيرا وللتقليل قليلا » . وانظر اللسان (ربب) .

تَرَىْ أنَّ ما أنفقتُ لم يكُ ضائرى ... وأنَّ يدِى مما بخلتُ به صفرُ
أماوىَّ إنِّى رُبَّ واحدِ أمِّه ... أخذتُ فلا قتلٌ عليه ولا أسرُ
وقد عَلِم الأقوامُ لو أنّ حاتماً ... أراد ثراء المال كان له وَفْرُ
أماوىَّ ، إنَّ المال مالٌ بَذَلته ... فأوّلُه شكرٌ وآخره ذكر
وإنّىَ لا آلو بمالِى صَنيعة ... فأولُه زادٌ وآخره ذُخر
يُفَكُّ به العانى ويُؤ كل طيِّباً ... وما إن يُعرِّيه القِداح ولا القَمْرُ ١٦٤
ولا أظلمُ ابنَ العمِّ إن كان إخوتى ... شهوداً وقد أودَى بإخوته الدهرُ
غَنينا زماناً بالتَّصعلُكِ والغِنى ... وكُلاًّ سقاناه بكأسيهما الدهرُ
فما زادنا بَأْواً على ذى قَرابة ... غِنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ
وما ضرَّ جاراً يا ابنة القوم ، فاعلمى ... يجاورنى أن لا يكون له ستر
بعينيَّ عن جاراتِ قومىَ غفلةٌ ... وفى السَّمع منّي عن أحاديثها وقْرُ)

قوله : وقد عذرتنى الخ ، عذرته فيما صنع من باب ضرب : رفعت عنه اللوم ، فهو معذور أى غير ملوم ، والاسم العُذر بالضم .

وقوله : حلّ فى مالنا النزر ، أى القِلَّة . ونَهْنَهه : كفّه ومنعه .

وقوله : إذا حشرجت يوماً الخ ، أورد صاحب الكشّاف هذا البيت عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كلاَّ إذا بَلَغتِ التَّراقىَ[1] ﴾ على إضمار النفس قبل الذكر ، لدلالة الكلام عليه ، كما أضمرها الشاعر فى حشرجت . والحشرجة ، أوله حاء مهملة وآخره جيم : الغرغرة عند الموت وتردُّدُ النفس . والصَّدَى : ما يبقى من الميت فى قبره ، قاله المبرد فى الكامل[2] عند قول النَّمِر بن تَوْلَب الصحابىِّ :

(١) الآية ٢٦ من سورة القيامة .

(٢) ص ٢١٠ ليبسك . وهذا التفسير أحد أوجه ستة ذكرها المبرد فى هذا الموضع .

أعاذلَ إنْ يصبح صَداىَ بقَفْرَةٍ بَعيـداً نآنى صاحبي وقريبى
ترَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه وأن الذى أنفقتُ كان نصيبى

وقوله : لا آلو ، أى لا أقصِّر . والعانى : الأسير .

وقوله : وما إنْ يُعرّيه أى يُغنيه . والقِداح : قِداحُ الميسر . والقَمْرُ بالفتح : المقامرة .

وقوله غنينا ، غَنِيَ كفرح : عاش ، وغنى بالمكان : أقام به . والبأو بالموحدة وسكون الهمزة الـكِبْر والفخر ، يقال : بأوت على القوم أبأى بَاواً .

وسبب هذه القصيدة هو مارواه الزجاجيّ (فى أماليه الوسطى[1]) قال : أخبرنا ابن دُريد قال : أخبرنى عبد الرحمن عن عمه ، وأبو حاتم عن أبى عبيد قالا :

كانت امرأةٌ من العرب من بنات ملوك اليمن ذاتُ جمال وكمال ، وحسب ومال ، فآلت أن لا تزوّج نفسها إلاّ من كريم ، ولئن خطبها لئيم لَتجدعَنَّ أنفَه ، فتحاماها الناسُ حتّى انتَدَبَ لها زيدُ الخيل ، وحاتمُ بنُ عبد الله ، وأوسُ بنُ حارثةَ بن لأم الطائيون ، فارتحلوا إليها فلمّا دخلوا عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زُوَّاراً فما الذى جاء بكم ؟ قالوا : جئنا زُوَّاراً خُطّاباً ، قالت . أكفاء كرام ، فأنزلتهم وفرّقت بينهم وأسبغت لهم القِرى وزادت فيه ؛ فلما كان فى اليوم الثانى بعثت بعضَ جواريها متنـكرةً فى زى سائلة تتعرّض لهم ، فدفع إليها زيد وأوسٌ شَطرَ ما حُمِل إلى كلّ واحدٍ منهما ، فلمّا صارت

(١) أمالى الزجاجى ١٠٦ بتحقيق كاتبه . والقصة على وجه آخر فى الأغانى ١٦ : ٩٩ والشعراء ١٩٧ ــ ٢٠٠ وأمالى القالى ٣ : ١٥٤ والعينى ٢ : ٣٦٩ وديوان حاتم ١٣١ ــ ١٣٤ .

إلى رَحْلِ حاتمٍ دفع إليها جَميع ما كانَ من نفقته ، وحمل معها جميع ما حُمِل إليه ، فلما كان فى اليوم الثالث دخلوا عليها فقالت : ليصفْ كلٌ واحد منكم نفسه فى شعره ، فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هَـلاَّ سألتِ بنى ذُبيـانَ ما حَسَبِي عندَ الطِعان إذا ما احمرَّت الحَدَقُ[١]
وجاءتِ الخيلُ محمرًّا بوادرُها بالمـاء يسفح من لَبَّاتِهَا العَلَقُ
والخيلُ تعلم أنّى كنتُ فارسَها يومَ الأكسُ به من نجـدة رَوَقُ[٢]
والجـارُ يَعلم أنِّى لستُ خاذلَه إنْ ناب دهرٌ لِعَظْم الجارِ مُعْترِقُ
هـذا الثنـاء فإنْ ترضَىْ فراضيـةٌ أو تستَخطى فإلى من تُعْطَفُ العُنق

وقال أوس بن حارثة : انك لتعلمين أنّا أكرم أحسابا وأشهر أفعالا ،
١٦٥ من أن نصفَ أنفسنا لك ، أنا الذى يقول فيه الشاعر[٣] :

إلى أوْس بن حارثةَ بن لأمٍ لِيَقضيَ حاجتى ولقَـد قَضاَهـا
فما وطيء الحصَى مثلُ ابنِ سُعدَى ولا لِبسَ النعـالَ ولا احتَذاها

وأنا الذى عقَّتْ عقيقته ، وأعتقت عن كلٌ شعرةٍ فيها عَنْهُ نَسَمَةً .
ثم أنشأ يقول :

فإنْ تنـكحى ، ماويّةَ الخير ، حاتماً فمـا مثـلُه فينـا ولا فى الأعاجم

---

(١) صوابه « بنى نبهان » كما فى أمالى الزجاجى . وسـيأتى ذكر« نبهان » فى شعر أوس بن حارثة الذى يذكر فيه زيد الخيل ، وهو زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضى بن المختلس بن ثوب ابن كنانة بن غوث بن نابل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيىء . جمهرة أنساب العرب ٤٠٣ والاصابة ٢٩٣٥ .

(٢) الأكس : القصير الأسنان . والروق ، بالتحريك : اشراف الأسنان العليا على السفلى .

(٣) هو بشر بن أبى خازم . ديوانه ٢٢٢ والكامل ١٣٣ .

فتىً لا يزال الدّهرَ أكبَرَ هَمِّهِ ... فَـكاكُ أسـير أو مَعونةُ غارمِ
وإن تنـكحى زيداً ففارسُ قومه ... إذا الحرب يوماً أقعَدت كلَّ قائم
وصاحبُ نبهـان الذى يُتّقى به ... شَذَا الأمر عند المُعظِم المتفاقمِ
وإن تنـكحينى تنـكحى غيرَ فاجر ... ولا جارفٍ جُرفَ العشيرةِ هادم
ولا مُتّـقٍ يوماً إذا الحرب شمَّرت ... بأنفسها نفسى كفعل الأشـائم
وإن طارقُ الأضياف لاذَ برحله ... وجدتِ ابنَ سُعدى للقِرى غيرَ عاتِم
فأىَّ فتى أهدى لكِ الله فاقبلى ... فإنّا كرامٌ من رءوسٍ أكارم

وأنشأ حاتم يقول :

أماوىَّ قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ ... وقد عذرَتْنى فى طِلابكم عُذرُ

إلى أن انتهى إلى آخر القصيدة — وهى مشهورة — فقالت : أما أنت يا زيد فقد وَتَرت العرب ، وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأمّا أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر ، والدخول عليهنَّ شديد . وأمّا أنت يا حاتم فرضىّ الخلائق ، محمود الشيَم ، كريم النفس ، وقد زوّجتك نفسى . ا هـ ما رواه الزجاجىُّ .

وقد روى صاحب الأغانى هذا الخبرَ على غير هذا ، قال : إن معاوية تذاكروا عنده ملوك العرب ، حتى ذكروا الزبّاء وماويّةَ ، فقال معاوية : إنّى لأحِبُّ أن أسمع حديثَ ماوية وحاتم ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدّثك به ؟ فقال معاوية : بلى . فقال: إن ماوية كانت ملـكة ، وكانت تتزوج من أرادت ، وإنها بعثت يوماً غلماناً لها وأمرتهم أنْ يأتوها بأوسَمِ من يجدونه من الحيرة ، فجاؤا بحاتم فأكرمته(١) وبعد أنْ رحل عنها دعته نفسه إليها فأتاها يخطبها ،

(١) هنا حديث بينها وبين حاتم . انظر له الأغانى ١٦ : ٩٩ وديوان حاتم ١٢٢ .

فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبيت ، فقالت : انقلبوا إلى رحالكم وليقلْ كلٌّ منكم شعراً يذكر فيه فَعالَه ومَنصبه ، فإنّى أتزوج أكرمَكم وأشعرَكم . فانصرفوا فنحرَ كلٌّ واحد منهم جَزوراً ، ولبست ماويّة ثياباً لأمةٍ لها فأعقبتهم ، فأتت النَّبيتى ، فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثِيل جَزوره – أى وعاء قضيبه – فأخذته ثم أتت نابغة بنى ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنبَ جَمله ، فأخذته ثم أتت حاتماً وقد نصب قِدره فاستطعمته ، فقال لها : قِرِّى حتى أعطيَك ما تنتفعين به . فأعطاها من العجزُ والسَّنام ، [ومثلها من المخدِّش ، وهو عند الحارك(١)] ، ثم انصرفت فأرسل إليها كلٌّ واحدٍ ظهرَ جمله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثلَ ما أهدى إليها ، وصبَّحوها فاستنشدتْهم ، فأنشدها النَّبيتىُّ :

هلاَّ سألتِ النَّبيتِيِّينَ ما حَسَبى ... عندَ الشتاءِ إذا ما هَبَّت الريحُ

وبعده أبيات ثلاثة . ثم قالت : أنشدنا يا نابغة ، فأنشدها : ١٦٦

هلا سألتِ بنى ذبيان ما حَسبي ... إذَا الدُّخان تَغشَّى الأشمَط البَرَما

وبعده بيتان ، ثم قالت : يا أخا طيِّءٍ ، أنشِدْنا . فأنشدها :

أماوىَّ قد طال التجنُّب والهجرُ ... وقد عذَرتنى فى طِلابكم العذْرُ

إلى آخر القصيدة – فلمّا فرغ حاتمٌ من إنشاده دعت بالغَداء ، وكانت قد أمرت إماءها أن يُقدِّمن إلى كلِّ رجلٍ ما كان أطعمها ، فقدَّمن إليهم ما كانت أمرتْهنَّ أن يقدِّمنه ، فنكَّس النبيتى والنابغة رأسيهما ، فلما نظر حاتم ذلك رمى بالذى قدَّمتْه إليهما ، وأطعمهما مما قُدِّم إليه ، فتسلَّلا منها .

(١) التكملة من الأغانى . والمخدش : كاهل البعير ، لأنه يخدش الفم اذا أكل بقلة لحمه .

وقالت : إنَّ حاتما أكرمكم وأشعركم . فلما خرجا قالت : يا حاتم ، خلِّ سبيل امرأتِك ، فأبَى ، فزوّدته . فلما انصرفَ عنها ماتت امرأته ، فعاد إليها فتزوَّجها فولدت له عديًّا . وقد كان عدىّ أسلم وحَسُن إسلامه . اهـ مختصرا .

والصحيح أن عديًّا من امرأته نَوَارِ ، لا من ماوية . والله أعلم

وترجمة حاتم الطائى قد تقدمت فى الشاهد التاسع والسبعين بعد المائة(١).

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّنى)

تمامه : (فمضَيت ثمَّتَ قُلْتُ لا يعْنِينى)

وقد تقدَّم قريباً (٢).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد المائتين ، وهو من شواهد س(٣) :

٢٨٧ (لما أتى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ)

على أن (سُوراً) اكتسب التأنيث من المدينة ، ولهذا أنّث له الفعل .

قال الأعلم (فى شرح شواهد س) : إنَّ السُّورَ ، وإن كان بعضَ المدينة

---

(١) الخزانة ٣ : ١٢٧ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٠٦ فى أول باب الاضافة .

(٣) فى كتابه ١ : ٢٥ . وانظر النقائض ٩٦٩ ومجاز القرآن ١ : ١٩٧ والخصائص ٢ : ٤١٨ وديوان جرير ٢٤٥ واللسان (سور ٥٢) .

لا يسمَّى مدينة ، كما يسمَّى بعض السنين سنة ، ولكن الاتِّساع فيه متمكن ، لأنَّ معنى تواضعت المدينةُ وتواضَعَ سُورُ المدينة متقارب » .

وذهب أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى إلى أنّ السُّورَ جمع سُورة ، وهى كلّ ما علا ؛ وبها سُمِّى سُور المدينة سوراً . وعلى هذا لا شاهد فى البيت .

قال السيرافى : والجبال الخُشَّع مبتدأ وخبرٌ عندَ بعضهم : أى وصارت الجبال خاشعة متضائلة ؛ لأنّه لا مدح فى قولنا تواضعت الجبال المتضائلة ، بل تواضعت الجبال الشامخة ، لكنّه وصفها بما آلت إليه . وقال بعضهم : هو معطوف على سُور المدينة ، والخشَّعُ صفة له ؛ ولم يُرِد أنّها كانت خُشَّعاً قبلُ ، بل هى خُشَّع لموته الآن . وأراد : لما أتى خبر قتل الزبير وتواضعت وقعت إلى الأرض . والخُشّع : التى قد لطئت بالأرض .

وهذا البيت من قصيدة لجرير ، عدّتها مائة وعشرون بيتاً هجا بها صاحب الشاهد الفرزدقَ وعدّد فيها معايبَه ، منها أنَّ ابن جُرمُوز المُجاشعىَّ — وهو من رهط الفرزدق — قَتَلَ الزُّبيرَ بنَ العوام غِيلةً بعد انصرافه من وقعة الجمل ، فهو ينسُبهم إلى أنهم غدرُوا به لأنهم لم يدفعوا عنه . يقول : لمّا وافى خبر قتل الزبير إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، تواضعت هى وجبالُها ، وخشَعت حُزناً له . وهذا مثل ، وإنما يريد أهلها . وقبل هذا البيت :

(إنَّ الرزيّةَ مَنْ تضمَّن قَبرَه وادى السباع، لكلِّ جنبٍ مصرعُ)

وبعده :

(وبكى الزُّبيرَ بَنَاتُه فى مأتمٍ ماذا يرُدُّ بكاه من لا يَسْمَعُ) ١٦٧

ووادى السباع على أربعة فراسخَ من البصرة . ثم إن ابنَ جُرمُوز قدِم على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وهنّأه بالفتح وأخبره بقتله الزبير ،

فقال له عليّ : أبشِرْ بالنار ، سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَشِّرْ قاتلَ ابنِ صَفِيةَ بالنار » .

وفى ذلك قال ابن جرموز :

أتيتُ عليًّا برأس الزُّبيرِ وقد كنت أحسِبها زُلفَهْ
فبشَّرَ بالنار فى قتله فبئسَ بِشَارة ذى التُّحَفَهْ

ثم إن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزبير — وكان والياً على العراق من قِبل أخيه عبد الله — فقال : اقتلنى بالزُّبير ! فكتب فى ذلك إلى أخيه ، فكتب إليه عبد الله : أنا لا أقتله بالزُّبير ولا بشِسْع نعله . فلم يقتله ، ومضى ابن جُرموز من عند مصعب .

وقصّة مقتل الزبير مفصَّلة فى التواريخ .

وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع من أول الكتاب[1].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

٢٨٨ (إذا بَعْضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا كَفَى الأيْتامَ فَقْدَ أبِى اليَتِيمِ)

لما تقدّم قبله ، وهو أنّ (بعضاً) اكتسب التأنيث ممّا بعده بالإضافة ؛ ولهذا قال (تعرّقتنا) بالتأنيث .

قال ابن جنّى (فى سرّ الصناعة) عندما أنشد قول الشاعر :

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٦ ، ٣٢ وابن يعيش ٥ : ٩٦ ويس ٢ : ٣٢ وديوان جرير ٥٠٧ .

* سائلْ بنى أسدٍ ما هذه الصوتُ(١) *

إنَّما أنّثه لأنه أرادَ الاستغاثة . وهذا من قبيح الضرورة ، أعنى تأنيثَ المذكّر ، لأنَّ التذكير هو الأصل ، بدلالة أنّ الشىء مذكّر وهو يقع على المذكّر والمؤنّث ، فعلمت بهذا عمومَ التذكير وأنّه هو الأصل الذى لا ينكسر . ونظير هذا فى الشذوذ قوله — وهو من أبيات الكتاب — :

إذا بعضُ السنينَ تعرّقتنا . . . . البيت

وهذا أسهل من تأنيث الصَّوت قليلاً ، لأنَّ بعض السنين سنة ، وهى مؤنثة ، وهى من لفظ السنين ، وليس الصوتُ بعض الاستغاثة ولا من لفظها . انتهى .

وزاد المبرد (فى الكامل) على هذا الوجه وجهاً آخر فقال : قوله :

* إذا بعضُ السِّنينَ تعرَّقتنا *

يفسَّر على وجهين : أن يكون ذهب إلى أنَّ بعض السنين يؤنث لأنّه سنة وسنون(٢) . والأجود أن يكون الخبر فى المعنى عن المضاف إليه فأقحمَ المضافَ إليه توكيداً(٣) ، لأنه [غيرُ(٤)] خارجٍ من المعنى . وفى كتاب الله عزَّ وجل : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ(٥)﴾ والخضوعُ بَيِّنٌ فى الأعناق ،

(١) لرويشد بن كثير الطائى فى الحماسة ١٦٦ بشرح المرزوقى . وصدره :

* يأيها الراكب المزجى مطيته *

(٢) فى بعض أصول طبعة ليبسك من الكامل ٣١٢ : « ذهب الى أن بعض السنين سنون » .

(٣) وكذا فى أصول الكامل ، والمراد المضاف ، وهو فى بعض الاعتبار مضاف اليه ما بعده . أو المراد اقحم كلمة « بعض » فى كلمة السنين لتكون توكيدا . وفى اللسان : « وكل ما ادخلته شيئا فقد أقحمته اياه وأقحمته فيه » ، فتكون توكيدا مفعولا ثانيا لأقحم .

(٤) التكملة من الكامل .

(٥) الآية ٤ من الشعراء .

فأخبر عنهم فأقحم الأعناق توكيداً — وكان أبو زيد الأنصاريّ يقول : أعناقهم : جماعتهم — والأوّل قول عامّة النحويّين . انتهى المراد منه .

و (بعض) : فاعل فعل محذوف يفسّره (تعرّقتنا) المذكور ؛ يقال تعرّقتُ العظم : إذا أكلتَ ما عليه من اللحم . يريد أنّها أذهبت أموالنا ومَواشينَا . و (السَّنَة) هنا : القحط والجدْب : ضد الخِصب والرَّخاء . و (كفى) بمعنى أغنى يتعدّى إلى مفعولين ، أوّلها (الأيتام) وثانيهما (فقْدَ) ، ومصدره الكِفاية ، قال تعالى : ﴿ وكَفَى اللهُ المؤْمنينَ القِتالَ[1] ﴾ أى كفى الأيتام فقدَ آبائهم ؛ لأنّه أنفق عليهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه ، وكان فى الكفاية لهم والحِراسة والتفقّد لأحوالهم بمنزلة آبائهم . وأراد أن يقول : كفى الأيتامَ فقدَ آبائهم فلم يمكنْه فقال : فقد أبى اليتيم ؛ لأنّه ذكر الأيتام

١٦٨ أوّلا ، ولكنّه أفرد حملاً على المعنى ؛ لأنَّ الأيتام هنا اسم جنس ، فواحدها ينوب مَناب جمعها ، وبالعكس . وكان المقام مَقام الإضمار فأتى بالاسم الظاهر .

أبيات الشاهد وهذا البيت من قصيدة لجرير مدح بها هشامَ بنَ عبد الملكِ بن مرْوان :

(وأنت إذا نظرتَ إلى هشام   عرَفتَ نجار منتَخَبٍ كريمِ[2]
يَرَى للمسلمين عليه حَقًّا   كفِعل الوالد الرَّؤُفِ الرحيمِ
إذا بعضُ السنِينَ تعرَّقَتنا   كفى الأيتامَ فقدَ أبى اليتيم)

والنِّجار ، بكسر النون وبعدها جيم : الأصل .

وقوله : يرى للمسلمين عليه حقّا ، له مثلُه فى قوله أيضاً :

وإنى لأستحيى أخى أن أرى له   علىَّ من الحق الذى لا يرى ليا

(١) الآية ٢٥ من الأحزاب .

(٢) فى الديوان : « منتجب » بالجيم .

قال المبرّد في الكامل : هذا بيت يحمله الناس على خلاف معناه ، وإنّما تأويله إني لأستحيي أخي أن يكون له عليّ فضلٌ ولا يكون لي عليه فضلٌ ومنّى إليه[1] مكافأة ، فأستحيي أن أرى له عليّ حقًّا بما فعل إليّ ، ولا أفعلَ إليه ما يكون لي به عليه حقّ . وهذا من مذاهب الكرام . وأما قول عائذ الكلب الزُّبيري[2] لعبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ[3] رضى الله عنهم :

له حقٌّ وليس عليه حقٌّ ومهما قال فالحَسَنُ الجميلُ[4]
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره ، وهو الرسول[5]

فإنه ذكره بقلّة الإنصاف فقال : يرى له حقًّا على الناس ولا يرى لهم عليه حقاً ، من أجل نسبه بالرسول صلى الله عليه وسلم . وقد قيل لعلى بن الحسين ابن على رضى الله عنهم : مابالك إذا سافرت كتمتَ نسبَك أهل الرفقة[6] ؟

---

(١) ط : « عليه » ، صوابه في ش والكامل ٣١٠ .

(٢) في النسختين : « الزبيدى » ، وحورها الشنقيطى الى «الزبيرى» بالراء لتصح ، كما في الكامل ٣١٠ والأغانى ٢٠ : ١٨٠ . وعائذ الكلب هذا هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام . وكان ممن خرج مع النفس الزكية ، سمى بذلك لقوله :
مالي مرضت فلم يعدنى عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود
وانظر اللآلى ٥٧٠ ، ٦٥٩ .

(٣) في زهر الآداب ٨٦ والعمدة ٢ : ١٤٠ أنه « الحسن بن زيد بن الحسين بن على » .

(٤) الكامل ٣١٠ . ونسب البيتان في زهر الآداب لأبى عاصم محمد بن حمزة الأسلمى ، وفي العمدة لابن عاصم المدينى ، صوابه « لأبى عاصم » .

(٥) في العمدة : « لأهلها » .

(٦) ط : « الرفعة » ، صوابه في ش والكامل . والرفقة : الأصحاب في السفر .

فقال : أكره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أُعطِي مثله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد المائتين وهو شواهد س(١) :

٢٨٩ (مَرُّ اللَّيالي أَسْرَعَتْ في نَقْضي
أَخَذْنَ بعضِي وتَرَكْنَ بَعْضِي)

على أن (مَرّ) اكتسب التأنيث من المضاف إليه ، ولهذا قال : أخذن.

وسيبويه جعل محل الشاهد أسرعَتْ ؛ ففي البيت قد اكتسب المذكّر فيه التأنيث بوجهين : أحدهما التأنيث فقط — وهو بالنظر إلى قوله أسرعَتْ — وثانيهما التأنيث والجمعيّة — وهو بالنظر إلى قوله أخذن — وكان المناسب للشارح المحقّق أن يضمّ هذا البيت مع البيت الذى بعده ، أو يُوافق سيبويه ومَن تبعه .

ويُرْوَى : (طُولُ الليالى) .

قال ابن خلف : الشاهد فيه أنَّه قال أسرعَتْ ، فأنَّث الضمير الذى هو فاعل أسرعت . ويجب أن يكون مذكّراً لأنَّه ينبغى أن يعود إلى المبتدإ ، والمبتدأ مذكَّر وهو الطُّول . وإنّما أنَّث لأنه أضاف الطُّول إلى الليالى ، وليس الطول شيئاً غيرها ، فأخلص الخبرَ لليالى دون الطول . فقدبان لك أنَّ معنى طول الليالى أسرعت ، والليالى أسرعت سواء . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٦ . وانظر البيان ٤ : ٦٠ والخصائص ٢ : ١٦٨ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٥ والتصريح ٢ : ٣١ والأشمونى ٢ : ٢٨٤ والمخصص ١٧ : ٧٨ وملحقات ديوان العجاج ٨٠ .

وهذا ناظرٌ إلى الوجه الثانى من وجهىْ كلامِ المبرّد المنقول عنه فى البيت السابق .

وقال أبو على الفارسىّ (فى التذكرة القصرية) : قول ذى الرمّة :

١٦٩ مَشَيْنَ كما اهتزَّتْ رماحٌ تسفَّهتْ

أعالَيها مرُّ الرياح النواسِمِ

أحسن من قوله :

* طول الليالى أسرَعتْ فى نقضى *

لأنَّ الريح لا تكون ريحاً إلاَّ بمرورها ومدافعة الهواء بعضِه بعضاً ، فحسن أن تُجعَل هى هو . وليس طولُ الليالى كذلك ، لأنّ الليل قد يكون ليلاً وإن لم يكن طويلا . انتهى .

وفيه نظر : فإنّه ليس مراد الشاعر أنَّ اللياليَ الطِّوالَ دون القصارِ أسرعت فى نقضه ، وإنّما يريد تَكرار الزمان لياليه وأيامَه ، طالت الليالى أو قصُرت، والزمان لا ينفكّ عن التكرار كما لا تنفكّ الريح عن الهبوب والمرور . وهذا لازم ، فتأمّلْ .

ورُوى البيت :

(إنَّ الليالى أسرعت)

ورواه الجاحظ أيضاً فى البيان :

(أرى الليالى أسرَعتْ)

وعلى هاتَين الروايتين لا شاهد فيه . وروى المصراع الثانى هكذا أيضاً :

* نَقَضْنَ كُلِّى ونَقَضْنَ بَعْضِى *

والنقض: هدم البناء حجراً فحجرا .

صاحب الشاهد

وهذان البيتان من أرجوزة للأغلب العِجْلى ذكرها أبو حاتم (فى كتاب المعمَّرين[1]) ، وأورد بعدها :

حَنَيْنَ طُولى وحَنَيْنَ عَرْضِى   أقعدْنَنِي من بعد طُول نَهْضِى

وكان الأغلب العجلىّ ممن عُمِّر عمراً طويلا فى الجاهليَّة والإسلام . أسلم واستشهد بوقعة نهاوَند .

وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين بعد المائة[2] .

وزعم أبو محمد الأعرابى فى (فُرحة الأديب) أنّ هذا الرجز ليس للأغلب ، وإنَّما هو من شوارد الرجز لايعرف قائله . ومَن حفظ حجةٌ على من لم يحفظ .

وقد رواه للأغلب صاحبُ الأغانى أيضاً ، قال أبو محمد وهو كذا :

أصبحت لا يحملُ بعضى بعضى   منفَّهاً أرُوحُ مثلَ النِّقْض[3]

مرُّ الليالى أسرعَت فى نقضى   طَوينَ طُولى وطوين عَرضى

ثمَّ التَحين عن عِظامى نَحضى   أقعَدْتنى من بعد طول نهضى

* * *

(١) المعمرين ٨٧ . وكذا فى نسب الى الأغلب العجلى فى الأغانى ١٨ : ١٦٤ والعينى ٣ : ٣٩٥ .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٣٩ .

(٣) المنفه : الضعيف . والنقض ، بالكسر : البعير أعياه السير وهزله .

وأنشد بعده، وهو الشاهد التسعون بعد المائتين(١) :

٢٩٠ ﴿ وما حُبُّ الديارِ شَغفْنَ قلبي
ولـكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الديارَا ﴾

على أن المضاف وهو (حُبّ) اكتسب التأنيث والجمعيَّة بإضافته إلى الديار، وهو جمع دارٍ، وهو مؤنثٌ سماعيّ. وهذا واضح.

وقد يكتسب المضاف الجمعية فقط كقوله :

وكم ذُدتَ عنّي من تحامُلِ حادثٍ وسَورةِ أيام حَزَزْنَ إلى اللحم

فسَورة اكتسبت الجمعيّة من إضافتها إلى أيام، ولهذا أُعيد الضمير من حززنَ جميعاً. والفرق بينه وبين وما حبُّ الديار شغفن، أنّ هـذا اكتسب التأنيث بصفته أعنى الجمعية، فلم يتمحَّض لاكتساب الجمعية، كما فى : وسَورة أيام حززن.

وبقى أشياء لم يذكرها الشارح المحقّق مما تُـكسِبه الاضافة، منها تذكير المؤنّث عكس ما ذكره كقوله(٢) :

إنارة العقلِ مكسوفٌ بطَوعِ هوى وعقلُ عاصى الهوى يزداد تَنويرا

ومنها الظرفية، نحو قوله تعالى: ﴿تُؤتى أُكُلَها كلَّ حِين(٣)﴾. ومنها

(١) تزيين الأسواق ١٧ وديوان الصبابة ١٦ ويس ١ : ٣٠٧ وديوان المجنون ١٧٠ .

(٢) هو أحد المولدين . انظر شرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٦ والتصريح ٢ : ٣٢ والأشمونى ٢ : ٢٤٨ .

(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .

للمصدرية نحو قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الذين ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ ينقلِبُونَ[١]﴾.
١٧٠ فأىٌّ مفعول مطلق ناصبُه ينقلبون ، ويعلَم معلَّق عن العمل بالاستفهام . ومنها وجوب التصدُّر نحو : غلامُ مَن عندك ؟ ونحو صبيحةَ أىِّ يوم سفَرُك؟ ونحو: غلام أيِّهم أكرمتَ ؟ ونحوَ : غلامُ أيُّهم أنت أفضل ؟

صاحب الشاهد والبيت الشاهد لمجنون بنى عامر . وقبله :

(أمرُّ على الديار ديارِ لَيلى أقبِّل ذا الجدارَ وذا الجدارا)

وهما بيتان لا ثالث لهما .

روى أنَّه كان إذا اشتد شوقُه إلى ليلى يمرُّ على آثار المنازل التى كانت تسكنها ، فتارة يقبِّلها ، وتارة يلصق بطنَه بكُثبان الرمل ويتقلَّب فى حافاتها ، وتارة يَبكى وينشد هذين البيتين .

و (الديار) : المنازل ، قال الكِرمانى (فى شرح شواهد الموشَّح) : قال أبو حاتم : الديار : العساكر والخيام ، لا البنيان والعمران ؛ وإنّ الدار العُمران والبنيان، وعليه قوله تعالى فى سورة هود : ﴿فأصبحوا فى دِيارِهم جاثمين[٢]﴾ أى فى عساكرهم وخيامهم ؛ وفى سورة الأعراف والعنكبوت : ﴿فأصبَحوا فى دارهم جاثمين[٣]﴾ أى فى مدينتهم المعمورة . ولو أراد غير ماقيل لجمع الدار. فعُلم من كلامه أنَّ الديار مخصوص بالخيام ؛ انتهى كلامه . وهذه غفلة عن قول الشاعر : « أقبّل ذا الجدارَ » وهو حائط البيت . ثم قال : ويجوز أن يكون الديار جمع دَارة ، قال محمد بن جعفر (فى كتاب دارات العرب) : اعلم أنهم

---

(١) الآية ٢٤٧ من الشعراء .
(٢) من الآيات ٧٨ ، ٩١ من الأعراف و ٣٧ من العنكبوت .
(٣) الآيتين ٦٧ ، ٩٤ من هود .

يقولون لدار الرجل التي يسكنها دارة ، ويجمعونها دارات ودُور وديار .

وذا اسم اشارة . وشغف الهوى قلبَه شَغْفاً ، من باب نفع ، والاسم الشَّغَف بفتحتين : بلغ شَغافه بالفتح ، وهو غشاؤه .

و (المجنون) اسمه قيس بن مُعاذ ، ويقال قيس بن الملوَّح ، أحد بني جَعْدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ ويقال بل هو من بني عُقيل (.بالتصغير) ابن كَعب بن ربيعة [1] . المجنون

وهو من أشعر الناس ، على أنهم قد نسبوا إليه شعراً كثيراً رقيقاً يشبه شعره ، كقول أبي صخر الهذَلي :

فياهجرَ ليلى قد بلغتَ به المدى وزدتَ على مالم يكن بلغَ الهجرُ [2]

ويا حبَّها زِدني جوًى كلَّ ليلة ويا سَلوة العُشّاق موعدكِ الحشرُ

وقال الجاحظ : ما ترك الناس شعراً مجهولا لقائل فيه ذكر ليلى إلاّ نسبوه إلى المجنون ، ولا فيه لُبنى إلاّ نسبوه لقيس بن ذَريح .

وفى الأغاني : اختُلف فى وجوده : فذهب قومٌ إلى أنه مستعار لا حقيقة له ، وليس له فى بني عامر أصل ولا نسب . وقال الأصمعي : رجلان ما عُرفا فى الدنيا إلا بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القِرِّيَّة ، وإنما وضعهما الرواة . قيل له : فمن قال هذه الأشعار المنسوبة إليه ؟ قال: فتًى من بني مرْوان ، كان يهوى امرأةً منهم فقال فيها الشعر ، وخاف الظهور فنسبه إلى المجنون ، وعمل له أخباراً وأضاف إليها ذلك ، فحمله الناس وزادوا فيه .

---

(١) ط : « بن كعب بن سعد » ، صوابه في ش ومما سيأتي .

(٢) وجه الرواية : « بى المدى » . شرح السكرى للهذليين ٩٥٨ وأمالي القالي ٢ : ١٤٩ .

وقال الذهبى (فى تاريخ الإسلام) أنكر بعضُ الناس ليلى والمجنون ؛ وهذا دفعٌ بالصدر ، فليس من لا يعلم حجّة على من يعلم ، ولا المثبت كالنافى . وعلى القول بوجوده اختلف فى اسمه : فقيل مهدى ، وقيل قيس بن مُعاذ ، وقيل غير ذلك . والاصحّ أنه قيس بن الملوّح بن مزاحم بن قيس بن عدى ابن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ وصاحبته ليلى بنت مهدىّ ، أم مالك العامريّة .

بعض أخبار المجنون

١٧١ قال ابن قتيبة [١] : وكان المجنون وليلى يرعيان البَهْم وهما صبيّان ، فعلِقها عَلاقة الصبىّ وقال :

تعلّقت ليلى وهى غِرٌّ صغيرة
ولم يبدُ للأتراب من ثَديها حجمُ
صغيرَين نَرعى البَهْمَ يا ليتَ أنّنا
صغيران لم نَكْبَرْ ولم تَكْبَر البَهْمُ

ثم نشأ وكان يجلس معها ويتحدّث فى ناس من قومه ، وكان ظريفاً جميلا راويةً للشعر حلوَ الحديث ، فكانت تعرض عنه وتُقْبِل بالحديث على غيره ، حتى شقّ ذلك عليه وعرَفته فقالت :

كلانا مُظهرٌ للناس بُغضاً وكلٌّ عندَ صاحبه مَكينُ
تبلّغنا العيونُ بما رأينا وفى القلبين ثَمَّ هوى دفينُ [٢]

ثم تمادى به الأمر حتّى ذهب عقله وهام مع الوحش ، وصار لا يلبَس

(١) فى الشعراء ٥٤٧ .

(٢) هذا البيت ساقط من نسخة الشعراء .

ثوباً إلاّ خرّقه[١] ، ولا يعقِل إلاّ أن تُذكَرَ له ليلى ، فإذا ذُكِرت عقَل وأجاب عن كلٍّ ما يُسأل عنه . ثم إنَّ قومَ ليلى شكَوا منه للسلطان ، فأهدر دمه ، وترحَّل قومُها من تلك الناحية ، فأشرف فرأى ديارَهم بلاقعَ ، فقصد منزلَها وألصق صدرَه به وجعل يمرِّغ خدَّيه على التراب ويقول الأشعار . ثمّ إنَّ أباه قيَّده ، فجعل يأكل لحم ذراعيه ، ويضرب نفسَه ، ويَعَضُّ لسانه وشفتيه ، فأطلقه .

وروى أن نوفل بن مُساحق لمَّا جاء ساعياً على صدقات بنى عامر ، رأى المجنون يلعب بالتُّراب وهو عُريان ، فقال لغلام له : خذ ثوباً وألقِهِ عليه . فقالوا له : ألا تعرفه ؟ قال : لا . قالوا : هذا المجنون قيس بن الملوَّح ، فكلَّمه فجعل يُجيبه بغير ما يسأله عنه ، فقالوا له : إن أردت أن يكلِّمك كلاماً صحيحاً فاذكُرْ له ليلى . فقال : أتحبُّ ليلى ؟ فأقبل عليه يحدّثه عنها وينشده شعره فيها ، فقال له : أتحبّ أنْ أزوّجكها ؟ قال : وتفعل ذاك ؟ قال : نعم ، اخرجْ معى حتى أقدَم بك على قومها فأخطبَها لك ، فارتحل معه[٢] ودعا له بكسوة ، فلبِسَها وراح معه كأصحِّ أصحابه ، فلمّا قرُب من قومها تلقَّوه بالسلاح وقالوا : والله لا يدخل المجنون لنا بيتاً أو نُقتَلَ عن آخرنا ، وقد أهدر لنا السلطانُ دمه ! فأقبل بهم وأدبر فأبَوا عليه ، فقال له : انصرفْ . فقال : أين ما وعدتَ ؟ قال : رجوعك بالخيبة أهون علىَّ من سَفْك الدماء . ثمّ هام على وجهه فى الفلوات وأنِسَ بالوحوش فكان لا يأكل إلاّ ما تنبت الأرض من البقول ، ولا يشرب إلاّ مع الظباء ، وطال شعر جسده ورأسه ، وألِفته

(١) ط : « ولا خرقة » ، صوابه فى ش والشعراء .

(٢) ط : « له » ، صوابه فى ش والشعراء .

الوحوش ، وكان يَهيم حتى يبلغ حدودَ الشام ، فإذا ثاب عقله سأل عن نجد فيقال : وأنَّى نَجْدٌ ! فيدلّونه على طريق نجد فيتوجَّه نحوه . وكان أهله يأتونه بالطعام والشراب ، فربما أكل منه . وفى بعض الأيام أتوه بالطعام فلم يروه ، فانطلقوا يفتّشونه فرأوه ملقًى بين الأحجار ميتاً ، فاحتملوه إلى الحيِّ فغسّلوه ودفنوه ، وكثر بكاء النساء عليه . وكان فى مدة ابن الزُّبير .

وقد أطال ترجمته جداً أبو الفرج الأصبهانىُّ (فى الأغانى) .

وكانت ليلى تحبّه أيضاً محبّة شديدة . حكى ابن قتيبة قال : خرج رجلٌ من بنى مُرَّة إلى ناحية الشام والحجاز ، مما يلى تيماء ، فى بِغْية له ، فإذا هو بخيمةٍ قد رُفعت له عظيمةٍ فعدل إليها ، فتنحنح فإذا امرأة قد كلّمته فقالت : انزلْ . فنزل وراحت إبلُهم وغنمهم فإذا أمرٌ كثير عظيم ؛ فقالت : سلوا هذا الراكب من أين أقبل ؟ فقال : من ناحية نجد . فقالت : يا عبد الله ، وأىَّ بلاد نجد وطئتَ ؟ قال : كلَّها . قالت : فيمن نزلت منهم ؟ قال : بنى عامر . فتنفست الصُّعَداء ثم قالت : بأىِّ بنى عامر ؟ قال : ببنى الحَريش . قالت : ١٧٢
فهل سمعت بذكرِ فتيً منهم يقال له قيسٌ ويلقّب بالمجنون ؟ قال : إى والله ، قد أتيته فرأيته يَهيم مع الوحش ولا يعقل شيئاً حتّى تُذكر له ليلى ، فيبكى وينشد أشعاراً يقولها فيها . فرفعتِ السِّترَ بينى وبينها فإذا شِقَّة قمرٍ لم ترعينى مثلَها ، فلم تزل تبكى وتنتحب حتّى ظننت أنّ قلبَها قد تصدّع ، فقلت : يا أَمَةَ الله اتّقى الله ، فوالله ما قلتُ بأساً ! فمكثَتْ على تلك الحال من البكاء والنحيب ، ثم قالت :

ألا ليت شِعرى والخطوبُ كثيرةٌ ... متَى رحلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجعُ
بنفسىَ مَنْ لا يستقلُّ برَحلِهِ ... ومَن هو إن لم يحفَظ اللهُ ضائعُ

ثم بكت حتى غُشىَ عليها ، فلما أفاقت قلتُ : من أنتِ يا أمة الله ؟ قالت : أنا ليلى المشئومةُ عليه غير المواسيةِ له . قال : فوالله ما رأيتُ مثلَ حزنها عليه ، ولا مثلَ جزعها ، ولا مثل وجدها !

* * *

وأنشد بعده :

* يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارْ *

قد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الرابع والسبعين بعد المائة(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س(٢) :

٢٩١ (رُبَّ ابنِ عَمٍّ لِسُلَيمى مُشْمَعِلّْ
طَبَّاخِ ساعاتِ الكَرَى زادَ الكَسِلْ)

على أنَّ (ساعات) كان فى الأصل مفعولا فيه(٣) ، فاتُّسع فيه فألحق بالمفعول به وأضيف إليه طبّاخ . فكسرة التاء من ساعات كسرة جرّ ، وزادَ الكَسِلِ منصوب على أنه مفعول طبّاخ ، لأنّه معتمد على موصوفه .

قال الأعلم : [الشاهد فيه(٤)] إضافة طباخ إلى ساعات ، على تشبيهها

(١) الخزانة ٣ : ١٠٨ .
(٢) فى كتابه ١ : ٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ١٥٢ والمخصص ٣ : ٣٧ وابن الشجرى ١ : ١٢٥/٢ : ٢٥٠ وديوان الشماخ ١٠٩ .
(٣) ط : « معمولا فيه » ، صوابه فى ش .
(٤) التكملة من الشنتمرى .

بالمفعول به ، لا على أنها ظرف ، ولا تجوز الإضافة إليها وهي ظرف لأنَّ الظرف يقدَّر فيه حرف الوِعاء وهو في ؛ والإضافة إلى الحرف غير جائزة ، وإنَّما يضاف إلى الاسم . ولما أضاف الطبّاخ إلى الساعات اتّساعا ومجازاً ، عدّاه إلى الزاد ، لأنّه المفعول به في الحقيقة . انتهى .

وقول ثعلب (في أماليه)[1] : «إضافة طيَّاخ إلى ساعات لا تجوز إلاَّ في الشعر» ممنوع .

وقال ابن بَرّيّ (في شرح أبيات الإيضاح لأبي علي) : لابدَّ أن تقدَّر الساعاتِ تنزّلت منزلة المفعول به ، حتّى كأنّها مطبوخة ، وإن كان الطبخ في المعنى إنما هو للزاد ، كما تصير الليلة في قوله :

* يا سارق الليلةِ أهلَ الدارْ *

بمنزلة المفعول حتّى كأنها مسروقة . ولما خفض ساعات باضافة طبّاخ إليها انتصب زادَ على المفعول به ، لأنَّه المطبوخ في الحقيقة . ومن خفض زاد الكسل قدَّر الساعات ظرفاً فاصلاً بين المضاف والمضاف إليه ، على قولهم في الرواية الأخرى :

* يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدارْ *

انتهى كلامه .

وأورده الفرّاء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ[2] ﴾ قال : أُضيفت مخلف إلى الوعد ، ونصبت الرسلُ على التأويل . وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين ، مثل كسوتك الثوب

(١) مجالس ثعلب ١٥٣ .

(٢) الآية ٤٧ من سورة ابراهيم .

وأدخلتك الدار تبدأ بإضافة الفعل إلى الرجل ، فتقول هو كاسى عبد الله ثوباً ومدخلُه الدار ، ويجوز هو كاسى الثوبِ عبدَ الله ومدخل الدار زيداً ، جاز ذلك لأنَّ الفعل قد يأخذ الدار كأخذه عبد الله . ومثله قول الشاعر : ١٧٣

ترى الثورَ فيها مُدخِلَ الظلّ رأسَه وسائرُه بادٍ إلى الشمس أجمعُ(١)

فأضاف مُدخِل إلى الظلّ ، وكان الوجه أن يضيف مُدخِل إلى الرأسِ .

ومثله :

رب ابن عمّ لسُليمى مُشمِعلّ .... الخ

ومثله قوله الآخر :

* يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار *

يريد : يا سارقَ أهلِ الدار الليلة ، [فأضاف سارقاً إلى الليلة(٢)] ونصب أهل الدار . وكان بعض النحويين ينصب الليلة ويخفض أهل الدار . انتهى المراد منه .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) وغيرُه : وروى بجرّ زاد أيضاً ، على أنّ طباخا قد أضيف إليه وفصَل بينهما الظرف وهو ساعات ، فتكون الكسرة فيه نائبة عن الفتحة وهو منصوب لا مجرور . قال : ومثل هذا جائز فى الشعر كقوله :

* يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدارْ *

---

(١) البيت من الخمسين ، فى سيبويه ١ : ٩٢ والهمع ٢ : ١٢٣ وأمالى المرتضى ١ : ٢١٦ .

(٢) التكملة من ش ، وما قبلها ساقط من ش ثابت فى ط .

يريد : ياسارق أهلِ الدار الليلةَ . انتهى .

وقال ابن خلف : ويجوز أن يكون زاد الكسل بدل اشتمال من موضع ساعات ، ألا ترى أنّ الزاد تبيِينُ[١] لما يطبخ فى الساعات ، وهى مشتملة على الزاد وغيره ، ويجوز أيضا نصب زاد بفعل دلّ عليه طبّاخ ، أى يطبخ زاد الكسلِ . هذا كلامه فتأمّله .

وقوله (مشْمَلّ) صفة لمجرور ربّ بعد وصفِه[٢] بقوله لسليمى . والمشمعلُّ : الجادُّ فى الأمر الخفيفُ فى جميع ما أخذَ فيه من العمل ، وهو مشدّد اللام إلاّ أنه سكّنها للشعر .

قال المبرد (فى الكامل[٣]) : أمر مُصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد ابن خزيمة بقتل مُرّة بن محْكانَ السعدىّ ، فقال مُرّة :

بنى أسدٍ إنْ تقتلونى تُحاربوا تميمًا إذا الحربُ العوانُ اشمعلّتِ
ولستُ وإن كانت إلىّ حبيبةً بباكٍ على الدنيا إذا ماتولّتَ

قال المبرد : واشمعلّت : ثارت فأسرعت . وأنشد :

* ربَّ ابن عمٍّ لسليمى مُشْمَعِلْ *

و (طبّاخ) صفة ثالثة لمجرور ربّ . و (الكَرَى) : النعاس . و (الكَسِل) بفتح الكاف وكسر السين ، بمعنى الكسلان ، إلاّ أن فى كسلان مبالغة ليست فى الكسِل وهو المتثاقل المتوانى . يقول : إذا كسِل أصحابه عن طبخ الزاد ،

---

(١) فى النسختين : « تبيين » ، والوجه ما أثبت .

(٢) فى النسختين : « بعده وصفه » ، صوابه ما أثبت .

(٣) الكامل ١١٣ .

عند نزولهم آخر الليل وغلبة النعاس عليهم ، كفاهم ذلك وشمّر فى خدمتهم . وصفه بالنشاط والمضىّ فى الأمور وقت كسل أصحابه وفتورهم . والعرب تفتخر بمثل هذا .

وروى المبرّد (فى الكامل) هذا الرجز كذا :

ربَّ ابنِ عمٍّ لسليمى مشمعلّْ أروعَ فى السَّفْرِ وفى الحىّ غَزِلْ

طبَّاخ ساعات . . . . (إلى آخره)

والأروع : السيد الذى يروعك عَظمتُه وعزّته . والسَّفْر : جمع سافر ، كصحب جمع صاحب ؛ يقال سفَرتُ أى خرجت إلى السفر ، فأنا سافر وقوم سَفْرٌ . وغَزِل بفتح الغين وكسر الزاى المعجمتين ، يقال رجلٌ غزل : أى صاحب غَزَل ، وهو محادثة النساء ومراودتهنّ . [وهذا الإعراب هو مقتضى هذه الرواية ، وستأتى الرواية الاصلية[1]] .

وقد نسب المبرّد هذا الرجز إلى الشّماخ بن ضِرار ، وهو من رجز [الجبّار صاحب الشاهد ابن جَزْء أخى الشماخ[2]] يتعلّق بعمّه الشماخ . وهذا مدحٌ فيه .

وهو من جملة أرجازٍ لجماعة ، لها حكايةٌ مسطورة فى آخر ديوان الشمّاخ ، محصّلها :

أن الشماخ أقبل من مِصْر[3] ومعه أولاد إخوته ، فى ناسٍ من قومه ، ١٧٤

(١) التكملة من ش .

(٢) تكملة يقتضيها السياق . وسيأتى ما يؤيد أن الرجز لجبار بن جزء .

(٣) مصر بالصاد المهملة ، وفى ذلك يقول الجليح (ديوان الشماخ ١٠٧) :

اقبلن من مصر يبارين البرى يشكون قرحا بالدفوف والكلى

منهم جندب بن عمرو ، وكان الشمّاخ وأصحابه يُبغضونه لأنه كان يتحدَّث إلى امرأة الشمّاخ ، حتى إذا كانوا قريباً من تباء على رأس ماء يقال له ثجْر (بفتح المثلثة وسكون الجيم) قال الشمّاخ لحسن بن مزرد[١] : انزِل احدُ بالقوم — وكانوا كذلك يفعلون : ينزل الرجل فيسوق بأصحابه ويرتجز بهم — وأمره أن يعرِّض بامرأة جندب ؛ فقال :

خليــلُ خَودٍ غرَّها شبابُه إلى آخر الرجز

فنزل جُندب وحدَا بالقوم ، وعرَّض بامرأة الشمّاخ ، وكانت أمَّ صبيٍّ ، واسمها سليمى ، فقال :

* طيفُ خيالٍ من سُليمى هائجى[٢] *

إلى أن قال :

يا ليتَنى كلَّمت غير حَارجِ[٣] قبلَ الرَّواح ذاتَ لون باهجِ[٤]
أمَّ صبيٍّ قد حبا أو دارجِ غرثى الوِشاح كرَّةَ الدَّمالجِ

فغضب الشمّاخ لما عرّض بامرأته ، فنزل وساق بالقوم ، ورجز رجزَين عرَّض فيهما بامرأة جندب إلى أن نزل ، وحدَا جماعةٌ من طرف هذا وجماعةٌ من قِبَل ذاك ، وكلٌّ رجل يتعصَّب لصاحبه ؛ إلى أن تواثبوا بالسيوف . وكان معهم رجل من بنى أسد ، فاقتحم بينهم فقال : يا قوم نُهِشْتُ نُهِشْتُ ! فلم يزالوا يَسقونه السَّمن واللَّبن حتَّى لَهَوا عن قتالهم ، فأصبحوا وقد سكنوا .

(١) فى ديوان الشماخ : « قال الشماخ لابن جزء » .

(٢) فى النسختين : « هائج » ، صوابه من الديوان ١٠٠ .

(٣) حارج ، بالحاء المهملة فى أوله : آثم مذنب . وفى النسختين : « خارج » ، صوابه من الديوان .

(٤) هذا الشطر ساقط من الديوان .

وهذا رجز جبَّار(١) ابن أخى الشمّاخ بتمامه :

(قالت سُليمى لستَ بالحادِى المُدِلّْ
مالَكَ لا تَملِك أعضادَ الإبلْ

المُدِلُّ : الذى أدلّ بقوّةٍ على شدّة السير . يقول : مالَكَ تتخلّف عن الابل لا تكون عند أعضادها . وهذا خطاب لجُندب بأنه ضعيف لا جَلَدَ له .

ربَّ ابن عمٍّ لسُليمى مُشْمَعِلّْ
يحبُّه القومُ وتَشناَه الإبلْ

أراد بابن العمّ زوجها الشمّاخ . ويحبُّه القوم لأنه يعينهم ويخدُمهم مساعدة. وتشنؤه الإبل : أى تبغضه ، لأنه يسوقها سوقاً عنيفاً بالحُداء . ويحبُّه : جواب ربَّ العاملُ فى محل مجرورها .

فى الشَّولِ وَشْواشٌ وفى الحىِّ رِفَلّْ
طبَّاخُ ساعاتِ الكرى زادَ الكَسِلْ
أحْوَسُ وَسْطَ القَوم بالرمح الخَطِلْ)

الشَّول ، بالفتح : الإبل التى شوّلت ألبانَها أى رفعته . والوَشْوَاش ، بمعجمتين : الخفيف المتسرِّع . والرِّفَلّ ، بكسر الراء وفتح الفاء واللام مشددة سكّنت للوزن : اللابس الثياب المتجمّل بها . يريد أنه خفيفٌ جَلْد فى السَّفَر يخدُمها ويُراعيها ، وفى الإقامة فى الحىِّ متنعّم متحمِّل . والجملتان اسميتان . وقد روى بدل هذا البيت ما نقلناه عن المبرّد . وقوله : طبَّاخ ، بالرفع خبر مبتدإ محذوف ، أى هو طباخ كما هو الظاهر من السياق ، بخلاف ما تقدّم .

(١) ط : « خيار » ، صوابه فى ش .

وفى طبّاخ مبالغة دون طابخ . والأحوس[١] ، بمهملتين : الرجل الشديد الذى لا يبرح عند القتال . والخَطِل ، بفتح الخاء وكسر الطاء ؛ الطويل جداً فوق القَدْر .

(عاذلتى أبقِى قليلاً مِن عَذَلْ وإنْ تقولى هالِكٌ أَقُلْ أجَلْ)

١٧٥ عاذلتى : منادى . والعذَل : اللَّوم . ومن متعلّقة بمحذوف . وهالك ،أى أنت هالك . وأجلْ بمعنى نعم .

(قرَّبتُ عنْساً خُلِقَتْ خَلْقَ الجملْ لاتشتكى مالقيَتْ مِن العَمَلْ)

قرّبتُ بالتكلم والبناء للفاعل[٢] . والعنس ، بالنون : الناقة الصُّلبة .

(كأنَّها والنِسع عنهـا قد فَصَلْ ونَهَلَ السوط بدَفّيْها وَعلّْ)
(مُولَعٌ يقرُو صريماً قد نَقَلْ[٣])

يريد أن ناقته ضُمرت فاسترخت نُسوعها أى سيُورها . ونَهل السوطُ بدَفَّيها أى بجنبيها . وعَلَّ أى ضُربت بالسوط مرّة بعد مرّة . والمولَّع ، بصيغة اسم المفعول : الثور الوحشى ؛ شبَّه ناقته فى حال كلالها وتعبها بالثور الوحشى فى حال مارأى الصياد وقد أمسى الليل عليه ، فهو يسرع أشدَّ مايمكن . ويقرو بالقاف ، يقال قروت البلاد قرواً ، وقريتها ، واستقريتها : إذا تتبّعتها تخرُجُ من أرض إلى أرض . والصَّريم : القاطع[٤] ؛ يريد رفيقه الذى صرمه ونقل رجله عنه فسبقه .

---

(١) ط : « والأحوص » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « للمفعول » ، صوابه فى ش .

(٣) كذا فى النسختين ، وهو المطابق لشرح البغدادى ، لكن الصواب « قد بقل » . وفى شرح الديوان : « صريما : رملا . قد بقل : قد أنبت البقل » .

(٤) هذا وهم من البغدادى انساق فيه الى آخر التفسير . وانظر الحاشية السابقة .

(صَبَّ عليه قانصٌ لمَّا غَفَلْ والشمسُ كالمرآة فى كفِّ الأشَلْ)

(مقلَّداتِ القِدِّ يقرُون الدَّعل(١))

قانص : فاعل صَبَّ ؛ أى أرسل قانصٌ على الثور لمّا غفل كلاباً . وجملة: والشمس كالمرآة ، حال إمّا من قانص ، أو من فاعل غفل أو من ضمير عليه ، وهما ضمير الثور ، يريد فى حالة أنّ الشمس قد تنكّبت للمغيب . والأشلّ : الذى يبست يده فلا يمسكها إلاّ منكّسة .والمقلَّدات ، بصيغة اسم المفعول ، يريد كلاباً عليها قلائد من السُّيور ؛ وهو مفعول صَبّ . ويقرون : يتْبعن ويطلبن . والدَّعل ، بفتح الدال والعين المهملتين ؛ قال ابن الأعرابى : هو الخَتْل ؛ وهو يداعله أى يخاتله .

وقوله : والشّمس كالمرآة ، الخ ، أورده القزوينى : (فى تلخيص المفتاح) فى باب التشبيه ، وعدّه من التشبيه الغريب . ولم يزد العبّاسى شارح شواهد التلخيص على قوله : اختُلف فى قائل هذا البيت ، فقيل للشماخ ، وقيل لأخيه ، وقيل لأبى النجم ، وقيل لابن المعتز .

وجَبَّار قائل هذا الرجز هو بفتح الجيم والباء الموحّدة المشدّدة ومعناه ذو الجَبَرِيّة والعظمة ، يقال قوم فيهم جَبَرِيّة ، بفتح الباء ، أى عظمة وكبر . ونسبُه تقدّم فى ترجمة عمّه الشمّاخ فى الشاهد الحادى والتسعين بعد المائة(٢) . جبار بن جزء

* * *

(١) صوابه « الدغل » بالغين المعجمة كما فى الديوان . والدغل : النبت الكثير الملتف .

(٢) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[١] :

٢٩٢ (ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيفِ سُوقَ سِمَانِها)

هذا صدر ، وعجزه :

(إذا عَدِموا زاداً فإنَّك عاقِرُ)

على أنّ أبنية المبالغة لكونها للاستمرار لا لأحد الأزمنة ، عملت . فضَرُوب مبالغة ضارب ، وقد عمل النصب فى سوق على المفعولية .

قال ابن ولاّد : سألت أبا إسحاق الزجّاج : لِمَ صار ضروبٌ ونحوه يعمل وهو بمنزلة ما استقرّ وثبت ، وضاربٌ لا يعمل إذا كان كذلك ؟ فقال : لأنّك تريد أنّها حالة ملازمة هو فيها ، ولستَ تريد أنّه فعل مرّة واحدة وانقضى الفعل كما تريد فى ضارب ، فإذا قلت : هذا ضَروبٌ رءوسَ الرجال ، فإنّما هى حال كان فيها فنحن نحكيها . ١٧٦

قال ابن عصفور : هذا هو الصحيح ، والدليل على صحّته قول أبى طالب :

* ضَروبٌ بنصل السيف * الخ

لأنّه مدَح به أميّة بنَ المغيرة[٢] بما ثبت له واستقرّ ، وحكى الحال التى كان فيها مِن عَقْر الابل إذا عُدِم الزاد . ولو أراد المضىّ المحض ولم يرد حكاية حاله ، لما ساغ الإتيان باذا ، لأنّها للمستقبل .

---

(١) فى كتابه ١ : ٥٧ . وانظر ابن الشجرى ٢ : ١٠٦ وابن يعيش ٦ : ٦٩ ، ١٧٠ والشذور ٣٩٣ والعينى ٣ : ٥٣٩ والتصريح ٢ : ٦٨ والهمع ٢ : ٩٧ والأشمونى ٢ : ٢٩٧ وديوان أبى طالب ١١ .

(٢) صوابه « أبا أمية » . وانظر التحقيق التالى للبغدادى عند تعيين صاحب الشاهد .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : نصل شفرته ، أى حدّه الذى يقطع به ، فلذلك أضافه إلى السيف . وقد يسمّى السيف كلّه نصلا . وسُوق : جمع ساق . والسّمان : جمع سمينة . والضمير للإبل . وعقر البعير بالسيف عَقرا : ضرب قوائمه . لا يُطلق العقر فى غير القوائم . وكانوا يعقرون الناقة إذا أرادوا نحرها : إمّا لتبرُكَ فيكون أسهل لنحرها ، أو ليعاجل الرجلُ ذلك فلا تمنعه نفسُه من عقرها فيكون قد عاجلها لئلا تأمره بغير مافى نفسه . وضروب : خبر مبتدأ محذوف أى هو ضروب . فقوله : فإنّك عاقر ، التفات . قال بعضهم : ولو قدّر أنت ضروب لـكان الالتفات فيه(١) ، ويكون إنّك عاقر على مقتضى الظاهر . وإذا شرطيّة تَجزم فى الشعر . وجملة عدموا شرطُها فى محلّ جزم وهى العامل فى إذا ، والجملة المقرونة بالفاء جوابها . ولا يجوز أن يكون عاقر عاملاً فى إذا ، لأنّ ما بعد إنّ لا يعمل فيما قبلها ، لأنّها حرف والحرف لا يتقدّم معمولُه ولا معمول معموله عليه . وقيل إذا هنا شرطيّة غير جازمة ، قال ابن هشام (فى المغنى) : وفى ناصبها مذهبان : أحدهما أنّه شرطها(٢) ـ وهو قول المحقّقين ـ فتكون بمنزلة متى وحيثما وأيّان . وقول أبى البقاء إنّه مردود بأنّ المضاف إليه لا يعمل فى المضاف ، غير وارد ، لأنّ إذا عند هؤلاء غير مضافة كما يقوله الجميع إذا جزمت ، كقوله :

* وإذا تصبْك خصاصة فتجمل(٣) *

---

(١) صوابه « لما كان الالتفات » ، أو « لكان الالتفات معـــدوما فيه » .

(٢) فى النسختين : « شرطيتها » ، وصححها الشنقيطى بما أثبت مطابقا لما فى المغنى .

(٣) لعبد قيس بن خفاف ، أو حارثة بن بدر الغدانى . وصدره: =

والثانى : أنّه مافى جوابها من فعل أو شبهه، وهو قول الأكثرين. انتهى.

وعلى هذا اقتصر اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) فقال: العامل فى إذا فعل محذوف دلّ عليه عاقر، والتقدير : إذا عدموا زاداً عقرتَ. ولا يجوز أن يعمل فى إذا عاقر، لأنّه لا يعمل ما بعد إنّ فيما قبلها. والعجب من العينى هنا فإنّه بعد أن ذهب إلى أنّها شرطيّة جازمة، قال: والعامل فيها فعل محذوف دلّ عليه عاقر أى عقرت. ولا يخفى تعسّفه. وقيل إذا هنا ظرفيّة وليست شرطيّة، وعاملها ضَروب. وهذا ركيك والأوّل هو البليغ.

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى طالبٍ عم النبى صلى الله عليه وسلم، رثى بها أبا أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم(١)، وكان خَتَنَه، فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له سَرْو سُحيم، فرثاه أبو طالب بهذه القصيدة.

كذا فى شروح أبيات سيبويه وأبيات الجمل وغيرها، إلا أنّ فى بعض نسخ ما ذكرنا سَقَطاً من الكُتّاب، وهو أنّهم حذفوا المضاف من أبى أميّة، والصواب إثباته كما يأتى بيانه.

وغلِط بعضهم فزعَم أنّها مدحٌ فى مسافر بن أبى عمرو.

وأفحشُ من هذا القول قولِ ابن الشجرىّ (فى أماليه) إنّها مدحٌ فى النبى صلى الله عليه وسلم. والقصيدة هذه(٢) :

= * استغن ما أغناك ربك بالغنى *
شرح شواهد المغنى ٩٥ والهمع ١ : ٢٠٦ والمفضليات ٣٨٥ والأصمعيات ٢٣٠ .

(١) فى النسختين : « عمرو بن مخزوم »، وليس لمخزوم ولد اسمه « عمرو » انما هو « عمر » كما فى كتب الأنساب كجمهرة ابن حزم ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ والاشتقاق ٦١، ٦٣ والسيرة ٢٤٧ .

(٢) الميمنى : « بعض قصيدة أبى طالب باختلاف فى الأغانى ٨ : ٤٨ وديوانه رواية ابن جنى ١٨ : ٢٢٠ ــ ٢٣٩ من المجلة الألمانية : Z. D. M. G وابن أبى الحديد ٤ : ٢٩٤ والاشتقاق ٩٤ » .

قصيدة الشاهد

(أرِقتُ ودمعُ العين فى العين غائرٌ ... وجادتْ بما فيها الشئونُ الأعاورُ(١)

كأنَّ فِراشى فوقَه نارُ مُوقدٍ ... من اللَّيل ، أوفوقَ الفِراشِ السَّوَاجرُ

١٧٧ على خير حافٍ من قريشٍ وناعلٍ ... إذا الخيرُ يرجَى أو إذا الشرُّ حاضرُ

ألا إنَّ زاد الركب غير مُدَافَعٍ ... بسَرو سُحَيم غيَّبته المقابرُ(٢)

بسَرو سُحَيم عارفٌ ومُناكِرٌ ... وفارسَ غاراتٍ خطيبٌ وياسرُ

تنادَوا بأن لاسيِّدَ الحىُّ فيهمُ ... وقد فُجع الحيَّان كعبٌ وعامر

وكان إذا يأتى من الشام قافلاً ... تَقَدَّمُه تسعى إلينا البشائر

فيصبح أهلُ الله بيضاً كأنَّما ... كستهم حَبيراً رَيدَةٌ ومعَافِرُ

ترى دارَه لايبرحُ الدَّهرَ عندها ... مُجعجعةٌ كُومٌ سِمانٌ وباقرُ

إذا أُكلت يوماً أتى الغدَ مثلُها ... زواهقُ زُهمٌ أو مخَاضٌ بَهازر

ضَروبٌ بنَصل السَّيف سُوقَ سِمانها ... إذا عَدِموا زاداً فانك عاقرُ

فإلاَّ يكنْ لحمٌ غريضٌ فانَّه ... تُكَبُّ على أفواههنَّ الغرائرُ

فيالكَ من ناعٍ ! حُبيتَ بألَّةٍ ... شِراعيَّةٍ تصفرُّ منها الأظافرُ !)

الغائر من غار الماء فى الأرض غوراً : ذهب فيها . والشئون : جمع شأن وهو عِرْق ينحدر من الرأس إلى الحاجب ثم إلى العين ، ومنه تجىء الدموع . والأعاور : جمع أعْور ؛ من عَوِرت العينُ من باب تعب : نقصت أو غارت . والسواجر : جمع ساجر بكسر الجيم ، وهو الموضع الذى يأتى عليه السَّيلُ فيملؤه . يريد كثرة الدموع .

---

(١) فى النسختين : « فى العين غامر » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٢) الميمنى : « فى ديوانه رواية ابن جنى المنشور بالمجلة الألمانية : بوادى أشى » . قلت : وكذلك فى ديوانه ١١ مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية .

وقوله : ألا إنَّ زاد الركب الخ ، زاد الركب لقب أبى أُميةً ، قال الزبير ابن بكّار (فى أنساب قريش) : كان أزواد الركب من قريش ثلاثة : أحدهم مُسافر بن أبى عمرو بن أميّة بن عبد شمس ، وثانيهم : زَمعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى ، وثالثهم : أبوأمية بن [المغيرة بن [1]] عبد الله بن عُمر بن مخزوم . وإنّما قيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزَوَّدْ معهم أحد [2] . وسُحيم بضم السين وفتح الحاء المهملتين : موضع ؛ وسَرْوُه : أعلاه . كذا قال ابن السيد وغيره . وليس هذا اللفظ فى معجم ما استعجم ولا فى معجم البلدان [3] . والموجود فى الأول سُخَيم بالخاء المعجمة على وزنه ، قال : هو مِخْلاف من مخَاليف اليمن تنسب إليه الخمور الجيِّدة . وقال فى مادة سرو : والسَّرْو ارتفاعٌ وهَبوط بين حَزْن وسهل ، وسروُ حِمْيَر أعلى بلاد حمير . انتهى . وزعم العَينى أن سَرْواً هنا شجرة . وليس كذلك .

وقوله : بسرو سحيم عارف الخ ، عارف مبتدأ والظرف قبله خبره ، وما بعده معطوف على عارف ؛ وحذف حرف العطف من خطيب ضرورة . والعارف : مِنْ عرَف على القوم يَعرُف ، من باب قتل ، عِرافة بالكسر ، فهو عارف أى مدبِّر أمرهم وقائم بسياستهم . ومُناكر : اسم فاعل من ناكره أى قاتله . وخطيب القوم هو المتكلم عنهم . والياسر : اللاعب بقِداح الميسر

(١) التكملة من ش .

(٢) الميمنى : « راجع لأزواد الركب التبريزى بون ٤٦٤ وبولاق ٣ : ٤٢ والثمار ٤٩ والاشتقاق ٥٨ ، ٩٤ والمستقصى والميدانى ٢ : ٦٢ ، ٤٩ ، ٦٦ والعسكرى طبعتاه ١٦٣ و ٢ : ١٢٩ » .

(٣) هذا سهو من البغدادى ، فان ياقوتا ذكره فى رسم (السرو) . وقال فى رسم (سحيم) : « موضع فى بلاد هذيل » .

وهو قِمار العرب ، وتسمَّى الأزلام . وكان الميسر مَنقَبةً فى الجاهلية ، يلعبون به فى أيام الجدْب والقحط ، وكان الغالب يفرّق ماأخذه على الفقراء .

والقافل : الراجع من السفر . والبشائر : جمع بشارة(١) .

وأراد بأهل الله قريشاً ، وكانت العرب تسميهم أهل الله لكونهم أرباب مكة . وبِيض : جمع أبيض ، والبياض لعزّته عند العرب لغلبة السمرة عليهم ، يستعيرونه لحسن الحال والجودة . والحَبِير ، بفتح المهملة وكسر ١٧٨
الموحدة : ثياب ناعمة كانت تصنع باليمن . ورَيْدة ، بفتح الراء وسكون المثناة التحتية : بلدة من بلاد اليمن . ومعافِر ، بفتح الميم وكسر الفاء وبينهما عين مهملة : حىٌّ من همْدان فى اليمن ، إليهم تنسب الثياب المعافريّة .

وقوله مجعجعة ، اسم فاعل من جعجعت الإبلُ ، إذا صوّتت ، والجعجعة : أصواتها إذا اجتمعت ، وهى حال من كُوم جمع كَوماء كصحراء ، وهى الناقة العظيمة السنَام . وقال ابن السيد وغيره من شرّاح الشواهد : المجعجَعَة المصروعة ، وعليه فهى اسم مفعول . ومن العجائب قول العينى هنا : مجعجعة من الجعجعة وهى صوت الرحَى . والباقر : اسمٌ لجماعة البقر ، كالجامل لجماعة الجِمال .

وقوله : إذا أكلت يوماً [.. الخ] الغد منصوب على الظرفية ، وهو اليوم الذى يلى يومك . ومثلَها : حال من زواهق ، وهى جمع زاهقة ، وهى السمينة . والزُّهم : الكثيرات الشَّحم ، جمع زَهِمة بفتح فكسر ، وكلاهما بالزاى المعجمة . والمخاض : الحوامل من الإبل ، واحدها خَلِفَة من غير لفظها . والبَهازر : جمع بَهزَرَة كحيدرة ، وهى العظيمة الجسم .

---

(١) بكسر الباء وضمها .

وقوله : ضروبٌ بنصل السيف الخ، السياق والسباق يمنع أن يكون تقديره أنت ضروب ، كما زعمه بعضهم .

والقَرِيض ، بإعجام الطرفين : الطريُّ من اللحم . وتكبّ : تصبّ . والغرائر : جمع غرارة ، وهي العِدل ، يكون فيها الدقيق والحِنطة وغيرها .

وقوله : فيالك من ناع الخ ، هذا تعجُّب . والناعي : الذي يخبر بموت الإنسان . وحُبِيت : خُصِصت ؛ من الحِباء وهي العطيّة[1] . والألّة ، بفتح الهمزة واللام المشددة ، وهي الحَربة . وشِراعيّة بالكسر ، لا بالضم كما ضبطه العيني . قال صاحب الصحاح : ورمح شِراعيٌّ أي طويل ؛ وهو منسوب[2] . وقال ابن السيد وتبعه ابن خلف : الشُّراعية التي قد أشرعت للطعن[3] أي صوّبت وسدّدت . وقوله : تصفر منها الخ أي تموت منها ، لأنَّ الميت يصفرّ ظفره ، دعاء على من أخبر بموت أبي أميَّة بالقتل .

أبو أمية ابن المغيرة

وأبو أميّة اسمه كنيتُه ، تقدم ذكر نسبه قريباً ، مات في الجاهلية ، وكان زوج أخت أبي طالب ، وهي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي صلى الله عليه وسلم . قال الزبير بن بكّار (في أنساب قريش) : كان عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم أربعُ عواتك : عاتكة بنت عبد المطلب ، وهي أم زهير وعبد الله وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الوجه : « وهو » .

(٢) وفي القاموس : « وكغراب : رجل كان يعمل الأسنة والرماح » .

(٣) ط : « الطعن » ، صوابه في ش بتصحيح الشنقيطي .

﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً[١] ﴾، وقريبةَ الكبرى. وعاتكة بنت جِذْل الطِعان، وهى أم أمّ سلمة والمهاجر. وعاتكة بنتُ عُتْبة[٢] بن ربيعة، وهى أم قريبة الصغرى[٣]. وعاتكة التميمية، وهى بنت قَيس بن سعد بن زَمْعة بن نهشل بن دارم، وهى أم أبى الحكم — دَرَجَ — وأمّ مسعود قتل يوم بدر كافراً، وربيعةَ وهشامٍ الأكبر وصفيةَ. وكان زهير ابن أبى أمية من رجال قريش، وكان عبد الله بن أبى أمية شديدَ الخلاف على المسلمين، ثم خرج مهاجراً من مكة يريد النبى صلى الله عليه وسلم، فلقيه بالطَّلوب بين السُّقيا والعَرْج، هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فأعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له أم سلمة: يارسول الله ما جُعِل ابن عمك وأخى، ابنُ عمتك[٤] أشقى الناس بك! فقال على بن أبى طالب ١٧٩
لأبى سفيان بن الحارث: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل وجهه وقل له ما قال إخوة يوسفَ ليوسف: ﴿ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ[٥] ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا. ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[٦] ﴾ وقبل منهما وأسلما. وهو أخو أمّ سلمة لأبيها، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنين. وقُتل يوم الطائف شهيداً. وقتل هشام بن أبى أميّة يوم أُحد كافراً.

(١) الآية ٩٠ من سورة الاسراء.
(٢) ط: «عقبة» صوابه فى ش والاصابة ٨٨٧ من قسم النساء.
(٣) قريبة هذه بفتح القاف، وتقال أيضا بالتصغير، كما فى الاصابة ٨٨٧ من قسم النساء.
(٤) ابن عمه هو أبو سفيان، وابن عمته عبد الله، وهو أخو أم سلمة. الاصابة ٤٥٣٤.
(٥) الآية ٩١ من يوسف.
(٦) الآية ٩٢ من يوسف.

وأسلم المهاجر وزهير . وولد زهير معبداً ، وقتل يوم الجمل ، وعبد الله بن زهير . وولدت قريبة الكبرى لزَمعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى[١] . وولدت قريبة الصغرى عبد الله وأمَّ حكيمٍ ابنى عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وترجمة أبى طالب عمّ النبى صلى الله عليه وسلم تقدّمت فى الشاهد الحادى والتسعين[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(بمنجردٍ قَيدِ الأوابدِ هَيْكلِ)

على أن قيداً بمعنى مقيِّد ، فاضافته إلى الأوابد لفظية لم تُكسبه تعريفاً ؛ ولهذا وقع نعتاً لمنجرد .

وهذا عجز وصدره :

(وقد أغتدى والطيرُ فى وُكُناتها)

أى أخرج غُدوةً للصيد . والوُكْنة : عُشّ الطائر الذى يبيض فيه . والمنجرد من الخيل : الماضى فى السير . والأوابد : جمع آبدة بالمدّ وهى الوحوش. يريد أنّ هذا الفرس من سرعته يلحق الوحوش فيصير لها بمنزلة القيد .

---

(١) كذا بدون ذكر للمولود ، ومن أولاد زمعة : عبد الله بن زمعة له صحبة ، والحارث بن زمعة ، قتل يوم بدر كافرا مع أبيه ، ويزيد بن زمعة ، استشهد يوم الطائف ، ووهب بن زمعة . جمهرة ابن حزم ١١٩ .

(٢) الخزانة ٢ : ٧٥ .

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس ، تقدّم شرحه والكلام على قيد الأوابد بلاغة وإعراباً فى الشاهد الخامس والثمانين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارْ)

على أنّ إضافة سارق إلى الليلة بمعنى فى ، أى يا سارقا فى الليلة .

وقد تقدّم الكلام على هذا فى الشاهد الرابع والسبعين بعد المائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد المائتين[٣] :

٢٩٣ (لِحَافى لِحافُ الضّيفِ والبُرْدُ بُردُهُ)

على أن (أل) فى البُرد عند الكوفيين عوض من المضاف إليه ، والتقدير : وبُردى برده . وهو المناسب لقوله : لحافى لحاف الضيف .

وقد أورده الشارح فى البدل ، وفى المعرّف باللام ، وفى الصفة المشبهة أيضاً .

وهذا صدر وعجزه :

(ولَمْ يُلْهِنى عنهُ غَزالٌ مُقَنَّعُ)

وبعده :

أحدّثه إنّ الحديثَ من القِرَى وتَعلم نَفْسى أنّه سَوف يَهْجَعُ

(١) الخزانة ٣ : ١٥٦ ـ ١٥٩ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٠٨ وانظر ايضا ٤ : ٢٣٣ بعد الشاهد رقم ٢٩٠ .

(٣) أمالى المرتضى ١ : ٤٧٥ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٥ والحماسة ١٧١٩ بشرح المرزوقى واللسان (بصص) والأغانى ١١ : ٤٩ .

وهذان البيتان أوردهما أبو تمّام فى باب الاضياف (من الحماسة) لمسكين الدارِمىّ ؛ إلّا أنه روى للمصراع الشاهد :

* لحافى لحاف الضيف والبيت بيته *

وكذلك رواه جميع من سيُذكر من رواته ، منهم ابن الأثير (فى المثل السائر) وقال : الغزال المقنع استعارة للمرأة الحسناء .

ومنهم السيد المرتضى (فى أماليه) وقال : ومعنى أحدّثه إن الحديثَ من
١٨٠ القِرَى : أى أصبر على حديثه وأعلم أنه سوف ينام ، ولا أضجر بمحادثتنا فأكون قد محقت قِراى . والحديث الحسن من تمام القِرى .

وقال التبريزى : أى تعلم نفسى وقت هجوعه فلا أكلّمه . يريد أنّه يحدثه بعدالإطعام كأنّه يسامره ، حتّى تطيب نفسه ؛ فإذا رآه يميل إلى النوم خلّاه . فإن قيل : كيف يحمد بقوله : إنّ الحديثَ من القرى ، وقد قال غيره[1] في إنزال الضيف :

* ولم أقعدْ إليه أسائله *

قلت : هذا إشارة إلى ابتداء النزول ، وذلك وقت الاشتغال بالضيافة ، وهذا يريد بحديثه بعد الإطعام .

ومنهم الأعلم الشنتمرى (فى حماسته) إلا أنّه روى المصراع الأخير :

* وتكلأُ عينى عينَه حين يَهجع *

---

(١) هو منصور النمرى ، كما فى الحماسة ١٦٩٨ بشرح المرزوقى ، وهو بتمامه :

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا رشدت ولم أقعد اليه أسائله

وتكلأ : تحرس ، والكَلاءة : الحراسة والحفظ . والعين الأوّل حاسّة البصر ، والثانى بمعنى الذات .

ومنهم أبو زيد (فى نوادره[١]) ، ومنهم الجاحظ (فى البيان والتبيين[٢]) إلاّ أنهما زادا على البيتين قبلهما بيتين آخرين وهما :

أرى كلَّ ريح سوف تَسكن مرّةً ... وكلُّ سَماء ذاتِ دَرٍّ ستُقلِعُ

فإنّكِ والأضيافَ فى بُردةٍ معاً ... إذا ماتَبِضُّ الشمسُ ساعةَ تَنزِعُ

لحافى لحاف الضيف . . . . البيتين

قال أبو زيد : تَبِضُّ أى تجرى إلى المغرب ؛ أى أمرهم لازم لك ، كأنّك أنت وهم فى بردة . وهو بالضاد المعجمة ، قال صاحب الصحاح : وبضّ الماء يبِضّ بضيضاً أى سال قليلا قليلا . وتَنزِع : تذهبُ ؛ مِن نزع إلى كذا : إذا مال إليه وذهب . وأراد بالسماء السحاب . والدَّرّ القَطر . والإقلاع : الكفّ عن الشىء ؛ يقال أقلع عمّا كان عليه .

والكاف من قوله فإنّكِ الخ مكسورة ؛ لأنّه خطاب مع امرأته .

وقوله : ولم يُلهِنى أى لم يَشغَلنى . والمقنّع : اسم مفعول ، الذى أُلبس المِقْنَع والمِقنعة بالكسر ، وهما ما تقنّع به المرأة رأسَها أى تغطّيه . والقِناع أوسع من المِقنعة . وإنما لم يقل المُقنَّعة بالتأنيث لأنّه جرى على لفظ الغزال .

---

(١) لا يوجد شىء من هذه الأبيات فى نوادر أبى زيد طبع بيروت ، وهو دليل على نقص هذه النسخة .

(٢) البيان والتبيين ١ : ١٠ و ٢ : ٣٥٨ بدون نسبة . وفى الموضع الأول أنشد البيت الثالث والرابع . وفى الموضع الثانى أنشد البيت الأول مع بيتين آخرين .

وكلّهم روى هذا الشعر لمسكين الدارمىّ — وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين بعد المائة[١] — إلاّ الجاحظ والأعلم الشنتمرى ، فإنهما نسباه إلى كعب بن سعد الغنوى . ونسبه التبريزى إلى عُتبة بن بُجير ، وبعضُ شرّاح الحماسة .

وقد انفرد ابن الشَّجرىُّ بنسبته إلى عُتبة بن مسكين الدارِمىّ ، فإنّه قال : محادثة الضيف من دلائل الكرم ؛ وقد مدحوا [بذلك وتمدّحوا[٢]] به : فمن المدح قول الشّماخ يمدح عبد الله بن جعفر :

إنّك يا ابنَ جعفر نِعْمَ الفتى ونِعمَ مَأوى طارقٍ إذا أتى
ورَبُّ ضيف طرقَ الحىَّ سُرَى صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى
إنَّ الحديث طَرَفٌ من القِرَى

ومن التمدّح قول عُتبة بن مسكين الدارمى :

لحافى لحافُ الضَّيف والبيتُ بيته . . . . (البيتين)

وقوله : ورَبُّ ضيف ، هو بفتح الراء وضمّ الباء عطف على نِعْمَ[٣] .

وقد نسب ابن الشجرى مسكينَ الدارمىَّ[٤] إلى البخل ، فإنه قال قبل ينك البيتين :

ومن شعره الذى استُدلّ به على بخله قوله يذكر ضيفاً نزل به :

أتَى يَخبط الظَّلماء واللّيلُ دامسٌ يسائلُ عن غير الذى هو آمِلُ

---

(١) الخزانة ٣ : ٦٩ .

(٢) التكملة من ش وابن الشجرى .

(٣) أى على فاعل نعم . والوجه أن يكون « رُبَّ ضيف » .

(٤) هذا على الحكاية ، والا فالوجه « مسكينا الدرامى » .

فقلت لها قُومى إليه فيسِّرى طعاماً فإنَّ الضيف لا بدَّ نازلُ
يقول وقد ألقَى مَراسِيه للقِرى أبِنْ لىَ ما الحَجّاجُ بالناس فاعلُ
فقلتُ لعمرى ما لهذا طرقتَنا فكُلْ ودَعِ الحجّاجَ ما أنت آكل
أتانا ولم يَعْدِله سَحبانُ وائلٍ بياناً وعلماً بالذى هو قائلُ(١)
فما زال عنه اللَقْم حتى كأنّه من العِىِّ لمّا أن تكلَّمَ باقلُ

قوله : ألقى مراسيه ، أى ألقى أثقاله وثبت كلَّ الثبات . وسؤاله عن الحجاج هو الذى عناه بقوله : « يسائل عن غير الذى هو آمل » . وطرقتَنا : أتيتنا ليلا . وقوله : فما زال عنه اللَقم الخ ، أراد أنه امتلأ من الطعام حتّى كسبته الكظّة العىّ ، كقولهم : « البطْنَة تذهِب الفِطنة » . ولمّا بدأه الضيف بالحديث وسأله عن الحجاج طلبًا للاستئناس ، قطع عليه كلامه بقوله : ما لهذا طرقتنا ، فكُلْ ودَعِ الحجّاج . وهذا منه نهايةٌ فى البخل ، لأنّ محادثة الضيف من دلائل الكرم(٢) . انتهى كلام ابن الشجرىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س(٣) :

---

(١) ط : « نائل » صوابه فى ش والبيان ١ : ٦ مع نسبة البيت الى حميد بن ثور .

(٢) انظر أيضا من دلائل بخل مسكين ، ما فى كنايات الجرجانى ٥٧ واللآلىء ١٨٦ : أنه وقع بينه وبين امرأته سباب . فقال مسكين :

نارى ونار الجار واحدة واليه قبلى تنزل القدر

فقالت امرأته متهكمة : القدر للجار ، فهى تنزل اليه قبله ! ثم قال :

ما ضر جارا لى أجاوره الا يكون لبابه ستر

فقالت : بل يتسور على جارته فلا يشميها سترها منه .

(٣) فى كتابه ١ : ٩٤ . وانظر همع الهوامع ٢ : ٤٨ ، ١٣٩ وديوان الأعشى ٢٥ .

٢٩٤ (الواهبُ المائةِ الهجانِ وعبدِها [عُوذاً تُزَجِّى خَلْفَها أطفالَها(١)])

على أنَّه قد يجعل ضمير المعرَّف باللام فى التابع مثلَ المعرَّف باللام، فإن قوله (عبدِها) بالجر معطوف على المائة، وهو مضاف إلى ما ليس فيه أل. واغتُفر هذا لكونه تابعاً، والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى المتبوع.

قال أبو بكر بن السرَّاج فى باب العطف: ومما جاء فى العطف لا يجوز فى الأول قول العرب: كلُّ شاة وسَخْلتِها بدرهم، ولو جعلت السَّخلة تلى كلّ لم يستقم. ومن كلام العرب: هذا الضارب الرجل وزيدٍ، ولو كان زيد يلى الضارب لم يكن جرّ. وينشدون هذا البيت جرًّا:

* الواهب المائةِ الهِجانِ وعبدِها *

وكان أبو العبّاس المبرّد يفرق بين عبدها وزيد ويقول: إنّ الضمير فى عبدها هو المائة، فكأنه قال: وعبد المائة، ولا يَستحسِن ذلك فى زيد ولا يجيزه. وأجازه سيبويه والمازنىّ، ولا أعلمهم قاسوه إلاّ على هذا البيت. وقال المازنىّ: إنّه من كلام العرب. والذى قاله أبو العباس أولى وأحسن. انتهى

وقال الأعلم: قد غلط سيبويه فى استشهاده بهذا، لأنّ العبد مضاف إلى ضمير المائة، وضميرُها بمنزلتها، وهذا جائز بإجماع، وليس مثل الضارب الرجل وعبد الله، لأن عبد الله علم كالفرد، لم يضف إلى ضمير الأوّل فيكون بمنزلته. وإنما احتجَّ سيبويه بهذا بعد أن صحّ عنده بالقياس جواز الجرّ فى الاسم المعطوف. وأنشد البيت ليُرى ضرباً من المثال فى الاسم المعطوف. لأنّه حجة له، لا أنه ليس يجوز فيه غيره. هذا كلامه.

---

(١) التكملة من ش.

ومعنى البيت أنّ هذا الممدوح يهب المائةَ من الإبل الكريمة ، ويهب راعيَها أيضاً ، وهو المراد من العبد . وخصّ الهجان لأنّه أكرمها . والهجان : البيض ، قال الجوهرى : هو من الإبل الأبيض ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع ، وقال الأصمعى : الهجان : الكرام ، وأصل الهجان البياض ، وهى تكون للواحد والجمع ، وربما جُمع هجائنَ كما قالوا شمال وشمائل

. وعوذا : حال من الهجان ، وهو جمع عائذ بالعين المهملة والذال المعجمة ؛ وهذا جمع غريب ، ونظيره حائل وحُول وفاره وفُرْه . قال ابن الأثير (فى النهاية) : العائذ : الناقة إذا وضعت وبعد ما تضع أيّامًا حتّى يقوى ولدها . وقال شارح ديوان الأعشى : العوذ : الحديثات النَتاج قبل أن تُوفىَ خمس عشرة ليلة ، ثم هى مُطْفِل بعده . وقال ابن خلف : هى الحديثة النتاج ، كان معها ولد أو لم يكن . قال الأعلم : وسمّيت عائذاً لأنّ ولدها يعوذُ بها لصغره ، وبُنى على فاعل لأنّه على نية النسب لاعلى ما يوجب التصريف ، كما قالوا عِيشة راضية . وتزجِّى[1] : بالزاى المعجمة والجيم أى تسوق ، والتّزجيَة : السَّوق ، ومثله الإزجاء . وروى بدله (ترشّح) والترشيح . التربية ، يعنى إذا تخلّفت أولادها وقفت وحنّت حتّى يلحق أولادها بها فتغذّيها وتدفعها[2] ، وكذلك التزجية . وقيل إنما تكون التزجية من بين يديها . وفاعل تزجِّى ضمير العُوذ ، والجملة صفة لها ، وأطفالها مفعول تزجّى .

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون — وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد

(١) هذا الصواب لا ما قاله الأعلم بالبناء للمفعول ، فانه يستلزم رفع الروى ، وحركة روى القصيدة انما هى الفتح .
(٢) ش : « فتقويه وتدفعه » .

الثالث والعشرين فى أوائل الكتاب[١] — وقد استعمل هذا المعنى فى شعره كثيراً ، منها قوله :

الواهب المائةِ الهجانِ وعبدِها قُطُناً تشبِّهها النخيلَ المُكْرِعا

القطُن والقَطين : أتباع الملك ؛ وهو حال [من العبد[٢]] . وتشبِّهها بالخطاب . والمُكرِع ، بوزن اسم الفاعل : النَّخيل التى على جُول الماء[٣] ومنها قوله :

هو الواهبُ المـائةَ المصطفا ةَ إمّا مَخاضاً وإمّا عِشارا

وقال أيضاً فى قصيدة نونية :

هو الواهبُ المـائةَ المصطفا ةَ كالنَّخْلِ زيَّنها بالرَّجَنْ

والرَّجن ، بفتح الراء المهملة وبالجيم ، قال فى الصحاح : قال الفراء : رجَنَت الإبلُ ورجِنت أيضاً بالكسر وهى راجنة ؛ وقد رَجَنتها أنا وأرجنتها : إذا حبستَها لتَعلِفَها ولم تسرِّحْها .

وقد سَبَق الأعشى فى هذا المعنى إمّا بشرُ بن أبى خازم ، وإمّا أوس ابن حجر ، فإنّهما متعاصران وكانا قبله : قال الأوّل يمدح عمرَو بنَ أمّ أُناس :

والمانح المائةَ الهجانَ بأسرها تُزْجى مَطافِلَها كجنّة يثربِ

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .
(٢) التكملة من ش .
(٣) كذا فى ش . وجول البئر ، بالضم : جانبها . وفى ط : « حول » بالمهملة .

وقال الثانى يمدح فَضالة :

الواهب المائةَ المِعْكاء يشفعها   يوم النضار بأخرى غير مجهودِ (١)

والمِعكاء، بكسر الميم وسكون العين المهملة بعدها كاف، قال ابن الأنبارى (فى المقصور والممدود) : يقال أعطاه مائة معْكاء : إذا أعطاه مائةً من الإبل سماناً غلاظاً . وأنشد هذا البيت .

وتلك القصيدة يمدح بها الأعشى قيسَ بن مَعْديكربَ الكِندىّ . وهذا مطلعها :

١٨٣ (رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غدوةً أجمالَها   غَضْبَي عليكَ فما تقولُ بدَا لَها
هذا النهارُ بدَا لها من همِّها   ما بالُها بالليل زال زوالها
سفهاً، وهل تَدرى سُميّةُ ويحَها   أنْ ربَّ غانيةٍ قطعتُ وِصالها)

ثم قال :

(وسَبيئةٍ مِمّا تُعتِّقُ بابلٌ   كدَم الذّبيح سلبتُها جريالَها (٢)
وغريبةٍ تأتى الملوكَ حكيمةٍ   قد قلتُها ليقالَ من ذَا قالها)

ثم وصف ناقته فقال مخاطباً لها(٣) :

(ولقد نزلت بخيرِ من وَطِىء الحصَى   قيسٍ فأثبتَ نَعلَها وقِبالها
ما النيلُ أصبح زاخراً من مدِّه   جادت له ريحُ الصَّبا فجرى لَها (٤)

(١) فى ديوان أوس ٢٥ : « يوم النضال » ، وفى اللسان (عكا) : « يوم الفضال » .

(٢) فى النسختين : « يعتق بابل » والشرح ورواية الديوان ٢٣ يقتضى ما اثبت .

(٣) الحق أن الشعر الآلى اخبار لاخطاب . وانظر القصيدة فى الديوان .

(٤) ط : « جاءت له ريح الصبا » ، واثبت ما فى ش والديوان ٢٤ .

زَبداً بمصرٍ يومَ يَسقى أهلَها وغدًا تفجِّره النبيطُ خِلالَها
يوماً بأغزر نائلاً منــه إذا نفسُ البخيل تجهمتْ سُؤّالَها
الواهب المائة المجان وعبدها . . . . البيت
والقارحِ الأحوى وكلَّ طِمِرَّةٍ ما إن تنالُ يدُ الطويل قَذالَها)

وقال فى آخر القصيدة :

(وإذا تجىء كتيبةٌ ملمومة خَرساء يَخشى الذائدون نِهالَها
كنتَ المقدَّم غيرِ لابسٍ جُنَّةً بالسَيف تَضرِبُ مُعْــلِماً أبطالَها
وعرفتَ أنَّ النفسَ تلقى حَتفَها ما شاء خالقُها المليكُ قَضى لها)

قوله : رحلت سُمَيّة الخ ، الأجمال : هى الجمال ، ورَحلَتْها : حمَّلتهـا ، وسُمية : اسم امرأة .

وقوله : هذا النهار بدا لهـا الخ ؛ قال أبو على (فى الايضاح الشعرى) رواه أبو الحسن : « هذا النَّهارَ » بالنصب ، وكذلك رواه أبو عَمرو الشيبانى ، فامّا من رفع النهار فجعله وصفاً لهذا وحذف الراجع من خبر المبتدأ ، كأنه قال : هذا النهارُ بدا لها فيه . فأما فاعل بدا فيكون ضمير المصدر ، أى بدا البُداء ، وقوله : من همّها ، حال من هذا الفاعل ، ويجوز على قول الأخفش بزيادة مِن فى الواجب أن يكون مجرورها فاعل بدًا . ومن استجاز حذف الفاعل ممّن خالف سيبويه أجاز أن يكون مِن همّها صفة للفاعل المحذوف ، كأنه قال : بدا لها بَدَاء[1] من همِّها . ومن نصب النهار ففيه وجهان : أحدهما أن يكون على حدّ زيداً مررت به ، والآخر أن يكون ظرفاً لبدا ، كأنه قال : بدا لها البَداء من همِّها

(١) ط : « بدو » صوابه فى ش وما يقتضيه الشرح بعده .

فى هذا النهار . ويجوز أن يكون قوله : هذا ، فيمن نصب النهار إشارة إلى الارتحال ، كأنه لما قال : رحلت قال : هذا الارتحال بدا لها النهار ، فيكون فى بدا ذكر يعود إلى المبتدأ الذى هو هذا . وكان المعنى عليه ، لأنّ المعنى هذا الارتحال والمفارقة قد بدا لها فى النهار ، فما بالها بالليل يعتادنا خيالُها ، هلاّ فارقَتْنا بالليل كما فارقتنا بالنهار . فأمّا فاعل زال فيمن نصب زوالَها ، فجائز أن يكون الهمّ ، لأنّ ذكْره قد تقدّم ، كأنّه قال: زال الهمّ زوالَها ، فدعا عليها بأن
١٨٤ يزول الهمُّ زوالَها ، أى زوالُ همِّها معها حيث زالت . وقد حُكى هذا القول عن أبى عمرو الشيبانى . ويجوز أن يكون الفاعل اسم الله تعالى كأنه قال : زال الله زوالَها ، من قوله زلتُه فلم يزُل ، وعلى هذا قول ذى الرمّة :

وبيضاء لا تنحاش منّا ، وأمّها إذا ما رأتنا زيل منا زويلها

انتهى كلامُ أبى على ، وكأنّه لم يطلع على ما للعلماء بالشعر فى هذا البيت . وقد جمعه حمزة بن الحسن (فى كتاب التنبيه على حُدوث التصحيف) قال[1] : قوله : « هذا النهار بدا » قال الأخفش : النهار ظرف أى فى هذا النهار . وقوله : « مِن همها ما بالها بالليل » قال بعضهم : يقول : هذا الارتحال الذى يرى لنا من همِّها فى النهار ، فما بالها بالليل إذا نمنا ألمّ بنا خيالها . وقال آخر : يقول : هذا الهمّ بدا لها نهارا ، والهمّ ما همّت به من مفارقته وصرمه . وقال آخر : هى بالنهار تخاف العيون وتراقب الوشاة ، فما بالها بالليل أيضاً بمثل تلك الحال لا تزورنى وقد زال عنها ما تحاذر . وقال آخر : إنّما رده على آخر البيت الأول ، وهو قوله : فما تقول بدا لها ، ثم قال مفسراً

(١) التنبيه لحمزة بن الحسن ص ٢٠٢ – ٢٠٧ طبع بغداد ١٩٦٧ .

لذلك : بدا لها أن همّت بصرمى نهاراً ، فما بالها بالليل ؛ أى ما لنا ولَهاَ بالليل لَسْناَ تنامه[١] شوقاً إليها وذكراً لها . وقوله : « زال زوالَها » قال الأصمعىّ : هو دعاء على المرأة ، أى هذه المرأة لا أكاد أراها بالنهار فإذا جاء الليل إذ أتانِى خيالها[٢] فما بالها ؟ ثم دعا عليها فقال : زال زوالها ، ومعناه لا زال همُّها يزول زوالَها أى يزول معها ، أراد أنه لا يفارقَها . وقال بعضهم : هذا دعاء على الهمّ ، ومعناه زال الهمُّ معها حيث زالت[٣] . وقال أبو عمرو : هى كلمة يُدعَى بها ، فتركَها على حالها . وقال بعضهم : هو دعاء على الخيال ، ومعناه أذهب الله خيالَها عنِّى كما ذهبت هى فأستريح . وقال الأخفش : هو دعاء على الليل ، ومعناه أزال الله الليل الذى تمادى فيه منه ما تقاسيه مع صَرمها لنا نهارا كما زالت مُمحيّة . وهذا كما تقول : هلك فلان ، أى أهلكه الله . وقال الأخفش : قال بعضهم : زال هنا بمعنى أزال ، وهى لغة قوم من العرب ، تقول زُلت الرجلَ عن مَقامه بمعنى أزلته . وعليه قول ذى الرمة :

* زيل منها زويلها[٤] *

فكأنّه قال : ما بال هذا الليل أزالها .

ويُحكى هذا القول بعينه عن أبى عبيدة . وقال الأصمعىّ فى بعض

---

(١) فى التنبيه : « ليست تدعنا تنامه » .

(٢) ط : « اذانى خيالها » ش : « أتانى خيالها » ، والوجه ما اثبت من التنبيه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ش ، وكتب ناسخها فى الهامش : « لعله كانت » . وفى ط : « حيث كانت » ، فاثبت ما فى التنبيه .

(٤) البيت بتمامه فى ديوان ذى الرمة ٥٥٤ :

وبيضاء لاتنحاش منا وأمها اذا ماراتنا زيل منها زويلها

الحكايات عنه : هذا مقلوب ، يجب أن يقول زالت زوالَه أي زوال النهار ؛ ثمّ قلَب الكلام كما قال الشاعر :

. . . . كما كان الزناء فريضةَ الرَّجْمِ[1]

وقال بعضهم : هو خبرٌ ليس بدعاء ، ومعناه مابال حظّنا من سميّة بالليل قد زال كما زالت . وإنّما يريد تأخّر الخيال عنه الذى كان يقوم مقامَها فيستريح إليه . وعلّة تأخّر الخيال عنه أنه سهر لفراقها فلم ينم فيبصره . قال : وقد يجوز أن يكون دعاء على الليل إذْ فاته حظُّه فيه منها . وقال أبو عمرو : أنا أرويه : « زالَ زوالُها » بالرفع ، وإن كان اقواء ؛ وعلى هذا يكون دعاء على المرأة بالهلاك وأن تذهب من الدُّنيا ؛ والأعشى شاعر أجل من أن يُقوىَ . وقال بعضهم : هو دعاء منه لسميّة لا عليها ، زال ماتَهمُّ به من صرمنا فى النهار والليل ، كما زالت هى ، أى زال عنا همُّها بذلك . وقال بعضهم : هو إخبار عن الليل وفيه تقدير قد ، أى قد زال زوالها ، أى كأنّ الليل الذى كان لنا منها قد زال ، وهذا كما تقول : مالى مع فلان ليلٌ ولا نهار ، وإنما تعنى مالى حظّ من الليل ولا النهار ، ولست تعنى أنّ هناك نهاراً ولا ليلا . انتهى ما أورده حمزة . ١٨٥

وقوله : وسبيئة ممّا تعتّق بابل الخ ، السَّبيئةُ : الخمر ، فعيلة بمعنى مفعولة ، من سبأت الخمر سبْئا : إذا اشتريتَها لتشربَها ، والاسم السِّباء بالكسر على فِعال ، والسَّبَّاء : الخمّار وزناً ومعنى . والجِريال ، بكسر الجيم وبعد الراء

(١) البيت للنابغة الجعدى فى ديوانه ٢٣٥ واللسان (زنا) . واوله :

* كانت فريضة ما أتيت كما *

مثنّاة تحتيّة ، قال الجواليقى (فى المعرَّبات) : هو صِبغ أحمر ، ويقال جِريان بالنون ، وقيل هو ماء الذهب ، وذهب الأصمعى أنّه رومى معرَّب ، ورُوى لى عن الأصمعىّ عن شُعبة عن سِماك بن حرب ، عن يونس بن متّي راوية الأعشى [1] قال : قلت للأعشى : مامعنى قولك : « سلبتْها جِريالها » ؟ قال : شربتها حمراء وبُلتها بيضاء فسلبتها لونها . يقول : لمّا شربتها نقلتُ لونها إلى وجهى فصارت حمرتها فيه . وهذا المعنى أراد أبو نواس بقوله :

* أجدَته حُمرتَها فى العين والخدّ [2] *

وربّما سمّيت الخمر جريالا . انتهى كلامه .

وقوله : « وغريبةٍ تأتى الملوكَ حكيمةٍ » أى ربّ قصيدة غريبة فى أسلوبها محكمة .

وقوله : « ولقد نزلت » الخ ، قال شارح الديوان ابن حبيب : يجوز ضم التاء بالتكلم وكسرها بخطاب الناقة ، والمراد لقد نزلتُ برجلى فأثبتَ نعلها ، أى قضى حوائجى . وتجهّمت بمعنى استثقلت .

وقوله : « والقارحِ الأحوى» الخ ، هو بالجرّ عطف على المائة الهجان. والقارح : ماجاوز خمس سنين من ذوات الحافر . والأحوى : ماخالط لونَه لون آخر إذا كان كميتاً مثل صدأ الحديد ، وقيل حُمرة يخالطها سواد . والطِمِرّة ، بكسرتين وتشديد الراء : المستفز للوثب .

---

(١) فى النسختين : « رواية » ، صوابه فى المعرب ١٠٣ ، وبذلك أصلحه الشنقيطى فى ش .

(٢) فى النسختين وأصل المعرب ١٠٣ : « أخذته حمرتها » ولا يستقيم به الوزن ، ولا هو الرواية ، بل الرواية كما فى ديوان أبى نواس ٢٦٥ : « أجدته » من الاجداء . وصدره :

* كأسا اذا انحدرت فى حلق شاربها *

وقوله : « وإذا تجيء كتيبة » الخ ، الكَتيبة : الجيش، والخرساء : التى لا يُسمع فيها قَعقعةُ سلاح من كثرة الدروع ، وملمومة : مجموعة . والجُنّة ،بالضمّ الوقاية . يريد أنه يهجُم فى الحرب على الأبطال ، غير مكترث بلبس وقاية من السلاح . وهذا غاية فى التهوُّر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد المائتين(١) :

٢٩٥ ﴿ ولَيْسَ حامِلَني إلاَّ ابنُ حَمَّالِ ﴾

على أنَّه قيل النون فى حاملنى هو نون التنوين ، وقيل نون وقاية ، وكلاهما شاذّ . وقيل الرواية (يَحملنى) لاحاملنى . وهذا عجز وصدره :

(ألاَ فتًى من بنى ذُبيانَ يحملنى)

وهو من أبيات لم أرها إلاّ فى كامل المبرّد ، قال فيه : أنشدنا أبو محلّم السَّعْدِىُّ :

(لَطَلْحَةُ بنُ حَبيبٍ حينَ تسألُه ... أندَى وأكرمُ من فِنْدِ بنِ هَطَّالِ
وبيتُ طلحةَ فى عِزّ ومكرُمة ... وبيتُ فِندٍ إلى رِبْقٍ وأحمال
ألاَ فتًى من بنى ذُبيانَ يَحمِلُنى ؟ ... وليس يحملنى إلاَّ ابنُ حَمَّال
فقلت : طلحة أولَى مَن عَمَدتُ له ... وجئتُ أمشى إليه مَشْىَ مُختال
مستيقناً أنَّ حَبلى سوفَ يُعلِقُه ... فى رأس ذَيَّالة أو رأس ذَيَّالِ)

قوله : إلى ربق وأحمال ، أراد جمع حَمَل على القياس كما تقول فى جمع باب فَعَلٍ: جَمَل وأجمال ، وصَنَمَ وأصنام .

---

(١) الكامل ٢٠٥ والانصاف ١٢٩ .

وقوله : ألا فتًى من بنى ذبيان يحملنى ، يعنى ذبيانَ بنَ بَغيض بن رَيث ابن غطَفان بن سعد بن قَيسِ بن عَيلان بن مُضَر .

وأنشد بعضهم :

* وليس حاملَنى إلاّ ابنُ حَمَّال *

١٨٦ وهذا لا يجوز فى الكلام ، لأنَّه إذا نوّن الاسم لم يتَّصل به المضمر ، لأنّ المضمر لا يقوم ، بنفسه وإنّما يقع معاقباً للتنوين : تقول هذا ضاربٌ زيداً غدا وهذا ضاربُك غدا ، ولا يقع التنوين ههنا ، لأنّه لو وقع لانفصل المضمر . وعلى هذا قول الله عزّوجل: ﴿ إنّا مُنَجُّوكَ وأهْلَكَ[1] ﴾ .وقد رَوَى سيبويه بيتين محمولَين على الضرورة ـ وكلاهما مصنوع ، وليس أحد من النحويين المتقنين[2] يجيز مثل هذا فى الضرورة ، لما ذكرت لك من انفصال الكناية ـ والبيتان اللذان رواهما سيبويه :

هُمُ القائلونَ الخيرَ والآمِرُونَهُ إذا ما خشُوا يوماً من الأمرِ مُعظَما

وأنشد :

ولم يَرْتَفِقْ والناسُ مُحْتَضِرُونَهُ جميعاً وأيدى المعْتَفِينَ رَواهِقُه

وإنما جاز أن تبيِّن الحركة إذا وقفْتَ[3] فى نون الاثنين والجمع ، لأنه لا يلتبس بالمضمر ، تقول : هما رَجلانِهْ[4] وهم ضاربونَهْ إذا وقفْتَ ، لأنَّه

(١) الآية ٣٣ من العنكبوت .

(٢) فى الكامل ٢٠٦ : « المفتشين » .

(٣) ط : « وقعت » ، صوابه فى ش والكامل . والمراد من تبيين الحركة ايلاؤها هاء السكت .

(٤) فى النسختين : « يرحلانه » ، صوابه من الكامل .

لا يلتبس بالمضمر ، إذْ كان لا يقع هـذا الموقع ، ولا يجوز أن تقول ضربتهْ وأنت تريد ضربتُ والهاء لبيان الحركة ، لأنّ المفعول يقع فى هذا الموضع فيكون لَبساً. فأمّا قولهم : ارمِهْ واغزُهْ فتلحق الهاء لبيان الحركة ، فإنّما جاز ذلك لِما حذفتَ من أصل الفعل ، ولا يكون[1] فى غير المحذوف . وقوله : فى رأس ذَيّالة ، يعنى فرساً أنثى أو حصاناً . والذيّال : الطويل الذنب . وإنما يُحمَد منه طولُ شعر الذنَب وقِصَر العسيب ، فأما الطويل العسيب فمذموم . اهـ كلام المبرد .

قال ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) : ليس ما أصّلَ بصحيح ولا لازم قد قالوا : ضرَبْتَنَهْ وهَلُمَّهْ ، يريدون : ضربتُنَّ وهَلُمَّ ، والمفعول يقع هنا . وما ذكرته مذكور فى كتاب سيبويه[2] . وأنشد :

* يا أيُّها الناس ألا هَلُمَّهْ *

والمفعول يقع هذا الموقع .

وقوله لَطلحةُ بن حبيب ، اللام للابتداء ، وطلحة مبتدأ وأندى خبره . والسؤال : استدعاء معرفةٍ أو ما يؤدّى إليها ، واستدعاء مال أو ما يؤدى إليه :

فاستدعاء المعرفة جوابُها باللسان ، وتنوب عنـه اليد ، فاليد خليفة عنه بالـكتابة[3] أو الإشارة . ويتعدى لاثنين ثانيهما بنفسه تارة ، وبحرف الجرّ أخرى ، وهو عن وتنوب عنها الباء .

(١) أى الالحاق ، أو بيان الحركة . وفى النسختين « تكون » ، وأثبت ما فى الكامل .

(٢) سيبويه ٢ : ٢٧٩ .

(٣) فى النسختين : « بالكناية » ، والوجه ما أثبت .

واستدعاء المال جوابه باليد ، وينوب عنه اللسان بوعدٍ أو ردّ ، ويتعدّى بنفسه أو بعن ، قال تعالى : ﴿وإذا سألتموهنّ متاعاً[١]﴾ ، وقال : ﴿واسألوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ[٢]﴾ . كذا فى مفردات القرآن للسمين .

وأندى : أفعل تفضيل من النَّدى ، وهو السخاء . وفِنْد ، بكسر الفاء وسكون النون : اسم رجل . والرِّبْق ، بكسر الراء وسكون الموحدة : حبل فيه عدّة عُرًا يُشَدُّ به البَهْم ، كلّ عُروةٍ ربقة بالكسر والفتح ، والجمع كعِنَب . والبَهْم ، بفتح الموحدة وسكون الهاء : ولد الضأن والمعز والبقر ، وقيل صغار الإبل . والأحمال : جمع حَمَل ، بفتح الحاء المهملة والميم : الخروف ، وقيل هو الجذع أى الشابُّ من أولاد الضأن فما دونه . جعل بيت طلحة مظروفاً فى العزّ والمكرمة ، وبيتَ فِنْدٍ منتهياً إلى ما ذكر ؛ وأراد أنّ البيت الأوّل مملوء بالخيل وبها يكون العزّ ، والبيت الثانى بيت ذلّ وهَوَان ، لأنّ اقتناء الخرفان عندهم يدلُّ على الفقر والضعف ، وأنّ بيتهم إنّما هو مربِط للبهائم .

وقوله : ألا فتى من بنى ذبيان إلخ ، ألا هنا للعرض والتحضيض ، وفتًى
١٨٧ منصوب بفعل يفسّره يحملنى ، أو منصوب بمحذوف ، أى ألا ترُونى فتى هذه صفته ، كما قال الخليل فى قوله :

* ألا رجلا جزاه اللهُ خيراً[٣] *

ولا يجوز أن تكون للتمنى فيكون فتًى مبنياً معها على الفتح ، لوجود الخبر ،

(١) الآية ٥٣ من الأحزاب .

(٢) الآية ٣٢ من النساء .

(٣) هو الشاهد ١٦٣ فى الخزانة ٣ : ٥١ وقد تكرر انشاده بعد ذلك . وعجزه :

* يدل على محصلة تبيت *

وهو يحملنى ؛ فإنَّ التى للتمنِّى لا خبر لها لفظاً ولا تقديراً ، والمعنى أيضاً لا يساعد فى جعلها للتوبيخ أو للاستفهام عن النفى ، فإنّه بعيد . ولامعنى لجَعْلها هنا للتنبيه . ويحملنى : مِن حمله ، إذا أعطاه دابَّةً تحمله . وحَمّال هنا مبالغة حامل ، بالمعنى المذكور . وحاملنى ، فيمن رواه ، خبر ليس مقدَّم وما بعد إلاّ اسمها ؛ وعلى رواية ليس يحملنى اسمها ضمير الشأن .

وقوله : فقلتُ ، التاء مضمومة . وعمَدت : قصدت .

وقوله : مستيقناً أنّ حبلى الخ ، هو حال من فاعل أمشى . ويُعْلقه : مضارع أعلق حبله إذا أمكنه أن يعلق حبله ويربطه به . وعَسيب الذَّنَب : مَنْبِته من الجلد والعظم . والمعروف أنه لا يقال ذَيَّال إلاَّ أن يكون مع طول الذنب طويلاً فى نفسه ، فإن كان طويل الذنب فقط فهو ذائل .

ومُحَلِّم السعْدى ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشدَّدة .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والتسعون بعد المائتين وهو من أبيات س[1] :

* * *

٢٩٦ (هُمُ الفاعِلُونَ الخَيْرَ والآمِرُونَهُ ... إذا ما خَشُوا مِنْ مُحْدَثِ الأمْرِ مُعْظَما)

على أنَّه قد جمع فى قوله (الآمرونه) النون والضمير ضرورة ، وصوابه والآمِرُوه بحذف نون الجمع للإضافة ، فانَّ حكم الضمير أن يعاقب النون والتنوين ، لأنَّه بمنزلتهما فى الضعف والاتصال ، فهو معاقب لهما إذْ[2] كان المظهر مع قوَّته وانفصاله يعاقبهما .

(١) فى كتابه ١ : ٩٦ . وانظر الكامل ٢٠٦ ومجالس ثعلب ١٥٠ وابن يعيش ٢ : ١٢٥ والهمع ٢ : ١٥٧ .
(٢) ط : « اذا » ، صوابه فى ش .

قال أبو جعفر النحّاس : هذا خطأ عند المبرّد ، لأنَّ المجرور لا يقوم بنفسه ولا يُنطَق به وحده ، فإذا أتى بالتنوين فقد فصل ما لا ينفصل وجمع بين زائدين . وهذا لا يلزم سيبويه منه غلط ، لأنَّه قد قال نصًّا : وزعموا أنه مصنوع . فهو عنده مصنوع لا يجوز ، فكيف يلزمه منه غَلط . انتهى .

ولا يبعد أن يكون من باب الحذف والإيصال ، والأصل والآمرون به ، فحذفت الباء واتّصل الضمير به ، فإنَّ أمَرَ يتعدى إلى المأمور بنفسه ، وإلى المأمور به بالباء ، يقال أمرته بكذا . والمأمور هنا محذوف ، أي الآمرون الناس بالخير ، فيكون الضمير منصوبًا لا مجروراً . يقول : هؤلاء يفعلون الخير ويأمرون به ، في وقت خشيتهم الأمرَ العظيمَ من حوادث الدهر ، فلا يمنعهم خوفُ الضرر عن الأمر بالمعروف .

وقد رواه المبرد فيما سبق النقل عنه بما يقرب مما هنا . ورُوى في (المفصّل) وغيره :

هُمُ الآمرونَ الخيرَ والفاعلونه   إذا ما خشُوا من حادث الدهر مُعْظَما

و (المعظَم) : اسم مفعول ، وهو الأمر الذى يعظم دفعُه . وقد روى الجوهرى فى هاء السكت[1] المصراع الثانى كذا :

(إذا ما خَشُوا من مُعظَم الأمر مُفْظِما)

وهو اسم فاعل من أفظع الأمرُ إفظاعاً ، ومثله من فَظُع الأمر فظاعة : إذا جاوز الحدَّ فى القبح . و (خشُوا) بضمِّ الشين ، وأصله خشِيُوا بكسرها ، فحذفت الكسرة ونقلت ضمَّة الياء إليها ثم حذفت الياء للساكنين .

* * *

(١) الصحاح ٦ : ٢٥٥٩ .

١٨٨ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد المائتين وهو من أبيات س(١) :

٢٩٧ (ولم يرتَفِقْ والناسُ مُحتضِرُونهُ
جَميعاً وأيدِى المعتَفِينَ رَوَاهِقُه)

لما تقدَّم قبله ، وهو أنه قد جمع النون والضمير فى قوله : (محتضرونه) ضرورة .

والكلام فيه كما تقدَّم فى الذى قبله ، فمن جعل الهاء ضميراً جعلها ضميرَ الممدوح ، ومن جعلها للسكت فإنه احتاجَ إلى تحريكها .

وفيه أنَّ حضَر واحتَضَر إن كان معناه ضدّ غاب فهو لازم ؛ وغير هذا مرادٌ هنا . وإن كان بمعنى شهد فهو متعدّ ، وهذا هو المراد . يقال حضَرتُ القاضىَ أى شهدته . وفى القاموس : حضَر كنصر وعَلِم حُضوراً وحَضارة : ضدّ غاب كاحتَضَر وتحضّر ، ويتعدّى يقال حضَره وتحضّره . انتهى . وعلى هذا فالضمير منصوب على المفعولية ، لا أنّه مضاف إليه . ومحتضِرون عامل النصب فيه ، لوجود شرط عمل النصب ، وهو جمع محتضِر . و (الارتفاق) : الاتكاء على المرفَق ؛ أى لم يشتغلْ عن قضاء حوائج الناس . ويحتمل أنّ المعنى لم يرتفق بماله ، أى لم يبذله بالرفق بل جارَ عليه بالجود . و (المعتَفون) : الذين يأتون يطلبون المعروف والاحسان ، يقال عفوته : أى أتيته أطلبُ معروفه . و (الرواهق) : جمع راهقة ، مِن رَهِقه من باب تعب ، إذا غشيَه وأتاه .

---

(١) سيبويه ١ : ٩٦ . وانظر ابن يعيش ٢ : ١٢٥ .

ورهقه بمعنى أدركه وقرُب منه أيضاً . والهاء يجوز أن تكون ضميراً وأن تكون للسكت ..

وهذا البيت أيضاً مصنوع.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1] :

٢٩٨ (الحافِظُو عورةَ العَشِيرَةِ)

على أنّ الضمير بعد الوصف ذى اللام المثنى والمجموع ، يحتمل عند سيبويه أن يكون مجروراً على الإضافة ، أو منصوباً ، كما ورد الظاهر منصوباً بعده .

قال ابن السرّاج (فى الأصول[2]) : وقد أجازُوا رأيت الضاربى زيداً ؛ وليس ذلك بحسن ، وإنّما جواز ذلك على أنّك أردت النون فحذفتها لطول الاسم ، كما تقول : الذى ضربتُ زيدٌ فتحذف الهاء من ضربتُه وأنت تريدها . وحذفُ النون من الضَّار بَيْنِ والضار بِينَ مع الإعمال قبيح ، قال الشاعر :

الحافِظُو عَوْرةَ العَشِيرة لا يَأتيهمُ من ورائنا نَطَفُ

ولو جرُّوا لكان الجيِّدَ الصوابَ . اهـ .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنّه حذف النون من الحافظون ، ونصب عورة العشيرة بما فى الصلة ، فكأنّه قال : الذين حفظوا عورةَ العشيرة . ولم يحذفها للإضافة ، إنّما حذفها تخفيفاً مع ما فيه الألف واللام .

---

(١) فى كتابه ١ : ٩٥ . وانظر المنصف ١ : ٦٧ والهمع ١ : ٤٩ والأشمونى ٢ : ٢٤٧ وملحقات ديوان قيس بن الخطيم ١٧٢ .
(٢) ط : « الأطول » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

وقال ابن جنّي : حذفوا النون تشبيهاً لهذه الأسماء المتمكّنة غير الموصولة بالأسماء الموصولة ، لأنّها فى معنى الموصولة . قال أبو على : والأكثر الجرّ ، وقرأ بعضهم : ﴿ والمقيمى الصلاةَ[1] ﴾ بنصب الصلاة ، وحكى أبو الحسن عن أبى السماك[2] : ﴿ واعلموا أنكم غيرُ معجزى اللهَ[3] ﴾ وليست فيه ألف ولام حتى يشبّه بالذين . وقرأ بعضهم أيضاً : ﴿ أنكم لذائقوا العذابَ الأليمَ[4] ﴾ بالنصب . وقرأ عُمارة بن عَقيل : ﴿ ولا الليلُ سابقُ النهارَ[5] ﴾ بنصب النهار . والأشبه فى هذا أن يكون حذف التنوين لالتقاء الساكنين . ١٨٩

ورُوى : « الحافظو عورةِ العشيرة » بجرّ العورة على أنّ الحافظو مضاف ؛ فيكون سقوط النون للإضافة . وقوله : « الحافظو » صوابه « والحافظو » بالواو ، فإنّه معطوف على خبر مبتدإٍ فى بيت قبله كما سيأتى . وبه يسقط قول ابن خلف : الحافظو مرفوع بالابتداء أو على الخبر ، وهو مدح كأنّه قال : هم الحافظون عورةَ العشيرة ؛ فحذف المبتدأ ؛ أو الحافظو عورة العشيرة هم فحذف الخبر هذا كلامه ؛ ولا ينبغى أن يكتُب قبل أن يقف على السِّياق

(١) الآية ٣٥ من الحج . وهذه قراءة ابن أبى اسحاق ، والحسن ، وأبى عمرو فى رواية . تفسير أبى حيان ٦ : ٣٦٩ .

(٢) كذا فى النسختين ، ولعله « أبو السمال » ، واسمه قعنب بن هلال . وانظر لسان الميزان ٤ : ٤٧٥ وطبقات ابن الجزرى ٢ : ٢٧ . وفى القراء أيضا « ابن السماك » مصدر بابن وبالكاف فى آخره .

(٣) الآية ٢ من التوبة . ولم أهتد الى صاحب القراءة بالتحقيق .

(٤) الآية ٣٨ من الصافات . وهذه قراءة أبى السمال ، وأبان عن ثعلبة بن عاصم . تفسير أبى حيان ٧ : ٣٥٨ .

(٥) الآية ٤٠ من يس . وهذه قراءة عمارة بن عقيل . تفسير أبى حيان ٧ : ٣٣٨ .

والسّبّاق . ثم بعد هذا فصّلَ أنّ المبتدأ يحذف فى خمسة مواضع ، والخبر يحذف فى اثنى عشر موضعاً ، ثم أخذ فى بيان أل الموصولة وأل المعرّفة وأنّها سبعة أقسام ، واستوفى الكلام على الجميع . وهذا كلّه تطويل لا طائل له .

و (العَوْرة) : المكان الذى يُخاف منه العدوّ . وقال ثعلب : كلّ مَخُوف عورة . وقال كراع : عورة الرجل فى الحرب ظَهْرُه . و (العَشيرة) : القبيلة ، ولا واحد لها من لفظها ، والجمع عشيرات وعشائر . كذا فى المصباح . ولا يناسبه قول العينى هنا : « وعَشيرة الرجل : الذين يعاشرهم ويعاشرونه » . و (النَّطَف) بفتح النون والطاء المهملة ، قال صاحب العباب : قال الفرّاء : النَطف العيب ، وقال الليث : النطف : التلطّخ بالعيب . وروى بدله (الوكف) بفتح الواو والكاف أيضاً ، قال صاحب العباب : هو العيب والإثم . وأنشد هذا البيت . وهذا المعنى الثانى أورده أبو عُبيد (فى الغَريب المصنف) قال : وكِف وكَفا من باب فرح . وقد ردّه عليه أبو القاسم علىّ بن حمزة البصرىّ (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) بأنَّ الوَكْف إنما هو العيب . وأنشد هذا البيت .

وكذلك قال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) وأنشد هذا البيت .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل ، وأبيات أدب الكاتب) ، وتبعه ابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : المعنى نحن نحفظ عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شىء يُعابُون به : مِن تضييع ثَغْرهم ، وقِلّة رعايته . هذا على رواية : « مِن ورائنا » . ومن روى : « مِن ورائهم » أخرج الضمير مُخرَج الغيبة على لفظ الألف واللام ، لأنّ معنى الحافظو عورة : نحن الذين يحفظون ، كما تقول أنا الذى قام ، فتخرج الضمير مخرج الغيبة ، وإن كنت

تعني نفسك ، لأن معناه أنا الرجل الذي قام . وقد يقولون أنا الذي قمت . فعلى هذا رواية من روى : « من ورائنا » . انتهى .

وقال ابن خلف : قوله من ورائنا أي من غيبنا ، فكنى بوراء عن ذلك فامتدح بحفظهم عورةَ قومهم بظهر الغيب ، وأمنِهم من ناحيتهم كلّ نقص وعيب . ويجوز أن يعني من وراء حفظنا إيّاهم وذبِّنا عن حِمَاهم ، فحذف المضاف الذي هو حفظ ، وأقام المضاف إليه مُقامه . ومن روى : « من ورائهم » فالمعنى فيه أوضح ، وحمل الضمير على العشيرة أرجح .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لعَمرو بن امرئ القيس الخزرجي ، وهي هذه[1]:

قصيدة الشاهد (يا مالِ ، والسيِّدُ المعمَّمُ قد ... يَطرأُ في بعض رأيه السَّرَفُ[2]

خالفت في الرأي كلَّ ذي فَخَرٍ ... والحقُّ يامالِ غيرُ ما تَصِفُ[3]

يامال ، والحقُّ إنْ قَنَعْتَ به ... فالحقُّ فيه لأمرنا نَصَفُ

١٩٠ لا ترفعِ العَبْدَ فوقَ سنَّتِهِ ... والحقُّ نُوفي به ونَعترفُ

إنَّ بُجَيراً مولًى لقومكُمُ ... يامال ، والحقُّ عندَه فقِفوا

أُوتيتَ فيه الوفاء معترِفا ... بالحقِّ فيه فلا تكن تَكِفُ[4]

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما ... عندك راضٍ والرأيُ مختلف

(١) انظر جمهرة القرشي ١٢٧ وديوان حسان ٢٨٠ حيث نسبت القصيدة فيهما الى عمرو بن امرىء القيس ، وبعض أبياتها في اللسان (فجر) .

(٢) في الجمهرة والديوان : « يبطره بعض رأيه السرف » .

(٣) في ديوان حسان : « كل ذي فجر » ، وكذا في اللسان (فجر) وفسر الفجر بالجود الواسع والكرم ، من التفجر في الخير .

(٤) الجمهرة : « بالحق فيه لكم فلا تكفوا » .

نحنُ المَكِيثُونَ حيثُ نُحْمَدُ بالـ ـمُكث ، ونحن المَصالتُ الأُنف
والحافظو عورة العشيرةِ لا يأتيهمُ مِن ورائنا وَكَفُ
واللهِ ، لاتزدهى كتيبتَنا أُسْدُ عرين مَقيلُها الغُرُف
إذا مشينا فى الفارِسينَ كما تمشى جمالٌ مَصاعبٌ قُطُف(١)
نَمشى إلى الموت ، من حفائظنا مشياً ذَريعاً وحكمُنا نَصَفُ
إنَّ سُمَيراً أبت عشيرتُه أن يعرفوا فوقَ مابه نَصَفُ(٢)
أو تُصدِرَ الخيلُ وهى جافلةٌ تحت هواها جَماجمٌ خُفُف(٣)
أو تجرَعوا الغيظَ مابدا لكمُ فهارِشُوا الحربَ حين تنصرفُ
إنى لأُنْمَى إذا انتميتُ إلى عزٍّ منيعٍ وقومُنا شُرُف(٤)
بيضٌ جِعادٌ كأنَّ أعينَهم يَكحَلُها فى الملاحم السُّدَفُ

قوله : يامال ، هو منادى مرخّم مالك بن العَجْلان . والعمامة عند العرب لايلبسها إلا الأشراف ، والعمائم تيجان العرب . وطرأ الشىء يطرَأ طرَآناً مهموز : أى حصل بَغتة . والسَّرَف ، بفتحتين : اسم الاسراف ، وهو مصدر أسرف إسرافاً إذا جاوز القصد .

والفَخَر بفتحتين : لغة فى الفخْر بسكون الخاء ، وهو الافتخار وعَدُّ القديم. والنَّصَف : العدل والاستقامة. والسُّنَّة: الطريقة . وبُجير بضم الموحدة وفتح الجيم .

(١) الجمهرة : « فى الفارسى » ، وفسره بقوله : « الفارسى : الدرع » .

(٢) الجمهرة والديوان : « فوق ما به نطفوا » . والنطف : التلطخ بالعيب .

(٣) الجمهرة والديوان : « تحت صواها » . والصوى : الأعلام ، وشبه بها الفرسان فوق الخيل . وبذلك حورها الشنقيطى فى نسخته .

(٤) الجمهرة : « غر كرام وقومنا شرف » .

وتَـكِفُ : مضارعُ وَكِف وكَفًا من باب فرح : إذا جارَ وَعدلعن الحقّ .

وقوله : « نحن بما عندنا الخ » هذا من شواهد النحاة والمعانيّين ، حذف فيه خبر نحن ، أى راضون ، بدلالة خبر المبتـدأ الثانى ، وهو أنت راض بما عندك .

وقوله : « نحنُ المَكِينون » جمع مَكيث فَعيل من المُكْث وهو الانتظار واللَّبث[1] ، أراد به هنا الصَّبر والرزانة ؛ يقـال رجلٌ مَكيث ، أى رزين . والمَكْث بالفتح المصدر ، وبالضمّ والكسر الاسم . والمَصالِتُ : جمع مِصْلت بكسر الميم ، وهو الماضى فى الأمور لا يهاب شيئاً . وأُنُف بضمّتين : جمع آنِف كضارب ، مِن الأَنَفَة وهى الحَمِيَّة .

وقوله : « والحافظو عورة الخ » . هو معطوف على المصالت ، أى نحن نحفظ عشيرتنا من أن يصيبهم ما يُعابون به .

وقوله : « لا تزدهى كتيبتنا الخ » تزدهى : تستخفّ . والكتيبة من الجيوش : ما جُمِع فلم ينتشر . وهو مفعول والفـاعل أُسْدٌ . والعَرِين ، بفتح العين وكسر الراء المهملتين : الغابة والأَجَمَة ، وهى مسكن الأُسـد وأضاف الأُسد إليها لأنّها أشدّ ما تكون وهى فى الغابة ، ولا يقدر أحد أن يهجُم عليها . والغُرُف بضمّتين : جمـع غَريف بالغين المعجمة ، وهى الغابة والأجمة أيضاً .

وقوله : « إذا مشينا فى الفارسينَ » أى بينهم . والمصاعب ، بفتح الميم : جمع مُصعَب بضمها وفتح ثالثِة ، هو الفحل الشديد ؛ يقال أصعبتُ الجملَ فهو مُصعَب إذا تركته فلم تركبْه . وقُطُف بضمّتين : جمع قَطوف ١٩١

(١) ط : « اللبس » ، صوابه فى ش .

بفتح القاف : البطء ، يقـال قَطَفت الدابةُ من باب قتل، إذا مشَت مع تقارُب الخطو .

وقوله : مِن حفائظنا : جمع حَفيظة ، وهى الحَمِيّة والغضب . والذَّرِيع ، بالذال المعجمة : السريع .

وقوله : أو تصدر الخيل الخ ، أو هنا بمعنى إلى . وخُفُفٌ بضمّتين : جمع خَفيف .

والهِرَاش : مصدر هارش ، وهو التحريش وتحريك الفتنة .

وقوله : « إنِّى لأُنْمى إذا أنتميتُ » الأوّل بالبناء للمجهول يقال نميت الرجلَ إلى أبيه نَمْياً : إذا نسبتَه إليه ؛ وانتمى هو : انتسب . وشُرُف ، بضمّتين : أى أشراف .

وقوله : « بيض جعاد الخ » البِيض ، قال ابن السيد (فى شرح سِقط الزَّند) : العرب تمدح السادة بالبياض من اللون ، وإنما يريدون النقاء من العيوب ؛ ورُبمَّا أرادوا به طلاقة الوجه ؛ لأنّ العرب تجعل العُبوس سواداً فى الوجه ، قال تعالى : ﴿ وإذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا[1] ﴾ . والجِعاد : جمع جَعد بفتح الجيم وسكون العين المهملة ، وهو الكريم من الرجال . والملاحم : جمع مَلحَمَة بالفتح : القِتال . والسَّدَف ، بفتح السين والدال ، هى الظُّلمة فى لغـة نجد ، والضوء فى لغة غيرهم ؛ يقول : سوادُ أعينهم فى الملاحم باقٍ ، لأنّهم أنجادٌ لا تبرق أعينُهُم من الفزَع فيغيب سوادُها .

(١) الآية ٥٨ من النحل .

عمرو بن امرئ القيس

وعمرو بن امرئ القيس خزرجى جاهلى ، وهو جدّ عبدِ الله بن رَواحة .

قصة الشاهد

وكان السبب فى القصيدة : أنّه كان لمالك بن العَجْلان مولى يقال له بُجَيْر ، جَلس مع نفَر من الأوس من بنى عمرو بن عوف ، فتفاخروا ، فذَكر بجيرٌ مالكَ بنَ العَجلان ففضَّله على قومه ، وكان سيِّد الحيَّينِ فى زمانه : الأوسِ والخزرج ، فغضب جماعةٌ من كلام بُجير وعدا عليه رجلٌ من الأوس يقال له سُمَير بن زيد بن مالك، أحد بنى عمرو بن عوف فقتله ، فبعث مالكٌ إلى بنى عمرو بن عوف : أنِ ابعَثوا إلىّ بِسُمَير حتَّى أقتله بمولاى ، وإلاّ جرَّ ذلك الحربَ بيننا . فبعثوا إليه : إنّا نعطيك الرضا فخذْ منا عَقْلَه . فقال : لا آخذ إلاّ ديةَ الصريح — وهى عَشْرٌ من الإبل : ضعف دِيَةِ المولى ، وهى خمس — فقالوا : إنّ هذا منك استذلالٌ لنا وبغىٌ علينا ! فأبى مالكٌ إلاّ أخذَ دية الصَّريح ، فوقعت الحرب بينهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى نال بعضُ القوم من بعض . ثمّ إنّ رجلاً من الأوس نادى : يا مالك ، نشدْتُكَ اللهَ والرَّحِمَ أن تجعل بيننا حَكَماً من قومك ! فارعوى مالكٌ وحكَّموا عمرو بنَ امرئ القيس صاحبَ القصيدة التى ذكرناها ، فقضى لمالك بن العَجلان بدية المولى ، فأبى مالك وآذَنَ بالحرب ، فخذلته بنو الحارث لردّه قضاء عمرو ، وأنشد يقول[1] :

إنّ سُمَيراً أرى عشيرتَه قد حَدِبُوا دونه وقد أنِفُوا[2]
إنْ يكنِ الظنُّ صادِقى ببنى النجّار لا يطعَموا الذى عُلِفوا
لا يُسلِمونا لمعشر أبداً ما دام منّا ببطنها شرف[3]

(١) انظر جمهرة القرشى ١٢٢ والأغانى ٢ : ١٦٢ .

(٢) فى اللسان (سمر ٤٥) : « وقد أبقوا » ، وما هنا صوابه.

(٣) وكذا فى الأغانى . وفى الجمهرة : « لن يسلمونا » ، وهو الوجه . وفى الجمهرة أيضا : « ما كان منهم ببطنها شرف » .

لـكنْ مواليَّ قد بدا لهمُ   رأيٌ سوى ما لدىَّ أو ضعفُوا
بين بني جَحْجَبي وبين بني   زيدٍ فأنَّى لجاريَ التَّلَفُ
يمشون بالبيض والدُّروع كما   تمشي جِمالٌ مصاعبٌ قُطُف
١٩٢ كما تَمشَّى الأسُودُ في رَهج الـ   ـموت إليـهِ وكلُّهم لَهِفُ(١)

وقال بعده عمرو بن امرئ القيس قصيدته التي شرحناها.

وقال درهم بن زيد أخو سُمَيْر :

يا قومِ لا تقتُلوا سُمَيراً فإنَّ القتلَ فيـه البَوارُ والأسَفُ(٢)
لا تقتُلوه تُرِنَّ نسوتُكم   على كريمٍ ويفزَعِ السلفُ(٣)

إلى أن قال :

يا مالِ ، والحقُّ إنْ قنَعت به   فينا وفيَّ لأمرنا نَصَفُ(٤)
إنَّ بُجيراً عبدٌ ، فخُذْ ثمنًا   والحقُّ نُوفي به ونعترف
ثم اعلمنْ إن أردتَ ظلم بني   زيد فإنَّا ومن له الحلف
لنُصْبِحَنْ دارَكُمْ بذي لَجَب   يكون له من أمامه عزف(٥)
البَيضُ حصن لهم إذا فَزِعوا   وسابغاتٌ كأنها النُطَفُ(٦)

---

(١) وكذا في الأغاني . وهذا البيت وسابقه هما بيت واحد في الجمهرة :
يمشون مشي الأسـود في رهج الـ   ـموت اليـه وكلهـم لهف
(٢) في النسختين : « ان القتل » صوابه من الأغاني ٢ : ١٦٢ .
(٣) الأغاني : « ان تقتلوه » .
(٤) الأغاني : « فيه وفينا » .
(٥) كذا في النسختين ، ماعدا القافية ، فهي في ط : « غرف » ، وفي ش : « عزف » . . ورواية ش توافق الأغاني الا أولها فهي في الأغاني : « لأصبحن » . وفي الأغاني أيضا : « جون له من أمامه » .
(٦) النطف ، بضم ففتح : جمع نطفة ، وهي الماء الصـافي قل أو كثر .

والبِيضُ قد فُلّت مَضارِبُها ‏ بها نُفوس الكُماة تُختطَفُ
كأنّها فى الأكُفّ إذْ لَمَعَت ‏ وَميضُ برقٍ يبدو وينكشفُ

وقال قيس بن الخطيم من قصيدةٍ يجيبه (ولم يحضر الوقعة ولا كان فى عصرها[1]) :

أبلغ بنى جحجبى وقومَهمُ ‏ خَطْمَةَ أنّا وراءهم أُنُف
وأنّنا دون مايسومهم ال ‏ أعداءُ مِن ضَيم خُطّة نُكُف
نَفْلى بحدّ الصَّفيح هامَهُمُ ‏ وفليُنا هامَهم بها عُنُفُ[2]

وبعد هذا ستة أبيات . فردّ عليه حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا من تلك القصيدة :

دع ذَا وعَدِّ القَريض فى نفرٍ ‏ يَرْجُون مَدحِى ،ومدحِيَ الشَّرفُ
إن تدعُ قومى فى المجد تلقَهمُ ‏ أهلَ فَعَالٍ يبدو إذا وُصفوا
إنَّ سُمَيراً عبدٌ طغى سَفَهًا ‏ ساعدَهُ أعْبُدٌ لهم نُطَفُ[3]

ثم إنهم تهيئوا للحرب وتقاتلوا قتالاً شديداً ، ومَشَت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين سنة فى أمر سُمير . فلما طالت الحربُ وكادت العرب يأكل بعضها بعضا ، أرسلوا إلى مالكٍ أن يحكّموا بينهم ثابتَ بنَ المنذر أبا حسّان ، فأجابهم إلى ذلك ، فأتوه وقالوا: قد حكّمناك بيننا . قال : لا حاجة لى فى ذلك .

---

(١) الأغانى ١٠ : ١٦٣ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٧ وديوان قيس ٥٣ .

(٢) فى الديوان : « بنا عنف » وفى الأغانى « بها جنف » .

(٣) النطف هنا بمعنى الأقراط ، الواحد نطفة بالتحريك وكهمزة . وكان العبد منهم يقرَّط ، وكذا ساقى الشراب ، ويبدو أن تلك نحلة فارسية . وقد ذكر الأعشى تقريط الساقى فى قوله :
يسعى بها ذو زجاجات له نطف ‏ مقلص أسفل السربال معتمل

قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردُّوا حكمى كما رددتم حكم عَمرو بن امرئ القيس . فأعطوه عهودهم : أن لا يردّون ما حكَم به[1] ، فحكم أن يُودَى حليفُ مالك دِيَةَ الصَّريح ، ثم تكون السُّنَّةُ فيهم على ما كانت به : الصَّريح على ديته ، والحليف على ديته ؛ وأن يعدُّوا القتلى التى أصابت بعضُهم من بعض[2] ، فيقابَلَ البعضُ بالبعض ، ثم تعطَى الديةُ لمن كان له فضلٌ فى القتلى من الفريقين . فرضُوا بذلك ففَضَلَت الأوسُ على الخزرج بثلاثة نفر ، فوَدَتْهم الأوس واصطلحوا . . وقيل : الخمسة المكْمِلة لدية الصريح أعطاها ثابتُ من عنده حين أبت عليه الأوس أن تؤدِّىَ أكثر من خمس ، وأبى مالك

١٩٣ أن يقبل أقلّ من عشر ؛ إطفاء لنائرتهم ، ولَمًّا لشَعْثهم .

وقول مالك : « بين بنى جَحْجَبي الخ » بحاء ساكنة بين جيمين مفتوحتين : حىٌّ من الأوس ، وكذلك بنو بدر . والاستفهام للإنكار .

وقول قيس بن الخطيم : « أبلغ بنى جَحجَبى وقومَهُم » إلى آخره ، خَطْمة بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء وبعدها ميم ، هو عبد الله بن جُشَم ابن مالك بن الأوس ؛ قيل له لأنَّه ضرب رجلاً بسيفه على خَطْمه أى أنفه ، فسمِّى خطمة . وجَحجَبَى وخَطْمَةُ : حيّانِ لقبيلةِ قيس بن الخَطيم ، لأنّه أوسىّ . والسَّوم : التكليف . والخُطّة بالضمّ : الشأن والأمر العظيم . ونُكُف ، بضمّتين : جمع ناكف ، مِن نَكَفت من كذا ، أى استنكفته وأنِفت منه .

وعُرِف من إيرادنا لهذه القصائد ما وقع من التخليط بين هذه القصائد ،

(١) أن هنا تفسيرية ، ونون « يردون » ثابتة فى ط ، وقد أزالها الشنقيطى فى نسخته .

(٢) فى الأغانى : « الذين أصاب بعضهم من بعض » .

كما فعل ابن السّيد واللّخمى (فى شرح أبيات الجمل) ، وتبعهما العينىُّ والعباسىّ (فى شرح أبيات التلخيص) فإنّهم جعلوا ما نقلنا من شعر قيس ابن الخطيم مطلعَ القصيدة ، ثم أوردُوا فيها البيت الشاهد وهو : « الحافظو عورة العشيرة » والشاهد الثانى وهو : «نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راضٍ » ، والحال أنّ هذين البيتين من قصيدة عمرو بن امرئ القيس .

ثم إختلف الناسُ فى نسبة البيت الشاهد أعنى : «الحافظو عورة العشيرة» فنسبه التبريزىّ (فى شرح إصلاح المنطق) ، والَجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) وابن برّىّ (فى حواشى صحاح الجوهرى) إلى عمرو بن امرئ القيس ، كما نسبناه نحن . ونسبه ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) لُشريح بن عمران[1] من بنى قُريظة ، قال : ويقال إنّه لمالك بن العَجْلان الخزرجىّ . ونسبه ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل ، وفى شرح أبيات أدب الكاتب) ، وابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) ، وعلى بن حمزة (فى أغلاط الرواة) ، والعباسىُّ (فى شرح أبيات التلخيص) لقيس بن الخطيم . والعجب من العينى أنه نقل عن اللخمى أنّه لعمرو بن امرئ القيس . والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد المائتين . وهو من شواهد س[2] :

(١) هذا ما فى ش . وفى ط : « عمرو » .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٣ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٧٢ ، ٧٤ والشذور ٤٣٦ والعينى ٤ : ١٢١ والتصريح ٢ : ٣٣ والهمع ٢ : ٢٢٢ والأشمونى ٣ : ٨٧ .

٢٩٩ (أنا ابنُ التاركِ البَكْرِيِّ بِشْراً)

هذا صدرٌ وعجزه :

(عليه الطيرُ تَرْقُبُهُ وُقُوعا)

على أنه عند المبرّد لا يتبع مجرور ذى اللام إلاّ ما يمكن وقوعه موقعَ متبوعه : فبشر عنده منصوب لاغير للحمل على محلّ البكرىّ .

أنشده سيبويه بجرّ (بشر) على أنّه بدل أو عطف بيان للفظ البكرىّ وإن لم يكن فى بشر الألفُ واللام . وجاز ذلك عنده لبعده عن الاسم المضاف، ولأنّه تابع والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى المتبوع .

وغلّطه المبرد وقال : الرواية بنصب بشر . واحتجّ بأنّه إنما جاز أنا ابن التارك البكرىّ ، تشبيهاً بالضارب الرجل ، فلما جئتَ ببشر وجعلته بدلاً صار مثل أنا الضارب زيداً ، الذى لا يجوز فيه إلاّ النصب .

قال الزجّاج : الذى ذهب إليه سيبويه أن بشراً عطف البيان الذى يقوم مقام الصفة ، يجوز فيها مالا يجوز فى الموصوف : تقول يا زيد الظريف ، ولا يجوز يا الظريف ، وكذا أقول الضارب الرجل زيدٍ ولا أقول الضارب زيد .

قال النحاس : وقد قال المبرّد (فى الكتاب الذى سماه الشرح) : القول
١٩٤ فى ذلك أنّ قوله : « أنا ابن التارك البكرى بشرٍ » عطف بيان ، ولا يكون بدلا لأنّ عطف البيان يجرى مجرى النعت سواء ، ألا ترى بيان ذلك فى باب النداء تقول ياهذا زيدٌ ، وإن شئت [زيداً[1]] على عطف البيان فيهما . وإن أردت البدل قلت زيدُ . فهذا واضح جدّا ، لأنك أزلت هذا وجعلت

(١) التكملة من ش .

زيداً مكانه منادى . انتهى . وهذا من المبرد رجوع إلى رواية سيبويه وإن كان خالفه فى شىء آخر .

وقد أورده شُرّاح ألفيَّة ابن مالك بجرّ بشر على أنه عطف بيان للبكرى لا بدل ؛ لأنه فى حكم تنحية المبدل منه وحلوله محلّه .

و (التارك) إن كان من التَّرك الذى بمعنى الجعل والتصيير فهو متعدٍّ لمفعولين: الأول قد وقع مضافاً إليه ، والثانى هو جملة عليه الطير من المبتدإ والخبر . وإن كان من الترك الذى بمعنى التخلية فهو متعدٍّ لمفعول واحد وهو المضاف إليه ، فيكون الظرف أعنى عليه حالا من البكرى ، والطير فاعل الظرف أو الطير مبتدأ ، وعليه الخبر ، والجملة حال منه ، وجملة ترقبه حال من الطير .

وأعربه الشارح فى عطف البيان فقال : عليه الطير ثانى مفعولى التارك إن جعلناه بمعنى المصيِّر ، وإلاَّ فهو حال . وقوله : ترقبه ، حال من الطير إن كان فاعلا لعليه ، وإن كان مبتدأ فهو حال من الضمير المستكنّ فى عليه . انتهى .

ومعنى (ترقُبه) أى تنتظر ازهاق روحه ، لأن الطير لا يقع على القتيل وبه رَمَق ، ففيه حذف مضاف . وقوله : (وقوعا) فيه أعاريب : أجودها أنه مفعول له ، أى تنتظر ازهاق روحه للوقوع عليه . وقال الأعلم وتبعه ابن خلف إنه حال من الضمير فى ترقبه . ولو رفع على الخبر لجاز . وقوعٌ عنده جمع واقع وهو ضدّ الطائر . وهذه الحاليَّة لا تصحّ من جهة المعنى ، لأنّه لا معنى للانتظار بعد الوقوع على الميت . ولو جعله حالاً من الطير كما قاله بعضهم لكان صحيحاً وكان حينئذ فيه بيانٌ لقوله عليه الطير . وقال ابن يَعيش : وقوعا جمع واقع ، وهو حال إمّا من الضمير المستكنّ فى عليه ، وإمّا من المضمر المرفوع فى ترقبه . وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : ويجوز أن يكون مصدراً فى موضع

الحال . ولم يعيِّنْ صاحبَ الحال . وقال بعض فضلاء العجم (فى إعراب أبيات المفصل) : ولا يبعد أن يجعل وقوعاً مصدراً ويكون منصوبا على البدل من الضمير الراجع إلى بِشْر فى ترقُبُه ، لأنّه فى معنى وقوعاً عليه ، فيتخصّص نوع اختصاص ويكون من باب بدل الاشتمال . هذا كلامه ، وهو جيّد ، إلاّ أنّ فيه حذف الضمير . وقال العينىّ : قوله : الطير ، مبتدأ والجملة أعنى قوله ترقبه خبره ، وقد وقعت حالا عن البكرى . وقوله عليه يتعلق بقوله وقوعا . ولا يخفى مافى تعبيره من الاختلال ، وكأنّه لم يبلغه منع تقدُّم معمول المصدر مع هذا الفصل الكثير .

صاحب الشاهد وهذا البيت للمرَّار بن سعيد الفَقْعَسىّ . وبعده :

أبيات الشاهد (عَلَاهُ بضَربةٍ بعثَتْ بليلٍ نَوائحَهَ وأرْخَصتِ البُضوعا

وقاد الخيلَ عائدةً لِكَلْبٍ ترى لوجيفها رَهَجا سريعا

عجِبْتُ لقائلينَ صهٍ لقوم عُلاهُمْ يفْرَعُ الشرفَ الرفيعا)

بعثَتْ أى نبهت من النوم ، يقال بعثه أى أهَبَّه أى أيقظه . والنوائح :

١٩٥ جمع نائحة ، من ناحت المرأة على الميت نَوحا ، إذا بكتَ عليه مع صراخ . والبُضوع إما جمع بَضْعة بفتح الموحّدة وسكون الضاد المعجمة ، وهى القطعة من اللحم ، وإمّا جمع بُضْع بضمّ فسكون ، يطلق على الفرج والجماع . وروى بدله (البَضيعا) بفتح فكسر ، وهى اللحم . والوَجيف بالجيم : مصدر وجَف الفرس إذا عدا ، وأوجفته إذا أعديته ، وهو العَنق فى السير بفتحتين . والرَّهَج : الغبار وصَهٍ أى اسكت سكوتاً ما . ويَفْرَع بالفاء والعين المهملة بمعنى يعلو ، يقال فرعت الجبل إذا صعِدته . قال ابن السيرافى (فى شرح شواهد س) : بشر فى قوله : أنا ابن التاركِ البكرىّ بشر ، هو بشر بن عمرو بن مَرْثَد ؛

وقتله رجلٌ من بنى أسد ، ففخَرَ المرّارُ بقتله . وبشر هومن بنى بكر بن وائل . وأرخصت البضوعا ، أى أرخصت الضربةُ اللحم على الطير . والبُضوع : جمع بَضعة ، ويروى (البَضيعا) ، وهو اللَّحم . وزعم بعض الرواة أنه يريد بالبضوع بُضوعَ نسائه أى نِـكاحَهنَّ ، يقول : لما قتلوه سبَوا نساءه فنـكحوهنّ بلامهر . والبضوع : النـكاح . والتفسير الأوّل أعجب إلىّ .

قال أبو محمد الأعرابىّ الأسود (فى فرحة الأديب) وقد تقدّمت ترجمته فى أوّل الـكتاب[1] : ما أكثر ما يرجّح ابن السيرافى الردىء على الجيد ؛ وذلك أنه مال إلى القول بأن البُضوع هنا اللَّحم ، ولعمرى أنّها لو كانت لحوم المِعزَى والإبل لجاز أن يقع عليها الرُّخص والغَلاء . والصواب لمّاقتلوه عرَضوا نساءه للسِّباء لأنه لم يبق لهن مَن يحميهنّ ويذود عنهنّ . ثم إنه لم يذكر قاتل بشر مِن أىّ قبائل بنى أسد ؟ وإذا لم يعرف حقيقة هذا لم يدر لأىّ شئ افتخر المرّار بذلك . وقاتله سبع بن الحسحاس الفَقعَسىّ ، ورئيس الجيش جيشِ بنى أسد ذلك اليوم خالدُ بنُ نضْلة الفقعسىّ ، وهذا جدّ المرّار بن سعيد بن حبيب ابن خالد بن نَضْلة . انتهى .

ومن العجائب قول العينى : أراد ببشر بشر بنَ عمرو وكان قد جُرح ولم يُعلَم جارحُه ، يقول : أنا ابن الذى ترك بشراً بحيث تنتظر الطيور أن تقع عليه إذا مات . هذا كلامه ، وليت شعرى كيف يفتخر الشاعر بقتيل جُهِل قاتله ! فإن قلت : فعلى قول الأسود الأعرابىّ قاتله سبع بن الحسحاس ، كيف افتخر المرَّار به مع أنه ليس بأب من آبائه ولا ممن ينتسب إليه ؟ قلت : افتخاره بجده خالد بن نَضْلة فإنه كان أميرَ الجيش ، وسبعُ المذكورُ كان من أفراد عسكره ومأموراً له ، والفعل لسبع والاسم لخالد .

(١) الخزانة ١ : ٤٤ .

يوم قلاب

قال أبو محمد الأعرابى : وكان من حديث هذا اليوم وهو يوم قُلَاب : أنّ حَيًّا من بنى الحارث بن ثعلبة بن دُودان غزَوا وَعليهم خالدٌ جد المرّار المذكور فاعترض بشر بن عمرو لآثارهم ، فلما وصل إليهم قال : عليكم القومَ . قال ابنه : إنّ فى بنى الحارث بن ثعلبة بنى فقعس ، وإن تُلْقَهم تلقَ القتال . فقال: اسكتْ فإنَّ وجهك شبيهٌ بوجه أمك عند البِناء[1] ! فلما التقوا هُزم جيش بشر فاتَّبعه الخيل[2] حتى توالى فى إثره ثلاثةُ فوارس ، فكان أوّلهم سبع بن الحسحاس ، وأوسطهم عُميلة بن المقتبس الوالبي ، وآخرهم خالد بن نَضْلة ، فأدركَتْ نَبْلُ الوالبيّ فرسَ بشر بن عمرو برمية عقَرته ، ولحقه سبعٌ فاعتنقه ، وجاء خالد وقال : ياسبع ، لاتقتله فإنّا لانطلبه بدم ، وعنده مال كثير . وأتتهم الخيل ، فكلما مرّ به رجلٌ أمره بقتله فيزجرُه عنه خالد . ثمّ إنّ رجلا همَّ أن

١٩٦ يوجّه السنان ، فنَشَزَ خالدٌ على ركبتيه وقال : اجتنِبْ أسيرى ! فغضب سبع أن يدّعيَه خالد ، فدَفَع سبعٌ فى نَحْر بشر فوقع مستلقياً ، فأخذ برجله ثم أتبع السيفَ فُرَجَ الدرع حتى خاض به كبدَه ، فقال بشر : أجيروا سراويلى فانى لم أستعِنْ[3] . وعمد إلى فرسه فاقتاده . انتهى .

المرار بن سعيد

والمرّار بفتح الميم وتشديد الراء المهملة الأولى ، ينسب تارة إلى فقعس وهو أحد آبائه الأقربين ، وتارة إلى أسد بن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وهو جدّه الأعلى .

---

(١) أى البناء عليها ، وهى ليلة زفافها .

(٢) فى نسخة البغدادى من فرحة الأديب : فاتبعته الخيل » .

(٣) ط : « فانى لم أسق » ، صوابه فى ش وفرحة الأديب . وفى اللسان (عين ١٧٤) : « أجر لى سراويلى فانى لم أستعن » . استعان الرجل : حلق عانته .

وهذه نسبته (من المؤتلف والمختلِف للآمدي[١]) : المرّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلَة بن الأشتَر بن جَحْوان (بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة) ابن فقْعَس بن طَرِيف ، الشاعرُ المشهور .

ثمّ ذكر بعد هذا خمسة من الشعراء ، مَنْ يقال لهم المرّار .

والمرّار بن سعيد من شعراء الدولة الأموية ، وقد أدرك الدولة العباسية .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : كان المرّار بن سعيد الأسدى يهاجى المُساورَ بنَ هِنْد ، وكان مُفرِط القِصَر ضئيلا .

تتمة

هذا المعنى أعنى تتبُّعَ الطير للجيش الغازى للأعداء حتَّى تتناولَ من القتلى متداوَلٌ بين الشعراء قديماً وحديثا ، وأوّل من جاء به الأفوَهُ الأوْدِيُّ فى قوله :

وترى الطيرَ على آثارنا رأىَ عينٍ ، ثقةً أن ستُمارُ[٢]

أى تأخذ المِيرَة من لحوم القتلى . وأخذه النابغة الذبيانىُّ فقال :

إذَا ما غزا بالجيش حَلَّق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانحُ قد أيقنَّ أنّ قبيلهُ إذا ما التقى الجيشان أولُ غالبِ

لهنّ عليهم عادةٌ قد عرَفْنها إذا عُرِضَ الخطىُّ فوق الكواثِب[٣]

(١) المؤتلف والمختلف ١٧٦ .

(٢) ديوان الأفوه ١٠ نسخة الشنقيطى و ١٣ من الطرائف الأدبية .

(٣) ط : « الخطبى » ، صوابه فى ش وديوان النابغة .

والكائبة من الفرس : حيثُ تقع عليه يدُ الفارس . وأخذه الحطيئة فقال :

ترى عافياتِ الطير قد وثقت لها بشبع من السَّخل العِتاق منازله[1]

وأخذه مسلم بن الوليد فقال :

قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثِقْنَ بها فهنَّ يتبعْنَه فى كلِّ مرتَحَلِ

ثم تبعه أبو نواس وإنْ كان فى عصره :

تتأيَّا الطيرُ غدوَتَهُ ثِقةً بالشِّبْع من جَزَرِه

ثم أخذه أبو تمّام فقال :

وقد ظُلِّلت عقبانُ راياتِهِ ضُحًى بعِقْبان طير فى الدِّماء نواهلِ
أقامت مع الرايات حتَّى كأنَّها منَ الجيش إلاّ أنّها لم تقاتِلِ

وكلُّهم قصَّر عن النابغة ، لأنهَ زاد فى المعنى فأحسنَ التركيبَ ، ودلَّ على أنّ الطير إنَّما أكلَت أعداء الممدوح . وكلامُهم محتَمِل وإن كان أبو تمام قد زاد فى المعنى . على أنّ الطير إذا شبعت ما تسأل : أيُّ القبيلين الغالب ؟
وقد أحسن المتنبِّي فى قوله :

١٩٧ له عَسْكرَا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى بها عسكراً لم تَبْقَ إلاّ جماجمُه

وقال أبو عامر :

وتدرى كُماةُ الطير أنّ كُماتَهُ إذا لَقيتْ صيدَ الكُماةِ سِباعُ

---

(١) ط : « قد رتقت لها بسبع » ، صوابه فى ش والديوان ٣٨ .

تَطير جياعاً فوقه وتردُّها ظُباهُ إلى الأوكار وهى شِباعُ(١)

وقد أخذ هذا المعنى مَروان بن أبى الجَنوب، فقال يمدح المعتصم:

لا تَشبَعُ الطيرُ إلاّ فى وقائعه فأينما سارَ سارتْ خلفه زُمَرا
عوارفًا أنّه فى كل مُعتَرَكٍ لا يُغمِدِ السيف حتى يُكثِرَ الجَزَرا

فأخذه بكر بن النَّطّاح فقال:

وترى السِّباعَ من الجوا رحِ فوق عسكرنا جَوانِحْ
ثِقةً بأنّا لا نزا لُ نُميرُ ساغبَها الذبائح

وأخذه ابن جَهْوَر فقال:

ترى جوارحَ طيرِ الجوِّ فوقَهمُ بين الأسنَّة والراياتِ تختفقُ

وأخذه آخر فقال:

ولستَ ترى الطيرَ الحوائمَ وُقَّعا من الأرض إلاّ حيث كان مُواقعا

ومنه قول الكُميت بن مَعروف:

وقد سترتْ أسنَّتَهُ المواضى حُدَيّا الجوِّ والرَّخَمُ السِغابُ(٢)

ومنه قول ابن قيسِ الرُّقَيّات:

والطَّيرِ إن سارَ سارت فوق موكبه عوارفًا أنه يَسطُو فَيقْرِيها(٣)

---

(١) ط: «ظباه»، صوابه ما أثبت.

(٢) فى اللسان (حدأ): «قال أبو حاتم: أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر الحديا، وهو خطأ، ويجمعونه الحدادى، وهو خطأ».

(٣) ط: «أن يسطو»، صوابه فى ش.

وأخذه عبّاسُ الخياط فقال :

يا مُطعمَ الطيرِ لحومَ العِدا فكلها تثنى على بأسِهِ

وقال ابن نباتة :

إذا حوّمت فوقَ الرماح نُسورُه أطار إليها الضربُ ما تترقّبُ

وأبدع من هذا كله قولُ المتنبي :

يُطمِعُ الطَّيرَ فيهم طولُ أكلِهمُ حتّى تكاد على أحيائهم تقعُ

وقد جاء امرؤ القيس بهذا المعنى بوجه آخر فقال :

إذا ما ركبنا قال وِلدانُ أهلنا تعالَوا إلى أن يأتنا الصيدُ نَحطِبِ

يقول : قد وثقوا بصيد هذا الفرس فهم يهيّئون لمجيء صيده الحطب .
وأخذه حُميد بن ثور الهلالىّ الصحابى فقال فى صفة الذئب :

ينام بإحدى مُقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ
إذا ما غدا يوما رأيت غيايَةً من الطير يَنظُرْنَ الذى هو صانعُ(١)

وأخذه ابن المعتز بلفظ امرئ القيس فقال :

قد وثق القوم له بما طَلَبْ فهو إذا جلّى لصيدٍ واضطرب
عَرَّوا سكاكينهُم من القُرُبْ .

* * *

(١) فى النسختين : « غيابة » ، صوابه بياءين ، كما فى ديوان حميد ١٠٦ والحيوان ٦ : ١٠٦/٧ : ٢١ .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الموفى ثلاثمائة، وهو من شواهد سيبويه(١): ١٩٨

٣٠٠ * أقامتْ على رَبْعَيهما جارتا صفًا

كُميتاَ الأعالِي جوْنَتَا مُصطلاهُما *

على أنَّ الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهرٍ مضاف إلى ضمير صاحبها.

ينبغي أن تُشرَحَ أولاً ألفاظُه اللغوية حتى يظهر ما ينبنى عليه من المسألة النحوية فنقول:

هذا البيت للشّماخ بن ضرار، وقد تقدمت ترجمة فى الشاهد الحادى صاحب الشاهد والتسعين بعد المائة (٢). وقَبل هذا بيت وهو مطلع القصيدة:

(أمِن دِمنتين عرَّس الركبُ فيهما بحَقْلِ الرُّخامَى قد أنَى لبِلاُهما

وقد أوردها معًا سيبويه (فى كتابه) وبعدهما:

وإرثُ رمادٍ كالحمامةِ مائِلٍ ونُؤيان فى مظلومتينِ كُداهما

أقاما للَيلى والرَّباب وزالتا بذات السلام قد عفا طللاهما

ففاضتْ دموعى فى الرِّداء كأنَّها عَزَالِي شَعيبيْ مُخْلِفٍ وكُلاَهما)

قوله (أمن دمنتين)، الجار متعلّق بمحذوف تقديره أتحزَن أو أتجزع من دمنتين رأيتَهما فتذكَّرتَ من كان يحلُّ بهما. والاستفهام تقريرىّ، والخطاب لنفسه. ذكر فى هذه الأبيات أنَّه رأى منازل حبائبه، وأنه لم يبق فيها غير الأثافى والرماد والنؤى. والدمنة بالكسر: الموضع الذى أثَّر فيه

(١) فى كتابه ١ : ١٠٢ . وانظر الخصائص ٢ : ٤٢٠ وابن يعيش ٦ : ٨٣، ٨٦ والعينى ٣ : ٥٨٧ والتصريح ٢ : ١٢٢ والهمع ٢ : ٩٩ والأشمونى ٣ : ١١ وديوان الشماخ ٨٦ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

الناس بنزولهم وإقامتهم فيه . والتعريس : نزول المسافرين فى آخر الليل قليلا للاستراحة ثم يرتحلون ، وروى بدله « عرَّج الركبُ ». والتعريج : أن يعطِفوا رواحلهم فى الموضع ويقفوا فيه . والرَّكْب : ركاب الإبل ، جمع راكب. والَحقل بفتح المهملة وسكون القاف : القَرَاح الصُّلب ، وهى المزرعة التى ليس عليها بناء ولا شجر . والرُّخامى بضم الراء بعدها خاء معجمة وآخره ألف مقصورة ، وهو شجر مثل الضال وهو السِّدْر البرِّىّ . وبحَقْل الرُّخامى(١) حال من الضمير فى فيهما . وأنَى بالنون فعل ماض بمعنى حانَ . والبِلَى بكسر الموحدة : الفَناء والذَّهاب بالمرَّة ، واللام زائدة أى قد حان بِلاهما . وقد روَى كثيرٌ بدلها : (قد عفا طللاهما) ، وهذا غير صواب ، لأنه يتكرَّر مع ما بعده .

وقوله : « أقامت على ربعيهما إلخ » أى بعد ارتحال أهلها . والرَّبع : الدار والمنزل . وضمير المثنَّى للدمنتين ، خلافا للسيد المرتضى (فى أماليه) فإنَّه قال : يعنى بربعيهما مَنزلَى الامرأتين اللتين ذكرهما ، مع أنه لم يقدّم ذكرهما بل أخّرهما كما رأيت . وجارتا : فاعل أقامت ، وهو مضاف . والصَّفا بفتح الصاد المهملة والفاء : الصخر الأملس ، واحده صفَاة ، وهو مضاف إليه . قال السيد المرتضى (فى أماليه(٢)) ويعنى بجارتا صَفاً ، الأُثفيَّتين ، لأنَّهما مقطوعتان من الصفَا الذى هو الصخر : ويمكن فى قوله : جارتا صَفا ، وجهٌ آخر هو أحسنُ من هذا ، وهو أنَّ الأُثفيَّتَين توضعان قريبًا من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما ، وممسكةً للقِدْر معهما ، ولهذا تقول العرب : « رماه بثالثة الأثافى » أى بالصخرة أو الجبل » . انتهى .

(١) فى النسختين : « ويجعل الرخامى » ، وبهذا صححها الشنقيطى بقلمه فى نسخته .
(٢) أمالى المرتضى ٢ : ٣٠ .

وعلى هذا الأخير اقتصر ابن السيرافى (فى شرح أبيات سيبويه)، ١٩٩
وتبعه الجماعة، قال: الصَّفا هو الجبل فى هذا الموضع، وجارتاه: صخرتان تجعلان تحت القِدر، وهما الأثفيَّتان اللتان تقرُبان من الجبل، فيقومُ الجبل مقام صخرةٍ ثالثة تكون تحت القدر. ومقتضى المعنى أنَّ فى كلٍّ من الربعين جارتا صفا[1] لا أنّ فى مجموع الربعين جارتا صفا[1].

وقوله: «كميتا الأعالى الخ» هو صفة جارتا صفا، وهو تركيب إضافىٌّ مثله، وهو مثنَّى كُميت بالتصغير من الكُمْتة، وهى الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد. وأراد بالأعالى أعالى الجارتين، قال الأعلم: يعنى أنَّ الأعالىَ من الأثفيّتين لم تسودَّ لبعدها عن مباشرة النار، فهى على لون الجبل. وكذلك قال السيد المرتضَى: شبّه أعلاهما بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه، لأنّ النَّار لم تصل إليه فتسوِّده. وقال ابن السيرافيّ، وتبعه مَن بعده: يريد أنَّ أعالىَ الأثافىّ ظهر فيها لون الكُمْتة من ارتفاع النار إليها. وقوله: جونَتَا مُصْطَلاهُما» نعتٌ ثان لقوله: جارتا صفا، وهو تركيب إضافى أيضاً. والجَونة: السَّوداء، والجَون: الأسود وهو صفة مشبَّهة، ويأتى بمعنى الأبيض أيضا، وليس بمرادٍ هنا. ومن الغريب قول النحّاس إنّ الجون هنا هو الأبيض. والمصطلى: اسم مكان الصِّلاء أى الاحتراق بالنار، فيكون المصطلى موضع إحراق النار. يريد أنَّ أسافل الأثافىّ قد اسودّت من إيقاد النار بينها. والضمير المثنَّى فى مصطلاهما، عند سيبويه، لقوله جارتا صفا، وعند المبرّد، للأعالى كما يأتى بيانهما. وزعم بعض فضلاء العجم (فى شواهد المفصّل) أنّ الكُمتة هنا السواد. وهذا غير صواب.

---

(١) هذا على الحكاية، والا فالوجه «جارتى صفا».

وقوله : « وإرث رَماد الخ » هو معطوف على فاعل أقامت . وإرثُ كلِّ شىء : أصله ، وهو بالكسر وآخره ثاء مثلّثة . والحَمامة هنا : القطاة . شبّه لون الرَّماد بريش القطاة . وماثل : منتصب . والنُّؤى ، بالضمّ : حُفَيرة تُحفَر حول الخِباء يجعل تُرابه حاجزاً لئلاّ يدخل المطر . قال شارح الديوان : والمظلومة : الأرض الغليظة التى يُحفَر فيها فى غير موضع حفر . والـكُدْية بالضمّ : الأرض الغليظة التى ظُلِمت كداها ، أى حُفر فيها فى غير موضع حفر .

وقوله : « أقاما لِلبِلَى الخ » قال شارح الديوان : أى هذان الطللان أقاما بعد أهلهما . أشار إلى أنّ اللام فى للبِلَى بمعنى بعد . وذات السّلاَم : موضع . وعفا : تغيَّر . والطّلل ، قال الأعلم : هو ما شخص من علامات الدار وأشرفَ كالأثفيَّة والوِتد ونحوهما ؛ وإن لم يكن له شخص كأثر الرماد وملاعب الغِلمان فهو رسم .

وقوله : « كأنّهـا عزالِى الخ » هو جمع عَزلاء بفتحِ مهملةٍ وسكونِ معجمة ، وهى فم القِربة ، ومصَبُّ المـاء من المزادة . والشَّعيبان : المزَادتان ، قال أبو عبيد : الشَّعيب والمزادة والراوية والسَّطيحة شىء واحد . والمُخْلِف : المستَقِى . والـكُلى : الرُّقاع التى تـكون فى المزادة ، واحدها كُلْية .

هذا . وأما محلّ الشاهد فقوله : (جَونتاَ مُصطلاهُما) فإنّه أضاف جَونتا إلى مصطلاهما . قال السيرافى : جونتا مثنّى وهو بمنزلة حسنتا ، وقد أُضيفا إلى مصطلاهما ، ومصطلاهما بمنزلة وجهما ، فكأنه قال حسنتا وجهما ، والضمير الذى فى مصطلاهما يعود إلى جارتا صفا ، ومعنى جارتا صفا الأثافىّ ، والصفا هو الجبل ، وإنّما يبنى فى أصل الجبـل فى موضعين ما يوضع عليه القدر ، ٢٠٠
ويكون الجبل هو الثالث ، فالبناء فى موضعين هما جارتا صفا . وقوله : كميتا الأعالى ، يعنى أنّ الأعالى من موضع الأثافى ، لم تسودّ لأنّ الدخان لم يصل

إليها ، فهى على لون الجبل . وجعل الأعلى من الجبل أعالى الجارتين . وجونتا مصطلاهما يعنى مسودّتا المصطلى يعنى الجارتين مسودّتا المصطلى ، وهو موضع الوَقودِ . وقد أنكر هذا على سيبويه وخرّج للبيت ما يُخرَّجُ به عن : حسَنُ وجهِه وحسنةُ وجهِها ، قال : وذلك أنّه لا خلاف بين النحويين أنَّ قولنا زيد حسنُ وجهِ الأخ جيّد بالغ ، وأنّه يجوز أن يكنى عن الأخ فنقول زيد حسن وجه الأخ جميلُ وجهِه ، فالهاء تعود إلى الأخ لا إلى زيد ، فكأنا قلنا زيد حسنُ وجهِ الأخ جميلُ وجه الأخ . قال : فعلى هذا قوله كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما ، كأنه قال جونتا مصطلى الأعالى ، فالضمير فى المصطلى يعود إلى الأعالى لا إلى الجارتين ، فيصير بمنزلة قولك الهندان حسنتا الوجوهِ مليحتا خدودِهما. فان أردت بالضمير فى خدودهما الوجوهَ كان كلاماً مستقيما ، كأنّك قلت حسنتا الوجوه مليحتا خدودِ الوجوه . فإن أردت بالضمير الهندين فالمسألة فاسدة ، فكذلك جونتا مصطلاهما إنْ أردت بالضمير الأعالى فهو صحيح ، وإن أردت بالضمير الجارتين فهو ردىء ، لأنّه مثل قولك هند حسنة وجهِها .

قال : فإن قال قائل : فإذا كان الضمير فى مصطلاهما يعود إلى الأعالى فلم يثنّى والأعالى جمع ؟ قيل له : الأعالى فى معنى الأعلين ، فردّ الضمير إلى الأصل . ومثله :

متى ماتلقَنى فردين ترجُف رَوانِف أليَتَيكَ وتُستَطارا[1]

فردّ تستطار إلى رانفتين ، لأن روانف فى معنى رانفتين . وعلى هذا يجوز

---

(١) البيت لعنترة ، وهو من شواهد الخزانة وهو الشاهد ٥٦٩ . الخزانة ٣ : ٣٥٩ بولاق .

أن تقول: الهندان حسنتا الوجوه جميلتا خدودهن ، لأنَّ الوجوه فى معنى الوجهين ، فكأنك قلت : جميلتا خدود الوجهين . قال أبو بكر بن ناهض القرطبيّ : هذا التأويل حسن فى إعادة الضمير الذى فى مصطلاها إلى الأعالى، لولا مايدخل البيتين [من(١)] فساد المعنى، وذلك أنك إذا قلت كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما ، إنَّ معناه اسودّت الجارتان واصطلى أعاليهما ؛ كما أن معنى قولك الهندان حسنتا الوجوه مليحتا خدودها ، إنّما المعنى حسنت وجوهُهما ومَلُحت خدودها ، فكذلك يجب أن يكون مصطلاهما إذا أعيد الضمير إلى الأعالى أن يكون قد اصطلت الأعالى ، وإذا اصطلت الاعالى فقد اسودّت ، وهو يخبر أنّهما لم يسودّا لأنّهما لم يصل الدُّخَان إليهما ؛ والدليل على ذلك أنّه وصف الأعالى بالكُمْته ولم يصفها بالسَّواد كما وصف الجارتين ، فلايشبه هذا قولك الهندان حسنتا الوجه مليحتا خدودها ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من هذين الضميرين قد ارتفع بفعله ، وكذلك يجب أن يرفع ضمير الأعالى بفعله ، فيكون على هذا الأعالى قد اصطلت بالنّار ، وهذا خلاف ما أراد الشاعر ،
٢٠١ لأنه ذكر أنه لم يصطل منها غيرُ الجارتين وأنَّ الأعالىَ لم يصل إليها الدخان . فهذا خلاف ما نظره النحويون وقاسوه . فلا بدَّ من [الذهاب فى] معنى البيت إلى ما ذهب إليه سيبويه ، من أنّ الضمير فى مصطلاهما يعود على الجارتين . انتهى .

وقد رَدَّ ما ذهب إليه المبرّد ابنُ جنى أيضاً بوجه غير هذا ، قال فى باب الحمل على المعنى (من الخصائص) : اعلم أنَّ العرب إذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ ، كقولك شكرت من أحسنوا إلىّ على فعله . ولو قلت

---

(١) ليست فى النسختين ، وهى ضرورية فى الكلام .

شكرت من أحسنَ إلىّ على فعلهم جاز ، ولهذا ضعف عندنا أن يكون هما من مصطَلاهما فى قوله كَيتاَ الأعالى جونتا مصطلاهما ، عائداً على الأعالى فى المعنى إذا كانا فاعلين اثنين(١) ، لأنَّه موضع قد ترك فيه لفظ التثنية حملاً على المعنى لأنَّه جعل كلّ جهة منهما أعلى ، كقولهم : شابت مفارقه ، وهذا بعيرٌ ذو عثَأنينَ ، ونحو ذلك . أو لأنَّ الأعليَيْن شيئان من شيئين ، فإذا كان قد انصرف عن اللفظ إلى غيره ضعفت مُعاودته إيّاه ، لأنَّه انتكاث وتراجُع فجرى ذلك مجرى إدغام الملحق وتوكيدِ ما حذف . على أنه قد جاء منه شيء ، قال :

* رءوس كبيريهنّ ينتطحان *

وأما قوله (٢) :

كلاهما حين جدَّ الجرىُ بينهما ... قد أقلعا وكِلا أنفيهما رابِي

فليس من هذا الباب وإنْ كان قد عاد من بعد التثنية إلى الإفراد ؛ وذلك أنه لم يقل كلاهما قد أقلعا وأنفه راب فيكون ما أنكرناه ، لكنه قد أعاد كلاَ أخرى غيرَ الأولى فعاملَها على لفظها . ولم يقبح ذلك لأنَّه قد فرغ من حديث الأولى ثم استأنف من بعدها أخرى ، ولم يجعل الضميرين عائدين إلى كلا واحدةٍ . وهذا كقولك : من يقومون أكرُمهم ومن يقعدُ أضربه(٣) . ولا يحسن ﴿ وَمِنهُمْ مَنْ يَستَمِعُ إِلَيْكَ حتى إذا خرجُوا من

---

(١) وكذا فى بعض أصول الخصائص ٢ : ٤٢١ . والوجه ما فى سائر أصول الخصائص : « كانا أعليين اثنين » .

(٢) هو الفرزدق . ديوانه ٣٣ ونوادر أبى زيد ١٦٢ .

(٣) بعده فى الخصائص : « فتأتى بمن الثانية فتعاملها على ما تختار مما يجوز مثله » .

عِندِكَ(١) ﴾ لما ذكرناه . وهذا واضح فاعرفه . انتهى .

وهذا مأخوذ من كلام أبي علي (في المسائل البغداديات) وقد بَسط القول على هذا البيت ، فلا بأس بإيراد كلامه قال : فأما قوله : جونتا مصطلاهما ، فقد قدَّره سيبويه تقدير حسنةُ وجهِها وجعل قياسه كقياسه ، وكان حكمه عنده - إن أجراه على الأصل دون الحذف - أن يقول : جارتا صفاً جونٌ مصطلاهما فيُجرى جونٌ على الجارتَين فيرتفع بجَرْيه عليهما ، لأنّهما مرفوعتان ، ثم يرتفع المصطلى بجون ويعود ضمير التثنية على الجارتين ، فيكون كقولك الهندان حسنٌ ثوبُهما وهند حسنٌ وجهُها . وإن أجراه على الحذف دون الأصل أن يقول: أقامتْ على ربعيهما جارتا صفاً جونتا المصطلَيات ، فيمن قال الهندان حسنتا الوجوه ، وفيمن قال صفا رحلَيهما ، جونتا المصطليين ، فيصير كقولك الهندان حسنتا الثوبين . فلم يستعمله على الإتمام والأصل ، ولا على الاختصار والحذف ، ولكن جعله كقولك هذه امرأة حسنة وجهها ، فثنّي الجونَة وهما وَصفْا الجارتين وأضافه مثنًى إلى المصطلى ، وهو هما في المعنى ، إلاَّ أنه وضع الواحد موضع الجمع فيمن قال حسان الوجوه ، وموضع التثنية فيمن قال صفا رحلَيهما ، وهو المصطلى ، ألا ترى أنّ لكل واحدة من الجارتين مُصطلى . وإنْ وجَّهته على أنَّ المصطلى يكون جميع ذلك وأحد لم يضع واحداً موضع جمع ، ثم أضاف مصطلى

---

(١) الآية ١٦ من سورة محمد أو القتال . وفي النسختين والخصائص كذلك : « من يستمعون » ، وهو تحريف في الكتاب واجب اصلاحه ، وهو مع ما فيه غير صالح للاستشهاد . ومن عجب ألا يتنبه ابن جني ولا البغدادي ولا محقق الخصائص غفر الله لهم . على أنه من أمانة النقل أن أذكر أن في بعض نسخ أصول الخصائص : « حتى اذا خرج » .

إلى ضمير الجارتين كما أضاف الوجه فى قوله هذه امرأة حسنةُ وجهِها إلى ضمير المرأة بعد إضافة حسن الذى هو الوجه فى المعنى إلى الوجه . فعلى هذا وضع سيبويه هذا البيت . وقد يحتمل غير ما تأوّله ، وهو ما ذكره بعضهم : من أنّ الشاعر إنّما رد الضمير المثنّى فى قوله مصطلاهما إلى الأعالى ، لأنه فى الحقيقة اثنان ، وهذا مثل قوله :

رأتْ جبلاً فوقَ الجِبال إذا التقت رءوسُ كبيريهنَّ ينتطحانِ ٢٠٢

ولستُ أعرفُ مَن قائلُ هذا القول ، إلا أنَّه ليس بممتنع . ويخرج الكلام به من أن يكون على قولك هند حسنةُ وجهِها ، لأنَّ الضمير المثنّى على هذا فى قوله مصطلاهما ، ليس يرجع إلى الجارتين ، إنَّما يرجع إلى الأعالى ؛ لأنَّ الأعالى وإن كان مجموعاً فى اللفظ فهو اثنان فى المعنى ، فحمله على ذلك ، فكأنه قال جونتا مصطلاهما الأعالى . وإذا كان كذلك لم يكن على حسنة وجهها ، لأنّ الجونة لم تضف إلى اسم يتّصل به ضمير يعود إلى الجارَتَين كما يعود مِن الاسم الذى بعد الصفة فى قولك هند حسنةُ وجهِها ضميرٌ يعود إلى هند ، لكون الضمير العائد إلى الجارتين محذوفاً ، كما أنَّ الضمير من هند حسنة الوجه ودعد حسنة وجه الأب محذوف ، فلذلك أنّث جونة من قوله جونتا مصطلاهما ، كما أنّث حسنة فى قولك هند حسنة الوجه ، لأنه لم يعُدْ فيه إلى هند ضمير . وقياس هذا إذا رفع الاسم بالصفة ولم تضف الصفة إلى ما هو فاعلها فى المعنى كحسنٌ وجهٌ وحسنٌ الوجهُ ، أن يقال جارتا صفاً جونٌ مصطلاهما أعاليهما أو أعلييهما ، فمصطلاهما فى موضع رفع مثل قولك هاتان امرأتان حسنٌ غلام أبويهما . وعَيب هذا القول الذى قاله هذا القائل ، هو أنّ التثنية حملت على أنها جمع ، وذلك بعيد ، لأنا وجدناهم يجعلون الاثنين على لفظ الجمع فى نحو

قوله عز وجل : ﴿ إذ تسوّروا المِحراب[١] ﴾ و ﴿ قد صَغَتْ قُلوبُكما[٢] ﴾ وبابِه ، ولم نرهم يجعلون لفظ التثنية للجمع . إلا أنه لا يمتنع ذلك فى هذا الموضع ، لأن المجموع الذى هو قولنا الأعالى هنا اثنان فى الحقيقة ، فحمله على المعنى ، أو استعمل اللغتين اللتين فى نحو هذا جميعاً ؛ فحمل الأول على قوله : ﴿ فقد صَغَتْ قُلوبُكما ﴾ والثانى على صفا رحليهما . وليس ذلك بحسن ، لأنّ الراجع أن يكون على لفظ المرجوع إليه أحسن ، إلا أنّ ذلك لا يمتنع . ففى هذا التأويل تخليص للشعر من عَيب وإدخاله فى عيب آخر . انتهى كلام أبى على .

ومثله لابن السَّرَّاج (فى الأصول) قال : وقد حكى سيبويه أن بعضهم يقول زيد حسنُ وجهِه شبّهوه بحسن الوجه ؛ واحتج بقوله جونتا مصطلاها ، فجعل المصطلى ههنا فى موضع خفض والهاء والميم راجعة إلى الاثنتين وهما جارتا صفا . وكان حقّه أن يقول جونتا المصطلين . وقال غيره : ليس للمعنى على هذا والهاء والميم ترجع إلى الأعالى وإن كانت جمعاً ، لأن معناها معنى اثنين ، وإنما جمعت لأنّها من اثنين كما قال :

* ظهراهما مثلُ ظُهور التُرْسَين[٣] *

فكان معنى الشعر مصطلى الأعالى . ونظير هذا : هند فارهة العبد حسنة وجهِه . تريد حسنة وجه العبد . ولو قلت حسنة وجهها كنتَ قد أضفتَ الشىء إلى نفسه . وسيبويه إنّما ذكر هذا البيت على ضرورة الشاعر والغالط عندى . ثم قال (فى آخر الكتاب ، فى ذكر ما جاء كالشاذّ الذى لا يقاس عليه) : وهو سبعة ، منه تغيير وجه الأعراب للقافية تشبيهاً بما يجوز : قال : وممّا يقرب من

---

(١) الآية ٢١ من ص .

(٢) الآية ٤ من التحريم .

(٣) لخطام المجاشعى ، كما سبق فى ٢ : ٣١٤ .

هذا قوله جَونتا مصطلاها ، وإنما الكلام المصطلَين ، فردّه إلى الأصل في المعنى ، لأنك إذا قلت : مررت برجل حسن الوجه فمعناه حسن وجهه ، فإذا ثنيت قلت مررت برجلين حسنَي الوجه ، فإن رددته إلى أصله قلت برجلين حسن وجوهُهما . فإذا قلت وجوههما لم يكن فى حسن ذكرٌ مما قبله ، وإذا أتيت بالألف واللام وأضفت الصفة إليها كان فى الصفة ذكر الموصوف . ٢٠٣
فكان حق هذا الشاعر لما قال مصطلاها أن يوحّد الصفة فيقول جون مصطلاها . انتهى

فقد بانَ لك مما نقلنا عنهم ، وهم أرباب النقد فى هذا العلم ، أن الرادّ على سيبويه ليس المبرّد ، لاسيا أبو على فإنه قال : لا أعرف قائل هذا القول . والشارح المحقق قال هو المبرّد . وفوق كلّ ذى علم عليم . والله أعلم .

وقد تكلّم على هذا البيت فى باب الصفة المشبّهة أيضاً وقال : كلام المبرّد تكلّف ، والظاهر مع سيبويه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الثلثمائة[1] :

٣٠١ ﴿ رَحيبُ قِطابِ الجيبِ مِنْها رَفيقةٌ ... بِجَسِّ النَّدامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ ﴾

على أن إضافة (رَحيب) إلى (قِطاب) فى حكم إضافة جَوْنَتا إلى مصطلاها ، فى القبح . قال السّيرافىّ : ومما يدخل فى هذا النحو قول طرَفة : « رحيب قِطابِ الجيب » البيت ، وهذه الإضافة رديئة بمنزلة حسنة وجهِها ، وذلك أنّ الأصل وهو الإنشاد الصحيح : « رحيبٌ قطابُ الجيبِ » بتنوين رحيب ، فقطاب يرتفع برحيب وضمير منها يعود إلى الأوّل ، فإذا أضفنا

(١) اللسان (قطب) .

رحيب فقد خلا منه الضمير العائد ، فلا معنى لمنها على مابيّنا فى حسنة الوجه ، وكذلك لا يحسن أن تقول زيد حسن العين منه . انتهى .

احب الشاهد وهذا البيت من معلقة طرَفة بن العَبْد ، وقبله :

(نداماىَ بِيضٌ كالنُّجوم وقَيْنَةٌ ... تَرُوحُ علينا بين بُرْدٍ ومُجْسَدِ

رحيب قطاب الجيب منها — البيت —

إذا نحن قلنا أسْمعينا انبرتْ لنا ... على رِسْلِها مَطْروفةً لم تَشَدَّدِ

إذا رَجَّعت فى صوتها خِلْتَ صوتَها ... تَجاوبَ أظآرٍ على رُبَعٍ رَدِى

ومازال تَشْرَابى الخُمورَ ولذّتى ... وبَيْعى وإنفاقى طَرِيفى ومُتْلَدِى

إلى أن تحامتنى العَشيرةُ كُلُّها ... وأُفرِدْتُ إفرادَ البَعير المعبَّدِ

رأيتُ بَنى غَبْراء لا ينكروننى ... ولا أهْلُ هذاكَ الطِّرافِ الممدَّدِ)

قوله : « نداماىَ بيضٌ الخ » النَّدامى : الأصحاب ، يقال فلانٌ نديمُ فلان إذا شارَبه ، وفلانةُ نديمة فلان . ويقال ذلك أيضاً إذا صاحبه وحدَّثه وإن لم يكونوا على شراب . قال أبو جعفر : سمِّىَ النّديم نديماً لنَدامة جذيمةَ الأبرشِ حين قَتل مالكاً وعَقيلاً ابنى فارج ، اللذين أتيا بعمرو ابن أخته فسألاه أن يكون فى سَمَره فوجدَ عليهما فقتلهما وندم ، فسمِّى كل مشارب نديما . وواحدهم نَدْمانٌ ونديم ، والمرأة نَدْمانة ونديمة ، ويقال من الندم نَدمانُ ونَدْمى . وقوله : بيض كالنجوم ، أى هم ساداتٌ مشاهيرُ كالنجوم . وقوله : وقينة ، معطوف على بيض . والقَينة : المغنِّية ، وكلُّ أمَة قينة ، وإنما قيل لها قينة لأنَّها تعمل بيديها مع غِنائها ، والعرب تقول لكلِّ من يصنع بيديه شيئاً قَين . ومعنى تروح علينا تجيئنا عَشِيًّا . وروى : « تروح إلينا » . والبُرْد : ثوبُ وَشْيٍ . ومُجْسَد ، هو بضم الميم وسكون الجيم وفتح السين ،

قال الأعلم (فى شرح المعلّقة) المُجْسَد : المصبوغ بالزعفران المشْبَع . والَجساد ، بالفتح : الزعفران . وقال ابن السكّيت (فى شرح ديوانه) : المُجْسَد : الثوب ٢٠٤
الذى يلى الجسد ، وهو الشِّعار . والمعنى على الأول تأتينا بالعشىّ تارة وعليها بُرْدٌ ، ومرّةً وعليها ثوب مصبوغ بالزعفران . والمعنى على الثانى تأتينا وعليها هذان الثوبان.

وقوله : « رحيب قطاب الَجيبِ الخ » روى بإضافة رحيب إلى قطاب وتقدَّم بيان ضعفه ، وروى تنوين رحيب ورفع قطاب وهو الإنشاد الثابت الصحيح ، فيكون رحيب صفة سببيةً لقينة ، فيكون الرحب وصفاً للقينة فى اللفظ ووصفاً لقطاب الجيب فى المعنى ، لأن المعنى رَحُبَ قِطابُ جيبها ، أى اتَّسع . وضمير منها للقينة . وقِطاب الجيب ، بالكسر : مجتمعه حيث قُطب أى جمع ، وهو مخرج الرأس من الثوب . والرحيب : الواسع ، وإنّما وصَفَ قِطابَ جيبها بالسَّعة لأنّها كانت توسِّعه ليبدوَ صدرها فينظر إليه ويتلذَّذ به . وليس المعنى أنَّ عنقها واسع فيحتاج إلى أن يكون جَيبها واسعاً - كما توهمه أبو جعفر النحوى والخطيب التبريزى - فإنَّ هذا الوصف ذم . وقوله : رفيقة ، بفاء وقاف من الرفق ، وهو اللِّين والملاءمة . وروى رَقيقة بقافين من الرقَّة وهو ضدّ الغلظة . والَجسُّ ، بفتح الجيم : اللمس ، أى لمس أوتار اللهو . أى استمرت على الجسّ فهى رفيقة به حاذقة . وقيل جسُّ الندامى ما طلبوا من غنائها ، وقيل جسّ الندامى هو أن يجسُّوا بأيديهم فيلمسوها تلذذاً كما فسّرنا أوّلا ، كما قال الأعشى :

* لجسٌّ النَدامى فى يد الدِّرع مَفْتَقُ[1] *

---

(١) صدره فى ديوان الأعشى ١٤٧ :

* ورادعة بالمسك صفراء عندنا *

وكانت القينة يُفتَق فتيقٌ فى كُمِّها إلى الإبط ، فإذا أراد الرجل أن يلمس منها شيئاً أدخل يده فلمس . والدِّرع : قميص المرأة ، ويده : كمّه . وروى : « لجسِّ النَّدَامى » باللام موضع الباء . والبَضّة بفتح الموحدة وتشديد الضاد المعجمة : البيضاء الناعمة البدَن الرقيقة الجلد . والمتجرَّد ، على صيغة اسم المفعول : ما ستره الثِّياب من الجسد . يقول : هى بضَّة الجسم عند التجرُّد من ثيابها والنظر إليها .

وقوله : « إذا نحنُ قُلْنا الخ » أَسمِعينا أى غنِّينا . وانبرت ، اعترضت وأخذت فيما طَلبنا من غنائها . ورِسْلها ، بالكسر بمعنى هِينتها ورِفقها ومَهَلها . ومَطروفة ، بالفاء : الفاترة الطَّرْف ، أى كأنَّ عينها طُرِفت فهى ساكنة . وقيل إنَّ معناه تُحِدُّ النظرَ بطرفها . وهذا ليس بشىء . وروى : « مطروقة » بالقاف ، ومعناه مسترخية ليِّنة . وهو حال من فاعل انبرت . ولم تَشدَّد ، أصله تتشدَّد بتاءين ، أى لم تجتهد وإنما غنَّت ما سهُل عليها .

وقوله : « إذا رجَّعت فى صوتها» ، الترجيع : ترديد الصوت . والأظآر : جمع ظِئْر وهى التى لها ولد . ورُبَع ، بضمِّ الراء وفتح الموحَّدة : ولد الناقة . ورَدِى فعل ماض من الردَى وهو الهلاك . يقول : إذا طرَّبتْ فى صوتها وردَّدت نغماتها حَسبتَ صوتَها أصواتَ نُوقٍ تَحنُّ لهلاك ولدِها . شبّه صوتَها بصوتهنَّ فى التحزين . ويجوز أن يكون الأظآر النساء والربعُ مستعاراً لِوَلَدِ الإنسان ، فشبّه صوتَها فى التحزين والترقيق بأصوات النوادب والنوائح على صبىٍّ هالك . وهذا البيت قلَّما يوجد فى هذه القصيدة .

وقوله : « ومازال تشرابى الخ » التَّشراب : الشرب ، وهو للتكثير . والطريف والطارف : ما اكتسبه الإنسان من المال . والمُتْلَد ، بصيغة اسم

المفعول ، وكذا التالد والتليد : المال القديم الذى ورثه عن آبائه . ومعناه ٢٠٥
المتولَّد والتاء بدل الواو .

وقوله : « إلى أن تحامتْني الخ » أى تركتْني . والعشيرة : أهل بيت الرجل والقبيلة . والمعبَّد ، بزنة اسم المفعول : الأجرب ، وقيل المهنوء الذى سقط وبره فأُفرِد عن الإبل . أى تُركتُ ولذّاتي .

وقوله : « رأيت بنى غبراء » غَبراء : الأرض ، وبنو غَبراء الفقراء ويدخل فيهم الأضياف . وأهلُ معطوف على الواو فى ينكرونَنِي . والطِّراف ، بالكسر : بناء من أدَم يكون للأغنياء . والممدَّد : المنصوب . يقول : إن هجرنى الأقارب وصلَتْنى الأباعدُ الفقراء والأغنياء ، فالفقراء لإنعامى عليهم ، والأغنياء لاستطابتهم صحبتى ومنادمتى .

وقد تقدّم شرح أبيات [من] هذه القصيدة .

وترجمة طرفه تقدّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة(١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الثلثمائة :

(إليكم ذَوِى آلِ النبيِّ تَطلَّعتْ نَوازِعُ مِنْ قلبى ظِماءٌ وألبُبُ(٢))

على أنّ إضافة ذوى آل النبى من إضافة المسمّى إلى الاسم ، أى يا أصحاب هذا الاسم . أراد بهذا الردَّ على من زعم أنّ ذا فى مثله وكذا فى الأبيات الآتية زائد .

---

(١) ترجمة طرفة فى ٢ : ٤١٩ . وأما شرح الأبيات فهو فى ٣ : ١٥١ .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٧ والمحتسب ١ : ٣٤٧ وابن يعيش ١ : ١٥٤ /٣ : ١٢ ، ١٥٥ واللسان (لبب ٢٢٥)

وهذا كلُّه ملخَّص من كلام ابن جنّى (فى الخصائص وغيره) وإنَ موجودًا (في المفصّل وشروحه).

وجوّز أبو عليٍّ (فى الإيضاح الشعرى) أن يكون ذو زائدًا، وأن يكون على جعل الاسم المسمَّى على الاتساع، لمصاحبته له وكثرة الملابسة.

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة ابن مسعود من سورة يوسف ﴿وفوقَ كلِّ ذِى عالمٍ عَليمٌ﴾(١): تحتمل هذه القراءة ثلاثة أوجه:

أحدها أن تكون من باب إضافة المسمى إلى الاسم، أى فوق شخص يسمى عالما أو يقال له عليم(٢). وقد كثر عنهم إضافة المسمَّى اسمه، منه قول الكميت:

إليكم ذَوى آل النبيِّ تَطلَّعتْ نَوازعُ من نفسى ظِماءٌ وألبُبُ

أى إليكم يا آل النبى، أى يا أصحاب هذا الاسم الذى هو آل النبى وعليه قول الأعشى:

فكذَّبوها بما قالت فصبَّحهُم
ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِى الموتَ والشُّرعا(٣)

أى صبَّحهم الجيشُ الذى يقال له آل حسان. وَهو بابٌ واسع تقصَّيناه (فى كتاب الخصائص).

والوجه الثانى: أن يكون عالم مصدرًا كالفالج والباطل.

---

(١) الآية ٧٦ من يوسف. وانظر المحتسب ١ : ٣٤٦ ـ ٨ وتفسير أبى حيان ٥ : ٣٣٣

(٢) فى المحتسب: «يسمى عالما عليم».

(٣) ديوان الأعشى ٨٣ والخصائص ٣ : ٢٧.

والثالث : أن يكون على مذهب من يعتقد زيادة ذى . انتهى مختصرًا .

وقد ذكر ابن جنّى هذه الاضافة فى أكثر كتبه ، قال (فى إعراب الحماسة) عند قول طُفَيل الغَنوى :

وما أنا بالمستَنْكِرِ البينَ إنَّنى بذِى لَطَفِ الجيرانِ قِدْماً مُفَجَّعُ

هذا من باب إضافة المسمَّى إلى اسمه ، أى إنّنى بالشىء المسمّى بلطَف الجيران . ومثله بيت الشماخ :

* وأدرج دَرْجَ ذِى شَطَنٍ(١) *

أى دَرْجِ الشىء المسمَّى ذا شطَن أو بشَطَن . ومثله بيت الكميت :

إليكم ذوى آل النبى البيت

أى يا أصحاب هذا الاسم ، وأصحابه هم آل النبى صلى الله عليه وسلم فكأنّه قال : إليكم يا آل النبى ، وأمثاله كثيرة جدًّا قد ذكرناها فى غير موضع . ومن ذهب إلى زيادة ذى وذات فى هذا الموضع ذهب إلى زيادتها فى بيت طُفَيل هذا أيضا ، ومعناه فى التأويلين جميعًا أنّى بلطَفِ الجيرانِ ٢٠٦
أى بوصلهم مفجّع .

وقال أيضا (فى أواخر إعراب الحماسة) عند قول الشاعر :

فلما رآنى أبصرُ الشَخْصَ أشخصاً قريباً وذا الشَّخْصِ البعيدَ أقاربُهُ(٢)

---

(١) قطعة من بيت له فى ديوانه ٦١ برواية :
أطار عقيقه عنه نسالا وأدمج دمج ذى شطن بديع

(٢) البيت لفرغان بن الأعرف ، فى نوادر المخطوطات ٢ : ٣٦١ ولم يرد فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٤٤٥ لكنه ورد فى الحماسة بشرح التبريزى ٤ : ١٩ .

قريباً إن شئت ظرف أى من قريب ، وإن شئت حال ، أى أُبصِره مقارباً أشخُصاً ، معناه أبصره وأنا قريب منه أشخصاً . وقوله : وذا الشخص البعيدَ من باب إضافة المسمَّى إلى اسمه ، كقول الشماخ .. ، وقول الأعشى .. ، وقول الكميت . . ، وأنشد الأبيات الثلاثة ، ثم قال : ومعنى أقاربه ، أى أظنّه قريباً . ولو جرَّ البعيد هنا لم يجز ، لأنَّ الشخص فى هذا البيت اسمٌ لا مسمى . ولو قلت تمَّيته بزيد الظريف على هـذا لم يجز ، لأنّ الظرف لا توصف به الأسماء .

ثم قال : وقد دعاً خفاه هذا الموضِـع أقواماً[1] إلى أن ذهبوا إلى زيادة ذى وذا فى هذه المواضع ، وإنّما ذلك بعدٌ عن إدراك هـذا الموضع . انتهى .

وزاد (فى الخصائص) على ما ذكرناه أنَّ أبا على حدّثه أنّ أحمد بن إبراهيم أستاذَ ثعلب روى عنهم : هذا ذِ زيد ، أى هذا صاحب هذا الاسم الذى هو زيد .

وقد عقد لهذا باباً (فى الخصائص) وهو باب إضافة الاسم إلى المسمَّى والمسمَّى إلى الاسم[2] ، وأطال الكلام فيه وأطاب ، وقال : هذا موضع كان يعتاده أبو علىّ ويألفه ، ويرتاح لاستعماله[3] ، وهو فصلٌ من العربيّة

(١) لم يرد هذا النص الأخير فى اعراب الحماسة نسخة مكتبة احمد الثالث ٢٠٢ ، لكنى وجدته فى الخصائص ٣ : ٢٩ . وفى النسختين : « وقد ادعى خفاء هذا الموضع أقوام » ، تحريف .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٤ .

(٣) الكلام بعده الى آخر الفقرة ليس موضعه هنا ، بل موضعه فى آخر الباب ، فقدمه البغدادى عن موضعه .

غريب ، وقلّ من يعتاده أو ينظر فيه ، وقد ذكرته لتراه فتتنبهً على ما هو فى معناه إن شاء الله تعالى .

ثم قال : وفيه دليل يدلّ على فساد قول من ذهب إلى أنّ الاسم هو المسمَّى ، ولو كان إيَّاه لم تجز إضافة واحدٍ منهما إلى صاحبه ، لأنَّ الشيء لا يضاف إلى نفسه . قيل لأنّ الغرض من الاضافة إنّما هو التعريف والتخصيص والشيء إنما يعرّفه غيره ؛ لأنّه لو كانت نفسه تعرّفه لما احتاج أبداً إلى أن يعرَّف بغيره ، لأنّ نفسه فى حالى تعريفه وتنكيره واحدة ، وموجودة غير مفتقَدة . ولو كانت نفسه هى المعرِّفة له أيضاً لما احتاج إلى إضافته إليها ، لأنّه ليس فيها إلا ما فيه ، فكان يلزم الاكتفاء به عن إضافته إليها ؛ فلهذا لم يأت عنهم نحو هذا غلامه[1] ، ومررت بصاحبه ، والمظهر هو المضمر المضاف إليه[2] ، هذا مع فساده فى المعنى ، لأنّ الإنسانَ لا يكون أخا نفسه ولا صاحبها .

فإن قلت : فقد تقول مررت بزيدٍ نفسه وهذا نفس الحقّ ، يعنى أنَّه هو الحقُّ لا غيره . قيل : ليس الثانى هو ما أضيف إليه من المظهر ، وإنّما النفس هنا بمعنى خالص الشيء وحقيقته ، والعرب تُحلُّ نفسَ الشيء من الشيء محلَّ البعض من الكلّ ، ولهذا حكوا عن أنفسهم مراجعتهم إيَّاها وخطابها لهم ، وأكثروا من ذكر التردّد بينها وبينهم . ألا ترى إلى قوله[3] :

(١) فى النسختين : « غلمانه » ، صوابه من الخصائص .
(٢) فى النسختين : « والمظهر والمضمر المضاف اليه » ، صوابه فى الخصائص .
(٣) هو أعرابى قتل أخوه ابنا له . الحماسة ٢٠٧ بشرح المرزوقى .

أقول للنفس تَأساءً وتَعزيةً إحدى يَدَيَّ أصابَتْنى ولم تُرِدِ

وقوله :

قالتْ له النفسُ تقدَّمْ راشدًا إنّك لا ترجع إلاّ حامدًا

وأمثال هذا كثير جداً ، وجميع هذا يدلّ على أنَّ نفس الشىء عندهم غير الشىء .

فإن قلت : فقد تقول هـذا أخو غلامه ، وهذه جاريةُ بنتها فتعرَّف
٢٠٧ الأول بما أُضيفَ إلى ضميره ، والذى أضيف إلى ضميره إنّما تعرَّف بذلك الضمير ، ونفس المضاف الأول متعرِّف بالمضـاف إلى ضميره ، وقد ترى على هذا أن التعريف الذى استقرّ فى جارية من قولك هذه جارية بنتها ، إنّما أتاها من قِبَلَ ضميرها ، وضميرُها هو هى ، فقد آل الأمر إذاً إلى أنّ الشىء قد يعرِّف نفسه ، وهذا خلاف ما ركبتَه وأعطيتَ يدك به .

قيل : كيف تصرَّفت الحالُ فالجارية إنّما تعرّفت بالبنت ، التى هى غيرها ، وهـذا شرط التعريف من جهة الإضـافة ، فأما ذلك المضاف إليه أمضاف هو أم غير مضاف فغير قادح . والتعريف الذى أفاده ضمير الأول لم يعرِّف الأول ، وإنّما عرّف ما عرّف الأول ، والذى عرَّف الأوّل غيرُ الأوّل ، فقد استمرت الصفة وسقطت المعارضة .

ويؤكِّد ذلك أيضاً أنَّ الاضافة فى الـكلام على ضربين : أحـدهما ضمّ الاسم إلى اسمٍ هو غيره بمعنى اللام ، نحو غلام زيد . والآخر ضمُّ اسم إلى اسم هو بعضه بمعنى من ، نحو هذا ثوبُ خزٍّ . وكلاهما ليس الثـانى فيه بالأوّل . واستمرار هـذا عندهم يدلُّ على أن المضاف ليس بالمضاف إليه البتة . انتهى .

وقول الكميت : (ذوى آلِ النبى) هو منادى حذف منه حرف النداء، أى يا أصحاب هذا الاسم . وفيه من التفخيم ما ليس فى قولك ياآل النبى ؛ لأنه قد جعلهم أصحاب هذا الاسم ، ومن كان صاحب هذا الاسم فهو ممدوح . و (تطلَّعَتْ) أى تشوَّفت ، وبه يتعلَّق قوله إليكم . وقدَّمه للحصر ، أى أنا مشتاق إليكم لا إلى غيركم و (نوازع) : جمع نازعة ، مِن نزعت النفسُ إلى الشىء أى اشتاقت إليه ، ومثله نازَعَتْ نُزوعاً ونِزاعاً بالكسر . وهذا كقولهم : جُنّ جُنونه . و (الظِماء) : العِطاش ، يقال ظمِىءَ ظمَأً بالهمز ، كعطش عطشاً وزناً ومعنى ، فهو ظمآن وهى ظمأى ، مثل عطشان وعطشى ، والجمع ظِمَاء كسِهام . ووصف النوازع بالظماء للمبالغة فى قوّتها وشدّتها و (ألُبب) : جمع لُبّ بضمّ ، وهو العقل ، وهو شاذّ والقياس ألُبٌّ بالإدغام ، وهو معطوف على نوازع

وهذا البيت من قصيدة طويلة للكميت بن زيد — وقد تقدمت ترجمته صاحب الشاهد فى الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب[1] — مدح بها آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى إحدى القصائد الهاشميّات ، وهى من جيِّد شعره .

وقد استشهد النحاة بأبيات من هذه القصيدة ، وهذا مطلعها مع جملة أبيات منها :

أبيات الشاهد

(طَرِبتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ... ولا لعباً منّي ، وذو الشيب يلعبُ ؟
ولم تُلهِنى دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ... ولم يَتطرَّبْني بَنانٌ مخضَّبُ
ولا أنا ممَّن يزجُرُ الطَّيرَ همُّهُ ... أصاح غرابُ أم تعرّضَ ثعلب
ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيّةً ... أمَرَّ سليمُ القَرن أم مرَّ أعضَبُ

(١) الخزانة ١ : ١٤٤ .

ولـكن إلى أهل الفضائل والنهى ... وخيرِ بنى حوَّاء والخيرُ يُطلب
إلى النفَر البيض الذين بحبِّهم ... إلى الله فيما نابنى أتقرَّب
بنى هاشم رهطِ النبيِّ وإننى ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضَب
خفضتُ لهم منِّي جَناحَ مَودَّتى ... إلى كنف عِطفاهُ أهلٌ ومرحب
٢٠٨ بأىِّ كتابٍ أم بأيَّة سُنَّةٍ ... ترى حُبَّهُمْ عاراً علىَّ وتَحسِبُ
ومالىَ إلاَّ آلَ أحمدَ شيعةٌ ... ومالى إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشعب
ومَنْ غيرهم أرضى لنفسى شيعةً ... ومَنْ بعدهم ، لا ، مَنْ أجلُّ وأرحَب
إليكم ذوى آل النبيِّ تطَلَّعتْ ... نَوازعُ من قلبى ظِماءٌ وألببُ
وَجدنا لـكم فى آل حاميمَ آيةً ... تأوَّلها منَّا تقىٌّ ومُعرِبِ
فإنِّى على الأمر الذى تـكرهونه ... بقولى وفِعلى ما استطعتُ لأجْنَب
يُشيرون بالأيدى إلىَّ وقولِهم ... ألا خابَ هذا ، والمشيرون خُيَّبُ
فطائفةٌ قد أكفرتنى بحبِّهم ... وطائفةٌ قالوا : مسىءٌ ومُذْنب
يَعيبونَني مِن غَيِّهم وضَلالهم ... على حبِّـكم ، بل يَسخرون وأعجَب
وقالوا ترابىٌّ هواه ودينُه ... بذلك أُدعى فيهم وأُلقَّب(١)
فلازِلتُ فيهم حيثُ يتَّهمونني ... ولا زلت فى أشياعهم أتقلَّب
ألم ترنى فى حبِّ آل محمَّدٍ ... أروح وأغدو خائفاً أترقَّب
كأنِّىَ جانٍ مُحدِثٌ وكأنَّما ... بهم يتَّقى من خَشية العَرِّ أجرَبُ
على أىِّ جُرم أم بأيَّة سيرةٍ ... أُعنَّف فى تقريظهم وأُؤنَّب
أناسٌ بهم عزَّت قريشٌ فأصبحوا ... وفيهم خِباءُ المـكرُمات المطنَّب(٢))

---

(١) ط : « وقالوا ترالى » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « وفيهم حباء » ، تحريف ، صوابه فى ش .

من أخبار الكميت

روى الأصبهانىُّ (فى الأغانى) بسنده إلى محمد بن على النوفلى عن أبيه أنه قال : الكميت بن زيد الشاعر كان أوَّلَ ماقال القصائدُ الهاشميَّات فستَّرها ، ثم أتى الفرزدقَ بنَ غالبٍ فقال له : يا أبا فِراس ، إنكَ شيخُ مُضَر وشاعرُها ، وأنا ابن أخيك الكميتُ بن زيد الأسدىّ . قال له : صدقت ، أنت ابنُ أخى فما حاجتك ؟ قال : نُفِث على لسانى فقلتُ شعراً فأحببتُ أن أعرِضَه عليك ، فإن كان حسناً أمرتَني بإذاعته ، وإن كان قبيحًا أمرتنى بستره وكنتَ أولى من ستره علىَّ . فقال له الفرزدق : أمَّا عقلُك فحسنٌ ، وإنِّى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فأنشدْنى ما قلت . فأنشده :

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب *

قال : فقال لى : فيا تطربُ يا ابن أخى(١) ؟ فقال :

ولا لعباً منِّي وذو الشيب يلعبُ

قال : بلى يا ابن أخى ، فالعبْ فإنَّك فى أوان اللعب . فقال :

ولم يُلْهِنى دارٌ ولا رسمُ منزلٍ (البيت)

قال : فما يطربك يا ابن أخى ؟ فقال :

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيَّة (البيت)

فقال : أجل ، لا تتطيَّرْ . فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى (البيت)

---

(١) ش : « فيما تطرب يا ابن أخى » . واثبات ألف ما الاستفهامية مع الجار جائز فى العربية . انظر المغنى والخزانة ٢ : ٥٣٧ بولاق فى الشاهد ٤٣٦ وحواشى البيان ٣ : ١٢٥ .

فقال : ومَن هؤلاء ويحك ؟ فقال :

إلى النفَر البيضِ الذين بحبِّهم (البيت)

فقال : أرحنى ويحك ، مَنْ هؤلاء ؟ فقال :

بنى هاشم رهطِ النبيِّ فإنّني (البيت)

فقال له الفرزدق : أذِعْ أذِعْ يا ابن أخى ، أنتَ واللهِ أشعرُ مَن مَضى وأشعرُ مَن بقِى .

وعن عِكرِمة الضَّبّى عن أبيه قال : أدركت الناس بالكوفة من لم يَرْوِ :

* طربت وما شوقا إلى البيض أطرَبُ *

فليس بشيعىٍّ . ومن لم يَرْوِ :

* ذكرَ القلبُ إلفَهُ المهجورَا[1] *

فليس بأموىّ . ومن لم يرو :

* هلاّ عرَفت منازلاً بالأبرق[2] *

٢٠٩ فليس بمهلبىّ .

وقوله : طربتُ وما شوقاً الخ ، استشهد به أبو حيّان على تقديم المفعول له على عامله ، ردًّا على من منع ذلك ، فإنّ شوقاً مفعول له مقدَّم على عامله وهو أطرب . واستشهد به ابن هشام أيضا (فى المغنى) على أنَّ همزة الاستفهام لكونها أصلاً جاز حذفها سواء كانت مع أم أولا ، فإنّه أراد : أوَ ذو الشيب

---

(١) فى الأغانى ١٥ : ١١٧ :

ذكر القلب الفه المذكورا وتلافى من الشباب أخيرا

(٢) الذى فى الأغانى ١٥ : ١٩ : « هلا سالت منازلا بالأبرق » ، ولم يأت بعجزه .

يلعب ؟ والاستفهام إنكارى . وقال شارح السبع الهاشميّات : ذو الشيب خبر وليس باستفهام ، والمعنى لم أطرب شوقاً إلى البيض ، ولا طربت لعباً منّي وأنا ذو الشيب ، وقد يلعب ذو الشيب ويطرب وإنْ كان قبيحا به ، ولـكنّ طرَبِي إلى أهل الفضائل والنُّهى .

وقوله : ولم يتطرّبْني الخ ، استشهد به الجوهريّ على أنّه يقال أطربه غيره وتطرّ به ، بمعنى أوجد فيه الطرب .

وقوله : ولا أنا ممن يزجر الطيرَ الخ ، همُّه فاعل يزجر والطير مفعوله . قال ابن الأثير (فى النهاية) : الزجر للطير هو التيمّن والتشاؤم بها والتفاؤل بطيرانها ، كالسانح والبارح ، وهو نوع من الـكِهانة والعِيافة . انتهى . وقال ابن رشيق (فى العمدة[١]) : الغراب أعظم ما يتطيّرون به ، ويتشاءمون بالثور الأعضب وهو المـكسور القرن . والسانح ما ولاّك مَيامنَه ، والبارح ماولاّك مياسره ، وأهل نجد تتيمَّن بالأوّل وتتشاءم بالثانى ، وأهل العالية على عكس هذا . وأنشد البيتين .

وفى السانحات جوّز الأخفشُ النصبَ للعطف على الطير .

وقوله : « ترى حبَّهم عاراً الخ » استشهد به ابن هشام (فى شرح الألفيّة) على جواز حذف مفعولى باب ظن للدّليل .

وقوله : « ومالى الا آلَ أحمدَ الخ » استشهد به النّحاةُ ، منهم صاحب الجُمَل[٢] على تقديم المستثنى على المستثنى منه . والمَشْعَب : الطريق ، يقول :

---

(١) فى باب من الزجر والعيافة . العمدة ٢ : ٢٠١ بتصرف .

(٢) انظر أيضا مجالس ثعلب ٦٠ والانصاف ٢٧٥ وابن يعيش ٢ : ٧٩ والشذور ٣٦٣ والعينى ٣ : ١١١ والتصريح ١ : ٣٥٥ والأشمونى ٢ : ١٤٩ .

مالى مذهب إلاَّ طريق الحقّ الذى هو حبُّ آل النبي وتفضيلهم صلى الله عليه وسلم .

وقوله : « وجدنا لكم » الخ آل حَم اسم للسُّوَر السبع التى أولها حَم ، ويقال لها أيضا الحواميم ، وأراد الآية التى فى حَمعسق : ﴿ قُلْ لا أسْأَلُكُمْ عليه أجراً إلاَّ المودَّةَ فى القُرْبَى[1] ﴾ يقول : من تأوّل هذه الآية لم يسعه إلاّ التشيُّع فى آل النبىّ صلى الله عليه وسلم ،وإبداء المودّة لهم على تَقِيَّةٍ كانت أو غير تَقِيَّة . وقوله : تقِىٌّ ومُعْرِبُ ، قال الجوهرىّ : أعرب بحجّته إذا أفصح بها ولم يتَّق أحداً . وأنشد هذا البيتَ ، ثم قال : يعنى المفصِحَ بالتفضيل والساكتَ عنه للتَّقِيَّة . وهذا البيت من شواهد سيبويه[2] ، أورده شاهداً لترك صرف حاميم لكونه وافق بناء مالاينصرف من الأعجميَّة نحو قابيلَ وهابيلَ . قال الأعلم : جعل حاميم اسماً للكلمة ، ثم أضاف السوَر إليها كإضافة النسب إلى قرابة ، كما تقول آل فلان .

وقوله : * الم ترنى فى حبِّ آلِ محمدٍ * الخ

قال السيوطى فى (شرح أبيات المغنى[3]) : أخرج ابن عساكر عن محمدّ بن سهل قال: قال الكميت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأنا مختفٍ فقال لى : ممَّ خوفُك ؟ فقلت : يارسول الله ، من بنى أمية . ثم أنشدته :

ألم ترنى من حبّ آل محمدٍ (البيت)

---

(١) الآية ٢٢ من الشورى .

(٢) سيبويه ٢ : ٣٠ واللسان (حمم ٤٠) .

(٣) شرح شواهد المغنى ص ١٤ .

فقال لى صلى الله عليه وسلم : «اظْهَرْ فقد أمَّنك اللهُ فى الدنيا والآخرة» .

وفى الأغانى للأصبهانى بسنده إلى إبراهيم بن سعيد الأسدى[1] عن أبيه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : من أىِّ الناس أنت ؟ قلت : من العرب . قال : من أىّ العرب ؟ قلتُ : مِن بنى أسد . قال : من أسد بن خزيمة ؟ قلت : نعم . قال : أهِلالىٌّ أنت ؟ قلت : نعم . قال : أتعرف ٢١٠
الكميت بنَ زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمِّى ومن قبيلتى . قال : أتحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنى :

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرَبُ *

قال : فأنشدته حتى بلغت إلى قوله :

فمالىَ إلا آل أحمدَ شِيعةٌ (البيت)

فقال لى : « إذَا أصبحت فاقرأْ عليه السَّلامَ وقل له : قد غَفَرَ اللهُ لك بهذه القصيدة » .

وروى أيضاً بسنده إلى دِعبل بن علىٍّ الخزاعىّ قال[2] : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى : مالك وللكميت بن زيد ؟ فقلت : يارسول اللهِ ، ما بينى وبينه إلاَّ كما بين الشعراء . فقال لى : لا تفعل ، أليس هو القائل :

فلا زِلتُ فيهم حَيثُ يتَّهمُونَنى ولا زِلتُ فى أشياعهم أتقلَّبُ

فإنّ الله قد غفر له بهذا البيت . فانتهيت عن الكميت بعدها .

---

(١) فى الأغانى ١٥ : ١١٩ : « ابراهيم بن سعيد الأسدى » .
(٢) الأغانى ١٥ : ١١٨ .

وروى أيضاً بسنده إلى نصر بن مُزاحِم المِنْقَرِىّ[١] أنه رأى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى النوم وبين يديه رجلٌ ينشده :

* منْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ مستهامِ[٢] *

قال : فسألت عنه فقيل لى : هذا الكميت بن زيد الأسدى . قال : فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « جزاك الله خيراً » . وأثنى عليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الثلثمائة[٣] :

٣٠٣ (ألا قَبَحَ الإلَهُ بَنى زِيادٍ وَحَىَّ أبيهمُ قَبْحَ الحمارِ)

على أنّ لفظ (حىّ) من حىّ زيدٍ يستعمل فى التأكيد ، بمعنى ذاته وعينه وإنْ كان ميتا ، بعد أن كان بمعنى ضدّ الميت ، كما شرحه الشارح .

وكأنه فهم أنّ ما بعد حىٍّ فى البيتين ميّت فبنى كلامه هذا عليه ، وإلاّ فلم يقل به أحدٌ بل صرّح ابن السكّيت (فى كتاب المذكّر والمؤنّث) بأن مثل هذا لا يقال إلاّ والمضاف إليه حىٌّ موجود غير معدوم ، وأنشد هذين البيتين بعينهما وجعل لفظ حىٍّ مما يقع على المُذكر والمؤنّث ، لكن إذا كان المضاف إليه مؤنثاً فلابدّ من تأنيث فعله . قال : رأيت العرب قد أفردت مما يقع

(١) صاحب وقعة صفين ، وقد طبعت بالقاهرة بتحقيق كاتبه طبعتين سنة ١٣٦٥ وسنة ١٣٨٢ .

(٢) فى النسختين : « مشتاق » ، تحريف صوابه فى الأغانى ١٥ : ١١٩ والهاشميات ٠٢١ وهو صدر بيت هو مطلع قصيدة له وعجزه :

* غير ما صبوة ولا أحلام *

(٣) انظر الخصائص ٣ : ٢٨ واللسان (حيى ٢٣٣) .

على المذكر والمؤنث شيئاً لا يكادون يذكرون فعله ، ولفظه لفظ المذكر . من ذلك قولك : أتيتك وحيُّ فلانةَ شاهدة ، وحيك وحيُّ زيد قائم . ولم أسمع وحي فلانة شاهدٌ — أي بتذكير شاهد — وذلك أنَّهم إنما قصدوا بالخبر عن فلانة إذا كانت حيّة غير ميتة . انتهى .

ومثله لابن جنى (فى المحتسب) عند إنشاده هذا البيت قال : أى وقَبَّح أباهم الحيَّ الذى يقال له أبوهم ، ومنه قول الآخر :

* وحيَّ بكرٍ طعنَّا طعنةً بَجَرا[1] *

أى الإنسان الحيّ الذى يسمَّى بقولهم بكر .

وقال (فى الخصائص) : أى والشخص المسمَّى بكراً طعنا . فحى ههنا مذكر حية ، أى وشخص بكر الحى طعنا . ومثله قول الآخر[2] :

يا قُرُّ إن أباكَ حى خويلد . . . . . . البيت[3]

أى إنّ أباكَ الشخصَ الحيَّ خويلدا . وكذلك قول الآخر :

ألا قَبَّحَ الإله بَنى زياد . . . . البيت

أى أباهم الشخصَ الحيّ . وقال : وليس الحيّ هنا هو الذى يراد به القبيلة ، كقولك حيّ تميم وقبيلة بكر ، إنّما هو كقولك هذا رجلٌ حيٌّ وامرأة حيّة .

(١) فى الخصائص : « طعنة فجرى » . وفى بعض نسخها « بحرا » كما هنا .

(٢) هو جبار بن سلمى . نوادر أبى زيد ١٦١ والخزانة ٢ : ٦١٦ بولاق .

(٣) عجزه :

* قد كنت خائفهُ على الاحماق *

وجعل ابنُ جنّى هذه الإضافةَ من إضافة المسمّى إلى اسمه ، وبَيَّنها كما رأيت . وخالفه الشارح المحقِّق فجعلها من إضافة العامّ إلى الخاصّ .

٢١١ ومَن حكم بزيادة حيٍّ (كصاحب اللبّ) جعل الإضافة من قبيل إضافة الملغَى إلى المعتبر ، كما قال ابن عقيل (فى شرح التسهيل) .

وممّن ارتضى الزيادةَ الزمخشريُّ (فى المفصَّل) فإنه قال : قالوا : إنَّ الاسم مقحمٌ دخولُه وخروجه سواء ، وقد حُكِى عنهم حيُّ فلانة شاهدٌ ، بدون تأنيث الخبر . وتقدَّم طعنُ ابنِ السكيت فيه ، لكن يَرِدُ عليه ما أنشده أبو على (في الإيضاح الشعرى) من قول الشاعر :

* لو أنَّ حىّ الغانِيات وَحْشا *

ومن العجب قول شارحه المظفّرى : لفظ حى زائد ومعناه الشخص ، فكأنك قلت هذا الشخص زيد ، فكما أنّ لفظ شخص زائد فكذلك لفظ حى . وقولهُ بعد هذا : قيل ولا يضاف لفظ حى إلاّ بعد موت المضاف إليه ، صوابه إلاّ قبل موت المضاف إليه .

ومما ورد عن العرب من إضافة حيٍّ إليه ما قاله الشارح قبل هذا البيت بصفحةٍ « قالهنَّ حيُّ رباح » بإقحام حى . قال المظفّرى : يعنى سمع الأخفشُ أعرابيًّا أنشد أبياتاً فقيل له : من قال هذه الأبيات ؟ فقال : قالهنّ حيُّ رباح بزيادة حيّ ، أى قالهنّ رباح. انتهى . ورباح بكسر الراء بعدها باء موحّدة[1] .

---

(١) الميمنى : « هذا الضبط غلط شنيع منه ، فليس فى العرب رباح بالباء الموحدة الا مفتوح الراء ، ولا رياح بالياء المثناة من تحت الا كسورها . وهذا متعالم متعارف . راجع مشتبه النسبة للذهبى ٢١٢ . والذين مثلوا هنا ذكروه بالياء . راجع اللسان حيا » .

وهو مأخوذ من الإيضاح الشعرى لأبى على ، قال حكى : أبو الحسن الأخفش فى أبيات أنه سمع من يقول فيها : قالهن حيُّ رباح . وأنشد :

أبو بحر أشـدُّ الناس منّا علينا بعد حيِّ أبى المغيره

وقوله : (ألا قبح الإله الخ) هذا البيت من جملة أبيات ليزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ الحميرىّ . صاحب الشاهد

(ألا) هنا كلمة يُستفتح بها الـكلام ، ومعناها تنبيه المخاطب لسماع ما يأتى بعدها ، وجملة (قبح الإله) دعائيَّة ، يقال قبحه الله يقبَحُهُ بفتح الموحَّدة فيهما ، أى نحَّاه عن الخير . وفى التنزيل : ﴿ هُمْ مِنَ المقبُوحِين[1] ﴾ أى المبْعَدين عن الفوز . والمصدر القَبْح بفتح القاف ، والاسم القُبْح بضمها يقال قَبْحاً له وقُبحاً أيضاً . والإله تقدّم أنه لا يجمع بين أل وهمزة إله إلاّ على القلّة لـكون أل فى الله بدلا من همزة إله[2] .

وزياد هو زِياد بن سُميَّة ، وهى جاريةٌ للحارث بن كَلَدَة الطبيب الثَّقَفىّ ، كان زوَّجها بعبدٍ له رومىّ اسمه عُبيد ، فولدت له زياداً على فراشه . وكان أبو سفيان سافر فى الجاهلية إلى الطائف قبـل أن يسلم ، فواقعها بواسطة أبى مريم الخمَّار ، فيقال إنَّها علقت منه بزياد . ثم إنّ معاوية أحضر من شهد لزيادٍ بالنسب[3] واستلحقه بأبى سفيان ، فقيل زياد بن أبيـه ، أى ابن أبى معاوية . ويقال له أيضاً زياد بن سُميَّة ، نسبةً إلى أمه . وهذه أول واقعة خولفت فيها الشريعة المطهَّرة علانية ، لصريح قوله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش زياد بن أبيه

(١) الآية ٤٢ من القصص .

(٢) انظر الخزانة ٢ : ٢٦٦ ــ ٢٦٩ .

(٣) ط : « من شهد لمعاوية بالنسب » ، صوابه فى ش .

وللعاهر الحجر » . وأعظمَ الناسُ ذلك وأنكروه ، خصوصاً بنى أمية لكونه ابنَ عبدٍ رومىّ صار من بنى أمية . وقيل فيه أشعارٌ ، منها قول يزيد صاحب البيت الشاهد :

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حربٍ مُغَلْغَلةً من الرجُل اليمانى[1]
أتغضبُ أن يقال أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال أبوك زانى
فأشهد إنَّ رِحْمكَ من زيادٍ كرحم الفِيل من وَلد الاتانِ
وأشهدُ أنّها ولدت زياداً وصخرٌ من سُميَّة غير دانى

وقصة الاستلحاق مفصَّلة فى التواريخ .

٢١٢ قال أبو عُبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى[2]) : كتاب المثالب لأبى عبيدة أصله لزياد بن أبيه ، فإنَّه لما ادَّعى أبا سفيان أباً ، علم أنَّ العرب لا تقرُّ له بذلك مع علمهم بنسبه ، فعمل كتاب المثالب وألصق بالعرب كلَّ عيب وعار وباطل وإفك وبَهْت . انتهى .

وبنو زيادٍ المشهورُ منهم : عبّاد وَلىّ سِجِسْتان وما والاها ، ومنهم عبيد الله بن زياد الشقىّ الخبيث ، قاتل الحسين بن على رضى الله عنهما .

---

(١) نسبة الأبيات الى يزيد بن مفرغ فى الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . وفى الأغانى ١٢ : ٧١ : « والناس ينسبونها الى ابو مفرغ لكثرة هجائه لزياد ، وذلك غلط » . ونسبتها الى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم فى الحيوان ١ : ٧/١٤٦ : ٢٣٥ والأغانى . وجاء فى شفاء الغليل للخفاجى ١٧٣ « كرحم الفيل من ولد الأتان » وقال : « هذا فى شعر للكميت » . ونسبت الى عبد الرحمن بن حسان فى العقد ٦ : ١٣٢ .

(٢) اللآلىء ٨٠٧ . وهذا ايجاز من البغدادى ، فان البكرى ساق بعد ذلك سلسلة من كتب الشعوبية .

وقوله : (وحيَّ أبيهم) معطوف على بَني ، أي وقبح الله أباهم زياداً .
وقوله (قَبْح الحمار) هو بفتح القاف مصدر تشبيهيّ ، أي قَبَحهم الله قبحاً مثل قبح الحمار . وإنّما ذكر الحمار لأنه مَثَلٌ في المذلّة والاستهانة به ، ولأنّ صوته أنكر الأصوات وأبشعُها .

ويزيد شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأمويّة ، وهو أبو عثمان يَزيد بن رَبيعة بن مُفرِّغ بن ذي العشيرة بن الحارث ، وينتهي نسبه إلى زيد بن يحصُب الحِميريّ ، وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميريّ، حليف لقريش ، ويقال إنه كان عبداً للضحاك بن يغُوث الهلالي فأنعم عليه . انتهى . يزيد بن مفرغ

ومُفرِّغ بكسر الراء المشدَّدة : لقب جده ، سمّي به لأنّه راهن على شرب سِقاءِ لبن ، فشربَه حتّى فرّغه ، فسمّي مفرِّغاً . وقال النوفليّ : كان حدّاداً باليمن فعمل قُفْلاً لامرأةٍ وشرط عليها عند فراغه منه أن تجيئه بكَرش من لبن ، ففعلت فشرب منه ووضعه ، فقالت: رُدَّ على الكرش ، فقال : ماعندي ما أفرّغه فيه . قالت : لا بد من ذلك . ففرّغَه في جوفه فقالت : إنك لمفرِّغ . فعرف به .

وكان السبب في هجو زياد وبنيه ، هو ما رواه الأصبهاني (في الأغاني[1]) أنَّ سعيد بن عثمان بن عفان لما ولي خراسان استصحب ابنَ مفرِّغ فلم يصحبه ، وصحب عبَّاد بن زياد ، فقال له سعيد بن عثمان : أمّا إذْ أبَيتَ صُحبتي واخترت عبّاداً عليَّ فاحفظْ ما أوصيك به : إنَّ عباداً رجلٌ لئيم ، فإياك والدَّالَّةَ عليه وإن دَعاك إليها من نفسه ، فإنَّها خُدعَةٌ منه لك عن نفسك ، وأقلِلْ

(١) الأغاني ١٧ : ٥٢ .

زيارته فإنَّه مَلول ، ولا تفاخره وإنْ فاخرك ، فإنَّه لا يحتمل لك ما كنتُ أحتمله . ثم دعا سعيدٌ بمالٍ فدفعه إليه وقال : استعن بهذا على سفرك ، فإن صلَح لك مكانك من عَبّادٍ ، وإلاّ فمكانك عندى مُمهَّد . ثم سار سعيد من خراسان ، ولما بلغ عُبيدَ الله بن زياد صحبةُ ابن مفرِّغ أخاه عَباداً شقّ عليه ، فلما سار عَباد إلى سجستان أميراً عليها شيَّعه عبيد الله ، وشيَّعه الناس ، فلما أراد عبيد الله أن يودِّع أخاه دعا ابنَ مفرِّغ فقال له : إنك سألت أخى عَباداً أن تصحبه فأجابك إلى ذلك ، وقد شق علىّ ! فقال ابن مفرِّغ : ولم أصلحك الله ؟ فقال : لأنَّ الشاعر لا يقنعه من الناس ما يُقنع بعضَهم من بعض ، لأنَّه يظُنّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يَعذِر فى بعض العذر[1] ، وإنّ عبّاداً يقدَم على أرض حَربٍ فيشتغل بحروبه وخَراجه عنك ، فلا تعذِرُه فتُكسِبُنا عاراً وشرّاً ! فقال : لستُ كما ظنّ الأمير ، وإنّ لمعروفه عندى شكراً كثيراً[2] ، وإنّ عندى إنْ أغفَلَ أمرى عذراً ممهّداً . قال : لا ، ولكن تضمن لى إن أبطأ ما تحبّه ألا تعجل عليه حتّى تكتب إلىّ . قال : نعم . ثم إنّ عبّاداً لما قدم سجستان اشتغل بحروبه فاستبطأه ابن مفرّغ ولم يكتب إلى عبيد الله كما ضمن له ، ولكن بسط لسانَه وهجاه ـ وكان عبّادٌ عظيمَ اللحية[3] ، فسار ابن مفرِّغ يوماً مع عبّاد فدخلت الريحُ فيها فنفَشتْها ، فضحك ابن مفرّغ وقال لرجل من لخم كان إلى جانبه :

ألا ليتَ اللِحى كانت حشيشا فنعْلِفها دوابَّ المسلمينا[4]

---

(١) الأغانى : « فى موضع العذر » .
(٢) الأغانى : « لشكرا كثيرا » .
(٣) بعده فى الأغانى : « كأنها جوالق » .
(٤) الرواية المعروفة : « خيول المسلمينا » كما فى الأغانى وبعض أصول الشعراء ٢١٠ ليدن ، وفى بعضها الآخر : « دواب » كما هنا ، وتقرأ بتخفيف الباء .

فسعى به اللخميّ إلى عبّاد فغضب من ذلك وقال : لا تجملُ عقوبته فى هذه الساعة مع صحبته لى ، وما أؤخرها إلاّ لأشفِيَ نَفسى منه ، فإنّه كان يقوم ويشتم أبى فى عِدّة مواطن . وبلغ الخبرُ ابنَ مفرّغ فقال : إنى لأجد ريحَ الموت عند عبّاد ! ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ، إنى كنتُ مع سعيدِ بن عثمان ، وقد بلغك رأيه فىّ ، ورأيتَ جميل أثره علىّ ، وإنى اخترتك عليه فلم أحظَ منك بطائل(١) ، وإنّى أُريد أن تأذن لى فى الرجوع . فقال له : إنّى اخترتك كما اخترتَنى ، واستصحبتُك حين سألتنى ، فقد أعجلتَنى عن بلوغ محبَّتى فيك ، وقد طلبتَ الإذنَ لترجع إلى قومك فتفضَحَنى عندهم ، وأنت على الإذن قادرٌ بعد أن أقضىَ حقّك . فأقام وبلَغَ عباداً أنّه يسبّه وينال من عِرضه . وأجرى عبّادُ الخيلَ يوماً فجاء سابقا ، فقال ابن مفرّغ :

سَبَقَ عبّادُ وصَلّتْ لحيتُه وكان خرّازاً تجودُ قِربتُه(٢)

قال المدائنى : لمـا بلغ عبّاداً هذا الشعر دعا به والمجلس حافل ، فقال له : أنشدنى هجاء أبيك الذى هُجى به . فقال : أيُّها الأمير ، ما كُلِّف أحدٌ قطُّ مثلَ ما كلّفتَنى به ! فأمرَ غلاماً عَجمياً(٣) أن يصبَّ على رأسه السوط إن لم يُنشد ، فأنشده أبياتًا هجى بها أبوه أوّلها :

قَبحَ الإلهُ ولا أقبح غيره وجهَ الحمار ربيعةَ بنَ مفرّغِ (٤)

---

(١) فى الأغانى : « فلم أحلَ منك بطائل » .
(٢) فى الشعراء : « تجور قربته » . وصلت لحيته : تبعته . والسابق الأول من الخيل ، والمصلى : الثانى .
(٣) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ١٧ : ٥٤ : « أعجميا » .
(٤) فى الأغانى : « ولا يقبح غيره » .

وجعل عبّاد يتضاحك به ، فخرج ابن مفرّغ وهو يقول : والله لا يذهب شَتْم شيخى باطلا(١) .

فطلب عليه العِلَل ودسّ إلى قوم كان لهم عليه ديون أن يقتضُوا مالَهم عليه ، ففعلوا فحبسه وضربه ، وأمر ببيع سلاحه وخيله وأثاثه ، وقسَّم ثمنها بين غُرَمائه ، ثم بعث إليه أن يبيعنى الأراكة وبُرْداً ، وكانت الأراكة قينة لابن المفرّغ وبُرْدٌ غلامَه ، ربّاهما وكان شديد الضنّ بهما ، فبعث إليه ابنُ مفرّغ : أيبيع المرء نفسَه أو ولده ؟! فأضرَّ به عباد حتّى أخذهما منه ، وقيل اشتراهما رجلٌ من أهل خراسان ، فلما دخلا منزله قال له برد — وكان داهية أديباً(٢) — : أتدرى ما شرَيتَ ؟ قال : نعم ، شريتك وهذه الجارية . قال : لا والله ، ما اشتريتَ إلا العارَ والدَّمار وفضيحةَ الأبد ! فجزع الرجل وقال : كيف ذلك ويلَك ؟ قال : نحن ليزيد بن المفرّغ ، وما أصاره والله إلى هذه الحال إلاّ لسانُه وشَرُّه ، أفتراه يهجو عبّاداً وهو أمير سجستان ، وأخاه عبيد الله وهو أمير العراقين ، وعمّه معاوية وهو الخليفة ، ويمسك لسانَه عنك وقد ابتعتنى وأنا مثلُ ولده ، وهذه الجارية وهى نفسُه التى بين جنبيه ؟! فوالله ما أدرى أحداً أدْخل بيتَه أشأمَ على نفسه وأهله ممّا أدخلتَه منزلَك ! فقال : أشهد أنّكما له ، إن شئتما امضيا إليه ، وإن شئتما تكونا له عندى .

(١) مقتبس من قول امرىء القيس :

والله لا يذهب شيخى باطلا حتى أبير مالكا وكاهلا

وما بعده من الخبر فى الأغانى ١٧ : ٥٣ من رواية عمر بن شبة ، وابن الأعرابى ، ولقيط بن بكير .

(٢) وكذا فى الأغانى ، بالدال المهملة ، لا أريبا بالراء .

قال[١] : فاكتب إليه بذلك . فكتب إليه بذلك ، فكتب إليه ابن مفرّغ يشكر فعلَه ويسأله أن يكونا عنده حتى يفرّج الله عنه .

وفى بيعهما قال — وذكر تركَه سعيدَ بنَ عثمان[٢] — :

أصرَمتَ حبلَكَ من أمامَهْ … مِن بعد أيامٍ بِرامَهْ
ورَمَقتَها فوجدتَها … كالضلع ليس لها استقامه ٢١٤
لهفى على الرأى الذى … كانت عواقبه ندامه
تركى سعيداً ذا الندَى … والبيتِ ترفعه الدِّعامه
ليثاً إذا شهد الوغَى … تَرَكَ الهوى ومضى أمامَه
فُتحتْ سمَرقندُ له … فبنى بعَرصَتها خِيامَه
وتبعتُ عبدُ بنى عِلا … ج ، تلك أشراطُ القيامه
جاءت به حَبشيّةٌ … سَكّاء تحسبها نَعامه
مِن نسوةٍ سودِ الوجو … ه ترى عليهنَّ الدَّمامه
وشرَيتُ برداً ليتَنِي … من بعد بُردٍ كنتُ هامه
أو بومةً تدعو صدًى … بين المشقَّر واليَمامه
فالريح تبكى شجوَها … والبرْق يلمعُ فى الغمامه
والعبدُ يُقرع بالعصا … والحرُّ تكفيه الملاَمَة

وقوله : وشريت برداً البيت ، استشهد به صاحب الكشّاف عند قوله

(١) ط : « قالا » ، صوابه فى ش والأغانى .
(٢) الأغانى ١٧ : ٤٥ وأمالى الزجاجى ٤٢ بتحقيق كاتبه ، والوفيات ٢ : ٢٩٠ والشعراء ٣٢١ .

تعالى: ﴿الذينَ يَشْرُونَ الحياةَ الدُّنيا بالآخرة[(١)]﴾ على أن الشراء يأتي بمعنى البيع، فهو من الأضداد والهامة: أنثى الصَّدَى، وهو ذكر البُوم.

وفي مروج الذهب للمسعودي: من العرب من يزعم أنّ النَّفْس طائر ينبسط في الجسم، فإذا مات الإنسان أو قتل لم يزل يُطيف به مستوحشاً يصدح على قبره، ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبَر حتى يكون كضَربٍ من البوم، وهو أبداً مستوحِش ويوجد في الديار المعطّلة، ومصارع القتلى والقبور وأنّها لم تزل عند وَلد الميت ومخلَّفِه لتعلم ما يكون بعده فتخبره.

وقال أيضاً في بيعهما[(٢)]:

شَرَيْتُ برداً وقد مُلِّكت صفقتَه ... لما تطلَّبت في بيعي له رشَدا
يا بُرْدُ، ما مسَّنا دهرٌ أضرّ بنا ... من قبل هذا، ولا بِعنا له وَلدا
أمّا أراكةُ كانت من محَارمنا ... عيشا لذيذاً وكانت جنّةً رَغَدا
لولا الدَّواعي ولولا ما تعرّض لي ... من الحوادث ما فارقتُها أبدا

ثم إن ابن مفرّغ علم أنه إن أقام في الحبس على ذمّ عباد لم يزدد إلاّ شرًّا فجعل يقول للناس إذا سئل عن حبسه: أنا رجلٌ أدَّبه أميره ليقيم من أودَه. فلما بلغ ذلك عبّادا رقّ له فأطلقه، فهرب حتَّى أتى البَصرة ثم الشام، وجعل يتنقَّل في البلاد ويهجو بني زياد ويتأسّف على تركه صُحبة سعيد، فمن ذلك قوله:

إن تركي ندى سعيدِ بن عثما ... نَ فتى الجودِ ناصري وَعديدي[(٣)]
واتّباعي أخا الضرَاعة واللؤ ... م لنَقصٌ وفوتُ شأوٍ بعيدِ

(١) الآية ٧٤ من النساء.
(٢) الأغاني ١٧ : ٥٤ والشعراء ٣٢١.
(٣) الأغاني ١٧ : ٦١.

قلتُ والليلُ مُطْبقٌ بعُراه : ليتنى مِتُّ قبل تَرْكِ سَعيد

ثم إنَّه هجا بنى زياد حتى ملأ منه البلاد ، وتغنَّى به أهل البصرة ، فطلبه عبيدُ الله طلباً شديداً وكتب إلى معاوية — وقيل إلى يزيد[١] — « إن ٢١٥
ابن مفرِّغٍ هجا زياداً وبنيه بما هتكه فى قبره وفضح بنيه طول الدهر ، وتعدَّى ذلك إلى أبى سفيان فقذفه بالزِّنى ، وسبَّ ولده وهرب إلى البصرة ، وطلبتُه حتَّى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضَّغ لحومَنا بها ويهتك أعراضنا ، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه » . فهرب ابن مفرِّغ من الشام إلى البصرة فأجاره المنذرُ بن الجارود ، وكانت بنت المنذر تحت عُبيد الله ، وكان المنذر من أكرم النَّاس عليه ، فاغترَّ بذلك ، فبلغ عُبيدَ الله أن المنذر قد أجاره فبعث عبيدُ الله إلى المنذر ، فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشُّرَط فكبسوا دارَه وأتوه بابن مفرِّغ ، فلما رآه الجارود قام إلى عبيد الله فقال له . أذكِّرُكَ الله أيها الأمير لاتُخفرْ جِوارى فإنى قد أجرته ! فقال عبيدالله : يمدحك ويمدح آباءك ، وقد هجانى وهجا أبى ثم تجيره علىَّ ،والله لا يكون ذلك أبداً ! فغضب المنذرُ وخرج ، وأقبل عبيدُ الله على ابن مفرغ فقال : بئسما صحِبت به عباداً ! فقال : بئسما صحبنى عباد ، اخترتهُ على سعيد وأنفقت على صحبته جميعَ ماملكته وظننتُ أنّه لا يخلو من عقلِ زيادٍ ، وحِلم معاوية ، وسَماحة قريش ، فعدل عن ظنِّي كلّه ثم عاملنى بكلِّ قبيح . من حبَس وغُرْم وضرب وشتم ، فكنت كمن شام برقاً خُلّباً فى سحاب جَهامٍ ،فأراق ماءه، طمعاً فمات عطشاً،وما هربت من أخيك إلاّ لما خفت أن يجرى فىَّ ما يندم عليه ، وها أنا بين يديك فاصنعْ

(١) الميمنى : « لم يكن يزيد ولى الخلافة فى حياة زياد ، فان زيادا توفى سنة ٥٣ ومعاوية سنة ٦٠ » .

فىَّ ما شئت ! فأمر بحبسه وكتب إلى معاوية أن يأذن له فى قتله ، فكتب إليه : «إيّاك وقتله ، ولكن تَناوله بما ينكله ويشدّ سلطانك عليه ، ولاتبلغْ نفسَه ، فإنّ له عشيرة هم جُندِى وبطانتى ، ولا يرضون بقتله إلاّ بالقوَد منك ، فاحذَرْ ذلك ، واعلم أنّ الجِدّ(١) منّى ومنهم ، وأنّك مُرْتَهنٌ بنفسه ، ولك فى دون تَلَفِها مندوحةٌ تَشفى من الغيظ . فلما ورد الكتاب أمر بابن مفرِّغ فسُقى نبيذاً حلواً مخلوطاً بالشُّبْرُم والتربُد(٢) فأسهل بطنَه ، وطِيف به على بعيرٍ فى أزقّة البصرة وأسواقها ، وقُرِن بهرّة وخنزير ، وجعل يَسْلح والصبيان يتبعونه ويصيحون عليه ، وألحّ ما يخرج منه حتّى أضعفه فسقط ، فقيل لعبيد الله : إنّا لا نأمن أن يموت . فأمر به فغُسل فلما غُسِل قال :

يَغْسل الماء ما فعلتَ ، وقولى راسخٌ منك فى العِظام البوالى

ثم ردّه إلى الحبس . وقيل لعبيد الله : كيف اخترت له هذه العقوبة ؟ قال: لأنّه سلَح علينا فأحببتُ أن تسلح عليه الخنزيرة والهرّة .

ثم إن عبيد الله أرسله إلى أخيه بسجستان ، ووكّل به رجالا ، وكان لمّا هرب من عبّاد هجاه وكتب هجاءه على حيطان الخانات ، فأمر عبيدُ الله الموكَّلين به أن يُلزموه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره ، فكان يفعل ذلك حتّى ذهبت أظافيره ، فكان يمحو بعظام أصابعه . وأمرهم أيضاً أن لا يتركوه يصلّى إلا إلى قِبلة النصارى إلى أن يُسلموه إلى عبّاد ، فحبسه وضيّق عليه ، فلما طال حبسه استأجر رسولا إلى دمشق وقال له : إذا كان يوم الجمعة فقِف على دَرَج جامعِ دمشق ، ثم أنشدْ هذه الأبياتَ بأرفع ما يمكنك من صوتٍ ، وهى :

---

(١) فى الأغانى ١٧ : ٥٦ : « أنه الجد » .

(٢) ليست فى الأغانى . والتربد ، كقنفذ : نبت .

أبلغْ لديكَ بنى قحطان قاطبةً عضّت بأير أبيها سادةُ اليمنِ ٢١٦
أضحى دَعيٌّ زيادٍ فقْعَ قرقرةٍ يا للعجائب يلهو بابن ذى يزن(١)
والحِميرى طريحٌ فوق مَزْبلةٍ هذا لعمركم غَبنٌ من الغبَن(٢)
قوموا فقولوا : أميرَ المؤمنين لنا حقٌّ عليك ومنٌّ ليس كالمنن
فاكففْ دعيٌّ زياد عن أكارمنا ماذا تزيد على الأحقاد والإحنِ

ففعل الرسولُ ما أُمِر به ، فحَمِيت اليمانيةُ وغضبوا له ودخلوا إلى معاوية فسألوه فيه ، فدافعهم عنه ، فقاموا غِضاباً والشرُّ يلمع فى وجوههم ، فعرف ذلك معاوية منهم فوهبه لهم ، ووجَّه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام ، بريداً إلى عبّاد ، وكتب له عهداً ، وأمره أن يبدأ بالحبس فيُخرج ابن مفرِّغٍ منه ، ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيم قَدِم فيغتاله . ففعل ذلك فلما خرج من الحبس قرِّبت بغلةٌ من بغال البريد فركبها فقال :

عَدَسْ ما لعبّادٍ عليكِ إمارةٌ أمِنتِ ، وهذا تحملينَ طليقُ

وهو من جملة أبيات (تأتى إن شاء الله تعالى فى الموصول عند إنشاد هذا البيت هناك(٣)) فلما دخل على معاوية بكى وقال : رُكِب منِّي ما لم يُركَبْ من مُسلمٍ قط ، على غير حَدثٍ فى الإسلام ولا خلع يدٍ من طاعة . فقال له : ألستَ القائل :

(١) ط : نقع قرقرة » ، صوابه بالفاء ، كما فى ش والأغانى . والفقع : ضرب من أردأ الكماة . والقرقر : القاع الأملس . يضرب مثلا للذليل . وانظر للشعر الأغانى ١٧ : ٥٩ ، ٦٢ .

(٢) فى الأغانى : « وسط مزبلة » .

(٣) الخزانة ، الشاهد ٤٨٢ .

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حرب مغلغَلةً من الرجل اليمانى

الأبيات المتقدمة . فقال : لا ، والذى عظَّم حقَّك ما قلتها ، ولقد بلغنى أنَّ عبد الرحمن بنَ الحكم قالها و نسبها إلىّ[1] . قال : أفلم تقل كذا وكذا .. وسرد أشعاره ، ثم قال : اذهبْ فقد عفوتُ عن جُرْمك فاسكنْ أىَّ أرض شئت . فاختار الموصل ، ثم ارتاح إلى البصرة فقدِمها ، فدخل على عبيد الله فاعتذر إليه وسأله الصَّفح والأمان فأمَّنه ، فأقام بها مدَّةً ثم دخل عليه فقال : أصلح الله الأمير إنى قد ظننت أنَّ نفسك لا تَطيبُ لى بخيرٍ أبداً ، ولى أعداء ولا آمن سعيَهم علىَّ بالباطل ، وقد رأيت أن أتباعد . فقال له : إلى أين شئت ؟ فقال : كِرْمان . فكتب له إلى شَريك بن الأعور ، وهو عليها ، بجائزةٍ وقطيعة[2] ، فشخص إليها وأقام بها إلى أن مات فى سنة تسع وستين فى طاعون الجارف أيام مُصعَب بن الزبير .

هذا ما لخَّصته من الأغانى ، وهو كشَذْرة من عِقدِ نَحْرٍ ، أو قطرة من قاموس بحر .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصّل[3] :

٣٠٤ (ياقُرَّ إنَّ أباكَ حَىَّ خُوَيلِدٍ قد كنتُ خائفَه على الإحماقِ)

لما تقدَّم قبله . وذهب أبو على (فى الإيضاح الشعرى) عند ذكره هذه الشواهد ، إلى أنّ لفظ حىّ زائد لا غير ، وتبعه الزمخشرى (فى المفصَّل) والبيضاوى (فى اللبّ) ، وتعقّبه شارحه السيِّد عبدُ الله بأنّه غير زائد من

(١) فى الأغانى ١٧ : ٦٠ : « قاله ونسبه الىّ » .

(٢) فى الأغانى : « بجائزة وقطيفة وكسوة » .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٣ . وانظر أيضا نوادر أبى زيد ١٦١ والخصائص ٣ : ٢٨ والأشمونى ٤ : ١٣٣ .

حيث المعنى ؛ فإنه يفيد نوعاً من تحقير ما أضيف إليه حي ، كأنه يقول : هذا شخصٌ ليس سوى أنه حي ، وشَبَحٌ مافيه سوى أنه حسّاس . انتهى .

ولا يخفى أن هذه النكتة قاصرة على هذا البيت لا تتمشى له في غيره .

٢١٧ و (قُرَّ) بضم القاف : مرخم قُرّة . و (حي خويلد) بدلٌ أو عطف بيان من أباك(١) . وجملة (قد كنتُ خائفَه) خبر إنَّ . و (الإحماق) : مصدر أحمق الرجل : إذا وُلد له ولدٌ أحمق ، وكذا أحمقت المرأة ؛ وأمّاً حَمِق بدون ألف فهو من الحُمْق بالضمّ وهو فسادٌ في العقل ، وهو من باب تعب ، ووصفه حَمِقٌ بكسر الميم ؛ وأما أحمق ففعله حَمُق بالضمّ والأنثى حمقى . وعلى متعلقة بخائفَه ، يقال خفته على كذا أى خفت منه . والمعنى إنّى كنت أرى من أبيك مخايلَ تدلُّ على أنه يلد ولداً أحمق ، وقد تحقّق بولادته إيّاك . ومثل هذا أبلغ من أن يقول له : أنت أحمق ؛ لأنَّ ذلك يُشعر بتحقُّق ذلك فيه ، أى كان ذلك معروفاً من أبيك قبلَ أن يلدك . فهذا أبلغ من دعوى الحمق فيه الآن . وإدراكُ مثلِ هذه المعانى لا يكاد يحصل بالتعبير ، وإنما هو أمرٌ فى الغالب يدرَكُ بالقوّة التى جعلها الله تعالى فى أهل هذا اللسان . كذا فى أمالى ابن الحاجب .

وهذ البيت نسبه أبو زيد (فى نوادره) إلى جَبّار بن سلمى بن مالك(٢)، قال : وهو جاهلى . وأورد بعده :

(١) فى النوادر ١١٦ : « قال الرياشى : يعنى حياة خويلد » .

(٢) فى النوادر : « قال أبو الحسن : وقع فى كتابى سَلْمَى ، وحفظى عن أبى العباس محمد بن يزيد : جبار بن سُلْمىٌّ . وفى سُلْمىٍّ هذا يقول القائل :

وأتيت سـلميا فعذت بقبـره وأخـو الزمانة عائذ بالأمنع

(وكأنَّ حيًّا قبلكم لم يَشربوا فيها بأقلِبةٍ أَجنَّ زُعاقِ)

هذا الحيّ بمعنى القبيلة . وأقلبة : جمع قَلِيب بمعنى البئر ، قال الرياشيّ : هذا يدلّ على تذكير القليب ، لأنّه قال أقلبة ؛ والجمع قُلُب ، ولكن جاء به على رغيف وأرغفة للجمع القليل . انتهى . والباء بمعنى من . وأجنَّ فعلٌ ماض والنون الأخيرة فاعله تعود على أقلبة ، لما سكن لها لام الفعل أدغمت فيها ، يقال أجَن الماء يأجن بضم الجيم وكسرها . إذا تغيّر . وضمير فيها للمنيّة . وضرب القليبَ مثلاً لها . وقد يكون القليب القبر ، قاله ابن برّيّ (في شرح أبيات إيضاح الفارسي) . والزُّعاق ، بضمّ الزاى بعدها عين مهملة : الماء المرّ الغليظ لا يطاق شربه من أُجُوجته . وإذا كثر مِلح الشيء حتى يصير إلى المرارة فأكلته قلتَ : أكلتهُ زُعاقا .

جبار بن سلمى

وجبّار ، بفتح الجيم وتشديد الموحّدة وآخره راء مهملة . وقد أورده الآمدى (في المؤتلف والمختلف) وقال : هو جبّار بن سلمى بن مالك من بنى عامر بن صعصعة [1] . وأنشد له المفضّل في المقطّعات :

وما للعَين لا تبكى بُجيراً إذا افترّتْ عن الرُّمح اليَدان [2]
وما للعَين لا تبكى بُجيراً ولو أنّى نُعِيتُ له بَكانى

وذكر ثلاثة من الشعراء يوافقونه في اسمه ، أحدهم : جبّار بن مالك بن جبّار بن شَمْخ بن فَزارة [3] .

---

(١) في المؤتلف ٩٩ : « بن مالك بن عامر بن صعصعة » ، تحريف . وفي جمهرة ابن حزم أنه جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، انظر الجمهرة ٢٨٦ ، ٢٨٢ .

(٢) ط : « اذا فترت » ، وأثبت ما في ش والمؤتلف .

(٣) ذكر الميمنى أن في مختار المؤتلف : « مالك بن حمار بن شمخ بن فزارة » .

وثانيهم: جبّار بن عمرو الطائى قاتل عَنْتَرة العبسى، وهما جاهليّان أيضاً.

وثالثهم: جبّار بن جزْء بن ضِرار، وهو ابن أخى الشمّاخ، وهذا إسلامىٌّ ابن صحابىّ.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس بعد الثلثمائة [1]:

٣٠٥ (الى الحَوْلِ ثمَّ اسمُ السلاَمِ عَلَيْكُما
ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فقد اعتَذرْ)

على أنّ لفظ (اسم) مقحم عند بعض النحاة.

قال ابن جنّي (فى الخصائص): هذا قول أبى عبيدة، وكذلك قال فى بسم الله، ونحن نحمل الكلامَ على أنَّ فيه محذوفاً [2]. قال أبو علىّ: وإنما هو [على [3]] حدّ حذف المضاف، أى ثم اسم معنى السلام عليكما، واسم معنى السلام هو السلام، وكأنه قال: ثمّ السلام عليكما. فالمعنى لعمرى ما قاله أبو عبيدة، لكنّه من غير الطريق التى أتاه هو منها، ألا تراه هو ٢١٨
اعتقد زيادةَ شىء واعتقدنا نحن نُقصانَ شىء. انتهى.

وقال ابن السِّيد البَطَلْيوسىّ (فى تأليف ألّفه فى الاسم): تقديره ثمّ مسمَّى السَّلامِ عليكما، أى ثم الشىء المسمّى سلاماً عليكما، فالاسم هو المسمَّى

(١) الخصائص ٣ : ٢٩ والمنصف ٣ : ١٣٥ وابن يعيش ٣ : ١٤ والعينى ٣ : ٣٧٥ والهمع ٢ : ٤٩ ، ١٥٨ والأشمونى ٢ : ٢٤٣ وديوان لبيد ٢١٤ .

(٢) الذى فى الخصائص ٣ : ١٣٠ : « فأبو عبيدة يدعى زيادة ذى واسم » .

(٣) التكملة من ش والخصائص .

بعينه وهما يتواردان على معنى واحد . وذهب أبو عبيدة إلى أن لفظ اسم هُنا مقحم . وعند أبي عليّ فيه مضاف محذوف تقديره مسمّى اسم السلام . انتهى .

وردّ عليه الإمام السُّهَيلي (فى كتابه المعتبر) فقال : هذا جوابٌ لا يقوم على ساق ، ولا يكاد يفهم لما فيه من الاستغلاق[١] . وقد تكلّف فى هذا التأليف وتعسَّف ، ومن ألّف فقد استهدف . والأحسن أن يقال : لم يُرد الشاعر إيقاعَ التسليم عليها لحينه ، وإنّما أراده بعد الحول . فلو قال : ثم السلام عليكما ، لكان مسلِّماً فى وقته الذى نطَق به فى البيت ، فلذا ذكر الاسم الذى هو عبارة عن اللفظ ، أى إنما لفظَ بالتسليم بعد الحول ، وذلك السّلامُ دعاء ، فلا يتقيَّد بالزمان المستقبل ، وإنما هو لحينه ، فلا يقال : بعدَ الجمعة اللهم ارحم زيداً ، وإنما يقال : اغفر لى بعد الموت ، وبعد ظرف للمغفرة ، والدعاء واقع لحينه . فإن أردت أن تجعل الوقتَ ظرفاً للدعاء صرحتَ بلفظ الفعل فقلتَ : بعدَ الجمعة أدعو بكذا ، وألفِظُه ، ونحوه ، لأنَّ الظروف إنّما تقيَّد بها الأحداثُ الواقعة خبراً أو أمراً أو نهياً ، وأما غيرها من المعانى كالعقود والقسَم والدعاء والتمنى والاستفهام ، فإنّها واقعة لحين النطق بها . فإذا قال : بعدَ الحول والله لأخرجنّ ، فقد انعقد اليمين حين ينطق به ، ولا ينفعه أن يقول أردت أن لا أوقع اليمين إلاّ بعد الحول ، فإنَّه لو أراد ذلك قال : بعدَ الحول أحلف أو ألفظ باليمين . فأمّا الأمر والنهى والخبر ، فإنما تقيّدت بالظروف لأنّ الظروف فى الحقيقة إنما يقع فيها الفعلُ المأمور به أو المخبَر به ، دون الأمر والخبر ، فإنّهما واقعان لحين النطق بهما ، فإذا قلت اضربْ زيداً يوم الجمعة فالضرب واقع في اليوم وأنت اليوم آمره . فلو أنَّ لبيداً قال : إلى الحول ثمّ

(١) ط : « الاستقلال » ش : « الاستقلاق » ، والوجه ما أثبت والعبارة مسجوعة .

السلام عليكما ، كان مسلِّماً لحينه ، وقد أراد إنّى لا ألفِظ بالتسليم والوَداع إلاّ بعد الحول ، ولذا ذكر الاسم الذى هو اللفظ ، ليكون بعد الحول ظرفاً . انتهى كلام السهيلى .

والمراد من قوله : « ثمّ اسمُ السَلام عليكما » الكناية عن الأمر بترك ما كان أمَرَهما به ، وهو سلامُ توديع . وأتَى بثمّ لأنّها للتراخى والمُهْلة . وقد تعسّف قومٌ لإخراج الاسم عن الزيادة بجعل السلام اسمَ الله تعالى ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : عليكما اسم فعل ، أى الزَما اسمَ الله واترُكا ذِكْرى . وفيه أنّ تقديم اسم الفعل لا يجوز إلاّ عند الكسائىّ ؛ على أن الرواية رفع اسمٍ لا نصبُه .

وقال جماعةٌ منهم شارح اللبّ : إنّ المعنى ثم حِفْظُ الله عليكما ، كما يقال للشىء المعجِب : اسمُ اللهِ عليك ، تعويذاً له من السوء . ففى ذكر الاسم تفخيمٌ وصيانة للمسمّى عن الذكر .

وقال الشَلَوبين (فى حاشية المفصّل): أجاب بعضهم بأن السَلام هنا اسمٌ من أسماء الله تعالى ، والسَلام عبارةٌ عن التحية ، وهذا هو الذى أراد ، ولكنّه شرّفه بأنْ أضافه إلى الله تعالى لأنّه أبلغُ فى التحية ، كأنه يقول : لو وجدتُ سلاماً أشرفَ من هذا لحيّيتكم به ، ولكنّي لا أجده لأنه اسم السلام . هذا كلامه .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) : قوله ثم اسمُ السلام عليكما ، أى حِفْظُ الله عليكما ، والاسمُ مقحم ، وثمّ تستعمل فى معنى الترك والإعراض . هذا كلامه ، ولا يخفى ما فيه من الخبْط الظاهر ٢١٩

وهذا البيت من أبيات للبيد بن ربيعةَ بن عامر الصّحابى ، وقد تقدّمت صاحب الشاهد

ترجمته فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[1] .

روى أنّه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه :

تمنّى ابنتــاى أن يَعيشَ أبوهما وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضَرْ
فقوما وقولا بالذى تعلمــانِه ولا تَخمشا وجهاً ولا تحلقا شَعَرْ
وقولا : هو المرء الذى لا صديقَه أضاعَ ، ولاخان الخليلَ ، ولا غَدَرْ
إلى الحول ثمّ اسمُ السلام عليكما . . . . . . (البيت)

وبعد وفاته كانتا تلبسان ثيابَهما فى كلّ يوم وتأتيان مجلسَ جعفر بن كلاب قبيلته ، فترْثيانه ولا تُعْوِلان ، فأقامتا على ذلك حولاً كاملاً ثم انصرفَتاَ .

وقوله : « تمنّى ابنتاى » هو مضارع ، وأصله تتمنّى بتاءين . وزعم بعضهم أنّه فعل ماض ، ولو كان كما زعم لقال تمنّت ، ولا موجب لحمله على الضرورة . وقوله : « وهل أنا الخ » أى جميع آبائى من ربيعة أو مضر قد ماتوا ولم يَسلم أحدٌ منهم من الموت ، فكذلك أنا لابدّ لى من الموت . وقال بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصّل) معناه : وما أنا إلاّ من الكرام الأشراف ، ومن كان منهم لا يعيش طويلا ، لأنّ الكرام قليلة الأعمار . وهذا كلامه ، وليس هذا معنى الشعر ، ويكذّبه أن لبيداً من المعمَّرين كما تقدم فى ترجمته .

وقوله : فقوما ، الفاء فصيحةٌ ، لأنّ المعنى إذا ثبتَ أنى من ربيعة أموت كما ماتوا ، فقوما بعد موتى للعَزاء وقولا فى الرثاء ما تعلمانه من الصفات الحميدة وابكيا إنْ أردتُما ولا تخمِشا بأظافيركما ولا تحلقا شَعْركما . ويُقدَّر « ابكيا » لقوله ولا تخمشا الخ ، وذلك أنّ خمش الوجه وحلق الشعر لا يكون إلاّ مع

(1) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

البكاء، والبكاء مباح ما لم يكن فيه خمش الوجه وحلق شعر ولطم خدّ . وقوله : لا صديقه ، مفعول مقدم لقوله أضاع ، ومفعول غدر محذوف وهو ضمير الخليل أو أنَّ غدَر منزَّل منزلةَ اللازم ، أى لم يحصل منه غدرٌ لأحد .

وقوله : « إلى الحول » متعلّق بقوله : قوما ، أى امتثِلا ما قلت لكما إلى الحول ، وإنما قال إلى الحول لأنَّ الزمان ساعاتٌ وأيامٌ وجُمعٌ وشهورٌ وسنون ، والسّنون هى النهاية ، فالحول والسنة مدّة هى نهاية الزمان فى التقسيم إلى أجزائه . ويمكن أن يكون ذلك لما روى فى بعض الآثار : أن أرواح الموتى لا تنقطع من التردّد إلى منازلهم فى الدنيا إلى سنة كاملة ، فكأنَّه إنّما أمرهما بما ذكر من الذكر والدُّعاء وغير ذلك ، ليشاهد ذلك منهما ، ولذلك قال : « ومن يَبكِ حولا الخ » . وقال بعضهم : إنّما وقّت بالحول لأنه مُدّة عزاء الجاهليَّة ، وهذا لا يصحّ هنا لأن قائله صحابى . و (اعتذر) بمعنى أعذَرَ ، أى صار ذا عذر ، كذا فى الصحاح . والخطاب فى قوله عليكما لابنتيه كما تقدّم ، ومنه يعلم غفلة [بعض[1]] شرّاح المفصل فى قوله : المعنى بكيت عليكما ، أيها الخليلان ثم السلام عليكما ، يعنى تركت البكاء فإنَّ من يبكى حولاً فقد قضى حقّ الخليل .

وعجيبٌ من صاحب (الكشف[2]) فى سورة المؤمن قوله : إنّ لبيداً قال ذلك يرثى أخاه لأمّه وهو أرْبدُ وابنَ عمه عامرَ بنَ الطُفيل ، لما أصابهما ما أصابهما بدعوة من النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) تكملة ضرورية .

(٢) الكشف عن مشكلات الكشاف ، لعمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥ . اقليد الخزانة ٩٣ .

تتمة

رأيت (فى التذكرة الحمدونية) أنّ الحسن بن الحسن بن علىّ رضى الله
٢٢٠ عنهم، لما مات قامت زوجته بنتُ الحسين على قبره سنة ثم رفعت الفُسطاط وأنشدت:

إلى الحول ثم السلام عليكما . . . . . . البيت

فسُمع صوتٌ من جانب القبر: أهلْ وجدُوا ما طلبوا، وسمع من الجانب الآخر: بل يئسو فانقلبوا.

ومثل هذا ما رواه ابن الزّجاجى (فى أماليه الوسطى) بسنده عن إسماعيل ابن يسَار قال: مات ابنٌ لأرطاة[1] بن سُهَيّة المرّىّ، فلزم قبره حولا، يأتيه بالغداة فيقف عليه فيقول: أى عمرو، هل أنت رائحٌ معى إن أقمتُ عندك إلى العشىّ! ثم يأتيه بالمساء فيقول مثلَ ذلك، فلما كان بعدَ الحول أنشأ متمثّلاً:

إلى الحول ثمّ اسمُ السلامِ عليكما . . . . . . البيت

وأنشد بعد هذا أبياتاً جيّدة فى هذا الباب رواها الزجّاجىّ.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس بعد الثلاثمائة، وهو من أبيات للفضّل أيضاً[2]:

---

(١) فى ط: «ابن أرطاة»، والوجه ما أثبت من ش وأمالى الزجاجى ٦٣.

(٢) ابن يعيش ٣: ١٤ / ٤: ٧٢، ٨٥. وانظر أيضا اصلاح المنطق ٣٤ والأشمونى ٣: ١١٢ واللسان (شيب ٤٩٥ بصر ١٣٣) وديوان ذى الرمة ٦٠٩. وقد كرر البغدادى الشاهد ووضع له رقما جديدا على خلاف عادته، سهوا منه، فان هذا الشاهد هو بعينه الشاهد رقم ٨.

٣٠٦* تَدَاعَيْنَ باسمِ الشيبِ فى مُتَثَلِّمٍ
جَوَانِبُه مِنْ بَصْرَةٍ وسِلامِ*

لما تقدّم قبله : من أنّ اسماً مقحمٌ . قال الشّلَوبين (فى حاشيته على المفَصّل) : ردّ هذا بعض المتأخّرين وقال : لوكان البيت على إقحام الاسم لقال باسم شيب ، والشاعر إنما قال باسم الشّيب بالألف واللام ، ولفظُهما غير موجود فى صوت الإبل ، فانّما أراد تداعين بصوت يُشبه فى اللفظ اسمَ الشيب أعنى جمع أشْيَب . انتهى .

أقول : وجود أل لايضرّ ، فإنّها زيدت فى الحكاية لأ أنّها من المحكىّ . على أنّ الصاغانى قال (فى العباب) : الشِيب حكايةُ أصوات مشافر الإبل عند الشرب . وأورد هذا البيت .

والنون فى (تداعَين) ضمير القُلُص أى النوق الشوابّ . و (المتثلّم) بكسر اللام المشدّدة ، وهو المتهدّم والمتكسّر ، أراد الحوض المتثلّم . وجملة (جوانبه من بَصْرَة) صفة المتثلّم . والبصرة ، بفتح الموحّدة : حجارة رِخوة فيها بياض ، وقيل تضرب إلى السواد . والسِّلام ، بكسر السين المهملة : جمع سَلِمة بفتحها وكسر اللام ، وهى الحجر ، وقيل الحجر الرقيق . وإنّما ذكرها لبيان الواقع .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرمّة تقدّم شرح بعضها مع هذا البيت فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب(١) . وقد وصف إبلاً واردات على حوض متهدّم فشربن الماء ، فيقول : دعا بعضُ الإبل بعضاً إلى الشربِ بصوت مشافرها عند شرب الماء من ذلك الحوض ، أى إذا سمع كلٌ منها صوتَ

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

تجرُّع الماء من الآخر ازداد رغبةً في الشُّرب ، فكانَ ذلك كأنه دعاه إلى الشرب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الثلثمائة[1] :

٣٠٧ (لا يَنْعَشُ الطرفَ إلا ما تَخَوَّنَهُ
داعٍ يُنادِيه باسم الماءِ مبغومُ)

على أن اسماً مقحم . قال ابن الحاجب (في شرح المفصّل) : النداء إنّما هو باللفظ ، فلو حمل الاسم على اللفظ لاختلّ المعنى . والذى يجعل الاسم المسمّى في قوله ثمّ اسم السلام عليكما ، [يجعله[2]] من باب ذات يوم ، ويتأول قوله باسم الماء ، على أن المراد بمسمًّى هذا اللفظ ، ويجعله دالاً على قولك ماء ، وهو حكاية بُغام الظبية . ويقوّى ذلك استعماله استعمالَ رجل وفرس بإدخال اللام عليه وخفضه وإضافته ، ولولا تقديره اسماً لذلك لم يجرِ هذا المجرى . انتهى .

٢٢١ قال ابن جنّي (في الخصائص) : ذهب أبو عبيدة إلى زيادة الاسم في قوله ثم اسم السلام عليكما ، وفي قوله باسم الماء مبغُوم ، ونحن نقول إن فيه محذوفاً ، أي اسم معنى السلام . . . إلى آخر ما نقلناه عنه قبل هذا[3] .

وزيادة الاسم هنا لا تتجه ، لأنّ الداعي هنا هو الظبية ، وإنما دعت ولدها بقولها ماء ماء ، فلو كان على إقحام الاسم لقالت باسم ماء ماء ، والماء بالألف واللام ليس إلاّ الماء المشروب ، فكيف يريد حكايةَ صوتها ! ولكنّ الشاعر

(١) الخصائص ٣ : ٢٩ والمنصف ١ : ١٢٦/٣ : ١٤٣ وابن يعيش ٣ : ١٤ والأشمونى ٣ : ٢١٢ وديوان ذى الرمة ٥٧١ .
(٢) تكملة ضرورية لم ترد فى احدى النسختين .
(٣) انظر هذا الجزء ص ٣٣٧ .

ألغزَ حيث أوقع الاشتراك بين لفظ الماء وصوتها ، كأنه اللفظ المعبَّر به عن الماء المشروب . كذا فى حاشية المفصل للشلَوبين . وهذا كلُّه مأخوذ من كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) قال : فإن قيل إنَّ هذا من قبيل غاق ، يعنى الصوت ، فكيف أُلحق لام التعريف ، وقال آخر :

* ونادى بها ماءٍ إذا ثار ثورةً *

على القياس ؟ فالقول فيه أن قوله باسم الماء ، إن شئت قلتَ إنّ تقديره يناديه بالماء ، والاسم دخولُه وخروجُه سواء ، كقوله : ثمَّ اسم السلام عليكما . وإن شئتَ جعلتَ الاسم المسمَّى على الإتباع ، لمصاحبته له وكثرة الملابسة . وإن شئت قلت : إنَّ التقدير يناديه باسم معنى الماء ، فحذف المضاف ، واسمُ معنى الماء هو الماء ، فيكون التقدير باسم ماء ، وتكون أل فيه زائدة لأنها لم تلحق هذا القبيل ، ألا ترى أنهم لم يلحقوه غاقٍ وصه ونحوَه . انتهى كلامه مختصراً .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدة لذى الرُّمَّة تغزَّل فيها بمحبوبته خرْقاء ، ومطلعُها :

أأنْ توهَّمتَ من خرقاء منْزِلةً ماء الصبابة من عينيكَ مسجومُ

ويأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى الحروف المشبَّهة بالفعل(١) .

وقبل البيت الشاهد :

كأنّها أمٌّ ساجى الطرف أخذَلها مسْتَوْدَعٌ خَمَرَ الوَعساءِ مَرخومُ
كأنَّه بالضحى يُرمَى الصعيدُ به دبَّابةٌ فى عظام الرأس خُرطومُ
لا يَنْعشُ الطرفَ . . . . البيت

(١) فى الشاهد ٨٥١ .

وقوله : كأنّها ، أى كأنّ خرقاء أمُّ غزال ساجٍ طرفهُ ، والساجى : الساكن للحَداثة . وأخذَلها ، أى خلّفها عن قطيعها فأقامت عليه فخُذِلتْ هى بالبناء للمفعول ، وهى خاذل وهو خاذل . والمستودع فاعل أخذلها ، وهو اسم مفعول أراد به الغزال، يقول :استودعته أمّه خَمرَ الوعساء خوفاً عليه. والوعساء : الأرض الليِّنة لا يبلغ ترُابُها أن يكون رملا . ويقال الوعساء رابيةٌ من رمل . والخمَرَ ، بفتح الخاء المعجمة والميم : الشجر الساتر . ومرخوم ، بالخاء المعجمة أى محبوب ، يقال : ألقِى عليه رَخَمته ، وإن عليه الرخمة بالتحريك أى محبّة . وقوله : كأنَّه ، أى كأنّ الغزال فى وقت الضحى سكرانُ رماه على الصعيد الخمر . والصعيد : الأرض . والدبَّابة : الخمر لأنها تدبّ فى الرأس والجسم . والخُرطوم : أوّل ما ينْزل من الخمر ، وإنما شبّه الغزال فى ضعفه وغلبة النعاس عليه وفتور عظامه بالسّكران الذى غَلبت عليه الخمر .

وقوله : (لا ينعَشُ الطّرفَ إلخ) فاعلُ ينعْش ضمير ساجى الطرف ، وهو الغزال ، والطرف مفعوله ، ونَعَش كرفع معنى ووزنا ، ومضارعهما مفتوح العين . وروى أيضاً : (لا يرفع الطرف) : يَصفه بكثرة النوم ، لأنّه يغلب على الطفل لرُطوبة مِزاجه . يقول : لا يرفع طرفه ولا جفْنَ عينه ، من شدَّة
٢٢٢ نُعاسه ، إلاّ أن تأتى إليه أمُّه فيسمعَ حسَّها أو صوتها ، فعند ذلك ينتعش ويقوم . والتخوُّن : التعهد ، يقال للحمَّى: تتخوَّن فلانا ، أى تتعهَّده ، وأصل التخوُّن التنقّص ، ويقال تخوَّننى فلانٌ حقِّى ، إذا تنقّصك . قال الجوهرىّ : «يقول: الغزال ناعسٌ لا يرفع طرفه إلاّ أن تجىء أمُّه وهى المتعهّدة له ، ويقال: إلاّ ما تنقّصَه نَوْمَه دعاء أمِّه له ».وتخوَّنه فعل ماض فاعله داعٍ المرادُ به أمّه . وأخطأ المظفرّىّ (فى شرح المفصّل) حيث قال : تخوَّنه فعلمضارع حذف منه التاء ، وداع بدل من الضمير فى تخوَّنه وهى الظبية .انتهى .وما مصدريَّة وقبلها

وقت محذوف أى لا يرفع طرفه إلاّ وقت تعهُّدها إيّاه بهذه اللفظة وهى ماءِ ماءِ(١)،وحكى صوتها،وفعله من باب ضرب(٢).وبُغام الناقة : صوتٌ لاتفصح به وبَغَمت الرجلَ : إذا لم تفصح له عن معنى ما تحدِّثه به.قال الأصمعىُّ فى شرحه هنا: ومَبغوم : مردودٌ إلى الصوت ، بُغِمَ به فهو مَبغوم ، كما تقول قيل فهو مقول . أشار بهذا إلى أنَّه صفة داعٍ ، بمعنى أنه يجيبه ولده بماءِ ماءِ أيضاً(٣).وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أى دعاؤه مبغوم ، فلم يذكره اكتفاء بما فى داعٍ من الدعاء ، ومعناه دعاه ذلك الداعى بُغامٌ غير مفهوم . وقيل فاعل يناديه . وهذان القولان تعسّف . ويناديه صفة لداع ، قدم الوصف الُجمْلىُّ على الوصف المفرد . وقيل يناديه حال من داعٍ ، وفيه نظر لأنَّه يلزم الفصل بين الصفة والموصوف .

وقد تقدمت ترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب(٤).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصّل (٥):

٣٠٨ (ذَعرتُ به القَطا ونفَيتُ عنه مَقامَ الذئبِ كالرجُلِ اللَّعينِ)

على أن لفظ (مقام) مقحم ، وإليه ذهب الزمخشرى (فى المفصل)

(١) ش : « ماما » ، وهما لغتان ، ولغة ثالثة : ماه ماه ، بالهاء الساكنة فى آخرها . اللسان (ما ٣٦٣) .
(٢) كذا فى النسختين .
(٣) بالبناء على الكسر ، وانظر ما سبق قريبا .
(٤) الخزانة ١ : ١٠٦ .
(٥) انظر ابن يعيش ٣ : ١٣ ش ١٥ وكذا المعانى الكبير ١٩٤ ومجالس ثعلب ٥٤٣ والمنصف ١ : ١٠٩ وديوان الشماخ ٩٢ .

والبَيضاوىّ (فى الابّ)، قال شارحه السيد عبدالله : وفيه نظر ، لأنّه يفيد تأكيد نفى الذئب لأنّه إذا نفى موضع قيامه فقد نفاه قطعاً . وفى قوله تعالى : ﴿ ولمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ(١)﴾ رعبٌ لايفيده لو لم يذكر المقام. انتهى . وهذا هو ماأجاب به الشارح المحقق ، وإليه ذهب صاحب الكشّاف فى حمّ السجدة(٢) عند قوله تعالى: ﴿و نأى بِجانبه(٣)﴾ على أنه يوضع الجانب موضعَ النفس ، فإنّه يُنزَّلُ جانب الشيء ومكانه وجهته منزلةَ نفسِهِ فيقال : حضرة فلان ومجلسه ، وكتبت إلى جانبه وجِهتِه ، والمراد نفسه ، ومنه مقام الذئبِ ، وهو الذئب نفسه .

وسبقَهم إلى هذا ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) فإنَّه قال : قوله : مقام الذئب ، أراد الذئب نفسه ، أى نفيتُ الذئب عن مَقامه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة عدتّها أربعة وثلاثون بيتاً للشمّاخ بن ضرار ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والتسعين بعد المائة(٤) مدح بها عَرابة ابن أوس . وليست لذى الرمة كما زعم العلامة الشيرازى فى سورة الرحمن ، وتبعه الفاضل اليمنى . وهذا بعدَ مطلعِها :

قصيدة الشاهد

(وماءٍ قد وردتُ لوصل أرْوَى ... عليه الطَّيرُ كالوَرَق اللَّجينِ
ذَعرتُ به القَطا ونفيتُ عنه ... مقامَ الذئبِ كالرجل اللعينِ)

---

(١) الآية ٤٦ من سورة الرحمن .

(٢) هى سورة فصلت التالية لسورة غافر أو المؤمن . فهى من السور ذوات الاسمين كسابقتها . أما السجدة بدون قيد فهى السورة التالية للقمان .

(٣) الآية ٥١ من سورة فصلت . وهى أيضا الآية ٨٣ فى الاسراء .

(٤) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

إلى أن قال مخاطباً لناقته :

(إذا بلّغتِنى وحملتِ رحلى   عَرابةَ فاشرَقى بدَم الوَتينِ

رأيتُ عَرابةَ الأوسىَّ يسمو   إلى الخيرات منقطِعَ القرين ٢٢٣

أفاد سماحةً ، وأفاد مجداً   فليس كجامدٍ لَحِزٍ ضنين

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ   تلقَّاها عَرابةُ باليمين

فنعمَ المرتَجى رَكَدت اليهِ   رحًى حيزومُها كرَحى الطحين

إذا ضُربت على العلاّت حطّت   إليكَ حِطاطَ هاديةٍ شَنون

تُوائِلُ من مِصَكٍّ أنصبَتْه   حوالبُ أسهرَيهِ بالذَّنين

متى يَنل القطاةَ يَرِكْ عليها   بجِنْوِ الرأس معترِضَ الجَبين

شَجٍ بالريق إذْ حَرُمتْ عليه   حَصانُ الفَرج واسِقة الجَنين

طوتْ أحشاءَ مُرْتِجَةٍ لوقتٍ   على مَشِجٍ سُلالتُه مَهِين

إلى أن قال :

إليكَ بعثتُ راحِلتى تشَكّى   هُزالاً بعدَ مَقْحِدها السمين

إذا بَركَتْ على شَرَفٍ وألقتْ   عَسيبَ جِرانِها كعصا الهَجين(١)

إذا الأرطَى توسّد أبْرَدَيهِ   خُدودُ جوازئٌ بالرمل عين

كأن مَحازَ لَحيِها حَصاهُ   جِنابا جلدِ أجربَ ذى غضون)

وهذا المقدار نصف القصيدة ، وإنما سُقْناه لأن فيه شواهد .

وقوله : وماء قد وردت إلخ ، الواو واو رب وجوابها قوله الآتى : ذَعرت. وأروى اسمُ المرأة . واللّجين ، بفتح اللام وكسر الجيم ، قال شارح

(١) فى الديوان ٩٣ : « على علياء القت » .

ديوانه هنيا : اللجين الذى قد رَكِب بعضُه بعضاً فتلجَّن كما يتلجَّن الخِطْمىّ ويتلزّج . ويقال[١] : اللجين : المبلول من الورق وغيره ، تقول لَجَنته ، إذا بلَلته . انتهى

وقال أبو على الفارسى (فى الإيضاح الشعرى) :أما الطير فيرتفع بالظرف بلا خلاف ، وأما قوله : كالورق اللّجين فإنه يحتمل ضربين :أحدهما أن يكون حالاً من الطير ، والآخر أن يكون وصفاً للماء تقديره : وماء كالورق اللجين لوصل أروى عليه الطير . ومثل قوله : وماء كالورق اللجين فى المعنى ، قولُ علقمة :

فأوردتُه ماء جِماماً كأنه من الأَجْنِ حِنّاء معا وصَبيبُ

فكما شبَّه خثُورة الماء لتقادُم عهده بالواردة بالحِنّاء ، كذلك شبّه الشمّاخ بالورق اللجين . وقوله : عليه الطير ، على هذا ، قد حذف منه المضاف[٢] . ومثل ذلك قول الهُذَلىّ[٣] :

تُجيلُ الُحبابَ بأنفاسها وتجلو سَبيخَ جُفالِ النِّسالِ

السبيخ : ما نَسَل من ريش الطير . وقال الأعشى :

وقَليبٍ أَجْنٍ كأنّ من الرِّيـ ـشِ بأرجائه سُقوطَ نِصالِ

وإنْ جعلت كالورق اللجين حالاً للطير ، صار فيه ضميره ، ويكون معنى عليه الطير أنّ الطير اتخذت فيه الأوكار لخلائه وكثرتها عليه،وقلة من يَرِدُه ،

---

(١) ط : « وقال » صوابه فى ش .

(٢) فى اللآلىء ٦٦٢ : « قوله عليه الطير ، أراد ريش الطير ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه » .

(٢) هو أمية بن أبى عائذ الهذلى . أشعار الهذليين ٢ : ١٨٢ .

فالطير لكثرتها عليه وتكابُسِها فيه كالورق اللجين . ومثل ذلك فى المعنى قول الراعى :

بدَلوٍ غير مكرَبَةٍ أصابتْ حَماماً فى جوانبه فطارا

كأنّه استقى بسُفْرةٍ فلذلك لم تكن مُكْرَبة ، والطير قد اتخذت فيه الأوكار للخلاء . فقوله كالورق اللجين ، مثل قولك صائداً به وصائد به ، ٢٢٤
بعد قولك : مررت برجل معه صقر . فجعلتَه مرةً حالا من الهاء فى معه ، وأخرى صفة لرجل . انتهى

وقال شرّاح أبيات المفصل : اللجين : الساقط من ورق الشجر عند الضرب بالعصا . قالوا : المعنى اجتمعت على ذلك[1] الطيرُ شبيهةً بالورق الساقط من الشجر ، فى اصفراره ، لأنّه فى القفر فلا يرِده واردٌ من الناس .

وقوله : ذعرت به القطا الخ ، يريد أنّه جاء إلى الماء متنكّرا . وذعرت : خوّفت ونفرّت . ونفَيت : طردت وأبعدت . والباء بمعنى فى ، وخَصّ الذئب والقطا لأنّ القطا أهدى الطير ، والذئب أهدى السباع ، وهما السابقان إلى الماء . قال شارح الديوان : أى ذعرت القطا بذلك الماء ، ونفيت عن ذلك الماء مقامَ الذئب ، أى وردت الماء فوجدت الذئب عليه فنحّيته عنه . أراد مقام الذئب كالرجل اللعين المَنْفيّ المُقْصَى . انتهى . فاللعين على هذا بمعنى الطّريد ، وهو وصف للرجل ، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) قال : اللعين : المطرود وهو الذى خلعه أهله لكثرة جناياته . وقال بعض فضلاء العجم

(١) الاشارة الى الماء .

(فى شرح أبيات المفصّل) : اللعين : المطرود الذى يلعنه كلُّ أحد ولا يُؤويه ، أى هذا الذئب خليعٌ لا مأوى له كالرجل اللعين . وقال صاحب الصحاح : الرجل اللّعين : شيء يُنْصب فى وسط الزَّرع يُستطرَد به الوحوش . وأنشد هذا البيت .

وقد أغرب أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) بقوله : كان الرجل فى الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جُعل له مثالٌ من طِين ونُصب ، وقيل : ألاَ إنّ فلاناً قد غدرَ فالعَنوه . كما قال الشاعر[1] :

فَلَنقْتُلَنَّ بخالدٍ سَرَوَاتِكُمْ ... ولَنَجْعَلَنَّ لظالمٍ تِمثالا[2]

فالرجل اللعين هو هذا التّمثال[3] . هذا كلامه ، فلينُظَر على هذا ما معنى البيت .

وكذلك فى قول أبى عبيدة خفاء حيث قال : إنّما يريد مقام الذئب اللعين كالرجل ، نقله عنه ابن قُتيبة : (فى أبيات المعانى) ، وأبو على : (فى المسائل البصرية) .

وقوله : إذا بلغتِني وحملتِ رحلى ، البيت ، قال المبرّد (فى الكامل[4]) : « قد أحسن كلَّ الإحسان فى هذا البيت ، يقول : لست أحتاج إلى أن أرحل

(١) فى اللآلىء ٦٦٤ : « كما قال عبد الله بن جعدة » .

(٢) بعده في اللآلىء : « يعنى خالد بن جعفر وقتل الحارث بن ظالم له » .

(٣) لم أجد هذا التعقيب فى اللآلىء . وقال الميمنى : « ليس فيه اغراب الا من جهة ان الذين أخذ عنهم لم يقولوا به . ثم رأيت هذا الكلام بعينته فى كتاب الأزمنة ٢ : ١٧ عن ابن الكلبى » .

(٤) الكامل ٧٥ ليبسك .

إلى غيره . وقد عاب بعضُ الرواة قولَه: فاشْرقى بدَم الوَتين ، وقال : كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها(١) » .

وتقدّم نقل ما اعترض الناس عليه فى هذا البيت بسوء مكافأته لناقته فى الشاهد الستين بعد المائة(٢) .

وقوله : أفاد سَماحة الخ ، قال الجوهرىّ : أفدت المال : أعطيته غيرى ، وأفدته: استفدته . والجامد بالجيم ، اليابس ، كناية عن الشُحّ . واللّحِز ، بفتح اللام وكسر الحاء المهملة وآخره زاء معجمة ، هو البخيل الضيّق الخلق . والضَّنين : البخيل . وقوله : تلقّاها عَرابةُ باليمين ، قال شارح الديوان : اليمين القوّة ، قال الله تعالى: ﴿لأَخَذْنا مِنْهُ بِاليمين(٣)﴾ . وقال بعضهم : بيمينه لا بشماله . واليمين عندهم أحمدُ من اليُسرى .

وقال المبرد (فى الكامل) : قال أصحاب المعانى : معناه بالقوة . وقالوا مثلَ ذلك فى قوله تعالى: ﴿والسموات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾(٤). قال المبرّد:وكان هذا الشعر سبب ارتفاع عَرَابة بن أوس .

سبب الشاهد ٢٢٥

وسبب الشعر أن عَرَابة قدِم من سفر ، فجمعه والشّماخَ الطريقُ فتحادثا ، فقال له عَرابة : ما الذى أقدمك المدينة ؟ قال : قَدِمتُ لِأمتارَ مِنها ، فملأ له عَرابةُ رواحلهُ بُرًّا وتمْراً وأتحفَه بغير ذلك ، فقال الشماخ هذا الشعر .

---

(١) انظر بقية الكلام عند المبرد فى الكامل .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٨ ــ ٤٠ .
(٣) الآية ٤٥ من سورة الحاقة .
(٤) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

وقال معاوية لعَرابة بن أوس : بِمَ سُدْتَ قومَك ؟ قال : لستُ بسيِّدهم ولكنّى رجلٌ منهم . فعزَم عليه ، فقال : أعطيت فى نائبتهم ، وحَملت عن سفيههم ، وشددت على يدَى حليمهم ؛ فمن فعل منهم مثلَ فعلى فهو مثلى ، ومن قصّر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزنى فهو أفضل منّي .

وقوله : فنعم المرتجى الخ ، المخصوص بالمدح محذوف ، أى عَرابة . وَركَدتْ إليه ، أى بَرَكت عند عَرابة ، ويقال دام سيرُها إليه ، والراكد : القائم . ورَحى حَيزومِها أى كِركِرتها ، قال الجوهرىّ : «والكِركِرةُ بالكسر : رَحى زورِ البعير » . والإبل توصف بصِغر الكِركِرة ، وشَبَّه رَحى حَيزومِها برحى الطحين فى الصَّلابة لا فى العِظَم ، فإنّه عيب .

وقوله : إذا ضُربت على العِلّات إلخ ، يقول : إذا ضُربت على ما كان بها من عِلّة حَطّت إليك ، أى اعتمدت عليك اعتمادَ هاديةٍ أى أتان متقدمة . والشُّنونُ ، بفتح الشين المعجمة وضمّ النون ، بين السمين والمهزول .

وقوله : توائِل مِنْ مِصَكٍّ إلخ ، توائل : تُفاعِلُ ، من وَأَل بمعنى نجا ، أى تنجو وتهرُب تلك الأتان من مِصكّ ، أى حمار شديد ، بكسر الميم وفتح الصاد المهملة ، والكاف مشددة . وأنصبَتْه من النَّصَب وهو التعب . وحَوالبُ فاعل أنصبَتْه ، وهى ما تحلّب وسال من أنفه وذكَره ، أى ذكَرهُ يذِن بماء ظهره فهُما(١) حوالب أسهريه ، لشدّة شبَقه . والذَّنين ، بفتح الذال المعجمة ونُونَين(٢) الشىء الذى يسيل ويجرى ، وقد ذنّ يذِنّ ذَنيناً ، إذا سال وجرى . وقال

(١) فى النسختين : « فهى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته ، يعنى الأنف والذكر .

(٢) فى النسختين : « وتذنين » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

أبو عبيدة : حَوالب أسهريه هما عِرقا الذكَر اللذان يظهران إذا أنعظ . ويقال الأسهران : عرقانِ في أصل القفا يجرى فيهما الماء حتَّى يبلغ الذكر . ويقال : الذنين : الذكر . كذا قال شارح الديوان .

وقوله ، متى ينل القطاة الخ ، أى متى ينل الحمارُ قطاة الأتان ، وهو موضع الرِّدف ، يَرِكْ عليها أى يتوركَّ عليها . وحِنْو الرأس ، بكسر المهملة : جانب الرأس . وقوله : معترِضَ الجبين ، أى جَبينُه فى ناحية من شدَّة نشاطه .

وقوله : شَج بالرِّيق ، أى غصَّ ذلك الحمارُ بريقهِ إذْ حَرُمت عليه ، وذلكَ أنَّها حاملٌ ، وهى محصنَةَ الفرج ، يعنى الأتان . والواسقة : الحاملة . والجَنين : الولد فى بطنها . فليس فى الأرض أنثى تحمل فتمكن الفحلَ ما خلا المرأة .

وقوله : طوت أحشاء إلخ ، أى هذه الأتان ضمَّت أحشاء مُرتِجَة ، أراد رَحِمَها ، أى أغلقتْ رَحِمَها على ماء الفحل . والمَشِـجُ ، بفتح الميم وكسر الشين : ماء الفحل مع الدم ، وقيل ماء الفحلِ والأتانِ جميعاً يختلطان . وسُلالته أى ماؤه ، وهو فاعل مَشِج ، ويقال السلالة الولد ، وهو الرقيق . ومَهِين : ضعيف ، وهو صفة مَشِـج . كذا قال شارح الديوان . وهذا البيت أورده صاحب الكشَّاف عنه قوله تعالى : ﴿ أمْشَاجٍ نَبتَلِيهِ(١) ﴾ ، على أنَّه يقال مَشِجٌ كما يقال أمشاج وكلاهما مفرد .

قال شارح شواهد التفسيرين خَضْرٌ الموصلىّ : يجوز أن يكون سلالته مبتدأ وخبره مهين ، وإنّما لم تؤنَّث إمَّا لأنَّه فعيل بمعنى مفعول أو بمعنى فاعل لكنه حمل عليه ، أو لأنَّ المراد شيء مهين . والجملة صفة لمشج . هذا كلامه .

---

(١) الآية ٢ من سورة الانسان .

وقد غفل عن القوافى مع أنه أورد القصيدة فإنّها مجرورة ، فمهين مجرور لا مرفوع حتّى يصح أن يقع خبر المبتدأ .

٢٢٦ والمعنى أنّ هذه الاتان أطبقت رَحِمَها إلى وقت الولادة على النُّطفة ، فلا تمكّنُ الحمار منها ، فهى تهرُب منه بأشدِّ ما يكون ، فناقة الشمّاخ تشبه هذه الأتانَ فى الإسراع للتوجُّه إلى هذ الممدوح .

وقوله : إليك بعثت الخ ، المَقْحِد ، بفتح الميم وسكون القاف وكسر الحاء المهملة : السَّنام .

وقوله: إذا برّكتْ على شَرَف إلخ ، الشرَف ، بفتحتين : الموضع العالى . والعسيب هنا : عظم العُنُق ، ويأتى بمعنى عَظْم الذنَب . والجران بكسر الجيم: باطن العنق ، وهو الذى يمس الأرض عند مدّ عنقه عليها . وشبَّه العسيبَ بعصا الهجين لخفَّته وطوله . وخصَّ الهجينَ لأنَّ العبيد كانوا يرعَون الإبلَ ويستجيدُون العصا . وجواب إذا هو قوله كأن مَحاز لحيها البيت الآتى .

وقوله : إذا الأرطى توسّدَ إلخ ، هذا البيت من أبيات أدب الكاتب لابن قتيبة . والأرْطىَ : شجرٌ من أشجار البادية تُدبَغ به الجلود ، وهو مفعول لفعل محذوف ، أى إذا توسّد الأرطى . وأبردَيه بدل اشتمال من الأرْطى . ومعنى توسّد أبرديه اتخذها كالوِسادة . والأبردان ، الظل والفيء ، سمِّيا بذلك لبردها . والأبردان أيضاً : الغداة والعَشى . وخدودُ فاعل توسّد . والجوازئ : الظباء . وبقر الوحش سمِّيت جوازئ ، لأنَّها اجتزأت بأكل النبتَ الأخضر عن الماء ، أى اكتفَت به واستغنت عن شرب الماء . والعِين : الواسعات العيون ، جمع عيناء . والمعنى أنَّ الوحوش تتخذ كِناسين عن جانبي الشجر تستتر فيهما من حَرّ الشمس ، فترقد قبلَ زوال الشمس فى الكِناس

الغربى ، فإذا زالت الشمس إلى ناحية المغرب وتحول الظلُّ فصار فَيئاً زالت عن الـكِناس الغربىّ ورَقدت فى الـكِناس الشرقىّ . والمعنى أنه قَطع الفلاة فى الهاجرة حين تَفِرّ الوحوشُ من حرِّ الشمس . يمدح نفسَه بذلك ويوجب على الممدوح رعايةَ حقِّه . فقوله إذا الأرطى ، ظرف لقوله بعثت فى البيت السابق ، وليست شرطيَّة حتى يقدَّر لها جزاء ، خلافا لابن السيد .

وقوله : كأنّ مَحاز لَحْيَيها إلخ ، هذا جواب إذا الأولى. أخبر أنّها تطأطىء رأسَها من الذُّباب فتلزقه بالحصى فتدفع الحصَى بلحييها . فأخبر أنّ تلك الأرض التى دفعت الحصى عنها ، كأنها جلدُ أجرَبَ لم يَبق عليه من الوبر إلاّ القليل . يقول : تقع مُغْيِيةً فتمدّ جِرانَها فتفحص التراب والحصى ، فكأنّ ذلك الفحص جِنابا (بكسر الجيم) أى ناحيتا جلدِ أجرب . وضمير حصاه للرمل .

وقد ذكر أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى حكايةً مستظرفة ، لقوله إذا الأرْطى تَوَسَّدَ أبردَيهِ[1] البيت ، فرأيت ذكرها فى هذا الموضع :

عن المدائنى أنّ عبد الملك بن مروان نَصب الموائدَ يُطعِم الناس ، فجلس رجلٌ من أهل العراق على بعض الموائد ، فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره فقال : أعراقىٌّ أنت[2] ؟ فقال : نعم ! فقال : بل أنت جاسوس ! قال : لا ، ويحكَ! دَعْنى أتَهنَّأ طعامَ أميرِ المؤمنين ولا تنغِّصه علىَّ[3]. ثم إن عبد الملك أقبل يطوف على الموائد فوقف على تلك المائدة فقال : من القائل :

---

(١) ط : « أسد ابرديه » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : أعرابى أنت » ، صوابه فى ط والأغانى ٨ : ١٠٣ .

(٣) الأغانى : « دعنى أتهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصنى به » .

* إذا الأرْطى توسَّد أبردَيه *

وما معناه ؟ ومن أجاب فيه أجزناه . فقال العراقىّ للخادم : أتحبُّ أن أشرح لك ذلك(١) ؟ قال : نعم ! فقال : هذا البيت يقوله عَدِىُّ بن زَيد فى صفة البطِّيخ الرمسي . فنهض الخادمُ مسروراً إلى عبد الملك فأخبره ،
٢٢٧ فضحك عبد الملك حتّى سقط ، فقال له الخادم : أخطأتُ يامولاى أم أصبت ؟ فقال: بل أخطأت . فقال:هذا العراقىُّ لقَّننى إياه(٢). فقال:أىُّ الرجال هو(٣)؟ فأراه إياه . فقال : أأنت لقنته هذا ؟ فقال : نعم . فقال : صواباً لقَنتَه أم خطأ ؟ فقال : بل خطأ . فقال : ولِمَ ؟ قال : لأنى [كنتُ] متحرما(٤) بمائدتك فقال لى كيت وكيت ، وأردت أن أكفَّه عنّي وأضحككَ منه . فقال له عبد الملك : فكيف الصواب ؟ فقال : هذا البيت يقوله الشمّاخ بن ضِرار فى صفة البقر الوحشيّة التى جزأت بالرُّطب عن الماء ، فقال : صدقت ! وأمر له بجائزة ، ثم قال له : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، قال : وماهى ؟ قال : تُنحِّى هذا عن بابك ، فإنّه يَشينُه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الثلثمائة(٥) :

٣٠٩ (فقُلتُ اجْوُا عَنْهَا نَجَا الجِلدِ ، إنّهُ
سَيُرْضيكُما منهـا سَنامٌ وغارِبُهْ)

(١) الأغانى : « أن اشرح لك قائله وفيم قاله » .
(٢) الأغانى : « هذا العراقى فعل الله به وفعل لقننيه » .
(٣) هذا ما في الأغانى . وفى النسختين : « أى الرجل هو » .
(٤) هذا ما فى الأغانى . وفى ط : « لأنى متحريا» . وفى ش : « لانى متحرم » مع أثر اصلاح .
(٥) المنصف ١ : ٢١ والانصاف ١٢٣ وابن يعيش ٧ : ١٢٩ ، ١٥٢ والعينى ٣ : ٣٧٣ والأشمونى ٢ : ٢٤٣ .

على أنّ الفرّاء يجيز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كما في البيت ، فإن النّجاء والجلد مترادفان ، وقد تضايفا .

وهو معنى قول المرادىّ (فى شرح الألفية) : نجا الجلد من إضافة المؤكِّد إلى المؤكَّد ، قال صاحب الصحاح : النَّجا مقصورٌ من قولك نجوتُ جلدَ البعير عنه وأنجيته ، إذا سلخته ، قال الشاعر يخاطب ضَيفَين طرَقاه :

فقلتُ انجُوَا عنها نجا الجلد إنّه .. البيت

قال الفرّاء : أضاف النجا إلى الجلد لأنّ العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كقولك : عَين اليَقين ، ولدارُ الآخرة . والجلد نجاً مقصور أيضاً . انتهى .

وقال القالى فى (المقصور والممدود) : والنَّجا ماسلخته عن الشاة والبعير ، يُكتب بالألف ، لأنّه من نجا ينجو . وأنشد هذا البيت عن الفراء عن أبى الجرّاح . فيكون أصله نَجَو بالتحريك ، قلبت الواو ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها .

قال الزَّجاجىّ (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ[1] ﴾ : معنى النجوى فى الكلام ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان ، سرًّا كان أو ظاهراً . ومعنى نجوت الشيء فى اللغة خلَّصته وألقيته ، يقال نجوت الجلد : إذا ألقيتَه عن البعير وغيرِه ، وأنشد هذا البيت .

وقال أبو القاسم علىّ بن حمزة البَصرىّ (فى التنبيهات على أغلاط الرواة) لا يقال فى الإبل سَلَخت ، وإنّما يقال فيها خاصَّةً نجوت وَجلَّدت .

(١) الآية ١١٤ من النساء .

قال أبو زِياد : نجوت جِلدَ البعير وجلَّدت البعير تجليدا ، ولا تقول سلخت إلاّ لعنقه ، فإنّهم يقولون ذلك فيه دون سائر الجسد .

وقال ابن السيرافى (فى شرح أبيات إصلاح المنطق) : يريد قشْرا عنها لحمها وشحمَها ، كما يقشَّر الجلد ، فإنّها سمينة . وغاربُها : ما بين السَّنامِ والعُنُق . ويؤخذ من هذا التفسير أن النجا هنا اسم مصدر بمعنى النجْوِ ، منصوبٌ على أنّه مفعول مطلق وليس اسماً للجلد . فلا يكون كما قاله الفرّاء . فتأمَّلْ .

ورأيتُ (فى حاشية الصحاح) لابن برّىّ نسبةَ هذا البيت لعبد الرحمن ابن حسّان بن ثابت رضى الله عنه.

ونقل العينى (عن العُباب للصاغانى) أنّه لأبى الغَمْر الكِلابى[(١)] ، وقد نزل عنده ضَيفانِ فنحر لهما ناقةً ، فقالا : إنّها مهزولة . فقال معتذراً لهما : « فقلت انجوا الخ » .

٢٢٨ قال : وقبلَه بيتان آخران وهما :

(وردتُ وأهلى بين قوٍّ وفَرْدَةٍ على مَجزِرٍ تأوى إليه ثعالبُهْ
فصادفتُ خيرَى كاهلٍ فاجآ بها يَشُقَّان لحماً بانَ منه أطايبُهْ)

---

(١) وفى العينى ٣ : ٣٧٣ نسبة الشعر أيضا الى أبى الجراح ، نقلا عن القالى فى المقصور والممدود . وأبو الغمر هذا غير أبى الغمر الجبلى الذى ترجم له اليكرى فى السمط ٤٤٣ وذكر أنه كان كاتبا لأبى دلف العجلى أو لابن عمه ، وهو من شعراء الجبل . وهو أيضا غير أبى الغمر الطمرى الذى ترجم له المرزبانى فى معجمه ٤٨٥ وذكر فى الأشباه والنظائر للخالديين ٢ : ٥ وصحف بأبى العمر الطبرى .

وقد فتّشت العُباب فلم أظفر فيه بشيء مما قاله ، والله أعلم بحقيقة الحال .
وقَوٌّ — بفتح القاف وتشديد الواو — هو وادٍ بالعقيق عَقيق بنى عُقَيل .
وفَرْدة — بفتح الفاء وسكون الراء بعدها دال — ماء من مياه نجدٍ لجرم .
كذا فى معجم البكرىّ . ومجزِر بكسر الزاى موضع الجَزْر . وكاهل : أبو قبيلة ، وهو كاهل بن أسد بن خُزيمة . وفاجأ : أى أتى بغتة . ويَشْفّان : من شفّه الهمّ يَشُفُّه بالضمّ أى هَزَله ، أى اللحم الذى ظهر منه أطايبُه قالا إنّه مهزول .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الثلثمائة[1] :

٣١٠ *(مَلِكٌ أَضْلَعُ البَرِيَّةِ لا يُو جَد فيها لمـا لدَيه كِفاءُ)*

على أنّ إضافة أفعل التفضيل عند أبى بكر بن السرّاج ومن تبعه لفظيّة لا تفيد تعريفاً ، بدليل هـذا البيت ، فإنّ أضلَـع البَريَّة وقع نعتاً لملك ، وهو نـكرة ، فلو كانت تفيد التعريف لمـا صحّ وقوعه نعتاً لنـكرة .

قال أبو على (فى التذكِرة القصريّة) : قال أبو بكر ، فى أفعل الناس نحو أشرف الناس وأفضل القوم : إنّ هذه الإضافة في تقدير الانفصال ، لأنّ ما تضيفه من هذا القبيل ينبغى أن يكون بعضَ مايضاف إليه ، بدلالة امتناع زيد أفضل الحمير ، فيجب أنْ يقدّر الانفصال ، وإلاّ لم يَجُزْ ، لئلا تضيف الشىء إلى نفسه .

فإن قلت : فإنّ ما يقدّر فيه الانفصال نجد فيه معنى الفعل ، نحو ضارب

(١) من معلقة الحارث بن حلزة المشهورة .

وليس فى أفعل معنى الفعل ؛ قيل : هذا وإن قصَّرَ عن فاعل فإن فيه معنى الفعل لنصبه الظرف فى بيت أوس : «أحوجَ ساعةً[(١)]» ، ووصوله تارةً بالحرف وأخرى بنفسه نحو (أَعْلَمُ بمن) و (أَعْلَم من) ، وهذا مما يختصّ بالفعل .

فإن قلت : إذا قدَّرت فيه الانفصال اقتصرت به على النكرة كضارب زيد . قال ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ[(٢)]﴾ . فالجواب عندى نعم ، وذلك قوله : « ملكٌ أضْلَع البرية البيت » . وأما قوله : أَحْسَنُ الخالقين فيكون مقطوعا ، أى هو أحسن الخالقين ، لأنّه موضع ثناء . انتهى

وهذا البيت من معلَّقة الحارث بن حِلِّزة ، وهى سابعة المعلقات السبعة[(٣)] ، وقد تقدَّم جانب منها مع ترجمته فى الشاهد الثامن والأربعين[(٤)] وقطعة فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائتين[(٥)] وتقلنا فى الموضعين[(٦)] سبب نظمه لهذه المعلقة ، وفى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة أيضاً[(٧)] .

وقبل البيت الشاهد :

(فملَكْنا بذلك الناسَ حتَّى   مَلَكَ المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ

---

(١) هو قوله فى الديوان ١٢١ :

فانا وجدنا العرض أحوج ساعة   الى الصون من ريط يمان مهم

(٢) الآية ١٤ من سورة المؤمنون .

(٣) ط : « السبع » ، وهما وجهان جائزان فى العربية ، فالعدد اذا وقع وصفا جاز فيه المطابقة وعدمها .

(٤) الخزانة ١ : ٣٢٤ .

(٥) الخزانة ٣ : ٤١٤ .

(٦) الصواب « فى الموضع الأول » ، وليس فى الثانى ذكر لسبب النظم .

(٧) الخزانة ٣ : ١٨١ .

وهو الربُّ والشهيدُ على يو م الحيارَين والبلاء بلاء
ملكٌ أضْـلَعُ البريّةِ . . . . البيت)

وقوله : فملكنا بذلك ، فى هذا البيت إقواء ، فإنّه مجرور القافية . وقيل:هذا البيت منحول إليه ، ليس من القصيدة . وقوله : بذلك ، يعنى بالعزّ والامتناع وبالحروب التى كان الغَلَبُ لنا فيها ذلَّنا الناسَ حتّى ملك المنذر بن ماء السماء .

٢٢٩ وقوله : وهو الربُّ الخ ، الربُّ عنَى به المنذرَ بن ماء السماء . والربُّ ، فى هذا الموضع : السيّد . والشَّهيد : الحاضر . والحِياران : بلدٌ ، وهو بكسر الحاء المهملة بعدها مثنّاة تحتيّة . يخبر أنَّ المنذر كان شهد يوم الحيارين . فإنَّ المنذر غزا أهلَ الحيارَينِ ومعه بنو يَشكُر ، فأبلَوا بلاء حسناً ، وكان البلاء فى ذلك اليوم بلاء عظيما .

وقوله : ملكٌ أضلعُ الخ ، خبرٌ آخرُ لقوله هو ، فيكون مشاركاً للرب فى الخبريّة ، فإنَّ الأخبار يجوز أن يأتى بعضها بالعطف وبعضها بدونه كما هنا . وأضلعُ البريّة أى أشدُّ البرية إضلاعاً[1] لما يحمل ، أى هو أحمل الناس لما يُحْمَل ، من أمر ونهى وعطاء وغير ذلك . وقوله : لا يوجد فيها الخ ، معناه ليس فى البرية أحدٌ يكافئه ، ولا يستطيع أن يصنع مثلَ ما يصنع من الخير . والكِفاء ، بالكسر : المِثْل والنظير ، يقال فلان كفاء لفلان أى كُفء له ونظير . وروى : (مَلِكٌ أضرَعَ البَرِيَّةَ) على

(١) ط : « أضلاعا » ، صوابه بكسر الهمزة . وفى القاموس : « وهو مضلع لهذا الأمر ومضطلع ، أى قوى عليه » . وحورها الشنقيطى فى نسخته الى « مضطلعا » ، وهى صحيحة ، لكن ما أثبت أقـــرب تصحيح .

أنَّه فعل ماض ، أى أذلّ البريةَ وقهرَها ، فما يوجد فيهم من يُساويه فى معاليه . وحينئذ لا شاهد فى البيت .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الثلاثمائة[1] :

٣١١ *(ولم أر قوماً مِثْلَنا خيرَ قَوْمِهِم
أقلَّ بِهِ مِنَّا عَلى قَومِهِم فخرَا)*

لما تقدَّم قبله ؛ فإنّه وصف النكرة وهى قوماً بخير ، وهو بمعنى التفضيل ، ولو كانت الإضافة معنوية للتعريف لما وقع صفةً للنكرة .

قال الشّلوبين (فى حاشية المفصّل) : هذا إذا جعلت خيراً للتفضيل ؛ فإن جعلتَ خيراً فيهما من الخير الذى هو ضدّ الشرّ ، لم يكن من هذا الباب .

وجوّز شُرَّاح الحماسة أن يكون خيرَ قومهم بدلاً أيضاً من قَوما ، لكنْ قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة[1]) : فى هذا البيت شاهدٌ لجواز : مررت برجل أكرم أصحابه على أصحابه ، على الصّفة ، لأنَّها هنا أظهر من البدل ، والباء فى به ضمير الخير الذى دل عليه قوله خير قومهم ، وليس الثانى هو الأوّل ، لأن خيراً الأوّل صفة ، والثانى المقدّر مصدر ، كقولك : أنا أوثر الخير وأكره الشر ، فدلّت الصفة على المصدر ، كقول الآخر :

إذا نُهِي السَّفيه جرَى إليه وخالفَ ، والسَّفيهُ إلى خلافِ[2] انتهى

(١) اعراب الحماسة ٥٢ مخطوطة احمد الثالث .

(٢) هو الشاهد ٣٧٤ من الخزانة .

وقوله : أقل ، بالنصب مفعول ثان لقوله لم أر . وفخراً تمييز . وتقدير البيت: لم أر خير قوم مِثلِنا أقلَّ بذلك فخراً منّا على قومنا . والمعنى إنّا لا نبغى على قومنا ولا نتكبَّر عليهم ، بل نعدُّهم أمثالنا ونظراءنا فنباسطهم ونوازنهم قولا بقول ، وفعلا بفعل .

أبيات الشاهد وهذا البيتُ أولُ أبيات ثلاثةٍ مذكورة (فى الحماسة) لكن جميع النسخ والشروح على إسقاط الواو من قوله : ولم أر قوماً ، على أنه مخروم . والبيتان اللذان بعدهما :

(وما تَزْدَهينا الكبرياء عليهمُ إذا كلّمونا أنْ نكلِّمَهم نَزْرا

ونحن بنو ماءِ السماء ، فلا نرى لأنفسنا من دون مَملكةٍ قَصْرا)

زهاه وأزهاه بمعنى تكبَّر ، والزَّهو : الكبر والفخر . ونزراً أى قليلا ، وهو مفعول مطلق أى كلاماً قليلا ، والمعنى لا يستخفّنا الكِبْرُ ، إلى أن نتعلّى عليهم ونقلّل الكلام معهم ترفّعاً عن مساواتهم ، بل نباسطهم ونكاثرهم فى القول والسؤال ، إيناساً لهم وتسكيناً منهم .

ماء السماء وماء السماء ، قال فى الصحاح : هو لقب عامر بن حارثة الأزدى ، وهو
٢٣٠ أبو عمرو مُزَيقيا الذى خرج من اليمن لما أحس بسَيل العَرِمِ ، فسمّى بذلك ، لأنّه كان إذا أجدب قومه مانَهُمْ حتى يأتيَهم الخصب ، فقالوا : هو ماء السماء ؛ لأنه خَلَفٌ منه . وقيل لولده بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام . قال بعض الأنصار[1] :

أنا ابنُ مُزَيقِيا عمرٍو وجَدِّى أبوه عامرٌ ماءُ السماء

---

(١) هو أوس بن الصامت ، كما فى العينى ١ : ٣٩١ .

وماء السماء أيضاً : لقب أمّ المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ ابن ربيعة بن نصر اللّخميّ . وهي ابنة عوف بن جُشَم ، من النَّمر بن قاسط . وسمّيت بذلك لجمالها ، وقيل لولدها بنو ماء السماء ، وهم ملوك العراق . وقال زُهير بن جناب :

ولازَمتُ الملوكَ منَ ال نصرٍ وبَعْدَهُمُ بنى ماءِ السَّماءِ . انتهى

صاحب الشاهد

فالظاهر أنّ المراد هنا هو الأول ؛ لأنّ قائلَ الأبيات أنصارى ، وهو زيادة ابن زيد الحارثى[1] من بنى الحارث بن سعد أخو عذرة . وقال أبو رياش[2] : هو زيادة بن زيد ، مِن سعد هُذَيم[3] بن ليث بن سُود بن أسلُم بن الحافِ ابن قُضاعة . كذا قال التبريزى .

زيادة بن زيد

وزيادة شاعر إسلامىٌّ فى الدولة الأمويّة ، قتله ابن عمه هُدبةُ بن خَشْرَم . ويأتى إن شاء الله سبب قتله عند ذكر هدبة[4] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى عشر بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س[5] :

(١) ط : « بن زياد الحارثى » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « ابن رياش » ، وانما هو ابو رياش شارح الحماسة .

(٣) فى النسختين : « بن سعد بن هذيم » ، صوابه من التبريزى ١ : ٢٣٨ . وانظر لسعد هذيم جمهرة ابن حزم ٤٤٧ والمعارف ٤٧ والاشتقاق ٥٤٦ من تحقيق كاتبه . وفى الجمهرة ان سعد هذيم هو ابن زيد بن ليث بن سود .

(٤) انظر الخزانة الشاهد ٧٥٠ .

(٥) فى كتابه ١ : ٣٩٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٢٣١ واللسان (أيا ٥٩) .

٣١٢ (فأَيِّى ما وأَيُّكَ كانَ شرًّا   فَقِيدَ إلى المُقامةِ لا يَرَاها)

على أن هذا ضرورة ، والقياس المستعمل : فأيّنا كان شرًّا من صاحبه .

وما زائدة للتوكيد ، وأيِّى مبتدأ ، وأيُّك معطوف عليه ، واسم كان ضمير ، أى أيّنا ، وشرًّا خبره ، والجملة خبر المبتدأ . وقِيدَ مجهول قاد الأعمى . وجىء بالفاء لأنّه دعاء فهو كالأمر . والمُقامة ، بضم الميم وفتحها : المجلس ، وجملة لايراها حالٌ من ضمير قِيد . يدعو على الشرِّ منهما ، أى من كان منّا شرًّا أعماه الله فى الدُّنيا فلا يُبصر حتى يقاد إلى مجلسه . وقال شارح اللباب : أى قِيدَ إلى مواضع إقامة الناس وجمعهم فى العَرَصات لايراها ، أى قِيد أعمى لا يَرى المُقامة . انتهى .

وحَمْل الدعاء فى الآخرة(١) لا على الدنيا غير جيِّد . وهذا من المعاملة بالإنصاف .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من جُملةِ أبياتٍ للعبّاس بن مِرْداس السُّلَمىّ ، قالها لخُفَاف ابن نَدْبَة فى أمرٍ شجَرَ بينهما ، وهى (٢):

(ألا مَنْ مُبلغٌ عَنّى خُفافاً   ألوكاً بيتُ أهلكَ مُنتهاها
أنا الرجلُ الذى حُدِّثتَ عنه   إذا الخفِراتُ لم تُستَرْبُراها
أشُدُّ على الكتيبةِ لا أُبالى   أفيها كان حَتْفى أم سِواها
فأيِّى ما وأيُّكَ كانَ شَرًّا   فقيد إلى المُقامة لايَرَاها
ولا ولدتْ له أبداً حَصانٌ   وخالفَ ما يريد إذا بغاها
ولى نفس تتوقُ إلى المعالى   سَتَتلفُ أو أُبلِّغها مُناها)

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « على الآخرة » .
(٢) الأبيات فى حماسة ابن الشجرى ٣٥ .

٢٣١ وخُفَاف بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء كغراب، واشتهرَ بالإضافة إلى أمه، وهى نَدْبَة، بفتح النون وسكون الدال بعدها باء موحدة. وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالعباس بن مرداس.

وتقدمت ترجمةُ العبَّاس (فى الشاهد السابع عشر من أوائل الكتاب(١))، أما ترجمة خُفاف بن نَدبة فستأتى إن شاء الله تعالى (فى باب اسم الإشارة(٢)).

وألوك بفتح الهمزة وضم اللام: الرسالة، ومنهاَ الملائكة: وحُدِّثتَ بالبناء للمفعول والخطاب. والخَفِرات: النساء الحييّات، بفتح الخاء وكسر الفاء، والفعل من باب تعب. والبرُا: جمع بُرَة بضمّ الباء الموحّدة فيهما، وهى كلّ حَلْقة من سِوار وقُرط وخَلخَال، والمراد هنا الأخير. وعدمُ سترِ الخلاخيل للنساء، إنّما يكون عند هُروبهنّ من السَّبْي والنَّهْب(٣). وإذا ظرف، إمّا لقوله حُدِّثت أو لقوله أشُدُّ على الكتيبة. ومثل هذا يسمى (التجاذب). وقوله: أشد على الكتيبة، قيل: لم يقَلْ فى الشجاعة أبلغُ من هذا البيت. والكتيبة: الجيش. والحَتْف: الهلاك. وقوله: فقِيدَ إلى المقامة، روى أيضاً: «فسِيقَ إلى المقامة» من السَّوق. وقوله: ولا ولدت له الخ، هذا دعاء عليه بقطع نسله. والحَصان بالفتح: المرأة العفيفة. وتتوق، تاقت نفسُه إلى الشيء اشتاقته ونازعت إليه. وتَلِف الشيء من باب فرح إذا هلك.

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٥٢.

(٢) فى الشاهد ٤١١ وهو:

فقلت له والرمح يأطر منه تأمل خفافا اننى أنا ذلكا

(٣) أنكر قوم صحة «الهروب». وقد وجدتها فى شعر فى الطبرى ٨ : ١٣ وهو:

* وليس بمنجى ابن اللعين هروب *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالثَ عشَرَ بعد الثلثمائة (١):

٣١٣ ﴿أظلَمِي وأظلَمُهْ﴾

على أنّه ضرورة، والقياسُ أظلمنا. وهو قطعة من رجز رواه أبو على (فى إيضاح الشعر) عن أحمد بن يحيى الشهير بثعلب، وهو:

(يارَبَّ مُوسَى أظلَمِي وأظلَمُهْ فاصبُب عليه ملَكاً لا يرحَمُهْ)

قال: معناه أظلمُنا، كقوله: أخزى الله الكاذبَ منّي ومنه، أى منّا فالمعنى أظلَمُنا فاصبُب عليه. وهذا يدلّ على جواز ارتفاع زيد بالابتداء، فى نحو زيد فاضربْ به، إنْ جعلت الفاء زائدة على ما يراه أبو الحسن.

فإن قلتَ: أضمِر المبتدأ كما أضمرت فى قولك: «خولانُ فانكحْ فتاتهم(٢)»، فان ذلك لايسهل؛ لأنه للمتكلم، فكما لايتّجه: هذا أنا، على إرادة إشارة المتكلم إلى نفسه من غير أن ينزله منزلة الغائب، كذلك لايحسن إضمار هذا هنا.

فإن قلتَ: إن أظلمُنا على لفظ الغيبة، فليس مثل هذا أنا، فإنّه وإن كان كذلك فالمراد به بعض المتكلمين، ولا يمنع ذلك، ألا ترى أنهم قالوا يا تميمُ كلّهم، فحملوه على الغيبة لما كان اللفظ له وإن كان المراد به المخاطب. وإن جعلت المضمر فى علمك، كأنك قلت قد أظلمنا فى علمك، كان مستقيما. انتهى.

---

(١) انظر التصريح ١ : ٢٩٩ والهمع ١ : ١١٠.

(٢) قطعة من الشاهد ٧٧ فى الجزء الأول ص ٤٥٥. وهو بتمامه:

وقائلة خولان فانكح فتاتهم وأكرومة الحيين خلو كما هيا

ورواه ابن عقيل (فى شرح التسهيل) هكذا :

* سلّط عليه مَلكاً لا يرحمُه *

و (ربّ) منادى مضاف إلى موسى ، وضمير (أظلمه) الغائب راجع إلى (موسى) هذا ، وهو خصم صاحب هذا الرجز .

وكلام أبي على مبنيّ على رفع أظلمى وأظلمه بالابتداء والخبر الجملة الدعائية ، ويجوز نصبهما على الاشتغال[1] .

* * *

٢٣٢ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشرَ بعدَ الثلاثمائة[2] :

٣١٤ * فهلْ لكم فيها إلىّ فإنّني طَبيبٌ بما أعيا النِطاسىَّ حِذْيَما *

على أن فيه حذفَ مضاف ، أى ابن حذيم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، لأنه علم أنّه العالم بالطبّ والمشهورُ به ، لا حذيم ، فإنه وَردَ فى الأمثال : « أَطبُّ من ابن حِذْيَم » . قال الزمخشرى (فى المستقصى) : هو رجلٌ كان من أطبّاء العرب . وأنشد هذا البيت وقال : أراد ابن حِذْيم انتهى .

قال أبو الندى : ابنُ حِذْيَم[3] رجلٌ من تيم الرّباب ، كان أطبَّ العرب ، وكان أطبَّ من الحارث بن كَلَدة .

---

(١) ان صح نصبهما على الاشتغال لزمه عيب القافية وهو الاقواء ، فان البيتين من مشطور الرجز .

(٢) الخصائص ٢ : ٤٥٣ وابن يعيش ٣ : ٢٥ وشرح شواهد الشافية ١١٦ وديوان أوس ١١١ .

(٣) فى أمثال الميدانى ١ : ٤٠٥ : « قال أبو الندى : هو حذيم .... » الخ .

وأورد صاحب الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى: ﴿شَهرُ رَمضانَ الذى أُنزِلَ فيهِ القرآن[١]﴾ على أن التسمية واقعةٌ على المضاف والمضاف إليه جميعاً. وأمّا ما يرِد من نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ صامَ رَمضانَ إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدَّمَ من ذنبه» فهو من باب الحذف لا من الإلباس، كما حذف الشاعر ابن من ابن جذيم. وقد خالف كلامَه هنا (فى المفصّل) فإنه قال فيه: إذا أمِنوا الإلباس حذفوا المضاف. وقد جاء اللَّبس فى الشعر، قال ذو الرّمة:

عَشية فرَّ الحارثيون بعدما ... قَضى نحبَه فى مُلتَقَى القوم هَوبَرُ

وقال:

* بما أعيا النِطاسىَّ حِذيما *

أى ابن هوبر وابن حِذيَم. وهو فى قوله هذا تابعٌ لأبى على (فى إيضاح الشعر) فإنّه قال: قد جاء فى الشعر أبياتٌ فيها حذف مضاف مع أنه يؤدِّى حذفه إلى الإلباس. ومثّل بما ذكر، وبقوله:

أرضٌ تخيَّرَها لِطيب مَقيلِها ... كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أُمِّ دُوادِ[٢]

هو أبو دواد الشاعر، واسمه جارية، والتقدير ابن أمِّ أبى دواد، فحذف الأب. والصواب مافى الكشاف من أنّه لا إلباس فيه؛ فإنّ الإلباس وعدمَه إنّما يكون بالنسبة إلى المخاطب الذى يلقى المتكلّم كلامَه إليه، لا بالنسبة إلى أمثالنا، فإنه وإنْ كان عندنا من قبيل الإلباس، مفهومٌ واضح عند المخاطب به فى ذلك العصر.

---

(١) الآية ١٨٥ من البقرة.

(٢) البيت للأسود بن يعفر فى المفضليات ٢١٧.

ويؤيد ما ذكرنا قول ابن جني (في الخصائص) : ألا ترى أنّ الشاعر لما فُهم عنه ما أراد بقوله قال الشاعر يصف إبلا(١) :

صبّحن من كاظمة الخصَّ الخرِب يحملن عبَّاس بن عبدِ المطلب(٢)

وإنما أراد عبدَ الله بن عباس . ولو لم يكن على الثقة بفهم ذلك ، لم يجد بداً من البيان . وعلى ذلك قول الآخر :

* طبيبٌ بما أعيا النِّطاسيَّ حِذْيما *

أراد : ابن حذيم . انتهى .

وحذفَ الصلتان العبديُّ أكثرَ من هذا في محاكمته بين جرير والفرزدق في قوله :

أرى الخطَفى بذَّ الفرزدقَ شِعره ولكنَّ خيراً من كِلابٍ مجاشعُ

فإنه أراد : أرى جَرير بن عطية بن الخطفى . وجاز هذا لكونه معلوماً عند المخاطَب .

وقد أنكر الخوارزميُّ كونَ هذا من باب الحذف ، قال : إنّما هو من باب تعدّي اللقب من الأب إلى الابن ، كما في قوله :

* كراجي الندَى والعُرف عند المذلّق(٣) *

(١) كلمة « الشاعر » الثانية لم ترد في نسخة الخصائص ، وهو من باب الاظهار في موضع الاضمار .

(٢) في النسختين : « من كاظمة الحرب » ، واكماله من الخصائص والكامل ٥٥٤ والعقد ٤ : ٣٥٧ .

(٣) صدره في أمثال الميداني ٢ : ٢٧ وابن يعيش ٦ : ٩٢ :
* فانك اذ ترجو تميما ونفعها *

أي ابن المذلَّق(١) . هذا وقد قال يعقوب بن السكيت (فى شرح هذا البيت من ديوان أوس بن حجر) : حِذيَم رجلٌ من تَيم الرباب ، وكان متطبِّباً عالماً . هذا كلامه ؛ فعنده أنَّ الطبيب هو حذيم لا ابن حذيم . وتبعه على هذا صاحبُ القاموس ، فلا حذف فيه ولا شاهد على ما ذكر . وحِذْيم ، بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة بعدها ياء تحتيَّة آخر الحروف . ٢٣٣

وهذا البيت من أبياتٍ لأوس بن حَجر قالها لبنى الحارث بن سَدوس ابن شَيبان ، وهم أهل القَرية باليمامة ، حيث اقتسموا مِعزاه . وقيل اقتسمها بنو حنيفة وبنو سُحيم ، وكان أوس بن حَجر أغرى عليهم عمرَو بن المنذِر بن ماء السماء ، ثم جاور فيهم فاقتسموا مِعزاه . وهذا مطلعها :

(فإنْ يأتِكُم منى هجاء فإنَّما حَبا كُم به منّي جَميلُ بن أرقَما) أبيات الشاهد

ثم بعد أربعة أبيات :

(فهل لكم فيها إلىَّ فإننى . . . . البيت
فأخرجَكم من ثوب شَمطاء عاركٍ مشهَّرةٍ بلَّتْ أسافلُه دَما
ولو كان جارٌ منكمُ فى عشيرتى إذاً لرأوا للجار حقًّا ومَحرَما
ولو كان حولى من تَميمٍ عِصابةٌ لما كان مالى فيكمُ متقسَّما
ألاَ تتقُون الله إذْ تَعلفونها رَضيخَ النوى والعُضَّ حولاً مجرَّما
وأعجبَكُمْ فيها أغرُّ مشهَّرٌ تِلادٌ إذا نام الرَّبيضُ تغمغَما)

وهذا آخر الأبيات . قوله : فإنَّما حباكم الخ ، حباكم به أى وَصلَكم بالهجاء .

(١) فى القاموس (ذلق) : « وابن المذلق : من عبد شمس ، لم يكن يجد بيت ليلة ولا أبوه ولا أجداده ، فقيل : أفلس من ابن المذلق » . ونحوه فى أمثال الميدانى وابن يعيش .

وقوله : (فهل لكم فيها) الخ ، قال المفضّل بن سَلَمة (فى الفاخر) وابن الأنبارىّ (فى الزاهر) : الطِّبُّ : الفطنة والحذق ، ومنه سمّى الطبيب لعلمه وحذقه . وأنشد هذا البيت . وروى ابن السكّيت : « فإنّني بصير » بدل طبيب. والبصير : العالم، وقد بصُر بالضم بَصارة ، والتبصُّر : التأمُّل والتعرُّف. و (أعياه) الشىء متعدّى عَييت بأمرى إذا لم تهتدِ لوجهه . و (النِّطاسىّ) مفعوله ، و (حذيم) بدل من النطاسى . وفاعل أعيا ضمير ما الموصولة الواقعة على الداء . أى إنّني طبيبٌ حاذق بالداء الذى أعجز الأطباء فى مداواته وعلاجه . والنِّطاسىّ ، بكسر النون ، قال ابن السكّيت : العالم الشديد النظر فى الأمور . قال أبو عبيد:ويُروى : (النَّطاسىّ) بفتح النون . قال الجوهرىّ: التنطُّس للمبالغة فى التطهّر ، وكلُّ من أدقَّ النظرَ فى الأمور واستقصى علمَها فهو متنطس . ومنه قيل للمتطبّب نِطِّيس كفِسِّيق ، ونطاسىّ بكسر النون وفتحها . وقوله : (فهل لكُم) بضمّ الميم ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، أى هل لكم ميل . وقوله : (فيها) الضمير للمعزى . وفيه حذف مضاف أى فهل لكم ميلٌ فى ردّ المعزى إلىّ .

وقوله : « فأخرجكم من ثوب شمطاء» الخ ، الشمطاء : المرأة التى فى رأسها شَمَط — بالتحريك—وهو بياض شعر الرأس يخالطه سواد ، والرجل أشمَط . والعارك : الحائض . ومشهَّرة : اسم مفعول من شهَّرته تشهيراً ، والشُّهرة : وضوح الأمر . يقول : هل لكم فى ردّ معزاى فأخرجكم من سُبَّة شنعاء تلطخ أعراضكم وتدنّسها كما تدنس الحائض ثوبها بالدم ، فأغسله(١) عنكم . وهذا مثلٌ ضربه .

---

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « فاغسلها » ، اى السبة . او المراد فاغسل ذاك عنكم .

وقد خبّط جميعُ من تكلم على هذا الشاهد حيث لم ير السِّياق والسِباق ، فقال شارح (شواهد التفسيرين) : المعنى هل لكم علمٌ وبصيرةٌ فيما يرجعُ نفعه إلىّ ؟ ثم أعرَضَ عن سؤالهم وقال : إنّى أعلم بحالى منكم ، فإنّنى بصيرٌ بما أعجزَ الطبيب المشهور . ٢٣٤

وقال المظفّرى (فى شرح المفصّل) : أى هل لكم طريقٌ فى مداواةِ مابى ، فإنى أرى من الداء ما أعيا الطبيبَ عن مداواته .

وقد قارب بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) بقوله : والمعنى هل لكم فى هذه الحادثة حاجةٌ إلىّ لأشفيكم برأيى فيها ، فإننى طبيبٌ عالم بالذى عَجَز عنه هذا الحاذق العالمُ بالطب ولم يهتد إليه .

وقوله : «ألا تتّقون الله» الخ ، يقول : لولا أنك سرقتها لأىّ شىء تَعلفها ؟ يقول : فرُدَّها ولا تعلفْها . والرَّضيخ ، بالضاد والخاء المعجمتين : المدقوق ، رَضخت الحصا والنوى كسّرته . والعُضّ ، بضم العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة ، قال ابن السكيت : هو القتّ ، وقال الجوهرى : علف أهل الأمصار مثل الكُسْب والنّوى المرضوخ . والمجرَّم ، بالجيم على وزن اسم المفعول : التام والكامل .

وقوله : «وأعجبكم فيها أغرّ» الخ ، قال ابن السكيت ، الأغر : الأبيض . والتلاد : القديم من المال . والرَّبيض هنا الغنم . وقوله : تغمغما ، يعنى هذا الأغر ، والغمغمة هِبابه ، أى لا ينام ، وإنما يعرّض بهم ويفترى عليهم . انتهى

تتمة

قال ابن الأثير (فى المرصَّع) : ابن حِذيم شاعر فى قديم الدهر ، يقال إنه كان طبيباً حاذقاً ، يضرب به المثل فى الطبّ فيقال : « أطبُّ بالكيِّ من ابن حِذيم » ، وسمّاه أوسٌ حذيما ـ يعنى أنّه حذف لفظ ابن ـ فقال :

* عليمٌ بما أعيا النِطاسيَّ حِذيما *

ويقال ابن حَذَام أيضاً ، وإنّه أوّل من بكى من الشعراء فى الديار ، وهو الذى سمّاه امرؤ القيس فى قوله :

عوجا على الطَلَل المُحيلِ لعلّنا نبكى الديارَ كما بكى ابنُ حَذامِ

وابن خذام بالخاء المعجمة أشهر ، وقيل هما اثنان . وقال فى الخاء المعجمة : ابن خذام هو المذكور فى حرف الحاء على اختلاف الروايتين ، فمنهم من جعله إيّاه ومنهم من جعلهما اثنين . ويقال : إن هذا البيت الذى فى قصيدة امرئ القيس له ، وهو :

كأنّى غداةَ البينِ حينَ تحمّلوا لدىَ سَمُرات الحى ناقِفُ حنْظَل

ويقال للخمّار ابن خِذام. وخِذام من أسماء الخمر . هذا كلامه .

أقول : جميع من ذكر ابن حذام الشاعر ، لم يقل إنه هو ابن حِذيم الطبيب . وقد اختلف فى ضبط اسمه فالذى رواه الآمدىّ(١) ابن خذام بمعجمتين ، قال : من يقال له ابن خذام ، منهم ابن خذام الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره ، وهو أحد من بكى الديار قبلَ امرئ القيس ، ودرس شِعْرُه . قال امرؤ القيس :

---

(١) المؤتلف ١٠٩ .

عُوجا على الطلل المحيل لأنّنا نبكي الديار كما بكى ابن خِذامِ

قوله : لأننا ، يريد لعلنا ، ذكر ذلك أبو عبيدة وقال : قال لنا أبو الوثيق : ممّن ابن خِذام ؟ فقلنا : ما نعرفه . فقال : رجوت أن يكون علمُه بالأمصار . فقلنا : ما سمعنا به ! فقال : بلى قد ذكره امرؤ القيس وبكى على الديار قبله ، فقال :

كأنى غداةَ البينِ يوم تحمّلوا . . . البيت ! انتهى

وقال ابن رشيق (فى العمدة[1]) : الذى أعرف أن ابن حذَام بذال معجمة وحاء غير معجمة كما روى الجاحظ[2] وغيره . انتهى

وضبطه بعضهم ابن حُمَام ، بحاء مهملة مضمومة بعدها ميم غير مشدّدة ، واسمه امرؤ القيس . قال الآمدى[3] ــ عند ذكر المسمّين بامرئ القيس ــ ومنهم امرؤ القيس بن حُمام ، ثم ذكر نسبه وقال : والذى أدركه الرواة من شعره قليل جداً . وكان امرؤ القيس هارباً فقال مهلهل :

لمّا توغّل فى الكُراع هجينُهم هَلهلْتُ أثأرُ جابراً أو صِنْبِلا ٢٣٥

فى قصّة مذكورة فى أخبار زهير بن جناب. وبهذا البيت قيل لمهلهل مهلهل. وبعض الرواة يروى بيت امرئ القيس بن حُجْر :

عُوجا على الطلَلِ المُحيل لعلّنا نبكي الديارَ كما بكى ابن حُمامِ

يعنى امرأ القيس هذا ، ويروى ابن خِذام . انتهى .

ومثله للعسكرىّ (فى كتاب التصحيف[4]) قال : ومنهم امرؤ القيس

(١) العمدة ١ : ٥٤ فى باب تنقل الشعر فى القبائل .
(٢) انظر الحيوان ٢ : ١٤٠ .
(٣) فى المؤتلف ١٠ .
(٤) تصحيف العسكرى ٢١٢ .

ابنَ حُمام بن عُبيدة بن هُبَل بنُ أخى زهير بن جناب بن هبل. ويزعم بعضهم أنَّهُ الذى عنى امرؤ القيس بقوله :

* نبكى الديار كما بكى ابن خذام *

وكان يغزو مع مهلهل ، وإياه أراد مهلهلٌ بقوله :

لما توغّلَ فى الـكُلاب هجينُهم . . . . (البيت)

فالهجين هو امرؤُ القيس بن حُمام . وجابر وصِنْبل : رجلان من بنى تغلب . انتهى.

قال ابن رشيق (فى العمدة) : ويروى :

* لمّا توقّل فِى الـكُراع شريدُهم *

قال السكرى : يعنى بالهجين امرأ القيس بنَ حمام ، وكان مهلهل تبعه يوم الـكُلاب ففاته ابن حمام بعد ان تناوله مهلهلٌ بالرمح ، وكان ابن حمام أغار على بنى تغلب مع زُهير بن جَناب فقتل جابراً وصنبلا .

هذا ما اطلعت عليه . وقولُ امرئ القيس بن حُجر :

عُوجا على الطلل المحيل ، البيت

هو من قصيدة له ، استشهد به صاحب (الـكشّاف) عند قوله تعالى : ﴿ وماَ يُشْعِرُكم أنّها إذا جاءتْ لا يُؤْمنُون[1] ﴾ بفتح الهمزة فى قراءة أهل المدينة بمعنى لعلّ ، كما أنّ لأنّنا فى البيت بمعنى لعلنا .

قال ابن رَشيق (فى العمدة[2]) : يروى فى البيت : لأنّنا ، بمعنى لعلّنا ؛ وهى لغة امرئ القيس فيما زعم بعض المؤلّفين ، والذى كنت أعرف : لَعَنَّنا بالعين و نونين .

(١) الآية ١٠٩ من الأنعام .
(٢) العمدة ١ : ٥٤ .

والمُحِيل : الذى أتى عليه الحول . وعُوجا أمر من عُجتُ البعيرَ أعُوجه عَوْجا ومَعَاجا : إذا عطفتَ رأسه بالزمام .

و (أوس بن حَجَر) بفتح الحاء المهملة والجيم ، شاعر من شعراء تميم فى الجاهلية . وفى أسماء نسبه اختلاف ، فلذا تركنا نسبَه . أوس بن حجر

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء[1]) كان أوسٌ فحلَ مُضَرَ حتّى نشأ النابغة وزهيرٌ فأخملاه . وقيل لعمرو بن مُعاذٍ وكان بصيراً بالشعر : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : أوس . قيل : ثم مَن ؟ قال : أبو ذؤيب . وكان أوسٌ عاقلاً فى شعره ، كثيرَ الوصف لمكارم الأخلاق ؛ وهو من أوصفهم للحَمير والسلاح ولا سيّما للقوس ، وسبق إلى دقيق المعانى وإلى أمثال كثيرة . انتهى .

وقال صاحب (الأغانى) : كان أوس هذا من شعراء الجاهليّة وفحولِها ، وذكر أبو عُبيدة أنّه من الطبقة الثالثة ، وقرنه بالحطيئة والنابغة الجعدى . وتميمُ تقدِّم أوساً على سائر شعراء العرب . وقال الأصمعى : أوسٌ أشعر من زهير إلاّ أنّ النابغة طأطأ منه . وقال أبو عبيدة : كان أوس غَزِلا مغرماً بالنساء ، فخرج فى سفر حتى إذا كان بأرض بنى أسد بين شَرْج وناظرة ، فبينما هو يسير ظلاماً إذْ جالت به ناقته فصرعته ، فاندقّت فخذُه ، فبات مكانَه ، وما زال يقاسى كلَّ عظيم بالليل ، ويستغيث فلا يغاث ، حتّى إذا أصبح غدا جوارى الحىّ يجتَنين الكمأة وغيرَها من نبات الأرض ، والناسُ فى ربيع : فبينا هنّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجول وقد عَلِق زمامُها بشجرة ، وأبصَرْنه ملقًى ٢٣٦ ففزِعن منه فهرَبن ، فدعا جاريةً منهنّ فقال لها : مَن أنت؟ قالت : أنا حليمةُ بنتُ فضالة بن كلَدَةٍ وكانت أصغرهن فأعطاها حجراً وقال : اذهبى إلى

(١) الشعراء ١٥٤ .

أبيك فقولى له : ابنُ هذا يقرئك السلام[1] ويقول لكَ : أدركْنى فإنّى فى حالة عظيمة ! فأتت أباها وقصّت عليه القصّة وأعطته الحجر ، فقال : يا بنية لقد أتيتِ أباك بمدحٍ طويل أو هجاء طويل . ثمّ احتمل [هُوَ وَ[2]] أهلُه إلى الموضع الذى فيه أوسٌ وسأله عن حاله فأخبره الخبر ، فأتاه بمن جبَر كسره ، ولم يزل مقيماً عنده وبنتُه تخدُمه إلى أن برأ ، فمدحه أوسٌ بقصائدَ عديدة ، ورثاه أيضاً بعد موته . وكان أوسٌ إذا جلس فى مجلسٍ قومه قال : ما لأحد علىَّ مِنةٌ أعظمَ من منّة أبى دُليجة . وكان أبو دُليجة كنيةَ فضالة بن كلَدَة .

وكلدة ، بفتح الكاف واللام ، وهى فى اللغة الأرض الغليظة . وذكره ابن قتيبة فى باب الأسماء المنقولة (من أدب الكاتب) .

ومن شعر أوس قوله :

يا راكباً إمّا عرضت فبلّغَنْ ... يزيدَ بنَ عبدِ الله ما أنا قائلُ
بآيةِ . أنّى لم أخُنْكَ ، وإنّه ... سوى الحقّ مهما يَنطِق الناسُ باطلُ
فقومَك لا تجهلْ عليهمْ ولا تكن ... لهمْ هَرِشا تغتابهمْ وتقاتل
وما يَنهضُ البازى بغير جَناحه ... ولا يحمِلُ الماشين إلاّ الحواملُ
ولا سابقٌ إلاّ بساقٍ سليمةٍ ... ولا باطشٌ ما لم تُعنْه الأناملُ
إذا أنت لم تُعرض عن الجهل والخنى ... أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهلُ[3]

الهِراش : أشدّ القتال ، مثل مهارشة الكلاب . وأراد بالحوامل الأرجل.

* * *

(١) فى النسختين : « ان هذا » ، وصححه الشنقيطى فى نسخته بما أثبت من الأغانى ١٠ : ٧ .

(٢) التكملة من الأغانى .

(٣) نسب هذا البيت أيضا الى زهير في ديوانه ٣٠٠ والشعراء ١٠٠ .

وأنشد بعده :

﴿ وما حبُّ الديار شغفن قلبي ﴾

تمامه : ﴿ ولـكنْ حبُّ مَن سكن الديارا ﴾

هو لقيسٍ مجنونِ بنى عامر . وتقدم الـكلام عليه فى الشاهد التسعين بعد المائتين(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد الثلثمائة(٢) :

٣١٥ ﴿ يَسقُونَ من وَرَدَ البَريصَ عليهمُ
بَرَدَىَ يُصفَّق بالرحيق السلْسَلِ ﴾

على أنه قد يقوم المضاف إليه مَقام المضاف فى التذكير ، لانه أراد : ماء بردى . ولو لم يقم مقامَه فى التذكير لوجب أن يقال تصفّق بالتاء للتأنيث ، لأن بردَى من صيغ المؤنَّث ، وهو نهر دمشق . قال أبو عبيد البـكرى : هو من البرْد ، سمِّى بذلك لبَرْد مائه .

وأورده صاحب الـكشّاف عند قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُم فى آذانِهم(٣) ﴾ على أن الواو فى يجعلون ضمير أصحاب الصّيب وإن كان محذوفا ، لبقاء معناه ، كما أرجع الشاعر ضمير يصفق إلى ماء بردى ، مع أنّه غير مذكور ؛ ولهذا ذكَّر يصفّق .

---

(١) انظر ما سبق فى هذا الجزء الرابع ص ٢٢٧ .
(٢) انظر ابن يعيش ٣ : ٦/٢٥ : ١٣٣ والهمع ٢ : ٥١ والأشمونى ٢ : ٢٧٢ وديوان حسان ٣٠٩ .
(٣) الآية ١٩ من سورة البقرة .

قال ابن المستوفى : لو قال قائل : إنّه أعاد الضمير مذكّراً على المعنى لأنّ بردى نهر لوجد مساغا .

وروى صاحب الاغانى :

* كأساً تُصفَّق بالرحيق السَّلسلِ *

وعليه لاشاهد فيه .

و (البَرِيص) قال أبو عبيد البكرى (فى معجم مااستعجم) وتبعه الصاغانى (فى العباب) : هو بفتح الموحّدة وآخره صاد مهملة : موضع بأرض دمشق . وزاد الجواليقى (فى المعرّبات) : وليس بالعربيّ الصحيح ؛ وقد تكلمت
٢٣٧ به العرب ، وأحسبه رومىّ الأصل . وأنشدَ هذا البيت[١] .

ولم أر من أهل اللغة من ضبطه بالضاد المعجمة .

وقد اختلف شرّاح المفصّل فى ضبطه ومعناه ، فقال ابن يعيش : هو بالصاد المهملة نهر يتشعب من بردَى ، وهو نهر دمشق ، كالصَّراة من الفرات . ولدمشق أنهار أربعة كلّها من بردى .

وقال المظفرى : هو بالضاد المعجمة وادٍ فى ديار العرب . والبريص بالصاد المهملة : اسم نهر ، وقيل اسم موضع بدِمشق .

وقال ابن المستوفى : هو بالصاد المهملة . قال المفسّرون : هو مأخوذ من البَرَص ، أراد الموضع المبيَّض المجصَّص . ويروى بالضاد المعجمة فعيل من البَرْض وهو الماء القليل . ورواية المهملة أكثر وأجود وقالوا : هو اسم نهر . وكرَّر البَرِيصَ فى هذه القصيدة فقال :

---

(١) فى النسختين : « وانشدوا هذا البيت » ، وانما المراد أنشد الجواليقى هذا البيت . انظر المعرب ٥٨ ـ ٥٩ وكذلك النص التالى الذى اقتبسه البغدادى بعد الشعر .

فعلوتُ مِن أرض البَرِيصِ عليهمُ حتَّى نزلتُ بمنزلٍ لم يُوغَلِ

فدلَّ على أنّه موضع بعينه ، لا ماذهب إليه من فسرَّه قبل . قال ابن دريد: والبريص موضع بدمشق ، وليس بالعربى الصحيح ، وقد تكلّمت به العرب وأنشد هذا البيت . انتهى

وقال بعضهم(١) : هو موضع فيه أنهارٌ كثيرة ، وهو بالمهملة . وأنشد :

أهانَ العـام ما عيَّرتمونا شواء المسَمناتِ مع الخَبيص(٢)
فما لحمُ الغراب لنـا بزادٍ ولا سرطانُ أنهارِ البَريصِ

وفاعل يَسقون وهو الواو ضمير عائدٌ على أولاد جفنة فى بيت قبله كما يأتى ومن مفعوله . قال العصام (فى حاشية القاضى) : وتعدية الورود بعلى لتضمّنه معنى النّزول ، وإلاّ فالورود المتعدّى بعلى بمعنى الوصول لايعدّى بنفسه . والباء فى قوله بالرحيق للمصاحبة ، أى ممزوجا بالخمر الصافية السائغة . ويُصفَّق بالبناء للمفعول ، والتصفيق : التحويل من إناء إلى إناء ليتصفّى ، وحقيقته التحويل من صَفْق إلى صَفْق ، أى من ناحية إلى ناحية . والبـاء فى بالرحيق متعلق بمحذوف ، أى يمزج بالرحيق ، وهو الصافى من الخمر . وقال صاحب(الكشاف) فى المطففين : الرحيق : صفوة الخمر ، ولهذا فسِّر بالشراب الخالص الذى لاغشٌ فيه . والسَّلسل ومثله السلسال : السهل الانحدار السائغ الشراب .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : يجوز أن يكون المراد مدحَ ماء بَرَدَى وتفضيلَه على غيره . ومعنى يصفّق يمزج ، يقال صفّقته ، إذا مزجته . والرحيق : الخمر . والسلسل : السهل ، أى كأنه ممزوج بذلك ، فأسقط التشبيه كعادتهم

---

(١) هو وعلة الجرمى ، كما فى الحيوان ٢ : ٣١٧ .
(٢) الذى فى الحيوان ، وهو الصواب : « فما بالعار ما عيرتمونا » .

فى المبالغة . ويجوز أن يكون المراد مدحَ هؤلاء القوم بالكرم وأنهم لا يسقون الماء إلاّ ممزوجاً بالخمر ، لسَعَتهم وكرمهم وتعظيم من يَرِد عليهم . انتهى .

والظاهر أن المراد هو الثانى لا الأوّل ؛ للسياق والسباق . وليس معنى التصفيق ما ذكره ، والصواب ما ذكره بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) من أنه يصفهم بالجود على من يَرِد عليهم ، فيسقونه ماء مصفًى ممزوجاً بالخمر الصافية السائغة فى الحلق . وحَملُ هذا الكلام على القلب أظهر ، يريد : يسقون من يَرِد عليهم الرحيقَ السلسل يصفّق ببردى أى بمائها . انتهى .

وهذا البيت من قصيدةٍ لحسّانَ بن ثابت الصحابى ، وقد تقدمت ترجمته
٢٣٨ فى الشاهد الحادى والثلاثين[1] مدح بها آلَ جفنة ملوكَ الشام . وهذه قطعة منها بعد المطلع بثلاثة أبيات :

قصيدة الشاهد

(لله دَرُّ عِصابةٍ نادمتُهم ... يوماً بجِلّق فى الزمانِ الأوّلِ
أولادُ جَفْنَةَ حول قبر أبيهم ... قبر ابن ماريّة الكريم المُفْضِلِ
يُغشَونَ حتّى ما تَهِرُّ كلابهم ... لا يَسألون عن السَّواد المقبلِ)

يَسقون من ورد — البيت —

(يُسقَونَ دِرياقَ الرَّحيقِ ولم تكنْ ... تُدْعى ولائدُهم لنَقْفِ الحنظلِ
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطِّراز الأوّلِ
فَلَبِثتُ أزماناً طِوالاً فيهمُ ... ثم ادَّكرتُ كأنّنى لم أفعلِ)

إلى أن قال بعد بيتين :

(ولقد شربتُ الخمرَ فى حانوتها ... صهباءَ صافيةً كطعم الفُلْفُلِ

---

(١) الخزانة ١ : ٢٢٧ .

يسعى عليَّ بكأسها متنطِّف فيَعُلّني منها وإن لم أنهَلِ (١)
إنّ التي ناولتَني فرددتُها قُتلتْ قتلتَ فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِني بزُجاجةٍ أرخاهما للمَفصِلِ
بزُجاجةٍ رقصت بما فى قعرها رَقْصَ القَلوصِ براكبٍ مستعجِلِ)

العِصابة : الجماعة من النـاس : وجِلِّق بكسر الجيم واللام أيضاً ، قال الجواليقى (فى المعربات) : يراد به دمشق ، وقيل موضع بقرب دمشق ، وقيل إنه صورة امرأة كان الماء يخرُج من فيها فى قرية من قرى دمشق ، وهو أعجمىٌّ معرب ، وقد جاء فى الشعر الفصيح . وأنشد هذا البيت .

وقوله : أولاد جَفنة الخ بالجرّ بدل من عصابة ، ويجوز رفعه . وجَفنه بفتح الجيم هو أبو ملوك الشام ، وهو جَفنة بن عمرو مُزيقياء بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبةَ بن مازنٍ الغسانىّ . أولاد جفنة

وابن مارية هو الحارث الاعرج ، وهو الحارث بن بَجيلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جَفنة .

وأما جبَلة بن الأيهم فهو ابن مارية ، لأنه ابنُ الأيهم بن جبَلة بن الحارث الأعرج . وأراد بأولاد جفنة أولاد الحارث الأعرج ابن مارية ، وهم : النعمان والمنذر ، والمنيذر ، وجَبَلة ، وأبو شَمِر . وهؤلاء كلُّهم ملوك ، وهم أعمام جبلة ابن الأيهم . كذا فى مختصر أنساب العرب لياقوت الحموىّ .

قال السيّد الجرجانى (فى شرح المفتاح) : ترك تفضيلهم احترازاً عن تقديم بعضهم على بعض . ثم قوله وعن التصريح بأسامى الأناث الداخلة فيهم ، فيه نظر ، فإن ذكر نساء الملوك لا يُعهد عند ذكر الملوك . وقوله : إنّ مارية

(١) ط : « يسقى على » ، صوابه فى ش والديوان .

هى أمّ جَفنة غير صواب ، وإنما هى أم الحارث الأعرج . ومارية قال جمهور النسّابين : هى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثَور بن مُرتع الكندية . وقال أبو عبيدة وابن السكيت : هى مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جَفنة؛ فتكون على هذا غسّانية، وهى أخت هند امرأة حُجْر والد امرئ القيس صاحب المعلّقة، وليست أمه . ومارية هى التى يضرب المثل بقرطيها فيقال : « خذه ولو بقُرْطَى مارية » ، يضرب للترغيب فى الشىء وإيجاب الحرص عليه ، أى لا يفوتنّك على كل حال ، وإن كنت تحتاج

٢٣٩ فى إحرازه إلى بذل النفائس . قال الزمخشرى (فى أمثاله) : هى أول عربية تقرّطت وسار ذكر قُرطيها فى العرب ، وكانا نفيسَى القيمة ، وقيل إنّهما قُوِّما بأربعين ألف دينار ، وقيل كان فيهما درّتان كبيض الحمام لم يُرَ مثلهما ، وقيل هى من اليمن أهدَت قرطيها إلى البيت . انتهى .

وقال أبو محمد الاعرابىّ : هى ذات القرطين، لدرّتين كأنهما بيضتا نعامة أو حمامة .

وأراد بقوله : حول قبر أبيهم ، أنّهم ملوك ذوو حاضرةٍ ومستقَرّ ، ليسوا أصحابَ رحلة وانتجاع . سُئل الأصمعىّ بأنّه ما أراد حسان به[1] ، وأى مدح لهم فى كونهم عند قبر أبيهم ؟ فقال : إنهم ملوكٌ حُلول فى موضع واحد ، وهم أهل مدَر وليسوا بأهل عَمد . وقال غيره : معناه أنّهم آمنون لا يبرحون ولا يخافون كما تخاف العرب ، وهم مخصبون لا ينتجعون .

---

(١) سئل بكذا ، أى عن كذا ، من قوله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع » .

قال السيّد المرتضى (فى أماليه[١]) : هذا من الاختصار الذى ليس فيه حذف . أراد أنّهم أعزّاء مقيمون بدار مملكتهم ، لا ينتجعون كالأعراب . فاختَصَر هذا المبسوطَ فى قوله : حول قبر أبيهم . . قال : والاختصار غير الحذف ؛ وقومٌ يظنون أنّهما واحد ، وليس كذلك ، لأن الحذف يتعلق بالألفاظ : وهو أن تأتى بلفظٍ يقتضى غيرَه ، ويتعلق به ، ولا يستقل بنفسه ويكون فى الموجود دَلالةٌ على المحذوف ، فيُقتصر عليه طلباً للاختصار . والاختصار يرجع إلى المعانى : وهو أن تأتى بلفظٍ مُفيدٍ لمعانٍ كثيرة لو عُبِّر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ . فلا حذف إلاّ وهو اختصار ، وليس كلُّ اختصارٍ حذفا . انتهى كلامه .

وأدرَجَ ابنُ رَشيق (فى العُمْدة) هذا النوع فى باب الإشارة[٢]، قال : والإشارة من غرائب الشعر ومُلَحِهِ ، وبلاغةٌ عجيبةٌ تدلُّ على بُعْد المرمى وفَرْط القُدرة ؛ وليس يأتى بها إلاّ الشاعرُ المبرِّز والحاذق الماهر ؛ وهى فى كل نوعٍ من الكلام لمحةٌ دالّةٌ ، واختصار ، وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه .

وقوله : يُغشَون حتّى ما تهِرُّ كلابُهم الخ ، بالبناء للمفعول أى يُتردَّد إليهم ؛ مِن غشيَه : إذا جاءه . وهرَّ الكلب يَهِرّ ، من باب ضرب ، هريراً : إذا صوّت ، وهو دون النُّباح . يعنى أنّ منازلهم لا تخلو من الأضياف والفقراء ، فكلابهم لا تهِرّ على من يقصد منازلهم ؛ لاعتيادها بكثرة التردّد إليها من الأضياف وغيرهم . وقوله : لا يَسألون الخ ، أى هم فى سَعَة لا يسألون كم نزل

(١) أمالى المرتضى ٢ : ٧٣ — ٧٤ .
(٢) العمدة ١ : ٢٠٦ .

بهم من الناس ، ولا يهولهم الجمعُ الكثير ، وهو السَّواد ، إذا قصدوا نحوهم .

وهذا البيت استشهد به سيبويه[١] وابنُ هشام (فى المغنى) على أنَّ حتى فيه ابتدائيّة ، أى حرف يُبتدأ بعده الجملة اسميّةً ، أو فعلية .

وقال أبو على (فى التذكرة القصرية) : اعلم أنَّ يُغشَون للحال الماضية ، أعنى أنّه حكاية لما مضى من الحال ، ولولا تقديرك له بالحال ما صحَّ الرفع ؛ لأنّ الرفع لا يكون إلاّ والفعل واقع . ويُغشَون لا يكون إلاّ للحال أو للآتى ، فلو قدّرته للآتى لم يصحَّ الرفع ؛ إذ لا يكون الرفع إلاّ وما قبله واقع والآتى لا يكون واقعاً ، فثبت أن يغشون للحال إذْ كانت الحال واقعة ، كأنه قال : من عادتهم أنّهم يغشون حتّى لا تهرّ كلابُهم ، أى لا يزالون يُغشون . انتهى .

وقوله : يُسقونَ دِرياق الرّحيق الخ ، يُسقون بالبناء للمفعول ، قال شارح الدّيوان السكرىّ : الدِّرياق : خالص الخمر وجيّده ، شبّهه بالدرياق الشافى . والولائد : جمع وليدة ، وهى الخادم . والنَّقف : استخراج ما فى الحنظل . يقول : هم ملوكٌ لا تجتنِى ولائدُهم الحنظلَ ولا تَنْتَقِفُه .

٢٤٠ وقوله : من الطِّراز الأول ، يعنى آباءهم الأشراف المتقدّمين الذين لا تشبه خلائقهم وأفعالُهم هذه الأفعالَ المحدَثة .

وقوله : يسعى[٢] على بكأسها الخ ، المتنطِّف : المقرَّط ؛ والنُّطَفَة ، بفتحات : القُرط . ويروى (متنطِّق) ، وهو الذى عليه مِنطَقَةٌ . وعلّه : سقاه سَقياً بعد سقى . والنَّهل هنا : العطش . وقال السكرىّ : يقول : يسقينيها على كلِّ حالٍ ، عطِشْت أو لم أعطَشْ .

(١) سيبويه ١ : ٤١٣ وشرح شواهد المغني ١٣٠ ، ٣٢٥ .
(٢) ط : « يسقى » ، صوابه في ش .

وقوله : إنَّ التى ناولتنى فرددتها قُتلتْ ، بالبناء للمفعول ، أى مزجتْ بالماء ، والجملة خبر إنّ . وقوله : قُتلتَ ، هذا أيضاً بالبناء للمفعول ، لكنّه مسند إلى ضمير المتكلم ، والجملة اعتراضيّة .

وقوله : كلتاهما الخ ، أراد كلتا الممزوجة والصرف ، حلَبُ العنب ، فناولني أشدَّهما إرخاء ، وهى الصِّرف التى طلبَها منه فى قوله لم تقتَل . وهاتِها بكسر التاء أمرٌ من هاتَى يُهاتى مهاتاة[1] . والحلَب بفتحتين بمعنى المحلوب ، كالقنَص بمعنى المقنوص . وأرخاهما هو أفعل تفضيل من أرخَى المزيد ، وهو سماعىٌّ عند قوم مقيسٌ عند آخرين . والمفصل ، روى بكسر الميم وفتح الصاد ، وهو اللِّسان لأنه آلة يُفصَل به ، وروى بفتح الميم وكسر الصاد ، وهو موضع انفصال العضو .

وقوله : رقَص القلوص ، بفتح القاف : الناقة الشابّة ، قال السكرىُّ : يقال رقص رقَصاً وحلَب حَلَباً بفتحتين ، وقد تخفف ، والوجه الفتح[2] .

قال ابن الشجرىّ (فى أماليه[3]) : قال أبو الفرج[4] على بن الحُسَين الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى حديثاً رفعه إلى أبى ظَبيان الحِمَّانى قال :

---

(١) كذا . والمشهور أنها اسم فعل أمر بناؤه على الكسر .

(٢) نص السكرى ٣٥ من شرح الديوان طبع ليدن : « يقال رقص رقصا ، وحلب حلبا ، وجلب جلبا ، وقد يخففن أيضا ، والوجه الفتح » .

(٣) لم أعثر على هذا النص فى أمالى ابن الشجرى المطبوعة ، والمعروف أنها منقوصة الأواخر كما نبه محققها فى ٢ : ٣٥٦ أنها تنقصها ستة مجالس .

(٤) الأغانى ٨ : ١٦٣ .

اجتمعت جماعةٌ من الحيِّ على شرابٍ ، فتغنّى أحدهم بقول حسان :

إنَّ التى ناولتنى فرددتُها (البيت)

وقوله : كلتـاهما حلَبُ العصير (البيت)

فقال رجلٌ منهم : كيف ذكر واحدةً بقوله إنَّ التى ناولتنى فرددتها ثم قال كلتاهما فجعلها اثنتين ؟ قال أبو ظبيان : فلم يقل أحدٌ من الجماعة جواباً ، فحلف رجلٌ منهم بالطّلاق ثلاثاً إن بات ولم يسأل القاضى عُبيد الله بن الحسَن[1] عن تفسير هذا الشعر ! قال : فسُقِط فى أيدينا ليمينِه ، ثم اجتمعنا على قَصد عُبيد الله . فحدَّثَنا بعضُ أصحابنا السعديِّين قال : فيمَّمناه نتخطَّى إليه الأحياء ، فصادفناه فى مسجدٍ يصلى بين العشاءين ، فلمّا سمع حِسَّنا أوجز فى صلاته ثم أقبل علينا فقال : ما حاجتكم؟ فبدَرَ رَجلٌ منا كان أحسننا بَقِيةً[2] فقال : نحن ، أعزَّ الله القاضىَ ، قومٌ نزعنْا إليك من طريق البصرة[3] فى حاجة مهمّة ، فيها بعضُ الشيء ، فإن أذنت لنا قلنا . فقال : قولوا . فذكَرَ يمين الرجل والشّعر . فقال : أمّا قوله : إنَّ التى ناولتنى ، فإنّه يعنى الخمر . وقوله : قُتِلتْ أراد مزجت بالماء . وقوله : كلتاهما حَلَب العصير ، يعنى الخمر ومِزاجها ، فالخمر

(١) فى النسختين : « الحسين » ، صوابه من الأغانى ٨ : ١٦٣ ومواضع اخرى منه ، وهذا هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبرى ، قاضى البصرة المتوفى سنة ١٦٨ . وانظر حواشى الحيوان ١ : ٣٤٥ .

(٢) فى النسختين : « نفثة » ، صوابه من الأغانى ، والبقية : الفهم وثقوب الذهن ، كما فى قول الله : « أولو بقية ينهـون عن الفساد » .

(٣) فى الأغانى : « من طرف البصرة » .

عصير العنب ، والماء عصير السحاب ، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا(١) ﴾ . انصرِفوا إذا شئتم .

وأقول : إنَّ هذا التأويل يمنع منه ثلاثة أشياء :

أحدها أنه قال كلتاهما وكلتا موضوعة لمؤنثين ، والماء لمذكر والمذكر أبداً يغلَّب على التأنيث ، كتغليب القمر على الشمس فى قول الفرزدق :

* لنا قمراها والنجومُ الطوالعُ(٢) *

أراد : لنا شمسها وقمرها . وليس للماء اسم آخر مؤنث فيحمل على المعنى كما قالوا : « أتته كتابى فاحتقَرها » ؛ لأن الكتاب فى المعنى صحيفة .

٢٤١ والثانى : أنه قال : أرخاهما للمفصل ، وأفعل هذا موضوع لمشتركَين فى معنى ، وأحدهما يزيد على الآخر فى الوصف به ، والماء لا يشارك فى إرخاء المفصل .

والثالث : أنّه قال فى الحكاية : فالخمر عصير العنب ، وقول حسان حلب العصير يمنع من هذا ، لأنّه إذا كان العصير الخمر والحَلَب هو الخمر فقد أُضيفت الخمر إلى نفسها ، والشىء لا يضاف إلى نفسه .

والقول فى هذا عندى : أنه أراد كِلتا الخمرين : الصرف والممزوجة ، حلَبُ العنب ، فناولْنِي أشدَّهما إرخاء للمفصل .

وفرَّق اللغويون بين المِفصل والمَفصِل فقالوا : المِفصل بكسر الميم وفتح

(١) الآية ١٤ من سورة النبأ .

(٢) صدره ، كما فى ديوانه ٥١٩ :

* أخذنا بآفاق السماء عليكم *

الصاد اللسان ، وهو بفتح الميم وكسر الصاد واحد مفاصل العظام ، وهو فى بيت حسان يحتمل الوجهين . انتهى كلام ابن الشجرى .

وأما حديث حسان بن ثابت مع جبلة بن الأيهم ، وكيفية إسلام جبلة وارتداده ، فقد أورده صاحب الأغانى(١) مفصّلا وها أنا أورده مجملا :

روى بسنده إلى يوسف بن الماجُشون عن أبيه قال : قال حسّان بن ثابت : أتيت جبلةَ بن الأيهم الغسّانى و [قد] مدحته ، فأذن لى ، فجلست بين يديه ، وعن يَمينه رجلٌ له ضفيرتان ، وعن يساره رجلٌ لاأعرفه ، فقال: أتعرف هذين ؟ فقلت : أمّا هذا فأعرفه — وهو النابغة الذبيانىّ — وأما هذا فلا أعرفه . قال : هو علقمة بن عَبدَة ، فإن شئتَ استنشدتُهما [وسمعتَ منهما] ، ثم إن شئت أن تُنشد بعدهما أنشدتَ ، [وإن شئت أن تسكتَ سكتَّ] . قلت : فذاك . فأنشده النابغة :

كِلِينى لِهَمٍّ يا أُميمةَ ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطىءِ الكواكبِ

قال : فذهب نِصفى . ثم قال لعلقمة : أنشدْ . فأنشدَ :

طحابكَ قلبٌ في الحسانِ طَروبُ ... بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ

فذهب نصفى الآخر . فقال لى : أنت اعلمُ الآن ، إن شئتَ سكتَّ وإن شئتَ أنشدتَ . فتشدَّدت وأنشدت :

للهِ دَرُّ عِصابةٍ نادمتُها ... يوماً بجلِّق فى الزمانِ الأولِ

أبناء جَفنةَ عند قَبر أبيهم ... قبر ابن ماريةَ الجوادِ المُفْضل

يَسقونَ من وَرَدَ البريصَ عليهمُ ... كأساً تُصفَّقُ بالرحيقِ السَلسل(٢)

(١) الأغانى ١٤ : ٢ — ٧ . وما وضع بين معكفين فى هذه النصوص فهو تكملة من الأغانى .

(٢) ط : « بالرحيل » ، صوابه فى ش والأغانى .

يُغْشَون حتى ما تَهِرُّ كلابُهم   لا يَسألون عن السَّواد المُقبلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم   شمُّ الأنوفِ من الطِراز الأوّلِ

فقال لى : ادنُ ادنُ ، لعَمْرى ما أنتَ بدُونِهما . ثمّ أمر لى بثلثمائة دينار وعشرة أقمصة لها جيبٌ واحد ، وقال : هذا لك عندنا فى كلّ عام .

وذكر أبو عمرو الشّيبانى هذه القصّة لحسّان مع عمرو بن الحارث الأعرج ، وأتى بالقصّة أتمّ من هذه الرواية ، قال أبو عمرو : قال حسّان بن ثابت :

قدِمت على عمرو بن الحارث فاعتاصَ الوصولُ إليه(١) ، فقلتُ للحاجب بعد مدّة : إن أذنتَ لى وإلاّ هجوتُ اليمنَ كلَّها . فأذن لى فدخلت ، فوجدت عنده النابغة وعلقمةَ بن عَبَدة ، فقال لى : يا ابن الفُريعة ، قد عرفتُ نسبَك فى غسّان فارجعْ ، فإنى باعثٌ إليك بصِلةٍ سنيّة ولا تحتاج(٢) إلى الشعر فإنى أخافُ عليك هذين السبُعين أن يفضَحاك ، وفضيحتُك فَضيحتى ، وأنت والله لا تحسن أن تقول :

رقاقُ النعالِ طيّبٌ حُجُزاتُهم   يُحَيّون بالرَّيحان يومَ السَّباسبِ(٣)

فأبيتُ وقلتُ : لابدّ منه . فقال : ذاك إلى عمَّيك . فقلت لهما : بحقّ ٢٤٢
الملك إلاّ ماقدّمتمانى عليكما ! فقال : قد فعلْنا . فأنشأتُ أقول :

أبناء جَفنةَ عند قبر أبيهمُ   قبرِ ابن مارية الكريم المُفضل

(١) فى الأغانى : « فاعتاص الوصول على اليه » .
(٢) الأغانى : « ولا أحتاج » .
(٣) ط والأغانى : « دقاق النعال » ، واثبت ما فى ش والديوان
٩ قال شارحه : « القتيبى : قوله رقاق النعال ، أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم ، وانما يخصف من يمشى » .

(الأبيات[١]) فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن مجلسه سروراً ، حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيكَ الشعر ، لا ما يعلّلاني به منذُ اليوم ، أحسنتَ يا ابن الفُريعة ، هاتِ له يا غلامُ ألفَ دينار [مرجوحة[٢]]. فأعطِيتُ ذلك ، ثم قال : لك عليَّ كلَّ سنة مثلُها .

وقال أبو عمرو الشَّيبانى : لمّا أسلم جَبَلة بن الأيهَم الغسّانىّ ـ وكان من ملوك آل جفنة ـ كتبَ إلى عُمر يستأذنُه فى القُدوم عليه ، فأذنَ له فخرج إليه فى خمسِمائةٍ من أهل بيته ، من عكٍّ وغسّان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يُعلمه بقدومه ، فسُرَّ بذلك وأمر الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزال ، وأمر جبلةُ مائتى رجل من أصحابه فلبسوا الديباج[٣] والحرير ، وركبوا الخيل معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضّة ، ولبس جبلةُ تاجَه وفيه قرطا مارِيَة ، وهى جدّته ، ودخل المدينةَ فلم يبق بها بكر ولا عانسٌ إلاّ خرجتْ تنظر إليه وإلى زيِّه ، فلما انتهى إلى عُمرَ رحَّب به وألطَفَه وأدنى مجلسه ، ثم أراد [عمرُ] الحجَّ فخرج معه جبَلة ، فبينا هو فى الطّواف إذ وطىء إزارَه رجلٌ من بني فَزارة ، فانحلّ ، فرفع جبلةُ يده فهشم أنفَ الفزاريّ ، فاستعدى عليه عمرَ فبعث إلى جبْلةَ فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمَّد حلَّ إزارى ، ولولا حرمةُ الكعبة لضربتُ عنقه[٤] بالسَّيف !

---

(١) الذى فى الأغانى بيت واحد ، وهو بدل البيت السابق :
أسالت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل
(٢) وبعدها أيضا فى الأغانى : « وهى التى فى كل دينار عشرة دنانير » .
(٣) فى الأغانى : « فلبسوا السلاح » .
(٤) الأغانى : « لضربت بين عينيه » .

قال عمر ، قد أقررتَ إمّا أن تُرضيَ الرجلَ وإمّا أقدتُه . قال جبلة : تصنع ماذا ؟ قال : آمرُ بهشْم أنفك ، قال : وكيف ذلك ، هو سُوقة وأنا ملك ؟ قال : [إنّ] الإسلام جَمَعك وإياه ، فليس تفضُله إلاّ بالتُّقى والعافية ! قال جبَلة : قد ظننتُ أنى أكون فى الإسلام أعزّ منّي فى الجاهليّة . قال عمر : دعْ عنك هذا ، فإنّك إن لم تُرضِ الرجل أقدتُه منك ! قال : إذَنْ أتنصَّر ! قال : إنْ تنصَّرتَ ضربتُ عنقَك ، فلما رأى جبلةُ الجدَّ من عمر قال : أنا ناظر فى ليلتى هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حىٍّ هذا و [حىٍّ] هذا خَلقٌ [كثيرٌ] حتّى كادت أن تكون فتنة ، فلما أمسَوا أذن له عمرُ بالانصراف ، حتى إذا نام الناس تحمَّل جبَلةُ مع جماعته إلى الشام ، فأصبحت مكةُ منهم بلاقع . فلما انتهى إلى الشام تحمَّل فى خمسمائة من قومه حتى أتى القُسطَنطينيّة فدخل إلى هرقل ، فتنصّر هو وقومُه ، فسُرَّ هرقلُ بذلك جداً ، وظن أنّه فتحٌ من الفتوح ، وأقعده حيث شاء(١) ، وجعلَه من محدِّثيه وسُمّاره . ثم إنّ عمر بدا له أن يكتب إلى هرقلَ يدعوه إلى الإسلام ، ووجّه إليه رسولا [وهو جَثَّامة بن مُساحِق الكنانى] ، فلما انتهى إليه أجابَ إلى كلِّ شيء سوى الإسلام ، فلما أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل : هل رأيتَ ابنَ عمِّك هذا الذى جاءنا راغباً فى ديننا ؟ قلت : لا . قال : فالقَه . قال : فتوجّهتُ إليه ، فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة(٢) والحسن والستور(٣) مالم أر مثله بباب هرقل ، فلما أُدخِلت عليه إذا هو فى بهو عظيم ، وفيه من التصاوير مالا أُحسِن وصفَه ، وإذا هو جالسٌ على سريرٍ من قواريرَ قوائمُه

(١) الأغانى : « وأقطعه حيث شاء » .

(٢) فى النسختين : « البهو » ، صوابه من الأغانى .

(٣) ش : « والجيش » وفى الأغاني : « والحسن والسرور » .

أربعةُ أُسْدٍ من ذهب ، وقد أمرَ بمجلِسه فاستُقْبِلَ به وجهُ الشمس ، فما بينَ
٢٤٣ يديه من آنية الذهب والفضة تلوح ، فما رأيت أحسنَ منه ، فلمّا سلّمت عليه
ردَّ السلام ورحّب بى وألطفنى ، ولامنى على تركى النزولَ عنده ، ثم أقعدنى
على سريرٍ لم أدر ما هو ، فتبيّنتُه فإذا هو كرسىٌّ من ذهب ، فانحدرت عنه
فقال : مالك ؟ فقلت : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . فقال
جبلة أيضاً مثلَ قولى فى النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكرته ، وصلّى عليه ،
ثم قال : يا هذا ، إنّك إذا طهّرت قلبَك لم يضرَّك ما لبستَه ولا ما جلستَ
عليه . ثم سألنى عن الناس ، وألحفَ فى السؤال عن عمر ، ثم جعل يفكّرُ حتى
عرفت الحزنَ فى وجهه ، فقلت له : مايمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟
فقال ، أبعد الذى قد كان؟ قلت : قد ارتدّ الأشعثُ بنُ قيس عن الإسلام
[ومنَعَهم الزكاةَ] وضربهم بالسيف ثم رجَع إلى الاسلام . فتحدّثنا مَلِيًّا
ثم أومأ إلى غلامٍ على رأسه ، فولّى يُحضِر ، فما كان إلا هُنَيَّة(١) حتى أقبلت
الأخونة فوُضعت ، وجىء بخِوانٍ من ذهب فوُضع أمامى فاستعفيت ، فوُضع
أمامى خِوان من خَلَنْج وجاماتُ قوارير ، وأُديرت الخمرُ فاستعفيت منها ،
فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب منه خمسا ، ثم أومأ إلى غلام فولّى
يُحضِر فما شَعرت إلاّ بعشرِ جوارٍ يتكسّرن فى الحَلْى والحُلَل ، فقعد خمسٌ
عن يمينه وخمس عن شماله ، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائى ، فإذا أنا بعشرٍ
أفضلَ من الأوَل ، عليهنّ الوشىُ والحَلْى ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمس عن
شماله ، ثم أقبلتْ جاريةٌ على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة ، مؤدَّب ،
وفى يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خُلِطا ، وفى اليسرى جام فيه ماء

---

(١) فى النسختين : « هنيئة » ، وفى الأغانى : « هنيهة » ، وما أثبت أقرب تصحيح ، وانظر اللسان والقاموس (هتو) .

ورد ، فألقت الطائر فى ماء الورد فتمعَّك فيه بين جناحيه وظهره وبطنه ، ثم أخرجته فألقته فى جام المسك والعنبر فتمعّك فيهما حتّى لم يدعْ فيه شيئاً ، ثم نفَّرته فطار فسقط على رأس جَبلة ، ثم رفرف ونفض ريشَه فما بقى عليه شيء إلاّ سقط على جبلة ؛ ثم قال للجوارى : أطرِبْنني . فخفقن بعيدانهنّ يغنّين:

لله دَرُّ عصابةٍ نادمتُهم يوماً بجِلِّقَ فى الزمان الأوَّلِ

(الأبيات) فاستهلَّ واستبشر وطرب ، ثم قال : زدننى . فاندفعن يغنِّين :

لمن الدار أقفرت بمَعانِ(١) بين شاطى اليرموك فالصَّمَّانِ(٢)

إلى آخر القصيدة .

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا . قال : هذه منازلنا فى ملكنا بأكناف دِمَشق ، وهذا شعر ابن الفُريعة حسّان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : أمَا إنّه مضرورُ البصر ، كبير السنِّ ! قال : يا جارية ، هاتى . فأتته بخمسمائة دينار ، وخمسة أثواب ديباج ، فقال : ادفعْ هذه إلى حسّان . ثم راوَدَنى على مثلها ، فأبيت فبكى ، ثم قال لجواريه : أبكينَني . فوضَعن عيدانهن ثم أنشأن يَقُلْن :

تنصَّرت الأشرافُ من عار لطمةٍ وما كان فيها لو صبرتُ لها ضررْ
تكنَّفنى فيها لَجاجٌ ونَخوةٌ وكنت كمن باع الصَّحيحة بالعوَر
فياليتَ أُمِّى لم تلدْنى وليتنى رَجَعتُ إلى القول الذى قاله عمر(٣)

---

(١) ط : « بمغانى » ش : « بمغان » ، صوابه ما أثبت من الديوان ٤١٤ والأغانى .

(٢) فى النسختين والأغانى : « بين شاطىء » والصواب تخفيف الهمزة . وفى الديوان والعقد ٢ : ٦٠ : « بين أعلى اليرموك فالخمان » . وفى معجم البلدان (الصمان) : « بين شاطىء اليرموك فالصمان » .

(٣) الأغانى : « قال لى عمر » .

٢٤٤ وياليتنى أرعى المَخَاضَ بقفرةٍ وكنتُ أسيراً فى ربيعة أو مُضَرْ
وياليت لى بالشام أدنى معيشةٍ أجالسُ قومى ذاهبَ السمعِ والبصرْ

ثم بكى وبكيت معه ، حتى نظرت إلى دموعه تجول على لحيته ، ثم سلّمت عليه وانصرفت ، فلما قدِمت على عمر سألني عن هرقلَ وعن جبلةَ فقصصت عليه القصةَ ، فقال : أبعده الله ، تعجَّلَ فانيةً اشتراها بباقية ، فهل سرَّح معك شيئاً ؟ قلت : سرَّح إلى حسانَ خمسمائة دينار وخمسةَ أثواب ديباج . فقال : هاتِها . وبعثَ إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتَّى دنا فسلَّمَ وقال : ياأمير المؤمنين ، إنّى لأجد أرواحَ آل جفنة ! فقال عمر رضى الله عنه : قد نزع الله تعالى لك منه على رغم أنفه ، [وأتاك بمعونته] . فأخذها وانصرف وهو يقول :

إنّ ابنَ جفنةَ من بقيَّة معشرٍ لم يَغذُهم آباؤهم باللُّومِ
لم يَنْسَنى بالشَّام إذْ هو ربُّها كلاًّ ولا متنصِّراً ، بالرُّومِ
يُعطى الجزيلَ ولا يراه عنده إلاّ كبعض عطيَّة للمذموم
وأتيته يوماً فقرَّبَ مجلسى وسَقَى فروَّانى من الخُرطُومِ

ثم قال للرسول : ما قال لك جبلة ؟ قال : قال لى : إن وجدتَه حيًّا فادفعْها إليه ، وإنْ وجدته ميتاً فاطرح الثِّيابَ على قبره ، وابتعْ بهذه الدنانير بُدْنا فانحرها على قبره . فقال حسَّان : ليتك والله وجدتَني ميتاً ففعلتَ ذلك بى ! انتهى كلام الأغانى .

وروى هذه القصة ابن عبد ربه (فى العقد) على هذا النمط وزاد فيها عند قوله :

« قد ارتدَّ الأشعث بن قيس عن الإسلام ثم رجع وقبل منه[١] » . قال جبلة : ذرنى من هذا ، إنْ كنتَ تضمن لى أن يزوّجنى عمر بنته ، ويولّينى بعده الأمر رجعت إلى الإسلام . قال : فضمنت له التزويج ، ولم أضمن الإمْرَة .

وقال فى آخر القصة[٢] : فلما قدمتُ على عمر أخبرته خبر جبلة وما دعوتُه إليه من الإسلام ، والشرط الذى اشترطه ، فقال لى[٣] عمر : هلاَّ ضمنتَ له الإمْرة أيضاً ، فإذا أفاء الله به [إلى[٤]] الإسلام قضَى عليه بحكمه عز وجل . قال : ثم جهَّزنى عمر إلى قيصر ، وأمرنى أن أضمن لجبلة مااشترط به . فلما قدمتُ القُسطنطينِيَّة وجدت الناس منصرفين من جِنازته ، فعلمت أن الشَّقاء غلب عليه فى أمِّ الكتاب . انتهى .

وروى صاحب الأغانى عن ابن الكلبي : أنَّ الفَزارى لما وطىء إزارَ جبلة فلطم الفزاريُّ جبلةَ كما لطمه جبلة ، وثب عليه غسّان[٥] فهشّموا أنفه وأتوا به عمر . ثم ذكر باقى الخبر كما ذُكر .

---

(١) الذى فى العقد ٢ : ٥٨ بدل هذا « قد فعل رجل من بنى فزارة أكثر مما فعلت ، ارتدّ عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل ذلك منه » . والأشعث بن قيس ، من كندة ، بل كان من ملوكها فيما ذكر ابن سعد ، فالفزارى آخر غيره ، وهو عيينة بن حصن الفزارى ، أسلم ثم ارتد ثم أسلم بعد ذلك على يد أبى بكر . الاشتقاق ٢٨٤ والاصابة ٦١٤٦ .

(٢) العقد ٢ : ٦١ .

(٣) فى النسختين : « له » وانما الضمير لمتكلم . وفى العقد : « فقال » فقط .

(٤) هذه التكملة من العقد .

(٥) فى العقد : « فوثبت غسان » .

وروى الزُّبير بن بَــكّار : أنَّ جبلة قدِم على عمر فى ألفٍ من أهل بيته فأسـلم وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة كلام ، فسبَّ المدنىَّ فردَّ عليه ، فلطمه جبلة فلطمه المدنىُّ ، فوثب عليه أصحاب جبلة ، فقال : دعوه حتّى أسـألَ صاحبَه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره ، فقال : إنَّكَ فعلت به فعلاً ففعل بك مثله . قال : أو ليس عندك من الأمر إلاَّ ما أُرَى ؟ قال : لا ، فما عندك من الأمر يا جبلة ؟ قال : مَن سبَّنا ضربناه ، ومن ضربَنا قتلناه ! قال : إنّما أنزل القرآنُ بالقصاص ! ! فغضب وخرج بمن معه ، ودخل أرض الروم فتنصّر ، ثم ندم فقال :

* تنصّرتِ الأشرافُ من عار لطمةٍ *

(وذكر الأبيات المـاضية) .

ثم روى صاحب الأغانى[1] بسنده عن عبد الله بن مسعدة الفزارىّ قال :

٢٤٥ وجّهنى معاويةُ إلى ملك الروم فدخلتُ عليه ، وعنده رجل على سرير من ذهب ، فكلّمنى بالعربية فقلت : من أنت يا عبد الله ؟ قال أنا رجل غلبَ عليه الشقاء ، أنا جبَـلَة بن الأيهم الغسّانى ، إذا صرتُ إلى منزلى فالقَنى . فلمّا انصرف أتيتهُ فألفيته على شرابه ، وعنده قينتان تغنّيانه بشعر حسّان بن ثابت ، فلمّا فرَغتا من غنائهما أقبل علىّ فقال : ما فعل حسان بن ثابت . قلت : شيخ كبير قد عمِي ! فدعا بألف دينار ، فقال : ادفعْها إلى حسان . ثم قال : أترى صاحبَك يَفِى لى إن خرجتُ إليه ؟ قلت : قلْ ماشئتَ أعرِضْهُ عليه . قال : يعطينى [الثنِيَّة[2] فإنّها كانت] منازلَنا ، وعشرين

(١) الأغانى ١٤ : ٧ .

(٢) هى التى كانت تعرف بثنية العقاب ، ذكر ياقوت أنها المطلة على غوطة دمشق .

قرية من الغُوطة ، ويَفرضُ لجماعتنا ويُحسن جوائزَنا . فقلت : أبلّغُه . فلمّا قدمتُ على معاوية أخبرته الخبر ، فقال : وددت أنّك أجبتَه إلى ما سأل . وكتب إليه بعطاء ذلك ، فوجده قد مات .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات المفضّل وغيره[1] :

٣١٦ * وقد جَعَلَتْنِي من حَزِيمَةَ إصبَعا *

على أنّ فيه حذف ثلاث كلمات متضايفات ، أى ذا مقدار مسافة أصبع . الأوْلَى تقدير مضافين أى ذا مسافة إصبع ؛ فإنّ المسافة معناها البعد ، و « المقدارُ » لا حاجةَ إليه . كذا قدر جماعةٌ منهم أبو علىّ (فى الإيضاح الشعرى) ، ومنهم ابن هشام (فى المغنى) .

وهذا عجز ، وصدره :

(فأدركَ إبقاء العَرَادَةِ ظَلْعُها)

وهو من جملة أبياتٍ للكَلْحَبَة العَرِينى[2] ، تقدّم شرحها وترجمته فى الشاهد الحادى والستين . وأوّل الأبيات :

(فإنْ تَنْجُ منها يا حَزِيمَ بنَ طارق
فقد تَرَكتْ ما خَلفَ ظَهركَ بلقَعا)

---

(١) ابن يعيش ٣ : ٣١ . وانظر نوادر أبى زيد ١٥٣ والعينى ٣ : ٤٤٢ والأشمونى ٢ : ٢٧٢ والمفضليات ٣٢ .

(٢) ط : « العرنى » ، صوابه فى ش . وانظر ما سبق من تحقيق البغدادى فى ١ : ٣٩٢ .

يقول : إنْ تنجُ يا حَزِيمَة من فرسى ، فلم تفلتْ إلاّ بنفسك ، وقد استُبِيح مالُك وما كنتَ حوَيتَه وغنِمتَه ، فلم تدَعْ لك هذه الفرسُ شيئاً .

سبب الأبيات وسبب هذه الأبيات : أنَّ بنى تغلب ـ وكان رئيسُهم حَزيمة بن طارق ـ أغار على بنى مالك بن حنظلة من بنى يربوع ، فاستاق حزيمةُ بن طارق إبلَ بنى يربوع ، ولما أتى الصَريخُ إلى بنى يربوع ، ركبوا فى إثره فهزموه ، واستنقذوا منه ما كان أخذه ، وأُسِر حَزيمة . وهـذا البيت يشهد بانفلات حَزيمة ، وشعرُ جريرٍ يشهَد بأسره ، وهو قوله :

* قُدنا حَزيمةَ قد علمتم عنوةً(١) *

ويُجمع بينهما بأنَّ حزيمة بعد أن نجا من الكلحبةَ أسره غيره . وضمير منها راجع إلى فرس الكلحبة . وحَزيم ، بفتح الحاء المهملة وكسر الزاء المعجمة : مرخَّم حَزيمة كما فى البيت الآخر . والبلة : القفر الخالى .

وقوله : (فأدرك إبقاء العَرادة) بفتح العين والراء والدال المهملات : اسم فرس الكلحبة . و (الإبقاء) ما تبقيه الفرس من العَدْو ، إذْ مِن عِتاق الخيل ما لا تعطى ما عندها من العَدْو ، بل تُبقى منه شيئاً إلى وقت الحاجة ، يقال فرس مُبقية : إذا كانت تأتى بجَرىٍ عند انقطاع جريها وقتَ الحاجة . وهو مفعول . و (ظلْعها) فاعل (أدرك) . والظَّلْع فى الإبل بمنزلة العَرج اليسير ، ولا يكون فى ذى الحافر إلاّ استعارة . يقول : تبعتُ حَزيمة فى هربه

---

(١) عجزه في ديوان جرير ٤٥٢ :

* وشتا الهـذيل يمارس الأغلال *

٢٤٦ فلما قربتُ منه أصابَ فرسى عرجٌ فتخلّفت عنه ، ولولا عرجُها لما أسره غيرى . وجملة (وقد جعلتنى) الخ حالية .

وأخطأ المظفّرى (فى شرح المفصل) حيث لم يقف على منشأ البيت ، فزعم أن حَزيمة اسم قبيلة ، وقال فى معناه : أدرك الظلعُ إبقاء هذا الفرس أى بقاءها وثباتها فى السير ، يعنى كانت ثابتة فى السير فعرجت فى حالةٍ لم يبق بينى وبين قبيلتى إلاّ قدر إصبع . هذا كلامه ، وكان السكوت أجملَ به ، لو كان يعقل !

وقال العينى : كانت فرس الكلحبة مجروحة فقصَّرت لما قرب من حزيمة ففاته . وهذا لم يقله أحد ، وإنّما اعتذر الكلحبة لعرج فرسه وانفلات حزيمة بقوله :

(ونادى منادِى الحىّ أن قد أُتيتُمُ وقد شربتْ ماء المَزادةِ أجمَعا)

يقول : أتى الصريخ وقد شربتْ فرسى مِلْءَ الحوضِ ماء[1] . وخيل العرب إذا علمت أنه يُغار عليها ، وكانت عطاشاً ، فمنها ما يشرب بعضَ الشرب ، وبعضها لا يشرب ألبتة ، لما قد جرَّبت من الشدَّة التى تلقى إذا شربت الماء وحُورب عليها . وجملة وقد شربت حال ، أى أتيتم[2] فى هذه الحال . كذا قال ابن الأنبارى (فى شرح المفضّليّات) .

فعلم من هذا أنَّ سبب عرج فرسه من إفراط شرب الماء ، لامن الُجرح . والله أعلم .

* * *

(١) ط : « من الحوض ماء » ، صوابه فى ش وشرح ابن الأنبارى ٢١ وما سبق فى ١ : ٣٨٩ .

(٢) ط : « أوتيتم » ، صوابه فى ش وشرح الأنبارى وما سبق .

وأنشد بعده :

(يا مَنْ رأى عارضاً أُسَرُّ به بين ذِرَاعَىْ وَجبهة الأسدِ)

على أنَّ أصله : بين ذراعى الأسد وجبهة الأسد . فحذف المضاف إليه الأوَّل على نيّة لفظه . ولهذا لم يُبْنَ المضافُ ولم ينوَّن .

و (مَنْ) منادى ، وقيل المنادى محذوف ومَن استفهامية . والرؤية بَصريّة . و (العارض) : السَّحاب الذى يعترض الأفق . وجملة (أُسرُّ به) بالبناء للمفعول صفة لعارض . و (الذراعان) و (الجبهة) من منازل القمر . وعند العرب أن السحاب الذى ينشأ بِنَوءٍ من منازل الأسد يكون مطرُه غزيراً ، فلذلك يُسَرُّ به .

قال الأعلم (فى شرح شواهد سيبويه) : وصف عارضَ سَحابٍ اعترضَ بين نَوء الذراع ونوء الجبهة ، وهما من أنواء الأسد ، وأنواؤه أحمَدُ الأنواء . وذكَرَ الذراعين ، والنوء إنَّما هو للذراع المقبوضة منهما ، لاشتراكهما فى أعضاء الأسد .

وتقدّم شرح هذا البيت ـ وهو للفرزدق ـ بأبسط من هذا فى الشاهد السادس والثلاثين بعد المائة(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(إلاَّ عُلالَةَ أو بُدا هةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزارَهْ)

على أنّ الأصل : إلاّ عُلالة سابح أو بُداهة سابح ، كالذى قبله .

---

(١) الخزانة ٢ : ٣١٩ .

قال أبو على (فى التذكرة القصرية) : ليس من اعترض فى قوله إلا علالة أو بداهة قارح [١] بأنّ المضاف إليه محذوف ، يدافع أن يكون بمنزلة ما شبَّهه به من قوله :

* لله درُّ اليومَ من لا َمها[٢] *

لأنه قد ولىَ المضاف غير المضاف إليه ، وإذا وليه غيره فى اللفظ فقد وقع الفصل به بينهما ، كما وقع الفصل بينهما فى اللفظ فى قوله : لله درُّ اليومَ . وإذا كان كذلك فقد ساواه فى القبح للفصل الواقع بينهما ، وزاد عليه فيه أنَّ المضاف هنا محذوف ، ولله درُّ اليومَ مذكور ، فلا يخلو الأمر من أن يكون ٢٤٧
أراد المضاف إليه فحذفه لدلالة الثانى عليه ، أو أراد إضافته إلى المذكور فى اللفظ وفصل بينهما بالمعطوف . وكيف كانت القصّة فالفصل حاصلٌ بين المضاف والمضاف إليه . واعترض بأن قال : لو كان على تقدير الإضافة إلى قارح الظاهر ، لكان إلا علالة أو بُداهةَ قارحٍ . [و[٣]] لا يلزم لأنّه يجوز[٤] أن يكون : إلا علالة قارح أو بُداهة قارح ، فيظهر المضاف إليه موضعَ الإضمار ، فتحذفه من اللفظ كما جاز عند من خالف سيبويه ، بأن يذكر علالة وهو يريد الإضافة فيحذف المضاف . وله أن يقول : إنّ تقديرى الحذف أسوغ ، ولأنّى أحذفه بعد أن قد جرى ذكره ، وحذفُ ما جرى ذكرُه أسوغُ لتقدُّم الدلالة عليه . انتهى كلام أبى على .

---

(١) اشارة الى رواية أخرى .
(٢) عجز بيت لعمرو بن قميئة ، وهو الشاهد التالى رقم ٣١٧ .
(٣) بهذه الواو يستقيم الكلام .
(٤) ط : « لأنه يلزم » ، والصواب من ش .

وهذا البيتِ من قصيدة للأعشى ميمون تقدّم شرحه وترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين(١) . وقبله :

(وهُناكَ يَكذِبُ ظَنُّكم أن لا اجتماعَ ولا زيارَه)

يقول : إذا غزونا كم علمتم أن ظنّكم بأنّنا لا نغزوكم كذب ، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخيل غازين .

وقوله (إلا عُلالة) استثناء منقطع من قوله لا اجتماع ، أى لكن نزوركم بالخيل . والعُلالة ، بضم المهملة : بقيَّة جرى الفرس . و (البُداهة) بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، وأو للإضراب . وروى بتقديم (بداهة) على (علالة) فأو ، على هذا لأحد الشيئين . و (السابح) : الفرس الذى يدحو الأرض بيديه فى العدْو . و (النَّهد) : المرتفع . و (الجُزارة) بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان . يريد أنَّ فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً . وهذا مدحٌ فى الخيل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٣١٧ (لما رأتْ ساتِيدَمَا استَعْبَرَتْ لله درُّ ـ اليومَ ـ مَنْ لامها)

على أنّه قد فصل فى ضرورة الشعر بين المتضايفين بالظرف ، والأصل : لله درُّ من لامها اليوم .

(١) الخزانة ١ : ١٧٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩١ . وانظر مجالس ثعلب ١٥٢ والأزمنة ٢ : ٣٠٩ والانصاف ٤٣٢ وابن يعيش ٢ : ٣/٤٦ : ١٩ ، ٢٠ ، ٧٧/ ٨ : ٦٦ ومعجم البلدان (ساتيدما) وديوان عمرو بن قميئة ٦٢ .

قال أبو على (فى التذكرة القصرية) قال سيبويه: تقول: عجبت من ضربِ اليومِ زيداً، ولا يكون على هذا: لله درُّ اليومِ من لامها، فيضيف درًّا إلى اليوم؛ لأن درًّا بمنزلة قولهم لله بلادُك، فليست تجرى مجرى المصدر ولا تعمل عمل الفعل. قال أبو عثمان: فلو أضفت دَرًّا إلى اليوم، لبقى قولكَ من لامها لا موضع له، لأنه ليس كالضرب فيكون الثانى فى موضع نصب بالمصدر، فيكون بمنزلة عجبت من إعطاء زيد درهما. فإذا بقى لا موضع له، لم تجز الإضافةُ فى دَر، وإذا لم تجز الإضافة فى درّ إلى اليوم، جعلته فاصلا بين المضاف والمضاف إليه، وجعلتَه متّصلا باللام ومعمولا له، ولا يكون معمولاً للاَمها؛ لأن ما فى حيّز الصلة لا يعمل فيما قبله. انتهى.

وهذا البيت ثانى أبياتٍ ثلاثة لعَمرو بن قميئة[1]، وهى: صاحب الشاهد

(قد سألتنى بنتُ عمرٍو عن الـ أرض التى تُنكِر أعلاَمها ٢٤٨

لما رأتْ ساتِيدَ ما استعبرت «البيت»

تذكَّرتْ أرضاً بها أهلُها أخوالَها فيها وأعمامَها)

قال أبو محمد الأسود الأعرابى (فى فُرحة الأديب): قال أبو النَّدَى: سبب بكائها أنَّها لما فارقت بلادَ قومها ووقعت إلى بلاد الروم، ندمت على ذلك. وإنَّما أراد عمرو بن قميئة[1] بهذه الأبيات نفسَه لابنته، فكنى عن نفسه بها. وساتيدما: جبل بين ميًّا فارِقين وسعرت. وكان عمرو بن قميئة قال هذا لما خرج مع امرئ القيس إلى ملك الروم. انتهى.

وتُنكر: تجهلِ؛ أنكرتُه إنكاراً: خلاف عرفتُه، ونكِرته مثال تعبت كذلك، غير أنَّه لا يتصرف. كذا فى المصباح. والأعلام: الجبال،

(١) ط «قمئة» صوابه فى ش وما سيأتى من كلام البغدادى.

ويجوز أن يريد بها المنارَ المنصوبة على الطريق ليستدلّ بها من يسلك الطريق . يريد : أنها سألته عن المكان الذى صارت فيه وهى لا تعرفه ، لما أنكرته استخبرته عن اسمه .

و (استعبرت) : بكت من وَحشة الغربة ولبعدها من أراضى أهلها . والعرب تقول : لله دَرُّ فلان ، إذا دَعوا له ، وقيل : إنَّهم يريدون لله عمله ، أى جعل الله عمله فى الأشياء الحسنة التى يرضاها . وإنّما دعا للائمها بالخير نكايةً بها لأنّها فارقت أهلها بحسن اختيارها ، فيكون هذا تسفيهاً لها بتغرُّبها .

وقال الأعلم : وصف امرأةً نظرت إلى ساتيدما — وهو جبل بعيدٌ من ديارها — فتذكرت بلادها فاستعبرت شوقاً إليها ، ثم قال : لله درّ من لامها اليوم على استعبارها وشوقها ، إنكاراً على لائمها ، لأنّها استعبَرَت بحقٍّ ، فلا ينبغى أن تلام . هذا كلامه . وليس هذا معنى الشعر فتأمَّل .

وكذلك لم يصب بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) فى قوله قد سألتنى هذه المرأة عن الأرَضِينَ التى كان بها أهلها ، إذ أنكرت جبالها أو أعلامَها المنصوبة فيها ، ولم تعرفها لتقادم العهد بها أو لتغيُّرها ، لمّا رأت هذا الجبل بكت ، لأنه كان منزلَ أهلها . ثم قال : لله در من لامها على البكاء وقبَّحه عندها ، لتمتنع عنه(١) . انتهى كلامه . وهذا كلام من لم يصل إلى العنقود .

وقوله : تذكَّرتْ أرضاً بها أهلها ، قد استشهد سيبويه بهذا البيت أيضا(٢) على أنّ قوله : أخوالها فيها وأعمامها ، منصوب بفعل مضمر وهو

(١) فى النسختين : « لتمنع » .
(٢) فى كتابه ١ : ١٤٤ .

تذكّرتْ . وهذا جائز عندهم باجماع ، لأنّ الكلام قد تمّ فى قوله : تذكّرتْ أرضاً بها أهلُها ، ثم حمل ما بعده على معنى التذكّر .

وأجاز بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) أن يكون قوله : أخوالَها ، بدلا من أرضاً بدل الاشتمال

وقوله : بها أهلها ، الظرف صفة لقوله أرضا وأهلها فاعل الظرف ، ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف قبله خبره والجملة هى الصفة .

قال ابن خلف : ولو نصبت أهلها باضمار فعل لجاز على بُعد .

والكلام على ساتيدما قد أجاد فيه ياقوت الحموى (فى معجم البلدان) قال : ساتيدما بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثنّاة من تحت ودال مهملة مفتوحة وميم وألف مقصورة ، أصله مهمل فى الاستعمال فى كلام العرب ، فإمّا أن يكون مرتجلا عربياً لأنّهم قد أكثروا من ذكره فى شعرهم ، وإمّا أن يكون أعجميًّا . قال العِمْرانى : هو جبلٌ بالهند لا يعدم ثلجه أبداً . وأنشدوا :

أبردُ من ثلجِ ساتيدما وأكثر ماء من العكرِش(١)

وقال غيره : سمّى بذلك لأنه ليس من يوم إلاّ ويسفك فيه دم ، كأنّه اسمان جُعِلا واحداً : ساتى ، دما . وسادى وساتى بمعنى ، وهو من سَدَى الثَّوب ، فكأنّ الدماء تُسدى فيه كما يُسدى الثوب . وقد مدّه البحترىُّ فقال :

٢٤٩ ولما استقرت فى جَلُولَى ديارهم فلا الظَّهرُ من ساتيدماء ولا اللُّحفُ

(١) فى معجم البلدان : « وأبرد » بلا خرم . وقد زاد الشنقيطى الواو بقلمه فى نسخته .

قال أبو عبيد البكرىّ (فى معجم ما استعجم) : رأيت البُحتُرىَّ قد مدَّه ، فلا أعلم أضرورة أم لغة ، والبحترىُّ شديد التوقِّى فى شعره من اللحن والضَّرورة .

ثم قال ياقوت : وقد حذف يزيدُ بن مفرِّغ ميمه فقال :

* فدَيْر سوَى فساتيدا فبُصرى *

قلت : وهذا يدل على أن هذا الجبل ليس بالهند ، وإنَّما العِمرانىُّ وهم . وذكر غيره أنَّ ساتيدما ، هو الجبل المحيط بالأرض ، منه جبل بارمَّا ، وهو الجبل المعروف بجبل حُمرِين وما يتّصل به قرب الموصل والجزيرة وتلك النواحى. وهو أقرب إلى الصحة . والله أعلم .

وقال أبو بكر الصُّولىّ فى شرح قول أبى نواس :

ويومَ ساتيدما ضربنا بَنى الـ ـأصفَرِ والموتُ فى كتائبها

قال : ساتيدما : نهر قرب أرزَن ، وكان كسرى وجّه إياس بن قبيصة الطائى لقتال الروم بساتيدما فهزمهم ، فافتخر بذلك. وهذا هو الصحيح. وقوله: فى بلاد الهند خطأ فاحش . وقد ذكر الكسروى فيما أورد فى خبر دجلة عن المرزبانى عنه ، فذكر نهراً بين آمِد ومَيَّا فارقين ، ثم قال : ينصبُّ إليه وادى ساتيدما، وهو خارج من درب الكلاب [1] ، بعد أن ينصبّ إلى وادى ساتيدما وادى الزور الآخذ من الكلك ، وهو موضع ابن بقراط البطريق من ظاهر أرمينيا . قال : وينصبّ أيضاً من وادى ساتيدما ، نهر مَيَّافارقين ، وهذا كله مخرجه من بلاد الرُّوم ، فأين هو والهند ، ياللعجب ! وقول عمرو بن قميئة :

(١) ش : « ضرب الكلاب » .

* لمَّا رأت ساتيدما استعبرت *

يدل على [ذلك] ؛ لأنه قاله(١) فى طريقه إلى ملك الروم ، حيث سارمع امرىء القيس . انتهى كلام ياقوت .

وقال البكرىّ (فى معجم ما استعجم) : ساتيدما : جبل متّصل من بحر الرُّوم إلى بحر الهند ، وليس يأتى يومٌ من الدهر إلاّ سُفك عليه دم ، فلذلك سمِّى ساتيدما . وكان قيصر قد غزا كسرى وأتى بلاده على غِرَّة ، فاحتال له حتّى انصرف عنه ، واتبعه كسرى فى جنوده فأدركه بساتيدما ، فانهزموا مرعوبين من غير قتال ، فقتلهم قَتْلَ الكلاب ، ونجا قيصرُ ولم يَكَدْ . وفى شعر أبى النجم ساتيدما : قصر من قصور السواد ، قال أبو النجم يذكر سَكْر خالدٍ القسرىِّ لدجلة :

فلم يجُبها المرء حتّى أحكما   سَكْراً لها أعظم من ساتِيدَماَ(٢)

انتهى . ولا يخفى أنه ليس فى قول أبى النجم مايعيِّن كونه قصرا ، ولا مانع من أن يحمل على معنى الجبل . وممَّا يرد به على العِمرانىّ فى قوله : إنه جبل بالهند لا يعدم ثلجه ، أن الهند بلاد حارَّة لا يوجد فيها الثلج(٣). والله أعلم .

و (عمرو بن قَمِيئة) على وزن فَعيلة ، مؤنث قمىء على وزن فعيل مهموز اللام من قمُؤ الرجل بضم الميم قَمْأ بسكونها ، وقماءة بفتحها والمد: أى صارقميئاً ، وهو الصَّغير الذليل . عمرو بن قميئة

---

(١) فى النسختين : « يدل على أنه » ، صوابه من معجم البلدان .

(٢) فى معجم ما استعجم : « المد حتى أحكما » ، وما هنا صوابه.

(٣) هذا من أوهام القدماء ، والا فالثلج يغطى أبدا رءوس الجبال العالية فى الجبال الاستوائية ، كما هو معروف .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : عمرو بن قميئة من قيس بن ثعلبة ابن مالك رهط طرفة بن العبد ، وهو قديمٌ جاهلى كان مع حُجر أبى امرئ القيس ، فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صحبه . وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكى صاحِبي لما رأى الدربَ دونه وأيقن أنّا لاحقانِ بقيصرا
فقلت له : لا تبكِ عينكَ ، إنّما نحاول ملكاً أو نموتَ فنعذرا

٢٥٠ ثم قال ابن قتيبة : وفى عبد القيس عمرو بن قميئة الصغير [1].

أبناء قميئة وأورد الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) ثلاثةً من الشعراء يقال لهم ابن قميئة ، أوّلهم هذا قال :

هو عمرو بن قميئة بن ذَريح بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة الشاعر المشهور ، دَخل بلاد الروم مع امرىء القيس بن حُجر فهلك ، فقيل له عمرٌو الضائع . والثانى هو جميل بن عبد الله بن قميئة الشاعر العُذرى ، أحد بنى ظَبيان بن حُنّ ، وحُنّ بن عنرة [2]، ولم يكن جميل يعرف إلّا بابن قميئة .

والثالث ربيعة بن قميئة الصَّعْبي أحد بنى صعب بن تيم بن أنمار بن ميسر ابن عميرة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، شاعر له فى كتاب عبد القيس القصيدة التى أولها :

لمن دِمنٌ قفرٌ كأنّ رسومَها على الحولِ جفنُ الفارسيِّ المزخرَفُ [3]

* * *

(١) بعده فى الشعراء ٣٣٨ : « وهو شاعر أيضا » .
(٢) هذا من موجز النسب ، والا فهو حن بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة . أو صوابه « وحن من عذرة » . وانظر جمهرة ابن حزم ٤٤٩ من تحقيق كاتبه .
(٣) فى النسختين : « على الجفن » ، صوابه من المؤتلف ١٦٨ .

وأنشد بعده :

كأنّ أصواتَ مِنْ إيغالِهنَّ بنا أَوَاخِرِ المَيس إنقاضُ الفَرَاريج

على أنّ الظرف قد فصَل بين المتضايفين لضرورة الشعر ، والأصل : كأنّ أصواتَ أواخِر المَيس . ومن للتعليل .

و (الإيغال) : الإبعاد ، يقال أوغل فى الأرض : إذا أبعَدَ فيها . والضمير للإبل . و (الأواخر) : جمع آخِرة الرحْل ، بوزن فاعلة ، وهو العُود الذى فى آخر الرحْل يستند إليه الراكب . و (المَيس) بفتح الميم : شجَرٌ يتّخذ منه الرحال والأقتاب . وإضافة الأواخر إليه كإضافة خاتم فضَّة . و (الإنقاض) : مصدر أنقضَت الدّجاجة : إذا صوّتت ، وهو بالنون والقاف والضاد المعجمة . و (الفَراريج) : جمع فَرُّوج ، وهى صِغار الدّجاج .

يريد أنّ رحالهم جَديدةٌ ، وقد طال سيرُهم فبعض الرحْل يحكّ بعضاً ، فيحصل مثل أصواتِ الفراريج من اضطراب الرِّحال ؛ لشدة السير .

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرّمة تقدم الكلامُ عليه فى الشاهد التاسع والستين بعد المائتين(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الثلاثمائة(٢) :

٣١٨ (تمُرُّ على ماتستمرّ وقد شفَتْ غلائِلَ عَبْدُ القيس منها صُدورِها)

على أن الفصل بين المتضايفين بغير الظرف نادر ، كما هنا ، والأصل : وقد شفت غلائلَ صُدورِها عبدُ القيس منها ، ففصل بين المضاف والمضاف

(١) انظر هذا الجزء الرابع من الخزانة ص ١٠٨ .
(٢) انظر الانصاف ٤٢٨ .

إليه بالفاعل وبالجارّ والمجرور . والفاعل ، وهو عبد القيس ، فى نية التقديم على المفعول وهو غلائلَ صدورها ، لأن فيه ضمير الفاعل .

و (عبد القيس) قبيلة . و (الغلائل) : جمع غليل[1]، وهو الضغن والحقد . و (شفَت) مجاز من شفى الله المريض . إذا أذهب عنه ما يشكو . و (تمرُّ) من المرور . و (تستمرّ) من الاستمرار .

وهذا البيت مصنوع ، وقائله مجهول ، كذا فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن الأنبارىّ .

وقال ابن السيد (فى أبيات المعانى) : هـذا البيت أنشده الأخفش ، وتوجيه إعرابه أنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بما ليس بظرف ، وهو أفحش ما جاء فى الشعر ودعت إليه ضرورةٌ ، وتقدير الكلام . وقد شفَت غلائلَ صدورها . و (الغَلائل) : جمع غليلة مثل عظيمة وعظائم ، وكريمة وكرائم . ٢٥١
وقال أبو الحسن الأخفش : إن كان الشعر لم يوثق بعربيَّته فيجوز أن يكون أخرج غلائل غير مضافة وقدَّر فيها التنوين لأنّها لاتنصرف ، ثم جاء بالصدور مجرورةً على نيَّة اعادتها ، كما قال الآخر[2] :

رحم اللهُ أعظماً دفنوها بسجستان طلحةَ الطلَحاتِ

أى أعظُمَ طلحةِ الطَّلحات . فكذلك هنا يريد غلائل عبد القيس منها غلائل صدورها ، وقد حذف الثانى اجتزاء بالأوّل . وهذا التأويل حسن ، لأنّه مخرج الكلام[3] ، وفيه ضعف من حيث إضمار الجار . انتهى

* * *

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « غليلة » . كما سيأتى .
(٢) هو ابن قيس الرقيات . ديوانه ٢٠ .
(٣) ش : « يخرج الكلام » .

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع عشر بعد الثلثمائة :

٣١٩ (فزَجَجْتُها بِمِزَجَّةٍ زَجَّ القلوص أبى مَزَادَه(١))

على أنّه فصل بين المضاف وهو زجَّ ، وبين المضاف إليه وهو أبى مزاده، بالمفعول، وهو القلوص .

يقال زَجَجته زَجًّا : إذا طعنتَه بالزُّجّ ، بضم الزاء ، وهى الحديدة التى فى أسفل الرمح . و (زجَّ القلوصَ) مفعول مطلق ، أى زجًّا مثل زجّ . و (القَلوص) بفتح القاف : الناقة الشابة . و (أبومزادة) : كنية رجل ، قال صاحب الصحاح « المِزَجُّ ، بكسر الميم : رمح قصير كالمِزراق » . قال ابن خلف : « هذا البيت يُروى لبعض المدنّيين المولّدين ، وقيل هو لبعض المؤنّثين ممَن لا يحتج بشعره . ومِزجّة ، يروى بفتح الميم وهو موضع الزّجّ ، يعنى أنه زّج راحلته لتسرع كما يفعل أبو مزادة بالقلوص . ويجوز أن تكون الميم مكسورة ، فيكون المعنى فزججتها يعنى الناقة أو غيرها ، أى رميتها بشىء فى طرفه زُجّ كالحربة ، والمزجة ما يزُجّ به . وأراد كزج أبى مزادة بالقَلوص أى كما يزّجها . انتهى

وقول العينى : « الأظهر أن الضمير فى زججتها يرجع إلى المرأة ، لأنّه يخبر أنه زجّ امرأته بالمزّجة كما زجّ أبو مزادة القلوص » ، كلام يحتاج فى تصديقه إلى وحى . وقد انعكس عليه الضبط فى مزَجة فقال : هى بكسر الميم ، والناس يلحنون فيها فيفتحون ميمها . وقد أنشد ثعلب فى أماليه الثالثة هذا البيت كذا :

---

(١) مجالس ثعلب ١٥٢ والخصائص ٢ : ٤٠٦ والانصاف ٤٢٧ وابن يعيش ٣ : ١٩ ، ٢٢ والعينى ٤ : ٣٦٨ والأشمونى ٢ : ٢٧٦ .

فزججتها متمكناً زجّ الصعّابِ أبو مزاده

وأنشد بعضهم :

* زجّ الصعابَ أبى مزاده *

أراد زجّ أبى مزادة الصعّابَ ، ثم اعترض بالصعّاب ا ه فلا شاهد فى البيت على روايته الأولى . والصعّاب : جمع صعب ، وهو نقيض الذّلول .

وهذا البيت لم يعتمد عليه متقنو كتاب سيبويه ، حتى قال السيرافىّ : لم يثبته أحدٌ من أهل الرواية ، وهو من زيادات أبى الحسن الأخفش فى حواشى كتاب سيبويه ، فأدخله بعض النُّسّاخ فى بعض النسخ ، حتّى شرحه الأعلم وابن خلف فى جملة أبياته . والأخفش هذا هو أبو الحسن سَعيد بن مَسعدَة صاحب سيبويه ، لا الأخفش أبو الخطّاب فإنّه شيخ سيبويه . قال الزمخشرى (فى مفصّله) وما يقع فى بعض نسخ الكتاب من قوله : فزججتها بمزجة ، البيت : فسيبويه برىء من عهدته[1] . أراد أن سيبويه لم يورد هذا البيت فى كتابه ، بل زاده غيره فى كتابه . وإنّما برّأ سيبويه من هذا ، لأنّ سيبويه لا يرى الفصل بغير الظرف ، وإذا كان هذا مذهبَه ، فكيف يورد بيتاً على خلاف ٢٥٢
مذهبه . ومنه يظهر لك سقوط قول الجعبَرىّ (فى شرح الشاطبية) فإنّه بعد أن زعم أن البيت من أبيات الكتاب قال : فإنْ قلتَ : فما معنى قول المفصّل : برىء من عهدته ؟ قلتُ معناه من عهدة هذه الرواية ، لأنه يرويه :

* زجّ القلوصِ أبو مزاده *

بجرّ القلوص بالإضافة ، ورفع أبو مزادة فاعل المصدر . هذا كلامه .

---

(١) البيت لم يرد فى مظنه من سيبويه ١ : ٩١ ولم أجد الأعلم تعرض له فيما طبع بهامش الكتاب .

ثم قوله : إن هذا البيت أنشده الأخفش والفرّاء ، أقول : نقل الفرّاء لهذا البيت ليس لتأييد قراءة ابن عامر الآتية ، وإنّما نقله للطعن فيه بأنه كلامُ مَن لا يوثق به ، كما يظهر لك من كلام الفرّاء الآتى .

قال ابن جنيّ (فى الخصائص) : قد فصل بالمفعول به مع قدرته أن يقول : زجَّ القلوص أبو مزاده[1] . وفيه عندى دليل على قوّة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم وأنه فى نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول . ألا تراه ارتكب هنا الضرورة مع تمكّنه من ترك ارتكابها ، لا لشىء غير الرغبة فى إضافة المصدر إلى الفاعل دون المفعول . وهذا فى النثر وحال السَّعة صعبٌ جدًّا ، لاسيّما والمفصول به مفعول لا ظرف .ا هـ

وبقوله :لا لشىء غير الرغبة الخ ، يُعلَم أنَّ قول العَينى : إنّ قائله ليس له عذر فى هذا إلاّ مسّ الضرورة لإقامة الوزن ، صادرٌ عن غير رويّة وفكر .

ونقل جماعة عن ابن جنّي فى توجيهه ، أنّه يقدّر فى الأول مضاف إليه وفى الثانى مضاف، والتقدير : زجّ أبى مزادة القلوص قلوص أبى مزادة ، على أن يكون قلوص بدلاً من القلوص . وتعسّفه ظاهر . ونقل ابن المستوفى عن الزمخشرى (فى حواشيه) أنّه قال : الوجه أن يجرّ القلوص ويجعل أبى مزادة بعده مجروراً بمضاف محذوف ، تقديره : قلوص أبى مزادة ، كما فى :

* ونارٍ تَوقّدُ بالليلِ نارا[2] * ا هـ

---

(١) بعده فى الخصائص : « كقولك سرنى أكل الخبز زيدٌ » .

(٢) لأبى دواد الايادى فى سيبويه ١ : ٣٣ . وصدره :

* أكل امرىء تحسبين امرأ *

وينسب أيضا الى عدى بن زيد . الكامل ١٦٣ ، ٤٨٩ .

وقد نقل الخلاف ابنُ الأنباريّ فى هذه المسألة (فى كتابه الإنصاف ، فى مسائل الخلاف) فقال : ذهب الكوفيون إلى أنّه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض ، لضرورة الشعر ، وذهب البصريّون إلى إنّه لا يجوز ذلك بغيرهما . أما الكوفيّون فاحتجوا بأن قالوا : إنّما قلنا ذلك لأنّ العرب قد استعملته كثيراً فى أشعارها ، قال الشاعر :

فَزَجَجْتُها بِمزَجَّة . . . . . (البيت)

وقال الآخر :

تمرّ على ما تستمرّ وقد شفَتْ . . . . . (البيت[1])

وقال الآخر :

يَطُفْنَ بِحُوزىٍّ المراتع لم يُرَعْ بواديه من قرعِ القِسىِّ الكنائنِ[2]

والتقدير من قرع الكنائن القسىِّ . وقال :

وأصبحت بعد خَطَّ بهجتِها كأنّ قفراً رُسومَها قَلَما

والتقدير بعد بهجتِها ، ففصل بين المضاف الذى هو بعد والمضاف إليه الذى هو بهجتها ، بالفعل الذى هو خطَّ . وتقدير البيت : فأصبحت قفراً بعد بهجتها كأن قلما خَطَّ رسومها[3] . وقد حكى الكسائى عن العرب : هذا غلامُ

---

(١) هو الشاهد ٣١٨ السابق لشاهدنا هذا .

(٢) ط : « بطعن بجوزى المراتع » صوابه فى ش والانصاف وديوان الطرماح ١٦٥ واللسان (حوز) .

(٣) كتبت قديما فى طبعة السلفية : « هذا البيت مثال عجيب فى الشعر ، ولا أحسبه الا مصنوعا ، وجدير أن يطرح للالغاز والتعمية، وقلما يصيب الممتحن فيه » .

والله زيدٍ . وحكى أبو عبيدة سماعاً عن العرب : إنّ الشاة لَتجترُّ فتسمعُ صوتَ والله ربِّها . وإذا جاء هذا فى الكلام ، ففى الشعر أولى .

وأمّا البصريّون فاحتجُّوا بأن قالوا إنّما قلنا لا يجوز ذلك لأنَّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة شىء واحد ، فلا يجوز أن يفصل بينهما . وإنّما جاز الفصل ٢٥٣
بالظرف وحرف الجرّ كما قال ابن قميئة :

* لله درُّ اليومَ مَنْ لامها[(١)] *

وقال أبو حيّة النُّميرى :

كما خُطّ الكتابُ بكفِّ يوماً يهوديٍّ يقارِب أو يزُيلُ[(٢)]

وقال ذو الرمة :

* كأنّ أصواتَ مِن إيغالهن بنا[(٣)] *

لأنَ الظَّرف وحرْف الجر يتّسع فيهما مالا يُتّسع فى غيرهما .

وأمّا الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قوله : فزججته بمزجّة البيت ، فيروى لبعض المدنّيين المولّدين ، فلا يكون فيه حجّة . وأما سائر ما أنشدوه ، فهو مع قلّته لا يعرف قائله ، فلا يجوز الاحتجاج به . وأما ما حكاه الكسائى وأبو عبيدة فإنّما جاء فى اليمين لأنها تدخل فى أخبارهم للتوكيد ، فكأنّهم لما جازوا بها موضعَها استدركوا ذلك بوضع اليمين حيث أدركوا من الكلام .

---

(١) صدره كما مر قريبا :

* لما رأت ساتيدما استعبرت *

(٢) سيبويه ١ : ٩١ واللسان (عجم) .

(٣) تقدم الكلام عليه قبل الشاهد ٣١٨ . وعجزه :

* أواخر الميس انقاض الفراريج *

والذى يدل على صحة هذا أنا أجمعنا وإياكم على أنّه لم يجىء الفصل بغير اليمين فى اختيار الكلام . وأما قراءة ابن عامر ، فلا يَسُوغ لكم الاحتجاج بها ، لأنكم لاتقولون بموجبها، لأنّ الإجماع واقعٌ على امتناع الفصل بالمفعول فى غير ضرورة الشعر ، والقرآن ليس فيه ضرورة . وإذا وقع الاجماع على امتناع الفصل بينهما فى حالة الاختيار ، سقط الاحتجاج بها على حالة الاضطرار . والبصريون يذهبون إلى أن هذه القراءة وهم من القارىء ، إذْ لوكانت صحيحة لكان من أفصح الكلام ، وفى وقوع الإجماع على خلافه دليلٌ على أنه وَهَمٌ فى القراءة[1] . وإنما دعا ابنَ عامر إلى هذه القراءة ، أنه رأى فى مصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوباً بالياء ، ووجه إثبات الياء جرّ شركائهم على البدل من أولادهم وجعل الأولاد هم الشركاء ، لأنّ أولاد الناس شركاء آبائهم فى أحوالهم وأموالهم . وهذا تخريج خطّ مصحف أهل الشام . فأما قراءة ابن عامر فلا وجه لها فى القياس ، ومصاحفُ أهل الحجاز والعراق (شُرَكاؤُهُم) بالواو ، فدلّ على صحة ما ذهبنا إليه ، والله أعلم . انتهى كلام ابن الأنبارى .

وفيه أمران : الأوّل : أنّ نسبة جواز الفصل فى الشعر بنحو المفعول إلى الكوفيّين ، لم يعترف به الفرّاء وهو من أجلّ أئمة الكوفيّين ، قال (فى تفسيره المعروف بمعانى القرآن) فى سورة الأنعام[2] ، عن قراءة ابن عامر ما نصه : وفى بعض مصاحف أهل الشام (شركائهم) ، فإن تكن مثبَتة عن الأوّلين فينبغى أن يقرأ (زُيِّن) أى بالبناء للمفعول ويكون الشركاء هم الأولاد ، لأنّهم منهم فى النسب والميراث . فإن كانوا يقرءون (زَيَّن) أى

(١) فى الانصاف : « دليل على وهى القراءة » .

(٢) معانى الفراء ١ : ٣٥٧ فى الآية ١٣٧ من الأنعام .

بالبناء للفاعل ، فلست أعرف جهتها إلاّ أن يكونوا آخذين بلغة قومٍ يقولون: أتيتها عِشاياً[١] ثم يقولون في تثنية الحمراء حمرايان . فهذا وجه أن يكونوا قالوا : زيَّن لكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شُركايُهُم . وإنْ شئت جعلت زيَّن ، إذا فتحته، فعلاً لإبليسَ ثم تخفض الشركاء باتباع الأولاد . وليس قولُ من قال إنّما أرادوا مثل قول الشاعر :

فزَجَجْتُها متمكّناً زجَّ القلوص أبي مزاده

بشيء . وهذا مما كان يقوله نحويّو أهلِ الحجاز ، ولم نجد مثله في العربية . انتهى .

وقال أيضاً في سورة إبراهيم عليه السلام[٢]: وليس قول من قال مخلفَ : وعدَه رسلِهِ بشيء ، ولا : زيَّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم ، ٢٥٤
بشيء . قال الفرّاء : هذا باطل ، ونحويّو أهل المدينة ينشدون قوله :

* زجَّ القلوصَ أبي مزاده *

والصواب :

* زجَّ القلوصِ أبو مزاده * انتهى

الأمر الثاني : أنّ ابن خلف (في شرح أبيات الكتاب)، وأبا شامة (في شرح الشاطبيَّة) ، وتبعه (في شرحها) بعده [الجعبريّ[٣]] والسمين (في إعراب القرآن) ، نقلوا عن (الإنصاف لابن الأنباري) ما يؤيد قراءة ابن عامر .

(١) يعني عشاء .
(٢) معاني الفراء ٢ : ٨١ في تفسير الآية ٤٧ من ابراهيم .
(٣) التكمله مما يقتضيه الكلام التالي . وقد أثبتها الشنقيطي كذلك في هامش نسخته .

قال ابن خلف : قد احتجَّ ابن الأنبارى لهذه القراءة بقول العرب : هو غلامُ إن شاء الله أخِيك . ففصل بإن شاء الله . وقول الشاعر :

* زجَّ القلوصَ أبى مزاده *

وقال الجعبرىّ : نقل ابن الأنبارى (فى كتاب الإنصاف) عن الكسائى عن العرب : هو غلام إنْ شاء الله أخيك ، ففصل بالجملة الشرطية .

وقال السّمين : قال ابن الأنبارى : هذه قراءة صحيُحة ، وإذا كانت العرب قد فصلت بين المتضايفين بالجملة فى قولهم : هو غلامُ إن شاء الله أخيك ، فأن تفصل بالمفرد أسهل .

هذا كلامهم ، وأنت ترى هذا النقل لا أصل له ، وإنّما نَقْلُ ابنِ الأنبارى عن الكسائى عن العرب ، هو قولهم : هذا غلام والله زيد . وليس فى كلامه أيضاً ما يؤيّد القراءة ، وإنما هو طاعنٌ فيها تبعاً للزمخشرىّ وغيره .

وكنت أظنّ أن صاحب الكشّاف مسبوق بابن الأنبارى ، فراجعت ترجمتهما فرأيت الأمر بالعكس ، فإنّ الزمخشرى توفى يوم عرفة سنةَ ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وابن الأنبارىّ مات ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة وهو تلميذ الجواليقى (صاحب المعرّبات) وابنِ الشجرىّ (صاحب الأمالى) ، والزمخشرىُّ من أقران ابن الشجرىّ ، فابن الأنبارى متأخِّر عن الزمخشرى بأربع طبقات . والزمخشرىُّ فى طعنه على هذه القراءة مسبوقٌ أيضاً بالفرّاء ، فكان ينبغى الردّ على الفرّاء ، فإنّه هو الذى فتح ابتداء باب القدح على قراءة ابن عامر .

قال السمين : قراءة ابن عامر متواترة صحيحة ، وقد تجرّأ كثيرمن الناس على قارئها بما لا ينبغى ، وهو أعلى القرّاء السّبعة سنداً ، وأقدمُهم هجرة ، وإنّما

ذكرنا هذا تنبيهاً على خطأ من ردّ قراءته ، ونسبه إلى لحن أو اتباع مجرّد المرسوم . وقال أبو على الفارسىّ : هذا قبيح قليل الاستعمال ، ولو عدل عنها كان أولى ، لأنهم لم يفصلوا بين المتضايفين بالظرف فى الكلام مع اتساعهم فى الظروف ، وإنما أجازوه فى الشعر . وقال أبو عُبيد : لا أحبُّ قراءة ابن عامر لما فيها من الاستكراه ، والقراءة عندنا هى الأولى لصحّتها فى العربية مع إجماع أهل المصرين بالعراق عليها . وقال الزمخشرى — وأساء فى عبارته — :

وأما قراءة ابن عامر فشىء لو كان فى مكان الضرورة لكان سَمْجاً مردوداً كما سَمُج ورُدَّ :

* زجّ القَلوصَ أبى مزاده *

فكيف به فى الكلام المنثور ، فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته . والذى حمله على ذلك ، أنّه رأى فى بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء . ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء لأنّ الأولاد شركاؤهم فى أموالهم ، لوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب . وهذه الأقوال كُلها لاينبغى أن يلتفت إليها ، لأنها طعنٌ فى المتواتر ، وإن كانت صادرة عن أئمة أكابر . وأيضاً فقد انتصر لها من يقابلهم ، وجاء فى الحديث : « هل أنتم تاركُو لِى صاحِبى » .

٢٥٥ وقال ابن جنّي (فى الخصائص) باب مايرد عن العربىّ مخالفاً للجمهور(١) : إذا اتفق شىء من ذلك نظر فى ذلك العربىّ وفيما جاء به ، فإن كان فصيحاً وكان ماجاء به يقبله القياس فيُحسنَ الظن به ، لأنه يمكن أن يكون قد وقع إليه ذلك من لغة قديمة قد طال عهدها — ورُوى عن عمر بن الخطاب أنه قال :

(١) الخصائص ١ : ٣٨٥ .

كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحُّ منه فى الإسلام(١) . فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ولَهَت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوحُ واطمأنت العرب ، راجعوا رواية الشعر فلم يئولوا إلى ديوان مدوَّن ، وقد هلك من هلك فحفظوا أقلَّ ذلك وذهب عنهم كثيرُهُ . فإذا كان الأمر كذلك لم يُقطَع على الفصيح يسمع منه مايخالف الجمهور ، بالخطأ إذا كان القياس يَعضُدُه .

وقال ابن ذَكْوان : سألني الكسائى عن هذا الحرف وما بلغه من قراءتنا، فرأيته كأنه أعجبَه ونزع بهذا البيت :

* نفيَ الدراهيمَ تَنقادِ الصَّياريف(٢) *

بنصب الدراهيم وجرِّ تنقاد . وأمَّا ما ورد فى النظم من الفصل بين المتضايفين بالظرف وبغيره ، فكثير . ثم بعد أنْ سَرَد غالبَ ماورد فى الشعر قال : وإذا قدعرفتَ هذا ، عرفتَ أنَّ قراءة ابن عامر صحيحةٌ من حيث اللغة، كما هى صحيحة من حيث النقل ، فلا التفات إلى قول من قال : إنَّه اعتمد على الرسم لأنه لم يوجد فيه إلا كتابة شركائهم بالياء ، وهذا وإن كان كافياً فى الدلالة على جر شركائهم فليس فيهمايدلُّ على نصب أولادهم ، إذ المصحف مهمل من شكل ونقط ، فلم يبق له حجَّة فى نصب الأولاد إلاَّ النقل المحض .

وقال أبو شامة : ولا بُعدَ فيما استبعده أهل النحو من جهة المعنى ، وذلك

(١) الى هنا ينتهى نص كلام عمر ، وما بعده من الكلام يحتمل أن يكون من كلام الفضل بن الحباب ، أو ابن سلام . انظر الخصائص وطبقات ابن سلام ٢٢ .

(٢) قطعة من الشاهد التالى .

أنَّه قد عُهد تقدّم المفعول على الفاعل المرفوع لفظاً ، فاستمرَّت له هذه المرتبة مع الفاعل تقديراً ؛ فإن المصدر لو كان منوَّناً لجاز تقديمُ المفعول على فاعله ، نحو : أعجبني ضرب عمراً زيد ، فكذا في الإضافة . وقد ثبت جواز الفصل بين حرف الجرّ ومجروره مع شدة الاتصال بينهما أكثر من شدته بين المتضايفين ، كقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم ميثاقهم[1] ﴾ ، ﴿ فبما رحمةٍ[2] ﴾ والمفعول المقدَّم هو في غير موضعه معنى ، فكأنه مؤخَّر لفظاً . ولا التفات إلى قول من زعم أنه لم يأت في الكلام المنثور مثلُه . لأنَّه ناف ، ومن أسند هذه القراءة مثبت ، والإثبات مرجَّح على النفي بإجماع . ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله في النثر ، لرجع إليه ، فما باله لا يكتفي بناقل القراءة من التابعين عن الصحابة !

هذا زبدة ما أورده السمين ، ومثله كلام الجعبري (في شرح الشاطبية) والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات سيبويه[3] :

---

(١) في الآية ١٥٥ من النساء : « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله » . وفي الآية ١٣ من المائدة : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية » .

(٢) الآية ١٥٩ من آل عمران .

(٣) سيبويه ١ : ١٠ والكامل ١٤٣ والخصائص ٢ : ٣١٥ وابن الشجري ١ : ١٤٢ ، ٢/٢٢١ : ٩٣ ، ١٩٧ والانصاف ٢٧ ، ١٢١ وابن يعيش ٦ : ١٠٦ والعيني ٣ : ٤/٥٢١ : ٥٨٦ والتصريح ٢ : ٣٧٠ والأشموني ٢ : ٢٨٩ وديوان الفرزدق ٥٧٠ .

٣٢٠ (تَنْفِي يداها الحَصَى فى كلِّ هاجِرةٍ
نَفْيَ الدراهيمَ تنقـادِ الصَّيَارِيفِ)

على أنَّ فيه الفصل بالمفعول أيضاً بين المتضايفين ، فإن أصله : نفى تنقادِ الصياريف الدراهيمَ ، ففصل بالمفعول وهو الدراهيم ، بين المتضايفين .

وإضافة نفى إلى تنقاد ، من إضافة المصدر إلى فاعله . وروى أيضاً بإضافة نفى إلى الدراهيم ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة المصدر . وعلى هذه الرواية أنشده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) ، قال العينى : وفى شرح
٢٥٦ الكتاب : ويجوز نصب التنقاد ورفع الدراهيم فى العمل ، على القلب ، من حيث أمن اللبس ، يعنى أنَّه روى بجر الدراهيم بإضافة نفى إليه ونصب تنقاد ، فيكون من قبيل إضافة المصدرِ إلى فاعله على تقدير القلب بجعل الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا . وأورده سيبويه (فى أوائل كتابه ، فى باب ما يحتمل الشعرُ) قال : وربَّما مدُّوا فقالوا : مساجيد ومنابير ، شبَّهوه بما جمع على غير واحده فى الكلام كما قال الفرزدق :

* نَفْيَ الدنانيرِ تنقادُ الصياريف *

وينشد : نفيَ الدراهيمِ . انتهى كلامه .

ومحلُّ الشاهد فيه عند أبى جعفرٍ النحاس ، الدنانير والدراهيم ، قال : من روى الدنانير فلا ضرورة عنده فيه ، لأنَّ الأصل فى دينار دنَّار فلما جمعتَ رددته إلى أصله فقلت دنانير . ومن روى الدراهيم فذكر أبو الحسن بن كيسان أنه قد قيل فى بعض اللغات دِرهام ، قال : فيكون هذا على تصحيح الجمع . قال : أو يكون على أنَّه زاده للمد . قال : ويكون على الوجه الذى قال سيبويه أنَّه بنى الجمع على غير لفظ الواحد ، كما أنَّ قولهم : مذا كير ليس على لفظ ذكر ، إنما هو على لفظ مذكار ، وهو جمع لذكر على غير بناء واحده .

قال : ولم ينكر أن يكون الجمع على غير بناء الواحد ، فلذلك زاد الياء فى فى دراهيم . وقال لى علىّ بن سليمان : واحدُ الصياريف صيرف ، وكان يجب أن يقول صيارف . انتهى كلامه .

وعند الشنتمرى الشاهد فى الصياريف ، قال : زاد الياء فى الصياريف ضرورة تشبيهاً لها بما جمع فى الكلام على غير واحد ، نحو ذكر ومذاكير ، وسمح ومساميح . ولم يتعرض للدراهيم والدنانير .

وقد جمع ابن خلف بينهما فقال : الشاهد فيه على زيادة الياء فى جمع الدراهم والصيارف .

أقول : الظاهر كلام الأعلم لاغير ، وروى الدراهم بلا ياء ، وجميعهم لم يتعرضوا لإعراب الدراهيم والتنقاد .

و (النفى) بالنون والفاء ، قال صاحب المحكم : كلّ ما رددته فقد نفيته ، ونفيت الدراهم : أثرتها للانتقاد . وأنشد هذا البيت . و (يداها) فاعل تنفى ، والضمير لناقة الفرزدق . و (الحصى) : مفعول . و (الهاجرة): وقت اشتداد الحرّ فى وقت الظهر . و (نفى الدراهيم) : مفعول مطلق تشبيهى ، والأصل تنفى يداها الحصى نفياً كنفى الدراهيم . و (التَّنقاد) بالفتح ، من نقد الدراهم ، وهو التمييز بين جيِّدها ورديئها . و (الصياريف) مجرور لفظاً بالإضافة مرفوع محلاً ، لأنّه فاعل تنقاد .

قال الأعلم : وصف الفرزدق ناقتَه بسرعة السَّير فى الهواجر فيقول : إن يديها لشدّة وقعِها فى الحصى ينفيانه فيقرع بعضُه بعضاً ويُسمَع له صليلٌ كصليل الدنانير إذا انتقدها الصَيرفىّ فنفى رديئَها عن جيِّدها ، وخصّ الهاجرة لتعذّر السير فيها .

وقال ابن خلف : وصف راحلته بالنشاط وسرعة السَّير فى الهواجر ، حين تكلّ المَطيَّة[١] وتضعف القُوى منها ، تكون هى نشيطة قويّة ، إذا أصابت مَناسِمُها الحصى انتفى من تحت مناسمها ، كما تنتفى الدراهم من يد الصيرفىّ إذا نقدها بأصابعه . شبّه خروج الحصى من تحت مناسمها بارتفاع الدراهم عن الأصابع إذا نُقدت .

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[٢]

* * *

٢٥٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢١ (يا ابنَ الزُّبيرِ طَالما عَصَيْكا وطَالَما عَنَّيْتَنا إليكا)

(لَنضرِبَنْ بِسَيْفِنا قَفَيْكا[٣])

على أنّه جاء فى الشعر قلب الألف ياء مع الإضافة إلى كاف الضمير ، فى قوله قفيكا ، والأصل قفاكا ، فأبدلت الألف ياء . وإنّما كان سبيل هذا الشعر لأنه ليس مع ياء المتكلم فإنّها تقلب معه ياء ، نثراً ونظما ، عند هذيل .

وإنّما قيّد بكاف الضمير لأنّ السماع جاء معه .

وظاهر كلام أبى على (فى المسائل العسكرية) لا يختصّ هذا بالشعر ، فإنّه قال :

---

(١) حورها الشنقيطى فى نسخته الى « المطى » ، وهو الوجه .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٣) نوادر أبى زيد ١٠٥ ، ٢٥٧ وأمالى الزجاجى ٢٣٦ وشرح شواهد الشافية ٢٤٥ وشرح شواهد المغنى ١٥٣ والعينى ٤ : ٥٩١ والأشمونى ١ : ٢٦٧/٤ : ٢٨٣ .

وأمّا إبدال الياء من الألف فى قفا ، فى الإضافة ، فإنّما أبدل كما أبدلت الألف منها فيمن قال: رأيت هذان ، أى للتقارض . وقالوا أيضاً : عليك ، وإليك ، وقد اطّرد هذا فى بعض اللغات نحو : هَوَىَّ ، ونَوَىَّ ، وقَفَىَّ ، فأبدلت الياء من ألف هواى ، ونواى ، وقفاى ، كما أبدلت الألف منها فى : حاحَيت ، وعاعَيت ، حيث أريد إزالة التضعيف فيه . كما أريد من نظيره من الواو وهو : ضَوضَيت ، وقوقَيت . هذا كلامه .

وأمّا (عصيكا) فأصله عصيت ، قال ابن جنّي (فى سرّ الصناعة): أبدل الكاف من التاء لأنها أختها فى الهمس ، وكان سُحَيمٌ إذا أنشد شعراً قال: أحسنْكَ والله ، يريد أحسنت . انتهى

وقد تقدّم الكلام فى هذا الكتاب ، فى ترجمة سحيم ، أنّه كان حبشيًا وكان فى لسانه لُكنة(١) .

وقال أبو على (فى المسائل العسكريّة) : قال أبو الحسن الأخفش : إن شئت قلت أبدل من التاء الكاف لاجتماعهما فى الهمس ،وإن شئت قلت أوقع الكاف موقعها ، وإنْ كان فى أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل ، لإقامة القافية ، ألا تراهم يقولون : رأيتك أنت ، ومررت به هو ، فيجعل علامات الضمير المختصّ بها بعض الأنواع فى أكثر الأمر ، موقع الآخر . ومن ثَمّ جاء : لولاك . وإنّما ذلك لأنّ الاسم لا يصاغ معرَباً ، وإنّما يستحق الإعراب بالعامل انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان

---

(١) الخزانة ٢ : ١٠٢ .

ضمير الرفع ، كما زعم الأخفش وابن مالك ، وإنّما الكاف بدل من التاء بدلاً تصريفيًا .

وهذا الشعر من مشطور السريع ، هكذا أورده أبو زيد (فى نوادره) ونسبه لراجز من حمير . وتبعه صاحب الصحاح فى مادة السين المهملة(١) .

وأمّا الزجاجي فإنّه رواه (فى آخر أماليه الكبرى) على خلاف هذه الرواية فقال : باب التاء والكاف فى المكنيّ ، يقال : ما فعلت وما فعلك ، قال الراجز :

يا ابنَ الزُّبَير طالما عَصَيْكا وطالَما عَنّيكَنا إليكا

لَنَضْرِبَنْ بسيفنا قفَيْكا

يريد عَصَيْتنا وعنَّيتنا . فروى (عنَّيكَنا) بدل التاء كافاً ، مثل (عصيكا).وعنيتنا إليك بمعنى أتعبتنا بالمسير إليك . والنون الخفيفة فى قوله : (لَنَضْرِبَنْ) نون التوكيد . وأراد بابن الزُّبير عبدَ الله بنَ الزُّبير حَوَارِيَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢٢ (قَالَ لَهَا : هَلْ لَكِ يا تا فِيّ(٢))

٢٥٨ على أنَّ كسرياء المتكلم من نحو (فيّ) لغةُ بنى يربوع ، لكنّه عند

---

(١) هى مادة (سين) .

(٢) انظر يس ٢ : ٦٠ .

النحاة ضعيف كقراءة حمزة : ﴿ ما أنتُمْ بِمُصْرِخيِّ[1] ﴾ .

وهذا الشعر من أرجوزة للأغلب العجلى ، وهو شاعر جاهلىٌّ إسلامىٌّ ، صاحب الشاهد أسلم وهاجر ، ثم استشهد فى وقعة نهاوند . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين بعد المائة[2] . وأوَّل هذه الأرجوزة :

(أقبَلَ فى ثوبٍ مَعَافِرِيِّ بينَ اختلاطِ اللَّيلِ والعَشِيِّ)

إلى أن قال :

(ماضٍ إذا ماهَمَّ بالمُضِيِّ قَالَ لهـا هل لَكِ ياتا فِيِّ)
(قالتْ لَهُ ما أنت بالمَرضِيِّ)

قال فى الصحاح : مَعافِر ، بفتح الميم : حىٌّ من همْدان ، وإليهم تنتسب الثياب المعافرية ، وهو بالعين المهملة . والماضى : الذى لا يتوانى ولا يكسل فى أمرٍ همَّ به .

وقوله (قال لها) الخ ، الضمير عائد على امرأة تقدَّم ذكرها . و (يا) : حرف نداء ، و (تا) بالمثناة الفوقيّة منادى ، وهو اسم إشارة يشار به إلى المؤنث ، و (لكِ) بكسر الكاف ، والجارُّ والمجرور خبر مبتدأ محذوف وهو متعلق قوله (فِيِّ) . يقول : قال لها ذلك الرجلُ الماضى : يا هذه المرأة : هل لكِ رغبةٌ فىَّ ؟ قالت له : لست بالمرضىّ فيكونَ لىَ رغبةٌ فيك .

واعلم أنَّ الفرَّاء والزجَّاج وغيرَهما قد أنكروا هذه القراءة ، والشعر . أمَّا الفرَّاء فقد قال (فى تفسيرِه[3]) : الياء من مُصْرِخىَّ منصوبةٌ ، لأنَّ الياء

(1) الآية ٢٢ ابراهيم . وكذا ورد الاقتباس من الآية بترك الواو من أولها ، وهو جائز . انظر ما كتبت فى حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ .
(2) الخزانة ٢ : ٢٣٩ .
(3) معانى الفراء ٢ : ٧٥ .

من المتكلِّم تسكَّن إذا تحرَّك ما قبلها ، وتنصب إرادة الهاء كما قرئ : ﴿ لكم دينُكم وليَ دين[١] ﴾ بنصب الياء وجزمها . فإذا سكن ما قبلها ردَّت إلى الفتح الذى كان لها ، فالياء من مصرخيَّ ساكنة والياء بعدها من المتكلم ساكنة ، فحركت إلى حركةٍ قد كانت لها . فهذا مطَّرد فى الكلام . وقد خفض الياء من مصرخيَّ الأعمشُ ويحيي بن وثاب جميعاً ، حدثني القاسم بن معن عن الأعمش عن يحيي أنَّه خفض الياء ، ولعلها من وهم القرَّاء طبقة يحيي، فإنَّه قلَّ من سلم منهم من الوهم ، ولعلَّه ظنَّ الباء من بمصرخيّ خافضة للحرف كلِّه ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك . وممَّا نرى أنَّهم وهموا فيه ، قولهم: ﴿ نُوَلِّهْ ما تَوَلَّى ونُصلِهْ جهنَّم[٢] ﴾ وظنُّوا — والله أعلم — أنَّ الجزم فى الهاء ، والهاء فى موضع نصب وقد انجزم الفعل بسقوط الياء منه . وممَّا وهموا فيه قوله : ﴿ وما تنزَّلتْ به الشياطُون[٣] ﴾، حدثني مَندلُ بن على العَنزيّ[٤] عن الأعمش قال : كنت[٥] عند إبراهيم وطلحةُ بن مُصَرِّف [يقرأ[٦]] : ﴿ قالَ لِمَنْ حَوْلَه ألا تستَمِعون[٧] ﴾ بنصب اللام من حوله فقال لى إبراهيم : ما تزال تأتينا بحرف أشنع ، إنّما هى : لمن حولِه ، بخفض اللام . قال: قلت : لا ، إنّما هى حولَه ، فقال إبراهيم : ياطلحة ، كيف تقول ؟ قال : كما قلت .

(١) الآية ٦ من الكافرون .

(٢) الآية ١١٥ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢١٠ من سورة الشعراء . وهى قراءة الحسن . تفسير أبى حيان ٧ : ٤٦

(٤) ط : « الغزى » ، صوابه فى ش ومعانى الفراء .

(٥) فى النسختين : « قلت » ، صوابه من معانى الفراء ٢ : ٧٦ .

(٦) التكملة من معانى الفراء .

(٧) الآية ٢٥ من الشعراء .

قال الأعمش قلتُ : لحنْتما ، لا أجالسكما اليوم . قال الفرّاء : وقد سمعت بعضَ العرب ينشد :

قال لها : هل لكِ يا تا فىِّ قالتْ له : ما أنتَ بالمرضِىِّ

فخفض الياء من فىّ : فإن يكُ ذلك صحيحاً فهو مما يلتقى من الساكنين فيُخفض الآخِر منهما ، وإن كان له أصل فى الفتح . ألا ترى أنهم يقولون : لم أره مُذُ اليوم ومُذْ اليوم ، والرفع فى الذال هو الوجه ، لأنه أصل حركة ٢٥٩
منذ ، والخفض جائز . فكذلك الياء من مصرخىّ ، خفضت ولها أصلٌ فى النصب . انتهى كلام الفرّاء .

وأما الزّجاج فقد قال (فى تفسيره) : قرأ حمزة والأعمش (بمصرخىٍّ) بكسر الياء ، وهذه عند جميع النحويين رديئة مرذولة ، ولا وجه لها إلاّ وُجَيه ضعيف ذكره بعض النحويِّين ، وذلك أنَّ ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حرّكت إلى الفتح ، ويجوز إسكان الياء لثقل الياء التى قبلها كسرة، فإذا كان قبل الياء ساكنٌ حُرِّكتْ إلى الفتح لا غير . ومن أجاز بمصرخىٍّ بالكسر ،لزمه أن يقول : ﴿هذه عَصاىِ أتوكأُ عليها(١)﴾ . وأجاز الفراء على وجهٍ ضعيف الكسر ، لأن أصل التقاء الساكنين الكسر ، وأنشد :

* قال لها هل لكِ ياتا فىِّ الخ *

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه ، وعمل مثل هذا أسهل ، وليس يعرف قائلُ هذا الشعر من العرب ، ولا هو ممّا يحتج به فى كتاب الله تعالى . انتهى كلام الزجاج .

---

(١) الآية ١٨ من سورة طه .

ونقل أبو شامة (فى شرح الشاطبية) عن ابن النحاس : أنَّ الأخفش سعيداً قال : ما سمعت هذا من أحد من العرب ، ولا من أحدٍ من النحويين . قال أبو جعفر : قد صار هذا بإجماع ، لا يجوز ولا ينبغى أن يحمل كتابُ الله على الشذوذ . قال أبو نصر بن القشيرىّ (فى تفسيره) : ما ثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز أن يقال هو خطأ أو قبيح وردىء ، بل فى القرآن فصيح وفيه ما هو أفصح ، فلعل هؤلاء أرادوا أنَّ غير هذا الذى قرأ حمزة أفصح . قال أبو شامة : قلت : يُستفاد من كلام أهل اللغة ، أنَّ هذه لغة ، وإنْ شذّت وقلّ استعمالها . قال أبو على : قال الفراء (فى كتابه التصريف) : زعم القاسم بن معن أنّه صواب ، قال : وكان ثقةً بصيراً ، وزعم أنّه لغة بنى يربوع . ثمّ بعد أن نقل أبو شامة بعضاً من كلام الفرّاء والزَّجاج قال : والزمخشرى قال : هى قراءة ضعيفة ، واستشهدوا لها ببيت مجهول فذكره .

قلت : ليس بمجهول فقد نسبه غيره إلى الأغلب العجلىّ الراجز، ورأيته أنا فى أوّل ديوانه . وانظر إلى الفرّاء كيف يتوقّف فى صحة ما أسنده ؟ وهذه اللغة باقيةٌ فى أفواه الناس إلى اليوم ، يقول القائل : مافىِّ أفعلُ كذا .

وفى شرح الشيخ : قال حسين الجعفى : سألت أبا عمرو بن العلاء عن كسر الياء فأجازه . وهذه الحكاية تروى على وجوه ذكرها ابن مجاهد (فى كتاب الياءات) من طرق قال : قال خلاد حدثنا حسين الُجعفى قال : قلت لأبى عمرو ابن العلاء : إن أصحاب النحو يلحّنونها(١) فيها . فقال : هى جائزة أيضاً ، لا نبالى إلى أسفل حركتها أو إلى فوق . ثم ذكر بقية الطرق.

---

(١) ط : «يلحوننا» ، صوابه فى ش واضحة .

واعلم أن علماء العربية قد وجَّهوا قراءة حمزة بوجوه :

أحدها ما ذكره الشارح المحقّق ، وهو أن ياء الإضافة شُبّهت بهاء الضمير التى توصل بواوٍ إذا كانت مضمومة وبياء إذا كانت مكسورة ، وتكسر بعد الكسر والياء الساكنة . ووجه المشابهة : أنَّ الياء ضمير كالهاء ، كلاهما على حرفٍ واحد يشترك فى لفظه النصب والجر ، وقد وقع قبل الياء هنا ياء ساكنة ، فكسرت كما تكسر الهاء فى عليه . وبنو يربوع يَصلونها بياء كما يصل ابنُ كثير نحو عليه بياء ، وحمزة كَسر هذه الياء من غير صلة ، لأنَّ الصلة ليست من مذهبه .

وهذا التوجيه هو الذى اعتمد عليه أبو على (فى الحجة) قال : وجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون فى موضع نصب أو جر ، ٢٦٠ فالياء فى النصب والجرّ كالهاء فيهما ، وكالكاف فى أكرمتك وهذا لك ، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة فى هذا له وضربه ، ولحق الكاف أيضا الزيادةُ فى قول من قال : أعطيتكاه وأعطيتكيه فيما حكاه سيبويه ، وهما أختا الياء ، كذلك ألحقوا الياء الزيادةَ من المدّ فقالوا : فىَّ ثم حذفت الياء الزائدة على الياء ، كما حذفت الزيادة من الهاء فى قول من قال : « لَهْ أرِقانِ » وزعم أبو الحسن أنّها لغة .

قلت : نقل الواحدىُّ (فى تفسيره الوسيط) عن قطرب أنه زعم أن هذا لغة فى بنى يربوع ، يزيدون على ياء الإضافة ياء ، نحو « هل لكِ ياتا فى » وكان الأصل بمصرخىّ ، ثمَّ حذفت الياء الزائدة وأُقرَّت الكسرة على ما كانت عليه . انتهى

وقول أبى على : « لَهْ أرِقانِ » هو قطعة من بيت وهو :

فبتُّ لدى البيتِ العتيقِ أُريغه ومِطواىَ مُشتاقان لَهْ أرِقَانِ

ويأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى باب الضمائر(١)

وقال أبو شامة : ليس التمثيل بقوله : له أرقان ، مطابقاً لمقصوده ، فإن الهاء ساكنة حذفت حركتها مع حذف صلتها ، وليس مراده إلاّ حذف الصلة فقط . فالأُولى لو كان مثَّل بنحوِ : عليهِ ، وفيهِ . ثم قال أبو على : وكما حذفت الزيادة من الكاف ، فقيل أعطيتكِه ، كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء على هذه اللغة وإن كان غيرها أفشَى منها ، وعضدُهُ من القياس ما ذكرنا . لم يجز لقائل أن يقول إن القراءة بذلك لحنٌ لاستقامة ذلك فى السماع والقياس ، وما كان كذلك لا يكون لحنا .

الوجه الثانى أن يكون الكسر فى بمصرخىّ ، لأُجل التقاء الساكنين ، وهذا هو الوجه الذى نبّه عليه الفرّاء أوّلاً وتبعه فيه الناس . قال الزمخشرىّ : كأنه قدّر ياءالإضافةِ ساكنة ، ولكنّه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف فى عصاى ، فما بالها وقبلها ياء .

وممّن تبع الفراء ابنُ جنى (فى المحتسب) فى سورة طه قال : قرأ الحسن وأبو عمرو بخلافٍ عنهما : (هِىَ عَصاىِ(٢)) بكسر الياء ، وكسرُها فى نحو هذا ضعيف ، استثقالاً للكسرة فيها وهربا إلى الفتحة ، كهداى وبشراى ، إلا أنّ للكسر وجهاً ما ، وذلك أنه قد قرأ حمزة (وما أنتم بمصرخىٍّ) وكسر الياء لالتقاء الساكنين مع أنّ قبلها كسرة وياء ، والفتحةُ والألف

(١) هو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلثمائة ، وقائله يعلى الأحول الأزدى .

(٢) الآية ١٨ من سورة طه . وقد وردت فى النسختين محرفة « هذه عصاى » وانظر ما كتبت فى كتابى تحقيق النصوص ص ٤٥ .

فى عصاى ، أخفُّ من الكسرة والياء فى مصرخيٌّ . وروينا عن قطرُب وجماعةٍ من أصحابنا :

* قال لها هل لكِ ياتا فىٍّ *

أراد : فىَّ ، ثم أشبع الكسرة للإطلاق وأنشأ عنها ياء ، نحو منزِلي وحوملِي(١) . وروينا عنه أيضا :

عَلىَّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمةٍ ... لوالدهِ ليست بذات عقاربِ(٢)

وروينا عنه أيضا :

إن بنِىَّ صبيةٌ صيفيّونْ ... أفلَحَ مَن كان له رِبعْيون(٣) اهـ

الوجه الثالث : أنّ الكسر فى بمصرخيٌّ للإتباع للكسرة التى بعدها ، وهى كسر همزة إنِّى . كما قرأ بعضهم : (الحمدِ لِله) بكسر الدال اتباعا لكسر اللام بعدها .

قال أبو شامة : وهذه الأوجه الثلاثة كلها ضعيفة . والله أعلم . ٢٦١

* * *

وأنشد بعده :

﴿ خالَطَ مِنْ سَلمَى خيَاشِيمَ وفا ﴾

تقدّم شرحه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين من باب الاستثناء(٤) .

---

(١) يعنى فى قول امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) النابغة الذبيانى فى ديوانه ٣ .

(٣) الرجز لسعد بن مالك أو أكثم بن صيفى . نوادر أبى زيد ٨٧ والاشتقاق ٦٩ ، ١٦٤ والعقد ٣ : ١٠٣ .

(٤) الخزانة ٣ : ٤٤٢ .

وما وجه به الشارح هنا من الوجهين ، هما لأبى علىّ (فى الايضاح الشعرى) وتقدّم نقلهما عنه هناك بأبسط ممّا هنا فليرجع إليه .

وقال فى (البغداديّات) أجرى الشاعر فى فم الإفراد ، مُجرى الإضافة فى الضرورة ، وذلك قوله : خياشيم وفا ، فحُكمُ ألفِ فا ، أن تكون بدلاً من التنوين ، والمنقلبة من العين سقطت لالتقاء الساكنين ، لأنّه الساكن الأوّل ، وبقى الاسم على حرف واحد . وجاز هذا فى الشعر للضرورة ، لأنّه قد يجوز فى الشعر كثيراً مالا يجوز فى الكلام . قال المبرّد : وقد لحّن كثيرٌ من الناسِ العجّاجَ فى قوله : خياشيم وفا . قال : وليس هو عندى بلاحنٍ ، لأنه حيث اضطرأتى به فى قافيةٍ غير مُلْحِقَة معها التنوين . والقول عندى فيه ما قدّمته : مِن أنّه أجراه فى الإفراد مُجراه فى الإضافة ، فلا يصلح تلحينه ونحن نجد مساغا إلى تجويزه ، ونحن نرى فى كلامهم نظيرَه من استعمالهم فى الشعر مالا يجوز مع سواه ، كقولهم :

* ولضفادى جَمّهِ نَقانقُ[1] *

أى لِضفادع جَمّهِ ، فكذلك يجوز فيه استعمال الاسم على حرف واحد وإن لم يَسُغْ فى الكلام . فامّا قول المبرّد : ومن كان يرى تنوين القوافى لم ينوّن هذا ، فليس فى هذا عنده شئ منع من تنوينه عند من ينوّن . ويُفسد ما ذكره من أنّ من نوّن القوافى لم ينوّن هذا ، أنّ[2] من ينوّن القافية يلزمه تنوين هذا الاسم ، لكونه فى موضع النصب ، وقد أجاز المبرّد فى غير هذا

---

(١) لخلف الأحمر . انظر سيبويه ١ : ٣٤٤ وشرح شواهد الشافية ٤٤١ . وفى النسختين : « جمة » ، تحريف أصلحه الشنقيطى .

(٢) ط : « مع أن » ، وكلمة « مع » مقحمة ليست فى ش .

الموضع أن يكون الاسم المظهر على حرف مفرد . هذا كلامه ومنه تعلم أنّ نقل الشارح المحقق عن أبي عَليّ خلافُ مذهبه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢٣ (كَفَى بالنَأيِ مِنْ أسْماء كَافِي(١))

على أنّ الوقف على المنصوب بالسكون لغة ، فإنّ كافياً مفعول مطلق وهو مصدر مؤكِّد لقوله كفى ، وكان القياس أن يقول كافياً بالنصب ، لكنّه حذف تنوينه ووقف عليه بالسكون ، والمنصوبُ حقُّه أن يبدل تنوينه ألفا .

(وكافٍ) من المصادر التى جاءت على وزن اسمِ الفاعل ، قال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يريد كفى النأيُ من أسماء كفايةً ، وهو اسم فاعل وُضع موضعَ المصدر كقولهم : قم قائماً ، وعُوفِي عافية ، وفُلج فالجا . وكان يجب أن يقول كافياً ، لكنّه حذف الفتحة كما تحذَف الضمّة والكسرة . انتهى

وكذلك الزمخشريُّ أورده (فى المفصّل) فى المصادر التى جاءت على صيغة اسم الفاعل .

والنأى : البعد ، وهو فاعل كفى ، والباء زائدة فى الفاعل كقوله تعالى :

---

(١) الخصائص ٢ : ٢٦٨ والمنصف ٢ : ١١٥ وابن الشجرى ١ : ١٨٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ وابن يعيش ٦ : ٥١/١٠ : ١٠٣ وشرح شواهد الشافية ٧٠ وديوان بشر ١٤٢ .

﴿ كَفَى باللهِ شَهِيداً[1] ﴾ . و (من أسماء) متعلّق بالنّأى . وأسماء : امرأة ، أصله وَسْماء من الوَسَامة ، وهى الحسن .

وهذا صدر وعجزه :

(وليسَ لنأْيِها إذْ طالَ شافِى)

صاحب الشاهد ٢٦٢ وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ لبشر بن أبى خازم ، مدح بها أوس بن حارثة ابن لأم ، لمّا خلّى سبيله من الأسر والقتل . و (شاف) اسم ليس . و (لنأيها) متعلّق به ، والخبر محذوف أى عندى أو موجود . وفاعل طال ضمير النأى . وإذْ تعليلّية متعلّقة بشاف . وجملة وليس لنأيها ، الخ معطوفة على ما قبلها ، أى يكيفنى بُعدها بلاء فلا حاجةَ إلى بلاء آخر ، إذْ هو الغاية ، ولا شفاء لى من مرض بعدها مع طوله . ويجوز أن تكون الواو للحال .

وقال مَعْمَر بن المثنّى ، شارح ديوان بشر ، وهو عندى بخطّهِ ، وهو خطّ كوفىٌّ : المعنى لا يصيبنى بعدهذا شىء أشدّمنه ، أى هو سُقم ومرض .ويروى : (ولَيسَ لِسُقْمِهِ) أى السُّقم الناشىء من بُعدها . ويروى أيضاً : (وليس لسقمها) أى السُّقم الذى حصل لى منها . هذا كلامه ، وليس وَراء عَبّادانَ قرية .

وروى شُرّاح المفصل المصراع الثانى كذا :

* وَليس لحبّها إذْ طال شافى *

(١) الآية ٤٣ من الرعد و ٩٦ من الاسراء . وفى الكتاب أيضا : « وكفى بالله شهيدا » فى الآيتين ٧٩ ، ١٦٦ من النساء و ٢٨ من الفتح . و « فكفى بالله شهيدا » فى الآية ٢٩ من يونس .

قال شارح أبياته — وهو بعض فضلاء العجم — : قوله : لحبّها ، مفعول شافى والخبر محذوف ، أى عندى أو موجود ، ويجوز أن يكون لحبّها أى ليس شاف كافياً أو حاصلا لحبها .ورواه للظفَّرىّ (فى شرحه):«وليس بحبّها» بالموحَّدة وقال : أى ليس حبّها شافياً إذْ طال ، يعنى يحصل الشفاء من وصلها لا بحبّها .

وبشر بن أبى خازم بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة — وخازم — بالخاء والزاى المعجمتين . بشر بن أبى خازم

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : بشر بن أبى خازم هو من بنى أسد ، جاهلىٌّ قديم ، وشهد حرب أسد وطيِّىء ، وشهد هو وابنه نوفلٌ الحِلف بينهما . قال أبو عمرو بنُ العلاء : فحلان من فحول الجاهليّة كانا يُقْويان : بشر بن أبى خازم ، والنابغة الذبيانى : فأمَّا النابغة فدخل يثربَ فغُنِّىَ بشعره [فَفَطِنَ] فلم يَعُد [للإقْواء(١)] . وأمَّا بشر فقال له أخوه سوادةُ : إنّك لتُقوِى ! قال : وما الإقْواء ؟ قال : قولُك :

ألم تَرَ أنَّ طُولَ الدهر يُسْلِى ويُنْسِى مِثلَ ما نُسِيت جُذامُ

ثم قلتَ :

وكانوا قومَنا فبغَوا علينا فسُقناهم إلى البلد الشآمِ

فلم يَعُد للإقواء . ا ﻫ

وأورده محمّد بن حبيب (فى كتاب أسماء من قُتِل من الشعراء(٢)) فقال: ومنهم بشر بن أبى خازم الأسدى ، وكان أغار فى مِقنَبٍ من قومه على الأبناء

(١) التكملة من الشعراء ٢٢٧ .

(٢) نشر محققا بقلم كاتبه فى نوادر المخطوطات ٢ : ١١٢ — ٢٧٨ . والنص التالى فيه ص ٢١٤

من بنى صعصعة بن معاوية — وَكلُّ بنى صعصعة[١] ، إلاّ عامر بن صعصعة ، يُدعَون الأبناء ، وهم : واثلة ، ومازن ، وَسَلول — فلما جالت الخيلُ مرَّ بشرٌ بغلامٍ من بنى واثلة فقال له بشر : استأسِرْ . فقال له الوائلى : لتذهَبَنّ أو لأرشقُنك بسهمٍ من كنانتى : فأبى بشرٌ إلاّ أسرَه ، فرماه بسهم على ثُندُوَته فاعتنق بشرٌ فرسَه وأخذ الغلامَ فأوثقه ، فلمّا كان فى الليل أطلقه بشرٌ من وَثاقِه وخلّى سبيلَه وقال : أعلِمْ قومَك أنّك قتلتَ بِشراً . وهو قوله :

وأنَّ الوائلىَّ أصاب قلبى   بسهمٍ لم يكن نِكْساً لُغَابا

فى شعر طويل اهـ .

وكان بشر أوّلا يهجو أوس بن حارثة بن لأم ، وكان أوسٌ نذر لئن ظفر به ليحرّقنه ، فلما تمكّن أطلقه وأحسن إليه فمدحه . وهذه القصيدة الفائيّة أول القصائد التى مدحه بها . ولما لم يكن فيها شىء من الشواهد سوى المطلع اكتفينا به وما زدنا عليه شيئاً . وعدّتها أربعة وعشرون بيتاً .

وأوسٌ هذا ، ممّن يُضرب به المثلُ فى الكرم والجود ، يقال له ابن سُعدى ، قال جرير : ٢٦٣

وما كعبُ بن مامةَ وابنُ سُعْدَى   بأجوَدَ منك يا عُمرَ الجَوادا

سبب هجاء بشر لأوس

وسبب هجاء بشرٍ لأوس، هو ماحكاه أبو العباس المبّرد (فى الكامل[٢]) قال: أَوسُ بنُ حارثةَ بن لَأْمٍ الطائىُّ كان سيداً مقدَّماً ، وفد هو وحاتم بن عبد الله الطائى على عمرو بن هندٍ ، وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أوسا

(١) فى نوادر المخطوطات : « وكان بنو صعصعة » .
(٢) الكامل ١٣٢ — ١٣٣ .

فقال : أأنت أفضلُ أم حاتم ؟ فقال : أبيتَ اللعن ، لو مَلَكَني حاتمٌ ووَلَدى ولُحمتى لوهَبَنا فى غداة واحدة ! ثم دعا حاتماً فقال : أأنت أفضلُ أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن إنّما ذُكرتُ بأوس ، ولَأحدُ وَلَدِه أفضل منّى . وكان النعمان بن المنذر دعا بحُلَّةٍ وعنده وفودُ العرب من كلّ حىّ — فقال : احضُروا فى غدٍ فإنى ملبسٌ هذه الحُلَّةَ أكرَمكم . فحضر القوم جميعاً إلاّ أوساً فقيل له : لِمَ تَتَخَلَّفُ[1] ؟ فقال : إن كان المراد غيرى فأجمَلُ الأشياء ألا أكون حاضراً ، وإنْ كنتُ المرادَ فسأُطلَب ويُعرف مكانى ؟ فلما جلس النعمان لم ير أوساً ، فقال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له : احضُرْ آمناً مما خفتَ . فحضر فألبسه الحُلّة[2] ، فحسده قومٌ من أهله فقالوا للحطيئة : اهجُه ولك ثلثمائة ناقة . فقال الحطيئة : كيف أهجو رجلاً لا أرى فى بيتى أثاثاً ولا مالا إلاّ مِن عنده ! ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفَكُّ صالحةٌ   من آل لَأْمٍ بظهر الغيب تأتينى[3]

فقال لهم بشر بن أبى خازم — أحد بنى أسد بن خُزيمة — : أنا أهجوه

(١) فى الكامل : « لم تخلفت » .

(٢) الكامل : « فالبس الحلة » .

(٣) الذى فى ديوان الحطيئة ٨٣ : « وكان الحطيئة قد دعى الى هجاء زيد — يعنى زيد الخيل الطائى — وأرغبوه فى ذلك فابى وانشأ يقول :

كيف الهجاء وماتنفك صالحة   من آل لأى بظهر الغيب تأتينى

وبعده أربعة أبيات . والظاهر أن صواب الرواية « لأم » فانه ليس فى آباء أوس من اسمه « لأى » . انظر الاصابة والأغانى . كما يظهر أن سبب الشعر عند السكرى مبتور ، ففى الأغانى أنه طلب الى الحطيئة أن يهجو بنى لأم وزيداً فأبى . الأغانى ١٦ : ٥٥ .

لـكم . فأخذ الإبل وفعل ، فأغار أوس عليها فاكتسحها ، فجعل لا يستجير حيًّا إلاَّ قال قد أجرتُك إلاَّ من أوس . وكان فى هجائه قد ذكر أمَّه فأتى به ، فدخل أوسٌ على أمِّه فقال : قد أُتينا ببشرٍ الهاجي لكِ ولى(١) ! قالت : أوَ تطيعنى(٢)؟ قال : نعم . قالت: أرى أن تردّ عليه مالَه وتعفُوَ عنه وتحبُوَه ، وأفعلَ مثلَ ذلك، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحُه ! فخرج فقال : إنّ أمى سُعْدَى التى كنتَ تهجُوها ، قد أمرتْ فيك بكذا وكذا ! فقال: لاجرمَ ، واللهِ لامدحتُ حتّى أموتَ أحداً غيرَك . ففيه يقول :

إلى أوس بن حارثة بن لأمٍ ... ليقضىَ حاجتِى فيمن قضاها
فما وطىء الثَّرى مثلُ ابن سُعدَى ... ولا لبسَ النعالَ ولا احتَذاها

هذا ما أورده المبرّد ، ولم يذكر كيف تمكّن منه أوس .

وقد حكاه مَعْمَرُ بن المثنَّى (فى شرحه) قال : إنَّ بشرَ بن أبى خازم غزا طيئاً ثم بني نبهان ، فُجرح فأثقل جراحة ، وهو يومئذ يحمى أحدَ أصحابه وإنَّما كان فى بني والبة ، فأسرته بنونَبْهان فخبَّئوه كراهية أن يبلغ أوساً ، فسمع أوسٌ أنه عندهم فقال : واللهِ لا يكون بينى وبينهم خير أبداً أويدفعوه ! ثم أعطاهم مائتى بعير وأخذه منهم ، فجاء به وأوقد له ناراً ليحرِّقه — وقال بعض بنى أسد : لم تـكن نار ، ولـكنّه أدخله فى جلد بعير حين سلخه ، ويقال جلد كبش ، ثم تركه حتّى جفّ عليه فصار فيه كأنه العصفور(٣) — فبلغ ذلك سعدى بنت حُصين الطائيّة ، وهى سيّدة(٤)، فخرجت إليه فقالت:

(١) بعده فى الكامل : « فما ترين فيه ؟ » .
(٢) الكامل : « أو تطيعنى فيه » .
(٣) كذا وردت هذه المبالغة .
(٤) أى ذات سيادة فى قومها .

ما تريد أن تصنَع ؟ فقال : أُحرقُ هذا الذى شتمنا . فقالت : قَبَح الله قوما يسوّدونك أو يقتبسون من رأيك ، والله لـكأنَّما أُخذتَ به ، أمَا تعلم منزلته فى قومه ، خلِّ سبيله وأكرمْه ، فإنّه لا يغسل عنك ماصنع غيرُه . فحبسه عنده وداوى جُرحه ، وكتمه ما يريد أن يصنع به ، وقال : ابعث إلى قومك ٢٦٤
يفدُونك ، فإنى قد اشتريتك بمائتى بعير . فأرسل بشرٌ إلى قومه فهيَّئوا له الفداء ، وبادرهم أوسٌ فأحسن كُسوته وحمله على نجيبه الذى كان يركبه ، وسار معه ، حتى إذا بلغ أدنى أرضِ غطَفَان ، جعل بشرٌ يمدح أوساً وأهلَ بيته ، بمكان كلِّ قصيدة هجاهم بها قصيدة ، فهجاهم بخمس ومدحهم بخمس .
وقد قيل: إنَّ بنى نبهان لم تأسر بِشْراً قط ، إنّما أسره النعمان بن جبلة بن وائل ابن جلاح الـكلبى ، وكان عند جبلةَ بنت عبيد بن لأم ، فولدت منه عوف ابن جبلة ، فبعث إليه أوس بن حارثة يتقرَّب بهذه القرابة ، فبعث ببشر إليه فـكان من أمره ما كان .

هذه حكايته ، وقد نقلتها من خطِّه الـكوفىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الثلثمائة :

٣٢٤ (وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ[1])

هذا عجز ، وصدره :

(إلى المرء قيسٍ أُطيلُ السُّرَى)

---

(١) الخصائص ٢ : ٩٧ وابن يعيش ٩ : ٧٠ وشرح شـــواهد الشافية ١٩١ وديوان الأعشى ٢٩ .

على أنه وقف على المنصوب المنوّن بالسكون ، ولم يبدل تنوينه ألفا كالذى قبله .

والاستشهاد بهذا البيت كثيرٌ فى مؤلفات أبى علىّ وتلميذِهِ ابن جنى . وكان القياس أن يقول : عُصَماً ، لأنه مفعول آخُذ ، وهو جمع عِصام ، ككتب جمع كتاب .

قال ابنُ جنى (فى المبهج ، وهو شرح أسماء شعراء الحماسة لأبى تمام[1]) : عِصام القربة : وِكاؤها ، وعصامها أيضاً : عُروتها . وأنشد هذا البيتَ وقال : هو جمع عصام ، يعنى عهداً يبلغ به ويَعِزُّ به . فقضيته أنّه بضمتين .

واستشهد به ابن هشام صاحب السيرة النبويّة ، على أن عِصَما فيه بكسرة ففتحة ، جمع عصمة ، فإنه قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تَمَسَّكُوا بِعِصَم الكوافر[2] ﴾ : واحدة العِصَم عِصْمة وهى الحَبْل والسبَب . ثم أنشد هذا البيت[3] .

أبيات الشاهد وهو من قصيدة للأعشى ميمونٍ مدح بها قيسَ بنَ معد يكرِب ، مطلعُها :

(أَتهجرُ غانيــةً أم تُلِمّْ   أم الحبلُ واهٍ بها مُنجذِمْ
أم الصَّبْرُ أحجَى فإنّ أمرأً   سينفعه علمُه إن عَلِمْ)

إلى أن قال :

(ويَهماء تعزِفُ جِنَّانُها   مَناهلُها آجناتٌ سُدُمْ
قطعتُ برَسّامةٍ جَسْرةٍ   عُذافِرةٍ كالفنيق القَطِمْ

(١) المبهج ص ٤٧ .
(٢) الآية ١٠ من سورة الممتحنة .
(٣) السيرة ٧٥٤ جوتنجن .

تُفرِّج للمرء من هَمِّهِ ويُشفَى عليها الفؤادُ السَّقِمْ
إلى المرء قيسٍ أُطِيلُ السُّرى وآخُذُ من كلِّ حىٍّ عُصُمْ
فكم دونَ بابك من مَعْشَرٍ خِفاف الحلوم عُداةٍ غُشُمْ(١)
إذا أنا حيَّيْتُ لم يَرجِعوا تحيَّتَهمْ وهُمُ غيرُ صُمّْ)

إلى أن قال:

(ولم يُودِ مَنْ كنتَ تَسعى له كما قيل فى الحرب أودَى دَرِمْ)

إلى أنْ قال:

٢٦٥ (تقول ابنتى حِينَ جَدَّ الرحيل أُرانا سَواءٌ ومَن قد يَتِمْ
فيا أبتاَ لا تَزَل عِندَنا فإنَّا نخافُ بأن نُختَرَمْ(٢)
فلا رِمْتَ يا أبتا عندنا(٣) فأنَّا بخيرٍ إذا لم تَرِم
نُرانا إذا أضمرَتْكَ البلا دُ نُجفَى ويُقطعُ منَّا الرَّحِمْ)

الغانية: الجارية التى استغنت بزوجها، وقد تكون التى استغنت بحسنها. والإلمام: النزول، وأراد به هنا الزيارة والمواصلة. والحبل: الوصل. ووهى الحبل ونحوه: تشقّق واسترخى. والانجذام، بالجيم والذال المعجمة: الانقطاع. وأحجى: أليق، من الحِجا وهو العقل.

واليَهْماء، بفتح المثناة التحتيَّة: الفلاة التى لا يُهتدَى إلى الطريق فيها. وتعزف: تصوّت، وهو بالعَين المهملة والزاى المعجمة. والجِنّان بكسر الجيم:

(١) فى الديوان ٣٠: «صباة الحلوم عداه عشم» باهمال عين «عشم». وفسر ثعلب الصباة بقوله: أبو عبيدة: صباة الحلوم: خفاف الحلوم.

(٢) الديوان: «تخترم» بالتاء فى أوله.

(٣) الديوان: «أبانا فلا رمت من عندنا».

جمع جانٍّ، وهو أبو الجنّ. والمنهل: المورد، وهو عينُ ماء ترده الإبل. والآجن: الماء المتغيِّر الطعم واللون. والسُّدُم، بضم السين والدال المهملتين، في الصحاح: رَكيَّة سُدْم وسُدُم، مثل عُسْر وعُسُر: إذا ادّفنت.

وقوله: قطعت، جواب ربَّ المقدَّرة في قوله: ويهماء، وهو العامل في محله. والرسَّامة: الناقة التي تؤثّر في الأرض من شدّة الوطء. والجَسْرة، بفتح الجيم: الناقة القوية الشديدة، ومثلها العُذافرة، بضم العين المهملة. والفَنيق بفتح الفاء وكسر النون: الفحل العظيم الخَلْق. والقَطِم، بفتح القاف وكسر الطاء: وصفٌ من قَطِم الفحلُ بالكسر: أي اهتاج وأراد الضراب، وهو في هذه الحالة أقوى ما يكون. والهَمُّ: الغمُّ. والفؤاد فاعل يشفي. والسَّقَم بفتحتين مفعوله.

وقوله: (إلى المرء قيس) إلخ أل في المرء لاستغراق خصائص الأفراد، نحو زيد الرجل، أي الكامل في هذه الصفة. وقيس بدل من المرء. و (السُّرَى) بالضم: جمع سَرْية، يقال سَرَينا سُرية من الليل وسَرية، بالضم والفتح. قال أبو زيد: ويكون السُّرَى أولَ الليل وأوسطَه وآخِرَه. وهذه طريقة المتقدّمين في التخلص إلى المديح، وهو أنهم يصفون الفيافي وقطعَها بسيَر النوق، وحكاية ما يعانون في أسفارهم إلى ممدوحهم. وقوله: (وآخُذُ من كلِّ) إلخ، معطوف على أُطيلُ السرى. وإنما كان يأخذ من كل قبيلةٍ عهداً إلى قبيلةٍ أخرى، لأن له في كل حيٍّ أعداءً ممن هجاهم، أو ممن يكره ممدوحَه، فيخشى القتل أو غيره، فيأخذ عهداً ليصل بالسّلامة إلى ممدوحه، فذكر له ما تجشّمه من المشاق في المسير إليه، ليُجزل له العطايا. وقد ذكر الأعداء بقوله:

فكم دونَ بابك من معشرٍ . . . إلخ

وخِفاف : جمع خفيف ، ككرام جمع كريم . والحُلوم : جمع حِلم بالكسر ، وهو الأناة ، أراد به العقل . وعُداة ، بضم العين : جمع عادٍ ، كقضاة جمع قاض من عدا عليه يعدو عُدوانا : إذا ظلمه وتجاوز الحدَّ عليه . وغُشُم ، بضمتين : جمع غشوم ، من الغَشْم وهو الظُّلْم .

وقوله : ولم يودِ من كنت الخ ، أودى فلان أى هلك فهو مُودٍ . ودَرِم بفتح الدال وكسر الراء ، قال فى الصحاح : « اسم رجل من بنى شيبان ، قُتِل فلم يُدرَك بثأره ، وقال المؤرِّج : فُقِد كما فقد القارظ العَنَزِىّ » . وفى ديوان الأعشى : انه دَرِم بن دُبٍّ بن مُرَّة بن ذُهل بن شيبان[1] ، كان النعمان يطلبه فظفِروا به ، فمات فى أيديهم قبل أن يصلوا به إلى النعمان ، فقيل «أودى دَرِم» ٢٦٦ فذهبت مثلا . وروى :

* كما قيل في الحيِّ أودى دَرِمْ *

قال العسكرىّ (فى التصحيف[2]) : اجتمع رُواة بغداد[3] على أنّ دَرِمْ مفتوح الدال مكسور الراء إلاَّ ابن الرومىَّ الشاعر ، فإنه ذكر أن روايته (دِرَم) بكسر الدال وفتح الراء ، وكان يعزوه إلى محمَّد بن حبيب . وإنَّما احتاجَ إلى أن يجعله هكذا فى شعر له هربا من التوجيه ، فقد كان ابتداء قصيدته :

(١) كذا فى شرح ثعلب للديوان ٣١ . وفى جمهرة ابن دريد ١: ٢٦ : « وفىْ بنى شيبان بطن يقال له دب ، وهو دب بن مرة بن شيبان، وهم قوم درم الذى يضرب به المثل فيقال : أودى درم . وانظر المثل عند العسكرى والزمخشرى والميدانى .

(٢) تصحيف العسكرى ٢٨٩ .

(٣) فى التصحيف : « أجمع الرواة رواة البصرة وبغداد » .

* أفيضاً دماً إنّ الرزايا لها قِيَمْ[١] *

فبناها على فتح ما قبل الروىّ ثم قال :

* فطاحت جُباراً مثل صاحبها دِرَمْ *

وأنشدها علىٌّ هكذا[٢] ، فأنكر ذلك عليه أبو العباس ثعلب[٣] . ودَرِمٌ هذا مشهور عند النسّابين ، وهو دَرِم بن دُبّ بن مرّة بن ذهل ابن شيبان . إنّما قالوا : أودى دَرم ، لأنه قُتِل فلم يودَ ولم يثأرْ به ، وقال قائل : أودى درم فضُرِب مثلا .

وقوله : أرَانا سواءً الخ ، أى نرى أنفسَنا مثلَ الأيتام سواء . وقد يَتِم بالكسر يَيْتَم[٤] بالفتح يُتما بالضّم والفتح وسكون التاء فيهما . واخترمهم الدهر ، وتخرّمهم : أى اقتطعهم واستأصلهم . ونُختَرم ، بضمّ النون .

وقوله : فلا رِمتَ الخ ، رام من مكانه يريم : إذا برح وزال . ونُرانا ، بضم النون من الرؤية بمعنى الظّن . ونجفى بضم النون من الجفوة ، أى نعامَل بها .

* * *

(١) عجزه كما في التصحيف :

* فليس كثيرا أن تجودا لها بدم *

(٢) يعنى على بن العباس بن جريج الرومى المتوفى سنة ٢٨٣ . والذى فى التصحيف : « وأنشدها على هذا » .

(٣) بعده فى التصحيف : « وأقام ابن الرومى على أنه درم بكسر الدال » .

(٤) في النسختين : « يتم » وحورها الشنقيطى الى يتيم .

٣٢٥ وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الثلثمائة :

(كالحُوتِ لا يُرويهِ شىءٌ يَلقَمُهْ يُصْبِح ظَمآنَ وفى البحرِ فَمُهْ[١])

على أنه قد يقال فى غير الأفصح فمى وفمه وفم زيد، فى جميع حالات الإضافة. وهذا ظاهر فإثبات الميم عند الإضافة فصيح، ويدلّ له الحديث: « لَخَلُوفُ فَم الصائم[٢] ».

ولا التفات إلى قول أبى على (فى البغداديّات) : قد اضطُر الشاعر فأبدل من العين الميمَ فى الإضافة، كما أبدلها منها فى الإفراد، فقال : وفى البحر فمُه. وهذا الإبدال فى الكلام إنما هو فى الإفراد دون الإضافة، فأجرى الإضافة مُجرى المفرد فى الشعر للضرورة. هذا كلامه.

ويَلقَمُه : مضارع لقِمْت اللُّقمة لَقَماً من باب طَرِب : إذا بلعتها، وكذلك التقمتها وتلقّمتها : إذا ابتلعتها. وروى بدله : (يَلهَمُه) وهو بمعناه، يقال لهِمَه لهماً من باب طرِب[٣] أيضاً. إذا ابتلعه. و (ظمآنَ) بالنصب خبر (يصبح). وجملة : (وفى البحر فمه) حال من الضمير المستتر فى ظمآن. قال حمزة الأصبهانى (فى الدرّة الفاخرة) : « أظمأُ من حوت » مثلٌ يزعمون دعوَى بلا بينةٍ أنه يعطش وفى البحر فمه، واحتجّوا بقول الشاعر : كالحوت لا يرويه شىء الخ. وينقضون هذا بقولهم : « أروى من حوت »، فإذا سُئِلوا عن علّة قولهم قالوا : لأنه لا يفارق الماء. انتهى.

---

(١) الحيوان ٣ : ٢٦٥ والشذور ٣٢٣ والعينى ١ : ١٣٩ والتصريح ١ : ٢/٦٤ : ٢٩٢ والهمع ١ : ٤٠ والمخصص ١ : ١٣٦ وديوان العجاج ١٥٩ .

(٢) تمامه « أطيب عند الله من رائحة المسك ». انظر الحديث ١٦٢ من الألف المختارة من صحيح البخارى .

(٣) فى النسختين : « ضرب »، صوابه ما اثبت .

ولم يزد الزمخشريُّ (في المستقصى) في شرح هذا المثل على قوله : يزعمون أنه يعطش في البحر ، قال : كالحوت لا يرويه شيء الخ .

وقد نقل الكرماني كلام الدرّة (في شرح شواهد الخبيصيّ) ثم قال : يمكن تصحيح المثَلين حقيقةً ، وهو أن الحوت لا يشرب ماء البحر ماأمكنه لملوحته ، فهو إذنْ ظمآن . ولكثرة صبره على العطش مع وجود الماء كأنه ريّان ، إذ لو لا أنه كذلك لشربِ الماء . وجاز أن يكون قلّة شربه لخوف غرقه بوصول الماء إلى جوفه متجاوزَ الحدّ .

هذا كلامه ، ولا ينبغي له تسطير مثل هذا . والوجه أن يقال : لوجوده
٢٦٧ في الماء إنما ضُرب المثل بريّه ، ولعدم طاقته على مفارقة الماء قيل : « أظمأُ مِنْ حُوت » . كأنّ ملازمته للماء إنما هي لشدة ظمئه .

وقال صاحب حياة الحيوان : هذا البيتُ مثلُ يضرَب لمن عاش بخيلاً شرها(١) .

وهو من رجز طويل لرؤبة بن العجّاج ، عِدّته أربعمائة وخمسة وثلاثون بيتاً ، مدح به أبا العباس السفّاح أول الخلفاء العباسيّة ، وأوله :

(قلت لزيدٍ لم تَصِلْه مَرْيَمُه)

وذكر في أواخره فقرَه وشدّة حاجته إليه . وهذه قطعة منه :

(جاءك عَوْدٌ خِندِفيٌّ قَشْعَمُه)

العَود ، بالفتح : المسنّ القديم ، وأصله في الإبل ، عنَى به نفسَه . وخِندف :

(١) انظر حياة الحيوان للدميرى فى رسم (الحوت) .

امرأة الياس بن مضر . وأراد بكونه خندفيًّا أنه عَدْنانىٌ لا قَحطانى .
والقَشْعَم : الكبير .

(عليهِ من لِبَدِ الزَّمانِ هِلْدِمُهْ)

لِبَد الزمان ، بكسر اللام وسكون الموحّدة : جفوفه ووَسخه . وهِلْدِمُهُ :
ما تراكم بعضُهُ على بعض ؛ وقال بعضهم : خُلْقانه . وهو بكسر الهاء والدال
وسكون اللام بينهما .

(مُوَجَّبٌ ، عارِى الضلوعِ حِرْضِمُه(١))

الموجّب ، بكسر الجيم وروى بفتحها : الذى يأكل فى اليوم والليلة مرّةً ،
يقال فلان يأكل وجبةً وقد وجَّب نفسَه توجيباً : إذا عوَّدها ذلك . أراد :
إننى لا أصيب من القوت فى اليوم والليلة إلاّ مرّة . والحِرضِم ، بكسر المهملة
والضاد المعجمة بينهما راء مهملة : المهزول ، كذا فى شرح ديوانه .

(لم يَلقَ للجَشْبِ إداماً يَأْدِمُهْ)

الجَشْب ، بفتح الجيم وسكون الشين المعجمة : ضِيق العيش . فى الصحاح :
طعام جَشِب ومجشوب أى غليظ ، ويقال هو الذى لا إدام معه .

(ما زال يَرجُوكَ لحقٌ يزْعُمُهْ)
(على التنائى وَيَراكَ حُلُمُهْ)

التنائى : التباعد . والحُلُم بضمتين : ما يراه النائم . والإسناد مجازىّ
أى يراك فى حُلُمه .

(١) فى النسختين : « عادى » بالدال ، وحورها الشنقيطى الى
« عارى » كما فى الديوان . وانظر اللسان (وجب) .

(قدْ طالمَا جَنّ إليك أهْيَمُهْ)

أهيمه : عقله وفؤاده .

(إيّاكَ لم يُخطِئْ به ترَسُّمُهْ)

الترسُّم ، بالراء : التفرّس ، من الفراسة .

(كالحُوتِ لا يُروِيه شىء يَلْهَمُهْ)

شبّه نفسَه بالحوت أى هو كالحوت .

(يُصبِح ظمآنَ وفى البحر فمُهْ)

(مِنْ عَطَشٍ لوّحه مُسَلْهِمُهْ)

لوّحه : غيّره ، من لوّحته أى غيّرته ، ومن لوّحت الشىء بالنار : أحميته .
والمُسَلْهِم : المغيِّر .

(أطال ظِمئاً وجِباك مَقْدَمه)

الجبا ، بكسر الجيم بعدها موحّدة : المـاء المجموع للإبل ، وهو بالقصر .
ومَقدَمه : مَورِده .

(وفيضُك الفيضُ الرَّواء أطغَمُهْ)

الرَّواء ، بالفتح والمدّ : الماء العذب . وأطغمُه ، أى أكثره ، وهو بالغين المعجمة .

(قد كان جَمًّا شاؤُه ونَعَمُهْ)

أخبر عن نفسه بأنّه كان قبل اليوم كثيرَ الغنم والإبل .

(فعَضّه دهرٌ مُذِفٌّ مُحطِمُهُ)

(والدَّهرُ أحيَى لا يزالُ ألمُه)

الأحبي : الشديد الحابي الضلوع ، أى المشرف المنتفخ الجنبين من الغيظ .

(أفنَى القُرونَ وهو باقٍ أزْنَمُهْ)

أى حوادثه ، وهو بالزاء المعجمة والنون .

(بذَاكَ بادت عادُه وإرَمُهْ)

بادت : هلكت . وعاد وإرم : قبيلتان .

وهذا آخر الرجز . وترجمة رؤبة قد تقدّمت فى الشاهد الخامس من أوائل الكتاب(١) .

وقد حَظِىَ الأصمعىُّ عند هارونَ الرشيدِ بروايته لهذا الرجز .

روىٰ السيِّد المرتضىٰ (فى أماليه : الدرر والغُرر) بسنده إلى الأصمعىِّ أنه قال : تصرَّفتْ بِى الأسبابُ على باب الرشيد مؤمِّلا للظفر به والوصول إليه ، حتّي إنِّى صرتُ لبعض حَرَسه خَدِيناً(٢) ؛ [فإنِّى(٣)] فِى بعض ليلةٍ ٢٦٨
قد نثرت السعادةُ والتوفيق فيها الأرَقَ بين أجفانِ الرشيد ، إذ خرج خادمٌ فقال : أمَا بالحضرة أحدٌ يحسن الشعر ؟ فقلت : الله أكبر ! رُبَّ قَيدٍ مُضيَّق قد حلّه التيسير(٤) ! فقال لىَ الخادم : ادخُل ، فلعلّها أن تكون ليلةً يُعرَس فى صباحها الغِنى(٥) إن فزْتَ بالحظوة عند أمير المؤمنين . فدخلتُ

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) فى النسختين : « حديثا » ، صوابه من أمالى المرتضى ٢ : ٩ . والخدين : الصديق والصاحب .

(٣) التكملة من ش والأمالى .

(٤) فى أمالى المرتضى : « رب قيد مضيقة حله التيسير » .

(٥) المرتضى : « تعرس فى صباحها بالغنى » .

فواجهتُ الرشيدَ فى مجلسِه ، والفضلُ بن يحيى إلى جانبه ؛ فوقف بى الخادمُ حيث يَسمعُ التسليم ، فسلمت فردَّ عَلَيَّ السلامَ ثم قال : ياغلامُ أرِحْه لِيُفرِخَ رُوعُه إنْ كان وجَدَ للرَّوعة حِسًّا ! فدنوت قليلاً ثمَّ قلت : يا أمير المؤمنين ، إضاءة مَجدك وبهاء كرمك مُجيرانِ لمن نظَر إليك مِن اعتراضِ أذيَّة ! فقال : ادنُ . فدَنوت فقال : أشاعرٌ أم راوية ؟ فقلت : رواية لكلِّ ذى جِدٍّ وهَزْل ، بعد أن يكون مُحسِناً ! فقال : تالله ما رأيتُ ادِّعاء أعظمَ مِن هذا ! فقلت : أنا عَلى المَيدان ، فأطلِقْ مِن عِنانى يا أمير المؤمنين ! فقال : « قد أنصفَ القارَةَ مَنْ راماها » ، ثمَّ قال : ما المعنى فى هذه الكلمة بَديئاً ؟ فقلت : فيها قولان : القارة هى الحَرَّة من الأرض ، وزعمت الرواة أنَّ القارَة كانت رُماةً للتبابعة ، والملِكُ إذ ذاك أبو حَسَّان ، فواقفَ عسكره عسكر السُّغْدْ(١) فخرج فارسٌ من السُّغد قد وضع سهمَه فى كَبِد قوسه فقال : أين رُماة العرب ؟ فقالت العرب : « قد أنصفَ القارَةَ مَنْ راماها » . فقال لى الرشيد : أصبت ! .

ثم قال : أتروى لرؤبة بن العجَّاج والعجَّاجِ شيئا ؟ فقلت : هما شاهدانِ لك بالقوافى وإن غُيِّبا عن بَصرك بالأشخاص . فأخْرَجَ من ثِنْيِ فرشِه رُقعةً ثم قال : أنشِدْنى :

* أرَّقَنى طارقُ همٍّ أرَّقا(٢) *

فمضيت فيها مُضِيَّ الجواد فى سَنَن مَيدانه(٣) تَهْدِرُ بها أشداقى ، فلمَّا

---

(١) فى النسختين : « فوافق عسكره عسكر السعد » ، وما أثبت من أمالى المرتضى وتصحيح الشنقيطى بقلمه فى نسخته . والمواقفة : ان يقفا معا فى حرب او خصومة .

(٢) هى مطلع ارجوزة لرؤبة فى ديوانه ١٠٨ ــ ١١٥ .

(٣) المرتضى : « فى متن ميدانه » .

صرت إلى مديحه لبني أمية ، ثنيتُ لساني إلى امتداحه لأبي العباس(١) في قوله :

(قلتُ لزيرٍ لم تَصِلْه مَرْيَمُهْ)

فلما رآني قد عدلت من أُرْجوزة إلى غيرها قال : أعنْ حَيرةٍ أمْ عنْ عَمد ؟ قلت : عن عمد ، تركتُ كذبَه إلى صِدْقه فيما وصف به جَدّك(٢) من مَجْده ! فقال الفضل : أحسنتَ ، بارك الله فيك ! مثلُك يُؤَهَّل لمثل هذا المجلس ! فلما أتيتُ على آخرها قال لى الرشيد : أتروى كلمةَ عديِّ بن الرِّقاع :

* عرَفَ الديارَ توَهُّماً فاعتادها(٣) *

قلت : نعم . قال : هاتِ . فمضيتُ فيها حتّى إذا صرتُ إلى وصف الجمل قال لى الفضل : ناشدتك الله ان تَقْطع علينا ما أُمْتِعْنا به من السهر فى ليلتنا هذه ، بصفةِ جَملٍ أجرب ! فقال له الرشيد : اسكتْ فالإبل هى التى أخرجتك من دارك ، واستلبتْ تاجَ ملكك ، ثم ماتت وعُملت جلودُها سِياطاً ضُرِبْتَ بها أنت وقومك ! فقال الفضل : لقد عوقِبتُ على غير ذنب ، والحمدُ لله ! فقال الرشيد : أخطأتَ ، الحمدُ لله على النِّعم ، ولو قلتَ : وأستغفرُ اللهَ كنتَ مُصيباً . ثمَّ قال لى : امضِ فى أمرك . فأنشدته ، حتّى إذا بلغت إلى قوله :

* تُزْجى أغنَّ كأنَّ إبرة رَوْقِه *

استوى جالساً ثم قال : أتحفظ فى هذا ذِكْراً ؟ قلتُ : نعمْ ، ذكرتِ

(١) أبو العباس هو السفاح . وفى المرتضى : « للمنصور » .
(٢) فى المرتضى : « المنصور » .
(٣) عجزه كما فى اللسان (بلد) والطرائف الأدبية ٨٧ :
* من بعد مادرس البلى ابلادها *

الرواةُ أنَّ الفرزدقَ قال : كنتُ فى المجلس ، وجرير إلى جانبي ، فلما ابتدأ عدِىٌّ فى قصيدته ، قلتُ لجرير - مُسِرًّا إليه - نسخر من هذا الشامىّ(١) . فلما ذقنا كلامَهُ يَئِسنا منه ، فلمّا قال :

* تُزْجِى أغَنَّ كأنَّ إبرةَ رَوقه *

— وعدىٌّ كالمستريح — قال جرير : أما تراه يستَلِبُ بها مثلا ؟ فقال الفرزدق : يا لُكع ، إنّه يقول :

* قلم أصابَ من الدواة مِدادها *

فقال عدىٌّ :

٢٦٩ * قَلَم أصابَ من الدَواة مِدادَها *

فقال جرير : أ كان سمْعُك مخبوءاً فى صدره ؟ ! فقال له : اسكتْ ، شَغَلنى سَبُّكَ عن جيِّد الكلام ! فلمَّا بلغ إلى قوله :

ولقد أرادَ اللهُ إذْ وَلاَّكَها مِنْ أُمَّةٍ إصلاحَها ورشادَها

قال الرشيد : ما تُراه قال حين أنشدهُ هذا البيت ؟ قلت : قال : كذاك أراد الله . فقال الرشيد : ما كان فى جلالته لِيقولَ هذا ، أحسَبه قال : ما شاء الله ! قلت : وكذا جاءت الرواية . فلما أتيت على آخرها قال : أتروى لذى الرمّة شيئاً ؟ قلت الأكثر . قال : فما أراد بقوله :

---

(١) عند المرتضى : « هلم نسخر من هذا الشامى » .

تَمُرُّ أَمَرَّتْ فَتلَه أَسَدِيَّةٌ ذِراعيةٌ حَلاَّلةٌ بالمصانع[1]

قلت : وصف حمارَ وحش أسمنه بقلُ روضةٍ تواشجتْ أصولُه وتشابكت فروعُه ، مِن مطرِ سحابةٍ[2] كانت بنوءِ الأسد ثم فى الذراع من ذلك . فقال الرشيد : أرِحْ ، فقد وجدناك مُمتِعا وعرفناك محسنا . ثم قال : أجدُ مَلالة — ونَهض — فأخذ الخادم يُصلح عَقِب النعلِ فى رجله — وكانت عربيّة — فقال الرشيد : عقَرتَنى يا غلام ! فقال الفضل : قاتلَ الله الأعاجم ، أما إنّها لو كانت سِنْدِيّةً لما احتجتَ إلى هذه الكلمة[3] . فقال الرشيد : هذه نعلى ونعلُ آبائى ؛ كم تُعارِض فلا تُترَك من جوابٍ ممضّ ! ثم قال : يا غلام ، يؤْمَر صالحُ الخادم ، بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل ، فى ليلته هذه ، ولا يحجَب فى المستأنف . فقال الفضل : لولا أنّه مجلسُ أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيرُه ، لأمرتُ لكَ بمثلِ ما أمَرَ لك ، وقد أمرتُ لك به إلاّ ألفَ درهم ، فتلقَّ الخادمَ صباحا . قال الأصمعىّ : فما صلّيت من غدٍ إلاّ وفى منزلى تسعةٌ وخمسون ألفَ درهم .

* * *

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الثلثمائة [وهو من شواهد س[4]] :

(١) فى ديوانه ٣٦١ وأمالى المرتضى : « متنه أسدية » .

(٢) المرتضى : « عن مطر سحابة » .

(٣) المرتضى : « هذه الكلفة » .

(٤) التكملة من ش . وانظر سيبويه ٢ : ٨٣ ، ٢٠٢ ومجالس العلماء ٣٢٧ والخصائص ١ : ٣/١٧٠ : ١٤٧ ، ٢١١ والانصاف ٣٤٥ وشرح شواهد الشافية ١١٥ والهمع ١ : ٥١ وديوان الفرزدق ٧٧١ .

٣٢٦ (هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِن فَمَوَيْهِما على النابحِ العاوِي أشدَّ رِجامِ)

على أنّه جمع بين البدل والمبدل منه ، وهما الميم والواو .

وتكلف بعضُهم معتذراً بأنْ قال : الميم بدل من الهاء التى هى اللام ، قُدِّمت على العين .

وتقدير القول الأوّل (كما فى البغداديّات لأبى على) أنّه أضاف الفم مبدِلا من عينها الميم للضرورة ، كقول الآخر :

* وفى البحر فَمُهُ[١] *

ثم أتى بالواو التى هى عين ، والميم عوض منه ، فيكون جمعاً بين البدل والمبدل منه للضرورة . وقد وجدنا هذا الجمعَ فى مذاهبهم ، قال الشاعر :

* أقول يا اللهمّ يا اللهمّا[٢] *

فجمع بين حرف التنبيه وبين الميمين اللتين هما عوضان منه ، فيكون قد اجتمع فيه على هذا الوجه ضرورتان : إحداهما[٣] إضافة فم بالميم وحكمه أن لا يضاف بها ، وثانيتهما[٣] جمعه بين البدل والمبدل منه .

أقول : إضافة فم بالميم فصيح ، وليس بضرورة ، وتقدّم الرّد عليه بحديث : « لَخلُوف فمِ الصائم[٤] » .

وأما القول الثانى فهو يشبه أن يكون مذهب سيبويه ، فإنّه قال فى باب

---

(١) انظر الشاهد السابق .

(٢) انظر الشاهد ١٣٠ فى الخزانة ٢ : ٢٩٥ .

(٣) فى النسختين : « أحدهما » و « وثانيهما » ، والوجه ما أثبت .

(٤) فى أثناء الكلام على الشاهد السابق .

النسبة — واسمه عنده باب الإضافة — مانصه : « وأما فم فقد ذهب من أصله حرفان ، لأنّ كان أصله فَوَه ، فأبدلوا الميم مكان الواو ، فهذه الميم بمنزلة العين نحو ميم دم ثبتت فى الاسم ، فمن ترك دم على حاله إذا أضيف ترك فم على حاله ، ومن ردّ إلى دم اللام ردّ إلى فم العينَ فجعلها مكانَ اللام ، كما جعلوا الميم مكان العين فى فم . قال الشاعر :

* هما نفثا فى فىَّ من فمويهما *

٢٧٠ وقالوا فموان . فمن قال فَمَانِ فهو بالخيار ، إن شاء قال : فَمَوِىٌّ ، وإن شاء قال : فَمِىٌّ . ومن قال: فَمَوان قال : فَمَوِىٌّ ، على كل حال » .

هذا كلام سيبويه، وبه يظهر خطأ الأعلم فى شرح شواهده حيث قال : [الشاهد(١)] فى قوله فمويهما وجمْعِه بين الواو والميم التى هى بدل منها فى فم . ومثل هذا لايُعرف لأنَّ الميم إذا كانت بدلا من الواو فلا ينبغى أن يُجْمَع بينهما . وقد غَلِطَ (٢) الفرزدق فى هذا ، وجُعِلَ من قوله إذْ أسنَّ واختلط عقلُه . ويحتمل أن يكون لمّا رأى فما على حرفين توهّمه مما حذفت لامه من ذوات الاعتلال ، كيد ودم ، فردّ ماتوهّمه محذوفا منه » . انتهى كلامه .

وقوله : ومثل هذا لايعرف ، تقدَّم عن أبى علىّ أنه معروف فى قولهم : يا اللهم .

وقوله : وقد غلط(٢) الفرزدق فى هذا الخ ، فيه أنّه لا يجوز أن يتوهّم فى البدوىّ أنه يغلط فى نطقه ويلحن ، فإنه لايطاوعه لسانه وإنْ تعمّده كما قيل ، فالعرب معصومون عن لحن اللسان. نعم يجوز أن يغلطوا فى المعانى .

(١) التكملة من ش والشنتمرى .

(٢) ط : « خلط » صوابه فى ش والشنتمرى .

وقوله : ويحتمل أن يكون لمّا رأى فما على حرفين الخ ، كأنه حين كتب هذا الكلام لم ينظر إلى كلام سيبويه .

وقد نقل أبو على (فى البغداديّات) وجهاً آخر فى توجيه فمويهما ، مع أنه لم ينقل فيها مذهب سيبويه ، قال :

« وأمّا قول الفرزدق فمويهما ، فإنه قيل إنّه أبدل من العين الذى هو واوٌ الميمَ ، كما تُبدل منه فى الإفراد ، ثم أبدل من الهاء التى هى لامٌ الواوَ . وبدل الواوِ من الهاء غير بعيد ، ويدل على سَوغ ذلك أنهما يَعتقبان الكلمةَ الواحدة، كقولك عِضَة ، فإنّ لامه قد يُحكم عليها بأنها هاء لقولهم عِضاه ، وقد يحكم عليها أنها واو لقولهم: عِضَوات .

وذهب ابن جنّي (فى سر الصناعة) إلى أنّ فمويهما مثنّى فَماً بالقصر ، قال فى قول الشاعر :

* يا حبّذا عينا سُليمَى والفما *

يجوز أن يكون الفما فى موضع رفع ، وهو اسمٌ مقصور بمنزلة عصا ، وعليه جاء بيت الفرزدق :

* هما نفثا فى فىَّ من فمويهما *

فاعرفْه . انتهى .

وقوله : (هما نفثا) ضمير التثنية راجعٌ إلى إبليس وابنِه ، كما يأتى . ونفثا : أى ألقيَا على لسانى ، من نفث الله الشىء فى القلب : ألقاه . وأصل نفث بمعنى بزَق ، ومنهم من يقول : إذا بزق ولا ريقَ معه . ونفث فى العُقدَة عِندَ الرُّقية(١) ، وهو البزاق اليسير . ونفثه نفثاً أيضاً : إذا سحره . ورُوِى

(١) ط : « عن الرقية » ، صوابه فى ش .

أيضاً : (هما تفَلا) من تفَل تفْلا ، من بابى ضرب وقتل ، من البزاق ؛ يقال بزق ثم تفَل . و (النابح) أراد به من يتعرَّض للهجو والسبّ من الشعراء ، وأصله فى الكلب . ومثله (العاوِى[1]) بالعين المهملة . و (الرِّجام): مصدر راجمه بالحجارة أى رَاماه ، وراجم فلانٌ عن قومه : إذا دافع عنهم ، جَعل الهجاء كالمراجَمة لجعله الهاجى كالكلب النابح . وكأنَّ الأعلم لم يقفْ على ماقبل هذا البيت ، ولهذا ظنّ أنّ ضمير التثنية لشاعرين من قومه ، نزع فى الشعر إليهما .

وهذا البيتُ آخرُ قصيدةٍ للفرزدق ، قالها آخرَ عمره تائباً إلى الله عز وجل ممّا فرَط منه من مهاجاته الناسَ ، وقذفِ المحصنات ؛ وذمَّ فيها إبليسَ لإغوائه إيّاه فى شبابه . وهذه أبياتٌ منها[2] :

(ألم ترَنى عاهدتُ ربّى ، وإننى ... لَبينَ رِتاجٍ قائما ومَقام) أبيات الشاهد
على حِلفةٍ لا أشتُم الدهرَ مُسلِماً ... ولا خارجاً مِن فىَّ زورُ كلامِ
وأصبحتُ أسعَى فى فِكاكِ قلادةٍ ... رَهينةَ أوزارٍ علىَّ عظامِ
ولم أنتَبهْ حتَّى أحاطت خطيئتى ... ورائى ، ودقَّتْ للأمورِ عِظامى ٢٧١
أطعتُكَ يا إبليسُ سبعينَ حِجةً ... فلما انتهى شَيبى وتمَّ تَمامى
فزِعتُ إلى ربّى وأيقنتُ أننى ... مُلاقٍ لأيام المنونِ حِمامى
ألا طالما قد بتُّ يُوضِعُ ناقتى ... أبو الجنّ إبليسُ بغير خِطامِ
يَظَلُّ يمَنِّينى على الرحل واركاً ... يكونُ ورائى مرّةً وأمامى
يبشّرُنى أن لا أموتَ ، وأنّه ... سيُخلِدُنى فى جَنّةٍ وسَلام

(١) ط : « العادى » بالدال هنا وفى الشاهد ، وصوابه فى ش.
(٢) ديوان الفرزدق ٧٦٩ والكامل ٦٩ والنقائض ١٢٦ .

فقلت له : هلاَّ أُخَيَّكَ أخرجتْ يمينُكَ من خُضر البحور طوامى(١)
فلما تلاقى فوقه الموجُ طامياً نكَصتَ ولم تحتلْ له بمرام
ألم تأت أهل الحِجْر ، والحِجر أهلُهُ بأنعمِ عيشٍ فى بُيُوتِ رُخام(٢)
وآدمُ قد أخرجته وهو ساكنٌ وزوْجتَه من خير دارِ مُقام
وأقسمتَ يا إبليسُ أنك ناصحٌ له ولها ، إقسامَ غير أثام
وكم من قرونٍ قد أطاعوك أصبحوا أحاديثَ كانوا فى ظِلال غمام(٣)
وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغى رضاه ، ولا يقتادنى بزمام
سأجزيكَ من سَوءاتِ ما كنت سقْتَنى إليه جُروحاً فيكَ ذاتَ كِلام
تُعَيَّرُها فى النارِ والنارُ تلتقِى عليكَ بزَقُّوم لها وضِرَام(٤)
وإنَّ ابنَ إبليسٍ وإبليسَ ألبَنا لهمْ بعذابِ الناسِ كلَّ غُلام
هما نفثا فى فىَّ من فمويهما . . . . البيت)

وقوله : ألم ترنى عاهدت ربى ، البيتين ، هما من شواهد الكشاف ومغنى اللبيب ، ويأتى إن شاء الله شرحهما فى محلِّه .

وقوله : وإن ابن إبليس الخ ، ألبَنا : سقَيا اللبن ، يريد أن إبليس وابنه سقَيا كلَّ غلام من الشعراء هجاء وكلاماً خبيثاً . ثم إنَّ الفرزدق سامحه الله وغفر ذنبه بعد هذا نقض توبته ورجع إلى الأوّل .

(١) ط : « لغيك » ، صوابه من الديوان ٧٧٠ . والمراد بهذا الأخ فرعون موسى ، اذ خدعه ابليس فغرق فى اليم ، وهو بحر القلزم .
(٢) فى النسختين : « فى البيوت رخام » ، صوابه من الديوان ٧٧١ .
(٣) فى النسختين : « ضلال غمام » ، صوابه من الديوان .
(٤) فى النسختين : « تعبرها فى النار » ، صوابه من الديوان .

وكان السبب فى نقض التوبة هو ما حكاه شارح النقائض : أن الفرزدق لما حج عاهد الله بين الباب والمقام أن لا يهجو أحداً أبداً ، وأن يقيِّد نفسَه حتى يحفظ القرآن ، فلما قدِم البصرة قيَّد نفسه وقال :

ألم ترنى عاهدتُ ربِّى وإننى لَبَيْنَ رِتاجٍ قائماً ومَقامِ

الأبيات . ثم إن جريراً والبعيث هَجَياه(١) ، وبلغ نساء بنى مجاشع فحشَ جريرٍ بهن ، فأتينَ الفرزدق وهو مقيد فقلن : قبح الله قيدَك ، وقد هتك جريرٌ عوْراتِ نسائك ، فلُحيت شاعرَ قوم ! فأغضبْنَه ففك قيده وقال ، وهو من قصيدة(٢) :

لعمرىَ لئنْ قيَّدت نفسى لطالما سعيتُ وأوضعتُ المطيَّة فى الجهل(٣)
ثلاثين عاماً ما أرى من عَماية إذا برقت أن لا أشدَّ لها رحلى(٤)
أتتنى أحاديثُ البَعيثِ ودونه زَرودُ فشاماتُ الشَقيق من الرمل(٥)
فقلت أظَنَّ ابن الخبيثة أنّنى شُغِلت عن الرامى الكنانة بالنَبْلِ
فإنْ يكُ قَيدِى كان نذراً نذرتُه فما بىَ عن أحساب قومى من شغل ٢٧٢
أنا الضامن الراعى عليهم وإنّما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

وقوله : أوضعْت المطيّة ، أى دفعتها فى السير . والعماية ، بالفتح : الجهل والصبا .

(١) كذا فى النسختين ، وصوابه « هجواه » لأنه من هجا يهجو .
(٢) ديوان الفرزدق ٧١١ والنقائض ١٢٧ .
(٣) ط : « لعمرى ان » ، صواب الرواية من ش والديوان والنقائض .
(٤) فى الديوان والنقائض : « الا شددت لها رحلى » ، والمعنى يستقيم بكل منهما .
(٥) فى الديوان والنقائض : « الى الرمل » .

وقوله : أظنَّ ابنُ الخبيثة ، الهمزة للاستفهام ، وابن الخبيثة فاعل ظنّ ، وأراد به جريراً . يقول . إنما أراد جريرٌ بهجاء البَعيث غيرَه ، كما صنع رامى الكنانة بصاحبها(١) : وذلك أن رجلا من بنى فَزارة ورجلاً من بنى أسد كانا راميين ، فالتقيا ومع الفزارى كِنانةٌ جديدة ومع الأسدى كنانة رثَّةٌ ، فقال الأسدىُّ للفزارى . أنا أرْمَى أو أنت ؟ فقال الفزارى : أنا أرمَى منك ! فقال له الأسدى : فانى أنصِب كنانتى وتنصبُ كنانتك حتّى نرمىَ فيهما ، فنصب الأسدىُّ كِنانته فجعل الفزارىُّ يرميها فيُقرطِس ، حتّى أنفد سهامَه كلَّها ، [كلّ ذلك يصيبُها ولا يخطئها(٢)] ، فلما رأى الأسدىُّ أنَّ سِهام الفزارى نَفِدت قال : انصِب لى كنانتك حتّى أرميَها . فرمى فسدّد السهم نحوَه حتى قتله . فضربه الفَرزدق مثلا ، يعنى أنّ جريراً يهجو البعيث وهو يعرّض بالفرزدق .

وقوله : أنا الضامن الراعى عليهم إلخ ، هذا البيت من شواهد النحاة والبيانيِّين ، وروى صدره بغير هذا أيضاً(٣) .

وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين(٤) .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصّل وغيره(٥) :

(١) فى النقائض : « كما صنع صاحب الكنانة » .

(٢) التكملة من النقائض ١٢٨ .

(٣) فى العينى ١ : ٢٧٧ وشرح شواهد المغنى ٢٤٥ :

* أنا الذائد الحامى الذمار وانما *

(٤) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٥) مجالس ثعلب ٥٤٤ وابن الشجرى ٢ : ٣٧ وابن يعيش ٣ : =

٣٢٧ (وَأَبِيَّ مالَكَ ذو المَجازِ بِدارِ)

هذا عجزٌ وصدره :

(قَدَرٌ أحَلَّكَ ذا المَجازِ وقد أَرَى)

على أن (أبيَّ) عند المبرد مفردٌ ردَّ لامُهُ فى الإضافة إلى الياء كما ردَّت فى الإضافة إلى غيرها ، فيكون أصله أبُوى ، قلبت الواو ياء وأدغمت فيها ، عملاً بالقاعدة حيث اجتمعا وكان أولهما ساكنا ، وأبدلت الضمّة كسرة لئلا تعود الواو .

وكلام المبرّد وإن كان موافقاً للقياس إلا أنّه لم يقم عليه دليل قاطع . قال الزمخشريّ (فى المفصل) : وقد أجاز المبرّد أبِيَّ وأخيَّ ، وأنشد :

* وأبِيَّ مَالَكَ ذو المَجازِ بِدارِ *

وصِحَّةُ حَمْلِه على الجمع فى قوله :

* وفَدَّيْنَنا بالأبينا[1] *

تدفع ذلك . يريد أن أبيَّ جاء على لفظ الجمع ، ولا قرينةَ مخلِّصة للإفراد فتعارض الاحتمالان ، فحُمل على لفظ الجمع وسقط الاحتجاجُ به فى محلّ الخلاف فيكون أصله على هذا أبِينَ ، حذفت النون عند الإضافة ، فأدغمت الياء التى هى ياء الجمع فى ياء المتكلم . فوزن أبِى فَعِى لا فَعَلِي . وعلى هذا حمل ابن جنّي وغيرُه قراءة من قرأ : ﴿نَعبُدُ إلَهَكَ وَإلَهَ أبِيكَ إبراهِيمَ وإسْمَعِيل وإسْحَقَ[2]﴾ ؛ ليكون فى مقابلة آبائك فى القراءة الأخرى .

= ٥٦ وشرح شواهد المغنى ٢٩٢ ومعجم الأدباء ١٣ : ٢٠٠ ومعجم ما استعجم (الربذة) .

(١) قطعة من بيت هو الشاهد التالى لهذا .

(٢) الآية ١٣٣ من سورة البقرة . وانظر المحتسب ١ : ١١٢ .

قال أبو على (فى الإيضاح الشعرىّ) : ومن زعم أن قول الشاعر :

* وأَبِىَّ مالَكَ ذو المجاز بِدارِ *

إنما ردَّ الواو التى هى لام الفعل ، فى الإضافة ، إلى الياء كما ردَّه مع الكاف والهاء فى نحو أبوك وأبوه ، فليس بمصيب ، وذلك أنَّ هذا الموضعَ لمّا كان يلزمه الإعلالُ بالقلب ، وقد استمرَّ فيه القلب وأُمضِىَ ذلك فيه ، فلم يرد فيه ما كان يلزمه الإعلال ، وإنّ أبِىَّ مثل عِشْرِىَّ . انتهى

واحتج [ابنُ الشجرىّ فى أماليه بمثل هذا[1]] .

٢٧٣ وقد عزا ثعلب (فى أماليه العاشرة [2]) إلى الفراء ما عزاه الزمخشرىُّ وابن الشجرىّ إلى المبرد ، من كون أبى مفرداً رد إليه لام فعله . وهذه عبارة ثعلب : الفراء يقول : من أتمّ الأب فقال هذا أبوك فأضاف إلى نفسه قال : هذا أبِىَ ، خفيفٌ[3] . قال : والقياس قول العرب : هذا أبوكْ وهذا أَبِىَّ فاعلم [ثقيلٌ[4]] ، وهو الاختيار . وأنشد :

فلا وأبِىَّ لا آتيـك حتَّى   يُنَسَّى الوالهُ الصبُّ الحنينا

وقال : أنشد الكِسائىّ بِرِنبويَهْ[5] — قرية من قرى الجبل — قبل أن يموت :

---

(١) تكملة يقتضيها السياق . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٧ .

(٢) يعنى الجزء العاشر من مجالس ثعلب ص ٥٤٤ .

(٣) ط : « خفف » ، صوابه فى ش ومجالس ثعلب .

(٤) التكملة من مجالس ثعلب ، ومن قلم الشنقيطى بهامش نسخته .

(٥) ط : «زنبويه» بالزاى ،صوابه بالراء المهملة كما فى ش =

قدرٌ أحلَّك ذا النُّجيل وقد أرى وأبِيَّ مالكَ ذو النُّجَيل بدار
إلاّ كدارِكُمُ بذى بقَرِ الحمى هيهاتَ ذو بقَرٍ من المُزْدارِ . انتهى .

وقوله : (قدرٌ) مبتدأ ، وجملة (أحلّك) إلخ خبره . وهو كقولهم : « شرٌّ أهرَّ ذا ناب » ، أى ما أحلَّك ذا المجاز إلاّ قدر .

وأورده ابن هشام (فى مسوِّغات الابتداء بالنكرة من الباب الرابع ، من المغنى) على أنَّ المسوِّغ للابتداء به صفة محذوفة ، كقولهم : « شرٌّ أهرَّ ذا ناب » أى قدرٌ لا يغالَب وشرٌّ أىُّ شر . والقدر : قضاء الله وحكمه . وأحلَّك بمعنى أنزلك ، متعدِّى حلَّ بالمكانِ حلولا ، إذا نزل ، وهو متعدٍّ إلى مفعولين أولهما الكاف وثانيهما ذا المجاز ، والهمزة للتصيير أى صيَّرك حالاً بذى المجاز .

ذو المجاز

و (ذو المجاز) بفتح الميم وآخره زاء معجمة : سوقٌ كانت فى الجاهليّة للعرب . قال ابن حجر (فى شرح البخارىّ) : ذكر الفاكهىّ من طريق ابن إسحاق : أنَّ ذا المجاز سوقٌ كانت بناحية عرَفة إلى جانبها . وعند الأزرقىّ من طريق هشام بن الكلبىّ ، أنّها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة . ووقع (فى شرح الكرمانىّ) أنّها كانت بمنًى . وليس بشىء ، لما رواه الطبرانى عن مجاهد ، أنهم كانوا لا يبيعون ولا يبتاعون فى الجاهليّة بعرفة ولا بمنى. انتهى .

= ومعجم البلدان ووفيات الأعيان ١: ٤٥٤ فى نهاية ترجمة محمد بن الحسن . وقال ياقوت : « قرية قرب الرى ، بها مات على بن حمزة الكسائى النحوى ، ومحمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة ، فدفنا بها . وكانا خرجا صحبة الرشيد فقال : اليوم دفنت الفقه والنحو برنبويه » . ورنبويه ، آخره هاء ساكنة ، كما فى الوفيات .

والسِكِرْمانىُّ فى هذا تابعٌ لصاحب الصحاح ، فإنّه قال فيه : ذو المجاز موضع بمنى كان به سوقٌ فى الجاهلية . وتبعه أيضاً بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) والدَّمامينىّ (فى الحاشية الهنديّة) .

ذو النجيل

و (ذو النُّجيل) فى روايه ثعلب بضمّ النون وفتح الجيم ، كذا رأيته مضبوطاً (فى نسخة صحيحة قديمة من أماليه عليها خطوط الأئمّة) . قال ابن الأثير (فى المرصَّع) : ذو النُّجيل بضم النون وفتح الجيم : موضع من أعراض المدينة وينبُع اه . ورُوِى أيضاً (ذو النُّخيل) بضم النون وفتح الخاء المعجمة وهو مُناسبٌ أيضاً ، قال ابن الأثير (فى المرصّع) : هو عين قرب المدينة ، وأخرى قرب مكة ، وموضع دُوَين حَضْرَمَوت . وكلا هذين اللفظين غير موجود فى معجم ما استعجم للبكرىّ[1] .

وقوله : (وقد أرى) قد للتحقيق وأرى بمعنى أعلم معلَّق عن العمل بما النافية ، والجملة بعدها سادّة مسدّ المفعولين . وقوله : (وأبىّ) الواو للقسم ، وجملة القسم معترضة بين أرى ومعموله ، أتى بها للتأكيد ، وجوابُ القسم محذوف يدلّ عليه مفعول أرى . وحرّفه بعضهم فرواه : (ولا أرى) بلا النافية موضع قد ، وزعم أنّ الجملة المنفيّة جواب القسم وأنّ مفعولى أرى محذوفان تقديره : لا أراك أهلاً لذى المجاز . وقيل لا دعائيّة . هذا كلامه . ولم يروِ هذه الرواية أحدٌ ، والثابتُ فى رواية ثعلب وغيره من شروح المفصل هو ما قدّمناه وليس المعنى أيضاً على ما أعربه ، فتأمّل . وقال بعضهم : (أُرى) بالمبنىّ للمفعول

٢٧٤ بمعنى أظن ، وبكسر الكاف من (أحلّكِ) و (لكِ) ، وكلاهما لا أصل له .

---

(١) الحق أن البكرى قد أوردهما فى معجمه ، فالنجيل رسم لها فى باب النون ص ١٣٠٠ . والنخيل ، أوردها فى (نخل) ١٣٠٣ كما أوردها عرضا فى ٦٣٥ عند ذكر (الربذة) .

وقوله : (مالَكَ ذو المجاز) الخ ، وذو المجاز فاعل لكَ لاعتماده على النفى ، أو هو مبتدأ ولك خبره ، وعليهما فقوله بدارٍ حالٌ صاحبُها ذو المجاز على الأوّل وضميرُه المستترُ في لك على الثانى ، أو قوله بدار خبر المبتدأ ، ولك كان فى الأصل صفة لدار فلمّا قدّم صار حالاً . خاطبَ نفسَه وقال : قدرُ الله وقضاؤُه أحلّك هذا الموضع ، وقد أعلم أنّه ليس لك هذا الموضع بمنزلٍ تقيمُ فيه ، بل ترتحل عنه ، وأُقسم على ذلك بأبى . وقوله : إلاّ كدارِكمُ ، صفة لموصوف محذوف أى إلاّ دار كداركم ، أو الكاف زائدة .

وذو بقر ، بفتح الموحَّدة والقاف ، قريةٌ فى ديار بنى أسد ، وقال أبو حاتم عن الأصمعى : هو قاعٌ يَقْرِى الماء ، وقال يعقوب : هو وادٍ فوق الرَّبذة. انتهى[1] . ذو بقر

والمراد هو الأخير بدليل إضافته إلى الحمى ، فإنّ الربذة كانت حمًى خارج المدينة المنورة . قال أبو عبيد[2] : الرَّبذة ، بفتح أوله والموحَّدة وبالذال المعجمة ، هى التى جعلها عمر حِمًى لإبل الصدقة ، وكان حماه الذى أحماه بريداً فى بريد ، ثم زادت الولاة فى الحمى أضعافا ، ثم أبيحت الأحماء فى أيّام المهدىّ العباسىّ فلم يحمِها أحدٌ بعد ذلك .

إلى أن قال : ثمّ الجبال التى [تَلى القَهْبَ[3]] عن يمين المصعِد إلى مكة جبلٌ أسودُ يدعى أَسْوَدَ البُرَم، بينه وبين الرَّبذة عشرون ميلا ، وهو فى أرض

---

(١) كذا بدون ذكر لاسم الكتاب المقتبس منه ، أو المؤلف ، وهذا النص بعينه فى معجم ما استعجم ٢٦٣ ــ ٢٦٤ .
(٢) أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم ٦٣٣ .
(٣) التكملة من معجم ما استعجم ٦٣٤ .

بنى سُليم ، وأقربُ المياه من أسودِ البُرْم حفائرُ حفرها المهدىُّ على ميلين منه ، تدعى ذا بقر ، وقد ذكرها مؤرِّج السُلَمىُّ فقال :

قدرٌ أحلَّكَ ذا النُّجَيل وقد أرى . . . . البيتين

وأنشدهما على رواية ثعلب (فى أماليه[1]) .

والمزدار : اسم فاعل من ازدار : افتعل من الزيارة . وأراد الشاعر به نفسَه ، استبعد أن يزور أرضه . وروى أبو عبيد فى المعجم (الزُّوَّار) جمع زائر .

مؤرج السلمى

وقائل هذين البيتين مؤرِّج السُلَمىُّ كما قال أبو عبيد (فى المعجم) ، وهو شاعر إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأمويّة . ومُؤرِّج ، بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد الراء المكسورة وآخره جيم ، وهو اسم فاعل مِن أرَّجت بين القوم تأريجا : إذا هيَّجت الشرَّ بينهم . والسُّلَمىّ ، بضمّ السين وفتح اللام ، نسبة إلى سُلَيم بن منصور ، مصغرا ، وهو أبو قبيلة .

تتمة

أسواق العرب

قال ابن حجر (فى شرح البخارى) : أسواق العرب فى الجاهلية أربعة ذو المجاز ، وعُـكاظ ، ومجنّة ، وحُباشة .

أما ذو المجاز فقد تقدَّم نقله عنه .

وأمّا عُـكاظ بضمّ أوّله ، فعن ابن اسحاق : أنّها فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال لها الفُتُق ، بضمّ الفاء والمثنّاة بعدها قاف . وعن ابن الـكلبيّ : كانت بأسفل مكة على بَرِيدٍ منها غربىَّ البيضاء ، وكانت لـكنانة .

---

(١) الحق أنه أورد « النخيل » بالخاء المعجمة لا الجيم .

وأما حُباشة بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة، وبعد الألف شين معجمة، فكانت فى ديار بارق نحو قَنُونا، بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد النون ألف مقصورة، من مكة إلى جهة اليمن على ست مراحل. وقد ذُكر فى الحديث الثلاث الأول، وإنما لم تُذكر حُباشة فى الحديث لأنها لم تكن من مواسم الحج، وإنّما كانت تقام فى شهر رجب. قال الفاكهى: ولم تزل هذه الأسواق قائمة فى الإسلام إلى أنْ كان أول ما ترك منها سوق عكاظ فى زمن الخوارج، سنة تسع وعشرين ومائة، وآخر ما ترك منها سُوق حباشة فى زمن داود بن عيسى بن موسى العباسى، فى سنة سبع وتسعين ومائة. ثم أسند عن ابن الكلبى: أنّ كلّ شريفٍ إنّما كان يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ، فإنهم كانوا يتوافون بها من كلّ جهة، فكانت أعظم ٢٧٥
تلك الأسواق. وقد ذكرها فى أحاديث، منها حديث ابن عباس رضى الله عنهما: «انطلق النبيُّ صلى الله عليه وسلم فى طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ» الحديث فى قصة الجنّ. وروى الزبير بن بكّار (فى كتاب النسب) أنها كانت تُقام صبحَ هلالِ ذى القَعدة إلى أن يمضىَ عشرون يوما. قال: ثم تقوم سوق مَجَنّة عشرةَ أيام إلى هلال ذى الحجة، ثم تقوم سوق ذى المجاز ثمانية أيّام، ثم يتوجّهون إلى مِنى بالحج. وفى حديث جابر: «أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لبثَ عشرَ سنينَ يتبع الناسَ فى منازلهم فى الموسم، بمَجَنّة وعُكاظ يبلّغ رسالاتِ ربه». انتهى ما أورده ابن حجر.

وفيه: أنّ أسواق العرب أكثر من هذا، جَمعها صاحبُ قبائل العرب(١)

(١) انظر أيضا الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ٢ : ١٦١ــ١٧٠ وصبح الأعشى ١ : ٤١٠ . وقد ألف فى ذلك بعض معاصرينا الأفاضل وهو الأستاذ سعيد الأفغانى، كتابا سماه «أسواق العرب».

قال : (دُومة الجندل) كانت تقوم أوّل يوم من ربيع الأول إلى النصف منه ، وكانت للمبايعة فيه إلقاء الحجارة على السِلعة ، فمن أعجبته ألقى حجراً فتُرِكت له . و (المشقّر) تقوم من أوّل يوم من جُمادى الآخرة ، وكان بيعهم بالملامسة والإيماء والهمهمة ، خوفَ الحلف والكذب . ثم (صُحار) بضم الصاد المهملة تقوم لعشر يمضين من رجب ، خمسة أيّام . ثم (الشِّحْر) بالكسر ، يقوم فى النصف من شعبان ، وكان بيعهم فيه بالحجارة أيضاً . ثم (صنعاء) فى النصف من شهر رمضان إلى آخره . ثم سوق (حَضْرَمَوت) فى النصف من ذى القَعدة ثم (عُكاظ) فى هذا اليوم بأعلى نجد قريب من عرفات . وعكاظُ من أعظم أسواق العرب ، وكان يأتيها قريشٌ وهوازن وغطفان ، وسُليم والأحابيش وعُقيل والمصطلق ، وطوائف من العرب إلى آخر ذى القعدة ، فإذا أهلَّ ذو الحجة أتوا (ذا المجاز) ــ وهو قريب من عكاظ ــ فتقوم سوقُه إلى التروِيَة ، ثم يصيرون إلى منى ، وتقوم سوق (نَطاة) بخيبر ، وسوق (حَجْر) بفتح المهملة وسكون الجيم يوم عاشوراء إلى آخر المحرم . هذا ماأورده صاحب قبائل العرب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد سيبويه(١) :

٣٢٨ (فلمَّا تبيَّنَّ أصواتَنا بكَينَ وفدَّيْنَنا بالأبينا)

على أن الأب يجمع على (الأبِين) على حدّ جمع المذكر السالم ، كما فى هذا البيت .

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٠١ . وانظر الخصائص ١ : ٣٤٦ والمحتسب ١ : ١١٢ وابن الشجرى ٢ : ٣٧ وابن يعيش ٣ : ٣٧ واللسان (أبى ٦) .

قال سيبويه : وسألته - يعني الخليلَ - عن أب فقال : إنْ ألحقت فيه النون والزيادة التي قبلها قلت أبون ، وكذلك أخ تقول أخون ، لا تغيِّر البناء ، إلاّ أن تحدث العرب شيئاً كما يقولون دَمُون[1] ، ولا تغيِّر بناء الأب[2] عن حال الحرفين لأنه بني عليه ، إلا أن تحدث العرب شيئاً ، كما بَنَوه على غير بناء [الحرفين[3]] . وقال الشاعر :

فلمّا تبيَّنَّ أصواتَنا . . . (البيت)

أنشدَناه مَنْ نثق به ، وزعم أنه جاهليّ . وإنْ شئت كسَّرت فقلت : آباء وآخاء . انتهى نصّ سيبويه .

وأورد ابن جنّي (في المحتسب) بعد هذا البيت — عند قراءة ابن عباس والحسن : (وإلهَ أبيك) على أنَّه أبِينَ ، حذفت النون للإضافة - قولَ أبي طالب نظيراً له :

ألم ترَ أنّي بعد همٍّ همَمْتُه لفرقة حُرٍّ من أبِينَ كرامِ

وقول الآخر :

* فهو يفدّى بالأبِينَ والخالْ[4] *

قال الأعلم : جمعُ أب جمعَ سلامة غريبٌ ، إذ حقّه للأعلام والصفات ٢٧٦
الجارية على فعلها ، كمسلمين .

---

(١) ط : « دومون » وحورها الشنقيطي في نسخته الى «ذوون» ، صوابه من سيبويه .

(٢) في النسختين : « بناء الألف » صوابه من سيبويه .

(٣) في النسختين : « كما ثنوه على غير بناء » والتصحيح والتكملة من كتاب سيبويه .

(٤) المحتسب ١١٢ واللسان (أبي ٧)

وقوله (تبيَّنَّ) بمعنى (تعرَّفن) وبه روى أيضاً . أى لمَّا عرفن أصواتنا معرفةً بيِّنة ، ووزنه تفعَّلن ، أدغمت النون الأصلية فى نون جماعة النساء .

وقوله (فدَّيْنَنا) إلخ ، أى قلن : جعل الله آباءنا فداء لـكم .

قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الـكتاب) وتبعه مَن بعده من شرّاح الشواهد : البيت لزياد بن واصـل . لمَّا عرفنَ أصواتهم ركِبنَ إليهم حتَّى يستنقذوهنَّ وفدّينهن بآبائهن . ويروى :

* فلما تبيَّنَّ أشباَحنا *

جمع شَبَح .

وقال أبو محمد الأعرابى الغندجانى (فى فُرحة الأديب[1]) : كذَب ابن السيرافى [فى تفسير هذا البيت] ، ولم يعرف منه قليلا ولا كثيراً ، كيف رَكِبن إليهم حتّى يستنقذوهنَّ سبايا كما زعم ، وإنّما معنى البيت أنّ زياداً افتخر فى أبياتٍ[2] بآباء قومه وبأمهاتهم من بنى عامر ، وأنّهم قد أبلَوْا فى حروبهم ومعاونتهم ، فلما عادوا إلى [حِلَلِهِمْ وعِنْدَ] نسائهم وعرفن أصواتهم فدَّينهم لأجْل أنّهم أبلَوْا فى الحروب . والأبيات تدلّ على صحة هـذا المعنى . وأولها — وهى لزياد بن واصل السُّلَمىّ — :

عزَّتنا نساء بنى عامرٍ فسُمنا الرجالَ هواناً مبينا[3]
ونحن بنوهُنَّ يومَ الصِّفَا قِ إذ نُقبل القومَ وَعْثاً حُزونا
بضربٍ كوَلْغ ذُكورِ الذئا بِ تَسمع للهامِ فيه رَنينا

(١) الورقة ٥٧ من مخطوطة البغدادى بدار الكتب المصرية ، وما بين معكفين فهو منها .

(٢) فى الفرحة : « فى هذه الأبيات » .

(٣) فى الفرحة : « هوانا مهينا » .

ورَمْيٍ على كلِّ عزّافةٍ تردُّ الشِّمال وتعطى اليمينا
وكنّا مع الخيل حتى استوت شبابُ الرجال وسَرُّوا العيونا
ولما تبيَّنَّ أصواتنا رئِمن وفدَّيننا بالأبينا

انتهى ما أورده أبو محمد.

و (رئمن) بمعنى عطفن وحَنَنَّ من الحنين، ومعناه على رواية (بكين) أنهنّ بكين فرحا بسلامتهم، وفدَّينهم بآبائهن إشفاقا عليهم.

وقوله عزَتنا، من عزوته إلى أبيه: إذا نسبته إليه. أراد: نُسبت نساء بنى عامر إلينا، وقلن نحن منكم.

وقوله: فسُمنا الرجال، من سامه خسفا، أى أولاه ظلماً ومهانة.

وقوله: بضرب إلخ هو متعلّق بسُمنا، يقال: ولغَ فى الإناء يَلَغ ولْغا وولُوغا إذا شرب مافيه بأطراف لسانه. وقوله: تسمع، صفة ضرب، والهامة الرأس، وضمير منها للرجال(١).

وقوله: ورمىٍ، إلخ هو بالجرّ عطف على ضربٍ. والعزّافة: الشُّجاع الجهير الصوت(٢)، وهو صيغة مبالغة من العَزْف، بالعين المهملة والزاى المعجمة والفاء، وَهو الصَّوت. أى ورمىٍ على كلّ شجاع صيِّت يردُّ الضرب عن شِماله ويُعطيه عن يمينه.

---

(١) كذا فى النسختين، وهو سهو من البغدادى، صوابه «وضمير فيه للضرب».

(٢) كذا. والحق أن العزافة هى القوس، يقال عزفت عزفا وعزيفا: صوتت.

زياد بن واصل وزياد بن واصل من شعراء بنى سُلَيم ، وهو جاهلىّ كما قال سيبويه[١] . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الثلاثمائة[٢] :

٣٢٩ (وكنتُ لهُ كشَرِّ بنى الأَخِينا)

على أن أخا يجمع على (أخين) جمع مذكّر سالم كما يجمع أب على أبين .

وهذا عجز ، وصدره :

(وكان لنا فَزَارةُ عمَّ سَوْء)

وهذا البيت أورده أبو زيد مفرداً فى نوادره[٣] ، ونسبه إلى عقَيل بن عُلَّفَة المرِّىّ ، وقال : أراد الإخوة .

قال ابن الشجرىّ (فى أماليه) : وأما قول الآخر ، وهو من أبيات الكتاب[٤] :

٢٧٧ فقلنا أسلموا إنّا أُخُوكم فقد بَرِئت من الإحَنِ الصُّدُور

(١) هذا يوهم أن سيبويه عين اسمه أيضا ، ولكن سيبويه لم يذكر اسم الشاعر ، بل قال بعد أن روى الشاهد : « أنشدناه من نثق به وزعم أنه جاهلى » .

(٢) نوادر أبى زيد ١١١ ، ١٩١ والبيان ١ : ١٨٦ واللسان (أخا ٢١) .

(٣) فى الموضعين ١١١ ، ١٩١ .

(٤) وكذا فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٨ . والحق أن البيت ليس من أبيات الكتاب ، كما سيأتى فى كلام البغدادى ، الا أن يكون احد شراح شواهده قد تعرض له .

فقيل : إنه وضع الواحد موضعَ الجمع ، وقيل : إنّه جمع أخ كجمع أب على أبين ، وحذف النون من أخون للإضافة . ومن قال الأبون والأخون قال في التثنية الأبان والأخان ، فلم يردَّ اللام في التثنية كما لم يردَّها في الجمع . انتهى.

أقول هذا البيت ليس من شواهد الكتاب ، وأورد الجاحظُ (في البيان والتبيين) ما قبل البيت الشاهد قال : وقال الآخر في إنجاب الأمّهات وهو يخاطب بني إخوته :

عفاريتاً عليَّ وأخذِ مالي ... وعَجزاً عن أناسٍ آخَرينا[1]
فهلاَّ غيرَ عمّكم ظلمتمْ ... إذا ما كنتُم متظلّمينا
ولو كنتمْ لِمُكْيِسةٍ أكاسَتْ ... وكَيسُ الأمّ كَيسٌ للبنينا
ولكنْ أمُّكمْ حمُقَت فجئتمْ ... غِثاثاً ما نرى فيكمْ سمينا
وكان لنا فَزَارةُ عَمَّ سَوءٍ ... وكنتُ له كشرِّ بني الأخينا

وقوله : متظلّمينا ، في الصحاح : تظلّمني فلان ، أي ظلمني مالي . وقوله : ولو كنتم لمكْيسة ، إلخ هو بضمّ الميم وسكون الكاف وكسر التحتيّة ، هي المرأة التي تلد أولاداً أكياساً . وأكاست المرأة : ولدت ولداً كيّساً . قال صاحب الصحاح : الكَيْس : خلاف الحمق ، والرجل كيِّس مكيَّس باسم المفعول ، أي ظريف ، والكِيسَى ، بالكسر : نعت المرأة الكيّسة ، وهو تأنيث الأكيس ، وكذلك الكُوسى بالضم ، وقد كاس الولدُ يكيس كيْساً . وأكْيَسَ

---

(١) هذا البيت وثلاثة بعده فقط في اللسان (كيس) ، مع نسبتها الى رافع بن هريم .

وفي البيان ١ : ١٨٥/٥٧٤ : « عفاريتاً علي » و « وعجزاً » ، بالنصب فيهما . وفي اللسان (كيس) :

عفاريتا علي وأكل مالي ... وجبنا عن رجال آخرينا

الرجلُ وأَكاس ، إذا ولد له أولاد أكياس . وأنشد هذا البيت مع ما بعده . وروى المصراع الثانى هكذا :

* فـكَيس الأمّ يُعرَف بالبنينا *

وكذا أنشدها الصاغانىّ (فى العباب) ونسبه إلى رافع بن هُرَيم . وقد رَجعتُ إلى ديوان رافع بن هريم ، فلم أجد فيه إلاَّ البيتين الأوّلين وهما :

عفاريتٌ علىَّ وأخذِ مالى . . . . . البيت

والبيت الذى بعده . وليس فيه البيتان اللذان أوردهما صاحبُ الصحاح والعبابِ منسوبين إليه .

وقوله : ولـكنّ أمّـكم حمُقت ، بضم الميم ، أى صارت حمقاء . والغِثاث ، بكسر المعجمة بعدها مثلَّثة : جمع غثيث بمعنى المهزول ، كـكرام جمع كريم . وفَزارة ، بفتح الفاء والزاى المعجمة : أبو حىّ من غطَفان ، وهو فَزارة ابن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غطَفان . والسَّوء ، بالفتح ، هو المؤذى . فى المصباح وغيره : هو رجلُ سَوء ، بالفتح والإضافة ، وعملُ سَوء ، فإن عرّفت الأول قلت : الرجل السَّوء والعمل السَّوء ، على النعت .

وقوله : (وكنتُ له) إلخ فى أكثر نسخ الشرح (وكنتُ لهمْ) بضمير الجمع ، وهو خطأ والصواب الإفراد ، وهو بالتـكلُّم لا بالخطاب . وإنما قال : (كشَرٍّ) بالـكاف لا بدونها ، لأنَّه أراد مثل أشرِّ بنى إخوةٍ فى الدنيا ، ولم يردْ أنّه مثلُ أشرِّ بنى إخوة فَزارة .

والظاهر أنّ هذا البيت وحده لعَقيل بن عُلَّفة ، وهو غير مرتبط بالأبيات التى أوردها الجاحظ قبله . وتلك الأبيات البيتان الأوّلان منها ، رأيتهما فى ديوان رافع بن هُرَيم ، من رواية أبى عمرو .

ورافع هُو رافع بن هريم بن عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . قال أبو زيد (فى نوادره) : هو شاعر قديم أدرك الاسلام وأسْلَمَ(١) . وديوانه صغير ، وهو عندى وعليه خطُّ أبى العباس ثعلب إمام الكوفيين ، وخطُّ الحسن بن الخشّاب البغدادى ، وليس فيه من شواهد هذا الشرح شىء . وهُريم بضم الهاء وفتح الراء المهملة . رافع بن هريم

وأما عَقِيل بن عُلَّفة فهو شاعر فصيح مُجيد من شعراء الدولة الأمويّة . وعَقيل بفتح العين وكسر القاف . وعُلَّفة ، بضمّ العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء ، وهو علم منقول من واحد العلَّف ، وهو ثمر الطلح . عقيل بن علفة

وهو عَقيل بن عُلَّفة بن الحارث بن معُاوية بن ضِباب بن جابر بن يربوع بن غَيظ بن مرة بن سعد(٢) بن ذبيان بن بَغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر . وأمّه عَمْرة بنت الحارث بن عوف المرّى(٣) . وأمُّها بنت بدر بن حصن بن حذيفة(٤) .

قال صاحب الأغانى ، كان عَقيلٌ هذا جافيا أهوجَ شديدَ الغَيرة والعجرفيّة وهو فى بيت شرفٍ فى قومه من كِلا طرفيه . وكان لايرى أنّ له كفئاً ، وكانت قريش ترغب فى مصاهرته ، وتزوّج إليه من خلفائها(٥) وأشرافها ،

---

(١) الذى فى النوادر ٢٢ : « وقال رافع بن هريم ، اسلامى » . وفى ص ٦٩ : « وقال رافع بن هريم وأدرك الاسلام » .

(٢) فى جمهرة ابن حزم ٢٥٣ « غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان » .

(٣) فى الأغانى ١١ : ٨٢ : « وأم عقيل بن علفة العوراء ، وهى عمرة بنت الحارث بن عوف » .

(٤) فى الأغانى : « زينب بنت حصن بن حذيفة » .

(٥) ط : « حلفائها » ، صوابه فى ش والأغانى .

وخطب إليه عبدُ الملك بن مرْوانَ بعض بناته لبعض وَلَده ، فأطرق ساعة ثم قال : إنْ كانَ ولا بدّ فجَنِّبني هُجناءك ! فضحك عبد الملك وعَجِب من كِبْر نفسه على ضيقته وشدّة عيشته بالبادية .

ودخل على عثمان بن حَيان — وهو أمير المدينة — فقال له عثمان : زوِّجنى بعضَ بناتِك . فقال : أبكرةً من إبلى تعنى ! فقال له عثمان : أمجنونٌ أنت ؟ قال : أىَّ شىء قلتَ لى ؟ قال : قلت لك : زوِّجنى ابنتَك . فقال: إن كنتَ تريد بكرةً من إبلى فنَعَمْ . فأمر به فوُجِئت عنقه ، فخرج وهو يقول :

لحا الله دهراً ذَعْذَعَ المالَ كلَّه   وسوَّدَ أبناء الإماءِ العَوارِكِ

وكان له جار جُهَنى ، وقيل سَلامانىّ ، فخطب إليه ابنتَه ، فغضب عَقيلٌ وأخذه فكتّفَه ودهَنَ استَه بشحمٍ أو زيت ، وأدناه من قرية النمل ، فأكل خصيتيه حتّى ورم جسده ، ثم حلّه وقال : يخطب إلىَّ عبدُ الملك فأردُّه ، وتجترئْ أنت علىَّ فتخطب ابنتى !

ورَوى أنَّ عمر بن عبد العزيز عاتبَ رجلاً من قريش أمُّه أختُ عقيل ابن علَّفة ، فقال له : قبحَكَ الله ، لقد أشبهت خالَكَ فى الجفاء ! فبلغت عقيلاً فرَحَل من البادية حتّى دخل على عمر فقال له : أما وجدتَ لابن عمِّك شيئاً تعيِّره به إلاّ خئولتى ، قبَح [الله] شرّاً كما خالا ! فقال عمر : إنك لأعرابىٌّ جافٍ ، أما لو كنتُ تقدَّمتُ إليك لأدّبتك ، والله ما أراك تقرأ شيئاً من كتاب الله . فقال : بلى ، إنى لأقرأ . ثم قرأ : إنا بعثنا نوحاً إلى قومه ! فقال له عمر : ألم أقل إنك لاتقرأ ؟ فقال : ألم أقرأ ؟ فقال : إن الله قال : ﴿ إنا أرْسَلْنا نوحاً ﴾ . فقال عَقيل :

خُذُوا بطْنَ هَرْشَى أو قفاها،فإنه ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ كِلا جانِبَيْ هَرْشى لهنّ طَرِيقُ(١)

فجعل القوم يضحكون من عَجرفته ويعجبون .

ورَوى أنّه قرأ (إذا زُلزلت الأرض) حتّى بلغ آخرها ، فقدّم (ومن يَعمل مِثقالَ ذرّة شرًّا يره) على : (فمن يَعملْ مِثقال ذرّة خيراً يره) فقال له عمر : إنّ الله تعالى قدّم الخير وأنت قدّمت الشرّ ! فأنشد البيت .

وأورده صاحب الكشّاف فى (إذا زلزلت) لهذه الحكاية . ٢٧٩

وهَرْشَى بالفتح والقصر : ثنيّة فى طريق مكة حرسها الله ، قريبة من الجُحفة يُرى منها البحر . وهذا مثلٌ فى التخيير . ولهرشى طريقان ، من سَلك أيّهما شاء أصاب . وضمير لهنّ للإبل . والمعنى يا صاحبيَّ سِيرا فى بطن هذه الثنيّة أوقَفاها ، أى أمامها أو خلفها ، فإنّ كلا جانبيها طريقٌ للإبل . كأنه ظنّ أن التقديم والتأخير فى هذا المقام لا يضر، وهو غفلةٌ عن المزايا القرآنية .

وقدِم عَقيلٌ المدينة فدخل المسجد ، وعليه خفّان غليظان ، فجعل يضرب برجله ، فضحكوا منه ، فقال : ما يُضحككم ؟ فقال له يحيى بن الحكم ــ وكانت ابنة عَقيل عنده ، وكان أميراً على المدينة ــ إنّهم يضحكون من خُفّيك وضربك برجليك ، وجفائك . فقال : لا ، ولكنّهم يضحكون من إملاتك ، فإنّها أعجبُ من خُفّيَّ .

* * *

(١) الرواية : « خذا بطن هرشى » بخطاب الاثنين ، وقد حورها الشنقيطى فى نسخته الى « خذا » كما فى الأغانى ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثلاثون بعد الثلاثمائة وهو من شواهد س[1] :

٣٣٠ (رُحْتِ وفى رِجليك ما فيهما وقد بَدا هَنْكِ من المِئزَرِ)

على أن تسكين (هن) فى الإضافة للضرورة، وليس بلغة .

وأورده سيبويه فى باب الإشباع فى الجرّ والرفع وغير الإشباع قال : وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المجرور والمرفوع فى الشعر ، شبّهوا ذلك بكسر فَخِذ حيث حذفوا فقالوا فَخْذ ، وبضمّة عضُدٍ حيث حذفوا فقالوا : عضْد ، لأنَّ الرفعة ضمة والجرّة كسرة . ثم أنشد هذا البيت .

ومثله فى الضرورة قول جرير :

سيرُوا بَنى العمِّ فالأهوازُ منزلُكم ونهرُ تيرَى ولا تَعرفْكم العربُ[2]

ومن أبيات الكتاب أيضاً[3] :

فاليومَ أشربْ غيرَ مستحقبٍ إثما من اللهِ ولا واغِلِ

قال ابن جنّي (فى المحتسب) : وأما اعتراض أبى العباس للمبرّد هنا على الكتاب فإنّما هو على العرب لا على صاحب الكتاب ، لأنه حكاه كما سمعه ، ولا يمكن فى الوزن أيضاً غيره . وقول أبى العباس : إنّما الرواية فاليوم فاشربْ ، فكأنه قال لسيبويه : كذبتَ على العرب ولم تسمعْ ما حكيتَه

(١) فى كتابه ٢ : ٢٩٧ . وانظر الخصائص ١ : ٧٤/٣ : ٩٥ والمحتسب ١ : ١١٠ وابن الشجرى ٢ : ٣٧ والعمدة ٢ : ٢١١ وابن يعيش ١ : ٤٨ والعينى ٤ : ٥١٦ عرضا والهمع ١ : ٥٤ .

(٢) فى الديوان ٤٨ والبلدان (نهرتيرى) : « فلم تعرفكم العرب » . و « ولم تعرفكم » . وفى سمط اللآلى ٥٢٧ : « فما تعرفكم» وبرواية الخزانة والسمط يصح الاستشهاد .

(٣) سيبويه ٢ : ٢٩٧ . وهو لامرىء القيس .

عنهم . وإذا بلغ الأمر هذا الحدَّ من السرف ، فقد سقطت كُلفة القول معه . وكذلك إنكاره عليه أيضاً قولَ الشاعر :

* وقد بدا هنْك من المئزر *

فقال : إنما الرواية :

* وقد بدا ذاكِ من المئزر *

وما أطيبَ العروسَ لولا النَّفقة . انتهى

وهذا البيت ثالث أبياتٍ للأُقيشر الاسدى . صاحب الشاهد

قال صاحب الأغانى وغيره : سكِر الأقيشرُ يوماً فسقط ، فبدت عورتُه وامرأته تنظر إليه ، فضحكت منه وأقبلت عليه تلومُه وتقول له : أما تستحى يا شيخ من أن تبلغ بنفسك هذه الحالة ! فرفع رأسه إليها وأنشأ يقول :

تَقول : يا شيخُ أما تستَحى ... مِن شُربكَ الخمرَ على المَكْبِرِ
فقلت : لو باكرتِ مَشمولةً ... صَهْباً كلَوْنِ الفرَس الأشقر
رُحتِ وفى رجلَيكِ عُقّالةٌ ... وقدْ بدا هَنْكِ مِن المِئْزَرِ !

انتهى . وقال بعض من كتب على شواهد سيبويه : مرَّ سكرانَ بسكّة بنى فَزارة ، فجلس يُريق الماء ، ومرّ به نسوةٌ فقالت امرأة منهنّ : هذا نشوانُ قليلُ الحياء ، أما تستحى يا شيخ من شربك الخمر ؟ فقال ذلك . ٢٨٠

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : مر الفرزدق بامرأةٍ وهو سكران يتواقع ، فسخِرت منه ، فقال هذه الأبيات . انتهى ، والصواب الأول .

وقوله : أما تستحى ، هو شاهدٌ على أنه يقال استحى يستحى كاستبى يستبى . وقد قرأ يعقوب وابن مُحيصِن : (إن الله لا يَستَحِى أن يَضربَ

مثلا[1]) بياء واحدة ، ورويت عن ابن كثير أيضاً ، وهى لغة تميم . قال ابن هشام (فى شرح بانت سعاد[2]) : والأصل بياءين فنقلت حركة العين إلى الفاء فالتقى ساكنان : فقيل حذفت اللام فالوزن يَسْتَفِع ، وقيل حذفت العين فالوزن يَسْتَفِل .

وروى بدل الخمر (الراح) وهى بمعناها . وقوله : على المَكْبر ، بفتح الميم وكسر الموحّدة ، مصدر كبر يكبر من باب علم أى أسنّ ، والمصدر الكِبَر بكسر ففتح والمَكْبِر أيضاً ، قال صاحب الصحاح : يقال علاه المَكْبِر بكسر الباء ، والاسم الكَبْرة بفتح الكاف وسكون الباء أى السن . وباكرت بمعنى سارعت فى البُكرة . والمشمولة : الخمر الباردة الطعم ، والأصلُ فى المشمولة التى ضربتها ريح الشَمال حتّى بَرَدت ، يقال : غدير مشمول، ونحوه . ويقال للخمر شَمُول أيضاً ، لأنّها تشتمل على عقل صاحبها ، وقيل لأنّ لها عصفةً كعصفة الريح الشمال . والصُهْبة : الشقْرة ، وسميت الخمر الصهباء للونها ، وهى ممدودة وقد قصرها للضرورة ، وفيه ردٌّ على الفرّاء إذ زعم أنه لا يقصر للضرورة إلاّ ما مأخذه السماع ، ولا يجوز قصرُ الممدودِ القياسى .

وقوله : (وفى رجليك ما فيهما) يريد أن فيهما اضطراباً واختلافا . ورُوى : (وفى رجليكِ عُقّالةٌ) وهو بضمّ العين وتشديد القاف : ظَلْع يأخذ

---

(١) الآية ٢٦ من سورة البقرة .

(٢) عند الكلام فى قول كعب :

شجت بذى شبم من ماء محنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

فى القوائم . و (بدا) بمعنى ظَهر . و (الهَنُ) : كناية عن [كلّ ما يقبُح[1]] ذِكرُه ،وأراد به هنا الفرج . و (المِئْزر) هو الإزار ، كقولهم مِلحف ولحاف .

الأقيشر

والأقيشر : مصَغَّر أقشَر ، قال صاحب الصحاح : رجل أقشر بيِّن القَشَر بالتحريك ، أى شديد الحمرة .

قال صاحب الأغانى[2] : الأقيشر لقبٌ لقِّب به ، لأنه كان أحمرَ الوجه أقشر . واسمه المغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد بن خزيمة[3] ويكنى أبا مُعرض بضم الميم وكسر الراء الخفيفة .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : اسمه المغيرة بن الأسود بن وَهب ، أحد بنى أسد بن خزيمة .

قال صاحب الأغانى : وعُمِّر الأقيشر عمراً طويلا . ولد فى الجاهلية[4] ، وكان كوفياً خليعاً ، ماجناً ، فاسقاً ، فاجراً مدمنَ الخمر ، قبيحَ المنظر . وهجاهُ رجلٌ من بنى تميم فقال :

يا أيها المبتغى حُشاً لحاجتِه وجهُ الأقيشر حُشٌ غيرُ ممنوعِ

---

(١) تكمله ليست فى النسختين .

(٢) ترجمة الأقيشر فى الأغانى ١٠ : ٨٠ ــ ٩٠ والمؤتلف ٥٦ والمرزبانى ٣٦٩ ــ ٣٧٠ .

(٣) فى النسختين : « بن عمرو بن معرض بن أسد بن خزيمة »، وكلمة « معرض » مقحمة ، وليس لأسد من اسمه معرض . جمهرة ابن حزم ١٩٠ . والصواب ما أثبت من الأغانى والاصابة ٥٤٤٩ .

(٤) نص أبى الفرج :« وما أخلقه بأن يكـــون ولد فى الجاهلية ونشأ فى أول الاسلام » .

(والحُشُّ ، بضمّ الحاء المهملة وتشديد الشين المعجمة : بيت الخلاء)

قال ابن قتيبة : وكان يغضب إذا قيل له أقيشر . فمرّ يوماً بقوم من بني عبس فقال رجل منهم : يا أقيشر ! فسكت ساعة ثم قال :

أتدعوني الأقيشرَ ! ذاك إسمي وأدعوك ابنَ مُطفِئة السّراجِ (١)
تنادي خِدنَها بالليل سِرًّا وربُّ الناسِ يَعلمُ ما تناجي (٢)

فسُمّي الرجلُ ابنَ مطفئة السراج ، وولده ينسبون إلى ذلك إلى اليوم .

قال صاحب الأغاني : وله حكاياتٌ في شرب الخمر والافتراء على الخمّارين، ولم يسلَمْ من هجوه أحَد .

٢٨١ وقد أطنب صاحب الأغاني في قبائحه : منها أنه كان له ابن عمٍّ موسر فكان يسأله فيعطيه ، حتى كثُر ذلك عليه فمنعه فقال : إلى كم أُعطيك وأنت تنفقه في شرب الخمر ! لا والله ، لا أعطيك شيئاً ! فتركه حتى اجتمع قومُه في ناديهم — وهو فيهم — ثم جاء فوقف عليهم ثم شكاه إليهم وذمه ، فوثب إليه ابن عمه فلطمَه ، فأنشأ يقول :

سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلطِمُ وجهَه وليس إلى داعي النّدَى بسريعِ
حريصٌ على الدنيا مُضيعٌ لدِينه وليس لما في بيته بمُضِيعِ

والبيت الأول أورده صاحب تلخيص المفتاح ، شاهداً لردّ العجز على الصدر(٣) .

---

(١) في الشعراء ٥٤١ : « ذلك اسمي » ، فتنتفي الضرورة .
(٢) في بعض نسخ الشعراء : « من تناجي » .
(٣) دلائل الإعجاز ٩٩ ومعاهد التنصيص ٢ : ٨٢ .

ومنها أنه كان عِنِّيناً لا يأتى النساء ، وكان يصف ضدَّ ذلك من نفسه ، فجلس إليه يوماً رجلٌ من قيس فأنشده الأقيشر :

ولقد أروحُ بمُشرفٍ ذى ميعةٍ عَسِر المَكرَّةِ ماؤُه يتفصَّدُ(١)
مرِحٍ يَطيرُ من المِراحِ لُعابُهُ ويَكاد جِلْدُ إهابِهِ يتقددُ(٢)

ثم قال للرجل : أتعرف الشعر ؟ قال: نعم . قال :ما وصفتُ ؟ قال : فرساً. قال : أفكنتَ لو رأيتَه ركبته ؟ قال : إى والله — وأمالَ عطفَه — فكشف الأقيشر عن أيره وقال : هذا وصفتُ فقم واركَبْه . فوثبَ الرجلُ عن مجلِسِهِ وهو يقول : قبَّحكَ الله من جَليس !

وذكره ابن حجر (فى قسم المخضرَمين من الإصابة) ، وأورد له هذين البيتين .

ومنها : أنَّ عَمَّةَ الأقيشر قالت له يوماً : اتق الله وقم فصَلِّ ! فقال : لا أصلى ! فأكثرت عليه فقال : قد أبرمتِنى ، فاختارى خَصلةً من خَصلتَيْن . إما أن أُصلّيَ ولا أتطهر ، أو أتطهَّرَ ولا أصلِّى ! قالت : قبحكَ الله ، فإن لم يكن غيرُ هذا فصلِّ بلا وضوء . فصلى بلا وضوء .

ومنها أنّه أتى إلى قيس بن محمد بن الأشعث — وكان ضَريراً وناسكا —

---

(١) ط : « يتنضد » ، وفى ش والأغانى : « يتقصد » ، صوابه من الاصابة ، وقال الميمنى : « رواهما أبو تمام فى الحماسة بتغيير القافية : يتدفق ، ويتمزق . وفى كنايات الجرجانى ٢٠ عن ابن دريد لأعرابى وقف على أبى عبيدة ، بزيادة :

حتى علوت به مشق ثنية طورا أغور به وطورا أنجد

(٢) الاصابة : « جلد أريمه » ، وفى الأغانى : « وتكاد جلدته به تتقدد » . وانظر الحماسة بشرح المرزوقى ١٨٨٠ .

فسأله فأعطاه ثلثمائة درهم ، فقال . لا أريدها جُملة ، ولكن مر القَهرُمان أن يعطيني فى كلِّ يومٍ ثلاثةَ دراهم حتى تَنفَد . فأمر بذلك ، فكان يأخذها ، فجعل درهماً لطعامه ، ودرهماً لشرابه ، ودرهماً لدابةٍ تحمله إلى بيوت الخمّارين؛ فلما نفِدت الدراهمُ ، أتاه الثانيةَ فسأله فأعطاه كالأولى ، وعمل بها مثل ذلك . ثمّ أتاه الثالثة فأعطاه وفعلَ مثل ذلك وأتاه الرابعةَ فسأله فقال قيس : لا أُبالك كأنَّك قد جعلته خراجاً علينا . فانصرف وهو يقول :

ألم تَرَ قيسَ الأكمَهَ ابنَ محمّدٍ   يقولُ ولا تلقـاه للخير يَفعلُ
رأيتُك أعمى العينِ والقلبِ مُمسكاً   وما خيرُ أعمى العينِ والقلْبِ يَبخلُ
فلو صَمَّ تمّتْ لعنـةُ اللهِ كلُّهـا   عليهِ ، وما فيه من الشرِّ أفضلُ

فقال قيس ، لو نجا أحدٌ من الأقيشر لنجوت منه !

ومنها : أنّه تزوّج بابنة عم له ، يقال لها الرَّباب ، على أربعة آلاف درهم ، فأتى قومَه وسألهم فلم يعطوه شيئاً ، فأتى ابنَ رأسِ البغل — وهو دِهقان الصِّين ، وكان مجوسياً — فسأله فأعطاه الصداق كاملاً ، فقال[1] :

كفانى المجوسىُّ مَهرَ الرَّبابِ   فِدًى للمجوسىِّ خالى وعمّْ[2]
شهدتُ عليكَ بِطيب الأرُومِ   فإنّك بحرٌ جوادٌ خِضَمّْ[3]
وإنّك سيدُ أهلِ الجحيمِ   إذا ما تردَّيتَ فيمن ظَلَمْ

(١) الأبيات فى الحيوان ٥ : ١٥٩ للحكم بن عبدل أو غيره ، وفى عيون الأخبار ٢ : ١٩٦ منسوبة لبعض الأعراب ، وفى الشعراء ٣٣ لمجهول ، وفى نهاية الأرب ٤ : ٥٣ للأقيشر نقلا عن الأغانى .
(٢) فى نهاية الأرب : « هم الرباب » .
(٣) فى القاموس : « والأرومة ، وتضم : الأصل ، جمعه أروم » .

تجاورُ هامانَ في قعرِها وفرعونَ والمكتَنِي بالحكَمْ

فقال المجوسي: ويحك. سألتَ قومك فلم يُعطوك شيئاً وجئتني فأعطيتك فجزيتني هذا القول! فقال: أوَما ترضى أن جعلتُك مع الملوك وفوق أبي جهل!

ومن شعره:

يا أيُّها السائلُ عمَّا مضى من علم هذا الزمنِ الذاهبِ[1]
إن كنتَ تبغي العلمَ أو أهلَه أو شاهداً يُخبِرُ عن غائبِ
فاعتَبِرِ الأرضَ بأسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ[2]

ومن قصيدة له:

لا تَشْرَبَنْ أبداً راحاً مُسارَقةً إلاَّ معَ الغُرِّ أبناءِ البطاريقِ
أفني تِلادِي وما جمَّعتُ من نَشَبٍ قَرعُ القَواقيزِ أفواهَ الأباريقِ[3]

وهذا البيت من أبيات مغني اللبيب في الباب الخامس.

ومن هذه القصيدة:

عليكَ كلَّ فتًى سَمْحٍ خلائقُه مَحضِ العرُوقِ كريمٍ غيرِ ممذوقِ
ولا تصاحِبْ لئيماً فيه مَقْرَفة ولا تَزُورَنَّ أصحابَ الدوانيقِ

---

(١) الأبيات من قصيدة طويلة في شعر الأعشين ٢٧٥ منسوبة الى أعشى جلان. وفي البيان ١ : ٥٤ أن معاوية تمثل بها.

(٢) ط: «فاختبر الأرض»، تحريف.

(٣) في شرح شواهد المغني ٣٠١: «أفواه يروى بالرفع فاعلا وبالنصب مفعولا، لأن من قرعك فقد قرعته».

وكان الأقيشر مولعاً بهجاء عبد الله بن إسحاق[١] ، ومدح أخيه زكريّا[٢]، فقال عبد الله لغلمانه : ألا تريحونَا منه ؟ فانطلقوا فجمعوا بَعراً وقَصباً بظهر الكوفة ، وجعلوه فى حُفرة ، وأقبل الأقيشر وهو سكرانُ من الحِيرة ،على بغل رجلٍ مُـكارٍ ، فأنزله عن البغل وعاد ،فأخذوا الأقيشر فشدّوه ثم وضعوه فى تلك الحفرة ، وألهبوا النّار فى القصب والبعر ، وجعلت الريح تلفح وجهَه وجسمَه بتلك النار ، فأصبح ميّتاً ولم يُدرَ مَن قتله . وكان ذلك فى حدود الثمانين من الهجرة .

تتمـــة

ذكر الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) مَن اسمه الأُقيشر ، ومن اسمه الأقيسِر من الشعراء .

فالأقيشر هو المغيرة بن عبد الله الأسدىَ الشاعر المشهور ، وصاحب الشراب .

والأقيسر[٣] هو صاحب لواء بنى أسد ، جاهلى . قال ابن حبيب : اسمه عامر بن طريف بن مالك بن نصر ، وأنهى نسبه إلى دُودان بن أسد بن خزيمة .

* * *

(١) هو عبد الله بن اسحاق بن طلحة بن عبيد الله ، كما فى نهاية الأرب ٤ : ٥٦ .

(٢) هو زكريا بن اسحاق بن طلحة ، وفيه يقول (الأغانى ١٠ : ٨٢) :

قرب الله بالسلام وحيا زكريا بن طلحة الفياض

(٣) الذى فى المؤتلف ٥٥ : « الأقشر » .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الثلثمائة[1] :

٣٣١ (حَتَّى إذا ما خَرَجَتْ من فُمُهْ)

على أنّ تشديد الميم مع ضمّ الفاء وفتحها ضرورة وليس بلغة عند ابن جنّى .

أقول : قاله ابن جنّي (فى سرِّ الصناعة ، فى حرف الميم) وهذه عبارته : اعلم أنّ الميم حرف مجهور ، يكون أصلاً ، وبدلا ، وزائداً .

فالأصل نحو مَرَس وسَمر ورسم .

وأما البدل فقد أبدلت من الواو ، والنون ، والباء ، واللام . أما إبدالها من الواو فقولهم فم وأصله فَوْه بوزن سوط ، فحذفت الهاء تخفيفاً ، فلما بقى على حرفين ثانيهما حرف لين ، كرهوا حذفَه للتنوين فيجحفوا به ، فأبدلوا من الواو ميماً للقرب ، لأنّهما شفهيّان ، وفى الميم هواء فى الفم يضارع امتداد الواو . ويدلّ أنّ فم مفتوح الفاء وجودك إياها مفتوحةً فى هذا اللفظ ، وهو المشهور . وأمَّا ما حكى فيها أبو زيد وغيره ، من كسر الفاء وضمّها ، فضربٌ ٢٨٣ من التغيير لحق الكلمةَ لإعلالها بحذف لامها وإبدال عينها . وأمَّا قول الآخر :

يا ليتَها قد خرجتْ من فُمِّه حتى يعود الملكُ فى أُسطُمِّه

يروى بضمّ الفاء وفتحها ، فالقول فى تشديد الميم عندى أنّه ليس ذاك

---

(١) اصلاح المنطق ٥٦ والخصائص ٣ : ٢١١ وابن الشجرى ٢ : ٣٥ وابن يعيش ١٠ : ٣٣ والهمع ١ : ٣٩ وملحقات ديوان العجاج ٨٩ .

بلغة. ألا ترى أنك لا تجد لهذه الشدة للميم تصرفاً. إنما التصرف كله على: ف و ه، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولونَ بأفواهِهم﴾[1]، وقال الآخر[2]:

فلا لَغْوٌ ولا تأثيمَ فيها ... وما فاهُوا به أبداً مقيمُ[3]

وقالوا: رجل مفوّه: إذ أجادَ القول، لأنه يخرج من فيه. وقالوا: ماتفوّهت به، وهو تفعّلت. وقالوا في جمع أفوه، وهو الكبير الفم: فُوهٌ. ولم نسمعهم قالوا: أفمام، ولا تفمّمت، ولا رجل أفمّ كما قالوا أصم. فدل اجتماعهم على تصريف الكلمة بالفاء والواو والهاء على أن التشديد لا أصل له، وإنما هو عارضٌ لِحقَ الكلمةَ.

فإن قال قائل: فإذا ثبت بما ذكرتَه أن التشديد ليس من أصل الكلمة، فمن أين أتاها؟ وما وجه دخوله إياها؟ فالجواب: أن أصل ذلك أنهم ثقّلوا الميم في الوقف فقالوا: هذا فمّ كما يقولون هذا خالدّ، وهو يجعلّ، ثم إنَّهم أجرَوُا الوصلَ مُجرى الوقف فيما حكاه سيبويه عنهم من قولهم ثلاثهَرْبعة، وكقوله:

* ببازلٍ وَجْناءَ أو عَيْهَلِّ[4] *

(١) الآية ١٦٧ من آل عمران.

(٢) هو أمية بن أبي الصلت. ديوانه ٥٤ والعيني ٢ : ٤٣٦.

(٣) البيت ملفق من بيتين، وهما:

وفيها لحم ساهرة وبحر ... وما فاهوا به أبدا مقيم

وبعده بأبيات:

ولا لغو ولا تأثيم فيها ... ولا غول ولا فيها مليم

(٤) لمنظور بن مرثد الأسدي، كما في نوادر أبي زيد ٥٣ ومجالس ثعلب ٦٠٣. وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢٨٢.

فهذا وجه تشديد للميم عندى [١] .

فإن قلت : إذا كان أصل فم عندك فَوْه ، فما تقول فى قول الفرزدق :

* هُما نفثا فى فىَّ من فمويهما [٢] *

وإذا كانت الميمُ بدلاً من الواو فكيف جاز له الجمع بينهما ؟

فالجواب : أن أبا علىّ حكى لنا عن أبى بكر وأبى إسحاق ، أنهما ذهبا إلى أنّ الشاعرَ جَمع بين العِوض والمعوَّض منه ؛ لأن الكلمة مجهورة منقوصة. وأجاز أبو على أيضاً فيه وجهاً آخر ، وهو أن تكون الواو فى فمويهما لاما فى موضع الهاء من الأفواه ، وتكون الكلمة يعتقب عليها لامانِ : هاء مرة ، وواو أخرى ، فيجرى هذا مجرى سنَة وعِضة . ألا نراهما فى قول من قال سنَوَات ، وأسنتوا ، ومساناة ، وعِضَوات، واويَّن ، وتجدهما فى قول من قال سنة سنْهاء وبعير عاضه ، هائيّين . وإذا ثبت بما قدّمناه أن عين فم فى الأصل واو، فينبغى أن يُقضَى بسكونها ، لأنّ السكون هو الأصل .

فإن قلت : فهلاّ قضيتَ بحركة العين بجمعك إياه على أفواه ، نحو بطل وأبطال ، وقدَم وأقدام ، ورسَن وأرسان ؟

فالجواب : أن فَعْلاً مما عينهُ واوٌ بابهُ أيضاً أفعال ، كسوط وأسواط ، وحوض وأحواض ، ففَوْهٌ لأنّ عينَه واوٌ بسوطٍ أشبَهُ منه بقدم ورسَن . فاعرف ذلك . انتهى كلام ابن جنّى باختصار قدر النصف .

---

(١) فى النسختين : « فهذا حكم تشديد الميم عندى » ، صوابه من النسخة رقم ١٣ ش من الخزانة .

(٢) هو الشاهد ٣٢٦ وقد سبق فى ص ٤٦٠ من هذا الجزء الرابع . وعجزه :

* على النابح العاوى أشد رجام *

وقول الشارح : « والجمع أفام » . يوهم أنه مسموع ، وقد نص ابن جني وصاحب الصحاح على أنَّه لايقال ذلك .

صاحب الشاهد والبيت من أرجوزةٍ للعجاج ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب[1] .

ورواية الشارح للبيت غير جيدة ، والصواب :

* ياليتَها قد خرجَت من فمِّه *

كما هو فى ديوانه . وكذا رواه ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) . يقول :
٢٨٤ ياليتَها قد خرجتْ منْ فمِّه حتَّى يعود الملك إلى أهله . ويجوز أن يكون أراد كلة يتكلَّم بها . وأسطُمُّ الشيء : وسَطه ومعظمه . انتهى .

وقال صاحب الصحاح : يقال فلانٌ فى أسطُمَّة قومه ، أى فى وسطهم وأشرافهم . وأسطمَّة الحسب : وسطه ومجتمعه ، والأُطْسُمَّة مثله على القلب . وأنشد بيت العجاج وقال : أى فى أهله وحقّه ، والجمع الأساطم . وتميم تقول : أساتم ، تُعاقِب بين الطاء والتاء فيه ، وأورد البيت فى مادة الفاء والميم أيضاً .

* * *

وأنشد بعده :

(فلا أعْنِى بذلكَ أسفَليكُمْ ولكِنِّى أُريد به الذَّوِينا)

على أن قوله (الذوين) فيه شذوذان : أحدها قطعُه عن الإضافة ، وثانيهما إدخال اللام عليه .

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ ، ١٧٠ .

وهذا البيت للكميت بن زيد ، من قصيدةٍ هجا بها أهلَ اليمن تعصُّباً لمضر . يقول : لا أعنِي بهجوى إياكم أراذلَكم ، وإنما أعنى ملوككم ، كذى يزن ، وذى جدَن ، وذى نواس ، وهم التبابعة . والأسفلون : جمع أسفل ، خلاف الأعلى . وأراد بالذوين : الأذواء[1] .

وقد تقدّم شرح هذا البيت فى الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب[2] .

تم بعون الله تعالى وحسن تيسيره .
الجزء الرابع من خزانة الأدب
بتقسيم محققه

---

(١) انظر الخزانة ٢ : ٢٨٩ ـ ٢٩٣ .
(٢) الخزانة ١ : ١٣٩ ـ ١٤٣ .

(١)

فهرس التراجم

(ب)

فهرس الشـــواهد

باب خبر كان وأخواتها

باب المنصوب بلا التى لنفى الجنس

باب خبر ما ولا المشبهتين بليس

باب المجرورات : الإضافة

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ – ١٠٩٣

عبد السلام محمد هارون

الجزء الخامس

الطبعة الثانية

١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م

الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة		دار الرفاعي بالرياض

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

مطبعة المدني

المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

التوابع

النعت

أنشد فيه :

وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات إيضاح أبى على الفارسىّ :

٣٣٢ (رَبّاءُ شَمَّاءَ لايأوِى لقُلَّتِها   إلّا السَّحابُ وإلّا الأَوْبُ والسَّبَلُ[1])

على أنّ الموصوف قد يحذف فى الأغلب مع قرينةٍ دالّة عليه ، كما فى البيت . والتقدير : هو رجُلٌ ربَّاء هضْبة شمّاء . فحُذف الموصوف وأقيم الوصف مقامه فى الموضعين ، فإنّ ربَّاء فعّال ، وهو وصف مبالغة من قولهم : هو ربّاء لأصحابه بالهمز ، ربأ يربأ ، من باب منع ، إذا صار ربيئةً لهم ، أى ديدبانا . فى (الصحاح) : المربأة : المرقَبة ، وكذلك المربأ والمرتبأ . وربأت القوم ربئاً وارتبأتهم ، أى رقبْتهم ، وذلك إذا كنتَ لهم طليعة فوق شرَف ، أى موضع مرتفع . يقال ربأ لنا فلان وارتبأ ، إذا اعتانَ . وربأتُ المَربأة وارتبأتها ، أى علوتها . والرَّبِىء والربيئة : الطليعة . انتهى .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢:٣٣ وابن يعيش ٣:٥٨ وديوان الهذليين ٢:٣٧ واللسان (أوب) .

وهو فعيل وفعيلة . فالربّاء وصف مبالغة ، والوصف لابدَّ له من
موصوف . ومن المعلوم أن الذى يرقب الأعداءَ لأصحابه إنّما هو الرجل فى
الغالب (١) . وقيل إنه من ربأت الجبل ، إذا صعِدته وعلوته ، فيكون رباء شمّاء
كقولهم : « طلّاع أنجُدٍ » . وهو مضاف إلى شمّاء ، والشمّاء مجرورٌ بالفتحة ،
وهو مؤنث أشمّ ، من الشَّمم ، وهو الارتفاع . أراد هضبة شمّاء ، فحذف
الموصوف ، بدليل « القُلَّة » وهى رأس الجبل . والهضبة : الجبل المنبسط على وجه
الأرض . ومن المعلوم أيضاً أنّ التى لايأوى إلى قلتها إلاّ السّحاب والمطرُ
لاتكون إلاَّ هضبة . وإضافة رَبّاء إلى شمّاء لفظيَّة . وقال السُّكَّرىُّ (فى شرح ٢٨٥
أشعار هذيل) : إنّ ربَّاء من ربأت الجبل ، إذا صَعِدته وعَلَوته ، فيكون مثل
قولهم : طَلَّاع أنجُد ، لمن هو ركَّابٌ للصِّعاب من الأمور . وقال ابن يعيش (فى
شرح المفصل) : الشاهد فى قوله ربَّاء شماء ، والمراد رجل ربّاء ربوةٍ شماءَ أو رابية
شماءَ . وهو فَعَّالٌ من قولك : ربوت الرابية ، إذا علوتها . وضعَّف العين للتَّكثير ،
والهمزة فى آخرهِ بدلٌ من واوٍ هى لامُ الكلمة ، كهمزة كِساء . ولم ينوِّنْه لأنّه
مضاف إلى شَمَّاء . وشَمَّاء فَعْلاء من الشمم ، يقال جبل أشمُّ ورابية شمَّاء ، أى
مرتفعة .

أقول : ليس فى هذا كثيرُ فائدة ، وهو مع تكلُّفه يدفعه قوله : لايأوى لقُلَّتها
إلاّ السحاب إلخ . فتأمله .

وحكى الأندلسىُّ (فى شرح المفصل) عن الخوارزمى : قلة ربّاء وهضبة
شَمَّاء ؛ لأنَّ الربَّاء هى العالية ، واشتقاقها من الربِّ لعلوِّه على المربوب .

أقول : لاوجه لما ذهب إليه الخوارزمىّ ، فإنَّ رباء من وصف الرَّبِىء لا القُلَّة
كما يأتى ، وهو فعَّال لافعلاء .

---

(١) تعليل لكون « ربيئة » وصفا للرجل .

وقال أبو البقاء (فى شرح الإيضاح لأبى على) : أنَّثَ ربَّاء لما أراد به الربيئة ، وهو الحافظ لأصحابه فى الأمكنة العالية .

أقول : هذا خطأ ، فإنَّ ربَّاء فعَّال لافعلاء .

ورواه بعضهم : « زنّاء شماء » بالزاى المعجمة والنون ، من زنأ فى الجبل يزنأ زنئاً وزنُوءًا ، بمعنى صعِد . وهو مهموز .

وقال بعضهم : إنَّ شمَّاء اسم هضبة ، وهو منقولٌ من الصفة إلى العلَمية ، مثل حَسَن ، فلا شاهد فيه .

أقول : كون شماء اسم هَضْبة ذكره أبو عُبيدٍ البكرىُّ (فى معجم مااستعجم) ، قال : شماء على لفظ تأنيث أشم : هضبةٌ ببلاد بنى يشكر . قال الحارث بن حِلِّزة فى معلقتِه :

بعد عهدٍ لنا ببُرقة شَمَّا ءَ فَأَدنى ديارِها الخَلْصاءُ

لكن الظاهر هنا أنَّ المراد بشمَّاء اسم جنس ، بدليل وصفه بقوله : لايأوى لقلتها إلخ .

فإنْ قلت : أجعل الجملة حالاً من شماءَ لتعريفها .

قلت : صاحب البيت هذلى ، وشمَّاء الهضبة المعروفة فى بلاد بنى يشكر ، مع أنَّ مقامَ المدح يقتضى أنه يربأ كلَّ جبلٍ موصوفٍ بهذا الوصف ، وليس فى جعلها علماً كثيرُ مدح .

وقوله : (لايأوى لقُلَّتها إلخ) هو من أوى إلى منزله يأوِى من باب ضرب أُوِيًّا ، بمعنى أقام . والمراد لايصل إلى قلَّتها . وروى السكرى : «لايدنو لقُلَّتها» .

وضمير قلَّتها لِشمَّاء . وقُلَّة الجبل : رأسه . وروى : «لقُنتَّها» بالنون . والقُنَّة هى القُلَّة .

وقوله : (إلاَّ السَّحاب) هو استثناء مفرَّغ ، أى لايقرب إلى قُلَّتها شىءٌ إلاّ السحاب . وكرَّر إلاّ فى قوله « وإلاَّ الأوْب » للتوكيد . والأوْب ، قال السكرى : هو النَّحل حين تؤوب : ترجع . ويؤيده أنَّه روىَ : «وإلاّ النُّوب» بضم النون ، وهو النحل ، وهو جمع نائب لأنَّها ترعى وتؤوب إلى مكانها ، أى ترجع ؛ وقيل : هو الريح ، ذكره الصاغانى (فى العُباب) . وقال الخوارزمى : هو المطرُ لأنَّه بخار ارتفع من الأرض ثم آب إليها أى رجع ، ولذلك سمِّى رَجْعا ، فسمَّوه أوباً ورجعا تفاؤلاً ليرجع ويؤوب . وقيل لأنَّ الله تعالى يَرجعه وقتاً فوقتاً . وإليه ذهب صاحب (الكشَّاف) عند قوله تعالى : ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الرَّجع [١]﴾ وأنشد هذا البيت على أنَّ المطر تسمَّى رجعاً [٢] كما فى الآية ، وأوْبا كما فى البيت ، تسمية بمصدرَىْ رجع وآب . وذلك أنَّ العرب كانت تزعم أنَّ السحابَ يحمل الماء من البحر ثم يرجعه ٢٨٦
إليه [٣] . قال صاحب (الكشف) : جعل صاحب الكشاف الأوب والسَّبَل بمعنى المطر ، والأولَى ماقيل أنَّ الأوب النحل ، لأنَّها تؤوب إلى محالِّها بعد ما خرجَتْ للنجعة . والسَّبَل . بفتحتين : المطر المنسبِل ، أى النازل .

قال ابن خلف (فى شرح أبيات الكتاب): السحاب اسم عامٌّ للغيم والماء ينسحب فى الأفق ، أى ينجرُّ ، نازلاً ماؤه وغيرَ نازل . والسَّبل : المطر النازل ، فهو إذن أخصُّ من السَّحاب ، ولذلك جاء قوله تعالى : ﴿فترى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِن خِلاله [٤]﴾ ، لمَّا كان الودق الماءَ النازل نفسه .

---

(١) الآية ١١ من سورة الطارق .

(٢) كذا وردت « تسمى » فى النسختين بجعل المطر مؤنثا . والذى فى الكشاف : « سمى المطر رجعا كما سمى أوبا » .

(٣) فى ش : « من بحار ثم يرجعه اليه » . وفى الكشاف : « من بحار الأرض ثم يرجعه الى الأرض » .

(٤) من الآية ٤٣ من النور و ٤٨ من الروم .

صاحب الشاهد

وهذا البيت آخر قصيدةٍ عدّتُها عشرون بيتاً للمتنخِّل الهذَلّى ، تقدمت ترجمته فى الشاهد السادس والسبعين بعد المائتين (١) ، رثى بها ابنه أُثَيلة بضم الهمزة وفتح المثلثة . وهذان البيتان قبله :

أبيات الشاهد

(أقول لمَّا أتانى الناعيانِ به لايَبْعَدِ الرُّمحُ ذو النَّصلين والرّجلُ
رُمحٌ لنا كان لم يُفْلَلْ ننوءُ به تُوفَى به الحَرْبُ والعَزَّاءُ والجُلَلُ
ربّاءُ شمَّاء لا يدنو لقلتها ..... البيت)

قوله : « الناعيان به » فى الصحاح : الناعى : الذى يأتى بخبر الموت .

قال الأصمعىُّ : كانت العرب إذا مات فيهم ميِّت له قدرٌ ركبَ راكبٌ فرسًا وجعل يسير فى الناس ويقول : نعاءِ فلاناً ، أى انعَه وأظِهْر خبرَ وفاتِه . وهى مبنية على الكسر مثل نزال . وقوله : « به » أى بنعيه ، حذف المصدر لدلالة النّاعيات عليه . والمصدر جاء على نَعْى بفتح فسكون ، ونعِىّ على وزن فعيل ، ونُعيان ، بضم النون . والضمير راجعٌ إلى أُثيلةَ المقتول ، وهو ابنُ المتنخِّل . وذلك أنّه كان خرجَ مع ابن عَمٍ له يقال ربيعة بن الجَحدر غازيينِ ، فأغارا على طوائف من فَهْم بن عمرو (٣) بن قيس عيلان ، فقُتِل أثيلةُ وأفلت ربيعة ، فقال المتنخل هذه القصيدة فى رثاء ابنه . وقوله : « لايبعَد الرُّمح » الرمح فاعل يبعَد ، يقال بعِد بَعَداً من باب فرح فرحاً ، إذا هلك . وعادة العرب أن تقول عند ذكر الميت : لايَبعَدْ فلان ! إمّا استعظاماً لموته ، وإمّا رجاءَ بقاءِ ذِكره . ويأتى شرحُ

(١) فى الجزء الرابع ص ١٥٠ .

(٢) ش : «توق به الحرب» بالقاف . وسيأتى فى الشرح التنبيه على الروايتين . واقتصر السكرى فى الشرح ٣ : ١٢٨٥ على رواية الفاء « توفى » .

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط : « فقيم بن عمرو » تحريف . وليس لعمرو بن قيس عيلان إلا ولدان : فهم ، والحارث . انظر جمهرة ابن حزم ٢٤٣ .

هذا مبسوطاً إن شاء الله بعد أبيات . والنَّصل : حديدة الرمح الذى يُطعَن به ، وهو السِّنان ، ويقال لحِديدة السَّهم والسيف والسكين أيضاً . والحديدةُ التى يُركز بها الرُّمح فى الأرض من الطَّرَف الأسفل يقال لها الزُّجُّ ، بضم الزاى المعجمة وتشديد الجيم . وسَمَّى الزُّجُّ نصلاً بالتغليب فقال : النَّصلين ، وإنما غُلِّب على الزج لأنَّ العمل للنصل ، وإذا كان للرمح زُجٌّ كان أمكنَ للطَّعن به . وأراد به رمح المقتول .

وقوله : «والرجل» أراد الرجل الكامل (١) فى الشجاعة والفعل ، وهو ابنه ، وقيل أراد بالرمح ابنه ، شبهه بالرمح الذى له نصلٌ وزجّ ، ويؤيده قوله رمح لنا ، أى هو رمح لنا . وضمير كان راجعٌ إليه ، وجملة لم يفلل خبرها ، أى لم يُكسر ولم يُثْلم ، من الفَلّ بفتح الفاء ، وهو واحد الفلول ، وهى كسور فى الشىء .

وقوله : « ننوء به » أى ننهض به . يقال ناء بكذا أى نهض به مثْقلا . وقوله « توفَى به الحرب » أى تعلى به وتقْهرَ . وهو بالفاء ، وروى بالقاف أيضاً من الوقاية . والعَزَّاء بفتح العين وتشديد الزاء المعجمة : السنة الشديدة . والجُلَل بضم الجيم وفتح اللام : جمع جُلّى ، وهو الأمر الجليل العظيم ، مِثل كبرى وكُبَر ، وصُغرى وصُغَر .

٢٨٧ وفى هذه القصيدة أبياتٌ من الشواهد ، فينبغى أن نورد بقيَّتها مشروحة إجمالا . وهذا مطلع القصيدة :

(ما بالُ عينِكَ أمسَتْ دمعُها خَضِلُ كما وهَى سَرِبُ الأخرَابِ منبزِلُ (٢))

---

(١) ش : « وقوله الرجل : الرجل الكامل » .

(٢) ط : « الأحزاب » صوابه فى ش وشرح السكرى . وقد رواه السكرى : «الأخرات» بالتاء فى آخره ، جمع خرت ، وهو الثقب ، ثم قال : « ويروى : الأخراب » .

هذا خطابٌ مع نفسه . وخَضِل : ندىّ . ووَهَى السقاء ، إذا تخرَّق وانشقّ . والأخراب : جمع خُرْبةٍ [١] بالضم ، وهى عروة المزادة وكلُّ ثَقب مستدير . وسَرِب بفتح فكسر : السائل ، يقال سَرِبت المزادةُ من باب فرح ، إذا سالت . ومنبزلٌ : منشقّ . وقد أخذ ذو الرمة مَطلع قصيدته من هذا فقال :

مابالُ عينِك منها الماءُ ينسكبُ   كأنَّه من كُلَى مَفرِيَّـةٍ سَرِبُ

والكُلَى : جمع كُلية بالضم ، وهى جُليدة مستديرة تحت عرُوة المزادة تُخرزُ مع الأديم .

(لاتفتأ اللَّيلَ مَعْ دمعٍ بأربعةٍ   كأنَّ إنسانَها بالصاب مكتَحِلُ [٢])

لاتفتأ : لاتزال ، يقال جاءنا وعيناهُ بأربعة ، أى بأربعة مدامع أو مَسايل [٣] ، أى تسيل من نواحيها من المأقين واللِّحاظين . والصاب : شجرٌ له لبنٌ مرٌّ إذا أصاب لبنُه العينَ حَلبَها .

(تَبكى على رجلٍ لم تُبْلِ جدّتَه   خَلَّى عَليكَ فجاجاً بينها خَللُ)

لم تُبْل جِدَّتَه : لم تستمتع بشبابه ، من الإبلاء . وروى : « لم تَبْلَ جدّتُه » من البِلَى وجِدَّتُه فاعل . وفجاجاً أى طرقا . بينها خَلَل ، أى فرجة أى كان يسدُّها .

ومعنى خَلَّى تركها . يريد أنَّه لم يمتَّعْ منه ، كما قال ابن أحمر :

لبِست أبى حَتىّ تملَّيتُ برهةً   وبَلَّيت أعمامى وبلَّيت خاليـا

(فقد عجبتُ وما بالدَّهر من عجبٍ   أنّى قُتِلتَ وأنتَ الحازمُ البطَـلُ)

---

(١) ط : «والأحزاب جمع حزبة» ، صوابه فى ش والسكرى .

(٢) عند السكرى : « من سح بأربعة » . وفى ط : « كأن أسنانها » ، صوابه فى ش والسكرى . وإنسان العين : ناظرها ، وهو المثال الذى يرى فى السواد .

(٣) ش : « مسائل » بالهمز ، والقياس التسهيل .

أى كيف قُتِلتَ مع كونك شجاعاً حازما . يقول : لاتعجبْ من الدَّهر ، فإن البَطل يُقتَل فيه ، والضّعيف ينجو فيه ، وفيه أمورٌ مختلفة .

(ويْلُمِّهِ رجلاً تأبَى به غَبَنا إذا تجرَّدَ لاخالٌ ولا بَخَلُ)

هذا البيت من شواهد أدب الكاتب لابن قتيبة . قوله : « ويلمِّهِ رجلا» هذا مدحٌ خرج بلفظ الذمّ ، يروى بكسر اللام وضمها . ورجلاً تمييز للضَّمير . وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى فى باب التمييز [١] . وتأبى مضارع أبى ، بمعنى تكرَه ، والجملة صفة رجلا . والغَبَن بفتح الباء : الخديعة فى الرأى ، وفعله من باب فرِحَ . وبسكونها : الخديعة فى الشِّراء والبيع ، وفعلهُ [٢] من باب ضرب . يقول : تأبى أنت أن تَقبل به نقصانا . ومعنى التجرُّد ههنا التشمُّر للأمر والتأهُّبُ له . وأصل ذلك أنَّ الإنسان يتجرَّد من ثيابه . يقول : إذا حاول فعل أمرٍ أو الدُّخول فى حرب . فصار مثلا لكل من جدّ فى الشيء وإنْ لم يتجردّ من ثيابه . يقول : إذا أتيته قام معك وتجرَّد وجَدّ . وقوله : «لاخالٌ ولا بخل» فيه وجهان : أحدهما الخال الاختيال والتكبُّر ، فخال مبتدأ محذوف الخبر ، أى لافيه تكبُّرٌ ولابخل ، أو هو خبر بتقدير مضاف لمبتدأ محذوف ، أى لاهو ذو خال . وثانيهما : الخال المتكبِّر ، وذكر المصدر وأريد الوصف مبالغة ، أو هو وصف وأصله خَوِل ، فانقلبت الواو المكسورة ألفا كقولهم ، رجل مالٌ ويومٌ راح ، وأصلهما مَولٌ ورَوِح . ويؤيِّده أنّه روى : ٢٨٨
«ولا بَخِلُ» بكسر الخاء . فخال خبر مبتدأ محذوف ، أى لاهو خال ،

---

(١) الجزء الثالث ص ٢٧٣ ، ٢٧٩ .

(٢) ط : « وقوله » ، صوابه فى ش .

ولا ذو بخل ، فيقدرُ فى بخل مضاف لأنّه مصدر . وإن أطلق على الوصف مبالغةً فلا تقدير .

(السالك الثُّغرةَ اليقظانَ كالئُها

مَشْىَ الهلوكِ عليها الخيعلُ الفُضُلُ [١])

أى هو السالك . ويجوز نصبه على المدح : أى أعنى السالك ؛ والثّغرة بالضم والثغر بمعنًى واحد ، وهو موضعٌ يُخاف دخول العدوّ منه . وكالئها : حافظها . والهَلوك من النساء : التى تتهالك فى مِشيتها ، أى تتبختر وتتكسَّر ، وقيل هى الفاجرة التى تتواقَع على الرجال . والخيعل ، بفتح الخاء المعجمة ، قال السكرى : هو ثوبٌ يخاط أحدُ شِقَّيه ويترك الآخر . والفُضل هو الخَيْعل ليس تحته إزار . وقال ابن الشجرى : الخيعل : القميص الذى ليس له كُمَّانِ ، وقيل : ولا دَخاريصَ له . ويقال امرأةٌ فُضُل بضمتين ، إذا كان عليها قميصٌ ورداء وليس عليها إزارٌ ولا سراويل . و (فى العباب) : المِفْضَلَ والفُضل بضمتين . وفى هذا عن الفراءِ [٢] كالخيعل تلبسُها المرأة فى بيتها ، والمرأة فضلٌ بضمتين إذا لبسته . قال الأعشى :

ومستجيبٍ تخالُ الصّنج يُسمِعهُ إذا ترجَّع فيه القينةُ الفُضلُ

المُستجِيب : العُود شبَّه صوته بصوت الصنج ، فكأنَّ الصنج دَعَاه . يقول : هو الذى من شأنه سُلوكُ موضع المخافة ، يمشى متمكِّنا غير فَروقٍ ولا هَيُوب ، كمشى المرأة المتبخترة الفضل [٣] .

(١) ش : « سالكهما » ، وصوابه فى ط وشرح السكرى .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) ط : « والفضل » ، والواو مقحمة .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) :الوجه نصب الثُّغرة بالسالك ، كقولك الضارب الرجلَ ، ويجوز خفضها على التشبيه بالحسن الوجهِ . واليقظان صفة الثُّغرة نصبتَها أو خفضتها ، وارتفع به كالئُها ، وجاز ذلك لعودِ الضمير على الموصوف . وقوله : مشىَ الهلوك ، منصوب بتقدير : تمشى مشىَ الهلوك . وإن شئت نصبته بالسالك ؛ لأن السَّالك يقطع الأرض بالمشى . انتهى.

وقال العينى : لايجوز نصبه بالسالك ، لأنّه موصوف باليقظان ، ولاتعمل الصفة بعد وصفها .

أقول : هذا سهو منه ، فإنّه قال : اليقظان صفة الثغرة كما نقلنا .

والفضل نعت للهلوك على الموضع ، لأنها فاعلة للمصدر الذى أضيف إليها . والتقدير : تمشى كما تمشى الهلوك الفضل . وبه أنشد ابن الناظم (فى شرح الألفية) . وزعم جماعةٌ أنه مرفوع على المجاورة للمرفوع الذى هو الخيعل . وهذا شىءٌ لم يقل به أحدٌ من المحقِّقين . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى بأوسع من هذا فى آخر هذا الباب .

وعلى تفسير الفراء والسكرى للفُضل يكون صفةً للخيعل .

وقد تكلَّم أبو علىّ (فى الإيضاح الشعرى) على المصراع الأول بغير ماذكرنا تمريناً للطالب ، أحببنا ذكره هنا ، قال : إن نصبت كالئَها لم يجز أن تجعلها حالا من السالك وأنت قد وصفته باليقظان ، لأنك حينئذ تفصل بين الصلة والموصول ،ولكن يجوز أن تنصبه حالاً عمًّا فى يقظان ، كأنّه يتيقَّظ فى حال حفظه إياها .ويجوز إذا نصبت كالئَها أيضاً أن تجعله بدلا من اليقظان.

فإن قلت : أفيجوز إذا نصبتُ كالئَها أن أجعلَ الكالىء حالاً من الموصول الذى هو السالك على أن لا أجعل اليقظان صفة للألف واللام ،

ولكن أجعلهُ صفة للثغرة ، فلا يلزم حينئذ إذا جعلتُه حالا أن أكون قد ٢٨٩
فصلتُ بين الصلة الموصول .

(فالجواب) أنّ وصف الثُّغرة باليقظان ليس بالسَّهل ، لأنَّ اليقظان من صفَةِ الرجل دون الثغرة ، وهو مع ذلك مذكَّر ، والثغرة مؤنث .

فإن قلت : فهل يجوز أن أحمل على الاتساع فأقول:ثغرة يقظان ، وأنا أريد يتيقَّظ فيها لشدَّة خوف السالك لها ، كما أقول:ليلٌ نائم أريدُ أنَّه ينُام فيه ، وأحمل التذكيرَ على المعنى ، لأنَّ الثغرة والثغر والموضع واحدٌ فى المعنى ؟ (فالجواب) : أنّك إن حملتَه على هذا لم يمتنع أن يكون كالئَها حالاً من اللام التى فى السالك المنتصب . وإن جعلت اليقظان على هذا الذى ذكرتَه من الاتِّساع جاز أيضا فى الكالئ أن تجعله حالاً مما فى السالك ، مما يعود إلى اللام . ألا ترى أنَّك إذا جعلت اليقظان وصفاً للثُّغرة ولم تجعله صفةً لِلاَّم لم تتم الصلّة ، وإذا لم تتمّ ولم يكن فى الكلام شىءٌ يؤْذن بتمامها من صفةٍ لها أو عطفٍ عليها أو تأكيدٍ يتبعها ، لم يمتنع أن تجعل كالئَها حالاً من الضمير كما وصفنا . فإنْ رفعت كالئُها ورفعت السالك ، جاز أن يكون السالك ابتداءً مثل الضارب هنداً حافظها . فإن نصبت السالك ورفعت كالئُها كان ارتفاع كالئُها باليقظان ، كأنه قال : السالك الثغرة المتيقظ كالئُها ، كأنَّه ثغرٌ مخوف ، يحتاج حافظه أن يكون متيقظا حذراً لايغفُلُ ولايدع التحرُّزَ من شدَّة الخوف فيها. ويجوز أن ترفع اليقظان وتنصبَ السالك وكالئُها ، فيكون اليقظان بدلاً من الذِّكر العائد إلى الألف واللام فى السالك ، فيكون كالئُها حالا من السالك. انتهى كلام أبى على.

وبعد خمسة أبيات قال :

(فاذهبْ فأىُّ فتًى فى الناس أَحرزه
مِن حتفه ظُلَمٌ دُعْجٌ ولا جَبلُ)

هذا الاستفهام معناه النفى ، ولذلك عطف عليه قوله:ولا جبل . وبهذا المعنى استشهد العلماء بهذا البيت ، منهم الفرَّاء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ومالنا أن لانقاتل [١]﴾ ، وقال : هذا البيتُ مما حمل على معنى هو مخالف لصاحبه فى اللفظ ، أى ليس يُحرز الفتى من يومه ظُلَمٌ دُعْجٌ ولاجبل . قال : ومثلُه قول الشاعر [٢] :

* ألا هل أخو عيش لذيذٍ بدائمِ [٣] *

أى ما أخو عيش . ومثله فى قراءة عبد الله : ﴿ كيف يَكُون للمشرِكينَ عهدٌ عِنْدَ الله ولاذمَّة [٤] ﴾ ، أى ليس للمشركين .

وقال الكسائىُّ : سمعت العرب تقول : أين كنتَ لتنجوَ منِّى ؟ أى ماكنت لتنجو منِّى [٥] . وذكر له نظائر كثيرة .

ولهذا أيضا أورده ابنُ هشام (فى مغنى اللبيب) فى الواو العاطفة . وأحرزه بمعنى جعله فى حِرز يمنع من الوصول إليه . ومن حتفِه متعلّق به . والحتف: الهلاك . والظُّلَمُ بضمة ففتحة : جمع ظلماء ، وهى الليالى السُّود . والدُّعْج: جمع دعجاء ، وهى الشديدة السَّواد . والعرب تسمِّى الليلة الأُولى من ليالى المَحَاق الثلاثة فى آخر الشهر : دعجاء،وهى ليلة ثمانية وعشرين؛والثانية: السِّرار بالكسر؛

(١) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٢) هو الفرزدق . ديوانه ٨٦٣ .

(٣) صدره فى الديوان ومعانى الفراء ١ : ١٦٤ :

* يقول إذا اقلولى عليها وأقردت *

والثالثة : الفلتة [١] بالفاء ، وهى ليلة الثلاثين . والجَبَل بالجيم والموحدة ، وروى : « الحِيل » بكسر المهملة ، جمع حِيلة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثلثمائة :

٣٣٣ (وذُبْيَانيَّةٍ أوصَتْ بَنِيها بأَنْ كذَبَ القَراطِفُ والقُروفُ)

على أنَّ الكذب مستَهْجَنٌ عندهم ، بحيث إذا قصدوا الإغراءَ بشىء قالوا : كذب عليك [٢] . أى عليكم بهما فاغتنموهُما . ٢٩٠

وقد بيَّنه الشارح المحقق فى باب اسم الفعل ، بأوضحَ من هذا ، ونزيد هناك ماقيل فيه ، إن شاء الله .

قال الزمخشرى (فى الفائق) عن أبى علىّ : هذه كلمةٌ جرت مجرى المَثل فى كلامهم ، ولذلك لم تَصرَّف ، ولزِمَتْ طريقةً واحدة فى كونها فعلاً ماضيا معلَّقا بالمخاطب ليس إلاّ ، وهى فى معنى الأمر ، كقولهم فى الدُّعاء : رحمك الله .

والمراد بالكذب الترغيب والبعث ، من قول العرب : كذَبتْه نفسُه ، إذا منته الأمانىَّ وخَيَّلت إليه الآمال مما لايكاد يكون [٣] . وذلك مايرغِّب الرجلَ فى الأمور ، ويبعثه على التعرُّض لها . انتهى .

ومضر تنصب بكذب ، وأهل اليمن ترفع به . قال ابن السكيت : يرفعون المُغْرَى به ، ومن نصب فعلى الأمر والإغراء .

---

(١) ط : « الفلبة » بالباء ، صوابه فى ش . وانظر تعليل تسميتها بالفلتة فى اللسان (فلت) .
(٢) أمالى ابن الشجرى : ٢٦٠ والسمط ٤٨٤ واللسان (كذب ، قرطف ، قرف) .
(٣) فى الفائق ٢ : ٤٠٢ : « وخيلت إليه من الآمال مالا يكاد يكون » .

وأورد صاحب (الكشّاف) هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ ووصَّينا الإنسانَ بوالديه حُسْنا [١] ﴾ على أنَّ وصَّى يجرى مجرى أَمَرَ معنى وتصرُّفا . و(القراطف) : جمع قَرْطَفٍ كجعفر ، وهو القطيفة ، أى كساء مُخْمل . و(القُروف) : جمع قَرْف بفتح فسكون ، وهو وعاءٌ من جلد يدبغ بالقرفة بالكسر ، وهى قُشور الرمَّان ، ويُجعَل فيه الخَلْع ويطبخ بتوابلَ فيفرَّغ فيه . والخَلْع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام : لحم يُطبخ بالتوابل ثم يجعل فى القَرْف ، ويتُزوَّد به فى الأسفار . والواو واو رُبَّ . يقول : رب امرأةَ ذبيانيَّة أمرت بنيها أن يستكثروا من نهب هذين الشيئين إن ظفروا بعدوِّهِم وغنموا ، وذلك لحاجتهم وقلَّة مالهم . كذا فى (أبيات المعانى لابن قتيبة [٢]) وفى (نوادر ابن الأعرابى) .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لمعقِّر البارقىّ ، مدح بها بنى نُمير وذكَر مافعلوا بنى ذبيان بشِعب جَبَلة ، وهو يومٌ كانت فيه وقعة بين بنى ذبيان و [بين] بنى عامر ، فظهرت بنو عامر على بنى ذبيانَ فى ذلك اليوم .

ونمير : أبو قبيلة من قيس ، وهو نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن ، وكان معقِّر حليفاً لهم ، وذكر مافعلوا ببنى ذبيان .

أبيات الشاهد

وبعد هذا البيت :

(تجهِّزهُم بما اسْطاعتْ وقالتْ بَنِىَّ ، فكلُّكُمْ بطَلٌ مُسيِفُ
فأخلفْنا مَودتَّها فقاظت وما فى عينها حَذِلٌ نَطوفُ)

وبنىَّ منادى ، أى يابَنِىَّ . والفاء فى « فكلُّكم » فصيحة ، أى إنْ تغزوا فكلُّكم إلخ .

---

(١) العنكبوت ٨ .

(٢) انظر المعانى الكبير ٣٨١ ، ٨٠٤ .

قال ابن قتيبة وابن الأعرابى : المسيف الذى ذَهب مالُه ووقع فى إبله السَّواف . يقال أساف الرجلُ ، أى هلك مالُه . والسَّواف بالفتح وقيل بالضم : مرض المال وهلاكُه . يقال : وقع فى المال سَوافٌ ، أى موت . تعنى أنَّ أولادها فقراءُ . تحرِّضهم على الغنيمة .

وقوله : « فأخلفْنا مودَّتها » الخ أى أخلفْنا هَواها ، وخيَّبنا مأمُولها . وقاظت : أى أقامت فى القيظ ، وهو الصَّيف . والحَذِل بفتح الحاء المهملة وكسر الذال المعجمة : المُوق الذى فيه بَثر وحُمرة . والمأقِى : لغة فى المُوق ، وهو طرف العين ناحيةَ الأنف . ونَطوفٌ أى سائل . يقال نطف الماء ينْطِف بالضم والكسر ، إذا سال .

ومعقِّر بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف المكسورة ، وهو معقِّر بن أوس بن حمار ، على لفظِ واحدِ الحمير ، ابن الحارث بن حِمار [1] بن شِجنْة بن مازن بن ثعلبة بن كنانة بن بارق ، وهو لقبٌ ، واسمه سعد . معقر بن أوس

قال صاحب (العباب) : وبارق:أبو قبيلة من اليمن ؛ واسم بارق سعد بن عدىّ بن حارثة بن عمرٍو مزيقيا بن عامرٍ ماء السماء الأزدى . قيل : بارقٌ ٢٩١
فى الأصل جبلٌ باليمن نزله بنو عدىٍّ بن حارثة فسُمُّوا بِهِ .

وكان قوم معقِّر قد حالفوا بنى نمير بن عامر فى الجاهليَّة ، لدمٍ أصابوه منهم ، وشهدوا يوم جبلة ، وكان [2] معقِّر قد كُفّ بصره ؛ وكان قبل ذلك

---

(١) فى المؤتلف ٩٢ : « معقر بن الحارث بن أوس بن حمار » . وفى الأغانى ١٠ : ٤٤ « معقر بن أوس بن حمار » . وفى ١٠ : ٤٥ : « واسمه سفيان بن أوس . يعنى أن « معقرا » لقب له سمى به لقوله :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له ... كما مهدت للبعل حسناء عاقر

(٢) وكان ، ساقطة من ش .

من فرسان قومه وشعرائهم ، المشهورين يوم جَبَلة ، وكان قبل الإسلام بتسع وخمسين [١] سنة ، قبلَ المولد الشريف النبوى بتسع عشرة سنة . كذا فى الأغانى للأَصبهانىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثلثمائة [٢] :

٣٣٤ (ولَيلٍ يقولُ النّاس من ظُلُماتِه سَواءٌ صحيحاتُ العُيونِ وعُورُها
كأنّ لنا منه بيوتاً حَصينةً مُسُوحاً أعاليها،وساجاً كُسُورُها)

على أنّ مسوحاً وساجاً نعتان لقوله : بيوتا . وصحَّ النَّعت بهما مع أنّ كلاًّ منهما [٣] اسمُ جوهرٍ ، أى جسمٌ ، لتأويلهما بالمشتقّ . فالأَوَّل يؤوَّل بسُوداً ، والثانى بكثيفا .

قال ابن مالك : رفع الأعالى والكسور بمسوح وساج ، لإقامتهما مقام سود .

وقال السيرافى : ذهب بمسوح إلى سُود ، وبساج إلى كثيف . انتهى .

وأورد ابن جنى هذا البيت (فى إعراب الحماسة) مع نظائرَ له ثم قال : وهذا يدلُّكَ مِنْ مذهبها [٤] على أنَّها إذا نقلت شيئاً من موضعه إلى موضع آخر مكَّنته فى الثانى . ألا ترى أنَّ هذه الأشياء كلَّها أسماءٌ فى أصولها ، ولمَّا

---

(١) ش : «بخمس وسبعين» ، ولايستقيم . وفى معجم البلدان : «بسبع وخمسين سنة وقبل مولد النبى ﷺ بسبع عشرة سنة» . وفى العقد ٥ : ١٤١ :« وكان يوم شعب جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبى ﷺ » .

(٢) حماسة ابن الشجرى ٢٠٤ وزهر الآداب ٧٥١ .

(٣) ط : «وصح النعت بها مع أن كلا منها» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٤) يعنى مذهب العرب .

نقلَتْها إلى أن وصفَتْ بها مكَّنتْها وثبَّتت أقدامَها فيه ، حتَّى رفعتْ بها الظاهر ، وحتَّى أنَّثَتْها تأنيث الصِّفة ، وأجرتْها على ماقبلها جَرَيان الصِّفات على موصوفاتها . وعكس ذلك ماأخرج من الصِّفة إلى الاسم فمُكِّن فيه ، نحو صاحب ووالد . ألا تراهم حمَوْا كلامهم أن يقولوا فيه : مررت بإنسان صاحب ، حتّى صار صاحب بمنزلة جار وغلام . انتهى باختصار .

و(المسوح) : جمع مِسْح بالكسر ، وهو البِلَاس بكسر الموحدة وفتحها ، وهو فارسيٌّ معرب أورده الجواليقى (فى المعربات) .وهو يُنسَج من الشَّعَر الأسود .

قال صاحب (الصحاح) : وأهل المدينة يسمُّون المِسْحَ بلاسا . ومن دعائهم : أرانيكَ اللهُ على البُلُس [١] ! وهى غرائر كبارٌ من مسُوح ، يجعل فيها التبِّن فيشهَّر عليها من ينكَّل به ويُنادَى عليه .

(والساج) بالجيم : ضربٌ من الشجر لاينبُت إلاَّ بالهند والزِّنج ، يجلب خشبُه ، وهو أسود . وإليه يشير تفسير الشارح له بِالكثيف . والساج أيضا : الطَّيْلسان الأخضر ، وهو ألوانٌ متقاربةٌ يطلق كلٌّ منها على الآخر . وبهذا المعنى فسَّر الساج ههنا .

صاحب الشاهد قال غلام ثعلب (فى كتاب اليوم والليلة) : يقال إنَّ أشعَر ماقيل فى فى الظُّلمة قول مضرِّس . وأنشد هذين البيتين . ثم قال : يريد الطّيلسان .

وكذلك قال الشريف ضياء الدين هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسينى (فى الحماسة) التى صنَّفها كحماسة أبى تمام ،وزاد عليه أبواباً كثيرة، وأورد

(١) فى اللسان : « البلس » بفتحتين . والصواب أن يكون بضمتين جمعا لبلاس .

فيها أشعاراً جيدة ، وقد أجاد فى الاختيار والنقد عندما أورد هذا الشعر فيها . وعلى هذا يؤوّل الأوّل بسُودا كثيفة ، والثانى بأسودَ لطيف .

وإلى هذا أشار الحُصْرىُّ (فى زهر الآداب) بعد ماأورد البيتين بقوله : أراد أنَّ أعلاه أشدُّ ظلاما من جوانبه . وهذا معلومٌ حِسًّا ، فإن الإنسان إذا كان قائماً فى الظلام لايكاد يرى شيئاً ، وإذا لَطِئَ بالأرض فربَّما رأى شيئاً . ٢٩٢

و(الكسور) : جمع كِسْر بكسر الكاف ، وهو أسفل شُقَّة البيت التى تلى الأرض من حيث يُكسر جانباه ، من يمينك ويسارك . وفى جميع نسخ الشرح : « ستورها [1] » بدل كسورها ، والظَّاهر أنَّه تحريف من الكتَّاب . و(البيوت) : جمع بيت ، قال ابن الأنبارى (فى شرح المفضليات) : البيت عند العرب هو مايكون من صُوف أو شَعَر ، والخيمة لاتكون إلاَّ من شجر .

وضمير أعاليها وكسورها راجعٌ للبيوت . شبَّه الليل بالبيوت الحصينة ، للتحصين بهول الظَّلام ، فإنّه لايقدر أحدٌ أن يهجم على أحد .

وقوله : (وليل يقول الناس) إلخ ، من للتعليل ، (سواء) خبر مقدَّم ، و(صحيحات) مبتدأ مؤخر ،والجملة مقول القول . أى العيون الصحيحة والعيونُ العُور سواءً فى عدم رؤية شيء لتكَاثُفِ الظَّلام . وروى : (بصيرات العيون) . والواو فى وليل هى واو رُبَّ ، وجوابها:تجاوزْته فى بيتٍ بعدهما ، وهو:

أبيات الشاهد (تجاوزْتُه فى ليلةٍ مدلهمَّةٍ   يُنادى صدَاها ناقتى يَستجيرُها)

كأنه أراد بليلة قطعة منها . والمدلهمَّةُ : الشديدة السَّواد . وروى :

---

(١) ط : «سطورها» ، صوابه فى ش .

* تجاوزتُه فى هِمَّة مشمعلَّة *

أى سريعة . والصَّدى من طيور الليل ، وهو ذكر البُوم ، وإنَّما استجار بناقتِه لتفاقم هول الليل ، فأراد أن يصحبَها ليأمنَ . والأصل يستجير بها ، فحذف ووصلَ . قال الشريف [صاحب الحماسة] : من أحسن ماوصف به سوادُ اللَّيل هذه الأبيات . وقبلها بيتان [1] فى وصف اليَوْم وهما :

(ويومٍ من الشِّعرى كأنَّ ظباءه كواعبُ مقصورٌ عليها ستورُها
نَصبتُ له وجهى وكَلَّفتُ حَمْيَهُ أفانينَ حُرجوجٍ بطىءٍ فتورُها)

أى ربَّ يوم من أيام طُلوع الشِّعرى ، وهو الكوكب الذى يطُلع بعدَ الجوزاء ، وطلوعُه فى شدَّةِ الحَرِّ . والكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية التى يبدو ثديُها للنُّهود . وقَصرت الستر : أرخيته . شبَّه الظباء الكانسة من شدّة الحَرِّ بعذَارَى أُرخِىَ عليهن السِّتْر لئلاَّ يراهنَّ أحد .

ونصبت له ، أى لذلك اليوم . ونصب الشىء : أقامَه ، وهو جواب ربَّ . وكَلّف يتعدَّى لمفعولين أوَّلهما : حَمْيه ، أى حَمْىَ ذلك اليوم ، وهو مصدر حَمِيت الشَّمس والنارُ مثلاً ، إذا اشتد حرُّهما . وثانيهما : أفانين ، وهو جمع أفنون بالضم ، وهو الجرى المختلط من جَرْىِ الفرسِ والناقة . كذا فى القاموس . والحُرْجوج ، بضم الحاء المهملة وجيمين أولاهما مضمومة ، وهى الناقة السَّمِينة ، وقيل الشديدة ، وقيل الضامرةُ الوقَّادة القلب . وبطىء بالجر صفةٌ سببيَّةٌ لحرجوج ، وفتورُها فاعل بطىء ، والضميرُ لحرجوج . والفُتور : مصدر فتر من باب دخل ، إذا ضُعف وتعب .

(١) ط : « وقيل بيتان » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

صاحب الشاهد وهذه الأبياتُ لمضرِّس بن رِبْعىّ ، وهو بكسر الراء وسكون الموحدة ، الأسدى . وهو شاعر جاهلى . وهو بضم الميم وكسر الراء المشددة فى اللغةِ : الأسد الذى يَمضَغ لحم فريسته ولا يبتلعه . وقد ضرَّس فريسته تضريسا ، إذا فعل بها ذلك . وقال أبو عَمرو : المضرِّس الذى قد جرَّب الأمور ، وقيل مشتقٌّ من الضِّرس ، أى قد نبتَ [1] له ضِرس الحُلم .

مضرس بن ربعى وهذا نسبُه من (المؤتلف والمختلف للآمدى) : مضرِّس بن ربِعىٍّ ،
٢٩٣ بكسر الراء وسكون الموحدة وتشديد الياء المكسور ماقبلها ، ابن لَقيط بفتح اللام ، ابن خالد بن نَضْلة ، بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ، ابن الأشتر بن جَحْوان بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة ، ابن فَقْعَس بن طَريف بن عَمرو بن قُعين ، بضم القاف ، ابن الحارث بن ثعلبة بن دُودان ، بضم الدال ، ابن أسد بن خُزيمة . وهو شاعر محسِّن متمكِّن ، وهو القائل :

فلا تُهلكنّ النفسَ لَوماً وحسرة   على الشَّىءِ سَدّاهُ لغيرك قادرُه [2]

ولا تيأسَنْ من صالحٍ أن تنالَه   وإن كان بؤسا بين أيدٍ تُبادرُه

وما فات فاتركه إذا عزَّ واصطبر   على الدهر إن دارتْ عليك دوائرُه [3]

فإنّك لاتعطى امرأً حظَّ غيره   ولاتعرف الشِّقّ الذى الغيثُ ماطرُه [4]

وربِعىّ : منسوب إلى الربيع . وأربع الرجلُ ، إذا وُلد له ولدٌ وهو شابٌّ.

---

(١) ط : «ثبت» ، صوابه فى ش .

(٢) ط : «أسداه» ، وأثبت مافى ش والمؤتلف ١٩١ . وفى اللسان : « واذا نسج إنسان كلاما أو أمرا بين قوم قيل : سدّى بينهم » .

(٣) ط : والمؤتلف : «عن الدهر» ، صوابه فى ش . وفى الكتاب العزيز : « واصطبر عليها » .

(٤) ويروى : « قاطره » كما فى حواشى المؤتلف . والى هنا ينتهى نص المؤتلف .

وولده ربعىٌّ . وأصاف فهو مُصِيفٌ ، إذا ولد له بعد ماكبر . وولده صَيفىٌّ .قال الراجز [(١)]:

إنّ بنىّ صِبيةٌ صيفيونْ أفلحَ مَن كان له رِبْعيُّونْ

وذكر الآمدى شاعراً آخر اسمه مضرِّس ، وهو مضرَّس بن قرطة [(٢)]بن الحارثِ المزنى ، شاعر محسِّن مُقِلٌّ ، وهو القائل :

وأقسمُ لولا أن تقولَ عشيرتى صَبَا بسُليمى وهو أشمطُ راجفُ
لخَفَّتْ إليها من [بعيد] مطِيَّتى ولو ضاعَ من مالى تليدٌ وطارفُ [(٣)]
ذكرت سليمى ذِكرةً فكأنّما أصابَ بها إنسانَ عينِىَ طَارفُ
ألا إنّما العينانِ للقلب رائدٌ فما تألف العينانِ فالقلب آلفُ

وليس فى الصحابة من اسمه مضرِّس إلاَّ مضرِّس بن سفيان بن خفاجة . كذا فى الإصابة [(٤)]

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبنى)

وتمامه :

* فمضيت ثُمَّتَ قلت لايعنينى *

وقد تقدم شرحه مستوفًى فى الشاهد الخامس والخمسين [(٥)].

* * *

---

(١) هو سعد بن مالك . انظر نوادر أبى زيد ٨٧ والمحتسب ٢ : ٤٩ .

(٢) وكذا فى المؤتلف بالطاء المهملة . وانظر سمط اللآلى ٨٩٣ .

(٣) فى النسختين:«لحقت» صوابها من المؤتلف . وكلمة :«بعيد» ساقطة من النسختين،وإثباتها من المؤتلف.

(٤) الحق أن فى الصحابة مضرسا آخر.هو مضرس بن عمرو، الثعلبى ذكره ابن حجر برقم ٨٠٠٣.

(٥) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

وأنشد بعده :

(جاءُوا بمذقٍ هل رأيتَ الذّئبَ قَطّْ)

وهذا أيضاً تقدم شرحه مفصلا فى الشاهد السادس والتسعين [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢]:

٣٣٥ (ونَظَرْنَ من خَلَلِ السُّتور بأَعينٍ مَرْضَى مُخالِطِها السَّقامُ صِحاحِ)

على أنّ مخالطها بالجر صفة لأعيُن . قال سيبويه : سمعنا العرب تنشد هذا البيت جرًّا . ومرادُه الردُّ على يونسَ فى زعمه أنّ الوصف إذا كان للاستقبال يجب رفعُه على الابتداء ، ولايجوز إتباعه لما قبلَه . فلو كان كما زعم لرفع الوصف ، فدلَّ روايةُ الجر على جواز مازعمه [٣].

ونصُّ سيبويه : وبعضهم يجعله نصبا إذا كان واقعاً ، ويجعله على كلِّ

٢٩٤ حال رفعاً إذا كان غير واقع . هذا قول يونس .

وكلام سيبويه هنا فيه غموضٌ ، وقد لخَّصه الشارح المحقِّق وبيَّن المذاهب الثلاثةَ بألطفِ عبارة وأظهر بيان ، فلله دَرُّه ، ماأحسن استنباطه وأجود تقريره .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لابن ميَّادة ، وقبله :

قرين الشاهد (وارتَشْنَ حين أردْنَ أن يرمينَنا نَبلاً بلا ريشٍ ولا بقداحِ)

وقوله : وارتشن ، أى اتخذن ريشاً لسهامهِنَّ . وهذا على طريق المثل ، جعل أعينهنّ إذا نظرن بمنزلة السِّهام التى يُرمى بها . ونبلاً إمّا منصوب بارتشن بمعنى

---

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٧

(٣) أى لا علَى وجوبه .

رشن ، وإمَّا منصوب بإضمار رشن ، كأنه قال : ارتشن فرشن نبلاً . تقديره : اتخَّذن ريشاً فرِشن به نبلا . والقداح : جمع قِدح بكسر القاف وسكون الدال ، وهو عود السَّهم قبل أن يُوضع فيه النَّصل والرِّيش . وروى :

* نبلاً مقذَّذة بغير قداح *

والمقذَّذة : السهام التى لها قُذّة ، بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ، وهى ريش السهم . يريد أنّ السِّهام التى أصلحْنَها ورَمين بها ليست بسهامٍ من خشب ، وإنّما هى أعينُهنّ إذا نظرن بها إلى إنسان . وخَلَل الستور، بفتح الخاء المعجمة : الفُرَج التى فيها .

وأورده الزجاج فى معانى القرآن عند قوله تعالى : ﴿ واتَّخَذ اللّهُ إبراهِيمَ خَليلاً ﴾ (١) قال : والخَلل : كلُّ فرجة تقع فى شيء ، فإنّ معناه نظرن من الفرج التى تقع فى الستور . انتهى .

وروى : « من خلل الخدور » جمع خِدر بالكسر ، وهو السِّتر . وجارية مخدَّرة ، إذا أُلزِمت (٢) السِّتر . أشار إلى أنَّهنَّ مصونات لاينظرن إلاّ من وراء حجاب . والعيون المرضى : التى فى طرفها فُتور ، وجعل ذلك الفتور والضَّعف الذى فى نظرها بمنزلة السَّقام فيها وهى صحاحٌ فى أنفسها لاعلّة فيها . وإنما يفتر النظر من رُطوبة الجسم والنَّعمة والتُّرفَة . وصفَ نساءً يُصبن القلوب بفتور أعينهنّ وحسنهنّ ، فجعل نظرهنَّ كالسهام ، ووصف عيونَهن بالمرض لفتور جُفونهن ،ثم بيَّنَ أنَّ فتورها من غير علَّة . فقوله : ونظرن ، معطوف على قوله : وارتشن، ومن والباء متعلِّقان به ،وذكَر (٣)لأجل وصفها المذكور،وإلَّا فالنظر

(١) الآية ١٢٥ من النساء .

(٢) ط : « لزمت » ، وأثبت مافى ش .

(٣) يعنى ذكر « العين » .

لايكون إلّا بالعين . ومرضى : جمع مريض ، **وصف الجمع بالجمع** ، أو جمع مريضة . والسَّقام فاعل مخالط . والصحاح بالكسر : **جمع صحيحة** ، وهو وصف ثالث .

وابن ميّادة شاعر إسلامى ، تقدَّمتْ ترجمته فى الشاهد التاسعَ عشر من أوائل الكتاب (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س (٢) .

٣٣٦ (حَمَيْنَ العراقيبَ العصا وتركْنَه   به نَفَسٌ عالٍ مخالطُـه بُهْـــرُ)

على أنَّ مخالطه بالرفع صفة لنَفَس ، وبهر فاعله ، والإضافة لفظيَّة والتنوين مقدَّر لنية الانفصال ، كالبيت السابق .

قال سيبويه : وإن ألغيت التنوين (٣) وأنت تريد معناه جرى مثلَه منوّنا . ويدلُّ على ذلك أنَّك تقول:مررت برجل ملازمِك، فتجرّ ويكون صفة للنكرة بمنزلته (٤) إذا كان منوَّنا . وتقول : مررت برجلٍ مخالطٍ بدنَه أو جسدَه داء ، فإنْ ألغيت التنوين (٥) جرى مجرى الأوّل إذا أردتَ ذلك المعنى ، ولكنَّكَ تُلغى التنوينَ (٦) تخفيفا . فإنْ قلت:مررت برجل مخالطٍ داء،وأردت معنى الأوّل جرى على الأوّل ، كأنّك قلت:مررت برجل مخالط إياه داءٌ. فهذا تمثيلٌ وإن كان يقْبحُ فى الكلام . فإذا كان يجرى عليه إذا التبسَ بغيره ، فهو

---

(١) الخزانة ١ : ١٦٠ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٧ . وانظر ديوان الأخطل ١٩٨ .

(٣) فى سيبويه ١ : ٢٢٧ : «وإن ألقيت التنوين» بالقاف .

(٤) ط : «بمنزلة» ، صوابه من ش وسيبويه .

(٥) فى سيبويه : «فان ألقيت التنوين» بالقاف .

(٦) فى سيبويه : « تلقى التنوين » بالقاف

إذا التبسَ به [١] أحرى أن يجرىَ عليه . انتهى . ٢٩٥

وفى البيت ردٌّ على يونسَ فى زعمه أنّ الصفة إذا كانت للحال وجب نصبُها على الحال ؛ فإنّ الرواية برفع مخالطه على الإتباع ، مع أنه للحال لا للاستقبال . قال سيبويه : وأُنشدَ غيره ، أى غير ابن ميَّادة من العرب ، بيتاً آخر ، فأجروه هذا المجرى ، وهو قوله:

* حمين العراقيب العصا وتركنه *

والعمل الذى لم يقع والواقع الثابتُ فى هذا الباب سواء ، وهو القياسُ وقولُ العرب . انتهى .

وظهر من هذا أنَّ قول الشارح المحقق : وأنشد غيرُه ، داخلٌ تحت مقول قول سيبويه ، وإن كان ظاهرُ العبارة يُوهم أنَّ المنشد غير سيبويه . وقوله أيضاً : « وليونس أن يحمل رفعَه على الابتداء » هو تخريج الأعلم (فى شرح أبيات الكتاب) . قال : « ويجوز أن يكون رفعهما على الابتداء والخبر» .

وقول ابن خلف : ولم ينصب مخالطه على الحال لأنَّ المخالطَةَ فاعلها البهر ، ساقط ، وما المانع من كونه حينئذ حالاً سببيَّة ، والعراقيب والعصا مفعولان لحمين ، وتركنه معطوف على حمين بمعنى فارقنه . وجملة (به نفس عال) إلخ حالٌ من الهاء . و(البُهْر) بالضم : تتابع النَّفس من التعب . يعنى أَنَّهنّ سِرن سيراً شديداً ففُتْنَ الحادىَ ، فحمين عراقيبَهنَّ من ضربه بالعصا ، فأخذه البُهر لشدَّة عدْوِهِ خلفهنَّ . وقوله :« حمين العراقيب » جواب إذا فى بيتٍ قبله ، وهو :

(إذا اتَّزر الحادى الكميشُ وقوّمَتْ
سوالفَها الرُّكبانُ والحَلَقُ الصُّفْرُ)

(١) فى النسختين : « ألبس به » ، وأثبت مافى سيبويه .

واتَّزر بمعنى لبس الإزار . والحادى : سائق الإبل . والكميش : السَّريع الماضى . وقد كمُشَ بالضم كماشةً ، فهو كمِشٌ وكميش . وقوّمَت : عدّلت . والسوالف : جمع سالفة ، وهى من الإبل والخيل : الهادية ، أى ماتقدّم من العُنق ، وهو مفعولٌ مقدّم ، والرُّكبان فاعل مؤخر . والحلق معطوف على الركبان ، وهو جمع حَلَقة بالتحريك أيضاً ، وأراد البُرَةَ ، وهى حَلْقة من نحاس تُجعل فى أنف الإبل ، لتذليلها . والصُّفر : النُّحاس بضم الصاد وكسرها .

وصف فى هذين البيتين سرعةَ الإبل .

صاحب الشاهد — وهما من قصيدة للأخطل ، وهو شاعرٌ نَصرانىٌّ من شعراء الدولة الأموية ومادِحيهم . وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والسبعين (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الثلثمائة :

٣٣٧ (قولُوا لهذا المرءِ ذو جاءَ ساعياً   هلُمَّ فإنَّ المشرفىَّ الفَـرائضُ (٢))

على أنَّ « ذو » الطائية إنما وقعت وصفاً وإن كانت على حرفين ، لمشابهتها لذو الموضوعة للوصف بأسماء الأجناس .

صاحب الشاهد — وهذا البيتُ أوّل أبياتٍ ثلاثة لقَوَّالٍ الطائى ، أوردها أبو تمام فى الحماسة .

و(الساعى) : الوالى على صدقة الزكاة . يقال سعَى الرجل على الصَّدقة يسعى سعيا : عمِل فى أخذها من أربابها . و(هلمَّ) : أقبلْ وتعالَ . و (المشرفىُّ) بفتح الميم والراء هو السَّيف ، نُسب إلى المشارف ، وهى قرًى كانت السيوف

---

(١) الخزانة ١ : ٤٥٩ .

(٢) انظر الإنصاف ٣٨٣ والأشمونى ١ : ١٥٧ والحماسة بشرح المرزوق ٦٤٠ .

تُصنَع فيها . و (الفرائض) : جمع فريضة ، وهى الأسنان التى تصلح أنْ تُؤخذ فى الصَّدقات . قال صاحب الصحاح : الفريضة مافُرِض فى السائمة من الصَّدقة ، يقال أفرضَتِ الماشيةُ ، أى وجبت فيها الفريضة ، وذلك إذا بلغت نصاباً . يقول : أبلغا هذا الرجل الذى جاء لأخذ الصدقات : تعال (١) فإنّ لك عندنا السيفَ بدلاً من الفرائض .

٢٩٦ قال التِّبريزى : وهذا مأخوذٌ من المثل السائر : « خُذْ من جِذعٍ ماأعطاك » . وجذعٌ : رجل مُصَدِّق ،فطَلب منه فوق حَقِّه ، فقتله جذعٌ .

(وإنَّ لنا حمَضاً من الموت منقَعاً وإنّك مُخْتلٌّ فهل أنت حامضُ)

أى وقولا له : إنّ لنا حَمضا ، بفتح المهملة ، وهو من النَّبات ماله ملوحة ومرارة . والخُلَّة ، بضم المعجمة :ماكان حلواً من النبات .تقول العرب: « الخلة خُبز الإبل ، والحمضُ (٢) فاكهتها »، ويقال لحمها . ومنه قولهم للرجَّل إذا جاء متهدِّدا : « أنت مختلٌّ فتحمّض » . المختلُّ : الذى يرعى الخلَّة . قال التبريزى : وما فى البيت مثل ؛ يقول : قد مللتَ العافية والسَّلامة ، هلم إلى الشّر . والخلَّة مثل ضربه للحياة ، والحمض مثلٌ ضربه للموت . يقول : إن ضاق صدرُك من الحياة فأتنى مصدِّقا فإنِّى أقتلك . والمُنقع بزنة اسم المفعول : الثابت . يقال « انقع له الشرَّ حتىّ يسأم » ، أى أَدِمْهُ .

(أظنُّكَ دونَ المال ذو جئت تَبتغى ستَلقاك بِيضٌ للنُّفوس قوابضُ)

المال : الماشية ، ودون متعلّق بأظنك لا بجئت ولا بتبتغى ، لأنّ معمول

(١) ش : «يقال» ، تحريف مافى ط . وفى شرح الحماسة : « أقبل وتعال » .

(٢) ط : « والحمضة » ، صوابها فى ش .

الصلة لايتقدّم على الموصول ، وذو هو المفعول الثانى للظن [١] بمعنى الذى . والبيض : السُّيوف . أراد التهكم ، وقد خلط به التوعُّد والاستهانة ، ولذلك قال : أظنك . وتبتغى جملة حالية ، ومفعوله محذوف ، والمعنى أحسبك الذى جاء دون المال تبتغى صدقاته ، سترى ما أُهَيِّئُ لك من سُيوف تنتزع الأرواح .

قوال الطائى

وقوّال الطائى بفتح القاف وتشديد الواو : شاعرٌ إسلامىٌّ فى آخر الدولة الأموية ، وقد أدرك الدولة العباسيَّة .

خبر الأبيات

وقال هذه الأبياتَ فى مصدِّق جاء يطلب منهم إبل الصدقة . وسببُها هو ماروَاه أبو رياش (فى شرح الحماسة) قال : كان من خبر هذه الأبيات أنّ معدان بن عبيد بن عدىّ بن عبد الله ، حدَّث أنه تزوّج امرأةً من بنى بدر بن فَزارة ، قال : وكان شبابٌ من بنى بدرٍ يزوروننا ، فأدرك الثمارُ فاجتمعوا على نبيذ لهم مع شباب منّا ، فأسرع فيهم الشَّراب ، فوقع بينهم كلام ، فوثب غلامٌ منا فضرب شابًّا من بنى بدر فشجَّهُ فمات منها [٢] ، فقلت للبدريين : لكم دية صاحبكم . فأبَوْا إلاَّ أن يُدفع الطائىُّ إليهم ، وأبيت أن أفعل ، فأتوا صاحبَ المدينة فى ذلك ، وكنَّا قد منعْنا الصّدقةَ حين وقعت الفتنة ، فكتب أميَّةُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان عاملُ صدقةِ الحليفَين : طيِّيء وأسد ، إلى مروانَ الحمار آخِرِ ملوك بنى أمية ، يخبره بمنعنا الصدقةَ وقَتْلِنا الرجل ، فكتب إليه : أنْ سيِّر إليهم جيشاً . وكتب إلىّ : أنْ مكِّن البدريِّين من صاحبهم ، وأدِّ الصدقة ، وإلاَّ فقد أمرتُ رسولى أن يأتيَنى بك ، وإن أبيتَ أتانى برأسك ، ثم والله لأبيلَنّ الخيلَ فى عَرَصاتك ! فأَمرتُ بضرب عنُق

---

(١) ش : « لظن » .
(٢) وكذا عند التبريزى . والمراد : من الشجة .

الرسّول . فقال الرَّسُولَ : إنّ الرسّول لايُقتل ، وإنى لأسيرُ فيكم يامعشرَ طيِّيء استحياءً ! فقلت : قد صدقت ، وخلَّيت سبيله ، وقلت له : قل لمروان : آليتَ تُبيل الخيلَ فى عرصاتى وبينى وبينك رملُ عالج (١) ، وعديد طيِّيء حولى ، والجبَلان خلفَ ظهرى ، فاجهَدْ جَهْدَك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت .وكتبت إليه :

ألا مَنْ مبلغٌ مروانَ عنِّى　　على ماكان من نأيِ المزارِ
ألم ترَ لِلخِلافة كيف ضاعَتْ　　إذا كانت بأبناء السّرارى
إذا كانت بذى حُمق تراه　　إذا مانابَ أمرٌ ، كالحمارِ ٢٩٧

وكتب إليه غالبُ بن الحُرِّ الطائىّ :

لقد قلتُ للركبان من آل هاشمٍ　　ومِن عبد شمس والقبائلُ تسمعُ
قفوا أيُّها الركبانُ حتى تَبيَّنوا　　ويأتيكم الأمرُ الذى ليس يُدفَعُ
وحتَّى تروّا أيـنَ الإمـامُ وتشعَبـوا　　عصا المُلك إذْ أَمسى وبالملك مَضيَعُ
أرى ضيعةً للمال أن لا يضمّه　　إمـامٌ ولا فى أهلـه المالُ يُودعُ

فكتب إلى عبدِ الواحد بن منَيعٍ السَّعدىٌ من سعد بن بكر ، وإلى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان : أن سِرْ بأهْل الشامِ وأهل المدينة وأهل البوادى وقيسٍ وغيرهم ، إلى مَعْدانَ حتّى تأخُذوا منه الصَّدقة وتُقيدوا البدريّين من صاحبهم ، وأوطِئوا الخيلَ بلادَ طيِّئٍ وائتونى بمعْدان ! فسار أميَّةُ فى ثلاثين ألفاً من أهل المدينة والشام والوادى ، من قيس وأسد ، وبعث إلى كلِّ

(١) ط : « عاجل » ، صوابه فى ش وشرح التبريزى للحماسة فى مقطوعة أدهم بن أبى الزعراء ٢ : ١٧٠ .

صاحبِ ذَحْل ودِمنةٍ [١] يطلبها فى طيِّىء ، وقدَّم على مقدَّمته رجلاً يقال له الحريز بن يزيد بن حَمَل ، من الضِّباب ، وثارت قيسٌ تطلب الثأر من طيِّئ . قال معدان : وكنت فى اثنى عشر ألفا ، فلما انتهيت إلى عسكر أمية إذا جبالُ الحديد وعسكرٌ لايُرى طرفاه ، فرفع طيِّىءٌ النار على أجأ فاجتمعوا ، فنحروا الجُزُر وعملوا من جلودها دَرَقا ، وطَعِموا من لحومها ، فقلت : يابنى خَيبرىٌّ ويامعشَر طيِّىء ، هو والله يومُكم لبقاءِ الدَّهر أو الهَلاك ، فإذا وقَعَ النَّبلُ عندكم فقبَحَ الله أجزعَ الفريقين ! فصافَفْناهم فرمَوْا بالنَّبل ، ثمَّ شددنا عليهم شَدَّةَ رجلٍ واحد ، فما كان إلاَّ سيفٌ أوسيفان حتّى قُتل الحَريزُ وسِرْحانُ مولى قيس ، واستحرَّ القتلُ فى قيس لأنَّهم حامَوْا عن الحريز ، وكان يلى المعادن [٢] ، فقتل من قيس ثلثمائة ، وانهزموا أقبحَ هزيمة وأسوأها ، فأُتِيتُ بأميَّة أسيراً فخلَّيت سبيله ، وأُتيت بجاريةٍ له فألحقتها به إلى المدينة ، وناديت أن لايتبْعوا مُدْبراً ولايُجهِزُوا على جريح ، وإنَّ الكتابَ الذى كتبه مروان لفى أيدينا مانحسن أن نقرأه ، وجَدْناه فى متاعه ، حتى قرأه بعضُ فتيانى فإذا فيه : اقتلْ واسْبِ . وبالله لو كنتُ علمتُ مافى الكتاب ماأفلتَ منهم صبىٌّ ! فكتب صاحبُ المدينة إلى مروان يخبره بما صنعَتْ طيِّىء من قتل الحريز وسِرحان ، وأسْر أمية وقتل ابنه ، ومالقيت قيس ، ومن أجاب دعوتَه . فوجَّه مروان من عنده ابن رَباح الغَسَّانى [٣] فى عشرة آلاف ، فكتب ابنُ هبيرة إلى مَرْوان بقتل ابن ضُبارة وفُصول قحطبة متوجِّها من الرى . فقال : ماتصنع

---

(١) الدمنة : الحقد الذى يدمن الصدر ويفسده .

(٢) المعادن : المواضع التى يستخرج منها جواهر الأرض ، والمشهور فى ذلك معادن القبلية من نواحى الفرع بالمدينة .

(٣) فى شرح التبريزى : « ابن رياح » بالياء التحتية المثناة .

بشَغْل عشرة آلاف فى قتال أعراب طيِّء ! فصرَفهم إلى ابن هبيرة .

قال مَعْدان : وكتبتُ إلى قحطبة وبعثْتُ رسولاً فوافقه بهمَذان (١) والجيشُ بنهاوَنْد ، فكتب إلىَّ يسدِّد رأيى ويصوِّب أمرى ، ويُخبر أنه لو قدِم الكوفة بعث إلىَّ جندا .

ثم كان من أمر قَحطبة ماكان ، وقام أبو العبَّاس السَّفَّاح فقدِمت إليه فى مائتى رجل من طيِّئ ، فأمر لى بعشرين ألف درهم وخِلعة ، وأمر لأصحابى بثلاثمائةٍ ثلاثمائة ، وخصّ قوماً نحواً من ثلاثين رجلا بخمسمائة درهم لكلِّ رجل ، ولعشرةٍ منهم بألِفٍ لكلِّ رجل ، فوالله مارزأنا مروان ولاجندَه ولاعمّالَه شاةً ولابعيراً ، وإنَّا لأوَّلُ من نقَم عليه ونَصرَ آل محمد ، حتى انتهى ٢٩٨
إلينا صاحبُنا قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان ، ولجأ إلىَّ يومئذ فِراراً من الحرب عبدُ العزيز بن أبى دَهْبل الجعفرى ، وكنَّا أخوالَه ، فقال عبد العزيز يمدح معدان فى قطعةٍ :

وإنَّ امرأً مَعدانُ فى الحرب خالُه إذا ماالحتْنى من دونه لمنيعُ (٢)

وقيلت أشعار كثيرة فى تلك الوقْعة ، أورد بعضها أبو تمَّام فى الحماسة (٣).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات سيبويه (٤) :

---

(١) ط : « بهمدان » ، صوابه فى ش ، وهو بالذال المعجمة اسم للبلدة المعروفة لا للقبيلة .

(٢) ط : « ماالجتنى » ، وأثبت مافى ش مع أثر تصحيح . وفى التبريزى : « احتبى » .

(٣) يشير إلى الأرجوزة البائية التى أولها :

قد صَبحت معن بجمع ذى لجب قيسا وعُبدانهُــم بالمنتهب

(٤) فى كتابه ١ : ٢٢٢ .

٣٣٨(ولا تَجعلِي ضَيفيَّ ضَيْفٌ مقرَّبٌ وآخرُ معزولٌ عن البيت جانبُ)

على أنّه يجوز القطعُ إلى الرفع فى خبر نواسِخ المبتدأ ، فإنَّ جَعَلَ هنا بمعنى صيَّر ، من نواسخ المبتدأ والخبر ، ينصبهما على المفعولية ، وضيفيَّ المفعول الأول وهو فى الأصل مبتدأ وهى مثنًّى مضافٌ إلى ياء المتكلم ، وضيفٌ مقرّبٌ وآخرُ ، بتقدير وضيفٌ آخر ، كانا فى الأصل منصوبين على أنَّهما مفعولٌ ثان لَجعَل ، وفُرِق بينهما بالعطف لأجْل وصف كلٌّ منهما بصفة تغاير صفةَ الآخر ، فقطِعا من المفعولية إلى المبتدأ ، فيكون الخبر محذوفاً ، أى منهما ضيف مقرَّب ، ومنهما ضيف آخر إلخ . أوْ هما خبران لمحذوفٍ ، أى أَحدهما ضيفٌ مقرَّب وثانيهما ضيفٌ آخر إلخ . وجملة المبتدأ والخبر فى محل نصب على أنها المفعول الثانى لجعل .

قال سيبويه بعد إنشاده هذا البيت:والنصبُ جيِّدٌ كما قال الجعدىّ:

وكانت قشيرٌ شامتاً بصديقها وآخـرَ مزريًّا عليـــه وزاريـــا

قال الأخفش : يعنى النصب فى ضيف على البدل . ورفع جانب بتقدير : هو جانب .

أقول : صوابه النصب على أنّه مفعولٌ ثان لا على البدل ، وشامتاً فى البيت نصبٌ على أنه خبر كان . ولم يجعل الكلام تبعيضاً ، ولو رفع شامتا لكان التقدير منهم شامتٌ ، والجملة حينئذ خبرُ كان .

هجا قُشَيراً،وهى قبيلةٌ من بنى عامر،وكان بينه وبينها مهاجاة ،فجعل

منهم من يشمت بصديقهِ إذا نكب . وجَعَل بعضهم يرزأ بعضاً (١) ، للؤمهم واستطالة قويِّهم على ضعيفهم . وبنى مَرْزِيًّا على تخفيف الهمزة ، ولو بناه على الأصل لقال مرزوءا (٢) . وجانب بمعنى المجانب والمتنحِّى .

صاحب الشاهد

والبيت للعُجَير السَّلولى خاطب به امرأته . يقول لها : سوِّى بين ضيفىَّ فى التقريب والإكرام ، ولا تكرمى بعضاً وتهينى بعضا .

العجير السلولى

والعُجَير ، بضم العين المهملة وفتح الجيم ، كنيته أبو الفرزدق : وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) : هو مولى لبنى هلال . ويقال هو العجير ابن عبد الله بن عَبيدة ، بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن كعب . وأنهى نسبَه إلى مرَّة بن صعصعة . قال : وهم سَلول (٣) . انتهى .

وفى الأغانى (٤) : العجير بن عبد الله بن عَبيدة بن كعب ، ويقال ابن عُبيدة بضم العين ، واسمه عمير ، من بنى سَلول بن مُرة بن صعصعة ، أخى عامر بن صعصعة . وأمُّ بنى مُرّة سَلولُ بنتُ ذُهل بن شيبان بن ثعلبة ، غلبت عليهم وبها يُعرفون . ويكنى العجير أبا الفرزدق ، وأبا الفيل . شاعرٌ من شعراء الدولة الأمويَّة ، مُقِلٌّ إسلاميّ . انتهى .

---

(١) ط : « يزرى بعضا » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « مزرأ » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وهذا كله لايتسق الا مع رواية الشنتمرى لآخر البيت : « مرزيا وآخر رازيا » والذى فى نسخ سيبويه وكذا الديوان ١٧٨ : « مزريا عليه وزاريا » ، من الزراية .

(٣) المؤتلف ١٦٦ . وفى جمهرة ابن حزم ٢٧١ : « بنو مرة بن سلول — وهم أمهم — ابن صعصعة بن معاوية » . ثم قال : « سلول هذه بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة » . فبنو مرة هؤلاء هم بنو سلول .

(٤) الأغانى ١١ : ١٤٦ .

قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : عُجير : اسمٌ منقول .
٢٩٩ ويحتَمل أن يكون مصغّر عَجُر من قولهم : عجر عنقه إذا لواها ، ويحتمل أن يكون مصغَّراً مرخّما ، من أعجر ، وهو النَّاتىء السرَّة . وأمَّا سلَول فاسمٌ مرتجل غير منقول . انتهى .

وله خبرٌ مع بنت عمِّه ، يأتى إنْ شاء الله تعالى فى باب الجوازم [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات سيبويه [٢]:

٣٣٩ (فأصبَحَ فى حيثُ التقينا شَريدُهم
طَليقٌ ومكتوفُ اليدين ومُزْعَفُ)

لما تقدَّم فى البيت الذى قبله ،من أنه يجوز القطع إلى الرفع فى خبر النواسخ ، فإنَّ أصبحَ هنا من أخوات كان ، وشريدهم اسمها ، وطليق ومابعده كان فى الأصل منصوباً على أنَّه خبر أصبح ، فقُطع عن الخبرية ورُفع على أنَّه مبتدأ وخبره محذوف ، أى منهم طليق ومنهم مكتوف إلخ ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، أى بعض الشريد طليق إلخ . والجملة فى محلِّ نصب على أنَّها خبر أصبح ، ويجوز أيضا النصب كما قال سيبويه ؛ فيقال طليقا ومكتوفا ومزعفا .

فإن قلت : أيجوز أن يكون طليق مقطوعا عن الحالية ويكون خبر أصبح قوله : فى حيث التقينا ؟

قلت : لايجوز معنىً ، فإنَّ المقصود تقسيم الشَّريد وتبيين أنواعه بما ذكر ، لا أنه ذكر فى موضع الالتقاء .

(والشريد) واحدٌ يؤدِّى معنى الجمع ؛ لأنه واقعٌ على كلّ من شرَّدته

---

(١) فى الشاهد السابع والتسعين بعد الستمائة ، وهو :
وما ذاك أن كان ابن عمى ولا أخى ولكن متى ما أملك الضر أنفع
(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٢ . وانظر ديوان الفرزدق ٢٩٩ .

الحرب ، فهو يعمٌّ ما ذكر . قال الأخفش : يريد : أصبحوا منهم قتيلٌ ومنهم مكتوف ، لا أنَّ الشَّريد وحدَه اجتمع فيه ماذكره . وقال ابن خلف : لايصِحُّ أن يكون فى حيث التقينا خبر أصبح،لأنَّ ظرف الزمان لايصحُّ أن يكون خبراً عن الجثَّة . وهذا سهوٌ ؛ لأنَّ حيث للمكان ، لا للزمان . و(الشريد) : الطَّريد . و(الطليق) : الأسير الذى أطلقَ عنه إساره . والإسار ، بالكسر : القِدّ ، ومنه سمِّى الأسير ، لأنهم كانوا يشدُّونه بالقِدّ ، ثم سمِّى كلُّ أَخيذٍ أسيرا وإنْ لم يشدَّ به . و(المكتوف) من كتفت الرجل ، إذا شددت يديه إلى خلفٍ بالكِتاف . قال ابن دريد : الكِتاف بالكسر : حَبلٌ يشدُّ به وظيفُ البعير إلى كتفيه . و(المزعَف) بالزاى المعجمة والعين : اسمُ مفعولٍ من أزعفته . قال الأصمعى : أزعفته وازدعفته ، إذا أقعصته . يقال ضربه فأقعصَه أى قتله مكانَه . وقال الخارَزنجى : أزعفت عليه ، إذا أجهزتَ عليه وتمَّمت قتله . وقال الأعلم : رواه حَملة الكتاب « مُزعِف » بكسر العين ، ومعناه : ذو زُعافٍ ، أى ذو صَرْع وقتل ، وليس بجارٍ على الفعل . وقال ابن خلف : ورواه غيرهم بفتح العَين ، من أزعفه الموتُ إذا قاربه ، وهو مأخوذ من قولهم : موت زُعاف وذُعاف ، أى معُجَّل . انتهى .

وإلى هذا ذهب الشارح المحقِّق . قال الصَّاغانى (فى العباب) : زعفه يزعفه زَعْفًا من باب منع ، أى قتله مكانَه . وسمٌّ زعاف وذُعاف بضم المعجمتين ، أى قاتل .

وهذا البيتُ من قصيدةٍ طويلة ، عدَّتها مائةٌ وخمسة وعشرون بيتا ، للفرزدق ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب [1]. صاحب الشاهد

وهى قصيدةٌ افتخاريَّةٌ هجا فى آخرها . ومنها وهو قبل البيت :

(١) الجزء الأول ص ٢١٧ .

(وأضيافِ ليلٍ قد نقَلْنا قِراهمُ   إلينـا فأتلفْنـا المنايـا وأتلفـوا
قريناهُم المأثورةَ البيضَ قبلها   يَثُجُّ العُروقَ الأزْأَنىُّ المثقَّفُ
فأصبح فى حيث التقينا شريدُهم   البيت)

٣٠ قوله : وأضيافِ ليلٍ ، الواو واو ربّ ، والأضياف هنا كنايةٌ عن الأعداء الهاجمين عليهم ليلاً . قال الصغانى فى مادة تلف ، وقد أورد هذا البيت : هؤلاء غَزِىٌّ غزَوهم . يقول : فجعلناهُم تلفاً للمنايا ، وجعلونا كذلك ، أى وقَعْنا بهم فقتلناهم ، أى صادفنا المنايا مُتلفة وصادفوها كذلك ، كما تقول : أتينا فلاناً فأبخلناه وأجبنَّاه ، أى صادفناه كذلك . انتهى .

فالهمزة فى أتلَفْنا للوِجْدان . وغَزِىٌّ فى كلامه : جمع غازٍ مثل قاطن وقَطِين ، وحاجّ وحجيج . أو هو بضم الغين وتشديد الزاى المفتوحة : جمع غازٍ أيضاً ، كسابق وسُبَّق .

وقوله : « قريناهم المأثورة » إلخ يقال قريت الضيفَ قِرًى ، أى أحسنت إليه . وهذا من قبيل الاستعارة التهكميَّة . قال صاحب الصحاح : المأثور : السَّيف الذى يقال إنَّه من عمل الجنّ . قال الأصمَعىُّ : وليس من الأَثْر الذى هو الفِرِنْد . والبِيض : السُّيوف أى البيض المأثورة . ونَجَعت الماء والدَّمَ بالجيم ، إذا سيَّلته ، فالعروق مفعولٌ بتقدير مضاف ، أى دم العروق . والأزْأَنىّ فاعل . قال صاحب الصحاح : ذو يَزَنَ ملكٌ من ملوك حِمير تنسب إليه الرِّماح اليزنية ، يقال رمح يَزَنىٌّ وأَزَنىٌّ ويزأنىٌّ وأزْأَنىٌّ . والمثقَّف : المعدَّل . والتثقيف : التعديل . وقوله : «قبلها» ، أى قبل المأثورة البيض . يقول : طاعنَّاهم بالرِّماح قبل أنْ جالدناهم بالسُّيوف .

وفى هذه القصيدة شاهدٌ آخر يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى باب العطف (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد الثلثمائة :

٣٤٠ (كأنَّ حُمولَهمْ لمَّا استقلّتْ ثلاثةُ أكلبٍ متُطارِدانِ)

على أنَّ بعضهم أجاز وصفَ البعض دون بعض ، محتجًّا بهذا البيت .

لم أر هذا البيتَ إلاّ فى (كتاب المعاياة للأخفش) ، وهو على طريقة أبيات المعانى . ونصُّه : قال بعضهم : إنَّ هذا شعر وُضع على الخطأ ليعلم الذى يسأل عنه كيف فهمُ مَن يسأله . وقال بعضهم : لا ولكنه وصَف اثنين منها وأخبر عنهما بتطاردَ ، وأجاز مررت برجلين صالح ، وصف أحد الرجلين وكفَّ عن الآخر ، ومررت بثلاثة رجالٍ صالحَيْنِ . ولايقول هذا كلُّ أحد . وقد يحتمله القياس . انتهى كلامه .

ويجوز أن يقرأ (متطاردان) باسم الفاعل ، وأن يقرأ (يتطاردان) بالمضارع . وعلى كلٍّ منهما هو وصفُ ثلاثة لكنْ بإلغاء واحدٍ منها . ويشبه هذا قول جَرير :

صارتْ حَنيفةُ أثلاثاً فثُلْثُهمُ من العَبيدِ وثُلثٌ من مواليها

قال ابن السيد (فى شرح كامل المبرد) : هذا مماً عيب عليه ، لأنّه لم يذكر الثالث .

قال الآمدىّ : لمَّا قال جرير هذا البيت قيل لرجلٍ من بنى حنيفة : من أىِّ الأثلاث أنت ؟ قال : من الثلث الملغَى . انتهى .

وأراد جريرٌ بالثلث المتروك أشرافَهم وترك الثالث عمداً ، لأنَّه فى مقام

(١) الشاهد ٣٥٧ .

الذم لايُثبت لهم أشرافاً صراحة . و(الحمول) بضم الحاء المهملة والميم ، هى الإبل التى عليها الهوادج ، كذا (فى العباب) . و(استقلّت) : ارتفعت . واستقلَّ القوم : ارتحلوا ومضَوا . و(التطارد) ، و (المطاردة): أن يَحملَ بعضُهم على بعضٍ فى الحرب . و (أكلب) : جمع كلب ، جمع قِلّة .

وفى هذا البيت مبالغةٌ من الهجو ، فإنَّ الإبل التى يعدُّونها عندهم كثيرةً عدَّتها ثلاثة لاغير ، وإنَّها صغيرةٌ فى الجثَّة جداً ، حتّى إنّها مع ماعليها
٣٠١ فى مقدار جِرْم الكلاب ، وإنها ليس عليها مايثقلها [1] من الأثاث والمتاع ، ولذلك تطاردت لخفَّة ماعليها ، وإنَّ بعضَها هزيلٌ جداً لا يَقِدر على الطِّراد . هذا ماسنح لى [2] ، والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(ويأوِى إلى نِسوةٍ عُطَّلٍ وشعثاً مَراضيعَ مثلَ السَّعالى)

على أنّ الأعرَفَ مجيءُ نعت النكرة المقطوع بالواو .

وتقدمَّ عن الشارح فى الشاهد الثالث والخمسين بعد المائة [3] أنّ شعثا منصوب على الترحُّم . قال سيبويه : كأنّه حيث قال نسوة عُطّل صِرن عنده ممن عُلم أنّهن شُعث ، ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهنَّ وتشويها . قال الخليل رحمه الله : كأنّه قال : وأَذكرهنَّ شعثا ، إلاَّ أن هذا فعلٌ لايُستعمَل إظهاره . وإن شئت جررت على الصفة . وزعم يونسُ أنّ ذلك أكثر ، كقولك : مررت بزيد أخيك وصاحبك . انتهى

(١) ش : « ليس عليها مما يقلها » .
(٢) ش : « سنح الى » .
(٣) الخزانة ٢ : ٤٢٦ .

وفاعل يأوى ضمير الصيَّاد ، أى يأتى مأواه ومنزلَه إلى نسوةٍ بعد أن ذهب إلى الصيد ، فيجدهنَّ فى أسوأ الحال . وعُطّل : جمع عاطل ، أى لاشىء عندها . والشُّعث : جمع شَعثاء ، وهى المتغيِّرة من الجوع ونحوِه .

وتقدّم شرحه هناك مفصلاً فليرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٣٤١ (لايَبْعَدَنْ قومِى الذين هُمُ سمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النَّـازلين بكـلِّ مُعتَــرَكٍ والطَّيِّبون مَعاقِدَ الأُزْرِ)

على أنَّه يجوز قطع نعت المعرفة بالواو ، كما يجوز قطع نعت النكرة بها . فقولها : والطيبون ، نعتٌ مقطوع بالواو من قومى للمدح والتعظيم ، بجعله خبر مبتدأ محذوف ، أى هم الطيبون . وإنّما حكم بالقطع مع أنّه مرفوع كالمنعوت وهو قومى ، لقطع النازلين قبله ، لما ذكرنا أيضاً ، بجعله منصوبا بفعل محذوف تقديره أعنى أو أمدح ونَحوهما . والعرب إذا رجعت عن شىءٍ لم تَعُدْ إليه .

وقال ابنُ السكيت (فى أبيات المعانى) : قال ابنُ الأعرابىّ : النازلين تابعٌ لقومى على المعنى ، لأنّ معناه النصب ، كأنه قال : لايُبعِد اللّهُ قومى .

قال سيبويه (فى باب ماينتصب على التعظيم والمدح) : وإن شئت جعلتَه صفةً فجرى على الأوّل ، وإن شئت قطعته فابتدأته ، وذلك قول الله عز وجل :

(١) فى كتابه ١ : ١٠٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٨٨ . وانظر الجمل ٨٢ والمحتسب ٢ : ١٩٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٤ والإنصاف ٤٦٨ ، ٧٤٣ والعينى ٣ : ٦٠٢ / ٤ : ٧٢ والتصريح ٢ : ١١٦ ، ٢٠٤ والهمع ٢ : ١١٩ والأشمونى ٣ : ٦٨ ، ٢١٤ .

﴿ لكِنِ الرَّاسخون فى العِلْم مِنْهُمْ والمُؤمنونَ يُؤْمِنُون بما أُنزل إليك وماأُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ والمُقيمِينَ الصّلاةَ والمُؤْتون الزكاةَ (١) ﴾. فلو كان كلُّه رفعا كان جيِّداً .فأمّا المؤتون فمحمول على الابتداء . وقال تعالى : ﴿ ولكنّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ والمَلائكةِ والكِتَاب والنَّبيِّينَ وآتى المالَ على حُبِّه ذَوِى القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكينَ (٢) ﴾ إلى قوله : ﴿ وَحِينَ البأس (٣) ﴾ . فلو رفَعَ الصابرين على أوّل الكلام كان جيِّداً ، ولو ابتدأ فرفعه على الابتداء كان جيِّداً كما ابتدأت : والمؤتون الزكاة . ونظيرُ هذا من الشِّعر قولُ الخِرْنِق :

* لايبعَدَنْ قومى الذين هم * (البيتين)

فرفعُ الطيِّبين كرفع المؤتين . ومثلُ هذا فى الابتداء قول ابن خَماط العُكْلىّ (٤) :

وكلُّ قومٍ أطاعُوا أمْرَ مُرشِدِهِمْ ... إلاّ نميراً ، أطاعت أمرَ غاويها (٥)
الظّاعنينَ ولمّا يُظعِنوا أحَداً ... والقائلون لمَنْ دارٌ نخلِّيها ٣٠٢

وزعم يونس أنَّ من العرب من يقول : النازلون بكلِّ معترك والطيِّبين ، ومن العرب من يقول : الظاعنون والقائلين ، فنَصْبهُ كنصب الطيِّبين ، إلاّ أنَّ هذا شتمٌ لهم وذمٌّ كما أنّ الطيبين مدحٌ لهم وتعظيم . وإن شئتَ أجريت هذا كلَّه على الاسم الأوّل ، وإن شئت ابتدأته جميعا فكان مرفوعا على

(١) النساء ١٦٢ .
(٢) البقرة ١٧٧ .
(٣) واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس .
(٤) فى سيبويه : « ابن خياط العكلى » . وانظر الإنصاف ٤٧٠ .
(٥) ط : « إلا نمير » ، صوابه فى سيبويه والانصاف .

الابتداء . كلٌّ هذا جائزٌ فى ذين البيتين وماأشبههما. انتهى كلام سيبويه.

وقال الزجّاج : اختلف الناس فى إعراب المقيمين فقال بعضهم : هو نسَقٌ على ما ، المعنى : يؤمنون بما أنزل اليك وبالمُقيمين الصلاة ، أى يؤمنون بالنبيين المقيمين الصّلاة. وقال بعضهم : نسَقٌ على الهاء والميم ،المعنى : لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك . وهذا عند النحويِّين ردىء ، لايُنسَق بالظاهر على المضمر إلاَّ فى شعر . وذهب بعضُهم إلى أنّ هذا وهَمٌ من الكاتب . وقال بعضهم : فى كتاب الله أشياءُ ستصلحها العرب بألسنتها . وهذا القولُ عند أهل اللغة بعيدٌ جداً لأنّ الذين جمعوا القرآن أصحابُ رسول ﷺ ، وهم أهلُ اللُّغة وهم القُدْوَة ؛ وهم الذين أخذوه عن رسول الله ﷺ وجَمَعوه . وهذا ساقط عمن لايعلم بعدهم ، وساقطٌ عمن يعلم ، لأنَّهم يقُتَدى بهم ، فهذا مما لاينبغى أن يُنسَب إليهم . والقرآنُ محكَمٌ لالحنَ فيه حتَّى (١) يتكلَّم العرب بأجود منه فى الإعراب . ولسيبويه والخليل وجميع النحويّين فى هذا بابٌ يسمُّونه باب المدح ، قد بينّوا صحّة هذا وجودَته .

قال النحويُّونَ : إذا قلت مررت بزيد الكريم وأنت تريد أن تخلِّص زيداً من غيره فالخفض هو الكلام ، حتّى تعرف زيداً الكريم من زيد غير الكريم . وإذا أردت المدحَ والثناء فإنْ شئتَ نصبتَ وإن شئتَ رفعت . وجاءنى قومُك المطعمين فى المحل والمغيثون فى الشدائد ، على معنى أذكر المطعمين وهم المغيثون . وعلى هذا الآيةُ ؛ لأنّه لما قال : بما أنزل إليك ومأأنزل من قبلك عُلم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، فقال : والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة

(١) ط : « بشىء » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

على معنى : أذكر المقيمين ، وهم المؤتون . وأنشدوا بيت خِرنق بنت هِفَّان :
لايبعدن قومى الذين هم ، البيتين ، على معنى أذكر النازلين وهم الطيبون ،
رفعه ونصبه على المدح . وبعضهم يرفع النازلين وينصب الطيبين ، وكلّه واحدٌ
جائزٌ حسَن . انتهى .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : القطع لكونه بتقدير الجملة أبلغ من الإتباع لكونه مفرداً . قال فى سورة فاطر : قرأ الضحَّاك : ﴿ الحمد لله فَطَرَ السَّمٰوات ﴾ (١) . وهذا على الثناء على الله سبحانه وذِكرِ النِّعمة التى استحق بها الحمد . وأفرد ذلك فى الجملة التى هى جَعَل بما فيها من الضمير ، فكان أذهبَ فى معنى الثَّناء ، لأنّه جملة بعد جملة . وكلما زاد الإسهاب فى الثناء أو الذم كان أبلغ (٢) . ألا ترى إلى قول خِرْنق :

* لايبعَدن قومى الذين هم * (البيتين)

ويروى النازلون والطيبون ، والنازلين والطيبون ، والنازلون والطيبين . والرفع على هم والنصب على أعنى ، فلمَّا اختلفت الجمل كان الكلامُ أفانينَ وضروباً ، فكان أبلغ منه إذا أُلزِم شَرْجًا واحدا (٣) .فقولك : أُثنى على الله أَعطانا فأَغنى ، أَبلغ من قولك : أُثْني على الله المعطينا والمغنينا ؛ لأَنَّ معك هنا ٣٠٣
جملة واحدة ،وهناك ثلاث جمل .ويدلُّك على صحة هذا المعنى قراءة الحسن :

(١) الآية الأولى من سورة فاطر . وهى قراءة الضحاك والزهرى كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٩٧ . وفى هامش ش : « الحمد لله فاطر » ، وهى قراءة الجمهور .

(٢) فى المحتسب : « كان أبلغ فيهما » .

(٣) ط والمحتسب : « شرحا » بالحاء المهملة ، صوابه بالجيم كما فى ش . يقال هما شرج واحد وعلى شرج واحد ، أى ضرب واحد .

﴿جاعلُ [١] الملائكة﴾ بالرفع. فهذا على قولك: هو جاعل الملائكة . ويشهد به أيضا قراءة خُليد بن نُشيط [٢] :«جَعَلَ الملائكة» . قال أبو عبيدة : إذا طال الكلام خرجوا من الرفع إلى النصب ومن النصب إلى الرفع . يريد مانحن عليه ، لتختلف ضروبه وتتباين تراكيبه . هذا كلامه .

وقد أورده سيبويه (فى باب الصفة المشبَّهة) أيضاً ، على أنَّ معاقدَ منصوبٌ بقوله : الطيِّبون على التشبيه بالمفعول به ، وليس مفعولا به ، لأنّ عاملَه غير متعَدٍّ ، ولاتمييزاً كما زعم الكوفيون ، لأنّه معرفة .

فإن قيل : يكون تمييزاً من باب حسنٌ الوجهَ المنوىٌّ به الانفصال ، فيكون نَكِرة .

أجيب بأنه ليس منه فى شىء ، إنما إضافته من باب إضافة المصادر أو الأمكنة إلى مابعدها ، كقيام زيد ومقام عمرو ، فانّ إضافتهما معنوية .

وقولها : (لايبعَدن) معناه لايهلكن ، وهو دعاءٌ جاء بلفظ النَّهى . ويبعَدَنْ فعل مستقبل مبنى مع نون التوكيد الخفيفة ، وموضعه جزم بلا الدعائية وقومى فاعله ، يقال : بعِدَ من باب فرح إذا هلك . وإما الذى هو ضد القرب فهو بَعُد يبعد بضم العين فيهما ، ومصدره البُعْد ، وقد يستعمل فى الهلاك أيضاً لتداخل معنييَهْما ، كقوله تعالى : ﴿أَلَا بُعْداً لمدينَ كما بَعِدَتْ ثمود [٣]﴾.

قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : واسم الفاعل منهما جميعاً بعيدٌ ، استويا فيه كما استويا فى المصدر، تقول: بَعُد وبَعِد بُعْدا وبَعَدا . وقال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل): فإن قيل :كيف دعت لقومها بأن لايهلكوا وهم قد

---

(١) وقراءة الجمهور « جاعل » بالجر ، كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٩٧ .
(٢) نشيط ، بضم النون فى ش والمحتسب .
(٣) الآية ٩٥ من سورة هود .

هلكوا ؟ فالجواب أنَّ العرب قد جرت عادتُهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ، ولهم فى ذلك غرضان : أحدهما أنَّهم يريدون به استعظامَ موت الرجل الجليل ، وكأنهم لايصدِّقون بموته . وقد بيَّن هذا المعنى زهيرُ بن أبى سُلمى بقوله :

يقولون :حِصْنٌ ،ثم تأبَى نفوسُهمْ   وكيفَ بحصنٍ والجبالُ جنوحُ
ولم تَلفِظِ الموتى القبورُ ولم تَزُلْ   نجومُ السَّماء والأديمُ صحيحُ

يريد أنهم يقولون : مات حصن ، ثم يستعظمون أنْ ينطقوا بذلك ويقولون : كيف يجوز أن يموت والجبالُ لم تنسف ، والنجوم لم تنكدر ، والقبور لم تُخرج موتاها ، وجِرم العالم صحيح لم يحدُث فيه حادث ؟!

والغرض الثانى أنهم يريدون الدعاء ه بأن يبقى ذكره ولايذهب ، لأنَّ بقاء ذِكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . ألا ترى إلى قول الشاعر (١) :

فأثنُوا علينا لاأبا لأبيكـمُ   بأفعالنا إنّ الثناء هو الخُلْدُ

وقال آخر يرثى يزيد بن مَزْيَدٍ (٢) الشيبانى :

فإن تكُ أفنتْه الليالى فأوشكت   فإنّ له ذكراً سيفنى اللّيَّاليا

وقال المتنبى وأحسَنَ :

ذِكر الفتى عُمره الثانى ،وحاجتُه   مافَاته ،وفُضولُ العَيش أشغالُ

وقد بيَّن مالك بن الريب المازنىّ (٣) مافى هذا من المُحال ، من قصيدةٍ تقدّمت :

يَقولونَ لاتبعَـدْ وهـم يَدفِنوننـى   وأين مكـان البُعْـدِ إلّأمكانيـا

---

(١) هو الحادرة ، كما فى البيان ٣ : ٣٢٠ . وانظر حواشى البيان .

(٢) ط : « بن يزيد » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : «المزنى» ، صوابه فى ش . وانظر الخزانة ٢ : ٢١٠ .

وقال الفرَّار السُّلَمى : ٣٠٤

ماكان يَنْفعنى مقالُ نسائهم وقُتِلْتُ دونَ رجالهم لاتَبْعَدِ

وقولها : (سمُّ العداة) الخ ، السم معروف ، وسينه مثلثة . و(العُداة) : الأعداء جمع عاد ، كقضاة جمع قاض ، حكى أبو زيد : أشمت الله عادِيَكَ أى عدوّك . ولايكون العداة جمع عدوّ ؛ لأنّ عدُوّ فَعول ،وفعول لايجمع على فُعَلة إنما يجمع عليه فاعل المعتل اللام . والأعداء : جمع عدوّ ، أجروا فَعُولا مجرى فعيل ، كشريف وأشراف . وقد جمعوا أعداءً على أعادىّ . و (الآفة) : العلَّة . و (الجُزْر) بضم فسكون : جمع جزور ، والأصل بضمتين ، كرسول ورسل ، فسكن الثانى تخفيفا . والجزور هى الناقة التى تُنحر . فإن كانت من الغنم فهى جَزَرة بفتحتين . وصفتْهم أوّلاً بالشّجاعة والنّجدة ، وأنّهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السمّ . وثانيا بالكرم ونحر الإبل للأضياف ، فكأنّهم آفةٌ للإبل تصيبها فتهلكها .قال ابن السِّيد : فإنْ قيل : كيف قالت الذين هم ، وإنما يليق هذا بمن هو موجود ، وإنما كان ينبغى أن تقول كانوا ، كما قال الآخر :

كانوا على الأعداء نارَ مُحرِّق ولقومهم حَرَماً من الأحرامِ [(١)]

فالجواب عنه من وجهين : أحدهما أنّ العرب كانت تضمِّن [(٢)] كان ، اتّكالاً على فهم السامع ، كقوله تعالى : ﴿ واتَّبَعُوا ماتتلُوا الشّياطِينُ على مُلْكِ سليمان [(٣)] ﴾ ، قال الكسائى : أراد ما كانت تتلو . وثانيهِما أنها إذا دعَت ببقاء الذِّكر بعد موتهم صاروا كالموجودين ، وكانوا موصوفين بما كانوا يفعلونه .

وقولها : (النازلين) الخ ، قال ابن خلف : يجوز فى النازلين والطيبين

---

(١) ط : « نارا محرقا » تحريف ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « تضمر » مع أثر تصحيح .

(٣) البقرة ١٠٢ .

أربعة أوجه: رفعهما ، ونصبهما، ورفع أحدهما مع نصب الآخر مقدّما ومؤخّرا ، على القطع ، غير أنّك إن رفعتَهما جاز أن يكونا نعتين لقومى ، فيكون الرافع لهما رافع قومى بعينه ، والكلام جملة واحدة ، وجاز أن يكونا مقطوعين فى التقدير بإضمار مبتدأ ، فيكونا جملتين . والرافع والنَّاصب المقدَّران (١) لايجوز أن يظهر واحدٌ منهما لفظا ، إنما يكون مُقدَّراً أبداً منويًّا ، وامتناعُ إظهاره إشعارٌ باتِّصاله بما قبله وتشبيهٌ به ، فلو ظهر أمكن أن يكون جملةً قائمة بنفسها مستقلّة ، وليس الغرض ذلك .ويجوز أن يكون الطيِّبون معطوفاً على سمّ العداة وآفة الجزر ، وأن يكون على الضمير فى النازلين . ويجوز الرفع على إضمار مبتدأ كما ذكر فى الكتاب . ولايجوز أن يكون النازلون رفعاً صفة لمجموع قومى وسمّ العداة ، لاختلاف العاملين .

فإن قيل: هل الأقيس (٢) أن يكون نعتاً لقومى أو لسمّ العداة ؟ فالجواب : لقومى ، لأنه محض الاسم ، فهو أولى بالوصف من الصفة . انتهى

وإنما كان سمّ صفة لتأويله بالقاتل .

ثم قوله : وفى نصب النازلين اختلاف ، فالزجاجى يذهب إلى أنه نصب على إضمار أعنى ، وعلى قياس قول سيبويه نصبٌ على المدح — ساقط ؛ إذ لااختلاف معنى ، فإنَّ هذا ونحوه منصوب على المدح سواء قدّر أمدح أو أعنى أو نحوهما .

والباء فى (بكل) ظرفية متعلّقة بالنازلين . و(المعترك) ،وكذلك المعرك كجعفر ،والمعركة :موضع القتال .وهذا مشتقٌ من عَرَكتِ الرَّحا(٣)الحبَّ،

---

(١) ط : « المقدرين » صوابهما فى ش .

(٢) ش : « فان قيل فالأقيس » .

(٣) الرحا ، تكتب بالألف وبالياء . وفى اللسان : « الرحا معروفة وتثنيتها رحوان . والياء أعلى » .

إذا طحنَتْه . أرادوا أنَّ موضع القتال يَطحن كما تَطحن الرَّحا مايحصل فيها ، ٣٠٥
ولذلك سمَّوه رحاً . قال عنترة :

* دارت على القوم رحاً طَحُونُ *

وقد بيَّن ذلك زُهير بن أبى سُلمى بقوله :

فتعرُكْكُمُ عركَ الرَّحَا بثِفالها وتَلقَحْ كِشافاً ثم تحمل فتَفْطِمِ (١)

وقولها : (النازلين بكلِّ مُعتَرَك) يعنى أنَّهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعتَرك فيقاتلون على أقدامهم ،وفى ذلك الوقت يتداعون : نَزَالِ ! كما قال ربيعة بن مقرومٍ الضَّبِّىّ (٢):

ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طِرادها بسليم أوظفةِ القوائم هيكلِ
فدعَوْا نزالِ فكنتُ أوَّلَ نازلٍ وعلامَ أركبه إذا لم أنـزلِ

وقال ابن السِّيد : النزول فى الحرب على ضربين :أحدهما ماذكر ،والثانى فى أول الحرب ، وهو أن ينزلوا عن إبلهم ويركبوا خيلهم (٣) . قال اللخمى:وإنَّما ينزلون عن الإبل إلى الخيل فى الغارات ، يقودون خيولهم ليريحوها ؛ ويركبون إبلهم ، فإذا قربوا من عدوِّهم وأغاروا نزلوا عن إبلهم إلى خيلهم ، مخافة أن يُتَّبعوا فيدركوا . وزعَم ابن سيده فى نزولهم إنما هو من الإبل إلى الخيل . وليس كذلك .

وفى قولها: (النازلين)إلخ إشارة إلى أنّ حالهم فى القتال على الخيل كحالهم

---

(١) كذا وردت الرواية هنا ، ولم أجدها فى مرجع آخر . وفى هامش ش : « ترضع » مقرونة بالرمز « صح » . ويروى : « ثم تنتج » .

(٢) من الحماسية التاسعة بشرح المرزوقى ٦١ .

(٣) ش : « ويركبوا » فقط بسقوط : « خيلهم » .

فى القتال على الأقدام ،وأنهم لايكِعُّونَ عن النزول (١)، إذ أحوال الناس فى ذلك مختلفة ، ولاينزل فى ذلك الموضع إلاّ أهل البأس والشدّة. ولذلك قال مهلهل :

لم يُطيقوا أنْ ينزلوا فنَزلنا وأخو الحرب مَن أطاقَ النُّزُولا

وقولها : (والطَّيبون) أرادت أنَّهم أَعفَّاءُ فى فروجهم ؛ لأنّ العرب تكنى بالشيء عما يحويه أو يشتمل عليه ، كقولهم : ناصح الجيب ، يريدون الفؤاد ، فكنوا عنه بالجيب الذى يقع عليه أو قريباً منه . تقول : لايحلُّون أزرهم على ماليس لهم . قال اللخمى : وقال ابن خلف : إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبه فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج ، يراد أنّه لايعقد إزاره على فرج زانية . وكذلك طهارة الذيل . وإذا وُصِف بطهارة الكُمّ أو الرُّدن وهو الكمُّ بعينه ، أرادوا أنّه لايسرق ولايخون . وإذا وصفوه بطهارة الجيب أرادوا أنَّ قلبَه لاينطوى على غشّ ولا مَكْر . وقد يكنون عن عفة الفرج بطِيب الحُجْزة ، كما قال النابغة :

* رقاق النعال طيب حُجُزَاتهم *

(والمعاقد) إما جمع مَعْقِد بكسر القاف ، وهو موضع العَقْد ، وإمَّا جمع معقَد بفتحها وهو مصدر ميمى . قال اللخمى : المعاقد الحجَز . والحجزة بضم المهملة وسكون الجيم بعدها زاى معجمة ، وهى حيث يثنَى طرف الإزار فى لَوْث الإزار أى طيّه . وحكى ابنُ الأعرابى حُزّة بضم المهلة وتشديد الزَّاء ،كما ينطق بها العامة . وقيل المعاقد للأزُر ، والحُجز للسَّراويلات . والحُجَزُ للعَجَم وملوك العرب كما قال النابغة ، والمعاقد للعرب لأنها لاتكاد تلبس إلا الأزُر ؛ وهو جمع إزار ، وسكن الزاء أيضاً تخفيفا والأصل ضمها . والإزار عند العرب : ماستر النِّصف الأسفلَ من الإنسان ، والرداء : ماستر النصف الأعلى منه.

(١) يكِعُّون : يجبنون . وفى ط : « يكفون » ، صوابه فى ش.

ولبس السراويل عند العرب نادر . يروى أنّ أعرابيا مرّ بسراويلَ مُلقاةٍ فظنّها قميصا ، فأدخل يديَه فى ساقيها وأدخل رأسه فلم يجد منفذاً ، فقال: ماأظنُّ هذا إلاّ من قُمُصِ الشَّياطِين ! ثم رماها . ٣٠٦

وهذان البيتان من قصيدة لخرنِق بنت هِفَّان ، رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مَرْثد الضُّبَعىّ ، وابنهَا علقمة بنَ بشر ، وأخويه حسانَ وشَرَحبيل ، ومَنْ قُتِلَ معه من قَومه ، وكان بشرٌ غزا بنى أسد بن خُزيمة هو وعمرو بن عبد الله بن الأشلّ ، وكانا متساندين : بشرٌ على بنى مالك وبنى عتاب بن ضبيعة ، وعمرو على بنى مالك وبنى زُهْم . ومعنى التساند والمسانَدَة أن يَخرج كلُّ رجل على حِدَته وانفراده ، ليس لهم أميرٌ يجمعهم .فأَغار على بنى أسد فتقدّمتهم بنو أسد إلى عَقَبة يقال لها قُلاب ، فقُتِل بشر بن عمرو وبنوه ،وفرّ عمرو بن عبد الله بن الأشلّ فسمى ذلك اليوم يوم قلاب [1] . كذا قال ابن السيد واللَّخمى . صاحب الشاهد

وبعد البيتين :

قومٌ إذا ركبوا سمِعتَ لهم ... لغَطاً من التَّأْييهِ والزَّجْرِ
فى غيرِ ما فُحْشٍ يُجاء به ... بمَنَائح المُهُرات والمُهْرِ
إن ينشربوا يَهبُوا وإن يَذرُوا ... يتواعظوا عن مَنطِق الهُجْرِ [2]
والخالطين نحيتَهم بنُضارهم ... وذوِى الغنى منهم بِذى الفقرِ
هذا ثنائى مابقيتُ عليهمُ ... فإذا هلكتُ أجَنَّنى قبرى

---

(١) قلاب ، بالضم : جبل فى ديار بنى أسد . وانظر لهذا اليوم معجم البلدان .

(٢) ط : « وان يزدوا » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والعينى ٣ : ٦٠٣ .

واستدلّ بعضهم بهذه الأبيات على أنّ ماتقدَّم دعاءٌ لمن بقىَ من قومها ، أى لاأبعدَ الله مِن قومى كبُعد من مضى منهم .

ويردُّ عليه قولها فى القصيدة :

لاقَوا غداة قلابَ حتَفهمُ سَوق العَتير يساق للعَترْ

واللَّغط بفتح المعجمة وسكونها : الأصوات المختلطة . والتأييه : الدُّعاء . يقال أيَّهت بالرجل ، إذا دعوته ، وأيَّهْتُ بالفَرس . وفى الحديث : « أنّ ملك الموت سُئل : كيف تقبض الأرواح ؟فقال : أُؤيِّه بها كما أُؤَيِّهُ بالخيل فتجىء إلىَّ » .

وقولها : فى غير مافحش إلخ ، مازائدة .قال ابن السكيت :تقول يزجرونها بعفاف من ألسنتهم ، لايذكرون الفُحش فى الزجر .

وقولها : إن يشربوا يهبوا ، ليس بمدح تامٍّ ، لأنَّها جعلت العلّة فى كرمهم شربَ الخمر . وقد عِيب على طرفة قولُه :

فإذا ما شربوها وانتشَوْا وهَبوا كلّ أمونٍ وطِمِرّْ

وعيب على حسَّان قولُه :

ونشربها فتتركنـا مُلوكـاً وأُسداً مايُنَهْنِهُنا اللِّقـاءُ

وقد قال البحترىُّ فى هذا فأحسن :

تكرَّمتَ من قبل الكئوس عليهم فما اسطَعن أنْ يُحدثنَ فيك تكرُّما

وأول من نطق بهذا امرؤ القيس فى قوله :

سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووَفاء ذَا ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سكِرْ

---

(١) قبله فى ديوانه ١٩٣ :

وتعرف فيه من أبيه شمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجُرْ

فاخبر أنّه جوادٌ فى الحالين جميعاً : فى حال الصَّحْو وفى حال السُّكر . وهذا هو المدح التامّ . ثم اتَّبعه زهير فقال :

أخو ثِقَةٍ لاتُتْلِف الخمرُ مالَه   ولكنّه قد يُهلِك المالَ نائلُه

والهُجْر بالضم : الكلام القبيح . ٣٠٧

وقولها :والخالطين نحيتهم إلخ ،النّحيت بفتح النون وكسر المهملة:الخامل الساقط الذكر. والنُّضار بضم النون بعدها ضاد .معجمة :الخالص النّسب العزيز الشَّهير .يقول: إنهم خلطوا خاملَهم برفيعهم، وفقيرَهم بغنيِّهم ، فاكتسبوا منهم الغنى والخصالَ الحميدة؛فليس فيهم خاملٌ ولافقير .ومثله قولُ زهير:

على مُكْثِرِيهم حقُّ من يعتريهمُ   وعند المُقِلِّين السَّماحةُ والبذْلُ

وهذا البيتُ وقع فى شعر حاتم الطائى[1]،قال أبو عبيدة:والصواب أنّه لخرنق.

والعروض فى هذا البيت على متفاعلن تامّة ؛ وهى فى جميع الأبيات على فَعِلُنْ حَذّاء ، ولايجوز ذلك . والشّعر من الضرب الرابع من الكامل .

وقولها:فإذا هلكت إلخ ،أجنّني :سَتَرنى .قال ابن السِّيد :كلامٌ لافائدة فيه على ظاهره ، والمعنى فإذا هلكت قام عُذرى فى تركى الثناء عليهم لهلاكى، فهو مما وضع السبب فيه موضع المسبَّب [2] .

وقولها : لاقَوْا غداة إلخ ، الحتف : الهلاك . وسَوقَ مفعول مطلق ، أى سيقو إلى الحتف سوقا كسَوق العتير ، وهو بفتح العين المهملة وكسر المثناة الفوقية : مايُذبح للأصنام فى رجبَ فى الجاهلية ، تعظيماً لأصنامهم . والعَتْر ، بفتح العين المهملة : ذبح العتيرة ، فهو مصدر .

---

(١) من مقطوعة فى ديوانه ١٦١ عدتها ستة أبيات أولها :

إن كنت كارهة معيشتنا   هاتى فحلِّى فى بنى بدرِ

(٢) ش : « فى موضع المسبب » .

وقلاب يضم القاف وتخفيف اللام وآخره باء موحدة ، قال أبو عبيدٍ البكرى (فى معجم مااستعجم) : هو جبلٌ من محلَّة بنى أسد على ليلة .وفى عَقَبة قلابٍ قتلت بنو أسدٍ بشرَ بن عمرو ، زوْجَ خرنق ، وابنهَا منه علقمة بن بشر فقالت [1] :

مُنَتْ لهم بواثلـة المنايـا بحرف قلابَ للحَيْن المَسُوقِ [2]

ثم إنَّ بنى ضُبيعة أصابوا بنى أسد بهَرْشَى وأدركوا بثأرهم ، فقال وائل بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد :

أبِى يومَ هَرْشى أدرك الوِتْرَ فاشتفَى بيوم قُلاب والصُّروفُ تَدورُ

انتهى . ومُنَتْ أصله مُنيت ، أى قُدِّرت المنايا لهم ، فحذفت الياء .

وهو آخر بيت من أبيات ، وهى :

لا وأبيكَ آسَى بعد بشرٍ على حىّ يموت ولا صديقِ
وبَعد الخيرِ علقمةَ بنِ بشرٍ إذا ماالموت كان لَدَى الحُلوقِ
ومال بنو ضُبَيعة بعد بشر كما مال الجذوعُ من الحريق
فكم بقُلابَ من أوصالِ خِرقٍ أخى ثقة وجُمْجمةٍ فليقِ [3]

---

(١) سقطت هذه الكلمة من ش ، كما سقط منها « زوج خرنق » السابقة .

(٢) وكذا فى معجم ياقوت : « واثلة » بالثاء المثلثة قال : « مأخوذ من الوثيل وهو ليف النخل ، وهى قرية معروفة » وفى ش : « وابلة » بالباء ، تحريف ، وفى معجم مااستعجم : « بوالبة » ، ولم أجد لهذا المكان ذكرا إلا فى هذا الموضع من معجم مااستعجم .

(٣) ط : « أوصاف خرق » ، صوابه فى ش ومعجم البلدان لياقوت ، حيث أنشد هذه الأبيات مع زيادة ونقص .

وآسى : أحزن .ولا محذوفة ، أى وأبيك لاأحزن بعد بشر . والحلوق : جمع حَلق ،وهو مجرى الطعام. ومال بنو ضُبيعة ، أى تساقطوا بعد بشر . والخِرْق بكسر المعجمة ، من الفتيان : الظريف فى سماحة ونجدة .

خرنق بنت بدر وخرنق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراءِ المهملة وكسر النون بعدها قاف،هى امرأة شاعرة جاهليَّة .قال أبو عبيدة :هى خِرنق بنت بدر بن هِفَّان،من بنى سعد بن ضُبيعة رهط الأعشى.كذا (فى العباب) للصاغانى. وفى كتاب (التصحيف للعسكرى) و (شروح أبيات الكتابِ والجمل): خرنق بنت هِفان القيسيَّة ، من بنى قيس بن ثعلبة بن عُكابةَ بن صَعب بن علىّ بن بكر ٣٠٨ بن وائل ، بحذف « بدر» . وقالوا :هى أخت طرفة بن العبد لأمّه . وقال يعقوب بن السكيت (فى أبيات المعانى) :هى عمّة طرفة بن العبد .والله أعلم .

وقيس هو رهط الأعشى أيضاً ، وإليه ينسب فيقال أعشى قيس .

وخرنق من الأسماء المنقولة ،لأنَّ الخرنق فى اللغة ولدُ الأرنب .والخرنق أيضاً :مَصْنَعة الماء، وهو نحو الصِّهريج ، والنون أصليَّة .

وأما هَِفَّان بفتح الهاءِ وكسرها وتشديد الفاء ، فهو اسم مرتجل غير منقول ، مشتقٌ من الهفيف ، وهو سُرعة السيِّر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

٣٤٢ (وما الدَّهرُ إلاَّ تارتان فمنهما أَموتُ وأخرى أَبتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ)

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٧٦ . وانظر ديوان ابن مقبل ٢٤ والمقتضب ٢ : ١٣٨ والكامل ٧٣٨ والحيوان ٣ : ٤٨ والمحتسب ١ : ١١٢ والهمع ٢ : ١٢٠ وحماسة ابن الشجرى ١٨٣ .

على أنَّ الموصوف محذوف ، أى منهما تارةٌ أموت . هكذا قدّرَ سيبويه وأورده فى باب حذف المستثنى ، نحو قولك ليس غير وليس إلاَّ أنّه ، كأنَّه قال : ليس إلاّ ذاك ، وليس غير ذاك . قال : وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : مامنهما مات حتى رأيته فى حالٍ كذا ، وإنما يريد : مامنهما واحدٌ مات . انتهى .

وأورده الفراء أيضاً (فى تفسيره) عند قوله تعالى :﴿ ومن آياته يُرِيكم[1]﴾ ، قال : من أظهر [2] أنْ فهى فى موضع اسم مرفوع ، كما قال : ﴿ ومن آياته مَنَامُكم باللّيل [3] ﴾ ، فإذا حذفت أنْ جعلت مؤدِّية [4] عن اسم متروك يكون الفعل صلة له ، كقول الشاعر :

وما الدهر إلاّ تارتان .... البـــيت

كأنّه أراد : فمنهما ساعةٌ أموتُها وساعةٌ أعيشها ، وكذلك : ومن آياته آيةٌ للبرق وآية لكذا . وإنْ شئت : يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر أن ولا غيره . انتهى .

وكذلك أنشده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى :﴿ مِنَ الذين هَادُوا يُحَرِّفون الكلمَ [5]﴾أى قومٌ يحرِّفون ، كهذا البيت . والمعنى منهما تارةٌ أموت فيها،فحذف تارةٌ وأقام الجملة التى هى صفتها نائبة عنها،فصار :أموت

(١) من الآية ٢٤ فى سورة الروم .

(٢) فى النسختين : « أضمر » ، صوابه فى معانى الفراء ٢ : ٣٢٣ .

(٣) من الآية ٢٣ فى سورة الروم .

(٤) فى النسختين : « جعلت مورية » ، وصوابه وإكماله من معانى الفراء .

(٥) من الآية ٤٦ من النساء .

فيها ،فحذف حرف الجر فصار التقدير : أموتها ، ثم حذف الضمير فصار أموت . ومثله فى الحذف من هذا الضَّرب ، بل هو أطولُ منه :

تَروَّحى ياخَيرةَ الفَسِيـــل تروّحى أجدَرَ أنْ تَقيلى [(١)]

أصله : ائتى مكاناً أجدرَ بأن تَقيلى فيه، فحذف الفعل الذى هو ائتى لدلالة تروَّحى عليه، فصار مكاناً أجدر بأن تقيلى فيه ، ثم حذف الموصوف الذى هو مكاناً ، فصار تقديره أجدرَ بأن تَقِيلِي فيه ، ثم حذف الباء أيضاً تخفيفا ، فصار أجدر أن تقيلى فيه . ففيه إذن خمسة أعمال ، وهى حذف الفعل الناصب ، ثم حذف الموصوف ، ثم حذف الباء ، ثم حذف فى ،ثم حذف الهاء .وهنا عمل سادس [(٢)] وهو أنَّ أصله ائتى مكانا أجدر بأن تقيلى فيه من غيره ، كما تقول : مررت برجل أحسنَ من فلان ، وأنت أكرم علىّ من غيرك . انتهى .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لتميم بن أبىّ بن مقبل ، وهو شاعر إسلامى تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل الكتاب [(٣)] . وقبله يصف القحط :

٣٠٩ (ألم تعلمى أن لايذُمُّ فُجاءتى دخيلى إذا اغبرَّ العِضاهُ المجلَّحُ
وأن لا ألومُ النَّفسَ فيما أصابنى وأن لا أكادُ بالذى كنتُ أفرحُ

---

(١) لأحيحة بن الجلاح . وانظر المحتسب ١ : ٢١٢ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٣ والعينى ٤ : ٣٦ والتصريح ٢ : ١٠٣ الأشمونى ٣ : ٤٦ .

(٢) ش : « وهناك وجه سادس » ، صوابه فى ط .

(٣) الجزء الأول ص ٢٣١ .

وما العيش إلا تارتان فمنهما
أموتُ وأُخرى أبتغى العيشَ أكدَحُ (١)
وكلتاهما قد خُطَّ لى فى صحيفةٍ
فلا العيشُ أهوى لى ولا الموتُ أروَحُ)

أن فى المواضع الثلاثة مخفَّفة من الثقيلة ، والفعل بعدها مرفوع ، وفجاءتى مفعول مقدَّم . والفُجَاءة بضم الفاء والمد:مصدر فجأه الأمر كضربه ، وفجئه كعلمه ،إذا أتاه بغته .ويقال أيضاً فاجأهُ الأمر مفاجأة وفِجاءً . ودخيلى أى ضيفى ، فاعل مؤخر ، والدَّخيل :الضيف إذا حلَّ بالقوم فأدخَلوهُ . يقول :إذا جاءنى بغتةً ضيف فى أيام القحط فلا بدَّ من إطعامه وإكرامه ولأدعه يذمُّنى . واغبرَّ :صار بلون الغُبرة .والعِضاه بكسر العين المهملة بعدها ضاد معجمة وآخره هاء : شجرٌ عظيم شائك تأكل الماشية ورقَه .والمجلَّح بالجيم ، قال صاحب الصحاح : المأكول ، ومنه قول ابن مُقْبل :

* إذا اغبرَّ العضاهُ المجلَّحُ *

وهو الذى قد أُكِل حتى لم يُترك منه شىء .

والكَدْحُ : الكسب والسَّعى ، وجملة أكدح حالٌ مؤكِّدة لعاملها ، وهو أبتغى .وتارة المحذوفة مبتدأ وجملة أموت صفتها ،والعائد إلى الموصوف محذوف ،أى فيها .ومنهما خبر مقدم ،وأُخرى صفة مبتدأ محذوف ، أى تارة أخرى .وليس فى هذا شاهد.وجملة أبتغى العيش خبر المبتدأ والعائد محذوف

---

(١) فى الديوان :« فى صحيفتى » . وفيه أيضا : « فللعيش أشهى لى وللموت أروح » والصواب ماهنا ، وهو المقارب لما فى الحيوان وحماسة البحترى .

أيضاً ، أى فيها . يقول : لاراحة فى الدنيا لأنَّ وقتها قسمان : إمَّا موت ، وهو مكروه عند النفس ، وإما حياة وكلُّها سعىٌ فى المعيشة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الثلثمائة :

٣٤٣ (وكلَّمتُها ثِنتين كالماءِ منهما وأُخرى على لَوحٍ أحرَّ مِنَ الجَمْرِ(١))

لما تقدَّم قبله ، أعنى أنَّ الموصوف محذوف إذا كان بعضاً من مجرورٍ بمن ، سواء تقدَّم المجرور كما مضى ، أو تأخر كما هنا ، ولهذا كرر الشاهد ، فإنَّ التقدير :كَلَّمْتُها كلمتين ، منهما كلمة كالماء ، وكلمة أخرَى أحرُّ من الجمر. وتقدُّم المجرور أَكثَرِىٌّ .

وهذا ثالث أبياتٍ ثلاثة أوردها الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين)وهى:

(لقِيتُ ابنة السَّهمىِّ زينبَ عن عُفرِ ونحن حرَامٌ مُسىَ عاشِرة العَشرِ — أبيات الشاهد

وإنى وايَّاهـا لحَتْـمٌ مَبيتنـــا جميعاً وسَيرانا مُغِذٌّ وذُو فَتْرِ

فكلَّمتها ثنتين كالثلج منهُما على اللَّوح،والأخرى أحرُّ من الجمر)

السَّهمى : نسبة إلى سهم ، بفتح السين المهملة:قبيلةٌ من قريش ، وقبيلة فى باهلة أيضاً .وزينبَ بدل من ابنةَ ، وعُفْر بضم العين المهملة وسكون الفاء وبضم الفاء أيضاً، قال الجاحظ:يقال مايلقانا إلا عن عُفْر ، أى بعد مدَّة. وكذلك قال القالى (فى أماليه):قوله عن عفر أى بعدَ حين ،يقال ماألقاه إلاّ عن عُفر ، أى بعد حين.وقال الزمخشرى(فى مستقصى الأمثال): لقيته عن عفر، أى بعد شهر ونحوه ، والأصل قلّة الزيارة ،مِن تعفير الظَّبية ولدَها ،وهو

(١) البيان ١ : ٢٨٠ وأمالى القالى ١ : ٩٨ ودرة الغواص ٧٢ .

أن ترضعَه ثم تدعَه ثم ترضعَه ثم تدعَه، وذلك إذا أرادت أن تفطمه .وعَكَس
٣١٠ المأخذَ (١)صاحبُ الصحاح فقال: والتعفير فى الفطام أن تمسحَ المرأةُ ثديَها بشيءٍ من التراب تنفيراً للصبىّ.ويقال هو من قولهم:لقيت فلانا مِن عُفر بالضم أى بعد شهر ونحوه ، لأنّها ترضعه بعد اليوم واليومين (٢)، تبلُو بذلك صبرَه . وقوله : « ونحن حرام » قال القالى : أى محرمون . قال صاحب الصحاح:ورجلٌ حَرام بالفتح أى مُحْرِم،والجمع حُرُم مثل قَذال وقذل.انتهى. وإنما لم يجمعه هنا لأنّه فى الأصل مصدرٌ يستوى فيه الجمع[والتثنية والمفرد(٣)]. وجملة ونحن حرام حالٌ من الفاعل والمفعول. وقوله «مُسْىَ عاشرة»الخ مُسْىَ بضم الميم وسكون السين،وكسر الميم لغةٌ :اسمٌ للمَسَاء ، كالصُّبْح اسمٌ للصباح، ولهذا قال الجاحظ : أى وقت المساء.وهو ظَرفٌ لقوله لقيت .وعاشرة العَشْر هو اليوم العاشر من ذى الحجة،يريد أنّه لِقيهَا بعرفات عشيَّة عرفة،وهى مُسْىُ عاشرة العشر.

وقوله : «لحتمٌ مبيتنا»الحتم ،بفتح الحاء المهملة: اللازم .يريد إنَّ مبيت النَّاس بالمزدلفة حتمٌ لايتجاوزها أحد. وجميعاً حال من المضاف إليه، وهو ضمير المتكلم مع الغير. وقوله : « وسيرانا » إلخ ،سيراً : مثنى سير، حذفت نونه للإضافة ،ونا ضمير المتكلم مع الغير .وروى : «مسرانا» بالإفراد .قال صاحب الصحاح :وسريت سُرى ومَسرًى وأَسريت بمعنىً ، إذا سِرتَ ليلاً(٤). وأما السَّير فلا يختص باللّيل .قال صاحب الصحاح :سار يسير سيرا ومَسِيرا، يكون بالليل وبالنهار، ويستعمل لازما ومتعدّيا .ومُغِذٌ بالغين والذال المعجمتين

(١) الحق أنه لم يعكسه ، وإنما جمع بين المأخذين ، كما يفهم من نهاية النص .
(٢) فى الصحاح : « بين اليوم واليومين » .
(٣) هذه التكملة من هامش ش مقرونة بكلمة « صح » .
(٤) فى النسختين : « سريت » ، صوابه من الصحاح .

اسم فاعل من أَغَذَّ فى السير إغذاذاً ،أى أسرع فيه وجَدّ .والفتر ، بفتح الفاء، بمعَنى الفترة والفتور ، أى الانكسار والضَّعف .قال القالى : أى سيرى أنا مسرعٌ ،وسيرُها ذو فتور وسكون ،لأنها يُرفَقُ بها. ولم يرو القالى (فى أماليه) إلاّ هذين البيتين عن أبى بكر بن دريد .

وقوله : (فكلَّمتها ثنتين) إلخ الصواب رواية الجاحظ ،وهى (كالثلج) بَدل (كالماء) . والمِصْراع الثانى كذا :

* على اللَّوْح والأخرى أَحرُّ من الجَمْرِ *

وكذا رواه الزمخشرى : (فى المستقصى) . واللّوح بفتح اللام وآخره حاء مهملة :العطش .قال الجاحظ : لاح الرحل يلوح لَوحا،والتاح يلتاح التياحا ، إذا عطش . انتهى .

وعلى بمعنى مع .يريد :إنِّى كلمتها كلمتين ، كانت إحداهما كالثلج مع العطش زال بها ماأجد من الحرارة ، وكانت الكلمة الأخرى أَحرَّ من الجمر ، فالتهب قلبى من حرارتها .

قال الحريرى (فى درة الغواص) : أَراد بالكلمة الأولى تحية القدوم ، وبالأخرى سلام الوَدَاع .

وجعل الزَّمَخشَرىُّ أَحرَّ من الجمر من الأمثال ، وأَنشد له هذا البيت مع البيت الأوَل عن الجاحظ ، لكن روى المصراع الأول هكذا :

* فقالت لنا ثنتين كالثلج منهما *

وهذا أَنسب بما قاله الحريرى .

وقوله :ثنتين منصوب على المفعول المطلق ، أى تكليمتين ، والأخرى

مبتدأ بتقدير موصوف ، أى والكلمة الأخرى ؛ وأحرٌّ من الجمر خبر المبتدأ.

صاحب الشاهد وهذه الأبياتُ نسبها الجاحظ والقالىُّ والحريرىُّ إلى أبى العَمَيْثل عبد الله ابن خالد (١) والعميثل ،بفتح العين المهملة والميم وسكون المثناة التحتية وفتح الثاء المثلثة. والعميثل فى اللغة يأتى لمعانٍ منها الأسد الضَّخم،والسيِّد الكريم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س (٢):

٣١١ ٣٤٤ (لو قُلتَ مافى قَومِها لم تِيثَمِ يَفْضُلها فى حَسَبٍ ومِيسمِ)

على أنَّ جملة يفضلها صفة لموصوف محذوف هو بعض المجرور بفى .
قال سيبويه : يريد مافى قومها أحدٌ يفضلها ، كما قالوا : لو أنّ زيدا ههنا ، وإنما يريدون لكان كذا . انتهى .

وأنشده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ من الذينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ (٣) ﴾ على أحد وجهين ، وذلك من كلام العرب ، أن يضمروا مَنْ فى مبتدأ الكلام بمِنْ ، فيقولون : منّا يقول ذاك ومنّا لايقوله . وذلك أنّ مِنْ بعضٌ لما هى منه ، فلذلك أدّت عن المعنى المتروك . قال الله تعالَى : ﴿ وما مِنَّا إلا له مَقَامٌ مَعْلوم (٤) ﴾ ، وقال : ﴿ وإنْ مِنْكُم إلاّ

---

(١) من شعراء الاعراب . توفى سنة ٢٤٠ ، انظر حواشى الحيوان ١ : ١٥٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٥ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٧٠ وابن يعيش ٣ : ٥٩ ، ٦١ والعينى ٤ : ٧١ والتصريح ٢ : ١١٨ والهمع ٢ : ١٢٠ والأشمونى ٣ : ٧٠ .

(٣) الآية ٤٦ من النساء .

(٤) الآية ١٦٤ من الصافات .

وَارِدُهَا (١) ﴾. ولايجوز إضمار مَنْ فى شيءٍ من الصفات إلاّ على هذا الذى نبأْتُكَ به . وقد قالها الشاعرُ فى فيٍ ، ولستُ أَشتهيها ، قال :

لو قلتَ مافى قومِها لم تأثم يَفضُلها فى حَسبٍ ومِيسَمِ

ويروى أيضاً : «تيثم» لغة .وإنما جاز ذلك فى فيٍ لأنك تجد معنى مَنْ أنّه بعضُ ماأضيفت إليه . ألا ترى أنَّك تقول : فينا الصالحون وفينا دون ذلك ، فكأنَّك قلت : منَّا .ولا يجوز أنْ تقول فى الدار يقول ذاك،وأنت تريد فى الدار مَنْ يقول ، إنما يجوز إذا أضيفت فى إلى جنس المتروك . انتهى كلامه.

وأَراد بمَنْ المضمرةِ النكرةَ الموصوفة لا الموصولة ،فإنها لاتحذف وتبقى صلتها، أو أنها هى المرادة عنده فإنَّه كوفىٌّ ، والكوفيون يجوِّزون حذف الموصول .

وقد بيَّن الضابط فى حذف الموصوف مع المجرور بمن وفى ،إلاّ أنّه جعل الثانىَ دون الأول ، ووافقه السِّيرافىُّ فقال :أكثر مايأتى الحذف مع مِن ، لأنّ مِنْ تدلُّ على التبعيض . وقد جاء مثله مع فى ، وليس مثل مِنْ فى الكثرة . انتهى .

وقوله : (لم تيثم) جواب لو الشرطية ، أى لم تكذب فتأثم ، وأَصله تأثم فكسر التاء على لغة من يكسر حروف المضارعة إلا الياء للكراهَة ، وهم بنو أَسد. قال ابن يعيش : وذلك إذا كان الفعل على فَعِل نحو يعلم ويسلم.انتهى. وقبل كسر التاء قلبت الهمزة ألفا،وبعد كسر التاء قلبت الألف ياء لانكسار ماقبلها . وقوله : (مافى قومها) خبر لمبتدأ محذوف ، وهو الموصوف بقوله يفضلها. وقدَّره ابنُ يعيش بإنسان يفضُلها ، والجملة المنفيَّة مقول القول .

---

(١) الآية ٧١ من مريم .

وقوله : (فى حسب) متعلّق بيفضلها .والحسب : مايعدُّه الإنسان من مفاخره ، وأراد به الشرف النَّسَبى وهو شرف الآباء ، وأراد بالميسم الشرَفَ الذاتىّ ، فإنَّ الميسم الحسن والجمال ، من الوَسْم ، وهو الحسن .

صاحب الشاهد وهذا البيت من رجزٍ لحكِيم بن مُعَيَّة الرَّبَعى ، من بنى رَبيعة بن مالك بن زيد مناةَ بن تميم . وهو راجزٌ إسلامىٌّ كان فى زمن العجّاج وحُميدٍ الأرقط . نسبهُ إليه سيبويه فى موضع آخر من كتابه (١) . وبعده :

(عفيفة الجيب حَرامُ المَحْرَمِ

من آل قيسٍ فى النِّصاب الأكرمِ)

والنصاب وكذا المنصب : الأصل .

وكان يفضِّل الفرزدق على جرير ، فهجاه جرير لذلك .

ونسب ابنُ يعيش البيتَ الشاهد للأسود الحِمّانى . والله أعلم .

و (مُعَيَّةُ) بضم الميم وفتح العين وتشديد التحتيةِ : مصغّر معاوية . والحِمَّانى بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم : نسبة إلى حِمَّان (٢).

* * *

وأنشد بعده :

٣١٢ (أنا ابنُ جَلَا وطَلّاعُ الثنَّايا مَتَى أضعِ العِمامَةَ تَعرِفُونى (٣)

على أنَّ الاسم الموصوف بالجملة لايحذف بدون مِنْ أوفى،إلا فى الشعر كما هنا ، فإنَّ أصله : أنا ابن رجلٍ جلا . فجلا فعلٌ ماض بمعنى كشف الأمور،

---

(١) كذا . ولم أجد هذا الموضع .

(٢) هم بنو حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الجمهرة ٢٢٠ .

(٣) الجزء الأول ص ٢٥٥ . وانظر أيضا المعانى الكبير ٥٣٠ والكامل ١٢٨ ٢١٥ والمجمل ٢١٢ والمقرب ٦١ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ ، ٢٥٤ .

أو بمعنى انكشف أمره . وفيه ضمير يعود على الموصوف المحذوف لضرورة الشعر . وهذا على أحد التخريجين المشهورين فى هذا البيت.والتخريج الثانى لسيبويه ، وهو أنَّ جلا مع ضميره المستتر جملة محكية جُعِلت علما ، ولاشاهد فيه على هذا.ولنا عليه كلام أسلفناه فى الشاهد الثامن والثلاثين من أوائل الكتاب.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الثلثمائة (١):

٣٤٥ (مالَكَ عِندى غَيْرُ سَهْم وحَجَرْ وغَيْرُ كَبْداءَ شديـدةِ الوَتَـرْ

* جادت بكَفَّىْ كانَ من أرمى البَشَرْ *)

على أنّ جملة كان مع ضميره المستتر صفةٌلموصوفٍ محذوف ضرورة ، أى بكَفَّىْ رجل أو إنسان كان. والأوْلَى بكَفَّىْ رامٍ ، للقرينة . قال ثعلب (فى أماليه) : لم أسمعْ مِنْ فى موضع الاسم إلاّ فى ثلاثة مواضع : قوله:

جادت بكَفَّىْ كان مِنْ أرمى البَشر

وقوله :

* ألاَ ربَّ مِنْهم منَ يقوم بمالِكا *

وقوله :

* ألا ربَّ منهم دارعٌ وهو أشْوَسُ *

انتهى . وإنما قال لم أسمع لأنّ كان فعل ، وربَّ حرف ، ولايليهما إلاّ الأسماء . وبهذا يستدلُّ على حرفيةِ من التبعيضية ، لأنَّ ربَّ لاتجر إلاّ النكرة .

---

(١) انظر المقتضب ٢ : ١٣٩ ومجالس ثعلب ٥١٣ والخصائص ٢ : ٣٦٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٤٩ والإنصاف ١١٤ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ .

وأقول : لولا وقوع هذا الموصوف مضافاً إليه هنا لجاز أن يكون من قبيل :

* وكلَّمتُها ثنتين كالماء منهما (١) *

وقال ابن جنى (فى الخصائص) : روى أيضاً بفتح ميم مَنْ أى بكَفَّىْ من هو أرمى البشر ، وكان على هذا زائدة . انتهى .

أقول : جعل مَنْ على هذه الرواية نَكرة موصوفة أولى من جعلها موصولة .

وقوله : (مالك عندى) إلخ لك ظرف مستقرّ وغير فاعله ، وعندى متعلق بلك . (كبداء) أى قوس كَبداء ،وهى التى يملأ الكفَّ مقبضُها .و(جادت) أى أحسنت . وهذه رواية ثعلب وابن جنى وغيرِهما ، ووقع فى رواية ابن هشام (فى المغنى) : « ترمى » بدل « جادت » .ويروى فى بعض نسخ هذا الشرح « كانت » ، وهذا لايناسب المعنى .

وقوله :(بكفَّىْ) متعلق بمحذوف على أنَّه حال ، وهو مثنَّى كفٌّ ، وحذفت النون للإضافة .

وهذا الشاهدُ قلَّما خلا منه كتابٌ نحوىّ ؛ لكنَّه لم يعرف له قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

---

(١) انظر الشاهد ٣٤٣ ص ٥٩.

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٥ . وانظر المقتضب ٢ : ١٣٨ وابن يعيش ١ : ٦١ — ٣ : ٥٩ ، ٦٠ والعينى ٤ : ٦٧ والأشمونى ٣ : ٧١ وديوان النابغة ٧٩ .

٣٤٦ (كأنَّكَ مِنْ جمالِ بنى أُقَيشٍ يُقعقَعُ خَلْفَ رِجلَيْهِ بِشَنٍّ)

على أنَّ حذف الموصوف هنا بدون أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، لضرورة الشعر ، والتقدير : كأنَّك جمل من جمال بنى أقيش . وهذا مثالٌ لقيام الظروف مقام الموصوف لضرورة الشعر ، والبيتان قبله لقيام الجملة مقامه كذلك .

٣١٣ وقد أورده ابنُ الناظم والمرادى (فى شرح الألفيَّة) كما أورده الشارح المحقق . وفيه أنَّ البيت من القسم الأوَّل ،وهو أنَّ الموصوف بالجملة أو الظرف إذا كان بعضاً من مجرور بمن أو فى يجوز حذفه كثيراً . وبيانه أنَّ الموصوف يقدَّر هنا قبل يُقعقع ،والجملة صفة له ، أى كأنك جملٌ يقعقع ، وهو بعضٌ من المجرور بمن ، ويكون قوله من جمال بنى أُقيش حالاً من ضمير يقعقع الراجع إلى جمل المحذوف .

وقد أورده الزمخشرى (فى المفصل) وصاحب (اللباب) فيما يجوز حذف الموصوف منه ، إلا أنهما جعلاه خبراً لكان كالشارح المحقق . وهما فى ذلك تابعان لسيبويه ، فإنَّه قال (فى باب حذف المستثنى استخفافاً) ،قال : وذلك قولك ليس غير ، وليس إلاّ ، كأنَّه قال : ليس إلاَّ ذاك وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب مايُعنَى . وسمعنا بعضَ العرب الموثوق بهم يقول :مامنهما مات حتى رأيته فى حال كذا ، وإنما يريد مامنهما واحدٌ مات . ومثل ذلك قوله تعالى جدُّه : ﴿ وإنْ من أهلِ الكِتاب إلاّ لِيُؤمِنَنَّ به قَبْلَ موته [1] ﴾ ، ومثل ذلك من الشعر :

* كأنك من جمال بنى أقيش *

(١) الآية ١٥٩ من النساء .

أَى كأنّك جمل من جمال بنى أقيش . ومثل ذلك قوله أيضاً :

* لو قلت مافِى قومها لم تيثم *

البيت . انتهى

وليس فى كلامهم مايُشعر كونَه من قبيل الضَّرورة ، بل جعله الزمخشرى وصاحب (اللباب) من قبيل ما إذا ظهر أمرُ الموصوف ظهوراً يُستغنى معه عن ذكره فحينئذ يجوز تركه وإِقامةُ الصِّفة مقامه . ولم يذكر ماذكره الشارح (١) المحقِّق من جواز حذفه كثيراً إذا كان بعضاً من مجرور بمن أوفى .

وقوله (بنى أقيش) بضم الهمزة وفتح القاف وآخره شين معجمة. قال أبو عمرو:هو حيٌّ من عُكْلٍ ،وجِمالهم ضعاف تنفر من كل شىء تراه.وقال ابن الكلبى:بنو أُقيش:حيٌّ من الجنّ،وإنما أَراد:إنّكَ نفورٌ وليس لك معَقودُ رأْى. وقال الأصمعىُّ :جمال بنى أُقيش حُوشيَّة ليست ينتفع بها، فيضرب بنفارها المثل .

ورأيت فى (جمهرة الأنساب) : أقيش بن مِنقر بن عُبيد بنُ مقاعس بن عمرو بن كعب (٢) . وأَنشد هذا البيت . وقيل بنو أُقيش فخذ من أشجع ، وقيل حيٌّ من اليمن .

و(يقعقع) بالبناء للمفعول . والقعقعة : تحريك الشىء اليابس الصلب . و(الشّنّ) بالفتح : القِربة البالية ، وجمعها شِنان ، وتَقعقُعُها يكون بوضع الحصا فيها وتحريكِها فيُسمع منها صوت ، وهذا ممَّا يزيدها نفورا . ووقع مثله فى شعر صخَر بن حَبْناء ، يخاطب أَخاه المغيرة :

تجنَّيتَ الذنوبَ علىَّ جهلا لقد أُولعتَ ويحكَ بالتَّجَنِّى
كأَنَّك إذْ جَمعت المال عَيرٌ يقعقَع خلفَ رجليه بشَنِّ

---

(١) ش : « ماذكر الشارح » .

(٢) وقع فى جمهرة ابن حزم ٢١٦ : « أنيس » بالنون ، ويبدو أن ماهنا صوابه .

ومنه المثل : «فلان مايُقعقَع له بالشِّنان» ، يضرب لمن لايتّضع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولا يروعُه ما لا حقيقة له .وقال الزمخشرى (فى المستقصى): يضرب للرَّجل الشَّرس الصعب ، أى لايهدَّد ولاينْزِع .وقال الحجاج على مِنبر الكوفة : « إنى والله ياأهلَ العراق مايُقعقَع لى بالشِّنان » .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات سيبويه) :سبب هذا الشعر أنّ بنى عبس قتلوا رجلاً من بنى أسد ، فقتلت بنو أسد رجلين من بنى عَبس ، فأراد عُيينة بن حِصن الفَزارىُّ أن يُعِينَ ٣١٤
بنى عبس عليهم وينقضَ الحلفَ الذى بين بنى ذبيان وبين بنى أسد ،فقال له النابغة: أتخْذُل بنى أسد وهم حلفاؤنا وناصرونا، وتعينَ بنى عبسٍ عليهم .انتهى.

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من القصيدة بعد ثمانية أبيات من أوَّلها :

(أتخذُلُ ناصرى وتُعِزَّ عبساً ... أيربوعَ بنَ غَيظٍ للمِعَنِّ (١)

كأنّك مِن جمالِ بنى أُقيشٍ ... يُقعقَع خلف رجليه بشَنِّ

تكون نعامةً طوراً ، وطوراً ... هُوِىَّ الريح تنسِجُ كلَّ فنِّ

إذا حاولتَ فى أسدٍ فجوراً ... فإنِّى لستُ مِنك ولستَ منِّى

همُ درعى التى استلأمتُ فيها ... إلى يوم النِّسار وهم مجنِّى

وهُمْ ورَدُوا الجفارَ على تميم ... وهمْ أصحاب يوم عكاظ إنِّى

شهدتُ لهم مواطنَ صادقاتٍ ... أتيتُهُمُ بنصح الصَّدْرِ منِّى

بكلِّ مجرّب كاللَّيث يسمو ... على أوصالِ ذَيالٍ رِفَنّ

ولو أنِّى أطعتُكَ فى أمور ... قَرعتُ ندامةً من ذاك سِنِّى)

---

(١) ش « بن قيظ » ، تحريف .

وهذا آخر القصيدة . وقوله :

* أتخذل ناصرى وتُعزّ عبسا *

هذا خطابٌ لعيينة بن حصن ،وأرادَ بناصره بنى أسد.وقوله :

* أيربوع بن غيظ للمِعَنّ *

هذا خطاب آخر ليربوع بن غيظ بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وهو من قوم النابغة .والمِعَنّ بكسر الميم وفتح العين المهملة :المعترض فى الأمور (١) ، وعنى به عيينة بن حصن ، يقال عنّ يعنّ ، وإنّك لتعِنّ فى هذا الأمر أى تَعرَّضُ فيه .واللام فى للمعنّ متعلّقة بمحذوف ،أى تعجب يايربوع من هذا المتعرِّض .

وقوله : (كأنّك من جمال) إلخ هذا خطابٌ لعيينة أيضاً ، يقول:أنت سريع الغضب والنُّفور ،تنفر مما لاينبغى لعاقلٍ أن ينفر منه . وقيل معناه إنّك جبانٌ فى الحرب لاتقدر على الطِّعان والضراب ، بل تنفر عنها كما ينفر الجمَل عن صوت الشَّنِّ وقعقعته .

وقوله : «تكون نعامة» ،قال أبو عَمرو : يقول :تتخيَّل مرّة كذا ومرّة كذا . وقوله : « هوىَّ الريح » يريد طوراً تهوى هُوىَّ الريح . والفنّ : اللون ، والجمع الفنون . وقال الأصمعىُّ : كأنّه يهوى هوىّ كل فن ، أى كلَّ ضربٍ من الجرى .

وقوله : « إذا حاولت فى أسدٍ فجوراً » ،استشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاَّتى فى حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائكم (٢)﴾.

---

(١) ط : « المقبوض فى الأمور » ، صوابه فى ش .
(٢) الآية ٢٣ من النساء .

وقوله : «درعى التى» إلخ اللأمة بالهمزة :الدرع . واستلأمتها: تحصنت فيها . والمجنّ : التُّرس . والنِّسار ، بكسر النون : اسم ماء لبنى عامر مِن بنى تميم ، وفيه وقعة كانت لأسد وغطفان على تميم .

وقوله : «وردوا الجفار» البيتين ، فى البيت التضمين ، وهو عيبٌ ، وهو أن يتوقَّف على البيت الثانى ، فأَن خبر إنّ هو أوّل البيت الثانى . والجفار بكسر الجيم : اسم ماءٍ لبنى تميم بنجد .

وقوله «بكل مجرب كالليث» الخ أى بكلّ شجاع مجرَّب فى الحروب . ورِفَنّ بكسر الراء المهملة بعدها فاء ، قال أبو عمرو : هو السريع .والذيَّال: الطويلِ الذنب .والأوصال : المفاصل ، أى على أوصال فرسٍ يَذِيل فى مشيته سابغ الذَّنَب . ٣١٥

والنابغة الذُّبيانى شاعرٌ جاهلى قد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الثلثمائة (٢):

٣٤٧ (والمؤمِنِ العائذاتِ الطَّيرَ يَمسَحُها
رُكْبانُ مَكَّةَ بينَ الغِيل والسَّنَدِ)

على أنَّ العائذات كان فى الأصل نعتاً للطير ، فلمَّا تقدم وكان صالحاً لمباشرة العامل أعرب بمقتضى العامل ، وصار المنعوت بدلا منه ،فالطير بدل من العائذات،وهو منصوب إن كان العائذات منصوباً بالكسرة على أنَّه مفعول به للمؤمن ،ومجرور إن كان العائذات مجروراً بإضافة المؤمن إليه.والأصل على الأول:والمؤمن الطير(٣)بنصب الأول بالفتحة والثانى بالكسرة.وعلى الثانى:والمؤمن

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .
(٢) ديوان النابغة ١٥ وابن يعيش ٣ : ١١ .
(٣) كلمة « الطير » ساقطة من ش .

الطير العائذات ، بجرِّهما بالكسر ، فلمَّا قدِّم النعت أعرب بحسب العامل وصار المنعوت بدلاً منه .

هذا محصَّل كلام الشارح المحقق ، وهو فى هذا تابعٌ لأبى علىّ (فى الإيضاح الشعرىّ) ،وهذه عبارته :مَنْ كانت الكسرة عنده جرَّة ، على هذا الحسن الوجهِ جرَّ الطير ،لأنَّ العائذات مجرورة .ومن كانت الكسرة عنده فى موضع نصب على قولك الضارب الرجل نصب الطَّير ، والطير فى هذا الموضع بدل أو عطفٌ ،وإنّما كَان حدُّه:والمؤمن الطيرِ العائذات أو الطيرَ العائذات ، فقدَّم العائذات وأخَّر الطير.و (المؤمن) هو الله سبحانه ، وهو اسم فاعل من آمن كما قال: ﴿ الذى أطْعَمَهُمْ من جُوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خوف [1] ﴾ أى آمنهم من الخوف لكونهم فى الحَرَم وحُلولهم فيه . انتهى .

ولم يرضَ الزمخشريُّ هذا (فى المفصل) فى باب الإضافة:أنَّ العائذات كان فى الأصل الطير العائذات ،فحذف الموصوف وجعل العائذات اسماً لا صفة، فلمّا جعلت اسماً احتاجت إلى تبيين ،فأجرى عليها بالتبيين . قال : وليس هذَا من تقديم الصفة على الموصوف .

ولايخفى أنَّ هذا تكلُّف ، ولهذا أعرض عنه الشارح .

وزَعم بعضُهم أنَّ الطير بدلُ بعضٍ من العائذات ، لأنَّ العائذات عامٌّ يقع على الطير والوحش وغيرهما .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى ، وهو أحسن شعره ، ولهذا ألحقوها بالقصائد المعلَّقات ، مدح بها النُّعمان بن المنذر ملكَ الحيرة ، وتبرّأ فيها مما اتُّهِم به عند النعمان .

---

(١) الآية ٤ من سورة قريش .

وتقدَّمَ أبياتٌ منها فى باب الاستثناء ،وفى خبر كان وفى غيرهما.

وهذه أبيات منها :

(فلا لعَمْرُ الذى قد زُرْتُهُ حِجَجاً ... وماهُرِيقَ على الأنصاب من جَسَدِ أبيات الشاهد

والمؤمنِ العائذاتِ الطّير .... البـــيت

ماإن أتيتُ بشيءٍ أنت تكرهُه ... إذَنْ فلا رفَعَتْ سَوطِى إلىَّ يدى

إذَنْ فعاقَبَنـى رَبِّـى معاقبــةً ... قَرّتْ بها عينُ من يأتيك بالحسَدِ

هذا لأبـرأَ من قولٍ قُذِفتُ به ... طارت نوافذهُ حَرَّى على كبدى)

قوله : «فلا لعمر الذى» إلخ لا الداخلة على القسم قيل نافية منفيُّها محذوف ، أى ليس الأمر كما زعموا ، وقيل زائدة زِيدت توطئةً لنفى جواب القسم ، وعمر مبتدأ محذوفُ الخبر وجوباً ، أى قسمى.وحِجَجاً : جمع حِجّة، ٣١٦ بكسر المهملة فيهما ، وبعدها جيم ، وهى السَّنة .أقسَمَ بالبيت الذى زاره فِى سنين متعدِّدة ، وهو البيت الحرام.وقوله: «وماهُرِيق على الأنصاب» هريق بمعنى أريق ،والهاء بدل من الهمزة . والأنصاب:حجارةٌ كانت العرب فى الجاهليَّة تنصبها وتذبح عندها. والجسَد بفتح الجيم ، هو الدم . ومامعطوف على الذى،وكذا قوله: والمؤمن.وزعم من لم يطّلع على البيت الأوَّل أنّ الواو واو القسم .والعائذات:ماعاذَ بالبيت من الطيرّ،قال ثعلب:أراد بالعائذات الحمامَ،لما عاذت بمكة والتجأت إليها حرَمَّ قَتلهَا وآمنها مِن أن تُضام.وقد أغْرب بعضُهم بقوله : العائذات جمع عائذ،وهى الحديثة النتاج من الطيور والبهائم، وهو مِن عُذت بالشيء : التجأت إليه،لأنّ الحامل إذا ضربها المخَاضُ عاذت.وهو فى الأصل من باب الكناية.انتهى

وفيه أنّ العائذ بالمعنى المذكور خاصٌّ بالناقة .

والطّير :جمع طائر ، مثل صحب وصاحب ،وقد يقع على الطّير الواحد، وجمعه طيور وأطيار . ورُكبان : جمع رَكب ،وجملة «يمسحها ركبانُ مَكَّةَ » حالٌ من الطيّر . والسَّنَد ، بفتحتين : ماقابلك من الجبَل وعلا عن السفح (١) . وروى أبو عبيدة الغيل بكسرِ الغين المعجمة ،وقال : هى والسنّد أجمتان كانتا بين مكة ومنى . وأنكرها الأصمعىُّ وقال :إنَّما الغيل بالفتح ، وهو ماءٌ . يعنى النابغةُ ماءً كان يخرج من أَبى قُبيْس .كذا فى شرح ديوان النابغة . ولم يذكر أبو عبيد هذا (فى معجم ماستعجم (٢))

وقوله :« ماإنْ أتيت بشىء » إلخ هذا [هو] جوابُ القسم. واستشهد به ابن هشام (فى المغنى) على أنّ « إنْ » تزاد بعد ما النافية . يقول : مافعلت شيئاً تكرهه أنت ، وإلاَّ فلا رفعت يدى إلىّ سوطى ، أى شلّت يدى ولم تقدر على رَفْع السوط .

وقوله :« إذَنْ فعاقَبَنى رَبِّى » إلخ هذا دعاءٌ آخر على نفسه .

وقوله : « هذا لأبرأ » إلخ أى هذا القسم لأجل أن أتبرّأ مما اتُّهمت به . والنوافذ تمثيل ، من قولهم : جرح نافذ . أى قالوا قولاً صارَ حَرُّه على كبدى وشَقِيتُ به .

* * *

وأنشد بعده :

(وليلٍ أقاسيهِ بطىء الكواكبِ)

على أنَّه يجوز أن توصف النكرة بالجملة قبل وصفها بالمفرد إذا اجتمعا ،

---

(١) ط : « من السفح » ، صوابه فى ش واللسان (سند) .

(٢) ش : « فى المعجم فيما استعجم » .

كما هنا ، فإنَّ ليلا قد وُصِفَ بجملةِ أقاسيه قبل وصفه بقوله : بطىء ، وليس مجروراً بالعطف على همٍّ فى صدر البيت ، وهو :

* كِلينى لهَمٍّ ياأُميمةَ ناصبِ *

يقول : دعينى واتركينى لهذا الهمّ المتعِب ومقاساةِ الليل البطىء الكواكب .

وهذا البيتُ مطلع قصيدةٍ للنابغة الذبيانى أيضاً تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة [1] :

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الثلثمائة [2] :

٣٤٨ (ألا أيُّها الطَّيرُ المُرِبَّة بالضُّحَى على خالدٍ لقد وَقَعْتِ على لَحْـمِ)

على أنّ الصفة ربَّما تنوَى ولم تذكَرْ ، للعلم بها كما هنا . فإنَّ التقدير : على لحم أىّ لحم .

وكذا أُوردَه فى (التفسيرين [3]) عند قوله تعالى :﴿ أُولئك عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهم [4] ﴾على تنكير هدًى للتعظيم ، أى هدى عظيم ، كتنكير لحم فى هذا البيت ، أى لحم عظيم . والفرق بينهما أنَّ الأول مفهومٌ من اللفظ المحذوف ، والثانى من الفحوى ، والمحوِجُ إلى هذا استقامة المعنى ، ولولاه لكان لَغـواً ٣١٧

(١) الخزانة ٢ : ٣٢١

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٥٤ . وسيأتى فى ٣ : ١٨ بولاق .

(٣) هما تفسيرا الزمخشرى والبيضاوى . وقد شرح شواهدهما معا « خضر الموصلى » .

(٤) الآية ٥ من البقرة .

لا يفيد شيئاً ، ولهذا اعتُبر ، سواء كان بالطريق **الأولى** **أم** الثانية .

ولجوازهما قدَّر الشارح المحقق هنا الوصف ، **واعتبره هناك** من التنكير لما فيه من الإبهام المقتضى للتفخيم والتعظيم .

ونُقل عن الزمخشرى أنّه كان إذا أُنشد هذا البيت يقول : ماأفصحك من بيت !

صاحب الشاهد

وصدر البيت لم أره كذا إلاّ فى رواية الشارح المحقق . والبيت من شعرٍ مذكور فى أشعار هذيل ذُكر فى موضعين منها ، ذكر فى الموضع الأول ستة أبيات ، وفى الموضع الثانى اثنين وثلاثين بيتاً . أما الرواية الأولى ، والشعر منسوبٌ لأبى خراش فهى هذه :

(إنَّكِ لو أبصرتِ مصرع خالدٍ ... بجنب السِّتارِ بين أظْلَمَ فالحَزْمِ
لأيقنتِ أنَّ البَكرَ ليس رزيَّة ... ولا النَّابَ ، لااضطمَّتْ يداكِ على غُنْمِ
تذكَّرتُ شجواً ضافنى بعدَ هَجعةٍ ... على خالدٍ فالعينُ دائمةُ السَّجْمِ
لَعَمْرُ أَبى الطَّيرِ المُرِبَّةِ بالضُّحي ... على خالدٍ لقد وَقعْتِ على لَحْمِ
كُليهِ ، وربِّى ،لاتجيئِينَ مِثْلَه ... غداةَ أُصابتْهُ المنيَّةُ بالرَّدْمِ
ولا وأبى لا تأكلُ الطَّيرُ مِثْلَه ... طويلَ النِّجاد غير هارٍ ولا هَشْمِ)

قوله : « إنكِ لو أبصرتِ » ، هذا خطابٌ لعشيقة خالد بن زُهيرٍ الهذلى ، قُتِل بسببها كما يأتى بيانُ قتله . وخالدٌ هو ابن أخت أبى ذُؤيب الهذلى . والسِّتار ، بكسر السين المهملة بعدها مثناة فوقية وآخره مهملة ، قال البكرى (فى معجم ما استعجم):هو جبلٌ معروف بالحجاز. وأنشد هذا البيت. وأظْلَمُ

على وزن أفعل التفضيل من الظُّلم (١) ، قال البكرى : هو موضعٌ قريبٌ من السِّتَّار . والحَزم ، بفتح المهملة وسكون الزاى المعجمة ،هو موضعٌ يقال له حزم بنى عُوَال .-ووقوع هذه الفاء بعد بَيْنَ قد شرحه الشارح المحقق فى الفاء العاطفة .

وقوله : «لأيقنتِ أَنَّ البَكْر » هو بالفتح : الجمل الشابُّ . والنابُ : الناقة المسنَّة . يقول : لو رأيتِ هلاكَ خالدٍ لعلمتِ أنَّ ذهاب البكر والنابِ ليسا بمصيبة ، واستخففتِ مُصابَهما. وقوله : «لااضطمَّتْ» إلخ هو دعاءٌ عليها ، وهو افتعلت من الضّمّ ، أى لاغنِمتْ يداكِ بل خيّبكِ الله ، إذ صِرت تحزَنينَ على هذا البكر .

وقوله : «تذكَّرتُ شجواً» هو بضم التاء. والشَّجْو :الحزن. وضافنى : نزلَ بى كالضَّيف . والهَجْعة : النَّومة .والسَّجم : السَّكب .

وقوله : «لعمر أبى الطير» قال السكرى (فى شرح أشعار هذيل (٢)):قوله : لقد وقعتِ على لحم:كان ممنوعاً . والطيرِ مضبوط بالكسرة فى نسختى،وهذه نسخة قديمة صحيحة ، تاريخ كتابتها فى سنة مائتين بعد الهجرة،وعليها خطوطُ العُلماء منهم ابن فارس صاحب (المجمل) فى اللغة ، كتب على ظهرها سَنَد روايته . ولعمر مبتدأ محذوف الخبر،أى قسمى ، وقوله: «لقد وقعت» جواب القسم،وهو خطابٌ للطير على الالتفات. وروى : «لقد عَكَفن»بدله من العكوف بالغَيبة،والنون ضمير الطير، وعليه لا التفات. وأراد

---

(١) الذى فى معجم مااستعجم : « من الظلمة » .

(٢) شرح السكرى ١٢٢٦ .

بأبى الطَّير خالداً (١) سمَّاه به لوقوعها عليه ، كما يقال أبو تراب ونحوه . وقيل أراد : أبا الطَّيْرِ (٢) الواقعَةِ على لحمه ، واستعظمها بالقسَمِ بها لاستعظام لحم خالدٍ العظيم ، ففيه تعظيم للإقسام عليه بنفسه ، كما قال أبو تمام :

* وثناياكِ إنَّها إغريضُ (٣) * ٣١٨

و(المرِبَّة) : اسم فاعل ، صفة الطير ، من أربَّ بالمكان ، إذا أقامَ به . وروى (فى التفسيرين) :

* فلا وأبى الطير المرِبَّة بالضُّحى *

فلا : ردٌّ لما يُتوهَّم من تحقيره بأكل الطير له ، وقيل زائدة . وزعم بعضهم أن أبى بياء المتكلم ، والطيرُ بالرفع . وبعض آخر أنَّ أبى أصله أبينَ بالجمع حذفت نونُه للإضافة . ولا يخفى ركاكته .

وقال السعد (فى حاشية الكشاف) : وروى برفع الطير على أنَّه فاعل فعل يفسِّره لقد عكفن .

وقوله : « كُليه وربِّى » أمرٌ للطير بالأكل ، يرغِّبها فى أكلها إياه فإنّها لاتجىء إلى مثله ولا تظفَر به .

وقوله : « ولا وأبى لا تأكل الطير » إلخ هارٍ أصله هائر ، أى ضعيفٌ ساقط ، فقلبَ وحذف بالإعلال ، مثل شاكى السلاح أصله شائك . والهشيم (٤) : الرِّخو الضعيف .

---

(١) ط : « خالد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : «أرادبالطير » ، صوابه فى ش .

(٣) مطلع قصيدة فى ديوانه ١٨١ يمدح بها أبا الغيث موسى الرافقى . وعجزه :

* ولآلٍ تُومٌ وبرقٌ وميضُ *

(٤) كذا . والذى فى البيت « الهشم » فلعله « والهشم والهشيم » .

وأبو خراش : شاعرٌ إسلاميٌّ صحابى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والسبعين [١] .

وأما الرواية الثانية بعد ثمانية أوراق [٢] بعد هذا [٣] ، ونسبها الأخفش لخراش ابن المذكور . والقصيدة هذه :

(أرقتُ لهمّ ضافَنى بعد هجعةٍ … على خالدٍ فالعينُ دائمةُ السّجْمِ [٤]

إذا ذكرتـه العيـنُ أغرقَهـا البُكـا … وتشرقُ من تَهْمالها العينُ بالـدمِّ

فباتت تُراعِى النّجمَ عينٌ مريضة … لِمَا عالها واعتادَها الحُزْن بالسُّقمِ

عالها : أثقلها وشقَّ عليها ــ

وما بعدَ أن قد هدَّنى الحزنُ هدَّةً … تَضَالَ لها جِسْمى ورقَّ لها عَظمى

وأنْ قد أصابَ العظمَ منِّى مُخامرٌ … من الدَّاء داءٌ مستِكنٌّ على كلْمِ

تَضالَ بمعنى صغُر وضعف ، وأصله بالهمزة بعد الألف ، فحَذَفها للضرورة . ومخامر : مخالط وملازم . والكَلْم بالفتح : الجرح ــ

وأنْ قد بدا منِّى لِمَا قد أصابنى … من الحزن أنِّى ساهمُ الوجه ذُو هَمِّ

شديدُ الأسى بادى الشُّحوب كأنَّنى … أخو جِنّةٍ يعتاده الخَبْلُ فى الجِسم

الساهم : المتغيِّر . والأسَى : الحزن . والشُّحوب : التغير . وجِنَّة بالجيم ،

(١) الخزانة ١ : ٤٤٣ .

(٢) كذا فى النسختين . والوجه « ثمانى أوراق » .

(٣) كذا وردت العبارة فى النسختين .

(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٥١ وشرح السكرى ١٢٢٣ .

هو الجنّ . وروىَ: « حيَّة » بمهملة ومثناة تحتية ، يعنى ملسوعا . والخَبْل ، بفتح المعجمة : فساد الجسم والعقل ـــ

لِفقدِ امرئٍ لا يجتوى الجارُ قربَه
ولم يك يُشْكَى بالقطيعة والظلْمِ

يعود على ذِى الجهل بالحلم والنُّهَى
ولم يك فحَّاشاً علَى الجار ذا عَذْمِ

ـــ لا يَجتوِى بالجيم ، أى لايكره . والعذم ، بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة : العَضّ [١] والوقيعة ـــ

ولم يكُ فَظًّا قاطعاً لقرابةٍ   ولكن وَصولاً للقرابة ذا رُحْمِ [٢]
وكنتَ إذا ساجرتَ منهم مُساجراً   صفحتَ بِفضلٍ فى المروءة والعِلمِ

ـــ هذا خطابٌ لخالد . وساجرتَ بالجيم ، بمعنى عاشرت . والسجير : العشير والصاحب ـــ

وكنتَ إذا ماقلتَ شيئاً فعلته   وفُتَّ بذاك الناسَ مجتمِعَ الحزمِ
وإن تكُ غالتك المنايا وصرَفُها   فقد عشتَ مَحمودَ الخلائق والحِلْمِ
كريمَ سجيَّاتِ الأمور محبَّباً   كثيرَ فضولِ الكفِّ ليس بذى وَصْمِ ٣١٩
أشمَّ كنصل السَّيف يرتاح للنّدى   بعيداً من الآفات والخُلقِ الوَخْمِ

(١) العض ، بالعين المهملة ، كما فى اللسان عند إنشاد البيت .

(٢) فى شرح السكرى : « ذا رحم : ذا رحمة » . وفى اللسان : الرحم : العطف والرحمة .

جَمعت أموراً يُنفذ المِرْءَ بعضُهـا　　من الحلم والمعروف والحسبِ الضَّخمِ (١)

— المِرءَ مفعول يُنفذ ، وبعضُها فاعله . يقول : بعض هذه الأمور التى فيك تجعل المرء نافذاً فائقا لا يقدر على كسبها فكيف كلُّها (٢) ، وقد اجتمعت فيك . والمرء ، بكسر الميم ، فى لغة هذيل (٣) —

لعمر أبى الطَّيرِ المُرِبَّةِ غُدوة　　على خالدٍ لقد عَكفنَ على لحم

— رواية هذا البيت هنا كذا وقعت ، وقال السكرىُّ هنا : أراد التعجب ، أى أىّ لحم وقعت عليه . ويروى :

لقد قلتُ للطَّير المرِبَّة غُدوةً　　على خالدٍ لقد وقعتِ على لحمِ

والمُرِبَّةُ : المقيمة . انتهى —

ولحمِ امرىءٍ لم تَطعَمِ الطَّيرُ مثلَه　　عشيَة أمسى لايُبين من البَكْمِ

أراد البَكَمَ بفتحتين فَخفَّف —

فكَلاّ وربِّى لا تعودى لمثِله　　عشيـةَ لاقَتْـهُ المنيَّـةُ بالـرَّدْمِ
فلا وأَبى لا تأكل الطيرُ مثلَه　　طويلَ النِّجاد غير هارٍ ولا هَشْمِ
أُبعدكَ أرجُو هالكاً لحياتِـه　　لقد كنتُ أَرجوه وماعشتُ بالرُّغمِ
فوالله لاأنساكَ ماعشتُ ليلة　　ضَفىٌّ من الإخوان والولدِ الحَتْمِ

(١) فى ديوان الهذليين وشرح السكرى : « المر » . وقال السكرى : « المر لغتهم ، يريد المرء يا هذا » . لكن فى اللسان (مرأ) أنشد البيت بالرواية المثبتة هنا . وقال : « هكذا رواه السكرى بكسر الميم وزعم أن ذلك لغة هذيل » .

(٢) فى الديوان وشرح السكرى : « تجعل المرء نافذا فكيف كلها » .

(٣) انظر التعليق السابق .

ـــ الضّفى : فَعول من ضفا يضفو ، إذا كُثر . والحَتْمُ : الحقّ ـــ

تُطِيف عليه الطَّيرُ وهو ملحَّبٌ خِلافَ البُيوت وهو محتمل الصرِّمِ

ـــ الملحَّب : بفتح الحاء المهملة : المقطَّع . والصرِّم ، بالكسر : الحيّ ـــ

فإنّكِ لو أَبصرتِ مَصرعَ خالدٍ بجنب السِّتّارِ بين أظلمَ فالحَزْمِ

لأيقنتِ أَنّ النـابَ ليست زريَّـةً ولا البَكْرَ ، لا التفَّت يداكِ على غُنْمِ

ـــ هذا خطابٌ مع المرأة ، يقول : إنَّ المصيبةَ قتلُ ذاك ، ليس المصيبةُ ناباً تُصابِين بها . ثم دعا عليها : لا زرقَ الله يديك خيراً تلتفُّ عليه ـــ

وأيقنتِ أن الجـودَ منـه سجيَّـةٌ وما عشتِ عيشاً مثلَ عيشكِ بالكُرْمِ

أَتتـه المنايـا وهـو غضٌّ شبابُــه وما للمنايا عن حِمَى النفس من عَزْمِ

ـــ ما نافية . والكُرم بالضم : العزَّة . والعَزْم هنا : الصَّبر ـــ

وكلُّ امرئٍ يوماً إلى الموت صائرٌ قضاءٌ إذا ماحانَ يُؤخَذ بالكَظْمِ

ومـا أَحـدٌ حَيٌّ تأخَّــرَ يومُــه بأخلدَ ممَّن صار قبلُ إلى الرَّجمِ

ـــ والكَظم بالفتح : الحَلْق ، وقيل الفم ، وقيل مخرج النَّفس ، وأصله بفتحتين فسكِّن ضرورة . والرَّجْم بالفتح : القبر ، وأصله أيضاً بفتح الجيم فسكِّن ـــ

سيأتى عَلَى الباقين يومٌ كما أتى عَلَى مَن مَضَى حتمٌ عليه من الحَتْمِ

٣٢٠ جزى الله خيراً خالداً من مُكافِئٍ عَلَى كلِّ حال من رَخاء ومن أَزْمِ

فلست بناسيهِ وإنْ طال عهده وما بعده للعيش عندىَ من طَعْمِ

وهذا آخر القصيدة . والأزْم :الشِّدةّ .وإنَّما سقتُها بتمامها لِحُسْنها وانسجامها ، ولأنَّ شرَّاح شواهد التفسير زعموا أنَّ البيت الشاهد ليس هو إلاَّ من أبيات أربعة ، لعدم اطِّلاعهم .

وروى السكرى فى آخر أشعار الهذليين [١]فى بيان سبب قتل خالد المذكور ، أنَّ البيت الشاهد ومامعه من الشعر لخاله أبى ذؤيب الهذلى .

وهذه قصة قتلهِ ، قال: زعموا أنَّ رجلاً من هُذيل كان يقال له وَهْب بن جابر ، هوِىَ امرأةً من هذيل ، كان يُقال لها أمّ عمرو ، فاصطاد يوما ظبية فقال يخاطبها [٢] :

فمالكِ ياشبيهةَ أُمِّ عمرو إذا عايَنْتِنا لا تأمَنينا
فعينكُ عينُها إذ قمتِ وَسْنَى وجيدُك جيدُها لو تَنطقينا
وساقُكِ حَمْشةٌ ولأمِّ عمرو خَدَلَّجةٌ تُضِيقُ بها البُرينا
ورأسك أزعرٌ ولأمِّ عمرو غدَائــرُ يَنعفِــرْنَ وينثنينا

ـــ تُضيق من الإضاقة . والبُرِينَ : جمع بُرَة ، وهى الخلخال ـــ

ثم خلَّى سبيلَها ، فبلغ ذلك أُمَّ عمرو فعطفَتْ عليه ، فاستمكن منها وكان رسولها إليه أبا ذؤيب الشاعر ، فلما أيفَعَ أبو ذؤيب وكان جميلاً رغبتْ فيه واطَّرحَتْ وهباً ، ففشا أمرُهما فى هذيل وقصَّر عن بعض زيارتها وأخفى أمرَها خشية أن يُرصَد فيُغتال ، فانطلق إلى ابن أخت له يقال له خالد بن زهير فأخبره بأمرِ أُمِّ عمرو ، وقال له : هل لك أن تكونَ رسولى إليها وتعاهدَنى

(١) فى النسختين : « أبيات الهذليين » ، وأثبت مافى هامش ش مقرونا بكلمة « صح ». وانظر ماسيأتى فى آخر القصة التالية .

(٢) فى ش :«كان يقال لها أم عمرو فقال » فقط .

على أن لاتَغدرَنى (١).فأعطاه خالدٌ مواثيقَه واختلف بينهما ،فلم تلبث أَنْ عشِقتْ خالداً وتركت أبا ذؤيب،وكان أبو ذؤيب يرسل خالداً إليها فينطلق فيتحدث إليها بحديث نفسه ، فإذا انصرف قال لأبى ذؤيب :لم ألجْ إليها الخباءَ ، وجدتُها وسَنْىَ ! وكان ينصرف عنها ملطَّخا بالطِّيب ، فارتاب أَبو ذؤيب من ذلك ، وجعل يمسُّ خدَّه ويشمُّ ثوبَهُ فيجد منه ريح الطِّيب ، وأَنكر ذلك خالدٌ من خاله فقال خالد لأُمّه ، وهى أُخت أبى ذؤيب :

ياقوم مَنْ لى وأبا ذؤيبِ كنت إذا أَتَوْتُه من غَيْبِ
يشمُّ خدِّى ويَبُزُّ ثوبى كأَنَّنـــى أَرَبْتـــه بريبِ
* مِن أَجل أَنْ يرمِينى بغَيْبِ *

فقال له أبو ذؤيب يوماً:انطلقْ إليها ياخالد،فإنى أُريد أَنْ آتيَها السَّاعةَ . فانطلق خالدٌ إليها فعانَقَها وقضى ماأَراد من لهوه وضاجَعَها ، وذهب بهما النَّوْم فجاء أَبو ذؤيبٍ بعد ذلك فأَخذ سهمَين من سِهامه ، فوضعَهُما عند رءوسهما وأَرجُلِهما ثم انصرف ، فلما انتبه خالد عَرَف السَّهمين،فأعرضَ عن أَبى ذؤيب إِذْ عرف أَنَّه قد أيقن بغَدْره. وأَقبل أَبو ذؤيب على أُمِّ عمرو فقال :

تُريدين كيما تجمَعِينى وخالداً وهلْ يُجْمع السَّيفانِ ويحكِ فى غِمْدِ

فأَجابه خالدٌ من شعر : ٣٢١

فلا تسخَطَنْ من سُنَّةٍ أنتَ سِرتَها فأَوَّلُ راضٍ سِيرةً مَنْ يَسيرُها

وجَرَى بينهما أَشعارٌ مذكورة فى أشعار الهذليين .فلمَّا رأى وهبُ بن جابر فسادَ مابينَهما بعث ابنه عمرَو بنَ وهب،فبذلَ لأُمِّ عمرٍو ذاتَ يده، فعطَفَها على نَفْسِه بالطَّمَع ، وكان عمرو من أعظم شَباب هذيل،واستمسكت

(١) يقال غدره وغدر به ، يتعدى ولا يتعدى ، كما فى اللسان ، أى نقض عهده .

بخالدٍ لعِشْقِها إيَّاه ، فكان لِخالد سِرُّها ، ولعمرٍو علانيتُها،فبينا عمرٌو عندها ذات يومٍ إذ أتاها خالدٌ وهي وهو على شَرابهما ، فقام مستبطناً سَيفَه فولَجَ عليهما ، فضرب رأسَ عمرٍو ثم خرج هارباً، فمرَّ بأَبى ذؤيب ،وأبى خراش، وربيعةَ بن جَحْدر ، وهم يتصيَّدُون ، فقال أبو ذؤيب:ماوراءك ياخالد؟فقال: قتلتُ عمراً .قال:قد أوقعتَنِى فى شرٍّ طويل ، عليك بالحَزم[١]! فبلغ الخبرُ وهبَ بنَ جابر ، فركبَ وركب معه جَبَّار بن جابر فى رهطهما ،فمرُّوا بأبى ذؤيب وأبى خراش وربيعةَ بن جحدر ، فسأَلهم عنه فقالوا:لم نعلمه ،ولكن هل لك فى شياهٍ من الأرْوَى [٢] ؟قال : مالى بهنَّ من حاجة ! ومضَوْا فى طلب خالدٍ حتَّى لَحِقُوه بجبل يقال له أظلم ، فقتلوه ، فبلغ ذلك أبا ذؤيبٍ وخِراشا وربيعةَ بن جَحدر ، فعند ذلك قال ربيعة من شعر :

فوالله لا أَلقَى كيومٍ لخالدٍ حَياتَى حتَّى يَعلوَ الرَّأسَ رامسُ

وقال أبو ذؤيب يرثى خالدا :

لَعَمْرُ أبى الطَّير المرِبَّة فى الضحى على خالدٍ لقد وقَعْتِ على لَحمِ

ثم جمعَ أبو ذؤيب رهطَه فاقتتلوا قتالاً شديدا ، فقُتِل عروةُ بن جحدر ، ونجا خراش بن أبى جحدر ، فعند ذلك قال أبو جحدر :

حمدتُ إلهى بعد عُروةَ إذْ نجا خِراشٌ وبعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ من بعضِ

ثم إنَّ القوم تحاجزوا ، والقَتْلَى [٣] فى أَصحاب أبى ذؤيبٍ أكثر ، فطلَبوا خويلداً ، وهو أبو خراش بن وائلة الهذلى ، وهو فى الحَزْم ، ومعه امرأتُه فلما علم بأَمرهم أمَرَ امرأتَهُ أَن تسير أَمامه ، وتقيم بمكانٍ وصفَهُ لها ، فأخبرها

(١) الحزم : اسم لعدة مواضع . وأصل الحزم المكان الغليظ .
(٢) ط : « من الأراوى » ، وأثبت مافى ش .
(٣) هذا مافى ش . وفى ط : « والقتل » .

أَنَّ قومَه يطلبونه بِذَحْلٍ ،فإن أَبطَأْتُ عليكِ فانْعينى لقومِك . فقصدوا خُويلداً حتَّى خرجَ عليهم ، فتنكَّروا له ورحَّبوا به ، ففَطِن لهم وانصرفَ راجعاً ، فاتَّبعوه فسبقَهم ، ورمَوْهُ بأسهمٍ فلم تصبْه .فهو حيث يقول :

رَفَونى وقالوا : ياخويلد لاتُرَعْ فقلتُ وأَنكرتُ الوجوهَ :همُ همُ

هذا ماأورده السكرى فى آخر أَشعار الهذليين .

وأوردنا القصَّة هنا لأنّ فيها أَشعاراً فيها شواهدُ إذا جاءَت فيما سيأتى نُحِيل عليها .

وكانت هذه الوَقْعَةُ (١)قبل إِسلام أَبى ذؤيب وأَبى خراش .والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الثلثمائة (٢):

٣٤٩ (فإِيَّاكُمْ وحَيَّةَ بطنِ وادٍ هَموزِ النّابِ ليس لكم بِسِيٍّ)

على أَنَّ سيبويه استدلَّ به على جرِّ الجوار ، ردًّا على الخليل فى زعمه أنّه
٣٢٢ لايجوز إلاّ إذا اتَّفقَ المضافُ والمضاف إليه ، فى أُمور ذكرها الشارح المحقق : منها اتِّفاقهما فى التذكير والتأنيث ، وهذا البيت يردُّ عليه ؛ فإنَّ هَموزِ نعتُ الحيَّة المنصوبة ، وجُرَّ لمجاورته لأحد المجرورَين ، وهو بطن أَو واد (٣).

وعيَّنه ابن جنِّى (فى شرح تصريف المازنى) فقال : جرّ هموز لمجاورته لوادٍ مع اختلاف المضاف والمضاف إليه تذكيراً وتأْنيثاً؛فإنَّ حيّة مؤنث ومابعدها مذكر . وفيه أَن كلاًّ من الحية ومابعدها مذكر .

---

(١) ط : « الواقعة » ، وأثبت مافى ش .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٢٠ والمنصف ٢ : ١٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٢ وابن يعيش ٢ : ٨٥ واللسان (سوا ١٣٧) والحماسة بشرح المرزوقى ٤١٧ وديوان الحطيئة ٦٩ .

(٣) ش : « بطن وواد » .

أما الحية فقد قال صاحب الصحاح : الحية للذكر والأنثى ، وإنما دخله الهاءُ لأَنه واحدٌ من جنسٍ ، كبطة ودجاجة . وفلانٌ حيَّةٌ ذكر . على أنَّه قد روى عن العرب : رأيت حَيًّا على حية ، أى ذكرا على أنثى .انتهى .

أما البطن فقد قال صاحب الصحاح أَيضا : البطن : خلاف الظهر ، وهو مذكر ، وحكى أَبو حاتم عن أَبى عبيدة أن تأنيثه لغة . انتهى .

وأما الوادى فهو مذكر لا غير ، فيجوز للخليل أن يدَّعىَ توافق المضاف والمضاف إليه تذكيراً بجعل الحية للواحد المذكر من الجنس ؛وكذلك هموز فإنه فعول يُوصف به المذكر والمؤنث ، اللهم ألا أن يكتفى «س» للتَّخالف بالتأنيث والتذكير اللفظيَّين . هذا وسيبويه لم يستشهد بهذا البيت ، وإنَّما استشهد بقول العجاج :

* كأنَّ نسجَ العنكبوت المرْمَلِ *

ووجْه الاستدلال منه أنَّ العنكبوت مؤنث والمرمل مذكر ، لأنَّه وصف للنَّسج ، فقد اختلفا تأنيثاً وتذكيراً . وللخليل أن يمنع هذا أيضاً فإنَّ العنكبوت قد جاء مذكراً أَيضاً ، نقل ذلك عن العرب . وأنشدوا :

على هَطَّالهمْ منهم بيوتٌ كأنَّ العنكبوت هو ابتناها [1]

وعلى تسليم أنها فى البيت مؤنثة فإنه تأنيثٌ ليس بعلامة ، إذْ ليس مؤنثاً بالتاء ولا بإحدى الألفين المقصورة والممدودة ، فأشبه التذكير ، إذ لم يظهر فيه من التنافر مايظهر فى التثنية .

وقد استدلّ لسيبويه بعضُهم بقراءة يحيى بن وثَّاب والأعمش:﴿إنَّ الله

(١) الهطال : اسم جبل ، كما فى معجم البلدان واللسان (هطل) عند إنشاد البيت .

هو الرزّاق ذو القُوَّةِ المتينِ (١) ﴾ بجرِّ المتِين . ورُدّ هذا أيضًا باحتمال أن يكون المتين صفة للقوّة ، لأنها فى معنى السبب فذكّرَ على المعنى ، فلا يكون من باب الخفض على الجوار . وهذا نصُّ سيبويه فى باب النعت : وقال الخليل رحمه الله : لايقولون إلا هذان جُحْرا ضبٌّ خربان ، من قبَل أنَّ الضب واحد والجحر جحران،وإنَّما يغلطون إذا كان الآخر بعِدَّة الأول وكان مذكّراً مثله أو مؤنثا. وقالوا : هذه جِحَرةُ ضباب خربة ، لأنَّ الضِّباب مؤنثة ،ولأنَّ الجحَرة مؤنثة والعدَّة واحدة ، فغلطوا. وهذا قول الخليل رحمه الله. ولانرى هذا والأوَّل إلاّ سواء ، لأنه إذا قال هذا جحر ضبّ متهدّم ، ففيه من البيان أنَّه ليس بالضب مثلُ مافى التثنية من البيان أنَّه ليس بالضب .قال العجاج :

* كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المرْمَلِ *

والمرمل مذكر ، والعنكبوت مؤنث .هذا كلام سيبويه

وقول الشارح المحقق: وقال بعض البصريين:إنَّ التقدير :هذا جحر ضب خرب جُحرهُ إلخ، هذا تخريج ابن جنى (فى الخصائص) قال فيه :الأصل هذا جحر ضب خربٍ جحرُه ،حذف الجُحر المضاف إلى الهاء وأُقيمت الهاء
٣٢٣ فارتفعت، لأنَّ المضاف المحذوف كان مرفوعا ،فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع فى نفس خرب ، فجرى وصفاً على ضَبّ وإن كان الخراب للجُحر لا للضب على تقدير .

وقال السيرافى :ورأيتُ بعض نحويِّى البصريِّين قال فى هذا حجر ضب خرب ، قولاً شرحتهُ وقوَّيتُه بما احتمله من التقوية . والذى قاله النحوىُّ أنَّ معناه هذا جحر ضب خربِ الجحر ، والذى يقوّيه أنّا إذا قُلنا خرب الجحر فهو من باب حسن الوجه ، وفى خرب ضمير الجحر مرفوع،لأن التقدير كان

(١) الآية ٥٨ من الذاريات .

خرب جحره.ومثله مما قاله النحويون :مررت برجل حسن الأبوين لاقبيحين ، والتقدير لاقبيح الأبوين وأصله لاقبيح أبواه ، ثم جعل فى قبيح ضمير الأبوين فثنى لذلك ، وأجرى على الأوّل فخفض ، واكتفى بضمير الأبوين ولم يُعِدْ ظاهرهما لما تقدَّم من الذكر . انتهى .

قال أبو حيان ، بعد أن نقل قولهما : ومذهبهما خطأ من غير ماوجه ، لأنه يلزم أن يكون الجحر مخصَّصا بالضبّ ، والضب مخصص بخراب الجحر المخصَّص بالإضافة إلى الضب ، فتخصيص كلٌّ منهما متوقّف على صاحبه ، وهو فاسدٌ للدَّور ، ولايوجد ذلك فى كلام العرب ؛ أعنى لايوجد مررت بوجهِ رجل حسنِ الوجه ، ولا حسن وجهه ، ولأنّه من حيث أجرى الخرِبَ صفة على النَّصْب لزم إبراز الضمير لئلا يُلبِس (١) .وقد فرق سيبويه بين حسن الوجه وحسن .ولأنَّ معمول هذه الصفة لايتصرَّف فيه بالحذف لضعف عملها. فأمّا قول الشاعر :

ويَضحك عِرْفانَ الدُّروع جلودُنا إذا جاء يومٌ مظلمُ الشمس كاسفُ

فلا يريد كاسف الشمس ،فيكون قد حذف معمول الصفة وإن كان قد ذهب إليه بعضُهم ، وإنّما هو عندنا صفة لليوم نفسه ،لأنَّ الكسوف يكون فيه ،فيكون نحو قولهم :نهارك صائم وليلك قائم. ولأنَّ هذه الصفة لايجوز نقل الضمير إليها حتى يصحَّ نسبتُها إلى الموصوف على طريق الحقيقة .ألا ترى أنَّه لايصحُّ عندنا : مررت برجل حائض البنت ،لأنَّ الحيض لايكون للرجل. وكذلك الخرب لايكون للضَّبّ ،والمرمل لايكون للعنكبوت .وكذلك هموز الناب لايكون للوادى . والذى يقطع ببطلان ماذهبا إليه قولُ الشاعر :

---

(١) ط : « يلتبس » .

ياصاح بَلِّغْ ذوى الحاجاتِ كلِّهم
أن ليس وصلٌ إذا انحَلَّتْ عُرى الذَّنَب(١)

وقول أبى ثَروان فى المفضَّل « كان والله من رجال العرب المعروفِ له ذلك » بخفض المعروف على المجاورة . وفى كلام أبى ثروان ، وهو ممن تؤخذ عنه اللغة والعربية ، ردٌّ على من يقول بأنَّ الجوار لايكون إلاّ مع النكرة ؛ فإنَّ كُلاًّ من البيت ومن كلام أبى ثروان لايمكن فيه أن يكون تابعاً للمجرور الذى قبله بحال . وتشبيه السيرافى المسألة (٢) بنحو قول النحويين : مررت برجل قائم أبواه لا قاعدين ، تشبيهٌ غير صحيح . انتهى كلام أبى حيان .

وبَيَّنه ابنُ هشام (فى المغنى) بعد نقل كلامهما ، بأنَّه يلزم استتار الضمير مع جريان الصفة على غير من هى له ، وذلك لايجوز عند البصريين وإنْ أُمِن اللبس. وقول السيرافى : إنَّ هذا مثلُ مررت برجل قائم أبواه لاقاعدين ،مردود ، لأَنَّ ذلك إنَّما يجوز فى الوصف الثانى دون الأَوّل.انتهى.

وقوله:ولأَنَّ هذه الصفة لايجوز نقل الضمير إليها حتى يصحَّ نسبتها إلى
٣٢٤ الموصوف ، إلى آخره ، هذا كلامُ السيرافى ، وهو معترف به ، فإنّه قال بعد مانقلناهُ (٣): ولايشبه عندى : وحَيَّةَ بطنِ واد هموز الناب ، على هذه العلّة لإنّا إذا خفضنا هموز الناب فهو محمولٌ على واد أو على بطن واد ، وليس هموز بمضاف إلى شيءٍ إضافتُه إليه تصحِّحه فى التقدير ، كما كان تقدير إضافة خرب الجحر توجب تصحيح الخفض . انتهى .

---

(١) مجهول القائل . وانظر شرح شواهد المغنى ٣٢٥ والشذور ٣٣١ والهمع ٢ : ٥٥ . والشاهد فيه جر « كلهم » على المجاورة للحاجات ، وانما هى توكيد لذوى المنصوبة .

(٢) ش : « فى المسألة » .

(٣) ش : « بعد ما نقلنا » فقط .

وقد بيَّنَ الشارحُ المحقّق إضافة هموز إلى مايصحِّح إضافته فى التقدير ، وشرَحَه بمالا مزيدَ عليه ، وكأنَّه قصد بهذا البيانِ الردَّ على السيرافى .

واعلمْ أنَّ قولهم : جُحر ضبٍّ خربٍ مسموعٌ فيه الجر والرفع ، والرفع فى كلامهم أكثر .قال أبو حيان (فى تذكرته) : ينبغى أن لاتجوز مسألة التثنية والجمع ، لأنَّ جر الجوار لم يسمع إلاَّ فى المفرد خاصّة فلا يُتَعدَّى فيه السماع. وقد قال الفرّاء وغيرُه : لايخفض بالجوار إلا ماستعملته العرب كذلك ، والمسموع منه ماتقدم ، وماسيأتى فى الشرح من بيت امرىء القيس ، وقول دريد بن الصِّمَّة :

فجئت إليه والرماحُ تَنوشُه كوقع الصَّياصِى فى النَّسيج الممدَّدِ
فدافعتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ وحتى علانى حالكُ اللونِ أسودِ

وأسود نعت لحالك ، وجُرّ لمجاوته المجرور .

وقول آخر :

كأنَّما ضَربتْ قُدَّامَ أعينها قُطناً بمستحصد الأَوتار محلوجِ (١)

ومحلوج نعت لقوله قطنا ، لكنَّه جرَّ بالمجاورة .

وقوله ذى الرمة :

تريك سُنَّة وجهٍ غيرِ مقْرِفة مَلساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

وغير: نعتٌ لسنَّة المنصوبة، وجرَّ للمجاورة .ووُرى بالنصب أيضاً. قال الفراء: قلت لأبى ثروان ،وقد أنشدنى هذا البيت بخفض غير : كيف تقول :

* تريك سُنّة وجه غيرِ مقْرِفةٍ *

(١) فى النسختين : «كأنك ضربت» ، صوابه من الإنصاف ٦٠٥ : وفى ط : « بمستحصل » ، صوابه فى ش . والمستحصد : المحكم الفتل .

قال :

* تريك سُنّةً وجهٍ غيرَ مُقْرِفةٍ *

بنصب غير . قلت له : فأنشد بخفض غير ، فخفض غير ، فأعدت عليه القول فقال :الذى تقول أنت أجود ممَّا أقول أنا . وكان إنشاده على الخفض . انتهى

قيل : ومنه قوله تعالى :﴿اشتدَّتْ به الرِّيحُ فى يومٍ عاصِفٍ [١]﴾،لأنَّ عاصف من صفة الريح لا من صفات اليوم . وهذا القول للفرَّاء .قال :لما جاء العاصف بعد اليوم أتبعته إعراب اليوم ، وذلك من كلام العرب ، أن يُتبعوا الخفض إذا أشبهه .

قال أبو حيان (فى تذكرته) :قد أُوِّلتْ هذه الآية . أقول :أوّلَها الفَرَّاء بتأويلين : أوّلهما وهو جيدّ قال: جعل العُصُوف تابعاً ليوم فى إعرابه ، وإنَّما العصوف للريح . وذلك جائز على جهتين : إحداهما أنّ العصوف وإن كان للريح فإنَّ اليوم يُوصف به ، لأنَّ الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول يوم عاصف كما تقول :يوم بارد ،ويوم حارٌّ . وقد أنشدنى بعضهم :

* يومين غَيْمين ويوماً شَمْسا *

فوصف اليومين بالغيمين ، وإنَّما يكون الغيم فيهما .

والوجه الآخر : أن تريد فى يومٍ عاصف الريح ، فتحذف الرِّيح لأنَّها قد ذُكرت فى أوَّل الكلمة ، كقوله :

* إذا جاء يومٌ مظلمُ الشمس كاسفُ [٢] *

---

(١) الآية ١٨ من إبراهيم .

(٢) سبق البيت بتمامه فى ص ٨٩ .

يريد كاسف الشمس . انتهى

وقد تقدم ردُّ هذا فى كلام أبى حيان .

وجَرُّ الجوار لم يسمع إلاّ فى النعت على القلة . وقد جاء فى التأكيد فى بيتٍ على سبيل النُّدرة . قال الفراء (فى تفسيره) : أنشدنى أبو الجرَّاح العُقَيلىُّ: ٣٢٥

ياصاحِ بلِّغْ ذَوى الزَّوجاتِ كلِّهم
أنْ ليس وصلٌ إذا انحلت عُرَى الذَّنَبِ(١)

فاتبع كلّ خفض الزوجات ، وهو منصوب ، لأنه توكيد لذوى .انتهى

وزعم أبو حيان (فى تذكرته) وتبعه ابن هشام (فى المغنى) أنَّ الفرَّاء سأَل أبا الجرَّاح فقال : أليس المعنى ذوى الزوجات كلَّهم؟ فقال:بلى ،الذى تقوله خيرٌ من الذى نقول . ثم استنشده البيتَ فأنشده بخفض كلِّهم . انتهى

والفراء إنَّما نقل هذه الحكايةَ فى بيت ذى الرمة السابق .

أبو الغريب النصرى

وهذا البيتُ لأبى الغريب . قال أبو عُبيدٍ البكرى (فى شرح أمالى القالى):هو أعرابىٌّ له شِعر قليل ، أدرك الدولةَ الهاشميَّة .قال أبو زياد الكلابى : كَان أَبو الغريب شيخاً قد تزوَّج فلم يُولم،فاجتمعْنا على باب خبائه وصِحنا:

أولـمْ ولـو بيربـوعْ أو لو بقردٍ مَجدُوعْ (٢)

(١) سبق الكلام عليه فى ص ٩٠ .

(٢) كتبت فى ش : « أولم ولو بقرد مجدوع » ، ثم صححت فيها بقلم الناسخ بحذف كلمة « ولو » . وفى سمط اللآلى ٦٥٠ : « أو بقراد مجدوع » وكذا فى الاشتقاق ١٤٢ .

* قتلتنا من الجوعْ *

فأولمَ واجتمعنا عنده ، فأعرس بأهِله ، فلما أصبح غدَوْنا عليه فقلنا :

ياليتَ شعرى عن أبى الغريبِ إذْ بات فى مَجَاسدٍ وطيبِ

معانقــاً للــرَّشأ الربــيبِ أأحْمَدَ المِحفارَ فى القليبِ

* أمْ كان رِخواً يابسَ القصيبِ *

فصاح إلينا : يابس القضيب واللهِ ، يابسَ القضيب ! وأنشأ يقول :

سَقياً لعهدِ خليلٍ كان يأدِمُ لى زادى ويذهب عن زوجاتِىَ الغضبا

كان الخليلَ فأضحَى قد تخوّنَه هذا الزمانُ ،وتَطعانِـى به الثُّقَبـا

وقال :

ياصاحِ بلِّغْ ذوى الزَّوجاتِ كلِّهِمِ
أنْ ليس وصلٌ إذا استرخت عُرَى الذَّنَبِ

انتهى . وأراد باسترخاء عُرى الذنب استرخاء الذكر .

وأما جرّ الجوار فى العطف فقد قال أبو حيان (فى تذكرته) : لم يأت فى كلامهم ، ولذلك ضعُف جداً قول من حمل قوله تعالى :﴿وامْسَحُوا برؤسِكم وأرجلِكم (١) ﴾، فى قراءة من خفض على الجوار (٢) . والفرق بينه وبين النعت كونُ الاسم فى باب النعت تابعاً لما قبله من غير وَساطة شىء ، فهو أشدُّ له مجاورة ، بخلاف العطف ، إذْ قد فَصَل بين الاسمين حرفُ العطف ، وجاز

---

(١) الآية ٦ من سورة المائدة .

(٢) قرأ نافع والكسائى وابن عامر وحفص:« وأرجلكم » بالنصب . وقرأ سائر القراء بالجر . وقرأ الحسن : « وأرجلكم » بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر ، أى اغسلوها إلى الكعبين . تفسير أبى حيان .

إظهار العامل فى بعض المواضع ، فبعُدَت المجاورة . وذهب بعضُ المتفقّهة من أصحابنا الشّافعية إلى أنَّ الإعراب على المجاورة لغةٌ ظاهرة ، وحمل على ذلك فى العطف الآية الكريمة ، وقوله تعالى : ﴿ لم يَكُنِ الذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكتاب والمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّين (١) ﴾، قال : فخفض المشركين لمجاورة أهل الكتاب. وماذهب إليه يمكن تأويله على وجهٍ أحسن ، فلا حجَّة فيه .انتهى.

وقال ابن هشام (فى المغنى) :وقيل به فى ﴿وحورٍ عِين (٢) ﴾فيمن جرَّهما ، فإن العطف على ﴿ولِدانٌ مُخَلَّدُون (٣) ﴾لا على ﴿أكوابٍ وأباريق (٤) ﴾، إذ ليس المعنى أنَّ الولِدان يطوفون عليهم بالحُور . وقيل العطف على جنَّات ، وكأنَّه قيل: المقرَّبون فى جناتٍ وفاكهةٍ ولحم طير وحُورٍ . وقيل على أكواب باعتبار المعنى ، إذْ معنى يطوف عليهم ولِدانٌ مخلَّدونَ ٣٢٦
بأكوابٍ: يَنْعَمون بأكواب . انتهى .

وأمَّا قوله فى البدل فقد قال أبو حيان أيضا : لم يُحفَظ ذلك فى كلامهم ، ولا خرَّج عليه أحدٌ من علمائنا شيئاً فيما نعلم . وسبب ذلك والله أعلم أنه معمولٌ لعامل آخر للعامل الأوّل على أصحِّ المذهبين ، ولذلك يجوز ذكره إذا كان حرف جرٍّ بإجماع ، وربما وجب إذا كان العامل رافعاً أو ناصبا . ففى جواز إظهاره خلاف ، فبعُدت إذ ذاك مراعاة المجاورة ، ونزِّل المقدَّر الممكن إظهارُه منزلة الموجود ، فصار من جملة أخرى . انتهى .

صاحب الشاهد — وقد آن لنا أن نرجع الى البيت الشاهد فنقول:هو من أبيات للحطيئة،

(١) الآية الأولى من سورة البينة .

(٢) الآية ٢٢ من الواقعة .

(٣) الآية ١٧ من الواقعة .

(٤) نصها : « بأكواب وأباريق » ، من الآية ١٨ من الواقعة .

وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة [١] ،مدح بها عدىَّ ابن فزارة ، وعُيينة بن حصن ، وحذيفة بن بدر ، فقال بعد تسعة أبيات [٢] من الغزل :

(فأبلغْ عامراً عنى رسولاً رسالةَ ناصحٍ بكُمُ حفىٍّ
فإيَّاكم وحيَّةَ بطـنِ وادٍ حديدِ النَّاب ليس لكم بسِىٍّ
فحُلُّوا بطنَ عُقْمةَ واتَّقونا إلى نجرانَ فى بلدٍ رخىٍّ
فكمْ من دارِ حىٍّ قد أباحت لقومهم رِماحُ بنى عدىٍّ
فما إن كان عن ودٍّ ولكنْ أباحوها بصُمٍّ السَّمهرىِّ [٣])

وبعد هذا خمسة أبيات أُخَر .

وقوله : « فأبلغ عامراً » الخ قال أبو عمرو : يعنى عامر بن صعصعة ، وهو أبو قبيلة . والرسول: الرِّسالة . انتهى .فيكون على هذا قولُه: رسالة ناصح بدلاً من رسولاً ، وأجودُ منه أن يكون رسولا حالا من ضمير أبلِغْ . والحفِىُّ ، بالحاء المهملة ، هو المشفق اللطيف .

وقوله : (فإياكم وحَية) إلخ إياكم محذَّر وحية محذَّر منه ، منصوبان بفعلين ، أى أبِعدوا أنفسَكم واحذروا الحية . وأراد الحطيئة بالحية نفسه ، يعنى أنه يحمى ناحيتَه ويُتقَّى منه كما يُتَّقى من الحية الحامية لبطن واديها ، المانعةِ منه. والوادى : المطمئن من الأرض . وقوله : (حديدَ النَّاب) هكذا وقع فى رواية ديوانه ، وهذا لايدلُّ على أن المراد بالحية الذكر ، لأنّ حديداً فى الأصل

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ .

(٢) ط : « من بعد تسعة أبيات » .

(٣) السمهرى : الرماح المنسوبة إلى سمهر زوج ردينة ، وكان مثقفا للرماح . والصم : جمع أصم . وهو الصلب المصمت . ط : « بضم السمهرى » ، صوابه فى ش والديوان ٦٩ .

مسند إلى الناب ، أى حديد نابه . والناب من الأسنان مذكَّر مادام له هذا الاسم ، والجمع أنياب ، وهو الذى يلى الرَّباعِيَات . قال ابن سينا : ولايجتمع فى حيوانٍ نابٌ وقرن . كذا فى المصباح . و(الحديد) : القاطع ، وروى بالنصب إتباعاً للفظ الحية ، والمشهور فى رواية النحويِّين (هَمُوزِ النَّاب) بالجر على المجاورة كما تقدم . و(الهموز): فعول من الهَمز بمعنى الغَمْز والضغط . وقوله : (ليس لكم بسِيٍّ) ، هذا يدلُّ على تذكير الحية ، فإنَّ ضمير ليس عائد إلى الحية ، ولو أراد المؤنث لقال ليست .والسىُّ بكسر السين المهملة : المثل ؛ أى لا تَستوون معه ، بل هو أشرفُ منكم .

وقوله « فحلُّوا بَطْنَ عُقْمة » إلخ حُلُّوا أمرٌ من الحَلول بمعنى النزول . وعُقْمَةُ ، بضم العين وسكون القاف ، قال أبو عُبيد البكرى (فى المعجم) : هو موضعٌ مابين ديار بنى جعفر بن كلاب وبين نَجْران . وأنشدَ هذا البيت .والمعنى: اتَّقُونا من ههنا إلى نَجْران . ونجران : مدينةٌ بالحجاز من شِقِّ اليمن . ورَخىّ : بعيد ، وقيل واسع مخصب .

وقوله : « فكم من دار حَىٍّ » إلخ حىّ هنا بمعنى القبيلة . وأباحت : بمعنى جعلتْهُ مباحا [١] .

وقوله:« فما إنْ كان عن ودٍّ » إلخ يقول : لم ينزلوا هذه المنازلَ عن مودَّةٍ بينهم وبين هؤلاء ، ولكن أباحتها لهم رماحُهم وسيوفُهم .

وأمّا بيت سيبويه ،وهو :

* كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ *

(١) ط : « جعلت » ، صوابه فى ش .

فهو للعجَّاج . وبعده (١):

على ذُرَى قُلَّامِهِ المهدَّلِ ... سُبوبُ كَتّانٍ بأيدِى الغُسَّلِ

النسج :الغَزْل . والمرمَل : المنسوج ،والمَغْزول .والذُّرى : الأعالى ، جمع ذِرْوة بالكسر .والقُلّام بضم القاف وتشديد اللام : ضربٌ من النبت ، وضميرُ قلّامِه راجعٌ إلى الماء ، فإنَّه فى وصف ماءٍ وَرَدَه . والمهدَّل :المُدلَّى (٢) . والسُّبوب : جمع سِبّ بالكسر ، كجذوع (٣). والسِّبُّ : ثوبٌ من كَتّان أبيض .والغُسَّل : جمع غاسل وغاسلة .يعنى أنَّ العنكبوت قد نسجت على القُلّام الذى نبت حول الماء .شَبَّهَ مانسجتِ العنكبوتُ عليه بثوبٍ رقيق من الكتّان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد الثلثمائة (٤):

٣٥٠ (كَبيرُ أناسٍ فى بِجَادٍ مُزمَّلِ)

على أن قوله « مزمَّل » انجرّ لمجاورته لأناسٍ تقديراً ، لا لبجادٍ ؛ لتأخُّره عن مزمّلٍ فى الرُّتبة . فالمجاورة على قسمين : ملاصقة حقيقية كما فى البيت السابق ، وملاصقة تقديرية كما فى هذا البيت .

وفيه ردٌّ على شرّاح المعلقّات ومن تبعهم ، فإنهم قالوا : جرّ مزمّلا على الجوار لبجاد ، وحقه الرفع لأنه نعت لكبير .

---

(١) فى ديوانه ٤٧ . وانظر سيبويه ١ : ٢١٧ والخصائص ٣ : ٢٢١ والانصاف ٦٠٥ . ش : « وما بعده » .

(٢) ش : « المدل » ، صوابه فى ط .

(٣) أى كجذوع ، جمع جذع بالكسر .

(٤) الخصائص ١ : ١٩٢ / ٣ : ٢٢١ والمحتسب ٢ : ١٣٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٩٠ وسيعاد فى ٣ : ٦٣٩ بولاق .

وممن تبعهم أبو حيان ، قال (فى تذكرته) : خفض مزمَّلا على الجوار للبجاد ؛ وهو فى المعنى نعت للكبير ، تغليباً للجوار . ومنهم ابن هشام (فى بعض تعاليقه) قال : لما جاور المخفوض وهو البجاد خفض للمجاورة . ولايخفى أن المجاورة رُتْبِيَّة كانت أو لفظية ، كافية .

وما قاله [1] الشارح المحقق لاداعىَ لَه .

ولم يجعل أبو على هذا البيتَ من باب الجر على الجوار ، بل جعل مزمَّلا صفة حقيقية لبجاد ، قال : لأنه أراد مزمل فيه ، ثم حذف حرف الجر فارتفع الضمير واستتر فى اسم المفعول . انتهى

وقال الخطيب التِّبريزىُّ (فى شرح المعلقات) : وفى البيت وجهٌ آخر ، وهو أن يكون على قول من قال : كُسِيتْ جبَّةٌ زَيداً ،فيكون التقدير :فى بجاد مزمَّلِهِ الكساءُ ، ثم تحذف كما تقول : مررت برجل مكسوَّتِهِ جبةٌ ، ثم تكنى عن الجبَّة فتقول : برجل مكسوَّتِه ، ثم تحذف الهاءُ فى الشعر . هذا قول بعض البصريين [2] . انتهى

ولايخفى تعسُّف هذا القول . وتخريج أبى علىّ أقرب من هذا .

والمصراع عجزٌ ؛ وصدره :

(كأنَّ ثَبيراً فى عرانينِ وَبْلِهِ)

والبيت من معلقة آمرىء القيس المشهورة .و(ثبير) : جبل بمكة [3]. صاحب الشاهد

(١) ش : « وما قال » .

(٢) فى شرح التبريزى : « بعض النحويين » .

(٣) من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة ، سمى ثبيرا برجل هذلى مات فيه .

و(العرانين) :الأوائل ،والأصل فى هذا أنْ يقال للأنف عِرنين ،استعير لأوائل المطر ؛ لأن الأنوف تتقدم الوجوه . و(الوبل) : مصدر وَبَلت السماء وَبْلاً ؛ إذَا أتَت بالوابل ، وهو ماعظم من القَطْر . وضمير وبله راجعٌ للسحاب فى بيت قبله . و(البجاد) بالجيم بعد الموحَّدة المكسورة ، وهو كساءٌ مخطط من أكسية الأعراب من وبَر الإبل وصُوف الغنم . و(المزمَّل): اسم مفعول بمعنى الملفَّف [١] .قال الزوزنى (فى شرح المعلقات) : كأنَّ ثَبيرا فى أوائل مَطِر هذا السحابِ سيِّدُ أناسٍ ملفَّف بكساءٍ مخطَّط . شبَّه تغطِّيَه بالغُثَّاء [٢] بتغطِّى هذا الرجل بالكساء . انتهى . ونقل الخطيب التبريزى عن أبى نصر أنَّ امرأ
٣٢٨ القيس شبَّه الجبل وقد غطاه الماء والغُثَّاء الذى أحاط به إلاّ رأسَه ، بشيخ فى كساء مخطط . وذلك أنَّ رأس الجبل يضرب إلى السواد والماءُ حوله أبيض . انتهى .

وقال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : شبَّهَ ثَبيراً برجل مزمَّل بالثِّياب ، لأنَّ المطر لمَّا سَحَّ ستَرَه .

وروى المبرد (فى الكامل) تبعاً للأصمعى :

كأنّ أبانا فى أفانينِ ودقه كبير أناس .... الخ

وقال :أبان: جبلٌ ، وهما أبانان : أبان الأسود وأبان الأبيض. وقوله : فى أفانينِ وَدْقِه،يريد ضروباً من ودقه . والوَدْق : المطر. قوله كبير أناس إلخ يريد مزمَّلا بثيابه ؛ قال تعالى : ﴿ يأَيُّها المزَّمِّل * قُمِ اللَّيل [٣] ﴾ ،

---

(١) ط : « المكنف » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٢) الغثاء كغراب ، وبتشديد الثاء أيضا : مايجىء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره .
(٣) الآية الأولى من المزمل .

وهو المتزمِّل والتاء مدغمة فى الزاى . وإنَّما وصف امرؤ القيس الغيثَ . فقال قوم : أراد أنَّ المطر قد خَنَّق الجبل فصار له كاللِّباس على الشيخ المتزمّل . وقال آخرون : إنَّما أراد ماكساه المطر من خُضْرة النبت . وكلاهما حَسن . وذكر الودْقَ لأنَّ تلك الخُضرةَ من عمله . انتهى .

تتمتان

(إحداهما) : لم يذكر الشَّارح المحقق الرفعَ على المجاورة ، لأنَّه لم يثبت عند المحققين ، وإنَّما ذهب إليه بعض ضَعَفة النحويين فى قوله :

السالك الثُّغرةَ اليقظانَ كالئها مشىَ الهلوكِ عليها الخيعلُ الفضلُ[1]

أوَّلهم الأَصمعى ، ذكره على بن حمزة البصرى (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) قال : سأل الرياشىُّ الأَصمعىَّ عنه فقال : الفُضُل من نعت الخيعل ، وهو مرفوع ، وأصله أنَّ المرأة الفضل هى التى تكون فى ثوب واحد ، فجعل الخيعل فضُلاً لأنَّه لاثوب فوقه ولا تحته ، كما يقال امرأة فُضل . قال الرياشى : وهذا مما أُخِذ على الأَصمعىِّ . ثم رجع عن هذا القول وقال بعد:هو من نعت الهلوك ، إلا أنَّه رفعه على الجوار كما قالوا: جحر ضب خرب. انتهى.

ومنهم ابن قتيبة ، قال (فى أبيات المعانى [2]) : الثُّغرة والثَّغْر سواء ، وهو موضع المخافة . والكالىء : الحافظ . والخيعل : ثوب يُخاط أحد جانبيه ويُترك الآخر . والهلوك : المتثنِّية المتكسرة . والفُضُل من صفة الهلوك ، وكان ينبغى أن يكون جراًّ ، ولكنه رفعه على الجوار للخيعل . ومثله :

* كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المرمَلِ *

---

(١) للمتنخل الهذلى فى ديوان الهذليين ٢ : ٣٤ والخصائص ٢ : ٢٩٢ .

(٢) المعانى الكبير ٥٤٤ .

ومثله جحر ضبٍّ خربٍ . ومثله :

* كبير أناسٍ فى بجادٍ مزمَّلِ *

وأراد أنَّه آمنٌ لايَخاف ، فهو يمشى على هينته . انتهى .

وقد ردَّ العلماءُ هذا القول ، منهم ابن الشجرى (فى أماليه) قال : وزعم بعضُ من لا معرفة لهم بحقائق الإعراب ، بل لامعرفة لهم بجملة الإعراب ، أنَّ ارتفاع الفُضُل على المجاورة للمرفوع ، فارتكب خطَأً فاحشا ، وإنَّما الفضل نعت للهلوك على المعنى ، لأنها فاعلة من حيث أسند المصدر الذى هو المشى إليها ، كقولك : عجبت من ضرب زيدٍ الطويلُ عمراً ،رفعت الطويل لأنَّه وصفٌ لفاعل الضرب وإن كان مخفوضاً فى اللفظ .فلو قلت :عجبت من ضرب زيدٍ الطويلَ عمرٌو فنصبت الطويل لأنَّه نعت لزيد عَلَى معناه من حيث هو مفعول فى المعنى كان مستقيما،كما عطف الشاعر عليه المنصوب فى قوله:

قد كنتُ داينت بها حَسَّانا مخافةَ الإفلاس واللَّيَّانا(١)

ومثل رفع الفضل على النعت للهلوك رفع المظلوم على النعت للمعقِّب فى قول لبيدٍ يصف الحمار والأتان : ٣٢٩

يُوفِى ويرتقبُ النجادَ كأنَّه ذو إرْبة كلَّ المرامِ يرومُ
حتَّى تهجَّر فى الرَّواح وهاجَها طلبَ المعقِّب حقَّه المظلومُ (٢)

يوفى ، أى يُشْرِف . والنجاد : جمع نجد ،وهو المرتفع.أى يشرف

(١) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٨٧ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٩٨ .
(٢) البيت من شواهد الخزانة . وقد سبق فى ٢ : ٢٤٠ .

عَلَى الأماكن المرتفعة ، كالرقيب، وهو الرَّجل الذى يكون ربيئة القوم،يربِض عَلَى نَشزٍ متجسسا[1] . والإربة : الحاجة

وقوله : « حتى تهجَّرَ فى الرَّوَاح » أى عجَّل رواحَه فراحَ فى الهاجرة . وهاجها ، أى هاج الأتان وطردها وطلبها مثلَ طلب الغريم المعقِّب حَقَّه؛ فالمعقِّب فاعل الطلب . ونصب حقه لأنّه مفعول الطلب . والمظلوم صفة للمعقب ، على المعنى ، فرفعه لأنَّ التقدير : طلبَها مثل أن طلب [2] المعقِّب المظلوم حقَّه . والمعقِّب : الذى يطلب حقَّه مرة بعد مرة . انتهى .

ومنهم أبو حيان (فى تذكرته) قال فى أولها : قال بعض معاصرينا : أكثرهم يعتقد الجوار مخصوصا بالمجرور ، وقد جاءَ فى المرفوع ، وأنشد :

السالك الثغرة اليقظان كالئُها ..... البيت

قال : رفعوا الفضل إتباعا لما قبله لقربه .

قال أبو حيان : قلت : وليس الرفع كما ذكر إتباعا للخيعل ، بل رفعه على النعت للهَلوك على الموضع ، لأنَّ معناه : كما تمشى الهلوك الفضل . وعليها الخيعل حال معمولةٌ لتَمْشى ، أو جملة اعتراضية . انتهى .

واليقظان بالنصب : صفةٌ للثغرة ، وكالئُها فاعل اليقظان ، ومشىَ مفعول مطلق ، أى مشياً [3] كمشى الهلوك . والفُضُل بضمتين : المرأة التى عليها قمِيصٌ ورداء ، وليس عليها إزارٌ ولا سَرَاويل .

---

(١) ش : « متحسسا » بالحاء المهملة ، وهما سواء ، وفسر قوله تعالى ،« ولا تجسسوا » ، بقولهم : « ولا تحسسوا » . على أنها فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢:« متجسسا » بالجيم .

(٢) ش : « مثل طلب » مع أثر تصحيح بالخط على « أن » ، وهو الموافق لما فى أمالى ابن الشجرى .

(٣) ش : « ماشيا » .

وقال الفراء والحسن السكرى (فى الهذليات) : الفضل : ثوبٌ كالخيعل تلبسه المرأة فى بيتها . وعلى هذا فَلَا مجاورة ولا إتباعَ على المحلّ . يقول : هذا من شأنه سلوكُ موضع المخافة متمكّنا غيرَ خائف ، كمشى المرأة المتبخترة الفضل .

وقد تقدم الكلام على هذا البيت فى جملةِ شرح قصيدته فى الشاهد الحادى والثلاثين بعد الثلثمائة (١) .

(ثانيتهما) : قد ضُرب المثل بخفض مزمَّل فى كون الشريف يعاشر دَنيئاً فيسفُل بعشرته . قال الأَمين المحلِّىُّ :

عليكَ بأرباب الصدور فمن غَدا مضافاً لأَرباب الصُّدورِ تصدَّرا
وإيّاك أن ترضى صَحابة ناقصٍ فتنحطَّ قَدرا من عُلاك وتُحقَرا
فرفع أبو مَنْ ثم خفض مزمَّل يبيِّـــن قولى مُغرِيـــا ومحذِّرا

وأورد ابن هشام هذا الشعر (فى مغنى اللبيب) فى الأمور التى يكتسبها الاسمُ بالإضافة . منها : وجوب التصدُّر . ومما له الصدَّارة كلماتُ الاستفهام يجب أن تتصدَّر فى جملتها ، فإذا أضيف إليها اسمٌ وجب تصدُّره أيضا ، وحينئذ لايعمل ماقبله فيه ، ولهذا وجب الرفع فى قولك : علمت أبو مَن زيد . وإليه الإشارة بقوله « فرفع أبو من » . والإشارة بقوله « ثم خفض مزمَّل » إلى بيت امرئ القيس الذى شرحناه . وقوله « مغريا » راجع إلى قوله أوّلاً : «عليك بأرباب الصدور » ، وقولُه : « محذِّرَا » راجعٌ إلى قوله ثانيا : « وإياك أن ترضى صحابة ناقص » .

---

(١) الصواب أنه الثانى والثلاثون بعد الثلثمائة . وهو أول هذا الجزء الخامس .

فإن قيل : « قوله:يُبَيِّن قولى » ، إلخ لا يصح أن يكون خبراً عن مجموع قوله : فرفع أبو من ثم خفض مزمل ، إذ لم يقل يبيِّنان . ولا عن أحدهما لاشتمال الجملة على قيدٍ لايصح تعلُّقه بكلّ منهما . وذلك أنَّ رفع أبو من لايبيِّن قوله مغريا ومحذّرا ، وإنمّا يبين قوله مغريا ، وكذا الثانى . ٣٣٠

أجيب بأن قوله:« يبيِّن قولى » فقط هو خبر الأول ، وخبر الثانى محذوف ، وأنّ قوله : مغريا ومحذرا قيدانِ للمحذوف ، والتقدير فرفع أبو من يبيِّن قولى ، وخفض مزمَّل كذلك ، هما يبيِّنان قولى مغريا ومحذّرا . ومثل هذا الشعر قول ابن حزمٍ الظّاهرىّ :

تجنَّبْ صديقا مثل ما،واحذر الذى   يكون كعمرو بين عُرب وأعْجَمِ(١)
فإنَّ صديق السَّوء يزرى،وشاهدى: كما شَرِقتْ صدرُ القناةِ من الدمِ

قال ابن هشام (فى المغنى) فى المبحث الذى تقدَّم ذكره :مراده بما الكنايةُ عن الرجل الناقص ، كنقص ما الموصولة . وبعمرٍو الكنايةُ عن المتزيِّد الآخذ ماليس له ، كأخذ عمرو الواو فى الخط .

وقال فى (موقد الأذهان وموقظ الوسنان) وهى رسالة له ، بعد أن ذكر أنّه سئل عن الأبيات : يريد بالصديق الذى كعمرٍو المستكثر بما ليس له ،فإن عمراً قد أخذ الواو فى الخط فى الرفع والجر ، وليست داخلة فى هجائه ، ومن ثَم نسب الشعراء إلحاقَها له إلى الظلم . قال الشاعر :

أيُّها المدَّعى سُليماً سَفَاهاً   لستَ منها ولا قُلامةَ ظُفْرِ
إنما أنت من سُليمٍ كواوٍ   أُلحقَتْ فى الهجاء ظلماً بعمرو

(١) يقال رجل أعجم وقوم أعجم أيضا . وأنشد فى اللسان :
سَلُّوم لو أصبحت وسط الأعجم   فى الروم أو فارس أو فى الديلم

وأما المشار إليه بما فهو الصديق الناقص [١] ، وذلك على أنه يريد ما الموصولة ، فإنها مفتقرة إلى صلةٍ وعائد ؛ وما الاستفهامية ، فإنها تنقص حرفاً إذا دخل عليها الجار . وهذا أحسن من قوله (فى المغنى) كنقص ما الموصولة . لأن ما الناقصة أعمُّ من الموصولة لشمولها الاستفهامية . وأَما الموصوفة فهى كالموصولة.

وأما الشاهد الذى أشار إليه ابن حزم فهو قول الأعشى ميمون ، من قصيدة :

وتشرق بالقول الذى قد أذعتَهُ كما شَرِقَتْ صدر القناة من الدمِ[٢]

وبيانه أنَّ الفعل إنما تلحقه التاء إذا كان الفاعل مؤنثا ، ولايجوز قالت زيد ، فكان ينبغى أن لايجوز كما شرقت ؛ لأنَّ الصدر مذكَّر ، لكنه لما أضافه للقناة سرى منها التأنيث إليه . وعكس ذلك قوله :

إنارة العقل مكسوفٌ بطَوْعِ هوى
وعقلُ عاصى الهوى يزداد تنويرا[٣]

فكان ينبغى أن يقول مكسوفة ؛ لأنّ الإنارة مؤنثة ، ولكنه لما أضافها إلى العقل سرى إليها منه التذكير .

الأمين المحلى

والأمين المحلىُّ من الفضلاء المِصْرية ؛ له تأليفاتٌ فى علم العروض . والمحلّة : كورةٌ بمصر القاهرة .

---

(١) ش : « فهو للصديق الناقص » .
(٢) ديوان الأعشى ٩٤ . وفى ط : « قد أزعته » بالزاى ، صوابه فى ش والديوان . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٢٥ والمقتضب ٤ : ١٩٧ ، ١٩٩ . وانظر معجم شواهد العربية ١ : ٣٦٨ .
(٣) البيت لأحد المولدين . وانظر شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٦ والتصريح ٢ : ٣٢ والأشمونى ٢ : ٢٤٨ .

باب العطف

أنشد فى أوله :

(إلى الملكِ القَرم وابنِ الهمامِ وليثِ الكتيبةِ فى المزدَحَمْ) ٣٣١

على أنَّ الصفات يعطف بعضها على بعض ، كما هنا . وقد تقدم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والسبعين فى باب المبتدأ والخبر [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الثلثمائة [٢] :

٣٥١ (يالهفْ زَيَّابةَ للحارِثِ الـ ـصَّابحِ فالغَانِم فالآيبِ)

على أنَّ الصِّفاتِ يعطف بعضها على بعض كما هنا ، فانَّ الغانم معطوفٌ على الصابح ، والآيب معطوف على الغانم . وأشار بالبيتين إلى أن عطف الصفات يجوز بالواو إن قصد الجمع ، وبالفاء إن قصد التعقيب .

قال الخطيب التبريزى (فى شرح الحماسة) : لما كانت هذه الصفات متراخية حسُن إدخال فاء العطف ، لأن الصابح قبل الغانم،والغانم أمام الآيب . ويقبح أن تدخل الفاء إذا كانت الصفات مجتمعة فى الموصوف ،فلا يحسن أن يقال عجبت من فلان الأَزرق العين فالأَشمِّ الأَنف فالشديد الساعد ؛ إلا على وجه يبعد ، لأَن زرقة العين وشمم الأَنف وشدة الساعد قد اجتمعن فى الموصوف . انتهى .

والصواب أن يقال متعاقبة بدل متراخية،فإنَّ التعاقب هنا كالتعاقب

---

(١) الخزانة ١ : ٤٥١ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢١٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٨ وهمع الهوامع ٢ : ١١٩ والحماسة بشرح المرزوقى ١٤٧ والتبريزى ١ : ١٤٢ .

فى قولك : تزوَّجَ زيد فوُلد له : وكذلك كل شىء بحسبِ حُصوله وإن كان فيه تراخ .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : أراد الذى يَصْبَح العدوَّ بالغارةِ فيغنم فيئوب سالما ، فعطف الموصول على الموصول ، وهما جميعا لموصوف واحد . والشىء لايعطف على نفسه ، من حيث كان العطفُ نظيرَ التثنية فى المعنى ، فكما لايكون الواحد اثنين كذلك لايعطف الواحد على نفسه . وعلَّة جواز ذلك قوّة اتصال الموصول بصلته ،حتى إنه إذا أريد عطف بعض صلته على بعض [جىء به (١)]هو معطوفا فى اللفظ على نفسه. ومثله (٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿الذى هو يُطْعِمُنى ويَسْقِينِ * وإذا مَرِضْتُ فَهوَ يَشْفِينِ (٣) ﴾ إلى آخر الآية .وهذا كلُّه صفةُ موصوفٍ واحد ، وهو القديم عزَّ اسمهُ . وقد تقصَّيت هذا فى كتاب (٤) (المعرب) وهو تفسير قوافى أبى الحسن. فأمَّا قول الله تعالى : ﴿والعادياتِ ضَبْحاً * فالمورِياتِ قَدْحاً * فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً (٥) ﴾ فقد يمكن أن يكون ممَّا نحن فيه ؛ وقد يمكن أن تكون العاديات غير الموريات ، والمغيرات غيرهما ؛ فيكون عطف موصوفٍ على موصوف آخر حقيقةً لامجازاً كقولك : مررت بالضاحك فالباكى ، إذا مررت باثنين أحدهما ضاحك والآخر باكٍ . انتهى .

وأورد الزمخشرىُّ هذا البيتَ والذى قبله عند قوله تعالى :﴿والذينَ

---

(١) التكملة من اعراب الحماسة لابن جنى الورقة ٤٣ . وبدلها فى ش « حسبته » تحريف .

(٢) ش : « ومثل » ، صوابه فى ط واعراب الحماسة .

(٣) الآية ٧٩ ، ٨٠ من الشعراء .

(٤) ط : « كتابى » ، وأثبت مافى ش واعراب الحماسة .

(٥) الآيات ١ ــ ٣ من سورة العاديات .

يُؤمِنُون بِمَا أنزل إليك [١]﴾ من سورة البقرة ؛في توسُّط العاطف بينه وبين قوله تعالى قبله : ﴿الذينَ يؤمِنُون بالغيب﴾ فإنَّهما واحد؛ كما توسَّط بين الصِّفات في البيتين . وعطف الصِّفات على الصفات كثير ، بناءً على تغاير المفهومات وإنْ كانت متَّحدة بالذات . وقد يكون العطف بالواو كما في الآية والبيت الأوّل ؛ وقد يكون بالفاء كما تقدَّم بيانه .

قال صاحب (الكشاف) في أول الصَّافَّات ،ونقله ابن هشام (في المغنى) : للفاءِ مع الصفات ثلاثة أحوال : أحدها أنْ تدلَّ على ترتب معانيها في الوجود ؛ كقوله : يالهف زيّابة البيت ؛ أى الذى صبَحَ فغَنِم فآب .

والثاني :أن تدلّ على ترتُّبها في التفاوت من بعض الوجوه ، نحو قولك : ٣٣٢
خذ الأكمل فالأفضل ، واعمل الأحسن فالأجمل .

والثالث : أنْ تدلَّ على ترتيب موصوفاتها في ذلك ، نحو : رحم الله المحلِّقين فالمقصِّرين . انتهى .

قال الفاضل اليمنى : والقسمة الصحيحة تقتضى أربعة،لأنّه كما جاز في الصفات الدلالة على ترتُّب [٢] معانيها في الوجود ، كذلك يجوز في الموصوفات ، كما تقول : حلَّ المتمتع فالقارِنُ فالمفرِد [٣].

وهذا البيتُ أوَّل أبياتٍ ثلاثة لابن زيَّابة ،مذكورة في الحماسة .وبعده: صاحب الشاهد

([و] الله لو لاقيتُه خالياً لآبَ سَيفانا مع الغالبِ [٤]
أنا ابنُ زيَّابة إن تدعُنى آتِكَ والظنُّ على الكاذبِ)

---

(١) الآية ٤ من البقرة .
(٢) هذا ما في ط . وفي ش : « ترتيب » .
(٣) يقال حل المحرم من إحرامه يحل حلا بالكسر وحلالا ، إذا خرج من حرمه .
(٤) الواو في أول البيت تكملة من ش والحماسة .

قال الجوهرى : يالهفَ : كَلِمةٌ يتحسَّر بها على مافات . ولهف منادى مضاف ، أى يالهف احضُرْ .

وزيَّابة بفتح الزاى المعجمة وتشديد المثناة التحتية وبعد الألف باءٌ موحَّدة : اسم أمِّ الشاعر .ومثل هذا البيت فى تلهيف الأمّ والتحسُّر على الفائت ، قول النابغة الذبيانىّ :

يالهف أمِّى بعد أسرةِ جَعْوَلٍ أن لا أُلاقيَهم ورَهْطَ عِرارِ(١)

وزعم ابن هشام (فى المغنى) أنَّ زيابة أبو الشاعر ، ولم أره لغيره . وقال : أراد يالهف أبى على الحارث أن لاأكونَ لقيتُه فقتلتُه . وذلك لأنَّه يريد يالهفَ نفسى .

وفيه أنَّه يصح أن يكون اللَّهف من أمِّه وأبيه ، فلا حاجة إلى إقامة غيره مقام نفسه .

واللام فى (للحارث) للتعليل ، أى يالهف أمى من أجل الحارث . وجعلها ابنُ هشام بمعنى على .قال أمين الدين الطَّبرسىُّ (فى شرح الحماسة) : يجوز أن يكون أوردَ هذا الكلام على الحقيقة ، فلهَّفَ لما رأى من نجاحه فى غَزَواته ، وسلامته فى مَآبه . ويجوز أن يكون أوردَه على طريق الاستهزاء فوصفه بهذه الصفات والأمرُ بخلافه . والأشهر أنْ يوصف الرجلُ بما هو متَّصف بضده تهكُّما به وسخرية . وهذا من أشدِّ سباب العرب ، يقول الرجل لغيره . ياعاقلُ أو ياحليم ، إذا استجهله . ونحوه قوله تعالى : ﴿ ذقْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الكريم (٢) ﴾ . انتهى

(١) البيت لم يرد فى ديوان النابغة برواية البطليوسى ولا برواية ابن السكيت .

(٢) الآية ٤٩ من الدخان .

وحمل أبو عُبيدٍ النمرى (فى شرح الحماسة) هذا الكلامَ على ظاهره فقال : يقول : يَصبَحُ أعداءهُ بالغارة فيغنم ويؤوب ، فوصفَهُ [١] بالفتك والظَّفر وحسن العاقبة . وهذا بيِّن واضح .

وردَّ عليه أبو محمد الأعرابىّ الأسود فقال:هذا موضع المثل: « اخطأتِ استُكَ الحُفْرة» .كيف يذكره بالفتك والظَّفَر وهو أعدى عدوٍّ له؟ وإنَّما المعنى أنَّه لهَّف أمَّه وهى زيابة،أنْ لا يلحقه فى بعض غاراته فيقتله أو يأسِره.انتهى.

ومنه تعلم أنَّ قول ابن هشام ياهف أبى على الحارث إذ صَبَح قومى بالغارة غير جيِّدٍ من وجهين : أحدهما تفسير زيَّابة بالأب ، والثانى تقييد صَبح بقوله قومى .

وقد ذهب إليه أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) فقال : تأسَّف أنْ صَبَحهم فغنم وآبَ سالما . والصَّابح :الذى يَصْبَح القوم بالغارة .

والحارث هذا هو الحارث بن همَّام بن مُرّة بن ذُهل بن شَيبان . وإنَّما قال ابن زيابة فيه هذا الشِّعر جوابا عن شعر له فيه . وهذا شعر الحارث بن همَّام : الحارث بن همام ٣٣٣

أيا ابنَ زيَّابة إنْ تلقَنى لا تلقَنى فى النَّعَمِ العازبِ

وتلقَنى يشتـدُّ بى أجـردٌ مُستقْدِم البِركةِ كالـراكِبِ

العازب :البعيد.يريد إنك لاترانى راعىَ إبل .والمعنى : إنما أنا صاحب فرسٍ ورمح ،أغير على الأعداء وأحارب من يبتغى حربى . ويشتد من الشَّدّ ، وهو العدْو .والأجرد : الفرس القصير الشعر : والبركة بكسر الموحدة : الصَّدر ، أى متقدِّم الصَّدرِ مشرِفُه . كالراكب ، أى إشرافه إشراف الرَّاكب لا المركوب . وأيا حرف نداء ، وابن زَيَّابة منادى .

---

(١) ط : « وصفه » ، وأثبت مافى ش .

وقوله : « والله لو لاقيته خالياً » الخ ، يقول : لو لاقيتهُ لقتلته أو قتلنى ، ورَجَعَ السَّيفانِ مع الغالب . وفى هذا الكلام وصفٌ لنفسه بالشجاعة وقلة مبالاته بالموت ، وإنصافٌ للمحارَب .

وقوله : « إن تدعنى » إلخ هذا يحتمل وجهين .

أحدهما : إنَّك إنْ دعوتَنى علمتَ حقيقة ماأقول ،فادعُنى واخلُصْ من الظَّنّ ، لأنَّك لاتظنُّ بى العجز عن لقائك . والظَّنُّ من شأن الكاذب .

والآخر : أنْ يكون معنى قوله والظنُّ على الكاذب ، أى يكون عوناً عليه مع الأعداء ، كما تقول : رأيك عليك ، أى إنَّك تُسيئهُ فيكون كالمتظاهر عليك .هذا كلام الخطيب التبريزى .

وقال الطَّبْرِسيُّ : قوله والظنُّ على الكاذب ، جرى مجرى الأمثال ، ومعناه قولُ لبيد :

واكذِبِ النَّفسَ إذا حدَّثْتَهَا إنَّ صِدْقَ النَّفس يُزْرِى بالأَمَلْ

والمعنى كلٌّ يحدِّث صاحبه بكذِبها ثمَّ الظنُّ على من لايتحقَّقُ أصله . ويجوز أن يريد : أنا المشهور المعروف ، إن تدعُنى لمبارزتك أجبتكَ ، فإن كنت تظنُّ غير هذا فظنُّك عليك ؛ لأنَّك تَكذِب نفسَك فيما تتوهَّمه من قعودى عنك ، ونكولى عن الإقدام عليك . ويجوز أن يريد : إن ظننت أن تكون الغالبَ فظنّك عليكَ لأنَّك تكذب نفسك :

ابن زيابة

وابن زيابة : شاعرٌ من شعراء الجاهليَّة ، واختُلف فى اسمه ، فقال أبو رِيَاش (فى شرح الحماسة) : هو عَمْرو بن لأْى ، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة ، وهو فارس مجلز (١) .

---

(١) فى القاموس : « ومجلز كمنبر : فرس عمرو بن لأى التيمى » .

وقال أبو محمد الأعرابى،والمَرْزُبانى : اسمه سلمة بن ذُهل .

وقال أبو عبيدٍ البكرى (فى شرح أمالى القالى) : اسمه عمَرو بن الحارث بن همَّام ، أحد بنى تَيْم اللات بن ثعلبة .

وزيَّابة اسمٌ مرتجل ، قال ابن جنى (فى المبهج) : هو فَعَّالة أو فيعالة أو فوعالة ، من لفظ الأزْيَب ، وهو النَّشاط . انتهى .

قال صاحب الصحاح عن ابن السكيت : الأزْيَب على أفعَل : النشاط ، ويؤنث ، يقال : مرَّ فلانٌ وله أزيبٌ مُنْكرة ، إذا مرَّ مراً سريعاً من النشاط . والأزْيب : الدَّعىّ . والأزْيب : العَدَاوة . والأزْيب : النكباء التى تجرى بين الصَّبا والجنوب . وقال أبو زيد : أُخذنى من فلانٍ الأزْيَبُ ، وهو الفَزَع .

وأخطأ محمد بن داود الجرَّاح فى ضبطه ابن زيَّابة [1] بباءين موحَّدتين خفيفتين ، قال :وهى فأرةٌ صمَّاء يشبَّه بها الجاهل ،قال ابن حِلِّزة :

وهُـمُ زَبـابٌ حائـر لاتسمعُ الآذانُ رَعدا [2]

وشعره يردُّ عليه [3] ، فإنَّه لايستقيم على ماقال . نقله أبو عُبيد البكرىّ.

٣٣٤ واللَّأْىُ ، بفتح اللام وسكون الهمزة بمعنى ، البطء . وتيم بمعنى عبد ، واللات صَنَم .ومِجْلَز بكسر الميم وسكُون الجيم وفتح اللام وآخره زاى معجمة : اسمُ فرسه ، وهو من الجلز ، وهو الفَتْل الشديد .

---

(١) ش : « ابن زبابة » ، ولكل منهما وجه .

(٢) ط : « زبابة حائر » ، صوابه فى ش والحيوان ٤ : ٤١٠ / ٥ : ٢٦٠ وعيون الأخبار ٢ : ٩٥ واللسان (زبب) .

(٣) أى شعر ابن زبابة ، وهو قوله :

أنا ابن زيابة إن تدعنى آتك والظن على الكاذب

ولابن زيَّابة شعرٌ جيد ، أورد منه المبرد (فى الكامل) هذه الأبياتَ ، وأبو تمام (فى الحماسة) [1] :

مالِدَدٍ مالَدَدٍ مالَهُ   يَبكى وقد أنعمت مابالَه
مالى أراه مُطْرِقاً ساميا   ذا سِنَة يُوعِد أخوالَه
وذاك منه خُلقٌ عادةٌ   أن يفعلَ الأمرَ الذى قالَه
إنَّ ابنَ بيضاءَ وتركَ الندى   كالعبدِ إذْ قيَّدَ أجمالَه
آليتُ لا أدفِنُ قَتلاكمُ   فدخِّنوا المرءَ وسربالَه
الدِّرع لا أبغى بها نثرةً   كلُّ امرئٍ مُستودَعٌ مالَه
والرُّمحُ لا أملأُ كَفِّى به   واللِّبدُ لا أتْبَع تَزْوَالَه

قال المبرد : قوله مالددٍ ، يعنى رجلا . ودَدٌ فى الأصل هو اللَّهو ، قال رسول الله ﷺ : « لستُ من ددٍ ولاددٌ منى » . وقد يكون فى غير هذا الموضع مأخوذاً من العادة . وقوله « أنعمت مابالَه » مازائدة ، والبال هنا : الحال .

وقوله : « مطرِقا سامياً » السامى : الرَّافع رأْسَه ؛ يقال سما يسمو ، إذَا ارتفع . والمطرِق : السَّاكت المفكِّر ، فإنَّما أراد سامياً بنفسه . وقوله : «ذا سِنة» يقول : كأنَّه لطول إطراقِهِ فى نعْسةٍ . انتهى . قال ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) : حكىَ الزَّجَّاجىُّ أنَّ المطرق من هو بذىءٌ فى أفعاله ويطلب معالىَ الأُمور . وقال غيره : المطرق الخامل الذكر ، أى هو خاملٌ فى الحقيقة وهو يتكبَّر فى نفسه . وقوله : « ذا سِنَةٍ » يريد أنَّ وعيده لاحقيقة له فكأنَّه يراه فى النوم . انتهى كلام ابن السِّيد .

(١) انظر الكامل ٢٠٧ والحماسة ١٤٢ بشرح المرزوقى و ١ : ١٣٦ بشرح التبريزى .

وروى أبو تمام المصراع الأول :

نُبِّئْتُ عَمْراً غارزاً رأسَه ذا سِنَةٍ .... إلخ

قال الخطيب التبريزى : نبّئ متعدٍّ إلى ثلاثة مفاعيل ، أولها نائب الفاعل وهو تاء المتكلم ، ورأسه منصوب بغارزاً ، بمعنى مدخلا رأسه ، ومنهُ الغرز بالإبرة . وغرزُ الرأسِ : كنايةٌ عن الجهل والذَّهاب عما عليه وله من التحفُّظ . والسِّنَة بالكسر : النعاس . يقول : كأنَّه [١] وسنانُ قد تغيَّر عقله ، فهو يوعد من لايَجِبُ [٢] أن يُوعده ، وجملة يوعد حالٌ . وروى : فى «سَنَة» بفتح السين ، أى فى جدب وقحط .

وقوله: « وذاك منه خلقٌ عادةٌ » روَى بدله أبو تمام : « وتلك منه غيرُ مأمونةٍ » .

قال الخطيب : أى تلك الخَصْلة لايُؤمن وقوعُها من عمرٍو ، وهو فعلُه لما يقوله . وهذا تهكُّم . وأنْ يفعل موضعه بدل من قوله : وتلك منه .

وقوله : « كالعبد إذ قيَّدَ أجماله » قال المبرد :يريد غير أنه مكترث لاكتساب المجد والفضل ؛ وذلك أنَّ العبد الراعىَ إذا قيَّد أجمالَهُ لَفَّ رأسه ونام ناحية [٣] . وهذا شبيهٌ بقوله [٤] :

* واقعد فإنَّك أنتَ الطاعمُ الكاسى *

---

(١) ط : « لكأنه » وأثبت مافى ش والتبريزى .

(٢) فى النسختين : « من لايحب » بالحاء المهملة ، صوابه بالجيم من التبريزى .

(٣) الذى فى الكامل : « نام حجرة » . وحجرة ، بفتح الحاء فى أوله بمعنى الناحية ، ومنه قول الحارث بن حلزة :

عنتا باطلا وظلما كما تعـ ـتر عن حَجْرة الربيض الظباء

(٤) هو الحطيئة . ديوانه ٥٤ . وصدره :

* دع المكارم لا ترحل لبغيتها *

وهذا البيت ساقطٌ فى رواية أبى تمام .قال الخطيب :قال النَّمرى: وفيها:

* إنك ياعمرُو وتركَ العِدَى *

قال ابن السكيت (١) : يقول : أُنت كالعبد اقتصَر على موضعٍ يرعى فيه (٢) ولايعزُب بإبله . وعندى أنّه غير ممتنع أن يكون قوله « وترك النَّدى » معناه إنّك وبخلكَ ؛ فإنَّه من تَرك النَّدَى فقد أخذ البخل . يقول : وبخلكَ وحبسك مالك (٣) كالعبد قيَّد أجماله فلا يبرح منها بعير .وكذلك أنت قيَّدت مالك لايبرحك . قال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل :

فلا يدرى نُضَيرٌ من دَحَاها ومن هو ساكنُ العرشِ الرَّفيعِ(٤)

أخبرنا أبو النَّدى قال :هذا البيت من المختلِّ القديم ، والصواب :

إنِّى وحوَّاءَ وتركَ النـدى كالعبـد إذْ قيَّـد أجمالَـه

قال : حَوّاء : فرسه .ومعناه إنى متى أترك الغزوَ على ظهر حَوّاء واغتنام الأموال (٥) وتفريقها على الزائرين والسائلين ، لم يبق لى همٌّ ، لأنَّ أكثرَ همى فى ذلك ، وكنتُ مثلَ العبد إذا شبعت إبله فأراحها وقيَّدها فى مُراحِها (٦)لم يبق له همٌّ حينئذ .يقول : همِّى فى الغزو واغتنام الأموال وبذلها . انتهى .

---

(١) موضع كلمة « السكيت » بياض فى ش . وفى ط : « ابن السيد » . وهذا الكلام منسوب إلى ابن السكيت فى شرح التبريزى ١ : ١٤٠ .

(٢) فيه ، ساقطة من ش . وفى شرح التبريزى نقلا عن ابن السكيت : « يرعى فيه ولا يتعزب بإبله » .

(٣) فى النسختين : « وكسبك مالك » ، صوابه عند التبريزى .

(٤) عند التبريزى : « فلا يدرى نصير » بالصاد المهملة .

(٥) ش : « أو اغتنام الأموال » ، وأثبت مافى ط والتبريزى .

(٦) المراح بالضم : مأوى الابل . وفى ط : « مراحلها » ، صوابه فى ش والتبريزى .

وقوله : «فدَخِّنوا المرءَ وسِرباله» . قال المبرد : يروى أنّه طعن فارساً منهم فأحدث ، فقال : نظِّفوه فإنى لاأدفن القتيلَ منكم إلا طاهراً .

وقوله : «الدرع لاأبغى بها نَثْرةً» قال المبرد:النَّثرة : الدِّرع السابغة. يقول : درعى هذه تكفينى [١] .

وقوله : « كل امرئٍ مُستودَعٌ ماله » قال المبرد :أى مُسترهَنٌ بأجله ، وهو كقول الأعشى :

كنتَ المقدَّمَ غير لابسِ جُنّة   بالسَّيفِ تضربُ مُعْلما أبطالَها[٢]

وعلمتَ أنَّ النفسَ تَلقى حَتْفَها   ماكان خالقُها المليكُ قَضَى لها[٣]

انتهى .وقال الإمام أبو الوَليد (فيما كتبه على الكامل) : ليس هذا بالمعنى ،لأنَّ الاستيداع غير الاسترهان ، والمال غير الأجَل ، وإنَّما المعنى مال الإنسان وديعةٌ مرتَجَعة ، وعاريَّة مؤدَّاة ، كما قال لبيد :

وما المالُ والأهلونَ إلاَّ وديعةٌ   ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ[٤]

ويروى :

* والدِّرع لا أبغى بها ثروةً *

وهذه الرواية تدلُّ على معنى بيت لبيد ، ولا يجوز معها تأويل المبرد . انتهى

وهذه رواية شرَّاح الحماسة . قال الخطيب : أى درعى مالى الذى أدَّخره [٥] . وهذا كقول الآخر :

---

(١) ط :« تكفننى » ، صوابه فى ش والكامل .

(٢) ط : « يضرب » ، وأثبت مافى ش والكامل والديوان ٢٧ .

(٣) فى الكامل : « ماكان خالقها الفضيل » .

(٤) ديوان لبيد ١٧٠ .

(٥) كلمة « الذى » ساقطة من ط ، ثابتة فى ش وشرح الحماسة . وفى شرح الحماسة : « الذى أذخره » .

ومالىَ مالٌ غيرُ درعٍ حصينةٍ وأبيضَ من ماءِ الحديد صقيلِ

ويحتمل أنَّه لايبيعها فيأخذ العِوضَ عنها فيُثْرى به .

وقوله : « كلُّ امرئٍ » الخ ، يريد احتفاظه بالدِّرع ، وأنَّ كل إنسانٍ يحفظ مالَه فهو عنده كالوديعة التى قد لزم حِفظُها . ويحتمل أن يريد تعزيةَ نفسِه إذ لا مال له ،فيقول : كلُّ امرئٍ مُستودَعٌ ماله ، أى إنه سيستُرَدُّ منه كما تُستردُّ الوديعة . ويجوز أن تكون «ما» بمعنى الذى ، فيكون المعنى كل امرئٍ مرتهن بأجله ، وبالذى كتب له . ولا يمتنع أن يكون أشار بما إلى مايقُتنَى من أعراض الدنيا . ويروى : « مستودِعٌ » بكسر الدال ، والمعنى أنَّ مايجمعه المرءُ ويكسِبه إذا جاء محتومُ القضاء يتركُه لغيره لا محالة ، فلِمَ أرغب فيه وأزهدُ فى اكتساب المحامد ؟! ويروى « والدِّرعُ لاأبغى بها نَثْرة » وهى ، الواسعة . والمعنى إنِّى أكتفى من الدرع ببدنِهِ . انتهى كلامُ الخطيب (٢) .

وقوله :

* والرُّمحُ لا أملأ كفِّى به *

٣٣٦ قال المبرد : يُتأوَّل على وجهين :أحدهُما أنَّ الرمح لايملأ كفِّى وحده ،أنا أقاتل بالرُّمح وبالسَّيف وبالقوس وغيرِ ذلك .والقول الآخر :إنِّى لاأملأ به كفِّى ، وإنَّما أختِلس اختلاسا (٣) ، كما قال :

ومدجّج سَبَقتْ يداىَ له تحت الغبار بطَعْنةٍ خَلْسِ

وقوله :

* واللِّبدْ لاأتبعُ تَزواله *

---

(١) البدن : الدرع القصيرة . والدرع يؤنث ويذكر .

(٢) أى انتهى ماأراد نقله منه . وإلا فإنَّ للخطيب بعد هذا كلاما آخر .

(٣) فى الكامل : « انى لاأملأ كفى به ، انما أختلس به اختلاسا » .

يقول : إن انحلَّ الحِزامُ فمالَ اللبْدُ لم أمِلْ معه ،أى إنِّى فارسٌ ثابتٌ على ظهور الخيل (١) . انتهى

وأوضحُ منه قول الطَّبرسى : يجوز أن يكون المعنى : أى لاأقتصر (٢)من تعاطى أنواع السلاح على الرُّمح فقط ، ولكنِّى أجمع فى الاستعمال بينها ، وهذا كما يقال (٣):ملأ كفَّهُ من كذا ،فليس فيه موضعٌ لغيره. ويجوز أن يكون المعنى إنِّى أستعملُ رمحى بأطراف أصابع اليدِ ،لحذق واقتدارى ، ولاآخذه بجميع كفِّى . وقوله : « واللبد لاأتبع » إلخ ، يريد: ألزمُ ظهر دابَّتى فإنْ مال اللِّبد لم أملْ معه . يصف نفسَه بالفروسيَّة ويعرِّض بأنَّ أضداد هذه الأوصافِ مجتمعةٌ فى خَصمه.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الثلثمائة (٤) :

٣٥٢ (ولَستُ بنازلٍ إلَّا ألمَّتْ برَحلِي أو خَيالتُها الكذوبُ)

على أن قوله «خَيالتُها» معطوف على الضمير المستتر فى ألمت،وجاز مع عدم تأكيد المستتر بمنفصل لوجود الفصل قبل حرف العطف وهو قوله:«برحلى».

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : عَطفَ على الضَّمير المرفوع المتَّصل بغير تأكيد ،ولو أكَّد فقال ألمَّت هى، لكان أحسن، غير أنَّ الكلام طال بقوله برحلى ،فناب طولُه عن التأكيد (٥) ،كما أن قول الله سبحانه: ﴿ ماأشْرَكْنا وَلا آباؤُنا (٦) ﴾ لمَّا طال الكلامُ فيه بلا . وإن كانت بعد

(١) فى الكامل : « أى أنا فاوس ثبت » فقط .

(٢) ش : « لاأقصر » .

(٣) ش : « كما قال » .

(٤) همع الهوامع ٢ : ١٤١ وشرح الحماسة للمرزوقى ٣١٠ .

(٥) فى إعراب الحماسة ٦٢ : « عن توكيده » .

(٦) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام .

الواو (١) حسُنَ الكلام بطولها . انتهى .

أبيات الشاهد — وهذا البيتُ أوَّلُ أبياتٍ ثلاثة مذكورة فى الحماسة . وبعده :

(فقد جعَلَتْ قَلُوصُ بنى سُهيل من الأكوار مَرتَعُها قريبُ
كأنَّ لها برحلِ القومَ بَواًّ وما إنْ طِبُّها إلّا اللُّغوبُ)

قوله : (ولستُ بنازل) مفعول نازل محذوف ،أى منزلاً أو مكانا . والإلمام: زيارةٌ لا لبثَ معها،أو هو من ألمَّ الرجُلُ بالقوم إلماما (٢)بمعنى أتاهم فنزلَ بهم. وفاعل ألمَّت ضمير الحبيبة . و(الرَّحْل) : كلٌّ شىء يعدُّ للرَّحيل من وعاءٍ للمتاع . و(الخيالة) : الطَّيف ، يقال خيال وخيالة ، كما يقال مكان ومكانة. و(الكذُوب):صفةُ خيالة ، وإنَّما لم يؤنِّثه لأن فَعولاً يستوى فيه المذكر والمؤنث وجعلها كذوباً لأنَّها تخيِّل إليه فى النوم مالا يحقّ .وقال المرزوقى :وجعلها كذوباً لما لم يُحقَّق قولُها وفعلها (٣).يقول : لاأنزِلُ محلاً إلاَّ رأيت هذه المرأة ملمَّةً برحلى ،أى متصوَّرة لى بهذه الصُّورة ، تشوُّقاً منِّى ، وهذا فى حال اليقظة ، أو رأيتُ خيالها الكاذب الذى لاحقيقةَ له ، وهذا فى حال النوم. والمعنى إنِّى ماأنفكُّ منها فى يقظةٍ ولانوم . وهو أبلغُ من قول الآخَر :

أآخرُ شىءٍ أنتِ فى كلِّ هَجعةٍ وأوَّلُ شىءٍ أَنتِ عندَ هبوبى(٤)

لأنَّ هذا فى حالٍ دون حال ، وذاك الدَّهرَ كلَّه .

---

(١) أى وأن كانت لا واقعة بعد الواو . وفى النسختين : « وان كان » ، والتذكير للفظ الحرف .

(٢) ط : « لماما » ، صوابه فى ش .

(٣) واو « وجعلها » ساقطة من ط ، ثابتة فى ش والحماسة . وفى الحماسة : « لما لم يتحقق فعلها وقولها » .

(٤) ط : « هبوب » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ومن شرح الحماسة للمرزوقى ١٣٢٠ . وهو أول أبيات حماسية لم يعرف قائلها .

و«قد جعلت قلوص» إلخ جعلت هنا بمعنى طَفِقت وأقبلت —وأخطأ
العينىُّ فى قوله إنَّ جعلت هنا بالبناء للمفعول ـــ وقلوص اسمُها ،وهى النَّاقة ٣٣٧
الشابَّة. وجملة «مرتعها قريب» فى محل نصب خبرها،و «من الأكوار» (١)
متعلق بقريب . واستعيرت الاسميّة موضعَ الفعليّة لأن المراد : وقد جعلت هذه
القلوص يقرُب مرتعها من الأكوار . وقد أورده الشارح المحقِّق فى آخر أفعال
المقاربة ، ويأتى بيانه هناك إن شاء الله تعالى . وقال المرزوقىّ : ومرتعها قريب فى
موضع الحال .

يقول :أقبلت قلوص هذين الرجلين قريبةَ المرتع من رحالهم ، قصيرة المسرح فى رواحهم ؛ لأنَّه (٢)لِمَا لِحقها من الكلال والإعياء لم تقدِرْ على التباعد فى المرعى (٣) .انتهى .

وقد شرحهَ قولُ الآخر وأَبلَغَ فقال :

من الكَلالِ لايَذُقْنَ عُودا   لاعُقُلاً تبغى ولا قُيودا

والأكوار : جمع كُور بالضم ، وهو الرحل بأداته . أى إذا سرحت لم تُبعِدِ فى المرعى ، لشدَّة كلالها .

وزعم الدمامينى (فى الحاشية الهندية) وتبعه غيره ، أنَّه يصح أن يكون أكوار هنا جمع كَور بالفتح ، وهى الجماعة الكثيرة من الإبل . وهذا وإن كان صحيحاً فى نفسه إلَّا أنّه لايناسب المقام . فتأمَّلْ .

وقوله : « كأنَّ لها برحل » إلخ قال المرزوقى : يقول : كأنَّ لهذه الناقة ولداً برحل القوم تتعطَّف عليه ولا تتباعد عنه،وماداؤها إلّا الإعياء . والطِّبُّ

---

(١) ش : « من أكوارها » صوابه فى ط.

(٢) ماأثبت من ط يطابق ماعند المرزوقى . وفى ش : « لأنها » .

(٣) ط : « لم يقدر على التباعد فى المراعى » ، صوابه فى ش وشرح الحماسة .

بالكسر أصله العلم ،والمراد به هنا الذى يعُلم ويُعرف . والبوُّ ، أصلهُ جلدُ فصيلٍ يُحشَى تبناً لتدرَّ الأمُّ عليه . انتهى .

وقال شارحٌ آخرَ :قوله:وما إنْ طِبُّها،قال أبو الندى :أى شأنُها وداؤها. وقال غيره : الطِّبُّ ههنا : السُّقم ، ومنه « آخر الطِّبّ الكّى » . وأكثر مايستعمل ذلك فى السِّحر ، ومنه رجل مطبوب . واللغوب :الإعياء ، وقد لغَب لغوبا كدخل دخولا ، ولغِب لغباً كفرح فرحا . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذه الأبيات أوردها أبو تمَّام فى باب الحماسة ، مع أنه لاتعلُّق لها بها بوجه (١) فإنَّ البيت الأول من باب النَّسيب ،والبيتان الأخيران من باب الوصف ،وهو نعْتُ الناقة بشدَّة التعب ، وهذا بمعزلٍ عن الحماسة .ولم أر من تنبه لهذا من شرَّاحه ، ولم أرَ أيضا منهم من نسبَها إلى قائلها .

ورأيت الصغانى (٢) نسبها فى مادة الخيال (من العباب) إلى رجلٍ من بنى بُحتُر بن عَتود (بضم الموحدة وسكون المهملة وضم المثناة الفوقية) . وعَتُود (بفتح المهملة بعدها مثناة فوقية مضمومة وآخره دال) .

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورةَ العشيرة)

على أن أصله الحافظون عورة العشيرة ،فحذفت النون طلباً للاختصار، لأنّ الصلة قد طالت . وعورة منصوب به . وروى أيضاً بجرها بالإضافة .

وهذا صدرٌ من بيت ، وهو :

(الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهمُ من ورائنا وكَفُ)

---

(١) كلمة « بها » من ش .

(٢) ش : « الصاغانى » ، وهما نسبتان صحيحتان إلى صغانيان ، وهى ولاية عظيمة كانت بما وراء النهر .

والوكف : العَيب والإثم . أى نحن نحفظ عورة عَشِيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيءٌ يعابون به ، من تضييع ثغرهم وقلة رعايته .

وقد تقدم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

٣٥٣(فاليومَ قَرَّبْتَ تَهْجُونا وتَشْتِمُنَا فاذهَبْ فما بكَ والأَيامِ مِنْ عَجَبِ) ٣٣٨

على أن حرف الجر قد يترك ضرورةً ، عند البصريين ، أى مابك وبالأيام عجبٌ.

قال سيبويه قبل أن ينشد هذا البيت : ومما يقبح أن يشرك المظهرُ علامةَ المضمرِ المجرور ، وذلك قولك : مررت بك وزيدٍ ، وهذا أبوك وعمروٍ ، فكرهوا أن يشرك (٣)المظهر مضمراً داخلاً فيما قبله ، لأنَّ هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لايُتكلم بها إلاّ معتمدة على ماقبلها ، وأنها بدلٌ من اللفظ بالتنوين ، فصارت عندهم بمنزلة التنوين ، فلما ضعفت عندهم كرهوا أن يتبعوها الاسم ، ولم يجز أن يُتْبعوها إياه . إلى أن قال : وقد يجوز فى الشعر . وأنشدَ هذا البيتَ وبيتًا آخر . انتهى .

وأوضحُ منه قول ابن السَّراج (فى الأصول) : وأمّا المخفوض فلا يجوز أن يعطف عليه الظاهر،لايجوز أن تقول: مررت بك وزيد،لأن المجررو ليس

---

(١) الخزانة : ٤ : ٢٧٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٩٢ . وانظر الكامل ٤٥١ والانصاف ٤٦٤ وابن يعيش ٣ : ٧٨ ، ٧٩ والمقرب ٥٠ والعينى ٤ : ١٦٣ والهمع ١ : ١٢٠ / ٢ : ١٣٩ والأشمونى ٣ : ١١٥ .

(٣) ط : « تشرك » صوابه فى ش . وفى كتاب سيبويه : « ومما يقبح أن يشركه المظهر ».

له اسمٌ منفصل فيتقدم ويتأخَّر كما للمنصوب ، وكل اسم معطوف عليه فهو يجوز أن يؤخَّر ويقدم الآخر عليه ؛ فلما خالف المجرور سائر الأسماء لم يجز أن يعطف عليه . وقد حكى أنه جاءَ فى الشعر :

* فاذهب فما بكَ والأيامِ من عَجَبِ * انتهى

ووافق الكوفيين يونسُ ، والأخفشُ ، وقطربٌ ، والشَّلَوبين ، وابن مالك .

وهذه المسألة أوردها ابنُ الأنبارى (فى مسائل الخلاف) بأدلَّة الفريقين، قال : احتجَّ الكوفيون على جوازها بمجيئها فى التنزيل ، قال تعالى : ﴿ واتَّقُوا اللهَ الذى تَساءَلُون به والأرحامِ (١) ﴾ بالخفض ؛ وهى قراءة حمزة وغيره (٢) . وقال تعالى: ﴿ويَستَفتْونك فى النساء قُلِ اللهُ يُفْتيكم فيهنَّ ومايُتلى عليكم (٣) ﴾فما عطفٌ (٤) على ضمير فيهن . وقال تعالى : ﴿لكِنِ الراسخُون فى العِلْمِ مِنْهُمْ والمؤمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بما أنزل إليك وما أنزِلَ مِنْ قبلك والمقِيمين الصَّلاة (٥) ﴾ ، فالمقيمين عطفٌ على الكاف فى إليك، أو على الكاف فى قَبْلك. قال تعالى:

---

(١) من الآية الأولى فى النساء . وفى ط : « الذين » تحريف .

(٢) هى قراءة إبراهيم النخعى ، وقتادة ، ويحيى بن وثَّاب ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش أيضا . ورواية الأصفهانى والحلبى عن عبد الوارث . كما فى تفسير أبى حيان ٣ : ٥١٧ والإنصاف . ووافقه المطوعى كما فى إتحاف فضلاء البشر ١٨٥ . وانظر ماسيأتى فى ص ١٢٧ .

(٣) الآية ١٢٧ من النساء .

(٤) ط : « عطفه » ، وأثبت مافى ش . وفى الإنصاف : « فما فى موضع خفض لأنه عطف على الضمير المخفوض فى فيهن » .

(٥) الآية ١٦٢ من النساء .

تعالى : ﴿ وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتم له برازقين [١] ﴾ فمن عطفٌ على ضمير لكم . وقال الشاعر :

* فاذهب فما بك والأيَّامِ من عَجَبِ *

وقال الآخر :

أكرُّ عَلَى الكتيبة لاأبالى أفيها كان حتفى أم سواها

أى أم فى سواها [٢] . وقال آخر [٣]:

نعلِّق فى مِثلِ السوارِى سيُوفَنا وما بينها والكَعْبِ غُوطٌ نفانفُ

أى بين السيوف وبين كعب الرِّجُل .

وقال آخر :

هلا سألتَ بذى الجماجم عنهُم وأبى نُعَيْمٍ ذى اللواء المحرقِ

أى عنهم وعن أبى نعيم .

ثم قال : والجواب عن الأول من وجهين ، أحدهما أنَّ الأرحام مجرورٌ بواو القسم لا بالعطف ، وجوابُ القسم:﴿ إنّ الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

وثانيهما : أنَّها مجرورة بباءٍ مقدَّرة حُذفت لدلالة الأولى .

وأما الجواب عن الثانى فمن وجهين أيضا:أحدهما أنَّ مامعطوف على الله ، أى الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم يفتيكم فيهنّ ، وهوالقرآن .

---

(١) الحجر ٢٠ .

(٢) هذا التعليق ساقط من ش .

(٣) هو مسكين الدارمى . ديوانه ٥٣ .

(٤) ويروى : « تعلق » بالتاء والبناء للمجهول ، كما فى الديوان والإنصاف ٤٦٥ والأشمونى ٣ : ١١٥ / ٣ : ١١٥ والحيوان ٦ : ٤٩٤ .

٣٣٩ وثانيهما معطوف على النساءِ من قوله : «يستفتونك فى النساء» .

وأمَّا الجواب عن الثالث فمن وجهين أيضا :

أحدهما : أنَّ المقيمين منصوبٌ على المدح ؛ وذلك أنَّ العرب تنصب على المدح عند ترك العطف ، وقد تستأنف فترفع .

وثانيهما : أنَّه معطوفٌ على «ما» من قوله «بما أنزل إليك» أى يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين .على أنه قد رُوِى عن عائشة أنَّها سُئلت عن هذا الموضع فقالت: هذا من خطأ الكاتب. ورُوىَ عن بعض ولدِ عُثمان أنَّه سئل عنه فقال:إنَّ الكاتب لمَّا كتب: وماأُنزِلَ من قبلك ،قال: ماأكتب ؟فقيل له اكتب : والمقيمين الصَّلاة ، يعنى أنَّ المملىَ أعمَلَ قوله اكتب فى المقيمين ، على أنَّ الكاتب يكتبها بالواو كما كتب ماقبلها على لفظ المملى .

وأما الجواب عن الرابع فأنَّ المسجد الحرام مجرورٌ بالعطف على سبيل الله لا بالعطف على به ، لأن إضافة الصَّدِّ عنه أكثرُ استعمالاً من إضافة الكفر به . ألا ترى أنَّهم يقولون صددته عن المسجد الحرام ولا يكادون يقولون : كفرتُ بالمسجد الحرام .

وأما الجواب عن الخامس فإنَّ مَنْ عطفٌ على معايش ، أى جعلنا لكم فيها المعايش والعبيدَ والإماء . وأما قول الشاعر :

* فاذهب فما بك والأيامِ *

فلا حجَّة فيه أيضاً ، لأنه مجرورٌ على القسم لا بالعطف على الكاف .

وأما قول الآخر :

* أفيها كان حتفى أمْ سِواها *

فإنَّ سواها منصوب على الظرف ؛ لأنها مجرورةٌ بالعطف .

وأما قوله :

* وما بينها والكعبِ *

فالكعب مجرورٌ بإضافة بينَ إليه محذوفاً لا بالعطف ، حذف بين الثانية لدلالة الأولى عليه .

ثم لو حمل ماأنشده من الأبيات على ماادّعَوه لكان من الشاذّ الذى لايُقاس عليه .

هذا ماأورده ابنُ الأنبارى ، ولايخفى مافى غالبه مِن التعسُّف .

وقد أنكر النُّحاة قراءة حمزة بجرِّ الأرحام ، وهى قراءةُ مجاهدٍ والنّخعىّ وقَتادة وأبى رزين (١) ويحيى بن وثّاب ، والأعمش ، وأبى صالح أيضا .

قال الفراء (فى معانى القرآن) : حدّثنى شريك بن عبد الله ، عن الأعمش ، عن إبراهيم النخعى ، أنه خفض الأرحام فقال : هو كقولهم باللهِ والرَّحِم (٢). وفيه قبحٌ ؛ لأن العربَ لاتردُّ مخفوضاً على مخفوضٍ وقد كُنِيَ عنه، وإنما يجوز هذا فى الشعر لِضيقه .

وقد بالغ الزجاجى(فى تفسيره) فى إنكار هذه القراءة فقال:القراءة الجيِّدة نصب الأرحام،والمعنى واتَّقوا الأرحام أن تقطعوها،فأما الخفض فى الأرحام فخطأ فى العربية لايجوز إلاَّ فى اضطرار شعر.وخطأ أيضاً فى أمر الدين عظيم،

---

(١) أبو رزين الكوفى ، واسمه مسعود بن مالك ، روى عن ابن مسعود وعلى بن أبى طالب ، وروى عنه الأعمش . طبقات ابن الجزرى ٣٥٩٧ .

(٢) أى قاسه على عطف المجرور الظاهر على المجرور الظاهر . وهو قياس مع الفارق .

لأن النبى ﷺ قال : « لاتحلفوا بآبائكم » ، فكيف يكون تَساءلون بالله وبالرَّحِم على ذا ؟ ! ورأيت إسماعيل بن إسحاق ينكر هذا ، ويذهب إلى أن الحلف بغير الله أمرٌ عظيم ، فإن ذلك خاصٌّ بالله عزّ وجل . فأما العربية فإجماع النحويّين أنه يَقبُح أن يُنسَق باسم ظاهر على اسم مضمرَ فى حال الخفض إلا بإظهار الخافض . فقال بعضهم : لأن المخفوض حرفٌ متصل غير منفصل ، فكأنه كالتنوين فى الاسم ، فقبح أن يعطف باسمٍ يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه .

وقد فسَّر المازنىُّ هذا تفسيراً مقْنِعا فقال: الثانى فى العطف شريكُ الأوّل ، فإن كان الأول يصلح أن يكون شريكاً للثانى وإلا لم يصلح أن يكون الثانى شريكاً له . قال: فكما لا تقول مررت بزيدٍ وكَ ، كذلك لاتقول مررت بك وزيد ، وقد جاء فى الشعر ، أنشد سيبويه :

* فاذهب فما بك والأيام من عجب * انتهى . ٣٤٠

وتعقَّبه أبو شامَة (فى شرح الشاطبية) بعد مانقل عبارة الزجاج بقوله : قلتُ : هاتان العلتان منقوضتان (١) بالضمير المنصوب وقد جاز العطف عليه ، فالمجرور كذلك . انتهى

أقول : قد فرق الشارح المحقّق بينهما بأن اتِّصال المضمر المجرور بجارِّهِ أشد من اتِّصال الفاعل المتَّصل ، والمضمر المنصوب المتّصل ليس كالجزء معنى كما بيَّنه ، فالقياس ممنوع .

ثم قال أبو شامة:وأما إنكار هذه القراءة من جهة المعنى لأجل أنها سؤالٌ بالرحم فهو حَلف ،وقد نُهى عن الحَلف بغير الله تعالى ،فجوابه أن هذا حكاية ماكانوا عليه،فحَضَّهم على صلة الرحم ونهاهم عن قطْعها،ونبَّههم

---

(١) ش : « مختصتان » .

على أنها بلغ من حرمتها عندهم أنَّهم يتساءلون بها . وحسَّنَ حذف الباء هنا أن موضعها معلوم ، فإنه قد كثر على ألسنتهم قولهم : سألتك بالله وبالرحم ، فعومل تلك المعاملة مع الضمير . انتهى

أقول : أوَّل كلامِه يدفع آخره ، فإنَّ أوَّله اقتضى أن الواو للقسم السؤالى . وقد ردَّ الشارح هذا بأن قسم السؤال لايكون إلا مع الباء ، وأنَّ آخره اقتضى أنها للعطف والجر بالباء المقدرة . وفيه النزاع فتأمَّل .

ثم قال أبو شامة فى تعليل قراءة حمزة : إنَّها على القسم ، وجوابُه (إن الله كان عليكم رقيباً) : أقسمَ سبحانه بذلك كما أقسم بما شاء من مخلوقاته من نحو : (والتين والزيتون) . وهذا الوجهُ وإن كان لامطعنَ عليه من جهة العربية فهو بعيد ، لأنَّ قراءة النصب وقراءَة ابن مسعود «وبالأرحام» بالباء مصرِّحتان بالوَصاةِ بالأرحام . وأما ردُّ بعض أئمة العربية ذلك فقد قال القشيرى (فى تفسيرِه): لعلهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن كان غيره أفصح ؛ فإنَّا لاندعى أنَّ كل القراءاتِ على أفصح الدرجات فى الفصاحة . وإن أرادوا غير هذا فلا يقلَّد فيه أئمة اللغة والنَّحو ، فإن القراءاتِ التى قرأ بها الأئمة ثبتت عن النبى ﷺ . وهذا كلام حسن صحيح . انتهى

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها قائل .

وقوله : (فاليوم قرَّبت) : إلخ قال الأعلم : معنى قرَّبت وأخذت واحد ، يقال قرَّبتَ تفعل كذا أى جعَلت تفعله . والمعنى : هَجْوكَ لنا من عجائب الدهر ، فقد كثُرتْ فلا يُتعجَّب منها . انتهى . فأفاد أن قرَّبت هنا من أفعال الشروع ، ويؤيده رواية الكوفيين كما نقله النحاس :

فاليوم أنشأت تهجونا * الخ .

فجُمْلةُ تهجونا خبر قرَّبَ ، والتاء اسمها .

وزعم العينى وتبعه غيره أنَّ قربت هنا بالتشديد بمعنى قَرُبت بالتخفيف أى دنوت ، وجملة تهجونا حال ، ويقال قربت هنا من أفعال المقاربة فحينئذ تكون الجملة خبراً . هذا كلامه .

قال شارح (شواهد الموشح) : يروى « قرّبت » معروفاً ومجهولاً . فعلى الأول معناه : اليوم قرَّبت هجاءنا أى أُدنيته ، ويجوز أن يكون معناه الإسراع أى أسرعتَ فى الهجاء . وجملة تهجونا حالية ، أُى قرّبت هاجياً . وعلى الثانى يريد أنك كنت مهجوراً مبعَداً فاليوم قُرِّبت تهجونا ، وليس هذا جزاء الإحسان والتقريب . وقوله:فاذهب•أمر تهديد وتحذير . انتهى .

وهذا ناشئٌ عن عدم الاطلاع ، ولا ينبغى تسويد الورق بمثله .

وقوله : (فاذهب) قال العينىُّ : هو جواب شرطٍ محذوف ، والتقدير فإنْ فعلت ذلك فاذهبْ ، فإنَّ ذلك ليس بعجبٍ من مثلك ومن مثل هذه الأيام . انتهى .

٣٤١ وقال ابن جِنِّى (فى إعراب الحماسة) عند قول الشاعر :

فإنْ كنتَ سيِّدنَا سُدتَنا وإنْ كنت للخال فاذهَبْ فخَلْ

أراد باذهب توكيداً [١] كما تقول : أخذ يتحدث ؛ وجعل يقول ، وأنت تريد حديثه [٢] . وكذلك قام يشتمنى ، قال حسان .

* على ماقام يشتمنى لئيم *

---

(١) ش : « أراد اذهب توكيدا » . والذى فى إعراب الحماسة الورقة ٥٣ : « أراد : فخل ، فزاد اذهب » .

(٢) فى إعراب الحماسة : « حديثه وقوله » .

أى علامَ يشتمنى . وعليه بيت الكتاب :

فاليوم قربت تهجونا ... ... البيت.

أى فما بك عجب . واذهب توكيدٌ للكلام وتمكين له . ومثله قوله:

من دون أن تلتقِىَ الأركابُ ويقعد الأير له لعابُ (١)

وليس هناك قيامٌ ولاقعود ولاذهاب ، ولكن هذه استراحاتٌ من العرب وتطريحات منها فى القول . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(الواهب المائةِ الهجانِ وعَبْدِها)

على أن عطف قوله وعبدها بالجرِّ على المائة ضعيف . ووجه الضَّعف أنَّ اسم الفاعل المقرونَ بأل المضافَ يلزم أن يكون المضاف إليه معرّفاً بها أيضاً ، لمشابهته للحسن الوجه ، فإذا عطف على المضاف إليه شىءٌ لزم أيضا أن يكون معرَّفا بها ، لأنَّ المعطوف فى حكم المعطوف عليه . وإنَّما جاز هنا عطف (عبدِها) مع خلوِّه من أل على المائة ، لكونه مضافاً إلى ضميرِ المعرف بأل ،والتقدير وعبد المائة ؛ ولكونه تابعاً ،والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى متبوعه.

وقد تقدَّم شرحُ هذا مستوفًى مع القصيدة التى هذا المصراعُ منها فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائتين (٢) .

* * *

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الثلثمائة (٣)) :

٣٥٤ (أتعرِفُ أمْ لا رَسْمَ دارٍ مُعطَّلا مِنَ العام يَغشاهُ ومن عامٍ أوَّلا
قِطارٌ وتاراتٍ خَريقٌ كأنَّها مُضِلَّةُ بَوٌّ فى رعيلٍ تَعجَّلا)

---

(١) قبله فى اللسان (ركب) :

لايقنع الجارية الخضاب ولا الوشاحان ولا الجلباب

(٢) الخزانة ٤ : ٢٥٦ .

(٣) نوادر أبى زيد ٢٠٨ وحاشية يس على التصريح ٢ : ١٦٣ .

على أن الشاعر قد فصَل بالظرف وهو تاراتٍ بين العاطف وهو الواو ، وبين المعطوف وهو خريق ، والأصل : قطارٌ وخريقٌ تاراتٍ .

صاحب الشاهد وهذان البيتان من أبياتٍ خمسة للقُحَيف العُقَيلى ، مذكورةٍ فى أواخر (نوادر أبى زيد) ، ولم أرها إلّا فيها .

والأبيات الثلاثةُ لاارتباطَ لها بِهما ، ولهذا تركناها .

وقوله : (أتعرف أم لا) إلخ رسمَ مفعولُ تعرف . ومعناه الأثر . ومعطَّلا صفة رسم ، أى خالياً من الأنيس والسُّكّان . ومن العام متعلِّق بمَعَطَّلَا ، و (من عام أوّلا) معطوف عليه . والعام : الحول. قال ابن الجواليقى : ولاتفرق عوامُّ النَّاس بين العام والسنة ، ويجعلونهما بمعنىً ، فيقولون لمن سافر فى وقتٍ من السنة ، أىَّ وقتٍ كان إلى مثله : عام ، وهو غلط ، والصواب ماأُخبرتُ به عن أحمدَ بن يحيى أنّه قال : السَّنة من أىِّ يوم عددته إلى مثله ، والعام لايكون إلّا شتاء وصيفا . وفى التهذيب أيضاً : العام حولٌ يأتى على شَتوة وصَيْفَة . وعلى هذا فالعام أخصُّ من السَّنَة وليس كلُّ سنة عاماً . وإذا عددت من يومٍ إلى مثله فهو سنة ، وقد يكون فيه نصفُ الصَّيف ونصف الشِّتاء . والعام
٣٤٢ لايكون إلا صيفاً وشِتاء متواليين . واللام فيه للعهد الحضورى ، أى هذا العام. وعامٌ أوّل [1] هو الحولُ السابق . وأوّل له استعمالان : أحدهما بمعنى سابق ومتقدِّم ، ويُصْرف على هذا . وثانيهما بمعنى أسبق ، ولاينصرف على هذا . قال صاحب (المصباح) : وتقول عامٌ أوّل ، وإنْ جعلته صفةً لم تصرفه لوزن الفعل والصفة ، وإن لم تجعله صفةً صرفته . انتهى . وألفُ آخِره للإطلاق ، ومن التفضيلية محذوفة ، أى من عام أوّل من هذا العام .

---

(١) ط : « عام أول » ، وإثبات الواو من ش .

وقال أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) : قوله ومن عام أوّلا ، يريد من عام زمان أوّل أو دهر أوّل ، فأقام الصفة مقام الموصوف . قال أبو عبيدة [١] ، فى قوله تعالى : ﴿ ترمِيهمْ بحجارةٍ مِنْ سِجِّيل [٢] ﴾ قال : أراد والله أعلم : من شديد . ولم يزدْ على هذا ، وتقديره عند أهل العربية : من رام شديد . انتهى

ولايخفى تعسُّفه .

و(يغشاه) من غشِيَه من باب تعب بمعنى أتاه ، والاسم الغِشيان . والذى رواه أبو زيد:« يمحاه » بدل يغشاه . قال أبو الحسن الأخفش : تقول العرب : محا يمحو ويمحا ؛ وقد جاء يَمْحي [٣] وهو شاذ [قلِيلٌ [٤]] . يقول بعضهم : محيتُ ، كما يقول الآخرون محوت . ومن قال يَمْحا فإنَّما يفتح لأنَّ الحاء من حروف الحلق . انتهى

و(قطار) فاعل يغشاه أو يمحاه ، وجملة الفعل والفاعل فى محل نصب على الحال من رسم ، ولايجوز أن يكون حالاً من دار لتذكير الضمير فى يغشى [٥] . وقطار ، بكسر القاف : جمع قطر بمعنى المطر .وهذا عيبٌ فى الشعر عند الخليل ، ويسمِّيه المضَمَّن؛وهو أن يكون تمام المعنى فى البيت الثانى . و(تاراتٍ) منصوب على الظرف ليغشى ، وهو جمع تارة بمعنى مَرّة . و(خريق) معطوف على قطار ، فصل بينه وبين الواو العاطفة الظرف ، وهو بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المهملة

---

(١) هذا النص من نوادر أبى زيد له أصل فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢ : ٣١٢ .

(٢) الآية ٤ من سورة الفيل .

(٣) وكذا فى النوادر . وفى ش : « يمحا » ، تحريف .

(٤) التكملة من ش . وفى النوادر : « وهى شاذة قليلة » .

(٥) ش : « يغشاه » .

وآخره قاف . قال صاحب العباب:الخريق:الرِّيح الباردة الشديدة الهُبوب . وضمير كأنَّها للخريق . و(مُضلَّة): اسم فاعلٍ من أضللته بالألف، بمعنى فقدتُهُ وأضَعْته . قال الأزهريُّ :وأضللت الشيء بالألف،إذا ضاع منك فلم تعرف موضعه ، كالدَّابَّة والناقة وماأشبهَهُما.فإنْ أخطأتَ موضعَ الشيء الثابت كالدار قلت: ضلِلته وضَلَلته .ومُضِلّة صفة موصوفٍ محذوف،أى ناقة مُضِلَّة .و(البَوُّ): جلدُ الحُوار ، أى ولد الناقة ،يُحشى إذا مات فتعطف عليه الناقة فتدِرُّ . و(الرعيل) بالراء والعين والمهملتين : الجماعة من الخيل . و(تعجَّل) فعل ماضٍ بمعنى أسرع ،وفاعله ضمير الرعيل، وجُملة كأنَّها مضلّة إلخ حالٌ من خريق. شبَّه الريح العاصفة فى رسم الدار بناقة أضاعت ولداً فى جَمْع خيلٍ أسرعَ ومضى، فهى والهةٌ تريد اللَّحاق إليه،فتسرعُ بأشدِّ مايُمكنها

القحيف العقيلى والقُحَيف بضم القاف وفتح الحاء المهملة وآخره فاء.والعُقَيلى بضم العين وفتح القاف؛وهو شاعرٌ جاهلىٌّ،وتقدم ذكره فى الشاهد الثالث والخمسين بعد الثلثمائة(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الثلثمائة :

٣٥٥ (وكان سِيَّانِ أَنْ لا يَسْرَحُوا نعَماً
أو يَسْرَحُوهُ بِها واغبَّرتِ السُّوح(١))

على أن أو هنا بمعنى الواو ، وإنما احتيج إلى جعل أوْ بمعنى الواو ، لأنَّ سواء وسيِّين يطلبان شيئين ، فلو جعلت أوْ لأحدِ الشَّيئين لكان المعنى سِيَّانِ أحدُهما . وهذا كلامٌ مستحيل .

---

(١) كذا . وستأتى ترجمته مفصلة فى الشاهد الخامس والعشرين بعد الثمانمائة .

(٢) الخصائص ١ : ٣٤٨ / ٢ : ٤٥٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٦١ / ٢ : ٣١٥ وابن يعيش ٢ : ٨٦ / ٨ : ٩١ وشرح شواهد المغنى ٧٢ .

قال أبو على (فى إيضاح الشّعر) : والذى حسَّنَ ذلك للشاعر أنّه يرى ٣٤٣
جالس الحسن أو ابنَ سِيرين ، فيستقيم له أن يجالسهما جميعا . وكُلِ الخبز أو التّمر ، فيجوز له أن يجمعهما فى الأكل . فلمّا جَرَت مجرى الواو فى هذه المواضع استجازَ أن يستعملها بعد سىّ . ولم نعلم ذلك جاء فى سواه ، وقياسُه قياس سِيّان . انتهى .

وبيَّنَ ابنُ جنّى سرَّهُ (فى باب تدريج اللغة من الخصائص) قال : وذلك أى تدريج اللُّغة أنْ يشبه شىءٌ شيئاً من موضع ، فيمضى حكمهُ على حكم الأوّل ثم يرقَى منه إلى غيره . فمن ذلك قولهم : جالس الحسن أو ابن سيرين . فلو جالسهما جميعاً لكان مصيباً مطيعاً لا مخالفا ، وإن كانت أوْ إنّما هى فى أصل وضعها لأحد الشّيئين . وإنّما جاز ذلك فى هذا الموضع لالشىءٍ رجع إلى نفس أو ، بل لقرينة انضمَّت من جهة المعنى إلى أوْ . وذلك لأنّه قد عُرِف أنّه رغِب فى مجالسة الحسن ، لما لِمُجالسته فى ذلك من الحظّ . وهذه الحالُ موجودةٌ فى مجالسة ابن سيرين أيضاً . فكأنَّه قال: جالسْ هذا الضَّربَ من الناس. وعلى ذلك جرى النَّهىُ فى هذا الطرز من القول فى قوله تعالى : ﴿ولا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أو كَفُوراً (٢)﴾. فكأنَّه والله أعلم قال : لاتطع هذا الضَّربَ من الناس ، ثم إنَّه لما رأى أو فى هذا الموضع قد جرت مجرى الواو تدرَّجَ من ذلك إلى غيره ، فأجراها مجرى الواو فى موضع عارٍ من هذه القرينة التى سوَّغته استعمال أوفى معنى الواو . ألا تراه كيف قال :

فكان سِيّانِ أن لايَسْرَحُوا نَعَماً ... البيت

وسواء وسيَّانِ لايستعمل إلاّ بالواو . انتهى .

---

(١) ط : « فلما صارت » ، وأثبت مافى ش .
(٢) الآية ٢٤ من الانسان .

وقد أخذ هذا من كلام أبى علىّ (فى التذكرة القصرية) قال : إنَّما جاز أوْ مع سيَّانِ اتّساعاً ، وذلك أنَّهم لما رأوا أنَّ أوْ يُجمع بها ماقبلها ومابعدها كما جمع بالواو وإن كان المعنى مختلفا ، شبّهوهُ بِها فعطفوا بها فى هذا الموضع كما يعطف بالواو . وكذلك العلم بأنَّ هذا الموضع يقتضى اثنين فصاعداً ولا يُقتصر فيه على أحد الاسمين . انتهى

(وسيَّانِ) : مثنَّى سىّ بالكسر بمعنى مثل ، وأصله سِوْى ، لأنَّه من السَّواء والسويَّة ، فقلب وأدغم ، عملاً بالقاعدة. قال ابن يسعون : كان ينبغى أن يقول سِيّيْنِ ، لأنَّ المعرفة أولى بأن تكون اسم كان ، وكأنَّه كره اجتماع ثلاثِ ياءاتٍ فعدل إلى الألف ، أو قدَّر فى كان ضميرَ الشأن ورفعه على الخبر ، لأنَّ المبتدأ هو قوله أن لايَسرحُوا . انتهى .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : إمَّا أن يكون أضمر فى كان الحديث أو الأمر ، فيكون سيَّان خبر الاسمين اللذين هما أن لايسرحوا نعماً أو يسرحوه ، أو يكون جعل سيَّان المبتدأ وإن كان نكرة ، وأدخل كان على قوله سيَّان . والوجه الأوَّل أشبَه . انتهى .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : ولقائل أن يقول : الإخبار عن المعرفة بالنكرة مغتفر فى الضرورة . على أنَّ ابن مالك قال بجوازه مطلقاً .

وسَرحتِ الإبلُ سَرْحا ،من باب نفع ، وسُروحا أيضا: رعت بنفسها، وسَرَحتها ، يتعدَّى ولا يتعدَّى . وهو هنا متعدٍّ . والنَّعم : المال الراعى ، وهو جمعٌ لا واحدَ له من لفظه ، وأكثر مايقع على الإبل : قال أبو عبيد : النَّعم : الجِمال فقط ، وتؤنَّث وتذكّر (١) ، وجمعه نُعمانٌ كحَمَلٍ وحُملان ،وأنعامٌ

---

(١) ش : « ويؤنث ويذكر » .

أيضا .وقيل النعم : الإبل خاصَّة ، والأنعام :ذوات الخُفّ والظِّلف ، وهى الإبل والبقر والغنم . وقيل تطلق الأنعام على هذه الثلاثة ، فإذا انفردت الإبل ٣٤٤
فهى نعَمَ ، وإن انفردت البقر والغنم لم تسمّ نَعَما . كذا فى المصباح . وضمير (بها) قال ابن يسعون : للسنة المجدبة التى دلَّت الحال عليها . ويحتمل أن يريد البقعة التى وصَفها بالجدْب . والباء بمعنى فى .واغبَرَّت ، اسودَّت فى عين من يراها ، أو كثُر فيها الغبار لعدم الأمطار . وروى بدله : « وابيضَّت » . والسُّوح : جمع ساحة ، وهى فَضاءٌ يكون بين دُور الحىّ . والواو فى اغبرَّت للحال .

قال ابن الشجرى(فى أماليه): وصف سنةً ذاتَ جدب ، فرعْىُ النَّعم وتركُ رعيها سواءٌ . قال أبو على (فى إيضاح الشعر): زعم أبو عمرٍو أنَّ الأصمعىَّ أنشدهم هذا البيتَ لرجل من هذيل . وجميع النحويِّين رووا هذا البيت كذا . وقد رأيتُه ملفَّقا من بيتين فى قصيدةٍ لأبى ذؤيب الهذلىّ ، وهما : صاحب الشاهد

(وقال راعيهمُ : سيَّانِ سَيركمُ وأن تقيموا به واغبَرَّتِ السُّوحُ
وكان مِثلينِ أن لايَسْرَحُوا نَعماً حيث استردت مَواشيهمْ وتَسريحُ)

وعلى هذا لا شاهدَ فيه .

والقصيدة مرثيَةٌ رثى بها أبو ذؤيبٍ صديقاً له قُتل فى وقْعة . وهذه أبياتٌ منها من المطلع :

(نامَ الخلىُّ وبتُّ اللَّيلَ مشتجراً كأنَّ عينىَ فيها الصابُ مذبوحُ
لمَّا ذكرت أخا العُمْقَى تأوَّبنى هَمِّى وأفرد ظهرِى الأغلبُ الشِّيحُ
المانح الأُدمَ كالمَرْوِ الصِّلاب إذا ماحارَد الخُورُ واجتُثَّ المجاليحُ
وزَفَّت الشَّوْلُ من برد العشىِّ كما زَفَّ النَّعامُ إلى حَفّانِه الرُّوحُ

وقال ماشيهم سِيَّانِ سيركم .... البيتين

واعصَوْصبَتْ بَكَراً من حَرجِفٍ ولها وَسْطَ الدِّيار رزيَّاتٌ مَرازيحُ

أمَّا أُولاتُ الذُّرى منها فعاصبةٌ تجول بين مَناقيها الأقاديحُ (١)

لا يُكرمون كريماتِ المَخاضِ وأنْـ ـسَاهمْ عقائلَهَا جُوعٌ وترزيحُ)

قوله : « نام الخلىّ » إلخ قال السكرى فى شرح أشعار هذيل : الخلىّ : الذى لاهمَّ له . والمشتجر :الذى قد وَضَع حنكَه على يده أو فَمَه عند الهمّ . والصاب :نبتٌ إذا شُقَّ يخرج من ورقه كاللَّبَن ، يُحرق العين. ومذبوح : مشقوق. وذبحه : شقَّه .

وقوله : « لما ذكرت أخا العمقى » إلخ العُمْقَى بضم العين المهملة وكسرها وبالقصر : أرض قُتل بها هذا الرجلُ المرثىُّ . وتأوَّبنى : أتانى ليلاً . و « أفرد ظهرى » أى كان يمنع ظهرى من العدوّ . والأغلب : الأسد الغليظ الرقَبة . يقال رجلٌ شيحٌ ومُشِيحٌ ، إذا كان جلداً . يقول : خلّانى للأعداء .

وقوله : « المانح الأدم » إلخ ماأوردناه من الأبيات ، أورده أبو حنيفة الدِّينورى (فى كتاب النبات) وقال : ومماَّ وصُف به المحْلُ قول أبى ذؤيبٍ ومدحَ رجلاً ببذلِ ماله فيه (٢) .

قال السكرىّ : المانح هو أنْ يدفع الأُدْمَ كالعاريَّة يشرب لبنَها سَنة . كالمرو : فى صلابتها . والمرو : الحجارة البيض . والخُور : الغِزار الرِّقاق وليست بسِمَان . وحارَد : ذهبَ ألبانها ؛ وهى من المحارِدَة . والمجاليح : اللواتى يَدْرُرْنَ فى القُرّ والجهد ، والواحدة مُجالِح .

---

(١) ط : « ألات الذريح » ، صوابه فى ش وديوان الهذليين .

(٢) ش : « ببذله ماله فيه » .

وقال الدينوريّ : المحاردة : انقطاع اللبن . والمجاليح : الصُّبُرُ من النّوق على الجدب الباقيةُ الألبانِ ، الواحدة مُجالحة . فاجتُثَّت لتدرَّ ولا دَرَّ بها . ٣٤٥

وقوله : « وزَفَّت الشّول » إلخ الزَّفيف : مشىٌ سريع فى تقارُب الخَطْو . والشّول : التى شالت ألبانُها وخَفّت بطونُها من أولادها وأَتى على نتاجها سبعةُ أشهر أو ثمانية .والحَفّان ، بفتح المهملة وتشديد الفاء : صغار النّعام . والرُّوحُ : نعت النعام وهو جمع أروَحَ ورَوحاء ، وصفٌ من الرَّوَح بفتحتين ،وهو سعةٌ فى الرِّجلين . والأَرْوَحُ تتباعد [1] صدورُ قدمَيه وتتدانى عَقباه . يقول : زَفَّت الشَّوْل إلى أن تأتى مَكاناً تستتر فيه . وإنَّما خصَّ الشَّوْل لقلَّة صبرها على البرد ، لخِفَّةِ بُطونها .

وقوله : « وقال راعيهمُ سيَّانِ » إلخ ، روى السكرى : « وقال ماشيهمُ » أيضا . وقال : يريد اغبرَّت ساحاتُ ماحولهم من الجَدْب . وماشِيهم ، يريد ماشىَ الحىِّ ، والمُمْشِى : صاحبها . قال الباهلى : زعموا أنَّ ماشيهمَ فى معنى مُمْشيهم ، أى صاحب الماشية . يقال : أمشى الرجُل .أى سواءٌ سيركم إن سرتم وإن أقمتم فأنتم فى جدب . وروى الدينورى : « وقال رائدُهم سيَّانِ سيركم» إلخ .

وقوله : « وكان مثلين » إلخ هذا على القياس بنصب مثلين ، قال السكّرىّ : أراد : أن لايسرحوا وتَسْرِيحهم [2] سواء . ومعنى أن لايَسْرَحوا أن لايَرْعَوْا . واسترادت مواشيهم ، أى ترود وتطلب المرعى ، أى فهو جدب رعَوْا أم لم يرعَوْا .

---

(١) ط : « يتباعد » .

(٢) ش : « وتسريح » . وفى شرح السكرى ١٢٢ : « أراد : كان تسريحهم وتركهم سواء » .

وقوله : « واعصوصبت بَكراً » إلخ قال **الدينوري** : اعصوصبت : اجتمعت من البرد يتقّى بعضُها ببعض . والبَكَر ، **بفتحتين** : جمع بَكْرة ، وهى الناقة الشابَّة . والحرجف ، بتقديم المهملة المفتوحة على الجيم : الريح الباردة اليابسة . والرذيَّة : الهزيلة الساقطة ، وكذلك المرازيح ، وهى التى رزحت فلا حَرَاك لها . ولم يقل السكّرىُّ فى هذا البيت شيئاً .

وقوله : « أمّا أُولاتُ الذُّرى » إلخ ، قال السكرى : أولات الذرى : ذوات الأسنمة . «فعاصبة» أى قد عَصَبت واستدارت لاتبرح . والأقاديح: جمع قِداح ،أى تجول القداحُ بين مناقيها ، وهو أن يُضرَب عليها بالقداح . يقول : يختار مُنْقياتها ، أى سمانها ، للعَقْر .

وقوله :« لايكرمون كريمات » إلخ قال السكرى :يقول :ينحرون كريماتِ المَخَاض ، وهى الحوامل ، فهى أنفسُ عندهم إذا نحروها . وعقائلها : كرائمها . أى أنساهم الجوع والترزيح ،وهى الرازح [1] التى قد قامت من الهزال وسقطت .

وترجمة أَبى ذؤيب الهذلى تقدمت فى الشاهد السابع والستين [2] .

وهو شاعر إسلامىّ .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الثلثمائة [3]:

٣٥٦ (باتَ يُعَشّيها بعَضْبٍ باترٍ   يَقصِدُ فى أسؤقِها وجائرِ [4])

---

(١) ط : « الرزاح » صوابه فى ش وشرح السكرى .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٧ والعينى ٤ : ١٧٤ والأشمونى ٣ : ١٢٠ .

(٤) أسؤقها وردت بالواو فى جميع المواضع هنا فى ط، لكنها فى ش مهموزة فى جميع المواضع .وهما لغتان.

على أنَّ (جائر) معطوفٌ على يقصد ، لكونه بمعنى الفعل ؛ أى يقصد ويَجُور .

وأورده الفراء والزَّجاج (فى تفسيرهما) عند قوله تعالى :﴿ ويُكلِّمُ النَّاسَ فى المَهْدِ (١) ﴾على أنَّ جملة يكلّم معطوفةٌ على وَجيهاً . قال الزَّجاج : وجائزٌ أن يعطف بلفظ يفعل على فاعلٌ لمضارعة يفعل فاعلاً ، أى قاصدٌ فى أسؤقها وجائر.

وأورده الفراء فى سورة الأنبياء أيضا ، عند قوله تعالى : ﴿لاهِيَةً قُلوبُهُم (٢) ﴾.

وكذلك استشهد به أبو على (فى إيضاح الشعر) وابن الشجَرىّ (فى أماليه) ؛ ولم ينسبه أحدٌ منهم إلى قائله . ولم أر له تتمة .

وهو بيتان من الرجز المسدّس .

٣٤٦ وقوله : (بات يعشِّيها) إلخ بات من أخوات كان ، اسمها مستتر فيها ؛ وجملة يعشِّيها فى موضع نصب على أنَّها الخبر ؛ أى يطعمها العَشاء بالفتح ؛ وهو الطعام الذى يؤكل وقتَ العِشاء بالكسر .

ورأيت فى أمالى ابن الشجرى فى نسخة صحيحة قد صحَّحها أبو اليُمْن الكندىّ وغيرهُ ، وعليها خطوطُ العلماء : « بات يُغشِّيها » بالغين المعجمة ، من الغشاء كالغطاءِ ، بكسر أولهما وزناً ومعنىً ، أى يشملُها ويعمُّها . وضمير المؤنث للإبل وهو فى وصف كريم بادرَ يعقِرُ إبلَهُ لضيوفه .

وزعَم العينى أنَّ الضمير للمرأة التى عاقبها زوجُها بالسَّيف . ولايخفى أنَّ هذا غير مناسب لسِياق الكلام .

---

(١) آل عمران ٤٦ .

(٢) الأنبياء ٣ .

ورواه الفراء (فى تفسيرهِ) : « بتُّ أعشِّيها » بالتكلُّم (١).

و (العَضْب) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة : السَّيف ، وهو فى الأصل صفة بمعنى قاطع ، عَضَبه بمعنى قطعه ، والباء متعلِّقة بيعشِّيها ، وهذا من باب : عتابُه السَّيف ، وتحيَّتُه الضَّرب . (وباتر) صفةٌ أُولى لِعَضْبٍ ، وجملة يقصد صفة ثانية له ، و (جائر) صفة ثالثة ، وهو بمعنى قاطع ، من بتره بتراً من باب قتل ، إذا قطعه على غير تَمام . و (يقصِد) : مضارع قصدَ فى الأمر من باب ضرب ، أى توسَّط ولم يجاوز الحدَّ . وفى متعلقه بيقصد . وأسؤق : جمع قلَّة لساقٍ ، وهى مابين الرُّكبة والقدم . وجائر مِنْ جار فى حكمه ، إذا ظلم .

فإن قلت : عَقْره الإبلَ إمّا قصدٌ وإمّا جَور فكيف وصف بهما ؟ قلت : هو على التوزيع ، أى يقصد فى أسؤق إبل تستحقُّ العقر كالنِّيب ، ويجور فى أسؤق إبلٍ لاتستحقُّ العقر كالحوامِل وذواتِ الفصال .

وجائرٌ فى الحقيقة معطوف على جملة يقصد الواقعة صفةً ثانية لعَضْب ، كقول راجز آخر :

* أمِّ صبيٍّ قد حبا ودَارِج (٢) *

وفاعله ضمير العضب .

وزعم العينى أنَّ الضمير عائد على ماعاد عليه ضميرُ بات ،وأنَّ الجملة حال.وهذ فاسدٌ؛لأنّه لو كان كما زعمَ لنصب جائر،لأنَّه معطوف عليه.ولاجائز

(١) معانى القرآن ١ : ٢١٣ . ولم يرد هذا الشطر فى تفسير سورة الأنبياء .

(٢) مجهول القائل . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٧ والتصريح ١ : ١٤٢ ، ٢ : ١٥٢ والأشمونى ٣ : ١٢٠ .

أن يكون منصوباً أو مرفوعاً ؛ لأن الشِّعر من الرجز الذى يجب [1] توافُق قوافيه . ويدلُّ لما قلنا رواية الفراء :

بِتُّ أعشِّيها بعَضب باتِرِ يَقصِد فى أسؤقها وجائرِ

والقافيتان مضبوطتان بضبط القلم بالجر فى نسخٍ صحيحةٍ مقروءة ، وعليها خُطُوطُ العلماء ، منها (تفسيرُ الفراءِ والزجاج) ،ومنها (إيضاح الشِّعر) بخط ابن جنِّى ، ومنها (أمالى ابن الشجرى) كما ذكرنا .

ولو رفع باتر على أنّه نعت مقطوع من النكرة غيرِ المخصَّصة لرفَعَ جائر . وفيه مالايخفى . وكذلك لايجوز أن يكون جملة يقصد خبراً ثانيا لبات أو بدلاً من يعشِّيها ؛ لما ذكرنا .

ولم يذكر الشارحُ المحقِّق شرطَ عطفِ الاسم على الفعل مضارعا أو ماضياً وعكسِه .وقد بيَّنه ابنُ الشجرى (فى أماليه) فى فصلٍ عَقَدهُ له ، فلا بأس بإيراده ؛ قال: عطفُ اسم الفاعل على يفعل ، وعطفُ يفعل على اسمِ الفاعل جائزٌ ، لمَا بينهما من المضارعة التى استحقَّ بها يفعل الإعرابَ واستحقَّ بها اسمُ الفاعل الإعمال ، وذلك جَرَيانُ اسم الفاعل على يفعل . ونَقْلُ يفعل من الشِّيَاع إلى الخصوص بالحرف المخصِّص كنقل الاسم من التنكير إلى التعريف بالحرف المعرِّف ، فلذلك جاز عطفُ كلٍّ واحدٍ منهما على صاحِبه ، وذلك إذا جاز وقوعُه فى موضعه،كقولك: زيد يتحدَّث وضاحك،وزيد ضاحكٌ ويتحدَّث، لأنَّ كلّ واحدٍ منهما يقع خبراً للمبتدأ . وكذلك مررت برجل ضاحكٍ ويتحدَّثُ ، ٣٤٧
وبرجل يتحدَّث وضاحك ؛ لأنَّ يفعل مما يُوصف به النكرات.فمِن عطف الاسم على الفعل قولُ الرَّاجز :

بات يغشِّيها بعَضبٍ باترِ يقصد فى أسؤقها وجائرِ

فإن قلت:سيتحدث زيد وضاحك لم يجز،لأنَّ ضاحكا لايقع موقع يتحدَّث،

---

(١) ش : « تجب » تحريف .

من حيث لايلى الاسم السين . وكذلك : مررت بجالس ويتحدَّث لايجوز ، لأنَّ حرف الجر لايليه الفِعل .

فإن عطفت اسم الفاعل على فعلٍ لم يجز ؛ لأنه لا مضارعة بينهما .

فإن قرَّبت فعلَ إلى الحال بقد جاز عطفُ اسم الفاعل عليه ؛ كقول الراجز :

* أمٍّ صبِىٍّ قد حبا ودارِجِ *

فإن كان اسم الفاعل ؛ بمعنى فَعَل جاز عطف الماضى عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿إنَّ المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرَضُوا الله [1]﴾ ،لأنَّ التقدير إن الذين تصدَّقوا واللاتى تصدَّقْن .

* * *

وأنشد بعده ؛ وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الثلثمائة [2]:

٣٥٧ (وعَضُّ زمانٍ ياابنَ مَروانَ لم يَدَعْ من المال إلاَّ مُسْحَتاً أو مجلَّفُ)

على أنّه تجوز المخالفة فى الإعراب إذا عُرف المراد كما هنا ، فإنَّ قوله مجلَّف معطوف على قوله مُسْحتاً ، وهما متخالفان نصباً ورفعا .

قال أبو بكر محمد بن عبد الملك التاريخى (فى تاريخ النحاة) فى ترجمة عبد الله بن أبى إسحاق النحوىّ الحضرمّى : قال ابن سلَّام:وحدثنا يونس قال ابن أبى إسحاق فى بيت الفرزدق إلَّا مسْحَتاً أو مجلَّف ،قال:للرفع وجهٌ.وكان أبو عمرو ويونس لايعرفان للرفع وجهاً.قلتُ ليونس:لعلَّ الفرزدق

---

(١) الآية ١٨ من الحديد .

(٢) ابن سلام ١٩ والجمل ٢١٣ والخصائص ١ : ١٩٩ والمحتسب ١ : ١٨٠ / ٢ : ٣٦٥ والإنصاف ١٨٨ وابن يعيش ١ : ٣١ / ١٠ : ١٣ واللسان (جلف) وديوان الفرزدق ٥٥٦ .

قالها على النصب ولم يأْبَهْ للقافية . قال : لا ، كان ينشدها على الرفع ، وأنشدنيها رؤبة على الرفع . انتهى .

وهذا البيت صعبُ الإعراب . قال الزمخشريّ : هذا بيتٌ لاتزال الرُّكَبُ تصطكُّ فى تسوية إعرابه . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : رفع الفرزدق آخر البيت ضرورة (١) ، وأتعب أهلَ الإعرابِ فى طلب الحيلة ، فقالوا وأكثُروا ولم يأتوا فيه بشيء يُرتَضى . ومن ذا يخفى عليه من أهل النّظر أنَّ كلَّ ماأتوْا به احتيالٌ وتمويه . وقد سأل بعضُهم الفرزدقَ عن رفعه هذا البيت فشتمه وقال : علىّ أن أقول وعليكم أن تحتَجُّوا . انتهى .

وقال الفراء(فى تفسيره (٢)):حدثنى أبو جعفر الرّؤاسى،عن أبى عمرو بن العلاء قال:مرَّ الفرزدقُ بعبد الله بن أبى إسحاق النحوى فأنشده هذه القصيدة:

* عزفتَ بأعشاش وماكدتَ تعزف (٣) *

حتى انتهى إلى هذا البيت ، فقال عبد الله : علام رفعت مجلَّف ؟ فقال له الفرزدق : على مايسوءُك .

وفى (تذكرة أبى حيان) من النهاية قال عبدُ الله بن أبى إسحاق للفرزدق : بم رفعتَ أو مجلف ؟ فقال : بما يسوءُك وينوءك ، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا . ثم قال الفرزدق :

فلو كان عبدُ اللهِ مولًى هجوتُه ولكنَّ عبدَ الله مولى مواليا

فقال له عبد الله : أردتَ أن تهجوَنى فلحَنتَ أيضا . والفرزدق مشغوفٌ فى شعره بالإعراب المشكل المحوج إلى التقديرات العَسِرة ، بالتقديم والتأخير

(١) وكذا فى الشعراء ٣٥ . وفى ش : « رفع الفرزدق آخره ضرورة » .
(٢) معانى القرآن ٢ : ١٨٢ فى الآية ٦١ من سورة طه .
(٣) فى النسختين : « بأعياش » ، صوابه من الفراء ومعجم البلدان وديوان الفرزدق ٥٥١ .

المخِلِّ بالمعانى . وسمعت شيخَنا يقول : أنّى لأعجب من إبراهيم بن هشام المخزومى حين فهِمَ قولَ الفرزدق :

٣٤٨ ومامثلهُ فى الناس إلاّ مملَّكا أبو أمِّه حىٌّ أبوه يُقاربُه

وقال أبو محمد بن الخشاب (فى كتابه الموضوع لجوابه المسائلَ الستَّ الإسكندرية): إنَّ أبا حاتم السجستانى قال: ليس الفرزدقُ أهلاً لأن يُستشهَد بشعره على كتاب الله ، لما فيه من التَّعجرف . وقال ابن الخشاب أيضاً :لم يجرِ فى سَنَن الفرزدق ، من تعجرُفه فى شعره بالتقديم والتأخير المخلِّ بمعانيه ، والتقدير المشكل ، إلاّ المتنبىِّ ، ولذلك مال إليه أبو علىّ وابن جنِّى ، لأنَّه مما يوافق صناعتَهما . ولاينفع المتَنبىِّ شهادة أبى على له بالشعر ، لأنَّ أبا علىّ معربٌ لا نقَّاد ، وإنّما تنفعُه شهادةُ مثل العسكريَّين وأبى القاسم الآمدى ، فإنَّهم أئمةٌ يُقتدَى بهم فى نقد الإعراب .انتهى ماأورده أبو حيان .

وقد تكلَّفَ له العلماءُ عدَّة توجيهاتٍ ذكر الشارح المحقق منها ثلاثة أوجه ، والثلاثة مبنيَّة على رواية (لم يَدَع) بفتح الدال وعلى رواية نصب مُسحَت .

أمَّا (الأوّل) فهو للخليل بن أحمد ، وقال: هو على المعنى ، كأنَّه قال :لم يبق من المال إلاَّ مُسحَت ، لأنَّ معنى لم يبقَ ولم يَدَع واحد ، واحتاج إلى الرفع فحمله على شيءٍ فى معناه . قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : نصب مُسحَت بيدع بمعنى الترك ، وحمل مجلَّف بعده على المعنى ، لأنَّ معنى لم يدع من المال إلاَّ مسحتا ، تقديره : ولم يبق من المال إلاّ مسحتٌ ، فحمل مجلّف بعده على ذلك . ومثل ذلك فى الحمل عَلَى المعنى من أبيات الكتابِ قوله :

بادت وغيَّرَ آيهنَّ مع البلَى إلاّ رواكدَ جَمرهُنَّ هباءُ[١]
ومُشجَّجٌ أمَّا سواءُ قذالِه فَبَدا وغيَّـر سارَه المعْزاءُ

لأنَّ معنى بادت إلا رواكد ، معناه:بها رواكد ، فحمل مشجَّجا عَلَى ذلك ، فكذلك قوله لم يدع من المال إلاّ مسحتا معناه:بقى مُسحَت . قال أبو عمرو : هذا قولُ الخليل ، وليس البيت فى الكتاب (٢) ، فلا أُدرى أسمعه عنه أم قاسه . انتهى .

ومحصله أنَّ مجلفًا مرفوع بفعل محذوف دلَّ عليه لم يدع.وإليه ذهب ابن جنى (فى المحتسب فى سورة والضحى)،قال:إنه لما قال لم يدع من المال إلاَّ مسحتا دل على أنه قد بقى،فأضمر مايدل عليه[٣]،فكأنه قال:وبقى مجلف.

وأما (الثانى) فهو لثعلب ، قال (فى أماليه) (٤) نصب مُسْحَت بوقوع يدع عليه وقد وليه الفعلُ ولم يل مجلفا ، فاستؤنف به فرفع ، والتقدير : هو مجلف . انتهى .

وقول الشارح المحقق إنَّ أو فى هذا الوجه للإضراب بمعنى بل ، لايناسب المعنى ، وإنما يناسب لو كان مسحتا بعد أو ، فهى هنا لعطف جملة على مفرد ، ومعناها أحد الشيئين .

وأما (الثالث) فهو لأبى على الفارسى (فى التذكرة) قال : مجلَّف معطوف عَلَى عضّ ، وهو مصدر جاء على صيغة المفعول ، قال تعالى : ﴿ ومزَّقْناهُمْ كلَّ ممزَّقٍ (٥) ﴾ كأنّه قال : وعض زمان أو تجليف .

---

(١) من شواهد سيبويه فى كتاب ١ : ٨٨ .
(٢) يعنى البيت الشاهد .
(٣) فى المحتسب ٢ : ٣٦٥ : « فأضمر مايدل عليه القول » .
(٤) هذا من المواضع المستدركة على مجالس ثعلب . وقد أثبته فى ذيل المجالس .
(٥) الآية ١٩ من سورة سبأ .

وبقى غير ماذكره الشارح توجيهُ الفراء ، قال : إنَّ مجلفاً مرفوع بالابتداء ، وخبره محذوف ، كأنه قال : أو مجلف كذلك . ونسبَهُ إليه ابنُ السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) ، وكذلك نسبه إليه على بن حمزة البصرى (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) ونصُّه : قال الفراء : ومن روى مسحتا أراد لم يدع فيه عضٌّ الزمان إلا مسحتاً أو مُجلَّفٌ بقى ، فرفعه عَلَى هذا الإضمار . قال
الكسائى : هذا كما تقول : ضربت زيداً وعمروٌ ، كأنّه يرفعه بفعل مضمر ، أى ٣٤٩
وعمروٌ مضروب ، أوْ وعمرو كذلك . انتهى .

وقد ذهب إلى هذا ابن الأنبارىّ أيضاً (فى مسائل الخلاف) ، قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات المعانى) : فيكون هذا من عطف جملة اسمية على جملة فعلية ، كما تقول : رأيت زيداً وعمرو مرَّ بى أيضا .

وبقى أيضاً توجيه الكسائى ، وهو أنَّ مجلفا معطوف على الضمير المستتر فى مُسحَت . قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : حكى هشامٌ هذا التوجيه عن الكسائى .

هذا مااطلعتُ عليه من توجيه هذه الرواية ، وهى الرِّواية المشهورة . وقد أوردها صاحب الكشاف فى سورة طه .

وفيه روايات أخر :

إحداها : « إلاّ مسحتٌ أو مجلَّف » برفعهما . قال علىّ بن حمزة (فى كتاب التنبيهات) : رواه أبو جعفر بن حبيب (فى كتاب النقائض) برفع الاسمين . قال ابن الأعرابى والفراء : حروف الاستثناء تجىء بمعنى قليل من

(١) ط : « أو مجلفا » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « أو عمرو كذلك » وأثبت مافى ش .

كثير ، فجعل إلاَّ معلَّقة بأن يكون ، فأضمرها ونواها ، ورفع مُسْحَت عَلَى هذا المعنى . أراد إلا أن يكون مسحت أو مجلف ، فرفعه بيكون المضمرة ، وإلاّ تدلُّ عَلَى تعلُّقها بأن يكون كقولك : ماأتانى أحدٌ إلا زيد ، وإلاَّ أن يكون زيد . ومثلهُ لشبيب بن البرصاء :

ولا خير فى العِيدان إلاَّ صلابُها
ولا ناهضاتِ الطير إلا صقورُها

أراد : ولاخير فى العيدان إلا أن يكون صلابها ،وإلا أن يكون صقورها . انتهى .

وهذا التوجيه مردود ، فإنَّ الموصول لايحذف مع بعض الصلة ويبقى بعضها .

والصواب توجيه صاحب (الكشاف) فإنه استشهد به عَلَى قراءة أُبىّ والأعمش : ﴿فشرِبُوا منه إلا قليل [١]﴾ بالرفع مع كونه استثناء من كلام موجب حملاً له عَلَى المعنى ، فإنَّ قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه إلا قليل ، فرفعه كرفع الشاعر مسحتا ومجلفا مع كونه استثناء مفرَّغا فى موقع المفعول به ، لأنه فى المعنى واقعٌ موقع الفاعل ، لأنَّ لم يدع فى معنى لم يَبْقَ .

والأحسن ماذهب إليه الطوسىُّ ، نقله عنه صاحب (التنبيهات) قال : أراد لم يَدَعْ من الدعة .

ونقل ابن الأنبارى أيضاً (فى شرح المفضليات) عن أبى عمرو أنه قال : لم يَدَعْ من الدَّعة والسكون ، يقال رجل وادع إذا كان ساكنا ، فيكون عَلَى هذا مسحت فاعل ليَدَع .

وثانى الروايات الأخر رواية خالد بن كلثوم وهى :

---

(١) الآية ٢٤٩ من البقرة .

وعضٌّ زمانٍ ياابن مروان مابه من المال إلا مسحَتٌ أو مجلَّفُ

برفع الاسمين أيضاً ، حكاه عنه على بن حمزة صاحب التنبيهات .

وقال الفراء (فى تفسيره) : قيل لى إن بعض الرواة يقول : « مابه من المال إلاّ مسحَتٌ أو مجلف » فقلت : ليس هذا بشىء . انتهى .

وعندى أنَّ هذه أحسنُ الروايات وأصحُّها .

وثالث الروايات الأُخر : « لم يَدِع من المال إلا مُسْحَت » بكسر دال يَدِع ورفع الاسمين أيضاً ، وقد نسبها صاحب (التنبيهات) إلى أبى عبيدة ، وابنُ الأنبارى (فى شرح المفضليات) إلى عيسى بن عمر ، عند قول سويد بن أبى كاهل اليشكرىّ من قصيدة :

أَرَّقَ العينَ خيالٌ لم يَدِعْ من سُلَيمى ففؤادى مُنتزَعْ (١)

قال : يدِع بمعنى يَقَرّ ويمكُث . وإليه ذهب ابن جنى فى باب الاطِّراد
والشُّذوذ (من الخصائص) قال فيه : ومن ذلك امتناعُك من وَذر وودَع لأنهم ٣٥٠
لم يقولوهما . فأما قولُ أبى الأسْوَد :

ليت شِعرى مِنْ خليلى ماالذى

غالَهُ فى الحبِّ حتّى ودَعَهْ

فشاذٌّ،وكذلك قراءة بعضهم:﴿ماودَعَك ربُّك وماقَلَى﴾ .فأمّا قولهم ودَعَ الشىءُ يدِعُ ، إذا سكن فاتَّدع،فمسموع متَّبع،وعليه بيت الفرزدق،فمعنى لم يَدِع بكسر الدال،أى لم يتَّدِع ولم يثبُت.والجملة بعدَ زمانٌ فى موضع جر لكونها صِفة له ، والعائد منها إليه محذوف للعلم بموضعه ، وتقديره لم يَدِع فيه أو لأجله من المال إلا مُسحَت أو مجلّف ، فيرتفع به مسحت ، ومجلف

---

(١) المفضليات ١٩٥ .

عطف عليه . وهذا أمرٌ ظاهر ليس فيه من الاعتذار والاعتلال مافى الرواية الأخرى . ويحكى عن معاوية رضى الله عنه أنه قال : خير المجالس ماسافر إليه البصر ، واتَّدَعَ فيه البدن . انتهى .

وقال فى سورة الضحى (من المحتسب) : قرأ : ﴿ماوَدَعَكَ﴾ [1] خفيفة النبىُّ ﷺ وعروة بن الزبير . وهذه قليلة الاستعمال . قال سيبويه : استغنوا عن وذر ووَدَعَ بقولهم ترك . عَلَى أنها قد جاءت فى شعر أبى الأسود . وأما لم يِدع فى بيت الفرزدق بكسر الدال فهو من الاتِّداع ، كقولك : قد استراح ووَدِع ، فهو وادعٌ من تعبه . والمسْحَت عَلَى هذه الرواية مرفوعٌ بفعله ، ومجلف معطوف عليه . وهذا ما لا نظر فيه لوضوحه .

ورابع الروايات الأخر : « لم يُدَعْ » بضم الياء وفتح الدال ، مع رفع الاسمين أيضاً ، ذكرها ابن جنى (فى المحتسب) ونقلها عنه ابن السِّيد واللخمى (فى شرح أبيات الجمل) ، ولم ينسبها أحدُهم إلى راوٍ .

قال ابن جنى : وأما رواية «يُدَعْ» بضم الياء وفتح الدال فقياسه يُودَع ، كقوله تعالى:﴿لم يَلِدْ ولم يُولَد﴾ومثلهُ يُوضَع ،والحديد يُوقَع ،أى يُطرَق ، من قولهم وَقعت الحديدةَ ، أى طرقتها . قالوا : إلاّ أنَّ هذا الحرف كأنّه لكثرة استعماله جاءَ شاذا فحذفت واوه تخفيفاً فقيل لم يُدَع أى لم يترك . والمسحَت والمجلف جميعاً مرفوعان أيضاً كما يجب . انتهى .

وهذا ماوقفت عليه من روايات هذا البيت . والله أعلم .

وقوله : (وعَضُّ زمان) هو مرفوع بالعطف على (همومُ المنى) فى بيت قبله ، وهو :

---

(١) الآية ٣ من سورة الضحى .

(إليكَ أميرَ المؤمنين رمَتْ بنا
همومُ المَنى والهَوْجَلُ المتعسِّفُ)

أراد : ياأمير المؤمنين . و(ابن مَرْوان) : عبد الملك بن مروان . شكا إليه مافعل به الزمان من تفريق أمواله وتغيير أحواله . والهَوجل : الفلاة التى لاأعلام فيها يُهتدَى بها . والمتعسِّف : التى يُسار فيها بلا دليل . وعَضُّ الزمان : شِدَّته . قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : قال الخليل بن أحمد : العضُّ كله بالضاد،إلا عَظَّ الزمانِ والحَرْب . وقال ابن سِراج [1] : العَظُّ المجازىُّ بالظاء والحقيقى بالضاد . وهذا كقول الخليل . وقيل إنّ العضَّ كله بالضاد مجازيا كان أو حقيقياً. انتهى .

و (المجلَّف) بالجيم : الذى ذهب معظمه وبقى منه شىء يسير . و(المُسْحَت) : المستأصَل الذى لم يبق منهُ بقية . قال الفراء فى سورة طه ، فى قوله تعالى :﴿ فيُسحِتَكم [2] ﴾: سَحَتَ أكثَرُ ، وهو الاستئصال . والعرب تقول : سَحَتَ ·أُسْحَتَ بمعنى واحد . وأنشد هذا البيت .

وقال مثلَه الزجاجُ فى سورة المائدة ، وأنشد البيت أيضاً .

وقال صاحب الصحاح : مالٌ مسحوت ومُسْحَت أى مُذهَب . وأنشدَ هذا البيت أيضاً ، ومنه أخذ الشارح .

٣٥١ ومثل هذا البيتِ ماأورده أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى تلميذُ ابن ولّاد (فى طبقات النحويين)فى ترجمة أبى الفَضْل الرِّياشى،بسنده عن أبى الفضل قال: وقع رجُلٌ بأمَةٍ لرجل فولدت،فحلف سيِّدُها أن لايُعتِقَه،فقال الذى وقَع فى الجارية:

---

(١) ابن سراج ، بكسر السين وتخفيف الراء ، هو عبد الملك بن سراج امام أهل قرطبة ، وهو ممن درس جمهرة ابن دريد واستظهرها . توفى سنة ٤٨٩ . س : « ابن السراج » .
(٢) الآية ١١ من سورة طه .

تَحلّلْ جزاك الله خيراً أمَا ترى تَخـاذُلَ إخـوانى وقِلَّـةَ ماليـا
وعضٌّ زمان لم تَدَعْ جَفَواتُه من المال، إلا جِلّة وعَنَاصيا
تألَّ على مافى يديك كأنَّمـا رأيتَ ابن ذَى الجَدَّينَ عِندكَ عانيا(١)

انتهى التحليل فى اليمين : أن يحلف ثم يستثنىَ استثناء متَّصلا . والجِلّة بكسر الجيم من الإبل : المَسَانُّ ، وهو جمع جليل ، كصبىّ وصبية . والعَناصى بفتح المهملة ، قال صاحب الصحاح : مابقى من مالِه إلا عَنَاصٍ ، وذلك إذا ذهب مُعظمُه وبقى نَبْذٌ منه . وتألَّ فعلُ أمر ، يقال تألَّى على كذا أى أقسمَ عليه . والعانى : الأسير .

صاحب الشاهد والبيتان من قصيدةٍ طويلة للفرزدق ، تزيد على مائة بيت ؛ ليس فيها مديحٌ غير هذين البيتين ، وماقبلهُما من أوَّل القصيدة نسيب ، ومابعدهما عدَّة أبياتٍ فى كَلال الإبل . وشرَحها الشريفُ المرتضَى قُدِّس سرُّه (فى أماليه غرر الفرائد ودرر القلائد (٢)) .

ومابَعدها إلى آخر القصيدة افتخارٌ بآبائه على جرير .

وفيها شاهدٌ يأتى شرحُه مع أبيات منها إن شاء الله تعالى فى باب الفعل(٣). ومضى بيتٌ منها فى باب النعت (٤) .

وتقدَّمت ترجمة الفرزدق فى الشاهد الثلاثين (٥) .

---

(١) ط : « ذو المجدين » ، صوابه فى ش . والجد بمعنى الحظ . وذو الجدين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيبانى ، وهو والد بسطام بن قيس ، وقيل مسعود بن عمرو ، وقيل عمرو بن ربيعة ابن عمرو ، وقيل عبد الله بن عمرو بن الحارث . وانظر تعليل تسميته فى جنى الجنتين ١٥٧ .
(٢) أمالى المرتضى ١ : ٥٨٢ — ٥٨٤ .
(٣) هو الشاهد ٦٦٦ فى ٣ : ٦٠٧ بولاق .
(٤) هو الشاهد ٣٣٩ فى هذا الجزء الخامس .
(٥) فى الجزء الأول ص ٢١٧ .

باب التوكيد

أنشد فيه ؛ وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الثلثمائة [١] :

٣٥٨ (أقسَمَ باللهِ أبو حَفْصٍ عُمَرْ)

على أنَّه رُبّما دلَّ على عطف البيانِ بعضُ متبوعاته مع قلّة الاشتراك ، كأبى حفص وهو المتبوع ، يدلُّ على عطف البيان وهو عُمَر ، كما بيَّنه الشارحُ المحقِّق .

وقد أورده فى باب عطف البيان وشرحَه هناك .

صاحب الشاهد وهو أوَّل رجز قاله أعرابىٌّ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قصة الشاهد وسببه ماروواه المحدِّثون عن أبى رافع ، أنَّ اعرابيًّا أتى عمر فقال : ياأمير المؤمنين ، إنَّ أهلى بَعيد ، وإنِّى على ناقةٍ دَبْراءَ ، فاحملنى . فقال عمر كذبتَ ، واللهِ مابها نقبٌ ولا بَرَ ! فانطلق الأعرابىُّ فحلَّ ناقتَه ، ثمَّ استقبل البَطحاء وجعل يقول ، وهو يمشى خلفَ ناقته :

أقسَم باللهِ أبو حَفْصٍ عُمر ما إنْ بها من نَقَبٍ ولادَبَرْ
اغفِرْ له اللهمَّ إن كانَ فجرْ

ويروى : « مامسَّها من نَقَب » . وعمر بن الخطاب رضى الله عنه مقبلٌ من أعلى الوادى ، فجعل إذا قال :

* اغفر له اللهمَّ إنْ كان فجرْ *

قال : اللَّهمَّ صَدَق ! حتىَّ التقيا فأخذ بيده فقال:ضَعْ عن راحلتك.

---

(١) المخصص ١ : ١١٣ وابن يعيش ٣ : ٧١ وشذور الذهب ٤٣٥ والعينى ١ : ٣٩٢ / ٤ : ١١٥ والتصريح ١ : ١٢١ ، ١٣١ والأشمونى ١: ١٢٩ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٤ .

فوضَع فإذا هى كما قال ، فحمَله على بعير ، وزوَّده وكساه .

ورُوِىَ هذا الأثرُ بألفاظٍ مختلفة .

وهذا المقدارُ من الرجز هو المشهور ، وفى رواية الأصمعىّ أزيدُ من
٣٥٢ هذا . قال أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (فى طبقات النحويين) فى ترجمة الأصمعى :أخبَّرنا ابن مطرِّف قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه الأصمعىّ قال : وقف أعرابىٌّ بين يَدىْ عمر بن الخطاب فقال : ياأمير المؤمنين ، أُبدِعَ بى وأدْمَتْ بى راحلتى ، ودبر ظهرُها ونَقِبَ خُفُّها ! فقال له عمر : والله ماأظنُّك أنقَبْتَ ولا أَحْفَيْتَ ، فخرج الرجلُ ثم خرج عمر . قال : والرجل يقول :

أقسم بالله أبو حفص عُمَرْ ... مامَسَّها من نَقَبٍ ولادَبَرْ
حَقاً ولا أجهدَها طولُ السَّفَرْ ... والله لو أبصرتَ نِضوى ياعُمَرْ
ومابها ،عَمْرُكَ ، من سُوء الأَثَرْ ... عددتَنى كابن سبيلٍ قد حُضِر[١]

فرقَّ له عمرُ وأمر له ببعيرٍ ونفقة . انتهى .

والدَّبْراء ، من دَبِرَ ظهرُ الدابّة من باب فَرِحَ ، إذا جُرِجَ من الرَّحل والقتب . وأدبرت البعير فدَبِرَ [٢] وأدْبَرَ الرجلُ ، إذا دَبِر بعيرُه ، فهو مُدْبِر . والنَّقْباء مِن نَقِبَ البعيرُ من باب فرح أيضاً ، إذا رقَّ خُفُّهُ . وأنقبَ الرجُل ، إذانَقِب بعيرُه . وقوله : فاحمِلْنى ، أى أعطِنى حَمولةً ، وهى بالفتح مايحمِلُ عليه الناسُ من الدوابّ ، كالرَّكوبة .

---

(١) يقال حضر فلان واحتضر ، بالبناء للمجهول فيهما ، إذا دنا موته .

(٢) ط : « تدبرة » ش : « تدبر » ، صوابه من اللسان (دبر ٣٥٩ س ٢) .

وقوله : (أقسم بالله أبو حَفْصٍ عمر) عمر أبو حفص : فاعل أقسَمَ بمعنى حلف ، وهو كنية عمر . واستشهد به ابنُ هشام (فى شرح الألفية) فى جواز تقديم الكُنْية على الاسم .

وقوله : « ماإنْ بها » إنْ زائدة . وقوله « إنْ كان فجر » ، قال ابنُ الأنبارى (فى الزاهر) : الفاجر فى كلام العرب : العادل المائل عن الخير ، وإنَّما قيل للكذّاب فاجر لأنّه مال عن الصدق . وأنشَدَ هذ الشعر .

وقوله : « ضَعْ عن راحلتك » ، أى ارفعْ عنها قَتَبها . وقوله فى رواية الأصمعى « أُبدِعَ بى » بالبناء للمفعول ، أى انقُطِعَ بى لكلال راحلتى ، فكأنَّ راحلته جاءت ببدعة .

وقوله : «ماأظنُّكَ أَنْقبْتَ ولا أحفَيْت » كلاهما بالبناء للفاعل (١) ، يقال أحفى الرجلُ إذا حَفِيت دابَّته ، أى رقَّ خفُّها وحافرها من كثرة المشْى . والنِّضو ، بكسر النون وسكون المعجمة : المهزول . وقوله : عَمرُكَ ، مبتدأ وخبره محذوف ، أى قسمى ، والجملة معترضة ؛ وهى بفتح العين .

وهذا الرجز نسة ابن حجر (فى الإصابة) إلى عبد الله بن كَيْسَبَة ، بفتح الكاف وسكون المثناة التحتية وفتح المهملة بعدها باء موحَّدة ، النَّهدى . ذكره المرزبانىُّ (فى معجم الشعراء) قال : وكَيْسبة أُمُّه ، ويقال اسمه عَمروٌ . وهو القائل لعمر بن الخطاب واستحملَهَ فلم يحمِلْه : عبد الله بن كيسبة

* أقسم بالله أَبو حفصٍ عُمَرْ *

الأبياتَ الثلاثة.وكان نظرَ إلى راحلته لمَّا ذكرَ انَّها أُعجفت فقال:والله مابها من عِلة!فردَّ عليه،فعلَاه بالدِّرَّة ، وهرب وهو يقول ذلك،فلما سمع

(١) فى النسختين : « للمفعول » ، والصواب ماأثبت .

عمرُ آخر كلامه حَملَه وأعطاه . وله قصّةٌ مع أبي موسى فى فتح تُسْتَر . وقيل أنّ كنيته أبو كيسبة ، وإنّ عمر سَمِعَه ينشدُها ، فاستحلفه أنّه ماعرف بمكانه ، فحلف فحمله . انتهى .

وقد ذكره فى قسم المخضرمين الذين أدركوا النبىّ — ﷺ — ولم يَرَوْهُ .

وزعم ابن يعيش (فى شرح المفصل) أنّ الرجز لرؤبة بن العجّاج . وهذا لاأصل له ، فإنّ رؤبة مات فى سنة خمس وأربعين ومائة ، ولم يعدّه أحدٌ من التابعين فضلاً عن المخضرمين [١] . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(فَلَا واللهِ لايُلفَى لِما بى ... ولا لِلِمَا بِهِمْ أبداً دواءُ)

على أنّه ضرورة ، حيث أكّد اللّامَ الأولى باللام الثانية بدون ذكرِ مجرورِ الأولى ، والقياس لما لمابى . ٣٥٣

وهذا البيت قد تقدّم شرحهُ مع قصيدته وسببِها مستوفىً فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(وصَالياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ)

لما تقدّم قبله ، ومضى الكلامُ عليه مفصّلا فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة [٣] .

* * *

(١) وكذا لم يرد الرجز فى ديوانه .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٠٨ .

(٣) الخزانة ٢ : ٣١٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الثلثمائة [١] :

٣٥٩ (فأَينَ إلى أَينَ النَّجاءُ ببغْلَتِى أتاكَ أتاكَ اللاحِقُوكَ احبسِ احبسِ)

على أنّ المستقبل يجوز تكريره بلا فَصْل . والظاهر أَنَّ المراد أنّه من تكرير المفردات لا الجمل ، وهو الظاهر أَيضا من كلام ابن جنّى (فى إعراب الحماسة) قال : أَول البيت توكيد الاستفهام ،وفى الثانى توكيد الخبر ، وفى آخره توكيد الأمر .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : هذا البيت فيه تكرير ثلاث جمَل ، أراد إلى أين تذهب إلى أَين تذهب ، أَتاك أتاك اللاحقوك [٢] احبس احبس [٣]. وهذا يقوِّى ماذهب إليه الكسائىُّ من حذف الفاعل فى باب إعمال الفعلين . أَلا تراه لو أضمر الفاعل ولم يحذفه لقال : أتوك أَتاك اللاحقوك ، أَو أَتاك أَتوك . انتهى

والصحيح أنَّ الثلاثة من توكيد المفردات .

أمّا الأوَّل فأين مجرورة بإلى المحذوفة المدلول عليها بالمذكورة ، وهو خبر مقدَّم ، وإلى أَين توكيده ، والنَّجاء مبتدأً مؤخَّر ، وهو مصدر نجا ينجو نجاء ، إذا أسرعَ وسَبق .

وزعم العينىُّ أنَّ إلى أين هو الخبر ، وأنّ أَين ظرف لمحذوف ، أى أين تذهب . وهذا غنىٌّ عن الرد .

وأمّا الثانى فإنّ اللاحقوك،وهو جمع مذكر سالم،مضاف للكاف وحذفت

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٣ والعينى ٣ : ٩ والتصريح ١ : ٣١٨ والهمع ٢ : ١١١ : ١٢٥ والأشمونى ٢ : ٩٨ .

(٢) ط : « اللاحقون » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى .

(٣) احبس احبس ، ساقط من ش .

نونه للإضافة فاعل لأتاك الأوّل ، وأتاك الثانى تأكيدٌ له . ولمَّا كان الأوّل متصلا به ضميرُ المفعول اتَّصل بالثانى ليوافق الأوَّل .

وقد اختلف النحويون فى نحو : قام قامَ زيد ، فقيل زيد فاعل الأول فقط ، وأمَّا الثانى فإنَّه يحتاج لفاعل ، لأنّه لم يؤت به للإسناد ، وإنَّما أُتىَ به لمجرد التأكيد . وقيل فاعلهما ، ولا يلزم منه اجتماع العاملين على معمولٍ واحد لأنّ لفظهما ومعناهما واحد ، فكأنَّهما عامل واحد . وقيل فاعلُ أحدهما وفاعل الآخر ضمير محذوف ، على أنَّهما تنازعاهُ . وقد ردّه ابن الناظم وابن هشام (فى شرح الألفيَّة) لأنه ليس هذا من مواضع حذف الفاعل ، ولو كان من التنازع لقيل : أتوك أتاكَ ، أوأتاك أتوك .

وأما الثالث فإنّ الأمر الثانىَ توكيدٌ للأمر الأوَّل ، وتوكيد الضمير للضمير بالتبعية ضرورة ، إذْ لايمكن انفكاكه عن الأمر . ويجوز أن يكون توكيداً مقصوداً فيكون من قبيل توكيد الجُمَل .

وزعم العينى أن مفعول احبس تقديره نفسَك . وهذا لايناسب المقام . والظاهر أنَّه بغلتى ؛ لوجود القرينة .

وهذا البيت مع شهرته لم يُعلَم له قائل ولا تتمة . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الثلثمائة :

٣٦٠(لَالَا أبوحُ بحُبِّ بَثْنَةَ إنَّها   أخذَتْ علىَّ مواثقاً وعُهودَا[١])

لمَا تقدَّم قبله.وهذا فى الحرف ، وماقبله فى تكرير[٢] الاسم والفعل . ٣٥٤

و(أبُوح) : مضارع باح الشىءُ بَوحاً من باب قال،بمعنى ظهر . ويتعدَّى

---

(١) العينى ٤ : ١١٤ والتصريح ٢ : ١٢٩ والهمع ٢ : ١٢٥ والأشمونى ٣ : ٤ وديوان جميل ٧٩ .

(٢) ط : « تكرر » .

بالحرف فيقال باح به صاحبهُ، وبالهمزة أيضا فيقال أباحه .(بَثنة) بفتح الموحَّدة وسكون المثلثة بعدها نون :اسم محبوبة جميل بن مَعْمر العُذرىّ، والمشهور (بثينة)بالتصغير،وهى مجرورة بالفتحة لأنَّها لاتنصرف. وزعم العينى أنَّها فى محل الجرّ. وقوله إنَّها بالكسر استئناف بيانى. و (مَواثق):جمع مَوثِق ،وهو العهد. وأمّا المواثيق فهو جمع ميثاق ،وربَّما قيل مياثيق على لفظ الواحد.

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لجميلٍ العُذْرىّ ، وقد تقدمت ترجمتهُ فى الشاهد الثانى والستين [١] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى والستون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

٣٦١ (تَرَاكِها من إبلٍ تَرَاكِها)

على أنَّ المستقبل يجوز تكريره للتأكيد مع فاصلٍ ، كما جاز بدونه . وتراك اسم فعل أمر بمعنى اترك .

وله أورده سيبويه . وهو متعدٍّ إلى الضمير ، [نصبه[٣]] على المفعوليَّة. ولما لم يتقدَّم مرجعه فسَّره بالتمييز المجرور بمن المبيِّنة .

قال أبو عُبيدة (فى أماليه) : كانوا فى الجاهلية إذا غنموا الغنيمة فلحقها أربابُها قالوا للسائقِين [٤] :

* تَراكِها من إبلٍ تَراكها *

---

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ .

(٢) فى كتابه ١:١٢٣/٢:٣٧ وانظر المقتضب ٣:٣٦٩/٤. ٢٥٢ والكامل ٢٦٩ والمخصص ١٧:٦٦ وابن الشجرى٢: ١١١، ١٣٥ والإنصاف ٥٣٧ وابن يعيش ٤:٧٥ والشذور ٩٠ واللسان(ترك٢٨٧).

(٣) التكملة من ش .

(٤) ط : « للسايقين » بالياء .

أى خلُّوا عنها . فيقول السائِقون (١) .

* أمَا تَرى الموتَ على أوراكها *

أى مآخيرها ، أى إنَّا نحميها . وبعضهم يقول :

* مَنَاعِها من إبلٍ مناعِها *

فيجاب بقولهم :

* أما ترى الموتَ لدى أرباعها *

يعنون أفتاءها (٢) . انتهى .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت : أغيرَ على إبلِ قومٍ منَ العرب ، فلحق أصحابُ الإبل؛فجعلوا لايدنو منها أحدٌ إلا قتلوه،فقال الذين أغارو على الإبل:

تَراكِها من إبـلٍ تَراكهـا أمَا ترى الموتَ لدى أرباعِها

فقال أصحاب الإبل :

مَناعِها من إبلٍ مَناعِهـا أمَا تَرى الموتَ لدى أرباعِها

وفى أمالى ابن الشجرىّ : وقال آخر :

تَراكها من إبـلٍ تَراكِهَـا أمَا تَرى الموت لدى أوراكها

أراد أنَّ أوراكها من شدَّة السَّير كأنها فى استرخائها قد شارفت الموت . ومثلُه قولُ الآخر :

مَناعها من إبلٍ مَناعِهـا أما تَرى الموتَ لدى أرباعِها

(١) ط : « السابقون » بالباء .

(٢) الأفتاء من الدواب : خلاف المسانّ ، واحدها فتى ، مثل يتيم وأيتام . وفى ط:«أفناءها» ، بالنون ، وفى ش : « أبناءها » بباء قبل النون ، والوجه ماأثبت .

الأرباع : جمع الرُّبَع ، وهو ولد النَّاقة التى تَلِده فى الربيع . والهُبَع : الذى تلدُه فى أوّل الصَّيف ، وجمعه أهباع ، كرُطَب وأرطاب . انتهى .

وقوله : أراد أن أوْراكها من شدة السير ، إلخ لا وجه له ، وكأنه لم يقف على ماقدَّمنا .

صاحب الشاهد وقال ابن خلف : هذا قول طُفَيل بن يزيدَ الحارثىّ حين أغارت كِندةُ على نَعَمه ، فلحقهم وهو يقول :

* تَرَاكها من إبل تراكها *

أما ترى الموت إلخ .

ويروى :

* دَرَاكِها من إبلِ دَرَاكِها *

ويروى :

* قد لحق الموتُ على أوراكها *

وحمل على فحل الإبل فعقَره ، فاستدارت النَّعم حوله ولحقت به بنو

٣٥٥ الحارث بن كعب ، فاستنقذوا ماله وهزِمت كندة . قال سيبويه : فهذا اسمٌ لقوله اتركْها ، أى هى محمية من أنْ يُغار عليها ، فاتركها وانجُ بنفسك .وقوله : أرباعها ، الأرباع : جمع رُبَع ،وهو ولد النَّاقة .وأولادُ الإبل تتبعها. والقتالُ يشتدُّ إذا لحق الإبلَ أصحابُها؛وإنما يقع القتالُ عند مآخيرها ، لأنَّ الذين أغاروا عليها يطردونها ويسوقونها ، وأصحابها يمنعونهم من ذلك.وهو مثلُ قول الآخر:

* أما ترى الموتَ لدى أوراكها *

ويجوز أن يريد بالأرباع جمع ربع بالفتح ، وهو المنزل ، يعنى أنَّهم اقتتلوا فى المواضع التى فيها الإبل . انتهى .

وطُفيل بن يزيد الحارثى : شاعرٌ فارسٌ جاهلىّ . طفيل الحارثى

ولم يذكر الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) هذا ، مع أنّه أورد خمسة ممن اسمهم طفيل

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الثلثمائة [(١)] :

٣٦٢ (أَقْبَلْنَ من ثَهْلانَ أو وادِى خِيَمْ

على قِلاصٍ مثلِ خِيطانِ السَّلَمْ)

على أنَّ الأَندلسىَّ جوَّز أَن يقال فى جمع المذكَّر العاقل المكسَّر: الرِّجال كلُّهنّ،مستدلاّ بهذا البيت . ولم يظهر لى وجهه ، وكأنَّ وجه الاستدلال أَنَّ نون أقبلن ضمير العقلاء الذكور ، أى الرجال أو الرَّكْب أو نحوهما،وإنما أُنِّث لتأويله بالجماعة.والدليل على أَنَّ مرجع الضمير ماذكر قوله بعدُ:

* حتَّى أنخناها على باب الحَكَمْ *

فدلَّ مابعد الكلام على ماقبله . وفيه [أنّه [(٢)]] لايجب أن يتَّحدا ، ويجوز أن تكون النون ضمير النسوة ، أو أَنَّ أصله أقبلنا ، فحذفت الألف ضرورة ، فيكون من باب التقارض .

وهذه المسألة لمْ أرها إلاَّ هنا عن الأندلسى . وقد راجعتُ شروح التسهيل وارتشافَ الضرب ، فلم أر فيها أن النون تعود عَلَى الجمع المكسَّر للعاقل [(٣)] بتأويله بالجماعة.ويشهد لما ذهب إليه الأندلسىُّ قولُ الفرزدق:

* بَحوران يعَصِرن السَّليطَ أقاربه *

(١) ديوان جرير ٥٢٠ برواية مخالفة ، وكامل المبرد ٣٠١ ، ٥٤٦ وسمط اللآلى ٦٤٦ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « العاقل » ، وأثبت مافى ش .

سواء أجعلت النون حرفاً أمْ ضميراً . ويأتى شرحه بعد هذا فى الشاهد السادس والسبعين (١) .

صاحب الشاهد

وهذا أوّل رجز لجرير بن الخطفى ، أورد المبرد بعضاً منه (فى الكامل) (وفى الاعتنان) . قال أبو عبيدة : أخبرنا أيُّوب بن كسيب بن عطاء بن الخطفى قال : قدم جرير فى إمرة الحكم بن أيوب الثقفى البصرة ، وكان الحكُم ابنَ عَمِّ الحجاج وعامِلَه . وأنا معه ، وكان أيوب بن كُسَيب لايفارقه ، ومدحَ الحكم فقال :

أقبلْنَ مِن ثَهْلانَ أو وادِى خِيَمْ
على قِلاصٍ مثلِ خيطان السَّلَمْ
حتى أَنخناها إلى بابِ الحكَمْ (٢)
خليفةِ الحجَّاج غيرِ المتَّهَمْ
* فى ضِئضئ المجد وبُحبوحِ الكرَمْ *

فأعجب به الحكم بن أيوب ووجدَه باقعة (٣) . قال : فكتب إلى الحجاج : إنّه قدِم علىَّ أَعرابىٌّ شيطانٌ من أشعر الناسِ وأَفصحهم ، ووصفه له . قال : فكتب الحجاجُ أن يسَرِّحه إليه حين يقرأ كتابه . قال : فلما قدم الكتابُ أمرَنا الحكم فشخَصْنا حتى قدِمنا عَلَى الحجَّاج ، وامتدحه جريرٌ بكلمته التى يقول فيها :

ومَن يأمَنُ الحجَّاجَ ، أَمَّا عقابُه
فمُرٌّ وأَمَّا عَقْدُهُ فوثيقُ

---

(١) هو الشاهد ٣٧٦ .

(٢) بين هذا الشطر وتاليه فى الكامل :

* اذا قطعن علما بدا علم *

(٣) الباقعة : الذكى العارف لايفوته شىء .

٣٥٦ قال : وأما مِسْحَل بن كسيب أخو أَيُّوب فحدَّثنى أَنَّ أَوَّل كلمةٍ امتدحه بها كلمتُه التى يقول فيها :

مَن سدَّ مُطَّلَعَ النِّفاقِ عليكُمُ
أم من يصولُ كصَولَةِ الحجّاجِ
أم مَن يَغار عَلَى النِّساء عشيَّةً
إذ لا يثقــنَ بغَيرةِ الأزواجِ

قال : فأمر له الحجاج بأربعة آلاف درهم ، وكساءُ حُلَّةً صفراء ، وأنزلَنا فى دار ضيافته . انتهى .

وزاد (فى الكامل) أنَّ جريراً لما دخل عَلَى الحجَّاج قال له : بلغنى أَنك ذو بديهةٍ فقل لى فى هذه ـــ لجاريةٍ قائمةٍ عَلَى رأسه ـــ فقال جرير : مالى أَنْ أقول فيها حتى أتأمَّلها ، ومافى أنْ أتأمَّلَ جارية الأمير ؟! فقال : بلى فتأمَّلْها واسألها . فقال لها : مااسمك ياجارية ؟ فأمسكَت ، فقال لها الحجاج : خبِّريه يالَخنْاء . فقالت : أمامة . فقال جرير [(١)] :

ودِّعْ أمامةَ حين حانَ رحيلُ إنَّ الودَاعَ لمن تحبُّ قليلُ
مثلُ الكثيب تمايلَتْ أعطافُه فالرِّيح تجبُرُ متنه وتُميلُ
هذى القلوبُ صواديًا تيَّمتِها وأرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال الحجاج : قد جعل الله لك السبيلَ إليها ، خذْها ، هىَ لك . فضربَ بيده إلى يديها فتمنَّعتْ عليه ؛ فقال :

إن كان طِبُّكم الدَّلالَ فإنَّه حسنٌ دَلالُكِ ياأُمَامَ جميلُ [(٢)]

---

(١) ديوان جرير ٤٧٢ .

(٢) الطب ، بالكسر : العادة والشأن . ط :«طلبكم» ،صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح.

فاستَضحكَ الحجاج وأمرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة . وخُبِّرْتُ أنَّها كانت من أهل الرَّىِّ ، وكان إخوَتُها أحراراً ، فاتَّبَعوه فاعطَوْه بها حتى بلغوا عشرين ألفا ، فلم يفعل . وفى ذلك يقول :

إذا عَرَضوا عشرين ألفاً تعرَّضَتْ
لأمِّ حكيم حاجةٌ هى ماهيا (١)

لقد زدتِ أهلَ الرَّىِّ عندى مودَّةً
وحبَّبْتِ أضعافاً إلىَّ المواليا (٢)

فأولدها حكيما ، وبلالا ، وحَزْرة ، بنى جرير (٣) . انتهى .

وثَهلان : بفتح المثلثة : جبل باليمن ، وقال حمزة الأصبهانى : هو جبلٌ بالعالية . وأصل الثَّهَل الانبساط على الأرض . ولضخم هذا الجبل تضرب به العربُ المثلَ فى الثِّقَل فتقول : « أثقل من ثَهْلانُ ! » . و(خِيَم) بكسر الخاء المعجمة : جبل . قال صاحب الأغانى : ثَهْلان:جبلٌ كان لباهلة ، ثم غلبت عليه نمير . وخِيَم : جبلٌ يناوحه من طرفه الأقصى ، فيما بين رُكنه الأقصى وبين مطلِع الشمس ، به ماءٌ ونخل . انتهى .

وهذا هو المشهور ، والذى فى ديوانه ، ورواه أبو عبيد البكرى (فى المعجم) :

* أقبلن من جَنْبى فِتاخ وإضَمْ *

---

(١) فى ديوان جرير ٥٩٩ · « اذا أعرضوا ألفين منها » ، تحريف ماهنا .

(٢) فى ديوان جرير : « عندى ملاحة » .

(٣) قال المبرد بعد هذا : « هؤلاء من أذكُرُ من ولدها » . وقد وجدت فى الأغانى ٧ : ١٦٣ وجمهرة بن حزم ٢٢٥ ابنا رابعا هو نوح ابن جرير .

وقال : فِتاخ بكسر الفاء بعدها مثناة فوقية وآخره خاء معجمة:موضع. وقال الهَجَرىُّ : فتاخ بأطراف الدَّهناءِ مما يلى اليمامة . وإضم بكسر الهمزة : وادٍ دون المدينة ، وقيل جبل .والقلاص : جمع قَلوص ، وهى الناقة الشابة. و(خِيطان) : جمع خُوط بضم الخاء المعجمة ، وهو الغصن . وروى الزمخشرى (فى مستقصى الامثال) : « مثلَ أغصان السلم » . أراد أنَّ القلاص هُزِلت من شدة السفر حتى صارت كأغصان السَّلم ، فى الدِّقَّة والضمر .

وزاد أبو عبيدة البكرى بعد هذا (فى شرح أمالى القالى) :

قد طُويت بطونُها على الأُدَمْ   إذا قطعن علماً بدا علَمْ ٣٥٧

فهنَّ بَحْثاً كمضِلَّات الخدم   حتَّى تناهينَ إلى باب الحكم

العلمُ : الجبل . قال الزمخشرى (فى مستقصى الامثال) . قوله :

* إذا قطعْنَ علماً بدا عَلَمْ *

مثلٌ يضرب لمن يفرُغ من أمر فيعرضُ له آخر .

وقوله : « فهن بحثا » أى يبحثن بحثاً بمناسِمهنّ الأرض ، كما يبحث المُضِلَّات خَلاخِيلَهنَّ فى التراب . والخَدَم : جمع خَدَمة بفتح الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ، هو الخلخال . والضِّئْضِىءُ ، بكسر الضادين المعجمتين والهمزة الأولى بينهما ساكنة : الأصل والجنس . والبُحبوح بضم الباءين والحاء المهملة الأول بينهما ساكنة : الوسط .

وقد أورد صاحب (الأغانى) حكاية جرير مع الحجاج على غير هذا النَّمَط ، وأطال وزاد الأبيات (١) .

(١) الأغانى ٧ : ٤٠ .

وترجمةُ جرير قد تقدَّمت فى الشاهد الرابع فى أول الكتاب [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الثلثمائة [٢]:

٣٦٣ (ياليتَنى كنتُ صبيًّا مرضَعا تَحمِلنى الذَّلفاءُ حولاً أكتعا)

على أنَّ الكوفيين استشهدوا به على جواز توكيد النكرة المؤقَّتة المعلومة المقدار ، وهو حَولٌ بمعنى العام.

قال صاحب المصباح : حال حَوْلا من باب قال ، إذا مضَى . ومنه قيل للعام حَولٌ وإن لم يمض ، لأنَّه سيكون حولاً ، تسميةً بالمصدر .

وفيه شاهدٌ آخر،وهو التأكيد بأكتع غيرَ مسبوق بأجمع.وبعده بيتٌ آخر وهو:

(إذا بكيتُ قبَّلتنى أربَعا إذن ظَلِلتُ الدَّهرَ أبكى أجمعا)

وفيه أيضا شاهدانِ : أحدهُما : التأكيد بأجمع غير مسبوق بكلّ . وثانيهما : الفصل بين المؤكِّد وهو الدهر ، وبين المؤكَّد وهو أجمعا ، بجملة أبكى . وبهذا استشهد ابن هشام (فى المغنى) .

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : نظرَ أعرابىٌّ إلى امرأةٍ حسناءَ ومعها صبىٌّ يبكى ، فكلَّما بكى قبَّلته ، فأنشأ يقول هذا الرجز .

وقوله : (ياليتنى) إلخ ياحرف تنبيه ، ومُرضَع اسم مفعول من أرضعتْه إرضاعا . وجمله (تحملنى الذلفاء) صفة ثانية . ويجوز أن تكون حالاً من ضميرِ مُرضَع ، ويجوز أن تكون خبراً ثانيا لكنت . و(الذلفاء) بفتح الذال المعجمة وبعد اللام الساكنة فاء : وصفٌ مؤنّثُ أذلف ، من الذَّلَف ، وهو صِغَر الأنف واستواء الأرنبة . ويحتمل أنّه اسم امرأةٍ منقولٌ من هذا .

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) العقد ٣ : ٣٦٠ والمغنى ٦١٤ والعينى ٤ : ٩٣ والهمع ٢ : ١٢٤ والأشمونى ٣ : ٧٦ ، ٧٨ .

و(أكتع) قال صاحب الصحاح : يقال إنّه مأخوذٌ من قولهم : أتى عليه حولٌ كتيع ، أى تامّ .

وقوله : « أربعا » ، أى تقبيلاً أربعا . وظللت بكسر اللام ، وظلَّ بمعنى استمر من أخوات كان ، التاء اسمها ، وجملة أبكى فى موضع نصب خبرها ، والدَّهرَ ظرف لأبكى . وجملة إذن ظللت إلخ جوابٌ لشرط محذوف ، أى إن حصل ماتمنَّيتُه استمررْتُ فى البكاء حتّى تستمرَّ الذلفاءُ تحملنى وتقبِّلنى كلّما بكيت . وزعم العينى أنّ التقدير إن لم يكن الأمر كذا إذن ظللت إلخ . ولايخفى أنّ هذا عكسُ مراد الشاعر .

* * *

وأنشد بعده :

(قد صرَّت البَكْرةُ يوماً أجمعا)

لما تقدَّم قبله .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة)[1] : هذا شاذٌّ ، وإنْ لم يكن مصنوعاً فوجهه عندى أنَّ أجمع هذه ليست التى تستعمل للتأكيد ، أعنى التى مؤنثها جمعاء ، ولكن التى فى قولك أخذت المال بأجمَعه وأُجمُعه ، بفتح الميم وضمها ، أى بكُلِّيّته ، فدخول العامل عليها ومباشرتُه إيَّاها يدلُّ على أنَّها ليست التابعة للتوكيد ، فذلك قوله يوما أجمعا أى يوما بأجمعه ، ثم حذف حرف الجر ، ثم أبدل الهاء ألفاً فصار أجمعا . انتهى

وقال العينى : الرواية الصحيحة :

* قد صرَّت البكرة يومَا أُجمَعِ *

على أنّ يومَا من غير تنوين ، وأصله يومِى ، فالألف منقلبة عن ياء المتكلم ، فأُجمع توكيد للمعرفة .

---

(١) الورقة ١٤٧ .

أقول : إن كان يومى ظرفاً فلم لم ينصب أجمع ، وإن كان غير ذلك فما هو ، مع أنّ ماقبله عنده :

* إنّا إذا خُطّافنا تقعقعا *

وهذا من الرجز الذى لايجوزُ اختلاف قوافيه . وهذا التوجيه تعسُّفه ظاهر ككلام ابن جنى .

وقد استدلَّ الكوفيُّون بأبياتٍ أُخر ، منها قوله :

لكنّه شاقَه أن قيل ذا رجبُ ياليتَ عدّة حولٍ كلّه رجبُ

ومنها قوله :

* ثلاثٌ كلُّهنّ قتلتُ عمداً *

ومنها قوله :

إذا القَعودُ كرَّ فيها حَفَدا يوماً جديدا كلّه مطّردا

ومنها قوله [1] :

زَحَرتَ به ليلةً كلَّها فجئْتَ به مُودَناً خنفقيقا

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : أجاب البصريُّونَ عن هذه الأبيات بأنّ الرواية فى الأوّل «ياليتَ عدّة حَولى» بالإضافة إلى الياء . وعن الثانى بأنَّ كلهنّ بدلٌ من ثلاث ، أو جملة كلُّهن قَتلتُ خبر عن الثلاث . وعن الثالث بأنّ كله بالرفع لتوكيد الضمير فى جديد . وأمَّا قد صرّت البكرة يوماً أجمعا فمجهول . لايعرف قائله .

هذا كلامه ، وهو مبنىٌّ على الطعن فى روايتهم ، وهذا لايجوز ، لأنَّهم ثِقات .

ثم قال : وأمّا قول الكوفيين بأنّ اليوم مؤقت فيجوز أن تقعد بعضه،

---

(١) هو شتيم بن خويلد ، كما فى الحيوان ٣ : ٨٢ واللسان (خفق). وانظر الإنصاف ٤٥١ ـــ ٤٥٦ .

والليلة مؤقَّتة فيجوز أن تقوم بعضها ،فإذا أُكِّدتْ صحَّ معنى التاكيد . قلنا : هذا لايستقيم ، فإنّ اليوم وإن كان مؤقتا إلا أنه لم يخرج عن كونه نكرة شائعة ،وتأكيدها بالمعرفة لايجوز،لأن تأكيد ما لا يُعرف لافائدة فيه.انتهى

أقول : ادّعاؤه عدمَ الاستقامة ممنوع ، والفرق ظاهر ، فإن التأكيد باعتبار أجزاء اليوم والليلة ليشمل جميعها ، والشُّيوع باعتبار جنس اليوم والليلة ، فأين هذا من ذاك .

وقد أشار الشارح المحقق إلى ماذكرنا ، والله أعلم .

وقد تقدم شرحُ هذا البيت فى الشاهد الخامس والعشرين من أوائل الكتاب(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الثلثمائة (٢) :

٣٦٤ (أُولَاكَ بنو خيرٍ وشرٍّ كليهما   جميعاً ومعروفٍ ألَمَّ ومُنكَرِ)

على أنَّ حمل (كليهما) فيه على البدل عند أهل المصرَين أولى ؛ لأنَّ خيراً وشراًّ ليسا بمؤقتين .

قال ابن جنىّ (فى إعراب الحماسة) : الوجه فى قوله : بنو خير وشرٍّ كليهما ، أن لايكون كليهما تأكيداً ، لكن يكون بدلاً من خير وشرّ ، حتى ٣٥٩

كأنه قال : بنو كلِّ خيرٍ وشرٍّ ؛ فقد يضاف إلى المفرد المعطوف عليه مثلُه بالواو فى ضرورة الشعر ، كما قال :

كلا السَّيفِ والسَّاقِ التى ضُرِبتْ به   على دَهَشٍ ألقاه باثنين صاحبه(٣)

---

(١) الجزء الأول ص ١٨١ .

(٢) يس على التصريح ٢ : ١٢٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٩٩٠ وشرح التبريزى ٣ : ٣٤ .

(٣) وكذا فى نسخة إعراب الحماسة الورقة ١٤٦ : « باثنين » .

وإنما جاز ذلك من حيث كان ماعُطف **بالواو بمنزلة** ماجمع فى لفظةٍ واحدة . ألا تَراكَ تقول : زيد وعمرو أخوَاكَ ، **فإن أخبرتَ** عنهما جميعاً قلت : اللذان هما أخَوَاك زيد وعمرو ، فتأتى بضميرهما جزءاً واحداً ، وكان أحدهما على صاحبه معطوفاً [1] . وكذلك : زيد وعمرو مررت بهما . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت آخر أبياتٍ أربعة لمسافع بن حُذيفة العبسىّ ، مذكورةٍ فى باب المراثى من الحماسة ، وهى :

(أبعْدَ بنى عمرو أُسَرّ بُمقْبِلٍ من العيش أو آسَىَ عَلَى إثْر مُدبرِ
وليس وراءَ الشىء شىءٌ يرُدُّه عليك إذا ولَّى سوى الصَّبْر فاصبرِ
سلامٌ بنى عمرو عَلَى حيث هامُكم جمال النَّدىٌ والقنا والسَّنَوَّرِ
أولاك بنو خير .... البيت)

قوله : « أبعد بنى عمرو » إلخ الهمزة للاستفهام الإنكارى ، وأُسَرُّ بالبناء للمفعول من السرور ، ومُقبل بمعنى آت ، ومدبر بمعنى ذاهب . وآسى : مضارعُ أسِىَ ، من باب تعب ، بمعنى حزن .

وقوله : « سوى الصبر » استثناء منقطع ، لأنَّ الصَّبر ليس من الشىء الرادّ الفائتَ فى شىء . يقول: أأسر بعيش مُقبل ،أو زمنٍ مُساعد ،بعد أن فجعت بهؤلاء، أو أحزنُ فى إثر فائت أُو أجزع لتولِّى مُدْبر ،وليس وراءَ الشىء الفائت شىءٌ يردُّه عليك، فالأولى أنْ تتمسَّك بالصَّبر وتعتصِمَ به، فاصبر.

وقوله:«سلامٌ بنى عمرو»إلخ سلام مبتدأ،وجاز الابتداء به لتضمُّنه الدعاء وخبره قوله «على حيث هامكم».قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : هامُكم مبتدأ محذوف الخبر،من جملة مجرورة الموضع بإضافة حيث إليها،أى

(١) ط : « معطوف » ، صوابه فى ش واعراب الحماسة .

حيث هامكم متصوَّرة ، أى موجودة [1]. ومثله قولهم : جئتك إذ ذاك ، أى إذْ ذاك كذاك ، فحذف الخبر من الجملة المجرورة الموضع بإضافة إذ إليها . انتهى.

وذكر الهام على عادة العرب ،فى زعمهم أنَّ عظامَ الموتى تصير هاماً تطير. وبنى عمرو منادًى بحرف النداء المحذوف . وجمال الندِىِّ منصوب على المدح . وقال ابن جنى : نصب جمالَ الندىِّ لأنَّه بدلٌ من بنى عمرو . والنَّدِىُّ بتشديد الياء : المجلس ، لغة فى النادِى . وقال ابن جنى : لام الندىّ واو ، لأنه فعيل من النَّدوة ، .وهى موضعُ جلوس النادى والندِىّ . انتهى .

والقنا : جمع قناة ، وهى الرُّمح . والسَّنَوَّر بفتح السِّين والنون والواو المشدَّدة : لَبوسٌ من قِدٍّ كالدِّرع . يعنى أنَّهم جمالُ المجالسِ يومَ الجَمْع ، وزَين السِّلاح غداةَ الرَّوع .

وقوله : (أولاك) الخ هو مبتدأ ، لغة فى أولئك ؛ وبنو خبر المبتدأ . أراد أنَّهم ملازمون لفِعل الخير والشَّرّ مع الأصدقاء والأعداء ، كما يقال فلان أخو الحرب . وجميعاً : حال مؤكِّدة لصاحبها . وقوله (معروفٍ) هو بالجرّ معطوف على خير ، وكذلك منكر . والمعروف : الجميل الظاهر ، وضدُّه المنكر ، فهما أخصُّ من الخير والشر ، فإنَّ الخير قد يكون ظاهرُهُ شَراًّ كالدواء المُرّ . والشرُّ قد يكون ظاهره خيراً كهوى النفس . و(ألَمَّ) بمعنى نزل وعرَض ، والجملة صفة معروف ، ومثله مقدَّر بعد منْكر . ٣٦٠

مسافع العبسى

ومسافع،بضم الميم وكسر الفاء ،ابن حُذيفة بالتصغير ،العَبْسى بالباء الموحدة ، وهو شاعرٌ فارسٌ من شعراء الجاهلية .

---

(١) فى إعراب الحماسة ١٤٦ : « أى حيث هامكم مقبورة أو موجودة » .

البدل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

٣٦٥ (يامَىّ إنْ تَفقِدى قوماً ولدتِهِمُ
أوْ تُخْلَسِيهِمْ فإنَّ الدَّهرَ خَلاَّسُ

عمروٌ وعبدُ منافٍ والذى عَهِدتْ
ببطن عَرعَرَ : آبى الظُّلم عبَّاسَ)

على أن قوله (عمرو وعبد مناف والذى) بدلٌ مقطوع من قوماً .

ومانقله الشارح من سيبويه إلى الشعر ، هو نصُّ عبارته بحروفه .

قال ابن خلف : الشاهد فيه رفع عمرو ومابعده بالابتداء ، كأنه قال : منهم أو من القوم الذين فقدوا ، أو يكون خبر مبتدأ ، كأنّه قال : بعضهم . ولو نُصِبَتْ على البدل من القوم لجاز . وعباس بدلٌ من آبى،وآبى بدل من الذى ، ولو أبدِلَتْ فسد الكلام ، لأنَّا إذا نصبنا وجب أن ينصب الذى هو بدل منه ، فكنا نقول عباساً . وقوله : (تُخْلَسيهم) بالبناء للمفعول،أى يؤخذون منكِ بغتة ، فإنَّ الدهر من شأنه أنْ يؤخذَ فيه الشيء بغتة . وعرعر: مكان.ويروى:«ببطن مكة». وأراد بعمرو عمرو بنَ عبد مناف بن قُصىّ،وهو هاشم بن عبد مناف،وسمِّى هاشماً لهَشْمه الثريدَ لقومه فى مَجاعةٍ أصابتهم.والعباَّس هو ابن عبد المطَّلب،وإنما قال ولدتِهِم لما بين هُذيل وقريش من

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٢٥ وديوان الهذليين ٣ : ١ وشرح السكرى ٢٢٦ ، ٤٣٩ .

القرابة فى النّسب والدارِ ، لأنهم كلّهم من ولد مدركة بن الياس بن مضر . وقوله : (والدى عهدَتْ) الضمير يرجع إلى مىّ ، وعدلَ عن خطابها وأخبر عنها باللفظ الذى يكون للغائب ، أراد الذى عهدتِ ، فلم يستقم له . ومَىّ : مرخَّم ميَّة .

وهذان البيتان مطلعا قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى ، عدّتها خمسة عشر بيتا أوردها أبو سعيد السكَّرىُّ فى أشعار الهذليين ، وبعدهما : صاحب الشاهد

(يامىّ إنَّ سبَاع الأرض هالكةٌ والغُفْر والأدْمُ والآرامُ والنّاسُ) أبيات الشاهد

الغُفْر بضم الغين وسكون الفاء : ولد الوعِل ، ونقل شارح (شواهد المفصَّل) عن صاحب (المقتبس) أنه القُفْز بالقاف والفاء والزاى المعجمة ، وهو جمع أقفز ، وهو من الخيل : المحجَّلُ من يديه لا رجليه . وهذا تحريفٌ قطعا . ونقل أيضاً عن صاحب (الإقليد) أنه العُفْر بعين مهملة ، وهو جمع أعفر ، وهو الأبيض . وليس بسديد . وظبية عَفْراء : يعلو بياضها حمرة ؛ وهى قصارُ الأعناق . والأدم بالضم من الظباء : بيضٌ تعلوهنَّ خطوطٌ فيهنَّ غبرة تسكن الجبال ، يقال ظبيةٌ أدماء وظبىٌ آدم . والآرام: الظِّباء البِيض الخالصة البياض ، الواحد رئم بالهمز ، وهى تسكن الرمل .

تاللهِ لايُعجِزُ الأيَّامَ مبتركٌ فى حومة الموتِ رزّامٌ وفرَّاسُ)

لايُعجزُ : لايغلب . والمبترك : الأسد ، من ابتركه ، إذا صرعه وجعله تحت بَرْكِه ، وهو الصَّدر . وأغرب الكَرْمانى (فى شرح شواهد الموشح)ورواه «المنتزِك» بالنون والزاى المعجمة ،أى الذى له نَيزك[1] أى رمحٌ قصير، ٣٦١

(١) ط : « منزك » ، صوابه فى ش . ومنه قول العجاج :

* مطرر كالنيزك المطرور *

كأنَّه فارسيٌّ معرب . وحَومة الموت : الموضِعُ الذى يدور فيه الموت لايبرح منه.والرَّزَّام بتقديم المهملة : الصَّرَّاع ، يقال رَزَم به ، إذا صرَعه . والفَرَّاس : الذى يدقُّ الأعناق ؛ ومنه فريسة الأسد ، لأنَّه يدقُّ عنقها .

(يَحمِي الصَّرِيمَةَ أُحْدانُ الرِّجالِ له
صَيدٌ ومُستَمِعٌ بالَّليلِ هَجَّاسُ)

قال السكرىّ : الصريمة ههنا : موضع . وأحدانُ الرجال : ماانفردَ من الرِّجال . وقال غيره : الصَّرِيمة : رملةٌ فيها شجرٌ حماها من أن يدخَلها أحدٌ خوفاً منه . وأُحدانُ الرجال : الذين يقول أحدهُم : أنا الذى لانظير له فى الشجاعة والبأس . يقول : هذا الأسد يصيد هؤلاء الذين يُدِلُّون بالشجاعة .

وهذان البيتان أيضاَ استشهد بهما سيبويه على جرى الصِّفات على ماقبلها مع مافيها من معنى التعظيم ، ولو نصَب لجاز . وهَجَّاس : يهجس . وروى بدله : « همَّاس » من الهمس . قال النحَّاس : همَّاس : دَقَّاق للرِّقاب مكسِّر لها . قال ابن خلف : وأحدان الرجال يروى بالرفع والنصب ، فمن رفع قال أحدان مبتدأ وصيد خبره ، ومن نصب جعله مفعول يحمى ، كأنه قال : يحمى الصَّرِيمة من أحدان الرجال ، فصيدٌ على هذا مبتدأ وله خبره . ومستمع ، وروى بدله « مجترئ » : خبر مبتدأ محذوف ، أى وهو مستمع ، أو هو معطوف على رزَّام ، وهو الوجه الذى رواه (١) سيبويه ، والشاهد على أنه عطف همَّاس . قال النحاس : ويجوز نصب مجترئ على أعنى .

(يامىّ لايُعجز الأيَّامَ ذو حَيِدٍ
بمشْمَخرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ)

---

(١) ط : « أراد » صوابه فى ش . وانظر هذه الرواية فى سيبويه ١ : ٢٥١ .

روى صدرَه صاحب (المفصَّل) :

* لله يبقَى عَلَى الأَيَّام ذو حيدٍ *

على أنَّ اللام فى لله للقسم والتعجُّب معا . وتبعه صاحب (المغنى) . ورواه صاحب (الجمل) : «تالله يبقى» بالمثناة الفوقية . قال ابن السِّيد : ويروى بالباء الموحَّدة ، وكلاهما قسمٌ فيه معنى التعجُّب . وقال اللخمى : ورواية سيبويه « لله » باللام . وقوله « يبقى » جواب القسم بتقدير لا النافية ، ويعنى بقوله ذو حيد الوعِل . قال المبرد : الحيَد بفتحتين : الرَّوغان والفِرار . والمشهور حِيَد بكسر المهملة وفتح المثناة التحتية ، جمع حَيْدة ، كحِيَض جمع حَيضة . وهذه رواية ثعلب والسكرى . قال اللخمى : قوله ذو حيد يروى بفتح الحاءِ وكسرها،فمن رواه بالفتح فهو اعوجاجٌ يكون فى قرن الوعل ، وقيل إنه مصدر من حاد يحيد حَيْدا ، وأصله السكون فلما اضطُرّ حرَّك الياء ، ومعناه الرَّوَغان . وقيل هو جمع حيدة ، وهى العُقدة التى تكون فى قرنه . وقيل الحَيَد القوّة .ومن روى : «حِيَدا» بالكسر فهى نتوءات ، والواحدة حَيْدة.ويروى : «ذو جَيَد» بالجيم ،وهو جناح مائل من الجبل ، وقيل يعنى به الظَّبْى . والوَعِل : التَّيس الجبَلى ، ويقال للأُنثى أُروِيَّة بضمّ الهمزة وتشديد الياء ، وربما قالوا وَعِلة . انتهى .

وزعم الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) أنّ حِيَدا بكسر الحاءِ جمع حَيدة بفتحها، كبِدَر جمع بَدْرة ،وهى الحرف النَّاتئُ فى عرض الجبل لا فى أعلاه . هذا كلامه ،وهذا غير مناسب للمقام. والمشمخرُّ :الجبل الطويل ،وقيل العالى. والباء بمعنى فى.والظَّيَّان بفتح المعجمة وتشديد المثناة التحتية:ياسَمين البَرّ ،وقيل الرمّان الجبَلى.والآسُ،قال ابن السِّيد :هو الرَّيحان ،وقيل الآس : أثرُ النحل إذا مرَّت فسقط منها بعضُ نقط من العسل ،حكاه الشَّيبانى. وقال صاحب كتاب العين: هو شىءٌ من العسل . وأوضحه ابن المستوفى (فى شرح شواهد ٣٦٢

المفصل) فقال : هو نقطٌ من العسل تقع من النحل على الحجارة ، فيستدلُّون بتلك النُّقَط على مواضع النحل . وقال اللخمى : الآس هنا بقيَّة العسل فى موضع النحل ، كما سمِّىَ بقيَّةُ التمر فى الجُلَّة (١) قَوسا ، وباقى السَّمن فى النِّحْيِ كعبا ، وقالوا للقطعة من الأقط ثَوْر .والآسُ فى غير هذا : المشموم . قال ابن دريد : وهو دخيلٌ فى كلام العرب ، إلا أنَّهم قد تكلَّموا به . وقوله «على الأَيام» حال على حذف مضاف ، أى على تعاقُب الأيام أو على مرورها ، أى لايبقى ذو حِيدَ والأيامُ متعاقبةٌ عليه . وقوله : «بمشمخرّ» صفة لذى حيد . وكذلك قوله « به » صفة لمشمخرّ . والظيان فاعل به . ووقع فى رواية سيبويه تركيب مصراعين من بيتين هكذا :

يامىّ لايعجز الأَيّامَ ذو حيدٍ فى حَومة الموت رزَّامٌ وفرّاسُ
يحمى الصريمة . . . . البيت

قال السيرافى : وقع فى البيت الأول من هذين غلطٌ من كتاب سيبويه ، لأنَّ قوله ذو حِيَد وعل ، ورزّام وفراس أسد ، والصواب الذى حملته الرواة :

يامىّ لايعجز الأيامَ ذو حِيَد بمشمخرٍّ به الظَّيّانُ والآسُ

والقصيدة لأبى ذؤيب الهذلى كما ذكرنا ، وقد أثبتها له السكرىُّ فى أشعار الهذليين ، وتقدمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين (٢) .

صاحب الشاهد

ووقع هذا الشعرُ فى كتاب سيبويه معزواً لمالك بن خالد الخُنَاعىّ بضم الخاء المعجمة وتخفيف النون : بطنٌ من هذيل ، وهو خُناعة بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن الياس بن مضر .

وقال اللخمى : وبعضهم رَوى هذا الشعر لأمية بن أبى عائذ الهذلى .

---

(١) الجلة ، بالضم : وعاء من الخوص يكنز فيه التمر . ط : « الجاهلية » صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

وأنشده الزمخشرى (فى المفصل) لعبد مناف الهذلى .

وقال ابن السيد : وروى للفَضْل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب .

وقال ابن المستوفى (فى شرح شواهد المفصَّل) : ورواه أبو الحسن الأخفش لأبى زبيد الطائى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(أقسم بالله أبو حفص عمر)

تقدم شرحُه قريباً (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الثلثمائة (٢):

٣٦٦ (فلا وأبيكِ خَيرٍ منك أنِّى
ليُؤْذينى التَّحمحُمُ والصَّهيـلُ)

على أنّ (خيرٍ) بالجر بدل من أبيك بتقدير الموصوف ، أى رجل خير منك ، وهذا البدل بدلُ كلٍّ من كلّ . ومع اعتبار الموصوف يكون الإبدال جارياً على القاعدة ، وهى أنه إذا كان البدل نكرةً من معرفة يجب وصفها كقوله : ﴿بالناصية * ناصيةٍ كاذبة (٣) ﴾.وهذا على رواية الجر . وفيه رواية أخرى وهى رفع خير ، قال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد : ومن روى « خيرٌ منك » بالرفع فكأنه قال : هو خيرٌ منك .

٣٦٢ صاحب الشاهد — وهذا البيت من أبيات سبعة لشُمَير بن الحارث الضبى،رواها أبو زيد

(١) فى الشاهد ٣٥٨ ص ١٥٤ .
(٢) نوادر أبى زيد ١٢٤ والمقرب لابن عصفور ٥٢ .
(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من العلق .

(فى نوادره) . وهى فى رواية ابن الأَعرابى خمسةٌ بحذف الثالث والسابع . وهذه رواية أبى زيد :

أبيات الشاهد

(دعوتُ اللهَ حتى خفتُ أن لا يكونَ الله يَسمعُ ماأقولُ
لِيحملَنى عَلَى فرسٍ فإنّى ضعيفُ المشى للأَدنى حَمولُ
أُحِبُّ الخيلَ إن لامت عليه إناثُ الخيل والذكرُ الطويلُ [١]
ينعِّم بالَ عينِى أنْ أراه أمامَ البيت مَحْجِرُهُ أسيلُ
فإنْ فزِعُوا فزِعتُ وإن يعودوا فَراضٍ مشيُه عَتِدٌ رجيلُ
فلا وأبيكِ خيرٌ منكِ إنِّى ليؤذينى التحمحمُ والصَّهيلُ
ولست بنأنأٍ لمَّا التقينا تَهيَّبنى الكريمةُ والأفيلُ)

قال أبو حاتم :يَسْمَع أى يجيب ، ومنه:سمع الله لمن حَمِده . وقوله : ليحملنى علة لدعوت [٢] . وقوله : «ضعيف المشى» رواه أبو حاتم : «ضعيف المتن» وحمول خبرٌ ثان لإنّ.وقوله:أُحِبُّ الخيلَ إن لامت عليه، هو مثل قولك أقوم إنْ قامَ زيد . ولامت من اللوم ، فاعله ضمير امرأته ونحوها . قال أبو على:أى لامت على حَبْسه ، وفى لامت ضمير فاعلةٍ أضمِرَت لدلالة الحال عليه . انتهى .

وفيه شاهدٌ ، وهو رجوع الضّمير المذكر على الخيل . وقوله : « إناثُ الخيل » هو خبر مبتدأ محذوف ، أى الذى أحبُّ أو ماأحبُّ إناث الخيل . وقوله : « الذكر الطويل » أى طويل الظهر .

وقوله : «ينعِّم» الخ من التنعُّم وهو الترفُّه ، يقال نعَّمه تنعيماً أى رفَّهه ، وفاعله قوله أن أراه ، والهاء ضمير الذكر الطويل . وروى ابن الأعرابىِّ فى

---

(١) فى النوادر : « أحب المال » .

(٢) علة ، ساقطة من ش .

نوادره : « ينعِّم بالَ نفسى » .وعليه فالبال بمعنى الخاطر والقلب . وجملة « محجره أسيل » حال منه . والمحجر ، كمجلس ، بتقديم الحاء على الجيم : ماحول العين ، أراد أسفل العين وهو الخدُّ ، لأنَّه يقال أسيل الخدِّ إذا كان ليِّنَ الخَدِّ (١) طويلَهُ . وكل مسترسل أسيلٌ أيضاً .

وقوله : « فإن فزعوا فزعت » الفزع : الإغاثة والنَّصر . ويعودوا فى رواية أبى زيد بالعين ، وفى رواية ابن الأعرابىِّ بالقاف . وقوله : «فراضٍ مشيهُ » روى برفع مشيه على أنه مبتدأ أوّل وراضٍ خبره ، أى ذو رضا، كقوله:عيشة راضية ولَيلٌ نائم . وروى بنصب مشيَه براضٍ ، فراض خبر مبتدأ محذوف ، أى فأنا راضٍ مشيَه . كذا قال الأخفش فيما كتبه على نوادر أبى زيد . وفرس عَتَد بفتحتين وبفتح فكسر : المعَدٌّ للجرى . قال ابن السكيت : هو الشديد التامٌّ الخلْق . والرَّجيل بالجيم ، هو من الخيل الذى لايَحْفَى ، وقيل الذى لايعرق . وروى ابن الأعرابىّ فى نوادره :

فإنْ فزعوا فزِعتُ وإن يقودوا
فراضٍ مشيُه حَسنٌ جميلُ

وعلى هذا تقديره : فأنا راض ، ومشيه مبتدأ وحَسَنٌ خبره .

وقوله : (فلا وأبيكِ خَيرٌ منكِ) الكاف فى أبيك ومنك مكسورة ، خطابٌ للمرأة التى لامته على حبِّ الخيل،على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ،و«لا» نفى لما زعَمتْه ،والواو للقسم.وجملة (إنِّى ليؤذينى)إلخ جواب القسم. واختلفوا فى معناه ، فقال أبو الفضل:قوله ويؤذينى أى يغمُّنى وليس هو لى فى مِلك.وقال أبو حاتم والفارسى:أى ليؤذينى فقد التَّحمحم.وفى هذا ٣٦٤

(١) ط : « لين الخلق » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

حذفُ مضاف ، ورواه ابن الأعرابى : (فى نوادره) وتبعه ابن دريد : «ليؤذننى» بنونين ، قال: يؤذنُنى أَى يعجبنى ، من أذِنت له . قال أَبو محمد الأسود الأعرابىّ فيما كتبه على نوادر ابن الأعرابى وسماه (ضالة الأديب) : وصوابه «لُيؤْذينى التَّحمحم» من الإيذاء ، أى فِقدانُ التحمحم ، فحذف .

والتحمحم:صوت الفرس إذا طلب العلف . يقال حمحم الفرس وتحمحم .وصهيل الفرس : صوته مطلقاً ، فهو من عطف العام على الخاصّ.

وقوله : « ولست بنأنأ » إلخ النأنأ بنونين وهمزتين على وزن جعفر ، هو الضعيف من الرجال . يقال نأنأ فى رأيه نأنأة ، إذا ضُعف فيه.وقوله : تهيَّبُني أصله بتاءين ، مضارع تهيَّبه أى هابه، وفيه قلب ،أى لاأهاب الكريمة من الإبل أن أعقرَها للضيف ولايتعاظمُنى ذلك .والأفيل ،قال أبو زيد: هو الأفتاءُ من الإبل .وقال الأصمعى : ابن تسعة أشهر أو ثمانية . وفى العباب : الأفيل : ابن المَخاض وابنُ اللَّبون ، والأنثى أفيلة ، فإذا ارتفع عن ذلك فليس بأفيل . وروى بدل الكريمة : «الكريهة» وهى الحرب .قال الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) : الذى أَختار رواية « لايُهيِّبُني الكريمة [1]» يقول : لايهيِّبي كبير مالى ولاصغيرُه إذا ورد ضيفٌ علىّ . والأفيل : الصَّغير ، هكذا حفظى ، وليس له وقتٌ محدود . ومَن روَى الكريهة يقول: أنا أقاتل وأعقر للأضيافِ الأفيل . ولا أدرى لم خصَّ الأفيل دون غيره . انتهى .

شمير بن الحارث

وشُمير بضم الشين المعجمة وفتح الميم وآخره راء مهملة ، وهكذا ضبطه أبو زيد.وقال الأخفش فيما كتبه عليه:الذى فى حفظى سُمير بالسين المهملة.وكذا ضبطه الصاغانى (فى العباب) بالمهملة،وقال :وهو شاعر جاهلى .والله أعلم .

* * *

(١) فى النسختين : « رواية لا تهيبنى » ،و « لا » مقحمة فى النص ، والصواب فى النوادر .

وأنشد بعده :

(العائذاتِ الطَّير)

وهو قطعة من بيت للنابغة الذبيانى ، وهو :

(والمؤمن العائذاتِ الطير يمسحُها رُكبانُ مكَّة بين الغِيل والسَّنَدِ)

وقد تقدم شرحه فى الشاهد السابع والأربعين بعد الثلثمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده .

(أنا ابن التارك البكرىِّ بشرٍ)

وتمامه :

(عليه الطير ترقبهُ وقوعا)

وتقدَّم شرحه هذا أيضاً فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الثلثمائة :

٣٦٧ (إنَّا وجَدْنا بنى جِلَّانَ كلَّهُمُ كساعد الضَّبِّ لاطُولٍ ولاقِصَرِ(٣))

على أنَّه يجوز [ترك] وصف النكرة المبدلة من المعرفة إذا استفيد من البدل ماليس فى المبدل منه كما هنا ، فإنّ قوله «طول» المنفىَّ بدلٌ من ساعد الضب ، ومعنى الطول وماعطف عليه موجودٌ فى ساعد الضب .

وفيه شاهدٌ آخر ، وهو إبدال النكرة من المعرفة والنكرةُ بغير لفظ المعرفة . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول الحماسىِّ : ٣٦٥

نَهِلَ الزَّمانُ وعَلَّ غيرَ مُصرَّدِ من آل عَتّابٍ وآلِ الأسودِ(٤)

---

(١) فى هذا الجزء من الخزانة ص ٧١ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٣ .

(٣) الحيوان ٦ : ١١٢ برواية : « لاطول ولاعظم » .

(٤) الحماسية ٢٦٨ بشرح المرزوقى ٨٠٥ .

غير أنّه أعاد العامل معه وهو الجارّ. وبهذا استدللنا[١] على أنَّ البدل من جملة غير الجملة التى منها المبدل.وهو كثيرٌ فى القرآن والشعر.وأكثر مايُعاد العامل مع البدل إذا كان العاملُ جارًّا،من حيث صار الجارُّ مع ماجرَّه[٢] بمنزلة الجزء الواحد . نعم وأبدل النكرة من المعرفة والنكرة بغير لفظ المعرفة. وهذا شىء يأْباه البغداديُّون ويقولون : لاتبدل النكرة من المعرفة حتَّى يكونا من لفظ واحد ، نحو قوله تعالى ﴿بالناصية * ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة[٣] ﴾ . وردَّ ذلك أبو الحسن بما أنشده من قول الشاعر :

إنَّا وجدنا بنى جِلّانَ كلَّهُمُ .. .. .. البيت

ومثله ماأنشده أبو زيد :

فلا وأبيكِ خيرٍ منكِ إنِّى البيت .انتهى

وإنّما أوّله الشارحُ المحقّق بقوله : أى لاذِى طول ولا ذى قصر ، ليصحَّ جعلُه بدلَ كلٍّ من كل ، إذ لولا التأويل لكَانَا متغايرين . وإنّما لم يجعل لا طولٍ بأحد التأويلات الثلاثة صفةً كقوله[٤] أبيك . لتخالف الموصوف والصفة فيهما تعريفاً وتنكيراً ، فلو كان معرَّفا لكان صفة ، كما فى قول أَبى خراش الهذلىّ لامرأته وكانت تسأله الطلاق :

فلا وأَبيكِ الخيرِ لا تجدينه جَميلَ الغنى ولَا صبورا على العُدْمِ[٥]

---

(١) فى اعراب الحماسة: « وهذا هو الذى أرانا ودلنا » .

(٢) كتبت فى نسخة اعراب الحماسة : «معما جره» بوصل مع بما .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من العلق .

(٤) فى النسختين : « لقوله » ، ولا وجه له .

(٥) فى أصول شرح السكرى ١١٩٨ وكذا فى ش مع أثر تصحيح « إلا صبورا على العدم » . والاستشهاد يقتضى رواية ط .

يقول : إن تزوجتِ زوجاً لاتجدينه متعفِّفا ولا يصبر على العُدْم بالضم ، أى الفقر .

و (جِلَّان) بكسر الجيم وتشديد (١) اللام ، علمٌ لا ينصرف . قال الأصمعىُّ فى شرح هذا البيت من شعر ذى الرمة :

وبالشّمائِلِ من جِلَّانَ مُقتنِصٌ رَذْلُ الثياب خفىُّ الشّخص منزربُ (٢)

الشمائل : جمع شمال .وجِلَّان : قبيلة من عَنَزة ،وهم رُماة (٣) . ورذل الثّياب : خَلَقُها . وخفىُّ الشخص بمعنى ضئيل الشَّخص خِلقةً (٤). والمُنْزَرِب :الداخل فى الزَّرْب ،وهو قُترة الصائد. يقال انزربَ، إذا دخل .انتهى

وعَنَزة : حيَّان أحدهما : عَنَزة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وثانيهما : عَنَزة بن عمرو بن عوف بن عدىّ بن عمرو بن مازن بن الأزد . ولاأعرف عنزة المنسوبَ إليها جِلَّان أىّ العَنَزَتين (٥).

وقوله : (كلّهم) تأكيد لبنى جِلّان ، لا لجلَّان . وقوله : (كساعد الضبّ) الساعد: ذراع اليد . والضبُّ ساعدُ جميع أفرادِه على مقدارٍ معيَّن خِلقة ، لايزيد ساعدُ فردٍ من أفراده طولا على ساعد فرد آخر ، وكذلك لا ينقص عن ساعدِ فردٍ آخر ، بخلاف سائر الحيوانات فإنّ بين ساعد أفرادها تفاوُتاً فى الطُّول والقصر بحسب الجثة . وهذا ينبغى أن يكون من الأمثال فى الأشياء

(١) ضبط فى القاموس ضبط قلم بفتح الجيم . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٤٧ ، ٢٩٤ . وضبط فى الاشتقاق ٣٢٣ ضبط قلم أيضا بكسر الجيم .

(٢) ط : « زول الثياب » ، صوابه فى الديوان ١٤ وفى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « وهم مار » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٤) فى النسختين : « خلفه » ، والوجه ماأثبت .

(٥) الذى فى الجمهرة ٢٩٤ أن جلان من بنى عنزة بن ربيعة بن نزار .

المتساوية ، كقولهم :« هم كأسنان المُشْط » لكنىّ لم أره فى كتب الامثال . أراد أنَّ بَني جِلَّان متساوون فى فضيلةِ رشق السِّهام لايرتفع أحدُهم على الآخر فيها ولا ينْحطُّ عنه .

وهذا البيت لم أقف على قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(فلا وأبيك خيرٍ منكِ)

٣٦٦ البيت السابق ذكرُهُ آنفاً لما تقدَّم فى البيت قبله . لكن قدَّم الشارحِ المحقِّق أنَّه بتقدير رجلٍ خير منك ؛ فالبدل إنّما هو النكرة الموصوفة ، غايتُه أنَّه حذف الموصوف وبقيت صفته .ويمكن أن يقال :ماتقدَّم لأجل جمود البدل لا لأجْلِ وصف النكرة المبدلة ، فإنَّ اشتراط الوصف مذهبُ الكوفيين.

قال السَّمِين عند قول صاحب الكشاف فى قوله تعالى : ﴿ناصية كاذبة [1]﴾ : جاز إبدالُ النكرة من المعرفة [2] لأنَّها وصِفت،فاستقلَّت بفائدة . قلت : هذا مذهب الكوفيِّين ، لايجيزون إبدال نكرةٍ من غيرها إلاَّ بشرط وصفها ، أو كونها بلفظ الأوّل . ومذهب البصريين:لايُشتَرط شىء. وأنشدوا:

فلا وأبيك خيرٍ منكِ ... . البيت . انتهى

وقال ابن عقيل (فى شرح التسهيل) : ولم يشترط البصريُّون فى إبدال المعرفة من النكرة والنكرة من المعرفة اتحادَ لفظٍ ، ولا وجودَ وصف . ونقل ابن مالكٍ عن الكوفيِّين أنَّهم لايبدلون النكرة من المعرفة إلاَّ إن كانت من لفظ الأوَّل ، ونسب هذا بعضُ النحويِّين لنحاةٍ بغداد . ونُقل عن الكوفيِّين

(١) الآية ١٦ من العلق .

(٢) ط : « عن المعرفة » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

أيضاً أنَّهم لايفعلون ذلك وعكسَه إلا بالشرط المذكور . وكلام الكوفيِّينَ على خلاف هذا . قال الكسائى والفراء فى : ﴿ قتالٍ فيه [١] ﴾ إنّه على نية عن ، وصُرِّح بعن فى قراءَةِ عبد الله . وأجاز الفرَّاء فى :﴿ هرون أخى [٢] ﴾ كونَهُ مترجِماً لوزِيراً . قال : فيكون نصاً للتكرير .

ونُقل أيضا عن الكوفيِّين والبغداديين اشتراطُ وصف النكرة المبدلة من المعرفة . وتابعهم [٣] السُّهيلىُّ وابن أبى الربيع .

ونقل عن بعض الكوفيين فى إبدال النكرة المبدَلة من النكرة اشتراط وصف المبدلة .

ويدلُّ للبصريِّين:﴿ حدائقَ وأعنابا [٤] ﴾ ، وقولُه :

فألقت قِناعاً دونه الشمسُ واتَّقتْ　　بأحسن موصولَينِ كفٌّ ومِعصمِ[٥]

وقوله :

فلا وأبيكِ خيرٍ منكِ　　. . . . البيت . انتهى

* * *

وأنشد بعده :

(لحافى لحافُ الضَّيف والبردُ بُردُه)

هذا صدر بيتٍ ، وعجزُه :

(ولم يُلهِنى عنه غزالٌ مُقَنَّعُ)

على أنَّ اللام قد تنوب عن الضمير كما هنا،فإنَّ الأَصل «وبردى برده».وتقدَّم شرح هذا البيت فى الشاهد الثالث والتسعين بعد المائتين[٦].

* * *

(١) الآية ٢١٧ من البقرة .

(٢) الآية ٣٠ من طه .

(٣) ش : « وتابعهما » ، ولكل وجه .

(٤) الآية ٣٢ من النبأ .

(٥) البيت لأبى حية النميرى . البيان ٢ : ٢٢٩ ، والعقد ٦ : ١٦٥ .

(٦) الخزانة ٤ : ٢٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الثلثمائة [1] :

٣٦٨ (أوعَدَنى بالسِّجنِ والأَدَاهِم
رِجلى ورِجلى شَثْنةُ المَنَاسِمِ)

على أنّ قوله (رِجلى) بدلُ بعضٍ من ياء المتكلم فى (أوعدنى) .

هذا هو الظاهر . وعليه اقتصر الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ للذين اتَّقَوا عِنْدَ ربِّهِمْ جَنَاتٌ [2] ﴾ .

واستُشْكلت البدلّية بأنّ الرِّجْل لاتُوعَد بالسّجن . وأجيب بأنّها لما كانت سبباً للدخول ناسبَ إيعادُها بذلك .

وفيه وجوه ثلاثة :

أحدها : ماقاله ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) ، وهو أنّه يجوز أن يكون رجلى مفعولاً ثانيا حذف منه حرفُ الجرّ اختصاراً ، كأنه أراد : لرجلى .

وثانيها : ماقاله أبو حيان (فى تذكِرته) ومن خطِّه نقلت ، وهو أن يكون
رجلى منادًى على طريق الاستهزاء بالمُوعد . ٣٦٧

ثالثها : مانقله ابنُ السِّيرافى (فى شرح أبيات إصلاح المنطق) عن بعضهم ، وهو أن تكون الأداهم معطوفةً على السِّجن، ورجلى معطوفةً على ضمير المتكلم،أى أوعدنى بالسجن وأوعد رجلى بالأداهم، كما تقول:ضربَنى

---

(١) إصلاح المنطق ٢٥٣ ، ٣٢٦ ومجالس ثعلب ٢٧٤ واعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢٠٧ وابن يعيش ٣ : ٧٠ والشذور ٤٤٢ والعينى ٤ : ١٩٠ والتصريح ٢ : ١٦٠ والهمع ٢ : ١٢٧ والأشمونى ٣ : ١٢٩ واللسان (وعد ٤٧٩) .

(٢) الآية ١٥ من آل عمران .

بالعصا والسَّوطِ ظهرى ، تريد ضربنى بالعصا وضربَ ظهرى بالسَّوط ، ويكون على هذا من باب عطف معمولين على معمولى عاملين مختلفين .

و(رجلى) الثانية مبتدأ وشثْنةُ خبرها ، وأتى بها ظاهرةً غير مضمرة تعظيماً لأمرها وإشادةً بذكرها ، أوْ لأنَّها وقعت فى جمله ثانية .والواو للحال ، وروى : (فرجلى) بالفاء على السببية . و(الشثْنة) : الغليظة الخشنة ، يقال فى صفة الأسد : شثْن البراثن . قال العينى : ويجوز أن يكون بتقديم النون على المثلثة ، من شَنِثَتْ مشافِرُ البعير ، أى غلُظت من أكل الشَّوك . و(المناسم) : جمع مَنسِم كمجلس ، وهو طرَفُ خفٌ البعير ، استعاره للإنسان . وحسُن ذلك ههنا لما ذكره من جَلَده وقوَّته،وبذلك يَصِفون أنفسَهم.وقال ابن السيرافى: المنسم : أسفل خُفّ البعير ، ولايستعمل لغيره إلّا فى ضرورة شعر . وأراد بالمناسم هنا باطنَ رجليه . يقول : رجلى غليظةٌ لاتألم لجعلها فى القيد . هذا كلامه ، وهذه الإرادة غير ظاهرة . و(الأداهم) : جمع أدهم ، وهو القيد . والسِّجن بالكسر : اسمٌ للمحبس ، والمصدر بالفتح . يقال سجنته سَجْناً من باب قتل . و(أوعَده) بكذا بمعنى هدَّده به . قال الخطيب التِّبريزى (فى شرح إصلاح المنطق) : قال الفراء : يقال وعدته خيرا ووعدته شرًّا بإسقاط الألف ، فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير : وَعدته ، وفى الشرّ أوعدته . فالوعد والعِدة فى الخير ، والإيعاد والوعيد فى الشر . فإذا قالوا أوعدته بكذا أثبتوا الألف مع الباء . وأنشد :

أوعدَنى بالسِّجن والأداهـم . . . . . . البيت . انتهى

وقال ثعلب (فى أماليه): يقال وعدته خيرا وشراً ،وإذا لم يُذكَر الخير ولا الشرّ قيل فى معنى الخير : وعدته ، وفى الشر : وَعَدته ، وفى بعض اللغات أوعدته بالشر . وأنشد هذا البيت .

وفيه مخالفةٌ للفراء فيما إذا لم يُذكر الموعود به ، فانّه إذا أريد المكروه زيدت الألف .

وثعلبٌ ساوى بين ماإذا أريد الخير أو المكروه فى أنه يقال بلا ألف . قال (فى الفصيح) : وعدت الرجل خيراً ، وإذا لم تذكر الشرَّ قلت وعدته. وأوعدتُه بكذا ، تعنى الوعيد .

قال الإمام المرزوقى (فى شرح الفصيح) : وعدته خيراً وشراً . فإنْ أطلقْت ولم تقيِّد قلت فى الخير : وعَدت وعْدا وعِدة وموعدا ومَوعدة . والميعاد : الوقت ، والموضع . وفى الشر : أوعدته إيعادا ووعيدا . هذا هو الصحيح . وقوله فإذا لم تذكر الشر قلت أوعدته بكذا ، قال أبو إسحاق الزجاج : قلت لثعلب : قولك بكذا ينقُض ماأصَّلته ؛ لأنَّ وعَدَ بإطلاقه ضمانٌ فى الخير ، وأوعد ضمانٌ فى الشرِّ ، ولا حاجة إلى بكذا . قال أبو على : ويمكن أن يقال فى جوابه بكذا إشارة إلى نوعٍ مما يتوعَّدُ به ، وإذا كان القصد إلى التنويع احتيج إليه . ألا ترى قوله :

* أوعدنى بالسِّجْن والأداهم . (١)*

وقول الآخر :

* أتوعدنى بقومك ياابنَ سُعدَى *

والمنكَر أن يقال أوعَدنى بالشر . فاعلمْهُ . انتهى .

٣٦٨ وهذا الشعر بيتان من الرجز المسدَّس . قال ابن السيد : لاأعلم قائله .

صاحب الشاهد وقال ياقوت (فى حاشية الصحاح)، وتبعه العينى : قائله العُديل بن الفُرْخ ،

العُدَيل بن الفُرْخ وهو شاعر إسلامىٌّ فى الدولة المروانيَّة ، وهو بضم العين وفتح الدال المهملتين . والفُرْخ ، بضم الفاء وسكون الراء وآخره خاء معجمة .

---

(١) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ٢١ . وعجزه :

* وذلك من مُلمَّاتِ الخطوب *

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء [١]) : العُديل بن الفُرخ لقبه العَبَّاب ، بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة الأولى . والعَبَّاب : اسمُ كلبِه . وهو من رهط أبى النَّجم العجلى ، وكان هجا الحجَّاجَ وهرب منه إلى قيصرَ مَلكِ الروم ، فبعث إليه : لترسلنَّ به أو لأجهِّزَنَّ إليك خيلاً يكون أوّلُها عندك وآخرُها عندى ! فبعث به إليه ، فلما مثَلَ بين يديه قال : أنت القائل :

ودونَ يدِ الحجاج من أن تنالَنى   بَساطٌ بأيدى النَّاعجاتِ عريضُ
مهامِهُ أشباهٌ كأنّ سَرابَها   مُلاءٌ بأيدى الغانياتِ رحيضُ

فقال : أنا القائل :

فلو كنتُ فى سَلْمَى أجَا وشِعابها   لكان لحجَّاجٍ علىَّ دليلُ
خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفُه   لكلِّ إمامٍ مصطفًى وخَليلُ
بَنى قُبَّة الإسلام حتَّى كأنّما   هَدَى الناسَ من بعد الضلالِ رسول

فعفا عنه وأطلقه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٣٦٩ (ذرينى إنَّ حُكمكِ لن يُطاعا
وما ألفيتُنى حِلمِى مُضاعَا)

على أن قوله : (حلمى) بدل اشتمال من الياء فى ألفَيتنى .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة):أنَّما يجوز البدل من ضمير المتكلم

---

(١) الشعراء ٣٧٥ والأغانى ٢٠ : ١١ — ١٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٧٨ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٦٥ والشذور ٤٤٣ والعينى ٤ : ١٩٢ والهمع ٢ : ١٢٧ وديوان عدى بن زيد ٣٥ .

وضمير المخاطب إذا كان بدلَ البعض أو بدلَ الإشتمال ، نحو قولك : عجبت منك عقلِك ، وضربتُك رأسَك . ومن أبيات الكتاب :

ذرينى إنَّ أمرك لن يُطاعا ....البـــيت

فحلمى بدل من نى . ولو قلت قمتُ زيدٌ ، أو مررتَ بى جعفر ، أو كلمتك أبو عبد الله ، على البدل لم يجز ، من حيث كان ضمير المتكلم والمخاطب غايةً فى الاختصاص ، فبطل البدل ، لأنّ فيه ضرباً من البيان ، وقد استغنى المضمر بتعرُّفه . انتهى

وكذلك الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ مثلُ الذين كَفَروا بربِّهم أعمالُهمْ كَرَمادٍ (١) ﴾ . الحلم منصوب بالإلفاء (٢) على التكرير ، يعنى البدل ، ولو رفعه كان صواباً . وأورده أيضا عند قوله تعالى : ﴿ويومَ القيامة تَرَىَ الذينَ كَذَبُوا على اللهِ وجوهُهم مسوَدَّةٌ (٣) ﴾.

وتبعه الزجاجُ فيها ، ونسبه إلى عدىّ بن زيد ، قال فى الآية:ترفع « وجوههم»و «مسودّة»لأنَّ الفعل قد وضع على الذين،ثم جاء بعد الذين اسمٌ له فعلٌ،فرفعتَه بفعله وكان فيه معنى نصب.وكذلك فافعلْ بكلِّ اسم أوقعت عليه الظَنَّ والرأى ومأأشبههما،فارفع مايأتى بعده من الأسماء إذا كان أفاعيلها بعدها،كقولك رأيت عبد الله أمره مستقيم (٤).فإنْ قدَّمت الاستقامة نصبتها ورفعت الاسم فقلت :رأيت عبد الله مستقيما أمره.ولو نصبت الثلاثة فى

---

(١) الآية ١٨ من إبراهيم .

(٢) أى عامله ألفى ، على نية تكرار العامل فى البدل . وفى ش : «بالإلغاء» . وفى معانى القرآن ٢ : ٧٣ : « بالإلقاء » ، والصواب مأأثبت من ط .

(٣) سورة الزمر ٦٠ .

(٤) ط : « وأمره مستقيم » ، والصواب حذف الواو كما فى ش .

المسألة الأولى على التكرير كان جائزا ، فتقول : رأيت عبد الله أمرَه مستقيما . وقال عديّ بن زيد :

ذريني إنّ أمرك لن يُطاعا ..... البيت

فنصب الحلم والمضاع على التكرير . ومثله :

* ما للجمالِ مَشْيِها وئيدا *

فخفض الجمال والمشى على التكرير . فلو قرأ قارئٌ : وجوهَهم مسودَّةً على هذا لَكاَن صوابا . انتهى

٣٦٩ وقوله : (ذرينى) خطابٌ لامرأته ، أى اتركينى ودعينى . وجملة (إنَّ حكمك) إلخ مستأنفة للتعليل .

وروى سيبويه : « إنَّ أمرَكِ » وهو بمعناه . وجملة (ماألفيتُنى) الخ معطوفة عَلَى الجملة المستأنفة .

وروى العينى : « ولا أُلفيتِنِى » .وأَلفَى بمعنى وجد من أخوات ظنّ تنصب مفعولين ، والتاء المكسورة فاعلها ، والنون نون الوقاية ، والياء مفعول ، وحلمى بدل من الياء . وتَساهلَ النحاسُ (فى شرح أبيات سيبويه) وتبعه ابن السِّيد (فى أَبيات المعانى) فقالا:حلمى بدلٌ من النون والياء . ومن العجائب قول العينى:حلمى بدل من النون ، وكأنه أراد أن يتبع النَّحَّاسَ فيسقط من قلمه أو من قلم الناسخ عطفُ الياءِ على النون.و(الحِلم) بالكسر:العقل.يقول لها:ذرينى من عَذْلك فإِنّى لاأطيع أمرك،ولا وجدتُنى سفيهاً[1]مضيَّعَ الحلم،وعقلى يأمرنى بإتلاف مالى فى اكتساب الحمد.(ومضاعا) مفعول ثان لأَلفى،وهو اسم مفعول من الإضاعة،ولايصحُّ أن يكون حالاً كما زعم بعضهم.

(١) ط : « سفها » ، صوابه فى ش .

ونقل العينى عن (تذكرة أبى حيان) بأنه يجوز حلمى مضاع بالرفع على الابتداء والخبر ، والجملة مفعول ثان . وفيه أنَّ هذا البيت من قصيدة قوافيها منصوبة . قال ابن السِّيد : لايجوز رفعهما ؛ لأنَّ القوافىَ كلَّها منصوبة .

صاحب الشاهد — والبيت نسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة . وتبعه ابن السراج (فى أصوله) . وعزاه الفراء والزجاج إلى عدىّ بن زيد العِبادىّ ، وهو الصحيح.

أبيات الشاهد — وكذلك قال صاحب (الحماسة البصرية) وأورد من القصيدة بعده هذه الأبيات :

(ألاَ تلك الثعالبُ قد تهاوَتْ
علىّ وحالفتْ عُرْجاً ضِبَاعا [1]
فإنْ لم تندَموا فثَكِلتُ عَمْراً
وهاجــرتُ المروِّق والسَّماعـــا
ولا ملكتْ يداى عِنانَ طِرفٍ
ولاأَبصرتُ من شمسٍ شعاعـا
وخُطَّةَ ماجدٍ كلّفتُ نفسى
إذا ضاقوا رَحُبتُ بها ذراعا)

قوله:«تعاوت» تفاعلت من العُواء،وهو صياح الكلب والذئب والثعلب. وأراد بالثعالب الذين لاموه على جُوده حسداً ولؤما .والثعلب سبعٌ جبان مُستضعف ، ذو مَكْرٍ وخديعة،ولكنَّه لفرط المكر والحيلة ، والخبث والخديعة يجرى مع كبار السباع .قال الجاحظ [2]:ومن أشدّ سلاح الثعلب الرَّوَغان ،وفى المثـل: «أروَغُ من ثعـلب» .والرَّوَغـان بالتحـريك:مصدر راغ الثعلب

(١) الحماسة البصرية ١ : ٦٥ .
(٢) الحيوان ٦ : ٣٠٢ بتصرف .

يروغ رَوغا وروَغانا ، أى ذهب يَمنْة ويَسْرة فى سُرعةٍ خديعةً ، فهو لايستقرُّ فى جهة . و «حالفت» بالحاء المهملة ، أى عاهدت ، يقال تحالفا ، أى تعاهدا وتعاقدا عَلَى أن يكون أمرهُما واحداً فى النُّصرة والحماية . وبينهما حِلْف بالكسر ، أى عهد . والحليف : المعاهِد .

وضباعا مفعول حالفت : وعرجا كان فى الأصل صفة لِضِباعاً ، فلما تقدَّم صار حالاً منه . أى عاهدتْ تلك الثعالب مَن هو أسوأ حالاً منها . والضِّبَاع بالكسر : جمع ضبع،وهى يُضرب بها المثل فى حمقها فيقال: «أحمقُ من ضبع». قال صاحب المصباح : الضَّبُعُ بضم الباء فى لغة قيس ، وبسكونها فى لغة تميم ، وهى أنثى ، وقيل يقع عَلَى الذكر والأنثى ؛ وربما قيل فى الأنثى ضَبْعة كما قيل سَبع وسَبْعة بالسكون مع الهاء للتخفيف . والذكر ضِبْعانٌ والجمع ضَباعِينُ ، مثل سِرحان وسَراحين . ويجمع الضَبع بضم الباء عَلَى ضباع ، وبسكونها [1] عَلَى ٣٧٠
أضبع . انتهى .

والعُرْج : جمع عرجاء ، كصُفْر جمع صفراء . والضَّبع توصف بالعَرَج وليست بعرجاء ، وإنما يخيَّل ذلك للناظر . وسبب ذلك التَّخيُّلِ لدونةٌ فى مفاصلها ، وزيادةُ رطوبة فى الجانب الأيمن عَلَى الأيسر منها . كذا فى حياة الحيوان للدَّمِيرى .

ومن الغرائب قول العينى هنا : قوله تعاوت من عُواء الكلب . وقوله ضباعا جمع ضبع ، وهو الحيوان المعروف ، وهذا الجمع للذكر والأنثى مثل سباع وسبع. وقوله عَرِجا بفتح العين وكسر الراء صفة للضّباع قدِّمتْ عليه للضَّرورة . وتوصف الضِّباعُ بالعَرَج كما توصف بالخَمَع . والعَرْج أيضاً يقال للقطيع من الإبل نحو الثمانين أو المائة والخمسين . فعلى هذا يكون قوله ضباعا بالكسر:

(١) ط : « وبسكون » ، وأثبت مافى ش .

جمع ضابع إذا كانت شديدة الجرى . هذا كلامه بحروفه . وأىٌّ فائدة فى تسطيره ، ولا يُزَادُ الطالب منه إلّا جَهالة .

وقوله : « فإنْ لم تندموا » إلخ التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأراد بالنَّدم الرجوعَ عن لوْمِه ، فإنَّ النَّدمَ لازمه . وجملة ثكلتُ دعائيّة . وعمروٌ : ابنُه.وهاجرت بمعنى قاطعت ، من الهَجْر بالفتح ، أى التّرك . والمروَّق أراد به الخمر . يقال خمرٌ مروَّق (١) . والسَّماع أراد به آلة الطرب واللهو . والطِّرف بالكسر : الكريم من الخيل . والخطّة بضم الخاء المعجمة : الحالة والخَصْلة ، وهو مفعولٌ مقدَّم لكَلَّفتُ . وذراعاً : تمييز محوَّل عن الفاعل . ورُحْب الذراعِ : سَعتها (٢). وبسطها:طولها . وضيق الذِّراع والذَّرْع :قِصَرها . ووجههُ أنَّ القصير الذراعِ لاينال مايناله الطَّويل الذراع ، ولايُطيق طاقته . فضُرِب للذى سقطتْ قُوَّتُه دونَ بلوغ الأمر والاقتدار عليه.وبالعكس طول الذراع وبَسْطها.

وقد تقدّمت ترجمة عدى بن زيد مفصَّلة فى الشاهد الستين (٣) . وهو شاعرٌ جاهلى .

والعباديّ ، بكسر العين وتخفيف الموحدة ، نسبة إلى عِبَاد ، وهم قبائلُ شتَّى من العرب اجتمعوا على النَّصرانية بالحِيرة . وزعم الجوهريُّ أنّه بالفتح . والصواب ماذكرنا .

* * *

وأُنشد بعده،وهو الشاهد السبعون بعد الثلثمائة،وهو من شواهد سيبويه(٤):

---

(١) الخمر مؤنَّثة ، وقد تذكَّر كما هنا .

(٢) السَّعَة بفتح السين وكسرها : الاتساع . ط : «وسعها» ش : «وسعتها» ، والصواب ماأثبت .

(٣) الخزانة ١ :٣٨١ .

(٤) فى كتابه ١ :٨٠.وانظر ابن يعيش ٣ :٦٧ والهمع ٢ :١٥٧ ، ونسب للأعشى ، وليس فى ديوانه .

٣٧٠ (وكأنَّهُ لهِقُ السَّراةِ كأنَّه
ما حاجبَيْه مُعَيَّنٌ بسَوَادِ)

على أنه قد يعتبر الأوَّل فى اللفظ دون الثانى ، أى يعتبر المبدل منه فى اللفظ دون البدل ، فإنَّ قوله حاجبيه بدلٌ من ضمير كأنه . قال ابن السيد (فى أبيات المعانى) وابن خلف : هو بدل اشتمال ، ومازائدة . وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : قوله حاجبيه بدل من الضمير ، وما لا تكون إلا زائدة ، وقد روعى الضَّمير المبدل منه فى اللفظ بجعل معيَّن مفردا ؛ ولو روعىَ الذى هو حاجبيه لقيل معيَّنان بالتثنية . وقد يقال إنّ الحاجبين لما لزم أحدُهُما الآخر صار الإخبار عنهما كالإخبار عن الشيء الواحد ، وكذا حال ماهو مثّنى فى البدن ، يجوز إفراد خبرهِ وصفتهِ على المعنى ، وتثنيتُه على اللفظ ، كقوله :

لمن زُحلوقـــــةٌ زُلٌّ لها العينان تنهَلُّ (١)

فأخبرَ عن العينين بما يكون خبراً عن الواحد . وعليه قول المتنبى : ٣٧١

حَشَاىَ على جمرٍ ذكيٍّ من الهوَى
وعيناىَ فى روض من الحسن ترتعُ(٢)

وقال آخر (٣):

وكأنَّ بالعينين حبَّ قرنفُلٍ أو سُنْبلاً كُحِلتْ به فانهلَّتِ

وكانَ الظاهر أنْ يقول : كحلتا ، فأفرد لأنهما لايفترقان . ويجوز عكس هذا فيخبر عن الواحد منهما بالتثنية ، كقوله :

وَعين لها حَدْرةٌ بَدرةٌ وشُقَّتْ مآقيهما من أُخُرْ (٤)

---

(١) اللسان (زلل) . وقال : « ويروى : زحلوفة » ، يعنى بالفاء .
(٢) ط : «حشائى» ، صوابه فى ش وديوان المتنبى ١ : ٣٨٤ .
(٣) هو سلمى بن ربيعة . الحماسة بشرح المرزوقى ٥٤٧ .
(٤) لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٦ . وفى ش والديوان : «شقت» بغير واو .

فابتدأ بذكر عينٍ واحدة ، ثم أخبر عن الاثنتين . ومنه قول الآخر على وجهٍ :

تسائِلُ بابن أحمرَ مَنْ رآهُ   أعَارت عَينُه أم لم تعَارا (١)

فلمَّا استفهم عن الواحدة عطف بالاثنتين فى قوله «أم لم تعَارا» . وقيل معيَّن مصدر كممزَّق (٢) ؛ وإذا أخبِر بالمصدر كان موحَّداً .

هذا وسيبويه إنّما أورد البيتَ للبدل ، ولم يذكر مااعتبره الشارح المحقّق . وهذه عبارته : وإن شئت قلت : ضُرِبَ عبدُ الله ظَهرُه ، ومُطِرَ قومُك سهلُهم ، على قولك : رأيت القومَ أكثرهم ، ورأيت عمراً شخصَه ، كما قال :

وكأنّه لهِقُ السَّراة...   ...... البيت . انتهى.

ويجوز أن يكون هذا من قبيل بدل البعض . وماذكره الشارح المحقّق هو كلامُ أبى علىٍّ (فى إيضاح الشعر) ،قال فى موضع آخر منه: قد جاء الحمْلُ على المبدَل منه . قال :

وكأنَّه لَهِقُ السَّراةِ .... البيت

فجعل الخبر فيه عن المبدل منه دون البدل .

وقوله : (وكأنّه لهق) إلخ رواه سيبويهِ «فكأنه» بالفاء .قال الأعلم: وصف الشاعر ثوراً وحشِياً شَبَّه به بعيره فى حِدّتهِ ونشاطه ، فيقول:كأنّه ثورٌ لهِق السَّراة ، أى أبيض أعلى الظَّهر (٣)أسفع الخدَّين ، كأنّما عُيِّنَ بسواد.وكذلك بقر الوحش بيضٌ كلُّها إلاّ سُفعةً فى خدودها ومغابنها وأكارِعها.انتهى.

---

(١) لابن أحمر . شرح شواهد الشافية ٣٥٣ . وفى ط : « أغارت أم لم تغارا » بالغين المعجمة ، وأثبت مافى ش مع أثر تصحيح ، وهو مافى شرح شواهد الشافية . وهما روايتان كما نص البغدادى .

(٢) ط : « كنمرق » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « أبيض الظهر أعلاه » ، صوابه فى ش وشرح الأعلم .

وقال ابن خلف : اللَّهَق :البياض . والسَّراة: أعلى الشَّىء . وثور الوحش يُوصف بأنَّه لهِق السَّراة . وقيل إنّه يصف جملاً وسيرَه وسُرعته ، وشبَّهه بثورٍ وحشٍ فى سرعته . والجملة التى هى « كأنه ماحاجبيه » إلخ ، وصفٌ للثور . وترتيب الكلام : كأنَّ هذا الجملَ ثورٌ لهق السراة ، كأنَّ هذا الثور حاجبيه معيَّن بسواد ، يعنى أنَّ ماحول حاجبيه وعينيه أسود . والعِينَة : ماحول العينين ، كأنّه قال : مسودّ العينة . انتهى .

وفى العباب : قال الليث : اللَّهَق بالتحريك : الأبيض ليس بذى بريق كاليَقَق ، إنَّما هو نعتٌ فى الثوب والشَّيب . والبعير الأعيَسُ لهِقٌ ، والأنثى لهِقة ، والجمع لهِقات ولِهَاق . ولَهَق الشىءُ لَهقا مثل سَحَق سَحْقاً ، ولهِق لهَقا مثل أرِق أرقا ، إذا كان شديد البياض . انتهى .

يريد أنّه جاء من بابَى فتح فتحا وفرح فرحا . و(السَّراة) بفتح السين ، قال صاحب الصحاح: وسراة كلِّ شىء : ظهره ووسطهُ . و(المعيَّن) بزنة اسم المفعول .ولم يزد صاحب الصحاح على قوله: المعيَّن: ثور . وفى القاموس : والمعيَّن كمعظَّم : ثورٌ بين عينيه سوادٌ ، وهو مشتقٌّ من العِينة بالكسر ، وهى مصدر عَيِنَ عيَناً من باب فرح وعِينةً ، إذا عُظم سواد عينه فى سَعة . والعِينة أيضاً من النَّعجة : ماحول عينيها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يُعرَف لها قائل . ٣٧٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الثلثمائة (١) :

٣٧١ (إنَّ السّيُوف غُدوَّها ورَوَاحَها

تركَتْ هَوَازِنَ مثلَ قَرنِ الأعضَبِ)

(١) ديوان الأخطل ٢٨ والكامل ٤٣٩ والأشمونى ٣ : ١٣٢ .

لما تقدَّم قبله ، فإنَّ قوله غدوَّها بدلٌ من السيوف .

قال المبرد (فى الكامل) : هو بدل اشتمال ، وقد روعى المبدلُ منه فى اللّفظ بإرجاع الضمير إليه من الخبر ، ولم يُراعَ البدل ، ولو رُوعِىَ لقيل تُركا بالتثنية .

وهذا أيضاً كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) فإنه أورد هذا البيت مع البيت الذى قبله لما ذُكر . وفيه أنه يحتمل أنَّ نصب غدوَّها على الظرف ، كخفوقَ النجم ، وكأنَّه قال : إنَّ السيُّوفَ وقتَ غدوِّها ورواحِها .

و(هَوازن) : أبو قبيلة ، وهو هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة ابن قيس بن عَيْلان بن مضر . و(الأعضب) بإهمال العين قال صاحب (العباب) : العَضْباء : الشاة المكسورةُ القَرن الداخل،وهو المشاش [1] . ويقال هى التى انكسر أحدُ قرنيها . وقد عَضِبت بالكسر ،وكبشٌ أعضب بيِّن العَضَب . وأنشد هذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدة للأَخطل عِدَّتها ستةَ عشَر بيتاً ، مدح بها العبَّاسَ بن محمد بن عبد الله بن العباس رضى الله عنه ، فأعطاهُ ألف دينار ، وكان يقال له «المذْهَبُ» لجماله . روى أنَّه خرج على فرسٍ له وعليه مُطْرَفُ خَزٍّ ، فأشرفت امرأةٌ فنظرت إليه فقالت : ماأحسن هذا ؟! فتقطَّرَ به فرسُه فمات .

من أبيات الشاهد

وهذا مطلع القصيدة :

(بانَ الشَّبابُ وربَّما عللّتُه بالغانيات وبالشَّراب الأَصهبِ
ولقد شربتُ الخمرَ فى حانوتها ولعبتُ بالقَيناتِ عَفَّ الملعبِ [2])

---

(١) ط : « وهى المشاش » ، صوابه فى ش .

(٢) فى ديوان الأخطل : « كل الملعب » .

وقال فى مدحه :

(لذٌّ تقبَّله النَّعيم كأنَّما مُسِحتْ ترائبه بماءٍ مُذهبِ[١]
لَبَّاسِ أرديةِ الملوكِ تَروقُه من كلِّ مُرتقَبٍ عيونُ الرَّبربِ
يَنظُرن من خَلَلِ السُّتور إذا بدا نَظَرَ الهجانِ إلى الفنيقِ المُصعَبِ
خَضِلِ الكِياسِ إذا تشتَّى لم تكنْ خُلفا مَواعدُه كبرق الخُلَّبِ [٢]
وإذا تُعوورت الزُّجاجة لم يكنْ عند الشراب بفاحش متقطِّبِ)

اللَّذُّ : المتلذِّذ . وتقبَّله النعيم ، إذا استبان عليه . والرَّبرب : جماعة النساء . والهجان من الإبل : كرامُها وبيضها . والفنيق : الفحل المتروك لايركب ولايُحمل عليه . والخَضِل : الندىُّ . والكياس [٣] . والتعاور : التداول .

وبعد هذا اقتضب الكلام فقال :

إن السيُّوفَ غُدُوَّها ورواحَها . . . . . البيت

وبعده :

(وتركن عمَّك من غنىّ ممسكاً بإزاء منخرق كجُحْر الثعلبِ [٤]
وتركن فَلَّ بنى سُلَيمٍ تابعاً لبنى ضَبِينةَ كاتِّباع التَّولبِ
أَلْقَوا البُرينَ ، بنى سُليمٍ ، إنَّها شانت وإنَّ حَزَازها لم يذهبِ [٥]

---

(١) قبله — وذلك لتوضيح إعرابه :

ولقد غدوت على التجار بمسمح هرت عواذله هرير الأكلب

(٢) ط : «إذا تنشا» ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح .

(٣) والكياس ، كذا وردت فى النسختين بدون تفسير بعدها ، وهى جمع كأس ، يقال فى جمعها أكؤس وكؤوس وكئاس وكياس . اللسان (كأس) وشرح ديوان الأخطل .

(٤) فى النسختين : «منحرق» ، صوابه فى الديوان . يقول : كأنهم تمسكوا بحوض صغير قد ذهب ماؤه .

(٥) شانت ، من الشين ، أى قبحت ، وهو على حذف المفعول . وفى الديوان : «شابت» من الشيب . وهو تعريض بالمرأة التى خزمت أنفها .

٣٧٣ ولقد علمت بأنّها إذْ عُلِّقَتْ سِمةُ الذَّليل بكلِّ أنف مُغْضَبِ
والخَيلُ تعدو بالكماة كأنَّها أُسْدُ الغياطِلِ من فوارسِ تَغْلِبِ)

وهذا آخر القصيدة :

وقوله : « وتركن عمك من غنى » إلخ غنيّ : قبيلة .قال شارح ديوانه السكرى: هذا مثَلٌ ،يقول : لاشيء بأيديهم ، كأنهم تمسَّكوا بحوضٍ صغير قد ذهب ماؤه . وإزاء الحوض : موضع مصَبِّ الدَّلو فى مقدَّمه ، فيوضع هناك حجرٌ يصَبُّ عليه الماء أو عباءةٌ ، لئلاّ يثور الطينُ فيفسدَ الماء .

وقوله : « وتركن فَلَّ بنى سُليم » الفَلّ بالفتح: المنهزمون . وسليم بالتصغير . وضَبِينة ،بفتح المعجمة وكسر الموحَّدة وقبل الهاء نون ، هى أُمُّ سعدِ مَناة بن غامد بن الأزد ، غلبت على نسب ولدها . قاله السكرى .

وقوله :« ألقُوا البرين» الخ ألقوا : أمرٌ من الإلقاء . والبُرينَ : جمع بُرةٍ بضم الموحَّدة ، وهى مايُخزم به الأنف .وبنى سليم منادًى . وذلك أنَّ أمرأةً من سُليم خزمت أنفها لما قتل عمير بن الحُباب (١) وحلفت أن لاتنزعَها حتى تدرك بثأره . والغياطل : جمع غَيطَلٍ ، وهو الشَّجر الكثير الملتفّ . وتغلب : قبيلة الأخطل . افتخر بفوارس قومه .

وترجمته تقدمت فى الشاهد الثامن والسبعين (٢) .

* * *

---

(١) ط : « عمرو بن الحباب » ، صوابه « عمير » بالتصغير كما فى ش وجمهرة أنساب العرب ٢٦٤ . وكان له شأن فى الحرب بين قيس وتغلب ، وقتلته تغلب . الأغانى ١١ : ٥٥ ، ٢٠ : ٢٦ . قتله زياد بن هوبر ، كما فى الاشتقاق ٣٣٩ . وفى الاشتقاق ٣٠٨ : « وكان عمير من فرسان الناس فى أيام عبد الملك وأيام الفتنة بالشام ، وكان امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

٣٧٢ (إنَّ عَلَيَّ اللهَ أن تُبايِعا تؤخذَ كَرهاً أوتجيءَ طائعا)

على أنَّ الفعل قد يُبدل من الفعل إذا كان الثانى راجحَ البَيان عَلَى الأوّل كما فى البيت . فتؤخذَ بدل من تبايعَ ، وتجيء معطوف على تؤخذ . وهذا البدل أبين من المبدل منه ، والبدل فى الحقيقة إنما هو مجموع المعطوف والمعطوف عليه ، إذْ لاتكون المبايعة (٢) إلاّ عَلَى أحد الوجهين من إكراه أو طاعة . وهو كقولهم : الرُّمَّان حلو حامض ، وإن كان يقال باعتبار اللفظ إنَّ تجيء معطوفٌ عَلَى تؤخذَ ، كما يقال فى مثل ذلك من الخبر والحال .

والآية قبل البيت (٣) من بدل الكلّ ،قال الخليل : لأنَّ مضاعفة العذاب هى لُقيُّ الأَثام . والظاهر أنَّ بدل الفعل من الفعل عند الشارح المحقق إنما يكون فى بدل الكل ، وهو مذهب السِّيرافى ، قال : لايبدل الفعل إلاّ من شيء هو فى معناه (٤)لأنه لايتبعَّض ولا يكون فيه اشتمال ، فتؤخذ كرها أو تجيء طائعا هو معنى المبايعة ، لأنها تقع عَلَى أحدهما .

وقد يَظْهر من كلام سيبويه فى باب مايرتفع بين الجزمين .

وقد جوَّز المتأخرون الأبدال الأربعة فى الفعل،منهم الشاطبى (فى شرح

---

(١) فى كتابه ١ : ٧٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٦٣ والعينى ٤ : ١٩٩ والتصريح ٢ : ١٦٢ والأشمونى ٣ : ١٣١ .

(٢) ش :« المتابعة » ، صوابه فى ط .

(٣) يشير إلى استشهاد الرضى بقوله تعالى : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب » . الرضى ١ : ٣١٧ .

(٤) ش : « إلا من شيء هو فى معناه » .

الألفية) قال : يتصوَّر فى بدل الفعل من الفعل **ماتُصوِّر فى** بدل الاسم من الاسم ، فقد يكون فيه بدل الكلّ من الكلّ ، **ومنه قوله :**

* متى تأتنا تُلمم بنا فى ديارنا (١) *

وقد يكون فيه بدل البعض كقولك : إنْ تصلِّ تَسجدْ لله يرحَمْك .

وبدل الاشتمال أيضاً . ومنه قوله :

إنَّ علىّ الله أن تبايعا ..... البيت

لأنَّ الأخذ كرها والمجىء طوعا من صفات المبايعة . وظاهر كلام سيبويه

٣٧٤ يقتضى أنّه أنشده شاهداً على بدل الاشتمال ؛ لأنه أتى به مع قول الآخر :

* فما كان قيسٌ هلكه هُلك واحدٍ (٢) *

وقول الآخر :

* وما ألفيتُنى حِلمى مُضاعا (٣) *

وذلك فى بابٍ من أبواب بدل البعض والاشتمال. وإذا ثبت بدلُ البعض ثبت بدل الاشتمال: لأنَّه مشبَّه به، إذ عدُّوا وصف الشىءِ كالجزء منه. وقد يكون فيه بدلُ الإضراب والغلط، نحو : إنْ تطعم زيداً تكسُه أكرمْك. وقد سأل سيبويه الخليل عن قولك: إن تأتنا تسألْنا نُعطِك، بجزم تسألنا . فقال : هذا يجوز على أن يكون مثل الأوّل ، لأنَّ الأوّل الفعلُ الآخِر تفسيرٌ له(٤)،

---

(١) لعبيد الله بن الحر ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٦ والخزانة ٣ : ٦٦٠ بولاق . وعجزه :

* تجد حطبا جزلا ونارا تأججا *

(٢) لعبْدة بن الطبيب . سيبويه ١ : ٧٧ . وعجزه :

* ولكنه بُنْيانُ قوم تهدما *

(٣) سبق الكلام عليه فى هذا الجزء ص ١٩١ فى الشاهد ٣٦٩ .

(٤) هذا صواب النص من سيبويه ١ : ٤٤٦ . وفى النسختين : « على غير أن يكون مثل الأول لا من الأول والفعل الآخر تفسير له » .

وهو هو . يعنى ماتقدَّم فى بدل الشيء من الشيء ، والسؤال لايكون الإتيان . قال : ولكنه يجوز على الغلط والنسيان ثم يتدارَك . وقال بعد : فلو قلت: إن تأتنى آتك أقلْ ذلك . كان غير جائز ، لأنَّ القول ليس بالإتيان ، إلا أن تجيزَه على ماجازَ عليه تسألنا . فهذا نصٌّ لجواز بدل الغلط والنِّسيان . وجوازُ بدل الإضراب أولى . انتهى كلام الشاطبى .

فإن قلت : بدل الاشتمال والبعض لابدَّ لهما من ضمير فكيف الحالُ على قول الشاطبى ؟ قلت : لايمكن الضَّمير هنا لظهور أنَّ ذاك خاصٌّ بالأسماء ، لتعذُّر عودِ الضمير على الأفعال . كذا فى (شرح التوضيح للشيخ خالد) .

وقول الشارح المحقق : «إذا كان الثانى راجحَ البيان» ، مثلُه فى التسهيل قال : «ويبدلُ فعلٌ من فعل موافقٍ فى المعنى مع زيادة بيان » . انتهى .

ولم يعتبر غيرُهما هذا القيد . ولم يتعرض له أصلاً أبو حيانَ (فى الارتشاف) . قِيلَ : والحقّ عدمُ اعتباره . وأمَّا اعتبارُ الموافقة فى المعنى فقد اعتبروه ، منهم ابن معطى ، قال : وأبدلوا الفعل من الفعل إذا كان بمعناه .

قال ابن الخبَّاز : إنَّما يكون ذلك إذا ترادف اللفظان ، كقولك : مَنْ يأتِ يَمْشِ [1] إلىَّ أكلمْه . انتهى .

وهذا عند الشارح المحقق من باب التوكيد كما صرَّح به هنا . وقوله: إنما يكون فى ترادف اللفظين ، ممنوع .

وهُنا فائدة حسنة ذكرها ابن هشام(فى حواشى الألفية)،وهى أنه ينبغى أن يُشترط لإبدال الفعل من الفعل مااشتُرِط لعطف الفعل،وهو الاتحاد فى

---

(١) ط : « من يأتى يمشى » ، صوابه فى ش .

الزمان فقط ، دون الاتحاد فى النَّوع ، حتى يجوز : إن جئتنى تمش إلىّ أكرمْك . انتهى .

واعلم أنَّ إبدال الفعل من الفعل هو إبدالُ مفرد من مفرد ، بدليل ظهور النَّصب كما فى الشاهد ، وظهور الجزم كما فى الآية .

وزعم ابن السِّيد فى (أبيات المعانى) ، وتبعه ابن خلف ، والعينى ، والحفيد (فى حاشية المختصر) أنّ هذا من إبدال جملة من جملة . وهو سهو . قال الشيخ خالد (فى شرح التوضيح) : والفرق بين بدل الفعل وحده والجملةِ ، أنّ الفعل يتبع ماقبله فى إعرابه لفظا أو تقديراً ، والجملة تتبع ماقبلها محلاّ إن كان له محلٌّ . وإلا فإطلاق التبعية عليها مجاز ، إذ التابعُ كلُّ ثانٍ أعرب باعراب سابقِهِ الحاصل والمتجدِّد . انتهى .

وقضيَّة هذا : أنه لايتصوَّر فى الفعل المرفوع أن يكون بدلا من فعل مرفوع ، وذلك لأنَّ سببَ الإعرابِ متوفِّر فيه مع قطع النظر عن التبعية ، وهو تجرُّده عن الناصب والجازم ، فرفعهُ لتجرده ، لا لكونه تابعاً لغيره ، فكيف يكون بدلاً مع انتفاء التبعية لانتفاء الإعراب بإعراب سابقه . وهكذا يقال فى العطف : لايتصوَّر عطفُ الفعل المرفوع على مثله .

وممَّا يشكل فى البدل قولُ البيضاوى وغيره : إنَّ ﴿ يتزكَّى ﴾ فى سورةِ
واللَّيل ، بدلٌ من قوله : ﴿ يُؤْتِى مالَه ﴾ ، لأنَّ يؤتى مرفوعٌ لتجرُّده،فلم ٣٧٥
يُعربْ بإعراب سابقه .

وأجاب بعضهم بأنَّ المراد أنَّ البدل جملة يتزكَّى من جملة يؤتى ماله . وهذا لايدفع الإشكال عن كلام البيضاوى ، لاعن ظاهر كلامهم أنّ الفعل يُبدل من الفعل ، وعمومه شاملٌ للفعل المرفوع .

وجزم السيد عيسى الصَّفوىُّ بأنَّه لايكون مضارعٌ مرفوع تابعاً لمضارع

مرفوع ، وأُجاب عما أُورِدَ على البيضاوى بأنَّ المراد كلُّ ثانٍ أعرِبَ بإعراب سابقه ولم يكن معرباً لمُقْتَضٍ للإعراب غير التبعية .

قيل : قد يقال لامانع من كون المضارع عند التبعية مرفوعاً بالتبعية ، وإن كان فيه مقتضٍ آخر للرفع وهو التجرد ، بناءً على جواز تعدُّد السبب . وفيه نظر ، فإنهم قالوا: العامل بمنزلةِ المؤثِّر الحقيقى ، ولايجتمع مؤثِّران على أثر.

وسكت الشارح المحقق عن إبدال الجملة من الجملة ، وعن إبدال الجملة من المفرد وعكسِه .

أمَّا الأوّل فقد قال الشيخ خالد :تبدل الجملة من الجملة بدلَ بعض واشتمال وغلط، ولاتبدل بدلَ كل،نحو قعدت جلست فى دار زيد، فإنَّه توكيد.

أمَّا بدل البعض فنحو قوله تعالى : ﴿ أمدّكم بما تَعْلَمونَ ۞ أَمَدَّكُمْ بأَنْعَامٍ وبَنِين (١) ﴾ ، فجملة أمدكم الثانية أخصُّ من الأولى باعتبار متعلَّقَيهِمَا، فتكون داخلة فى الأولى .

وأمَّا بدل الاشتمال فكقوله :

* أقول له ارحلْ لاتقيمنَّ عندنا (٢) *

فقوله تقيمن عندنا بدلُ اشتمال من ارحلْ ، لما بينهما من الملابسة اللزومية ؛ وليس توكيداً له ، لاختلاف لفظيهما ، ولابدَل بعضٍ لعدم دخوله فى الأوَّل ، ولا بدل كلٍّ لعدم الاعتداد به ، ولاغلطٍ لوقوعه فى الفصيح .

وأمَّا بدل الغلط فنحو : قم اقعد .

---

(١) الآية ١٣٢ ، ١٣٣ من الشعراء .

(٢) هو مجهول القائل ، وتمامه كما فى العينى ٤ : ٢٠٠ :

* وإلاَّ فكن فى السر والجهر مسلما *

وأمّا إبدال الجملة من المفرد فقد أوردَ لهُ ابنُ هشام (فى شرح الألفية) قولَ الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً

وبالشام أخرى كيف يلتقيانِ(١)

قال ، أبدل كيف يلتقيان وهو جملةٌ مستأنفة ، نبَّه بها على سبب الشكوى وهو استبعادُ مابين الحاجتين (٢) .

وأمّا عكس هذا وهو إبدال مفرد من جملة فقد قال أبو حيان (فى البحر) فى قوله تعالى :﴿ولم يجعَلْ له عِوَجاً * قيِّماً (٣) ﴾قال : قيِّماً بدلٌ من جملة لم يجعل له عوجا ، لأنها فى معنى المفرد ، أى جعله مستقيما . وقال ابن هشام (فى المغنى) فى بحث كيف : إنَّ جملة كيف خلقت بدل من الإبل بدلُ اشتمال ، والمعنى إلى الإبل كيفية خلقها . ومثله : ﴿ ألم تَرَ إلى ربِّك كيف مدَّ الظِّلَّ (٤) ﴾. وكل جملة فيها كيف فهى بدلٌ من اسم مفرد . وقال السيوطى (فى الهمع) : إنَّ بدل الجملة من المفرد بدل اشتمال .

وبقى إبدالُ الفعل من اسم يشبهه ، وبالعكس ، وإبدال الحرف من مثله .

أمّا الاول فقد قال ابن هشام (فى حواشى الألفية) : ينبغى أن يجوز إبدال الاسم من الفعِل وبالعكس ، كما جاز العطف ، نحو : زيد متَّقٍ يخاف الله ، أو يخافُ الله متَّق . انتهى .

---

(١) من شواهد العينى ١ : ٥٤٣ . ولم يرد فى ديوان الفرزدق .
(٢) ش : « وهو استبعادها الحاجبين » ، صوابه فى ط .
(٣) الكهف ١ ـــ ٢ .
(٤) الفرقان ٤٥ .

والظاهر أنّ يخاف الله استئنافٌ بيانى ، أو البدل هو الجملة لا الفعل وحده فى الأوّل ، ومتّى خبر بعد خبر فى الثانى ، والتقوى غير الخوف ، فإنَّ الوقاية فرْط الصيانة .

وأما الثانى فقد ذكره سيبويه ، وجعل منه : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أنَّكُمْ إذا مِتُّمْ وكُنتم تُراباً وعظاما أَنَّكُم مُخْرَجون[1] ﴾ ، فجعل أنّ الثانية بدلاً من الأولى ، ٣٧٦
لاتوكيداً كما قال غيره .

وقوله : (إن علىَّ اللهَ) إلخ قال ابن خروف (فى شرح الكتاب) : اللهَ منصوبٌ على القسم ، ويجوز أن يكون اسمَ إنّ ، والخبر الجار والمجرور ، وأنْ مفعولٌ من أجله . وأنشد يحيى :

وإنَّ علىّ اللهَ لاتحملوننى على خُطّةٍ إلاّ انطلقتُ أسيرُها

فلو حذفت إنّ لقلت : علىَّ عهدُ الله لأضربنَّك . قال الفراء : ويجوز علىَّ اللهُ أنْ أضربك . انتهى .

وقال ابن خلف : هذا الشاعر حلفَ على مخاطَبه بالله ، أنَّه لابدَّ له من أن يبايع ، فلماَّ حذف حرف القسم نصبَ الاسم ، وأن تبايعَ : اسم إنّ ، وعلىّ خبر إنّ ، والقسَم معترض بين الاسم والخبر .

ونقل العينىُّ عن بعض شرّاح الكِتاب أنّ علىَّ متعلّق باستقرارٍ محذوف فى موضع خبر إنَّ ، كأنه قال : وجب علىَّ اليمينُ بالله ، لأَنَّ هذا الكلام قسَم ، وأنْ تبايعا يتعلق بعلىَّ ، أعنى بما فيه من معنى الاستقرار . انتهى . وهذا التعلُّق غير ظاهر .

و(المبايعة):بمعنى البَيعة والطاعة للسلطان .وأصلُ البيعة الصفْقة على

(١) المؤمنون ٣٥ .

إيجاب البيع . وأيمان البَيعة [١] هى التى رتبهّا الحَجَّاج مشتملةً على أمور مغلّظة من طلاق وعتق وصوم ونحو ذلك .(وتؤخذ) بدلٌ من تابع كما تقدَّم. قال السيرافى : النصب فى هذه الأبيات على البدل جيِّد ، ولو رفع على الابتداء لكان أكثر وأعرف ، فيقول [٢] : هلكه هلكُ واحد ، وماألفيتُنى حلمى مضاعٌ ، وتكون الجملة فى موضع الحال ، وتؤخذُ كرهاً أو تجيءُ طائعاً على معنى أنت تؤخذ كرها ؛ فيكون أنت تؤخذ فى موضع الحال . انتهى .

وهذا كقوله :

مَتَى تأتِه تعشو إلى ضوءِ ناره
تجدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ موقدِ[٣]

رفع تعشو بين المجزومين ، أعنى الشرط والجزاء لأَنه قَصد به الحال ، أى متى تأته عاشياً ، أى ناظراً إلى ضوء ناره . وكذلك كل ماوقع بين مجزومين . وعليه قراءة : ﴿ يَرِثُنِي ويرثُ من آل يعقوب [٤] ﴾ بالرفع ، لم يجعله جوابا ، وإنما جعله وصفاً ، أى وارثاً من يعقوب . فتدَّبرْه فإنه كثيرٌ . كذا (فى أبيات المعانى) لابن السِّيد .

وقوله : (كرهاً) مفعول مطلق ، أى تُؤخذ أخذاً كرها . ويجوز أن يكون حالاً بتأويله باسم الفاعل . وهو المناسب لقوله طائعاً ، فإِنَّه حالٌ .

وهذا البيتُ قلَّما خلا عنه كتابٌ نحوىٌّ ، ومع شهرته لايعلم قائله ، وهو من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلها .والله أعلم.

* * *

---

(١) ش : « وأعيان البيعة » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « فتقول » .

(٣) للحطيئة فى ديوانه ٢٥ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٥ .

(٤) الآية ٦ من سورة مريم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات س [١]:

٣٧٣ (وكنتُ كذى رِجْلين رجلٌ صحيحةٍ
ورجلٌ رمَى فيها الزمانُ فَشَلَّتِ)

على أنه يروى (رِجلٍ) بالجر على أنَّه بدلٌ مع أخرى مفصَّلٌ من رِجْلين. ويروى بالرفع على أنه بدلٌ مقطوع .

أنشده سيبويه فى باب مجرى النعت على المنعوت والبدل على المبدل منه ، قال : ومثل مايجىء فى هذا الباب على الابتداء وعلى الصفة والبدل ، قولُه جلّ وعز : ﴿ قد كان لَكُمْ آيةٌ فى فِئَتينَ التقَتَا فئةٌ تقاتلُ فى سَبيلِ الله وأخرى كَافِرةٌ [٢] ﴾ . ومن الناس من يجرُّ ، والجرُّ على وجهين : على الصِّفة وعلى البدل . ومنه قولُ كثيِّر عزَّة : ٣٧٧

وكنتُ كذى رجلين رجل صحيحة . . . (البيت).

وقوله : « ومثل مايجىء فى هذا الباب » إلخ ، يريد أنَّهُ يرفع على أنه خبرُ مبتدأ محذوف ، والتقدير : إحداهما فئة تقاتل إلخ . والجملة صفة لفئتين .

وقوله : « ومن الناس من يجرّ » إلخ يريد أنّ فئة بدل من فئتين . والصفة جائزة كما تقول : مررت برجلين قائم وقاعد . وإنّما جعل فئة صفة لفئتين ، لأنّ فئة موصوفة ، فكان اعتماد الصفة فى فئتين على صفة فئة ، كما تقول مررت برجُلين :رجُلٍ صادق ورجل كاذب .

وقول كثيِّر :(ورِجْلٌ) على رواية الرفع إمّا خبر مبتدأ محذوف،تقديره

---

(١) فى كتابه ١ : ٢١٥ . وانظر المقتضب : ٢٩٠ والجمل ٣٦ وابن يعيش ٤ : ٢٠٤ والأشمونى ٣ : ١٢٨ وديوان كثير ١ :٤٦ .

(٢) آل عمران ١٣ .

هما رِجْل صحيحة ورجْلٌ أخرى ، أو تقديره : إحداهما رجل صحيحة والأخرى رجل . فالكلام على الأوّل جملة واحدة وعلى الثانى جملتان . وإمّا مبتدأٌ محذوفُ الخبر ، والتقدير : منهما رجل صحيحة ومنهما رِجْل ، فالكلام جملتان . وقال العينى : ويجوز نصب رجل فى الموضعين على إضمار أعنى . وعلى رواية جرّ رجْل يكون على الإبدال من رِجْلين ، بدلَ نكرة من نكرة ، وبهِ [1]أورده ابن هشام (فى المغنى) والمرادى (فى شرح الألفية) . وإنّما أبدل لأجل الصفة ، وهو وصْف الرِّجل الأولى بصحيحة والثانية بجملة رَمَى . ولمَّا كان المبدل منه مثنًّى وجب الإتيان باسمين . ويعرف نحو هذا الإبدال ببدل المفصَّل من المجمل ، لأنَّه أجمل أولا ثم فصَّل ثانيا . وجملة رمى إلخ صفةٌ لرِجْل الثانية . ومفعول رمى محذوفٌ تقديره : رمى فيها الزمان داءً فشَلَّت .

و(شَلَّت) أصله شَلِلَتْ تَشَلُّ شَلَلاً،من باب فرح . والشلَّل:آفة تصيب اليدَ أو الرجلَ فتيبس منها،وقيل تسترخى.يقال شَلَّت يدُه وأشلَّها الله.

وقبل هذا البيت :

(وكُنّا سَلكنا فى صَعودٍ من الهوى فلمَّا توافَيْنــا ثبتُّ وزَلَّتِ
وكنّا عقَدْنا عُقدةَ الوصلِ بيننا فلما تواثقنا شَددت وحَلَّتِ
أريدُ الثَّواءَ عِندها ، وأظنُّها إذا ماأطَلْنا عندها المُكْثَ مَلَّتِ
فليتَ قلوصى عِند عَزّة قُيِّدتْ بحبلٍ ضعيف عَزَّ منها فضَلَّتِ
وغُودر فى الحىِّ المقيمِينَ رحلُها وكان لها باغٍ سِواىَ فبَلَّتِ)

الصَّعود بالفتح : خلاف الهَبوط . والثَّواء ، بالفتح : الإقامة . وعزّ منه بمعنى غلبه وقوىَ عليه . وفى (العباب) : قال الفرَّاء :يقال بَلّت مطيَّته على وجهها،إذا هَمَت [2] ضالَّة . وأنشد هذا البيت ، وهو بالباء الموحدة .

---

(١) ط : « وجه » ، صوابه فى ش .
(٢) وكذا فى اللسان (بلل) . يقال همت الناقة هميا : ذهبت على وجهها فى الأرض .

واختلف أصحابُ المعانى فى معنى البيت الشاهد ، فقال الأعلم : تمنَّى أنْ تشَلّ إحدى رجليه وهو عندها ، وتضلَّ ناقتُه فلا يرحلَ عنها ، فيكون قوله: وكنت كذى رجلين إلخ معطوفاً على قوله:قُيِّدت ، ليدخُل فى التمنِّى .

وقال ابن سيده : لما خانته عَزّةُ العهدَ فزلَّت عن عهده ، وثبَتَ هو على عهدها ، صار كذى رجلين رجل صحيحة ، وهو ثباته على عهدها ، وأخرى مريضة ، وهو زَلَلُها عن عهده .

وقال عبد الدائم [١] : معنى البيت أنّه بينَ خوفٍ ورجاء ، وقُربٍ وتَناءٍ ، كما قال المتنبى :

وأحلى الهوى ماشَكّ فى الوصلِ ربُّه
وفى الهجرِ،فهو الدّهرَ يرجو ويتّقِي [٢]

٣٧٨ وقال غيرهم: تمنّى أن تضيع قَلوصُه فيبقى فى حَىّ عزة ، فيكون ببقائه فى حيِّها كذى رجلٍ [٣] صحيحة ، ويكون من عدمه لقَلوصهِ كذى رجلٍ عليلة .

حكى هذه الأقوالَ اللخميُّ وقال : وهذا القول الأخير هو المختار المعوّل عليه ، وهو الذى يدلُّ عليه ماقبل البيت ، وهو اختيار الأستاذ أبى عبد الله ابن أبى العافية . وقد أخذ كثيرٌ هذا البيتَ من النّجاشىّ ، وهو قولُه :

---

(١) هو عبد الدائم بن مرزوق القيروانى ، كما سيأتى فى الشاهد ٤٥٣ . قال السيوطى فى البغية ٢٩٦ : « نحوى قديم ، روى عنه أبو جعفر محمد بن حكم السرقسطى ، وأكثر أبو حيان فى الارتشاف من النقل عنه » . وذكر البغدادى له « كتاب حلى العلى ، فى الأدب » . فلعل هذا النقل منه . ومهما يكن فإنَّ هذا النص ثابت فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٧٥ . فلعله كذلك نقل عن نقل .

(٢) ديوان المتنبى ١ : ٤٢٨ .

(٣) ط : « كذى رجلين » ، صوابه فى ش .

وكنتُ كذى رِجلين رجلٍ صحيحةٍ
ورجلٍ رمت فيها يدُ الحَدَثانِ
فأما التى صحّتْ فأزدُ شنوءةٍ
وأما التى شَلَّت فأزدُ عُمانِ

وقد أوردهُ ابن رشيق(فى العمدة)فى السّرقات الشعرية،وسمّاه الاهتدام.قال:فأخذ كثيرٌ القسمَ الأوّل واهتدم باقىَ البيت ،فجاءَ بالمعنى فى غير اللفظ.

وهذه القصيدة كلها نسيبٌ بعزَّة ، وهى من منتخبات قصائده ، والتزم فيها مالا يلزم الشاعر ، وذلك اللام قبل حرف الروى ، اقتداراً فى الكلام وقوّةً فى الصناعة ، وماخرم ذلك إلّا فى بيتٍ واحد ، هو :

فما أنصفَتْ،أمّا النِّساءَ فبغَّضتْ ... إلىّ وأمّا بالنّوال فضنّتِ

وهى قصيدة .وهذا مطلعُها مع جملة أبياتٍ منها وقعت شواهدَ للنحويِّين :

(خليلىّ هذا ربعُ عَزّة فاعقِلا ... قَلوصَيكما ثم أبكيا حيثُ حلَّتِ
وماكنتُ أدرى قبلَ عزّةَ ماالبُكا ... ولا مُوجعاتِ القلبِ حتى تولَّتِ)

إلى أن قال :

(وإنِّى وتَهيامى بِعزّة بعد ما ... تخلَّيتُ فيما بيننا وتخلَّتِ
لكالمبتغِى ظِلّ الغمامةِ كلَّما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلَّتِ
يكلِّفها الغَيرانُ شتمى وما بها ... هَوانى ولكنْ للحليل استذلَّتِ
هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ ... لعزَّةَ من أعراضنا مااستحلَّتِ
أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومةً ... لدينا ولا مَقليّةً إنْ تقلَّتِ)

وقوله :«وما كنت أدرى قبلَ عزّة» إلخ استشهد به ابن هشام(فى

---

(١) العمدة ٢ : ٢٣٠ .

شرح الألفية) على نصب موجعات عطفاً على محلّ مفعول أدرى المعلَّق بما الاستفهامية ، لأنَّ المعلِّق أبطل عمله لفظاً لا محلاًّ . وقال (فى مغنى اللبيب) : فائدة الحكم على محلّ الجملة فى التعليق بالنصب ظهورُ ذلك فى التابع ، فتقول : عرفت من زيد وغَيرَ ذلك من أموره . واستدلَّ ابن عصفور بنصب موجعات من هذا البيت . ولك أنْ تدَّعىَ أنّ البكاء مفعول ، وأنّ مازائدة ، أو أنَّ الواو للحال وموجعات اسمُ لا ، أىْ وماكنت أدرى قبل عزة ، والحالة أنّه لا موجعاتٍ للقلب موجودة ، ماالبكا . انتهى .

وقوله : « وإنّى وتَهيامى بعزّة » إلخ ، التَّهيام : بالفتح:مبالغة الهُيام بالضم ، وهو كالجنون من العشق . قال ابن جنى (فى سرِّ الصناعة) : سألت أبا على عن قول كثَيّر : وإنى وتهيامى بعزة البيت ، فقلت له : ماموضعُ تهيامى من الإعراب ؟ فأفتى بأنّه بالابتداء وخبره بعزة ، وجعلَ الجملة اعتراضاً بين اسم إنّ وخبرها ، لأنّ فيها ضرباً من التسديد للكلام . ويحتمل أن تكون الواو ٣٧٩
للقسم فالباءُ على هذا متعلقة بتهيامى.وعرضتُ هذا على أبى علىّ فقبله. انتهى

وقد نقل ابنُ هشام ماحكيتهُ عنهما فى الجملة المعترضة (من المغنى) .

وقوله :« هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ » إلخ ، أورده صاحب (الكشاَّف) عند قوله تعالى : ﴿كُلُوا واشْرَبوا هَنيئاً بما كُنْتُم تَعْمَلُون [1] ﴾ على أنّ الباء زائدة وما فاعل هنيئاً ، وهو صفةٌ استعمِلت استعمال المصدر القائم مقامَ الفعل ، كأنه قال : هنَأكم الأكل والشرب . وهنيئا لعزَّة مااستحلَّت [2] من أعراضنا . الهنيءُ والمريء صفتان من هَنؤ الطعام ومرؤ كشرف ، إذا كان سائغاً لاتنغيصَ فيه . والمخامر : المخالط .

---

(١) الآية ١٩ من الطور ، و ٤٣ من المرسلات .

(٢) ط : « لعزة المستحلة » .

وقوله: « أسيئى بنا أو أحسنى » إلخ ، هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأورده صاحب (الكشاف) أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ أنفقوا طَوْعاً أو كَرْهاً لن يُتَقبَّلَ منكم (١) ﴾ على تساوى الإنفاقين فى عدم القبول ، كما ساوى كُثيِّرٌ بينَ الإحسانِ والإساءة فى عدم اللَّوم . والنُّكتةُ فى مثل ذلك إظهارُ نفيِ تفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطب ، كأنّه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد . ومَقليَّة بمعنى مُبغَضة ، من القِلَى وهو البُغْض . وقوله : « إنْ تقلَّت » التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة .

وروى صاحب (الأغانى) بسنده عن هيثم بن عدىٍّ قال :

سأل عبد الملك بنُ مروان كثيِّراً عن أعجب خبرٍ له مع عَزّة ، فقال : يأمير المؤمنين ، حججْتُ سنةً وحجَّ زوج عزّة معها ، ولم يعلم أحدُنا بصاحبه ، فلمَّا كنا ببعض الطريق أمَرها زوجها بابتياع سَمن تصلح به طعاماً لرفقته، فجعلت تدور الخيامَ خيمةً خيمةً ،حتى دخلت إلىَّ وهى لاتعلم أنَّها خيمتى ، وكنت أبرى سهماً ، فلما رأيتها جعلت أبرى لحمى وأنظرُ حتَّى بريت ذراعى وأنا لاأعلم به ، والدم يجرى ، فلما عِلمَتْ ذلك دخلتْ إلىَّ فأمسكتْ يدى وجعلتْ تمسح الدَّمَ بثوبها ، وكان عندى نِحْىُ سمن فحلفتُ لَتأْخُذِنَّه (٢) . فأخذَتْه وجاءت زوجَها ، فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته ، حتى حلفَ عليها لتَصدُقنَّه . فصدَقَتْهُ فضربهَا ، وحلَف عليها لتَشتُمنِّى فى وجهى ، فوقفَتْ علىّ وقالت لى وهى تبكى : ياابن الزانية ! ثم انصرفا(٣) . وذلك حيثُ أقول :

* يكلِّفها الغَيرانُ شتمى ومابها *

---

(١) الآية ٥٣ من التوبة .

(٢) فى النسختين : «لتأخذه». والوجه ماأثبت من الأغانى ٨ : ٣٧

(٣) وكذا فى الأغانى . وفى ش : « ثم انصرفت » مع أثر تغيير .

الأبيات الثلاثة .

وروى صاحب الأغانى أيضاً قال : وقفتُ على جماعةٍ تكلّموا فىّ وفى جميل : أيُّنا أصدق عِشقاً ، وهم لايعرفوننى ، ففضلّوا جميلا ، فقلت لهم : قد ظلمتم كُثيِّراً ، كيف يكون جميل أصدقَ منه عشقاً وحين أتاه من بثينة مايَكره قال :

رمَى اللهُ فى جَفْنَىْ بثينةَ بالقذَى
وفى الغُرِّ من أنيابها يالقوادحِ

وكثِّيرٌ حين أتاه مايكره من عَزّة قال :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر ...... (البيت).

وهذه القصيدة جيِّدة فلا بأس بإيرادها على رواية أبى على القالى (فى أماليه [1] قال : قرأت هذه القصيدة على أبى بكر بن دريد فى شعر كثيِّر ، وهى من منتخبات كثيِّر ، وأوَّلها : قصيدة الشاهد

(خليلىَّ هذا ربعُ عَزّة فاعقِلا قلوصَيكما ثم أبكيا حيثُ حَلَّتِ[3]
ومُسَّا تراباً كان قد مَسَّ جلدَهَا وبيتاً وظِلاًّ حيث باتت وظلَّتِ
ولا تيأسا أن يمحوَ اللهُ عنكما ذنوبا إذا صلَّيتما حيث صلَّتِ
وما كنتُ أدرى قبلَ عزَّةَ ما البكا ولا موجعاتِ القلب حتىّ تولَّتِ ٣٨٠
وقد حلفَتْ جَهداً بما نحرَتْ له قريشٌ غداةَ المأزِمين وصلَّتِ

(١) أمالى القالى ٢ : ١٠٩ .

(٢) البيتان التاليان لم يردا فى مطبوعة الدار .

أناديكِ ماحجَّ الحجيجُ وكبَّرتْ بفيفَا **غزالٍ رُفقةٌ** وأهلَّتِ

وكانت لقَطع العهد بينى وبينها كناذرةٍ **نذراً فأوفتْ** وحلّت

— ويروى : « وفتْ فأحلّتِ » —

فقلتُ لها ياعزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنت يوما لها النّفسُ ذلَّتِ

ولم يَلقَ إنسانٌ من الحبِّ مَيعةً لغمٌّ ولا عمياءَ إلاّ تجلّتِ(١)

كأنِّى أُنادى صخرةً حين أعرضتْ من الصمِّ لو تمشى بها العُصمُ زلَّتِ

صَفوحاَ فما تلقاك إلاّ بخيلةً فمن ملّ منها ذلك الوصلَ ملّت

أباحت حِمىً لم يرعَهُ الناسُ قبلَها وحلّتْ تلاعاً لم تكن قبل حُلّتِ

فليت قَلوصى عند عَزّة قُيِّدتْ بقيدٍ ضعيفٍ فرَّ منها فضَلَّتِ (٢)

وغُودر فى الحىِّ المقيمين رحلُها وكان لها باغٍ سوایَ فبَلّتِ

وكنتُ كذى رجلين رجلٍ صحيحة ورجلٍ رمى فيها الزّمانُ فشَلَّتِ

وكنتُ كذاتِ الظَّلْع لمَّا تحاملتْ على ظلعها بعد العِثار استقلّتِ

أريدُ الثّواءَ عندها وأظُنُّها إذا ماأطلنا عندها المُكْثَ مَلَّتِ

فما أنصفَتْ،أمَّا النساءَ فبغّضتْ إلينا وأمَّا بالنَّوال فضنَّتِ

---

(١) فى الأمالى وديوان كثير ١ : ٤٢ : « ميعة تعم ولا غماء » وفى شرح الديوان : « ويروى : تغم ، أى تغطى » .

(٢) فى الأمالى والديوان : « بحبل ضعيف غر منها » أى عقد ذلك الحبل على غرة ، أى على غفلة ، فهو غير موثوق . وفى ش وإحدى روايات الديوان : « عز منها » . وفى شرح الديوان : « أى غلبها قوى عليها » ، ثم قال : « ويروى حز منها ، أى قطع منها » .

يكلِّفها الغَيرانُ شتمى ومابها   هَوانى ولكنْ للمليك استذلّت

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ   لعزَّةَ من أعراضِنا مااستحلّتِ)

قال أبو على : قيل لكثيِّر : أَنت أشعرُ أم جميل ؟ فقال :بل أنا . فقيل له : أتقول هذا وأنت راوِيتُه ؟! قال : جميلٌ الذى يقول :

رمى الله فى عينَىْ بثينةَ بالقذى   وفى الغُرِّ من أنيابها بالقوادِحِ

وأنا أقول :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر   ..... البيت

ووالله ماقاربتُ إلا تباعدَتْ   بصُرمٍ ولا أكثرْتُ إلاّ أقلَّتِ

فإنْ تكن العُتبى فأهلاً ومرحباً   وحَقَّت لَهاَ العُتبى لدينا وقَلّتِ(١)

وإن تكن الأخرى فإنَّ وراءَنا   مَنادحَ لو سارت بها العِيسُ كلّتِ(٢)

خليلَىَّ إنَّ الحاجبية طَلّحت   قلوصيكما وناقتى قد أكلّتِ (٣)

فلا يبعدَنْ وصلٌ لعزّة أصبحت   بِعاقبةٍ أسبابُه قد تولَّتِ (٤)

أسيئى بنا أَو أحسنِى لا ملومةً   لدينا ولا مقليَّةً إنَّ تقلَّتِ

ولكن أنيلى واذكرى من مودَّةٍ   لنا خُلَّةً كانت لديكِ فضلَّتِ (٥)

---

(١) فى الأصل : « بها العتبى » ، صوابه من الأمالى والديوان .

(٢) ط : « مناوح » ، صوابه فى ش والأمالى والديوان .

(٣) ط : « قد أطلت » ،صوابه فى ش والأمالى والديوان .

(٤) فى الأصل : « لعاقبة » ، صوابه فى الأمالى والديوان .

(٥) ط : « أميلى » ، ش : « أبينى » ، وأثبت مافى الأمالى والديوان . وفى الأمالى والديوان : « كانت لديكم فطلت » . وفى الديوان : « ويروى فضلت ، من ضل فلان فلانا : نسيه ومطله » .

وإنِّى وإنْ صدّت لمثنٍ وصادقٌ عليها بما كانت إلينا أزلَّتِ
فما أنا بالداعى لعزَّةَ بالجوَى ولا شامتٍ إنْ نعلُ عزّةَ زلَّتِ
٣٨١ فلا يحسب الواشونَ أنَّ صبابتى بعزَّةَ كانت غَمرةً فتجلَّت
فأصبحتُ قد أبللتُ من دَنَفٍ بها كما أُدنِفَتْ هَيماءُ ثم استبلَّت [1]
ووالله ثُمَّ اللهِ ماحلَّ قبلها ولا بعدَها من خُلّة حيث حلَّتِ
ومامرَّ من يومٍ علىَّ كيومها وإن عظُمت أيَّامُ أُخرى وجَلَّتِ[2]
فأضحَتْ بأعلى شاهقٍ من فؤاده فلا القلبُ يسلاهَا ولا العينُ ملَّتِ
فياعجبًا للقلبِ كيف اعترافُه وللنَّفس لمَّا وُطِّنت كيف ذَلَّتِ
وإنِّى وتَهيامى بعزَّة بعدما تخلَّيتُ ممَّا بيننا وتخلَّتِ
لكالمُرْتجى ظِلَّ الغَمامة كلَّما تبوَّأَ منها للمَقِيلِ اضمحلَّتِ
كأنِّى وإيّاها سَحابةُ مُمْحِلٍ رجَاها فلما جاوزَتْهُ استهلَّتِ

قال أبو على : المأزِمان : عَرفة والمزدِلفة . وأناديك : أُحادثك ؛ مأخوذٌ من النَّدِىِّ والنادى جميعاً ؛ وهو المجلس . ومَيعةُ كلِّ شىء : أوَّله . والصَّفوح : المعْرِضة . وبلَّتْ : ذهبت . قال أبو علىّ : ماأعرف بلَّت ذهبت إلا فى تفسير هذا البيت . والعُتبى : الإعتاب ، يقال عاتبنى فلان فأعتبته ، إذا نزعتَ عمَّا عاتبك عليه ، والعُتبى الاسم ، والإعتاب المصدر . وقوله : « طَلَّحت » ، الطليح : المُعيى الذى قد سقَط من الإعياء . وطلّت [3] : هدرت . وأزلَّت : اصطنعت . ويقال بلَّ من مرضِه وأبلّ واستَبَلّ ، إذا برِئَ. واعترافه : اصطباره ، يقال نزلت به مصيبة فوُجِد عَروفاً ، أى صبورا . والعارف : الصَّابر . هذا ماأورده أبو علىّ القالى .

(١) فى النسختين : « من مدنف » ، صوابه من الأمالى والديوان .
(٢) ط « أمام أخرى » ، صوابه فى ش والأمالى والديوان .
(٣) الذى فى متن البيت : « فضلّت » . وانظر حاشيته هناك .

وروى السيوطى (فى شرح شواهد مغنى اللبيب) عن أبى الحسن بن طَباطبا (فى كتاب عِيارِ الشعر) أنَّ العلماء قالوا : لو أنَّ كُثيِّرا جعل قوله :

فقلت لها ياعزَّ كلُّ مصيبة . . . . البيت

فى وصف حربٍ لكان أشعرَ الناس . ولو جعل قوله : أسيئى بنا أو أحسنى ، البيت ، فى وصف الدُّنيا كان أشعر الناس .

كثير عزة

وكُثيِّر ، بضم الكاف وفتح المثلثة وكسر الياء المشددة التحتية . وهو كُثيِّر بن عبد الرحمن بن أبى جُمعة بن الأسود بن عامر . وقال اللخمىّ : هو كُثيِّر بن أبى جمعة . وهو خُزاعىٌّ . وأبو خزاعة : الصَّلت بن النضر بن كنانة . وفى ذلك يقول كثيِّر :

أليس أبى بالنَّضر أمْ ليس والدى لكلِّ نجيبٍ من خُزاعةَ أزهرا

فحقَّق كثيِّر أنّه من قريش . وقيل إنّه أزدىٌّ من قحطان . وهو شاعر حجازىٌّ من شعراء الدولة الأموية ، ويكنى أبا صخر ، واشتهر بكثيِّر عزَّة بالإضافة إلى عزَّة ، وهى محبوبته ؛ وغالب شعره تشبيبٌ بها (١) .

وعَزَّة بفتح العين المهملة وتشديد الزاى . والعَزّة فى اللغة : بنت الظَّبية ، وبها سُمِّيتْ . وهى كما قال ابن الكلبى : عَزّة بنت حُمَيْل ، بضم المهملة ، بن حَفْصٍ بفتحها ، من بنى حاجب بن غِفار ، بكسر المعجمة وخفةّ الفاء ، وكنيتها أمُّ عمرٍو الضَّمريَّة ، نسبة إلى قبيلة ضَمرة . وكثيراً مايُطلِق عليها الحاجبيَّة ، نسبة إلى جدِّها الأعلى ، كقوله فى هذه القصيدة :

(١) ط : « مشبب بها » ، صوابه فى ش .

خليلىَّ إنّ الحاجبيةَ طَلّحتْ   قلوصيكما وناقتى قد أُكَلّتِ (١)

٣٨٢ ومن الغرائب تفسير العينى للحاجبية هنا بالرَّمل الطويل . وهو غفلةٌ عن نسبِها .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : بعثت عائشة بنت طلحةَ بن عُبيد الله إلى كثيِّر : ياابن أبى جمعة ، ماالذى يدعوك إلى ماتقول من الشعر فى عزَّة ، وليست على ماتصِف من الجمال ، لو شئتَ صرفتَ ذلك إلى مَن هو أولى به منها ، أنا أوْ مثلى ! وإنّما أرادت تجربته بذلك ، فقال :

إذا وصلَتنا خُلّةٌ كى تزيلَها   أبينا وقلنا : الحاجبيَّةُ أوّلُ
لها مَهَلٌ لايُستطَاع دِراكُه   وسابقةٌ مِلْحُبٌ لا تتحوّلُ
سنُوليكِ عُرفا إن أردتِ وصالَنا   ونحن لتلك الحاجبيَّةِ أَوصَلُ

فقالت : والله لقد سمَّيتنى لك خُلّة ، وماأنا لَكَ ، وعرضْتَ علىَّ وصالكَ وماأريدُ (٢) ، هلَّا قلتَ كما قال جميل :

يارُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها   بالجدِّ تَخْلِطه بقول الهازِلِ
فأَجبتُها بالرِّفق بعد تستُّرٍ   حُبِّى بثينةَ عن وصالِك شاغلى
لو كان فى قلبى كقَدرِ قُلامةٍ   وصَلتُكِ كتْبى أَو أتتْكِ رسائلى

وروى القالىّ (فى أماليه) عن العتبىّ قال : دخلَتْ عزَّةُ على عبد الملك بن مَرْوان ، فقال لها : أَنتِ عزَّة كثيِّر ؟ فقالت : نعم . قال لها : أترَوين قول كثيِّر :

وقد زعمتْ أنِّى تغيَّرتُ بعدَها   ومن ذا الذى ياعزَّ لا يتغيَّرُ

(١) ط : « أطلت » ، صوابه فى ش والأمالى والديوان .
(٢) فى الشعراء ٤٨٩ : « وما أريد ذلك وأن أردت » .

قالت : لاأروى هذا ، ولكنى أُروى قولَه :

كأنِّى أنادِى صخرةً حين أُعرضَتْ ... من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زلّتِ
صَفوحاً فما تلقاكَ إلا بخيلةً ... فمن مَلَّ منها ذلك الوصلَ ملَّتِ

وروى ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) أن عائشة بنتَ طلحة قالت لعَزّة : أَأَيتِ قولَ كثيِّر :

قَضى كلُّ ذى دَينٍ فوفّى غريمَه ... وعزّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها

ماكان ذلك الدّين ؟ قالت : وعدتُه قُبلةً فتحرَّجْتُ منها . فقالت : اقضِيها وعلىَّ إثمُها .

قال صاحب الأغانى : كان ابن إسحاقَ يقول : كثيِّرٌ أشعر أَهل الإسلام ، وكانت له منزلة عند قريش وقدرٌ ، وكان عبدُ الملك معجباً بشعره . وقال الجمحِىُّ : كان لكثيِّر فى النسيب نصيبٌ وافر ، وكان له من فنون الشعر ماليس لجميل ، وكان راويةَ جميل . وإنّما صغِّر اسمُه لشدَّة قصره وحقارته . وقال الوقّاصى : رأيتُ كثيِّراً يطوف بالبيت فمن حدَّثك أنّه يريد على ثلاثة أشبار فلا تصدِّقْه ، وكان إذا دخل على عبد الملك أو أخيه عبد العزيز يقول : طأطئْ رأسك لايصيبُه السَّقف ! وهجاهُ الحزينُ الكِنانىُّ (١) بقوله :

---

(١) فى النسختين : «الحر بن الكنانى» ، والصواب ماأثبت ، والحزين لقب له ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك ، شاعر من شعراء الدولة الأموية ، حجازى . وكان هجَّاء متكسبا بالشعر . وقد وفد الى مصر ومدح عبد الله بن عبد الملك . الأغانى ١٤ : ٧٤ — ٨٢ والمؤتلف ٨٨ .

قصير قميصٍ فاحشٌ عندَ بيته يَعَضُّ القرادُ باستِه وهْوَ قائمُ[(١)]

وروى صاحب الأغانى عن طلحة بن عُبيد الله قال : مارأيت أحمقَ من كثيِّر ، دخلت عليه يوماً فى نفر من قريش وهو مريض ، وكُنّا كثِيراً مانهزأ به وكان يتشيّع تشيُّعاً قبيحا ، فقلت له : كيف تجدُك ياأبا صخر ؟ قال : أجدنى
٣٨٣ ذاهباً . قلت : كلَّا . قال : فهل سمعت الناسَ يقولون فيَّ شيئاً ؟ قُلت : نَعم ، يتحدثون بأنَّك الدجَّال . قال : أمَا لئن قلتَ ذاك فإنِّى لأجد فى عينى هذه ضَعفا منذُ أيام . فقال له محمد بن على : تزعم أنْك من شيعتنا وتمدح آل مروان ! قال : إنّما أسخر منهم وأجعلُهم حَيّاتٍ وعقارب ، وآخذ أموالَهم .

وكانت وفاته فى خلافه يزيدَ بنِ عبد الملك بالمدينة المنوَّرة على ساكنها أفضلُ الصلاة والسَّلام . قال جُويريَة بن أسماء : مات كثيِّر وعكِرمة مولى ابن عباس فى يوم واحد ، فقال الناس : اليومَ مات أفقَه الناس وأشعر الناس ! ولم يتخلَّف رجلٌ ولا امرأة عن جنازتَيهما ، وذلك فى سنة خمسٍ أو سبعٍ ومائةٍ . وغَلبت النساءُ على جِنازة كثيِّر يبكينه . ويقال : إنَّه لما حَضرتَه الوفاةُ قال :

برئت إلى الإله من ابنِ أرْوَى ومن دين الخوارج أجمعينا
ومن عُمرٍ برئتُ ومن عَتيقٍ غداةَ دُعِـى أميـرَ المؤمنينـا

ثم خرجتْ رُوحُهُ كأنَّها حصاةٌ وقعَتْ فى ماء .

قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجُمَل) : هذا الشعر من حماقته ورَفْضه . وابن أروى هو عثمان بن عفّان رضى الله عنه .

وقد أطنب الأصبهانيُّ (فى الأغانى) فى ترجمته .

---

(١) فى الأغانى ٨ : ٢٨ : « قصير القميص » . وفى الحيوان ٥ : ٤٤٠ : « يكاد خليلى من تقارب شخصه » ، وفى الحماسة ١٨٨٠ : « أظن خليلى من تقارب شخصه » ، وفى محاضرات الراغب ٢ : ١٢٩ : « رأيت خليلى » .

عطف البيان

أنشد فيه :

* أقسم بالله أَبو حفصٍ عُمرْ *

تقدم الكلام عليه فى الشاهد الثامن والخمسين بعد الثلثمائة [1].

* * *

وأنشد بعده :

* أناابْنُ التاركِ البكرىِّ بشرٍ *

تقدَّم أيضاً مايتعلّق به فى الشاهد التاسع والتسعينَ بعد المائتين [2].والله أعلم.

---

(١) فى هذا الجزء الخامس ص ١٥٤ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٤ .

المبنيات

المضمر

أُنشد فيه :

(هذا سراقة للقرآن يدرسه)

تمامه :

(والمرءُ عند الرُّشا إنْ يلقَها ذيبُ)

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الثانى والثمانين [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الثلثمائة [٢]:

٣٧٤ (إذا زُجِرَ السَّفِيهُ جَرَى إليه)

تمامه :

(وخالف والسَّفيهُ إلى خلافِ)

على أنَّ الضمير فى « إليه » راجعٌ على المصدر المدلول عليهِ بالوصف ، أى إلى السفه .

وهذا البيتُ أوردَه الفَرَّاء (فى تفسيره) عند قوله تعالى:﴿ولكنّ البرَّ من آمن بالله [٣]﴾ فى توجيه صحةّ الخبر عن المبتدإ فيه،قال :من كلام العرب

(١) الخزانة ٢ : ٣ .

(٢) مجالس ثعلب ٧٥ والخصائص ٣ : ٤٩ والمحتسب ١ : ١٧٠ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٦٨ ، ١١٣ ، ٣٠٥ / ٢ : ٢٠٩ والإنصاف ١٤٠ والهمع ١ : ٦٥ .

(٣) الآية ١٧٧ من سورة البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ١٠٤ .

قولهم : « إنّما البِرُّ الصادق الذى يصل رحمَه ويُخفى صدقَته » فيجعل الاسمُ خبراً للفِعْل ، والفعلُ خبراً للاسم ، لأنّه أمرٌ معروفُ المعنى . فأمّا الفعل الذى جُعل خبراً للاسم فقوله تعالى : ﴿ ولا تحسَبَنّ الذين يَبخلونَ بما آتاهم اللهُ مِنْ فَضْلِه هو خيراً لهم (١) ﴾ فهو كنايةٌ عن البخل . فهذا لمن ٣٨٤
جعل الذين فى موضع نصب وقرأها « تحسبَنّ » بالتاء من فوق ، ومن قرأ بالياء من تحت جعل الذين فى موضع رفع وجعل «هو» عماداً للبخل المضمر ، فاكتفى بما ظهر فى يبخلون من ذكر البخل . ومثله فى الكلام :

همُ الملوكُ وأبناء الملوك لهم والآخذون به والسّاسةُ الأُوَلُ(٢)

وقوله « به » يريد بالملك . وقال الآخر :

* إذا نُهىَ السّفيهُ جَرى إليه * البيت

يريد : إلى السّفَه . انتهى .

وأنشدهُ ثعلب أيضا (فى أماليه) وقال : أى جرى إلى السّفه . واكتفى بالفعل من المصدر .

وأورده ابن جنى أيضا (فى إعراب الحماسة) عند قوله :

ولم أر قوماً مثلَنا خيرَ قومهم أقلَّ به مِنَّا على قومِهِمْ فَخرا

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الحادى عشر بعد الثلثمائة (٣) .

وأورده (فى المحتسب)أيضاً عند قراءة الأعمش :﴿ ومن يُرِدْ ثوابَ

(١) الآية ١٨٠ من آل عمران . وقراءة «ولا تحسبن» بالتاء ، هى قراءة حمزة ، ووافقه المطوعى . وقرأ سائر السبعة «ولا يحسبن» بياء الغائب . تفسير أبى حيان ٣ : ١٢٨ وإتحاف فضلاء البشر ١٨٢ .

(٢) للقطامى فى ديوانه وهو آخر قصيدة له يمدح فيها قريشا وبنى أمية ، وعبد الواحد الأموى . وانظر أمالى بن الشجرى ١ : ٣٠٥ .

(٣) الخزانة ٤ : ٣٦٤ .

الدنيا يؤتِه منها ومَنْ يرد ثواب الآخرةِ يؤته منها وسَيجزى الشاكرين ﴾ بالياء فيهما . قال : أضمر الفاعل لدلالة الحال عليه ، وإضماره فاشٍ ، وعليه قوله :

إذا زجر السفيهُ جَرَى إليه .... البيت

أقول : هذا ليس من قبيل إضمار الفاعل فى قراءة الأعمش كما هو ظاهر . وقوله بعد هذا وكما أضمر المصدر مجروراً ، أعنى الهاء فى إليه ، يعنى إلى السَّفه كذلك أيضاً أضمره مرفوعا بفعله ، لم أفهم معنى قوله : أضمره مرفوعا بفعله [١] . وفاعل جرى وخالف ضمير السَّفِيه .

وأورده ابنُ الشجرى أيضاً عند شرح قول الشاعر :

ومن يكُ بادياً ويكن أخاه أبَا الضَّحَّاكِ ينتسج الشَّمالا [٢]

قال : الهاء فى قوله أخاه عائدة إلى البَدْوِ الذى هو ضدُّ الحَضَر ، يقال بدا فلان يبدو بَدْواً ، إذا حَلَّ فى البدو ، دلَّ على عود الهاء إلى البدْوِ قولُه بادياً ، كما دل السَّفيه على السفه فأضمره القائل :

إذا نهىَ السفيه جرى إليه .... البيت .

ومثله قولُ القطامى :

* هُمُ الملوك وأبناء الملوك لهمْ *

البيت المذكور. ثم ذكر كلام الفراء من غير أن يعزوَه إليه .ثم قال ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وإنْ تشكرُوا يَرضهُ لكُمْ[٣] ﴾ ،أى يرض الشكر.

---

(١) لم يتنبه صاحب الخزانة الى مايعنيه ابن جنى ، فانه قصد بذلك ماأنشده فى المحتسب ١ : ١٧٠ من قول الشاعر :

وبجوفات قد علا ألوانها أسآر جرد مترصات كالنوى

وقال : «أى قد علا التجويف ألوانها» فهذا معنى قوله «أضمره ـ أى المصدر ــ مرفوعا بفعله».

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٠٥ .

(٣) الآية ٧ من الزمر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناسُ إنَّ النَّاسَ قد جَمَعُوا لكم فاخشَوْهم فزادَهُمْ إيمانا [1] ﴾ أى فزادهم قولُ الناس إيمانا . قال : وقوله : أبا الضحاك ، نصب على النداء ، فكأنّه قال : ومن يك باديا ويكن أخا البدْوِ يأبا الضحاك . وجعَله أخا البدو كقولك : ياأخا العرب ويأخا الحضر .

وإنما قال : ومن يك باديا ثم قال:ويكن أخا البدو ، لأنّه قد يحلُّ فى البدو من ليس من أهل البدو ، فسمِّى باديا مادام مقيماً فى البدو . والشِّمال هنا : وعاءٌ كالكيس يُجعل فيه ضرع الشاة يحفظ به . يقال شملتُ الشاة ، أى جعلت لها شِمالا . وينتَسج : يفتعل من قولك نسجت الثوب . فالمعنى : من يكن من أهل البدْو يمارسْ مايحتاج إليه الغنم . انتهى مختصراً .

وقوله : (إذا زُجر) هو بالبناء للمفعول ، ورواه الجماعة «إذَا نُهِىَ» مثله . ومتعلق النهى عامٌّ محذوف،أى عن أىِّ شىءٍ كان . وقوله:(وخالف) مفعوله محذوفٌ أى خالَف زاجرَه . وقوله (والسفيه إلى خلاف) جملة ٣٨٥
تذييلية ؛ أى شأن السفيه الميلُ إلى مخالفة الناصح .

وهذا البيت لم يعزه الفرَّاء إلى أحد . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الثلثمائة :

٣٧٥ (ولَوْ أنَّ الأطبَّا كانُ حَولِى   وكان مع الأطباءِ الأساةُ [2])

على أنه قد يُستغنى بالضمَّة عن واو الضمير فى ضرورة الشعر كما هنا فإنَّ الأصل : ولو أنَّ الأطباءَ كانوا حولى ، فحذفت الواو ضرورة ، وبقيت الضمةُ دليلاً عليها .

---

(١) الآية ١٧٣ من آل عمران .

(٢) معانى القرآن ١ : ٨٩ ومجالس ثعلب ١٠٩ والإنصاف ٣٨٥ . ٧٥٣ وابن يعيش ٧ : ٥ / ٩ : ٨ والعينى ٤ : ٥٥١ والهمع ١ : ٥٨ .

وأورده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ فلا تخشَوْهُمْ واخشَوْنِي ولأتمَّ نِعمتى عَليكمْ [١] ﴾ قال : قوله واخشونى أثبتت فيها الياء ولم تثبت فى غيرها ، وكلٌّ ذلك صواب . وإنّما استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدلٌّ عليها ، وليست العرب تهاب [٢] حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ماقبلها مكسوراً . من ذلك : «أَكرَمنِ» و «أَهاننِ» فى سورة الفجر [٣] وقوله : ﴿أَتمدُّوننِ بمال [٤]﴾ . ومن غير النون : « المناد [٥] » و «الداع [٦]» وهو كثير ، يكتفى من الياء [٧] بكسرة ماقبلها ، ومن الواو [٨] بضمة ماقبلها مثل قوله : ﴿ سندْعُ الزبانية [٩] ﴾ ﴿ ويدْعُ الإنسانُ [١٠] ﴾ وماأشبهه . وقد تُسقط العرب الواو وهى واوُ جمع [١١] اكتفاءً بالضمة قبلها فقالوا فى ضربُوا : قد ضَرَبُ ، وفى قالوا : قد قالُ . وهى فى هوازن وعُليا قيس [١٢] . أنشدنى بعضهم :

---

(١) الآية ١٥٠ من البقرة .

(٢) فى معانى الفراء : « وليست تَهَيَّبُ العرب » .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من الفجر .

(٤) الآية ٣٦ من النمل .

(٥) الآية ٤١ من قٓ .

(٦) فى الآيتين ٦ ، ٨ من القمر .

(٧) ش : « استغنى عن الياء » ، وماأثبت من ط يطابق مافى معانى الفراء .

(٨) ش : «وعن الواو» ، وماأثبت من ط يطابق مافى معانى الفراء .

(٩) الآية ١٨ من العلق .

(١٠) الإسراء ١١ .

(١١) معانى القرآن : « وهى واو جماع » .

(١٢) هذا مافى معانى القرآن . وفى النسختين : «وعلياء قيس» .

إذا ماشاءُ ضرُّوا من أُرادوا [ولا يألُو لهم أحدٌ ضِرارا (١)

وأنشدنى الكسائى :

متى تقول خلَتْ من أهلها الدارُ(٢)] كأنَّهم بجناحَىْ طائر طارُوا (٣)

وأنشدنى بعضهم :

فلو أن الأطبَّا كانُ عندى .... البيت

وتفعل ذلك فى ياء التأنيث من تحت ، كقول عنترة :

إنَّ العدوَّ لهمْ إليك وسيلةٌ إن يأخذوكِ تَكحَّلى وتخضَّبِ

يحذفون الياء وهى دليل على الأنثى ، اكتفاءً بالكسر (٤) . انتهى .

وظاهر كلامه أَنَّ هذا لغةٌ لاضرورة .

وأورده صاحب (الكشاف) أيضاً فى سورة المؤمنين شاهداً لقراءة من قرأ : ﴿ قد أفلحُ (٥) ﴾ بضم الحاء اجتزاء بالضمة عن الواو ، والأصل قد أفلحوا ، على لغة أكلونى البراغيث .

ونقل ابن هشام (فى المغنى) فى الجهة الرابعة من الكتاب الخامس ، عن

---

(١) فى تفسير أبى حيان ٤ : ٢٥٦ : «ولايألوهم أحد ضرارا » ، وكذا فى الإنصاف .

(٢) التكملة من معانى القرآن . وبدونها يفسد القول ، إذ يظل الشطر السابق ، وهو من الوافر ، صدرا للعجز التالى وهو من بحر البسيط .

(٣) وكذا رسمت فى معانى القرآن . وفى ش مع أثر تصحيح «طارُ» طبقا لما تقتضيه القراءة للاستشهاد بحذف الواو .

(٤) فى معانى القرآن : « بالكسرة » .

(٥) الآية الأولى من سورة المؤمنين .

التبريزى ، فى قراءة يحيى بن يعمر: ﴿عَلَى الذى أحسَنُ [(١)]﴾ بالرفع أنَّ أصله أحسنوا ، فحذفت الواو اجتزاءً عنها بالضمة ، كما قال :

إذا ماشاءُ ضرُّوا من أرادوا ..... البيت

ثم قال : وحذفت الواو . وإطلاقُ الذى على الجماعة ليس بالسَّهل ، والأولى قول الجماعة إنه بتقدير مبتدأ ، أى هو أحسن . وأمّا قول بعضهم فى قراءةِ ابن محيصِن : ﴿ لمن أرادَ أن يتمُّ الرَّضاعة [(٢)] ﴾ إنّ الأصل أن يتموا بالجمع ، فحسُنَ لأنَّ الجمع عَلَى معنى مَن . ولكن أظهرُ منه قول الجماعة : إنّه جاء عَلَى إهمال أن الناصبة . انتهى مختصراً .

وهذا الكلام أيضاً يدلُّ عَلَى أنّه غير ضرورة .

وأورده المرادىُّ (فى شرح الألفية) كذلك ، ولم يقيِّده بضرورة .

وفى البيت شاهدٌ آخر ، وهو قصر الممدود ، وبه أورده ثعلب (فى أماليه) قال : قُصِرَ الأطباء فى أول البيت ومُدَّ فى آخره وأصله المد . وأمّا قوله: «كانُ حولى» فإنّه اكتفى بالضمة عن واو الجمع . هذه عبارته .

وأورده ابن الأنبارى أيضاً (فى مسائل الخلاف) فى موضعين بالوجهين ٣٨٦
ذكره فى المسألة الخامسة والسبعين [(٣)] فى مسألة فعل الأمر هل هو معرب أو مبنىّ

---

(١) قراءة فى الآية ١٥٤ من الانعام . وقد شارك يحيى فى هذه القراءة ابن أبى اسحاق كما فى تفسير أبى حيان ٤ : ٢٥٥ . وقراءة الجمهور : « ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن » بفتح النون على أنها فعل ماض .

(٢) الآية ٢٣٣ من البقرة . ونسبت القراءة إلى مجاهد فى البحر المحيط ٢ : ٢١٣ .

(٣) هى المسألة الثانية والسبعون فى نشرة الأستاذ الشيخ محيى الدين .

عَلَى أَنَّ الاكتفاء بالضمة ضرورة . وأورده فى المسألة الثانيةَ عشرة بعد المائة [1] فى المقصور والممدود ، عَلَى قصر الأطبَّا لضرورة الشعر . قال : والقياس يوجب مدَّه ؛ لأن الأصل فى طبيب [أن [2]] يجمع عَلَى طُبَيَاءَ ، كشريف وشرفاء ، إلا أنه اجتمع حرفان متحرِّكان من جنس واحد ، فاستثقلوا اجتماعهما فنقلوه من فُعَلاء إلى أفعِلاء ، فصار أُطبباء ، فاستثقلوا أيضاً اجتماعَ حرفين متحرِّكين من جنس واحد ، فنقلوا كسرة الباء إلى الطاء وأدغموا .

وأطنب فى الموضعين،وبيَّن حجج الفريقين،وجاء بما يجلو العين، ويمحو عن القلب الرِّين ورَوَى بعد البيت الشاهد بيتا ثانيا،والرواية عنده هكذا:

(فلو أنَّ الأطبَّا كانُ حولى وكان مع الأطبَّاء الشُّفاةُ
إذنْ ماأذهَبوا ألماً بقلبـى وإنْ قيل:الشُّفاة هم الأُساة)

والطِّبّ بالكسر فى اللغة : الحِذق . والطبيب : الحاذق . والأساة : جَمع آس ، كقضاة جمع قاض . قال فى الصحاح : الآسى : الطبيب . وكذلك الشُّفاة : جمع شاف .

وقوله : (إذن ماأذهبوا) جواب لو . ورواية العينى تقديم الأساة فى قافية البيت الأول وتأخير الشفاة فى قافية البيت الثانى .

ولم يعزهما الفراء فمن بعده إلى أحد . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [3] :

---

(١) هى المسألة التاسعة بعد المائة فى نشرة الأستاذ الشيخ محيى الدين .

(٢) التكملة من الانصاف ٧٥٣ .

(٣) فى كتابه ١:٣٢٦ . وانظر ديوان الفرزدق ٥٠ والخصائص ٢:١٩٤ وأمالى ابن الشجرى ١:١٣٣ وابن يعيش ٣:٨٩ / ٧:٧ والهمع ١:١٦٠. وسيأتى أيضا فى ٣:٢٩٣ ، ٤/٣٣٤: ٥٥٤ بولاق .

٣٧٦ (بحَوْرانَ يَعصِرْنَ السَّليطَ أَقارِبُه)

على أَنَّه جاء على لغة أكلونى البراغيث .

قال سيبويه:واعلم أنّ من العرب من يقول ضربونى قومك،وضربانى أخواك،فشبهوا هذا بالتاء التى يُظهرونها فى قالت فلانة،وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامةً كما جعلوا للمؤنث،وهى قليلة.قال الشاعر:

ولكـنْ دِيَـافِىٌّ أبـوه وأُمُّـه بَحْوران يعَصِرن السَّليطَ أَقارُبه

انتهى .

فأقاربه فاعل يعصر،والنون علامة لكون الفاعل جمعاً ءكتاء التأنيث.

قال ابن هشام (فى شرح شواهده):إنما قال: يعصرن لأنّه شبَّههم بالنِّساء لأنهم لاشجاعة لهم،والخدمة والتبذل فى العرب إنما هو للنِّساء،وإمّا الرجال فشغلهم بالحروب . وقيل: شبَّهه بِبعير دِيافيٍّ،ثم أقبل يصف أقارب البعير وأقارُبه جمال،فلذلك جاء بالنون.انتهى.

أَقول : الوجه الثانى بعيد لا قرينة له ، ويزيده بعداً يعصرن السليط.

قال ابن خلف : وفى رفع أقاربه أوجهٌ أُخَر : أَحدها : يجوز أن يكون مبتدأ ويعصرن خبر مقدَّم عليه ؛ وهذا سائغ عند أَهل البصرة كما قالوا : مررت به المسكينُ ، يريدون:المسكينُ مررت به . وقال أبو على : وفيه مع هذا قبح ، لأن الخبر جملة وليس بمفرد ، فلا ينبغى أن يجوز فيه ماجاز فى الأَصل الذى هو المفرد . وأهل الكوفة لايجيزون مثل هذا . ويحتمل أن يكون رفعاً بحَوْران ويكون بحوران صفة لديافىّ ، ويعصرن حالاً من الأقارب . ويجوز أن يكون بدلا من النون كما قيل فى : ﴿وأَسَرُّوا النَّجْوَى الذين ظَلَمُوا (١)﴾ .ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر،

(١) الآية ٣ من سورة الأنبياء .

والجملة جوابٌ لسؤال مقدَّر ، كأنه لما قيل بحوران يعصرن السَّليط فقيل : من هم ؟ فقال : هم أقاربه . ٣٨٧

أقول : هذه الوجوه الأربعة مبنيَّة على أنّ النون ضمير ، وهذه النون فى البيت سواء كانت حرفا أم اسماً ، تدلُّ على صحة مانقله الشارح المحقق فى باب التوكيد عن الأندلسى ، من جواز رجوع ضمير جماعة المؤنث إلى الجمع المكسَّر العاقل ، فكان ينبغى أن يستدلَّ بهذا البيت دون البيت المتقدّم لخفائه كما تقدم .

وقوله : (ديافىٌّ) خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : لكن أنت ديافى ، يدلُّ عليه قوله فيما قبله : لو كنت ضبِّيًّا ، أو هو دِيافىٌّ : لقوله فلو كان ضبِّياً كما يأتى . وهو منسوبٌ إلى دياف بكسر الدال بعدها مثناة تحتية وآخره فاء . قال صاحب العباب : دِيافٌ من قرى الشّام،وأهلها نَبَط الشام ، وتنسب الإبل إليها والسُّيوف . وإذا عرَّضوا برجلٍ أنه نَبطىٌّ نسبوه إليها . قال :

ولكن دِيـافىٌّ أبـوه وأمـه ...... البيت

وهذا يدلُّ على أنّ دِيافاً بالشام لا بالجزيرة كما قيل ، لأنّ حَوران من رساتيق دمشق .

وكذا قال الحسن السكرى [1] (فى شرح ديوانه) : وقال جرير :

إنّ سليطاً كاسمه سليطُ لولا بنو عمرو وعمروٌ عِيطُ [2]

* قلتَ:دِيافيُّون أو نبيطُ [3] *

---

(١) السكرى هذا هو الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن العتكى ، أبو سعيد . ولد سنة ٢١٢ وتوفى سنة ٢٥٥ وهى سنة وفاة الجاحظ .

(٢) عيط : جمع أعيط وعيطاء ، وهو الطويل العنق . وفى معجم البلدان : « والعيط الضخام ، واحدهم أعيط » .

(٣) عقب عليه ياقوت فى (دياف) بقوله : « يقول : هم نبيط الشام أو نبيط العراق » .

أراد : عمرو بن يربوع ، وهم خلفاء بنى سَليط .

وقال الأخطل :

كأنّ بناتِ الماء فى حَجَراتِهِ
أَباريقُ أهدتْها دِيافٌ لِصَرْخَدَا[1].انتهى

ولم يورد أبو عبيد البكرى دياف (فى معجم مااستعجم) .

و(أبوه) مرفوع بديافىّ لأنه خبرٌ سبَبِىٌّ . وأتى بضمير الغيبة لأنّ التقدير أنت رجل ديافى أبوه . وأُمه معطوف عليه . وقوله (بحَوْران) متعلّق بيعصرن ، وجملة (يعصرن) صفة لديافى ، وضمير (أقاربه) راجعٌ عليه . هذا هو الظاهر .

وذكر ابن خلف أُوجهاً متعسَّفةً فى إعراب كلّ لفظةٍ من هذا البيت لافائدة فى نقلها .

و(يعصِرن) بكسر الصاد قال صاحب المصباح : عصرت العنب ونحوه عصراً ، من باب ضرب : استخرجت ماءه ، وأراد هنا يستخرجن السَّليط،بفتح السين وكسر اللام . قال الصاغانى (فى العباب) : السليط : الزيت عند عامَّة العرب ، وعند أهل اليمن : دهن السمسم . وقال ابن دريد وابن فارس : السّليط بلغة أهل اليمن . وبلغة من سواهم : دهن السمسم . أقول : الأمرُ على خلافه ، فإنِّى سمعت أَهل مكة جرسها الله تعالى وأهلَ تهامة واليمن يسمُّون دُهن السِّمسم : السَّليط ـ انتهى .

---

(١) فى النسختين : « لصرخد » ، صوابه من ديوان الأخطل ٩٧ . وصرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، قال ياقوت : « وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ينسب اليها الخمر » . والبيت من قصيدة مفتوحة الروى مطلعها :

صحا القلب إلا من ظعائن فاتنى ... بهن أمير مستبد فأصعدا

وقال ابن خلف : السّليط:الشَّيرج (١) وهو هنا الزيت ؛ لأنّ حَوْران من مدن الشام ، وأهلها نبط ، فهى بعصر الزيت أشهر منها بعصر الشيرج . وقد يجوز أن يكون الشَّيرَجَ ، لأنّه يعصر بالشام كما يعصر الزيت . والدليل على أنّ السليط يقع على الزيت قولُ النابغة الجعدىّ :

أضاءت لنا النارُ وجهاً أَغَـ ـرَّ ملتبساً بالفؤاد التباسا
يضىءُ كضوء سِراج السَّليـ ـطِ لم يجعل الله فيه نُحاسا

والنُّحاس : الدخان ، وذلك معدوم فى الزّيت ، وأمَّا الشَّيرج فكثير الدخان . هجاهُ بذلك إذْ جعله من أهل القُرى المستخدَمين لإقامةِ عيشهم (٢) ، ونفاه عما عليه العرب من الانتجاع والحرب .

والبيت من أبيات للفرزدق ، وهى : ٣٨٨

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(سَتعلمُ ياعمرو بنَ عَفْرى من الذى يُلام إذا ماالأَمر عيَّتْ عواقِبه
فلو كنتَ ضبِّيًّا صفحتُ ولو سرت عَلَى قدمى حَيَّاته وعقاربُه
ولكنْ ديافىٌّ أبــوه وأُمُّــه بحَوْرانَ يَعصرن السَّليطَ أقاربُه
ولمَّا رأى الدَّهْنا رمتْه حبالُها وقالت دِيافىٌّ مع الشام جانبه
فإن تَغضبِ الدَّهنا عليك فما بها طريقٌ لزيَّاتٍ تُقاد رَكائبُه

(١) الشَّيرج : دهن السمسم ، كما فى تاج العروس . وفى الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٨٩ : « السِّيرج : دهن السمسم ، ويقال الشيرج أيضا ، تعريب شِيرَه » . وفى شفاء الغليل ١٠٧ : « سيرج بكسر السين المهملة : دهن السمسم ، معرب شيره ، مولد » .

وفى معجم استينجاس ٧٧٤ أن « شيره » من معانيها « زيت السمسم » .

(٢) ط : « عيسهم » ، صوابه بالشين كما فى ش .

تَضِنّ بمالِ الباهليّ كأنّما تضَنّ على المال الذى أنت كاسبُه
وإنّ امرأً يغتابُنِى لم أُطأْ له حريما ولا تنهاه عنّى تجاربه (١)
كمحتطبٍ يوماً أساودَ هضبةٍ أتاهُ بها فى ظُلمة اللّيل حاطبُه
أحينَ التقَى نابَاىَ وابيضَّ مِسْحَلى وأطرَقَ إطراقَ الكَرا من أحاربُه)

روى صاحب الأغانى بسنده عن محمَّد بن سلام قال :

أتى الفرزدقُ عبدَ الله بنَ مسلمٍ الباهلىَّ فسأَلهُ ، فثقُلَ عليه الكثيرُ وخِشيَه فى القليل ، وعنده عمرو بن عفراء الضِّبىُّ راويةُ الفرزدق ، وقد هجاه وابنَه (٢) الفرزدقُ فى قوله :

نبِّئت جوَّاباً وسَكْنا يسبُّنى وعمرو بن عَفْرَى لاسلامٌ على عمرو(٣)

فقال ابن عفراء الضبى : لايهولنّك أمرهُ . فقال : وكيف ذاك ؟ قال : أنا أُرضيهِ عنك بدون ماكان همَّ له به . فأعطاه ثلثمائة درهم ، فبلغ الفرزدقَ صنيعُ عمرو فقال هذه الأبيات .

قال : فأتاه ابنُ عفراءَ فى نادى قومه فقال له : اجهَدْ جهدَك ، هل هو إلا هذا ، والله لاأدعُ لك مساءةً إلا أتيتُها ، ولا تأمرُنى بشىءٍ إلّا اجتنبته ، ولا تنهانى عن شىء إلا ركِبته . قال : فاشهدُوا أنّى أنهاه أن ينيك أمَّهُ . فضحكَ القومُ وخجل ابن عفراء .

وروى أيضا بعد هذا فى موضعٍ آخر عن يونسَ النحوى قال :

(١) فى ط : « عنه تجاربه »، صوابه فى ش .
(٢) فى الأغانى : « وقد هجا حرما وابنه »
(٣) كذا ورد « عفرى » بالياء فى ط ، لكن فى ش « عفرا » ، كما هو المألوف . وسيأتى فى كلام البغدادى : « وعفراء بالمد ، قصر ضرورة فكتب بالياء » .

مدحَ الفرزدقُ عمرو بن مسلمٍ الباهليَّ فأمر له بثلثمائة درهم ، وكان عمرو بن عفراء الضبى صديقا لعمرٍو ، فلامهُ وقال : أتعطى الفرزدقَ ثلثمائة درهم ، وإنما كان يكفيه أن تعطيه عشرين درهما ؟! فبلغ ذلك الفرزدقَ فقال :

نهيتُ ابن عَفْرَى أن يعفِّ أُمَّه كعفْرِ السَّلَى إذْ جرَّدته ثعالبُه
وإنَّ امرأً يغتابُنى لم أطأ له حريما فلا تنهاه عنى أقاربه
كمحتطبٍ ليلا أساودَ هضبةٍ أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبُه
ألمَّا استوى ناباىَ وابيضَّ مِسْحَلِى وأطرق إطراق الكرا من أحاربُه
فلو كان ضبياً صفحتُ ولو سَرت على قدمى حيّاته وعقاربه
ولكنْ ديافىٌّ أبوه وأمه بِحَوْرانَ يعصرن ... (البيت) .انتهى.

وقال ابن خَلَف ، وصاحب العباب :

سبب هذا الشعر أنّ عمرو بن عفراء الضبىَّ قال لعبد الله بن مسلمٍ (١) الباهلى : [وقد أعطى] الفرزدق خِلْعة (٣) ، وحمله على دابّه وأمر له بألف درهم ، فقال له عمرو بن عفراء : مايصنع الفرزدق بهذا الذى أعطيته ، إنّما يكفى الفرزدق ثلاثون درهما ، يزنى بعشرة ، ويأكل بعشرة ، ٣٨٩
ويشرب بعشرة . فهجاه الفرزدقُ بهذا . انتهى .

وكذا رأيته (فى شرح ديوانه للحسن السكرى من رواية ابن حبيب) .

وقوله : «ستعلم ياعمرو» إلخ هذا تهديدٌ . وعفراء بالمد، قُصِر ضرورةً فكُتب بالياء ، وهى أمُّه . وعىَّ بمعنى لم يهتد لوجهه .

---

(١) فى الأغانى ١٩ : ١٣ وكذا ديوان الفرزدق ٥٠ : « عبد الله ابن سلم » .

(٢) بمثل هذه التكملة يلتئم الكلام . وفى ديوان الفرزدق : « وكان عبد الله بن سلم الباهلى أعطى الفرزدق جعلته » ، وفيه تحريف .

(٣) هذا مافى ش . وفى ط : « حلقة » ، تحريف . والخلعة من الثياب : ماخلعته فطرحته على آخر أو لم تطرحه .

وقوله : « فلو كنت ضبيا » إلخ ، نفاه عن قبيلته لكونه سكنَ القُرى ، ولم يكن على طريقة العرب .

وقوله : «ولما رأى الدهنا » إلخ الدهنا يمدّ ويقصر ، وهو موضعٌ ببلاد تميم . وحبالها : أسبابها .

ودیافی بتقدير هو ديافى ، وجملة « مع الشام جانبه » صفة له ، وجواب لما محذوف ، والتقدير سكن الشام ونحوه . وقال الحسن السكَّرىّ : الواو هنا مقحمة فى وقالت ، لا موضع لها ، أراد:قالت . انتهى .

وقوله : « فإن تَغضب الدهنا » هذا وجهُ رمى الدهنا [١] له ، فإنَّه سُوقىٌّ يتاجر بالزيت . والدَّهنا لاتقبل مَنْ هو كذا . وقوله:تَضَنُّ ، أى تبخل.

وقوله : « كمحتطب يوما » إلخ هو خبر إنَّ فى قوله وإنَّ امرأ ، وهو الذى يجمع الحَطب . والأساود : جمع أسود ، وهو العظيم من الحيات ، وفيه سَواد . والهضبة : الجبل المنبسِط على وجه الأرض ، أشار إلى المثل المشهورِ لمن يتكلَّم بالغثِّ والسمين : «حاطبُ ليل » ؛ لأنَّه لايبصر مايجمع فى حبله ؛ ربَّما يجمع فى حطبه حيَّةً يكونُ هلاكُه بها .

وقوله : « أحين التقَى نابایَ » إلخ التقاء النابين واستواؤهما كناية عن بلوغ الأشُدُّ . والمِسْحل بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين . عارضُ الرجل ، أى صفحة خدِّه . وأطرق ، أى أرخى عينيه ينظر إلى الأرض . والكَرا : لُغةٌ فى الكرَوَان . يقول : أيؤذينى فى وقتِ شدَّتى وحين تهابُنى أقرانى وأطرقُوا منِّى كإطراق الكرَوان . والاستفهام إنكارى .

وقوله :«نهيت ابن عَفْرَى أن يعفِّر أمَّه» إلخ التعفير:التمريغ فى التراب.

---

(١) ش : « الدهناء » فى هذا الموضع وتاليه .

والسَّلَى بفتح السين المهملة والقصر ، هو الجلدة الرَّقيقة التى يكون فيها الولد من المواشى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الثلثمائة (١):

٣٧٧ (إنْ كنتُ أدرِى فعلىَّ بدنَهْ مِن كثرة التخليط أنِّى من أَنَهْ)

على أنّه قد يبيِّنُ فتح أنا فى الوقف بهاء السكت ، كما فى آخر القافية فى هذا البيت .

قال ابن جنى (فى سِرِّ الصناعة) : فأمَّا قولهم فى الوقف على أنَ فعلت : أنا وأنه ، فالوجه أن تكون الهاءُ فى أنه بدلاً من الألف فى أنا ، لأنّ الأكثر فى الاستعمال إنّما هو أَنا بالألف ، والهاء قليلة جداً ، فهى بدلٌ من الألف . ويجوز أن تكون الهاء أيضاً فى أنَهْ أُلحقت لبيان الحركة ، كما ألحقت الألف،ولا تكون بدلاً منها بل قائمةً بنفسها، كالتى فى قوله تعالى : « كتابيهْ » و « حسابيهْ » و « سلطانيهْ » و « ماليهْ » و ماهيَهْ (٢) » . انتهى

و(البدَنة) قال صاحب المصباح :قالوا : هى ناقة أو بقرة . وزاد الأزهرى:أَو بعير ذكر .قال: ولاتقع البدَنة على الشاة . وقال بعضُ الأئمة : البدنة هى الإبل خاصَّة ،وإنّما ألحقت البقرة بالإبل بالسُّنَّة .وقوله (من كثرة) متعلِّق بالفعل المنفىِّ ضمناً ، أى ماأدرى مِنْ كثرة التخليط . قال صاحب الصحاح : والتخليط فى الأمر:الإفساد فيه .وقوله (أنِّى) بفتح الهمزة. وقوله (مَن أنه) مَنْ عند سيبويه مبتدأ،وأَنَه خبر،وعند غيره بالعكس.والجملة فى

(١) انظر ابن يعيش ٣ : ٩٤ وشرح شواهد الشافية ٢٢٢

(٢) نهايات الآيات ٢٥ ـــ ٢٩ من سورة الحاقة .

محلَّ رفع خبر أنّى ،وجملة أنّى مَنْ أنه فى محل نصب،سادٌّ مسدَّ مفعولى أدرى.
٣٩٠ وهذا البيت لم أُقف له على أثر . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الثلثمائة (١):

٣٧٨ (أنا سيَفُ العشيرةِ فاعرِفونى حُمَيــداً قد تذرَّيتُ السَّنامــا)

على أنَّ ثبوت ألف (أنا) فى الوصل عند غير بنى تميم لايكون إلا فى الضرورة .

قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى):أمّا الألف فى أنا فى الوقف فزائدة ليست بأصل . ولم نَقْضِ بذلك (٢) فيها من جهة الاشتقاق . هذا مُحالٌ فى الأسماء المضمرة ، لأنَّها مبنية كالحروف ، ولكنْ قضينا بزيادتها من حيث كان الوصلُ يُزيلها ويُذهبها ، كما يُذهب الهاءَ التى تلحق لبيان الحركة فى الوقف . ألا ترى أنّك تقول فى الوصل : أنَ زيدٌ ، كما قال تعالى : ﴿ إنِّى أنا ربّك (٣) ﴾ تكتب بألف بعد النون ، وليست الألف فى اللفظ ، وإنّما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف فى الوصل كسقوط الهاء التى تلحق فى الوقف لبيان الحركة فى الوصل ، وبيِّنت الفتحة بالألف كما بيِّنت بالهاءِ ، لأنَّ الهاء مجاورة للأَلف . وقد قالوا فى الوقف أنه ، فبيَّنوا الفتحة بالهاء كما بيَّنوها بالألف ، وكلتاهما ساقطة فى الوصل . فأمَّا قول الشاعر :

أنا سيف العشيرة فاعرفونى . . . . . البيت

---

(١) المنصف ١ : ١٠ وابن يعيش ٣ : ٩٣ / ٧٤ والمقرب ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٢٣٢ .

(٢) ط : « ولم يقض فى ذلك » ، وفى ش : « ولم يقض بذلك » ، وأثبت مافى المنصف .

(٣) الآية ١٢ من طه .

فإنما أجراه فى الوصل على حدٍّ ما كان عليه فى الوقف . وقد أجْرتِ العربُ كثيراً من ألفاظها فى الوصل على حدّ ماتكون عليه فى الوقف ، وأكثر مايجىء ذلك فى ضرورة الشعر . انتهى .

(وحُمَيداً) بدلٌ من ياء اعرفونى لبيان الاسم ، أَوْ هو منصوب على المدح (١) . قال أبو بكر الخفَّاف (فى شرح الجمل) : قال الزجاج : حميداً بدل من الياء ، وهذا لا حجَّة فيه ، لاحتمال أنْ يكون منصوباً بإضمار فعلٍ على المدح ، كأنه قال : فاعرفونى مشهوراً.وأناب قوله حميدا مَناب قوله مشهوراً، لكونه علماً . و(حُميد) يروى مصغَّرا ومكبرا . وأنشد صاحب الصحاح بدله «جميعاً» . و(تذرَّيتُ السَّنام) بمعنى علوته [من الذِّروة (٢)] والذُّروة بالكسر والضم ، وهو أَعلى السَّنام . وحقيقة تذرَّيت السنام علوت ذِروته .

صاحب الشاهد

ونسب ياقوتُ هذا البيتَ (فى حاشية الصحاح) إلى حُميد بن بحدل ، شاعر . وقال ابنُ الأعرابى : بحدل الرجلُ ، إذا مالت لِثُته أى لحم أسنانه (٣).وقال الأزهرىّ : البحدلة : الخفّة فى السَّعى . قال : وسمعتُ أعرابياً يقول لصاحبٍ له : بَحدِلْ بجدِّك . يأمره بالسُّرعة فى المشى . انتهى .

حميد بن حريث

وحميدٌ مضاف إلى جدّه ، لأنه حُميد بن حريث بن بحدل ، من بنى كلب بن وبرة ، وينتهى نسبه إلى قضاعة .

وحميدٌ شاعرٌ إسلامىٌّ ، وكانت عَمَّتُه ميسونُ بنتُ بحدل أمَّ يزيد بن معاوية .

وكان ابنُ عمه حسَّانُ بن مالك بن بحدل سيِّدَ كلبٍ فى زمانه ، وهو

---

(١) ط : « وهو منصوب على المدح » ، صوابه فى ش .
(٢) التكملة من ش .
(٣) الذى فى اللسان عن ابن الأعرابىّ : « إذا مالت كتفه » ، ولعله الصواب .

الذى بايع مَرْوان بن الحكم يوم المَرْج ، وكان ولَّاه يزيدُ بن معاوية على فلسطين (١) والأردنّ ، وأخوه سَعِيد بن مالك بن بحدل على قِنَّسْرين ، فلما مات يزيد بن معاوية وثب زُفر بن الحارث على سعيدٍ فأخرجه منها وبايعَ لابن الزُّبير ، ثم خرج عُمَير بن الحُباب مُغيراً على بنى كلب بالقتل والنَّهب ، فلما رأت كلبٌ ، ما لقىَ أصحابُهم ، اجتمعوا إلى حُميد بن حريث بن بحدل ، فقتَلَ حميدٌ بنى فزارة قتلاً ذريعا .

والقصة مفصَّلة فى ترجمة عويف القوافى فى الأغانى (٢) .

* * *

٣٩١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات المفصَّل (٣) :

٣٧٩ (فقلتُ أهْىَ سَرَتْ أمْ عادَنِى حُلُمُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فقمتُ للطَّيف مُرتاعاً فأَرَّقنى)

على أنَّ هاء هى قد تسكن بعد همزة الاستفهام .

وفى التسهيل مايقتضى أنّه قليل ، وفى شرح مصنِّفِه (٤) أنّه لم يجئْ إلاّ فى الشعر .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) :أسكن أوَّل أَهْىَ لاتّصال حرف

---

(١) ش : « فنسطين » ، تحريف .

(٢) الأغانى ١٧ : ١١٢ — ١١٣ .

(٣) ابن يعيش ٧ : ١٣٩ . وانظر الخصائص ١ : ٣٠٥ / ٢ : ٣٣٠ وشرح شواهد الشافية ١٩٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٤٩ والتصريح ٢ : ١٣٢ والأشمونى ٣ : ١٠١ وشرح المرزوق للحماسة ١٣٩٦ .

(٤) هو ابن مالك . وكتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .

الاستفهام به ، وأجراها فى ذلك مجرى المتصل ، فصار أُهْىَ كعَلْم ، وأجرى همزة الاستفهام مجرى واو العطف وفائِه ولام الابتداء ، نحو قوله (١) تعالى : ﴿ وهْوَ اللهُ (٢) ﴾ وقوله : ﴿فَهْوَ جَزَاؤه (٣) ﴾ ،وقولك : وهْىَ قامت ، وفَهْىَ جالسة ، و﴿ إنَّ اللهَ لهْوَ السَّميعُ العَليم (٤) ﴾ . غير أنّ هذا الإسكان مع همزة الاستفهام أضعفُ منه مع ماذكرناه ، ومن حيث كان الفصل بينهما وبين المستفهم عنه جائزاً ، نحو قولك : أزيد قام وأزيداً ضربت (٥) ، وليس كذلك واوُ العطف وفاؤه ولا لام الابتداء ، لايجوز الفصل بين شيءٍ منهنّ وبين ماوُصِلن به . فأمَّا فصل الظَّرف فى نحو : إنَّ زيداً لفى الدار قائم ، فمغتفرٌ لكثرته فى الكلام ، ألا تراها فى هذا البيت مفصولاً بينها وبين ماهى سؤالٌ عنه من اللفظ . وهذا الاتِّصال أو ضدُّه من الانفصال ، إنما هو شىءٌ راجعٌ إلى موجود اللفظ لا إلى محصول المعنى . انتهى .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة مسطورة (فى الحماسة) عدَّتُها ثلاثة وأربعون بيتا للمَرَّار العَدَوىّ ، وقبله :

أبيات الشاهد (زارتْ رُوَيقة شُعْثاً بعد ما هَجَعوا لَدَى نواحلَ فى أرساغها الخَدَمُ

فقُمتُ للزَّورِ مرتاعاً وأرَّقَنى . . . . البيت

---

(١) الذى فى إعراب الحماسة : « نحو قولك » وكذلك « قوله » التالية ، هى فى إعراب الحماسة : « قولك » .

(٢) الأنعام ٣ .

(٣) يوسف ٧٥ .

(٤) ليست هذه من آيات الكتاب .

(٥) ط : « أزيد ضربت » بالرفع ، صوابه فى ش واعراب الحماسة الورقة ١٩٣ .

وكانَ عهدى بها والمشْىُ يَبْهَظُها ... من القريب ومنها النّوم والسَّأَمُ [١]
وبالتكاليفِ تأتى بيتَ جَارتها ... تَمشى الهُوَينى ومايبدو لها قدمُ
سودٌ ذوائبها بيضٌ ترائبها ... دُرمٌ مرافقُها فى خَلقها عَمَمُ
رُوَيقَ إنِّى ومَنْ حجَّ الحجيجُ له ... وما أهلَّ بجنبَىْ نَخلة الحُرُمُ
لم يُنسِينى ذكركم مذ لم أُلاقِكُمُ ... عَيشٌ سَلوت به عنكم ولا قِدَمُ
ولم يشاركْكِ عِندِى بَعدُ غانيةٌ ... لا والذى أصبحت عندى له نِعَمُ)

قوله : زارت رُوَيقة ، يقول : زار خيال رُوَيقة قوماً شعثاً غُبرا بعد ما ناموا عند إبل ضوامرَ شُدَّت فى إرساغها سيورُ القَيْد ، لشدَّة سيرها وتأثير الكلال فيها [٢] .

وقوله : « فقمتُ للطَّيف » إلخ ، الطَّيف : الخَيال . وروى : « فقمتُ للزَّوْر » وهو مصدرٌ بمعنى الزائر ، يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث . و(المرتاع) : الخائف الفزع .

وقد أنشده (صاحب المفصل) لمَا ذكره الشارح المحقق .

وأنشده ابن الناظم وابن هشام (فى شرح الألفية) على أنَّ أم المتصلة وقعت بين جملتين فعليتين فى معنى المفردين ، والتقدير فقلت : أَسارت هى أم عادنى حلمها ، أىْ أىُّ هذين .

وأنشده ابن هشام فى موضعين (من المغنى) .

٣٩٢ الأول فى أم ،قال: إنَّ أم المعادِلة لهمزِة الاستفهام تقع بين مفردين،

---

(١) فى النسختين : « ينهضها » صوابه من الحماسة ، ومما سيأتى فى التفسير من أن معناه يعييها قطع المسافة القريبة . وفى اللسان : « بهظنى الأمر والحمل بهظا : أثقلنى وعجزت عنه وبلغ منى مشقة».

(٢) ط : « لتأثير الكلال فيها » ، صوابه فى ش .

وهو الغالب ، وبين جملتين ليستا فى تأْويل المفردين ؛ وتكونان أيضا اسميّتين [و] فعليتين (١) كهذا البيت . قال : وذلك على الأرجح فى هى ، من أنَّها فاعلٌ بمحذوف تفسِّره سَرَتْ .

والثانى فى أول الباب الثانى ، قال : وتقدير الفعلية فى أهى ، أكثر رجحانا من تقديرها فى : ﴿ أبشرٌ يَهْدُوننا (٢) ﴾ لمعادلتها الفعلِيَّة . قال ابن الحاجب (فى أمالى المفصَّل) : يريد : إنِّى قمتُ من أَجل الطَّيف منتبهاً مذعوراً للقائه ، وأَرَّقنى لمَّا لم يحصل اجتماعٌ محقَّق ، ثم ارتبت لعدم الاجتماع هل كانَ على التحقيق أم كان ذلك فى المنام . ويجوز أن يريد : فقمتُ للطَّيف وأنا فى النوم إجلالاً فى حالِ كونى مذعوراً لاستعظامها ، وأَرَّقنى ذلك لمَّا انتبهت فلم أَجدْ شيئاً محقَّقا ، ثم من فرطِ صبابته شَكَّ أهى فى التحقيق سَرَتْ أم كان ذلك حلماً ، على عادتهم فى مبالغتهم ، كقوله :

* آأنتِ أم أمُّ سالم (٣) * انتهى .

قال الدمامينى بعد أن نقل هذا (فى الحاشية الهندية) : حاصله احتمال كون القيام فى اليقظة أَو فى المنام ، وأَمَّا الشَّكُّ فى الاجتماع هل كان فى النَّوم أَو فى اليقظة فثابتٌ على كلٍّ من الاحتمالين .

وقوله : «وكان عهدى بها» إلخ يقول: كيف يجوز مجيئها وقد عهِدتها

---

(١) زيادة الواو مما يقتضيه صنيع ابن هشام فانه بعد أن أورد البيت على أن «أم» واقعة بين جملتين فعليتين ، ذكر أنها تقع أيضا بين جملتين كقوله :

لعمرك ماأدرى وإن كنت داريا ... شعيث ابن سهم أم شعيث ابن منقر

(٢) الآية ٦ من التغابن .

(٣) من شواهد سيبويه فى كتابه ٢ : ١٧٨ بولاق . وهو لذى الرمة فى ديوانه ٦٢٢ . وتمامه :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا آأنت أم أم سالم

يَبهَظُها (١) أى يُعييها قطعُ المسافة القريبة ، والغالبُ عليها طلب الراحة بالنَّوم . ونصب الهُوَينى على المصدر ، أى تمشى مشيا هيِّنا . والهُوَينى : تصغير الهُونى مؤنث الأهون . وقوله : « ومايبدو لها قدم » أى تجرُّ أذيالها .

وقوله :« بيضٌ ترائبها » جمع تَريبة ، وهو أعالى الصَّدْرِ . ومِرفقٌ أدرمُ ، إذا لم يكن له حجمٌ لاكتنازه باللحم . والعَمَم ، بفتح العين المهملة والميم : الطُّول .

وقوله : « رُوَيق إنّى » إلخ هو منادى مرخَّم رُوَيقة . ونخلة : موضعٌ قربَ مكة ، قال (صاحب معجم مااستعجم) : نَخلةُ على لفظ واحدة النخل : موضعٌ على ليلة من مكة ،وهى التى نُسِبَ إليها بَطنُ نخلة ، وهى التى ورد فيها الحديث ليلةَ الجنّ . انتهى .

وزعم العينىُّ أنه موضعٌ قربَ المدينة . وحُرُم بضمتين : جمع حرام ، كسحب جمع سحاب ، بمعنى المحرم . وروى أيضا : « وما حجَّ الحجيجُ » . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة):ماهنا يحتمل أن تكون عبارةً عن الله تعالى وأراد فى ماالثانية له، غير أنّه حذفها. ويجوز أن تكون مصدريَّة فتكون الهاء فى له لِلهِ تعالى (٢) وإنْ لم يجر له ذكر، لأنّه قد جرى ذكر الحجّ، فدلَّت الطاعة على المطاع سبحانه ، فكأنَّه قال : إنِّى وحج الحجيج لله. ويؤكد ذلك أنّه لم يُعد مع الثانية له، لأنَّه غير محتاج إليها من حيث كان مصدراً. ويجوز أن تكون عبارة عن البيت ؛ فأقسَمَ به ، فحينئذ يحتمل الهاء فى له أن تكون

(١) فى ط : « ينهضها » وفى ش : « يبهضها » ، صوابه ماأثبت . وانظر الحاشية رقم ١ من ص ٢٤٦ .

(٢) فى إعراب الحماسة ١٩٤ : « فيكون الهاء فى قول الله تعالى » ، وماهنا صوابه .

للبيت على أنَّ اللام بمعنى إلى ، وأن تكون لله ، أى والبيت الذى حجَّه الحجيج لطاعة الله .

وقوله : « لم ينسِنى » إلخ هو مضارع أنسَى ، وذكرَكم مفعول مقدَّم ، وعيشٌ فاعل مؤخر ، وقِدَم بكسر القاف معطوف على عيَش . قال ابن جنى :هذا البيت جواب القسم ، وأجاب بلم ، وحرفَا الجواب فى النفى إنّما هما : ماولا ، لكن اضُطرَّ فشبَّه لم بما ، كما اضطرّ إلى ذلكَ الأعشى فى قوله :

* أجِدَّك لم تغتمض ليلةً (١) *

فاعرف ذلك فإنّه لطيف .

ومن أواخر القصيدة :

(بلْ ليتَ شعرى متَى أغْدُو تُعارِضُنِى
جَرداءُ سابحَةٌ أو سابحٌ قُدُمُ
نحوَ الأُميلحِ من سَمْنانَ مبتكراً
بفتيةٍ فيهم المَرّارُ والحكَمُ)

٣٩٣

بل للإضرابِ عما قبله . وتعارضنى أى أقودها فتسبقنى من سلاسة قيادها . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر ، وهو محمودٌ فى الخيل . وسابحة : كأنها تسبح فى سيرها وجريها . وقُدُم بضمّ القاف والدال بمعنى متقدِّم ، يوصف به المذكر والمؤنث :

ونحو ظرف متعلق بأغدو . والأميلح : اسم ماء . وسَمْنان بفتح السين:ديار الشاعر.والفتية : جمْع فتى . والمرَّار والحكم : رجلان. وهذا البيت أول شاهدٍ وقع (فى شرح الشافية) للشارح المحقق ، قال فيه:وكذا سمنان

(١) عجزه كما فى الديوان ٥٠ :

* فترقدها مع رقادها *

إمّا أن يكون مكرر اللام للإلحاق بزلزال ، أو يكون زيد فيه الألف والنون لاللتكرير ، بل كما زِيدَا فى سلمان . ولا دليل فى هذا البيت يمنع صرف سمنان على كونه فعلان ، لجواز كونه فَعلالاً . وامتناع صرفه لتأويله بالأرض والبقعة لأنه اسم موضع . انتهى .

قال أبو عبيد (فى معجم مااستعجم) : الأميلح بضم أوله وبالحاء المهملة كأنه مصغر أملح : موضع . ولم يقل : إنه ماء . وقال فى سمنان : بفتح أوله وإسكان ثانيه على وزن فَعْلان : مدينة بين الرّىّ ونيسابور . وسُمْنان بضم السين : جبلٌ فى ديار بنى أسد ، وقال أبو حاتم : فى ديار بنى تميم .

وهذا ضبطٌ مخالف لسائر الرُّواة .

قصيدة الشاهد

وأول هذه القصيدة فى ذمِّ صنعاءِ اليمن ومَدْح بلدِه وقومه . وهذا أوَّلها :

(لاحبَّذا أنتِ ياصنعاءُ من بلدٍ   ولا شَعوبُ هَوًى منى ولانُقُمُ
ولن أحبَّ بلاداً قد رأيت بها   عَنسا ولا بلداً حلَّتْ به قُدُمُ
إذا سقى الله أرضاً صوبَ غاديةٍ   فلا سقاهنَّ إلا النَّارَ تضطرمُ
وحبَّذا حين تمسى الريحُ باردةً   وادِى أُشَيٍّ وفتيانٌ به هُضُمُ)

إلى أن قال :

(هُمُ البُحور عطاءً حين تسألهم   وفى اللِّقاء إذا تلقى بهم بُهَمُ
وهم إذا الخيلُ جَالوا فى كواثبها   فوارسُ الخيل لا مِيلٌ ولا قَزَمُ(٢)
لم ألقَ بعدهُمُ حيًّا فأُخْبُرَهمْ   إلاَّ يزيدهُمُ حباً إلىَّ هُمُ)

---

(١) ط : « لضرورة » ، وأثبت مافى ش .

(٢) كذا فى النسختين : « جالوا » بالجيم فى المتن والشرح ، صوابه « حالوا » بالحاء المهملة كما فى الحماسة وشروحها.وفى القاموس : « وفى ظهر دابّته : وثبَ » .

شعوب بفتح الشين ، وكذلك نقُم بضم النون والقاف : موضع باليمن ، وهو جبلُ صنعاء الشرقى . وعنس ، بفتح المهملة وسكون النون، وقُدُم بضم القاف والدال :حيَّان من اليمن .وأشىٌّ ، بضم الألف وفتح الشين المعجمة وتشديد الياء، قال أبو عبيد : هو واد وجبل فى بلاد العدوية من بنى تميم .وقال عمر بن شبّة : أشىٌّ:بلد قريبٌ من اليمامة . وأنشد هذا البيت. وهُضم بضمتين: جمع هَضوم وهو الذى ينفق فى الشتاء ، أى حبَّذا هم فى برد الشتاء إذا اشتدَّ الزمان ، لأنهم يُطعمون فيه .

والبُهَم بضم ففتح : جمع بُهْمة بضم فسكون ، وهو الشجاع الذى لايُدْرَى من أين يؤتى من شدَّة بأسه . وتلقى مفعوله محذوف ، أى إذا تلقى بهم عدوّك .

وقوله: «وهم إذا الخيل» أراد بالخيل فرسانَها ، كقولهم : «ياخيلَ الله اركبى » .وجالُوا، أى وثبوا ، يقال جاَلَ فى ظهر دابَّته ، إذا ركبها . لامِيلٌ : لامائلون عن وجوه الأعداء ، جمع أمْيَل ، وقيل هو الذى لايثبت على ظهر ٣٩٤ الدابة ، وهو عطفٌ على فوارس ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال:لاهم ميل . وقَزَم بفتح القاف والزاى:رذال الناس وسَفِلتهم ، يطلق على الواحد والجمع ، والذكر والأنثى ؛لأنه فى الأصل مصدرٌ بمعنى الدناءة والقماءة. والكواثب:جمع كاثبة بموحدة بعد مثلثة، وهى فى عرف الفَرَس(١) المتقدِّم من قَرَبوس السَّرج حيث يقع عليه يدُ الفارس.كذا فى شرح الحماسة. وأورد صاحب الكشاف هذا البيت فى سورة الأعراف على أن الخبر فى قوله تعالى ﴿ يَمُدُّونهمْ فى الغىّ(٢) ﴾ جارٍ على غير ماهو له،كما فى البيت،فإنَّ الخيل

(١) ط : «الناس» ، صوابه فى ش .
(٢) الآية ٢٠٢ من الأعراف .

مبتدأً وجالوا خبره مسندٌ إلى ضمير القوم . وفيه كلامٌ طويل .

وقوله : « لم ألقَ بعدهُم » إلخ الحيُّ : القبيلة . وخَبرت الشيء أَخبره ، من باب قتل ، خُبراً بالضم ، بمعنى علمته . وانتصب أخبرهم فى جواب النفى . وهمُ الأخير فاعل يزيدُ ، فصِل ضرورة . والمعنى : لم ألق بعد فراق قومى حيا من الأحياء فأخبرهم إلاّ ازدادوا فى عينى إذا قستهم بمن سواهم .

وروى ابن قتيبة الصَّدرَ (فى كتاب الشعراء) ، والأصبهانى (فى الأغانى) :

* وماأَصاحبُ من قومٍ فأَذكُرَهم *

وزعم أبو حيان أنَّ الرواية كذا من تحريف ابن مالك . هذا قصورٌ منه . ويجوز رفع فأَذكرُهم عطفا على أَصاحب . والذِّكر هنا قلبيٌّ بمعنى التذكر ، فإن المعنى : إنى إذا صاحبت قوماً فتذكرت قومى ازددت محبةً فيهم ، لفضل قومى عليهم . وهذا البيت أورده ابن الناظم وابن هشام(فى شرح الألفية) لما ذكَرنا من فصل الضمير المرفوع ضرورة . قال ابن هشام (فى المغنى) : ادَّعى ابنُ مالك أن الأصل يزيدون أنفسُهم ، ثم صار يزيدونهم ، ثم فصل ضمير الفاعل للضرورة وأخّره عن ضمير المفعول . وحامله على ذلك ظنه أن الضَّميرَينِ لمسمًّى واحد ، وليس كذلك . قال (فى شرح شواهده):وزعم بعضُ من فسَّر الضرورة بما ليس للشاعر عنه مندوحة ، أن هذا ليس بضرورة (١) لتمكن قائله من أَن يقول:إلاّ يزيدونهم حباًّ إلىَّ هم ، ويكون الضمير المنفصل توكيداً للفاعل . ورَدَّه ابن مالك بأَنه يقتضى كون الفاعل والمفعول ضميرين متصلين لمسمًّى واحد ، وإنما يجوز ذلك فى باب ظن . وهذا

(١) ط : « لضرورة » ، وأثبت ما فى ش .

سهو ، لأنّ مسمَّى الضميرين مختلفان ، إذْ ضمير الفاعل لقومه وضمير المفعول لقومه الممدوحين . ويحتمل عندى أن يكون فاعل يزيد ضمير الذِّكر ، ويكون هم المنفصل توكيداً لهم المتَّصل . انتهى كلام ابن هشام .

وقد أخذ مسلمُ بنُ الوليد معنى بيت المرَّار فقال :

ويَرجعنى إليك إذا نأتْ بى دياري عنك تجربةُ الرِّجالِ [(١)]

المرار بن منقذ

والمَرَّار شاعرٌ إسلامى فى الدولة الأموية ، من معاصرى الفرزدق وجرير . وهو بفتح الميم وتشديد الراء . قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : المرار العدوىُّ هو ابن منقذ ، من صُدَىّ بن مالك بن حنظلة . وأم صُدَىّ بالتصغير من جَلّ بن عَدىّ ، فيقال لولده بنو العَدَوية . وقال لهم عَوف بن القعقاع : يابنى العدوية،أنتم أوسع بنى مالكٍ أجوافا ، وأقلُّهم أشرافا . والمرَّار هو القائل :

وما أصاحبُ من قومٍ فأذكرَهم إلا يزيدُهم حباً إلىَّ همُ

وأنشد معه أبياتاً أخر من هذه القصيدة . قال وفيه وفى قومه يقول جرير : ٣٩٥

إن كنتمُ جَرْبى فعندى شفاؤكم

وللجنِّ إن كان اعتراكَ جنونُ [(٢)]

---

(١) ط : « ديار عنك » ، وماأثبت من ش يطابق الديوان ٣٣٦ وزهر الآداب ١٦٥ .

(٢) ط : « حزبى » ، تحريف ، صوابه فى ش . وفى الشعراء ٦٧٩ : « فإن كنتم كلبى » ، وهى كذلك فى الحيوان ٢ : ١٥ وديوان جرير ٥٨٩ .

وما أنتَ يامرّار يازَبْدَ استِها
بأوّل من يشقَى بنا ويَحِينُ (١)

وقد رفع الآمدى نسبه (فى المؤتلف والمختلف) فقال : هو المرّار بن منقذ بن عمرو بن عبد الله بن عامر بن يثربىّ بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زَيد مناة بن تميم . شاعرٌ مشهورٌ . ا هـ

واسم المرّار هذا زياد بن منقذ ، قاله الحُصْرىُّ (فى زهر الآداب) ، وإلى اسمه نسب الشعر . وفى الحماسة [قال شُرّاحُ الحماسة (٢)] : هو لزياد بن منقذ ، وهو أحد بنى العدَويّة من تميم ، ولم يقل غير هذه القصيدة ، ولم يقل أحدٌ مثلَها . وكان قد أتى اليمَنَ فنزع إلى وطنه ببطن الرمَّة . قال أبو العلاء : الرمَّة : وادٍ بنجد ، يقال بتشديد الميم وتخفيفها.١ هـ

وصحَّفه بعضهم وتبعه العينى فقال : ببطن الرِّمث بالمثلثة .

وقد نسب الحُصْرىُّ أيضاً هذا الشعر للمرّار ، قال : أنشد أبو عبيدة لزياد بن مُنقذ الحنظلى ، وهو المرَّار العدوى ، نُسِب إلى أُمِّه العدَوية ، وهى فُكَيهة بنت تميم بن الدُّئل بن جَلّ (٣) بن عدىّ بن عبد مناة (٤) بن تميم بن أدّ بن طابخة ، فولدت لمالك بن حنظلة عديًّا ويربوعا . فهؤلاء من ولده يقال لهم بنو العدَوية (٥).

---

(١) ط : «ياريد استها» ، صوابه فى ش والشعراء والديوان . وأصل الزبد زبد الماء واللعاب والبعير والفضة ، وهو طفاوته وقذاه .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « جبلة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح وجمهرة ابن حزم ٢٠٠ .

(٤) عبد مناة هذا،هو ابن أد بن طابخة، كما فى الجمهرة وزهر الآداب ١٦٤ . و«تميم» هنا مقحمة.

(٥) وكذا فى زهر الآداب ، لكن فى جمهرة ابن حزم ٢٢٨ أن أبناء العدوية هم : زيد ،والصدىّ ، ويربوع وقد سبق ذكر « صدى » فى ترجمة المرار .

وكان زيادٌ نزل بصنعاء فاجتواها ومنزلُه فى نجد ، فقال فى ذلك قصيدةً يقول فيها وذكَر قومه :

لم ألقَ بعدهُمُ حيًّا فأخبرَهم إلّا يزيدُهم حباً إلىَّ هُمُ

وأراه أوّل من استثار هذا المعنى . وكان ابنُ عَرادة السَّعدى (١) مع سَلْم وابن زياد بخُراسان ، وكان مكرِماً له ، وابن عَرَادة يتجنَّى عليه ، إلى أن تركه وصحِب غيره فلم يحَمْده ، فرجع إلى سلم وقال :

عَتبتُ على سَلْم فلمّا فقدتُه وصاحبتُ أقواماً بكيت على سَلْم
رجعَتُ إليه بعد تجريبِ غيره فكان كُبرءٍ بعد طُولٍ من السُّقمِ

ومنه قول أبى العتاهية فى جعفر بن المنصور ، المعروف بابن الكردية ، وهو جعفرٌ الأصغر :

جزى الله عنِّى جعفراً بوفائه وأضعف إضعافاً له بجزائه
بلوتُ رجالا بَعدَه فى إخائهم فما ازددتُ إلّا رغبة فى إخائه

ومنه أيضاً لكنَّه فى الهجو ، لبعضهم :

ذممْتُك أوّلاً حتى إذا ما بلوتُ سِواك عاد الذمُّ حمدا
ولم أحمَدْكَ من خيرٍ ولكن رأيتُ سواك شراً منك جدَّا
كمضطرٍّ تحامى أكلَ ميْتٍ فلما اضطُرَّ عاد إليه شَدّا

قال الصُّولى : وآخر من أتى بهذا المعنى أحمد بن أبى طاهر :

بلوتُ الناس فى شرقٍ وغربٍ وميَّزتُ الكِرامَ من اللئامِ

(١) فى النسختين «ابن عرادة السعدى وكان» والوجه تقديم « وكان » كما فى زهر الآداب ، لكن فيه : « بن أبى عرادة » تحريف . وانظر أمالى القالى ٣ : ٣١ وذيل سمط اللآلى ص ١٧ .

فردَّنى ابتلاىَ إلى علىّ بْـ ـنِ يحيى بعد تجريبِ الأنامِ

٣٩٦ وعندى فى هذا المعنى مقاطيعُ جيِّدة ، لولا خشية السَّأم لسردتُها .

وزعم أبو تمام فى الحماسة أن القصيدة التى منها البيت الشاهد لزياد بن حَملَ بن سعيد بن عُميرة بن حُريث .

وأخطأ أبو عبيدٍ [١] البكرى (فى معجم مااستعجم) فى زعمه أن زياد بن حمَل هو المرار العدوى .

وزعم الأصفهانى (فى الأغانى) والخالديان (فى شرح ديوان مسلم بن الوليد) أن هذه القصيدة للمرَّار بن سعيد الفقعسى . والله أعلم . والصواب أنها لزياد بن منقذ العدوى . قاله ياقوت (فى معجم البلدان) ، قال : والمرَّار والحكم أخَوان .

(تتمة)

ذكر الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) من يقال له المرّار ستة . أولهم المرار الفقعسى . وستأتى ترجمته إن شاء الله فى الكاف من حروف الجر [٢] .

ثانيهم : المرَّار بن منقذ ، وتقدَّمت ترجمته هنا .

ثالثهم : المرارُ بن سَلامة العجلى ، وهو إسلامىٌّ .

رابعهم : المرارُ بن بشير السَّدوسى .

خامسهم : المرَّار الكلبىّ .

سادسهم : المرار بن مُعاذ الحَرَشىّ .

* * *

(١) ط : «أبو عبيدة» ، صوابه فى ش .

(٢) هذا سهو من البغدادى ، فإن المرار بن سعيد الفقعسى تقدمت ترجمته فى الخزانة ٤ : ٢٨٨ ـــ ٢٨٩ فى شواهد الإضافة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١]:

٣٨٠ (فبيناهُ يَشرِى رَحلَه قال قائلٌ
لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نجيبُ)

على أن واو (هوَ) قد يحذف ضرورة كما هنا ، فإنَّ الأصل : فبينا هو يَشرى .

قال سيبويه (فى باب مايحتمل الشعر): اعلمْ أنَّه يجوز فى الشعر مالا يجوز فى الكلام . إلى أن قال : وليس شىء يُضطَرُّونَ إليه إلَّا هم يحاولون به وجهاً . ومايجوز فى الشعر أكثر من أن أذكره لك ههنا ، لأن هذا موضعُ جُمَلٍ . قال أبو الحسن : سمعت من العرب قولَ العُجَير السلولى :

فبيناهُ يشرِى رحله قال قائلٌ . . . . البيت

قال الأعلم : أراد : بينا هو ، فسكن الواو ثم حذفها ضرورة ، فأدخلَ ضرورةً على ضرورة ، تشبيها للواو الأصليّة بواو الصلة فى نحو منهُ وعنه .

وزعم ابن الأنبارى (فى ترك صرف ماينصرف من مسائل الخلاف) : أنَّ الواو حذفت متحرِّكة . قال : إذا جاز حذفُ الواو المتحرِّكة للضرورة من فبيناه يشرى ، فَلَأن يجوز حذفُ التنوين للضرورة من باب الأوْلى ، لأنَّ الواو من هو متحركة ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أنّ حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك . اهـ

---

(١) ستأتى الاشارة إلى أن الشاهد وقع صدره فى أكثر نسخ كتاب سيبويه ، وهو دليل على سقوطه من كثير من النسخ . ومهما يكن فهو من شواهد أبى الحسن الأخفش لا من شواهد سيبويه ، كما نص الشنتمرى فى سيبويه ١ : ١٣ ـــ ١٤ بولاق . وانظر لهذا الشاهد الخصائص ١ : ٦٩ وابن الشجرى ٢ :٢٠٨ والإنصاف ٥١٢ وابن يعيش ٣ : ٩٦ وحواشى نشرتى من سيبويه ١ : ٣٢ .

و(بين) ظرفٌ ، لمَّا وصلِ بالألف إشباعاً للفتحة جاز إضافتُه إلى الجمل ، وحدَث فيه معنى زائد وذلك ظرفُ الزمان ، كما حدث فى مع لمَّا أُشبعت فتحتُها وحَدث بعدها ألفٌ من قولهم : معاً . وهو مبتدأ وجملة يشرى خبره ، والمجموع فى محل جر بإضافة بينا إليها . وإنما جاز هذا على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والتقدير : فبينا أوقاتٍ هو شارٍ رحلَه فإنَّه يقول . وبينا عند سيبويه لاتقع إلا للمفاجأة ، ولاتقع إلا فى صدر الجملة ، جعلوها بمنزلة الظُّروف المبهمة [1] التى تقع فى صدور الجمل ، فإذا أضفتها الى الجملة التى بعدها جئت بالفعل الذى عمل فيها ، نحو قولك : بينا زيد قائم جاء عمرو . وأما الأصمعى فإنه يقول : إضافة بينا الى المصدرِ المفرد

٣٩٧ جائزة ، ويروى لأبى ذؤيب :

* بينا تعنُّقِهِ الكُماةَ ورَوغِه *

بجر تعنُّقه . وقال ابن قتيبة : سألت الرياشيَّ عن هذه المسألة فقال . إذا ولِىَ لفظة بينا الاسمُ العلم رفعتَ ، فقلتَ : بينا زيدٌ قائم جاء عمرو . وإن وليَها المصدر فالأجود الجر . وقومٌ من النحويِّين لايجيزون إضافته إلى المصدر المفرد ولا إلى غير مصدر ، ويمضون على الأصل .

و(يشرِى) هنا بمعنى يبيع، وهو من الأضداد . والرَّحل : كلُّ شىءٍ يُعدّ للرحيل من وعاءٍ للمتاع ، ومركَب للبعير ، وحِلْس ورَسَن . و(المِلاط) بكسر الميم : الجنْب . ورِخْو المِلاط :سهلُه وأملسُه .كذا قال القالى [2].وقال

---

(١) ط : « المهمة » ، ووجهه ماأثبت من ش .

(٢) ط:«قال القاتل»، وأثبت مافى ش . ولأبى على القالى كتاب فى اللغة،هو «البارع» .ذكره البغدادى فى ١ :٥١٠/ ٣ :٢٩٠، ٣٠١، ٣٤٣ بولاق. وقال ياقوت:«جمع فيه كتب اللغة ، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة .قال الزبيدى:ولانعلم أحدا من المتقدمين ألف مثله» . ثم نقل عن أبى محمد العربى قوله:«كتاب البارع لأبى على القالى يحتوى على مائة مجلد ، لم يصنف مثله» . معجم الأدباء ٧ :٢٩ .

ابن حلَف : الملاط : مقدَّم السَّنام ، وقيل جانبه . وهما ملاطان : العضدان ، وقيل الإِبطان . وقوله : (رخو) إشارة الى عظَمه واتَّساعه . قال الأعلم : وصف بعيراً ضلَّ عن صاحبه فيئس منه ، وجعل يبيع رحلَه ، فبينا هو كذلك سمع منادياً يبشِّر به [١] . وإنما وصف ماورد عليه من السُّرور بعد الأسَف والحزن . والملاط : ماولى العَضُد من الجنب ، ويقال للعضدين : ابنا مِلاط . ووصف برخاوته لأنّ ذلك أشدُّ لتجافى عضديه عن كركرته ، وأبعَدُ له من أن يصيبه ناكت [٢] أو ماسح ،أو حازّ ، أو ضَبٌّ . وهذه كلها أعراضٌ وآفات تلحقه إذا حكَّ بعضده كِركِرته . اهـ . و(النجيب) : الجيِّد الأصيل ، والصواب بدله (ذلول) فإنَّ القصيدة لامية .

قال ابن خلف : وهذا البيت قد وقع صدرُه فى أكثر نسخ كتاب سيبويه ، وأنشده أبو الحسن الأخفش : «رخو الملاط نجيب» بالباء ، وأنشده أيضا (فى كتاب القوافى) كذا ، وقال : سمعت الباء مع اللام والميم والراء ، كلَّ هذا فى قصيدةٍ واحدة ، وهى : أبيات الشاهد

(ألَا قدْ أرى إن لم تكنْ أمُّ مالك
بمِلْكِ يدى أنَّ البقاءَ قليلُ

خليلىَّ سيرا واترُكا الرَّحْلَ إنّنى
بمَهْلكــة والعاقبــاتُ تدورُ

رأى من رفيقَيهِ جفاءً وغِلظةً
إذا قام يبتاعُ القلاصَ دميمُ

(١) ط:«يشير به»،وفى ش:«ينشده» مع أثر تصحيح، والوجه ماأثبت من شرح الأعلم ١:١٤.
(٢) الناكت ، بالتاء المثناة فى آخره ، وهو أن يحز مرفق البعير فى جنبه . ط : «الناكث» ، صوابه فى ش .

فبيناه يشرى رحلَه قال قائلٌ
لمن جملٌ رخوُ المِلاط نجيبُ)

قال : والذى أنشده أعرابىٌّ فصيح لايحتشم من إنشادها .

وقال أبو الفتح بن جنى : هكذا أنشده أبو الحَسن ، وهو بعيد ، لأنّ حكم الحروف المختلفة فى الروىّ أن يتقارب مخرجها كما أنشد سيبويه فى كتاب القوافى . والذى وجد فى شعر العُجير السَّلولى :

فباتت همومُ الصَّدرِ شتىَّ يَعدنه كما عِيدَ شِلوٌ بالعَراء قتيلُ
فبيناهُ يشرى رحله قال قائلٌ لمن جملٌ رِخو المِلاط ذلولُ
محلًّى بأطواقٍ عِتاقٍ كأنَّهـا بقايا لُجَينٍ جَرسُهنَّ صليلُ .اهـ

صاحب الشاهد وقال صاحب العباب : ألبيت للعُجَير السلولى ، ويروى للمُخَلَّب الهلالى ، وهو موجود فى أشعارهما . والقطعة لاميَّة ، ووقع فى كتاب سيبويه «نجيبُ» بدلِ : «ذلول» ، وتبعه النحاة على التحريف . وهى قطعةٌ غرَّاء . اهـ .

قال الأسود أبو محمد الأعرابى (فى ضالّة الأديب) : قال أبو الندى : القصيدة للمخلَّب الهلالىّ ، وليس فى الأرض بدوىٌّ الاَّ وهو يحفظُها ، وأوّلها :

وجَدتُ بها وجدَ الذى ضَلَّ نِضوهُ بمكة يوماً والرِّفاقُ نزولُ (١)
٣٩٨ بغَى مابَغى حتّى أتى اللَّيلُ دونَهُ وريحٌ تَعَلّى بالتُّرابِ جَفُـولُ
أتى صاحبَيْه بعدَما ضلَّ سعيُه بحيث تلاقت عامرٌ وسَلولُ
فقال : احملا رحلي ورحلَيكما معاً فقالا له : كلَّ السَّفاهِ تقولُ
فقال : احملانى واتركا الرَّحل إنّه بمهلكـةٍ والعاقبـاتُ تُدولُ

(١) ط : « وجدت لها » ، صوابه فى ش .

فقالا : مَعاذَ الله ، واستَرْبعتهما ورَحليْهـا عَيرانـةٌ وذَمـولُ (١)
شكا من خليليه الجفاءَ ونقدُه إذا قام يستام الركابَ قليلُ
فباتت همومُ النَّفس شتَّى يَعُدْنَه كما عِيد شِلوٌ بالعَرَاء قتيلُ
فبيناهُ يَشْرِى رحلَه قال قائل : لمن جَملٌ رِخوُ الملاطِ ذلولُ
محلًّى بأَطـواق عِتـاق تزينـه أهِلَّـــةُ جِنّ بينهنَّ فصولُ
فهلَّل حيناً ثم راح بنضوِه وقد حانَ من شمس النهار أفولُ
فما تمَّ قرنُ الشَّمسِ حتى أناخه بقَـرنٍ وللمستعجِـلات زليـلُ
فلما طوى الشَّخصينِ وازورَّ منهما ووطَّنـه بالنَّقْـرِ وهـو ذلـولُ (٢)
فقاما يجرّان الثيابَ كلاهما ، لما قد أسرّا بالخليل ، قبيلُ
فقال : ارفعا رَحْلَيكما وترفَّعا فماءُ الأَداوِى بالفلاة قليلُ (٣)

وقد سلك العُجَير السلولى طريقة المخلَّب الهلالى ، وأدرج معانىَ قطعته فى شعره فقال :

ألا قد أرى إنْ لم تكن أُمّ خالدِ بِمَلك يدى أنّ البقاء قليلُ (٤)
وأن ليس لى فى سائر الناس رغبةٌ ولا منهمُ لى ماعداكِ خليلُ

---

(١) يقال ربع الحجر يربعه ربعا وارتبعه : شاله ورفعه ، وقيل حمله . وفى ش : « واسترجعتهما » .

(٢) النقر : صوت اللسان ، وهو أن يلزق طرفه بمخرج النون ثم يصوت به فينقر بالدابة لتسير . ط : « بالنفر » ، صوابه بالقاف كما فى ش .

(٣) الأَداوى : جمع إداوة ، وهى إناء صغير يتخذ للماء .

(٤) يقال هذا مِلك يدى ومَلكها بكسر الميم وفتحها ، كما فى إصلاح المنطق ٧٠ واللسان (ملك ٣٨٣).

وما وجَدَ النَّهدىُّ وجداً وجدته عليها ، ولا العُذرىُّ ذاك جميلُ (١)
ولا عُروةٌ اذْ مات وجداً وحسرة بعفراء لما أنْ أجدَّ رحيلُ (٢)
ولا وجدُ مُلْقٍ رحلَه ضَلّ نضْوه بمكَّـةَ أمسى والرِّفـــاقُ نزولُ
سَعى ماسعَى حتى أتى الليلُ دونه وريحٌ تَلهَّـى بالتُّراب جَفـولُ

وساق هذا المساق حتى قال بعد سبعة أبيات :

فبيناهُ يشرى رحله قال قائلٌ لمن جملٌ رَسْلُ المِلاط طويلُ

كذا فى شعر العجير: «رسل الملاط طويل» ، فعلُم أن السبق للمُخَلَّب الهلالى . شبّه الشاعر حاله فى هوَى امرأةٍ يُحِبُّها وشدّةِ وجدهِ بها ، بوَجدِ هذا الرجل الذى ضَلّ بعيرهُ وفارقه أصحابُه فباتت همومُ هذا الرجل شتى تذهب عنه حيناً فيسكن ، وتجيئه حيناً فيعود إليه الألم ويأتيه ، كما يأتى العوائدُ إلى المريض وإلى القتيل ينظُرنه ، فبينا هو يبيعُ رحل جمله الذى ضَلَّ منه سمع من يعرِّف الجمل ليردَّه على صاحبه .

والشلو بالكسر : العضو . والعَرَاء بالفتح : الفضاء . والأطواق : جمع طوق . والعِتاق : الحسان . والجَرْس : الصوت . والصليل : صوتٌ فيه شِدّة مثل صوت الحديد والفضة وماأشبههما . والنِّضو ، بالكسر : البعير المهزول . والرِّيح الجفول : التى تلقى التراب شيئاً على شىء. والسَّفاهُ ، بالفتح : مصدر
٣٩٩ سَفِه فلان سفاهة وسَفاهاً.وتدول بمعنى تدور.يقال دالت الأيامُ تدُول مثل

(١) النهدى هو عبد الله بن عجلان ، وهو شاعر جاهلى ، قال فيه المجنون :

فما وجدت وجدى بها أم واحد ولا وجد النهدى وجدا على هند
ولا وجد العذرى عروة فى الهوى كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى

تزيين الأسواق ٧٦ .

(٢) ط : « إذ مان » ، صوابه فى ش .

دارت تدور ، وزناً ومعنى . واستام : افتعل من السَّوم ، يقال سام المشترى السلعة واستامها ، إذا طلب بيعَهَا ، والرِّكاب : الإبل ، وهو مفعول ، وقليل خبر المبتدأ الذى هو نَقْدُه ، أى دراهمه . وقَرْنٌ الثانى : موضعٌ . وزليل : مصدر زلَّ يزِلّ بالزاى ، إذا مرّ مَراً سريعا .

والعجير السلولى بضم العين وفتح الجيم ، قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : هو منسوبٌ إلى بنى عُجَير ، وهو حىٌّ من أحياء العرب . العجير السلولى

أقول : العجير لقبٌ ، وليس فيه نسبة . على أنَّ الصاغانى قال (فى العباب) : بنو عُجرة : قبيلةٌ من العرب . وليس فيه بنو عجير .والعُجير يحتمل أن يكون مصغر عَجر ، مصدر عجّر عنقَه ، إذا لواها ، ومصغّرَ عَجَر بفتحتين ، مصدر عجِر بالكسر ، أى غلُظ وسَمِن . ويحتمل أن يكون مصدرَ ترخيم أعجر ، يقال كيس أعجر ، أى ممتلىء [1] ، وفحل أعجر أى ضخم.

قال اللخْمىّ (فى شرح أبيات الجمل):اسم العجير عُمَير بالتصغير، ابن عبد الله بن عَبيدة:بفتح العين وكسر الموحدة،وقيل ابن عُبيدة بضمها. وهو من بنى سَلول بن مرّة بنْ صعصعة،أخى عامر بن صعصعة.وأمُّ بنى مُرَّة سلول بنت ذُهل بن شيبان بن ثعلبة،غلبت عليهم وبها يعرفون .ويكنى العُجير أبا الفرزدق،وأبا الفيل.وهو شاعرٌ إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأموية.اهـ

وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف):أبو الفرزدق عُجيرٌ السَّلولى،مولًى لبنى هلال.ويقال هو العجير بن عبد الله بن عَبيدة بن كعب بن عائشة بن ضبيط بن رفيع بن جابر بن عمرو بن مرة بن صعصعة،وهم سلول.اهـ

وسَلُولُ : اسمٌ مرتجل غير منقول .

وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد الثلثمائة [2] .

---

(١) فى اللسان « وكيس أعجر وهميان أعجر ، أى ممْتلئ » .

(٢) انظر ص ٣٥ .

وأما المخلَّب الهلالى فهو بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحة اسم منقول . قال صاحب العباب : يقال ثوبٌ مخَلَّبٌ ، إذا كانت نقوشه كمخالب الطير ، وقيل هو الكثير الوشْى من الثِّياب . وكرسيٌّ مخلّب : معمول بالليف . ومُخلْب التنُّور : طينه .

وهذا الشاعر لم أقفْ على نسبه ولا على شيءٍ من أثره . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو من أبيات س ، وتقدَّم عليه الكلام فى الشاهد الثالث والثمانين [1] :

(دارٌ لسُعدَى إذهِ من هَواكا)

على أنّ الأصل (إذهى) فحذفت الياء ضرورة . قال الفالىّ (فى شرح اللباب) أوله :

* هل تَعرِفُ الدار على تِبراكا *

وهو بكسر التاء موضع .

وفى هذا ردٌّ على الكوفيين فى زعمهم أنَّ الضمير فى هو وهى إنّما هو الهاء ، والواو والياء زائدتان .

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنّ الاسم من هو وهى الهاء وحدها . وذهب البصريون إلى أنّ الهاء والواو من هو ، والهاء والياء من هى ، هما الاسم بمجموعهما . أمَّا الكوفيون فاحتجوا بأنْ قالوا : الدليل على أن الاسم هو الهاء أنّ الواو والياء يحذفان فى التثنية، نحو : هما ؛ ولو كانت أصلاً لما حذفت . والذى يدلُّ عليه أنّهما يحذفان فى الإفراد وتبقى الهاء قولُه :

(١) الخزانة ٢ : ٤ .وانظر أيضا العقد ٤ : ١٨٥ وابن يعيش ٣ : ٩٧ .

فبيناه يَشْرِى رحله . . . . البيت

وقال الآخر ٤٠٠

بيناهُ فى دارِ صدقٍ قد أقام بها حيناً يعللّنا وما نعلّلهُ (١)

وقال الآخر :

إذاهُ سِيم الخَسْفَ آلى بِقَسَمْ بالله لايأخذ إلّا ماحتَكَمْ (٢)

وقال الآخر :

* دار لسُعْدَى إذه من هواكا *

فدلَّ على أنَّ الاسم هو الهاء وحدها . وإنَّما زادوا الواو والياء تكثيراً للاسم ، كراهية أن يبقى على حرفٍ واحد .

وأمَّا البصريُّون فاحتجوا بأن [قالوا : الدليل على أنّ (٣)] الواو والياء أصلٌ أنّه ضميرٌ منفصل ، والضمير المنفصل لايجوز أن يُبنى على حرفٍ ، لأنّه لابد من الابتداء بحرف والوقفِ على حرف ، فلو كان الاسم هو الهاء لكان يؤدِّى أن يكون الحرف الواحد ساكناً متحركا ، وهو محال . وأمَّا قولهم: إن الواو والياء يحذفان فى التثنية . قلنا : إنَّ هُما ليس تثنية، وإنّما هى صيغة مرتجلة للتثنية ، كأنتما . وأمَّا ماأنشدوه من الأبيات فإنَّما حذفت الواو والياء لضرورة الشعر ، كقول الشاعر :

فلستُ بآتيـهِ ولا أستطيعُـه ولاكِ اسقنى إنْ كان ماؤك ذا فضْلِ

أراد : ولكن اسقنى ، فحذفت النون للضرورة .وأمَّا قولهم:زادوا الواو

(١) سيبويه ١ : ١٢ والانصاف ٦٧٨ .
(٢) الانصاف ٦٧٨ واللسان (ها ٣٦٦) .
(٣) التكملة من الإنصاف .

والياء تكثيراً للاسم كما زادوا الواو فى ضربتهو ، قلنا : هذا فاسد ، لأنَّ هو ضمير منفصل ، والهاء ضمير متَّصل ، وقد بيَّنَّا أنَّ المنفصل لايجوز أن يكون على حرفٍ ، بخلاف المتَّصل ، لأنَّه لايقوم بنفسه ، فلا يجب فيه ما وجب فى المنفصل ، والواو فى ضربتهو لازمةُ السُّكون ، بخلاف واو هو فإنَّها جائزة السكون، ولو كانا بمنزلةٍ لوجب أن يسوَّى بينهما فى الحكم . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الثلثمائة (١) :

٣٨١ (وإنّ لسانى شُهدةٌ يُهتدَى بها وهُوَّ على من صبَّه الله عَلقمُ (٢))

على أن هَمْدان تشدِّد واو (هو) كما فى البيت ، وياء (هى) ؛ ولم يمثّل له ، وهو فى هذا البيت :

والنّفس ماأُمِرت بالعنف آبيةٌ وهىَّ إن أُمرت باللُّطف تأتمرُ

وهَمْدان ، بفتح الهاء وسكون الميم والدال مهملة : قبيلة من اليمن ، وهو لقبٌ،واسمه أَوْسَلَة بن ربيعة بن لِخْيان بن مالك بن زيد بن كَهلان.
وهمدان وصفٌ من الهمدة ، وهى السَّكتة .وهمدت أصواتهم : سكتت .

و(شهدة) بضم الشين : العسل بشَمْعه . قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : هذا البيتُ أورده الفارسى (فى التذكرة) عن قطرب والبغداديِّين ، وفيه أربعة شواهد : أحدها تشديد واو هو . الثانى : تعليق الجار بالجامد لتأويله بالمشتق ، وذلك لأنّ قوله هو علقم مبتدأ وخبر ، والعلقم هو الحنظل ، وهو نبتٌ كريه الطَّعم ، وليس المرادَ هنا ، بل المراد شديدٌ أو صعب ، فلذلك علِّق به « على » المذكورةُ . ونظيره قوله :

---

(١) انظر ابن يعيش ٣ : ٩٦ وشرح شواهد المغنى ٢٨٥ والعينى ١ : ٤٥١ والتصريح ١ : ٤٨ والهمع ١ : ٦١ / ٢ : ١٥٧ والأشمونى ١ : ١٧٤ .

(٢) فى هامش المطبوعة : « قوله يهتدى ، المعروف يشتفى . كذا بهامش الأصل » .

* وكلُّ فؤادٍ عليك أُمٌّ (١) *

فعلَّق عَلَى بأُمّ ، لتأويله إياها بمشتقّ . وعلى هذا ففى علقم ضميرٌ كما فى قولك : زيد أَسد ، إذا أوّلته بقولك : شجاع ، إلّا إذا أَردت التشبيه . ومن تعلُّق الظرف بالجامد لِمَا فيه من معنى الفعل قولُه :

تركتِ بنا لَوْحاً ولو شئتِ جادنا   بُعَيْدَ الكَرى ثلجٌ بكَرمانَ ناصحُ (٢)

منعتِ شفاءَ النفسِ ممن تركتِهِ   به كالجوى مما تجنُّ الجوارحُ (٣)

٤٠١ لَوحا بفتح أوّله ، أىْ عَطَشا ، يقال لاح يلُوح أَى عطش . وبُعَيْدَ متعلِّق بثلج ، لما فيه من معنى بارد ، وإذا كان ريقها بارداً فى وقت تغيُّره من نومها فما ظنُّك به فى غير ذلك . وكَرْمان بالفتح : مدينة معروفة .وناصح :خالص.

الثالث : جواز تقديم معمول الجامد المؤوّل بالمشتق ، إذا كان ظرفاً . ونظيره فى ذلك أيضاً فى تحمُّل الضمير قوله :

* كلُّ فؤادٍ عليك أُمٌّ *

الرابع : جواز حذف العائد المجرور بالحرف مع اختلاف المتعلَّق ، إذ التقدير : وهو علقم على من صبَّه الله عليه . فعلى المذكورة متعلِّقة بعلقم ، والمحذوفة متعلِّقة بصبَّه .

وبهذين الوجهين الأخيرين أُورده فى مغنى اللبيب .

* * *

(١) صدره كما فى الخصائص ٣ : ٢٧٢ :

* مأأملك اجتاحت المنايا *

(٢) لجرير فى ديوانه ١٠٠ وشرح شواهد المغنى ٣٠١ من قصيدة يمدح بها عبد العزيز بن مروان .

(٣) فى الديوان وشرح شواهد المغنى : «الجوانح» ، وهو الأوفق ، كما أن هذا البيت فيهما سابق لسابقه هنا .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الثلثمائة [١]:

٣٨٢ (رَمَيتيهِ فأقصدتِ وما أَخطَأْتِ **الرَّمْيَهْ**)

على إنَّ أبا علىّ قال : تلحق الياء تاء المؤنث مع الهاء . **قال أبو على** (فى الحجة) فى توجيه قراءة حمزة : ﴿ وما أنتُمْ بِمُصْرِخِيِّ [٢] ﴾ : بكسر الياء المشددة من سورة إبراهيم عليه السلام [٣] : «والأكثر أن يقال رميته بكسر التاء دون ياء ؛ كما قال أقصدتِ بدون ياء » .وأقصَدْتِ بمعنى قَتْلتِ . قال صاحب الصحاح : وأقصد السَّهمُ أى أصاب فقَتل مكانه . وأقصدته حيَّة : قتلته . قال الأخطل :

فإن كنتِ قد أَقصدتِنى أوْ رميتنى بسهمَيْك فالرَّامى يَصيدُ ولا يَدرى[٤]

أى ولا يَخْتِل . انتهى .

وهذه رواية أبى عَلّيٍ فى كتابه (الهاذور[٥]) . ورواه (فى الحجة) : «رميتيه فأصْمَيتِ [٦]» . قال صاحب الصحاح : وأصميت الصَّيد ، إذا رميته فقتلته وأنت تراه . وقد صَمَى الصيدُ يَصمِى كرمى يرمى ، إذا مات وأنت تراه . والرمْيَة : فاعل أخطأت ، وسكّن آخره للقافية . وروى :

* وما أُخطأتِ فى الرَّميه *

---

(١) لم أجد له مرجعا آخر .

(٢) الآية ٢٢ من ابراهيم .

(٣) ط : « ابراهيم صلى الله وسلم على نبينا وعليه » .

(٤) فى الديوان ١٢٨ : «بسهمك والرامى يصيب وما يدرى » .

(٥) هو المعروف بنقض الهاذور ، وهو فى الرد على ابن خالويه فى رده كتاب الأغفال لأبى على الفارسى . انظر ماسبق فى ٢ : ٢٨١ .

(٦) ط : « فأصمت » ، صوابه فى ش .

بالخطاب أيضا . وبعده :

(بسهمينِ مليحينِ أعارتْكِيهما الظَّبْيَهْ)

وأعارَتكِيهمَا مثل رَمَيتيه ، بزيادة الياء من إشباع الكسرة . كذا أنشد البيتين أبو حيان (فى تذكرته) عن أبى الفتح بن جنّى .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلثمائة :

٣٨٣ (فبتُّ لَدَى البيْتِ العَتِيقِ أُريغُه

ومِطْوَاىَ مُشتاقانِ لَهْ أرِقَانِ)

على أنّ بنى عقيل وبنى كلاب يجوّزون تسكين الهاء ، كما فى قوله «له» بسكون الهاء .

والذى نقله ابن السرَّاج (فى الأصول) ، وابنُ جنى (فى الخصائص والمحتسب وغيرهما) أنَّ تسكين الهاء لغةٌ لأزد السَّراة . وجعله ابن السَّراج من قبيل الضرورة عندهم . قال : وقد جاء فى الشعر حذفُ الواو والياء الزائدة فى الوصل مع الحركة ، كما هى فى الوقف سواء . قال رجلٌ من أزد السراة :

فظَلْت لدى البيْتِ العتيق أُخِيله .. .. البيت .

وكذلك يشعر كلام أبى عَلىّ (فى المسائل العسكرية) حيث قال : هذا من إجراء الوصل مجرى الوقف . وأما قوله :

* ما حَجّ ربَّهُ فى الدُّنيا ولا اعتمرا (٢) *

---

(١) الخصائص ١ : ١٢٨ ، ٣٧١ والمحتسب ١ : ٢٤٤ والمنصف ٣ : ٨٤ .

(٢) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ١٢ والإنصاف ٥١٦ . وصدره :

* أو معبر الظهر ينبى عن وليته *

٤٠٢ فهذا خارج عن حدِّ الوقف والوصل جميعاً ، والصواب أنَّه لغة لاضرورة . وإليه ذهب ابن جنى فى موضعين (من الخصائص) قال فى الموضع الأول ، وهو باب تعارض السماع والقياس : ومما ضَعُف فى القياس والاستعمال جميعاً بيتُ الكتاب :

له زجلٌ كأنَّهُ صوتُ حادٍ إذا طلب الوسيقةَ أو زميرُ [(١)]

فقوله «كأنَّه» خَلْس بحذفِ الواو وتبقية الضمة ، ضعيف فى القياس قليلٌ فى الاستعمال . ووجه ضعفِ قياسه أنه ليس على حدِّ الوصل ولا على حدِّ الوقف ، وذلك أن الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه ، كما تمكنت فى قوله أول البيت : له زجل ، والوقف يجب أن تحذف الواو والضمة فيه جميعاً وتسكن الهاء ؛ فضمُّ الهاء بغير واو منزلةٌ بين منزلتى الوصل والوقف .

وقال أبو إسحاق فى نحو هذا : إنه أجرِىَ فى الوصل مجرى الوقف . وليس الأمر كذلك ، لما بيَّناه ، لكنْ ماأجرى من نحو هذا فى الوصل على حدِّ الوقف قولُ الآخر :

فظلْتُ لدى البيت العتيق أُخِيله .. .. البيت

على أنَّ أبا الحسن حكى أنَّ سكون الهاء فى نحو هذا لغةٌ لأزد السراة . ومثل هذا البيت مارويناه عن قطرب ، قولُ الشاعر [(٢)]:

وأشربُ الماء مابى نحوه عطشٌ إلا أنَّ عيونَهْ سيلُ وادِيها [(٣)]اهـ

---

(١) سيبويه ١ : ١١ . وهو للشماخ فى ديوانه ٣٦ . وفى النسختين : «زميل» ، صوابه ماأثبت من سيبويه والديوان والخصائص ١ : ١٢٧ / ٢ : ١٧ ، ٣٥٨ .

(٢) فى الخصائص : « من قول الشاعر » .

(٣) مجهول القائل . وانظر المحتسب ١ : ٢٤٤ والهمع ١ : ٥٩ .

وقال مثله فى سورة الأنعام [١](من المحتسب) .

وقال فى الموضع الثانى ، (وهو باب الفصيح) : يجتمع فى الكلام الفصيح لغتان فصاعداً من ذلك قوله : فظلت لدى البيت إلخ ، فهذان لغتان ، أعنى إثباتَ الواو فى أُخيله ، وتسكينَ الهاء فى قوله «له» ؛ لأنَّ أبا الحسن زعم أنَّها لغةٌ لأزد السَّراة . وإذا كان كذلك فهما لغتان . وليس إسكان الهاء فى له عن حذفٍ لحق بصيغة الكلمة ، لكن ذلك لغة . وأما قول الشمّاخ :

له زجل كأنَّهُ صوتُ حاد .. .. البيت

فليس هذا لغتين ، لأنَّا لانعلم رواية حذف هذه الواو وإبقاء الضمة قبلها ، فينبغى أن يكون ذلك ضرورة وصنعةً ، لا مذهبا ولا لغة [٢] انتهى .

(تتمة)

ذكر الشارح المحقق حذف واو الصلة ويائها ، ولم يذكر حذف الألف من نحو رأيتها . قال ابن جنِّى (فى سر الصناعة) : أمّا الألف فى نحو رأيتها فزيدت علما للتأنيث . ومَنْ حَذَفَ الواو من نحو : كأنَّه صوت حاد ، ومن نحوِ : له أرقان ؛ لم يَقُلْ فى نحو رأيتها ونظرت إليها إلاّ بإثبات الألف ، وذلك لخفَّة الألف وثقل الواو . إلَّا أنا روينا عن قطرب بيتاً حُذفت فيه هذه الألف ، تشبيهاً بالواو والياء ، لما بينهما وبينها من النسبة . وهو قوله :

أعلقْتُ بالذِّئب حبلاً ثم قلتُ له اِلحَقْ بأهلك واسلمْ أيُّها الذِّيبُ [٣]

---

(١) هذا سهو من البغدادى ، وصوابه « الأعراف » الآية ١٩ عند قوله تعالى : « مِن هذى الشجرة » بقراءة ابن مُحَيْصِن . انظر المحتسب ١ : ٢٤٤ .

(٢) فى الخصائص : «لا مذهبا ولغة» .

(٣) البيتان فى اللسان (ركب ٤١٤) بدون نسبة أيضا . وفى الثانى منهما إقواء ظاهر .

إمّا تقودُ به شاةً فتأكلُها
أَو أن تبيعَهَ فى بعض الأَراكيبِ

يريد :تبيعَها ، فحذف الألف . وهذا شاذ . انتهى .

وقوله:(فبتُّ) باتَ من أخوات كان ، التاء اسمها ، وجملة أريغُه خبرها . وبات يفعل كذا معناه اختصاص ذلك الفعل بالليل ، كما اختص الفعل بالنهار فى نحو: ظلَّ يفعل كذا . ومنه تعرف ضعف الرواية الأخرى ، وهى : «فظَلْت لدى البيت » بفتح الظاء وأصله ظَلِلْت بلامين ، فخفِّف بحذف إِحدى اللامين . وهى من أَخوات كان أيضا . قال الخليل : لاتقول العرب ظلَّ إلاّ لعمل يكون بالنهار . (ولدَى) بمعنى عند . و(البيت العتيق) : مكة شرفها الله تعالى .
٤٠٣ والعتيق : الشَّريفُ والأَصيل ، أو لأنه عُتِق من الطوفان .

وروى : « البيتِ الحرامِ » بمعنى الممنوع ، من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول . يقال البيت الحرام ، والمسجد الحرام ، والبلد الحرام ، أى لايحلُّ انتهاكه . و(أريغه) بمعنى أطلبه ، يقال أرغت الصيد . وماذا تُرِيغ ، أى ماذا تريد ، وهو بالراء المهملة والغين المعجمة . ويقال أرِيغُونى إراغتكم ، أى اطلبونى طلبتكم . قال خالد بن جعفر بن كلاب فى فرسه حَذْفَةَ :

أريغونى إراغتكم فإنِّى وحَذْفة كالشجا تحتَ الوريدِ

وقال عَبيد بن الأبرص يردُّ على امرىء القيس :

أتوعد أُسرتى وتركتُ حجرا يُرِيغُ سوادَ عينيه الغرابُ

وقال زُهير بن أبى سلمى فى ابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأريغه وجلدةُ بين العين والأنفِ سالمُ

وهذا المصراع الثانى أراد عبد الملك فى جوابه عن كتاب الحجاج : أنت

عندى كسالم : وقد أخطأ صاحب الصحاح خطأً فاحشا فى قوله : يقال للجلدة التى بين العين والأنف : سالم .

وأخطأ ابن خلفٍ أيضاً (فى شرح أبيات سيبويه) فى نسبة هذا البيت لعبد الله بن عمر ، قاله فى ابنه سالم ، والصواب أنَّه تمثَّل به لا أنّه قاله .

وأخطأ صاحبُ (العباب) أيضاً فى زعمه أنّ هذا البيت لدارةَ أبى سالم ، والصواب أنه تمثل به أيضاً ، فإنَّ البيت من أبيات لزهير بن أبى سلمى ثابتةٍ فى ديوانه .

قال شارح ديوانه : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، جميلُ الوجه حسنُ الشعر ، وبعث إليه رجلٌ ببردين ، فلبسهما الفتى وركب فرساً له جيدا ، وهو بماءةٍ يقال لها النُّتاءة (١) ، بضم النون بعدها مثناة فوقية بعدها ألف ممدودة ، فمرَّ بامرأةٍ من العرب فقالت : مارأيتُ كاليوم رجلا ولا بُردَين ولا فَرَسا (٢)!! فعثرت به الفرسُ فاندقَّت عنقه وعنق الفرس ، وانشقَّ البردان ، فقال زهير يرثى ابنه سالما :

رأتْ رجلاً لاقى من العَيش غبطةً   وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشبَّ له فيها بنونَ وتُوبعت   سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ
فأصبح محبوراً ينظِّر حوله   بمغبطةٍ لو أنَّ ذلك دائمُ
وعندى من الأيام ماليس عنده   فقلت تعلَّمْ أنما أنت حالمُ (٣)

---

(١) ط : « بماء » صوابه فى ش . وفى ش : «النتاية» ، صوابه فى ط . قال ياقوت : « وهو من النتوء ، وهو خروج الشىء عن موضعه من غير بينونة » .

(٢) فى شرح الديوان ٣٤١ : « ولا فرسا أحسن » .

(٣) فى شرح الديوان : « يخاطب ابنه يقول : مأأنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم » .

لعلَّكِ يوما أن تُراعِى بفاجع كما راعنى يومَ النُّتاءة سالمُ (١)
يديروننى عن سالم وأريغه وجلدة بين العين والأنف سالمُ

انتهى .

وروى جماعة بدل أريغه : « أُخِيله » بالخاء المعجمة ، يقال أخلْت السَّحابةَ وأخْيَلتها ، إذا رأيتها مُخِيلةً للمطر ، بضم الميم ، أى تخيِّل مَن رآها أنها ممطرة . وهو من خال أى ظَنَّ . ومَخِيلة أيضاً ، أى موضع لأن يُخالَ فيها المطر . كذا قال المعرى (فى شرح ديوان البحترى) . وأنشد هذا البيت .

وروى صاحب الأغانى ، وعلى بن حمزة البصرى بدله : « أَشيمه » ، يقال شامَ البرقَ ، إذا نظر إليه ، أى إلى سَحابته أين تمطر .والهاء فى الروايات الثلاث ضمير البرق فى بيت قبله .

وقوله : (ومِطْوَاىَ) هو مثنى مِطوٍ ، حذفت نونه عند الإضافة إلى ياء المتكلم . قال على بن حمزة البصرى (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) : ٤٠٤
المطو بكسر الميم وضمها : الصاحب . وأنشد هذا البيتَ وقولَ الشاعر :

عَلامَ تقول الأسعدان كلاهما
ومِطوُهما كبشٌ بذِورةَ مُعْبَرُ

وقال صاحب الصحاح : مِطْوُ الشيء ، بالكسر : نظيره وصاحبه . وأنشد :

ناديتُ مِطوى وقد مالَ النهارُ بهم
وعَبرة العين جارٍ دمعُها سَجِمُ

---

(١) يخاطب زهير هذه المرأة التى حسدت ابنه سالما . وفى معجم البلدان : « تراع » ، تحريف يخالف مافى النسختين والديوان .

وقال رجلٌ من أزدِ السَّراة يصف برقا :

فظلتُ لدَى البيت العتيق أُخيله ومِطوايَ مشتاقان لَهُ أرقانِ

أى صاحباى . انتهى .

وقوله : (مشتاقان) خبر مطواى . وكذلك (أرقان) ، وضمير له للبرق أيضاً .

وروى صاحب الأغانى ، ومحمد بن حمزة العلوى (فى حماسته) :

* ومطواى من شوقٍ له أرِقانِ *

وعليه لاشاهد فيه ، فأرقان خبر مِطواى ، ومن تعليلية متعلقة بأرقان ، وهو مثنى أرق بكسر الراء ، وهو وصف من الأرَق بفتحها ، بمعنى السَّهَر.

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ ليَعْلَى الأحولِ الأزدىّ ، مطلعُها فى رواية أبى عمرو الشيبانى :

أبيات الشاهد (أويحكما ياواشِيَىْ أمِّ مَعمرٍ بمن وإلى مَن جئتما تَشيانِ
بمنْ لو أراه عانياً لفدَيْتُه ومن لو رآنى عانياً لفدانى
أرِقتُ لبرقٍ دونــه شَدَوانِ يمان وأهوى البرقَ كلَّ يمانِ
فبتُّ لدى البيت الحرام أُشيمه ومِطواى من شوق له أرِقانِ
إذا قلت شِيماهُ يقولانِ والهوى يصادفُ منَّا بعضَ ماتريانِ)

إلى أن قال بعد أربعة أبيات :

(ألا ليتَ حاجاتى اللواتى حبَسنَنى لدى نافع قُضِّينَ منذُ زمانِ

ومابىَ بُغضٌ للبلادِ ولاقِلًى ولكنَّ شوقا فى سواهُ دعانى
فليتَ القلاصَ الأدمَ قد وَخدَت بنا بوادٍ يمان فى رُباً ومَحانِ
بوادٍ يمَانٍ ينبت السِّدرَ صدرُه وأسفلُهُ بالمرخ والشَّبَهانِ
يدافعنا من جانبيه كلاهما غريفان من طَرفائه هَدِبانِ
وَلَيْتَ لنا بالجَوْز واللوز غِبلةً جَناها لنا من بطن حَلْية جاني
وليت لنا بالدِّيك مُكَّاءَ روضةٍ على فنن من بطن حَلية دانى
وَلَيتَ لنا من ماءِ زمزم شَربةً مُبرَّدةً باتت على طَهَيانِ)

الواشى : النَّمّام ، وشى يشى وشيا . والعانى : الأسير . وشَدَوان ، بفتح الشين المعجمة والدال (١) ، قال أبو عبيد (فى المعجم) : هو موضعٌ ذكره أبو بكر .

ونافع : والى مكة ، كان حبس الشاعر .

والقِلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشَّابَّة . والأدم : جمع أدماء . والأُدمة فى الإبل : البياض الشديد .ووَخدت : أسرعت . ورُباً : جمع ربوة . ومحانٍ : جمع محنِيَة ، بفتح الميم وكسر النون ، وهو موضع انحناء الوادى .

والمَرْخ : شجرٌ سريع الوَرْى . والشّبهانُ بفتح الشين المعجمة وضم الموحَّدة وفتحها : شجرٌ شائك ، وقيل هو النَّمَّام من الرياحين .

٤٠٥ والغَرِيف ، بالغين المعجمة : الشجر الكثير الملتفّ ، أىَّ شجر كان . والهدِب بفتح فكسر : الشجر الذى له هَدَب بفتحتين ، وهو كل ورق ليس له عرض ، كورق الأثل والطَّرْفاء والسَّرو .

---

(١) قيده ياقوت بلفظ التثنية . وذكر البكرى أنه على وزن فعَلان .

والغيلة ، بكسر الغين المعجمة : ثمرة الأراك الرطبة . تمنّى أن يأكل الغِيلة بدلَ الجوز واللوز .

وحلية : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بعدها مثناة تحتية ، قال أبو عبيد (فى المعجم) : أجمة باليمن معروفة ، وهى مأسَدة .

وقوله : وليت لنا بالدِّيك ، أى بدل الديك .

وطَهَيان بفتح الطاء والهاء والمثناة التحتية ، وهو جبل . يريد أيضاً بدلا من ماء زمزم . وهذا البيت يأتى شرحُه إن شاء الله تعالى فى حروف الجر فى الشاهد الخامس والسبعين بعد السبعمائة .

ويعلى الأزْدىّ ، بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام بعدها ألف مقصورة . قال الأصبهانى (فى الأغانى) : يعلى الأحول الأزدى ، هو ابن مسلم بن أبى قيس ، أحد بنى يشكر بن عمرو بن فلان ـــ وفلان هو يشكر (١) ـــ ويشكُر لقَبٌ لُقِّبَ به ـــ ابن عمران بن عمرو بن عدىّ بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام ـــ هكذا وجدته بخط المبرد ـــ ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر . شاعرٌ إسلامىٌّ لصٌّ ، من شعراء الدَّولة الأموية . وقال هذه القصيدة وهو محبوسٌ بمكة عند نافع بن عَلقمة الكنانى ، فى خلافة عبد الملك بن مروان . قال أبو عمرو الشيبانى: كان يعلى الأحولُ الأزدىٌّ لصًّا فاتكا،وكان خليعاً يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم فيُغير بهم على أحياء العرب،ويقطع الطَّريقَ على السَّابلة،فشُكِيَ إلى نافع بن علقمة بن مُحرِّث(٢) الكنانى ثم الفقيمى ، وهو

يعلى الأحول الأزدى

(١) فى الأغانى ١٩ : ١١١ : «بن رألان ، ورألان هو يشكر » .

(٢) فى الأغانى : « الحارث » ، وماهنا صوابه . و «محرث» نسبة الى جده الأعلى ، وهو كما فى البيان ١ : ٣٠٢ ، ٣٩٣ : نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث . وقال الجاحظ : إنه كان خال مروان ، وكان واليا على مكة والمدينة ، وكان شاهرا سيفه لايغمده .

خال مَرْوان بنِ عبد الملك ، وكان والىَ مكة ، فأخذ به عشيرته الأزديين ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمعَ إليه شيوخُ الحى ، فعرَّفوه أنه خليع قد تبرَّءوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنه لو أخذ به سائر الأزد ماوضع يده فى أيديهم . فلم يقبلِ ذلك منهم وألزمهم إحضاره ، وضمَّ إليهم شُرَطا [١] يطلبونه إذا طَرَق الحىَّ يَجيئونه به ، فلما اشتدَّ عليهم فى أُمره طلبوه حتى وجدوه ، فأتَوهُ به فقيده وأودعَه الحبس ، فقال فى محبِسِه هذه القصيدة . كذا قال المبرد ، وعمرو بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه [٢] . قال الشيبانى : ويقال إنها لعمرو بن أبى عمارة الأزدى ، من بنى خُنَيْس . ويقال إنها لجوَّاس بن حَيَّان ، من أزد عُمان . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الثلثمائة [٣] :

٣٨٤ (وما نُبالى إذا ماكنتِ جارتَنا أن لايُجاوِرَنا إلّاكِ دَيَّارُ)

على أنّ وقوع الضمير المتصل بعد إلاَّ شاذٌّ ، والقياس وقوعُه بعدها منفصلا نحو : أن لايجاورنا إلاّ إيَّاكِ ديار .

وإنما استحقَّ النصب لأنه استثناءٌ مقدَّم على المستثنى منه وهو ديَّار .

وإنما استحقَّ الفصل مع أنه معمول لإلاّ على الصحيح ،لأنَّه مانحو مالقيت

(١) ط : « شرط » ، صوابه فى الأغانى وفى ش مع أثر تصحيح . والشرط بضم ففتح : جمع شرطى .

(٢) ط : « عن أبى أبيه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) الخصائص ١ : ٣٠٧ / ٢ : ١٩٥ وابن يعيش ٣ : ١٠١ ، ١٠٣ وشرح شواهد المغنى ٢٨٥ والعينى ١ : ٢٥٣ والتصريح ١ : ٩٨ ، ١٩٢ والأشمونى ١ : ١٠٩ .

إلا إياك (١) ، لأنّه معمول للفعل بالاتفاق فلا يصحُّ اتصاله بغير عامله ، ثمّ حمل عليه غير المفرّغ ليجريا على سَنَنٍ واحد .

وإنما سُهل وصله فى الضّرورة لثلاثة أمور :

أحدها : أنَّ الأصل فى الضمير الاتصال .

الثانى:أنَّ الأصل فى الحرف الناصب للضمير أن يتَّصل به،نحو إنك ولعلَّك.

الثالث : أُجرى إلَّا مجرى أختها فأجريت مجراها فى الوصف بها . ٤٠٦

وزعم ابنُ مالك (فى شرح التسهيل) أنّ مافى البيت ليس بضرورة ، لتمكن الشاعر من أن يقول :

* أن لايكون لنا خِلٌّ ولا جارُ *

وإذا فتح هذا الباب لم يبق فى الوجود ضَرورة ، وإنما الضرورة عبارة عما أتى فى الشّعر على خلاف ماعليه النثر . كذا قال ابن هشام فى شرح شواهده .

وهذا البيت أنشده الفراء (فى تفسيره) (٢) ولم يعزُه إلى أحد . قال شارح اللبّ : ورواية البصريين :

* أن لايجاورَنا حاشاكِ ديَّارُ *

قال صاحب الكشاف : ديَّار من الأسماء المستعملة فى النّفى العام ، يقال مافى الدِّيار دَيَّارٌ (٣) ، ودَيُّور ، كقَيَّامٍ وقيُّوم.وهو فيعال من الدَّور،أو من

(١) كذا وردت العبارة فى النسختين . وكتب مصحح طبعة بولاق : «هكذا بالأصل ، ولعل العبارة : لأن إيا فى نحو مالقيت إلا إياك معمول » .

(٢) لم يرد هذا الشاهد فى سورة نوح عند كلمة « ديار » فلعله ساقط من النسخة المطبوعة من معانى القرآن .

(٣) كذا فى النسختين ؛ وفى الكشاف : «ما بالدار » ، وهو الوجه .

الدار ، أصله دَيْوار ، ففُعِل به مافعل بأصل سيِّد ؛ ولو كان فَعَّالا لكان دَوّار .

وقال ابن الحاجب (فى أمالى المفصَّل) : معناه إذا حصلت مجاورتك فانتفاء مجاورة كلٌّ أحد مغتفرةٌ غير مُبالًى بها ؛ لأنَّ مجاورتك هى المقصودَةُ دون جميع المجاوَرات . وأن لايجاورنا فى موضع مفعول ، إمَّا على تقدير حذف حرف جر ، كقولك : ماباليت بزيد ، أو على التعدّى بنفسه كقولك : ماباليت زيداً . وديّار فاعل ليجاورنا . انتهى .

وقول العينى إلاّ هنا بمعنى غير ، فاسدٌ يظهَر بالتأمل .

وهذا البيت قلَّما خلا عنه كتابٌ نحوى .والله أعلم بقائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٣٨٥ (كأَنَّا يومَ قُرَّى إ نَّمَا نقْتُلُ إيَّانا)

على أن (إيَّانا) فصل من عامله لوقوعه بعد معنى إلا ، وهو شاذٌ .

قال سيبويه فى بابٍ من أبواب المضمر : هذا بابُ مايجوز فى الشعر من ايّا ولا يجوزُ فى الكلام . فمن ذلك قولُ حُميدٍ الأرقط :

* إليكَ حتَّى بلغَتْ إيَّاكا *

وقال الآخر ، لبعض اللصوص :

كأنَّا يومَ قرَّى إ نَّما نقتُلُ إيانا . انتهى

(١) فى كتابه ١ : ٢٧١ ، ٣٨٣ . وانظر الخصائص ٢ : ١٩٤ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٩ والإنصاف ٦٩٩ وابن يعيش ٣ : ١٠١ ، ١٠٢ .

قال الأعلم : الشاهد فى وضع إيانا موضع الضمير المتصل فى نقتلنا ، وفى وضع إيَّاك موضع الكاف ضرورة .

وقال الزجاج : أراد بلغَتك إياك ، فحذف الكاف ضرورة . وهذا التقدير ليس بشىء ، لأنَّه حذف المؤكد وترك التوكيد مؤكِّداً لغير موجود ، فلم يخرج من الضَّرورة إلَّا إلى أقبح منها . والمعنى : سارت هذه الناقُة إليك حتى بلغتك . انتهى .

وقبله :

(أتتكَ عَنْسٌ تقطَعُ الأراكا)

والعَنْس ، بسكون النون : الناقة الشديدة ، أى تقطع الأراضىَ التى هى منابت للأراكِ . وكان حقُّ الكلام فى البيت الشاهد أنْ يقول : نقتل أنفُسَنا . لأنَّ الفعل لايتعدى فاعله إلى ضميره ، إلا أن يكون من أفعال القلوب ، لاتقول ضربتُنى ، ولا أضربُنى ولا ضربتَك ، بفتح التاء ، ولازيدٌ ضربه ، على إعادة الضمير إلى زيد ، ولكن : تقول ضربتُ نفسى ، وضربتَ نفسك ، وزيد ضربَ نفسه . وإنما تجنَّبوا تعدِّىَ الفعل إلى ضمير فاعِله كراهةَ أن يكون الفاعل مفعولاً فى اللفظ ، فاستعملوا فى موضع الضمير النفس ، نزَّلوها منزلةَ الأجنبىِّ ،واستجازوا ذلك فى أفعال العلم والظنّ الداخلة على جملة الابتداء فقالوا : حَسبِتُنى فى الدار ، ولم يأت هذا فى غير هذا الباب إلا فى فعلين ٤٠٧
قالوا : عدِمتُنى وفقدتنى . ولمَّا لم يمكن هذا الشاعرَ أن يقول : نقتل أنفسنا ولانقتلنا ، وضع إيَّانا موضع نا ، وحسَّن ذلك قليلاً أنَّ استعمال المتَّصل ههنا قبيح أيضاً ، وأنَّ الضمير المنفصل أشبه بالظاهر من المتصل ، فإيَّانا أشبه بأنفسنا من نا . ولكن أقبح منه قول حُميد :

* إليكَ حتى بلغَتْ إيّاكا *

لأنَّ اتصال الكاف ببلغَتْ حسنٌ .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لذى الإصبع العَدْوانى ، وهى :

أبيات الشاهد

(لقينا منهمُ جمعاً فأوفى الجمعُ ماكانا (١)
كأنَّا يوم قُرَّى إ نَّما نقتُل إيّانا
قَتلنا منهمُ كلَّ فتىً أبيضَ حُسَّانا
يُرَى يرفُل فى بُرِدَيْـ ـنِ من أبراد نَجْرانا)

كذا فى أمالى ابن الشجرى .

ولم يرو ابنُ الأعرابىِّ (فى أماليه) البيتَ الأوّل ، وأنشد بعد «نجران» :

(إذا يَسرحُ ضأناً مـ ـائةً أتبعَها ضانا)

وقوله : «فأوفى الجمع» إلخ هو فعل ماض من الوفاء ، ويجوز أن يريد فأوفى بما كان عليه ، فحذف وأوصل . ويجوز أن يريد فوفَّى الجمع الذى لقيناه ماكان عليه أن يفعله من الإقدام على قتالنا .

وقوله : (كأنَّا يومَ قُرَّى) إلخ بضم القاف وتشديد الراء المهملة بعدها ألفٌ مقصورة . قال أبو عبيد البكرى وياقوت (فى معجمَيْهما) : قُرَّى : موضعٌ فى بلاد بنى الحارث بن كعب . وزاد أبو عبيد : وقال أبو حنيفة الدِّينورى : قُرَّى : ماءة [قريبة (٢)] من تَبالة ، وتَبالة بفتح المثناة الفوقية بعدها باء موحدة بعدها لام ، على وزن فَعَالة : بلدٌ،وهى التى يُضرب بها المثل فيقال:« أهْوَنُ من تَبالة على الحجاج ».أبو اليقظان:هى أوّلُ عملٍ وليه الحجّاج ،وهى بلدةٌ صغيرة من اليمن،فلما قرب منها قال للدليل : أين هى ؟ قال : تسترُها عنك هذه الأكمة . قال : أهوِنْ علىّ بعملٍ بلدةٍ تسترها عنى أكمة ! وكرَّ راجعا .

(١) ط : «مانا» ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى .
(٢) التكملة من معجم مااستعجم ١٦٢ .

قال ابن الشجرى : ومعنى قوله كأنَّا نقتل إيّانا ، تشبيه المقتولين بنفسه وقومه فى الحُسْن والسيادة ، فلذلك وصفَه بما بعده ، أى هم سادةٌ يلبسون أبرادَ اليمن ، فكأننا بقتلنا إيَّاهم قتلنا أنفسنا . انتهى

وقال ابن الأعرابى : أى لاينبغى أن نقتُل منهم لنفاستهم ، ولكن ألجئونا إلى ذلك .

وقال الأعلم : وصف قوماً أوقعوا ببنى عمِّهم ، فكأنهم بقتلهم قاتلون أنفسَهم .

وقوله : «كلّ فتىً أبيضَ حُسَّانا » هو بضم الحاء وتشديد السين : وصف بمعنى الكثير الحُسْن ، كالطُّوَّال بمعنى المفرط فى الطُّول ، والكُبَّار بمعنى المفرط فى الكبر . والبياض هنا : نقاء العِرض عن كلِّ مايعاب به .

وهذا البيت أورده سيبويه فى باب مالا يكون الاسم فيه إلاّ نكرة ، قال:حدَّثنى أبو الخطَّاب أنَّه سمع من يوثق بعربيته من العرب يُنشد هذا البيت:

قتلنـــــــا منهم كلَّ فتـىً أبـــيضَ حُسَّانـــا

فجعله وصفاً لكلَّ . انتهى

فأبيضَ وحُسَّان منصوبان على أنَّهما نعتان . ويجوز عندى أن يكونا صفتين لفتى ، وفتحتهما نائبة عن الكسرة لأنَّهما ممنوعان من الصرف .

٤٠٨ وتَبع ابن الشجرى سيبويه فقال : نصب حُسّانا على الوصف لكلَّ ، ولو كان فى نثر لجاز حُسَّانِينَ وصفاً (١) لكلّ على معناها ، لأنَّ لفظها واحد ومعناها جمع . قال : يقال حسَنة وحسنٌ ، فإذا بالغوا فى الحُسْن قالوا حُسَان وحُسَانة مخفَّفان ، فإذا أرادوا النَّهاية فيه قالوا حُسَّان وحُسَّانة مشدّدان .

---

(١) ط : « وصف ».

وقوله: «يُرَى يَرفُل» إلخ الأول بالبناء للمفعول ، يقال رفَل [١] فلانٌ فى ثوبه ، وذلك إذا طال الثوبُ على لابسه وجَرَّه فى مَشْيه ، ويفعلون ذلك تكبُّرا. ونَجْران : بلدٌ باليمن يُنسَج فيها البرود الجيدة [٢] .

ذو الإصبع العدوانى

وذو الإصبع العَدْوانى : شاعرٌ معمَّر من شعراء الجاهلية . قال أبو حاتم (فى كتاب المعمرين) : عاش ذو الإصبع ، وهو حُرثان بن محرِّث ، من عَدْوان بن عمرو بن قيس عيلان ، ثلثمائة سنة ، وقال :

أصبحتُ شيخاً أُرى الشَّخصين أربعةً
والشَّخْصَ شخصين لما مَسَّنى الكِبَرُ
لاأسمعُ الصَّوتَ حتى أستديرَ له
ليلاً وإنْ هو ناغانى به القمرُ

وإنما قال ليلاً ، لأنَّ الأصوات هادئة ، فإذا لم يسمع بالليل والأصوات ساكنة كان من أن يَسمع بالنهار مع ضجّة الناس ولَغَطهم أبعد [٣] . وإنما قيل له ذو الإصبع ، لأنه كانت له فى رجْله إصبعٌ زائدة .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : ذو الإصبع حُرثان بن عَمْرو ، من عَدْوان بن عمرو بن قيس عيلان ، وكان جاهليًّا . وسمى ذا الإصبع لأنَّ حيَّةً نهشت إصبعه فقطعها . انتهى .

وقال ابن الأنبارى (فى شرح المفضليات) :نسَبَه أحمد بن عُبيد وغيره فقالوا:هو حرثان بن الحارث.والأصمعىُّ يقول : ابن السموءل بن محرِّث بن

---

(١) ط : « يرفل » ، وأثبت ماورد فى ش مع أثر تصحيح .
(٢) ش : « تنسج » بالتاء .
(٣) مابعده من الكلام لم يرد فى كتاب المعمرين . وهو نهاية كتاب المعمرين .

شبابة [١] بن ربيعة بن هُبيرة بن ثَعلبة بن الظَّرِب بن عمرو بن عِياذ بن يشكُر ابن عَدْوان ، وهو الحارث [٢] ، بن عمرو بن سعْد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار . وانما سمي ذا الإصبع لأن أفعى نهشت إبهامَ رجله فقطَعَها . ويقال إنه كانت له إصبعٌ زائدة . انتهى

وقال علم الهدى السيد المرتضى (فى أماليه غرر الفوائد ودرر القلائد): ومن المعمَّرين ذو الإصبع العدوانى ، واسمه حُرْثان بن محرِّث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عَدْوان ، وهو الحارث ، بن عمرو بن قيس بن عيلان [٣] بن مضر . وإنما سمى الحارث عدوان لأنه عدا على أخيه فَهْمٍ فقتله . وقيل بل فقأ عينه . وقيل : إنَّ اسم ذى الإصبع محرِّث بن حُرثان ، وقيل حرثان بن حويرث ، وقيل حرثان بن حارثة . ويكنى أبا عَدْوان . وسبب لقبه بذى الإصبع أن حيَّة نهشته على إصبعه فشَلَّت فسمِّىَ بذلك . ويقال إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم : إنه عاشَ ثلثمائة سنة . وهو أحدُ حكام العرب فى الجاهلية .

ثم أورد السيِّد جملاً من أحواله الى أن أورد هذه الحكاية . وأوردها الزجاجى أيضا (فى أماليه الصغرى) [٤] بسندهما الى سعيد بن خالد الجَدَلى ، أنه قال : لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مُصعب بن الزبير دعا الناس إلى فرائضهم ، فأتيناه فقال : ممَّن القوم ؟ فقلنا : من جديلة . فقال : جديلةُ عدْوان ؟ قلنا : نعم . فتمثَّل عبدُ الملك :

(١) فى شرح المفضليات ٣١٢ : « بن شباب » .

(٢) فى شرح المفضليات : « بن عدوان بن الحارث » .

(٣) فى أمالى المرتضى ١ : ٢٤٤ : « بن قيس عيلان » ، وكل صواب .

(٤) انظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق كاتبه ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

عَذِيرَ الحىِّ من عَدْوا ... نَ كانوا حيَّةَ الأرضِ

٤٠٩ بغى بعضُهم بعضاً ... فلم يُرْعوا على بَعْضِ

ومنهم كانت الساداتُ ... والمُوفون بالقرض (١)

ثم أقبل على رجلٍ كنَّا قدَّمناه أمامنا ، جسيمٍ وسيم ، فقال : أيُّكم يقول هذا الشعر ؟ فقال : لاأدرى . فقلت مِنْ خلفه : يقوله ذو الإصبع . فتركنى وأقبل على ذلك الجسيم فقال : وماكان اسمُ ذى الإصبع ؟ فقال : لاأدرى . فقلت أنا من خلفه : اسمه حُرْثان . فأقبل عليه وتركنى . فقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ فقال : لاأدرى . فقلت أنا من خلفه : نهشته حيّةٌ على إصبعه (٢) . فأقبل عليه وتركنى . فقال : من أيِّكم كان ؟ فقال : لاأدرى . فقلت أنا من خلفه : من بنى ناج . فأقبل على الجسيم فقال : كم عطاؤك ؟ فقال : سبعُمائة درهم. ثم أقبل علىَّ فقال : كم عطاؤك ؟ قلت : أربعمائة درهم . فقال لكاتبه (٣) حُطَّ من عطاء هذا ثلثمائة وزِدْها فى عطاءِ هذا . فرُحْتُ وعطائى سبعمائة وعطاؤه أربعمائة . ا هـ

وأورد له من شعره قوله :

أكاشِرُ ذا الضِّغْنِ المبيِّنِ منهمُ ... وأضحك حتَّى يبدوَ النّابُ أجمعُ (٤)

وأُهدِنه بالقَول هَدْنا ولو يرى ... سريرةَ ماأُخفى لباتَ يفـزَّعُ

---

(١) بعده فى أمالى المرتضى ١ : ٢٥٠ :

ومنهم حكـــم يقضى ... فلا يُنْــقَض مايــقضى

ومنهم من يجيـز النــا ... س فى السنة والفـرض

(٢) فى الأمالى : « فى اصبعه » .

(٣) فى أمالى المرتضى : « فقال : ياأبا الزعيزعة » ، وهو اسم كاتبه على ديوان الرسائل ، كما فى تاريخ الطبرى ٦ : ١٨٠ . وفيه ص ١٤٥ وقد قيل إن عبد الملك بن مروان لما خرج إلى الصلاة أمر غلامه أبا الزعيزعة بقتل عمرو . وفى الأمالى : «ياابن الزعيزعة ، تحريف .

(٤) ط : «أكاشر كالضغن» ، صوابه فى ش وأمالى المرتضى والزجاجى .

ومعنى أُهدِنه : أسكِّنه . ومنه قوله :

إذا ما الدَّهرُ جرّ على أناسٍ شَراشِرَهُ أنـــاخ بآخرينـــا
فقـلْ للشَّامـتين بنا:أفيقُـوا سيَلقى الشامتون كما لقينا

ومعنى الشَّراشرِ، هنا:الثقل. يقال:ألقى عليَّ شراشرهُ وجراميزه، أى ثِقله.

ومن قوله أيضا (١) :

ذهبَ الدين إذا رأونى مُقْبلاً هشُّوا إلىَّ ورحَّبُوا بالمقبلِ
وهمُ الذين إذا حملت حَمالةً ولقيتهمْ فكأنَّنى لم أحملِ

والحَمالَة بالفتح : تحمُّل ديةِ القتيل عن القاتل .

وحُرْثان بضم الحاء المهملة وسكون الراء بعدها ثاء مثلثة . ومحرِّث بكسر الراء المشددة على زنة اسم الفاعل (٢) . وعَدْوان بفتح العين وسكون الدال المهملتين . والسَّموءل بفتح السين والميم وسكون الواو بعدها همزة مفتوحة ولام . وشَبَابة بفتح الشين المعجمة بعدها موحَّدتان خفيفتان . وعِياذ بكسر العين المهملة بعدها مثناة تحتية وآخره ذال معجمة . والظَّرِب بفتح الظاء المعجمة المشالة وكسر الراء . وفَهْم بفتح الفاء وسكون الهاء وثالثه ميم ، وهو أخو عَدْوان .

* * *

وأنشد بعده :

(تَراكِها من إبلٍ تَراكِها)

وتقدم شرحُه مستوفى فى الشاهد الحادى والستين بعد الثلثمائة(٣).

---

(١) ط : « ومنه قوله أيضا » ، وأثبت ما فى ش ومالى المرتضى .

(٢) الذى فى اللسان والقاموس أنه كمحمَّد ، بزنة اسم المفعول .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٦٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الثلثمائة [١]:

٣٨٦ (ضَمِنَتْ إيَّاهُم الأرضُ)

هذا قطعة من بيت ، وهو :

(بالباعث الوارثِ الأمواتَ قد ضَمِنت
إيّاهم الأرضُ فى دَهْر الدَّهاريرِ)

على أنَّ فصل الضمير ضرورة ، والقياس ضَمِنتْهم الأرض .

كذا أنشده ابن الشجرى (فى أماليه) وقال : ومثله فى القُبْح [٢] ضمير الرفع . قال طَرَفة :

٤١٠ أصرَمْتَ حبلَ الوصل بل صَرَموا ياصاح ، بل قطَعَ الوِصالَ همُ

وأنشدهُ شرّاح الألفية ، وابن هشام (فى شواهده) أيضاً ، بتقديم الباعث على الوارث . والأنسب الرواية الأولى .

والباء فى قوله (بالوارث) متعلِّقة بحلفت فى بيتٍ متقدِّم ، وهو :

(إنِّى حَلفتُ ولم أحِلفْ على فَنَدٍ فِناءَ بيتٍ من السَّاعين معمورِ)

وقوله : « ولم أحلف على فند » الجملة حال من التاء فى حلفت . والفَنَد ، بفتح الفاء والنون : الكذِب .وفناءُ البيت : ساحته ؛ وهو بكسر الفاء بعدها نون ، وهو ظرف لقوله حلفت . وأراد بالبيت بيتَ الله الحرام ، زادَه الله شرفاً . ومن متعلقه بمعمورٍ . والسَّاعين : الذين يسعَوْن إليه من جميع البلاد . ومعمور صفة لبيت .

---

(١) الخصائص ١ : ٣٠٧ / ٢ : ١٩٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٤٠ والإنصاف ٦٩٨ والعينى ١ : ٢٧٤ والتصريح ١ : ١٠٥ والأشمونى ١ : ١١٦ وديوان الفرزدق ٢٦٦ .

(٢) ط : «فى الفتح» ، صوابه فى ش . وفى أمالى ابن الشجرى : « .. قبيح ، ومثله فى ضمير الرفع » .

و (الوارث) و(الباعث) : اسمان من أسماء الله الحسنى ، أقسَمَ بهما . والوارث : الذى يرجع إليه الأملاك بعد فناء المُلَّاك [١] . والباعث هو الذى يبعَثُ الخلق ، أى يُحييهم بعد الموت يومَ القيامة . و(ضَمِنَتْ) بكسر الميم بمعنى تضمَّنت عليهم ، أى اشتملت عليهم ، أو بمعنى كفلت ، كأنَّها تكفَّلت بأبدانِهم . و(الأرض) فاعل ضمنت . و (الدهر) : الزمان . ودهر الدَّهارير : الزمان السالف ، وقيل أوّل الأزمنة السالفة . وإذا قيل دهرٌ دَهاريرُ [٢] بالصفة فمعناه شديد ، كما يقال ليلةٌ ليلاء .

قال ابن هشام : و (الأموات) إمَّا منصوب بالوارث على أنَّ الوصفين تنازعاه وأعمل الثانى والأوّل لاضمير فيه [٣] ،وإما مخفوض بإضافة الأول أو الثانى ، على حد قوله [٤] :

* بين ذراعَىْ وجبهةِ الأسدِ *

وأما قوله : قد ضمنت إياهم الأرض ، فهو إما حالٌ من الأموات [٥] أو وصفٌ ، لأنَّ أل فيها للجنس .

والبيت من قصيدةٍ للفرزدق يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، ويهجو يزيد ابن المهلَّب . صاحب الشاهد

وقبله :

(ياخير حىٍّ وقَتْ نعلٌ له قَدَماً ... وميِّتٍ بعدَ رُسْلِ الله مقبورِ أبيات الشاهد

(١) ش : «الملك» .

(٢) ط : « دهر الدهارير » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « وإلا لأضمر فيه » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح بخط الناسخ لا الشنقيطى .

(٤) ط : « على حد قولهم » ، وأثبت مافى ش .

(٥) ط : « إما حال من الأرض » ، صوابه فى ش .

إنِّى حلفتُ ولم أحلف على فنَدٍ فناءَ بيتٍ من السَّاعين معمورِ[١]
فى أكبرِ الحجِّ حافٍ غيْرَ منتعلٍ من حالفٍ مُحرِمٍ بالحجِّ مصبورِ[٢]
بالباعث الوارث الأمواتَ قد ضمِنَتْ إياهمُ الأرضُ فى دهر الدَّهاريرِ
إذا يثورون أفواجاً كأنَّهمُ جرادُ ريحٍ من الأجداث منشورِ
لو لم يبشِّر به عيسى وبيَّنه كنتَ النبىَّ الذى يدعو إلى النورِ
فأنت إن لم تكن إيّاه صاحبهُ مع الشَّهيدينِ والصِّدّيقِ فى السُّورِ[٣]

والفَنَد ، بفتح الفاء والنون : الكذب . والمصبور : الذى صَبر نفسه على أفعال الحجِّ ، أى حبسها.

وقوله : إذَا يثورون ، متعلِّق بالباعث ، يريد : كأنهم جرادٌ نشرته الريح وفرَّقته . ومنشور كان حقُّه الرفع ، لأنَّه نعتٌ لجراد ، ولكنَّه خفضَه على المجاورة .

وقوله : لو لم يبشِّر به إلخ ، هذا جوابُ القسم ، وفيه مبالغةٌ فاحشة .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين [٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الثلثمائة [٥] :

---

(١) فى شرح الديوان ٢٦٤ : « ونصب فناء لما ترك الصفة ، يريد فى فناء بيت » ، يعنى نصب على نزع الخافض . والكوفيون قد يسمون حروف الجر حروف الصفات لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات . انظر ابن يعيش ٨ : ٧ .

(٢) المصبور هنا : الذى صبر نفسه على الحج ، أى حبسها عليه .

(٣) فى الديوان : « اذ لم تكن » . والسور : جمع سورة ، وهى أعلى المنازل .

(٤) فى الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٥) ديوان الأعشى ١١٩ . وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣١٧ والإنصاف ٥٨ .

٣٨٧ (وإنَّ أمرأً أسرى إليكَ ودونه
من الأرض موماةٌ وبيداءُ سمْلَقُ
لَمحقوقةٌ أن تستجيبى لصوتِه
وأنْ تعلمى أنَّ المُعانَ موفَّقُ)

عَلَى أنّ الكوفيين أجازوا ترك التأكيد بالمنفصل فى الصفة الجارية عَلَى غير من هى له ، إن أُمِنَ اللَّبس ، فإنَّ قوله (لمحقوقة) خبر عن اسم إنّ وهو فى المعنى للمرأة المخاطبة ، ولم يقل لمحقوقةٌ أنت . ٤١١

وأقول : الظاهر من كلام ابن الشجرى (فى أماليه) ومن كلام ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) ومن كلام غيرهما ، أنَّ مذهب الكوفيِّين جوازُ ترك التأكيد مطلقاً ، سواء أُمِن اللبس أم لا .

قال ابن الأنبارى:احتجَّ الكوفيون لمذهبهم بالشِّعر المتقدِّم ،وبقوله:
تَرى أرباقَهـــمْ متقلِّدِيهَـــــا   كما صَدِئَ الحديدُ عَلَى الكماةِ[1]

ولو كان إبراز الضمير واجباً لقال متقلِّديها هم ، فلما لم يبرز الضمير دلَّ عَلَى جوازه . وأَجاب البصريُّون عن هذا بأنّه على حذف مضاف ، أى ترى أَصحاب أَرباقهم متقلِّديها . وعن الأوَّل بجوابين : أَحدهما مانقله ابن الشجرى عن أَبى عَليّ ، وهو أنَّه ليس فى قوله محقوقة ضمير ، لأنّه مسنَد إلى المصدر الذى هو أَن تستجيبى ،فالتقدير لمحقوقةٌ استجابتك ، فجعل التأنيث فى قوله لمحقوقة للاستجابة للمرأة ، حتى إنّه لو قال لمحقوق بالتذكير لجاز ، لأنَّ تأنيث الاستجابة غير حقيقى . وحاصله أنَّ المصدر المؤوَّل نائبُ الفاعل لقوله محقوقة . وإلى هذا ذهب ابن هشام (فى شرح شواهده) .

---

(١) فى معانى الفراء ٢ : ٢٧٧ : « اذا صدئ الحديد » .

والجواب الثانى ماذكره ابن الأنباريّ ، بأنَّ قوله أن تستَجيبى مبتدأٌ مؤخر ومحقوقة خبر مقدم ، والجملة خبر اسم إنَّ ، والرابط الضمير فى لصوته .

ويحتمل هذين الجوابين مانقله العسكرى [١](فى كتاب التصحيف) قال : أخبرنى أَبى قال : أَخبرنا عسَل بن ذَكْوان قال : قال أَبو عثمان المازنى : سألنى الأصمعىُّ لم أنَّث محقوقة [٢] ؟قلت : لأنَّه موضع مصدر مؤنَّث ، لأَنَّ معناه استجابتك لصوته ؛ وأَن تستجيبى هى استجابتك . فلم يردَّ علىَّ شيئاً . ا هـ

وأجاب صاحب اللباب بأَنَّ هذا لضرورة الشعر ، ولم يرتض الجوابين المذكورين . قال فيما أَملاه على اللباب : قوله لمحقوقة إنَّما جرى على غير من هوَ له ، لأَنَّ التقدير وإنّ امرأً محقوقة بالاستجابة . لايقال جاز أن يكون تستجيبى فاعل محقوقة ، أَو مبتدأ خبره محقوقة مقدَّما ، لأَنه يقال زيد حقيق بالاستجابة ، فيسند إلى الذات ، ولايقال الاستجابة حقيقة بزيد . ولذلك يتأوّل قوله تعالى : ﴿ حقيقٌ عَلَى أَن لا أَقول [٣] ﴾ ، كما هو مذكور (فى الكشَّاف).اهـ

وأَجاز شارحه الفَالى [٤] مامنعه ، وأجاب عما أَورده فقال :ويمكن أَن

---

(١) ط : « السكرى » ، صوابه فى ش

(٢) فى التصحيف ٣٦١ : «سألنى الأصمعى عنها لم أنث المحقوقة » .

(٣) الأعراف ١٠٥ .

(٤) فى النسختين : «القالى» بالقاف ، صوابه بالفاء ، كما سبق التنبيه فى مواضع كثيرة . وفى بغية الوعاة : « محمد بن سعيد بن محمد بن أبى الفتح السيرافى المعروف بالفالى بالفاء ، صاحب شرح اللباب لم أقف له على ترجمة » . لكن ذكر الميمنى فى الإقليد أن أسمه إسماعيل الفالى ، وأنه يوجد من كتابه كثير من النسخ بالهند .

يُقال إنَّ قوله أَن تستجيبى مبتدأ مؤخر [١] ومحقوقة خبر مقدم ، والجملة خبر إنّ،فقد جرت على من هى له . ومحقوقة بمعنى جديرة . يقال أَنت حقيقٌ أَن تفعل كذا،وزيد حقيق به ومحقوق به ، أَى خليق له . وكان حقه أَن يسند إلى الذات فيقال زيد حقيق بالاستجابة ، لا أَنّ الاستجابة حقيقة بزيد . ونظير ذلك مااستشكل من قوله تعالى : ﴿حَقيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقولَ على اللهِ إلاَّ الحقَّ﴾ فيمن قرأَ بغير تشديد الياء من علىَّ . وتأول بتأويلات أَحدها : أَنَّه على القلب . والثانى : أَنَّ مالزِمَك فقد لزِمْتَه . والثالث : أَنَّ المراد حقيق على ترك القول إذْ أَكون أَنا قائله ، ولايرضى إلاّ بمثلى ناطقاً به [٢] .اهـ

والبيت الأَول من هذين البيتين قد أَنشده الشارح فى الشاهد الرابع بعد المائتين ، من باب الحال ، وتقدَّم الكلامُ عليه مع أَبياتٍ من أَوَّل القصيدة هناك [٣] .

صاحب الشاهد

والقصيدة للأعشى ميمون .

وقبله :

أبيات الشاهد

(وخَرقٍ مَخُوفٍ قد قطعتُ بجَسْرةٍ ... إذا خبَّ آلٌ وسْطَه يترقرقُ

٤١٢ هِيَ الصَّاحبُ الأَدنى وبينى وبينها ... مَجُوفٌ عِلافىٌّ وقِطعٌ ونُمْرُقُ

وتصبح من غِبِّ السُّرى وكأَنَّما ... أَلمَّ بها من طائفِ الجنِّ أَولَقُ

وإنَّ امرأً أسرى إليك ودونه ... . البيتين [٤]

وكم دُونه من حَزن قُفٍّ ورَمْلةٍ ... وسَهب به مُستوضِحُ الآلِ يبرقُ

(١) كلمة « مؤخر » ساقطة من ش .

(٢) ش : « الا بمثل ناطقاً به » .

(٣) الخزانة ٢ : ٢٥٢ .

(٤) فى الديوان ١٤٩ : «وكم دون ليلى من عدو وبلدة » .

وأصفرَ كالحنّاء ذاوٍ جِمامُـهُ متى مايذقْه فارطُ القوم يَبصُقُ (١)
به تُنْفَض الأحلاسَ فى كلِّ منزل وتُعقَد أطراف الحبال وتُطلَقُ (٢)
وإنَّ عتاق العيس سَوف يزوركم ثناءٌ على أعجازِهنَّ معلَّقُ (٣)
ولا بدّ من جار يُجير سبيلَهــا كما سَلك السّكِّىّ فى الباب فَيتقُ (٤))

قوله : «وخرق» بفتح الخاء المعجمة : القفرُ ، والأرض تنحرِق فيها الرياح ، وهو مجرورٌ بربَّ المقدرة بعد الواو . والجَسْرة ، بفتح الجيم وسكون السين المهملة : النَّاقة القويّة على السير . وخبَّ بمعنى خدع . والآل : السرّاب فى أوّل النهار ووسطِه ، ويترقرق أى ينصبُّ خبرُه ، والجملة صفة آل ، والعائد الضمير . يقال رَقرق الماءَ وغيره ، إذا صبّه رقيقا . والسراب هكذا يُرى للنَّاظر إليه .

وقوله : «هى الصاحب» إلخ الأدنى : الأقرب . والمجوف بالجيم : الرّحْل . والعِلافِىُّ منسوب إلى علاف ، بكسر المهملة ، وهو رجلٌ من قُضاعة كان يعمل الرِّحال . والقِطْع ، بكسر القاف : طِنفسة ، أى بساطٌ ، يجعله الراكب تحتَه ، ويغطِّى كَتِفَى البعير. والنُّمرق:الوسادة ، وهى هنا وسادةٌ فوق الرّحْل.

وقوله : «وتصبح من غِبّ» إلخ الغِبُّ بالكسر : عاقبة الشىء . وألمَّ بمعنى نزل ، وفاعله أوْلَق ، وهو الجنون . يريد أنّها شديدةٌ جداً لايحصُل لها إعياء كالمجنون .

وقوله : «وإنَّ امرأً أسْرَى» إلخ ، هذا انتقالٌ من وصف ناقته إلى خطاب امرأة. وأراد بالمرءِ نفسه . وأسرى : لغةٌ فى سرى . ودُونه بمعنى أمامه وقُدّامه .

---

(١) فى الديوان : «طام جمامه اذا ذاقه مستعذب الماء » .
(٢) فى الديوان : « وتعقد أنساع المطى » .
(٣) ط : «تزوركم» ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح.
(٤) فى الديوان : «يجيز سبيلها كما جوز السكى » .

والمَوماة ، بفتح الميم : الأرض التى لا ماء فيها . والبيداء : القفر . والسَّملق : الأَرض المستوية .

وهذا البيت رُوى (فى ديوانه وغيره من كتب الأَدب) كذا :

وإنَّ امرأً أهداكِ بينى وبينه فيافٍ تَنُوفاتٌ ويَهماءُ سَمْلقُ

فالمراد من المرء ممدوحه ، والخطاب لناقته المذكورة .وكان ممدوحه أهداها له ، فالكلام على هذه الرواية من أوله إلى هنا خطابٌ لناقته . ومنه يظهر أنَّ المناسب فى الرواية الأُولى أيضا كونُ المراد بالمرء ممدوحَه والخطابُ لناقته ، وأنَّ أسرى بمعنى حُمِل على السُّرى ، وإلى بمعنى على ، ليكون الكلام على وتيرةٍ واحدة . وفيافٍ : جمع فَيفاءَ [١] ، وهى الفلاة . و(تنوفات) : جمع تنوفة ، وهى القفر . واليَهماءُ بفتح المثناة التحتية : الأرض التى لايُهتَدى فيها . وروى « خيفق » بدل « سملق » بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتيَّة وفتح الفاء ، وهى الفلاة الواسعة .

وقوله : « أنَّ المُعان مُوفَّق » كلاهما اسم مفعول من الإعانة والتوفيق . قال السيد المرتضى (فى أماليه) : فيه قلبٌ [٢] ، يريد أن الموفق معان . وقال المرزبانى (فى الموشح) : ينبغى للشاعر أن يتفقد مصراع كلِّ بيت حتى يشاكل ماقبله ، فقد جاء من أشعار القدماء مايختلف مصاريعه ، كقول الأعشى :

* وأن تعلمى أنَّ المعان موفَّقُ [٢] *

---

(١) يقال فيفاء وفيفاة ، كلاهما بمعنى الصحراء الملساء .

(٢) فى ط : « قلت » موضع « فيه قلب » ، صوابه فى ش . والذى فى أمالى المرتضى ١ : ٤٦٦ «يريد أن الموفق معان» فقط .

(٣) ط : «وأن تعلموا» ، صوابه فى ش والموشح ٥٤ .

غير مشاكلٍ لما قبله . وكذلك قال صاحب (تهذيب الطبع) .

٤١٣ وقوله : «وكم دونه» إلخ ، الضمير للمرء . والحزن ، بالفتح : الأرض الوعرة . والقُفُّ بضم القاف : ماارتفع من الأرض . والسَّهب بالفتح : الفلاة والأرضُ المتّسعة .

وقوله : «وأصفرَ كالحِنَّاء» يعنى ماءً أصفر كالحِنّاء . وذاوٍ : متغيِّر . والجمام بكسر الجيم : جمع جَمّ بفتحها ، وهو الماء الكثير . وفارط القوم ، بالفاء ، هو الذى يتقدَّمهم إلى الورْدِ لإصلاح الحوض والدِّلاءِ . يقال فرط القومَ يفرُطهم فَرْطاً ، إذا تقدَّمهم لما ذكرنا . وإنما يصقُ عند ذوقه لمرارة الماء وتغيُّرِه .

وقوله : « به تُنفض » إلخ ، الحِلْس بكسر المهملة : كساءٌ على ظهر البعير تحت البَرْدعة [1] ويبسَط فى البيت تحت حُرِّ الثياب . وإنّما تُنفَض للرَّحيل .

وقوله : «وإنَّ عِتاقَ العِيس» الخ ، هذا المعنى أوَّلُ مَن اخترعه الأعشى ، وأخذَه مَن جاء بعده . قال القطامى :

لأعلِّقنَّ على المطىِّ قصائداً   أذَر الرُّواةَ بها طويلِى المنطقِ [2]

وقال نُصَيب :

فعاجوا فاثْنَوْا بالذى أنتَ أهلُه

ولو سكَتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

(١) ط : «البرذعة» بالذال المعجمة ، وكلاهما صحيح . وفى اللسان : « البردعة : الحلس الذى يلقى تحت الرحل . قال شمر : هى بالذال والدال » . وكلاهما بفتح الباء .

(٢) ط : « أزر » ، صوابه فى ش وديوان القطامى ٣٥ . وفى النسختين : « طويل المنطق » ، صوابه من الديوان .

ومن هنا أخذ أبو العتاهية قوله :

فإذا وردن بنا وردنَ خفائفاً وإذا صدرن بنا صدَرْنَ ثِقالا

وقوله : «ولا بدَّ من جارٍ» إلخ ، الجار له معان ، والمراد هنا المجير ، ويقال أيضاً للمستجير [١] وللحليف ، وللناصر ، وللمجاور الذى أجَرْتَه من أن يُظلَم . والسَّكِّىُّ ، بفتح السين المهملة وتشديد الكاف والياء ، وهو المسمار ، ويقال له السَّكُّ أيضاً بدون الياء . والفيْتَق ، بفتح الفاء وسكون المثناة التحتية وفتح المثناة الفوقية : النَّجّار ، والحدَّاد .

وترجمة الأعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الثلثمائة[٣]:

٣٨٨ (فلا تَطمعْ أبيتَ الّلعنَ فيها ومَنْعُكَها بشىءٍ يُستطاعُ)

على أنَّ مابعد الضمير المجرور إذا كان أَنقَصَ تَعريفاً جاز فيه الانفصالُ والاتصالُ ، فإنَّه كما جاز (مَنعكها) يجوز منعك إياها . وكاف المخاطب محلُّها الجر بإضافة المصدر إليها وهو المنع ، وضمير الغائب أنقصُ تعريفا من ضمير المخاطب .

قال ابن هشام (فى شواهده) : هذا ممَّا اتُّفق على أنَّ فصلَهُ أرجح .

وأورده ابن الناظم والمرادىّ (فى شرح الألفية) على أنَّ هذا، أعنى وصل ثانى ضميرين عاملُهما اسمٌ واحد،ضعيف،والقياس:ومَنعُكَ إيَّاها.كذا نقل

(١) ط : « المتسجير » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٣) شرح شواهد المغنى ١١٦ والعينى ١ : ٣٠٢ والأشمونى ١ : ١١٨ ، ١٢٠ وشرح المرزوقى للحماسة ٢١١ .

العينيُّ عنهما هذا . والمنقول في اللغة أنَّ منَع مما يتعدى إلى المفعول الثانى تارةً بنفسه وتارة بحرف الجر ، يقال منعتك كذا ، أو منعتك عن كذا أو من كذا . ففى تصوير الفصل ينبغى أن يقَّيد المفعول الثانى بحرف الجر . وفاعل المصدر هنا محذوف ، أى مَنعيك [1] عنها . والهاء ضمير راجع لسَكابِ ، وهو اسم فرس . والباء فى قوله : (بشىء) زائدة فى خبر المبتدأ الذى هو منعكها . وبه استشهد ابنُ هشام (فى المغنى) . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : قد جاء زيادة الباءِ فى الخبر ، ألا ترى إلى قول أبى الحسن فى قول الله تعالى :
٤١٤ ﴿ جزاءٌ سيِّئة بمثلها [2] ﴾ : إن تقديره جزاء سيئةٌ مثلها ، اعتباراً لقوله عَزَّ اسمه [3] : ﴿ وجزاءُ سيئة سيئةٌ مثلها [4] ﴾ ، فكأنَّه قال : ومنعكها شىءٌ يستطاع ، أى أمرٌ مُطاقٌ غير باهظٍ ولا معجز ، أى فالهُ عنها ولا تعلِّق فكرَك بها . ويجوز وجه آخر وهو أن يريد:ومنعكها بمعنىً من المعانى ممَّا يستطاع ،وذلك المعنى إمَّا غلبةٌ ومُعازَّة،وإمّا بفداء نَفْديها به منك ، أو غير ذلك ، فيكون المعنى قريباً من الأوَّل ، إلا أنّه [5] ألينُ جانبا منه.فالباء على هذا متعلقة بنفس المنع .ويجوز أيضاً أن تعلَّق بيستطاع،أى يستطاع بمعنى من المعانى ويُقْدَر عليه به .اهـ.

صاحب الشاهد

وهذا البيت آخر أبيات أربعة أوردها أبو تمام فى الحماسة ، ونسبَها إلى رجل من بنى تميم [6] وقد طلبَ منه ملكٌ من الملوك فرسا يقال لها سَكابِ ، فمنَعه إيَّاها وقال :

---

(١) ط : «منعتك» ، صوابه فى ش .

(٢) يونس ٢٧ .

(٣) وكذا فى اعراب الحماسة ٣٨ « لقوله عن اسمه » .

(٤) الآية ٤٠ من الشورى .

(٥) ط : «لا أنه» ، صوابه فى ش واعراب الحماسة .

(٦) هو عبيدة بن ربيعة بن قحفان ، كما فى خيل ابن الأعرابى ٦٢ .ونسبت الأبيات فى الحماسة البصرية إلى القحيف العجلى .

(أبيتَ اللَّعنَ إنّ سَكابِ عِلقٌ نفيسٌ لا يُعارُ ولا يُباعُ [١] أبيات الشاهد
مفــدَّاةٌ مُكرَّمــة علينــا يُجاع لها العِيال ولا تجاعُ
سَليلـةُ سابقَيْـنِ تَناجلاهـا إذا نُسبا يضمُّهما الكُـراعُ
فلا تطمع أبيتَ اللعنَ فيها ... البيت
وكفِّى تستقلُّ بحملِ سَيْفِي وبى ممَّن تَهضَّمنى امتناعُ
وحَولى من بنى قُحفانَ شِيبٌ وشُبّـانٌ إلى الهيجــا سِراعُ
إذا فزعوا فأمرُهُم جميـعٌ وإن لاقَوْا فأيديهم شَعـاعُ)

وقوله : «أبَيْتَ اللعنَ» الخ ، أى أبيت الأمر الذى تُلعن عليه إذا فعلتَه . قال المرزوقى (فى شرح الحماسة) :أبيت اللعنَ :تحيةٌ كان يستعطف به الملوك [٢]. وأصل اللَّعن ؛ الطرد . قال الشاعر :

ولَكُلُّ ما نال الفتى قد نِلتُه إلاّ التحيَّه [٣]

يعنى إلا أن يقال لى : أبيتَ اللعن ؛لأنَّه تحية الملوك ، وكأنه قال : نلتُ كلَّ شيء إلا الملك . وسَكابِ : فرسٌ ، إذا أعربته منعته الصرف لأنه علم ، فلحصول التعريف فيه والتأنيث مع كثرة الحروف يمنع الصرف ، والشاعر تميمى وهذه لغةُ قومه . وإذا بنيته على الكسر أجريته مجرى حذامِ لأنَّه مؤنَّث معدول معرفة . فلمشابهته هذه الأوصاف:دَراكِ ونزالِ بنِيَ ،وهذه اللغة

---

(١) فى الحماسة : « لاتعار والاتباع » .

(٢) وكذا فى شرح الحماسة للمرزوقى ، والمراد : هذا التعبير . وفى ش مع أثر تغيير: « يستعطف بها الملوك » .

(٣) لزهير بن جَنَاب ، فى المعمرين ٢٦ .

حجازية . واشتفاق سَكاب من سكبتُ ، إذا صببتَ (١) . ويقال فى صفة الفرس بَحرٌ وسَكْب .

وقوله : «علق نفيس» أى مالٌ يُبخل به ، وهذا كما يقال هو عِلق مَضِنَّة بالكسر . يقول : إنَّ فرسى نفيسٌ لايُبذل للإعارة ، ولايُعرَض للبيع .

وقوله : « مفدَّاة مكرمة » ، إلخ يقول : هى لعزَّتها على أربابها تفدَّى بالآباء والأمَّهات ، وتُؤْثَر تكريماً لها على العيال ، عند الإضافة والإقتار ، فيجوع العيالُ ولاتجوع هذه .

وقوله : « سليلة » إلخ يقول : هى ولد فرسين سابقين ، إذا نُسبا ضَمّ مَنَاسِبَهُما الكراع ، وهو بالضم فحل كريم معروف . وأصل الكُراع أنفٌ يتقدم من الجبَل ، فسمِّى هذا الفحل به لعِظمَه . وسليلة أُلحِق الهاءُ بها وإن كان فعيلا فى معنى مفعول لأنَّه جُعِل اسما ، كما تقول هى قتيلة (٢) بنى فلان . ومعنى سُلَّ نُزع . ويقال نجلا ولدهما وتناجلاهُ بمعنى واحد ، ومنه النَّجل بمعنى الولد (٣) .

وقوله : «وفيها عِزَّة» إلخ نحيِّدها بالحاء المهملة ، أى نجعلها حائدة . وحَرّ بالمهملتين ؛ أى اشتَّد . والقِراع : مصدر قارعه ، أى ضاربه .

٤١٥ وقوله :(فلا تطمعْ) إلخ قال المرزوقى :يقول ارفع طمعك فى تحصيل هذه

---

(١) ط : « صلبت » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « قبيلة » ، والوجه ماأثبت .

(٣) مابعده من التفسير يبدو أنه متعلق ببيت ساقط من الأبيات هنا . كما تنبه الى ذلك مصحح المطبوعة الأولى نقلا عن هامش الأصل .. ومما يجدر ذكره أن المراجع التى بين يدى لم يرد فيها الا الأبيات الأربعة الأولى من هذه المقطوعة .

الفرس ، أبيت أن تأتىَ ماتستحق به اللعن ، ودفعك عنها يقدر عليه بوجهٍ مّا وبحيلةٍ ما . والمعنى :إنِّى لأأسعفك بها إن استوهبتها ، ماوجدتُ إلى الردِّ طريقا . فلا تطمع مادامت لى هذه الحالة .

وقوله : «وكفِّى تستقلُّ» الخ يقال تهضَّم حقَّه ، أى ظلمه . وقُحفان بضم القاف وسكون الحاء المهملة بعدها فاء .. والشِّيب ، بالكسر : جمع أَشْيب ، وهو الذى حَصَل له الشيب .

وقوله : «إذا فزعوا» إلخ الشَّعاع بفتح الشين : المتفرِّق . يقول : إن فزعوا من أمرٍ فكَلِمتُهم واحدة ، وإذا لاقَوُا العَدوّ فأيديهم متفرِّقة عليه بالطَّعن والضرب .

وعُبَيدة بن ربيعة : مصغر عَبْدة بالتأنيث ، وهو شاعرٌ فارس جاهلىٌّ [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [2] :

٣٨٩ (وقد جعلَتْ نفسى تَطِيب لضَغمةٍ
لِضَغمِهِماهَا يقرعُ العَظْمَ نابُها)

على أنَّ الضمير الثانى إذا كان مساويا للأوَّل شذَّ وصلُه كما هنا ، فإنَّه جمع بين ضميرى الغيبة فى الاتصال ، وكان القياس لضغمهما إياها .

قال سيبويه فى باب إضمار المفعولين : إذا ذكرت مفعولين كلاهما غائب قلت[3]أعطاهُوها وأعطاهاهُ[4] ،جَازَ وهو عربىٌّ ؛ ولاعليك بأيِّهما بدأت ، من

---

(١) فى حواشى المطبوعة الأولى : «قوله وعبيدة بن ربيعة انظره فإنه لم يتقدم له ذكر . اهـ من هامش الأصل ». ويبدو أن البغدادى أراد أن يذكره فى نسبة أبيات الحماسة ، ولكنه لم يفعل .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٤ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٨٩ / ٢ : ٢٠١ وابن يعيش ٣ : ١٠٥ والعينى ١ : ٣٣٣ .

(٣) كذا فى النسختين . والذى فى سيبويه : « فقلت » .

(٤) هذا مافى سيبويه . ورسمت فى النسختين : « أعطاها هو » .

قِبَل أنَّهما كلاهما غائب . وهذا أيضاً ليس بالكثير فى كلامهم ، والكثير فى كلامهم :أعطاهُ إياها (١) . على أنَّ الشاعر قال :

وقد جعلت نفسى تطيبُ لضَغمةٍ .. .. البيت اهـ

قال النحاس والأعلم : إنَّما كان وجه الكلام لضغْمِهما إيَّاها ، لأنَّ المصدر لم يستحكم فى العمل والإضمارِ استحكامَ الفعل .

وجَعَل هنا من أفعال الشُّروع ، ونفسى اسمها ، وجملة تطيب خبرها . والضَّغمة ، بفتح الضاد وسكون الغين المعجمتين : العَضَّة .

وقد اختلف الناس فى معنى هذا البيت ، وأصوَبُ مَن تكلَّم عليه ابنُ الشجرى (فى أماليه) فى موضعين منها ، وتبعه صاحب اللباب (فى تعليقِهِ على اللباب) قال : يقول : جعلتْ نفسى تطيب لأنْ أضغمَهما ضَغمة يَقرع لها النابُ العظمَ . وصفَ ضغمةً بالجملة ، والمصدر الذى هو الضَّغم مضاف إلى المفعول وفاعله محذوف ، التقدير:لضغمى إيَّاهما . والهاء التى فى قوله لضغمهماها عائدة إلى الضَّغمة ؛ فانتصابها إذن انتصابُ المصدر ، مثلُها فى قوله تعالى :﴿إنَّ هَذَا لَمكرٌ مَكَرْتمُوهُ فى المَدِينة (٢) ﴾ .وأضاف الناب إلى ضمير الضغمة ، لأنَّ الضغم إنَّما هو بالناب . واللام فى قوله لضغمهماها متعلقة بيقْرع ، أى يقرع عظمَهُما نابى ؛ لضغمى إيَّاهما ضغمةً واحدة.اهـ

وعلى هذا الضَّغمتان والقَرْع والناب جميعُها للمتكلّم ، واللام الأولى متعلِّقة بقوله:تطيب .

وينبغى أن نورد الأبياتَ التى منها هذا البيتُ وسبَبَها ، حتى يتَّضح المعنى ويزول الإشكال ، فإنَّ غالبَ مَن تكلَّم عليه لم يقفْ على ماذكرنا .

---

(١) فى سيبويه : « أعطاه اياه » .

(٢) الآية ١٢٣ من الأعراف .

سبب الشعر قال أبو محمد الأسود الأعرابى (فى ضالّة الأديب ، وهو ماكتبه على نوادر ابن الأعرابى) : إنَّ مُغَلِّس بن لَقيط ؛ وهو من ولد مَعْبد بن نَضْلة ، كان رجلاً كريماً حليما شريفا ، وكان له إخوةٌ ثلاثة : أحدهم أُطَيط ، بالتصغير ، وكان أُطيطٌ به بارًّا ، والآخران وهما مُدرِك ومُرّة مُمَاظِّين [1] ، فلمّا مات أُطيط أظهرا له العداوة ، فقال :

أبيات الشاهد

(أبقَتْ لك الأيّامُ بعدك مُدركا ومُرّةَ ،والدُّنيا قليلٌ عتابُها[2]

٤١٦ قَرينين كالذَّئبين يبتدرانني وشرُّ صَحَابات الرِّجال ذئابُها

وإنْ رأيا لى غِرّةً أَغرَيَا بها أعادىَّ ، والأعداءُ كلبَى كلابُها [3]

إذا رأيانى قد نجوتُ تلمَّسَا لرجلِي مُغَوّاةً هَياماً ترابُها

وأعرضتُ أَستبقيهما ثمَّ لا أرى حُلومَهما إلاّ وشيكاً ذَهابُها

لعلَّ جَوازى الله يَجزِين منهما ومرُّ الليالى صَرفُها وانقلابُها

فيشمتَ بالمَرْأين مرءٌ تخطَّيَا إليه قَراباتٍ شديداً حجابُها[4]

وقد جعَلَتْ نفسى تَطيب لضَغمةٍ أعضّهماها يقرع العظم نابُها[5]

ولامثلَ يَومٍ عند سعدِ بن نوفل بِفَرْتاجَ إذ تُوفي علىّ هضابُها

لأجعَلَ مالم يجعل اللهُ لامرئٍ وأكتبَ أموالاً عَداءً كتابُها

خرجتُ خُروجَ الثّورِ قد عصَبتْ به سَلوقيَّةُ الأنسابِ خُضعٌ رقابُها

(١) المماظة : المخاصمة والمشاتمة والمنازعة . ش : «مماضين» ، تحريف .

(٢) فى معجم المرزبانى ٣٩٠ : «كريه عتابها» .

(٣) وكذا فى الحماسة البصرية ١ : ١٩٩ . وفى معجم المرزبانى ٣٩١ : «تعوى كلابها» .

(٤) ط : «تخطئا» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٥) جعلت فى ش : « لضغمهماها » .

حُبِسْتُ بغُمَّى غمرةٍ فتركتُها وقد أترك الغُمَّى إذا ضاق بابُها(١))

ثم رثى أُطيطاً فقال :

(ذكرتُ أُطيطا والأَداوَى كأنَّها كُلًى من أدِيمٍ يستشنُّ هزومُها
لعمرى لقد خلَّيتَنى ومَواطِناً تُشيب النَّواصى لو أتاك يقينُها
وأبدتْ لىَ الأعداءُ بعدكَ منهم ثَرَى دِمَنٍ ماكان يبدو دفينُها)

انتهى ما أورده أبو محمد .

وقوله : «والدنيا قليل عتابها» أراد أنَّ عتابَ الدُّنيا غير نافع ، فمُعاتبها غير مُستكثر منه .

وقوله:«قرينين كالذئبين»شبَّههما بالذئبين لأنَّ الذئابَ أخبثُ السِّباع.

وقوله : «وإنْ رأَيا لى غِرّة» إلخ روى بدله :

* إذا رأَيالى غفلةً أَسَّدَا لهَا *

أى أفسدا قلوبَ أعادىَّ حتَّى جعلا أخلاقَهم كأخلاق الأُسود . والكَلْبى: جمع كَلِب ، كزَمْنَى جمع زمِن .

وقوله : «إذا رأيانى قد نجوتُ » إلخ تلمَّسا أَلِفُه ضميرُ الاثنين . والمُغوّاة ، بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الواو : حُفرةٌ كالزُّبية . يقال :«مَنْ حَفر مُغَوَّاةً وقَعَ فيها» . والهَيَام بفتح الهاء ، لا بكسرها كما زعمه العينى ، بعدها مثناة تحتية:الرَّمل الذى لايتماسك أن يَسيل من اليد للينِه.ونقل العينى عن أبى على (فى التذكرة) أنَّ الرواية عنده «هَيَالَى تُرابُها»،قال:وهذا يدلُّ على

(١) ط : « جلست » ، وأثبت مافى ش مع أثر تصحيح .

(٢) بين البيتين وسابقهما مايسمى بالإكفاء ، وهو اختلاف الروى بحروف متقاربة .

أنَّ التُّراب جمع تُرْب ، ولو كان مفرداً لقال هائل ترابها . قال صاحب العين : الهائل : الرمل الذى لايثْبُت . وضَرَبَ هذا مثلاً لكثرةِ معرفتهما بالشرّ ، والتحيُّلِ فى جلب أنواع الضَّرر . وفَرْتاج ، بفتح الفاء (١) : موضع .

والخُضع : جمع أخْضع ، وهو الذى فى عنقه تطامنٌ خلقة .

والغَمْرة ، بالفتح : الشِّدّة . والغُمِّى ، بفتح المعجمة وضمها : الغامَّة (٢) أى المُبْهَمة (٣) الملتبسة . وروى السِّيرافى بعد قوله هَياماً تُرابها :

(فلولا رجائى أن تؤوبا ولا أرى عُقولَكما إلاّ شديداً ذَهابُها
سَقيتكما قبل التفرُّق شَربةً يَمُرُّ على باغى الظِّلام شَرابُها
وقد جعلت نفسى تطيب... .. .. البيت).

والظِّلام ، بالكسر : جمع ظُلْم بالضم .

وقد أنشد البيت الشاهدَ أبو الحسن على بن عيسى الرَّبَعى هكذا :

فقد جعلَتْ نفسى تَهُمُّ بضَغمةٍ على عَلِّ غيظٍ يَقصِم العظمَ نابُها

والعَلّ بفتح المهملة : التكرُّر . والقَصْم بالقاف : كسْرٌ مع فصل . ٤١٧

وعلى هذا لا شاهد فيه ، والمشهور الرواية الأولى .

وقد اختلف العلماءُ فى معناه فقال الخوارزمى: الضَّغمة:العَضّة، ولضغمهماها بدلٌ من قوله لضغمةٍ،والضمير الأوّل لسُبعين ، أمّا الثانى فلضغمة،والضمير فى نابها لضغمة.يقول:لكثرةماابتُليت [به] من المحن قد طابت نفسى أن يعضَّنى سبعان ناباهما يضربان العَظم.وقرعُ النابِ العظمَ كنايةٌ عن الصَّوت.هذا كلامه.وقال الأعلم:هذا الشاعـر وصف شدَّةً أصابـه بها رجلان،فيقول:قد جعَلتْ نفسى تطيب لإصابتهما بمثل الشدَّة التى أصابانى بها.

---

(١) وضبطه ياقوت والبكرى بكسر الفاء .

(٢) ط : «العامة» بالعين المهملة ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « المهمة » ، صوابه فى ش .

وضَرب الضَّغمة مثلاً ، ثم وصف الضَّغمة فقال : يقرع العظمَ نابُها ، فجعل لها ناباً على السَّعة . والمعنى : يصل النابُ فيها إلى العظم فيقرعُه . اهـ

وقال الأندلسىّ (فى شرح المفصل) : قيل إنَّ معنى البيت أنَّ نفسه طابت لإصابة الشِّدَّة ، من أجل أنَّ هذين القاصدَينِ له بالشدَّة أصابتهما مثلُها . وفى البيت إشكالٌ ، فإنَّ الضغم عبارةٌ عن الشدّة ، فإذا قدَّرت إضافتها إلى المفعولِ وهو الظاهر وجَبَ أن يكون ضميرُها فاعلاً فى المعنى ، فلا يستقيم لوجهين : أحدهما : أنَّها ليست من ضمائر الرفع . والآخر : أنّ ضمائر الرفع لاتأتى بعد ضمير المفعول (١) .فالوجه أنْ يقال إنّ الضَّغم بمعنى الإصابة ، أضيف إلى الفاعلِ الذى هو ضمير التثنية ، ثمَّ ذكر بعد ذلك المفعول ، فكأنه قال : لإصابة هذه الشدة التى عبرَّ عنها بالضَّغمة أوّلاً . هذا كلامه .

ونقل ابن المستوفِى (عن حواشى المفصل) أنّه قال فى الحواشى : هما عائدان للأسد والضبع ، وقيل للأسد والذئب ، و«ها» للضغمة (٢) . ووجدت فى موضعٍ آخر من الحواشى قال : الضمير الأول يرجع إلى الذئب والضبع ، والثانى إلى النفس. وهذا أشبه من الأوّل، إلاّ أنَّه مع وجود مايعود إليه ضمير الاثنين من قوله قرينين كالذئبين،لاحاجة إلى أن يذكر ماذكره من الأسد والضّبع،أو الأسد (٣) والذئب؛لعدم (٤) ذكرهما فى الشعر.والذى أراه أنَّ معنى البيت:إنَّ نفسى قد طابت أن تصيبها ضغمةٌ بهذه الصِّفة لأجل ضغمهما

(١) ط : «أحدهما أنها ليست من ضمائر الرفع لأنها لاتأتى بعد ضمير المفعول » . وقد تنبه ناشر الأولى لهذا النقص . والتكملة هنا من ش .

(٢) ش : «وهما للضغمة» ، صوابه فى ط .

(٣) ط : «والأسد» ، صوابه فى ش .

(٤) ط : «تقدم» ، صوابه فى ش .

إياها ، إذْ ليسَا من نظرائى وأشكالى . فيكون موضع لام لضغمهماهَا نُصِبَ على أنّه مفعول له ، وموضع هما رُفِعَ بالفاعلية ، وموضع ها نصب بالمفعوليّة . هذا كلامه .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه) ، ونقله شارح (اللباب) : يقول : طابت نفسى للشدَّة التى أصابتنى لوقوع القاصد لى بها فى أعظمَ منها . والضَّغمة عبارة عن الشدّة ، وهما اثنان قصداه بسوء فوقعاً فى مثل ماطلباه له . وجَعَل من أفعال المقاربة ، ولضغمة معمول لتطيبُ إعمالَ الفعل فى مفعوله ، وليست بمعنى المفعول من أجله ، لأنّه لم يُرِدْ (١) أنَّها لأجل الضغمة، وإنَّما طابت بها .والتعليل هو قوله لضغمهماها ، أى طابت نفسى لما أصابنى من الشدة لإصابة مَنْ قصدنى بمثلها . والضَّغمة : العضَّة ، فكنى بها عن المصيبة . ويقال ضَغَمَ الشِّدَّةَ وضَغَمَتْه . وجاء البيت على الوجهين . فقوله : لضغمةٍ من قولهم عضَّته الشدة ، لقوله : يقرع العظمَ نابُها . وقوله : لضغمهماها من قولهم : عضضت الشِّدَّة ، لأنّ الفاعل ههنا ضمير مَنْ أصابها ، وضمير المفعول ضميرها ، أى لضغمهما إيّاها ، فهى معضوضةٌ لاعاضّة ، لمجيئها
مفعولةً لا فاعلة . ويجوز أن يكون الموضعان من ضغمْتُ الشِّدَّةَ لا ضغمتنى ، ٤١٨
ويكون قوله : يقرع العظم نابها مبالغةً فى أنّه عض الشِّدّة عضاً قويًّا بليغًا ، منتهى مايبلغه العَضّ . وكنى ببلوغ الناب العظمَ عن ذلك .

وموضع استشهاده مجىء الضميرين الغائبين متَّصلين وليس أحدهما فاعلاً وهما:ضمير الفاعلين ،وهو قوله له،وضمير الضغمة وهو قولك ها . وهو شاذّ،والقياس فى مثله ضغمهما إيّاها،كراهَة اجتماع ضمائر الغائبين البارزة من

(١) ط : « لم يرو » صوابه فى ش .

جنس واحد ، بخلاف مالو اختلفا . والضمير الأوّل فى موضع خفضٍ بالإضافة ، وهو فاعلٌ فى المعنى،والضمير الثانى فى موضع نصب على المفعولية بالمصدر ،أى لأنْ ضَغَماها . ويقرع العظم نَابها فى موضع صفة ، إما لِضَغْمةٍ الأولى وفصَل للضرورة بالجارّ والمجرور الذى هو لضغمهماها ، ويضعف لأجل الفصل بين الصفة والموصوف بالأجنبىّ ، وهو غير سائغ . وإمَّا فى موضع صفةٍ لمعنى قولك ها ، إذ معناه لضغمهما مثلها ، إذ الأولى لم تصب هذين وإنَّما أصابهما مثلُها ؛فهو فى المعنى مُراد . ومثل نكرةٌ وإن أضيفت الى المعرفة ، فجاز أن توصف بالجملة . ويجوز أن يكون يقرع العظم نابها جملة مستأنفة لتبيين أمْر الضغمة فى الموضعين جميعا ، فلا موضع لها من الإعراب ؛ لأنَّها لم تقع موضع مفرد . ومايُتوَهَّم من أنَّ لضغمهماها مضافَ إلى المفعول وها فى المعنى فاعل ، فيؤدى إلى أنَّه أضاف إلى المفعول وأتى بعده بالفاعل بصيغة ضمير المنصوب ـــ مندفعٌ بما تقدَّم ، من أنَّه لم يرد أنَّ الشدة عضت ،وإنَّما أراد أنهما عضَّا الشدة ، إذ لايستقيم [1] أن يضاف المصدر إلى المفعول ويؤتى بالفاعل بصيغة ضمير المنصوب باتّفاق ، فوجب حملُه على ماذكرناه ، دفعاً لما يلزم مما أجمع على امتناعه . ا هـ كلامه .

وهذا كلُّه مبنىٌّ على خلاف التحقيق ، ومنشؤه عدم الاطِّلاع على الأبيات وسببها ، وكذلك قول بعض فضلاء العجم (فى شرح شواهد المفصل) إن قوله لضغمهماها بدلٌ من قوله لِضغمةٍ .

والضمير الأوّل فى لضغمهماها للسَّبُعين .

وأما الثانى فقال صاحبُ (التحبير[2] ،والإيضاح[3]):لضغمة.ووافقهما

---

(١) فى النسختين : «إذ يستقيم» ، والوجه ماأثبت . وقد تنبه إلى هذا مصحح المطبوعة الأولى .

(٢) ش : «التخمير» . وقد ورد بهذا اللفظ فى الخزانة ٤ : ١١٩ ، ٢٦٣ بولاق . وهو لصدر الأفاضل الخوارزمى .

(٣) الإيضاح شرح لابن الحاجب على المفصل .

فى ذلك صاحب (الإقليد [١] ،والموصَّل [٢]) .وقال صاحب (المقتبس [٣]) : هو لنفسى . وتابعه فى ذلك صاحب (المقاليد [٤]).

وقوله : لضغمهماها مصدر مضاف إلى الفاعل على الوجهين ، إلَّا أنَّ المفعول فى الوجه الأوّل يكون محذوفا وهو النفس ، وفى الثانى يكون مذكوراً . هذا كلامه .

وأغرب من هذا كله قول (شارح اللب السيِّد عبد الله) لضغمةٍ مفعول تطيب على أنّه مفعول به لا مفعول له . وقوله : لضغمهماها ، هو المفعول له . أىْ جعلت تطيب لضغمةِ سبع يقرع العظمَ نابُ تلك الضغمة ، لضغمة هذين السَّبُعين النفس . والمراد به أنَّ ضغمة سبع واحدٍ أهوَنُ من ضغمة سَبُعين. اهـ

وقد لخَّص ابن هشام (فى شرح شواهده) هذه الأقوالَ فقال : وفى معنى البيت وتوجيهه أوجه :

أحدها:أنَّ الضغمة الأُولى له والثانية لهما ، أى نفسه طابت لأن يوقع بهما مصيبةٌ عظيمة لأجل ضغمهما إيّاه مثلَها.واللام من لضغمة تتعلَّق بتطيب،وهى لام التعدية،واللام من لضغمهما متعلق بضغمةٍ أو بجعلت أو بتطيب،وهى لام العلّة.وضمير التثنية فاعل،وضمير المؤنَّث مفعول مطلق.والمعنى ٤١٩

(١) الإقليد شرح على المفصل ، للتاج أحمد بن محمود بن عمر الخجندى .

(٢) الموصل من شروح المفصل . قال الميمنى فى الإقليد ١١٧ : «لعله كما فى الكشف لحسام الدين حسين بن على الصغناقى ؟ المتوفى سنة ٧١٠ جمع فيه بين الإقليد والمقتبس » .

(٣) المقتبس هذا من شروح المفصل ، واسمه «المقتبس ، فى توضيح ما التبس » ، وهو للفخر الإسفيذرى المتوفى سنة ٦٩٨ .

(٤) لعله هو الإقليد ، أو هما كتابان .

لضغمهما إيّاى ضغمةً مثلَها ، فحذف المفعول به والموصوف وأناب عنه صفته ، ثم حذف المضاف وأناب عنه المضاف إليه ووصّله شذوذاً .

الثانى : أن يكون المعنى كذلك ، لكن يكون ضمير المؤنث عائداً على الصفة المتقدِّمة فى اللفظ ، والمراد غيرها ، على حدِّ قولهم : عندى درهم ونصفه .

الثالث : أنَّ الضَّغمتين كلتيهما من فعل المتكلم ، أى جعلت نفسى لأجل إيذائهما لى تطيب لإيقاع ضغمةٍ بهما يقرع العظم نابُها ، لشدة ضغمهما [1] إيّاها ، فحذف المضافين : الشدَّة المضافة إلى الضغمتين ، وياء المتكلم المضاف إليها الضغمتان ، وهى فاعل المصدر . فاللامُ الأُولى متعلقة بتطيب ، والثانية متعلقة بيقرع .

الرابع : أنَّ الضغمتين للمتكلِّم وأنَّ الثانية على تقدير ياء المتكلم كما تقدَّمَ ، ولكن الثانية بدل من الأُولى بإعادة الجارّ . فاللامان للتعدية ، والتقدير لأنْ أضغَمهما ضغمة يقرع العظمَ نابها .

الخامس : أنَّ الضَّغمة الأُولى لأجنبيّ والثانية لهما ، أى تطيب لأن يضغمنى ضاغمٌ ضغمةً يقرع العظم نابها لضغمهما إيّاىَ مثلها ، كما تقول : طابت نفسى بالموت لما نالنى من أذَى فلان . واللام الأُولى للتَّعدية والثانية للتعليل .

وراجحُ الأوجُهِ الثالثُ ؛ لأنَّ السِّيرافى روى : «تهُمُّ بضغمةٍ علىّ علَى غيظٍ » ، ولأنَّ بعضَهم روى :« لضغمة أعضَّهماها » . وضمير نابها راجعٌ للضَّغمة إمَّا على أنّه جعل لها ناباً على الاتساع ، والمراد صاحبها ، أو على أنَّ التقدير نابُ صاحبها ، ثم حذفِ المضاف . اهـ

---

(١) ط : «ضغمتها» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقال ابن يَسعُون [١] (فى شرح [٢] شواهد الإيضاح) :استشهد به أبو علىّ على وقوع الضَّمير المتّصل موقع المنفصل ، لأن مجىء الضمير المنفصل مع المصدر أحسن ، والمصدر هو لضَغمهما ، وهو مضاف إلى هما ، وهما فى المعنى فاعلان ، والمفعول المضْغوم محذوف . ولو ذكره مع ها المتَّصلة العائدة على ضغمة لقال لضغمهماها إيّاى . ولو أتى بضمير الضغمة منفصلاً على الوجه الأحسن لقال لضغمهما إيّاى إيّاها ، فكان يتقدم لوجهين : أحدهما لأنّه ضمير المخاطب وهو أولى بالتقدم من ضمير الغائب . والوجه الثانى أنّ إيّاى ضمير المفعول به ، وايّاها ضمير المصدر ، وهى فضلةٌ مستغنًى بما هو آكَدُ منها ، وكان الأصل لضغمهما إيّاى مثلها ، أى مثل تلك الضغمة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، فكان ينبغى أن يأتىَ بالضَّمير المنصوب المنفصل . وحذفُ المفعول مع المصدر إذا كان معه الفاعل كثيرٌ ، كما قد يحذف معه الفاعل أيضاً .

هذا ماوقفت عليه .

ومغلِّس بن لَقيط : شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، وهو بضم الميم وفتح الغين المعجمة وكسر اللام المشددة . ولقيط بفتح اللام وكسر القاف . ومَعْبَد بفتح الميم الموحدة وسكون العين المهملة . مغلس بن لقيط

وكون الشعر لمغلِّس بن لقيط المذكور هو ماقاله الأعلم . قال : واسم هذا الشاعر مغلِّس بن لقيط الأسدى . والرجلان من قومِه ، وهما مدرك ، ومُرّة.

وكذا قال السيرافى ، لكنّه قال:هو لمغلّس بن لَقيط الأسدى، من ولد مَعبَد بن

(١) اسمه يوسف بن يبقى بن يوسف بن يسعون التُّجيبى الباجلى المتوفى فى حدود ٥٤٠ . وكتابه هو « المصباح ، فى شرح ماأعتم من شواهد الإيضاح ».

(٢) كلمة «شرح» ساقطة من ط . وإثباتها من ش .

نَضْلَة ، يعاتب فيه مُدرِك بن حصن ، ومُرّة بن عَدّاء ، ويذكر أخاه أُطَيط بن لقيط.

٤٢٠ وقال العَيْنى : هو لمغلّس بن لقيط بن حبيب بن خالد بن نضلة الأسدىّ ، جاهلىٌّ ، هو وأخواه:بَعثر ونافع ابنا لقيط شعراء . وهو من قصيدة هائية يرثى فيها أخاه أُطيطا [1] ، ويشتكى من قرينَين له يُؤذيانه . وقيل هما ابنا أخيه ، وهما مدرك ، ومرة . اهـ

نسبة أخرى للشاهد

ونسب ابنُ الشجرى (فى أماليه) ، وتبعه شارح (اللباب) ،هذا الشعرَ إلى لقيط بن مُرة ، قال : رثَى فيه أخاه أطيطا ، وهجا مُرّة بن عَدّاءٍ ومُدركَ بن حِصْن الأسديِّين.

وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : هو لمغلّس [2] بن لقيط السَّعدى لا الأسدىّ ، وكان له ثلاثة أخوة : مُرّة ،ومدرك ،وأطَيط وكان أبرَّهُمْ به ، فمات وأظهر الأخَوانِ عداوته وآذياه ، فقال يرثيه ويشتكى من أخويه . وقيل هما ابنا أخيه المذكور ، وقيل أجنبيَّان .

هذا ماوقفتُ عليه ، والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الثلثمائة [3]:

٣٩٠ (لئنْ كان إيَّاهُ لقد حالَ بَعْدَنا
عن العَهدِ ، والإنسانُ قد يتغيّرُ)

على أنّ المختار فى خبر كان وأخواتها إذا كان ضميرا ، الانفصال كما هنا؛ لأنَّه خبر ، والأصل فى الخبر الانفصال .

---

(١) ش : «شعراء يرثى أخاه أطيطا» بسقوط «فيها» و «وهو من قصيدة هائية» .

(٢) ط : «هو المغلس» ، وأثبت مافى ش .

(٣) ديوان عمر بن أبى ربيعة ٨٦ وابن يعيش ٣ : ١٠٧ والمقرب ١٦ والعينى ١ : ٣١٤ والتصريح ١ : ١٠٨ والأشمونى ١ : ١١٩ .

وقال بدر الدين (فى شرح ألفية والده) : الصحيح اختيارُ الاتِّصال لكثرته فى النظم والنَّثر الفصيح .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لعُمَر بن أبى ربيعة . وقبله :

أبيات الشاهد

(أَلِكْنِى إليها بالسَّلامِ فإنّه يُشهَّر إلمامى بها وينكَّرُ

بآيةِ ماقالت غداةَ لقيتُها بمَدفع أكنانٍ : أهذا المشهَّرُ

قفى فانظرِى أسماءُ هل تعرفينه أهذا المُغِيرىُّ الذى كان يُذكرُ

أهذا الذى أطريتِ ذِكْراً فلم أكنْ وعَيْشِك أنساهُ إلى يومَ أُقبرُ

فقالت:نعمْ لاشَكَّ غيَّرَ لونَه سُرَى اللَّيلِ يُحيى نصَّهُ والتهجُّرُ

لئن كان إياه لقد حَالَ بَعْدَنا ... البيت)

قوله : «أَلِكنى» أى كنْ رسولى وتحمَّلْ رسالتى إليها .

وقوله : «قفى» أمرٌ من الوقوف ، والآمرة هى نُعْمٌ محبوبةُ الشاعر . « وأسماءُ » : صاحبة نُعْم . وأسماء منادًى بحرف النداءِ المحذوف . وروى أيضا:«قفى فانظرى ياأسم» وهو مرخَّم أسماء . وهذا على طريقته ، فإنَّه كثيراً مايتغزَّل بنفسه ، زعماً منه أنَّ المخدَّرات يعشِقْنه لحسنه وجماله ، وقد عيب عليه . والهاء فى «تعرفينه» ضمير الشاعر وهو عمر ، كما أنَّ المغيرىَّ عبارةٌ عنه . قال الخُوارَزمى : المغيرىُّ منسوبٌ إلى المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم (١) وهو من أجداده .

وقوله: «وعيشك أنساه» ،الواو للقسم ، والجملة معترضة بين لم أكن وبين خبره وهو جملة أنساه. وسُرَى الليل فاعل غَيَّرَ ،والتهجُّر معطوف عليه ،

---

(١) ش : « ابن عمرو بن مخزوم » ، صوابه فى ط وجمهرة ابن حزم ١٤٤ وكتاب نسب قريش للزبيرى ٢٩٩ .

وهو السَّير فى الهاجرة . ويُحيِي : مضارعٌ معلوم من الإحياء ، وفاعله ضمير المغيرىّ ، ونصَّه مفعولُه .

وقوله :«قفى فانظرى» إلى آخر البيتين من مقول قالت : وزعم بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) أنَّ البيتين من مَقُول الشاعر ، فإنّه قال : والمعنى قلت لحبيبَتى أسماء : قفى ياأسماءُ فانظرى وتأمَّلى هل تعرفين هذا الرجل الذى ترينَه ؟ يريد به نفسه . ولما قال لها ذلك توهَّمتْه فقالت متعجِّبة متفكِّرة لفرط تغيُّره : الذى تَراه عمرُ المُغيرىُّ الذى كان يذكر عندنا ؟ والله
٤٢١ لئن كان المغيرىُّ إيّاه لقد حال وتغَّير عما عهدناه ، فإنَّه [1] عهدناه شابًّا وقد كبر ، وعهدناه ناضراً طريًّا وقد حال عن ذلك ! ثم قالت تسليةً له : والإنسان قد يتغيَّر عن حالٍ إلى حال ، فلا تحزن . ويجوز أن يكون هذا مقول الشاعر ، قال ذلك نفياً لتعجُّبها مما استعظمته من تغيُّره بعدها . أى إنَّ الإنسان يتغيَّر فلا تتعجبى .اهـ . وفيه مالا يخفى .

وقوله : (لئن كان) إلخ اللام موطئة للقسم ، واسم كان ضمير المغيرىّ وإياه خبرها ، وجملة (لقد حال) إلخ جواب القسم المحذوف ، وقد سدَّ مسَدَّ جواب الشرط .وحال بمعنى تغيرَّ ، من قولهم : حالت القوس ، أى انقلبت عن حالها التى عَمِرت عليها ، وحصل فى قالبها اعوجاج . و(بعدنا) متعلِّق بحالَ . وكذلك قوله : (عن العهد) ، أى عمَّا عهدنا من شبابه وجماله . وجملة (والإنسان قد يتَغيرَّ) حالية . ومثله قول كُثيِّر عزَّة :

وقد زعمَتْ أنِّى تغيرَّتُ بعدَها
ومن ذا الذى ياعزَّ لايتغيَّرُّ

---

(١) ش : « فانا » .

وهذه القصيدة عدة أبياتها ثمانون بيتا أوردها القالىُّ (فى أماليه [١])، ومحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (فى منتهى الطَّلب من أشعار العرب) .

وقد أنشد المبرد أبياتاً منها (فى الكامل)[٢] وقال : يروى من غير وجه أنَّ ابن الأزرق [٣] أتى ابنَ عباسٍ رضى الله عنه يوماً ، فجعَلَ يسأله حتى أملّه ، فجعل ابن عباس يُظهر الضَّجَر ، وطلع عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة على ابن عباسٍ وهو يومئذٍ غلام ، فسلَّم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده :

أمِن آل نُعمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكرُ
غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ

حتَّى أتَمَّها،وهى ثمانون بيتا ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت ياابن عبَّاس،أنضرِب إليك أكبادَ الإبل نسألك عن الدين فتُعرِض ، ويأتيك غلامٌ من قريش فيُنشدك سفهاً فتسمعه ! فقال : تالله ماسمعت سفها . فقال ابن الأزرق : أمَا أنشدَك :

رأتْ رجلاً أيْمَا إذا الشمسُ عارضَتْ
فيخزَى وأما بالعشىِّ فيخْسَرُ

فقال : ماهكذا قال ، إنما قال :

* فيضحى وأما بالعشىِّ فيخصَرُ *

---

(١) انظر الأمالى ٣ : ١٤١ حيث ذكر صدر مطلع القصيدة .

(٢) الكامل ٥٧٠ . وانظر ديوان عمر ٨٤ — ٩٥ .

(٣) هو نافع بن الأزرق الحرورى ، الذى تنسب إليه طائفة الأزارقة ، وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة فى جزء من روايته ، وأخرج الطبرانى بعضها فى مسند ابن عباس من المعجم الكبير ، وكان مقتله سنة ٦٥ . لسان الميزان .

قال : أوَ تحفظ الذى قال ؟ قال : والله ماسمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردَّها لرددتها . قال : فاردُدْها . فأنشده إياها . وروى الزُّبيريون أن نافعا قال له : مارأيت أروى منك قطُّ ! فقال ابن عباس : مارأيت أروى من عمر ، ولا أعلم من على . انتهى كلام المبرد .

وفى هذه القصيدة أبيات شواهدُ فى هذا الشَّرح وغيره ، لابأس بإيرادها هنا . وهى هذه :

قصيدة الشاهد

(أمِنْ آل نُعمٍ أنت غادٍ فمُبْكرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ (١)

بحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ فى جوابها ... فتبلغَ عُذراً والمقالةُ تُعـذِرُ

نَهيمُ إلى نعمٍ فلا الشَّمْل جامعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ ولا القلب مُقْصِرُ (٢)

ولاقربُ نعمٍ إذْ دنت لك نافعٌ ... ولا نأيُها يُسلى ولا أنت تصبرُ

وأُخرى أتت من دونِ نُعم ومثلُها ... نَهَى ذا النهى ،لو ترعوى أو تفكِّرُ (٣)

إذا زرتُ نُعماً لم يزل ذو قرابةٍ ... لها كُلَّما لاقيتها يتنمَّرُ

عزيزٌ عليه إن أَلِمّ بِبَيتها ... مُسِرٌّ لى الشَّحناءَ ،للبغضِ مظهرُ (٤)

---

(١) ط : «أورائح» ، وأثبت مافى الديوان وش مع أثر تصحيح.

(٢) فى الديوان والكامل : « تهيم » بالتاء .

(٣) ط : «لو يرعوى أو تفكر» ، والوجه توحيد حرف المضارعة كما فى ش . وفى الديوان والكامل : «لو يرعوى أو يفكر» .

(٤) فى الديوان : « والبغض يظهر » . وفى الكامل : « والبغض مظهر » .

أَلِكْنِى إليها بالسَّلام فإنَّه ... يُشَهَّرُ إلمامى وبها ويُنكَّرُ ٢٤٢
على أنَّها قالت غداةَ لِقيتها ... بمَدفع أكنانٍ : أهذا المشهَّرُ
قفى فانظرى ياأسمَ هلْ تعرفينه ... أهذا المغيرى الذى كان يذكَرُ
أهذا الذى أطريتِ نعتا فلم أكُنْ ... وعيشِك أنساهُ إلى يومَ أقبرُ (١)
لئن كان إياهُ لقد حالَ بَعدَنا ... عن العهد ، والإنسان قد يتغيَّرُ
فقالت : نعم لاشكَّ غيَّرَ لونَه ... سُرى الليل يُحيى نصَّه والتهجُّرُ
رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضَتْ ... فيَضحَى وأمّا بالعَشِىِّ فيَخصَرُ
أخا سفرٍ جوابَ أرضٍ تقاذفتْ ... به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغبرُ
قليلٌ على ظهر المطِيَّةِ ظِلُّه ... سوى مانَفَى عنه الرِّداء المُحَبَّرُ
وأعجبَها مِن عيشها ظلُّ غُرفةٍ ... وريَّانُ ملتفٌّ الحدائقِ أنضرُ (٢)
ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يُهِمُّها ... فليست لشيءٍ آخرَ الليل تسهرُ
وليلةَ ذى دَوْران جشَّمْتِنِى السُّرى ... وقد يَجشَم الهولَ المحبُّ المغرَّرُ (٣)
فبتُّ رقيباً للرِّفاق على شَفاً ... أراقبُ منهم من يطوف وأنظرُ (٤)
إليهمْ ،متى يستأخِذُ النَّومُ فيهم ... ولى مجلسٌ لولا اللُّبانةُ أوعرُ (٥)
وباتت قَلوصى بالعَراءِ ورحْلُها ... لطارقِ ليلٍ أو لمن جاءَ مُعْوِرُ

(١) ط : «فلم أكد» ، وأثبت مافى ش والديوان والكامل .

(٢) فى الديوان : « أخضر » .

(٣) ط والديوان : « جشمنى السرى » ، وأثبت مافى ش .

(٤) فى الديوان : « أحاذر منهم » .

(٥) الديوان : « متى يستمكن » .

فبتُّ أناجى النَّفسَ أين خِباؤُها ... وأنَّى لما تأتى من الأمر مصدرُ (١)
فدلَّ عليها القلبَ نارٌ عرَفتها ... بها ، وهوى الحب الذى كان يظهرُ (٢)
فلمَّا فقدْتُ الصَّوتَ منهم وأُطفِئت ... مصابيحُ شُبّتْ بالعِشاء وأنوُرُ (٣)
وغاب قُميرٌ كنت أهوَى غيوبه ... وروَّح رُعيانٌ ونوَّمَ سُمَّرُ
ونفَّضت عنى النّومَ أقبلتُ مشيةَ الـ ... ـحُباب ولكنِّى من القوم أزوَرُ (٤)
فحَيَّيتُ إذ فاجأتها فتولَّهتُ ... وكادت بمرفوع التحية تَجهرُ (٥)
فقالت وعضَّت بالبنان : فضحتنى ... وأنت امرؤٌ ميسورُ أمرك أعسَرُ
أريْتَكَ إذْ هُنَّا عليك ألم تخَفْ ... رقيبا وحولى مِن عدوّك حُضَّرُ (٦)
فقلت:كذاكِ الحبُّ قد يحمِل الفتى ... على الهَوْل حتى يُستقادَ فيُنحرُ (٧)
فَواللهِ ماأدرى أتعجيلُ حاجةٍ ... سَرت بكَ أم قد نام مَن كنتَ تحذرُ
فقلت لها:بل قادنى الحبُّ والهوى ... إليكِ ، ومانفسٌ من الناس تَشعُرُ (٨)
فقالت وقد لانت وأفرخَ رُوعُها: ... كَلَاكَ بحفظٍ ربُّكَ المتكبِّرُ
فأنتَ أبا الخطاب غيرَ مُنازَع ... علىَّ أميرٌ مامكثْتَ مؤمَّرُ (٩)

---

(١) الديوان : « وكيف لما آتى من الأمر » .

(٢) فى الديوان : « ربا عرفتها لها وهوى النفس الذى كاد » .

(٣) فى الديوان : « وأنؤر » بالهمز .

(٤) فى الديوان : « عنى الصوت » و « وشخصى خشية الحى أزور » .

(٥) الديوان : « بمخفوض التحية » .

(٦) فى الديوان : « لم تخف ، وقيت » .

(٧) هذا البيت لم يرد فى الديوان .

(٨) الديوان : « بل قادنى الشوق والهوى » .

(٩) الديوان : « غير مدافع » .

فبتُّ قريرَ العين أُعطِيتُ حاجتى … أُقبِّل فاها فى الخلاءِ فأُكثِرُ
فيالكَ من ليلٍ تقاصَرَ طولُه … وماكان ليلى قبلَ ذلك يقصرُ
ويالكَ من ملهىً هناك ومجلسٍ … لنا لم يكدِّره علينا مكـدِّرُ
يمجُّ ذكىَّ المسك منها مُفلَّجٌ … نقىُّ الثنايا ذو غُروب مؤشَّرُ(١) ٤٢٣
يَرِفُّ إذا تَفْترُّ عنـه كأنّـه … حَصَى بَردٍ أوْ أُقحوانٌ منوِّرُ (٢)
وترنـو بعينيها إلىَّ كما رنـا … إلى ظبيةٍ وسْطَ الخميلة جؤذُرُ
فلمَّا تقَضَّى الليلُ إلاّ أقلَّه … وكادت توالى نَجمِـه تتغـوّرُ
أشارت بأنّ الحىَّ قد حان منهمُ … هُبوبٌ ولكنْ موعدٌ لك عَزْورُ
فما راعنى إلاّ منادٍ : تَحمَّلوا … وقد شُقَّ معروفٌ من الصُّبح أشقرُ
فلمَّا رأتْ من قد تَنوَّر منهمُ … وأيقاظَهمْ قالت: أشِرْ كيفَ تأمرُ(٣)
فقلتُ: أُباديهمْ فإمَّا أفوتُهـم … وإمّا ينالُ السَّيفُ ثأراً فيثأرُ
فقالت : أتحقيقٌ لما قالَ كاشحٌ … علينا، وتصديقٌ لما كان يؤثَرُ (٤)
فإنْ كان ما لا بدَّ منه فغيرُه … من الأمر أدنى للخفاء وأسترُ
أُقُصُّ على أُختىَّ بَدءَ حديثِنا … وما بىَ من أن تَعلما متأخَّرُ (٥)
لعلّهما أن تبغيا لك مَخرجاً … وأنْ تَرحُبا سِرْباً بما كنتُ أحصَرُ (٦)
فقامت كئيباً ليس فى وجهها دمٌ … من الحُزن تُذْرِى عَبرةً تتحدَّرُ (٧)

---

(١) الديوان : « ذكى المسك منها مقبل » .
(٢) الديوان : « تراه إذا ماافتر عنه » .
(٣) الديوان : « من قد تنبه » .
(٤) الديوان : « أتحقيقا » و « وتصديقا » .
(٥) الديوان : « ومالى من أن تعلما » .
(٦) الديوان : « أن تطلبا لك مخرجا » .
(٧) ط : « تدنى » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

فقالت لأختيها :أعِيناَ على فتىً أتى زائراً ،والأمرُ للأمر يقـدَرُ
فأقبَلَتـا فارتاعتـــا ثُمَّ قالتـــا أقِلِّى عليكِ اللّومَ فالخطبُ أيسَرُ
فقالت لها الصُّغرى :سأُعطِيهِ مُطْرَفى ودِرعى وهذا البُردَ ، إنْ كان يَحذرُ
يقـومُ فيـمشى بيننـا متنكِّـراً فلا سرُّنا يفشُو ، ولاهو يَظهرُ
فكان مَجنِّى دونَ مَن كنتُ أتَّقى ثلاثُ شخوصٍ : كاعبانِ ومُعصِرُ
فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحىِّ قُلن لى: أمَا تتَّقى الأَعداءَ والليلُ مقُمِرُ
وقُلن : أهذا دأْبُك الدَّهرَ سادراً أمَا تستحِى أو تَرعوِى أو تفكّرُ
إذا جئتَ فامنَحْ طرفَ عَينِكَ غيرَنا لكى يَحسبوا أنَّ الهوى حيث تَنظرُ
على أنَّنى يانُعْمُ قد قلتُ قَولةً لها، والعتاقُ الأرحَبيَّاتُ تُزْجَرُ (١)
هَنِيئاً لبعلِ العامريةِ نَشرُها الـ ـلَّذيـذُ وريَّاهـا الـذى أتذكَّـــرُ
فقمتُ إلى حرفٍ تخوَّنَ نيَّها سُرى الليل حتَّى لحمُها يتحسَّرُ (٢)
وحَبْسى على الحاجاتِ حتَّى كأنَّها بقيَّـةُ لَوحٍ أو شجـارٌ مؤسَّرُ
ومــاءٍ بموِمــاةٍ قليــلٍ أنــــيسُه بسَابسَ لَم يَحْدُثْ بها الصَّيفَ مَحضرُ (٣)
به مُبتَنًـى للعنكبـوتِ كأنَّـه على بَشرَفِ الأرجاء خامٌ منشَّرُ (٤)
وردتُ ومأأدرى: أمَا بعد مَوردى من اللَّيل أمْ ماقد مضَى منه أكثرُ

---

(١) الديوان : « سوى أننى قد قلت يانعم قولة » .

(٢) الديوان : « متحسر » .

(٣) الديوان : « لم يحدث به » .

(٤) الديوان : « على طرف الأرجاء » .

فطافت به مِغْلاةُ أرضٍ تخالُها إذا التفتَتْ مجنونةً حينَ تنظُرُ (١)
تُنازِعنى حِرصاً على الماء رأسَها ومِن دون ماتهوَى قَليب مُعوَّرُ
مُحاوِلَةٌ للوردِ لولا زمامُها وجَذْبِى لها كادتْ مراراً تَكسَّرُ (٢)
فلما رأيتُ الضَّرَّ منها وأنَّنى ببلدةِ أرضٍ ليس فيها مُعصَّرُ ٤٢٤
قَصرتُ لها من جانب الحوضِ مُنْشأً صغيراً كقِيدِ الشِّبرِ أَو هو أصغرُ
إذا شرعَتْ فيه فليس لملتقَى مَشافِرِها منه قِدَى الكفِّ مَسْأَرُ (٣)
ولا دَلْوَ إلاَّ القعبُ كان رِشاءَه إلى الماء نِسعٌ والجديلُ المضفَّرُ
فسافَتْ وماعافت وماصَدَّ شِربَها عن الرىِّ مطروقٌ من الماء أكدرُ)

هذا آخر القصيدة . وقد شرح العَينىّ ألفاظَها اللغويَّة إجمالا .

وقوله : « رأت رجلاً أمّا إذا الشمس عارضَت » البيت ، أورده الشارحِ المحقِّق فى حروف الشرط من أواخر الكتاب ؛ ويأتى إن شاء الله شرحُه هناك .

وقوله : « فكان مجنِّى دون من كنت أتَّقى » . البيت ، أورده أيضا فى باب العدد .

وقوله : « إذا جئتَ فامنَحْ طرفَ عينِكَ غيرنا » البيت ، أورده ابن هشام (فى المغنى) فى حرف الكاف برواية : « كما يحسبوا » .

---

(١) الديوان : « فقمت الى مغلاة أرض كانها » .

(٢) فى النسختين : « كانت » ، صوابه من الديوان .

(٣) قدَى الشيء ، بكسر القاف وفتح الدال : قدره ومقداره . ش : « قذى » تصحيف صوابه فى ط والديوان .

وعمر بن ربيعة قد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والثمانين من أوائل الكتاب [(١)].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الثلثمائة ؛ وهو من شواهد س [(٢)] :

٣٩١ (ليت هذا الليلَ شهرٌ لانَرَى فيه عَرِيبَا
ليس إيَّاىَ وإيَّا كِ ولا نخْشَى رَقِيبا)

لما تقدَّم قبله ، من أنَّ الفصل هو المختار فى خبر كان وأخواتها كما قال (لَيْسَ إيَّاى) ، ولو وصل لقال: ليسنى .

قال سيبويه : ومثل ذلك كان إيَّاه ، لأنَّ كانَه قليلةٌ ، لاتقول : كانَنى ولَيسنى ، ولا كانَكَ ؛ فصارت إيَّا ههنا بمنزلتها فى ضربِى إيَّاك . قال الشاعر :

* ليت هذا الليل شهر * إلخ

وبلغنى عن العرب الموثوقِ بهم أنَّهم يقولون : لَيْسنى ، وكذلك كَانَنِى . اهـ

قال الأعلم:الشاهد فى إتيانه بالضمير بعد ليس منفصلاً ،لوقوعه موقع خبرها والخبر منفصلٌ من المخبر عنه،فكان الاختيار فصلَ الضمير إذا وقع موقعَه.واتِّصاله بليس جائزٌ لأنَّها فعل وإنْ لم تقوَ قوَّة الفعل الصحيح.و«ليس»

(١) الخزانة ٢ : ٣٢ .
(٢) فى كتابه ١ : ٣٨١ . وانظر المقتضب ٣ : ٩٨ والمنصف ٣ : ٦٢ وابن يعيش ٣ : ٧٥ ، ١٠٧ والهمع ١ : ٦٤ .

فى هذا البيت تحتمل تقديرين : أحدهما أن تكون فى موضع الوصف للاسم قبلها ، كأنّه قال : لانرى فيه عَرِيباً غيرِى وغيرَكِ . والتقديرُ الآخرُ : أَن تكون استثناءً بمنزلة إلاَّ . وعَريب بمعنى أحد ، وهو بمعنى مُعْرِب ، أى لانرى فيه متكلِّما يخبر عنَّا ويُعرِب عن حالنا . اهـ

وقوله : (ليت هذا الليل شهرٌ) قال أبو القاسم سعيد الفارقى فيما كتبهُ (فى تفسير المسائل المشكلة) فى أوّل (المقتضب للمبرد) : وقد رُوى فى «شهر» الرفع والنصب جميعا ؛ وهو عندى أشبَهُ بمعنى البيت . وكلاهما حسن . وقد قضينا هذا فى كتابنا (تفسير أبيات كتاب سيبويه) . اهـ

ولم يظهر لى وجهُ النصب [1] .

و(نرى) من رؤية العين . و(عريب) من الألفاظ الملازمة للنفى ، واسم ليس ضمير مستتر راجعٌ إلى عريب ، وإياى خبرها بتقدير مضاف ، أى ليس عريبٌ غيرى وغيرك ، فحذف غير وانفصل الضمير وقام مقامه فى النصب . تمنَّى أن تطول ليلتُه بمقدارِ شهر . وجملة (لانرى فيه) خبر ثان للَيْتَ [1] . وجمله (لانخشى رقيبا) معطوف عليه ، والرابط محذوف أى فيه . ويجوز أن يكون جملة لانرى صفةً لشهرٌ .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : يقول لحبيبته :٢٥ ليت هذا الليل الذى نجتمع فيه طويلٌ كالشَّهر ، لانُبصر فيه أحداً ليس إيّاى

---

(١) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله ولم يظهر لى وجه النصب ، أقول:يمكن أن يوجه نصبه على أنه خبر لكان مقدرة أو منصوب على الظرفية متعلق بمقدر . والله أعلم.اهـ من هامش الأصل».

وإيّاك ، أى ليس فيه غيرى وغيرك أحد . وهو استثناءٌ لنفسه كما قال إلّاكِ (١) ، ولا نخاف فيه رقيبا .

صاحب الشاهد وهذا الشعر نسبَه خَدَمَةُ كتاب سيبويه إلى عُمر بن أبى ربيعة المذكور آنفاً .

العرجى ونسبه صاحبُ الأغانى ، وتبعه صاحب الصحاح إلى العَرْجى ، وهو عبد الله ابن عمر بن عَمْرو بن عُثمان بن عَفّان . نُسِب إلى العَرْج ، وهو من نواحى مكّة ، لأنّه ولد بها ، وقيل بل كان له بها مال ، وكان يقيم هناك . والله أعلم .

وتقدّمت ترجمة العَرجى فى الشاهد السادس من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الثلثمائة :

٣٩٢ (عَدَدتُ قَومى كعديد الطَّيْسِ إذْ ذهَبَ القومُ الكرامُ ليسِى)

على أنّه جاء متّصلا . قال الزَّنجانى : هذا الشعر أنشده السِّيرافى ، وفيه شذوذٌ من وجهين : الأوّل : أنّه أتى بخبر ليس متّصلا . والثانى : أنّه أسقط نونَ الوقاية ، وحقُّه أن يقال : ليسَنِى . اهـ

وأنشدهُ شُرّاح الألفية على أنّ حذف نون الوقاية منه ضرورةٌ.

وكذلك حكم ابن هشام بأنّه ضرورة ، فى قد ، وفى النون (٤) (من المغنى) وقال (٥)فى (شرح شواهده):والذى سهّل ذلك مع الاضطرار أمور:

---

(١) يشير إلى الشاهد المعروف ، وهو الشاهد ٣٨٤ من هذا الجزء :

وما نبالى إذا ماكنتِ جارتنا ألا يجاورنا إلّاكِ ديـار

(٢) الخزانة ١ : ٩٨ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٠٨ وشرح شواهد المغنى ١٦٧ والتصريح ١ : ١١٠ واللسان (طيس) وديوان رؤبة ١٧٥ .

(٤) ط:«بأنه ضرورة فإنه قد ذكره فى النون» ، وأثبت مافى ش .وانظر المغنى فى (قد)،وفى (النون).

(٥) ش : «قال» ، بدون واو .

أحدها : أنَّ الفعل الجامد يشبه الأسماء ، فجاء ليسى كما تقول غلامى وأخى ، ومن ثمَّ جاز : إنَّ زيداً لعسى يقوم كما جاز لقائمٌ ، ولايجوز إنَّ زيداً لقام . وجاز أيضاً نحو : ﴿ وأَنْ ليس للإنسان إلَّا ماسَعَى [١] ﴾ ، كما جاز : علمت أنْ زيدٌ قائم [٢] ولايجوز علمت أنّ قام ولا أنّ يقوم

والثانى : أنّ ليس هنا للاستثناء ، فحقُّ الضمير بعدها الانفصال ، وإنّما وصَله للضرورة كقول الآخر :

* أن لايجاورنا إلّاكِ ديّارُ *

والنون ممتنعة مع الفصل ، فترَكَها مع الوصل التفاتا إلى الأصل .

الثالث : أنَّ ليس [٣] بمعنى غير ، ولا نون مع غير . اهـ

واسم ليس هنا ضمير اسم الفاعل المفهوم من ذهب ، والتَّقْدير : ليس هو إيّاى ، أى ليس الذاهب إيّاى .

وقال (شارح أبيات الموشح) : اسم ليس مضمر يرجع إلى الكريم المستفاد من الكرام . وفيه مالا يخفى .

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : كذا أنشد العلماء هذا البيت . ويروى :

* عَهدِى بقومى كعديدِ الطَّيسِ *

وهو الصحيح . وأنشدَه الخليل (فى كتاب العين فى طيس) لرؤبة ، صاحب الشاه

قال : الطَّيس : العدد الكثير . وأنشد البيتين لرؤبة .

واختلفوا فى تفسير (الطَّيْس) فقال بعضهم : هو كل ماعلى وجه الأرض من خَلق الأنام . وقال بعضهم : بل هو كلُّ كثير النَّسل نحو النمل والذُّباب والهوامّ .

---

(١) الآية ٣٩ من النجم .

(٢) ش : « أن زيدا قائم » .

(٣) ط : « ليسنى » ، صوابه من ش مع أثر تغيير .

وقال غيره : الطَّيس : الكثير من الرمل والماءِ وغيرهما . وأراد به رؤبة هنا الرّمل. اهـ

وكذلك أنشده ابن الأعرابىّ (فى نوادره) : «عهدت قومى» . ورواه بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : «عهدى بقومٍ» ، وقال : أراد بقومٍ المنكَّرِ قومَه ، بدليل رواية قومى ، واللام فى القوم إشارة إليهم ، وهذا من باب وضع الظاهر موضعَ المضمر ، والأصل : إذ ذهبوا . وفائدته التوصُّل إلى وصفهم بالكرم . وقوله : « عهدى بقومٍ» مبتدأ خبره محذوف ،وهو حاصل .

٤٢٦ وقوله : (ليْسى) استثناء لنفسه من القوم الكرام الذاهبين . يفتخر بقومه ويتحسَّر على ذهَابهم فيقول : عهدى بقومى الكرامِ الكثيرينَ مثلَ كثرةِ الرمل حاصلٌ إذْ ذهبوا إلاَّ إيَّاى . فإنِّى بقيتُ بعدهم خَلَفاً عنهم . ولايبعد أن يريد قوماً غير كرام ، فيكون المعنى : أرى قومًا كثيرا غير كرام إذْ ذهب الكرام غيرى . انتهَى كلامه .

وهذا المعنى هو الظاهر دون الأوّل ، وهو معنى قول العينى : والمعنى عددت قومى وكانوا بعدد الرمل ، ومع تلك الكثرة مافيهم كريمٌ غيرى . وعليه فيكون العامل فى إذ : عدَدت ، أو عهِدت ، أو عهدى ، على الروايات .

وقال شارح (أبيات الموشح) : قوله : « كعديد الطيس » : حال من قومى . وقوله : إذ ذَهب ظرف ليسى . يقول : عهدى بقومى الكرام الكثيرين مثلَ كثْرةِ الرمل حاصلٌ ، وليس فيهم الآن كريم غيرى ، إذْ ذهب القوم الكرام وبقيتُ بعدهم خَلفاً عنهم . هذا كلامُه فتأمَّلْه .

وقال العينى : عديد الطيس صفةُ مصدرٍ محذوف ، تقديره : عَدًّا كعدد الطيس . والعديد بمعنى العدَد . يقال هم عديدُ الحصَى والثرى فى الكثرة .

وترجمة رؤبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٣٩٣ (فإنْ لا يَكُنْها أو تَكُنْه فإنَّه أخوها غذَتْه أُمُّه بِلِبانِها)

لما تقدَّمَ قبلَه من وصل الضمير المنصوب بكان ؛ والقياس : فإن لايكن إيّاها أو تكنْ إيّاه .

وأنشده سيبويه (فى أوائل كتابه) فى باب الفعل الذى يتعدَّى اسمَ الفاعل إلى اسم المفعول ، واسمُ الفاعل والمفعول فيه لشيءٍ واحد ، قال فيه : وتقول: كُنّاهم كما تقول: ضربناهم . وتقول : إذا لم نكنْهم فمن ذا يكونهم [٣] كما تقول : إذا لم نضربهم فمن يضربهم . قال أبو الأسود الدؤلى :

فإلاّ يكنْها أو تكنه فإنَّه . . . البيت

قال الأعلم : أراد سيبويه أنَّ كان لتصرُّفها تجرى مجرى الأفعال الحقيقية فى عملها ، فيتصل بها ضمير خبرها اتصالَ ضميرِ المفعول بالفعل الحقيقى فى نحو ضربتُه وضَرَبَنِى وماأشبَهَه.اهـ

وقبْل هذا البيت :

دع الخمرَ تشربْها الغُواةُ فإنَّنى رأَيتُ أخاها مُجزئاً لِمَكانها [٤]

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢١ . وانظر المقتضب ٣ : ٩٨ والإنصاف ٨٢٣ وابن يعيش ٣ : ١١٧ والمقرب ١٦ والعينى ١ : ٣١٠ والأشمونى ٣ : ١١٨ وديوان أبى الأسود الدؤلى ٨٢ .

(٣) فى النسختين : « إذا لم تكنهم » بالتاء ، وكذلك فيما يأتى « إذا لم تضربهم » ، صوابه من سيبويه .

(٤) وكذا فى اللسان (كون) والديوان . لكن فى الإنصاف والعينى : « بمكانها » .

سبب الشعر

قال شُرَّاح أبيات سيبويه ، وشراح أبيات أدب الكاتب : سببُ هذا الشعر أنَّ مولىً لأَبى الأسود الدؤلى كان يحمل تجارة إلى الأهواز ، وكان إذا مضى إليها تناول شيئاً من الشَّراب ، فاضطرب أمرُ البضاعة ، فقال أَبو الأَسود هذا الشعر ينهاه عن شرب الخمر . فاسم يكنها ضمير الأخ و «ها» ضمير الخمر ، وهو خبر يكن ، واسم تكنه ضمير الخمر ، والهاء ضمير الأخ ، وهو خبر تكن . وأراد بأخى الخمر الزبيب . يقول : دع الخمر ولاتشربها ، فإنى رأيتُ الزبيب الذى هو أخوها ومن شجرتها مُغْنياً مَكانَها [1] ، وقائماً مَقامها ، فإلا يكن الزبيب الخمرَ أو تكن الخمر الزبيبَ فإنَّ الزبيب أخو الخمر ، غَذَتْهُ أُمُّه بلبانها . يعنى أنَّ الزبيب شَرِب من عروق الكرمة كما شرب العنبُ الذى عُصِر خمراً . وليس ثمة لِبانٌ وإنَّما هو استعارة . كذا قال جماعةٌ ، منهم الجواليقى ، قال (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : نهاه عن شرب الخمر ، وقال له : إنَّ الزبيب يقوم مقامها . فإن لم تكن الخمر نفسُها من الزبيب فهى أختُه ، اغتذتا من شجرةٍ واحدة .

٤٢٧ ومنهم ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قال : أراد بقوله أخاها الزبيب ، وجعله أخا الخمر لأنهما من شجرةٍ واحدة .

ومنهم ابن هشام (فى شرح شواهده) قال : زعم مولى أَبى الأَسود أنه يشرب الخمر لحرارتها ، فأمره بأكل الزبيب فإنه أخوها ، أى ارتضَعَ معها من ثديٍ واحد ، أى إنَّه شرب من عروق الكَرْمة كما شرب العنبُ الذى هو أصلها .

وقال جماعة:أراد بأخى الخمر نبيذ الزبيب،منهم الأعلم قال:وصَفَ نبيذَ الزبيب وأطلقه على مذهب العراقيين فى الأنبذة،وحثَّ على شربه وَتْرِكِ الخمر

(١) ط : « لمكانها » .

بِعَيْنِها ، للإجماع على تحريمها . وجعلَ الزبيب أصلاً للخمر لأنَّ أصلَهُما الكَرْمة . واستعار اللِّبان لما ذكره من الأخوة .

ومنهم ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) قال : يعنى بأخيها نبيذ الزبيب . يقول : إن لم يكن الزبيبُ الخمرَ أو تكن الخمر الزبيبَ فإنهما أخَوَانِ غُذيا بلبَنٍ واحد ، ينوب أحدهما مناب الآخر .

ومنهم صاحب (فرائد القلائد) . قال : إنَّ أخاها نبيذ الزبيب ،يريد به الماء الذى نُبذ بزبيب ليصير حلواً من غير أَن تشُوبَه حرمة ، فإنه أخوها ، إلا أنه حلال وهى حرام .

وقد أنشده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الخمرِ والمَيْسِرِ (١) ﴾،قال : الخمر المجْمَعُ عليه . وقياسُ كلِّ ماعمل عملَها أن يقال له خمر ، وأن يكون فى التحريم بمنزلتها ، لأنَّ إجماع العلماء أنَّ القِمَار كلَّه حرامٌ، وإنما ذُكر الميسر من بينه . وجعل كله حراما (٢) قياساً على الميسر ، والميسر إنما كان قِماراً فى الجُزُر خاصَّة . فكذلك كلٌّ ماكان كالخمر فهو بمنزلته . وتأويل الخمر فى اللغة : أنَّه ماستَرَ على العقل ، يقال لكل ماستر الإنسانَ من شجرٍ وغيرِه خَمَر بالتحريك . وماستره من شجر خاصَّة ضَراً (٣) ، مقصور . يقال : دخل فى خُمَار الناس (٤) ، أى فى الكثير الذى يستتر فيهم . وخِمَار المرأة قِناعُها ، وإنما قيل له خمار لأنه يغطِّيها . والخمرة بالضم : التى يُسْجَدُ عليها إنّما سمِّيت بذلك لأنها

(١) البقرة ٢١٩ .

(٢) كلمة «حراما» ساقطة من ش .

(٣) رسمت فى ش « ضرًى » بالياء . ولم يذكر القصر فى كل من اللسان والقاموس ، بل جعلاه ممدودا « الضَّرَاء » .

(٤) يقال بفتح الخاء وضمها كما فى القاموس . ومثله غمار الناس بضم الغين وفتحها .

تستر الوجه عن الأرض . وقيل للعجين : قد اختمر ، لأنَّ فطورته قد غَطَّاها الخمر ، أعنى الاختمار . يقال قد أخمرت العجين وخمرته وفطرته . فهذا كُلّه يدلُّ على أنَّ كلَّ مُسْكِرٍ خمرٌ ، وكلُّ مُسكِرٍ مُخالطٌ العقل [1] ومغطّ عليه . وليس يقول أحد للشَّارب إلا مخمور، من كل مسكر ؛ وبه خُمَار . فهذا بيِّنٌ واضح. وقد لُبِّسِ على أبى الأسود الدؤلى فقيل له : إنَّ هذا المسْكر الذى سمَّوه بغير الخمر [2] حلال ، فظنَّ أنَّ ذلك كما قيل ، ثم ردَّه طبعُه إلى أن حَكَم بأنَّهما واحد ، فقال :

دع الخمرَ يشربها الغُواةُ... .. .. البيتين

وماذكره خلاف المعنى الذى ذكره الجماعة . وقد وافقه فى هذا المعنى أبو القاسم عبد الرحمن السعدى الأندلسى ــ وتُوفِّىَ بمصر فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ــ (فى كتاب مساوى الخمرة) ،وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدين ، قال فيه : وقد حرَّم الخمرَ والقِمار والزِّنى على نفسه فى الجاهلية عُفَيِّف بن مَعد يكربَ [3] الكندىُّ بقوله :

وقالت لى : هَلُمَّ إلى التَّصابى فقلتُ : عففتُ عمَّا تعلمينا

وودَّعتُ القِداحَ وقد أُرانى لها فى الدَّهر مشغوفاً رهينا

وحرَّمتُ الخمورَ علىَّ حتَّى أكونَ بقعر ملحودٍ رهينا [4]

٤٢٨ أنت ترى كيف تفهَّمَ مافى القِمار من المشاركة للزنى والخمر،فى سُوء

(١) ط : « يخالط » ، والوجه ماأثبت من ش للتناسق .

(٢) ط : «بعير الخمر» ، صوابه من ش .

(٣) ذكره ابن حبيب فى المحبر ٢٣٧ ، ٢٣٩ فيمن حرم فى الجاهلية الخمر والسُّكَرَ والأزلام . وذكر أن اسمه كان « شراحيل » ثم سمى عُفَيِّفا لتحريمه على نفسه ذلك . وانظر القاموس (عفف) حيث ضبطه .

(٤) فى المحبر : « لقعر ملحود رهينا » . والملحود : اللحد ، وهو القبر .

الذِّكر . ولاتَنس قوله:« وحرِّمت الخمور » فأتى بها بلفظ الجمع ، إشارةً إلى اختلاف أجناسها ، كالخمر المتَّخَذة من ماء العنب ، ونبيذ الزبيب والتمر والشعير والحنطة والعسل ، وأمثال هذه ، إذ الكلُّ خمورٌ مختلفة الألوان والطُّعوم والأمزجة . وقد قال ابن شُبرُمة (١) منبِّها على اشتراك هذه كلِّها فى المَعْنَى :

ياأخِلَّاءُ إنَّما الخمرُ ذيبُ وأبو جَعدةَ الطِّلاءُ المُرِيبُ

ونبيذُ الزبيب مااشتدَّ منه فهو للخمر والطلاءِ نسيبُ

وقال عَبيد بن الأبرص :

وقالوا هى الخمر تُكنى الطِّلاءَ كما الذئب يكنى أبا جَعْدَةِ(٢)

وقد قال أبو الأسود الدئلىّ (٣) :

دع الخمر يشربها الغُواة ... . البيت

فقيل له : فنبيذ الزبيب ؟ فقال :

فإلّا يكنْها أو تكنه فإنّه أخوها غذته أُمُّه بلبانها .اهـ

وقوله : (دع الخمر) ، أى اترك . و (الغواة) : جمع غاوٍ ، وهو الضالّ . وقوله : (مجزئاً) قال ابن الأنبارى (فى الزاهر) :يقال أجزأنى الشيء يُجزئنى ، إذا كفانى . وأنشدَ هذا البيت ، وروى بدله : « مغْنيا » بمعناه .

---

(١) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبى الكوفى ، القاضى . ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب : وكان شاعرا فقيها ورعا .

(٢) وقالوا ، فى أول البيت ، ساقطة من النسختين ، وإثباته من الديوان ٣ واللسان (جعد،طلا) . ط : « يكنى » ، وهى فى ش مهملة نقط الحرف الأول . والوجه ماأثبت .

(٣) ط : « الدؤلى » .

وقوله : «فإلاّ يكنها» الخ الفاء للتفريع والتفسير ، **وإن شرطية** ، ولا نافية وتكُنْه معطوف على تكنْها فهو منفىٌّ أيضاً ، وجملة **فإنه أخوها** جوابُ الشرط. وجملة غذْته أُمه إلخ لامحل لها من الإعراب ، لأنّها مفسِّرة **للأُخوّة** ، كقوله تعالى : ﴿ إنَّ مَثَلَ عيسى عندَ اللهِ كمثل آدمَ خَلَقه مِنْ تُراب (١) ﴾ . وقال العينى : هى خبرٌ بعد خبر ، ويجوز أن تكون حالا من الهاء فى أخوها ، والعامل فيها إنّ . هذا كلامه .

و(اللِّبان) بكسر اللام قال الأعلم : هو للآدميّين ، واللبنُ لغيرهم ، وقد يكون جمعَ لبن فى هذا الموضع . اهـ

قال ابن السكِّيتِ : يقال هو أخوه بِلبان أمه ولايقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذى يشرَب . قال الكميتُ يمدح مَخْلد بنَ يزيد :

تَرى النَّدى ومَخْلداً حليفينْ كانا معاً فى مهدِه رضيعينْ (٢)
* تنازعا فيه لِبانَ الثَّديينْ *

وقال الحريرى (فى درّة الغواص) (٣): اللِّبان : مصدر لابنه . قال ابن برى (فى حاشيته عليه) : اللِّبان مصدر لابنَه ، أى شاركه فى اللبن ، ليس بإجماع بل الأكثر على جواز غير ذلك . قال بعضهم : اللبان بمعنى اللبن ، إلَّا أنه مخصوصٌ بالآدمى ،وأمّا اللبنُ فعامٌّ فى الآدمى وغيره . وقال آخرون : اللِّبان جمع لَبَن .فممَّا جاء فيه اللِّبان للمشاركة فى اللبن قولهم :هو أخوه بلِبان أمِّه . كذا فسَّره يعقوبُ ،أى هو أخوه لمشاركته فى الرِّضاع.وعليه قول الكميت

(١) آل عمران ٥٩ .

(٢) لم يرد هذا الرجز فى ديوان الكميت جمع داود سلوم .

(٣) درة الغواص ص ٩٩ .

المذكور . وقال أبو سهل الهروىّ : لِبان هنا جمع لَبَن ، وعلى قول غيره هو لغةٌ فى اللبن . وكذلك بيت أبى الأسود الدؤلى . انتهى كلامه .

وترجمة أبى الأسود قد تقدمت فى الشاهد الأربعين (١).

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الثلثمائة (٢) :

٣٩٤ (لولاكَ فى ذا العامِ لم أَحجُجِ)

على أنه يجوز ورود الضمير المشترك بين النصب والجر على قلّة بعد لولا . و «لولا» حرف جر عند سيبويه كما ذكره الشارح ، ويأتى نص كلامه فى البيت الذى بعد هذا .

وأنشده الزمخشرى فى سورة صٓ ، مستشهداً به على أنَّ لاتَ تجُرُّ الأحيان كما أنَّ لولا تجر الضمائر .

وهو عجزٌ ، وصدره :

* أومَتْ بعينيها من الهودج *

وبعده :

(أنتَ إلى مكَّةَ أخرجتَنى ولو تركتَ الحجَّ لم أَخْرُجِ)

وروى :

* حُبًّا ولولا أنت لم أخرُجِ *

وهما من شعر عمر بن أبى ربيعة.و(أومَتْ):أشارت.والكاف فى

---

(١) الخزانة ١ : ٢٨١ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨١ والإنصاف ٦٩٣ وابن يعيش ٣ : ١١٨ ، ١٢٠ والعينى ٣ : ٢٦٤ والهمع ٢ : ٣٣ وملحقات ديوان عمر بن أبى ربيعة ٤٧٩ .

(لولاكَ) مفتوحة ، كما أن التاء من أنتَ كذلك . خاطبتُه حبيبته ومنَّت عليه بتحمُّل المشاقّ لأجله .

صاحب الشاهد

وزعم الخطيبُ التِّبريزى (فى شرح ديوان أبى تمام) أنَّ البيت الشاهدَ للعَرْجى المذكور آنفا . ولم يوجد فى ديوانه ، والذى رواه العلماء أنه لعمر بن أبى ربيعة ، وهو موجودٌ فى شعره . وسببُ توهُّمه : أنَّ للعرجىِّ أبياتاً على هذا النمط رواها الزجَّاجىُّ (فى أماليه الوسطى[1]) بسندِه إلى إسحاق بن سعد بن عمرو بن سعيد بنِ العاص، قال : كان العرجىُّ ،وهو عبد الله بن عمر بن عَمرو بن عثمان بن عفان ، يشبِّب بامرأةِ محمد بن هشام . وقال غيره : إنه يشبِّب بامرأته الحارثية :

أبيات الشاهد

عُوجى علينا ربَّةَ الهودج إنَّك إن لاتفعلى تُحْرَجى
أيسَرُ ماقال محبٌّ لدى بينِ حبيب قولُه : عرِّجِ [2]
يَقضِى إليكم حاجةً أو يقُلْ هل لِىَ مما بِىَ من مَخرجِ [3]
مِن حَيِّكم بنتمْ ولم ينصرمْ وجدُ فؤادى الهائمِ المنضَجِ [4]
فما استطاعت غير أنْ أومأتْ بطرف عينَىْ شادنٍ أدعجِ [5]
تذُود بالبرد لها عَبرةً جاءت بها العينُ ولم تنشِجِ [6]

(١) انظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق كاتبه ص ٢٣٠ وديوان العرجى ١٧ والأغانى ١ : ١٥٦ .
(٢) فى النسختين : «عرجى» ، الوجه ماأثبت من الديوان والأغانى .
(٣) الديوان : « تقض اليه حاجة » وفى الأغانى : «نقض إليكم حاجة أو نقل » .
(٤) الديوان . «وجد فؤاد الهائم » .
(٥) الديوان : « نحوى بعينى شادن » .
(٦) أصل الديوان : لاتجود بالبرد » و «جادت بها العين » .

مخافةَ الواشين أن يَفطِنوا بشأنها والكاشحِ المزعِجِ (١)
أقولُ لمَّا فاتنى منهمُ ماكنت مِن وصلِهمُ أرتجى
أنَّى أُتيحتْ لى يمانيةٌ إحدى بنى الحارث من مَذحِجِ
نمكث حولا كاملا كلَّه لانلتقى إلاَّ على مَنْهَجِ
فى الحجِّ إن حَجَّت وماذا مِنىً وأهلُه إنْ هىَ لم تَحْجُجِ)

فقال عطاء (٢) : الكثير الطيب ياخبيث .

وروى أيضاً صاحب الأغانى بسندِه أنَّ مما قال العَرْجى فى الجيداءِ أمِّ محمد بن هشام المخزومى ، وهى من بنى الحارث بن كعب :

* عُوجِى علينا ربَّةَ الهودجِ *

الأبيات الأربعة :

فلما سمع البيت الأخير عطاءُ بن أبى رَبَاح قال : الخير والله كله فى مِنًى وأهلِه ، حجَّت أم لم تحجج .

ولقى ابنُ سُريج عطاءً فى مِنًى وهو راكب على بغلته فقال له : سألتك بالله إلاّ ماوقفت حتى أُسمعَكَ شيئاً . قال : ويحكَ دعنى . فقال : امرأتى ٤٣٠
طالقٌ إن لم تقف ، مختاراً للوقوف ، لأمسكنَّ بلجام بغلتك ثم لا أفارقها ولو قطعتْ يدى ، حتَّى أغنِّيَك وأرفعَ صوتِي . فقال : هاتِ وعجِّل . فغنَّاه :

فى الحجِّ إن حجَّت وماذا منًى ... البيت

(١) الديوان : «لشأنها» .

(٢) هو عطاء بن أبى رباح ، كما سيأتى .

فقال : الخير والله كلُّه فى مِنىً وأهله ، لاسيما وقد غيَّبها الله عن مشاعره ، خلِّ سبيل البغلة.اهـ [(١)]

وقوله : «نلبث [(٢)] حولا كاملا كلَّه» البيت ، هو من شواهد الكوفيين استدلُّوا به على جواز توكيد النكرة المحدودة . وقد نقله عنهم ابن هشام (فى مغنى اللبيب) ، ولأجله أوردت هذه الأبيات .

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدَّمت فى الشاهد السابع والثمانين [(٣)].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [(٤)] :

٣٩٥ (وكم موطنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى

بأجرامِهِ من قلةِ النِّيقِ مُنْهوى)

لما تقدَّم قبله .قال سيبويه فى باب مايكون مضمراً فيه الاسم متحوِّلا عن حاله إذا أُظهر [(٥)]بعده :وذلك لولاك ولولاى ،إذا أُضمِرَ فيه الاسم جُرَّ ، وإذا أظهر رفع .ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت لولا أنت ،كما قال الله تعالى : ﴿لولا أنتمْ لكُنَّـا مؤمنين [(٦)] ﴾ ، ولكنهم جعلوه مجروراً .

---

(١) رمز الانتهاء هذا من ش فقط .

(٢) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله نلبث ، لعله رواية ، والا فالذى تقدم نمكث » .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٢ .

(٤) فى كتابه ١ : ٣٨٨ . وانظر المقتضب ٣ : ٧٣ والخصائص ٢ : ٢٥٩ والمنصف ١ : ٧٢ وأمالى القالى ١ : ٦٨ والإنصاف ٦٩١ وابن يعيش ٣ : ١١٨ / ٩ : ٢٣ والمقرب ٤١ والعينى ٣ : ٢٦٢ والهمع ٢ : ٣٣ والأشمونى ٢ : ٢٠٦ / ٤ : ٥٠ ويس على التصريح ١ : ٣١٠ .

(٥) ط : «ظهر» صوابه فى ش . وفى سيبويه : « إذا أظهر بعده الاسم » .

(٦) الآية ٣١ من سورة سبأ .

والدليل على ذلك أنّ الياء والكاف لاتكونان علامة مضمر مرفوع ، قال يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاى طِحتَ ... . البيت

وهذا قولُ الخليل ويونس . وأمَّا قولهم : عساك ، فالكاف منصوبة . قال الراجز :

* ياأبتا عَلَّكَ أو عَسَاكا *

والدليل على أنها منصوبةٌ إنك إذا عنيتَ نفسَك كان علامتك «نيِ» ، قال عمران بن حِطَّان :

ولى نفسٌ أقول لها إذا ما تُنازعنى لعلِّى أو عسانى [(١)]

فلو كانت الكاف مجرورةً لقال:عساىَ ، ولكنهم جعلوها بمنزلة لعلَّ فى هذا الموضع . فهذان الحرفان لهما فى الإضمار هذا الحالُ ، كما كان للدُنْ حال مع غدوة ليست مع غيرها ، وكما أنَّ لات إذا لم تُعملها فى الأحيان لم تعملها فيما سواها ، فهى معها بمنزلة ليس ، فإذا جاوزَتها فليس لها عمل [(٢)].

ورأىُ أبى الحسن أَنَّ الكاف فى لولاك فى موضع رفع على غير قياس ، كما قالوا: ماأنا كانت ولاأنت كأنا ، وهذان [(٣)]علم الرفع،كذلك عسانى. ولايستقيم أن تقول :وافق الجرَّ فى لولاى كما وافقه النصب ،إذْ قلت مَعَكَ وضَرَبَكَ ؛ لأنك إذا أضفت إلى نفسك فالجرُّ مفارقٌ للنَّصبِ فى هذه الأشياء . ولاتقل وافق الرفعُ النَّصبَ فى عسانى كما وافق النصب الجرَّ فى

---

(١) هو الشاهد ٣٩٧ فيما سيأتى .

(٢) التعليقة التالية لأبى الحسن الأخفش ليست فى جميع نسخ سيبويه . وانظر سيبويه ٢ : ٣٧٥ من تحقيق كاتبه .

(٣) ط : « وهذا ان » ، صوابه فى ش .

ضَرَبَكَ ومعَك ، لأَنهما إذا أضفْتَ [١] إلى نفسك اختلفا .وزعم ناسٌ أن موضع الياء فى لولاى ، ونى فى عسانى ، فى موضع رفع ، جعلوا لولاى موافقة للجر،ونى موافقة للنصب ، كما اتفق النصب والجر فى الهاء والكاف . وهذا وجهٌ ردىء لما ذكرت ، ولأنّك لاينبغى أن تكسِر البابَ وهو مطردٌ وأنت تجد له نظائر . وقد يوجَّه الشيء على الشيء البعيد إذا لم يُوجَد له غيره . وربَّما وقع ذلك فى كلامهم ، وقد بُيِّن بعضُ ذلك وستراه فيما يستقبل إن شاء الله . هذا نصُّ سيبويه برُمَّتِه .

قال الأعلم : الشاهد فى هذا البيت إتيان ضمير الخفض بعد لولا التى
٤٣١ يليها المبتدأ ، ولمَّا كان مبتدؤها محذوف الخبر أشبه المجرور لانفراده ، والمضمر لايتبين فيه الإعراب ، فوقع مجروره موقع مرفوعِهِ ، والأكثر لولا أنت كالظاهر . وردّ هذا المبردُ وسفَّه قائله تحامُلاً منه وتعسُّفا. اهـ

وقد رأيت كلام المبرد (فى الكامل) فإنَّه بعد أن نقل كلام سيبويه قال : والذى أقول أَنَّ هذا خطأ ، ولايصلح أن تقول إلا لولا أنت ، قال تعالى : ﴿ لولا أنتُمْ لكُنَّا مؤمنين [٢] ﴾ .ومَن خالفنا يزعم أَنَّ الذى قلنا أجود ويَدَّعى الوجه الآخر ويُجيزه على بعد . اهـ

وقد فصَّل ابن الشجرى (فى أماليه) الأقوالَ فقال فى وقوع المضمر بعد لولا التى يرتفع الاسمُ بعدها بالابتداء:وللنحويين فى ذلك ثلاثة مذاهب:

فذهب سيبويه أنه يرى إيقاع المنفصل المرفوع بعدها هو الوجه،كقولك : لولا أنت فعلت كذا . ولايمتنع من إجازة استعمال المتصل بعدها كقولك :

---

(١) ط : «إذا أضفتهما» ، وأثبت مافى ش . والذى فى سيبويه : «لأنهما مختلفان إذا أضفت إلى نفسك» .

(٢) الآية ٣١ من سورة سبأ .

لولاى ولولاك ولولاه ، ويحكم بأنَّ المتَّصل بعدها مجرورٌ بها فيجعل لها مع المضمر حكما يخالف حكمها مع المظْهَر .

ومذهب الأخفش أنَّ الضمير المتصل بعدها مستعارٌ للرَّفع ، فيحكم بأنَّ موضعه رفع بالابتداء وإن كان بلفظ المضمر المنصوب أو المجرور . فيَجعل حكمها مع الضمير موافقا حكمها مع المظهر .

ومذهب المبرد أنه لايجوز أنْ يليَها من المضمرات إلا المنفصل المرفوع . واحتجَّ بأنه لم يأت فى القرآن غير ذلك . ودفع الاحتجاج بهذا البيت وقال : إنَّ فى هذه القصيدة شذوذاً فى مواضع ، وخروجاً عن القياس؛فلا معرَّجَ على هذا البيت .

وأقول :إنَّ الحرف الشاذَّ أو الحرفين أو الثلاثة ، إذا وقع ذلك فى قصيدة من الشعر القديم لم يكن قادحاً فى قائلها ، ولا دافعاً للاحتجاج بشعره . وقد جاء فى شعرٍ لأَعرابىّ :

* لولاكَ فى ذا العامِ لم أحجُجِ *

وللمحتجِّ لسيبويه أن يقول : إنَّه لما رأى الضمير فى لولاى ونحوه خارجاً عن حيزِّ ضمائر الرفع ، وليسَت لولا من الحروف المضارِعة للفعل فتعملَ النصب كحروف النداء ، ألحقَها بحروف الجَرّ . وحجة الأخفش أن العرب قد استعارت ضمير الرفع المنفصل فى قولهم : لقيتك أنت ، وكذلك استعارُوه للجرِّ (١) فى قولهم : مررت بك أنت ، أكَّدوا المنصوب والمجرور بالمرفوع . وأشذُّ منه إيقاعُهم إياه بعد حرف الجر فى قولهم : أنا كانت وأنت كأنا.فكما استعاروا المرفوع للنصب والجرّ كذلك استعاروا المنصوب للرفع فى قولهم : لولاى ولولاك ولولاه . اهـ

وقد نسب ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) مذهبَ الأخفش إلى

(١) جعلها الشنقيطى فى نسخته : «للنصب» ، وليس بشىء .

الكوفيين ، وذكر حجج الفريقين ،وصحَّحَ مذهب الكوفيين ،وردّ كلام سيبويه بأنّ قوله إن الياء والكاف لايكونان علامة مرفوع غير مسلَّم ؛ فإنَّه يجوز أن يستعار للمرفوع علامة المخفوض. كما يستعار له علامة المنصوب فى نحو : عساك.

ثم قال : والذى يدلُّ على أن لولا ليس بحرف خفض أنّه لو كان كذلك لوجب أن يتعلَّق بفعل أو معنًى ، وليس هنا ذلك . وقول البصريين إنَّه قد يكون الحرف فى موضع مبتدأ لايتعلَّق بشىء ، قلنا : الأصل فى حروف الخفض أن يجوز الابتداء بها ، وأن تقع فى موضع مُفيدٍ [1]، وإنما جاءَ ذلك نادراً ، فى قولهم : بحسبك زيد وما جاءنى من أحد ، لأنَّ الحرف فى نية الاطِّراح ، إذ لا فائدة له ، بخلاف لولا فإنَّه حرفٌ جاء لمعنى وليس بزائد . ألاَ
٤٣٢ ترى أنَّك لو حذفتها لبطل ذلك المعنى الذى دخلت من أجله ؛ بخلاف الباء ومِنْ . فبانَ الفرقُ بينهما . انتهى كلامه .

وما نسبه ابن الأنبارىّ للكوفيين نسبَه النحَّاس (فى شرح أبيات سيبويه) للفراء قال : مذهب سيبويه عند المبرد خطأ ، لأنَّ المضمر يَعقُب المظهر فلا يجوز أن تقول المظهرَ مرفوعاً والمضمر مجروراً . وأبو العباس المبرِّد لايجيز لولاك ولولاه ، وإنما يقول لولا أنت . قال أبو العبَّاس : وحُدِّثتُ أن أبا عَمرو اجتهدَ فى طلب مثل لولاك ولولاى بيتاً يصدِّقه ، أو كلاما مأثورا عن العرب ، فلم يجدْه . قال أبو العباس : وهو مدفوعٌ لم يأت عن ثقة . ويزيد بن الحكم ليس بالفصيح . وكذلك عندَه قولُ الآخر :

*لولاكَ هذا العامَ لم أحجج *

قال:إذا نظرت إلى القصيدة رأيت الخطأ فيها فاشياً [2].وقول سعيدٍ

---

(١) فى النسختين : «مقيد» بالقاف ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته بقلمه .

(٢) ط : «فاحشا» ، وأثبت مافى ش .

الأخفش [١] فى لولاك : وافق ضمير الخفض فى لولاى ؛ ليس هذا القول بشيء، ولايجوز هذا . وقال الفرّاء : لولاى ولولاك المضمرُ فى موضع رفع ، كما تقول : لولا أنَّك ولولا أنت . قال : فإنما دعاهم أن يقولوا هذا لأنَّهم يجدون المكنىَّ يستوى لفظُه فى الخفض والنصب والرفع ، فيقال ضَرَبَنا ، ومرَّ بنا ، وقُمنا ، فلما كان كذلك استجازوا أن تكون الكاف فى موضع أَنت رفعاً إذْ [٢] كان إعراب المكنىِّ بالدَّلالات لا بالحركات . قال أبو الحسن بن كيسان : الوجه لولا أنت ، ولايجوز أَن يكون المضمر خلاف المظهر فى الإعراب وهو بدلٌ منه وموضوعٌ موضِعَه ، ولكنَّ المكنىَّ مستغنٍ عن دلالته بالحرف الذى يوجَب فيه الرفع ولا يقع منصوب ولا مخفوض ؛ واكتفى بدلالةِ الحرف من دلالة المكنى ، وكان حرفٌ أخصر من حروف . قال : وهذا الذى اخترتُه هو مذهب الفراء .

ثم قال النحاس : وأما أبو إسحاق فجرى على عاداته [٣] فى الاحتجاج عن سيبويه والتصحيح عنه ، فقال : إنَّ خبر المبتدأ الذى بعد لولا لايظهر ، فأشبهتْ لولا حروف الجرِّ لوقوع اسم بعدها ، وكان المضمر لايتبين فيه إعراب ، فجعل موضع المجرور . وهذا احتجاجٌ لطيف لم نر أحداً يُحسنُ مثل هذا. وزاد عليه هذا أنه احتجَّ بقول رؤبة ، وهو ممن لاتُدفَع فصاحته :

* لولاكُمَا قد خرجت نفْساهما *

انتهى ماأورده النحاس مختصراً .

---

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط تلميذ سيبويه .

(٢) ط : «اذا» ، صوابه فى ش .

(٣) ش : «عادته» ، بالإفراد .

قال ابن الأنباريّ : وأما إنكار أبى العباس المبرد جوازَه فلا وجه له ؛ لأنَّه قد جاء كثيراً فى كلامهم وأشعارهم . قال الشاعر :

وأنت امرؤ لولاىَ طِحتَ كما هوى ... البيت

وقال الآخر :

أَتُطمعُ فينا من أراقَ دماءنا ولولاك لم يعرِض لأحسابنا حَسَنْ (١)

وقال بعض العرب :

* لولاكَ هذا العامَ لم أحجُج *

وأما مجىء الضمير المنفصل بعده فلا خلاف أنه أكثر وأفصح ، وعدم مجىء الضَّمير المتَّصل فى التنزيل لايدلُّ على عدم جوازه .

وقد أنشد المبرد (فى الكامل) فى الموضع الذى نقلنا منه آنفاً بيتاً فى وَقعةٍ للخوارج ، وهو :

ويومٌ بجىٍّ تلافَيْتَهُ ولولاك لاصطُلِمَ العسكرُ (١)

وجَىّ (١) : اسم مدينة .

---

(١) أى ياحسن . يعنى الحسن بن على بن أبى طالب . وفى النسختين : «لم تعرض لأحسابنا عبس» ، صوابه فى الإنصاف وابن يعيش ٣ : ١٢٠ والعينى ٣ : ٢٦٠ . وقبل البيت كما فى العين :

معاوى إنى لم أبايعك فلتة وما زال ماأسررتُ منى كما علن

والأبيات عند العينى ثمانية على روى النون من قصيدة لعمرو بن العاص ، يخاطب بها معاوية بن أبى سفيان .

(٢) ط : « ويوم يجىء » ، صوابه فى ش والكامل ٦٥٠ ومعجم البلدان ، وأوله فيه : « ويوما » بالنصب . وجى ، بالفتح وتشديد الياء : اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة . قال ياقوت : « وتسمى الآن عند العجم : شهرستان » . وفى النسختين : « تلاقيته » بالقاف ، وصوابه بالفاء كما فى معجم البلدان ، مع نسبة البيت إلى أعشى همدان .

(٣) ط : « وجىء » ، صوابه فى ش .

وقوله : (وكم موطن) كم [1] هنا لإنشاء التكثير ، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره : لك . والموطن، قال صاحب الصحاح :هو المشهد من
٤٣٣ مشاهد الحرب . وقد استشهد صاحب الكشاف بهذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ لقد نَصَرَكُم اللهُ فى مَوَاطِنَ كَثيرةٍ [2] ﴾ ، على أنَّ المراد بالمواطن مواقفُ الحروب ، كما فى البيت . ولولا هنا عند سيبويه حرف جرٍّ لايتعلَّق بشىء . وعند غيره الياء مبتدأ ، استعير لفظُ غير المرفوع للمرفوع ، وخبره محذوف تقديره حاضر . وجملة (طِحتَ) فى موضع النَّعت لموطن ، والرابط محذوف تقديره فيه ، وهو قد سدَّ مسدَّ جواب لولا عند من يجعلها على بابها ، وتكون معترضة بين النعت والمنعوت . قال ابن الشجرى : والجملة التى هى « لولاى طحت » مَحَلُّها جر على النعت لموطن ، والعائد محذوف . انتهى .

وهذا باعتبار مذهب سيبويه .

و(طَاح)يطوح ويطيح أَيضاً بمعنى هلك وسقط،وكذلك إذا تاهَ فى الأرض.

وقوله :(كما هوى) إلخ مفعول مطلق لطحتَ من غير لفظه ، أى طِحْت طَيْحاً [3] كهويِّ الساقِطِ؛فما مصدرية،وقيل كافَّةٌ .وهَوَى بالفتح يهوِى بالكسر هُويًّا بضم فكسر فتشديد ، أى سقط إلى أسفل . و(الأجرام) : جمع جرم بالكسر ، وهو الجسَد .قال المبرد (فى الكامل) بعد إنشاده هذا البيت : جِزم الإنسان : خَلْقُه . والنِّيق : أعلى الجبَل . وهذا مِثْل « شابَتْ مفارِقه »؛ كأنَّه جعل أعضاءه أجراماً توسُّعا .

وقد زلَّ قلمُ ابن الشجرىِّ فقال :بأجرامه أى بذنوبه،جمع جُرْم.

---

(١) ط : « وكم » بزيادة واو .

(٢) الآية ٢٥ من التوبة .

(٣) فى النسختين : « طحوا » ، تحريف .

ويروى :«بإجرامِه» مصدر أجرم ، بقال جرم وأجرم ، لغتان ، إذا أذنبَ . وأجرمَ لغة القرآن . انتهى .

ولا يخفى أنَّ جعل الأجرام جمع جُرم بالضم ، وتفسيره بالذَّنب ، لا وجه له هنا .

و(النِّيق) بكسر النون : أرفع الجبل . وقُلَّتُه : ماستدقَّ من رأسه .

و(مُنهوى) : ساقطٌ ، وهو فاعل هَوَى . ونُقل عن المبرد الطعن فى هذه أيضاً ، قال : انفعل لايجىء مطاوع فَعَل إلا حيث يكون علاجٌ وتأثير . وقال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنىّ) . اعلَمْ أنَّ انفعَلَ إنما أصله من الثلاثة ، ثم تلحقها الزيادتان ، نحو قطعته فانقطع ، ولا يكاد يكون فعلٌ منه متعديا حتَّى تمكِن المطاوعةُ والانفعال . وقد جاء فعلٌ منه غير متعدّ ، وهو « وكم موطن لولاى طحت » البيت . فإنَّما هذه مُطاوِعُ هَوَى ، إذا سقط ، وهو غير متعدٍّ كما ترى . وقد جاء فى هذه القصيدة « مُنْغَوِى » قال أبو على : إنما بنى مِن هوى وغوى [1] منفعلاً ، لضرورة الشعر . انتهى .

وقال صاحب الصحاح : هوى وانهوى بمعنى . وقد جمعهما الشاعرُ فى قوله . وأنشد هذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدةٍ طويلة ليزيدَ بن الحكم ، يعاتب بها ابن عمِّه ، وقيل أخاه . وقد تقدَّمت مشروحة فى الشاهد الثمانين بعد المائة [2] .

---

(١) ط : « إنما بنى منهوى ومنغوى » وهو تصحيف سَمْج ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ، ومن سر الصناعة ١ : ٧٣ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٣٠ ـــ ١٣٩ .

وهذا البيتُ مع شهرته لم يعرفه شارح (شواهد التفسيرين) خَضرٌ الموصليّ ، حتى إنه قال : هو بيت لم يعزهُ أحدٌ إلى قائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الثلثمائة (١) :

٣٩٦ (لعلَّكَ يوماً أنْ تُلِم مُلِمَّةٌ)

على أنّه قد يجيء خبر لعلَّ مضارعا مقروناً بأنْ ، حملاً لها على عسى.

قال الزمخشرى (فى المفصل) : قد جاء فى الشعر :

(لَعلَّكَ يوماً أن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ
عليكَ من اللائى يَدَعْنَك أُجدعا)

قياساً على عسى. ٤٣٤

وقال ابن هشام (فى المغنى) : ويقترن خبر لعلَّ بأنْ كثيراً ، حملاً على عسى . كقوله :

* لعللّك يوماً أن تلم ملمّةٌ *

وبحرف التنفيس قليلاً كقوله :

فقولا لها قَولا رقيقاً لعلَّها ستَرحمنى من زفرةٍ وعَويلِ

انتهى . فلم يخصَّه بالشعر .

وأمَّا كثرة الاقتران بأنْ فهو بالنسبة إلى اقترانه بحرف التنفيس.وأمّا بالنسبة إلى التجرد فهو قليلٌ قطعا.ويؤيِّده أن المبرد قال (فى الكامل)،عند إنشاده هذا البيت:إنَّ التجرد من أنْ هو الجيِّد،والاقتران بها غير جَيِّد. فلم يقيِّده بالشعر .

(١) المقتضب ٣ : ٧٤ والكامل ١١١ ، ٢٥١ وابن يعيش ٨ : ٨٦ وشرح شواهد المغنى ٣٢٧ والمفضليات ٢٧٠ .

وقال بعضهم : الخبر فى هذا البيت محذوف، تقديره: لعلَّك مُعَدٌّ لأن تلمَّ ملمّة ، أو نحوه .

قال الخطيب التبريزى (فى شرح المفضليات) قوله : « لعلك يوما أن تلم » إلخ ، أظنك أنْ ألم بك ملمَّةٌ من الملمَّات التى تتركك ذليلاً مجدوع الأنف والأُذن [١] . وخَبر لعلَّ محذوف مع حرف الجر من أن تلم ، ويكون تقدير الكلام ومعناه : لعلك لأرجوك لأنْ تلمَّ بك ملمَّة . قال سيبويه : لعلَّ طمعٌ وإشفاق . يريد أنه يكون للأمرين جميعاً . فإذا كان هذا المعنى فكأنه يرجو الشر [٢] له ، ويطمع فيه . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لمتمم بن نُويرة الصحابى ، رثى بها أخاه مالك بن نويرة لما قتله خالد بن الوليد بتهمة [٣] الرِّدَّة . وقد تقدم الكلام على قصَّةِ قتله مع شرح أبياتٍ من هذه القصيدة ، فى الشاهد السادس والثمانين [٤] .

وهذه أبياتٌ قبل البيت المذكور :

أبيات الشاهد

(ألم تأتِ أخبارُ المحلِّ سراتَكم
فيغضبَ منكم كلُّ من كان مُوجَعا

بمشمتِهِ إذ صادفَ الحتفُ مالكاً
ومَشْهدِه ماقد رأى ثم ضَيَّعا [٥]

أآثَرْتَ هِدماً بالياً وسَوِيّـةً
وجئتَ بها تعدو بريداً مُقَزَّعا

---

(١) ط : «والآذان» ، وأثبت الأوفق من ش .

(٢) ط : « يرجو البشر » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : «التهمة» .

(٤) الخزانة ٢ : ٢٤ .

(٥) ط : «بمشمتة» ،صوابه فى المفضليات وش مع أثر تصحيح فيها .

فلا تَفرحَنْ يوماً بنفسِك إننى أرى الموتَ وقَّاعاً على من تشجَّعا
لعلك يوما أن تلمّ ملمة . . . البيت
نعيتَ امرأً لو كان لحمُك عنده لآواه مجموعاً له أو ممزَّعا
فلا يَهْنِئ الواشينَ مقتلُ مالك فقد آبَ شانيه إياباً فودَّعا (١)

وهذا آخر القصيدة :

وقوله : « ألم تأت أخبارُ المُحِلّ» إلخ هو بضم الميم وكسر الحاء المهملة ، هو رجلٌ من بنى ثعلبة ، مرَّ بمالك مقتولا كأنه شامِتٌ ، فذمَّه متمم . وقال ابن الأنبارى : المحلّ بن قدامة مرَّ بمالك فلم يُوارِه . والسَّراة : الأشراف . وروى : « فيغضبَ مِنْهم » و «منها» أى من الأخبار . وقوله : « بمشمتِه » متعلق بموجعا ، وهو مصدر شَمِت به شماتة ومَشمَتاً (٢).

ويروى : « أنْ صادف الحتفَ مالكٌ » . ورفع الحتف أجود من نصبه . ومَشهده معطوف على مشمتِهِ ، والضَّمائر كلها للمُحِلّ .

وقوله : «أآثرت» استفهامٌ توبيخى ، والخطاب للمُحلّ . والهِدْم بالكسر :الثَّوب الخلَق.والبالى:الفانى.والسَّوِية بفتح المهملة وكسر الواو :كساء محشوٌّ بثُمام أو نحوه ، يُجعَل على ظهر الإبل كالحَلْقة لأجل السَّنام.

---

(١) ط : «فلا يهنأ» ، هنا وفى التفسير فى آخر الكلام ، وصواب الرواية من ش والمفضليات . وهما لغتان ، يقال هنأنى الأمر يهنؤنى ويهنئنى . والأسْيَرُ فى الشعر « يهنئى » ، قال أعشى باهلة :

أصبت فى حرم منا أخا ثقة هند بن أسماء لايهنئ لك الظفر

وقال الأخطل :

إلى إمام تغادينا فواضله أظفره الله فليهنئ له الظفر

(٢) ط : « ومشمتة » ، صوابه فى ش .

قال أبو جعفر : أُعْطِىَ المحلُّ سَلبَ مالكٍ ففرح به ، وأقبلَ راجعا . وقَزّع الرجلُ ، بالقاف والزاى المُعجمة ، إذا أسرع فى سيره . وقزَّع القومُ رسولاً إذا أرسلوا (١) . أراد : إنك تسعى بخَبَره مسرعاً كمجىء البريد .

٤٣٥ وقوله : « فلا تفرحَنْ يوما » إلخ هذا دعاءٌ عليه ، أى لافرحْتَ بنفسك. وقوله : «وقَّاعا على من تشجَّعا» أى لايفلتُ من الموت أحدٌ . يقول : آثرت الثِّياب وجئتَ تعدو بشيراً تُرِى الناسَ أنّك قد فزعتَ لمقتله ، وإنما ذاك شماتةٌ منك وسرورٌ به .

وقوله : (لعلَّكَ يوما) إلخ ، الإلمام : النزول . و (الملمّة) : البليَّة النازلة. و(الأجدع) : المقطوع الأنف والأذُن ، ويستعمل فى الذليل ، وهو المراد هنا . يقول : أيها الشامتُ ، لاتكنْ فرحاً بموت أخى ، عسى أن تنزلَ عليك بليَّةٌ من البليَّات اللاتى يتركْنَك ذليلاً خاضعا .

وقوله : « نعيتَ امرأ» إلخ النَّعْى : الإخبار بالموت . والممزَّع : الممزَّق والمفرَّق . يقول : لوْ كنتَ أنت القتيل لآوى لحمَك بدفنه ، سواء كان مجموعا أو ممزَّقا .

وقوله : « فلا يهنِئِ الواشين (٢) » إلخ هذا دعاءٌ عليهم فى صورة النّهى .

* * *

(١) فى شرح ابن الأنبارى للمفضليات ٥٤٣ : «أرسلوه» .

(٢) ط : « فلا يهنأ » .وانظر التعليق السابق .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢]:

٣٩٧ (ولى نفسٌ أقولُ لها إذا ما
تُنازِعنى لعلِّى أو عسَانى)

على أنَّ سيبويه استدلَّ على كون الضمير ، وهو الياء ، منصوباً بلحوق نون الوقاية فى عسانى . قد تقدَّم نصُّ سيبويه قبل هذا بِيتين .

قال النحاس : قال سيبويه فى قولهم عساك : الكاف منصوبة . واستدلَّ على ذلك بقولهم : عسانى ، ولو كانت الكاف مجرورةً لقال : عساى . قال : ولكنَّهم جعلوها بمنزلة لعلَّ فى هذا الموضع . قال : فهذان الحرفانِ لهما فى الإضمار هذا الحال ، كما كان للدُنْ مع غدوة حالٌ ليست مع غيرها .

قال محمد بن يزيد المبرد : هذا غلطٌ منه ، يعنى جَعْلَه عسى بمنزلة لعلَّ . قال : لأنَّ أفعال الرجاءِ لاتعمل فى المضمر إلاّ كما تعمل فى المظهر . قال : تقديره عندنا أنَّ المفعول مقدّم والفاعل مضمر ، كأنَّه قال : عساك الخيرُ والشرُّ .

أراد المبرد أنَّ عسى ككان ، لأنَّهما فعلان . وذهب أبو إسحاق إلى صحَّة قول سيبويه ، واحتجَّ له بأنَّ عسى ليس بفعلٍ حقيقى ، بل هو شبيهٌ بلعلَّ . ووجدتُ بخطِّى عن أبى إسحاق : يجوز أن يكون الضمير فى موضع نصبٍ بعسى فى عساك والمرفوع محذوف ، أى عسى الأمر إيَّاك . وليس هذا بناقضٍ [٢] لما أخذته عنه ، لأنَّه قال : يجوز . فذاك عنده الأصل . وأجازَ قول المبرد . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٨٨ . وانظر المقتضب ٣ ٧٢ والخصائص ٣ : ٢٥ وابن يعيش ٣ : ١٠ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ / ٧ : ١٢٣ والمقرب ١٨ والعينى ٢ : ٢٢٩ .

(٢) ط : «تناقضا» ، صوابه فى ش .

وزعم الأخفش تبعاً ليونس أنَّ عسى باقيةٌ على عملها عملَ كان ، ولكن استُعير ضمير النَّصبِ مكان ضمير الرفع .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ويردُّه أمرانِ : أحدهما : أَنَّ إنابة ضمير عن ضمير إنَّما ثبت فى المنفصل ، نحو ما أنا كأنت ولا أنت كأنا . والثانى : أنَّ الخبر قد ظهر مرفوعاً فى قوله (١):

فقلتُ عساها نارُ كاسٍ وعلَّها تَشكَّى فآتِي نحوَها فأعودُها

انتهى .

صاحب الشاهد وهذا البيت لعِمرانَ بنِ حِطّانَ الخارجّى . وقبله :

(ومَن يقصِدْ لأهلِ الحقِّ منهمْ فإنِّى أَتَّقيه كما اتَّقانى
علىّ بذاك أنْ أحميِه حَقاًّ وأرعاه بذاك كما رعانى

يقال : قصدته وقصدت إليه . وضمير منهم للخوارج . ومن للبيان .

٤٣٦ جعل الخوارجَ بزعمه أهلَ حقٍ . أى من قصد لأهل الحقِّ من الخوارج بمكروهٍ فإنّى أُدافِعه وأُحاربه ، واتّقيه كما يتقينى .

وقوله : (ولى نفسٌ تُنازعنى) إلخ يقول : إذا نازعتنى نفسِى فى حملها على ماهو أُصلحُ لها أقول: لها طاوِعينى لعلِّى أجد المرادَ والظَّفَرَ ، أو قلت لها: لعلِّى أفعل هذا الذى تدعونى إليه . فإذا قلت لها هذا القول طاوعَتْنى .

عمران بن حطان وعمران بن حِطّان ، هو على مافى الجمهرة : عمران بن حِطّان بن ظَبْيان بن شَعْل بن معاوية بن الحارث بن سَدوس بن شَيْبان بن ذُهل بن ثعلبة ابن عُكَابَةَ بن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل السَّدوسى ، البصرىّ ، التابعى المشهور ،أحد رءوس الخوارج من القَعَدية بفتحتين ، وهم الذين يرون الخُروج ويحسِّنونه لغيرهم ، ولا يباشرون بأنفسهم القتالَ . وقيل القعدية لا يَرون الحربَ وإنْ كانوا يُزيِّنونه (٢) .

---

(١) هو صخر بن الجعد الخُضْرى ، كما فى معجم الشواهد .

(٢) الحرب مؤنثة ، وحكى ابن الأعرابى فيها التذكير ، كما هنا .

وفى الأغانى : إنَّما صار ابنُ حِطَّانَ من القَعَدة لأنَّ عمره طال وكِبر وعَجَز عن الحرب وحُضورها ، فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه . وكان أوّلاً مشمِّراً لطلب العلم والحديث ، ثم بُلِىَ بذلك المذهب . وقد أدرك صَدراً من الصحابة ، وروَى عنه أصحابُ الحديث .

قال ابن حجر (فى الإصابة) : وقد أخرج له البخاريُّ وأبو داود ، واعتذر عنه بأنَّه إنَّما خرَّج عنه ماحدَّث به قبل أن يبتدع . واعتذر أبو داود عن التخريج بأنَّ الخوارج أصحُّ أهل الأهواء حديثا عن قتَادة . وكان عِمرانُ لايُتَّهم فى الحديث . وكان سبب ابتلائه أنَّه تزوَّج امرأةً منهم فكلَّموهُ فيها ؛ فقال : سأردُّها عن مذهبها . فأضلَّته .

وفى الإصابة أنّها كانت بنتَ عمِّه ، بلغه أنَّها دخلت فى رأى الخوارج ،فأراد أن يردَّها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها . وذكر المدائنى أنَّها كانت ذاتَ جمال ، وكان دميما قبيحا ، فقالت له مرّةً : أنا وأنت فى الجنَّة . قال : من أين علمتِ ذلك ؟ قالت : لأنَّك أعطِيتَ مثلى فشكرتَ ، وابتُليتُ بمثلكَ فصبرت .والشاكر والصابر فى الجنة . ومن شعره فى مدح عبد الرحمن ابنِ مُلجَم المرادىّ قبحَهما الله تعالى ، قاتِلِ أمير المؤمنينَ وقائِد الغرِّ المحجَّلين ، زوجِ البتول وصهرِ الرسول رضى الله عنه :

لله دَرُّ المرادىِّ الذى سفكت   كفَّاهُ مُهجةَ شرِّ الخلق إنسانا
أمسَى عشيّة غشّاه بضربته   مُعطًى مُناهُ من الآثام عُريانا
يا ضربةً من تقيٍّ ما أَراد بها   إلاَّ ليبلغَ من ذى العرش رِضوانا
إنِّى لَأذكرُه حيناً فأحْسبه   أوفَى البرية عند الله ميزانا

قال أبو محمد بن حزم : إنَّ ابنَ ملجَمٍ عند الخوارج النُّصيرية (١) أفضلُ أهلِ الأرض ، لأنّه خلَّص روح اللّاهوت من ظلمة الجسد وكدره . وعند الشِّيعة أنّه أشقى الخلق فى الآخرة . انتهى .

وقد أجابه من القدماء بكرُ بن حمَّاد التَّاهَرْتى من أهل القَيروان ، وأَجابه عنها السيِّد الحميرىّ الشيعى ، وهى :

قلْ لابن مُلجَمَ والأقدارُ غالبةٌ ... هَدمتَ ويلَك للإسلام أركانا
قتلتَ أَفضَلَ من يمشى على قدمٍ ... وأوّلَ النـاسِ إسلامـاً وإيمانـا
وأعلمَ النَّاسِ بالإيمان ثَمَّ بما ... سَنّ الرسول لنا شَرعاً وتِبيانا
٤٣٧ صِهرَ الرَّسول ومـولاه ونـاصِرَهُ ... أَضحت مَناقبـه نوراً وبُرهانـا
وكان منه على رَغْم الحَسودِ له ... مكانَ هارون من موسى بن عِمرانا
وكان فى الحرب سيفاً ماضياً ذَكرا ... ليثاً إذا لَقِىَ الأقرانُ أقرانـا
ذكرتُ قاتِلَه والدمعُ منحـدرٌ ... فقلت:سبحانَ ربِّ العرش سبحانا
إنّى لأحسَبهُ ماكان من بشرٍ ... يَخشى المعاد ولكنْ كان شيطانا
أشقَى مرادٍ إذا عُدَّت قبائلها ... وأخسرُ النَّاس عند الله مِيزانا
كعاقر الناقة الأولى التى جَلبتْ ... على ثمودٍ بأرض الحِجْر خُسرانا
قد كان يُخبرهم أنْ سوف يَخضبِها ... قبلَ المنيـة أزمانـاً وأزمانـا (٢)

(١) ط : «النصريّة» صوابه فى ش . وفى الملل والنحل ٢ : ٢٤ أن النصيرية والإسحاقية من غلاة الشيعة . وذكر السمعانى فى الأنساب ٥٦٢ أن النصيرية من غلاة الشيعة ، ينتسبون إلى رجل اسمه «نصير» . كان فى زمن على عليه السلام ، وكان مع جماعته يزعم أن علياً هو الله . وذكر له قصة طويلة .

(٢) فى طبقات الشافعية : « أزمانا فأزمانا » . ويروى : « قبل المنية أشقاها وقد كانا » .

فلا عَفا الله عنه ماتحمَّله ولاسقى قَبر عِمرانَ بنِ حِطَّانا
لقولِه فى شقيٍّ ظلَّ مجترِماً ونال ماناله ظلما وعُدوانا
«ياضربــةً مِنْ تقــيٍّ ماأراد بها إلاَّ ليبلغَ من ذى العَرش رِضوانا»
بل ضربَةٌ من غَوىٍّ أوردتْه لَظَى فسوفَ يلقى بها الرَّحمنَ غضبانا
كأنه لم يُرِدْ قصداً بضربته إلاَّ لِيَصْلَى عذابَ الخُلْد نيرانا

قال ابن السبكى (فى طبقات الشافعية [1]) : لقد أحسن وأجاد بكر بن حَمَّادٍ فى معارضته ، فرضى الله عنه وأرضاه ، وأخزى الله عمران بن حطان وقَبَحه ولعنه ، ماأجرأه على الله !

قال : وقال القاضى أَبو الطَّيِّب الطبرىٌّ :

إنىِّ لأبرَأ مما أنتَ ذاكِرُه عن ابن مُلجَمٍ الملعونِ بُهتانا
إنِّى لأذكره يوماً فألعنُـه دِيناً وألعنُ عمرانَ بنَ حِطَّانا
عليكَ ثُمَّ عليه من جماعتنا لَعَائنٌ كثُرتْ سِرًّا وإعلانا
فأنتما من كلابِ النار جاء به نصٌّ الشريعة إعلاناً وتِبيانا

وقد أجاب أَيضا الإمام طاهر بن محمد الأَسفرائنى (فى كتاب الملل والنحل ، المسمَّى بالتبصير فى الدين) :

كذبتَ وأَيمُ الذى حجَّ الحجيجُ له وقد رَكِبتَ ضلالاً منكَ بهتانا
لَتَلقيَنَّ بها ناراً مؤجَّجة يومَ القيامة لا زُلفَى ورِضوانا

(١) طبقات الشافعية ١ :٢٨٧ ــ ٢٩٠ تحقيق الطناحى والحلو .

تبَّت يداه لقد خابت وقد خَسِرتْ وصار أبخَس من فى الحشْر مِيزانا
هذا جوابِىَ فى ذا النذْلِ مُرتَجِلاً أرجو بذاك من الرَّحمن غفرانا

ونقل الإمام الباقلّانىُّ أنَّ السيِّد الحميرىّ نقضها عليه بقوله (١) :

لادرَّ درُّ المرادىِّ الذى سفكَتْ
كفَّاهُ مهجةَ خيرِ الخلق إنساناً
أصبحَ مما تعاطـاه بضربتـه
مماً عليه ذَوُو الإسلام عُريانا(٢)
أبكَى السماءَ لبابٍ كان يعمُره
منها وحنَّت عليه الأرضُ تَحنانا
طوراً أقول : ابنُ مَلعونَين مُلتقَطٌ
من نَسل إبليسَ ،لابل كان شَيطانا(٣)
٤٣٨ ويْلُمِّـهِ أيَّمـاذا أمُّــه ولــدَتْ
لا إن كما قال عمران بن حِطَّانا(٤)
عبْـد تحمَّـلَ إثماً لو تحمَّلـه
ثَهلانُ طرفةَ عين هَدَّ ثهلانا

انتهى ماأورده ابن السبكى .

ونقل الذهبىُّ (فى تاريخ الإسلام) أنَّ شعر عمران بن حِطّانَ المذكور لمَّا بلغ عبد الملك بن مروان أدركتْه الحميّةُ ونذر دمه(٥) ، ووضع عليه العيونَ،

---

(١) القصيدة فى ديوان السيد الحميرى ٤٢١ ــ ٤٢٦ . ونص الباقلّانى التالى فى كتابه « مناقب الأئمة » كما فى طبقات الشافعية ١ : ٢٩٠ .

(٢) ط : « عما تعاطاه » ، صوابه فى ش وطبقاتِ الشافعية .

(٣) فى الديوان : « بل قد كان شيطانا » .

(٤) فى الديوان والطبقات : «أيماذا لعنة ولدت » .

(٥) ط:«وهدر دمه»، صوابه فى ش وتاريخ الإسلام١:٢٨٥ .

واجتهد الحجاج فى أخذه . وقيل : لما اشتهر بمذهبه أراده الحجاج ليقتله ، فهرب فلم يزل ينتقل من حىّ إلى حىّ إلى أن ماتَ فى تَوَارِيه ، فى سنة أربع وثمانين .

قال المبرد : (فى الكامل) : وكان من حديث عِمرانَ بنِ حِطّان ، فيما حدثنى العباس بن الفرج الرِّياشى ، عن محمد بن سلَّام ، أنه لما أطْرَده الحجاج كان ينتقِل فى القبائل ، فكان إذا نزل فى حيٍّ انتسب نسباً يقرب منه [١] ، ففى ذلك يقول :

نزلنا فى بنى سعد بن زيد وفى عَكٍّ وعامرِ عَوبثانِ [٢]
وفى لخمٍ وفى أُددَ بنِ عمروٍ وفى بكر وحَىٍّ بنى العَدَانِ [٣]

ثم خرجَ حتى نزل عندَ [٤] رَوح بن زنباع الجذامى ، وكان رَوحٌ يَقرى الأضياف ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مَرْوان أثيراً عنده ، فانتمى له من الأزْد [٥]. وكان رَوح بن زنباع لايسمع شِعراً نادراً ولا حديثاً غريبا عند عبد الملك فيسأل عنه عمرانَ بن حِطان إلاّ عرفه وزادَ فيه [٦]

فذكَر ذلك لعبد الملك فقال: إن لى جاراً من الأزد ماأسمع من أمير المؤمنين خبراً ولا شعراً إلاّ عرفَه وزاد فيه .

فقال:خبِّرْنى ببعض أخباره .فخبَّره وأنشده ،فقال:إنَّ اللغة عدنانية،

---

(١) وكذا فى الكامل ٥٣١ . ش : « بقرب منه » .
(٢) فى النسختين : « عوبثان » ، صوابه من الكامل وجمهرة ابن حزم ٢٥٤ والقاموس (عبث).
(٣) ش : «وفى بنى العدان» ، تحريف .
(٤) ش فقط : «على» ، وأثبت مافى ط والكامل .
(٥) ط فقط : «الى الأزد» .
(٦) الكلام بعده الى « فيه » التالية ساقط من ش .

وإنى لأحسبه عمران بن حِطَّان . حتى تذاكروا ليلةً قولَ عمران بن حطان :

ياضربةً من تقىٍّ ماأراد بها إلاَّ ليبلغَ من ذِى العرش رِضوانا
إنِّى لَأذكرُهُ حيناً فأحسبه أوفَى البريَّةِ عند الله مِيزانا

فلم يدر عبدُ الملك لمن هو . فرجع رَوحٌ فسأل عمرانَ بن حطان ، عنه ،فقال عمران :هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن مُلجَم قاتل على بن أبى طالب ، رحمة الله عليه ! فرجع رَوحٌ إلى عبد الملك فأخبره ، فقال عبد الملك : ضيفك عمرانُ بن حطان اذهب (١) فجئنى به . فرجع إليه فقال : إنَّ أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يراك . فقال عمران : قد أردتُ أن أسألك هذا فاستحيت منك (٢) فامضِ فإنِّى بالأثَر . فرجع إلى عبد الملك فخبَّره (٣) فقال له عبد الملك : أمَا إنك سترجع فلا تجده . فرجع فوجد عمران قد احتمل وخلَّف رقعة فيها :

يارَوْحُ كم من أخى مثْوًى نزلتُ به
قد ظنَّ ظنَّك ، من لَخمٍ وغَسّانِ
حتى إذا خِفتُه فارقتُ منزِلَه
من بعدِ ماقيل :عمران بن حِطَّانِ
قد كنت جارَكَ حولاً ماتروِّعنى
فيه روائعُ من إنسٍ ومن جَانِ

(١) هذا مافى ش والكامل . وفى ط : « فاذهب » .
(٢) الكامل : «فاستحييت منك» بياءين . وكلمة « فامض » بعده ساقطة من ش .
(٣) الكامل : « فأخبره » .

حتى أردتَ بىَ العُظمى فأدركَنى
ماأدرك الناسَ من خوف ابنِ مروانِ
فاعذِر أخاك ابنَ زنباعٍ فإنَّ له
فى النائبات خُطوباً ذاتَ ألوان
يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمنٍ
وإن لقِيتُ معدِّيًّا فعدنانى
لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيةٍ
كنتَ المقدَّم فى سِرِّى وإعلانى[1] ٤٣٩
لكنْ أبتْ لىَ آياتٌ مطهَّرة
عند الولاية فى طَه وعِمرانِ

ثم ارتحل حتى نزل بزفرَ بنِ الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب ، وانتسب له أَوزاعياً . وكان عمرانُ يطيل الصلاة ، وكان غلمانٌ من بنى عامر يضحكون منه ، فأتاه رجلٌ يوماً ممن رآهُ عند روح بن زنباع ، فسلَّم عليه فدعاه زفر فقال : من هذا ؟ فقال : من الأزد ، رأيته ضيفاً لروح بن زنباع . فقال له : زفر : ياهذا ، أزديًّا مرَّة وأوزاعيًّا مرَّة ، إن كنت خائفا أمَّنَّاك ،وإن كنت فقيراً جَبَرناك[2] . فلما أمسى خلَّفَ فى منزلِهِ رقعة وهرب ،فيها :

إن التى أصبحتْ يَعيَا بها زفرٌ
أعيت عياءً على رَوح بن زِنباعِ[3]

(١) ط : « لطاعنه » صوابه فى ش والكامل .
(٢) ش : « أجبرناك » ، صوابه فى ط .
(٣) ش فقط : « أصبحت يعنى بها » مع أثر تغيير .

مازال يسألنى حَولاً لأُخبرَه
والناسُ مابين مخدوع ومخدّاع
حتى إذا انقطعت عنىّ وسائله
كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهلاع
فاكفف كما كفَّ عنى إنّنى رجلٌ
إمَّا صميمٌ وإمَّا فَقْعةُ القاع
واكفف لسانك عن لومى ومَسألتى
ماذا تريد إلى شيخ لأوزاع
أمَّا الصلاةَ فإنِّى لستُ تاركَها
كلُّ امرئٍ للذى يُعنى به ساعى
أكْرِم بَروح بن زنباعٍ وأسرتِهِ
قومٌ دعا أوَّليهمْ للعلا داعٍ
جَاورتُهُمْ سَنَة فيما أُسَرُّ به
عِرضى صحيحٌ ونومى غيرُ تَهجاعِ
فاعمَلْ فإنك منعىٌّ بواحدة
حسبُ اللبيب بهذا الشَّيب مِن ناعى

ثم ارتحل حتَّى أتى عُمان ، فوجدهم يعظِّمون أمر مرداسٍ أَبى بلالٍ[(١)] ويظهرونه ، فأظهر أمره فيهم،فبلغ ذلك الحجَّاجَ فكتب إلى عامل عُمَان فيه[(٢)]فهرب عمران حتى أتى قوماً من الأزد،فلم يزل فيهم حتى مات.وفى نزوله يقول [(٣)]:

---

(١) فى النسختين : «أمر مرداس بن أبى بلال» ، صوابه من الكامل . وأبو بلال هو مرداس بن أدية الخارجى ، كما سيأتى .

(٢) كلمة «فيه» ليست فى ش ولا فى الكامل . وفى الكامل : « إلى أهل عمان » .

(٣) الكامل : « وفى نزوله بهم يقول » .

نزلنا بحمد الله فى خير منزل
نُسَرّ بما فيه من الأُنس والخَفَرْ
نزلنا بقوم يَجمعُ الله شَملهمْ
وليس لهم أصلٌ سوى المجدِ يُعتصَرْ (٣)
من الأزد إنَّ الأزد أكرمُ معشرٍ
يمانيةٍ طابُوا إذا نُسِب البشرْ
فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ
أتَونى فقالوا : مِن رَبيعة أو مضرْ
أم الحىّ قَحطان ،وتلكُمْ سفاهةٌ
كما قال لى رَوحٌ وصاحِبُه زفرْ
وما منهما إلا يُسَرُّ بنسبةٍ
تقرِّبنى منه وإنْ كان ذا نفَرْ
فنحنُ بنو الإسلام واللهُ واحدٌ
وأولَى عبادِ الله بالله مَنْ شكرْ

وكان عمران رأس القَعَدية من الصُّفرية ،وفقيهَهُم وخطيبهم وشاعرَهم . وقال ، لما قتل أبو بلال ، وهو مرداسُ به أُدَيَّة ،وهى جَدَّته ،وأبوه حُدَيْر (٢)، وهو أحد بنى ربيعةَ بنِ حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

لقد زادَ الحياةَ إلىَّ بغضاً وحُبًّا للخروج أبو بلال
أحاذرُ أَن أموتَ على فراشى وأرجو الموتَ تحت ذُرَى العَوالى (٣)

---

(١) الكامل : «وليس لهم عود» .
(٢) ط : «حدبر» صوابه فى ش والكامل ٥٣٠ .
(٣) بعده فى الكامل بين هذا البيت وتاليه :
ولو أنى علمت بأن حتفى كحتف أبى بلال لم أبال

٤٤٠ فمن يكُ همُّه الدُّنيا فإنِّى لها واللّهِ ربِّ البيتِ قالى

وفيه يقول :

ياعينُ بكِّى لمرداسٍ ومصرعِهِ يارَبَّ مرداسٍ آلحِقْنِى بمرداسِ [1]

تركتَنى هائما أبكى لمرزِئتى فى منزلٍ موحشٍ من بعد إيناسِ

أنكرتُ بعدكَ ماقد كنت أعرِفُه ماالناسُ بعدك يامِرداسُ بالناسُ

إمَّا شربتَ بكاسٍ دارَ أوَّلُها على القرون فذاقوا جُرعة الكاسِ

فكُلُّ من لم يذقْها، شاربٌ عجِلاً منها بأنفاسِ وِرْدٍ بعد أنفاس

هذا ماأورده المبرد (فى الكامل) .

وقال المرزبانى : كان عمرانُ شاعراً مُفْلقا مُكْثِرا . وقال الفرزدق : كان عمرانُ من أشعر الناس ، لأنه لو أراد أن يقول مثلَنا لقال ، ولسنا نقدر أن نقول مثله .

ويروى أنَّ امرأته قالت له يوما : أمَا زعمت أنك لم تكذب فى شعرك قَطُّ ؟ قال : أوقَعَ ذلكِ ؟ قالت : نعم ، ألم تقل :

فهناك مَجزأةُ بن ثو رٍ كان أشجعَ من أُسامه

أفيكون رجلٌ أشجعَ من أسد . قالَ : أمَا رأيتِ مجزأة بن ثور فتح مدينةً والأسدُ لايقدر على ذلك .

وروى عن قتادة أنه قال : لقينى عمران بن حِطَّانَ فقال : ياعمِّى ؛ احفظْ عنّى هذه الأبيات :

حتّى متى تُسقَى النفوسُ بكأسِها ريبَ المنون ، وأنت لاهٍ تَرتعُ

أفقَدْ رضيتَ بأن تُعلَّل بالمُنَى وإلى المنية كلَّ يومٍ تُدفعُ

---

(١) فى الكامل : « يارب مرداس اجعلنى كمرداس » .

أحلامُ نوم أمْ كظلٍّ زائل إنَّ اللبيبَ بمثلها لايُخدَعُ (١)

وفى تاريخ الإسلام للذهبى : أنَّ سفيان الثَّورى كان يتمثل بأبيات عمران بن حِطّان هذه :

أرى أشقياءَ الناس لايسأمونها على أنهم فيها عُراةٌ وجُوَّعُ

أُراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها سحابة صيف عن قليل تَقَشَّعُ

كركبٍ قضَوْا حاجاتِهم وترحَّلوا طريقُهُم بادى الغيابة مَهيعُ (٢)

ومن شعره السائر :

أيُّها المادح العبادَ ليُعطَى إنَّ لِلهِ مابأيدى العبادِ

فسَلِ الله ماطلبتَ إليهم وارجُ فضلَ المهيمن العَوَّادِ

ومن شعره ، وأورده أبو زيد (فى النوادر) ، وقال : إنها قصيدةٌ طويلة :

وليس لعيشنا هذا مَهَاهٌ وليست دارُنا هاتَا بدارِ (٣)

وإن قلنا لعلَّ بها قراراً فما فيها لحىٍّ من قرارِ

لنا إلاّ ليالىَ هيِّناتٍ وبُلغتنا بأيامٍ قصارِ

أُرانا لانملُّ العيشَ فيها وأُولِعنا بحرص وانتظارِ

ولا تَبقى ولا نَبْقَى عليها ولافى الأمر نأخذ بالخِيارِ

---

(١) بعده فى تاريخ الإسلام ١ : ٢٨٥ :

فعزودنٌ ليوم فقرك دائبا واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع

(٢) الغيابة ، كذا وردت فى النسختين . والغيابة الهبطة من الأرض . والذى فى تاريخ الإسلام : «بادى العلامة» .

(٣) ط : «مهاة» ، وأثبت مافى ش مع أثر تغيير ، وانظر اللسان (مهه ٤٣٩) وما سيأتى فى تفسير البغدادى . وفى ملحقات نوادر أبى زيد ٣١٠ من نسخة عاطف أفندى : «قال أبو الحسن : يروى مهاة ومهاه» .

ولكِنّا الغَداةَ بنو سبيلٍ عَلَى شرف يُيسَّرُ لانحدارِ (١)
٤٤١ كركبٍ نازلينَ على طريقٍ حثيثٍ رائحٌ منهمْ وساري
وغادٍ إثرَهمْ طرَباً إليهم حثيث السَّير مُؤْتَنَفَ النَّهارِ

والبيت الأول من شواهد سيبويه ، أورده على أن هاتا اسمُ إشارة للمؤنث بمعنى هذه .

والمهاهُ ، بهاءين وفتح الميم : الصفاء والرقَّة . والصُّفْرية ، بضم الصاد وسكون الفاء : جنسٌ من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر رئيسِهم . وزعمَ قومٌ أنَّ الذى نُسبوا إليه هو عبد الله بن الصفَّار ، وأنَّ الصِّفرية بكسر الصاد . كذا فى الصحاح . ويقال للخوارج الشُّرَاة بالضم ، والواحد شارٍ ، سُمُّوا بذلك لقولهم : إنّا شَرَينا أنفسنا فى طاعة الله ، أى بِعناها بالجنة ، حين فارقْنا الأئمة الجائرة . يقال منه . تشرَّى الرجُل .

وقد أَطنب المبرِّد (فى أواخر الكامل) فى الكلام على الخوارج وفِرَقهم ووقائعهم . ومن أراد الاطلاع عليه فليرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٣٩٨ * ياأَبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكا *

---

(١) ط : «ولكن» ، صوابه فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٨ / ٢: ٩٩ . وانظر ٣ : ٧١ والخصائص ٢ : ٩٦ والمحتسب ٢ : ٢١٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٧٦ ، ١٠٤ والإنصاف ٢٢٢ وابن يعيش ٢ : ١٢ / ٣ : ١٢٠ / ٧ : ١٣٢ وشرح شواهد المغنى ١٥١ والتصريح ١ : ٢١٣ / ٢ : ١٧٨ والهمع ١ : ١٣٢ والأشمونى ١ : ٢٦٧ / ٣ : ١٥٨ وملحقات ديوان رؤبة ١٨١ .

على أنَّ الكاف [خبرٌ] منصوب المحل ، واسم عسى ضمير مستتر على أحد قولى المبرّد . وقد تقدم نص سيبويه قبل هذا بثلاثة أبيات (١) .

وقد أنشد أبو على (فى إيضاح الشعر) هذا البيت والذى قبله عن سيبويه ، ونَقَل عنه أنَّ الكاف منصوبة ، ولو كانت مجرورة لقال عساى . قال أبو علىّ : وجْهُ ذلك أنَّ عسى لما كانت فى المعنى بمنزلة لعلَّ ،ولعلَّ (٢) وعسَى طمَع وإشفاق ، فتقاربا ، أجرىَ عسى مجرى لعلَّ إذْ كانت غير متصرِّفة كما أنَّ لعلَّ كذلك ، فوافقَتْها فى العمل حيث أشبَهتْها فى المعنى والامتناعِ من التصرُّف .

فإن قلت : إذا صارت بمنزلتها لهذا الشبه فما المرفوعُ بها ، وهى إذا صارت بمنزلة لعلَّ تقتضى مرفوعاً لا محالة ، لأنه لايكون المنصوب فى هذا النحو بلا مرفوع . قيل : إنَّ ذلك المرفوعَ الذى تقتضيه محذوف ، ولم يمتنع أن تحذفه ، وإن كان الفاعل لايحذف ، لأنَّها إذا أشبهت لعلَّ جاز أن تحذف خبر هذه الحروف ، من حيث كان الكلامُ فى الأصل الابتداء والخبر ، فحذفت كما تحذف أخبار المبتدآت . وكذلك المرفوع الذى يقتضيه عسى حُذِف على هذا الحدّ ، كما حُذف الخبر من لعلَّ فى قوله : « علك أو عساكا » ، وقوله :

* لَعلِّى أو عسانى *

وكما حُذف فى :

* إنّ محلاً وإنّ مرتحلَا (٣) *

وكما حذف الخبر فى قوله سبحانه :﴿إنَّ الذين كَفَروا ويصدُّون عَنْ

(١) انظر ماسبق فى ص ٣٣٧ .

(٢) ش : « وقال لعل » بإقحام « وقال » .

(٣) للأعشى فى ديوانه ١٥٥ . وعجزه : * وإنَّ فى السفر مامضى مهلا *

سبيل الله (١) ﴾ ، لا كما يحذف الفاعل . ويقوّى ذلك أنهم قالوا : « عسَى الغُوَير أبؤساً » ، فجعلوها بمنزلة مايدخل على الابتداء والخبر . ومما يقوّى حذف ذلك لهذه المشابهة وأنّ حذفه لايمتنع من حيث امتنع حذف الفاعل ، أنَّ ليس لمَّا كانت غير متصرِّفةٍ صارت عينُها بمنزلة ليت فى السكون ، ولم يكن فى يائها الكسر والسكون ، ويكون ذلك المحذوف غائباً ، كأنه عساك الهالك ، أو عساك هو .

فإن قلت : فإن جاء شئٌ بعد شىء من هذه الأبيات التى تشبه ماذكر من عساك تفعل ، ولعلى أو عسانى أخرج ، فما يكون الفاعل على قوله ؟

قيلَ : أمَّا على ماذهب إليه من أنّه بمنزلة لعل فلا نظر فيه ، ويكون
٤٤٢ بمنزلة لعلَّك تخرج ، والقول فيه كالقول فيه . وأمَّا على القول الآخر الذى رأيناه غير ممتنع فهو أشكل ، لأنَّ الفاعل لايكون جملة . فإنْ شئت قلت : إنْ الفعل فى موضع رفع بأنّه فاعل ، وكأنه أراد عسانى أن أخرج ، فحذف أن ، وصار [الفعل مع] أن المحذوفة (٢) فى موضع رفع بأنَّه فاعل ، كما كان فى موضع رفع بالابتداء ، فى قولهم : « تسمع بالمعَيدىِّ خيرٌ من أنْ تراه » ، وكقول أبى دُوَاد :

* لولا تجاذبه قد هربْ (٣) *

وقد جاء ذلك فى الفاعل نفسه . أنشد أحمد بن يحيى :

وماراعَنا إلاّ يسيرُ بشرطةٍ وعهدى به قيناً يفُشُّ بِكِيرِ (٤)

---

(١) الآية ٢٥ من الحج .

(٢) ش : « وصار أن المحذوفة » فقط . وإكماله من ط .

(٣) وكذا أورد فى ديوانه ٢٩٣ بدون صدر ، لكن برواية : « لولا نجاذبه » بالنون .

(٤) لمعاوية الأسدى . وفى ط : «يغش بكير» ، صوابه فى ش والخصائص ٢ : ٤٣٤ وابن يعيش ٤ : ٢٧ والعينى ٤ : ٤٠٠ واللسان (فرج) .

فكما أنَّ هذا على حذف أنْ ، وتقديره ماراعنا إلاَّ سيره بشُرطة ، كذلك يكون فاعل عسى فى نحو عسى يفعل إنما هو على عسى أن يفعل ، كقوله تعالى : ﴿ عسى أن تكرَهُوا شيئاً [(١)] ﴾ ، فتحذف أن وهى فى حكم الثبات .

ولو قال قائل إنَّ عسى فى عسانى وعساك قد تضمَّن ضميراً مرفوعاً ، وذلك الضمير هو الفاعل ، والكاف والياء فى موضع نصبٍ على حدِّ النصب فى قوله : «عسى الغُوير أبؤسا» لاعلى حدِّ تشبيهه بلعلَّ ولكنَّ على أصل هذا الباب ، كأنه عدَّاه إلى المضمر على حدِّ ماعدَّاه إلى المظهر الذى هو أبؤس — كان وجهاً . فأمَّا فاعلها فإنّه لايخلو من أحد أمرين : إمَّا أن يكون قد جَرَى له ذكر ، أو لم يجر له ذكر . فإن كان ذكره قد جرى فلا إشكال فى إضماره . وإن لم يجر له ذكر فإنَّما تُضمره لدلالة الحال عليه ، كما ذُكِر من قولهم : إذا كان غداً فأتنا ، فكذلك يكون إضمار الفاعل فى عسى ، وتكون على بابها ولا تكون مشبَّهة بلعلَّ . والأوَّل الذى ذهب إليه كأنَّه إلى النفس أسبق . انتهى كلام أبى على .

وقد استشهد لما ذكره [(٢)] الشارحُ المحقق جماعةٌ ، منهم الزمخشرى (فى المفصل) ، وابن هشام (فى المغنى) . وفيه شاهدان آخران :

أحدهما ماذكره سيبويه من أنّ فيه تنوين الترنم . قال : وأمَّا ناسٌ كثير من بنى تميم فإنهم يُبدلون مكان المدَّة النونَ فيما ينوَّن ومالا ينوَّن لماَّ لم يريدوا الترنم ، ثم أبدلوا مكان المدة نونا ، ولفظوا بتمام البناء وماهو منه ، كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف المدّ ، سمعناهم يقولون ، للعجاج :

---

(١) البقرة ٢١٦ .

(٢) ش : « بماذكره » .

* ياأبتَا عَلَّكَ أوْ عساكَنْ *

ثانيهما : ماذكره شارح اللباب وغيره ، من أنَّ فى ياأبتا الجمعَ بين عِوَضين ، فإنَّ التاء عوضٌ من ياء المتكلم ، وإنَّما جاز الألف دون ياء المتكلم ، لأنَّ التاء عوض من ياء المتكلم ، فيمتنع الجمع بين العوض والمعوَّض بخلاف الألف ، فإنّ غايته أن يذكر عِوَضانِ ، وهو غير ممتنع ، وليس فيه الجمع بين العوض والمعوَّض، كما زعم العينى وتبعه السيوطى (فى شواهد المغنى).

وقد خَطَّأ أبو محمد الأعرابى الأسود رواية : « ياأبتا » ، وقال : إنَّما الرواية «تأنَّيا» . وهو من التأنِّى كما يجىء بيانه .

وقد ذكر جميع شرّاح الشاهد أَنَّ ماقبله :

* تقول بنتى قد أنَى إناكا *

وأَنَى : فعلٌ ماض بمعنى قَرُب . والإنَى بكسر الهمزة والقصر : الوقت . قال تعالى : ﴿ غَير ناظِرينَ إناه (١) ﴾ على أحد قوليه . وأَنَى إناك : حان حِينك أى حينُ ارتحالك إلى سفر تطلب رزقاً ، فسافرْ لعلك تجدُ رزقاً . أو حان رحيلك إلى من تلتمسُ منه شيئاً تنفقه علينا .

و(علَّك) بمعنى لعلّك ، والخبر محذوف . وزعم العينى وتبعه السيوطى أنَّ أناك بفتح الهمزة . قال : أصله أناءك . والأناء على فَعال : اسمٌ من الفعل المذكور . ٤٤٣

وقد نازع أبو محمد الأعرابى فى كون هذا ماقبله ، وقال : هما من أرجوزتين . وردَّ ردًّا شنيعا على ابن السِّيرافى ، فإنه قال (فى شرح أبيات سيبويه) : قوله : ياأبتا علَّك أو عساكن ، قبله :

(١) الآية ٥٣ من الأحزاب .

* تقولُ بنتى قد أَنَى إناكا *

وفى شعره :

* فاستعزم اللّه ودَعْ عساكا *

وقوله : قد أَنَى إناكا ، أى ممن تلتمس منه مالاً تنفقه . وقوله : ياأبتا علَّك أو عساكا ، أى لعلك إن سافرتَ أصبت مانحتاج إليه .وقوله : «فاستعزم الله» إلخ ، أى استخِرْهُ فى العزم على الرحيل والنصر ، ودعْ قولك عساىَ لاأفوز بشىءٍ إذا سافرتُ ويحصُل بيدى التَّعب .

قال أبو محمد الأعرابى (فى فُرحة الأديب) : خلط ابن السيرافى ههنا من حيث أنَّ النَّوى أشباه . وصحَّف فى كلمة من البيت أيضاً ، وهو قوله ياأبتا ، وإنما هو :

* تأنِّياً علَّك أو عساكا *

وسيأتيك بيانه . وذلك أنّ قوله :

* فاستعزم الله وَدَعْ عساكا *

من أرجوزةٍ ، وقوله :

* تأنِّياً علَّك أو عساكا *

من أرجوزة أخرى . فالتى فيها فاستعزم الله ، هى قوله يمدح بها الحارث ابن سُلَيمٍ الهُجَيمى ، يقول فيها :

(تقول بنتى قد أَنَى إناكا فاستعـزم اللّه ودَعْ عَساكا
ويُـدرِك الحاجـةَ مُختطـاكا قد كاد يَطوى الأرضَ مُرتقاكا

تُخْشَى وتُرجَى ويُرى سَناكا فقلت : إنى عائكٌ مَعَاكا (١)
عَيشاً ولاانتجـــع الأراكا فابلغْ بنى أميةَ الأملاكا (٢)
بالشام والخليفــةَ المِــلاكا وبخراسان فأيـــــن ذاكا
منِّـــى ولاقـــدرةَ لى بذاكا أو سِرْ لكَرمانَ تجد أخاكا
إنّ بها الحارثَ إن لاقاكا أجدى بسيْبٍ لم يكن رِكاكا)

والأرجوزة الأخرى يمدح فيها إبراهيم بن عربىّ ، وهى :

(لمَّا وضعتُ الكُور والوِراكا عن صَلَبٍ مُلاحَكٍ لِحَاكا
أسرّ من إمسيِّها نِسْعاكا أصفر من هجم الهجير صاكا (٣)
تصفير أيدى العُرُس المَدَاكا تأنِّياً عَلَّك أو عساكا (٤)
يسأل إبراهِيـــمَ ماألهاكا من سَنَتيْـــنِ أَتَتَـــا دِرَاكا
تلتحيـــانِ الطَّلْـــحَ والأَراكا لم تدعا نَعلاً ولا شِراكا (٥))

هذا ماأورده ، والله أعلم بالصواب . والأكثرون على أنَّ هذا الرجز لرؤبة ابن العجّاج ، لا للعجّاج . وقد تقدَّم ترجمتهما فى أوائل الكتاب (٦) .

* * *

---

(١) عاك معاشه يعوك عوكا ومعاكا : كسبه وأصلحه . وفى النسختين : « عانك » صوابه من فرحة الأديب مخطوطة الدار .
(٢) فى فرحة الأديب : « غيثا » .
(٣) فى النسختين : «أصغر من هجم الهجير» ، صوابه من فرحة الأديب .
(٤) ط : «تصغير» ، وأثبت مافى ش وفرحة الأديب .
(٥) فى النسختين : « يلتحيان » ، صوابه من فرحة الأديب . والضمير للسنتين فى الشطر السابق .
(٦) الخزانة ١ : ٨٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الثلثمائة [(١)] :

٣٩٩ (هَلْ تُبلِغَنِّى دارَها شَدَنيَّةٌ

لُعِنتْ بمحروم الشَّرابِ مُصَرَّمِ)

على أنّ النون الأولى فى تُبلغنّى نون التوكيد الخفيفة ، والنون الثانية نون الوقاية .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من معلَّقةِ عنترةَ بن شدّادٍ العَبْسى . وقبله :

(تُمسِى وتصبحُ فوق ظهرِ حَشيّةٍ وأَبيتُ فوقَ سراةِ أدهمَ مُلجَمِ
وحَشِيَّتى سَرجٌ على عَبْلِ الشَّوَى نَهِدٍ مَراكلُه نبيلِ المحزِمِ ٤٤٤
هل تُبلِغنِّى دارَها شَدَنيَّةٌ .. .. البيت
خَطَّارةٌ غِبَّ السُّرى زَيَّافةٌ تَقِصُ الإكامَ بذاتِ خُفٍّ مِيثَمِ)

قوله : «تمسى وتصبح» الضمير المؤنث لحبيبته ،وهى عبلة . والحَشِيَّة : الفِراش المحشوُّ . والسَّراة ، بفتح السين : أعلى كلِّ شىء ، وأراد به هنا ظهرَ فرسه . يقول : تمسى وتصبح فوق فراشٍ وطىءٍ ، وأبيت أنا فوق ظهر فرس أدهم مُلجم . يعنى أنها تَتنعَّم وأنا أُقاسى شدائد الأسفار والحروب .

وقوله : « وحشيتى سرجٌ » مبتدأ وخبر . يريد أنَّه مستوطئٌ بسرج الفرس كما يستوطىءُ غيرُهُ الحشيَّة والاضطجاع عليها . ثم وصف الفرس بأوصاف محمودة ، وهى غلظ القوائم ، وانتفاخُ الجنبين ، وسِمَنُهما . والعَبْل ، بالفتح : الغليظ . والشَّوَى بالفتح : القوائم ، جمع شَواة . أى على فرس غليظ القوائم

---

(١) من معلقة عنترة بن شداد .

والعِظام ، كثير العَصَب . والنهد بفتح النون: الضَّخم المشْرِف . والمَرَاكل : جمع مَرْكل كجعفر ، وهو الموضع الذى يصيب رجلَ الفارس من الجنبين إذا استَوَى على السَّرج . والنبيل : العظيم . والمحزِم : موضع الحِزام .

وقوله : (هل تُبلغنِّى) إلخ استبعدَ الوصولَ إليها لشدة بعدها ، فاستفهمَ عنه . وأبلغه المنزِلَ ، إذا أوصله إليه . و(دارَها) أى دار عبلة . و(شدنيَّة): ناقة منسوبة إلى شدَنٍ بفتحتين ، وهو حىٌّ باليمن ، وقيل أرض فيه .

وقوله : (لُعِنت) بالبناء للمفعول ، قال التبريزى فى شرح المعلقة : دعَا عليها [1] بانقطاع لبنها ، أى بأن يُحرم ضرعُها اللبنَ فيكون أقوى لها ، وأسمنَ وأصبرَ على معاناة شدائد الأسفار ، لأنّ كثرة الحملِ والولادةِ يُكسبها ضعفا وهُزَالاً . ويجوز أن يكون غير دعاء ويكون خبراً . وأصل اللَّعن البعد .

وقوله : (بمحروم الشَّراب) أى بضرعٍ ممنوع شرابه . وأصل حُرِمَ مُنِع : وقيل بمحرومِ الشراب ، أى فى محروم الشراب . وقال خالد بن كلثوم : لُعنت : نحّيت عن الإبل ، لماَّ عُلم أنها معقومة ، فجعلت للركوب الذى لايصلح له إلاَّ مثلها . و(المصرَّم) : الذى أصاب أخلافه شيء فَقَطعه ، من صِرارٍ أو غيره .

وقال أبو جعفر : المُصرَّم : الذى يُلوَى رأسُ خِلْفه حتى ينقطع لبنه . وهو هنا مثل ، يريد : أنَّها معقومة ولا لبن لها . انتهى .

وقال الأعلم (فى شرح الأشعار الستة):قوله لعنت ،أى سُبَّت بضرعها كما يقال : لعَنَه الله ماأدهاه وماأشعره ! وإنما يريد أنَّ ضرعَها قد حُرِم اللبن

---

(١) ط : «دعاء عليها» ، وأثبت مافى ش . وفى شرح التبريزى : « يدعو عليها » .

فذلك أوفرُ لقوَّتها وأصلبُ لها ، فتُلْعَن ويدعى عليها على طريق التعجُّب من قوَّتها . والمصرَّم : المقطوع اللبن . وقيل معنى لعنت أنَّه دعا عليها بأنَّ ضرعها يكون مقطوعَ اللبن ، إذْ كان أقوى لها . والمعنى الأوَّل أحسنُ وأبلغ . انتهى .

وقوله : « خطَّارة غِبّ » إلخ ، هو صفة لشدَنية . والخطَّارة : التى تَخْطِر بذنبها يَمنةً ويسرة ، لنشاطها . والسُّرَى : سَير الليل . وغِبُّ الشيء : بَعْدَه . يقول : هى خَطَّارة بعدَ السُّرى ، فكيف بها إذا لم تَسْرِ . والزيَّافة : التى تزيف فى سيرها ، كما تزِيف الحمامةُ ، تسرع . وقوله : « تقِصُ الإكام » أى تكسرها بأخفافها ، لشدة وطئها وسرعة سيرها . يقال وَقَص يَقِصُ بالقاف والصاد المهملة . ويروى : « تَطِسُ » بمعناه . يقالُ وطس يطِس ، إذا كَسر . والإكام ، بالكسر : جمع أَكَم بفتحتين ، كجبال جمع جبل ، وهو ماارتفع من الأرض . والمِيثم : الشديد الوطء . يقال وَثَم الأرض يَثِمُها بالمثلثة ، إذا وطئها وطْئاً . وقوله : «بذات خُفٍّ» . أى بقوائم ذات أخفاف . ٤٤٥

وقد تقدَّم فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب شرحُ أبياتٍ من هذه القصيدة ، مع ترجمته عنترة [1] .

* * *

وأنشد بعده،وهو الشاهد الموفى الأربعمائة،وهو من شواهد سيبويه[2]:

٤٠٠ (تَراه كالثَّغامَ يُعَلُّ مِسكاً
يسوءُ الفالياتِ إذا فَلَيْنِى)

(١) الخزانة ١ : ١٢٢ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٥٤ . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٩ والعينى ١ : ٣٧٩ والهمع ١ : ٩٥ واللسان (فلا) والحماسة بشرح المرزوقى ٢٩٤ .

عَلَى أنه قد جاء حذف نون الوقاية مع نون الضمير للضرورة ، كما هنا . والأصل : إذا فلينني ، بنونين .

قال سيبويه : وإذا كان فعلُ الجميع مرفوعاً ثم أدخلتَ فيه النون الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع ، وذلك قولك : لتَفعلُنَّ ذلك ولتذهَبُنَّ ، لأنَّه اجتمعت فيه ثلاث نونات ، فحذفوها استثقالا . وتقول : هل تفعلُنَّ ذاك ، بحذف نون الرفع ، لأنك ضاعفت النون ، وهم يستثقلون التضعيف ، فحذفوها إذْ كانت تحذف ، وهم فى هذا الموضع أشدُّ استثقالا للنونات ، وقد حذفوها فيما هو أشدُّ من ذا (١) . بلَغنا أنَّ بعض القراء قال : ﴿تحاجُّونى (٢) ﴾ ، وكان يقرأ : ﴿ فبِمَ تبشِّرونى (٣) ﴾ خفيف ، وهى قراءة أهل المدينة ، وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف . قال عمرو بن معديكرب :

تراه كالثَّغام يُعلُّ مِسكاً يسوء الفالياتِ إذا فَلَيْنى

يريد : إذا فلينني . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فى حذف النون فى قوله فلينى ، كراهةً لاجتماع النونين ؛ وحذفت الياء دون جماعة النِّسوة لأنها زائدة لغير معنىً . انتهى .

وهذا موافقٌ لما قاله الشارح .

وأخذ ابن مالك بظاهر كلام سيبويه (فى التسهيل) أنَّ المحذوف هنا نون النسوة ، وقال : هو مذهب سيبويه . ووجَّهَهُ فى شرحه بأنهم حافظوا على بقاء نون الوقاية مطلقاً لما كان للفعلِ بها صونٌ ووقاية .

---

(١) يعنى حذف نون من نونين لا من ثلاثة .

(١) الأنعام ٨٠ .

(٣) الحجر ٥٤.

والبيت من أبيات ثمانية لعمرو بن معديكرب ، قالها فى امرأةٍ لأبيه ، أبيات الشاهد
تزوجها بعده فى الجاهلية . وهى :

(تقول حليلتى لما قَلَتنى شرائحُ بين كُدرىّ وجُونِ
تراه كالثغام يُعَلُّ مسكاً يسوء الفالياتِ إذا فلينى[1]
فزيْنُكِ فى شريطِكِ أُمَّ عمرو وسابغةٌ وذو النونين زَينى
فلو شَمَّرن ثمَّ عدَوْن رَهواً بكلِّ مُدجَّج لعرفتِ لونى
إذا ماقلتُ إنَّ على دَينا بطعنة فارسٍ قضَّيتُ دينى
لَقعقعةُ اللِّجام برأس طرِفٍ أحبُّ إلىَ من أن تنكحينى
أخاف إذا هَبطن بنا خَبَاراً وجدَّ الركضُ أن لاتحملينى
فلولا إخـوتى وبنـىَّ منها ملأتُ لها بذى شُطَب يمينى)

الحليلة : الزوجة . وقلتنى ، من القِلَى ، وهو البغض . وشرائح خبر مبتدأ محذوف ، أى شعركَ شرائح . والجملة مقول القول . وشرائح : جمع شريح بفتح[2] الشين المعجمة وآخره جيم : الضرب والنوع . قال ابن دريد فى (الجمهرة) : كل لونين مختلفين هما شريجان . وأنشد هذا البيت . ٤٤٦

وقوله : «بين كُدريٍّ وجُون » أى بعض الشرائج كدرىٌّ ، أى أغبر وبعضها جُون . والكدرىّ :منسوبٌ إلى الكدرة . وجُون بضم الجيم:جمع جَوْنة ، وهو مصدر الجون بالفتح ؛ وهو من الأضداد ، يقال للأبيض جَون وللأسود جون .

وقوله :(تراه كالثغام) إلخ الضمير المستتر للحليلة ،والضمير البارز المنصوب لشعر الرأس المفهوم مما قبله . ورواه الفراءُ وابن دريد : (رأته)

---

(١) فى هذه القافية والثلاثة بعدها مايسمَّى بسناد الحذْو .

(٢) فى النسختين : « بضم » ، وهو تحريف ظاهر .

بالماضى ، وهو من رؤية العين . وكالثغام حالٌ من الهاء ، وكذلك قوله يُعلُّ . والثَّغام ، بفتح المثلثة والغين المعجمة ، قال الأعلم : هو نبتٌ له نَوْر أبيض يشبَّه به الشيب . وقال صاحب الصحاح : هو نبتٌ يكون فى الجبل ، يبيَضُّ إذا يبس ، يقال له بالفارسية دِرَمْنه إسبِيذ ، يشبه به الشيب ، الواحدة ثَغامة. وعَلَلته ماءً عللاً ، من باب طلب : سقيته السَّقية الثانية . وعَلّ هو يَعِلُّ ،من باب ضرب ، إذا شرب . قال الأعلم : ومعنى يُعَلُّ يطيَّب شيئاً بعد شيء.وأصل العلل الشَّرب بعد الشُّرب. وهذا غير مناسب ، فإنّه هنا متعدٍّ إلى مفعولين : أحدهما نائب الفاعل وهو الضمير المستتر العائد إلى ماعاد إليه الهاء من تراه ، والثانى مسكا . وقوله : (يسوءُ الفاليات) فاعله ضمير الشَّعر ، والفاليات مفعوله ، وهو استئناف ، وهو دليل جواب إذا . والفالية هى التى تَفلى الشعر ، أى تخرج القمْلَ منه .

وقوله : «فَزينكِ فى شريطكِ» إلخ هذا خطابٌ لها . وأمَّ عمرو منادى . والزَّين : نقيض الشين ، مصدر زانَه بمعنى زيَّنه ، إذا جعل له زينةً . والشريط ، قال جامع ديوانه : هو العيبة الصغيرة .والعَيْبة . بالفتح : ماتجعل فيه الثياب . وقوله : وسابغةٌ ، خبر مقدَّم ، وزَينى مبتدأ مؤخر . والسابغة : الدِّرع الواسعة الطويلة . وذو النونين : السيف ، والنون: شَفْرته .

وقوله : «فلو شمَّرن ثم عَدَوْنَ» إلخ يعنى النساء الفاليات . وشمَّر إزاره تشميراً :رفعه . والرهو:السير السهل ، مصدرُ رَهَا يرهُو فى السَّير ، أى رَفَق. والمدجّج بجيمين،على صيغة اسم المفعول،هو [1]اللابس آلة الحرب والسلاح.

---

(١) ط : «وهو» بالواو .

وقوله : «إذا ماقلت» إلخ هو بضم التاء فى الموضعين . والطِّرف ، بالكسر : الفرس الجواد . والخبار بفتح الخاء المعجمة بعدها موحدة : الأرض الرِّخوة . وذو شُطَب ، هو السيف ، وشُطَب السيف : طرائقه التى فى مَتْنه ، الواحدة شُطْبة .

وترجمة عمرو بن معديكرب تقدَّمت فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة (١) . وهو من الصَّحابة رضى الله عنهم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الأربعمائة ، وهو شواهد س (٢):

٤٠١ (كُمْنيةِ جابرٍ إذْ قال ليتى
أصادِفُه وأفقِـدُ جُلَّ مالى)

على أنَّ حذف نون الوقاية من (ليتى) ضرورة عند سيبويه .

قال سيبويه : وقد قالت الشعراء ليتى إذا اضْطُرُّوا ، كأنَّهم شبَّهوه بالاسم حيث قالوا الضاربِى ، والمضمر منصوب . قال زيد الخيل :

كمنية جابر إذْ قال ليتى أُصادفُه وأُتلِفُ بعضَ مالى

انتهى

صاحب الشاهد — وهذا مِنْ أبياتٍ لزيد الخيل رضى الله عنه ، وأوّلها :

أبيات الشاهد — (تمنَّى مَزْيدٌ زيداً فلاقَى أخا ثقةٍ إذا اختلفَ العوالى

(١) الخزانة ٢: ٤٤٤ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٦ . وانظر نوادر أبى زيد ٦٨ ومجالس ثعلب ١٢٩ والمقتضب ١ : ٢٥٠ والمقرب ١٩ وابن يعيش ٣ : ٩٠ ، ١٢٣ والعينى ١ : ٣٤٦ والأشمونى ١ : ١٢٣ واللسان (ليت) .

٤٤٧ كمنية جابرٍ إذْ قال ليتى . . . البيت

وقد اقتصر عليهما أبو زيد (فى نوادره) وبعدهما :

(تلاقَينا فما كُنَّا سواءً ولكنْ خَرَّ عَنْ حالٍ لحالِ

ولولا قولُهُ يازَيدُ قَدْنى لقد قامت نُويرة بالمآلى

شَككتُ ثيابَه لمَّا التقينا بمطَّردِ المَهَزّة كالخِلالِ)

وقوله : «تمنى مَزيد» إلخ ، مَزْيد بفتح الميم وسكون الزاء المعجمة بعدها مثناة تحتية ، قال ابن السيرافى وغيره : هو رجلٌ من بنى أسد ، كان يتمنَّى أن يَلقى زيدَ الخيل ، فلقيه زيدُ الخيل فطعنه فهرب منه . وقوله : «أخا ثقه» أى صاحب وثوق بشجاعته وصَبره فى الحرب . والعوالى : جمع عالية ، والعالية من الرمح : مايلى الموضعَ الذى يركَّب فيه السِّنان . يعنى وقت اختلاف الرماح ومجيئها وذهابها للطِّعان .

وقوله : (كُمْنيةِ جابر) إلخ ، هو فى موضع المفعول المطلق ، أى تمنَّى مزيد تمنِّياً كتمنِّى جابر . والمنية بالضم : اسم للتمنى ، وفى الأصل الشيء الذى يتُمنَّى . وإنما قال تمنَّى مزيدٌ زيداً ، ولم يقل تمنّانى مزيد ، للتهويل والتفخيم فإنّ زيداً قد اشتهر بالشجاعة ، فلو أتَى بالضمير لفات هذا . وجابر : رجلٌ من غطفان تمنَّى أن يلقى زيداً حتىَّ صبَّحه زيد ، فقالت له امرأته : كنت تتمنى زيداً فعِندك ! فالتقيا فاختلفا طعنتين وهما دارعان ، فاندقَّ رمح جابر ولم يُغْنِ شيئاً ، وطعنه زيدٌ برمح له كان على كعبٍ من كعابة ضَبَّةٌ من حديد ، فانقلبَ ظهراً لبطن ، وانكسر ظهرهُ ، فقالت امرأته وهى ترفعه منكسراً ظهره : كنت تتمنى زيداً فلاقيت أخا ثقة . ومعنى البيتين أنَّ مزيداً تمنى أن

يلقى زيداً كما تمنّى جابر ، وكلاهما لقِىَ منه مايَكره .

وقال (١) أبو جعفر النحّاس فى قول زيد الخيل :

ألا أبلغ الأقياسَ قيَس بنَ نوفل
وقيس بنَ أُهبانٍ وقيسَ بنَ جابرِ

قال : قيس بن جابر هو الذى يقول فيه زيد :

* كمنيةِ جابرٍ إذْ قال ليتى *

فسمّاه باسم أبيه ، كما قال الآخر :

* يحمِلنَ عبّاس بنَ عبد المطلب *

وإنما يريد عبد الله بن عباس . انتهى .

وروى أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل : «كمنيَةِ حائن» بالنون ، أى هالك ، والمراد به جابر المذكور . وقوله (وأفقِدَ جلَّ مالى) فقد يَفقِد من باب ضرب ، بمعنى عَدِم . وروى بدله : «وأُتلِف» من الإتلاف . وجُلّ الشيءِ : معظمه . وهذه رواية الجوهرى ، وروى غيره : «بعض مالى» .قال العينى : والأوّل أحسن . ومَن زعمَ أنَّ بعضا يَرِدُ بمعنى كلّ وخرَّجَ عليه قوله تعالى : ﴿ يُصِبْكُم بعضُ الذى يَعِدُكم (٣) ﴾ ، وقولَ الأعشى (٤) :

قد يُدرك المتمنِّى بعضَ حاجَتِه
وقد يكونُ مع المستعجل الزَّلَلُ

(١) ط : «قال» بدون واو .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى ، المعروف بالنحاس أو ابن النحاس .

(٣) الآية ٢٨ من سورة غافر .

(٤) ط : «قال الأعشى» ، وأثبت مافى ش .

ـ صحَّ عنده حملُ رواية الجماعة على ذلك ، **فيكون أبلغَ من رواية الجوهرىِّ** . إلاّ أنَّ هذا القول مردود . انتهى .

و(إذْ) ظرفٌ عاملهُ مُنْية ، وجملة (أصادفه) خبر ليت . و(أفِقدَ) منصوبٌ بإضمار أنْ ؛ فإنّها تضمر بعد واو المعية الواقعة بعد التمنى . قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : قال صدرُ الأفاضل : وأفقِدَ بالنصب كما لو كان مكان الواو الفاء ، كأنّه قال : ليتنى أصادف زيداً وأن ٤٤٨
أفقدَ بعض مالى ، أى يجتمع [1] هذا مع فِقدان بعض المال .

وقال العينى : أفقد بالرفع جملة فعلية ، عطفٌ على أصادفه . كذا قيل ، وفيه نظر ، لأنَّه يلزم أن يكون فقد بعض ماله متمَنًّى ، وليس كذاك ، والصحيح أنَّه مرفوع على أنّه خبر مبتدأ محذوف تقديره : وأنا أفقد بعض مالى وتكون الواو للحال . انتهى .

أقول : لامانع على الوجه الأوَّل من جعل الواو للمعية .

ثم قال : ويقال أفقد منصوب لأنَّه جوابُ التمنِّى . وهذا لايتمشَّى إلاّ إذا قرىء بالفاء : «فأفقد» . انتهى .

أقول : كأنَّه لم يطرقْ أذنه أنَّ المضارع ينصب بإضمار أن بعد واو المعية كما ينصب بعد فاء السببية فى جواب أحد الأشياء الثمانية .

وقُلْ لمَنْ يدَّعى فى العلم فلسفةً
حفِظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياءُ

(١) ط : « أو يجتمع » ، وأثبت مافى ش .

ثم قال : ولكن يجوز نصبه بإضمار أنْ .

أقول : كأنَّ هذا الإضمار عنده من القِسم السماعىّ الذى لم يطَّرد . وفيما قلنا غُنيةٌ عن هذا . فتأمَّلْ .

وقوله :«تلاقينا فما كنَّا سواء» إلخ ، خَرّ بالخاء المعجمة : سقط . والحال بالحاء المهملة : موضع اللِّبْد (١) من ظهر الفرس . والحال الثانية : الوقت الحاضر . أى سَقَط عن ظهر الفرس بطعنٍ فى الحال .

وقوله : «ولولا قوله» أى لولا قولُ جابر . وقدنى : اسمُ فعلٍ بمعنى حَسْبى . ونُويرة ، بضم النون : امرأة جابر . قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : والمآلى : جمع مئلاةٍ (٢) ، وهى الخرقة التى تكون مع النائحة تأخذ بها الدمع . أى لولا قولُ جابر حسبى يازيدُ من الطعن قامت امرأته ملْتبسةً بالخِرَق تنوحُ عليه وتبكى . أى قتلتُه .

وقوله : «بمطَّرد المهزَّة» أراد به الرمح ، فإنه إذا هزَّ باليد يطَّرد . والخِلال بكسر الخاء المعجمة : العُود الذى يتُخلَّل به ، وربما يُخَلُّ (٣) به الثوب أيضاً . أرادَ أنَّ الرمح كانَ سنانهُ دقيقاً مثلَ الخِلال .

وزيد الخيل ، هو كما قال صاحب الاستيعاب : زيد بن مُهَلْهِل بن زيد ابن مُنْهِب (٤) الطائى ،قدم على رسول الله ﷺ ، فى وفد طيِّئ زيد الخيل

(١) فى النسختين : «الكبد» ، صوابه ماأثبت . وانظر اللسان (حول ٢٠٤) .

(٢) ط : «مئلاء» ، صوابه فى ش .

(٣) ش مع أثر تغيير : « يخلل » بلامين .

(٤) منهب كمحسن ، بضم الميم وكسر الهاء ، كما فى القاموس .. وانظر ترجمة زيد فى الشعراء ٢٤٤ وأسد الغابة ٢ : ٢٤١ والإصابة ٣ : ٣٤ والأغانى ١٦ : ٤٦ .

سنة تسع فأسلم ، وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير ، وقال له : « ماوُصِف لى أحدٌ فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلاَّ رأيته دون الصِّفة غيرك » . وأقطَع له أرَضِين فى ناحيته . ويكنى أبا مُكنِف ، وكان له ابنانِ :مُكنِف ، وحرَيث وقيل حارث . أسلما وصحبَا النبى ﷺ ، وشهدا قتال الرِّدَّة مع خالد بن الوليد . وكان زيدُ الخيل شاعراً محسنا خطيباً ، لَسِناً شُجاعا ، بُهْمَةً كريما . وكان بينه وبينَ كعب بن زهير هجاء ، لأنَّ كعباً اتَّهمه بأخْذِ فرس له . قيل مات زيدُ الخيل مُنصرَفه من عند النبى ﷺ محموماً ، فلما وصل إلى بلده مات . وقيل بل مات فى آخر خلافة عمر . وكان قبل إسلامه قد أسَرَ عامرَ بنَ الطُّفيل وجزَّ ناصيته .

هذا ماأورده صاحب الاستيعاب .

وقيل له زيدُ الخيل لخمسةِ أفراس كانت له (١) .

وكان طويلاً جسيماً ، موصوفا بطول الجسم وحُسْن القامة ، وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخطُّ رجلاه فى الأرض ، كأنّه راكبٌ حمارا (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الأربعمائة (٣) :

٤٠٢ (أيُّها السائلُ عَنهمْ وعَنِى
لستُ من قَيْسَ ولَا قيسُ مِنِى)

(١) فى الأغانى ١٦ : ٤٦ أنها ستة أفراس ، وهى : الهطال ، والكميت ، والورد ، وكامل، ودءول ، ولاحق . وقد ذكرها جميعا فى شعره .

(٢) ش : « راكب حمار » بالإضافة . وفى الأغانى :« كأنه على حمار » .

(٣) انظر العينى ١ : ٣٤٢ .

على أنَّ حذف النون ضرورة عند سيبويه ، والقياس : عنِّى ومنِّى ، ٤٤٩
بتشديد النون فيهما .

قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : إذا جُرَّتِ الياء بمن أو عن وجبت النون، حِفظاً للسكون ؛ لأنه الأصل فيما يبنون . وقد يترك فى الضرورة.قال:

أيُّها السائلُ عنهمْ وعَنى ... البيت

وفى النفس من هذا البيت شىء ، لأنالم نعرف له قائلا ولا نظيراً ؛ لاجتماع الحذف فى الحرفين . ولذلك نسبه ابن الناظم إلى بعض النحويين ولم ينسبه إلى العرب . وفى التحفة : لم يجيء الحذف إلاَّ فى بيتٍ لايُعَرَفُ قائله . اهـ

ووقع فيه قيسٌ فى موضع الضمير مرتين . وارتفاع الثانى بالابتداء ، لأنَّ لَا لاتعمل إلاَّ فى النكرات . انتهى كلام ابن هشام .

وقيسُ فى الموضعين غير منصرفٍ للعلمية والتأنيث المعنوى ، لأنّه بمعنى القبيلة . وهو أبو قبيلة من مُضَر ، ويقال له قيس عيلان ، واسمه الناس بن مضر بن نزار ، بهمزة وصل ونون ، وهو أخو الياس بمثناة تحتية . قال ابن الكلبى (فى الجمهرة): إنما عيلان عبدٌ لمضر حَضَنَ الناس وربَّاه ، فغلب عليه ونُسِبَ إليه. وقال صاحب القاموس[1]:وقيس عيلانَ تركيب إضافىٌّ لأنَّ عيلان اسمُ فرسٍ قيس ، لااسم أبيه كما ظَنَّه بعض الناس.اهـ . يقال تقيَّس فلانٌ،إذا تشبَّه بهم أو تمسَّك منهم بسبب،إمَّا بحِلْف أو جِوارٍ أو وَلاء.قال رؤبة:

* وقَيْسَ عيلانَ ومَن تقيَّسا [2] *

---

(١) النص التالى لم يرد فى القاموس بهذا النص فى كل من مادتى (قيس، عيل) . وفى هامش أصل المطبوعة : «لم أر هذا النص فى القاموس ، فلعله نقل بالمعنى » .

(٢) قبله فى ديوان العجاج ١٣٨ :

وإن دعونا من تميم أرؤسا والرأسَ من خزيمة العَرَنْدسا

وقال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب):قيس عيلان بن مضر ، ويقال قيس بن عيلان ، واسمه النَّاس بالنون ، وأخوه الياس بالياء . وكان الناس،بالنون متلافاً ، وكان إذا نفِد ماعنده أتى أخاه الياس ، بالتحتيَّة ، فيناصفه أحياناً،ويؤيسه أحياناً،فلما طال ذلك عليه وأتاه كما يأتيه قال له الياس:غلبَتْ عليك العَيلةُ فأنت عَيلان.فسمِّىَ لذلك عيلان،وجُهِل الناس.ومن قال قيس بن عيلان فإنَّ عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فغلب على نسبته .اهـ

وقد تقدم هذا الكلام فى الشاهد السادسَ عشر(١) من أوائل الكتاب . والقبيلة المنسوبة إلى قيس هى خَصَفَة بن قيس ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة والفاء . وخَصفة أيضاً : أبو قبيلة ، وهى محارب بن خَصَفَة بن قيس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٠٣ (قَدْنِىَ من نَصرِ الخُبَيْبين قَدِى
ليس الإمامُ بالشَّحيح المُلْحِدِ)

على أنَّ هذا ضرورة ، والقياس قَدْنى بالنون .

قال سيبويه:وسألته رحمهُ الله،يعنى الخليل بن أحمد،عن قولهم قطنى ومِنِّى وعنِّى ولدُنِّى ، مابالهم جعلوا علامةَ المجرورههنا كعلامة المنصوب؟ فقال:

---

(١) الصواب أنه الخامس عشر . انظر الخزانة ١ : ١٣٨ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٧ . وانظر نوادر أبى زيد ٢٠٥ وسمط اللآلى ٦٤٩ والمحتسب ٢ : ٢٢٣ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٤ / ٢ : ١٤٢ والإنصاف ١٣١ وابن يعيش ٣ : ١٢٤ / ٧ : ١٤٣ وشرح شواهد المغنى ١٦٦ والعينى ١ : ٣٧٥ والتصريح ١ : ١١٢ والهمع ١ : ٦٤ والأشمونى ١ : ١٢٥ واللسان (لحد) . وسيأتى فى ٣ : ٣٤ بولاق .

إنَّه ليس من حرفٍ تلحقه ياء الإضافة إلا كان متحرِّكا مكسورا ، ولم يريدوا أن يحركوا الطاء ولا النونات ، لأنها لاتذكر أبداً إلاَّ وقبلها حرفٌ متحرك مكسور ، وكانت النون أولى ، لأنَّ من كلامهم أنْ تكون النون والياء علامةَ المتكلم ، فجاءوا بالنُّون لأنها إذا كانت مع الياء لم تخرج هذه العلامة من علامات الإضمار ، وكرهوا إن يجيئوا بحرف غير النون فيخرجوا من علامات الإضمار . وإنما حملهم على أنْ لم يحركوا (١) الطاء والنونات كراهيةُ أنْ يشبه الأسماء نحو : يدٍ وهَنٍ . وأمَّا مايحرك آخره فنحو مَعَ ولَدُ ، كتحريك أواخر هذه الأسماء ، لأنه إذا تحرك آخرهُ فقد صَارَ كأواخرِ الأسماء ، فمن ثَمَّ لم ٤٥٠
يجعلوها بمنزلتها . فمن ذلك : معِى ولدِى فى مَعَ ولدُ (٢) . وقد جاء فى الشعر قَدِى . قال الشاعر :

* قَدْنىَ من نصر الخُبَيْبين قَدِى *

لما اضُطرّ شبّهه بحَسبْى وهَنِى ، لأنَّ مابعد حسب وهَن مجرور ، كما أنَّ مابعد قَطْ مجرور (٣) ، فجعلوا علامةَ الإضمار فيهما سواء ، كما قال : ليتى حيث اضُطرّ . انتهى كلام سيبويه .

وردَّه صاحب الكشاف والبَيْضاوى عند قوله تعالى : ﴿ قد بَلَغْتَ مِنْ لَدُني عُذْراً (٤) ﴾ على قراءة نافع ، بتحريك نون لدن والاكتفاء بها عن نون الوقاية ، كما فى :

* قدنىَ من نصر الخُبَيبينِ قَدِى *

(١) فى سيبويه : « على أن لايحركوا » .

(٢) فى سيبويه وش : « ولدِى فى لـ » فقط .

(٣) سيبويه : « كما أن مابعد قد مجرور » .

(٤) من الآية ٧٦ فى سورة الكهف .

وعند ابن مالك نونُ الوقاية فى قَدْنى وقطنى غَيْر لازمة ، بل يجوز ذكرها وحذفها . واستشهد لِقَطْ بما روى فى الحديث من قوله : « قَطِى قَطِى بعزَّتكَ (١)» ، يروى بسكون الطاء وبكسرها مع الياء وبدونها . وقال فى الألفية :

وفى لدُنِّى لَدُنى قَلَّ وَفى
قَدْنى وقَطْنى الحذفُ أيضاً قد يَفِى

قال الشاطبى : قَوله ؟ «قَلّ » دليلٌ على أنّ هذا جائزٌ عنده فى الكلام لامختصٌّ بالشعر . وهذا دأبه فى النظم . إنما يعبِّر بلفظ القلّة عما جاء فى النثر . وهو ثابتٌ بقراءة نافع وأبى بكر . ونبَّه بذلك على مخالفة ظاهر كلام سيبويه .

قال (فى شرح التسهيل) : وزعم سيبويه أن عدم لحاقها من الضَّرورات . وليس كذلك ، بل هو جائز فى الكلام الفصيح ، كقراءة نافع : ﴿ قد بلغتَ منْ لَدُني عُذْراً ﴾ بالتخفيف . ثم قال الشاطبى : وقوله : وفى قدنى وقطنى الحذف أيضاً قد يَفى ، يريد أنَّ حذف نون الوقاية فيهما قد يأتى . وإتيانُه بقَدْ يفى ، إشعارٌ بأنَّه مسموع فى الكلام ، بل قد يكثر كثرةً ما ، إذْ معنى يفى يكثر ، أى إنه يكثرُ فى السَّماع (٢) ، فلا يكون معدوداً فى الشَّواذّ ولا فى الضرائر . وهذا تنكيت منه على سيبويه ومن قال بقوله : إنَّ عدم اللحاق يختصُّ بالشعر . اهـ

وقد تبعه ابن هشام (فى شرح شواهده) قال:إذَا جُرَّت الياءُ بِلَدُنْ أو قَطْ أو قد،فالغالب إثبات النون،حِفظاً للسكون،وقد يترك.ودليله فى لدن قوله

(١) هو من حديث النار حين تمتلىء فتقول ذلك لربها . انظر اللسان (قطط ٢٥٦ جبر ١٨٢) ونهاية ابن الأثير (قط) .

(٢) ش : «يكثر أنه يكثر فى السماع» بإسقاط «أى» .

تعالى : ﴿ قد بلَغْتَ من لدنِّى عُذْرا ﴾ قرىء مخففا ومشدَّدا . وأمّا قول سيبويه : إنّ تركَ النون مع لدن ضرورة فمردود بالقراءة ، ولايقال إنها جاءت على من يقول لَدُ ، وتكون النون للوقاية ، لأنه لا وجه حينئذ لدخول النون ؛ إذ لا سكونَ فيحفظ . ودليله فى قد قوله :

* قدنىَ من نصر الخُبيبينِ قدِى *

وفى هذا نظرٌ واضح .

وقد أغرب الجوهرىُّ فى زعمه أنَّ لحاق النونِ لقَدنى على خلاف القياس .قال:فأمّا قولهم قَدْك بمعنى حسبك فهو اسم ، تقول : قدى وقدنى أيضاً بالنون على غير قياس؛لأنَّ هذه النون إنما تزاد فى الأفعال. واضح البطلان(١).

وقال ابن هشام (فى المغنى) : قد الاسمية على وجهين :

اسم مرادفٌ لحسْب ، والغالب فيها البناء ، يقال قَدْ زيدٍ درهمٌ وقدنى بالنون ، حرصاً على السكون . وتُعرَب بقلّة ، يقال قَدُ زيد درهم بالرفع كما يقال حَسْبُه درهمٌ بالرفع ، وقَدِى بغير نون كما يقال حَسْبِى .

والوجه الثانى : اسم فعل مرادفة ليكفى ، يقال : قدْ زيداً درهمٌ ، وقدنى درهمٌ كما يقال : يكفى زيداً درهم ، ويكفينى درهم .

وقوله :« قدنى من نصر الخبيبين قدى » يحتمل قد الأولى أن تكون مرادفةً لحسب على لغة البناء ، وأن تكون اسم فعل . وأمّا الثانية فتحتمل الأوّلَ وهو واضح ، والثانىَ على أنَّ النون حذفت ضرورة ، ويحتمل أنّه اسم ٤٥١

(١) واضح البطلان ، من كلام البغدادى ، لا من كلام الجوهرى .

فعل لم يذكر مفعوله ، فالياءُ للإطلاق والكسر للساكنين. اهـ

وفيه أمور :

أحدها : قال الدماميني : لو كانت مرادفة ليكفي لكانت فعلا ، واللازم باطل . ولاأدرى لم جعلها بمعنى المضارع مع أن مجيء اسم الفعل بمعناه فيه كلام (١) ، وابن الحاجب يأباه . وقد صرح ابن قاسم أنها بمعنى كفى. اهـ

والصواب ماقاله الشارح في باب اسم الفعل أنَّ معنى قدك اكتفِ ، ومعنى قدنى لأكتَفِ . فيكون الأول أمراً لِلمخاطَب ، والثانى أمراً للمتكلم نفسه . وهذا كلامٌ في غاية الوضوح .

وثانيها : إذا كانت قد في الموضعين بمعنى يكفى فأين فاعلها ؟

ثالثها : يردُ على قوله إنّ الياء للإطلاق والكسرة للساكنين ، قولُ شارحه الدماميني : إنَّ حرف الإطلاق حرف مَدّ يتولد من إشباع حركة الرويّ ، فلا وجود له إلا بعد تحريك الرويِّ ، فإذنْ لم يلتق ساكنان . اهـ

وقد أعاد ابن هشام هذا الكلام (في شرح شواهده) فقال : الشاهد في قوله قدنى بإلحاق النون . وأمَّا قَدِى فقال الشارح — يعنى ابنَ الناظم — وغيرُه : إنَّه شاهدٌ على ترك النون . وليس كما قالوا ، لجواز أن يكون أصله قَدْ ، ثم ألحق ياء للقافية ،وكسر الدال للساكنين . وإنما شاهد الحذف قوله :

* قدِى الآن من وجدٍ على هالك قدى (٢) *

---

(١) ش : « مع أن في مجيء اسم الفعل بمعناه كلاما » .

(٢) من بيت في الحماسيّة ٣٠١ بشرح المرزوق ص ٨٩٦ . وصدره .

* فأقسمت لا آسىَ على إثر هالك *

والشاهد فى قد الأولى . فأمَّا الثانية فمحتملة لما ذكرنا.اهـ

ولا يخفى فساد قوله : «ثم أُلحق ياء للقافية» ، فإنها دالية لا يائية .

وقوله : (من نصر الخبيبين) من متعلقة بقَدْنى ، لأنَّه بمعنى لأَكتفِ كما حققه الشارح فى باب اسم الفعل . وذهب بعضهم إلى أنَّ قدنى مبتدأ بمعنى حسبى ، والجارّ والمجرور خبرهُ ، وأنَّ المعنى حسبى من نصرة هذين الرجلين ، أى لا أنصرهما بعد (١) . قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ويجوز أن يكون النصر هنا بمعنى العطية ، كقول بعض السؤَّال : «من ينصُرنى ينصره الله » وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ مَنْ كان يظنُّ أنْ لن يَنْصُرَهُ الله (٢) ﴾ . وعلى هذا فالإضافة للفاعل : ويرجح الأوَّل أنه لم يفرد أبا خبيب بالذكر ، وإنما يكون العطاء غالباً من ولىِّ الأمر . اهـ

و (الخُبيبين) قيل مثنَّى خُبيب وقيل جمع خُبيب . فعلى الأول الباء الثانية مفتوحة ، وعلى الثانى مكسورة . وخبيب ، بضم الخاءِ المعجمة وفتح الموحدة : مصغَّر خِبّ . وخُبيب هو ابن عبد الله بن الزُّبير . وكان عبد الله يكنى بأبى خُبيب . قال بعض فضلاءِ العجم (فى شرح شواهد المفصل) : وكنيته المشهورة أبو بكر ، وكانوا إذا أَرادوا ذمَّه كَنَوه بأَبى خُبيب . وفى حاشيته : لعلَّه للإشعار بكونه منقولا من مصغر الخِبّ بالكسر ، وهو الرَّجُل الخدَّاع . وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : أراد بالخبيبين مثنًّى :عبد الله ومُصعباً ابنَى الزبير . وخالف ماجاء للعرب من نحوه ، مثل العُمرَينِ ، يريدون أبا بكر

(١) ش : « أى لاأنصره بعد » .

(٢) الآية ١٥ من الحج .

وعمر ، للخفَّة ، والقمرين للشمس والقمر ، لتغليب المذكر ، لأن عبد الله بن الزبير يكنى أبا خبيب باسم ولده ، وأبا بكر ، فإذا ذمُّوه قالوا : أبو خبيب . قال فَضَالة بن شَرِيك :

أرى الحاجاتِ عند أبى خُبَيب
نَكِـدْنَ ولا أميَّـةَ بالبـلادِ (١)

فعلى ماذكره الشاعر ينبغى أن يريد به خبيباً واحِدَ إخوته من بنى عبد الله بن الزُّبير ، وهم (٢):حمزة ، وثابت، وعبّاد ، وقيس ، وعامر ، وموسى.اهـ

٤٥٢ ولايخفى أنَّ هذه الإرادة غيرُ مناسِبة لما سيجىء .

وأورد المبرد هذا البيت عند ذكر الخوارج وقال : يريد خبيبا ومن معه .

وقال الإمام أبو الوليد الوقَّشيُّ (٣) (فى حاشيته على الكامل) : هذا خطأ ، إنما يريد أبا خبيب وهو عبد الله بن الزبير .

وأنشده المبرد (فى أوائل الكامل أيضاً) وقال : أراد عبد الله ومُصعَباً ابنَي الزبير ، وإنما أبو خبيب عبد الله .

وكتب أبو الوليد (فى حاشيته) هنا أيضا : أنشده فى ذكر الخوارج : « الخبيبِينَ » جمعاً ، وقال : يريد خُبَيبا ومن معه ، كقراءة

(١) هو الشاهد ٢٦٢ . الخزانة ٤ : ٦١ . وقد اختلف فى قائله .

(٢) ط : « وهو » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : «أبو الوليد الوعلى» ش : « أبو الوليد أبو على » . والصواب ماأثبت . وأبو الوليد هذا هو هشام بن أحمد بن هشام الكنانى الحافظ ، المتوفى سنة ٤٨٨ . ونسبته إلى وقش بفتح الواو وتشديد القاف على وزن بقم ، وهى مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة . ومن تأليفه : نكت الكامل للمبرد . انظر معجم البلدان ، وبغية الوعاة .

من قرأ : ﴿ سلامٌ على الياسِينَ ﴾ . قال : فإنّما يريد الياسَ ومن كان معه على دينه . كذا وقع هنا يريد خُبَيبا ، وإنما هو يريد أبا خبيب على كنيته الأخرى المشهوره ، ذهاباً إلى نسبة الخِبِّ إليه . اهـ

ونقل ابن المستوفى عند شرح قوله :

* بصير بما أعيا النطاسِيَّ حِذْيَما (١) *

والأصل ابن حِذْيم . عن الخوارزمى : أنَّ هذا ليس من باب الحذف ، إنما هو من باب تعدِّى اللقب من الأب إلى الابن ، كما فى قوله :

* كراجى النَّدى والعُرفِ عند المذلَّقِ (٢) *

أى ابن المذلَّق . ألا ترى أنه يقال : «أَفَلسُ من ابن المذلَّق» . ومنه :

* قدنىَ من نصر الخبيبين قدِى *

ونقل ابن هشام (فى شرح الشواهد) عن ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) ردَّ رواية التثنية ، بأنَّ الشاعر قال هذا الشعر عند حصار طارقٍ ، ومصعبٌ ماتَ قبل ذلك بسِنين . اهـ

ولم أر لابن السِّيد شيئاً من شرحه على هذا البيت فى الموضعين من الكامل .

وذكر العينى للتثنية وجهين:أحدهما:أنَّ المراد عبد الله وأخوه مصعب.

---

(١) الصافات ١٣٠ .

(٢) لأوس بن حجر ، وهو الشاهد ٣١٤ فى الخزانة ٤ : ٣٧٠ .

(٣) سبق الكلام عليه فى حواشى ٤ : ٣٧٢ . وصدره :

★ فأنك إذ ترجو تميما ونفعها ★

وثانيهما : أنَّ المراد عبد الله وابنه خُبيب المذكور . وعلى هذا الثانى لايرِدُ الردُّ المذكور عن ابن السيد .

ورواه جماعة بلفظ الجمع ، ومنهم أبو زيد (فى نوادره) قال : أراد الخبيبِّينَ ، فحذف ياء النسبة . وأورد له نظائر .

ومنهم يعقوب بن السكيت (فى إصلاح المنطق) قال ابن السيرافى (فى شرح شواهده) : الخبيبين جمع ، يريد به عبد الله بن الزبير وأصحابه ، وجعلهم كأنَّ كل رجل منهم خُبَيب . ومثل هذا يُفْعَل كثيراً ، يقولون الأشعرون إذا نسبوا إلى الأشعر ، كأنَّهم جمعوا رجالاً كل اسم رجل منهم أشعر ، وإنما أشعر الذى أضيفوا إليه ، فصار الخبيبين فى موضع الخبيبِيِّينَ ، والأشعرون فى موضع الأشعريِّين ، فحذفوا ياء النسبة وجعلوا الاسم كأنَّه لكلٍّ واحدٍ من المنسوبين . اهـ

ومنهم أبو عبيدة ، نقله عنه أبو الحسن الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) .

ومنهم أبو جعفر النحاس (فى تفسير القرآن) قال : إنما يريد أبا خبيب عبد الله بن الزبير ، فجمعه على أنه من كان معه على مذهبه داخلٌ فيه .

ومنهم ابن جنى (فى المحتسب،فى سورة الصافات) عند قراءة ابن محيصِن : ﴿ وإنَّ الياس (١) ﴾ بغير همز ،﴿ سلامٌ على الياسِين ﴾ بغير همز . قال : فأَما الياس موصول الألف فإن الاسم منه ياسٌ بمنزلة باب ودار ، ثم لحقه لام التعريف . والياسين على هذا كأنه على إرادة ياء النسب ، كأنه الياسِّين ، كما

(١) الصافات ١٢٣ .

حكى عنهم صاحب الكتاب : الأشعرون والنميرون ، يريد الأشعريِّين والنميريِّين . وروينا عن قطرب عنهم [١]: هؤلاء زيدون منسوبون إلى زيدٍ بغير ياء النسبة . وقال أبو عمرو : هلك اليزيدون [٢] يريد : ثلاثة يزيديِّين . وقد يجوز أن يكون جعل كلَّ واحدٍ منهم من أهل الياس ياساً ، فقال الياسين ، كقوله :

* قَدنىَ من نصر الخبيبينَ قدى *

يريد أبا خبيب وأصحابه ، كأنَّه جعل كل واحد منهم خبيباً . اهـ

٤٥٣ يفهِمُ صنيعه أنه إذا جعل كلَّ واحدٍ منهم خبيباً لايكون على تقدير ياء النسبة ، وإذا كان على قديرها يراد أصحابُ أبى خُبيب فقط ، ولا يدخل أبو خُبيب فيهم . كما قال أبو محمدٍ التَّوَّزىّ : من أنشده بالجمع يريد أصحاب ابن الزُّبير ، كما يقال المهالبة . وحقه الخبيبِّين بالتشديد ؛ ولكنه حذف ياء النِّسبة ، نقله عنه صاحب كتاب (التفسُّح فى اللغة) . وإليه ذهب ابن هشام (فى شرح شواهده) قال : يروى الخبيبَيْنِ مثنًّى على إرادة عبد الله وأخيه مُصْعب ، ويروى على الجمع على إرادة عبد الله ومن على رأيه ، وكلاهما تغليب . ويحتمل على الجمع أن يريد مجرد أصحاب عبد الله ، على أنَّ الأصل الخُبَيْبِيِّينَ ، ثم حذفت الياء كقولهم : الأشعرين . اهـ

وهذا خلاف ماتقدَّم عن ابن السيرافى،وخلافُ قول أبى على (فى الإيضاح الشعرى) قال:من أنشده على الجمع أراد الخبيبيّين [٣]ونَسَب إلى

(١) كلمة «عنهم» ساقطة من ش ثابتة فى المحتسب ٢ : ٢٢٣ .

(٢) ش : « الزيدون » ، صوابه فى ط والمحتسب .

(٣) ط : «الخبيبين» ، صوابه بياءين فى آخره كما فى ش .

أبى خبيب ، يريده ويريد شيعته [١] . وعلى هذا قراءة من قرأ : ﴿ سلامٌ على الياسين ﴾ أراد النَّسب إلى الياس . ومن أنشد على التثنية أراد عبد الله ومصعباً ، فثنَّاهما كما قالوا : العجَّاجان [٢] .اهـ

ويؤيد كلامَ ابن جنى ومن تبعهَ ، صنيعُ المبرد (فى الكامل) قال عند ذكر الخوارج : باب للنسب [٣] وهو أن يسمَّى كل واحد منهم باسم الأب إذا كانوا إليه ينسبَون . ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ، ويقولون : جاءَنى النُّمَيرون والأشعرون ، جعلَ كل واحد منهم نميراً وأشعر . فهذا يتصل فى القبائل . وقد تنسب [٤] الجماعة إلى الواحد على رأيٍ أو دين ، فيكون له مثلَ نسب الولادة ، كما قلت أزرقىٌّ لمن كان على رأى ابن الأزرق ، كما تقول تميمىٌّ وقيسىٌّ لمن ولده تميمٌ وقيس . ومن قرأ : « سلامٌ على الياسين [٥] » فإنما يريد الياس عليه السلام ومن كان على دينه ، كما قال :

* قدنى من نصر الخُبَيْبينَ قدى *

يريد أبا خبيب ومن مَعَه [٦].اهـ

وقوله:(قدى) تأكيدٌ للأوَّل . و(ليس الإمام) إلخ ، أراد بالإمام الخليفة ، وعرَّض بعبد الله بن الزبير ، فإنه كان بخيلاً . والشُّحُّ : البُخل . وشَحَّ يَشُحّ من باب قتل ، وفى لغةٍ من بابى ضربَ وتعب ، فهو شحيحٌ من

---

(١) ش : « فيريد شيعته » .
(٢) يعنون العجاج وابنه رؤبة .
(٣) ش : «باب النسب» . والذى فى الكامل ٣٢٣ : «فأما قولهم الأزارقة فهذا باب من النسب آخر . وهو ... » الخ .
(٤) هذا مافى ط والكامل . وفى ش : « وقد نسب » .
(٥) الصافات ١٣٠ .
(٦) بدل هذا كله فى ش : « خبيبا ومن معه » ، نقص وتحريف .

قوْمٍ أُشحَّاء . و(الملحد) قال صاحب المصباح : مِنْ ألْحدَ فى الحرم بالألف ، إذا استحلَّ حرمته وانتهكها . وألحدَ إلحاداً : جادل [١] ومارَى . ولحد بلا ألِفٍ بمعنى جار وظلم .

صاحب الشاهد

والبيتان من أرجوزة لحُمَيدٍ الأرقط . قال ابن المستوفِى [٢] : ويروى :

* ليس أميرى بالظَّلُوم الملحدِ *

ولم أر البيت الأوَّل فى ديوانه : وأوَّلها :

(ليسَ الإمامُ بالشَّحيح الملحدِ
ولا بوَبْرٍ بالحجــاز مُقْــرِدِ
إن يُرَ بالأرض الفَضاء يُصطَدِ
وينجَحِرْ فالجُحر شرُّ محكِدِ [٣])

وهى أربعة أبيات . اهـ

وكذلك أورد الأبيات القالىُّ (فى أماليه) ولم يورد بيت قدنى . وأورد أبو عُبيدٍ البكرى (فى شرح أمالى القالى) أبياتاً ثلاثة قبلها ، قال : يمدح الحجّاج ، وهى :

(قلت لعنسِى وهى عَجْلَى تعتدى
لانومَ حتى تَحْسِرِى وتُلهَدِى [٤]

(١) ط: « حاول » ، صوابه فى ش .

(٢) هو المبارك بن أحمد بن أبى البركات الإربلى ، ولد سنة ٥٦٤ ، وتوفى سنة ٦٣٧ . ومن كتبه « إثبات المحصل فى نسبة أبيات المفصل » . وهو الذى يعنيه البغدادى فى مواضع كثيرة .

(٣) ط : «وينحجر» ، صوابه بتقديم الجيم ، كما فى ش وكما سيأتى فى الشرح .

(٤) سمط اللآلىء ٦٤٩ ــ ٦٥٠ .

أو تَرِدِى حوضَ أبى محمَّد

ليس الأميرُ بالشحيح الملحِدِ)

إلى آخر الأبيات وقال : هذا تعريضٌ بابن الزبير فى قوله : « بالشحيح الملحد » ، يريد أنَّه ألحد فى الحرم .

[وفى قوله : «ولا بوَبْر بالحجاز مُقرِدِ» . والوَبْر ، بفتح الواو وسكون الموحدة وآخره راء مُهملة : دُوَيْبَّةٌ مثل السِّنَّور طحلاء اللون ، حسنة العينين لاذنَبَ لها ، تُوجد فى البيوت . والمُقْرِد : اللاصق من جَزَع أَو ذُلّ . وقوله : « حتى تَحْسِرى وتُلهَدِى » يقال لُهِد البعيرُ يُلهَد ، إذا عضَّ الحِملُ غاربه وسنامَه حتى يؤلمه [1]] . انتهى .

وقوله : «قلت لعنسى» إلخ ، العنس بفتح العين وسكون النون : الناقة الصُّلبة . وعجلَى : مؤنث عجلان .وتعتدِى ، من العدْوِ .وتحْسرِى : مضارع ٤٥٤
حَسَر بالفتح يحسِر بالكسر حُسورا ،إذا أعيا . وتُلهَدى ، يقال لُهِد البعير يُلهَد ، إذا عضَّ الحِمْل غاربه وسَنامه حتى يؤلمه . ولهَدَهُ الحمل ، أى أثقله . قال الأصمعى : لهَدَ القومُ دوابَّهم : أجهدوها وأتعبوها .

وقوله :«أو ترِدِى» إلخ أو بمعنى إلى أو إلَّا .وتَرِدِى ، من الوِرْد ، منصوب بحذف النون بأنْ مضمرة بعد أوْ . وأبو محمدٍ : كنية الحجَّاج بن يوسف الثقفى .

وقوله : «ولا بوَبْر» إلخ : قال ابنُ الأثير (فى النهاية) : الوبْر بسكون الباء:دويّبَّةٌ على قدرِ السِّنَّور غبراء أو بيضاء،حسنة العينين،شديدة الحياء

(١) مابين المعقفين تكملة من ش ساقطة من ط .

حجازية ، والأنثى وَبْرة . ويشبَّه بها تحقيراً . اهـ .وضبطه العينى وتبعه السيوطى (فى شرح شواهد المغنى) بفتح الواو وسكون التاء المثناة من فوق وفى آخره نون ، بمعنى واتن . يعنى : ولابدائمٍ ثابت بأرض الحجاز . ويقال للماء المَعِين الدائم الذى لايذهب : واتن ، وكذلك بمعناه واثن بالمثلثة . هذا كلامه ، وهذا تحريفٌ منه قطعا . ومُقْرِد : اسم فاعل من أقرد بالقاف ، بمعنى ذلّ وخضع . وقال الجوهرىّ : أقرد ، أى سكن وتماوَتَ . وروى:«مفْرَد» بالفاء على أنه اسم مفعول من أفردته ، إذا عزلتَه .

وقوله : «إن يُرَ يوماً» إلخ الجملة الشرطية صفةٌ لوبر ، ونائب الفاعل فى «يُرَ» ضمير الوبر . والفضاء بالفاء . ويُصطَد بالبناء للمفعول.

وقوله «وينجَحِر» إلخ قال صاحب الصحاح : الجُحر بضم الجيم : واحدُ الجِحَرَة والأجحار . وأجْحَرته ، أى ألجأته إلى أن دخل جحره ، فانجحر . وفاعل ينجحِر ضمير الوبر أيضاً . والمحكِد ، بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الكاف : الأصل ، ويقال له المَحتِد أيضاً بكسر المثناة الفوقية .

وحُمَيدٌ الأرقط : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وهو مُعاصر الحجَّاج . وهو حميد بن مالك بن رِبعىّ بن مُخَاشِن بن قيس بن نَضْلة بن أحَيم (١) بن بَهدَلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وقيل هو أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهم ربيعة الجوع . وسمِّى الأرقط لآثارٍ كانت بوجهه . والرُّقَط : النقط . والرُّقطة : سوادٌ يشوبه نقَط . والأرقط من الغنم : مثل الأبغث . والأرقط : النمر . حميد الأرقط

(١) فى الاشتقاق ٢٥٤ بتحقيق كاتبه : « وأما بهدلة فمنهم أحيم وكان شريفا » .

ولم أر ترجمة حميد هذا (فى كتاب الشعراء لابن قتيبة) ، ولا (فى المؤتلف والمختلف للآمدى) ولا (فى الأغانى) ، فيما يحضرنى منه . وإنما نقلت ترجمته من الأنساب [١] .

وقيل قائل الشعر المذكور أبو بَجْلة [٢] ، قاله ابن يعيش (فى شرح المفصل) . ولا أعرف هذا . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(إذ ذهبَ القَوْمُ الكرامُ ليسى)

وأوّله :

* عددتُ قومى كعديد الطَّيْسِ *

وتقدَّم الكلام عليه قريباً [٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(وليس حامِلَنى إلاَّ ابنُ حَمَّالِ)

أوله :

* ألاَ فتًى من بنى ذبيان يحملنى *

وتقدم شرحه فى الشاهد الخامس والتسعين بعد المائتين من باب الإضافة[٤]

* * *

(١) انظر أيضا سمط اللآلى ٦٤٩ ومعجم الأدباء ١١ : ١٤ .

(٢) ش : « أبو نخيلة » ، وأثبت مافى ط . والذى فى شرح المفصل « أبو بحدلة » . وقال الميمنى : « وفى العينى ١ : ٣٥٨ والسيوطى ١٦٦ ونقلوا عن ابن يعيش أنه نسبها لأبى مجدلة » .

(٣) فى الشاهد ٣٩٢ من هذا الجزء ص ٣٢٤ .

(٤) الخزانة ٤ : ٢٦٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الأربعمائة [١]:

٤٠٤ (وكائنْ بالأَباطحِ مِن صديقٍ
يَرانى لو أُصِبْتُ هو المُصَابا)

على أنَّه ربَّما وقع ضميرُ الفصل بلفظ الغيبة بعد حاضر ، لقيامه مقام ٤٥٥
مضاف غائب ، أى يَرَى مُصابى هو المصاب .

بيانه : أَنَّ هو فصلٌ وقع بعد ضمير الحاضر ، أى المتكلِّم ، فكان حقُّه فى الظاهر أن يقول : يرانى أنا المصاب ، لأنَّ ضمير الفصل يجب أن يكون وَفْق ماقبله فى الغيبة والخطاب والتكلم ، لأنَّ فيه نوعاً من التوكيد ، تقول : علمت زيداً هو المنطلقَ ، وعلمتك أنت المنطلقَ ، وعلمتنى أنا المنطلقَ . وحينئذ يتوجَّه عليه سؤالان : أحدهما كيف وقع ضمير الغيبة بعد ضمير المتكلِّم ، وحقُّ الفصل أن يكون وَفقا لما قبله ؟ وثانيهما : أنَّ المفعول الثانى فى باب علم يجب أن يكون موافقاً للمفعول الأول فى الماصَدَق ، فكيف يصحُّ حمل المصاب الذى هو بمعنى المصيبة على الياء فى يرانى ؟

وأجاب الشارح المحقق عنهما بما ذكره ، وهو أنّ الضمير الحاضر ، وهو الياء ، قائم مقام المضاف الغائب ، أى يرى مُصابى هو المُصَابَ . والمعنى يرى مُصابى هو المُصَابَ العظيم ، ويسقط بهذا الجواب السؤالان .

ووجه قيام الياء مقام المضاف أنَّ مفعول يرى فى الحقيقة هو المضاف المحذوف ، والياء مضاف إليه،فلمَّا حذف المضاف قام الياء المجرور محلاً مقامَ

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٦ وابن يعيش ٣ : ١١ / ٤ : ١٣٥ والمقرب ٢٢ وشرح شواهد المغنى ٢٩٦ والهمع ١ : ٦٨ ، ١٥٦ / ٢ : ٧٦ والأشمونى ٤ : ٨٧ وديوان جرير ١٧ .

ذلك المضافِ المنصوب على المفعولية ، فالفصل مطابق للمحذوف لا للقائم مَقامه . وإنما وصف المضاف بالغائب لأنه اسمٌ ظاهر ، وهو فى حكم الغائب ، ولهذا يعود ضمير الغيبة إليه . والمصاب على هذا مصدرٌ ميمى ، كقولهم : جبر الله مُصابك ، أى مصيبتك . وإنما وَصَف المصاب بالعظيم لتحصل الفائدة . ومثله فى حذف الصفة : ﴿ الآن جِئْتَ بالحقِّ (٢) ﴾ ، أى بالواضح . وإلا لكفَروا بمفهوم الظَّرف ، إذ يكون المعنى : وقبل الآنَ لم يجيْء بالحق ، فيكون إنكاراً لما جاء به أوّلا . ويجوز أن لاتقدَّر الصفة ، ويكتفى بالفائدة الحاصلة من الحصر . والمعنى: لو أصبت يَرى مُصيبتى هى المصيبة ، ولايعدُّ غيرها مصيبة ، وذلك من تأكُّد صداقته ، لايكترث بمصيبة غيرى ولا يهتمّ لها .

ولصحَّة المعنى هنا لم يقدِّر الشارح المحقّق الصفة. فلّلهِ دَرُّه ، ماأدقَّ نظره!

وهذا الذى ذكره فى هذا البيت أحد تخريجين لأبى على الفارسى ، ذكرهما (فى إيضاح الشعر) قال : يجوز أن يكون التَّقدير فى يرانى : يرى مصابى أى مصيبتى ومانزل بى ، المصابَ ، كقولك : أنت أنت ومصيبتى المصيبة . أى ماعداهُ جلَلٌ هين ، فيكون هو فصلاً بين المضاف المقدر وبين الظاهر .

واقتصر على هذا التخريج ابن الشجرى (فى أماليه) ثم قال : ولو أنه قال يراه لو أصبت هو المصابا ، فأعاد الهاءَ من يراه إلى الصديق ، والمعنى يرى نفسه، كما جاء فى التنزيل : ﴿ إنَّ الإنسانَ لَيطْغَى * أنْ رآهُ استَغْنى (٣) ﴾ـــ لَسَقط الاعتراض،واستغنى عن تقدير المضاف،ولكان المصاب اسم مفعول من قولك:

---

(١) ط : «وصفنا» ، والوجه ماأثبت من ش .
(٢) الآية ٧١ من البقرة .
(٣) العلق ٦ ، ٧ .

أصيب زيد ، فهو مصاب . ولكن المرويّ : «يرانى» . انتهى .

أقول : لم يرو الأخفش (فى كتاب المعاياة) إلاَّ : « يراه لو أصِيبت هو المصابا » بالمثناة التحتية وضمير الغائب .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : ويروى : «يراه» أى يرى نفسه ، و «تراه» بالخطاب ، ولاإشكال حينئذ ولا تقدير . والمصاب حينئذ اسم مفعول لامصدر . ولم يطلع على هاتين الروايتين بعضهم فقال : ولو أنه قال يراه ، لَكان حسناً ، أى يرى الصديق نفسه مُصاباً إذا أصبت . اهـ

والتخريج الآخر الذى ذكره أبو على : أن يكون تأكيداً لمستترٍ فى يرانى لافصلا . قال : موضع هو رفع لكونه تأكيداً للضَّمير الذى فى يرانى ، لأنَّ هو للغائب ، والمفعول الأوَّل فى يرانى للمتكلم ، والفصل إنما يكون الأوَّل فى ٤٥٦
المعنى ، كقوله سبحانه : ﴿ أنا أقلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً [1] ﴾ . ألا ترى أنَّ أنا هو المفعول الأول المعبَّر عنه بِنِى . والمعنى يرانى هو المصابا ، أى يرانى لاصّداقة المصابَ ، لغِلظ مُصيبتى عليه للصداقة ، وليس كالعدوّ أو الأجنبى الذى لايُهمُّه ذاك . اهـ

فالمصاب على هذا اسمُ مفعول لا مصدر .

وبقى تخريجٌ ثالث نقله ابن هشام عن بعصهم (فى المغنى) ، وهو أن يجعل هو فصلاً للياءِ . ووجَّهه بأنَّه لما كان عند صديقه بمنزلة نفسه حتى كانَ إذا أصيب كأنَّ صديقه قد أُصيب ؛ فجعل ضمير الصديق بمنزلة ضميره ، لأنه نفسُه فى المعنى . اهـ

وزعم ابن الحاجب (فى أماليه) أنَّ الرواية: «لو أُصِيبَ هو المصابا»

---

(١) الاية ٣٩ من الكهف .

وقال : شرط الفصل أن يأتى على طِبْق الخبر ، فكان ينبغى أن يكون أنا ، لأنَّ المصاب مفعول ثان ليرانى ، والمفعول الأوَّل الياء وهى للمتكلم ، والمفعول الثانى هو الأوَّل فى المعنى ، فكان يجب أن يكون الفاصل على القياس أنا . ووجْهُه أنه ليس على الفصل ، بل هو تأكيدٌ للضمير المستتر فى يرانى ، أو للضمير فى أصيب . وأمَّا إن قدِّر لو أُصبِتْ لم يستقم المعنى ، إذ تقديره يرانى مصاباً إذا أصابتنى مصيبة . ولا يخبر بمثل ذلك عاقل ، إذْ لايُتَوهَّم خلافه . اهـ

فالمصاب المذكور عنده اسم مفعول ، لامصدر .

وقد خفىَ هذا على ابنِ هشام فقال (فى المغنى) بعد نقل كلامه : وعلى ماقدَّمناهُ من تقدير الصفة لايتَّجه الاعتراض .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : الصفة التى أشار إليها إنَّما قدَّرها على جعل المصاب مصدراً لا اسمَ مفعول ، وكلامُ ابن الحاجب فيما إذا كان المصاب اسمَ مفعول لامصدراً ، ولذلك جعله مفعولا ثانياً ليرى ، والمفعول الأول هو الياء ، ولولا ذلك لما صحَّ بحسب الظاهر . والاعتراض الذى أشار إليه ابن الحاجب غير متَّجه مع الإعراض عن تقدير الصفة ، وذلك لأنَّ مبناه على أن يكون مصاباً اسم مفعول نكرة ، والواقع فى البيت ليس نكرةً ، بل هو معرَّف بأل ، والحصر مستفاد من التركيب كقولك : زيد هو الفاضل لاغيره . وكذا المعنى فى البيت ، أى لو أُصبت رآنى المصابَ ، بمعنى أنه لايرى المصاب إلا إيایَ دون غيرى ، كأنه لعظم مكانه عنده وشدَّة صداقته له ، تتلاشى عنده مصائبُ غير صديقِه ، فلا يرى غيره مصابا ، ولايرى المصاب إلا إياه ؛ مبالغة . فالمعنى صحيح متجه كما رأيت ، بدون تقدير صفة . اهـ

وقوله (لو أصبتُ) جملة معترضة بين مفعولىْ يرى ، وجواب لو محذوف يدلُّ عليه ماقبله . ويرانى بمعنى يعلمنى ، وفاعله ضمير صديق ، والجملة خبر كائن . و(بالأباطح) كان فى الأصل صفة لصديق ، فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . و(من صديق) تمييز لكائن ، وتمييزها مجرورٌ بمن فى الغالب . و(كائنْ) هنا خبرية لإفادة التكثير ككم الخبرية . ورواه الأخفش (فى المعاياة) :

* وكم لى فى الأباطح من صديقٍ (١) *

وأورده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿وكائن من نبىٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كثيرٌ (٢) ﴾. قال : وكائن على وزن فاعل ، وأكثر ماجاء الشعرُ على هذه اللغة . ثم أنشد هذا البيت مع أبيات أُخر .

و(الأباطح) : جمع أبطح ، وهو مسِيلٌ واسعٌ للماء فيه دُقاق الحصَى .

وهذا البيت من قصيدةٍ لجرير بن الخَطَفَى ، مدح بها الحجَّاج بن صاحب الذ يوسف الثقفىّ . وبعده :

(ومَسْرورٍ بأوبتنا إليه وآخرَ لايحبُّ لنا إيابا)

ومنها :

(إذا سَعَرَ الخَليفة نارَ حربٍ
رأى الحجَّاجَ أثقبَها شهابا)

(١) الكلام التالى لهذا الشطر إلى « بأوبتنا إليه » فى س ١٤ ساقط من ط . وإثباته من ش.
(٢) الآية ١٤٦ من آل عمران . وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو .

ومطلع القصيدة :

٤٥٧ (سئمت من المواصَلة العتايا

وأمسَى الشَّيبُ قد ورِثَ الشَّبابا)

ومعنى وراثة الشيب الشبابَ حلوله محله ، فإنّ الوارث يحلُّ محَلَّ الموروث .

وترجمة جرير قد تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الأربعمائة (٢) :

٤٠٥ (هو البينُ حتَّى ماتأنَّى الحزائقُ)

تمامه :

(وياقلبُ حتى أنت ممنْ أفارقُ)

على أنه قد يخبر عن ضمير الأمر المستبهِم تقدبراً بالمُفرد ، كما أُخبر بالبين هنا عن هو ، كأنه قيل : أىُّ شيء وقع من المصائب ؟ فقال :هو البين.

وقوله : (حتى ماتأُنَّى) مبنىٌّ على مايفهَم من استعظام أمر البين المستفاد من الضمير ، أى ارتقى أَمر البين فى الصُّعوبة حتى لاتتأنَّى جماعاتُ الإبل أيضاً .

وفى هذا ردٌّ على الواحدى فى زعمه أَنّ هذا الضمير من قبيل مافسِّر بجملة . وهذه عبارته : هو كنايةٌ عن البين ، يسمُّون ماكان من مثل هذا الإضمارَ على شريطة التفسير ، كقوله تعالى : ﴿ قل هُوَ اللّٰه أحد ﴾ .

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) ديوان المتنبى ١ : ٤٥١ بشرح العكبرى .

وقوله تعالى : ﴿ فإنَّها لاتَعْمَى الأبصار (١) ﴾ ، وقولِ الشاعر :

* هى النَّفسُ ماحملتها تتحمَّلُ *

ومثله كثير . اهـ

وقال المبارك بن المستوفى (فى النظام) : قال أَبو القاسم عبد الواحد بن علىّ : يقول : الحقُّ والشأن هو الفراق لا الاجتماع ، كأنه نظر فيه إلى قوله تعالى : ﴿ الذى خَلَق الموتَ والحياةَ (٢) ﴾ ، فقدّم الموتَ لأنَّ الانتهاء إليه ، والأمور بخواتمها . وهذا تفسيرٌ بعيدٌ من معنى البيت ، وتقدير ضمير الشأن بما قدَّره به يغاير ماقدَّره النحويون . اهـ .

و(تأنَّى) أُصله تتأنَّى بتاءين ، مضارع من التأنِّى ، وهو التلبُّث . و(الحزائق) : جمع حَزِيق بالحاء المهملة والزاى المعجمة ، قال صاحب القاموس :الحزيق والحزيقة والحَزَاقة:الجماعة ، والجمع الحزائق . والظاهر أنه بمعنى الجماعة مطلقاً لابمعنى جماعة الإبل ، كما صرح به الشارح . ويدلُّ لما قلنا كلامُ شُرَّاحه . قال ابن جنى : تأنَّى : تَمَكَّث . والحزائق : جمع حَزِيق ، وهو الجماعة . وقال أبو اليُمْن الكِندىّ : أى هذا الذى تشتكيه هو البين ، حتى لامُكثَ للجماعات فى التفرُّق ، بل لها إسراعٌ وعجلة . ثم التفتَ إلى خطاب قلبهِ ، أى أنت أيضاً مع عُلْقتك فىَّ الموجبةِ لقُربك أنت مفارِق .

و(حتى) فى الموضعين ابتدائية . وأشار إليه ابن جنى بقوله : معناه يفارقنى كلُّ أحدٍ حتى أنت مفارق ، كما قال الفرزدق :

---

(١) سورة الحج ٤٦ .

(٢) الآية الثانية من سورة الملك .

* فياعجبا حتى كليبٌ تَسبُّنى [١] *

أى يسبُّنى كل أحدٍ حتى كليبٌ تسبُّنى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : حتى الابتدائية حرفٌ يبتدأ بعده الجمل ، أى يُستأنف . فيدخل على الجملة الاسمية والفعلية ، قال الفرزدق :

* فياعجبا حتى كليبٌ تسبُّنى *

ولابدَّ من تقدير محذوف قبل حتى من هذا البيت يكون مابعد حَتَّى غايةً له ، أى فواعجَبًا يسبُنُّى الناس حتى كليب تَسبّنى . اهـ

قال الواحدى : ومعنى البيت : هو البين الذى فرَّق كلّ شيء ، حتى لايتمهَّل ولا يتأنَّى الجماعاتُ أن يتفرّقوا إذا جرى حكم البين فيهم . ثم خاطب قلبه : وأنت أيضاً على مالَكَ من علائق القُرْب ممن أفارقه . يعنى : الأحبَّة ، إذا فارقونى ذهب القلب معهم ، ففارقنى وفارقته . اهـ

صاحب الشاهد وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ لأبى الطيِّب المتنبِّى ، مدح بها الحسين بن

٤٥٨ إسحاق التَّنوخى .

وترجمة المتنبى تقدّمت فى الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد المفصل [٣] :

---

(١) من شواهد سيبويه ١ : ٤١٣ والخزانة ٤ : ١٤١ بولاق . وصدره فى ديوانه ٥١٨ :

* فياعجبا حتى كليب تسبنى *

(٢) الخزانة ٢ : ٣٤٧ — ٣٦٣ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١١٧ . وانظر الخصائص ٢ : ١٧٠ وشرح شواهد المغنى ١٤٤ وديوان الهذليين ٢ : ١٥٨ .

٤٠٦ (على أنَّها تعفُو الكلومُ وإنَّما
نُوكَّلُ بالأدنى وإنْ جَلَّ مايمضى (١))

على أنّ الضمير فى (أنَّها) ضمير القصَّة .

فى التسهيل وشرحِه لابن عقيل : وإفرادُه لازم ، لأنّ مفسِّره مضمونُ الجملة . وهو مفرد . وكذا تذكيره . والمنقول عن البصريين جواز التأنيث لإرادة القصة ، وعن الكوفيين المنعُ مالم يَلِهِ مؤنث ، نحو : إنها جاريتاك ذاهبتان ، وإنها نساؤك ذاهبات ، أو مذكر شبِّه به مؤنث ، نحو : إنَّها قمرٌ جاريتك ، أو فعلٌ بعلامة تأنيث ، كقوله تعالى : ﴿ فإنَّها لاتَعمَى الأبصار ﴾ فيرجَّح تأنيثه باعتبار القصَّة على تذكيره باعتبار الشان . فيجوز فى هذه المسائل الثلاث : التذكير والتأنيث ، لكن الراجح التأنيث ؛ لأنَّ فيه مشاكلةً تحسِّن اللفظ ولا يختلف المعنى بذلك ، إذ القصة والشأن بمعنًى واحد . اهـ

و(تعفو) هنا فعل لازم بمعنى تَدرُس وتبرأ . و(الكلوم) فاعله ، جمع كَلْم ، وهو الجُرح والحَزّة ، والجملة خبر ضمير الشأن . ولم يحتج إلى رابط لأنَّها نفس المبتدأ فى المعنى . اهـ

صاحب الشاهد والبيت من أبيات لأبى خراش الهذلى ، أوردَها السكَّرى (فى أشعار الهذليين) ؛ وكذلك المبرد (فى الكامل) ، وأبو تمام فى أول باب المراثى (من الحماسة) . وكذلك الأصبهانى أوردها (فى الأغانى) ، والقالى (فى أماليه) ، وهى :

(١) ط : «توكل» ش : «يوكل» . والأخيرة رواية أجازها البغدادى فى تفسيره التالى . والرواية الغالبة بالنون كما أثبت من الديوان والأغانى ٢١ : ٤٣ والقالى ١ : ٢٧١ والكامل ٣٣٧ . وهو الذى لا يتعارض مع نص البغدادى .

أبيات الشاهد

(حَمِدتُ إلهى بَعدَ عُرْوَةَ إذْ نجا
خِراشٌ ، وبعضُ الشَّرِّ أهوَنُ من بعضِ
فواللهِ ماأنسى قَتيــلاً رُزئتــهُ
بجانب قَوسَى مامشَيتُ على الأرضِ
على أنَّها تعفو الكلومُ وإنَّما
نُوَكَّل بالأَدنى وإنْ جلَّ مايمضى[١]
ولم أدرِ مَن ألقَى عليه رداءَه
على أنَّهُ قد سُلَّ عن ماجدٍ مَحضِ
ولم يكُ مثلوجَ الفؤادِ مهبَّجا
أضاع الشبابَ فى الرَّبيلة والخَفْضِ [٢]
ولكنَّــه قد نازعتــه مَجــاوعٌ
عَلَى أنَّه ذو مِرَّة صادقُ النَّهضِ)

عُروة : أخو أبى خراش ، وخراشٌ : ابنه . وأخطأ بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) ، وتبعه شارح أبيات الموشح ، فى زعمه أنَّ عروة ابنُ الشاعر .

وخِراش بالراء لابالدال .

أبو خراش الهذلى

وأبو خراش اسمه خُويلد بن مُرَّة ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والسبعين [٣] . وكان لأبى خراش تسعة إخوة ، منهم عُروة بن مُرّة ، وزهير بن مُرَّة

---

(١) انظر الحاشية السابقة .
(٢) ط : « مهيجا » بالياء ، صوابه بالباء الموحدة كما فى ش وسائر المراجع .
(٣) الخزانة ١ : ٤٤٣ .

قال المبرد (فى الكامل) : جاور عروةُ بن مرة أخو أبى خراش الهذلى ثُمالَة من الأزد [1] فجلس يوماً بفناء بيته آمناً لايخاف شيئاً ، فاستدبره رجل منهم بسهمٍ فقصم صلبُه ، ففى ذلك يقول أبو خِراش :

لعنَ الإله وجوهَ قومٍ رُضَّع
غدروا بعروةَ من بنى بَلَّالِ

وأَسرت ثمالةُ خراشَ بنَ أبى خراش ، فكان فيهم مقيما ، فدعا آسرُهُ رجلاً منهم للمنادمة ، فرأى ابن أبى خراش مُوثقا فى القِدّ [2] فأمهَلَ حتى قام الآسر لحاجةٍ ، فقال المدعوّ لابن أبى خِراش : من أنت ؟ قال : أنا ابن أبى خراش . فقال : كيف دِلِّيلاك ؟ قال : قطاة . قال : فقمْ فاجلسْ ورائى . وألقى عليه رداءه ، ورجع صاحبهُ فلما رأى ذلك أصلتَ له السيفَ ، فقال : أسيرى ! فنثر المجير كنانته وقال : والله لأرمينَّك إنْ رُمْتَه ؛ فإنى قد أجرته !
٤٥٩ فَخَلَّى عنه ، فجاء إلى أبيه فقال له : من أجارك ؟ فقال : والله ماأعرفُه . فقال أبو خراش :

* حَمِدت إلهى بعد عروة إذ نَجَا * الأبيات

وتزعم الرُّواةُ أنها لاتعرف رجلا مَدح من لايعرف غير أبى خراش . وقوله : «وجوه قوم رُضّع» هو جماعة راضع ، وقوم يقولون : هو توكيد للَّئيم

---

(١) ط : «بن الأزد» ، صوابه فى ش والكامل ٣٣٧ . وهو ثمالة بن أسلم بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، كما فى جمهرة ابن حزم ٣٧٧ .

(٢) القد ، بالكسر : سُيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ فتشد بها الأقتاب والمحامل ونحوها . ط : «القيد» صوابه فى ش والكامل .

كما يقولون : جائع نائع [١]. وقوم يقولون : الراضع : الذى يرتضع من الضَّرع لئلا يسمع الضيفُ والجار الحلَبَ منه [٢] . وقوله : كيف دِلِّيلاك ، فهو كثرة الدلالة . والفِعِّيلَى إنما تستعمل فى الكثرة . اهـ

وقال صاحب الأغانى : خرج زهير بن مُرّة ، أخو أبى خراش ، معتمراً حتَّى ورد ذات الأُقَيْر من نَعْمان [٣] ، فبينا هو يسقى إبلًا له إذ ورد عليه قومٌ من ثمالة . فقتلوه ، فغزاهم أبو خِراشٍ وقتل منهم أهل دارَين ، أى حِلَّتين ، من ثمالة. ثمَّ إنَّ عروةَ وخِراشاً خرجا مُغيرَين على بطنينِ من ثمالة ، يقال لهما : بنُو رِزام وبنو بَلَّال — بتشديد اللام الأولى — فظَفِرَ بهما الثماليون ، فأمّا بنو رزام فنَهَوْا عن قَتلهما ، وأبَت بنو بلَّال عن قتلهما ، حتى كاد يكون بينهم شرٌّ ، فألقى رجلٌ منهم ثوبه عَلَى خراش حين شُغِل القوم بقتل عُروة ثم قال : انجُ . وانحرف القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل وكانوا سلَّموه إليه [٤] فقالوا : أيْنَ خراش ؟ فقال : أفلت منِّى فذهب . فسعى القومُ فى أثره فأعجزهم ، فقال أبو خراش فى ذلك يَرْثِى أخاه عُروة ويذكر خلاص ابنه خراش :

حمدتُ إلهى بعد عُروة إذ نجا .... الأبيات اهـ

وذكر التِّبريزى (فى شرح الحماسة) بعد نقل هذين القولين عن المبرد أيضاً ، أنَّ مُلقِىَ الرِّداءِ كان مجتازاً بعروة ، فرآه بادىَ العورة مصروعاً ،

---

(١) بعده فى الكامل : «وحسن بسن ، وعطشان نطشان ، وأجمع أكتع » .

(٢) الكامل : «لئلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه » .

(٣) فى النسختين : «ذات الأقبر» بالباء ، صوابه بالياء مع هيئة التصغير ، كما فى معجم البلدان « الأقير » .

(٤) فى الأغانى ٢١ : ٤٣ : « وكانوا أسلموه اليه » .

ففعل به ذلك . قال التبريزى : قد رُوى فيما حُكى عن الأصمعى وأبى عبيدة أنهما قالا : لانعرف من مَدح من لايعرفه غير أبى خراش .

وقد سلك من شعراء الإسلام مَسلكَه أبو نواس ، فى أبياتٍ أوّلُها :

ودارِ ندَامَى عطَّلوها وأدلجوا ... بها أثَرٌ منهم جديدٌ ودارسُ

مَساحبُ من جَرِّ الزِّقاق على الثرى ... وأضغاثُ رَيحانٍ جَنىٌّ ويابسُ

ولم أدرِ من هم غيرَ ماشهدتْ لهم ... بشرقىٌّ ساباط الديارُ البسابسُ

وقوله : « حمدتُ إلهى بعد عروة » إلخ قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة):إذْ بدلٌ من بعدَ عروة ، والمعنى : أشكر الله بعد مااتَّفق من قتل عروة على تخلُّص خِراش ، وبعض الشرّ أخفُّ من البعض ، كأنّه تصوَّر قتلهما جميعاً لو اتفق ، فرأى قتلَ أحدِهما أهون .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) وأخذه التبريزى (فى شرحها) : فإن قيل : ليس فى الشرّ هين ، وأفعل هذا يستعمل فى مشتركين فى صفة (١) زاد أحدُهما على الآخر ، فكيف يجوز هذا ولا هيِّنَ فى الشرّ ؟ وجوابه أنّ هذا كلامٌ محمول على معناه دون لفظه ، وذلك أنه إن كان هناك حالٌ تهوِّن الشرَّ مِن صبرٍ عليه أو احتساب ، أو طلب ذكر أو ثواب ، فإنه أيضاً مراتبُ ، وليس بجارٍ على سَنَنٍ واحد .

وقال التبريزى :قلت (٢): إنَّ للشرِّ مراتب ، فإذا جئت إلى آحادها

---

(١) ط : « وأفعل هذا فى مشتركين يستعمل فى صفة » ، صوابه فى ش كما هو فى شرح الحماسة للتبريزى ٢ : ٢٨٢ . وفى إعراب الحماسة الورقة ١١٠ : « إنما يقال هذا أفعل من هذا فى الصفة يشترك فيها الموصوفان ثم يزيد فيها أحدهما على صاحبه » . والنص هنا بعده مطابق لنص ابن جنى فى إعراب الحماسة .

(٢) فى النسختين : «قال» ، والوجه ماأثبت من شرح التبريزى .

وقد تصوَّرتَ جملها ورُتَبَ الآحادِ فيها ، وجدتَ كلَّ نوع منها بمضامَّته للغير له حالٌ فى الخفة والثقل . وإذا كان كذلك فلا يمنع أن يوصَف منه شىء بأنه أهونُ من غيره .

٤٦٠ وقوله : « فوالله ماأنسى » إلخ رواه القارى [1] : « فوالله لاأنسى ».

وقَوسَى بالقاف والقصر ، قال المبرد (فى الكامل) : هو بلدٌ تحلُّه ثمالة بالسَّراة : وقال القالى (فى المقصور والممدود) وتبعه أبو عبيدة (فى معجم ماستعجم) : هو موضعٌ ببلاد هُذيلٍ ، وفيه قتل عروة . وأنشد هذا البيتَ .

وهذا خلاف الصواب .

وأخطأ أبو عبيدة فى قوله : عروة أخو أبى كبير . وقال أبو عبيد أيضا (فى شرح أَمالى القالى) : إن قَوْسى رواه أبو على القالى بفتح القاف ، وغيره يأبى إلاَّ ضمَّها . وقال (فى معجم ماستعجم): بفتح أوله وضمه معا .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : إن قَوْسى بفتح القاف وسكون الواو وسين مهملة ثم ألف مقصورة ، تكتب ياء : بلد بالسَّراة ، وبه قتل عروة أخو أبى خراش الهذلى .

ورزئته بالبناء للمفعول ، أى أُصبت به . قال المرزوقىُّ وتبعه التبريزى : تعلق الباءُ من قوله بجانب بقتيلاً ، كأنه قال : ماأنسى قتيلا على الأرض بجانب قوسى رزئته ، ورزئته وبجانب جميعاً صفة للقتيل ، وقد دخله بعض الاختصاص بذكرهما . اهـ . فأراد بالتعلُّق التعلُّقَ المعنوىّ ، وهو كونه صفة كما صرَّح به فى آخر الكلام .

---

(١) انظر ماسبق فى حواشى الجزء الأول من الخزانة ص ٢٧٥ . وللقارى هذا شرح على ديوان الهذليين .

وقد غفل عنه الدماميني (في الحاشية الهندية) فقال : قال المرزوقي في الباء من قوله بجانب : يتعلّق بقتيلا . الظاهر أنه لايعني قتيلا المذكور ؛ لأنَّ وصفَه مانعٌ من إعماله ، وإنَّما يعني قتيلاً محذوفا . أى رُزئتُه حالة كونه قتيلاً بجانب قوسى . هذا كلامه .

وقوله : « مامشَيْتُ على الأرض » قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) ، وأخذه التبريزى : مامع الفعل فى تقدير مصدر ، وحُذف اسم الزمان معه ، كأنه قال : مدَّة مشْيِى على الأرض ، وإن أمش على الأرض . وفى الكلام نيَّةُ الشرط والجزاء ، كأنه : قال لاأُنسى قتيلا رزئته إن مشيت على الأرض . ومعناه إن بقيتُ حياًّ . فلذلك وقع الماضى فيه فى موضع المستقبل ، لأنَّ مامشيت على الأرض فى موضع ماأمشى على الأرض .

وقوله : (على أنها تَعفو الكلوم) إلخ قال التبريزى : هذا يجرى مجرى الاعتذار منه ، والاستدراك على نفسه فيما أُطلقه من قوله : لاأنسى قتيلا رزئته . والضمير للقصَّة ، وخبر إنَّ الجملة بعدها . ولو قال على أنه لجاز ، وكان الضمير للشأن . ويعنى بالكَلْم الحَزَّة عند ابتداء الفجيعة . اهـ

و(تعفو) : تنمحى وتذهب وتبرأ ، من عفا المنزلُ يعفو عَفْوا وعُفُوًّا وعَفَاءً بالفتح والمد ، بمعنى درس وانمحى . ويأتى متعدِّيا ، يقال عفَته الريح بمعنى مَحَتْه . وليس بمرادٍ هنا .

وقوله : (نوَكَّل [١]) بالبناء للمفعول ،يروى بالنون وبالمثناة التحتية ، من وكَّلته بأمر كذا توكيلا ، إذا فوَّضتَهُ إليه ، أى أَلزمتَهُ به إلزاما . والأدنى : الأقرب ، أى الرزىّ الأقرب . قال القارى [٢] : يقول : إنما نحزن على الأقرب

(١) انظر ماسبق فى حواشى ٤٠٥ .

(٢) ش : «القالى» مع أثر تغيير . وانظر الحاشية السابقة فى ٤١٠ .

فالأقرب ، ومَن مضى نَسِيناه ولو عظم مامضى . ومثله :

حادثٌ مامُنِى يَعُولك والـ ـأقدمُ تنساهُ وإنْ هُوَ جَلّ (١)

انتهى .

قال أبو عُبيد البكرى (٢) (فى شرح أَمالى القالى) : قال الأصمعى :
هذا بيت حكمة (٣).

وقد ألمَّ بهذا البيت أَبو بكر بن دريد من قصيدة أَوردها القالى فى ذيل أماليه :

بلى ، غير أنَّ القلبَ ينكؤه الأَسى الـ ـمُلِمُّ وإنْ جلَّ الجوى المتقدِّمُ (٤)

٤٦١ وضدُّ هذا قول هشام فى أخويه : أَوفى ، وغيلانَ ذى الرمة :

تَعزَّيتُ عن أوفَى بغَيلانَ بَعدَهُ عَزاءً وَجفنُ العينِ ملآنُ مُتْرَعُ
ولم يُنْسِنِى أوفى المصيباتُ بعده ولكنَّ نَكْءَ القَرْح بالقَرْح أوجَعُ (٥)

قال التبريزى : موضع (٦)(على أنها) نصبٌ على الحال ، والعامل فيه مأنسى .وهذا كما تقول:ماأترك حَقَّ فلان على ظَلْعٍ لى ، كأنَّ التقدير :

---

(١) ش : « حادث مايثنى بعولك » . ومنى ، أى قُدِّر . يعولك : يغلبك ويثقل عليك ويهمك .

(٢) سمط اللآلىء ٦٠١ .

(٣) فى النسختين : «أبو بكر» فقط ، والتصحيح للشنقيطى فى المخطوطة .

(٤) فى النسختين : «ينكره الأسى» ، صوابه من ذيل أمالى القالى ٣ : ١٢ .

(٥) ط : « ولكن نكاء » ش : «ولكن نكا أ» ، كلاهما محرف .

(٦) ط : « قال التبريزى فى موضع » .

أؤديه ظالعا . فعلى هذا يجيء : ماأَنسى قتيلا رُزئته على عفاء الكلوم ، أى أذكره عافياً جُرحى كسائر الجراح [(١)].اهـ

قال ابن الحاجب (فى أماليه على أبيات المفصل) : إنَّ «على» هذه تقع فى شعر العرب وكلامِهم كثيراً ، والمعنى فيها استدراك وإضرابٌ عن الأول . ألَا ترى أنك إذا قلت لايدخل فلانٌ الجنة لسوء صنيعِهِ ، على أَنه لاييأس من رحمة الله ، كان استدراكاً لما تقدَّم وإضراباً عن تحقيقه . وكذلك قوله فى البيت الذى قبله :

* فوالله ماأنسى قتيلا رُزِئته * البيت

ثم قال : على أنها تعفو الكلوم . لأَنَّ المعنَى : على أنّ العادة نسيان المصائب إذا تطاولت ، والحزنُ [(٢)] عَلَى ماكان من المصاب قريبَ العَهْد . وهذا إضرابٌ واستدراك لما تقدَّم من قوله:أنسى . وكذلك قوله ، وهو أيضاً فى الحماسة :

وقد زعموا أَنَّ المحبّ إذا دنا
يُمَلّ وأنَّ النأىَ يشفى من الوجدِ [(٣)]
بكلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ مابنا
عَلَى أنَّ قربَ الدار خيرٌ من البعدِ
عَلَى أنَّ قربَ الدارِ ليس بنافع
إذا كان مَن تهواهُ ليس بذى ودِّ

(١) الذى فى التبريزى : « عافيا كلمى كسائر الكِلَام » . والكلم : الجرح .
(٢) ط : «والجزاء» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٣) من الحماسيه ٥٠٣ بشرح المرزوق ص ١٢٩٩. وهى لابن الدُّمَينة .

فقوله : «بكلٍّ تداوينا فلم يشف مابنا» ثم قال « على أنَّ قرب الدار خير من البعد » كالإضراب عن الأَوّل ، لأَن المعنَى : فلم يحصل لنا شفاءٌ أصلا ، وإذا كان قربُ الدار خيراً فى المعنَى المراد ، ففيه شفاءٌ أو بعض شفاء أصلا . وكذلك قوله : « على أنَّ قرب الدار خير من البعد » ، فاستدركَ أنَّه لايكون خيراً إلا مع الودّ ، فأبطل العمومَ المتقدِّمَ فى قوله قرب الدار خير من البعد . هذا معناها ، وأما تعلُّقها على الوجه الإعرابىِّ فيحتمل أمرين : أحدهما أن تتعلق بالفعل المتقدم قبلها كما تعلقت حاشا الاستثنائية بما قبلها لكونها أوصلت معنى ماقبلها إلى مابعدها على وجه الإضراب والإخراج . وأظهرُ منه أن يقال إنها فى موضع خبر محذوف (١) ، كأنه قيل : والتحقيق على أنّ الأَمر كذا . فتعلُّقُها بمحذوف كما يتعلق كل خبرٍ جارّ ومجرور ، لأَنّ الجملة الأُولَى وقعت عن غير تحقيق ، ثم جىء بما هو التحقيق فيها . وحذف المبتدأ لوضوح المعنَى . اهـ

وقد لَخَّص ابن هشام (فى المغنى) هذا الكلام فى على . والعجب من ابن هشام فإنه ذكر (فى شرح شواهده) ماقاله التبريزى من كون على أنها تعفو حال وعامله لاأنسى ، وغفل عن كلام المُغْنِى هذا .

والذى رواه أبو بكر القارى (فى أشعار الهذليين) ، والمبرد (فى الكامل) ، وأبو علىّ القالى(فى أماليه)، وابن جنِّى (فى المحتسب): «بلى(٤)إنها تعفو الكلوم وإنما».

---

(١) كذا فى النسختين ، أى خبر مبتدأ محذوف .

(٢) ط : «لتعلقها» ، صوابه فى ش .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عاصم الحلوانى القارىء ، تلميذ المبرد والسكرى . وتوفى سنة ٣٣٣ كما فى تاريخ بغداد ٥ : ٧٦ . وانظر فهرست ابن النديم ١١٩ وإنباه الرواة ١ : ٩٨ ومعجم الأدباء ٤ : ١٨٧ .

(٤) ط : « على » ، صوابه ماأثبت من ش ، وهو الثابت فيما ذكر من المراجع .

قال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : هذا رجوعٌ من قوله الأوَّل إلى ماهو أصَحُّ .

وقال ابن جنى عند توجيه قراءة الأعرج وغيره : ﴿ ياحسَرَهْ عَلَى العِباد [١] ﴾ من سورة يس ، ساكنة الهاء : قالوا فى تفسيرِ قوله تعالى : ﴿ لايؤاخذْكم الله باللَّغْوِ فى أيمانِكُم [٢] ﴾ : هو كقولك : لا واللّهْ ، وبَلَى واللّه ، فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبُّت فيه والإشباع له ، ٤٦٢
والمماطلة عليه [٣] من قول الهذلى : .

* فوالله لاأنسىَ قتيلاً رُزِئته * البيت

أفلا ترى إلى تَطَعُّمِكَ [٤] هذه اللفظةَ فى النطق هنا بها ، وتمطِّيك لإشباع معنى القسم عليها . وكذلك أيضاً قد ترى إلى إطالة الصوت بقوله من بعده:

بلى إنَّها تعفو الكلوم .... البيت .

أفلا تراه لمَّا أكذبَ نفسه وتداركَ ماكان أفرط فيه لفظُه ، أطال الإقامة على قوله بلى ، رجوعاً إلى الحق عنده ، وانتكاثاً عما كان عقد عليه يمينَه . فأين قوله هنا فوالله ، وقوله بلى ، منهما فى قوله : لا واللّه وبَلَى واللّه . وعليه قوله تعالى : ﴿ ولكن يؤاخِذُكُمْ بما عَقَّدتم الأيمانَ [٥] ﴾ ، أى وكَّدْتموها وحقَّقتموها . انتهى كلامه .

---

(١) الآية ٣٠ من سور يس . وانظر المحتسب ٢ : ٢٠٨ .
(٢) البقرة ٢٢٥ والمائدة ٨٩ .
(٣) عليه ، ساقطة من ش .
(٤) تطعم الكلام : تذوُّقه . ش « تنطعك » وماأثبت من ط يطابق ما فى المحتسب .
(٥) المائدة ٨٩ .

وقوله : «ولم أدرِ مَن ألقى عليه رداءَه» إلخ ، قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : مَنْ هنا استفهام ، وخبرها ألقى . ويجوز أن تكون موصولة فتكون منصوبة الموضع بأدرِى على حدِّ قولك : مادَرَيت به ، ثم تحذف حرف الجر (١) . ولايحسن أن تكون نكرة وألقى صفةً لها ؛ لأنه يصير المعنى لم أدر إنساناً ألقى عليه رداءه (٢) ، وهذا ربّما أوهم أنه لم يلقِ أحدٌ منهم رداءه . والأمرُ بضدّ ذلك . اهـ

وقوله : «على أنّه قد سُلَّ» قال التبريزى : موضع على نصبٌ على الحال كأنّه قال : لا أدريه مسلولاً عن ماجد محض . وروى فى الحماسة : « سِوى أنّه » وهو استثناءٌ منقطع ، والمعنى لاأعرف اسمه ونسبه ، لكنّه ولدُ كريم بما ظهَرَ من فعله .

قال القارى : لما صُرِع خِرَاش ألقى عليه رجلٌ ثيابَه فواراه ، وشُغِلوا بقتل عروة فنجا خِراشٌ . والرجلُ الذى ألقى عليه ثوبه من أزد شَنوءة ، فقال : لاأدرى مَن ألقى عليه ثيابه ولكنه سلَّ عن ماجدٍ مَحْض ، يعنى الرداء . والماجد المحض ، أى خالص النسب ، هو الذى ألقى عليه ثوبه . اهـ

فالمسلول على هذا هو الرِّداء لا الولد كما قال التبريزى .

وقال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : فى هذا البيت ثلاثة أقوال : قال قوم : إنَّ عروة لما قتِل ألقى عليه رداءهُ رجلٌ من القوم فكفّنه به . وقال آخرون : بل الذى أَلقَى عليه الرجلُ هو خِراش (٣) . وذلك

---

(١) بعده فى إعراب الحماسة ١١١ : « فيقضى الفعل إليه فينصبه » .

(٢) ط فقط : «رداء» ، بدون هاء .

(٣) فى اللآلى ٦٠١ : «بل الذى ألقى عليه الرجل رداءه هو خراش » .

أنَّ رجلا من ثُمالة ألقى عليه رداءه ليَخْفَى عليهم ، وقد شُغل القوم بقتل عروة فقال : اهرُبْ . وعطف القوم عليه فلم يروه . وقيل : بل ألقى رجلٌ عَلَى خراش رداءَه إجارةً له ؛ وكذلك كانوا يفعلون .

وهذا مثلُ قول بعضهم [1] يذكر رجلا منَّ عليه :

ولمَّا رأيت أنّـه مُتَعَبَّـط
دعوتُ بنى بدر وألحفْته بُردِى [2]

انتهى .

وقد تقدَّم هذا الأخير عن المبرد .

وقوله: «ولم يكُ مثلوجَ الفؤاد» إلخ قال القارى : أى لم يكن مثلوجَ الفؤاد ضعيفَه ، أى بارد الفؤاد . والمثلوج :البارد . يقال للرجل إذا لم يكن ذا رأى وحزم : ماأبردَفؤاده وما أخلاهُ ! من ذاك . وقال التبريزى : كأنّه أصاب فؤاده ثلج فبردت حرارته . والمهبَّج ، بفتح الموحدة المشددة بعدها جيم ، قال القارى : هو المثقَّل الكثير اللحم المنتفخ الوجه . وقال التبريزى : هو المرهَّل اللحم المتغير اللون . والرَّبيلة ، بفتح الراء المهملة بعدها موحدةٌ ، قال القارى : يقال إنها النَّعمة والخِصب . وإنه لربِلُ اللَّحم ، إذا كان رطب اللحم . وليس عندى كما قالوا ، لِبيتٍ سمعتُه ، وهو :

---

(١) هو البريق الهذلى ، كما فى اللآلىء . وانظر شرح أشعار الهذليين للسكرى ٧٥٤ .

(٢) المتعبط : المقتول على غير علة . وفى النسختين : «متغيط» صوابه فى اللآلى وشرح أشعار الهذليين . ورواية عجزه فى أشعار الهذليين :

★ دعوت بنى زيد وألحقته جردى ★

وقال : بنو زيد من هذيل . وقال أيضا : والجَرْدُ : الثوب الخلق .

رَبَلنا عَلَى الأعدا لنبتغىَ البَوَا
ولا مَنْ وَتَرْنا يُستَقادُ وتيرُ (١)

فالرَّبيلة : الكثْرة والشدَّة . يقال رَبِل بنو فلان إذا كثُروا . والوتير : الموتور . والبَواء : أن يُقتَل الرجلُ بالرَّجل . اهـ

وقال التبريزى : الرَّبيلة : الرُّطوبة والسِّمَن . يقال رجل رَبِلٌ . ومعنى الشعر أنه رجع إلى صفة عروة فقال : كان ذكىَّ الفؤاد شَهماً ، لم يكن ممن ضيَّعَ شبابه فى صَلاح البدن . وهذا أولى ، لشيئين : أحدهما قوله ولم يك ، لأنَّه يدلُّ ظاهرُه عَلَى أنَّه نعت فائتٍ . والآخر وصفه بأوصاف لايُوصف بها من لايعرف . ولايُعدَل عن هذا الوجه ، وإن كان قد ذكر أنَّه (٢) من صفات الذى أَنجى خِراشا . اهـ

والخَفْض : الدعة والراحة .

وقوله : « ولكِنَّه قد نازعَتْه » إلخ قال التبريزى : ويروى « ولكنَّه قد لوَّحته مَخامصٌ » . ولوَّحته : غيَّرته . والمخامص : جمع مَخْمَصَة ،وهى خلاء البطن من الطعام جُوعا . والمجاوع مِثل المَخَامص ، وإنما أثَّرت فيه المجاوِعُ ، لأنَّه إذا سافر آثَرَ صحبَه عَلَى نفسه بزادِه ويَجُوع (٣) . وقوله :«صادق النَّهْض » ، يعنى النهوض للمكارم والعُلا ، لايكذِب فيها إذا نَهَض لها .

---

(١) البوا : مقصور البواء كسحاب ، وهو التساوى والتكافؤ فى الأموال والأقدار والدماء . وفى ش : « على الأعداء نبتغى البوا » . ولا يستقيم به الوزن .

(٢) فى النسختين : «بأنه» ، صوابه من التبريزى . وفى التبريزى : «من صفة» بالإفراد .

(٣) فى التبريزى : « بزاده فيشبعهم ويجوع » .

هذا ماأورده صاحبُ الحماسة وغيره ، وزاد أَبو بكر القارى ، والمبرِّد (فى الكامل) بعد هذا بيتين ، وهما :

(كأنهمُ يَشَّبَّثونَ بطائرٍ
خفيفِ المشُاشِ عظمُه غيرُ ذى نَحْضِ)

قال القارى : يقول : هؤلاء الذى يَعْدون خلْفَ خراش كأنهم يتعلّقون بطائر خفيف المشاش ، أَى ليس بكثير اللحم . يقال لكل ماستُخفَّ وخفَّ : إنّه لخفيف المشاش ، بضم الميم . والطائر : العقاب . ثم قال : « عظمه غير ذى نحض » أى هو خفيف ليس بمثقل . والنحض : اللحم . اهـ . وهو بفتح النون وسكون الحاء المهملة . ويَشَّبَّثونَ أصله يَتَشَبَّثون . وروى المبرد : « كأنهم يَسعَون فى إثرِ طائرٍ » . وهذا البيت يؤيد مااختاره التبريزى من أَنّ الكلام فى وصف خراش

(يُبادر جُنحَ اللَّيلِ فهو مُهابذٌ
يحُثُّ الجناحَ بالتبسُّط والقَبضِ)

قال القارى : فهو مُهابذ ، يعنى الطائر . والمهابذ : السَّريع ، فهو جادٌّ ناج . وأَصله من مَرَّ يُهْذِب إهذاباً ، ولكنه قَلَب . والقبض : أَنَّ يَقبض جناحَيه . وقال لى الأصمعى : سمعتُ ابن أبى طرفة ينشد:« مُهابذ » وإنما أراد مُهاذب ، فقلبَه فقال : مُهابذ . يقال : مرَّ يُهذِب إهذاباً ، إذا عدا عدْواً شديداً . وقد سمعت غيره يقول : مُهابذ أَى جادّ . اهـ

قال المبرد : وقوله : فهو مهابذ ، يقول : مجتهد . وهذيلٌ فيها سعىٌ شديد وفى جماعةٍ من القبائل [1] التى تحُلّ بأكناف الحجاز .

* * *

(١) فى النسختين : « فيها سعى شديد فى جماعة القبائل » . وإكمال النص من الكامل ٣٣٨ .

وأنشد بعده :

(إنَّ من يدخُلِ الكنيسةَ يوماً
يلقَ فيها جآذراً وظباءَ)

على أنَّ اسم إنّ ضمير شأن محذوف ، والجملة بعدها خبرها . وإنما لم يُجعل مَنْ اسمها لأنها شرطية ، بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر فى جملته ، فلا يعمل فيه ماقبله .

وقد تقدَّم الكلامُ على هذا البيت فى الشاهد الثامن والسبعين (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

٤٠٧ (إنّ من لَامَ فى بنى بنتِ حَسَّا
نَ أَلُمْهُ وأَعصِهِ فى الخطوبِ)

على أن اسم إنّ ضمير شأن محذوف .

٤٦٤ قال سيبويه فى باب مايكون فيه الأسماء التى يجازى بها بمنزلة الذى ، وذلك قولك : إنّ من يأتينى آتيه ، وكان من يأتينى آتيه ، وليس من يأتينى آتيه . وإنما أذهبْتَ الجزاء هنا لأنك أعملت كان وإنّ ، ولم يسُغْ لك أن تدَعَ كان وإشباهَه معلَّقة لاتُعملها فى شىءٍ ، فلما أعملتهنَّ ذهب الجزاءُ ولم يكن من مواضعه.ألا ترى أنك لو جئت بإنْ ومتى،تريد إنّ إنْ وإنّ متى

---

(١) الخزانة ١ : ٤٥٧ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٣٩ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٩٥ والإنصاف ١٨٠ وابن يعيش ٣ : ١١٥ وشرح شواهد المغنى ٣١٢ وديوان الأعشى ٢١٩.

كان محالا . وإن شغلت هذه الحروف بشيء جازيت فمن ذلك قوله : إنّه من يأتنا نأته ، وقال جل وعز : ﴿إنه مَنْ يأتِ ربهّ مُجْرِماً فإنّ له جَهَنَّمَ [1]﴾ ، وكنتُ من يأْتِنِى آتِه . وتقول : كان مَن يأتنا نُعطه ، وليس من يأتنا نعطه، إذا أضمرت الاسمَ فى كان أو فى ليس ، لأنّه حينئذٍ بمنزلة لست وكنت . فإن لم تضمر فالكلامُ على ماوصفنا . وقد جاء فى الشِّعر : إن من يأتنى آتِه . قال الأعشى :

إنَّ مَن لامَ فى بنى بنت حَسَّا نَ ... البيت

فزعم الخليل أنه إنما جازى حيث أضمر الهاء ، فأراد : إنه . ولو لم يرد الهاء كان محالاً . اهـ

فعلم أنّ حذف اسم إنَّ فى هذا مخصوصٌ بالضرورة .

وكذلك قال الأعلم : الشاهد فى جعل مَن للجزاء مع إضمار منصوب إنّ ضرورة .

وقال النّحاس : يقدره سيبويه على حذف الهاء ، وهو قبيح . وفيما كتبته عن أبى إسحاق : لم يجز إنَّ من يأتنى آتِه من جهتين ، لأنَّ مَن إذا كانت شرطا وَاستفهاماً لم يعمل فيها ماقبلها ، ولأنّ تقديرها تقدير إنْ فى المجازاة ، فكما لايجوز إنّ إنْ تأتنا نكرمك ، كذا لايجوز هذا . فإذا جاء فى الشعر فعلَى إضمار الهاء . وقال أبو العباس (فى الشرح[2]) : وأجاز الزيادى : إنّ مَن يأتنا نأته ، على غير ضمير فى إنّ . وهذا لايجوز ، لامتناع الجزاء مِن أن يعملَ فيه ماقبله . اهـ .

---

(١) الآية ٧٤ من طه .

(٢) شرح أبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، وهو الرد على سيبويه .

و(لامَ) فاعله ضمير مَن الشرطية ، والجملة فى محل جزم لأنّه شرط ، و(ألمه) مجزوم ، والأصل ألومه فحذفت الواو للساكن ، وهو جزاء الشرط ، والهاءُ ضمير من . و(أعصه) معطوف على ألمه ، وأصله أعصيه ، فحذفت الياءُ لما ذكرنا فى ألمه . و(الخطوب) : جمع خَطب ، وهو الأمر والشأن .

صاحب الشاهد

والبيت فى ديوان الأعشى كذا :

من يلمنى على بنى بنت حَسّا ن ....إلخ

وعليه لاشاهد فيه .

وهو من قصيدة له مَدح بها قيساً أبا الأشعث بن قَيسٍ الكِندىّ .

أبيات الشاهد

وأوّلها :

(مِن ديارٍ هضبٌ كهضب القَليبِ (١)
فاض ماءُ الشؤونِ فَيضَ الغُروبِ
أخلفَتْنى بها قُتيلةُ مِيعا
دِى وكانت للوعد غيرَ كذوبِ (٢))

إلى أن قال :

(مَن يَلُمنى على بنى بنتِ حساّ
نَ أُلُمْه وأَعْصه فى الخطوبِ
إنّ قيساً قَيسَ الفَعال أبا الأشـ
ـعث أمسَتْ أعداؤُه لِشَعُوبِ

(١) كذا . وفى الديوان ٢١٨ : « من ديار بالهضب هضب القليب » .

(٢) فى النسختين : « وكان » ، صوابه من الديوان .

ذاكُم الماجدُ الجواد أبو الأشـ
ـعث أهلُ النَّدى وأهلُ السُّيوبِ

كلَّ عام يُمدُّنى بجَمُومٍ
عندَ تركِ العِنان أو بنجِيبِ

تلك خيلى منه وتلك ركابى
هُنَّ صُفرٌ أولادُها كالزَّبيبِ)

قوله : «من ديار» إلخ من تعليلة . والهضْب الأُول : المطر ، يقال هَضبتهم السماءُ ، أى مطرتهم . وهضب القليب : ماء لبنى قنفد [1] من بنى سُليم . كذا قال البكرى (فى معجم ماستعجم) . وهو فى الأصل جمع هَضْبة ، وهو الجبل المنبسط على وجه الأرض . والقليب : البئر ، لأنه قُلب ترابها . والشؤون : جمع شأن ، وهو مجرى الدَّمع فى العين . والغروب : جمع ٤٦٥
غَرْبٌ بفتح المعجمة وسكون المهملة : الدلو العظيمة .

وقُتيلة بالتصغير : اسم امرأة . وقوله: بنى بنت حسان ، وحَسّان أحد تبابعة اليمن .

وقوله : «إنَّ قيسا» إلخ هو قيْس بن مَعديكرب الكندىّ ، مات فى الجاهليَّة . وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد المائتين [2] ، وكان يكنىَ بابنه الأشعث .

---

(١) قنفد ، بالدال المهملة كما فى معجم ماستعجم طبعة وستنفلد ٥٤٧ . وفى طبعة السقا : «قنفذ» بالذال المعجمة ، وكلاهما صحيح . وفى اللسان : «القنفد : لغة فى القنفذ حكاها كراع عن قطرب» .

(٢) الخزانة ٣ : ٢٣٩ .

قيس

والأشعث اسمه معديكرب ، كان أبداً أشعث الرَّأس ، فسُمِّى : الأشعث . وهو من الصَّحابة ، وفد على النبى ﷺ سنة عشر وأسلم ، وكان شريفا مُطاعَاً جواداً شجاعا . وهو أوَّل من مشَت الرجالُ فى خدمته وهو راكبٌ . وكان من أصحاب علىّ ، رضىَ الله عنه ، فى وقعة صفين ، وقد قاتل قتالاً شديداً حتى هجم على أصحاب معاوية ودفَعهم عن ماء الفرات وأخذه منهم ، بعد أن مُنع منه أصحابُ علىّ رضىَ الله عنه بليلة . وصلَّى عليه الحسن بن علىّ رضىَ الله عنهما وله من العمر ثلاث وستون سنة .

والفَعَال بفتح الفاء : الكرم والجود . وشَعُوب ، بالفتح : علم للمنيَّة .

والسُّيوب : جمع سيب ، بفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهو العطاء .

يُمدُّنى من الإمدادِ . والجموم ، بفتح الجيم : الفرس الكثير الجرى . وقوله : « عند ترك العِنان » أى عند تركك تحريكه فى الجرى يعطيك ماعنده من الجرى عفواً . والنجيب : الجمل الكريم .

وقوله : «تلك خيلى منه» ،أى من قيس . والركاب : الإبل ، لا واحد له من لفظه ، وإنما يعبَّر عن واحده بالراحلة . وصُفْر : جمع أصفر بمعنى أسود . وقد استشهد به البيضاوىُّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿صفراءُ فاقعٌ لونها (١)﴾ من سورة البقرة . قال : عن الحسن البصرى : صفراء : سوداء شديدة السَّواد ، وبه فسِّر قوله تعالى : ﴿جِمالاتٌ صُفْر (٢)﴾ . وقال الأعشى :

تلك خيلى منه وتلك ركابى .... البيت

---

(١) الآية ٦٩ من البقرة .

(٢) الآية ٣٣ من المرسلات . وهى قراءة الجمهور . وقرأ حمزة والكسائى وحفص وأبو عمرو : « جِمالة » بالإفراد . تفسير أبى حيّان ٨ : ٤٠٧ .

ولعله عبَّر بالصُّفرة عن السَّواد ، لأنها من مقدّماته ، أو لأنَّ سواد الإبل يعلوه صفرة . وفيه نظر ، لأنَّ الصُّفْرة بهذا المعنى لاتؤكَّد بالفقوع . انتهى .

وهذا اعتراضٌ على تفسير الصُّفرة فى الآية بالسواد . وأما البيت فسكت عنه .

واعترضه صاحب الكشف (١) من وجهين : الأوَّل أنّ الزبيب الغالبَ عند العرب الطائفىُّ ، وهو إلى الصُّفرة أقربُ منه إلى الحمرة . والثانى جواز أن يراد : هُنَّ صُفر وأولادها سود . وأجيب عن الأول بأن تشبيه الشىء بالزبيب صار علماً فى الوصف بالسواد فى لسان الفصحاء ، وكون بعض أفراده أصفرَ وأحمر لايقدح فى ذلك . وعن الثانى بأنَّ الظاهر من العبارة كون أولادها فاعلا لصفر ، أو كون هُنّ صفر جملةً وأولادها كالزبيب أُخرى ، فبعيدٌ لايتبادر إلى الفهم السليم .

وترجمة الأعشى قد تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصّل (٣) :

---

(١) فى النسختين : «صاحب الكشاف» ، والوجه ماأثبت ، وليس من المعقول أن يعترض الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ على البيضاوى المتوفى سنة ٦٩١ . كما أن هذا الكلام لم يرد فى تفسير الزمخشرى إنْ فرض أنه اعتراض على القول لاعلى القائل . أما صاحب الكشف هذا فهو عمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ٧١ ، ٧٣ . وانظر المنصف ٣ : ١٢٨ والإنصاف ٢٠٥ والمقرب ٢٠ وشرح شواهد المغنى ٣٩ والعينى ٢ : ٣١١ والهمع ١ : ١٤٣ والأشمونى ١ : ٢٩٠ .

٤٠٨ (فلَو أنْكِ فى يوم الرَّخاءِ سَأَلتِنِى)

تمامه :

(طلاقَكِ لم أبخَلْ وأنتِ صديقُ)

٤٦٦ على أنّ إعمال أنْ المخففة فى الضمير البارز شاذٌّ.وفيه شذوذٌ آخر ، وهو كون الضمير غيرَ ضمير الشأن ، لأنهم قالوا : إنّ أنَّ إذا خفِّفت وجب أن يكون اسمها ضميراً غائبا وأن يكون ضمير شأن . قال سيبويه فى الباب السابق ، بعد قول الأعشى :

فى فتيةٍ كسُيوف الهِنْدِ قد علموا
أنْ هالكٌ كلُّ مَنْ يحفى وينتعلُ

يريد معنى الهاء [(١)] ، ولايخفَّف أنَّ إلاّ عليه ، كما قال : قد علمت أن لايقول ، أى أنَّه لايقول ، وقال تعالى : ﴿ أفلا يَرَوْنَ أَلاَّ يرجعُ إليهم قولا [(٢)] ﴾ وليس هذا بقويٍّ فى الكلام كقوة أن لايقولُ ، لأنّ لا عوض من ذهاب العلامة . ألا ترى أنهم لايكادون يتكلَّمون بغير الهاء فيقولون : قد علمت أنْ عبد الله منطلق . انتهى .

وقال الفراء (فى تفسيره [(٣)]) من سورة الحِجْر ، عند الكلام على حَذف نون الوقاية : وقد خفّفت العرب النون من أنَّ الناصبة ثم أنفذوا لها عملها ، وهى أشدُّ من ذا . قال الشاعر :

---

(١) فى سيبويه ١ : ٤٤٠ بولاق : « فهذا يريد معنى الهاء » .

(٢) الآية ٨٩ من سورة طه .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٩٠ .

فلو أنْكِ فى يومِ الرَّخاءِ سألِتِنى
فِراقَكِ لم أبخَلْ وأنتِ صديقُ
فما رُدَّ تزويجٌ عليه شهادةٌ
ولا رُدّ من بعَدِ الحَرَارِ عتيقُ

وقال الآخر (١):

وقد علم الضَّيفُ والمرمِلون
إذا اغبرَّ أُفقٌ وهَبَّت شَمالا
بأنْكَ ربيعٌ وغيثٌ مَريعٌ
وقدماً هناك تكون الثِّمالا

انتهى .

وظاهره أنها تعمل مطلقاً كالمثقَّلة . ونقل ابن المستوفى عنه (فى شرح أبيات للفصل) : لم يسمع من العرب تخفيف أنَّ وإعمالها إلاّ مع المكنىّ ، لأنَّه لايتبيَّنُ فيه الإعراب ، فأمَّا مع الظاهر فلا . ولكن إذا خفَّفوها رفعوا . انتهى .

ومنه تعلم أنَّ نقل ابن هشام (فى المغنى) عن الكوفيِّين أنهم زعموا أنها إذا خففت لاتعمل شيئاً غير صحيح . وتحريره أنَّ اسمها إذا كان ظاهراً لاتعمل شيئاً .

والبيت خطابٌ لزوجته فى طلبها الطلاق ، ويريد بيوم الرخاء قبل إحكام عَقد النكاح ، بِدليل البيت الثانى .

---

(١) هو جنوب أخت عمرو ذى الكلب ، كما سيأتى فى الشاهد ٨٦٩ .

وبه يسقط قول الدماميني (في الحاشية الهندية على المغني) : إنّ الشاعر خاطبَ امرأته واصفاً نفسَه بالجود . وقوله : «في يوم الرخاء» من التَّتميم . وكذا قوله : «وأنت صديق» ؛ لوقوع كلٍّ منهما في كلام لايفيد خلاف المقصود مفيداً لنُكتةٍ ، وهي المبالغة في الاتِّصاف بالجود . ويحتمل أن يكون مراده وصف نفسه بمحبَّته هذه المرأة ، وأنّه قد يؤثر مايختاره هو ، حرصاً على رضاها وحصولِ مرادها . انتهى .

وتبعه العيني فقال : إنّه يصف نفسَه بالجود حتى لو سأله الحبيب الفراقَ مع حبِّه لأجابه إلى ذلك وإن كان في الدَّعة والرَّاحة، كراهةَ ردِّ السائل. وإنما خصَّ يوم الرخاء لأن الإنسان ربما يفارق الأحباب في يوم الشِّدَّة. هذا كلامه.

ونقل السيوطي (في شرح شواهد المغني) كلام العيني .

وزعم بعضُهم أنَّ الخطاب لمذكر ، ورَوى: «فراقَكَ» بدل «طلاقَكِ» . وهذا كله ناشئٌ من عدم الاطلاع على البيت الثاني . ويوم الرخاء متعلق بسألتني ، وطلاقك مفعوله الثاني ، والجملة خبر أن المخففة ، ولم أبخل جواب لو ، وجملة أنت صديقٌ حال من ضمير أبخل .

٤٦٧ فإن قلت : كان الواجب أن يقول وأنت صديقة ؟ قلت : قال الشارح المحقق (في شرح الشافية) عند الكلام على جمع الصفة جمعَ تكسير : وقد جاء شيء من فعيل بمعنى فاعل مستوياً فيه المذكر والمؤنث ، حملا على فعيل بمعنى مفعول نحو : جَديد وسَديس ، وريح خَريق ، ورحمة الله قريب . ويلزم ذلك في سديس وخريق . انتهى .

وقال صاحب العباب : قد يقال للواحد والجمع والمؤنّث ، قال الله تعالى : ﴿ أو صديقِكُمْ (١) ﴾ أي أصدقائكم . وقال :

---

(١) الآية ٦١ من سورة النور .

نَصبنَ الهوى ثمَّ ارتمين قُلوبَنَا
بأعيُنِ أعداءٍ وهنَّ صديقُ (١)

وأنشد الليث (٢):

إذِ الناسُ ناسٌ والزَّمان بعزَّة
وإذْ أُمُّ عمَّارٍ صديقٌ مساعِفُ (٣)

انتهى . والحَرَار بفتح الحاء المهملة : مصدر حَرّ يَحَرّ ، من باب تعب ، أى صار حُراًّ .

والبيتان أنشدهما الفرَّاءُ ولم يعزهما لأحَد .

(١) لجرير فى ديوانه ٣٩٨ واللسان(صدق ٦٣) ورواية الديوان : « دعون الهوى » .

(٢) ط : « وأنشد البيت » ، صوابه فى ش .

(٣) لأوس بن حجر فى ديوانه ٧٤ . وانظر اللسان والتاج (سعف) ونوادر المخطوطات ١ : ١٥٩ . وفى النسختين : « إذا الناس » . صوابه من المراجع السابقة . والمعروف فى الرواية : «بغرة» ، كما فى اللسان والنوادر .

اسم الاشارة

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصَّل (١):

٤٠٩ (ذُمَّ المنازلَ بعد مَنزلةِ اللِّوى
والعيشَ بعد أولئكَ الأيَّامِ)

على أن (أولاءِ) يشار به إلى جمع ، عاقلا كان أو غيره كما فى البيت ؛ فإنّ أولاء أشير به إلى الأيام ، وهو جمعٌ لغير مَن يعقل . وكذا قوله تعالى : ﴿إنّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئكَ كانَ عنهُ مسئُولا (٢)﴾.

وأورده صاحبُ الكشاف عند هذه الآية أيضا .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ويروى : (الأقوام) بدل (الأيام) فلا شاهد فيه . وزعم ابن عطية أنَّ هذه الرواية هى الصواب ، وأنّ الطبرىّ غَلِطَ إذ أنشده:«الأيام» ، وأنَّ الزجاج تبعه فى هذا الغلط . انتهى .

قلت : رواه محمد بن حبيب (فى النقائض (٣)) ، ومحمد بن المبارك (فى منتهى الطلب من أشعار العرب) : «الأقوامِ» كما قال ابن عطية .

---

(١) ابن يعيش ٣ : ١٢٦ ، ١٣٣ / ٤ : ٣٦ ، ٣٧ / ٩ : ١٢٧ ، ١٥٩ . وانظر المقتضب ١ : ١٨٥ وشرح شواهد الشافية ١٦٧ والعينى ١ : ٤٠٨ والتصريح ١ : ١٢٨ والأشمونى ١ : ١٣٩ ، وديوان جرير ٥٥١ .

(٢) الآية ٣٦ من الاسراء .

(٣) النقائض ٢٦٩ .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدةٍ لجرير بن الخطَفى ، هجا بها الفرزدق ، وعِدّتها ستة وعشرون بيتاً . ومطلعها :

(سَرتِ الهمومُ فبِتنَ غيرَ نيامِ
وأخو الهموم يرومُ كلَّ مَرامِ
ذمَّ المنازل بعد منزلة اللوى ... البيت)

وقال بعد بيتين :

أبيات الشاهد

(فإذا وقفتُ على المنازل باللوَى
فاضت دموعى غيْرَ ذاتِ نظامِ
طَرقتكَ صائدةُ القلوب وليس ذا
حِينَ الزيارةِ فارجِعى بسلامِ
تُجرِى السِّواكَ على أغرَّ كأنّه
بَرَدٌ تحدَّرَ من متون غمامِ
لولا مراقبةُ العيون أرينـنا
مُقَل المَها وسوَالفَ الآرامِ)

ثم بعد أن تغزَّل بأبياتٍ شرعَ فى هجو الفرزدق فقال :

(إنَّ ابن آكلةِ النُّخالة قد جَنَى
حَرباً عليه ثقيلةَ الأجرام
خُلِق الفرزَدقُ سَوءةً فى مالك
ولِخَلْفِ ضَبَّة كان شرَّ غلامِ (١)

---

(١) فى النسختين : «حلق الفرزدق» ، صوابه من الديوان . وفى ط : « سورة فى مالك والخلف » ، صوابه من ش والديوان .

مهلاً فرزدقُ إنَّ قومَك فيهِمُ
خَوَرُ القلوبِ وخِفَّة الأحلامِ
الظَّاعنون عَلَى العَمَى بجميعهمْ ٤٦٨
والنَّازِلونَ بشرٍّ دارِ مُقامِ
لو غيرُكمْ عَلِقَ الزُّبيرُ بحبْلهِ
أدَّى الجوارَ إلى بنى العوَّامِ
كان العِنانُ على أبيك محرَّما
والكِيرُ كان عليه غَيْرَ حرامِ)

وبعده بيتان هما آخر القصيدة (١)

وقوله : (ذُمَّ المنازِلَ) إلخ قال ابن هشام : الأرجح فيه كسر الميم الذى هو واجبٌ إذا فك الإدغام على لغة الحجاز ، ودونه الفتح للتخفيف ، وهو لغة بنى أسد ، والضمُّ ضعيف ووجهه إرادة الاتباع . والمنازل : جمع مَنزل أو منزلة ؛ فهو كالمساجد والمحامد (٢) . وهذا أولى ، لقوله : (مَنزلة اللوى) . و(بَعدَ) إمّا حالٌ من المنازل ، أو ظرف . و(العيش) عطف على المنازل . و(الأيام) صفةٌ لاسم الإشارة أو عطف بيان .

وقوله : «طرقتْك صائدة» إلخ هذا التفاتٌ من التكلم إلى الخطاب . والطروق : الإتيانُ ليلا . قال ابن هشام : قد عِيب عليه طردُ خيال محبوبته . وأجيب بأنه طرَقَه فى حال السفر ، فأشفق عليه من الخطر .

وقوله : «تُجرى السِّواكَ على أغرَّ» ، أى على ثغر أغرّ .

(١) الحق أن بعد هذا البيت سبعة أبيات لابيتين . الديوان ٥٥٣ .

(٢) اذ أن المساجد جمع مسجد ، والمحامد جمع محمدة .

وقوله : «لولا مراقبة العيونُ» أى الرقباء ، جمع عين وهو الجاسوس .

وقوله : «إن ابنَ آكلةِ النُّخالةِ» يعنى البَعيث . وأَراد بآكلة النُّخالة الخنزيرة (١) . والبَعيث شاعرٌ من بنى مجاشع . والجرم بكسر الجيم : الجسَد ، يقال رماه بأجرامه ، أى بجسده .

والخلف بسكون اللام : الردىءُ من الناس وغيرهم ، وبِفتحها : الجيِّد من الناس ومِن كلِّ شىء .

وقوله : «الظَّاعنون» إلخ معناه أنَّهم يركبون مالا ينالون غايته ، وينزلون شرَّ البقاع لنذالتهم ، لايمكَّنون من موضع جيِّد .

وقوله : «لو غيرُكم عَلِقَ الزبير» إلخ الحبل هنا : الذمة . والجوار : المجاروة والذمَّة . وعَلِقَ الشىء بكذا ، من باب تعب ، وتعلّق به ، إذا نشب به واستمسَك . يريد أنَّ قوم الفرزدق غَدَرُوا بالزبير بن العوام فقتلوه . يقول : لو كان فى ذمة غيركم لأدّى ذمته إلى بنى العوّام ولم يَغدر به .

وملخص سبب قتله أن الزبير لما جاء مع عائشة فى وقعة الجمل ، ذكّره علىٌّ رضى الله عنه بقول النبى عليه الصلاة والسلام : « إنك ستحاربه وأنت ظالمٌ له » فاسترجعَ وقال : أذكَرْتَنى شيئاً أنسانيه الدّهر . ثم فارقَ المعركة آخذاً طريق مكة ؛ فنزل على قومٍ من بنى تميم ، فقام إليه عمرو بن جُرموز المجاشعى فأضافه ثم قال له : يأَبَا عبد الله ، حدِّثنى عن خصالٍ أسألك عنها . قال : هاتِ . قال : خَذْلُك عثمان وبيعتك عليًّا ، وإخراجُك أمّ المؤمنين ، وصلاتك خلف ابنك ، ورجوعُك عن هذه الحرب ، فظنّ بى كلّ شىء إلاّ الجبن ! فانصرف وهو يقول : والهفى على ابن صفيَّة ، أضرمَها ناراً ثم أراد أن يَلحق بأهله ، قتَلنِى الله إن لم أَقتُله .

(١) ط : « الخنزير » . صوابه فى ش .

ثم رجع إليه كالمستنصح . قال : يأبا عبد الله ، دون أهلك فيافى ، فخُذْ نجيبى هذا وخلِّ فرسَك ودرعك فإنهما شاهدانِ عليك بما تكره . ولم يزل به حتى ترك عنده فرسه ودرعَه ، وخرج معه إلى وادى السِّباع ، وأراه أنه يريد مُسايرته ومؤانَستَه ، فقتله غِيلة وهو يصلّى ، وأتَى بسيفه إلى أمير المؤمنين وأخبره بقتله ، فبشّره علىٌّ بالنار . ثم خرج ابن جُرموز على عليّ مع أهل النهروان فقتل مع من قُتِل هناك .

وهذا البيت أورده المبرد (فى الكامل) إلاّ أنّه رواه بنصب «غيرَكم» قال :
٤٧٩ نُصِب بفعلٍ مضمر يفسِّره مابعده ، لأنها للفعل [١] . وهو فى التمثيل : لو علق الزُّبير غيركم . انتهى .

وأورده أيضاً أبو بكر بن السّراج (فى الأصول) فى باب أنَّ المفتوحة ، قال : إن الأسماء تقع بعد لو على تقدير الفعل الذى بعدها . فممَّا وَلِيهَا من الأسماء قول الله عز وجل : ﴿ لو أنتم تملِكُون [٢] ﴾ ، وقال جرير :

* لو غيركم علق الزبير بحبله *

البيت . انتهى .

والظاهر أن الرواية عنده بالرّفع ، وهو الصحيح لأنّ علق لايتعدّى إلى مفعول صريح .

وكذلك رواه ابن هشام(فى مغنى اللبيب)عند الكلام عَلَى «لو غيرُكم[٣]»

---

(١) فى الكامل ١٥٨ :« لأنه للفعل » يعنى أن كلمة « لو » أو لفظها إنما هو للفعل لاتدخل إلا عليه .

(٢) الآية ١٠٠ من سورة الاسراء .

(٣) ط : « لو » فقط ، وتكملته من ش .

بالرفع . ويردُ عليه أنّ هذا لايصحُّ ، لأنّ المتعلق بالحبل الزبير لاغيركم . وقد يوجَّه بأنّ التعلق من الطرفين : من الزبير بنزوله عندهم ، ومن الغير بحفظ الذمام . وفيه تعسُّف ، والظاهر أن هذا مما حذف فيه كان الشأنية ، كقوله :

* لو فى طُهَيَّة أحلامٌ لماَ عرضوا (١)*

وجملة «غيركم علق الزبير بحبله» من المبتدأ والخبر ، خبر كان الشَّأْنيَّة المحذوفة . أو يكون غيركم اسم كان المحذوفة الناقصة ، وجملة علق الزبير فى محل نصب على أنَّه خبرها .

وإنما أطنبتُ فى شرح هذا البيت لأنى لم أر أحداً وفَّى حقَّه من الشُّرَّاح ، حتى إنَّ الدمامينى مع جلالته مافَهِم معناه ، قال(فى الحاشية الهندية على المغنى):والذى يظهر أنَّ غرض الشاعر ذمُّ مخاطَبِيهِ بأنهم لاقوَّة لهم يحكمون بها من التجأ إلى جوارهم.يقول:لو تمسَّك الزبير بذمة غيركم لم يلتفت إلى جوار قومه واستمسك بهؤلاء الذين استجار بهم ، لكونهم من الحماية له بحيث يفوقون عُصبة قومه . يعنى:وأما أنتم فلستم بهذه المثابة ، فلا يعتدُّ الزبير باعتصامكم،بل هو مستمسك بجوار قومه لايردُّ عليهم (٢) لافتقاره إليه وضعفكم .

هذا كلامه على البيت بحذافيره ، ولايخفى أنّ هذا لامساس له بالبيت، ومنشؤُهُ عدم الاطلاع على القصيدةِ وغرضِ الشاعر .

وقوله : «كان العِنان على أبيك محرَّما» إلخ أراد عنان الفرس . والكِير : كُور الحدَّاد (٣) . يريد أنهم ليسوا بفُرسان ، وأن أباه قَينٌ،أى حدَّاد .

وقد عارضه الفرزدقُ بقصيدةٍ ، منها هذه الأبيات :

---

(١) تمامه كما فى المغنى ٢٦٨ : * دون الذى أنا أرميه ويرمينى * .

(٢) أى لا يرد عليهم جوارهم ، بل يظل مستمسكا به .

(٣) كذا فى النسختين . وهو سهو من البغدادى ، فإن الكير هو منفاخه . وأما الكور فهو المجمرة المبنية من الطين ونحوه .

قال ابن صانعة الزُّروب لقومِه
لاأستطيع رواسىَ الأعلامِ (١)
قالت تجاوبُه المَراغةُ أُمُّه
قد رُمْتَ ويلَ أبيك غيرَ مَرامِ (٢)
ووجدتَ قومَك فقَّئُوا من لُؤمهم
عَينيك عند مكارمِ الأقوامِ
صَغُرتْ دِلاؤهُمُ فما مَلئُوا بها
حَوضاً ولا شهدوا غداةَ زِحامِ (٣)
أشبَهْتَ أُمَّكَ إذْ تعارضُ دارماً
بأدِقَّةٍ مُتقاعِسينَ لئامِ
وحسبتَ بحرَ بَنى كليب مُصدِراً
فغَرِقتَ حين وقعتَ فى القَمْقامِ (٤)
فى لُجَّة غمرَتْ أباك بحورُها
فى الجاهليَّة كان والإسلامِ
إلى هنا كلام أمِّ جرير له . ومن هنا شرع يفتخر فقال :
إنَّ الأقارعَ والحُتَاتَ وغالباً
وأبا هُنيدةَ دافَعُوا لمَقامِى (٥)

---

(١) ط : «صابغة» صوابه فى ش مع أثر تصحيح والديوان ٨٤٩ والنقائض ٢٦٢ . والزروب واحدها زرب ، وهى حفيرة تحتفر مثل البئر يبنى حولها فتصير كالحظيرة ، تحبس فيها الجداء والعنوق عن أمهاتها .
(٢) فى الديوان والنقائض : «كل مرام» .
(٣) فى الديوان والنقائض : « عراك زحام » .
(٤) مصدرا ، أى يرتوى شاربه فيصدر عنه .
(٥) أبو هنيدة هو صعصعة،وهنيدة هى بنته هند امرأة الزبرقان بن بدر.انظر النقائض والأغانى ٢ : ٥٠/١١ : ٩٦.

بمناكبٍ سَبقت أباكَ صدورُها
ومآثـــرٍ لمتوَّجيـــنَ كرامِ
إنِّى وجدتُ أبى بنَى لىَ بيتَه
فى دَوحة الرؤساءِ والحُكّـامِ
من كلِّ أبيضَ من ذؤابة دارمٍ
ملكٍ إلى نَضَدِ الملوكِ هُمامِ
٤٧٠ مِنّا الذى جمَعَ الملوك وبينهم
حربٌ يُشَبُّ وَقودُها بضِرامِ
خالى الذى ترك النَّجيعَ برمحه
يومَ النقا شَرِقاً على بسطامِ
وأبى ابنُ صَعصعةَ بنِ ليلى غالبٌ
غلبَ الملوكَ ورهْطُه أعمامى

ويأتى إن شاء الله شرحُ جميع هذا عند الكلام على قوله :

* فى لجة غمرت أباك بحورها *

فإنه من شواهد هذا الكتاب فى باب الأفعال الناقصة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الأربعمائة (٢):

٤١٠ (تجلَّدْ لايَقُلْ هَؤْلاءِ هذا
بَكى لمَّا بكى أسفاً وغَيظا)

(١) هو الشاهد ٧٢٩ .

(٢) ابن يعيش ٣ : ١٣٦ .

علَى أنَّ (هَوْلاءِ) بفتح الهاء وسكون الواو مخفف هَؤلاء بحذف ألف ها وقلب همزة أولاءِ واوا .

وقال ابن جنى (فى الخاطريَّات) : الأَصل هؤلاء ، فحذفت الأَلف ، ثمَّ شبَّه هَؤُل بعَضُد فسكَّن ، ثم أبدل الهمزة واواً وإنْ كانت ساكنة بعد فتحة ، تنبيهاً على حركتها الأَصلية . ومثله فى المعتل قول بعضهم فى بئس : بَيْسَ بياء ساكنة بعد الباء . وأسهل من ذلك أنْ يقال : أبدل الهمزة من هؤلاءِ واوا على غير قياس ، ثم استثقلت الضمة على الواو فأسكنت فحذفت الألف لالتقاءِ الساكنين .

وقال الشَّلوبين (فى حاشيته على المفصل) : كثر هؤلاء فى كلامهم حتى خفَّفوه فقالوا :هَوْلاء . قال الشاعر :

تجلَّــدْ لايقــلْ هَوْلاء هذا
بكى لمَّا بكى أسفاً عليكا

فالقافية فى رواية الشلوبين كافيَّة . ولم أدرِ أيُّ الروايتين صحيحة ، لأنِّى لم أقفْ على شيءٍ بأكثر من هذا . والله أعلم .

و(تجلَّدْ) : فعل أمرٍ من الجلادة ، وهو التحفظ من الجزع . ويَقُلْ مجزومٌ بلا الناهية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الأربعمائة (١):

٤١١ (فقلتُ له والرُّمحُ يأطِرُ مَتنَه
تأمَّلْ خُفافاً إنَّنى أنا ذلكا)

---

(١) الكامل ٥٦٩ ، ٥٤٣ والشعراء ٣٠٠ والإنصاف ٧٢٠ .

على أنَّ الإشارة فيه من باب عظمة المشار إليه ، أى أنا ذلك الفارس الذى سمعتَ به . نزَّل بُعْدَ درجتِه ورفعةَ محله منزلةَ بُعْدِ المسافة . وكذا القول فى قوله عز وجل: ﴿ آلم * ذلك الكتابُ ﴾ . وقال المبرد (فى الكامل) نقلا عن ابن عباس ، وتبعه ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قالا : قد يأتى اسمُ الإشارة البعيدُ بمعنى القريب ، كما يكون «ذلك» بمعنى هذا . قال تعالى : (إلم * ذلك الكتابُ) . وقال خُفاف بن ندبَة :

* تأمَّلْ خُفافاً إننى أنا ذلكا *

أى هذا . وأقرَّه أبو الوليد الوَقَّشى (فى شرح الكامل) وقال : وأقرب مُتَأَوَّلًا من ذا وذاك فى قول خفاف وأولى بالتأويل ، أن يريد أى أنا خفاف ، فكنى عنه بقوله أنا ذلك ، كما يقول لك القائل : أنت زيد ؟ فتقول له : أنا ذلك الذى تريد . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيتُ من أبيات لخُفَاف بن نَدْبة الصحابى ، وهى :

أبيات الشاهد

(فإن تَك خيلى قد أصِيبَ عميدُها
فإنى على عَمدٍ تيممَّتُ مالِكا
نَصبتُ له عَلْوَى وقد خامَ صُحْبتى
لأبنىَ مجداً أو لأثأرَ هالِكا
لدُنْ ذرَّ قرنُ الشَّمسِ حتى رأيتهمْ
سِراعاً على خيل تؤُمُّ المسالكا
٤٧١ فلماَّ رأيتُ القومُ لا وُدَّ بينهم
شَريجين شَتَّى منهمُ ومُواشِكا
تيمَّمْتُ كبشَ القوم لماَّ رأيتُه
وجانبت شُبّانَ الرِّجال الصَّعالكا

فجادت له يُمنىَ يدىَّ بطعنةٍ
كسَتْ متنتَيْهِ أسودَ اللونِ حالكا
وقلتُ له والرُّمحُ يأطِرُ متنَهُ
تأمَّلْ خُفافاً إنّنى أنا ذلكا
أنا الفارسُ الحامى حقيقة والدى
به تُدركُ الأوْتارُ قِدماً كذلكا)

قوله : « إن تكُ خيلى » إلخ أراد بالخيل هنا الفُرسان . والعميد : السيِّد الذى يعُمدَ أى يقصد ، أى إنْ قُتِل سيِّد الفرسان . وروى : «صميمُها» والصميم : الشريف والخالص . وأراد بهذا السيد الذى قُتِل ابنَ عمِّه ، وهو معاوية بن عمرو بن الشَّريد ، وهو أخو صخر والخنساءِ الصحابية الشاعرة . وتيمَّمت : قصدت . ومالك ، هو ابن حمار ، وهو سيِّد بنى شَمْخ بن فزارة . وكان من خبره أنَّ خفاف بن ندبة غزا مع معاوية بن عمرو ، مُرَّةَ وفَزارة ، فعمد ابنا حرملة : دريدٌ وهاشم المرِّيّان ، عَمْدَ معاوية [(١)] ،فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه فى عضده ، وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا ، فلمَّا تنادوْا : قُتلَ معاوية ! قال خفاف : قتلنى الله إنْ برِحتُ مكانى حتى أثأرَ به ! فحمل على مالك المذكور فطعنه فقتله . وإنما تيمَّمه لأنه عِدْلُ معاوية .

وقوله:«نصبت له عَلوَى» إلخ ،ويروى : «وقفْتُ له عَلوى» ،وهو بفتح المهملة وسكون اللام وبالقصر :اسم فرس خُفاف ، أورده القالى (فى

(١) ط « المريان لمعاوية » ، وأثبت مافى ش .

المقصور والممدود) . وخام ، بالخاء المعجمة ، بمعنى ارتدَّ . يقال أخام الرجل يَدهُ عن الطعام ، إذا رفع يدَه عنه . والصُّحبة : مصدر صحِبه يصحبه . وأراد به الأصحاب. والمجد:الشرف.وأثأرَ هالكاً ، أى آخذ بثأرِ هالك ،يعنى معاوية.

وقوله : «لدن ذرَّ قرنُ» إلخ ، يقال ذرَّ قرنُ الشمس ذرُوراً ، بالذال المعجمة ، من باب قعد (١) : طلعت . وقرنها : أوّل مايظهر منها . ولدن : ظرف لقوله نصبت له علوى .

وقوله : « شريجين » : مثنَّى شريج : بفتح الشين المعجمة وكسر الراء وآخره جيم ، حالٌ من القَوم ، أى صِنفين . وشَتَّى ومُواشكا : بدلٌ من شريجين . وشَتَّى : جمع شتيت ، كجرحى جمع جريح . ومُواشك : اسم فاعل بمعنى مُسرع . يعنى رأيت القوم قسمين : فريقٌ منهم رجَع وتشتَّت عن معاوية قبل قتله كما يأتى فى خبر مقتله ، وفريقٌ هارب مُسرعٌ بعد قتله .

وقوله : «تيمَّمتُ كبشَ» إلخ هو جواب لمّا . وكبشُ القوم : رئيسُهم وسيِّدهم . وإنما جانَب الشبابَ ولم يَقتُل منهم لأنهم ليسوا بكفءٍ لمعاوية . والصعالك : جمع صُعلوك ، والقياس الصعاليك ، وهم الفُقَراء .

وقوله : «فجادت له» أى لمالك . والمتنة : مثل المتن ، كما جاء به فى البيت بعده . قال ابن فارس : المتنان : مُكْتَنفا الصلب من العصَبِ واللحم . ومتنت الرجل متنا من بابَىْ ضرب وقتل (٢) ، إذا ضربتَ متنه . وأراد بأسود اللون الدمَ . والحالك : الشديد السَّواد .

(١) ط : «فقد» ، صوابه فى ش .

(٢) فى هامش ش بخط الناسخ «صوابه من بابَىْ ضرب ونصر» !

وقوله : (وقلت له) إلخ معطوف على جادت ، والعاطف هو الواو لا الفاء كما فى الشرح . والضمير لمالك ، وجملة (والرُّمحُ يأطِرُ مَتْنَه) حالٌ من الهاء ، وجملة (تأمَّلْ خُفافَا) مقول القول . ويأطِر : يحنو ويثنى [1] . يقال أطره أطراً من باب ضرب ، إذا عَطفه ، ومنه إطار المنخل . ومتنه مفعول يأطر ، أى
٤٧٢ يعطف ظهر مالك . و(تأمَّلْ) فعل أمرٍ خطابٌ لمالك ، من تأمَّلت الشىء ، إذا تدبَّرتَه،وهو إعادتك النظرَ فيه مرَّةً بعد أخرى حتى تعرفه . و(خُفَاف) بضم الخاء المعجمة وفاءين كغراب : اسمُ الشاعر . وإنما قال له ذلك ليعرِّفه أنَّه هو الذى قتله . روى الأخفش (فى شرح ديوان الخنساء) أنَّ خفافا لما قال له ذلك قال مالكٌ :أَنت ابن ندبة يريد أنتَ ابن جاريةٍ سوداء ،يعيِّره بذلك.

وقوله : (إننى أنا ذلك) ،استئنافٌ بيانىٌّ ، كأنَّه قال له : هل أنت مما يتأمَّل إنما أنت ابن ندبة . فقال له : إنِّى أنا ذلك الشجاع الذى سمعتَ به . وأنا إمّا تأكيدٌ للياء كما تقدم وجههُ فى الشرح فى بابه ، وإمّا مبتدأ خبره لك والجملة خبر إننى ، والألف فى ذلك للإطلاق ، وكذلك فى جميع هذه القوافى .

وقوله : «أنا الفارس» إلخ استئنافٌ نحوى ، وهو ابتداءُ كلام لا علاقة له بما قبله معنى ، ابتدأ به للافتخار . وفى نهاية ابن الأثير : فلانٌ حامى الحقيقة إذا حَمَى مايجب عليه حمايتُه . انتهى .

وحقيقة والده هنا : أَخْذُ ثأر ابن أخيه ؛ لأنه يحقُّ على والده أن يأخذ ثأر معاوية . قال عامر بن الطفيل قاتله الله :

لقد علمتْ عُليا هَوازِنَ أنَّنى أنا الفارسُ الحامى حقيقةَ جعفرِ

---

(١) يقال حنى الشىء يحنيه ويحنوه ، لغتان .

وجعفر هذا أبو جدِّهِ ، لأنّه عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب .

وقوله :« به تُدرَك الأوتار » إلخ أى إنما تُدرك الأوتار بالحَمْى الدالّ عليه الحامى ، لابغيره . أو الضمير راجعٌ للحامى ، يقال حميت المكان من الناس حَمْيا من باب رمى ، وحِمْية بالكسر ، إذا منعتَهُ عنهم . والحماية اسم منه . وتدرَك بالبناء للمفعول . والأوتار : جمع وتر بالكسر ، وهو الثأر والذَّحل ، أى الحقد . وقوله : «قِدْماً كذلك» ، أى كذلك تدرك الأوتار قِدماً ، بكسر القاف . قال صاحب الصحاح : يقال قِدْماً كان كذا وكذا ، وهو اسمٌ من القِدَم جعل اسماً من أسماء الزمان .

وروى صاحب الأغانى كذا :

أنا الفارسُ الحامى الحقيقةَ والذى
به أُدرَكَ الأبطالُ قدماً لذلكا (١)

وزاد بعده ، وهو :

وإنْ ينجُ منها هاشمٌ فبطعنةٍ
كسَتهْ نجيعاً من دم الجوف صائكا

قال : حَقَّق خفافٌ أنَّ الذى طعنه معاوية هو هاشم بن حرملة .

وخُفَاف بن نَدْبَة هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشَّريد بن رياح ابن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىءِ القيس بن بُهْثة بن سُليم بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة . خفاف بن ندبة

---

(١) الذى فى الأغانى ١٣ : ١٣٥ : «قدما كذلكا» .

وخفاف بضم الخاء المعجمة ، هو بمعنى الخفيف ، يقال رجلٌ خُفاف وخفيف بمعنىً ، كطُوال وطويل . والخِفّ بالكسر بمعنى الخفيف أيضاً .

وعمير : مصغر عَمْرٍو . والشَّريد اسمه عمرو . ورياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية . ويَقَظة ، هو ضد النوم . وعُصَيَّة : مصغر عصاً . وبُهْثَة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها ثاء مثلثة . وسُلَيم بالتصغير .

وأما نَدْبة فهو اسمُ أمِّه ، كان سباها الحارث بن الشَّريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب ، فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافاً ، وكانت امرأةً سوداء . كذا فى الأغانى .

وقال ابن الكلبىٌّ (فى الأنساب) : نَدْبة هى بنت الشَّيطان بن قَنان بن سلمة بن وَهب بن عبد الله بن ربيعة بن كعب . انتهى .

وقال صاحب العباب : ندبة هذه كانت سوداءَ حبشية ، وهى بفتح
٤٧٣ النون وسكون الدال بعدها باء موحدة ، مأخوذ من قولهم : رجلٌ نَدْبٌ ، أى خفيفٌ فى الحاجة ، وامرأة ندبة . وفرس نَدْب ، أى ماضٍ . ونَدُبَ ندابة مثل شَجُع شجاعة ، أى خفّ فى العمل .

والشَّيطان منقول من الشَّيطان الرجيم ، عليه الخِزى .

وقَنَان ، بفتح القاف بعدها نونان خفيفتان .

وخفاف بن نَدْبة مخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام،وشهد فتح مكة [1]،وكان معه لواءُ بنى سُليم،واللواء الآخر مع العباس بن مِرداس.وشهد حُنينا والطائف، وثبت على إسلامه فى الرِّدّة،وبقَى إلى زمن عمر بن الخطاب

(١) انظر الخزانة ٤ : ١٥ .

وكنيته أبو خُراشَة . وكان فى الجاهلية يُهاجى العبّاس بن مِرداس ، وله يقول العباس :

أبا خُراشة أمَّا كنتَ ذانفر فإنَّ قومىَ لم تأكُلهمُ الضَّبُعُ

وتقدَّم الكلام عليه (١).

وخفاف هو أحد فرسان قيس وشعرائها المذكورين .قال الأصمعى : خفاف ودريد بن الصمة أشعرُ الفرسان ، وهو أُحد أغربة العرب ، أى سُودانهم ؛ لأنَّه كان أسودَ حالكا ؛ وهو القائل :

كلانـا يسوِّده قومُـه على ذلك النّسبِ المُظْلِمِ

يعنى السُّودان .

وأغربه العرب هم: عنترة بن شدَّاد ، وسُلَيك بن السُّلَكة ، وأبو عمرو ابن الحُبَاب ، وخفاف بن ندبة ، وهشام بن عقبة بن أبى مُعَيط .

وأمَّا معاوية المذكور فهو ابن عمِّ خُفاف ، وهو أخو الخنساء الصَّحابية وأخو صخر . وقد قتل معاوية وصخرٌ فى الجاهليَّة . روى هشامٌ عن أبيه قال : كان عُمَير بن الحارث (٢) بن الشّريد يأخذ بيد ابنيه صخر ومُعاوية ، فى الموسم فيقول : أنا أبو خيرَىْ مُضَر ، فمن أنكر ذلك فليغيِّرْ ! فما يغيِّرٍ ذلك عليه أحد .

خبر مقتل معاوية بن عُمَير

وهذا خبر مقتل معاوية :

روى صاحبُ الأغانى عن أبى عبيدة قال:إنَّ معاوية وافى عكاظَ فى

(١) فى الشاهد ٢٤٩ بالجزء الرابع ص ١٣ .

(٢) ط : «عمرو بن الحارث» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر ماسبق فى النسب .

موسم من مواسم العرب ، فبينما هو يمشي بسوق عكاظ إذْ لقى أسماء المرِّيّة ، وكانت جميلة ، وزعم أنها كانت بغيًّا ، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت :أما علمتَ أنى عند سيِّد العرب هاشم بن حرملة ! فأغضبته [١]. فقال:أما والله لأقارِعَنَّه عنك . قالت : شأنَكَ وشأنه . فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما جرى فقال هاشم : لانَرِيمُ أبياتنا حتى ننظر مايكون من جهده.قال:فلما خرج الشهرُ الحرام وتراجع الناسُ من عكاظ خرج معاوية غازياً يريد بنى مُرَّةَ وبنى فزارة ، فى فرسانٍ أصحابه من سُلَيم ، حتى إذا كان بمكان يدعى الحوزة أو الجوزة ـــ والشكُّ من أبى عبيدة ـــ سَنَحَ له ظبىٌ فتطيَّر منه[٢].ورجع فى أصحابه ، فبلغ ذلك هاشمَ بن حَرملة ، فقال : مامنعه من الإقدام إلاّ الجبن.فلما كان فى السنة المقبلة غزاهم حتى إذا كان فى ذلك المكان سنَحَ له ظبى وغراب ، فتطيَّر فرجع ، ومضى أصحابُه ،وتخلَّف فى تسعةَ عشرَ فارساً منهم لايريدون قتالا ، إنما تخلَّف من عُظم الجَيْش راجعاً إلى بلاده ، فوردُوا ماءً وإذا عليه بيتُ شَعَر ، فصاحُوا بأهله فخرجتْ إليهم [٣] امرأة فقالوا:ممن أنتِ ؟ قالت:امرأة من جُهينة،أحْلافٌ لبنى سهم بن مُرة بن غطفان . فوردُوا الماء ،فانسلّت فأتت هاشمَ بن حرملة فأخبرته أنهم غير بعيدٍ، وعرَّفَتْه بِعِدّتهم [٤].وقالت:لاأرى إلاّ معاويةَ فى القوم! فقال : يالكاع،أمُعاوية فى تسعة عشر رجلا ؟! شبَّهتِ وأبطلْت ! قالت : بل قلتُ الحقّ ، وإن شئتَ لأصفنَّهُم ٤٧٤
لك رجلا رجلاً . قال : هاتى .

قالت:رأيت فيهم شاباً عظيم الجُمَّة،جبهتهُ قد خَرجَتْ من تحت مِغفره

---

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٣٤ : « فأحفظته » .

(٢) فى الأغانى : «دومت عليه طير وسنح له ظبى فتطير منهما» .

(٣) ط : «اليه» ، صوابه من الأغانى ومن ش مع أثر تصحيح .

(٤) فى النسختين : «أنهم غير بعيد وبعدتهم» . وتكملته من الأغانى .

صبيحَ الوجه عظيم البطن ، على فرس غرّاء . قال : نعم هذه صفة معاوية وفرسِه السَّمَاء [١] . قالت : ورأيت رجلا شديد الأُدْمَةِ شاعراً ينشدهم . قال :ذلكِ خفاف بن نَدبة.قالت : ورأيت رجلا ليس يبرح وسطهم [٢] إذا نادَوه رفعوا له أصواتهم . قال : ذلكِ عباسٌ الأصمُّ . قالت : ورأيت رجلاً طَويلاً يكنونه أبا حبيب ، ورأيتهم أَشدَّ شيءٍ له توقيراً . قال : ذاكِ نُبَيشَة بن حبيب [٣]. قالت : ورأيت شابّا جميلا له وَفْرةٌ حسنة . قال : ذلكِ العباس بن مرداس . قالت : ورأيت شيخاً له ضفيرتان ، فسمعته يقول لمعاوية : بأبى أنت ، أطَلْتَ الوقوف . قال : ذلكِ عبد العزَّى زوج الخنساء أخت معاوية .

قال :فنادى هاشم فى قومه وخرج ، وزعم أنّ المرىّ لم يخرج إليهم إلاَّ فى عِدّتهم من بنى مرة.قال: فلم يشعر السُّلميُّون حتى طلعوا عليهم فثاروا إليهم فلقُوهم ،فقال لهم خفاف:لا تُنازلوهم رجلا رجلا ، فإنّ خيلَهم تثبُت للطِّراد وتحمِل ثِقَل السلاح،وخَيلكم قد أنهكها الغَزْو ،وأصابها الحفاء.قال:فاقتتلوا ساعة ، فانفرد هاشمٌ ودريد ابنَا حرملة لمعاوية ،فاستطرد له أحدهُما،فشدَّ معاوية عليه وشغله ،واغترَّه الآخر فطعنه فقتله.واختلفوا أيُّهما استطرد له وأيُّهما قتله .وكان بالذى استطردَ له طعنةٌ طعنه إيَّاها معاوية،ويقال هو هاشم

(١) السماء ، من أسماء خيلهم ، كما فى القاموس ، وفى الأغانى والعقد ٥ : ١٦٣ : «الشماء» ، تحريف ، وقد قيدها البغدادى فى آخر الشرح ، بأنها بلفظ السماء خلاف الأرض .

(٢) ليس يبرح وسطهم ، ساقط من ش ثابت فى ط والأغانى .

(٣) الكلام من «رجلا طويل» إلى هنا ساقط من ش . وفى الأصل : «نبيثة» ، صوابه فى الأغانى وجمهرة ابن حزم ٢٦١ والاشتقاق ٣١١ . وقال ابن دريد : «نبيشة : تصغير نبشة ، وكل شيء كشفت عنه التراب فقد نبشته » .

(٤) الكلام بعده إلى «قال» ساقط من ش .

وقال الآخرون : بل دريد أخو هاشم . قال : وشدّ خفاف بن ندبة على مالك بن حِمار [(١)] سيد بنى شمخ بن فزارة ، فقتله . ولما دخل الشهرُ الحرام من السنة المقبلة خرج صخرٌ أخو معاوية حتى أتى بنى مرة فوقف على ابنَىْ حرملة ، فإذا أحدهما به طعنةٌ فى عضده زعم خفاف فى شعره أنه هاشم . فقال صخر :أيُّكما قتل أخى معاوية ؟ فسكتا . ثم قال الصحيحُ للجريح : مالك لاتجيبه ؟ فقال:وقفت له فطعننى هذه الطعنة فى عضُدى وشدّ أخى فقتله ، فأيَّنا قتلت أدركتَ ثأرك ، إلا أنا لم نسلبْ أخاك . قال : فما فعلت فرسُه السَّمَاء ، قال : هاهى ، خذْها . فأخذها فرجع ، فلما كان فى العام المقبل غزاهم صخرٌ وهو على فرسه السَّماء ، فقال : أخاف أن يعرفونى ويعرفوا غُرَّة السَّماء فيتأهَّبوا . فحمَّم غرَّتها . فلما أشرف على الحىِّ رأوها فقالت فتاةٌ : هذه والله السَّماء ! فنظر هاشم فقال : السماء غرَّاءُ وهذه بهيم . فلم يشعرُوا إلاّ والخيلُ عليهم ، فاقتتلوا ، فقتل صخر دريدا وأصاب بنى مُرّة فقال :

ولقـد قتلتكُـمُ ثُنـاءَ ومَوْحَـداً
وتركتُ مُرّةَ مِثلَ أمسِ المدبرِ
ولقد دَفعتُ إلى دريدٍ طعنةً
نَجلاءَ تُزغِل مثل عَطِّ المنحَرِ [(٢)]

تُزغِل : تخرج الدم قِطعاً قطعاً . قال : والزُّغلة : الدُّفعة الواحدة من الدّم والبول .

(١) ط والأغانى : «حماد» ، صوابه بالراء كما فى ش والاشتقاق ٢٨٣ ، ٣٠٩ والحيوان ١ : ٣٨٠ .
(٢) فى ط والعقد ٥ : ١٦٥ : «غط المنخر» ، صوابه من ش واللسان (دبر ، زغل) .

وقال صَخرٌ أيضاً فيمن قُتل من بنى مُرّة :

قتلتُ الخالدَين به وبشراً
وعمراً يوم حَوْزة وابنَ بشرِ

ومِن شَمْخٍ قتلتُ رجالَ صدقٍ
ومن بدرٍ فقد أوفيتُ نذرى

ومُرّة قد صبَحناها المنايا
فروَّينا الأسنّةَ غير فخرِ

ومن أفناءِ ثعلبةَ بنِ سعدٍ ٤٧٥
قتلتُ ، وماأُبيئهم بوِترِ

ولكنَّا نريد هلاكَ قومٍ
فنقتلُهم ونَشرِيهم بكَسْرِ

وقال أبو عبيدة : ثم إنَّ هاشم بن حرملة خرج غازياً ، فلما كان ببلاد جُشم بن بكر بن هوازن نزل منزلاً ، وخلا لحاجته بينَ شجر ، ورأى غفلته قيسُ بن الأمرار الجُشَمىّ ،فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ، لانَجَتْ نفسى إن نجا (١) ! فلما قعد لحاجته تكمَّن له (٢) بين الشجر ، حتى إذا كان خلفه أرسلَ عليهِ مِعْبلةً (٣) فقتله . فقالت الخنساء فى ذلك :

فداءُ الفارسِ الجشمىِّ نفسى
وأُفديهِ بمن لى مِنْ حميمِ

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٤٠ والعقد ٥ : ١٦٦ : «لا وألت نفسى إن وأل » .
(٢) فى الأغانى : « تقتر له » ، وفى العقد : «كمن له عمرو بن قيس» .
(٣) المعبلة ، بكسر الميم : نصل طويل عريض . والجمع معابل .

خصصت بها أخا الأمرار قيساً
فتىً فى بيتِ مكرمُةٍ كريمٍ (١)
أُفدِّيه بكلِّ بنى سُليمٍ
بظاعِنهمْ وبالأنَسِ المقيم (٢)
كما مِنْ هاشم أقررتْ عينى
وكانت لاتنام ولا تُنيم (٣)

انتهى كلام الأغانى .

وروى الأخفش (فى ديوان الخنساء) عن ابن الأعرابى ، أنَّ قيساً كان رجلا راعيا ، فأغار عليه هاشم بن حرملة فأخذهم وقال : أتيتكم بهذا الراعى وغنمه . فاغتفله الراعى فرماه فقتله .

وللخنساء مراثٍ كثيرةٌ فى أخيها معاوية وصخر .

والسَّماء التى هى اسم فرس معاوية،هى بلفظ السَّماءِ خلاف الأرض.

وقد روى ابن عَبدِ ربِّه (فى العقد الفريد) عن أبى عبيدة أيضا خبر مقتل معاوية على غير هذا الوجه الذى نقلناه عن الأغانى ، تركناه لطوله ، ومن أراد الاطلاع عليه فلْينظره فى باب أيام العرب من العقد الفريد (٤) . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٥) :

---

(١) ط : «حضضت» ، صوابه فى ش .

(٢) فى الأغانى : «بجل بنى سليم» .

(٣) فى هذا البيت إقواء .

(٤) العقد فى يوم حوزة الأول ويومها الثانى ٥:١٦٣ — ١٦٦ .

(٥) فى كتابه ٢ : ١٤٥ ، ١٥٠ وانظر المقتضب ٢ : ٣٢٣ والهمع ٢ : ٧٦ وديوان زهير ١٨٢ . وسيعاد الشاهد فى ٤ : ٢٠٤ ، ٤٧٨ بولاق .

٤١٢ (تَعلَّمَنْ هالعَمْرُ اللهِ ذا قسَماً)

هذا صدر ، وعجزه :

(فاقْدُرْ بذرعِكَ وانظرْ أينَ تنسَلكُ)

على أن الفصل بين ها وبين ذا بغير إنَّ وأخواته كالقسم قليل ، كما هنا.

قال سيبويه فى باب ما يكون [ما] (١) قبل المحذوف به عوضاً من اللفظ بالواو : قولك إى ها الله ذا ، يثبت ألفُها (٢) ، لأنَّ الذى بعدها مدغم . ومن العرب من يقول : إى هاالله ذا ، فيحذف الألف التى بعد الهاء ، ولا يكون فى المقسم ههنا إلا الجر ، لأنَّ قولهم ها صار عوضاً من اللفظ بالواو ، فحذفت تخفيفاً على اللسان . وأما قولهم ذا ، فزعم الخليل أنه المحلوف عليه كأنه قال : إى والله للأُمر هذا ، فحذف الأمر لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم ، وقدّم ها كما قدَّم قومٌ : ها هو ذا ، وها أنا ذا . وهذا قول الخليل . وقال زهير :

تَعلَّمَنْ ها لعمرُ الله ذا قسما .... البيت . انتهى

قال النحاس : قال الخليل فى ذا : إنَّه المحلوف عليه ، فكأنه قال : إى والله الأمر هذا ، فحذف الأمر وقدَّم ها كما قدَّم قومٌ : ها هو ذا . وعند غيره أن المعنى : هذا ماأقسم به . وقسماً مصدرٌ فى القولين ، وماقبله يدلُّ على الفعل . انتهى .

وقال الأعلم :الشاهد فيه تقديم ها التى للتنبيه على ذا ،وقد حال بينهما بقوله لعمر الله.والمعنى: لعمر الله هذا ماأقسم به،ونصب قسماً على المصدر

(١) التكملة من ش وسيبويه ٢ : ١٤٥ .

(٢) فى الكتاب : « تثبت ألف ها » .

المؤكِّد لما قبله ، لأنَّ معناه أقسم ، فكأنه قال : أقسم لعمر الله قسماً . ومعنى تَعلَّمنْ اعلم ، ولايستعمل إلاّ فى الأمر.

٤٧٦ وقال أيضاً (فى شرح الأشعار السِّتَّة) قوله : تعلَّمنْ أى اعلم ، وها : تنبيه . وأراد : هذا ما أقسِم به . ففرَق بين ذا وها بقوله لعمرُ الله ، ونصب قسماً على المصدر المؤكَّد به معنى اليمين .

وقال شارح ديوان زهير صَعُودا [١] ، وكان ضعيفاً فى النحو : وقوله تعلَّمَنْها أى اعلمها ، والمعنى تعلَّمنْ هذا ، وصل ها بالنون من تعلمن ، وفرق بين ها وذا ، ونصب قسماً بتعلَّمْ ، يريد : ياهذا كما تقول : اعلمْ زيدُ [٢] ، أنى زائرك ، أى يازيد . قال الأصمعى : وقد رويت : «ذا قسَمٍ» فذا حينئذ نصب على الحال ، وهى ذو التى تتصرَّف ، وتصرُّفها فى الإعراب نحو : ذو مال وذا ثوب وذى قوم . وبعضهم يقول : تَعَلَّمَنْها لعمر الله ذا ، ثم ينصب قسماً على كلامين ، كأنه قال : تعلم قسماً ، فاقصد بذرعك ، أى اعرف قدرك . هذا كلامه ، وكله خلاف الصواب ، وإنما نقلناه للتعجُّب .

وقوله : (فاقدُرْ بذرْعك) إلخ قال الأعلم (فى شرح الأشعار الستة) : أى قدِّر لخطوك . والذَّرع : قَدْر الخطو . وهذا مَثَلٌ ، والمعنى لاتَكلَّفْ ما لا تطيقُ منِّى ؛ يتوعَّده بذلك . كذلك قوله : «وانظُرْ أين تنسلك» . والانسلاك : الدُّخول فى الأمر ، وأَصله من سُلوك الطريق . والمعنى لاتُدخِل نفسك فيما لايَعْنِيكَ ولايجدى عليك . اهـ .

---

(١) صعودا : لقب له ، واسمه محمد بن هبيرة الأسدى ، كان من أعيان الكوفة وعلمائها بالنحو واللغة وفنون الأدب ، قدم بغداد واختص بعبد الله بن المعتز ، كما كان مؤدبا لأولاد محمد بن يزداد وزير المأمون .

(٢) ط : «زيدا» ، صوابه فى ش .

والأحسن أن يكون اقدرْ من قَدَرت قدْراً من بابى ضرب وقتل ، وقدَّرته تقديراً بمعنى . والاسم القَدَر بفتحتين ، ومفعوله محذوف تقديره : فاقدُرْ خطوك بذَرْعك . وذرع الإنسان : طاقته التى يبلغها . وروى : «فاقصِدْ بذرعك» من قَصد فى الأمر قصداً من باب ضرب ، إذا توسَّط وطلبَ الأسدَّ ، ولم يجاوز الحدّ . فالباء بمعنى فى . و(الذَّرْع) بمعنى الطاقة أيضا .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لزهير بن أبى سلمى ، عِدّتها ثلاثة وثلاثون بيتاً . قال الأصمعى : ليس فى الأرض قصيدةٌ على الكاف أجودَ من قصيدة زهير التى مطلعها :

بانَ الخليطُ ولم يأوُوا لمن تَرَكُوا
وزوّدوك اشتياقاً أيَّةً سلكَوا (١)

ومن قصيدة أوس بن حجر التى أوّلها :

زعمتُمُ أنَّ غَولاً والرِّجامَ لنـا
ومَنْعِجاً فاذكروا ، والأمرُ مشترَكُ

وهذه القصيدة هدَّد بها زهيرٌ الحارثَ بن ورقاء ، أخابنى الصَّيداء بن عمرو ابن قُعَين الأسدى ، فإنه كان أغار على طائفةٍ من بنى سُليم بن منصور ، فأصاب سَبْيا ثم انصرفَ راجعاً ، فوجد غلاماً لزهير حبشياً يقال له يسار ، فى إبلٍ لزهير ، وهو آمنٌ فى ناحيةِ أرضهم ، فسأله : لمن أَنت ؟ قال : لزهير بن أبى سُلمى . فاستاقَه وهو لايحرِّم ذلك عليه لحلف أسد وغطفان ، فبلغ ذلك زهيراً فبعث إليه : أنْ ردّ ماأخذتَ . فأبى ، فقال زهيرٌ فى ذلك هذه القصيدة يهدِّده

(١) ط : «استباقا» ، صوابه فى ش والديوان ١٦٤ .

بأنه يهجوه إن لم يُرسل ما أخذه . وهذا أوّلُ الكلام معه بعد التغزُّل :

(هَلّا سألتَ بنى الصَّيداء كلَّهمُ
بأىِّ حبلِ جوارٍ كنتُ أمْتَسِكُ
فلن يقولوا: بحبلٍ واهنٍ خَلَقٍ
لو كان قومُكَ فى أسبابه هلكوا
ياحارِ لا أُرمَيَنْ منكم بداهيةٍ
لم يَلْقَها سُوقةٌ قبلى ولامَلِكُ (١)
أُردُدْ يساراً ولا تَعنُف عليه ولا
تمعَكْ بعرضكَ إنَّ الغادرَ المعِكُ
ولا تكونَنْ كأقوامٍ علمتُهمُ
يَلْوُون ماعندهمْ حتَّى إذا نُهكِوا
٤٧٧ طابت نفوسهمُ عن حق خَصمهمُ
مخافةَ الشرِّ فارتدُّوا لمَاَ تَركوا
تعلمنْ ها لعمرُ الله ذا قسماً ... البيت.
لئن حللتَ بجوّ فى بنى أسد
فى دين عمرو وحالَت بيننا فَدَكُ
ليأتينّك منّى مَنِطقٌ قَذَعٌ
باقٍ كما دنَّسَ القُبطيَّةَ الودكُ)

هذا آخر القصيدة :

قوله :«هلاَّ سأَلتَ بنِى الصَّيداء»الخ بنو الصيداء:قومٌ من بنى أَسد،وهم

(١) ط : «لم يلقها» ، وأثبت مافى ش والديوان ١٨٠ .

رهط الحارث بن وَرْقاء . وأىَّ منصوب بأُمْتسك . والحبل: العَهْد والميثاق . قال صَعوداء:إنما يعنى الحِلف الذى بين مُزينة وغطفان ، وصهرَه فى بنى الغَدِير(١).

والواهن: الضَّعيف . والخَلَق بفتحتين : الذائب .وجملة لو كان قومك إلخ من المقول المنفى . يقول : سلْهم كيف كنت أفعلُ لو استجرتُ بهم فإنى كنت أستوثق ولا أتعلَّق إلا بحبل متين .

وقوله:«لو كان قومك» إلخ أى فى أسباب ذلك الحبل . يقول:هو حبلٌ شديد محكم ،فمن تمسّك به نجا ، وليس بحبل ضعيف مَن تعلق بأَسبابه هلك.

وقوله :«ياحار» إلخ هو مرخم الحارث بن ورقاء . ولا ناهيَة ، وأرمينْ بالبناءِ للمفعول مؤكد بالنون الخفيفة . والسُّوقة : الرَّعية . وهذا البيت من شواهد علم العروض .

وقوله : «ارددْ يساراً» إلخ هو عبد زهير ، كان الحارث أَسرهُ . وتَعنف بضم النون ، من العنف ، وهو فعل الشيء على غير وجههِ والتجاوزُ فيه . والمَعْكُ : المطل ، وماضيه ومضارعه بفتح العين . والمعِك بكسر العين : الذى يماطل . يقول : ماتمُطْلنى فمطلك غدر ، وكلما مطلتنى لحق ذلك بِعِرضك . وإنما يتوعَّده بالهجو .

وقوله : «ولاتكونَنْ كأقوام» إلخ يقال لواه يَلويه لَيًّا ولَيَّانا ، أى مَطَلهُ. يمطلون بما عليهم من الدَّين . ومعنى نُهِكوا شتموا وبُولغ فى هجائهم؛ وأصله من نهكته الحمى ، إذا بلغت من جسمه وهزلته .

---

(١) ط : «وضميره فى بنى الغدير» ،صوابه فى ش . وفى شرح ديوان زهير ٥٥ : «وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان يقال له الغدير ـــ والغدير هو أبو بشامة الشاعر ـــ فولدت له زهيرا وأوسا » .

وقوله : «فارتدوا لما تركوا» أى لمَّا أوذوا بالهجاء دفَعُوا الحقَّ إلى صاحبه وارتدُّوا إلى عطاء ماكانوا تركوه ومنعوه من الحقّ،مخافةً من الشر ، وإبقاءً على عرضهم .

وقوله : «لئن حللتَ بجوٍّ» البيتين اللام الأولى موطئة ، والثانية جواب القسم . جوّ بالجيم : اسم وادٍ . ودين عمرو ، بالكسر : طاعته وسُلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند ملك العرب . وفَدَك ، بفتح الفاء والدال [١].

والقَذَع ، بفتح القاف والذال المعجمة : اسمٌ بمعنى السبِّ البليغ . يقال أقذع فلانٌ لفلان ، أى استقبله بكلام قبيح . وباق ، أى يبقَى على الدهر بجريانِه على أفواه الناس . والقِبْطية ، بضم القاف وكسرها : ثياب بيضٌ تصنَع بالشام ، وقد يقع على كلِّ ثوب أبيض . والودَك : الدَّسَم . يقول : لئن نزلتَ بحيث لاأدركك ليرِدَنَّ عليك هجوى ، ولأُدنِّسنَّ به عِرضَك كما يدنِّس الدسمُ الثيابَ البيض .

وقال أبو حاتم: فلما أَتت القصيدة الحارثَ بنِ ورقاء لم يلتفتْ إليها ؛ فقال زهير :

تَعلّمْ أنَّ شرَّ الناسِ حىٌّ ... يُنادِى فى شِعارِهمُ يَسارُ
ولــولا عَسْبُــــه لرددتموه ... وشرُّ مَنيحةٍ عَسْبٌ مُعارُ [٢]
إذا جَمحت نساؤكُم إليه ... أشظَّ ، كأنّه مَسَدٌ مُغَارُ
يُبربِرُ حين يَعدُو من بعيدٍ ... إليها ، وهو قَبقابٌ قُطارُ
كطفلٍ ظلَّ يهدِجُ من بعيد ... ضئيلِ الجسم يَعلوه انبهارُ ٤٧٨

---

(١) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة .

(٢) فى ديوان زهير ٣٠١ : « أير معار » .

إذا أَبْزَتْ به يوماً أهلَّتْ   كما تُبْزِى الصعائد والعِشارُ

فأَبلغ إن عَرَضْتَ لهم رسولاً   بنى الصَّيداء إنْ نفعَ الجِوارُ(١)

بأنَّ الشعر ليس له مَردٌّ   إذا وردَ المياهَ به التِّجارُ

وقوله : «تعلم أنّ شرَّ الناس» إلخ الشعار: علامة القوم فى سفرهم وغَزْوهم وحربهم ، نحو : ياأفلَح ، وياسلامة ، فيصير كلٌّ قوم إلى داعيهم . وكان شعار رسول الله ﷺ يومَ حنين : يأهْلَ القرآن . فلما انهزم الناسُ صاح العباس : يأهل القرآن ، فرجع الناسُ وكان الفتحُ . ويَسَار : عبد زهير .

والعَسْب : الضِّراب والجماع . يقول : لولا حاجة نسائكم إليه لرددتموه علىَّ . والمنيحة : العاريَّة .

وجمحت : مالت . وأشظَّ : قام متاعه وصلُب واشتدَّ . والمسد : الحبل . والمُغَار : الشديد الفتل . يقال أُغرتُ الحبل ، أى فتلتُه محكما .

ويبربر: يصوِّت مثلَ بربرة الفحل إذا أراد الناقة ، والتيس إذا أَراد الشاة . والقَبقاب : المصوِّت ، من القبقبة ، وهى هدير الفحل . والقُطَار ، بضم القاف : القائم المنتصب الرأس يقطر إحليلهُ من الشهوة .

والهَدَجان: مقاربة الخطْو فى سرعة . والانبهار : علوُّ النَّفَس عند التعب . شبَّهه فى عَدْوه على أربع إليها عند إرادة الفاحشة وعلوِّ نَفَسه من الحرص والشهوة ، بطفل صغير يحبو بينهم لضعفه .

---

(١) فى شرح ثعلب ٣٠٥ وشرح الشنتمرى ٤٩ : « إن نفع الجوار » ، بالجيم . ط : «يقع» ، صوابه فى ش والشرحين .

والإبزاء ، بالموحدة والزاء المعجمة ، من جميع الإناث : أن ترفع استَها إلى الفحل . وأهلّت : رفعت صوتَها . والصعائد : جَمْع صَعُودٍ ، وهى الناقة التى تُخدِجُ على سبعة أشهر أو ثمانية ، فتعطف على ولَدِها التى ولدته فى العام الماضى فتدرُّ عليه . وقيل هى التى مات ولدها فعُطِفت على ولدها الأول . والعِشار : جمع عُشَراء ، وهى التى أتى عليها مذ حملت عشرة أشهر ، وربما بقى الاسم عليها بعد ذلك . وعليه مخرج البيت ، لأنَّه شبَّه النساء فى حاجتهن إلى الجماع وإبرازهن أعجازَهن وإهلالهنَّ عند ذلك ، باحتياج الصَّعائد التى ألقت أولادها لغير التمام ، والعشارِ التى وَلدت ثم حنَّت إلى الفحل ، ولذلك وصفَه بالبربرة والقبقبة ،وهما صوتُ الفحل عند الضِّراب . والحوار بكسر المهملة : المحاورة والمجاوَبة .

وقال أبو حاتم:فلما بلغتهم الأبيات قالوا للحارث بن ورقاء:اقْتُلْ يساراً.فأبى عليهم وكساه وأحسنَ إليه،وردّه مع الإبل إلى زهير،فمدحه زهير بعد ذلك(١).

ولولاَ خوف الإطالة لأوردت جملةً مما قال فيه .

وترجمة زهيرٍ تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة (٢) :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصل (٣) :

---

(١) بقصيدته الرائية فى الديوان ٣٠٥ ، ومطلعها :

أبلغ بنى نوفل عنى فقد بلغت ... منى الحفيظة لما جاءنى الخبر

وقصيدته اللامية التى مطلعها فى الديوان ٣٠٨ :

أبلغ لديك بنى الصيداء كلهم ... أن يسارا أتانا غير مغلول

(٢) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .

(٣) ابن يعيش ٨: ١١٣، ١١٤وشرح شواهد الشافية ٨٠ وديوان النابغة ٢٧ .وسيأتى أيضا فى ٤ : ٤٨٧ بولاق .

٤١٣ (ها إنّ تا عِذْرةٌ إنْ لم تكُنْ نفعَتْ)

هو صدر ، وعجزه :

(فإنّ صاحبَها قد تاهَ فى البلدِ)

على أنَّ الفصل بين (ها) وبين (تا) بغير إنّ وأخواتِها قليل ، سواء كان الفاصلُ قسماً كما تقدَّم ، أو غيرَه كما هنا ، فإنَّ الفاصل هنا إنّ .

وتا . اسم إشارةٍ لمؤنث بمعنى هذه . وروى : « ها إنّ ذى عِذْرةٌ » . وروى أبو عبيدة : «وإنّ ها عِذرَة » ، فلا شاهد فيه على روايته .

٤٧٩ وهذا البيت آخر قصيدةٍ للنابغة الذبيانىّ ، مدحَ بها النعمان بن المنذر ملك الحِيرة ، واعتذر إليه فيها مما افتُرِىَ عليه .

وقد بيّنّا سببَ اعتذارِهِ فى ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة [(١)] ، وتقدَّم شرح أبياتٍ منها . وقبله :

(نُبِّئْتُ أنَّ أبا قابوسَ أوعَدَنى
ولا قَرارَ عَلَى زأرٍ من الأسد)

ها إنّ تا عذرة .... البيت

نبئت ، بالبناء للمفعول بمعنى أُخبرت . وروى : «أنبئت» .وأبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر .وقابوس معرّب كاوس ،على وزن طاوس :اسم ملكٍ من ملوك العجم. وأوعدَ بالألف لا يكون إلا فى الشرِّ ،بمعنى هَدَّدنى

---

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

وزأر : مصدر زأر الأسد بالهمز يَزئِر ويزأر زأراً ، إذا صوّت بِحَنَقٍ . وهذا تمثيل لغضبه.

وقوله:(ها إن تا) إلخ ها للتنبيه ، وتا:اسم إشارة لما ذكره فى قصيدته من يمينه على أنه لم يأتِ بشيءٍ يكرهه ، وهى مبتدأ خبره عِذْرة . قال بعضهم :إنّ عِذْرتى هذه عِذرة . وقال الخطيب التبريزى فى شرحه لهذه القصيدة : الإشارة للقصيدة ، أى إنّ هذه القصيدة ذات عِذرة (١).والعذرة بكسر العين اسم للعُذر ،وبضمِّها قال صاحب الصحاح : يقال عذرته فيما صنع أعذره عَذراً، و عُذراً.والاسم المعذرة والعُذْرَى.وكذلك العِذرة، وهى مثل الرِّكبة والجِلْسة. وأنشد هذا البيت.وقال صاحب المصباح:عذرته فيما صنع عَذْرا من باب ضرب : رفعتُ عنه اللَّوم ، فهو معذور ، أى غير مَلُوم . والاسم العُذْر ، وتضمُّ الذال للإتباع وتسكن . وقوله : (إنْ لم تكن نفعَتْ)روى أيضاً : «إلا تكنْ نَفعت» .

وقوله : (إنَّ صاحبَها) أى صاحب العِذرة ،ويعنى به نفسه . و(تاه) الإنسان فى المفازة يتيه تَيها : ضلَّ عن الطريق ؛ وتاه يَتُوه تَوهاً لغة . وقد تيَّهْته وتوّهته ، ومنه يستعار لمن رام أمراً فلم يصادف الصواب ، فيقال إنّه تائه .كذا فى المصباح . و(البلد) : الأثر والأرض ، وقيل هنا بمعنى المفازة ، فإنَّ مَن تحيَّر فى المفازة يَهلِك . وقال شارح ديوانه : معناه لاأفارق بلدك مادمتَ ساخطاً علىّ . والمعنى عندى : إن لم تقبل عذرى وترضى علىَّ (٢) فإنى أختلُّ حتى إنِّى أضلُّ فى البلدة التى أنا فيها ، لما أنا فيه من عِظَم الدهشة الحاصلة لى من وعِيدِك . فتأمّلْ .

* * *

(١) ط : «عذر» ، وفى ش : «ذا عذرة» ، صوابهما ماأثبت .

(٢) ش : «وترضى عنى» .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابعَ عشرَ بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١]:

٤١٤ (ونحنُ اقتسَمْنا المالَ نِصفينِ بَيننا

فقلتُ لهم : هذا لها ، ها وذا اليا)

على أنّ الفصل بالواو بين ها وذا قليل ، والأصل : وهذا ليا .

نقل بعضُ فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصل) عن صدر الأفاضل : إنّما جاز تقديم ها على الواو لأنّ هاتنبيهٌ ، والتنبيه قد يدخل على الواو إذا عطفْتَ جملة على أخرى ، كقولك : ألا إنَّ زيدا خارج ألا وإنَّ عمراً مقيم.اهـ

قال سيبويه فى (باب استعمالهم علامة الإضمار الذى لايُوقَع مَوقعَ مايضمر فى الفعل) ، قال:وكذلك ها أنا ذا ،وها نحن أولاءِ ، وهاهو ذاك ، وها أنت ذا ، وها أنتم أولاء ، وها أنتنَّ أولاء ، وإنَّما استُعملتْ هذه الحروفُ هنا لأنَّك لاتقدر على شيء من الحروف التى تكون علامة فى الفعل ، ولا على الإضمار الذى فى فَعَلَ .وزعم الخليل أنّ هاهنا هى التى مع ذا إذا قلت هذا ، وإنَّما أرادوا أن يقولوا هذا أنت ، ولكنَّهم جعلوا أنت بين هاوذا ، وأرادوا أن يقولوا أنا هذا وهذا أنا ، فقدَّموا «ها» وصارت أَنا بينَهما . وزعم أَبو الخطَّاب أن العرب الموثوقَ بهم تقول : أَنا هذا ، وهذا أنا . ومثل ماقال الخليل فى هذا قول الشاعر: ٤٨٠

ونحن اقتسمنا المال نِصفين بيننا .... البيت

(١) وهو من شواهد س ، ساقط من ط . وانظر سيبويه ١ : ٣٧٩ والمقتضب ٢ : ٣٢٣ وابن يعيش ٨ : ١١٤ والهمع ١ : ٧٦ وملحقات ديوان لبيد ٣٦٠ . وسيعاد مرة أخرى فى ٤ : ٤٧٨ .

(٢) ط : «بعد» ، صوابه فى ش .

كأنه أراد أن يقول : وهذا لى ، فصيَّر الواو بين ها وذا . وزعم أنَّ مثل ذلك : إى هاالله ذا ، أى إنما هو هذا . وقد تكون هافى ها أنت ذا غير مقدَّمة ، ولكنها تكون بمنزلتِها فى هذا . ويدلك على هذا قوله عز وجل : ﴿ها أنتم هؤلاءِ﴾، فلو كانت هاهنا هى التى تكون أوّلاً إذا قلت هؤلاء لم تعد « ها » ههنا بعد أنتم . وحدثنا يونسُ أيضاً تصديقا لقول أبى الخطاب [1] أن العرب تقول : هذا أنت تقول كذا وكذا . ولم يرد بقوله هذا أنت أن يعرِّفه نفسه ، كأنه يريد أنْ يعلمه أنه ليس غيرَه . هذا محال ، ولكنه أراد أن ينبِّه ، كأنَّه قال : الحاضر عندنا أنت ، إذ الحاضرُ [2] القائل كذا وكذا أنت . وإن شئت لم تقدِّمْ ها [3] فى هذا الباب ، قال عز وجل : ﴿ ثمَّ أنتُمْ هؤلاء تَقْتُلونَ أنفُسَكم [4] ﴾ .

هذا نصُّ سيبويه ، ونقلناه بطوله لكثرة فوائده .

قال الأعلم [5]: الشاهد فى فصله بين ها وذا بالواو ، ونصب نصفين على الحال . وفى هذا حجة لما أجازه سيبويه من الحال فى قول ذى الرمة :

ترى خَلقها نصفٌ قناةٌ قويمة
ونصفٌ نقاً يرتجُّ أو يتمرمرُ

وأطال على المبرد فى إبطال جوازه ، فإنه قال [6]: سيبويه رفع نصف ومابعده على القطع والابتداء ،ولو نصب على البدل أو على الحال لجاز .

---

(١) ط : «تصديقا لأبى الخطاب» ، وأثبت مافى ش وسيبويه .

(٢) سيبويه : « والحاضر »

(٣) فى النسختين : «لم تقدمها» ، والوجه ماأثبت من سيبويه .

(٤) الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٥) انظر سيبويه ١ : ٢٢٣ بولاق .

(٦) الكلام التالى للأعلم فى موضع سابق للشاهد فى سيبويه ١ : ٢٢٣ بولاق يقابله ماسبق فى

وغلَّطه المبرد وزعم أنّ نصفاً معرفة لأنه فى نية الإضافة ، فكأنه قال : ترى خلقَها نصفه كذا ونصفه كذا . والحجة لسيبويه أنه نكرة وإن كان متضمنا لمعنى الإضافة ، وليس من باب كلّ وبعض ، لأنَّ العرب قد أدخلت عليه الألف واللام وثنّته وجمعته ، وليس شيء من ذلك فى كلّ وبعض . وصَف امرأةً فجعل أعلاها فى اللطافة كالقناة ، وأسفلها فى امتلائه كالنقا المرتجِّ المتمرمِر ، أى يجرى بعضُه فى بعض . انتهى .

ومعنى البيت الشاهد واضح .

صاحب الشاهد ونسبَه الأعلم إلى لبيد ؛ وكذلك نسبه الأندلسى (فى شرح المفصل) إليه . وأنا لم أَره فى ديوانه . وكذلك قال قبلى ابنُ المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : إنه لم يره فى ديوانه .والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(حَنَّت نَوَارِ ولات هَنَّا حَنَّتِ)

هذا صدر ، وعجزه :

(وبَدَا الذى كانت نَوارِ أجنَّتِ)

على أنّ هَنَّا بمعنى الزمان ، أى لات حين حَنّت ؛ فهى ظرف زمان لإضافتها إلى الجملة .

قد تقدم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين [١].

والحنين:نزاع النفس إلى شيء . ونَوارِ: اسم امرأةٍ مبنىٌّ على الكسر فى لغة الجمهور ، وعند تميم معرب لاينصرف . وأجنَّت ، بالجيم بمعنى أخْفَت وسترت ، وتاؤه وتاء حنّتِ مكسورتان للوزن .

(١) الخزانة ٤ : ١٩٥ .

باب الموصول

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامسَ عشرَ بعد الأربعمائة [١] :

٤٨١ **٤١٥** (وإنّى لَرَاجٍ نَظْرَةً قِبَلَ التى
لَعَلّى وإنْ شطَّتْ نَواها أَزورُها [٢])

على أنّ جملة (لعلّى) إلخ صلة التى ، بتقدير القول ، أى التى أقول لعلى أزورها.وإنما قدَّر أقول [٣] لأنَّها إنشائية لايصحُّ وقوعُها صلة ، فقدَّرَ القول لتكون خبريَّة.وينبغى أن يقول التى أقول فيها لعلّى،ليحصل عائد الموصول.

وهذا تخريج أبى على الفارسىّ (فى التذكرة القصرية) ،قال فيها : قول الفرزدق :

* وإنّى لراجٍ نظرةً قِبَلَ التى *

هو على غير الظاهر ، وتأويلُه الحكاية ، كأنَّه قال : التى أقول فيها هذا القول . وإضمار القول شائع كثير ، والحكاية مستعملَة إذا كان عليها دليل . والدَّلالة هنا قائمة ، وهى أنَّ الصلة إيضاحٌ ، وماعدا الخبرَ لايوضِّح .

وقال أيضاً (فى إيضاح الشعر) : جاء فى هذا البيت للفرزدق الصلة غير الخبر ، والصلة لاتكون إلاَّ خبراً كما أنَّ الصِّفة كذلك .

---

(١) ديوان الفرزدق ٦٦١ برواية : «وإن شقت على أنالها» . وانظر شرح شواهد المغنى ٢٧٤ والهمع ١ : ٩٥ والأشمونى ١ : ٦٣ .

(٢) ويروى : « أنالها » ، كما سبق فى التخريج .

(٣) كلمة «قدر» ساقطة من ش .

فإن قلت : فقد جاء مِنَ الموصولة (١) ماوُصِل بغير الخبر ، نحو ماقالوه : كتبت إليه : أنْ قُمْ وبأنْ قم ؟ قلت : ذلك وإن جاء فى «أنْ» لايستقيمُ فى الذى ونحوِه من الأسماء ، لأنَّ الذى يقتضى الإيضاحَ بصلته ، وليست أنْ كذلك . ألَا ترى أنَّها حرف ، وأنه لايرجع إليها ذكرٌ من الصلة . وهذا وإن جاء فى البيت فإنَّ النحويين يجعلون لعلَّ كليت ، فى أن الفاء لاتدخل على خبرها ، فلا يجيزون : لعلَّ الذى فى الدار فمنطلق كما لايجيزون ذلك فى ليت .

فإن قلت : أحمل لعلَّ على المعنى ، لأنّه طمع كأنه قال : أطمع فى زيارتها ؟ قيل لك : فصِلْهُ أيضا بالتمِّنى (٢) وقل : المعنى الذى أتمّنى ، وصِلْه بالاستفهام والنداء ، وجميع (٣) مالم يكن خبراً ، وقل : المعنى الذى أنادى ، والذى أستفهم . فهذا لا يستقيم .

ويجوز فيه أنْ تقدِّر قبل لعلِّى فعلا وتحذفه لطول الكلام ، فيكون الصلة الفعل الذى هو أقول فيها ، وهو خبرٌ لاإشكالَ فيه . وحسن الحذفُ لطول الكلام . اهـ

وأورده ابن هشام (فى الجملة المعترضة من الباب الثانى من المغنى) على أنَّ جملة «وإنْ شطَّت نواها» معترضة بين لعلِّى وبين أزورها .وصلة التى قولٌ محذوف كما ذكرنا .

وذكره الخفَّاف (فى شرح جمل الزجاجى) على أن أزورها صلة التى ، وفصل بينهما بلعلَّ وإن شطَّتْ (٤) على وجه الاعتراض ، ويكون خبر لعلَّ

(١) ش : « من الموصولات » .
(٢) ش : «فصله أيضا بليت» .
(٣) ش : « أو جميع » .
(٤) ط : « وان سقطت ».

محذوفا تقديره : لعلى أبلغ ذلك . والفصلُ بين الصِّلة والموصول بجملٍ جائز . قال الشاعر :

* ذاك الذى وأبيك يعرف مالكاً (١) *

ففصل بالقسَم بين الصلة والموصول .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى) فقال : ويحتمل أنَّ هذا البيت من قبيل الاعتراض بين الموصول وصلته على أنّ تقدير الصلة أزورها ، ويقدر خبر لعلِّى محذوفاً ، أى لعلِّى أفعل ذلك .

وهذا التخريج مأخوذٌ من كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) ، ومالارتضَى ظاهره ، بل وجَّهَه فقال : فإن قلت أراد بأزورها التقديم ، كأنّه قال : التى أزورها ؟ قلنا:إنَّ ذلك لايستقيم ، لأنّه واقعٌ موقع الخبر ، وتقدير الخبر على لعلّ لايستقيم . والوجه فيه أنّه لمَّا جرى أزورها خبراً للعلّ سدَّ أزورها مسدَّ الصلة التى يجب أن تكون خبراً ، فكأنه أراد التى أزورها ، فأغنى ذكر أزورها خبرا للعلّ عن ذكره لها قبْلَ لعلّ ، والمعنى على التقديم . وأشبه هذا قولَهم : لو أنّ زيداً جاءنى ، فى أن الفعل الجارىَ فى الصلة سدَّ مسدَّ الفعل الذى يقع قبل أنَّ بعد لو ، ولولا هذا الفعل لم يجز . ألا ترى أنّه لايجوز : لو مجيئك . فكذلك سدَّ ذكره بعد لعلِّى مسدَّ ذكره قبل لعلِّى .فهذا وجهُه. ولاينبغى ٤٨٢
أن يقاس على هذا ولا يؤخذ به ، وكأنّ الذى حسَّن هذا طولُ الكلام وذكر الخبر فى الصلة (٢).وقد رأيتَ طول الصلة يجوز فيه مالا يجوز إذا لم تطُلْ.اهـ

ولم يكتب الدَّمامينى ولا شارح شواهد المغنى على هذا البيت شيئاً .

---

(١) لجرير فى ديوانه ٤٣٠ . وانظر معجم الشواهد . وتمامه :

* والحق يدفعُ تُرَّهاتِ الباطلِ *

(٢) ط : « وذكر الجزاء فى الصلة » ، صوابه فى ش .

هذا . وآخر البيت مغيَّر عن أصله ، والرواية الصحيحة :

* لعلّى وإن شقَّت علىّ أُنالُها *

والبيت من قصيدةٍ لاميّة كما يأتى بعضُها . وحينئذٍ يأتى فى أُنالها ماقيل فى أزورها ، بل يتحتم إضمار القول .

صاحب الشاهد

والقصيدة مدحَ بها الفرزدقُ بلالَ بن أَبى بردة . وأوّلها :

أبيات الشاهد

(وقاتلةٍ لى لم يُصِبنى سهامُها رَمَتْنِى على سوداءِ قلبى نِبالُها [1]
وإنِّى لرامٍ رميةً قِبلَ التى لعلِّى وإن شقّتْ علىَّ أنالُها
أَلا ليت حَظِّى من عُلَيّة أنّنى إذا نمتُ لا يسرِى إلىّ خيالُها
فلا يُلْبثُ الليلَ الموكَّلُ دونها عليه بتكرار الليالى زوالُها)

وبعد هذا شرعَ فى مدحه .

وقوله : (وقاتلةٍ لى) إلخ هو من القتل ، يقول : ربَّ امرأة قتلتنى مع أنّها لم تصبنى بسهامِها الحقيقيّة ، لكنها رمت سُويداءَ قلبى بنبال عُيونها فقتلتنى . وقوله : رمتنى ، جواب ربّ .

وقوله : (وإنى لرامٍ) إلخ يقال رمى نظَره نحوَ كذا ، أَى توجّه نحوه ، ورمى نحوه رَميةً ، إذا قصده قصداً . ومنه الحديث :«ليس وراء الله مَرمًى» أى مقصِد تَرامَى إليه الآمال [2] ، ويوجَّهُ نحوَه الرجاء . و (شطّتْ) من بابَى ضرب وقتل . يقال شطّت الدار أى بعُدت . و(نواها) : فاعل شطّت .

(١) فى الديوان : « وقائلة » ، وما هنا صوابه .

(٢) ط : « ترمى اليه الآمال » ، وأثبتُّ مافى ش .

والنَّوى مؤنثة لاغير ، وهى الوجه الذى ينوِيه المسافرُ من قُربٍ أَو بُعدْ . ويجوز أن يكون فاعل شطَّت ضمير التى ، ونواها منصوب بتقدير فى . هذا على الرِّواية الأولى . وأمّا (شقَّت) على الرواية الثانية ففاعله ضمير رمية ، من شقَّ الأمرُ عليه ، إذا اشتدَّ وثقُل عليه . ومنه حديثُ : « لولا أن أشُقَّ على أُمَّتى لأمرتهُم بالسِّواكِ عندَ كلِّ صلاة » . و(أنالها) مضارع نال خيراً نَيلاً ، أى أصابه .

وقوله : «فلا يُلبثُ الليلَ» إلخ قال شارح ديوانه : يقول زالت فذهبت ، فزوالُها يُهدِى إلىَّ خيالَها كلَّ ليلة ، وزوالها لايحبس الليل عنِّى ، فلا يلبث زوالها أن يُعِيدَ خيالها . وقال الجِرْمازى . يقول : ليت حظِّى منها أن لايلبث الليل الموكَّل على زوالِها بالتكرار ، أى يكرِّرُ زوالها علىَّ الليل بجعل الليلة ليالى. وهو مثل قوله :

كأنَّ الليل يَحبسُه علينا ضِرارٌ أو يكرُّ إلى نذورِ

أى كأنه يعود كلما كاد يَفْنَى . اهـ

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين [1].

* * *

وأنشد بعده :

(جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطّْ)

على أن الجملة الاستفهامية وقعت صفة لمذق ، بتقدير : تقول عند رؤيته : هل رأيت ، إلخ . وقبله :

---

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(مازِلْتُ أسعى مَعهُمْ وأختبطْ حتى إذا جَنَّ الظلامُ واختَلْط

جاؤا بمذق إلخ . يقال خبطت فلاناً واختبطته أى سألته بغير وسِيلةٍ
ما. شكا قوما وقال : لم أزل طولَ النهارِ أسعَى معهم وأسألهُم شيئاً ، حتى إذا ٤٨٣
أظلم الليل واختلط الظلام جاءُونى بلبَنٍ مخلوط بماءٍ كثير يضرب لونُه لكثرة مائه إلى لون الذئب ، فكلُّ من رآه يستفهم عن رؤيته الذئبَ ؛ لأنه بلونه يحمل رائيَه على السؤال عن الذئب . وإنما قال هذا لأن الذئب موصوفٌ بالوُرْقة ، واللبَنُ إذا كثر ماؤه يصيرُ أوْرق .والوُرْقة بالضم : لونٌ أبيضُ يخالطه سواد .

وقد تقدم الكلامُ عليه مفصّلا فى الشاهد السادس والتسعين (١).

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورة العشيرة)

هو بعض بيتٍ أصله :

(الحافظُو عورةَ العَشيرة لا يأتيهمُ من ورائِهمْ وَكَفُ)

على أنه حذف بعضَ الصلة (٢) تخفيفاً ، وهو النون ، والأصل الحافظون عورة العشيرة.فألْ موصولٌ اسميٌّ بمعنى الذين،والوصف المجموع صلته،وقد حذف بعضها وهو النون.وهذا على رواية نصب عورةَ،وأمّا على رواية

---

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

(٢) كلمة « بعض » ساقطة من النسختين ، وإثباتها من نص الرضى ٢ : ٣٥ فى قوله : « وتارة بحذف الصلة ، إما الضمير أو نون المثنى والمجموع نحو الحافظو عورة العشيرة » .

جرِّها فحذف النون للإضافة . وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين من باب الإضافة (١).

والعَورة : المكان الذى يُخاف منه العدوّ . وقال ثعلب : كلُّ مَخُوفٍ عورة. وقال كراع : عورة الرجل فى الحرب : ظهره . والعَشيرة : القبيلة . والوَكَف ، بفتح الواو والكاف ، ويروى بدله (نَطَف) بفتح النون والطاء المهملة ، وكلاهما بمعنى العيب . أى يحفظون العشيرة أَن يصيبهم مايُعابون به ولا يُضِيعون مااستُحفِظُوا فيلحقَ العشيرة عيبٌ بذلك .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادسَ عشرَ بعد الأَربعمائة (٢):

٤١٦ (بِسُودٍ نواصِيها وحُمْرٍ أَكفُّها
وصُفْرٍ تَرَاقِيها وبِيضٍ خُدودُها)

على أن رجوع الضمير من نواصيها على الموصوف بسودٍ المقدَّر ، خاصٌّ بالضرورة ، والقياس بنساءٍ سودٍ نواصيها .

وهذا على رواية البيت كذا ، وأما على ماسيأتى فمرجع الضمير وصفٌ مذكور فى بيتٍ قبله .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ للحُسَين بن مُطَير ، أوردها أَبو تمام فى باب النسيب (من الحماسة) وهى :

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٧٢ .

(٢) أمالى القالى ١ : ١٦٥ والمرتضى ١ : ٤٣٥ والعمدة ٢ : ١٠ والحماسة بشرح المرزوقى ١٢٣٠ .

أبيات الشاهد

(لقد كنتُ جلداً قبل أن تُوقِد النّوى
عَلَى كبدِى ناراً بطيئاً خُمُودُها
وقد كنتُ أرجُو أنْ تموتَ صَبابتى
إذا قدُمَتْ أيَّامُها وعهودُها
فقد جَعلتْ فى حَبَّةِ القلب والحشا
عِهادُ الهوى تُولَى بشوقٍ يُعيدُها
بسود نواصيها ... . البيت
مُخَصَّرةُ الأوساط زانتْ عُقودَها بأحسَنَ مماّ زيَّنَتْها عقودُها
يُمنِّينَنا حتى تَرِّفَ قُلوبُنا رفيفَ الخُزامَى باتَ طَلٌّ يجودُها)

قال أمين الدين الطَّبْرسى (فى شرح الحماسة) تبعا للخطيب التبريزى : يقول : كنت حمولاً لحوادثِ الزمان صَبوراً عليها ، حتى مُنيتُ بفراق الأحبَّة ، وكنت أرجو أن تسكُنَ صبابتى وتنصرِم إذا مال عليها الدهر وتقادَمتْ أيّامها ، أى أيام الصبابة . والعُهود : جمع عهد ، وهو اللقاء ههنا . والعهاد : جمع عَهْد ، وهو المطر فى أوّل السنة ، وروىَ بالنصب والرفع ، فالنصب على أنه مفعول أوّل لجَعلَت ، وتُولَى بشوق فى موضع المفعول الثانى ، ويُعيدها صفة شوق . ومعنى تُولَى :تُمطَرُ الولىَّ. والولىُّ : المطر بعد الوسمىّ . أى صيَّرت فى حبة القلب وأحشائه أمطارَ الهوى تتجددّ وتُتْبَع بولىٌّ من الشوق يردُّها كما كانت.والضمير فى يعيدها يرجع إلى عهاد .يريد أَن الشّوق لاينقضى . والرفع على أن يكون جعلتْ بمعنى طَفِقَتْ (١) وأقبلت، فيكون غيرَ متعدٍّ ٤٨٤

(١) ط : «بمعنى خففت» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١٢٢٩ .

ويرتفع عهادُ الهوى به . ويروى : «يُولَى» بالياء (١) . و«بَعيدُها» بالباء فاعل (يُولَى (٢)) . أى فقد طفقت أوائل هواها يُمطَرُ أبعدُها بشوقٍ يجدِّدها .

والباء فى قوله : (بسود) يجوز أن يتعلق بقوله تموت صبابتى ، ويجوز أن يتعلق بجعلَتْ ، إذا ارتفعت عهادُ الهوى به . يريد جعلَت العهادُ تفعل ذلك بسبب نساءٍ بهذه الصفات « مخصّرة الأوساط » ، أى دقيقة الخصور ، وقلائدهن (٣) تكتسب من التزيُّن بهنَّ إذا عُلِّقت عليهن أكثر مما يكتسبن منها إذا تحلَّين بها . اهـ

والأقرب أن تتعلق الباء فى «بسود» بقوله يُعيدها ، وهو الأنسب من جهة المعنى .

وقال الخطيب التبريزى : وإنما جاز أن يجمع حُمر وسود وغيرهما ، وإن ارتفع مابعدها بها ، لأن هذه الجموع لها نظائرُ فى الأسماء المفردة ، ولو كانت مالا نظير له فى الواحد لما جاز جمعه ، تقول : مررت برجالٍ ظِرافٍ آباؤهم ، ولو قلت : برجال ظريفين آباؤهم لم يجز .

وقوله : «يمنِّيننا» يصف حُسن مواعيدهنّ وتقريبهن أمرَ الوصال . «حتى ترفَّ قلوبنا» أى تهتزّ نشاطاً وترتاح وتفرح . والخزامى ، بضم أوله والقصر : خِيرىُّ البَرّ . ورفيفها : اهتزازُها . والطَّلّ : أثر الندى فى الأرض من المطر . وإنما جعل الطلَّ يجود جَوداً لأنه يفعل فى رِيِّ الخزامى ونَعْمتها مايفعل الجَودُ فى نبات الأرض . يقال رفّ يَرِفُّ ، إذا اهتزَّ نَعمةً ونضارة .

---

(١) ط : « بولى بالباء » ، صوابه ماأثبت من ش .

(٢) ط : « بولى » ش « تولى » ، صوابهما ماأثبت .

(٣) ش : «قلائدهن» بدون واو .

وقد أورد هذه الأبيات بأكثر من هذا مع بعض تغييرٍ السيِّدُ المرتضى (فى أماليه) قال : أخبرنا أبو عبد الله المرزبانى قال : أنشدنا على بن سليمان الأخفش قال : أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ ، للحُسَين بن مُطَير :

(لقد كنتُ جَلداً قبل أن يُوقِد الهوى على كَبِدى ناراً بطيئاً خمودُها أبيات الشاهد
ولو تُركتْ نارُ الهوى لتضرَّمتْ ولكنَّ شوقاً كلَّ يوم يزيدُها
وقد كنت أُرجو أن تموتَ صبابتى إذا قدُمَتْ أيامُها وعهودُها
فقد جعلتْ فى حبَّة القلبِ والحشا عهاد الهوى تُلوِى بشوقٍ يُعيدُها (١)
بمرتجَّة الأردافِ هِيفٍ خصورُها عِذابٍ ثناياها عِجافٍ قيودُها
وصُفرٍ تراقيها وحُمْر أكفُّها وسُودٍ نواصيها وبيضٍ خُدُودُها
يمنِّيننا حتى ترفَّ قلوبُنا رفيفَ الخُزامَى بات طلٌّ يجودها)اهـ

وكذا روى هذه الأبيات القالىُّ (فى أماليه) عن ابن دريد وعن ابن الأعرابى .

وكتب الشريف المرتضى على قوله « بمرتجَّة الأرداف » ... البيت : يعنى أنها عِجَاف اللِّثات . وأصُولُ الأسنان (٢) هى قيودها . قال أبو العباس ثعلب : خفضُ عجاف لحن ، لأنه ليس من صفة النساء ، وسبيله أن يكون ٤٨٥
نصباً لأنه حال من الثنايا . اهـ

أقول : إنّما قال ثعلب ذلك لأنَّ الضمير فى قيودُها للثّنايا . وهذا عجب منه ،فإنَّ بابَ جَرَيان الصفة على غير من هى له واسع .

(١) فى أمالى المرتضى : « تولَى بشوق » .
(٢) ط : « وأصل » ، صوابه فى ش وأمالى المرتصى .

والباء فى قوله: بمرتجة متعلقة بقوله : يعيدها ، ويجوز أن تتعلقَّ بجعلَتْ أو بتموت . ومرتجة الأرداف هو مرجع الضمائر الآتية بعده ، فلا يرد ماأوردهُ الشارح المحقق ، فى البيت الشاهد .

وقوله : «مخصَّرةِ الأوساط» بالجر ، ويجوز النصب والرفع على المدح . وكذلك قوله : « وصفر تراقيها » . والبيت ماخوذٌ من قول مالك بن أسماءَ بن خارجة :

وتَزيدينَ أطيبَ الطِّيب طِيباً أنْ تَمَسِّيه أينَ مثلُكِ أينا[1]

وإذا الدُّرُّ زانَ حُسنَ وجوهٍ كان للدُّرِّ حسنُ وجهِكِ زَينا

وقولُه: « وصُفر تراقيها » بالتنوين فى المواضع الأربعة ، وتراقيها فاعل صُفر ، وكذلك أكفُّها ونواصيها . والتَّراقى : جمع تَرقُوة ،وهى أعالى الصَّدر . وصفَها بالصُّفرة من الطِّيب كالزعفران . وأراد بحُمرة أكفِّها الخضاب .

وهذا البيت أورده ابن رشيق (فى العمدة) فى باب المطابقة ، قال : أنشد غير واحدٍ من العلماء : بسُودٍ نواصيها ، البيت . ورواه ابن الأعرابىّ فى نسَق أبيات : «وصُفر تراقيها وحُمرٍ أكفُّها» ... إلخ . وهذه الرواية أشكل فى الصنعة .

وروى أبو تمام (فى الحماسة) للحسين بن مُطير أيضاً ، ويشبه أن يكون الجميعُ من قصيدة واحدة :

وكنتُ أذود العينَ أن تَرِدَ البكا

فقد وَرَدَتْ ماكنتُ عنه أذودُها

---

(١) البيان ١ : ١٩٥ .

خليليَّ ما بالعيش عَيبٌ لوَ آننا
وجَدْنا لأيَّام الصِّبا مَن يُعيدها

وروى أبو تمام أيضاً لغيره، وبعضُ الرُّواة يرويها لابن مُطيرٍ أيضاً :

ولى نظرةٌ بعد الصُّدود من الجَوَى
كنظرةِ ثكلَى قد أُصيبَ وليدُها (١)
هل الله عافٍ عن ذنوبٍ تَسلَّفَتْ
أَم اللهُ إنْ لم يعفُ عنها مُعيدها (٢)

حسين بن مطير

وحسين بن مطير هو (كما قال فى الأغانى) حُسَين بنُ مطير بنِ مكمَّل ، مولى لبنى أسد بن خزيمة ثم لبنى سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودَانَ بنِ أسد . وكان جدُّه مكمَّل عبداً ، فأعتقه مولاه ، وقيل بل كاتَبه فسَعَى فى مكاتبته حَتَّى أداها وأُعتِق .

وحسينٌ من مخضرمى الدَّولتين الأمويَّة والعباسيَّة . شاعرٌ متقدِّم فى القصيد والرجز ، فصيح ، قد مدح بنى أمية وبنى العبَّاسِ ، وكان زيُّه وكلامُه يشبه مذاهبَ الأعراب وأَهلِ البادية ، ووفد على معن بن زائدةَ لمَّا ولِىَ اليمن ، فلما دخل عليه أنشده :

---

(١) ورد هذان البيتان فى الحماسة ١٣٦٠ بشرح المرزوقى مفصولين عن بيتين آخرين للحسين بن مطير مسبوقين بقول المرزوقى : « وقال آخر » . لكنهما مع سابقيهما فى الحماسة بشرح التبريزى ٣ : ٣٠٣ مقطوعة واحدة للحسين بن مطير .

(٢) فى رواية التبريزى : « يعيدها » .

أُتيتُك إذْ لم يبق غيْرَك جابرٌ
ولا واهبٌ يعطى اللُّهَى والرغائبا (١)

فقال له معن : ياأخا بنى أسد ، ليس هذا بمدح ، إنما المدح قول نَهَار بن تَوسِعةَ فى مِسمَع بن مالك بن مِسمَع :

قلَّدَتْهُ عُرَى الأمورِ نزارٌ ... قبل أن يهِلكَ السَّراةُ البحورُ (٢)

قال : وأول هذا الشعر :

اظْعَنى من هَرَاة قد مرَّ فيها ... حِجَجٌ مذ سكنتُهَا وشهورُ (٣)
٤٨٦ اظعَنى نحو مِسمَع تجدِيهِ ... نِعْمَ ذا المنتَنَى ونعم المزورُ (٤)
سَوف يكفيك إنْ نَبتْ بكِ أرضٌ ... بخراسانَ إذ جفاك أميرُ
من بنى الحِصن عامر بن بَرِيجٍ ... لاقليلُ الندى ولا منزورُ (٥)
والذى يَفزع الكماةُ إليه ... حين تَدمَى من الطِّعان النُّحورُ
فاصطنعْ ياابنَ مالكٍ آلَ بكرٍ ... واجبرُ العَظمَ إنَّه مكسورُ

فغدَا إليه بأرجوزته التى مدحه بها ، منها :

---

(١) فى الآغانى ١٤ : ١١١ : «لما يبق» ، وما هنا صوابه .

(٢) فى الأغانى : « المجور » ، صوابه ماهنا .

(٣) ط : « قد سكنتها » ، صوابه فى ش والأغانى .

(٤) فى النسختين : « نعم ذى المنتأى » ، تحريف . أى نعم هذا الموضع الذى ينتهى إليه المادحون والراغبون .

(٥) الحصن هذا هو ثعلبة بن عكابة بن صعب . وفى الأغانى أن مسمع من بنى تيم الله بن ثعلبة . وهم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ، كما فى جمهرة ابن حزم ٣١٤ . وفى النسختين : « عامل بن بريح » ، وأثبت مافى الأغانى .

سلَّ سيوفا مُحدَثاً صِقالُها صابَ على أعدائه وبالُها

* وعند معنٍ ذى النّدى أمثالُها *

فاستحسنَها وأجزل صلته .

قال المفضَّل الضبِّىُّ : كنت يوماً محتاجا إلى درهم (١) ، وعلىَّ عشرة آلاف درهم ، إذْ جاءَنى رسول المهدىّ فقال : أجِب أمير المؤمنين ! فتخوَّفته لأنى كنتُ خرجتُ عليه مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فتطهَّرتُ ولِبستُ ثوبين نظيفين ، وصِرت إليه ، فلما مثَلْتُ بين يديه سلَّمت ، فردَّ على وأمرنى بالجلوس ، فلما سكَنَ جأشى قال لى : يامفضَّل ، أىُّ بيتٍ قالته العرب أفخر ؟ فتشكَّكت ساعة ثم قلت : بيت الخنساء . وكان مستلقياً فاستوى جالسا ثم قال : وأىُّ بيتٍ هو ؟ قلت : قولُها :

وإنّ صخْراً لتأتَمُّ الهداةُ به كأنّه عَلمٌ فى رأسه نارُ

فأومأ إلى إسحاقَ بنِ بزيع ثم قال : قد قلتُ له ذلك فأبَى . فقلت : الصَّوابُ ماقاله أمير المؤمنين . ثم قال : يامفضَّلُ ، أسهرَنى البارحةَ قولُ ابنِ مُطيرٍ الأسدىّ :

وقد تَغْدِرُ الدُّنيا فيُضحِى فقيرُها غنيًّا ويغْنَى بعد بؤسٍ فقيرُها

فلا تقرَبِ الأمرَ الحرامَ فإنّه حلاوتُه تفنَى ويبقَى مَريرُها

ثم قال : ألهذين البيتين ثالث ؟ قلت : نعم ياأمير المؤمنين :

---

(١) فى الأغانى ١٤ : ١١٢ : «كنت جالسا على بابى وأنا محتاج إلى درهم» .

وكم قد رأينا مِن تغيُّر عيشةٍ
وأخرى صفَا بعد اكدرار غديرُها [١]

وكان المهدىُّ رقيقاً ، فاستعبَرَ ثم قال : يامفضَّل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف تكون حال من هو مأخوذٌ بعشرةِ آلاف درهم ! فأمر لى بثلاثين ألف درهم .

ودخل ابن مُطيرٍ يوماً على المهدىٌّ فأنشده :

لو يعبدُ النَّاسُ يامهدىُّ أفضلَهم
ماكان فى الناس إلاّ أنت معبودُ
أضحت يمينُك من جودٍ مصوَّرةً
لا بل يمينك منها صُوِّرَ الجودُ
مِن حُسْنِ وجهِكَ تبدو الأرضُ مشرقةً
ومن بنَانِكَ يَجرى الماء فى العودِ [٢]
لو أنَّ مِنْ نورِهِ مثقالَ خردلةٍ
فى السُّود طُراًّ إذاً لابيضَّتِ السُّودُ

فأمر له لكلِّ بيتٍ بألف درهم .

والبيت الثالث رأيته مجرورا كما هو .

ومن قصيدة له فى مدح المهدى :

إذا شاهَدَ القُوّادَ سار أمامَهم
جرىءٌ على مايَتَّقُونَ وَثـوبُ

(١) ط : «صفاء» ، صوابه فى ش والأغانى .
(٢) هذا البيت لم يرد فى الأغانى . وفيه إقواء .

وإن غاب عنهم شاهدَتْهُمْ مهابةٌ ٤٨٧
بها يقهر الأعداءَ حين يغيبُ (١)
يَعفُّ ويستحيى إذا كان خالياً
كما عفَّ واستحيا بحيثُ رقيبُ

ومن شعره المشهور فى رثاء مَعْن بن زائدة :

ألمَّا بمعــــنٍ ثم قُولَا لقبرِهِ
سُقِيتَ الغوادى مَربعاً ثُمّ مربعا
أيا قبر مَعن كنتَ أوّلَ حُفرةٍ
من الأرض خُطَّت للمكارم مضجعا
أيا قبر معن كيف واريتَ جوده
وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُترَعا
بلى ،قد وَسِعتَ الجودُ والجودُ ميتٌ
ولو كان حياً ضقتَ حتَّى تصدَّعا
أبىَ ذكرُ معن أن تموتَ فِعاله
وإن كان قَد لاقى حِماماً ومَصرعا

هذا ماانتخبته من الأغانى .

وروى السيِّدُ المرتضى (فى أماليه) بسنده عن محمد بن حُميد قال : كنّا عندَ الأصمعىِّ ، فأنشده رجلٌ أبياتَ دِعْبِل :

أيـنَ الشبَّـابُ وأيَّـةً سَلَكَـــا لا أين يُطلب ضَلَّ بل هَلَكا (٢)

(١) ش : «بما يقهر» ، صوابه فى ط والاغانى .

(٢) هذا البيت ساقط من أمالى المرتضى ١ : ٤٣٨ .

لاتعجبى ياسَلمَ من رجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى
ياسلمَ مابالشَّيب منقصةٌ لا سُوقةٌ يُبقى ولا مَلِكا
قَصرَ الغَوايةَ عن هَوى قَمرٍ وجَدَ السبيلَ إليه مُشترَكا
ياليتَ شعرى كيف نومُكما ياصاحبَىَّ إذا دمى سُفِكا
لاتأخُذا بظُلامتى أَحداً قلبى وطرفى فى دمِى اشتركا

فاستحسنهاَ كلٌّ من كان حاضراً فى المجلس ، وأكثروا التعجُّب من قوله :

* ضحك المشيبُ برأسه فبكى *

قال الأصمعىّ : إنما أخذ هذا من قول ابنِ مطير الأسدى :

أينَ أهلُ القِباب بالدَّهناءِ أين جيرانُنا عَلَى الأحساءِ
جاورُونا والأرض مُلبَسةٌ نَو رَ الأقاحِى تُجاد بالأنواءِ
كلَّ يوم بأُقحُوان جديـد تضَحك الأرضُ من بُكاء السماءِ
ذَهبٌ حيث ماذَهبْنا ، ودُرٌّ حيث دُرْنا ، وفِضَّة فى الفضاءِ (١)

وقد أخذه مسلمٌ فى قوله :

مُستعْبِرٌ يبكى عَلَى دِمنةٍ ورأسُهُ يضحكُ منه المشيبْ (٢)

قال السيِّد المرتضى قدس الله روحه : ولأبى الحجناء نُصيبٍ الأصغر مثلُ هذا المعنى :

فبكى الغمامُ به فأصبح روضُه
جَذلانَ يضحك بالجميم ويزهَرُ

---

(١) ديوان مسلم ٣٣٦ عن الوساطة للجرجانى ٤٢ وزهر الآداب ٩٨١ ومعاهد التنصيص ١ : ١٩٩ .

ولابن المعتَز مثْله :

أَلحَّتْ عليه كلُّ طخياءَ دِيمةٍ
إذا مابكت أجفانُها ضَحِكَ الزَّهرُ

ولابن دريدٍ مثله :

تَبسَّمَ المزنُ وانهلَّتْ مدامعُه
فأضحك الرَّوضَ جَفنُ الضَّاحك الباكى

٤٨٨ وغازل الشمسَ نورٌ ظلَّ يَلحظها
بعين مستعبرٍ بالدَّمع ضحَّاكِ

ورُوِى عن أبى العباس المبرِّدِ [1] أنّه قال : أخذ ابنُ مُطَير قولَه :

* تضحك الأرضُ من بكاء السماءِ *

من قول دُكَينٍ الراجز :

جُنَّ النَّباتُ فى ذُراها وزكا وضَحِك المُزْنُ به حتَّى بكى

انتهى ماأورده السِّيد فى أماليه .

وهذا الخبر المسند إلى الأصمعى رواه (صاحب الأغانى) بسنده إلى أبى المثنى أحمد بن يعقوب ابن أخت أبى بكر الأصمِّ . وإنما اخترنا رواية السِّيد لأنها اشتملت على فوائد . ولم يحك صاحبُ الأغانى فى روايته إلا قوله :

لاتعجبى ياسلمَ من رجلٍ ... البيت

(١) فى النسختين : «وروى أبو العباس» ، والوجه ماأثبت من أمالى المرتضى .

مع أبيات ابن مُطَير (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الأربعمائة (٢) :

٤١٧ (وقد يُخْرِجُ اليربوعُ مِن نافقائه
ومن جُحرِهِ بالشَّيحة اليُتقصَّعُ
يَقول الخنَى ، وأبغضُ العُجْمِ ناطقاً
إلى ربِّنا صوتُ الحمارِ اليُجدَّعُ)

على أن أل الموصولة قد وصلت بالمضارع فى ضرورة الشعر ، كما فى اليُتقصَّع واليُجدَّع ، ببنائهما للمفعول .

صاحب الشاهد وهما من مقطوعة هى سبعة أبيات لذى الخِرَق الطُّهَوىّ قد شرحناها فى أوّل شاهدٍ من شواهد الشرح . والبيت الثانى هو ثانى الأبيات ، والأول هو خامسها . وكأنه نقل البيتين من (سر الصِّناعة لابن جنى) ، فإنهما كذا وقعا فيه ، والصواب أيضاً: «فيستخرج اليربوع» بالفاء كما مر .

وقد ذكر الشارحُ المحقِّق هنا أن حقَّ الإعراب فى نحو الضارب والمضروب إنّما هو لأل الموصولة ، لكن لما كانت فى صورة الحرف نقل إعرابها إلى صلتها عاريَّةً كما فى إلَّا بمعنى غير . وحَقَّق أنَّ أصلهما الضَرَبَ والضُرِبَ ، فكرهوا إدخال اللام الاسمية المشابهة للحرفية لفظاً ومعنى على صُورة الفعل . فظاهر هذا الكلام أنَّ إعرابها ينقل أيضا إلى صلتها إذا كان فعلا،لأنَّ علّة

---

(١) انظر الأغانى ١٤ : ١١١ .

(٢) نوادر أبى زيد ٦٧ والإنصاف ١٥١ ، ٣١٦ ، ٥٢٢ وابن يعيش ٣ : ١٤٤ وشرح شواهد المغنى ٥٩ والعينى ١ : ٤٦٧ والهمع ١ : ٨٥ .

النقل موجودةً ، بل ولو كانت الصلة جملة اسمية . وعليه فجملة يُجدِّع ويُتَقصَّع فى محل جرٍ على الوصفية للحمار .

فإن قلت : أل مبْنية والبناء يقابل الإعراب ، فأىٌّ إعرابٍ نقل منها إلى مابعدها ؟ قلت : أراد أنها فى محلٍّ لو كان بدلها معربٌ لظهر إعرابه ، فإعرابُها مَحَلِّىّ . وقد صرَّح ابن هشام (فى تذكرته) أنَّ الجملة الواقعة صلةً لامحلَّ لها من الإعراب تطَّرد فيما عدا نحوَ قوله :

* إنِّى لك اليُنذِرُ من نيرانها فاصْطَلِ (١) *

وقوله :

* مِنَ القومِ الرسولُ اللهِ منهم *

لأنها فى هذه حالَةٌ محلَّ المفرد المعرب (٢) من قولك: الضارب والمضروب .

وبَحث مثله الدمامينى (فى شرح التسهيل) فقال : أطلقوا القول بأنَّ جملة الصلة لامحلَّ لها من الإعراب ، وينبغى أن يستثنى من ذلك الجملة التى تقع صلة لأل ، لأنَّها واقعةٌ موقع المفرد .

وتعقَّبه الشُّمُنِّىُّ (٣) بأنَّا لانسلم أنَّ كلَّ جملة واقعةٍ موقعَ المفرد لها محلٌّ من الإعراب، وإنما ذلك للواقعة موقعَ المفرد بالأصالة ، والواقعُ بعد أل ليس مفرداً بطريق الأصالة ، لأنهم قالوا : إنَّ صلة أل فعلٌ فى صورة الاسم ، ولهذا يعمل

---

(١) البيت بتمامه كما فى الضرائر ٢٨٨ ، وانظر معجم الشواهد :

لاتَبْعَثَنَّ الحربَ إنىِّ لك الـــ يُنْــذِرُ من نيرانها فاصطــلِ

(٢) ط : « محل المعرفة من المعرب » صوابه فى ش .

(٣) أحمد بن محمد بن محمد حسن ، شيخ الإمام السيوطى . ترجم له فى البغية ترجمة مستفيضة . وكانت حياته مابين سنتى ٨٠١ ـــ ٨٧٢ . منسوب إلى مزرعة أو قرية ببعض بلاد المغرب ، كما فى الضوء اللامع .

٤٨٩ بمعنى الماضى ، ولو سُلِّم فإنما ذلك للواقعة موقع المفرد الذى له محلٌّ ، والمفرد الذى هو صلة أل لامحلَّ له ، والإعراب الذى فيه بطريق العاريَّة من أل ، فإنها لمَّا كانت فى صورة الحرف نقِل إعرابُها إلى صلتها بطريق العاريَّة . انتهى .

وعلى هذا الكلام أيضاً يردُ أنَّ علَّة النقْل موجودةٌ .

وقد خَطرَ لى بتوفيق الله تعالى ماأرجو أن يكون سديداً ، وهو أنَّ أل لمَّا كانت مبنية وكان الوصف بعدها من جنسها وهو الاسمية ، وكان صالحاً لظهور الإعراب فيه حيث كان غير مشغول بإعراب عامل من حيث كونُه صلةً ، وكان الغرض ظهور إعرابها المحلى ، نقل إعرابها إلى الوصف على سبيل العاريَّة ، وفى اليجدَّع [لمَّا[1]] كان الفعل مخالفا لها فى جنسها وكان مشغولاً بإعراب عامله وهو التجرد ، كان غير صالح لظهور إعرابٍ آخر فيه . ولو نُقل إعرابها إلى الجملة لماَ كان يظهر لفظاً ، لكونه غير صالح له . ولو نقلوه إلى محلها لنافَى الغرضَ ، وكان نقلَ إعرابٍ مما لا يظهر فيه إلى مالا يظهر فيه ، وهذا لاوجه له . فظهر الفرقُ بين نقل إعرابها إلى الوصف دون المضارع والجملة . ولله الحمدُ والمنة ، والله أعلم بالصواب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشرَ بعد الأربعمائة [2] :

٤١٨ (لَعمرِى لأنتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَه
وأقعُدُ فى أفيَائه بالأصائلِ [3])

(١) تكملة ليست فى الأصل .

(٢) الإنصاف ٧٢٣ والهمع ١ : ٨٥ وشروح سقط الزند ٢٠٣ ، ١٦٢٠ وديوان الهذليين ١ : ١٤١ واللسان (فيأ) . وسيأتى بعد فى الشاهد ٤٥٠ ص ٥٦٤ بولاق فى الجزء السادس .

(٣) ط : «أفنائه» ، صوابه فى ش وسائر المراجع وما سيأتى فى الشرح .

على أن الكوفيِّين جوَّزوا أن يكون الاسمُ الجامد المعرف باللام موصولا كما قالوا فى هذا : إنَّ التقدير لأنت الذى أكرم أهلَه ، لكنه موصولٌ غير مبهم كسائر الأسماء الموصولة . وعند البصريين اللام غير مقصودٍ قصْدُه ، والمضارع صفة له . وفيه أمور :

الأول : كان ينبغى أن يقول : لأنت البيت الذى أكرم أهله ؛ فإنَّ صنيعَهُ يوهم أنَّ البيت عند الكوفيين بمعنى الذى ، وهو باطلٌ لم يقل به أحد ، وإنما الموصول مفهومٌ من اسم الجنس المعرَّف باللام إذا وقع بعدَه فعل أو ظرف أو مجرور .

الثانى : قوله لكنه موصول غير مبهم ، لم ينقله أحدٌ عنهم ، ولو كان قولَهم لمَا ردَّ به البصريون عليهم كما يأتى .

الثالث : كون الجواب عند البصريين بجعل اللام للجنس والجملةِ المضارعيَّة صفة للبيت ، غير منحصر فيه عندهم كما يأتى أيضاً .

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنَّ الاسم المعرَّف باللام يُوصل كالذى ، واستدلُّوا بقوله :

* لعمرى لأنت البيتُ أكرِمُ أهلَه *

فأنت مبتدأ والبيت خبره ، وأكرم صلة الخبر الذى هو البيت . وردَّ البصريون عليهم بأنه لايجوز ذلك ، لأنَّ الاسم الظاهر يدلُّ على معنى مخصوص فى نفسه ، وليس كالذى ،لأنه لايدلُّ على معنى مخصوص إلاّ بصلةٍ توضِّحه ، لأنَّه مُبْهَم ، وإذا لم يكن فى معناه فلا يجوز أن يقام مقامه .

وأما البيت المذكور فلا حجّة لهم فيهِ من وجهين :

أحدهما:أن يكون البيت خبر المبتدأ الذى هو أنت،وأكرم خبراً آخر .

والثانى : أن يكون البيت مُبهماً لايدلُّ على معهود ، وأكرم وصفاً له فكأنَّه قال : لأنت بيتٌ أكرم أهله كما تقول : إنِّى لأمرُّ بالرجل غيرك ومِثْلِكَ وخير منك . انتهى .

واقتصر الخفَّاف (فى شرح الجمل) على الخبرية فقال : لاحجَّة لهم
٤٩٠ فيه لاحتمال أن يكون خبراً ثانيا لأنت ، ويكون قوله أَنت البيت تعظيماً له ، أى البيتُ المعظَّمُ ، بمنزلة قولك : أنْت الرجل ، أى الرجل العظيم .

وقال ابن السِّيد (فى شرح سقط الزند) : أكرم أهله عند الكوفيين صلة للبيت ، وعند البصريين جملة فى موضع الحال ، أو فى موضع خبر مبتدأً مضمر ، كأنه قال : أنا أكرم أهلَه ، ولو ظهر النصبُ فى هذه الحال لقلت مكرِماً أهله أنا؛ لأنَّها تصير حالاً على غير من هى له ، فيلزم ظهور الفاعل المضمر ، والعامل فى هذه الحال مافى قوله : لأنت البيت ، من معنى التعظيم ، كما أنَّ العامل فى جارةً من بيت الأعشى :

* يا جارتا ماأنتِ جاره (١)*

مافى قوله : «ماأنتِ» من معنى التعظيم . انتهى .

وأجاز ابن الأنبارى أن يكون أكرم أهله صلة لموصول محذوف لاللبيت ، كأنه قال:لأنت البيت الذى أُكرِم أهله، لكن الموصول حذف ضرورة.

---

(١) صدره كما سبق فى ٣ : ٣٠٨ :

* بانت لتحزننا عفاره *

وهذا الوجه جارٍ على مذهب الكوفيين ، إذْ يجيزون حذفَ الموصول دون صلته فى غير ضرورة ، وهذا يأباه البصريون .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : لايجوز أن تحذف الموصول وتدعَ الصلة ، لأنها تُذكر للتخصيص والإيضاح للموصول . ونظيره : أجمعون فى التوكيد ،لايجوز أن تذكره وتحذف المؤَكَّد . فإن قلت : لم لايكون كالصفة والموصوف فى جواز حذف الموصوف وذكر الصفة ؟قيل : لم تكن الصلة كالوصف إذا كان مفرداً ، ألا ترى أنَّ الوصف إذا كان مفرداً كان كالموصوف فى الإفراد ، وإذا كان مثلَه جاز وقوعُه مواقع الموصوف من حيثُ كان مفرداً مثله مع استقباحٍ لذلك . فأمَّا الصلة فلا تقع مَوَاقع المفرد من حيثُ كانت جملا ، كما لم يجز أن تُبدَل الجملة من المفرد من حيث كان البدل فى تقدير تكرير العامل ، والعامل فى المفرد لايعمل فى لفظ الجملة . فأمَّا مَن تأوَّل قوله : لعمرِى لأنت البيتُ أكرم أهله ، على تقدير لأنت البيت الذى أكرم أهله وحذف الموصول ، فليس فى البيت دلالةٌ على هذا الذى تأوَّله ، وذلك أنه يجوز أن يكون أكرم أهله جملةً مستأنفة معطوفة على الأولى ، ولم يُحتج إلى حرف العطف لما فى الثانية من ذكر مافى الأولى ، كقوله تعالى : ﴿ أولئكَ أصحابُ النارِ هُمْ فيها خَالِدُون [٢] ﴾ .ويجوز أن يكون قوله : لأنت البيتُ ، على جهة التعظيم ، فأجرى عليه اسم الجنس لهذا، كما تقول: أنت الرجل ، تريد به الكمال والجلَد ، فكذلك يكون المراد بالبيت . ألا ترى أنهم قد يقولون : له بيتٌ وشرف ! وإذا كان كذلك جاز أن يكون أكرم أهلَه فى موضع حال مما فى البيت من معنى الفعل ، كما أنَّ عِلماً فى قولك : أنت الرجل علماً وفهماً ،

(١) انظر شروح سقط الزند ١٦٢٠ .

(٢) الآية ٣٩ ، ٢٧٥ من البقرة و ٣٦ من الأعراف و ٢٧ من يونس و ١٧ من المجادلة . كما وردت مسبوقة بالفاء والواو فى آيات أخر .

ينتصب عما فى الرجل من معنى الكمال . وكما أنَّ جارةً فى قوله :

* ياجارتا ماأنتِ جارهْ *

ينتصب عمَّا فى ماأنت (١) من معنى التعظيم ، كأنَّه قال : كَمَلْتَ فى جال علمك وبَذّك غيرَك . فإن قلت : فهل يجوز أن يكون البيتُ بدلاً من أنت ، ويكون أكرم فى موضع خبر المبتدأ ، كأنَّه قال ، إذا أبدل البيت من أنت : أنت أُكرِم أهله ، أو البيت أكرم أهله ؟ قلت : إنّ قياسَ قول سيبويه عندى إنَّه لايجوز هذا . ألا ترى أنَّه لم يجز فى قولهم : «بِىَ المسكينَ كان الأمر (٢)» بدلُ المسكين من الياء . وإنَّما لم يجز ذلك لأنَّ البدل إنَّما يذكر لضربٍ من التبيين ، فإذا لم يفد ذلك لم يُستجَزْ . والمتكلم فى غاية التخصيص والتبيين ، فلم يحتج لذلك فيه إلى بدل ، وإذا كان كذلك ٤٩١
فالمخاطب فى هذا كالمتكلم .

انتهى كلام أبى على ، ولكثرة فوائده نقلناه بجملته.

وقوله : (لعمرى) اللام للابتداء وعمرى مبتدأ وخبره محذوف تقديره:قسمى . أقسَمَ بعُمْره . وجملة (لأَنت البيت) إلخ جوابُ القسم . و(أُكرم) فعل مضارع ، و(أهله) مفعول .

(١) ش مع أثر تغيير : « ينتصب مما فى ما أنت » .

(٢) فى النسختين : «فى المسكين كان الأمر» ، صوابه من سيبويه ٢ : ٧٦ س ١٥ — ١٦ من تحقيق كاتبه . ويعنى سيبويه أن إتباع «المسكين » على الإبدال من ياء المتكلم ، وكذلك من كاف المخاطب فى قولك : «بك المسكين مررت» لايجوز ، وعلله بقوله : « لأنك إذا عنيت المخاطب أو نفسك فلا يجوز أن يكون لايدرى من تعنى ، لأنك لست تحدث عن غائب » .

وكتب بعض من عاصرناه [١] (فى حاشيته على شرح القطر للفاكهى): كأنَّ الداعىَ للكوفيين على جعل البيت اسماً موصولا أنه لايصحُّ الإخبار به عن أنت على الظاهر ، بجعله اسماً معرَّفا بأل . ويمكن أن يجاب بأنَّه على حذف مضاف ، أى أنت صاحب البيت ، ونحوه .

وقوله : (أكرِمُ) فعل مضارع ، لأنَّ الصلة لاتكون إلا جملة . فما فى بعض النسخ من ضبطه على صيغة أفعل التفضيل وإضافته إلى أهله ، ليس كما ينبغى . هذا كلامه . وهو من ضيق العَطَن وعدم الاطِّلاع على المعنى ، فإنَّ البيت مستعمَلٌ فى حقيقته ،والخطاب له ، فإنّ الشاعر ــ وهو أبو ذؤيب الهذلى ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين [٢] ــ بعد أن تغزَّل بأبياتٍ خاطب دارَ حبيبته . قال الإمام المرزوقى (فى شرح أشعار الهذليين) : قوله : لعمرى لأنت البيت إلخ ، هذا رجوعٌ من أبى ذؤيب إلى ذكر البيت لتعظيم شأن أهله . وأشار بقوله وأقعد فى أفيائه ، إلى ماكان يناله منهم فيدومُ لذلك ملازمته له وحبه وإكرامُه لسُكَّانه .قال: ويروى «وأجلِسُ فى أفيائه» . ولافضْلَ [٣] بين أقْعُد وأجلسُ فى المعنى ، وإنْ كان لكلٍّ منهما من التصرُّف مايستبدُّ به دون صاحبه . ألا ترى أنَّه لايقال مع القيام إلا القعود ، وأنَّه يقال للزَّمِن : هو مُقْعَدٌ وبه قُعادٌ ، ولايبنَى له من الجلوس مثل

(١) كتب مصحح المطبوعة الأولى : «قوله بعض من عاصرناه ، لعله يعنى ياسين . اهـ من هامش الأصل» . وقال الميمنى فى الإقليد ٨٣ معقبا على ذلك : «هذا خطأ ، فإنه لم يذكر يس الحمصى إلا بلفظ شيخنا . انظر حاشيته على التصريح ، وشرح الألفية له ، فى الخزانة » .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) كذا وردت «فضل» بالضاد المعجمة فى النسختين ، وهى صحيحة .

ذلك ، وأنه حُكى عن أعرابىٍّ يصف رجلاً :«هو كريم النُّحَاس ، جميل الجُلَّاس». ويقال فلان الجليس بمعنى النديم ، وهم جُلساء الملك . ولم يكثر لهذا المعنى مثل هذا البناء من القعود ، وإن كان الخليل قد حَكى : قعيد الرجُل : جليسه . ونظائر هذا فى اللغة كثيرة .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدةٍ عِدَّتُها أربعةٌ وعشرون بيتا ، فلا بأس أن تُشْرَح فإنّ فيها شواهدَ ، وهى هذه :

(أساءَلْتَ رسمَ الدار أم لم تُسائِلِ
عن السَّكْن أم عن عَهدِهِ بالأوائِلِ

لمن طللٌ بالمنتضَى غير حائِلِ
عفا بعد عهدٍ من قطارٍ ووابلِ (١)

عفا بعد عَهد الحىِّ منهم وقد يُرى
به دَعْس آثارٍ ومَبرَك جاملِ

عفا غيرَ نؤى الدارِ ماإنْ تُبينُهُ
وأقطاعِ طُفْىٍ قد عَفَت فى المعاقِلِ (٢)

وإنَّ حديثاً منكِ لو تبذلينه
جَنَى النحلِ فى ألبان عُوذٍ مَطافلِ

مطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نتاجُها
يشاب بماءٍ مثلِ ماء المفاصلِ

(١) ط : «بالمنتصى» بالصاد المهملة ، وهما لغتان ، كما سيأتى فى الشرح ، وهى فى ديوان الهذليين ١ : ١٤٠ بالضاد المعجمة .

(٢) فى الديوان : « ما أن أبينه » .

رآها الفؤادُ فاستُضِلَّ ضَلالُهُ
نِيافاً من البيض الحسان العَطابلِ
فإن وصلَتْ حبلَ الصفاء فدُمْ لها
وإن صرمَتْه فانصرف عن تَجامُلِ[١]

لعمرى لأنت البيتُ أُكرِمُ أهلَه .... البيت .

وماضَرَبٌ بيضاءُ يأوِى مليكُها
إلى طُنِفٍ أعيا بِراقٍ ونازلِ
تُهالُ العُقابُ أن تمرَّ بِرَيْدِهِ
وتَرمِى دُروءٌ دونه بالأجادلِ
تَنَمَّى بها اليعسوبُ حتى أقرَّها ٤٩٢
إلى مألِفٍ رَحبِ المباءة عاسلِ
فلو كان حبلاً من ثمانينَ قامةً
وتسعينَ باعاً نالها بالأناملِ[٢]
تَدلَّى عليها بالحبال مُوَثَّقا
شديدُ الوَصاةِ نابلٌ وابنُ نابلِ
إذا لسعَتْه النحلُ لم يرجُ لسعَها
وحالفَها فى بيتِ نوبٍ عواملِ[٣]

---

(١) فى الديوان : « فانصرم » بالميم . وفى ش : « عن تحامل » ، صوابه فى ط والديوان .

(٢) فى الديوان : « فلو كان حبل » بالرفع .

(٣) فى الديوان : « وخالفها » بالخاء المعجمة ، وهما روايتان نص عليهما البغدادى .

فحطَّ عليها والضُّلوعُ كأنها
من الخوف أمثالُ السِّهام النواصلِ
فشرَّجهـــا من نُطفــةٍ رَجَبِّيــةٍ
سُلاسلةٍ من ماءِ لِصْبٍ سُلاسلِ[1]
بماءِ شُنانٍ زعزعَتْ مَتْنَه الصَّبا
وجادت عليه دِيمةٌ بعدَ وابلِ
بأطيبَ من فيها إذا جئتُ طارقاً
وأشهى إذا نامت كلابُ الأسافلِ
ويأشِبُنى فيها الأُلاءِ يَلُونها
ولو عَلمُوا لم يأشِبونى بطائلِ
ولو أَنَّ ماعند ابنُ بُجْرةَ عندَها
من الخمر لم تَبْلَلْ لهاَتى بناطلِ
فتلك التى لايبرحُ القلبَ حبُّها
ولا ذِكْرُها ماأرزمَتْ أمٌّ حائل
وحَتَّى يؤوب القارظانِ كلاهما
ويُنشَرَ فى الهلْكَى كليبٌ لوائلِ)

قوله : «أساءلت رسم الدار» إلخ المساءلة : مفاعلة تكون من اثنين ، وهذا اتِّساع على عادتهم.والسَّكْن:جمع ساكن،مثل تاجر وتجْر .وتقديره : أساءلت رسم الدار عن السَّكْن أم عن عهده بالأوائل أم لم تسائل،إذا جعلتَ عن السكن متعلِّقة بالفعل الأوَّل.خاطب نَفْسَه على طريق التحزُّن والتوجُّع

(١) ش : « رحبية » بالحاء المهملة ، تحريف .

فقال : أباحثْتَ رسم الدار لما وقفتَ عليها عن أخبار سكّانها كيف انتقَلوا ، وإلى أين صاروا ، أو عن مُدَّة عهدِه بهم ، ومُذْ كم ارتحلوا ، ومتى ساروا ، أوّلاً ؟ والسؤال عن السَّكْن أنفسِهم غيرُ السُّؤالِ عن مُدّة العهد بهم ، فلهذا فرَّق . والأوائل هم السَّكْنْ ، ولكن فخَّم شأنهم بأن أعاد اسمَهم الظاهر ولم يقل عن عهده بهم . ودعَتْه القافية إليه أيضا . وحسَّن ذلك ، لما لم يهجِّنْه التكريرُ ، اختلافُهُما . ويجوز أن يريد بالسكن الوحش التى استبدلتها من قُطّانها قبل ، وتلك الحالة من الدار مما يزيد فى جزع الواقف عليها ، ويستمدُّ السؤالَ على جهةِ التلهُّف لها ، كما قال :

يعزُّ علىَّ أن يُرَى عِوَضَ الدُّمى بحافاته هامٌ وبُومٌ وهِجْرِسُ

وقوله : «لمن طلل» إلخ هذا وجه آخر من التحزُّن ، كأنَّه استنكر أن تكون دارُهم بالحالة التى رآها ، فجعل سؤاله سؤال من لايُثبتها ، تعظيماً للأمر . والمنتصى : مُلتقى الواديين حيث يُناصى أحدهما صاحبه . وقال الباهلى : المنتصى : موضع . وروى أبو عَمرٍو : «المنتضى» بالضاد معجمة ، وقال : هو موضع . وقوله : «غير حائل» قال الباهلى : أراد عفا بعد عهدٍ من قِطار ووابل ، ولم يمرَّ به حولٌ . والمشهور أن يقال أحال الشيءُ إذا أتى عليه حول ، إلا أنَّ بعضهم حكى أنَّ حال لغةٌ فيه . ويجوز أن يكون حائل بمعنى متغيِّر ، يقال حال الشيء واحتال إذا تغيَّر ، كأنَّه كان دارسَ البعضِ باقىَ البعضِ ، فلم يعدّ ذلك تغيُّرا كاملا ، ومتى كانت الرسوم بهذه الصفة ذكَّرت العهودَ أشدَّ ، وجدَّدت الغمومَ أجَدَّ . ولذلك تمنى بعض الشعراء شمولَ الدروس عليها ليستريح منها فقال : ٤٩٣

ألَا ليتَ المنازلَ قد بَلينا فلا يرمين عن شُزُنٍ حَزينا (١)

(١) البيت لابن أحمر فى اللسان والمقاييس (شزن) وشرح السبع الطوال ٢٠ .

وقوله : «بعد عهد» يجوز أن يريد بعد إلمام ، ويجوز أن يكون مصدر عُهِدت الروضة ، إذا أتى عليها العَهد ، وهو كلُّ مطر بعد مطر ؛ وجمعه عِهاد . وإنّما قال من قطار ووابل ، لأنَّ الوابل المطر المُروِى ، والقطار : جمع قَطْر ، وهو لما دُونَه .

وقوله : «عفا بعد عهد الحىِّ» إلخ ابتدأ يبيِّن كيف عفا ، والمعنى عفا الطلل والمكانُ بعد أن كان للحىِّ فيه عهدٌ . والعَهْد : المنزل الذى لايزالون إذا بعُدوا عنه يرجعون إليه ، كأنَّهم تركوا النزولَ به وفارقوه فعفا ، يريد عفا منهم بعد عَهدِهم ، أى بعْد أن كانوا يعهدونه ، وقد بقىَ من آثارهم ومبارك إبلهم مايُستدَلُّ به على أنّه ربْعُهم . والدَّعس : شدَّة الوطء . وقال أبو نصر : هو تتابع الآثار . والجامل : اسمٌ للجمع يقع (١) على الذكور والإناث ، كالإبل ، وإن كان من لفظ الجمَل .

وقوله : «عفا غير نؤى» الخ يقول : عفت آثارُ الدار وانمحت إلاَّ نؤياً لايُستبان منها ، وأَقطاعاً من خُوص المُقْل تمزَّقت لقدَمها ، فتفرَّقت فى الساحات وكثُرت بترديد الرِّياح لها . والنؤى : حاجزٌ يُمنع به السَّيل عن البيت . والطُّفْى واحدتها طُفْية . ومعنى عفا درس . وعفَتْ فى المعاقل : كثُرت . وهذا من الأضداد ، يقال عفا المكان ، إذا درس ، عَفاءً وعُفُوًّا ، وعفته الرياح عَفاء وعُفُوّا : كَثُر ، وعفوته أَنا . والمعاقل : جمع المَعقِل ، وهو ههنا المنزل الذى نَزلوه وحَفِظُوا مالَهم فيه . والعقل : الحفظ .

وقوله : «وإنّ حديثاً منكِ» إلخ ترك وصف الدار ودروسَها وعطف إلى خطابها يغازلها . يقول : إنَّ حلاوة حَديثكِ لو تفضَّلتِ به حلاوةُ العسل مشوباً

(١) ط : « يقال » ، صوابه فى ش .

باللَّبن . والجَنَى أُصله الثمر المجتنَى ، فاستعاره . والعُوذُ : الحديثات النِّتاج ، واحدها عائذ . ومَطافل : جمع مُطفِل ، وهى التى معها طِفْلُها . وإنَّما نكَّرَ قوله حديثاً منكِ ، ليبين أنَّ موقع كلامها منه على كل وجهٍ ذلك الموقع . ودلَّ بقوله «لو تبذلينه » على تمنُّعها وتعذُّر ذلكَ من جهتها .

وقوله: «مطافيلَ أبكار» إلخ مطافيل بدل من قوله عوذٍ مطافل ، وأشبع فى الفاء للزومها فحدثت الياءُ . والأبكار : التى وضعت بطناً واحداً ، لأنَّ ذلك أول نتاجها ، فهى أبكارٌ وأولادها أبكار ، ولبنها أطيب وأشهى ، فلذلك خصَّه وجعله مِزاجاً . ويُشاب صفة لألبان ، أى مشوبة بماءٍ مُتَناهٍ فى الصَّفاء . وقيل فى المفاصل إنَّها المواضع التى ينفصل فيها السَّهل من الجبل حيث يكون الرَّضراض ، فينقطع الماء به ويَصفُو [(١)] إذا جرى فيه . وهذا قولُ الأصمعىِّ وأبى عمرو . واعتُرِض عليه فقيل : هلاَّ قال بماءٍ من مياه المفاصل ، ومالَهُ يشبِّهه به ولا يجعله منه ؟ فقيل : هذا كما يقال : مثلُ فلان لايفعل كذا ، والمراد أنَّه فى نفسه لايفعل ، لأنه أُثبِتَ له مثلٌ ينتفى ذلك عنه . ألا ترى أنَّه لو جعل ذلك لنظيره لكان المدح لايَعْلَق به ، وقد عُلم أنَّ القصد إلى مدحه . وعلى هذا قد حُمِل قوله تعالى : ﴿ليس كمثْلِهِ شىء [(٢)]﴾ . وقال أبو نصر :أراد بالمفاصل مفاصل الجبل حيث يقطرُ الوَشَل،وذلك أصفى من مياه المناقع والعيون.وقيل أراد يشاب بماءٍ كالدمع صفاء،فالمفاصل شؤون الرأس ،وهى ٤٩٤
تسمَّى مفاصل ومَواصل،والدمع منها يَخرج.وهذا كَما يقال:جئتك بخمرةٍ كماءِ العين وأصفى من الدمع،فالتشبيه حاصلٌ فى هذا الوجه،وهو عندى حسن. والمراد بماء

---

(١) ط : «وتصفو » ، وأثبت مافى ش .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

العينِ الدَّمعُ لاغير . وقال أبو سعيد : ماء المفاصل الدم ، وأراد بالماء الخمرَ وشبَّهها به . وقال ابن الأعرابى : ماء المفاصل ماء اللحم التى شَبَّه حُمرته بحمرته . وعهدة هذين القولين عليهما .

وقوله : «رآها الفؤاد» الخ أضاف الرؤية إلى الفؤاد تحقيقاً للأمر ، لأنَّ العين رائدُ القلب ، فكأنَّها أُدركت بالعين أوّلاً ، ثم تُؤوِّلت بالفكر فى محاسنها ثانياً ، فتمكَّن الحب بإعادة النظر وبسْط الفكر . قوله : «فاستُضِلَّ ضلاله» ، قال الأصمعى : هو كما يقال جُنَّ جُنونه . وكشْفُ هذا : أنَّ للنفس شهوةً فى المستحسنات قد تضلُّ بها عندها ، فتسمَّى تلك الشهوة ضَلالاً لكونهَا سبباً فيه ، ثم إذا غَلب عليها شىءٍ يستتبع تلك الشهوة قيل استُضِلَّ ضلالُ فلان ، أى طُلب منه أن يضلَّ فضلَّ . وقال بعضهم: أراد استُزِيدَ ضلاله ، أى زيد ضلالُه ضلالاً ؛ كأنَّه لما تفكر فى محاسنها وتقصَّاها ازداد بها وَلوعا ، فجعل ذلك استضلالاً للضلال . وقال الأخفش : هذا كما يقال:خرجت خوارجُه ، والمعنى دواخله ، فسمَّاها بما آلت به ، فكذلك أراد استُضِلّ رشادُه ، فقال ضَلاله ، لرجوعه إليه . ومثله :

* يُدعَوْنَ حُمْساً ولم يَرتَع لهُم فزَع *

أى لم يرتَعْ أمْنُهم .وهذا كثير.وقوله : نيافاً،نصبٌ على الحال . والنِّياف : الطويلة المشرفة (١) ،ومنه أناف على كذا،أى أشرف . والعَطابل: جمع عُطبول بحذف الزيادة منه ، كأنَّه كان عُطبُلاً ، وهى الطويلة الأعناق .

وقوله : «فإن وَصَلت حبلَ» إلخ يُسأل عن موقع هذا الكلام ممَّا قبله ، وعن زهده المسرف فى هذا البيت بعد ضلاله المفرط فى البيت المتقدِّم ، وكيف

---

(١) ط : « المترفة » ، صوابه فى ش وشرح السكرى .

وجهُ التئامهما على تقاربهما ، وهل يجوز أن يتجلَّد فى هذا ثم يقول بَعقبِه :

* لعمرى لأنتَ البيتُ أكرِمُ أهلَه *

والجواب أنَّ هذا وَفق ماتقدَّمه ، وغير مخالف له ، لكنّه أظهر الاستسلام لها ولرأيها ، فإن وصلت حبله دام على مصافاتها لايشرَكُ أحداً فى وُدّها ، وإن صرمتْ ودَّه وقف عند محدودِها فى الانصراف ومرسومِها ، لايستعمل منكراً ولا يتعاطى رَفَثا ولا هُجْرا . وهذا من الآداب المحمودة فيما يجرى عليه المتحابَّان . ويدلُّ على ماقلنا أن أبا ذؤيب أمرَ نفسَه بالدَّوام إن رأت الوصل ـــ والدَّوامُ على الوصل زيادةٌ عليه وثباتٌ فيه ـــ وبالانصراف عنها على أجْمَلِه إن رأت الصّرم إلى أن ترى غيره . وإذا كان الأمر كذلك فما أظهر زهداً فيها .

وقوله : «وماضَرَبٌ بيضاء» إلخ عاودَ وصفَ المرأة . والضَّرَب:الشُّهدة، ويقال استَضْرَب العسل ، إذا خَثُر فصَلُبَ . وهو ضَرَبٌ وضريب . والعَسَل فى لغتهم مؤنَّثة ، فلذلك قال بيضاء . وقوله:«يأوى مَليكُها» أراد به اليعسوب، وهو قائد النحل ، وأضاف المليك إلى العَسل توسُّعا ، وإنّما هو مليك النحل المعسِّلة.والطّنف ، بفتح الطاء وضمها: حَيْدٌ نادرٌ من الجبل، والمعنى ماعسلٌ بيضاءُ يأوى نَحلُها إلى أنفٍ من الجبل يُعيى الراقىَ إليه والنازلَ منه.

وقوله : «تَهال العقابُ» اخ . قال الباهلى : الرَّيد : شمراخٌ فى الجبل . وقال أبو نصر:الرَّيد مانتأً من الجبَل فخرج منه حرف . والدُّروء:جمع الدّرء وهو الحَيْدُ يدفعُ مايلاقيه.ومنه تَدارأ الرجلان،إذا تدافعا . وقال الأصمعى:هو الأنف المعوّج . والمعنى أنَّ ذلك الجبل تَهاب العقابُ من المرور بحرفه ، ٤٩٥
لإشرافِه وعُلوِّه واعوجاج أطرافه وأنوفه .

وقوله : «تنمَّى بها اليعسُوب» إلخ ضمير بها للنحل ولم يَجرِ لها ذِكر ، لأنَّه يُستدلُّ عليها بالقصَّة . يعنى أن اليعسوب يرتفع بالنحل حتىَّ يُسكِنها فى مجمع لها أَلِفَتْهُ واسعٍ ذى عَسَل . وإنَّما قال هذا لأنّ النحل تتبع قائدَها فتطير بِطيرانِه وتَرجع برجوعه . والمباءة : مرجع الإبل ومَبيتها الذى تتبوَّأ فيه وتأوِى إليه ، فاستعاره ههنا. وقوله : «أقرَّها إلى مألِف» عدَّاه بإلى ، لأنه فى معنى آواها وألجأها ، وهم يحملون النَّظير فى التعدية على النظير ، والنقيضَ على النقيض كثيراً .

وقوله :«فلو كان حَبْلاً من ثمانين» البيتين الضمير المؤنَّث فى نالها وعليها للخلِيَّة المفهومة من المقام ، وفاعل نالها : شديد الوَصاة ، وجملة تدلَّى : حالٌ بتقدير قد ، والتقدير : نالها بالأنامل شديدُ الوَصاة نابلٌ وابنُ نابِلٍ متدلِّيا عليها بالحبال . ويكون مُوثقًا حالاً (١)من الضمير فى تدَلّى .ويجوز أن تَكون جملة تدلَّى اعتراضاً بين الفعل والفاعل،ويحسِّن الاعتراضَ أنّه تفسيرٌ لنيل المشتار للعسَل كيف كان،وعلى أىِّ وجهٍ توصَّل.وروى تقديم بيتِ تَدَلَّى عليها،على بيت فلو كان حبلاً ، وبه يحسُن الانتظام ، ويصير قوله فلو كان (٢) حبلاً من ثمانين قامة واقعاً فى موقعه ، وبياناً لحذق المشتار وحُسنِ تأتِّيه (٣) فيما يعانيه ، حتى لا يمتنع عليه شاقٌّ منيع . وعليه يكون شديد الوصاة فاعلَ تدلَّى ، وموثقا حال . قال الأصمعى : أراد بشديد الوَصاة الشديد الحِفاظ بما أُوصِىَ به . قال أبو نصر : بيانه : شديد عند الوَصاة لا يسترخى فيها ولا يتجوّز . وقال أبو عبيدةَ : أى يوصى أصحابَه بالحبل ويشدِّد فى الأمر ، يقول : أمسِكوه واستوثِقوا منه . وقوله :نابلٌ وابن

(١) ط : « حال » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « ولو » ، صوابه فى ش .
(٣) ط : « تأنيه » ، صوابه فى ش .

نابل ، أى حاذق وابن حاذق ، يعنى أنَّه ورث صناعتَه عن أسلافه ، ثم نشأ عليها وبرعَ فيها .

وقوله : «فلو كان حبلاً» تقديره : لو كان الحبل الذى تدلَّى به حبلاً طوله ثمانون قامة وتسعون باعاً . والمعنى تدلَّى عليها ، ولو كانت أشقَّ منها مطلبا وأبعدَ منالاً لاحتال فيها حتى ينالها بيده [1].

وقوله : «إذا لسعَتْه النحل» إلخ يُروى «إذا لسعَتْه الدَّبْرُ» وهو كالنحل وزناً ومعنى . يقول : إذا لسعت النحل هذا المشتارَ لم يَخفْ لسعَها ، ولم يُبالِ بها ، ولازَمها فى بيتها حتَّى قضى وطره من مُعَسَّلها . ومعنى لم يرج : لم يخف ، من قول الله تعالى : ﴿إنَّهم كانوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً [2] ﴾. وكما وضعوا الرَّجاء موضع الخوف وضعوا الخوفَ موضعَ الرجاء . وقوله : «وحالفها» قال الأصمعى : أى صار حليفَها فى بيتها وهى نُوبٌ . ولم يرد : حالفها فى بيت غيرها . وروى أبو عَمرٍو : «وخالفها» بالخاء معجمة قال : يريد جاء إلى عَسَلِها من ورائها لماَّ سرحَتْ فى المراعِى . والنُّوب : النَّحل ، ولا واحد له . وقال ابن الأعرابى : هو جمع نوبىٍّ ، سمَّوها بذلك لسوادها . وقال الأصمعى : هو جمع نائب ، كعائذ وعُوذ . يريد أنَّها تختلف وتجىء وتذهب ، أى تنتاب المراعىَ ثم تعود . وعَوَامل ، أى تعمل العَسلَ .

وقوله:«فحطَّ عليها»إلخ يقول:انحدر المشتارُ على الخليةِّ والقلب يَجِبُ، والأحشاء تضطرب،خوفاً مما يكابده فى التدلِّى،حتَّى كأنَّ ضلوعه سهامٌ لانصالَ لها، رُمِىَ بها فطاشت وقَلِقت.والسهم الناصل:الذى سقط نصلُه أو قَلِق [3].

(١) ش : «حتى نالها بيده» .

(٢) الآية ٢٧ من سورة النبأ .

(٣) ط : «فلق» ، صوابه بقافين ، كما فى ش .

يقال : نَصَلت السهم ، إذا ركَّبت عليه النصل ، وأنصلته فَنَصل ، إذا نزعتَ نَصْله .

٤٩٦ وقوله : «فشرَّجها من» إلخ أى جعل العسلَ شريجين ، أى خليطين ، بالمزاج الذى صبَّه عليها ، وكل واحد من الخليطين شريج . والنطفَة : الماء . وإنَّما نسبهَا إلى رجب لأنَّ رجبَ وجمادى كانا فى زمانهم من شهور الشتاء . والسُّلاسِلة ، بالضم : التى تتسلسل فى الحلق لصفائها وعذوبتها وسهولة صفاء مَدخلها . وجعلها من ماء لِصْب بكسر اللام ، وهو شَقٌّ فى الجبل ، ليدلَّ على أنها من ماء المطر ، وأنه تنقَّلَ فى مضايق الطرق وتقطع بمدراج الشقوق والنُّقَر ، فتزيل الكدورةَ عنه ، وتَسَلسلَ فى جريه ومروره حتَّى تناهى فى مَقَرِّه ورَبَد بالرِّيح (١) فى مستنقعه . فقوله : سُلاسل صفة لماء لِصب ، وأراد به رِقَّته وسرعة مَرِّهِ فى مجاريه من المسايل والمناقع .

وقوله : «بماء شُنان» إلخ رواية الأصمعى بتنوين ماء وإجراء شنان وصفا له.قال أبو نصر : وهو أحبُّ إلىّ . والشُّنان بضم المعجمة : البارد ينشنّ من الجبل انشنانا . ومنه شنَّ عليه الغارة . وروى أبو سعيد : «بماءِ شِنانٍ» على الإضافة ، قال : والشِّنان ، بكسر المعجمة : جمع الشنَّةِ ، وهى القِربة الخَلَق ؛ والماء فيها أبرد . وقوله : «زعزعَتْ متْنَه» أى أعلاه . وقوله : «وجادت عليه» إلخ القصد فيه إلى تكثير الماء حتى يكون أصفى .

وقوله:«بأطيبَ من فيها» إلخ هذا خبر «ما» من قوله:وماضربٌ بيضاء . وإذا جئتُ ظرفٌ لطارقاً ، وإذا نامت ظرفٌ لأشهى .والمراد:وأشهى من فيها إذا نامت .والمشار إليه بإذا نامت غير المشار إليه بإذا جئت ، يدلك

(١) ش : « وريد الريح » ، صوابه فى ط . وربد : أقام .

أنَّ الوقت الذى يجىءُ فيه طارق [١] يجوز أن يكون من أول الليل ، ومن أوسطه ، وآخره، فإنَّ الوقت الذى ينام فيه كلابُ الأسافل يكون معلوماً متميِّزاً عن ساعات الليل . وقد اختُلِفَ فيه ، فقال بعضهم : هو أوّل الصبح ، لأنَّ الكلابَ إذا تحرَّك الناس تنام وتسكن . ومثله قول أبى ذؤيب فى أخرى :

بأطيب من مُقبَّلها إذا ما دنَا العَيُّوقُ واكتتم النُّبوحُ

وقيل الأسافل مراد به أسافل الحىِّ ، لأنَّ مواشيَهم لاتبيت بل لها مباءَةٌ على حِدَة ، فرُعاتها لاينامون إلا آخرَ من ينام ، لأنَّ منهم من يربِّق ، ومنهم من يَحلبُ ، وكلابهم تحرس معهم ، فلا تنام إلا آخر الليل .

وقال الباهلى : الحِوَاء يكون فيه الوجوه ، والأسافل يكون فيه الرِّعاء . وهذا كالبيان للأوَّل .

وقال أبو سعيد : الأسافل:سَفِلة الناس ، ويعنى بهم هنا الرعاة ، وليس يراد به أسافل البيوت .

وقال الأخفش : الرواية « كلاب المَسافل » ، يعنى المواضِع التى تسفل الناسُ فيها . يقال أتيت المسفَل من مكة وأتيت المعْلَى منها ، وهى مسافلها ومَعاليها . والمعنى على جميع هذه الوجوه أنَّ فمها أشهى مما وصفه إذا خَلَفت الأفواهُ وتغيَّرت .

وقوله : «ويأشِبُنى فيها» إلخ يأشبنى : يَلْطخُنى ويقذفنى . يقال : أشَبَهُ بشىءٍ،إذا قذفه به.والألاءِ [٢]:اسم موصول بمعنى الذين.وعلِم هنا بمعنى عَرَف

---

(١) ش : « طارقا » ، وكلاهما صحيح .

(٢) ش : « والأولى » ، صوابه فى ط ، وهو المطابق لنص الشعر .

يقول : لو عرفوا قصَّتى معها مع تمنُّعها لم يقولوا إنى أُصبْتُ منها طائلا . والطائل : ماله فضلٌ وقدر . وروى : « بباطل » ، والمعنى : لتحرَّجوا مِن قذفى بالباطل . ويَلُونها : يَقْرُبونها . وروى : « الأُلى لا يَلُونها » أى الغرباء دون أهل بيتها .

وقوله : «ولو أن ماعند» إلخ ،ابن بُجْرة بضم الموحدة وسكون الجيم : خَمَّارٌ معروف كان بالطائف .والناطل ، هنا: جُرعةٌ من ماءٍ أو لبن أو نبيذ ، ٤٩٧ ويأتى بمعنى المكيال للخمر ، وليس مراداً هنا . وأبلَغُ مِنْ هذا :

وكيف طِلابى وصلَ من لو سألته
قَذَى العين لم يُنْعِمْ وذاك زهيدُ (١)

وقوله : «فتلك التى لا يَبرح» الخ ، مامصدرية ظرفية ، وأرزمت بتقديم المهملة : حَنَّت . والحائل : الأنثى من أولاد الإبل . والسَّقْب : الذَّكر . والمعنى : تلك المرأةُ التى وصفْتُها هى التى لايفارقنى حبُّها وذكرها أبداً .

وقوله : «حتى يؤوب القارظانِ» إلخ ، المعنى : لايفارقنى حبُّها حتى يكون مالا يكون .

القارظان القارظان أحدهما القارظ العَنَزى ، وهو يذكر بن عَنَزة بن أُسد بن ربيعة، كان يعشق[ابنته(٢)]فاطمةَ،خزيمةُ بنُ نهد،فطلبَها من أبيها فلم يزوِّجها ،ثم خرج يذكر وخزيمة يطلبان القَرَظ ــ وهو ورقٌ تدبغ به الجلود الطائفيَّة ــ

(١) أنعم : أجاب بنعم . وذاك ، أى الإجابة بنعم .

(٢) ابنته ، ساقطة من ش .

ومرًّا بقليبٍ فاستقيا ، فسقطت [الدلو (١)] فنزل يَذكُر ليُخرجَها ، فلما صار فى البئر منعَه الحبْلَ وقال : زوِّجنى فاطمة . فقال : أمَّا على هذه الحالة اقتساراً فلا أفعل ، ولكنْ أخرِجنى حتَّى أزوِّجَك . فامتنع ، وجعل يسأله ويأبى حتَّى هلك فيها .

والقارظ الثانى : رجلٌ من النَّمرِ بن قاسط ، خرج يَبْغِى قَرَظا فأبعَدَ ، فنهشتهْ حيّةٌ فقتلتْه،فضُرب المثلُ برجوعهِ فيما لا يكون.قال عُمارة بن عقيل:

لِأُجزِرَ لحمى كلبَ نَبْهان كالذى
دعا القاسطىَّ حتفُه وهو نازحُ

كذا ذكر المبرد أنَّ القاسطىَّ أحد القارظَين . هذا لخَّصته من شرح أشعار الهذليين للإمام المرزوقى .

وقال الزمخشرى (فى مستقصى الأمثال) : القارظ الثانى : اسمه هُمَيم ، وقيل عُقبة ، وكان يتصيدُّ الوعول ويَدبغ (٢) جلودَها بالقرظ ، فعرض له فى بعض الجبال ثعبانٌ فنفخه نفخةً فوقع منها ميتا . انتهى .

وأمَّا الميدانىُّ (فى مجمع أمثاله) فقد قال : القارظ الثانى ليس له حديث غير أنه فُقد فى طلب القرظ ، واسمه هُمَيم . والله أعلم بالصواب .

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يَسبُّنى)

(١) كلمة « الدلو » ساقطة من ش .

(٢) يقال دبغ الجلد يدبغه ويدبغه ويدبغه ، مثلث الباء فى المضارع .

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والخمسين من باب المبتدأ والخبر (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشَر بعد الأربعمائة (٢):

٤١٩ (وليسَ المالُ فاعلمه بمالٍ وإنْ أغناكَ إلاَّ للذىٌّ
يُريد بهِ العَلاءَ ويَصْطفيهِ لأقربِ أقربِيه وللقَصِىٌّ)

على أن كسرة الياء المشددة من (الذى) كسرةُ بناء .

والبيتان كذا رواهما ابن الشجرى (فى المجلس الرابع والسبعين من أماليه) . وقوله : (بمال) خبر ليس ، والباء زائدة ، وجملة (فاعلمْه) معترضة ، وكذلك جملة (وإن أغناك) معترضة ، وإنْ وصليَّة ، ونقل شارح شواهد الموشح عن بعضهم أنَّها نافية ، والمستثنى منه محذوف ، تقديره لأحدٍ . وجملة (يريد) بفاعله المستتِر صلةُ الذى . وروى بدله : (ينال به) . ويصطفيه معطوف على يريد . و(العَلاء) بفتح العين والمد : مفعول يريد ، وهو بمعنى الرفعة والشرف . ويَصطفيهِ بمعنى يختاره . وقوله : (لأقرب) متعلق بيصطفيه . وإضافة أقرب إلى أقربيه كقولهم : أعْلَمُ الأعلمِينَ . والقصىّ : البعيد . يقول : ليس المال فى الحقيقة مالاً لأحدٍ إلا للذى يريد بسببه عُلوَّ الدّرجة فى المجد ، ويختاره للقريب والبعيد .

٤٩٨ وروى البيت الثانى الخفّاف (فى شرح الجمل) كذا :

---

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٥ والهمع ١ : ٨٢ ويس ١ : ١٨١ واللسان (ضمن ١٢٨ لذا ١١١) .

تحوزُ به العَلاء وتَصطفيه لأقـربِ أقربيكَ وللصَّفـىِّ

بالخطاب فى المواضع الثلاثة .

وروى ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) البيتين كذا :

وليس المالُ فاعلمْه بمالٍ من الأقوام إلا للذىٍّ

يُريد به العَلاء ويمتهنْه لأقربِ أقربيه وللقصىِّ

وعليها فجزم يمتهنه ضرورة ، وهو من امتهنت الشيءَ بمعنى أهنته وحقَّرته .

والبيتانِ لاعلم لى بقائلهما . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الأربعمائة [١]:

٤٢٠ (والَّذِ لو شاءَ لكنت صخرا
أو جبلاً أشَمَّ مشمخرًّا)

على أن حذف الياء من (الذى) والاكتفاء بكسر الذال لغة . و (الأشَمُّ) من الشَّمم ، و [هو] الارتفاع . و(المشْمَخِرّ) : العالى المتطاول ، وقيل الراسخ . وهذا مارواه الخفَّاف وغيره . ورواه ابنُ الشَّجرى (فى أماليه) وابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) :

والَّذِ لو شاء لكانت بَرًّا أو جبلاً أصمَّ مشمخِرَّا

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٦ والهمع ١ : ٨٢ .

قال شارح (شواهد الموشح) : **ضمير كانت للدُّنيا أو الأرض** .
والبَرُّ : خلاف البحر . والمعنى : هو الذى **لو شاء أن يكون براً لكان بَرًّا** ،
ولو شاء أن يكون جبلاً [1] . انتهى .

والأصمّ من الصَّمَم ، أراد به المصمَتَ الذى لاجوفَ له .

ولاأعلم قائلَ هذا البيتِ أيضاً ، وعلمُه عند الله .

نهاية الجزء الخامس من تقسيم محققه

(١) كذا بإغفال جواب الشرط هنا لوجود مايدل عليه ، أى لكان جبلا .

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

(ب) فهرس الشواهد

التوابع

باب النعت

٣٣٤ لو قُلتَ:مافى قَومها لم تيثَمِ يفَضلُها فى حَسَبٍ وميسِمِ ٦٢
٣٤٥ مالكَ عِندى غيرُ سهم وحجَر وغيرُ كبداءَ شديدةِ الوتـرْ ٦٥
٣٤٦ كأنَّك من جِمال بنى أُقَيْشٍ يقُعقَعُ خَلفَ رِجليه بشَنِّ ٦٧
٣٤٧ والمؤمنِ العائذاتِ الطّيرِ يمسحُها رُكبانُ مكّةَ بينَ الغِيلِ والسَّنَدِ ٧١
٣٤٨ ألا أَيُّها الطيرُ المُربَّة بالضُّحى على خالدٍ لقد وقعتِ على لحمِ ٧٥
٣٤٩ فإيّاكم وحَيَّةَ بطنِ وادٍ هَموزَ النابِ ليس لكم بسِيٍّ ٨٦
٣٥٠ كأن ثَبيراً فى عَرانينِ وبْلِهِ كبيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مزمَّلِ ٩٨

باب العطف

٣٥١ ياهفَ زَيَّابةَ للحارث الـ ـصابحِ فالغـانم فالآيبِ ١٠٧
٣٥٢ ولستُ بنازلٍ إلاّ ألمَّتْ برَحلِى أَو خيالتُها الكذوبُ ١١٩
٣٥٣ فاليومَ قرّبتَ تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بكَ والأيّامِ من عَجَبِ ١٢٣
٣٥٤ أتعرفُ أمْ لا رسمَ دارٍ مُعطَّلاَ من العام يغشاهُ ومن عامِ أوّلَا ١٣١
٣٥٥ وكان سِيَّانِ أن لايَسرَحُوا نَعماً أو يَسرَحوه بها واغبَرّت السُّوحُ ١٣٤
٣٥٦ بات يَعَشِّيها بعضبٍ باتِرِ يَقصِدِ فى أسوُقِها وجائرِ ١٤٠
٣٥٧ وعضُّ زمانٍ ياابنَ مروانَ لم يدَعْ من المال إلاَّ مسحَتاً أو مجلَّفُ ١٤٤

باب التوكيد

٣٥٨	أقسمَ باللهِ أبو حفْصٍ عُمَرْ		١٥٤
٣٥٩	فأينَ إلى أينَ النَّجاءُ ببغلتى	أتاكَ أتاكَ اللاحقون احبسِ احبسِ	١٥٨
٣٦٠	لا لا أبوحُ بحُبِّ بَثنةَ إنَّها	أخذَتْ علىَّ مواثقا وعُهودا	١٥٩
٣٦١	تَرَاكِها من إبلٍ تَرَاكِهاَ		١٦٠
٣٦٢	أقبلْن من ثهلانَ أو وادى خِيمَ	على قِلاص مثلِ خِيطانِ السَّلَمْ	١٦٣
٣٦٣	ياليتنى كنتُ صبيًّا مرُضَعا	تحملنى الذَّلفاءُ حولاً أكتعا	١٦٨
٣٦٤	أُولاكَ بنو خيرٍ وشرٍّ كليهما	جميعاً ومعروفٍ ألمَّ ومُنكرِ	١٧١
٣٦٥	يامَىَّ إن تَفقِدى قوماً ولدتِهِمُ	أو تُخلَسيهمْ فإنَّ الدهرَ خلّاسُ	
	عمرو وعبدُ منافٍ والذى عِهدتْ	ببطن عَرعَرَ : آبِى الظلم عباسُ	١٧٤
٣٦٦	فلا وأبيكِ خير منكِ إنِّى	ليُؤذينى التحمحمُ والصهيلُ	١٧٩
٣٦٧	إنّا وجَدْنا بنى جِلّانَ كلَّهمُ	كساعد الضبِّ لاطُولٍ ولا قِصَرِ	١٨٣
٣٦٨	أوعدَنـي بالسِّجنِ والأداهِـم	رِجلى ورجلى شثنةُ المناسِمِ	١٨٨
٣٦٩	ذرينى إنَّ حكمكِ لن يُطاعا	وما ألفيتُنى حلمى مُضاعـا	١٩١
٣٧٠	وكأنّـه لهقُ السَّراة كأنّـه	ماحاجبيـه مُعيَّـنٌ بسَوَادِ	١٩٧
٣٧١	إنَّ السُّيوفَ غدوَّها ورواحَها	تركتْ هوازنَ مثلَ قرن الأعضبِ	١٩٩
٣٧٢	إنَّ علىَّ اللهَ أن تُبايعـاَ	تؤخذَ كَرهاً أو تجىءَ طائعا	٢٠٣
٣٧٣	وكنتُ كذى رجلينِ رجْلٍ صحيحةٌ	ورجلٍ رَمَى فيها الزمانُ فشَلَّتِ	٢١١

المبنيات

المضمر

٣٩١	ليتَ هذا اللَّيْلَ شهرٌ	لانرى فيه عَرِيبا	٣٣٢
	ليس إيَّاىَ وإيَّا	كِ ولا نخشى رقيبا	
٣٩٢	عَدَدْتُ قومى كعديد الطَّيْسِ	إذْ ذهب القومُ الكرامُ لَيْسِى	٣٢٤
٣٩٣	فإن لايكُنْهَا أو تكُنْه فإنه	أخوها غذَتْه أُمه بلِبانِها	٣٢٧
٣٩٤	لولاكَ فى ذا العامِ لم أحجج		٣٣٣
٣٩٥	وكم موطنٍ لولاىَ طحتَ كما هَوَى	بأجرامِهِ من قُلَّةِ النِّيق مُنهوِى	٣٣٦
٣٩٦	لعلَّكَ يوماً أن تُلِمّ مُلمّةٌ	عليك من اللائى يَدعْنَكَ أجدعا	٣٤٥
٣٩٧	ولى نفسٌ أقولُ لها إذا ما	تُنازِعنى : لعلِّى أو عسانى	٣٤٩
٣٩٨	ياأبتا عَلّكَ أو عَسَاكا		٣٦٢
٣٩٩	هَلْ تُبلغَنِّى دارَها شدَنِّيَةٌ	لُعِنتْ بمحروم الشَّراب مُصرَّمِ	٣٦٩
٤٠٠	تَراهُ كالثَّغام يُعَلُّ مِسكا	يسوء الفالياتِ إذا فَلَيْنِى	٣٧١
٤٠١	كمنْيةِ جابرٍ إذ قال ليتى	أصادفه وأُفقدُ جُلَّ مالى	٣٧٥
٤٠٢	أيُّها السائلُ عنهمْ وعَنِى	لستُ من قيس ولا قيسُ مِنِى	٣٨٠
٤٠٣	قَدنِى من نصر الخُبيبين قَدِى	ليس الإمامُ بالشحيح المُلْحِدِ	٣٨٢
٤٠٤	وكائنْ بالأباطح مِن صديقٍ	يرانى لو أُصِبتُ هو المُصابا	٣٩٧
٤٠٥	هو البينُ حتى ماتأتّى الحَزَّائقُ	وياقلبُ حتى أَنت ممن أفارقُ	٤٠٢
٤٠٦	على أنّها تعفو الكُلومُ وإنما	نُوَكّلُ بالأَدنى وإنْ جَلَّ مايمضِى	٤٠٥
٤٠٧	إنَّ مَن لامَ فى بنى بنتِ حَسَّا	نَ أَلُمْهُ وأعصِه فى الخُطوبِ	٤٢٠
٤٠٨	فلو أنْكِ فى يوم الرَّخاء سأَلتِنى	طلاقَكِ لم أبخلْ وأنتِ صديقُ	٤٢٦

اسم الإشارة

الموصول

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٨٤/١٩٧٧

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء السادس

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

○ الطبعة **الثالثة** ○

□ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م □

رقم الإيداع ٨٦/٣٠٥١

الترقيم الدولى ٤ – ١٥ . – ٥٠٥ – ٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الأربعمائة (1) :

421 (كالَّذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فاصطِيدا)

على أنّ حذفَ الياء من (الذى) وتسكين الذال لغةٌ .

قال ابن الأنبارى (فى المقصور والممدود) : زُبيةٌ وجمعها زُبًى ، وهى أماكن تحفر للأسد . أنشد الفرَّاء :

فكنتُ والأمرَ الذى قد كِيدا كالَّذْ تَزبَّى زُبيةً فاصطيدا

والزُّبى : أماكن مرتفعة ، يقال فى المثل : « قد بلغَ الماء الزُّبى » ، قال العَجَّاج :

* قد بلغ الماءُ الزُّبَى فلا غِيَرْ * انتهى .

وقد أخذه القالى (فى المقصور والممدود) وزادَه . قال : ومن أمثالهم : « قد بلغَ السَّيْلُ الزُّبَى » ، يقال ذلك عند شدة الأمر . ومنه حديث عثمان : « أمَّا بعد فقد بلغ السَّيل الزُّبَى » . ويقال إن النمل إذا أحسَّت بندَى الأرض ترفَّعت إلى زُباها ، خوفاً من السَّيل ، فيستَدَلُّ بذلك من فعلها على كثرة المطر وخِصب السَّنة . قال الكميت :

---

(1) أمالى ابن الشجرى 2 : 305 والإنصاف 672 ويس 1 : 42 وشرح السكرى للهذليين 651 واللسان (زبى) .

وأصبحتَ منهم فوقَ علياءَ صعبةٍ إذا بلغت تلك السُّيولُ زُبَى النَّملِ (١)

انتهى .

وقال أبو فَيد مؤرِّج بن عَمرو السَّدوسى (فى أمثاله) : وتقول العرب : « قد بلغ السَّيلُ الزُّبى » ، وهو أن يبلغ الأمر منتهاه . والزُّبية غير القُترة . الزُّبية تحفر للأسد فيصاد فيها ، وهى ركيَّة بعيدة القعر ، إذا وقع فيها لم يستطع
٤٩٩ الخروجَ منها ، لبعد قعرها ، يحفرونها ثم يوضع عليها لحمٌ وقَدْ غمُّوها بما لايحمله ، فإذا أتى اللحمَ انهدم غِطاء الزُّبية . وأمَّا القُترة والنَّاموس والبُرْأة فإنها حَفِيرة يحتفرها القانصُ على مواردِ الوحش ويَطرحُ عليها الشَّجر ، فإذا وردَت رمى من قريب . والزُّبية لايستطيع أحدٌ نزولهَا لبُعدها ، والرَّمىُ فيها أبعد من أن يُرَى إذا دخلَها شئ . حدثنى سعيد بن السِّماك (٢) بن حرب عن أبيه ، عن حنش بن المعتمر قال : أُتِىَ مُعاذُ بن جبلٍ بثلاثة نفر قتلهم أسدٌ فى زُبْيَة . فلم يدر كيف يُفتيهم ، فسأل علىَّ بن أبى طالب فقال : قُصُّوا علىَّ خبركم . قالوا : صِدنا أسداً فى زُبْية فاجتمعنا عليه ، فتدافع الناس عليها فرمَوْا برجلٍ فيها ، فتعلَّق الرجُل بآخر وتعلَّق الآخر برجل آخر ، فهوى فيها ثلاثُتُهُم . فقَضَى فيها : أنَّ للأوَّل رُبْعَ الدِّيَة ، وللثانى النصفَ ، وللثالث الدِّيَة كلها .

وروى البيت الأول ابنُ ولَّاد (فى المقصور والممدود) :

* فظَلتُ فى الأمر الذى قد كِيدَا (٣) *

---

(١) البيت لم يرد فى ديوان الكميت .

(٢) سعيد بن سماك بن حرب ، يروى عن أبيه سماك بن حرب ، واختلف فى توثيقه . لسان الميزان ٣ : ٣٣ . وسماك بكسر السين ، كما فى المشتبه للذهبى ٣٦٩ . ط : « السمأل » صوابه فى ش . وكان أبوه سماك بن حرب من كبار التابعين ، ترجم له فى تهذيب التهذيب .

(٣) المقصور والممدود لابن ولاد ٥١ .

يقول : ظَلِلْتُ فى شرٍّ من الذى كِدْت فى حقِّه ، كالذى عمل حُفرة ليصطاد فيها فاصطيد وأُخِذ . وفى هذا المعنى قولُ النبى ﷺ : « من حَفر بئراً لأخيه يُوشِك أن يقعَ فيها » .

وروى غيره :

* ولا تكوننّ من الَّذْ كيدا *

وهو ماضٍ مجهول من الكَيْد . و (تزبَّى) معناه حَفر زُبية ، بضم الزاى المعجمة وسكون الموحدة ، وجمعها زُبًى . وأما الرُّبا بضم الراء المهملة ، فجمع رَبوة مثلثة الراء ، وهى ما ارتفع من الأرض .

وهذا من رجزٍ أورده السكرىُّ (فى أشعار الهذليين) لرجلٍ من هذيل ، وهو : صاحب الشاهد

أَرَيْتَ إنْ جاءت به أُملودا مُرجَّلا ويَلبسُ البُرودا

– أى إن جاءت به مَلِكاً أُملوداً أملس –

* ولا ترى مالاً له معدودا *

– أى لا يعدُّ ماله من جُوده –

أقائلون أعجلِى الشُّهودا فَظلت فى شرٍّ من الَّذْ كيدا

* كالَّذْ تزبي صائداً فصِيدا *

ويروى : « فاصطيدا (١) » . و (تزبَّى زُبية) : حفر زُبية . يقول : أرأيت إنْ ولدت هذه المرأةُ رجلاً هذه صفته ، أيقال لها : أقيمى البيِّنة أنكِ لم تأتِي به من غيره (٢) .

(١) ط : « فاصطيد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « يقال لها أقيمى البينة أنك لم تأت به من غيره » صوابه فى ش .

هذا ما أورده السكرى . ويأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى نون التوكيد من آخر الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الأربعمائة(١) :

٤٢٢ (فقُلْ للّتْ تلومُك إنَّ نفسى أُرَاهَا لا تُعوَّذُ بالتَّميمِ)

على أنّ الياء حذفت من التى ، وسكن تاؤها .

هذا البيتُ أنشده ابنُ الشجرى (فى أماليه) عن الفراء وقال : التميم : جمع تميمةٍ ، وهى التَّعويذُ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٢٣ (أبَنِي كُليبٍ إنَّ عمَّيَّ اللذا قَتلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا)

على أنّ حذفَ النُّون من قوله اللَّذا ، وأصله اللذان ، تخفيفاً ، لاستطالة
٥٠٠ الموصول بالصّلة . هذا قول البصريين ، وأما الكوفيون فحذفُ النُّون عندهم لغة فى
إثباتها ، أطالت الصلة أم لم تَطُلْ . حكاه عنهم ابن الشجرى (فى أماليه) .

قال سيبويه : « قال رجلٌ من الأنصار :

الحافظو عَورَةَ العشيرةِ لا يأتيهمُ من ورائنا وَكَفُ

لم يحذف النون للإضافة ، ولا ليعاقب الاسم النون ، ولكنْ كما حذفوها

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٨ والهمع ١ : ٨٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٥ . وانظر المقتضب ٤ : ١٤٦ والمنصف ١ : ٦٧ والمحتسب ١ : ١٨٥ وابن الشجرى ٢ : ٣٠٦ وابن يعيش ٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ والعينى ١ : ٣٢٤ والتصريح ١ : ١٣٢ والهمع ١ : ٤٩ وديوان الأخطل ٤٤ . وسيأتى مرة أخرى فى ٨ : ٢١٠ .

من اللّذَينِ والذينَ حين طال الكلام ، وكان الاسم الأول منتهاه الاسم الآخر .
وقال الأخطل :

* أبنى كليب إنَّ عمَّىَّ اللذا *... البيت

لأنّ معناه الذين فعلوا ، يعنى الحافظو عورة العشيرة ، وهو مع المفعول بمنزلة اسم مفرد لم يَعمل فى شئ ، كما أنَّ الذين فعلوا مع صلته بمنزلة اسم .
قال أشهب بنُ رُميلة :

إنّ الذى حانت بفَلجٍ دماؤُهم
هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالِدِ » انتهى .

والبيت من قصيدة للأخطل يفتخر بقومه ويهجو جريراً . صاحب الشاهد

والألف للنداء ، وبنو كليب بن يربوع : رهط جرير . فخر الأخطلُ على جرير بمن اشتهر من قومه من بنى تغلب وساد ، كعمرو بن كلثوم التَّغْلَبىّ قاتل عمرو ابنِ هندٍ ملك العرب ، وعُصْم أبى حَنَش [1] قاتل شُرَحْبيل بن عمرو بن حُجر ، وغيرهم من سادات تغلب . و (الأغلال) : جمع غُلّ ، وهو طوقٌ من حديد يُجعَل فى عنق الأسير ، وقد يكون من قِدّ وعليه شَعَر فيقْمَل على الأسير ، ومنه قيل للمرأة السّيئة الخلق : « غُلٌّ قَمِلٌ » ، بفتح القاف وكسر الميم ، أى ذو قَمْل . أى إنَّ عمَّيه يَفُكان الغُلّ من عُنق الأَسرَاء ويُنجونهم من أسْرِ أعدائهم قسراً عليهم . قال السكرى (فى شرح ديوان الأخطل) : أحد عمّيه أبو حَنَش عُصْمُ بن النعمان ، قاتل

(١) أبو حنش : كنية لعصم ، وهو عصم بن النعمان ، كما سيأتى وكما فى الاشتقاق ٣٣٨ وجمهرة ابن حزم ٣٠٤ .

شُرَحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار ، يوم الكُلاب الأول . والآخر دَوْكس بن الفَدَوْكس بن مالك بن جُشَمَ بن بكر بن حُبيب ، بالتصغير . وبعده :

(وأخوهما السَّفَّاحُ ظَمَّأ خيلَه حتى وردن جِباَ الكُلاب نِهالا)

الكُلاب بضم الكاف : اسمُ ماءٍ فيما بين البصرة والكوفة على بِضْعَ عشرةَ ليلةً ، ومن اليمامة على سبع ليالٍ أو نحوها . والجبا بكسر الجيم بعدها موحَّدة ، قال السكَّرىّ : السفَّاح اسمه سَلمة بن خالد بن كعب بن زهير ، من بنى تَيْم بن أُسامة بن بكر بن حُبَيْب ، وإنما سمِّى السفاح لأنّه لما دنا من الكُلاب عَمَد إلى مَزادِ أصحابه فشقَّقها وسفح ماءها وقال : لاماءَ لكم إلا ماءُ القوم ، فقاتِلُوا عنه وإلّا فموتوا عِطاشا . انتهى .

وللعرب وَقْعتان على الكُلاب يقال لهما يوم الكُلاب الأوّل ويوم الكُلاب الثانى . وقد تقدم شرح الكلاب الثانى فى الشاهد الخامس والستين (١) ، وهذا شرحُ اليوم الأوَّل باختصار :

يوم الكلاب الأول

قال الإمام العسكرى (فى كتاب التصحيف) : أما اليوم الأول فكان فى الجاهلية لبنى تغلب ، وعليهم (٢) سلمة بن الحارث الكندى ، ومعهم ناسٌ من بنى تميم قليلٌ ، وفيهم سُفيان بن مجاشع . وكانت تميمٌ يومئذ فرقتين : فرقةٌ مع تغلب ، وفرقة مع بكر بن وائل . فلقىَ سلمة بن الحارث بن عمرو أخاه
٥٠١ شُرحبيل بن الحارث ، ومع شُرحبيل بكر بن وائل وبعضُ بنى تميم ، فَهُزم أُصحابُ شُرَحبيل وقُتِل شرحبيل . قال ابن الكلبى : شرحبيل بن الحارث الكندى من ولد حُجر آكل المرار : ملك بنى تميم ، وسلمة بن الحارث ملك بنى تغلب . انتهى .

(١) الخزانة ١ : ٤١٠ .

(٢) ش : « عليهم » بدون واو ، وهى بالواو فى تصحيف العسكرى ٤٣٩ .

وقد تجَّوز الأَخطل فى جعل أبى حَنشٍ ودَوْكسٍ عمَّيه ، مع أنَّهما من أعمام آبائه ، كما تجوَّز فى جعل السفاح أخاً لهما . والصواب ما قاله ابن قتيبة فى ترجمة ابن كلثوم (من كتاب الشعراء) : يعنى بعمَّيه عَمراً ومُرَّة ابنَىْ كلثوم ؛ فإنَّ عَمراً قتل عمرو بن هند ، ومُرَّة قتل المنذر بن النعمان بن المنذر . ولذلك قال الفرزدقُ لجرير :

ماضَرّ تغلبَ وائلٍ أُهجوتَها ... أم بُلْتَ حيث تناطَحَ البحرانِ
قومٌ همُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنْوَةً ... عَمراً ، وهم قَسَطُوا على النُّعمانِ

انتهى .

ونقل ابن المستوفِى عن الخوارزمى أنه قال : فى حاشية نسختى من المفصَّل : يعنى بعمَّيه ابنَ هبيرة التَّغلبى ، والهذَيل بن عِمرانَ الأَصغر . قال : سُئلتُ كيف يكونان عمَّيه وأحدهما ابن عمران والآخر ابن هبيرة ؟ أُجبت بأنَّه يحتمل أن يكون أُحدهما عمَّه والآخر عمَّ أبيه أو جدِّه . وكلاهما يسمَّى عَمًّا . انتهى .

وقال ابن خلف : عمَّاه أبو حنش وأخوه ، أو رجلٌ آخر من قومه غير أخى أبى حنش . وقيل عمه الآخر عمرو بن كلثوم . انتهى :

وأول القصيدة نسيبٌ ، وهذا مطلعُها :

أبيات الشاهد

(كذَبتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ
غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّبابِ خَيالا
وتعرَّضَتْ لك بالأَبالخِ بعدَما
قطعَتْ بأبرقَ خُلَّةً ووِصالا
وتَغوَّلت لتَروعَنا جنِّيَّةٌ
والغانياتُ يُرِينَك الأهوالا

يَمدُدنَ من هَفَواتهنَّ إلى الصِّبا
سبباً يصِدْنَ به الرِّجالَ طُوَالا
ما إنْ رأيتُ كمكرهِنَّ إذا جرى
فينا ، ولا كحبالهنَّ حِبالا
المهْدِياتُ لمن هَوِينَ مَسَبَّةً
والمحسناتُ لمن قَلَيْنَ مَقالا
يَرعَينَ عهدَك ما رأيْنَك شاهداً
وإذا مَذِلتَ يَصِرن عنك مِذَالا
وإذا وعَدْنَك نائلاً أخلفْنَه
ووجدتَ عند عِداتهنَّ مِطالا
وإذا وزنتَ حُلومهنَّ إلى الصبا
رَجَح الصِّبا بحلومهنَّ فمالا)

ثم بعدَ أربعةِ أبيات من هذا النمط قال :

* أَبَنِي كليب أنَّ عَمَّيَّ اللذا * البيت

وذكر ثلاثة أيامٍ أُخَر مما أوقع بنو تغلبَ ببنى تميم ، وهى يوم الكُحَيل بالتصغير ، ويوم الشَّرْعَبيَّة ، ويوم إرَاب .

وكان السبب فى يوم الكلاب أنَّ الحارث بن عمرو الكندىَّ جدَّ امرىء القيس الشاعر ، مَلَكَ المدرَ والوبر أربعين سنة ، وقيل ستِّين سنة ، وقد كان فَرَّق بنيه فى قبائلِ معدٍّ قبل موته ، فجعل حُجراً وهو أبو امرىء القيس فى بنى أسد وكنانة ، وكان أسنَّ ولده . وجعل شرحبيل فى بكر بن وائل ، وبنى حنظلة ابن مالك ، وبنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ، وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرِّباب . وجعل سَلمة ، وهو أصغرهم ، فى بنى تغلب ، والنَّمر بن قاسط ، يوم الكلاب
٥٠٢ وبنى سعد بن زيد مناة . فلما هلك الحارثُ تشتَّتَ أمرُهم ، وتفرَّقت كلمتهم ،

ومشت الرِّجالُ بينهم وتفاقم أمرُهم ، حتَّى جمع كلُّ واحدٍ منهم لصاحبه الجموعَ ، وزحف إليه بالجيوش ، فسار شُرحبيل فيمن معه فنزل الكُلاب ، وأقبل سَلمة فيمن معه من بنى تغلب وسعدٍ وغيرهما ، وكان على بنى تغلب السفَّاحُ المذكور ، فالتقى القومُ فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كان فى آخر النهار ، خُذِلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرِّباب ، وانصرف بنو سعد ، وصَبَر ابنا وائل : بكر وتغلب ، وليس معهم أحدٌ غيرهم ، حتَّى غَشِيَهُم الليل ، فنادَى مُنَادِى شرحبيل : من أتانى برأس سلمة فله مائةٌ من الإبل . ونادى منادى سلمة كذلك . ولَمَّا انهزم بنو حنظلة مع من ذكرنا خرجَ معهم شرحبيل ، ولحقه ذو السُّنينة – كانت له سنٌّ زائدة فسمِّىَ بذلك – فضربه شُرحبيل على رُكبته فأطنَّ رِجله ، وكان ذو السُّنينة أخا أبى حَنَش لأمِّه ، فقال ذو السنينة : يا أبا حنش ، قتلنى الرّجُل ! وهلك . فقال أبو حنش : قتلنى الله إنْ لم أقتله ! فحمل أبو حنش على شُرحبيل فأدركه ، والتفت إليه فقال : يا أبا حنش ، اللبَنَ اللَّبنَ ! قال : قد هرقتَ لبناً كثيراً . فقال : يا أبا حنش ، أملِكاً بسوقة ؟ فقال : إنّه كان مَلِكى . فطعنه فألقاه فاحتزَّ رأسه ، فبعث به مع ابن عمّ له إلى سلمة فطرحَه بين يديه فقال سلمة : لو كنت ألقيته إلقاءً رفيقاً ؟ فقال : ما صنع به وهو حىٌّ شرٌّ من هذا ! وعرفَ القوم الندامة فى وجهه ، والجزعَ على أخيه ، فهرب أبو حنش فقال سلمة :

ألَا أبلغْ أبا حنش رسولاً　　فمالكَ لا تجىء إلى الثَّوابِ
تَعَلَّمْ أنَّ شرَّ النَّاس طُرًّا　　قتيلٌ بين أحجار الكُلابِ

فأجابه أبو حنش :

أُحاذرُ أنْ أجيئك ثُمَّ تحبو　　حِباءَ أبيك يومَ صُنَيبعاتِ

وكانت غَدرةً شنعاءَ تهفو تقلَّدَها أبوكَ إلى المماتِ

وقوله : « كذبتك عينك » إلخ خطابٌ لنفسه ، وفيه حذْفُ ألف الاستفهام ، أى أكذبتك . وبه استشهد بعضهم . وأورده ابن هشام (فى المغنى) على أن أبا عبيدة قال : إنَّ أمْ تأتى للاستفهام المجرد عن الإضراب ، وقال : إن المعنى فى البيت هل رأيت ؟ وفى (تفسير ابن جرير) عند قوله تعالى : ﴿ أم تُرِيدون أن تَسأَلُوا رَسُولَكم [١] ﴾ قال : أم هنا على الشَّكِّ ، ولكنَّه قاله ليقبِّح به صنيعَهم ، كقول الأخطل : كذَبَتْكَ عينك ، البيت .

والرَّباب : اسم امرأة . وواسط هذه : قريةٌ غربيَّ الفُرات مقابل الرَّقَّة من أعمال الجزيرة . والخابور : قربَ قِرقِيسيَاء [٢] ، وهى من منازل بنى تغلب وليست واسط هنا واسط التى بناها الحجَّاج بين البصرة والكوفة ، خلافاً لشارح شواهد المغنى . نقل ياقوت (فى معجم البلدان) عن الأسود أبى محمد الغَنْدجانى قال : أخبرنى أبو النَّدى [٣] قال : للعرب سبعة أواسط : واسط نجد ، وواسط الحجاز ، وواسط الجزيرة . قال الأخطل :

* كذبتك عينك أم رأيتَ بواسطٍ * البيت

وواسط اليمامة ، وواسط العراق وهى التى بناها الحجاج فى سنة أربع وثمانين وفرغ منها فى ست وثمانين . قال أبو النَّدى : وقد أُنسِيتُ اثنتين . ثم قال ياقوت : وواسط أيضاً : قرية مشهورةٌ ببلخ ، وواسط : قرية بحلب

---

(١) الآية ١٠٨ من البقرة .

(٢) قرقيسياء بياءين كما فى ط ومعجم البلدان . قال ياقوت « ويقال بياء واحدة » . وفى ش : « قرقيسياء » .

(٣) ط : « أبو النداء » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش .

قربَ بُزاعة [١] مشهورة ، وبالقرب منها قريةٌ يقال لها الكوفة . وواسط : قرية ٥٠٣
بذُجَيل على ثلاثة فراسخ من بغداد . وواسط : قرية بالأندلس . وواسط : قريةٌ قرب مرزاباد [٢] ، حلة بنى مَزْيد من أعمال بغداد يقال لها واسط مرزاباد . وواسط : قرية فى شرقىِّ دجلةِ الموصل بينهما ميلان ، ذات بساتين كثيرة . وواسط : قرية باليمن بسواحل زَبيد . وواسط : موضع فى بلاد تميم . وواسط من منازل بنى قُشَير . وواسط : موضعٌ بين العُذيب والصفراء . وغير ذلك .

وقوله : « وتعرَّضت لك بالأبالخ » هو جمع بَليخ ، بفتح الموحدة وكسر اللام وآخره خاء معجمة ، قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : البَليخ : نهر الرقَّة والفُرات ، وبينه وبين شطِّ الفرات ليلةٌ . وجَمَعه باعتبار أجزائه . وتغوَّلت : تهوَّلت . والغانية : المرأة التى غَنِيَتْ بجمالها عن الزِّينة . وهفَواتهنَّ : جهلُهنّ . والسَّبَب : الحبل . والطُّوال ، بضمِّ الطاء ، بمعنى الطويل صفة لسبب .

ومَذِلتَ بكسر الذال المعجمة بمعنى قَلِقْتَ وضجرت ، ومِذَال ، بكسر الميم : جمع مَذْلة بفتح فسكون ، كعبْلة وعِبال ، وجَعْدة [وجِعاد [٣] ،] بمعنى قلقة ومتَضجِّرة .

والأخطل : شاعرٌ نصرانى من شعراء الدولة الأموية ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والثمانين [٤] .

وقد نسب الزمخشرى (فى المفصل) البيتَ الشاهد للفرزدق ، ونقله العينى عنه . وهذا سهوٌ من قلم الناسخ . والله أعلم .

* * *

(١) بزاعة بضم الباء وكسرها ، كما فى معجم البلدان .
(٢) الكلام بعده الى « مرزاباد » التالية ، ساقط فى ط .
(٣) تكملة يقتضيها السياق .
(٤) صوابه « الثامن والسبعون » . الخزانة ١ : ٤٥٩ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الأربعمائة (١) :

٤٢٤ (هما اللّتا لو ولدَتْ تميمُ لقيل فخرٌ لهمُ صميمُ)

على أنَّ نون اللتان حُذفت لاستطالة الموصول بالصلة تخفيفاً ، كالبيت المتقدم .

قال شُرَّاح التسهيل : حذفُ النون من الذِينَ واللّذُون واللَّتان : لغةُ بنى الحارث بن كعب وبعض بنى ربيعة . وأنشدوا هذين البيتين .

والعجب من ابن مالك بعد أن قال (فى التسهيل) : إنّه يجوز حذف النون ، قال (فى شرحه) : إنَّ حذف النون من هما اللّتا ضرورة . وهما مبتدأ ، واللتا خبره بتقدير موصوف ، أى هما المرأتان اللتان ، والجملة الشرطية مع جوابها صلة الموصول ، والعائد محذوف لكونه مفعولاً ، أى ولدَتْهُما ، وتميم فاعل وَلدَتْ ، وهو أبو قبيلة . والصميم : الخالص النَّقىّ ، وهو صفةٌ للمبتدأ الذى هو فخرٌ ، ولهم هو الخبر ، والجملة مقول القول .

قال ابن الشجرىّ : وهذا البيت أنشده الفراء (٢) .

صاحب الشاهد — وقال العينىُّ : « هو للأخطل » . وقد فتشت أنا ديوانَه فلَمْ أُجدْه فيه . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الأربعمائة (٣) :

٤٢٥ (قومى اللّذُو بِعكاظِ طيَّروا شرراً
من رُوس قومِكَ ضرباً بالمصاقيلِ)

على أنه قد تحذف النون من اللذون .

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٨ والعينى ١ : ٤٥٥ والتصريح ١ : ١٣٢ والهمع ١ : ٤٩ .
(٢) لم يرد فى معانى القرآن .
(٣) لم أجد له مرجعا آخر .

و (عُكاظ) بضم العين المهملة وبالتنوين ، باعتبار أنه اسمُ مكان . قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : عكاظ : صحراءُ مستوية لا علَمَ فيها ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التى كانت بها فى الجاهلية ، وبها من دماء الإبل كالأرحاء العظام [١] . وكانت عكاظ ومَجَنَّة وذو المجاز أسواقاً لمكة فى الجاهلية . قال محمد بن حبيب : عكاظ بأعلى نجد قريبٌ من عرفات . وقال غيره : عكاظ وراء قَرْن المنازل بمرحلةٍ من طريق صنعاء ، وهى من عمل الطائف وعلى بريدٍ منها ، وأرضُها لبنى نصر ، واتُّخذت سوقاً بعد الفيل
بخمسَ عشرةَ سنة ، وتُركت عامَ خرجت الحَرُورية بمكة مع المختار بن عَوف ، ٥٠٤
سنة تسع وعشرين ومائة ، إلى هلم جَرًّا . قال أبو عبيدة : عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، وكان سوقُ عكاظ يقوم صبحَ هلال ذى القَعدة عشرين يوماً ، وسوق مَجَنَّة تقوم [٢] عشرةَ أيام بعده ، وسوق ذى المجاز تقوم هلالَ ذى الحجة . ثم قال : وعكاظٌ مشتقّ من قولك : عكَظْت الرجل عكظاً ، إذا قهرته بحجته ، لأنهم كانوا يتعاكظون هناك بالفخر . وكانت بعكاظٍ وقائعُ مَرَّةً بعد مَرّة . وذكر أبو عبيدة أنّه كان بعكاظ أربعةُ أيام : يوم شَمْطة [٣] ، ويوم العَبْلاء ، ويوم شَرِب [٤] ، ويوم الحُرَيرة ، وهى كلها من عكاظ ، قال : فشَمْطة من عكاظ هو الموضع الذى نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بنى كنانة

---

(١) فى بعض نسخ معجم ما استعجم ٩٥٩ : « كالأرحال العظام » ، تحريف .

(٢) فى معجم ما استعجم : « يقوم » فى هذا الموضع وتاليه . والسوق يذكر ويؤنث . وأنشدوا فى التذكير :

ألم يعظ الفتيان ما صار لمتى ... بسوق كثير ريحه وأعاصره

(٣) ط : « شمظة » فى جميع المواضع هنا ، وأثبت ما فى ش . وقد أورد ياقوت « شمطة » بالطاء المهملة ، ثم قال : « ورواه الأزهرى بالظاء المعجمة » .

(٤) شرب ، بفتح أوله وكسر ثانيه ، قال ياقوت : « وبشرب كانت وقعة الفجار العظمى » .

بعد يوم نخلة ، وهو أوّل يوم اقتتلوا فيه من أيام الفِجَار بحَولٍ ، على ما تواعدَتْ عليه مع هَوازن وحلفائها من ثقيفٍ وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ، ولم يُقتَل من قريش أحدٌ يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة إلى جبلٍ يقال له دَخْم ، فلم يُقتَل منهم أحد . وقال خِداشُ بن زهير :

فأبلغْ إنْ بلغتَ به هشاماً وعبدَ الله أبلغْ والوليدا
بأنَّا يوم شمطةَ قد أقمنا عمُودَ الدِّين ، إنّ له عَمودا

ثم التقى الأحياء المذكورون على رأس الحول من يوم شمطة بالعَبْلاء إلى جنب عُكاظ ، فكان لهوَازنَ أيضاً على قريشٍ وكنانة . قال خِداش بن زُهير :

ألم يَبلغكمُ أنّا جدَعنْا لدَى العبلاء خِندِفَ بالقيادِ
ضَربناهمْ ببطنِ عُكاظ حتَّى تولّوا طالعين من النجادِ (١)

ثم التقَوْا على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم نَخْلة بشَرِب ، وشَربٌ من عكاظ . ولم يكن بينهم يومٌ أعظمَ منه ، فحافظت قريش وكنانة وقد كان تقدَّم لهوزان عليهم يومان ، وقَيَّدَ أبو سَفيانَ وحربٌ ابنا أمية (٢) وأبو سفيان بنُ حرب أنفسَهم وقالوا : لا يبرحْ منَّا رجلٌ مكانه حتى يموتَ أو يظفر (٣) ! فانهزمت هَوَازنُ وقيس كلها إلا بنى نصر ، فإنّها صَبَرت مع ثقيف ، وذلك أنَّ عكاظ بلدهم لهم فيه نخل وأموال ، فلم يُغنُوا شيئاً ، ثم انهزموا ، وقُتلت هوازنِ يومئذٍ قتلاً ذريعا . قال أميَّة بن الأسكر الكنانيّ :

(١) فى معجم البكرى : « ظالعين » بالظاء المعجمة .
(٢) فى المعجم : « سفيان وحرب ابنا أمية » . ومما يجدر ذكره أن أمية الأكبر بن عبد شمس من أولاده سفيان وأبو سفيان ، وحرب وأبو حرب ، كما فى الجمهرة ٧٨ . وفى النسختين : « أبناء أمية » والوجه ما أثبت من المعجم .
(٣) فى المعجم : « أو يظهر » .

أَلَا سائِلْ هَوَازِنَ يومَ لاقَوْا
فوارسَ من كنانةَ مُعلمينا
لدى شَرِبٍ وقد جاشوا وجِشْنا
فأوعَبَ فى النَّفير بنو أبينا [١]

وقال :

قومى اللَّذُو بعكاظِ طيَّروا شَرراً
من رُوس قومِكَ ضرباً بالمصاقيلِ [٢]

ثم التَقوْا على رأس الحول بالحُرَيرة ، وهى حَرَّةٌ إلى جنب عُكاظ مما يلى مهبَّ جنوبها ، فكان لهوازِنَ على قريش وكنانة .

و (الشَّرَر) بفتحتين ، هو إمَّا جمع شَرَرة ، وهو ما يتطاير من النَّار ، وكذلك الشَّرار والشَّرارة ؛ وإما مصدر شررتَ يا رجلُ بفتح الراء وكسرها ، شَرًّا وشَرَراً ، من الشَّرِّ نقيض الخير . وقوله : (من رُوس قومِك) هو بحذف الهمزة من رءُوس . وقوله : (ضرباً) إما منصوب بنزع الخافض أى بضربٍ ، ٥٠٥ وإما منصوب بعامل محذوفٍ حال من الواو فى طيَّروا ، أى يضربون ضرباً ، أو ضاربين ضرباً . و (المصاقيل) : جمع مصقول ، من الصَّقل ، وهو جِلاء الحديد وتحديده ، أى جعْله قاطعاً . أراد كل آلة حديدٍ من السِّلاح ، مثل السيف والسِّنان .

والبيت لأمية بن الأسكر الكنانى . ولم أقف على ما قبله ولا ما بعده . صاحب الشاهد

(١) ط : « فأدعب » ، صوابه فى ش والمعجم .
(٢) هذا البيت لم يرد فى معجم ما استعجم .

أمية بن الأسكر وأمية ، كما قال صاحب الأغانى : أمية بن حُرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سَرابيلِ الموت (١) بن زهرة بن زَبينة (٢) بن جُندَع بن ليث بن بكر ابن عَبد مناة بن كنانة بن مدركة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . شاعرٌ فارس مخضرم ، أدركَ الجاهليَّة والإسلام . وكان من سادات قومه وفرسانهم ، وله أيامٌ مأثورة مذكورة .

كلاب بن أمية وابنه كِلاب بن أمية أدرك النبى ﷺ فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبى ﷺ .

وروى صاحبُ الأغانى بسنده إلى الزُّهرى عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب ، فأقام بها مدة ، ثم لقى ذاتَ يومٍ طلحة بنَ عُبيد الله ، والزُّبيرَ بن العوَّام ، فسألهما : أىُّ الأعمال أفضل فى الإسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمرَ فأغزاه فى جيش ، وكان أبوه قد كبر وضَعُف ، فلما طالت غيبة كِلابٍ عنه قال :

لمَنْ شيخانِ قد نشدا كلابا
كتابَ الله لو قَبِلَ الكتابا (٣)
أناديه فيُعرض فى إباءٍ
فلا وأبى كلابٍ ما أصابا

(١) وفى الأغانى : « بن سراسل الموت » ، تحريف . والذى فى جمهرة ابن حزم ١٨٣ : « بن عبد الله سربال الموت » .

(٢) فى النسختين : « زبيبة » ، وفى الأغانى : « زينبة » ، صوابه من الجمهرة ١٨٣ والإصابة ٢٥١ .

(٣) فى الأغانى ١٨ : ١٥٧ : « إن قبل » ، وفى الجمهرة : « لو حفظ » . وفى المعمرين ٦٨ : « لو ذكر » .

إذا سجعَتْ حمامةُ بطنِ وَجّ
إلى بَيضاتِها دعَوَا كلابا (١)
أتـاه مهاجـرانِ تكنَّفَـاه
ففارق شيخَه خطأً وخابا
تَركتَ أباك مرْعَشةً يداهُ
وأمّك ما تُسيغ لها شَرابا
تمسِّح مَهدَه شَفقاً عليه
وتَجْنُبُه أباعِرَها الصِّعابا (٢)
فإنّك وابتغاءَ الأجرِ بعدى
كباغى الماءِ يتّبع السَّرابا (٣)

قال : تَجْنبه وتُجَنِّبه واحد ، من قول الله تعالى : ﴿ واجْنُبْنِي وبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصنام (٤) ﴾ . فبلغت عمر رضى الله عنه فلم يردُد كلابا ، فأُهْتِرَ أميةُ وخَلَّط جزعاً عليه ، ثم أتاه يوماً وهو فى مسجد رسول الله ﷺ وحوله المهاجرون والأنصارُ ، فوقَفَ عليه وأنشأ يقول :

أعاذلُ قد عذلتِ بغير علمٍ
وما تدرينَ عاذلَ ما أُلاقِى (٥)

---

(١) فى الأغانى : « بطن واد » . وفى الإصابة :
إذا نعب الحمام ببطن وج   على بيضاته ذكرا كلابا
وفى المعمرين : « إذا هتفت حمامة بطن وج » .
(٢) ط : « مهره » ، صوابه فى ش والمعمرين .
(٣) الإصابة : « وإنك والتماس الأجر » .
(٤) الآية ٣٥ من سورة إبراهيم .
(٥) فى المعمرين ٦٨ والإصابة : « وما يدرك ويحك ما ألاق » . وفى معجم البلدان (بساق) : « ولا تدرين عاذل » .

فإمَّا كنتِ عاذلتى فرُدِّى

كلاباً إذْ توجَّه للعراقِ

ولم أقضِ اللُّبانةَ من كلابٍ

غَداة غدَا وآذنَ بالفراقِ (١)

فَتى الفتيان فى عُسرٍ ويُسْر

شديدُ الرُّكن فى يوم التلاقى

فلا وأبِيكَ ما باليتَ وَجْدى

ولا شَغَفى عليكَ ولا اشتياقى

وإبقائى عليكَ إذا شتَوْنا

وضمَّكَ تحت نحرى واعتناق (٢)

فلو فَلَقَ الفؤادَ شديدُ وجدٍ

لهمَّ سوادُ قلبى بانفلاقِ (٣)

سأستعدِى على الفاروق ربًّا

له دفعَ الحجيجُ إلى سياق (٤)

وأدعُو الله مجتهداً عليه ٥٠٦

ببطن الأخشبَينِ إلى دُفاقِ

---

(١) ط والأغانى : « غداة غد » بالإضافة ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) فى معجم البلدان : « وإيقادى عليك » .

(٣) فى الأغانى : « حطام وجد » ، وفى المعمرين : « حماط وجد » .

(٤) ط والمعمرين والإصابة : « وله رفع » ، وأثبت ما فى ش والأغانى . وفى البلدان : « له عمد » . وسياق ، كذا فى النسختين ، وفى هامش نسخة ش : « كذا بخط المؤلف رحمه الله ، وصوابه بساق بتقديم الباء ، كغراب » . وهو جبل بعرفات ، وقيل واد بين المدينة والجار .

إنِ الفاروقَ لم يردُدْ كلاباً
إلى شيخين هامُهما زواقى

قال : فبكى عمرُ بكاءً شديداً ، وكتب إلى سعد بن أبى وقّاص بالكوفة يأمره بإقفال كلاب بن أميَّة إلى المدينة ، فلمَّا دخل عليه قال له : ما بلغَ من برِّك بأبيك ؟ قال : كنت أُكفيه أمرَه ، وكنت أعتمِد إذا أردت أنْ أحلُب لبناً أغزرَ ناقةٍ فى إبله وأسمَنَها ، فأُريحُها فأتركها حتّى تستقرّ ، ثمَّ أغسل أخلافها حتى تبرد ، ثم أحلِب له فأسقيه . فبعث عمر إلى أميَّة فجاء يتهادَى وقد ضَعُف بصره وانحنى ، فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم أشتهى أن أرى كِلاباً فأشمّهُ شَمّةً ، وأضمَّهُ ضمّةً قبل أن أموت ! فبكى عمر وقال : ستبلُغ فى هذا ما تحبُّ إن شاء الله ! ثم أمر كلاباً أنْ يحتلب لأبيه ناقةً كما كان يفعل ويبعثَ إليه بلبنها . ففعل ، فناوله عمرُ الإناءَ قال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلمَّا أخذه وأدناه إلى فمه قال : لعمرُ الله يا أميرَ المؤمنين إنّى لأشُمُّ رائحة يدَىْ كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال له : هذا كِلابٌ عندَك حاضر ، قد جئناك به . فوثب إلى ابنه فضمَّه إليه وقبَّله ، وجعل عمرُ يبكى ومَنْ حَضَره ، وقال لكلاب : الزم أبويَك ما بَقِيا ، ثمَّ شأنَكَ بنفسك بعدهما . وأمر له بعطائه وصَرفَه إلى أبيه ، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبواه (١) .

وأخبرنا الحسن بن علىّ قال : حدثنا الحارث عن المدائنى قال : لمّا مات أميَّةُ بن الأسكر عاد ابنهُ كلابٌ إلى البصرة ، فكان يغزو ، وشَهِد فتوحاً كثيرة (٢) ، وبقى إلى أيَّام زياد ، فولّاه الأُبلَّة ، فسمع كلابٌ يوماً عثمان بن

---

(١) فى الأغانى : « أبوه » .

(٢) فى الأغانى : « فتوحات كثيرة »

أبى العاص يحدِّث أن داود نبى الله عليه السلام كان يجمع أهله فى السَّحَر فيقول : ادعوا ربكم فإنَّ فى السحر ساعةً لا يدعو فيها عبدٌ مؤمن إلا غُفِرَ له ، إلا أن يكون عَشَّارا أو عَرِيفا . فلما سمع ذلك كلابٌ كتب إلى زيادٍ فاستعفاه من عمله فأعفاه .

قال المدائنى : ولم يزل كلابٌ بالبصرة حتَّى مات . والمربَّعة المعروفة بمربَّعة كلابٍ منسوبة إليه . قال : وعُمِّر أمية بن الأسكر عمراً طويلا حتى خَرِف .

وكذلك قال أبو حاتم (فى كتاب المعمَّرين) . ولم يذكرا ما مقدارُ عمره وفى أىّ سنةٍ أسلم ، وفى أىِّ سنةٍ مات . والله أعلم .

ونقل صاحب الأغانى عن أبى عمرو الشيبانى أنَّ كلاب بن أميَّة هاجر إلى النبىِّ ﷺ ، فقال فيه أبوه شعراً ، فأمره النبىُّ ﷺ بصلة أبيه وملازمةِ طاعته .

ثم قال : هذا خطأ من أبى عمرو ، وإنما أمره بذلك عُمَر .

وذكره ابن حجر (فى قسم الصحابة) ثم قال : إنما لم أؤخِّرْه إلى المخضرمين لقول أبى عَمرٍو الشيبانىّ ، فإنَّه ليس فى بقيَّة الأخبار ما ينفيه ، فهو على الاحتمال ، ولاسيما من رجل كنانىّ من جيران قريش . ا هـ .

وذكر الذهبى أمية هذا (فى التجريد) وقال : فى صحبته نظر .

قال ابن حجر : الأسكر بالسين المهملة ، فيما صوَّبه الجَيَّانى . وضبطه ابن عبد البر بالمعجمة .

تتمـــة

الشاهد المشهور فيما بين النحويين لقولهم : « اللَّذون » هو قوله :

نحن اللَّذون صَبَّحوا الصَّباحا
يومَ النُّخيلِ غارةً مِلحاحا

قطعة من أرجوزة أوردها أبو زيد (فى نوادره) [١] وقال : هى لأبى حرب الأعلم [٢] ، من بنى عُقيل بالتصغير ، وهو شاعرٌ جاهلى . وبعدهما : ٥٠٧

نحنُ قتلنا الملكَ الجَحْجاحَا ولم نَدَعْ لسارحٍ مُراحا
ولا دِياراً أو دماً مُفاحا [٣] نحن بنو خُويلِدٍ صِراحا
* لا كذبَ اليومَ ولا مِرَاحا *

قوله : « أو دماً مُفاحا » أو فى معنى واو العطف . والمُفَاح : المُهْراق . يقال فاح دمُه وأفاحَ جميعاً ، يَفِيح فَيْحَاً ويُفيح إفاحةً . لم يعرف الرِّياشىُّ ولا أبو حاتم : أفاح . « لا كذب اليوم ولا مِراحا » قال أبو حاتم : مِراحا بكسر الميم وبالراءِ المهملة ، وهو النشاط [٤] . قال أبو زيد : أفحت دَمه ففاح يَفيح فَيَحاناً . والجَحْجاح : السيِّد . هذا ما فى النوادر .

والنُّخيل ، بالتصغير : عين ماءٍ قُربَ المدينة على مشرِّفها الصلاةُ والسلام ، وموضعٌ من نواحى الشام . ولم يذكر أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) هذا اللفظ ولا ذَا النُّخيل [٥] وهو موضع قرب مكة ، وموضع قرب حَضْرموت . قاله الصغانى (فى العباب) .

---

(١) نوادر أبى زيد ٤٧ . وانظر شرح شواهد المغنى ٢٨١ والعينى ١ : ٤٢٦ والتصريح ١ : ٢٣ والهمع ١ : ٦١ ، ٨٣ والأشمونى ١ : ١٤٩ .
(٢) وكذا عند العينى . وفى النوادر : « أبو حرب بن الأعلم » .
(٣) وروى أبو حاتم : « ولا مراحا » . قال : قال : « وأراه ودما مفاحا » .
(٤) وروى فى النوادر أيضا : « ولا مزاحا » بالزاى المعجمة .
(٥) لم يذكر لهما رسما ، وإنما ورد الأول عرضا فى شعر ١٣٠٣ ، والثانى فى شعر أيضا فى ٦٣٥ .

وخلَط العينىُّ بينهما فقال : نُخيل : أربعة مواضع . ثم ذكر معنَييْهِما .

والغارة : اسمٌ من الإغارة على العدوّ . وملحاحاً صفة غارة ، ولم يؤنِّثه لعدم اعتبار تأنيث المصدر ، لأنه فى تأويل أنْ والفعل ، وهذا لا يتَّصف بتأنيث أو لأنَّه بمعنى النسبة ، أى ذات إلحاح ، كقوله تعالى : ﴿ السماءُ منفَطِرٌ به (١) ﴾ أى ذات انفطار . وهو من ألحَّ المطرُ ، إذا دام . والسَّارح : المال السائم . والمُرَاح بالضم . اسمُ مكانٍ من أراح إبلهُ ، إذا ردَّها إلى المُراح ، وهو حيثُ تأوى إليه الإبلُ والغنمُ بالليل ؛ ولا يكون ذلك إلّا بعد الزوال . وصِرَاح بالكسر : جمع صريح ، وهو الخالص فى النسب ، ككِرامٍ جمع كريم .

وروى العينى عن الصاغانى (فى العباب) أنَّ الرجز لليلى الأخيلِيَّة ، فى قتل دَهْر الجعفى (٢) ، وأنَّ الرواية كذا :

نحنُ قتلنا الملك الجَحْجاحا دَهراً فهيَّجنا به أنواحاَ
لا كذبَ اليومَ ولا مِراحا (٣) قومى الذين صَبَّحوا الصَّباحا
يوم النُّخَيْل غارةً مِلحاحا مَذْحِجَ فاجتحْناهُم اجتياحا
* فلم ندَعْ لسارحٍ مُرَاحا *

إلى آخر الأبيات . وعليها لا شاهدَ فيه .

وأنواح : جمع نَوْح . ومَذْحِج ، بكسر الحاء المهملة بعد الذال المعجمة

---

(١) الآية ١٨ من المزمل .

(٢) ذكره ابن حبيب فى المحبر ٢٥٢ فى الجرارين من اليمن ، وهو دهر بن الحداء بن ذهل بن جعفى . وقال فى ٢٤٦ : « ولم يكن الرجل يسمى جَرّاراً حتى يرأس ألفاً » .

(٣) فى العينى : « ولا مزاحا » بالزاى .

الساكنة : قبيلةٌ كبيرة . فاجتحناهم ، من الاجتياح بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، وهو الإهلاك والاستئصال . وصبَّحه ، بمعنى أتاه صَباحا . وغارة مفعول لأجله . وقال العينى : ويجوز أن يكون حالاً من الواو فى صبَّحوا .

وقد فتَّشت هذا الرجزَ بجميع موادّ ألفاظه (فى العباب) فلم أرَ له فيه أثراً ، ولم أدر من أىِّ مادة نقله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٢٦ (وإنّ الذى حانَتْ بفلجٍ دِماؤُهم

همُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالِدِ)

على أنّ أصله : (وإنَّ الذين) ، فحذفت النون منه تخفيفاً .

وقد تقدَّم نصُّ سيبويه فى هذا البيت عند شرح قوله :

* أبنى كليبٍ إنَّ عَمَّىَّ اللذا * البيت

٥٠٨ قبل هذا بِبَيتَيْن . قال الأعلم : الشاهد فيه حذف النون من الذين استخفافاً . والدليل على أنه أراد به الجمعَ قوله : « دماؤهم [٢] » . ويجوز أن يكون الذى واحداً يؤدِّى عن الجمع لإبهامه ، ويكون الضمير محمولا على المعنى ، فيجمع ، كما قال جل وعز : ﴿ والذى جاءَ بالصِّدق وصَدَّق به أولئك هم المتَّقُون [٣] ﴾ . رثى قوماً قُتلوا بفلْج ، وهو موضعٌ بعينه كانت فيه وقعة . اهـ .

---

(١) فى كتابه ١ : ٩٦ . وانظر البيان ٤ : ٥٥ والمقتضب ٤ : ١٤٦ والمحتسب ١ : ١٨٥ والمنصف ١ : ٦٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٧ وابن يعيش ٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ وشرح شواهد المغنى ١٧٥ والعينى ١ : ٤٨٢ والتصريح ١ : ١٣١ والهمع ١ : ٤٩/٢ : ٧٣ .

(٢) ما بعده الى كلمة « الذى » ساقط من ش .

(٣) الآية ٣٣ من سورة الزمَر .

وأورده ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة من قرأ : ﴿ والمقيمى الصَّلاةَ (١) ﴾ بالنصب ، قال : أراد المقيمين ، فحذف النون تخفيفاً . أو شبَّه ذلك بالذين فى قوله :

* فإن الذى حانت بفَلجٍ دماؤُهمْ * البيت

وأورده صاحب الكشَّاف أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ * ذلك الكتابُ ﴾ على أنَّ السورة المسماة بألٓم هو الكتابُ لكماله ، حتى كأنَّ ما عداه من الكتب بالنسبة إليه لا يستحقُّ أن يسمَّى كتاباً ، من باب حَصْر الجنس فى بعض أفراده ، على حدِّ قولك : زيد هو الرجل ، أى الكامل فى الرُّجوليّة . ولما كان ذلك مستبعداً فى الأوهام أتى بما صرَّح به بحصر كلِّ الجنس فى الفرد الكامل ، فى قوله :

* همُ القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالدِ *

إزالةً لذلك الوهم . والمعنى : إنَّ الذين هلكوا بهذا الموضع هم القومُ والرجال الكاملون ، فاعلمى ذلك وابكى عليهم يا أمَّ خالد .

قال الواحدىّ : قولهم يا أمَّ خالد ويا ابنة القوم ، هو من عادة العرب بهذا الخطاب للنِّساء لحثِّهنَّ على البكاء . وكلُّ القوم صفة للقوم ، دلالةً على كمالهم .

وبه أورده ابن هشام (فى كلّ ، من المغنى) . والحَيْن ، بالفتح : الهلاك . وحان الرجلُ : هلك . وأحانه الله : أهلكه . ودماؤهم : فاعل حانت . ومعنى حانت دماؤهم : لم يُؤخذْ لهم بدية ولا قِصاص . (وفَلْج) بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . قال أبو عبيدٍ (فى معجم ما استعجم) : هو موضعٌ فى بلاد بنى مازن ، وهو فى طريق البصرة إلى مكة ، وفيه منازلُ للحجَّاج . وقال الزجاج : هو ماء لبنى العَنْبر ما بين الرُّحَيْل إلى

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الحج .

المَجَازَة . وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : قال أبو منصور : فلجٌ اسم بلد ، ومنه قيل لطريق يأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة : طريق فلج . وأنشد [١] :

* وإن الذى حانت بفلج دماؤهم [٢] *

وقال غيره : فلج وادٍ بين البصرة وحمى ضَرِيَّة من منازل عدِىّ بن جُندَب ابن العَنبر بن عمرو بن تميم ، من طريق مكة . وبطنُ وادٍ يفرق بين الحزن والصَّمّان ، يُسلك منه طريقُ البصرة إلى مكّة ، ومنه إلى مكّة أربعٌ وعشرون مرحلة .

وهذا البيت أنشدَه الجاحظُ (فى البيان والتبيين) بدون واو مع بيتين بعده ، للأشهب بن رُمَيلة ، وهما : صاحب الشاهد

(همُ ساعِدُ الدَّهر الذى يُتَّقى به
وما خيرُ كفٍّ لا ينوء بِساعِدِ [٣]
أسودُ شَرًى لاقت أسودَ خفِيَّةٍ
تساقَوا على حرِدٍ دماءَ الأساوِدِ) أبيات الشاهد

قال : وقولهم : ساعد الدهر : إنَّما هو مثَل ، وهذا يسمِّيه الرواة البديع .

وقد قال الراعى :

---

(١) ط : « أنشدوا » ، صوابه فى ش . وفى معجم البلدان : « وأنشد للأشهب » .

(٢) ط : « إن الذى » بالخرم ، وأثبت ما فى ش والمعجم .

(٣) الكف مؤنثة ، وقد تذكر . وفى اللسان عند قول الأعشى :

أرى رجلا منهم أسيفاً كأنما يضم الى كشحيه كفا مخضبا

« فإنه أراد الساعد فذكر ، وقيل إنما أراد العضو » . وفى البيان واللسان (سعد ٢٠١) : « لا تنوء » .

هُمُ كاهل الدَّهر الذى يتَّقى به
ومَنكبُه إنْ كان للدَّهر مَنْكِبُ

وأنشده الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) للأَشهب بن رُمَيلة أيضاً مع البيت الثانى فقط ، وهو : هُم ساعدُ الدَّهر ، إلَّا أنَّه أنشده : « فإنَّ الذى » بالفاء .

وقد أنشد الأبياتَ الثلاثة أحمدُ بن أبى سَهل بن عاصم الحُلْوانى (فى
٥٠٩ كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمّهاتهم) ، إلا أنَّه أنشد البيت الأوّل كذا :

* إنَّ التى مارَتْ بفلجٍ دماؤُهم *

وعليه لا شاهد فيه ، ومن خطه نقلت . فيكون بتقدير : إنَّ الجماعة التى مارت ، أى ساحت وجَرَت . يقال مار الدمُ على وجه الأرض . وينوء بمعنى ينهض . و (فى معجم ما استعجم) : قال الأصمعى : الشَّرَى : أرض فى جهة اليمن ، وهى مَأسدة . وأنشد هذا البيت . قال أبو الفتح : لام الشَّرَى ياءٌ لأنها مجهولة ، والياء أغلب على اللام من الواو . قال : وكذلك رأيته فى الخطِّ العتيق مكتوباً بالياء . ا هـ .

وقال صاحب الصحاح : والشَّرَى : طريقٌ فى سَلْمَى كثيرةُ الأُسْد . وخَفِيَّة بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء قال [1] صاحب الصحاح : قولهم أسود خفيَّة كقولهم : أسود غابة ، وهما مأسَدتان . وقال صاحب المعجم : خَفِيّة : اسمُ غَيضة ملتفَّة ، تتَّخذها الأسد عِرِّيسَة . كذا قال الخليل ، وأنشد هذا البيت . وحَرْد بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين : مصدر حَرَد من باب

(١) ط : « قاله » صوابه فى ش .

ضرب ، بمعنى قَصَد ؛ وبمعنى غضِب ، من باب فرِح أيضاً . ودماءَ : مفعولُ تساقَوْا ، أى سُقِىَ كلٌّ منهما دمَ الأساود . وهو إمَّا جمع أسْوَد على أفعل ، وهو العظيم من الحيات وفيه سواد . وهو اسمٌ له ، ولو كان وصفاً لجمع على فُعْل بالضم . وإمَّا جمع أُسُود بالضم ، وهو جمع أسَد فيكون جمع الجمع . والمراد بالأساود الشُّجعان ، وهو عبارةٌ عنهم وعن أُخصامهم .

وقال العينى ، وتبعه السيوطى : الأساود : جمع أسوِدة ، وأسوِدةٌ : جمع سَوَاد ، والسواد : الشخص ، وأراد بالأساود شُخوصَ الموتى .

ورَوَى : « سِمام » بدل « دماء » وقال : هو جمعُ سمّ . فالمناسب على هذه الرواية تفسير الأساود بالحيّات .

قول آخر في صاحب الشاهد

وروى أبو تمام البيت الشاهد (فى كتاب مختار أشعار القبائل) آخِرَ أبياتٍ خمسةٍ لحريث بن محفِّض ، وهى :

(ألم تر أنّى بعد عمرو ومالك
وعُروةَ وابنِ الهَوْل ، لستُ بخالِدِ
وكانوا بنى ساداتنا فكأنما
تساقَوا على لَوْح دماء الأساودِ
وما نحن إلّا مثلُهم غير أننا
كمنتظرٍ ظِمْئاً وآخَر واردِ
هُم ساعدُ الدهر الذى يُتّقى بهم
وما خَيْرُ كفٍّ لا تنوءُ بساعدِ
فإنَّ الألى حانت بفلجٍ دماؤهم .... البيت)

والأُلى بمعنى الذين ، وعلى هذه الرواية أيضاً لا شاهد فيه .

واللَّوْح ، بفتح اللام وسكون الواو آخره حاء مهملة : العطش . والظِّمْء ، بكسر الظاء المشالة وسكون الميم بعدها همزة : اسم الزمان الذى يكون بين الشَّربتين للإبل ، من الظمأ بفتح الميم ، وهو العطش . وآخِر : ضد أوّل ، معطوف على منتظر .

الأشهب بن رميلة

أمَّا الأشهب بن رُميلة فهو شاعرٌ إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم تُعرف له صحبةٌ واجتماعٌ بالنبى ﷺ ، ولهذا أورده ابن حجر فى قسم المخضرمين (من الإصابة) .

ورُمَيلة : اسم أمّه ، وهى بضمِّ الراء المهملة وفتح الميم .

وذكره المرزبانى (فى معجم الشعراء) فى حرف الزاء المعجمة .

قال صاحب الأغانى : هو الأشهب بن ثور بن أبى حارثة بن عبد المَدَانِ بن جَندل بن نَهْشَل بن دارِم بن عمرو بن تميم .

و (فى المؤتلف والمختلف) و (فى كتاب الشعراء المنسوبين إلى
٥١٠ أمهاتهم) : المنذر ، بدل عبد المدان . و (فى مختصر الجمهرة لياقوت) : ابن عبد المنذر . والله أعلم .

ورمَيلة أُمُّه ، وهى أَمَةٌ لخالد بن مالك بن رِبعىّ بن سلمى بن جندل المذكور . قال أبو عمروٍ : ولدُها يزعمون أنها كانت سبيّة من سَبايا العرب فولدت لثور بن أبى حارثة أربعة نفر ، وهم زَبَاب [1] ، وحَجْناء ، والأشهب ، وسُويط ، وكانوا من أشدِّ إخوةٍ فى العرب لسانا ويداً ، ومنْعةً للجانب ، فكثرت أموالهم فى الإسلام ، وكان أبوهم ثورٌ ابتاعَ رُمَيلة فى الجاهلية ، وولدتهم فى

(١) ط : « رباب » فى هذا الموضع وما يليه من المواضع ، صوابه بالزاى المعجمة كما فى ش . وضبطه صاحب القاموس فى (زبب) كسحاب ، وقال : « وابن رميلة الشاعر أخو الأشهب » .

الجاهليّة فعَزُّوا عزًّا كثيرا ، حتى كانوا إذا وردُوا ماءً من ماء الصَّمَّان حَظَروا على الناس ما يريدونه منه .

وكانت لرُمَيلة قطيفةٌ حمراء ، فكانوا يأخذون الهُدْب من تلك القطيفة فيُلقونه على الماء ، أى قد سَبقنا إلى هذا ، فلا يرِدُه أحدٌ لعزِّهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه . فوردُوا فى بعض السِّنينَ ماءً من ماءِ الصَّمَّان ، وورد معهم ناسٌ من بنى قَطَن بن نهشل ، فأورد بعضهم بعيره فأشرعَه حوضاً قد حَظَروا عليه ، وبلغهم ذلك فغضبوا فاقتتلوا ، فضرب زَبَاب بن رُمَيلة رأس بَشِير بن صبيح ، فمات بشيّر فى ليلته فقُتِل زَبَابٌ قَوَدا ؛ ولما أرادُوا ضربَ عنقه قالوا له : أوصِنا . قال لهم : دعونى أصلّى ركعتين . فصلَّى ثم قال : أمَا والله إنى إلى ربى لذو حاجة وما منعَنى أن أزيد فى صلاتى إلّا أنْ تقولوا : خاف من الموت ! فليضربنى منكم رجل شديدُ الساعد ، حديدُ السيف . فدفعوه إلى ابن خزيمة بن بَشِير فضرب عنقَه ، وذلك فى الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفّان .

ورثاه أخوه الأشهبُ بقصائد .

وفى (كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم ، ونقلته من خط مؤلفه) : كان الأشهبُ يهاجى الفرزدقَ ، ولقيَه يوماً عند باب عثمان بن عفان (١) وهو يريد أن يجوز نهر أمِّ عَبْد الله (٢) على قنطرة ، فاحتبَسه الفرزدقُ عليها ، وكان الفرزدقُ على فرسٍ ، فقال الأشهب :

(١) ذكره الطبرى فى ٩ : ٤٨٥ بما يفهم أنه فى سكة المربد بالبصرة . قال : « فغابوا فى سكة المربد الى أن بلغوا باب عثمان » .

(٢) نهر أم عبد الله بالبصرة ، منسوب الى أم عبد الله بن عامر بن كريز ، أمير البصرة فى أيام عثمان .

يا عجباً هل يركب القينُ الفرسْ [١]
وعَرَقُ القَين على الخيل نَجَسْ
والقينُ لا يَصلُح إلّا ما جلس
بالكلبتين والعَلاة والقَبَسْ [٢]

ثم إنَّ غالباً لمَّا بلغه ما قال الأشهبُ أتاه ليلاً فتعوَّذَ منه ، وقال : أتشتُمنا من غير إحْنةٍ ؟ فأَمْسِكْ عنا . فقال الأشهب : هلاَّ كان هذا نهاراً . ويقال : كان الأشهب بن رميلة يهجو غالباً أبا الفرزدق ، فقال الفرزدق : ربَّما بكيت من الجزع أنَّ الأشهب كان يهجونا ، فأريد أن أجيبَه فلا يتأتَّى لىَ الشعر ، ثم فتح اللهُ علىَّ فهجوته فغلبتُه وسقط بعد ذلك .

حريث بن محفض

وأمَّا حريث بن محفِّض فهو شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية . وحُرَيث بضم الحاء وفتح الراء المهملتين ، وآخره ثاء مثلثة . ومحفِّض ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر الفاء المشددة وآخره ضاد معجمة ، وهو فى الأصل اسم فاعل من حَفَّضة تحفيضاً ، إذا طرَحه خَلْفه وخَلَّفه وراءه . وَحَفضه بالتخفيف بمعنى ألقاه وطرحه من يده ، كحفَّضه تحفيضا . وحَفَض العود بالتخفيف أيضاً بمعنى حَنَاه وعطفه .

قال الإمام أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى (فى كتاب التصحيف) فى باب ما يشكل ويُصحَّف من أسماء الشعراء : هذا باب صعبٌ لا يكاد يَضبِطه إلّا كثيرُ الرواية غَزيرُ الدِّراية [٣] . وقال أبو الحسن على بن

---

(١) ط : « هل تركب » ، صوابه فى ش والأغانى ١٩ : ٤٣ .

(٢) ط : « بالكليتين » ، صوابه فى ش . والكَلْبَتانِ : آلة تكون مع الحدادين يأخذون بها الحديد المحمى . والعلاة : السندان . وفى الأغانى :

وإنما سلاحه إذا جلس الكلبتان والعلاة والقبس

(٣) ط : « عزيز » ، صوابه فى ش وكتاب العسكرى ٣٧ .

عبدوس الأرَّجانى ، وكان فاضلا متقدِّما ، وقد نظرَ فى كتابى هذا فلما بلغ هذا الباب قال لى : كم عدَّةُ أسماء الشعراء الذين ذكرتَهم ؟ فقلت : مائةٌ ونَيِّف . ١١١،
فقال لى : إنى لأعجبُ كيف استتبَّ لك هذا ، فقد كنا ببغداد والعلماء بها متوافرون – وذكر أبا إسحاقَ الزّجاج ، وأبا موسى الحامض ، وأبا محمد الأنبارىّ واليزيدىَّ وغيرهم – فاختلفنا فى اسم شاعرٍ واحد ، وهو حريث بن محفِّض ، وكتبنْا أربع رقاعٍ إلى أربعةٍ من العلماء ، فأجاب كلُّ واحدٍ منهم بما يخالفُ الآخر ، فقال بعضهم مخفض بالخاء والضاد المعجمتين ، وقال آخر [1] : ابن مَخفض [2] ، وقال آخر : ابن مِخْفض [3] . فقلنا : ليس لِهذا إلّا أبو بكر ابن دريد . فقصدناه فى منزله ، فعرَّفناه ما جرى ، فقال ابن دريد : أين يُذهَب بكم ؟ هذا مشهور ، هو حُرَيث بن محفِّض ، الحاء غير معجمة ومفتوحة ، والفاء مشددة ومكسورة ، والضاد منقوطة . وهو من بنى تميم ، ثم من بنى مازن بن عمرو بن تميم ، وهو القائل :

ألم تَر قومى إنْ دُعُوا لملمَّةٍ
أجابوا ، وإنْ أغضبْ عَلَى القوم يغضبوا
همُ حَفِظوا غَيبى كما كنت حافظاً
لقومىَ أخرى مثلَها إنْ تغيَّبوا [4]

(١) ش : « آخرون » ، وأثبت ما فى ط وكتاب العسكرى .

(٢) فى حواشى ط : « ضبط فى الأصل بالقلم ، الأول بفتح الميم ، والثانى بكسرها » .

(٣) ط : « ابن مخفض » ، وأثبت ما فى ش والعسكرى . ومما يجدر ذكره أن فى كتاب العسكرى بعد كلمة « المعجمتين » : « وقال آخر : ابن مخفض » ، بسقوط ما بين القولين .

(٤) ط : « عينى » ، صوابه فى ش وتصحيف العسكرى .

بنو الحرب لم تَقعُد بهم أُمَّهاتهمْ
وآباؤهمْ آباءُ صدقٍ فأنجبوا

وتمثَّل الحجّاجُ بهذه الأبيات على المنبر ، فقال : أنتم يا أهل الشام كما قال حريث بن محفِّض . قال : أنا والله حريث بن محفِّض . فقال : ما حملك على أن سابقتَنى ؟ قال : لم أتمالك إذْ تمثَّل الأميرُ بشعرى فأعلمتُه مكانى . ثم قال أبو الحسن بن عَبدوس : فلم يفرج عنَّا غيرهُ . انتهَى ما أورده العسكرى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الأربعمائة (١) :

٤٢٧ (وبئرى ذُو حَفرتُ وذو طَوَيتُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فـإنَّ البئر بئرُ أبى وجَدِّى)

على أنَّ ذو اسمُ موصول ، وهو هنا بمعنى التى ، لأنَّ البئر مؤنثة .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : وزعم ابنُ عصفور أنَّ ذو خاصَّةٌ بالمذكر ، وأنّ المؤنَّث يختصُّ بذات ، وأنَّ البئر فى البيت ذُكِّرت على معنى القليب ، كما قال الفارسىُّ فى قوله :

يابئرنا بئرَ بنى عدىٍّ لأنزِحَنْ قَعركِ بالدُّلىِّ
* حتَّى تعودِى أقطَعَ الوَلىِّ *

إنَّ التقدير : حتى تعودى قليباً أقطعَ ، فحذف الموصوف .

وفرق ابن الضائع بينهما بأنَّ أقطعَ صفةٌ ، فيحمل على الفعل ، بخلاف ذو .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٦ والإنصاف ٧٧٣ وابن يعيش ٣ : ٨/١٤٧ : ٤٥ والتصريح ١ : ١٣٧ والهمع ١ : ٨٤ والأشمونى ١ : ١٥٨ والحماسة بشرح المرزوق ٥٩١ واللسان (ذا ٣٤٨) .

قال : ألا ترى أنَّ من قال نَفَع الموعظةُ لا يقول مشيراً إليها : هذا الموعظة . ولهذا قال الخليل فى : ﴿ قال هَذا رحمةٌ مِنْ رَبِّى [١] ﴾ : إنه إشارة إلى القِطر لا إلى الرحمة . ا هـ .

والبيت مشهورٌ . وهو من أبيات خمسة أوردها أبو تمام (فى الحماسة) لسِنان بن الفَحْل الطائىّ ، وهى : صاحب الشاهد

(وقالوا : قد جُنِنتَ ، فقلتُ : كَلاَّ
وربِّى ما جُنِنتُ ولا انتشَيتُ
ولكنِّى ظلِمتُ فكدتُ أبكى
من الظُّلم المبيَّنِ أو بكيْتُ
فإنَّ الماءَ ماءُ أبى وجَدِّى
وبئرى ذو حفرتُ وذو طَويتُ ٥١٢
وقبلكَ ربَّ خَصمٍ قد تمالَوْا
علىَّ فما هَلِعتُ ولا دَعَوتُ
ولكنِّى نصبتُ لهم جبينى
وألَّةَ فارسٍ حَتَّى قَرَيتُ)

قال أمين الدين الطَّبرسى (فى شرح الحماسة) : قد عِيب على أبى تمّام إيرادُه مثلَ هذه الأبيات فى باب الحماسة ، والبكاءُ على الظلم ضعفٌ وعجز ، والوجه فيه أنَّ بكاءه كان لمطالبتهم ما ليس لهم ، ولا سبيل له على الاعتساف [٢] . والمغالبةُ فعل أهل الجاهليَّة ، إذْ لا يراقَب دين ، ولا يُرهب سلطان . ويدلُّ على ذلك ما ذكره ابنُ دريدٍ فى سببه : أنّه اختصم حيَّانِ من

(١) الآية ٩٨ من مريم .

(٢) ط : « الاعتناف » ، وأثبت ما فى ش . والاعتناف : الأخذ بالعنف . والاعتساف : الظلم .

العرب إلى عبد الرحمن بن الضحَّاك وهو والى المدينة ، فى ماءٍ من مياههم ، وعبدُ الرحمن مصاهرٌ لأحد الحيَّين ، فبرك شيخٌ بين يديه من الحىِّ الآخر وقال : أصلحَ الله الأمير ، أنا الذى أقول :

إلى الرحمن ثم إلى أميرى تعسَّفتُ المفاوزَ واشتكيتُ
رجالاً طالبونى ثم لجُّوا ولو أنِّى ظلمتهمُ انتهيتُ
رجَوْا فى صِهرهمْ أن يغلبونى وبالرحمن صدِّقْ ما ادَّعيتُ
وقالوا قد جُننتَ فقلت كلا .... الأبيات الخمسة .

وبعدها :

فأنْصِفْنى هداك الله منهمْ
ولو كان الغُلُبَّة لاكتفيتُ

وقال الخطيب التبريزى (فى شرحه) : وهذا ماءٌ لبنى أمِّ الكهف ، من جَرم طيِّىء ، ولبنى هَرم بن العُشَراء من فزارة ، اختصم فيه الحيَّانِ وهم مختلطون مجاورون (١) . وقوله : « ولو أنى ظلمتهم انتهَيْتُ » أى قلت أنا الظالم ، ثم امتنعوا ، لكففت ولم ألجَّ . وقوله : « و [قالو (٢)] : قد جننت » معطوف على لجُّوا ، وجُننتَ بالبناء للمفعول وبالخطاب فى الأوَّل وبالتكلُّم فى الثانى . وكلاّ للزجر والردع .

قال الإمام المرزوقى : كان الواجب أن يقول : قالوا جننتَ أو سَكِرت . فاكتفى بذكر أحدهما لأنَّ النفى الذى يتعقَّب فى الجواب يَنظِمهما . ومثله قول الآخر (٣) :

---

(١) وكذا فى شرح التبريزى ٢ : ١٥٣ . وفى ش : « متجاورون » .

(٢) تكملة ضرورية يلتئم بها الكلام .

(٣) هو المثقب العبدى فى المفضليات ٢٩٢ .

فما أدرى إذا يَمّمتُ وجهاً
أريدُ الخير أيُّهما يَلينى

لأنّ المراد أريد الخير وأتجنَّب الشر ، فاكتفى بذكر أحدِهما ، لأنَّ ما بعده يبيّنهما ، وهو :

أألخيرُ الذى أنا أبتغيه أم الشرُّ الذى هو يَبتغينى

أراد : إنّى لما أظهرتُ إنكارى وتشدَّدت فى إبائى قالوا : إنّه جُنَّ أو سَكر . فزجرتهم وحلفتُ بالله نافيا ما نُسِبتُ إليه . والانتشاء والنَّشوة : السُّكر . ثم أخذ يبيّن كيف استنكر ما دُفِع إليه حتى قِيل فيه ما قيل ، كقوله :

* ولكنى ظلمت فكدتُ * ... إلخ

وذكر البُكاء لُيرىَ أنفتَه وامتعاضه (١) وإنكارَه لما أُريد ظلمه فيه واغتياظه (٢) . فأما العرب فإنما تنسب نفسها إلى القسَاوة وتعيِّر من يبكى . قال مهلهل :

يُبكَى علينا ولا نَبكى على أحدٍ
لَنَحْنُ أَغلظُ أكباداً من الإبِلِ

يقول : لكن عَرض علينا ضيمٌ لم آلفْه ، واستُنزلتُ عن حقٍ لى طال ملازمتى له ، فشارفت البكاء أو بكيت ، كلّ ذلك لاستنكافى مما أرادونى عليه .

وقوله : « فإنَّ الماء ماء » إلخ صرَّح بما أُريد غَصبُه عليه (٣) فقال : هو

(١) ط : « وامتناعه » صوابه فى ش وشرح المرزوقى للحماسة ٥٩١ .
(٢) ط : « واغتباطه » ، صوابه فى ش وشرح الحماسة .
(٣) ط : « غضبه عليه » ، صوابه فى ش .

٥١٣ ماءٌ موروث عن الأسلاف ، وحِمىً معروف لى ، سلَّمه الناس لى على مرِّ الأيام ، وبئر تولّيت استحداثَها وحفْرَها وطيَّها . وطيُّ البئر : بناؤها بالحجارة . وطويت البئر فهو طويٌّ .

وقوله : « وقبلَك ربَّ خَصم » إلخ الخصم لكونه فى الأصل مصدراً يطلق على المفرد وغيره ، والذكرِ والأنثى بلفظ واحد . وفى لغة يطابق فى التثنية والجمع ، فيجمع على خُصوم وخِصام . وخَصِم الرجُل يَخْصَم من باب تعب ، إذا أحكم الخصومة فهو خصم وخصيم . وخاصمته فخصمته أَخصُمه ، من باب قتل ، إذا غلَبته فى الخصومة . وتمالَوْا ، أصله تمالَؤُوا بهمزة مضمومة بعد اللام المفتوحة ، يقال مالأه ممالأةً ، كفاعله مفاعلة ، بمعنى عاونه معاونة . وتمالؤوا على الأمر : تعاونوا . وقال ابن السكِّيت : اجتمعوا عليه . وهلع هلعا من باب تعب ، بمعنى جزع ، فهو هَلِعٌ وهَلوع مبالغة ، وقيل الهَلَع : أفحش الجزَع . ودعَوْت بمعنى قلت : يالَفلان !

قال الإمام المرزوق : نَبَّه على حُسن ثباته فى وجه الخصوم ، وتمرُّنه بمجادلتهم [1] قديماً وحديثا ، وتحككه لهم على احتفالٍ منهم فى مناوأته سالفاً وآنفا ، فيقول : وقد بُليت قبلَكَ بقوم لُدٍّ تألّبوا علىَّ وتعاونوا ، فلم أجزعْ لما مُنيت بهم جزعاً فاحشاً ، ولا استنصرت عليهم غيرى . فإن قيل : كيف قال هَلِعت وقد قال كدت أبكى من الظُّلم إلخ ، وهل الهلَع إلّا البكاء والجزع ؟ قلت : إنَّ الهلَع هو الجزَع الفاحش الذى يظهر فيه الخضوعُ والانقياد ، فهذا هو الذى زعم أنّه لا يظهر عليه [2] . والبكاء الذى ذكر أنّه شارفه إنّما كان

(١) المرزوق : « وتمرنه بمجاذبتهم » .

(٢) نص المرزوق : « فهذا هو الذى انتضح منه » ، أى أظهر البراءة منه .

على طريق الاستنكاف ، وإذا كان كذلك فإنه لم يكن عن تخشُّع وتذلُّل ولا انقيادٍ ولا استسلام . وسَلِمَ الكلامُ من التناقض .

وقال ابن هشام (فى شرح الشواهد (١)) : وهذا ليس تناقضاً لأنه على اختلافِ وقتين ؛ أى إنّه ذلَّ جانبهُ بعد أن كان عزيزاً . وهذا كلام الخطيب التبريزى . ونظيره أبياتُ فاطمة بنت الأجحم (٢) حين ضَعُفَ جانبها ، لِموتِ مَن كان ينصرها ، وهى أبياتٌ حسنة تمثَّلتْ بها سيِّدتُنا فاطمة رضى الله عنها ، حين قُبض رسول الله ﷺ ، وهى :

قد كنتَ لى جبلاً أَلُوذُ بِظِلِّه
فتركتَنى أُمشِى بأجرَدَ ضاحى (٣)
قد كنتُ ذاتَ حميّةٍ ما عشت لى
أمشى البَرَازَ ، وكنتَ أنتَ جناحى
فاليومَ أخضعُ للذَّليل وأَتَّقى
منه ، وأدفعُ ظالِمِى بالرّاحِ
وإذا دعت قُمْرِيَّةٌ شجناً لها
ليلاً على فَنَنٍ دعوتُ صَبَاحى (٤)

وقوله : « ولكنى نصبت لهم » إلخ الأَلَّة بفتح الهمزة وتشديد اللام :

---

(١) ط : « وهذا » .

(٢) هو الأجحم بن دندنة ، ويقال « الأحجم » أيضا ، كما فى ش ، وكان أحد سادات العرب . انظر أمالى القالى ٢ : ٢ والتنبيه ٨٧ . والأبيات التالية وردت فيهما وفى الحماسة ٩١٠ بشرح المرزوقى .

(٣) وروى : « فتركتنى أضحى » فى الحماسة والأمالى .

(٤) الحماسة : « يوما على فنن » . ط : « صباح » ، وكذا فى الأمالى . والوجه « صباحى » ، كما فى ش والحماسة وتنبيه البكرى ٨٧ . وقال المرزوقى فى تفسيره : « أى قائلا : واصباحاه ! » .

الحَرْبة ، والجمع إلَالٌ (١) كحربة وحِراب . يقول : ولكنّنى صبرت لهم وانتصبتُ فى وجوههم وهيَّأت سلاحى لدفعهم ، وطردتهم عن وِردهم ، كفعل الفارس الذابِّ المانع ، حتَّى خلَّصت عن غَصْبهم (٢) حقِّى ، وقريت الماءَ مِن دونهم فى حوضى . يقال قريت الماء فى الحوض بالقاف ، أى جمعته ، واسم ذلك الماء قِرَى بكسر القاف مقصور .

سنان بن الفحل

وسنان بن الفحل : شاعر إسلامىٌّ فى الدولة المروانية . وهو بكسر السين بعدها نونان . والفحل بفتح الفاء وسكون الحاء المهملة .

عبد الرحمن بن الضحاك

وأما عبد الرحمن بن الضحَّاك فقد ذكره الفاسى (فى تاريخ مكة المشرفة) وقال (٣) : عبد الرحمن بن الضَّحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن
٥١٤ ثعلبه بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك الفهرى . قال الزُّبير : ولَّاه يزيدُ بن عبد الملك المدينة والموسم . وذكر الطبرىُّ أنّ فى سنة ثلاث ومائة ضُمَّت إليه مكة مع المدينة ، وأنه عُزل عن مكة والمدينة فى النصف من ربيع الأوّل سنة أربع ومائة ، بعبد الواحد بن ربيع البصرى . وسبب عزله أنّه كان خَطب فاطمةَ بنت الحسين رضى الله عنهما فامتنعت من قبوله ، فألحَّ عليها وتوعَّدها ، فشكته إلى يزيد بن عبد الملك ، فبعث إلى عبد الواحد فولَّاه المدينة وأمره بالقبض على عبد الرحمن ، وأخَذَ ماله حتَّى تركه فى جُبّه صوفٍ بالمدينة ، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهراً . وكان الزُّهرى قد أشار عليه برأى ، وهو أنّه يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمرٌ ، فلم يفعلْ ، فأبغضه الناسُ وذمَّه الشعراء . وهذا كان آخرَ أمره . انتهى .

---

(١) ط : « الألات » ، والوجه ما أثبت من ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : « عصبهم » ، صوابه فى ش .

(٣) ش « قال » بدون واو .

وإنَّما ذكرت عبد الرحمن هذا ليُعلم منه عصر سِنان بن الفحل الطائى ، فإنى لم أظفر له بترجمة ، ولم أر ذكره فى كتب الأنساب . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(قُولَا لهذا المرءِ ذُو جاءَ ساعياً
هُلمَّ فإنّ المشرفىَّ الفَرائضُ)

على أنَّ (ذو) بمعنى الذى .

والساعى : الوالى على صَدقة الزكاة . وهلمَّ : أقبلْ وتعالَ . والمشرَفىُّ : السيف المنسوب إلى المشارف ، وهى قُرًى للعرب كانت السيوف تطبع بها . والفرائض : الأسنان التى تصلُح لأنْ تؤخَذ فى الزكاة . يقول : أبلغا هذا الرجلَ الذى جاء ساعياً ، أىْ والياً للصَّدقات : هلُمَّ فإنك تُعطَى السَّيفَ بدلاً من فرائض الإبل . وهذا مثَلٌ ضربه لهذا الساعى مستهزئاً به ومتوعِّداً إياه . يقول : إنك مَلِلْتَ العافية والسَّلامة ، فهلمَّ إلى البلاء والشرّ من هذه الولاية .

والبيت أول أبياتٍ لقوَّالٍ الطائى ؛ أوردها أبو تمام (فى الحماسة) . وقد شرحناها مع ذكره سببها فى الشاهد السابع والثلاثين بعد الثلثمائة من باب النعت [١] .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٢٨ (عَدَسْ ما لِعبَّادٍ عليكِ إمارةٌ
أَمِنْتِ وهذَا تَحملينَ طَليقُ)

---

(١) الخزانة ٥ : ٢٨ – ٣٠ .

(٢) المحتسب ٢ : ٩٤ وابن الشجرى ٢ : ١٧٠ والإنصاف ٧١٧ وابن يعيش ٢ : ٤/١٦ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٧٩ وشرح شواهد المغنى ٢٩١ والشذور ١٤٧ والعينى ١ : ٣/٤٤٢ : ٤/٢١٦ : ٣١٤ والتصريح ١ : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢/٢٨١ : ٢٠٢ والهمع ١ : ٨٤ والأشمونى ١ : ٣/١٦٠ : ٢٠٨ وديوان ابن مفرغ ١١٥ والشعراء ٣٢٤ واللسان (عدس) .

على أنَّ (هذا) عند الكوفيين اسم موصول بمعنى الذى ، أى الذى تحملينه طليق .

قال الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ ماذا يُنْفِقُونَ (١) ﴾ : العرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى الذى ، فيقولون : ومن ذا يقول ذاك ؟ فى معنى من الذى يقول ؟ وأنشدوا :

* عَدَسْ ما لعبَّادٍ عليك إمارة * البيت

كأنه قال : والذى تحملين طليق . انتهى .

قال أبو علىّ الفارسىُّ (فى إيضاح الشعر) : هذا البيت ينشده البَغداديُّون ويستدلون به على أنَّ ذا بمنزلة الذى ، وأنّه يوصل كما يوصل الذى ، فيجعلون تحملين صلةً لذا ، كما يجعلونه صلَة للذى . وعندنا يحتمل قوله « تحملين » وجهين : أحدهما أن يكون (٢) صفة لموصوف محذوف تقديره : وهذا رجل تحملين ، فتحذف الهاء من الصفة كما حُذفت فى قولك : الناس رجلان : رجلٌ أكرمتُ ورجل أهنت . وكقوله :

* وما شىءٌ حميتَ بمستباحِ *

٥١٥ أى حميته . والآخر أن يكون صفةً لطليق فَقُدِّمت فصار فى موضع نصب على الحال : فإذا احتمل غير ما تأوّلوه من الصلة لم يكن على الحكم بأنَّ ذلك والأسماءَ المبهمة توصل كما يوصل الذى ، دليلٌ . وكذلك ما استشهدوا به من قوله تعالى : ﴿ وما تِلكَ بيمينِكَ يا مُوسَى (٣) ﴾ وقالوهُ وتأوَّلوه على أنَّ المعنى : وما التى بيمينك ؟ ولا دلالة فيه ، لأنَّه يمكن أن يكون

---

(١) الآية ٢١٩ من البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ١٣٨ .

(٢) ش : « يحتمل قوله تحملين احتمالين : الأول أن يكون » .

(٣) الآية ١٧ من سورة طه .

بيمينك فى موضع الحال ، والعامل فى الحال فى الموضعين جميعاً ما فى الاسم المبهم من معنى الفعل . انتهى .

والاحتمال الأوّل ضعيف ، لأنَّه تخريجٌ عَلَى ضرورة ، لأنّ حذف الموصوف إذا كانت صفته جملة بدون أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، خاصٌّ بالضَّرورة أو الشذوذ . وأضعف من هذا تخريج ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) أنَّ جملة تحملين صلةٌ لموصول محذوف تقديره : وهذا الذى تحملين . وهذا لا يقول به بَصرىٌّ ؛ لأنَّه لا يرى أحدٌ منهم حذفَ الموصول الاسمىِّ وبقاءَ صلته . والتخريجُ على الحاليّة هو الجيِّد ، ولا حاجة إلى اعتبار كونه فى الأصل صفة فلما قدِّم صار حالاً ، لأنَّ ذاك إنما يُعتبر فى الأحوال المفردة لا فى الجمل ، نحو :

* لميَّةَ مُوحِشاً طللُ *

وادِّعاءُ أنَّ العامل فى هذه الحال ما فى اسم الإشارة من معنى الفعل غيرُ جيِّد ، فإنَّ جملة تحملين حال من ضمير طليق ، فطليق هو العامل فى الحالِ وصاحبها .

فإن قلت : نزِّلْ كلامه على أنَّ الجملة حالٌ من اسم الإشارة فيكون العامل معنى التنبيه . قلت : يأباه قوله إنّ تحملين مقدَّم من تأخير . فتأمَّلْ .

صاحب الشاهد والبيت أوَّل أبياتٍ ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرىّ ، خاطب بها بغلةً . وبعده :

(طليقُ الذى نجى من الحَبْس بعدما
تلاحَمَ فى دربٍ عليكِ مَضيقُ

ذَرِى وتناسَىْ ما لقيتِ فإنَّه
لكلِّ أناسٍ خبطةٌ وحَريقُ (١)
قَضى للكِ خَمخامٌ بأرضكِ فالحقى
بأهلِكِ لا يُؤْخذْ عَليكِ طَريقُ
فيابغلَة شمَّاءَ لو كنتُ مادحا
مَدحتُكِ إنِّى للكرام صديقُ
لعمرى لقد أنجاكِ من هُوَّة الرَّدى
إمامٌ وحَبلٌ للإمام وثيقُ (٣)
سأشكرُ ما أُوليتَ من حُسن نعمةٍ
ومثلى بشُكرِ المنعِمينَ حقيقُ
فإنْ تطرُقى بابَ الإمام فإنَّنى
لكلِّ كريمٍ ماجِدٍ لَطروقُ)

وقد تقدَّم سبب هذه الأبيات مع ترجمة يزيد هذا ، فى الشاهد الثالث بعد الثلثمائة ، ولكن ينبغى إيرادهُ هنا مختصراً لطول العهد .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : يزيد هذا حليفٌ لقريش ، ويقال إنَّه كان عَبْداً للضحّاك بن يغوثَ الهلالى ، فأنعمَ عليه ، ولمّا ولى سعيدُ بن عثمان بن عفّان خُراسانَ استصحبه فلم يصحبه يزيد ، وصحِب زيادَ بن أبى

(١) ط : « وخريق » ، وأثبت ما فى ش والشعراء .

(٢) فى الشعراء : « حمحام » ، وما فى الأصل يطابق ما فى الأغانى ١٧ : ٦٠ وفيه أن معاوية « وجه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام ، ويقال جهنام ، بريدا إلى عباد » . وانظر ما سبق فى الخزانة ٤ : ٣٣٣ وكذا رسائل الجاحظ ٢: ٢٧٢ .

(٣) ط وكذا فى الأغانى : « للأنام » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

سفيان ، فلم يَحمَدْهُ ، وأتى عبَّاد بن زياد فكان معه . وكان عبَّادٌ طويلَ اللحية عريضَها ، فركب ذاتَ يومٍ وابن مفرِّغ معه فى مَوكِبه ، فهبَّتْ ريحٌ فنفشت لحيتَه ، فقال ابن مفرِّغ :

ألا ليتَ اللِّحَى كانت حشيشاً
فترعاها خيولُ المسلمينا

فبلغ ذلك عبّادًا فحقد عليه وجَفاه ، فقال ابن مفرِّغ :

إنّ تركى ندى سعيدِ بن عثما
ن فتىَ الجودِ ناصرى وعديدى
واتِّباعى أخا الرضاعة واللؤ
م لَنَقصٌ وفوتُ شأوٍ بعيدِ ٥١٦
قلتُ والليلُ مُطبِقٌ بِعُراهُ
ليتنى مِتُّ قبل تركِ سعيدِ

فأخذه عبيد الله بن زياد وحبسه وعذَّبه وسقاه التُّربُد (٢) فى النبيذ ، وحمله على بعير وقرن به خنزيرةً ، وأمشاه بطنُه مشياً شديدا ، فكان يسيل منه ما يَخرُج على الخنزيرة فتصيح ، وكلما صاحت قال ابن مفرغ :

ضَجَّتْ سُمَيَّةُ لما مسَّها القَرَنُ لا تجزعى إنَّ شرَّ الشِّيمة الجزعُ (٣)

---

(١) فى ديوانه ١٠٩ : « الضراعة واللؤم » . والضراعة : الذل .

(٢) ش : « الربد » مهملة النقط . وفى الشعراء ٣٢٠ : « التربذ » بالذال فى آخره . وما أثبت من ط يطابق ما فى معجم استينجاس ٢٩٢ وتذكرة داود الأنطاكى ١ : ٩٤ وذكر أنه نبت فارسى يكون بجبال خراسان وما يليها ، وأنه يغثى ويكرب ، حتى أن الردئ منه ربما قتل . وفى الأغانى ١٧ : ٥٦ : « فسقى نبيذا حلوا قد خلط معه الشبرم » .

(٣) فى الأغانى : « لما لزها قرنى » . والقرن ، بالتحريك : الحبل يقرن به البعيران ، ويقال أيضا للبعير يقرن بآخر .

وسمِيَّة : أمّ زياد ، وجعلها خِنزيرة .

فطِيف به فى أزقَّة البصرة وجعل الناس يقولون : اين جيست ؟ أى ما هذا !

وهو يقول :

آب است نبيذ است عصارات زبيب است

سمية رُوَسَبيد است [١]

وهذه كلمات بالفارسية ، أى هذا الذى ترونه إنما هو نبيذٌ وعصارة زبيب ، وسمية البغىّ . يعنى بها الخنزيرة . فلما ألحَّ عليه ما يخرج منه قيل لعبيد الله : إنّه يموت ، فأمر به فأنزل واغتسلَ ، فلما خرج من الماء قال :

يَغْسِلِ الماءُ ما فَعلتَ وقولى

راسخٌ منك فى العظامِ البوالي

ثم دسَّ عليه غرماءَه يَسْتَعْدُونَ عليه ، فأمر ببيع ما وُجد له فى إعطاء غرمائه ، فكان فيما بيع له غلام يقالُ له برد ، وكان يَعدِلُ عنده ولده ، وجاريةٌ يقال لها الأراكة ، ففيهما يقول :

يا بُردُ ما مسَّنا دهرٌ أضرَّ بنا

مِن قبْلِ هذا ولا بِعْنا له وَلَدَا

أمَّا الأراكُ فكانت من مَحارمنا

عيشاً لذيذا وكانت جَنَّةً رَغَدا [٣]

---

(١) ط : « أين نبيذ است » ش : « اينست نبيذ است » . وأثبت ما فى الأغانى والبيان والتبيين ١ : ١٤٣ .

(٢) ط : « روسبيست » ش : « روسفيست » ، صوابه من الأغانى والبيان . وانظر حواشى البيان .

(٣) انظر ما سبق فى ٤ : ٣٣٠ .

لولا الدَّعيُّ ولولا ما تَعرَّض لى
من الحـوادث ما فارقتها أبدا

وقال أيضاً من قصيدة :

وشَرَيتُ بُرداً ليتنى من بعدِ بردٍ كنتُ هامه
أو بُومةً تدعو صَدًى بين المشقَّرِ واليمَامَـه
الرِّيح تبكى شَجْوَهُ والبرقُ يلمعُ فى الغَمَامه (١)

ثم إنَّ عبيد الله أمر به فحمِل إلى سجستان إلى أخيه عبّاد بن زياد ، وكان ابن مفرِّغ كتب فى حيطان الطرق والمنازل والخانات هجاءهم ، فأُلزِم مَحْوَهُ بأظفاره حتى فسدت أناملُه ، ومُنِع أن يصلّىَ إلى الكعبة ، وألزمه أن يصلّىَ إلى قبلة النَّصارى ، فلما وصل إلى عبّادٍ حُبِس ، فكان يهجوهم فى الحَبْس . ومما قاله فيه :

إنَّ زياداً ونافعاً وأبابكـ ـرَةَ عندى مِن أعجب العجبِ
إنَّ رجالاً ثلاثة خُلِقوا من رِحْمِ أنثى مخالفى النَّسَبِ
ذا قرشىٌّ كما يقولُ ، وذا مَولًى ، وهذا بزعمِه عَرَبى

والثلاثة أولاد سمية . أما نافع فهو من الحارث بن كلَدَة . وأمَّا أبو بكر وزيادٌ فهما من عُبيدٍ الرُّومى ، فإنّ الحارث بعد أن أولدها نافعا زوَّجها لعُبيد ، فزيادٌ ادّعى أنّه قرشى ، وأبو بكرة مولًى لكونه ابن عُبيد . وأمَّا نافع (٢) فهو عربىٌّ لكونه ابنَ الحارث الثقفى . فلما طال حَبسُه دخل أهلُ اليمن إلى معاوية ٥١٧
فشفَعوا فيه ، ووجَّه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام – وقال ابن السيد : هو

(١) كذا . والرواية المعروفة « شجوها » ، ولكن البغدادى قيده فى التفسير التالى بأنها « شجوه » ، وقال : « أى شجو برد » .

(٢) ش : « ونافع » .

من بنى راسب [١] – بريداً إلى عبَّاد ، وأمره أن يبدأ بالحبس فيُخرجَ ابنَ مفرّغ منه قبلَ أن يعلم عَبَّادٌ فيغتاله . ففعل ذلك ، فلما خرج من الحبس قرِّبت بغلةٌ من بغال البريد فركبها وقال :

* عدسْ ما لعبَّادٍ عليك إمارةٌ * الأبيات

وتمام القصَّة هناك . فقوله (عدس) هو زجرٌ للبغل ، أى إنّه زَجْرٌ له ليسرع . قاله الجوهرى ، وأنشد هذا البيت . وربما سمُّوا البغل عَدَسْ بزجره .

قال الشاعر :

إذا حملتُ بِزّتى على عَدَسْ

فما أبالى من غَزَا ومن جَلَسْ

وقال الجاحظ [٢] : زعمَ أناسٌ أنَّ عَدَسْ اسمٌ لكلِّ بغلة ، وذهبوا إلى قول الشاعر :

إذا حملتُ بِزّتى على عَدَسْ على التى بين الحمارِ والفرس

* فما أبالى من غَزا ومَنْ جَلس *

ورُوى عن الخليل أنَّ عَدَسْ كان رجُلاً عنيفا بالبغال أيامَ سليمان عليه السلام ، فإذا قيل لها ذلك انزجرتْ وأسرعَتْ . وهذا لا يعرف فى اللغة .

وزعم ابن قتيبة أن الذى ركبه ابن مفرغ فرس [٣] . قال : فبعث على البريد مَنْ أطلقه ، فبدأ بالحبس فأخرجه ، فلمَّا قرِّب إليه فرسُه قال : عَدسْ ما لعباد البيت . وهذا وهمٌ ، ويدلُّ لما قلنا قوله : « فيابغلةً شمَّاء » ... البيت

(١) ما بعده إلى « من الحبس » ساقط من ش .
(٢) فى كتاب البغال . انظر رسائل الجاحظ ٢ : ٢٧٣ .
(٣) ش : « أن التى ركبها ابن مفرغ فرس » .

وأنْ عدَسْ خاصٌّ بزجر البغال . وقال بعضهم : إنّ عدس اسمُ بغلته . وهذا غير صحيح أيضاً ؛ لأنها لم تكن له ، وإنَّما هى من بغال البريد .

وقوله : (ما لعبّادٍ) إلخ ما نافية ، واللام متعلق بمحذوف ، وعليك متعلق بالظرف ، (وإمارة) إمَّا فاعل لقوله لعبَّاد ، وإما مبتدأ وخبره لعبّاد . وجملة (أمنتِ) مستأنفة بياناً للجملة المنفية . وجملة (وهذا تحملين طليقُ) حالٌ من فاعل أمنتِ ، أى أمنت فى حال كون محمولِكِ طليقا . و (الطليق) : الذى أُطلق من الإسار ، أى أَمنتِ من حُكْم عبَّاد . وإذا لم يكن له حكم على البغلة فلَأَنْ لا يكون عليه حكمٌ أولى . وقوله : « وهذا تحملين » يعنى بالإشارة نفسَه . ومن العجب قول العينى هنا : إنّ عَدَسْ منادى بحرف نداء محذوف ، وبُنىَ على السكون لأنه فى الأصل حكايةُ صوت . إلى أنْ قال : وإمارة مبتدأ .

وعبَّاد هو أخو عُبيد الله بن زياد ، الذى قاتل الحسينَ بن على رضى الله عنهما فى كربلاء . وزيادٌ يقال له زياد بن سُميَّة ، وهى أمه ، بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء ، ويقال له زياد بن عُبيد بالتصغير ، وهو أبوه . ويقال له أيضاً زياد بن أبيه ، أى ابن أبى معاوية ، لأنَّ معاوية بن أبى سفيان جعله أخاً لنفسه ، واستلحَقَه بأبيه . عباد بن زياد

وبيان ذلك كما ذكره الملك إسماعيل الأيوبىُّ صاحبُ حماة (فى كتابه أخبار البشر) : أنّه لما دخلت سنةُ أربع وأربعين من الهجرة ، استلحَقَ معاوية زيادَ بن سميَّة ، وكانت سميَّة جاريةً للحارث بن كلَدَة الثقفى ، فزوَّجها بعَبْدٍ له رومىٍّ يقال له عُبيد ، فولدت سُميةُ زِياداً على فراشه ، فهو ولد عُبيدٍ شرعا . وكان أبو سفيان قد سار فى الجاهلية إلى الطائف ، فنزل على إنسانٍ يبيع الخمر يقال له أبو مريم ، أسلم بعد ذلك وكانت له صحبة ، فقال له أبو سفيان : قد

٥١٨ اشتهيت النِّساء . فقال له أبو مريم : هل لك فى سُميَّة ؟ فقال أبو سفيان : هاتها على طول ثَدييْها ودَفَر إبطيها ! فأتاه بها فوقع عليها ، فيقال إنها عَلِقت منه بزياد ، فوضعته فى سنة الهجرة . ونشأ زيادٌ فصيحاً ، ثم لما كان قضيةُ شهادة الشهود على المغيرة بالزنى وجَلْدِهم (١) ، ومنهم أبو بكرة أخو زياد لأمِّه وامتناعُ زياد عن التصريح كما ذكرنا ، اتخذ المغيرة بذلك لزياد يداً . ثمَّ لمَّا ولى على بن أبى طالب رضى الله عنه الخلافة استعمل زياداً على فارس ، فقام بولايتها أحسنَ قيام . ولمَّا سلَّم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية امتنع زيادٌ بفارس ولم يدخُلْ فى طاعة معاوية ، وأهمَّ معاويَةَ أمرُه وخاف أن يدعوَ إلى أحدٍ من بنى هاشم ويعيدَ الحرب ، وكان معاوية قد ولَّى المغيرةَ بن شعبةَ الكُوفة ، فقدِم المغيرةُ على معاوية فى سنة اثنتين وأربعين ، فشكا إليه معاويةُ امتناعَ زياد بفارس فقال المغيرة : أتأْذن لى فى المسير إليه ؟ فأذن له وكتب معاوية لزيادٍ أماناً ، فتوجَّه المغيرة إليه لمَا بينهما من المودَّة ، وما زال عليه حتى أحضره إلى معاوية وبايعه ، وكان المغيرة يكرم زياداً ويعظمه ، من حينَ كانَ منه فى شهادة الزِّنى ما كان .

فلمَّا كانت هذه السنة ، سنة أربع وأربعين ، استَلْحقَ معاوية زياداً وأحضر الناس ، وحضَر من يشهد لزيادٍ بالنّسبِ ، وكان ممن حضَر ذلك اليومَ أبو مريمَ الخمَّارُ الذى أحضر سُميَّة إلى أبى سفيان بالطائف ، فشهد بنسب زيادٍ من أبى سفيان وقال : إنِّى رأيت إسكتَىْ سُميَّة يقطُرانِ من مَنىّ أبى سفيان . فقال زياد : رُويدك ، طُلبتَ شاهدا ولم تُطلَب شتَّاماً . فاستلحقَه معاوية . وهذه أوّل واقعةٍ خُولفت فيها الشريعةُ علانيةً ، لصريح قول النبى ﷺ « الولدُ للفِراشِ وللعاهر الحجر » . وأعظمَ الناسُ ذلك وأنكروه ،

(١) ط : « بالزنا جلدهم » . وما أثبت من ش .

خصوصاً بنى أمية ، لكون زياد بن عُبيد الروميّ صار من بنى أمية بن عبد شمس .

وقال عبد الرحمن بن الحكم أخو مرْوانَ فى ذلك :

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ صخرٍ

لقد ضاقت بما تأتى اليدانِ

أتغضبُ أنْ يقالَ أبوك عفٌّ

وترضَى أن يقال أبوك زانى

وأشهدُ أنَّ رِحْمكَ من زيادٍ

كرِحْم الفِيل من ولد الأتانِ

ثم ولَّى معاويةُ زياداً البصرة ، وأضاف إليه خراسان وسجستان ، ثم جمع له الهندَ والبحرين وعُمان .

ثم دخلتْ سنة خمس وأربعين ، فيها قدم زيادٌ إلى البصرة وسَدَّد أمر السَّلطنة وأكَّد الملك لمعاوية ، وجرَّد السيف ، وأخَذ بالظِّنَّةِ وعاقب على الشُّبهة ، فخافه الناسُ خوفاً شديدا . وكان معاوية وعُمَّاله يدعون لعثمان فى الخطبة يوم الجمعة ويسبُّون عليا . ولمَّا كان المغيرة متولِّىَ الكوفة كان يفعل ذلك ، وكان حُجرٌ يقوم ومعه جماعة يردُّون عليه ، وكان المغيرة يتجاوز عنهم ، فلما ولِىَ زيادٌ ودعا لعثمانَ وسبّ عليًّا قام حُجر وقال كما كان يقول ، من الثَّناء على علىّ ، فغضب زيادٌ وأمسكه وأوثقَه بالحديد وثلاثَة عشر نفراً معه وأرسلهم إلى معاوية ، فشفَع فى ستةٍ منهم عشائرُهم ، وبقى ثمانيةٌ منهم حُجر ، فقتلهم معاوية . وكانَ حُجرٌ صحابيّا من أعظم الناس دِيناً وصلاة . وروى ابنُ الجوزىّ بإسناده عن الحسن البصرى أنه قال : أربع خصال كنَّ فى معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدةٌ لكانت مُوبقة ، وهى : أخذه الخلافَة بالسيف من غير ٥١٩

مشاوَرةٍ وفى الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة . واستخلافه ابنه يزيد ، وكان سِكِّيرا خِمِّيرا يلبس الحرير ويَضرب بالطَّنابير . وادِّعاؤه زياداً أخا ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وقتْله حُجر بن عديّ وأصحابه ، فيا ويلاً له من حُجر وأَصحاب حُجر . وروى عن الشافعى أنه أسَرَّ إلى الربيع أن لا يقبل شهادةَ أربعة ، وهم : معاوية ، وعمرو بن العاصى (١) ، والمغيرة ، وزياد .

وأما قضيَّة المغيرة بن شعبة فقد كانت فى سنة سبعَ عشرة ، وهى أنَّ المغيرة كان عمرُ بن الخطاب قد ولَّاه البصرة ، وكان فى قُبالة العُلِّيَّة (٢) التى فيها المغيرةُ بن شعبة عُلِّيَّةٌ فيها أربعة ، وهم أبو بَكْرة مولى النبى ﷺ ، وأَخوه لأُمِّه زياد بن أبيه ، ونافع بن كلَدَة ، وشِبل بن مَعبد ، فرفعت الريحُ الكوَّة عن العُليّة ، فنظروا إلى المغيرة وهو على أمِّ جميل بنت الأرقم بن عامر بن صعصعة ، وكانت تَغْشَى المغيرة ، فكتبوا بذلك فعَزل المغيرةَ واستقدمه مع الشهود ، فلما قدِم إلى عمر شهد أبو بَكْرة ونافعٌ وشبل على المغيرة بالزنى ، وأمّا زياد بن أبيه فلم يُفصح بشهادة الزنى ، فقال : رأيته جالساً بين رِجلَى امرأة ورأيت رِجلينِ مرتفعتين ونفساً يعلو ، واستاً تربُو عَنْ ذكَر ، ولا أعلم ما وراء ذلك . فقال عمر : هل رأيت الميل فى المُكْحُلة ؟ فقال : لا . فقال : هل تعرف المرأةَ ؟ قال : ولكن أُشبِّهها . فأمر عمر بالثلاثة الذين شهدوا بالزنى أنْ يُحَدُّوا حدَّ القذف فَجلِدوا . وكان زيادٌ أخا أَبى بكرة لأُمِّه ، فلم يكلمه أبو بكرة بعدها . انتهى ما نقلته عن أخبار البشر .

---

(١) ش : « العاص » .

(٢) العلية : الغرفة ، ووزنها فُعُولة أو فُعْلِيَّة . وتقال أيضا بكسر العين .

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى [١]) : كتاب مثالب العرب أصله لزياد بن أبيه ؛ فإنّه لما ادّعى أبا سفيان أبا ، علم أنَّ العرب لا تُقرُّ له بذلك مع علمهم بنسَبه ، فعمل كتاب المثالب وألصقَ بالعرب كلَّ عيبٍ وعار وباطل ، وإفك وبُهْت . ثم ثنَّى على ذلك الهيثم بن عديّ وكان دعيًّا ، فأراد أن يعرَّ أهلَ الشرف تشفّياً منهم . ثم جدَّد ذلك أبو عبيدة مَعْمَر ابن المثنَّى وزاد فيه ، لأنَّ أصله كان يهودياً ، أسلم جدُّه على يدَىْ بعض آل أبى بكر ، فانتمى إلى وَلاءِ تَيمْ . ثم نشأ غَيلانُ الشعوبى الورَّاق ، وكان زنديقاً ثَنَوِيًّا لا يُشَكُّ فيه ، فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً خارجا عن الإسلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذِكر مناكحهم وأمَّهاتهم ، ثم بطون قريش ثم سائرِ العرب ونسَب إليهم كلَّ كذب وزور ، ووضعَ عليهم كلَّ إفك وبهتان . ووصله عليه طاهرٌ بثلاثين ألفا . وأما كتابُ المثالب والمناقب الذى بأيدى الناس اليومَ فإنَّما هو للنَّضْر بن شُميل الحميرى وخالِد بن سلمة المخزومى ، وكانا أنسبَ أهل زَمانهما ، أمَرَهُما هشامُ بن عبد الملك أن يبيِّنا مثالبَ العرب ومناقبها ، وقال لهما ولمن ضمَّ إليهما : دعُوا قريشاً بما لها وما عليها . فليس لقرشيٍّ فى ذلك الكتاب ذِكر . انتهى .

وقوله : « طليق الذى نُجِّى » إلخ ، الذى نجَّاه من الحبس هو معاوية . والدَّرب ، بالفتح : باب السكة الواسع ، والباب الأكبر . ومَضِيق : فاعل تلاحم .

وقوله : « لكل أناسٍ خَبطة » إلخ الخبطة ، بفتح المعجمة وسكون الباء ، قال صاحب القاموس : الخبطة : الرُّكمة تصيب فى قُبُل الشتاء [٢] ، والمطرُ الواسع . وقال : الرُّكْمة بالضم : الطين المجموع .

---

(١) اللآلئ ٨٠٧ - ٨٠٨ . وانظر حواشى البيان ٣ : ٥ .

(٢) كذا ، وهو سهو من البغدادى فى النقل من القاموس ، والذى فى القاموس والتاج : « الزكمة » بالزاى المفتوحة ، وهى الزكام . وقد انساق البغدادى فى السهو ، فالتمس للركمة بالراء =

٥٢٠ وقوله : « قضى لك خمخام » بفتح الخاءين المعجمتين . وروى ابن قتيبة بحاءين مهملتين . ويؤخذ مجزوم بلا الناهية ، وأراد به الدعاء لها بأن لا تؤخذ فى طريق وهو عليها .

والشمَّاء : العالية المرتفعة ، مؤنث الأشمّ . والهُوَّة بالضم : الموضع الهاوى . والرَّدَى : الهلاك . وإمامٌ فاعل أنجاك .

والطَّرق والطُّروق : الإتيان بالليل ، وأراد به مطلق الإتيان .

وقوله :

وشَرِيتُ برداً ليتنى من بعد بُردٍ كنتُ هَامه

فى القاموس : الهامة : طائرٌ من طير الليل ، وهو الصَّدَى . وقال (فى صدى) : والصَّدى : طائرٌ يطير بالليل يَقْفِز قفزا . والمُشَقَّر كمعظَّمٍ : حِصن قديم . واليمامة : بلاد الجوّ ، وأصل اليمامة اسم امرأةٍ ، وهى جاريةٌ زرقاء وكانت [1] تُبصر من مسيرة ثلاثة أيام ، وهى مشهورةٌ ، سمِّى الجوُّ باسمها . وبها تنبأ مسيلمة الكذاب ، وهى عن مكة ستَّ عشرة مرحلةً من البصرة ، وعن الكوفة نحوها .

وقوله : « شجوه » مفعول لأجله ، أى شجْوَ بُرد . والشَّجو : الحزن ،

= المضمومة معنى فى مادة (ركم) من القاموس فوجد لها معنى الطين المجموع . وقد تركت نص البغدادى كما هو محافظة عليه . على أن « الخبطة » التى وردت فى البيت معناها من خَبْط ورق الشجر ، وهو ضربه ليسقط ويستعمل فى الحريق . ويؤيد هذا المعنى قوله فى البيت « وحريق » . ومعنى البيت فيما أرى ، أن بعد العسر يسرا ، ولابد لكل قوم من أن تتاح لهم فرصة النار بعد تعسرها عليهم .

(١) ط : « وكانت » .

أى لشَجْوها عليه . والبرق معطوفٌ على الريح ، أى والبرق يبكى أيضا . وجملة يلمع إلخ حالٌ . قال السيِّد المرتضى قدِّس سِرُّه (فى أماليه الغرر والدرر) : عطف البرق على الريح ثمَّ أُتبعه بقوله : يلمع فى الغمامة ، كأنه قال : والبرق أيضاً يبكيه لامعاً فى غمامِه [1] ، أى فى حال لمعانه . ولو لم يكن البرق معطوفاً على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة .

والبيت الأوَّل استشهد به صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : ﴿ الذينَ يَشْرُونَ الحيوةَ الدنيا بالآخرة [2] ﴾ على أنّ الشراء يأتى بمعنى البيع كما فى البيت ، يقال شريت الشئ أشرِيه شِرًى وشِراء ، إذا بعته ، وإذا أخذته أيضاً . فهو من الأضداد .

وقد عنَّ لى أن أسوقَ القصيدة هنا فإنها جيِّدةٌ فى بابها . قال [3] : قصيدة يزيد بن مفرغ

أصَرَمْتَ حبلك من أمامه ... مِن بَعد أيَّامٍ برامَه
ورَمِقتَـهـا فوجـدتُها ... كالضِّلع ليس لها استقامه
لهفى على الرأى الذى ... كانت عواقبُه نَدامه
تركى سعيداً ذا النَّدى ... والبيتِ ترفعُه الدِّعامه [4]
ليثا إذا شهد الوغى ... تَرك الهوَى ومَضى أمامَه
فُتِحتْ سمرقنـدٌ له ... فبنَى بعرصتها خِيامَه
كانوا صديقاً قبل ذا ... فألَمَّ دهرٌ ذو عَرامه

(١) وكذا بالإضافة فى أمالى المرتضى ١ : ٤٤٠ .

(٢) الآية ٧٤ من النساء .

(٣) الأغانى ١٤ : ٥٤ - ٥٥ والشعراء ٣٢١ وأمالى الزجاجى ٤٢ .

(٤) سعيد هذا هو سعيد بن عثمان بن عفان . وكان واليا على خراسان

وتَبِعْتُ عبدَ بَني عِلا ج تلك أشراطُ القيامه
جاءت به حبشيَّــةٌ سَكَّاءُ تَحْسِبُها نَعامه
مِن نِسوةٍ سُودِ الوجو ه ترى عليهن الدَّمامَه
وشريتُ برداً ليتنـى .... البيتين

وبعدهما :

والعبدُ يقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الملامـه
والهولُ يَركبُـه الفتـى حَذرَ المخازى والملامه

وقوله : « سَكَّاء تحسَبها نعامه ، » قال فى العباب : السَّكك بفتحتين :
٥٢١ صِغَر الأذن . وأذنٌ سكَّاء ، أى صغيرة . يقال : كلُّ سكاءَ تبيض ، وكلُّ شَرفاء تلد . فالسَّكَّاء : التى لا أُذنَ لها ظاهرة . والشَّرْفاء : التى لها أذنٌ ظاهرة . انتهى . والنعام صَغير الأذن خِلقة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الأربعمائة (١) :

٤٢٩ (فقلت له : لا والذى حَجَّ حاتمٌ
أخونُك عهداً ، إنَّنى غيرُ خَوَّانِ)

على أنه بتقدير : حَجَّ حاتِمٌ إليه ، فحذف إليه .

قال أبو على (فى الإيضاح الشعرىّ) : قوله : لا والذى حجّ حاتم ، يحتمل الذى ضربين : إنْ عَنى بالذى الكعبة ، فذكَّر على إرادة البيت كما يقولون : والكعبةِ ، والبيتِ ، والمسجدِ ! فالضمير فى حجّ محذوف ، لأنَّ هذا

(١) نوادر أبى زيد ٦٥ ويس ١ : ١٤٧ والحماسة ١٦٢٨ بشرح المرزوقى .

الفعل متعدٍّ ، يدلُّ على ذلك قوله : ﴿ فمن حَجَّ البيت أو اعْتمرَ [١] ﴾ . فالمعنى : الذى حجَّه حاتم . وإن عنى بالذى اللهَ سبحانه فالتقدير : لا والذى حجَّ له حاتم ، فحذف له من الصلة . وهذا النحو من الحذف من الصِّلات قد جاء فى الشعر ، من ذلك قوله :

نادِيتُ باسمِ ربيعةَ بنِ مكدَّمٍ
إنَّ المنوَّهَ باسمه الموثوقُ

فقال : الموثوق ، وحذف به . انتهى .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : سألنى أبو على مرّةً عن قوله :

* فقلت له لا والذى حج حاتم * البيت

فقلت له : يجوز أن يكون أقسم بالله عز وجل ، أى والله الذى حجّ حاتمٌ بيتَه ثم حذف المضاف فصار حَجَّهُ ، ثم حذف الضمير على العادة من الصلة . ويجوز أن يكون الذى مصدراً كقوله تعالى : ﴿ الذى يبشِّر الله عِباده [٢] ﴾ [، وهو [٣]] شبيهٌ ببيتنا هذا . ا هـ .

أراد بالبيت المشبَّه به البيتَ الذى شرحه ، وهو :

رُوَيْقَ إنى وما حجَّ الحجيج له وما أهلَّ بجنبىْ نَخْلةَ الحُرُمُ [٤]

قال : يحتمل ما هنا أوجُهاً : أحدها أن تكون عبارة عن القديم سبحانه على ما حكاه أبو زيد عن العرب ، من قوله [٥] : سبحان ما سَخَّرَكُنَّ لنا ،

(١) الآية ١٥٨ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى .
(٣) التكملة من إعراب الحماسة لابن جنى الورقة ١٩٤ .
(٤) بضمتين ، جمع حرام ، بمعنى المحرم بالحج أو العمرة .
(٥) فى إعراب الحماسة : « قولهم » .

وسبحان ما سبَّح الرعد بحمده ، وأراد : فى ما [١] الثانية له ، غير أنّه حذفها لِطولِ الكلام وتقدُّم ذكرها مع ما فى الأولى . ويجوز أيضاً أن يكون ما هنا مصدراً فتكون الهاء فى له لله تعالى ؛ وإنْ لم يجرِ له ذكر ، لأنّه قد جرى ذكر الحجِّ ، فدلَّت الطاعة على المطاع سبحانه ، فكأنه قال : إنى وحجِّ الحجيج لله . ويؤكد ذاك أنَّه لم يُعِدْ مع ما الثانية لَه ، لأنه غير محتاج إليها من حيث كانت مصدراً [٢] ، وغير محتاجة إلى عائد وقد تقدَّم « له » الأولى . ويجوز أيضاً أن تكون ما عبارة عن البيت ، فيقسم بالبيت ، كقول زهير :

فأقسمت بالبيت الذى طافَ حوله
رِجالٌ بَنَوْهُ من قُريشٍ وجُرهُمِ

فإذا كان الأمر كذلك احتملت الهاء فى له أمرين : أحدهما أن تكون للبيت على أنْ يكون له بمعنى إليه ، كقوله تعالى : ﴿ بأنَّ ربَّكَ أوحَى لها [٣] ﴾ أى إليها . والآخر [٤] أنْ يكون للهِ تعالى ، أى والبيتِ الذى حجَّ الحجيج لطاعة الله . وسألنى أبو علىٍّ مرَّةً عن قوله . إلى آخر ما أوردناه أوّلا .

فَعُلم أنّ كلام الشارح المحقّق هو أحد تخريجَىْ أبى علىٍّ الفارسى على تقدير حمل الذى على الله . ولم يرتَضِه ابنُ جنى على هذا التقدير ، بل جعله على تأويل : والله الذى حجَّ بيتَه حاتم ، فحذف بيت أوّلا ثم الضمير العائد تدريجاً . وهذا أقْيَس من كلام أبى على .

---

(١) فى النسختين : « فيما » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٢) كذا فى إعراب الحماسة . وفى الأصل : « لأنه غير محتاج إليه من حيث كان مصدرا » .

(٣) الآية ٥ من الزلزلة .

(٤) فى نسخة من إعراب الحماسة : « والأحسن » .

والبيت أحد أبياتٍ ثلاثةٍ أوردها أبو زيد (فى نوادره) . لكنْ روايته ليست كرواية الجماعة ، وهى فيها كذا :

أبيات الشاهد

(مررتُ عَلَى دار امرئ السَّوء ، عِندَه
لُيُوثٌ كعَيْدانٍ بحائطِ بُستانِ
ومررتُ على دار امرئ الصِّدق حولَه
مَرابط أفراسٍ ومَلعبُ فِتيانِ
فقال مجيباً : والذى حجَّ حاتم
أخونُكَ عهداً ، إننى غيرُ خوّانِ

والسَّوء بفتح السين وضمها : مصدرٌ ، أراد به السَّيِّئ ، فأطلق عليه مبالغة . وكذلك الصِّدق ، مصدر أطلق على الصادق . ويكون السَّوء والصِّدق فى القول والفعل .

واللُّيوث : جمع ليث وهو الأسد ، أراد به الشجعان . وقال الجَرْمى : هو جمع لَيْثة ، يقال ناقة ليثة . انتهى . وفى القاموس : اللَّيثة من الإبل : الشَّديدة .

والعَيْدان ، بفتح العين المهملة : النخل الطوال ، قال الجوهرى : والعَيْدان ، بالفتح : الطِّوال من النَّخل ، الواحدة عَيدانة . هذا إن كان فَعلان فهو من هذا الباب ، فإن كان فيعالا فهو مِن باب النون .

وقوله : « بحائط بستان » الباءُ بمعنى فى . والحائط : البُستان ، والبستان ، فُعلانٌ : الجنَّة . قال الفرّاء : عَربىٌّ (١) . وقال بعضهم : رومى معرب . فإضافة حائط إلى بستان بيانية .

(١) ط : « عرب » ، صوابه فى ش .

وقوله : « ومررت على دار » إلخ قال الجرمى : الواو زائدة [١] فى البيت ، كأنَّه عطف بيتاً على بيت . وفِتيان : جمع فتى .

وقوله : « أخونك عهداً » ، الخَوْن والخيانة : أن يؤتمن الإنسان فلا يَنصح ، يتعدَّى بنفسه إلى مفعول واحدٍ تارة ، يقال خان الرجل الأمانة ، وتارة إلى المفعول الثانى بنفسه وبحرف الجر ، يقال خانه العهدَ وفى العهدِ . والعهد : الوصيَّة ، والأمَان ، والمَوثق ، والذِّمَّة .

وقوله : « فقال مجيبا » فاعل قال ضمير امرئ الصدق ، ومُجيباً حال منه . وقوله والذى ، الواوُ للقسم ، والذى مُقْسم به . وحج حاتم صلة الذى ، والعائد محذوف كما تقدَّم بيانُه ، وجملة أخونك جوابُ القسم بتقدير لا النافية ، كقوله تعالى : ﴿ تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسفَ [٢] ﴾ والكاف مفعولٌ أول ، وهى مفتوحةٌ لا مكسورة . وعهداً مفعول ثان ، وجملة « إننى غير خوّان » ، استئناف بيانىّ .

صاحب الشاهد العريان بن سهلة

والأبيات لِعُرْيان بن سَهْلة الجَرْمى ، وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية . كذا قال أبو زيد (فى نوادره) . والعُريان ، بضم العين وسكون الراء المهملتين بعدهما مثناة تحتية وآخره نون . وسَهْلة ، بفتح السين المهملة وسكون الهاء بعدها لام وهاء تأنيث . والجَرْمىّ : نسبة إلى جَرْم بفتح الجيم وسكون الراء المهملة . وجرم : بطنٌ من قبيلة طيِّئ ، وبطن من قبيلة قضاعة أيضاً . ولا أعلم نسبته إلى أىِّ هذين البطنين . والله أعلم .

* * *

(١) وتسمى فى اصطلاح العروض بالخزم ، بالزاى المعجمة .

(٢) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الأربعمائة [١] :

٤٣٠ (فسَلِّمْ عَلَى أيُّهِمْ أَفضَلُ)

هذا عجزٌ ، وصدره :

(إذا ما لَقِيتَ بنى مالكٍ)

على أَنَّ العائد الواقع مبتدأً محذوف ، والتقدير : أيهم هو أفضل . وفيه روايتان : « عَلَى أيُّهم » بالبناء على الضم ، وبه أورده ابن هشام فى بحث أىّ (من المغنى) . و « على أيِّهم » بإعرابه بالجرّ ، وبه أورده أيضاً فى بحث جملة الصلة من الباب الثانى ، قال : قرئ : ﴿ أَيَّهُمْ أشد [٢] ﴾ بالنصب ، وَرُوِىَ فسلِّمْ على أيِّهم أفضل ، بالخفض . وكذلك رواه بالوجهين (فى شرح الشواهد) .

وإذا شرطية ، وما زائدة . وجملة فسلم جواب الشرط .

ومسألةُ أىّ خلافية ، وقد فصَّلها ابنُ الأنبارى (فى مسائل الخلاف) ، وكذلك الشارح المحقق بعد الإخبار بالذى . ٥٢٣

والبيت لم يبلغْنى قائله . وقال ابنُ الأنبارى : حكاه أبو عمرو الشيبانى بضم أيُّهم عن غَسَّان ، وهو أحدُ مَن تؤخَذ عنه اللغة من العرب . انتهى . صاحب الشاهد

فغسَّان قائلُ البيت [٣] . وزعم ابن هشام أنَّه لرجلٍ من غَسَّان . والله أعلم .

* * *

(١) الإنصاف ٧١٥ وابن يعيش ٣ : ١٤٧/٤ : ١٢/٧ : ٨٨ وشرح شواهد المغنى ٨٣ ، ٢٨١ والتصريح ١ : ١٣٥ والهمع ١ : ٨٤ ، ٩١ والأشمونى ١ : ١٦٦ ويس ١ : ١٣٦ .

(٢) الآية ٦٩ من سورة مريم .

(٣) المفهوم أن غسان هو راوى البيت ، أو صاحب هذه الرواية .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الأربعمائة [(١)] :

٤٣١ (أنا الذى سَمَّتْنِ أُمِّى حَيدَرَهْ)

على أنّه يجوز أن يقال : سمَّتنى ، والأكثر سمَّته . وظاهر كلامه أنّه غير قبيح .

وكذلك كلام صاحب الكشاف ، وبه استشهد عند قوله تعالى : ﴿ ولكِنِّى رسولٌ مِنْ رَبِّ العالمين * أُبَلِّغكُمْ رسالاتِ ربى [(٢)] ﴾ على جواز كون أبلغُكم صفةَ رسول الله ، لأنَّ الرسول وقع خبراً عن ضمير المتكلم فى لكنِّى ، فجاز عَودُ ضمير المتكلم عليه كما وقع الموصول فى البيت خبراً عن ضمير المتكلم ، مع أنَّ حقَّ الضمير العائد إلى الموصول الغيبة ، فكان مقتضى الظاهر فى الآية : يُبَلِّغكم ، وفى البيت : سمّتْه .

وكذلك ظاهر كلام ابن الشجرى (فى أماليه) ؛ فإنّه تكلَّم على قول المتنبى :

كفى بجسمى نُحولاً أنّنى رجلٌ لولا مخاطبتى إيَّاك لم ترنى [(٣)]

قال : رجلٌ خبر موطِّىء [(٤)] ، والجملة بعده صفته ، والفائدة بها ، والخبر الموطِّىء [(٥)] كالزِّيادة فى الكلام . فلذلك عاد الضميران ، وهما الياء فى

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥٢ وطبقات الشافعية ١ : ٢٥٥ والهمع ١ : ٨٦ .

(٢) الآية ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ من الأعراف .

(٣) ديوان المتنبى ٢ : ٤٠٢ . وهذا البيت لم يرد فى النسخة المطبوعة من الأمالى ، وليس فيها من هذا النقل إلا : « ونظير ذلك عود ضمير المتكلم إلى الموصول إذا وقع الموصول خبرا عن ضمير متكلم كقول أمير المؤمنين عليه السلام :

* أنا الذى سمتن أمى حيدره * » .

(٤) فى النسختين : « موطأ » . صوابه ما أثبت ، وهو نظير الحال الموطئة . وانظر الأشمونى ٢ : ١٧١ والتصريح ١ : ٣٧١ .

(٥) فى النسختين : « الموطأ » . وانظر التنبيه السابق .

مُخاطبتى ولم ترنى ، إلى الياء فى أنّنى ، ولم يعودا على رجل لأن الجملة فى الحقيقة خبرٌ عن أننى . ونظيره عود الياء إلى الذى فى قول على رضى الله عنه :

* أنا الذى سَمَّتنِ أمِّى حَيدره *

لمَّا كان المعنى الذى هو أنا فى المعنى ، وليس هذا مِمَّا يحمل على الضرورة لأنَّه وقع فى القرآن نحو : ﴿ بل أنتم قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١) ﴾ . وممَّا جاء فى الشعر لغير ضرورة قوله :

أأكرَمُ مِنْ ليلَى علىَّ فتَبتغِى ... به الجاهَ أم كنتُ امرأ لا أُطِيعهُا (٢)

ولم يقل يُطيعها وفاقاً لامرئٍ . فهذا دليلٌ على دليل التنزيل ، فاعرفْ هذا وقِسْ عليه نظائره . انتهى .

ولا يخفى أَنَّ مبنَى كلامه على أنَّ الضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة . والصحيح أنها ما وقع فى الشِّعر ، سواء كان عنه مندوحةٌ ، أم لا . وصريح كلام الإمام المرزوقى (٣) أنَّه قبيح مردود . قال : كان القياس أنْ يقول سَمَّته حتى يكون فى الصلة ما يعود إلى الموصول ، لكنَّه لما كان القصد فى الإخبار عن نفسه ، وكان الآخر هو الأوَّل ، لم يُبالِ بردِّ الضمير على الأوَّل ، وحمل الكلام على المعنى لأمْنِه من الإلباس (٤) ، وهو مع ذلك قبيح عند النحويِّين ، حتى إنَّ المازنى قال : لولا اشتهار مَورِده وكثرتُه لردَدْته . انتهى .

---

(١) الآية ٥٥ من سورة النمل .

(٢) نسب إلى المجنون ، أو الصمة القشيرى ، أو ابن الدمينة . وانظر شرح شواهد المغنى ٧٩ ، ٣٠٩ وحواشى الحماسة بشرح المرزوقى ١٢٢٠ .

(٣) فى شرح الحماسة ٢٩٧ .

(٤) فى شرح الحماسة : « من الالتباس » .

و (الحيدرة) : الأسد ، نقل الحسين الميْبُذِيّ [١] (فى شرح ديوان الإمام على رضى الله عنه) عن الحافظ إسماعيل قال : يُروَى أَنَّ أمَّ مرحب كانت كاهنة قالت لابنها : يا بنىَّ إنى خائفةٌ عليك رجلاً يسمِّى نفسه فى الحرب حَيدرة ، فإن سمعت ذلك فلا تبارِزْهُ . فلما سمع الرجزَ أراد الرجوع ، فمنعته الحميَّة الجاهلية ، فقتله علىٌّ رضى الله عنه . والسِّياقُ مشعرٌ بأنَّ عليّا كان سمِع هذا ، فلهذا قال حَيدرة . انتهى .

٥٢٤ وحمله الجمهور على غير هذا ، قال ابن قتيبة (فى غريب الحديث) : سألت بعضَ آل أبى طالب عن قوله : سمَّتن أمِّى حَيدره ، فذكر أنَّ أمَّ على فاطمةَ بنت أسد ولدت علياً وأبو طالبٍ غائب ، فسمَّته أسداً باسم أبيها ، فلمَّا قدم أبو طالب كرِهَ هذا الاسمَ وسمَّاه علياً ، فلما كان يومَ خيبر ورَجَز علىٌّ ذكر الاسم الذى سمتَّه به أُمه ، فكأنه قال : أنا الأسد . اهـ .

ومثله فى صحاح الجوهرى .

وقال السهيلى (فى الروض الأنف [٢]) . فى قول علىّ : « سمتن أُمى حيدره » ثلاثة أقوال ، ذكرها قاسم بن ثابت .

أحدها : أنَّ اسمَه فى الكتب المتقدِّمة أسد ، والأسد هو الحيدرة .

الثانى : أنَّ أمة فاطمة بنت أسد حينَ ولدته ، كان أبوه غائباً ، فسمَّته باسم أبيها أسداً ، فقدِم أبوه فسمَّاه علياً .

---

(١) ش : « المبيدى » ، صوابه بالذال المعجمة ، نسبة إلى ميبذ ، قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون وضم الباء الموحدة وذال معجمة : بلدة من نواحى أصبهان » . وهو الحسين بن معين الميبذى المتوفى فى سنة ٨٧٠ . لكن ذكر فى كشف الظنون أن هذا الشرح بالفارسية . فلعله شرحه مرة بالفارسية ، وأخرى بالعربية ، كما يتضح من نقل البغدادى عنه .

(٢) الروض الأنف ٢ : ٢٤٢ .

الثالث : أنّه كان لُقِّب فى صغره بحيدرة ، لأنَّ الحيدرة الممتلىء لحماً مَع عِظَم بطن ، وكذلك كان رضى الله عنه ، ولذلك قال بعض اللُّصوص حين فرَّ من سِجنه الذى كان يسمَّى نافعا ، وقيل فيه بالياء أيضاً :

ولو أنِّى مكثْتُ لهم قليلاً

لجرُّونى إلى شيخٍ بَطيـنِ

انتهى .

فعلى القولين الأوَّلين يكون من التعبير بالمترادف .

قال ابن السيد البطليوسى (فى شرح أدب الكاتب) : أراد أنا الذى سمَّتنى أمِّى أسداً ، فلم يمكنه ذكر الأسد من أجل القافية ، فذكر حيدرة ، لأنه اسمٌ من أسمائه . وإنما قلنا ذلك لأنَّ أمَّه لم تسمِّه حيدرة ، وإنما سمَّته أسداً . انتهى .

والبيت من رجزٍ لعلى رضى الله عنه ، قاله يوم خَيبر . رُوى أنَّ مرحباً اليهودىَّ خرج يومَ خيبر وهو يَخْطِر وعليه مِغفرٌ يمانىٌّ ، وحَجَرٌ قد ثقَبه مثلُ البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول : صاحب الشاهد

قد علمتْ خَيبرُ أنِّى مَرحبُ شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ

* إذا الليوثُ أقبلت تَلهَّبُ (١) *

فبرز له علىٌّ عليه السلام وعليه جُبَّةٌ حمراء قد أخرج خَمْلها ، وهو يقول :

أنا الذى سَمَّتنِ أمِّ حَيدره

ضِرغامُ آجامٍ وليث قَسْوَره

(١) ط : « تلتهب » ، صوابه فى ش .

عَبْلُ الذِّراعين شديدُ القَصَره
كليثِ غاباتٍ كريهِ المَنْظَره
أضرِبُ بالسيفِ رِقَابَ الكَفَرَه
أَكِيلُهمْ بالسَّيف كَيلَ السَّندره

وروى أيضاً :

* أُوفِيهمْ بالصَّاع كيلَ السَّندره *

وزاد الحسين المَيْبُذِىّ (١) فى روايته :

أضرِبُكمْ ضرباً يُبين الفِقَره
وأتركُ القِرْنَ بقاعٍ جَزَره
أشفي صدرى من رؤوس الكفره (٢)
أقتلُ منهم سبعةً أو عشره

* فكلُّهم أهلُ فُسُوقٍ كَفره *

وقد رُوى أبياتُ مرحب على غير ما ذكرنا وهى :

إنَّـا أُنـاسٌ ولدتْنـا عَبهره
لِبَاسُنَا الوَشْىُ ورَيْطُ حِبَره (٣)

* أبناءُ حربٍ ليس فينا غَدَره *

---

(١) ش : « الميبدى » وانظر ما سبق من تحقيق ص ٦٤ .

(٢) كذا ورد صدر هذا البيت ، ولا يستقيم به الوزن . ولعله « صُدَيرِى » بالتصغير ، أو « صدورى » تعبيراً بالجمع عن المفرد .

(٣) ط : « لنا سنا الوشى » ، صوابه فى ش .

وقال : العَبهرة : المرأة الحسناء . والوَشى من الثياب معروف . والرَّيطة : الملاءة . والحِبَرةُ : البرد اليمنىّ . وغَدَرة : جمع غادر . والجَزَرة بفتحتين : ٥٢٥
اللحم الذى تأكله السِّباع (١) ، والجمع جَزَر ، يقال تركوهم جَزَراً ، أى قتلوهم . اهـ .

والسَّندرة : بفتح السين المهملة وسكون النون ، قال السُّهيلى : شجرةٌ يُصنَع منها مكاييلُ عِظام . وقال ابن السِّيد البطليوسى : قال ابنُ قتيبة : (فى شرح الحديث) : السَّندرة شجرةٌ تُعمل منها القِسىّ والنَّبل ، فيحتمل أن يكون مِكيالاً يتخذ من هذه الشجرة يسمى باسمها ، كما تسمَّى القَوس نَبعةً باسم الشجرة التى أُخِذَتْ منها . قال : ويحتمل أن يكون امرأةً كانت تكيل وافياً أو رجلا . وذكر أبو عُمَرَ المَطرِّز (فى كتاب الياقوت) : أنَّ السندرة امرأة . انتهى .

وفى (العباب للصاغانى) : السّندرة : اسم امرأةٍ كانت تبيع القمح وتُوفى الكيلَ . والسندرِىُّ : مكيالٌ ضخم كالقَنْقَل والجُراف . وقال ثعلب فى قول على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنِ أمِّى حَيدره
كليثِ غاباتٍ كريِه المَنْظَره
أكيلُكم بالسَّيف كيلَ السَّندره
أطعنُ بالرمح نُحُورَ الكَفَرَه

لم تختلف الرُّوَاة أنَّ هذا الرجز له ، واختلفوا فى السندرة ، فقال ابن الأعرابىّ : هى مكيال . أى أقتلُكم قتلا واسعاً كثيراً . وقال غيره : هى امرأةٌ كانت تُوفِى الكيلَ . أى أقتلكم قتلا وافياً . انتهى .

(١) ط : « يأكله السباع » .

والضِّرغام واللَّيث بمعنى الأسد . والآجام والغابات (١) : جمع الأجمة والغابة ، وهما الشجر الكثير الملتفّ أو القصب مثله ، يكونان مأوى الأُسد ؛ إشارة إلى فرط قوّته ومنعة جانبه ، حيث لم يكتفِ بأجمةٍ بل حَمَى آجاماً وغابات . وليث الأول مضاف إلى قسورة ، والقسورة هنا أوَّل الليل ، ذكر هذا المعنى صاحب العباب . ويأتى بمعنى الأسد أيضاً ، وهو من القَسْر ؛ لأنه يأخذ فريسته قَهراً وغلبة ، ويجوز على هذا أن يقرأ بتنوين ليث ، فيكون قسورة وصفاً له . والقَصْوَرة لغة فى القَسْوَرَةِ ، وفسَّره شارح الديوان برامى السَّهم ، وفى التنزيل : ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٢) ﴾ . قيل : من أَسَد . وقال ابن عبَّاس : القسورةُ : رِكز الناس وحِسُّهم . وقال غيرِه : هم الرُّماة الذين يتصيَّدونها . وقال : المعنى كأنهم حُمر نَفَّرَها (٣) من يَقْسرها برمى أو صيد أو غير ذلك . والعَبْل بفتح العين المهملة وسكون الموحدة : الضَّخْم . والقَصَرَة ، بفتح القاف والصاد المهملة . أصل العُنق . ورواه أبو عمرو الشيبانى :

* كليثِ غاباتٍ غليظِ القصَرَه *

وأخطأ شارح الديوان بتفسيره إيَّاه بأصل الأذن . و الفِقَرةُ بكسر الفاء وفتح القاف : جمع فِقْرة بسكون القاف ، وهى خَرزة الظهر . والفَقارة بالفتح أيضاً هى خَرَزة الظهر . والقِرْن بكسر القاف وسكون الراء ، هو المقاوِم فى قتال أو عِلم أو غيرهما . وقول مرحب : شاكى السِّلاح ، قال صاحب المصباح : الشوكة : شدة البأس والقوة فى السلاح . وشاك الرجل يَشَاك شوكا ، من باب خاف : ظهرت شوكته وحِدّته . وهو شائك السِّلاح ، وشاكى السلاح على القلب .

---

(١) والغابات ، ساقط من ش .

(٢) الآية ٥١ من المدثر .

(٣) ش : « أنفرها » .

و (فى سيرة ابن سيِّد الناس) أنَّ مرحباً لمَّا رجز :

* قد عَلمتْ خَيبرُ أنى مرحبُ *

أجابه كعبُ بن مالكٍ شاعر رسول الله ﷺ :

قد علمتْ خَيبرُ أنِّى كعبُ

مفرِّج الغَمَا جرىء صُلُبُ (١)

فى أبيات . وهذا هو الصحيح ، فإنَّ أجوبة الأرجاز فى الحرب إنما هى ٥٢٦
على القافية ، فيكون رجز علىّ رضى الله عنه جواباً عن قول مرحب :

* إنا أناسٌ ولدتنا عَبهرهْ *

كما رواه حسين المَيْبُذِىُّ (٢) . ولم يذكر الشامىُّ هذا فى سِيرتِه ، وذكر فى قتل مرحبٍ رواياتٍ مختلفة .

وخَيْبر : اسم ولايةٍ مُشتملةٍ عَلَى حُصون ومزارعَ ونخل كثير ، على ثلاثة أيامٍ من المدينة ، عَلَى يسار الحاجّ الشامى ، سمّيت باسم أول من نَزَلَها ، وهو خيبر أخو يثرب ، ابنا أخى عاد . وكانت غزوة خيبر فى آخر السنة السادسة من الهجرة قبل فتح مكة شرفها الله تعالى ، فإنَّ فتحها كان فى سنة ثمان من الهجرة .

واعلمْ أنَّ العلماء قد اختلفوا فى الشِّعر المنسوب إلى على رضى الله عنه ، قال المازنى : إنه لم يصحّ أنّه عليه السلام تكلَّم بشىء من الشعر غير هذين البيتين . وصوّبه الزمخشرى ، وهما :

---

(١) وكذا فى السيرة ٧٦٠ . والغما : مقصور الغماء بالمد وفتح الغين وتشديد الميم ، ومثلها « الغمى » بضم الغين .

(٢) ش : « الميبدى » ، وانظر ما سبق فى حواشى ص ٦٤ .

تِلكُمْ قُريشٌ تمنّانى لِتقتلَنى
فلا وربِّكَ ما برُّوا ولا ظَفِروا
فإنْ هلكتُ فرهنٌ ذِمّتى لهمُ
بذات وَدْقينِ لا يَعفُو لها أثرُ

كذا قال صاحب القاموس . وفسَّر ذات ودقين بالدَّاهية ، قال : كأنّها ذات وجهين . ووَدقين بفتح الواو وسكون الدال وفتح القاف . ويَرِدُ على المازنىّ والزمخشرى ما نقلناه آنفاً عن ثعلب من كون الرُّواة لم يختلفوا فى الرجز الذى منه البيتُ الشاهد أنّه له عليه السلام ، ويؤيده أنه مذكورٌ فى جميع كتب السير والمغازى .

وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنه وكرَّم وجهه ، قال ابن حجر (فى الإصابة) : هو ابنُ عمِّ النبى ﷺ ، وأبو الحسن ، وأوَّل الناسِ إسلاماً فى قول الكثير من أهل العلم ، وُلِد قبل البَعْثة بعشْرِ سنينَ على الصحيح فَربِىَ فى حجر النبى ﷺ ولم يفُارقه ، وشهد معه المشاهدَ إلّا غزوةَ تبوك ، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة : « ألَا ترضى أن تكونَ منِّى بمنزلة هارون من موسى » الحديث . وزوَّجه بنتَه فاطمة ، وكان اللواء بيده فى أكثر المشاهد . على بن أبى طالب

ولما آخى النبى ﷺ بين أصحابه قال له : « أنت أخى » .

ومناقبه كثيرة ، حتى قال الإمام أحمد : لم يُنقل لأحدٍ من الصَّحابة ما نقل لعلىٍّ . وقال غيره : وكان سبب ذلك تنقيصَ بنى أميّة له ، فكان كلُّ مَن كان عنده عِلمٌ من مناقبه من الصَّحابة يبثُّه ، وكلما أرادوا إخماده وهَدّدوا

مَنْ حدَّث بمناقبه لا يزداد إلّا انتشاراً . و ـ خصائص علىّ رضى الله عنه [قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم [١]] يوم خَيبر : « لأدفَعَنَّ الرايةَ غداً إلى رجل يحبُّ اللهَ ورسوله ، يفتح الله على يديه » . فلما أصبحَ رسولُ الله ﷺ غَدَوْا كلُّهم [٢] يرجو أن يُعطَاها ، فقال ﷺ : « أين علىُّ بن أبى طالب » ؟ فقالوا : يشتكى عينَيه . فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له ، وأعطاه الراية . أخرجاه فى الصحيحين . وبعثَه لقراءة براءة على قريش ، وقال : « لا يذهبْ إلّا رجلٌ منِّى وأنا منه » . وقال لبنى عمه : « أيُّكم يوالينى فى الدنيا والآخرة » ؟ فقال على : أنا . فقال [٣] : « إنَّه وليِّى فى الدنيا والآخرة » ، وأخذ رداءه فوضعه على علىّ وفاطمة وحَسن وحسين ، وقال : ﴿ إنما يريدُ اللّهُ ليُذهِبَ عنكم الرِّجْسَ أهْلَ البَيْت [٤] ﴾ . ولبس ثوبه ونام مكانه ، وكان المشركون
٥٢٧ قَصدُوا قَتْل النبِّى ﷺ ، فلما أصبحوا رأوه ، قالوا : أين صاحبك ؟ وقال له فى غزوة تبوك : « أنتَ منِّى بمنزلة هرونَ من موسى ، إلا أنَّكَ لستَ بنبىّ » ، أى لا ينبغى أن أذهب إلّا وأنت خليفتى . وقال له : « أنت ولىُّ كلِّ مؤمنٍ بعدى » . وسدَّ الأبوابَ إلّا بابَ علىٍ ، فيدخل المسجد جُنباً وهو طريقهُ ليس له طريقٌ غيره . وقال : « من كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » .

وأخرج الترمذىُّ بإسنادٍ قوىٍّ عن عمران بن حصين فى قصةٍ قال فيها : قال رسول الله ﷺ : « ما يريدون من علىّ ، إنَّ عليًّا منى وأنا من علىّ ، وهو ولىّ كلِّ مؤمن بعدى » .

---

(١) التكملة من الإصابة .
(٢) وكذا فى الإصابة ، وفى ش « وكلهم » .
(٣) فى الإصابة : « فأبوا فقال على أنا » .
(٤) الآية ٣٣ من الأحزاب .

واستُشهد في ليلة التاسعَ عشرَ من شهر رمضان سنة أربعينَ من الهجرة . ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر . انتهى كلام الإصابة مختصراً .

ومناقبه العديدةُ ، وسِيَرهُ الحميدة ، لا يحتملها هذا المختصَر . وقد ألَّف العلماء فيها تآليف عديدة لا تُعَدُّ ولا تحصى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الأربعمائة [١] :

٤٣٢ (القاتِلى أنتَ أنا)

وهذا بعضُ بيتٍ وضعه بعضُ النحاة للتعليم ، كما فى (سفر السعادة) ، وهو :

(كيف يخفى عَنْك ما حَلَّ بنا
أنا أنتَ القاتِلى أنت أنا)

وروى أيضاً :

* أنا أنت الضاربى أنت أنا *

واقتصر الشارح المحقِّق عَلَى هذا القدر لتعلُّق غرضه به ، ولم يُورِده بتمامه لشهرته وخطأ قائله ، فإنّه كان يجب أن يقول القاتِلُه بالهاء لا بالياء ، ليكون التقدير : الذى قتلتَه أنا . لأنَّ أل فى القاتل اسم موصول بمعنى الذى ، وحق العائد أن يكون بضمير الغائب لا بضمير المتكلم ؛ لئلاً يصير الإخبار لغواً،إذ التقدير : الذى قتلتنى ، فيصير من قبيل الذى ضربتَ أنا .

وقد ذكر أنه لا يجوز الحمل على المعنى . قال ابن السرَّاج (فى

(١) لم أجد له مرجعا آخر غير ما نص عليه البغدادى . وقد خرجه فى سفر السعادة وتذكرة أبى حيان .

الأصول) : لا يجوز الذى ضربتك أنت ، ولا الذى ضربتنى أنا . فإن قدمّت نفسك قبل الذى ، قلت : أنا الذى ضربتُك ، وأَنا الذى ضربتنى . قال أَبو عثمان المازنىّ : ولولا أنَّ هذا حُكى عن العرب الموثوق بعربيتهم ردَدْناه لِفَساده . ومما جاء فى الشِّعر فى صلة الذى محمولا على معناه لا لفظه ، قوله :

وأَنا الذى قَتَّلتُ بكراً بالقنا
وتركتُ تغلبَ غيرَ ذاتِ سَنامِ

ولو حُمل على لفظه لقال قَتَّل . وليس كل كلام يحتمل أن يُحمَل على المعنى . انتهى .

وقد جوّزه أبو ذَرٍّ مُصعَب بن أبى بكر الخشَنى ، حكاه عنه أبو حيان : (فى الارتشاف) قال : يُجيز عودَ الضمير مطابقاً للمخبر فى الخطاب والتكلم ، بحمله على المعنى . قال : ورُدَّ عليه بأنه يلزم منه أَنْ تكون فائدة الخبر حاصلةً فى المبتدأ . وذلك خطأ .

وقال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : المبتدأ يُخبر عنه مظهراً كان أو مضمراً ، بمتكلِّم أو مخاطَب أو غائب ، فيقال فى الإخبار عن هو ، من قولك : هو قائم هو ، وفى الإخبار عنه إذا كان لمتكلِّم أو مخاطب خلافٌ ، والأصحُّ الجواز . والضّمير الذى يؤتى به خَلَفاً يكون ضميرَ غيبة . وأجاز الكسائى : الذى أَنا قائم أَنا ، والذى أَنت قائم أَنت . والكسائى نظر إلى
٥٢٨ المعنى . ولا شك أَنَّ هذه المسألة نُقلت إلى مسألة أَنت الذى قام وأَنا الذى قام ، حيث يجوز فيها . أَنت الذى قمت ، وأَنا الذى قمتُ ، ولكن شرط مُراعاة المعنى فى هذه المسألة تقدُّم الضمير على الاسم الموصول ، فلو تقدَّم الموصول على الضمير لم يجز مُراعاةُ المعنى إلّا عند الكسائى ، ومن ثم أجاز : الذى أَنا قائم أَنا ، والذى أَنت قائم أَنت . انتهى .

وإذا وقفتَ على هذا علمتَ أنَّ ما ردَّه الشارح المحقّق وأبو حيّانَ ليس بوجهٍ ، لأنه قولٌ لإمام الكوفيين وغيره ، فناظم البيت تابعٌ لهما . غايته أنه مخالفٌ لقول الجمهور .

وقد أعرب هذا المصراعَ بوجهين أبو محمد عبد الله ، الشّهير بابن بَرِّىّ ، كما نقله عنه صاحب (سِفْر السعادة) قال : أحد الوجهين أن تجعل الألف واللام لأنا ، والفعلَ لأنت . فأنا على هذا [١] مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلى [٢] مبتدأ ثالث لأنَّه غير أنت ؛ إذ الألف واللام لأنا . والعائد على الألف واللام الياء فى القاتلى ، لأنها أنا فى المعنى ، وأنت فاعل بالقاتلى ، أبرِز لمَّا جرى الوصفُ على غير مَنْ هُوَ له ، إذ الألف واللام لأنا ، والفعل لأنت ، فأنا على هذا مبتدأ وأنتَ مبتدأ ثان ، والقاتلى [٣] خبر أنت ، ولا يُبرز الضمير فيه ، لأنّه جرى على مَنْ هو له ، ويكون الكلام قد تَمّ عند قوله القاتلى ، ويكون أنت أنا على طريق المطابقة للأوَّل ، ليكون آخر الكلام دالاً وجارياً على أوّله . ألا تراه قال فى أول الكلام : أنا أنت ، ولهذا قال فى آخره : أنت أنا ، أى كيف أشكو ما حلَّ بى منك وأنا أنت وأنت أنا ، فإذا شكوتك فكأنما أشكو نفسى . قال : ولو جعلت الألف واللام والفعل فى هذه المسألة لأنا ، لقلت : أنا أنت القاتلك أنا ؛ فأنا مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلك مبتدأ ثالث ، لأنه غير أنت وفيه ضميرٌ يعود على الألف واللام التى هى أنا فى المعنى . ولم يبرز الضمير الذى فى القاتلك . والقاتلك وخبره خبر أنت ، وأنت وخبره خبر أنا . ا هـ .

وقد أورد أبو حيان هذا البيت (فى تذكرته) ، واقتصر فى إعرابه على

---

(١) على هذا ، ليست فى ط .

(٢) ما بعده إلى « والقاتلى » التالية ساقط من ش .

(٣) إلى هنا ينتهى سقط ش الذى نبهت عليه فى الحاشية السابقة .

الوجه الأوّل من وجهَىْ قولِ ابن بَرىّ ، قال : أنا الأوّل مبتدأ ، وأَنت الأول مبتدأٌ ثان ، والألف واللام لأنا ، وقاتلى لأنت . فقد جرى اسم الفاعل صلةً على الألف واللام التى هى أنا ، فأبرز ضميره وهو أنت . فأنت يرتفع بقاتلى ، وأَنا خبر عن الألف واللام ، وهى وما بعدها خبر عن أَنت الأوّل ، وهو وما بعده خبر عن أَنا الأوّل ، والعائد إلى أَنا الأوّل أَنا الثانى ، والياء فى القاتلى عائدةٌ على الألف واللام . انتهى .

وقد أجاب بالوجه الأوّل نظماً أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دَعَّاس (١) الفارسىُّ ، فإنّه سأله بعضهُم عنه بِقوله :

أيُّها الفاضل فينا أفْتِنا
وأزِلْ عنا بفتواك العَنا
كيف إعرابُ نُحَاةِ النّحو فى :
أَنا أَنت الضاربى أنت أَنا

فأجابه بقوله :

أَنا أَنت الضاربى مبتدأ فاعتبرها يا إماماً لَسِنا (٢)
أَنتَ بعد الضاربى فاعله وأَنا يُخبَر عنه عَلَنا
ثم إنَّ الضاربى أنت أنا خبرٌ عن أنت ما فيه انثِنا
وأنا الجملةُ عنه خبرٌ وهى مِن أنت إلى أنت أنا

(١) فى النسختين : « دعابس » ، صوابه من البغية ٢٠٥ وتاج العروس (دعس) ، قال الزبيدى « والفقيه أبو بكر بن دعاس كشداد : أحد الأمراء بزبيد . وإليه نسبت المدرسة بها » .

(٢) فى البغيه : « سننا » .

٥٢٩ وأبو بكر هذا كان فقيهاً حنفيًّا أديباً شاعراً ، نال من إمام اليمن المظفَّر
أبو بكر بن دعاس حُظوة حتَّى اختصَّ به ، ثم طردَه ، لإدلالٍ تكرَّرَ منه ، من تَعِزَ إلى زَبِيد ، فمات بها فى جمادى الآخرة سنة سبعٍ وستين وستمائة . وكان أهلُ زَبِيد ينسبونَه إلى سَرِقة الشعر ويقولون : إذا حُوسب الشعراء يومَ القيامة يؤتى بابن دعَّاس [1] فيقول : هذا البيتُ لفلانٍ ، وهذا المصراع لفلان ، وهذا المعنى لفلان . فيخرج بريئاً . كذا فى معجم النحويِّين للسيوطى .

ابن برّى وأما أبو محمد ابن بَرِّيٍّ فهو عبد الله بن برىّ بن عبد الجبار المقدسىّ المصرىّ الشافعىّ النحوىّ اللغوىّ ، كان قيِّماً بهما وبالشَّواهد ، ثقة . قرأ عليه الجُزُولى [2] . وصنَّف الردّ على ابن الخشاب فى ردِّه على الحريرى فى مقاماته ، وكتابَ الردِّ على دُرَّة الغواص للحريرى [3] ، وحَواشىَ على صحاح الجوهرى . قال الصَّفَدِىُّ : لم يُكْمِلها ، بل وصل إلى (وقش) ، وهو ربُع الكتاب ، فأكملها الشيخ عبد الله بن محمد البَسْطى . مات فى ليلة السبت السابعةِ والعشرين من شَوَّال سنة ثنتين وثمانين وخَمسمائة . وأقرأ كتابَ سيبويه ، وتصدَّر بجامع عمرو . وكان مع غزارة علمه ودِقَّة فهمه ذَا غفلةٍ وبلاهة ، تحكى عنه حكاياتٌ عجيبة . كذا فى معجم النحويين للسيوطى .

---

(١) فى النسختين : « دعابس » ، وانظر ما سبق من تحقيق .

(٢) هذا هو الصواب . وفى بغية الوعاة : « قرأ على الجزولى » ، ولا يستقيم ، فإنّ الجزولى توفى سنة ٦٠٧ ووفاة ابن برى سنة ٥٨٢ .

(٣) هذا هو الصواب . وفى البغية : « وصنف اللباب ، فى الرد على ابن الخشاب ، فى رده على الحريرى فى درة الغواص . الرد على الحريرى فى درة الغواص » .

وبَرِّىّ بفتح الموحدة وتشديد الراء والياء ، وهكذا ضبطه ابن حجر (فى مشتبه النسبة) .

وأمَّا مُصعبٌ الخشَنى ، فهو محمد بن مسعود الخُشَنىُّ الأندلسى مصعب خشنى
الجَيَّانى ، كان أحد الأئمة المُتْقنين ، وأحد المعْتمَدين فى الفقه والأدب ، إماماً فى العربية ؛ جالَ الأندلسَ فى طلب العلم .

ورَوَى عن ابن قُرقُول (١) وابنِ بَشْكُوال (٢) ، وعبد الحقِّ الإشبيلىّ ، وأجاز له السِّلَفى ، وولى قضاءَ بلده . ولم يكن فى وقته أتمُّ وقاراً ولا أحسنُ سَمْتاً منه . واتفقوا على أنَّه لم يكن فى وقته أضبطُ منه ولا أتقَنُ فى جميع علومه حفظاً وقلماً (٣) . وكان نَقَّاداً للشِّعر ، مطلقَ العنان فى معرفة أخبار العرب (٤) وأيَّامها ، وأشعارها ولغاتها ، متقدِّماً فى كل ذلك .

والخُشَنى ، بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين وبالنون : نِسبْةٌ إلى خُشَين كقريش : قرية بالأندلس ، وقبيلة من قضاعة ، وهو خُشَينُ بن النمر بن وَبْرة بن تغلِب بن عِمران بن حلوان بن الحافِ بن قُضاعة . كذا فى معجم النحويين للسيوطىّ (٥) .

---

(١) فى تاج العروس : « بن قرقول كعصفور ، مصنف مطالع الأنوار ، تلميذ القاضى عياض ، وقد ذكره المصنف فى جؤنة . وهو أبو اسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد الحمزى . ولد بالمرية من الأندلس سنة ٥٠٥ وتوفى بفاس سنة ٥٦٩ . وفى البغية ٣٩٢ : « ابن قوقل » ، صوابه ما هنا .

(٢) ابن بشكوال ، هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجى القرطبى . ولد سنة ٤٩٤ وتوفى سنة ٥٧٨ بقرطبة . وفيات الأعيان .

(٣) أى كتابة وتأليفا .

(٤) فى الأصل : « وكان نقادا للشعر ومعرفة أخبار العرب » . وتصحيحه وإكماله من بغية الوعاة .

(٥) الكلام على نسب الخشنى ، لم يرد فى ترجمة مصعب الخشنى من بغية الوعاة فى طبعتيها .

علم الدين السخاوى

وأما صاحب سِفر السعادة فهو أبو الحسن علىّ بن محمد بن عبد الصمد الهَمْدانى ، الملقب عَلَم الدِّين السَّخاوىّ ، من سَخَا إحدى بلاد مصر من إقليم المحَلّة . كان فقيهاً شافعيّاً ، إماماً فى القراءات والتفسير والنحو . وصنّف تصانيف كثيرة منها : شرحُ الشاطبية . وتفسير القرآن فى أربع مجلدات . وشَرَح المفصَّل شرحين . وسِفر السعادة وسفير الإفادة . وشَرْح أحاجى الزَّمخشرى النحوية ، وغير ذلك . وكان مولده سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وخمسين وخمسمائة ، ومات بدِمَشق ليلة الأحد ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين وستمائة ، بمنزله بالتُّربة الصالحية ، ودفن بقاَسِيُون . كذا فى طبقات الأسنوىّ [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٣٣ (من النَّفر اللائى الذين إذا اعْتَزَوْا

وهابَ الرِّجالُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا)

٥٣٠ على أنّه من باب التكرير اللفظى ، كأنّه قال : من النفر اللائى اللائى .

على أنه قد رواه الرُّواة : « من النفر الشُّمّ الذين » .

قال ابن السَّرّاج (فى الأصول) : العرب لا تجمع بين الذى والذى ، ولا ما كان فى معنى الذى . وأما ذلك فشئ قاسَه النحويون ليتدرّب به المتعلّمون . وكذا يقول البغداديّون الذين على مذهب الكوفيِّين ، يقولون : إنه ليس من كلام العرب ، ويذكرون أنه إذا اختلفَ [٣] جاز . وينشدون :

(١) علق عليه الميمنى فى الإقليد ٧٤ بأنه « عند بعض بخلاء لكنو » .

(٢) المقتضب ٣ : ١٣٠ ، ١٣١ والبيان للجاحظ ٣ : ٣٠٦ .

(٣) ط : « إن اختلف » ، وأثبت ما فى ش .

مِنَ النفر اللائى الذين إذا هُمُ
يَهابُ اللِّئامُ حَلْقَةَ البابِ قعقعوا

قالوا : فهذا جاء على إلغاء أحدهما . وهذا البيت قد رواه الرُّواة ولم يجمعوا بين اللائى والذين . ويقولون عَلَى هذا : مررت بالذى ذو قال ذاك ، على الإلغاء . وهذا عندى أقبح ، لأنَّ الذى يَجعل ذو فى معنى الذى : طَيِّىء ، فكيف يُجمع بين اللغتين . ولا يجيزون الذى مَن قام زيد على اللَّغو ، ويحتجُّون بأنّ مَن تكون معرفة ونكرة ، ويجيزون بالذى القائم أبوه على أن يجعل الألف واللام للذى ، وما عاد من الأب على الألف واللام ، ويخفض القائم (١) يتبع الذى . وهذا عندنا غير جائز ، لأن الذى لابدَّ لها من صلة توضّحها ، فمتى حُذفت الصلة فى كلامهم فإنما ذاك لأنّه قد علم . وإذا حذفت الصّلة وهى التى توضحه ولا معنى له إلا بها ، كان حذف الصفة أولى ، فكيف تحذفُ الصِّلة وتترك الصفة . ا هـ .

وجميع ما أورده الشارحُ المحقِّق هنا من مسائل الإخبار عن الذى فهو (من الأصول) ، وهو بالنسبة إلى ما فيه قليل من كثير .

وقد أورد البيتَ الفَرّاءُ فى سورة الذاريات (من تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ إنَّه لحقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢) ﴾ . قال : قد يقول القائل : كيف اجتمعت ما وأنَّ ، وقد يكتفى بإحداهما عن الأخرى ؟ فوجهه أنّ

(١) ش : « ويخفض القائم » .

(٢) الآية ٢٣ من الذاريات .

العرب تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظُهما . فمن الأسماء قولُ الشاعر :

* من النَّفر اللائى الذين إذا هُم * البيت

فجمع بين اللائى والذين ، وأحدهما يجزئ مِنَ الآخر . انتهى كلامه .

وأورده أبو على أيضاً (فى إيضاح الشعر) فى موضعين ، قال فى الموضع الأوّل : اعلم أنّه لا يجوز أن يكون الذين [١] صلة اللائى ، كقولك : الذى الذى فى داره زَيْدٌ عمرو ، لأنّه ليس فى ظاهر صلة الذينَ ما يرجع إلى اللائى . وقد جاء فى التنزيلِ وَصْلُ الموصول بالموصول على ما يحمل النحويُّون عليه مسائلَ هذا الباب . زعموا أنَّ بعض القراء قرأ : ﴿ فاستغاثَه الذى مَنْ شيعَتهُ [٢] ﴾ .

وقال فى الموضع الثانى : فأمَّا قوله من النفر اللائى الذين ، فإنَّ اللائى وإن لم يعُدْ عليه ذكرٌ من اللفظ فإنه يجوز أن يكون حذَفَ الراجع من الصِّلة كأنه قال : اللائى هم الذين . ويجوز أن يكون حذف الصلة لأنَّ صلة الموصول بعدَه تدلُّ عليها ، كقول الآخر :

مِن اللَّواتى والتى واللاتِى زعَمْنَ أَنى كَبِرتْ لِدَاتى [٣]

فلم يأت للموصولين الأوّلين بصلة . ويجوز فيه وجهٌ آخر ، وهو أنَّ البغداديين قد أجازوا فى هذه الموصولة من نحو الذين أن يُوصَف ولا يوصَل ،

(١) فى الأصل : « الذى » فى هذا الموضع وتاليه ، والوجه ما أثبت .

(٢) الآية ١٥ من القصص .

(٣) هو الشاهد ٤٤٧ فيما سيأتى .

كإجازة الجميع ذلك فى مَنْ وما (١) . وقد أنشد أبو عثمانَ عن الأصمعىّ :

حتى إذا كانا هما اللذين ٥٣١

مثلَ الجديلَين المحَمْلجَينِ (٢)

واللاتى واللائى من الأسماءِ الموصولة ، وهما يقعان على المؤنَّث ، ولم نعلم اللاتى استُعمِلَتْ فى المذكر . فأمَّا اللائى فقد استعمل فى المذكَّر ، قال :

ألمَّا تعجبى وتَرَىْ بطيطاً

من اللائينَ فى الحِقَبِ الخَوالى (٣)

ولو كان يختصُّ بالمؤنَّث لم يُجَمع بالواو والنون . ويدلُّ على تذكير اللائى أيضاً قوله : من النفر اللائى الذين ، ألا تَرى أنّه جعله وصفاً للنفَر والنَّفرُ مذكر . وأمَّا هُم فى البيت فإنّه يرتفع بمضمر يفسِّره قعقعوا ، والشرط قعقعوا المتأخر ، والتقدير إذا أُظهرت المضمر الذى ارتفع عليه الضمير : إذا قعقعوا قعقعوا ؛ لأنَّ الضمير يتصل بالفعل المضمر إذا أظهرتَه ، ولا يجوز أن يكون الشَّرط يهاب ، لأنه لا يجوز أن يُفسِّرَ ما ارتفع عليه هم ، وإنما يفسِّره قوله قعقعوا (٤) . والتقدير : إذا قعقعوا حلقة الباب هابَ اللئامَ دقَّها ؛ لأنَّهم ليسوا على ثقة من الإذن لهم كما يثق هؤلاء النّفر الرؤساء بأنهم يُؤْذَن لهم . فقعقعوا وإن كان مؤخراً فى اللفظ فهو مقدَّم فى التقدير ، بدلالة أنَّه لا يخلو من أن تجعل الشرط إذا يهاب أو إذا قعقعوا . فلا يجوز الأوّل (٥) لأنّه لا يفسر

(١) ش : « فأجاز الجميع » ، صوابه فى ط : « فيمن وما » ، صوابه فى ش .
(٢) لم يعرف قائله . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٥٣ والهمع ١ : ٨٦ .
(٣) أنشده فى اللسان (بطط) على أن البطيط بمعنى العجيب .
(٤) هذا كله على رواية « إذا هم يهاب اللئام » .
(٥) ش : « للأول » .

ما ارتفع عليه كما يفسّره قعقعوا . ألا تَرى أنّه مشتغِل بظاهر ، وإذا كان كذلك لم يجز من جهة اللفظ ، إن لم يمتنع من جهة المعنى ، أن تقول : إذا هاب اللئام دقّ الحلقة دَقَّها الكرام . فأمّا صلة الموصول بإذا مع أنّ الذين يُعنَى بهم أعيان ، ولا يجوز الذى يوم الجمعة زيد ، كما يجوز الذى يوم الجمعة القتال – فإنّ الكلام محمول على المعنى ، كأنّه قال : الذين إن قعقعوا يهابُ اللئام ، فلذلك جاز . وهذا يدلُّ على جواز ما أجازه سيبويه من قوله : زيد إذا أتانى أضرب ، وأنه لا يكون بمنزلة زيد يوم الجمعة ، ولا زيد غداً . وعلى هذا قول أوس :

فقومى وأعدائى يظنُّون أننى
متى أحدثوا أمثالَها أتكلَّمِ (١)

مع أنّه لا يجوز علمت أنَّ زيداً يوم الجمعة . فأمّا قوله إذا يَهابُ فجاء بالمضارع بعد إذا ، وأكثر ما يجئ فى الاستعمال الماضى ، فإنّ الأصل المضارع . ألا ترى أنّه يراد به الآتى ، فإذا جاء به على الأصل كان حسنا ، كقوله :

* إذا يراح اقشَعرّ الكشْحُ والعَضُدُ *

انتهى كلام أبى على .

وقوله : « إذا اعتَزَوْا » فى رواية الشارح المحقِّق ، بمعنى إذا انتسبوا . وروى أيضاً : « إذَا انتموا » من الانتماء ، بمعنى الانتساب . والشُّمُّ بالضم : جمع أشَمَّ ، وهو الذى به شمَمٌ ، أى كِبْر ونخوةٌ ، وأصله ارتفاع الأنف ، وهو من صفة العُظماء .

---

(١) فى الأصل : « إذا أحدثوا » ، والصواب « متى » ، لأن النص يقتضى ظرفا جازما . والبيت من قصيدة مكسورة الروى فى ديوان أوس ١١٧ أولها :

تنكرتِ منا بعد معرفة لَمِى وبعد التصابى والشباب المكرم

ورواية الديوان ١٢٢ والشعراء ١٥٦ : « متى يحدثوا أمثالها » .

وأورد هذا البيت بمفرده أبو على القالى (فى ذيل أماليه [١]) كذا :

من النفر البيض الذين إذا انتَمْوا وهابَ اللئام إلخ

وقال : البيض : السَّادة الذين لا عيبَ فيهم ، يُقْدِمون على أبواب الملوك بأحْسابهم ومواضعهم وكِبَر أَنْفُسهم ، ويَهابُها اللئام لخمولهم وقُصور هِممهم . انتهى .

وجميع من روى هذا البيت رواه : « مِنَ النفر البيض الذين » أو « مِن النفر الشُّمِّ الذين » . ولم أر من رواه : « من النَّفر اللائى الذين » إلّا النحويين .

والنَّفَرُ : اسم جمع يقع على جماعةٍ من الرجال خاصّة ، ما بين الثَّلاثة إلى العشرة . ولا واحد له من لفظه . كذا فى النهاية . وإنما أُطلقه الشَّاعر هنا على الكرام إشارةً إلى أَنَّهم ذوو عددٍ قليل . واللئام : جمع لئيم ، وهو الشحيح ٥٣٢ والدنئ النَّفس ، والمَهِين . واللؤم : ضدّ الكرم . وروى بدله : « الرجال » . وحَلْقة الباب ، وحلقة القوم ، وهم الذين يجتمعون مستديرينَ ، كلتاهما بسكون اللام . وأما الحَلَقة بفتح اللام فهو جمع حالق . وقَعقعوا بمعنى ضَربوا الحلْقة على الباب لتصوِّت . والقعقعة : حكاية صوتِ الحَلْقة على الباب ونحوها .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ وقع فى شعرَين : أحدهُما ما رواه أبو سعيد السكّرىُّ (فى كتاب اللصوص) قال : أخبرنى رُفَيع بن سَلمة عن أبى عُبيدة [٢] ، قال :

(١) الأمالى ٣ : ١٦٤ .

(٢) فى الأصل : « أبى عبيد » وإنما يروى رفيع عن أبى عبيدة ، أستاذ أبى عبيد القاسم بن سلام قال المترجمون : « وكان أوثق الناس عن أبى عبيدة » . انظر طبقات الزبيدى ١٩٨ وإنباه الرواة ٢ : ٦ .

زعم النقْرى (١) أنَّ أبا الرُّبيس التَّعلبى ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذُبيان ، سَرق ناقةً كان عبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب صَنَعها وعَلَفها ، فسرقَها أبو الرُّبيس وقال :

(هَلْ تُبْلِغَنِّيهَا إذا ما طلبتها
غداً وانجلى عنِّى الغطاءُ المقنَّعُ
قصيرةُ فَضلِ النِّسعتين إذا رمى
بها الرَّعلَةَ الأولى الزَّميلُ المزعزَعُ
مطيَّةُ بطَّالٍ ، لدنْ شبَّ ، همُّه
قمِارُ الكِعاب والطِّلاءُ المشعشَعُ
من النَّفرِ البيض الذين إذا انتمَوْا
وهابَ الرجالُ حَلْقةَ البابِ قَعْقعُوا
إذا النَّفرْ السُّودُ اليَمانون نمنموا
لهُ حَوْكَ بُرديَه أجادُوا وأوسعُوا)

قوله : « قصيرة فَضْل النِّسعتين » بكسر النون . يريد أنها تستوفى نسوعَها أى سيورَها ، لِعظَمها وسَعة جوفها . والرَّعلة ، بالفتح : القطعة المتقدِّمة . والزَّميل : الرِّدف . والمزعزَع : الذى يُزَعزِعُه السَّير . قال : فلما قال أبو الرُّبيس هذا الشعر ومدح به صاحبَ الناقة ادَّعتْ فتيان قريش كلُّهم النّاقة ، وإنما كانت لعبد الله . قال : فعمَد رجلٌ من الموالى إلى نجيبةٍ فصنعَها

(١) كذا فى النسختين . فإن صح كان نسبة إلى نقر بن عمرو بن لؤى بن دهن بن معاوية بن أسلم بن أحمس . جمهرة ابن حزم ٣٨٨ وأنساب السمعانى ٥٦٧ .

وعَلَفها وجعلَها فى موضع تلك الناقة ، رجاَء أن يسرقها أبو الرُّبيس فيمدحَه ، فمرَّ بها أبو الرُّبيس فطردها ، وقال . قال أبو عبيدة : بل قال هذه الجَونُ المحْرِزىّ :

نجيبةُ عبدٍ دَانها القَتُّ والنَّوى
بيثربَ حَتّى نَيُّها متظاهرُ
فقلت لها سِيرى فما بك عِلّةٌ
سَنامك مدمومٌ ونابكِ فاطرُ
فمثلِكِ أو خيراً تركتُ رَذِيَّةً
تقلِّب عينيها إذا طار طائرُ

دانَهاَ ، أى عوَّدها ، من الدِّين بالكسر ، وهو العادة . والنَّىُّ ، بفتح النون وتشديد الياء : الشّحم . والقَتُّ بفتح القاف وتشديد المثناة الفوقية : الفِصفِصة إذا يبسَتْ . وقال الأزهرى : حبٌّ بَرِّىٌّ لا ينبته الآدمى ، فإذا كان عامَ قحط وفَقدَ أهلُ البادية ما يقتاتون به من لبن وتمرٍ ونحوِه دقُّوه وطبَخوه واجتزَءُوا به على ما فيه من الخشونة .

وقوله : سَنامُكِ مدمومٌ ، رواه أبو عبيد : « سَنامك مَلمومٌ » أى مجتمع . وفَطَر نابه ، إذا طَلَع . يقول : تقلِّب عينيها خوفاً من الطائر يَقع على دَبَرها فيأكلها لأنها دَبرت . رذيَّة : قد أرذاها وأدبرها (١) . وفى الصحاح : الرذية : الناقة المهزولة من السَّير . وقال أبو زيد : هى المتروكة التى حَسَرها السَّفَر ، لا تقدر أن تلحق بالركاب . والذكر رذىٌّ ، وقد أرذيت ناقتى ، إذا هَزلْتها وخَلَّفْتها .

وقوله : « مطيَّة بطَّال » ، إلخ يمدح عبدَ الله بن جعفر . يقول : هى

---

(١) ط : « وقد أرذاها وأدبرها » بزيادة الواو قبل « قد » .

مطيَّةُ شجاع همُّه اقتناء المعالى من يوم كَبِرَ وترعرع . والقِمارَ : المُقامرة .

٥٣٣ والكِعَابُ بالكسر : جمع كعب . والطِّلاء ، بالكسر : الخَمرُ . والمشعشَع : الممزوج بالماء . وهذان مدحٌ عند العرب .

وقوله : « من النَّفر البيض » مِن ابتدائية أو تبعيضية . يقول : ذلك البطّال من النفر البيض .

وأما الشعر الثانى فقد رواه جماعة منهم الجاحظ ، رواه (فى كتاب البيان والتبيين) ، قال : كان أُسَيْلِمُ بن الأحنفِ الأسَدى ذا بيان وأدب ، وعَقل وجاهٍ . وهو الذى يقول فيه الشاعر :

(أُسَيلِمُ ذاكُمْ لا خَفَا بمكانِه
لعينٍ تُرجِّى أو لأذنٍ تَسَمَّع

من النَّفر البيض الذين إذا انتمَوْا
وهابَ اللئامُ حَلْقَةَ الباب قعقعوا

جلا الأذفر الأحوَى من المِسْك فرقَه
وطيبُ الدِّهان رأسَه فهو أنزَعُ

إذا النَّفر السُّود اليمانون حاوَلُوا
له حَوكَ بردَيهِ أدقُّوا وأوسَعوا

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة . ا هـ .

وقال المبرد (فى الكامل) ، وتبعه صاحب كتاب (فضائل الشعراء [١]) : قال عبد الملك بن مروان لأُسَيْلِمَ بنِ الأحنف الأسدىّ : ما أحسنُ ما مُدِحْتَ به ؟ فاستعفاه ، فأبى أن يعفِيَه ، وهو معه على سريرٍ ، فلما أبى إلّا أن يخبره قال : هو القائل [٢] :

ألا أيُّها الرَّكبُ المخِبُّونَ هل لكمْ
بسيِّد أهلِ الشامِ تُحبَوْا وترجِعوا

من النَّفر البِيض الذين إذا اعتزَوْا
وهابَ الرجالُ حَلْقَة الباب قَعْقعوا

إذا النَّفرُ السُّود اليمانون نمنموا
له حَوْكَ بُردَيه أجادُوا وأوسَعوا

جلا المسكُ والحمَّامُ والبيضُ كالدُّمى
وفَرْقُ المَدارِى رأسهَ فَهْوَ أنزعُ

فقال له عبد الملك : ما قال أخو الأوس أحسنُ ممَّا قيل لك . اهـ .

أراد بقول أخى الأوس ، وهو أبو قيس بن الأسلت ، قولَه :

قد حصَّت البيضةُ رأسى فما
أطعَمُ نوماً غيرَ تَهجاعِ

أسعَى على جُلِّ بنى مالكٍ
كلُّ امرئٍ فى شأنه ساعى

(١) لم يذكر إلا فى هذا الموضع من الخزانة .

(٢) فى الكامل ١٠٣ : « قال قول القائل » .

واختُلف فى إسلام ابن الأسلت ، فقال العسكرىُّ : أدرك النبىَّ ﷺ ولم يُسْلم . وقال المرزُبانى : كان قد غَضِبَ من عبد الله بن أُبىّ ، فحَلف لا يُسلم شهراً ، فمات قبل ذلك ، فزعموا أنَّ النبى ﷺ بَعَثَ إليه وهو يموت : « قل لا إله إلا الله ، أشفعْ لك يوم القيامة » ، فسُمِعَ يقولها .

وهو من سادات الأنصار وشعرائهم ، وفرسانهم . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين (١) .

والمخِبُّون : المسرعون ، ونمنموا : زخرَفوا ، يقال نمنم الشيء نمنمةً ، إذا رقّشَه وزخرفه ، وثوبٌ منمنم أى موشًّى . والبيض : النِّساء الحسان . والدُّمى : جمع دُمية ، وهى الصورة الحسنة . وفرقُ المدارى بالرفع عطفاً على المسك . والمدارى : الأمشاط . والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبى جَبْهته . والأصلع : الذى انحسر الشعر عن مقدَّم رأسه .

وقوله : « قد حَصَّت البيضةُ رأسى » إلخ . البيضة ، بالفتح : ما يُلبَس على الرأس من الحديد فى الحرب . وحَصَّت البيضةُ رأسَه ، بمهملتين ، أى قلَّلت شعره . يقال رجلٌ أحصُّ بيِّن الحَصَص ، أى قليل شعر الرأس .

٥٣٤ وقال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : قال عبدُ الملك بن مَرْوَان لأُسَيْلِمَ بن الأحنف الأسدىّ : ما أُحسنُ شىء مُدحتَ به ؟ قال : قول الشاعر . وروى ما رواه الجاحظ من الأبيات . ثم قال : وقال عبد الملك : أحسن من هذا قول أبى قيس بن الأسلت (٢) . وأنشد البيتين .

---

(١) الخزانة ٣ : ٤٠٩ .

(٢) ط : « قول قيس بن أسلت » ، صوابه فى ش والعقد ٥ : ٣٤٣ .

وقال الزُّبير بن بكّار (فى أنساب قريش) ، وتبعه الدَّارَقطنى (فى كتاب المختلف والمؤتلف) : إنَّ أبا الرُّبيس عَبَّاد بن طِهفْة الثّعلبى ، قال لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان :

جميلُ المحيَّا واضحُ اللون لم يَطأ
بحَزْنٍ ولم تألم له النَّكْبَ إصبعُ
من النّفرِ الشُّم الذين إذا انتدَوْا
وهابَ اللئامُ حَلْقةَ الباب قَعقعوا
إذا النفر الأُدْم اليمانون نمنموا
له حَوكَ برديه أدقُّوا وأوسعوا [(١)]
جلا الغِسْلِ والحمَّامُ والبِيضُ كالدُّمى
وطيبُ الدِّهان رأسَه فهو أصلعُ

والحزْن ، بفتح المهملة وسكون المعجمة : ما غَلُظ من الأرض . والنَّكْب منصوب بنزع الخافض ، أى بِنَكْبِ ، وهو مصدر نكب كنانتَه نكباً ، إذا كبَّها . يريد أنه رئيسٌ لا يمشى ولا يَحمِل سلاحه ، بل يحمله خدمُه . وانتدَوْا ، بمعنى حضروا النَّدىَّ ، وهو المجلس . والأُدم : جمع آدم بمعنى الأسمر ، من الأدمة وهى السُّمرة . والغِسْل ، بالكسر : ما يُغسل به الرأس من خِطمىٍّ وغيره .

وأبو الرُّبيس : شاعرٌ إسلامىّ . قال الأمير أبو نصر بن ماكولا : هو بضم الراء وفتح الباء الموحدة بعدها مثناةتحتية بعدها سين مهملة . وهو [أبو [(٢)]] الرُّبيس الثعلبى ، واسمه عَبَّاد بن طِهفة ، بكسر الطاء . اهـ . أبو لربيس

(١) ش : « أرقوا » بالراء .

(٢) تكملة ليست فى النسختين .

ولم يذكر صاحبُ الجمهرة طِهْفة فى نسبه ، وإنّما قال : أبو الرُّبيس الشاعر هو عَبَّاد بن [١] عباس بن عَوف بن عبد الله بن أسد [٢] بن ناشب ابن سُبَد ، بضم ففتح ، بن رِزَام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

* * *

وأنشد بعده :

(لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شئٌ)

هذا صدر ، وعجزه :

(نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا)

على أنَّ الظاهر الواقع موقع الضمير يفيد التفخيم ، والأصل : لا أرى الموت يسبقه شئ ، فلم يضمر للتفخيم .

وقد تقدّم أنّ الشارح المحقِّق أورده فى الشاهد الستِّين من باب المبتدأ ، أنّ إعادة الموت هنا ظاهراً غير مفيد للتفخيم . وقد ذكرناه هناكَ مفصّلا فَلْيُرْجع إليه .

* * *

وأنشد بعده :

(أنا الذى سمّتنِ أُمِّى حيدرَه)

تقدَّم الكلام عليه قبله ببيتين .

* * *

وأنشد بعده :

(القاتلى أنت أنا)

---

(١) الكلام من أول « طهفة بكسر الطاء » إلى هنا ، ساقط من ش .

(٢) ش : « أسعد » .

هو من بيتٍ ، وهو :

كيف يخفى عنكَ ما حلَّ بنا أنا أنتَ الضاربِى أنت أنا

وتقدم الكلام عليه قبله ببيت .

* * *

وأنشد بعده :

إلى الملكِ القَرْمِ وابنِ الهُمَامِ

وليثِ الكتيبة والمَزدحَمْ

تقدَّم شرحه فى الشاهد الخامس والسبعين . ٥٣٥

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٤٣٤ (ما أنتَ ويْبَ أبيكَ والفَخْرُ)

على أنَّ ما الاستفهاميّة يدخلها معنى التحقير كما هنا ، وكذلك قوله ويب أبيك ، وفيه معنى التحقير والتصغير .

وهذا عجزٌ وصدره :

(يازبرقانُ أخا بنى خَلفٍ)

واستشهد بالبيت سيبويه على أنَّه عطف الفخر على أنت ، مع ما فيه من معنى مع ، وامتناع النصب ، إذْ ليس قبله فعلٌ ينفذ إليه فينصبُه .

وأورده صاحب الكشاف فى آخر المائدة (من تفسيره) عند قوله

---

(١) فى كتابه ١ : ١٥١ . وانظر المؤتلف ١٧٩ حيث نسب فيه إلى المتنخل السعدى خطأً ، وابن يعيش ١ : ٢/١٢١ : ٥١ والهمع ٢ : ٤٢ .

تعالى : ﴿ يا عيسَى بنَ مَرْيم (١) ﴾ قال : إذا قلت يا زيدُ أخا تميم ، أو قلت : يا زيدُ ابنَ الرجل الصالح ، رفعت الأول ونصبت الثانى كما فى البيت . إلا أنه روى المصراع الثانى : « ما أَنت وَيلَ أبيك » باللام . ونقل بعضهم عنه أنَّه قال أصل ويل : وَىْ ، زِيد عليها لام الجر ، فإن كان بعدها مكنىٌّ فتحت لامه كويلك وويله . وإن كان ظاهراً جاز فتح اللام وكسرها . وذكر أنهم أنشدوا قوله :

* ما أنت ويلَ أبيكَ والفخرُ * البيت

بكسر اللام وفتحها ، فالكسر على الأصل ، والفتح لجعلها مخلوطة بوى ، كما قالوا : يا لَتَيْم ، ثم كثُرت فى الكلام فأدخلوا لاماً فقالوا : ويلٌ لك .

قال السِّيرافى : ولو كان كما قال ما قالوا ويلٌ لك بالتنوين والضم . فإنْ قال : توهَّموا أنها أصليَّة فنوَّنوها وزادوا بعدها لاماً ، فبعيدٌ جدًّا .

وقال الصاغانى (فى العباب) : ويب كلمةٌ مثل ويلٌ ، تقول وَيْبَكَ وويب زيد ، وويبَ أبيك . وزاد أبو عمرو : ويباً له ، وويبٌ له ، وويبَه وويبَ غيره . وزاد الفراء : ويْبِكَ وويبِ بك بالكسر فيهما . ومعنى هذه الكلمات ألزمَه الله ويلاً . نُصِب نصبَ المصادر . فإن جئت باللام قلت : ويبٌ لزيد . فالرفع على الابتداء أجودُ من النصب ، والنصب مع الإضافة أجود من الرفع . وقيل إنهم قالوا ذلك لقُبح استعمال الويل عندهم . اهـ .

وقوله : (ويبَ أبيكَ) معناه ألزمك الله هلاكَ أبيك ، أى فقدتَهُ . وهو اعتراضٌ بين المعطوف والمعطوفِ عليه .

وقوله : (يا زبرقان) إلخ الزِّبرقان ، هو صحابىٌّ . وهو الزبرقان بن بدر ،

---

(١) الآية ١١٦ من المائدة .

واسمه حُصَين بالتصغير . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائة [١] . يقال يا أخا العرب ، يراد : يا واحداً منهم ، جعله واحداً من قومه وقصدُه تحقيره ، وقيل للاحتراز عن الزِّبرقان الفزارى . وبنو خَلَف : رهطُ الزِّبرقان بن بدر ، وخَلفٌ جده الأعلى ، لأنه الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس ابن خَلَف بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

والبيت للمخبَّل السَّعدىّ ، وهو ابن عمِّ الزِّبرقان ، هجا به ابن عمه . صاحب الشاهد
وبعده :

(هل أنت إلَّا فى بنى خلفٍ كالإسْكَتَيْنِ علاهما البَظْرُ)

والإسكتان بكسر الهمزة [٢] : ناحيتا فرج المرأة . والبَظْر بفتح الهمزة : هَنةٌ بين شَفْرَى فرجها . وامرأة بظراء : لم تُخْتن . شَبَّه قومَه وهم حولَه بالإسكتين حول البَظْر ، وشبَّه إذا اجتمعوا حوله بالبَظْرِ بين الإسكتين .

والمخبَّل بفتح الباء المشدَّدة ، فى الأصل اسم مفعول من خبَّله تخبيلا ، المخبل السعدى
أى أَفسد عقله . ورجل مخبَّل ، كأنه قُطعت أطرافه .

واسمه ربيع بن ربيعة بن عَوْف بنِ قِتَال بن أنف الناقة : [وقِتال [٣]] ، ٥٣٦
بكسر القاف بعدها مثناة فوقيَّة بعدها لام . كذا فى مختصر أنساب الكلبى .

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : المخبَّل لقبٌ ، وهو ربيعة بن مالك بن رَبيعة بن عوف ، أحد بنى أنف الناقة ، واسمه جَعفر بن

---

(١) الخزانة ٣ : ٢٠٧ .

(٢) وبفتحها أيضا ، كما فى اللسان والقاموس .

(٣) التكملة من ش .

قُرِيع بن عوف بن سَعد بن زيد مناة بن تميم . هذا قول ابن حبيب ، ويكنى أبا يزيد . وهو شاعرٌ مخضرم فحلٌ ، وهو المرادُ بقول الفرزدق :

وهبَ القصائدَ لى النَّوابغُ إذْ مضَوْا
وأبو يزيدَ وذُو القُروح وجَرولُ (١)

انتهى .

فالنوابغ ثمانية شعراء . وأبو يزيد : المخبَّل السعدى . وذو القروح : امرؤ القيس . وجَرولٌ هو الحُطيئة .

قال صاحب الأغانى : عُمِّرَ المخَبَّلُ فى الجاهلية والإسلام عمراً طويلا ، وأحسَبه مات فى خلافة عمر أو عثمان وهو شيخٌ كبير .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هاجر المخبَّل وابنُه إلى البصرة : وولدُه كثيرٌ بالأحساء ، وهم شعراء . وكان المخبّل هجا الزِّبرقان بن بدرٍ وذكر أخته خُلَيدة ، ثم مرَّ بها بعد حينٍ وقد أصابَه كسر وهو لا يَعرفها ، فآوته وجَبرتْ كسره ، فلمَّا عرفها قال :

لقد ضلَّ حِلمى فى خُليدةَ ضَلَّةً
سأُعتِبُ نَفْسى بَعدَها وأتوبُ
وأشهدُ ، والمستَغْفَرُ اللهُ ، أننى
كذَبتُ عليها والهجاءُ كَذُوبُ

انتهى .

وفى (الإصابة) لابن حجر : قال ابن حبيب : خَطب المخبَّل إلى الزِّبرِقان

(١) فى اللآلئ ٨٥٧ : « النوابغ كلهم » .

أختَه خُليدة فردَّه وزوَّجها رجلاً من بنى جُشم بن عوف ، فهجاه المخبَّل السَّعدى ، وعَبْدة بن الطبيب ، وعمرو بن الأهتم ، وعلقمة بن عَبَدة ، قبلَ أن يُسلموا ، وقبل مبعثِ النبى ﷺ .

وفى الشعراء من يقال له المخبَّل غير هذا ثلاثة ، وهم المخبَّل الزُّهرى ، والمخبَّل الثمالى ، وكعبٌ المخبّل . من يقال له المخبل

وقد أخطأ الآمديُّ هنا (فى المؤتلف والمختلف) فزعم أنَّ البيت الشاهد للمُتَنخِّل السَّعدىّ ، بضم الميم وفتح المثناة الفوقية بعدها نون وكسرِ الخاء المعجمة المشددة ، وقال : لم يقع إلَىَّ من شعرِه شئ .

واستشهد الكسائى والفرَّاء بقوله :

يا زبرقانُ أخا بنى خَلفٍ ما أنتَ ويبَ أبيكِ والفخرُ

وهذا تصحيفٌ منه فى اسم الشاعر . وهو تارةً ينسَب إلى قُرَيع وتارة إلى سعد . وهذا سببُ التصحيف ، وما ذكرناه هو الذى قاله شراح [شواهد [1]] سيبويه والمفصَّل وغيرهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الأربعمائة [2] :

٤٣٥ (يا سَيِّداً ما أنتَ مِنْ سيِّدٍ)

على أنَّ ما الاستفهامية قد يدخلها معنى التعظيم كما فى البيت ، فإنَّها استفهامية تعجُّبية ، والمقصود التعظيم .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) المقرب ٣٠٤ والشذور ٢٥٨ والتصريح ١ : ٣٩٩ والهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٣٥١ : ٩٠ والمفضليات ٣٢٢ .

وأورده الفرَّاء فى سورة يٓس (من تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ يا حسرةً على العباد [١] ﴾ قال : المعنى يالها حسرةً على العباد . وقرأ بعضهم : ﴿ يا حسرةَ العبادِ [٢] ﴾ والمعنى فى العربية واحد . والله أعلم .

والعرب إذا دعت نكرة موصولة بشئ ، آثرت النصب ، يقولون : يا رجلا كريماً أقبل ، ويا راكباً على البعير أقبل ، فإذا أفردوا رفعوا أكثَرَ ممَّا

٥٣٧ ينصبون . أنشدنى بعضهم :

يا سيِّداً ما أنتَ من سيِّدٍ
مُوطَّأَ البيتِ رحيبِ الذِّراعْ

ولو رفعت النكرة الموصولة بالصِّفة كان صواباً ، قد قالت العرب :

* يا دارُ غَيَّرها البِلَى تغييرا [٣] * اهـ

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للسفَّاح بن بُكَير بن مَعْدَانَ اليربوعىّ ، رثى بها يحيى ابن شَدَّاد بن ثعلبة بن بِشر ، أحد بنى ثعلبة بن يربوع .

وقال أبو عبيدةَ : هى لرجلٍ من بنى قُريع رثى بها يحيى بنَ ميسرةَ

أبيات الشاهد صاحبَ مصعبِ بن الزُّبير ، وكانَ وَفَى له حتى قُتل معه .

وهذه أبياتٌ من أولها :

(صَلَّى على يحيى وأشياعِه
ربٌّ غفورٌ وشفيعٌ مُطَاعْ

---

(١) الآية ٣٠ من سورة يس . وانظر معانى الفراء ٢ : ٣٧٥ .

(٢) هى قراءة الحسن ، كما فى إتحاف فضلاء البشر ٣٦٤ . وفى تفسير أبى حيان ٧ : ٣٣٢ أنها قراءة أُبَىّ ، وابن عباس ، وعلى بن الحسين ، والضحاك ، ومجاهد ، والحسن .

(٣) ط : « البلا » ، صوابه فى ش ومعانى الفراء ٢ : ٣٧٢ .

لمّا عصى أصحابُه مصعباً
أدَّى إليهِ الكيلَ صاعاً بصاعْ
يا سيِّداً ما أنت مِن سيِّدٍ
مُوطَّأ البيت رحيب الذراعْ
قوَّالِ معروفٍ وفعّالِه
وهّابِ مَثْنَى أُمّهاتِ الرِّباعْ
يَجمع حِلماً وأناةً معاً
ثُمَّتَ ينباعُ انبياعَ الشُّجَاعْ)

وهذه قصيدةٌ اختلفت الرواةُ فى عدَّة أبياتها ، فقد رواها الضبىُّ ثلاثةَ عشر بيتاً ، ورواها أحمد بن عبيد اثنىْ عشر بيتاً مع تغايُرٍ فى الأبيات . والروايتان مسطورتان (فى المفضّليات وشَرْحِها لابن الأنبارىّ) .

وقوله : « لمَّا عصىَ أصحابُه مُصعباً » ، إلخ تقدَّم شرحه فى الشاهد الحادى والأربعين [١] من أوائل الكتاب . ورواه أحمد بن عبيد :

لمَّا جلا الخُلاَّنُ عن مُصعَب
أدَّى إليه القَرضَ صاعاً بصاعْ

(١) ش : « الواحد والأربعين » . ومن المعروف أن الواحد والواحدة إذا استعملا مع العشرة ومع ما فوقها كالعشرين ، فإنك تقلب فاءها إلى موضع لامها ، فتقول : حاد وحادية ، بعد الإعلال . ولكن حكى الكسائى عن بعض العرب واحد عشر على غير القلب ، فلم يلتزم القلب كل العرب . كما فى التصريح والهمع ٢ : ١٥١ والأشمونى ٤ : ٧٧ . ومهما يكن فهو استعمال شاذ .

قوله : (يا سيداً ما أنت) . إلخ روى صدرَه الضَّبِّىّ :

* يا فارساً ما أَنت من فارسٍ *

ومن سيدٍ ومن فارسٍ : تمييز مجرور بمن . و (موطأ البيت) ، يعنى أنَّ بيته مذَّلل للأضياف . و (الرَّحيب) : الواسع . والمعنى أنه واسعُ البسيطة كثيرُ العطاء سهلٌ لا حاجزَ دونه . ولمَّا كان الذراع موضعَ شِدَّة الإنسان ، قيل فى الأمر الذى لا طاقة للإنسان به : ضاق بهذا الأمر ذِرَاعُ فلان وذَرْع فلان (١) أى حيلته بذراعه . وتوسَّعوا فى هذا حتى قلبوه فقالوا : فلانٌ رَحْبُ الذراع ، إذا وصَفوه باتساع المقدرة .

وقوله : « قَوَّال معروف وفعَّاله » إلخ الأوصاف الثلاثة بالجرِّ على الوصفية لسيِّدٍ أو لفارس (٢) . والمعنى أَنَّه لا يقول إلا فَعَلَ ، ولا يَعِدُ إلاَّ وفَى ، ولا يُخلف . والرِّباع ، بالكسر : جمع رُبَع ، بضم ففتح ، وهو ما يُنتج فى أول نِتَاج الإبلِ . وخصَّ أُمَّهات الرِّباع لأنها عزيزة . ومَثْنَى أى واحدةً بعد أخرى . قال ابن بَرِّىّ (فى شرح أبياتِ إيضاح أبى على) : وَرَوَى أبو حنيفة :

* عَقَّار أُمَّات الرِّباع الرِّتاع *

أى هى مُتْرعة (٣) لسَعَة الرِّعى عليها . اهـ .

وقوله : « يجمعُ حِلماً » إلخ ، الأناة ، بالفتح : التأنِّى . وثُمَّتَ مخصوصةٌ بعطف الجمل . وينباع بمعنى يَثب ويَسطو . والشُّجاع : الحيَّة .

---

(١) ش : « ذرع فلان وذراع فلان » .

(٢) أى على روايتى : « من سيد » ، و « من فارس » .

(٣) المترعة : الممتلئة .

والسَّفّاح بن بُكير ، تقدم فى الشاهد الحادى والأربعين (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الأربعمائة (٢) :

٤٣٦ (على ما قام يَشْتِمُنى لئيمٌ كخنزيرٍ تمرَّغَ فى رَمادِ)

على أنَّ ثبوتَ الألف فى ما الاستفهامية المجرورة فى غير الأغلب ، ٥٣٨
مفهومُه أنّ إثباتها فيها غالب .

ويوافقُه قول صاحب الكشاف فى سورة يس ، عند قوله تعالى : ﴿ بِمَا غَفَر لى ربِّى (٣) ﴾ : طرحُ الألف أجود ، وإن كان إثباتها جائزاً .

وهذا معارضٌ لقوله فى سورة الأعراف ، عند قوله تعالى : ﴿ قال فَبِمَا أغويْتنى (٤) ﴾ : قيل ما للاستفهام ، وإثباتُ الألف قليلٌ شاذٌّ .

قال الشارح المحقق (فى شرح الشافية) : وبعضُ العرب لا يحذف الألف من ما الاستفهامية المجرورة ، كقوله :

على ما قامَ يشتمنى لئيمٌ البيت

فهذا لا يقول « على مَهْ » وَقفاً ، بل يقف بالألف التى كانت فى الوصل ، والأَوْلَى حذف ألف ما الاستفهامية مجرورةً ، لما ذكرنا فى الموصولات . اهـ .

---

(١) الخزانة ١ : ٢٩٠ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٣ وشرح شواهد الشافية ٢٤٤ برواية « فى دمان » فيهما . وانظر ابن يعيش ٤ : ٥٥٤ والعينى ٤ : ٥٥٤ والتصريح ٢ : ٣٥٤ والهمع ٢ : ٢٧ والأشمونى ٤ : ٢١٦ . وديوان حسان ١٤٣ .

(٣) الآية ٢٧ من سورة يس .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

أراد أنه ذكره فى شرح الموصولات (من شرح الكافية) .

وإذا ثبت أنَّ هذا لغة لبعض العرب لم يكن إثبات الألف نادراً ولا ضرورة ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ﴾ فيمن قرأ ﴿ عمَّا ﴾ بالألف . قال الفالىّ [(١)] (فى شرح اللباب) : الكثير الشائع حذف الألف ، وجاء إثباتها فى عَمّا يتساءلون ، وفى قوله : على ما قام يشتمنى البيت . وقال السَّمين : يجوز إثبات الألف فى ضرورةٍ ، أو فى قليل من الكلام .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : إثبات الألف أضعف اللغتين .

قال ابن السمين [(٢)] فى سورة يٓس : المشهور من مذهب البصريين وجوب حذف ألفها إلا فى ضرورة .

وكذلك قال ابن هشام (فى المغْنِى) : يجب حذف ألف ما الاستفهامية إذا جرَّت ، وإبقاءُ الفتحةِ دليلا عليها . وربما تبعت الفتحةُ الألفَ فى الحذف ، وهو مخصوص بالشعر كقوله :

يا أبا الأسودِ لِمْ خَلَّفْتَنى   لهمومٍ طارقاتٍ وذِكَرْ

ثم قال : وأمَّا قراءة عِكرمة وعيسى : ﴿ عمَّا يتساءلون ﴾ فنادر . وأمَّا قول حسان :

---

(١) فى الأصل : « القالى » ، صوابه بالفاء كما سبق فى كثير من المواضع . وانظر حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٢) كذا فى النسختين . يقال « السمين » و « ابن السمين » . قال الميمنى فى الاقليد ١٠ : « هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين المتوفى سنة ٧٥٦ . وهو تلميذ أبى حيان » . وله إعراب القرآن الذى سماه « الدر المصون فى علم الكتاب المكنون » . قالوا : وهو أجل ما صنف فى إعراب القرآن . كما أن له « تفسير القرآن » . قال الميمنى : « ومنه نسخة برامبور ، وأخرى عند الشيخ حبيب الرحمن الشروانى » .

* على ما قام يشْتِمُنى لئيمٌ *

فضَرورة . ومثله قول الآخر :

إنَّا قتَلنا بقتلانا سَراتَكمُ
أهلَ اللِّواءِ ففيما يكثُر القِيلُ (١)

قال الدَّمَامينى (فى الحاشية الهندية) : ادَّعى المصنف أنَّ إثبات الألف فى البيتين ضرورة ، ولقائل أن يمنع ذلك ، بناءً على تفسيرهَا بما لا مندوحة للشاعر عنه ، إذ الوزنُ مع حذف الألف فى كلٍّ منهما مستقيم . غاية الأمر يكون فى بيت حسَّان العَقْل ، وفى الآخر الخبن ، وكل منهما زِحافٌ مغتفَر . اهـ .

وقد عمَّم الشارح المحَقِّق فى الجارِّ لما ، سواء كان حرفَ جر أو مضافاً . وهذا هو المشهور .

وقال اللّبْلى (فى شرح أدب الكاتب) : إن كان الجارُّ اسماً متُمَكِّناً لم يفعلوا ذلك ، أى لم يحذفوا الألف . وقولُ العرب : مجيءُ مَ جئت ، ومثل مَ أنت ، شاذّ . وإنما جاء مع بعد وعند لأنهما غير متمكِّنين ، فألحقا بحروف الجرّ . اهـ .

وهذا قولٌ غريب لم يقله غيره ، كقول ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : إنَّ ألف ما الموصولة لا تحذف إلّا مع شئت . قال : تقول : ادعُ بم شئت ، وسل عَمّ شئت ، وخذه بم شئت ، وكن فيم شئت . إذا أُردت معنى سل ، أَى عن أى شيء شئت ، نقَصْتَ الألف . وإن أُردت سل عن الذى أُحببت

(١) كذا ورد إنشاده فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٤ بدون نسبة . وانظر شرح شواهد المغنى ٢٤٢ .

أتممتَ الألف إلّا مع شئت خاصّة ، فإن العرب تنقص الألف منها خاصة ، فتقول : ادع بمَ شئت ، فى المعنيين جميعاً . ا هـ .

٥٣٩ والمشهور أنَّ ألفها يثبت مُطلقاً ، سواء استعملت مع شئت أم غيرها [1] . وعلى نقله يلغز فيُقَال : فى أَىِّ موضع يجب حذف ألف ما الموصولة المجرورة بحرف جر ؟

صاحب الشاهد وهذا البيتُ من أبيات دالية لحسَّان بن ثابت الصحابى . وقد حرَّف الرواة قافيته ، فبعضُهم رواه :

* كخِنزير تمرَّغَ فى دَمَانِ *

وهو ابن جنِّى (فى المحتسب) ، وتبعه جماعة منهم ابن هشام (فى المغنى) قال : الدِّمان كالرَّماد وزنا ومعنى . ورواه صاحبُ اللباب وشارحه الفالى : « فى الدِّهانِ » بالهاء بعد الدال . ورواه المرادىُّ (فى شرح الألفية) : « فى تراب » ، ورواه بعضهم : « فِى دُمالِ » باللام . وهذا كلُّه خلافُ الصواب .

ورواية السكرى (فى ديوان حسَّان) :

* ففيم تقولُ يشتمنى لئيمٌ [2] * [إلخ]

وعليه لا شاهدَ فيه .

وقوله : (على ما قام) إلخ على تعليلية ، أى لأجل أىِّ شئ . ونقل العينى عن ابن جنِّى أنَّ لفظة قام ههنا زائدة ، والتقدير ما يشتمنى . وقال ابن يَسعون : وليس كذلك عندى ؛ لأنها مقتضى النهوض بالشَّتم والتشمير له

---

(١) ش : « أو مع غيرها » .

(٢) هذه التكملة من ش .

والجِدّ فيه . وقوله (كخنزير) إلخ ، تعريضٌ بقبحه ، فلذلك خصَّ الخنزير لأنّه مِسْخٌ (١) قبيح المنظر ، سَمِج الخَلْق ، أكَّالُ العَذِرة . وقوله : (تمرَّغَ فى رَمَاد) تتميمٌ لذمِّه ، لأنه يدلُك خَلْفَه (٢) بالشجر ، ثم يأتى للطين والحمْأة فيتلطَّخ بهما ، وكلما تساقط منه شئ عاد فيهما .

قال الجاحظ : والعَين تكره الخنزير جُملةً دون سائر المسوخ ، لأنّ القرد وإن كان مسيخا فهو مُستملَح . والفيل عجيبٌ ظريفٌ نبيل بهىّ ؛ وإن كان سَمِجاً قبيحا (٣) .

والأبيات قالها حسّان فى هجو بنى عابدٍ ، بموحدة بعدها دال غير معجمة (٤) ، ابن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم (٥) . قال البَلادرى (٦) : لم يكن لهم هجرة ولا سابقة . قال : وقال الأثرم عن أبى عُبيدة (٧) : قال حسَّان هذا الشعرَ فى رُفَيع بن صَيفىّ بن عابد ، وقُتل رُفيع يوم بدرٍ كافراً . ورُفَيع بضم الراء وفتح الفاء : مصغَّر رَفع بالعين المهملة . وصيفىّ بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الفاء وتشديد التحتية . والأبيات هذه : أبيات الشاهد

(إنْ تصلُحْ فإنّكَ عابدىٌّ وصُلحُ العابدىِّ إلى فسادِ

(١) ش : « مسيخ » .

(٢) ط : « خلقه » بالقاف ، وأثبت ما فى ش .

(٣) الحيوان ٧ : ٣٩ .

(٤) فى جمهرة ابن حزم ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ : « عائذ » وما هنا صوابه . وجاء فى مختلف القبائل ومؤتلفها ٤٤ : « فى قريش فى بنى مخزوم عابد بباء موحدة ودال مهملة ، بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفيها : عايذ بياء آخر الحروف وذال معجمة ، بن عمران بن مخزوم » .

(٥) ط : « عمير بن مخزوم » ش : « عمرو بن مخزوم » مع أثر تغيير ، وصوابه ما أثبت من المراجع السابقة .

(٦) كذا فى النسختين بدال مهملة .

(٧) ط : « أبى حبيرة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . والأثرم هو أبو الحسن على بن المغيرة سمع أبا عبيدة والأصمعى . وتوفى سنة ٢٣٢ .

وإنْ تفسُدْ فما أُلفِيتَ إلاَّ
بعيداً ما علمتُ من السَّدادِ
وتَلقاه على ما كان فيه
من الهَفَوات أو نُوكِ الفؤادِ
مُبينَ الغيِّ لا يَعيا عليه
ويعيا بعدُ عن سُبُلِ الرّشادِ
ففيمَ تقول يشتمنى لئيمٌ
كخنزير تمرَّغَ فى رَمادِ
فأشهدُ أنَّ أمَّك مِ البغايا
وأنَّ أباك من شَرِّ العِبادِ
فلن أنفَكَّ أهجو عابديًّا
طَوالَ الدَّهرِ ما نادَى المنادى
وقد سارت قوافٍ باقياتٌ
تَناشَدَها الرُّواةُ بكلِّ وادِ
فَقُبِّحَ عابدٌ وَبَنِى أبيه
فإنَّ مَعَادَهُمْ شرُّ المعادِ)

وهذا آخر الأبيات . وقوله : « إن تصلح » إلخ فيه خرم ، وبعضهم يرويه : « وإن تصلح » فلا خَرم . والسَّداد ، بالفتح : الرُّشد والاستقامة .
٥٤٠ والهفَوات : السقطات . والنُّوك بالضم [١] : الحمق ، وهو نقصٌ فى العقل ، وأراد به البلادةَ وعدمَ الاهتداء للمقصود ، ولهذا أضافه إلى الفؤاد ، وهو معطوف على الهفوات .

وقوله : « مبينَ الغيِّ » بالنصب حالٌ من مفعول تلقاه .

---

(١) ويقال بفتح النون أيضا .

وقوله : « ففيم تقول » رواية السكرى بالخطاب [لمن يصلُح الخطابُ (١)] معه . وقوله : « م البغايا » أصله من البغايا ، وهو لغةٌ فى مِن . والبَغىُّ : الامرأة الفاجرة . وقوله : « طَوَال الدهر » بفتح الطاء ، بمعَنى طُولَ الدهر .

وقوله : « فقبِّح عابدٌ » ، هو بالبناء للمفعول على الدعاء . والواو فى قوله : وبنيِ أبيه واو المعية ، وبنى أبيه مفعول معه .

وترجمة حسَّان [تقدَّمت (٢)] فى الشاهد الحادى والثلاثين .

تتمـــة

البيت الذى أورده صاحبُ المغنى ، وهو (٣) :

إنَّا قتلنا بقتلانا سَراتَكُم
أهْلَ اللِّواء ففيما يكثُر القِيلُ

لم يعرفه أحدٌ ممَّن كتب على المغنى ، وما قبل حرف الروىِّ فيه مثنّاة تحتية والقاف مكسورة . وقد صَحَّفه البدر الدمامينى فضبطه بمثناة فوقية ، ثم استشكله ، قال : فى البيت كلامٌ من جهة العَروض ، وذلك أنَّ هذا من بحر البسيط من عروضه الأولى وضربها الثانى ، وهو المقطوع ، كان أصله فاعلن حذفت نونه وسكنت لامه فصار فَعْلن بإسكان العين ، فقد ذهب منه زنة متحرك ، وإذا ذهب منه ذلك وجب أن يكون مُرْدَفا ، أى يؤتى قبل حرف الروى بحرف لين ، كما فى شاهد العروضيين :

قد أشْهَد الغارَةَ الشَّعْوَاءَ تحملنى
جرداءُ معروقةُ اللَّحيين سُرحوبُ

---

(١) التكملة من ش .

(٢) التكملة من ش .

(٣) انظر ما سبق فى ص ١٠١ .

ولا يخفى أنَّ ضرب البيت الذى نحن فيه ، وهو اللامىّ الروىِّ ، غير مردَف ؛ ففيه مخالفة لما قرَّره العروضيون فى أمثاله .

هذا كلامه ، وهذا موضع المثل المشهور : « زَنَّاه فحدّه » .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لكعب بن مالكٍ شاعر رسول الله ﷺ ، رواها الكَلَاعى (فى سيرته) قال : أَجاب بها ابن الزِّبَعْرَى وعمرو بن العاصى [1] ، عن كلمتين افتخرا بهما بيوم أُحد ، وهى هذه :

أبلغْ قُريشاً وخيرُ القولِ أصدقُه
والصِّدق عند ذَوِى الألبابِ مقبولُ
أنْ قد قتلنا بِقتلانا سَرَاتكمُ
أهلَ اللِّواء ففيما يَكثُر القِيلُ
ويومَ بدرٍ لَقِيناكم لنا مدَدٌ
فيه مع النَّصر مِيكالٌ وجِبريلُ
إن تَقتلونا فِدينُ الله فِطرتُنا
والقتلُ فى الحقِّ عند الله تفضيلُ
وإن تَرَوا أمرَنا فى رأيكُمْ سفَهاً
فرأْىُ مَنْ خالفَ الإسلامَ تضليلُ
إنّا بنو الحرب نَمرِيها ونُنتجها
وعندنا لذوِى الأضغان تنكيلُ

(١) فى ديوان كعب بن مالك ٢٥٥ أنه يجيب بها عمرو بن العاص ، وضرار بن الخطاب . وكذلك فى سيرة ابن هشام ٦٢٢ - ٦٢٤ .

إنْ ينجُ منّا ابنُ حربٍ بعد ما بلغت
منه التراقِي وأمرُ الله مفعولُ
فقد أفادتْ له حُكْماً ومَوعظةً
لمن يكون له لبٌّ ومعقولُ (١)
ولو هَبطتمْ ببطنِ السَّيل كافَحَكم
ضَربٌ بشاكِلة البطحِاء تَرعيلُ
تَلقَاكُمُ عُصَبٌ حول النبيِّ ، همْ
مما يُعِدُّون فى الهيجا سَرابيلُ (٢)
مِن جِذم غَسَّانَ مسترخٍ حمائلُهم
لا جُبَناءُ ولا مِيلٌ مَعازيلُ

وهى قصيدةٌ طويلة جيدة ، سَردَهَا بتمامها ، وبيَّن مُشْكِلُ لغاتها ، قال : سَراة القوم : خيارهم . والقِيل والقَول واحد . والتنكيل : الزجر المؤلم . وبطن ٥٤١
السَّيل : الوادى . وكافَحكم : واجَهكم . وشاكلة البطحاء : طرَفُها . والترعيل : الضَّرب السريع . والسرابيل : جمع سِربال ، وهو الدِّرع . وجِذْم بكسر الجيم : الأصل . وغسَّان : قبيلة الأنصار (٣) . والحمائل : حمائل السَّيف . والجبَناء : جمع جبان . والمِيل : جمع أمْيَل ، وهو الذى لا تُرْسَ معه . والمعازيل : الذين لا رِماحَ معهم .

* * *

(١) الحكم : الحكمة والعلم . ط والديوان والسيرة : « حلما » باللام ، وأثبت ما فى ش .
(٢) فى الديوان والسيرة : « للهيجا » .
(٣) كذا . والوجه « قبيلة من الأنصار » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٣٧ (رُبَّما تَكْرَهُ النفُوسُ من الأمْـ
ـرِ له فَرْجَةٌ كحلِّ العِقَالِ)

على أنّ « ما » نكرةٌ موصوفة بجملة تكره النفوس . فحكِم على كونها نكرة بدخولِ رُبَّ عليها ، وحكم بالجملة صفةً على قياسِ نكرةِ رُبَّ ، من أنَّها موضوعة لتقليل نوعٍ من جنس ، فلابد أنْ يكون الجنس موصوفاً حتى تحصلَ النَّوعية .

وقد أورده سيبويه فى كتابه مرَّتين ، قال : « ربَّ لا يكون بعدها إلاَّ نكرة » . وأنشده . قال الأعلم : استشهد به على أنّ ما نكرةٌ بتأويل شئ ، ولذلك دخلَتْ عليها ربَّ ، لأنها لا تعمَل إلَّا فى نكرة . ولا تكون « ما » هنا كافة ؛ لأنّ فى « تكره » ضميراً عائداً عليها ، ولا يضمر إلا الاسم . وكذلك الضمير فى له عائدٌ عليها . والمعنى : ربَّ شئ تكرهُه النفوس من الأمور الحادثة الشديدة وله فَرجة تعقب الضيقَ والشِّدَّة ، كحلِّ عِقال المقيَّد . والفَرْجة بالفتح فى الأمر ، وبالضم فى الحائط ونحوه . ا هـ .

ومثله (فى إيضاح الشعر) لأبى علىّ قال : ما اسمٌ منكور ، يدلُّ على ذلك دخولُ ربَّ عليه . ولا يجوز أن تكون كافة كالتى فى قوله تعالى : ﴿ رُبَمَا

(١) فى كتابه ١ : ٢٧٠ : ٣٦٢ . وانظر المقتضب ١ : ٤٢ ومجالس العلماء للزجاجى ١٦٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٨ وابن يعيش ٤ : ٢/٨ : ٣٠ وشرح شواهد المغنى ٢٤٠ والشذور ١٣٢ والعينى ١ : ٤٨٤ والهمع ١ : ٨ ، ٩٢ والأشمونى ١ : ١٥٤ واللسان (فرج) وديوان أمية بن أبى الصلت ٥٠ .

يودُّ الذين كفُروا [١] ﴾ لأنّ الذكْر قد عاد إليها من قوله له فرجة ، فلا يجوز مع رجوع الذكر أن تكون حرفاً ، فالهاء فى قوله تكره مرادة ، والتقدير : تكرهه النفوس . وفرجةٌ مرتفعة بالظرف ، وموضع الجملة جرّ . ا هـ .

وقوله : « وموضع الجملة جرٌّ » أى على الوصفية للأمر ، ولا اعتبار بلام التعريف لأنها كما قال الشارح المحقق للجنس . وفى كون الجملة صفةً نظر ، إذ الوصف على كلامه إنما هو الجار والمجرور لا غير ، لأنه جعل فرجة فاعلهما [٢] . وإنما كان يتّجه لو جعل فرجة مبتدأ والظرف قبلَه خبره ، كما هو ظاهر صنيع الشارح المحقق فى قوله : له فرجة صفة الأمر . وبما سقناه من قول الأعلم وأبى علىٍّ ، عُلم [٣] ضعف قول من ذهب إلى أنَّ « ما » فى البيت : كافَّةٌ مُهيِّئة لدخول ربّ على الجمل كما فى الآية .

قال ابن الحاجب (فى شرح المفصَّل) : وكونها اسماً أولى ، لأنَّ الضمير العائد على الموصوف حذفُه سائغ ، ومن الأمر تبيين له . وإذا جعلت ما مهيِّئة كان قوله من الأمر واقعاً موقع المفعول ، تقديره تكره النفوس شيئاً من الأمر . وحذفُ الموصوفِ وإبقاءُ الصفة جارّاً ومجروراً فى موضعه قليل . انتهى .

وقد ناقشه الشارحُ المحقق بعد نقل كلامه بالمعنى بأنه لا يلزم من كون

---

(١) الآية الثانية من الحِجْر . وقرأ نافع وعاصم بتخفيف الباء ، والباقون بتشديدها . إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ .

(٢) ش : « فاعلها » ، صوابه فى ط . والمراد فاعل الجار والمجرور قبله .

(٣) كلمة « علم » ساقطة من ش .

« ما » مهيِّئة أن يكون من الأمر واقعاً موقع المفعول حتى يَرِدَ ما ذكر ، لجواز أحد أمرين :

أحدهما : يجوز بقوله أن تكون « مِن » متعلقة بنكرة وهى للتبعيض ، كما فى أخذت من الدراهم ، أى أخذت من الدراهم شيئاً . فكذا معناه تكره من الأمر شيئاً .

٥٤٢ ثانيهما : تضمين تكره معنى تشمئزّ وتنقبض ، بدليل رواية سيبويه وغيره : « ربما تجزع النفوس من الأمر » ؛ فإنَّ تجزع ، لازمٌ لا يقتضى مفعولا به .

وبقى وجهٌ ثالث ، وهو جواز كون مِن زائدة عند الأخفش والكوفيين .

وتبع ابنَ الحاجب شارحُ اللُّباب الفالىُّ (١) قال : لا يتعيَّن كون ما موصوفة ؛ إذ قيل إنَّها كافَّةٌ مُهيِّئة لدخول ربَّ على الجمل ، ولكن الأَولَى جعلُها موصوفةً ، لوجهين :

أحدهما أنَّه حملٌ لربَّ على بابه الكثير ، وهو كونها غير مكفوفة .

والثانى : أنَّ تكره لا بدَّ له من مفعولٍ [حينئذٍ (٢)] ، وتقديرهُ : شيئاً من الأمر ، ولكنَّ حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامَه ضَعيف . ا هـ .

وقول الخوارزمىّ (فى التخمير (٣)) : لا يجوز كون ما كافة ، لئلا تبقى مِن التبيينيَّة لا معنى لها ، يمنع كونها حينئذ تبيينيَّة . ويجاب بأحد الأوجه الثلاثة .

---

(١) فى الأصل : « القالى » ، صوابه بالفاء كما سبق فى التنبيه الأول ص ١٠٠ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) انظر ما سبق من التحقيق فى الجزء الخامس ص ٣٠٨ .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : يجوز أن تكون ما كافَّةً والمفعول المحذوف اسماً ظاهراً ، أى قد تكره النفوس من الأمر شيئاً ، أى وصفاً فيه . أو الأصل من الأمور أمراً [(١)] ، وفى هذا إنابة المفرد عن الجمع . وفيه وفى الأوّل إنابة الصفة غير المفردة عن الموصوف ، إذ الجملة بعده صفة له . اهـ .

وقد أورد البيت (فى التفسيرين) عند قوله تعالى : ﴿ ربما يودُّ الذين كفروا [(٢)] ﴾ على أنّ بعضهم قال : موصوفة بجملة يودّ كما وصف « ما » فى البيت ، وكأنه جَعل العائد ضميراً منصوبا ، أى يودُّه الذين كفروا . وفيه أنّ مفعوله [(٣)] مضمونُ قوله تعالى : ﴿ لو كانُوا مُسلمينَ ﴾ أى الإسلام ، أو هو المفعول بجعل لو مصدرية .

وقَوله : (له فَرْجة) قال صاحب المصباح : الفَرْجة بالفتح : مصدرٌ يكون فى المعانى ، وهى الخلوص من شدّة ، والضم فيها لغة . قال ابن السكيت : هو لك فَرجة وفُرجة ، أى فَرَج . وزاد الأزهرىّ فِرجة بالكسر . وحكى الثلاثةَ صاحبُ القاموس أيضاً . وقوله : (كحلِّ العِقال) صفة فَرْجة ، أى فرجة سهلة سريعة كحلِّ عقال الدَّابَّة . والعقال ، بالكسر ، هو الحبل الذى يشدُّ به يدُ الدابة عند البروك أو الوقوف ، ليمنَعَها من الذَّهاب ، ويكون رَبْطه كأُنشوطة ، وهى عَقْد التِّكَّة ، حلُّها سهل [(٤)] .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : موضع الكاف من قوله كحلّ

---

(١) ش : « أمر » ، صوابه فى ط .

(٢) انظر حواشى ١٠٩ .

(٣) ط : « مفعول » . صوابه فى ش .

(٤) فى القاموس : « والأنشوطة كأنبوبة : عقدة يسهل انحلالها كعقد التكة » .

العقال يجوز فيه ضربان : أحدهما أن يكون نصباً ، والآخر أن يكون جراً كقولك : مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدٍ به . ا هـ .

وأراد النصب على الحالية من المجرور بمن ، بعد وصفه بقوله : له فرجة. وأراد الخفض على الوصفيَّة للأمر بجعل اللام للجنس ، بدليل التنظير . وهذا بعيد ، والقريب أن تكون صفة لفرجة ، وهو أحد وجهَيْ ما جوَّزه (فى الحجة) ، قال : موضع الكاف يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون فى موضع نصب على الحال من له ، والآخر : أن تكون فى موضع رفع صفة لفرجة . اهـ .

وأراد بقوله له ضمير الأمر المجرور باللام .

صاحب الشاهد — والبيت الشاهد قد وجد فى أشعارِ جماعةٍ ، والمشهور أنّه لأميَّة بن أبى الصَّلت ، من قصيدةٍ طويلة عدّتها تسعةٌ وسبعون بيتاً ذكر فيها شيئاً من قصص الأنبياء : داود ، وسليمان ، ونوح ، وموسى . وذكر قصة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ، وزعم أنه هو الذبيح ، وهو قولٌ مشهورٌ للعلماء .

أبيات الشاهد — وهذه أبياتٌ من القصيدة [1] إلى البيت الشاهد ، قال :

٥٤٣ يا بُنَيِّى إنِّى نذَرتُكَ للّـ
ـه شَحِيطاً فاصْبر فِدًى لك خالى [2]

فأجابَ الغلامُ أن قال [فيه [3]] :

كُلُّ شيء لله ، غيرَ انتحالِ
أبَتِي إنَّنى جزيتُك باللّـ
ـهِ تَقِيًّا به على كلِّ حالِ

---

(١) ط : « القصة » .

(٢) ش : « يا ابنى » . وفى الديوان ٥٠ : « أبنى » . والشحيط : الذبيح . شحطه يشحطه شحطا : ذبحه .

(٣) التكملة من ش والديوان .

فاقِضِ ما قد نَذرتَ لله واكْفُفْ
عن دَمِى أن يَمَسَّه سِربالى
واشدُد الصَّفْدَ أن أحيدَ من السِّـ
ـكِّينِ حَيْدَ الأسيرِ ذى الأغلالِ (١)
إنَّنى آلَـمُ المحزَّ وإنِّى
لا أمسُّ الأذقانَ ذاتَ السِّبالِ
وله مديةٌ تَخَيَّلُ فى اللَّحـ
ـم هُذامٌ جَليَّةٌ كالهلالِ (٢)
بينما يخلع السَّرابيلَ عنـه
فَكَّهُ ربُّه بكـبْشٍ جُلالِ
قال : خُذْهُ وأرسلِ ابنَك إنِّى
لِلذى قَد فَعلتما غير قالي
والدٌ يتّقـى وآخـرُ مولـو
دٌ ، فطارَا منه بِسِمْعٍ مُعالِ
ربَّما تكره النّفوسُ من الشَّـ
ـرِّ له فَرجةٌ كَحَلِّ العِقالِ)

هكذا رواه جامع ديوانه محمد بن حبيب : « من الشر » بدلٌ من « الأمر » وقال : قوله جزيتُكَ بالله معناه أطعتك بالله . وقوله « غير انتحال » أى غير كذبٍ وادِّعاءٍ ، بل هو حقٌّ . والسِّربال : القميص . والصَّفْد : الحبل

(١) فى الديوان : « لا أحيد عن السكين » .
(٢) فى الديوان : « حنية » .

الذى يُربط به . وقوله : « أن أحيد » أى خشيةَ أن أحيد ، مضارع حادَ عنه ، أى مال عنه وعَدَل .

وقوله : « لا أمسُّ الأذقان » إلخ قال محمد بن حبيب : يقول : لم أمسَسْ ذقنى ، إنّى لا أجزع ولا أمنعُك . وذقْن الإنسان : مجمع لَحييه ، وأصله فى الجمَل يَحمِل الثقيل فلا يَقْدِرُ على النهوض ، فيعتمد بِذَقَنِه على الأرض . والسِّبال : جمع سَبَلة ، وهى عند العرب مقدَّم اللحية .

وقوله : « وله مُديةٌ » هى بضم الميم : السكين . قال محمد بن حبيب : تَخَيَّل فى اللحم : تمضى فيه ، من الخُيَلاءِ . وهُذَام بضم الهاء بعدها ذال معجمة : القاطعة السريعة ، من الهذْم ، وهو القطع والأكلُ فى سُرعة . قال أبو عبيد : سيفٌ هُذَام ، أى قاطع . وجَليّة : مجلوَّة .

وكبشٌ جُلاَل ، بضم الجيم ، بمعنى جليل وعظيم .

وسِمْع بالكسر : الذِّكْر الجميل . يقال ذهبَ سِمعُه فى الناس . والمعُاَل ، بضم الميم : المرتفع ، أى صار لهما شرفاً يذكرانِ به .

وأميَّةَ هذا شاعرٌ جاهلىّ ، تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد السادس والثلاثين من أوائل الكتاب [١] .

ووجد أيضاً فى قصيدةٍ رواها الأصمعىُّ لأبى قيس اليهودىِّ ، وقيل : هى لابن صِرْمة الأنصارىّ ، مطلعُها :

سَبِّحوا للمليك كلَّ صباحٍ طلعَتْ شمْسُه وكلَّ هلالِ

---

(١) الخزانة ١ : ٢٤٧ .

وقال ابن المستوفى (فى شرح الشواهد للمفصّل) : وجدت قوله ربَّما تكره النفوس من الأمر البيت ، فى أَبياتٍ لأبى قيس صِرْمة بن أبى أَنَس ، من بنى عدىٍّ بن النجّار ، ووجد أيضاً فى أبيات لحُنيف بنِ عُمير اليشكرىّ ، قالها لمَّا قُتل مُحْكَمُ بن الطفيل [١] يومَ اليمامة ، وهى :

يا سُعادَ الفؤادِ بنتَ أُثالِ　　طالَ ليلى بفتنة الرَّجَّال [٢]

إنها يا سعادُ من حَدَث الدّهْـ　　ـرِ عليكم كفتنة الدجّالِ

٥٤٤ إنّ دينَ الرسول دينى وفى القو　　م رجالٌ على الهُدَى أمثالى

أَهلَكَ القومَ مُحْكم بنُ طُفَيلٍ　　ورجالٌ ليسوا لنا برجالِ

رُبَّما تجزعُ النفوس من الأمْـ　　ـرِ له فَرجةٌ كحلِّ العقالِ)

وحُنَيف أَدرك الجاهلية والإسلام ، ولا تعرف له صحبة . وقال ابن حجر (فى الإصابة) : هو مخضرم ، ذكره المرزبانى . وروى له هذه الأبياتَ عُمر بن شَبّة ، ووجد أيضاً فى أبياتٍ لأعرابّى . وهى :

(يا قليلَ العزاءِ فى الأهوالِ　　وكثيرَ الهمومِ والأوجالِ

---

(١) ذكره ابن حزم فى الجمهرة ٣٤٩ وقال : « وكان أشرف فى قومه من مسيلمة » . كما ذكره فى الاشتقاق ٢٤٩ باسم « مُحَكَّم اليمامة » . وانظر اللسان (حكم) . وقد ضبط اسمه بهذا الضبط فى كل هذه المراجع . لكنّ الشعر التالى يقتضى أن يكون « محكم » كمصعب . وكان مقتله على يد عبد الرحمن ابن أبى بكر فى حروب الردة سنة ١١ .

(٢) هو الرجال بن عنفوة ، أحد الخارجين مع مسيلمة باليمامة . وفى حديث أبى هريرة : جلست مع النبى ﷺ فى رهط ، معنا الرجال بن عنفوة ، فقال : « أن فيكم لرجلا ضرسه فى النار أعظم من أحد » . فهلك القوم وبقيت أنا والرجال ، فكنت متخوفا لها حتى خرج الرجال مع مسيلمة فشهد له بالنبوة ، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة . الطبرى فى حوادث سنة ١١ ج ٣ : ٢٨٧ . وفى القاموس (رجل) : « وكشداد : ابن عنفوة ، قدم فى وفد بنى حنيفة ثم ارتد ، فتبع مسيلمة ، فقتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة . ووهم من ضبطه بالحاء » . ط : « الرحال » ، صوابه فى ش .

اصْبِرِ النفسَ عندَ كلِّ مُلِمٍّ
إنَّ فى الصَّبر حيلةَ المحتالِ
لا تَضِيقنَّ بالأمور فقد يُكـ
شَفُ غمَّاؤها بغير احتيالِ
ربَّما تَكره النفوسُ من الأمـ
ـرِ له فَرجةٌ كحلِّ العِقالِ
قد يُصاب الجبانُ فى آخر الصَّـ
ـفِّ وينجو مُقارعُ الأبطالِ)

ورواها صاحب (الحماسة البصرية [(١)]) لحُنَيْف بن عُميرٍ المذكور ، وقيل إنها لِنهار ابن أخت مُسيلمةَ الكذَّاب ، لعنَهُ الله . ونسَبها العينىُّ لأمية بن أبى الصَّلت . وهذا لا أصل له .

وقوله : « يا قليلَ العزاءِ » هو بالفتح ، بمعنى الصبر والتجلُّد .

وقوله : « اصبر النفسَ » أى احبِسْها . والملمُّ : الحادثُ من حوادث الدهر ، وهو اسم فاعل من ألَمَّ ، إذا نزل . وغَمَّاؤها : مبهَمُها ومُشكلها ؛ وهو بالغَين المعجمة ، يقال أمر غُمَّةٌ أى مُبهم ملتبس . ويقال صُمْنا للغُمَّى ، بفتح الغين وضمها ، وصمنا للغَمّاء على فعلاءَ ، بالفتح والمدِّ ، إذا غُمَّ الهلال على الناس وستره عنهم [غيمٌ [(٢)]] ونحوه . وصحَّفه العينى فقال : عماؤها بالعين المهملة وتشديد الميم للضرورة . والعَمَاءُ [(٣)] فى اللغة : السَّحاب الرَّقيق سمِّى بذلك لكونه يُعمى الأبصارَ عن رؤية ما وراءَه . وأراد بها ما يَحُول بين النفس ومرادها . هذا كلامه .

---

(١) الحماسة البصرية ٢ : ٧٧ — ٧٨ .
(٢) التكملة من ش .
(٣) ط : « والعما » ، صوابه فى ش .

قال السيوطىُّ (فى شرح شواهد المغنى) : أخرج ابن عساكر من طريق الأصمعى قال : قال أبو عمرو بن العلاء : هرَبت من الحَجَّاج فسمعتُ أُعرابيًّا يُنشد :

يا قليلَ العزاءِ فى الأهوالِ وكثيرَ الهمومِ والأوجالِ

إلى آخر الأبيات . فقلت : ما وراءكَ يا أعرابى ؟ فقال : مات الحجَّاج ! فلم أدرِ بأيِّهما أفرحُ : أَبموتِ الحجاج أم بقوله فَرجة ؟ لأنِّى كنت أطلبُ شاهداً لاختيارى القراءةَ فى سورة البقرة : ﴿ إلا من اغْترفَ غَرْفة [1] ﴾ بالفتح . انتهى .

وقد رُويت قصة أبى عمرو بن العلاء هذه على وجوهٍ مختلفة منها رواية الصاغانى (فى العباب) قال : قال الأصمعىّ : سمعتُ أبا عمرو بن العلاء وكان قد هرب من الحجاج إلى اليمن يقول : كنتُ مختفياً لا أُخرجُ بالنهار فطال علىَّ ذلك ، فبينَا أنا قاعدٌ وقتَ السَّحر مفكراً سمعتُ رجلاً ينشدُ وهو مارٌّ :

ربمَّا تَكره النفوسُ من الأمـ
ـرِ له فَرجةٌ كحلِّ العِقالِ

ومرَّ خَلْفَه رجلٌ يقول : مات الحَجَّاج ! قال أبو عمرو : فما أدرى بأيِّهما كُنت أفرحَ ، أَبموت الحجَّاج ، أم بقوله : فَرْجَة بفتح الفاء ، وكنا نقوله بضمِّهَا . ا هـ .

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة . وقراءة الفتح هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو . ووافقهم ابن محيصن واليزيدى والشنبوذى . الإتحاف ١٦١ وتفسير أبى حيان ٢ : ٢٦٥ . والخبر كذلك فى معجم المرزبانى ٢٤٣ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٤١ .

٥٤٥ ومنها ما رواه الدماميني (في الحاشية الهندية) قال : يُحكى عن أبي عمرو بن العلاء أنَّه كان له غلامٌ ماهر في الشِّعر ، فَوُشِيَ به إلى الحجاج فطلبَهُ ليشتريَه منه . قال : فلما دخلتُ عليه وكلَّمني فيه قلت : إنَّه مُدَبَّر . فلمَّا خرجتُ قال الواشي : كَذَب . فهربتُ إلى اليمن خوفاً من شرِّه ، فمكثتُ هناك وأنا إمامٌ يُرجَع إليَّ في المسائل ، عَشْرَ سنين ، فخرجتُ ذاتَ يوم إلى ظاهر الصَّحراء فرأيتُ أعرابيًّا يقول لِآخر : ألا أبَشِّرك ؟ قال : بلى . قال : مات الحجَّاج ! فأنشده :

ربمَّا تَكره النفوسُ من الأمـ
ـر له فَرْجَةٌ كحلِّ العِقالِ

وأنشده بفتح الفاء من « فَرجة » . قال أبو عمرٍو : لا أدري بأيِّ الشيئين أفرحُ ، أبموت الحجَّاج أم بقوله فَرْجة بفتح الفاء ، ونحن نقول فُرجة بضمِّها ، وهو خطأ . وتطلبت ذلك زماناً في استعمالاتهم . قال أبو عمرو : وكنت بقوله : فَرجة أشدَّ مني فرحاً بقوله : مات الحجَّاج . ا هـ .

كذا ساق الحكاية . وفي قوله في آخرها : « وهو خطأ » نظرٌ لا يخفى .

والمشهور أنَّ سببَ هروب أبي عمرو إلى اليمن طلبُ الحجَّاج منه شاهداً من كلام العرب لقراءته : ﴿ غَرفة ﴾ بالفتح ، فلما تعذَّر عليه هرب إلى اليمن . ولم تحضُرني الآن هذه الرواية .

تتمـــة

روى السيد المرتضى رحمه الله : (في أماليه الغرر والدرر [١]) عن

---

(١) أمالي المرتضى ١ : ٤٨٦ .

الصُّولى أنَّ منشدًا أنشد إبراهيم بنَ العَبَّاس ، وهو فى مجلسه فى ديوان الضِّياع :

* ربما تكرهُ النُّفوسُ مِن الأمر * البيت

قال : فنكَتَ بقلمه ساعةً ثم قال :

ولرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفَتى
ذَرعاً وعند الله منها المخرجُ
كَمُلَتْ فلمَّا استحكمَتْ حَلَقاتُها
فُرِجَتْ وكان يظنُّها لا تفرجُ

فعجب من جَودة بديهته . اهـ .

* * *

وأُنشد بعده :

(لأمرٍ مايسَوَّدُ من يَسُودُ)

على أنَّ ما هنا لإفادة التعظيم . ويسوَّدُ بالبناء للمفعول ، أى يُجعَل سيداً .

وهذا عجزٌ وصدره :

(عزمتُ على إقامة ذى صَبَاحٍ [١])

وقد تقدَّم الكلامُ عليه فى الشاهد السبعين بعد المائة من باب المفعول فيه [٢] .

* * *

(١) ط : « ذى صداء » ، صوابه فى ش والخزانة ٣ : ٨٧ .
(٢) الخزانة ٣ : ٨٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الأربعمائة [١] :

٤٣٨ (فكَفَى بنا فضلاً على مَنْ غَيْرُنا
حبُّ النبِّى محمدٍ إيَّانا)

على أنّ (مَنْ) نكرة موصوفة بمفرد ، وهو قوله (غيرنا) .

قال سيبويه : قال الخليل رحمه الله : إنْ شئت جعلتَ مَن بمنزلة إنسان وجعلت نا بمنزلة شئ نكرتين . وزعم أنَّ هذا البيت مثلُ ذلك :

وكفى بنا فضلاً على مَن غيرنا حبُّ النبىِّ محمدٍ إيانا

وكذا أورده الفرَّاء (فى أوّل تفسيره) من سورة البقرة [٢] .

قال الأعلم : الشاهد فيه حمل غير [٣] على مَنْ نعتاً ، لأنها نكرةٌ
٥٤٦ مبهمة ، فوصفت بما بعدها وصفاً لازماً يكون لها كالصِّلة ، والتقدير : على قومٍ غيرنا . ورفع غيرٍ جائزٌ على أن تكون مَنْ موصولة ، ويحذف الراجعُ عليها من الصلة ، والتقدير : من هو غيرنا . والحبُّ مرتفع بكفى ، والباء فى بنا زائدة مؤكِّدة ، والمعنى كفانا . اهـ .

وأورده ابن الشجرى فى ثلاثة مواضع (من أماليه) قال فى الموضع الثانى : رفع غَير رواية .

---

(١) لم ينص هنا على أنه من شواهد سيبويه . وهو فى سيبويه ١ : ٢٦٩ ومجالس ثعلب ٣٣٠ وتفسير الطبرى ١ : ٤٠٤ والجمل ٣١١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٩ ، ٣١١ وابن يعيش ٤ : ١٢ والمقرب ٤٣ وشرح شواهد المغنى ١١٦ ، ٢٥٢ والعينى ١ : ٤٦٨ والهمع ١ : ٩٢ ، ١٦٧ وديوان كعب بن مالك ٢٨٩ . ولم أجده فى ديوان حسان .

(٢) معانى القرآن ١ : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤٥ .

(٣) ش : « غيره » ، صوابه فى ط والشنتمرى .

وقال فى الثالث [١] : وإنْ رفعتَ غيرُ فإنَّه خبر مبتدأ محذوف ، تريد من هو غيرُنا ، فجعلتَ مَنْ موصولة ، كقراءة من قرأ : ﴿ تمَاماً على الذى أحْسَنُ [٢] ﴾ يريد : هو أحسن .

وقال ابن هشام (فى المغنى) فى بحث مَنْ : ويروى برفع غير ، فيحتمل أنَّ مَن على حالها ، ويحتمل الموصوليَّة . وعليهما فالتقدير : من هو غيُرنا ، والجملة صفةٌ أو صلة . وقال الكسائى : من هنا زائدة وغيرِنا مجرور بعلى . نقله العينى عنه .

وأورده ابن هشام (فى المغنى) على أنَّ الباء قد زيدت فى مفعول كفى المتعدِّية لواحد ، ومنه الحديث : « كفى بالمرءِ إثْماً أن يُحدِّثَ بكلِّ ما سمع » . وقيل : إنَّما هى فى البيت زائدةٌ فى الفاعل ، وحبُّ بدل اشتمال على المحلّ . اهـ .

قال المرادىّ : صاحب هذا القِيل ابنُ أبى العافية . وعلى هذا حمل بعضهم قولَ المتنبِّى :

كفى بجسمى نُحولاً أنَّنى رجلٌ

لولا مخاطبتى إياكَ لم تَرنى

ونقل ثعلب (فى أماليه) عن المازنى أنَّ زيادة الباء فى قوله : « فكفى بنا » شاذّ ، وإنَّما تدخل الباء على الفاعل .

وحُبُّ النبىّ فاعل كفى ، و (مُحَمَّدٍ) عطف بيان للنبى ، وحبُّ

---

(١) هذا الموضع الثالث لم أعثر عليه فى أمالى ابن الشجرى ، فهو مما سقط من النسخة المطبوعة .

(٢) الآية ١٥٤ من الأنعام .

مصدر مضاف إلى فاعله ، وإيانا مفعوله ، و (فضلاً) : تمييز محوَّل عن الفاعل ، والأصل كفانا فضلُ حبِّ النبى ﷺ .

وقال الدماميني : فضلاً حال وتنوينه للتفخيم ، أى كفانا حبُّ النبى حالة كونه فضلا عظيما . ولا يصحُّ كونه مفعولاً ثانياً لكفى ، لفساد المعنى . انتهى .

وروى بدله : (شرفاً) ، وهُمَا بمعنى المزيّة والفضيلة .

صاحب الشاهد وهذا البيت لكعب بن مالك شاعرِ رسول الله ﷺ ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والستين [١] . ونُسب إلى حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضاً ؛ ولم يوجد فى شعره . قال ابن هشام اللخمى (فى شرح شواهد الجمل) : وقيل : هو لعبد الله بن رَوَاحة الأنصارى . وقيل : لبشير بن عَبْد الرحمن بن كعب بن مالك .

وهو مع كثرة وجوده فى كتب النحو لم يذكر أحدٌ ماقبله ، إلاَّ السُّيوطى (فى شرح شواهد المغنى) ، وهو :

(نصَرُوا نبيَّهـمُ بنصرِ وليِّهِ
فاللهُ عزَّ بنصرِهِ سَمَّانا)

يعنى أنّ الله عز وجل سمَّاهم الأنصارَ لأنهم نصروا النبىَّ ﷺ ومن والاه . والباء فى « بنصر وليِّه » بمعنى مع .

---

(١) الخزانة ١ : ٤١٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الأربعمائة [١] :

٤٣٩ (ربَّ مَنْ أنضجْتُ غيظاً صدرَه
قد تَمنَّى لىَ موتاً لم يُطَعْ)

على أنَّ جملة (أنضجْتُ) فى موضع جرّ على أنهَا صفة لمن ، لأنَّها نكرة بمعنى إنسان ، بدليل دخول ربَّ عليها .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ إنْ كلُّ مَنْ فى السّٰموات والأرضِ إلَّا آتِى الرَّحمنِ عَبْداً [٢] ﴾ على أنَّ من فيها نكرةٌ موصوفة بالظرف ، لأنَّها وقعت بعد كلّ كوقوعها بعد ربَّ فى البيت .

قال ابن هشام (فى المغنى) : زعم الكسائى أنَّ مَنْ لا تكون نكرةً إلا فى مَوضعٍ يخصُّ النكرات . ورُدَّ بقوله :

* فكفى بنا فضلاً عَلَى مَنْ غيرنا *

وبقول الفرزدق :

إنّى وإيَّاكَ إذْ حلّت بأرْحُلنا ٥٤٧
كَمنْ بِوادِيه بعدَ المَحْلِ ممطورِ [٣]

أى كشخص ممطورٍ بواديه ، لأنَّ مجرور عَلَى والكاف لا يجب أنْ يكون نكرة . وقد خُرِّجَ مَنْ فيهما على الزيادة ، وذلك شئٌ لم يثبت .

وروى أيضاً :

ربمَّا أُنضجتُ غَيظاً قلب مَنْ قد تمنَّى ..... إلخ

(١) ابن الشجرى ٢ : ١٦٩ وابن يعيش ٤ : ١١ وشرح شواهد المغنى ٢٥٢ والشذور ١٣١ والهمع ١ : ٩٢/٢ : ٢٦ والأشمونى ١ : ٥٤ والمفضليات ١٩٨ .

(٢) الآية ٩٣ من مريم .

(٣) ديوان الفرزدق ٢٦٣ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٢٦٩ .

فلا شاهدَ فيه ، وما حينئذ كافة مهيِّئة لدخول ربَّ عَلَى الجملة . ومجرور ربَّ هنا فى محل رفع على الابتداء ، والخبر إمَّا قد تمنَّى ، ولم يُطَعْ خبر بعد خبر ، وإمَّا لم يطع وجملة قد تمنَّى صفه ثانية . وإنضاج اللحم : جعله بالطَّبخ [أو الشيّ [1]] مستوياً يمكن أكله ويحسُن ، وهو هنا كناية عن نهاية الكمَد الحاصِلِ للقلب ، أو استعارة . شبَّه تحسيرَ القلب وإكماده بإنضاج اللحم الذى يؤكل . وغيظاً إمَّا مفعول لأجله أى أنضجت قلبه لأجل غيظى إيّاه ، وإمَّا تمييز عن النسبة ، أى أنضج غيظى إيّاه قلبه ، وهو مصدر غاظَه ، إذا أغضبَه . قال ابن السِّكِّيت : ولا يقال أغاظه . وأثبته صاحبُ القاموس قال : يقال غاظُه وغَيَّظه وأغاظه . ورُوِىَ : « قلبَه » موضع « صدرَه » المرادِ بِهِ قلبه ، وروى أيضا : « كِبْدَه » .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من قصيدةٍ طويلة ، عدَّتها مائة بيت وثمانية أبياتٍ ، لسويد ابن أبى كاهل اليشكُرىّ ، مسطورةٍ فى المفضليَّات ، مطلُعها :

(بسطَتْ رابعةُ الحَبْلَ لنَا
فوصَلْنَا الحبلَ منها ما اتَّسعْ)

وهذه أبياتٌ منها بعد الشاهد المذكور . قال ابن قُتيبة فى ترجمة سويد (من كتاب الشعراء) : كان الحجاج تمثَّل يوم رُسْتَقَاباد [2] على المنبر بأبياتٍ من شعره ، وهو قوله :

(ربَّ مَن أنضجتُ غيظاً قلبَه قد تمنَّى لىَ موتاً لم يُطَعْ
ويرانى كالشَّجا فى حَلقه عسِراً مخرجُه ما يُنتزَعْ

(١) أو الشى ، من ش فقط .

(٢) الذى فى الشعراء ٣٨٤ ومعجم البلدان : « رستقباذ » ، والدال والذال متعاقبتان . وقال ياقوت : « من أرض دستوا : بلدة بفارس » .

مُزبِد يَخطِرُ ما لم يرنى فإذا أُسمعتُه صوتى انقَمَعْ
قد كفانى اللهُ ما فى نفسه ومتى ما يكفِ شيئاً لم يُضَعْ
لم يَضِرنْى غير أن يَحْسُدَنى فهو يزقُو مثل مَا يزقُو الضُّوَعْ
ويحيِّينِى إذا لاقيتُـــه وإذا يخلو له لحمى رَتَعْ
كيف يَرجُون سِقاطى بعدما جَلّلَ الرأسَ مَشيبٌ وصَلَعْ)

قال ابن الأنبارى (فى شرح القصيدة) : روى أيضا :

* ربَّما أنضجت غيظاً قَلْبَ مَنْ * ... إلخ

والشجا : الغَصَص ونحوهُ . ومُزْبد من أزبد . وأصل الخَطْر فى الناس : تحريك اليدين فى المشْى والاختيالُ بهما . وانقمع : دخَل بعضُه فى بعض . والمعنى أنَّه يتعظم إذا لم يرنى ، فإذا رآنى تضاءل . والضُّوَع بضم الضاد : ذكَر البُوم . ويَزقُو : يصيح . ورَتَعَ : أكل . والسِّقاط : الفَترة . يقول على طريق التعجُّب : كيف يؤمِّلون فترتى وسَقَطى وقد بلغتُ هذه السِّنّ .

وسويد هو ابن أبى كاهل ، واسمه غُطَيف بن حارثة بن حِسْل بن مالك سويد بن أبى كاهل
ابن عبد سعد بن عدىّ بن جُشمَ بن ذُبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل . ويكنى أبا سعد ، وفى ذلك يقول :

أَنا أبو سعدٍ ، إذا الليلُ دَجا
دخلتُ فى سِرباله ثُمَّ النَّجا

ويقال اسم والده شَبيب . وهو شاعرٌ مقدَّم مخضرم ، أدرك الجاهليَّةَ ٥٤٨
والإسلام . عدَّه ابن سَلاَّمٍ الجُمَحىُّ فى الطبقة السادسة ، وقرنه بعنترةَ العبسى . قال أبو نصر أحمد بن حاتم : قرأت شعر سُويدٍ على الأصمعىّ ، فلما بلغت قصيدتَه التى أوَّلُها :

بَسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتَّسعْ

فضَّلها الأصمعيُّ وقال : كانت العرب تفضلِّها وتقدِّمها ، وتعدُّها من حكمها ، وكانت فى الجاهلية تسمَّى « اليتيمة » ، لمَا اشتملتْ عليه من الأمثال . وعاش سويدٌ فى الجاهلّية دهراً ، وعُمِّر فى الإسلام ستِّين سنة بعد الهجرة إلى زمن الحجّاج . كذا فى الإصابة .

وهو من المعمَّرين ، ولم يذكره أبو حاتم (فى كتاب المعمرين) .

وكان زيادٌ الأعجم قد هجا بنى يشكُر بقوله :

إذا يشكرىٌّ مَسَّ ثَوبَكَ ثوبُه فلا تذكرنَّ اللّهَ حتَّى تَطَهَّرا
فلو أنَّ مِن لُؤمٍ تموتُ قبيلةٌ إذا لَأَماتَ اللُّؤْمُ لا شكَّ يشكُرا

فأتت بنو يَشكُرَ [تشكو (١) ء] سويداً ليهجُوَ زياداً ، فأبى سويدٌ ، فقال زياد :

وأُنبئتهمْ يَستصرخون ابنَ كاهلٍ وللُّؤمِ فيهم كاهلٌ وسَنامُ
فإن يأتنا يرجعْ سُويدٌ ووجهُه عليه الخزايا غُبْرةٌ وقَتامُ
دعىٌّ إلى ذُبيان طوراً وتارةً إلى يشكرٍ ، ما فى الجميع كِرامُ

فقال لهم سُويد : هذا ما طلبتم لى ؟ وكان سويدٌ مغلَّبا .

وأمّا قول زياد الأعجم « دعىٌّ » فإنَّ أمَّ سويد كانت قَبل أبى كاهل عند رجلٍ من بنى ذُبيان بن قيس ، فمات عنها فتزوَّجها أبو كاهل ، وكانت فيما

---

(١) التكملة من ش . والمعنى : أتت سويدا شاكية .

يقال حاملاً ، فلما وَلدتْه استلحقَه أبو كاهل وسمَّاه سُويدا ، وكان سُويدٌ إذا غضب على بنى يشكر انتمى إلى ذبيان ، وإذا رضىَ عنهم أقام على نَسَبِه فيهم .

وهاجى سويدٌ حاضرَ بن سَلمة العنزى ، فطلبهما عبدُ الله بن عامر فهربا من البصرة . ثم هاجَى الأعرجَ أخا بنى حماد بن يشكر (١) ، فأخذهما صاحبُ الصّدقة فى أيام وِلاية عامر بن مسعود الجمحىِّ الكوفة ، فحبسهما وأمر أن لا يخرجا من السِّجن حتَّى يؤدّيا مائةً من الإبل ، ففكّ بنو حمَّاد صاحبَهم وبقى سُويد ، فخذله بنو عبدِ سَعد (٢) وهم قومُه ، فلم يزل محبوساً حتَّى استوهَبتْه عبسٌ وذبيان لمديحه لهم ، وانتمائه إليهم ، وأطلقُوه بغير فداء . وحَلَفَ أن لا يعود .

وهذه أبياتٌ من قصيدةٍ انتهى فيها إلى ذبيانَ ومدحهم :

أنا الغطفانىّ ابنُ ذبيانَ فابعُدوا ... وَللَّزنجُ أُدنى منكُمُ ويُحابِرُ
أبتْ لىَ عبسٌ أن أُسامَ دَنيَّةً ... وسعدٌ وذبيانُ الهجانُ وعامرُ (٣)
وحىٌّ كرامٌ سادةٌ من هَوازنٍ ... لهم فى الملمَّاتِ الأنوفُ الفواخرُ (٤)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الأربعين بعد الأربعمائة (٥) :

---

(١) لم أعثر عليهم فى كتب الإنساب . والذى فى الأغانى ١١ : ١٦٧ : « أخا بنى جمال بن يشكر » .

(٢) فى الأصل : « بنو سعد » ، وما أثبت من الأغانى هو ما يتفق مع نسبه السابق ص ١٢٥ .

(٣) سعد هؤلاء ، هم سعد بن ذبيان . وكان سويد إذا غضب على بنى يشكر قومه ادَّعى إلى بنى ذبيان ، كما سبق .

(٤) ط : « الملامات » ش : « بالملامات » صوابهما فى الأغانى ١١ : ١٦٦ . وفى الأصل : « الأنوف النواخر » ، والوجه ما أثبت من الأغانى .

(٥) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣١٢ وشرح شواهد المغنى ٢٥٣ والهمع ١ : ١٢ .

٤٤٠ (آلُ الزُّبيرِ سَنامُ المجدِ قد عَلِمَتْ
ذاكَ العشيرةُ والأثْرَوْنَ مَنْ عَدَدَا)

على أن (مَنْ) عند الكوفيين حرف زائد ، أىْ : والأثرون عددا . وهى عند البصريين موصوفة ، أى والأثرون إنساناً معدودا .

٥٤٩ وهذا الجواب أورده الفالى (١) (فى شرح اللباب) ، قال : يجعل عدداً مصدراً بمعنى المفعول ، أى معدوداً ، فتكون صفةً مفردة . فمن اسمٌ موصوفٌ بمفرد ، كقوله :

* فكفى بنا فضلاً على مَنْ غيرِنا *

ويجوز أن تكون موصوفة بجملة محذوفة ، وذلك أنَّ عددا مفعول مطلق وعامله محذوف ، تقديره يُعدّ عدداً بالبناء للمفعول . والجملة صفة مَنْ ، أى إنسانا يعدّ عدداً . وعلى هذا الجواب اقتصر صاحب اللباب ، وابن الشجرى (فى أماليه) قال : زاد الكسائىُّ فى معانى مَنْ قسماً آخر ، وهو أنها قد جاءت صلة – يعنى زائدة – وأنشد :

* والأثرَوْنَ مَنْ عَدَدا *

وقال غيره : معناه والأثرون من يُعَدُّ عددا ، فحذف الفعل واكتفى بالمصدر منه ، كما تقول : ما أنت إلاّ سيراً . فمَنْ فى هذا القول نكرةٌ موصوفة بالجملة المحذوفة ، فالتقدير : والأثرون إنسانا يُعَدّ . اهـ .

---

(١) فى الأصل : « القالى » صوابه بالفاء كما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ . وانظر هذا الجزء ص ١٠٠ .

وأجاب بهما ابن هشام (فى المغنى) فقال : عدداً إمَّا صفةٌ لمن على أنّه اسمٌ وضع موضع المصدر ، وهو العدّ ، أى والأثرون قوماً ذوى عدَدٍ (١) أى قوماً معدودين . وإما معمول ليعدّ محذوفا صلة أو صفة لمن ، ومن بدل من الأثرَوْن . اهـ .

وإنَّما نصبوا تفسير مَنْ ، وهو قولهم : إنساناً أوْ قوما ، لأنَّ مَن تمييز . وعلى قول الكوفيين من زائدةٌ وعَدداً هو التمييز . وفى تخريجهم نظرٌ لا تخفى سماجتُه ، مع أنَّه ليس فيه كبير مدح ؛ فإنَّ مراد الشاعر أنَّ آل الزُّبَيْر سَنَام المجد والأكثرون عدداً ، فإنَّ أتْباعهم أكثُر من أتْباع غيرهم عدداً ، إلا أنَّهم يُعدُّون عدداً ؛ فإنّ من يُعَدُّ قليل ، والقِلَّة لا فخر فيها ولا مدح .

وجَعْلُ ابنِ هِشامٍ مَنْ بدلاً من الأثرَوْن على تقدير الفعل ، لا وجَه له ، إذْ لا فرق فى المعنى بين قولنا قوما معدودين وبين قوما يُعَدُّون . فتأمَّل . ونقلُه كونَها اسماً فى حال الزيادة ، يخالفه صريحُ نقل الشارح المحقِّق ، وصريحُ كلام ابن الشجرى . وتخريج الكوفيين خالٍ عن التعسُّف مع صحة معناه ، ومتانة مغزاه .

وقال الأندلسى (فى شرح المفصل) : الرواية عند البصريِّين : « والأثرَوْنَ ما عددا » ، وزيادة « ما » جائزة لا اختلاف فيها (٢) .

وقوله : (آل الزبير) مبتدأ و(سنام المجد) خبره ، و (الأثرَوْن) معطوف على الخبر ، وجملة (قد علمت ذاك العشيرة) اعتراضية لتقوية المعنى

(١) ط : « ذوى عد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « لا خلاف فيها » ، وأثبت ما فى ش .

وتسديده ؛ و (ذاك [١]) مفعول علمت ، وهو إشارة إلى كونهم سَنام المجد والأكثرين عددا . و (العشيرة) فاعل علمت ، وروى بدله (القبائل) أى قبائل العرب . وعلم هنا متعدٍّ لمفعول واحد ، لأنه بمعنى عرف . و (سنام المجد) : أعلى المجد ، استعير من سَنام الإبل . و (الأثرَوْن) : جمع أثرى ، وهو أفعل تفضيل من ثَرِيتُ بك بكسر الراء ، أى كَثُرْتُ بك . قاله فى الصحاح .

وهذا البيت مع كثرة دَوَرانه فى كتب النحو لا يُعرف له قائل ، ولا تتمة . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٤١ (ياشاةَ مَنْ قَنَصٍ لَمنْ حَلَّتْ له

حَرُمَتْ علىَّ وليتَها لم تَحْرُمِ)

على أنَّ (مَنْ) عند الكوفيين زائدة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : مَنْ هنا أيضا نكرة موصوفة بمفرد ، أى ياشاةَ إنسانٍ قَنَص ، على أنه من الوصف بالمصدر للمبالغة .

يريد أنَّ قنصا مصدر بمعنى الصَّيد أريد به اسم الفاعل ، أى ياشاة إنسان قانص . وأراد بالإنسان نفسه . وهذا تخريجٌ جيد لا مطعنَ فيه ، والمشهور فيه كما قال الشارح المحقق : « ياشاة ما قنصٍ » بزيادة ما ، وهى رواية ٥٥٠ شُرَّاح المعلّقات ، ولم يروِ أحد منهم الرِّواية الأولى ، فإنَّ البيت من معلقة عنترة ابن شدَّاد العبسى .

---

(١) ط : « وذلك » ، صوابه فى ش .

(٢) شرح شواهد المغنى ٢٥٢ . والبيت من معلقة عنترة المعروفة .

و (الشاة) هنا : كناية عن المرأة ، والعرب تكنى عنها بالنَّعجة أيضا .

وقد أورده صاحب الكشاف برواية (ما) عند قوله تعالى : ﴿ إنَّ هذا أخى له تِسْعٌ وتِسعُونَ نَعْجَةً (١) ﴾ ، على أنّ النعجة استُعيرت للمرأة ، كما استعار عنترة للشّاة ، فقنصٍ على هذه الرواية مصدرٌ بمعنى المفعول ، وهو مجرور بإضافة شاة إليه . وفى زيادةِ ما وتنكير قنصٍ ما يدلُّ على أنّها صيدٌ عظيم يَغتبِط مَن يَحُوزها أىَّ اغتباط ، فيكون (٢) فى قوله (حَرُمَتْ علىَّ) الدلالة على التحزُّن التامِّ على فواتِ تلك الغنيمة .

قال الخطيب التِّبريزىُّ فى شرح هذه المعلقة : قوله (لمن حَلَّتْ) أى لمن قدر عليها . وقوله : (حَرُمَت علىّ) معناه هى من قوم أعداء . ويدلُّ على هذا قوله فى القصيدة :

* عُلِّقتُها عَرَضاً وأقتلُ قومَها *

والمعنى : أنّها لمّا كانت فى أعدائى لم أصلْ إليها وامتنعَتْ منِّى . وأصل الحرام الممنوع . والمعنى : أنّها حرمت علىّ باشتباك الحرب بينى وبين قبيلتها . وقوله : (وليتَها لم تحْرُمِ) هو تمنٍّ فى بقاء الصلح . وقال الأخفش : معنى حرمت علىَّ : أى هى جارتى ، وليتها لم تحْرُمْ : أى ليتها لم تكن جارةً حتَّى لا يكون لها حرمة .

وقال الزوزنى فى شرحه : هى امرأة أبيه ، يقول : حرُم علىَّ تزوُّجها لتزوُّج أبى إيَّاها ، وليتها لم يتزوَّجها حتى كانت تحلّ لى . اهـ .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة ص .

(٢) ش : « فيكون » بالياء .

أقول : لا ينبغي أن يَذكر هذا ، فإنَّ التزوُّجَ بامرأة الأب كان جائزاً فى الجاهلية ، ويشهد له القرآن (١) . و (شاة) بالنصب ، لأنَّه منادًى مضاف عند أبى جعفر النحوىّ ، ومفعولٌ لفعل محذوفٍ مع المنادى عند الزوزنى ، قال : التقدير : يا هؤلاء اشهدُوا شاةَ قنص لمن حَلَّت له ، فتعجَّبُوا من حسنها وجمالها ، فإنَّها قد حازت الجمال . والمعنى : هى حسناءُ جميلة .

وترجمة عنترة قد تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب .

وقد أورد البدر الدمامينى هنا أبياتاً قد ضُمِّن فيها البيتُ الشاهد ، قال : أنشدنى شيخُنا شمس الدين الغُمارىّ إجازةً قال : أنشدنى أبو حَيَّانَ قال : أنشدنا جعفر بن الزُّبير قال : أنشدنى القاضى أبو حفص عُمر بن عُمر الفاسىُّ لنفسه ، وقد أُهدِيتْ إليه جارية فوجدها ابنةَ سُرِّيَّةٍ كان تسرَّاها ، فردَّها وكتب إلى مهديها :

يا مُهدِىَ الرشأ الذى ألحاظُه ... تَركتْ فؤادى نَصْبَ تلك الأسهم
ريحانةٌ كلُّ المنى فى شَمِّها ... لولا المهيمنُ واجتنابُ المَحْرمِ
ما عَنْ قِلىً صُرِفتْ إليك ، وإنّما ... صيدُ الغزالة لم يُبَحْ للمحرمِ
إنَّ الغزالة قد علمنا سرَّها ... قبلَ المهاةِ ، وليتنا لم نَعلمِ
يا ويحَ عنترةٍ يقولُ وشفَّهُ ... ما شَفَّنى فشَدا ولم يتكلَّمِ
« ياشاةَ ماقنصٍ لَمنْ حَلَّتْ له ... حَرُمَتْ علىَّ وليتها لم تحرمِ »

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الأربعمائة (٢) :

٤٤٢ (أو تُصْبِحى فى الظَّاعِنِ المُوَلِّى)

---

(١) يعنى الإشارة التى فى قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاَّ ما قد سلف » . سورة النساء ٢٢ .

(٢) نوادر أبى زيد ٥٣ .

على أنّ (أل الموصولة) المستعملة فى الجمع إذا لم تصحب موصوفها يجوز مراعاةُ لفظها كما هنا ، إذ المراد : فى الظاعنين المولّين . ويجوز أن يكون ٥٥١
الإفراد باعتبار أنَّ موصوفَها المقدَّر مفردُ اللفظ ، أى فى الجمع الظاعن ؛ وإنّما حُمِلَ أل فى الوصفين على الجمع لأنَّ المعنى دلّ على أنَّ المراد : إن تصبحى راحلةً مع الظاعنين . وليس لإفرادهما معنىً بدون ما ذكره الشارح المحقّق .

وذهب أبو على الفارسىّ (فى المسائل البصرية) إلى أنَّ الجمعية مستفادةٌ من كون أل للجنس ، لا أنَّها تدلُّ عليها وضعاً ، قال : أنشد المازنى :

* أو تصبحى فى الظَّاعن المولِّى *

وفَسَّرَه بالظاعنين . وسألنى أبو يعقوبَ الماوردىُّ : إذا حسُن أن تكون [1] اللام للجمع فى الظاعنين دالَّةً على الجمع فيه على قول المازنىّ وابن السَّرَّاج ، فلم لا يحسنُ ذلك فى الظاعن مع إفراد ظاعِن ، كما جاز ﴿ مثَلِ الذى استوقَد نارًا فلمّا أضاءَتْ ما حَوْله [2] ﴾ ؟ فقلت له : الفرق بينهما أنَّ ذلك فى الذى اتساع ، وأنَّه لم يخلُ ذلك من دليل يدلُّ عليه ملفوظٍ به . ألا ترى أنَّه قال : فلمَّا أضاءت ما حوله ! وقال :

* إنَّ الذى حانت بفَلْج دماؤهمْ *

واللام محمولةً على الذى اتساعاً ، فلا تحتمل من الاتساع ما يحتمله الأصل . ألا ترى أنَّ حملها على الذى اتساعٌ فيها ، حتَّى قال أبو عثمان : ليست بمعنى الذى ، ولكنها دالَّة على الذى . وتوالى الاتِّساع مرفوض ، وإذا لم

(١) ش « يكون » .

(٢) الآية ١٧ من سورة البقرة . ونصها : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » . والاكتفاء ببعض النص القرآنى جائز .

يحسن أنْ يجعل بمنزلة الذى فى هذا ، فأَنْ لا تحسن أن تجعل بمنزلة الذى فيه مع تعرِّيها من دليل يدلُّ عليه أولى ، وإنَّ الذى ، لا يسوغ ذلك فيها متعرِّيةً من دليل . ا هـ .

وفيه نظر من وجهين :

الأوّل : أنَّ قوله اللام محمولة على الذى اتساعاً ممنوعٌ ، فإنَّها موضوعة لمعنى الذى وفرعيه بالاشتراك ، وليست محمولةً على الذى .

والثانى : قوله وتوالى الاتِّساع مرفوضٌ ، ممنوع أيضاً ، فإنَّ المجاز وهو من الاتِّساع فى اللغة ، قد يُتجوَّز به إلى مجازَين أو أكثر .

وكذلك ذهب ابن الشجَرىّ (فى أماليه) إلى أنَّ الجمعية مستفادةٌ من لام الجنس ، قال : والشَّكور من قوله تعالى : ﴿ وقليلٌ من عبادىَ الشَّكُورُ [(١)] ﴾ اسمُ جنس ، والمعنى : وقليلون من عبادى الشكورون . وكون اسم الجنس مشتقًّا قليل ، وإنَّما يغلب على أسماءِ الأجناس الجمود ، كالدينار والدِّرهم ، والقفيز والإردبِّ . إلى أنْ قال : وممَّا جاء من المشتقِّ يراد به الجنس : المفْسِد والمُصلح ، فى قوله تعالى : ﴿ والله يَعْلَم الْمُفْسِدَ من المُصْلِح [(٢)] ﴾ أى المفسدين من المصلحين . ومنه قول الراجز :

* أو تُصبحى فى الظاعِنِ المولِّى *

أراد : فى الظاعنين المولِّين . وقولُ الأخيليَّة :

---

(١) الآية ١٣ من سورة سبأ .
(٢) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

كأن فتى الفتيانِ توبةَ لم يُنِخْ
بِنجدٍ ولم يَهْبط مع المتغوِّرِ [1]

أرادت : مع المتغوِّرين . ا هـ .

والبيت من أرجوزةٍ أورد بعضَها أبو زيد (فى نوادره) ، وهذا مقدارُ ما أوردَه :

(إنْ تَبخَلى ياجُمْلُ أو تعتلِّى أشطار الزجر
أو تُصْبحِى فى الظاعن المولِّى
نُسَلِّ وجدَ الهائم المغتـلِّ
ببازِلٍ وَجنـاءَ أو عَيْهَـلِّ
كأنَّ مَهواها على الكلكلِّ
ومَوقعـاً من ثَفِنـاتٍ زُلِّ
موقعُ كَفَّىْ راهبٍ يُصلِّى)

وأورد ابنُ الاعرابى (فى نوادره أيضاً) هذا المقدار ، وزاد عليه بعدَه ، وهو :

(فى غَبشِ الصُّبح وفى التجلِّى) ٥٥٢

وقال أبو زيد بعد إيراده الأبيات : المغتلّ : الذى اغتلَّ جوفُه من الشَّوق والحب والحُزْن ، كغُلَّة العطش . والوجْناء : الوثيرة القصيرة . والعَيْهَلُّ : الطَّويلة . والزُّلّ : المُلْس . اهـ .

(١) ط : « لم يتح » صوابه فى ش وديوان ليلى ٧٢ .

وقوله : « إنْ تبخلى » هو من البُخل ، أى إن تبخلى علينا بوصلك . وجُمْل ، بضم الجيم ، من أسماء نساء العرب . وتَعتلّى ، من الاعتلال ، وهو التمارُض والتمسُّك بحجّة . والظاعن ، مِن ظعنَ من باب نفع ، إذا ارتحل . والمولّى ، من ولَّيت عَنه ، إذا أعرضتَ عنه وتركتَه . وتعتلّى وتصبحى معطوفان على تبخلى ، ولهذا جُزِما بحذف النون .

وقوله : « نُسَلِّ » جواب الشرط ، مجزوم بحذف الياء وأوّله نون المتكلم ، من التسلية ، وهو إذهاب الهمّ ونحوِه بالسلوّ . قال أبو زيد : السُّلُوّ : طيب نفس الإلف عن إلفه . والوجد : الغمُّ والحزن . والهائم ، أراد به الشاعر نفسَه ، وهو من هام ، إذا خرجَ عَلَى وجهه لا يدرى أين يتوجَّه إن سلكَ طريقاً مسلوكاً ، فإنْ سلك طريقاً غير مسلوك فهو راكبُ التعاسيف . كذا فى المصباح . والمغتَلّ بالغين المعجمة ، من الغُلّة بالضم ، وهى حرارة العطش . وفسر المغتلّ صاحبُ الصحاح بشديد العطش .

وقوله : « ببازل » متعلق بنسلِّ ، والبازل : الداخل فى السنة التاسعة من الإبل ذكراً كان أو أنثى ، والمراد هنا الثانى لقوله وَجْناء . وفسَّرها أبو زيد بالوثيرة ، بالثاء المثلَّثة ، وهى الكثيرة اللحم ، والتى لا تُتِعب راكبَها . والمشهور تفسيرها بالنَّاقة الشديدة . والعيهلّ ، فَسَّره أبو زيد بالطويلة ، وقال غيره : هى السريعة . قال صاحب العباب : العيهلُّ والعيهلَّة : الناقة السريعة . قال أبو حاتم : ولا يقال جمل عيهلٌّ ، وتشديد اللام لضرورة الشعر . ا هـ .

وبه يظهر فساد قول السخاوىّ (فى سفر السعادة) : إن العيهلَّ : النجيبُ من الإبل ، والأنثى عيهلَّة . ويردُّ عليه أيضاً قوله وجناء .

وقوله : « مَهْواها » مصدر بمعنى الهُوىّ والسقوط . والكَلكل ، كجعفر : الصدر ، وتشديد اللام ضرورة أيضاً . وثَفِنات : جمع ثَفِنة بفتح المثلثة وكسر الفاء بعدها نون ، وهو ما يقع على الأرض من أعضاءِ الإبل إذا استناخ وغَلُظ كالركبتين وغيرِهما . وزُلّ بالضم : جمع أزلّ ، وهو الخفيف . وفسَّره أبو زيد بِمُلْسٍ . وهو غير مناسب ، إذ المراد تشبيه الأعضاء الخشنة الغليظةِ من النَّاقة بكثرة الاستناخةِ بكفَّى راهب قد شَثُنت وخشنت ، من كثرة اعتماده عليهما فى السُّجود . وروى : « رِجْلَىْ راهب » بدلَ « كفَّىْ راهب » . والغَبش ، بفتحتين : بقيَّة الليل . وأراد بالتجلِّى النهار .

وهذه أرجوزةٌ طويلة أورد منها شُرَّاح شواهد سيبويه جملةً ، وكذلك أبو على (فى المسائل العسكرية) .

وقوله :

* ببازل وجناءَ أو عيهَلٍّ *

أورده سيبويه فى باب الوقف [١] ، لرجلٍ من بنى أسد ، على أنّ تضعيف الآخِرِ فى القافية ضرورة . قال الأعلم : الشاهد فيه تشديد عيهلّ فى الوصل ضرورة ، وإنما يشدَّد فى الوقف ليعلم أنّه متحرِّك فى الوصل .

قال أبو على (فى المسائل العسكرية) أما العيهلُّ والكلكلُّ فاستعمالهمَا بتخفيف ، فقدّر الوقفَ عليه فضاعف ، إرادةً للبيان . وهذا ينبغى أن يكون فى الوقف دون الوصل ، لأنَّ ما يتَّصل به فى الوصل يبِّين الحرف وحركته . فمن ذلك من قال فى الوقف:هذا خالدّ.فإذا وصل قال : هذا خالدٌ كما ترى .

(١) سيبويه ٢ : ٢٨٢ .

٥٥٣ ويضطر الشاعر فيجرى الوصلَ بهذه الإطلاقات فى القوافى مجرى الوقف . وقد جاء ذلك فى النصب أيضاً . قال :

* مثل الحريق وافَقَ القَصبَّا *

وهذا لا ينبغى أن يكون فى السَّعَة . ا هـ .

صاحب الرجز وهذه الأرجوزة نسبها السخاوى (فى سفر السعادة) لمنظور بن مَرثد الأسدى . قال : وقيل لغيره . ونسبه الصاغانى (فى العباب) لمنظور بن حَبّة الأسدى ، وهما واحد ، فإنَّ مرثداً أبوه وحَبّة أُمُّه ، فبعضهم يَنسبه إلى أبيه وبعضهم إلى أمّه .

منظور بن حبة قال الصاغانى (فى العباب) : منظور بن حَبَّة راجزٌ من بنى أسد . وحَبَّة أمه ، واسم أبيه مرثد بن فروة بن نَوفل بن نضلة بن الأشتر بن جَحْوان ابن طريف بن عمرو بن قُعَين . ا هـ .

وقعين : ابن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسَد بن خُزَيمة .

* * *

وأنشد بعده :

(جَاءُوا بمَذْقٍ هَلْ رأيتَ الذِّئبَ قَطّ)

على أنَّ جملة (هل رأيت) إلى آخرها صفةٌ لمذق ، بتقدير القول . وتقدم شرحُه مستوفًى فى الشاهد السادس والتسعين [1] .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٤٤٣ (ولَقد أَبيتُ من الفَتاةِ بمنزِلٍ

فأبيتُ لا حَرِجٌ ولا محرومُ)

على أنَّ (لا حَرِجٌ) عند الخليل مرفوعٌ على أنَّه خبر مبتدأ محذوف ، والجملة محكيَّةٌ بقول محذوف ، أى أبيت مقولاً فىَّ : هو لا حَرِجٌ ولا محروم . وهذا من حكاية الجمل بتقدير المبتدأ ، ولا يصحُّ أن يكون من حكاية المفرد ، لأنَّ حكايةَ إعرابه إنَّما تكون إذا أُريد لفظُه ، نحو : قال فلان : زيدٌ ، إذا تكلَّم بزيد مرفوعا ، وفى غير هذا يجب نصبُه ، إلَّا أن يكون بتقدير شئ ، فتجب حكايةُ إعرابه كما هنا .

وهذا نصُّ سيبويه فى المسألة : وزعم الخليلُ أنَّ أيُّهم إنّما وقع فى قولهم : اضربْ أيُّهم أفضل على أنّه حكاية ، كأنه قال : اضرب الذى يقال له : أيُّهم أفضل . وشبَّهه بقول الأخطل :

ولقد أبيتُ من الفتاة بمنزل ....البيت

قال الأعلم : الشاهد فى رفع حرجٌ ومحروم ، وكان وجه الكلام نصبَهما على الحال . ووجهُ رفعهما عند الخليل الحملُ علَى الحكاية ، والمعنى : فأبيت كالذى يقال له لا حرجٌ ولا محروم . ولا يجوز : رفعُه حملاً عَلَى مبتدأ مضمر ، كما لا يجوز: كان زيد لاقائم ولا قاعد ، على تقدير: لا هو قائم ولا هو

(١) فى كتابه ١ : ٢٥٩ ، ٢٩٨ . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٩٧ والإنصاف ٧١٠ وابن يعيش ٣ : ٧/١٤٦ : ٨٧ .

قاعد (١) لأنّه ليس موضع تبعيض ولا قطع ، فلذلك حَملهُ على الحكاية . اهـ .

وقال النحاس : قال سيبويه : زعم الخليل أنَّ هذا ليس على إضمار أنا ، ولو كان كذلك لجاز : كان عبد الله لا مسلم ولا صالح ، ولكنَّه فيما زعم الخليل : فأبيتُ كالذى يقال له لا حرجٌ ولا محروم . وإنَّما فرَّ الخليل من إضمار أنا وإن كانت قد تضمَر فى غير هذا الموضع ، لانَّه يلزم عليه أن يقول : كنت لا خارج لا ذاهب . وهذا قبيحٌ جداً ، فجعله عَلَى الحكاية : فأبيت بمنزلة الذى يقال له : لا حرجٌ ولا محروم ، أى إنَّها لم تحرمنى فيقال لى محروم ، ولم أتحرَّج من حضورى معها فيقال لى حَرِج . وقال أبو إسحاق الزجاج : هو بمعنى لا حرجٌ ولا محروم فى مكانى . فإذا لم يكن فى مكانه حرجاً ولا محروما فهو لا حرج ولا محروم . وزعَم الجرميُّ أنه على معنى فأبيت
٥٥٤ وأنا لا حرجٌ ولا محروم . قال سيبويه : وقد زعم بعضُهم أنَّه على النفى ، كأنه قال : فأبيت لا حرج ولا محروم بالمكان الذى أنا فيه . وكلام أبى إسحاق شرحٌ لهذا . قال أبو الحسن : فيكون فى المكان الذى أنا فيه خبراً عن حرج ، والجمله خبر أبيتُ . انتهى كلام النحاس .

قال السيرافى : وهذا التفسير أسهلُ ، لأنَّ المحذوف خبر حرج ، وهو ظرف ، وحذف الخبر فى النفى كثير كقولنا : لا حول ولا قوة إلاَّ بالله ، أى لنا .

وقوله : (ولقدْ أبيتُ) قال صاحبِ المصباح : بات له معنيان : أحدهما كما نقل الأزهرى عن الفَرَّاء : باتَ الرجل ، إذا سهر الليلَ كلَّه فى

(١) من « على تقدير » فى ص ١٣٩ إلى هنا ، ساقط من ش .

طاعةٍ أو معصية . وثانيهما بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواء كان فى ليل أو نهار . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « فإنَّه لا يَدرِى أين باتَتْ يدُه » ، أى صارت ووصَلَت . ا هـ .

والمناسب هنا المعنى الثانى .

والرواية فى ديوان الأخطل : « ولقد أكون » . والمستقبل هنا فى موضع صاحب الشاهد الماضى ، لأنَّه يريد أن يخبر عن حاله فيما مضى ، وأكثر ما يجئ هذا فيما عُلم منه ذلك الفعلُ خُلقا وطبعا وقد تكرَّر ذلك الفعل منه ، ولا يكون كفعلٍ فعلَه فى الدَّهر مرَّة واحدة . و (الفَتاة) : الجارية الشابّة ، يريد أنَّه كان فى شبابه تحبُّه الفَتيات ، ويَبيت عندهنَّ (بمنزلٍ) يعنى بمنزلة جميلة . و (الحرج) بفتح الحاء وكسر الراء : المضيَّق عليه . يقول : إنَّ موضعه لم يكن مضيَّقا به ، ولا هو محرومٌ من جهتها ما يريده .

وقبل هذا البيت :

(ولقد يكُنَّ إلىَّ صُوراً مَرّةً أيّامَ لونُ غَدائرِى يَحمومُ)

والنون فى يكنَّ ضمير النِّساء الغوانى فى بيتٍ قبله . والصُّور : جمع صائرة بمعنى مائلة . والغدائر : الذوائب ، جمع غديرة . واليحموم : الأسود .

والبيتان من قصيدةٍ ذكر فيها ما كان يفعله أيّامَ الشباب ، ثم توعّد جُمَيعاً ، وهو رجلٌ من كلب ، بأنّه إن لم يُمسكْ لسانه عنه هَجاه وهجا قبيلته .

والأخطل شاعرٌ نصرانىٌّ من شعراء الدَّولة الأموية . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والسبعين (١) .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٤٤ (دَعِى ماذا عَلِمتُ سأتَّقِيهِ ولكنْ بالمغيَّبِ نبِّئينى)

على أنَّ (ذا) هنا زائدة بعد ما الموصولة .

وهذا مخالفٌ لكلام سيبويه فيهما ؛ فإنَّ ما عنده فى البيت استفهامية ، وذا اسمٌ مركب معها ، جُعلا بمنزلة شئ واحِدٍ . وهذا نصُّ كلامه : وأمَّا إجراؤهم ذا مع ما بمنزلة اسم واحد ، فهو قولك : ماذا رأيت ؟ فتقول : خيراً ، كأنك قلت : ما رأيت ؟ فلو كانت ذا لغواً لمَا قالت العرب : عمَّا ذا تسأل ، ولقالوا : عمَّ ذا تسأل ، ولكنَّهم جعلوا ما وذا اسماً واحدا كما جعلوا ما وإنّ حرفاً واحداً حين قالوا إنَّما . ومثل ذلك : كأنَّما وحيثما فى الجزاء . ولو كان ذا بمنزلة الذى لكان الوجه فى ماذا رأيت إذا أراد الجواب أن يقول : خير . وقال الشاعر ، وسمعنا بعضَ العرب يَقوله :

دَعِى ماذا علمتِ سأتَّقيه ولكنْ بالمغيَّبِ نَبِّئينى

فالذى لا يجوز فى هذا الموضع ، و « ما » لا يحسن أن تلغيَها . انتهى كلامه .

وقال أبو حيان (فى تذكرته) : قال بعضهم : ذا مع ما شئٌ واحد ، ٥٥٥
وموضع ماذا نصب بعلمتُ ، وهى الاستفهامية على ما حكى سيبويه . وحكى السيرافى أنَّ ماذا فى البيت بمعنى الذى ، وعلمتُ صلة ، وحذفت الهاء العائدة ، وماذا فى موضع نصب بدَعِى ، والتقدير : دَعى الذى علمتِ فإنِّى

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٥ . وانظر شرح شواهد المغنى ٦٩ ، ٢٤٣ والعينى ١ : ٤٨٨ والهمع ١ : ٨٤ واللسان (ذا ٣٤٩) .

سأتقيه . وهو أصحُّ معنىً مما حكى سيبويه ، لأنَّه جعلها استفهامية منصوبة (١) بعلمت الواقع بعدها ، وهو فاسدٌ من طريق المعنى . ويمكن أن يكون منصوباً بإضمار فعل يدلُّ عليه سأتقيه ، كأنَّه قال : دعى كلَّ شئ سأتقى ماذا علمت سأتقيه . اهـ .

وقد خَفِيَ على الأعلم ظهور كون ما فى البيت استفهاميَّة ، فزعم أنها موصولة ، قال : الشاهد فيه جعل ماذا اسماً واحداً بمنزلة الذى ، والمعنى دعِى الذى علمتهِ فإنى سأتَّقيه لعلمى مثلَ الذى علمت ، ولكن نبِّئينى بما غاب عَنِّى وعنك ، مما يأتى به الدَّهْر ، أى لا تعْذُلينى فيما أبادر به الزَّمانَ (٢) من إتلاف مالى فى وجوه الفتوَّة ، ولا تخوِّفينى الفقر . ا هـ .

والمفهوم من تقريره أنَّ التاء من علمتِ مكسورة . قال النحاس : وهى رواية أبى الحسن ، وأمّا رواية أبى إسحاق فهى بضم التاء . قال النحاس : فذا هنا لا تكون بمعنى الذى ، لأنَّه لا يجوز دعى ما الذى علمت . قال أبو إسحاق : لا يكون ذاهُنا إلَّا بمنزلة اسمٍ مع ما ، وذلك أنها لا تخلو من إحدى ثلاث جهات : إمّا أنْ تكون ما صلة وذا بمعنى الذى ؛ وهذا لا يجوز لأنّ ذا لا يكون بمعنى الذى إلا مع ما ومن الاستفهاميَّتين ، كذا استعملت .

وإمَّا أن يكون « ما » بمعنى الذى ، وذا بمعنى الذى ، فتكون ما مفعولة وذا مبتدأ وعلمت صلة ، ويبقى المبتدأ بلا خبَر . فإن قلت : أُضْمِرُ هو ، فكأنك قلت : دعى الذى هو الذى علمت . فهذا قبيح . وهذا الذى قال سيبويه ، والذى لا يجوز فى هذا الموضع ، لئلا يلزم أن تحذف هو منفصلة .

الثالث : أن تكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد . ا هـ .

---

(١) ش : « منصوبا » .

(٢) فى النسختين : « فيما أبادر بالزمان » ، صوابه ما أثبت من شرح الأعلم .

ولا يخفى أنه لم يعيِّن معنى ماذا بعد هذا التَّرديد ، هل هى استفهام أو موصول .

وذهب ابن عصفور إلى أنَّ ما استفهامية وذا موصولة ، وقال : لا يكون ماذا مفعولاً لدعِى ، لأنّ الاستفهام له الصدر . ولا لعلمت ، لأنه لم يرد أن يستفهم عن معلومها ما هو . ولا لمحذوف يفسِّره سأتقيه ، لأنَّ علمت حينئذ لا محلَّ له . بل ما استفهام مبتدأ ، وذا موصول خبر ، وعلمت صلة ، وعُلِّق دعى عن العمل بالاستفهام . ا هـ .

ولا يخفى أنَّ هذا مبنىٌّ على رواية كسر التاء من علمتِ ، وأمَّا على رواية ضمها فلا استفهام ، إذ المعنى : دعى ما علمتُه أنا وخبِّرينى ما جهلتُه .

وأورد عليه ابن هشام (فى المغنى) بعد نقل كلامه أنّ قوله لم يرد أن يستفهمها عن معلومها ، لازمٌ له إذا جعل ماذا مبتدأ وخبراً . ودعواه تعليق دَعِى مردودةٌ ، لأنَّها ليست من أفعال القلوب . فإن قال : إنَّما أردت أنَّه قدَّر الوقف على دعى ، فاستأنف ما بعده ، ردَّه قول الشاعر : ولكن ، فإنَّها لابدَّ أن يخالف ما بعدها ما قبلها ، والمخالف هنا دعِى ، فالمعنى دعِى كذا ولكن افعلى كذا . وعلى هذا فلا يصحُّ استئناف ما بعد دعِى ، لأنَّه لا يقال من فى الدار فإننى أكرمه ولكنْ أخبرنى عن كذا . ا هـ .

وذهب أبو على (فى المسائل المنثورة) إلى أنَّ ماذا بمعنى شئ نكرة .
قال : ولا يجوز أن أجعل ذا فى تأويل الذى ، لأنَّها لم تجئْ فى تأويل الذى
٥٥٦ إلا فى الاستفهام . وههنا ليس معنى استفهام ، ولكن معنى ما وذا بمعنى شئ ،
فيكون بمعنى اسم واحد ، فيكون تقديره : دعى شيئاً علمت ، ويكون علمت

صفةً لماذا . والشاهد على هذا القول أنَّ ما وذا إنَّما جاءت بمعنى شئ واحد فى الاستفهام ، والاستفهام نكرة ، وهى ههنا أيضاً مبهمة ، فحملتها على النكرة التى جاءت فى الاستفهام . ا هـ .

وعلمت هنا بمعنى عَرَفت ، ولهذا تعدَّى إلى مفعول واحد . والنبأ : الخبر .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عُرف قائلها ، والله أعلم به .

وزعم العينى وتبعه السُّيوطى (فى شرح شواهد المغنى) أنَّه من قصيدة للمثقِّب العبدى ، مطلعها : صاحب الشاهد

(أفاطمُ قبلَ بينِكِ متِّعينى ومنعكِ ما سألتِ كأنْ تَبينى)

وهذا لا أصل له ، وإنْ كان الرويُّ والوزن شيئاً واحدا ؛ فإنَّ قصيدة المثقِّب العبدى قد رواها جماعةٌ ، منهم المفضّل الضبى (فى المفضليات) ، ومنهم أبو علىّ القالى (فى أماليه) و (فى ذيل أماليه) ، ولم يوجد البيتُ فيها ، ولم يعزُه إليه أحدٌ من خَدَمة كتاب سيبويه ، وهم أدرى بهذه الأمور . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٤٥ (ألا تسألانِ المرءَ ماذا يُحاوِلُ أنحبٌ فيُقْضَى أم ضلالٌ وباطلُ)

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٥ . وانظر معانى الفراء ١ : ١٣٩ والمعانى الكبير ١٢٠١ والجمل ٣٣١ والمخصص ١٤ : ١٠٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٧١ ، ٣٠٥ وابن يعيش ٣ : ٤/١٤٩ : ٢٣ وشرح شواهد المغنى ٥٥ والعينى ١ : ٧ ، ٤٤٠ واللسان (ذو ، ذوات ، حول) .

على أنّ ما مبتدأ وذا زائدة ، وجملة يحاول خبر المبتدأ ، والرابط محذوف ، أى يحاوله .

وهذا مخالفٌ لسيبويه ومَن تبعه ، فإنّه جعل ذا هنا موصولة ، وهذا نصُّه : أمَّا إجراؤهم ذا بمنزلة الذى فهو قولهم : ماذا رأيت ؟ فيقول : متاعٌ حسن . وقال لبيد :

أَلا تسألانِ المرءَ ماذا يحاولُ .... البيت

قال الأعلم وابنُ السيرافى : التقدير : ما الذى يحاول ، فما مبتدأ وذا خبره ، ويحاول صلة ذا ، كأنّه قال : أى شئ الذى يحاوله ، بدليلِ قوله : أنحبٌ . ولو كان ذا مع ما كشيء واحد لكان ماذا منصوباً بيحاول ، وكان مفسِّره الذى هو نحبٌ منصوباً ، لأنّه استفهام مفسِّر للاستفهام الأول ، فهو على إعرابه ، ولوجَبَ أن يقال : أنحبا فُيقضَى أم ضلالاً وباطلا . ا هـ .

وكذلك قال أبو على (فى إيضاح الشعر) كأنه قال : ما الذى يحاوله ، أالذى يحاوله نحبٌ أم ضلال . ولو كان ذا مع ما فى البيت اسماً واحداً كما كان فى قوله تعالى : ﴿ ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيراً [1] ﴾ لكان النّحب نصباً . اهـ .

ونقل النحَّاس عن ابن كيسان أنّه قال هنا : إن شئت جعلت ما وذا شيئاً واحداً ؛ لأنّ ما تكون لكلّ الأشياء وذا كذلك ، فوافقتْها فى الإبهام فقُرنتا . والذى أختارُ إذا جعلا شيئاً واحداً أن يكون ذا صفة لما . انتهى .

---

(١) الآية ٣٠ من سورة النحل .

وكذلك قال الدماميني (فى الحاشية الهندية) : كون ذا موصولاً لا يتعيَّن ؛ لاحتمال أن يكون ماذا كلُّه اسماً واحدا مرفوعا على أنَّه مبتدأ ، ويحاول خبره ، والرابط محذوف أى يحاوله . ومثله فى الشعر جائز . ونحبٌ بدل من المبتدأ ، ويحتمل أن يكون ماذا كلُّه فى محل نصب على أنَّه مفعول يحاول ، ولا ضمير محذوفا . فإنْ قلت : يبطله رفع البدل . قلت : لا يكون نحب حينئذ بدلاً ، بل يكون خبر مبتدأ مضمر . ا هـ .

أقول : أما النصب فقد جوَّزه الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى :
٥٥٧ ﴿ وَيَسْأَلونكَ ماذا يُنْفِقونَ قُلِ العَفْو [(١)] ﴾ قال : تجعل ما فى موضع نصب وتوقع عليها يُنفقون ، ولا تنصبُها بيسألونك . وإن شئت رفعتَها من وجهين : أحدهما أن تجعل ذا اسما يرفع ما ، كأنَّك قلت : ما الذى ينفقون . والعرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى الذى . والرفع الآخر : أن تجعل كلَّ استفهام أوقَعتَ عليه فعلا بعده رفعا ، لأنَّ الفعل لا يجوز تقديمه قبل الاستفهام ، فجعلوه بمنزلة الذى إذْ لم يعمل فيها الفعل الذى بعدها . فإذا [(٢)] نويت ذلك رفَعتَ العفو كذلك ، كما قال الشاعر :

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يحاولُ .... البيت

رفع النحب لأنَّه نوى أن يجعل « ما » فى موضع رفع ، ولو قال أنحباً فيقضى أم ضلالا وباطلا كان أبينَ فى كلام العرب وأكثر . ا هـ .

وأمَّا جعل نحبٌ خبر مبتدأ فقد نقله ابن هشام اللخمى (فى شواهد

(١) الآية ٢١٩ من سورة البقرة .

(٢) ط : « وإذا » ، وأثبت ما فى ش ومعانى الفراء .

الجمل) وقوّاه . قال : نحب بدل من ما ، وقيل إنّ نحبا خبر مبتدأ مضمر ، والتقدير : أهو نحب ، والمبتدأ والخبر بدل من موضع ماذا . وهذا أقوى ، لأنّه أبدل جملة من جملة لمَّا كانت فى معناها . ا هـ .

ومثله لابن السِّيد (فى شرح شواهد الجمل) قال : من اعتقد فى نَحب البدلَ فموضع « ما » رفع على كلّ حال ، ومن اعتقد أنَّ قوله أنحب مرتفع على خبر مبتدأ مضمر كأنه قال : أهو نحب ، جاز أن تكون ما مرفوعة المحلّ ، وجاز أن تكون منصوبة الموضع . اهـ .

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) : إذا كان ذا بمعنى الذى ففيه وجوه : أحدها أن يكون خبر ما ، وأن يكون بدلاً منها [١] ، وأن يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : ما هو الذى يحاول . اهـ .

أقول : أما الثانى فباطل ، لأنَّه لو كان كذلك لوجب أن يقترن مع البدل استفهام ، كما اقترن بقوله نحب ، على تقدير كونه بدلاً من ما . وأما الثالث فلا يجوز ، لعدم القرينة على الحذف . وبقى عليه أنْ يقول : ما خبر مقدم وذا مبتدأ مؤخر ، كما اختلفوا فى قولهم : كم مالك ؟

وقوله : (أَلَا تسألانِ) إلخ ألا : كلمة يستفتح بها الكلام ، ومعناه التنبيه . وتسألان خطابٌ لصاحبين له . وقيل : إنّما هو خطابٌ لواحد . وزعم بعضُهم أنَّ العرب تخاطب الواحد بخطاب الاثنين . وحُكى عن بعض الفصحاء [٢] : ياحَرَسِيُّ اضربا عنقَه ! وزعموا أنَّ قوله تعالى : ﴿ أَلْقِيا فى جَهَنَّم كلَّ كفَّارٍ عَنيد [٣] ﴾ أنّه خطاب للمَلَك . وهذا شئٌ ينكره حُذَّاق

---

(١) ش : « أن يكون خبرا أو بدلا منه » .
(٢) هو الحجاج ، كما سيأتى فى الشاهد رقم ٥٠٧ .
(٣) الآية ٢٤ من سورة ق .

البصريِّين ، لأنَّه إذا خاطب الواحد بخطاب الاثنين وقع اللَّبس . وذهب المبرد إلى أنَّ التنبيهَ على التوكيد يؤدّى عن معنى ألق ألق . وخالفه أبو إسحاق بأنّه فى كلّه خطابٌ لاثنين ، وهو الظاهر هنا . والسؤال هنا بمعنى الاستفهام ، يقال سألته عن كذا ، فهو يتعدَّى إلى المسئول منه بنفسه ، وإلى المسئول عنه بحرف عن ، فجملة ماذا يحاول فى موضع المفعول الثانى المقيَّد بعن المعلَّق عن العمل بالاستفهام . والمحاولة : استعمال الحِيلة ، وهى الحذق فى تدبير الأمور ، وهو تقليب الفكر حتَّى يهتدىَ إلى المقصود . والحِيلة أصلها حِوْلة ، انقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها . ولامُ (المرء) للعهد الذِّهنىّ ، نحو : ﴿ إذ هُمَا فى الغار [1] ﴾ . أى سلا الإنسانَ الساعىَ فى تحصيل الدُّنيا . وقيل اللام للجنس ، لا يَعنى به امرأ معيَّناً . وقال ابن المستوفى : يعنى بالمرء نفسه ، والناس فيه سواء . و (النَّحبُ) بفتح النون وسكون المهملة له معان ،
٥٥٨ المراد هنا النّذر ، وهو ما يَنذِرُهُ الإنسان على نفسه ويُوجب عليها فعله على كلِّ حال . يقول : اسألوا هذا الحريصَ على الدنيا عن هذا الذى هو فيه ، أهو نذر نذَره على نفسه فرأى أنَّه لابد من فعله ، أم هو ضلال وباطل من أمره . وقوله : (فيُقْضَى) روى بالبناء للفاعل وبالبناء للمفعول ، وعليهما [2] الجملة خبر لمبتدأ محذوف ، أى هو يقضى . وهذا المبتدأ ضمير المرء على الرواية الأولى ، وضمير النحب على الرواية الثانية . والفاء هنا للاستئناف ، كقوله :

* يريد أَنْ يُعْرِبَه فيُعجمُه [3] *

وقصره بعضُهم على الرواية الثانية فقال : هو فى موضع نصب على أنَّه جواب الاستفهام ، وليس بمعطوف على يحاول .

---

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) ش : « وعليه » .

(٣) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ٤٣٠ ونسبه إلى رؤبة .

وقد سَهَا العينى هنا سهواً فاحشا ، فزعم أنَّ جملة يقضى فى محل رفع صفة لنحب . ويجوز أن تكون فى محل نصب على تقدير انتصاب النحب . اهـ . فإن الفاء مانعةٌ من الوصفية ، وكأنَّه قاسها على واو اللصوق (١) .

صاحب الشاهد والبيت أوّل قصيدة للبيد بن عامر الصحابى (٢) ، وتقدَّمت ترجمته مع شرح أبياتٍ منها فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة (٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الأربعمائة (٤) :

٤٤٦ (وماذا عَسَى الواشُونَ أنْ يتحدَّثوا
سِوَى أن يقولوا : إنَّنى لكِ عاشقُ)

على أنَّ « ذا » قيل إنها زائدة لا موصولة .

وذهب ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول المعلوط السعدىِّ :

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهنَّ وقُلنَ لى ماذا لقيتَ من الهَوَى ولقِينا (٥)

---

(١) أثبتها الزمخشرى ومن قلده . وانظر مغنى اللبيب فى حرف الواو ص ٣٦٤ .

(٢) كتب ناسخ ش : « قوله لبيد بن عامر » ، كذا بخط المؤلف رحمه الله ، والصواب لبيد بن ربيعة بن مالك » . وأقول : نسبه البغدادى الى جده الأعلى « عامر بن صعصعة » ، وكذلك كانوا يفعلون . وإنما هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .
وفى ذلك يقول لبيد فى رجزه :

* ونحن خير عامر بن صعصعه *

(٣) الحق أن ترجمته إنما هى فى الشاهد ١٢٢ فى الخزانة ٢ : ٢٤٦ . أما شرح أبيات الشاهد فهى فى الشاهد ١٢٣ فى الخزانة ٢ : ٢٥٢ .

(٤) انظر ديوان المجنون ٢٠٣ والمقتضب ٣ : ١٩٥ والأشمونى ١ : ١٦٣ والحماسة بشرح المرزوقى ١٣٨٣ .

(٥) ذكر ابن جنى فى إعراب الحماسة الورقة ١٨٨ أن البيت يروى لجرير . وهو كذلك فى ديوان جرير ٥٧٨ . وانظر مجالس ثعلب ٦٦٥ والعمدة ٢ : ٢١٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٦٨ .

إلى أنّ « ماذا » فيه مركبة بمعنى المصدر مبتدأ ، أى تحديث ، وجملة عسى خبره . ولم يلتفت إلى إنشائيته لوروده فى الخبر ، إمّا لأنَّه بتقدير قول محذوف كما هو مذهب الجمهور ، وإمَّا بدونه كما هو مذهب البعض . وهذه عبارته :

لا سبيلَ إلى أن تنصب ماذا على أنَّهما اسم واحد بيتحدثوا (١) لأنَّه فى صلة أنْ ، فيجرى هذا ، فى امتناع ما بعد أنْ من الموصول إليه ، مجرى « ذكَرٌ (٢) » ، من قولك : أذَكَرٌ أن تلد نَاقتُك أحبُّ إليك أم أنثى ؟ وماذا هنا بمعنى المصدر (٣) فترفعه بالابتداء وتضمر له عائداً ، كقولك : أىُّ قيام عسى زيد أن يقوم ، وأنت تريد يَقومه ، فتحذف الهاء وترفع الأوَّل مضطرًّا إلى رفعه ، إذ لا سبيل إلى نصبه . ويَضعُفُ أن تكون ذا بمنزلة الذى ، وذلك لما تصير إليه من وَصْل (٤) الذى بعسى . وفيه ذهابٌ عن البيان والإيضاح بالصِّلة . فإنْ قلت : فقد قال الفرزدق :

وإنِّى لَرامٍ نظرةً قِبَلَ التى ... لَعَلِّى وإنْ شطَّت نواها أزورُها

فإنَّ أبا علّي يتأوَّل هذا ويتناوله (٥) على الحكاية ، حتى كأنَّه قال : قِبَلَ التى يقال فيها لعلِّى . وبابُ الحكاية طريقٌ مَهْيَع يتقبَّل فيه كلُّ تأوُّل ؛ وما أشَبِّههُ إلَّا بالمنام ، أو حديث البحر الذى انطوت النُّفوس على تقبُّل ما يَعرض فيه ، وترك التناكر لشئ يردُ عنه . اهـ مختصرا .

(١) ط : « يتحدثوا » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .
(٢) ط : « ذكره » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .
(٣) ط : « الصدر » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .
(٤) ش : « وصله » ، وصوابه فى ط وإعراب الحماسة .
(٥) فى النسختين : « ويتأوَّله » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

صاحب الشاهد والبيت أورده أبو تمام (فى الحماسة) ، وبعده بيتٌ ثان ، ونسبَهما لجميل العُذْرىّ ، وهو :

(نَعَمْ صدَقَ الواشون أنتِ كريمةٌ
علينا وإنْ لم تصفُ منكِ الخلائقُ)

يقول : الواشون لا يقدرون فى وشايتهم على أكثر ممَّا أن يقولوا : إنَّنى
٥٥٩ لك عاشق . ثم أوجبَ بقوله نعم . فكأنه قال : قد صدقوا فيما ادَّعوه ، أنت تكرُمينَ [1] علينا وإن لم نصادف من أخلاقك صفاء . والواشى : النَّمَّام الذى يُحسِّن الكلام ويزوِّقه للإفساد بين اثنين ، من الوَشْى ، وهو التزْيين . وروى : (وامق) بدل عاشق ، وهو بمعناه . وروى : (حبيبة إلىّ) بدل كريمة علينا . وهو مناسب .

وترجمة جميل العذرى تقدَّمت فى الشاهد الثانى والستين [2] .

وقد روى صاحبُ الأغانى هذين البيتين من جملة أبياتٍ لمجنون بنى عامر ؛ وهو قيس بن الملوَّح ، المشهور بمجنون ليلى . رَوَى بسنده عن الهيثم ابن عدىّ أنَّ رهط المجنون اجتازوا فى نُجعةٍ لهم بحىٍّ ليلى ، فرأى أبياتَ أهلها ولم يقدِرْ على الإلمام ، وعدَل أهله إلى وِجهةٍ أخرى ، فقال المجنون :

(لعمركَ إنَّ البيت بالقَبَل الذى مررتُ ولم أُلْمِمْ عليهم لشائقُ [3]
كأنِّى إذا لم ألقَ ليلى مُعَلَّقٌ بسِبَّيْنِ أهفُو بين سهلٍ وحالقِ [4]

(١) فى النسختين : « تكرمى » ، والوجه ما أثبت من شرح المرزوقى ١٣٨٤ .

(٢) الخزانة ١ : ٣٩٧ .

(٣) القبل ، بالتحريك : النشز من الأرض يستقبلك . فى النسختين : « لسائق » صوابه فى الأغانى ٢ : ٢ وديوان المجنون ٢٠٢ . وفى الديوان والأغانى : « ولم ألمم عليه » .

(٤) السب ، بالكسر : الحبل . وفى النسختين « بشيئين » ، صوابه فى الديوان والأغانى . وفى البيت إقواء .

على أنّنى لو شئتُ هاجت صَبابتى
علىَّ رسومٌ عَىَّ منها المناطقُ (١)
لعمركِ إنَّ الحبَّ يا أمَّ مالك
بقلبِى ، يَرَانى اللهُ ، منكِ لَلاصقُ (٢)
وماذا عسى الواشُون ..
إلى آخر البيْتين .

وكذلك نسبهما ابن نُباتةَ المِصرىّ (فى شرح رسالة ابن زيدون) إلى المجنون ، إلَّا أنه أورد بعدهما بيتين آخرين ، وهما :

(كأنَّ على أنيابها الخمرَ شجَّها
بماء سحابٍ آخرَ الليل غابقُ
وما ذقتُه إلَّا بعينى تفرُّسا
كما شِيمَ فى أعلى السَّحابة بارقُ)

وترجمة المجنون قد تقدَّمت أيضاً فى الشاهد التسعين بعد المائتين (٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(وإنِّى لرامٍ نظرةً قِبَلَ التى لعَلِّى وإن شطَّتْ نواها أزورُها)

على أن جملة لعلى إلخ مقولة بقول محذوف هو الصلة ، أى قِبَل التى أقول لعلّى إلخ .

وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى أول الباب فى الشاهد الخامس عشر بعد الأربعمائة (٤) .

* * *

(١) فى الديوان والأغانى : « عى فيها التناطق » .

(٢) يرانى الله ، يعنى يعلم الله ، وهو شاهد على ما أقول . وفى الديوان والأغانى : « برانى » . والمعروف من البرء بمعنى الشفاء ، أن يقال أبرأه ، من المزيد .

(٣) الخزانة ٤ : ٢٢٩ .

(٤) الخزانة ٥ : ١٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الأربعمائة [١] :

٤٤٧ (مِنَ اللَّواتى والتى واللاتى زَعَمْنَ أَنِّى كَبِرتْ لِداتى)

على أن جملة (زعمن) إلخ صلة الموصول الأخير ، وصلة كلٍّ من الموصولين الأوَّلين محذوفة للدلالة عليها بصلة الثالث ، والتقدير : من اللَّواتى زعمن ، ومن النساء التى زعمن [٢] . ويجوز أن تكون صلةً للموصولات الثلاثة ، لاتحاد مدلوها ، ولا يجوز أن تكون صلةً للثانى فقط .

هذا تقرير كلام الشارح المحقِّق ، وأمَّا غيره فقد جعلَ الصِّلة للموصول الأخير فقط ، وصلة كُلٍّ ممَّا قبله محذوفة ، منهم ابن الشجرى (فى أماليه) ، قال : أنشد المبرد (فى المقتضب) :

بَعْدَ اللَّتيَّا واللَّتيَّا والتى إذا عَلتْها أنفسٌ تَرَّدتِ [٣]

لم يأت للموصولين الأوَّلين بصلة ، لأنَّ صلة الموصول الثالث دلَّت ٥٦
على ما أراد . ومثله :

من اللواتى والتى واللاتى .... البيت

وصل اللاتى ، وحذف صلة اللواتى والتى ، للدَّلالة عليها .

(١) الشعراء ٣٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٤٤ . وقد سبق عرضا فى الشاهد ٤٣٣ .
(٢) ش : « ومن النساء اللواتى زعمن » ، والوجه ما أثبت من ط .
(٣) المقتضب ٢ : ٢٨٩ . والرجز للعجاج ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٢/٣٧٦ : ١٤٠ .

ومما حُذِف منه صلة موصولين فلم يؤت فيه بصلة قول سُلمىّ بن ربيعة السِّيدِىّ [١] :

ولقد رأَبْتُ ثَأَى العشيرةِ بينَها وكفيتُ جانبها اللَّتيَّا والتى

أراد اللَّتيَّا والتى تأتى على النفوس ؛ لأنَّ تأنيث اللتيا والتى ههنا إنّما هو لتأنيث الداهية .ألا ترى إلى قوله :

* بعدَ اللَّتيَّا واللّتيَّا والتى *

وتردَّت : تفعَّلت من الرَّدى ، مصدر رَدِىَ يردَى ، إذا هلك ؛ أو من التردِّى الذى هو السقوط من علو . وحذف الصِّلة [٢] من هذا الضَّرب من الموصولات إنّما هو لتعظيم الأمر وتفخيمِه . وقد جاء التَّصغيرُ فى كلامهم للتعظيم كقوله :

* دُوَيْهِيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ [٣] *

أراد بالدُّويهِيَة الموت ، ولا داهيةَ أعظم منها ، فتحقير اللتيا ههنا للتعظيم . والرَّأب : الإصلاح . والثَّأى بفتح المثلثة والهمزة ، وبعدها أَلف تكتب ياء : الفَساد . والظرف متعلّق بالثَّأى ، أى أُصلحت ما فسد بينها . اهـ .

وإنَّما نقلته هنا بتمامه لأنَّه كالشرح لما سيأتى قريبا .

---

(١) السيدى : نسبة الى بنى السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، كما سيأتى فى ترجمته فى الشاهد ٥٨٢ . والسيد بكسر السين . وفى النسختين : « السدى » ، والصواب ما أثبت . وسُلْمىّ بضم السين وسكون اللام وآخره ياء مشددة ، ويقال أيضا « سَلْمَى » بفتح السين والقصر .

(٢) ط : « والحذف » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) للبيد بن ربيعة فى ديوانه ٢٥٦ . وهو الشاهد ٤٤٩ الآتى .

ومنهم : أبو على ، قال (فى إيضاح الشعر) عند قول الشاعر ، وتقدَّم شرحه :

من النفر اللاء الذين إذا همُ .... (البيت المتقدم)

يجوز أن يكون حذف صلة الأوَّل لأنّ صلة الموصول الذى بعده تدلُّ عليها ، كقول الآخر :

من اللواتى والتى واللاتى .... (البيت)

فلم يأت للموصولين الأوَّلين بصلة . ا هـ .

وقوله : (من اللَّواتى) حرف الجر متعلّق بما قبل البيت . واللواتى واللاتى كِلاهما جمعُ التى . و (كَبِرَتْ) من الكِبَر فى السن ، وقد كَبِر الرجل بكسر الباء ، يكبَر بفتحها ، كِبَراً بكسر الكاف وفتح الباء . وروى صاحب الصحاح :

* زعمنَ أنْ قد كبِرتْ لِداتى *

و (لِدَاتى) : جمع لِدة ؛ ولِدة الرجل : تِرْبُه الذى وُلد معه قريبا ، والهاءُ عوض من الواو الذاهبة من أوَّله ، لأنه من الولادة ، ويجمع على لِدُون أيضاً . و (الزَّعم) يطلق على القول والظنّ ، قال الأزهرىّ : وأكثر ما يكون الزعم فيما يشكُّ فيه ولا يتحقَّق . وقال بعضهم : هو كنايةٌ عن الكذب . وقال المرزوقى : أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب .

والبيت لا أعرف ما قبلَه ولا قائله ، مع كثرة وجودِه فى كتب النحو . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الأربعمائة [١] :

٤٤٨ (فإنْ أَدَعِ اللواتى مِنْ أُناسٍ
أضاعوهنَّ لا أدَعِ الّذينا)

على أنّه حَذَفَ صلة الموصول فيه قليلا [٢] .

قال أبو على الفارسى (فى إيضاح الشعر) : أنشده أحمد بن يحيى ثعلب وقال : يقول : فإن أدَعِ النساء اللاتى أولادُهنَّ من رجال قد أضاعوا هؤلاء النساء . أى لا أهجو النِّساء ، ولكن أهجو الرجال الذين لم يمنعُوهنّ . فعلى تفسيره ينبغى أن يكون المبتدأ مضمراً فى الصلة ، كأنّه قال : فإن أدَعِ اللواتى أولادُهن من أناس أضاعوهنَّ فلم يَحموهنَّ كما تحمى [٣] البُعولة أزواجَها فلا أدَعِ الذين . والتقدير . : إن أدَعْ هجوَ هؤلاء النساءِ الضعاف لا أدعْ هجوَ الرجال المضيِّعين ، وذمَّهم على فعلهم . فالمضاف محذوف فى الموضعين . ٥٦١ وتقديرُ حذفِ المبتدأ غير ممتنع هنا ، وقد حُذف المبتدأ من الصِّلة ، نحو قول عدىّ :

لم أَرَ مِثْلَ الفِتيان فى غَبَنِ الـ أَيَّامِ يَنْسَوْنَ ما عَواقِبُها

أى ما هو عواقبها ، فحذف . وكذلك يمكن أن يكون قوله :

* ألا ليتَما هذا الحمامُ لنا *

وقد يستقيم أن تكون الصلة من أناس ، فتكون مستقلّة . وإن لم تقدِّر حذفَ المبتدأ فيكون التقدير على أحد أمرين : إمَّا أن يكون اللواتى من نساءِ أُناس ، فحذف المضاف ، أو يكون اللواتى من أناسٍ عَلَى ظاهرِه ، لا تقدِّر فيه

---

(١) ديوان الكميت ٢ : ١٣٠ وفصل المقال ٢٩٥ .

(٢) الذى فى الرضى ٢ : ٥٧ : « ويجوز قليلا حذف صلة الموصول الاسمى غير الألف واللام إذا علمت » . ثم أنشد هذا الشاهد .

(٣) ط : « يحمى » ، وأثبت ما فى ش .

حذفا ، فيكون معنى قوله فى النساء ، هنّ من أناس ، علَى معنى أنّهم يقومون بهِنّ ، وبالإنْفاق عليهم . وأمّا صلة الذين فمحذوفٌ من اللفظ للدلالة عليها فيما جرى من ذكرها ، تقديره : الذين أضاعوهنّ . ا هـ .

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام (فى أمثاله) وقال : الذين ههنا لا صلة لها . والمعنى : إنْ أدعْ ذكر النساء فلا أدع الذين ، يريد الرِّجال ، أى إنّى إن تركت شتم النساء فلا أُترَكُ شتم الرجال . ا هـ .

وأورده أَبو بكر بن السّراج أَيضاً (فى أُصوله) قال : إنَّ الكوفيين يقولون : إنَّ العرب إذا جعلَت الذى والتى لمجهولٍ مذكَّر أَو مؤنث ، تركوه بلا صلة ، نحو قول الشاعر :

فإنْ أَدعِ اللواتى مِنْ أُناسٍ .... البيت

و (لا أَدع) جوابُ الشرط ، ولهذا جزم ، وكسرة العين لدفع التقاء الساكنين .

نسب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للكميت بن زيد ، هجَا بِها قحطان ، أَعنى قبائل اليمن ، تعصُّباً لمضر .

وتقدَّم سببُ هجوه لأهل اليمن بهذه القصيدة فى الشاهد الرابع والعشرين (١) . وتقدم أَيضاً بعضٌ من هذه القصيدة مع ترجمة الكميت فى الشاهد السادسَ عشَرَ من أَوائل الكتاب (٢) .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٧٩ — ١٨١ .
(٢) الخزانة ١ : ١٤٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الأربعمائة [(١)] :

٤٤٩ (دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأنامِلُ)

على أنَّ تصغير دويهية للتعظيم ، فإنَّه أُراد بها الموت ، ولا داهية أعظمَ منها ، والتصغير غير مناسب لذكر الموت . والدليل على أنَّه أُراد بها الموت قوله : « تصفرُّ منها الأنامل » .

والمراد من الأنامل الأظفار ، فإنَّ صفرتها لا تكون إلا بالموت . وقال الطوسيُّ (فى شرح ديوان لبيد) : إذا مات الرجل أو قُتل اصفرَّت أناملُه واسودَّت أظافره .

ولم يرتضه الشارح المحقق (فى شرح الشافية) فإنَّه قال : قيل مجيء التَّصغير للتعظيم ، فيكون من باب الكناية ، يكنى بالصغر عن بلوغ الغاية ؛ لأنَّ الشيء إذا جاوز حدّه جانَسَ ضِدَّهُ . وقريبٌ منه قولُ الشاعر :

وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخُل بينهم دُويهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

ورُدَّ بأنَّ تصغيرها على حسب احتقار الناس لها ، وتهاونهم بها ؛ إذ المرادُ بها الموت ، أى يجيئهم [(٢)] ما يحتقرونه مَعَ أنَّه عظيم فى نفسه تصفرّ منه الأنامل . واستدلّ بقوله :

فُويقَ جُبيلٍ سامِقِ الرأْس لم تَكُنْ لتبلغَه حتَّى تكِلَّ وتَعمَلا [(٣)]

(١) ديوان لبيد ٢٥٦ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٢٥ : ٤٩ ، ١٣١ والإنصاف ١٣٩ وابن يعيش ٥ : ١١٤ وشرح شواهد الشافية ٨٥ وشرح شواهد المغنى ٥٥ ، ١٣٧ ، ١٨٣ والعينى ٤ : ٥٣٥ والهمع ٢ : ١٨٥ والأشمونى ٤ : ١٥٧ .

(٢) ش : « يحسنهم » ، صوابه فى ط وشرح شواهد الشافية .

(٣) لأوس بن حجر فى ديوانه ٨٧ . وهو من شواهد ابن يعيش ٥ : ١١٤ .

٥٦٢ ورُدّ بتجويز كون المراد دقَّةَ الجبل وإن كان طويلا ، وإذا كان كذا فهو أشَدُّ لصعوده . اهـ .

وكذلك الجارَبَرْدىُّ لم يرتضِه ، وأوَّله بوجهين : أُحدهما أنَّ التصغير فيه لتقليل المدَّة . وثانيهما بأنَّ المراد أنَّ أصغر الأشياء قد يُفسد الأمورَ العظائم ، فحتف النُّفوس قد يكون بالأمر الصغير الذى لا يُؤبَه به .

وقال الفالى [1] (فى شرح اللباب) : هذا على العكس ، كتسمية اللَّديغ سليماً ونظائره ، إطلاقاً لاسم الضِّدِّ على الضِّدِّ .

وقد أورده المرادى (فى شرح الألفية) بأنَّ الكوفيين استدلوا به على مجىء التصغير للتعظيم .

وأنشده ابن هشام فى أربعة مواضع (من المغنى) فى أمْ ، وفى ربَّ ، وفى كلّ ، وفى حذف الصلة من الباب الخامس .

و (الداهية) : مصيبة الدّهر ، مشتقة من الدَّهْى ، بفتح الدال وسكون الهاء ، وهو النُّكْر ، فإن كلَّ أحد يُنكرها ولا يقبلها . ودهاهُ الأمر يَدْهاهُ ، إذا أصابه بَمكروه . ورواه ابن دريد (فى الجمهرة) :

* خُويخيَة تصفرُّ منها الأناملُ *

وقال : الخُوَيخِيَةُ : الدّاهية ، وهى بخاءين معجمتين : مصغَّر الخَوْخة بالفتح ، وهى الباب الصغير .

---

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، صوابه ما أثبت . وانظر حواشى ١ : ٣٣٨ .

ورواها الطوسى أيضا عن أبى عمرٍو ، وقال : يقول : يَنْفتحُ عليهم بابٌ يدخل منه الشر .

و (سوف) هنا للتحقيق والتأكيد .

والبيت من قصيدةٍ للبيد بن ربيعة الصحابى ، وتقدمت ترجمتُه مع شرح أبيات منها فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة (١) . صاحب الشاهد

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الخمسينَ بعد الأربعمائة (٢) :

قول المتنبى :

٤٥٠ (بئسَ الليالِي سَهِدتُ مِنْ طَرَبى)

هذا صدر ، وعجزه :

(شوقاً إلى من يبيتُ يَرقُدها)

عَلَى أنه يُخَرَّج بحذف الموصول ، والتقدير : بئس الليالى التى سهدت ، قياساً على تخريج الكوفيِّين قولَه تعالى : ﴿ وما مِنّا إلا له مَقَامٌ معلوم (٣) ﴾ ، أى إلَّا من له مقام ، فإنَّ الموصول يجوز حذفه عندهم .

وقد ارتضاه المحقق (٤) . وأُشار إليه الواحدىُّ فى شرحه بقوله : يريد الليالى التى لم يَنَمْ فيها لما أُخذه من القلق وخِفَّة الشوق إلى الحبيب الذى كان يرقُد تلك الليالى .

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٥٢ .

(٢) ديوان المتنبى ١ : ١٨٥ ودلائل الاعجاز ٣٠٤ .

(٣) الآية ١٦٤ من سورة الصافات .

(٤) المحقق ، ساقطة من ش .

وخرَّجه ابن الشجرى [١] (فى أماليه) على حذف الموصوف ، أى ليالٍ سهدت . وهذا خاصٌّ بالشعر ؛ لأنَّ الموصوف بالجملة أو الظرف إنما يجوزُ [٢] حذفُه إذا كان بعضاً من مجرور بِمنْ أوفى . قال ابن الشجرى : ومما أهَمَل [٣] ، مفسِّرو شعرِ أبى الطيِّب المتنبِّى ، تعريبَه قوله :

بئس الليالي سَهِدْتُ من طربى .... البيت

يتوجَّه فيه السؤال عن المقصود فيه بالذّم ، وما موضع من طربى من الإعراب ، وما الذى نصب شوقاً ، وكم وجهاً فى نصبه ، وبم يتعلق إلى ، وكم حَذفاً فى البيت ؟

فأمَّا المقصود بالذم فمحذوف ، وهو نكرةٌ موصوفة بسَهِدت ، والعائد إليه من صفته محذوفٌ أيضاً ، فالتقدير : ليال سهدت فيها . ونظير هذا الحذف فى قوله تعالى : ﴿ ومِنْ آياتِه يريكُمُ البَرْقَ [٤] ﴾ . التقدير : آيةٌ يريكم البرقَ فيها . وجاء فى الشعر حذفُ النكرة المجرورة الموصوفة بالجملة ، فى قوله :

* جادت بِكَفَّىْ كانَ مِنْ أرْمَى البَشَرْ *

أراد : بكفَّىْ رجل ، فحذف رجلاً وهو يَنويه . وقوله « من طربى » مفعول له ، ومن بمعنى اللام ، وشوقا يحتمل أن يكون مفعولا من أجله عمل فيه طربى [٥] فيكون الشَّوقُ عِلَّةً للطرب . والطرب عِلَّةً للسُّهاد . ولا يعمل سهدتُ فى شوقاً ، لأنّه قد تعدَّى إلى علَّةٍ ، فلا يتعدى إلى أخرى إلاّ بعاطف ٥٦٣

(١) هذا النص التالى لابن الشجرى ساقط من النسخة المطبوعة من الأمالى ، ولم أعثر عليه فيها .

(٢) ط : « جوز » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) فى النسختين : « ومما أهملوه » .

(٤) الآية ٢٤ من سورة الروم .

(٥) الكلام بعده إلى كلمة « بعاطف » ساقط من ش .

كقولك : سهدتُ طرباً وشوقا . ويحتمل أنْ ينتصب شوقاً انتصابَ المصدر ، كأنّه قال : شُقت شَوقا أو شاقنى التذكُّر شوقا . وشُقْت بالبناء للمفعول ، كقول المَمْلوكِ : قد بُعْت ، أى باعنى مالكى . فأمَّا « إلى » فالوجه أن تعلِّقها بالشوق ، لأنّه أقربُ المذكورَين إليها ، وإن شئت علَّقتها بالطَّرب ، وذلك إذا نصبتَ شوقا بطربى . فإن نصبتَه على المصدر امتنع تعليق إلى بطربى ؛ لأنَّك حينئذ تَفصل شَوقاً وهو أجنبىٌّ بين الطَّرب وصلته . وكان الوجه فى يرقدها يرقد فيها ، كما تقول : يوم السبت خرجت فيه ، ولا تقول خرجته ، إلَّا على سبيل التوسُّع فى الظرف ، تجعله مفعولا به . ففى البيت أربعة حذوف :

الأوّل : حذف المقصود بالذمّ ، وهو ليال .

والثانى : حذف فى من سهدت فيها ، فصار سهدتها .

والثالث : حذفُ الضّمير من سهدتها .

والرابع : حذف فى مِنْ يرقدها .

وقد روى : « سَهِدتُها طرباً » .

وقد فرَّق بعضُ اللغويين بين السُّهاد والسَّهَر ، فزعم أنّ السُّهاد للعاشق واللديغ ، والسَّهر فى كلِّ شئ . وأنشد قول النابغة :

* يسهَّدُ فى لَيل التِّمامِ سَليمُها (١) *

وقول الأعشى :

* وبتَّ كما باتَ السَّليمُ مُسهَّدَا (٢) *

(١) عجزه فى ديوان النابغة ٥١ :

* لحلى النساء فى يديه قعاقع *

(٢) صدره فى ديوان الأعشى ١٠١ :

* ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا *

والطرب : خِفَّةٌ تُصيب الإنسان لشدة سرور أو حُزن . اهـ .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للمتنبِّى قالها فى صباه مدحاً فى محمد بن عبد الله العَلوىّ .

أبيات الشاهد وهذه أربعةُ أبياتٍ من مطلعها :

(أهلاً بدارٍ سباكَ أغيَدُها
أَبْعَدُ ما بان عنك خُرَّدُها
ظَلْتَ بها تَنطوِى على كبدٍ
نضِيجَةٍ فوقَ خِلْبِها يدُها
يا حادِيَىْ عِيسِها وأحسَبنى
أُوجَدُ ميتاً قُبيلَ أفقِدُها
قِفا قليلاً بها علىّ فلا
أقَلَّ مِنْ نظرةٍ أُزوَّدُها)

نصب أهلاً بمضمر ، تقديره : جعل الله تعالى بتلك الديار أهلاً . وإنما تكون مأهولةً إذا سُقِيت الغيث ، فينبت الكلأ ، فيعود إليها أهلها . وهو فى الحقيقة دعاءٌ لها بالسَّقى . والأغيَد : الناعم البدَن ، وأراد جارية ، وذكَّر اللفظ لأنه عنى الشخص . والخُرَّد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تُمسَسْ وأبعدُ مبتدأ وخُرَّدها الخبر ، أى أبعد شيء فارقَكَ جَوَارِى هذه الدار .

وقوله : « ظَلْتُ بها تنطوى » إلخ ، يريد ظَلِلت فحذف إحدى اللامين تخفيفا . يقول : ظَلِلتَ بتلك الديار تنثنى على كبدك ، واضعاً يدَك فوق خِلْبها . والمحزون يفعل ذلك كثيراً ، لما يجد فى كبدِهِ من حرارة الوجد ، يخاف على كبدهِ تنشقّ ، كما قال الصِّمَّة القُشَيرىّ [١] :

---

(١) ط : « القشرى » ، صوابه فى ش . والبيت فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٢١٨ .

وأذكرُ أيّامَ الحِمى ثم أنثنى   على كبدى من خشيةٍ أنْ تَقطَّعا

والانطواء كالانثناء . والنُّضج لليد ، ولكن جرى نعتا للكبد لإضافة اليد إليها . وجعل اليد نضيجة ، لأنه أدام وضعَها على الكبد ، فأنضجَتْها بما فيها من الحرارة ، ولهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمِّى الشئَ باسم غيره إذا طالت صُحبتُه إيّاه ، كقولهم لفناء الدار : العَذِرة . وإذا جازت هذه التَّسمية كانت الإضافة أهونَ ، فلطُولِ وضع يدهِ على كبده أضافها إليها ، كأنَّها لها ، لأنَّها لم تزلْ عليها . والخِلْب : غشاءٌ للكبد رقيق لازبٌ بها . وارتفع يدها بنضيجة ، وهو اسم فاعل يعمل عمل الفعل . ويجوز أن تكون نضيجة ٥٦٤
من صفة الكبد وتَمَّ الكلامُ ، ثم وضع اليد على الكبد ، والأوّل أجود . كذا فى شرح الواحدى .

وأورد ابن هشام هذا البيت (فى الباب الثالث من المغنى) وقال : يحتمل قول المتنبى يذكُر دارَ المحبوب : ظَلْتَ بها تنطوى البيت ، أن تكون اليد فيه فاعلة بنضيجة ، أو بالظرف ، أو بالابتداء . والأوّل أبلغ ، لأنَّه أشدُّ للحرارة . والخِلْب : زيادةُ الكبد ، أو حجاب القلب ، أو ما بين الكبد والقلب . وأضاف اليد إلى الكبد للملابسة بينهما ؛ لأنَّهما فى الشخص . اهـ .

وقوله : « يا حادَيَىْ عِيسِها » البيتين ، قال الواحدىّ : دعا الحادَيين ، ثُمَّ ترك ما دعاهما إليه حتى ذكَره فى البيت الذى بعده وأخَذَ فى كلام آخر . وتسمِّى الرواةُ هذا الالتفاتَ ، كأنّه التفتَ إلى كلامٍ آخر .

أقول : هذا اعتراضٌ ، وليس من الالتفات فى شئ .

وأراد قُبَيل أنْ أفقدَها ، فلما حَذف أنْ عاد الفعلُ إلى الرفع . وقال

للحاديين اللذَين يحدُوان عِيَرها : احتبساها علىَّ زماناً قليلا لأنظرَ إليها وأتزوَّدَ منها نظرة ، فلا أقلَّ منها . ومن رفع أقلّ جعله بمنزلة ليس . وضمير بها يجوز أن يعود إلى العيس وإلى المرأة .

وقريبٌ من هذا فى المعنى قولُ ذى الرُّمَّة :

وإن لم يكنْ إلَّا تعلُّلَ ساعةٍ قليلٌ فإنِّى نافعٌ لى قليلُها

وأورد ابن هشام هذا البيت (فى المغنى) على أنَّ لا فيه نافيةٌ للجنس عاملةٌ عمل إنَّ . ويجوز رفع أقلُّ على أن تكون عاملة عملَ ليس .

وترجمة المتنبى قد تقدَّمت فى الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(لَعَمْرِى لأنْتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَه
وأَقْعُدُ فى أفيائه والأصائِلِ)

على أَنَّ فيه حذف موصول عند الكوفيّين ، والتقدير : لأنت البيتُ الذى أكرم أهله .

وتقدِّم الكلام عليه فى الشاهد الثامنَ عشَرَ بعد الأربعمائة (٢) .

* * *

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ .

(٢) انظر الخزانة ٥ : ٤٨٤ - ٥٠٣ . وفى ش : « الواحد والأربعين بعد المائة » ، تحريف . وإلى هنا ينتهى الجزء الثانى من الخزانة من تقسيم الطبعة الأولى طبعة بولاق .

أول الجزء الثالث
من طبعة بولاق
٣ : ٢ بولاق

باب الحكاية بمَن وما وأىّ

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٤٥١ (أَتَوْا نارِى فَقُلتُ : مَنونَ أنتمْ
فقالوا : الجِنُّ ، قلتُ : عِمُوا ظلاما)

على أنَّ يونس يجوِّز الحكايه بِمَنْ وصلا ، كما فى البيت .

قال سيبويه : وأمَّا يونس فإنه يقيس مَنْهْ على أيَّةٍ فيقول : مَنَةٌ ومَنةً ومنةٍ إذا قال ، يا فتى . وهذا بعيد ، وإنما يجوز عَلَى قول شاعر قاله مَرَّة فى شعر ثم لم يُسَمع بعد :

أتوا نارى فقلت : منون أُنتم .... البيت

وزعم يونس أنه سمع عربياً [(٢)] يقول : ضرب مَنٌ مَناً . وهذا بعيد لا تتكلَّم به العرب ، ولا تستعمله ناس كثير [(٣)] ، وكان يونس يقول : لا يقبل هذا كلُّ أحد ، فإنّما يجوز مَنُون يا فتى على هذا . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٢ . وانظر نوادر أبى زيد ١٢٣ والمقتضب ٢ : ٣٠٧ والجمل ٣٢٠ والخصائص ١ : ١٢٩ وابن يعيش ٤ : ١٦ والمقرب ٦٥ والعينى ٤ : ٤٩٨ ، ٥٥٧ والتصريح ٢ : ٢٨٣ والهمع ٢ : ١٥٧ ، ٢١١ والأشمونى ٤ : ٩٠ ، ٢٢٠ .

(٢) فى سيبويه : « أعرابيا » .

(٣) سيبويه : « ولا يستعمله منهم ناس كثير » .

قال النحاس : وهذا عند سيبويه ردئ ، لأنَّ هذه العلامة إنَّما تقع فى الوقف ولا تقع فى الوصل ، فلما اضطُرَّ أجْراه فى الوصل عَلَى حالِهِ فى الوقف . وأنشد أبو الحسن بن كَيسان :

أتَوا نارى فقلت : مَنُونَ ، قالوا :
سَراةُ الجنِّ ، قلت : عِمُوا ظَلاما

وقال : إنما حكى كيف كان كلامُه وجوابه . انتهى .

وهذه الرواية هى رواية أبى زيد (فى نوادره) كما يأتى . ففى الرواية الأولى شذوذانِ كما فى المفصل : إلحاق العلامة فى الدَّرْج ، وتحريك النون . وفيه أيضاً كما قال ابن الناظم (فى شرح الألفية) أنه حكى مقدَّراً غير مذكور . وفى الثانية شذوذٌ واحد ، وهو تحريك النون . قال ابن جنى (فى الخصائص) : من رواه : « منُونَ قالوا » فإنّه أُجرى الوصل مجرى الوقف . فإن قلت : فإنَّه فى
٣ الوقف إنما يكون « مَنُونْ » ساكن النون [1] وأنت فى البيت قد حرَّكته . فهذا إذن ليس عَلَى نِيَّة الوقف ولا على نِيَّة الوصل . فالجواب : أنَّه إنّما أجراهُ فى الوصل عَلَى حدِّه فى الوقف ، فلمَّا أثبت الواوَ والنون التقيا ساكنين ، فاضْطُرَّ حينئذٍ إلى أنْ حَرَّك النون لإقامة الوزن . فهذه الحركة إذن إنما هى حركةٌ مستحدثة لم تكن فى الوقف ، وإنّما اضطُرّ إليها فى الوصل . وأمَّا من رواه : « منون أنتم » فأمره مشكل . وذلك أنَّه شبّه مَنْ بأىّ فقال : منون أنتم ، عَلَى قوله : أيُّونَ أنتم . فكما حُمل ههنا أحدهما عَلَى الآخر كذلك جمع بينهما ، فى أنْ جُرِّدَ من الاستفهام كل منهما . ألا ترى إلى حكاية يونس عنهم : ضرب مَنٌ مناً ، كقولك : ضرب رجلٌ رجلا . انتهى .

---

(١) ش : « إنما يكون ساكن النون » ، صوابه فى ط والخصائص .

وقوله : (أتوا نارى فقلت) إلى آخره ، الفاء عطفت جملة قلتُ عَلَى أتوا . وهى للترتيب الذِّكرى ، وهو عطفُ مفصَّل عَلَى مجمل ، نحو : ﴿ فأزَلَّهُما الشيطانُ عنها فأَخرجَهُما مِمَّا كانا فيه [(١)] ﴾ . وجملة منون أنتم من المبتدأ والخبر محكيَّة بالقول . و (مَنُون) إمَّا مبتدأ وأنتم خبره أو بالعكس . والفاء من (فقالوا) عطفت مدخولها عَلَى قلت . و (الجنّ) خبر مبتدأ محذوف ، أى نحن الجن . والجملة محكيَّة بقالوا . وكذلك عَلَى الرواية الثانية : « فقلت منون قالوا سَرَاةُ الجن » أى نحن أشْرافُها . وهو بفتح السين جمع سَرِىّ عَلَى ما قيل ، بمعنى الشريف . وكذلك مَنون عَلَى تقدير منون أنتم . قال الجوهرى : « عِمُوا صَبَاحاً : كلمة تحية » . قال ابن السيرافى : وإنما قال لهم : عموا ظلاماً لأنهم جنٌّ ، وانتشارهم بالليل ، فناسب أن يذكر الظلام ، كما يقال لبنى آدم إذا أُصبحوا : عِمُوا صباحا .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : ومعنى عمُوا انعَموا ، يقال عِمْ صباحاً بكسر العين وفتحها . ويقال وعم يعم من باب وعَد ووِمق . وذهب قومٌ إلى أنّ يعم محذوفةُ ينعِم . وقالوا : إذا قيل عَمْ بفتح العين فهو محذوف من انعَمْ المفتوح ، وإذا قيل عِم بكسر العين فهو محذوف من يَنْعِم المكسور العين . وحكى يونس أنّ أبا عمرو بن العلاءِ سئل عن قول عنترة :

* وعمى صباحا دارَ عبلةَ واسلمى *

فقال : هو من نَعِم المطر إذا كثر ، ونعم البحر إذا كثر زَبَده ، كأنه يدعو لها بالسُّقيا وكثرة الخير .

---

(١) الآية ٣٦ من سورة البقرة .

وقال الأصمعيُّ والفراء فى قولهم : عِمْ صباحا : إنّما هو دعاءٌ بالنعيم والأهل ، وهذا هو المعروف ، وما حكاه يونس نادر غريب . و (ظلاما) : ظرف ، أى انعموا فى ظلامكم ، أو تمييز ، والأصل لينعم ظلامُكم ، فحوِّل إلى التمييز . انتهى .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : ظلاماً تمييز ، أى نَعِمَ ظلامُكم ، كما تقول : أحسن الله صباحك . ولا يحسن أن يكون ظرفا ، إذ ليس المراد أنَّهم نعموا فى ظلام ولا فى صباح ، وأنّما المراد أنه نَعِمَ صباحُهم ، وإذا حسُن صباحهم كان فى المعنى حُسنهم .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات أربعةٍ رواها أبو زيد (فى نوادره) ونسبها لشُمَير بن الحارث الضبى ، مصغَّر شِمْر بكسر المعجمة . قال أبو الحسن فيما كتبه عَلَى نوادر أبى زيد : سُمير المذكور ، بالسين المهملة . وهى هذه :

(ونارٍ قد حضأتُ لها بليلٍ
بدارٍ لا أُريد بها مُقاما
سوى تحليلِ راحلةٍ وعَينٍ
أكالئُها مخافَةَ أن تناما
أتَوْا نارى فقلَتُ : منونَ قالوا
سَراةُ الجنِّ قلت : عِمُوا ظلاما
٤ فقلت : إلى الطَّعام ، فقال منهمْ
زعيمٌ : نحسُد الإنسَ الطعاما)

وزاد بعده غيرُهُ بيتاً آخر ، وهو :

(لقد فُضِّلتم بالأكل فينا ولكنْ ذاكَ يُعقِبكم سَقاما)

وزادَ بعضهم بعده :

(أمِطْ عنَّا الطعام فإنَّ فيه
لآكِلِه النَّقاصةَ والسَّقاما)

قال السكرىُّ فيما كتبه هنا : حضأتُ أى أشعلت وأوقدت ، يقال فى تصريفها حضأت النارَ أحضؤها حَضْئاً ، وهو بالحاء المهملة والضاد المعجمةِ والهمزةِ . واللام فى لها زائدةٌ ؛ لأنّ حضأت متعدّ . وروى ابنُ السِّيد وغيره :

* ونارٍ قد حضأتُ بُعيدَ وَهْنٍ *

وقال : الوهن والموهن : نحوٌ من نصف الليل . والذى ذكره الأصمعىُّ أنّ الوهن هو حين يُدبر الليل . وهذا يدلّ له الاشتقاق . فالمجرور بواو ربَّ فى محل نصب عَلَى المفعول بحضأت .

وقوله : « سوى تحليل راحلة » قال السكرى : أراد : سوى راحلةٍ أقمت فيها بقدر تَحِلَّة اليمين . وروى غيره : « سوى ترحيل راحلة » . قال ابن السِّيد : ترحيل الراحلة : إزالة الرحل عن ظهرها . والرَّحْل للإبل كالسَّرج للخيل . والراحلة : الناقة التى تُتَّخذ للركوب والسَّفر ، سُمِّيت بذلك لأنها ترحل براكبها . وأكالئها : أُحرسها وأُحفظها لئلا تنام . قال ابن السِّيد : وكان المفضَّل يروى : « وعير أكالئها » بالراء بدل النون ، وقال : العَيْر : إنسان العين . قال ابن هشام اللخمى بعد هذا : وهذه هى الرواية الصحيحة . وعير تُؤنَّث عَلَى المعنى ، لأنها عين ، وتذكَّر . ومخافةَ مفعول لأجله .

وقوله : « فقلت إلى الطعام » إلى متعلقة بفعل محذوف ، أى هلمُّوا إليه . وأورده الزمخشرى فى : (أول الكشَّاف) على أنَّه حَذَفَ متعلّق الجار من

بسم الله الرحمن الرحيم ، كما حذف متعلق إلى الطعام ، وهذا المحذوف فى حكم الموجود ، والمجموعُ محكيٌّ بالقول .

وقول ابن السِّيد : هذا الفعل المحذوف فى حكم الظاهر ، فلذلك لم يكن له موضع من الإعراب ، لا يظهر لتعليله وجهٌ .

وقال ابن خروف : يجوز أن تكون إلى اسم فعل . وجَزم اللخميُّ بأنَّ إلى هنا إغراء .

وفسَّروا الزَّعيم بالرئيس والسَّيِّد . وقال بعضهم : الزعيم بمعنى القائل ، كما تقول زعم زاعمٌ أى قال قائل ، ولا معنى للسَّيِّد هنا . وزعيمٌ فاعل . قال : وروى بدل زعيم : « فريق » . و « منهم » كان فى الأصل وصفَه فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . وقوله : « نحسد » إلخ يروى بالنون ، فالجملة مقول القول . ويروى بالمثناة التَّحتية فالجملة صفةٌ لزعيم ، فيكون البيت الذى بعده مقول القول . والأنَس يروى بفتحتين ، وبكسرة فسكون ، ومعناهما البشَر .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : الطعام : مفعول ثان ، إما على تقدير حرف خفض ، أى نحسد الإنس على الطعام . وإمّا على أنّه متعدٍّ بنفسه من أصله . كقوله : استغفرت الله الذنب [١] ، ومن الذنب . وقال اللخمى : الطَّعام مفعول ثان على إسقاط حرف الجر ، أى نحسد الإنسَ فى الطعام .

وقال الأندلسى : الأولى تقديره بعلى : لأنَّه يقال حسَدته على كذا . وقد ورد قوله ﷺ : « لا حَسَدَ إلَّا فى اثنتين » ، يجوز أن يكون أقام بعضَ حروفِ الصفات مقامَ الآخر . ويؤيِّده قول الجوهرى : « حسدتُك على الشئ وحسدتك الشئَ بمعنًى » .

---

(١) شاهده قول القائل ، وأنشده سيبويه فى كتابه ١ : ١٧ :

أستغفِرُ الله ذنبا لست محصيَه

رب العباد إليه الوجه والعمل

وقوله : « لقد فُضِّلتم » بالبناء للمفعول ، وفينا بمعنى علينا .

وقوله : « أمِطْ عَنا » إلخ أى أزِله عنا . و « النَّقاصة » بالفتح ، هو مصدر كالنَّقْص بالنون والقاف والصاد المهملة (١) .

ذكر فى أبياته أنَّ الجن طرقته وقد أوقَدَ ناراً لطعامه ، فدعاهم إلى الأكل مِنه فلم يجيبوه ، وزعموا أنَّهم يحسدون الإنسَ فى الأكل ، وأنَّهم فضِّلوا عليهم بأكل الطعام ، ولكنَّ ذلك يُعقبهم السَّقام .

وقوله :

* لقد فُضِّلتمُ بالأكل فينا *

ظاهره أنَّ الجن لا يأكلون ولا يشربون . وقال ابن السيرافى : قال زعيمهم : نحسد الإنس على أكل الطعام والالتذاذ ، وليس من شأننا أن نأكل ما يأكله الإنس .

وقال ابن المستوفى : لم يُرد أنَّ الجنَّ لا تأكل ولا تشرب ، وإنَّما أراد أنَّ طعامَ الإنس أفضلُ من طعام الجنّ .

وهذان القولان خلافُ الظاهر . ويؤيِّد ما قلنا قولُ ابن خروف (فى شرح أبيات سيبويه) : قوله لقد فُضِّلتم بالأكل فينا ، مخالفٌ للشَّرع ، لأنَّ النبى ﷺ قال : إن الجنَّ تأكل وتشرب . وفى (آكام المرجان فى أحكام الجان) ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الشبلى الحنفى الشامى ، وقد صنَّفه كما

(١) لم يرد هذا المصدر فى المعاجم المتداولة . والمعروف النقص ، والنقصان ، والنقيصة .

قال الصفدى فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة : وقد [١] اختلف العلماءُ فى هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّ جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون [٢] .

وهذا قول ساقط .

ثانيها : أنَّ صنفاً منهم يأكلون ويشربون ، وصنفاً لا يأكلون ولا يشربون .

ثالثها : أنَّ جميع الجن يأكلون ويشربون .

فقال بَعضُهم : أكلهم وشربهم تشمُّمٌ واسترواح ، لا مضغ وبلع . وهذا لا دليل له . وقال آخرون : أكلهم وشربهم مَضغ وبلع . ويدلُّ لهذا حديث أميَّة ابن مخشيّ [٣] ، من رواية أبى داود : « مازال الشيطانُ يأكل معَه فلما ذكرَ الله تعالى استقاءَ ما فى بطنه » . وفى الصحيحين أنِّ الجن سألوا رسولَ الله ﷺ الزادَ ، فقال : « كلُّ عظْمٍ ذُكر اسم الله عليه يَقع فى يد أحدهم أوْفَرَ ما يكون لحماً ، وكل بعر عَلفٌ لدوابِّهم » . وفى حديث يزيد بن جابر قال : « ما مِنْ أهل بيت من المسلمينَ إلّا وفى سقفِ بيتهم من الجنّ من المسلمين ، إذا وُضع غَداؤهم نزلوا فتغَدَّوْا معهم ، وإذا وُضِع عَشاؤهم نزلوا فتعشَّوا معهم ، يدفع الله بهم عنهم » .

---

(١) ش : « قد » بدون واو .

(٢) الكلام بعده الى « أن جميع الجن يأكلون ويشربون » ساقط من ش .

(٣) الإصابة ٢٥٨ . وحديثه فى سنن أبى داود ٣ : ٣٤٧ برقم ٣٧٦٨ .

والجنّ على مراتب ، قال ابن عبد البر : إذا ذكَروا الجنَّ خالصاً قالوا : جنّىّ . فإن أرادوا أنه ممن يسكُن مع الناس قالوا : عامر ، والجمع عُمَّار . فإنْ كان ممَّا يَعرِض للصِّبيان قالوا : أرواح . فإنْ خَبُث ولؤم قالوا : شيطان . فإن زادَ على ذلك فهو مارد . فإنْ زاد على ذلك وقوىَ أمرُه قالوا : عِفريت .

وقال ابن عقيل : الشياطين : العُصاة من الجنّ ، وهم ولد إبليس ، والمَرَدةُ أعتاهم وأغواهم ، وهم أعوان إبليس .

وقال الجوهرى : « كلُّ عاتٍ متمرِّد من الجنّ والإنس والدوابّ شيطان » .

وقال ابن دريد : الجنُّ : خلاف الإنْس . ويقال : جَنَّه الليل وأجَنَّه ، وأجَنَّ عليه وغطَّاه فى معنىً واحد ، إذا ستره . وكلَّ شيء استتر عنك فقد جُنَّ عنك . وبه سمِّيت الجنّ . وكان أهل الجاهلية يسمُّون الملائكة جنًّا لاستتارهم عن العيون . قالوا : والحِنّ بالحاء المهملة زعموا أنه ضربٌ من الجن . وقال أبو عُمَر الزاهد : الحِنّ : كلاب الجن وسَفِلتهم . والجانُّ : أبو الجنّ .

قال السهيلى (فى كتاب النتائج [1]) : وممَّا قدِّم للفضْل والشرف
تَقدِيمُ الجنّ على الإنس ، فى أكثر المواضع ، لأنَّ الجن تشتمل على الملائكةِ ٦
وغيرهِم مما اجتنَّ عن الأبصار . قال تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نَسبا [2] ﴾ ، وقال الأعشى [3] :

---

(١) لم يذكر فى كشف الظنون . كما لم يذكر فى الخزانة إلا فى هذا الموضع .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الصافات .

(٣) لم يرد البيت التالى فى ديوان الأعشى .

وسَخّرَ من جنِّ الملائك سبعةً
قياماً لديه يَعملون بلا أجْرِ

فأما قوله تعالى : ﴿ لم يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جَانٌّ [١] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لا يُسئَل عن ذنبهِ إنسٌ ولا جَانٌّ [٢] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأنّا ظَنَنَّا أنْ لن تقولَ الإنسُ والجِنُّ على اللهِ كذبا [٣] ﴾ فإنَّ لفظ الجنّ ههنا لا يتناول الملائكة ، لنزاهتهم عن العيوب ، فلمَّا لم يتناولهم عمومُ اللفظ لهذه القرينة بدأ بلفظ الإنس لفضلهم وكمالهم .

وشُمَير بن الحارث الضَّبِّىّ ، ناظُم هذه الأبيات ، تقدم ذكره فى الشاهد الخامس والستين بعد الثلثمائة [٤] .

تتمّـــة

قد رُوى البيتُ الشاهد من قصيدة قافيتها حائيَّة . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل للزجاجى) : ذكر أبو القاسم مؤلِّف الجمل أنّ الناس يَغْلِطون فى هذا الشعر فيروونه عِمُوا صباحا ، وجعل دليله الأبياتَ الميمية المنقولةَ عن أبى زيد . ولقد صَدَق فيما حكاهُ ولكنَّه أخطأ فى تخطئة رواية من روى : « عموا صباحا » ، لأنَّ هذا الشعْر الذى أنكره وقعَ فى (كتاب خبر سَدّ مأرِب) ونسبَه إلى جِذْع بن سنان الغَسَّانىّ فى حكاية طويلةٍ زعم أنَّها جرت له مع الجن . وكلا الشعرين أكذوبة من أكاذيب العرب لم تقع قَطُّ .

---

(١) الآية ٧٤ من سورة الرحمن .
(٢) الآية ٣٩ من سورة الرحمن .
(٣) الآية ٥ من سورة الجن .
(٤) صوابه السادس والستين بعد الثلاثمائة . وانظر الخزانة ٥ : ١٨٢ .

والشعر الذى على قافية [الميم ينسب إلى شُمَير بن الحارث ، وينسب إلى تأبّط شرًّا . وأما الشعر الذى على قافية [1]] الحاء فلا أُعلم خلافاً فى أنه لجِذع بن سِنان ، وهو :

أتَوْا نارى فقلتُ : مَنونَ أنتم
فقالوا : الجنُّ قلت : عِموا صَباحا
نزلتُ بِشِعبِ وادى الجنِّ لمَّا
رأيتُ الليلَ قد نَشر الجناحا
أتيتهمُ ولِلأقدارِ حَتمٌ
تُلاقى المرءَ صبحاً أو رَواحا
أتيتهمُ غريباً مستضيفاً
رأوا قتلى إذا فعلوا جُناحا
أتَونى سافرينَ فقلت : أهلاً
رأيتُ وجوههم وُسُماً صِباحا
نَحرتُ لهم وقلت : ألَا هَلُمُّوا
كُلوا مما طَهَيْتُ لكم سَماحا
أتانى قاشرٌ وبنو أبيه
وقد جَنَّ الدُّجَى والليلُ لاحا
فنازَعنى الزُّجاجةَ بعدَ وهْنٍ
مزجتُ لهم بها عَسلًا وراحا
وحذَّرنى أموراً سوف تأتى
أهُزُّ لها الصّوارمَ والرِّماحا

(١) هذه التكملة من ش .

سأُمضى للذى قالوا بعزمٍ
ولا أبغى لذلكمُ قِداحا
أسأتُ الظن فيه ، ومَن أُساهُ
بكلِّ الناس قد لاقى نجاحا
وقد تأتى إلى المرءِ المنايا
بأبواب الأمانِ سُدًى صُراحا
سيُبقى حكمُ هذا الدهرِ قوماً
ويَهْلِك آخرون به ذُباحا
أثعلبةَ بن عمروٍ ليس هذا
أوانَ السَّير فاعتَدَّ السِّلاحا
ألم تعلمْ بأن الذلَّ موتٌ
يُتيح لمن ألَمَّ به اجتياحا
ولا يَبقَى نعيمُ الدهر إلّا
لقَرْمٍ ماجدٍ صَدَق الكِفاحا

٧ قال ابن السِّيد : إن قيل كيف جاز أنْ يقول لهم : عموا صباحا ، وهمْ فى الليل . وإنّما يليق هذا الدُّعاءُ بمن يُلقَى فى الصباح . فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنَّ الرجل إذا قيل له عم صباحا فليس المراد أن ينعم فى الصباح دونَ المساء ، كما أنَّه إذا قيل أرغم الله أُنفه ، وحَياً الله وجهه ، فليس المراد الأنفَ والوجهَ دون سائر الجسم . وكذلك إذا قيل له : أعلى الله كعبك . وإنَّما هى ألفاظٌ ظاهرها الخصوص ومعناها العموم . ومثله قولُ الأعشى :

* الواطئين على صدور نعالهم (١) *

والوطء لا يكون على صدور النعال دون سائرها .

والوجه الثانى : أن يكون معنى أنعم الله صباحَك : أطلع الله عليك كلَّ صباح بالنعيم ، لأنَّ الصباحَ والظلام نوعان ، والنَّوع يسمى به كلُّ جزءٍ منه بما يسمّى به جملته .

والشعب ، بالكسر : الطريق فى الجبل .

ووُسُماً بالضم : جمع وسيم ، وهو الذى عليهِ سمة الجمال . وكذلك الصِّباح بالكسر : جمع صبيحٍ . شبِّه بالصبح فى إشراقه .

وطهَيت : طبخْت ، يقال طهيت اللحم وطهوتُه فأنا طاهٍ .

وقوله : « لا أبغى لذلكم قِداحا » أى لا أطلب ضَرب القداح ، لأنَّهم كانوا إذا أرادوا فعلَ أمرٍ ضربوا بالقداح ، فإن خرج القِدح المكتوب عليه : افعلْ ، فعَلَ الأمر . وإن خرج القِدح المكتوب عليه : لا تفعل ، لم يفعل الأمر .

وقوله : أسأتُ الظن فيه ، يقول : أسأت الظنَّ بضرب القداح والتعويلِ على ما تأمر به وتنهى عنه ، وعلمت أنَّ ما أَمَرَتْنى به الجنُّ أحرَى أن يُعَوَّل عليه .

وقوله : « سُدًى صُراحاً » ، السُّدى : الإبل المهملة التى لا يردُّها أحد . والصُّراح : الظاهرة .

والذُّبَاح ، بضم الذال المعجمة بعدها موحَّدَة : نباتٌ يقتل مَن أكله . ومَنْ رواه بِكسر الذال جعله جمع ذبيح .

---

(١) عجزه فى الديوان ٩٩ واللسان (دفن) :

* يمشون فى الدفنى والأبراد *

وقولهُ : « يتُيح » أى يقدِّر ويَجلب ، يقال أتاح الله كذا أى قدّره . وأُلَمَّ : نزل . والاجتياح ، بجيم بعدها مثناة فوقية : الاستئصال .

والقَرْم ، بفتح القاف وسكون الراء : السيِّد ، وأصله الفحل من الإبل . والكفاح ، بالكسر : ملاقاة الأعداءِ . انتهى .

جذع بن سنان وجذع بن سِنانٍ الغَسَّانىّ بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، شاعرٌ جاهلى قديم . وغسَّان : قبيلة من الأزد من قحطان . وجذعٌ خرجَ مع مَن خرجَ من الأزْد قبلَ سيل العرِم وجاءوا إلى الشام ، وكان ملكَها إذ ذاك سَليح ، وهم من غَسّان أيضا ، وقيل من قضاعة . وكانوا يؤدُّون لسليح عن كلِّ رجل دينارين ، فجاء عاملُ الملك إلى جذعِ بن سنانٍ يطلُب الخراج الذى وجَب عليه ، فدفع إليه سيفَه رَهناً ، فقال : أدخله فى حِرِ أُمِّك ! فغضب جِذعٌ وقَنَّعَهُ به ، فقيل : « خُذْ من جذعٍ ما أعطاك » ، وسارت مثلا . تُضْرَب فى اغتنام ما يجود به البخيل . وقيل فى سبب المثل غير هذا .

وامتنعت غَسّانُ من هذا الخراج بعد ذلك ووَلُوا الشّام ، كما تقدم شرحُه فى ملوك بنى جفنة [١] .

و (فى العباب) للصّغانى أنّ جذعاً هو جِذع بن عمرو . وهو غلط .

* * *

---

(١) الخزانة ٤ : ٣٨٤ — ٣٩٩ .

باب أسماء الأفعال

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الأربعمائة [١] :

٤٥٢ (فداءٍ لك الأقوامُ)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(مهلاً فداءٍ لك الأقوامُ كلُّهمُ ٨

وما أُثمِّرُ من مالٍ ومن ولدِ)

على أنّ (فداء) اسم فعل منقول من المصدر . قال صاحب الصحاح : الفِدَا إذا كسر أوله يمدّ ويقصَر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال : قُمْ فَدًى لك أبى . ومن العرب من يكسر فداءٍ بالتنوين إذا جاور الجرّ خاصّة ، فيقول : فداءٍ لك ، لأنّه نكرة ، يريدون به معنى الدعاء . وأنشد هذا البيت للنابغة عن الأصمعى .

وهذا التعليل فيه خفاء [٢] . والواضحُ قول أبى علىّ (فى المسائل المنثورة) وقد أنشده فيها قال : بُنىَ على الكسر لأنّه قد تضمَّن معنى الحرف ، وهو لام الأمر ، لأنَّ التقدير : ليفدك الأقوام كلُّهم . فلمَّا كان بمعناه بُنى . وبُنى على الكسر لأنَّه وقع للأمر . والأمرُ إذا حرِّك تحرك إلى الكسر . ونوَّنوه لأنَّه نكرة . انتهى .

---

(١) ابن يعيش ٤ : ٧٠ ، ٧٣ وديوان النابغة ٢٦ .

(٢) أرى أن الخفاء يزول إذا فهمنا قوله فيما سبق : « إذا جاور الجر » على أنه الجار والمجرور وهو « لك » ، ونحوه .

قال الزمخشري (في المفصل) : ومنه فداءِ لك ، بالكسر والتنوين ، أي ليفدك . وأنشد البيت .

قال ابن المستوفى : قوله « ومنه » : يريد ما التُزِمَ فيه التنكير ، كإيهاً في الكفّ ، وويْها في الإغراء ، وواهاً في التعجب . وعقَّبه بقوله : ومنه فداءِ ، يستعمل مكسورا منوّنا وغير منون ، حملا على إيهٍ وإيهِ . ثم نقل عن الزمخشري في حواشيه أنه قال : فداءٌ بالرفع ، عَلَى أنه خبر الأقوام . وفداءِ بالكسر ، لما ذكرنا [(١)] . وفداءً بالنصب على أنّه مصدر لفعله ، وهو ليفدك الأقوام . ويرفع الأقوام مع كسر فداءِ بالفاعل أيضاً لأنه أمرٌ لهم بالفداءِ . يعني أنَّ الأقوام فاعل فداء أيضا في حالة النصب ، لأنَّه فاعل المصدر ، كما أنه فاعله في حالة الكسر والتنوين .

وذكر القوّاس (في شرح ألفية ابن معطى) أنّ فيه لغات : فدًى بفتح الفاء وضمها مع القصر ، وكسرها مع القصر والمد .

وروى أبو زيد (في نوادره [(٢)]) قولَ الراجز :

* ويهاً فداءِ لك يا فَضاله *

بالكسر والتنوين . وهذا لا فاعل له في اللفظ ، وإنما الفاعل مفهومٌ من المقام ، أي ليفْدِك الناسُ ، ونحوه .

وويها : كلمةُ إغراء . وقوله : (مهلا) ، بمعنى أُمهل وتأنَّ . وقوله : (وما أثمِّر) معطوفة على الأقوام ، وهي موصولة والعائد محذوف ، أي أثمره . وأثمِّر : أجمع وأصلح . يقال ثمَّرَ فلانٌ مَاله ، إذا أصلحه وجَمَعه . ومِنْ للبيان .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبياني مدحَ بها النعمانَ بنَ المنذر ، وتنَصَّل عن ما قذفوه به ، حتَّى خافه وهربَ منه إلى بني جفنة ملوكِ الشام .

---

(١) ط : « كما ذكرنا » صوابه في ش .

(٢) نوادر أبي زيد ص ١٣ .

وقد تقدَّم شرحُ أبياتٍ كثيرة منها فى باب الحال ، وفى باب خبر كان ، وفى النعت ، وفى البدل وغير ذلك .

وبعد هذا البيت بيتٌ يورده علماءُ التصريف فى كتبهم ، وهو :

قرين الشاهد

(لا تقْذِفنِّى بركنٍ لا كِفاءَ له
ولو تأثَّفك الأعداءُ بالرِّفَدِ)

وقوله لا تقذِفَنىٍّ ، أى لا تركبنى بما لا أطيق ولا يقوم له أحد . والكِفاء بالكسر : المِثْل . وتأثَّفك الأعداء : اجتمعوا حولك واحتَوَشُوك ، فصاروا منك موضعَ الأثافىِّ من القِدر .

وقوله : بالرِّفد ، بكسر ففتح : جمع رِفْدة بكسر فسكون ، أى يَرفِد بعضهُم بعضاً ، يتعاونون بالنَّمائم عَلَىَّ ويسعَون بى عندك . يقال رَفَدَ فلانٌ فلاناً يرفِدُه رَفدا ، إذا أعانه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٤٥٣ (كَذَبَ العتيقَ وماءَ شنٍّ بارداً
إن كنتِ سائلتى غَبوقاً فاذهبى)

على أن « كذب » فى الأصل فعل ، وقد صارَ اسمَ فعلِ أمرٍ بمعنى الزم . ٩
لم أرَ مَنْ قال مِن النحويِّين وغيرهم أنَّ كَذبَ اسمُ فعلٍ . وهذا شئٌ

(١) فى كتابه ٢ : ٣٠٢ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٦٠ واللسان (كذب ٢٠٤ عتق ١٠٨) .

انفردَ به الشارح المحقق . وإنّما ذكروه فى جملة الأفعال التى مُنِعت التصرُّف ، منهم ابن مالك (فى التسهيل) .

وقول الشارح المحقق : « إذا رُوى بنصب العتيق » ، تحقيقٌ لكونه اسمَ الفعل ، فإنّ أكثر اسم الفعل يكون بمعنى الأمر كما قاله الشارح ، ففاعله مستترٌ فيه وجوبا تقديره أنت ، والعتيقَ مفعوله وماءَ معطوف على العتيق ، وبارداً صفة ماء . ومفهومه أنَّ العتيق إذا رُوِى بالرفع لم يكن كذب اسمَ فعل . ولم يبيِّن حكمه ، وكأنه ترك شرَحه لشهرته بمعنى الإغراء .

وفيه أن كذبَ سواءٌ نصبَ ما بعده أو رفع ، بمعنى الإغراء كما فى الأمثلة المذكورة فى الشرح ، فجعْله مع المنصوب دون المرفوع اسمَ فعل تحكُّمٌ لا يظهر له وجه . على أنَّ النصب قد أنكره جماعة وعيَّنوا الرفع ، منهم أبو بكر بن الأنبارى (فى رسالة شرح فيها معانى الكذب) على خمسة أوجه ، قال [(١)] :

كذبَ معناه الإغراء ومطالبة المخاطَب بلزوم الشئ المذكور ، كقول العرب : كذبَ عليك العسلُ ، ويريدون كُل العسل . وتلخيصه [(٢)] : أخطأَ تاركُ العسلِ ، فغلب المضافُ إليه على المضاف . قال عمر بن الخطاب : « كذبَ عليكم الحجُّ ، كَذَبَ عليكم العُمرةُ ، كذب عليكم الجِهادُ : ثلاثة أَسفار كَذبنَ عليكم » معناه الزموا الحجَّ والعمرةَ والجهاد . والمغرى به مرفوع بكذبَ ، لا يجوز نصبه على الصحَّة ، لأنَّ كذب فعلٌ لا بدَّ له من فاعل ، وخبرٌ لا بدَّ له من محدَّث عنه ، والفعلُ والفاعل كلاهما تأويلهما الإغراء . ومَنْ زعم أنّ الحجَّ والعمرة والجِهادَ فى حديث عمر حكمهنّ النصبُ لم يصبْ ، إذ قضى بالخلوّ عن الفاعل . وقد حكى أبو عبيدٍ عن أبى عبيدة عن أعرابىّ ، أنَّه نظر إلى ناقةٍ نضوٍ لرجل فقال : كذب البَزْرَ والنَّوى . قال أبو عبيد :

---

(١) سيذكر هنا الخامس فقط . وانظر ما سيأتى فى ١٩٤ - ١٩٩ .

(٢) التلخيص : التبيين والشرح . وهو أيضا الاختصار .

لم يسمع النصبُ مع كذب فى الإغراء إلا فى هذا الحرف . قال أبو بكر : وهذا شاذٌّ من القول ، خارجٌ فى النحو عن منهاج القياس ، ملحقٌ بالشواذّ التى لا يعوَّل عليها ولا يُؤخذ بها . قال الشاعر :

* كذبَ العتيقُ وماءُ شنٍّ باردٌ *

معناه الزمى العتيق وهذا الماء ، ولا تطالبينى بغيرهما . والعتيقُ مرفوع لا غير . انتهى .

ومن الغريب قولُ ابن الأثير (فى النهاية) فى حديث عمر ، برفع الحج والعمرة والجهاد ، معناه الإغراء ، أى عليكم بهذه الأشياء الثلاثة . وكان وجهه النصب ، ولكنّه جاء شاذًّا مرفوعا . انتهى .

وقد نقل أبو حيان كلام ابن الأنبارى (فى تذكرته ، وفى شرح التسهيل) ، وزاد فيه بأنّ الذى يدلُّ على رفع الأسماء بعدَ كذب أنّه يتّصل بها الضمير كما جاء فى كلام عمر : « ثلاثة أسفار كذبن عليكم » . وقال الشاعر :

* كذبتُ عليك لا تزال تقُوفُنى [1] *

معناه عليكَ بى [2] : فرفع التاء وهى مغرًى بها ، واتصلت بالفعل لأنّه لو تأخر الفاعل لكان منفصلاً ، وليس هذا من مواضع انفصال الضمير [3] . انتهى .

---

(١) للقطامى فى اللسان (كذب ، قوف) وليس فى ديوانه . ويروى أيضا للأسود بن يعفر . ط : « تتوقنى » ش : « تبوقنى » والصواب ما أثبت . وقافه يقُوفُه مثل قفاه يقفوه ، أى تبعه .

(٢) فى الأصل ، أى النسختين : « عليكن » ، صوابه من اللسان . (كذب ، قوف) . وفى اللسان : « فأغراهُ بنفسه ، أى عليك بى » .

(٣) كلمة « الضمير » ساقطة من ش .

والصحيح جواز النصب ، لنقل العلماء أنّه لغة مضَر ، والرفع لغة اليمن . ووجهه مع الرفع أنه من قبيل ما جاء لفظ الخبر [فيه [١]] بمعنى الإغراء كما قال ابن الشجرى (فى أماليه) كتؤمنون بالله ، بمعنى آمِنُوا بالله . ورحمهُ الله ، بمعنى اللهم ارحمْه ، وحسبك زيد ، بمعنى اكتف به . ووجهه مع النصب من باب سِراية المعنى إلى اللفظ [٢] فإنّ المغرى به لمَّا كان مفعولاً فى المعنى اتَّصلت به علامَةُ النصب ليطابق اللفظ المعنى .

وقال عبد الدائم بن مرزوق القيروانى (فى كتاب حُلَى العُلَى ، فى الأدب) : إنه يروى العتيق بالرفع والنصب ، ومعناه عليك العتيق وماء شنّ وأصله : كذب ذاك ، عليك العتيق ، ثم حذف عليك وناب كذب منابه ، فصارت العرب تُغرِى به .

وقال الأعلم (فى شرح مختار الشعراءِ الستة) عند كلامه على هذا البيت : قوله كذب العتيقُ ، أى عليك بالتمر . والعتيق : التمر البالى . والعرب تقول : كذَبَكَ التّمرُ واللبن ، أى عليك بهما . وبعض العرب ينصب ، وهم مضر ، والرفع لليمن . وأصل الكذب الإمكان . وقول الرجل للرجل : كذبت ، أى أمكنت من نفسك وضَعُفت . فلهذا اتُّسِعَ فيه وأغِرىَ به ، لأنه متى أغرى بشيء فقد جعل المغرَى به ممكنا مستطاعاً إن رامَه المغْرَى . انتهى .

قال أبو حيان (فى شرح التسهيل) بعد نقله لهذا الكلام : وإذا نصبنا بقىَ كذبَ بلا فاعل على ظاهر اللفظ ، والذى تقتضيه القواعد أنّ هذا يكون من باب الإعمال ، فكذب يطلب الاسم على أنّه فاعل ، وعليك

---

(١) تكملة يقتضيها الكلام .

(٢) أصل السراية بالكسر سرى الليل : وفى اللسان : « ويقل فى المصادر أن تجئ على هذا البناء لأنه من أبنية الجمع . يدل على صحة ذلك أن بعض العرب يؤنث السرى والهدى ، وهم بنو أسد ، توهما أنهما جمع سُرية وهُدية » .

يطلبه على أنه مفعول ، فإذا رفعنا الاسم بكذب كان مفعول عليك محذوفاً لفهم المعنى ، التقدير كذب عليكهُ الحجُّ . وإنما التزم حذف المفعول لأنه مكان اختصار ، ومحَرَّف عن أصل وضعه ، فجرى لذلك مجرى الأمثال فى كونها يلتزم فيها حالةٌ واحدة يتصرَّف فيها ، وإذا نصبنا الاسمَ كان الفاعل مضمراً فى كذب يفسِّره ما بعده على رأى سيبويه ، ومحذوفا عَلَى رأى الكسائى . وقال ابن طريف (فى الأمثال [١]) : وكذب عليك كذا ، أى عليك به ، معناه الإغراء ، إلا أنَّ الشئ الذى بعْد عليك يأتى مرفوعا . انتهى .

وقد بسط الكلامَ علَى هذه الكلمة الزمخشريُّ (فى الفائق) فلا بأس بإيراده هنا ، وإن كان فيه طول . قال فى حديث الحجامة : « فمن احتجم فى يوم الخميس والأحد كذَباك » أى عليك بهما . ومنه حديث عمر رضى الله عنه : « كذب عليكم الحج » الحديث السابق . وعنه : أنَّ رجلا أتاه يشكو إليه النِّقرِس ، فقال : كذبتك الظهائر ، أى عليك المشىَ فى حرِّ الهواجر وابتذالَ النفس . وعنه : أنّ عمرو بن مَعْدِيكربَ شَكا إليه المَعَص [٢] . فقال : كذب عليك العسل ، يريد العَسلان [٣] . فهذه كلمة مشكلة قد اضطربت فيها الأقاويل ، حتّى قال بعض أهل اللغة : أظنُّها من الكلام الذى درجَ ودرج أهله ومَنْ كان يعلمه . وأنا لا أذكر من ذلك إلّا قولَ من هِجِّيراه التحقيق [٤] . قال أبو على : الكذب ضربٌ من القول ، وهو نطق كما أنَّ

(١) صوابه « الأفعال » كما فى إنباه الرواة ٢ : ٢٠٨ .

(٢) المعص ، بالتحريك : التواء فى عصب الرجل ، ويقال أيضا معصت قدمه : التوت من كثرة المشى . ط : « المغص » صوابه بالعين المهملة كما فى الفائق ٢ : ٤٠٠ وكما فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) العسل والعسلان : ضرب من المشى فيه سرعة . وانظر جمهرة العسكرى ٢ : ١٦٦ .

(٤) الهجيرى : الدأب والشأن والعادة .

القول نطق . فإذا جاز فى القول الذى الكذبُ ضربٌ منه أن يُتَّسَعَ فيه فيُجعل غيرَ نطق ، فى نحو قوله :

* قد قالت الأنساع للبَطْن الحَقى [١] *

جاز فى الكذب [٢] أن يُجعَل غير نطق ، فى نحو قوله :

* كذبَ القراطفُ والقُروفُ *

فيكون ذلك انتفاءً لها ، كما أنه إذا أخبر عن الشئ عَلَى خلاف ما هو به كان انتفاءً للصدق فيه . وكذلك قوله :

* كذبت عليكم أوعدونى *

معناه لست لكم ، وإذا لم أكن لكم ولم أعِنكم كنت مُنابذاً لكم ، ومنتفيةً نُصرتى عنكم . وفى ذلك إغراءٌ منه لهُمْ به .

١١ وقوله : « كذب العتيق » ، أى لا وجود للعتيق وهو التمر فاطلبيه ، وإذا لم تَجِدى التمر فكيف تجدين الغَبوق [٣] .

وقال بعضهم فى قول الأعرابّى وقد نظر إلى جملٍ نِضوٍ : « كذبَ عليك القَتُّ والنوى » ، وروى : « البزر والنوى » ، ومعناه أنَّ القتَّ والنوى ذكرا أنَّك لا تسمن بهما ، فقد كذبا عليك ، فعليك بهما ؛ فإنّك تسمن بهما وقال أبو على : فأمَّا من نصب البزرَ فإنَّ عليك فيه لا يتعلق بكذب ولكنّه

---

(١) ش والخصائص ١ : ٢٣ : « الحق » بدون ياء . وأثبت ما فى ط وفائق الزمخشرى . وفى اللسان أن « البطن » من الإنسان مذكر ، وحكى أبو عبيدة أن تأنيثه لغة .

(٢) ط : « معاندا » ، وأثبت ما فى ش والفائق .

(٣) ما بعد « فاطلبيه » إلى هنا ليس فى فائق الزمخشرى ، ولعله سقط من أصوله .

يكون اسمَ فعل وفيه ضمير المخاطب ، وأما كذب ففيه ضمير الفاعل ، كأنَّه قال : كذب السِّمَن ، أى انتفى من بعيرك ، فأوجِدْه بالبزر والنوى . فهما مفعولا عليك ، وأضمر السِّمن لدلالة الحال عليه فى مشاهدةِ عدَمه .

و (فى المسائل القصريات) : قال أبو بكر فى قول من نصب الحجّ ، فقال كذب عليك الحجَّ : إنه كلامان ، كأنَّه قال : كذب ، يعنى رجلا ذمَّ إليه الحجّ ، ثمَّ هَيَّجَ المخاطَبَ عَلَى الحج فقال : عليك الحجَّ . هذا ، وعندى قولٌ هو القولُ ، وهو أنَّها كلمة جرت مجرى المثَلِ فى كلامهم ، ولذلك لم تَصرَّف ولزمت طريقةً واحدة فى كونها فعلاً ماضياً معلَّقاً بالمخاطب ليس إلّا ، وهى فى معنى الأمر [١] ، كقولهم فى الدعاء : رحمك الله ! والمراد بالكذب الترغيب والبَعث ، من قول العرب : كذَبتْه نفسه ، إذا منَّته الأمانىَّ وخيَّلت إليه من الآمال ما لا يكاد يكون ، وذلك ما يرغِّب الرجلَ فى الأمور ويبعثه على التعرُّض لها . ويقولون فى عكس ذلك : صدقَتْه ، إذا ثبَّطتْه وخَيَّلت إليه العجز [٢] والنَّكَد فى الطلب . ومن ثَمَّ قالوا للنفس « الكذُوب » . قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للرّجل يتهدَّد الرجل ويتوَّعده ثم يكذب ويَكِعُّ [٣] : صدقَتْه الكَذوبُ ! وأنشد :

فأقبل نحوى عَلَى قُدرة ... فلمّا دنا صَدَقَتهْ الكذوبُ [٤]

(١) ش : « الكلام » ، صوابه فى ط والفائق .

(٢) فى الفائق : « المعجزة » .

(٣) يقال كع يَكُعُّ ويكِعُّ ، والكسر أجود ، أى جبن وضعف .

(٤) فى الأصل : « على قدره » ، وأثبت ما فى الفائق .

وأنشد الفراء :

* حتَّى إذا ما صدَقته كُذُبُهْ (١) *

أى نفوسه ، جعل له نفوساً لتفرُّق الرأى وانتشاره . فمعنى قوله : كذبك الحج : ليكذِّبك ، أى ينشِّطك ويبعثْكَ عَلَى فعله .

وأما كذب عليك الحجُّ فله وجهان : أحدهما أن يضمَّن معنى فعلٍ يتعدَّى بحرف الاستعلاء ، أو يكون عَلَى كلامين كأنَّه قال : كذب الحجُّ ، عليك الحجّ ، أى ليرغِّبك الحج وهو واجبٌ عليك . فأضمر فى الأوَّل لدلالة الثانى عليه . ومن نصب الحجَّ فقد جعل عليك اسم فعل كما سبق ، وفى كذب ضمير الحج . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت الشاهد هو من أبياتٍ سبعة لعنترَةَ صاحب المعلقة . ورُوِى أيضاً أنه لخُزَز بنِ لَوْذان السَّدوسى . وكلاهما جاهليَّان .

قال الصاغانى : وهو موجود فى ديوان أشعارهما (٢) .

أبيات الشاهد وهذه أبياتُ عنترة خاطبَ بها امرأته وكانت لا تزال تذكر خيلَه وتلومُه فى فرسٍ كان يُؤثِره عَلَى سائر خيله ويَسقيه اللبن :

(لا تذكرى فرسى وما أطعمتهُ

فيكونَ جلدُكِ مثلَ جلدِ الأجربِ

---

(١) الكذب ، بضمتين : جمع كذوب . وفى ط : « كذوبه » صوابه فى ش والفائق وتاج العروس (كذب ٤٤٩) ، وهو ما يقتضيه التفسير بعده .

(٢) ديوان عنترة ٢٤ — ٢٥ .

إنّ الغبوق له ، وأَنت مَسُوءة
فتأَوَّهِى ما شئتِ ثم تحوَّبى
كذب العتيقُ وماء شَنّ باردٍ
إنْ كنت سائلتى غَبوقاً فاذهبى
إنَّ الرجال لهم إليكِ وسيلةٌ
إن يأخذوكِ تكحَّلى وتخضَّبى
ويكون مركبُك القعودَ وحِدجَه
وابنُ النعامة عند ذلكِ مَرْكَبى
وأنا أمرؤ إنْ يأخذونىَ عَنوةً ١٢
أُقْرَنْ إلى شرِّ الرِّكاب وأُجْنَبِ
إنِّى أُحاذرُ أن تقول ظعينتى :
هذا غبارٌ ساطعٌ فتلبَّبِ)

وقوله (١) : « مثل جلد الأجرب » أى لا تلومينى فى إيثار فرسى فأبغضَك وأهجُرَ مضجعَك وأتحاماك ، كما يُتحامَى الأجربُ من الإبل ويُبْعَدُ عنها لئلاَّ يُعديَها . وقيل معناه أضربك فيبقى أثرُ الضَّرب عليك كالجرب . فيكون تهَّدَدها بالضرب الأليم .

وقوله : « إنّ الغبوق له » إلخ الغَبوق : شُربُ اللبن بالعشىِّ . والعشىُّ : ما بين الزوال إلى الغروب ، وقيل من الزوال إلى الصَّباح . ومَسُوءة ، أى آتٍ إليكِ ما يسوءكِ بإيثار فرسى عليك . والتأوُّه : التحزُّن ، وأن تقول : آهِ ! توجُّعا . والتَّحوُّب : التوجُّع ، ويقال هو الدعاء على الشئ .

(١) ش : « قوله » بدون واو .

وقوله : (كذب العتيق) إلخ العتيق هو التَّمر القديم . قال الدِّينوَرىّ (فى كتاب النبات) : يقال عَتَق وعتُق بالفتح والضمّ ، إذا تقادم . والعتيق : اسمٌ للتمر عَلَم . وأنشد هذا البيت . و (الشَّنُّ) : القِربة الخلق ، والماء يكون فيها أبردَ منه فى القِربة الجديدة . يقول : عليكِ بالتمر فكليه ، والماءِ البارد فاشربيه ، ودعينى أوثر فرسى باللبن . وإن تعرَّضتِ لشُرب اللبن فاذهبى . وإنما يتوعَّدها بالطلاق .

وقد أورد سيبويه هذا البيت فى باب وجوه القوافى فى الإنشاد ، على أنَّه سمع من العرب من ينشده :

* إنْ كنتِ سائلتى غبوقاً فاذهبْ *

بسكون الباء ، لأنَّهم لم يريدوا الترنم .

وقوله : « إن الرجال » إلخ ، ويروى « إنَّ العدوّ » . والوسيلة : القُربة ، وقيل المنزلة القريبة . قال الأعلم (فى شرح مختار شعر عنترة) : هذا منه وعيدٌ وتخويفٌ أن تُسبَى فيَسْتَمتِعَ بها الرجال ، [ولذلك (١)] قال : تكحَّلى وتخضَّبى . والمعنى : إن أخذوك تكحَّلتِ وتَخَضَّبتِ لهم ليستمتعوا بك .

وقال ابن الشجرى : أن يأخذوك موضعه نصب بتقدير حذف الخافض ، أى فى أن يأخذوك ، أى لهم قُربةٌ إليك فى أخذهم إياك . قَذَفها بإرادتها أن تؤخذ مسبيَّة .

هذا كلامه ، وهذا تحريفٌ منه ، فإنَّ إنْ شرطية لا مفتوحة مصدرية ، وقد جَزمت الشَّرطَ والجزاء . وقد غفل عنهما .

---

(١) التكملة من ش .

وقوله : « ويكون » إلخ القَعود بفتح القاف : ما اتخذ من الإبل للركوب خاصَّة . والحِدْج ، بكسر المهمل وآخره جيم : مركبٌ من مراكب النساء . وروى بدله « رحله » . وابن النعامة : اسم فرسه . وقيل هو الطريق ، وقيل هو صدر القدم . يقول : إن أخذوكِ حُمِلت سبيّةً عَلَى قَعود ونجوتُ أنا على فرسى . والمعنى على الثانى والثالث أنّه إن أسر يمشى راجِلاً مُهانا .

وقوله : « وأنا امرؤ » إلخ العَنوة بالفتح : القسر والقهر . والرِّكاب : الإبل التى يُحْمَلُ عليها الأثقال . وأقرنْ أى ألصَق بها وأجعلْ مقروناً إليها . وأجنَب : أُقاد . يقول : إن أُخذتُ عَنوةً قُرنتُ إلى شرِّ الإبل وجُنبتُ كما تُجنب الدابة .

وقوله : « إنِّى أحاذر » إلخ الظَّعينة : الزَّوجة مادامت فى الهَودج . والتلبُّب:التحزُّم ، أى تحزَّمْ للمحاربة . وقيل هو الدخول فى السلاح . وقوله : « هذا غبارٌ » ، يعنى غبار الخيل عند الغارة . والسَّاطع : المستطير فى السَّماء .

وترجمة عنترة تقدمت فى الشاهد الثانى والعشرين أول الكتاب (١) . وترجمة ابن لوذان تقدمت أيضاً فى الشاهد العشرين بعد المائة (٢) .

تتمـــة

١٣ أصل الكذب الإخبار على خلاف الواقع . قال ابن قتيبة : الكذب يكون فى الماضى ، والخُلْف فى المستقبل . قال ابن السِّيد : هذا الأكثر

(١) صوابه « الثانى عشر » . انظر الخزانة ١ : ١٢٨ .

(٢) انظر الخزانة ٢ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

والأشهر . وقد جاء الكذب مستعملاً فى المستقبل . قال تعالى : ﴿ ذلك وعدٌ غيرُ مكذوب [١] ﴾ . ومن المجاز حديثُ : « صدق الله وكذبَ بطنُ أخيك » . قال صاحب النّهاية : استعمل الكذب ههنا مجازاً ، حيث هو ضدُّ الصدق . والكذب يختصُّ بالأقوال ، فجعل بطن أخيه حيث لم ينجع فيه العسل كاذباً ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ فيه شفاءٌ للناس [٢] ﴾ .

وقد ألَّف أبو بكر بن الأنبارى (رسالة فى معانى الكذب) قال : الكذب ينقسم على خمسة أقسام :

إحداهنّ : تغيير الحاكى ما يسمع ، وقوله ما لا يعلم نقلاً ورواية [٣] . وهذا القسم هو الذى يؤثِم ويَهضم المروءة .

الثانى : أنْ يقول قولا يشبه الكذب ولا يقصِد به إلّا الحقَّ ، ومنه حديث « كذب إبراهيم ثلاث كِذْبات ، فى قوله : إنى سقيم . وفى قوله : بل فعلَه كبيرهم هذا ، وفى قوله : سارَة أختى [٤] » ، أى قال قولا يشبه الكذب . وهو صادقٌ فى الثلاث ، لأنَّ معنى إنِّى سقيم : الموت فى عنقى ، ومَن الموتُ فى عنقه سقيمٌ أبدا . وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، تأويله فعَلَه الكبير إن كانوا ينطقون ، فهو فى الحقيقة لا يفعل كما لا ينطقون أبدا . وتأويل قوله : سارَة أختى ، هى أختى فى دينى لا فى نسبى .

الثالث : بمعنى الخطأ ، نحو : أُقدِّر أنَّ فلاناً فى منزله الساعةَ ، فيقال

---

(١) الآية ٦٥ من هود .

(٢) الآية ٣٩ من النحل .

(٣) ط : « رواية » ، صوابه فى ش .

(٤) هو من حديث عبادة بن الصامت ، انظره بتفصيل فى سنن أبى داود ٢ : ٣٦ فى (باب فى من لم يوتر) .

لقائله : صدقت وكذبت . فتأويل صدقت أصبت ، ومعنى كذبت أخطأت . قال ابن الأثير (فى النهاية) : ومنه حديث صلاةِ الوتر : « كَذَب أبو محمد » أى أخطأ ، سمَّاه كذبا لأنَّه شبيهُ فى كونه ضدَّ الصواب ، كما أنَّ الكذب ضدُّ الصدق وإن افترقا من حيث النِّيَّةُ والقصد ، لأنَّ الكاذبَ يعلم أنّ ما يقوله كذب ، والمخطئ لا يعلم . وهذا الرجل ليس بمخبر ، وإنما قاله باجتهاد أدَّاهُ إلى أنَّ الوتر واجب . والاجتهاد لا يدخُله الكذب ، وإنما يدخله الخطأ . وأبو محمد : صحابىٌّ اسمه مسعود بن زيد [1] .

وقد استعملت العربُ الكذبَ فى موضع الخطأ . قال الأخطل :

كذبتكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ
غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّباب خيالَا [2]

انتهى .

الرابع : البُطول ، كَذَب الرَّجُلُ بمعنى بَطَل عليه أَملُه وما رَجَاه . قال أبو دُوَادٍ الإيادىّ :

قُلتُ لمَّا ظهرَا فى قُنَّةٍ
كَذَبَ العَيرُ وإنْ كان بَرَحْ [3]

معناه كذب العيرَ أملُه وبطَلَ عليه ما قدَّر ، لأنَّه كان أمَّل السلامة منِّى لمَّا بَرَح . وتفسير برحَ أخذَ من جهة شِمالِى ماضياً على يمينى ، فلمَّا قلبتُ

---

(١) إلى هنا ينتهى نص ابن الأثير . وترجمة أبى محمد فى الإصابة ٧٩٣٩ .

(٢) ديوان الأخطل ٤١ .

(٣) فى ديوانه ٣٠١ والمقاييس واللسان (كذب) والمعانى الكبير ١١٨١ وجمهرة العسكرى ٢ : ١٦٦ . وروايته فيها : « قلت لما نصلا من قنة » .

عليه الرمحَ وطعنتُه بطلَ عليه ما كان أمَّل من التخلُّصِ والسلامة .

وقد قيل فى هذا البيت :

كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها
مغالَبةً مادام للسَّيف قائمُ

إنّ معناه : كذبكم أملُكم . ومثله أيضاً قوله :

كذبتم وبيت الله لا تَنكحونها
بنى شابَ قَرْناها تَصرُّ وتَحْلُبُ [١]

تقديره : كذبَكم أملكم .

وفسِّر قولُ أبى طالب :

كذبتم وبيت الله نُبْزِى محمّداً
ولما نطاعنْ دونه ونناضلِ [٢]

معناه : بطلَ عليكم ما أمَّلتم .

١٤ وقال بعض أهل اللغة فى قول الله تعالى : ﴿ انظُرْ كَيفَ كَذَبُوا على أنفسهم [٣] ﴾ : انظر كيف بطلَ عليهم أملُهم ، لأنَّهم لما قالوا : ﴿ واللهِ ربِّنا ما كنا مُشركين ﴾ ، رجَوْا أن يزولَ عنهم بهذا القولِ البلاءُ ، ولم يحلفوا على الذى أقسموا عليه إلَّا وهو فى معتقدهم حقّ ؛ إذْ كانوا فى حالة ما أقسموا ، على ما قدَّروه فى دار الدنيا ، من أنّ الشرك غير شرك ، وأنّ الكفر هدًى وإيمان .

---

(١) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ٢/٢٥٩ : ٧ ، ٦٤ .

(٢) ديوان أبى طالب الورقة الثانية مخطوطة الشنقيطى .

(٣) الآية ٤٣ من سورة الأنعام .

ومن كانت هذه سبيلَه فليس كذبُه إلا من جهه بُطول أمله . وقد خولف هذا اللغوى . انتهى .

ومنه قول سيبويه : « وهو محالٌ كذب » أى باطل وفاسد [١] ، قاله فى الكلام المختلّ ، وهو الذى لا تحصُل فائدته ، نحو : سوف أشربُ ماءَ البحر أمس ، وقد شربت ماء البحر غداً .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : وخالفه فيه أصحابه : الأخفشُ ، والمازنى ، والمبرد ، فقالوا : هذا القِسْم محالٌ وليس بكذب ، لأنه لا يحصُل له معنى . والكذب سبيله أن يقع لما يخاطَب بمعناه . قال أبو بكر : وقول سيبويه عندى صحيح ، لأنَّ الكذب يقع على الفاسد من القول ، كما يقع الصِّدقُ على الصحيح منه . وجائزٌ عندى أن يقال محالٌ لكلّ ما لا يحصُل معناه من الخطأ والكذب ، من حيث أنّ تأويل المحال فى اللغة المغيَّر عن الصواب ، المزالُ عن طريق الصحة . فمن كذَب وأخطأ فى قول يُفهَم عنه فقد أحال . انتهى .

قال ابن الأنبارى : وممَّا يدلُّ على أنّ كذب بمعنى أخطأ ، وهو مصحِّح لقول سيبويه ، ومبطلٌ لمذهب مخالفيه – أنّ عروة بنَ الزبير ذَكر عند عمر بن عبد العزيز ما كانت عائشة رضى الله عنها تخصُّ به عبدَ الله بن الزُّبير من البر والأثرة والمحبَّة ، فقال له عمر : كذبتَ ! وبالحضرة عُبيد الله بن عبد الله فقال : إنِّى ما كذبت ، وإنَّ أكذب الكاذبين لمن كذَّب الصادقين .

قال أبو بكر : فلا يُحمل هذا من قول عمر بن عبد العزيز إلا على أنه أراد أخطأت ، إذ المعنى الآخرُ يُلزم عمرَ كذباً فيأثم . وجواب عُروة وقَعَ عَلَى غير المعنى الذى قصد له عمر ، لأنَّه حين غضبَ حَمَل كذب على معنى قلتَ غير الحقّ .

---

(١) انظر سيبويه ١ : ٨ بولاق ، ١ : ٢٦ من نشرتنا .

ومثله قول معاوية للناس : كيف ابنُ زياد فيكم ؟ قالوا : ظريفٌ عَلَى أنه يلحن . قال : فذاك أظرفُ له . أراد القومُ بقولهم يلحن : يخطئ ، وذهب معاوية إلى أنّهم أرادوا يلحن بمعنى يَفطَن ويُصيب ، من قول العرب : فلانٌ ألحن بحجَّته من فلان .

وقد حُكى عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه حُكِى له عن صحابيّ روايةٌ رواها عن رسول الله ﷺ فقال : كذب (١) ، يعنى أخطأ . لا مُحتَمَلَ لهذا غير التأويل ، إذْ هم مَعادنُ التقوى والورع ، وأربابُ الصِّدق والفضل ، وصفهم الله بالصِّدق بقوله : ﴿ وينصُرُون اللهَ ورسُولَه أولئك هُمُ الصَّادِقون (٢) ﴾ .

ويقال : كذَّبت الرجل ، إذا كذَّبتَه فيما هو فيه كاذب . وكَذَّبته إذا نسبتَه إلى الكذب فيما هو فيه صادق . قال الله تعالى : ﴿ فإنّهم لا يُكذِّبونك (٣) ﴾ أراد لا يصحِّحون عليك الكذب وإنْ نسبوك إليه .

قال أبو بكر : وقد أجبتُ عنها بجوابٍ آخر ، فإنّهم لا يكذِّبونك بقلوبهم عندما ينسبونك إلى الكذب بألسنتهم ، لأنه عليه الصلاة والسلام كان عندهم عَلَماً فى الصدق قبل النبوَّةِ وبعدَها ، ولذلك كانوا يدْعونه : « الأمين » . وأنشدنا أحمد بن يحيى لابن الدُّمينة :

حَلفتُ لها أنْ قد وجَدتُ من الهوى
أخا الموتِ ، لا بدعاً ولا متأشّبا (٤)

---

(١) إشارة إلى حديث أبى محمد مسعود بن زيد ، الذى سبق قريبا فى ص ١٩٥ .
(٢) الآية ٨ من سورة الحشر .
(٣) الآية ٣٣ من سورة الأنعام .
(٤) أثبت البيتين محقق ديوان ابن الدمينة ٢١٣ نقلا عن هذا الموضع من الخزانة .

وقد زعمتَ لى ما فعلتُ فكيف بى ١٥
إذا كنت مردودَ المقال مكذَّبا

أراد منسوبا إلى الكذب فيما أنا فيه محقٌّ صادق .

والمعنى الخامس من المعانى كَذَب : الإغراء . وقد تقدم الكلام فيه فى أول الشاهد [1] .

* * *

وأنشد بعده :

(وذُبيانيَّةٍ أوصَتْ بنيها
بأنْ كَذَبَ القراطفُ والقُروفُ)

على أنَّ كذب فيه مستعمَلٌ فى الإغراء والقراطف فاعله ، والمعنى على المفعولية ، أى عليكم بالقراطف وبالقروف فاغنَموهما .

وتقدَّم ما يتعلق بكذب فى البيت الذى قبله . وبعده :

(تجهِّزهمْ بما اسطاعَتْ وقالت
بَنِىَّ فكلُّكم بطلٌ مُسِيفُ
فأخلفْنا مَودَّتهاَ ففاظت
ومأقِى عينِها حَذِرٌ نَطوفُ)

والأبيات من قصيدةٍ لمعقِّر البارق ، وكان حليفا لبنى نمير ، ومدَحهم فيها وذكر ما فعلوا ببنى ذبيان . وقد تقدَّمت ترجمته مع شرحها فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الثلثمائة [2] . صاحب الشاهد

---

(١) انظر ص ١٨٤ .

(٢) الخزانة ٥ : ١٦ - ١٨ .

وهذا شرحها باختصار . يقول : ربَّ امرأة ذبيانية أَمَرت بنيها أن يُكثِروا من نهب هذين الشيئين إن ظفروا ببنى نمير [١] ، وذلك لحاجتهم وقلة مالهم . والقراطف : جمع قَرْطَف كجعفر ، وهو كساء مُخْمَل . والقروف : جمع قَرْف بفتح القاف وسكون الراء : وعاء من جلد يدبغ بالقِرفة بالكسر ، وهى قشور الرُّمّان ، يُجعَل فيه الخَلْع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام ، وهو لحم يطبخ بالتوابل يوضع فى القَرْف ويُزَوّدَ به فى الأسفار . وبَنِىَّ منادى . والمُسيف : الذى قد هلك إبلُه ومَواشيه . يقال أساف الرجل ، أى هلكت مَواشيه بالسَّواف بفتح السين [٢] المهملة وضمها ، وهو مرض الدوابّ وطاعونها . يعنى [٣] أنَّ أولادها فقراء قد هلكت مواشيهم . تحرِّضهم على الغنيمة .

وقوله : « فأخلفنا مودتها » إلخ ، أى أخلفنا مأمولَهَا . وفاظت : ماتت . والمأقى : لغة فى الموق ، وهو طرف العين من ناحية الأنف . وحَدِر وصفٌ بمعنى منحدر . ونطوف : سائل ، يقال نطف الماء ، إذا سال . يعنى ماتت وهى فى هذه الحالة .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الأربعمائة [٤] :

٤٥٤ (يا أيُّها المائحُ دَلوى دُونَكا
إنِّى رأيت الناسَ يَحمدونَكا [٥])

---

(١) ط : « ببنى نمر » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « بالهمزة وفتح السين » ، صوابه فى ط .

(٣) ط : « تعنى » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٤) أمالى القالى ٢ : ٢٤٤ والعقد ٥ : ١١١ وأمالى الزجاجى ٢٣٧ عن الخزانة ، والانصاف ٢٢٨ وابن يعيش ١ : ١١٧ والمقرب ٢٧ والشذور ٤٠٧ والعينى ٤ : ٢٢١ والتصريح ٢ : ٢٠٠ والهمع ٢ : ١٠٥ والأشمونى ٣ : ٢٠٦ واللسان والتاج والمقاييس (ميح) .

(٥) ط : « الماتح » بالتاء فى هذا الموضع وسائر المواضع ، والوجه ما أثبت من ش فى جميع المواضع .

على أنّ معمول اسمِ الفعل يجوز تقدُّمه عليه كما هنا ؛ فإنّ قوله : دلوى مفعول دونكا ، والمعنى : خذْ دلوى . ومنعه البصريُّون فجعلوا دلوى مبتدأ ودونك [1] ظرفا لا اسمَ فعل ، أى دلوى قدّامك فخُذْها ، فدونك ظرف خبر المبتدأ .

وقد بَيَّن الفراءُ مذهب الكوفيين (فى تفسيرِهِ) ، عند قوله تعالى : ﴿ كتابَ اللهِ عليكم [2] ﴾ من سورة النِّساء ، قال : قوله : كتاب الله عليكم كقولك : كتاباً من الله عليكم . وقد قال بعضُ أهل النَّحو : معناه عليكم كتابَ الله . والأوّل أشبه بالصواب . وقلمَّا تقول العرب : زيداً عليك أو زيداً دونك ، وهو جائز ، كأنَّه منصوب بشئ مضمر قبله . وقال الشاعر :

* يا أيها المائحُ دلوى دونكا *

الدلو رفعٌ كقولك : زيد فاضربوه : هذا زيدٌ فاضربوه [3] . والعرب ١٦
تقول : الليلُ فبادرُوا ، واللَّيلَ فبادروا . وتنصب الدلو بمضمر فى الخِلْفة [4] كأنك قلت : دونك دلوى دونك . انتهى .

وتعقبه الزجاج (فى تفسيره) قال فى ﴿ كتابَ الله ﴾ : منصوب على التوكيد محمول على المعنى ؛ لأن المعنى حُرِّمت عليكم أمهاتكم ، كتب الله عليكم هذا كتابا . وقد يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر ، ويكون عليكم مفسِّرا له ، فيكون المعنى الزموا كتابَ الله عليكم . ولا يجوز أن يكون منصوبا بعليكم لأن قولك عليك زيداً ليس له ناصب فى اللفظ متصرِّف فيجوز تقديم منصوبه .

وقول الشاعر :

---

(١) ش : « ودونكا » .

(٢) الآية ٢٤ من النساء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٦٠ .

(٣) هذا زيد فاضربوه ، ليست فى معانى الفراء .

(٤) الخلفة ، بالكسر : الذى يخلف صاحبه ، يذهب هذا ويجئ هذا .

* يا أيها المائح دلوى دونَكا *

يجوز أن يكون دلوى فى موضع نصب بإضمار خُذْ دلوى ، ولا يجوز أن يكون على : دونك دلوى ، لما شرحنا . ويجوز أن يكون دلوى فى موضع رفع ، المعنى : هذه دلوى دونك . انتهى .

وقد أورد هذه المسألة ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) فقال : ذهب الكوفيون إلى أنَّ عليك وعندك ودونك يجوز تقديم معمولاتها كما فى الآية والبيت ، ولأنها قامت مقامَ الفعل فتعمل كعمله . ومنعه البَصريون والفرّاء وقالوا : إن كتاب الله منصوب بكتب مقدّراً ، وإنّ دلوى خبر مبتدأ مقدر ، أو منصوب بفعل محذوف كخذ ، يفسِّره دونك ، لا بدونك . وأجابوا عن الثانى بأنَّ الفعل متصرِّف فى نفسه فتصرَّف فى عمله ، وهذه الألفاظ لا تستحقُّ عملا وإنَّما أعملت لقيامها مقام الفعل ، وهى غير متصرِّفة فى نفسها فلا تتصرَّف فى عملها ، فلا يقدَّم معمولها . انتهى .

وقوله : إنّ الفراء تبع البصريِّين ، مخالف لنصِّ كلامه ، فإنَّه صرَّح بجواز عمله مؤخَّرا ومحذوفاً .

وردَّهما الزجاج وجعل دلوى منصوباً بفعل محذوف يفسِّره دونك . فدونك على هذا اسم فعل قد حذف مفعوله ، أى دونكه . ويكون فى جعله دلوى خبر مبتدأ محذوف ، دونَك ظرفاً فى موضع الحال لا اسمَ فعل .

وهذان الوجهان غير ما وجَّه به الشارح المحقق ، وإنما حكاه عن البصرِّيين ، لأنَّه تخريجٌ موافق لقواعدهم . وقد وجَّه به أيضاً ابن هشام : (فى شرح القَطْر ، وفى المغنى) .

وقول الشيخ خالد (فى التصريح) : « وفيه نظرٌ لأن المعنى ليس على الخبر المحض حتى يخبر عن الدلو بكونه دونه » ، لا وجهَ له ، كما قال عبد الله الدَّنوشرى . وما المانع من أن يكون خبراً محضا قصد به التنبيه على أنَّ الدلو أمامه ويكون الدالُّ على الأمر بأخْذ الدلو مقدّراً . والتقدير : فتناوله .

وجوَّز ابن مالك أن يكون دلوى منصوباً بدونك مضمرة ، مدلولاً عليها بدونك المذكورة ، مستنداً لقول سيبويه فى زيداً عليك : كأنك قلت : عليك زيداً . وقد ردَّه الزجاج وغيره .

قال ابن هشام : (فى المغنى) : شرط الحذف أن لا يؤدىَ إلى اختصار المختصر ، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله ، لأنه اختصار للفعل . وأمَّا قول سيبويه فى : زيداً فاقتله ، وفى : شأنك والحج ، وقولِهِ :

* يا أيها المائح دلوى دونكا *

إنّ التقدير : عليك زيدا ، وعليك الحج ، ودونك دلوى ، فقالوا : إنما أراد تفسير المعنى لا الإعراب ، وإنما التقدير : خذ دلوى ، والزم زيدا ، والزم الحج . ويجوز فى دلوى أن يكون مبتدأ ودونك خبره . انتهى .

وظاهره أنَّ البيت ذكره سيبويه فى كتابه . وليس كذلك ، فإنَّه لم يورده فيه البتة . ولم يورد الدمامينى هنا شيئاً سوى ما نقله عن الشارح المحقق من أنه ١٧
لا يجوز تقدُّم معمول اسم الفعل عليه .

و (المائح) : فاعل من الميح بالمثناة التحتية والحاء المهملة ، قال صاحب الصحاح : المائح الذى ينزل البئر فيملأ الدلو ، وذلك إذا قلَّ ماؤها ، والجمع ماحَةٌ ، وقد ماح يميح . وأنشد هذا البيت . وأمَّا الماتح بالمثناة الفوقية

فهو الذى يسقى الماء [١] ، يقال متح الماء يمتحه متحا ، من باب فتح ، إذا نزعه بالدّلوِ . وبئر مَتوح للتى يُمَدُّ منها باليدين على البكرة .

صاحب الشاهد والبيتان لراجز جاهلىّ من بنى أسيِّد بن عمرو بن تميم ، ولهما قصة أوردها أبو رياش ، وأبو عبد الله النمرى ، وأبو محمد الأسود الأعرابى ، (فى شروحهم لحماسة أبى تمام) .

قال أبو محمد الأسود : أملى علينا أبو الندى قال : كان وائل بن صُرَيم الغُبَرىُّ ذا منزلة من الملوكِ ومكانٍ عندهم ، وكان مفتوق اللسان حُلْوَهُ ، وكان جميلا ، فبعثه عمرو بن هند اللخمى ساعياً على بنى تميم فأخذ الإتاوةَ منهم حتَّى استوفى ما عندهم ، غير بنى أسيّد بن عمرو بن تميم ، وكانوا على طُويلع [٢] ، فأتاهم فنزل بهم ، وجمعَ النعمَ والشاء ، فأمر بإحصائه ، فبينما هو قاعدٌ على بئرٍ أتاه شيخ منهم فحدَّثه ، فغفل وائل فدفعه الشيخ فوقع فى البئر فاجتمعوا فرمَوه بالحجارة حتى قتلوه ، وهم يرتجزون ويقولون :

يا أيها المائح دلوى دونكا
إنِّى رأيتُ الناسَ يحمدونكا

وإنما هذا هُزءٌ به . فبلغ الخبرُ أخاه باعثَ بن صُرَيم ، فعقد لواءً ونادى فى غُبَرَ فساروا ، وآلى أنْ يقتلهم على دم وائل حتَّى يُلقىَ الدلوَ فتمتلئ دماً ! فقتل باعثٌ منهم ثمانين رجلاً ، وأسر عدَّة ، وقدَّم رجلا منهم يقال له قمامة فذبحه حتَّى ألقى دلوه ، فخرجت مَلأَى دماً . ولم يزل يغير عليهم زماناً ، وقَتَل

(١) كذا فى النسختين . والمعروف « يستقى الماء » كما فى المعاجم .

(٢) طويلع : ماء لبنى تميم .

منهم فأكثر ، حتَّى إنَّ المرأة من بنى أسيِّدٍ كانت تعثُر فتقول : تَعِسْتِ غُبَر ، ولا لقيتِ الظَّفر ، ولا سُقيت المطَر ، وعَدِمْتِ النفر ! وقال باعث فى ذلك :

سائل أُسَيِّدَ هل ثأرتُ بوائل
أم هل أتيتُهم بأمرٍ مُبْرَمِ
إذْ أرسلونىَ مائحاً لِدِلائهم
فملأْتُها حتَّى العَراقِىَ بالدمِ

انتهى .

والغُبرىّ : نسبة إلى غُبَر بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة ، قبيلة . وأسيِّد بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء المكسورة .

وقد أنشدَتهما جاريةٌ من بنى مازن وضمَّت إليهما بيتين آخرين . قال الصغانى (فى العباب) فى مادة الميح ، ونقله العينى : ومنه حديث البراء بن عازب رضى الله عنه : أتى رسولُ الله ﷺ على بئرٍ ذَمَّةٍ فنزلناها ستةً ماحَةً ، ونزل فيها ناجية بن جندب الأسلمى رضى الله عنه بأمر رسول الله ﷺ ، فأدلت جاريةٌ من بنى مازن دلوَها وقالت :

يا أيُّها المائح دلوى دونكا
إنِّى رأيتُ الناسَ يَحمدونكا
يُثنون خيراً ويمجِّدونكا
خُذْها إليك اشْغَل بها يمينَكا

فأجابها ناجية :

قد علمتْ جاريةٌ يمانيَهْ
أنِّى أنا المائح واسمى ناجيَهْ

وطعْنَةٍ ذاتِ رشاش واهيَهْ
طعنتُها تحت صدور العاديَهْ

١٨ انتهى .

وبئر ذَمَّة بالوصف ، أى قليلة الماءِ ، أى إنّها تُذَمُّ لقلة مائها . والذميم : الماء المكروه . ومازن : اسم ثلاث قبائل فى عدنان . وهذا يخالفه قول ناجية :

* قد علمت جارية يمانيه *

فإنَّ أهل اليمن كلَّهم من قحطان . وأثنى عليه خيرا ، من الثناء وهو الوصف الجميل ، فعليك فى الرجز مقدَّرة . ويمجِّدونك : يذكرونك بالمجد وهو العزُّ والشرف والكرم . وشَغَلَ من باب نفع . وطعنة أى ربّ طعنة . ورَشَاش الطَّعنة بالفتح : الدم المتطاير منها . وأرشَّت الطعنةُ بالألف : نفذَت فأنهرتِ الدم . كذا فى المصباح . وزعم الشامى (فى السيرة) أنَّه بالفتح جمع رَشّ ، والمراد به المطر القليل . هذا كلامه . وواهية : صفة طعنة ، أى منشقَّة مسترخية . والعادية ، قال الشامىّ : هم الذين يَعْدُون : يُسرعون الجرىَ .

وأخذ العينىُّ من ظاهر نقل الصاغانى أنَّ البيتين الأوَّلين لتلك الجارية ، وليس كذلك . وروى السُّيوطى (فى شواهد المغنى) عن البَيْهَقِىّ (فى الدلائل) ، عن ابن إسحاق قال : زعمت أسلم أنَّ جارية من الأنصار أقبلَتْ بدلوها عامَ الحديبِيَة ، وناجية بن جُندب الأسلمى صاحب بُدْنِ رسول الله ﷺ فى القليب يَميح على الناس ، فقالت . وأنشد الشعرين :

* خذها إليك اشغلْ بها يمينكا *

وقوله : « جارية من الأنصار » يوافقه قوله جارية يمانية ، فإنَّ أصل الأنصار من اليمن . وكذا روى الشامى (فى السيرة) .

وزعم ابن الشجرى (فى أماليه) أنَّ البيتين لرؤبة ، وأنه لم يستسق ماءً فى الحقيقة وإنما طلب عطاء .

وكلاهما لا أصلَ له كما عرفت . والبيت الذى لرؤبة إنما هو هذا :

كأنَّها دلو بئر جَدَّ ماتِحُها

حتَّى إذا ما رآها خانه الكربُ

أى كأنَّ الناقة فى السرعة دلوٌ ملأى وصلَتْ إلى فم البئر ، ثم انقطع حبلُها فهوَت فيها . والماتح هنا بالمثناة الفوقية ، هو الذى يستقى على رأْس البئر . والكرب بفتحتين : الحبل الذى يُشدُّ على عَرقُوَة الدلو .

وروى الزجاجى (فى أماليه) قال : حدَّثنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : أخبرنا أبو عبيدة قال : كتبت امرأةٌ من العرب إلى طَلْحةِ الطَّلَحات :

يا أيُّها الماتح دَلوى دونكا إنِّى رأيت الناس يحمدونكا

* يُثنون خيراً ويمجِّدونكا *

فلما قرأ طلحةُ الكتابَ أحبَّ أن لا يفطن الرسول ، فقال : ما أيسَرَ ما سأَلتْ ، إنما سألت جَنْبَة (١) . ثم أَمَرَ بجَنْبةٍ (٢) عظيمة فقُوِّرت ومُلئت دنانير ، وكتب إليها :

(١) فى النسختين : « جبنة » تحريف . والجنبة ، بتقديم النون : جلدة من جنب البعير يعمل منها علبة . وفى التهذيب : أعطنى جنبة ، فيعطيه جلدا فيتخذه علبة .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ش : « بجبنة » تصحيف .

إنَّا ملأناها تفيض فيضا فلن تخافى ما حييتِ غَيْضا

* خُذى لك الجَنْبَ وعودى أيضاً *

وغيضاً ، من غاض الماء فى الأرض ، إذا غار فيها وانمحق .

* * *

وأنشد بعده :

(ألا أيها الطَّيرُ المرِبَّةُ بالضُّحى

عَلَى خالِدٍ لقد وَقعْتِ عَلَى لحمِ)

على أنّ تنوين لحمٍ للإبهام والتفخيم ، أى لحم وأىّ لحم .

تقدم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والأربعين بعد الثلثمائة من باب النعت [٢] .

* * *

١٩ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الأربعمائة [٣] :

٤٥٥ (وَقَفْنا فقُلنا إيهِ عن أمِّ سالِمٍ وما بالُ تكليم الدِّيارِ البَلاقعِ)

على أن ابن السِّكيِّت والجوهرى قالا : إنَّما جاء ذو الرمة هنا بإيه غير مُنوّن مع أنه موصولٌ بما بعده ، لأنه نوى الوقف .

---

(١) فى النسختين : « الجبن » ، تصحيف كذلك .

(٢) الخزانة ٥ : ٧٥ - ٨٦ .

(٣) مجالس ثعلب ٢٧٥ والمقتضب ٣ : ١٧٩ وابن يعيش ٤ : ٣١ ، ٩/٧١ : ٣٠ ، ١٥٦ والشذور ١١٩ وديوان ذى الرمة ٣٥٦ .

هذا الكلام نقله الجوهريُّ عن ابن السكيت ، ثم نقل عن ابن السَّرِيِّ الزجَّاج (١) أنه قال : إذا قلت إيهِ يا رجلُ فإنَّما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما ، كأنك قلت : هاتِ الحديث . فإن قلت ايهٍ بالتنوين فكأنك (٢) قلت : هات حديثا مّا ؛ لأنَّ التنوين تنكير . وذو الرمة أراد التنوين فتركه للضرورة . انتهى .

وإنَّما كان ترك التنوين ضرورةً لأنه أراد من الطَّلل أن يُخْبِره عنها أيَّ حديث كان ، وليس فيه ما يقتضى أنْ يحدِّثه حديثاً معهوداً . كذا قيل ، وفيه أنَّه إنَّما طلب حديثا مخصوصاً وهو الحديثُ عن أمِّ سالم . وبه يسقط قولُ ثعلب (فى أماليه) : تقول العرب إيه بالتنوين بمعنى حَدِّثنا (٣) . وأما قول ذى الرمة فإنّه ترك التنوين وبَنى على الوقف ، ومعناه إيه أى حدِّثْنا (٤) .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : تنوين التنكير لا يوُجَد فى معرفة ، ولا يكون إلا تابعاً لحركات البناء ، وذلك نحو إيه ، فإذا نَوَّنت وقلت إيهٍ فكأنك قلت : استزادةً . وإذا قلت إيهِ فكأنك قلت : الاستزادة . فصار التنوين علمَ التنكير ، وتركُه علمَ التعريف . قال ذو الرمة :

* وقفنا فقلنا إيهِ عن أمِّ سالمٍ *

فكأنه قال : الاستزادة . وأما من أنكر هذا البيَت على ذى الرمة فإنَّما خفىَ عليه هذا الموضع .

(١) ش : « الزجاجى » ، تحريف . والزجاج هو إبراهيم بن سهل ، أبو إسحاق ، كان يخرط الزجاج ، ثم مال الى النحو فلزم المبرد ، وصار إماما فى النحو ، توفى فى سنة ٣١١ . وأما الزجاجى تلميذه فهو عبد الرحمن بن إسحاق ، صاحب كتاب الجمل . توفى سنة ٣٣٩ .

(٢) ش : « كأنك » .

(٣) ط : « حديثا » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش ومجالس ثعلب .

(٤) فى المجالس : « إيه حدثنا عن أم سالم » .

هذا كلامه . وفى (شرح الصفَّار لسيبويه) : وأما إِيهِ فمعناه حدِّث أو زِدْ ؛ لكنْ هو لازم ، لا يقال : إيهِ كذا .

قال أبو حيان : قد استعمله بعضُ الشعراء المولَّدين متعدِّيا فقال :

* إيهِ أحاديثَ نعمانٍ وساكِنِهِ (١) *

وقال آخر :

* إيهِ حديثَك عن أخبارهم إيه *

أبيات الشاهد والبيت من قصيدةٍ طويلة لذى الرمة ، وهذا مطلعها :

خليليَّ عُوجَا عوجةً ناقتيكُما ... على طَلَلٍ بين القِلاتِ وسارِعِ (٢)

به ملعبٌ من مُعْصِفاتٍ نسجنَهُ ... كنسج اليمانى بردَه بالوشائع (٣)

وقفنـــا فقلنـــا إيـــه .... البيت

وقوله : « عُوجا عوجة » يقال عجت البعير أعُوجه عَوْجا ومَعَاجا ، إذا عطفتَ رأسه . والتاء فى عوجةً للمرّة . وناقتيكما مفعول عوجا . والطَّلل :

(١) ش: « وسأكتبه » ، صوابه فى ط . وهو لابن الأثير كما فى حواشى شذور الذهب . وقد استشهد فى الشذور ١١٨ بهذا الصدر أيضا ، وظنه الشيخ محيى الدين عجزا فوضعه فى الفهرس فى قافية النون . والحق أنه صدر ، وعجزه كما فى أزهار الرياض فى أخبار عياض ١ : ٦ .

* إن الحديث عن الأحباب أسمار *

(٢) ش : « الفلاة » صوابه فى ط والديوان ٣٥٥ وذكر ياقوت أنها جمع قلت وهو كالنقرة تكون فى الجبل . وذكر أنها قلات الصمان . وقد وردت « شارع » فى النسختين بالسين المهملة ، ولم ترد بهذا الرسم فى مواضعهم ، وإنما هى « شارع » بالشين المعجمة كما فى الديوان ومعجم البلدان ٥ : ٢١١ وذكرت كذلك فى رسم (القلات) ٧ : ١٤٢ . وشارع : جبل من جبال الدهناء . وذكرت كذلك فى اللسان فى نهاية مادة (شرع) قال : « وفى جبال الدهناء جبل يقال له شارع ذكره ذو الرمة فى شعره » . لكن البغدادى قيدها بالمهملة فيما سيأتى .

(٣) كلمة (اليمانى) مبيض لها فى ش . وإثباتها من ط والديوان .

ما بقىَ فى الدار من أثر الراحلين ، كالأُثفيَّة ونحوها . والقلات ، بكسر القاف وآخره مثناة ، وسارع بالمهملات : موضعان .

وقوله : « به مَلعب » إلخ المعصِفة : الريح الشديدة ، يقال عصفت الريح وأعصفت . ونسجنَه ، أى ذهبت عليه الريح وجاءت كالنسج . والوشائع : جمع وشيعة ، من وشَعت المرأة الغزلَ على يدها : خالفته . وتوشَّعت الغنمُ فى الجبل ، أى اختلفت .

وقوله : (وقفنا فقلنا) إلخ أى وقفنا عليه ، أى الطَّلل . والعطف بالفاء لا بالواو كما فى الشرح . قال الأصمعى : أساءَ فى قوله إيه بلا تنوين . و(البال) : الشأن والحال . وما : استفهامٌ إنكاريٌّ ، أى ليس من شأنها الكلام .

و (الديار البلاقع) : التى ارتحل سُكَّانها ، فهى خالية . طلبَ الحديثَ من الطلل أوّلاً ليخبره عن محبوبته أُمّ سالم ، وهذا من فرط تحيُّره وتدلُّهه فى استخباره ممَّا لا يعقل ، ثم أفاق وأَنكَر من نفسه بأنَّه ليس من شأن الأماكن الإخبار عن السوَّاكن .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن فى أول الكتاب [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الأربعمائة [2] :

٤٥٦ (تَذرُ الجماجِمَ ضاحياً هاماتُها
بَلْه الأكُفِّ كأنَّها لم تُخلَقِ)

على أنَّه قد رُوى (الأكفّ) بالحركات الثلاث .

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) السيرة ٧٠٥ وابن يعيش ٤ : ٤٧ ، ٤٨ وشرح شواهد المغنى ١٢٢ والشذور ٤٠٠ والتصريح ٢ : ١٩٩ والهمع ١ : ٢٣٦ والأشمونى ٢ : ١٢١/٣ : ١٠٣ وديوان كعب ٢٤٥ .

أوّل البيت : (فترى الجماجمَ) ، وقبله :

(نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا
قُدُماً ، ونُلْحِقُها إذا لم تَلحَقِ)

وإنّما ينشدونه : « تذر الجماجم » ليعرى من التعلّق بما قبله .

والقُدُمُ بضمتين : القُبُل بضمتين أيضاً ، كذا فى المصباح . وقال صاحب الصحاح : « ومَضَى [١] قُدُماً بضم الدال : لم يعرِّج ولم ينثن » . ويجوز أن يكون بكسر القاف وسكون الدال ، اسمٌ مِن القِدَم أى خلاف الحدوث ، وهو ظرف لقوله نصل .

قال الجاحظ (فى كتاب البيان [٢]) : إنَّ الفارس ربَّما زاد فى طول رمحه ليخبر عن فَضْل قوّته ؛ ويُخبرُ عن قصر سيفه ليُخبر عن فضل نجدته . وأنشد هذا البيتَ ونظائره .

وقوله : (فترى الجماجم) ، إلخ الرؤية بصريَّة . والجماجم مفعول الرؤية . وضاحيا حال سببية من الجماجم ، وهاماتها فاعل (ضاحياً) وهو من ضحا يضحو ، إذا ظهر وبرزَ عن محلّه . و (الجماجم) : جمع جمجمة ، قال صاحب المصباح : هى عَظْم الرأس المشتملُ على الدماغ ، وربَّما عُبِّر بها عن الإنسان فيقال : خُذْ من كلِّ جمجمةٍ درهما ، كما يقال خُذْ من كل رأس ، بهذا المعنى . وقال أيضاً : الهامة من الشخص : رأسه . فالمناسبُ هنا أنَّ الجمجمة بمعنى الإنسان . وقد فرق الزجاج (فى كتاب خَلق الإنسان) بين الجمجمة والهامة ، بجعل الهامة بعضاً من الجمجمة ، فقال : عَظْم الرأس الذى فيه الدماغ يقال له الجمجمة . والهامة : وسط الرأس ومعظمه . وزعم الدمامينى (فى الشرح المزج على المغنى) أنَّه يصحُّ أن تكون الجماجم هنا القبائل التى تجمع البطون فينسَب إليها دونهم .

---

(١) فى النسختين : « ومعنى » ، وصواب النص من الصحاح (قدم) .

(٢) البيان ٣ : ٢٦ .

الفرس عند الكوفيِّين رفع لا غير ، لأنَّ معناه يعجبك أن يُركَبَ الفرس . وجوَّز البصريون أن يكون منصوباً بتأويل أن يركب الفرسَ ، أى يركب راكبٌ
٢٢ الفرس . ورد الكوفيون هذا واحتجُّوا بأنَّ المصدر لا يحتمل ضميراً من الفاعل فإذا أُضيف إلى الفرس والفرس منصوب بقىَ الركوب بلا فاعل له مظهر ولا مضمر ، وفى هذا فساد التركيب . وقال البصريُّون : عملت [1] على الاختصار ومعرفة المخاطب بأنَّ للركوب فاعلا وإن لم يكن مظهرا ولا مضمرا . وقال الكوفيون : ما وجدنا فاعلا خلا الفعلُ من إظهاره معه أو إضمارهِ فيه ، وما يصل إلى إظهار الفاعل ولا إضماره مع المصدر إذا انفرد واحد . والمصدر على الفعل مبنىٌّ ، فما لم يعرف صحته مع الفعل فهو سقيم مع المصدر . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدة لكعب بن مالك ، شاعر رسول الله ﷺ ، قالها فى وقعة الأحزاب ، وأوردها أصحابُ السيرَ والمغازى فى كتبهم ، وهى :

أبيات الشاهد

(مَن سرَّه ضربٌ يُرعبلُ بعضهُ
بعضاً كمعمعة الأباء المُحرَقِ [2]
فليأتِ مأسدةً تَسُنُّ سيوفَها
بين المَذاد وبين جِزع الخَندقِ
دَرِبُوا بضرب المُعْلَمين فأسلموا
مُهجاتِ أنفُسِهم لربِّ المشرقِ

(١) ط : « عملنا » صوابه فى ش .
(٢) فى الديوان ٢٤٤ والسيرة ٧٠٥ : « يمعمع بعضه بعضا » .

وهذا خلاف ما قاله الشارح المحقّق ؛ فإنه جعل بله فيما حكاه أبو زيد بمعنى كيف . ولم يتعَّرضْ أبو على فى هذا الكتاب لمجئ بله بمعنى كيف . ونقلُ الشارح عنه لعلَّه من غير هذا الكتاب .

ونقل عنه ابن هشام : (فى المغنى) نقيضَ ما نقله الشارح عنه فقال : وإنكار أبى علىّ أن يرتفع ما بعدها ، مردودٌ بحكاية أبى الحسن وقطرب له . انتهى .

والقطوف من الدوابّ وغيره : البطئ . والجلة بكسر الجيم : جمع جليل ، كصبية جمع صبىّ ، وهو المسنُّ من الإبل . والنُّجبُ ، بضمتين : جمع نجيب ، وهو الأصيلُ الكريم . والمعنى أنَّ البطئ يمشى كمشى الجواد من الخيل مع الحداء ، فدعِ الإبلَ الكرام ، فإنها مع الحُداء تسرع أكثر مِن غيرها . ورواه صاحب الصحاح :

* مشى النجيبة بله الجِلَّة النُّجُبا *

ونسبه إلى ابن هَرْمة .

وقال أبو حيان (فى تذكرته) : هذا الذى تأوَّله سيبويه فى الخفض من نيابة بله عن المصدر المضاف إلى المخفوض عند الكوفِّيين عَلَى معنيين : إن كان المخفوض بتأويل مرفوع ، وتقدير ضَرْبَ : ليضربْ زَيْدٌ ، فالكلام صحيح . وإن كان تقدير المخفوض النصب والتأويل اضرب زيداً فالكلام عندهم خطأ ، لأنَّ المصدر الذى يتعدى فعله إلى المفعول إذا أفرد بواحدٍ أضيف إليه ولم يذكر معه غيره ، فلابدَّ من أن يكون ذلك الواحد مرفوعاً ، لأنَّ الفعل لا يخلو من الفاعل وما يجرى مجراه ، فيعجبنى ركوبُ الفرس ، موضعُ

بمنزلة المصدر ، كما تقول ضربَ زيد . فمن قال بله زيدٍ جعله مصدراً . ولا يجوز أن تضيف ويكون مع الإضافة اسم الفعل ، لأنَّ هذه الأسماء التى يسمَّى بها الأفعال لا تضاف . ألا ترى أنَّه قال : جعلوها بمنزلة النَّجاءك ، أى لم يضيفوها إلى المفعول به كما أضافوا أسماء الفاعلين والمصادر إليه . فهى فى قوله على ضربين : مرَّة تُجرَى مجرى الأسماء التى تسمَّى بها الأفعال ، ومرَّة تكون مصدراً . وقال أبو زيد : إنَّ فلانا لا يطيق أن يحمل الفِهرَ فمن بلهٍ أن يأتىَ بالصَّخرة ؛ يقول : لا يطيق أن يحمل الفهرَ فكيف يُطيق أن يحملَ الصخرة . قال : وبعض العرب يقول : مِنْ بَهْلَ أن يحمل الصخرة ! فقلب . وأنشد :

نذر الجماجم .... البيت

فما حكاه أبو زيد من دخول مِن عليه والإضافة والقلب ، يدلُّ عَلَى أنَّه مصدر وليس باسم فعل ، لأنَّ أسماءَ الفعل لا تضاف ، ولا يدخل عليها عوامل الأسماء . ألا ترى أنَّ أبا الحسن يقول : إنَّ دونك ليس ينتصب عَلَى حدِّ انتصابه قبل . ويقوِّى كونه مصدراً أن أبا عمروٍ الشيبانىَّ حكى : ما بَلْهُكَ لا تفعلُ كذا ، أى مالك . ومن الناس من ينشده : « بله الأكفَّ » بالنصب . فهذا عَلَى هذا الإنشاد اسم فعل ، كأنه قال دع الأكفَّ ، فجعلها اسماً لدع . والدلالة عَلَى جواز كونها اسماً للفعل كما أجاز سيبويه ، قولُ الشاعر :

يمشى القَطوفُ إذا غنَّى الحداةُ به
مَشْىَ الجوادِ فَبلهَ الجِلّة النُّجُبا

فأمَّا ما يتعلق به « مِنْ » فيما حكاه أبو زيد من قوله « فمن بله » فهو ما ينتصب عليه بله فى مَنْ جعله مصدراً وأضاف .

فمعنى بله الأكفَّ على رواية نصب الأكفّ : إنَّك ترى رءوس الرجال أى بعض الرءوس بارزة عن محالِّها بضرب السيوف ، كأنها لم تخلق عَلَى الأَبدان ، فدع ذكرَ الأكفِّ فإنَّ قطعها من الأيدى أهونُ بالنسبة إلى الرءوس . فبَلْهَ على هذا : اسم فعل .

وعلى الجر : إنّك ترى تطاير الرءوس عن الأبدان ، فتركاً لذكر الأكفّ ، أى فاترك ذكرها تركاً ؛ فإنها بالنسبة إلى الرءوس سهلة . فَبَلْهَ على هذا مصدرٌ مضاف .

وعلى الرفع : إنك ترى الهاماتِ ضاحية عن الأبدان ، فكيف الأكفُّ لا تكون ضاحية عن الأيدى . يعنى إذا جَعلَتِ السيوفُ الأبدانَ بلا رُءوس فلا عجبَ أن تترك الأيدىَ بلا أكفٍّ . فبَلْهَ بمعنى كيف للاستفهام التعجُّبى .

فبله الأكفَّ على الأوَّل والثالث جملة اسمية ، وفتحة بله (١) بنائيَّة . وعلى الثانى جملة فعلية حذف صدرها ، والفتحة إعرابية .

وهى بالمعنى (٢) الأوَّل والثانى مأخوذة من لفظ البَلَه والتباله ، وهو من الغَفْلة ؛ لأن من غفل عن شئ تركه ولم يسأل عنه . وكذلك هنا ، أى لا تسأل عن الأكف إذا كانت (٣) الجماجم ضاحيةً مقطّعة . كذا (فى الروض الأنف) للسُّهيلى .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : قال سيبويه : أما بله زيدٍ فبله هنا ٢١

(١) ش : « بيانية » ، صوابه فى ط .

(٢) ش : « وهى بمعنى » .

(٣) ط : « إذ كانت » ، وأثبت ما فى ش والروض الأنف ٢ : ٢٠٦ .

فى عُصبةٍ نصر الإله نبيَّه
بهمُ ، وكان بعبده ذا مرفقِ
فى كلِّ سابغةٍ تخطُّ فُضُولُها
كالنَّهْيِ هبَّت ريحُه المتَرَقرِق
بيضاءَ مُحكَمَةٍ كأنَّ قتيرها
حَدَقُ الجنادب ذاتِ شَكٍّ مُوثَقِ
جَدلاءَ يَحفِزُها نِجادُ مهنَّدٍ
صافى الحديدة صارمٍ ذى رَوْنَقِ
تلكمْ مع التقوى تكون لباسَنا
يومَ الهِياج وكلَّ ساعة مَصدَقِ
نصلُ السُّيوف إذا قصُرْنَ بخَطْونا
قُدُماً ونُلحقها إذا لم تَلْحَقِ
فترى الجماجمَ ضاحياً هاماتُها
بَلْهَ الأكفَّ كأنَّها لم تخلقِ
نَلقى العدوَّ بفخمةٍ ملمومة
تَنفى الجُموعَ كقَصْدِ رأسِ المشرقِ
ونُعِدُّ للأعداءِ كلَّ مقلِّص
وَردٍ ومحجول القوائم أبلقِ
تَردِى بفُرسانٍ كأنَّ كُماتَهم
عندَ الهِياج أُسودُ طَلٍّ مُلْثِقِ

صُدْقٍ يُعاطون الكماةَ حُتوفَهم
تحتَ العماءة بالوشيج المزهِقِ (١)
أمَرَ الإلـه بربْطهـا لعـدوِّه
فى الحرب إنَّ الله خير مُوفِّقِ
لتكون غيظاً للعدوِّ وحُيَّطا
للدارِ إن دَلفت خيولُ النُّزَّقِ (٢)
ويُعيننـا الله العزيـزُ بقـوّةٍ
منه ، وصِدْقِ الصَّبر ساعةَ نلتقى
ونطيع أمـر نبيِّنـا ونُجيبُـه
وإذا دعا لكريهةٍ لم نُسْبَقِ
ومتى ينادَى للشدائد نأتِها
ومتى نرَى الحَوماتِ فيها نُعْنِقِ (٣)
مَن يتَّبع قولَ النبِّى فإنه
فينا مطاعُ الأمرِ حَقَّ مُصَدَّقِ
فبذاك ينصُرنا ويُظهر عزَّنا
ويُصيبنا من نيلِ ذاكَ بمرفقِ
إنَّ الذين يكذِّبون محمـدا
كفَروا وضلُّوا عن سبيل المتَّقى)

---

(١) ط : « بالوشيح » صوابه فى ش والديوان والسيرة . وفى الديوان والسيرة : « تحت العماية » بالياء ، وكلاهما صحيح .

(٢) ش : « وحبطا » ، صوابه فى ط والديوان والسيرة . وفى ط : « لا تلفت » ، صوابه فى ش والديوان والسيرة .

(٣) فى الديوان فقط : « ومتى يناد إلى الشدائد » .

٢٣ قوله : « من سره ضرب » إلخ رعبلَه : قطَّعهُ . والمعمعة ، قال صاحب الصحاح : هو صوت الحريق فى القصَبِ ونحوه ، وصوتُ الأبطال فى الحرب . وأنشد هذا البيت . والأباءُ : القصَب ، واحدتها أباءة ، كسحابٍ وسحابة ، وقيل أجمة الحَلْفاء والقصَب خاصة . كذا فى الصحاح . وقال السهيلى : (فى الروض الأنف) : والهمزة الأخيرة بدل من ياء ، قاله ابن جنى ، لأنَّه عنده من الإبَاية ، كأَنَّ القصب يأبى على من أراده بمضغٍ أو نحوه . ويشهد لما قاله قولُ الشاعر [1] :

يراه الناس أخضرَ من بعيدٍ
وتمنعه المرارة والإباءُ

والمُحرَق : اسم مفعول .

وقوله : « فليأت مأسدة » إلى آخره هذا جواب الشرط . قال السُّهيلى : المأْسدة : الأرض الكثيرة الأُسد ، وكذلك المسَبعة : الأرض الكثيرة السِّباع . ويجوز أن يكون جمع أسَد ، كما قالوا مشيخة ومَعْلجة . حكى سيبويه : مشيخة ومشيوخاء ، ومعلجة ومعلوجاء .

قوله : « تسنّ سيوفَها » قال السهيلى : نصب الفاء هو الصحيح عند القاضى أبى الوليد ، ووقع فى الأصل عند أبى بحر برفعها . ومعنى الرواية الأولى تسُنُّ أى تصقُل . ومعنى الثانية أى تَسُنُّ للأبطال ولمن بعدها من الرِّجال سُنَّةَ الجرأة والإقدام . والمذاد قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : هو بفتح الميم بعدها ذال معجمة والآخر دال مهملة ، الموضع الذى حَفَر فيه

(١) هو بشر بن أبى خازم . والبيت فى ديوانه ٤ واللسان (أبى) وأمالى ابن الشجرى ٦٧ .

رسول الله ﷺ الخندق . وقال السيوطى (فى شواهد المغنى) : هو أُطُم بالمدينة . وقال الشامى : هو لبنى حرام غربىَّ مساجِد الفتح ، سمِّيت به الناحية . والجزع بكسر الجيم : منعطف الوادى . قال الشامى : وهو هنا جانب الخندق . والخندق هنا خندق المدينة المنورة .

وقوله : « دَرِبوا بضرب » إلخ قال صاحب الصحاح : الدربة بالضمّ : عادة وجُرأة على الحربِ وكلِّ أمر ، وقد دَرِب بالشيء بكسر الراء ، إذا اعتاده وضَرِىَ به . والمُعْلَمون بضم الميم وفتحِ اللام [١] : الذين يُعلمون أنفسهم بعلاماتٍ فى الحرب يعرفون بها [٢] ، وهم الشجعان هنا . وأسلموا : مِن أسلم أَمره لله ، أى سلَّمه له . والمهجة هنا : الرُّوح . وأراد برب المشرِق ربَّ المشرق والمَغْرب .

وقوله : « بعَبْده ذا مرفق » : مصدر كالرفق ضدِّ العنف . قال أبو زيد : رفق الله بك ورفق عليك رِفقاً ومَرفِقا ومِرفَقا ، بفتح الميم وكسر الفاء فى الأول ، وبالعكس فى الثانى . وزاد غيره مَرفَقا بفتح الميم والفاء ، حكاه الصاغانى (فى العباب) .

وقوله : « فى كل سابغة » إلخ السابغة ، الدرع الواسعة . وتخطُّ بالبناء للفاعل . وفُضولها : جمع فضل ، وهو الزائد . أى ينسجب ذيلُ الدرع على الأرض لطولها . والنِّهى بفتح النون : الغدير ، وأهل نجد يكسرون النون . والمترقرِق بالجرّ صفة للنهى ، من ترقرق إذا تحرك وجاء وذهب . والريح إذا هبَّت على الماء حصلَتْ هذه الصفة . وزعم السيوطى أنَّه بمعنى اللامع .

وقوله : « بيضاء محكمة » ، إلخ البيضاء : المجلوّة . والقَتِير ، بفتح

(١) كذا فى النسختين . والوجه كسر اللام كما فى اللسان .

(٢) ط : « ويعرفون بها » .

القاف وكسر المثناة الفوقية قال صاحب الصحاح : رءوس المسامير فى الدروع ، شبَّهها بعيون الجُندب ، وهو نوعٌ من الجراد ، فى البريق واللَّمعان . والشك : مصدر شككت الشئ ، إذا ضممته إلى غيره ، ومنه شك القومُ بيوتَهم ، إذا جعلوها مصطفَّة متقاربة . وهو معَنى قول الشامى : الشكّ هنا : إحكام السَّرد ، وهو متابعة نسجْ حلق الدرع ، وموالاته شيئاً فشيئاً حتى يتناسق . والموثَق : المثبت .

٢٤ وقوله : « جدلاءَ يحفِزُها » إلخ الجدلاءُ ، بفتح الجيم : الدِّرع المحكمة النَّسجْ . ويقال درع مجدولة أيضاً ، من جدلت الحبل أجدُله بالضم جدلا ، أى فتلته محكما . ويحفزها ، أى يشمِّرها ويرفعها ، بالحاءِ المهملة والفاء والزاء المعجمة . والنِّجاد : سيور السيف . والمهنَّد : السيف المطبوع من حديد الهِنْد . قال السُّهيلى : هذا كقول ابن الأسلت [١] فى وصف الدرع :

أَحْفِزُها عَنِّى بذى رونقٍ
أبيضَ مثلِ المِلح قَطَّاعِ [٢]

وذلك أنَّ الدرع إذا طالت فضولها حَفزوها ، أى شَمَّرُوها فربطوها بنجاد السَّيف . وقال غيره : كانت العرب تعمل فى أغماد السيوف أشباه الكَلاليب ، فإذا ثَقلت الدرع على لابسها رفع ذيلَها فعلَّقه بالكُلاَّب الذى فى غمد السيف ليخفَّ عليه . وصارم : قاطع . والرَّونق : جوهر السيف .

وقوله : « تلكم مع التقوى » إلخ ، الإشارة للدرع الموصوفة . قال السهيلى : هذا من أجود الكلام ، انتزعه من قول الله تعالى : ﴿ ولباسُ التقوى

(١) هو أبو قيس بن الأسلت الأنصارى . أنظر المفضليات ٢٨٤ .
(٢) فى المفضليات : « مهند كالملح » .

ذلك خَيرٌ [١] ﴾ . وموضع الإجادة جعله لباسَ الدروع تَبَعاً للباس التقوى ، لأنَّ حرف مَعَ يفيد أن ما بعده هو المتبوع وليس بتابع . ويوم الهِياج : يوم القتال . والمَصْدَق ، كجعفر : الحملة الصادقة على العدوّ ، يقال للرجل الشجاع والفرس الجواد : إنَّه لذو مَصْدق ، أى صادق الحملة وصادق الجرى ، كأنه ذو صدق فى وَعد ذلك .

وقوله : « نصل السيوف » إلخ قد نُظم هذا المعنى كثيرا . قال الأخنس ابن شهاب :

إذا قصُرت أسيافُنا كان وصلُها
خطانا إلى أعدائنا فنضارب

وقال السموءل بن عادياء :

إذا قصُرت أسيافنا كان وصلُها
خطانا إلى أعدائنا فتطولُ

وقال رجل من بنى نمير :

وَصَلنا الرقاق المرهَفاتِ بِخَطوِنا
عَلَى الهَوْل حتَّى أمكنتنا المضاربُ

وقال آخر [٢] :

إذا الكماة تنحَّوْا أن يصيبَهمُ
حدُّ الظُّباتِ وصلناها بأيدينا

(١) الآية ٢٦ من سورة الأعراف .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى . الحماسة ١٠٨ بشرح المرزوقى .

وقال آخر :

الطاعنون فى النحور والكُلُى
شَزْراً ووَصَّالُو السيوفِ بالخُطى

وقال آخر :

إنَّ لقيس عادةً تعتادُها
سَلَّ السيوفِ وخُطًى تزدادُها

وهذا كلُّه شعر جاهلى . وقال حُميد بن ثَور الهلالىُّ الصَّحابى :

ووصلُ الخطَى بالسَّيفِ والسَّيْفِ بالخُطَى
إذا ظَنَّ أنَّ السيف ذُو السَّيف قاصرُ

وله نظائرُ أخَرُ ستأتى إن شاء الله تعالى فى باب الظروف .

وقوله : (فترى الجماجم) قد غَيَّره النحويون إلى قولهم : « تذر الجماجم » وتقدم شرحه [١] .

قال السهيلى : خفضُ الأكفِّ هو الوجه ، وقد روى بالنصب لأنَّه مفعول ، أى دع الأكفَّ . وبله كلمة معناها [٢] دع ، وهى من المصادر المضافة إلى ما بعدها ، وهى من لفظ البَلَه أى الغفلة ، لأنَّ من غفل ترك ولم يسأل عنه [٣] ، وكذلك هذا . أى لا تسأل عن الأكف إذا كانت الجماجم ضاحيةً مقطَّعة .

(١) انظر ص ٢١٢ .

(٢) كلمة « دع » ساقطة من ش .

(٣) فى الروض ٢ ٢٠٦ : « لأن من غفل عن الشئ تركه ولم يسأل عنه » .

وقال الدماميني (في الشرح المزج على المغني) : الجمجمة : عظم الرأس المشتمل على الدماغ ، والقبيلة تجمع البطون فينسب إليها دونهم . والبيت محتملٌ لكلٍّ من المعنيين . والمعنى على رواية رفع الأكف أنَّ تلك السيوف تترك قبائلَ العرب الكثيرة بارزة الرءوس للأبصار ، كأنها لم تخلق في محالِّها من تلك الأجسام . أو تَترك تلكَ العظام المستورةَ مكشوفة ظاهرة ، فكيف الأكفّ . أي إذا كانت حالةُ الرءوس هذه مع عزَّة الوصول إليها ، فكيف حال الأيدي التي يتوصَّل إليها بسهولة . وعلى رواية النصب : أنها تترك الجماجم [1] على تلك الحالة ، دع الأكف فأمرُها أيسر وأسهل . وعلى رواية الجر : أنها تترك الجماجم تركَ الأكفّ منفصلةً عن محالِّها ، كأنها لم تخلق متَّصلة بها .

وقال ابن الملا (في شرحه على المغني) : الجمجمة : القِحف ، أو العظم فيه الدماغ ، والسيِّد ، والقبيلة التي تنسب إليها البطون . ومتى أريد بالجماجم القبائل جاز أن يُراد بالهامات رؤساؤها ، وبالأكفِّ من دونهم من الكُفاة . ففي القاموس : الهامة : رأس كلِّ شيء ، ورئيس القوم .

والمعنى على رواية الرفع أنَّ تلك السيوف تترك تلك العظام المستورة ظاهرةً فكيف الأكفُّ البادية ، أي إذا كانت حالة الرءُوس هذه مع عزّة الوصول إليها فكيف الأكفّ التي يُتوصَّل إليها بسهولة ، فإنها تدعها كأنها لم تخلق في محالِّها . ولا حاجة إلى دعوى المجاز في الأكفّ عن الأيدي كما يفهم من صنيع الشارح . أو تتركُ السادات من كلِّ قبيلة أو القبائلَ من العرب بارزةَ الرءُوس للأبصار بإبانتها عن محالِّها كأنها لم تخلق فيها . أو تترك القبائل بارزاً

---

(١) من هنا إلى « الجماجم » التالية ، سقط في ش .

رءوسها للقتل ، أى مقتولة . وأراد بالأكفِّ من يُتقوَّى به من فُرسان القبائل .

وعلى النصب : أنَّها تترك الجماجمَ على تلك الحالة ، دع الأكفَّ فإنَّ أمرها أيسر وأسهل .

وعلى الجرِّ : أنها تتركها ترك الأكفِّ ، منفصلةِ عن محالِّها ، كأنها لم تخلق متصلة بها . انتهى .

وهذا كلُّه تكلُّف وتوسيعٌ للدائرة .

وقوله : « نلقى العدُوَّ » إلخ الفخمة : الجيش العظيم ، من الفخامة وهى العِظَم . وملمومة : مجموعة .

وقوله : « كقصد رأس المشرق » قال السُّهيلى : الصحيح ما رواه ابن هشام عن أبى زيد : « كرأس قدس المشرق » ، لأنَّ قدس جبلٌ معروف من ناحية المشرق . انتهى :

وظاهره أنَّه بفتح الميم . وقول الشامى المشرق نعت لقدس بمعنى جبل ، إشارة إلى ضمة الميم ، وهو اسم فاعل من الإشراق . والظاهر أنَّ هذا هو الجيد . قال البكرى (فى معجم ما استعجم) : القُدْس بضم القاف وسكون الدال من جبال تِهامة ، وهو جبل العَرْج . قال ابن الأنبارى : قدس مؤنثة لا تنصرف ؛ لأنها اسمٌ للجبل وما حوله .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : قدس : جبلٌ عظيم بأرض نجد . قال ابن دريد : قدس أوارة : جبلٌ معروف . وأنشد الآمدىُّ لبُغَيت (١) :

(١) بغيت ، بباء بعدها غين معجمة وآخره تاء مثناة ، كما فى المؤتلف ٥٨ حيث أنشد البيت . وفى الأصل : « لبعيث » ، وفى معجم البلدان : « للبعيث » تصحيف .

وقال الآمدى : « وبغيت : تصغير باغت ، مثل شريح تصغير شارح ، وحريث تصغير حارث ، وهو من تصغير الترخيم » .

ونحن جلبنا يوم قُدسٍ أُوارة
قنابل خيل تترك الجَوَّ أقتما (١)

وقال الأزهرى : قدس أوارة (٢) : جبلان لمزينة ، وهما معروفان بحذاء سقيا مُزَينة . وقال عَرَّام (٣) : بالحجاز جبَلان يقال لهما القدسان : قدس
٢٦ الأبيض وقدس الأسود ، وهما عند وَرِقَان . أما الأبيض فهو جبلٌ شامخ بين العرج والسُّقيا . والقدسان جميعاً لمزينة . انتهى .

فظهر بهذا أنَّه ليس جبلٌ فى المشرق اسمه قُدس ، فالصواب ما قاله الشامى . وقوله : « ونعدُّ للأعداءِ » نُعِدّ : نُهَيِّىء ، من الإعداد ، وهو التهيئة . والمقلِّص ، قال صاحب الصحاح : فرس مقلِّص ، بكسر اللام ، أى مشْرِف طويل القوائم . والوَرد : الفرس الذى تضرب حمرته إلى الصُّفرة . والمحجول : الفرس المحجَّل ، والتحجيل : بياضٌ فى قوائم الفرس أو فى ثلاثٍ منها ، أو فى رجليه ، قلَّ أو كثُر ، بعد أن يجاوز الأرساغ ، ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين ، لأنها مواضعُ الأحجال ، وهى الخلاخيل والقيود . ولا يكون التحجيل واقعاً بيد أو يدين ما لم يكن معها رجلٌ أو رجلان . كذا فى العباب للصاغانى . والأبلق : الفرس الذى فيه البلق بفتحتين ، وهو سواد وبياض .

وقوله : « تردى بفرسان » إلخ قال صاحب الصحاح : ردى الفرسُ بالفتح يردِى رَدْيا وردَيانا : إذا رجَم الأرض رجماً بين العَدْو والمشى الشديد .

(١) ط : « قبائل » ش : « قنائل » ، صوابه ما أثبت من المؤتلف . والقنابل : ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل .

(٢) فى معجم البلدان : « قدس وآرة » .

(٣) فى النسختين : « أبو عرام » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان الذى ينقل من كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها لعرام بن الأصبغ السلمى . وقد قمت بنشره وتحقيقه مرتين ، الأولى فى كتاب مستقل سنة ١٣٧٢ هـ والأخرى فى المجلد الثانى من نوادر المخطوطات .

والكماة : جمع كمىّ ، وهو الشجاع المتكمِّى فى سلاحه ، لأنّه كَمَى نفسه ، أى سترها بالدِّرع (١) والبيضة . والطَّلّ : المطر الضعيف . والملْثِق : اسم فاعل صفة لطل ، من اللَّثَق بفتحتين ، قال السهَيْلىّ : واللَّثَق : ما يكون عن الطلّ من زَلَق . والأسد أجوعُ ما يكون وأجرأ فى ذلك الحين . وقال صاحب العباب : اللثق : النَّدَى . قال كعب بن زهير :

باتَتْ له ليلةٌ جمٌّ أهاضبُها

وباتَ ينفض عنه الطَّلَّ واللَّثَقا

وألثقه غيرُه . قال سلمه بن الخُرشُب :

خداريَّة فتخاء ألثَقَ ريشَها

سحابةُ يومٍ ذى أهاضيبَ ماطرِ (٢)

وقوله : « صُدْقٌ يعاطون » إلخ بالرفع صفة أُسود ، وهو بضم الصاد جمع صَدق بفتحها ، والدال ساكنة معهما ، يقال رجلٌ صَدْق اللقاء وصَدْق النظر ، إذا مضى فيهما ولم يَثْنِهِ شئ . والصَّدْق أيضاً : الكامل المحمود من كلِّ شئ . والصَّدْق أيضاً : الصُّلب من الرماح ، ويقال المستوى .

ويُعاطون : يناولون . والكماة : الشجعان مفعول أول ، وحتوفهم مفعول ثان ، وهو جمع حتف ، وهو الهلاك . والعَمَاءة بالمد ، كالسحابة وزناً ومعنى . قال أبو زيد : العَماء : السحاب ، وهو الدُّخَان يركب رءُوس الجبال ، وأراد به هنا الغبارَ الثائر فى المعركة .

---

(١) : « بالدروع » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) المفضليات ٣٧ .

ورواه الشامى : « العَمَاية » بالياء ، وفسَّره بالسَّحاب ، وليس فى الصحاح إلا ما ذكرنا [١] . وإنما فيه : عماية : جبلٌ من جبال هذيل . والوشيج : الرماح ، وأصله شجَر الرماح . والمزهِق : اسم فاعل ، المذهبُ للأرواح .

وقوله : « لتكون غيظاً للعدو وحُيَّطا » قال الشامى : هو جمع حائط ، اسم فاعل من حاط يَحُوط أى كلأه ورعاه . وأراد بالدار المدينة المنوَّرة . ودلفت : قربت . والنُّزَّق : الأعداء ، وهو جمع نَزِق بفتحٍ فكسر ، من نزِق نزقا كفرح فرحا . والنَّزَق : الخفة والطيش وسوء الخلق . وهذا أصله .

وقوله : « وإذا دعا لكريهةٍ » إلخ ، الكريهة من أسماء الحرب . ونُسَبق بالبناء للمفعول .

والحَوْمات : جمع حَومة ، وهى موضع القتال . ونُعنِق : نسرع . قال فى المصباح : العَنَق بفتحتين : ضربٌ من السير فسيح سريع ، وهو اسمٌ من أعنقَ إعناقا .

٢٧ وقوله : « حَقَّ مصدَّق » بفتح الدال المشددة مصدر ، أى تصديقا حقَّ تصديق .

وترجمة كعب بن مالك الصحابى تقدمت فى الشاهد السادس والستين [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الأربعمائة [٣] :

٤٥٧ (أُعطِيهِمُ الجهدَ مِنّى بَلْهَ ما أَسَعُ)

(١) لكن أثبت فى اللسان اللغتين فى معنى السحاب ، كما سبق فى الحواشى .

(٢) الخزانة ١ : ٤١٧ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٤٩ واللسان (كون ، بله) وديوان أبى زبيد ١٠٩ .

على أنَّ الأخفش أورده فى باب الاستثناء وقال : بله فيه حرفُ جرّ كعدا وخلا بمعنى سوى .

أورده أبو على (فى إيضاح الشعر) ، وعقد لبَلْهَ باباً ، قال : هذا باب ما يكون مرَّةً اسما ، ومرَّة مصدراً ، ومرةً حرف جر . قال الشاعر :

حمَّال أثقالِ أهلِ الودِّ آونةً
أُعطيهم الجَهْدَ منىِّ بَلْهَ ما أَسَعُ

قال أبو الحسن الأخفش فى بابٍ من الاستثناءِ : إنَّ بله حرف جر . قال أبو على : ووجه كونه حرفاً أنّه يمكن أن يقال إنك إن حملته عَلَى أنَّه اسم فعل لم يجز ، لأنَّ الجمل التى تقع فى الاستنثاءِ مثل لا يكون زيدا وليس عمرا وعدا خالدا ، فيمن جعله فعلا ، ليس شئٌ منه أمراً ، وهذا يراد به الأمر ، وهو اسمٌ للفعل ، فإذا كان كذلك لم يجز ، لأنه لا نظير له . فإن قلت : فلم لا تجعله المصدر ، لأنَّ المصدر قد وقع فى الاستثناء فى قولك : أُتانى القوم ما عدا زيدا ، والتقدير : مجاوزتَهم زيداً ، فهو مصدر . قلت : يمكن أن يقال إن ما زائدة وليست التى للمصدر ، وعدا إذا قدِّرت زيادةُ « ما » كان جملةً ، فليس فى ذلك دلالة ، لاحتماله غيرَ ذلك . والحروف قد وقعت فى الاستثناء نحو خلا وحاشا ، ولا وجه لهذه الكلم إلا أن تكون حروفَ جر ، فإذا كان بله زيد هنا ليس يخلو من أن يكون اسم فعل أو مصدراً أو حرفا ، وليس يجوز وقوعُ اسم الفعل هنا لمَا قدمنا ، ولا المصدر لأنَّه لم يقع عليه دلالة من حيث جاز أن تكون ما زائدة فى ماعدا – كان حرفَ جَرٍّ ؛ لأن حروف الجر قد وقعت فى موضع الاستثناء . انتهى كلامه .

وحاصله أنه استدلَّ لبَلَه بكونه حرف استثناء بأنَّ اسم الفعل لم يقع فى

الاستثناء ، فكذلك لم يكن مصدراً ، لأنه لا يكون مصدرٌ إلاَّ حيث يكون اسم فعل . ثم اعترض نفسه بما عدا زيداً وبابِه ، فقال : يمكن أن تكون ما زائدة .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : قلت كونها مصدريةً أُولى ، وبه قال سيبويه والجماعة . وقد حكى أبو عبيدة وأبو الحسن النصب بعدها فى الاستثناء . انتهى .

ويريد أبو على أنها ليست فى النصب حرفا ، لأنها قد جَرَّت ، وليس فى الاستثناءِ ما ينصب ويخفض إلا وهو متردِّد بين الحرفية والفعلية ، ولا يكون نصبُها كنصب إلاّ لهذا ، ولأنها لا يقع بعدها المرفوع . كذلك قال أبو حيان . يريد أنَّها لم تخرج عن بابها وإن دخلها معنى الاستثناء . فالخفض عَلَى أنها مصدر ، والنصب عَلَى أنها اسم فعل . وقال الدماميني (فى شرحه المزج [1] عَلَى المغنى) : ذهب الكوفيون والبغدادِيُّونَ إلى أنَّ بله تَرِدُ للاستثناءِ كغير . وجمهور البصريين على أنهَا لا يستثنى بها . واستدلَّ ابن عصفور بأمرين :

أحدهما : أنَّ ما بعد بله لا يكون من جنس ما قبلها . ألا ترى أنَّ الأكف فى البيت ليست من الجماجم .

والثانى : أنَّ الاستثناء عبارةٌ عن إخراج الثانى ممَّا دخل فى الأول ، ٢٨
والمعنى فى بله ليس كذلك . ألا ترى أنَّ الأكف مقطوعة بالسيوف كالجماجم .

وفيه نظر . أما الأول فلأنَّا لا نسلم أنَّ كلَّ استثناء يكون ما بعد الأداة فيه من جنس ما قبلها ؛ بدليل المنقطع . وأما الثانى فلتحقُّق الإخراج باعتبار الأولويَّة . انتهى .

(١) ش : « فى الشرح المزج » .

وقد بسط القول أبو حيان (فى شرح التسهيل) على هذه المسألة فلا بأس بايراده . قال :

مذهب جمهور البصريِّن : لا يجوز فيما بعدها إلا الخفض . وأجاز الكوفيون والبغداديون فيه النصب على الاستثناء ، نحو أكرمت العبيد بله الأحرارَ . وإنَّما جعلوها استثناء لأنهم رأوا ما بعدها خارجاً عما قبلها فى الوصف ، من حيث كان مرتَّبا عليه ، لأنَّ المعنى فيه : إنَّ إكرامك الأحرار يَزيد على إكرامك العبيد . والصَّحيح أنها ليست من أدوات الاستثناء ، بدليل انتفاء وقوع إلاَّ مكانَها ، وأنَّ ما بعدها لا يكون إلا من جنس ما قبلها .

ويجوز دخول حرف العطف عليها ، ولم يتقدَّمها استثناء . قال شيخنا ابن الضائع (١) : وممَّا يُضعف إدخالَ بله ولاسيما فى أدوات الاستثناء ، أنَّهم لم يأتوا بحتَّى فى الاستثناء . ألا ترى أنَّ قولهم : قام القوم حتى زيد ، قد أُخرِجَ زيدٌ عن القوم لصفةٍ اختصَّ بها فى القيام لم تثبت لهم ، فلو كان هذا المعنى حقيقة فى الاستثناء للزم . ولا تذكر حتىَّ فى أدوات الاستثناء . انتهى .

وما ذهب إليه جمهور البصريين من أنَّه لا يجوز فيما بعدها النصبُ ليس بصحيح ، بل النصب بعدها محفوظٌ من العرب . قال الشاعر :

* مَشْىَ الجوادِ فَبَلْهَ الجِلَّةَ النُّجبا (٢) *

وقال جرير :

وهل كنتَ يا ابنَ القين فى الدهر مالكاً
لغير بعير بَلْهَ مَهريَّةً نُجْبا

---

(١) هو على بن محمد بن على الإشبيلى ، وهو بالضاد المعجمة ، من شيوخ أبى حيان . توفى سنة ٦٨٠ .

(٢) لابن هرمة فى ديوانه ٥٧ واللسان والتاج (بله) . وصدره :

* تمشى القطوف إذا غنى الحداة بها *

وقال آخر :

* بَلْهَ الأكفَّ كأنها لم تُخلقِ *

وقد روى الرفع أيضاً بعد بله على معنى كيفَ . ذكره قطرب وأنكره أبو على . وفى (مختصر العين) : بَلْهَ بمعنى كيف ، وبمعنى دع . فأمَّا الجر بعدها وهو المجْمَعُ على سماعه فذهب بعضُ الكوفيين إلى أنَّها بمعنى غير ، فمعنى بله الأكف غير الأكّف ، فيكون هذا استثناءً منقطعاً . وذهب الفارسيُّ إلى أنها مصدر لم يُنطَق له بفعل ، وهو مضاف وهى إضافةٌ مِن نَصب . وذهب الأخفش إلى أنَّها حرف جر . وأما النصب فيكون على أنَّه مفعول وبله مصدر موضوع موضع الفعل ، أو اسم الفعل ليس من لفظ الفعل . فإذا قلت : قام القوم بله زيدا ، فكأنك قلت : تركاً زيدا ، أو دَعْ زيدا .

وأمَّا الرفع فعلى الابتداء وبله بمعنى كيف فى موضع الخبر . وقال ابن عصفور : إذا قلتَ قام القوم بله زيدا إنَّما معناه عندنا دع زيداً ، وليس المعنى إلاَّ زيدا . ألا ترى أنَّ معنى بله الأكف دع الأكفَّ . فهذه صفتُها ، ولم يرد استثناءَ الأكفِّ من الجماجم .

قال شيخنا : هذا مناقضٌ لقوله : كأنها لم تخلق ، فإنما يريد إذا كان فعلُها فى الجماجم كذا فالأكفُّ أحْرَى بذلك ، فكأنَّها لم تكن قطّ ، فيقال إنها قطعتها . فلا فرق بين معنى لاسيما وبله . انتهى .

هذا ما أورده أبو حيان . وقول الشارح المحقق : « ومنه بله ما أُطْلِعْتُم » أى من الاستثناء بجعله بله بمعنى سوى . وهو قطعة من حديث أخرجه البخارى (فى صحيحه) عن أبى هريرة فى تفسير سورة السجدة وهو : « يقول

الله تعالى : أعددتُ لعبادِيَ الصالحينَ ما لا عينٌ رأت ، ولا أذُنٌ سمعتْ ، ولا خَطَر عَلَى قلب بشر ذُخراً بَلْهَ ما أطْلِعتْم عليه » . ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم ٢٩ نفسٌ ما أُخفِي لهم من قُرَّةِ أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون [1] ﴾ . وأُطلِعْتُم ضبطه القسطَلَّانى بضم الهمزة وكسر اللام . قال : ولأبى الوقت : « أَطْلَعْتُهُم » بفتح الهمزة واللام وزيادة هاءٍ بعد التاء . وأخرجه مسلم أيضاً عن أبى هريرة فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (من صحيحه) ولفظهُ : « قال رسول الله ﷺ : يقول الله عزّ وجَلّ : أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سَمِعتْ ، ولا خطر على قلب بشر ذُخراً ، بله ما أُطْلِعتُم عليه » ، ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نفسٌ ما أُخفِيَ لهم منْ قُرَّةِ أعين ﴾ انتهى . وفى رواية منه : « بله ما أُطلِعْتُم الله عليه » .

فقول القسطلاَّنى فى شرح البخارى : إنَّ هذا الحديث من أفراد البخاريِّ سهو ، مع أنَّ ابن حجر قال (فى فتح البارى) : أخرج مسلمٌ الحديثَ كلَّه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، قال النووى فى شرح مسلم : بله معناها : دع عنك ما أطَلعتُكُم عليه ، فالذى لم أُطْلعكم عليه أعظم . فكأنَّه أضربَ عنه استقلالاً له فى جنب ما لم يطلع عليه . وقيل معناها غير ، وقيل معناها كيف . وقال ابن الأثير (فى النهاية) : بله اسم فعل بمعنى دَعْ ، وقد يوضع موضعَ المصدر ويضاف . وقوله : ما اطَّلعتم عليه ، يحتمل أن يكون منصوب المحلّ ومجروره . انتهى .

ورواه أبو حيان (فى تذكرته) : « بله ما قد أطلعتُكم عليه » ، وقال : يريد فدع ما أطلعتكم عليه ، وكيف ما أطلعتكم . وتقول العرب : إنِّى لا أُركب الخيلَ فكيف الحميرَ ، يريد : فدع ذكر الحمير لا تذكُرْهُ . ففى هذا القول دلالةٌ على موافقة كيف معنى دَعْ فى هذه الجهة . انتهى .

---

(١) الآية ١٧ من السجدة .

ووقع فى أكثر نسخ البخارى « مِنْ بلْهِ ما اطَّلعتم عليه » ، بزيادة « من » . قال القسطَلاَّنى : هى رواية أبى ذر وأبى الوقت والأصيلىّ وابن عساكر . قال ابن حجر : قال الصَّغانى : اتَّفقَت نُسَخُ الصحيح على مِن بله ، والصواب إسقاط كلمة مِنْ . وتُعقِّب بأنّه لا يتعيَّن إسقاطها إلا إذا فسِّرت بمعنى دع ، وأما إذا فسِّرت بمعنى من أجل أو من غير أو سوى فلا . وقد بيِّنت فى عدّة مصنفاتٍ خارجَ الصحيح بإثبات مِنْ . وأخرجه سعيد بن منصور من طريق ابن مردويه من رواية أبى معاوية عن الأعمش كذلك . وقد فسَّر الخطابىّ الجارَّ والمجرور بقوله : كأنَّهُ يقول : دع ما اطَّلعتم عليه فإنَّه سهل فى جَنْب ما ادُّخر لهم . وهذا إنَّما هو لائقٌ بشرح بله بغير تقدُّم من عليها . وأما إذا تقدَّمت من عليها فقد قيل : هى بمعنى كيف ويقال أجل ، ويقال بمعنى غير أو سوى ، وقيل بمعنى فضل . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ومن الغريب أنّ فى رواية البخارى « منْ بلهٍ » ، قد استعملت معربةً مجرورة بمن ، وخارجةً عن المعانى الثلاثة . وفسَّرها بعضهم بغير ، وهو ظاهرٌ . وبهذا يتقَّوى من يعدّها فى ألفاظ الاستثناء . انتهى

وكذلك قال القسطلانى : قد ثبت جرُّ بله بِمنْ فى الفرع المعتمَد المقابل على أصل اليُونينى ، المحرَّر بحضرة إمام العربية أبى عبد الله بن مالك .

قال الدمامينى (فى شرح البخارى) : و (فى شروح المغنى) : نصَّ ابن التِّين [1] على أنَّ بله ضبط بالفتح والجر ، وكلاهما مع وجود من . فأما الجر فقد وجَّهه ابن هشام ، وأما توجيه الفتح مع وجود من فقد قال الرضىّ : إذا كان بله بمعنى كيف جاز أن تدخله من ، وعليه تتخرَّج هذه الرواية ، فتكون بمعنى كيف التى يقصَد بها الاستبعاد . وما مصدرية ، وهى مع صلتها

(١) ذكره فى تاج العروس (تين) قال : « وعبد الرحمن السفاقسى المالكى المعروف بابن التين ، شارح البخارى » . وفى كشف الظنون : « عبد الواحد بن التين السفاقسى » .

فى محلٍّ رفع على الابتداء والخبر من بله ، والضمير من عليه عائد على الذخر ، أى كيف ومن أين اطِّلاعكم على الذخر الذى أعددته ، فإنه أمرٌ قلما تتَّسع العقولُ لإدراكه والإحاطة به . انتهى .

ومثله لابن حجر قال : ووقع فى المغنى لابن هشام أنّ بله استعملت معربةً مجرورة بمن ، وأنها بمعنى غير ، ولم يذكر سواه . وفيه نظر لأنَ ابن التِّين حكى روايةَ مِنْ بلْهَ بفتح الهاء مع وجود مِنْ ، فعلى هذا فهى مبنيَّة وما مصدرية ، وهى وصلتها فى موضع رفع على الابتداء ، والخبر هو الجار والمجرور المتقدم ، ويكون المراد ببله كيفَ التى يقصد بها الاستبعاد . والمعنى : من أين اطِّلاعُكم على هذا القدر الذى تقصُر عقولُ البشر عن الإحاطة به . ودخول مِنْ على بله إذا كانت بهذا المعنى جائز كما أشار إليه الشريف (فى شرح الحاجبية) . وأوضحُ التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب أنَّها بمعنى غير . وذلك بيِّن لمن تأمَّله . انتهى .

وهذا الاتفاق من الدمامينى وابن حجر غريبٌ ، يقلُّ وقوع مثله ، فإنهما وإن كانا متصاحبين لم يَرَ كُلٌّ منهما شرحَ الآخر على البخارى .

أقول : كَسْرة بله يحتمل أن تكون كسرة بناء . ويؤيده ما قاله أبو حيان (فى الارتشاف) بأنه سمع فى بله فتح الهاء وكسرها .

صاحب الشاهد والبيت الشاهد من قصيدةٍ لأبى زُبيدٍ الطائى النصرانى . وقبله ، وهو مطلع القصيدة :

أبيات الشاهد (مَن مبلغٌ قومَنا النائينَ إذ شحَطوا
أنَّ الفؤادَ إليْهِمْ شيِّقٌ وَلِعُ

حَمّالُ أثقالِ أهلِ الودِّ آونةً
أُعطيهمُ الجْهدَ منِّى بلهَ ما أسعُ)

مَن استفهامية ومبلغٌ متعدٍّ إلىَ مفعولين ، يقال أبلغته السلامَ ، فقومَنا مفعوله الأوّل ، والنائين وصفه ، وأنَّ الفؤاد إلخ بفتح أنّ فى تأويل مصدر منصوب هو المفعول الثانى . والنائين : جمع ناء اسم فاعل من النأْى ، وهو البعد . وإذْ ظرفٌ معناه التعليل متعلّق بمبلغ . وشَحَطوا بفتح الحاء ، يقال شحط يشحط شَحْطا من باب منع وشحوطا ، وهو البعد . وشَيِّق : مشتاق ، وأصله شيوق بوزن فيعل . وولِع بكسر اللام : وصْفٌ من ولع بفتح اللام وكسرها يَلَع بفتحها مع سقوط الواو ، وَلعاً بسكون اللام وفتحها ، بمعنى عَلِق به ، من علاقة الحب . كذا فى المصباح .

وحمال : مبالغة حامل خبر لمحذوف (١) أى هو حَمَّال . وأثقال : جمع ثقل بفتحتين ، وهو متاع المسافر . وآونة : جمع أوان بمعنى الحِين ، كأزمنة وزمان وهو ظرف لحَمَّال ، أى حَمْلته فى أزمانٍ كثيرة . وضمير أعطيهم لأهل الودِّ ، وجمعَهُ باعتبار معناه . والجهد بالفتح : النهاية والغاية ، وهو مصدر جهد فى الأمر جهدا من باب نفع ، إذا طلب حتَّى بلغ غايتَه فى الطلب . ومنه اجتهد فى الأمر ، أى بذل وُسعَه وطاقته فى طلبه ليبلغ مجهوده ويصل إلى نهايته . والجَهدُ أيضاً : الوسع والطاقة ، يفتح فى لغة الحجاز ويضم فى غيره . وأسع : مضارع وسع ، يتعدَّى ولا يتعدى . يقال وسِعَ المكانُ القومَ ، ووسع المكانُ ، أى اتسع . قال النابغة :

---

(١) ش : « خبر المحذوف » .

تسَعُ البلادُ إذا أتيتُكِ زائراً وإذا هجرتكِ ضاق عنِّي مقعدى [1]

والسَّعة والوسع : الطاقة ، والجِدَة أيضاً . والفعل وسِع بكسر السين
يَسَع بفتحها ، وأصل الفتحة الكسرة ، ولهذا أسقطت الواو لوقوعها بين ياء ٣١
مفتوحة وكسرة ثم فتحت بعد الحذف لِمكانِ حرف الحلق . فأسع إن كان
متعدِّيا فما موصولة أو موصوفة والعائد محذوف ، أى أسعه . وإن كان لازما
بمعنى اتَّسع فما مصدرية . فالجهد إن كان بالمعنى الأول فالوسع بالمعنى
الثانى ، وبالعكس لئلا يتكرَّر . وظهر من هذا التقدير أنَّ الاستثناء لا مِساس
له هنا ، وإنما المعنى على أحد الأوجه الثلاثة فى البيت السابق . فالأول أنِّى
أعطيهم فوق الوُسع ، فتركاً للوسع ، أو فدع الوُسع أى ذكره ، أو فكيف
الوسْعُ لا أعطيه ، فتأمَّلْ .

* * *

وأنشد بعده :

(وقفنا فقلنا إيه عَنْ أمِّ سالِمِ)

تقدَّم شرحه قبل بيتين منه [2]

* * *

وأنشد بعده :

(مَهلا فداءٍ لك الأقوامُ كلُّهمُ
وما أثمِّرُ من مالٍ ومن ولَدِ)

وهذا أيضاً تقدَّم شرحه فى أول الباب [3]

* * *

(١) ديوان النابغة ٣٤ تحقيق شكرى فيصل .
(٢) انظر هذا الجزء ص ٢٠٨ .
(٣) فى الشاهد ٤٥٢ ص ١٨١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الأربعمائة [١] :

٤٥٨ (أَلَا حيِّيا ليلَى وقولا لها هَلاَ
فقد ركِبَتْ أمراً أغرَّ محجَّلا)

على أن (هَلاَ) فيه اسم فعل بمعنى أُسرعِى [٢] .

المعروف [٣] أنها زجرٌ للدابَّة لتذهب ، فتكون من أسماء الصوت كما فَسَّره هو بهذا فى باب الصوت .

قال صاحب الصحاح : هلاَ : زجرٌ للخيل ، أى توسَّعى وتنحَّىْ . قال :

* وأىّ جوادٍ لا يقال له هلا *

وللناقة أيضاً ، وقال :

* حتَّى حَدَوناها بِهيد وهلا *

وهما زجران للناقة ، وقد تسكَّن بها الإناث عند دُنُوّ الفحل منها . قال :

ألا حيِّيا ليلى وقولا لها هلا انتهى

فقد عكس الشارحُ كما ترى ، ففسَّرها بأسرعى دون اسكنى .

وقال ابن الأثير (فى النهاية) فى شرح حيَّهلا من حديث ابن مسعود : « إذا ذُكِر الصالحون فحيَّهَلاَ بعُمر » ، قال : أى أقبل به وأسرع ، وهى

---

(١) الأغانى ٤ : ١٣٢ وابن يعيش ٤ : ٧٤ وديوان النابغة الجعدى ص ١٢٤ .

(٢) الذى فى الرضى ٢ : ٦٧ : « ومنها هلا ، وله معنيان : اسكن ، وأسرع » ، فقط .

(٣) ش : « أو معروف » بزيادة « أو » من الناسخ مقرونة بكلمة « صح » . والحق أن الكلام هنا للبغدادى لا للرضى .

كلمتان جعلتا كلمة واحدة ، فحيَّ بمعنى أقبل وهَلاَ بمعنى اسكنْ عند ذكره حتى تنقضىَ فضائله . انتهى .

فهلاَ من حَيَّهلا إمَّا بمعنى أسرع وإمّا بمعنى اسكن ؛ لأنها تأتى للمعنيين كما قال الشارح .

وكأنَّه رحمه الله أخذ كلامه من هنا لكنَّه لم يُنعم النظر .

وأورده الزمخشرى (فى مفصَّله) قال : ويستعمل حيَّ وحدَه بمعنى أقبل ، وهَلاَ وحدَه . وأنشد البيت .

والبيت أول أبياتٍ للنابغة الجعدى الصحابيِّ هجا بها ليلَى الأخيليَّة . وبعده : صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(ذرى عنكِ تَهجاءَ الرجال وأقبلى
إلى أذْلَقِيٍّ يملأ استَكِ فَيْشلا [1]
بُرَيذينةٌ بلَّ البراذينُ ثَفْرَها
وقد شربت فى أوّلِ الصَّيف أُيَّلا
وقد أكلت بقلاً وخِيماً نباته
وقد نكحت شرَّ الأخايل أخيلا
وكيف أهاجى شاعراً رُمْحُهُ استُه
خضيبَ البنان لا يزال مكحَّلا)

وقوله : (ألا حيِّيا) ، أى ابلغاها تحيَّتى ، على طريق الهزء والسخرية . وروى : ألا أبلغا ، أمَرَ مخاطبين بالتبليغ أو واحداً ، إما بتقدير الألف مبدلة من

(١) فى الديوان : « وأقبلى على أذلغى » .

٣٢ نون التوكيد الخفيفة . وإمَّا من قَبيل خطاب الرجل صاحبه بخطاب الاثنين على عادتهم . وهلا هو المحكيُّ بالقول .

وقوله : (فقد ركبَتْ) إلخ أراد أنها ركبتْ بسبب التعرُّض لى [١] أمراً واضحاً ظاهراً لا يخفى . وهذا يقال فى كل شَيْءٍ ظاهرٍ عُرف كما يُعرف الفرس الأغر المحجَّل . ومنه قول الشاعر [٢] :

وأيامُنا معروفةٌ فى عدوِّنا
لها غررٌ معروفة وحُجولُ

وروى : « لقد ركبت أيرا » بالمثناة التحتية بدل الميم ، وهو تحريف من الكتاب .

وقوله : « ذرى عنك » إلخ ذرِى : اتركى . وتَهجاء بالفتح : مصدر لمبالغة الهجاء . وأذلقىّ ، أى أير أَذْلَقىّ . والأذلقُ : السنان المسنون المحدَّد . قال صاحب العباب : ذلِق السنانُ بالكسر يذلق ذَلَقاً ، أى صار حديداً ، فهو ذَلِق ؛ وأسِنَّةٌ ذُلْق .

وقال العينى : أذلقىّ أى رجلٌ فصيح متقن .

وهذا لا مناسبة له هنا . ومِثله لبعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) ، وتبعه الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) قالا : أذلقىٌّ أى فصيح ، يقال فلانٌ ذلْق اللسان أى طليقه . والأذلقىّ مبالغة . انتهى .

---

(١) ط : « التعرض بى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) هو السموءل ، كما فى ديوانه ص ١٥ والحماسة ٢١ بشرح المرزوقى .

(٣) فى الديوان : « وأيامنا مشهودة فى قديمنا » .

وروى : « أذلغى » بدل « أُذلقىّ » بذال وغين معجمتين بينَهُما لام . قال صاحب العباب : ويقال للذكر أذلَغ وأذلغىٌّ ، ومِذْلغ بكسر الميم . والأذلغى : منسوب إلى بنى أذلغ : قومٌ من بنى عامر ، يُوصَفون بالنكاح . قال ابن الكلبى : الأذلغ هو عوف بن ربيعة بن عُبادة ، وأمه من ثُمالة .

وقال الأزهرى : الذكر يسمى أذلغ إذا اتْمَهَلَّ (١) فصارت تُومته مثل الشَّفَة المنقلبة . ويقال رجل أذلغ ، إذا كان غليظ الشفتين . وذلغ جاريته ، إذا جامعها . انتهى .

والفيشل ، بفتح الفاء : رأس الذكر ، ومثله الفيشلة . كذا فى العباب . وقال العينى : الفيشل : الذكر العظيم الكمرة . ولم أُره بهذا المعنى .

وقوله : « بريذينة حَكَّ البراذين » إلخ هو مصغَّر البروذنة . قال المطَرِّزى : البرذون : التركىّ من الخيل ، وهو خلاف العِراب . وقال ابن الأنبارى : البرذون يقع على الذكر والأنثى ، وربما قالوا فى الأنثى بروذنة . كذا فى المصباح . والثَّفر بفتح المثلثة وسكون الفاء . قال صاحب المصباح : الثفر ، مثل فَلْسٍ ، للسِّباع وكل ذى مخلب بمنزلة الفَرْج والحَيا للناقة . وربما استعير لغيرها .

وقوله : « وقد شربت من آخر » إلخ الأُيَّل ، بضم الهمزة وتشديد الياء المفتوحة : جمع آيل ، كقارح وقُرَّح . والآيل : اللبن الخاثر . وقيل اسم جمع له ، يقال آل اللبنُ يؤول أوْلاً ، إذا خَثُرَ . وأراد ألبانا أُيَّلاً ، فحذف الموصوف . وقيل هو أَيِّل بفتح الهمزة وكسرها وتشديد الياء المكسورة ، وهو

(١) فى النسختين : « اذا تمهل » ، والصواب ما أثبت كما فى اللسان (ذلغ ٣٠٨) . وفى اللسان (تمهل) : « اتمهل الشئ اتمهلالا : أى طال ، ويقال اعتدل . وكذلك اتمأل واتمأر ، أى طال واشتد » .

الذَّكَر من الأوعال . والأنثى أيِّلة وأُروِّية . والأُيِّل هو ذو القرن الأشعب مثل الثَّور الأهلى ؛ وإنَّما سمى أيِّلا لأنه يؤول إلى الجبال يتحصَّن فيها . قال ابن السيِّد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : أراد لبن أيِّل ، فحذف المضاف وخصَّه دون غيره لأنه يهيِّج الغُلمة .

وقال صاحب العباب : قال شمر : هو لبن الأيايل . قال أبو الهيثم : هذا محالٌ ، ومن أين يوجد ألبانُ الأيايل .

وقال أبو نصر : هو البول الخاثر من أبوال الأروى ، إذا شربته المرأةُ اغتلمت . وهو يُغْلم ، أى يقوِّى على النِّكاح .

وقوله : « قد أكلتْ بقلاً وخيماً » إلخ الوخيم : الثقيل . ونَكَحت : تزوَّجت ، من باب ضرب . والأخايل : جمع أخيل ، قال صاحب العباب : بنو الأخْيَل : حيٌّ من بنى عُقَيل رهط ليلى الأخيلية . وقولها :

٣٣ نحنُ الأخايل ما يزال غلامُنا

حتَّى يدبَّ على العَصَا مذكورا

وإنَّما جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية العُقَيلى . انتهى .

أراد أنها تزوجت بأشرِّ بنى أخيل . وأخيلَ صفة لشر ، لتأويله بمشئوم فإنَّ الأخيل هو الشقِرَّاق ، والعرب تتشاءمُ به .

وقوله : « وكيف أهاجى شاعراً » إلخ أى كيف أهاجى امرأةً بهذه الصفات . والاستفهامُ إنكارىٌّ . أى لا أهجو ؛ استنكافاً ممن بهذه الصفة .

وسبب هجو النابغة لليلى أنَّه كان يهاجى زوجها سَوَّار بن أوفى القُشَيرى ، فاعترضَتْ ليلى بينهما فهجت النابغة بشعر ، فهجاها بهذا الشعر ، فهجَتْه بقصيدةٍ منها هذه الأبيات :

أنابغ لم تنبغْ ولم تكُ أوَّلاَ
وكنتَ صُنَيًّا بين صُدَّينِ مَجهلاَ [١]

أنابغ إنْ تنبغْ بلؤمك لا تجدْ
للؤمك إلَّا وَسْطَ جَعدةَ مجعَلا

أعيَّرتنى داءً بأمِّك مثلُه
وأىُّ حَصَانٍ لا يقال لها : هَلا

تُساورِ سَوَّاراً إلى المجد والعلا
وفى ذمّتى لئن فعلتَ ليَفْعَلا

فَغَلبته ، ولهذا صار النابغة معدوداً من المغلَّبين . هذا هو الصحيح فى الرواية كما فى الأغانى وفى شرح شواهد إصلاح المنطق ، لا العكس [٢] ، كما قاله ابن هشام (فى شرح الشواهد) ، وتبعه العينى وغيره .

ثم إنها وفدت إلى الحجاج بن يوسف فأعطاها ما سألَت ، ثم قال لها : ألكِ حاجة بعد هذا ؟ قالت : نعم ، تدفعُ إلىَّ النابغة الجعدىَّ . قال : قد فعلتُ . فلما بلغ النابغةَ فعلُ الحجَّاج به خرج هارباً إلى عبد الملك بن مروانَ عائذاً به ، فاتَّبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعته [٣] بكتاب الحجاج إليه ، فماتت بقومس . وقال ابن قتيبة : بساوَة ، وقبرت هناك .

---

(١) ديوان ليلى ١٠٠ . وانظر ما فيه من تخريج .

(٢) فى هامش طبعة بولاق : « قوله لا العكس إلخ أقول : راجعت شرح الشواهد لابن هشام فلم أر فيه عكس ما هنا ، بل مثله . كذا بهامش الأصل » .

(٣) فى النسختين : « فاتبعه » .

وقولها « أنابغ » أخ الهمزة للنداء . ونابغ : مرخّم نابغة ، وهو لقبٌ والهاء للمبالغة . يقال نبغَ الرجل ، إذا لم يكن فى إرثِ الشّعر ثم قالَ وأجاد ، ومنه سمِّى النوابغ من الشعراءِ ، وهم ثمانية . واسم الجعدىّ قيس بن عبد الله ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة [١] .

ونَبَغَ ينبغ بفتح الباء فى الماضى ، وبتثليثها فى المضارع ، إذا ظهر وعلا . وقولها : « ولم تك أوّلاً » أى لم تكن أوّلَ من قال شعراً ، وليس لك قدمٌ فيه . والصُّنَىّ : مصغر صِنو بكسر الصاد المهملة وسكون النون ، وهو حِسْىٌّ صغير لا يَرِدُه أحد ولا يُؤبَه له ، ويقال هو شقٌّ فى الجبل . كذا فى الصحاح ، وقال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : الصّنَىُّ : شِعب ضيِّق بين الجبال ، وقيل هو الرماد ، وقيل هو الشئ الحقير الذى لا يُلتَفت إليه . والحِسْى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين ، وهو الماءُ المتوارى فى الرَّمل . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات إصلاح المنطق) : لم تنبُغ : لم تَعْلُ ولم تُذكَر . والصُّنَىُّ : الحِسْى الصغير ، تريد أنه بمنزلة الحِسْى ، كهذا الماء الذى بين جبلين لا يردُه أحد . ومَجهَلا نعت لصُنَىّ . والصّد ، بضم الصاد وفتحها ، ويقال سد بالسين كذلك ، هو الجبل .

والمجعل : مصدرٌ ميمى بمعنى الجَعْل ، أى لم تجد من يجعلك شريفاً إلّا قومَك .

وقولها : « أعيرتنى داءً » ، أى : أنسبتنى إلى العار ، وهو كلُّ شئ يلزم
٣٤ منه عيبٌ أو سُبَّة ، يتعدى إلى المفعول الثانى بنفسه كما هنا . وبالباء أيضاً . قال المرزوقى (فى شرح الحماسة) : المختار أن يتعدَّى بنفسه . والحَصَان ،

---

(١) الخزانة ٢ : ١٦٧ .

بالفتح : المرأة العفيفة . وروى بدله « وأيُّ جواد ، وهو الفرس الجيِّدة . وقولها : « تُساوِرُ سوّارا » إلخ ، تساور : تواثب وتغالب .

وسوّار قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو سوَّار بن أوفى القشيرى . وكان زوجَها . وصحَّفه بعضهم ورواه « تسوَّر سوَّار » ، والصواب ما رويناه .

وهذا البيت أورده سيبويه فى كتابه [1] على أنّ الألف فى ليفعلا أصلها نون التوكيد الخفيفة قلبت ألفا . واللام فى لئن موطئة للقسم ، واللام الثانية فى جواب القسم المقدرّ ، وجملة : يفعلا جواب القسم ،وجواب الشرط محذوف وجوباً ، وفى ذمتى خبر مبتدأ محذوف ، أى فى ذمتى القيام بما أدّعيه لسوّار من أن يغلبك ، والله لئن فَعَلتَ ليفعلنَّ ، أى لئن واثبتَه ليواثبنَّك ويغلبنَّك .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) قوله : « وفى ذمتى » قسم ، وجوابه ليفعلن . فإن قلت : إن قوله [2] : وفى ذمتى ، ليس بكلام مستقل ، والقسم إنما هو جملة .

قلت : إنّه أضمر فى الظرف اليمين أو القسم ، لدلالة الحال عليه ، كما أُضمر فى قوله سبحانه : ﴿ ثمَّ بدا لهم [3] ﴾ الفاعلُ ، وصار ليسجنُنَّه كالجواب ، لأنَّ بدا بمنزلة علم ، وذاك أنه عِلْمٌ . ومن لم يرفع بالظرف فينبغى أن يكون المبتدأ عنده محذوفا . ويبِّين ذلك قولهم : علىَّ عهد الله لأفعلنَّ . انتهى [4] .

المبتدأ وجوباً إذا كان خبرُه صريحاً فى القسم ، كقولهم : فى ذِمَّتى لأفعلن ، أى فى ذمتى يمين .

(١) سيبويه : ٢ : ١٥١ .

(٢) ش : « إن قولها » .

(٣) الآية ٣٥ من سورة يوسف .

(٤) يبدو أن بين هذ الكلام وتاليه سقطا تقديره : « ويحذف » وقد بيض له فى النسختين بمقدار نصف سطر .

وأنشد هذا البيت .

وإنَّما عدَّه صريحاً لأنه اشتهر استعماله فى القسم . وبه يسقط قول من قال كما نقله العينى : يحتمل أن يكون : فى ذمتى دَينٌ أو عهد ، فلا يفهم القسم إلا بذكر المقسم به .

* * *

وأنشد بعده :

(قدنىَ من نصر الخُبَيبينِ قدِى)

وقد تقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد الثالث بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الأربعمائة (٢) :

٤٥٩ (ومَتَى أهلِكْ فلا أُحْفِلُه

بَجَلِى الآنَ مِنَ العَيْشِ بَجَلْ)

على أنَّ (بَجَلْ) كان فى الأصل مصدراً بمعنى الاكتفاء ، ثم صار اسمَ فعل بمعنى الأمر ، فإن اتَّصل به الكافُ كان معناه اكتف ، أمر مخاطب حاضر . وإن اتصلَ به الياء كان معناه لأكتفِ ، أمر متكلِّم نفسَه ، كما أنَّ قد وقَطْ كذلك . ففيه ضمير مستتر وجوبا تقديره فى الأول : أنت ، وفى الثانى : أنا .

ومثله (فى المفصل للزمخشرى) : أنَّ قدك وقطك بمعنى اكتفِ وانته . ولم يَذْكر معهما بجل .

---

(١) الخزانة ٥ : ٣٨٢ - ٣٩٦ .

(٢) ديوان لبيد ١٩٧ والحماسة بشرح المرزوق ٢٩١ ، ٦٠٨ .

وكونها موضوعةً لهذا المعنى هو المتبادِر الظاهر من موارد استعمالها ، والمطَّرد فى كل موضع أتت فيه .

وذهب ابن مالك (فى التسهيل) إلى أنّ الثلاثة موضوعةٌ لأكتفى فعلاً مضارعا للمتكلم . وهو قريبٌ مما قالاه .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وأمَّا بجل فقد ذكروا أنَّها اسمُ فعل والياء فى موضع نصب بمعنى كفانى أو يكفينى . وإذا لم تلحق فهى بمعنى حسب .

واقتصر المرادى (فى الجنَى الدانى) وابن هشام (فى المغنى) وغيرهما ٣٥
على أنَّها موضوعة ليكفى فعلا مضارعا غائباً . وهذا يحتاج إلى فاعل ظاهر ولا يتيسَّر فى بجلى الآن ، ولا فى قول طرفة بن العبد .

وقد أورده ابن هشام (فى المغنى) :

* ألا بَجَلى من الشَّرابِ ألا بجلْ *

لعدم وجوده . ولمَّا رأوا أن لا فاعل اضطُّروا إلى جعل بجل فى البيتين بمعنى حسب ، وأثبتوا معنىً ثانياً لها . ولا ضرورةَ تدعو إليه ، ولهذا لم يذكر الشارح المحقّق معنى حسب أصلاً ، حسما للانتشار من غير فائدة .

فإن قلت : إنَّ علماءَ اللغة المتقدِّمين كالأزهرى ، وابن دُريد ، والجوهرى وغيرهم ، إنما قالوا بَجَلْ بمعنى حَسْب ، ولم يتعرَّضوا لمجيئها اسم فعل فما وجهه ؟ قلت : هو راجعٌ إليه ، وإنما عبَّروا بحَسْب لقُرب المعنى تيسيراً للفهم . وهم يتساهلون فى تفسير بعض الألفاظ .

ولمّا كان غرض النحويّين متعلقا بأحكام الألفاظ دقّقوا النظر فبيّنوا حقيقتها ، وفَسَّروها بالفعل وسموها اسم فعل . ولا يصح أن تكون موضوعةً بمعنى حسب ، لأنَّ كلاًّ منهما لا يستعمَل استعمالَ الآخر . أمَّا حَسْب فإنها اسمٌ معرب متصرِّف ، يقع مبتدأ وخبراً وحالا ومجروراً ، ويدخل عليها العوامل اللفظية . وبَجَلْ على خلاف هذا ، وإثبات هذه الأمور لها دُونَه خَرْطُ القتاد . وأمَّا بجل فإنّ نون الوقاية تلحقها ، وحسب لا تلحقها ولا فى الندرة .

وقد أخذ ابن مالك بظاهر كلام أهل اللغة فأثبت مجيء بجَلْ بمعنى حسب . وحَسْب ليست اسمَ فعل لدخول العوامل عليها ، ولم يُصِبْ من عدَّها من أسماءِ الأفعال ، كالقواس (فى شرح ألفية ابن معطى) ، ولا يجب لحاق نون الوقاية لبجل مع الياء ، بل يجوز بمرجوحيَّة .

قال الشارح المحقق هنا : وتجب نون الوقاية فى قد وقط دون بجل فى الأعرف ، لكونهما على حرفين دونه .

وقال فى باب المضمر : وكذا الحذف فى بجل أولى من الإثبات وإن كان ساكنَ الآخر مثل قد وقَطْ ، لكراهة لام ساكنة قبل النون ، وتعسُّر النطق بها .

ومثله لابن هشام (فى المغنى) : أنَّ لحاق النون لبَجل إذا كان اسمَ فعل نادر . وكذا حال جميع أسماء الأفعال ، يجوز إلحاق نون الوقاية وتركها . قال الشارح المحقق فى باب المضمر [1] : يجوز إلحاق نون الوقاية فى أسماء

---

(١) شرح الرضى ٢ : ٢٢ .

الأفعال ، لأدائها معنى الفعل ، ويجوز تركها أيضاً لأنها ليست أفعالاً فى الأصل . حكى يونس : عَلَيْكَنى ، وحكى الفرَّاء : مكانكَنِى [١] . انتهى .

وكذا قال الشاطبى (فى شرح الألفية) : حكى سيبويه فى أسماء الأفعال عليكنى وعليكى . بل ينبغى أن يكون إلحاق النون لاسم الفعل كالفعل من كل وجه ، فكما تقول تراكها : تقول تراكنى ، وفى رويد : رويدَنى ، وفى هلم الحجازية : هَلُمَّنِى . وكذلك سائر أسماء الأفعال المتعدِّية . وقد نص ابن مالك (فى شرح التسهيل) على جواز إلحاق النون فى اسم الفعل مطلقاً . انتهى .

وزعم ابن هشام (فى شرح الألفية) و (فى الجامع الصغير) وغيرهما أنَّ لحاقها لاسم الفعل واجب . وحينئذ يَرِدُ عليه ما استشكله الدمامينى (فى شرح المغنى) قال : هذا مشكل ، لأنها حيث تكون اسمَ فعل بمعنى يكفى فالنون واجبة لا نادرة . نعم إذا كانت بمعنى حسب جاز الأمران ، إلا أنَّ ترك النون أعرف من إثباتها ؛ فندور بَجَلنى بالنون إنما هو إذا كانت بمعنى حسب لا بمعنى يكفى .

هذا كلامه وتابعه عليه الشُّمُنِّىُّ وناقشه بشئ لا طائل تحتَه . وقد لفَّق ٣٦
بين كلاميهما ابن المُلاَّ على عادته ، ولم يأت بشئ .

وقول الشارح المحقق : إلا أنَّ الضمير قد يحذف من بجل بخلاف قد وقط ، يعنى قد تستعمل مجردة من إلحاق ضمير المتكلم أو المخاطب كما فى البيت ، فإنَّ بجل الثانية تأكيد للأولى ، وليس معها ضميرٌ كالأولى . والمعنى عليه . ومثله قول طرفة :

---

(١) ش : « مكاننى » . صوابه فى ط وشرح الرضى .

* ألاَ بَجَلى من الشَّرابِ ألَا بَجلْ *

وكذلك قول بعض أهل البصرة فى يوم الجمل [١] :

* ردُّوا علينا شيخنا ثم بَجلْ *

يريد : ثم بَجَلْكم ، أى كفوا وانتهوا .

وزعم العينى أنَّ بجل الثانية حرفٌ بمعنى نعم ، ومع هذا هى تأكيد لبجل الأولى . وفيه أنَّ الحرف لا يؤكِّد الاسم ، لتغايرهما بالنوعية .

وقول الشاعر : (ومتى أهلك) إلخ متى جازمة . وأهلك شرط ، ولهذا جزم . وجملة (لا أحفله) فى محل جزم جواب الشرط . وهلك الشئ من باب ضرب ، وكذلك حَفَل من باب ضرب . قال صاحب العباب : وحَفَلتُ كذا أى باليْتُ به . ويتعدى بالباء أيضاً ، وهو الكثير . يقال حَفَلتُ بفلان ، إذا قمتَ بأمره . ولا تحفل بأمره ، أى لا تبال به ولا تهتمَّ به . واحتفلت به : اهتممت به . وضمير أحفله راجعٌ إلى الهلاك المفهوم من أهلك .

وهذا البيت من قصيدةٍ للبيد بن ربيعة الصحابى ، ذكر فيها أيامَه ومشاهدَه وما جرى له عند النعُّمان بن المنذر ملكِ الحيرة ، والتأسُّفَ على موته . إلى أن قال :

* فمتى أهلك فلا أُحْفِلُهُ * البيت

وبعده :

(مِن حياةٍ قد سئمنا طُولَها
وجديرٌ طولُ عيش أن يُمَلّْ)

(١) انظر وقعة صفين ٢٢٨ .

ثم رثى أخاه لأمه أربَد ، لموتِه بصاعقةٍ نزلت به بدعاء النبى ﷺ [١] ؛ لأنه كان جاء مع عامر بن الطفيل ، قاتلهما الله ، للغدر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

وهذه القصيدة قالها قبل إسلامه . وتقدَّم شرحُ أبياتٍ منها فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائتين [٢] .

وترجمته تقدَّمت أيضاً فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة [٣] .

وقوله : « من حياة » بدل من قوله : « من العيش » فى البيت السابق .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الأربعمائة [٤] :

٤٦٠ (أنشأتُ أسألُهُ ما بالُ رُفقتهِ
حَىَّ الحُمولَ فإنَّ الركبَ قد ذهبا)

على أنَّ (حىَّ) جاء متعدياً بمعنى ائت الحمول ، جمع حِمل بالكسر .

وهذه رواية الجوهرى (فى الصحاح) ، وكذا رواه خَطّاب بن يوسف (فى كتاب الترشيح) وقال : أخذ يسأل غلامه : ما بال الرفقة ؟ وأين أخذَتْ ؟ ثم قال له : حىَّ الحمول يا غلام ، أى ائتها وحُثَّها . انتهى .

نقله عنه أبو حيان (فى التذكرة) .

---

(١) من « وسلم » هنا إلى « وسلم » التالية ساقط من ش .

(٢) صوابه : « الثامن والعشرون بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٣٦٨ .

(٣) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

(٤) ابن يعيش ٤ : ٣٧ . وانظر اللسان (حيا ٢٤٣) .

وقد روى البيت أبو على : (فى كتاب إيضاح الشعر) والسُّهيلى (فى الروض الأُنف) هكذا :

أنشأتُ أسألهُ عن حال رُفقته

فقال : حَىَّ فإنّ الركبَ قد ذهبا

وعليه فليس بمتعدٍّ . ورواه الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشِعى (فى كتاب المعاياة) :

وقلتُ أسألهُ عن حال رُفْقته

فقال:حىَّ فإنَّ الركبَ قد ذَهَبا

٣٧ وقال : أراد بقوله : حَيَّهلَ ، فنقصه . والرفقة بضم أولها وتكسر . وجعل الركب بمنزلة الواحد . ا هـ .

أى بالنظر إلى قوله ذهب بالإفراد ، ولو كان راعى معناه لقال : ذهبوا .

وقال ابن أبى الربيع [1] . حىَّ تستعمل مركبة وغير مركبة . فإنْ كانت غير مركبة كانت بمنزلة أقبلْ ، فتتعدى بعلى ، وإذا كانت مركبة كانت متعدِّية بمنزلة ائت . انتهى .

وقوله : (أنشأت) أى شرعت أسأل غلامى كيف أخذ الركبُ . و(البال) : الحال والشأن . و (الرفقة) ، قال صاحب المصباح : هى الجماعة ترافقهم فى سفرك ، فإذا تفرَّقتم زال اسم الرفقة . وهى بضم الراء فى

(١) فى النسختين : « ابن الربيع » ، والصواب ما أثبت . وهو عبيد الله بن أحمد ، شيخ أبى حيان ، وله شرح الايضاح . وسيأتى على الصواب فى ٢٦٢ .

لغة تميم ، والجمع رفاق ، مثل بُرمَة وبرام ، وبكسرها فى لغة قيس ، والجمع رِفَق مثل سِدْرة وسِدَر . وقوله : (حيَّ الحُمول) مقول لقول محذوف ، أى فقال : حيَّ الحمول ، وهو مصرَّح به فى رواية غير الجوهرى . قال صاحب المصباح : وراكب الدابة جمعه رَكْب ، مثل صاحب وصحب ، ورُكبان . انتهى . وقال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : الرَّكب : أصحاب الإبل ، وهم العَشَرة ونحو ذلك . قال ابن السيد (فى الاقتضاب) : هذا الذى قاله ابن قتيبة قاله غير واحد . وحكى يعقوب عن عُمارة بن عَقيل (١) قال : لا أقول راكب إلَّا لراكب البعير خاصَّة ، وأقول لغيره فارسٌ وبَغَّال وحَمَّار . ويقوِّى هذا الذى قاله قول قُريط العنبرىّ :

فليتَ لى بهمُ قوماً إذا ركبُوا
شنوُّا الإغارةَ فُرساناً ورُكبانا

والقياس يوجب أنَّ هذا غلط ، والسماع يعضُد ذلك . ولو قالوا إن هذا هو الأكثر فى الاستعمال لكان لقولهم وجه . وأما القطع على أنّه لا يقال راكب ولا ركب إلَّا لأصحاب الإبل خاصَّة فغير صحيح ، لأنَّه لا خلافَ بين اللغويِّين فى أنّه يقال ركبت الفرس وركبت البغل ، وركبت الحمار . واسم الفاعل من ذلك راكب ، وإذا كثُرت الفعل قلتَ ركَّاب ورَكُوب . وقد قال الله تعالى : ﴿ والخَيْلَ والبِغالَ والحَمِيرَ لتَركَبُوها (٢) ﴾ فأوقع الرُّكوب على الجَميع . وقال امرؤ القيس :

---

(١) يعقوب ، هو ابن السكيت . وفى النسختين : « بن عمارة بن عقيل » . والصواب ما أثبت . وانظر إصلاح المنطق ٣٣٨ الطبعة الثالثة .

(٢) الآية ٨ من النحل .

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا
تَحَرَّقتِ الأرضُ واليوم قَرّ (١)

وقال زيد الخيل الطائىُّ :
وتَركبُ يوم الرَّوع فيها فوارسٌ
بَصيرون فى طَعْن الأباهر والكُلَى (٢)

وهذا كثير فى الشعر وغيره . وقد قال الله تعالى : ﴿ فرجالاً أو رُكْبانا (٣) ﴾ . وهذا اللفظ لا يدلُّ (٤) على تخصيص شئ بشئ ، بل اقترَانُه بقوله فرجالاً يدلُّ على أنّه يقع على كلِّ ما يُقَلّ على الأرض .

ونحوه قول الراجز :
بَنَيْتُهُ بِعُصبةٍ من ماليا أخشى رُكَيباً أورُجَيلا عاديا (٥)

فجعل الرَّكب ضدَّ الرجْل ، وضدُّ الرجْل يدخل فيه راكبُ الفرس وراكب الحمار وغيرهما . وقول ابن قتيبة أيضاً إنَّ الرَّكْب العشرة ونحوُ ذلك ، غلطٌ آخر ، لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ والرَّكْبُ أسفَلَ منكم (٦) ﴾ يعنى مشركى قريش يومَ بدر ، وكانوا تسعَمائة وبضعةً وخمسين . والذى قاله يعقوب فى

(١) ط : « تخرقت » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والديوان ١٥٤ .
(٢) ط : « منا فوارس » ، وأثبت ما فى ش ، وهو يطابق ما سيأتى فى الشاهد ٧٨٥ .
(٣) الآية ٢٣٩ من البقرة .
(٤) فى النسختين : « يدل » ، والوجه ما أثبت .
(٥) لأحيحة بن الجلاح فى الخزانة ٢ : ٢٣ .
(٦) الآية ٤٢ من الأنفال .

٣٨ الركب هم العشرة فما فوقها . وهذا صحيحٌ ، وأظنُّ أن ابن قتيبة أراد ذلك فغَلِط فى النقل . انتهى .

وقبل البيت الشاهد :

(تَعدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهى عاقدةٌ

قد قارب العَقْدُ من إيفادها الحَقَبا)

وتعدو ، أى الناقة ، من العَدْوْ ، وهو ما قارب الهَرْوَلة ، وهو دُون الجرى . وبنا أى بى وبغلامى ؛ فإنَّه كان زميلى على الناقة . والشَّطر هنا بمعنى الجهة . وجَمْع : اسم المزدلفة . وسمّيت به إمّا لأنَّ الناس يجتمعون بها ، وإمّا لأنَّ آدم اجتمع هناك بحوَّاء . والعاقدة : الناقة التى قد أقرَّت باللقاح ، لأنَّها تعقِد بذنبها فيُعلم أنَّها حملت . وقيل : العاقدة : التى تضع عنقها على عَجُزها . والإيفاد : الإسراع ، مصدر أوفدَ بالفاء ، أى أسرع . والحَقَب ، بفتح المهملة والقاف : حبل يشدُّ به الرحلُ إلى بطن البعير مما يلى ثِيلَه ، أى ذكره ، كى لا يجتذبه التّصدير . تقول منه : أحقبت البعير . وروى أيضا :

تعدو بنا شَطَر جَمع وهى مُوفِدةٌ

قد قارب الغَرْض من إيفادها الحَقَبا

ومُوفِدة : اسم فاعل بمعنى مسرعة ، من الإيفاد المذكور . والغَرْض ، بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها ضاد معجمة ، ويقال له غُرضة بالضم ، وهو التَّصدير ، وهو للرَّحل بمنزلة الحِزام للسَّرج ، والبِطان للقَتب . يقول : قد لوت عنقَها وعَسَرت بذنَبها [1] ،

(١) عسرت بذنبها : رفعته فى العدو ، أو بعد اللقاح . ط : « عشرت » صوابه فى ش .

وتخامصت ببطنها ، فقرب كلٌّ واحدٍ من الغَرْض والحقب ، من صاحبه ، وذلك من شدَّة السير .

صاحب الشاهد والبيتان من قصيدة لابن أحمر . كذا أورد البيتين السهيلى (فى الروض الأنف) : قال الحافظ مُغُلْطاى (فى حاشيته عليه) : وفيه نظر ، من حيث أنَّ الذى فى ديوان ابن أحمر أَنّ ذلك البيتَ بعد قوله :

أبيات الشاهد (قالوا : عَيِينا فما نَدرِى وقد زعموا
أنْ قد مضى منهُم ركبٌ فقد نَصِبا[1]

إمَّا الجَبَالُ وإمَّا ذو المجاز وإ
مَّا فى مِنىً سوف تلقى منهم سَبَبا

وافيتُ لمَّا أَتانى أنَّها نزلَتْ
إنّ المنازلَ مما يجمعُ العجبا

ثُمَّ ارتمينا بقولٍ بيننا دَوَلٍ
بين الهباءين لا جدًّا ولا لعبا[2]

فى طَمْيَةِ النَّاس لم يشعُر بنا أحدٌ
لما اغتنمنا جبال اللَّيل والصَّخَبا

حتَّى أتيت غلامى وهو ممسكُها
يدعو يساراً وقد جرَّعتُه غضبا

أَنشأت أسأله ما بال رفقته .... البيت) . انتهى .

---

(١) ط : « عيينا فابذرى » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « لا حذا ولا لغبا » .

عمرو بن أحمر وهو شاعر إسلاميٌّ فى الدولة الأموية.وهجا يزيد بن معاوية فأراد يزيد أن يأخذه ففَرَّ منه ولم يقدِر عليه .

قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : هو عمرو بن أحمر ، من باهلة ، وهو أحدُ عُورانِ قيس ، وهم خمسة شعراء : تميم بن أبىّ بن مقبل ، والرَّاعى ، والشَّمَّاخ ، وابن أحمر ، وحميد بن ثَور .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : هو عمرو بن أحمر بن العمرَّد بن عامر بن عبد شمس بن معن بن مالك بن أعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان ابن مُضَر . وكان من شعراء الجاهليَّة وأدرك الإسلام .

وأورد الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) من يقال له ابن أحمر أربعة ، وقال : منهم عمرو بن أحمر الباهلى . قال ابن حبيب : هو عمرو بن أحمر بن العمرَّد بن عامر بن عبد شمس بن عبد بن قدام بن فَرَّاص [1] بن معن ، الشاعر الفصيح ، كان يتقدّم شعراء أهلِ زمانه . وقد ذكرتُ حاله وأشعاره مع الشعراء المشهورين . انتهى . ٣٩

وأورده ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) وقال : قال المرزبانى : هو مخضرم أدرك الجاهليَّة والإسلام فأسلم ، وغزا مغازىَ فى الروم ، وأُصيب بإحدى عينيه هناك ، ونزل الشام ، وتوفِّى على عهد عثمان بعد أن بلغ سنًّا عالية . وقال أبو الفرج : كان من شعراء الجاهلية المعدودين ، ثم أسلم وقال فى الإسلام شعراً كثيراً ، ومدح الخلفاءَ الذين أدركهم ، ولم يلقَ أبا بكر ، ومدح عمر فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان .

(١) وردت « فراص » فى النسختين والمؤتلف ٣٧ بالقاف ، صوابه فى جمهرة ابن حزم ٢٤٥ والمعارف ٣٦ والاشتقاق ٢٧٤ والقاموس (فرص) .

وهذا يخالف قول المرزبانى : إنَّه فى عهد عثمان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الأربعمائة :

٤٦١ (يتَمارَى فى الذى قُلْتُ له
ولقد يَسمعُ قولى حَيَّهَلْ)

على أن لبيداً سكَّن اللام لِلقافية ، ولا يجوز تسكين اللام فى غير الوقف .

تبع الشارح المحقق فى هذا صاحبَ الصحاح ، فإنَّه قال : وأما حَىَّ هلا ، بلا تنوين فإنما يجوز فى الوقف ، وأمّا فى الإدراج فإنها لغة رديئة . وأما قول لبيد يذكر صاحباً له فى السَّفر كان أمَره بالرحيل :

يتمارَى فى الذى قلت له .... البيت

فإنَّما سكنه للقافية .

وأصله من (كتاب الأصول لابن السراج) قال : وأمَّا حيَّهل فإذا وقفت فإن شئتَ قلت حيَّهلْ بالسكون ، وإنْ شئت قلت حَيَّهَلَا ، تقف على الألف كما وقفت فى أنا . انتهى .

وتبعه أبو على (فى إيضاح الشعر) ، وسيأتى كلامه .

والصحيح أنَّ تسكين اللام لغةٌ سواء كان فى الوقف أم فى الدَّرْج . قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : حيَّهل وحيَّهلا وحىَّ على ، يقال فى الاستسراع والاستحثاث . وقال زكريا الأحمر [٢] : فى حيَّهل ثلاث لغات :

---

(١) الخصائص ٣ : ٤٦ وابن يعيش ٤ : ٤٢ ، ٤٥ ويس ٢ : ٩٩ وديوان لبيد ١٨٣ .

(٢) فى إنباه الرواة ٤ : ١١٤ « أبو زكريا الأحمر ، من الأعراب » .

يقال حيَّهلْ بفلان بجزم اللام ، وحيَّهلَ بفلان بحركة اللام ، وحيَّهلًا بفلان بالتنوين . وقد يقولون من غير هل ، من ذلك : حيَّ على الصلاة . انتهى .

فهل تكون لغةً فى هلَا ، كما قال ابن جنى (فى الخصائص) عند الكلام على هَلُمَّ . وهو : قال الفراء : أصل هَلُمَّ هلْ زجر وحثٌّ دخلت على أُمَّ كأنها كانت : هَلْ أُمّ ، أى اعجل واقصِد . وأنكر أبو علىٍّ عليه ذلك وقال : لا مدخلَ هنا للاستفهام . وهذا عندى لا يلزم الفرَّاء ، لأنه لم يدَّعِ أن هل هنا حرفُ استفهام ، وإنَّما هى عنده زجر ، وهى التى فى قوله :

* ولقد يسمع قولى حيَّهلْ *

قال الفراءُ : فأُلزمت الهمزة فى أُمَّ التخفيفَ فقِيلَ : هلمَّ . انتهى .

وقال ابن عصفور : إنَّ حيهلا مركبة من حىّ وهلا ، إلَّا أنَّ ألف هلا تحذف فى بعض اللغات تخفيفاً .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للبيد بن ربيعة الصحابى ، قد شرحناه مع أبيات قبله فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائتين [1]

و (التمارى) : المجادلة ، ومثله الامتراءُ ، وهما من المرية بالكسر ، وهى الشكُّ . وحَيَّهَلْ : بمعنى أسرِعْ .

وقول الشارح المحقّق : « وفى الكتاب الشعرى لأبى علىّ : حيهَّلٍ بكسر اللام وتنوينه » ، أراد به كتاب (إيضاح الشعر) فإنّه يعبِّر عنه تارة بالأوّل ، وتارة بالثانى ، وتارة بكتاب الشعر . وهذا نصُّه فيه :

---

(١) صوابه « الثامن والعشرين بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٣٦٨ .

وقد وصلوها بهَلْ فقالوا حيَّهَلْ . وزعم أبو الخطاب أنَّ بعضهم يقول حيَّ هلِ الصَّلاة . وقال أبو زيد : حَيّ هَلْ ، وحَيَّ هَلَ ، وحيَّ هَلاً . والقول فى حيّ هلٍ أنّ التنوين دخله للتنكير ، كما دخل فى صَهٍ ونحوها . وكأنّه قدّر فيه
٤٠ الإسكان ، كأنّه قال حيَّ هل على الوقف ، كما قال لبيد :

* ولقد يسمع قولى حَيَّهل *

فكسر اللام كما كسر الذال فى يومئذ . ولا يجوز أن تكون حركة اللام للإضافة ، لأنَّ هذه الأسماء التى سميت بها الأفعال لا تضاف ، ألا ترى أنّه قال : جعلوها بمنزلة النَّجاك ، أى لم يضيفوها إلى المفعول كما أضافوا المصادرَ وأسماء الفاعلين إليه .

ويجوز أنْ يكون لمّا نكرٍّ حرِّك بالكسر ليكون على لفظ غيره من أمثاله من النكرات ، نحو صهٍ وإيهٍ ، ولمّا جرى فى كلامهم غيرَ مضاف لإجرائهم إياه مجرى الفعل لنصبهم الأسماء المخصوصة بعده لم يستجيزوا إضافتها إلى المفعول به ، فيكون ما لم يُجعَل بمنزلة الفعل على حدِّ ما جُعل من هذه الأسماء بمنزلته . ألا ترى أنَّ الأسماء لم تُجعَل بمنزلة الفعل مفردة حتى ينضم إليها جزء آخر وإن كان فيها ضمير ، لأن الضمير الذى فى اسم الفاعل لما لم يظهر فى أكثر أحواله صار لا حكم له ، فإذا لم يضيفوا هذا البابَ لأن إضافته يخرج بها عن الحدِّ الذى استُعملت عليه ، علمتَ أن الكاف فى حيَّهلك للخطاب ، لا لضمير الاسم . وإذا كان كذلك علمتَ أن الكاف فيه مثلُ الهاءِ فى : هَهُنَاهُ وهؤلاء ، فى أنَّها لحقت الألف لتبيِّنها لما لم يلتبس بالإضافة . فكذلك الكاف فى حيهلك لحقت للخطاب حيث لم يجزْ لحاق التى تكون اسماً فى هذا الموضع ، كما لم تلحق الهاء التى لحقت فى هَهُناه أفعاه ونحوها . والضمير الذى فى حيهل

ينبغى أن يكون فى مجموع الاسمين ، ولا يكون فى كلٍّ واحد منهما ضميرٌ كما كان فى حيَّ على الصلاة ضمير ، لأن الاسمين جعلا بمنزلة اسم واحد ، كما أنَّ خمسة عشر بمنزلة مائة . فكما أن خمسة عشر حكمه حكم المفرد ، كذلك حيّ هلْ حكمه حكم المفرد . وإذا كان كذلك كان متضمنا ضميراً واحداً . ويدلُّك على ضم الكلمة الثانية إلى الأولى قولُ ابن أحمر :

أنشأت أسألُه عن حال رُفقتِه فقال : حيَّ فإنَّ الركَب قد ذَهَبا

انتهى . وعُلِم من قوله : والضمير الذى فى حيهل ينبغى أن يكون فى مجموع الاسمين ، أن ما نقله الشارح المحقق عنه وعنْ أبى على ، حالُهُمَا مع التركيب فى احتمال الضمير ، كحال حلو حامض إلى آخر ما نقله – مخالفٌ لما هنا ، ولعله نقله عنه من كتابٍ آخر له . والله أعلم .

ونقل أبو حيان (فى الارتشاف) عن (النهاية لابن الخباز) ، قيل : فى حيّ وهلا ضميران ؛ لأنهما فى الأصل اسما فعلِ أمر ، فكلُّ واحدٍ منهما يستحق الضمير ، وقيل فيهما ضميرٌ واحد ، لأنهما بالتركيب صارا كالكلمة الواحدة . ويدلُّ على ذلك أنَّ حيَّ وهل لا يتعدَّيان ، فلما ركِّبا تعدَّيا ، فدلَّ على أن حكم الإفراد قد زال . وقوله :

* يوم كثيرٌ تَناديهِ وحيَّهَلُه (١) *

أضافَهُ إلى الضمير وأَعرَبَهُ . انتهى .

(١) لرجل من بنى أبى بكر بن كلاب ، انظر سيبويه ٢ : ٥٢ وهو الشاهد التالى .

وحاصل ما ذكر الشارح من لغاتِ حَيّهل ثمانية :

أولها : حَيَّهَلَ بحذف الألف وإبقاء فتح اللام . قال ابن عصفور (فى شرح إيضاح أبى على) : إذا وقفت عليها فى هذا الوجه جاز أن تقف بالسكون ، وأن تقف بالألف لتبيِّن حركة المبنى فى الوقف .

ثانيها : حَيَّهْلَ بسكون الهاء وفتح اللام بلا تنوين .

ثالثها : حيَّهَلاً بفتح الهاء والتنوين

رابعها : حَيَّهْلاً بسكون الهاء والتنوين . ولا ينبغى أن يعدَّ المنوّن من
٤١ اللغات ، إذ التنوين فى اسم الفعل للتنكير . وإذا كان غير منون فهو معرفة [١] فإن المجرد من التنوين غير المنون .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : ولا يكون المنوَّن إلّا بمعنى ائت . ويرِد عليه : « فحيَّهَلاً بعمر » ، فإنه بمعنى أَسْرِعْ بذكره .

خامسها : حيَّهَلاَ فى الوقف ، بفتح الهاء وسكون الألف وحذف التنوين [٢] فيهما .

وقال ابن عصفور : هذه اللغة تكون فى الوقف والوصل . ولم يقيِّد كونها رديئة فى الوصل كما قيَّد الشارحُ المحقق تبعاً لصاحب الصحاح .

وقال ابن أبى الربيع : منهم من يقول : حَيَّهلاَ فى الوصل والوقف ؛ لأنَّ

(١) بعدها بياض فى النسختين ، كما سقطت كلمة « فإن » التالية من ش .

(٢) الكلام بعد « بعمر » السابقة فى س ١١ إلى هنا ساقط من ش .

هلا صوت ، أو لأنه من إجراء الوصل مجرى الوقف ، أو لأن منهم من يقول حَيَّهَلْ بالسكون فى الوصل ، فإذا وقف وقَف بالألف ، فتكون الألف عوضا من هاء السكت كألف أنا .

وكذلك قال أبو حيان (فى الارتشاف) : إن حَيَّهلا بإثبات الألف تكون وصلاً ووقفاً ، كما قال الشاعر :

* بحَيَّهَلاَ يُزْجون كلَّ مطيَّةٍ *

سادسها : حيّهَلْ بسكون اللام فى الوقف . وأطلق أبو حيان تبعاً لابن عصفور ، سواء كان فى الوقف أم الوصل . وقال الراعى (فى شرح الألفيَّة) ذكر سيبويه فى حَيَّهَل ثلاث لغات : فتح اللام بلا تنوين ، وفتحها مع التنوين ، وفتحها مع الإشباع . وزاد ابن سيده تسكين اللام . قيل : وما سمع منه لا حجّه فيه ؛ لاحتمال أن يكون للوقف . انتهى . وفيه ما تقَدمّ عن (كتاب النبات) . وهذا نص سيبويه : من العرب من يقول حَيَّهلَ إذا وصل ، وإذا وقف أثبت الألف . ومنهم من لا يثبت الألف فى الوقف والوصل . انتهى .

سابعها : حيَّهلٍ بكسر اللام والتنوين . وظاهره أنَّ الهاء فى هذه اللغة يجوز سكونها أيضا .

ثامنها : حَيَّهلَك بفتح اللام وإلحاق الكاف التى هى حرف خطاب . ولم أعرف هل يجرى مع الكاف سكون الهاء أيضاً أم لا .

قال ابن عصفور : وتستعمل فى جميع ذلك متعدِّية بنفسها ، وبإلى ، وبعلى ، وبالباء . فإذا تعدَّت بنفسها كانت بمعنى ائت ، وإذا تعدَّت بإلى

أو بعلى كانت بمعنى أقبِلْ ، وإذا تعدَّت بالباء كانت بمعنى جِئْ . انتهى .

وقول الشارح المحقق [١] : إن الباء للتعدية كذهبت به ، فيه أنَّهم ذكروا أنَّ باء التعدية فى ذهبت به غير التعدية المشهورة ، وذلك أن مدخولها يكون فاعلاً فى المعنى كقوله تعالى : ﴿ ذهَبَ الله بنورِهِمْ [٢] ﴾ ، أى جعله ذاهباً ، فهى تساوى همزة التعدية . وهذا المعنى لا يجرى هنا .

وقول الشارح المحقق : وقد تركَّب [٣] حَىّ مع هلا إلخ ، قال ابن عصفور : إذا ركِّبت حىّ مع هلا فالأكثر أن تستعمل [٤] لاستحثاث العاقل تغليباً لحىَّ . ومنهم من يغلِّب هَلاَ فيستعملها لاستحثاث غير العاقل ؛ وذلك قليل . وقد يستعمل كلُّ واحدة منهما على انفرادها ؛ فإذا استعملت حىَّ وحدها كانت بمعنى أقبل ، وإذا استعملت هَلاً على انفرادها كانت بمعنى تقدَّمْ . وحَىَّ خاصَّةٌ باستحثاث العاقل ، وهلا باستحثاث غير العاقل . وقد تستعمل هلا فى العاقل إلا أنَّ ذلك قليل . ومن ذلك قوله :

* ألا حيِّيا ليلى وقولا لها هَلا * انتهى

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وحيِّهل مركبة من حىَّ ومعناها أقبل ، ومن هَلْ وهلا . قال ابن هشام : بمعنى عجِّل ، وقيل بمعنى قرَّ وتَقَدَّمْ ، وقيل إنَّها [٥] صوت الإبل . انتهى .

---

(١) الكلام بعده إلى « الشارح المحقق » التالية ساقط من ش .

(٢) الآية ١٧ من سورة البقرة .

(٣) ش : « قد تركب » ، وأثبت ما فى ط وشرح الرضى ٢ : ٦٨ .

(٤) ط : « يستعمل » ، وأثبت ما فى ش .

(٥) ط : « انهما » ، وأثبت ما فى ش .

وزعم الراعى (فى شرح الألفية) أنَّ حيّهل كلمة واحدة عند الجمهور وقيل مركبة . انتهى .

وهذا خلاف المنقول .

تتمـــة

قال أبو حنيفة الدينَوَرىُّ (فى كتاب النبات) : الحَيَّهَل : نبت من دِقِّ الحَمض ، الواحدة حَيَّهَلة ، سمِّيت بذلك لسُرعةِ نباتها . قال حُميد بن ثور : ٤٢

* دميث به الرمْث والحَيَّهَلْ (١) *

والرِّمث أيضا من الحمض . فأما أبو زياد فقال : الحَيْهل ، فخفف الياء وسكَّنها فيما بلغنى عنه ، وقال : الحَيْهَلُ ينبت فى السِّباخ ، وإذا أُخصب الناسُ ومُطرُوا هلك ، فلا يكاد يرى منه نبت ، فإذا أسنَتُوا وذهبت الأمطار نبت فى مواضعه (٢) ، وهو دُقاق قَصِفٌ ليس لها خشب ولا حطب ، وإنما يأكله من الإبل الإبلُ التى عوَّدوها إياه . يحبِسونها فيه حين لا تجد شيئاً تأكله ، وربما قتل الإبلَ فى أوّل أمرها ، وذلك إذا أُكلته ثم كظَم عليها لا تسلح ، فإذا سلحت نجت وطابت بطونُها . انتهى باختصار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الأربعمائة وهو من شواهد س (٣) :

---

(١) ملحقات ديوان حميد ١٢٨ عن اللسان (هلل ، بثا) ، وصدره :

* بمَيْثٍ بَثَاءٍ نصيفية *

والرواية فى الموضع الأول : « دميث بها » ، وفى الثانى عن التهذيب : « دميث به » .

(٢) ش : « موضعه » .

(٣) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٠٦ وابن يعيش ٤ : ٤٦ .

٤٦٢ (فهيَّج الحىَّ من كَلْبٍ فَظَلَّ لهم
يومٌ كثيرٌ تنادِيه وحيَّهَلُهْ)

على أن ضمة اللام حركة إعراب ، وهو مفرد بلا ضمير .

قال سيبويه : وأمَّا حيهل التى للأمر فمن شيئين ، يدلُّك على ذلك : حَىَّ على الصلاة . وزعم أبو الخطاب أنَّه سمع من يقول حَىْ هلَ الصَّلاةَ . والدليل على أنَّهما جعلا اسماً واحداً قولُ الشاعر :

وهَيَّج الحىَّ من دارٍ فظلَّ لهم
يومٌ كثير تناديه وحيَّهلُهْ

والقوافى مرفوعة . وأنشدناه هكذا أعرابىٌّ من أفصَح الناس ، وزعم أنَّه شعرُ أبيه . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فى قوله حَيَّهَلُه وإعرابهُ بالرفع ، لأنه جعله وإن كان مركبا من شيئين ، اسماً للصوت ، بمنزلة معديكرب فى وقوعه اسماً للشخص ، وكأنَّه قال : كثيرٌ تناديه وحَثُّه ومبادرتُه ، لأن معنى قولهم حيَّهَلْ عجِّل وبادِرْ . وصَف جيشاً سُمِع به وخِيف منه ، فانتُقِل عن المحلِّ من أجله وبُودِر بالانتقال قبل لحَاقه . انتهى .

و (فى شرح أبيات المفصّل) لابن المستوفى : وقال السيرافى : زعم سيبويه أن الشعر لرجلٍ من بنى أبى بكر بن كلاب [1] ، واحتجَّ به ليُرِىَ أنّه من شيئين ، إذ ليس فى الأفعال والأسماء المفردة مثلُ هذا البناء . قال ابن السرَّاج فى حيهله : جعله اسماً واحدًا كحضرموت ، ولم يأمر أحداً بشئ . قال

(١) فى النسختين : « بكر بن كلاب » ، والصواب من الجمهرة ٢٨٢ ، وذكر أن أبا بكر هذا اسمه « عبيد » .

سيبويه : والقوافى مرفوعة ، أى إنه جعله بمنزلة اسم واحد ، ولو لم يكن كذلك لقال وحيَّهلَه بالفتح . وجميع ما يجرى هذا المجرى إذا جُعِل علماً أُعرِب . وقالوا : إذا قال حيَّهلا تركه على البناء مع التسمية ، وإذا قال حيهلُه أعرَبه كما يعرب وبارِ إذا سمِّى به . ووجدتُه يُروَى لرجلٍ من بَجيلة . انتهى .

و (هيَّج) بمعنى فرَّق ، وفاعله ضمير الجيش على ما قال الأعلم . و(الحى) : القبيلة مفعولُه . وقوله : (من كلب) هى قبيلة . ولم أره كذا إلَّا هنا ، وأمَّا فى كتاب سيبويه ، وفى المفصل وشروحهما ، فقد رأيت بدله (من دار) . قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : دار معرفة لا تدخله الألف واللام ، قال ابن دريد : هو وادٍ قريبٌ من هَجَر ، معروف . انتهى .

و (ظلَّ) بمعنى استمر . ويومٌ فاعل ظلّ ، وتناديه فاعل كَثير . و(التنادى) : تفاعل ، مصدرٌ من نادى القومُ بعضُهم بعضاً . و (حيهلُه) معطوف عليه .

وقال بعض فُضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : قيل فاعل هيّج غراب البين وقد ذُكِر قبل . ويجوز أنْ يكون هيّج وظلّ متوجِّهين إلى يومٌ على التنازع . وظل لهم يوم ، من باب قولهم : نهارُه صائم ؛ لأن الظُّلول فى ٤٣
الحقيقة للقوم لا لليوم . وروى : (فظلَّلهُم) موصولا . ومعناه دنا منهم يومٌ ، وحقيقتُه : ألقى عليهم ظِلَّه . انتهى .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عُرِف قائلها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٦٣ (بحَيَّهلاَ يُزْجُونَ كلَّ مَطيَّةٍ
أمامَ المطايا سَيْرُها المتقاذِفُ)

على أنَّ (حيَّهلا) بلا تنوين محَكىٌّ أريد به لفظه .

قال النحاس : جعله بمنزلة خمسةَ عشر ، فلذلك لم ينوِّنه .

وقال الأعلم : الشاهد فى قوله بحيَّهلا ، فتركه على لفظه محكيًّا . يقول : لعجلتهم يسوقون المطايا بقولهم : حيَّهلا . ومعناه الأمرُ بالعجلة على أنَّها متقدِّمة فى السير متقاذِقة عليه ، أى مترامية . وجعل التَّقاذف للسَّير اتساعاً ومجازا . انتهى .

قال ابن السيرافى : المتقاذف : الذى يتبَعُ بعضُه بعضاَ ، كأنَّ كلَّ سيرٍ تسيرهُ هذه المطية يقذِف بها إلى سيرٍ آخر . ومثله قول عمر بن أبى ربيعة :

أخو سفرٍ جوّابُ أرضٍ تقاذفت به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغبر [٢]

أى رمته فلاةٌ إلى أخرى . وقال غيره : إن القِذَافَ سُرعة السَّير . وفرس متقاذف : سريع العَدْو . ويجوز أن يكون المتقاذف الذى يرمى بعضُه بعضاَ لسرعته . والإزجاء بالزاى المعجمة والجيم : السَّوق . والمطيَّة : الدابَّة ، يقال لها

(١) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٠٦ وابن يعيش ٤ : ٣٦ وشرح شواهد الشافية ٤٧٨ وملحقات ديوان الجعدى ص ٢٤٧ .

(٢) رواية ديوان عمر ٧٦ : « أخا سفر » . وقبله :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصرُ

مَطيَّة لأنها تمطو فى السير ، أى تمتدُّ . و (أمامَ) بالفتح ، قال ابن الحاجب (فى أماليه) : يريد أنهم مُسرِعون فى السير ، فهم يسوقون بهذا الصوت لتسرعَ فى سيرها . وقال « أمام المطايا » ، لأنه إذا سبقت الأولى تبِعها ما بعدها ، بخلاف سوق الأواخر . وقال : سيرها المتقاذف ، يعنى أنَّهم يسوقونها مع كون سيرها متقاذفاً ، والتقاذف : الترامِي فى السير ، وإذا سَبق المتقاذِفُ كان سيره أبلغَ مما كان عليه . وأمام المطايا فى موضع وصف المطية ، وسيرها المتقاذف جملة ابتدائية صفةٌ لمطيَّة ، والجارُّ والمجرور متعلق بيزجون . انتهى .

وأجود من هذا أن يكون سيرها فاعل الظرف ، لاعتماده على الموصوف ، والمتقاذف صفة لسيرها . ويجوز أن يكون سيرها المتقاذف مبتدأ موصوفاً والظرف قبله خبره ، والجملة صفة مطية .

صاحب الشاهد والبيت أنشده سيبويه للنابغة الجعدى الصّحابى ، وتبعه عليه خَدَمَة كتابه . وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة [١] . ونقل ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) عن السيرافى أنه من قصيدةٍ لمزاحم ابن الحارث العُقَيلى . وأورد هذه الأبيات منها :

أبيات الشاهد (ووجِدى بها وجدُ المضلّ بعيرَه بمكّة لم تَعطِف عليه العواطفُ
رأى من رفيقيهِ الجَفاءَ وفاتَه بِنشدانِها المستعِجَلاتُ الخوانفُ [٢]
وقالوا : تعرّفْها المنازلَ من مِنىً وما كلُّ من وافى منىً أنا عارف)

الوجد : ما يجده الإنسان من العِشق . والمضِلّ : اسم فاعل من أضلَّه ،

(١) الخزانة ٣ : ١٦٧ .

(٢) ط : « بنشدتها » ، صوابه فى ش .

وجملة « لم تعطف » إلخ حال من المضلّ . وهذا غايةٌ فى الحيرة . ولم تعطف عليه العواطف : جمع عاطفة ، أى لم ترقَّ له ... [١] ولم يَحْمله على بعيرٍ من إبله ، وهو جمع عاطفة . ويراد بها فى الصداقة [٢] والرحم والمودة والصحبة وما أشبه ذلك . وروى « نخلة » بدل مكةٌ ، وهى موضعٌ بقرب مكة ، وعليها يأخذ الحاجُّ بعد انقضاء حَجِّهم ، ولذلك قال : لم تعطف إلخ ، لأنَّهم آخذون فى الانصراف . أى إنَّه وجَد بمفارقته لها كما وجَد الذى ضلَّ بعيُره فى هذا الموضع .

والبيت من أبيات سيبويه ، ومحلُّ الشاهد فيه أنه جعل وجدى مبتدأ ووجدُ المضلِّ خبره لا يستغنى عنه ، فلم يجز نصبهُ على المصدرية . وأصله وجدى بها وجدٌ مثلُ وجد المضِلِّ بعيره .

والخوانف : جمع خانفة ، وهى الناقة التى تخنف برأسها ، أى تُميلها إذا عدَتْ . وهى بالخاء المعجمة والنون والفاء .

وقوله : « وقالوا تعرّفها المنازل » إلخ قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : كانوا يسمُّون مِنىً المنازلَ ، وأنشد هذا البيت . ثم قال : ويقال للرجل إذا أتاها : نازل . قال عامرُ بن الطُّفيل :

أنازلةٌ أسماءُ أم غير نازله ... أبينى لنا يا أسمَ ما أنتِ فاعِلَهْ

وقال غيره : المنازل من منىً : حيث ينزلون أيام رمى الجمار .

---

(١) كتب مصحح طبعة بولاق : « هكذا بياض بالأصل . متى وقع بياض فى النسخة فسببه أن الأصل المنقول منه هذه النسخة منقول من مسودة المصنف ، وكثرا ما يكتب رحمه الله فى الهامش ، فيغتال بعض ذلك أيدى المجلدين والبلا . فليتنبه . اهـ من هامش الأصل » .

(٢) ش : « فى الطلاقة » .

والبيت أورده سيبويه فى موضعين من كتابه ، برفع كل على لغة الحجاز . قال سيبويه : وإن شئت حملته على ليس ، يعنى إن شئت جعلت كل مرفوعاً بما ، وجعلت أنا عارف فى موضع الخبر ، وأضمرت فى عارفٍ هاء تعود إلى كلّ ، كأنك قلت عارفُه . ثم قال : وإن شئت حملتَه على كلُّه لم أصنَع . وهذا أبعدُ الوجهين ، يعنى وإن شئت رفعت كلٌّ بالابتداء وجعلت الجملة فى موضع الخبر كذلك ، على لغة تميم كما قلت : كلُّه لم أصنع [1] ، فرفعت كل بالابتداء [2] [وأضمرت هاءً فى أصنع . ومعنى قوله « وهذا أبعد الوجْهَين » يعنى رفع كلّ بالابتداء] ، وذلك لأنّ من يرفعه بالابتداء لا يُعمل ما ، فإذا لم يعملها أمكنه أن يعمل عارف فى كل ، فإذا لم يعمل فقد قبح ، إذ قد وجد السبيل إلى المختار ، ولا ضرورة تدعو إلى غيره . ومن رفع كلٌّ بما فهو لا يجد السبيل إلى إعمال عارف فى كلّ إلّا بحذف ما ، وحذفها يُغيِّر المعنى .

وقال النحّاس : ويجوز أن ينصب كلاًّ بعارف على أنها تميمية .

وقال ابن خلف : هذا البيت روى برفع كل ونصبه على جعل ما تميمية وإبطال عملها . ونصب كلّ بعارف .

وأنشده الفراء أيضا (فى تفسيره) مرتين : الأولى عند قوله تعالى : ﴿ يَسئلونك ماذا يُنفِقُونَ [3] ﴾ . قال : أنشدنى أبو ثَرْوان :

* وقالوا تعرَّفْها المنازل من مِنىً [4] * البيت

---

(١) انظر الخزانة ١ : ٣٥٩ حيث الكلام على هذا الشاهد .

(٢) ما بعده إلى « بالابتداء » التالية ساقط من ش .

(٣) الآية ٢١٥ من البقرة . ومعانى الفراء ١ : ١٣٩ . وفى النسختين : « ويسألونك » ، وأثبت نص الآية كما ورد فى معانى الفراء . وفى الكتاب آية أخرى أولها : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، وهى الآية ٢١٩ من البقرة . وليست مرادة هنا .

(٤) عجزه فى معانى الفراء فى هذا الموضع وتاليه :

* وما كل من يغشى منى أنا عارف *

رفعاً . قال : ولم أسمع نصب كلّ .

والثانية عند قوله تعالى : ﴿ وكلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائره [١] ﴾ قال : العرب فى كل تختار الرفع ، وَقع الفعل على راجع الذكر أو لم يقع . وأُنْشَدونى فيما لم يقع الفعل على راجعٍ ذكرُه :

فقالوا تعرفْها المنـازل .... البيت

فلم يقع عارفٌ على كلّ ، وذلك أنَّ فى كل تأويل : وما من أحدٍ وافَى منىً [٢] أنا عارف . ولو نَصبتَ لكان صواباً ، وما سمعتُه إلاَّ رَفعاً . وقال الآخر [٣] :

قد عَلِقتْ أمُّ الخِيارِ تدَّعى
علىّ ذنباً كلُّه لم أصنعِ

رفعا . وأنشدَنيهِ بعضُ بنى أسد نصباً . انتهى .

وأنشده ابن الناظم (فى شرح الألفية) ، وابن هشام (فى شرحها وفى المغنى أيضاً) بِنصب كل على إبطال ما ، لإيلائها معمولَ الخبر ، وليس ظرفا ٤٥
لأن كلا معمول لعارف .

وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : ويروى كلّ بالرفع على أنه اسم ما ، والجملة من قوله أنا عارف خبرها ، والعائد محذوف أى عارفه . وذلك

(١) الآية ١٣ من سورة الاسراء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٤٢ . لانشاده . انظر حواشى الصفحة السابقة .

(٢) لأبى النجم العجلى ، كما سبق فى ١ : ٣٥٩ وكما سيأتى .

متسَهِّلٌ إذا كان المخبر عنه كُلاًّ ، كقراءَة ابن عامر : ﴿ وكلٌّ وعدَ اللهُ الحسنى [١] ﴾ ، وكقوله [٢] :

* ثلاث كلُّهن قتلتُ عمداً *

وقول أبى النجم :

* كلُّهُ لم أصنع [٣] *

وانتصاب المنازل على إسقاط (فى) توسُّعاً ، لا على الظرف ، لأنه مختص . انتهى .

وهذا ردٌّ على ابن خلف فى زعمه أنه منصوب على الظرف . وتَعَرَّفها ، أى اعرفْ منزلها بالسؤال عنها . قال النحاس : سألَنا أبو إسحاق الزجاجُ عن معنى هذا البيت فقال : الإنسان يسأل عن الشئ من يعرفه ومن لا يعرفه ، فما معنى هذا البيت ؟ وأجاب فقال : هذا يذكر امرأة يتعشَّقها ، فليس يسأل عن خبرها إلا من يعرفه ويعرفها .

مزاحم العقيلى

ومزاحم بن الحارث شاعرٌ إسلاميٌّ من بنى عُقَيل بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . قالَ صاحب الأغانى : وقيل هو مزاحم بن عمرو بن مُرة بن الحارث [٤] . وهذا القول أقربُ عندى إلى الصواب . انتهى .

فيكون الحارث عَلَى هذا جدّ أبيه .

ثم قال : وهو شاعر بدوىٌّ فصيح إسلامى ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان جريرٌ يصفه ويقرِّظه ويقدِّمه ، ويقول : ما مِن بيتين كنت أحبُّ

(١) الآية ٩٥ من سورة النساء .

(٢) هو الشاهد ٥٧ من الخزانة . وتمامه كما فى الخزانة ١ : ٣٦٦ .

* فأخزى الله رابعة تعود *

(٣) هو الشاهد ٥٦ من الخزانة فى الجزء الأول ص ٣٥٩ .

(٤) الذى فى الأغانى ١٧ : ١٥٠ : « وقيل مزاحم بن عمرو بن الحارث بن مصرف » .

أن أكون سَبقتُ إليهما غير بيتين من قول مُزاحِمٍ العُقَيلى ، وهما :

ودِدت على ما كان من سَرِفِ الهوى
وغَىِّ الأمانى أنَّ ما شئتُ يُفعَلُ
فترجعَ أيَّامٌ تقضَّتْ ، ولذَّةٌ
تولَّتْ ، وهل يُثنَى من الدَّهر أوَّلُ (١)

وسَرَف الهوى : خطؤه . ومثله قول جرير :

* ما فى عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ (٢) *

أراد : أنهم يحفظون مواضع الصنائع ، لا أنه وصفهم بالاقتصادِ والتوسُّط فى الجود (٣) .

وروى أنَّ الفرزدقَ دخل على عبد الملك بن مروانَ أو بعضٍ بنيه فقال له : أتعرف أحداً أشعرَ منك ؟ قال : لا ، إلا أنَّ غلاماً من بنى عُقَيل يركب أعجاز الإبلِ وينعت الفلواتِ فيجيد ! ثم جاءه جريرٌ فسأله عن مثل ما سأل الفرزدق ، فأجابه بجوابه ، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة ، فقال له : أنت أشعر الناس ؟ قال : لا ولكنْ غلامٌ من بنى عُقَيل يقال له مزاحم يسكن الروضاتِ يقول وحشيًّا من الشِّعر لا يُقدَر على قولِ مثله (٤) . فقال : أنشِدنى بعضَ ما تحفظ من ذلك . فأنشده :

(١) فى الأغانى : « أيام مضين » ، و « وهل يثنى من العيش » .

(٢) صدره فى الأغانى وديوان جرير ٣٨٩ :

« أعطوا هنيدةَ يحدوها ثمانية »

(٣) فى الأغانى : « أراد أنهم لا يخطئون مواضع الصنائع ، إلا أنه وصفهم بالاقتصاد والتوسط فى الجود » .

(٤) فى الأغانى ١٧ : ١٥٣ : « لا يقدر على مثله » .

خليليَّ عوجا بى عَلَى الدَّارِ نسألِ
متى عهدُها بالظَّاعن المتحمِّلِ
فعجتُ وعاجُوا بين بَيداءَ مَوَّرتْ
بها الرِّيحُ جَوْلانَ التراب المنخَّلِ (١)

حتى أتى على آخرها . ثم قال : ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(إنَّ لوًّا وَإنَّ ليتاً عناءُ)

هذا عجز ، وصدره :

(ليت شِعرِى وأين مِنِّىَ ليتٌ)

ويأتى إن شاء الله شرحُه فى باب العلم (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الأربعمائة (٣) :

٤٦٤ (لشتَّان مَا بين اليزيدَينِ فى الندى
يزيدُ سُليمٍ والأغرُّ بنُ حاتمِ)

على أنه قد يقال فى غير الأكثر الأفصح : شتان ما بين زيدٍ وعمرو ، ٤٦
كما فى البيت .

---

(١) فى الأغانى : « فعجت وعاجوا فوق بيداء صفقت » .

(٢) فى الشاهد ٥٣٧ .

(٣) الأغانى ٤ : ٣٨ والعمدة ٢ : ١٤٠ والعقد ١ : ٢٨٨ ، ٣٠٦/٥ : ٣٠٥ وابن يعيش ٤ : ٣٧ ، ٦٨ والشذور ٤٠٤ .

قال أبو على (فى المسائل العسكرية) : وأمَّا شتان فموضوع موضعَ قولك : افترقَ وتباين ، وهو من قوله عز وجل : ﴿ إنَّ سَعْيَكُم لشتَّى [١] ﴾ ، و﴿ أشتاتا [٢] ﴾ . وهذا الباب إذا كان كذلك اقتضى فاعلين فصاعداً ، فمن ثَمَّ يقال : شتان زيدٌ وعمرو . وعلى هذا قول الأعشى :

شَتَّانَ ما يومِي عَلَى كُورِها
ويومُ حَيَّانَ أخى جابرِ

فأسنده إلى فاعلين معطوفٍ أحدهما على الآخر . فأمَّا قولك : شتان ما بينهما ، فالقياس لا يمنعه إذا جعلت ما بمنزلة الذى ، وجعلت بين صلة ، لأنّ « ما » لإبهامها قد تقع على الكثرة ، ألَا [ترى [٣]] قوله : ﴿ يَعبدُونَ من دون الله ما لا يضرُّهم ولا ينَفعهم [٤] ﴾ ثم قال : « ويقولون » ، فعلمت أنّ المراد به جمع . وكذلك : ﴿ ما لا يملِكُ لهم رِزْقا [٥] ﴾ ، ثم قال : ﴿ ولا يستطيعون ﴾ فإذا كان كذلك لم يمتنع فى القياس . وقد جاء فى الشعر « لشتان ما بين اليزيدين [٦] » إلّا أن الأَصْمعىَّ طعن فى فصاحة هذا الشاعر ، وذهب إلى أنّه غير محتجٍّ بقوله . ورأيت أبا عمرو قد أنشد هذا البيت عَلَى وجه القَبول له والاستشهادِ به . وقد طعن الأصمعىُّ على غير شاعر قد احتَجَّ بهم غيره ، كذى الرمة والكُميت ، فيكون هذا أيضاً مثلَهم . انتهى .

ومثله للإمام المرزوقى (فى شرح فصيح ثعلب) قال : شتان موضوعٌ

(١) الآية ٤ من سورة الليل .
(٢) من الآية ٦١ من النور و ٦ من الزلزلة .
(٣) تكملة ضرورية ليستقيم الكلام .
(٤) الآية ١٨ من يونس .
(٥) الآية ٧٣ من النحل .
(٦) ش : « شتان ما بين اليزيدين » .

موضعَ تشتَّتَ ، وإذا قلت شتان ما هما ، فما صلة أُكِّدَ بها الكلام ، وهما فى موضع الفاعل ، ولا يُستغنى بواحد ، لأنَّه وُضع لاثنينِ فصاعداً ، كما أنَّ تشتت كذلك . والعامة تقول : شتانَ ما بين فلان وفلان ، وكثيرٌ من الناس يدفعونه ، حتىَّ خطَّأ جماعةٌ من النحويين ربيعةَ الرَّقىَّ . وله وجه صحيح ، وهو أن يكون « ما » لأحوال اليزيدين وأوصافهما ، وجعلت ما بعده صلة له فعرَّفته ، أو صفة له فنكّرته ، لأنه حينئذ يصح دخول شتان وتشتَّت عليه . ولا يكون لواحِدٍ . انتهى .

وهذا مخالفٌ لصنيع الشارح المحقِّق ، فإنه منع أن تكون ما موصولة مع تفسير شتان بما يطلب فاعلين ، لأنّ مشاركة اليزيدينِ فى كلٍّ من خَصلْتى الجود والبخل ضدُّ مقصود الشاعر ، وإنما مراده انفراد أحدِهما بالجود والآخر بالبخل . ويدلُّ عليه قولُه بعد :

فهمُّ الفتى الأزدىِّ إتلافُ مالِه وهمُّ الفتى القَيْسىِّ جمعُ الدراهم

وهذا مَبنىٌّ على أنَّ فى البيت حذفَ معطوف ، والتقدير لشتان ما بين اليزيدَين فى النّدَى والبُخْل ، فيكون من قبيل قوله تعالى : ﴿ سَرَابيلَ تَقِيكم الحرّ [(١)] ﴾ ، أى والبرد . فإن قلت : يجوز أن يشتركا فى الندى ، ويكون أحدهما فى الطرف الأعلى منه والآخر فى الطرف الأسفل ، فلا يكون فيه حذف معطوف . قلت : هذا أيضاً خلاف مقصوده . فإنه يريد أن يثبت صفة الجود لأحدهما ويثبت خلافهَا للآخَر ، فلا اشتراك لهما فى أصل الجود . ويدلُّ عليه قوله أيضاً :

يَزيدُ سُليمٍ سالَمَ المالَ ، والفتى أخو الأزد للأموال غيرُ مسالِمِ

(١) الآية ٨١ من سورة النحل .

٤٧ فلما رأى الشارحُ المحقق ما ذُكر من منع تفسير شتّان بافترقَ ، حمَلَ شتّانَ على معنى « بَعُدَ » الطالبِ لفاعلٍ واحد ، وهو :

إمَّا « ما » وتكون عبارةً إما عن البَوْن والمسافة . والبَوْن : الفَضْل والمزية ، وهو مصدرُ بانه يَبُونُه بوناً إذا فضَلَه . وبينهما بَون ، أى بين درجتيهما وبين اعتبارهما فى الشرف . وأمَّا إذا كانا متباعدين بالجسم . فيقال : بينهما بَيْن بالياء . والمسافة : قَطع الطريق ، مفعلة من السَّوف وهو الشَّمُّ ، لأنَّ الدليل يَسُوف ترابَ الموضع الذى يسير فيه ، فإن استافَ رائحة أبوال الإبل وأبعارِها علم أنه عَلَى جادَّةٍ ، وإلّا فلا . يقال : بينهم مسافة بعيدة . و« ما » فى الحقيقة على هذين الوجهين موصولة ، أى البون الذى بينهما ، أو المسافة التى بينهما .

وإمّا « بينَ » هو الفاعل ، وتكون ما زائدة كما قَرَّره الشارح المحقق . ويؤيِّده ورودُ « بين » بالنصب فاعلاً لشتان بدون ما . قال حسَّان بن ثابت :

وشتَّانَ بينَكما فى الندى
وفى البأْسِ والخيرِ والمنظرِ (١)

وقال آخر :

أخاطِب جهراً إذْ لهنَّ تخافتٌ
وشتَّانَ بينَ الجهرِ والمنطق الخَفْتِ (٢)

وقال جميل :

أريد صلاحَها وتريد قتلى
وشتَّا بينَ قتلي والصَّلاحِ (٣)

---

(١) من أبيات فى ديوانه ١٨٢ يفضل فيها الحارث بن أبى شمر الغسانى على النعمان بن المنذر اللخمى .

(٢) اللسان (خفت ، شتت) .

(٣) ديوان جميل ٥٢ وأمالى القالى ١ : ٢١٦ .

أصله شتَّانَ وحذفت النون ضرورة . وعَلَى هذا لا يعتبر حذف معطوف ، كما اعتبر على غير توجيه الشارح المحقق .

ويجوز رفع بين إذا لم يسبقها ما ، وقدَّمه صاحب القاموس على النصب فقال : وشتان بينُهما ، وينصَب . وروى أبو زيد (فى نوادره) قولَ الشاعر :

شتان بينُهما فى كلِّ منزلة
هذا يُخافُ وهذا يُرتَجَى أبدا (١)

برفع بينُ . ثم قال : ومن العرب من ينصب بينَهما ، كقوله تعالى : ﴿ لقد تقَطَّعَ بْينَكم (٢) ﴾ .

وبين : لفظ مشترك بين المصدر والظرف ، وهى من الأضداد تكون للوصل وللفرقة . قال فى القاموس : البين يكون فُرقةً ووصلا ، واسماً وظرفاً متمكِّناً .

وقول الشارح المحقق ، كما هو مذهب الأخفش ، فى قوله تعالى : ﴿ يُفصلُ بينُكم (٣) ﴾ بالبناء للمفعول إمّا بتشديد الصاد ، وهى قراءة ابن عامر ، وإما بتخفيفها وهى قراءة غيره وغير الأخوين وعاصم . وأمَّا قراءة الأخوين (٤) فهى بالبناء للمعلوم مع تشديد الصاد . وأما قراءة عاصم فهى كذلك مع تخفيفها (٥) .

قال السمين (فى الدر المصون) : من بَناه للمفعول فالنائب إما ضمير المصدر أو الظرف ، وبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن . أو الظرفُ وهو باقٍ عَلَى نصبه . انتهى .

---

(١) لم أجده فى نوادر أبى زيد المطبوعة .
(٢) الآية ٩٤ من سورة الإنعام .
(٣) الآية ٣ من الممتحنة .
(٤) الأخوان هما فى مصطلح القراء : حمزة والكسائى . انظر جنى الجنتين للمحبى ص ١٨ .
(٥) انظر تفسير أبى حيان ٨ : ٢٥٤ وإتحاف فضلاء البشر ٤١٤ .

وهذا الأخير هو قول الأخفش .

واعلم أنَّ الشارح المحقق مسبوقٌ بتوجيهه .

أما الأول فقد قال ابن عصفور (فى شرح الإيضاح لأبى على) : والذى يجيز شتان ما بينهما يجعل [(١)] شتان بمنزلة بَعُدَ ، فكما يجوز بعُد ما بين زيد وعمرو ، كذلك يجوز : شتان ما بين زيد وعمرو .

ومثله لابن السيد (فى شرح أدب الكاتب) . قال : كان ربيعة عند الأصمعى ممّن لا يُحتجُّ بشعره . وهذا غلط [(٢)] لأنّ شتان اسمٌ للفعل يجرى
٤٨ مجراه فى العمل ، فلا فرق بين ارتفاع « ما » به فى بيت ربيعة ، وارتفاع « اليوم » فى بيت الأعشى ، كما أنك لو قلت : بعد ما بين زيد وعمرٍو ، لجاز بالاتفاق .

وكذلك قال اللَّبْلى (فى شرح فصيح ثعلب) : شتان بمعنى بَعُدَ وتفرَّق ، وما بمعنى الذى ، فاعل شتان ، وبين صلة لما .

وأما الثانى فقد قال أبو البقاء : إن جعلت ما زائدة وبين فاعلا وهى ظرفٌ ، لا تكاد العرب تستعملها كذلك . وإنْ جعلتها بمعنى الذى ضعف أيضاً ، لأنَّ المعنى يصير افترق الذى بين زيد وعَمرو . وليس المراد ذلك ، بل المراد افترق زيد وعمرو . ومن أجازه قال : إن مفارقة زيدٍ لعمرو ليس من جهة الأشخاص ، بل المراد افتراقهما فى الأخلاق والأحوال ، وهو المعْنىُّ بالذى . انتهى .

وقوله : « لا تكاد العرب تستعملها كذلك » غير مسلَّم ؛ فإنّه قد قرئ

(١) ط : « بجعل » ، صوابه فى ش .

(٢) وكذا فى الاقتضاب ٣٨٩ . وفى ش : « وهو غلط » .

به فى القرآن فى عدَّة مواضع . وكلامُه وإن كان على اعتبار شتان بمعنى ما يقتضى فاعلين إلَّا أنَّ المنزِعَين فيه .

وأما إنكار الأصمعىِّ شتان ما بينهما فقد قال ابن برى : (فى حاشية الصحاح) : ليس بشئ ، لأنّ ذلك قد جاء فى أشعار العرب [1] ، قال أبو الأسود الدئلىّ :

وشتَّان ما بَيْنى وبينَك ، أنّنى
عَلَى كلِّ حالٍ أستقيم وتظلعُ [2]

ومثله قول البَعيث :

وشتّان ما بينى وبين ابنِ خالد
أميَّةَ فى الرِّزق الذى يُتقسَّمُ [3]

وقال آخر :

وشتانَ ما بينى وبين رُعاتها
إذا صرصر العُصفور فى الرُّطَب الثَّعْدِ [4]

والثَّعد ، بفتح المثلثة : ما لان من البُسر . ويقال شتان بينهما أيضاً بدونِ ما .

وتقدمت أبياته .

---

(١) ط : « فى أشعار من العرب » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ديوان حسان ٥٦ واللسان (شتت) .

(٣) اللسان (شتت) .

(٤) فى النسختين : « دعاتها » بالدال ، صوابه بالراء كما فى اللسان (شتت ، ثعد) .

وقد تبع الأصمعيَّ فى إنكاره جماعةٌ ، منهم ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) قال : يقال شتان ما هما ، ولا يقال شتان ما بينهما ، وليس قوله :

* شتان ما بين اليزيدين فى النَّدى *

بحجَّة .

ومنهم الأزهرى (فى التهذيب) قال : قول ربيعة ليس بحجَّة ، إنَّما هو مولَّد . وأبَى الأصمعىُّ شتان ما بينهما . قال أبو حاتم : فأنشدته قولَ ربيعة فقال : ليس بفصيحٍ يلتفَت إليه .

وقول الشارح المحقق : « ومُوهمه شيئانِ : أحدهما لغةٌ فى شَتّانَ وهى كسر النون (١) » ، قال الإمام المرزوقى (فى شرح فصيح ثعلب) : أصحابنا البصريون لا يُجيزون فيه إلا الفتح ، ولو كان مثنى لجاز تأخيره فَقيل : زيد وعمرٌو شتانِ ، بل كان هو الوجه والترتيب ، ولجاز أن يقلب ألفُه فى النَّصب والجرِّ ياء ، وذلك لا يُعرف . ألا ترى أنَّ قولهم سيّانِ زيدٌ وعمرو ، لما كان مثنى سيٍّ وهو المِثْل جاز جميع ذلك فيه . انتهى .

وزعم ثعلبٌ (فى فصيحه) أن كسر النون هو قول الفراء . ونقل شارحُه اللبلىّ عن ابن درستويه أن الفراء إنما ذهب إلى الكسر لأنَّ المعنى لمَّا كان للاثنين ظنَّ أن شتان مُثَنّى فكسره ، والعرب كلها تفتحه ، والكسر لا يجيزهُ عربىّ . انتهى .

أقول : الفراء لم يذهب إلى أن النون مكسورة لا غير ، وشتان مثنًّى

---

(١) الرضى ٢ : ٦٩ . والمراد قول الأصمعى . وقبله فى الرضى : « وأنكره الأصمعى وقال : الشعر لمولد . وذلك بناء على مذهبه وهو أن شتان مثنى شت ، وهو المتفرق » .

شَتٍّ ، وإنما حكى أن كسر النون لغةٌ فى فتحِها [١] . قال : (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ما هذا بَشَراً [٢] ﴾ : أنشدنى بعضهُم :

لشتّانَ ما أنوى ويَنْوِى بَنو أبى
جميعاً ، فما هذانِ مستويانِ
تمنَّوْا لىَ الموتَ الذى يَشعَبُ الفتى
وكلُّ فتىً والموتُ يلتقيانِ [٣]

قال الفراء : يقال شتَّان ما أنوى بنصب النون وخفضها ، هذا كلامه [٤] . ٤٩

وكذا نقل الصاغانى . (فى العباب) عنه أنَّ كسر النون لغة فى فتحها وليس فيه ما زعمه ابن درستويه . وبه يسقط ترديد أبى سهْل الهَرَوى [٥] (فى شرح الفصيح) حيث قال : وأمَّا على قول الفرّاء فإنَّه يجوز أن يكون كسر النون على أصل التقاء الساكنين ، ويجوز أن يكون أراد تثْنيةَ شتّ ، وهو المتفرِّق . انتهى .

وزعم ابنُ الأنبارى (فى الزاهر) أنَّه لا يجوز كسر النون فى شتان ما بين أخيك وأبيك ، قال : لأنها رفعت اسما واحداً . ويجوز كسرها فى غيرِهِ ، وهو شتّانِ أخوك وأبوك ، وشتَّانِ ما أخوك وأبُوك . قال : يجوز فى هذا كسر النون على أنَّه تثنية شتٍّ . هذا كلامه ، وفيه ما لا يخفى .

---

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « فتحتها » .

(٢) الآية ٣١ من سورة يوسف . معانى الفراء ٢ : ٤٢ .

(٣) نسب فى العينى ١ : ٥٤٣ إلى الفرزدق . وليس فى ديوانه .

(٤) تعليق الفراء هذا لم يرد فى معانى القرآن ، وأن كان الفراء قد أنشد البيتين شاهدا على رفع أهل نجد للخبر بعد « ما » فقط .

(٥) ط : « أبى سهيل » تحريف . وهو أبو سهل محمد بن على بن محمد ، نزيل مصر . كان نحويا ، وكانت له رياسة المؤذنين بجامع مصر ، وله سنة ٣٧٢ وتوفى سنة ٤٣٣ . بغية الوعاة .

وقول الشارح المحقق : « الثانى : أنَّ المرفوع بعده لا يكون إلّا مثنى أو ماهو بمعنى المثنى » إلخ ، أقول : قد ورد المرفوع بعد شتَّان أربعةً ، قال لقيط ابن زُرارة :

شتّانَ هذا ، والعناقُ ، والنّوْمْ ، والمشربُ الباردُ فى ظلّ الدَّوْمْ

وهذا مما يردُّ على الأصمعى ويؤيِّد قولَ غيره أنَّ شتان لا يكتفى بواحد ، لأنَّه وضع لاثنين فصاعداً .

وقد أجاز ثعلبٌ ما منعه الأصمعى ، قال (فى فصيحه) : وتقول شتَّانَ زيدٌ وعمرو ، وشتان ما هما ، نون شتَّانَ مفتوحة . وإن شئت قلت شتَّانَ ما بينهما . والفراء يخفض نون شتَّانَ . انتهى .

ومحصَّل الكلام فيها أنَّ شتَّانَ يكون مرفوعها شيئين [1] اتِّفاقاً ، وأكثرَ عند غير الأصمعى ، ويكون معهما ما الزائدة وبدونها . والصحيح جواز شتَّان ما بينهما ، خلافاً للأصمعى .

ولم يتعرَّض ابن السراج (فى الأصول) لهذا . قال : قولك شتَّان زيد وعمرٌو ، معناه بَعُد ما بين زيدٍ وعمرٍو جدًّا . وهو مأخوذ من شَتَّ . والتشتيت : التبعيد ما بين الشيئين أو الأشياء ، فتقديرُه تباعد زيد وعمرو . انتهى .

وهى عند الشارح قسمان : أحدهما ما ذكر من أنه لا بُدَّ لها من مرفوعين فصاعداً . والثانى : جواز الاكتفاء بمرفوع واحد . وهو فى شتّان ما بينهما لكونها بمعنى بعُد .

وبقى استعمالها مع « ما » الموصولةِ بفعلٍ ، ولم يذكروه . وهو ما أورده

---

(١) ش : « شيئان » ، صوابه فى ط .

الفرّاء فى الشعر المذكور ، وهو « لشَتان ما أنوى (١) » . وينبغى أن تقدر ما الموصولة فى الفعل الثانى ، ليكون مرفوعها شيئين . وهى اسم فعلٍ على الصحيح .

قال ابن عصفور (فى شرح الإيضاح) : وهو ساكن فى الأصل ، إلّا أنّه حُرِّك لالتقاء الساكنين ، وكانت الحركة فتحةً إتباعاً لما قبلها وطلباً للخفَّة ، ولأنَّه واقعٌ موقعَ الماضى مبنىٌّ على الفتح ، فجعلت حركته كحركته .

وزعم المرزوقى والهروى (فى شرح الفصيح) أنَّها مصدر . قال الأوّل : شتان مصدر لم يُستعمَل فعلُه . وهو مبنىٌّ على الفتح ، لأنه موضوعٌ موضعَ فعل ماض ، وزيدٌ فاعل له .

وقال الثانى : معنى شتّان البُعدُ المفرِط بين الشيئين ، وهو اسمٌ وضع موضع الفعل الماضى ، تقديره : شَتّ زيد وعمرٌو (٢) ، أى تشتّتاَ وتفرّقا جدًّا .

وسبقهما الزجّاج كما نقل الشارح المحقق عنه .

قال ابن عصفور : وزعم الزجّاج أنّه مصدرٌ واقعٌ موقعَ الفعل جاءَ على فَعْلان فخالف أخواتِه ، فبنى لذلك .

فإن قيل : لنا فَعْلانٌ فى المصادر ، قالوا : لوى يلوى لَيَّانا ، وشنئته شَنْآناً (٣) . وأنتَ لو وضعت ليّاناً وشَنْآناً موضعَ الفعل لبقيا على إعرابهما ولم يُبْنَيا .

فالجواب : أنّهما مصدران قد استعملا بعدَ فعلهما وتمكنّا ، فإذا وقَعا موقع فعلهما بقيا على إعرابهما ، وليس كذلك شَتّانَ ؛ لأنّك لا تقول شتّ

(١) ط : « شتان ما أنوى » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) وعمرو ، ساقطة من ط ، وقد ألحقت فى هامش ش بخط ناسخها .

(٣) يقال بسكون النون وبفتحها أيضا . وقرئ بهما قوله تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم » .

يشِتُّ شَتَاتاً ، وإنَّما استعمل فى أوّل أحواله موضوعاً موضع الفعل المبنىّ ، فبنى لذلك . انتهى .

قال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : مقتضى هذا الجواب أن تبنى المصادرُ الملتزمُ إضمار ناصبها ، كسبحانَ الله ومَعاذ الله . انتهى .

وجوّز المازنىُّ تنوين شتان ، قال أبو على (فى التذكرة القصرية) : قال أبو عثمان : سبحان وشتَّان يجوز تنوينُهما اسمين كانا ، أو فى موضعهما . قال أبو على : شتَّان إذا كان فى موضعه فهو اسمٌ للفعل وهو شَتَّ بمنزلة صه ، فإنْ نَوَّنته فهو نكرة ، وإنْ لم تنوِّنه فهو معرفة .

فإن قيل : كيف يجوز أن يكون معرفةً وهو بمنزلة شَتَّ ، وكذلك صه بمنزلة اسكت ، واسكت وصه لا يجوز أن يكونا معرفة . قيل : لأنَّهما اسمانِ للفعل وليساَ بفعل . فإنْ نقلت شتَّان عن أن يكون اسماً للفعل فجعلته اسماً للتشتيت معرفة ، وصار بمنزلة :

* سُبحانَ من علقمةَ الفاخرِ *

فى أنَّه اسمٌ للتنزيه معرفة جاز . فإنْ نوّنته ونونتَ سبحان هذا تنكَّر لأجل التنوين ، وصار بمنزلة زيدٍ من الزيدِين إذا نكرت زيداً المعرفة . ويَضعف جعلُ هذه المعرفة نكرة ، لأنَّ المعنى الملقَّب بسبحان وشتَّان ، شئٌ واحد لا يصحُّ أن يكون له أمثالٌ من جنسه ، هى تنزيه وتشتيت ، وليس كذلك الملقَّب بزيد ، لأنَّه يصحُّ أن يكون له أمثالٌ من جنسه فيقدَّر زيداً من الزيدين يصحّ فى المعنى ، وتقدير سبحان من أمثاله لا يصحُّ فى المعنى . فالجواب أنَّ هذا وإنَّ لم يصحَّ فى المعنى فإن تقديرهم له تقديرَ ما يصحُّ له فى هذا المعنى

---

(١) الكلام بعده إلى « لا يجوز أن يكونا معرفة » ساقط من ش

جائزٌ ، يدلُّ على ذلك أنَّ من قال : هذا ابن عِرسْ مقبلا ، نزَّل الجنسَ منزلة شئ واحدٍ ، وإن كان فى الحقيقة أشياءَ ، ثم قال : هذا ابن عِرس مقبلٌ ، نَزَّل ما قد نَزَّلهُ منزلة شئ واحد منزلةَ أشياءَ كثيرة . فهذا ابنُ عِرسٍ مقبلٌ ، بمنزلة زيد من الزيدين منكَّرا من هذا ابن عرس مقبلا . ونظيرُ تلقيب المعنى بسبحان وشتَّان ، فيمن جعله لقباً للمعنى ، جَعْلُ النحويِّين أفعل معرفة فى قولهم : أفعل إذا كان وصفاً لا ينصرف ، فيجعلون أفعل معرفةً لقباً للمعنى ، وهو هذا الوزن . فلم يخرُج النحويُّون بتلقيبهم المعانى عن كلام العرب ، لأنَّها قد لقَّبَت المعانىَ كما لقَّبت الأشخاص . ونظير ذلك قولهم :

* فحملتُ برّةَ واحتملتَ فجارِ *

وبرَّةَ تلقيبُ المعنى ، فلهذا لم يصرفها . انتهى كلام أبى على ، ولنفاسَته سُقناه بُرمّته .

صاحب الشاهد والبيت الشاهد من قصيدةٍ لربيعة الرَّقِّىِّ ، مدح بها يزيدَ بن حاتم المهلّبى . وهذه أبياتٌ من أوّلها :

أبيات الشاهد (حَلفتُ يميناً غير ذى مَثْنوِيَّةٍ

يمينَ امرئٍ آلَى بها غيرَ آثمِ [(١)]

لَشتَّانَ ما بين اليزيدين فى الندى

يزيدُ سُليم والأغرُّ ابنُ حاتِم

يزيدُ سُليم سالمَ المالَ ، والفتى

أخو الأزدِ للأموال غيرُ مسالِمِ

(١) الأبيات وخبرها فى الأغانى ١٥ : ٣٧ والعقد ١ : ٣٣١ ، ٥/٣٥٤ : ٣٠٥ ووفيات الأعيان (ترجمة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب) .

فهَمٌّ الفتى الأزدىِّ إتلافُ ماله
وهمٌّ الفتى القيسىِّ جمعُ الدراهمِ
فلا يحسَبِ التَّمتامُ أنِّى هجوتُه
ولكنّنى فضَّلتُ أهلَ المكارمِ
فيا أيُّها الساعى الذى ليس مُدرِكا
بمَسعاته سَعْىَ البحورِ الخَضارمِ
٥١ سَعيتَ ولم تُدرِكْ نوالَ ابنِ حاتِمٍ
لِفَكِّ أسيرٍ واحتمالِ العظائمِ (١)
كفاكَ بناءَ المكرماتِ ابنُ حاتم
ونمتَ ، وما الأزدىُّ عنها بنائمِ
فيا ابنَ أُسَيْدٍ ، لا تسامِ ابنَ حاتم
فتقرعَ إنْ ساميتَه سنَّ نادِمِ
هو البحرُ إنْ كلّفتَ نفسَك خوضَه
تهالكتَ فى أمواجه المتلاطِمِ
تمنَّيتَ مجداً فى سُليمٍ سَفاهة
أمانىَّ خالٍ أو أمانىَّ حالِمِ (٢)
ألا إنَّما آلُ المهلَّب غُرَّة
وفى الحرب قاداتٌ لكم بالحَزائِم (٣)

---

(١) ش : « بفك أسير » . وأثبت ما فى ط ووفيات الأعيان .

(٢) الخالى هنا : الذى يخلو بنفسه ويتأمل . ط : « حال » بالحاء المهملة ، صوابه فى ش ووفيات الأعيان . وقد يكون الخال هنا مقلوب خائل ، أى متخيل . اللسان (خيل ٢٤٢) .

(٣) كذا وردت بإهمال هنا وفى الشرح . والوجه « بالخزائم » بالخاء المعجمة كما فى الوفيات ، وانظر حواشى ص ٣٠١ .

هم الأنفُ والخرطُوم ، والناسُ بعدَهم
مَناسِمُ ، والخُرطوم فوقَ المناسِمِ
قضيتُ لكم آلَ المهلَّب بالعُلا
وتفضيلِكم حَقًّا على كلِّ حاكِمِ
لكمْ شِيَمٌ ليست لِخَلقٍ سواكمُ
سَماحٌ وصِدقُ البأس عند المَلاحِمَ
مُهينون للأموال فيما ينُوبُكم
مَناعِيشُ دَفَّاعونَ عن كلِّ جارمِ

وقوله : « حلفتُ يميناً » إلخ ، مثنوية [1] : مصدر بمعنى الاستثناء فى اليمين ، أى حلفت غير مستثن فى يمينى . وقوله : غير ذى مثنوية ، أى غير يمين ذى مثنوية .

وهذا المصراع من شعرٍ للنابغة الذبيانى ، وتمامه :

* ولا علم إلاَّ حُسْنُ ظنٍّ بصاحبِ *

وهو من شواهد سيبويه ، وقد شرحناه مع قصيدته فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائتين [2] .

وقوله : يمين امرىء ، إلخ مفعول مطلق تشبيهىّ ، أى كيمين . واليمين : القَسَم ، سُمِّى بها لأنَّهم كانوا إذا تحالفوا ضربَ كلُّ امرىءٍ منهم على يمين

(١) ما بعده إلى « مثنوية » التالية ، ساقط من ش .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٢٧ .

صاحبه . قال صاحب المصباح : ويمين الحلف أُنثى . قال ابن الأنبارى : ولهذا أعاد الضمير عليها من « بها » مؤنَّثا . وآلى ، بمعنى أقسم .

وقوله : (لشتَّانَ ما بين اليزيدين) إلخ ، اللام فى جواب القسم ، وما بعدها جوابه . قيل : شتّان مابين اليزيدين صار مثلاً فى ظهور الفَرْق . والنَّدى : السَّخاء والجود ، والألف أصلها واو ، لأنه يقال ندوت [1] . ويقال سَنَّ للناس النَّدى فندَوْا بفتح الدال . و (الأغَرُّ) من الغُرّة ، وهو بياضٌ فوق الدِّرهم فى جَبهة الفرس . يقال فرسٌ أغرُّ ومُهرة غرّاء ، وقد استعيرت للوضوح والشُّهرة . وقال فى المصباح : ورجل أَغَرُّ : صبيحٌ أو سيِّدُ قومِه .

يزيد سليم أمَّا يزيد سُليم فهو يزيد بن أُسَيْد بضم الهمزة وفتح السين المهملة ، وينتهى نسبه إلى بُهْثة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها ثاء مثلثة ، ابن سُلَيم ، بضم السين ، ابن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة ، ابن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

يزيد بن حاتم وأمّا يزيد بن حاتم ، فهو يزيد بن حاتم بن قَبيصة بن المهلَّب بن أبى صُفرة ، وينتهى نسبه إلى الأَزد ، وهى قبيلةٌ عظيمة باليَمَن . وهو جدُّ الوزير المهلبى . فإنه أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم . ومات فى سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة .

وكان السبب فى هذه القصيدة أن ربيعة قصد يزيدَ بن أُسَيد ، وهو

---

(١) والنَّدى مع ذلك تكتب بالياء غالبا مراعاة للإمالة . انظر اللسان (ندى ١٨٥) . وقد وردت فى الأصل مكتوبة بالألف فى جميع المواضع ، لكنى أجريتها على الكتابة المألوفة .

يومئذٍ والٍ على أرمِينيَّة ، وكان قد وليهاَ زماناً طويلا لأبى جعفر المنصور ، ثم من بعده لولده المهدىّ . وكان يزيد هذا من أشراف قيس وشُجعانهم ، ومن ذوى الآراء الصائبة . ومدحه ربيعة بشعرٍ أجادَ فيه فقصَّر يزيدُ فى حقه . ومدح يزيد ابن حاتم فبالغ فى الإحسان إليه ، فقال ربيعة هذه القصيدة يفضِّل يزيد بن ٥٢
حاتم على يزيد بن أُسَيد . وكان فى لسان يزيد بن أُسَيد تمتمة ، فعرَّض بذكرها : « فلا يحسب التمتام أنى هجوته » . كذا فى تاريخ ابن خلكان .

قال صاحب المصباح : وتمتم الرجل تمتمةً ، إذا تردَّد فى التاء ، فهو تمتام بالفتح . وقال أبو زيد : هو الذى يَعْجَل فى الكلام ولا يُفهمك .

وقال ابن عبد ربه (فى ثلاثة مواضع من العقد الفريد [1]) : مدح ربيعة الرِّقِّىُّ يزيد بن أُسَيد السُّلَمى ، فلم يُعِطه شيئاً ، ثم عطف على يزيد بن حاتم وهو والى مِصر ومدحَه ، فتشاغل عنه فى بعض الأمور ، واستبطأه ربيعةُ فشخَصَ من مصر وقال :

أُرانى ولا كُفرانَ لله راجعاً

بِخُفَّىْ حُنينٍ من نوالِ ابن حاتمِ

فبلغ قولُه يزيدَ بنَ حاتم فأرسل فى طلبه ، فلمَّا دخل عليه قال له : أنت القائل :

أُرانى ولا كفران لله راجعا .... البيت

قال : نعم . قال : هل قلتَ غير هذا ؟ قال : لا . قال : والله لترجعنَّ

(١) سبقت الإشارة إليها فى ص ٢٨٧

بِخُفَّىْ حنين مملوءةً ذهبا (١) . فأمر بِخَلع خُفَّيه وأن تُملَئا (٢) دنانير . ثم قال له : أَصْلِحْ ما أفسدتَ من قولك . فقال فيه لمَّا عُزل من مصر ووليَ مكانه يَزيدُ بن أسَيد السلمى :

بكى أهلُ مصرٍ بالدُّموعِ السَّواجم غداةَ غدَا منها الأغرُّ ابنُ حاتم

وفيها يقول :

لشتّان ما بين اليزيدين فى الندى يزيدُ سليم والأغرُّ بنُ حاتم

مع أبياتٍ ثلاثة بعده . وكان يزيد بن حاتم جواداً سريًّا مقصودا ممدُوحاً (٣) . قصده جماعة من الشعراء فأحسن جوائزهم .

قال ابن عبدِ ربِّه : كتب إليه رجلٌ من العلماء يستوصله ، فبعث إليه ثلاثين ألفَ درهم وكتب إليه : أمَّا بعدُ فقد بعثتُ (٤) إليك ثلاثين ألفاً لا أكثِّرها امتناناً ، ولا أقلِّلها تحقيرا ، ولا أستثيبك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاءً . والسلام .

وقال ابن خَلِّكان : ذكر ابن جرير الطبرى فى تاريخه أنَّ الخليفة أبا جعفر المنصور عزل حُمَيد بن قَحطبة عن ولاية مِصر ؛ فولاَّها نوفل بنَ

---

(١) وكذا فى العقد ١ : ٣٢٢ وفيه « مملوءة مالا » . لكن فى ٥ : ٣٠٥ : « مملوءتين مالا » . والخف مذكر ، ومنه : « فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران » . ويبدو أنها تؤنث حملا على « النعل » والنعل مؤنثة .

(٢) كذا فى ط والعقد ، وفيه : « وإن تملئا له مالا » لكن فى ش : « يملئا » بالياء .

(٣) ش : « ممدحا » . لكن ما أثبت من ط يطابق ما فى وفيات الأعيان .

(٤) فى الأصل : « أما بعد بعثت » ، والتكملة من العقد ١ : ٣٠٦ .

الفُرات ، ثم عزله وولَّى يزيد بن حاتم ، وذلك فى سنة ثلاث وأربعين ومائة . ثم إنَّ المنصور عزله عن مصر فى سنة اثنتين وخمسين ومائة ، وجعل مكانه محمد ابن سعيد . انتهى .

وهذا لا يوافق ما قاله ابن عبد ربه .

وقيل : تَولَّى بعدَه (١) عبد الله بن عبد الرحمن من قِبَل المنصور . ولم أر ما قاله ابنُ عبد ربه (٢) .

ثم قال ابن خلكان : وقال ابن يونس (فى تاريخه) : ولى يزيدُ بن حاتم مصر فى سنة أربع وأربعين ومائة . وزاد غيره : فى منتصف ذى القَعدة . ثم إنَّ المنصور خرج إلى الشام وإلى زيارة بيت المقدس فى سنة أربع وخمسين ومائة ، ومن هناك سيَّر يزيدَ بن حاتم إلى إفريقيّةَ لحرب الخوارج الذين قَتلوا عاملَه عُمَر ابن حفص ، وجهَّز معه خمسين ألفَ مقاتل ، واستقرَّ والياً ، وكان وصوله إليها واستظهاره على الخوارج فى سنة خمس وخمسين .

ولمَّا عقد المنصور ليزيد المهلبىِّ على بلاد إفريقيَّة ، وليزيد السُّلمىِّ المذكورِ على ديار مِصر خرجا معاً (٣) ، وكان يزيد المهلَّبى يقوم بكفاية الجيشين ، فقال ربيعة الرَّقّىّ :

---

(١) ش : « بعد » صوابه فى ط . والبغدادى يناقش ما ورد فى العقد من أن الذى جاء بعد يزيد ابن حاتم فى الولاية هو يزيد بن أسيد السلمى . فإنَّ هذا معارض بما ذكر الطبرى أن الذى جاء بعده هو محمد بن سعيد ، وفى قول آخر أنه عبد الله عبد الرحمن .

(٢) أى لم يجد أحدا ذكر ما أورده ، غيره .

(٣) فى النسختين : « معه » ، والصواب من وفيات الأعيان .

٥٣ يزيدَ الخير إنَّ يزيدَ قومى سَميَّك لا يجود كما تجودُ
تقود كتيبةً ويقود أخرى فترزقُ من تقود ومن يقودُ

وقدِم أشعبُ المشهور فى الطمع على يزيدَ وهو بمصر ، فجلس بمجلسِه ، ودعا بغلامِه فسارَّه ، فقام أشعب فقبَّل يده ، فقال له يزيد : لم فعلت هذا ؟ فقال : إنِّى رأيتك تسارِرُ غلامَك فظننتُ أنك قد أمرتَ لى بشىء ! فضحك منه وقال : ما فعلتُ ولكنِّى أفعل . ووصَله وأحسنَ إليه .

وقدم عليه بمصر أبو عُبيد الله محمد بن مسلم ، الشهير بابن المولَى ، وأنشده :

يا واحدَ العُربِ الذى أضحى وليس له نظِيرْ
لو كان مثلَك آخَرٌ ما كانَ فى الدُّنيا فقيرْ

فدعا يزيد بخازنِه . وقال : كم فى بيت مالى ؟ قال : فيه من العَين والورِقِ ما مبلغُه عشرون ألفَ دينار . فقال : ادفْعَها إليه . ثم قال : يا أخى ، المعذرةُ إلى الله تعالى وإليك ، والله لو أن فى ملكى غيرَها ما ادَّخرته عنك .

وقال الطرطوشى (١) (فى كتاب سِراج الملوك) : قال سُحنون (٢) :

(١) نسبة إلى طرطوشة ، بضم أوله وقد يفتح : مدينة بالأندلس ، كما فى القاموس . واقتصر فى معجم البلدان على أنها بالفتح . وهو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهرى ، رحل إلى المشرق ودخل بغداد والبصرة والشام ، ثم نزل الإسكندرية واستوطنها . وتوفى سنة ٥٢٠ .

(٢) سحنون ، بضم السين ، وأصله اسم طائر . وفى تاج العروس أنّ سينه قد تفتح . وهو سحنون بن سعد الإفريقى ، من أئمة المالكية ، جالس مالكا مدة ، ثم قدم بمذهبه إلى إفريقية فأظهره فيها . وتوفى سنة ٢٤١ .

كان يزيد بن حاتم يقول : والله ما هِبتُ شيئاً قطُّ هيبتى لرجلٍ ظلمته وأنا لا أعلم ، وليس له ناصر إلا الله تعالى ، فيقول : حسبك الله ، اللهُ بينى وبينك !

وذكر أبو سعيد السمعانى (فى كتاب الأنساب) أن المسْهِرَ التميمىَّ الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بإفريقيَّة ، فأنشدهُ :

إليك قصَرنا النِّصفُ من صَلواتنا
مسيرةَ شهرٍ ثم شهرٍ نُواصِلُهْ
فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا
لديكَ ولكن أهنأُ البرِّ عاجله

فأمر يزيدُ بوضع العطاء فى جُنده وكان معه خمسون ألفَ مرتزق ، فقال : من أحبَّ أن يسرَّنى فليضع لزائرى هذا من عطائه درهمين . فاجتمع له مائة ألف درهم ، وضمَّ يزيدُ إلى ذلك مائة ألف درهم أخرى ودفعها إليه .

ولما كان يزيد والياً بإفريقيَّة كان أخوه روح بن حاتم والياً فى السِّند ، وولى لخمسةٍ من الخلفاء : أبى العباس السفاح ، والمنصور ، والمهدىّ ، والهادِى ، والرشيد ، فقال أهل إفريقية : ما أبعدَ ما بين هذين الأخوين ، فإنَّ يزيد هنا وأخاه رَوحاً فى السند . فلما توفى يزيد بإفريقية يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة ، وكان والياً فيها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر ، فاتفّق أن الرشيد عزل رَوحاً عن السِّند وسيَّره إلى موضع أخيه يزيد ، فدخل إلى إفريقية فى أول رجب سنة إحدى وسبعين ومائة ، ولم يزلْ والياً عليها إلى أن توفِّى بها لإحدى عشرة ليلةً بقيت من شهر

رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، ودفن فى قبر أخيه يزيد . فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد .

تتمـــة

قال الصولى (فى كتاب الأنواع) : حدثنا أبو العباس محمد الجُبَّانى قال : أنشدنا بكر المازنى [1] لربيعة بن ثابت الرقى ، يمدح يزيد بن حاتم المهلَّبىَّ ويهجو يزيدَ بن أُسيد السُّلمى :

لشَتانَ ما بين اليزيدين فى النَّدى .... البيت

وبعده الأبيات الثلاثة . قال : بلغ هذا الشعرُ أبا الشمقمق ، واسمه مروان ، فقال يفضِّل يزيد بن مزيد الشيبانى على يزيدَ المهلبى :

لشتّان ما بين اليزيدَينِ فى الندى
إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والحمدُ
يزيد بنى شيبانَ أكرم منهما
وإن غضبتْ قيس بنُ عَيلان والأزدُ

انتهى .

ويزيد هذا هو ابن مَزْيد بن زائدة ، وهو ابن أخى معن بن زائدة الشيبانى . وكان يزيد هذا من الأمراء المَشْهورين ، والشُّجعان المعروفين ، وكان واليا بأرمينية ، فعزله عنها الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ثم ولاَّه إياهَا وضم إليها أذربيجان فى سنة ثلاث وثمانين . وهو من الأجواد ، وقد قصده الشعراءُ من سائر النواحى ، وأجاد صِلاتِهم . يزيد بن مزيد

(١) هو بكر بن محمد بن بقية ، أبو عثمان المازنى ، المتوفى سنة ٢٤٩ .

وقد أطال ترجمته ابن خلكان .

وتوفى سنة خمس وثمانين ومائة ، ورثاه أبو الشمقمق ، ومسلم بن الوليد ، وأبو محمد عبد الله بن أيوب التَّيمىُّ المشهور ، وغيرهم .

ورأيت فى (رسائل الصاحب بن عباد) رسالةَ مُداعبة ، جمع فيها نظائرَ هذا الشعر ، وهى رسالة جيِّدة أحببْت أن أوردها هنا وهى :

أبو الفرج عَبَّاد بن المطهَّر أعزه الله ، يزعم أن الشيخ الأمين [1] رضى الله عنه سمَّاه عبَّادا . والناس يروون :

لشتان بين اليزيدين فى الندى
يزيد سليم والأغَرُّ بنُ حاتم

وفيهم من لا يعلم أنه لربيعة الرَّقِّىِّ ، ولا أنَّ اليزيدين : يزيدُ بن حاتم المهلبى وهو الممدوح ، ويزيد بن أُسَيد وهو المذموم . وكما لا يدرِى أن الشعر بلغ أبا الشمقمق فقال ، وفضَّل عليهما يزيدَ بنَ مَزيد الشيبانى :

لشتَّانَ ما بين اليزيدين فى الندى
إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والحمدُ
يزيدُ بنى شيبان أكرمُ منهما
وإن غضبتْ قيسُ بن عَيلان والأزدُ

وقد قال الآخر :

يزيدَ الخير إنَّ يزيدَ قومى
سَمِيُّك لا يزيدُ كما تَزِيدُ

(١) الذى فى رسائل الصاحب ١٥٩ : « أن الشيخ الأمير » .

ويَذْكرنى مولاى أنه أُنشِدُ كثيراً لأبى الهول الحميرى ، فى الفضل بن العباس ، والبرمكى :

فضلان ضَمَّهُما اسمٌ وشتَّتِ الأخبار [١]

كما سمعنى أُنشدُ لبشَّار :

رأيت السُّهيلينِ استوى الجودُ فيهما
على بعد ذا من ذاك فى حكم حاكمِ
سُهيل بن عثمانٍ يجودُ بماله
كما جاد بالفَعْلى سُهيلُ بن سالمِ [٢]

ومن المبتذل فى هذا :

شتّان بين محمَّد ومحمدٍ
حَىٌّ أماتَ وميِّتٌ أحيَانِى

والمحمَّدان : محمد بن منصور بن زِياد ، ومحمد بن يحيى بن خالد . ولا أحسب عبادا هذا يعدُّ ما قلته تفضيلاً لعبَّاد بن العباس عليه ، وإضافة له إليه ، ولا أن يقول كما قال يونس بن حبيب : أشدُّ الهجاءِ الهجاءُ بالتفضيل . وذلك كما قال صديق مولاى القريب ، وابن عمته النسيب ، الفرزدق بن غالب ، وقد قيل له : انزل على أبى قَطَن قبيصة ، فحسبه ابنَ مخارق الهلالى ، فإذا هو آخر لا يحضرنى نَسبه [٣] وذمَّ قِراه وجواره ، فقال :

---

(١) ورد فى النسختين على أنه نثر . وهو بيت من مجزو المجتث .

(٢) الفعلى ، بالفتح : كناية عن الوجعاء ، وهى الدبر ، قصر وزنها للشعر ، وفى الأغانى ٣ : ٢٦ : « بالوجعاء » . وفى الرسائل :

« كما جاء بالفعلاء سهل بن سالم »

وما هنا صوابه .

(٣) وكذا فى ديوان الفرزدق ٥٨٧ ، ففى حواشيه : « أراد قبيصة بن المخارق الهلالى ، فغلط فنزل على قبيصة آخر غير هذا الهلالى » . وانظر لقبيصة جمهرة ابن حزم ٢٧٣ .

سَرَت ماسرت من ليلها ثمَّ وافقت
أبَا قطن ليس الذى لمخارقِ (١)
وقد تلتقى الأَسماءُ فى الناس والكُنى
كثيراً ، ولكن لا تلاقَى الخلائقُ

فأمَّا التفضيل الذى أومأتُ إليه فقد أعجبنى منه أنَّ الحطَيئَةَ قال :

فلمَّا أن مَدَحتُ القوم قلتم
هجوتَ ، وهل يحلُّ لىَ الهجاءُ
فلم أشتُمْ لكم حَسَباً ولكن
حَدوتُ بحيث يُستمع الحُداءُ

حتَّى زعم بعضُهم عن الزِّبرقان أنَّ هذا أوجعُ له من قوله :

دعِ المكارم لا ترحل لبُغيتها
واقعدْ فإنَّك أنتَ الطاعمُ الكاسى

وعلى ذكر هذا البيت فلا أدرى لم تُرك ما قيل قبله . فقد سَبَق الأعشى بقوله :

فدَعْنا وقوماً إنْ همُ عَمَدوا لنا
أبا ثابت ، واجلِسْ فإنَّك طاعمُ (٢)

(١) فى الديوان : « ثم وافقت أبا قطن غير الذى لمخارق » . وفى البيت الثانى من هذين البيتين إقواء . وبينهما فى الديوان :

فباتت وبات الطل يضرب رحلها موافقة ياليْتَهَا لم توافق

(٢) فى النسختين : « إنهم عمدوا لنا » صوابه فى رسائل الصاحب ١٦١ وديوان الأعشى ٥٨ . وفى الديوان : « وذرنا وقوما » . وأبو ثابت كنيته يزيد بن مسهر الشيبانى ، الذى هجاه الأعشى بقصيدة هذا البيت .

لست أدْرى ، أيدَّ الله مولاىَ ، ما هذا الوَسواس الخنَّاس ، الذى يوسوس فى صدور الناس . وإنّما حضر هذا الفتى وله حقُّ الغُرْبة وأعظِمْ به حقًّا ، ثم حقُّ الأدب وأَكرِمْ به فخرا ، وقد خدَمني طِفلا ، والآنَ كهلا ، وهاجر إليّ ، فتظاهرت حُرُماته لدىّ . وهذه التسمية أيضاً لها ذِمامٌ يُرْعَى ، وذِمار لا يُنسَى ، وسألنى أن أخاطبَ مولاى فى بابِه ، وأُسِيَمه [١] فى مرعى جنابه ، وتصوَّر لى الأنسُ بمطاولة مولاى ؛ وحسبْتُنى أناجيه عن قرب كما أنا مكاتبه عن بعد ، فلجَّ الطبعُ والقلم ، وحضرت هذه الأبيات والعبر ، ومولاى ولىُّ ما يوليه ، ويختصُّه بالجميل فيه ، فقد كان أبو عيسى النُّوشَجانى عبد المسيح [٢] أنشدَ والِدى :

وانَّ ائتلاف النفس أدنى قرابةً
لمن يدَّعى القربى إذا كان ظالما

انتهى . وقوله : وقد قال الآخر :

يزيدَ الخيرِ إنَّ يزيدَ قومى .... البيت

هذا سهوٌ منه فى زعمه أنَّه لغير ربيعة ، والصواب أنه له كما نقلناه .

وقوله : « بمسعاته سَعْىَ البحور الخضارم » ، المَسْعاة : مصدر ميمىّ ، وهو السعى . والخضَارم بالفتح : جمع خِضْرِم ، بكسر الخاء وسكون الضاد المعجمتين وكسر الراء : الواسع الكثير .

---

(١) ط : « وأسميه » ، صوابه فى ش ورسائل الصاحب .

(٢) فى رسائل الصاحب : « أبو عيسى النوشجان بن عبد المسيح » .

وقوله : « بالحَزائم » جمع حِزام ، مستعار من حزام الدابة . أراد أنّهم متشمِّرون للحرب [١] .

وقوله : « هم الأنف والخرطوم » ، هو بالضم : الأنف . وخُرطوم القوم : سيِّدهم . والمناسم : جمع مَنسِم بفتح الميم وكسر السين ، وهو خفُّ البعير .

والملاحم : جمع مَلحَمة ، بفتح الميم والحاء ، وهى الوقْعة العظيمة فى الفتنة .

والمناعيش : جمع مِنعاش مبالغة ناعش ، كمنحار مبالغة ناحر ، مِنْ نعشَه ينعَشُه بفتح العين فيهما نَعْشاً بسكونها ، إذا رفعه من سقطته . والجارم : الكاسب الفقير ، من جرم يجرم كضرب يضرِب .

وربيعة الرق هو أبو أسامة ربيعة بن ثابت ، من موالى سُليم . ويدلُّ عليه قوله : ربيعة الرق

* يزيدَ الخير إن يزيد قومى *

وقال محمد بن معاوية الأسدى : هو من بني جذيمة بن مالك بن نصر ابن قُعَين . وهو شاعر مطبوع . قال دِعْبِل بن عليٍّ الخُزاعى : قلت لمروانَ بن أبى حَفصة : يا أبا السِّمط من أشعرُكم جماعةَ المحدَثين ؟ قال : أشعرنا أسْيَرُنا بيتاً [٢] . قلت : من هو ؟ قال : الذى يقول :

---

(١) كذا قيد التفسير هنا رواية (الحزائم) فى البيت ١٢ من قصيدة ربيعة الرق السابقة ، لكن فى الوفيات : « قاداتٌ لكم بالخزائم » وأرى أنها صواب الرواية ، فالخزائم جمع خزامة ، وهى حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد بها الزمام . وفى الحديث : « ومرهم أن يعطوا القرآن بخزائمهم » ، يراد به الانقياد لحكم القرآن وإلقاء الأزمة اليه ، كما يؤخذ البعير بخزامته . وانظر اللسان (خزم) . والبيت لم يرد فى العقد ولا فى الأغانى .

(٢) ط : « أشعرنا بيتا » ، وفى ش مع أثر تصحيح : « أسيرنا بيتا » ، وإكمال الكلام وتصحيحه من ضوء الأغانى ١٥ : ٣٧ ففيها « أشعرنا أيسرنا بيت » ، وفيه تحريف كما ترى .

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى

يزيد سُلَيم والأغَرُّ ابنُ حاتِمِ

والرَّقِّىُّ : منسوب إلى رَقَّة ، بفتح الراء وتشديد القاف ، وهى مدينة ،
٥٦ ومعناها فى اللغة كلَّ أرض إلى جنب وَادٍ ، ينبسط عليها الماء أيامَ المدّ ثم ينحسر عنها فتكون جيِّدةَ النبات ، والجمع رِقاق .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : الرَّقَّة : مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حَرَّان ثلاثة أيام ؛ معدودةٌ فى بلاد الجزيرة ، لأنَّها من جانب الفرات الشرقى . ويقال الرقة البيضاء [(١)] ، وهى من الإقليم الرابع . ووصفها ربيعةُ الرقِّىُّ بقوله :

حَبَّذا الرقة داراً وبلَد ... بلدٌ ساكنه ممن تَوَدّْ [(٢)]
ما رأينا بلدةً تعدِلُها ... لا ، ولا أخبَرَنا عنها أحَد
إنَّهـا بَرِّيَّـةٌ بَحْرِيَّـةٌ ... سُورها بحرٌ وسُورٌ فى الجَدَدْ
يسمَعُ الصُّلصُلَ فى أشجارها ... هدهدُ البر ، ومُكَّاءٌ غرِدْ [(٣)]
لم تُضمنْ بلدةٌ ما ضُمِّنتْ ... من جمالٍ ، فى قريش وأسدْ

وكان بالجانب الغربى مدينة أخرى تعرف برقَّة واسط ، كان بها قصران لِهشام بن عبد الملك ، كانا على طريق رُصافة هشام . وأسفلَ من الرقة بفرسخ الرَّقّةُ السوداء ، وهى قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة . والرَّقَّة أيضاً :

(١) فى معجم البلدان : « ويقال لها الرقة البيضاء » .

(٢) ش : « دار وبلد » . وفى معجم البلدان : « دار أو بلد » .

(٣) الصلصل بضم الصادين : طائر تسميه العجم الفاختة . عَنَى تجاوب الطير فى أرجائها .

البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد (١) ، وهى بالجانب الغربى ، وهو عظيمٌ جدًّا جليل القدر .

وأطنب ياقوت فى وصفها .

تتمـــة

قد تقدَّم بيتانِ هما من شواهد النحويِّين ، وأوردهما الزمخشرى (فى مفصَّله) ، أما الأوّل فهو :

شَتَّان ما يومى على كُورها ويومُ حَيَّانَ أخى جابرِ

وهو من قصيدةٍ للأعشى ميمون ، قد شرحنا بعضَ أبياتها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائتين (٢) .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : حيَّان وجابر ابنا عُميرة من بنى حنيفة (٣) ، وكان حيَّانُ نديماً للأعشى . يقول : يومى على كُور هذه الناقة ، بالضم ، وهو الرحل ، ويومى مع حيَّان أخى جابر ، مختلفان لا يستويان ؛ لأنَّ أحدهما يومُ سفر وتعب ؛ والثانى يوم لهو وطرب . روِىَ أنَّ حيانَ كان سيِّداً أفضلَ من أخيه جابر ، فلما أضافه إلى جابر غضب وقال : عرَّفتَنى بأخى وجعلته أشهرَ منِّى ، والله لا نادمتُك أبدا ! فقال له الأعشى : اضطرتنى القافية ! فلم يعذِره . انتهى .

وقد غلط الأندلسى (فى شرح المفصل) فقال : الأخ يقال له جابر ،

---

(١) فى النسختين : « بغداد » ، والوجه ما أثبت من معجم البلدان .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٩٧ .

(٣) فى الاقتضاب ٣٨٨ : « حيان وجابر : رجلان من بنى حنيفة » .

يقول : كناً نشرب مع جابر . وهذا غلطٌ ظاهر ، يلزم منه أنْ يكون حيّان وجابر مبيِّنين للأخ . وهذا محال .

وقال الخوارزمى : يقول : كنا نشرب ونتنعّم مع جابر ، وكان فيما يقال ملكا يختص بأبى حيّان [١] ، لأنّه نديمه .

هذا كلامه ؛ ونقله بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصل) . وهذا غير صحيح أيضاً ؛ لأنَّه يصف حَيَّانَ ويذكر عيشه معه [٢] ؛ ولم يكن يشرب مع جابر ، وإنّما [٣] كان نديمه حيان .

وقد وقع فى شعر حَسّان نظيرُ ما وقع للأعشى من تعريف المشهور بالخامل ؛ قال فى رثاءِ جعفر أخى على بن أبى طالب رضى الله عنهما :

ومازالَ فى الإسلام من آل هاشم دعائمُ عزٍّ لا تُرام ومَفخرُ [٤]
بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمِّه علىٌّ ، ومنهم أحمدُ المتخيَّرُ

٥٧ البهاليل : جمعُ بهلول بالضم ، وهو السَّيِّد الوضئ الوجه ، الطويل القامة . والمتخيَّر : المنْتخب . وقوله : « منهم أحمد المتخيَّر » قدْ عابَهُ بعضُ الناس لما أضاف أحمد المتخيَّر إليهم ، وليس هذا بعَيْب ، لأنَّها ليست بإضافة تعريف ، وإنما هذا تعريفٌ لهم حيث كان منهم . وإنما ظهر العيبُ فى قول أبى نوَاس من قصيدة مدح بها العباسَ بن عبيد الله [٥] بن أبى جعفر المنصور :

---

(١) ش : « يحسن بأبى حيان » ، تحريف . على أن كلمة « بأبى » مقحمة ، فإن الرجل حيان لا أبو حيان .

(٢) ط : « عيلته معه » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) ش : « إنما » بدون واو .

(٤) ديوان حسان ١٨٠ .

(٥) فى النسختين : « بن عبيد » ، وأثبت ما فى ديوان أبى نواس ٦٦ . وفى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٥٣ : « العباس بن عبد الله بن جعفر بن جعفر بن المنصور » .

كيف لا يُدنيك مِن أملٍ مَن رسولُ الله مِن نفرِه

لأنَّه ذكر واحداً وأضاف إليه ، فصار بمنزلة ما عيب على الأعشى .

قال السهيلى (فى الروض الأنف) : وجدت فى رسالةٍ لمهلهل بن يموت ابن المزرِّع قال : قال علىُّ بن الأصغر ، وكان من رُواة أبى نواس ، قال : لمَّا عمل أبو نواس :

أيُّها المنتابُ عن عُفُره لستَ من ليلى ولا سَمَره

أنشَدَنيها ، فلما بلغ قوله « مَنْ رسولُ الله من نفره » وقع لى أنّه كلامٌ مستهجَن ، فى غير موضعه ، إذ كان حقُّ رسولِ الله ﷺ أن يضاف إليه ولا يضافَ إلى أحد . فقلت له : أعرفت عيب هذ البيت ؟ فقال : ما يعيبه إلَّا جاهلٌ بكلام العرب ، إنما أردت أنَّ رسول الله ﷺ من القبيل الذى هذا الممدوح منه ، أمَا سمعتَ قول حسان بن ثابت شاعر الإسلام : « ومنهم أحمد المتخير » ؟! وأنشد البيتين .

ورأيت هذه الحكاية فى آخر ديوان أبى نواس ، فى الباب الخامسَ عشر ، أوردها حمزة بن الحسَن الأصفهانى فيما دوَّنه من شعر أبى نواس .

وأما الثانى فهو :

شتّانَ هذا والعناقُ والنّومْ والمشربُ الباردُ فى ظل الدَّوْمْ

وهو للقيط بن زُرارة بن عُدُس بن تميم ، ويكنى أبا دَخْتَنُوس ، وهى بنته ، وأبا نهشلٍ أيضاً . وأخوه حاجب بن زرارة صاحبُ القوس التى يقال لها

قَوس حاجب . أنشده المبرد فى المقتضب [1] ، وأنشده :

* والمشرب الدائم فى الظِّلِّ الدَّوْمْ *

جعل المبرد المصدر فى هذا الموضع موضع الوصف ، أى الدائم . وأنشد غيرُه : « فى ظلِّ الدَّوم » على الإضافة . والدَّوم : شجر المُقْل . وهذه رواية أبى عبيدة . قال الأصمعى : قد أحال ابن الحائك ، لأنه ليس بنجدٍ [2] دومٌ ، وإنما الرواية : « فى الظل الدوم » ، أى الدائم .

قال الخوارزمى : مَن أنكر على من روى « ظلِّ الدوم » قال : أىُّ ظلٍّ يكون للدوم ، وهو شجر المقْل . ولا يخفى أنَّ المنكر هو الأصمعىّ ، وإنما أنكره لأن الدوم ليس مما ينبت فى بلاد الشاعر ، لا لما ذكره ، وأما شجر المُقْل فله ظِلٌّ قطعا .

وقوله : شتانَ هذا ، إسم الإشارة راجعٌ إلى الأمر الذى استصعبه الشاعر من الحال . والعناق : المعانقة . والمعنى افترق هذا ، أى ما أنا فيه من التعب ، والمعانقةُ والنومُ والراحةُ والماءُ العذب فى ظلِّ هذا الشجر ، أو فى الظل الدائم . وقبله :

يا قوم قد حَرَّقتمونى باللَّوْمْ ولم أقاتلْ عامراً قبلَ اليوْمْ

وقد أرخَيْنَا هنا عنان القلم فجرى فى مَيدان الطُّروس ، فأتى بما يُبهج النفوس . وقد بقيت أشياء تركناها خشية السآمة ، واتِّقاء الملامة ، كالكلام
٥٨ على تثنية العلَم فى اليزيدين ، فإنّ ابنَ جنى قد حقَّق ما يتعلق به (فى سِرِّ الصناعة) . وإن ظهر لنا موضعٌ يناسبه أوردناه فيه إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) المقتضب ٤ : ٣٠٥ .
(٢) لأنه ليس ، ساقطتان من ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٤٦٥ (قالت له رِيحُ الصَّبا : قَرْقارِ)

على أن الأكثرين قالوا : لم يأت اسمُ فعل من الرباعى إلَّا كلمتان ، إحداهما قرقار .

قال سيبويه : وأما ما جاء معدولاً عن حده من بنات الأربعة فقوله :

* قالت له ريح الصبا : قَرقارِ *

فإنما يريد بذلك قالت له : قَرقِرْ بالرَّعد يا سحاب . وكذلك عَرعارِ وهى بمنزلة قرقار ، وهى لُعبة ، وإنما هى من عَرعرتُ . ونظيرها من الثلاثة : خَراج ، أى اخرجوا ؛ وهى لُعبة أيضا . انتهى .

قال الأعلم : قرقار : اسمٌ لقولك قرقر ، كما أن نزال اسم لقولك انزلْ . وحقُّ هذا المعدول أن يكون فى باب الثلاثى خاصَّة ، فهو على طريق الشذوذ والخروج عن النظائر . وصَف سَحاباً هبت له ريح الصبا فألقحَتْه ، وهيَّجت رعدهُ ، فكأنه قالت له : قرقِرْ بالرعد ، أى صوِّت . والقرقرة : صوت الفحل من الإبل . وقد خولف سيبويه فى حمل قرقار وعرعار على العدل ، لخروجهما عن الثلاثى الذى هو الباب المطَّرد ، وجُعلا حكايةً للصوت المردَّد ، دون أن يكونا معدولين عن شئ . انتهى .

---

(١) فى كتابه ٢ : ٤٠ . وانظر ابن يعيش ٤ : ٥١ والأشمونى واللسان (قرر ٣٩٩) .

أقول : المخالف هو المبرد ، قال : غلط سيبويه ، ولم يأت فى الأربعة معدول ، إنَّما أتى فى الثلاثى وحده . وقرقار وعرعار حكاية صوت نحو غاق غاق . قال السيرافى : والقول ما ذهب إليه سيبويه ، لأن حكاية الصَّوت لا يخالف فيها أوّلٌ ثانيا ، نحو : غاقْ غاقْ . وقد يصرِّفون الفعل من صوت المكرر ، نحو قرقرت من قارْ قار ، وعرعرت من عار عار ، يصيرون به إلى وزن الفعل . فلمَّا خالف اللفظ الأوُل الثانىَ علمنا أنه محمول على قرقر وعرعر ، لا على حكاية قار قار وعار عار . انتهى .

وقال أبو حيان (فى شرح التسهيل) بعد ما ذكر أنَّ المبرد غلَّطه : ومما يقوِّى ما ذهب إليه سيبويه وجودُ مثل قرقار اسم فعل فى غير الأمر ، وحكى ابن كيسان أنَّه يقال هَمْهَامِ ، وحَمحامِ ، وهَجهاج ، وبحباحِ ، أى لم يبق شئ . وأنشد :

ما كان إلَّا كاصطفاف الأقدامْ
حتَّى أتيناهم فقالوا هَمْهَامْ

انتهى .

ولم يذكر صاحب الصحاح إلا همهام عن اللِّحيانى ، قال : سمعت أعرابيًّا من بنى عامر يقول : إذا قيل لنا : أبقىَ عندكم شئ ؟ نَقول : همهام ، أى لم يبقَ شئ . وأنشد هذا الشعر .

وزاد الصاغانىّ (فى العباب) على هذه الألفاظ : دعداع ، وقال : قرقار بنى على الكسر وهو معدول ، والعدل فى الرباعى عزيز ، كعرعار وهمهام وهجهاج وبحباح ودعداع . قال أبو النجم يصف سحابا :

(حتى إذا كان على مُطَارِ يُمناه ، واليسرى على الثرثارِ
قالت له ريح الصَّبا : قَرقارِ تَمرِى خلايا هزِمٍ نَثَّارِ
بينَ مشاييعَ له دُرَّارِ فشَقَّ أنهاراً إلى أنهار) ٥٩

ومُطار بنجد ، والثرثار ببلاد الجزيرة . وقوله : قرقار ، أى قرقِرْ بالرعد وصُبَّ ماءك وهات ما عندك . ومعناهُ ضربتْه ريح الصبا فدَرَّ لها ، فكأنها قالت له : صبَّ ماءك . انتهى .

ولم يورد هو من هذه الألفاظ فى كتابه إلّا بحباح بموحدتين ومهملتين ، قال : قيل لبعض بنى عامر ، أبقِىَ عندكم شئ ؟ فقال : بَحباحِ ! مبنيا على الكسر ، أى لم يبق شئ . هذا كلامه ، فكان ينبغى له أن لا يذكُرَ هذه الألفاظ مع قرقارِ ، لئلاّ يتوهم أنّها اسم فعِلِ أمرٍ معدول .

ولم يورد الجوهرىُّ ما أوردَهُ مع أنّه أصله ، وإنما قال : وقولهم قرقار بنى على الكسر ، وهو معدول ، ولم يُسمع العدل من الرباعىّ إلا فى عرعار وقرقار . فللّه درُّه ما أحسن صنيعه !

وقال الأصمعىّ (فى كتاب الإبل) : قالوا قَرقار وقِرقار بفتح القاف وكسرها ، وقرقر . وأنشد البيت .

وأورده صاحب (الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿ أَلستُ بربِّكُمْ قالوا بَلىَ ، [1] ﴾ على أنه من باب التمثيل والتخييل كما فى البيت .

(١) الآية ١٧٢ من الأعراف .

وقوله : « حتى إذا كان على مُطار » قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : مُطار بضم الميم : وادٍ قربَ الطائف . وأنشد هذه الأبيات . وقال : والثرثار بالجزيرة : ماءٌ معروف ، وقيل هو قريب من تِكريت . ولم تختلف الرواة فى هذا الوادى أنّه مُطار بضم الميم . فأمّا مَطار بفتحها فموضع فى ديار بنى تميم ، مؤنّثٌ لا ينصرف .

وقال فى الثاء المثلثة : الثرثار : ماء معروف قِبَل تِكريت . وقال الهَمدانى : هو نهرٌ يصبُّ من الهِرماس إلى دجلة . وقال أبو حنيفة : هو بالجزيرة .

واسم كان [١] يمناه ، والضمير للسحاب . و « على مطار » ، يريد أنّه سحاب عَظيم طرفُه الأيمنُ على مُطار ، وطرفه الأيسر على الثرثار . وجملة قالت له إلخ جواب إذا .

وتمرى : مضارع مريت الناقة مَرْيا ، إذا مسحتَ ضرعَها لتدرَّ . وفاعله ضمير الريح . والخلايا : جمع خلية بالخاء المعجمة : الناقة تُعطَف مع أخرى على ولدٍ واحدٍ فتدرّان عليه ، ويتخلّى أهل البيت بواحدةٍ يحلُبونها . وهَزِم بفتح الهاء وكسر الزاى المعجمة ، يقال غيثٌ هزِم أى متبعّق لا يستمسك . ونثّار : مبالغة ناثر . وبينَ ظَرفٌ للنثّار .

والمشاييع : جمع مشياع ، وهو الذى يُشيع السر [٢] ، استعير للسحاب الساكب . ودُرَّار صفة لمشاييع ، وهو بضم الدال جمع دَارّ . يقال ناقة دارٌّ بدون هاء ، ونوق دُرَّار مثل : كافر وكفّار ، أى كثيرة الدَّرِّ ، وهو اللبن .

---

(١) ط : « واسم واد كان » وكلمة « واد » مقحمة

(٢) ط : « يذيع السر » ، وأثبت ما فى ش .

وقوله : « فشقّ أنهاراً » إلخ أى فشق ماءُ ذلك السحاب الأرضَ فصيَّر فيها أنهاراً جارية إلى أنهار .

وأنشد الجوهرى البيت الشاهد من هذا الرجز مع بيتٍ آخر منه ، وهو :

* واختلط المعروفُ بالإنكارِ *

وهذا هو المشهور فى كتب النحو . يريد : قالت الريح للسحاب قَرقِر بالرَّعد . ولما كان إنشاء السحاب بسبب الرِّيح صار كأن الرَّيح قالت له قرقر بالرعد . والقرقرة : صوت فحل الإبل . والقرقرة : الهدير . وبعيرٌ قرقارُ الهدير ، إذا كان صافىَ الصوت فى هديره .

وقوله : « واختلط المعروف » أى مِن صوت الرعد بالمنكَر منه . وقيل أراد أنَّ السحاب أصاب كلّ مكان مما يُعرَف ويُنكر ، أى عمَّ الأراضىَ كلها ، أو ممَّا كان معروفا بأن يمطِر وما كان منكراً إمطاره . قال ابن الأعرابى (فى نوادره) : مُطرت مطراً شديدا فأنكرتَ ما تَعرِفُ مِنْ (١) آثار الديار ٦٠
ومعالمها . وقيل المعروف : المطر ؛ والإنكار : البرق ، والسَّيْل (٢) والصاعقة . شبَّه الريح بالآمِر ، والسحابَ بالمأمور ، وقرقار بالمأمور بهِ ، لأن الريح هى التى تنشئُ السحابَ وتسوقه ، ولهذا جُعلت كأنها قائلة له . كلُّ ذلك على سبيل التمثيل .

وترجمة أبى النجم العجلى ، وهو راجز إسلامىّ ، قد تقدمت فى الشاهد السابع (٣) من أوائل الكتاب .

* * *

(١) فى النسختين : « من تعرف » .
(٢) ش : « والسبل » بالباء الموحدة ، وهو المطر .
(٣) الخزانة ١ : ١٠٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الأربعمائة [١] :

٤٦٦ (يَدعو وليدُهُمُ بها عَرعارِ)

لما تقدم قبله . وهذا عجزٌ وصدره :

(متكنِّفِى جَنْبَى عُكاظَ كِليهما)

يعنى يقيمون فى كَنَفَىْ جنبى عكاظ . والكنف : الناحية . وهو جمع مذكر سالم حذفت نونه للإضافة ، والإضافة لفظية . و (عكاظ) : سوقٌ قريبة من مكة ، كانت فى الجاهلية تقام ، وقد شرحناها فيما مضى [٢] ، وهى غير مصروفة للعلمية والتأنيث . و (كليهما) تأكيد لقوله جَنبىْ . و(الوليد) : الصبىّ . وضمير بها لعكاظ . (عرعار) : لعبة للصِّبيان ، إذا خرج الصبىُّ من بيته ولم يجد أحدا يلاعبه رفع صوته فقال : عرعار ، أى هلمُّوا إلى العرعرة ، فإذا سمِعوا صوته خرجوا ولعبوا معه تلك اللُّعبة . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : سمعتُ عرعار الصبِّيان ، إذا سمعتَ اختلاط أصواتهم . وقال (فى الصحاح) : العرعرة : لُعبة للصبيان . وعرعار بنى علَى الكسر ، وهو معدول عَن عرعرة [٣] . والصحيح كما قال الأعلم عَرعار معدولة عن قولهم عَرعِر ، أى اجتمِعوا للعب ، كما أنَّ خَراج اسمُ لعبةٍ لهم : معدول عن قولهم : اخرجْ .

ومعنى البيت أنهم آمنونَ فى إقامتهم هناك لِعزِّهم [٤] وكثرتهم ،

---

(١) ابن يعيش ٤ : ٥٢ والأشمونى ٣ : ١٦٠ وديوان النابغة ٣٥ بشرح البطليوسى .

(٢) انظر ٤ : ٤٧٢ - ٤٧٤ .

(٣) ط : « من عرعرة » ، وأثبت ما فى ش والصحاح . وبعده فى الصحاح : « مثل قرقار من قرقرة » .

(٤) ش : « بعزتهم » .

وصبيانُهم يلعبون بهذه اللعبة لبطَرهم ورفاهيتهم . ونحوه قول حسان :

* أولاد جفنة حول قبر أبيهم (١) *

أى لا يرحلون عنه لعزّهم وغناهم ، بخلاف غيرهم ، لا بدَّ له من الرِّحلة للانتجاع .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ تسعة للنابغة الذبيانى ، حذَّر بها عَمرَو بنَ المنذر ابن ماءِ السماء ملكَ الحيرة من أعدائه ، وهم قوم النابغة . أخبره بأنهم نزلوا بعكاظ وهم كثيرون ، ينتظرون وقوع الربيع فيرعَوْنه ويحاربونه . وأوّلها (٢) :

أبيات الشاهد

(من مبلغٌ عمرو بنَ هندٍ آيةً
ومِن النصيحة كثرة الإنذارِ
لا أعرفنَّك عارضاً لرماحنا
فى جُفِّ تَغلبَ وارِدَ الأمرارِ (٣))

الجُفُّ بضم الجيم : العدد الكثير ، والجماعة من الناس ، ومنه قيل لبكر وتميم : الجُفّانِ ؛ لكثرتهما . وتغلب : أبو قبيلة عظيمة ، وهو تغلب بن وائل . والأمرار بفتح الهمزة قال صاحب الصحاح : هى مياهٌ فى البادية مُرّة . وأنشد هذا البيت .

(ومعلّقون على الجياد حَليَّها حَتَّى تَصُوبَ سَماؤهم بِقِطارِ)

---

(١) عجزه كما فى الديوان ٣٠٩ .

* قبر ابن مارية الكريم المفضل *

(٢) الأبيات فى ديوانه صنعة ابن السكيت ١٢٨ – ١٢٩ وليس فيها البيت الشاهد .

الحَلِىّ ، بفتح المهملة وكسر اللام : ما تعَتِلفه الخيل إذا يبس ؛ وإذا كان رطَبا أخضر فهو نَصِىّ . وقِطار ، بالكسر : جمع قَطْر . إلى أن قال :

(فيهم بناتُ العسجدىِّ ولاحقٍ
وُرْقٌ مراكلُها من المِضمارِ)

عسجد ولاحق : فحلان من خيل غنِىِّ بن أعصُر . والمَرْكَل
٦١ كجعفر : موضعُ عَقِب الفارس . يقول : تضمرُ خيلُهم بالركوب ، فتقرع أعقابهم مواضعَ المراكل فيتحاتُّ شعرها ثم ينبت بعد ذلك شعر أسود . ولهذا قال : وُرق ، لأنه إذا نبت خرج يضرب إلى الغبرة ، وهى الوُرقة .

(تُشلَى توابعها إلى ألّافها
خَببَ السِّباع الوُلَّهِ الأبكار
مُتكنِّفِى جنبىْ عكَاظَ كليهما
.... البيت)

الإشلاء : الدعاء ؛ أشليته : دعوته . يعنى يدعَى توابُع من أولادها ومن خيلِ أخرى إلى ما ألفته . والوُلَّهُ : التى قد ولهت إلى أولادها . والأبكار : التى وضَعت بطنا ، وتكون التى لم تلد قَطُّ . وقوله : متكنِّفِى حال من أصحاب هذه الخيل . والإضافة لفظية ، ولهذا صحَّت الحال .

ولما بلغت هذه الأبياتُ عمرو بن هند قال :

أبلغ زياداً أنّ قومك حاربوا
فانهضْ ألينا أن قدَرتَ بجارِ [1]

---

(١) ش : « بحار » ، صوابه فى ط وديوان النابغة صنعة ابن السكيت .

نَجزيكَ إنذاراً بما أنذرتنا
وذكرت عطفَ الوُدِّ والأصهارِ

وزيادٌ : اسم النابغة . وله قصيدةٌ على هذا الوزن والروىّ مطلعها (١) :

نُبِّئْتُ زُرعةَ والسَّفاهةُ كاسمها
يُهدِى إلىَّ غرائبَ الأشعارِ

وزُرعة هو ابن عمرو بن خويلد أخى يزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابى ، كان هجَّاء للنابغة ، فلمَّا بلغ هجاؤه النابغة قال هذه القصيدة يتوعَّده بالهجاء ومحاربته إياه مع قومه ، ثم وصف قومه وأحلافهم إلى أن قال :

جمعٌ يظلُّ به الفَضاء معضِّلاً
يَذَرُ الإكامَ كأنَّهنَّ صحارِى

معضِّل اسم فاعل ، يعنى غاصًّا ضيِّقا . يقال قد عضَّلت المرأة بولدها تعضيلاً ، إذا تعسَّر عليها فنشِبَ ولم يخرُج .

وليس فى هذه القصيدة البيتُ الشاهد (٢) .

وزعم ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) وتبعه جماعة ، أنه منها . وأورد معه قولَه :

* جَمعٌ يظلُّ به الفضاء معضِّلا *

البيت مع أبيات أخر ، وقال : مدح بهذه القصيدة بنى غاضرة من بنى أسد .

---

(١) القصيدة فى ديوانه ٣٤ بشرح البطليوسى .

(٢) الحق أن البيت الشاهد فيها فى ص ٣٥ كما سبقت الإشارة .

وليس الأمر كذلك كما بيَّنّا .

وسيأتى شرحُ بعض هذه القصيدة بعد شاهدٍ واحد إن شاء الله تعالى . وترجمة النابغة الذبيانى قد تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة [(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(٢)] :

٤٦٧ (ولأنتَ أشجعُ من أُسامةَ إذْ
دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ فى الذُّعْرِ)

على أنَّ عبد القاهر استدلّ على تأنيث فَعَالِ الأمرىِّ بما هنا ، فإنّ نزال نائب فاعل دُعِيتْ ، ولولا أنها مؤنثة ما ألحق علامة التأنيث للفعل المسند إليها .

وفيه ما أورده الشارح المحقق . وعبد القاهر مسبوق بما قاله .

قال سيبويه ، فى باب ما جاءَ معدولاً عن حدِّه من المؤنث : ويقال نزال أى انزلْ . وأنشد البيت ثم قال : فالحدُّ فى جميع هذا : افعلْ ، ولكنه معدول عن حدّه ، وحرِّك آخره لأنه لا يكون بعد الألف حرف ساكن ، وحرِّك بالكسر لأنَّ الكسر مما يؤنَّث به . وإنما الكسرة من الياء . انتهى .

وقال ابن السراج (فى الأصول) : اعلم أنه لا يبنى على مثال فَعال من

---

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٧ . وانظر المقتضب ٣ : ٣٧٠ والجمل ٢٣٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١١١ والإنصاف ٥٣٥ وابن يعيش ٤/٢٦ ، ٥٠ ، ٥٢ وشرح شواهد الشافية ٣٣٠ وديوان زهير ٨٩ .

هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفة معدول عن جهته ، وإنَّما بنى على الكسر لأن الكسر مما يؤنث به ، تقول للمرأة : أنتِ فعلتِ وإنكِ فاعلة . ٦٢
وكان أصل هذا إذا أردت به الأمْرَ السكونَ ، فحرَّكته لالتقاء الساكنين ، فجعلت الحركة الكسرة للتأنيث ، وذلك قولك : نزالِ وتراكِ ، ومعناه انزلْ واترك ، فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة . قال الشاعر تصديقاً لذلك :

.... إذا دعيت نزال ولُجّ فى الذعر

فقال : دعِيَتْ ، لما ذكرت لك من التأنيث . انتهى .

وهكذا قال خَدَمة كتاب سيبويه (١) . وشراح شواهد الجمَل وغيرهم .

قال الأعلم : الشاهد فى قولِه : نزال ، وهو اسم لقوله انزل ، ودلَّ على أنه اسمٌ مؤنث دخولُ التاء فى فعله ، وهو دعيَتْ . وإنما أخبر عنها على طريق الحكاية ، وإلّا فالفعلُ ، وما كان اسماً له ، لا ينبغى أن يُخبر عنه . انتهى .

ومثله فى كون نزال أريد به لفظه فجعل نائبَ فاعل ، قولُ زيد الخيل الصحابىّ :

وقد عَلمتْ سَلامَةُ أنَّ سيفى
كريهٌ كُلَّما دُعِيَتْ نزالِ

وقد وقع مفعولاً به فى قول ربيعة بن مقروم :

فدعَوا نزالِ فكنتُ أوّلَ نازِلٍ
وعَلامَ أركبُه إذا لم أُنزِلِ

(١) ط : « كلام سيبويه » ، صوابه فى ش .

ومعنى دعاء الأبطال بعضهم بعضاً بهذه الكلمة : أن الحرب إذا اشتدَّتْ بهم وتزاحموا فلم يمكنهم التطاعُن بالرماح ، تداعَوْا بالنزول عن الخيل ، والتَّضارُبِ بالسيوف .

ومعنى (لُجّ فى الذعر) : تَتَابَعَ [1] الناسُ فى الفَزع ، وهو من اللَّجاج فى الشئ ، وهو التمادى فيه .

وقد تقدم شرح النزال مفصلا فى الشاهد الأربعين بعد الثلثمائة [2] .

والشارح المحقِّق قد تبع صاحبَ الصحاح فى روايته البيت كذا فى مادة (أسم) ، وهو مركب من بيتين ، فإن البيت الذى فيه دُعيت نزالِ ، صاحب الشاهد وهو لزهير بن أبى سلمى ، صدره كذا :

ولنعم حَشْوُ الدِّرع أنتَ إذا
دُعيتْ نزالِ ولُجَّ فى الذُّعرِ

وقوله :

* ولأَنت أشجع من أسامة إذ *

إنما هو صدرٌ من بيت للمسيَّب بن علس ، وعجزه :

(نَقَعَ الصُّراخُ ولُجَّ فى الذعرِ [3])

وهذا ليس فيه دعيت نزال .

والبيت الشاهد كما ذكرناه هو رواية سيبويه وسائر النحويين . وبيت

(١) كذا فى النسختين ، ولعلها « تتابع » بالياء .

(٢) صوابه الحادى والأربعين بعد الثلثمائة . انظر الخزانة ٥ : ٤٩ .

(٣) فى النسختين « يقع » ، صوابه بالنون كما فى الديوان ٨٩ والبيان ١ : ١٨٩ . ونقع الصراخ : ارتفع . قال لبيد (ديوانه ١٩١) :

فمتى ينقع صراخ صادق   يحلبوها ذات جرس وزجل

المسيَّب بن علس على ما رتبناه هو رواية الجاحظ (فى كتاب البيانِ والتبيين) . وقد رأيت البيتين فى ديوانيهما كذلك . أما بيت زهير فهو من قصيدةٍ مدح بها هَرِمَ بنَ سنانٍ المُرِّىَّ . وهذه أبياتٌ بعد ثلاثة أبيات من أولها :

أبيات الشاهد

دَعْ ذا وعَدِّ القولَ فى هَرِمٍ
خيرِ البُداة وسيِّد الحَضَرِ
تاللهِ قد علمتْ سَراةُ بنى
ذُبيانَ عامَ الحبس والأصرِ (١)
أنْ نِعْمَ مُعتركُ الجياع إذا
خَبَّ السفيرُ وسابئُ الخمرِ
ولنعم حَشْوُ الدِّرع أنت إذا
دُعِيتْ نَزَالِ ولُجَّ فى الذُّعرِ
ولنعم مأوَى القومِ قد علموا
إن عضَّهم جُلٌّ من الأمْرِ
ولنعم كافى مَن كفيتَ ، ومن
تَحمِلْ له تحمِلْ عَلَى ظَهرِ (٢)
حامى الذِّمار على مُحافَظة الـ ٦٣
ـجُلَّى أمينُ مغيَّبِ الصَّدرِ
حَدِبٌ على المولى الضَّريكِ إذا
نابت عليه نوائبُ الدّهرِ

(١) فى الديوان ٨٨ : « تالله ذا قسما لقد علمت » .

(٢) فى الديوان : « يُحمل على ظهر » .

عظُمت دسيعتهْ وفضَّله
جزُّ النواصى من بنى بدرِ
أيّامَ ذُبيانٌ مراغَمــة
فى حَربِها ودماؤها تجرى (١)
ومُرهَّقُ النِّيرانِ يُطعِم فى الـ
ـلَّأْواءِ غير مُلعَّن القِدرِ (٢)
ويَقِيك ما وُقِىَ الأكارمُ من
حُوبٍ تُسَبُّ به ومن غَدرِ
وإذا برزتَ به برزْتَ إلى
ضافى الخليقة طيِّبِ الخُبْرِ (٣)
متصرِّف للمجد معترِفٍ
للنائباتِ يَراحُ للذِّكرِ (٤)
جَلْدٍ يحثُّ على الجميع إذا
كرِهَ الظُّنونُ جوامعَ الأمرِ
ولأنت تَفرِى ما خلقْت وبعـ
ـضُ القوم يَخلقُ ثم لا يفرى
ولَأَنت أشجع حين تَّتجه الـ
أَبطالُ من ليثٍ أبى أجرِ

(١) ط : « ودمائها » ، ش : « ودماءها » ، والوجه ما أثبت كما فى حواشى ديوان زهير .
(٢) فى الديوان : « يحمد فى اللأواء » .
(٣) رواية ثعلب « صافى الخليقة » بالصاد المهملة .
(٤) رواية الأعلم : « متصرف للحمد » .

يَصطاد أُحدانَ الرِّجال فما
تنفكُّ أجريهِ على ذُخرِ
والسِّتْرُ دون الفاحشات وما
يَلقاك دون الخير من سِتر
أُثنِى عليكَ بما علمتُ وما
أسْلَفتَ فى النَّجدات والذِّكرِ (١)

قوله : « وعدِّ القولَ فى هَرِم » هو بفتح الهاءِ وكسر الراءِ ، أحد الأجواد فى الجاهلية من بنى مُرّة . أى دَعْ ما أنت فيه من وصف الديار ، وعَدِّ القولَ ، أى اصرِفْه ، إلى مدح هرم . والبُدَاة : جمع باد . والحَضْر : جمع حاضر ، كصحب جمع صاحب .

وقوله : « تالله قد علمت » إلخ السَّراة : جمع سرِيٍّ (٢) ، وهو الكريم . والحَبْس والأَصر ، بفتح الهمزة واحد ، وهو أن يُحدِق العدوُّ بالقوم فيحبسوا أموالَهم ولا يُخرجوها إلى الرعى ، خشيةَ أن يُغَار عليها . والأَصْر : الضيق أيضاً وسوء الحال .

وقوله : « أن نِعم مُعتَرك » إلخ ، أَنْ بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة مؤوَّلة مع مدخولها بمصدر ، سادة مسد مفعولى علمتْ . ومعترك فاعل نعم ، والمخصوص محذوف ، وهو اسم مكان ، أى نعم موضع ازدحام الفقراء أنت . وأصله فى الحرب ، فاستعاره هنا . وخَبَّ السَّفير ، أى أسرعَ وطار مع الريح . والسَّفير : ما جفَّ من الورق وسقَط ، وذلك فى شدة البرد وقحط الزمان .

(١) ط : « سلفت » ، صوابه فى ش والديوان .

(٢) الحق أنه اسم جمع لا جمع ، وإلا فقياسه سراة بالضم ، وأسرياء وسُرَواء .

وسابئُ : معطوفٌ على معترك ، وهو مهموز الآخِر ، اسم فاعل من سبأ الخمر ، إذا اشتراها ، وإنما وصفَه بسباء الخمر فى شدَّة الزمان ، ليدلَّ على تناهى جُودِهِ ، فلا تمنعه شدَّة الزمان من إنفاق ماله .

وقوله : « ولنعم حشو الدرع » إلخ جعل لابسَ الدرع حشواً لها لاشتمالها عليه ، كما يشتمل الإناء على ما فيه . وهو العامل فى إذا ، لأنه بمعنى لابس ، وقيل متعلِّق بنعمَ لما فيه من معنى الثناء كما فيما قبله . والجُلُّ ، بالضم : الحادث العظيم كالجُلَّى . وقوله : « على ظهرٍ » أى ظهر حَمُولٍ قوىّ .

والذِّمار : ما يجب عليه أن يحميَه . والجُلَّى : النائبة الجليلة ، وقيل هنا بمعنى جماعة العشيرة . وقوله : « أمين مغيَّب الصدر » ، أى لا يضمر إلا الجميل ، ولا ينطوى إلا على الوفاء والخير وحفظ السِّرّ ، فهو مأمونٌ على ما غاب فى صدره .

٦٤ والحدِب : المشفق . والمولى : ابن العم . والضَّريك : الفقير والمحتاج . والدسيعة : العطية الجزيلة . وجزُّ الناصية تكون فى الأسير ، إذا أُنعِمَ عليه وأُطلق جُزَّت ناصيته وأُخذت للافتخار . وراَغَمهُم : نابذَهم وهجرَهم وعاداهم .

وقوله : « ومرهَّق النيران » أى تُغشَى نارُه ؛ يقال رهِقت الرجلَ ، إذا غَشِيته وأحطت به ؛ والمشدد للتكثير . يصف أنه يُوقد النارَ بالليل للطبخ وإطعام الناس ، وليَعْشُوَ إليها الضيف والغريب . وكثرة النيران ، للإخبار عن سعَة معروفِه . واللأواء : شدة الزمان والقحط . وقوله : « غير ملَعَّن القدر » أى لا يؤكل ما فيها دون الضيف والجار واليتيم والمسكين ، فهو محمود القِدر لا مذمومها . وأوقع اللعن على القدر مجازا ، وهو يريد صاحبها .

وقوله : « ويقيك ما وُقِىَ الأكارمُ » إلخ وُقِىَ بالبناء للمفعول . والحَوْب : الإثم ، أى إنّ الأكارمَ وُقُوا أن يُسَبُّوا فيقيك ذلك أنت أيضا ، أى إنّه لا يغدر ولا يُسبّ فيأتى بإثم (١) . وروى « ما وَقّى الأكارمَ » بالبناء للفاعل ونصب الأكارم .

وقوله : « وإذا برزتَ به » أى إليه ، يعنى إذا صرت إليه صرت إلى رجل واسع الخُلُق طيِّب الخبْر .

وقوله : « متصرِّف للمجد » إلخ أى يتصرَّف فى كلّ باب من الخير لاكتساب المجد . والمعترف : الصابر ، أى يصبر لما نابَهُ . وقوله : يَرَاح ، أى يَهَشّ ويخِفُّ ويَطرَب لأن يفعل فعلاً كريما يُذكَر به ويُمدح من أجله .

وقوله : « جلد يَحثُّ » إلخ أى قوىُّ العزم مجتهد فيما ينفع العشيرةَ من التآلف والاجتماع ، فهو يحث على ذلك ويدعو إليه ، إذا كره الظَّنون الاجتماعَ والتآلُفَ ، لما يلزمه عند ذلك من المشاركة والمواساة بماله ونفسه . والظَّنون : الذى لا يُوثق بما عنده ، لما عُلم من قلَّة خَيره . وجوامع الأمر : ما يجمع الناسَ فى شأنهم .

وقوله : « ولَأنت تفْرِى » إلخ هذا مثَلٌ ضربه . والخالق : الذى يَقْدِر الأديم ويهيِّئهُ لأن يقطعه ويخرزه . والفَرْى : القطع . والمعنى : إنك إذا تهيأت لأمرٍ مضيتَ له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يَقدِرُ الأمر ويتهيأ له ثم لا يعزم عليه ، عجزاً وضعفَ همّة . قال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : فرى الأديمَ : قَطَعه على جهة الإصلاح ، وأفراه : قَطعه على جهة الإفساد . وقال

(١) ط : « باسم » ، صوابه ش .

ابن السِّيد : هذا قول جمهور اللغويين ، وقد وجَدنا فرى مستعملاً فى القطع على جهة الإفساد ، قال الشاعر :

فَرَى نائباتُ الدهر بينى وبينها
وصَرفُ اللَّيالى مثل ما فُرِىَ البُردُ

وحكى أبو عبيد (فى الغريب المصنف) عن الأصمعى : أفريت : شققت وفريت بمعنىً ؛ وفريتُ إذا كنت تقطع للإصلاح . انتهى .

وقوله : « ولأنت أشْجَع » إلخ تتَّجه : يواجه بعضُهم بعضا فى الحرب . والأجرِ : جمع جرو مثلث الجيم ، وهو ولد الأسد وغيره . وإنما جَعل الليث ذا أولاد لأنَّ ذلك أجرأ له وأعدَى على ما يُريده ، لاحتياج أولاده إلى ما تتغذى به .

وقوله : « يصطاد أُحدان » إلخ جمع واحد ، والهمزة بدل من واو ، أى يصطاد الرجالَ واحداً بعد واحد ، فلا يزال عنده ما يدَّخره لما بعْد اليوم . ومثله فى وصف جِروَىْ أُسدٍ :

ما مَرّ يوم إلّا وعندهما لحمُ رجال أو يُولَغان دَما [1]

وقوله : « والسِّتْر دون الفاحشات » إلخ ، أى بينه وبين الفاحشات سِتْر من الحياءِ وتُقَى الله ، ولا سِتر بينه وبين الخير يحجُبه عنه . وحُكى أنَّ عمر بن الخطاب لمَّا سمعه قال : « ذلك رسول الله ﷺ » .

(١) نسب فى الحيوان ٧ : ١٥٤ إلى عبد الله بن قيس الرقيات . وانظر الكلام على نسبته فى ملحقات ديوان أبى زبيد ١٤٩ . والحق أنه لابن قيس الرقيات من قصيدة فى ديوانه ٢٥٣ – ٢٦٠ .

وقوله « أثنى عليك » إلخ أى بما علمتُ من أمرك وشاهدت من جُودك . وما أسْلَفتَ (١) أى ما قدمت فى الشَّدائد . والنَّجدة : الشدة والبأس . والذكر : ما يُذْكر به من الفضل (٢) .

وترجمة زهير بن أبى سلمى تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة (٣) .

وأمَّا بيت المسيَّب بن علس فهو من قصيدةٍ أيضاً مدح بها قيسَ بن معديكربَ الكندى ، تقدم شرحُ بعضها فى الشاهد الثانى بعد المائتين ، ورويت لابن أخته الأعشَى ميمون ، وهى ثابتة فى ديوانه أيضاً ، فيكون المسيَّب ابن علس خالَ الأعشى . وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد فى رواية أخرى

(وإليكَ أعْمَلْتُ المطيَّةَ مِن
سَهلِ العراق وأنتَ بالقفرِ
أنتَ الرئيسُ إذا همُ نزلوا
وتواجَهُوا كالأسدِ والنُّمْرِ
أو فارسُ اليَحموم يَتبعهمْ
كالطَّلْقِ يتبع ليلةَ البُهْرِ
ولأنت أشجعُ من أسامةَ إذ
نَقَعَ الصُّراخ ولُجَّ فى الذعرِ (٤)

(١) فى النسختين : « ما سلفت » ، والوجه ما أثبت .
(٢) ش : « والذكر به من الفضل » ، صوابه فى ط .
(٣) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .
(٤) فى النسختين : « يقع الصراخ » ، وانظر ما أسلفت من تحقيق فى ص ٣١٨ .

ولأنت أجْوَدُ بالعطاء من الـ
ـرَّيَّان لما ضُنّ بالقَطْرِ
ولأنت أحيا من مُخبَّأة
عَذراءَ تقطُنُ جانِبَ الكِسْرِ
ولأنتَ أبيَنُ حينَ تنطِقُ مِنْ
لقُمانَ لما عيَّ بالأمرِ
لو كنتَ من شيءٍ سوى بشرٍ
كنت المنوِّر ليلةَ القَدْرِ (1))

وفارس اليحموم ، هو النعمان بن المنذر ملك الحِيرة . واليحموم : اسم فرسه . والطَّلق : الليلة التى لا حرَّ فيها ولا برد . وليلة البُهْر : ليلة البدر حينَ بَهَر النُّجومَ . وفى القاموس : أسامة بالضم معرفة : علم الأسد . والأسامة لغة فيه . والصُّراخ بالضم : الصوت الشديد ، يكون للاستغاثة وغيرها .

والريَّان قال ياقوت (فى معجم البلدان) : جبل ببلاد طيىء ، لا يزال بسيل منه الماء . وضُنَّ ، بالبناء للمفعول ، أى بُخِل .

وتقطن بالقاف ، أى تسكن . والكِسْر بكسر الكاف : الشُّقَّة السفلى من الخباء .

ولقمان ، هو كما قال الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين) : هو لقمان ابن عاد الأكبر ، وكانت العرب تعظم شأنه فى النباهة والقدر ، وفى العلم وفى الحُكم ، وفى اللسان وفى الحلم . وهو غير لقمان المذكورِ فى القرآن (2) .

---

(1) كذا فى النسختين . ورواية الأعلم ٦٤ : « ليلة البدر » ، وثعلب : « كنت المنير لليلة البدر » . وانظر ديوان زهير ٩٥ .

(2) انظر عبارة الجاحظ فى البيان ١ : ١٨٤ فقد تصرف فيها البغدادى كثيرا .

وترجمة المسيب بن علس تقدمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٤٦٨ (أَنَّا اقْتَسَمنا خُطَّتينا بيننا
فحملتُ بَرَّة واحتملتَ فجارِ)

على أن (فجار) مصدر معرفة مؤنث .

قال سيبويه : وأما ما جاء اسماً للمصدر فكقول النابغة :

* فحملتُ برَّةَ واحتملتَ فجارِ *

فَجَارِ معدولة عن الفَجْرة . وقال الشاعر :

فقال : امكثى حتَّى يَسارِ لعلَّنا
نحُجَّ معاً ، قالت : أعاماً وقابِلَه

فهى معدولة عن المَيْسَرة ، فأجرى هذا الباب مجرى الذى قبله ، لأنه عُدِل كما عُدِلَ ، ولأنَّه مؤنث بمنزلته . ا هـ .

قال الأعلم : الشاهد فى فجار ، وهو اسم للفجْرة معدول عن مؤنث ،

---

(١) صوابه « الثانى بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٢٤٠ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٨ . وانظر مجالس ثعلب ٢٦٤ والجمل ٢٣٤ والخصائص ٢ : ١٩٨/٣ : ٢٦١ ، ٢٦٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٨/ ٤ : ٥٣ والعينى ١ : ٤٠٥ والهمع ١ : ٢٩ والأشمونى ١ : ١٣٧ وديوان النابغة ٣٤ .

كأنه عُدل عن الفَجْرة بعد أن سمِّى بها الفجور ، كما سمِّى البِرُّ : بَرَّة ، ولو عدلها لقال بَرارِ كما قال فجارِ . ا هـ .

٦٦ قال الشارح المحقق : « لم يقم لى إلى الآنِ دليلٌ قاطع على تعريفه ولا تأنيثه » إلى آخر ما حقَّقه ، وأجاد فيه البحث ودقَّقه .

ومثلُه لناظر الجيش (فى شرح التسهيل) قال : وما ذكره المصنِّف من أن ما كان من أسماء الأفعالِ على فَعَالِ محكومٌ بتأنيثه ، كأنه أمر مجمع عليه من النحاة . وهو أمر يؤخذ تقليداً . وقال فى باب منع الصرف أيضاً : وأما قوله وكلها معدول عن مؤنث فهو أمر كالمجمع عليه عند النحاة ، ولكن يتعين التعرُّض لبيان المعدول عنه فى كلٍّ من الأربعة المذكورة .

أما الصفة المختصة بالنداء فالظاهر أنَّ فساقِ معدولٌ عن فاسقة ؛ لقصد المبالغة فى الذم .

وأما الصِّفة الجارية مجرى الأعلام فذكروا أنها معدولة عن صفات غَلَبت فاستُعملت أسماء ، كنابغة فى قوله :

* ونابغةُ الجعدىُّ فى الرمل بيته (١) *

فنابغة نعتٌ فى الأصل إلّا أنه غلب حتى صار اسماً . قالوا : وكذلك لا يجوز أن تتبع موصوفا . ولا يخفى أنَّ الغلبة لا تكون عدلاً لأنَّ العدل عبارة عن تبديل لفظ بلفظ للدلالة على المبالغة فى ذلك المعنى الذى أفاده اللفظ المعدول عنه . ولم يتحقَّق لى وجهُ العدل فى هذه المسألة .

وأما المصدر فقالوا : هو معدول عن مصدر مؤنث معرفة ، وإن كانوا لم

(١) لمسكين الدارمى فى ديوانه ٤٩ واللسان (وضع ، نبغ) . وعجزه كما فى كتاب سيبويه ٢ : ٢٤ ، ٣ : ٢٤٤ من نسختى :

* عليه تراب من صفيح موضع *

يستعملوا فى كلامهم ذلك المصدر للمعرفة المؤنثة الذى عدل عنه . ويفهم من هذا أنه عدلٌ تقديرىٌّ لا تحقيقى .

وأمَّا الحال فقالوا : إنه عدلٌ عن مصدر مؤنث معرفة . وقد فسَّر سيبويه بدادِ ، بقوله بددا . وليس هذا بعدلٍ لأنَّه نكرة ، وإنما هى معدولة عن البِدَّة أو المبادَّة ، وهذا أيضاً عدل تقديرىّ .

وأمَّا اسمُ الفعلِ فلم يذكروا ماذا عُدل عنه ، ولم يتحقَّق لى وجهُ العدل فيه . والعجب أنهم يجعلون اسم الفعل أصلا فى العدل والتأنيث . وما برحتُ أتطلَّب بيان ما عُدل عنه نزالِ وبيانَ كونه مؤنثا ، ولم أقفْ من كلامهم على ما يوضِّح لى ذلك . والذى يظهر أنَّ القول بالعدل والتأنيث فى نزال ليس على وجه التحقيق ، بل على وجه التقدير . وقال صاحب الإفصاح : نزال عند سيبويه علمٌ على المعنى كسبحان ، ومثله حَلاَقِ وجمادِ ، فى اسم المَنّية والسَّنة المجدبة .

وقد يكون هذا العدل علماً على الشخص كحَذَام . ويرى سيبويه أنَّ هذه الأشياء بنيت حملاً على نزالِ ، ونَزَالِ بنى حملا على الفعل . اهـ .

ويظهر من كلامه أنَّ العدل فى هذه الأمور تحقيقىٌّ ؛ وإنما هو تقديرىٌّ . وأما قوله إن نزال عند سيبويه علم فلم يتضح لى كونه علماً . انتهى ما أورده ناظر الجيش باختصار .

واستدلَّ ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) للتأنيث بشيئين ضعيفين ، قال : أراد بفجار الغَدْرة . وتسمَّى الغَدْرة فجار كما تسمى المرأة حَذَام . فإنْ قلت : لِمَ جعلته للغدرة المؤنثة دون أن تجعله اسماً للغَدْر ، وما دليلك على هذه الدعوى ؟ قلنا : على ذلك دليلان : أحدهما أن فعالِ

المعدول لا يُعدَل إلا عن مؤنَّث ، ألا تراه قد قال دُعيت نزال ، وليس هذا فى بيت زهير وحدَه ، بل هو مطَّرد فى فعالِ حيثما وقعَتْ . والثانى : أنَّ النابغة سمَّى الوفاءَ بَرَّةَ ، وهو يريد البِرّ ، وكذلك سمَّى الغدر فجارِ ، وهو يريد الفجور . انتهى .

وقال اللخمى : فجارِ اسمٌ للفجور ، وهو معدول عن مؤنث كأنه عدل عن الفجرة ، وهو مصدر ، بعد أن سمى بها الفجور كما سمى البِرُّ : بَرَّة . ٦٧
هذا مذهب سيبويه ، وحكى غيره أنه معدول عن صفة غالبة ، ودليل ذلك أنه قال :

* فَحملتُ بَرَّةَ واحتملتَ فجارِ *

فجعلها نقيض بَرّة ، وبرة صفة كأنه قال : حملتُ الخصلةَ البَرَّةَ وحملتَ الخصلة الفاجرة ، كما تقول : الخصلة القبيحة والحسنة ، فهما صفتان . اهـ .

وهذا الذى حكاه هو مذهب السيرافى كما نقله الشارح عنه .

وزاد ابن جنى فى الطُّنبور نغْمة ، فزعم أن فجار معدولةٌ عن فجرة علماً بدون أل ، قال فى باب التفسير على المعنى دون اللفظ (من كتاب الخصائص) : اعلم أن هذا موضعٌ قد أتعب كثيراً من الناس واستهواهم ، ودعاهم من سوء الرأى وفساد الاعتقاد إلى ما مَذِلُوا به وتتايَعوا فيه (١) حتى إن أكثرَ ما ترى من هذه الآراء المختلفة والأقوال المستشنعة ، إنما دعا إليها القائلين بها تعلُّقهم بظواهر هذه الأماكن دون أن يبحثوا عن سرِّ معانيها ومَعاقِدِ أغراضها . فمن ذلك قول سيبويه فى بيت النابغة : إن فجارِ معدولةٌ عن الفجرة ، وإنما غرضه أنها معدولة عن فجرة علماً معرفة ، على ذا يدُلُّ هذا الموضع (٢) . ويقوِّيه وُرُودُ برَّة معه فى البيت ، وهى كما ترى عَلَم ، لكنَّه

(١) مذلوا به : أى ضجروا وقلقوا . وفى النسختين : « ما بذلوا به » ، صوابه من الخصائص ٣ : ٢٦١ . وتتايَعوا ، بالياء ، أى تساقطوا وتهافتوا ، وفى النسختين : « وتتابعوا فيه » ، وأثبت ما فى الخصائص .

(٢) فى الخصائص : « هذا الموضع من الكتاب » .

فُسِّر (١) على المعنى دون اللفظ . وسوَّغه أنه لما أراد تعريف الكلمة المعدولة عنها مَثَّل ذلك بما يُعرَّف (٢) باللام ، لأنه لفظ معتاد ، وترك لفظ فجرة لأنه لا يُعتاد ذلك علما ، وإنما يعتاد نكرة من جنسها ، نحو فجرت فجرةً ، كقولك : تجرت تجرةً . ولو عُدلت بَرَّة على هذا الحد لوجب أنْ يقال بَرَارِ كفجار . اهـ .

وقد أخذ الشاطبى هذا الكلام فزاده تنويراً (فى شرح الألفية) عند قول ناظمها :

ومثلُه بَرَّةُ للمبرَّهْ كذا فَجارِ علم للفَجْرهْ

قال : ومن عَلَم الجنس للمعنى : فجار ، وهو علم الفجور ومعدول عن فجرة علماً ، لا عن الفجرة ، فإنه من باب حَذام المعدول عن علم مثله . فقول سيبويه إن فجار معدولٌ عن الفجرة تجوُّز . كذا قال ابن جنى والمحقِّقون .

وأل فى الفجرة فى كلام الناظم لا إشكال فيها ، إذ لم يُرِد العلم كما أراد سيبويه ، وإنما مراده الجنس الذى هو مطلق الفجور . ومثل هذين المثالين فَينة فى قولهم : ما ألقاه إلَّا فَيْنَةً ، أى فى النُّدرة . قال ابن جنى : هو علم لهذا المعنى . ومنه حَمادِ للمحمدة ، ويسارِ للميسَرة . وأشار الناظم بمثالى بَرَّة وفجار إلى بيت النابغة . وفى عبارته شئٌ ، وهو أن الفجرة هى المرة الواحدة من الفجور ، ومعلوم أن فجار ليس علماً لجنس المرة الواحدة ، فإن أهل اللغة

---

(١) فى الخصائص : « لكنه فسره » .

(٢) فى النسختين : « فإنما يعرف » . وفى الخصائص : « بما تَعرَّف » .

لم ينقلوا إلاَّ أنه علم للفجور المطلق ، ولا يصحُّ أن يُريدَ أنَّ فجار اسم جنس للفجرة المعدول هو عنه ، إذ لم يقولوا ذلك ، ولا يصحُّ فى نفسه . فثبت أنَّ قوله فجار علم للفجرة ، مشكل .

والجواب أن إتيانه بالفجرة مقصودٌ له ، وذلك أن القاعدة فى فعال أنه مؤنث ومعدُولٌ عن مؤنث . وقد بين ذلك سيبويه فى أبواب ما لا ينصرف غايةَ البيان ، حتى إنه قدَّر ما لم يستعمل مؤنثا كأنه استُعمل كذلك ، ثم جُعِل فعالِ معدولاً عنه . وإذا كان كذلك فالاسم المعدول عنه وهو العلم المقدر اسم لجِنْسٍ مؤنث ، إذْ لابد من مطابقته له فى التأنيث ، ولذلك قال : ومثله برة للمبَرَّة ، ولم يقل للبِرِّ ونحوه .

٦٨ والحاصل أن الناظم نبَّهَ بمثال الفجرة على أن فعال علم لاسم الجنس المؤنث ، فإن كان مستعملاً فذاك وإلا قدِّر له اسم مؤنث . وهذه قاعدةٌ محلُّ بيانها باب ما لا ينصرف . انتهى كلامه باختصار يسير .

وهذا كلُّه لا يدفع ما أورده الشارح المحقق .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى هدَّد بها زُرعة بن عمرو الكلابى ، وكان زُرارةُ لَقِىَ النابغة بعُكاظ ، وأشار عليه أن يُشير على قومه أن يَغْدِرُوا بنى أسد (١) وينقضوا حِلفهم ، فأبى عليه النابغة وجعل خُطَّته التى التزمها من الوفاءِ بَرّة ، وخُطَّة زرعة لما دعاه إليه من الغدر ونقض الحلف فاجِرة .

وبلغ النابغةَ أن زرعة هجاه وتوعَّده فقال النابغة – وهذا أول القصيدة عند أبى عمرو الشيبانى والأصمعى :

(١) هذا ما فى ش ، وهو صحيح ، يقال غدره وغدر به ، كما فى اللسان . وفى ط : « يغدروا بنى أسد » .

(نُبِّئتُ زُرعةَ والسَّفاهَةُ كاسمِها
يُهدى إلىَّ غرائبَ الأشعارِ
فحلفْتُ يا زُرعَ بنَ عمرو إنّنى
مما يشُقُّ على العدوِّ ضِرارى
أعَلمتَ يومَ عكاظَ حين لقيتنى
تحت الغُبار فما خطَطتَ غُبارى
أنّا اقتسمنا خُطَّتينا بيننا
فحملتُ برَّةَ واحتملتَ فجارِ
فلتأتينْكَ قصائدٌ وليَدفعَنْ
ألفٌ إليك قوادمَ الأكوارِ
رَهطُ ابن كُوزٍ مُحْقِبو أدراعِهم
فيهمْ ورهطُ ربيعةَ بن حُذارِ
ولِرهطِ حَرّابٍ وقَدٍّ سُورةٌ
فى المجد ليس غرابُها بِمُطارِ
وبنو قُعينٍ لا مَحالة أنّهمْ
آتوكَ غيرَ مقلَّمى الأظفارِ
سَهِكينَ من صدأ الحديد كأنهم
تحت السَّنَوّر جِنَّةُ البقَّارِ
وبنو سُواءةَ زائروك بوفْدِهمْ
جيشٌ يقودُهُمُ أبو المِظفارِ

وبنو جَذيمة حَىٌّ صِدقٍ سادةٌ
غَلبوا على خَبتٍ إلى تِعشارِ
والقومُ غاضرةُ الذين تحمَّلوا
بلوائهم سيراً لدارِ قَرَارِ
جَمعٌ يظلُّ به الفضاءُ معضَّلا
يذر الإكامَ كأنّهنَّ صَحارِ)

وقال فى آخرها :

(حولى بنو دُودانَ لا يَعصُوننى
وبنو بغيضٍ كلُّهمْ أنصارِى)

وقوله : « نُبئت زُرعةَ » إلخ بالبناء للمفعول والتاء نائب فاعل ، وزرعة مفعول ثان ، وجملة يُهدى إلخ فى موضع المفعول الثالث . وقوله : « والسّفاهة كاسمها » اعتراض ، أى فعل السفاهة قبيح ، وإنما قال هذا لأنَّ السَّفاهة كما تنكرها القلوب والعقول ، تمجُّ الآذانُ اسْمَها . فإنْ قلت : ما اسم السفاهة حتى قال : كاسمها ؟ قلت : أراد ما سمِّىَ سفاهة . أى المسمى بهذا الاسم قبيحٌ ، كما أنَّ الاسم الذى هو السَّفَه قبيح ، إلا أنَّه لمَّا لم يجد إلى العبارة عن الذات طريقاً إلا باسمه قال : « والسفاهة كاسمها » . كذا قال الإمام المرزوقى . وقوله : « يُهدى إلىَّ غرائبَ الأشعار » إلخ يعنى أنه غير مشهور ، فالشعر من قِبَله غريب ، إذ ليس من أربابه .

وقوله : « فحَلفتُ يا زُرع » إلخ جملة إنّنى إلخ جوابُ القسم . والضِّرار

بالكسر : الدنوّ من الشئ [١] واللُّصوق به . يقول : أنا قوىٌّ عزيز فالعدوُّ يكره مجاورتى له .

٦٩ وقوله : « أعلمتَ » إلخ الاستفهام تقريرىٌّ . وروى « أنسيتَ يومَ » وخَططت بالخاء المعجمة : شققت ، يقال ما خَطّ غبارهُ ، أى لم يدنُ منه ولم يتعلّق به .

وقوله : (أنا اقتسمنا) إلخ بفتح همزة أنا [٢] لأنها مع معموليها فى تأويل مصدر سادٍّ مسدَّ مفعولى علمت ، هذه رواية أبى عمرو . وروى الأصمعى : (يوم اختلفنا خُطَّتينا) ، وابن الأعرابى : (يوم احتملنا) . يقول : بررتُ أنا وفجرتَ أنت . قال شارح الديوان : قوله فجار يعنى خُطَّة فاجرة ، خرج مَخْرج حذام ورقاشِ . والخطة بالضم : الحالة والخَصْلة . قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : وقال فى البر حملتُ وفى الفجور احتملتَ لأنَّ العرب إذا استعملت فعل وافتعلَ بزيادة التاء كان الذى لا زيادة فيه يصلح للقليل والكثير ، والذى فيه الزيادة للكثير خاصة ، نحو : قَدَر واقتدر ، وكسب واكتسبَ . فأراد أن يهجوه بكثرة غدره وإيثاره للفجور ، فذكر اللفظة التى يراد بها الكثير ليكون أبلغ فى الهجو . ولو قال : حملتَ فجار لأمكن أن لا يكون غدَرَ إلا مرَّة واحدة .

وأمّا الأفعال التى لا تستعمل إلا بالتاء فخارجة عن هذا الحكم ، لأنها تَصلُح لما قل ولما كثر ، كقولك : استويت على الشئ ، واجتويت البلد ، إذا كرهته ، واكتريتُ الدار . فهذا لا يقال فيه إنه للتكثير خاصة ، لأنه لم يستعمل غير مزيد .

---

(١) فى النسختين : « الدنو فى المشى » ، صوابه من شرح ديوان النابغة ٣٤ . وفيه : « يقال أضر الشئ بالشئ إذا دنا منه وأثر فيه . ومنه ضرير الوادى ، وهو حرفه الذى يدنو منه ويؤثر فيه » .

(٢) ط : « إذا » ، صوابه فى ش .

وقوله : « فلتأتِيَنْكَ قصائد » إلخ ، هذا شروعٌ فى تهديد زُرعة . يقول : والله لأُغِيرَنَّ عليك بقصائد الهجو ورجال الحرب . وروى بنصب ألف ورفع قوادم . يقول : لتركبَنَّ إليك نجائبُ تدفع إليك جيشاً . والكُور بالضم : الرحل ؛ وقادمته : العودان اللذان يجلس بينهما الراكب .

وقوله : « رهط ابن كوز » إلخ أى هم رهط إلخ . وابن كُوز وربيعة بن حُذار بضمٍّ الحاء المهملة وكسرها ، هما من بنى أسد . وقوله : « محقبو أدراعهم » أى يجعلونها خلفَهم فى موضع الحقائب . والحقيبة : خُرج صغيرٌ يربطه الراكب خلفه .

وقوله : « ولرهط حَرّابٍ وقَدّ » إلخ الأوَّل بفتح الحاءِ وتشديد الراء المهملتين ، والثانى بفتح القاف وتشديد الدال . قال ابن الكلبىِّ وابنُ الأعرابىّ : هما من بنى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . والسُّورة بالضم : الفضيلة .

وهذا البيت استشهد به الزمخشرى والبيضاوى ، عند قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورةٍ من مثله [١] ﴾ ، على أنّ السُّورة : الرُّتبة .

وقوله : « ليس غرابُها بمطار » كناية عن كثرة الرهط ودوام العزِّ لهما . وإذا وُصف المكان بالخصب وكثرة الشجر قيل : لا يُطار غرابُه . يريد أنه يقع فى المكان فيجد ما يُشبع ، ولا يحتاج أن يتحوَّل . فجعله مثَلاً للمجد ، أى مجدهم ليس بمنقلع .

وقال أبو عبيدة : هو فى مكان مرتفع ، لا يؤذَى من العزِّ . أراد أنهم

(١) الآية ٢٣ من البقرة .

أعِزَّاءُ لا يُوصل إليهم . وتخصيص الغراب لأنه المثَلُ فى الحذر ، فإنه يطير بأدنى رِيبةٍ .

وقوله : « وبنو قُعين » إلخ هم من بنى أسد . وقوله (غير مقَلَّمى) إلخ ، يريد إنهم آتوك غير مسالمين لك ، وعداوتهم ظاهرة ، وإنما يأتونكَ للمحاربة . وآتوك : جمع آتٍ .

وقوله : « سهكين من صدأ » إلخ ، متلبِّسين برائحة الحديد المُصْدِئ [1]. يعنى أن السلاح يصدأ عليهم لطول لُبسهم إياه . والسَّهْكة : رائحة الحديد المُصْدِئ . والسَّنَوَّر : الدروع ، وقيل السِّلاح كله . والبَقَّار ، بالموحَّدة والقاف المشددة : موضعٌ برمل عالج ، قريبٌ من جبلَىْ طَيِّئ تسكنه الجن . يقول : كأنهم جنٌّ فى شجاعتهم .

وقوله : « وبنو سُواءة » بضم السين والمدِّ ، هم من بنى أسد أيضاً . وأبو المِظفار هو مالك بن عوف من بنى أسد .

وقوله : « وبنو جذيمة » إلخ بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة ، هو من بنى أسد أيضا . وجذيمة هو ابن مالك بن نصر بن قُعَين . وخَبْت بفتح المعجمة وسكون الموحَّدة : اسم ماء فى ديار كندة . وتِعشار ، بكسر المثناة الفوقية وبعد المهملة شين معجمة : موضعٌ فى بلاد بنى تميم ، وقيل جبلٌ فى بنى ضبَّة ، وقال الخليل : ماءٌ لبنى ضبة بنجد . كذا (فى معجم ما استعجم) .

وقوله : « والقوم غاضرة » إلخ غاضرة بإعجام الأوَّلين : قومٌ من بنى أسد

---

(١) كذا فى ش فى هذا الموضع وتاليه . يقال صدئ الحديد يصدأ ، وأصدأ يصدئ . وفى ط : « الصدئ » ، وكلاهما صواب .

أيضاً . يقول : لم يتحملوا ليهربوا [١] ، إنما أرادوا الإقامة والثبات فى منازلهم .

وقوله : « جمع يظَلُّ به » إلخ ، معضَّلا بفتح الضاد المشددة : غاصًّا ضيِّقا [٢] .

وقوله : « حولى بنو دُودان » ، هم من بنى أسد . وبنو بغيض هم رهط النابغة .

وترجمة النابغة تقدَّمت فى الشاهد الرابع بعد المائة [٣] .

وأما البيت الذى أورده سيبويه بعد البيت الشاهد فقد أورده غُفلا غير منسوب ، ولم يعزهُ شراح أبياته ، وقال ابن السِّيد : لا أعرف قائله . وعيَّنه ابن هشام اللخمى فقال : هو لحُميدٍ الأرقطِ ، يقول لزوجِهِ وكانت قد سألته الحجَّ ، وكان مقِلاً فقال لها : امكُثِى حتى يرزقنا الله مالاً نحجُّ به . فقالت منكرة لقوله : أأمكث عاماً وقابله ، أى قابلَ ذلك العام . والقابل بمعنى المقبل ، وهو جارٍ على قبَلَ . يقال : أقبلَ وقبَلَ ، وأدبر ودَبَر . وهو ظرفٌ ومثله : معاً ، وعاملهما محذوف دلَّ عليه المعنى كما قدَّرنا . والهمزة للإنكار . وهو من أبياتٍ ثلاثة هى :

تحرِّضنى الذَّلفا على الحجِّ ويحَها
وكيف نحجُّ البيتَ والحالُ حائلَه

فقلت امكثِى حتى يسار .... البيت

لعلَّ ملمَّاتِ الزمانِ ستنجلى
وعَلَّ إلهَ الناس يوُليكِ نائلَه

---

(١) ط : « ليهزلوا » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « عاضا ضيقا » .

(٣) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

ويسار : اسمٌ لليُسْر ، معدول عن المَيسْرَة وهى الغنى .

وترجمة حميد الأرقط تقدَّمت فى الشاهد الثالث بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٦٩ (جَمادِ لها جَمادِ ولا تقولى
طَوالَ الدَّهرِ ما ذُكِرَتْ : حَمادِ)

على أنهم قالوا : معناه قولى لها جمُودا ولا تقولى حمداً ، بالتنكير والتذكير .

وهذا واردٌ على قولهم إنَّ فعال معدولٌ عن معرَّف مؤنث .

وممن قال كذا ابنُ السرّاج (فى الأصول) فإنه قال بعد ما أنشد البيت : قال سيبويه : يريد قولى لها جموداً ولا تقولى لها حمدا .

ومنهم ابن الشجرى ، [قال (٣)] (فى أماليه) : جماد اسمٌ للجمود ، وحماد اسمٌ للحمد فى هذا البيت . أراد قولوا لها : جموداً ولا تقولوا لها : حمداً .

وهذا لا يردُ عليهم ؛ فإنهم قالوا : لابدَّ من التعريف والتأنيث فى فعال بالمعانى الأربعة (٤) . وقولهم معناه جموداً وحمدا وما أشبهه ، فإنما هو تساهلٌ فى التعبير عنه .

---

(١) الخزانة ٥ : ٣٩٥ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٩ . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ١١٣ وابن يعيش ٤ : ٥٥ واللسان (حمد) وديوان المتلمس ٧ شنقيطى و ١٦٥ صيرفى .

(٣) التكملة من ش .

(٤) انظر ص ٣٢٨ .

وكذلك فعل سيبويه ، إلّا أنه اعتبر التأنيث فى المعدول عنه ، إما تحقيقاً أو تقديراً ، قال : وأما ما جاء اسماً للمصدر فنحو فجار معدولة عن الفَجْرة ويسار معدولة عن الميسرة ، وكذلك قوله :

* والخيلُ تعدو بالصعيد بدادِ *

٧١ فهذا بمنزلة قوله : تعدو بَدَداً [١] ، إلا أن هذا معدول عن حدِّه مؤنثا . وكذلك لا مَساسِ ، والعرب تقول : أنت لا مساسِ ، ومعناه لا تمسُّنى ولا أمسُّك . ودعنى كَفافِ ، فهذا معدولٌ عن مؤنَّث وإن كانوا لم يستعملوا فى كلامهم ذلك للمؤَنث الذى عدل عنه بدادِ وأخواتها . ونحو ذا فى كلامهم . ألا ترى أنهم قالوا مَلامحُ ومَشَابه ولَيالٍ ، فجاء جمعه على حدٍّ ما لم يستعمل فى الكلام ، لا يقولون ملمَحَة ولا ليلاة . ونحو ذلك كثير ، قال الشاعر :

جَمادِ لها جَمادِ ولا تقولى .... البيت

فهذا بمنزله جموداً . ولا نقول عدل عن قوله جمداً لها ، ولكنَّهما عُدِلا عن مؤنَّث كبداد . انتهى نص سيبويه [٢] .

فعنده يجب فيما لو كان من أسماء الأجناس غير مؤنث فجعل له اسمُ فعال أن يقدَّر له التأنيث . وقد قدَّر سيبويه فى حَضار وسَفار أنه اسمُ الكوكبة والماءة ، وهما من علم الشخص .

وقال السِّيرافى فى بداد : إنه معدول عن البَدَّة أو المبادَّة أو غير ذلك ، يعنى مما يقدَّر مؤنثا يُعطَى معنى ذلك المذكَّر .

(١) هذا الصواب من سيبويه . فى ط : « بداد » وفى ش : « بدادا » .

(٢) فى هذا النص نقص عما فى نسختى من كتاب سيبويه ٣ : ٢٧٦ . فانظره .

والبيت من قصيدةٍ للمتلمس ، أورد بعضها الشريفُ ضياء الدين هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسينى (فى حماسته) ، وهى [١] :

(صَبَاَ من بعد سَلوته فؤادى
وسَمَّحَ للقرينـة بانقيـادِ
كأنِّى شاربٌ يومَ استبدُّوا
وحثَّ بهم وَراءَ البِيدِ حادى [٢]
عُقاراً عُتِّقت فى الدَّنِّ حتى
كأنَّ حَبابَها حَدقُ الجَرادِ
جَمادِ لها جَمادِ وَلا تقولَنْ
لها يوماً إذا ذُكِرَتْ حَمادِ)

هذا ما أورده الشريف . وقوله : « صبا من بعد سلوته » إلخ ماضى يصبو صَبوةً ، أى مال إلى الجهل والفتوة . وسَمَّحَ بمهملتين بمعنى ذَلَّ وفاعله ضمير الفؤاد . ويقال أَسمَحَ بالألف أيضا . والقرينة : النفس ، ومثله القَرونة بالواو أيضا . يقال أسمحت قرينتُه وقرونته ، وكذلك قَرينُهُ وقَرونهُ [٣] بدون هاء ، أى ذلّت نفسه وتابعَتْه على الأمر . وقوله :

* كأنى شاربٌ يوم استبدُّوا * إلخ

أى مضَوْا برأيهم ، كذا قال الشريف صاحب الحماسة . وهو من استبدَّ فلانٌ بكذا ، أى انفرد به . والواو ضمير تعود على قوم حبيبته . وقوله :

(١) الديوان وحماسة ابن الشجرى ٢٤٩ .
(٢) فى الديوان : « يوم استقلوا » ، « لدى الموماة حاد » .
(٣) ط : « قرينة وقرونة » ، صوابه فى ش .

« وحثَّ بهم » إلخ أى أسرعَ بهم . وحادى فاعلُ حثَّ ، وهو سائق الإبل بالحداء ، يقال حدا بالإبل يحدو حَدْواً ، أى حثها على السير بالحُداء كغراب ، وهو الغِناء لها . وقوله : « وراءَ البيد » قال الشريف : أى حالَ دونهم البيد ، وهو جمع بيداء ، وهى القَفْر والمفازة .

وقوله : « عُقاراً عتِّقت » إلخ بضم العين مفعول شارب بمعنى الخمر . وهذا البيت يشهد للأصمعىّ ، فإنه قال : إن الخمر إنما سمِّيت عُقاراً لطول مُكثها فى الدَّنّ . واحتج بقولهم : عاقَرَ فلان الشراب ، إذا لزِمَه وأدمنَه . والحَبَاب بالفتح : ما ينتفخ من الماء ونحوه ويعلوه . قال الدينورى (فى كتاب النبات) : يقال لما ينزو من الخمر إذا مُزجت : الحَبابُ والفَواقع . والجنادع : جنادبُ تكون فى العُشَر . فشبَّه ما ينزُو منها بالجَنادب إذا قَمَصت [1] . وأنشد هذا البيت مع البيت الأخير . وقد شبَّه حَباب الخمر بعيون الجَراد .

وقوله : (جماد لها جماد) إلخ بالجيم : الجمود ، والكلمة الأخيرة (حَمادَ) بالمهملة : الحمد . قال الأعلم : هما اسمان للجمود والحمد ، معدولين عن اسمين مؤنثين سمِّيا بهما ، كالمجمدة والمحمدة . وقال صاحب الصحاح : يقال للبخيل جَمَادِ له ، مثل قطام ، أى لا يزال جامدَ الحال . وإنما بنى على الكسر لأنه معدول عن المصدر ، أى الجمود ، كقولهم : فجار أى الفَجْرة . وهو نقيضُ قولهم : حماد بالمهملة فى المدح . وأنشد الأبيات الثلاثة الأخيرة للمتلمس ، ثم قال : أى قولى لها جموداً ولا تقولى لها حمدا وشكرا . اهـ .

وكونه معدولاً عن المصدر لا يكون سبباً لبنائه . قال الشريف صاحب

---

(١) قمصت : وثبت .

الحماسة : الضمير فى لها يعود على القرينة . وقال جامع شعره أبو الحسن الأثرم : أى أجْمَدَ اللهُ خَيرها ، يقول قلَّله . يعنى الخمر . ا هـ .

ومنه تعلم أن الأعلم لم يُصب فى قوله : وصف امرأةً بالجمود والبخل ، وجعلها مستحقَّة للذمِّ غير مستوجبة للحمد . هذا كلامه ، وسببه أنه لم يطَّلع على البيت الأول .

وكذلك لم يصب ابن السِّيد فى قوله (فيما كتبه على كامل المبرد) : دعا على عاذلته بأن يقلَّ خيرها . وهو مأخوذٌ من الأرض الجماد ، وهى التى لا تنبت شيئا . وقيل إنه دعا على بلاد هذه المرأة بالجمود وأن لا تنبت شيئاً . انتهى .

وقوله : (ولا تقولى) بياء المخاطبة . وهذا هو المشهور ، وهو محرَّف من نون التوكيد الخفيفة كما رويناها عن الشريف ، وهى الصواب ، فإنَّه خطابٌ لمذكر ولم يتقدَّم ذِكرُ أنثى . ويؤيِّده ما رواه ابن الشجرى (فى أماليه) : « ولا تقولوا » بالواو . وقوله (طَوَال الدهر) بفتح الطاء ظرف للقول ، يقال لا أكلّمه طَوَالَ الدَّهر ، وطُولَ الدَّهرِ ، بمعنىً . وما مصدرية ظرفية ، ونائب فاعل ذُكرت ضمير القرينة ، وحماد فى موضع نصب لأنه مقول القول .

أبيات الشاهد
وهذه الأبيات الأربعة أوّل قصيدةٍ ، وما أحسنَ هذه الأبيات منها :

(وَأَعلمُ عِلْمَ حَقٍّ غيرَ ظنٍّ
وتقوى الله من خير العَتادِ
لَحِفظُ المالِ خيرٌ من ضَياعٍ
وضَربٍ فى البلاد بغير زادِ

وإصلاحُ القليل يزيد فيه
ولا يبقى الكثيرُ مع الفَسادِ)

وقد ضمَّن البيتَ الأخيرَ بعضُهم فى الهجاء فقال :

يحصِّن زادَه عن كلِّ ضِرسٍ
ويُعمل ضِرسَه فى كل زادِ
ولا يَرْوِى من الأشعار شيئاً
سوى بيتٍ لأبرهةَ الإيادى
« قليلُ المالِ تصلحُه فيبقى
ولا يَبقَى الكثيرُ مع الفسادِ »

وقد أخطأ هذا القائل فى نسبة البيت إلى أبرهة من وجهين .

ومثله لابن وكيع التِّنِّيسىّ :

مالٌ يُخلِّفُه الفتى للشامتين من العِدا
خيرٌ له من قَصدهِ إخوانَه مسترفدا

ورُوى أن حاتماً الطائى لمَّا سمع قولَ المتلمس قال : ماله قطع الله لسانَه يَحملُ الناسَ على البخل ! هلاّ قال :

وما الجُودُ يُفْنى المالَ قبل فَنائه
ولا البخلُ فى مال البخيل يزيدُ
فلا تلتمسْ فقراً بعيشٍ فإنّه
لكلِّ غدٍ رِزقٌ يعودُ جديدُ

٧٣ ألم تَرَ أنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ
وأنَّ الذى يُعطيك ليس يَبيدُ

المتلمس الضبعى

والمتلمس شاعرٌ جاهلى مُفْلقٌ مُقِلّ ، ذكره الجمحىُّ فى الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية . قال أبو عبيدة : اتَّفقوا على أن أشعرَ المقلِّين فى الجاهلية ثلاثة : المسيَّب بن عَلَس ، والحُصين بن حُمام ، والمتلمس . واتفقُوا على أنَّ المتلمس أشعرُهم .

والمتلمس اسمه جرير ، وكنيته أبو عبد الله بن عبد المسيح بن عبد الله ابن زيد بن دَوفن بن حرب بن وهب بن جُلَّى بن أحمس بن ضُبيعة بن ربيعة ابن نزار بن معدٍّ بن عدنان . وقيلَ : إنّه جرير بن عبد العزّى ؛ وقيل : غير هذا . ودَوْفن بفتح الدال وسكون الواو وفتح الفاء بعدها نون . وجُلَّى ، بضم الجيم وتشديد اللام بعدها ألف مقصورة (١) . وأحْمَس : أفعَل من الحماسة . وضُبيعة بالتصغير .

وسيأتى إن شاء الله وجهُ تسميته بالمتَلمِّس فى باب العلم .

وكان المتلمِّس مع ابن أخته طَرفة بن العبد ينادم عمرو بن هند ملكَ الحيرة ، ثم إنَّهما هجواه ، فلما أشعِر (٢) بهَجوهما كرِهَ قتلَهما عنده ؛ فكتب لهما كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما ، وقال لهما : إنِّى كتبت لكما بصِلة ، فاذهبا لتقبضاها !

فخرجا حتّى إذا كانا ببعض الطريق إذا هما بشيخٍ على يسار الطريق ، وهو يُحْدِث ويأكل ويقتل القمل ، فقال المتلمس : ما رأيت كاليوم شيخاً أحمق !

---

(١) كذا . والصواب أنه بصيغة التصغير ، كما فى الاشتقاق ٣١٣ والجمهرة ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
(٢) ش : « شعر » .

فقال له الشيخ : ما رأيتَ من حُمقى ؟ أخرِجُ الداء وآكل الدواء ، وأقتل الأعداء ! أحمقُ منِّى والله مَن يحمل حتفه بيده ! فاستراب المتلمس بقوله ، وطلَع عليهما غلامٌ من الحِيرة ، فقال له المتلمس : تقرأ يا غلام ؟ قال : نعم . ففكَّ الصحيفةَ ودفعها إليه ، فإذا فيها : « أمَّا بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطعْ يديه ورجليه وادفنْه حيًّا ! » فقال لطرفة : ادفعْ إليه صحيفتَك ، فإنَّ فيها مثلَ الذى فى صحيفتى ، فقال طرفة : كلاَّ ، لم يكن ليجترئَ [١] علىَّ ، فإنَّ بنى ثعلبة ليسوا كبنى ضُبيعة ! فقذف المتلمِّسُ صحيفتَه فى نهر الحِيرة وهرب إلى بنى جَفنة ملوك الشام ، وذهب طرفةُ إلى عامل البحرين ، فقُتل هناك كما شرحناه مفصَّلا فى ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة [٢] .

وقال المتلمس فى ذلك يُخاطب طرفة :

مَن مبلغُ الشُّعراءِ عن أخويهما
خَبَراً فَتصدُقَهم بذاك الأنفسُ
أودَى الذى عَلِقَ الصحيفةَ منهُما
ونجا حِذارَ حِبائه المتلمِّسُ
ألقِ الصحيفة لا أبَالك إنّه
يُخشَى عليك من الحِباء النِّقرِسُ

والنِّقرِسُ : داء فى الرِّجْل معروف . وصارت صحيفة المتلمس مثلاً يُضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع . قال الفرزدق :

---

(١) ش : « ليجترأ » .

(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

يا مَرْوَ إنَّ مطيَّتى محبوسةٌ
ترجو الحباءَ وربُّها لم ييأسِ
وحَبوتَنى بصحيفةٍ مختومة
يُخشى علىَّ بها حِباءُ النِّقرِسِ
ألقِ الصحيفةَ يا فرزدقُ لا تكنْ
نكداءَ مثلَ صحيفة المتلمِّسِ

والبيت الأوَّل من شواهد سيبويه [١] ، واستشهد به على ترخيم مروان بحذف الألف والنون ، لزيادتهما وكون الاسم ثُلاثيًّا بعد حذفهما . وأراد مَروانَ ابن الحكم .

وسبب هذا الشعر أنَّ الفرزدق قدِم المدينة مستجيراً بسعيد بن العاصى من زياد بن سُمَيَّة ، فامتدح سَعيدا ومَرْوانُ عنده قاعد ، فقال : ٧٤

ترى الغُرَّ الجحاجِحَ من قُريشٍ
إذا ما الأمرُ بالمكروه عالا [٢]
قياماً ينظُرون إلى سَعيد
كأنَّهمُ يَرونَ به هِلالا

فقال له مروان : قعوداً يا غلام . فقال : لا وَاللهِ يا أَبا عبد الملك ، إلَّا قياماً . فأغضب مروان : وكان معاوية يُعادل بين مروان وبين سعيد ؛ فلما ولىَ

(١) فى كتابه ١ : ٣٣٧ . وانظر ديوان الفرزدق ٤٨٢ .

(٢) ديوان الفرزدق ٦١٨ .

مروانُ كتب للفرزدق كتاباً إلى واليهِ بضَرِيَّة [١] ؛ أن يعاقبه إذا جاء ، وقال للفرزدق : إنِّى قد كتبت لك بمائة دينار ! فلما أخذ الكتاب وانصرف على أنَّه جائزتُه ندم مَروانُ ، فكتب إلى الفرزدق :

قُل للفرزدق والسَّفاهةُ كاسمِها
إنْ كنت تاركَ ما أمرتُكَ فاجلِسِ
ودَعِ المدينةَ إنَّها مرهوبة
واعمِدْ لمَكَّةَ أو لبيتِ المقدسِ

ففطن الفرزدقُ وأجابه بهذه الأبيات ، فكان الفرزدق لا يقرُب مروان فى خلافته ، ولا عبدَ الملك ، ولا الوليد .

ورِوىَ من طريقٍ أُخرى : أنَّ مروان تَقدَّم إلى الفرزدق أن لا يهجوَ أحداً ، وكتب إليه البيتين ، فأجابه الفرزدق بالأبيات .

وقوله : « فاجلس » أى اذهب إلى الجَلْس [٢] ؛ بفتح الجيم وسكون اللام ، وهو نَجْد . يقال جَلَس الرَّجل ، إذا أتى نجداً . والحِبَاء : العطاء . وجعل الرجاء للناقة وهو يريد نفسه .

ورَوَى ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) هذا الخبر على غير هذا الوجه فقال : إنَّ الفرزدق كان مقيماً بالمدينة ، وكان أزنَى الناس ، فقال شعراً يقول فيه :

---

(١) ضرية : قال ياقوت : قرية عامرة قديمة على وجه الدهر فى طريق مكة من البصرة من نجد . ط : « بضربة » تحريف .

(٢) ط : « الجلسة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

هما دَلَّتانى من ثمانينَ قامةً
كما انقضَّ بازٍ أقتمُ الرِّيش كاسرُه [١]
فلمَّا استوت رجلاىَ فى الأرض قالتا
أحىٌّ يُرَجَّى أم قتيلٌ نحاذره
فقلتُ : ارفع الأسبابَ لا يَشعُروا بنَا
وأَقبلتُ فى أَعْجاز ليل أبادره
أحاذر بوَّابَينِ قد وُكِّلا بناَ
وأسمرَ من ساجٍ تَصِلُّ مَسامره

فعيَّره جرير بذلك فى شعر طويل ، منه :
لقد ولدتْ أمُّ الفرزدق فاجراً
فجاءت بوَزْوازٍ قصيرِ القوائمِ [٢]
يُوصِّل حَبْليه إذا جَنَّ ليلُه
ليرقَى إلى جارَاتِه بالسَّلالمِ [٣]
تَدلَّيتَ تزنى من ثمانينَ قامةً
وقصَّرتَ عن باع العُلا والمكارمِ
هو الرِّجسُ يا أهلَ المدينة فاحذروا
مُداخِلَ رجسٍ بالخبائث عالمِ

(١) ديوان الفرزدق ٣٦١ .

(٢) ديوان جرير ٥٥٨ . وبقية الأبيات من قصيدة أخرى فى ٥٦٠ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .

(٣) ط : « جنبيه » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

لقد كان إخراجُ الفرزدق عنهم
طَهوراً لما بينَ المصلَّى ووَاقم (١)

فاجتمع أشرافُ المدينة إلى مروانَ بنِ الحكم وكان والياً بها ، فقالوا : ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج النبيِّ ﷺ وقد أوجبَ عليه الحدّ ! فقال مروان : لست أحدُّه ، ولكن أكتبُ إلى من يَحُدُّه . فأمَرَهُ مروان بالخروج من المدينة وأجَّلَه ثلاثة أيام ، ففي ذلك قال :

تَوعَّدَنى وأجَّلنى ثلاثاً كما وُعِدت لمَهْلِكِها ثمودُ (٢)

٧٥ ثم كتب له كتابا إلى عامله يأمره فيه بأن يحدَّه ويسجنه ، وأوهمَه أنَّه كتب له بجائزة . ثم ندم على ما فعل فوجَّه عنه رجلاً وقال له : أنشده هذين البيتين :

* قُلْ للفرزدق والسَّفاهةُ كاسمها *

ففطن الفرزدق لِمَا أراد ، فرمى الصحيفةَ وقال الأبياتَ الثلاثة ، وخرج هارباً حتى أتَى سعيد بن العاصى ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كلُّ واحدٍ منهم بمائة دينارٍ وراحلة ، وتوجَّه إلى البصرة .

وقيل لمروان : أخطأتَ فيما فعلت ، كأنَّك عرَّضتَ عرضك لشاعرِ مُضَر ! فوجَّه وراءه رسولَه ومعه مائة دينارٍ وراحلةٌ ، خوفاً من هجائه .

---

(١) واقم ، بالواو : أطم من آطام المدينة . ط : « راقم » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

(٢) ديوان الفرزدق ١٨٥ .

ولمَّا هرب المتلمس إلى ملوك الشام هجا عمرو بن هند بقصيدةٍ ، وحرَّض قوم طرفة على الطلب بدمه ، أوّلُها :

إنَّ العراقَ وأَهله كانوا الهوى
فإذا نأى بى ودُّهمْ فليبعُدِ (١)

إلى أن قال :

إنَّ الخَيانة والمَغالة والخنى
والغَدرَ تتركه ببلدة مُفْسِدِ (٢)
ملكٌ يلاعب أمَّه وقطينَها
رِخوُ المفاصل ، أَيره كالمِرْودِ
بالباب يرصُد كلَّ طالب حاجة
فإذا خلا فالمرء غير مسدّدِ

فبلغ هذا الشعرُ عَمراً فحلف إنْ وجده بالعراق ليقتلنَّه ، وَأن لا يطعمه حبَّ العراق ! فقال المتلمس من قصيدة (٣) :

آليتَ حبَّ العِراق الدهرَ أطعمُه
والحبُّ يأكله فى القرية السُّوسُ
لم تَدر بُصرَى بما آليْتَ من قسم
ولا دمشقُ إذا دِيسَ الكراديسُ

(١) ديوانه ١٣٥ صيرف .

(٢) ديوانه ١٤٦ صيرفى .

(٣) ديوانه ٩٥ .

والبيت من شواهد سيبويه (١) على أنَّ نصب حَبَّ على نزع الخافض ، أى على حَبِّ العراق . وآليتَ بالخطاب لعمرو بن هند ، يقول له : حلفتَ لا تتركُنِى بالعراق ولا تطعمنى من حَبِّه ، والحال أن الحبَّ لا يبقى إن أبقيتَه ، بل يُسرع إليه الفساد ويأكله السوس ، فالبخل به قبيح . وهذا على طريق الاستهزاء به والسخرية .

وبُصرى : مدينة بالشام . يقول : لا تَدْرِى كثرةَ الطعام الذى بُبصرى وبدمشق . والكراديس : أكداس الطعام .

ومن شعر المتلمس ، وهو من شواهد البديع :

ولا يقيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرادُ به
إلَّا الأذلَّانِ : عَير الحىِّ والوَتِدُ (٢)
هذا على الخسفِ مربوطٌ برُمَّته
وذا يُشَجُّ فلا يَرثِى له أحدُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصل (٣) :

٤٧٠ (أطَلْتُ فِراطهمْ حَتَّى إذا ما
قتَلتُ سَراتَهم كانت قَطَاطِ)

على أن (قَطاطِ) فيه وصف مؤنث بمعنى قاطَّةٍ ، أى كافية .

(١) فى كتابه ١ : ١٧ .
(٢) ديوانه ٢٠٨ .
(٣) ابن يعيش ٤ : ٥٨ ، ٦١ واللسان (قطط) .

قال الزمخشرى (فى المفصل) : أى كانت تلك الفعلة كافيةً لى وقاطّة لثأرى ، أى قاطعة له . أشار إلى أنّ اسم كان ضمير الفعلة المفهومة من قتلت سراتهم . وقَطَاط مبنيَّة على الكسر فى محل نصبٍ خبر كان . قال ابن يعيش ٧٦
(فى شرحه) : وقطاط معدولٌ عن قاطّة أى كافية ؛ يقال قَطاطِ بمعنى حسبى ، من قولهم : قَطْك درهم ، أى حسبك ، مأخوذٌ من القطّ وهو القطع ، كأنَّ الكفاية قَطعت عن الاستمرار . انتهى .

وفراطهم ، بكسر الفاء ، أى إمهالى إيّاهم ، فهو مصدر مضاف إلى المفعول والفاعل محذوف . قال صدر الأفاضل : أى أطلت إمهالهم والتأنِّىَ بهم . والصواب « فِراطكم » و « سَراتكم » بالخطاب كما سيأتى . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الغريب المصنف) : الفِراط هو التقدُّم . يقول : سبقتُ إليكم بالتهدُّد والوَعيد لتخرجوا من حَقِّى . والسَّراة ، بالفتح ، قال أهل اللغة قاطبة : هو جمع سَرِىّ بمعنى الشريف . ويَرِدُ عليهم أنَّ فَعِيلا لا يجمع على فعلة بالتحريك ، لهذا قال الشارح المحقق (فى شرح الشافية) : الظاهر أنّه اسمُ جمع لا جمع .

وذهب السهيلى (فى الروض الأنف) إلى أنَّه مفرد لا جمعٌ ولا اسمُ جمع ، قال : لا ينبغى أن يقال فى سراة القوم إنّه جمع سَرِىّ ، لا على القياس ولا على غير القياس ، إنّما هو مثل كاهل القوم وسَنامهم .

والعجب كيف خفىَ هذا على النحويِّين حتى قلَّد الخَالف منهم السالفَ ، فقالوا : سَرَاة جمع سرىٍّ . ويا سبحان الله كيف يكون جمعاً له وهم يقولون جمع سَراة سرواتٌ ، مثل قطاة وقطوات . يقال : هؤلاء من سَرَوات الناس كما تقول من رءوسهم .

ولو كان السراة جمعاً ما جُمع ، لأنَّه على وزن الفَعَلة ، ومثل هذا البناء

فى الجموع لا يجمع ، وإنّما سرىّ فعيل من السَّرْو وهو الشَّرف ، فإنْ جمع على لفظه قيل سَرِىٌّ وأَسرياء كغَنىٍّ وأَغنياء ، ولكنه قليلٌ وجودهُ ، وقلّةُ وجوده لا تَدفع القياس فيه . وقد حكاه سيبويه . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من أبياتٍ لعمرو بن معديكربَ الصَّحابى ، قالها قبل إسلامه ، لبنى مازن من الأزد ؛ فإنَّهم كانوا قتلوا أخاه عبدَ الله فأخذ الدِّية منهم ، فَعَيَّرته أخته كبشة بذاك ، فغزاهم وأَثْخَنَ فيهم ، وقال هذه الأبيات :

أبيات الشاهد (تمنَّتْ مازنٌ جهلاً خِلاطى
فَذاقت مازنٌ طَعْمَ الخِلاطِ [1]
أطَلْتُ فِراطَكمْ عاماً فعاماً
ودَين المَذحِجِىِّ إلى فِراطِ
أطلتُ فِراطكم حَتَّى إذا ما
قتَلتُ سَراتَكم كانت قَطاطِ
غَدرتمْ غدرةً وغدرتُ أخرى
فما إن بينَنا أبداً يَعاطِ
بطعنٍ كالحريق إذا التقينا
وضربِ المشرفيَّةِ فى الغُطاطِ)

الخلاط : مصدر خالطه مخالطةً وخلاطاً . ومازن هو مازن بن زُبَيد ، وأراد به القبيلة . ودَين بالفتح . ومَذحِج ، بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم : قبيلة كبيرة من قبائل اليمن تفرَّعت منها قبائلُ

(١) فى أمالى القالى ٣ : ١٩١ : « فذوقى مازن » .

كثيرة . قال ابن الكلبى (فى جمهرة الأنساب) : بنو الحارث بن كعب من مَذحج . والنَّخَع من مَذحج ، وجنبٌ من مذحج ، وصُداء من مذحج ، ورُهاء من مذحج ، وسَعد العشيرة من مذحج ، والبطون المذكورة منها إلى زُبيد . ومُراد من مذحج ، وعَنْس من مذحج ؛ وطيِّئ من مذحج . ومَذحج : اسم امرأةٍ ، وهى بنت ذى مَنْجِشان [1] ، كانت أمُّها وَلَدتْها عَلَى أكمةٍ يقال لها مَذحج ، فَلُقِّبَت بها .

ويَعَاط بفتح المثناة التحتية بَعدها عين مهملة : كلمة إغراء عَلَى ٧٧
الحرب ، أى احملوا .

والغُطاط بضم الغين المعجمة : أول الصبح .

كذا روى أبو على القالى هذه الأبياتَ الخمسة (فى نوادره) . وقد اختُلف فى رواية هذا الخبر . قال أبو على القالى (فى ذيل الأمالى) : قال : أبو محلِّم : حدثنى [2] السُّكَّرىُّ قال : حدثنا ابن حبيب قال : قال هشامُ بن الكلبى : مرَّ عبد الله بن معديكربَ براعٍ للمحزَّم [3] بن سلمة ، من بنى مالك بن مازن بن زُبيد ، فاستسقاهُ لبناً فأبى واعتلَّ عليه ، فشتمه فقتله عبد الله ، فثارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه ، فتوانى عمرو فى الطلب بدمه ، فأنشأت أختُه تقول أبياتاً ، فاحتمى عمرو عند ذلك فثار فى قومه بنى عُصْم [4] ، فأباد بنى مازن ، وقال فى ذلك :

(١) هذا ضبطه فى اللسان (ذحج) والقاموس (نجش) .

(٢) ط : « وحدثنى » .

(٣) فى الأمالى ٣ : ١٩٠ والأغانى ١٤ : ٣٢ : « للمخزم » بالخاء المعجمة ، لكن قيدها البغدادى فيما سيأتى بالحاء المهملة .

(٤) ط : « بنو عصم » . صوابه فى ش .

* تمنت مازنٌ جهلاً خِلاطى *

إلى آخر الأبيات الثلاثة الأول . ولم ينشد البيتين الأخيرين (١)

وروى أيضاً (فى نوادره) أن الأصمعىَّ قال : كان بين عمرو بن معديكرب وبين رجل من مراد يقال له أُبىٌّ كلامٌ ، فتنازعا فى القَسْمِ ، فعجِلَ عمرو وكانت فيه عَجَلة ، وكان عبد الله أخو عمرو رئيس قومه ، فجلس مع بنى مازن رهطٍ من سعد العشيرة ، وكانوا فيهم ، فقعد عبد الله يشرب ، ويسقيهم رجلٌ يقال له المحزَّم (٢) من بنى زُبيد ، له مال وشرف . وكانَ عَبدٌ من عبيد المحزَّم قائماً يسقى القوم ، فسبه عبد الله فضربه ، فقام رجلٌ نشوانُ من بنى مازن فقتل عبد الله . فرأسَ عمرو بعد أخيه ، وكان غزا غزوةً فأصاب فيها ومعه أُبىٌّ المرادى ، فادعى أنه كان مساندَ عمرو ، فأبى عمرو أنْ يعطيه ، فلما رجع عمرٌو مِن غَزاته جاءت بنو مازن فقالوا : قتله رجلٌ مِنَّا سفيه ، ونحن يدك عليهِ وعضدُك ، وإنما قتله وهو سكران ، فنسألك بالرحِم أن تأخذ الدِّيَة وتأخذَ بعد ذلك ما أحببت ! فأخذ عمرٌو الدية وزادوه بعد ذلك أشياءَ كثيرة ، فغضبت أختٌ له تسمى كبشة ، وكانت ناكحاً فى بنى الحارث بن كعب ، فقالت :

أرسَلَ عبدُ الله إذْ حانَ يومُه
إلى قومِه أن لا تُخَلُّوا لهم دَمِى (٣)

---

(١) لم يرد الخبر على هذا الوجه فى الأمالى ، كما أن الأبيات الطائية مروية فيها كلها .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ٣٥١ فيما يخص هذا العلم .

(٣) وكذا فى الحماسة بشرح المرزوقى ٢١٧ ، بالحزم ، وفى الأمالى ومعجم البلدان (صعدة) : « وأرسل عبد الله » .

ولا تأخذوا منهمْ إفالاً وأبكُرا
وأُترَكَ فى بيتٍ بصَعْدَةَ مُظْلِمِ
ودَعْ عنك عَمراً إنَّ عمراً مسالمٌ
وهل بَطنُ عمرو غيرُ شبر لَمطْعمِ
فإن أنتمُ لم تقتلوا واتَّديْتُمُو
فَمشُّوا بآذان النَّعام المصلَّمِ
ولا تَشربوا إلَّا فُضولَ نسائكمْ
إذا أُنهِلَتْ أعقابُهنَّ من الدمِ (١)
جَدَعتم بعبد الله سيِّدَ قَومه
بنى مازن أن سُبَّ ساق المخزَّم (٢)

فلما حَضَّت كبشة أخاها عمراً أَكَبَّ بالغارة عليهم وهم غارُّون ، فأوجعَ فيهم . ثم إن بنى مازن احتملوا فنزلوا فى مازن بن مالك بن عَمرو بن تميم فقال عمرو فى ذلك :

* تمنَّت مازنٌ جهلاً خِلاطِى (٣) *

الأبياتَ الستة .

والمخزَّم ، بتشديد الزاءِ المفتوحة والخاء قبلها مهملة . والمسَاندة : المعاضدة . وخرج القومُ متساندين ، أى على راياتٍ شَتَّى ، أى ولم يكونوا تحتَ راية أمير واحد (٤) .

وقولها : « أرسل عبد الله » أورد أبو تمام هذه الأبيات إلا البيت الأخير

(١) فى الحماسة ومعجم البلدان : « ولا تردوا » و « إذا ارتملت » .
(٢) فى الأمالى : « المخزم » .
(٣) ط : « فراطى » صوابه فى ش .
(٤) كلمة « تحت » ساقطة من ش .

(فى الحماسة) : قال التبريزى : إنما تكلَّمَتْ به على أنه إخبار عمَّا فعلهُ عبد الله وغرضها تحضيضهم على إدراك الثأر . وقولها : أنْ لا تخلُّوا من التخلية .

٧٨ وهذه رواية القالى . ورواية الحماسة : « لا تعقِلوا لهمُ دمى » . يقال عقلتُ فلاناً ، إذا أعطيتَ ديته . والمراد : لا تأخذوا بدل دمى عقلا . ورواه ابنُ الأعرابى : « أن لا يُغِلُّوا لهم دمى » بالمثنَّاة التحتيَّة والغين المعجمة ، وقال : الإغلال عند العرب : ترك القَصَّاب بعضَ اللحم فى الإهاب . والغلول : الخِيانة فى المغنم . والإفال : جمع أفيل ، وهو الصَّغير من الإبل ، وكذا الأبكُر ، وهو جمع بكر . قال التبريزى : فإن قيل : لم ذكَر الإفال والأبكر ، وما يؤدَّى فى الديات لا يكون منهما ؟ قلت : أراد تحقيَر الديات ، كما يقال فى تحقير نحو خِلعة : أُعطىَ فلانٌ خِرَقاً ، وإن كانت فاخرة .

وقولها : « وأترك فى بيت » إلخ ، صَعدة : مِخلافٌ من مخاليف اليمن ، أى ناحيةٌ منها . وإنما جَعلت قبره مُظِلماً لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأَروا به أضاء قبُره ، فإنْ أُهدِرَ دمُه أو قبلت ديته يبقى قبرُهُ مظلماً .

وقولها : « وهل بطن عمرو » إلخ تزهيد فى الديَة ، كما روى فى الخبر : « هل بطنُ ابن آدمَ إلاَّ شبر فى شِبْر » ، لما أريدَ تزهيدُه فى الدنيا .

وقولها : « اتَّديتمو » أى قبلتمو الدية ، وهو افتعلتم ، يقال وديته فاتَّدَى .

وقولها : « فمشُّوا » إلخ أى امشوا . وضعَّف الفعل للتكثير . ومن رَوى بضم الميم فمعناه امسَحوا بالمَشُوش بفتح الميم ، وهو منديل يُمسح به الدَّسم . والمعنى إن لم تقتلوا قاتلى وقبلتمْ ديتى فامْشُوا أذِلاَّءَ بآذان مجدَّعة كآذان النعام . ووصفَ النعام بالمصلَّم تصغيراً لها ، وإن كانت خِلقة . يقول :

كأنكم مما تعيَّرون ليست لكم آذان تسمعون بها ، فامشوا بغير آذان . واختلف فى النعام فقيل إنها كلها صُلْم ، وقيل غير ذلك .

وقولها : « ولا تشربوا إلا فضول » إلخ رواه أبو تمام : « ولا تردُوا » ، و « إذا ارتملت » . قال التبريزى : يقال ترمَّل وارتمل ، إذا تلطَّخ بالدم ، فكان من عادتهم إذا وردوا المياه أَنْ يتقدَّمَ الرجال ثم الرعاة ثم النِّساءُ ، فكنَّ يغسلن أنفسهُنَّ وثيابهنَّ ويتطهَّرن ، آمنات مما يُزعجهنَّ ، فمن تأخَّر عن الماء حتى يصدُر النساءِ فهو الغايةُ فى الذل . وجعلت النساءَ مرتملات بدم الحيض تفظيعاً للشَّأن .

وقال النَّمَرىُّ : قال أَبو رياش : تقول : إذا قبلتم الديَة فلا تأنفوا بعدها من شىءٍ كما تأنف العرب ، واغشَوْا نساءكم وهى حُيَّض . والفضول : بقايا الحَيض . وسمَّى الغِشيانَ وِرداً مجازا . وقال أَبو محمد الأعرابىّ : معناه لا تردوا المواسمَ بعد أخذ الدِّيَةِ إلا وأعراضكم دنسة من العار ، كأَنكم نساءٌ حيَّض . وهذا كما قال جرير :

لا تَذكروا حُللَ الملوك فإنكم
بعد الزُّبير كحائضٍ لم تَغسِلِ (١)

وقال ابنُ الأَعرابىِّ بعد إيراده هذه الأبياتَ : إن المحزَّم (٢) بن سلمة أُحد بنى مازن بن زبيد قتل عبد الله بنَ معديكرب أخا عمرو ، وكانَ عبد الله لطم عبداً للمحزَّم على شرابٍ ، فجاءت بنو مازن إلى عبد الله فقتلوه ورأَسُوا

(١) البيت لم يرد فى ديوانه .

(٢) جعلها الشنقيطى هى وتالياتها : « المخزم » بالخاء المعجمة . ولكن قيدها البغدادى بالحاء المهملة فيما سبق .

عليهم عمرو بن معديكرب ، فلما حضّت عمراً أكبَّ على بنى مازن
بقتلهم [١] وهم غارُّون [٢] فيقال إنهم احتملوا فنزلوا فى بنى مازن بن عمرو ،
فهُمْ فيهم . وأنفذ عمرٌو ابنَ أخ له وأعطاه الصمصامةَ ، وقال : اقتل بها المحزَّم .
فمضى فقتل المحزَّمَ وابن أخ له ، ثم انصرف إلى عمرو فقال له : ما صنعت ؟
قال : قتلت المحزَّم وابن أخيه ! فقال عمرو : كيف أصنع ببَنى مازن وقد
قتلتَ سيِّدها ؟! فقال الغلام : أُعطيتنى الصمصامة ، وسمَّيتنى المقدام ثم ٧٩
أُقتل واحداً فما خَبَرى إذن ؟ قال : فرحل عمرو فى أربعينَ من بنى زُبيد فصار
فى جَرْمٍ ، حتّى جاء الإسلام وهاجر . اهـ .

وروى هذا الخبر مفصَّلا الأصفهانىُّ (فى الأغانى) قال : كان عبد الله
ابن معديكرب رئيسَ زُبيد ، فجلس مع بنى مازن فشرِب ، فتغنَّى عنده حبشىٌّ
وهو عبد للمحَزَّم [٣] أحد بنى مازن ، فشبَّب بامرأةٍ من بنى زبيد ، فلطمه
عبد الله وقال : أمَا كفاك أن تشرَب معنا حتَّى تشبِّب بالنساء ! فنادى
الحبشىُّ : يالَمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه ، فرؤُسَ [٤] عمرٌو مَكانَ أخيه .
وكان عمرٌو غزا هو وأُبىٌّ المرادى ، فأصابوا غنائم ، فادَّعى أنَّه كان مُسانداً ،
فأبى عَمرٌو أن يعطيَه شيئاً ، فكرِهَ أُبّى أنْ يكون بينهم شرٌّ ، لحداثة قتلِ أخيه ،
فأمسك عنه . وبلغ عمراً أنّه توعَّده ، فقال فى ذلك قصيدة منها :

تَمَنَّانى ليقتلَنى أُبَىٌّ   وَدِدتُ وأينما منِّى وِدادى

(١) وفيما سيأتى : « بالقتل » .

(٢) غارون : غافلون . ط : « عارون » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح وضبط الراء بالشدة .
وقد سبقت على هذا الوجه فى ص ٣٥٧ .

(٣) فى ش والأغانى ١٤ : ٣٢ : « للمخزم » بالخاء المعجمة .

(٤) كذا فى ش والأغانى . وفى ط : « فرأس » .

فلو لاقيتَنى للقِيتَ قِرناً وصرَّح شحمُ قلبكَ عن سوادِ
إذَنْ للقيتَ عمَّكَ غيرَ نِكسٍ ولا متعلِّم قتلَ الوِحادِ (١)
أريد حِباءَه ويُريد قتلى عَذيرَك من خليلكَ من مُرادِ (٢)

وكان علىّ بن أبى طالب إذا نظر إلى ابن مُلجِمٍ أنشد :

أريد حِباءَهُ ويريد قتلى .... البيت

وجاءت بنُو مازن إلى عمرو فقالوا : إنَّ أخاك قَتَله رجل منَّا سفيهٌ وهو سَكران ، ونحن يدُك وعَضُدك ، فنسألك بالرَّحم إلّا أخذتَ منا الدّيةَ مَا أحببت ! فهَمَّ عمرو بذلك وقال :

* إحدى يدىَّ أصابَتْنى ولم تردِ (٣) *

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كبشة ، وكانت ناكحا فى بنى الحارث ابن كعب ، فغضبتْ ، فلما وافَى الناسُ من الموسم قالت شعراً . وأنشد الأبياتَ الستّة . فقال عمرو قصيدةً منها :

أَرِقت وأمسيتُ لا أرقدُ وساورنى المُوجِعُ الأسودُ
وبِتُّ لذكرى بنى مازنٍ كأنِّىَ مرتفقٌ أربدُ (٤)

(١) فى الأغانى : « ولا متعلما » . فى الأصل : « قتلى » ، وفى الأغانى « قبل » .

(٢) انظر تحقيق البيت فى حواشى نسختى من سيبويه ١ : ٢٧٦ . ويروى : « أريد حياته » .

(٣) وكذا ورد فى الأغانى ١٤ : ٣٣ على أنه نثر . وإنما هو عجز بيت هو أول حماسية رواها أبو تمام ٢٠٧ لأعرابى قتل أخوه ابنا له فقدم إليه ليقتاد منه ، فألقى السيف وهو يقول :

أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

(٤) فى الأغانى : « أرمد » .

ثم أكبَّ عمروٌ على بنى مازن فقتلَهم ، وقال فى ذلك :

خُذوا حِقَقاً مخطَّمةً صفايا وكَيدى يا محزَّم ما أكيدُ (١)
قتلتمْ سادتى وتركتمونى على أكتافكم عبءٌ جديدُ (٢)

فأرادت بنو مازن ، أن يردُّوا عليهم الديةَ لمَّا آذَنَهم بحرب ، فأبى عمرو . وكانت بنو مازن من أعداء مذحج ، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمِّها دونَ عمرو ، وكان عمْرو يهمُّ بالكفِّ عنهم حتَّى قتل من قتل منهم ، فركبتْ كبشةُ فى نساءٍ من قَومها وتركت عمراً أخاها وعيرَّته فأفحمته ، فأكبَّ عليهم أيضاً بالقتل ، فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا ، فلحقت بنو مازن بصاحبهم مازن بن تميم ، ولحقَتْ ناشرة ببنى أسد ، ولحقت فالج بسُليم بن منصور . وفالج وناشرة :ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن مُنبِّه بن صَعب بن سعد العشيرة . فقال كابية (٣) بن حُرقوص بن مازن (٤) :

يا ليتنى ياليتنى بالبلدةِ
رُدّت علىَّ نجومها فارتدّتِ
مَن كان أسرعَ فى تفرُّق فالج
فلبونُه جَرِبَتْ معاً وأغَدَّتِ (٥)
٨٠ هَلاَّ كناشرةَ الذى ضيَّعتُم
كالغُصن فى غُلَوائِه المتنبِّتِ

---

(١) فى الأغانى : (يا محزم) . والحقق : جمع حقة بالكسر ، وهى من الإبل : ما دخل فى الرابعة ، تؤخذ فى الصدقات والديات . وفى الأصل والأغانى : « حقان » ، ولا يستقيم بها الوزن ولا المعنى » .

(٢) ما بعد هذا من سائر الخبر لم يرد فى الأغانى .

(٣) ط : « كائبة » صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر حواشى الحيوان ٦ : ٤٥٥ .

(٤) فى سيبويه ١ : ٣٦٨ نسبة الشعر إلى عنز بن دجاجة .

(٥) ط : « جذبت معا » ش : « جذبت معا » ، صوابها ما أثبت من سيبويه .

وقال عمرو فى ذلك :

* تمنَّتْ مازنٌ جهلاً خلاطى *

الأبياتَ السابقة إلّا البيت الأخير .

وتقدَّمت ترجمة عمرو بن معديكرب فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٤٧١ (والخيلُ تَعدو فى الصَّعِيدِ بَدَادِ)

على أنَّ (بداد) وصفٌ مونَّث معدول عن متبدِّدة أى متفرِّقة ، فهو حال .

وهذا مخالفٌ لقول سيبويه ، فإنَّه أنشده على أنَّ بداد فيه معدولٌ عن مصدر مؤنث لا عن وصف . قال : هذا بمنزلة قوله تعدو بدَدًا [٣] . فيكون المصدر مؤولا بالحال .

قال الأعلم : الشاهد فيه قوله بَدادِ ، وهو اسمٌ للتبدُّد ، معدول عن مؤنّثٍ ، كأنّه سمَّى التبدُّد بَدَّةً ثم عدلها إلى بداد ، كما سمى البِرُّ : بَرَّة . انتهى .

وصنيع الشارح أحسن ، فإن الحال نادرٌ وقوعها معرفة .

ويأتى بدادِ اسمَ فعلِ أمرٍ أيضا . وأورده الزمخشرى فى فَعال الأمرىِّ ، قال :

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٤٤ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٩ . وانظر مجالس ثعلب ٥٢٧ والمقتضب ٣ : ٣٧١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١١٣ وابن يعيش ٤ : ٥٤ والهمع ١ : ٢٩ والأشمونى ٣ : ٢٧١ واللسان (بدد ، حلق) وديوان حسان ١٠٨ والنابغة الجعدى ٢٤١ .

(٣) فى الأصل : « بدادا » ، صوابه من سيبويه .

وبدادِ ، أى ليأخذ كلٌّ منكم قِرنَه . ويقال أيضا : جاءت الخيلَ بدادِ ؛ أى متبدِّدة . فهى مشتركة بين الأمر والمصدر .

قال فى الصحاح : قولهم فى الحرب : يا قوم بدادِ بدادِ ، أى ليأخذ كلُّ رجلٍ قِرنه . يقال منه تبادَّ القومُ يتبادُّونَ ، إذا أخذوا أقرانهم . وبنىَ لأنَّه واقعٌ موقع الأمر . ويقال أيضاً لقُوا بَدادَهم (١) ، أى أعدادهم ، لكل رجلٍ رجلٌ . والبَدَاد ، بالفتح : البِرَاز . يقال : لو كان البَداد ما أُطاقونا ، أى لو بارزناهم رجلٌ ورجل . وقولهم : جاءت الخيل بَدادِ ، أى متبدِّدة . وبنى أيضا على الكسر لأنَّه معدول عن المصدر ، وهو البَدَد . قال :

* والخيل تعدو فى الصعيد بَدادِ *

وتفرّق القومُ بدادِ ، أى متبدِّدة . قال حسان :

كُنَّا ثمانيةً وكانوا جَحفلاً
لجِباً فَشُلُّوا بالرِّماح بَدادِ (٢)

وإنَّما بنى للعدل والتأنيث والصفة . انتهى .

فبداد على هذا ثلاثة أقسام . وهو تابعٌ فى صنيعه . وكذلك تبعه ابن الشجرى (فى أماليه) فإنه أوردَ البيت فى قسم المصدر وقال : أراد بددا .

والبيت من أبياتٍ لعَوف بن الخرِع (٣) التَّيمى ، يَرُدُّ على لقيط بن

(١) وكذا فى القاموس . وفى اللسان : « أبدادهم » .

(٢) ديوان حسان ١٠٨ .

(٣) ط : « الجزع » ، صوابه فى ش ، وسيأتى فى نهاية الشاهد ضبطه .

زُرارة ، فإنّه كان هجا عديًّا وتَيماً ، وعيَّره عَوفٌ بِفِراره عن أخيه معبدٍ لمَّا أُسِر . وقبله :

(هلَّا كررتَ على ابن أمِّك معبدٍ
والعامريُّ يقوده بِصِفَادِ
وذكرتَ من لبن المحلَّقِ شَرْبة
والخيلُ تعدو بالصعيد بدادِ)

فى الأغانى (١) بسنده أنَّ الحارث بن ظالم المرى لمَّا قتل خالد بن جعفر ابن كلاب غدراً ، عند النُّعمان بن المنذر بالحيرة ، فأتى زرارةَ بن عُدس فكان عندهَ ، فلم يزل فى بنى تميم عند زرارة حتَّى لحق بقريش . فخرجت بنو عامر إلى الحارث بن ظالم حيث لجأ إلى زرارة ، فسارت بنو عامر نحوَهم ، والتقَوا برَحرحانَ ، فاقتتلوا قتالاً شديدا ، وأُسر يومئذ معبدُ بن زرارة ، أسره عامر بن مالك ، واشترك فى أسره طُفيلٌ ورجل من غنيٍّ يقال له أبو عُمَيلة ، وهو عِصمة بن وهب ، وكان أخا ابنِ مالك من الرَّضاع ، وكان معبد بن زرارة كثيرَ المال ، فوَفَد لقيط بن زرارة على عامر بن مالك فى الشَّهر الحرام رجب ، فسأل ٨١
عامراً أن يطلق أخاه ، فقال عامر : أمَّا حِصَّتى فقد وهبتُها لك ، ولكن أُرضِ أخى وحليفى اللذينِ اشتركا فيه . فجعل لقيطٌ لكلِّ واحدٍ مائةً من الإبل ، فرضيَا وأَتَيا عامراً فأخبراه ، فقال عامرٌ للقيط : دونَك أخاك ، فأطلق عنه . فلمَّا أطلقه فكَّر فى نفسه لقيط وقال : أعطيهم مائتين من الإبل (٢) وتكون

(١) الخبر هنا باختصار من الأغانى ١٠ : ٣٠ - ٣٢ .

(٢) فى ش والأغانى : « مائة » ، وإنما هما مائتان كما فى ط .

النِّعمة لهم (١) ؟ لا والله لأفعل ذلك ! ورجع إلى عامر فقال : إنَّ أبى زرارة نهانا أن نَزيد على دية مضَر وهى مائة ، إنْ أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل . فقالوا : لا حاجةَ لنا فى ذلك . فانصرف لقيط ، فقال له معبد : مالى يُخرجنى من أيديهم . فأبَى ذلك عليه لقيط ، وقال معبد لعامر : يا عامر أنشُدك الله لَمَّا خلَّيتَ سبيلى ، فإنما يريدُ ابنُ الحمراء أن يأكل مالى (٢) ! ولم تكن أمُّه أمَّ لقيط . فقال عامر : أبْعدَكَ الله ، إن لم يشفقْ عليك أخوك فأنا أحقُّ أن لا أشفق عليك . فعمَدوا إلى معبد فذبحوا شاة فألبسوه جلدَها حارًّا وشدُّوا عليه القِدّ ، وبعثوا به إلى الطائف ، فلم يزل بها حتَّى مات . فقال فى ذلك عوفُ بن عطيّة بن الخَرِع :

* هَلاَّ كررت على ابن أمِّك * البيتين

والكَرُّ هنا : الرجوع فى حَومة الحرب لاستخلاص أخيه من الحرب .

واتفقت جميع الروايات على قوله (ابن أمِّك) مع أنَّهما من أُمَّين . قال ابن حبيب (فى شرح النقائض) : ليست أمُّهما واحدةً ، ولكن أمّهما أمَّهات (٣) فجمعهما .

ورواه ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرِّد) : (على أُخَيِّكَ معبدٍ) .

وقال أبو محمد الأعرابى الأسود (فى ضالَّةِ الأديب) : قد غلِط ابنُ الأعرابى من وجهين : أحدهما أنَّ الشعر لعوف بن الخرع ، وهو قد نسبه إلى ابن كراع .

---

(١) فى الأغانى : « ثم تكون لهم النعمة على بعد ذلك » .

(٢) فى الأغانى : « كل مالى » . والحمراء : الرومية أو الفارسية .

(٣) ش : « لهما أمهات » .

والثانى : أنَّه قال : (على ابن أمِّك) وإنما الرواية : (على أخَيِّك) بالتصغير ، لأنَّ معبدا لم يكن لأمّ لقيط .

وقوله : (والعامرى يقوده) إلخ جملةٌ حال من التاء فى كررتَ . والصِّفاد بالكسر : جمع صَفَد بفتحتين ، وهو القَيد .

وقوله : (وذكرت من لبن) إلخ الجملة معطوفة على هَلاَّ كررت . والمحلَّق بتشديد اللام المفتوحة ، قال صاحب النقائض : المحلَّق سمةُ إبل بنى زُرارة .

وقال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : المحلَّق : إبلٌ موسومة بالحَلَق على وجهها . وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : أى من لَبن النَّعم الذى عليه وسومٌ كأمثال الحَلَق .

وقوله : (والخيل تعدو) الجملة حال من تاء المخاطب فى ذكرتَ . والصَّعيد : وجه الأرض . وروى بدله : (بالصفاح) بالكسر . قال ابن السيد : وهو موضع .

قال الأعلم : يقول هذا للقيطِ بن زرارة التميمى ، وكان قد انهزم فى حربٍ أُسر فيها أخوه مَعبد بن زرارة ، فعيَّره ونسب إليه الحرصَ على الطعام والشراب ، وأنَّ ذلك حمَله على الانهزام ، وأراد بالمحلَّق قطيعَ إبلٍ وُسم بمِثْل الحَلَق من وَسمْ النار . انتهى .

قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) : قال مقَّاس العائذى :

تذكَّرتِ الخَيلُ الشعيرَ عشيّة
وكنَّا أناساً يعلفون الأياصرا

أى ذَكرتم [1] الحَبَّ والقُرى فانهزمتم ورجعتم إليها ، ونحن نعلف الحشيش ، فنحن نسير لا ننهزم ولا نبالى أين كنّا .

ونحوٌ منه قولُ عوف بن عطية بن الخَرِع للقيط بن زرارة :

هَلاَّ كررت على ابن أمِّك .... البيتين

والمحلّق : إبلٌ سماتها الحَلَق . وبداد : متفرِّقة . انتهى

٨٢ والأياصر : جمع أيصَر ، وهو الحشيش .

وهذه الوقْعة يقال لها يوم رحرحان ، براءين وحاءين مهملات ، وهو جبل قرب عكاظ .

وقد شرح خبرَ هذا اليوم شارحُ المناقضات شرحاً مفصلاً قال :

قال أبو عبيدة : حدَّثنى أَبو الوثِيق ، أحد بنى سُلمَى بن مالك بن جعفر بن كلاب قال : لمَّا التحف بنو دارم على الحارث بن ظالم لَّما قتل خالد بن جعفر بن كِلاب ، وأبى بنو دارم أن يسُلِموه أوْ يخرجوه من عندهم ، غزاهم ربيعة بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، بأفناء عامر ، طالباً بدم أخيه خالد بن جعفر عند الحارث بن ظالم ، فقاتل فى القوم فهزمت بنو دارم وهرب مَعبد بن زُرارة ، فقال رجل من غنىّ لعامر والطفيل ابنَىْ مالك بن جعفر بن كلاب : هذا رجل مُعْلِم بعمامة حمراء ، فى رأسه جرح ، رأيته يَسْنِدُ [2] فى الهضبة - أى يصعد - وكان معبد قد طُعن فصُرع ، فلما أجلَتْ عنه الخَيْل سنَد فى هضْبةٍ من رحرحان ، وهو جبل ، فقال عامر وأخوه الطفيل للغنوى : اسِنِدْ واحِدُرْهُ . فسنَد الغنوىُّ فحدَره عليهما ، فإذا هو معبد بن زرارة . فأعطيا الغنوىَّ عشرين بكرة وصار أسيرَهما .

---

(١) ط : « تذكرتم » ، صوابه فى ش والمعانى الكبير ١٠٤ .

(٢) ش : « يستدمى » ، صوابه فى ط والنقائض ٢٢٨ .

وأما دِرواس ، أحد بنى زرارة ، فزعم أن معبدا كان بِرَحْرَحان متنحيا عن قومه فى عُشراوات له ، فأُخبر الأحوص بمكانه فاغترَّهُ ، فوفد لقيط بن زرارة عليهم فى فداء أخيه ، فقال : لكم عندى مائتا بعير . فقالوا : إنَّك يا أبا نهشل سيدُ الناس ، وأخوك معبد سيد مضر ، فلا نقبل فداءَهُ منك إلا دية مالك . فأبى أن يزيدهم ، وقال : إن أبانا أوصانا (١) أن لا نزيدَ بأسيرٍ منَّا على مائتى بعير فيحبَّ الناسُ أَخْذَنا . فقال معبد : والله لقد كنتَ أبغض أخوتى إلىَّ وفادةً علىَّ ، لا تدعْنِى ويلك يا لَقِيط ، فوالله إنَّ عدَّة نَعَمى لأكثُر من ألف بعير (٢) ، فافْدِنى بألف بعير من مالى ! فأبَى لقيط وقال : تصير سُنَّةً علينا . فقال معبد : ويلك يا لقيط ، لا تدَعْنى فلا ترانى بعد اليوم أبداً ! فأبى ومَنَّاه أن يغزوَهم ويستنقذه ، ورحل عن القوم ، فما سَقَوا معبداً الماءَ حتى هلك هُزْلا .

وقال أبو الوثيق : لمَّا أَبى لقيط أَن يتفادَى معبداً بأَلِف بعير ظنُّوا أَنه سيغزوهم ، فقالوا : ضَعوا معبداً فى حصن هَوازن . فحملوه حتى وضعوه بالطائف ، فجعلوا إذا سقَوه قِراه لم يشربْ وضمَّ بين فُقْميه وقال : لا أقبل قراكم وأنا فى القِدِّ أسيرُكم ! فلما رأَوْا ذلك عمدوا إلى عُودٍ فأوجوه فى فيه وفتحوا فاه ، ثم أُوجَروه اللبنَ رَغبةً فى فدائه ؛ وكراهيةَ أَن يهلِك . فلم يزل كذلك حتى هلك فى القِدّ .

فلما هجا لقيطٌ عديًّا وتَيْماً قال عطيةُ بن عَوف التيمى يُعيِّره أسرَ بنى عامر معبداً ، وفِرارَه عنه :

---

(١) فى النقائض : « ان أبانا كان أوصانا »

(٢) فى النقائض : « ن عُيَّبَ نَعَمى من المنح والفُقَر لأكثر من ألف بعير » . الغيب : جمع غائب . والفقر : جمع فقرى . وهى الناقة أو البعير يعار ظهره للركوب .

هلاَّ كررت على ابن أمِّك معبد .... البيتين

فلما انقضَت وقعةُ يوم رَحرحان جمع لقيطُ بن زرارة لبنى عامر ، وألَّب عليهم . وبين يوم رحرحان ويوم جَبَلة سنة ، وكان يومُ جبلَة قبل الإسلام بخمس وأربعينَ سنة فى قول المكثِّر ، وذلك عامَ ولد النبى ﷺ . وفى قول المقلِّل : أربعينَ سنة . انتهى باختصار .

عوف بن خرع وعوف بن الخرع التيمى شاعر جاهلى ، وهو عَوف بن عطية بن الخرع ، واسم الخرع عمرو ، بن عيش بن وُرَيقة [1] بن عبد الله بن لؤىّ بن عمرو بن الحارث بن تَيْم بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدِّ بن عدنان . كذا فى جمهرة الأنساب .

٨٣ فالخرِع لقب جدِّه ، وهو بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء ، بعدها عَين . وله ديوانٌ صغير ، وهو عندى .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الأربعمائة [2] :

٤٧٢ (قد كنتُ أحْسَبُكم أسودَ خفيّةٍ
فإذا لَصَافِ ، تَبيضُ فيه الحُمَّرُ)

على أنَّ (فَعالِ) فى الأعلام الشخصية جميع ألفاظها مؤنَّثة . وأمّا لصافِ هنا فإنما ذكَّره بإرجاع الضمير عليه من فيه ، لتأويله بالموضع ، وهو منزلٌ من منازل بنى تميم . وروى أيضا « فيها » بتأنيث الضمير ، فلا إشكال حينئذ .

---

(١) فى معجم المرزبانى ٢٧٦ : « عمرو بن عبس بن وديعة » .

(٢) إصلاح المنطق ١٧٨ وأمالى القالى ٢ : ٢٣٦ والسمط ٨٥٩ وابن يعيش ٤ : ٦٣ .

أقول : الذى رواه : « فيه » بضمير المذكر هو صاحب الصحاح والعباب . والذى رواه : « فيها » بضمير المؤنث جماعة كثيرة ، منهم ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، والقالى (فى أماليه) ، وأبو محمد الأعرابى (فى ضالة الأديب) ، وأبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحترى) ، وأبو عبيدٍ البكرى (فى معجم ما استعجم) .

قال ابن دريد (فى الجمهرة) بعد إنشاده البيت : يخرج لَصافُ مخرج المؤنَّث فتقول : هذه لَصافُ ، ورأيت لصافَ ، ومررت بلصافَ ، فهو لا ينصرف . وكان أبو عبيدة يقول : هذا لصافِ ، مبنىٌّ على الكسر ، أخرجه مخرج حَذامِ وقطام . وإنْ رفعتَ فجيِّد ، وإن نصبت فجائز . انتهى .

قال الصاغانى (فى كتاب فَعَال [1]) : وبعضهم يُجريه مجرى ما ينصرف . وقد صرفه الشاعر فى قوله :

* إنَّ لَصافاً لا لصافِ فاصبرى [2] * .... البيت

ولصاف باللام والصاد المهملة : اسم ماءٍ فى موضعٍ بين مكة والبصرة لبنى يربوع ، من قبيلة تميم .

قال أبو عبيدٍ (فى المعجم) : قال الأثرم : لصاف ماء لبنى يربوع ؛

---

(١) نشره وحققه عزة حسن بدمشق ١٣٨٣ باسم « ما بنته العرب على فعال » .

(٢) بعده كما فى كتاب فعال ومعجم البلدان :

* إذ حقق الركبان موت المنذر *

وسيأتى قريبا نسبته إلى عبد ناجر ، أو باجر .

وكانت لصاف هى وما يليها من المياه والمواضع أَوّلاً لإياد ، وفيها يقول عبد ناجر الإيادى (١) :

إنّ لَصافا لا لصافَ فاصبرى
إذْ حقَّق الركبانُ مَوْتَ المنذرِ

ثم نزلتها بنو تميم فصارت لهم .

و (لصاف) موضع رفع على الابتداء ، وجملة (تبيض) إلخ خبره . و (الحُمّر) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم المفتوحة : ضربٌ من الطير كالعصفور ، الواحدة حُمَّرة ، وقد تخفف الميم فيقال حُمَر وحُمَرة . أنشد ابن السكيت لابن أحمر :

إن لا تَدارَكهمُ تصبحْ منازلهم
قفراً تبيض على أرجائها الحُمَرُ

كذا فى الصحاح ، وأنشد البيت .

وقال أبو حاتم (فى كتاب الطير) : الحُمّر بِعِظَمِ العصفور ، وتكون كدْراء ورقشاء . قال أبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحترى) : يجوز أن

(١) فى معجم ما استعجم فى رسم (توضح) ١ : ٣٢٧ : « عبد باجر » . وهو الصواب ، ففى القاموس (بجر) : « وكهاجر : صنم عبدته الأزد » . وفى ذيل الأصنام لابن الكلبى ٦٣ « باجر ، قال ابن دريد : وهو صنم الأزد فى الجاهلية ومن جاورهم من طيىء وقضاعة ، كانوا يعبدونه . بفتح الجيم وربما قالوا : باجر بالكسر » . وروى ابن الأثير فى النهاية أنه يسمى « باحر » بالحاء المهملة . وذكره فى مادة (بجر) بالجيم ، وقال : إنه كان فى الأزد .

يكون كلٌّ من المشدَّد والمخفف لغة ، ويجوز أن يكون المخفف ضرورة ، لأنَّ إحدى الميمين زائدة . وقد ذكر ابن السكيت المخفف فى باب فُعَلة ، فأوجب عليه ذلك أن يكون يَرى التخفيف أفصح . ومذهب سيبويه والخليل أن الميم الأولى هى الزائدة ، ومذهب غيرهما أنَّ الثانية هى المزيدة . وكلا القولين له مَساغ .

ابن لسان الحمرة قال صاحب العباب : وابن لسان الحُمَّرة كوفىٌّ نسّابة ، واسمه عبد الله ابن حُصين بن ربيعة بن صُعَير بن كلاب . وحُصين هو لسان الحمَّرة . وقرأت (فى كتاب الفهرست) لمحمد بن إسحاق بن النديم بخطه : أنَّ اسم ابن لسان الحمرة وَرقْاء بن الأسعر . انتهى . ٨٤

وخَفِيّة بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء بعدها مثناة تحتية مشددة ، قال الخليل : هى اسم غَيضة ملتفَّة تتَّخذها الأسد عَرينا (١) . كذا فى المعجم لأبى عبيد . يقول : كنت أحسبكم شُجعاناً كأسود خَفِيَّة ، فإذا أنتم جُبناء ضعفاء ، فكأنَّ أرضكم لصافِ ، يتولَّد فيها هذا الطير لا الرجالُ .

صاحب الشاهد والبيت أَوّل أبياتٍ لأبى المهوِّش الأسدى ، هجا بها نهشَلَ بنَ حَرِّىّ ، أوردها أبو محمد الأعرابى (فى ضالة الأديب) ، وهى :

أبيات الشاهد

(قد كنتُ أحسِبُكُمْ أُسُودَ خَفِيّةٍ
فإذا لَصافِ تبيض فيها الحُمَّرُ
فترفَّعُوا هَدَجَ الرئالِ فإنّما
تَجنى الهُجَيمُ عليكمُ والعَنبرُ

---

(١) فى معجم ما استعجم ١ : ٥٠٦ : « عريسة » .

عَضّت تميمٌ جلدَ أيرِ أبيهمُ
يومَ الوَقيطِ وعاوَنتها حَضْجَرُ
وكفاهمُ من أمِّهم ذُو بَنَّةٍ
عبلُ المشافر ذو قَليل أسعرُ
ذهبت فَشيشَةُ بالأباعر حولنا
سَرَقاً ، فصبَّ على فشيشة أبجرُ (١)
منعت حنيفةُ واللهازمُ منكمُ
قَشِرَ العراق وما يَلَذُّ الحَنجرُ
وإذَا تسرُّك من تميمٍ خَلَّةٌ
فلَمَا يَسوءك من تميمٍ أكثر
يا نهشلَ بن أبى ضُميرٍ إنَّما
مِنْ مِثل سَلح أبيكَ ما تستقطِرُ
إذْ كان حَرِّىٌّ سَقِيطَ وليدةٍ
بَظْراءَ يركُض كاذَتيها العُهَّرُ)

قوله « فترفَّعوا هدجَ » إلخ استهزاءٌ بهم . وهدجَ الرئال منصوب بنزع الخافض ، أى عن هدجه ، وهو مصدرٌ وفعله من باب فرح ، يقال هدَج الظليم ، إذا مشَى فى ارتعاش . والرِّئال : جمع رأل بفتح الراء وسكون الهمزة ، وهو فَرخ النعام . والهُجَيم بالتصغير والعنبر أخَوانِ ، وهما ابنا عمرو بن تميم . وأراد أولادهما ، فإنَّ كُلاًّ مِنهُما أبو قبيلة .

(١) فى أمالى القالى ٢ : ٢٣٦ : « ويروى هربا » ، أى بدل « سرقا » .

وقوله : « عَضّت تميم » إلخ روى بدل تميم « أُسَيِّد » مصغر أسود لا ينصرف ، وهو أخو الهجيم والعنبر . وروى أيضاً بدل جلد « جذل » بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، وهو أصل الحطب العظيم . شَبّه أير أبيهم به . وهذا الكلام سبٌّ وتذليل عند العرب . وأراد بتميم ماتفرَّع منه من القبائل والبطون .

ويوم الوقيط كان فى فتنة عثمان بن عفّان ، وهو لِلّهازم ، رئيسُهم أبجر ابن بُجير ، على بنى مالك بن حنظلة . فأَمّا بنو عمرو بن تميم فأُنذرهم ناشب ابن بَشامة العنبرى فدخلوا الدَّهناء فَنجَوْا . وفى هذا اليوم أُسر ضِرارُ بن معبد ابن زرارة .

وحَضْجَر بفتح المهملة وسكون المعجمة بعدها جيم ، وهو لقب العنبر . قاله أبو محمد الأعرابى .

والمعاونة كانت بالإنذار كما ذكرنا .

وقوله : « وكفاهُم من أمِّهم » ضمير « هم » راجعٌ لأسيِّد والهُجيم والعنبر ، وأُمُّهم هى أُمُّ خارجة المشهورةُ بالنكاح ؛ يقال فيها : « أسرَعُ من نِكاح أُمِّ خارجة » . كانت ذوَّاقة ، إذا ذاقَت الرجلَ طلقته وتزوَّجت غيره . فتزوَّجت نَيِّفاً وأربعين زوجاً ، ولدت فى عامة قبائل العرب . وكان الخاطب يأتيها فيقول : خِطب ! فتقول : نِكح ! وكان أمرها إليها إذا تزوَّجت ؛ إن شاءت أقامت وإن شاءت ذهبت ، فيكون علامةُ ارتضائها للزوج أَن تصنع له طعاما كُلَّما تصبح . وكان آخر أزواجها عمرو بن تميم ، وهو المراد بقوله
« ذو بَنَّة » بفتح الموحدة وتشديد النون ، وهى رائحة بَعَر الظباء ، والرَّائحةُ ٨٥
أَيضا . والعَبْل : الضخم . والمِشفَر بالكسر ، فى الأصل : شفَة البعير . والقَليل بالقاف : دقّة الجثة . والأسعر ، بالسين والعين المهملتين : القليل اللحم الظاهر العصب . وصَفَه بحقارة الجُثّة .

وقوله : « ذهبت فشيشة » بالفاء والشين المعجمة : لقبٌ لبعض بنى تميم [١] . وأبجر : رئيس اللهازم [٢] .

وقوله : « منعت حنيفة واللهازم [٣] » حنيفة : أبو قبيلة ، وهو حنيفة ابن لُجيم بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل . واللهازم هم تَيم الله بن ثعلبة ابن عُكابة بن صعب بن علىّ المذكور . واللهازم حلفاء بنى عجل ، وعِجْل أخو حنيفة المذكور . والقَشِر بفتح القاف وكسر الشين ، وهو التمر الكثير القشور . والحَنْجَر : الحلقوم .

وقوله : « وإذا تسرُّكَ » إلخ الخَلّة بفتح الخاء المعجمة هى الخَصْلة .

وقوله : « يا نهشل » إلخ هو نهشل بن حَرِّىٍّ بن ضَمرة ، وهو شِقَّة ، ابن ضَمرة بن جابر بن قَطَن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم . وضُمير هو مصغر ضَمرة . والسَّلح : التغُّوط ، وهو مصدر سلحَ . والسُّلاح بالضم : اسم النجْو والعَذِرة . وتَستقطر : تتبّخر بالقُطر بالضم ، وهو العود الذى يبخَّر به .

وقوله : « إذْ كان حَرِّىّ » بفتح المهملة وتشديد الراء والياء ، وهو أبو نهشل المهجوّ . وسَقِيط بمعنى السَّقَط . والوليدَةُ : الخادمة . والبظراء : التى لم تختن . ويركض : يحرِّك . والكاذتان : مانتأ من اللحم فى أعالى الفخذ . والعُهّر : جمع عاهر ، وهو الزانى . رمىَ أُمَّه بالفجور .

---

(١) فى اللسان أنه لقب لبنى تميم . وفى السمط ٨٦١ : « نَبَز لبنى تميم ، مأخوذ من خروج الريح ، يقال فش الوطب ، إذا أخرج منه الريح » .

(٢) هو أبجر بن جابر العجلى ، كما قال فى السمط ٦٨١ . ثم قال « وقيل أن أبجر اسم من أسماء الدواهى » .

(٣) كلمة « منعت » ساقطة من ش .

ذكر المدائنى وغيره قال : مرَّ الفرزدق بمضرِّس بن ربعىّ الأسدى ، وهو يُنشد بالمِرْبد وقد اجتمع الناس حوله ، فقال : يا أخا بنى فقعس ؛ كيف تركت القَنان ؟ قال : تبيض فيه الحمَّر . قال : أراد الفرزدق قول نهشَل بن حرّىّ :

ضمِن القَنانُ لفقعَسٍ سَوْءَاتِها
إنَّ القنان بفقعسٍ لَمعَمَّرُ (١)

وأراد مضرِّس قول أبى المهوِّش الأسدى :

وإذَا تسرُّك من تميم خَصلةٌ
فَلمَا يسوءك من تميم أكثرُ
قد كنتُ أحْسِبُكم أسودَ خفيَّةٍ
فإذا لَصَافِ تبيض فيها الحمَّرُ
عَضّت أُسيِّدُ جِذْلَ أير أبيهمُ
يومَ النِّسار ، وخُصْيَتيهِ العَنبرُ

نسبهَم إلى الجبن بقوله : « فإذا لصاف تبيض » إلخ ، ثم أعضّهم أير أبيهم لِفرارهم يوم النِّسار .

وقال القالى (فى أماليه) : حدَّثنا أبو بكر قال : حدَّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : قيل للفرزدق : إنَّ ههنا أعرابيًّا قريباً

(١) فى ش : « ضمن القنان بفقعس لمعمر » فقط . وفيه سقط .

منك يُنشد شعراً رَقيقاً . فقال : إنَّ هذا لَقائف أو لحائن (١) ! فأتاه فقال : ممَّن الرجل ؟ قال : من بنى فقعس . قال كيف تركت القنان ؟ قال : تركتُهُ يُساير لصافِ . فقلت : ما أرادَا ؟ قال : أراد الفرزدق قولَ الشاعر :

ضَمِنَ القَنانُ لفقعسٍ سَوءاتِها .... البيت

وأراد الفقعسىُّ قولَ الآخر :

وإذا تسرُّك من تميم خصلة .... البيت

قد كنت أحسبهم أسودَ خفية .... البيت

أكلت أسيِّد والهُجَيم ودارم
أير الحمار ، وخصيتيه العنبَرُ

انتهى .

قال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : البيت الأخير
٨٦ محوَّل عن وجهه ، والمحفوظ فيه :

عضّت أسيِّد جِذْل أير أبيهمُ
يوَم النِّسار وخُصيتيه العنبرُ

انتهى .

وبنو تميم لا تعيَّر بأكل أَير الحمار ، وإنّما تعيَّر به بنو فزارة . وقولهُ : « يساير لصَافِ » ، من المحال الذى لا يجوز إلاَّ إذا سُيِّرت الجبالُ فكانت سَرَابا

---

(١) قائف ، من القيافة ، وهى تتبع الأثر . وفى الأصل : « لفائق » وفى السمط ٨٥٨ : « لقائف أو الحائن » . وفى الأمالى ٢ : ٢٣٦ : « لقائف أو لَخَائن » .

والتعريض الحسن هو ما نقلنا . انتهى .

قُلت : وقد روى البيت المذكور أبو محمد الأعرابى كما رواه القالى ، وهو خطأ كما بيَّنَّا . وقنان بفتح القاف ونونين : جَبل فى ديار بنى فقعس .

أبو مهوش الأسدى

وأبو مهوش الأسدى قال ابن الكلبى (فى جمهرة الأنساب) : هو ربيعة بن رِئاب [(١)] بن الأشتر بن حَجْوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين [(٢)] بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مُدركة بن الياس ابن مضر .

ومهوِّش ، بكسر الواو المشددة بعدها شين معجمة . وحَوْط بواو ساكنة بين مهملتين . ورئاب براء مهملة مكسورة بعدها همزة ممدودة . وحَجْوان بفتح المهملة وسكون الجيم . وقُعَين بضم القاف وفتح العين . ودُودان بضم الدال المهملة الأولى .

وقال أبو محمد الأعرابى (فى ضالة الأديب) : اسمُه حَوْط بن رئاب . وبه ترجمه ابن حجر (فى الإصابة) فى قسم المخضرمين الذين أدركوا النبى ﷺ ولم يَرَوْهُ . قال : حوط بن رئاب الأسدى الشاعر ، ذكر أبو عبيد البكرى (فى شرح الأمالى) أنّه مخضرم . وهو القائل :

---

(١) ط : « وثاب » صوابه فى ش ، وهو ما يقتضيه الضبط بعده .

(٢) فى النسختين : « عمرو قعين » وحاول الشنقيطى إصلاحها فتعذر عليه . وهو عمرو بن قعين ، كما فى جمهرة ابن حزم ١٩٥ — ١٩٦ .

دَنَوت للمجد ، والسّاعون قد بلَغوا
جَهْدَ النُّفوس وأَلقَوْا دَونَه الأُزرا

فظهر من هذا أنَّه إسلامى .

ولم أر له فى كتب تراجم الشعراء ذكراً . والله أعلم .

* * *

الأصوات

أنشد فيه :

(باسمِ الماءِ)

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(لا ينعَشُ الطَّرفَ إلّا ما تَخَوَّنهُ
داعٍ يناديه باسمِ الماءِ مبغومُ)

* * *

وتقدَّم شرحُه مفصّلا فى الشاهد السابع بعد الثلثمائة [١] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٧٣ (كما رُعْتَ بالجَوْتِ)

وهو قطعةٌ من بيت :

(دعاهُنَّ رِدْفى فارعَوَيْنَ لَصوتِهِ
كما رُعْتَ بالجَوْتِ الظِّمَاءَ الصَّوادِبا)

على أنَّ بعض الأصوات قد يَدخُله أداة التعريف .

(١) الخزانة ٤ : ٣٤٤ .

(٢) ابن يعيش ٤ : ٧٥ ، ٨٢ والعينى ٤ : ٣٠٩ .

قال الزمخشرى (فى المفصل) بعد ما أنشدهُ : هو بالفتح محكيًّا مع الألف واللام .

وقال ثعلب (فى أماليه) : يقال للبعير جَوت جَوْت ، إذا دعوته إلى الماء ؛ وإذا أدخلوا الألف واللام تركوها على حالها . وكان أبو عمرٍو يَكسر التاء ويقول : إذا أدخلت عليه الألفَ واللام ذهبت منه الحكاية .

وجوَّز ابن الناظم (فى شرح الألفية) الوجهين : الجرَّ على الإعراب ، والفتح على الحكاية .

قال الصَّغانى (فى العباب) : يقال للإبل : جَوْت بفتح الجيم والتاء
المثناة ، إذا دُعِيَتْ إلى الماء . وحكى الفراءُ : جَوت بفتح الأول وكسر الآخِر ٨٧
وضمه أيضا . فالجيم مفتوحة لا غير . والتاء وردَ فيها الحركات الثلاث .

قال صاحب القاموس : جوت جوت ، مثلثة الآخر مبنية : دُعاءٌ للإبل إلى الماءِ . وقد جأوتَها وجأيتها . أو زجرٌ لها . والاسم الجُوَات .

وأمَّا حَوْب بفتح الحاء المهملة وآخره باء موحدة ، فهو زجرٌ للإبل وليس بمرادٍ هنا ، وباؤه مثلثة الحركات ، وقد أخِذ منه فِعلٌ فقيل : حَوَّبَ فلان بالإبل ، إذا قال فى زجرها : حَوب .

والبيت وقعَ فى شعرَىْ شاعرينِ : أحدهما : فى شعر عُويف القوافى ، صاحب الشاهد
وهو المشهور . واختلف فى معناه ، فقيل أراد بالرِّدف تابِعَهُ من الجن ، فإنَّ القوافىَ إذا تزاحمت فى خاطره ووَسْوَسَتْه يقولون : إن له شيطانا يوسوسه . فضمير دعاهنَّ للقوافى ، أى دعا شيطانى القوافىَ فأَجبنَه وانثَلْن عليه . يعنى

أن الشعر أطاعَه . والردف بالكسر فى الأصل : المرتدَف ، وهو الذى يركب خلف الراكب .

والارعواء : النزوع عن الجَهل وحُسن الرُّجوع عنه . ورُعْتَ بالخطاب ، هو من قولهم : هذه شربةٌ راع بها فؤادى ، أى برد بها غُلّةُ رُوعِى بالضم ، وهو القلب أو موضع الفزع منه ، أو سواده . وقيل هو من راعَه بمعنى أعجبه .

والظِّماء : جمع ظمآنٍ وظمآنةٍ ، من ظمِئ كفرح ، أى عطش ، أو اشتدَّ عطشه . والصَّوادى : جمع صادية ، من الصَّدَى وهو العطش ، وفعله من باب رضى . وقيل معناه وهذا هو المشهور : أنَّ رديفهُ لما دعا النساءَ اجتمعن ورَجعن عما كنَّ عليه من الشُّغل ، كما لو دعوت إلى الشرب الإبل فالتففْنَ وتضامَمْن للشرب . فضمير دعاهُنَّ راجع للنساء .

ولم أقف على ما قبل البيت حتى أتحقَّقه .

والثانى : وقع فى شعر سُحيم عبدِ بنى الحسحاس هكذا :

* وأَوْدَهَ رِدْفِى فارعوَينَ لصَوته (١) * ... إلخ

وأَوْدَهَ فعل ماض ، قال صاحب القاموس : أَوْدَهَ بالإبل ، أى صاح بها . ويوجَد فى (بعض نسخ مجمع الأمثال للميدانى (٢)) عند قوله : « إلّا دهٍ فلا دَهٍ » قال أبو السَّمْح : أظنُّه من الإيداء ، وهو الإهابة بالإبل . وأنشَدَ هذا البيت .

وقد وقَعَ المصراع الأوّل صدَر بيت من قصيدة لمضرِّس بن ربعى ، وهى قصيدة مختلفة المعانى ، وصفَ فيها الابل ثم قال :

---

(١) لم يرد هذا البيت فى ديوان سحيم .

(٢) النص التالى لم يرد فى مطبوعة مجمع الأمثال عند هذا المثل .

دعاهُنَّ رِدْفى فارعوَيْنَ لصوته
وقلنَ لحاديهنَّ هل أنتَ ناظرُه

قال الأصمعى : دعاؤه : أنْ يغنِّىَ ليعرِفْنَ صوتَه وإنشادَه ، فيُحبَسْنَ عليه .

ومثـله :

نادُوا الذين تحمَّلوا كى يَربَعُوا   كيما يودِّع عاشقٌ ويودِّعوا

وأضيف عُوَيف (١) إلى القوافى لقوله :

سأُكذِب مَن قد كان يزعُم أنَّنى
إذا قلت قولاً لا أُجيد القوافيا (٢)

ويشبه أن يكون هذا البيت من قصيدة البيت الشاهد .

عويف القوافى

وعويف هو عويف بن معاوية بنُ عقبة بن ثعلبة بن حصن – وقيل : ابن عقبة بن عيينة بن حصن – بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جُؤيَّة بن لَوذان بن ثعلبة بن عدى فزارة بن ذُبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .

وعويف القوافى شاعر مقِلّ من شعراء الدولة الأموية ، من ساكنى
٨٨ الكوفة ، وبيته أحدُ البيوتات المتقدِّمة الفاخرة فى العرب . قال أبو عبيدة حدثنى أبو عمرو بن العلاء أن العرب كانت تعدُّ البيوتاتِ المشهورة بالكِبَر والشرَف من القبائل ، بعد بيت هاشم بن عبد مناف فى قريش ، ثلاثة بيوتات . ومنهم من يقول أربعة . أولها بيت آل حُذيفة بن بدر الفَزارى : بيت قيس . وبيت آل زُرارة بن عُدُس الدَّارميِّين : بيت تميم . وبيت آل ذى الجدَّين ابن عبد الله بن همَّام : بيت شيبان . وبيت بنى الديَّان من بنى الحارث بن كعب . بيت اليمن .

---

(١) ط : « عوف » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) البيان ١ : ٣٧٤ ونوادر المخطوطات ٢ : ٣٠٩ والأغانى ١٧ : ١٠٧ .

وأما كندة فلا يُعدُّون من أهل البيوتات ، إنما كانوا ملوكا .

وروى صاحب الأغانى بسنده (١) أن عويف القوافى وقف على جرير بن عبد الله البَجَلى وهو فى مسجده فقال :

أصُبُّ على بَجِيلة مِنْ شَقَاها
هجائى حين أدركَنى المشيبُ

فقال له جرير : ألا أشترى منك أعراض بَجِيلة ؟ قال : بلى . قال : قل . قال : بألف درهم وبِرذون . فأمر له بما طلب فقال :

لولا جَرِيرٌ هلكت بَجِيله
نعمَ الفتى وبئست القبيلهْ

فقال جرير : ما أُراهم نَجَوا منكَ بعد !

وروى بسنده أيضاً إلى أبى بردة الأشعرى قال : حضرت مع عُمر بن عبد العزيز جنازة ، فلما انصرف انصرفتُ معه وعليه عمامةٌ قد سَدَلَها من خَلْفِهِ ، فما علمت به حتى اعترضَه رجل على بعير فصاح به :

أجِبنى أبا حفص لقيتَ محمدا
على حوضه مستبشراً ورآكا (٢)

فقال عمر بن عبد العزيز : لبيك ! ووقف ووقفَ الناس معه ، ثم قال : فمه ؟ فقال :

---

(١) الأغانى ١٧ : ١٠٧ .

(٢) ط : « وأراكا » ، صوابه من ش والأغانى .

فأنت امرؤٌ كلتا يديك مُفيدة
شِمالُكَ خير من يمين سِواكا

[قال : ثمَّ مَه ؟ فقال (١)] :

بَلغتَ مَدَى المُجْرِينَ قبلك إذْ جَروْا
ولم يَبلغ المُجْرون بعْدُ مَداكا
فجدَّاك لا جدَّين أكرمُ منهما
هناك تناهَى المجدُ ثَمَّ هُناكا

فقال له عمر : أراك شاعراً ، ما لك عندى من حقٍّ . قال : ولكنِّى سائلٌ وابن سبيل . فالتفت عمر إلى قَهرمانه فقال : أعطِه فضلَ نفقتى . فقال : وإذا هو عويف القَوافى الفزارى . وكانت أخت عُويف القوافى تحت عُيينة بن أسماءَ بن خارجة الفزارى ، فطلَّقها عيينة فكان عويفٌ مراغماً لعيينة ، وقال : الحُرَّة لا تطلَّق لغير ما بأس . فلما حبس الحجاج عُيينة وقيَّده قال عويف :

مَنعَ الرُّقادَ فما يُحسُّ رقادُ
خبَرٌ أتاك ونامت العُوَّادُ
خبر أتانى مِن عيينةَ موجِعٌ
ولِمثلـه تتصدَّع الأكبـادُ
بَلغَ النفوسَ بلاؤُها فكأننا
مَوتى وفينا الروحُ والأجسادُ
ساء الأقاربَ يوم ذاك ، وأصبحوا
بَهِجِينَ قد سُرَّتْ بِه الحسَّادُ (٢)

---

(١) التكملة من الأغانى ١٧ : ١١٠ .

(٢) أى أصبح الحساد بهجين مسرورين . وفى الأغانى : « قد سروا » . وقد أضمر فى « أصبحوا » قبل ذكر الحساد .

يرجُون عَثرَةَ جدِّنا ولوَ انَّهم
لا يدفعون بنا المكاره بادوا
لمَّا أتانى عن عيينة أنه
عانٍ تَظَاهرُ فوقَه الأقيادُ
نَخلتْ له نفسى النصيحةَ إنه
عند الحفائظِ تذهب الأحقادُ
وذكرتُ أىُّ فتى يسدُّ مكانَه
بالرِّفْدِ حين تَقاصَرُ الأرفادُ
أو من يُهِين لنا كرائمَ ماله ٨٩
ولنا إذا عُدْنا إليه مَعادُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الأربعمائة :

٤٧٤ (تُردُّ بَحيَّهْلٍ وعاجٍ وإنما
من العاج والحَيَّهْلِ جُنّ جنونُها)

على أنَّ اسم الصوت إذا قصد به لفظه أعرب كما فى البيت ، فإنّ عاج ، وهو زجرٌ للإبل لتسرع ، لمَّا قُصِدَ لفظه أعرب بالجر والتنوين أوّلا ، وبالجرِّ والتعريف ثانياً . أى إنها تُردُّ بمجرد ذكر هذه الكلمة ، وهى اسم فعل كما تقدَّم .

وأنشد ثعلب (فى أماليه) بيتاً فيه حَيَّهَلْ معرفا باللام ، ونقله ابن برى (فى حاشية الصحاح) قال : قد عرفت العرب حيَّهَلْ كقوله :

وقد غدوت قبل رفع الحيَّهَلْ أسوق نابينِ وناباً مِ الإبلْ (١)

قال : والنابان : العجوزان . ومِ الإبل ، أصله : من الإبل ، فحذفت منه النون .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد نسبه الشارح المحقق لجهم بن العباس ، ولم أره إلا فى شرحه ولا أعرف جهماً من هو . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(تداعين باسم الشِّيب فى مُتثَلِّمِ)

تقدم شرحه مستوفىً فى الشاهد الثامن من أول الكتاب .

* * *

وأنشد بعده :

(كما رُعْتَ بالجَوتِ الظماءَ الصواديا)

تقدم شرحه قريباً قبل هذا بشاهد واحد .

* * *

وأنشد بعده :

(إنّ لوّاً وإنَّ ليتاً عناءُ)

على أنّ الكلمة المبنية إذا قصد لفظها أعربت كما أُعرِبت لو وليت . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب العلم (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(عَدَسْ ما لعبّادٍ عليك إمارةٌ

نجوتِ وهذا تحملين طليقُ)

---

(١) لم يرد فى أمالى ثعلب المنشورة .

(٢) هو الشاهد ٥٣٧ فى الجزء السابع .

على أن عدس فيه زجرٌ للبغل .

وتقدَّم شرحُه مفصلا فى الشاهد الثامن والعشرين بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الأربعمائة :

٤٧٥(حتى استقامتْ له الآفاقُ طائعةً

فما يقال له هَيِدٌ ولا هادُ)

على أن الشاعر لمَّا قصد لفظ هيد وهاد أُعرَبَهما بالرفع على جعل الأول نائب فاعلِ يقال ، والثانى معطوفاً عليه .

وهذا مأخوذ من صحاح الجوهرى ، قال فيه : وهَيد بفتح الهاء وكسرها ، وهاد : زجر للإبل . وأنشد أبو عمرو :

وقد حَدوناهَا بهِيدٍ وهَلاَ

حتَّى يُرَى أسفلُها صارَ علاَ

وقولهم : ماله هيد ولا هاد ، أى ما يقال له هيدٌ ولا هاد . وأنشد الأحمر : ٩٠

* حتى استقامت له الآفاق طائعة * ..... البيت

أى لا يحرِّك ولايمنع من شئ ولا يزجر عنه . اهـ .

وخطأه ابن بَرّ، فى رواية الرفع ، قال (فى أماليه على الصحاح) : البيت لابن هَرمة ، وصواب إنشاده بالكسر فى هيدِ وهادِ لأنهما مبنيان .

وأوّل القصيدة :

(١) انظر هذا فى الجزء السادس ص ٤١ - ٥٦ ، وقد سقط هذا الشاهد من نسخة ش .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٨٠ وديوان ابن هرمة ١٠٥ .

(اربَعْ علينا قليلاً أيها الحادى
قَلَّ الثَّواءُ إذا نزَّعتُ أوتادى)

والبيت فى شعره بخلاف ما أنشده الجوهرى وهو :

(إنِّى إذا الجار لم تُحفَظ محارمُه
ولم يُقَلْ دونه هيدٍ ولا هادِ [١]
لا أخذلُ الجار بل أحمى مَباءَتَه
وليس جارى كعُشٍّ بين أعوادِ [٢]

انتهى .

وتبعه الصلاح الصفَدى (فى كتابه نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهرى من الوهم) ، ونقل كلامَه برمَّته وقال : فالبيت الذى أورده الجوهرى تغيّرَ أكثرُ ألفاظه مع تغيير القافية ؛ لأن هيد وهادِ مبنيان على الكسر ، وهما بمعنى الزجر عن الشى وفعله . ا هـ .

وأنا استَبعِد أن يكون بيت الجوهرى من قصيدة ابن هرمة ؛ لاحتمال أن يكون من شعر آخر . والله أعلم .

وقوله : « اربَع » بكسر الهمزة وفتح الموحدة ، أى قفْ وتحبَّس . والثَّواء : الإقامة .

وقوله : « إنِّى إذا الجار » خبر إنِّى أول البيت الثانى ، وهو لا أخذُل . والمباءة بالفتح والمد : منزل القوم فى كلِّ موضع .

---

(١) ديوان ابن هرمة ١٠٥ .

(٢) فى اللسان (هيد) : « كعُشّ » .

وأما البيت الأول وهو :

* وقد حدوناها بهيد وهلا *

فلم يكتب ابن برى عليه شيئاً [١] ، وقد نسب إلى القتال الكلابى ، ولم يوجد فى ديوانه . ونسبهُ أبو محمد الأعرابى لغيلان بن حُرَيثٍ الرَّبَعىِّ كذا :

* ليس بثانيها بهيد أو حلا [٢] *

وقال الصَّفدى : هلا فى هذا الرجز غلط ، لأن هيد : زجر للإبل ، وهلا : زَجرٌ للخيل ، والذى يقرن به هيد إنما هو حلا ، وكذا هو فى الرجز . وهو لغيلان . على أنَّ البيت مغيَّر . والصواب .

* ليس بثانيها بهيد وحلا *

وترجمة ابن هرمة تقدمت فى الشاهد الثامن والستين [٣] .

* * *

وأنشَدَ بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الأربعمائة [٤] :

٤٧٦ (إلا دهٍ فلا دَهِ)

(١) فى ملحقات ديوان القتال ١٠٠ : « وأنشد أبو عمرو للقتال الكلابى ، وقال ابن برى : الراجز هو غيلان بن حريث الربعى » ثم ساق أربعة أشطار من الأرجوزة . وقد نقل ابن منظور هذه النسبة من ابن برى فى اللسان (عطل) .

(٢) ش : « بهيد وحلا » ، وأثبت ما فى ط . وانظر التعليق التالى .

(٣) الخزانة ١ : ٤٢٤ .

(٤) ابن يعيش ٤ : ٨١ ومجمع الأمثال ٤٠ فى باب الهمزة ، واللسان (دهده ٣٨٣) .

هو مَثَلٌ ، وقَع فى قطعة من رجز لرؤبة بن العجَّاج ، يورد النحويون منه أربعة أبيات ، وهى :

(فاليومَ قد نهنهنى تنهنهى
وأَوْلُ حلم ليس بالمسفَّهِ
وقُوَّلٌ إلا دهٍ فلا دهِ
وحَقَّةٌ ليست بقَول التُّرَّهِ)

وصف قبل هذه الأبيات شبابه وما كان فيه من مغازلة الغوانى ومواصلة الأمانى ، إلى أن قال : فاليوم قد زجرنى عما كنت فيه أربعة أشياء :

الأول التنهنه ، وهو مطاوع نهنهته عن كذا فتنهنهَ ، أى كففته وزجرته عنه فكفَّ ، أى زجرنى زواجر العقل .

الثانى : أوْلُ حلم ، أى رُجوع عقل لا يُنسَب إلى السَّفَه .

الثالث : عذل القائلين : إن لم تتب الآنَ مع الدواعى إلى التوبة فلا تتوب أبداً . فقوله : « وقُوَّلٌ » هو على حذف مضاف .

والرابع : حَقَّةٌ أى خُطة حَقَّة . فالموصوف محذوف ، وأراد بها الموت وقُرْبَه . يقال حَقٌّ وحقَّة ، كما يقال أهل وأهلة . ٩١

والتُّرَّهُ : اسم مفرد بمعنى الباطل ، يقال تُرَّةٌ وتُرَّهة ، وجمع الأول تَراريهُ ، وجمع الثانى ترَّهات .

وقول الشارح المحقق : « ده بفتح الدال وسكون الهاء » إلى آخر

ما ذكره ، هذا كلام شارح اللباب إسماعيل الفالى من غير زيادة ولا نقص . ولا يخفى أنه إذا كان ده بمعنى اضربْ فهو اسم فعل لا صوت ، والحق أنها فى لغة الفُرس زجرٌ لذى الحافر ليسرع أو ليذهب ، وليست بمعنى اضرب . وهذا أمر ظاهر من استعمالهم إلى الآن ، ولكنهم أجمعوا على أنَّهَا بمعنى الضرب . وحينئذ فيرد عليهم أنها تكون اسمَ فعل لا صوتا .

قال صاحب اللباب فيما علَّقه على مَتنْه : ذكَر جارُ الله أن ده زجر للإبل ، مثل هيد وهاد . وذكر فى أمثاله أن ده بفتح الدال وكسرها فارسية معناها الضرب ، قد استعملها العرب فى كلامهم ، وأصله أن الموتور يلقى واتره فلا يتعرَّض له ، فيقال له « إلّا دهِ فلا ده » ، أى إنك إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه أبداً . وتقديره : إن لم يكن ده فلا يكون ده ، أى إن لم يوجد ضربٌ الساعةَ فلا يوجد ضرب أبداً . ثم اتسعوا فيه فضربوه مثلاً فى كل شئ لا يُقْدِم عليه الرجل وقد حان حِينُه ، من قضاء دين قد حلَّ ، أو حاجةٍ طُلِبت ، أو ما أشبه ذلك من الأحوال التى لا يسوغ تأخيرها . وأنشد أبو عبيدة لرؤبة :

* وقُوَّلٍ إلَّا دهِ فلا دهِ *

وذكر هشام بن محمد الكلبى فى حكاية طويلة أن هذا من قول الكاهن الذى سافر إليه عبد المطلب وحرب بن أمية ، وقد خبئوا له رأسَ جرادة فى خَرْزِ مزادة ، وجعلوه فى قلادة كلبٍ يقال له سَوَّار ، فقال : « خبأتم لى شيئاً طار فسطع ، فتصوَّبَ فوقع ، فى الأرض منه بُقع » : جمع باقعة [1] وهى الداهية . فقالوا : لَا دَهِ [2] ، أى بيِّنه . قال : « هو شئٌ طار فاستطار – أى

---

(١) كذا فى النسختين ، والباقعة لا تجمع على بقع ، وإنما مفرد البقع بقعة .

(٢) ما بعده إلى : « ده » التالية فى ص ٣٩٤ ساقط من ش .

تفرّق وفشا – ذو ذنب جَرّار (١) ، وساق كالمنشار ، ورأس كالمسمار » ، فقالوا : لا ، دَهٍ . فقال : « إلا دهٍ فلا دَهٍ (٢) . هو (٣) رأس جرادة ، فى خَرْز مزادة ، فى عنق سوَّارٍ ذى القلادة » . قالوا : صدقت .

وفى أمثال الميدانى : إلا دهْ فلا دهْ ، رواه ابن الأعرابى ساكنَ الهاء . قال أبو عبيد : يضربه الرجل يقول : أُريدُ كذا وكذا . فإنْ قيل له : ليس يُمكن ذا . قال : فكذا وكذا . وقال الأصمعى : معناه إن لم يَكُنْ هذا الآنَ فلا يكون بعد الآن . وقال : لا أدرى ما أصلُه . ويروى أيضا : « إلا دُو فلا دَه » ، أى إن لم تعطِ الاثنين فلا تعط العشرة . انتهى .

وهذه رواية غريبة شاذة ، وبها يخرج ده مما نحن فيه ، فإن لفظ دو بالفارسية الاثنان من العدد بدال مضمومة بعدها واو ساكنة ، ولفظ دَه بمعنى العشره فى لغتهم بدال مفتوحة وهاء ساكنة .

ثم قال الميدانى : وقال المنذرى : قالوا معناه : إلا هذه فلا هذه ، يعنى أن الأصل إلا ذِهِ فلا ذه ، بالذال المعجمة ، فعربت بالدال غير المعجمة ، كما فى يهودا مبدلة من يهوذا . انتهى .

أقول : هذا يقتضى أن تكون الكلمة عربية أبدلت ذالها المعجمة دالا مهملة ، لا أنها كانت أعجمية فعرِّبت بما ذكر (٤) . فتأمَّل .

والحاصل أن قولهم إلا ده فلا ده قد اختُلِفَ فى ضبط لفظه وشرح معناه ، وجميع الأقوال على أنها كلمة فارسية معربة . وقد أبى أبو محمد

---

(١) فى الأصل وهو هنا ط فقط : « وذنب جرار » ، صوابه فى مجمع الأمثال .

(٢) فلا ده ساقط من ش .

(٣) فى النسختين : « وهو » . وأثبت ما فى الأمثال .

(٤) يشير إلى ما ورد فى كلام شارح اللباب المتقدم .

عبد الله الشهير بابن برى المقدِسى أن تكون هذه الكلمة فى هذا المثَل غير عربيَّة ، وذهب إلى أنها صفة مشبَّهة ، من الدَّهاء ، وهو الفطنة ، وردَّ على ملك النحاة [١] فى زعمه أنها أعجمية فى الأصل بمعنى اسم الفعل . ولقد ٩٢
أجاد فيما أفاد ، وحقَّق مُدَّعاه فوق المراد ، فلا بأس بنقل كلاميهما .

قال أبو نزار الملقَّب بملك النحاة [٢] فى مسائله التى سماها (المسائل العشر ، المنبوزة بإتعاب الفكر إلى الحشر) وتحدَّى بها فى قصّة يطول ذكرها :

المسألة السابعة ، وهى مسألة سُئلت عنها بغَزْنَة [٣] لما دخلتُها ، فبيَّنْتُ مشكلها للجماعة وأوضحتها . وذلك أنِّى سئلت عن قول الراجز :

* وقوِّلْ إلَّا دهٍ فلا دَهِ *

فذكرت أن هذه من باب كلماتٍ نابت عن الفعل فعملت عمله . وده فى كلام العرب بمعنى صحَّ أو يصحُّ . ألا ترى أن قوما جاءوا إلى سَطِيح الكاهن وخبئوا له خبيئة وسألوه فلم يصرِّح فقالوا : لا ده . أى لا يصح ما قلتَ . فقال لهم : « إلا ده فلا ده ، حبة بُرٍّ ، فى إحليلِ مُهر » . فأصاب . فكأنه قال : إلا يصحَّ فلا يصحُّ أبداً ، لكنى أقول فى المستقبل ما تشهد له الصحَّة . فكان كما قال . إلا أن التنوين فى هذه الكلمة ليس كتنوين رجل وفرس ولكنه تنوين تنكير .

---

(١) ش : « بمالك النحاة » تحريف . ومَلِك النحاة هو الحسن بن صافى بن عبد الله . ولد سنة ٤٨٩ وتوفى سنة ٥٦٨ . قال السيوطى : « وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة » . وكان يقول : « هل سيبويه إلا من رعيتى وحاشيتى ، ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلاَّ حمل غاشيتى » .

(٢) ش : « بمالك النحاة » ، وانظر الحاشية السابقة .

(٣) غزنة : مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان ، ش : « بعرفة » تحريف . وفى البغية : « ثم سار إلى خراسان وكرمان وغزنة » .

هذا كلامُه ، وحذفتُ منه ما لا حاجه لنا إليه .

وأجاب ابن برى : إن قولك ده اسمٌ من أسماءِ الفعل ليس بصحيح على مذهب الجماعة ، ومن له حذق فى هذه الصناعة . والصحيح أنها اسم الفاعل من دَهِيَ فهو داه ودهٍ ، والمصدر منه الدَّهْى والدهاء . فيكون المراد بدهٍ فَطِن ، لأن الدهاء الفِطْنة ، وجودةُ الذهن ، فكأنَّه قال : إلا أكن دَهِياً أى فطنا فلا أدهى أبداً ، أى فلا أفطن . فهذا أصله ، ثم أُجريت هذه اللفظة مثلا إلى أن صارت يعبَّر بها عن كل فعل تُغتَنم الفرصة فى فعله . مَثَلُ ذلك أنْ يقولَ الإنسانُ لصاحبه وقد أمكنتْه الفرصةُ [1] فى طلب ثأر : إلاَّ ده فلا ده ، أى إلا تطلب الآن ثأراً فلا تطلبه أبداً .

صاحب الشاهد — وهذا الرجز لرؤبة . وقبله :

(فاليوم قد نَهْنَهَنِى تَنَهْنُهِى وأَوْلُ حلم ليس بالمُسَفَّهِ

وقُوَّلٌ : إلا ده فلا ده)

ومعناه إن لا تفلح اليومَ فلا تفلحْ أبداً ، أى : إن لا تنته اليوم فلا تنته أبداً فهذا معنى ده فى هذا المثل . وأما إعرابه فإنه فى موضع نصب على خبر كان المحذوفة ، تقديره إلا أكن دَهِياً فلا أدهى . وإنما أسكن الياء وكان حقها أن تكون منصوبة ، مِن قِبَل أن الأمثال تنزَّل منزلة المنظوم . وهذه الياء قد حَسُن إسكانها فى الشعر ، وهو عندهم من الضرورات المستحسنة ، كقول الشاعر :

---

(١) ط : « وقد أمكنه الفرصة » ، وأثبت ما فى ش .

* يا دارَ هندٍ عفت إلاَّ أثافيها (١) *

وكقول الآخر :

* كفى بالنَّأْيِ من أَسماءَ كافى (٢) *

فقد ثبت بهذا أن ده اسم فاعل لا اسمٌ للفعل . وهى معربة لا مبنية ، وتنوينُها تنوين الصرف لا تنوين التنكير . ويدلُّ على أنها ليست من أسماء الأفعال أنها لا تقع بعد حرف الشرط . ألا ترى أنه لا يحسن : إلَّا صهٍ فلا صهٍ ، ولا : إلاَّ مَهٍ فلا مه ، ولا هيهات .ا هـ .

وقد نقل السخاوى (فى سفر السعادة) هذا السؤال عن ملك النحاة وهذا الجوابَ أيضاً ، لكنه لم يعزُه إلى ابن برّىّ .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس .

وفى هذه الأرجوزة بيتان من أولها ، وهما :

(لله درُّ الغانياتِ المُدَّهِ

سبَّحنَ واسترجعن من تألُّهِى)

أورد هذا بعض المفسرين فى بيان اشتقاق لفظ الجلالة فقال : هو من أَله يأْله إلاهةً ، كعَبد يعبد عبادة ، وزنا ومعنى . والتأَلُّه : التعبُّد كما هنا . قال : فمعنى الإله المعبود .

---

(١) للحطيئة فى ديوانه ١١١ . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٥٥ . وعجزه :

* بين الطوىِّ فصارات فواديها *

(٢) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٤ . وهو الشاهد ٣٢٣ فى الخزانة ٤ : ٤٣٩ . وعجزه :

* وليس لنأْيها ما طال شافى *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسَّبْعون بعد الأربعمائة (١) :

٤٧٧ (رَمَى الله فى عينَىْ بثينةَ بالقَذَى
وفى الغُرِّ من أنيابها بالقَوادِجِ)

عَلَى أن الشئ إذا بلغ غايته يدعى عليه ، صوناً عن عين الكمال (٢) كما هنا .

قال ابن الأنبارى (فى الزاهر) : معنى قوله : رمى الله فى عينى بثينة إلخ سبحان الله ، ما أحسن عَيْنَيْها . من ذلك قولهم : قاتل الله فلاناً ما أشجعه ! وأَنياب القَوم : ساداتهم ، أَى رمى الله الفَساد والهلاك فى سادات قومها ، لأنهم حالوا بينها وبين زيارتى . انتهى .

وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : قيل إنه لم يدع عليها بذلك ، وإنما هو كما يقال : قاتله الله ما أفرسَه ! على وجه التعجب . وحكى بعض أهل اللغة أن مما يشهد لطريق التعجب فى مثل هذا أن بعضهم عدل عن لفظ قاتل إلى قاتَعَ فقال : قاتعه الله ما أَشجعه ! ليزول المكروه من اللفظ كما لم يكن فى المعنى . وأحسن ممّا ذكرناه أن يقال : أراد بالعينين رقيبيها ، وبالغُرِّ من أَنيابها كرامَ ذويِها وعشيرتِها . والمعنى أفناهم الله وأراهم المنكرات . فهو فى الظاهر يشتُمها ، وفى النية يشتم من يَتأذَّى به فيها . ويقال : هم أنياب الخلافة ، للمدافعين عنها . وقيل أراد : بلَّغها الله أقصى غايات العمر حتى تبطل عواملُهَا وحواسُّها . فالدعاء على هذا لها لا عليها . انتهى .

وقال أَبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : قد تأَوّله قوم على أنه

---

(١) الخصائص ٢ : ١٢٢ والسمط ٧٣٩ وديوان جميل ٥٣ .

(٢) أى حسد الشئ الكامل .

أراد بالعينين الرقيبين ، وبالأنياب سادةَ قومها الذين يحجبونها عنه ويمنعونه منها . انتهى .

و (بثينة) بالتصغير : محبوبة جميل العذرى . والباء فى (بالقذى) زائدة . قاله أبو حيان (فى تذكرته) . والقذى : كلُّ ما وقع فى العينين من شئ يؤذيها كالترابِ والعُود ونحوهما . قال ثعلب (فى الفصيح) : تقول : قَذَت عينه تقْذِى قذْياً ، إذا ألقت القذَى ؛ وقذِيت تقذَى قذًى ، إذا صار فيها القذى . وأقذيتها إقذاء ، إذا ألقيت فيها القذى . وقَذَّيتها تقذيةً ، إذا أُخرجت منها القذى . انتهى .

وقوله : (وفى الغُرّ) إلخ معطوف على قوله : « فى عينى » ، وهو جمع أغرّ وغرَّاء . أراد : ورمى الله فى أنيابها الحسان النقيَّة البياضِ القوادحَ . فالباء زائدة أيضاً . و (أنياب) : جمع ناب ، وهو السنُّ . وللإنسان أربعٌ وثلاثون سنًّا (١) : أربع ثنايا ، وهى مقدّم الأسنان اثنتان من فوق واثنتان من تحت . وأربع رَباعيَات . وأربعة نواجذ تكون بينها الأنياب . وأربع ضواحك تكون بينها النواجذ . واثنتا عشرة رَحىً تكون بينها الضواحك .

و (القوادح) : جمع قادح ، قال صاحب الصحاح : القادح : السواد الذى يظهر فى الأسنان .

وقال أبو حنيفةَ الدينورى (فى كتاب النبات) : يقال قُدِح فى سنّه أى بالبناءِ لمفعول ، إذا وقع فيها الأكَلُ ووقع فى أسنانه القادح ، وإذا عرض

(١) فى حواشى المطبوعة الأولى : « قوله أربع وثلاثون سنا ، صوابه اثنتان وثلاثون ، ليطابق التقسيم ويوافق ما هو مذكور فى كتب اللغة . اهـ من هامش الأصل » .

شئ من جميع ما ذكرنا من آفات العود قيل : قُدِح العودُ يُقدَح قدحاً فهو مقدوح وهى القوادح . وبعضهم يقول قُدح فى العود ، إذا عرض له القادح فأْتَكَل يأتكل ائتكالا . وقال الباهلى : يقال عود قد قُدح فيه ولا يقال مقدوح .

٩٤ وكذلك قُدِح فى سنه ، إذا وقع الأَكَل ، ووقع فى أسنانه القادح . وأنشد البيت .

وهذه التأويلات يدفع فى صدرها ما رواه الأصبهانى (فى الأغانى [1]) : قال : حدثنى على بن صالح قال : حدثنى عمر بن شَبَّةَ عن إسحاق قال :

لقى جميلٌ بثينةَ بعدَ تهاجُرٍ بينهما طالت مدّته ، فتعاتبا طويلاً ، فقالت له : ويحك يا جَميل ، أتزعم أنك تهوانى وأنت الذى تقول :

* رمى الله فى عينى بثينة بالقذى * البيت

فأطرق جميلٌ طويلاً يبكى ثم قال :

ألا ليتنى أعمى أصمُّ تقودنى
بثينةُ لا يَخفَى علىَّ كلامها

فقالت له : وما حملك على هذه المنَى ، أوَ ليس فى سَعة العافية ما كفانا جميعاً .

وروى بسنده أيضاً أنَّ جميلا لما ودَّع بثينة وذهب إلى الشام لكثرة اللَّغَط فيهما واصلتْ بعده حَجْبَةَ [2] الهلالى . ولما رجع من الشام بعد حين

---

(١) الأغانى ٧ : ٧٩ - ٨٠ .

(٢) فى ش : « حجية » فى جميع المواضع ، تحريف . وانظر ما سيأتى فى الشعر .

قال حَجْبة لبثينة ، وكان ابن سُرِّيَّة : لا أرضى إلا أن تُعلِمى (١) جميلاً أنك استبدلتِ به ! فقالت لجميل :

ألم تر أَنَّ الماء غيِّر بعدكم
وأَنَّ شِعابَ القلب بعدكَ حُلَّتِ

فقال جميل :

فإن تك حُلّت فالشِّعابِ كثيرةٌ
وقد نَهِلَتْ منها قَلوصى وعَلَّتِ

فقالت لحجْبة : عرَّضتَنِى لجميل يَجعلُنى حديثاً . وقالت لجميل : إنَّه استزَلَّنى ، وقد ناشدتك الله أن تسترنى فإنَّها كانت هفوة . فقال جميلٌ من أبيات :

فيابَثْنَ إنْ واصلتِ حَجْبة فاصرِمِي
حِبالى وإن صارمتِه فصلينى (٢)
ولا تجعلينى أسوةَ العبد واجعلى
مع العبد عبداً مثلَهُ وذرينى

وانصرفَ عنها . وهجرها وقال :

* رمى الله فى عينىْ بثينة بالقذى * البيت

(١) فى النسختين : « أن تعلمين » ، والوجه ما أثبت . وهذا الخبر لم يرد فى الأغانى .
(٢) البيتان فى ديوان جميل ٢٠٩ نقلا عن الخزانة .

وقال فى ذلك أيضاً :

وإنى لأستحْيِى من النَّاس أن أُرى
رَديفاً لوصلٍ أو علىَّ رديفُ (١)

وإنِّىَ للماء المخالطِ للقَذَى
إذا كثُرتْ وُرَّاده لعَيوفُ

وقال أيضاً :

بَيْنَا حِبالى ذاتُ عَقْدٍ لِبَثْنةٍ
أُتيح لها بعضُ الغُواةِ فحَلَّها (٢)

فعُدْنا (٣) كأنَّا لم يكن بيننا هوًى
وصار الذى حَلّ الحبالَ هوًى لها

وروى أيضاً بسنده عن كثير ، ونقله القالى (فى أماليه) ، والمَرزُبانى (فى الموشح) أيضاً : أن كثيراً حَدَّث وقال : وقفتُ على جماعةٍ يفيضون فىَّ وفى جميل : أيُّنا أصدَقُ عشقاً ، ولم يكونوا يعرفوننى ، ففضَّلوا جميلاً فقُلتُ لهم : ظلمتم كثيِّراً ، كيف يكون جميلٌ أصدقَ منه ، وحين أُتاه من بثينة ما يكره قال :

* رمى الله فى عينىْ بثينة بالقَذى * البيت

---

(١) ديوان جميل ١٣٩ نقلا عن الخزانة ووفيات الأعيان ١ : ١١٦ . وبين هذا البيت وتاليه فى الوفيات :

وأشرب رنقا منك بعد مودة وأرضى بوصل منك وهو ضعيف

(٢) ديوان جميل ١٩٠ عن الخزانة والأغانى ٨ : ١١٩ والزهرة ١٧٦ .

(٣) ط : « فعدنان » ، وأثبت ما فى ش .

وكثيِّر حين أتاه من عَزَّة ما يكره قال :

هنيئاً مرِيئاً غير داءٍ مخامر
لعزَّة من أعراضنا ما استحلَّتِ

فما انصرفوا إلاَّ على تفضيلى . اهـ .

وهذا كله يدلُّ على أنَّ جميلا دعا عليها حقيقة ، ويدلُّ أيضاً على أن البيت لجميل لا لغيره .

ومن الغرائب أنّ الصاغانى قال (فى مادة ترب من العباب) : إنّ هذا البيت لأخى شَمَجَى ، يُخاطب أُذينة بنت عمٍّ صعب بن كلثوم ، والرواية كذا :

* رمى الله فى عينى أُذَينة بالقذى * البيت ٩٥

وليس البيت لجميل ولا الرواية « فى عينى بثينة » كما وقع فى بعض كتب اللغة منسوباً إليه . ا هـ .

أقول : جميع من تكلَّم على هذا البيت وروى فيه خَبراً ، أثبته لجميل فى بثينة . ومع كثرة ورُود هذه الأخبار فى أكثر كتب الأدب كيف يقال إنَّه وقع فى بعض كتب اللغة . والله أعلم .

وجميلٌ شاعر إسلامى تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والستين [1] .

وشَمَجَى بالشين والميم والجيم وألف مقصورة ، قال فى القاموس : وبنو شَمَجَى بن جَرْم من قضاعة ، وهو بفتحات ثلاثة .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ .

وأُنشدَ بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٧٨ (وَىْ كأنْ من يَكُنْ لَه نَشَبٌ يُحْـ

ـبَبْ ومَنَ يَفتقِر يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ)

على أن (وىْ كأنْ) ، عند الخليل وسيبويه مركبة من وَى التعجُّبية وكأنْ المخففة من المثقلة ، إلى آخر ما ذكره .

وهذا نص سيبويه ، ونقله ابن السراج (فى الأصول) بحروفه : سألت الخليل عن قوله تعالى : ﴿ ويكأنَّه لا يُفلحُ الكافرون [٢] ﴾ ، وعن قوله تعالى : ﴿ ويكأنَّ الله [٣] ﴾ فزعم أنها « وىْ » مفصولة من كأنَّ ، والمعنى وقعَ على أنَّ القوم انتبهوا فتكلَّموا على قدر علمهم ، أو نُبِّهوا فقيل لهم : أَمَا يُشبه أن يكون هذا عندكم هكذا . والله أعلم . وأما المفسِّرون فقالوا : ألم تر أنَّ الله . وقال زيد ابن عمرو بن نفيل :

* وى كأن من يكن له نشَب * البيت

انتهى .

وقال النحاس : يريد أنّ معنى وى تنبيهٌ ، يقولها الإنسان حين يستنكر

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ٣٨٩ والمحتسب ٢ : ١٥٥ والخصائص ٣ : ٤١ ، ١٦٩ وابن يعيش ٤ : ٧٦ وشرح شواهد المغنى ٢٦٦ والهمع ٢ : ١٠٦ والأشمونى ٣ : ١٩٩ .

(٢) الآية ٨٢ من القصص .

(٣) الآية ٨٣ من القصص .

أمراً أو يستعظمه ، فيقول : وى ! فتكون ويكأن مركبة مِنْ وَىْ للتنبيه ، ومن كأنْ للتشبيه .

وكذلك قال الأعلم . فقولُ الشارح المحقق إنّ وى عند سيبويه بمعنى التعجب خلافُ المنقول .

وهذا نص الفراء (فى تفسيره [1]) قال فى آخر سورة القصص : ويكأنَّ فى كلام العرب تقريرٌ ، كقول الرجل : أما ترى إلى صُنْع الله ! وقال الشاعر :

وى كأن من يكن له نَشبٌ يُحْـ ـبَبْ ..... البيت

وأخبرنى شيخٌ من أهل البصرة قال : سمعتُ أعرابيةً تقولُ لزوجها : أين ابنُكَ وَيْلَك ؟ فقال : ويكأنّه وراءَ البيت . معناه أما تَرَيْنَه وراء البيت .

وقد يذهب بعض النحويين إلى أنهما كلمتان يريد : ويك أنه ، أراد : ويلك ، فحذف اللام وجعل أنّ مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : ويلك اعلم أنه وراء البيت ، فأضمر اعلمْ . ولم نجد العرب تُعمل الظن والعلم بإضمار مضمر فى أنَّ ؛ وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين أو فى آخر الكلمة ، فلما أضمره جرى مجرى الترك . ألا ترى أنَّه لا يجوز فى الابتداء أن تقول : يا هذا أنك قائم ولا يا هذا أنْ قمت ، تريد علمتُ أو أعلم ، أو ظننت أو أظنُّ .

وأما حذف اللام من ويلك حتى تصير « ويك » فقد تقوله العرب ، لكثرتها فى الكلام . قال عنترة :

---

(١) معانى الفراء ٢ : ٣١٢ .

ولقد شفَى نفسى وأبرأ سُقمَها

قَولُ الفوارس ويكَ عنترُ أقدِمِ

وقد قال آخرون : إن معنى وى كأنَّ ، أنَّ وى منفصلة من كأنَّ ، كقولك لرجل : وى ، أما ترى ما بين يديك ؟ فقال : وى ثم استأنف كأنَّ ،
٩٦ يعنى كأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء . وهى تعجب ، وكأنَّ فى مذهب الظنّ والعلم . فهذا وجه مستقيم . ولم تكتبها العرب منفصلة ، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة . وقد يجوز أن تكون كثُر بها الكلام فوصلت بما ليست منه ، كما اجتمعت العرب على كتابٍ يا ابن أم : يبنؤمَّ . قال : وكذا رأيتها فى مصحف عبد الله ، وهى فى مصاحفنا أيضاً . ا هـ .

فعُلم من كلامه أنَّ ويكأن عنده كلمة بسيطة بمعنى ألم تر ، والاستفهام للتقرير ، لا أنها مركبة من كلمتين إمَّا من ويك ومن أن ، كما نقله عن بعض النحويين ؛ وإما من وى ومن كأنَّ كما نقله عن بعضٍ آخر .

فما نقله الشارح المحقق عن الفراء نقلٌ مركَّب من قوله الذى صدَّره ومن القول الأول لبعض النحاة .

قال النحاس بعد نقل ما نقلَه الفراء : وما أكثر خطأ هذا القول ، وذلك لأنَّ المعنى لا يصحُّ عليه ، لأنَّ القوم لم يخاطبوا أحداً فيقولوا له ويلك ، وكان يجب على قوله أنْ يكون إنه بالكسر . وأجمَعَ المسلمون على الفتح . وأيضاً فليس فى القرآن لام ، فكيف تُحذف اللام لغير علة .

وزعم ابن جنى (فى المحتسب) أُن وى عند سيبويه والخليل بمعنى

أعجبُ ، كما قال الشارح المحقق ، وأنّ كأنَّ ليست للتشبيه عندهما ، خلافاً للشارح . قال : ومن ذلك قراءة يعقوب : ﴿ وَيْكَ ﴾ يقف عليها ثم يبتدئ فيقول ﴿ إنَّه ﴾ . وكذلك الحرف الآخر مثله .

قال أبو الفتح : فى ويكأنه ثلاثة أقوال : منهم من جعلها كلمةً واحدة فلم يقف على وى ، ومنهم من يقف على وَىْ ، ويعقوب يقف على وَيْكَ ، وهو مذهب أبى الحسن .

والوجه فيه عندنا قولُ الخليل وسيبويه ، وهو أنَّ وَىْ على قياسِ مذهبهما اسمٌ سمِّى به الفعل فكأنه اسمُ أعجبُ ، ثم ابتدأ فقال : كأنَّه لا يفلح الكافرون ، ووَىْ كأنَّ الله يبسط الرزق ، ووَى منفصلة من كأنّ . وعليه بيت الكتاب :

وى كأن من يكن له نَشبٌ يحـ ـبَبْ ....البيت

وممَّا جاءت فيه كأنَّ عاريةً من معنى التشبيه قوله (١) :

كأنَّنى حين أُمسى لا تكلِّمنى
متيَّمٌ أشتَهِى ما ليس موجودا (٢)

أى أنا حين أُمِسى متيَّمٌ ، من حالى كذا وكذا . ا هـ .

أقول : أمّا قوله إنّ وى عندهما اسم أعجب ، فقد تقدَّم عن النحاس والأعلمَ ما يردُّه .

---

(١) فى المحتسب : « ما أنشدناه أبو على » .

(٢) نسب فى الخصائص ٣ : ٩٦ إلى عمر بن أبى ربيعة كما فى ديوانه ٣١٢ . وفى اللسان (عود ٣١٣) إلى يزيد بن الحكم الثقفى ولم ينسبه ابن جنى فى المحتسب

وأما قوله : إن كأنَّ عارية عن التشبيه ، فقولُ سيبويه : « أمَا يُشبِهُ أن يكون هذا عندكم هكذا » ، يكذِّبه .

وأما تنظيره لخلو التشبيه بقوله : « كأنني حين أمسى » البيت ، فهو مذهب الزجاج فيما إذا كان خبر كأنَّ مشتقاً لا تكون للتشبيه ، لئلا يتحد المشبه والمشبه به .

وأجِيبَ بأنَّ الخبر فى مثله محذوف ، أى كأنني رجل متيَّمٌ ، فهى على الأصل للتشبيه .

ثم قال ابن جنى : ومن قال إنها ويك فكأنَّه قال : أعجب لأنه لا يفلح الكافرون ، وهو قول أبى الحسن (١) . وينبغى أن تكون الكاف هنا حرف خطاب كما فى « ذلك » ، لأنَّ وى ليست مما يُضاف (٢) . ومن وقف على ويك ثمَّ استأنف فينبغى أن يكون أراد أن يُعلم أنَّ الكاف من جملة وى ، وليست بالتى فى صدر كأنَّ ، فوقفَ شيئاً لبيان هذا المعنى .

ويشهد لهذا المذهب قول عنترة :

* قيلُ الفوارسِ ويكَ عنتر أقدمِ *

٩٧ وقال الكسائى : فيما أظن أراد ويلك ثم حذف اللام . وهذا يحتاج إلى خبر نبّي ليقبل منه .

وقول من قال إنَّ ويكأنَّه كلمة واحدة إنما يريد به أنه لا يُفصَل بعضه من بعض . ا هـ .

---

(١) فى النسختين : « وهو قول الحسن » ، وصوابه من المحتسب ٢ : ١٥٥ .
(٢) فى النسختين : « مما تضاف » ، صوابه فى المحتسب .

تتمتان

(إحداهما) : جعل ابن هشام (فى المغنى) وَىْ وواهاً لغتين فى (وا) بمعنى أُعجب . وهذا باطل فإن كلَّ واحدة من هذه الثلاثة كلمة مستقلة فى نفسها أصلاً ومادة ، وليست ياء وَى مبدلة من ألف (وا) كما يزعمه ابن قاسم [١] (فى حواشيه عليه) . هب أنه كذلك فما يقول فى واها . ولم يتنبه أحدٌ من شراحه لما ذكرناه .

واعترض الدمامينى (فى شرح التسهيل) على قول ابن مالك إن وى اسم فعل بمعنى أعجب . فى كلام ابن الحاجب ما يشعر بأن القائل إنها اسم فعل يقول : إنها اسمٌ لِأعجَبْ ، أمراً لا مضارعاً ؛ لأنه قال : وى تعجُّب . ويجوز أن يقال إنها اسم صوت لا اسم فعل ، لأنَّ المتعجب يقوله عند التعجُّب لا لقصد الإخبار بالتعجب ، بل كما يقول المتألِّم : آه .

وكذلك يقوله المتعجِّب منفرداً ، ولو كان اسمَ فعل لم يقله إلا مخاطبا لغيرِهِ . انتهى .

أقول : لا إشعارَ فيه بما زعمه ، فإن آه اسم صوت ، وهم قالوا إنه بمعنى أتوجَّع ، وليس فيه قصد الإخبار به . فتأمل .

(الثانية) : نقل المرادى (فى الجنَى الدانى) عن صاحب (رصف المبانى) أنه قال : وى حرف تنبيه معناها التنبيه على الزجر ، كما أن ها معناها

(١) كذا فى النسختين ، وشهرته « ابن أم قاسم » وهى جدته أم أبيه . وابن أم قاسم هو الحسن ابن عبد الله المرادى .

التنبيه على الحض ، وهى تقال للرجوع عن المكروه والمحذور ، وذلك إذا وُجد رجل يسبُّ أحدا أو يُوقعه فى مكروه ، أو يتلفه ، أو يأخذ ماله ، أو يَعرِض بشئ من ذلك ، فيقال لذلك الرجل : وَى ، معناه تنبَّه وازدجر عن فعلك . ويجوز أن يوصل به كاف الخطاب . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من أبياتٍ لزيد بن عمرو بن نفيل [1] ، وهى :

(تِلك عِرساىَ تنطقان على عَمْـ ـدٍ إلى اليوم قولَ زُور وهَتْرِ
سأَلتانى الطَّلاقَ أن رأتا ما لى قليلاً ، قد جئتمانى بِنُكرِ
فلعلِّى أن يكثُرَ المالُ عندى ويُعرَّى من المغارم ظهرى
وتُـرى أعبُـدٌ لنـا وأواقٍ ومناصيفُ من خوادمَ عَشْرِ
ونجُرُّ الأذيالَ فى نَعمةٍ زَو لٍ تقولان : ضَعْ عصاكَ لدهْرِ
وىْ كأن مَن يكنْ له نشَبٌ يُحـ ـبَبْ ومن يفتقرْ يعِشْ عيشَ ضُرٍّ
ويُجَنَّبْ سرَّ النجىِّ ولكـ ـنَّ أخا المال مُحضَرٌ كلَّ سِرٍّ)

(١) فى البيان ١ : ٢٣٥/ ٣ : ١٢٤ أنها لأبى الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وانظر ما أثبت فى حواشيه .

قوله : « تلك عرساى » مثنى عِرس مضاف إلى الياء . والعِرس بالكسر : الزوجة ، أى هما عرساى . ويجوز أن يخالف اسمُ الإشارة المشارَ إليه كقوله تعالى : ﴿ عَوَانٌ بين ذلك [١] ﴾ . والعمد : القصد . والهتر بفتح الهاء وسكون المثناة الفوقية : مصدر هتَره يَهتُره من باب نصر ، إذا مزَّق عرضَه . والهِتر ، بالكسر : الكذب والداهية ، والأمرُ العَجَب ، والسَّقَط من الكلام والخطأ فيه . وبالضم : ذَهاب العقل من كِبر أو مرض أو حُزن . وروى أيضاً :

تلك عرساىَ تنطقان بُهجْرِ
وتقولان قول أثْرٍ وعَتْرِ [٢]

والهجر بالضم : اسم من الإهجار وهو الإفحاشُ فى المنطق والخنَى . والأثر بالفتح : مصدر أثرت الحديث ، إذا ذكرته عن غيرك . ومنه الحديث المأثور ، أى ينقله خلف عن سلف . والأثر بالضم : أثَر الجراح يبقى بعد البرء . والعَتْر بمثناة فوقية بعد المهملة : مصدر عتر الرمحُ ، إذا اضطرب واهتزَّ ، من باب ضرب . والعثر ، بالمثلثة : الاطلاع على الشئ ، مصدر عثر عليه .

وقوله : « سالتانى الطلاق » إلخ استشهد به سيبويه [٣] على أنّ الشاعر يبدل الهمزة ألفاً فى الضرورة . قال : وليس هذا من لغةٍ من يقول سِلْتُ يسال كخفت يخاف . وبلغنا أنه لغة . قال الأعلم : هى لغةٌ معروفة ، وعليها قراءة من قرأ : ﴿ سَالَ سائلٌ بعذابٍ واقِع [٤] ﴾ . وروى : (تسألان الطلاق) وحينئذ لا شاهد فيه .

---

(١) الآية ٢٨ من سورة البقرة .
(٢) فى النسختين « الهجر » ، صوابه مما سيأتى ص ٤٢٠ .
(٣) فى كتابه ٢ : ١٧٠ .
(٤) الآية الأولى من سورة المعارج .

وقوله : « قد جئتمانى بنُكر » التفاتٌ من الغيبة إلى الخِطاب . والنُّكر ، بالضم : الأمر القبيح المنكر .

وروى الزجاجى فى أماليه بدل نكر (مرّ) ، من المرارة : ضدّ الحلاوة . وروى أيضاً :

سالتانى الطلاقَ أن رأتانى قلَّ مالى قد ... إلخ

فجملة قلَّ مالى فى محل نصب مفعول ثان للرؤية كالرواية السابقة . ويجوز أن تكون الرؤية بصرية . وجملة قلَّ مالى حال من الياء . وقليلاً حال من مالى .

وقوله : « ويعرَّى من المغارم » جمع مغرم بالفتح ، وهو ما ينوب الإنسانَ فى ماله من ضررٍ لغير جناية ، كتحمل الدِّيات ، والإطعام فى النائبات .

وقوله : « وتُرى أعبدٌ » إلخ بالبناء للمفعول والخطاب [١] . وأعبُد : جمع عبد . وأواق ، أى من الذهب والفضة ، وهو جمع أوقيَّة ، وهى سبعة مثاقيل ، وأربعون درهما . وروى بدله : « وجياد » جمع جَواد ، وهو الكريم من الخيل . ومَناصيف : جمع مَنْصَف ، وهو الخادم . قاله الجاحظ [٢] . فالياء زائدة لضرورة الشعر . ومَنصَفٌ بفتح الميم وكسرها ؛ والأنثى بالهاء . وفعله نصفه ينصُفه من باب نصر وضرب نَصْفا ، ونصافاً ، ونصافة ، بكسرهما وفتحهما ،

(١) كذا فى النسختين ، ولا خطاب هنا .

(٢) فى البيان ١ : ٢٣٥ - ٢٣٦ .

أى خدمه ، ويقال أيضاً أنصفه بالألف . وخوادم : جمع خادم ، وهى الجارية ، ويقال أيضاً خادمة . والخادم يطلق على المذكر . وروى بدله : « من ولائد عشر » جمع وَليدة بمعنى الخادمة .

وقوله : « فى نَعْمةٍ زَوَل » بفتح الزاى المعجمة وسكون الواو صفة نَعمة ، أى حسنة وجيِّدة . قاله الجاحظ .

وقوله : « ضع عصاك » إلخ وضع العصا كناية عن الإقامة ، لأنّ المقيم يضعُها عن يده ، والمسافر يحملها . قال الشاعر [(١)] :

فألقَتْ عصاها واستقرَّ بها النوى
كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ

وما أحسن قول الباخَرزىّ :

حمَلَ العصا للمبتلَى ... بالشَّيب أنواعَ البَلاَ
وَصَفَ المسافِرُ أنَّه ... ألقى العصا كى ينزلا
فعلى القياس سبيلُ من ... أخذ العصاَ أنْ يرحلا

واللام فى لدهر بمعنى إلى ، أى إلى انقضاء دهر ، وهو الزمان الطويل .

وقوله : « وى كأن من يكن » إلخ من شرطية ونشب اسم كانَ ، وله خبرها ، ويحبب بالبناء للمفعول من المحبَّة جزاء الشرط . وكذلك « من يفتقر يعش » . وعيش مفعول مطلق . والضّرّ بالضم والفتح : سوء الحال من قِلَّةِ

---

(١) هو مضرس الأسدى ، كما فى البيان ٣ : ٤٠ . وفى اللسان (عصا) نسبته إلى معقر بن حمار ، أو عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى . ونسب فى كتاب العصا إلى راشد بن عبد الله . نوادر المخطوطات ١ : ١٩٣ .

مال وجاه . والنَّشَب بفتح النون والشين : المال الأصيل من الناطق والصامت .

وأورد صاحب الكشاف هذا البيت ، عند قوله تعالى : ﴿ ويكأنَّه
٩٩ لا يفلح الكافِرُون (١) ﴾ على أنَّ وى مفصولة من كأنَّ .

وقوله : « ويجنَّب سرَّ النجىّ » معطوف على يَعِش ، وهو بالبناء للمفعول من جَنَّبه إياه تجنيبا ، أى باعده عنه . فهو متعدّ لمفعولين أولهما نائب الفاعل وهو ضَمير من يفتقر ، وثانيهما سرَّ النجى . والسر هو الحديث المكتَّم فى النفس .

والنجىُّ : فعيل ، هو من يُفشَى له السِّرّ . يعنى أنَّ الفقير يستحقره صاحبه فلا يفشى له سرَّه .

وقوله : مُحضَر : اسم مفعول من أحضره إيَّاه ، أى جعله حاضراً غير غائب ، فهو متعدٍّ إلى مفعولين أولهما نائب الفاعل وهو ضمير أخى المال ، والثانى كلَّ سر . وروى أيضاً :

ويُجنَّب يُسرَ الأمور ولكـ
ـنّ ذَوِى المال حُضرٌ كل يُسْرِ

واليسر : نقيض العسر . وحُضَّر : جمع حاضر ، من حضره ، إذا شاهدهُ (٢) .

(١) الآية ٨٢ من القصص .

(٢) ط : « اذا شاهد » .

والرواية الأولى هى رواية الجاحظ (فى البيان والتبيين) ، والرواية الثانية هى رواية الزبير بن بكار (فى أنساب قريش) ، وتبعه صاحب الأغانى . وأبو الحسن المدائنى (فى كتاب المقسات [1]) . وهى لزيد بن عمرو بن نفيل كما فى كتاب سيبويه وخَدمته . وكذا (فى أمالى الزجاجى الوسطى) ، وأثبتها الجاحظ لابنه سعيد بن زيد ، ونسبها الزبير بن بكّار لنُبيه بن الحجاج .

قال أبو الحسن المدائنى : قالوا : تزوَّج عمرو بن نفيل امرأةَ أبيه نفيلِ ابن عبد العزى ، فولدت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت ولدت الخطاب أبا عمر بن الخطاب ، فكان الخطَّابُ عمَّ زيد وأخاه لأُمِّه . وكان زيد يطلب الدِّين ويخرج من مكة إلى الشام وغيرها يلتمس الدِّين ، فكان الخطَّاب يَعيب عليه خروجه عن مكة وطلبَه الدين ، وخلافَ قومه ، وكان يؤذيه ، وأمر امرأته أن تعاتبه وتأخذَه بلسانها ، ففعلت ، فاعتزم على الخروج ، فقال زيد لامرأته صفيَّة بنت الحَضْرَمىّ :

لا تحبسينى فى الهوا ... نِ صَفِىَّ ، ما دابى ودابُه
إنِّى إذا خِفت الهوا ... نَ مشيَّع ذُلُلٌ رِكابه
دُعموصُ أبوابِ الملو ... ك وجانبٌ للخُرْق بابه
قَطّاع أسبابٍ تذ ... لّ بغير أقران صِعابه
وإنما ألــف الهوا ... نَ العيرُ إذْ يهوى إهابُه [2]

(١) كذا فى ط ، وفى ش : « القسات » بإهمال نقط مابعد القاف . ولعله « كتاب المغنيات » الذى ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٤٩ .

(٢) لعلها : « ولربما ألف » . وإلا ففى التفعيلة الأولى عيب الوقْص .

وأخى ابنُ أمِّى ثم عمِّـ
ـى ، لا يُواتينى خطابُه
وإذا يعاتبنـــى أخَـــ
ـىَّ أقول : أعيانى جوابُه
وإذا أشاء لقلتُ : ما
عنـدى مَفاتحُـه وبابـه

وقال لامرأتيه :

تلك عرسايَ تنطقان .... الأبيات

زيد بن عمرو بن نفيل

أما الأول فهو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزَاح بن عدىّ بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ، القرشى العدوى .

قال صاحب الاستيعاب : كان زيد بن عمرو بن نُفَيل يطلب دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، قبلَ أن يُبعث النبى ﷺ ، وكان لا يذبح للأنصاب ، ولا يأكل المَيتة والدم .

قال ابن حجر (فى الإصابة) : ذكر البغوى وابن منده وغيرهما زيداً هذا فى الصحابة . وفيه نظر ، لأنه مات قبل البَعثة بخمس سنين ، ولكنه يجئ على أحد الاحتمالين فى تعريف الصحابى ، وهو أنه من رأى النبى ﷺ مؤمِنا ١٠٠
به ، هل يشترط فى كونه مؤمنا به أن تقع رؤيته له بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك ، أو يكفى كونه مؤمنا به أنه سيبعث ، كما فى قصة هذا وغيره .

وقد ذكر ابن إسحاق أن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن

عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، والذى نفسى بيده ما أصبحَ منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى .

وأخرج الفاكهى بسند له إلى عامر بن ربيعة قال : « لقيت زيد بن عمرو وهو خارج من مكة يريد حراء ، فقال : يا عامر ، إنى قد فارقتُ قومى واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبُدُ إسماعيلُ من بعده ، كان يصلّى إلى هذه البَنِيَّة . وأنا أنتظر نَبيًّا من ولد إسماعيلَ ثم من ولد عبد المطلب ، وما أرانى أدرِكه . وأنا أومن به وأصدِّقه وأشهد أنه نبى » الحديث . زاد الواقدى فى حديثٍ نحوه : « فإن طالت بك مدة فأقرئه منى السلام [1] » . وفيه : لما أسلمت أقرأت النبى ﷺ منه السلام ، فردَّ عليه وترحَّم عليه وقال : « رأيته فى الجنة يسحب ذيولا » .

وروى الواقدى عن ابنه سعيد بن زيد قال : توفِّىَ أبى وقريشٌ تبنى الكعبة . وكان ذلك قبل المبعث بخمس سنين .

أما سعيد بن زيد المذكور فقد كان من السَّابقين إلى الإسلام ، وهاجر وشهد أُحداً والمَشاهدَ بعدها ، ولم يكن بالمدينة زمانَ بدر ، فلذلك لم يشهدها . وهو أحد العشرة المبشَّرة ، وكان إسلامه قديما قبل عمر ، وكان إسلام عمر عنده فى بيته ، لأنه كان زوجَ أخته فاطمة .

قال الواقدى : توفِّىَ بالعقيق فحمل إلى المدينة ، وذلك سنة خمسين من الهجرة ، وقيل إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين ، وعاشَ بضعاً وسبعينَ سنة .

---

(١) ش : « فاقرأه منى السلام » . والمعروف أقرئه السلام .

وزعم الهيثم بن عدى أنه مات بالكوفة وصلَّى عليه المغيرة بن شعبة . قال : وعاش ثلاثا وسبعين سنة .

وزعم العلاّمة الدوَّانى (فى شرح ديباجة العقائد العضدية) وتبعه السيد عيسى الصفوى (فى شرح الفوائد الغياثية) أن زيد بن عمرو المذكور نبىٌّ أوحى إليه لتكميل نفسه .

وهذه عبارته : النبىُّ : إنسانٌ بعثه الله إلى الخلق لتبليغ ما أوحاه إليه . وعلى هذا لا يشمل من أوحَى الله ما يحتاج إليه لكماله فى نفسه ، من غير أن يكون مبعوثاً إلى غيره ، كما قيل فى زيد بن عمرو بن نفيل ، اللهمّ إلا أن يتُكلَّف .

أقول : هذا غير صحيح ، فإنه لم يقل أحدٌ من المؤرخين والمحدِّثين : إنه نبى أو ادَّعى النبوة . وأمره مشهور ، وكان حيًّا فى زمن النبى ﷺ ، وليس فى عصره نبى غيره .

قال الذّهبى : زيد بن عمرو بن نفيل هو الذى قال فيه رسول الله ﷺ : « إنه يُبعث أمةً وحدَه [1] » ، وكان على دين إبراهيم ، ورأى النبىَّ ﷺ ، وتوفى قبل مبعثه ﷺ .

وكان دخل الشَّامَ والبلقاء . وكان نفرٌ من قريش : زيد ، وورقة ، وعثمان ابن الحارث ، وعبيد بن جحش [2] ، خالَفوا قريشا وقالوا لهم : إنكم تعبدون

---

(١) ط : « واحدة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن العثمانية للجاحظ ١٤٢ .

(٢) ذكره فى الإصابة ٦٣٩٠ فيمن أدرك النبى ﷺ ولم يره . وقال : شهد القادسية ونزل الكوفة .

ما لا يضرُّ ولا ينفع من الأصنام ! ولا يأكلون ذبائحهم . واجتمع بالنبىّ ﷺ قبل البعثة وقال له : إنى شاممت النصرانية واليهودية فلم أر فيها ما أريد ، فقصصت ذلك على راهبٍ فقال لى : إنك تريد ملة إبراهيم الحنيفية ، وهى
لا توجد اليومَ ، فالحقْ ببلدك فإنّ الله باعثٌ من قومك من يأتى بها ، وهو [(١)] ١٠١
أكرم الخلق على الله . اهـ .

ومنه تعلم أنّ ما قاله الدوّانى لا يليق بمثله أن يذكره . وكذا ما فى حواشى الكازرونى من أنه يجوز أن يكون زيد مبعوثاً إلى الخَلْق ، بدليل أنه كان يُسند ظهره إلى الكعبة ويقول : أيها الناس لم يبق على دين إبراهيم غيرى . ويُعلم من هذا أنه يجوز أن يكون نبيا ، فلا ينتقض به التعريف . انتهى .

وهذا مما يقضى منه التعجُّب ، وكذا جميع ما ذكره هنا أرباب حواشيه .

وذكره البيضاوى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً [(٢)] ﴾ : وقال : هو موحِّد الجاهلية .

وأما الثانى فهو نُبَيْه ، بضم النون وفتح الموحدة بعدها ياء ساكنة فهاء ، وكنيته أبو الرزَّام بتشديد الزاى المعجمة ، ابن الحجَّاج ، بتشديد الجيم الأولى ، ابن عامر بن حذيفة بن سهم بن عَمرو بن هُصَيص ، بالتصغير ، ابن كعب ابن لؤىّ بن غالب .

---

(١) ش : « وهم » تحريف .

(٢) الآية ٢٢ من سورة البقرة .

قال الزبير بن بكار (فى أنساب قريش) : كان نبيهٌ وأخوهُ منُبِّه ، على صيغة اسم الفاعل من التنبيهِ ، من وجوه قريش وذوى النباهة فيهم ، وقُتِلا ببدر كافرَين . وكانا من المطعِمِين يومَ بدر ، ورثاهما الأعشى بن نبَّاش بن زُرارة التميمى [1] حليف بنى عبد الدار ، وكان مداحاً لنبيه بن الحَجَّاج ، وله فيه من قصيدة يصف ناقته :

تبلِّغَنْ رجلاً محضاً ضرائبُه
مؤمَّلاً وأبوه قبلُ مأمولُ
إنّ نُبَيهاً أبا الرزَّامِ أحلمهُمْ
حِلماً ، وأجودهم ، والجودُ تفضيلُ

وكان نُبَيْهٌ شاعراً ، وهو الذى يقول فى زوجتَيْه وقد سألتاه الطلاق :

تلك عِرساىَ تنطقان بِهُجْرٍ
وتقولان قولَ أثْر وعَثْرِ [2]

إلى آخر الأبيات المقدَّمة . ومن شعره :

قصَّر الشيءُ بى ولو كنتُ ذا ما
لٍ كثير لأحْلَبَ الناسُ حَولى [3]

---

(١) ط : « التيمى » ، صوابه فى ش والمؤتلف ٢٠ والاشتقاق ١٤٢ . قال ابن دريد : « أخبرنا بعض أهل العلم عن الأعشى بن نباش بن زرارة بن وقدان ، أحد بنى تميم .. وسترى تفسيره فى نسب تميم إن شاء الله » .

(٢) سبقت هذه الرواية فى ص ٤١١ . وفى ط هنا : « تنطقان لهجر » .

(٣) أحلبوا ، بالحاء المهملة : جاءوا من كل وجه . وفى ط : « أجلب الناس » بالجيم ، وهو بالجيم للتجميع فى الشر .

ولقالوا أنت الكريمُ علينا
ولحطُّوا إلى هوايَ ومَيْلى
ولكِلْتُ المعروف كيلا هنيئا
يُعجز الناسَ أن يكيلوا ككيلى (١)

وله أيضاً :

قالت سُليمى يومَ جئتُ أزورُها
لا أبتغى إلّا امرأً ذا مال
لا أبتغى إلا امرأً ذا أنضَرٍ
كى ما أسدَّ مَفارِق وخِلالِى
فَلَأَحرِصنَّ على اكتساب مُحَبَّبٍ
ولأَكسِبَنْ فى عِفَّةٍ وجمالِ

وله شعر كثير . اهـ .

والأنضر كأحمد (٢) : لغةٌ فى النَّضر ، وهو الذهب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الأربعمائة (٣) :

٤٧٩ (قولُ الفوارس ويكَ عَنْتَر أقدِمِ)

على أنّ الفراء قال : وى فى ويكأنَّه ، كلمة تعجُّبٍ ألحق بها كاف الخطاب ، كقوله : ويك عنتر ، أى ويلك وعجباً منك .

---

(١) ش : « هينا » بالتسهيل .

(٢) كذا فى النسختين بالدال .

(٣) المحتسب ١ : ٢/١٦ : ١٥٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٥ ، ٦ وابن يعيش ٤ : ٧٧ وشرح شواهد المغنى ٢٦٧ والعينى ٤ : ٣١٨ والتصريح ١ : ١٩٧ والأشمونى ٣ : ١٩٨ .

١٠٢ أقول : ليس هذا مذهب الفراء ، وإنما هو قولٌ لبعض النحويين نقله الفراء عنه كما مضى . زعم أنّ ويكأنَّ مركب من وَيْكَ ومن أنَّ ، وأنّ ويك أصله ويلك ، فحذفت منه اللام ، كما فى بيت عنترة .

ولا تخفى ركاكة قول الشارح : « وَى كلمة تعجب ألحق بها كاف الخطاب » مع قوله : « أى ويلك وعجباً منك » .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : قال المفسِّرون فى قول الله تعالى : ﴿ ويكأنَّ الله يَبْسُط الرزق (١) ﴾ ، معناه ألم تر أنَّ الله .

ومثل ذلك : ﴿ ويكأنَّه لا يُفلح الكافرون (٢) ﴾ . واختلف فيها اللغويون فقال الخليل . إنها وى مفصولة من كأنّ ، والمراد بها التنبيه . وإلى هذا ذهب يونس وسيبويه والكسائى . وقال السيرافى : وى كلمة يقولها المتندِّم عند إظهار ندامته ، ويقولها المُندِّم لغيره والمنبِّه .

ومعنى كأنّ الله يبسط الرزق التحقيق ، وإن كان لفظه لفظَ التنبيه ، فالتقدير : تَنبَّهْ أنّ الله يبسط الرِّزق ، أى تنبَّهْ لبسط الله الرِّزق . وقال الفراء : معناها فى كلام العرب التقرير ، كقولك لمن تقرره : ألا ترى إلى صُنع الله ، فكأنَّه قيل : أما ترى أنَّ الله يبسط الرزق (٣) .

وأقول (٤) : إنَّ كل واحد من مذهبي الخليل والفراء ، وكذلك ما قاله

---

(١) الآية ٨٢ من القصص .

(٢) الآية ٨٢ من القصص .

(٣) هذا ما فى ش وأمالى ابن الشجرى ، وفى ط : « أما ترى الله يبسط الرزق » .

(٤) ش فقط : « فأقول » .

السيرافى من أَنَّ التقدير : [تنبَّهْ (١)] أن الله يبسط الرزق ، معناه ألم تر أَنَّ الله يبسط الرزق . وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر أَنَّ الله أنزلَ من السماء ماءً فتُصبحُ الأرضُ مخضَرَّة (٢) ﴾ .

فهذا تنبيهٌ على قدرته وتقريرٌ بها .

وقال غير هؤلاء من اللُّغويين : هى ويك بمعنى ويلك ، وحذفت اللام لكثرة هذه اللفظة فى الكلام . وأَنَّ من قوله أَنَّ الله يبسط الرزق ، مفتوحة بإضمار اعلَمْ .

واحتجوا بقول عنترة : « ويك عنتر أَقدم » فالكاف على هذا القول ضمير ، فلها موضع من الإعراب .

وقال آخرون : هى وى اسمٌ للفعل ومعناها أتعجَّب (٣) كما تقول : وى لم فعلت هذا ؟ فالكاف فى هذا الوجه حرفٌ للخطاب ، كالكاف فى رويدك ، فهى دالَّة على أَنَّ (٤) التعجب موجَّه إلى مخاطب لا إلى غائب . وانفتحت أنّ بتقدير اللام ، أى أتعجَّب لأن الله يبسط الرزق (٥) . انتهى كلام ابن الشجرى .

صاحب الشاهد والبيت من معلقة عنترة العبسى . قال شراح المعلقة : قال بعض النحويين : معنى ويك ويحك ، وقال بعضهم : معناه ويلك . وكلا القولين خطأ ، لأنه كان يجب على هذا أن يقرأ ويك إنّه ، كما يقال ويلك إنه ، وويحك

(١) هذه من أمالى ابن الشجرى .
(٢) الآية ٦٣ من سورة الحج .
(٣) فى الأصل : « العجب » ، صوابه من الأمالى .
(٤) هذه الكلمة من ش والأمالى .
(٥) ش فقط : « العجب لأن الله يبسط الرزق » .

إنّه . على أنه قد (١) احْتُجَّ لصاحب هذا القول بأنّ المعنى : ويلك اعلَمْ أنّه لا يفلح الكافرون .

وهذا أيضا خطأ من جهات : إحداهَا حذف اللام من ويلك ، وحذف اعلم ، لأنَّ مثل هذا لا يحذف لأنَّه لا يعرف معناه . وأيضا فإنّ المعنى لا يصح ، لأنه لا يُدرَى من خاطبوا بهذا . وروى عن بعض أهل التفسير أنَّ معنى وَيك ألم تر ، وأما ترى . والأحسن فى هذا ما روى سيبويه عن الخليل ، وهو أنَّ وى منفصلة ، وهى كلمة يقولها المتندّم إذا ما تنبَّه على ما كان منه ، كأنَّهم قالوا على الندم : وى ، كأنه لا يفلح الكافرون . انتهى .

وروىَ : (قيلُ الفوارس) . والقول والقيل بمعنىً . وجمع فارسٍ الوصفىّ على فوارس نادر .

(وعنتر) : منادًى مرخَّم ، أى يا عنترة . و (أقدم) بفتح الهمزة وكسر الدال بمعنى تقدَّم ، أو هو من الإقدام الذى بمعنى الاجتهاد والتصميم . وروى بدله : (قدِّم) ، أى قدِّم الفرس ، أو بمعنى تقدَّمْ . جعل أمرَهم له بالتقدُّم شفاءً لنفسه ، لما ينال فى تقدُّمه من الظفر بأعدائه ، ولما يكتسب بذلك من الرفعة وعلو المنزلة .

١٠٣ وقد تقدمت (٢) ترجمة عنترة وشرح المعلقة مع أبيات منها فى الشاهد الثانى عشر وغيره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الأربعمائة (٣) :

٤٨٠ (روافدُه أكرمُ الرَّافداتِ بَخٍ لكَ بَخٍّ لبحرٍ خِضَمّْ)

---

(١) ط : « على أنه وقد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « تقدم » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٧٩ والصحاح والمقاييس واللسان (بخخ ، رفد) .

على أنَّ الشاعر جَمَع فيه لُغَتَىْ بَخٍ الموصولة فى الدَّرْج ، وهُما : تخفيف الخاء مع الكسر والتنوين ، وتشديدها كذلك . وهذا من (الصحاح) فإنّه قال : بَخْ كلمة تقال عند المدح والرضا بالشئ ، وتكرر للمبالغة فيقال بخ بخ . فإنْ وصَلْتَ خفضْتَ ونوّنتَ فقلت بَخٍ بخٍ ، وربَّما شدِّدت كالاسم . وقد جمعهما الشَّاعر فقال يصف بيتا :

روافده أكرم الرافدات .... البيت

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام (فى الغريب المصنف) قال : الرَّوافد خَشَب السقف ، قال الشاعر وذكر بيتاً : روافده أكرمُ .... البيت .

قال شارح أبياته يوسف بن الحسن السيرافى : بَخْ كلمة تقال عند وصف الشئ بالرفعة والتناهى فى الأمور الجليلة ، وهى مبنيَّة على السكون ، لأنَّه من أسماء الأفعال ، والفعل الذى هى فى موضعه فعل تعجُّبٍ فى قولك : أفعِلْ به ، فى موضع أعظم به وأكرم به ، كما كان صَهْ فى موضع اسكت . وهو فى نية تعريف . وهذه الأفعال التى للتعريف إذا نوى بها التعريف لم تُنوَّنْ ؛ وإن نوىَ بها التنكير نوِّنت . فمن قال : بخٍ ونوَّنَ أراد به النكرة فأدخل التنوين ، وهو حرف ساكن ، على الخاء وهى ساكنة ، فاجتمع ساكنان فكسرت الأولى منهما ، وهى الخاء . فإن قال قائل : الساكنان إذا التقيا فى كلمة واحدة كسر الثانى منهما ، نحو : دراك ونزال ، وإذا التقيا من كلمتين كسر الأوّل نحو : اضربِ ابنك وأكرم القومِ ، فلم كسرت الخاء لدخول التنوين وهما فى كلمة واحدة ولم يكسر التنوين ؟ قيل له : التنوين ليس من الكلمة ، وهو مضمومٌ إليها داخلٌ للعلامة ، وليس من حروفها ، فجرى

---

(١) ط : « ويكرر » ، وأثبت ما فى ش والصحاح .

مجرى كلمة غير الكلمة الأولى . وبخّ بالتشديد هو الأصل ، والمخفف ما حذف منه حرفٌ من الأصل . والخِضَمُّ : الكثير العظيم الكَثرة . وَصف البيت بالكرمِ وأراد كرم مَن هو بيتُه . انتهى .

فعلى كلامه هى اسم فعلٍ لا اسمُ صوت .

والبيت لم أقف على قائله وتتمته . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الأربعمائة [١] :

٤٨١ (وصارَ وَصْلُ الغانياتِ أَخًّا)

على أنَّ الشاعر جعل (أخًّا) كالمصدر فأعربَه ، وهو مصدر بمعنى المفعول أى مكروها .

وكذلك أورده الزمخشرى فى الأصوات وقال : وأخّ عند التَّكرُّه . قال العجَّاج :

* وصار وصلُ الغانيات أخّا *

وروى : « كَخّا » . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : أخ ، وذكرها بالفتح ، كلمة تقال عند التأوّه ، وأَحسبها محْدثة . وكخْ : زجر للصبى وردعٌ له ، وتقال عند التقذُّر للشئ ، وتكسر الكاف وتفتح وتسكن الخاء وتكسر ، بتنوين وغير تنوين ، قيل هى أعجمية عرِّبت . كذا فى النهاية .

ولم أر نسبة البيت للعجاج إلَّا فى المفصَّل .

و (فى العباب للصاغانى) يقال للصبى إذا نُهى عن فعل شئ قذرٍ : ١٠٤

---

(١) مجالس ثعلب ٤٥١ وأمالى الزجاجى ١٢١ وابن يعيش ٤ : ٧٥ ، ٧٩ وملحقات ديوان العجاج ٧٦ .

إخْ بالكسر ، بمنزلة قول العجم : كِخْ ، كأنَّه زجر ، وقد تفتح همزته ، قال أعرابى :

* وكان وصلُ الغانيات أخّا *

ويروى كَخًّا . وإخْ بالكسر : صوت يناخ به الجمل ليبرك ؛ ولا يشتق منه الفعل فلا يقال أخخْتُ الجملَ . إنَّما يقولون أنَخْته .

وهو من أبيات رواها جماعةٌ غُفْلا ، منهم ثعلب (فى أماليه) ، أنشد :

لا خيرَ فى الشيخ إذا ما اجلخَّا
وسالَ غَربُ عينه ولَخَّا
وكان أكلاً قاعدا وشَخَّا
تحتَ رِواق البيتِ، يغشَى الدُّخَّا
وانثنت الرجلُ فكانت فَخَّا
وكان وصلُ الغانيات أخَّا

اجْلَخَّ : سقط ولم يتحرَّك . ولخَّ : سالَ . وأخّ كقولك : أُف وتُف . انتهى .

وكذا رواها الزجاجى (فى أماليه الوسطى) عن ابن الأعرابى وقال : اجَلخَّ : اعوجَّ . ولخَّ : التصقت عينه . وشَخَّا ، يقول : كثر غائطه . والدُّخُّ ، بضم الدال وفتحها : الدُّخَان . ويغشى الدخَّ : يغشَى [1] التنُّورَ فيقول : أطعمونى . انتهى .

وقال على بن حمزة البصرى (فى التنبيهات) : الغرب : بثرة تكون فى

(١) يغشى ، من ش فقط .

العين تُقذى ولا ترقأ . وأنشد الأبيات . وكذلك أنشد الأبياتَ ابن دريد (فى الجمهرة) وقال : لخَّت عينه تلِخُّ لخًّا ولخخا ، إذا كَثُرتْ دموعها وغَلُظَتْ جفونها . وربما قالوا : لَحَّتْ ، أى بالمهملة .

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (فى طبقات النحويين) : حدثنا ابن مُطَرِّف قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قالت أعرابيّةٌ فى زوجها وكان شيخا :

* لا خير فى الشيخ إذا ما اجلخَّا *

الأبيات . فقال زوجها :

أمّ جَوارٍ ضِنْؤُها غَيْرُ أمِر
صَهصَلَقُ الصَّوت بعينيها الصَّبِرْ
تُبادر الذئب بعدْوٍ مشفترّ
سائلةٌ أصداغها ما تختمِرْ
تَغدو عليهم بعمودٍ منكسر
حتَّى يَفِرَّ أهلُها كلَّ مفَرّْ
لو نحرَتْ فى بيتها عشرَ جزُر
لأصبحتْ من لحمهن تعتِذرْ

فقالت لزوجها : اسكت فإنَّا حِمارا العِبادىّ . قال : أجَلْ ، وأنتِ بدأت . انتهى .

وجَوارٍ : جمع جارية . والضَّنْءُ ، بفتح الضاد المعجمة وكسرها وسكون النون بعدها همزة : النسل والولد ، لا واحد له من لفظه . وأمِرٌ : كثيرٌ ، من أمِرَ كفرح ، إذا كثر . والصَّهصلق قال فى القاموس : هى العجوز الصخَّابة ،

ومن الأصوات : الشديد . والصَّبر : عُصارة شجر مُرٍّ . يريد أنَّ عينيها تدمع دائماً كأنَّ فى عينيها هذه العصارة .

والمشفترّ كمقشعِرّ : المَشمِّر ، والمنتصب .

وسائلة أصداغها ، أى طويلة شعر الأصداغ . وما تختمر ، أى لم تستعمل الخِمار .

والجُزُر بضمتين : جمع جَزور ، وهو البعير أو الناقة المجزورة ، وما يذبح من الشاءِ ؛ واحدتها جَزَرَة .

* * *

المركب

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الأربعمائة (١) :

١٠٥ ٤٨٢ (كُلِّفَ مِن عَنائِه وشِقوتِهْ

بنتَ ثمانى عشرةٍ من حِجَّتِهْ)

على أنَّ بعض الكوفيين أجاز إضافة النيِّف إلى العشرة .

قال أبو على (فى التذكرة القَصْرية) : البغداديُّون يجيزون خمسةَ عشر ، فيضيفون وأنت تريد به العدد ، ويستشهدون بقول الشاعر :

كُلِّفَ مِن شقائه وشِقوته (٢)

بنتَ ثمانى عشرةٍ من حِجَّتِهْ

وأصحابُنا يمنعون من ذلك إذا أردت به العدد . فإنْ سمَّيته بخمسة عشر جازت الإضافة على قول من قال معديكربٍ ، وجاز أن لاتضيف على حدِّ من قال معديكربَ ؛ لأنه قد خرج عن العدد بالتسمية . وأجاز ذلك أبو عمر (٣) (فى الفَرْخ) انتهى .

وقال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيُّون إلى أنَّه

---

(١) الحيوان ٦ : ٤٦٣ والمخصص ١٤ : ٩٢/١٧ : ١٠٢ والإنصاف ٣٠٩ والعينى ٤ : ٤٨٨ والتصريح ٢ : ٢٧٥ والهمع : ١٤٩ والأشمونى ٤ : ٧٢ .

(٢) حاول الشنقيطى فى نسخته أن يجعلها « من عنائه وشقوته » .

(٣) فى النسختين : « أبو عمرو » ، تحريف . وصاحب كتاب الفرخ هو أبو عمر صالح بن =

يجوز إضافة النيف إلى العشرة ، واستدلُّوا بالبيت ، ولأن النيف اسم مظهَرٌ كغيره من الأسماء المظهرة التى تجوز إضافتها ، ومَنَعه البصريُّون لأنّ الاسمين قد جُعلا اسماً واحداً ، فكما لا يجوز أَنْ يضاف الاسم الواحد بعضهُ إلى بعض فكذلك ههنا .

وبيان ذلك : أَنّ الاسمين لمَّا ركبا دلَّا على معْنًى واحد ، والإضافة تبطل ذلك المعنى . ألا ترى أنّك لو قلت : قبضت خمسة عشرَ من غير إضافة دل على أنك قد قبضت خمسةً وعشرة . وإذا أضفت دلَّ على أنَّك قبضت الخمسة دون العشرة ، فلما كانت الإضافة تبطل المعنى المقصود وجب أن لا تجوز .

وأما البيت فلا يعرف قائله ، ولا يؤخذ به . على أنا نقول : إنما صرفه لضرورة ، ورده إلى الجر لأنَّ ثمانى عشرة لما كانا بمنزلة اسم واحد وقد أضيف إليهما بنت ردَّ الإعراب إلى الأصل بإضافة بنت إليهما ، لا بإضافة ثمانى إلى عشرة . وهم إذا صرفوا المبنىَّ للضرورة ردُّوه إلى الأصل .

وأما قولهم إنَّ النيف اسمٌ مظهر كغيره من الأسماء فى جواز الإضافة ، قلنا : إلاَّ أنه مركب (١) ، والتركيب ينافى الإضافة ، لأنَّ التركيب جَعلُ الاسمين اسماً واحداً بخلاف الإضافة ، فإنّ المضاف يدلُّ على مسمى ، والمضاف إليه يدلُّ على مسمًّى آخر . وحينئذ لا يجوز الإضافة لاستحالة المعنى . ا هـ .

= إسحاق الجرمى المتوفى سنة ٢٢٥ ، كما فى البغية . وقد ذكر ابن النديم من كتبه فى الفهرست ٨٤ « كتاب الفرخ » كما ذكر فى إنباه الرواة ٢ : ٨٢ . وذكر الميمنى فى الإقليد ٨٠ أن كتابه يسمى « فرخ سيبويه » وفيه يقول المعرى فى لزومياته :

وللجرمى ما اجترمت يداه   وحسبك من فلاح أو بوار
وأما فرخه فبلا جناح   يطير بحمل أقلام جوار

(١) ش : « قلنا إنه مركب » .

وأنشد الفراء البيت فى موضعين (من تفسيره) عن أبى ثروان : أحدهما : عند قوله تعالى : ﴿ إنى رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كوكبا [١] ﴾ ، لمَا ذكر من مذهب الكوفيين ، وفصَّل المسألة عندهم .

وثانيهما عند قوله تعالى : ﴿ ربَّنا غلبَتْ علينا شِقْوتُنا [٢] ﴾ ، بكسر الشين ، وهى قراءة أهل المدينة وعاصم ، وأنشد البيت أيضاً .

و (العناء) بالفتح : التعب والنَّصَب . و (الحِجَّة) بالكسر : السَّنَة . ونائب فاعل كُلِّفَ : ضمير الرجل ، وبنت مفعول ثان لِكُلِّف .

قال الجاحظ (فى كتاب الحيوان) : أُنشدنى أبو الرُّدينى الدَّلهم بن شِهاب ، أحد بنى عَوف بن كنانة ، مِنْ عُكل [٣] قال : أنشدنى نُفَيْع بن طارق :

عُلِّق من عَنائه وشِقوته
بنتَ ثمانى عشرةٍ من حِجَّته
وقد رأَيتَ هَدَجاً فى مِشيته
وقد جَلاَ الشَّيب عذارَ لحيته [٣]
يظنُّها ظنًّا بغير رؤيته
تمشى بِجَهْمٍ ضِيقُهُ فى هِمَّته [٤]

---

(١) الآية ٤ من سورة يوسف . معانى الفراء ٢ : ٣٤ .

(٢) الآية ١٠٦ من سورة المؤمنين . معانى الفراء ٢ : ٢٤٢ .

(٣) جلاه : جعله واضحا أبيض . فى النسختين : « حكى » ، صوابه فى الحيوان .

(٤) ش : « ضيقة » صوابه فى ط والحيوان . وفى الحيوان أيضا : « من همته » .

لم يُخْزه الله بُرحب سَعته ١٠٦

خَجَّم بعدَ حلقه ونُورتِه (١)

كقنفذ القُفّ اختفىَ فى فَروته

لا يقنع الأير بنَزع زهرته (٢)

* كأنّ فيه وهَجاً من مَلَّته *

والهدج : مِشية الشيخ . والجهم : الباسر الكالح ، من جهُمَ بالضم ، إذا صار باسر الوجه . أراد حِراً جَهْما ذا عُكَنٍ ، كالوجه الجَهْم .

وقوله : « ضيقه فى هِمَّتِه » ، أراد أنَّ حِرَها ضيِّقٌ كضيقِ هِمّته .

وحَجَّم ، بفتح الجيم والحاء المهملة ، أى برز الحِرُ الجهْمُ ، من حَجَّم الرجل إذا فتح عينيه كالشاخص .

والقُفّ : حِجارة غاصٌّ بعضها ببعض ، مترادف بعضها إلى بعض .

والملة ، بالفتح : الرَّماد الحار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الأربعمائة (٣) :

٤٨٣ (ولا تَبلَى بسالَتُهمْ وإنْ هُمْ

صَلُوا بالحرب حيناً بعدَ حينِ)

(١) فى الحيوان : « جمم » ، أى ظهر فيه الشعر ولم يغزر ، وأصله من الجميم ، وهو النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم .

(٢) زهرته ، كذا وردت فى النسختين . وفى الحيوان : « رهوته » . والرهوة : مستنقع الماء . والنزع مأخوذ من نزع الماتح بالدلو من البئر .

(٣) أمالى القالى ١ : ٢٦٠ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ والحماسة ٤١ بشرح المرزوقى .

على أن أصل حِينَ حِينَ بالتركيب ، حيناً بعد حين ، كما فى البيت .

وأورده صاحب الصحاح فى صَلِىَ بالأمر كفرح ، إذا قاسى حَرّه وشدَّته .

صاحب الشاهد والبيت من أبياتٍ لأبى الغُول الطُّهَوىّ ، أوردها القالىُّ (فى أماليه) ، وأبوّ تمامٍ (فى أوّلِ حماسته) ، وهى :

أبيات الشاهد (فَدت نفسى وما ملكت يمينى
فوارسَ صدَّقُوا فيهم ظنونى
فوارسُ لا يَمَلُّون المنايا
إذا دارت رَحا الحربِ الزَّبونِ
ولا يَجزُون من حَسنٍ بسُوءَى
ولا يَجزُونَ من غِلَظٍ بِلينِ
ولا تبلَى بسالتُهْم وإن هُمْ
صَلُوا بالحرب حيناً بعدَ حينِ
همُ مَنَعوا حِمى الوَقَبى بضربٍ
يؤلِّفُ بين أشتاتِ المنونِ
فنكَّبَ عنهم دَرْءَ الأعادى
وداوَوْا بالجُنون من الجنونِ (١)
ولا يَرْعَوْن أكناف الهُوَينى
إذا حلُّوا ولا أرضَ الهدُونِ (٢))

(١) ط : « وداوى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر الشرح فى ص ٤٣٧ .
(٢) ش : « أكتاف الهوينى » ، صوابه فى ط والمراجع السابقة .

قوله : « فدت نفسى » إلخ جملة دعائية ، وما موصولة . وتخصيص اليمين لفضْلها وقوّة التصرف بها ، وهم يقيمون البعضَ مقام الجملة وينسُبون إليه الأحداث والأخبار كثيرا ، كقوله تعالى : ﴿ فظلَّتْ أعناقُهُمْ لها خَاضِعِين (١) ﴾ .

قال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : قوله : صدَّقوا فيهم ظنونى ، فظنونى مفعوله . وروى غير القالى : « صَدَّقت فيهم ظنونى » فالظنون على هذه الرواية فاعلةٌ (٢) . ويروى « صُدِّقت » بضم الصاد فتكون الظنون مفعولةً . يريد أنّها نائب فاعل .

وأنشدَهُ صاحب الكشاف فى سورة سبأ برواية : « صَدّقت فيهم ظنونى » ، وقال : لو قُرِئ : ﴿ ولقد صَدّقَ عليهم إبليسُ ظَنَّه (٣) ﴾ ، بتشديد الدال ورفع إبليس والظنّ كما فى البيت لكان مبالغةً فى الصِّدْق عليهم .

وفوارس شاذ فى الجموع ، لأنّ فواعل جمعُ فاعلة لما يعقل دون فاعل . والمعنى : تفدىٰ نفسى ومالى أجمع فوارسَ يكونون عند ظنونى بهم فى الحرب .

وقوله : « فوارس لا يملون » إلخ بالنصب بدل من فوارسَ وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ، أى هم فوارس . والمنايا : جمع منيّة ، وهى الموت ؛ أراد أسبابها . والزَّبون : الناقة التى تَزبِن حالِبَها ، أى تدفعه برجلها ، ومنه الزَّبانِيَة ، لأنّهم يَدفَعون إلى النار . وإنّما لم يؤنث لاستواءِ فعول فى المؤنث والمذكر . ١٠٧
شبَّه الحرب التى لا تَقبل الصُّلحَ بالناقة الزَّبون . ويقال ثَبتَ فلانٌ فى رحا الحرب ، أى حيث دارت كالرحا .

(١) الآية ٤ من الشعراء .

(٢) فى النسختين : « فاعله » و « مفعوله » فيما سيأتى . والوجه ما أثبت من اللآلئ ٥٨٠ .

(٣) الآية ٢٠ من سورة سبأ . وقراءة رفع « إبليس » و « ظنه » هى قراءة عبد الوارث عن أبى عمرو ، كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٧٣ . وقرأ الكوفيون : « صدق » بالتشديد ، مع رفع إبليس ونصب ظنه . وباقى السبعة « صدق » بالتخفيف مع رفع ابليس ونصب ظنه .

قوله : « ولا يجزون من حسن » إلخ ، يُشرح إن شاء الله فى أفعل التفضيل [١] .

قوله : « ولا تبلى بسالتهم » إلخ قال الطبرسى : تَبلى من بَلَىَ الثوبُ . ويروى : « تُبلَى » بالضم ، من بلوت إذا اختبرت . والبسالة يُوصَف بها الأسد والرجل . وصَلُوا من صَلِيتُ بكذا ، أى مُنِيتُ به . وجواب إن هم صلوا يدلُّ عليه ما قبله ، تقديره : إن مُنوا بالحرب لم تُخلِق شجاعتهم ، أو لم تختبر شجاعتهم ليعرف غورها ومنتهاها على مرِّ الزمان ، واختلاف الأحوال . انتهى .

وقال أبو عبيد البكرى : هكذا الرواية « تَبْلى » بالفتح من البِلى . وروى غير القالى : « ولا تُبْلى » بضم التاء من الابتلاء ، وهو الاختبار ، أى لا يختبر ما عندهم من النَّجدة والبأس وإن طال أمدُ الحرب ، لكثرة ما عندهم من ذلك . ويجوز على هذه الرواية « صَلوا بالحرب إلَّا بعد حين » .

وقوله : « هُم مَنعُوا حِمَى » إلخ الحمى : موضع الماء والكلأ . والوَقَبى بفتح الواو والقاف : موضع بقرب البصرة . وكان من حديثه أنَّ عبد الله بن عامر كان عاملاً لعثمان بالبصرة وأعمالها ، واستعمل بشرَ بن حارث بن كَهف المازنيَّ على الأحماءِ التى منها الوَقَبى ، فحفرَ بها رَكيَّتَيْن : ذاتَ القصر ، والجوفاء [٢] ، فانتزعهما منه عبد الله بن عامر ، ووقعت الحرب بينهم بسبب ذلك ، وعادَ الماءُ فى آخر حروب ومُغاوَرات إلى بنى مازن . كذا قال شراح الحماسة .

وقال أبو عبيدة : كانت الوقبى لبكرٍ على إيَادٍ الدَّهْرَ ، فغلبهم عليها بنو

---

(١) فى الشاهد ٦٢٦ .

(٢) فى النسختين : « الحوفاء » صوابه بالجيم ، كما فى شرح الحماسة للتبريزى ١ : ٣٤ ومعجم البلدان فى حرف الجيم .

مازن بعَون عبد الله بن عامر صاحب البصرة لهم ، فهى بأيدى بنى مازن اليوم . وكان بين بنى شيبان وبين مازن حرب فيها ، وتعرف بيوم الوقبى ، قُتلَ فيها جماعة من بنى شيبان . انتهى .

يقول : إنَّ هؤلاء القوم هُم الذين يمنعون حِمَى هذا المكان ، بضربٍ يجمع بين المنايا المتفَرِّقة . وهذا يحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون أنَّ هؤلاء لو بقُوا فى أماكنهم ولم يجتمعوا فى هذه المعركة لوقعت مناياهم متفرِّقةً فى أمكنةٍ متغايرة ، وأزمنة متفاوتة ، فلما اجتمعوا تحتَ الضرب الذى وصفه صار الضربُ جامعاً لهم .

ويجوز أن يكون المعنى أنَّ أسباب الموت مختلفة ، وهذا الضرب جمع بين الأسباب كلها . وحُكِىَ عن أبى سعيد الضَّرير أنَّ المعنى أنَّ الضرب إذا وقع ألَّف بين أقدراهم التى قُدِّرت عليهم . ويجوز أن يكون المراد : بضربٍ لا ينفِّس المضروبَ ولا يُمهله ، لأنَّه جمعَ فِرَقَ الموتِ له .

وقوله : « فنكَّب عنهم » إلخ الدرء أصله الدفع ، ثم استعمل فى الخلاف ؛ لأنَّ المختلفَين يتدافعان . يقول : هذا الضرب نكَّب عن هؤلاء القومِ اعوجاجَ الأعادى وخِلافَهم ، وداوَوُا الشَّرَّ بالشَّرّ . وهذا كقولهم : « الحديدُ بالحديد يُفلَح » . وأصل النَّكَب المَيل . وقال أبو عبيدٍ البكرى : هذا مثل قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلَنْ أحدٌ علينا

فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

وقال الفرزدق :

أحلامُنا تَزِنُ الجبالَ رزانةً
ويزيد جاهِلُنا على الجُهّالِ

١٠٨ قوله : « ولا يرعَوْن أكنافَ » إلخ الهوينى : الدَّعة والخفْض ، وهو مصغر الهُونَى تأنيث الأهون . ويجوز أن يكون الهُونى اسماً مبنياً من الهِينة وهى السُّكون ، ولا تجعلَه تأنيث الأهون .

والهُدون : السُّكون والصلح . يصفهم بالحرص على القتال ، وإيثارِ جانب الخصومة على الصُّلح . فيقول : لا يرعى هؤلاء القوم ، من عزِّهم ومنعتهم ، الأماكنَ التى أباحتها المسالمة ، ووطَّأتها [١] المهادنة ، ولكن يرعَون النواحىَ المحميَّة ، والأراضىَ المنيعة [٢] .

أبو الغول الطهوى وأبو الغُول الطهوى هو كما قال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) من قوم من بنى طُهَيَّةَ يقال لهم بنو عبد شمس بن أبى سُود [٣] . وكان يكنى أبا البلاد ، وقيل له أبو الغُول لأنَّه فيما زعم رأى غولا فقتلَها وقال :

رأيتُ الغُولَ تهوِى جُنْحَ ليلٍ
بسهبٍ كالعَباية صحصحانِ
فقلت لها : كلانا نِضوُ أرضٍ
أخو سفرٍ فصُدِّى عن مكانى [٤]

(١) وطأ الشئ : سهله وهيَّأه . فى النسختين : « ووطئتها » ، صوابه من اللآلىء ٥٨١ .

(٢) فى اللآلئ : « والأرضين الممتنعة » .

(٣) ط : « بن سود » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح والمؤتلف ١٦٣ . وانظر الاشتقاق ٢٣٣ وما سيأتى فى ضبط البغدادى .

(٤) ط : والمؤتلف : « فقلت له » ، صوابه فى ش . والغول مؤنثة .

إذا عَينانِ فى وجهٍ قبيح
كوجه الهرِّ مشقوقِ اللِّسانِ
بِعَيْنَىْ بُومة وشَواةِ كلب
وجلدٍ فى قَراً أو فى شِنانِ (١)

وله فى هذا حديث وخبر (فى كتاب بنى طهية) . انتهى .

ونسب ابن قُتيبَة تلك الأبيات (٢) لأبى الغول النهشلى . قال : هو أبو الغول النهشلى
عِلْباءُ بن جَوْشن ، من بنى قَطَن بن نهشل ، وكان شاعرا مجيدا ، وهو القائل :

وسَوءة يُكثِرُ الشَّيطانُ إن ذُكِرتْ
منها التعجُّبَ ، جاءت مِن سليمانا
لا تعجبَنَّ لخير جاء من يدهِ
فالكوْكَبُ النحس يَسقى الأرض أحيانا (٣)

انتهى .

وأبو الغول النهشلى غير أبى الغول الطهوى ، نقلهما الآمدى عن أبى اليقظان ؛ وقال فى النهشلى : هو علباء بن جَوشن ، وإنَّه شاعر ذكره أبو اليقظان ولم ينشد له شعراً ، ولم أرَ له ذكرا فى كتاب بنى نهشل . انتهى .

وأبو سود بضم السين هو ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . وأم أبى سود طهيّة بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

(١) فى المؤتلف : « بعينى بوهة » . والبوهة : طائر يشبه البومة إلا أنه أصغر منها . وقال أبو عمرو : هى البومة الصغيرة .

(٢) يعنى أبيات الشاهد النونية ، انظر الشعراء ٣٩٤ .

(٣) فى الشعراء : « زل عن يده » .

ونهشل هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة المذكور . فأبو سود يكون عمّ نهشل . وعِلباء بكسر العين المهملة وسكون اللام بعدها باء موحدة وألف ممدودة .

وسليمان هو سليمان بن عبد الملك بن مروان .

فالنهشلى شاعر إسلامىٌّ فى الدوله المروانية . وأمَّا الطهوىّ فلم أقف على كونه إسلاميًّا أو جاهلياً .

* * *

وأنشَدَ بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٤٨٤ (فلوْلا يَومُ يَومٍ ما أردنا
جَزاءكَ والقُروضُ لها جَزاءُ)

على أنَّه إذا خرج الظروف والأحوال عن الظرفية والحالية وجبَت الإضافة ولم يجز التركيب .

قال سيبويه : وأمَّا يومَ يومَ ؛ وصباحَ مساءَ ، وبيتَ بيتَ ، وبينَ بينَ ، فإن العرب تختلف فى ذلك ، يجعله بعضهم بمنزلة اسمٍ واحد ، وبعضهم يضيف الأول إلى الآخر ولا يجعله اسما [واحداً [(٢)]] ، ولا يجعلون شيئا من هذه الأسماء بمنزلة اسمٍ واحد إلّا فى حال الحال والظرف ، كما لم يجعلوا يا ابن
١٠٩ عمَّ ويا ابن أمَّ بمنزلة شىء واحد إلّا فى حال النداء . والآخِرُ من هذه الأسماء فى موضع جرّ ، وجُعل لفظه كلفظ الواحِد وهما اسمان أحدهما مضافٌ إلى

(١) فى كتابه ٢ : ٥٣ . وانظر الشذور ٧٦ والهمع ١ : ١٩٧ وديوان الفرزدق ٩ .

(٢) التكملة من سيبويه .

الآخر . وزعم يونس ، وهو رأيه ، أنَّ أبا عمرٍو كان يجعل لفظه كلفظه (١) ، إذا كان شيءٌ منه ظرفا أو حالا . وقال الفرزدق :

ولولا يومُ يومٍ ما أردنا .... البيت

فالأصل فى هذا والقياسُ الإضافة . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة يوم الأول إلى الثانى ، على حدِّ قولهم : معديكربٍ ، فيمن أضاف الأوّل إلى الثانى . يقول : لولا نصر مالكٍ فى اليوم الذى تعلم ما طلبنا جزاءك . وجَعل نصرَهُم له قرضاً يطالبونه بالجزاء عليه .

هذا كلامه ، ولم يشرح وجه الإضافة . وظاهرها إضافة المترادفين . وقد شرحها أبو على (فى التذكرة) قال : أما قوله حين لا حين ، فالثانى غير الأوّل ، لأنَّ الحين يقع على الجزء اليسير من الزمان ، فأضاف الحين الأوّل إلى الثانى ، ولا زائدةٌ ، فيكون من إضافة البعض إلى الكلِّ ، نحو حلقة فضةٍ ، وعيد السَّنة ، وسبْت الأُسبوع ، فلا يكون إضافةَ الشيء إلى نفسه . ومثله قولُ الفرزدق :

ولولا يوم يوم ما أردنا ... ... البيت

فيوم الأوَّل : وضح النهار ، والثانى البُرهة ، كالتى فى قوله : ﴿ ومَن يَولِّهم يَومئذٍ دُبُرَه (٢) ﴾ . وأنشدَ أبو عمرو :

حَبَّذا العَرْصاتُ يَوماً فى ليالٍ مُقْمراتِ (٣)

فقال : « يوما فى ليالى » إرادةَ المدّةِ ، دون المعاقِب اللَّيل . انتهى .

---

(١) فى سيبويه : « كلفظ الواحد » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الأنفال .

(٣) ط : « ليالى المقمرات » ، وأثبت ما فى ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٤٨٥ (وجُنَّ الخازِبازِ بِه جُنونا)

على أنَّ لام التعريف إذا دخلت على اللغات المذكورة لخازباز لم تغيِّر ما كان مبنيا عن بنائه .

قال ابن برى (فى شرح أبيات إيضاح الفارسى) : بنى على الكسر كما تبنى الأصوات ، وفيه لغات . ولمَّا أرادُوا تعريفه أدخلوا أل عليه ؛ لأن المركب حكمه حكم المفرد فى ذلك ، نحو الخمسةَ عشرَ درهما . قال أبو على : وإنَّما جاز دخولُ أل عليه وإن كان الغالب عليه وقوعه صوتاً لأنَّهم أوقعوه على غير الأصوات فى نحو قوله :

يا خازبازِ أَرسل اللهازِما ... إنّى أخافُ أن تكون لازما

فقيل إنّه ورَم . وقد يجوز أن يشبَّه بباب العبَّاس ، لأن ما دخلته أل من ذلك كثير ، نحو :

* تداعين باسم الشِّيب [٢] *

وشِيب : حكاية صوت جَذب الماء ورَشْفِه عند الشُّرب . انتهى :

وصدره :

(تفقَّأُ فوقَه القَلَعُ السَّوارى)

---

(١) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر الحيوان ٣ : ٦/١٠٩ : ١٨٥ والإنصاف ٣١٣ وابن يعيش ٤ : ١٢١ وحماسة البحترى ١٩٠ والكامل ٣٠٠ واللآلىء ٥٩٣ .

(٢) هو الشاهد الثامن فى الخزانة ١ : ١٠٤ ، وهو بتمامه :

تداعين باسم الشيب فى متثلم ... جوانبه من بصرة وسلام

والبيت من قصيدةٍ لابن أحمر . وقبله :

(يظلُّ يَحُفُّهنَّ بِقفقفيه ... ويُلحفهنَّ هَفّافاً ثخينا [١]

بهجلٍ من قَساً ذفرِ الخُزامَى ... تهادَى الجِربياءُ به الحنينا

تفقَّأُ فوقه .... البيت)

يصف فى هذه الأبيات نعاماً . ويحُفُّهُنَّ أى يحفُّ بيضات . والقَفْقَفَانِ : الجناحان . والقفقف كجعفر ، بقافين بينهما فاءانِ . وجَناح هفَّاف ، أى خفيف الطيران . وجعله ثخيناً لتراكُبِ الريش عليه . أى يُلبِس بيضَه جناحيه ، ويَجعلهما للبيض كاللِّحاف ، وجناحه خفيف مع ثِخَنِهِ ١١٠ وكثرةِ ريشه ، لأنَّه لو كان ثقيلاً لكسر البيض .

وقوله : « بهجل من قَساً » إلخ الباء متعلقة بيُلحفهنَّ . والهَجْل ، بفتح الهاء وسكون الجيم : المطمئن من الأرض . والروض أحسن ما يكون فى مطمئن ، لأنَّ السُّيول تجتمع فيها . وقَساً ، بفتح القاف والسين المهملة : موضع . يريد أنَّ هذا الموضع أُدحيُّها ومحلُّ بيضها . وذَفِر صفة لَهجْل بفتح الذال المعجمة وكسر الفاء ، وصفٌ من الذَّفَر بفتحتين ، وهو كل ريح ذكيّة من طيب أو نتن . وأما الدَّفْر بالمهملة وسكون الفاء فهو النتن خاصة . والخُزامى بضم المعجمة : نبات طيِّب الريح . والجِربياء بكسر الجيم : ريح الشَّمال . وتَهادَى أى تتهادى ، أى تُهدى إليه الحَنين ، وهو الشَّوق وتَوَقَان النفس . وضمير به للهَجْل .

---

(١) هفاف وهفهاف : يطير مع الريح . والمراد الجناح . وفى اللسان : « هفهافا » .

وقوله : (تفقّأ فوقه) أى فوق الهَجْل . وتفقَّأُ أى تتفقأ ، فهو مضارع ، أى تنشقُّ السَّحائب فوق هذه الروضة التى فى هذا الهَجْل . وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يقال تفقّأ السحاب ، أى سال بالمطر . وأنشد البيت . وجملة تفقأ صفة أخرى من هَجْل أو حال منه . و (القَلَع) بفتح القاف واللام : جمع قَلَعة ، وهى القطعة العظيمة من السحاب . وقال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : السحاب العظام . و (السوارى) : جمع سارية ، وهى السحابة التى تأتى ليلا . و (الخازباز) هنا : نبت . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : جنونه : طوله وسرعه نباته . وبه ، أى بهذا الهجل .

وكذلك قال قبله أبو حنيفة الدينَوَرى (فى كتاب النبات) : المجنون من الشجر كلّه والعشبِ : ما طال طولا شديدا . وإذا كان كذلك قيل جُنَّ جنونا .

وأنشد هذا البيت . وقال فى ثلاثة مواضع أخر من كتابه : الخازباز من ذِبَّانِ العُشب . وأنشدُوا قولَ ابن أحمر فى صفة عشب :

* وجُنَّ الخازباز به جنونا *

يعنى فى هزجه وطَيرانه . وقال آخرون ، هو نبتٌ . وجنونه : طوله وسُموقه (١) . انتهى .

وفسره حمزة (فى أمثاله) بالذباب عند قوله : « الخازباز أَخْصَبُ (٢) » ، قال : هو ذباب يطير فى الربيع ، يدلّ على خِصب السنة . وأنشد البيت .

---

(١) السموق : الارتفاع . ط : « وسمرته » ، صوابه فى ش .

(٢) أمثال حمزة ٢ : ٤٥٨ . وأورده الميدانى أيضا فى ١ : ٢٢٧ فى حرف الخاء .

وفَسَّره الزمخشرى أيضا (فى المفصل) بذباب العشب . ومَثَّل للعشب بقوله :

* والخازبازِ السَّنِمَ المَجُودا *

وهو من أرجوزةٍ أورد بعضَها ابنُ الأعرابى (فى نَوادره) ، وهو :

أرعيتها أطيَبَ عُودٍ عوداَ
الصِّلَّ والصِّفصِلَّ واليعضيدا
والخازباز الناعم الرَّغيدا (١)
والصِّلِّيانَ السَّنِمَ المَجودا
* بحيث يدعو عامر مسعودا (٢) *

فهذا صوابه .

وقد سبق الزمخشرىَّ ابنُ السكيت (فى إصلاح المنطق) . وهو مركب من بيتين كما ترى . وهذه أسماء نباتات . والسَّنِم بفتح السين وكسر النون : العالى . والمَجُودُ : الذى أصابه الجَوْد ، بالفتح ، وهو المطر القوىُّ . وعامر ومسعود : راعيان .

قال ابن السكيت : قوله : بحيث يدعو إلخ ، هذا بيتٌ يلقَى فَيُسأل : مَ يدعو أحدُهما الآخر ؟ فالجواب : إنّما قال هذا لكثرة النبت وطوله ، بحيث يوارى مسعوداً عن عامر ، فلا يعرف عامرٌ مكان مسعود ؛ فيدعوه ليعرفَ مكانه .

(١) ش : « الرعيدا » .
(٢) ط : « مسعود » ، صوابه فى ش .

وأطيب مفعول ثان . وروى بدله « أكرمَ » . وها : ضمير الإبل مفعول
١١١ أول . ومن روَى « رعيتها » ، فأطيب حال وها ضمير البقعة وما بعده بدل من
أطيبَ على الوجهين . وتسمية هذه النباتات عُوداً على اعتبار تسمية الغيث
شجرة .

وابن أحمر شاعر إسلامى تقدمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأربعمائة [1] .

* * *

(١) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ٢٥٧ - ٢٥٨ . وهنا ينتهى الجزء الأول من مخطوطة الشنقيطى ذات الرمز (ش) . وكتب ناسخها :

تم الجزء الأول من خزانة الأدب بعون الله تعالى وتوفيقه على يد كاتبه أفقر الورى وأحوجهم إلى مولاه على بن محمد بن مصطفى الملقب بابن رجب وبابن الترجمان الجزائرى نشة (لعله يريد نشأة) المدنى دارا . غُفِر له ولوالديه وأشياخه وأحبائه والمسلمين أجمعين . وكان الفراغ من كتابته فى ضحوة يوم الاثنين المبارك خامس ربيع الأول الأنور من شهور سنة ١٢٨٩ كتبه لأخيه وحبيبه العالم الفاضل الورع العامل الأديب اللبيب الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزى حفظه الله تعالى وزاده رفعة وكمالا . آمين .

يتلوه فى أول الجزء الثانى الكنايات .

الكنايات

أنشد فيها ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الأربعمائة [١] :

٤٨٦ (كأنَّ فَعْلَةَ لم تملأْ مَواكبُها

ديارَ بكر ولم تَخْلَعْ ولم تَهَبِ)

على أنّ (فَعْلة) كناية عن مَوزونِهِ مع اعتبار معناه ، وهو خَوْلة .

والبيت للمتنبِّى من قصيدةٍ رثى بها خَولة أختَ سيف الدولة الحمدانى ، صاحب الشاهد ولم يصرِّح بلفظها استعظاماً ، لكونها ملكة ، بل كنى عن اسمها بفعلة ، فلفظ فَعلة حكمها حُكم موزونها ، ممتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، فكذا فعلة ممتنع .

وقد أورده الشارح المحقق فى باب العلم أيضاً .

ومنه قول المتنبى أيضا :

يا وجهَ داهيةَ الذى لولاكَ ما

أكل الضَّنَى جسمى ورضَّ الأعظُما [٢]

قال ابن فورَّجة : داهية ليست باسم علم لمحبوبته ، ولكن كنى بها عن اسمها ، على سبيل التضجُّر ، لعظم ما حلّ به من بلائها ، أى إنَّها لم تكن إلا

(١) انظر ديوان المتنبى بشرح العكبرى ١ : ٥٩ .

(٢) فى الديوان ٢ : ٢٩٦ : « يا وجه داهية التى لولاك ما » .

داهية عليه . وزعم ابن جنى أنّ داهيةَ اسمُ التى شبَّبَ بها . ولم يُصِب الواحدى فى قوله : الوجه قول ابن جنى : فترك صرفها فى البيت ، ولو لم يكن علماً لكان الوجه صرفَها . ا هـ .

وقد نقل الشارح المحقق عن سيبويه أنّ حالَ كناية العلم فى الصَّرف ومنعِهِ ، كحال العلم . وبه يضمحلُّ قولُه : « ولو لم تكن علماً لكان الوجه صرفَها » .

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من أوَّل القصيدة :

(يا أختَ خير أخٍ يا بنت خير أَبِ
كنايةً بهما عن أشرفِ النَّسبِ)

قال الواحدىّ : أراد يا أخت سيف الدولة ويا بنت أبى الهيجاء ، فكنى عن ذلك ، ونصب « كنايةً » على المصدر ، كأنَّه قال : كنَيتُ كناية .

(أُجِلُّ قَدركِ أن تُسمَىْ مؤبَّنةً
ومن يَصِفْكِ فقد سمّاكِ للعربِ)

مؤبنة : مرثيَّة ، من التأبين وهو مدح الميت . وتُسْمَىْ بمعنى تُعرَّفى . أى أنت أجلُّ من أن تعرَّفى باسمك ، بل وصفُك يعرِّفك بما فيك من المحاسن والمحامد التى ليست فى غيرك ، كما قال أبو نواس :

فهى إذا سمِّيت فقد وُصِفتْ
فيجمع الِاسمُ معنيين معا

إلى أن قال :

(طوَى الجزيرةَ حتى جاءنى خبرٌ

فزِعتُ فيه بآمالى إلى الكذِبِ)

يريد خبر نعيها ، وأنّه رجا أن يَكون كذبا ، وتعلَّل بهذا الرجاء .
والجزيرة : مدينة على شطّ دِجلة بين الموصل ومَيّافارِقين . يقول : جاءَنى خبر
موتها من الشام ، وقطعَ الجزيرةَ حتى وصل إلىَّ ، فلما سمعت التجأت إلى ١١٢
التعلُّل بالآمالى ، فقلت : لعلَّه يكون كذبا . فلم ينفَعْنى ذلك .

(حتَّى إذا لم يدعْ لى صِدقُه أملاً

شَرِقتُ بالدَّمع حتى كاد يَشرَقُ بى)

يقول : حتى إذا صحَّ الخبر ولم يبق لى أملٌ فى كونه كذبا ، شرقت
بالدمع لغلبة البكاء إياى ، حتى كاد الدمع يَشرَق بى ، أى كثرت الدموع
حتى صرت بالإضافة إليها لقلّتى كالشئ الذى يُشرق به .

والشَّرَق بالدمع : أن يقطع الانتحاب نَفَسَه فيجعله فى مثل حال
الشرِق بالشَّئ . والمعنى : كاد الدمع لإحاطته بى أن يكون كأنّه شرِقٌ بى .

(تعثّرتْ بهِ فى الأفواهِ ألسُنها

والبُرْدُ فى الطُّرْق والأقلامُ فى الكتبِ)

أورده الشارح المحقق فى باب الوقف من شرح الشافية قال : إنْ كان
قبل الهاء متحركٌ نحو : به وغلامه ، فلابدَّ من الصلة ، إلا أن يُضْطَرَّ شاعر
فيحذفها ، كقول المتنبى : ..... وأنشد البيت .

قال الواحدى : أى لهول ذلك الخبر لم تقدر الألسنُ فى الأفواه أن تنطق به ، ولا البريدُ فى الطريق أن يحمِله ، ولا الأقلامُ أن تكتبه .

ولم يلحق الياء فى الهاء من به واكتفى بالكسرة ضرورة .

وقد جاء عن العرب ما هو أشدُّ من هذا ، كقول الشاعر :

وأشرب الماءَ ما بى نحوه عطشٌ
إلّا لأنَّ عيونَهْ سيلُ واديِها[١]

وهذا كقراءة من قرأ : ﴿ لا يؤدِّهْ إليك [٢] ﴾ ، بسكون الهاء .

ويروى : « تعثَّرت بكَ » يخاطب الخبر ، وترك لفظ الغيبة . كذا فى شرح الواحدى . وقال المعرّىّ : يريد أنَّ هذا الخبر نبأٌ عظيم لا تجترئُ الأفواه على النطق به . وهذا قد يجوز أن يكون صحيحاً ، لأنَّ الإنسان ربما هاب الإخبار بالشئ لعظمِهِ فى نفسه ، وكذلك الكاتب الذى يكتب بالخبر الشنيع ، ربما يعثر قلمُه هيبةً للأمر الذى دخل فيه ، وإنما التعثر للكاتب .

وأما إذا ادَّعى التعثُّر من البُرُد فكذب لا محالة ، لأنَّ البريد لا يشعُر بالخبر .

وقد ذكر فى موضع آخر ما يدلُّ على أنَّ حامل الكتاب الذى لا يُشعَر ما فيه غير شاقٍّ عليه حمله فكيف بالدابة التى لا يُحكم عليها بالعقل . وذلك قوله لعضد الدولة :

حاشاكَ أن تضعُفَ عن حمل ما تحمَّل السائرُ فى كُتْبه [٣]

---

(١) من شواهد المحتسب ١ : ٢٤٤ والخصائص ١ : ٣٧١/ ٢ : ١٨

(٢) الآية ٧٥ من آل عمران . وهذه قراءة أبى عمرو وهشام وطائفة . إتحاف فضلاء البشر ١٧٦ .

(٣) ديوان المتنبى ١ : ١٣٦ .

وقال المبارك بن أحمد المستوفى (فى كتاب النظام) : لا فرق بين تعثُّر القلمِ وتعثُّرِ البريد ، لأنّ نسبة ذلك إليهما محال . وإذا اعتُذِرَ فى القلم بتعثر الكاتب فهلاَّ اعتذِر فى البريد بتعثر أصحابه ، لأنّ كلاًّ من الأقلام والبُرد لا يشعرُ بالخبر .

(كأنَّ فَعْلَةَ لم تَملأْ مواكبُها
ديارَ بكر ولم تَخلَعْ ولم تَهَبِ)

قال ابن جنى : كنى بفَعلة عن اسمها ، واسمُها خَوْلة . قال أبو العلاء : وهذا تقويةٌ لقوله :

* أُجِلُّ قدرَكِ أن تُسْمَىْ مؤبَّنة *

قال الواحدى : يذكر مساعيَها أيام حياتها ، يقول : كأنّها لم تفعل شيئاً مما ذكر ، لأن ذلك انطوى بموتها . وقال ابن المستوفى (فى النظام) : زعم أبو البقاء أنَّ المعنى : أنها كانت تجهز الجيوش إلى ديار بكر للجهاد . وليس كذلك ، لأن الموكب الجماعةُ يركبون للزِّينة والفرجة . قال الجوهرى : الموكِب بابةٌ من السَّير [1] . والموكب : القوم الركوب على الإبل للزينة ، وكذلك جماعة ١١٣
الفرسان . وفى قول أبى الطيب « ديار بكر » دليلٌ على ما ذكرته ؛ لأنه لو أراد ما ذكره أبو البقاء كان قد قصرَ جهادها على موضع مخصوص ، وهذا فيه

(١) فى النسختين : « بابه السير » ، صوابه من الصحاح واللسان (وكب) ، أى نوع من السير .

نقصٌ من المدح . وعلى أنّ ديار بكر كان لسيف الدولة معظمُها ، فكيف تجهّز جيشاً إلى بلاد أخيها .

وترجمة المتنبى قد تقدمت فى الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة (١) :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الأربعمائة (٢) :

٤٨٧ (اكفُفِ اكفُفْ)

هو قطعة من بيت ثان من أحجيَّة للحريرى (فى مقاماته) ، وهما :

يامن تُقصِّر عن مَدا
هُ خُطَا مُجارِيهِ وتَضعُفْ (٣)
ما مثلُ قولك للذى
أضحَى يحاجيك : اكفِفِ اكففْ

على أنَّ المراد بهذين اللفظين المكرَّرين بطريق الإلغاز والتعمية : مهمه ، وهو القفر . فإنَّ اكفف يرادفه « مَهْ » ، ومكرره « مَهْمه » ، فمجموع اكفف اكفف كنايةٌ عن : مهمه . وهذا تعمية وإلغاز .

والمعمَّى واللُّغز فى اللغة كلاهما بمعنى واحد ، وهو الشئ المستور . وبينَهما فرقٌ عند علماء الأدب . فالمعمَّى كما قال القطب (فى رسالة المعمَّى) المُسماة (بكَنز الأسما ، فى كشف المعمَّى) : هو قولٌ يستخرج منه كلمة

---

(١) الخزانة ١ : ٣٤٧ – ٣٦٣ .

(٢) مقامات الحريرى ٣٩٦ . انظر المقامة الملطية .

(٣) فى النسختين : « يقصر » بالياء ، والوجه ما أثبت ليتساوق الفعلان .

فأَكَثرُ بطريق الرمز والإيماء ، بحيث يقبله الذوق السليم . واللغز : ذكر أوصاف مخصوصة بموصوف ليُنتقَل إليه ، وذلك بعبارة يدلُّ ظاهرها على غيره وباطنُها عليه .

قال القطب فى (رسالته) : قد فرقوا بينهما بأنَّ الكلام إذا دلّ على اسم شئ من الأشياء بذكر صفاتٍ له تميِّزه عمّا عداه كان لغزاً . وإذا دلَّ على اسم خاص بملاحظةِ كونه لفظاً بدلالة مرموزةٍ سمِّى ذلك معَمًّى . فالكلام الدالُّ على بعض الأسماء يكون معمى من حيث إنَّ مدلوله اسم من الأسماء بملاحظة الرمز (١) على حروفه ، ولغزا من حيث إنّ مدلوله ذاتٌ من الذوات بملاحظة أوصافها . فعلى هذا يكون قول القائل فى كَمُّون :

يا أَيُّها العطَّارُ أعرِبْ لنا
عن اسم شئٍ قَلَّ فى سومِكا (٢)
تنظره بالعَين فى يقظةٍ
كما ترى بالقلبَ فى نومِكا

يصلح أن يكون لغزاً بملاحِظة دلالته على صفات الكمُّون ، ويصلح أن يكون فى اصطلاحهم معمًّى باعتبار دلالته على اسم بطريق الرَّمْز . انتهى .

ويقال للمعمَّى فى اللغة أحجيَّة أيضاً ، وهى فى اصطلاح أهل الأدب نوعٌ منه . وقد نظم الحريرى (فى المقامة السادسة والثلاثين (٣)) عشرين أُحجيَّة ، وهو أوَّل من اخترعها وسماها أحجيَّة . وقال : « وضع الأحجيَّة ،

(١) ش : « بملاحظة من الرمز » .
(٢) رسمت فى ش : « سومك » ، وفى البيت التالى : « نومك » .
(٣) هى المقامة الملطية التى أشرت إليها فيما سبق .

لامتحان الألمعيَّة (١) ، واستخراجِ الخبيئة الخفيَّة . وشرطها أن تكون ذات مماثلةٍ
١١٤ حقيقية ، وألفاظ معنوية ، ولطيفةٍ أدبية . فمتى نافت هذا النمط (٢) ، ضاهت السَّقَط ، ولم تدخُل السَّفَط » .

ومن أحاجيه قوله فى (ها ، دِيَةٌ) :

أيا مُستَنْبِط الغامـ ـض من لُغز وإضمارِ
ألا اكشِفْ لىَ ماشْلُ تناوَلْ ألفَ دينارِ

وقد تلاه من جاء بعده فنظم فى هذا الأسلوب ما راق وسحَر الألباب ، وشاق الأفهام لدرْكها من كلِّ باب .

والأحجيَّة فى الحقيقة من قسم الترادف والتحليل ، وهما من أعمال فن المعمى . فالأحجية نوعٌ من المعمَّى ، وهو فن استنبطه أدباء العجم ، أسَّسُوا له قواعد ، وعقدُوا لهُ معاقد ، حتى صار فنًّا متميزاً من سائر الفنون .

وأوَّل من دوَّنه المولى شرف الدين على اليزيدى (٣) مؤرخ (الفتوحات التيموريَّة) باللغة الفارسية . وكان شاعراً فصيحاً ، وناثرا بليغاً فى اللسانين ، وتوفى سنة ثلاثين وثمانمائة .

قال القطب : وما زال فضلاءُ العجم يقتفون أثره ، ويوسِّعون دائرة الفن ويتعمَّقون فيه ، إلى أنْ ألف فيه المولى نور الدين عبد الرحمن الجامى صاحب

---

(١) نص الحريرى : « اعلموا يا ذوى الشَّمائل الأدبية ، والشمول الذهبية ، أن وضع الأحجية ، لامتحان الألمعية » ... إلخ .

(٢) نافته ، من المنافاة والمخالفة .

(٣) فى حواشى ط : « قوله اليزيدى ، صوابه اليزدى. اهـ من هامش الأصل » .

شرح الكافية ، عشر مسائل قد دوِّنت وشُرحت . وكثر فيها التصنيف إلى أن نبغ فى عصره المولى مير حسين النيسابورى ، فأتى فيه بالسحر الحلال ، وفاق فيه لتعمقه ودقة نظره سائر الأقران فى الأمثال . كتب فيه رسالة تكاد تبلغ حد الإعجاز ، أتى فيها بغرائبِ التعمية والإلغاز ، حتى إن المولى عبد الرحمن الجامى مع جلالة قدره قال : لو اطلعتُ عليها قبل الآن ما ألَّفت شيئاً فى علم المعمى .

وارتفع شأن مولانا مير حسين بسبب علم المعمّى مع تعمقه فى سائر العقليات ، فصار ملوك خراسان وأعيانها يرسلون أولادهم إليه ، ليقرءُوا رسالته عليه ؛ إلى أن توفى فى عام اثنى عشر وتسعمائة بعد وفاة الجامى بأربعة عشر عاماً .

وظهر بعدهما فائقون فى المعمَّى فى كل قطر ، بحيث لو جُمعت تراجمهم لزادت على مجلد كبير .

ثم قال القطب : وأنت إذا تصفَّحت كتبَ الأدب ، وتتبَّعت دواوين شعراء العرب ظَفِرتَ من كلامهم بكثيرٍ مما يصدُقُ عليه تعريف المعمَّى ، لكنَّهم نظموه فى قالَب اللّغز يُستخرج منه الاسم الذى ألغزوه بطريق الإيماء ، ووجدت كثيراً من أعمال المعمَّى فى غضون ألغازهم . فليس العجمُ أبا عذرة هذا الفنّ ، ولكنهم دوَّنُوهُ ورتَّبوه .

ورأيت كثيراً من ألغاز شرف الدين بن الفارض يصدُق عليه تعريف المعمّى فى اصطلاح العجم . ويقرب من ذلك قول القائل فى « بَخْتيار » :

وأهيفَ معشوق الدلال ممنَّعٍ

يمزِّقنى فى الحبِّ كلَّ ممزَّقِ

فلو أن لى نصفَ اسمه رَقَّ وارعوى
أو العكسُ من باقيه لم أتَعشَّقِ

إلى أن قال : وأعمال المعمى ثلاثة :

الأول العمل التحصيلى ، وهو ما يتحصَّل به حروف الكلمة المطلوبة .

والثانى العمل التكميلى ، وهو ما بسببه تتكمَّل الحروف الحاصلة وتترتب . وهذا بمنزلة الصورة ، والأول بمنزلة المادة .

والثالث العمل التسهيلى ، وهو الذى يسهِّل أحد العملين السابقين . وتحت كلِّ نوع من هذه الأعمال أنواعٌ متعددة . انتهى .

قلت : وأوّل من دوَّن فى المعمى فى اللغة العربية وترجَمه بالطريقة
١١٥ العجمية ، العالم الفاضل قطب الدين المكى الحنفى ، فى رسالة سمَّاها (كنز الأسما ، فى كشف المعمَّى) .

وتلاه تلميذه عبد المعين بن أحمد ، الشهير بابن البكَّاء البلخى الحنفى ، وألف رسالة سماها (الطراز الأسمى ، على كنز الأسما) .

وأما التأليف فى الألغاز والأحاجى فقد صنَّف فيه جماعة عديدة ، لهم فيها كتب مفيدة ، وتصانيف سديدة ، أجلُّها علما وأعظمها حجما ، كتاب (الإعجاز ، فى الأحاجى والألغاز) تأليف أبى المعالى سَعد الورَّاق الحَظِيرى [1] وهو كتاب تكِلُّ عن وصفه الألسن ، جمع فيه ما تشتهيه

---

(١) فى كشف الظنون : « إعجاز فى الأحاجى والألغاز للشيخ أبى المعالى سعد بن على الوراق الخطيرى المتوفى سنة ٥٦٨ . ولصائن الدين الحنبلى » .

قلت : صوابه « الحظيرى » بالحاء المهملة بعدها ظاء معجمة ، كما فى النجوم الزاهرة ٦ : ٦٨ واسمه فيها : سعد الدين بن على . قال ابن تغرى بردى : كان شاعرا فاضلا . والحظيرة : قرية فوق بغداد ، وهى بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء » . وسيأتى هذا الضبط فى نهاية الكلام على الشاهد .

الأنفس ، وتلذُّ فيه الأعين [١] ذكر فى أوله اشتقاق المعمى واللغْز والأحجيَّة ، والفرق بينها وبين ما شاكلها ، فلا بأس بإيراده هنا ، فإنّه قلما يوجَدُ فى كتاب على أسلوبه .

قال فى الجمهرة : الحِجَا : العَقْل . والحُجَيَّا من قولهم : حُجيَّاك ما كذا وكذا ؟ وهى لُعبةٌ وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم ، نحو قولهم : أحاجيك ما ذُو ثلاثِ آذان ، يسبق الخيل بالرّدَيان ؟ يعنُون السهم وما أشبه ذلك .

وقال أيضا : اللُّغز : مَيْلُكَ بالشئ عن جهته ، وبه سمِّى اللغز من الشّعر ، كأنَّه عُمِّى عن جهته . واللُّغيزَاءُ بالمد : أن يحفِر اليربوع ثم يميلَ فى بعض حُفَر ليعمّىَ على طالبه . والألغاز : طرقٌ تلتوى وتُشكِل على سالكها ، والواحد لغز . وقال الأزهرى : قال الليث : اللغز : ما ألغزت من كلام فشبَّهت معناه ، مثل قول الشاعر ، أنشده الفراء :

ولمَّا رأيتُ النَّسرَ عزَّ ابن دأيةٍ
وعشَّش فى وكريه جاشَتْ له نفسى [٢]

أراد به الشَّيْب ، شبَّهه به لبياضه ، وشبَّه الشباب بابن دأية ، وهو الغراب الأسود ، لأنَّ شعر الشباب أسْود .

قال : وأخبرنى المنذرى عن أبى الهيثم أنه قال : اللُّغُز بضمتين واللُّغْز بالسكون ، واللُّغَيزاء . والألغاز : حفرٌ يحفرها اليربوع فى جُحرهِ تحتَ الأرض . يقال ألغز اليربوع إلغازاً . فيحفر فى جانبٍ منه طريقا ويحفر فى الجانب الآخر

(١) فيه الأعين ، كذا فى النسختين .
(٢) اللسان (دأى ٢٧٢) .

طريقاً ، وكذلك فى الجانب الثالث والرابع ، فإذا طلبه البدوىُّ بعصاه من جانبٍ نفَقَ من الجانب الآخر .

والأحاجىُّ : جمع أحجيّة ، أفعولة من الحِجا وهو العقل ، أى مسألة تستخرَج بالعقل . وقال الأزهرى : قال الليث : تقول حاجيته فحجوته ، إذا أتت عليه كلمةٌ مخالفة المعنى للّفظ . والجوارى يتحاجين الحُجيَّا ، تصغير الحَجْوَى . وتقول الجارية للأخرى : حُجَيّاكِ ماكان كذا وكذا ؟ والأحجيَّة : اسم المحاجاة ، وفى لغةٍ : أُحجوّة ، والياء أحسن . والحَجوى : اسمٌ أيضا للمحاجاة .

والمعمَّى : المغطَّى . قال الأزهرى : التعمية : أن يعمى الإنسانَ [١] فيلبّسه عليه تلبيسا . والأَعماءُ : جمع عمًى ، وأنشدونا :

* وبلدة عاميةٍ أعماؤه [٢] *

أى دارِسة . وأعماؤه : مجاهله ، يقال بلد عَمًى لايُهتدى فيه ، لأنّه لا أعلام له يُهتَدى بها [٣] : والمعامى هى الأراضى المجهولة . وقال الليث : العمى : ذهاب البصر من العينين كلتيهما ، والفعل منه عمِىَ يعمَى عَمًى . وقال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ قال ربِّ لِمَ حَشَرْتَنى أَعْمَى وقد كنتُ بَصيراً [٤] ﴾ قال : أعمى عن الحجة وقد كنت بصيراً بها . وقال ابن عرفة [٥] : يقال عمِىَ عن رُشده وعمِىَ عليه طريقُه ؛ إذا لم يهتد إليه . وروى

(١) الذى فى التهذيب ٣ : ٢٤٧ : « والتعمية أن تعمى على إنسان شيئا فتلبسه عليه تلبيسا » .
(٢) الشطر لرؤبة فى ديوانه ٣ وبعده :
* كأن لون أرضه سماؤه *
(٣) فى ش : « لا أعلام له تهدى » . والذى فى التهذيب : « بلد مجهل وعمى لا يهتدى فيه » .
(٤) الآية ١٢٥ من سورة طه .
(٥) فى التهذيب ٣ : ٢٤٤ : « وقال نفطويه » ، ونفطويه هو إبراهيم بن عرفة .

أبو عبيد فى حديث النبى ﷺ أنّ أَبا رزِين العُقيلى قال له : أين كان رُبّنا قبل
أن خَلَقَ [١] السموات والأرض ؟ قال : « كان فى عَمَاءٍ تحتَه هواء » . وقال ١١٦
أبو عبيدٍ : العماء فى كلام العرب السحاب ، وهو ممدود . قال أبو عُبيد :
وإنّما تأوّلنا هذا الحديث على كلام العرب المنقول عنهم ، ولا يدرى كيف
كان ذلك العماء . قال : وأمّا العَمَى فى البصر فمقصور ، وليس هو من هذا
الحديث فى شئ .

قال الأَزهرى : وبلغنى عن أبى الهيثم [٣] فى تفسير هذا الحديث أنه « فى عَمًى » مقصور ، قال : وكل أمر لا تدركه القلوب بالعقول فهو عمىً . والمعنى أنّه تبارك وتعالى كان حيث لا تدركه عقولُ بنى آدم ، ولا يبلغ كنهَه الوصفُ ، ولا تُدركُه الفطن .

ثم قال [٤] بعد كلامٍ طويل :

(فصل) فى ذكر أسماء هذا الفن وعَودها إلى معني واحد . هذا الفنّ وأشباهه يسمَّى المعاياة ، والعويص ، واللغز ، والرمز ، والمحاجاة ، وأبيات المعانى ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والكناية ، والتعريض ، والإشارة ، والتوجيه ؛ والمعمَّى ، والممثَّل .

والمعنى فى الجميع واحد ، وإنّما اختلفت أَسماؤه بحسب اختلاف وجوه اعتباراته ، فإنّك إذا اعتبرته من حيث هو مغَطًّى عنك سمَّيته معمًّى ؛ مأخوذ

---

(١) فى التهذيب ٣ : ٢٤٦ : « قبل أن يخلق » .

(٢) بعده فى التهذيب : « وفوقه هواء » .

(٣) فى النسختين : « الهيثم » ، صوابه فى التهذيب .

(٤) يعنى الحظيرى صاحب كتاب الإعجاز .

من لفظ العَمى ، وهو تغطية البصر عن إدراك المعقول . وكلّ شئ تَغطّى عنك فهو عَمىً عليك .

وإذا اعتبرته من حيث أنّه سِتُر عنك ورُمس سَمَّيته مرموساً ، مأخوذ من الرمس وهو القبر ، كأنّه قُبر ودفن ليخفى مكانه على مُلتمسِه . وقد صنَّف بعض الناس فى هذا كتابا وسماه (كتاب المرموس) ، وأكثره ركيك عامّى .

وإذا اعتبرته من حيث أنّ معناه ، يؤُول إليك أى يرجع ، أو يؤول إلى أصل سمَّيته مؤوّلا ، وسمَّيت فعلك تأويلا . وأكثر ما يختص هذا بالآيات والأخبار . والتفسير يختص باللفظ ، والتأويل بالمعنى .

وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه واعتياصُ استخراجه سميته عويصاً . وهذا يختص بمشكل كلِّ علم ، يقال منه مسألة عويصة ، وعلم عويص .

وإذا اعتبرته من حيث أنَّ غيرك حاجاكَ به ، أى استخرج مقدار حِجاك وهو عقلك ، أو مقدار رَيْثك فى استخراجه ، مشتقًّا من الحجو وهو الوقوف واللَّبْث ، سمَّيته محاجاة ، ومسائله أحاجٍ [1] واحدُها أُحجيّة وحُجيّا . وهذا أيضاً لا يختصُّ بفن واحد من العلوم ، وإن كان الحريرى صاحب المقاماتِ قد أفرد له باباً .

واذا اعتبرته من حيث أنَّه قد عُمِل له وجوهٌ وأبواب مشتبهة سمَّيته لُغزاً وسميت فعلك له إلغازاً ، مأخوذ من لُغز اليربوع .

وإذا اعتبرته من حيث أنّ واضعه كان يعاييك ، أى يظهر إعياءك ،

---

(١) ش : « أحاجى » .

وهو التعب فيه ، سمَّيته معاياة . وقد صنف الفقهاء فى هذا الفن كتباً وسموها كتب المعاياة . ولغيرهم من أرباب العلوم مصنفات .

وإذا اعتبرته من حيث أنَّ واضعه لم يفصح به قلت : رمْز ، والشئ مرموز ، والفعل رَمز .

وقريب منه الإشارة .

وإذا اعتبرته من حيث استخراجُ كثرة معانيه فى الشعر سمَّيته أبيات المعانى ، وكتب المعانى . وهذا يخصُّ الأدبَ والشّعر .

وإذا اعتبرته من حيث هو ذو وجوه سمَّيته الموجَّه ، وسمَّيت فعله التوجيه . وذلك مثل قول محمد بن حكينا [1] ، وقد كان أمين الدولة أبو الحسن بن صاعد الطبيب قاطعَه ثم استماله ، وكان ابن حكينا قد أضرَّ بصرُه وافتقر ، فكتب إليه :

وإذا شئت أن تُصالح بَشَّا ١١٧

رَ بنَ بُردٍ فاطرحْ عليه أبَاه

فنفَّذ إليه بُرداً واسترضاه ، فاصطلحا . وهذا أحسن ما سمعتُ فى التوجيه .

قوله : بشار بن برد ، أى أعمى . فاطرحْ عليه أباه ، هذه لفظةٌ بغداديَّة ، يقال لمن يريد أن يصالح : اطرح عليه فلانا ، أى احِمْله إليه ليشفع لك .

ولم يَتّفق لأحدٍ فى التوجيه أحسن من هذا .

---

(١) وكذا فى كتاب الفلاكة والمفلوكون ١٨١ قال : « ابن حكينا المعروف بالبرغوث الشاعر » . لكن فى ترجمة الحريرى فى معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٦ وابن خلكان ١ : ٤٢٠ : « ابن جكينا » بالجيم . وسماه ابن خلكان « أبو محمد بن أحمد الحريمى البغدادى » .

وإذا اعتبرته من حيث أنَّ قائله لم يصرِّح بغرضه سمَّيته تعريضا وكناية . وأكثر أرباب الحياء من الناس مضطرٌّ إلى مثله .

وإذا اعتبرتَه من حيث أنَّ قائله يوهمك شيئاً ويريد غيره ، سمَّيته لحنا ، وسمَّيت مسائله الملاحن . وقد صنف الناس فى هذا الفن كتبا ، كالملاحن لابن دريد ، والمنقِذ للمفَجَّع (١) ، والحيَل فى الفقه وغيره . فاعرف ذلك .

الحريرى صاحب المقامات

والحريرى هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريريُّ البصرىّ صاحب المقامات . كان أحدَ أئمَّة عصرِه ، ورُزق السعادةَ والحُظوةَ التامَّة فى عمل المقامات ، واشتملت على شَيءٍ كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ، ورموز أسرار كلامها . ومَنْ عرفَها حقَّ معرفتها استدلَّ بها على فضله وكثرةِ اطِّلاعه ، وغزارة مادته .

رُوى أنَّ الزمخشريَّ لما وقفَ عليها استحسنها ، وكتب على ظهرِ نسخةٍ منها :

أُقسِمُ بالله وآياتــه ومَشعَر الحجِّ وميقاتِهِ
أنَّ الحريرىَّ حرىٌّ بأنْ نَكْتُبَ بالتبر مقاماتِه

ثم صنع الزمخشريُّ المقامات المنسوبةَ إليه ، وهى قليلة بالنسبة إليها ، وشرحَها أيضا ، وصَنع فى إثرها (نوابغَ الكلم) .

---

(١) المفجع هذا هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب البصرى . لقى ثعلبا وأخذ عنه ، وكان بينه وبين أبى بكر بن دريد مهاجاة . وسرد له ابن النديم فى الفهرست ١٢٣ كتبا كثيرة . وقال ياقوت فى معجم الأدباء ١٧ : ١٩٤ : « وله أيضا كتاب المنقذ فى الأيمان ، يشبه الملاحن لابن دريد ، إلا أنه أكبر منه وأجود وأتقن » . ط : « للمنتجع » ش : « للمجتمع » ، والصواب ما أثبت . وليس هذا المنتجع من المؤلفين بل هو أحد الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة .

وقد اعتنى بشرح المقامات أفاضلُ العلماء شروحاً متنوِّعة تفوت الحصر والعدّ .

وله أيضاً (دُرَّةُ الغواص) ، وله أيضا شروحٌ كثيرة قد اجتمع منها عندى خمسة شروح .

وله أيضا (مُلحة الإعراب) فى النحو ؛ وشرحها أيضا .

وهو عند العلماءِ يعدُّ ضعيفاً فى النحو . وله ديوانُ رسائلَ وشعر كثير . وله قصائد استعمل فيها التجنيسَ كثيراً .

ويحكى أنَّه كان دَميماً قبيحَ المنظر ، فجاءه شخصٌ غريب ليأخذَ عنه ، فلما رآه استزرى شكله ، ففهم الحريرىُّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يملىَ عليه قال له : اكتب :

ما أنتَ أوّلُ سارٍ غرَّهُ قمَرٌ
ورائِدٍ أعجبته خُضرةُ الدِّمَنِ
فاختَرْ لنفسك غيرى ؛ إنَّنِي رجلٌ
مثلُ المُعَيدىِّ فاسمعْ بى ولا ترنى

فخجل الرجلُ وانصرف عنه .

وكانت ولادته سنةَ ستٍّ وأربعين وأربعمائة ، وتوفِّى فى سنة ست عشرة وخمسمائة بالبصرة .

والحريرى نسبتُه إلى الحرير وعملِه ، أو بيعِه . وكان يزعم أنّه من ربيعِة الفَرَس ، وكان مولعا بنتف لحيته عند الفِكرة ، وكان يسكن فى مَشَان البصرة ، بفتح الميم والشين المعجمة ، وهى بُليدة فوق البصرة كثيرة النخل ، موصوفة

بشدَّة الوخَم ، وكان أصله منها ، يقال إنّه كان له بها ثمانية عشر [١] ألف نخلة وإنه كان من ذوى اليسار .

ولمَّا اشتهرت المقامات استدعاهُ من البصرة إلى بغداد وزيرُ المسترشِد جلالُ الدين عميد الدولة ، أبو الحسن بن صدقة [٢] ، وسأله عن صناعته
١١٨ فقال : أنا رجلٌ منشئ . فاقترح عليه إنشاء رسالة فى واقعةٍ عيَّنها ، فانفرد فى ناحية من الديوان ، ومكث زمانا طويلا فلم يفتح الله عليه بشئ ، فقام وهو خجلان . فعمل هذين البيتين فيه أبو محمد المعروف بابن حكينا [٣] الشاعر البغدادى :

شيخٌ لنا من ربيعةِ الفرسِ
ينتِفُ عُثنونه من الهوَسِ
أنطقه الله بالمَشاَن كما
رماه وسْطَ الدّيوان بالخرَسِ [٤]

سعد الوراق الحظيرى

وأما سعد الوراق ، فهو أبو المعالى سعد بن على بن القاسم الأنصارى الخزرجى الورّاق الحظيرىُّ البغدادى ، المعروف بدلَّال الكتب . كان له نَظْمٌ جيد ، وألَّفَ مجاميع ، منها كتاب (زينة الدهر ، وعُصْرَة أهل العصر) ، وهو ذيلٌ على (دمية القصر للباخرزى) . وله كِتَابٌ سمَّاه (ملح الملح [٥])

---

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « ثمان عشرة » . والألف مذكر .

(٢) فى الوفيات ١ : ٤٢٠ : « جمال الدين عميد الدولة أبى على الحسَن بن أبى العز على بن صدقة ، وزير المسترشد » . والمسترشد هو الفضل بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدر بالله العباسى ، كانت حياته بين سنتى ٤٨٥ — ٥٢٩ .

(٣) انظر ما سبق فى حواشى ص ٤٦١ .

(٤) فى معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٦ وكتاب الفلاكة ١١٨ : « بالمشان وقد ألجمه فى العراق بالخرَس » .

(٥) فى الوفيات ١ : ٢٠٣ : « لمح الملح » .

يدلُّ على كثرة اطِّلاعه . وله (كتاب الألغاز) المذكور . وله شعرٌ جيدّ منه :

ومعــــذَّرٍ في خدِّه ورْدٌ وفى فيه مُدامْ
ما لانَ لى حَتّى تغَـ شَّى صُبْحَ سالِفِه ظلامْ
كالمُهر يجمَحُ تحت را كبه ويَعطفه اللِّجـام

وله أيضا :

أحدقَتْ ظُلمةُ العذار بخدَّيـ ـهِ فزادت فى حُبِّهِ حسَراتِى
قُلت : ماء الحياة فى فمه العذ بِ ، دَعُونى أخوضُ فى الظُّلماتِ

وله كلُّ معنى مليح ، مع جودة السبك .

وتوفى فى يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد .

والحظيرىّ ، بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة : نسبة إلى موضع فوق بغداد ، يقال له الحظيرة ، ينسب إليه كثير من العلماء . والثيابُ الحظيريَّة منسوبةٌ إليه أيضا .

ولخَّصت هاتين الترجمتين من الوفيات لابن خَلّكان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الأربعمائة [1] :

٤٨٨ (وإنِّى لأكنُو عن قَذورَ بغيرها
وأُعرِبُ أحياناً بها فأصارحُ)

على أنّه يقال كنوت ، كما يقال كنيت .

(١) إصلاح المنطق ١٥٧ واللسان (قذر ، كنى) .

وأورده يعقوب بن السكيت (فى باب ما يقال بالياء والواو من إصلاح المنطق) قال : ويقال كنيته وكنوته . وأنشد أبو زِيَاد :

* وإنِّى لَأُكْنُو عن قذور * البيت

قال شارح أبياته ابن السيرافى : قذور : امرأة . يقول : أذكرها فى بعض الأوقات باسم غيرها ، وأصرِّح باسمها فى وقت آخر وأعْرِبُ وأبَيِّن . يقال أعرب عن الشئ يعرب إعرابا ، إذا بَيَّنَه . و (أصارح) : أُظهر ولا أستر . انتهى .

وقال ابن دريد : ناقة قذور : عزيزة النَّفس لا ترعى مع الإبل ولا تبرك معها . انتهى .

فيكون اسم المرأة منقولاً من هذا .

أبو زياد الأعرابى

وأبو زياد هو صاحب النوادر المشهورة ، أنشد ذلك البيت فى نوادره ولم يعزُه لأحد .

وهو يزيد بن عبد الله بن الحُرّ بن هَمّام بن دهر بن ربيعة بن عمرو بن نُفاثة بن عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقدم أبو زياد بغدادَ من البادية ، أيام المهدى ، لأمرٍ أصاب قومه ، فأقام ببغداد أربعين سنة ، وصنَّف (كتاب النَّوادر) ، وهو كتاب كبير فيه
١١٩ فوائد كثيرة . وله (كتاب الفروق) .

ومن شعره :

له نارٌ تُشبُّ على يَفاع
إذا النِّيرانُ أُلبست القِناعا [(١)]
ولم يكُ أكثَر الفتيان مالاً
ولكن كان أُرحبَهم ذراعا

* * *

وأنشد بعده :

(ربُّ منْ أنضجتُ غيظاً صدْرَه)

هذا صدر وعجزه :

(قـد تمنَّـى لـىَ مَـوْتاً لم يُـطـعْ)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد التاسع والثلاثين بعد الأربعمائة [(٢)] .

* * *

وأنشد بعده :

(على أنَّنى بَعْد ما قد مضَى
ثلاثون للهجر حَولاً كميلا)

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد السادس عشر بعد المائتين [(٣)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(٤)] :

---

(١) الحيوان ٥ : ١٣٥ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٣٢ والحماسة بشرح المرزوق ١٥٩٢ .

(٢) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ١٢٣ – ١٢٧ .

(٣) الخزانة ٣ : ٢٩٩ .

(٤) فى كتابه ١ : ٢٩٦ . وانظر المقتضب ٣ : ٦١ والجمل ١٤٧ والإنصاف ٣٠٣ وابن يعيش ٤ : ١٣٢ والمقرب ٦٨ والهمع ١ : ٢/٢٥٥ : ١٥٦ والأشمونى ٤ : ٨٢ .

٤٨٩ (كَمْ بجودٍ مُقْرِفٍ نالَ العُلا
وكريمٍ بخلُه قد وَضَعَهْ)

على أنَّ يونس يجيز فى الاختيار الفصل بين كم الخبرية وبين مميِّزها المتضايفَين بالظرف ، كما فى البيت .

قال سيبويه : وقد يجوز أن تجُرّ ، يعنى كم ، وبينها وبين الاسم حاجز ، فتقول : كم فيها رجُلٍ . فإن قال قائل : أضمر مِنْ بعد فيها ؛ قيل له : ليس فى كلِّ موضع يضمر الجارُّ . وقد يجوز على قول الشاعر :

كم بجودٍ مقرفٍ نال العلا
وكريمٍ بخله قد وضعه

الجرُّ والرفع والنصب على ما فسَّرنا . انتهى .

قال الأعلم : فالرفع على أن تجعل كم ظرفا ويكون لتكثير المِرار [١] ، وترفع مقرف بالابتداء وما بعده خبر ، والتقدير : كم مرةٍ مقرفٌ نال العلا . والنصب على التمييز ، لقبح الفصل بينه وبين كم فى الجرّ . وأما الجرُّ فعلى أنه أجاز الفصل بين كم وما عملت فيه بالظرف ضرورةً . وموضع كم فى الموضعين موضع رفع بالابتداء ، والتقدير : كثيرٌ من المقرفين نال العُلا بجودٍ . والمقْرِف : النَّذْل اللَّئيم الأب . يقول : قد يرتفع اللئيم بجوده ، ويتضع الرفيع الكريم الأب ببخله . انتهى .

وقال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنه إذا

(١) جمع مَرّة . وفى النسختين : « المراد » بالدال ، صوابه فى الشنتمرى .

فصل بين كم الخبرية وبين الاسم بظرف كان مخفوضاً ، بالنقل والقياس . أما بالنقل فقوله :

* كم بِجود مقرفٍ نال العلا *

وقال الآخر :

* كم فى بنى بكر بن سعدٍ سيّدٍ *

وأما القياس فلأنَّ خفض الاسم بتقدير من ، نحو : كم رجل أكرمت ، بدليل أنّ المعنى يقتضيه ، فتقدر من فى الفصل كما تقدَّر فى الاتصال . ولا يجوز أن تكون بمنزلة عددٍ ينصب كثلاثين ، ولو كانت بمنزلته لكان ينبغى أن لا يجوز الفصل بينهما .

وذهب البصريُّون إلى أنّه لا يجوز فيه الجر ويجب نصبه ، لأنَّ كم هى العاملة للجر ، لأنها بمنزلة عدد مضاف ، فإذا فصل بظرفٍ بطلت الإضافة ، لأنَّ الفصل بين المتضايقين بالظرف لا يجوز فى الاختيار ، فعُدل إلى النصب ١٢٠
كما قال :

* كم نالنى منهم فضلا على عدمٍ *

والتقدير : كم فضل ، فلمَّا فصل نصب . وإنما عدل إلى النصب لأنَّ كم بمنزلة عدد ينصب ما بعده . ولم يمتنع النصب بالفصل لأنَّ له نظيراً . وأما قوله كم بجود مقرف ، فالرِّواية الصحيحة مقرفٌ بالرفع ، أو أنَّ الجرَّ شاذٌّ ، وهذا هو الجواب عن البيت الثانى . وقولهم : « إنّ مِنْ مقدَّرة » قلنا : إنَّ كم عند المحققين من أصحابكم بمنزلة ربَّ ، يخفض الاسم بها كربَّ [1] ولأنَّ حذفَ حرف الجر له مواضع مخصوصة ، وليس هذا منها .

---

(١) ط : « فخفض الاسم بها كرب » ، وأثبت ما فى ش . والذى فى الإنصاف : « فيخفضون بها الاسم الذى بعدها كرُبَّ » .

وقولهم : إنَّها لو كانت بمنزلة عدد ينصب ما بعده كثلاثين لكان ينبغي أن لا يجوز الفصل . قلنا : إنما جاز فيها جوازاً حسنا دون نحو ثلاثين (١) لأنَّ كم مُنعت من بعض ما لثلاثين من التصرُّف ، فجعل هذا عوضاً مما منعته . ألا ترى أنَّ ثلاثين تكون فاعلة لفظا ومعنى ومفعولة ، فلما مُنعت كم من هذا جُعل لها ضربٌ من التصرُّف ، ليقع التعادل . على أنه جاء الفصل بين ثلاثين ومميِّزها فى الشعر كقوله :

على أنَّنى بعدَ ما قد مضى
ثلاثون للهجر حولاً كميلا (٢)

انتهى .

وقوله : (بجود) متعلق بِنال ، والباء سببية ، وكم على هذا الوجه مبتدأ وهى خبرية ونال العلا الخبر . ومن روى بنصب مقرف فهى أيضاً خبرية . قال أبو على : وقد تجعل كم فى الخبر بمنزلة عشرين فينصب ما بعدها ، ويُختار ذلك إذا وقع الفصل بين المضاف والمضاف إليه . فتكون كم أيضاً مبتدأ ، ونال العلا الخبر ، ونصب مقرف على التمييز .

ومن روى برفع مقرف فهى أيضاً خبرية وموضعها نصب بأنها ظرف ، والعامل فيها نال ، ومقرف مبتدأ ونال العلا خبره . وإنما لم تكن كم فى الخبر لأنها هنا ظرف زمان .

---

(١) فى الإنصاف : « دون ثلاثين ونحوه » .

(٢) هو الشاهد ٢١٦ فى الخزانة ٣ : ٢٢٩ . ونسب إلى العباس بن مرداس .

وقوله : (وكريم) بالجر عطف على مقرف على رواية الجر ، وجملة (بخله قد وضعه) من المبتدأ والخبر خبر لكم المقدَّرة .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات نسبها صاحب الأغانى لأنس (١) بن زنيم ، قالها لعبيد الله بن زياد بن سُمّية . كذا قال صاحب الأغانى وشُرّاح أبيات سيبويه وشراح الجُمل ، وهى :

أبيات الشاهد

سَل أميرى ما الذى غيَّره
عن وصالى اليوم حتى وَدَعه
لا تُهنِّى بعد إكرامك لى
فشديدٌ عادة منتزعه
لا يكنْ وعدكَ برقاً خُلَّباً
إنَّ خير البرقِ ما الغيثُ معه
كم بجودٍ مقرفٍ نال العلا
وشريفٍ بُخْلُه قد وضعه)

وقوله : « سل أميرى » إلخ أنشده الشارح المحقق (فى شرح الشافية) على أنَّ يدع سمع ماضيه وَدَعَ كما فى البيت . قال سيبويه : استغنوا عن وذر وودع بقولهم : ترك . وقد جاء ودع على جهة الشذوذ ، قرئ فى الشواذ : ﴿ ما وَدَعَك (٢) ﴾ ، وكقوله : حتى ودعه . وقال سُويد بن أبى كاهل :

---

(١) الأغانى ٢١ : ١٦ - ١٧ واللسان (ودع ٢٦٣) .

(٢) هى قراءة عروة بن الزبير ، وابنه هشام ، وأبى حيوة ، وأبى بحرية ، وابن أبى عبلة . تفسير أبى حيان ٨ : ٤٨٥ .

فسعَى مسعاتَه فى قومِه ثم لم يُدرِك ولا عجزاً ودَع (١)

وقال آخر :

فكان ما قدَّموا لأنفسِهِمْ أكثر نفعاً من الذى وَدَعوا (٢)

١٢١ وقد جاء وادع أيضاً فى الشعر ، أنشدهُ أبو على (فى البصريات) ، وهو :

فأيَّهما ما أتْبعَنَّ فإنَّنى حزينٌ على ترك الذى أنا وادِعُ (٣)

وقد جاء المصدر أيضاً فى الحديث ، وهو قوله ﷺ : « لينتهينَّ أقوامٌ عن وَدْعهم الجمعاتِ أو ليختمَنَّ الله على قلوبهم » .

وقد جاءَ اسمُ المفعول أيضا . قال خفاف بن ندبَة :

إذَا ما استحمَّت أرضُه من سمائه

جرى وهو مودوعٌ وواعدُ مَصدقِ (٤)

قال الصغانى : أى متروك لا يُضرب ولا يزجر .

وقول ابن برى إنَّ مودوعا هنا من الدعة التى هى السُّكون لا من الترك ، يردُ عليه أنَّ ودع بمعنى سكن غير متعدٍّ ، يقال ودُع فى بيته .

وقوله : « لا تهِنِّى » هو من الإهانة . والخلَّب من البرق : الذى لا مطر معه ولا يُنتفَع بسحَابه . وتضرب به العرب المثَل لمن أخلَفَ وعدَه . قال أعشى همْدان :

---

(١) المفضليات ١٩٩ . وصواب الرواية : « فسعى مسعاتهم » ، لأن قبله :

ورث البغضة عن آبائه حافظ العقل لما كان استمع

(٢) اللسان (ودع) .

(٣) اللسان (ودع ٢٦٣) عن البصريات أيضا .

(٤) فى النسختين : « ووادع مصدق » ، صوابه فى الأصمعيات ٢٤ واللسان (ودع ٢٦١ صدق ٦٣) .

لا يكنْ وعدُكِ برقاً خُلَّباً كاذباً يلمعُ فى عُرضِ الغَمام[١]

الأبيات :

ونسب صاحب الحماسة البصرية هذه الأبيات فى باب الوصف لعبد الله بن كُرَيز . وزاد بعد البيت الثانى :

(واذكر البلوى التى أَبليتَنى
ومقالاً قُلتَه فى المجمعه[٢])

ورويت أيضا لأبى الأسود الدؤلى . والله أعلمُ بحقيقة الحال .

وأنس بن زنيم شاعر صحابى ، مضاف إلى جدّه . قال الآمدى : هو أنس بن أبى أُناس[٣] الكنانى بن زُنَيم بن مَحْمِية بن عَبد بن عدىّ بن الدِّيل ابن بكر بن كنانة بن خُزيمة بن مدركة . وهو شاعرٌ مشهور حاذق ، وهو القائل : أنس بن زنيم

وعَوراء من قِيلِ امرئٍ قد رَددتها
بسالمة العينين طالبةٍ عُذرا
ولو أنّه إذ قالها قلتُ مثْلَها
أَوَ آكثر منها أوْرَثَتْ بيننا غِمْرا
فأعرضتُ عنه وانتظرتُ بهِ غداً
لعلَّ غدا يُبدى لمؤْتَمِرٍ أمرا

(١) قبله فى الأغانى ٥ : ١٣٨ :

حييا خولة منى بالسلام درة البحر ومصباح الظلام

(٢) ط والحماسة البصرية ٢ : ١٠ : « البلوى الذى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) فى الأصل : « إياس » ، صوابه من المؤتلف ٥٥ وجمهرة ابن حزم ١٨٤ ، ١٨٥ والقاموس (أنس) .

لأنزِعَ ضيماً ثاوياً فى فؤاده
وأُقلِم أظفاراً أطالَ بها الحفْرا

وقال ابن حجر (فى الإصابة) : ذكر ابن إسحاق (فى المغازى) أنَّ عمرو بن سالم الخزاعى خرج فى أربعين راكبا يستنصرون رسولَ الله ﷺ على قريش ، فأنشده :

لاهمّ إنّى ناشدٌ محمَّدا عَهْدَ أبينَا وأبيهِ الأتلَدا (١)

الأبيات . ثم قال : يا رسول الله ، إنَّ أنسَ بن زُنيم هجاك ! فهدَرَ رسول الله ﷺ دمَه ، فبلغه ذلك فقدِم عليه ﷺ معتذراً ، وأنشده أبياتاً مدحه بها ، وكلَّمه فيه نوفلُ بن مُعاوية الدؤلى فعفا عنه .

ومن تلك الأبيات :

فما حَملَتْ من ناقةٍ فوقَ رحلها
أبرَّ وأوفى ذمَّةً من محمَّدِ

قال دِعبل بن على (فى طبقات الشعراء) : هذا أصدق بيتٍ قالته العرب .

١٢٢ ولأنس مع عبيد الله بن زياد أمير العراق أخبارٌ أوردها الأصفهانىّ صاحب الأغانى (فى ترجمة حارثة بن بدر الغدانى) فإنه كان بينهما أهاجٍ بعد تصافٍ (٢) .

---

(١) السيرة ٨٠٦ جوتنجن .

(٢) ش : « أهاجى بعد تصافى » وفيه تحريف .

ورَوى أنّ أنساً لمَّا رأى من عبيد الله بن زياد جَفوة ، وأثرة لحارثة بن بدر ، قال :

أُهانُ وأُقصَى ثم تَنْتَصحوننى
ومن ذا الذى يُعطى نصيحتَه قسرا (١)
رأيتُ أكفَّ المُصلِتِينَ عليكمُ
مِلاءً وكفِّى من عطائكمُ صِفْرا
مَتى تسألونى ما علىَّ وتمنعوا
لَّذِى لىَ لا أُسْطِعْ على ذلكمْ صبرا
وإنِّى صرفت الناس عمَّا يَريبكم
ولو شئت قد أُغليْتُ فى حربكم قِدْرَا
وإنى مع السّاعى عليكم بسيفه
إذا عَظْمُكم يوماً رأيت به كسرا (٢)

فقال عبيد الله لحارثة : أجبه . فاستعفاهُ ؛ لموّدةٍ كانت بينهما ، فأقسم عليه فقال :

تبدَّلتُ من أُنسٍ ، إنه كذوب المَوَدّةِ خوَّانُها
أراه بصيراً بعيب الخليل وشرُّ الأخلَّاء عُورانُها (٣)

فأجاب أنس :

(١) فى الأغانى ٢١ : ١٥ : « وأى امرئ يعطى نصيحته » .

(٢) ط : « إذا عظكم » ، صوابه من ش والأغانى .

(٣) فى الأغانى : « بضر الخليل » .

إنَّ الخيانة شَرَّ الخليـ ـلِ والكفرَ عندك ديوانُها (١)
بصُرت به فى قديم الزمان كما بَصَّرَ العينَ إنسانُها

ودام الشرُّ بينهما زمانا طويلا . وذكَرَ ما جرى بينهما وشِعرَ كلٍّ واحدٍ فى الآخر بإغراء عبيد الله بن زياد .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٩٠ (كم فى بنى سعد بن بكرٍ سَيِّدٍ
ضَخْمِ الدَّسيعةِ ماجدٍ نَفَّاعِ)

على أنَّ فيه دليلاً على جواز الفصل بالظرف المستقر عند يونس ، كما جاز الفصل بالظرف اللغو فى البيت السابق .

وسيبويه لا يُجيز الفصل بالظَّرف إلاَّ لضرورة . وأنشد هذا البيت .

قال الأعلم : الشاهد فيه خفض سيِّد بكَمْ ضرورة ، ولو رُفع سيّد أو نُصب لجاز كما تقدم . وبيان كونه ظرفا مستقرا أنَّ كم فى محل رفع مبتدأ ، والظرف الفاصل فى محل رفع خبر المبتدأ .

وأخطأ ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) فى زعمه أنَّ الظرف حالٌ من سيِّد ، وكان فى الأصل صفةً فلما قدِّم عليه صار حالاً منه .

ووجه الخطأ أنَّ المبتدأ يبقى بلا خبر .

وضخم وماجد ونفاع ، بجرِّ الثلاثة صفات لسيِّد . و **(الدسيعة)**

---

(١) فى الأصل : « إن خيانة شر الخليل » ، وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٦ . وانظر المقتضب ٣ : ٦٢ والإنصاف ٣٠٤ وابن يعيش ٤ : ١٣٠ ، ١٣٢ والعينى ٤ : ٣٩٢ والأشمونى ٤ : ٨٢ .

بفتح الدال وكسر السين وبعد المثناة التحتية عين ، والثلاثة بالإهمال ، ومعناها العطية . قال الأعلم : هى من دسع البعير بِجِرّته ، إذا دفع بها . ويقال هى الجَفْنة . والمعنى أنَّه واسعُ المعروف . و (الماجد) : الشريف . يصف كثرة السَّادات فى هذه القبيلة .

والبيت وقع غُفلا فى كتاب سيبويه والمفصَّل ، ولم يعزه أحدٌ من شرّاحهما إلى قائله .

وزعم العينى أنَّه للفرزدق . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٤٩١ (كَمْ نالنِى منهمُ فَضْلاً على عُدُمٍ

إذْ لا أكاد من الإقتارِ أحتملُ)

على أنَّ جر التمييز مع الفصل بالجملة لا يجيزه إلاَّ الفراء ، فيجوز عنده خفض فضلا . وأمَّا غيره فيوجب نصبه كما فى البيت . ١٢٣

قال سيبويه : وقال الخليل : إذا فصلت بين كم وبين الاسم بشئ استغنى عليه السكوت أو لم يستغن [٣] ، فاحمله على لغة الذين يجعلونه بمنزلة اسم منوَّن ، لأنَّه قبيح أن يفصَل بين الجار والمجرور ؛ لأنَّ المجرورَ داخلٌ فى

---

(١) لم أجده فى ديوان الفرزدق .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٥ . وانظر المقتضب ٣ : ٦٠ والإنصاف ٣٠٥ وابن يعيش ٤ : ١٢٩ ، ١٣١ والعينى ٤ : ٤٩٤ والهمع ١ : ٢٥٥ والأشمونى ٤ : ٨٢ وجمهرة القرشى ١٥٣ وديوان القطامى ٦

(٣) ط : « أم لم يستغن » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

الجارِّ فصارا كأنهما كلمة واحدة . والاسم المنوَّن قد يفصَل بينه وبين الذى يعمل فيه ، تقول : هذا ضاربٌ بك زيدا ، ولا تقول هذا ضاربُ بك زيدٍ . قال القطامى :

* كم نالنى منهم فضلا * البيت

وإن شاء رفع فجعل كم المرارَ التى ناله فيها الفضل ، فارتفع الفضل بِنالنى ، كقولك : كم قد أتانى زيد ، فزيد فاعل وكم مفعول فيها ، وهى المرار التى أتاه فيها ، وليس زيد من المِرار . ا هـ .

قيل : روى فضلا بالجر أيضاً . فكم على النصب والجر مبتدأ ، وجملة نالنى خبره وفاعله ضمير كم . وعلى الرفع ظرف لنالنى كما قال سيبويه .

وزعم العينى أنَّ كم مع النصب ظرف زمان تقديره : كم مرة أو كم يوماً ، وجملة نالنى منهم جملة معترضة بين كم ومميزها ، وهو فضلاً .

هذا كلامه ، ولا يخفى فساده ؛ إذ جعل المميز محذوفاً مع أنَّه مذكور . ولا يصح جعل [جملة [(١)]] نالنى اعتراضيَّة ، إذ لا فاعل للفعل حينئذ .

وقوله (على عُدمُ) أى مع عُدم ، متعلق بمحذوف على أنَّه حال من الياء . كذا قال ابن الحاجب (فى أماليه) عن ابن بَرْهان .

وزعم العينى أنَّه متعلق بنالنى . وهو فاسِدٌ يُدْرَك بالتأمل .

وأفسد منه قول ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) : قوله : على عدم ، حال من الياء ، وعامله نالنى ، ويجوز أن يعمل فيه فضل المصدر على أنه مفعول به .

(١) التكملة من ش .

والعَدَمَ ، بفتحتين ، والعُدْم ، بضم فسكون ، كلاهما بمعنى الفقر والاحتياج .

و (منهم) متعلق بنالنى . وقال ابن المستوفى ، يجوز أن يكون موضع منهم النصب على الحال صفة لفضل مقدَّما عليه ، ويجوز أن يكون من فيه مبيِّنا للجنس ويعمل فيه نالنى .

وهذا خطأ ، فإنَّ من البيانية مع مجرورها تتعلق بمحذوف على أنه حال .

و (الفضل) : الخير والإنعام ، وجملة أحتمل فى محلّ نصب خبر كاد وهو بالحاء المهملة . قال شارح ديوان القطامى : أى لم يكن [1] لى حَمولةٌ أحتمل عليها . والحمولة ، بالفتح ، قال صاحب المصباح : هو البعير يُحتَمل عليه ، وقد يستعمل فى الفرس والبغل والحمار . ا هـ

فمعنى أحتمل : أتَّخِذ حمولة .

وقال الأعلم : قوله « إذ لا أكاد » إلخ ، أى حين بلغ منّى الجهد وسوء الحال [إلى أن [2]] لا أقدر على الارتحال لطلب الرِّزق ، ضعفاً وفقرا .

ويروى : « أجتمل » بالجيم ، أى أجمع العظام لأخرج ودكها وأتعلّل به ، والجميل : الودك . ا هـ

ولم يذكر أحدٌ رواية الجيم من اجتملت الشحم ، إذا أذبته ، وكذا جَمَلته أجمُله جَمْلا ، وربَّما قالوا : أجملته ، حكاه أبو عُبَيد . ورأيتُ فى بعض الحواشى أنَّه رُوى : (أحتمل) بالحاء المهملة من الاحتمال ، وما أظنُّه صحيحاً .

---

(١) ش : « أى لم تكن » .

(٢) التكملة من الشنتمرى .

وزعم بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصل) أن الرواية (**احتوِل**) ولم يذكر غيرها . وقال : أحتول من الحيلة ، وأصلها حِولة قلبت الواو ياء كما فى ميزان . وكان الوجه أحتال ، إلَّا أنه جاء على الأصل المرفوض . هذا كلامه ولم أرها لغيره .

وقوله : (إذ لا أكاد) إذ ظرف لنالنى .

١٢٤ والإقتار : مصدر أقتر . قال فى الصحاح : « وأقتر الرجل : افتقر » . ومن متعلقة بالنفى ، وقال العينى : ومن متعلقة بأجتمل . وسيجىء ردُّه . وزعم ابن بَرْهان أنَّ قوله من الإقتار مفعول له يعمل فيه أحتمل .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : لا يصحُّ هذا ، لِفسادِ المعنى ؛ إذ الاحتمال لم يكن من أجل إقتار فيخصِّصه بالنفى ، وإنما يصحُّ أن يكون معلّلا بمثل ذلك ثم ينفيه مخَصصاً له ، كقولك : ما جئتك طمعاً فى برّك ؛ فإنَّ المجىءَ قد يكون طمعاً فى البرّ ، فُينفَى المجىء المقيَّد بعلّة الطمع ، ولذلك لا يلزم منه نفى المجىءِ لغير ذلك ، لأنّه لا يتعرَّض له ، بل قد يُفهم منه إثبات مجىءٍ لغير ذلك عند من يقول بالمفهوم . أمَّا لو قال : ما كلَّفتك بشىء للتخفيف عليك ، فلا يستقيم أن يكون تعليلا لكلفتك ، فإنه لا يصح أن يكون التخفيف [1] علة للتكليف ، وإنما علَّل به نفى التكليف من أجل غرض التخفيف . وسرُّ ذلك هو أنه إذا تعلق الفعل بشىء فلا بُدَّ أن يُعقَلَ مثبتاً فى نفسه ثم يتعلَّق النفى به . وإذا تعلَّقَ النَّفى بِهِ انتفى المقيَّد بما تعلق ، ولا ينتفى مطلقاً ، إذ لم ينفِه إلَّا مقيَّدا . ومن أجل ذلك امتنع تعلُّق « من الإقتار »

(١) ط : « للتخفيف » ، صوابه فى ش .

بأحتمل . ويُمنع أيضاً تعلقه بأكاد ، إذ لا يتصوَّر تعليل مقاربة الاحتمال بالإقتار ؛ لأنَّه عكس المعنى على ما تقدم فى أحتمل ، فوجب أن يكون متعلقا بالنفى ، إذْ هو المسبِّب فى المعنى ، لأنَّ المعنى انتفت مقاربة الاحتمال ، من أجل الإقتار . ألا تَرى أنَّك لو قلتَ لمن قال : انتفت مقاربةُ الاحتمال : ما سبب ذلك ؟ لصحَّ أن يقول : سببه الإقتار . ولو قلت لمن قال : ما سبب مقاربة الاحتمال أو ما سبب الاحتمال ؟:سببه الإقتار (١) ، لكان فاسداً . فهو مما يوضح أنَّه تعليل للنفى ، وغير مستقيم (٢) أن يكون تعليلاً لأحتمل أو أكادُ . انتهى كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للقطامى عدَّتها واحدٌ وأربعون بيتاً ، مدح بها أبا عثمان عبد الواحد .

قال ابن الكلبى ، وابنُ حبيب : هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم ابن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف .

وقال مصعب الزبيرىّ : هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . وكان واليا فى المدينة لمرْوان بن محمد .

أبيات الشاهد

وهذا مطلع القصيدة :

(إنَّا مُحَيُّوكَ فاسلم أيُّها الطَّلَلُ
وإن بَلِيتَ وإنْ طالت بك الطِّيَلُ)

إلى أن قال بعد ستة أبيات :

(والناسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلون له
ما يشتهى ، ولأمِّ المخطىء الهبَلُ

(١) فى النسختين : « وقال سببه الأقتار » والوجه حذف : وقال .
(٢) ش : « غير مستقيم » ، بدون واو .

قد يُدرك المتأنِّى بعضَ حاجتِه
وقد يكونُ مع المستعجِل الزَّلَلُ)

ثم وصف الإبل التى توصِّله إلى حبيبته عُلَيَّة [١] بأبياتٍ منها :

(يَمشِين رهواً فلا الأعجاز خاذلةٌ
ولا الصدورُ على الأعجاز تَتَّكِلُ [١])

إلى أن قال :

(فقلتُ للرَّكْب لمَّا أنْ علت بهمُ
من عَن يمين الحُبَيَّا نظرةٌ قَبَلُ
ألمحة من سنا برقٍ رأى بصَرِى
أم وجه عاليةَ اختالت به الكِلَلُ)

ثم بعد أبيات خاطب ناقته فقال :

(إن ترجِعى من أبى عثمان مُنجِحةً
فقد يَهُون على المستنجح العملُ [٣]
أهلُ المدينة لا يحزنْكَ شأنهمُ
إذا تخاطأَ عبدَ الواحد الأجلُ

(١) ورد اسمها فى البيت الذى يلى السابق فى ص ٢ من الديوان :

أمست علية يرتاح الفؤاد لها   وللرواسم فيما دونها عمل

لكن سيأتى فى البيت الثالث بعد هذا برسم « عالية » فلعل « علية » تصغير ترخيم .

(٢) ط : « فلا أعجاز خاذلة إلا الصدور » ، صوابه ما أثبت من ش والديوان ٤ .

(٣) ش : « المستجنح » ، صوابه فى ط والديوان ٦ وما سيأتى من التفسير .

أما قريشٌ فلن تلقاهمُ أبدا
إلّا وهم خير من يَحفَى وينتعلُ (١)
إلّا وهم جَبَلُ اللهِ الذى قصُرت
عنه الجبالُ فما ساوى به جَبَلُ
قومٌ همُ ثبَّتوا الإسلامَ وامتنعوا
رهط الرسول الذى ما بعَده رُسُلُ (٢)
مَن صالَحُوه رأى فى عيشه سَعةً
ولا يُرَى من أرادُوا ضرَّه يئلُ
كم نالنى منهم فضلا على عدم .... البيت
وكم من الدَّهر ما قدْ ثبَّتوا قدمى
إذْ لا يزال مع الأعداء ينتضلُ (٣)
فماهمُ صالَحُوا من يبتغِى عنَتى
ولا همُ كدَّروا الخيرَ الذى فعلوا (٤)
همُ الملوكُ ، وأبناءُ الملوك لهمْ
والآخذون به والسَّاسة الأوَلُ)

قوله : « إنا محيُّوك » أى داعون لك بالتحية ، وهى البقاء . والطلل : ما شخص من آثار الديار . والطيل ، بالكسر : جمع طِيلة ، وهى الدهر .

وقوله : « والناس من يلق » إلخ يقول : من أخطأ قِيلَ : لأمِّه الثُّكل !

(١) ش : « أما قريشا » .
(٢) فى الديوان ٦ : « قوم الرسول الذى ما بعده » .
(٣) فى الديوان ٧ : « اذ لا أزال مع الأعداء أنتضل » .
(٤) ط ق : « من ينتفى » ، صوابه من ش والديوان .

وهو الهَبَل . ومن يَلق خيراً ، أى من أصاب عوضاً من الدنيا قالوا : ما أرجَلَه ، لله أبوه ما أعقَله ! ومن أخطأه الرِّزق قالوا : أماتَه الله ما أعجزه !

وقوله : « قد يدرك المتأنى » إلخ المتأنِّى : صاحبُ الأناة والوقارِ والحِلم . وزَلّ عن الأرض يزل زليلا ، إذا عثَر .

وقوله : « يمشين رَهواً » إلخ أى على هينتها . يقال فعل ذلك راهياً ، أى ساكنا سهلا .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ واتركِ البَحْرَ رهواً [1] ﴾ على أنَّ الرهو : السَّير السهل الساكن . ونَسَبَ البيتَ للأعشى ظانًّا أنه من قصيدته التى أولها :

ودِّع هُريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ
وهل تُطيقُ وَدَاعاً أيُّها الرجلُ

وليس كذلك . قال أبو عمرو : يقول هى موثَّقة الصدور والأعجاز لا تخذل أعجازُها صدورها ، ولا صدورُها أعجازَها .

وقوله : « فقلت للركب » إلخ نظرة فاعل علَتْ . والنَّظرةُ القَبَل بفتحتين : التى لم تتقدمها نظرة ، ومنه يقال رأينا الهلال قبَلاً ، إذا لم يكن رئى قبل ذلك . ومعنى علت بهم : جعلتهم يعلُون وينظرون . والحُبَيَّا ، بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وتشديد المثناة التحتية : موضع بالشام . وعن بمعنى جانب ، فهى اسم . وبه استدلَّ ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) ، وابن الناظم والمرادى أيضاً (فى شرح الألفية) .

وقوله : « ألمحَةٌ من سَنا » إلخ هذا البيت مقول قلت . واللَّمحة :

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الدخان .

اللَّمعة . وسَنا البرق : ضوءُه . واختالت : تزيَّنت به الكِلَل من حُسنه ، وضمير به للوجه . والكِلل : السُّتور . يريد أنَّ وجه عالية ظهر إليهم من الستر ، فأشرفوا ينظرون إليه إعجاباً به .

ومُنجِحة مِن أنجحَ الرجل ، واستنجح ، إذا ظفر بحاجته . والعَمَل : التَّعب .

ويحفى : يمشى بغير حذاء ، ومصدرُه الحفاءُ بالمد .

وَيئل : ينجو ، يقال وأل يئل مَوْئلاً . ونالنى : أصابنى . وينتَضِلُ : يرتمى ، بالضاد المعجمة . وعنتى : هلاكى . يقال عَنِت الرجل يَعنَت عَنتا ، إذا وقعَ فى هلكة .

وقوله :

* هم الملوك وأبناء الملوك لهم *

أى منهم . و « الآخذون به » أى بالملك ، فأضمره لمَّا جرى ذكر ١٢٦
الملوك .

والقطامى : شاعرٌ إسلامى فى الدولة الأموية ، تقدمت ترجمته فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٩٢ (كَم عمّةٍ لك يا جريرُ وخالةٍ
فَدْعاء قد حَلَبَتْ علىَّ عِشارِى)

(١) الخزانة ٢ : ٣٧٠ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٥٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، وانظر المقتضب ٣ : ٥٨ والجمل ١٤٨ وابن يعيش ٤ : ١٣٣ والمقرب ٦٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٤ والعينى ١ : ٥٥٠/٤ : ٤٨٩ والتصريح ٢ : ٢٨٠ والهمع ١ : ٢٥٤ والأشمونى ١ : ٢٠٧ ، ٢١٢/٤ : ٨٠ ، ٨١ وديوان الفرزدق ٤٥١ .

على أنه قد روىَ عمة وخالة بالحركات الثلاث . وشرحَها شرحا جيداً ، وجوَّز فى النصب أن تكون كم استفهامية ، وخبرية . وهو مذهب أبى الحسن الرَّبَعىّ .

فإنَّ السيرافى قال : كم حينئذ استفهامية . وتبعه الزجاجى . وقال أبو على : لا معنى هنا للاستفهام ، ولكن شبِّه بالاستفهامية فنصب بها كما تشبه الاستفهامية بالخبرية فيجرُّ بها ، فى نحو قولك : على كم جذعٍ بيتُك مبنىٌّ ؟

وتوسط الرَّبعىُّ بينهما فقال : الوجه ما قاله أبو على . والذى قاله السيرافى يجوز على أنَّه استفهمه هازئاً به . كذا نقل ابن السيِّد ، وتبعه ابن خلف .

والرَّبَعى مسبوقٌ ، فإنَّ ابن السَّراج قال (فى الأصول) : النصب عندى على وجهين : على ما قال سيبويه فى لغة من ينصب فى الخبر ، وعلى الاستفهام . انتهى .

وبهذا يضمحلُّ قول اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : إنّ سيبويه أدخل البيتَ فى وجه النصب على الخبَر والتحقيق ، لا على وجه الاستفهام والشك . قال سيبويه : ومن ينصب كثير ، منهم الفرزدق . ولم يذكر الاستفهام لكن ذكر أنها شُبِّهت فى الخبَر بالاستفهام فنصب بها كما ينصب ما بعد العدد . انتهى .

وكذا جوَّز الشارحُ المحقق الوجهين فى الرفع .

قال ابن السَّراج : اعلم أنك إذا قلت كم عمةٍ بالجر فلست تقصد إلاَّ واحدة ، وكذلك إذا نصبت ، فإن رفعتَ لم يكن إلا واحدة ؛ لأنَّ التمييز يقع

واحدُهُ فى موضع الجمع ، فإذا رفعت فلست تريد التمييز ، فإذا قلت : كم درهمٌ عندك فإنما المعنى : كم دانقاً هذا الدرهم الذى أسألك عنه ؟ فالدرهم واحد لأنَّه خبر وليس بتمييز . ا هـ .

فكلٌّ من الجرّ والنصب أبلغ من الرفع ، لأنهما يدلَّان على أنّ لجرير عمّاتٍ وخالات أجيرات ممتهَنات . والرفع يدلُّ على أنّ له عمةً واحدة ، حلبت له عشاره . ولهذا قال السيرافى : الأجود فى البيت الخفض ، وبعدهُ النصب ، وبعده الرفع .

وبيَّن الشارح المحقق إعراب كم مع الرفع ولم يبيِّنْه مع غيره . فهى مع خفض عمة ونصبها موضعها رفعٌ على الابتداء ، والخبر جملة قد حلبت .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وأفرد الضمير فى حلبَتْ حملاً على لفظ كم .

وليس هذا من قبيل ما هو عائدٌ على مجموع ما تقدَّم ، نحو : النساء فعلَتْ كما زعمه الدمامينى ، فإنّ العمة والخالة مفردان ، بخلاف النساء فإنه اسمُ جمع . وأمَّا فى رواية رفع عمة على الابتداء فلابدَّ من تقدير قد حلبت أخرى ؛ لأنَّ المخبر عنه فى هذا الوجه متعدِّد لفظا ومعنى . ونظيره : زينب وهند قامت . قاله ابن هشام فى المغنى .

وجاز الابتداء بها وإن كانت نكرة لأنَّها قد وصفت بلك وبفدعاء محذوفةٍ مدلولٍ عليها بالمذكورة ، إذْ ليس المراد تخصيصَ الخالة بالفدَع ، كما حذفت لك من صفة خالة استدلالاً عليها بلك الأولى . قاله ابن هشام أيضا .
وعليه فيكون من قبيل الاحتباك ؛ وهو أن يثبت لأحدهما نظير ما حُذف من ١٢٧
الآخر .

ونقل ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) عن الزمخشرى (فى حواشيه على المفصل) أنَّ التقدير : كم لك غيرهما ؟ فتعلق لك بكَمْ .

ولأبى على (فى المسائل المنثورة) كلامٌ جيد فى كم ، أحببت إيراده هنا . قال : إذا كانت كم خبراً جاز فيما بعدها الجر والرفع والنصب ، وإنّما جرتَّه بكم لأنَّ كم نقيضة ربَّ ، ومن أصولهم حملُ الشئ على نقيضه . ألا ترى أنَّ ربَّ للقلة وكم للكثرة ! فلما كانت بهذه المنزلة أجريت مجرى ربَّ . وإنْ نصب ما بعدها فجائزٌ لأنَّها عددٌ فى الحقيقة ، والأعداد تبيَّن مرة بالنصب ومرة بالجر . وإذا كان هذا جائزاً فى الأعداد فعلى أىّ وجهٍ أردت جاز . والرفع إذا قلت كم رجلٌ أتانى ، صارت كم فى معنى مرار ، فتكون فى موضع نصب بأتانى ، ويكون رجلٌ مبتدأ وأتانى خبره . قال أبو عمرو : لا يكون ما تبيَّنُ به كم إلاَّ نكرة ، وذلك لأنّها عدد ، والأعداد لا تبيَّن إلَّا بالنكرات .

والنصب فى الخبر جائز ، لأنّها عَددٌ فى الحقيقة ، وإن كان الوجه الجر . والحسن أن تنصب إذا فصلت بينها وبينَ ما أضيف إليها ، لأنَّ الفصل بين المتضايفين قبيح . فلما قبح نصبوه لأنّها فى الحقيقة عدد ، ورجل يفسِّر ويوضِّح .

وأما قول الشاعر : « كم بجود مقْرفا » البيت ، فنصب مُقرفا فسَّر به كم [1] لأنَّه حالَ بينه وبين كم بقوله بجود ، وتكون كم فى موضع رفع بالابتداء ، وهى فى المعنى فاعلة كما تقول : زيد قام ، فزيد مبتدأ وإن كان فاعلا فى المعنى . ويجوز الجر لأنَّك حُلت بين كم وبين ما عملت فيه بظرف . فأمَّا قول الفرزدق :

(١) فى الأصل ، أى النسختين : « فسره بكم » ، والوجه ما أثبت كما اقترح مصحح طبعة بولاق .

* كَمْ عَمّة لك يا جرير وخالة *

فأما النصب فى العَمّة فتجعل كم رفعاً بالابتداء وحلبت خبرها ، وعمة تفسير العدد ، كأنَّه قال : عشرون عمة حلبت . والجرُّ على ما تقدَّم من الكلام . وأمَّا الرفع فى العمة فتكون كم فى موضع نصب ، وتكون كم فى معنى مرار فتصير ظرفاً للحلب . قال أبو عمرو : تقول : كم رجال قد رأينا ، فجاز فى كم أن تفسَّر بالجمع ، لأنَّ العدد يفسَّر بالجمع وبالواحد . وإذا كانت كم عدداً جاز تفسيرها بالواحد والجمع مع أنَّه مع كم أشدُّ استمراراً ، وذلك إذا قلت عشرون درهما ، ففى الكلام دلالة على الجمع . وإذا قلت كم فليس فى كم دلالةٌ على الجمع ، فلذلك أجازوا ذلك فى كمْ . انتهى كلام أبى على .

وفدعاء : صفة لخالة لقُربها ، وحذَفَه من عمة قبلها . وقد فسَّر الشارح الفدعاء بكلام الصحاح . وقال ابن الأعرابى : الأفدع : الذى يمشى على ظهور قدميه . وقال أبو جعفر : الفَدَع فى القدم ، والكَوَع فى اليد . والرُّسغ بالضم هو من الإنسان : مَفصِل ما بين الكف والساعد ، والقدم إلى الساق . ومن الدوابِّ : الموضع المستدِقّ بين الحافر وموضع الوظيف من اليد والرجل . والإنسى بكسر الهمزة قال صاحب الصحاح : الإنسيُّ : الأيسر من كل شيء .

وقال الأصمعى : هو الأيمن . وقال : كل اثنين من الإنسان مثل الساعدين والقدمين فما أقبلَ منهما على الإنسان فهو إنسيٌّ ، وما أدبر عنه فهو وحشى . انتهى .

وقال صاحب المصباح : الوحشىُّ من كل دابَّة : الجانب الأيمن . قال الشاعر :

فمالت على شِقٍّ وحشيِّها وقد رِيعَ جانبها الأيسر [(١)]

١٢٨ قال الأزهرى : قال أئمة العربية : الوحشيُّ من جميع الحيوان غيرِ الإنسان : الجانبُ الأيمن ، وهو الذى لا يَرْكب منه الراكب ولا يحلُب منه الحالب . والإنسيُّ : الجانب الآخر ، وهو الأيسر [(٢)] . وروى أبو عبيدٍ عن الأصمعىّ أن الوحشىَّ هو الذى يأتى منه الراكب ويحلب منه الحالب ، لأنَّ الدابة تستوحِش عنده فتفرُّ منه إلى الجانب الأيمن . قال الأزهرى : وهو غير صحيح عندى .

قال ابن الأنبارى : ويقال ما من شئ يفزع إلَّا مال إلى جانبه الأيمن ، لأنَّ الدابة إنّما تؤتى للرُّكوب والحلَب من الجانب الأيسر ، فتخاف عندَه فتفرُّ من موضع المخافة وهو الجانب الأيسر إلى موضع الأمن ، وهو الجانب الأيمن . فلهذا قيل الوحشيُّ الجانب الأيمن . ووحشى اليد والقدم : ما لم يُقْبِل على صاحبه [(٣)] والإنسيُّ خلافه . ووحشيُّ القَوْس [(٤)] : ظهرها . وإنسيُّها : ما أقبل عليك منها . انتهى ، وسُقناه برمَّته لجودته .

والشَّوْه [(٥)] بسكون الواو : مصدر شاهت الوجوه تشُوه ، أى قبحت . وقول الشارح المحقق : « وإنَّما عدَّى حلبت [بعَلَى [(٦)]] لتضمنُّه معنى ثقلَتْ » إلخ مأخوذ من كلام صدر الأفاضل ، فإنه قال : إنْ قيل : ما معنى

(١) نسب فى شرح القصائد السبع الطوال ٣٢٥ - ٣٢٦ واللسان (وحش ٢٦٣) إلى الراعى . وفى القصائد السبع : « فجالت على » .

(٢) انظر الحيوان ٥ : ٥١٢ - ٥١٣ وشرح القصائد السبع ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٣) ش : « ما أقبل على صاحبه » ، صوابه فى ط .

(٤) ش : « الفرس » ، صوابه فى ط .

(٥) هذا تفسير لعبارة وردت فى كلام المحقق الرضى فى ٢ : ٩٢ فى قوله شارحا للشاهد : « يعنى أنها لكثرة الخدمة صارت كذلك ، أو هذا خِلقة لها . نسبها إلى شوه الخلقة » .

(٦) تكملة ضرورية من شرح الرضى ٢ : ٦٤ . يريد أن حلبت علىّ بمنزلة ثقلت علىّ .

حلبت علىّ ؟ أجيب بأنَّ معناه : على كرهٍ منى ، وهذا كما يقال باع القاضى عليه داره . يقول : استنكفتُ أن تحلب عشارى . ويشهد لهذا المعنى الفدعاء . انتهى .

قال شارح شواهد الإيضاح والمفتاح : وجه الشهادة أنّ الفدعاء من صفات الإماء ، فيؤذِن بلؤمِ من يوصَف به ، فلذلك استنكف . يريد : خدمْننى على كَره ؛ لأنّنى لم أكن راضيا بذلك ؛ لخستهنَّ ولؤمهنَّ .

ونقل ابن المستوفى (عن حواشى المفصل) أنَّ الفدَع من صفات الإماء . وقوله : « علىَّ » أى لى ، أى كانت راعية لى . ثم نقل كلام صدر الأفاضل . وقال : الأجود ما فى الحواشى ، لأنّه لا تحْلب عِشاره إلا بإذنه ، وهو أبلغ . هذا كلامه .

و (العشار) بالكسر : جمع عشراءَ بضَمّ ففتح وبالمد ، قال اللخمى : هى الناقة التى مضت لها عشرة أشهر من حملها . ثم يبقى عليها الاسم إلى أن تنتج لحولٍ وبعد ذلك بأيّام . على هذا إجماع أكثر اللغويين . وقيل يقع هذا الاسم على التى أتى عليها من وَضعها عشرة أشهر ، وهى فى هذا البيت كذلك ، بدليل قوله حلبت ، وهو الوجه ، ويحتمل أن يحمَل البيت الأول على القول الأوّل . ومعنى البيت يذمُّه بذلك ويصفُه أنّه من أهل القلّة ، وليس من أهل الشرف والسَّعَة ، إذ لو كان كذلك لَصانهنّ من الابتذال . وإنّما خصّ النساء بالحلْب (١) لأنّ العرب يتعايرون بحلب النساء ، فهو فى القلّة كما قال السُّليك :

أشابَ الرأسَ أنّى كلَّ يومٍ
أرى لى خالةً وسطَ الرِّحالِ

(١) ط : « بالحرب » صوابه فى ش .

يعزُّ على أن يَلقَينَ ضيما

ويَعجِزَ عَن تخلُّصهن مالى

وقد صحَّف اللِّحيانى ثلاث كلمات من البيت :

الأولى : حلبت فإنَّه صحَّفه بِجُلِيَت ، بضم الجيم وكسر اللام بعدها مثناة تحتية .

والثانية : عليَّ ، صحَّفه بعلَى الجارَّة .

والثالثة : عِشارَى ، فإنَّه صحَّفه بَعشَّار ، بفتح العين وتشديد الشين .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : أصحابنا البصريون فى كثير مما يحكيه اللِّحيانى كالمتوقِّفين . حكى أبو العباس عن إسحاق بن إبراهيم قال :
١٢٩ سمعت اللحيانى ينشد :

كم عمة لك يا جرير وخالةٍ

فدعاء قَد جُلِيتْ عَلَى عَشَّارِ

فقلت له : ويحك ، إنَّما هو : « قد حَلبت عليَّ عشارى » . فقال لى : وهذه أيضا رواية . ومما صحَّفه أيضا قولهم فى المثل : « يا حامل اذكر حَلّا » حامل بالميم . وإنّما هو : « يا حابل اذكر حَلّا » بالباء ، أى يا من يشدُّ الحبل اذكُر وقتَ حلِّه . وذاكرتُ بنوادره شيخَنا أبا على فرأيته غير راضٍ بها ، وكان يكاد يصلِّي بنوادر أبى زيد إعظاما لها . وقال لى وقت قراءتى إياها عليه : ليس فيها حرفٌ إلّا وتحته لأبى زيد غرضٌ مَّا . وهو كذلك ، لأنَّها محشوَّة بالنُّكت والأسرار . انتهى .

ورأيت فى (تذكرة أبى على) حدثنى أبو خالد عن إسحاق بن الموصلى [١] قال : أنشد أبو المنذر العروضى يوماً : « قد جُلِيت على عَشَّار » فقيل له : الرواية « قد حَلبت علىَّ عَشارِى » فقال : وهذا أيضا وُجَيه . انتهى .

ووقع مثلَ بيت الفرزدق بيتٌ لجرير من قصيدةٍ هجا بها خُلَيدَ عَينَين العبدىَّ ، وهو :

كم عمة لك يا خليدُ وخالة
خضر نواجذُها من الكُرّاثِ [٢]

قال المبرِّد (فى الكامل) : وإنّما هجاه بالكرّاث لأنَّ قبيلة عبد القيس يسكُنون البحرين ، والكرّاثُ من أطعمتهم ، [و] العامَّة [يسمُّونه : الرَّكْل والرَّكَّال [٣]] .

وبيت الفرزدق من قصيدة [عدَّتُها [٤]] ثمان وثلاثون بيتا هجا بها جريرا ، مطلعها :

(يا بنَ المراغة إنَّما جاريتنى
بمسبَّقين لَدَى الفَعال قصارِ [٥]

(١) يعنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى . كانت حياته ما بين سنتى ١٥٥ و ٢٣٥ .
(٢) البيت لم يرد فى ديوان جرير . وبعده فى الكامل ٤٩٨ :
نبتَتْ بمنبتِهِ فطاب لريحها
ونأت عن القيصوم والجثجاث
(٣) هذه التكملة وسابقتها من الكامل للمبرد ، وبدونها لا يستقيم الكلام . وانظر اللسان (ركل) .
(٤) التكملة من ش .
(٥) ط : « لذى الفعال » ، صوابه فى ش والديوان ٤٤٨ .

والحابسين إلى العشىِّ ليشربوا
نُزُحَ الركىِّ ودِمنةَ الأسآرِ (١)
يا ابنَ المراغة كيف تطلبُ دارماً
وأبوك بين حمارةٍ وحمارِ
لن تدركوا كرمى بلؤم أبيكم
وأوابِدِى بتنحُّل الأشعارِ)

إلى أن قال :

(قَبَحَ الإلهُ بنى كليبٍ إنَّهم
لا يَغدِرُون ولا يَفُون لجارِ
يَستيقظون إلى نُهاقِ حميرهم
وتنام أعينُهم عن الأوتارِ
مُتبرقِعِى لؤماً كأنَّ وجوهَهم
طُليت حواجبُها عَنيَّةَ قارِ (٢)
كم من أبٍ لى يا جريرُ كأنّه
قمرُ المجرَّة أو سراجُ نهارِ
ورِثَ المكارمَ كابراً عن كابر
ضَخْمِ الدَّسيعة كلَّ يومِ فَخَارِ)

(١) فى ديوان الفرزدق ٤٤٨ : « ليأخذوا نزح الركى » .

(٢) فى الديوان : « متبرقعى لؤم » . وقد سمع حذف النون فى مثل هذا ، ومنه قراءة الحسن : « والمقيمى الصلاة » ، بنصب « الصلاة » . وانظر حاشية الصبان على الأشمونى ١ : ٨٩ .

إلى أن قال :

(كم عَمَّةٍ لك يا جريرُ وخالة
فدعاء قد حلبَتْ علىَّ عشارِى
كنا نحاذر أن تُضيعَ لقاحَنا
وَلْهَى إذا سمعت دُعاء يَسارِ [(١)]
شغَّارةً تقذُ الفصيلَ برِجْلها
فَطّارةً لقوادم الأبكار)

وهذا آخر القصيدة .

وقوله : « لا يغدرون » إلخ [(٢)] . يقول : هم ضعفاء لا يقدرون على غدرٍ ولا على وفاء .

وعنية ، بفتح العين وكسر النون بعدها مثناة تحتية مشدَّدة ، قال فى الصحاح : هو بول البعير يُعقَد فى الشمس يُطْلَى به الأجرب . والقار بالقاف ، قال فى الصحاح : هو الإبل [(٣)] .

وقوله : « كنا نحاذِرُ » إلخ تُضيع : مضارع أضاع ، ولقاحنا مفعولُه ١٣٠
وهو جمع لَقُوح وهى الناقة الحلوب . قال فى الصحاح : إذا نُتِجت الناقة فهى لَقُوح شهرين أو ثلاثة ، ثم لبون بعد ذلك . وقوله : وَلْهَى [(٤)] : فاعل

---

(١) ولهى ، رسمت ضبقا لما سيأتى فى الشرح ، وفى الأصل والديوان : « ولها » .

(٢) وقوله لا يغدرون إلخ ، ساقط من ش .

(٣) فى ش : « هو بول الابل » ، وأثبت ما فى ط والصحاح ، وفيه : والقار : الإبل . قال الراجز :

إنّا رأينا ملكا أغارا أكثر منه قرة وقارا

(٤) رسمت فى الأصل : « ولها » ، والوجه ما أثبت .

تضيع ، وهو فَعْلى من الولَهِ . ويسار : اسم عبد كان يتعرّض لبنات مولاه .

وقوله : « شغّارة تَقِذُ الفصيل » إلخ هو من شواهد سيبويه ، أُورده بعد قوله : كم عمة لك يا جرير البيت ، بنصب شغَّارةً على الذم . قال : زَعم يُونس أنّه سمع الفرزدق ينشده بالنصب ، جعلَه شتما ، وكأنّه [١] حين ذكر الحلب صار من يُخاطَب عنده عالماً بذلك . ولو ابتدأه وأجراه على الأوّل كان جائزاً عربيّا . انتهى .

قال الأعلم : [الشاهد [٢]] فى نصب شغّارة وفَطّارة على الشتم . والشغَّارة : التى ترفع رجلها ضاربةً للفصيل تمنعَه من الرَّضَاع عند الحلب ، يقال شغر الكلب إذا رفع رجله ليبول . والوقذُ : أشد الضرب . والموقوذة : التى نُهِكَت ضرباً حتّى أشرفت على الهَلاك . والفطَّارة : التى تحلب الفَطْر ، وهو القبض على الخِلف بأطراف الأصابع لصغره . والضَّفّ : أن يقبض عليه بالكفّ لِعظَمه . والأبكار : جمع بِكر ، وهى التى نتجت أوّل بطن . وقوادمها : أخلافها ، وهى أربعة : قادمان وآخِران ، فسمَّاها كُلَّها قوادم اتساعاً ومجازاً . وإنّما وصفها بهذا الضرب من الحلب لأنّه أصعبه . انتهى .

وقال ابن خلف : الضفّ بالفاء ، ويقال الضبُّ بالباء ، وهو الحلْب بالكفّ كلّها ، وإنّما يكون للكبار من النوق ، وأما الصّغار من النوق فإنّما تُحلَب بأطراف الأصابع لصغر ضرعها ، وإنّما وصف حِذقَها ومعرفتها بالحلب لأنّها نشأت عليه .

وقال ابن المستوفى : أُراد أنّها عالمة بالحلب ، فهى أوَّل من فتح قوادمها .

(١) ش : « وكان » ، صوابه فى ش وسيبويه ١ : ٢٥٤ .

(٢) التكملة من ش .

قالوا : لأن الأخلاف والضروع أيامَ الحمل تكون مسدودةً بشئ كالصمغ ، فإذا ولدت الدابة عالجه الحالب حتى ينزعَه من مكانه ، فيسهل خروج اللبن .

ووجدت هذا البيت فى شعر الراعى من أبياتٍ أوّلُها :

(عُوجوا المطىَّ علىَّ ذا الأكوار
كيما أخبِّركم من الأخبارِ
أنَّ الخَلال وخَنْزَراً ولدتْهُما
أمٌّ مقارفةٌ على الأطهارِ (١)

شَغَّارة تقذ الفصيل برجلها .... البيت . انتهى

وقد تكلم السيد المرتضى قُدِّس سرُّه (فى أماليه) على هذا البيت ، فلا بأس بإيراده : قال : أما قول الفرزدق شغّارة تقذ الفصيل ... البيت ، فإنَّه من غريب شِعرِه (٢) . وفسّره قال : معنى شغَّارة أنّها ترفع رجلَها للبول . وقوله : « تَقِذُ الفصيل » ، أى تدفعه عن الدنُّو إلى الرضاع ليتوفَّر اللبن عَلَى الحلب . وأراد بتقِذهُ أى تبالغ فى إيلامه وضربه ، ومنه الموقوذة . فأمّا قوله : « فطّارة لقوادم الأبكار » ، فالفَطْر هو الحلب بثلاث أصابع . والقوادم : الأخلاف . وإنّما خصَّ الأبكار بذلك لأنّ صغر أخلافها يمنع من حلبها ضَبًّا . والضبُّ

(١) ورد باسم « الحلال » بالحاء المهملة فى شرح التبريزى للحماسة ٤ : ٧٧ ، إذ قال عند الكلام على خنزر بن أرقم : « واسمه الحلال ، وهو أحد بنى بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير » . والحق أنه غيره . وأما « خنزر » فهو خنزر بن أرقم ، كما فى شرح الراعى . وفى الأصل : « وخيزرا » تحريف . إذ أن خنزرا كان صاحب مناقضات مع الراعى ، كما فى الحماسة . وانظر ديوان الراعى ٦٧ ، ٨٩ .

(٢) فى الأصل : « فأما من غرب شعره » ، صوابه من أمالى المرتضى ١ : ٨٠ .

هو الحلب بالأصابع الأربع ، فكأنه لا يُمكن فيها ، لِقصر أخلافها ، إلا الفَطرُ . ومعنى البيتِ تعييرُه لنساءِ جرير بأنّهن راعيات ، وذلك مما تعيِّر به العربُ النِّساء . ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كم عمة لك يا جرير وخالة .... البيت

كنا نحاذر أن تضيع لقاحنا .... البيت

ثم تلا ذلك بقوله : « شغَّارة » .

١٣١ قال السيد المرتضى رضى الله عنه : وعندى أنَّ قوله شغَّارة كناية عن رفع رجلها للزنى ، وهو أشبه بأن تكون مرادَة فى هذا الموضع . ألا ترى أنَّه قد وصفَها بالوله وترك حِفظ اللِّقاح عند سماعها دعاءَ يسار . ويسار : اسمٌ لراع ، فكأنَّه وصفها بالوله إلى الزنى والإسراع إليه ، وتركِ حفظِ ما استُحفِظَته من اللقاح . انتهى كلامه .

وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(الواهب المائةِ الهجانِ وعَبْدِها)

هذا صدر ، وعجزه :

(عُوذاً تزجِّى خلفَها أطفالَها)

على أنّه يجوز فى التابع ما لا يجوز فى المتبوع كما هنا ، وهو جعل ضمير المعرف باللام فى التابع مثل المعرف باللام ، فإنَّ قوله « عبدها » بالجرّ معطوف

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

على المائة ، وهو مضاف إلى ما ليس فيه أل ، واغتُفِر هذا لكونه تابعا .

والهِجان : كرام الإبل . والعُوذ : جمع عائذ ، وهى الحديثة النتاج قبل أن توفِّىَ خمس عشرة ليلة ، ثم هى مُطفل بعده . وتزجِّى : تسوق ، وفاعله ضمير العُوذ ، وأطفالها مفعولة . والمعنى أنَّ هذا الممدوح يهب المائة من الإبل الكريمةِ مع أطفالها ، ويهب راعيَها أيضاً .

وقد تقدم شرح هذا مفصَّلا فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائتين (١) .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ٢٥٦

الظروف

أنشد فيه :

(إلَّا عُلالةَ أو بُدا هَةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزارَه)

على أنه حذف المضاف إليه من الأوَّل بدلالة المضاف إليه من الثانى التابع ؛ فإنَّ الأصل : إلَّا علالة سابح أو بُدَاهة سابح ، فحذف سابح من الأول لدلالة الثانى عليه .

وتقدَّم الكلام عليه مشروحا فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب ، ومرَّ فى باب الإضافة أيضاً (١) .

قال الفراءُ (فى تفسيره) : ولا تنكرنَّ أن تضيف قبل وبعد وأشباههما وإن لم يظهرْ ، فقد قال الشاعر :

إلَّا بُداهة أو عُلا لة سابح نهدِ الجزاره

وسمعت أبا ثروان العُكليَّ يقول : قطع الله الغداةَ يدَ ورجلَ من قاله . وإنما يجوز هذا فى الشيئين يصطحبان ، مثل اليد والرجل . ومثله : عندى نصفُ أو ربعُ درهم ، وجئتك قبلَ أو بعدَ العصر . ولا يجوز فى الشيئين يتباعدان ، مثل الدار والغلام ، فلا يجيزونَ : اشتريت دارَ أو غلامَ زيد ، ولكن عبدَ أو أمة زيد ، وعين أو أذن زيد (٢) ، وما أشبهه . ا هـ .

---

(١) الخزانة ٤ : ٤٠٤ — ٤٠٦ .

(٢) بعده فى معانى الفراء ٢ : ٣٢٢ : « ويد أو رجل » .

والعلالة بالضم : بقيَّة جرى الفرس ، وهو منصوبٌ لأنه استثناء منقطع . والبداهة بالضم أيضاً : أوّل جرى الفرس . والسابح : الفرس الذى يدحُو الأرض بيديه فى العدْو . والنهد : المرتفع والعالى . والجزارة بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان . يريد أنَّ فى عنقة وقوائمه طُولاً وارتفاعا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الأربعمائة [١] :

٤٩٣ (ونحنُ قَتلنا الأزدَ أزدَ شَنُوءةٍ
فما شَرِبوا بَعْداً عَلَى لذّةٍ خَمْرا)

على أنه يجوز بقلة فى هذه الظروف أن يعوَّض التنوين من المضاف إليه ١٣٢
فيعرب ، كما أعرب بعداً فى البيت على الظَّرفية ، والكثير البناء على الضم ؛ إذ المختار عند الشارح المحقق أنّ المبنى على الضمّ والمنوَّن لا فرقَ بينهما فى المعنى ، وأنهما مقطوعان عن الإضافة . فإن لم يبدل التنوين من المضاف إليه بنى على الضم لما ذكره ، وإن أبدل عنه كان معربا بالنصب عَلَى الظرفية .

وقد ينوَّن المبنىُّ على الضم فى الضرورة .

وقد روى : « فما شَرِبوا بعدُ » أيضاً بضمتين . فالأول معرب وهذا مبنى وكلاهما معرفة ، إذ المضموم بنية الإضافة إلى معرفة .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وإذا قطعا ، يَعْنى قبل وبعد ، عن الإضافة لفظا ونوى ما أضيف إليه وكان معرفة بُنِيَا على الضم .

ثم قال أبو حيان : وقد يتوقَّف فى تعريفهما بالإضافة إلى معرفة لأنهما متوغّلانِ [٢] فى الإبهام .

---

(١) شذور الذهب ١٠٥ والعينى ٣ : ٤٣٦ والتصريح ٢ : ٥٠ والهمع ١ : ٢٠٩ ، ٢١٠ والأشمونى ٢ : ١٦٩ .

(٢) ط : « متغولان » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

هذا محصَّل كلام الشارح المحقق . وكون تنوين المنصوب للتعويض من المضاف إليه كتنوين بعض وكل ، هو مذهب الجماعة .

قال ابن مالك (فى شرح الكافية) : وذهب بعضُ العلماء إلى أنَّ قبلا فى قوله وكنت قبلا (١) ، معرفةٌ بنية الإضافة ، إلا أنه أُعرب لأنه جعل ما لحقه من التنوين عوضـاً من اللفظ بالمضاف إليه ، فعومل « قبل » مع التنوين لكونه عوضا من المضاف إليه بما يعامل به مع المضاف إليه ، كما فعل بكلّ ، حين قطع عن الإضافة لحقه التنوين عوضـاً .

وهذا القول عندى حسن . اهـ .

وهذا خلافُ الطريقة المشهورة ، وهو ما عليه الجمهور ، قالوا : إنَّ المنون نكرة كسائر النكرات ، وإنّ التنوين فيها للتمكين . قال ابن مالك (فى الألفية (٢)) :

وأعربوا نصبا إذا ما نُكِّرا
قبلاً وما مِنْ بَعدِه قد ذُكرا

قال الشاطبى فى شرحه : تخصيصُه النصبَ فى هذه الأشياء إذا قصد تنكيرها دون الجر والرفع ، ظاهرُ التحكُّم من غير دليل ، وأمرٌ لا يساعدُه عليه سماع ، فإنَّ أكثر ما ذكر يدخل فيه الجر وغيره . تقول : أتيته من فوقٍ ومن

---

(١) جزء من الشاهد المعروف (انظر الخزانة ١ : ٤٢٦) :

فساغ لىَ الشراب وكنت قبلا أغص بنقطة الماء الحميم

(٢) فى باب الإضافة .

تحتٍ . وفى بعض القراءات : ﴿ لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ [١] ﴾ ، ومن دونٍ [٢] ، و ﴿ من دُبرٍ [٣] ﴾ وما أشبَه ذلك .

قال سيبويه [٤] : وسألته يعنى الخليل عن قوله ومن دونٍ ، ومن فوق ، ومن تحت ، ومن قبلٍ ومن بعد ، ومن دبرٍ ومن خلف ، فقال : أجروا هذا مَجرى الأسماءِ المتمكنة ؛ لأنها تضاف وتستعمل غير ظرف . ثم قال : وكذلك من أمام ومن قدامٍ ومن وراءٍ ومن قُبُلٍ ومن دُبرٍ . قال : وزعم الخليل أنَّهن نكرات ، كقول أبى النجم .

* يأتى لها من أيمُنٍ وأشمُلِ *

وزعم أنهنَّ نكرات إذا لم يُضَفن إلى معرفة ، كما يكون أيمُنٌ وأشمُلٌ نكرة . وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه . ا هـ .

وقد رفعوا قبل ونحوَه كما فى قوله :

هتكت به بيوت بنى طَريِف
عَلَى ما كان قبلٌ من عتابِ

انتهى ما أورده الشاطبى .

وقسَّموا هذه الظروف على أربعة أقسام :

---

(١) الآية ٤ من سورة الروم . وقراءة الجر مع التنوين هى قراءة أبى السماك والجحدرى وعون العقيلى . تفسير أبى حيان ٧ : ١٦٢ .

(٢) ليس قراءة ، وإنما هو مجرد مثال لاستعمال العرب .

(٣) فى الآيات ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة يوسف . وقراءة الجر مع التنوين هى قراءة الجمهور . وقرأ ابن أبى إسحاق ، والعطاردى ، وأبو الزناد ، ونوح ، والجارود : « من دبر » بالبناء على الضم . تفسير أبى حيان .

(٤) فى كتابه ٢ : ٤٦ .

ما ذكر فيه المضاف إليه نحو : قبل زيد وبعده . فهذا ينصب على الظرفية ، ويجر بمن خاصة .

الثانى : ما حذف منه المضاف إليه ونوى ثبوت لفظه ، فهذا أيضا يعرب كالأوَّل ، إلا أنه لا ينون لنية الإضافة .

الثالث : ما حذف منه المضاف إليه ونُوِىَ معناه لا لفظه ، فهذا يبنى على الضم .

١٣٣ الرابع : ما حذف منه المضاف إليه ولم يُنوَ لا لفظه ولا معناه . فهذا ينوّن ، وتنوينه للتمكين ، وهو نكرة .

وقد تكلم الفراءُ على قبلٍ وبعدٍ (فى تفسيره) فلا بأس بنقل كلامه تبركا . قال : قوله تعالى : ﴿ لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ﴾ القراءة بالرفع من غير تنوين ، لأنهما فى المعنى يراد بهما الإضافة إلى شئ لا محالة ، فلما أدَّيا عن معنى ما أضيفتا إليه وسَمُوهما بالرفع وهما مخفوضتان ، ليكون الرفْع دليلا على ما سقط مما أضفتهما إليه . وكذلك ما أشبههما ، كقول الشاعر :

* إن تأت من تحتُ أجئْها من علُ (١) *

ومثله قول الشاعر (٣) :

إذا أنا لم أومَنْ عليك ولم يكن
لقاؤك إلّا من وراءُ وراءُ

(١) معانى الفراء ٢ : ٣١٩ . وفى اللسان (بعد ٦٠) :
* إن يأت من تحت أجيه من عل *

(٢) هو عتى بن مالك العقيلى . اللسان (ورى ٢٦٩) وابن يعيش ٤ : ٨٧ . وهو من أبيات أربعة فى اللسان أولها :

أبا مدرك أن الهوى يوم عاقل دعانى ومالى أن أجيب عزاء

ترفع إذا جعلته غاية ولم تذكر بعده الذى أضفته إليه ، فإن نويت أن تظهره أو أظهرته قلت : لله الأمر من قبلِ ومن بعد ، كأنَّك [١] أظهرت المخفوض الذى أسندت إليه قبل وبعد . وسمع الكسائىُّ بعضَ بنى أسدٍ يقرؤها : « لله الأمرُ من قبلِ ومن بعدُ » بخفض قبل وبرفع بعد على ما نوى. وأنشدنى هو :

أكابدها حتَّى أعرِّس بعدما
يكون سُحيراً أو بُعَيدَ فأهجعا

أراد : بُعيدَ السَّحر ، فأضمره ، ولو لم يرد ضمير الإضافة لرفع فقال بُعَيدُ . ومثله قول الشاعر [٢] :

فو الله ما أدرى وإنِّى لأوجَلُ
عَلَى أيِّنا تعدو المنيةُ أوَّلُ

رفعت أولُ لأنه غاية . ألا ترى أنها مسندة إلى شئ هى أوّله ، كما تعرِف أنَّ (قَبْلَ) لا يكون إلا قبل شئ ، وأنَّ (بَعْدَ) كذلك . ولو أطلقتهما بالعربية فنوَّنت وفيهما معنى الإضافة فخَفضت فى الخفض ونوَّنت فى النصب والرفع لكان صواباً . قد سُمِع ذلك من العرب ، وجاء فى أشعارها ، فقال بعضهم :

فساغ لىَ الشَّرابُ وكنت قبلاً
أكادُ أُغَصُّ بالماء الحميمِ [٣]

فنوَّن . وكذلك تقول : جئتك من قبلٍ فرأيتك . وكذلك قوله :

---

(١) الكلام بعد البيت السابق الى هنا ساقط من ش .

(٢) هو معن بن أوس . ديوانه ٥٧ والخزانة ٣ : ٥٠٥ بولاق .

(٣) ليزيد بن الصعق كما سبق فى ١ : ٤٢٦ .

* كجلمود صَخرٍ حطَّه السَّيل من عَلِ [(١)] *

فهذا مخفوضٌ ، وإن شئت نوَّنت . وأما قول الآخر :

هتكتُ به بيوتَ بنى طريف
عَلَى ما كان قبلٌ من عِتابِ

فنوَّن ورفع ، فإن ذلك لضرورة الشعر ، كما يضطر إليه الشاعر فينوِّن فى النداء المفرد ، كقوله :

قدِّموا إذ قيل قيسٌ قدِّمُوا
وارفَعُوا المجدَ بأطرافِ الأسَلْ [(٢)]

وأنشدنى بعض بنى عُقيل :

ونحن قتلنا الأُسْدَ أُسْدَ شنوءةٍ
فما شربوا بعدٌ عَلَى لذّة خمرا [(٣)]

ولو ردَّه إلى النصب كان وجها ، كما قال :

* فساغ لى الشرابُ وكنتُ قبلاً *

وكذا النداء لوْ رُدَّ إلى النصب إذا [(٤)] نوِّن كان وجها ، كما قال :

فطِرْ خالداً إن كنتَ تَسْطِيعُ طَيرةً
ولا تقعَنْ إلَّا وقلبُك حاذِرُ

---

(١) لامرئ القيس فى معلقته . وصدره :

* مكر مفر مدبر معا *

(٢) للبيد فى ديوانه ١٩٢ واللسان (قدم ٣٦٧) .

(٣) هو الشاهد الذى نحن فيه .

(٤) ط : إذ ، صوابه فى ش ومعانى الفراء ٢ : ٣٢١ .

ولا تُنكِرنَّ أن تضيف قبل وبعد وأشباههما وإن لم يظهر . إلى آخر
ما نقلناه قبل هذا البيت . انتهى كلام الفراء . ١٣٤

وقد لخَّص هذا الكلامَ أبو إسحاق الزجاجى [١] (فى شرح خطبة أدب الكاتب) وهو عندى بخطه ، وتاريخُ كتابته سنة سبع وسبعين وثلثمائة [٢] ، وقال : هذا الذى اختاره الفرّاء من نصب المنادى المفرد فى ضرورة الشعر هو مذهب أبى عمرو بن العلاء وأصحابه .

والمذهب الأوّل ، وهو رفعه منونا ، هو مذهب الخليل وسيبويه وأصحابه . وذلك أنَّ أبا عمرٍو قال : المنادى المفرد إذا اضطر الشاعرُ إلى تنوينه فسبيله أن ينصبه ، لأنه فى موضع نصب . وإنما بنى على الضم لمضارعته المضمر ، فإذا نوِّن فقد زال عن البناء ، وسَبيلُه أن يرجع إلى أصله .

وقال الخليل : سبيله أن يترك مضموماً وينوّن . وشَبَّهَه بالاسم الذى لا ينصرف إذا نوِّن فى ضرورة الشعر . ومذهب أبى عمرو أقيس ، ولولا كراهة الإطالة لذكرت ما يعتلُّ به الفريقان .

وأنشد البصريون قولَ الأحوص :

سلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها

وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ

فالخليل وأصحابه يروونه : « يا مطرٌ » بالرفع والتنوين ، وأبو عمرو وأصحابه يروونه « يا مطراً » ، بالنصب . قال سيبويه : وكل العرب ينشدون :

---

(١) صوابه « أبو القاسم » . وأما أبو إسحاق فهو كنية شيخه إبراهيم بن السرىّ الزجّاج .

(٢) لا يتفق هذا مع ما ذكر المترجمون أن الزجاجى توفى سنة ٣٤٠ . فلعلها ٣٣٧ .

* يا عَدِيًّا لقلبكَ المهتاج [١] *

بالنصب . انتهى .

قرين الشاهد والبيت الشاهد لم أرَ من عزاه إلى قائله . وأورده الزجاجيُّ (فى شرح تلك الخطبة) مع بيتٍ قبله ، وهو :

(ما من أُناسٍ بينَ مِصرَ وعالج
وأبْيَنَ إلّا قد تركنا لهم وِتْرا)

وعالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل . وأبْيَن بفتح الهمزة وكسرها وسكون الموحدة بعدها مثناة مفتوحة : موضع فى اليمن ، قال أبو عبيد البكرى : هو بكسر الهمزة اسم رجل كان فى الزمن القديم ، وهو الذى تنسب إليه عدن إبْيَن من بلاد اليمن ، هكذا ذكره سيبويه فى الأبنية بكسر الهمزة .

وقال أبو حاتم : سألت أبا عبيدة : كيف تقول ابَين بفتح الهمزة أو بكسرها ؟ قال : أقولهما جميعا . قال الهمدانى : وهو ذو أبين بن ذى يقدم ابن الصَّوأر بن عبد شمس بن وائل بن الغوث . قال الرائش [٢] :

واذكر به سيِّدَ الأقوام ذا بِيَنٍ
من القُدَام وعمراً والفتى الثانى

أراد : ذا إبين . وحمير تطرح مثل هذه الألف فتقول فى اذهَبْ : ذِهَب . اهـ .

---

(١) ط « بقلبك » ، صوابه فى ش .
(٢) فى الأصل : « الرائس » ، وأثبت ما فى معجم ما استعجم ١ : ١٥٣ .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : أبين بفتح أوله ويكسَر ، ويقال يبين . وذكره سيبويه فى الأمثلة بكسر الهمزة (١) ، ولا يعرف أهل اليمن غير الفتح ، وهو مخلاف باليمن ، منه عدن ، يقال إنّه سمِّى بأُبين بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن حمير بن سبأ . وقال الطبرى : عدن وأبين : ابنا عدنان .

وأنشد الفراء :

* مامِن أناسٍ بين مصرَ وعالجٍ * البيتين .

وقال عمارة بن الحسن اليمنى : أبين : موضع فى جبل عدن . ا هـ .

والوتر ، بفتح الواو وكسرها : الجناية التى يَجنيها الرجلُ على غيره مِن قتلٍ أو نهب أو سبى . والأزد ، ويقال الأسد بإبدال الزاى سينا : أبو حىٍّ من اليمن ، وهو أزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن كهلان بن سبأ . وهم فرق : فرقة يقال لها أزد شنوءة ، وأخرى أزد عمان ، وأخرى أزد السَّراة . فلما كان الأزد يجمع قبائل شتى بَيَّنَ المراد منه بقوله أزْد شنوءة .

والشنوءة بالهمزة على وزن فَعولة ، ومعناه التقزُّز وهو التباعد من ١٣٥
الأدناس . تقول : رجل فيه شَنوءة أى تقزُّز . قال فى الصحاح : ومنه أزد شنوءَةَ ، وهم حىٌّ باليمن ينسب إليهم شنائى . قال ابن السكيت : ربَّما قالوا أزد شَنُوَّة بالتشديد غير مهموز ، وينسب إليها شَنَوىّ . قال :

نحن قريش وهم شَنُوَّه بنا قريشا خُتم النبوّه

ورواه ابن سيده (فى المحكم) ، وتبعه العينى :

* ونحن قتلنا الأسد أُسدَ خَفِيَّة *

---

(١) انظر سيبويه ٢ : ٣١٦ بولاق و ٤ : ٢٤٥ من نسختى .

وهذا تحريف قطعاً ، ولا يلائمه ما بعده . وخفية بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء : اسم موضع كثير الأسُود . قال العينى : وأسد خفية بدل من الأُسد ، ولم يبيِّن هل هو بدل كل أو بدل بعض بتقدير العائد ، أى منهم ، والظاهر أنَّه بيان له . وبعداً ظرف لشربوا . والأصل عند الشارح المحقق بعد قتلنا إياهم ، فحذف المضاف إليه وعوِّض عنه التنوين .

* * *

وأنشد بعده :

(فساغ لىَ الشَّرابُ وكُنتُ قبلا أكاد أغَصُّ بالماءِ الحميمِ)

على أنَّ الأصل : قبل هذا ، فحُذف المضاف إليه وعُوِّض عنه التنوين . وعند الجمهور : التنوين للتمكين وهو نكرة ، فمعنى كنتُ قبلا : كنت متقدِّما . ومعنى فما شربوا بعداً : ما شربوا متأخِّرا ، ولا ينوى تقدُّمٌ ولا تأخُّر على شئ معين ، وإنَّما المراد فى هذه الحالة مطلقُ التَّقدُّم والتأخر من حيث هو . وأما فى حال الإضافة فالنية بهما التقدُّم والتأخُّر على شئ بعينه . قاله الدمامينى .

والبيت قد تقدَّم شرحُه مستوفًى فى الشاهد التاسع والستين [(١)] .

* * *

وأنشد بعده :

(خالط من سَلْمَى خياشِيمَ وفا)

على أنّ الأصل : وفاها ، فحذف المضاف إليه .

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين [(٢)] من باب

(١) الخزانة ١ : ٤٢٦ .

(٢) الخزانة ٣ : ٤٤٢ .

الاستثناء ، وبعد الشاهد الثانى والعشرين بعد الثلثمائة من باب الإضافة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الأربعمائة (١) :

٤٩٤ (إنِّى أَتَتْنِى لسانٌ لا أُسَرُّ بها
من عَلو لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ)

على أنَّه روى (علو) مثلث الواو .

قال صاحب الصحاح : وعلو بتثليث الواو : أى أتانى خبرٌ من أعلى نجد . وقال أبو عبيدةَ : أراد العالية . وقال ثعلب : أى من أعالى البلاد . وأنَّث اللسان لأنَّه بمعنى الرسالة هنا ، لأنَّ الشاعر كان أتاه خبرُ قتلِ أخيه المنتشر . والسَّخَر بفتحتين وبضمتين : الاستهزاء . يقول : لا عجَبَ من هذه الرسالة وإن كانت عظيمة ، لأنَّ مصائب الدنيا كثيرة ، ولا سَخَر بالموت . وقيل : معناه لا أقول ذلك سخرية .

والبيت مطلع قصيدةٍ لأعشى باهلة ، رثَى بها أخاه المنتشرَ بنَ وهب الباهلى . وقد شرحنا القصيدة برمَّتها وما يتعلَّق بها على سبيل الاستقصاء فى الشاهد السابع والعشرين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (٣) :

---

(١) نوادر أبى زيد ٣٧ وابن يعيش ٤ : ٩٠ وجمهرة القرشى ١٣٦ والأصمعيات ٨٨ .

(٢) الخزانة ١ : ١٨٥ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٦٠ . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٨ والهمع ٢ : ٥١ .

٤٩٥ (بآيةِ يُقْدِمون الخيلَ شُعثاً
كأنّ على سنَابكها مُدَاما)

١٣٦ على أنَّ آية تضاف فى الأغلب إلى الفعلية مصدرة بحرف المصدر ، ومن غير الأغلب أن تضاف إليها بدونه كهذا البيت .

وهذا خلاف مذهب سيبويه ، فإنّ آية عنده لا تضاف إلى الفعلية إلّا بدون حرف المصدر . وهذا نصُّه : ومما يضاف إلى الفعل أيضا آية ؛ قال الأعشى :

* بآية يقدمون الخيل شعثا * .. .. البيت

وقال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق :

ألا مَنْ مبلغٌ عنِّى تميما بآيةِ ما يحبُّون الطَّعاما

فما لغوٌ . انتهى .

وذهب ابن جنى إلى أنَّ آية إنَّما تضاف إلى مفرد نحو : ﴿ إنَّ آيةَ مُلْكِه أن يأتِيَكُمُ التَّابوتُ [1] ﴾ ، وقال : الأصل بآية ما تقدمون ، أى بآية إقدامكم ، كما قال :

* بآية ما يحبُّون الطعاما *

ويؤخذ من تقريره أنَّ تُقْدِمون بالخطاب ، والمشهور أنَّه بالغيبة ، وعليه المعنى .

---

(١) الآية ٢٤٨ من البقرة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : فيه حذفُ موصول حرفيّ غير أنْ وبقاءُ صلته . ثم هو غير متأتٍ فى قَوله :

* بآية ما كانوا ضعافا ولا عزلا (١) *

وتكلّف الدّمامينى فقال : بل هو متأتٍ بأن تكون ما مصدرية ، ولا النافية محذوفة لدَلالة ما بعدها عليها ، والمعنى بآية كونهم لا ضعافا ولا عزلا .

ثم قال ابن هشام : ومذهب سيبويه أنَّ آية مما يضاف جوازاً إلى الجملة الفعلية المتصرِّفِ فعلُها ، سواء كان مثبتا كالبيت الشاهد ، أو منفيا بما كقوله :

* بآية ما كانوا ضعافا ولا عزلا * انتهى .

وكذا قال صاحب المفصل إنَّ آية مما يضاف إلى الفعل . قال النحاس : قال أبو إسحاق : لأنَّ معنى آية علامة من الزّمان ، وأضيف الفعل إلى الزمان ، لأنَّ الفعل من أجل الزمان ذكر . وكان أبو إسحاق يرى أنّه حكاية . وقال غيره : المراد المصدر . وقال المبرد فى إضافة آية إلى الفعل : إنّه بَعيد ، وجاز على بُعده للزوم الإضافة ، لأنَّ آية لا تكاد تفرَد إذا أردت بها العلامة . انتهى .

وفيه أنَّ أكثر ما وُجدت فى القرآن بهذا المعنى مفردةً عن الإضافة ، قال تعالى : ﴿ وآيةٌ لهمُ الليلُ نَسْلَخُ منه النَّهارَ (٢) ﴾ ، ﴿ وآيةٌ لهم أنّا حملنا ذرِّيّتَهُمْ (٣) ﴾ .

---

(١) لعمرو بن شأس . وهو من شواهد سيبويه ١ : ١٠١ وصدره :

* أَلِكْنِى إلى قومى السلامَ رسالة *

(٢) الآية ٣٧ من سورة يس .

(٣) الآية ٤١ من سورة يس .

وقال الأعلم : الشاهد فيه إضافة آية إلى يقدمون على تأويل المصدر ، أى بآية إقدامهم الخيل . يريد أنّ المعنى عليه ، لأنّ الفعل مؤوّل بحرف مصدر مقدّر ، إذ الفرض أنّه مضافٌ إلى الجملة من دون سابك .

ثم قال الأعلم : وجاز هذا فيها لأنّها اسمٌ من أسماء الفعل ، لأنّها بمعنى علامة ، والعلامة من العَلَم ، وأسماء الأفعال تضارع الزمان ، فمن حيث جاز أن يضاف الزمان إلى الفعل جاز هذا فى آية ، وكأنَّ إضافتها على تأويل إقامتها مقام الوقت ، كأنه قال : بعلامة وقتِ يقدمون . يقول : أبلغهم عنِّى كذا بعلامة إقدامهم الخيل للِّقاءِ شعثاً متغيِّرة من السَّفر والجَهْد . وشبَّه ما ينصبُّ من عرقها ممتزجاً بالدم على سنابكها بالخمر . والسنابك : جمع سنبك ، وهو مقدم الحافر . انتهى .

أراد أنَّ ذلك لمَّا صار عادةً وأمراً لازماً صار علامة . وكأنَّ الشاعر لمّا حَمَّلَ إنساناً أن يبلِّغ قوماً رسالته قال له ذلك الانسان : بأى علامة يُعرف هؤلاء القوم ؟ فقال : بعلامة تقديمهم الخيل إلى الحرب . أى إذا رأيت قوماً بهذه الصفه فأبلغ رسالتى . والشُّعث : جمع أشعث ، وهو المغبرُّ الرأس . قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : ضمير يقدمون ضمير غيبة يعود على تميم المذكورينَ قبله ، وهو :

١٣٧ ألا من مبلغٌ عنِّى تميما بآيَةِ ما يحبُّون الطَّعاما

وهذا لا يصحُّ ؛ فإنّ كل بيت منهما من شعرٍ آخر ، وليسَا من قصيدةٍ لقائل واحد .

والبيت الشاهد لم أرَهُ منسوباً إلى الأعشى إلا فى كتاب سيبويه ، وفى غيره غير منسوب إلى أحد . والله أعلم به .

وقد تكلم على معنى الآية أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى ، فيما كتبه على إصلاح المنطق لأبى يوسف بن السكيت (من كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) قال أبو يوسف : وقد تأيَّيته : تعمَّدت آيته أى شخصه . وحكى لنا أبو عمرو : يقال خرج القوم بآيتهم ، أى بجماعتهم [١] ، أى لم يَدَعوا وراءهم شيئاً . وأنشدنا لبُرج بن مُسهِر :

خرجنا من النعتين لا حيَّ مثلُنا   بآيتنا نزْجى اللقاحَ المطافلا [٢]

قال : ومعنى آية من كتاب الله أى جماعة حروفه . قال أبو القاسم : قد أفسد أبو يوسف صحيح قوله الأول بقول أبى عمرو فى معنى الآية من كتاب الله ، وإنما الآية العلامة لا جماعة حروف . وكذلك قال ابن دريد : والآية من القرآن الكريم كأنَّها علامةٌ لشئ ، ثم يخرج منها إلى غيرها . وكذلك قال فى بيت البُرج ، أى خرجوا بجماعتهم وبما يستدلّ به عليهم من متاعِهم . ويقال هذه آية كذا ، أى علامة كذا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أتبْنُونَ بكل رِيعٍ آيةً تعبثُون [٣] ﴾ ، أى أَمَرَةً وعلامة ، ومنه قول الشاعر :

بآيةِ يُقدِمون الخيل زُوراً   تُسَنُّ على سنابكها القُرونُ

وقال آخر :

بآية يقْدِمون الخيلَ زُوراً   كأنَّ على سَنابكها مُداما

وقال آخر :

أَلا أبلغْ لديكَ بنى تميم   بآية ما يحبُّون الطعاما

(١) الكلام من هنا إلى « بجماعتهم » التالية ساقط ش .

(٢) فى التنبيهات ٣٠٨ : « من النقبين » ، وهو الأشبه .

(٣) الآية ١٢٨ من الشعراء .

وقال المفسِّرون فى قوله تعالى : ﴿ ربِّ اجعلْ لى آية [١] ﴾ ، قالوا : علامةً أعلم بها وقوعَ ما بُشِّرتُ به .

وكذلك قالوا فى قوله سبحانه : ﴿ قال آيتُكَ أن لا تُكلِّمَ النَّاسَ [٢] ﴾ أى تُمنَع الكلامَ وأنت سَوِىّ ، فتعلم بذلك أن الله قد وهب لك الولد . فكان ذلك من فعل الله به علامة دالة على صحة ما بشَّره به من أمر يحيىَ عليه السلام .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ واضمُمْ يَدك إلى جَنَاحِكَ تَخرجْ بيضاءَ من غَيرِ سُوءٍ آيةً أخرى [٣] ﴾ قال المفسرون : كانت فى قلب العصا آيةٌ دالة على وحدانية الله تعالى . ثم أمره بضم يده وأعلمه أنَّها [٤] تخرج [بيضاء [٥]] من غير بَرَص ، وأن تلك آية أخرى دالة على ما دَلَّتْ عليه الآية الأخرى [٦] .

فأصلُ الآية العلامة ، فكأنَّ الآية من كتاب الله علامةٌ يفضَى منها إلى غيرها ، كأعلام الطريق المنصوبة للهداية . قال الشاعر :

* إذا مضى عَلَمٌ منها بدا عَلَمُ [٧] *

ولما كانت الآية هى العلامة الدالة عَلَى الشَّئ سمَّوْا شخصَ الشئ آيته ، وقالوا : تآيَيته عَلَى وزن تفاعلته ، إذا تعمّدتَ آيته . وكذلك آيات الله

(١) الآية ٤١ من آل عمران .
(٢) من الآية السابقة .
(٣) الآية ٢٢ من طه .
(٤) ط : « أنه » صوابه فى ش والتنبيهات ٣١٠ .
(٥) التكملة من التنبيهات .
(٦) فى التنبيهات : « الأولى » .
(٧) وكذا فى التنبيهات ٣١٠ . والمعروف أن من شواهدهم قول جرير :

* إذا قطعن علما بدا علم *

التى ضربَها لعباده أمثالا ، فقال عز من قائل : ﴿ ومن آياتِهِ أن تقومَ السَّماء والأرضُ بأمره [١] ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وانظُرْ إلى حمارِكَ ولِنجعلَكَ آيةً للناس [٢] ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ لقد رأى مِنْ آياتِ ربِّه الكبرى [٣] ﴾ . ١٣٨
وقال تقدّست أسماؤه : ﴿ لنرِيَكَ مِن آياتِنا الكُبرى [٤] ﴾ فى أمثال هذه الآيات . وكلها بمعنى الدلائل والعلامات الدالة على صُنع اللطيف الخبير . ولا وجه لما قاله من جماعةِ الحروف . وإن قاله غيره ، فهو قولٌ غير مقبول [٥] . انتهى ما ساقه أبو القاسم .

وقد اختلف فى أصلها على ستة أقوال :

أحدها : أن أصلها أَيَيَة كقَصَبة ، فالقياس فى إعلالها أياة ، فتصحُّ العين وتُعلّ اللام ، ولكن عكسوا شذوذا فأعلُّوا الياء الأولى لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها دون الثانية . وهذا قول الخليل .

الثانى : أن أصلها أَيْيَة بسكون العين كحيّة فأُعِلّت بقلب الياء الأولى اكتفاء بشطر العلة وهو فتح ما قبلها فقط دون تحركها . قاله الفراء ، وعُزىَ لسيبويه ، واختاره ابن مالك . وقال : إنه أسهل الوجوه ، لكونه ليس فيه إلّا الاجتزاء بشطر العلة . وإذا كانوا قد عوّلوا عليه فيما لم يجتمع فيه ياءان نحو طائى [٦] ، وسمع : اللهم تقبل تابتى وصامتى [٧] ، ففيما اجتمع فيه ياءان أولَى لأنّه أثقل .

---

(١) الآية ٢٥ من الروم .

(٢) الآية ٢٥٩ من البقرة .

(٣) الآية ١٨ من النجم .

(٤) الآية ٢٣ من طه .

(٥) فى التنبيهات : « ولا أعلم أن أحدا قاله سواه ، فإن كان قاله غيره فهو قول غير مقبول » .

(٦) هذا هو المسموع فى النسبة إلى طيِّئ ، وقياسه : طَيْئِىٌّ . وانظر اللسان .

(٧) أى توبتى وصومتى . وأنشد فى اللسان .

تبت إليك فتقبل تابتى وصمت ربى فتقبل صامتى

الثالث : أنّ أصلها آيِيَة كضاربة ، حذفت العين استثقالا لتوالى ياءين أولاهما مكسورة ، ولذلك كانت أولى بالحذف من الثانية . قال الكسائى : وردَّ بأنه كان يلزم قلب الياء همزة لوقوعها بعد ألف زائدة فى قولهم : آى .

الرابع : أنّ أصلها أَيُيَة بضم الياء الأولى كسمُرَة ، فقلبت العين ألفاً . وردَّ بأنه كان يجب قلب الضمة كسرة .

الخامس : أنّ أصلها أيِية بكسر الياء الأُولى كنَبِقة ، فقلبت الياء الأولى ألفا . وردَّ بأن ما كان كذلك يجوز فيه الفكُّ والإدغام ، كحَيِيَ وحىّ .

السادس : أن أصلها أَيَيَة كقصَبة كالأول ، إلا أنَّه أعلت الثانية على القياس ، فصار أياة كحياة ونواة ، ثم قدمت اللام إلى موضع العين ، فوزنها فَلَعة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (٦) :

٤٩٦ (ألا مَنْ مبلغٌ عنِّى تميماً   بآيِةِ ما يحبُّون الطَّعاما)

على أن (آية) تضاف فى الأغلب إلى الفعلية مصدَّرة بحرف المصدر ، كما فى البيت ، فإنّ ما مصدريَّةٌ تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بإضافة آية إليه .

وهذا خلاف مذهب سيبويه : فإنَّ « ما » عنده زائدة ، وآية مضافة إلى الفعل ، ولا تأويل بمصدر صناعة . قال النحاس : ما عند سيبويه لغو . وقال المبرد : ما والفعل مصدر . وأنكر ما قاله سيبويه .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٦٠ . وانظر الكامل ٩٨ وشرح شواهد المغنى ٢٨٣ والهمع ٢ : ٥١ .

وقال ابن هشام (فى المغنى) فى حذف ما المصدرية من الباب الخامس : « الصواب أنّ ما مصدرية » . وهذا يُشعر أنّ مذهب سيبويه خطأ . وليس هذا بِصواب ، فكان اللائق أن يقول « والصحيح » ، أو يقول : « وعندى » ، أو « وعند غيره » .

قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة آية إلى يحبون ، وما زائدة للتوكيد . ويجوز أن تكون ما مع الفعل بتأويل المصدر ، كإضافتها إلى سائر الأسماء . انتهى .

ومفعول مُبْلغ محذوف ، أى رسالة ، كأنّه لما قال : من مبلغٌ تميما عنى رسالة قيل له : بأىِّ علامةٍ يعرفون ؟ فقال : بعلامة حبِّهم الطعامَ وحرصِهم عليه . يريد : إذا رأيت قوماً يحبُّون الطعام فاعلم أنّهم تميم ، فبلِّغهم رسالتى .

وقولُ الزمخشرى (فى شرح أبيات سيبويه) : ما زائدة ، أى بعلامة ١٣٩
مَحَبَّتكم الطعام ، يُشعِر أنَّ تحبُّون بالخطاب . وليس كذلك ، وإنّما هو بالغيبة .

وروى صدَره المبرد (فى الكامل) :

ألا أبْلغ لدَيكَ بنى تميم بآية ما يحبُّون الطَّعاما (١)

قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) هذا من الغلط ، إنّما الرواية :

* بآيةِ ما بِهمْ حبُّ الطعامِ *

وبعده :

(أجارَتْها أُسيِّد ثم أودت بذات الضَّرع منها والسَّنامِ)

(١) الكامل ٩٨ ليبسك

وليس أبو العباس المبرد بأوّلِ مَن غلط فيه من النحويين . انتهى .

وعليه لا شاهد فيه . وهذا يؤيد قول سيبويه ، فإنّ ما موصولة وحبُّ الطعام مبتدأ والظرف قبله خبره ، والجملة صلة الموصول .

و (فى شرح شواهد المغنى للسيوطى) : قال أبو محمد السيرافى : وفى شعره ، يعنى يزيد بن عمرو بن الصعق :

ألا أبلغ لديك بنى تميم   بآية ذِكرِهمْ حُبَّ الطعامِ
أجارَتْها أُسَيِّدُ ثم غارت   بذات الضَّرع منه والسَّنامِ

وسببه أن بنى عوف بن عمرو بن كلاب جاوروا بنى أُسيِّد بن عمرو ابن تميم ، فأجلَوْهم عن مواضعهم ، فقال يزيد هذا الشعر .

و (فى أيَّام العرب لأبى عبيدة) : نزل يزيد بن الصعق قريباً من بنى أسيِّد بن عمرو بن تميم ، واستجارهم لإبله ، فأجاروه ، ثم أغار عليه ناسٌ منهم فذهبوا بها ، فقال يزيد هذين البيتين . انتهى .

وعلى هذه الرواية أيضاً لا شاهد فيه ، وحبَّ منصوب بنزع الخافض ، أى بآية ما يُذْكرون بحبِّ الطعام .

وقول السيرافى : « وفى شعره » ، يوهم أنَّ هذا الشعر غير البيت الشاهد ، وليس كذلك ؛ فإنَّ الشعر واحد والقافية مجرورة .

وقد ردَّ عليه أوس بن غلفاء الهُجَيمى من قصيدة :

فإنَّك من هجاءِ بنى تميم   كمزداد الغرام إلى الغرامِ [1]

---

(١) المفضليات ٣٨٨ والكامل ٢٧٥ .

هُمُ تَرَكوكَ أسلحَ من حُبارى رأت صقراً وأشردَ من نعامِ
وهمْ ضربوكَ أمَّ الرأس حتى بدت أمُّ الشؤُون من العِظامِ
إذَا يأسونها جَشَأتْ إليهمْ شَرَنبثَة القوائم أمَّ هامِ

قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : الذى ضرب يزيد على رأسه الحارث بن حَصبة ، أو طارق بن حَصبة – الشك من أبى عبيدة – ضربهُ يوم ذى نَجَب [١] وأسره ، فقال تميم لابن أبى جُويرية التميمى ، وكان نِطاسيًّا ، أى طبيبا : انظُرْ إليه فإن كنت ترجوه لن نطلقه [٢] حتى يعطينا الرضا فى فدائه . فإن خفت عليه قَنِعنا منه بأدنى شئ . فأعطاه يزيد شيئاً على أن يخبره بأنه يَخاف عليه ، فأخذوا منه شيئاً يسيراً وأُطلقوه . إنتهى .

وقوله : « أجارتْها أسيِّد ثم أودت » إلخ أجاره : التزمَ له ذِمَّة المجاورة . والضمير للإبل . و « أودت بذات الضَّرع » : أى أهلكتها . وروى بدله : « غارت » : أى أتت الغَور بها . وإنّما جعل حبَّ الطعام آية لبنى تميم يعرفون به لما كان من أمرهم فى تحريق عمرو بن هند إياهم ، ووفود البرجُمىّ عليه لما شمَّ رائحة المحرَّقين ، فظنهم طعاماً يُصنع ، فقُذِف به إلى النار . ١٤٠

قال المبرد (فى الكامل) . وكان سبب ذلك أنَّ أسعد بن المنذر ، أخا عمرو بن هند ، كان مسترضعا فى بنى دارم فى حِجْر حاجب بن زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وانصرف ذاتَ يوم من صيدٍ وبه نبيذ ،

(١) فى النسختين : « جب » ، صوابه بالنون ، كما فى معجم البلدان (نجب) . وانظر الميدانى ٢ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٦ . وفى الميدانى : « بتحريك النون والجيم مفتوحهما : يوم لبنى تميم على عامر بن صعصعة » .

(٢) كذا فى النسختين . والوجه : « فلن نطلقه » .

فعبِثَ كما تعبَث الملوك ، فرماه رجلٌ من بنى دارم بسهم فقتله ، ففى ذلك يقول عمرو بن مِلقط الطائى لعمرو بن هند :

فاقْتُلْ زرارةَ لا أرى في القوم أوفَى مِن زُراره

فغزاهم عمرو بن هندٍ فقتلَهم يوم القُصَيبة ، ويوم أُوارة . وفى ذلك يقول الأعشى :

وتكون فى الشَّرف الموا زِى مِنقراً وبنى زُراره
أبنـــاءُ قوم قُتِّلـــوا يومَ القصَيبـــة والأواره

ثم أقسمَ عمرو بن هندٍ ليحرِّقنَّ منهم مائة ، فبذلك سمى محرِّقا ، فأخذ تسعة وتسعين رجلا فقذفَهم فى النار ، ثم أراد أن يبرَّ قسمه بعجوزٍ منهم لتكمُل العِدّة (١) ، فلَّما أمر بها قالت العجوز : ألا فتىً يفدِى هذه العجوزَ بنفسه ! ثم قالت : « هيهاتَ ، صارت الفِتيانُ حُمَماً ! » . ومَرَّ وافدٌ للبراجم (٢) فاشتمَّ رائحة اللَّحم ، فظنَّ أنَّ الملك يتَّخذ طعاماً فعرَّج عليه ، فأتِيَ به فقال له : من أنت ؟ فقال : أبيتَ اللعن ، أنا وافدُ البراجم . فقال عمرو : « إنَّ الشقىَّ وافدُ البراجم » ! ، ثم أمر به فقُذِفَ فى النَّار . ففى ذلك يقول جريرٌ يُعيِّر الفرزدق :

أينَ الذين بنار عمرٍو حُرِّقوا أم أينَ أسعدُ فيكمُ المسترضَعُ

وقال الطِّرمَّاح :

ودارمٌ قد قذفنا منهمُ مائةً
فى جاحِم النار إذْ ينزُون بالجَدَدِ
يَنْزُون بالمشتوَى منها ويُوقدها
عمروٌ ، ولولا شحومُ القوم لم تَقِدِ

---

(١) فى الكامل : « لطمع » .
(٢) فى الكامل : « وافد البراجم » .

ولذلك عُيِّرت بنو تميم بحبِّ الطعام ، يُعنى كطمع [١] البرُجُميَّ فى الأكل . قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، أحد بنى عمرو بن كلاب :

أَلَا أَبلغْ لديكَ بنى تميم ... بآيةِ ما يحبُّون الطَّعاما

وقال آخر [٢] :

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم ... فسرَّكَ أَن يعيشَ فجِئْ بزادِ
بخبزٍ أَو بلحم أَو بتمرٍ ... أَو الشَّىء الملفَّفِ فى البِجادِ
تراه ينقِّب البطحاءَ حولاً ... ليأْكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادِ

انتهى ما أورده المبرد .

قال ابن رشيق (فى العمدة) : زعم أبو عبيدة أنَّ من زعم أنَّه أَحرقهم فقد أَخطأ ، فذُكِرَ له شعرُ الطِّرمّاح فقال : لا علم له بهذا . واستشهد بقول جرير :

أَين الذين بسَيف عمرٍو قُتِّلوا
أَم أين أَسعدُ فيكم المسترضَعُ . انتهى

وهذه الرواية للبيت غير رواية المبرد .

وروى صاحب الأغانى خبر هذا اليوم بسنده إلى هشام بن الكلبى عن أَبيه وغيرِه من أَشياخ طيِّئ ، بأبسط من رواية المبرد ، مع مخالفة [٣] قال : ١٤١

(١) فى الكامل ٩٨ : « لطمع » .

(٢) فى حواشى الكامل : « ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبى مهوش الفقعسى . وذكر دعبل أنه لأبى الَهَوَس الأسدى » .

(٣) الأغانى ١٩ : ١٢٧ .

يوم أوارة

كان من حديث يوم أوارة أنَّ عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند ، كان يُعرف بأمِّه هندٍ بنت الحارث الملك المقصور بن حجر آكل المرار الكندى ، وهو الذى يقال له مضرِّط الحجارة – أنه كان عاقَد هذا الحَىَّ من طيِّئ على أن لا يُنازِعوا ولا يفاخروا ولا يُغِيروا .

وأنَّ عمرو بن هندٍ غزا اليمامة فرجع مُنْفِضا فمرّ بطيِّئ ، فقال له زُرارة ابن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلى : أبيتَ اللّعن ، أصبْ من هذا الحيِّ شيئاً . قال له : ويلك إنّ لهم عَقداً . قال : وإن كان . فلم يزَل به حتى أصاب مالا ونسوة وأذواداً ، فذمَّه قيس بن جِروة الطائى بقصيدة على نقض عهده ، فبلغت عمرو بن هند فغزا طيِّئا . فأسر أسرى من طيِّئ ، وهم رهط حاتم بن عبد الله ، وفيهم قيس بن جحدر ، وهو جدُّ الطرماح بن حكيم ، وهو ابن خالة حاتم ، فوفدَ حاتمٌ إلى عمرو بن هند فوهَبهم له .

ثم إنَّ المنذر بن ماء السماء وضع ابناً له صغيرا ، ويقال بل كان أخاهُ صغيرا [١] يقال له مالك عند زرارة ، وإنَّه خرج ذات يوم يتصيَّد فأخفق ولم يصبْ شيئا ، فمرّ بإبلٍ لرجل من بنى عبد الله بن دارم يقال له سُويدٌ . وكانت عند سويد ابنةُ زرارة بن عدس ، فولدت له سبعةَ غِلمة ، فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى ، وسويدٌ نائم ، فلمَّا انتبه شدَّ على مالكٍ بعصاً فضربه فأمَّه [٢] . ومات الغلام ، وخرج سويدٌ هاربا حتَّى لحق بمكة وعلم أنه لا يأمن ، فحالف بنى نوفل بن عبد مناف ، فاختطَّ بمكة ، وكانت طِيِّئ تطلب عثَراتِ زُرارة وبنى أبيه حتَّى بلغهم ما صنعوا بأخى الملك ، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلقط الطائى يقول :

---

(١) فى الأغانى : « ويقال بل كان أخا له صغيرا » .

(٢) أمه يؤمه : أصاب أم رأسه ، وهى الدماغ .

مَن مبلغٌ عَمراً بأ نَّ المرءَ لم يُخلَق صُبارِه
وحوادثُ الأيّام لا يبقَى لها إلَّا الحجاره
أنَّ ابنَ عِجزةِ أمّه بالسَّفح أسفلَ من أُوَاره
تَسفِي الريَّاحُ خلال كشـ ـحَيه وقد سَلبُوا إزارَه
فاقْتُل زُرارَة ، لا أرى فى القوم أوفَى من زُراره

والصُّبارة بالضم : الحجارة ، وقيل بالفتح جمع صَبَار ، والهاء لجمع الجمع ، لأنَّ الصَّبَار جمع صَبرة بالفتح ، وهى حجارة شديدة . كذا فى الصحاح . وأوارة بالضم : اسم ماء وإليه نسب ذلك اليوم . والعِجزة بالكسر : آخر ولد الرجل ، عنى به أخاهُ . ويقال لأوّل ولد الرجل : زُكمةٌ بالضم .

فلمَّا بلغ الشعرُ عمرَو بن هند بكى حتَّى فاضت عيناه ، وبلغ الخبر زرارة فهرب ، وركب عمرو بن هندٍ فى طلبه فلم يَقْدِرْ عليه ، فأخذ امرأته وهى حُبلى وقال : ما فعل زرارةُ الغادر الفاجر ؟ قالت : إن كان ما علمتُ الطيِّبَ العَرَق (١) ، السمينَ المرق ، يأكل ما وجد ، ولا يَسأل عما فقد ؛ لا ينام ليلة يَخاف ، ولا يشبَع ليلة يُضاف ! فبقَر بطنها ، فقال قومُ زرارة لزرارة : والله ما قتلتَ أخاه ، فأتِ الملك فاصدُقْه الخبَر . فأتاه زرارة فأخبَره الخبر فقال : جئنى بسويد . فقال : قد لحق بمكة . فقال : علىّ بَبنيه . فأتاه ببنيهِ السبعة وهم غِلمَةٌ ، فتناولوا أحدَهم فضُرِبَتْ عنقه ، وتعلَّق بزرارة الآخرون ، فتناولوهم وقُتلوا ، وآلى عمرو بن هند ليحرِّقنّ من بنى حنظلةَ مائة رجلٍ ، فخرج يريدُهم ، وبعثَ على مقدِّمته عمرو بن مِلقطٍ الطائى ، فأخذ منهم ١٤٢
ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية البحرين فحبَسهم ، ولحقه عمرو بن

(١) فى النسختين : « قالت ما علمت مكانا لطيب العرق » ، صوابه من الأغانى ١٩ : ١٢٩ .

هند حتى انتهى إلى أوارة ، فأمر لهم بأخدودٍ ثم أضرمَه ناراً ، وقذف بهم فيها فاحترقوا ، وأقبل راكبٌ من البراجم – وهم بطن من بنى حنظلة – عند المساء لا يدرى بشيء مما كان فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك ؟ فقال : حبُّ الطعام ، قد أقويتُ ثلاثًا لم أذُقْ طعاماً ، فلمَّا سطع الدُّخان ظننته دُخانَ طعام . فقال له عمرو : ممَّن أنت ؟ قال : من البراجم . فقال عمرو : « إنَّ الشقى وافدُ البراجم » ، فذهبَتْ مثلاً . ورمى به فى النار . فهجت العربُ تميما بذلك ، فقال ابن الصَّعِق العامرى :

ألا أبلغْ لديكَ بنى تميم بآيةِ ما يحبُّون الطَّعاما

وأقامَ عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أبيتَ اللعن ، لو تحلَّلْتَ بامرأة منهم ! فدعا بامرأة منهم فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا الحمراء ابنة ضَمرَة بن قطَن بن نهشل . فقال : إنِّى لأظنُّكِ أعجميَّة . فقالت : ما أنا بأعجمية ، ولا ولدتنى العَجَم :

إنِّى لَبنتُ ضَمرة بنِ جابر
سادَا معدًّا كابراً عن كابرِ
إنِّى لَأختُ ضَمرة بن ضَمرَهْ
إذا البلادُ لُفِّعَتْ بغمرهْ (٢)

فقال عمروٌ : والله لولا مخافة أن تلدى مِثلَكِ لصرفتك عن النّار ! قالت : أمَا والذى أسأله أن يَضع وسادك ، ويخفضَ عِمادك ، ويسلبَك مُلكك (٣) ، ويقرِّب هُلكَكَ ، ما أُبالى ما صنعتَ ! فقال : اقذِفوها فى النار :

---

(١) ط : « راكب البراجم » ، وأثبت ما فى ش والأغانى . وهو الموافق لما فى كتب الأمثال .

(٢) فى الأغانى : « بجمره » .

(٣) بعده فى الأغانى : « ما قتلت إلاّ نساء أعاليهن ثُدى ، وأسافلهن دُمِىّ . قال : اقذفوها فى النار » . الثدى : جمع ثدى . والدمى : جمع دم .

فأحرقت . انتهى ما أورده صاحب الأغانى مختصرا .

تتمـــة

قال ابن قتيبة (فى خطبة أدب الكاتب) : مازح معاويةُ بن أبى سفيان الأحنف بن قيس ، فما رُئِي مازحان أوقرُ منهُما ، فقال له : يا أحنف ما الشيءُ الملفَّف فى البجاد ؟ فقال : السخينة يا أمير المؤمنين .

أراد مُعاوية قولَ الشاعر :

إذا ما مات ميتٌ من تميم
فسرَّك أن يعيشَ فجىءْ بزادِ
بخبزٍ أو بتمر أو بسمْنٍ
أو الشيء الملفَّف فى البِجادِ
تراه يُطوِّفُ الآفاقَ حرصاً
ليأكل رأسَ لقمانَ بنِ عادِ

والملفَّف فى البجاد : وطب اللبن . وأراد الأحنف أنَّ قريشا كانت تعيَّر بأكل السخينة ، وهى حَسَاء من دقيق يُتَّخَذ عند غلاء السعر وعَجَف المال ، وكلَب الزمان . انتهى .

قال ابن السِّيد فى شرحه : هذا الشعر ليزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، وذكر الجاحظ أنّه لأبى المهوِّش الأسدِىّ . والذى اقتضى ذكرَ الشىءِ الملفّف فى البجاد وذكرَ السخينة فى هذه الممازحة ، أنَّ معاوية كان قرشيًّا ، وكانت قريشٌ تُعَيَّر بأكل السخينة . وكان السَّبب فى ذلك أنَّ النبى ﷺ لمَّا بُعِث

فيهم فكفروا به دعا الله عليهم ، وقال : « اللهم اشْدُدْ وطأتك على مضرَ ، واجعلها عليهم سنينَ كسِنِي يُوسُفَ ! » . فأُجدبوا سبعَ سنين ، فكانوا يأكلون الوبرَ بالدم ويسمُّونه العِلهِز . وكان أكثر قريش إذْ ذاك يأكلون السخينة ، فكانَت قريش تلقّب سخينة ؛ ولذلك يقول حسان :

١٤٣ زَعمتْ سخينةُ أن ستغلِبُ ربَّها
وليُغلبَنَّ مُغالبُ الغَلاَّبِ

وذكر أبو عبيدة أنَّ قريشا كانت تُلَقَّب سخينة لأكلهم السُّخن [(١)] ، وأنّه لقب لزمهم قبل مَبعث النّبى ﷺ .

ويدل على صحة ما ذكر قول خِداش بن زهير ، ولم يدرك الإسلام :

يا شَدَّةً ماشدَدْنا غيرَ كاذبةٍ
على سَخِينةَ لولا الليلُ والحرمُ

وأمَّا الأحنف بن قيس فإنه كان تميميا ، وكانت تميم تعيِّر حُبَّ الطعام وشدّةَ الشَّرَة ، وكانَ السبب الذى جرّ ذلك أن أسعد بن المنذر ، أخا عمرو ابن هند ، كان مسترضَعاً فى بنى دارم . إلى آخر ما رواه المبرد (فى الكامل) .

وقال السُّهيلى (فى الرَّوض الأُنف) : قول كعب :

* جاءت سخينة كى تغالبَ ربَّها * .... البيت

كان هذا الاسم ممَّا سُميت به قريش قديماً . ذكروا أنَّ قُصيًّا كان إذا ذُبحت ذبيحة أو نُحِرت نَحيرة [(٢)] بمكة أُتِىَ بعجُزها فيصنع منه خزيرة ، وهو

---

(١) وكذا فى الاقتضاب ص ٤٦ .

(٢) ط : « أو بحرت بحيرة » ، صوابه فى ش والروض الأنف ٢ : ١٠٥ .

لحم يُطبَخ بِبُرّ ، فيُطعمه الناس ، فسُمِّيتْ قريش سخينة .

وقيل : إنّ العرب كانوا إذا أسْنَتوا (١) أكلوا العِلْهِز ، وهو الوبر والدم ، وتأكُل قريش الخزيرة واللَّفيتة (٢) ، فنفِست عليهم العرب ذلك فلقبوهم سخينة .

ولم تكن قريشٌ تكره هذا اللَّقب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله ﷺ منهم ، ولَتركه أدباً مع النبيِّ ﷺ إذ كان قرشيا .

ولقد استنشَد عبدُ الملك بن مروان ما قاله الهَوَازنيُّ فى قريش :

* ياشَدّةً ماشددنا غير كاذبة * ... البيت

فقال : ما زاد هذا على أن استثنى . ولم يكره سماع التلقيب بسخينة . فدّل على أنَّ هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ، ولا كان فيه تعيير لهم . انتهى .

والعِلهِز ، بكسر العين المهملة وسكون اللام وكسر الهاء بعدها زاى معجمة . والخزيرة ، بفتح الخاء وكسر الزاى المعجمتين ثم راء مهملة . قال فى الصحاح : الخزيرة : أن تُنْصَبَ القدر بلحم يقطّع صغارا على ماء كثير ، فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق . فإن لم يكن فيها لحمٌ فهى عصيدة .

وقال ابن السِّيد : قوله : « إذا ما مات ميْت » إلخ ، فيه ردٌّ على أبى حاتم السِّجستانى ، فإنه كان يقول : قول العامة مات الميِّت خطأ ، والصواب

---

(١) أسنتوا : أجدبوا ، وفى الأصل : « شتوا » تحريف ، صوابه فى الروض الأنف .

(٢) اللَّفيتة : العصيدة الغليظة . وفى الروض : « والفيته » ، صوابه فى الخزانة .

مات الحيّ . وهذا الذى أنكره غير منكَر ، لأنّ الحيَّ قد يجوز أن يسمَّى ميتا لأن أمره يؤُول إلى الموت . قال تعالى : ﴿ إنّكَ ميّتٌ وإنَّهم ميِّتون [١] ﴾ . ومثله كثير . وقد فرق قومٌ بينهما فقالوا : الميت بالتشديد : ما سيموت ، والميْت بالتخفيف : ما قد مات . وهذا خطأ فإنّ المشدَّد أصل المخفف ، والتخفيف لم يُحدث فيه شيئاً يغيِّر معناه . وقد استعملتهما العرب من غير فرق .

قال الشاعر [٢] :

ليس من ماتَ فاستراحَ بميْتٍ
إنّما الميْتُ ميِّتُ الأحياءِ

وقال ابن قِعاسٍ الأسدى :

ألا يا ليتنى والمرءُ ميْتُ وما يُغنى عن الحَدَثان ليتُ

ففى البيت الأوّل سوَّى بينهما ، وفى الثانى جعل المخفَّف الحيّ الذى لم يمت . ألا ترى أنّ معناه والمرء سيموت ، فجرى مَجرى قوله تعالى : ﴿ إنك ميّت وإنّهم ميتون ﴾ .

١٤٤ وقوله : « بخبز أو بتمر أو بسمن » : بدل من قوله بزاد . والملفَّف فى البجاد : وطب اللبن يلفّ فيه ويترك حتّى يروب . والوَطْب : زِقّ اللبن خاصّة . والبجاد : الكِساء فيه خطوط .

وقوله : حرصا : مصدر وقع موقع الحال ، أو مفعول لأجله . وإنَّما ذكر لقمان بن عادٍ لجلالته وعِظمه ، يريد أنّه لشدة نهمه وشرهه إذا ظفر

(١) الآية ٣٠ من سورة الزمر .

(٢) هو عدى بن الرعلاء . أمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٢ وابن يعيش ١٠ : ٦٩ والعقد ٥ : ٩١ .

بأكلِة فكأنه قد ظفر برأس لقمان ، لسروره بما نال ، وإعجابه بما وصل إليه . وهذا كما يقال لمن يُزهَى بما فعل ، ويفخر بما أدرك : كأنَّه قد جاء برأس خاقان !

وهذا الكلام الذى جرى بين معاوية والأحنف يسمَّى التعريض ، لأنَّ كل واحد منهما عرَّض بصاحبه بما تُسّب به قبيلته من غير تصريح .

ويشبه ذلك ما يروى ، من أن شَرِيك بن عبد الله النميرى ، ساير عُمر ابن هُبيرة الفزارى يوماً ، فبدرت بغلة شريك ، فقال له ابن هبيرة : غُضَّ من لجام بغلتك . فقال له شريك : إنها مكتوبة . فضحك ابن هبيرة وقال : لم أرد ما ذهبت إليه .

عرَّض ابن هبيرة بقول الشاعر [1] :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نميرٍ
فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وعرَّض شريك بقول سالم بن دارة :

لا تأمنَنَّ فزاريًّا خلوتَ به
على قَلُوصِكَ واكتُبْها بأسيارِ

وكان بنو فزارة يُنسَبون إلى غشيان الإبل .

وقوله : تعيَّر بأكل السخينة ، بالباء . وقد منعه ابن قتيبة قال : تقول عيَّرته كذا ولا تقول عيرته بكذا . والصحيح أنَّهما لغتان ، وإسقاط الباء أفصح .

والحَسَاء والحَسُوُّ لغتان . والعُجف : الضعف والهزال .

---

(١) هو جرير ، يقوله للراعى النميرى . ديوان جرير ٧٥ ومعجم الشواهد ٣٠ .

وأراد بالمال هنا الحيوان ، وكذلك تستعمله العرب فى الأكثر ، وقد يجعل اسماً لكل ما يملكه الإنسان من ناطق وصامت ، قال تعالى : ﴿ ولا تُؤتوا السُّفهاءَ أموَالَكُم (١) ﴾ وقال تعالى : ﴿ والذين فى أَمْوالِهِمْ حقٌّ معلومٌ * للسائلِ والمحروم (٢) ﴾ . فالمال فيهما عامٌّ لكل ما يملك .

وكلَبُ الزمان : شِدَّته ، وأصل الكلَب سُعار يصيب الكلاب ، فضرب بذلك مثلاً للزمان الذى يذهب بالأموال ويتعرَّق الأجسام ، كما سمَّوا السنة الشديدة ضبُعاً ، تشبيها لها بالضبع . وقالوا : أكلَه الدهر ، وتعرَّقه الزمان ، كما قال :

أَبا خراشة أَمّا أَنتَ ذا نفرٍ
فإنَّ قومىَ لم تأكلهمُ الضَّبُعُ (٣)

وترجمة يزيد بن الصعق تقدَّمت فى الشاهد التاسع والستين (٤) .

* * *

وأنشد بعده :

(لم يَمنع الشُّربَ منها غَيرَ أَنْ نطقَتْ
حمامةٌ فى غصونٍ ذاتِ أوقالِ)

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين (٥) :

وضمير « منها » راجع للوَجْناء وهى الناقة الشَّديدة . والشرب مفعول يمنع ، وغير فاعله ، لكنَّه بنى على الفتح جوازا لإضافته إلى مبنى . وروى الرفع أيضا فلا شاهد فيه . وأراد بنطقت صوَّتت ، مجازا . وفى بمعنى على .

---

(١) الآية ٥ من سورة النساء .
(٢) الآية ٢٤ ، ٢٥ من سورة المعارج .
(٣) للعباس بن مرداس . وهو الشاهد ٢٤٩ من الخزانة .
(٤) الخزانة ١ : ٤٣٠ .
(٥) الخزانة ٣ : ٤٠٦ .

و « ذات » بالجر صفة لغصون . والأوقال : جمع وَقْل بفتح فسكون ، وهو ثمر الدَّوم اليابس ، فإن كان ثمرهُ طريًّا فاسمه البَهْش . يريد : لم يمنعها أن تشرب الماءَ غيرُ ما سمعت من صوت حمامة فنفرت . يريد أنَّها حديدة النفْس ، ١٤٥
يُخامرهُا فزع وذعر ؛ لحدة نفسها ، وهو محمود فيها .

* * *

وأنشد بعده :

(غير أنِّى قَدَ استعين عَلَى الهـ
ـمِّ إذا خَفَّ بالثَّوِىِّ النَّجاءُ)

وتقدم هذا أيضاً مشروحاً فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائتين [١] .

وغير للاستثناء المنقطع مما قبله ، فيحتمل أن تكون الفتحة فيه للبناء وفيه الشاهد ، ويحتمل أن تكون نصباً فلا شاهد فيه .

وقوله : « قدَ استعين » بنقل فتحة الهمزة إلى دال [٢] قد . وخفَّ بمعنى ذهب وأسرع . والثوِىُّ : مبالغة ثاوٍ بمعنى مقيم . والنجاءُ ، بفتح النون بعدها جيم : المضىُّ والسرعة ، والباء للتعدية . أى إذا اضطرَّ المقيمَ السفرُ وأقلقه السَّير والمضىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الأربعمائة [٣] :

٤٩٧ (بأذلِّ حيثُ يكون مَنْ يَتذلَّلُ)

---

(١) الخزانة ٣ : ٤١٤ .

(٢) كتب مصحح الطبعة الأولى : « انظر ما الداعى للنقل مع استقامة الوزن » . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ٤٤٠ .

(٣) ديوان الفرزدق ٧٢٠ .

على أنَّ أبا على قال فى (كتاب الشعر) : إنَّ جملة يكون صفة لحيث لا أنها مضاف إليه . لأنَّ حيث هنا اسمٌ بمعنى موضع ، لا أنها باقية على الظرفية .

وكتاب الشعر يقال له (إيضاح الشعر) ، و (إعراب الشعر) أيضاً .

وقد تكلم على هذا المصراع وأجاد الكلام فيه ، فينبغى أن نثبته هنا إيضاحاً له .

صاحب الشاهد والمصراع من قصيدة طويلة عدّتُها تسعة وتسعون [1] بيتاً للفرزدق ، هجا بها جريراً . ولا بد من نقل بيتين منها ليتَّضح معناه ، وهما :

قرينا الشاهد (إنَّا لنضربُ رأسَ كلِّ قبيلةٍ
وأبوك خَلفَ أتانِه يتقمَّلُ
يَهِزُ الهَرانِعَ عَقْدُه عِند الخُصَى
بأذلِّ حيثُ يكون من يَتذلَّلُ)

قال أبو على : أنشده بعض البغداديين وزعم أنَّ حيث يكون اسما ، والقول فى ذلك أنّ أفعل لا يضاف إلا إلى ما هو بعضه ، فإذا كان كذا فإنَّه يراد به الموضع ، لأنّه مضاف إلى مواضع ، وجاز أن يراد بحيث الكثرةَ لإبهامها كما تقول أفضل رجل . وكذلك لما أضاف أذل صار كأنَّه قال : بأذلّ موضع ، فحيثُ موضع ، ولا يجوز مع الإضافة إليها أن تكون ظرفا كقولك :

* ياسارقَ الليلَةِ أهلَ الدارْ [2] *

وقد حكى قطربٌ فيها الإعراب . ومما جاء حيث مفعولاً به قوله تعالى :

---

(١) هى ١٠٥ بيت فى ديوانه ٧١٤ - ٧٢٥ .

(٢) انظر الخزانة ٣ : ١٠٨ .

﴿ اللهُ أعلمُ حَيثَ يجعلُ رسالاته [١] ﴾ . ألا ترى أنَّ حيث لا يخلو من أن يكون جرًّا أو نصبًا . فلا يجوز أن يكون جرًّا لأنه يلزم أن يضاف إليه أفعَل ، وأفعل إنَّما يضاف إلى ما هو بعض له ، وهذا لا يجوز فى هذا الموضع ، فلا يجوز أن يكون جرّا ، وإذا لم يكنه كان نصبا بشئ دل عليه ، يُعلم أنه مفعول به . والمعنى : الله يَعلم مكانَ رسالاته ، وأهل رسالته . فهذا إذن اسمٌ أيضا .

فإن قال قائل : إذا صار اسماً فلم لا يعرب لزواله عن أن يكون ظرفا ؟ قيل : كونه اسماً لا يخرجه عن البناء ، ألا ترى أنَّ منذ حرف ، فإذا استُعمِلتْ اسماً فى نحو منذ يومان لم تخرج عن البناء . وكذلك عن وعلى إذا قلت : من عن يمين الخطّ ، وكذلك قول الشاعر :

* غدت من عليه [٢] *

وكذلك « كم » بنيت فى الاستفهام ، فإذا صارت خبراً بقيت على بنائها ؛ فكذلك حيث إذا صارت اسماً . فأما موضع (يكون) فى قوله :

* بأذلّ حيث يكون مَن يتذلَّل * ١٤٦

فجرّ بأنَّه صفة حيث ، كأنه قال : بأذلّ موضع يكونه ، أى يكون فيه . فحذف الحرف وأوصل الفعل ، فليس بجرٍّ لإضافة حيث إليه ، لأنَّ حيث إنما يضاف [٣] إلى الفعل إذا كان ظرفا . فإذا لم يكن ظرفا لم يَنْبغِ أن

(١) الآية ١٢٤ من الأنعام . وهذه هى قراءة جمهور القراء . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد . تفسير أبى حيان ٤ : ٢١٧ .

(٢) لمزاحم بن الحارث العقيلى . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢١٧ والخزانة ٤ : ٢٥٣ بولاق . وتمامه :

غدت من عليه بعدما تمَّ ظمؤها تصل وعن قيض ببيداء مَجهَلِ

(٣) ش : « تضاف » ، وأثبت ما فى ط .

يضاف إلى الفعل . وليس حيث فى البيت بظرف . وإنما لم يعرِب مَن لم يعربه لأنه جعله بمنزلة ما ومن ، فى أنهما لم يُعربا إذا وصفا وكانا نكرتين . وذاك أنَّ الإضافة فى حيث كانت للتخصيص ، كما أنَّ الصفة كذلك ، فلمَّا جعل اسماً ولم يضف صار لزوم الصفة له للتخصيص بمنزلة لزوم الصِّلة للتخصيص ، فضارع حالُ الوصف حالَ الإضافة .

ولو جعلت فى قوله : « بأذّل حيث يكون » زمانا لم يحسن ، لأن أفعل هذا بعض ما يضاف إليه .

وإذا قلت : هذا أذلُّ رجل ، فالمعنى هذا رجل ذليل ، ولا يكاد يقال زمان ذليل كما يقال موضعٌ ذليل . ألا ترى أنَّ الأماكن قد وصفت بالعزِّ ، فإذا جاز وصفها بالعز جاز وصفها بخلافه ، ولا تكاد تسمع وصف الزمان بالذّل .

فلا يجوز إذن أن يكون موضع « يكون » جرًّا بأنّه صفةُ حيث ، ويجعل حيث اسم زمان . انتهى كلام أبى على .

وحاصله : أنَّ أذلّ أفعل تفضيل مجرور بالكسر ، وهو مضاف إلى حيث بمعنى موضع يراد به الكثرة لإبهامه ، ولهذا صحّ إضافة أفعل إليه ، إذ لا يضاف أفعل التفضيل إلّا إلى ما هو بعضه . وجملة يكون صفة لحيث فتكون فى محل جر ، والعائد إلى الموصوف ضمير نصب محذوف ، والأصل : يكون فيه ، ففيه خبر يكون ومن يتذلَّل اسمه ، فحذف حرف الجر واتصل الضمير بيكون ، فصار يكونُه ، ثمّ حذف الضَّمير فصار يكون ، فجملة يكون إلخ فى محل جرّ ، لكونها صفة لحيث لا لكونها مضافاً إليه .

وحيث موصوف بالجملة لا مضاف إليها . ولمَّا كان حكم الجملة بعد

حيث فى الآية حكمها فى البيت ، نسبهما إلى أبى على ، وإن لم يذكر حكمَ الجملة بعد حيث فى الآية أبو على .

وقال الشارح المحقق : الأولى أن يكون مضافاً ، ولا مانِعَ من إضافته ، وهو اسمٌ لا ظرف ، إلى الجملة كما فى ظروف الزمانِ ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ يوم ينفعُ الصَّادقينَ صِدقُهم [1] ﴾ . وعلى هذا أيضاً يكون الخبر محذوفا يقدَّر بعد يتذلل ، أى فيه .

وقوله :

* إنَّا لنضرب رأسَ كلِّ قبيلةٍ *

يقول : نحن فى الطَّرَف الأعلى من العزّ ، وأنتم فى نهاية الذل والعجز . والأتان : أنثى الحمار . ويتقمَّل : يقتل قملَه .

وقوله : « يَهِزُ الهَرانعَ » إلخ تفسيرٌ لقوله يَتَقَمَّلُ . ويَهِزُ : مضارع وَهَز يهز هِزَةً ووَهْزاً ، إذا نزع القملة وقصعَها ؛ أَوّله واو وثالثُه زاء معجمة . والهرانع مفعول يهز مقدّم ، جمع هِرْنِع بكسر الهاء وسكون الراء المهملة وكسر النون بعدها عين مهملة ، وهو القمل ، الواحدة هِرنعة . قال الشاعر :

* فى رأسهِ هَرانع كالجِعلانْ *

كذا قال ابن دريد . وقال الليث : الهُرنوع ، كعصفور : القملة الضخمة ، ويقال هى الصغيرة . وأُنشد البيت . فيكون الجمع على حذف الزائد .

وقال ابن الأعرابى : الهُرنع كقنفذ ، والهُرنوع : القملة الصغيرة .

---

(١) الآية ١١٩ من سورة المائدة .

(٢) فى النسختين : « ووهز » ولا وجه له ، والصواب ما أثبت .

وعَقْدُه فاعل يَهِزُ ، وهو بفتح العين المهملة وسكون القاف ، والضمير راجع لقوله : وأبوك . وفسره ابنُ حبيب (فى شرح المناقضات) ، وابن قتيبة (فى
أبيات المعانى) وقالا : يعنى عقد الثلاثين ، وهو هيئة تناوُل القملة بإصبعين : ١٤٧
الإبهام والسبَّابة . ورواه الصاغانى (فى العباب) فى مادة (وهز) عن شمر كذا :

يَهز الهرانعَ لا يزال ويفتلى بأَذلِّ حيثُ يكون من يتذلَّلُ

ففاعل يهز على هذا ضمير أبوك .

واعلمْ أنَّ العقود والعقد نوعٌ من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد منه فى الحديث : « وعقَدَ عقْدَ تسعين [1] » . وقد ألَّفُوا فيه كتباً وأراجيز ، منها أرجوزة أبى الحسن على ، الشهير بابن المغربى . وقد شرحها عبد القادر بن على بن شعبان العَوفى . ومنها فى عَقْد الثلاثين :

واضمُمْهُما عند الثلاثين تُرَى
كقابض الإبرةِ من فوق الثَّرى

قال شارحها : أشار إلى أنَّ الثلاثين تحصُل بوضع إبهامك إلى طرف السبابة ، أى جمع طرفيهما كقابض الإبرة .

و (عند الخصى) ظرف لقوله يهزُ . وقوله (بأَذَلّ) الباء بمعنى فى متعلقة بمحذوف على أنَّه حال من ضمير عقدُه . يقول : نحن لعزِّنا وكثرتنا نحارب كلَّ قبيلة ، ونقطع رءُوسها ، وأبوكَ لِذُلِّه وعجْزه يقتل قملَهُ خلف أتانه ، فهو يتناول قملة بإصبعه من بين أفخاده ، حالة كونه جالساً فى أحقرِ

---

(١) انظر لحساب العقد أيضا اللسان (ردم ١٢٧) والموشح ١٩٤ والقسطلانى ١٠ : ١٧١ ، ٢١٥ وفتح البارى ١٣ : ٩٥ - ٩٦ والألف المختارة الحديث ٨٩٦ ، ٩٢٥ .

موضع يجلس فيه الذليل ، وهو خلف الأتان . فنحن نقتل الأبطال ، وأبوك يقتل القمل والصئبان ، فشتَّانَ ما بينى وبينك .

وهذه القصيدة مطلعها :

(أنَّ الذى سَمَكَ السماءَ بنى لنا
بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ)

ويأتى شرحه إن شاء الله فى الصفة المشبهة .

وترجمة الفرزدق قد تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب [١] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الأربعمائة [٢] :

٤٩٨ (نَهيتُكَ عن طِلابكَ أُمَّ عمرٍو
بعاقبةٍ وأنتَ إذٍ صحِيحُ)

على أنَّ التنوين اللاحق لإذْ عِوَضٌ عن الجملة ، والأصل : وأنت إذ الأمر ذاك ، وفى ذلك الوقت .

وكذا أورده صاحب الكشاف فى سورة صٓ . استشهد به على أنَّ أوَانٍ فى قوله :

* طلبوا صُلحَنا ولاتَ أوانٍ *

بنى على الكسر تشبيهاً بإذ ، فى أنّه زمان قطع منه المضاف إليه وعوِّض

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٢) الخصائص : ٢ : ٣٧٦ وابن يعيش ٣ : ٢٩/٩ : ٣١ وشرح شواهد المغنى ٩٢ والأشمونى ١ : ٥٦ ويس على التصريح ٢ : ٣٩ والهذليين ١ : ٦٨ .

عنه التنوين ، وكسر لالتقاء الساكنين .

وروى أيضا : « وأنت إذاً صحيح » ، فيكون التنوين فيه أيضا عوضا عن المضاف إليه الجُمْلىّ عند الشارح المحقّق ، ويكون الأصل وأنت إذْ نهيتُك ، كما قال فى قوله تعالى : ﴿ فعلتُها إذاً وأنا مِنَ الضّالّين (١) ﴾ . والمشهور أنّها فى مثله للجواب والجزاء . وعليه مشى المرزوقى (فى شرح الهذليين) قال : رواه الباهلى : وأنت إذاً صحيح وتكون إذاً للحال ، كأنه يحكى ما كان . والمراد : وأنت فى تلك الحال صحيح .

قال ابن جنى عند قول الحماسىّ :

فإنَّك إنْ تَرَى عَرَصاتِ جُملٍ
بعاقبة فأنت إذاً سعيدُ (٢)

قال سيبويه : إنَّ إذاً جوابٌ وجزاء . وإذا كان كذلك ففى الفاء مع ما بعدها الجزاء ، فما معنى إذاً ؟ فإن ذلك عندى لتوكيد الجزاء ، كما أنَّ الياء فى قوله :

* والدهر بالإنسان دَوّارىٌّ *

لتوكيد الصفة (٣) . انتهى .

وقوله قبل البيت : « وقولِه (٤) » هو بالجر معطوف على مدخول
١٤٨ الكاف فى قوله تعالى : ﴿ وكلاًّ آتينا (٥) ﴾ .

---

(١) الآية ٢٠ من الشعراء .

(٢) الحماسة بشرح المرزوقى ١٥١ . وقال المرزوقى : « أتى بترى تاما وأن كان فى موضع الجزم ، فهو كقول الآخر :

* ولا ترضاها ولا تملق * »

(٣) ورد النص هنا موجزا . وانظر إعراب الحماسة الورقة ٢٤٨ .

(٤) انظر شرح الرضى على الكافية ٩٩ س ١٠ .

(٥) الآية ١٧٩ من الأنبياء .

واعلم أنَّ الشارح المحقق قد دقَّق النظرَ في نحو يومئذ فجعل إذ بدلا من الظرف قبله ، فيكون يوم ونحوه غير مضاف إلى إذ . وحينئذ يردُ عليه : ما وجه حذف التنوين من الظرف الأول ؟

ومن قال بالإضافة كالجمهور فحذف التنوين ظاهر . ويجوز فيه البناء على الفتح والإعراب على حسب العامل .

قال ابن السرَّاج (في الأصول) : وأسماء الزمان إذا أضيفت إلى اسم مبنيّ جاز أن تعربها وجاز أن تبنيَها ، وذلك نحو يومُئذ بالرفع ويومَئذ بالفتح ، فيقرأ على هذا إن شئت : ﴿ من عذاب يومِئذٍ [1] ﴾ بالجر ، و ﴿ من عذاب يومَئذٍ ﴾ بالفتح . اهـ

وقد قرَّر الشارح المحقق هذا فيما سيأتي ، وتنبَّه لهذا الاعتراض ، فأجاب عنه بأنَّ الإعراب لعُروض علة البناء ، أعني الإضافة إلى الجمل ؛ والبناء لوقوع إذِ المبنيِّ موقعَ المضاف إليه لفظا .

وقوله : « والذي يبدو لي أنَّ هذه الظروف التي كأنها في الظاهر مضافة إلى إذ ليست مضافة إليه بل إلى الجمل المحذوفة » ، هذا ممكنٌ في يوم وحين فإنهما يجوز إضافتهما إلى الجمل ، وقد سمع .

وأمَّا ساعَةَ وليلةَ وغداةَ وعشيةَ وعاقبةَ ، فإنها ليست من الظروف التي يجوز إضافتها إلى الجمل ؛ لأنَّه لم يسمع ، فكيف يقال إنها تضاف إلى الجمل وإذ بدلٌ منها ، فلمَّا حذفت الجملة المضافة إليها إذ عوِّض التنوين عنها ؟

---

(١) الآية ١١ من المعارج .

وقد وجد بخطّ صاحب القاموس ، تركيب هذه الظروف مع إذ ، قال : لا يضاف إلى إذ من الظروف فى كلام العرب غير سبعة ألفاظ ، وهى : يومئذ وحينئذ ، وساعتئذ ، وليلتئذ ، وغداتئذ ، وعشيّتئذٍ ، وعاقبتئذٍ . ا هـ .

قيل : ومقتضاه أنّه لا يقال وقتئذ ، ولا شهرئذ ، ولا سنَتَئذ .

وقد ورد أوانئذٍ فى شعر الداخل بن حَرام الهذلى (١) ، قال :

دَلفتُ لها أوَانئذٍ بسهمٍ
حَليفٍ لم تَخوَّنه الشُّروجُ

والدَّليف : سَيْر فيهِ إبطاء . وحليف : حديد . وتخوَّنه : تنقَّصه . والشُّروج : الشقوق والصدوع .

وزعم الأخفش أن (٢) إذ معرَب مجرور بإضافة ما قبله إليه .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وزعم الأخفش أنَّ إذ فى ذلك معربة ، لزوال افتقارها إلى الجملة ، وأن الكسرة إعراب ، لأنَّ اليوم مضاف إليها .

وردَّ بأنَّ بناءها لوضعها على حرفين ، وبأنَّ الافتقار باقٍ فى المعنى ، كالموصول تحذف صلته لدليل . قال :

نحنُ الأُلَى فاجمعْ جُمو عَكَ ثُمَّ جهِّزْهم إلينا (٣)

---

(١) قصيدة البيت التالى تروى لعمرو بن الداخل فى ديوان الهذليين ٣ : ٩٨ وشرح السكرى لأشعار الهذليين ٢ : ٦١١ . وفى شرح السكرى : « وقال الأصمعى هذه القصيدة لرجل من هذيل يقال له الداخل ، واسمه زهير بن حرام ، أحد بنى سهم بن معاوية » .

(٢) الكلام بعده الى « أن » التالية ، ساقط من ش .

(٣) لعبيد بن الأبرص فى ديوانه ٢٨ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٢٩ : ١٧٩ ، ٣٠٨ وشرح شواهد المغنى ٩١ والعينى ١ : ٤٩٠ . ويروى : « ثم وجههم » .

أى نحن الألى عُرفوا . وبأنّ العوض ينزل [١] منزلة المعوَّض منه ، فكأنّ المضاف إليه مذكور ؛ وبقوله وأنت إذ صحيح .

وأجاب عن هذا بأنّ الأصل حينئذ ثم حذف المضاف وبقى الجر ، كقراءة بعضهم : ﴿ والله يُريدُ الآخرةِ [٢] ﴾ أى ثواب الآخرة . اهـ .

وهذا مع أنّه لا قرينة عليه لا يفيد شيئاً لوجود مقتضى البناء فيه .

وقدْ سها سهواً بَيِّناً شارحُ شواهد المغنى [٣] فقال : البيت استشهد به الأخفش على أن إذٍ معربة لعدم إضافة زمان إليها وقد كسرت . وأجيب بأنّ الأصل وأنت حينئذ ، ثم حذف المضاف وبقى الجر .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنّ الأخفش لم يستشهد بالبيت ، وإنما استشهد به عليه ، فأجاب بأنّ الحين منه محذوف . وهو غير قائل بأنّ إذ [٤] معربة ١٤٩
لعدم الإضافة .

وقد تكلم ابن جنى (فى سر الصناعة) على يومئذ ببيان واف وإن كان على خلاف طريقة الشارح المحقق ، فلا بأس بإيراده مختصرا ، قال :

من وجوه التنوين أن يلحق عوضاً مِن الإضافة نحو يومئذ ، وليلتئذ ، وساعتئذ ، وحينئذ ، وكذلك قول الشاعر :

* وأنت إذٍ صحيحُ *

وإنّما أصل هذا أن تكون إذْ مضافة إلى جملة نحو : جئتك إذ زيد أمير ، وقمت إذ قام زيد ، فلما اقتُطع المضاف إليه عوِّض منه التنوين ، فدخل وهو ساكن على الذال وهى ساكنة ، فكسرت الذال لالتقاء الساكنين .

---

(١) ط : « تنزل » ، وأثبت ما فى ش والمغنى ٨٦ .

(٢) الآية ٦٧ من الأنفال . وقراءة الجر هى قراءة سليمان بن جماز المدنى . تفسير أبى حيان ٤ : ٥١٨ .

(٣) لم أجد الكلام التالى فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٤) ط : « بأن ذا » ، صوابه فى ش .

وليست الكسرة كسرة إعراب وإن كانت إذ فى موضع جر بإضافة ما قبلها إليها . ويَدلُّ على أنَّ الكسرة فى إذ إنَّما هى لالتقاء الساكنين ،قولُ الشاعر :

* وأنت إذٍ صحيحُ *

ألا ترى أنَّ إذ ليس قبلها شئ . فأمَّا قول أبى الحسن إنّه جرَّ إذ لأنه أراد قبلها حين ، ثمَّ حذفها ، وبقى الجر – فساقط . ألا ترى أنَّ الجماعة قد أجمعت على أنَّ إذْ ، وكَمْ ، ومَنْ ، من الأسماء المبنية على الوقف . وقد قال أبو الحَسن نفسُه (فى بعض التعاليق عنه فى حاشية الكتاب) : بَعَّدَ كَمْ وإذْ من التمكن أنَّ الإعراب لم يدخُلْها قط . فهذا تصريحٌ منه ببناء إذ ، وهو اللائق به ، والأشبه باعتقاده . وذلك القول الذى حكيناه عنه شئٌ قاله فى (كتابه الموسوم بمعانى القرآن) ، وإنَّما هو شبيه بالسهو منه .

على أنَّ أبا على قد اعتذر له منه بما يكاد يكون عذراً .

قلت : أورد هذا العذر (فى آخر إعراب الحماسة) : قال : سألت أبا علىّ عن قوله : وأنت إذٍ صحيح ، فقلت : قد قال أبو الحسن : « إنه أراد حينئذ » ، فهذا تفسيرُ المعنى أم تقدير الإعراب [1] على أن تكون إذْ مجرورة بحين المرادة المحذوفة ؟ فقال : لا ، بل إنَّما فسَّر المعنى ، ولا يريد أن إذْ مجرورة بحين المرادة . والذى قاله أبو على أجرَى على مقاييس مذاهب أصحابنا ، غير أنَّ كلام أبى الحسن ظاهرُه هناك أنَّه يريد ما عدل أبو على عنه . انتهى .

---

(١) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٤٨ : « فهذا تفسير المعنى أم تقدير للإعراب » .

ثم قال ابن جنى [١] : ويؤيِّد ما ذكرته من بناء إذْ أنَّها إذَا أضيفت مبنيّة نحو قوله : ﴿ إذِ الأغلالُ فى أعناقهم [٢] ﴾ ، ﴿ وإذْ يرفَعُ إبراهيمُ القَواعِدَ من البيت [٣] ﴾ فإذا فى هذا ونحوه مضافة إلى الجمل ، وموضعها نصب ، وهى كما ترى مبنيّة . فإذا كانت فى حال إضافتها إلى الجمل مبنية من حيث كانت الإضافة إلى الجمل كلا إضافة ، لأن من حق الإضافة أن تقع على الأفراد فهى ، إذَا [٤] لم تضف فى اللَّفظ أصلاً ، أجدرُ باستحقاق البناء . ويزيدك وضوحاً قراءة الكسائى : ﴿ من عذابِ يَومَئِذٍ [٥] ﴾ فبنى يوم على الفتح لمَّا أضافه إلى مبنى غير متمكن .

فإن قيل : بنيت إذْ من حيث كانت غايةً منقطعا منها ما أضيفت إليه ، أو من حيث إضافتها إلى جملة تجرى الإضافة إليها مجرى لا إضافة ، فهلاَّ أعربت لما أضيفت إلى المفرد فى نحو قولهم : فعلت إذ ذاك ؟ قلت : هذه مغالطة فإن ذاك ليس مجروراً باضافة إذْ إليه ، وإنما ذاك مبتدأ حذف خبره تخفيفاً ، والتقدير إذ ذاك كذاك . فالجملة هى التى فى موضع جرّ .

ونظير هذا ماذهب إليه أبو العباس المبرد فى قول الآخر :

طلبوا صُلحَنا ولاتَ أوانٍ ... فأجبنا أنْ ليس حِينَ بقاءِ [٦]

(١) النص التالى لم يرد فى إعراب الحماسة ، وهو امتداد لما نقله البغدادى عن « سر الصناعة » فيما سبق من الكلام . وهو بذلك يكرر ما أورده فيما مضى من الخزانة ٤ : ١٨٥ .

(٢) الآية ٧١ من سورة غافر .

(٣) الآية ١٢٧ من البقرة .

(٤) ط : « اذن » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٥) الآية ١١ من سورة المعراج .

(٦) لأبى زبيد الطائى فى ديوانه ٣٠ وهو الشاهد ٢٨٢ فى الخزانة ٤ : ١٨٣ .

وذلك أنّه ذهب إلى أن كسرة أوان ليست إعرابا ، ولا أن التنوين الذى بعدها هو التابع لحركات الإعراب ، وإنّما تقديره عنده أنَّ أوانٍ بمنزلة إذْ ،
١٥٠ فى أنَّ حكمه أن يضاف إلى الجملة نحو : جئتك أوانَ قام زيد ، وأوانَ الحجاجُ أمير ، أى إذ ذاك كذاك ، فلما حذف المضاف إليه أوانَ عوِّض من المضاف إليه تنوينا . والنون عنده كانت فى التقدير ساكنة ، فلما لقيَها التنوين ساكناً كسرت النون لالتقاءِ الساكنين .

وهذا غير مرضىّ ، لأنّ أوانا قد يضاف إلى الآحاد ، نحو قوله :

* هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ [1] *

وقــوله :

* فهذا أوانُ العِرضِ [2] *

وغير ذلك .

فإن قيل : فإذا كان الأمر كذلك فهلا حرَّكوا التنوين فى يومئذ وأوان ، ولم حرَّكوا آخره دون التنوين ؟ فالجواب : أنَّهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يقولوا إذن ، فيشبه النونُ الزائد النونَ الأصلى ؛ ولَماَ أمكنهم أن يفعلوه فى أوان ، لأنَّهم لو آثروا إسكانَ النون لمَا قدروا على ذلك ، لأن الألف ساكنة قبلها ؛ وكان يلزمهم من ذلك أن يكسروا النون لسكونها وسكون الألف ، ثم يأتى

---

(١) سبق الكلام عليه فى حواشى ٤ : ١٨٦ وأنه لرشيد بن رميض .

(٢) للمتلمس ، كما سبق فى حواشى ٤ : ١٨٥ . وتمامه :

فهذا أوان العرض حى ذبابه زنابيرهُ والأزرق المتلمس

التنوين بعدهما ، فكان لا بدَّ أيضا من أن يقولوا أوانِن (١) .

فإن قيل : فلعلّ على هذا كسرهم النونَ من أوان إنَّما هو لسكونها وسكون الألف قبلها ، دون أن يكون كسرُهم إياها لسكونها وسكون التنوين بعدها ؟

فالجواب ما تقدم ، من كسرهم ذال إذ لسكونها وسكون التنوين بعدها .

فعلى هذا ينبغى أن يحمَل كسر النون من أوان ، لئلا يختلف الباب . ولأنّ أوان أيضا لم ينطق به قبل لحاق التنوين لنونه ، فيقدَّر مكسور النون لسكونها وسكون الألف قبلها ، إنّما حذف منه المضاف إليه وعوِّض التنوين عُقَيب ذلك ، فلم يوجَد له زمنٌ تلفظ به بلا تنوين ، فيلزم القضاء بأن نونه إنَّما كسرت لسكون الألف قبلها . فاعرف ذلك من مذهب المبرد .

وأما الجماعة إلّا أبا الحسن والمبرد ، فعندها أنّ أوان مجرورةٌ بلات ، وأنَّ ذلك لغة شاذة . انتهى كلام ابن جنى .

والبيت من مقطوعةٍ تسعة أبيات لأبى ذؤيب الهذلى ، أوّلها (٢) : صاحب الشاهد

(جَمالَكَ أيُّها القلبُ القريحُ سَتلقى من تحبُّ فتستريحُ آبيات الشاهد

نهيتُك عن طِلابك أمَّ عمرو .... البيت

وقلت : تجنَّبنْ سُخطَ ابنِ عمٍّ ومطلبَ شُلَّةٍ وهى الطَّروحُ (٣))

قوله : « جمالك » إلخ قال الإمام المرزوقى (فى شرحه) : يجوز أن يكون

---

(١) رسمت فى ش « أوان » كما سبق فى ٤ : ١٨٦ .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٦٨ وشرح السكرى ١٧١ .

(٣) فى الهذليين وشرح السكرى :

فقلت تجنبن سخط ابن عم ومطلب شلة ونوى طروح

المراد : الزمْ جَمالك الذى عُرف منك وعُهد فيما تُدفَع إليه وتمتحَن به ، أى صبرك المألوف المشهور .

ويجوز أن يكون المعنى : تصَّبَرْ وافعلْ ما يكون حسناً بك . والمصادر يؤمر بها توسُّعا ، مضافة ومفردة .

وهذا الكلام بَعثٌ على ملازمة الحسنى وتحضيضٌ ، ووعدٌ بالنجاح فى العُقبى وتقريب .

وقوله : (نَهيتك عن طِلابكَ) إلخ قال الإمام المرزوقى : يذكِّر قلبه بما كان من وعظه له فى ابتداء الأمر ، وزجره من قبل استحكام الحبّ ، فيقول : دفعتك عن طلب هذه المرأة بعاقبةٍ ، أى بآخِر ما وصَّيتك به .

وهذا كما تقول لمن تعتِب عليه فيما لم يقبله : كان آخر كلامى معك تحذيرَك ما تقاسيه السَّاعة . ولستَ تريد أنَّ تلك الوصاة كانت مؤخَّرة عن غيرها ومُردَفة سواها ممّا هو أهمُّ منها ، ولكنّك تنبِّه على أنَّ الكلام كان مقصوراً عليها أوّلا وآخرا .

ويجوز أن يكون المعنى : نهيتك عن طلبها بذكرِ ما يُفضى أمرك إليه
وتدورُ عاقبتُك عليه ، وأنت بعدُ سليمٌ تقدر على التملُّس منها ، وتملُّكِ أمرك ١٥١
وشأنك فى حبها . وكأنَّه كان رأى لتلك الحالة عواقبَ مذمومة تَحصُل كلُّ
واحدةٍ على طريق البدل من صاحبتها [١] ، وكانَ ذكرها كلَّها ، فلذلك نكّر
العاقبة .

ويجوز أن يريد : نهيتك بعقب ما طلبْتَها ، أى كما طلبتها [٢] زجرتك عن

(١) ط : « صاحبها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) جعلها الشنقيطى : « أى كلما طلبتها » .

قريب [١] ، لأن مبادئ الأمور تكون ضعيفة فيسهل فيها كثيرٌ مما يصعُب من بَعْد . وهذا أقربُ الوجوه فى نفسى . والعرب تقول : تغيَّر فلانٌ بعاقبة ، أى عن قريبٍ بعقب ما عُهد عليه قبل . انتهى .

فظهر من هذا أن عاقبة بالقاف والموحدة . وكذا هى فى رواية أبى بكر القارى شارح أشعار الهذليِّين قبل الإمام المرزوقى ، وهى عندى بخطِّه وعليها خطوط علماء العربية . منهم أحمد بن فارس صاحب المجمل فى اللغة ، وفسرها القارى [٢] بقوله : « آخر الشأن » .

والباء على المعانى الثلاثة متعلقة بنهيتك [٣] . وجملة وأنت صحيح حال من الكاف فى نهيتك .

وصحَّفها الدمامينى (فى الحاشية الهندية على المغنى) بالفاء والمثناة التحتية ، فجعل الباء متعلّقة بمحذوف على أنه حال من إحدى الكافين كالجملة الاسمية ، وجوَّز أيضاً أن تكون الباء متعلقة بنهيتك ، وقال : أى نهيتك عن حال عافية [٤] . والاسمية حال من التاء .

أقول : لا يصحُّ كونها حالاً من التاء ؛ لأنها صفةٌ للمخاطب لا للمتكلم . فتأمَّل .

وقوله : « وقلت تجنَّبَنْ » إلخ قال : الإمام المرزوقى : رُوى لنا عن

---

(١) عن قريب ، ساقطة من ش .

(٢) ط : « القالى » ، صوابه فى ش . وانظر ما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٣) الكلام بعده إلى « متعلقة بنهيتك » ساقط من ش .

(٤) ط : « عاطبته » ، صوابه فى ش .

الدُّريدى عن أبى يزيد [(١)] وعن الزيادى : « شُلّة » بضم الشين ، قال : وكذا قرأته بخطّ ذى الرمة . وكذا رواه الباهلى أيضا .

وروى : « شَلّة » بفتح الشين ، وهما جميعاً من الشلّ : الطرد كأنّه يعدِّد ما كان يحذِّره منه ، ويعرِّفه أن نتائجه كان عالماً بها ، فَلَهَا ما كان ينفِّره .

والمعنى أنَّ طلبك لها يَجلب عليك مُراغمةَ أبناء عمك ، ويسوقك إلى التعب فيما يبعُد عنك ولا يجدى عليك .

والطَّروح : البعيدة . وروى بعضهم : « ونَوًى طروح » أى تطرح أهلها فى أقاصى الأرض . وكأنّه أراد : ونوى طروح ذاك ، لأنَّ القوافى مرفوعة . اهـ .

وترجمة أبى ذؤيب الهذلى تقدَّمت فى الشاهد السابع والستين من أوائل الكتاب [(٢)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [(٣)] :

٤٩٩ (علىَ حِينَ عاتبتُ المَشِيبَ على الصِّبَا
فَقُلت : ألَمَّا تَصْحُ والشَّيبُ وَازِعُ)

على أنَّه يجوز إعراب حين بالجر لعدم لزومها للإضافة إلى الجملة ،

(١) كذا فى النسختين . وقد تكون « عن أبى زيد » .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٦٩ . وانظر المنصف ١ : ٥٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٤٦ : ١٣٢ ، ١٦٤ وابن يعيش ٣ : ١٦ ، ٨١/ ٤ : ٨/٩١ : ١٤٦ والإنصاف ٣٩٢ والمقرب ٦٣ والشذور ٧٨ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٢ : ٤/٤٠٦ : ٣٥٧ والتصريح ٢ : ٤٢ والهمع ١ : ٢١٨ والأشمونى ٢ : ٣/٢٥٦ : ٤/٢٢٦ : ٨ وديوان النابغة ٥٣ .

ويجوز بناؤها على الفتح لاكتسابها البناء مِن إضافتها إلى المبنى ، وهو جملة عاتبت .

وأورده صاحب الكشاف عند قراءة نافع والكسائى : ﴿ وَمَن خِزْىِ يَوْمَئِذٍ [١] ﴾ بفتح الميم ، شاهدا على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانىّ ، وقد تقدَّمتْ مشروحة بتمامها فى الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة [٢] . وقبل هذا البيت :

(فأسبلَ منِّى عَبرةً فردَدتُها
على النَّحر منها مستَهِلٌّ ودامعُ)

وفاعل أسبل ضمير « ذو حُسًى » فى مطلع القصيدة بضم الحاء والسين المهملتين ، وهو بلد فى بلاد بنى مُرَّة . وعَبرة مفعول أسبل ، يقال أسبل الرجل الماء ، أىْ صبَّه .

والعَبرة بالفتح : الدمعة . وإنّما ردَّها خوفَ الفضيحة ، فإنّه يبكى على دار الحبيب الدارسة وهو شيخٌ . وعلى النحر متعلّق بأسبَلَ ؛ ويجوز أن يتعلق ١٥٢ بردتها على وجهٍ . والنَّحر ، موضع القلادة من الصَّدر . والدَّمعة تجرى على الخدود ثم تسيل منها على النَّحر . ومستهل : سائل منصبٌ له وقع . ومنه استهلَّت السماء بالمطر ، إذا دامَ مطرُها . ودامع : قاطر . وجملة « منها مستهل » لعَبرة ، أى بعضها مستهلّ وبعضها دامع .

---

(١) الآية ٦٦ من سورة هود .

(٢) الخزانة ٢ : ٤٥١ - ٤٦٨ .

وقوله : (على حين عاتبت) إلخ على بمعنى فى ، متعلّقةٌ بأسبل . وعاتَبه على كذا ، أى لامه مع تسخُّطٍ بسببه . فعلى الصبا متعلق بعاتبت . و(الصِّبا) بالكسر والقصر : اسم الصَّبوة ، وهى الميل إلى هوى النفس . و(المشيب) : الشيب ، وهو ابيضاض الشعر المُسْوَدّ ، ويأتى بمعنى الدخول فى حدّ الشيب .

وقوله : (فقلت) أى للمشيب ، معطوف على عاتبت . وجملة (ألمَّا تصحُ) إلخ مقول القول . والهمزة للإنكار ، ولمّا جازمة بمعنى لم ، وفيها توقّع ، لأنَّ صحوه متوقّع . وتَصْحُ مجزوم بحذف الواو ، من صحا يصحو ، إذا زال سُكره .

وجملة (والشيب وازع) : حال من فاعل تَصْحُ . ووازع ، بالزاى المعجمة : الزاجر والكافّ . تقول : وزَع [1] يزع ، إذا كفّ فهو وازع ، كما يقال وضع يضع فهو واضع . قال الشاعر :

إذا لم يَزَعْ ذا الجهل حلمٌ ولا تُقًى
ففى السيف والتَّقوى لذى الجهل وازعُ

وروى أبو عبيدة : « ألمَّا أصحُ » بالهمزة بدل التاء .

وقد تقدمت ترجمة النابغة الذبيانى فى الشاهد الرابع بعد المائة [2] .

* * *

وأنشد بعده :

(لَمْ يمنعِ الشُّربَ منها غَيْرَ أنْ نطقَتْ
حمامةٌ فى غُصون ذاتِ أوقالِ)

على أنَّ غيراً بنيت على الفتح لإضافتها إلى مبنى ، وبيَّنه الشارح المحقق ، مع أنَّها فاعلُ لم يمنع .

---

(١) ط : « وازع » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

وقد روى الرفعُ أيضاً على الأصل . قال سيبويه (فى باب ما تكون أنْ وأنَّ مع صلتهما بمنزلة غيرهما من الأسماء) : حدَّثنا أبو الخطاب أنه سمع من العرب الموثوق بهم مَن ينشد هذا البيت رفعاً :

* لم يمنع الشُّربَ منها غيرُ أنْ نطقت * البيت .

وزعموا أنَّ أناسا ينصبون هذا كنصب بعضهم يومئذ فى كلّ موضع ، فكذلك غيرَ أن نطقت . وكما قال النابغة :

* على حِينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا * . انتهى

وتقدَّم شرحُه قريبا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الخمسَمائة (١) :

٥٠٠ (ونَطْعَنُهُمْ حيثُ الكلَى بَعد ضَربِهمْ
ببيضِ المَوَاضى حَيثُ ليِّ العَمائمِ)

على أنَّ إضافة حيث إلى مفرد نادر ، فتكون حيث بمعنى مكان ، وليّ مجرور بإضافة حيث إليه ؛ وهو مصدر لوى العِمامة على رأسه ، أى لفَّها . ومكانُ لفِّ العمائم هو الرأس .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وندرت إضافة حيثُ إلى المفرد كهذا البيت . والكسائى يقيسُه . وأندر من ذلك إضافتها إلى جملة محذوفة كقوله :

---

(١) ابن يعيش ٤ : ٩٠ ، ٩٢ وشرح شواهد المغنى ١٣٣ والعينى ٣ : ٣٨٧ والتصريح ٢ : ٣٩ والهمع ١ : ٢١٢ والأشمونى ٤ : ٦٥ .

إذا رَيدةٌ من حيثُ ما نفحت له
أتاه بريَّاها خليلٌ يواصلُه [(١)]

أى إذا رَيدةٌ نفحت له من حيث هبَّت ، وذلك لأنَّ رَيدة فاعل بمحذوفٍ يفسِّره نفحت ، فلو كان نفحت مضافا إليه حَيْثُ لزم بطلان
١٥٣ التفسير ، إذِ المضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ، فلا يفسِّر عاملا فيه .

قال أبو الفتح (فى كتاب التمام [(٢)]) : ومن أضاف حيثُ إلى المفرد أعربَها . انتهى .

وقال العينى : إنّ حيث لم يضف فى البيت إلى جملة ، فيكون معربا ومحلُّه النصب على الحالية . انتهى .

يريد ما ذكره أبو الفتح من أنَّها إذا أُضيفت إلى مفرد أعربت ، فتكون منصوبة لفظاً على الظرفية ، وعاملها مقدَّر منصوب على الحالية ، كما قالوا مثله فى : رأيت الهلالَ بين السحاب . هذا مرادهُ .

وقال شارح شواهد المغنى : الصواب أنَّها ظرف لضرب لا حال ، فإنَّها ظرف مكان ، كما أنَّ تحت ظرف مكان لنطعَنُهم .

ولم يفهم ابن الملا الحلبى (فى شرح المغنى) عبارةَ العينى وزيَّفها ، وهذا كلامه ، ومن خطه نقلت : وقول العينى هنا أنَّ (حيث) حيث لم

---

(١) اللسان (ريد) . وستأتى فى ص ٥٥٩ نسبته إلى أبى حية النميرى كما وردت النسبة فى العينى ٣ : ٣٨٦ .

(٢) كتاب التمام فى تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكرى . وقد طبع فى بغداد سنة ١٩٦٢ بتحقيق الأساتذة : القيسى ، وخديجة ، ومطلوب .

تضف إلى جملة معربة محلُّها النصب على الحال ، مردود ، إذْ لا معنى لجعل إعرابها محليا مع الحكم عليها بأنَّها معربة . انتهى .

وقول شارح أبيات المغنى « كما أنَّ تحت ظرف مكان لنطعنهمْ » . هذه رواية العينى ، أخذها منه ، فإنّ صاحب المغنى لم يورد إلَّا المصراع الثانى .

والمشهور فى شرح المفصل وغيره أنَّ الرواية « حيثُ الحبا » ، قال ابن المستوفِى (فى شرح أبيات المفصل) : يجوز أن يكون حيثُ مضافاً إلى الحُبا على حدّ حيث لىّ العمائم ، إلّا أنّه لا يظهر فيه الإعراب . والحُبا : جمع حُبوة ، وهو أن يجمع الرجلُ ظهَره وساقيه بعمامته ، وقد يحتبى بيديه . وفيها ضم الحاء وفتحها . وقال الجوهرى : والجمع حِبىً مكسور الأول [1] ؛ عن يعقوب . والذى أنشده شيخنا البحرانى وكتبه بخطه : الحبا بضم الحاء وبالألف . انتهى .

ورواية الشارح المحقق فى جميع نسخه : « الكُلى » بدل الحبا . وبهذه الرواية تمم المصراعَ الدَّمامينى ، وتبعه ابن الملا . وهو جمع كُلية ، والكُلوة لغة فيه . وقال ابن السكيت : ولا تقل كِلوة أى بكسر الكاف . والمراد بالروايات الثلاث الأوساط . ولكِلٍ كُليتان ، وهما لحمتان لازقتان بعظم الصُّلب عند الخاصرتين .

وقوله : (ونطعنهم) قال صاحب المصباح : طَعنه بالرُّمح طعنا من باب قتل . ثم قال : وطعنت فيه بالقول ، وطعنت عليه من باب قتل أيضا ؛ ومن باب نفع لغة . وأجاز الفراء يَطعَن فى جميع معانيه بالفتح ، لمكان حرف الحلق . وفى القاموس : طعنه بالرمح كمنعه ونصره طعناً : ضربه ، وفيه بالقول

(١) ش : « بكسر الأول » ، وما أثبت من ش يوافق ما فى الصحاح .

طعنا . وقال شارح أبيات المغنى : يقال طعَنَه بالرمح يَطْعُنه بالضم فى المضارع ، وكذا كل ما هو حِسِّىٌّ . وأما المعنوىّ (١) كيطعَن فى النّسب فبفتح العين .

وقوله : (بعد ضربهم) مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والفاعل محذوف ، أى ضربِنا إيَّاهم . وقوله (ببيض المواضى) بالكسر : جمع أبيض ، وهو السيف .

والمواضى : جمع ماضٍ ، وهو القاطع الحادّ ، والإضافة من باب إضافة الموصوف إلى الصفة . وقال العينى : البَيْض بفتح الباء : الحديد . والمواضى : السُّيوف . أراد ضربهم بحديد السيوف فى رُءُوسهم . ويجوز كسر الباء إلى آخر ما ذكرنا . ولا ينبغى لمثله أن يسوِّد وجه الورق الأبيض بهذه التُّرَّهات .

وهذا البيت لم يُعرف له قائل . قال ابن المستوفى : هذا البيت لا يحُسن أن يكون من باب ما يُفْتخر به ، لأنّهم إذا ضربوهم مكان لىِّ العمائم ولم يموتوا ، واحتاجوا إلى أن يطعنوهم مكانَ الحُبا – وعادة الشجاع أن
١٥٤ يأتىَ بالضَّرب بعد الطعن – فهذا منهم فعلُ جَبانٍ خائِف غير متمكِّن من قتل قِرنه . وإنّما الجيِّد قول بَلعاءَ بن قيس ، من بنى ليث بن كنانة :

وفارسٍ فى غمرات الموت منغمسٍ
إذا تألَّى على مكروهةٍ صدقا (٢)
غشَّيته وهو فى جأواءَ باسلةٍ
عَضباً أصاب سواءَ الرأس فانفلقا

---

(١) فى النسختين : « المعنى » ، وأثبت ما فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٢) الحماسة ٥٩ بشرح المرزوقى .

بضربةٍ لم تكن منّى مخالسة
ولا تَعجّلتُها جُبنا ولا فرَقا

فانظر كيف وصف قِرنه بما وصف به ، ووصف موضعَه وبالغ فى وصفهما (١) ، ووصف ضربته بما يدلُّ على جرأته وشجاعته . انتهى .

هذا ولم يورد الزمخشرى (فى المفصل) هذا البيت بتمامه ، وإنّما قال : وقد روى ابنُ الأعرابىِّ بيتاً عجزه :

* حيث لىِّ العمائم *

قال التبريزى (فى شرح الكافية) . إنَّما لم ينشد البيت بتمامه للاختلاف فى صدره ، فبعضهم رواه كما ذكر ، وبعضهم قال : صدره :
ونحن سَقينا الموتَ بالسَّيف مَعْقِلاً
وقد كان منهم حيثُ لىِّ العمائِم

انتهى .

وقال ابن المستوفى : وما أُنشده ابنُ الأعرابى فقد قال الأندلسىُّ : وجدت أنا تمامه فى بعض حواشى المفصَّل ، وهو :
ونحن قَتلنا بالشآم مغَفَّلا
وقد كان منا حيث لىِّ العمائم

قال : ولا أعلم صحته . وأوّله على ماأ نشدَنيه شيخنا محمد بن يوسف البحرانى :

(١) ط : « فى موضعهما » ، صوابه فى ش .

ونطعنهم حيث الحُبَا بعد ضربِهم .. البيت

ولم يتمَّه بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) إلّا بقوله :

(ونحن سقينا الموتَ بالشَّام مَعقِلا
وقد كان منكم حيثُ لىِّ العمائِم)

وقال : المعنى ونحن سقينا هذا الرجل ، وهو مَعقِلٌ ، كأس الموت بهذه البلدة ، وقتلناه ، وقد كان هذا الرجلُ منكم فوق الرءوس منكم ، أى كان رئيسَكم وعالياً عليكم . وقال بعض الشارحِين : معناه قد كان المعقِل منكم ، وهو الملجأ ، فى مكان لىّ العمائم ، وهو الرأس . وهذا ليس بظاهر . انتهى .

وهذا البيت أيضاً لم يعرف قائله .

أقول : البيت الذى رواه ابن الأعرابى غير ذينك البيتين . قال الصاغانى (فى العُباب) : وروى ابن الأعرابىّ بيت كُثيِّر :

وهاجرةٍ يا عَزُّ يلطُف حرُّها
لركبانها مِن حيث لىِّ العمائمِ
نَصبتُ لها وجهى وعَزَّةُ تَتَّقِى
بجِلبابِها والسِّترِ لفحَ السمائمِ

ويروى : « من تحت لوث العمائم » .

ولعلّ الزمخشرى لم ينشده لرجحان الرِّواية الثانية عنده .

وأمّا البيت الذى أنشده صاحب المغنى ، وهو :

* إذا رِيْدةٌ من حيث ما نفحت له * إلخ .

فهو لأبى حية النُّمَيرىّ : شاعر إسلامىّ أدرك الدولة الأموية والعباسية . توفِّىَ سنة بضع وثمانين ومائة .

والريدة ، براءٍ مهملة مفتوحة ومثناة تحتية بعدها دال : الريح اللينة الهُبوب . ونفحت : هَبَّت . والريَّا : الرائحة .

وقد أورد أبو علىٍّ هذا البيت (فى الإيضاح الشعرى) وتكلَّم عليه فيه ، ولم يظفر به أحدٌ من شرَّاح المغنى ، فلا بأس بايراده . قال :

وصفَ أبو حيَّة النميرى بهذا البيت حِماراً . يقال ريحٌ رادَة ورَيْدة ١٥٥
وريدانة : اللَّينة . وريَّاها : ريحها . وخليل ، يعنى أنفَه . يقول : تأتيه الريح لتنسُّمه إياها بأَنفه . فإذا هذه ، هى التى هى ظرفٌ من الزمان ، لأنَّ المعنى : إذا نفحت ريحٌ تنسَّمها . وإذا كانت كذلك كانت « ريدة » مرتفعة بفعل مضمر يفسِّره نَفَحتْ ، مثل : ﴿ إذَا السّماء انشقَّتْ [1] ﴾ ونحو دلك ، ومِن متعلِّقة بالمحذوف الذى فسّره « نفحَتْ » . وما أضيف إليه « حيث » محذوف كما يُحذف ما يضاف إليه إذْ فى يومئذٍ للدلالة عليه ، وأنّه قد عُلم أنَّ المعنى إذا نفحت من حيث ما نفحت . وإن شئتَ قلت : إن حيث مضافة إلى نفحت ، وريدة مرتَفعة بفعل مضمر دلّ عليه نفحت ، وإن كان قد أُضيف إليه حيث ، كما دلّ عليه الفعل الذى فى صلة أنَّ فى قولك : لو أنَّك جئتنى لأكرمتك ، وأغنى عنه . فكذلك هذا الفعلُ المضاف إليه حيث ، أغنى عن ذلك الفعل لمّا دلّ عليه ، كما قلنا فى لو . ألّا ترى أنَّ المضافَ إليه مثلُ ما بعد الاسم الموصول ، فى أن كلَّ واحدٍ منهما لا يعمل فيما قبله . ومع

(١) الآية الأولى من سورة الانشقاق .

ذلك فقد أُغنى الفعلُ الذى فى صلة أنَّ عن الفعل الذى يقتضيه لوْ ، وإن كان قبل الصلة . فكذلك الفعل المضاف إليه حيثُ . انتهى بكلامه وحروفه .

و « ما » تكون زائدة فى التوجيهين .

ونُقل عن ابن مالك أنَّها فى التوجيه الأوّل عوضٌ عن الجملة المحذوفة ، كالتنوين الذى فى حِينئذٍ .

وبالتوجيه الثانى يسقط قول ابن هشام : « فلو كانت نفحة مضافاً إليه (١) لزم بطلان التفسير ، إذ المضافُ إليه لا يعمل فيما قبل المضاف » . ويتأيّد قولُ الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : لا مانع من كون نفحت مضافاً إليه مع جَعْله مفسِّرا .

وما استند إليه منظورٌ فيه ، لأنَّ الظاهرَ من كلامهم أنّ امتناع تفسير ما لا يعمل مخصوصٌ بباب الاشتغال .

* * *

تم بعون الله وتيسيره الجزء السادس – من خزانة الأدب – بتقسيم محققها

(١) ش : « مضافا إليها » .

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

(ب) فهرس الشواهد

بقية باب الموصول

باب الحكاية بمَنْ وما وأى

باب أسماء الأفعال

باب الأصوات

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ – ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء السابع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

○ الطبعـــة الثالثـة ○

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

مطبعة المدني

المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٩٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنشد بعده : وهو الشاهد الحادى بعد الخمسمائة :

٥٠١ (أَمَا ترى حيثُ سُهَيلٍ طالعَا)

وبعده :

* نجمًا يضيء كالشِّهاب ساطعا *

على أنَّ حيثُ مضافةٌ إلى مفرد بِنُدرة ، وسهيل مجرور بإضافة حيثُ إليه . وفى هذه الصورة يجوز بناء حيثُ وإعرابها . ورُوىَ برفع سهيل على أنَّه مبتدأٌ محذوف الخبر ، أى موجود ، فتكون حيث مبنيَّةً مضافة إلى الجملة ، وهى هنا على كلِّ تقديرٍ وقعت مفعولا (١) لترى ، لا ظرفًا له . هذا محصَّل كلام الشارح المحقق .

قال أَبو على (فى إيضاح الشعر) : هذا البيت أَنشده الكسائىُّ وجعل حيثُ اسما ولم يعربْه ، لأَنَّ كونه اسما لا يُخرجه عن البناء ، كقوله تعالى : ﴿ من لدُنْ حكيم خبير (٢) ﴾ . يريد أَنَّ موضع حيث

---

(١) ش : « مفعولة » .

(٢) الآية الأولى من سورة هود . وفى ش : « حكيم عليم » من الآية ٦ من سورة النمل .

النصبُ بترى ، فإنْ قلت : إنّ حيث إنّما جاءَ اسما فى الشعر ، وقد يجوز أن تجعل الظروف أسماءً [1] فى الشعر . فالجوابُ أنَّ ذلك قد جاء اسمًا فى غير الشعر . وقد حكى أحمد بن يحيى عن بعض أصحابه أنهم قالوا : هى أحسنُ الناس حيثُ نظرَ ناظرٌ ، يعني الوجه . فهذا قد جاءَ فى الكلام . وممَّا جاءَ مفعولاً به قوله تعالى : ﴿ الله أعلمُ حيث يجعل رسالاته [2] ﴾ كما تقدم . اهـ .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : مذهب البصريِّين أنَّه لا يجوز
١٥٦ إضافتها إلى المفرد ، وما سُمِع من ذلك نحو :

* حَيثُ ليِّ العمائم [3] *

نادر . وأجاز الكسائى الإضافة إلى المفرد قياسًا على ما سمع [من] إضافتها إلى المفرد . اهـ .

ولا يخفى أنَّ إعراب هذا الشعر مشكل . والذى أراه أنَّ الرؤية بصرية ، وأنَّ حيث مفعول به لترى ، وسهيل مجرور بإضافة حيث إليه ، وطالعا حال من سهيل . ومجئ الحال من المضاف إليه وإن كان قليلا فقد ورد منه كثيرٌ فى الشعر . قال تأبَّط شرًّا :

سَلبتَ سلاحى بائسًا وشتمتَنى فيا خير مسلوبٍ ويا شرَّ سالبِ

فبائسا حالٌ من الياء .

قال [4] أبو على (فى المسائل الشّيرازيات) : قد جاءَ الحال

---

(١) ط : « اسما » .

(٢) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام . وهذه قراءة الجمهور . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالإفراد ، ووافقهما ابن محيصن . إتحاف فضلاء البشر .

(٣) انظر الشاهد ٥٠٠ فى الجزء السادس .

(٤) ش : « وقال » .

من المضاف إليه فى نحو ما أنشده أبو زيد :

عَوذ وبُهثَةُ حاشدونَ ، عليهم حَلَقُ الحديدِ مُضاعَفًا يتلهَّبَ (١)

ومضاعفًا حال من الحديد . اهـ .

وقال الشاطبى (فى شرح الألفية) : مثُل هذا إنما يكون على توهُّم إسقاط المضاف ، اعتبارًا بصحَّة الكلام دونه . ومِن هنا أجاز الفارسيُّ فى قول الشاعر (٢) :

أرى رجلاً منهم أسيفًا كأنَّما يضمُّ إلى كشحيهِ كَفًّا مخضَّبا

أَنْ يكون مخضبًا حالا من الهاء فى كَشحيه وهو مضاف ، ولكنَّه فى تَقدير : يضمُّ إليه ، لأنَّه إذا ضمَّه إلى كشحيه فقد ضمَّه إليه ، فكأنه قال : يضمّ إليه ، فهو فى التقدير حال من المجرور بحرف ، وهو جائزٌ كما تقدم . وكذلك جَعْلُ مضاعفًا من قوله « حلق الحديد مضاعفا يتلهَّب » حالًا من الحديد . اهـ .

وكذلك المعنَى هنا ، فجاء طالعًا حالاً من سهيل على توهُّم أنَّه مفعول وسقوط حيث ، فيكون نجمًا على هذا بيانًا لسهيل أَوْ بدلاً منه . ويجوز أن يكون منصوبا على المدح .

ونقل الدمامينى (فى الحاشية الهندية) عن شارح اللباب أَنَّ طالعًا مفعول ثان لترى ، أو حال من سهيل إن جعلت حيثُ صلة ، بمنزلة مقامَ فى قوله :

---

(١) من شواهد الخزانة ٣ : ١٧٣ . وهو لزيد الفوارس .

(٢) الأعشى . ديوانه ٨٩ وابن الشجرى ١ : ١٥٨ ، ٢٢٧ والإنصاف ٧٧٦ .

* نفيت عنه مقام الذئب (١) *

وإن لم يُجعَل (٢) صلة يكون حالا ، والعامل معنى الإضافة ، أى مكانا مختصا بسهيل حال كونه طالعا . ويجوز أن يكون حيث فى البيت باقيًا على الظرفية ، وحذف مفعول ترى نَسْيا (٣) كأنَّه قيل : أما تُحدِث الرؤية فى مكان سهيل طالعا . اهـ .

قلت : جعلُ العاملِ معنى الإضافة غير مرضيّ عندهم ، وكذا القولُ بزيادة حيث ، والأَوْلى أن تُجعلَ الحال من ضميرٍ يعودِ إلى سهيل حذف هو وعامله للدلالة عليه ، أى تراه طالعا . هذا كلام الدمامينى .

وقال اللَّبْلىّ (٤) (فى شرح أدب الكتاب) (٥) : من جرَّ سهيل نصب طالعًا حالًا من حيث ، لأَنَّ الحال من المضاف إليه ضعيفة . والتقدير : حيث سهيل طالعا فيه ، وحيث مفعول . [وإن جعلت] (٦) ترى بمعنى تعلم كان طالبا مفعولًا ثانيا . ولا يجوز أن يكون حيث ظرفًا لفساد المعنى . اهـ .

---

(١) قطعة من بيت للشماخ فى ديوانه ٩٢ . وتمام إنشاده :

ذعرت به القطا ونفيت عنه   مقام الذئب كالرجل اللعين

وهو من شواهد الخزانة ٤ : ٣٤٧ .

(٢) ش : « تجعل » .

(٣) النسى ، بالكسر والفتح : النسيان . والنسيان يأتى بمعنى الترك .

(٤) فى ط : « النيلى » ، وفى ش : « النسفى » والوجه ما أثبت ، وانظر الحاشية التالية .

(٥) فى النسختين : « هذا الكتاب » والوجه ما أثبت ، وانظر ما سبق فى الجزء السادس ص ١٠١ .

ومن المعروف أن أدب الكاتب لابن قتيبة يسمى أيضا أدب الكتاب ، وعلى ذلك ألف ابن السيد كتابه : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من ش .

وقال العينى : حيث معرب إمّا منصوبٌ على الظرفيَة أو على المفعولية ، ويكون ترى عِلمْية مفعولهُ الأَول حيث ، ومفعوله الثانى طالعا ، أو تكون ترى بصرية فتكون حيث مفعولا به وطالعا حالا من حيث ، لا من سهيل . هذا كلامه .

وأَمَّا إن رفع سهيل [1] فطالعا حالٌ من ضمير خبر سهيل ، ونجما منصوب على المدح . وسُهيلٌ : نجمٌ عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضى القيظ . والشِّهاب : شعلة من نار ساطعة أى مرتفعة ، فيكون ساطعا حالاً مؤكِّدَةً . والهمزة فى أَمَا للاستفهام . وهذا الشعر لم أَعرف قائله ، والله سبحانه أَعلم . ١٥٧

وقال التبريزى (فى شرح الكافية الحاجبية) : وأَمَّا قوله :

وأَننى حيثُ مايدنى الهوى بَصَرى من حيث ماسلكوا أَدنو فأَنظورُ [2]

فمن جَوَّز إضافته إلى المفرد فما مصدرية ، أى من حيث السلوكِ : ومن لا يجوِّز يجعله [3] فى محل المبتدأ وخبره محذوف ، فيكون مضافا إلى الجملة ، أو ما زائدة اهـ .

وقال أَبو حيان (فى الارتشاف) : والجملة التى تضاف إليها حيث شرطها أَن تكون خبرية اسمية أَو فعلية ، مثبتة ، مصدَّرة بماض أَو مضارع مثبتين ، أو منفيَّين بلم أَو لا . فأَمّا قوله من حيث ما سلكوا فما زائدة .

* * *

(١) ش : « وان رفع سهيل » .

(٢) من شواهد الخزانة ١ : ١٢١ . والبيت لابن هرمة فى ديوانه ١١٨ عن سر الصناعة وشرح المعلقات للزوزنى ٢٨٦ . وقد أغفلت نسبته فى الجزء الأول من الخزانة ، فلتثبت فى الحاشية .

(٣) ش : « لا يجعله » .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الخمسمائة :

٥٠٢ (لَدَى حيثُ أَلقتْ رحلَها أُمُّ قَشْعِمِ)

هذا صدر وعجزه :

* فشدَّ ولم تَفْزَع بيوتٌ كثيرةٌ *.

على أَنَّ (حيث) المضافة إلى الجملة والمفرد قد تفارق الظرفية فتجرّ ، كما فى البيت ، فإنَّها فى موضع جرّ بإضافة لدى إليها ، وقد تنصب على المفعوليَّة كما فى قوله تعالى : ﴿ الله أَعلم حيثُ يجعلُ رسالاتِه ﴾ (١). وقد تنصب على التمييز كما فى : هى أَحسن الناسِ حيثُ نظرَ ناظرٌ ، يعنى وجهًا .

قال ابن هشام (فى المغنى) : والغالب كونها فى محل نصبٍ على الظرفية أَو خفضٍ بمن ، وقد تخفض بغيرها كقوله :

* لدى حيثُ أَلقتْ رحلها أُمُّ قشعم *

وقد تقع مفعولاً به وِفاقًا للفارسى ، وحمل عليه : ﴿ اللهُ أَعلمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رسالاته ﴾ ، إذ المعنى أَنه تعالى يعلم نفسَ المكان المستحِقِّ لوضع الرسالة فيه لا شيئًا فى المكان . وناصبها يعلم محذوفًا مدلولاً عليه بأَعلمُ لا بأَعلم نفسِه ، لأَنّ أَفعل التفضيل لا ينصب المفعول به . فإنْ أَوّلْته بعالم جاز أَن ينصبه فى رأْى بعضهم . ولِمَ تقع اسماً لإنَّ ، خلافًا لابن مالك ، ولا دليل له فى قوله :

إنَّ حيث استقر من أَنت راعيـ ـهِ حِمًى فيه عزَّةٌ وأَمانُ (٢)

(١) الآية ١٢٤ من الأنعام . وقد سبق التعليق عليها قريبا .

(٢) البيت غير منسوب . انظر العينى ٢ : ١٤ والهمع ١ : ١١١ . وما بعد البيت إلى كلمة « اسما » ساقط من ش .

لجواز تقدير حيث خبرًا وحمى اسمًا . فإنْ قيل : يؤدِّى إلى جعل المكان حالاً فى المكان . قلنا : هو نظير قولك : إنّ فى مكة دارَ زيد . ونظيره فى الزمان : إن فى يوم الجمعة ساعةَ الإجابة . اهـ .

وقوله : « والغالب كونُها فى محل نصب على الظرفية أو خفض بمنْ » ، بقىَ عليه خفضُها بالباء وبغيرها . قال أبو حيان فى (الارتشاف) : إنَّها جُرّت بمن كثيرًا ، وبِفِى شاذًّا ، نحو :

* فأصبح فى حيث التقينا شريدهم (١) *

وبعلَى . قال :

* سلامٌ بنى عمرو على حيثُ هامُكم *

وبالباء ، نحو :

* كانَ منا بحيثُ يُعْكَى الإزارُ (٢) *

وبإلى ، نحو :

* إلى حيثُ ألقت رحلَها أمُّ قشعمِ *

وأُضيفت لدى إليها فى قوله : « لدى حيث ألقت رحلها » . وتمام الدليل فى الآية أنْ يقال : لا يجوز أن تكون حيث ، ظرفا ، لأنّ عِلْمَ الله لا يختصُّ بمكان دون مكان . ولا يجوز أن تكون مجرورة بإضافة أعلم إليها ، لأنَّها ليست بصفة وهى شرطٌ فى إضافة أفعل التفضيل . ولا يجوز أن تكون منصوبة به ، لأنَّ أفعل التفضيل لا يعمل النصب فى الظاهر .

---

(١) وكذا ورد هذا الصدر فى الهمع ٢ : ٢١٢ .

(٢) ط : « يعلى » تحريف ، صوابه فى ش والدرر اللوامع ١ : ١٧١ . يعكى : يشد البطن .

١٥٨ وإذا بطل ذلك تعيَّن أَن يكون منصوبا على المفعول به بفعل مقدّر دلَّ عليه أَعلم ، أَى الله أَعلم يعلم حيث يجعل ، كقوله :

* وأَضربَ منَّا بالسيوف القوانسا *

أَى أَضرب منَّا يَضرِبُ القوانس بالسُّيوف .

وجوَّز السفاقسى أَن تكون باقية على الظرفيَّة ، قال : فإِنَّه لا مانع من عمل أَعلم فى الظرف . والذى يظهر لى أَنَّه باق على ظرفيته ، والإشكال إِنَّما يردُ من حيث مفهوم الظرف ، وكم موضع تُرك فيه المفهوم لقيام الدليل على تركه . وقد قام الدليل القاطع فى هذا الموضع . اهـ .

وقوله:لا دليل له فى قوله إِنَّ حيث استقر إلخ ، يريد : أَنَّ حيث فيه ظرف ، وهو خبر مقدَّم ، وحمى اسم إِنَّ مؤخَّر كقولهم : إِن عندك زيدًا . ويرِدُ عليه أَنَّ هذا الحمل غير مراد ، وإِنَّما المعنَى إِنَّ مكانا استقر فيه جماعةٌ أَنت راعيهم وحافظُهم هو حمًى فيه العزَّة والأَمان . فتأَمَّلْ . والحمى : المكان المحميُّ من المكروه .

وقد ذكر أَبو حيان (فى تذكرته) أَن حيث تقع اسما لكأَنَّ ، وتقع مبتدأً ، وأَورد مسائل تمرين لحيث فلا بأْس بايرادها هنا ، قال :

إِذا قيل : حيث نلتقى طيِّبٌ ، حكم على حيثُ بالرفع لأَنَّه اسم المكان الذى خبره طيِّب ، وهو نائب عن موضعين أَسبقهما محدود خبره طيِّب ، وآخرهما مجهول ناصبه نلتقى . تلخيصه : الموضع الذى نلتقى فيه طيِّب . وقال الشاعر :

كان حيثُ نلتقى منه المحلّ   من جانبيه وَعِلانِ ووَعِلْ

* ثلاثةٌ أَشْرفنَ فى طَود عُتُلّ *

أُنشد هذا الشعرَ هشام وقال : ثلاثة خبر كان .

وإذا قيل إنَّ حيث زيد ضربت عمرًا ، ففيها وجهان : رفع زيد ونصب عمرو ، ونصب زيد وعمرو . فعلى الأوَّل أُبطل إنَّ فى ظاهر الكلام ، ونصب عمرًا بضربت ، ورفع زيدًا بحيث لنيابة زيد عن محلَّين أُسبقهما يطلبه الضرب وآخرهما يرفع زيدا ، وتقديرها : إنَّ فى المكان الذى فيه زيد ضربت زيدا . والكسائى يقول : ليس لإنّ اسم ولا خبر . لأنَّها مبطَلة عن ضربت ، إذ لم تكن من عوامل الأَفعال . والبصريون يضمرون الهاءَ مع إنَّ ، ويجعلون الجملة الخبر . والفراء يقول : ضربتُ سدَّ مَسَدَّ ضاربًا أَنا . وقال هشام : يقال حيثَ زيدٌ عمرٌو ، بفتح الثاء ورفع زيد وعمرو ، وحيثَ زيدٍ عمرو بفتح الثاء وخفض زيد . وأَما الفتح مع رفع زيد فمُفارِقٌ للقياس يجرى مجرى قول من يقول : حيثُ زيدٍ عمرو ، فيضمُّ الثاء ويخفض بها زيدًا . قال :

* أَما ترى حيثَ سهيلٍ طالعا *

وقد حكوا عن العرب حيثُ سهيلٍ بضم الثاء وخفض سهيل ، وهو فاسدُ العلَّة ، لأَنَّ ضم الثاء يوجب رفع سهيل ، كما أَن فتح الثاء يُوجَب به خفض سهيل . ولا ينبغى أَن يبنى إلَّا على الأكثرِ والأَعرف والأَصحِّ علة .

وإذا قيل : إنَّ حيث أَبوك كان أَخوك ، رفع الأَخ بكان وحيث

خبر كان ، والأب رفع بحيث لنيابتها عن محلّين أحدهما خبر كان والآخر رافع الأب وإنَّ مبطَلة عن كان ، والتقدير : إنَّ فى المكان الذى فيه أبوك كان أخوك . ويجوز إنَّ حيث أبوك كان أخاك ، فأخاك اسم إنَّ وحيث خبرُ إنَّ ، وأبوك رفع بالراجع من كان ، وحيثُ خبر كان ، والتقدير : إنّ أخاك فى المكان الذى كان فيه أبوك .

وإذا قيل إنَّ حيث أبوك قائم أخاك جالس ، نصب الأخ بإنّ وجالس خبر إنّ ، ورفع قائم بالأب ، وحيث نائبة عن محلين : أحدهما صلة الجالس [1] وهو الأسبق ، وآخرهما صلة قائم . ويجوز : إنَّ حيث أبوك قائمًا أخاك ١٥٩
جالس ، الأخ وجالس على ما كانا عليه [2] والجواب الأول ، وقائمًا نصبٌ على الحال من أبيك ، وحيث متضمنة لمحلّين أوّلهما صلة الجالس [3] وآخِرُهما رفع للأب . ويجوز : إنَّ حيث أبوك قائمًا أخاك جالسًا ، أخاك اسم إنَّ وحيث خبر إن ، وهى رافع الأب وقائماً حال الأب وجالسا حال الأخ . ويجوز إنَّ حيث أبوك قائم أخاك جالسًا ، أخاك اسم إنّ وحيث متضمِّن محلين أولهما خبر إنّ وآخرهما صلة قائم ، وقائم رفع بأبيك ، وجالسا نصب على الحال من أخيك . وإن فتحت ثاء حيث وأُضيفَتْ قيل : إن حيثَ أبيك قائمًا أخاك جالسٌ وجالسًا ، على التفسير المتقدم . انتهى ما أورده أبو حيان .

وقال (فى الارتشاف) : لم يجئ فاعلا ولا مفعولا به ولا مبتدأً . وقد فرّع الكوفيون صورًا على حيثُ ، منها : حيثُ نلتقى طيِّب .

---

(١) ش : « صلة الجالس » .

(٢) ش : « كان عليه » .

(٣) ط : « صفة جالس » وأثبت ما فى ش .

ثم ذكر بعض ما أورده فى التذكرة .

صاحب الشاهد والبيت من معلقة زهير بن أبى سلمى ، ولا بدَّ من إيراد شىءٍ ممّا قبله ليتضَّحَ معناه. وهذه أبيات مما قبله ومما بعده :

أبيات الشاهد

(لَعمرِى لنعم الحىُّ جَرَّ عليهمُ ... بما لايُواتيهم حصينُ بن ضَمضمِ

وكان طوَى كشحًا على مستكِنَّةٍ ... فلا هُوَ أبداها ولم يتقــدَّمِ

وقال : سأقضِى حاجتى ثُمَّ أتقى ... عدوِّى بأَلِفٍ من ورائىَ مُلْجِمِ

فشَدَّ ولم تفـزع بيـوتٌ كثيرةٌ ... لدى حيثُ ألقت رحلَها أُمُّ قشعمِ

لدى أسدٍ شاكِى السلاح مقذَّفٍ ... له لِبَدٌ أظفــارُه لم تقلَّــم

جرىءٍ متى يُظَلَمْ يُعاقِبْ بظلمه ... سريعاً وإلَّا يُبْدَ بالظُّلم يَظلِمِ)

أراد بالحىّ حىَّ مُرَّةَ مِن بنى ذبيان . وجَرَّ : ماضٍ من الجريرة ، وهى الجناية . ويواتيهم : يوافقهم . وحصين بن ضَمضم هو ابن عمِّ النابغة الذُّبيانى ، وكانت جنايته أنَّه لما اصطلحت قبيلةُ ذبيانَ مع قبيلةِ عبسٍ امتنع حصينٌ هذا من الصُّلح واستتر من القبيلتين ، لأنَّ وردَ بنَ حابسٍ العبسىَّ كان قتل هرِمَ بن ضَمضم ، وهو أخو حصين ، فحلف حُصينٌ لا يغسِلُ رأسَه حتَّى يقتل وَردا أو رجلًا منهم . ثم أقْبَلَ رجلٌ من بنى عبس فنزل بحُصين بن ضَمضم ، فلمَّا علم أنَّه عبسىٌّ قتله ، فكاد الصُّلحُ ينتقض ، فسَعى بالصلح وتحمَّل الديةَ الحارثُ بن عوف وهرم بن سنان . ولهذا مدحَهم زهير بقوله : لنعم الحىُّ .

وقد تقدم الكلام على هذه القصيدة وعلى سبَبها مفصلا فى

الشاهد السادس والخمسين بعد المائة (١) .

وقوله : « وكان طوَى كشحا » إلخ اسم كان ضمير حصين . والكشح : الخاصرة ، يقال طوى كشحَه على كذا ، أى أضمره فى نفسه . والمستكِنَّة : المستترة . أىْ أضمر على غدرةٍ مستترة . وقولهُ : « فلا هو أبداها » أى : ما أظهرَ الغدرةَ المستكِنَّة ولا تقدَّم فيها قبل الصُّلح . وروى « ولم يتجمجم » بجيمين ، أى لم يتنَهْنَه عما أراد مما كَتَم . وقال الأعلم : أى لم يدع التقدُّمَ فيما أضمر ، ولم يتردَّد فى إنفاذه .

وشرح هذين البيتين تقدَّم فى الشاهد السادس والأربعين بعد المائتين (٢) .

وقوله : « وقال سأقضى حاجتى » إلخ فاعل قال ضمير حصين . وحاجتُه : ما كان أضمره فى نفسه من قتل عَبسِىّ . وورائى أى أمامى كقوله تعالى : ﴿ وكان وَراءهُمْ مَلِكٌ (٣) ﴾ ، وقوله : ﴿ ومِنْ ورائه عذابٌ (٤) ﴾ . وملجم يروى بكسر الجيم ، أى بألف فارس مُلْجِم فرسَه . ويروى بفتح الجيم ، أى بألف فرس مُلجَم . وأراد بها فُرسانها . قال الأعلم : أى سأُدرك ثأرى ثم أَلقَى عدوّى بألف ، أى أجعلهم بينى وبين عدوِّى . يقال اتَّقاه بحقِّه ، أى جعله بينه وبينه . وجعل ملجما على لفظ ألف فذكَّره ، ولو كان فى غير الشعر لجاز تأنيثه على المعنى . اهـ . وذلك لأنَّ فرسًا ممَّا يذكر ويؤنَّث .

---

(١) الخزانة ٢ : ٥ .

(٢) الخزانة ٤ : ٣ – ٤ .

(٣) الآية ٧٩ من سورة الكهف .

(٤) الآية ١٧ من سورة إبراهيم .

وقوله : « فشدَّ » إلخ أى حمل حصينٌ على ذلك الرجل العبْسىِّ فقَتله ولم تَفزع بيوت كثيرة ، أى لم يعلم أكثرُ قومِه بفعله . وأَراد بالبيوت أَحياءً وقبائل . يقول : لو علموا بفعله لفزِعوا ، أى لأَغاثوا الرجل العبسىَّ ولم يَدعُوا حصينًا . وإنما أَراد بقوله هذا أَنْ لا يُفسِدوا صلحَهم بفعله . وقوله : « حيثُ أَلقت رحلَها » أى حيث كان شدّة الأَمر ، يعنى موضع الحرب . وأُمُّ قشعم : كنية الحرب ، ويقال كنية المنيَّة . والمعنى أَنَّ حُصَينًا شدَّ على الرجل العبسىِّ فقتله بعد الصُّلح ، وحين حطَّت رحلها الحرب ووضعت أَوزارَها وسكنت . ويقال هو دعاء على حُصين ، أى عدا على الرجل العبسىِّ بعد الصلح وخالف الجماعة ، فصيَّره الله إلى هذه الشدة ! ويكون معنى أَلقت رحلها على هذا : ثَبَتَتْ وتمكَّنت .

هذا كلام الأَعلم (فى شرح الأَشعار الستة) . وتَفْزَع على روايته بالبناء للفاعل .

وقال التبريزى : معناه شدَّ على عدُوِّهِ وحدَهُ فقتله ، ولم تَفزع العامَّة بطلب واحد (١) وإنَّما قصد الثأْر ، أى لم يستعن على قتله بأَحد .

ونقَل صَعُوداءُ (٢) (فى شرح ديوان زهير) عن قوم ، أَنّ أُمَّ قشعم على هذه الرواية هى أُمُّ حصين ، أى فلم تفزع البيوت التى بحضرة بيتِ أُمِّه ، لأَنَّه أَخذَ ثأْره . فلدى على قول الأَعلم ظرف متعلِّق بشدَّ ، وعلى

---

(١) أى بطلب واحد منهم .

(٢) ش : « صاعوراء » ، تحريف . وهو محرز بن هبيرة الأسدى أبو سعيد النحوى الكوفى ، وهو أستاذ عبد الله بن المعتز . معجم الأدباء ١٩ : ١٠٥ وإنباه الرواة ٢ : ٨٥ وتاريخ بغداد ٣ : ٣٧٠ وابن النديم ٧٤ . قال القفطى : « ولقبه أشهر من اسمه » . ولذا أورده فى رسم الصاد .

قول صَعوداء يكون لدى متعلقا بمحذوف على أنّه صفة ثانية لبيوت أو حالٌ منه .

وروى الزوزني : « ولم يُفزع بيوتًا » ، على أن فاعله ضمير حصين ، وقال : أى لم يتعرَّض لغيره عند مُلقى رحلِ المنيَّة . ومُلْقَى الرِّحال : المنزل ، لأنَّ المسافر يُلقى به رحله ، أى أثاثه ومتاعه . أراد : عند منزل المنيَّة . وجعله منزل المنيَّة لحلولها فيه . فعلى هذا يكون لدى متعلقا بتُفْزِع مضارع أفزعه أى أخافه ، بخلاف الأوَّل فإنَّه مضارع بمعنى أغاث أو علم . والمشهور رواية « فشدَّ ولم ينظُرْ بيوتًا كثيرة » فيكون فاعل ينظر أيضا ضمير حصين ، ثمَّ اختلفوا فرواه صعوداء [1] بفتح أوَّله وقال : لم ينظر أى لم ينتظر ، يقال نظرتُ الرجل أى انتظرنه . وعلى هذا يكون المعنى لم ينتظر حصين أن ينصره قومُه على أخذ ثأره . وروى أبو جعفر « ولم يُنظِر » بضم أوله وكسر ثالثه ، وقال : معناه لم يؤخِّر حصينٌ أهلَ بيتِ قاتل أخيه فى قتله ، لكنه عجِلَ فقتله . فيكون يُنظر مضارع أنظرَهُ ، بمعنى أمهله وأخَّره . وعلى هذين الوجهين يكون لدى متعلقا بشدّ ، وكذلك على قول من فسّر أم قشعم بالعنكبوت ، وهو أبو عبيدة ، أو بالضبع ، كما نقله صَعُوداء . ويكون المعنى : فشدَّ على صاحب ثأره بمضِيعةٍ من الأرض . قال صعوداء : أمُّ قشعم عند الأصمعى : الحرب الشديدة . ومن جعلها العنكبوت أو الضبع فمعناه وجدَه بمضِيعةٍ فقتله . وقال ابن الأثير (فى المرَصَّع) : أمُّ قشعم هى المنية ، والداهية ، والحرب ، والنَّسر ،

(١) ش : « صاعودا » فى هذا الموضع وتاليه . وانظر الحاشية السابقة .

والعنكبوت ، والضبع ، والذئب ، واللبؤة ، وفسِّر بأحد هذه الأشياء . قال زهير :

* لدى حيثُ أَلقت رحلَها أُمُّ قشعمِ *

هذا كلامه .

وقشعم : فَعْلَمٌ من قشعتِ الرِّيحُ الترابَ فانقشع ، وأَقشع القومُ عن الشيء وتقشَّعوا ، إذا تفرَّقوا عنه وتركوه . ١٦١

وقوله : « لدى أُسدٍ شاكى السلاح » إلخ هذا البيت فى الظاهر غير مرتبط بما قبله ، ولا يعرف متعلق لدى أُسدٍ . وقد فحصت عنه فلم أَجدْ من ربَطَه مع أنَّه من أبيات علم المعانى ، أُوردَ شاهدًا لِجَواز الجمع بين التجريد والترشيح . وقد رجعت إلى (معاهد التنصيص للعباسى) فلم أَر فيه غير هذه الأَبيات ، ولم يتكلَّم عليها بشيءٍ ، ففزِعت إلى قريحتى وأَعملت الفكرة ، فأَرشدنى الله إلى وجهه ، وهو أنَّ لدى أَسد متعلق بأَلقت رحلها أُمُّ قَشعم ، على تفسير أُمِّ قشعم بالحرب ، ومعنى أَلقت رحلها حطَّت رحلها الحرْبُ ووضعت أَوزارها وسكنت ، فيكون الإلقاء عبارة عن السُّكون والهدوءِ ، كما قال الشاعر (١) :

فأَلقت عصاها واستقرَّ بها النَّوى كما قَرَّ عينا بالإياب المسافرُ

ويكون المراد من الأَسد الحارثَ بنَ عوفٍ المرىّ ، فإنه هو الذى أَطْفأَ نار الحرب بين عبسٍ وذبيان ، بعد ما جرى بينهما فى يوم

(١) هو مضرس الأسدى كما فى البيان ٣ : ٤٠ أو معقر بن حمار كما فى المؤتلف ٦٩٢ والاشتقاق ٤٨١ . وفى اللسان (عصا) نسبته إلى عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى ، أو معقر . ونسب فى كتاب العصا من نوادر المخطوطات ١ : ١٩٣ إلى راشد بن عبد الله .

داحس ، وسَعَى فى الصُّلح بينهما بتحمُّل الديات مع عمِّه هرِم بن سِنان المرى . وعلى هذا يتَّضح الأرتباط ويضمحل مافسِّر به أُمُّ قَشعَم من سائر المعانى ، ولله الحمدُ والمنة .

وقال الزوزنى : البيت كلُّه من صفة حُصين بن ضمضم .

وقال الأعلم والتّبريزى : أراد بقوله لدى أُسدِ الجيشَ ، وحمل لفظ البيت على الأسد .

ولا يخفى أنَّه لا يصحُّ الارتباط بكلٍّ من هذين القولين .

وقوله : « شاكِي السِّلاح » وهو مقلوبُ شائك كما بيِّن فى الصَّرف ، أى سلاحُه شائكة حديدة ذاتُ شوكة .

والمقذَّف ، بصيغة اسم المفعول ، قال الأعلم وأبو جعفر : هو الغليظ الكثير اللحم ، فيكون ترشيحًا . كقولِه : « له لبَدٌ » إلخ . وقال الزوزنى : أى يُقذفُ به كثيرًا إلى الوقائع والحروب . فعلى هذا يكون تجريدًا كشاكى السلاح . وروى صَعُوداءُ والتبريزى : « مقاذِف » بكسر الذال وفسَّراه بمرامى [١] أى يَرامى بنفسه فى الحروب . وهذا تجريد أيضاً .

وقوله : « له لبد » هو بكسر اللام وفتح الموحَّدة ، جمع لِبْدة . قال الأعلم : اللِّبدة : زُبرة الأسد . والزُّبْرَة : شعرَ متراكِب متلبِّد بين كتفى الأسد إذا أسنَّ . وأراد بالأظْفار السِّلاح . يقول : سلاحُه تامٌّ حديد . وأوَّلُ من كنى بالأظفار عن السِّلاح أوس بن حجر فى قوله :

لعَمركَ إنّا والأحاليفَ هَؤُلا لفى حِقْبةٍ أظفارُها لم تقلَّمِ

ثم تبعه زهيرٌ والنابغةُ فى قوله :

---

(١) كذا فى النسختين . والوجه « بمرام » .

آتوكَ غيرَ مقلَّمِى الأظفارِ (١) اهـ

وقوله : « جرىءٍ » هو وصف أسد ، ويُظلم الأوّل ويُبْدَ كلاهما بالبناءِ للمفعول ، ويعاقِب ويظلم الثانى بالبناءِ للفاعل . قال الأعلم : قوله وإلا يبدَ بالظلم إلخ . يقول : إن لم يُظلمَ بدأهم ، لعزَّة نفسه وجراءَته . ومتى جازم لفعلين . وسريعا إمّا حال من ضمير يُعاقِب وإمّا مفعول مطلق ، أى عقابا سريعا . ويُبْدَ أصله يُبدأ بالهمزة ، فأبدلها ألفا ثم حذفت الألف للجازم .

وقد أوردهَ الشارح المحقق (فى أول شرح الشافية) لما ذكرنا .

وترجمة زهير بن أبى سلمى تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الخمسمائة :

٥٠٣ (للفَتى عقلٌ يعيشُ به حَيْثُ تَهدِى ساقَه قَدمُه) (٣) ١٦٢

على أنَّ الأخفش قال : إن حيث قد تأتى بمعنى الحينِ ، أى ظرف زمان ، كما فى هذا البيت .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : زعم أبو الحسنِ أنَّ حيث قد يكون اسماً للزمان ، وأنشد :

للفتى عقل يعيش به البيت

---

(١) صدره فى ديوان النابغة ١٠٠ :

* وبنو قعين لا محالة أنهم *

(٢) الخزانة ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(٣) مجالس ثعلب ٣ : ٣٢٨ وابن الشجرى ٢ : ١٦٢ وابن يعيش ١٠ : ٩٢ والهمع ١ : ٢١٢ وديوان طرفة ١٩ .

فجعل حيث فيه حينًا .

فإن قلت : فهل يجوز على هذا أن يكون موضع الجملة بعد حيث جرًّا ، لإضافةِ حيثُ إليه ، كما تضاف أسماءُ الزمان إلى الجمل ، فالجواب : أنَّ ذلك لا يمتنع فيه إذا كان زمانا . اهـ .

وقال ابن مالك : لا حجَّة للأخفش فيه ، لجواز إرادة المكان على ماهو أصله . ويدلُّ لما قاله أنَّ المعنى على الظرفية المكانية ، إذ المعنى أين مشى ، لا حين مشَى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وإذا اتصل بحيث ما الكافَّة ضمِّنت معنى الشَّرط وجزمت الفعلين ، كقوله [1] :

حيثُما تستقمْ يُقدِّرْ لك اللـ ـهُ نجاحاً فى غابر الأزمانِ

وهذا البيت دليلٌ عندى على مجيئها للزمان . قال الدمامينى (فى الهندية) : كأنَّ ذلك جاء من قِبلَ قوله : فى غابر الأزمان ، فصرَّح بالزمان . وليس بقاطع ، فإنَّ الظرف المذكور إمّا لغو متعلِّق بيقدِّر ، وإما مستقرٌّ صفة لنجاحًا . وذلك لا يوجب أن يكون المراد بحيث الزمان ، لاحتمال أن يكون المراد : أينما تستقمْ يقدَّر لك النجاح فى الزمان المستقبل .

وقوله : (حيث تَهدِى) قال فى الصحاح : « وهدَاه أى تقدَّمه » . وأنشد البيت . (وساقه) : مفعول مقدَّم ، وقدمُه فاعل مؤخر .

والبيت آخر قصيدة عدتُّها ثلاثةٌ وعشرون بيتاً لطرفةَ بن العبد .

---

(١) المغنى ١٣٣ والعينى ٤ : ٣٢٦ والأشمونى ٤ : ١١ والهمع ٢ : ٣٧ . ولم يعرف له قائل .

وأوردَ أبو عبيدٍ (فى الغريب المصنف) البيتَ الذى قبل هذا ، فلنقتصر عليه ، وهو :

الهبيتُ لا فؤادَ له والثَّبيت ثبته فَهَمُه

قال أبو عبيد : الهبيت : الذاهب العقل . وقال شارح أبياته ابن السِّيرافى : المعنى أنَّ الجبان يذهب عقلُه ويطير قلبُه من الفزع ، فلا يهتدِى للصَّواب ، والثابت القلب يَعرِفُ وجه الرَّأى فيأْتيه . وقوله « للفتى عقل » ، أى للفتى العاقل عقلٌ يعيش به ، أين توجَّه انتفع به . اهـ .

وقال ابن السكيت (فى شرح ديوانه) : الهبيت : الذى فيه هَبْتةٌ أى ضربةٌ بالعصا . وقال أبو عمرو : الهبيت المبهوتُ جُبْنًا . ويروى : « والثَّبيتُ قلبُه قيمه » ، أى قوامه . وقوله : « حيث تهدِى » الخ أى عقل حيثما مشى . اهـ .

وقال الأعلم : (فى شرح الأشعار الستة) : الهبيت : المبهوت ، يقال رجل هبيت ومهبوت ومبهوت بمعنىً ، وهو الجبان المخلوع الفؤاد . وقوله : « والثبيت ثبته فهمه » أى من كان ثابت القلب ففهمهُ يُثبِّت عقله . وهذا مثلٌ ضربه لشدَّة الحرب . وقوله : « للفتى عقل » يقول من كان عاقلاً وفتىً متصرِّفا عاش ، حيثما نقلته قدمُه وذهبت به من أرضٍ غربة وغيرها . اهـ .

وكلُّهم حملوا حيث على أصلها كما هو ظاهر من كلامهم .

وترجمة طرفة تقدَّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة [1] .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ٤١٩ – ٤٢٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الخمسمائة وهو من شواهد س [١]:

٥٠٤ (ترفع لى خِندفٌ واللهُ يرفعُ لى ... نارًا إذا خَمَدَتْ نِيرانُهُـمْ تَقِـدِ)

١٦٣ على أنَّ إذا قد تجزم فى الشعر فعلين كما هنا ، فإنَّ جملة خمدت فى محلِّ جزم شرطُ إذا ، وتقِدِ جوابها ، وهو مجزوم وكسرة الدال للرَّوىّ .

قال سيبويه : وقد جازَوْا بها ، أى بإذا ، فى الشعر مضطرِّين ، شبَّهوها بإنْ حيث رأوها لما يُستقبَل ، وأنَّها لابدَّ لها من جواب .

وقال قَيْس بن الخطيم :

إذا قصُرت أسيافُنا كان وصلُها ... خُطانا إلى أعدائنا فنضاربُ

وقال الفرزدق :

ترفع لى خندفٌ والله يرفع لى ... . (البيت)

وقال بعض السَّلوليِّين :

إذا لم تزلْ فى كلِّ دار عرفتَها ... لها واكفٌ من دمع عينيكَ يَسجُمِ [٢]

فهذا اضطرارٌ ، وهو فى الكلام خطأٌ ، ولكن الجيِّد قولُ كعب بن زهير :

وإذا ما تشاءُ تبعثُ منها ... مغرِبَ الشَّمس ناشطاً مذعورا . اهـ

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٤ . وانظر المقتضب للمبرد ٢ : ٦٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٣ وابن يعيش ٧ : ٤٧ وديوان الفرزدق ٢١٦ .

(٢) فى النسختين : « تسجم » بالتاء هنا وفى المواضع التالية . والوجه ما أثبت من سيبويه والشنتمرى .

وقوله : « إذا قصرت أسيافنا » إلخ يأتى شرحه إن شاء الله بعد بيت الفرزدق .

وقوله : (ترفع لى خندفٌ) إلخ ، قال الأعلم : الشاهد فيه جزم تقدِ على جواب إذا ؛ لأنَّه قدّرها عاملةً عمَل إنْ ضرورةً . يقول : ترفع لى قبيلتى من الشَّرف ماهو فى الشُّهرة كالنار الموقَدَةِ إذا قعدَتْ بغيرى قبيلتُه . وخِندِف : أمُّ مدركةَ وطابخةَ ابنَي الياس ، فلذلك فخر بخندِفٍ على قيس عيلان بن مضر .

وقوله : « إذا لم تزل فى كل دار » إلخ قال الأعلم : الشاهد فى جزم تَسجُم على جواب إذا كما تقدَّم . وتقدير لفظ البيت : إذا لم تَزل فى كلّ دار عرفْتَها من ديار الأحبّة يسجمْ لها واكفٌ من دمع عينَيك . ومعنى يَسجُم ينصَبُّ (١) . والواكف : القاطر . ورفعه بإضمار فعلٍ دلّ عليه يَسجُم . ويجوز أن يكون مرتفعا به على التقديم والتأخير ضرورة . ويروى:« يسكب » .

والبيت لجرير فى قصيدة بائية ، ونسب إلى غيره فى الكتاب ، وغيِّرت قافيته غلطًا . ويحتمل أن يكون لغيره ، من قصيدة ميمية . صاحب الشاهد

وقوله : « وإذا ما تشاءُ تبعث » إلخ قال الأعلم : الشاهد فيه رفع مابعد إذا على ما يجب فيها . وصف ناقته بالنشاط والسُّرعة بعد سَير النهار كلِّه ، فشبَّهها فى انبعاثها (٢) مسرعةً بناشط قد ذُعر من صائدٍ أو سبُع . والناشط : الثور يخرج من بلد إلى بلد ، فذلك أوحَشُ له وأذعَر . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « ومعنى تسجم تنصب » . وانظر الحاشية السابقة .

(٢) فى النسختين : « بانبعاثها » ، والوجه ما أثبت من الشنتمرى .

وروى بيت الفرزدق « إذا ماخبَتْ نيرانهُم تَقِدِ » . وعليه فلا ضرورة فيه . ووقع بهذه الرواية (فى بعض نسخ اللُّباب) وقال : إنه قليل . قال شارحه الفالى [١] : هذا البيت لم يوجد مذكورا فى نسخةٍ مقابَلة بنسخه المصنّف ، والظاهر أنّه إلحاق ، والصواب إذا خمدت ، لأنّ إذا بدون ماهو المبحث ، وأما مع ما فتجويزُ الجزم به قد لا يستبعد ، لأن إذْ مع « ما » جُوِّز الجزمُ بها ، فإذا مع « ما » أجدَر . انتهى .

ولم يرتضِ الشارح المحقِّق الجزمَ بإذاما أيضًا كما سيأتى فى آخر الكلام على إذَا وإذْ .

وقوله : « ترفعُ لى خندف » بكسر الخاء المعجمة والدال ، قال ابن هشام (فى السِّيرة) : قال ابن إسحاق : ولد الياس بن مضر ثلاثةَ نفر : مدركة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، وقِمَّعَة بن الياس ، بكسر القاف وتشديد الميم المفتوحة [٢] ، وأُمهم خِندف : امرأة من اليمن ، وهى خندف بنت الحافِ بن قُضاعة . انتهى .

والخَندَفةُ : مِشيةُ كَالهرولة ، ومنه سميِّت خندف ، واسمها ليلى ، نُسب ولد الياس إليها وهى أُمّهُم . وإنّما افتخر بها الفرزدقُ لأنّه تميمى ، ١٦٤
ونسب تميم ينتمى إليها . وتنوين خندف للضرورة . وقوله (والله يرفعُ لى)

---

(١) فى النسختين « القالى » ، صوابه بالفاء ، كما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٢) هذا ضبط غريب . والمعروف أن قمعة بفتحتين ، كما فى التهذيب والقاموس واللسان ، وكما ضبط فى كتب الأنساب . وقال فى التهذيب ١ : ٢٩٣ : « يقال إنه لقب بقمعة لأنه انقمع فى ثوب حين خرج أخوه مدركة بن الياس فى بغاء إبل له ، وقعد الأخ الثالث يطبخ القدر ، فسمى باغى الإبل مدركة ، وسمى طابخ القدر طابخة ، وسمى المنقمع فى ثوبه قمعة » .

أى إنَّ الرافع فى الحقيقة هو الله . وخمدت النار خُمودا من باب قعد : ماتت فلم يبق منها شيء ، وقيل سكنَ لهبُها وبقى جمرها . وأما خَبَتِ النارُ خُبُوًّا من باب قعد أيضًا (١) فمعناه خمَد لهبها . و (تقد) مضارع وقدت النار وَقْدًا من باب وعَد ، ووقودا ، أى اشتعلت .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٣) :

٥٠٥ (إذا قصُرَتْ أسيافُنا كانَ وصلُها خُطانــا إلى أعدائِنـــا فنُضاربِ)

على أنَّ (إذا) جازمة للشرط والجزاء فى ضرورة الشعر ، بدليل جزم نضارب بالعطف على موضع جملة كانَ وصلُها إلخ الواقعة جوابًا لإذا . ولولا أنَّ جملة الجواب فى موضع جزم لما عطف عليه نضارب مجزوما . وأما كسرة الباء فهى للروىّ .

والبيت الذى قبل هذا ظهر أثر الجزم فيه على نفس الجواب ، بخلاف هذا البيت فإنَّه ظهر أثره فى تابعه ، ولهذا قدَّمه على هذا البيت . وقد تقدَّم نقل كلام سيبويه .

وإلى متعلّقة بوصلُها . ويجوز أن يكون متعلّقا بالخُطَا . والمعنى فنخطو إلى أعدائنا . كذا قال اللَّخمُّى .

وفيه على الأوَّلِ الفصل بين المصدر ومعموله بمعمول غيره ، لأنَّ خطانا

---

(١) وتقال من باب نصر أيضا ، والمصدر خبوا كنصرا .

(٢) الخزانة : ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٤ والمقتضب ٢ : ٥٧ وابن الشجرى ١ : ٣٣٣ ، وابن يعيش ٤ : ٩٧ / ٧ : ٩٧ . وديوان قيس بن الخطيم ٤١ .

خبر كانَ ، والعامل فى إذا شرطها ، لأنَّها ليست حينئذ مضافة إليه .

قال اللَّخْمىّ : ويجوز أن يكون العامل كان .

وقال الأعلم : يقول : إذا قصُرت أسيافنا فى اللقاء عن الوصول إلى الأقران وصَلْناها بخطانا مُقْدِمين عليهم حتَّى ننالَهم .

وقال اللّخمى (فى شرح أبيات الجمل) : معنى البيت : إذا ضاقت الحرب عن مَجال الخيل واستعمال الرماح نزلنا للمضاربة بالسُّيوف ، فإن قصُرت عن إدراك الأقران خطونا إليهم إقدامًا عليهم فألحقناها بهم . انتهى .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : وإنَّما لم يجزموا بإذا فى حال السَّعة كما جزموا بمتى ، لأنَّه خالف إنْ ، من حيث شرطوا به فيما لابدَّ من كونه ، كقولك : إذا جاءَ الصيف سافرت ، وإذا انصرم الشتاءُ قَفَلت . ولا تقول : إن جاءَ الصيف ولا إن انصرم الشتاءُ ، لأَنَّ الصَّيف لابدَّ من مجيئه والشِّتاءَ لا بد من انصرامه . وكذا لا تقول : إن جاء شعبان كما تقول إذا جاءِ شعبان . وتقول : إن جاء زيدٌ لقيته ، فلا تقطع بمجيئه . فإن قلت إذا جاء ، قطعتَ بمجيئه . فلمَّا خالفتْ إذا إنْ ، فيما تقتضيه إنْ من الإبهام ، لم يجزموا بها فى سَعة الكلام . انتهى .

والبيت من قصيدةٍ بائية مجرورةٍ لقيس بن الخطيم ، ووقع أيضا فى شعرٍ رويُّه مرفوع . صاحب الشاهد

أما القصيدة المجرورة فعدَّتها ثمانية وثلاثون بيتا ، أوردها محمد

ابن المبارك بن محمد بن ميمون (فى منتهى الطلب ، من أشعار العرب) ، ذكر فيها يوم بُعاث ، وكان قبل الإسلام بقريب . ومطلعها :

(أتعرِفُ رسماً كالطِّراز المذَهَّبِ   لعمرةَ وحشًا غيرَ موقف راكبِ
ديارَ التى كادت ونحنُ على مِنًى   تحُلُّ بنا لولا نجاءُ الرَّكائبِ
تبدَّتْ لنا كالشَّمس تحت غمامةٍ   بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ) ١٦٥

إلى أن قال :

(إذ مافرَرْنا كان أَسْوَا فِرارِنا   صُدودَ الخدودِ وازوِرَارَ المناكبِ
صُدودَ الخدودِ والقنا متشاجرٌ   ولا تبرحُ الأقدامُ عند التضاربِ
إذا قصرت أسيافنا كان وصلُها   البيت)

قال ابن السِّيد : وروِىَ (١) : « إلى أعدائنا للتقارب » ، فلا شاهَد فيه . ورویَ أيضا : « وإن قصرت أسيافنا ، فنضاربُ » بالرفع على الإقواء . وأسوا أصله مهموز فأبدل الهمزة ألفاً ، بمعنَى أقبح . يقول : لا نفرُّ فى الحرب أبدا وإنَّما نصدُّ بوجوهنا ونُميل مَناكبَنَا عند اشتجار القنا ، أى تداخلِ بعضِها فى بعض . وهذا لا يسمَّى فرارا وإنَّما يسمَّى اتِّقاءً . وهذا ممدوحٌ فى الشُّجعان ، أى فإن كان يقع منَّا فرارٌ فى الحرب فهو هذا لا غير .

وأما الذى رويُّه مرفوع فقد وقع فى شعرين أحدُهما فى قصيدة للأخنس ابن شِهاب التغلبىّ ، أوَّلها :

(١) ط : « روى » .

لِابنةِ حِطَّـانَ بنِ عوفٍ منـازلٌ كما رقَّش العُنوانَ فى الرَّقِّ كاتبُ (١)

ثم ذكر بعض قبائل العرب ومدح قبيلته فقال :

فوارسُها من تغلبَ ابنة وائل حماةٌ كُماةٌ ليس فيها أشائبُ

وإن قصرت أسيافنا كان وصلها .... (البيت)

هكذا رواه المفضَّل بإن بدل إذا ، ولكن روى المصراع الثانى كذا :

* خطانا إلى القوم الذين نضارِبُ *

ورواه أبو تمام أيضًا بإنْ ، إلا أنَّه رواه : « إلى أعدائنا فنضارب » فيكون نُضارب خبر مبتدأٍ محذوف ، أى فنحن نضارب .

والقصيدة فى رواية المفضَّل الضبى فى (المفضليات) سبعة وعشرون بيتا ، وشرحَها ابن الأنبارىَ . ورواها أبو عمرٍو الشَّيبانى (فى أشعار تغلب) ثلاثين بيتا . وأوردها أبو تمام (فى الحَماسة) ثلاثة وعشرين بيتاً . ونقلها الأعلم الشنتمرىُّ (فى حماسته) . وهذا مطلعها عنده :

فمن يك أمسى فى بلادٍ مُقامُه يسائل أطلالًا بها ما تجاوبُ

فلابنة حِطَّانَ بنِ عوف منازلٌ .... (البيت)

وأورد منها (فى مختار أشعار القبائل) سبعة أبيات لا غير .

وأما الشِّعر الثانى فهو من قصيدةٍ عدتها أربعة وعشرون بيتًا لرُقيم أخى بنى الصَّاردة (٢) . وأوردها أبو عمرو الشيبانى (فى أشعار

---

(١) المفضليات ٣٠٤ .

(٢) فى النسختين : « الصادرة » بتقديم الدال ، صوابه بتقديم الراء ، كما سيأتى فى ٣٠٤ بولاق .

قبيلة محارب بن خَصَفة بن قيس عيلان) ، وهى عندى فى نسخة قديمة تاريخ كتابتها فى صفر سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكاتبها أبو عبد الله الحسين بن أحمد الفزارى ، قال : نقلتها من نسخة أبى الحَسن الطُّوسى (١) وقد عُرضتْ على ابن الأعرابى . وهذا أوّلُها :

عَفت ذِورةٌ من آل ليلى فعازبُ فمَيْثُ النَّقا من أهله فالذّنائبُ

وهذه أسماء أماكنَ أربعة . إلى أن قال :

وقد علمتْ قيس بن عيلانَ أنّنا لنا فى محلّيها الذُّرى والذوائبُ
وإنّا لنَقرِى الضّيف من قَمع الذُّرا إذا أخلفَتْ أنواءَهُنَّ الكواكبُ
ونحن بنو الحربِ العَوانِ نشُبُّها وبالحرب سُمِّينا فنحن مُحاربُ
إذا قَصُرت أسيافُنا كان وصلُها خطانا إلى أعدائنا فنضاربُ
فذلك أفنانَا وأبقى قبائلًا توقَّوْا بنا إذ قارعتنا الكتائبُ
نقلِّب بيضًا بالأكفِّ صوارماً فهُنَّ لهاماتِ الرجال عصائبُ

ثم ذكر حروبَهم وغلبتَهم فيها ، وختم القصيدة بقوله :

فتلك مساعينا لمن رام حربَنا إذا ما التقتْ عند الحفاظ الكتائبُ

وأورد أبو محمد الأعرابىُّ الأسود (فى كتاب ضالَّة الأديب) أربعة أبيات من هذه القصيدة ، ولم يصرِّح باسم قائلها ، وهى :

تمنَّى دُرَيدٌ أن يلاقىَ ثُلّة فقارعَه من دون ذاك الكتائبُ
فنحن قتلنا بِكرَه وابنَ أُمِّه ونحن طعنَّا فى اسِنه وهو هاربُ

(١) اسمه على بن عبد الله بن سنان ، كما فى إنباه الرواة .

ونحن بنو الحرب العَوانِ نشبُّها .... (البيت)
إذا قصرت أسيافنا كان وصلُها .... (البيت)

والبيتان الأولان غير مذكورَين فى رواية أبى عمرو الشَّيْبانى [1] ، والظاهر أنَّهما من قصيدةٍ لآخر ، لأنَّ رُقيمًا قال فى قصيدتهِ :

ويوم دُريد قد تركناه ثاويًا به داميات فى المَكَرِّ جوالبُ

وقال أبو محمد الأعرابى : سبب هذا الشعر أنَّ دريد بن الصمة هجَا زيدَ بنَ سهْل المحاربى فى قصيدة قالها دريد ، حين غزا غطفان غزوة ثانية ، فأغار على بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فهرب عياضُ بن ناشب الثعلبى ، ثم غزاهم فأغار على أشجع فلم يصبْهم ، فقال دريد فى ذلك :

قتلنا بعبْدِ الله خيرَ لِداتـه ذؤابَ بن أسماءَ بنِ زيد بن قاربِ

وهى ثمانية عشر بيتا ، ومنها :

تمنَّيتنى زيدَ بنَ سَهلٍ سفاهةً وأنت امرؤٌ لاتَحتويك مقانبُ
وأنت امرؤٌ جَعْدُ القفا متعكِّسٌ من الأَقِطِ الحولِّى شَبعانُ كانبُ

وهذان البيتان بالرفع على الإقواء . والمتعكس : المتثنِّى غضونِ القفا . والكانب ، بالنون : الممتلئ الغليظ . وآخرها :

فليت قبورًا بالمِراضَيْن حُدِّثَتْ بشَدَّتنا فى الحىِّ حىِّ محاربِ [2]

---

(١) كلمة « الشيبانى » ساقطة من ش .

(٢) قال ياقوت : تثنية المراض بلفظ جمع مريض ، ثنى بعد أن سمى . قال الليث : المراضان : واديان ملتقاهما واحد ، وقال : المراضان والمرايض : مواضع فى ديار تميم ، بين كاظمة والنقيرة ، فيها أحساء ، ليست من باب المرض ، والميم فيها ميم مفعل ، من استراض الوادى ، إذا استنقع فيه الماء .

قال أبو محمد : ولمّا ذكر دريد محاربًا قال بعضُهم يردُّ عليه . وذكر الأبيات الأربعة .

وقد أورد الشريف الحسَينى هبة الله (فى حماسته) البيْتَ الشاهد مع بيتين آخرين من القصيدة التى رواها أبو عمرٍو الشَّيبانى ونسبها لِسَهْمِ بن مُرَّة المحاربى ، وهى :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلُها .... البيت

ونحن بنو الحرب العَوانِ نشبُّها .... البيت

فذلك أفنانا وأبقى قبائلا .... البيت

والله أعلم بحقيقة الحال .

فظهر ممَّا ذكرنا أنَّ البيت من ثلاث قصائد .

قال ثعلب : هذا البيت يتنازعه الأنصار ، وقريش ، وتغلب . وزعمت علماء الحجاز أنّه لضِرار بن الخطَّاب الفِهْرى ، أحد بنى محاربٍ من قريش .

وقال ابنُ الأنبارى (فى شرح المفضليات) : هو للأخنس ١٦٧
ابن شِهاب . قال : هو أوَّل العرب وَصَل قِصَر السيوف بالخُطَى – فى قوله :

وإن قصُرت أسيافنا .... البيت

ومنه استرقَ كعبُ بن مالك الأنصاريُّ صلةَ السُّيوف فقال :

نَصِلُ السُّيوفَ إذا قصُرنَ بخَطْونا قُدُمًا ونُلحِقها إذا لم تَلحق

انتهى .

وهذا هو الصحيح ؛ لأنّه قاله قبل أن يُخلق هؤلاءِ بدهرٍ ، كما

سيأتى . ومنه تعلم خطأ جماعةٍ اعترضوا على سيبويه فى روايته البيت بالكسر ، منهم ابن هشام اللخمى ، قال (فى شرح أبيات الجمل) : روى سيبويه هذا البيت بكسر الباءِ من نضارب على أن يكون معطوفًا على موضع كان ، والبيت من شعرٍ كلُّه مرفوع . وكذلك أدخله أبو تمام (فى حمَاسته) فيحتمل أن يكون سيبويه رواه مُقْوًى لقيس بن الخطيم ، والصَّحيح أنَّه للأخنس بن شهاب . هذا كلامُه .

واعلم أنَّ جماعةً من الشُّعراء تداوَلوا هذا المعنى ، وقد أوردْنا جملةً ممَّا قالوه فى الشاهد السادس والخمسين بعد الأربعمائة ، عند بيت كعب بن مالك الأنصارى (١) .

وزعم المبرِّد (فى الكامل) أنَّ قول أبى مخزوم النهشلى :

إذا الكُماةُ تنحَّوْا أن ينالَهــمُ   حَدُّ الظُّباتِ وصلْناها بأيدينا (٢)

مأخوذٌ من بيت كعب بن مالك . وليس كما زعمَ ، كما بيَّنَّا .

وممن تبع الأخنسَ بن شهاب فى المعنى حِنَاك بن سَنَّة العَبْسى الجاهلى – وهو بكسر المهملة وتخفيف النون وآخره كاف ، وسَنَّة بفتح السين المهملة وتشديد النون – قال :

أبنِى جَذيمة نحنُ أهلُ لِوائكمْ   وأقلّكمْ يومَ الطِّعان جَبانا

كانت لنا كرمُ المَوَاطن عادةً   نصِلُ السيوفَ إذا قصُرْن خُطانا

أوردهما الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) .

---

(١) الخزانة ٦ : ٢٢٢ – ٢٢٣ .

(٢) فى النسختين : « تنالهم » بالتاء ، وأثبت ما فى الكامل ٦٥ .

ومنهم : أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ، قال :

والسيفُ إن قصَّره صانعٌ طوَّله يوم الوَغَى باعى (١)

ومنهم : وَدَّاك بن ثَمِيل المازنى ، قال :

مقاديمُ وصَّالون فى الرَّوع خطوَهم بكـلِّ رقيـقِ الشَّفرتيـنِ يَمَـانى

ومنهم : نَهشل بن حَرِّىٍّ ، قال :

فتًى كان للرُّمح الأَصمِّ محطِّما طِعاناً وللسَّيف القصيرُ مطِيلَا (٢)

ومنهم : عُبيد الله بن الحُرِّ الجُعْفى ، قال :

إذا أخذَتْ كفِّى بقائمِ مُرهَفٍ وكان قصيرًا ، عاد وهو طويلُ

ومنهم : نابغة بنى الحارث بن كعب ، واسمه يزيد بن أبان ، قال :

وإذا السيوف قصُرنَ بلَّغها لنا حَتَّى تنـاوَلَ ماتريـدُ خطانـا

ومنه قول عبد الرحمن بن سَلامة الحاجب :

ويومٍ تقصُر الآجالُ فيه نُطاوِلُـه بأَرمـاحٍ قصارِ

وقالَ آخر :

تُطيل السيوفُ المرهَفَاتُ لدى الوغى خُطانا إذا ارتدَّتْ خُطًى وسيوفُ ١٦٨

وقد أخذه مسلم بن الوليد وزاد فيه وأجاد :

(١) الذى فى المفضليات ٢٨٦ :

وأضرب القونس يوم الوغى بالسيف لم يقصر به باعى

(٢) ط : « للرمح الأسن » ، صوابه فى ش .

إنْ قصَّر السيفُ لم يَمْشِ الخطى عددًا   أو عرَّدَ السَّيفُ لم يَهمُمْ بتعريـدِ (١)

قال ابن الأثير : (فى المثل السائر ، فى السرقات الشعرية) : الضرب السادس : السَّلخ ، وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنًى آخر . فممَّا جاء منه قول الأخنس بن شهاب ، وأخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه . وأنشد البيتين .

وأخطأ الخالديَّان (فى شرح ديوان مسلم) ، فى زعمهما أنَّ مسلمًا أخذه من قيس بن الخطيم .

وروى أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ الحُصْرى (فى كتاب الجواهر ، فى الملح والنوادر) أنَّ بعض الأمراء أعطى سيفًا لرجل ، فقال : هو قصير . قال : صِلْه بخُطْوتك . قال : الصِّينُ أقربُ من تلك الخطوة !

ومثله ما رواه الخالديَّانِ قالا : روىَ أنَّ المهلَّب نظر إلى سيف مع بعض ولده فقال له : إنَّ سيفك لقصير . قال : ليس بقصيرٍ من يصِلُه بخَطْوه . فقال بعضُ من حضر المجلس : تلك الخُطوة أصعبُ من المشرق إلى المغرب .

وروى أنَّ الحجَّاج سأل المهلَّبَ أن يريَه سيفَه ، فلما نظر إليه قال : يا أبا سعد ، إنَّ سيفَك لقصير . قال : إذا كان فى يدى فَلَا .

وأما قيس بن الخطيم فهو شاعرٌ فارس أنصاريٌّ ، مات كافرًا . قيس بن الخطيم

قال ابن حجر (فى الإصابة) : قيس بن الخطيم الأنصارى ، ذكره

---

(١) فى النسختين : « إن قصر السيف الخطا عددا » ، وتكملته من ديوان مسلم ١٥٩ ، وفى شرحه : « يقول : ان قصر الرمح عن إدراك من أراد أن يطعنه به لم يمش الخطا تباطؤا كمثل من يعد خطاه ، بل يسرع هو عند ذلك » .

علىّ بن سعد العسكرى (١) فى الصَّحابة ، وهو وهمٌ فقد ذكر أَهلُ المغازى أَنَّه قدِم مكة فدعاه النبىُّ ﷺ إلى الإسلام وتلا عليه القرآن فقال : إنِّى لأَسمعُ كلامًا عجيبًا ، فدعْنى أَنظرُ فى أَمرى هذه السنة ثم أَعودُ إليك . فمات قبل الحَول . وهذا هو الشاعر المشهور ، وهو من الأَوس ، وله فى وقعة بُعاثَ التى كانت بين الأَوس والخزرج قبلَ الهجرة أَشعارٌ كثيرة . انتهى .

والخَطيم ، بفتح الخاءِ المعجمة وكسر الطاءِ المهملة .

وهذه نسبته : قيس بن الخطيم بن عدِىّ بن عمرو بن سَواد بن ظَفَر – وظفر هو كعب – ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أَوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاءِ بن عمرو بن عامر – وهو ماء السماء – بن حارثة الغِطريف .

وقيسٌ شاعر الأَوس ، وهو القائل (٢) :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيس طعنةَ ثائرٍ ... لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أَضاءَها

ملكتُ بها كفِّى فأَنهرتُ فتقَها ... يَرى قائمٌ من دونها ما وراءَها

وكنت امرأً لا أَسمعُ الدَّهرَ سُبَّةً ... أُسَبُّ بها إلَّا كشفتُ غِطاءَها

وإنِّىَ فى الحرب الضَّروسِ مُوكَّلٌ ... بإقدام نفسٍ لا أُريد بقاءَها

إذا سَقِمت نَفْسى إلى ذى عداوة ... فإنِّى بنصل السَّيف باغٍ دواءَها

متى يأْتِ هذا الموتُ لم تَبقَ حاجةٌ ... لنفسىَ إلَّا قد قضيتُ قضاءَها

(١) فى الإصابة : « على بن سعيد » .

(٢) ديوانه ٧ – ١٠ .

وقائم فاعل يرى . ودون ووراء من الأضداد ، فإن كان الأوَّل بمعنى قُدَّام كان الآخر بمعنى خلف ، وإن كان الأوَّل بمعنى خلف كان الثانى بمعنى قُدَّام . وملكت بمعنَى شددت وضبطت . وأنهرت : أوسعت : وقد ضمَّن المصراعَ الصفىُّ الحِلِّىُّ فى قوله :

تزوَّجَ جارى وهو شيْخٌ صبيّةً   فلم يستطعْ غِشيانَها حين جاءَها
ولو أنَّنى بادرتُها لتركتُها   يَرى قائمٌ من دونها ما وراءَها ١٦٦

وابن عبد القيس الذى قتله هو رجلٌ من قبيلة عبد القيس . كان قتل أباه الخطيم فأخذ ثأرَه منه .

ومن شعر قيْس :

وما بعضُ الإقامةِ فى ديارٍ   يُهانُ بها الفتى إلّا عَياءُ (١)
يريد المرءُ أن يُعطَى مناه   ويَأْبَى اللهُ إلّا ما يشاءُ
وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بقومٍ   سيأْتِى بعد شِدَّتها رخاءُ
ولا يُعطَى الحريص غنًى بحرصٍ   وقد يَنمِى على الجود الثَّراءُ
غِناء النَّفس ما عَمِرَتْ غِناء   وفقر النفس ما عَمِرَت شقاءُ (٢)
وليس بنافعٍ ذا البخلِ مالٌ   ولا مُزْرٍ بصاحبه السَّخاءُ

(١) فى ديوانه ٩٦ : « إلا عناء » . وفى الحماسة بشرح المرزوق ١١٨٧ : « إلا البلاء » . ويقال داء عياء : لا دواء له . وقال المرزوق : « قوله وما بعض الإقامة ، إنما بعَّضها لأنه أشار إلى الإقامة التى أوائلها تنزاح معها العلل ، ويسهل فى اختيارها الانفصال والترحل ، وأواخرها تتعرض بما يعرض فيها حتى يشق لها التلوم والتلبث » .

(٢) فى الديوان :

« غنَى النفس ما عمرت غنىٌ »

وفى الحماسة :

« غنَى النفس ما استغنى غنىٌ »

وبعضُ الداء ملتمَسٌ شفاه   وداءُ النُّوك ليس له شِفاءُ

قال صاحب الأغانى : قيس بن الخطيم هذا هو صاحب المنافسات مع حسان بن ثابت . وذلك أن حسّانًا كان يذكر ليلى بنت الخطيم أُختَ قيس فى شعره ، وكان قيس يذكر فى شعره امرأته عمرة ، كما ذكرها فى مطلع قصيدة البيت الشاهد .

وحكى المفضل قال : لما هدأت حربُ الأوس والخزرج تذكّرت الخزرج قيسَ بن الخطيم ونكايتَه [1] فيهم ، فتواعَدوا إلى قتله ، فخرج عشيّةً من منزله يريد مالا له ، حتَّى مرَّ بأُطُم بنى حارثة ، فرُمِىَ منهم بثلاثة أسهم أحدُها فى صدره ، فصاح صيحةً سمعها رهْطُه ، فجاءُوهُ وحملوه إلى منزله فلم يَروْا له كفئاً إلَّا أبا صعصعة بن زيد بن عوف ، من بنى النجَّار . فاندسَّ إليه رجلٌ حتَّى اغتاله فى منزله فضرب عنقه واشتمل [على] رأسِه ، وأتى به قيسًا وهو بآخرِ رمَقٍ فألقاه بين يديه وقال : يا قيسُ ، قد أدركتُ بثأرك . فقال : عَضِضتَ بأير أبيك إن كان غيرَ أبى صعصعة . فقال : هو أبو صعصعة . وأراه الرأس ، فلم يلبث أن ماتَ على كفره قبل قُدوم النبى ﷺ المدينة .

الأخنس بن شهاب وأما الأخنس بن شهاب فقد قال ابنُ الأنبارى (فى شرح المفضليات) : هو الأخنس بن شهاب بن ثُمامة بن أرقم بن حُزابة بن الحارث ابن نُمير بن أُسامة بن بكر بن معاوية بن غَنْم بن تغلب . والأخنس شاعر جاهلىٌّ قبل الإسلام بدهر . انتهى .

وأما رُقَيم أخو بنى الصَّاردة [2] المحاربى فالظاهر أنَّه شاعرٌ إسلامى

(١) ط : « نكائته » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٢) انظر ما مضى فى ص ٢٨ .

لأن أبا عمرو الشبانى قال بعد تلك القصيدة : وقال رقيم أيضا وكان سعد بن مُعاذٍ الأنصارى خالَه :

اهتزَّ عرشُ الله ذى الجلالِ   لموت خالى يومَ ماتَ خالى

ورُقَيم (بضم الراء وفتح القاف) . والصاردة اسمه سعد بن بَذاوة بن ذهل بن خَلف بن محارب . كذا (فى جمهرة الأنساب) .

ولم يذكرْهُ ابن حجر (فى الإصابة) . فإذا لم يكن صحابيا ولا مُخَضرمًا يكون تابعيًا ، ويكون سعد بن معاذ خالَ أبيه أو خالَ إحدى أمهاته . والله أعلم .

وقد أورد ابن حجر مَن اسمه رُقَيم من الصَّحابة [١] لكنَّه أنصارى لا محاربى . قال : أبو ثابت ، رُقَيم بن ثابت بن ثعلبة الأنصارى الأوسى ، استُشْهِدَ بالطائف .

* * *

١٧٠ وأنشد بعده :

(إذَا الخصُم أبزَى مائلُ الرَّأْسِ أنكَبُ)

على أنَّ وقوع الجملة الاسمية بعد إذا شاذٌّ .

وتقدَّم ما يتعلَّقُ به فى الشاهد التاسع والخمسين بعد المائة [٢] . وهذا عجزٌ وصدرُه :

* فهلَّا أعَدُّونى لمثلى تفاقدوا *

---

(١) ش : « فى الصحابة » .

(٢) الخزانة ٣ : ٢٩ .

وهو من أبياتٍ مذكورة (فى الحماسةِ) وقد شرحناهَا هناك .

وإذا ظرفٌ لأعدُّونى . وجملة « تفاقدوا » اعتراضٌ بينهما . يقول : هلَّا جعلونى عُدَّةً لرجلٍ مثلى ، فقَدَ بعضهم بعضا ، وهلَّا ادَّخرونى ليومِ الحاجة إذا كان الخصمُ هكذا متأخِّر العَجُز مائِلَ الرأس منْحرفًا . وهذا تصويرٌ لحال المقاتل إذا انتصب فى وجه مقصوده . ورجلٌ أبزى بالزاء المعجمة : يخرج صدرهُ ويدخل ظهره . وأبزى هنا مَثَلٌ ، ومعناه الراصد المخاتل ، لأنَّ المخاتل ربَّما انثنى فيخرج عجزه . وفسَّره أبو رياش بقوله : تحامَل على خصمه ليظلمه . فجعل أبزى فعلا ماضيا ، وإنَّما المعروف بزَوْت الرجل ، ومنه اشتقاق البازى . وعليه فالخصم مرفوعٌ بفعل يفسِّره أبزى ، فلا شذوذ حينئذ . قال فى القاموس : وبَزَى فلانًا : قَهره وبَطَشَ به (١) كأبزى به . ويُرفع مائلُ الرأس على أنَّه بَدلٌ من الخَصم . والأنكب : المائل ، وأصله الذى يشتكى مَنكِبَيْه ، فهو يمشى فى شِقٍّ . ومائل الرَّأس أى مصعَّر من الكِبْر .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد السادس بعد الخمسمائة :

٥٠٦ (حَتَّى إذا أسلكوهمْ فى قُتَائدةٍ
شَلًّا كما تَطرد الجَمّالةُ الشُّردا (٢))

(١) ط : « وتطيش به » ، صوابه فى ش والقاموس .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٥٨ / ٢ : ٢٨٩ والإنصاف ٤٦١ والهمع ١ : ٢٠٧ وديوان الهذليين ٢ : ٣٨ .

على أنَّ جواب إذا عند الشارح المحقّق محذوفٌ لتفخيم الأمر ، والتقدير : بَلغوا أملَهم ، أو أدركوا ما أحبّوا ، ونحو ذلك .

وهذا هو الصواب من أقوالٍ ثلاثة فى إذا .

قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : هذا مذهب الأصمَعىّ ، ومثله يقول الراجز :

لو قَدْ حَداهُنَّ أبو الجودىِّ   برجَزٍ مُسْحَنْفِرِ الروِىِّ

مستوياتٍ كنَوى البَرنىِّ

أراد : لأسْرَعْنَ .

وذهب جماعةٌ إلى أنَّ شَلاً أثر الجَوَاب ، إذ التقدير : شلُّوهم شلاً ، فاستغنى بذكر المصدر عن ذكر الفعلِ لدلالته عليه . منهم أبو على (فى التذكرة) ، قال : شلًّا منتصب بجواب إذا .

ومنهم : ابن الشجرىّ (فى أماليه) قال : البيت آخر القصيدة ، فلا يجوز أن تنصب شلًّا بأسلكوهم ، لئلَّا يبقى إذا بغير جوابٍ ظاهر ولا مقدَّر ، ولكن تنصبه بفعلٍ تضمره فيكون جوابَ إذا ، فكأنَّكَ قلت : حتَّى إذا أسلكوهم شلُّوهم شلًّا .

ومنهم : ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قال : لم يأت بالجواب ، لأنَّ هذا البيت آخر القصيدة ، والتقدير فيه : حتَّى إذا أسلكوهم شُلُّوا شلًّا ، فحذف للعلم به توخِّيًا للإيجاز .

وهذا المذهب غير سديدٍ فى المعنى ، لأنَّ الشلَّ أي الطَّرد إنَّما كان قبل إسلاكهم فى قتائدة ، أى إدخالهم فيها ، وكلامهم يقتضى

أَن يكون بعد ذلك ، وهو فاسد ، وإِنّما شلاًّ حال من الواو ، أَى شالِّين ، أَو مِنْ هم ، أَى مشلولين . والأَقيس الأَوّل لقوله كما تطردُ الجَمالة ، فشبَّه الشلَّ بشلِّ الجمَّالة ، وهم الطاردون . وإِذا كان حالًا من ضمير المفعول وجَبَ أَن يقول : كما تُطردُ الجمالُ الشُّرد ، وهو مع ذلك جائز لأَنَّ العَرب قد توقع التشبيه على شيء والمراد غيره . والكاف فى كما فى موضع الصِّفة لشلًّا ، ١٧١
وما مصدريَّة ، كأَنَّه قال : شلاًّ كطرد .

و (الشُّرُد) بضمتّين : جمع شَرود : وهى مِن الإِبل التى تفرّ من الشىء إِذا رأَته ، فإِذا طُرِدت كان أَشدَّ لفرارها ، فلذلك خصَّها بالذكر .

قال ابن السِّيد : وقال أَبو عبيدة : إِذا زائدة ، فلذَلك لم يؤت لها بجواب . فالميدانىُّ مسبوق بأَبى عبيدة فى هذا لا أَنَّهُ قولُه كما هو صريحُ كلام الشارح المحقِّق . ويؤَيده ما روَى أَبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (فى ترجمة أَبى عبيدة من طبقات النحويِّين) قال : حَدَّثونا عن رجل عن أَبى حاتم قال : أَملى علينا أَبو عبيدة بيتَ عبد مناف بن رِبْع الهُذَلى :

حتَّى إِذا أَسلكوهم فى قتائدةٍ .... البيت

قال : هذا كلامٌ لم يجىءْ له خبر (١) .

وهذا البيت آخر القصيدة . قال : ومثله قول الله جل ثناؤه : ﴿ ولو أَنَّ قُرآنًا سُيِّرت به الجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ به الأَرْضُ ﴾ إِلى قوله : ﴿ بلْ للهِ

---

(١) المراد بالخبر هنا الجواب .

الأَمْرُ جميعًا ﴾ (١) ، قال : فجئت إلى الأَصمعىّ فأخبرتُهُ بذلك فقال : أخطأَ ابنُ الحائك ، إنَّما الخبر فى قوله شلاًّ ، كأَنه قال : شَلُّوهم شلاًّ . قال : فجعلت أَكتبُ ما يقول ، ففكَّر ساعة ثم قال لى : اصبر فإِنِّى أَظنُّهُ كما قال ؛ لأَنَّ أَبا الجودىّ الراجز أَنشدنى :

لو قد حَداهنَّ أَبو الجودىّ   برجز مُسحَنْفرِ الـروىّ
مستوياتٍ كنوىَ البَرنىّ

فهذا كلامٌ لم يجىء له خبر . انتهى .

وهذا النقل يخالف ما قاله ابن السِّيد ، وكذلك يخالفه قول شارح أَشعار هذيل السُّكَّرِىّ (٢) ، وهو غير أَشعار الهذليين ، فى شرح هذا الشعر ، قال الأَصمَعىُّ : هذا ليس له جوابٌ ، وقد سمعت خلفًا ينشد (٣) عن أَبى الجودىّ :

لو قد حداهنَّ أَبو الجودى   .... (الأَبيات)

لم يجعل له جوابا . وقال : قد يقال إنَّ قوله شلاًّ جوابٌ ، كأَنَّه قال : حتَّى إذا أَسلكوهم شلُّوهم شلاًّ . انتهى .

فالنقل عن الأَصمعىّ مضطربٌ كما ترى .

وقال فى الصحاح : إذا زائدة ، أَو يكون قد كفَّ عن خبره لعلم السامع . انتهى .

ولا ينبغى القولُ بزيادة إِذَا لأَنَّها اسم ، والاسم لا يكون لغوًا . وعلى تقدير القول يكون شلاًّ حالاً أيضا كما قلنا .

---

(١) الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٢) ط : « للسكرى » ، صوابه فى ش .

(٣) ش : « ينشدهن عن أبى الجودى » .

وقوله (أَسلكوهم) أَسلَكَ لغة فى سلَك ، يقال أَسلكت الشَّىء فى الشيء مثل سلكته فيه ، بمعنى أَدخلته فيه ، ولهذا أَنشد صاحبُ الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ فاسلُكْ فِيهَا من كلٍّ زوجين اثنين (١) ﴾ .

و(قُتائِدة) بضم القاف بعدها مثنَّاة فوقية وبعد الأَلف همزة : بعدها دال مهملة . قال ابن السِّيد : هى ثنيَّة ضيِّقة . وقال الأَصمعىُّ : كلُّ ثنيَّة قُتائدة . وقال فى الصحاح : قُتائدة : اسم عَقَبة . وأَنشد البيت وقال : أَى أسلكوهم فى طريقِ قُتائدة . وقال البكرى (فى معجم ما استعجم) : قال اليزيدى عن ابن حبيب : هى جبلٌ بين المنصَرف والرَّوحاء . وعلى قول الأَصمعى لا يكون صرفها للضرورة . قال أَبو الفتح : همزة قتائدة أَصلٌ لأَنَّها حشو ولم يدُلَّ (٢) على زيادتها دليل . قال : ولا تحملْها على حُطائط وجُرائض (٣) لقلَّتهما . انتهى .

ونقل ياقوت (فى معجم البلدان) عن الأَزهرى أَنَّها جبل . وأَنشد البيت .

(والشَّلُّ) : الطرد . و (الجَمَّالة) : فاعل تَطْرُد . قال ابن السِّيد : والجمَّالة : أَصحابُ الجمال ، كما يقال الحَمَّارة لأَصحاب الحمير ، والبغَّالة لأَصحاب البغالِ . ولم يقولوا فَرَّاسة ولا خَيَّالة . انتهى .

وقال ابن الشجرىّ (فى معانى التاء) : الضرب الرابع أَنْ يدلَّ

---

(١) الآية ٢٧ من سورة المؤمنون .

(٢) ط : « ولم يدخل » ، صوابه فى ش . وقد تنبه لذلك مصحح بولاق فقال : « لعله لم يدل » .

(٣) فى النسختين : « وجرائد » ، صوابهما ما أثبت .

١٧٢ لحاق التاء على الجمع ، كقولهم رجُلٌ جمّال ورجالٌ جَمّالةٌ ، وبغّال وبغّالة ، وحمّار وحَمّارة ، وسيّارٌ وسيّارة . وأنشد البيت .

(والشُّرُدُ) بضمتين كما تقدّم ، قال فى الصحاح ، ويروى البيت بفتحتين أيضًا على أنّه جمع شارد ، كَخَدَمٍ جمع خادم . وقد وُصف فى هذا البيت قومٌ هزموا حتّى أُلجئوا إلى الدخول فى قتائدة .

وقد استشهد أبو على به على أنّ تاء التأنيث قد تجىء دالّة على عكس دلالتها فى باب تمرة وتمر . قال أحد شرّاح أبيات الإيضاح : ألا ترى أنّ جمّالة واقعٌ على الجمع ، فإنْ أردت الواحد أسقطت التاء فقلت جَمّال . وتمرة واقعة على المفرد ، فإن أردت الجمع أسقطت التاء فقلت تمر . فإن قال قائل : لعل التاء لم تلحق جمالةَ وأمثاله لما ذكرتم من التّفرقة بين الجمع والمفرد ، ولحِقتْه (١) من حيث كان صفة الجمع . ألا ترى أنّ الأصل كما تَطرد الرِّجالُ الجمالَةُ الشُّرُدَ . والجمعُ وإن كان لمذكّر قد تعامِلُه العربُ معاملةَ الواحدة من المؤنث ، ومن ذلك قولهم : « الرجال وأعضادها ، والنساء وأعجازها » . قيل له : الدليل على أنّ التاء فى جمّالة دخلت لِما ذكر من الفرق ، أنّها من الصفات التى أتت على معنى النّسب كدارِع ولابِنٍ . ألا تَرى أنّها غير مأخوذةٍ من فعل ، كما

١٧١ أنّ دارعا ولابنًا كذلك . وقياس الصّفات التى تأتى على معنى النسب التى لا تلحقها التاء وإنْ جرَت على مؤنث نحو حائض وطامث ، فكان ينبغى على هذا أن لا تلحق التاء ، لولا ما أُريد من التفرقة بين المفرد والجمع . وإنّما أدخلوها حين أرادوا التفرقة فى صفة الجماعة ولم يدخلوها

---

(١) ط : « ولحقته » ، صوابه من ش

فى صفة المفرد ، لأنَّ جمع التكسير وإن كان لمن يعقل قد يُعامَل معاملة الواحدة من المؤنث كما تقدَّم ، فكانت بذلك (١) أحقَّ بالتاء . إلى هنا كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت آخر قصيدةٍ عدّتها اثنا عشر بيتًا لعبد مناف بن رِبْع الجُرَبىّ (٢) . وهى :

أبيات الشاهد

(مَاذا يَغير ابنَتَىْ ربع عويلُهما ... لا ترقُدان ولا بُؤسَى لمن رقدا
كلتاهما أُبطِنَتْ أحشاؤها قصبًا ... من بطن حَلْيَةَ لا رطبًا ولا نقِدَا
إذا تجرَّد نَوْحٌ قامتا معه ... ضَربًا أليمًا بسِبْتٍ يَلعَج الجِلدا
من الأسى أهلُ أنف يومَ جاءَهم ... جَيشُ الحمارِ فجاءُوا عارضا بَرِدَا
لنعم ما أحسَنَ الأبياتَ نهنهةً ... أُولى العَدِىِّ وبَعْدُ أحسنُوا الطَّرَدا
إذ قدَّموا مائة واستأخرت مائةٌ ... وَفْياً وزادوا على كِلتيهما عددا
صابوا بِستة أبياتٍ وأربعة ... حتَّى كأنَّ عليهم جابئا لبِدا (٣)
شلُّوا على القوم فاعتطُّوا أوائلهم ... جيشَ الحمارِ ولاقَوا عارضًا برِدَا
فالطعن شغشغة والضربُ هيقعةٌ ... ضربَ المعوِّل تحت الدِّيمة العَضَدا (٤)

---

(١) ش : « لذلك » .

(٢) الجربى ، بضم ففتح : نسبة إلى جريب بن سعد بن هذيل كما سيأتى . وفيهم يقول المعترض بن حبواء الظفرى :

رغبنا عن دماء بنى جريب ... ونعشو بالصميم إلى الصميم

وانظر شرح أشعار الهذليين ٦٧٧ ، ٦٧٩ ، ٦٩٣ .

(٣) فى شرح السكرى ٧٦٤ : « ويروى : طافوا ، ويروى : جاءوا بستة » . وفى ش : « صعلبوا » مع أثر تغيير ، وليس بالوجه . وفى النسختين : « حابئا » صوابه بالجيم من شرح أشعار الهذليين .

(٤) ط : « فالطعن شفشفة » وكذا وردت فى الشرح . والصواب ما أثبت من ش فى الموضعين .

وللـقسىّ أزاميـلٌ وغمغمـــةٌ   حِسَّ الجَنُوب تسوقُ الماءَ والبردا
كأنَّهمْ تحت صَيفىٍّ له نَحَمٌ   مصرِّح طَحَرتْ أسناؤُه القَرَدا
حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة   .... (البيت)

قوله : « ماذا يَغيرُ ابنتى رِبع » إلخ قال شارح القصيدة : غارَ أهلَهُ : مارَهُم . وابنتا ربع هما أختا الشاعر . والعويل : رفع الصوت بالبكاء . لاترقدان : لا تناماں ، ومَنْ نام فلا بؤسى له ، فإنَّ الذى ينام مستريحٌ بخيرٍ فى
١٧٣ راحة ، قريرُ العين ، وإنَّما البؤس على من حزن لسَهرٍ أو مرض . والبُؤس : الضِّيق والشدة .

وقوله : « كلتاهما » إلى آخره ، هذا مثل ، أى كأنَّ فى صدورها مزاميرَ من البكاء والحنين . « ومن بطن حلية » أى هذا القصب الذى يُزمَر به أُخذ من بطن حَلية ، بفتح المهملة وسكون اللام بعدها مثناة تحتية : اسم واد . والنَّقِد بفتحٍ فكسر : المتأكِّل .

وقوله : « إذا تجرَّد نَوْحٌ » إلخ جمع نائحة ، أى إذا تهيأ نساءٌ للنَّوح . وضربا ، أى وضَرَبنا ضربًا . بسِبْت (١) بالكسر ، وهو الجلد المدبوغ . كانَ النساء يَلطِمن خدودهنَّ بجلدة . ويَلعَج : يُحرِق ، يقال وَجَدَ لاعجَ الحزن ، أى حُرْقته ، والجِلِد بكسر اللام لغة فى سكونها ، أراد جلد وجهها .

وقوله : « من الأسى » إلخ الأسى : الحزن . وأُنْف : بلدٌ بِه قُتلوا يومئذ . وقوله : « جيش الحمار » كانوا غزَوْا ومعهم حمارٌ يحملون

(١) ش : « بالسبت » .

عليه زادهم . والعارض : الجيش ، شبَّهه لكثرته بالعارض من السَّحاب الممتلىء ماءً . والبَرِد بكسر الراء : الذى فيه البَرَد بفتحتين .

وقوله : « لنعم ما أحسن » إلخ وروى :

عمرى لقد أحسن الأبياتَ نهنهةً أُولى الخميس .....

والنهنهة : الرَّدُّ . وأُولى العَدِىّ : العادية ، وهى الحاملة (١) . والأبيات : قوم أُغير عليهم . وأحسنوا الطرَد ، أى أحسنوا طِرادهم . وأُولى مفعول لنهنهة . والمعنى : نعم ما أحسنوا رَدَّ العدى ، وأحسنوا مطاردتَهم بَعْدُ .

وقوله : إذْ قدَّموا مائة إلخ ، وروى أبو عبد الله :

فقدَّموا مائة وأخَّروا مائة كلتاهما قد وفَتْ وازدادَتا عدَدا

وقوله : « صابوا بستَّة » إلخ صابوا : وقعوا . وصابَ المطر : وقَع . والجابىء (٢) بموحَّدة فهمزة : الجراد . واللَّبِد ، بفتح فكسر : المتراكب بعضُه على بعض . واللُّبد بضم ففتح : الكثير . يقول : من كثرةِ ما وقع عليهم الناسُ كأنَّ عليهم جرادًا منقضًّا .

وقوله : « شلُّوا على القوم فاعتطُّوا » : شقُّوا أُوائل القوم . وجيش الحمار بالجرّ بدل من ضمير الجمع المضاف ، وبالنصب بدل من أوائل . وقيلَ له جيش الحِمار لأنَّه كان فى الجيش حمارٌ جاءوا عليه . ويقال إنَّما

(١) فى اللسان (عدا ٢٥٨) : « العدى أول من يحمل من الرجالة وذلك لأنهم يسرعون العدو ... ويقال رأيت عدى القوم مقبلا ، أى من حمل من الرجالة دون الفرسان » .

(٢) فى النسختين : « الحابىء » بالحاء المهملة ، صوابه من شرح الهذليين واللسان (جبأ) .

كان معهم حِمارٌ يحمل بعضَ متاعهم . يقول : لَاقَوا جيشًا مثل العارض الذى فيه بَرَدٌ .

وقوله : « فالطعن شغشغة » [١] إلخ الشغشغة بمعجمتين : حكاية صوت الطَّعن فى الأجواف والأكفال . والهيقعة : حكاية صوت الضرب بالسيوف [٢] . والمعوِّل بكسر الواو المشددة : الذى يبنى عَالَة . والعالَة : شجر يقطعه الرامِى فيستظلُّ به من المطر . والعَضَد بفتحتين : ما قطع من الشجر ، والمضارع بكسر الضاد ، يقال عضد يَعضِد عَضْدا ، إذا قطع . وجعلَه تحتَ الدِّيمة لأنه أسمع لصوته إذا ابتلّ .

وقوله : « وللقسى أزاميل » : جمع أُزمَل ، والياء من إشباع الكسرة . وأزمَل كل شيءٍ : صوته . يريد أنَّ لها أصواتًا تختلط فتصير واحدًا . والغمغمة : صوتٌ لا يفهم . والحِسّ : الصوت . والجَنُوب : الرِّيح . أى لها صوتٌ كدوىّ الريح الجنوب .

وقوله : « كأنَّهم تحت صيفىٍّ إلخ » ، أى سحاب . له نَحَم بفتح النون والحاء المهملة ، أى صوت ينتحم [٣] مثل نحيم الدابة . مصرِّح : صرَّح بالماء : صبَّه وانكشف فصار غيمًا خالصًا ، ونفَى عنه القَرَد بفتح القاف والراء المهملة ، وهو من السَّحاب : الصِّغار المتلبِّد المتراكبُ بعضُه

---

(١) ط : « شفشفة » فى هذا الموضع وتاليه ، والصواب فى ش وشرح السكرى واللسان والمقاييس (شغغ) والحيوان ٤ : ٤٠٦ .

(٢) ش : « الضرب بسيف » .

(٣) وكذا فى شرح السكرى ٦٧٥ . وفى ط : « ينحم » . وفى القاموس : « والانتحام : الاعتزام ، وقد انتحمت على كذا وكذا » . ومما يجدر ذكره أن البغدادى اعتمد اعتمادا كبيرا فى شرح هذه القصيدة على الأخذ من شرح السكرى .

على بعض . وطَحرت : دفعت . والأَسناء : جمع سنًا وهو الضوء . يقول : كأَنهم تحت مطرٍ صيفىٍّ مما يقع بهم ، له نَحَم ، أى صوتُ رعد . ويروى : ١٧٤
« لهم نحم » .

وعبد مناف : شاعرٌ جاهلى من شعراء هذيل ، وهو ابن رِبْع الجُرَبى ، عبد مناف بن ربع
بكسر الراء وسكون الموحّدة . والجُرَبى ، بضم الجيم وفتح الراء المهملة : نسبة إلى جُرَيب كقريش ، وهو بطنٌ من هذيل ، وهو جُرَيب بن سعد بن هذيل . وهذه الوقعة يقال لها : « يوم أَنْف » بفتح الأَلف وسكون النون ، وهو بلدٌ يلِى ديارَ بنى سُليم من ديار هذيل . وقال السكَّرى : أَنْف : داران ، إحدَاهُما فوق الأُخرى بينهما قريبٌ من مِيل . ويقال أَنف عاذ فيضاف ، بالعين المهملة والذال المعجمة ، كذا قال السكرى . وبدالٍ مهملة رواها أَبو عمرو .

وكانت بنو ظفر من بنى سُليم حربًا لهُذيل ، فخرج المعترضُ بن حَنْواء الظَّفَرى يغزو بنى قِرد من هذيل (١) ، وفى بنى سُليم رجلٌ من أَنفسهم كان دليلَ القوم على أَخواله من هذيل ، وأُمُّه امرأَةٌ من بنى جُرَيب بن سعد ، واسمه دُبَيَّة ، فدلَّهم فوجَد بنى قرد بأَنْف ، وبنو سليم يومئذ مائتا رجل ، وزامِلتُهم حمار . فلمَّا جاء دُبَيَّة بنى قرد قالوا له : أَى ابنَ أُختنا ، أَتخشى علينا من قومك مَخْشًى ؟ قال : مَعاذ الله . فصدَّقوه وأَطعموه ، وتحدَّثوا معه ساعةً من

(١) ش : « قرد بن هذيل » ، والصواب فى ط ومعجم ما استعجم ٢٠٢ ونسب عدنان وقحطان للمبرد ٦ . وفى تاج العروس : « قرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل » وفيه المثل المشهور : « أزنى من قرد » . أمثال الميدانى والدرة الفاخرة ١ : ٢١٣ وغيرهما من كتب الأمثال .

الليل . ثم قام كلُّ واحد منهم إلى بيته ، ورمقَه رجلٌ من القوم وأُوجس منه خيفة ، حتَّى إذا هدأَ أَهلُ الدار فلم يَسْمع رِكزَ أُحدٍ ولا حِسَّه ، لم ير إلَّا إيَّاه قد انسلَّ من تحت لِحافِ أُصحابه . فحذَّر بنى قرد لذلك ، فقعد كلُّ رجل منهم فى جوف بيته آخذًا بقائم سيفه ، أُو عَجْس قَوسه ومعه نَبْله . وحَدَّثَ دُبَيَّةُ أُصحابَه بمكان الدارَين [1] ، فقدِموا مائةً نحو الدار العليا ، وتواعدوا طلوعَ القمر ، وهى ليلةَ خمسةٍ وعشرين من الشهر ، والدارُ فى سفح الجبل ، فبدَا القمر للأَسفلِينَ قبل الأَعلَيْن ، فأَغار الذين بدا لهم القمر فقتلوا رجلا من بنى قرد ، فخرجوا من بيوتهم فشدُّوا عليهم فهزموهم ، فلم يَرُعِ الأَعلَيْنَ إلَّا بنو قرد يَطرُدون أُصحابهم بالسُّيوف ، فزعموا أُنَّهم لم ينج منهم ليلتئذٍ إلَّا ستون رجلا من المائتين ، وقُتل دُبَيَّة ، وأُدرِكَ المعترضُ فقُتل أُيضاً .

وقال عبد مناف بن رِبْع هذه القصيدةَ ، وذكر فيها هذا اليوم .

وقد أُطلتُ الكلام هنا لأَنِّى لم أَرَ من شرح البيت الشاهد كما ينبغى ، ولم يذكر أُحدٌ القصيدةَ ولا اليومَ كان سبباً لها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الخمسمائة :

٥٠٧ (فأَضْحَى ولو كانت خُراسانُ دُونَه رآها مكانَ السُّوق أُو هِيَ أَقربا [2])

---

(١) انظر ما سبق من قول السكرى : « أنف : داران ، إحداهما فوق الأخرى » .

(٢) الكامل ٢١٧ والأغانى ١٣ : ٤٠ .

لما ذكره . قال أبو على (فى التذكِرة القَصْرية) : هى لا تدخل فصْلًا فى قول أصحابنا قبل نكرة ، فإذا كانت أقربُ بمنزلة قريب لم تكن هى فصلًا ، وإذا لم تكن فصلاً كان « أو » عطفًا على عاملين . انتهى .

وفيه مسامحة ، إذ مُراده على معمولى عاملين ، فهى معطوف على مفعول ترى ، وأقرب معطوف على مكان .

وقال (فى إيضاح الشِّعر) : لاتخلو هى من أن تكون مبتدأً ، أو وصفًا ، أو فصلا . فلا تكون مبتدأً لانتصاب ما بعده ، فبقى أن تكون وصفًا أو فصْلاً . وذلك أنَّ قوله : « رآها مكان السُّوق » دالٌّ على : أو رآها ، فحذفها من اللفظ للدلالة ما تقدَّم عليها ، فصار التقدير : أو رآها أقرَب ، أى أو رآها أقربَ من السوق ، فصارت هى فصلاً بين الهاء والخبر المنتصب . ١٧٥

وقد يجوز أن تجعل هى وصفًا للهاء التى هى المفعول الأوَّل ، كما جاز ذلك فى : ﴿ تَجِدُوه عِنْدَ اللهِ هو خيرًا [1] ﴾ . والأوَّل أوجه ، لأنَّ المحذوف لحذفه يستغنى عن وصفه .

ويجوز أن يكون أقرب ظرفًا . فإذا جعلته ظرفًا ولم تجعله وصفًا كان مبتدأً وأقرب الخبر ، والتقدير : أو هى أقرب من السُّوق . ومثله : ﴿ والرَّكب أسْفَلَ مِنْكم [2] ﴾ . انتهى .

(١) الآية ٢٠ من سورة المزمل .
(٢) الآية ٤٢ من الأنفال .

وهذا الأخير هو مراد الشارح المحقق . وأراد بالوصف التوكيد ، وهو تعبير سيبويه .

وقال أبو حيَّان (فى تذكرته) : قال الفرَّاء : إذا قيل منزلك بالحِيرة أو أقرب منها ، ففى « أقرب » الرَّفعُ والنصب ، أى : أو منزلك أقرب من الحيرة أو مكانًا أقرب منها ، أو يكون موضع أقرب خفضًا بالنسق على الحِيرة ، معناه أو بأقرب منها . وأنشد الفراء :

فأضحى ولو كانت خُراسانُ دونه رآها مكان السُّوق أو هى أقربا

فنصب الأقرب على المحَلّ ، وتأويله : أو هى مكانًا أقرب من خراسان . على أنَّه قد جوَّز مجوِّز نصبَ أقرب فى البيت على خبر رأى المضمرة ، وقدَّره : أو رآها هى أقرب . انتهى .

وقوله : أقرب من خراسان سَهوٌ ، وصوابه أقرب من السُّوق .

ثم قال أبو حيان : وقد قال الفراء : العرب تؤثر الرفع مع أو . واحتجَّ بقول الله تعالى : ﴿ فهى كالحجارَةِ أو أشدُّ قَسْوة [1] ﴾ . رفعت القُراء أشدّ ولم تحمِلْه على العطف ، وبَنَته على : أو هى أشدُّ قسوة . على أنَّه يجوز فى النَّحو أو أشدَّ قسوة بنصب أشدّ ، وموضعه خفض بالنسق على الحجارة ، أى كالحجارة أو كأشدَّ قسوة . فإنَّما أوثر الرفع مع أوْ لأنَّها تأتى بمعنى الإباحة : إن شبَّهتم قلوب هؤلاء بالحجارة أصبتم ، أو بما هو أشدُّ قسوة من الحجارة أصبتم ، وإن شبَّهتم قلوبهم بالحجارة وما هو أشدُّ قسوة منها لم تخطئُوا ، كما يقال : جالس الحسنَ أو ابن سِيرين . يعنى قد أبحتُ إفراد أحدِهما

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

بالمجالسة ، والجمعَ بينهما فى ذلك . فلمَّا أتت « أوْ » بهذا المعنى اختارُوا أن لا يعربوا ما بعدها بإعراب الذى قبلها إذا أُمكن الاستئناف ، ليدلَّ بذلك على استواء الجملتين اللتين إحداهما قبلها والأُخرى بعدها . ولو لم يكن استئنافٌ اختلط الذى بعدها بالذى قبلها ، وسقط معنى الاختصاص بالإباحة . انتهى .

وهذا يؤيِّد كون أقرب ظرفًا خبرًا لهى .

صاحب الشاهد والبيت آخر أبيات خمسة لعبد الله بن الزَّبير الأَسدىّ ، رواها المبرِّد (فى الكامل) وغيره ، وهى :

أبيات الشاهد

(أقول لعبدِ الله يومَ لقيتُه ... أرى الأَمر أَمسى منصِبًا متشعِّبا
تَجهَّزْ فإمَّا أن تزور ابنَ ضابئٍ ... عُمَيرًا وإمَّا أن تزور المهلَّبا
هما خُطَّتا خسفٍ نجاؤك منهما ... ركوبك حَوليًّا من الثَّلج أشهبا
فما إن أرَى الحجّاجَ يُغمِد سيفه ... يَدَالدهر حتَّى يترك الطفلَ أشيبا[(١)]
فأضحى ولو كانت خراسان دونه ... رآها مكان السُّوق أو هى أقربا)

قوله : « أقول لعبد الله » روى صاحب الأَغانى « أقول لإبراهيم » . وأوردَ منشأ هذه الأبيات مختصرًا فقال :

لمَّا قدم الحجاج الكوفة صعِد المنبرَ وأَوعد أهلَها وهدَّدهم ، ثم حثَّهم على اللَّحاق بالمهلَّب بن أبى صُفرة ، وأقسم إن وَجَد منهم أحدًا

---

(١) ط : « يدى الدهر » ش : « يدا الدهر » ، والصواب ما أثبت . وفى اللسان : يد الدهر ، أى الدهر . هذا قول أبى عبيد . وقال ابن الأعرابى : معناه لا آتيه الدهر كله . قال الأعشى :

رواح العشى وسير الغدو ... يد الدهر حتى تلاقى الخيارا

١٧٦ اسمُه فى جريدة المهلَّب بعد ثالثة بالكوفة قتله . فجاءه عُمير بن ضابئ البرجُمىّ فقال : أيُّها الأمير : إنِّى شيخٌ لا فضلَ فىَّ ، ولى ابنٌ شابٌّ جَلْد ، فاقبلْه بدلًا منى . فقال أبو عَنبسَة بن سعيد بن العاص : أيُّها الأمير ، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتولٌ فرفسَه وكسر ضِلَعين من أضلاعه ! فقال له الحجاج : فهلَّا يومئذ بعثت بدلًا ؟ ياحَرَسىُّ آضرِبْ عنقَه [1] فسمع الحجاج ضَوضاةً فقال : ما هذا ؟ فقيل : هذه البراجم جاءت لتنصُر عُميرًا . فقال : أتْحِفُوهم برأسه ! فولَّوا هاربين ، فازدحم الناس على الجسر للعُبور للمهلَّب حتَّى غرِق بعضُهم ، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسدى :

أقول لإبراهيم لمَّا لقيته ... (الأبيات المذكورة) .

والمُنْصِب : اسم فاعل من أنصبَه أى أتعبه . والمتشعِّب أيضًا : اسم فاعل من تشعَّب ، أى تفرَّق .

وقوله : « تجهَّزْ فإما » إلخ أى تهيَّأ لأحد هذين الأمرين : إمَّا يقتلُك الحجاجُ كما قتل عُميرًا وإمَّا تلحقُ المهلَّب .

وقوله : « هما خُطَّتا خسفٍ » إلخ الخُطَّة بالضم : الحالة . والخَسْف بفتح المعجمة : الذُّلّ . ونجاؤك ، أى خلاصك . والحَولىّ ، هو من كلِّ ذى حافر ما استكمل سنةً ودخل فى الثانية . والأنثى حوليَّة ، وأراد بِهِ هنا المُهْر . والأشهب من الخيل وغيره : ما غلب بياضُه على سوادِه . ومن الثُّلْج صِفة أُولَى لحولىٍّ ، وهو بالضم جمع أثْلَج ، وهو الفرحان

---

(١) ويروى : « أضربا عنقه » على إرادة نون التوكيد الخفيفة التى نقلب ألفا فى الوقف ، ثم يجرى الوصل مجرى الوقف .

وانظر ما سبق فى ٦ : ١٤٨ .

النشيط . ومُرادُهُ بهذا الفرار ، كما فَرَّ سوَّار بن المضرّب السَّعدى من الحجاج يومئذ ، وقال :

أَقاتلِىَ الحجاجُ إن لم أَزُرْ له دَرابِ وأَتركْ عند هندٍ فؤاديا (١)
فإن كان لا يرضيك حتَّى تردَّنى إلى قطَرِىٍّ ما إخالُكَ راضيا
إذا جاوزَتْ دربَ المجيرِينَ ناقتى فباست أَبى الحجاج لمَّا ثنانيا
أَيرجو بنو مَرْوان سمعى وطاعتى وقومى تميمٌ والفَلاةُ ورائيا

وممّن هرب منه : مالك بن الرَّيب المازنى ، وقال :

فإن تُنصفونا يالَ مروانَ نقتربْ إليكمْ وإلَّا فأْذنوا ببعادِ
ففى الأَرض عن دارِ المذلَّة مذهبٌ وكلُّ بلاد أُوطِنَتْ كبلادِ
فماذا ترى الحجّاجَ يبلغُ جهدَه إذا نحنُ جاوزْنا حَفِير زيادِ
فلولا بنو مروانَ كان ابنُ يوسفٍ كما كان عبدًا من عبيدِ إيادِ

وقوله : « فما إن أرى » إلخ إن زائدة ، والحجاج مفعول أَوّل لأَرى ، وجملة يغمد سيفه فى موضع المفعول الثانى . وأَغمد سيفه : أَدخله فى غِمده بالكسر ، أَى قِرابه . ويَدَ الدهر (٢) ، بفتح المثناة التحتية بمعنى مدَى الدهر ، بالميم بدلها . وقوله : « حتَّى يترك » حتَّى بمعنى إلَّا .

وقوله : « فأَضحى ولو كانت خراسان » الفاء سببيّة تسبّب ما بعدها عن قوله: تجهَّزْ فإما أن تزور ... البيت . وأَضحى من الأَفعال الناقصة

(١) دراب ، هى درابجرد : كورة بفارس .

(٢) فى النسختين : « يدى الدهر » . والوجه ما أثبت . وانظر ما سبق من الحواشى فى ص ٥٣ .

واسمها ضمير عبد الله أو إبراهيم ، وجملة رآها خبرها . وقد مرَّ أنَّ الشارح المحقّق استشهد بقوله :

* وكان طوى كشحًا على مستكنَّة (١) *

على وقوع الماضى خبرًا للأفعال الناقصة ، وعلى هذا تكون لو وصليَّةً لا جواب لها ، وعليه المعنى ، فإنه يريد أنَّ عبد الله صار كأنَّه رأى خراسان مكان السُّوق قريبة منه ، أو هى أقرب من السوق ، فذهب إليها من غير ١٧٧
تأهُّب واستعداد ، لشدَّة خوفه من الحجاج ، وإن كانت خراسان فى نفس الأمر دونه بمراحل .

وزعم أبو على (فى إيضاح الشعر) أنَّ خبر أضحى محذوف ، فتكون لو شرطيّة ورآها جوابها . ولا يخفى ركاكة الشرطيَّة . وهذه عبارته :

« فأمَّا خبر أضحى فمحذوف تقديره : فأضحى مشمِّرًا أو مجِدًّا أو نحو ذلك ، ممَّا يدلُّ عليه ما تقدَّم » . انتهى .

وخراسان : ولايةٌ واسعة تشتمل على أُمّهاتٍ من البلاد ، منها نيسابور ، وهَراة ، ومَرْو ، وبلخ . واختُلف فى تسميتها بذلك ، فقال دَغفل النسَّابة : خرج خراسان وهَيْطل ابنا عابَر (٢) بن سام بن نوح عليه السلام ، لمَّا تبلبلت الألسن ببابل ، فنزل كلُّ واحد منهم فى البلد المنسوب إليه . يريد أنَّ هيطل نزل فى البلد المعروف بالهياطلة ، وهو ماوراءَ نهر جَيْحون . ونزل

(١) فى الشاهد ٢٤٦ أول الجزء الرابع .

(٢) ش : « عالم » تحريف . وفى القاموس (عبر) : « وعابر كهاجر : ابن أرفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام » .

خراسان فى البلاد المذكورة ، فسمَّىَ كلٌّ بقعة بالذى نزل بها .

ونقل أبو عبيد البكرى (فى المعجم) عن الجرجانى أنَّه قال : معنى خُرْ : كُلْ ، وآسان معناه سهل ، أى كُلْ بلا تعب . وقال غيره : معنى خراسان بالفارسية مَطلِع الشمس . انتهى .

وقوله : « دونه » أى دون عبد الله . ودون بمعنى أمام . وزعم المبرد (فى الكامل) أنَّ الضمير للسَّفَر المفهوم من المقام . وقال : يعنى دون السفر . رآها مكان السوق للخوف والطاعة . وهذا كلامه [1] ولم يفسِّر من هذا الشعر غير هذا . « ومكانَ » ظرف ، والسُّوق مؤنَّث سماعىٌّ ، وتُذكَّر ، وهو محل البيع والشراء ، وهى ضمير خراسان ، وأقرب أفعل تفضيل منصوبٌ على الظرفية ، وهو وعامله خبر هى ، والألف للإطلاق .

روى صاحبُ الأغانى أنَّ ناظم هذه الأبياتِ لما قَفَل من حرب الأزارقة جاء يومًا إلى الحجَّاج وهو بقنطرة الكوفة يُعرَض عليه الجيش ، وجعل يَسْأَل عن رجلٍ رجل ، فمرّ به ابن الزَّبير فسأله من هو ، فأخبره ، فقال : أنَّت الذى تقول :

تَخيَّرْ فإما أَن تزور ابنَ ضابيءٍ عميرًا وإمَّا أَن تزور المهلَّبا

قال : بَلَى . فقال الحجاج : فامض إلى بعْثك . فمضى فمات بالرّىّ .

---

(١) ش : « هذا كلامه » .

وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة (١) .

وهذه الوقعة وقعة الخوارج ، وكان أميرهم قَطَرِىٌّ بن الفُجاءة ، وكان تَغلَّب على شِيراز وكازَرُون ومايليها ، فى زمن عبد الملك بن مروان ، وكان عبد الملك أمَر أميرَ الكوفة أخاه ، وهو بشر بن مروان ، أنْ يولِّىَ المهلبَ بن أبى صُفرة لقتال الخوارج ، فولَّاه وأمدَّه بجيشٍ من الكوفة كبيرُهم عبد الرحمن ابن مِخْنف ، وكانوا ثمانية آلاف رجل ولحقوا بالمهلَّب . وبعد شهر (٢) مات بِشْر ، فلما تسامعوا بموته تسلَّلوا من عند المهلَّب وجاءوا إلى الكوفة .

ثم إنَّ عبد الملك بن مروان ولَّى الحجاجَ موضعَ أخيه ، وأمره أن يُمِدَّ المهلَّب ، فلما جاء الحجاجُ إلى الكوفة صَعِد المنبر وحثَّ أهل الكوفة باللَّحاق إلى المهلَّب ، وهدَّدهم وأعطاهم أرزاقهم ، وحلف إنْ وجد أحدًا منهم بعد ثلاثة أيام ليضربنَّ عنقه . فهابه الناس وتسارَعوا فى السَّفر .

وقد فصَّل المبرد (فى الكامل) هذه الأخبارَ والحروبَ وما قيل فيها من الأشعار ، وشَرَحها .

وللحجاج خطبةٌ بليغة قالها على المِنبر حين دخوله الكوفة أميرًا عليها ، ستأتى إن شاء الله مشروحة فى أفعال المقاربة عند شعر عمير بن ضابئ . ١٧٨

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٢٦٤ – ٢٦٦ .

(٢) ش : « أشهر » ، وما أثبت من ط يطابق ما فى الكامل ٦٦٤ ، وفيه : « فلم يمكث برامهرمز إلا شهرا حتى أتاه موت بشير ، فاضطرب الجند على ابن مخنف » .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الخمسمائة :

٥٠٨ (فبينَا نَسوسُ الناسَ والأَمرُ أَمرُنا
إذا نحن فيهم سُوقةٌ نَتنصَّفُ [١])

على أَنَّ الأَغلب مجيء إذا الفجائية فى جواب بينا ، كما فى البيت .

وقد تقترن الفاء الزائدة بإذا ، كما قال ابن عَبْدَل ، وهو من شعراء الحماسة :

بيناهُمُ بالظَّهْرِ قد جَلَسَوا يوماً بحيث تُنَزَّع الذُّبَحُ [٢]
فإذا ابنُ هندٍ فى مواكِبِه تَهْدِى به خَطَّارةٌ سُرُحُ [٣]

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : يومًا منصوب لأَنَّه بدل من بينا ، أَلا ترى أَنَّ معناه بين أَوقات هُم قد جلسوا ، وذلك البَيْنُ هو اليوم الذى أَبدله منه [٤] . وليس يعنى باليوم المقدارَ المعروف من طلوع الشمس إلى غروبها ، وإنما يريد الوقت مبهمًا لا يخصُّ به مقدارًا من الزمان . وقد يكون برهةً من الدهر تشتمل على الأَيَّام واللَّيالى . وزاد الفاء فى قوله : « فإذا » ، وإنما أَراد : بيناهم كذلك إذا ابن هند قد فَعَل كذا . انتهى .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٧٥ والمغنى ٣١١ ، ٣٧١ والهمع ١ : ٣١١ والحماسة بشرح المرزوق ١٢٠٣ .

(٢) الحماسة بشرح المرزوق ١٧٨٣ ومعجم البلدان (الظهر) والرواية فيهما : « ينزع » بالياء . والذبح ، كزفر : نبت له أصل يفتش عنه ويخرج كالجزر ، ويقشر عنه جلد أسود ، وهو حلو يؤكل . والظهر ، بالفتح : موضع كانت به وقعة بين عمرو بن تميم وبنى حنيفة .

(٣) فى الحماسة : « تهوى به » ، أى تسرع . وتهدى ، بالدال بمعنى تتقدم . وهى بالدال رواية ابن جنى فى التنبيه على الحماسة الورقة ٢٤١ .

(٤) وكذا فى التنبيه لابن جنى . وفى ش : « أبدل منه » .

ويؤخذ منه أنَّ بينا يجوز اقتران جوابها بإذا ، وإن أُبدل منها ظرفُ زمانٍ آخر .

وقول الشارح المحقق : « ولا يجىء بعد إذا المفاجأةِ إلَّا الفعل الماضى » ، أراد : مع بينا وبينما ، وهو الظاهر كقوله :

* فبينما العسر إذْ دارت مياسير (١) *

وأمَّا مع غيرهما فلا تأتى للمفاجأة . قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وتأتى إذ للمفاجأة . قال سيبويه : بينا كذا إذْ جاء زيد . فهذا لما يوافقه ويَهجُم عليه . انتهى . ولا تكون للمفاجأة إلَّا بعد بينا وبينما . انتهى

وكذلك قال ابن هشام (فى المغنى) : تكون إذ للمفاجأة ، نصَّ عليه سيبويه ، وهى الواقعة بعد بينا وبينما .

وأجاز الرضىُّ مجيئَها لها فى غير جوابهما ، فيما يأتى قبل إيراد قوله : « بينا تعنُّقه الكماة ... » البيت الآتى ، فقال : وقد تجىء إذْ للمفاجأة فى غير جواب بينا وبينما ، كما فى قولك : كنت واقفًا إذْ جاءنى عمرو .

هذا كلامه ، وهذا يحتاج إلى إثباته بكلام من يُوثَق به . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : قوله بينا نسوس الناس إلخ ، أراد بينَ فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفًا . قال أبو على : أصله بين أوقاتٍ نسوس الناس ، والعامل فى بينا ما دلَّ عليه قوله :

* إذا نحن فيهم سوقة نتنصَّفُ *

ألا ترى أنَّ معناه بين هذه الأوقات خدَمْنا الناس وذَلْنا ، كما

---

(١) لعثمان بن لبيد العذرى . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ١٥٨ . وصدره :

* استقدر الله خيرا وارضين به *

أنَّ قوله تعالى : ﴿ وإن تصبْهُمْ سيِّئة بما قَدَّمَتْ أيديهِمْ إذا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (١) تأويله : قنطوا . فوُقوع إذا هذه المكانيّة جوابًا للشرط من أقوى دليل على قوّة شبهها بالفعل . وإذا هذه منصوبة بالفعل بعدها ، وليست مضافة إليه .
وكذلك إذْ التى للمفاجأة فى نحو قوله :

بينما الناسُ على عليائها إذ هووْا فى هُوّةٍ منها فغارُوا

إذْ منصوبة الموضع بهوَوْا (٢) .

وقال أيضا (فى سرِّ الصناعة) : أُشبع الفتحة فى بينا فحدث بعدها ألف . فإن قيل : فإلام أُضاف بين وقد علمنا أنَّ هذا الظرف لا يضاف من الأسماء إلَّا إلى ما يدلُّ على أكثر من الواحد ، وما عطف عليه غيره بالواو ، نحو المال بين زيد وعمرو ، وقوله : نسوس الناسَ جملة ، والجملة لا مذهب لها بعد هذا الظرف ؟ فالجواب : أنَّ ههنا واسطةً محذوفة ، والتقدير : بين أُوقات ١٧٩
نسوسُ الناس خدَمْنا ، أى خدَمْنا بين أُوقات سياستنا الناس ، والجمل مما يضاف إليها أسماء الزمان ، نحو أتيتك زمنَ الحجَّاجُ أُمير . ثم إنَّه حذف المضاف الذى هو أُوقات ، وأَوْلَى الظرفَ الذى كان مضافا إلى المحذوف الجملةَ التى أُقيمت مقام المضاف إليها ، كقوله عز وجل : ﴿ واسئَل القَرْية (٣) ﴾ أى أهْلَها . هكذا علَّقت عن أبى على فى تفسير هذه اللفظة وقتَ القراءة عليه ، وقلَّ من يضبط ذلك ، إلْا مَن كان متقنا

(١) الآية ٣٦ من سورة الروم .
(٢) بعده فى إعراب الحماسة ١٧٢ : « وليست كاذ الزمانية فى نحو قولك : إذ قمت » .
(٣) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

أصيلًا فى هذه الصناعة . انتهى .

وهكذا كلُّ من شرح بينا قال : الألف نشأت عن إشباع الفتحة . وزعم الفراء أنَّ أصل بينا بينما فحذفت الميم . قال أبو على : هذا لا يُعرف إلَّا بوحيٍ أو خبر نبيٍّ . كذا نقل ابن جنى فى شرح هذا البيت .

وقال زين العرب [١] (فى أوَّل شرح المصابيح) : وقول الجوهرى نشأت الألف من إشباع الفتحة ففيه نظر ، وهو أنَّ الألف إنَّما تتولد من الفتحة فى القافية . والحقُّ أن بينا أصله بينًا بالتنوين ، والتنوين فيه للعوض عن المضاف إليه المحذوف . وهو الأوقات ، ثمَّ أبدل الألف من التنوين فى الوصل إجراءً للوصل مجرى الوقف ، فثبتت الألف ثبوتَها فى الوقف بدل التنوين . وأمَّا بينَما فما فيهِ بمعنى الزمان فلا حذف فيه ، أو ما فيه زائدة [بين المضاف [٢]] والمضاف إليه . انتهى .

وعلى هذا فألف بينا عوض العوض . ومثله غير معروف . ويقتضى أيضًا أن يكون بينا غير مضاف إلى الجملة .

وقول الشارح المحقق : « لمَّا قُصِدَ إلى إضافة بين إلى جملة زادوا عليه ما الكافَّةَ ، أو أشبعوا الفتحة [٣] » . يريد أنَّ ما والألف كفَّتا بينَ عن الإضافة إلى المفرد ، وهيَّآها للإضافة إلى جملة . وهذا

---

(١) اسمه على بن عبد الله بن أحمد . قال فى كشف الظنون : « والذى فى شرح على القارى أنه مصرى » . والمصابيح التالية هى مصابيح السنة للبغوى المتوفى سنة ٥١٦ .

(٢) تكملة ليست فى إحدى النسختين .

(٣) هذه العبارة إيجاز شديد لما ورد فى شرح الرضى ٢ : ١٠٦ .

شىءٌ غريب ، والمشهور أَنَّ الأَلف من إشباع الفتحة ، وبين مضافة إلى الجملة من غير تعرُّض لكفٍّ وتهيئة . وذهب بعضهم إلى أَنَّ الأَلف زائدة من غير إشباع ، وهى كافَّة لبين عن الإضافة . كذا نقل ابن هشام فى الأَلف الليِّنة (من المغنى) .

وقال أَيضا فى بحث ما الكافَّة للظروف عن الإضافة : إنَّ « ما » تكون كافَّة لبين عن الإضافة ، كقوله :

بينما نحنُ بالأَراكِ معًا إذْ أَتى راكبٌ على جملِهْ

وقيل : ما زائدة ، وبين مضافةٌ إلى الجملة ، وقيل زائدة وبين مضافة إلى زمنٍ محذوفٍ مضافٍ إلى الجملة ، أَى بين أَوقات نحن بالأَراك ، والأَقوال الثلاثة فى بين مع الأَلف فى نحو قوله : فبينا نسوسُ الناسَ ، البيت . انتهى .

أَقول : صاحب القول الثانى لابُدَّ له من تقدير الأَوقات ، فلا يباين القول الثالث . ولم يتنبه له شُرّاحه .

وقوله : « والأَقوال الثلاثة فى بين مع الأَلف » . فالأَول تكون الأَلف كافَّة عن الإضافة . والثانى أَنَّها زائدة وبين مضافة إلى الجملة . والثالث أَنَّها زائدة وبين مضافة إلى الزمن المذكور .

ويَردُ على هذا أَيضًا ما ذكرنا ، والصواب أَن القولين الأخيرين فيهما قولٌ واحد .

وقال زين العرب : هذه الأَلف عوض عن الأَوقات المحذوفة ، وكذلك ما عوضٌ عنها .

وهذا غير قوله الأَوّل الذى جعله الحقَّ عنده .

والحاصل أَنَّ فى أَلف بينا خمسة أَقوال :

أحدها : إشباعٌ لتهيئة بين للإضافة .

وثانيها : أنّها مجتلبة للكفّ عن الإضافة .

وثالثها : أنّها للعوض عن الأوقات المحذوفة . ١٨٠

ورابعها : أنّها بدلٌ من تنوين العوض .

وخامسها : أنّها بقيّة ما . وهو أبعد الأقوال .

والجيِّد ما ذهب إليه الشارح المحقّق .

صاحب الشاهد والبيتُ أوّل بيتين لحُرَقَة بنت النعمان بن المنذر ، أوردهما أبو تمام فى (الحماسة) ، والرواية : « بينا نسوس » بإسقاط الفاء على الخرم . والثانى :

(فأُفٍّ لدُنيا لا يدومُ نعيمُها تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ)

تقول : بينا نستَخدِم الناسَ وندبِّر أمورهم ، وطاعتُنا واجبةٌ عليهم ، وأحكامنا نافذة ، تقلّبت الأُمور واتّضعت الأحوال ، وصرنا سُوقة تخدُم الناس .

و (نَسُوس) من ساسَ زيدٌ الأَمرَ يسوسه سياسةً : دبَّره وقام بأمره . والسياسة لفظة عربية خالصة ، زعم بعضهم أنّها معرَّب سِهْ يَسَا ، وهى لفظة مُركَّبة من كلمتين ، أُولاهما أعجمية ، والأُخرى تركية . فسهْ بالفارسية ثلاثة ، ويسَا بالمُغُليَّة الترتيب ، فكأنّه قال : التراتيب الثلاثة .

قال : وسببه (على ما فى النجوم الزاهرة [1]) أنَّ جَنكِزخان

(١) ش : « ما هو فى النجوم الزاهرة » . وانظر النص التالى فى النجوم الزاهرة ٦ : ٢٦٨ فى حوادث ٦٢٤ .

الملعون ، مِلِكَ المُغُل ، قسَّم ممالكه بين أَولاده وأَوصاهم بوصايا أَن لا يخرجوا عنها ، فجعلوها قانونًا فسمَّوها بذلك . ثم غيَّروها (١) فقالوا : سياسة .

وهذا شيء لا أَصلَ له ؛ فإنها لفظة عربيَّة متصرِّفة تكلَّمت بها العرب قبل أن يُخلق جنكِزخان ، فإنه كان فى تاريخ السِّتِّمائة ، وصاحبةُ هذا البيت قبله بأَربعمائة سنة . نعم لو قيل أُفريدون بدل جَنكِزخان لكان له وجه ، فإنَّه قسَّم مملكته بين أُولاده الثَّلاث : سَلْم ، وتور ، وإيرَج (٢) ، ورتَّب لهم قوانين ثلاثة .

وقولها : (والأَمر أَمرنا) فيه قصْر إفراد ، تُريدُ : لا أَحد يشاركنا فى السَّلطنة ولا يد فوق أَيدينا . و (السّوقة) بالضم ، قال الحريرى (فى درّة الغوَّاص) : ومنه أَيضًا توهُّمهم أَنَّ السُّوقة اسمٌ لأَهل السُّوق . وليس كذلك ، بل السُّوقة الرعيَّة . سُمُّوا بذلك لأَنَّ الملك يسوقهم إلى إرادته . ويستوى لفظ الواحد والجماعة فيه ، فيقال : رجل سُوقةٌ وقومٌ سوقة ، كما قالت الحُرَقة بنت النعمان : فبينا نسوق الناسَ .... البيت . فأَمَّا أَهل السُّوق فهم السُّوقيون ، واحدهم سُوقيٌّ ، والسُّوق فى كلام العرب تذكَّر وتؤنث . انتهى

والمشهور فى رواية البيت : « بينا نسوس » بدل « نسوق » .

ومثله (فى لحن العامة للجواليقى) قال : يذهب عوامُّ الناس

---

(١) فى النجوم الزاهرة : « وانتشر ذلك فى سائر الممالك حتى ممالك مصر والشام ، وصاروا يقولون : سى يسا ، فثقلت عليهم فقالوا سياسة ، على تحاريف أولاد العرب فى اللغات الأعجمية » .

(٢) فى الطبرى ١ : ٢١٢ أنه كانَ له ثلاثة بنين ، اسم الأكبر سلم ، والثانى طوج ، والثالث أيرج » . وانظر بقية الخبر فيه .

إلى أنَّ السُّوقة أهل السوق ، وذلك خطأ ، إنَّما السُّوقة من ليس يَملك ، تاجرًا كان أو غير تاجر ، بمنزلة الرعية . وسمُّوا سوقة لأنَّ الملك يسوقهم فينْساقون له ، ويصرِّفهم على مراده . يقال للواحد : سُوقة وللاثنين : سُوقة . ورُبَّما جُمِع سُوَقا . قال زهير :

يطلب شأْوَ امْرَأينِ قَدَّما حَسَنًا نالا الملوك وبذَّا هذه السُّوَقا (١)

وأمَّا أهل السوق فالواحِد سوقىٌّ ، والجماعة سوقيُّون . انتهى .

ونقل الصاغانى (فى العباب) هذه العبارة ، وزاد : « ويستوى فيه المذكر والمؤنث » .

و (نتنصَّف) بالبناء للفاعل ، أى نَخدُم . قال ابن السكيت : نصفهم ينصُفهم وينصِفهم بضم الصاد وكسرها نِصافًا ونِصافة بكسرهما ، أى خدمهم . وكذلك تنصَّف . والناصف : الخادم ، والجمع نَصَف بفتحتين ، وكذلك المَنِصَف بفتح الميم وكسرها : الخادم ، والجمع مناصف . وظاهر تفسير ابن الشجرى إيّاه بقوله : « أى نُستخدَم » ، أنه بالبناء للمفعول . ووقع ١٨١
فى بعض نسخ مغنى اللبيب « ليس نُنصَف » بدل نتنَّصف ، أى نُعامل بالإنصاف . ولم أر من روى كذا .

وقولها : « فأُفٍّ لدُنيَا » إلخ أى تحقيرًا لدُنيَا نعيمُها يزول ، وجمالها لا يدوم ، بل تتحوَّل وتتقلب بأهلها . وتَقَلَّبُ وتَصَرَّفُ كلاهما مضارع والأصل : تتقلَّب وتتصرَّف ، أى تتغير . وأُفّ بكسر الفاء وفتحها

(١) ط : « وهذا بذة السوقا » ، صوابه فى ش وديوان زهير ص ٥١ .

وضمها . وفيها لغات شرحها ابن جنى (فى إعراب الحماسة) .

وحُرَقة ، بضم الحاء وفتح الراء المهملتين بعدها قاف ، وهى بنت النعمان بن المنذر اللخمى ، ملك الحيرة بظهر الكوفة . وهى امرأة شريفة شاعرة . كذا ذكرها الآمدى (فى المؤتلف والمختلف [1]) . وأنشد لها هذين البيتين . حرقة بنت النعمان

ولحرَقة هذه أخٌ اسمه « حُرَيق » مصغَّر اسمها . قال هانئ بن قَبيصة يوم ذى قار :

أُقسِمُ باللهِ نُسلِم الحلَقه ولا حُريقًا وأُخته حُرَقه
حَتَّى يظلَّ الرئيسُ منجدلًا ويقرع السهمُ طُرَّةَ الدَّرَقه [2]

كذا ذكرها العسكرى (فى كتاب التصحيف) وأنشد لها البيتين وقال : ولها خبر مع سعد بن أبى وقَّاص .

وذكرها الجاحظ (فى كتاب المحاسن والمساوى) قال : زعموا أنَّ زياد ابن أبيه مرّ بالحِيرة فنظر إلى دَيرٍ هناك ، فقال لخادمه : لمن هذا ؟ قال : دير حُرَقة بنت النعمان بن المنذر . فقال : مِيلُوا بنا لنسمعَ كلامها . فجاءت إلى وراءِ الباب فكلَّمها الخادم فقال لها : كلِّمى الأمير . قالت : أُوجِزُ أم أُطيل ؟ قال : بل أوجِزى . قالت : كنَّا أهلَ بيتٍ طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحدٌ أعزّ منا ، فما غابت تلك الشمسُ حتّى رحِمَنا عدوُّنا . قال :

(١) المؤتلف والمختلف ١٠٣ . وكلمة « والمختلف » ساقطة من ش . وعبارة « ملك الحيرة بظهر الكوفة » ، ليست فى نصه . كما أن وجهها : « بظاهر الكوفة » .

(٢) ط : « يظل الريس » ، صوابه فى ش والتصحيف للعسكرى ٣٨٢ .

فأمر لها بأوساق من شَعير ، فقالت : أُطعَمَتْك يدٌ شَبعَى جاعت ، ولا أُطعمتك يدٌ جوعَى شبِعت . فسُرَّ زيادٌ بكلامها فقال لشاعرٍ معه : قيِّد هذا الكلام لا يَنْدُرِسْ (١) . فقال :

سل الخيرَ أهلَ الخير قدِمًا ولا تسلْ فتًى ذاق طعم الخير منذُ قريبِ

ويقال إنَّ فروة بن إياس بن قبيصة انتهى إلى دَير حُرَقة بنت النعمان ، فألفَاها وهى تبكى ، فقال لها : ما يُبكيكِ ؟ قالت : ما مِنْ دارٍ امتلأت سرورًا إلَّا امتلأت بعد ذلك ثُبورًا ! ثم قالت :

فبينا نسوسُ النَّاسَ والأمر أمرنا .... البيتين

قال : وقالت حُرَقة بنت النعمان لسعد بن أبى وقَّاص : لاجَعَل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولا زالت لِكريمٍ إليك حاجة ، وعَقَد لك المِنَنَ فى أعناق الكرام ، ولا أزال بك عن كريمٍ نعمة ، ولا أزالها عنه بغيرك إلَّا جعلك سببًا لردِّها عليه . انتهى .

وأورد خبر سعد بن أبى وقَّاص معها بأتمَّ من هذا المعافَى بنُ زكريًّا (فى كتاب الجليس) بسندِه إلى حسَّان بن أبان قال : لمَّا قدم سعدُ بن أبى وقاص القادسيَّة أميرًا أتَتْه حُرَقة بنتُ النُّعمان بن المنذر ، فى جَوارٍ كلُّهن مثلُ زِيِّها ، يطلبن صِلته . فلمَّا وقفن بين يديه قال : أيَّتكنَّ حُرقة ؟ قلن : هذِه . قال لها : أنت حُرَقة ؟ قالت : نعم ، فما تكرارك استفهامى (٢) ؟ إنَّ الدنيا دار زوال ، وإنَّها لا تدوم على حال ، إنَّا كنا ملوك هذا المِصر قَبلك ، يُجبَى إلينا خراجُه (٣) .،

---

(١) فى المحاسن والأضداد ٨٧ : « ليدرس » ، وما هنا صوابه .

(٢) تعنى سؤاله عنها مرتين .

(٣) ش : « يجيء إلينا خراجه » ، والوجه من ط .

ويطِيعنا أهله زمانَ الدّولة ، فلما أدبر الأمرُ وانقضى ، صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا ، وشتَّت ملأنا . وكذلك الدهر يا سعد ، إنّه ليس من قوم بسرور وحَبْرة إلّا والدهرُ مُعْقِبُهم حَسْرة ! ثم أنشأت تقول : ١٨٢

فبينا نسوسُ النّاسَ والأمر أمرُنا .... البيتين

فقال سعد : قاتل الله عدىَّ بنَ زيد ، كأنه ينظر إليها [(١)] حيث يقول :

إنَّ للدَّهر صَولةً فأحذرَنْها لاتبيتنَّ قد أمِنت السُّرورا [(٢)]
قد يبيت الفَتَى مُعَافًى فيُرزَا ولقد كان آمنًا مسرورا [(٣)]

وأكرمها سعدٌ وأحسن جائزتَها ، فلما أرادت فِراقَه قالت له : حتّى أحيِّيك بتحية أملاكِنا بعضِهم بعضًا : لَا جعل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولا زال لكريم عندك حاجة ، ولا نزَعَ من عبدٍ صالح نعمةً إلّا جعلك سببًا لردِّها عليه ! فلما خرجت من عنده تلقّاها نساء المصر فقلن لها : ما صنع بكِ الأمير ؟ قالت :

حاط لى ذِمّتى وأكرم وجهى إنّما يُكرم الكريمَ الكريمُ [(٤)]

انتهى نقلُه من شرح أبيات المغنى للسيوطى [(٥)] .

---

(١) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٤٦ : « كأنه كان ينظر إليها » .

(٢) فى الديوان ٦٤ : « قد أمنت الدهورا » . وفى شرح شواهد المغنى : « قد أمنت الشرورا » .

(٣) فى الديوان : « قد ينام الفتى صحيحا فيردى » .

(٤) ورد هذا البيت فى النسختين منثورا ، وإنما هو بيت من بحر الخفيف . وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى : « إنما يكرم الكريم الكريما » .

(٥) شرح شواهد المغنى ٢٤٦ – ٢٤٧ .

ونسب ابن الشجرى (فى أماليه) هذين البيتين إلى هند بنت النعمان ابن المنذر . ولعلّ حرقة يكون لقبًا لهند أو أختًا لها . قال : هند بنت النُّعمان ، لها دَيرٌ بظاهر الكوفة باقٍ إلى اليوم . ولمَّا كان المغيرة بن شعبة الثقفى واليًا بالكوفة من قِبَل معاوية – وكان أحد دهاة العرب – أرسلَ إلى هند بنت النعمان يخطبها ، وكانت قد عميّت ، فأبتْ وقالت : والصَّليبِ ما فىَّ رغبة لجمال ، ولا لكثرة مال ، وأىّ رغبةٍ لشيخ أعور فى عجوز عمياءَ ! ولكن أردتَ أن تفخر بنكاحى فتقول : تزوَّجْتُ بنتَ النعمان بن المنذر ! فقال : صدقتِ والله . وأنشأ يقول :

أدركتِ ما منّيتُ نفسىَ خاليًا ... لله درُّكِ يا ابنةَ النُّعمانَ
فلقد رددتِ على المغيرة ذهنَه ... إنَّ الملوك ذكيَّةُ الأذهانِ (١)
إنّى لِحلْفك بالصَّليب مصدِّقٌ ... والصُّلبُ أصدقُ حِلفة الرُّهبانِ !

وكانت بعد ذلك تدخل عليه فيُكرمها ويَبَرُّها . وسألها يومًا عن حالها فأنشدَتْ :

بينا نَسوسُ الناس والأمر أمرنا ... . البيتين

وروِىَ أنَّ المغيرة هذا أدمَى ثمانين بِكرًا ، ومات بالكوفة وهو أميرها ، بالطَّاعون سنة خمسين . انتهى .

وأوردَ هندًا هذه إسماعيل الموصلى (فى كتاب الأوائل) قال : أوَّل امرأة أحبَّت امرأةً فى العرب هند بنتُ النعمان بن المنذر ، كانت تهوَى زرقاء اليمامة ، فلما قُتلت الزرقاء ترهَّبت هند ولبستِ المسوح ، وبنت

---

(١) فى الأغانى : « نقية الأذهان » ، وفى رواية أخرى عنده : « بطية الإذعان » .

وبنت لها ديرًا يعرف بدَير هند إلى الآن ، وأقامت به حتى ماتت .

كذا ذكر أبو الفرج الأصبهانى (فى كتاب الأغانى الكبير) (١) . وفيه نظر ، فإنّ هند بنت النعمان ماتت فى ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وزرقاء اليمامة من جديس ، ولهم خبَر مع طَسْم ، وكانوا فى زمن ملوك الطوائف ، وبينهما زمان طويل . فما أعلم من أين وقع لأبى الفرج هذا . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(حَتَّى إذا أسلكوهمْ فى قُتائدة)

تمامه :

* شَلاً كما يطرد الجمَّالة الشُّردا *

على إن إذا فيه زائدة . وقد تقدَّم الكلام عليه مفصلا قريبا (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الخمسمائة : ١٨٣

٥٠٩ (بينَا تعنُّقِهِ الكُماةَ وروْغِهِ   يومًا أُتيحَ له جرىٌّ سَلفعُ)(٣)

على أنَّه يجوز إضافة بينا دون بينما إلى المصدر ، كما فى البيت . والأعرف الرفع على أنَّه مبتدأ محذوف الخبر ، أي تعنُّقه حاصلٌ .

أقول : الأولَى أن يقول حاصلان ، لأنَّ قوله وروغه معطوف عى تعنُّقه .

وقوله :يجوز إضافة بينا إلى المصدر ، يعنى إلى الأسماء المفردة

(١) الأغانى ٢ : ٣١ .

(٢) انظر الشاهد ٥٠٦ ص ٣٩ .

(٣) جمل الزجاجى ٢٩٤ والخصائص ٣ : ١٢٢ وابن يعيش ٤ : ٣٤ ، ٩٩ والمغنى ٣٧١ ، ٥٢٢ والهمع ١ : ٢١١ والمفضليات ٢٤٨ والهذليين ١ : ١٨ .

إذا كان فيها معنى الفعل ، حملًا على معنى حين ، كقولك : بينا قيام زيدٍ أقبل عمرو ، أى حين قيام هذا أقبل ذاك . فإنْ وقع بعدها اسمُ جوهرٍ لم يكن إلَّا رفعًا ، نحو : بينا زيدٌ فى الدار أقبل عمرو ، لأنَّها ظرف زمان ، فلا تضاف إلى جثة كما لا تكون خبرًا عنها .

صاحب الشاهد والبيت لأبى ذؤيب الهذلى ، من قصيدته المشهورةِ التى رثَى بها أولادَه ، وكانوا خمسةً وهلكوا فى عام واحد ، أُصابهم الطاعون ، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر .

وقد تقدَّم شرح بعضٍ منها فى الشاهد السابع والستين (١) .

قال الإمام المرزوقى فى شرح هذه القصيدة : روى الأصمعىُّ : « بينا تعنُّقه ورَوغِه » مجرورًا . وكان يقول : بينا يضاف إلى المصادر خاصَّة . والنحويُّون يخالفونه ويقولون : بينا وبينما عبارتان للحين ، وهما مبهمتان لا تضافان إلَّا إلى الجمل التى تبيِّنها . فإذا قلت بينا أنا جالس طلع زيد ، فالمعنى حين أنا جالس أو وقتَ أنا جالس طلع زيد . وذكر سيبويه خاصّة أنَّ إذْ تقع بعدهما للمفاجأة تقول : بينما نحن نسير إذْ أقبل زيد . وكثير من النحويِّين والأصمعى ينكرون هذا ويقولون : لا حاجة إلى إذْ ، ألا ترى أنَّك تقول : حين زيدٌ جالس قام عمرو . وبينما بمنزلة حين . قالوا : وأشعارهم وردَتْ بلا إذْ . وممَّا استشهدوا به بيتُ أبى ذؤيب هذا وغيره . ومما يُستَشهَد به لسيبويه قوله (٢) :

---

(١) الخزانة ١ : ٤١٨ — ٤٢٤ .

(٢) هو جميل كما فى الخزانة ٤ : ١٩٩ وشرح شواهد المغنى ١٢٦ ، وديوان جميل ١٨٨ .

بينما نحنُ بالكَثيب ضحًى　　إذْ أَتى راكبٌ على جمله

فأَمَّا الخلاف الأَوَّل فمن شرط الأَزمنة أَن تضاف إلى الجمل وتُشْرح بها . ورواية النحويِّين والناسِ : « بينا تعنُّقه الكماة » فيرتفع تعنُّقه بالابتداء ، ويكون خبَره مضمرًا ، كأَنه قال : بينا تعنقُه الأَبطالَ حاصلٌ معهود ، ومعتَمد مأَلوف ، أُتيح له يومًا رجل جرىء . انتهى .

وقال أَبو على (فى إيضاح الشعر) : أَنشد ثعلبٌ أَحمد بن يحيى قول الشاعر :

بينا كذاكَ رأَيتَنى متلفِّعا　　بالبُرْد فوق جُلالة سِرداج [1]

أَضاف بينا إلى الكاف كما يضاف [2] إلى المصدر فى قوله :

بينا تعنُّقِه الكماة ورَوْغِهِ　　.................. البيت

وكما أُضيفت مِثْلَ إليها فى قوله :

* فصيِّروا مثلَ كعصفٍ مأْكولْ [3] *

ولا يكون الكاف حرفًا لأَنَّ الاسمَ لا يضاف إلى الحرف ، وينبغى أَن يجعل الكاف بمنزلة مثل فى أَنَّها تدل على أَكثرَ من واحدٍ ، كما أَنَّ مثلا كذلك فى نحو قوله عز وجل : ﴿ إِنَّكمْ إذًا مِثْلُهم [4] ﴾ لأَنَّ بين تضاف إلى أَكثر من واحد ، ويجوز أَن تكون الكاف زائدة

(١) لابن ميادة ، كما فى الكامل ٢٩ ليبسك والدرر اللوامع ١ : ١٧٩ .

(٢) ش : « كما تضاف » .

(٣) لحميد الأرقط ، كما فى سيبويه ١ : ٢٠٣ .

(٤) الآية ١٤٠ من سورة النساء .

كزيادتها فى قوله عز وجل : ﴿ ليس كمثْلِهِ شيءٍ [١] ﴾ وذاك منجَرَّةٌ ، والمعنى الإضافة إلى ذاك [٢] . وقد أُضيفت بين إلى المبهم المفرد فى نحو قوله سبحانه : ﴿ عوانٌ بينَ ذلك ﴾ [٣] . فإن قدَّرتَ الإضافة إلى الفعل الذى هو رأيتنى كما أضافه الآخر إليه فى قوله : ١٨٤

بينا أُنازِعهمْ ثوبى وأُجذبهمْ إذَا بنُو صحفٍ بالحقِّ قد وردوا

وكما أُضيف إلى الجملة الاسمية فى قوله :

بينا نحنُ نطلبُه أُتانا [٤] .... البيت

وفصلْتَ بين المضاف والمضاف إليه بالظَّرف ، فهو وجه . انتهى .

وهذه القصيدة أوردها المفضَّل (فى آخر المفضَّليات) . قال ابن الأنبارى (فى شرحها) : وروى أبو عبيدة :

* فيما تعنُّقِهِ الكماةَ ورَوْغِهِ *

جعل ما زائدة صلةً فى الكلام ، أى بينا يقتُل ويراوغ إذ قُتِل . وعلى هذا لا شاهد فى البيت ، ويكون تعنُّقه مجرورًا بفِى . وضمير تعنُّقه راجع للمستشعِرِ فى بيتٍ قبل هذا بستَّة أبيات ، وهو :

(والدَّهر لا يبقى على حَدَثانه مستشعِرٌ حَلقَ الحديد مُقنَّعُ)

والدهر مبتدأٌ ، وجملة لا يبقى إلخ خبر المبتدأ . وعلى بمعنى مع ، والحدثان ، بالتحريك : مصدرٌ بمعنى الحدَث والحادثة ، ومستشعر

---

(١) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٢) أى فى « بينا كذاك » فى بيت ابن ميادة .

(٣) الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٤) تمامه كما فى سيبويه ١ : ٨٧ مع نسبته إلى رجل من قيس عيلان :

* معلق وفضة وزناد راع *

فاعل يَبْقَى ، أى فارسٌ مستشعِر ، وهو اسم فاعل من استشعر الثَّوبَ والدِّرع ، إذا لبسه شعارًا . والشِّعار بالكسر : الملبوس الذى يلى شَعَر الجسد . وروى : « متسربل » ، أى يتَّخذهُ سربالًا . وحلَق الحديد مفعول مستشعر ، وأراد به الدرع . والمقنَّع بفتح النون المشددة : الذى على رأسه المِغفر أو بيضة الحديد ، قاله المرزوقى . وقال ابن الأنبارى : المقنَّع : اللابس المغفر . والمغفر : ثوبٌ تُغطَّى به البيضة . والمقنَّع : الشاكُ السلاح التامُّهُ . وحَلَق الحديد : حلق الدِّرع . ويروى : « سَميدَع » ، وهو السيِّد . انتهى .

وقوله : (بينا تعنُّقه) كذا فى جميع الرِّوايات ، ووقع فى الشرح وفى جمل الزَّجَّاجى (١) وغيرهما : « تعانقه » بالألف . قال ابن السِّيد واللخمىُّ : هو خطأٌ ، والصواب تعنُّقه ، لأنَّ تعانق لا يتعدَّى إلى مفعول ، إنَّما يقال تعانق الرجلان ، والمعانقة والاعتناق . والتعنُّق هى المتعدِّية ، ومعنى الجميع الأخذ بالعنق . والاعتناق : آخر مراتب الحرب ؛ لأنَّ أوَّل الحرب الترامى بالسِّهام ، ثم المطاعنة بالرماح ، ثم المجالدة بالسيوف ، ثم الاعتناق وهو أن يتخاطف الفارسان فيتساقطا (٢) إلى الأرض معًا . وقد ذكر ذلك زهير بن أبى سلمى فى قوله :

يَطعَنهم ما ارتَمَوْا حتَّى إذا اطَّعنوا ضاربَ حتَّى إذا ما ضاربوا اعتنقا

أراد : أنَّه يزيد على ما يفعلون .

(١) ط : « الزجاج » ، صوابه فى ش . وقد طبع بتحقيق ابن أبى شنب بباريس ١٩٥٧ للمرة الثانية .

(٢) ش : « فيتساقطان » .

و (الكماة) بالنصب مفعول تعنُّقه ، جمع كَميّ ، وهو الشُّجاع الذى ستر درعه بثوبه . قال أبو زيد (فى نوادره) : الكميُّ : الشديد الشجاع من كلّ دابّة .

وقوله : (ورَوْغه) معطوف على تعنُّقه إن جرًّا وإنْ رفعًا ، وهو بالغين المعجمة ، وهو حَيدته عن الأقران يمينًا وشمالًا للتحفُّظ . قال اللخمى : ومن روي بالعين المهملة فمعناه الفزَع .

وقوله : (يوماً) هو بدل من بينا ، كما قاله ابن جنى فى قوله :

بينا هُمُ بالظَّهْر قد جلَسوا يومًا بحيث تُنزَّع الذُّبَحُ (١)

وقد تقدَّم بيانه قريبًا فى شرح البيت الذى قبل هذا . وقال اللخمى : العامل فى يومِ تعنُّقه ، ويحتمل أن يكون الروغ ، ويحتمل أن يكون أُتيح ، والأول أقوى لترك تكلف التقديم . هذا كلامه . وقوله (أُتيح) هو جواب
١٨٥ بينا ، وهو العامل فيه بمعنى قُدِّرَ ، مجهولُ أتاح الله له الشيء أى قدَّرهُ له ، وهو بالحاء المهملة .

و (جرىء) ، بالهمز : فعيل من الجراءة . و (السَّلفع) كجعفر : الجرىء الواسع الصَّدر . ويقال للمرأة إذا كانت جريئةً سلفع . وقال المرزوقى : وأكثر من يوصف به النِّساء ، ويستعمل فيهن بغير هاءٍ ، والمعنى : أنَّ هذا المستشعِر الدِّرع حزمًا ، وقتَ معانقته للأبطال ومُراوغته للشُجعان ، قُدِّر له رجلٌ هكذا ، وقُيِّضَ له فارسٌ شجاع مثله ، فاقتتلا حتَّى قتل كلٌّ واحد منهما صاحبه . ومراده أنَّ الشجاع لا تعصمه جراءته من الهلاك ، وأنَّ كلَّ مخلوق فالفناء غايتُه .

---

(١) انظر ما سبق فى هذا الجزء ص ٥٩ .

وأبو ذؤيب شاعرٌ إسلامى مخضرم ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين [١] .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الخمسمائة [٢] :

٥١٠ (وكان إذا ما يَسْلُلِ السَّيفَ يَضْرِبِ)

على أَنَّ بعضهم قال : يجازى بإذا ما ، فيجزم الشرط والجزاء ، كما جزم يُسلل ، وكسرة اللام لدفع التقاء الساكنين ، وجَزَمَ يضرب ، وكسرة الباء للروىّ . والرواية : « متى ما » [٣] .

قال شارح اللباب : قد نقل عن بعضهم أنَّه جوَّز الجزم بإذا مكفوفة بما ، وأُنشد للفرزدق :

* وكان إذا ما يَسلُلُ السَّيفَ يضربِ *

ومن مَنَعه قال : الرواية « متى ما يسلل » . انتهى .

ورواية « متى ما » ، هى رواية حمزة الأَصبهانى (فى أَمثاله) .

وذهب ابن يعيش (فى شرح المفصل) إلى أَنَّ الجزم بها فى الشعر قليل . وأُنشد هذا الشعر .

وقال أَبو على : كان القياس أَنْ تكفَّ ما إذا عن الإضافة ، كما كفَّت حيث وإذْ لمَّا جُوزِىَ بهما ، إلَّا أَنَّ الشاعر إذا ارتكب الضرورة استجاز كثيرًا مما لا يجوز فى الكلام . وإنَّما جاز المجازاة بإذاما فى

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٢) ابن يعيش ٨ : ٣٤ وحماسة البحترى ٢١٦ والدرة الفاخرة ٣٣٨ والأغانى ١٠ : ٢١ وديوان الفرزدق ٢٢ .

(٣) الذى فى ابن يعيش والديوان : « وكان اذاما » . لكن فى الحماسة والدرة الفاخرة والأغانى : « متى ما » .

الشعر لأنَّها قد ساوقت إنْ فى الاستبهام ، إذْ كان وقتُها غير معلوم ، فأشبهت بجهالة وقتِها ما لا يُدرَى أن يكون أم لا يكون . فاعرفْه . انتهى .

ونقل أبو حيان (فى تذكرته) أنَّ الصَّيمَرىَّ ذهب إلى أنَّها تُكفُّ بما مثل إذْ فتجزم ، كبيت الفَرزدق . قال : وقد جاء بعدَها ولم تجزم ، قال :

* وإذا ما تشاء تَبعثُ منها *

ويجوز دخول الفاء على جوابها ، قال الفرزدق :

إذا ما قيل يا لحماةِ قومٍ فنحن بدعوة الدَّاعى دُعينا

وذهب أبو على فى مثل هذا إلى أنَّ إذا غير معمولة ، لأنَّه لما جاءت الفاء فى جوابها صارت بمنزلة إنْ ، وتلك لا يعمل فيها الفعل . انتهى .

أبيات الشاهد

وهذا المِصراع من قصيدةٍ للفرزدق . وهذه أبيات منها :

(لعمرى لقد أوفى وزاد وفاؤه على كلِّ جارٍ جارُ آلِ المهلَّبِ
كما كان أوفى إذْ ينادى ابنُ ديهثٍ وصِرمتُه كالمغنـــم المتنـــهَّبِ
فقام أبو ليلى إليه ابنُ ظالم وكان إذا ما يَسلُلِ السَّيفَ يَضربِ
وما كان جارٌ غيرَ دلو تعلَّقت بحبلين فى مستحصَدِ القِدِّ مكرب [(١)]

(١) رواية الديوان :

وما كان جارا غير دلو تعلقت بحبليه فى مستحصد الحبل مكرب

والحماسة :

وما كان جارا غير حبل تعلقت بدلو به فى مستحصد القد مكرب

والأغانى : « وما كان جارا » . وبقية إنشاده كما فى الخزانة . ورواية رفع « جار » انفرد بها البغدادى ، وقيدها فى التفسير التالى بأنها اسم كان .

روى الأصبهانى بسنده (فى الأغانى) أن الحارث بن ظالمٍ المرىّ لما كان نزيلًا عند النعمان بن المنذر أخذ مصدِّقٌ للنعمانِ إبلًا لامرأة من بنى مُرَّة يقال لها ديهث ، فأتت الحارث فعلَّقتْ دلوَها بدلوه ، ومعها بُنىٌّ لها ، فقالت : ١٨٦
يا أبا ليلى ، إني أتيتك مُضامَة (١) ! فقال : إذا أورد القوم النَّعمَ فنادى بأعلى صوتِك :

دعوتِ بالله ولم تُراعِى ذلكِ راعيكِ فنعم الرَّاعِى (٢)
وتلكِ ذَودُ الحارث الكَسَّاع (٣) يَمشِى لها بصارمٍ قطَّاع
* يَشْفِي به مَجامعَ الصُّداع * (٤)

وخرج الحارث بن ظالم فى إثْرِها وهو يقول :

أنا أبو ليلى وسيفى المعلوبْ (٥) كم قد أجْرْنا من حريبٍ محروبْ

---

(١) كذا فى النسختين ، وهو سهو من البغدادى ، استمر فيه أيضا فى الشرح التالى . والوجه « مضافة » كما فى الأغانى . والمضاف : الخائف والمُلجأ ، والمحرج المثقل ، ومنه المضاف فى الحرب فى قوله طرفة :

وكرى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضى نبهته المتورد

ولا يقال من الضيم أضامه ، بل يقال ضامه يضيمه فهو مضيم .

(٢) ط : « ذلك داعيك » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ومن تصحيحات الشنقيطى للأغانى . وفى النسختين : « فنعم الداعى » ، و الصواب من تصحيح الشنقيطى للأغانى .

(٣) الكساع من الكسع ، يقال كسعهم بالسيف يكسعهم كسعا : اتبع أدبارهم فضربهم . وفى ط : « الكساعى » ومثلها فى ش مع تشديد السين ، والوجه ما أثبت من الأغانى .

(٤) مجامع الصداع هى الرأس ، وشفاؤه : أن يضرب ويطاح به .

(٥) المعلوب : اسم سيف الحارث بن ظالم ، إنما سماه معلوبا لآثار كانت بمتنه ، أو لأنه كان انحنى من كثرة ما ضرب به . وفيه يقول الكميت :

وسيف الحارث المعلوب أردى حصينا فى الجبابرة الردينا

وكم رددنا من سليب مسلوبْ وطَعنة طعَنتُها بالمضبوبْ (١)

* ذاك جهيزُ الموت عند المكروب (٢) *

ثم قال : لا يردنَّ عليكِ ناقةٌ ولا بعيرٌ تعرفينه إلّا أَخذْتِه ! ففعلَتْ ورأت لَقوحًا لها يحلُبها حبشيّ ، فقالت : يا أَبا ليلى ، هذه لى . قال الحبشيُّ : كذبْتِ . فقال الحارث بن ظالم : أَرسِلْها ويلك ! فضرط الحبشيُّ ، فقال الحارث : « آستُ الحالبِ أَعلم » فصارت مثلًا . قال أَبو عبيدة : ففى ذلك يقول الفرزدق . وأَنشد الأَبيات . انتهى .

وقوله : « لعمرى لقد أَوفى » هو لغة فى وفى بالعهد كوعى ، وفاءً : ضدّ غَدَر . و (الجار) : المجير ، والمستجير ، والمجاور الذى أَجرتَه من أَن يُظلَم ؛ فهو ضدّ . والمراد هنا الأَوَّل . وفاعل أَوفى الأَوَّل ضمير سليمان بن عبد الملك ، فإنَّه أَجار يزيد بن المهلب من الحجّاج لما هرب من حبسه وجاء إليه ، فأَرسله مع ابنه أَيوب إلى أَخيه الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يشفع فيه ، فقبِل شفاعته .

وفاعل « أَوفى » الثانى ضمير أَبى ليلى ، تَنازَعه هو وقام . وابن ديهث فاعل ينادى . وصرمته مبتدأٌ ، وكالمغنم خبره ، والمتنهَّب ، صفته ، حال من ابن . والصِّرمة بالكسر : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثّلاثين أو إلى الخمسين ، وقيل غير ذلك . والمغنم الغنيمة . والمنهَّب : اسم مفعول .

(١) فى الأغانى : « بالمنصوب » .

(٢) جهيز : السريع ، ش : « جهاز » ، تحريف .

(وأبو ليلى) : كنية الحارث بن ظالم ، وهو جاهلىّ . والقيام هنا هو العزم على الشىء والإتيان به على أكمل هيئاته . والمعنى : قام لينصره ويأخذ بساعده . وجملة « وكان إذا ما يسلل » إلخ معطوفة على قام ، أو إنّها اعتراضية أفاد بها أنَّ شأنه كان كذا . واسم كان ضمير أبو ليلى ، والجملة الشرطية خبر كان .

وجملة « وما كان جار » إلخ حال من أبو ليلى . والجار هنا المستجير ، وهو اسم كان ، وغير دلوٍ خبرها . والقِدّ بالكسر : السّير يقدُّ من جلد غير مدبوغ . والمستحصَد اسم مفعول [1] من استُحصد الحبلُ إذا استحكَم فتلُه أو ربْطُه . والمُكرب : اسم مفعول ، من أكرب الدلو إذا شدَّها بالكَرَب ، بفتحتين ، وهو حبل يشدّ فى وسط عرقُوة الدّلو ليَلىَ الماء فلا يعفَن الحبلُ الكبير . ويقال أيضًا : كربها وكرّبها ، كما يقال أكربها .

والمصدِّق كمحدِّث : آخذ الصَّدقات . ومُضامة : اسم مفعول من الضَّيم [2] وهو الجور . ومجامع الصُّداع هو الرأس ، لأنَّه محل الصُّداع . والمعلوب بالعين المهملة : اسم سيفه .

والحارث بن ظالم المرىّ جاهلى ، ضُرب المثل بفَتْكه ، فقيل : « أفتك من الحارث بن ظالم » . الحارث بن ظالم

فمن خبر فتكه ما رواه حمزة الأصبهانى والزمخشرى فى أمثالهما ،

---

(١) كذا . والمعروف فى المعاجم أنه بزنة اسم الفاعل .

(٢) هذا سهو من البغدادى ، إذ أن اسم المفعول من الضيم « مضيم » ولو قد أراد أن يجعله اسم مفعول من أضامه كان مخطئا أيضا ، فليس فى لغتهم أضامه مزيدا بالهمزة ، بل يقال ضامه من الثلاثى فحسب . وانظر ما سبق فى حواشى ٧٩ .

١٨٧ أنَّ الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر بن كلاب ، وكان جارًا للأسود بن المنذر أخى النعمان بن المنذر وهرب ، فقيل له : لن تصيبَه بشيءٍ كسْبى جاراتٍ له من بَلىّ (١) » ، وهو حىٌّ من قضاعة ! ففعل فسمع ذلك الحارثُ فكرَّ راجعا من مَهرَبِه ، وأَتى مرعى إبِلهم إذا ناقةٌ لهنَّ تدعى « اللّفاع » تُحلب ، فقال يخاطب الإبل :

إذا سمعتِ حَنَّة اللّفاع (٢) فادعِى أَبا ليلى ولا ترتاعى

* ذلكِ راعيكِ فنعم الراعى *

فعرفه البائن فحَبق خوفًا ، وأنكرهُ المستعلى ، فقال الحارث : « استُ البائن أعلم » ثم استنقذهنَّ وأَموالهنَّ ، وأَتى أُخته سَلمى وقد تبنَّتِ شرحبيل بن الأَسود الملك ، فمكر بها وأَخذَهُ منها وقَتله ، فضُرب به المثل فى الفتك .

والبائن : الذى يكون عند يمين الحَلوبة . والمستعلِى على يَسارها . قال الزمخشرىُّ : قولهم : « آست البائن أَعلم » ، مثلٌ يضرب لمن ولىَ أَمرًا وصَلِىَ به ، فهو أَعلم به من غيره . وقيل يضرب لكلِّ ما ينكر وشاهدُه حاضر .

وترجمة الفرزدق قد تقدّمت فى الشاهد الثلاثين (٣) .

* * *

(١) فى الدرة الفاخرة : « بشىء أشد عليه من جارات له من بلى » .

(٢) الحنة من الحنين ، وهو صوت الناقة إذا اشتاقت إلى ولدها . ومنه قولهم : « ما له حانّة ولا آنّة » أى ناقة ولا شاة .

(٣) الخزانة ١ : ٢١٧ – ٢٢٣ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الخمسمائة [١] :

٥١١ (مِنْ أَينَ عشرونُ لَها مِن أَنَّى)

على أَنّ (أَنَّى) تجرُّ بمن ظاهرة ، كما فى البيت ، ومقدَّرة كما قدرّه الشارح المحقق .

أرجوزة الشاهد

وهذا البيت من أُرجوزة رواها أَبو الحسن الأَخفش (فى شرح نوادر أَبى زيد [٢]) عن ثعلب ، وهى :

(لَأَجعلنْ لابنةِ عَثم فَنَّا ... مِن أَين عشرون لها مِن أَنَّى
حَتَّى يصير مَهرُها دُهدُنَّا ... يا كَرَوَانًا صُكَّ فاكبأَنَّا
فشَنَّ بالسَّلْح فلما شَنَّا ... بلَّ الذُّنابَى عبَسًا مُبِنَّا
أَإبلى إبلِي تأْخذها مُصِنَّا ... خافضَ سنٍّ ومُشيِلًا سِنَّا)

وروى أَبو زيد (فى نوادره) البيت الأَول والثالث فقط ، وروى : « زيد » بدل عثم ، وقال : الدُّهْدُنّ : الباطل . والفَنُّ : العَنَاء . يقال فننت الرجل ، إذا عَنَّيتَه ، أَفُنُّه فنا . انتهى .

فالدُّهدُنُّ بضم الدالين . والفن فعله من باب نصر . قال الأَخفش : روى المبرد وثعلب :

* لأَجعلَنْ لابنة عَثْم فنَّا *

قالا : أَراد عثمان ، وهذا يدلك على أَنَّ الأَلف والنون فى عثمان

---

(١) نوادر أبى زيد ٥٠ .

(٢) فى النسختين : « ديوان أبى زيد » ، وهو سهو أو زلة قلم من البغدادى . وكتب الشنقيطى بخطه فى هامش نسخته : « فالصواب شرح نوادر أبى زيد » .

زائدتان ، فحذفهما لما اضطرَّ ، وفتح أوَّله ليدلَّ على ما حذف . وقال ثعلب : يريد بقوله فنًّا ضرباً من الخصومة .

وقوله : « يا كروانًا » قال الأخفش : ترك مخاطبتها ثم أقبل على وليِّها ، كأنَّه قال يا رجُلا كروانا ، أى يا مثلَ الكروان بضعفه [١] ، إنَّما يدفع عن نفسه بسَلْحه إذا صُكَّ أى ضُرب . والاكبئنان : التقبُّض . وشَنَّ : صَبَّ . والعبَس : ما تعلَّق بذنبه وما يليه من سَلحه . والمُبنُّ : المقيم ، يقال أبنَّ بالمكان ، إذا أقام به . والمُصنُّ : المتكبِّر .

وقوله : « خافضَ سنٍّ ومشيلًا » ، أخبرنى أبو العباس ثعلب عن الباهلىّ عن الأصمعىّ أنه قال : تأويله أنَّه إذا أعطاه حِقًّا طلب منه جَذَعا ، وإذا أعطاه سَدِيسًا طلب منه بازلا . وحُكى لى من [٢] ناحية أخرى عن الأصمعى ، أنه قال : إذا أخذ وليُّها ما يدَّعى كثُر ماله واستغنى فأكل بنهم
١٨٨ وشرَه ، فذلك قوله خافض سن ومشيلا سنا [٣] . ويقال شال الشيء ، إذا ارتفع ، وأشلته وشُلت به ، إذا رفعتَه . وحدثنا أبو العباس ثعلب قال : حدثنى ابن الأعرابى أنه شاهد أبا عبيدة مرّة واحدة فأخطأ فى ثلاثة أحرف ، هذا منها . وذلك أنَّه قال : شُلت الحجر ، والعرب لا تقول إلَّا أشلته وشُلتُ به . قال الأخفش : وقد يكون شُلت به : ارتفعت به . انتهى .

---

(١) فى نوادر أبى زيد : « فى ضعفه » .

(٢) ط : « عن » ، صوابه فى ش ونوادر أبى زيد .

(٣) كلمة « سنا » ساقطة من ش ، ثابتة فى ط والنوادر .

وقد أورد ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) (١) الأبيات الخمسة الأخيرة من قوله : « يا كروانا صُكَّ » إلخ ، وقال : هى فى مصدِّقٍ هُجِىَ بها ، أى فى عامل الزكاة ، ثم قال : قوله : « خافض سِنٍّ ومُشِيلًا سنًّا » أى تأخذ بنت لبون فتقول (٢) : هذه بنت مخاض ، فقد خفضَها عن سنِّها التى هى فيها . وقوله : « ومُشِيلًا سنًّا » يقول : تكون له بنتُ مَخاض فيقول : لى بنتُ لبونٍ : فقد رفع السنَّ التى هى له إلى سنٍّ أُخرى أَعلى منها . وتكون له ابنةُ لبونٍ فأخذ حِقَّةً . انتهى .

وأورد ابن السيرافى (فى شرح أبياته) الأبياتَ الثلاثة المتقدِّمة أيضًا وقال :

صاحب الشاهد الرجز لمدرك بن حُصَين ، وقال : قوله فنًّا ، أى أمرًا عَجبًا . وقوله : « من أين عِشرون لها » أى من الإبل . والدُّهدُنُّ : الباطل ، وكذلك الدُّهدُرّ . وقوله : « يا كَروانًا » شبَّهه بالكروان . واكبَأَنَّ : تقبَّض واجتمع وسَلح من خَوفه . وشَنَّ : فرّق سَلْحه . والمُبِنُّ : الذى لصق بالذُّنابَى ويَبِس عليها . والمُصِنُّ : المتكبِّر والمُنتن أيضًا ، واللازم للشىء لا يفارقه أيضاً . والمُشِيل : الرافع ، يقال أَشالَ يُشيل إشالةً ، إذا رفع . انتهى .

* * *

(١) إصلاح المنطق ٨٣ .

(٢) فى إصلاح المنطق : « أى يأخذ ابنه اللبون فيقول » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الخمسمائة [1] :

٥١٢ (صَرِيعُ غَوانٍ راقَهُنَّ ورُقْنَه لَدُنْ شَبَّ حتَّى شابَ سُودُ الذَّوائبِ)

على أنَّ (لدن) مجرورة بمن مضمرة ، أى من لدن شبَّ .

وأورده فى لدنْ أيضًا على أنَّها إن أُضيفت إلى الجملة تمحَّضت للزمان .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للقُطامىّ ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث

أبيات الشاهد والأربعين بعد المائة [2] . وهذه أبيات من أوَّلها :

(نأَتْكَ بليلى نِيَّةٌ لم تقارِب — وما حبُّ ليلى مِن فؤادى بذاهبِ
مُنعَّمة تجلو بِعُودِ أَراكة — ذُرى بَرَد عَذب شتيتِ المناصبِ [3]
كأنَّ فضيضاً من غريضٍ غمامة — على ظمأٍ جادت به أمُّ غالب
لِمستهلَكٍ قد كاد من شدَّة الهوى — يَموتُ ومن طول العِداتِ الكواذبِ
صريعُ غوانٍ راقهنَّ ورُقْنَه — لدنْ شبَّ حتَّى شاب سودُ الذوائبِ
قُديديمَةَ التَّجريبِ والحلم ، إنَّنى — أَرى غَفَلاتِ العيش قَبلَ التجاربِ)

قوله : « نأتك بليلى نية » إلخ قال شارح ديوانه : أى بَعدت عنك . والنيّة فاعل نأت ، وهى الوجه الذى ينويه الإنسان ، والمراد السَّفْرة . ومثلها النَّوَى .

وقوله : « منعَّمة تجلو » ، إلخ روى الأصمعى : « مناعَمة » ، أى

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٣ والمغنى ١٥٧ وشرح شواهده ١٥٦ والعينى ٣ : ٤٢٧ والتصريح ٢ : ٤٦ والأشمونى ٢ : ٢٦٣ وديوان القطامى ٥٠ .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٧٠ – ٣٧٢ .

(٣) ورد رسم « ذرى » « والذرى » فى ط بالألف فى جميع المواضع . وهما مذهبان صحيحان . وكتابه الألف مذهب البصريين . أما الكوفيون فيستثنون ما كان على فعل بضم ففتح ، أو على فعل بكسر ففتح ، يكتبونه بالياء واويا كان أو يائيا . انظر حواشى قواعد الاملاء ص ٢٤ .

غذيت غذاءً ناعمًا . وتجلو ، أراد تستاك . والذُّرى : الأعالى . والبَرد : حبُّ الغمام . شبَّه أسنانَها فى شدَّة بياضها بالبرد . وإنَّما خصَّ الذُّرى لأنَّها صحاح لم تتكسَّر . وشتيت : متفرِّق . أراد أنَّ فى أسنانها فلجًا . والمَناصب : حيث رُكِّبت الأسنان .

وقوله : « كأنَّ فضيضًا » إلخ فضيض السحابة : ماؤها إذا انفَضَّ منها . شبَّه عذوبة رِيقها بماء سحابة . والغريض : الطرىُّ . وقوله « لمستهلك » ١٨٩
إلخ اللام متعلقة بجادت ، وأراد بالمستهلك نَفْسَه ؛ لأنَّه هالكٌ من حبِّها ومعرِّضُها للهلاك .

وقوله : (صريع غوان) بالجر بدلٌ من مستهلك ، ويجوز رفعه على إضمار مبتدأ ضمير المستهلك . والصَّريع : المصروع ، وهو المطروح على الأرض : يريد أنَّه قد أصيب من حبِّهنَّ حتى لا حَراكَ به . والغوانى : جمع غانية ، وهى التى استغنت بجمالها عن الزِّينة ، وقيل هى التى غنيت بزوجها عن غيره ، وقيل هى التى غِنيت فى بيت أبويها ولم تتزوَّج ، أى أقامت . وأنشد أبو عبيدة للقول الثانى :

أزمانَ ليلى كَعابٌ غير غانيةٍ وأنت أمردُ معروفٌ لك الغزَلُ (١)

وراق بمعنى أعجب ، أى أعجبهنَّ لجماله وشبابه وأعجبْنَهُ لحسنهنَّ .

وقوله : (لدُنْ شبَّ) إلخ أى من عند وقت شبابه إلى وقت شيبه ، فدلَّ على إضمار من بدليل حتَّى ، لأنَّها بمعنى إلى . و (الذَّوائب) : الضفائر من الشعر ، جمع ذؤابة . وقد لُقِّب القطامىّ صريعَ الغوانى بهذا البيت ، وهو أوَّل من لُقِّب به ، وقد ذكر فى الأوليّات ، ثم لقِّب

(١) البيت لنصيب فى ديوانه ١١٦ واللسان (غنى ٣٧٥) .

به مسلم بن الوليد . قال صاحب زهر الآداب (١) : لقّب مسلم صريعَ الغوانى بقوله :

هل العيشُ إلّا أن تروح مع الصِّبا
صريعَ حُميَّا الكأسِ والأعيُنِ النَّجْل . انتهى

قال صاحب الأغانى : الذى لقّب مسلمًا بهذا اللقب هارونُ الرّشيد ، لهذا البيت .

وقوله : « قُديديمَةَ التجريب » إلخ هو من أبيات سيبويه ، وجُمل الزجاجى (٢) ، استشهد به على تصغير قدّام قديديمةً بالهاء . ومثلها وُرَيِّئة . وإنّما أدخلوا الهاء فى تصغير وراء وقدام وإن كانتا قد جاوزتا ثلاثةَ أحرف ، لأنَّ باب الظروف التذكير ، فلما شذَّتا فى بابهما فرقوا بينهما وبين غيرهما ، فأدخلوا فيهما علامة التأنيث . قاله اللَّخمى .

وقديديمة منصوبٌ على الظرف ، والعامل فيه راقهنَّ ورقنه ، أى أعجبهن وأعجبْنَه . قديديمةَ التجريب والحلم ، أي أمام التجريب والحلم . ثم قال : أرى غفلاتِ العيش قبلَ التجارب ، يقال : إنّما يُستلذُّ بالعيش أيام الغفلة وفى أيام الشباب قبل التجارب ، والتجارب إنّما هى فى الكبَر ، وهو وقتُ أن يَزْهَد فيهن لسِنّه وتجريبه ، وأن يزهدن فيه لشَيْبِه . وقد يحتمل أن يكون

(١) زهر الآداب ٩٩٦ .
(٢) جمل الزجاجى ٢٥١ . وليس من أبيات سيبويه كما ذكر . هذا ، وقد تكلم سيبويه على تصغير قدام ووراء فى ٢ : ٣٥ بولاق ٣ : ٢٦٧ هارون .

العامل فى قديديمة محذوفًا دلّ عليه سياق الكلام ، كأنّه أراد : تظنُّ طيب العيش ولذّته قدّام التجربة والحلم ، أى أمام ذلك ، ليس الأمر كذلك ، إنّما يطيب العيش ويحسُن قبل التجارب وفى عنفوان الشباب ، وحينَ الغفلة ، وأما بعد ذلك فلا . فيكون العامل فيها تظنُّ المقدّر . قاله اللخمى أيضًا .

وقوله : « إنّنى » قال ابن السِّيد : يروَى بكسر الهمزة على الاستئناف ، وبفتحها ، وهو مفعول من أجله . وقد تكون إنَّ مكسورة فيها معنى المفعول من أجله ، كقوله عز وجل : ﴿ ويُصَلَّى سَعِيرًا * إنَّه كان فى أهلِهِ مَسْرُوراً [١] ﴾ . وجاز ذلك لأنَّ إنَّ داخلة على الجمل ، والجملة قد يكون فيها معنى العلَّة والسبب موجوذًا . كما قال تعالى : ﴿ وإنَّ هذه أُمَّتُكم أُمةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتَّقون [٢] ﴾ . ألا ترى أنَّ المعنى : ولأنَّ هذه أُمَّتكم ولكونى ربَّكم فاتقونِ . انتهى .

صاحب الشاهد وهذه القصيدة هجوُ امرأةٍ من بنى مُحارب . حكى أبو عمرو الشيبانى
١٩٠ أنَّ القطامى نزل فى بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس فاستقرَاها فقالت : أنا من قومٍ يَشْتوون القِدّ من الجوع . قال : ومَنْ هؤلاءِ ويحكِ ؟ قالت : محارب . ولم تَقْرِهِ ، فبات عندها بأشرِّ ليلةً [٣] ، فقال هذه القصيدةَ ، ومنها :

---

(١) الآية ١٢ ، ١٣ من سورة الانشقاق . وقد ضبطت « يصلى » فى ش بقلم ناسخها بضم الياء وتشديد اللام المفتوحة ، وهى قراءة نافع وابن كثير وابن عامر والكسائى ، ووافقهم ابن محيصن والحسن ، وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام . إتحاف فضلاء البشر ٤٣٦ .

(٢) الآية ٥٢ من المؤمنون ، وفى الأنبياء ٩٢ : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

(٣) أى بشر ليلة ، وقرئ فى الكتاب العزيز : ﴿ سيعلمون غدا من الكذاب الأشُرُّ ﴾ وهى قراءة أبى حيوة . تفسير أبى حيان ٨ : ١٨٠ .

أبيات الشاهد

(وإنّى وإن كان المسافرُ نازلًا وإن كان ذا حقٍّ على الناس واجبِ
فلا بدَّ أنَّ الضيفَ مُخْبِرُ ما رأى مخبِّرٌ أهلٍ أو مخبِّرُ صاحبِ
لَمخبرُكَ الأنباءَ عن أُمِّ منزلٍ تضيَّفتُها بينَ العُذَيب فراسب
تلفَّعتُ فى طَلٍّ وريحٍ تَلُفُّنى وفى طِرْمِساءَ غيرِ ذاتِ كواكبِ
إلى حَيزبونٍ تُوقِدُ النارَ بعدما تلفَّعتِ الظلماءُ من كلِّ جانبِ
فما راعَها إلَّا بُغامُ مطيَّتى تُرِيحُ بمحسورٍ من الصَّوت لاغبِ
تقول وقد قرَّبتُ كورى وناقتى : إليكَ ، فلا تذْعَر علىَّ ركائبى
وجُنَّتْ جنونًا من دِلاثٍ مُناخة ومن رَجُل عارى الأشاجع شاحب
فسلَّمتُ ، والتسليم ليس يسرُّها ولكنَّه حقٌّ على كلِّ جانبِ
فردَّت سلامًا كارهًا ثم أعرضَت كما انحازت الأفعى مخافةَ ضارب
فقلت لها : لا تفعلِى ذا براكبٍ أتاكِ ، مصيبٍ ما أصابَ فذاهبِ
فلمـا تنازعْنـا الحديثَ سألْتُهـا مَن الحيُّ قالت : معشر من مُحاربِ
من المشتوِينَ القِدَّ مما تراهمُ جياعًا،وريفُ النَّاسِ ليس بناضبِ
فلمَّا بدا حرمانُها الضَّيفَ لم يكن علىَّ مناخُ السَّوءِ ضربةَ لازب
وقمتُ إلى مَهرِيَّةٍ قد تعوّدت يداها ورجلاها خبيبَ المواكبِ)

ثم وصف ناقته بأبيات وقال :

(إلا إنَّما نِيرانُ قيس إذا شَتَوْا لطارقِ ليلٍ مثلُ نار الحُباحبِ)

والعُذيب : ماء أسفل الرَّحْبة . وراسب : قريبٌ منه .

والطل : الندى . والطِّرِمساء ، بالكسر : الظُّلمة .

والحَيْزَبون : العجوز . والبغام ، بالضم : صوت تختلسه النَّاقةُ ولا تتمُّه . والمحسور : صوتٌ ضعيف .

وتُرِيع ، بالضم : تستريح . والكور ، بالضم : الرحل بأداته .

والدِّلاث : بالكسر : الناقة . والأشاجع : عروقُ ظاهر الكفّ . والجانب : الغريب .

والناضب ، بالضاد المعجمة [1] : البعيد . وممّا تراهم ، أى كثيرًا ممّا تراهم .

ونار الحباحب بالضم : النار التى تظهر من قَرع الحوافرِ . أراد أنَّها ضعيفة لا يُشعِلونها خوفًا من الضَّيف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه [2] :

٥١٣ (فأصبحتَ أنَّى تأتِها تَبتئِسْ بها
كِلا مَرْكَبَيْها تحتَ رِجْليكَ شاجرُ)

على أنَّ (أنَّى) فيه شرطيّة مجرورة بمن مضمرة ، أى من أنَّى تأتها .

قال سيبويه : وممَّا جاء بأنَّى من الجزاء قولُ لبيد : صاحب الشاهد

فأصبحت أنَّى تأتها .... البيت

قال الأعلم : الشاهد فيه جزم تأتها بأنَّى ؛ لأنَّ معناها معنى أين ومتى ،

---

(١) ط : « بالضاد المعجم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٤٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٤٨ والجمل ٢٢٧ وابن يعيش ٤ : ١١٠ / ٧ : ٤٥ وديوان لبيد ٢٢٠ .

وكلاهما للجزاء . وتبتئس جزمٌ على جوابها .

١٩١ قال أبو الحسن الطوسى (فى شرح ديوان لبيد) قال الأصمعى : لم أسمع أحدًا يجازى بأنّى ، وأظنّه أراد أيًّا تأتها ، يريد أىّ جانبى هذه الناقة أتيته وجدتَ مركبَه تحت رجلك شاجرًا . أى ينحّيك ويدفعك ، لا يطمئنُّ تحت رجلك . وقال أبو عبيدة : أنىَّ تأْتِها مجازاة ، يقول : من أىّ جانبٍ أتيت هذه الناقة وجدتَ كلا مركبيها شاجرًا دافِعًا لك . وتبتئس : يُصِبْك منها بؤسٌ . يقول : كيفما ركبت منها التبس عليك الأمر . وشاجِرٌ : ملتبس . يقال : تشَاجر ما بين القوم [1] ، إذا اختلفوا . ويقال شَجره بالرُّمح ، إذا دفعه به وطعنَه . وقال أبو عمرو : الشاجر : المفرِّق بين رجليه . وقد شجَرَ بين رجليه ، إذا فرَّق بينهما إذا ركب . انتهى .

وهذا مبنىٌّ على إرجاع الضمائر المؤنثة إلى الناقة المفهومة من المقام .

وكذلك قال ابن سِيدهْ (فى شرح أبيات الجمل) . ولم يرتضه اللَّخمى فى شرحها . قال : قد غلط ابن سِيده شارح الأبيات فى البيت وزعَم أنَّه يصِف ناقة ، وإنَّما يصف داهيةً . ولو علم ما قبله عَلم الموصوف ما هو . قال لبيد يصف حاله مع عمِّه ، ويعِتب عليه ، ويذكر قبيحَ ما أسداه إليه :

أبيات الشاهد (لىَ النصرُ منكمْ والوَلاءُ عليكمُ ... وما كنتُ فَقعًا أنبتتْهُ القَراقرُ
وأنتَ فقيرٌ لم تَبدَّلْ خليفة ... سوایَ ولم يلحق بنوك أصاغر
فقلت ازدجرْ أحناءَ طيرِكَ واعلمَنْ ... بأنَّك إنْ قدَّمتَ رجلَك ، عاثرُ

(١) ط : « شاجر ما بين القوم » ، والوجه ما أثبت من ش .

وإنَّ هَوانَ الجارِ للجار مؤلمٌ وفاقرةٌ تأوى إليها الفواقر
فأصبحتَ أنَّى تأتها .... البيت
فإنْ تتقدمْ تغشَ منها مقدَّمًا غليظًا ، وإنْ أخَّرتَ فالكِفْل فاجرُ)

والفاقرة : الداهية التى تكسر فَقار الظَّهر ، وهى التى يصف فى البيت . شبَّهها بالدابة الشَّموس التى إذا ركبها رمتْه عن ظهرها . انتهى .

أقول : البيت الذى فيه الفاقرة غير ثابتٍ فى رواية الطوسى ، فيجوز أن يكون ابن سيده تبعه . على أنَّ هذا لا يسمَّى غلطًا فإنَّه تمثيل ، سواء قيل داهية [1] أو ناقة أو مركب . قال ابن السيد (فى شرحه) : العرب تشبِّه التنشُّب فى العظائم بالرُّكوب على المراكب الصَّعبة ، فيقولون : ركبتَ منِّى أمرًا عظيمًا ، ولقد ركبتَ مركَبًا صعبًا ، وفلانٌ رَكَّاب العظائم . ونحوه قولُ الشاعر [2] :

لئن جَدّ أسبابُ التقاطعِ بيننا لترتحلنْ منِّى على ظَهر شَيهمِ . انتهى

وروى : « تشتجر » بدل « تبتئس » ، قال ابن السِّيد : معناه تشتبك . ويروى : « تلتبس » ، ومعناه كمعنى تشتجر . و (شاجر) : مشتبك . وقال اللخمى : تشتجر مأخوذ من شجَر الراكبُ ، إذا خالف بين رجلَيه فرفع رجلًا ووضع أخرى ، وهى رِكبةٌ متهيِّئة للسُّقوط . ويروى : « تبتئس » من بُؤْس الحال . ويروى أيضًا : « تلتبس » . و (مركبيها) : ناحيتيها اللتين تُرامُ منهما . وشاجر :

---

(١) ش : « دابة » .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ٩٥ . والشيهم : القنفذ . وأراد : على ذعر وخوف .

مضطرب . يقول : مَن ركبها فرَّقت بين رجليه فهوتْ به . ويروى : « شاعر » ، والمعنى واحد .

يعتب عمَّه عامرَ بنَ مالك ملاعبَ الأَسنَّةِ ، وكان قد ضرب جارًا للبيدٍ بالسَّيف ، فغضب لبيد لذلك فقال الشعر الذى تقدَّم ، يعدِّد بلاءه عنده . وفى الشعر ما يدلُّ على ذلك ، وهو :

١٩٢ (مَن يك عنِّى جاهلًا أو مغمَّرًا فما كان بدعًا من بلائىَ عامرُ
وفى كلِّ يومٍ ذى حفاظٍ بلوتَنى فقمتُ مَقَاماً لم يقُمه العواورُ)

و (كلا) مبتدأٌ ، والخبر شاجر . و (تحتَ رجليك) متعلق بشاجر . وكلا عند سيبويه اسمٌ مفردٌ . انتهى

وقوله : « رجليك » بالتثنية ، وروى بالإفراد . قال ابن السِّيد : ويروى : « رحلك » ، والرَّحل للناقةِ مثل السَّرج للفرس .

والكِفْل بالكسر : كساءٌ يكون وراء الرَّحل ، فيركب عليه الرَّديف . يقال رحلت البعيرَ واكتفلته ، أى جعلت عليه رَحْلا [1] وكِفْلا ، وهما المركبان اللذان ذكرهما .

ومعنى الشعر أنَّه يقول لعمِّه : إنَّك ركبت أمرًا لاخلاصَ لك منه ، فأنت بمنزلة من ركب ناقةً صعبة لا يَقدر على النُّزول عنها سالمًا ، لأنَّ رجليه قد اشتبكتا بركابيها [2] ، وكلا مركبيها لا يستقرُّ عليه ، إن ركب على مركبها المقدَّم ، وهو الرحل ، وجده مركبا صعبًا ، وإن ركب على مَركبها المؤخَّر ، وهو الكِفْل ، مال به وصرَعَه .

---

(١) ط : « رجلا » بالجيم ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « بركائبها » ، صوابه فى ش .

والفاجر : المائل غير المستقيم

وكان للبيدِ جارٌ من بنى القَين قد لجأ إليه واعتصم به ، فضربه عمُّه بالسيف ، فغضب لذلك لبيد وقال يعدِّد على عمِّه بلاءه عنده ويُنكر فعلَه بجاره . وأنشد الأبيات السابقة .

وقال ابن المستوفِى (فى شرح أبيات المفصل) : قوله فأصبحتَ أنَّى تأْتِها ، أى متى أتيتَ هذه التى وقعتَ فيها تلتبسْ بها ، أى تلتبس بمكروهها وشرِّها . ويروى « تبتئس » ، أى لا يقربك الناس من أجلها . وكلا مَركبى الخُطَّة إنْ تقدّمتَ أو تأخَّرتَ شاجر ، أي مختلف متفرِّق . والشاجر : الذى قد دخل بعضُه فى بعض وتغيَّر نظامه . وأراد بالمَركَبين قادمةَ الرحل وآخرته . وهذا على طريق المثل [1] . يقول : لا تجدُ فى الأمر الذى تُريد أن تعمله مركبًا وطيئًا ولا رأيًا صحيحًا ، أى موضعك إن ركبتَ منه آذاك وفرّق بين رجليك ولم تثبتْ عليه ولم تطمئنَّ . هذا كلامه ، وهذا بحروفه هو كلام بعض فضلاء العجم (على أبيات المفصل) .

ولم يورد أبو الحسن الطوسيُّ سببَ هذه القصيدة ، وعدَّتها عنده ثلاثة وعشرون بيتًا .

ولنذكر ما شرح به الأبيات السابقة : قوله « من يك عنِّى جاهلا » ، رواه الطُّوسىُّ : « من كان منِّى جاهلا » . وهذا أوّل القصيدة . يقول : من كان يجهلنى فإنَّ عمِّى عامرًا يعرف بلائى . وبلاؤه : صنيعه وعمله . وعامر هو ملاعب الأسنَّة . والمغمَّر : المنسوب إلى الغُمر ، بالضم

(١) فى النسختين : « وعلى هذا طريق المثل » ، والوجه ما أثبت .

الجهل . والبِدعِ ، بالكسر : كلّ حديث أُحدِث ، أى ليس عامرٌ ببدعٍ من بلائى ، أى بأوّلِ ما عرف ذلك (١) .

وقوله : « وفى كل يوم » إلخ هو البيت الرابعَ عشرَ من القصيدة . والعَواوِر : الجبناء والضُّعفاء ، جمع عُوّار بالضم والتشديد .

وبعده قوله : « لى النصر منكمْ » إلخ ، والرواية عند الطوسى : « لى النصر منهم والولاء عليكم » بالغيبة فى الأوّل والخطاب فى الثانى ، وقال : منهم ، أى من هؤلاء الملوك وأردافهم الذين ذكرُوا . والولاءُ عليكم ، يقول : يوالوني عليكم (٢) . والفَقْع : ضربٌ من الكمْأة ، وهو شرُّها . والقَرقر كجعفر : الأرض المُستوِية . وفى المثل : « أذلُّ من فَقْع بقَرقرٍ » . يقول : لم أكن ذليلا .

وقوله : « وأنت فقير » ، أى محتاج إلىّ . والخليفة هنا : خَلَفٌ يخلفه . يقول : أنا خَلَفُك . ولم يلحق بنوك ، أى لم يكبَرُوا له .

وقوله : « فقلت ازدجرْ » إلخ الأَحناء : جمع حِنْو بالكسر ، وهى الجوانب (٣) . وقولهم : « ازدجر أَحناء طيرك » ، أى نواحيَه يمينًا وشِمالًا ، وأمامًا وخلفًا . ويريد بالطَّير الخفَّة . قاله الجوهرى ، وأنشد البيت . وقالوا : أراد بذلك انظرْ فيما تعمله ، أمخطئٌ أنتَ فيه أم مصيب ؟ ١٩٣

وقال الطوسى : ازدجر : ازجُر أَحناء قولك (٤) ، إنَّما هذا مثل ، يقول : ازدجر : ازجرْ . أَحناءِ قولك ، أى عن يمين وشمال وعلى أىّ حال شئت .

(١) أى بأول شىء عرفه بلائى

(٢) هذا من التخفيف بحذف إحدى النونين نون الرفع أو نون الوقاية .

(٣) ط : « وهو الجوانب » ، صوابه فى ش .

(٤) الرواية السائرة : « أحناء طيرك » .

يقول : إن ركبتَ هذا الأَمر الذى قلت لك فيه ازدجر عثرت ، أَو معناه انظر ما عاقِبتُه (١) .

وقوله : « فإن تتقدم » إلخ قال الطوسى : منها أى من هذه التى ذكر . يقول : إنْ تقدَّمت تقدمت على غِلظٍ وأَمر صعب ليس يسْهُل عليك ، وإنْ أُخِّرت ، يقول : إنْ رجعت . والكِفْل بالكسر : كساءٌ يضعه الرجلُ على ظهر البعير ثم يركبُه يتوقّى العرَق . وقال ابن الأَعرابىّ : هو كساء يُركب به ، يدار حولَ سنام البعير ثم يعقد عَقدًا من خلفه يكتفِل به الرَّجُل فيمسكه ، ويجعل العَقْد من خلف السَّنام ، وفاجر : مائل ، وقيل فاتحٌ لرجليك يَفرِجُ ما بينهما . يقول : فكيف ركبتَ لم تجدْها كما تريد . وإنَّما يريد نفْسه ، أى إنَّك إن فقدتَنى لم تجدْ مثلى . وهذا مثلٌ . انتهى .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة (٢) .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابعَ عشرَ بعد الخمسمائة (٣) :

٥١٤ (شَرِبْنَ بماءِ البَحْرِ ثم ترفَّعَتْ مَتى لُجَجٍ خُضْرٍ لهنَّ نئيجُ)

على أَن (متى) عند هذيل حرفُ جر بمعنى مِنْ أَوْ فى ، أَو اسمٌ بمعنى وَسْط .

---

(١) ط : « عقبته » ، صوابه فى ش . وفى اللسان : « وعقب كل شى وعقباه وعقبانه وعاقبته : خاتمته » .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٤٦ – ٢٥١ .

(٣) الخصائص ٢ : ٨٥ والمحتسب ٢ : ١٤ والاقتضاب ٤٤٧ وابن يعيش ٢ : ٢٧٠ والمغنى ١٠٥ ، ١١١ ، ٣٣٥ والعينى ٣ : ٢٤٩ ، ٢٧٣ / ٤ : ٢٢٢ والتصريح ٢ : ٢ والهمع ٢ : ٣٤ والأشمونى ٢ : ٢٠٥ ، ٢٢١ وديوان الهذليين ١ : ٥١ .

قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : فى قوله متى لجج قولان : قيل أراد من لُجج ، كما قال صخرُ الغَىّ (١) :

* متى أقطارِها عَلَقٌ نفيثُ (٢) *

أراد : من أقطارها . وقيل متى بمعنى وَسْط . وحَكى أبو مُعاذٍ الهراء ، وهو من شيوخ الكوفيّين : جعلته فى مَتَى كُمِّى . انتهى .

ومَتَى هنا فيما نقله أبو معاذٍ لا تحتمل غير معنى وسط ، بخلاف ما نقله الشارح المحقّق عن أبى زيد ، فإنه يحتمله ويحتمل معنى فى ، كما قال الشارح .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : إنْ متى عند هذيل اسمٌ مرادف للوَسْط ، وحرفٌ بمعنى مِن أو فى . يقولون : أخرجَها متى كُمِّه ، أى منه . واختُلف فى قول بعضهم : وضعته متى كُمِّى ، فقال ابن سيده : بمعنى فى ، وقال غيره : بمعنى وَسْط . وكذلك اختلفوا فى قول أبى ذؤيب الهذلّى ، يصف السحاب : صاحب الشاهد

شربن بماءِ البحر ثم ترفَّعت .... البيت

فقيل بمعنى مِن ، وقال ابن سيده : بمعنى وَسْط . انتهى

والباء فى قوله : (بماء البحر) قيل على بابها ، وشربن مضمَّن معنى رَوين . وقال جماعة : هى للتبعيض ، منهم الأصمعى ، وابن قتيبة (فى أدب الكاتب) وأبو على وغيره . وقال ابن جنى (فى المحتسب) :

---

(١) فى ديوان الهذليين ٢ : ٢٢٤ وشرح السكرى ٢٦٣ أن البيت لأبى المثلم . وماهنا يطابق ما فى الاقتضاب .

(٢) صدره فى الهذليين وشرح السكرى :

* متى ما تنكروها تعرفوها *

الباء زائدة ، أى شربن ماء البحر وإن كان قد قيل إنّ الباء هنا بمعنى فى ، والمفعول محذوف ، معناه شربن الماء فى جملة ماء البحر . وفى هذا التأويل ضربٌ من الإطالة والبُعد .

وقال (فى سر الصناعة أيضًا) : الباء فيه زائدة ، إنّما مَعناه شربن ماء البحر . هذا هو الظاهر من الحال ، والعدولُ عنه تعسُّف . وقال بعضهم : معناه شربن من ماء البحر ، فأوقع الباء موقع مِنْ . انتهى .

وسبقَه الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ يشْرَبُ بها [1] ﴾ ، من سورة الدهر ، قال : يشرب بها ويشربها سواءٌ فى المعنى ، وكأنَّ يشربُ بها يَرْوَى بها ويَنْقَع . وأمَّا يشربونها [2] فبيِّن . وقد أنشدنى بعضهم :

شربنَ بماءِ البحر ثم ترفَّعت .... (البيت)

ومثله : إنَّه ليتكلَّم بكلام حسنٍ ويتكلَّم كلامًا حسنًا . انتهى . ١٩٤

والحاصل أنَّ فى هذه الباء أربعةَ أقوال : أحدها أنَّها للتعدية . ثانيها : أنَّها للتبعيض بمعنى مِن . ثالثها : أنها بمعنى فى . رابعها : أنَّها زائدة .

وهذا على ما فى كتب المؤلفين . وأما الثابت فى شعر أبى ذؤيب من رواية أبى بكر القارئ [3] وغيره فهو :

(١) معانى الفراء ٣ : ٢١٥ . وهى الآية ٩ من سورة الدهر أو الإنسان .

(٢) هذا ما فى ش ومعانى الفراء . وفى ط : « وأما يشربها » .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن عاصم الحلوانى القارئ . وقد سبقت ترجمته فى حواشى ٥ : ٤١٤ والإشارة إليه فى ١ : ٢٧٥ .

(تروَّتْ بماءِ البحر ثم تنصَّبتْ على حَبشيَّاتٍ لهنَّ نئيجُ)

قال القارئ : تروّت يعنى الحناتم . وتنصّبت : ارتفعت . وعلى حبشيات : على سحائبَ سود . ونئيج : مرٌّ سريع .

وعلى هذه الرواية لا شاهدَ فى الموضعين .

صاحب الشاهد والبيت بعدَ مطلعِ قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى ، عدَّتها تسعةٌ وعشرون بيتًا ، وهذا مطلعها عند أبى بكر القارئ وأبى حنيفة الدينورىٌ (فى كتاب النبات) :

(سقَى أُمَّ عمرٍو كلَّ آخرِ ليلةٍ حَناتمُ سودٌ ماؤهن ثَجيجُ)

قال القارئ : الحناتم : السَّحابُ فى سوادِهِ . والحنتَمَة : الجَرَّة الخضراء ، شبَّه السحاب بها . والحناتم : الجِرار الخُضْر . وثجيج : سائل . انتهى .

وقال الدِّينوَرىّ : الحنتم من السَّحاب : الأخضر ، وهو الأسود . وثجيج : متدفِّق .

وقال ابن السِّيد : الحناتم : سحابٌ سُود ، واحدها حنتم ، وأَصل الحناتم جرار خُضر (١) ولكنَّ العرب تجعل كلَّ أَخضر أَسود ، وإِنَّما يفعلون ذلك لأَنَّ الخضرة إذا اشتدَّت صارت سوادًا ، ولذلك قالُوا للَّيل : أَخضر . قال ذو الرمَّة :

* فى ظلِّ أَخضرَ يَدعو هامَه البُوم (٢) *

(١) فى الاقتضاب : « جراد خضر » ، وما هنا صوابه . وأنشد فى اللسان لعمرو بن شأس :

رجعت إلى صدر كجرة حنتم إذا قرعت صفرا من الماء صلت

(٢) ويروى : « فى ظل أغضف » . وصدره فى الديوان ٥٧٤ :

* قد أعسف النازح المجهول معسفه *

وأُمَّ عمرٍو مفعول مقدَّم ، وحناتم فاعل مؤخَّر ، وكلَّ آخر ليلة ظرف . قال الأصمعيّ : يريد أبدًا . ومثله : لا أُكلِّمك آخرَ الليالى ، أى لا أُكلِّمك ما بقى علىَّ من الزمن ليلة . والثَّج والثَّجيج : السيل الشَّديد ، فيجوز أن يكون ثجيج بمعنى ثاجّ ، ويجوز أنْ يكون أراد ذُو ثجيج ، فحذف المضاف ، ويجوز أن يكون أوقع المصدر موقع اسم الفاعل مبالغةً فى المعنى . قاله ابن السِّيد .

وجعل العينىُّ وتبعه السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) هذا البيتَ بعد البيت الشاهد ، وقال : أوّلُ القصيدة :

(صحا قلبُه بل لجَّ وهو لجوجُ [(١)] وزالت به بالأَنعَمَينِ حُدوجُ)

وهذا البيت غير موجودٍ فى القصيدة . ورواه العينى :

* صبا صبوةً بل لجَّ وهو لجوجُ *

وأورد بعده أربعةَ أبياتٍ أُخر إلى قوله سقَى أُمَّ عمرو ، البيت الذى ذكرناهُ مطلعًا . وليست هذه الأبيات فى تلك القصيدة ، ولا هى من نَسْجها ، وما أدرى من أين أتى بها . والله أعلم .

وقوله : (شربن بماء البحر) ، النون ضمير الحناتم . وقال العينى : ضمير السُّحب . مع أنَّه لم يتقدَّم للسُّحب ذكر ، ولا فى الأبيات التى جعلها أوَّلَ القصيدة .

---

(١) يعنى أنه ليس من رواية الأصمعى ، إذ مطلعها عنده هو البيت السادس فى ترتيب القصيدة من رواية السكرى وإغفال ما قبله ، وهو :

سقى أم عمرو كل آخر ليلة حناتم سود ماؤهن ثجيج

قال ابن السِّيد : هذيلٌ كلُّها تَصف أنَّ السحاب تستقى من البحر ثم تصعد فى الجوّ . وهذا ما عليه الحكماء من أنَّ السحاب ينعقد من البخار ، أعنى الأجزاء الهوائيَّة المتحلِّلة بالحرارة من الأشياء الرَّطبة ؛ وذلك أنَّ البخار المذكور إذا تصاعد ولم يتلطَّف بتحليل الحرارة أجزاءَه المائيَّة حتَّى يصير هواء ، فإنَّه إذا بلغ الطبقة الزَّمْهريريَّة تكاثف فاجتمعَ سحابًا ، وتقاطر مطرًا ، إن لم
١٩٥ يكن البردُ شديدًا . و (اللُّجَج) : جمع لُجَّة ، وهو معظم الماء . ووصَفها بخُضرٍ لصفائها ؛ يقال ماء أخضر ، أى صافٍ . و (نئيج) على فعيل مهموز العين : المرّ السريع بصوتٍ ، من نأجت الريحُ تَنْأج نئيجًا : تحرَّكت ، فهى نؤوج . وللرِّيح نئيج ، أى مرٌّ سريع . وجملة « لهنَّ نئيج » فى موضع الحال من فاعل ترفَّعت العائدِ على حناتم بمعنى سحائب .

وترجمة أبى ذؤيب الهذلىّ تقدَّمت فى الشاهد السابع والستين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامسَ عشرَ بعد الخمسمائة (٢) :

٥١٥ (أو راعيانِ لبُعْرانٍ شَرَدْنَ لنا
كَىْ لا يُحسَّانِ من بُعرانِنا أثَرا)

على أنَّ كى فيه بمعنى كيف ، أو أن أصلها كيف ، فحذفت الفاء لضرورة الشعر .

---

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ – ٤٢٣ .

(٢) ابن يعيش ٤ : ١١٠ ومعانى الفراء ٣ : ٢٧٤ .

وهذا البيت أنشده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ولسوف يُعطيكَ ربُّك فتَرْضى [١] ﴾ كذا :

مِن طالِبِينَ لُبعرانٍ لنا رَفَضَتْ كى لا يحسُّون من بُعراننا أثرا

قال : هى فى قراءة عبد الله : ﴿ ولَسَيُعطِيك ربُّك فترضَى ﴾ ، والمعنى واحد ، إلّا أنَّ سَوف كثرت فى الكلام وعُرف موضعُها ، فترك منها الفاء والواو ، والحرف إذا كثُر فربَّما فُعل به ذلك ، كما قيل أيْشٍ تقول ؟ وكما قيل : قم لاأباك ، وقمْ لابَشَانِيكَ ، يريدون : لا أبا لَكَ ، ولا أبا لشانِئِك . وقد سمعتُ بيتًا حذفت الفاء فيه من كيف ، قال الشاعر :

من طالِبِينَ لبعرانٍ لنا رفضت .... البيت

أراد : كيف لا يُحسُّون . وهذا كذلك . انتهى ونقلته من نسخةٍ صحيحة بخط الخطيب البغدادىّ صاحب تاريخ بغداد .

وأنكر أبو على (فى البغداديات) هذا ، وحتَّم أن تكون كى فيه بمعنى اللام ، وهذه عبارته : أنشد أبو بكر عن ابن الجهم عن الفرّاء :

من طالِبِينَ لُبعرانٍ لهم شرِدَتْ كيما يحسُّون من بُعرانِهِمْ خبرا

قال الفراء : أراد كيف فرخَّم . قال أبو بكر : وهذا خطأٌ ، وهو كما قال وبسطَه ، أنَّ كيف اسم [١] يمتنع ترخيمه ، من غير وجه :

أحدها : أنه اسم ثلاثى ، والثلاثى لم يجئْ مرخَّما إلّا ما كان ثالثه تاء تأنيث .

---

(١) الكلام من هنا إلى « فإن كيف اسم » ساقط من ش .

والآخر : أنَّه منكور ، والمنكور لا يرخَّم كما لايبنى ، والترخيم أبعد من البناء ، فإن امتنع بناؤه كان ترخيمه أُشدَّ امتناعًا أيضًا ، فإنَّ كيف اسمٌ مبنىٌّ مشابه للحُروف ، والحذف إنَّما يكون فى الأَسماء المتمكِّنة والأَفعال المأْخوذ مِنها [(١)] ولا يكون فى الحروف . كذلك ينبغى أَن لا يكون فيما غلب [عليه] [(٢)] شبهها وصار بذلك فى حيِّزها . فإن أُراد بالترخيم ما يستعمله النحويُّون فى هذا النوع من المنادى فهو غير منادًى ، وإن أُراد به الحذف فهو غير سائغ .

فإنْ قلت : فقد قالوا : لَدُ ، ولَدُنْ ، فحذفوا منه وهو غير متمكِّن ، فكذلك يسوغ الحذف من كيف .

فالجواب أنَّه لا يسوغ الحذف من حيث حُذف من لدن ، وذلك أَنَّ لدن لمَّا فتح ما قبل النون منها وضُمّ ، ونصب الاسم بعدها فى قولهم « لدنْ غدوةً » ضارعَ التنوين الزائد فى الاسم ، لاختلاف الحركة قبلها وانتصاب الاسم بعدها ، فحسن لذلك حذفها كما يحذف الزائد .

وأَيضاً فإنَّ هذا الاسم يضاف فى نحو قولهم : لدُ الصلاةِ ، ويدخل عليه حرف الجر ، ويضاف إلى المضمر والمظهر . وكل ذلك توسُّع فيها ليس فى
١٩٦ كيف مثلُه ، فيسُوغ فيه فى دخول ذلك ما لا يسوغ فى كيف . وأَيضًا فإن النون شديدة المشابهة بحروف اللِّين . أَلا تَراها تُزاد فى مواضع زيادتها وتلحق علامة الإعراب ، كما يزاد ماهو منها . وحذفوها فاءً فى قوله :

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « المأخوذة منها » .

(٢) تكملة يفتقر الكلام إليها .

* وهل يَعِمَنْ من كان فى العُصُر الخالى (١) *

وفى نحو : « عِمُوا ظلامًا » (٢) . فحذفه أسهل لذلك من حذف غيره . ولو لم يكن فى النون من هذه الكلمة ما ذكرنا لما كان لحمل كيفَ عليه مَساغٌ ما وُجد لغيره مجاز .

فإن قلت : فكيف وجه البيت عندك ؟ فالقول أنَّ كى على ضربين : تكون مرّة بمعنى اللام ، وذلك فى قولهم : كيمه . وتكون فى معنى أنْ فى نحو : ﴿ لكيلا تأسَوْا (٣) ﴾ فنقول : إنَّ كى فى البيت هى التى بمعنى اللام ، فيمن قال كيمه ، دخلتها ما كافّة فمنعتها العمل الذى تعملُه ، فارتفع الفعلَ بعدها ، لكفّ « ما » لها عن الدُّخول على الفعل ، كما كفَّت رُبّ ومِنْ فى قولهم : ممَّا أفعل ، وربَّما يقوم . ونظير هذا ما أنشِدْناه عن أبى الحسن من قوله :

إذا أنت لم تنفـعْ فضُرّ فإنما ... يُرجَّى الفتى كيما يضرُّ وينفعُ (٤)

فعلى هذا يُحمَل هذا البيت . انتهى .

وهذا كله تطويلٌ بلا طائل ، فإن رواية الفرَّاء الثابتة عنه : « كى لا » ، بلا النافيةِ لا بمَا ، والتصرُّف فى الحرف بالحذف وغيره ثابتٌ ، مع أنَّه خلاف الأصل ، فكونه فى الاسم أولى وأحقُّ .

ونظير حذف الفاء من كيف حذفها من سَوف ، فإنَّهم يقولون : سَوْ أفعل ، والأصل سوف أفعل .

---

(١) لامرئ القيس فى ديوانه ٢٧ . وصدره :

* ألا عم صباحا أيها الطلل البالى *

(٢) لسمير بن الحارث . والبيت بتمامه كما فى ٦ : ١٦٧ .

أتوا نارى فقلت منون أنتم ... فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

(٣) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

(٤) لقيس بن الخطيم فى ديوانه ١٧٠ . وهو الشاهد ٦٥٦ .

وقد حذفت النون من مِنْ حرفِ الجر فقالوا : مِ الرجُلِ ، والأَصل من الرَّجل .

وقد حذفت مِنْ « على » الحرفيّةِ اللامُ والأَلف كما قال الشاعر ، وأنشده سيبويه فى آخر كتابه :

* طفت عَلْماءِ غُرلَةُ خالد (١) *

والأَصل : على الماء .

والمراد بالترخيم فى نحو هذا التخفيفُ بالحذف ، وهو شائعٌ فى كلامهم ، فلا وجه للترديد بين ترخيم المنادَى وغيره .

على أَنَّ الفراء إنَّما عبَّر بالحذف لا بالترخيم ، ومحصَّل كلامه إنكارُ مجيء كى مخفَّفا من كيف . وحملُ كى فى البيت على أَنَّها بمعنى اللام بمعونة ما الكافَّةِ لها عن النصب ، على تقدير صحة نقله ، فما يصنع بقول الآخر ، وقد أُنشده ابن هشام (فى المغنى) فى كى وفى كيف :

كى تَجنحون إلى سلمٍ وما ثُئِرتْ قتلاكُمُ ولظى الهيجاء تضطرم (٢)

وليس بعدها ما ، والمعنى على الاستفهام . ولعلَّه يقول إن كى موضوعة للاستفهام عن حال الشيء بمعنى كيف ، إلَّا أَنَّها مخفَّفة من كيف ، كما هو مذهب جماعة ، وحكاه الشارح المحقق عن الأَندلسى .

---

(١) للفرزدق . الشنتمرى ٢ : ٤٣٠ . وصدره :

* فما سبق القيسى من سوء سيرة *

(٢) غير منسوب . وانظر المغنى ١٨٢ ، ٢٠٤ وما سيذكره البغدادى ١٠٧ - ١٠٨ .

وقال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : وفي كيف لغتان قالوا : كيف وكى ، قال الشاعر :

أَو راعيان لِبُعرانٍ لنا شَرَدت   كى لا يُحسَّانِ من بُعراننا أُثَرا

قالوا : كى . ههنا بمعنى كيف ، استفهامٌ . وقال قوم : أَراد كيف ، وإنَّما حذف الفاء تخفيفًا كما قالوا : سَوْ أَفعل ، والمراد : سوف أَفعل . انتهى .

وعلى هذا الأَخير اقتصَر صاحب المغنى . والظاهر أَنَّ هذا من قبيل ضرورة الشعر ، إذْ لو كانت كى موضوعة للاستفهام لوردتْ فى النثر ، ولدُوِّنَتْ فى كتب اللغة كسائر الأَلفاظ الموضوعة .

والبيت الأَول غير واضح المعنى ، وقائله غير معروف ، وما قبله مجهول .

و (البُعران) بالضم : جمع بعير ، وهو فى الإبل بمنزلة الرجُل فى ١٩٧
الإنسان . والنون فى (شردن) للإبل ، لأَنها جماعة . ورواه ابن يعيش : « شرَدَت » بالتاء مع تقديم « لنا » عليه . و (يُحسّان) بضم الياء : مضارع : أَحسّ الرجل الشيء إحساسًا : علم به . و (أُثرا) مفعول به . ورواية أَبى علىٍّ قريبةٌ من رواية الفراء .

وقوله : « من طالبِينَ » هو جمع مجرور بمن . و « رفضت » بالفاء والضاد المعجمة ، قال فى المصباح : رفضت الإبِلُ من باب ضرب : تفرَّقت فى المرعَى . ويتعدَّى بالأَلف فى الأَكثر فيقال أَرفضتها ، وفى لغة بنفسه .

وقائل البيت الثانى مجهولٌ أَيضًا . وزعم العينى وتبعه خَدَمة المغنى أَنه من أَبيات سيبويه ، وهذا لا أَصلَ له ؛ فإنِّى قد تصفَّحتُ أَبياته

مرارًا فلم أجدْه فيها . وتجنحون : تميلون . والسّلم ، بكسر السين وفتحها : الصلح . ونُمرت بالبناء للمفعول . وقتلاكم : نائب الفاعل من ثأرت القتيل : طلبت دمه وقتلْتُ قاتله . والثأر مهموز . والهيجاء : الحَرب . وتضطرم : تلتهب . والجملتان حالان من الواو فى تجنحون .

وأتعجَّب من العينى فى قوله : « الشاهد فى كى ، فإنَّه بمعنى كيف وهو اسمٌ لا شكَّ فيه ككيف ، لدخول حرف الجرّ [١] عليه » . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادسَ عشرَ بعد الخمسمائة [٢] :

٥١٦ (يا أبا الأسْوَدِ لِمْ أسلمتَنِى لِهُمومٍ طارقاتٍ وذِكَرْ)

على (أنَّ) لِمْ مركّبة من اللام وما الاستفهامية ، فلما جُرّت باللام حذفت الألف وسكنت الميم ، كما أنَّ كم مركبة من الكاف وما الاستفهامية .

وهذا قول الفراء (فى تفسيره) ، أورده فى شرح لكنَّ من قوله تعالى : ﴿ ولكنَّ الناسَ أنفسَهم يَظلِمُون ﴾ من سورة يونس [٣] ، قال : ونرى أنَّ قول العرب : كم مالُك ، أنَّها ما وصلت من أولها بالكاف ، ثم إنَّ الكلام كثر بكم حتّى حذفت الألف من آخرها وسكنت ميمها ، كما قالوا : لِمْ قلت ذاك ؟ ومعناه : لِمَ قلتَ ذاك ؟ ولما قُلتَ ذاك ؟ كما قال الشاعر :

---

(١) ط : « حرف الجار » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٣ والإنصاف ٢١١ ، ٢٩٩ وابن يعيش ٩ : ٨٨ وشرح شواهد الشافية ٢٢٤ والمغنى ٢٩٩ والهمع ٢ : ١١١ .

(٣) معانى الفراء : ١ : ٤٦٦ فى الآية ٤٤ من سورة يونس .

يا أَبا الأَسود لِمْ أَسلمتنى .... (البيت)

وقال بعض العرب فى كلامه – وقيل (١) : مذ كَمْ قعد فلان ؟ – فقال : كَمُذْ أَخذتَ فى حديثك . فَرَدُّهُ الكافَ فى مذ يدلُّ على أَنَّ الكاف فى كم زائدة . وإِنَّهم ليقولون : كيف أَصبحت ؟ فيقول : كالخير ، وكخير (٢) . وقيل لبعضهم : كيف تصنعون الأَقِط ؟ فقال : كهيِّن (٢) انتهى .

وقوله : « لِمْ » قلتَ ، بسكون الميم ، ظاهرُهُ أَنَّه جائز فى الكلام غير مخصوص بالشعر ، ويؤيِّده قول ابن الشجرى (فى أَماليه) : ومن العرَب من يقول : لِمْ فعلتَ ؟ بإِسكان الميم . قال ابنُ مقبل :

أَأَخطَلُ لِمْ ذكرتَ نساءَ قيسٍ فما رُوِّعنَ عنكَ ولاسُبِينا (٣)

وقال آخر :

يا أَبـا الأَسودِ لِمْ خلَّيتَنـى لهمومٍ طارقاتٍ وذِكَرْ . انتهى .

وكذا (فى شرح الشافية) للشارح المحقِّق قال : وأَمَّا على مَه وإِلى مه وحتَّى مه ، فـ«ـما» فيها جزء ممَّا قبلها ، لكون ما قبلها حروفًا ، فلا تستقِلُّ ، فيجوز لكَ الوقف بالهاء ، كما ذكر ، وبسكون الميم أَيضًا لكون علام مثلًا كغُلام . قال :

يا أَبا الأَسود لِمْ خليتنى .... (البيت) انتهى

فقول ابن هشام (فى المغنى) إِن تسكين الميم بعد حذف الأَلف

---

(١) فى معانى الفراء : « وقيل له » .

(٢) انظر اللسان (كوف ٢٢٣) .

(٣) فى ديوان تميم ٣١٢ : « فما روعن منك » .

١٩٨ مخصوص بالشعر ، غير صحيح . وقد تقدَّم فى الشاهد السادس والثلاثين بعد الأربعمائة (١) ، ما يتعلق بحذف ألف ما الاستفهامية .

وقوله : (أسلَمْتَنى) هو من أسلم أمره لله وسَلَّم ، بمعنى فوَّض ، أو من أسلم الأجير نفسَه للمستأجر : مكَّنه من نفسه ، وكذلك سلَّم بالتشديد . ويجوز أن يكون من أسلمه بمعنى خذله . وروى بدله : « خلَّيتنى » بمعنى تركتنى . وروى أيضاً « خلَّفتنى » ، قال الدمامينى : معناه أخَّرتنى (٢) . و (الهموم) : الأحزان . و (الطُّروق) : المجىء ليلا . وإنما جعل الهموم طارقاتٍ لأنَّ أكثر ما يُعتَرَى الإنسانُ فى الليل ، حيث يَجمع فكره ويخلو بالُه ، فيتذكَّر ما هو فيه من الأحوال الموجعة والمصائب المؤلمة . و (ذكر) بكسر ففتح ، قال الشاطبى (فى شرح الألفية) : هو جمع ذِكرَى على خلاف القياس (٣) ، لأنَّ شرط الجمع على فِعَل أن يكون مفرده فِعْلة مكسور الفاء مؤنثًا بالتاء . وقال الدمامينى : هو جمع ذكرى وهو نقيض النِّسيان . أو جمع ذكرة بمعنى ذكرى . وهو على الأوّل محفوظ ، وعلى الثانى مقيس . انتهى .

قال صاحب المصباح : ذكرته بلسانى وبقلبى ذكرى بالتأنيث وكسر الذال ، والاسمُ ذكر بالضم والكسر ، نَصَّ عليه جماعةٌ منهم أبو عبيدة وابن قتيبة . وأنكر الفراء الكسر فى القلب ، وقال : اجعلْنى على ذُكرٍ منك بالضم لا غير . ولهذا اقتصر جماعةٌ عليه . ويتعدَّى بالألف والتضعيف ، فيقال أذكرته وذكَّرته ما كان ، فتذكَّر . انتهى .

---

(١) الخزانة ٦ : ٩٩ - ١٠٢ .

(٢) كلمة « معناه » ساقطة من ش .

(٣) كلمة « على » ساقطة من ش .

والبيت مع كثرة تداولِهِ فى كتب النحو والصرف لا يعرف قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(صَرِيعُ غَوانٍ رَاقهنَّ ورُقْنَه   لَدُنْ شبَّ حتَّى شابَ سُودُ الذَّوائبِ)

على أنَّ (لدن) إذا أُضيفت إلى الجملة تمحَّضت للزمان .

هذا هو التحقيق ، لبقاء حكم المضاف إلى الجمل على وتيرة واحدة .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : ولا يضاف إلى الجمل من ظروف المكان إلَّا لدن وحيث ، فتضاف إلى جملة الابتداء نحو :

* وتذكر نُعماهُ لدنْ أَنت يافعٌ [1] *

وإلى الفعلية ، نحو :

* لزمنا لَدُنْ ساءلتمونا وفِاقَكُمْ *

وجاءت أَنْ زائدة بعدها فى قوله :

* ولِيتَ فلم تقطع لدن أَنْ وَلِيتَنا [2] *

قال ابن الدَّهّان : ولا يضاف إلى الجمل من ظروف المكان إلَّا حيث وحدَها . ولدُنْ شبَّ ، على إضمار أن ، كما صُرِّح بأَنْ فى قوله :

* أُرانى لدن أَنْ غابَ رهطى [3] * انتهى

وتقدَّم الكلام على البيت قريبًا [4] .

* * *

(١) عجزه كما فى الهمع ١ : ٢١٥ :

* إلى أنت ذو فودين أبيض كالنسر *

(٢) من شواهد الهمع ١ : ٢١٥ والأشمونى ٢ : ٢٦٢ . وعجزه كما فى الدرر ١ : ١٨٤ :

* قرابة ذى قربى ولا حق مسلم *

(٣) فى الدرر ١ : ١٨٤ : « أرانى لدن أن غاب رهطى وإخوتى » .

(٤) انظر الشاهد ٥١٢ من هذا الجزء ص ٨٦ – ٩١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الخمسمائة (١) :

٥١٧ (فإنَّ الكُثْرَ أعيانى قديمًا ولم أُقْتِر لدُنْ أنِّى غُلامُ)

على أنَّ الجملة التى بعد لدن يجوز تصديرها بحرف مصدرى .

وهذا البيت أنشده ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، ونسبه كالشارح إلى عمرو بن حسان (٢) من بنى الحارث بن همّام . وقال شارح أبياته ابنُ السيرافى فى قوله : « فإن الكثر أعيانى » إلخ . أى طَلَبُ الغنى فى أوّل أمرى وحينَ شبابى ، فلم أبلغ ما فى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكنْ فقيرًا . فلا تأمُرْنى بطلب المال وجمعِه وتركِ تفريقه ، فإنِّى لا أبلغ نهاية الغنى بالمنْع ، ولا أفتقر بالبَذْل . انتهى . صاحب الشاهد

١٩٩ قال صاحب الصحاح : الكُثْر بالضم من المال : الكثير . يقال مالَهُ قُلٌّ ولا كُثْر . وأنشد البيت .

وقال فى (قتر) : وأقتر الرجل : افتقر . وأنشدَهُ أيضاً (٣) .

وقال فى (عيى) : وعَيِيتُ بأمرى ، إذا لم تهتدِ لوجهْه . وأعيانى هو . وأنشده أيضًا ، وقال : يقول كنت متوسِّطًا لم أفتقر فقرًا شديدًا ولا أمكننى جمعُ المال الكثير . ويروى : « أعنانى » أى أذلَّنى وأخضعنى . انتهى .

وهذا البيت يدلُّ للشارح المحقق على أنَّ لدن إذا أُضيفت إلى الجملة تكون ظرف زمان . وهذا ظاهر منه .

---

(١) إصلاح المنطق ٣٣ ، ١٦٧ ، ٣٦٤ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٢٢ .

(٢) إنما نسبه لرجل من ربيعة .

(٣) ط : « وأنشد أيضا » ، وأثبت ما فى ش .

وعمرو بن حسان : شاعرٌ صحابى ، ذكره ابن حجر فى الإصابة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشرَ بعد الخمسمائة (٢) :

٥١٨ (طَارُوا عَلَاهُنَّ فطِرْ عَلَاها واشْدُدْ بمثْنَى حَقَبٍ حَقْوَاها)

على أنَّه قد حُكى عن قوم من العرب : لَداك ، وإلاك ، وعلاك ، فلم يقلبوا الألف ياءً مع المضمر فى علاهنَّ وعلاها ، وفى المثنى أعنى حَقواها . وكان القياس : عليهن ، وعليها ، وحَقويها .

قال أبو حاتم (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) : هذه لغة بنى الحارث ابن كعب ، ولغتهم قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً ، يقولون : أخذت الدِّرهمان ، والسَّلام علاكم . انتهى .

وسيأتى بقية الكلام عليه إن شاء الله فى المثنَّى .

قال أبو زيد (فى نوادره) : قال المفضل : أنشدنى أبو الغُول لبعض أهل اليمن :

(أىّ قَلوصٍ راكبٍ تَراها طاروا عَليهنَّ فشُلْ عَلَاها
واشدُدْ بمثنى حَقَبٍ حَقْواها ناجيةً وناجيًا أباها)

القَلوص مؤنثة . علاها ، يريد عليها ، وهى لغة بنى الحارث بن

---

(١) الإصابة ٥٨٠٧ وقال : « تقدم ذكره فى ترجمة (سنبر) » . وقد ترجم ابن حجر لسنبر فى رقم ٣٥٠٩ .

(٢) نوادر أبى زيد ٥٨ ، ١٦٤ والخصائص ٢ : ٢٦٩ وابن يعيش ٣ : ٣٤ ، ١٢٩ وشرح شواهد الشافية ٣٥٥ والعينى ٣ : ٣٤ ، ١٢٩ . واللسان (طير ، علا) .

كعب . وأما « أباها » فيمكن أن يكون أراد أبوها فجاء به على لغة من قال هذا أباك ، فى وزن هذا قفاك . وكذا كان القياس . وقال بعضهم : يقال أب وأبان ، مثل يد ويدان ، أراد الاثنين . والناجى : الماضى . انتهى .

وأنشد أبو زيد البيتين الأولين من الأربعة فى أوائل النوادر ، ثم قال : وأما أباها ، يعني فى البيت الرابع ، فيمكن أن يكون أراد أبوها فجاء به على لغة من قال : هذا أباك فى وزن هذه عصاك . وكذا كان القياس . وقال بعضهم : ولكن يقال أب وأبان ، كقولك : يد ويدان ، فأراد الاثنين . انتهى .

قال أبو الحسن الأخفش (فى شرح النوادر) : قال أبو حاتم : سألت أبا عبيدة عن هذه الأبيات فقال : انقُطْ عليها ، هذا من صنعة المفضَّل . انتهى .

وقوله : « أىّ قلوص راكبٍ » بإضافة قلوص إلى راكب ، وأىّ استفهامية قصد بالاستفهام المدح والتعظيم ، وقد اكتسب التأنيث من قلوص ، ولهذا أعاد الضمير عليها مؤنَّثا . أو فيه قلبٌ والأصل قلوص أىّ راكب تراها . وهذا هو الظاهر . وأىّ منصوب من باب الاشتغال ، ويجوز الرفع على الابتداء . والقَلوص بالفتح : الناقة الشَّابّة .

وقوله : (طاروا عليهن) كذا فى موضعين من النوادر ، ورواه الجوهرى : « طاروا علاهن » كالثانى . وطاروا ، يقال طار القوم أى نفروا مسرِعين . كذا فى المصباح . ورواه ابن هشام (فى شرح الشواهد) : « شالُوا علاهنّ » وقال : شال الشىء شَولا ، إذا ارتفع . والأمر شُلْ بالضم . ويتعدّى بالهمزة وبالباء ، فيقال أشلته وشُلت به . وقول العامة شِلْته بالكسر لحنٌ من

وجهين ، والمفعول محذوف ، أى برحالهم وبرحلك . انتهى . ٢٠٠

والظاهر أنّ المراد ارتفعوا على إبلهم فارتفعْ عليها . ولا حاجة إلى ذكر المفعول المعدَّى بالباء . ويؤيِّده روايةُ « طاروا » ، فإنَّ المعنى أسرعوا مُخِفِّين . ورواية الشارح « فَطِرْ عَلاها » هى رواية صاحب الصّحاح . و (الحَقَب) بفتح الحاء المهملة والقاف ، قال فى الصحاح : هو حبل يُشَدّ به الرَّحل إلى بطن البعير مما يلى ثِيلَهُ ، أى ذَكَره ، كى لا يجتذبَه التَّصدير . تقول منه : أحقبْتُ البعير . انتهى .

و (المثْنى) : مصدر ميمى من ثَنيت الشىء ثنيا ومَثْنى ، إذا عطفته ، أُريد به اسم المفعول ، أى المعطوف ثانيًا . و (حَقْواها) : مثنى حَقو بفتح الحاء المهملة وسكون القاف (١) ، وهو الخَصْر ومَشَدُّ الإزار مثلا . وقول أبى زيد : إنَّ أباها مثنى أب حذفت النون للإضافة ، أراد أباها وأُمّها فثنَّى على التغليب .

وأنشد الجوهرى الأبيات (فى علا) بهذا الترتيب :

أىّ قلوصٍ راكبٍ تراها فاشدُدْ بمثنى حَقَب حَقْوَاها

ناجيةً وناجيًا أباهـا طاروا عَلاهُنَّ فطِرْ عَلاها

* * *

(١) ويقال أيضا حقو ، بالكسر ، كما فى اللسان والقاموس وغيرهما .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسعَ عشرَ بعد الخمسمائة (١) :

٥١٩ (فلولا نَبْلُ عَوْضٍ فى حُظُبَّـاىَ وأَوصالِـى)

على أنَّ (عَوضًا) قد يستعمل لمجرَّد الزمان فيعرب .

جَعَل الشارح المحقِّق استعماله لمجرد الزمان سببًا لإعرابه ، أى الزمان المجرَّد عن العموم والاستغراق ، بأن يكون نكرة غير مضمَّن معنى الإضافة . فإن ضُمِّنَها بنى على الضم كما سيأتى فى كلامه . وإنْ أُضيف لفظًا أُعرب . فيكون له ثلاثة استعمالات (٢) :

الأوَّل : ما نكِّر بأن قطِع عن الإضافة لفظًا ومعنًى ، كما فى البيت ، وفى قولهم : من ذى عَوْضٍ ، فيعرب جرًّا بإضافة شيءٍ إليه . ولم يُسمع نصبُه منوَّنا على الظَّرفية .

الثانى : ما حُذف منه المضاف إليه وضمِّن معناه ، فيبنى على الضم أو أحد أخويه (٣) نحو : لا أُفعله عوضُ ، والأَصل : عوض العائضين .

والثالث : ما أُضيف لفظًا كعَوْض العائضين .

هذا مقتضى كلامه ، وهو الحقُّ الذى لا ينبغى أن يُحادَ عنه ، فإنَّه جمع شَمْلَها المتفرّق فى كتب النحويِّين بإدخالها فى حكم ظروف الجهات .

وقال أَبو حيان (فى الارتشاف) : وقد يضاف إلى العائضين أو يضاف إليه فيعرب . وأورد هذا البيت ، وقال : وعوضِ الظرف يبنى على الضم والفتح والكسر .

(١) همع الهوامع ١ : ٢١٣ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٣٨ .

(٢) ش : « ثلاث استعمالات » . وهو جائز على مذهب البغداديين ، فإنهم يعتبرون لفظ الجمع . وانظر الأشمونى فى أول باب العدد .

(٣) يعنى الألف والواو .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : هو معرب إن أُضيف كقولهم : لا أُفعله عوض العائضين ، مبنىٌّ على أَحد الحركات (١) إن لم يضف .

فالأوّل يشمل ما قاله الشارح المحقّق ، لكن لا بذلك الحكم . والثانى يقتضى بناء نحو البيت على حركة ، ولا قائل به .

والعجب من ابن المُلّا فإنّه شرح كلام المغنى بكلام الشارح المحقّق .

وقال ابن جنّى فى الكلام على هذا البيت (٢) من إعراب الحماسة : وأمّا إعرابه فلأنّه اضطُرَّ إليه كما يُضطرّ الشاعر إلى صرف ما لا ينصرف . وهو مبنىٌّ على الضم والفتح . هذا كلامه

فيقال له : أَى ضرورة فى قولهم : افعلْ ذاك من ذى عَوْض ؟

وأمّا شرّاح الحماسة فالمفهوم من كلامهم أنّه مبنىٌّ فى البيت . ولم يتعرّضوا لإعرابه بوجهٍ . قال المرزوقى : عوضَ اسمُ الدهر معرفة مبنى ، وكما ٢٠١
يبنى على الفتح قد يبنى على الضم ، والضم فيه حكاهُ الكوفيون . ويقال لا أُفعله عَوضَ العائضين . وإنما يبنى لتضمنُّه معنى الأَلف واللام . انتهى .

وقد سطَّرها الخطيب التبريزى (فى شرحه) من غير زيادة .

وأما الأَمين الطَّبْرِسىّ فلم يزد على قوله : عوض من أَسماء الدَّهر . وهذا كلُّه مما يستغرب منه .

وقول الشارح المحقق : « وعوض فى الأَصل اسم للزمان والدهر » ،

---

(١) على أحد الحركات ، ليس من لفظ ابن هشام . والوجه « إحدى الحركات » .

(٢) فى النسختين : « على هذا الكلام » ، والوجه ما أثبت .

بل الأصل مصدر عاضنى الله منه عَوْضا بفتح فسكون ، وعِوَضا بكسر ففتح ، وعِياضا بالكسر . كذا (فى العباب) . فالعوض : كل إعطاءٍ يكون خَلَفًا من شيءٍ .

قال ابن جنى فى شرح البيت : إنَّما سمُّوا الدهر عَوْضًا لأنَّه من التعويض ، وذلك أنَّه كلما مضى جزءٌ من الدهر خَلفَ آخرُ من بُعَيدِه ، فكان الثانى كالعوض من الأوّل . وقد ذكرت هذا الموضع (فى كتابى الموسوم بكتاب التعاقب) .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وقيل : بل لأنَّ الدهر فى زعمهم يَستلب ويعوِّض .

وقوله أيضًا : « ويقال افعل ذلك من ذى عوض » [1] إلخ ، افعل يقرأ أمرًا وخبرًا ، والمعنى افعله فى زمانٍ ذى تعويض ، أى فى زمان يكون عوضًا من هذا الزمان ، وهو المستقبل .

وأُنُف ، بضم الألف والنون ، معناه الابتداء الجديد ، أى الإضافىّ بالنسبة إلى ما قبله . والمعنى : افعله فى زمان [2] ذى ابتداءٍ متجدِّد ، وهو الوقت الذى يتجدَّد بانقضاء ما قبله ، كاليوم والليلة ، والأسبوع ، والشهر ، والسنة . والفعل منه استأنف استئنافًا . ومنه حديث ابن عمر : « إنَّما الأمر أُنُفٌ » أى يستأنف استئنافًا من غير أن يكون سبق به سابقُ قضاءٍ وتقدير . وروضة أُنُفٌ ، أى مستَجِدَّة لم تطأها الماشية

---

(١) يشير إلى كلام الرضى فى شرح الكافية ٢ : ١١٦ . وبقيته : « كما يقال من ذى أنف » . ولذا أفاض البغدادى فى شرح لفظ « أنف » فيما سيأتى .

(٢) ش : « من زمان » .

ولم ترعَها . ومنه حديث أبى مسلم الخَوْلانى : « ووضعها فى أُنُفٍ من الكلأ وصَفْوٍ من الماء » . ورجلٌ مئناف ، أى ترعى ماشيته أُنُف الكلأ . وكأس أُنف : مستَجدَّة للشرب فيها لم تُستعمل [1] قبل هذا الوقت . وقولهم : فعله آنِفًا ، بالمد وكسر النون ، من هذا أيضًا ، وهو أول الزمان الذى أنت فيه .

ويقال أيضًا : افعلْ ذاك من ذى قَبَل ، بفتح القاف والموحَّدة ، وهو اسم مصدر لأَقبل إقبالا . أى فى زمان ذى إقبال . وفى فصيح ثعلب : لا أُكلمك إلى عشرين ذى قَبَل ، أى إلى عشر ليال من زمان ذى استقبال ، أى من مستقبَل الشهر .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات ثمانية للفِنْد الزِّمَّانىِّ ، أوردها أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) و (فى الحماسة) ، وأولها :

أبيات الشاهد

(أيا طعنةَ ما شيخٍ كبيرٍ يَفَنٍ بالى
تقيم المأتَمَ الأعلَى على جُهدٍ وإعوالِ [2]
ولولا نبل عَوضٍ فى خُظُبَّاىَ وأوصالى
لطاعنتُ صدورَ الخيل طعنًا ليس بالآلى)

وقوله : « أيا طعنة » إلخ ، قال الإمام المرزوقى : أراد : ياطعنةَ شيخ ، وما زائدة ، وهذا اللفظ لفظ النداء والمعنى معنى التعجب والتفخيم ، أراد : ما أهولها من طعنة ، ويالها من طعنة بدرت من شيخٍ كبير السن ، فانِى القوى

(١) ش : « لم يستعمل » ، صوابه فى ط . والكأس مؤنثة .
(٢) ط : « على عهد » ، صوابه فى ش والحماسة .

بالى الجسم . واليَفَن : الشيخ الهرِم . ويجوز أن يكون المنادى محذوفًا وطعنةَ منصوب بفعل مضمر ، كأنه أراد : يا قوم اذكروا طعنة شيخ . انتهى .

وقد بيَّنَ الوجهين أبو هلال العسكرى (فى شرح الحماسة) قال : فى
٢٠٢ ندائه وجهانِ : أحدهما أن يعجِّب من فظاعتها ، فكأنه يقول : هلمِّى يا طعنة فاعجبى أنت أيضًا من سعتك وهَوْلك . والآخر : أن المنادى غير الطعنة ، كأنَّه قال : يا هؤلاء اشهدوا طعنةً لا يطعُن مثلَها شيخٌ . وإنما قال طعنة شيخ ، لأنَّ قبيلة بكر قالت : وما يُغنى هذا العَشَمة ! وذلك أن عِداد زمَّانٍ فى بنى حنيفة ، وكانوا اعتزلوا حرب بكر وتغلب حتَّى كتب إليهم الحارث بن عُبَاد يعنِّفهم ، فسرَّحُوا إليهم فِنْدًا ، فى سبعين راكبًا ، وكتبوا إليهم : « إنَّا أمددناكم بمائة فارس » . قال مؤرِّج : « أمددناكم بألف رجل » . فقالت بكر : وما يُغْنِى هذا العشمة ؟ وكان شيخًا ، وله مائة وعشرون سنة . فقال : أما ترضَون أن أكونَ لكم فِنْدا من أفناد حَضَن [١] ، تلودُون بى ؟! فأرسلوه فى الطلائع ورجع وليس معه رمحه ، فسئل عنه فقال : طعنت به رجلًا فأنفذْته وأجررته إيّاه . قالوا : ما نراك إلَّا سُلِبتَه ! فقال : تقدَمون فتنظرون .

وقال مؤرج : كان عَمرو بن الرَّقَبان التغلبى حمَل على بكر ، فمرَّ على صبىٍّ عند أمِّه ، فانتظمه برمحه ، وحمله على رأس الرمح ، وصرخت أمه ، فقال : « تحنَّنى أمَّ الرُّبَع » . فحمل عليه الفند فطعنه فأنفذه . وتزعم بكر أنه طعنه وخلْفه رديفٌ له ، فانتظمهما . وهذا مشهور فى بكر وتغلب ، أعنى

---

(١) الفند : القطعة العظيمة من الجبل . وحضن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد .

طعنة عمرو ، وطعنة الفنْد ، وقيل فيه شعر مصنوع قديم ، يعنى هذه الأبيات . انتهى .

وقوله : « تقيم المأتم » إلخ قال المرزوق : هذا من وصف الطعنة ، كأنّه كان تناوَله بها رئيسًا (١) ، فلذلك وصف المأتم بالأعلى . والمأتم أصله أن يقع على النّساء يجتمعن فى الخير والشر ، واشتقاقه من الأتْم وهو الضمُّ والجمع ، ومنه الأتوم وهى المرأة التى صار مَسلكاها مسلكًا واحدًا . وأراد بالمأتم هنا الاجتماع للرّزيّة ، وهو مصدرٌ وصف به . ويجوز أن يراد به أهل المأتم فحذف المضاف . والأعلى يُراد به الأفظع شأنًا . ووصف الطّعنة بأنها تقيم الجمع على مجاهدة بلاءٍ (٢) ، وإسراف فى الصّياح والعُواء ، أى تُديم ذلك له . والعَويل والعولة : صوتُ الصّدر . انتهى .

وقال التبريزى : الإعوال : رفع الصّوت بالبكاء .

وقوله : (ولولا نَبْلُ عَوْض) إلخ أجمعوا فى هذا الموضع على أنّ عوضا اسم الدهر ، وقد شذَّ بعضهم فقال : عوضٌ : رجلٌ كان يعمل النّبالَ جيّدَة ، فشبّه ما ناله من نوائب الزمان بإصابة تلك النبال . هذا كلامه . و (حُظُبّایَ) بالإضافة إلى ياء المتكلم . والحُظُبّى بضم الحاء المهملة وضم الظاء المشالة والمعجمة بعدها موحّدة مشددة وألف مقصورة ، قال القالى (فى المقصور والممدود) : هو الظّهر . قال : ووزنه فُعُلّى ، ولم يأت على هذا الوزن إلّا الاسم دون الصفة . وقال ابن ولّاد (فى المقصور والممدود) : هو الصُّلب ،

---

(١) كذا فى النسختين . والذى فى المرزوقى : « كان تناولَ بها رئيسًا » .

(٢) فى شرح الحماسة : « على مجاهدة وبلاء » .

يعنى ظهر الرجل . وقال أبو هلال العسكرى (فى شرحه) : قال أبو النَّدَى [١] : الحُظبَّى : عِرق فى الظَّهر . وقال غيره : الحظبَّى : عرق يبتدئ من القلب ويبدو عند السُّرّة ، ثم يتشعَّب فتتفرّق شعبه فى الظَّهر ، يسمِّيه الأطباء : الشِّريان العظيم [٢] ، وقال الصاغانى (فى العباب) : الحُظبَّى : صُلب الرجل ، ويقال إنَّه عرق فى الظهر ، ويقال إن الحظبَّى الجسمْ ، وفسِّر بالمعانى الثلاثة هذا البيت . وقال أبو زيد : الحظُنْبَى بالنون قبل
٢٠٣ الموحَّدة ، وأنشد البيت « فى حُظُنْباىَ » . ورواه المرزوقى : « فى خُضُمَّاتى وأوصالى » بضمَّتى الخاء والضاد المعجمتين وتشديد الميم ، وقبل ياء المتكلم مثناة فوقية ، على أنَّه جمع خُضُمَّة . قال : والخُضُمَّة : ما غَلُظ من الساق والذراع ، ويبدل من ميمه الباء فيقال خضبَّة . والمعنى : لولا رَميات الدهرِ فى مفاصلى ومجامع أعضائى ، ومستغلظ عضدى وذراعى ، لكان تأثيرى ، وبلائى فى الحرب أكثر مما كان ، ولشفَعْتُ تلك الطعنةَ ولم أَدَعْها وِترا . انتهى .

وقال أبو هلال العسكرى : ويروى : « فى أَعالىَّ » ، يريد انحناء ظهره ، وتشنُّج جلده ، واضطرابَ خلْقه ، وانحلالَ قواه .

و (الأوصال) : جمع وِصْل ، بكسر الواو وسكون الصاد ، وهو المَفصِل .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة [٣]) : الظرف الذى هو قوله فى حظبَّاى متعلّق بنفس النبل ، لما فيها من معنى الحِدّة والنفوذ ، كقول جرير :

---

(١) ط : « الندى » ، صوابه فى ش .
(٢) الشريان ، بفتح الشين وكسرها .
(٣) الورقة ٩٢ من مخطوطة أحمد الثالث .

تركتِ بنا لَوْحًا ولو شئتِ جادنا   بُعَيْدَ الكرى ثلجٌ بكرمانَ ناضحُ [(١)]

علَّقَ بُعيد الكرى بثلج ، لما فيه من معنى البرد . ولا يجوز أن يكون الظرف حالًا من نبل ، لأنَّ أبا الحسن منع اشتغال الحال مع لولا ، لأنَّها ضربٌ من الخبر ، والخبر هنا محذوف البتة . ويجوز أن يكون خبر مبتدأٍ محذوف ، أى هى فى حظبّاى ، فيكون حظبّاىَ متعلقًا بمحذوف . وأمّا حظبّاى فإنّه معظم بدنه ، وهو قول أحمد بن يحيى ، وهو من قولهم : رجل حَظِبٌ [(٢)] للجافى الغليظ . وحُظبّى فُعُلّى كالحُذُرّى والبُذُرّى [(٣)] . وحظبّاتى بالتاء خطأٌ . انتهى .

وقوله : « لطاعنت صُدورَ الخيلِ » إلخ ، هذا جواب لولا . قال المرزوقىّ : أراد بالخيل الفرسان ، أى لولا ما قدَّمت من العذر لدافعت بالطَّعن أوائل الخيل طعنًا لا تقصير فيه ولا قُصور . وخصَّ الأوائل منهم لتقدُّمه . ويجوز أن يريد بالصُّدورِ الرؤساء والأكابر . وهم يتبجَّحون بمجاذبة الأشراف [(٤)] . ألا ترى قول الآخر [(٥)] :

مِن عهد عادٍ كان معروفًا لنا   أَسرُ الملوك وقتلُها وقِتالُها

(١) وكذا فى إعراب الحماسة بالضاد والمعجمة . وقد سبق فى ٥ : ٢٦٧ برواية « ناصح » بالصاد المهملة .

(٢) يقال حظب بفتح فكسر ، وبضمتين مع تشديد الباء .

(٣) كلمة « والبذرى » ساقطة من ش . وفى إعراب الحماسة لابن جنى : « الندرى » بالدال المهملة . لكن فى اللسان (حظب) عن ابن سيده فى الكلام على الحظبى : « وعندى لها نظائر : بذرى من البذر ، وحذرى من الحذر ، وغلبى من الغلبة » .

(٤) فى المرزوقى : « بمجاذبة العلية » . وفى ط : « بمجاربة » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

(٥) هو بشامة بن حزن ، كما فى الحماسة ٣٩٦ بشرح المرزوقى .

وكما استعملوا الصُّدور فى الأماثل والجلَّة ، استعملوا الأعجاز فى الأراذل والسِّفلة ، وهذا كما قالوا : الرءُوس والأذناب ، وكما قَال :

* ومن يسوِّى بأنف الناقة الذَّنَبا * (١)

ويقال ألَوتُ فى الأمر آلو ، أى قصَّرت . وجعل التَّقصير للطَّعن على المجاز . انتهى .

قال ابن جنِّى : لك فى طعنًا وجهان : إنْ شئتَ حملته على فعلٍ آخر دلَّ عليه طاعنت ، كأنَّه قال طعنًا طعنًا . وإن شئت حملته على أنه مصدر محذوف الزيادة ، أى طاعنت طِعانًا (٢) أو مطاعنة أو مُطاعَنًا أو طِيعانًا على ما جاء فى مصادر مثله . والآلِى : فاعل من ألوت أى فَترت وقصَّرت . وهذا من الأفعال التى لا تستعمل إلَّا فى غير الواجب ، يقال ما ألوت أفعل كذا ، ولا يقال قد ألوت فى حاجتك ولا نحوُ ذلك . وهو فى الفعل بمنزلة أحدٍ وكريبٍ وكَتِيعٍ ، ونحو ذلك . ومثله (٣) : مازلت ولن أزال ، ومثله فى أكثر الأقوال : مارِمْتُ من موضعى ، أى ما برحت . انتهى باختصار .

والفِند ، بكسر الفاء وسكون النون . وزِمَّان بكسر الزاى المعجمة وتشديد الميم . وهو شاعرٌ جاهلى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والأربعين بعد المائتين (٤) .

* * *

(١) للحطيئة ، وصدره :

* قوم هم الأنف والأذناب غيرهم *

(٢) فى النسختين : « طعانا » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٣) الكلام من هنا إلى « ومثله » التالية ساقط من ش .

(٤) الخزانة ٣ : ٤٣٤ – ٤٣٥ .

وأنشد بعده :

* هل رأيتَ الذئبَ قَطّ *

وقد تقدَّم شرحه فى الشاهد السادس والتسعين (١) على أنَّ قطُّ قد استُعملت بدون النفى لفظًا لا معنى ٢٠٤

أمّا الأوّل فلأنّها وقعت بعد هل الاستفهامية ، والفعل مع الاستفهام غير منفى .

وأما الثانى فلأنَّ المراد من الاستفهام النفى ، أى ما رأيتَ الذئب قطُّ .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وقال ابن مالك : وربَّما استعملت دون نفى لفظًا ومعنى ، أو لفظًا لا معنى . واستدلَّ على ذلك بما ورد فى الحديث على عادته . انتهى .

أراد حديث البخارى : « قصَرْنا الصَّلَاةَ فى السَّفر مع النبى ﷺ أكثَرَ ماكنا قطُّ » .

قال الكَرْمانى (فى شرح البخارى) : فإن قلتَ : شرط قطُّ أن تستعمل بعد النفى . قلت : أوّلًا لا نسلِّم ذلك ، فقد قال المالكى (٢) : استعمال قطُّ غير مسبوق بالنفى مما خفىَ على النُّحاة ، وقد جاء فى الحديث بدونه ، وله نظائر . وثانيا : أنَّه بمعنى أبدًا على سبيل المجاز ، وثالثًا : يقال إنَّه متعلق بمحذوف منفيّ ، أى وما كنا أكثر من ذلك قطُّ . ويجوز أن تكون ما نافية والجملة خبَر المبتدأ وأكثر منصوبا على أنَّه خبر كان ، والتقدير : ونحن

---

(١) الخزانه ٢ : ١٠٩ – ١١٢ .

(٢) كذا فى النسختين . ولعله « المالَقىّ » .

ما كنا قطُّ أكثر منا فى ذلك الوقت . وجاز إعمال ما بعدها فيما قبلها إذا كانت بمعنى ليس . انتهى (١) .

وقال الغَرْناطى : الذى جوَّزه مراعاة لفظة « ما » ، فى قوله : ما كنَّا قطُّ وإن كانت غير نافية . وقد تُراعَى الألفاظُ دون المعانى . انتهى .

وإليه جنَح ابنُ هشام (فى المغنى) قال : منْ إعطاء الشىءِ (٢) حكم المشبّه به فى لفظه دون معناه ، قول بعض الصحابة : قصرنا الصلاةَ مع رسول الله ﷺ أكثرَ ما كنا قطُّ (٣) . فأوقع قطُّ بعد ما المصدرية ، كما تقع بعد ما النافية . انتهى .

وقال الكَرْمانى أيضًا فى حديث البخارى : « فصلَّى بأطولِ قيامٍ وركوع وسجود رأيته قطُّ يفعله » ، من حديث أبى موسى فى باب الذكر فى الكسوف : فإن قلت : فى بعض النسخ : « رأيته » بدون كلمة « ما » فما وجهُه ؟ قلت : إمّا أنَّ حرف النفى مقدّر قبل رأيته كما فى قوله تعالى : ﴿ تَفتؤًا تذكر يوسف (٤) ﴾ . وإمّا أنَّ أطول فيه معنى عدم المساواة ، أو قطْ بمعنى حَسْب ، أى صلَّى فى ذلك اليوم فحسب بأطول قيامٍ رأيته يفعل ، أو أنَّه بمعنى أبدًا . انتهى .

وقد استعملها الزمخشرى فى المستقبل ، قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمِنهمْ مُقْتصِدٌ (٥) ﴾ : إنَّ ذلك الإخلاص الحادثَ عند الخوف لا يبقى لأحد قطُّ ، فأعمل فيه « لا يبقى » ، وهو مضارع .

---

(١) الكلام بعده إلى « انتهى » التالية ساقط من ش .

(٢) ط : « من أعطى » ، صوابه فى ش . وانظر المغنى (المسألة التاسعة من الباب الثامن) ص ٦٨١ .

(٣) بعده فى المغنى : « وآمنه » .

(٤) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٥) الآية ٣٢ من سورة لقمان .

قال أبو حيان (فى تفسيره) بعد نقله كثرةَ استعمال الزمخشرى قطُّ ظرفا والعامل فيه غير ماض : « وهو مخالفٌ لكلام العرب » . انتهى .

وقال الحريرى (فى درة الغوَّاص) : قولهم : لا أُكلمه قطُّ ، هو من أفحش الخطأ ، لتعارض معانيه وتناقض الكلام فيه . وذلك أنَّ العرب تستعمل لفظة قطُّ فيما مضى من الزمان ، كما تستعمل لفظة أبدًا فيما يُستقبل ، فيقولون : ما كلَّمته قطُّ ، ولا أُكلِّمه أبدًا . والمعنى فى قولهم ما كلمته قطُّ أى فيما انقطع من عمرى ، لأنَّه من قططت الشيء [1] ، إذا قطعته . ومنه قطُّ القلم ، أى قطْع طَرفِه . وفيما يُؤثر من شجاعة على رضى الله عنه ، أنَّه كان إذا اعتلى قَدَّ ، وإذا اعترض قطَّ . فالقدّ : قطع الشيء طولا ، والقَطُّ : قطعُه عرضا . انتهى .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى ، والقواعد [2]) ، قال : والعامَّة تقول : لاأفعله قطُّ . وهو لحن .

واعترض عليه ابن جماعة (فى شرح القواعد) بأنَّه غير صحيح ، وغايته استعمال اللفظ فى غير ما وُضع له ، فيكون مجازًا لا لحنًا . وجعلُه من اللحن عجيب ، إذْ لا خلل فى إعرابه . وليس بشيءٍ ، لأنَّ اللحن بمعنى مطلق الخطأ . وهُم كثيرا ما يستعملونه بهذا المعنى . فإن قلت : إذا استعمل العربُ

---

(١) لفظة « الشيء » ساقطة من ش .

(٢) هو كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب ، وقد طبع عدة مرات ، منها نسخة بتحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدى . ولصديقنا وتلميذنا الدكتور على فوده بحث وتحقيق جيد فى هذا الكتاب من المنتظر أن يرى النور قريبا .

لفظا فى محلٍّ مخصوص كقطُّ بعد نفى الماضى ، وكافَّة حالًا منكَّرة ؛ أو فى معنًى مخصوص كالغزالة للشمس فى أوَّل النهار ، فهل مخالفتهم فى ذلك جائزة أم لا ؟ وعلى تقدير الجواز هل يكون حقيقةً أو مجازًا ؟

وعلى الثانى أُجيب بأنَّ الذى يظهر من كلامهم وتخطئةِ من خالفهم أنَّه غير جائز . فإن قيل بجوازه فالظاهر أنَّه مجاز مرسل ، من استعمال المقيَّد فى المطلق ، إلَّا أنَّه لا يظهر فى كافةً ونحوها كالظروف التى لا تتصرَّف ، فإن معناها لم يتغيَّر ، وإنَّما يتغير إعرابها ، وإن وقع مثلُه فى مكان التقصير . كذا فى (شرح الدرة) لشيخنا الخفاجى .

وقول الشارح المحقِّق : « وقطُّ لا يستعمَل إلَّا بمعنى أبدًا » ظاهره أنَّ أبدًا ظرف للماضى ، ولم أره بهذا المعنى . الموجودُ فى الصحاح والعباب والقاموس : الأبد : الدهر ، والأبد : الدائم . بل قال الرُّمَّانى كما فى المصباح : الأبد : الدهر الطويل الذى ليس بمحدود . فإذا قلت : لا أُكلِّمه أبدًا ، فالأبد من لدن تكلَّمتَ إلى آخر عمرك .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وممَّا يستعمل ظرفًا فى المستقبل أبدًا . تقول : ما أصحبك أبدًا ، ولا تقول ما صحبتك أبدا . وجعله السَّمين ظرفا مطلقا ، قال : أبدا ظرف زمان يقع للقليل والكثير ، ماضيًا كان أو مستقبلا . تقول : ما فعلته أبدًا . وقال الراغب : هو عبارةٌ عن مدَّة الزمان الممتدِّ الذى لا يتجزَّأ كما يتجزَّأ (١) الزمان . وذلك أنَّه يقال زمانَ كذا ، ولا يقال أبدَ كذا . انتهى .

* * *

(١) ط : « كما يجزأ » وأثبت ما فى ش .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى العشرين بعد الخمسمائة (١) :

٥٢٠ (ولَولا دِفاعى عن عِفاقٍ ومشْهَدى
هَوَتْ بعفاق عَوْضُ عنقاءُ مُغربُ)

على أنَّ (عوضًا) المبنىَّ قد يستعمل للمضىِّ ومع الإثبات لفظًا . فإنَّ هوَتْ ماضٍ مثبت ، وهو عامل فى عوضُ ، لكنَّه منفىٌّ معنًى ، لكونه جَواب لولا . ومن المعلوم أنَّ جوابها ينتفى لثبوت شرطها ، نحو : لولا زيد لأُكرمتك ، فالإكرام منتفٍ لوجود زيد . وأمّا عوض فى البيت المتقدِّم فى قوله : « ولولا نَبل عوض » ، فقد استعملت فى الإثبات لخروجها عن الظَّرفية . ولهذا جُرَّتْ ، وكان عاملها اسمًا .

وكذلك قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وربَّما جاءت عوضُ لِلمُضىِّ بمعنى قطُّ ، قال :

* فلم أَر عامًا عوْضُ أَكثرَ هالكِا (٢) *

وقال أبو زيد أَيضًا (فى نوادره) : تقول ما رأَيت مثله عوض .

---

(١) لم أجد له تخريجا . والبغدادى يقول أنه لم ير هذا البيت إلا فى هذا الشرح ، كما سيأتى .

(٢) عجزه كما فى تصحيف العسكرى ٢٩٠ والدرر اللوامع ١ : ١٨٣ واللسان (عوض) وما سيأتى فى ص ١٤٣ :

* ووجه غلامٍ يسترى وغلامه *

وجاء فى اللسان : « يشترى » مصحفا ، والوجه ما ورد فى كتاب التصحيف ، حيث أورده العسكرى فى سياق تفسير المستراة فى قول الأعشى :

فقد أطبى الكاعب المسترا ة فى خدرها وأشيع القمارا

قال : وأنشدنا أبو بكر :

ولكنكم غنم تسترى ويترك سائرها للذهاب

استريت الشيء : اخترت سراته . وأنشد البيت .

ومنه تعلم سقوط قول الجوهرى فى الصحاح : لا يجوز أَنْ تقول عوضُ ما فارقتك .

وقد تبع صاحبَ الصحاح جماعةٌ منهم الزمخشريّ ، قال (فى المفصَّل) : وقطُّ وعوض ، وهما لِزمانَي المضىّ والاستقبال على سبيل الاستغراق ، ولا يستعملان إلَّا فى موضع النفى .

ومنهم صاحب اللباب ، وعبارته عبارة المفصَّل بعينها .

وهذا البيتُ لم أَره إلَّا فى هذا الشرح ، ولم أَقف على قائله ولا على شعره .

من اسمه عفاق

وعِفاق بكسر العين المهملة بعدها فاء : اسم جماعةٍ ، منهم عِفاق بن المُسَيْح ، بضم الميم وفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية ، ابن بشر بن أَسماء بن عوف بن رياح بن ربيعة بن غوث بن شَمْخ بن فزارة الفزارى . وكان عِفاق على شرطة الخميس مع علىّ بن أَبى طالب . وكانوا يُعرَضون يوم ٢٠٦
الخميس ، أَو يُجمَعون يوم الخميس .

عفاق بن مرى

والمشهور ممن اسمه عِفاق هو عِفاق بن مُرَىّ – بضم الميم وفتح الراء وتشديد الياء – ابن سَلمة بن قُشَير القُشيرى . كان جاور باهلة فى سنةِ قحط ، فأَخذه الأَحدب بن عمرو بن جابر بن عمّار [١] بن عبد العُزَّى الباهلى ، فشواه وأَكله . وله يقول الشاعر [٢] :

إنَّ عفاقًا أَكلتْه باهلَهْ تمشَّشوا عِظامَه وكاهِلَه

* وتركوا أُمَّ عِفاقِ ثاكله *

(١) فى جمهرة ابن حزم ٢٤٥ : « عمارة » .

(٢) الرجز ورد بلون نسبة أيضا فى جمهرة ابن حزم واللسان (عفق) .

وعيَّر الفرزدق كفَّهم عن باهلة حين لم يثأروا به ، فقال :

إذا عامرٌ خُصيَتَيْ عِفاق تقلَّدَتْ   بأعناقها واللؤْمُ تحتَ العمائمِ (١)

وقال غيره :

فلو كان البكاءُ يردُّ شيئا   بكيتُ على بُجيرٍ أَوْ عِفاقِ
على المرأين إذْ هلَكا جميعا   لشأنهما بشجوٍ واشتياقِ (٢)

وهذا من شواهد النحويين ، أورده أبو على (فى المسائل المنثورة) وقال : « على المرأين » بدل من قوله : « على بجير » .

وأورده صاحب اللباب على أنَّ أو بمعنى الواو ، فى قوله : « أو عفاق » ولولا أنها بمعنى الواو لقيل على المرء . والمشهد : مصدر شهدت المجلس ، أى حضرته . وهوت قال صاحب المصباح : هوَى يهوِى من باب ضرب أيضًا هُويًّا بضم الهاء لا غير ، إذا ارتفع . قال الشاعر (٣) :

* يَهوِى مخارمَها هُوِىَّ الأجدلِ (٤) *

و (هوت) العقاب تهوى هويًّا بفتح الهاء وضمها : انقضَّت على صيد أو غيره مالم تُرغْه ، فإذا أراغته قيل أهوت له بالألف . والإراغة : ذَهاب الصيدِ هكذا وهكذا وهى تتبعُه . وهَوى يهوى من باب ضرب أيضًا هُويًّا بضم

(١) ديوان الفرزدق ٧٩٨ .
(٢) فى اللسان (عفق) :
هما المرءان إذ ذهبا جميعا   لشأنهما بحزن واحتراق
(٣) هو أبو كبير الهذلى . ديوان الهذليين ٢ : ٩٤ وشرح السكرى ١٠٧٤ .
(٤) صدره :
* وإذا رميت به الفجاج رأيته *

الهاء وفتحها ، وزاد ابن القوطية هَواءً بالمد : سقط من أَعلى إلى أَسفل . قاله أَبو زيد وغيره . قال الشاعر (١) :

* هوىَّ الدَّلوِ أَسلَمَها الرِّشاءُ (٢) *

وهوَى يهوِى : مات أَو سقط فى مَهواةٍ من شَرَف ، هُوِيًّا وهَوِيًا ، وهَواءً بالمد . والمهواة بالفتح : ما بين الجبلين ، وقيل الحفرة . والهُوَّة بالضم : الحفرة ، وقيل الوهدة العميقة . انتهى .

و (عنقاء) : مؤنَّث أَعنق ، وهى الطويلة العنق . قال الصاغانى (فى العباب) : العنقاء : الداهية ، يقال حلَّقت به عنقاءُ مُغْرب ، وطارت به العنقاء . وأَصل العنقاء طائرٌ عظيم معروفُ الاسم ، مجهول الجسم . وقال أَبو حاتم (فى كتاب الطير) : وأَمَّا العنقاء المُغْرِبة فالداهية ، وليست من الطير التى علمناها . يقال : ضربَتْ عليه العنقاءُ المغْرِبة ، إذا أَصابه بلاء . وقال ابن دريد : عنقاءُ مغربٌ كلمةٌ لا أَصلَ لها ، يقال إِنها طائر عظيم لا يُرى إِلَّا فى الدُّهور ، ثم كثُر حتَّى سمَّوا الداهيةَ عنقاءُ مُغْرِب . قال :

ولولا سليمانُ الخليفةْ حَلَّقتْ به من يدِ الحجّاج عنقاءُ مغرِبُ (٣) . اهـ

و (مُغْرِب) : اسم فاعل من أَغرب الرجلُ فى البلاد ، إذا بعُد فيها بإمعان ، وهو وصف عنقاء . وإنَّما جاز لأَنَّه على النسبة أَى ذات إغراب . وقال الصاغانى فى هذه المادة : وعنقاء مغرِب بلا هاء . والعنقاء المغرب : الدَّاهية ، وأَصلها طائر معروف الاسم مجهول الجسم ، ويقال لهذا الطائر

(١) هو زهير بن أبى سلمى . ديوانه ٦٧ .

(٢) صدره :

* فشج بها الأماعز وهى تهوى *

(٣) اللسان (عنق ١٤٩) وشروح سقط الزند ٥٥٣ .

بالفارسية « سِيمَرْغ » ، هكذا يكتبونه موصولًا ، والأصل أن يكتب : « سى مرغ » مفصولًا ، ومعناه ثلاثون طائرًا . يقال حلَّقت به عنقاءُ مغرب ، ٢٠٧
وطارت به العنقاء المغرب . أنشَدَ أبو مالك :

وقالوا : الفتى ابنُ الأشعريَّةِ حلَّقت   به المغربُ العنقاءُ إنْ لم يسدَّدِ

وقال : العنقاء المغرب فى هذا البيت هى رأس الأكمة . وأنكر أن يكون طائرًا . والذى قال العنقاء المغرب طائر قال : هى التى أغربَتْ فى البلاد فنأت ولم تُحَسَّ ولم تُرَ . وحذفت هاء التأنيث كما قالوا : لِحْيَةٌ ناصل ، وناقة ضامر ، وامرأة عاشق ، ذهبوا بها إلى النسب ، أى ذات نُصول ، وذات ضُمْر ، وذات عِشق . وأغرب فى البلاد : أمعن فيها . وأغرب الرجلُ فى منطقه ، إذا لم يُبق شيئًا إلّا تكلَّم به . وأغرب الفرس فى جريه ، وهو غاية الإكثار منه . وأغرب الرجل ، إذا بالغ فى الضَّحك حتّى تبدوَ غروبُ أسنانه . انتهى .

وكذلك أجاب الزمخشرى (فى أمثاله) عن تذكير الوصف قال : ومُغْرب كقولهم : لحية ناصل ، وناقة ضامر ، على مذهبى الخليل وسيبويه .

وبهذا يُجاب ابن هشام فى سؤاله عن صحَّة الوصف بمغرب فإنّه قال فى بعض تعليقاته : لُينظَر فى عنقاء مغرب ، لم ذكِّر الوصف وعنقاء فعلاء ، وفعلاء مؤنَّث دائما . ويسقط جوابُ عبد الله الدَّنوشرىّ بأنَّه إنّما لم تطابق الصفةُ الموصوفَ فى التأنيث اعتبارًا بالمعنى ، إذ هى بمعنى الطائر . ووجه السُّقوط أنَّ العنقاء أكثر استعمالها بمعنى الداهية ، وهى مؤنثة لفظًا ومعنى .

وقال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : ذكر الفارسى أنَّه يقال عنقاءُ مغرب ، على الصفة وعلى الإضافة ، حكاه (فى التذكرة) . وقال غيره : من جعل مغربا صفة لعنقاء فهى التى لها إغرابٌ (١) فى الطَّيران . ويقالُ مغرِبة ، ذكره أبو حاتم وصاحب العين . ومن أضاف العنقاء إلى المُغْرِب فالمغرب الرَّجلُ الذى يأْتى بالغرائب ، يقال أغرب الرَّجل ، إذا أَتى بالغرائب . انتهى .

فتأمَّل معنى الإضافة .

وفى القاموس : والعنقاء المُغربُ بالضم ، وعنقاء مُغرِبٌ ومُغْرِبةٌ ومغربٍ مضافة ، طائر معروف الاسم لا الجسم ، أَو طائر عظيم يُبعِدُ فى طيرانه ، أَو من الأَلفاظ الدالة على غير معنى ، والداهية ، ورأْس الأَكمة . انتهى .

فالمغرب ومغرب وصفٌ للعنقاء ، وعنقاء ، تعريفًا وتنكيرًا ، بالتأْويل المذكور . ومغربة وصف لعنقاء منكَّرًا ، والوصف مطابق . وأَمَّا عنقاء مغرب بإضافة عنقاء إلى مغرب ، فالظاهر أَنه من إضافة الموصوف إلى الصفة . وينبغى أَن يكون هذا بفتح الميم ، فإنَّه نقل صاحب (حياة الحيوان) عن بعضهم أَنَّ العنقاء طائر عند مغرب الشمس أَبيض ، له بيضٌ كالجبال . وعلى هذا لا إشكال ، وتكون الإضافة من قبيل شهيد كربلاء . وأَما قوله : « من الأَلفاظ الدالة على غير معنى » ، وهى عبارة الدميرى أَيضًا ، فقدْ عَسُر فهمُه على بعض الفضلاء ، لأَنَّ الجمع بين قوله « الدالة » وقوله على « غير معنًى » ،

---

(١) ط : « غرب » ، والوجه ما أثبت من ش مع أثر تصحيح .

كالجمع بين الضبّ والنُّون . فلو قال من الأَلفاظ التى لا معنَى لها كان واضحًا وأُجيب بأَنَّ فى عبارته صفة محذوفة ، أَى على غير معنى خارجىّ . وقال الزمخشرى (فى أَمثاله) عند قولهم : « طارت به عَنْقاء مغرب » : زعموا أَنَّها طائر كان على عهد حَنظلة بن صفوان الحِميرىّ ، نبىِّ أَهل الرَّسِّ ، عظيمُ العنق . وقيل كان فى عنقه بياض ، ولذلك سمِّىَ عنقاء . وكان أَحسن طائر خلقه الله ، فاختطف غلامًا فأَغرب به ، ولذلك سمِّى المُغْرِب ، فدعا ٢٠٨
عليه حنظلة فرُمِىَ بصاعقة . انتهى .

وقال الدَّميرى (فى حياة الحيوان) : هو طائر غريبٌ تبيض بَيضًا كالجبال ، وتبعد فى طيرانها ، سمِّيت بذلك لأَنَّه كان فى عنقها بياض كالطَّوق .

وقال القزوينى : إِنَّه أَعظم الطَّير جثَّة ، وأَكبرها خِلقة ، تخطف الفيل كما تخطف الحدأَةُ الفأْر ، وكانت قديمًا بين الناس فتأَذَّوْا منها إِلى أَن سَلبت يومًا عروسًا بِحَليها ، فدعا عليها حنظلة النبىُّ فذهب الله بها إِلى بعض جزائر البحر المحيط ، وراءَ خط الاستواء ، وهى جزيرةٌ لا يصل إِليها الناس ، وفيها حيوان كثير كالفيل والكركند (١) والجاموس والبَبْر والسِّباع ، وجوارح الطيرِ . وعند طيرانها يُسمع لأَجنحتها دوىٌّ كدوىّ الرعد القاصف والسَّيل ، وتعيش أَلفَىْ سنة ، وتُزاوِج إِذا مضى لها خمسُمائة عام .

وقال العكبرى (فى شرح المقامات) : كان لأَهل الرَّسِّ جبلٌ

---

(١) وكذا فى حياة الحيوان ٢ : ٢٢٩ عن القزوينى . وصححها الشنقيطى بخطه « الكركدن » . وضبط صاحب القاموس الكركدن ، بتشديد الدال وتخفيف النون وقال : « والعامة تشدد النون » . ونحوه فى اللسان عن ابن الأعرابى .

شامخ (١) ، فيه طيور شتّى منها العنقاء ، وهى طائر عظيم الخَلْق ، طويل العنق ، ووجهه وجه إنسان ، من أُحسن الطير شكلًا . وكانت تأْكل الطَّير ، فجاءت مرّة فأَخذت صبيًّا ثم جارية ، فاشتكوها لنبيِّهم حنظلة بنِ صفوان ، فدعا عليها حنظلة فذهبتْ وانقطع نسلها . وقيل أَصابتها صاعقة فاحترقت .

وكان حنظلة فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ (٢) . وسمِّيت العنقاءَ لطول عنقها .

وقيل : إِنَّها كانت فى زمن موسى . وقيل : إِنَّ النبىَّ الذى دعا عليها خالدُ بن سِنان . وفى المثل : « كالعنقاء تَسمَع بها ولا تُرَى » ، كالغول . والمراد عدم رؤيتها بعد الانقراض المذكور .

وسمِّيت مُغْربا بزنة اسم الفاعل من أَغرب ، لأَنَّها كانت تجىء بالغرائب . وقد وقع استعمالها فى هذا المثل بدون الوصف ، ومنه يُعلم جواز استعمالها بدون الوصف . كقول الشاعر :

لمَّا رأَيت بنِى الرمان وما بِهمْ ... خِلٌّ وفىٌّ للشَّدائد أُصطفِى
فعلمت أَنَّ المستحيل ثلاثةٌ : ... الغولُ والعنقاءُ والخِلُّ الوفى

وكان القاضى الفاضل ينشد كثيرًا :

(١) فى حياة الحيوان : « جبل يقال له فخ ، صاعد فى السماء قدر ميل » .

(٢) إلى هنا ينتهى نقل الدميرى عن شرح المقامات للعكبرى . وبعده فى الدميرى : « وذكر غيره أن الجبل يقال له فتح . وسميت عنقاء لطول عنقها » . ويبدو أن البغدادى ينقل هنا عن شرح العكبرى للمقامات غير متقيد بنقل الدميرى عنه .

وإذا السعادة أحرستك عيونها نَمْ فالمخاوف كلُّهنَّ أمانُ (١)
واصطدْ بها العنقاءَ فهى حِبالةٌ واقتَدْ بها الجوزاءَ فهى عِنانُ

وقال غيره :

الخِلُّ والغول والعنقاءُ ثالثةٌ أسماءُ أشياءَ لم تُوجد ولم تَكن (٢)

وبه يضمحلُّ قول بعضهم : إنَّ هذا الشعر ليس بتركيب صحيح ، لعدم وصف العنقاء .

وقال : ظاهر كلامهم انحصار الاستعمال فيما ذكر ، فلا يقالِ العنقاء بلا وصف ، ولا يوصف بغير ما ذكر ، ولا يقال أيضًا عنقاء منكَّرًا بلا وصف . هذا كلامه .

ولا يخفى أنَّ الوصف ليس بلازمٍ ، عرِّفتْ أو نُكِّرت . وأما عدم الوصف بغيرِ الإغراب فلأنَّها لايعلم من حالها غير هذا ، لكونها مجهولة عند الناس . ولو عرف شئٌ من أحوالها غيرُ الإغراب لوُصفَتْ به . والله أعلم .

وذكر الدَّميرى أنَّ العقاب تسمَّى عنقاء مغرب لأنَّها تأْتى من مكانٍ بَعيد . وبهذا فسِّر قول أبى العلاء المعرىّ : ٢٠٩

أرى العنقاءَ تكبُر أن تُصادا فعانِدْ من تُطيق له عنادا (٣)

* * *

(١) كذا فى النسختين ، والوجه : « لاحظتك عيونها » كما فى حياة الحيوان للدميرى .
(٢) فى النسختين : « الجود والغول » . وفى حياة الحيوان فى رسم (العنقاء) : « الجود والعنقاء ثالثة » لكن فى رسم (الغول) : « الغول والخل والعنقاء » . فوجهه هنا ما أثبت .
(٣) شروح سقط الزند ٥٥٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الخمسمائة (١) :

٥٢١ (رضيعَىْ لِبانٍ ثدْىَ أُمٍ تقاسَما بأَسحَـمَ داجٍ عَوْضُ لانتفـــرَّقُ)

على أن أكثر ما تُستعمل (٢) (عوض) مع القسم ، أى تكون من متعلّقات جواب القسم ، فعَوْض متعلّق بنتفرّق ، أى لا نتفرّق أبدا .

فإن قلت : لا النافية مع جواب القسم لها الصَّدر ، تمنع من عمل ما بعدها فيما قبلها ، فكيف تعلَّق عوض بما بعد لا الواقع جوابًا لتقاسما ؟

قلت : أجازه ابن هشام فى آخر النوع الثانى عشر من الجهة السادسة من الباب الخامس (من المغنى) : قال : وأمَّا قوله تعالى : ﴿ ويقولُ الإنسانُ أئذا مامِتُّ لسَوْفَ أُخرَجُ حَيًّا (٣) ﴾ فإنَّ (٤) إذا ظرف لأُخرَجُ ، وإنَّما جاز تقديم الظرف على لام القسم لتوسُّعهم فى الظروف . ومنه قوله : « عوضُ لانتفرَّق » ، أى لانتفرَّق أبدًا . ولا النافية لها الصَّدر فى جواب القسم . انتهى .

وظاهر كلام الشارح هنا جوازه ، لكنَّه شرَط – عند الكلام على حروف القسم من حروف الجر – لجواز تقدُّمه ، أن تكون الجملة القسمية (٥)

---

(١) جمل الزجاجى ٨٧ والخصائص ١ : ٢٦٥ والاقتضاب ٣٩٠ والإنصاف ٤٠١ وابن يعيش ٤ : ١٠٧ ، ١٠٨ والمغنى ١٥٠ ، ٢٠٩ ، ٥٩١ والهمع ١ : ٢١٣ وديوان الأعشى ١٥٠ .

(٢) فى النسختين : « ما يستعمل » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الآية ٦٦ من مريم .

(٤) فى النسختين : « ان » ، والوجه هنا ما أثبت من المغنى ٥٩٠ .

(٥) الكلام بعده إلى كلمة « القسمية » التالية ساقط من ش .

ولأجل إفادة عوض فائدة القسم قد يقدَّم على عامله قائمًا مقام الجملة القسمية ، وإن كان عامله مقترنًا بحرف يمنع عمله فيما تقدَّمَه ، كنون التوكيد ، وما . يقال : عوض لآتينك [(١)] لغَرَضٍ سدّه مسدَّ القسم [(٢)] . هذا كلامه .

واعترض الدمامينى كلام ابن هشام بأنَّه نصَّ فى فصل إذا ، على أنَّ التوسعَ فى الظرف بالتقديم فى مثل قوله :

* ونحن عن فضلك ما استغنَيْنا [(٣)] *

خاصٌّ بالشعر ، فكيف ساغ له تخريج الآية على ذلك ؟

وقال ابن هشام فى الكلام على عوض : قيل إنَّها ظرف لنتفرّق . واستشكله الدمامينى هناك بأنَّ لا مانعةٌ من العمل . ثم نقل كلام الشارح المحقق فى حروف القسم وقال : فيمكن أن يكون لا نتفرَّق جواب قسم محذوف ، وعوض سدّ مسدّه . لكنه خلاف الظاهر ، لأنَّ جملة القسم مذكورة . وأجاز التعلُّقَ ابنُ يعيشَ (فى شرح المفصل) من غير شرط ، قال : أكثر استعمال عوض فى القسم ، تقول : عوض لا أُفارقك ، أى لا أُفارقك أبدًا ، وقوله عوض لا نتفرق ، أى لا نتفرق أبدًا . انتهى .

وكذلك أجازه ابن جنى وشارح اللباب وغيره . وهو الصحيح ،

---

(١) فى شرح الرضى ٢ : ٣١٧ : فيقال عوض لآتينك وعوض ما آتيك .

(٢) وكذا فى شرح الرضى . وفى ش : « لعرض سده مسد القسم » .

(٣) لعامر بن الأكوع فى السيرة ٧٥٦ وشرح شواهد المغنى ١٠٠ من مقطوعة أولها :

* والله لولا الله ما اهتدينا *

وانظر المغنى ٩٨ ، ٢٦٩ ، ٣١٧ ، ٥٣٩ ، ٦٩٤ .

ويؤيِّده قول الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) : اعلم أنَّه إذا كان معمول جواب القسم ظرفًا ، أو جارًّا ومجرورًا ، جاز تقديمه عليه كقوله : عوض لانتفرق . وإلَّا فلا يجوز فى : والله لأَضربنَّ زيدا ، أن يقال : والله زيدًا لأضربنّ .

وجعلُ الشارح المحقق عوض ظرفًا فى نحو البيت هو الصحيح . وزعم بعضهم أنَّ عوض فيه اسم صَنَمٍ ، قَسَمٌ ، وجملة لا نتفرق جوابه .

قال ابن هشام (فى المغنى) : واختلف فى قول الأعشى :

رضيعى لبان ثدىَ أُمٍّ .... البيت

فقيل ظرف لنتفرق . وقال ابن الكلبى : قسم ، وهو اسم صنَم كان لبكر بن وائل ، بدليل قوله :

حلفتُ بمائراتٍ حَولَ عَوضٍ وأَنصابٍ تُركْنَ لدى السُّعَيرِ [١]

٢١٠ والسُّعير : اسم صَنمٍ كان لعنَزَة . انتهى »

ولو كان كما زعم لم يتَّجه بناؤه فى البيت . انتهى كلام ابن هشام .

ووجهه أنَّ الشاعر حلف بالدماء المائرات ، أى الجاريات على وجه الأرض حولَ عوض . ومن عادة المشركين كانوا يذبحون ذبائح لأصنامهم ، فلولا أنَّ عوضا صنَمٌ لما ذُبح له شىءٌ ، ولما حُلِف بالدماء التى حوله تعظيمًا له . ويدلُّ أيضًا على كونه صنمًا ذكره مع السُّعير ، وهو بالتصغير كما فى القاموس

---

(١) البيت لرشيد بن رميض ، كما فى اللسان (سعر) . وقد ضبط السعير فى اللسان بالقلم بفتح السين وكسر العين ، والصواب أنه بالتصغير كما فى معجم البلدان . وقال صاحب التاج : « وغلط من ضبطه كأمير . نص عليه صاحب العباب » .

وغيره ، خلافًا لما يُوهمه كلام الصحاح .

والبيت قائله رُشَيد بن رُمَيض ، بالتصغير فيهما ، العنزى . كذا فى العباب للصاغانى . وزاد بعده : صاحب الشاهد

(أَجُوبُ الأَرضَ دهرًا إثر عمرٍو ولا يُلقَى بساحتِه بَعيرِى)

وقال : البيت مُسانَد .

وما نقله ابن هشام عن ابن الكلبى مسطورٌ كذلك فى الصحاح فى عوض . وقد راجعت كتاب الأَصنام لابن الكلبى ، وهو أَبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، فلم أَر فيه ذِكْر عوض ولا ذَكَر صنمًا لبكر بن وائل ، مع أَنَّه ذكر أَصنام القبائل وسببَ عبادتها ، وكيف أَزالها النبىُّ — صلى الله عليه وسلم — وهو كتابٌ جيِّد فى بابه ، جمع فيه فأَوعى . وكذا لم أَر له ذِكرًا (فى كتاب أَيمان العرب) تأْليف أَبى إسحاق إبراهيم [1] بن عبد الله النَّجِيرَمى ، جمع فيه أَلفاظ أَيمانهم بأَصنامهم وغيرها . وهو أَيضًا كتابٌ لعباداتهم [2] جيِّد فى بابه .

والمذكور فى كتاب الأَصنام إنَّما هو السُّعَير وحدَه لا مع عوض ، قال : وكان لعنزة صنم يقال له سُعَير ، فخرج ابن أَبى حُلاسٍ [3] الكلبى على

(١) ط : « ابن اسحاق بن إبراهيم » ش : « ابن إسحاق إبراهيم » وإنما هو أُبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الله ، كما فى معجم الأدباء ١ : ١٩٨ وبغية الوعاة ١٨١ . وكان معاصرا لكافور الإخشيدى وله معه قصة مشهورة . ونسبته إلى النجيرم ، بفتح النون والجيم ، أو بفتحها وكسر الجيم ، مع فتح الراء فيهما ، وهى بليدة مشهورة دون سيراف مما يلى البصرة ، وكتابه « أيمان العرب » مطبوع بتحقيق محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٣ .

(٢) ط : « لمعابراتهم » ش : « لعباراتهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى الأصنام ٤١ : « فخرج جعفر بن أبى خلاس » . وفى معجم البلدان : « جعفر بن خلاس » .

ناقته ، فمرَّت به وقد عَتَرتْ عنده عَنَزَة (١) فنفرت ناقته منه فأنشد يقول :

نفَرَتْ قَلوصى من عتائرَ صُرِّعت حولَ السُّعير تَزُوره آبنَا يَقدُمِ (٢)
وجموعُ يذكر مُهطِعِينَ جَنَابَهُ ما إن يُحير إليهم بتكلُّـــمِ

قال أبو المنذر : يقدُم ويذكُر ابنا عنزة . فرأى بنى هؤلاء يطُوفون حول السُّعير . انتهى .

وذكر ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وفى أبيات الجمل) وتبعه اللخمى وغيره كالصَّاغانىّ ، أنَّ عوضًا كان صنمًا لبكر بن وائل . ولم يُسنِده إلى أحد ، وقال : أصله أن يكون ظرفًا ، ثم كثر حتَّى أجرَوْه مجرى ما يقسَم به وأحلُّوه محلَّه . وقال الصاغانى : قال الليث : عوض كلمة تجرى مجرى القسم ، وبعض الناس يقول : هو الدهرُ والزمان . يقول الرجل لصاحبه : عوض لا يكون ذاك أبدًا . فلو كان عوض اسمًا للزمان لجرى بالتنوين ، ولكنَّه حرف يراد به القَسم ، كما أنَّ أجَلْ ونَعم ونحوهما مما لم يتمكَّنْ فى التصريف حُمل على غير الإعراب . انتهى .

والقول بأنَّه حرفٌ لا اسمٌ واهٍ جدًا . وقول ابن هشام لم يتَّجه بناؤه فى البيت ، يريد أنَّه فيه مبنىّ على الضم بناءَ الظروف المقطوعة عن الإضافة . ولو كان اسمًا للصنم كما زعم لأُعربَ كما أُعرب فى قوله :

---

(١) فى الأصنام : « وقد عترت عنزة عنده » . وفى معجم البلدان : « وقد عترت عتيرة عنده » . وفى ش مع أثر تصحيح : « وقد عترت عنده عتيرة » . وما أثبت من ط يقارب ما فى الأصنام ، ويتلاءم مع نص الشعر .

(٢) أى أبناء يقدم ، بوصل همزة القطع . وفى معجم البلدان : « يزوره » .

* حلفت بمائرات حولَ عوضٍ *

وكان الواجب حينئذ جرَّه بواو القسَم ، لأنَّه عند هذا القائل مُقْسَم به . وجملة لا نتفرق جوابه ، والإعراب منتفٍ ، فينتفى كونه اسمًا ويثبت (١) ظرفيَّته للجواب ، والجوابُ إنَّما هو لِتقاسما .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : روى قول الأعشى « عوضُ لانتفرق » بالفتح والضم ، أى لا نتفرق أبدًا . وذهب الكوفيون إلى أنَّ عوض ههنا قسم ، وأنَّ لا نتفرق إنَّما هو جوابه . وليس الأمر عندنا كذلك ، وإنما قوله لا نتفرق جوابُ تقاسما ، كقوله تعالى : ﴿ تقاسَمُوا باللهِ لَنُبَيِّتَنَّه (٢) ﴾ . أى تحالفا على ذلك . انتهى .

وكذلك قال العسكريُّ (فى كتاب التصحيف) : إنّه ظَرف ، قال · قرأت على أبى بكر بن دريد :

فلم أر عامًا عوضُ أكثرَ هالكًا ووجهَ غلامٍ يُستَرى وغُلامَه (٣)

عوض اسم معرفة ، وهو اسمٌ للدهر يضم ويفتح . والبصريون يقولونه بالضم . ومثلُه قول الأعشى : « عوض لا نتفرق » ... البيت ، أى لا نتفرق الدَّهرَ .

وبما ذكرنا من وجوب إعرابه يعرف ضعفُ الوجوه الثلاثة التى قالها ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وأبيات الجُمَل) . وتبعه اللخمى ،

(١) ش : « وتثبت » بنقطتين فوق التاء ونقطتين تحتها لتقرأ بالتاء والياء معا .

(٢) الآية ٤٩ من سورة النمل .

(٣) سبق فى ص ١٢٩ . ويسترى ، هى رواية العسكرى فى التصحيف ص ٢٩٠ . وفى النسختين : « يشترى » تصحيف .

قال : من جعل عوض اسمَ صنم جاز فى إعرابه ثلاثة أوجه :

أحدها أن يكون مبتدأ محذوف الخبر ، كأنّه قال : عوض قسَمُنا الذى نُقسِم به .

وجاز أن يكون فى موضع نصب على أنْ تقدِّر فيه حرف الجر وتحذفه ، كقولك : يمين الله لأفعلنّ .

ويجوز أن يكون فى موضع خفض على إضمار حرف القسم . وهو أضعف الوجوه . ومن اعتقد هذا لزمه أن يجعل الباء فى قوله بأسحم بمعنى فى . انتهى

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون [1] تقدّم أبياتٌ من أوّلها فى الشاهد الرابع بعد المائتين [2] من باب الحال ، وتقدّم أيضًا بعضُها من أوّلها فى الشاهد السابع والثمانين بعد الثلثمائة [3] من باب الضمير .

وهذه أبياتٌ مما يليها ، وهو أوّل المديح :

أبيات الشاهد

(لَعمرِى لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوءِ نار فى يَفاعٍ تحرَّقُ
تُشَبُّ لمقروريَنِ يصطليـانها ... وباتَ على النار النَدَى والمحلَّقُ
رضيعَىْ لِبانٍ ثدىَ أُمٍّ تقاسما ... بأسحَم داجٍ عوضُ لانتفرَّقُ
تَرى الجودَ يجرى ظاهرًا فوق وجهه ... كما زان مَتنَ الهِنْدُوانىّ رونقُ
يداهُ يدَا صدقٍ ، فكفٌّ مبيدةٌ ... وكفٌّ إذا ماضُنّ بالمال تُنفقُ

(١) ش : « لأعشى ميمون » ، وإنما الأعشى لقب له .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٥٢ - ٢٥٤ .
(٣) الخزانة ٥ : ٢٩١ - ٢٩٧ .

وأمّا إذا ما المحْلُ سرَّح مالَهم ولاح لهم وجهَ العشيات سَملق [١]
نفى الذَّمَّ عن آل المحلَّق جفنةٌ كجابية الشَّيخ العِراقىِّ تَفهَقُ
ترى القومَ فيها شارعينَ ودونهْم من القومِ وِلدانٌ من النَّسل دَردَق
يَروح فتَى صدقٍ ويغدو عليهمُ بملءِ جفانٍ من سَديف تَدفَّقُ)

وبقىَ بعد هذا أكثر من ثلاثين بيتًا [٢] .

روى شارح ديوانه محمد بن حبيب ، وصاحب الأغانى ، والرياشى وغيرهم : أنَّ الأعشى كان يُوافى سُوق عُكاظ فى كلِّ سنة ، وكان المحلَّق الممدوح واسمه عبد العزَّى بن حَنتم [٣] بن شدّاد ، من بنى عامر بن صعصعة ، مئناثًا مُملِقًا ، فقالت له امرأته : يا أبا كلاب ، ما يمنعك من التعرُّض لهذا الشاعر فما رأيتُ أحدًا مدَحه إلَّا رفعه ، ولا هجا أحدًا إلَّا وضعَه ، وهو رجل مفوَّه مجدود الشِّعر ، وأنت رجلٌ كما علمتَ خاملُ الذكر ، ذو بَنات ، فإن سبقتَ الناسَ إليه فدعوتَه إلى الضيافة رجوتُ لك حسنَ العاقبة . قال : ويحكِ ما عندنا إلَّا ناقةٌ نعيش بها . قالت : إنَّ الله يُخْلفها عليك . قال : لابدَّ له من شراب . قالت : إنَّ عندِى ذخيرَة لى ، ولعلِّى ٢١٢
أجمعها ، فتلقَّهُ قبل أن تُسبَقَ إليه . ففعل وخرج إلى الأعشى . فوجد ابنَه يقود

(١) لم يرد هنا ولا فى ديوان الأعشى ١٥٠ بيت يكون فيه جواب « أما » صريحا . وجوابها مفهوم من سياق الشعر بعده ، أى فإنه يكون بادى الكرم . أو نحو ذلك .

(٢) يعنى بعد ما ذكره فى الخزانة من قبل وبعد ما ذكره هنا . والقصيدة عدة أبياتها اثنان وستون بيتا .

(٣) فى الأغانى ٨ : ٧٧ : « عبد العزيز بن خيثم » تحريف . وما فى الخزانة يطابق ما فى القاموس (حلق) .

ناقته ، فأخذ زمامها منه ، فقال الأعشى : مَن هذا الذى غلبنا على خِطام ناقتنا ؟ قيل : المحلّق . قال : شريفٌ كريم . وقال لابنه : خلِّه يقتادها . فاقتادها إلى منزله فنحر له ناقته ، وكشفَ له عن سَنامها وكبِدها [١] ، ووجد امرأته قد خبزت خبزًا وأخرجتْ نِحْىَ سمن ، وجاءَت بوطب لبن ، فلما أكل الأعشَى وأصحابُه ، وكان فى عصابةٍ قيسيَّة ، قدَّم إليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة ، وأطعمه من أطايبها ، فلما أخذه الشرابُ سأله عن حاله وعياله ، فعرف البؤسَ فى كلامه ، وأحاطت به بناتُه يَغمِزنه ويَمسَحْنه فقال : ما هذه الجوارى حولى ؟ قال : بنات أخيك ، وهنَّ ثمان [٢] . قال : أما والله لئن بقيتُ لهنَّ لا أدعُ شريدتهنَّ قليلة [٣] . وخرج ولم يقل فيه شيئًا . ووافى المحلّق عكاظ فإذا هو بسَرحةٍ قد اجتمع الناسُ عليها ، وإذا الأعشى يقول :

* لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة *

إلى آخر القصيدة . فسلَّم عليه المحلّق فقال : مرحبًا بسيِّد قومه : ونادى : يا معاشر العرب ، هل فيكم مذكار يزوّج ابنه ببناتِ هذا الشريف الكريم ؟ فما قام من مَقعدة حتَّى خُطِبتْ بناته جميعًا .

وقوله : « لعمرى لقد لاحت » إلخ اللام لام ابتداء تفيد التأكيد ، وعمرى مبتدأٌ وحذف خبره وجوبًا ، أى عمرى قَسمى . ومعنى لاحت :

---

(١) فى الأغانى : « وكشط له عن سنامها وكبدها » .

(٢) ط : « وهى ثمان » ، وما أثبت من ش مع أثر تصحيح يطابق ما فى الأغانى . وفى الأغانى : « وهن ثمان شريدتهن قليلة » بسقوط ما بعدها من كلام إلى كلمة « قليلة » .

(٣) ط : « لأدع شريدهن قليلة » ش : « لأدع شريدتهن قليلة » ، والوجه ما أثبت .

نظرت وتشوَّفت إلى هذه النار . حكى الفراء لُحْت الشىءَ ، إذا أبصرته . وأنشد :

وأحمر من ضَرْب دارِ الملوك تلوح على وَجهِه جُعفرَا (١)

كذا (فى شرح أبيات الجمل لابن السِّيد) . واليَفاع ، بالفتح : الموضع العالى . وجعل النار فى يَفَاع لأنَّه أشهر لها ، لأنَّها إذا كانت فى اليفاع أصابتها الرياح فاشتعلت . وهذه النَّار نارُ الضِّيافة ، كانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة لتكون أشهر ، وربَّما يوقدونها بالمندلىّ الرَّطب – وهو عطر يُنسَب إلى مَنْدَل ، وهو بلد من بلاد الهند – ونحوِهِ ممّا يتبخَّر به ليَهتدىَ إليها العُميان . وأشعارُهم ناطقة بذلك .

ونيران العرب (على ما فى الأوائل لإسماعيل الموصلى) اثنتا عشرة نارًا : نيران العرب

إحداها : هذه ، وهى نار القِرَى ، وهى نار توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل . وأوّل من أوقد النار بالمزدلفة حَتَّى يراها من دَفَع من عرفة قُصىُّ بن كلاب.

الثانية : نار الاستمطار ، كانت العرب فى الجاهلية الأُولى إذا احتبس عنهم المطرُ يجمعون البقر ، ويَعقِدون فى أذنابها وعراقيبها السَّلَع والعُشَر ، ويَصعدون بها فى الجبل الوَعْر ، ويُشعلون فيها النار . ويزعمون أنَّ ذلك من أسباب المطر .

الثالثة : نار التحالف ، كانوا إذا أرادوا الحِلف أوقدوا نارًا وعَقدوا

(١) رواية السيوطى عن ابن برى فى الأشباه والنظائر ٤ : ٨٧ : « وأصفر » . ثم ساق تخريج ابن برى لروايتى « تلوح » و « يلوح » أيضا . وقد نقل الرواية وتخريج ابن برى صاحب التاج فى (لوح) عن السيوطى .

حِلفَهم عندها ، ودَعَوْا بالحرمان والمنع من خيرِها على من ينقضُ العهد ويحلُّ العَقد .

الرابعة : نار الطَّرْد ، كانوا يوقدونها خلف من يمضى ولا يشتهون رجوعه .

الخامسة : نار الأُهْبة للحرب ، كانوا إذا أَرادوا حربًا وتوقَّعوا جيشًا أُوقدوا نارًا على جبلهمْ ليبلغَ الخبرُ فيأْتونهم .

السادسة : نار الصَّيد ، وهى نار توقد للظِّباء لتعشَى إذا نظَرتْ . ويُطلب بها أَيضًا بيضُ النعام .

السابعة : نار الأَسَد ، وهى نارٌ يوقدونها إذا خافوه . وهو إذا رأَى النار ٢١٣
استهَالها ، فشغلتْه عن السَّابلة . وقال بعضهم : إذا رأَى الأَسد النار حدَث له فِكرٌ يصدُّه عن إرادته . والضِّفدعِ إذا رأَى النار تحيَّر وترك النقيق .

الثامنة : نار السَّليم ، توقَد للملدوغ إذا سُهر ، وللمجروح إذا نُزِف ، وللمضروب بالسِّياط ، ولمن عضَّه الكلْبُ الكَلب ، لئلَّا يناموا فيشتدَّ بهم الأَمر ويؤدِّىَ إلى الهلاك .

التاسعة : نار الفداء ، وذلك أَنَّ الملوك إذا سَبَوْا القبيلة خرجَتْ إليهم السَّادة للفداء . فكَرِهوا أَن يَعرِضوا النساء نهارًا فيفتضحن ، وفى الظُّلمة يخفى قدر ما يحبسون (١) لأَنفسهم من الصفىِّ (٢) ، فيُوقدون النار لِيُعرَضْن .

---

(١) ش : « قد ما يحبسون » .

(٢) الصفى : ما يختاره الرئيس لنفسه من المغنم ، والمراد هنا ما يختار من السبايا . ومنه حديث عائشة « كانت صفيةُ من الصفايا » ، تعنى صفية بنت حيى ، كانت من غنيمة خيبر .

العاشرة : نار الوسم . قرَّبَ بعض اللصوص إبلًا للبيع فقيل له : ما نارك (١) ؟ وكان أغار عليها من كلِّ وجه . وإنَّما سئل عن ذلك لأنَّهم يَعرِفون مِيسم كلِّ قوم ، وكرمَ إبلهم من لؤمها . فقال :

تسألنى الباعةُ أينَ نارُها إذ زعزَعَتْها فسَمَتْ أبصارُها (٢)
كلُّ نجارِ إبلٍ نجارُها وكلُّ نار العالَمِينَ نارُها

الحادية عشرة : نار الحَرَّتَين ، كانت فى بلاد عبس . فإذا كان الليلُ فهى نارٌ تسطع ، وفى النهار دُخانٌ يرتفع . وربما نَدَرَ منها عنق (٣) فأحرق من مرَّ بها . فحفر لها خالدُ بن سنان فدفنها ، فكانت معجزةً له .

الثانية عشرة : نار السَّعالِى ، وهو شىء يقع للمتغرِّب والمتقفِّر . قال أبو المِضراب (٤) عُبَيد بن أيُّوب :

ولله دَرُّ الغولِ أىُّ رفيقة لصاحِبِ دوٍّ خائِفٍ متقفِّرِ (٥)
أرنَّتْ بلحن بعد لحن وأوْقَدَتْ حوالَىَّ نِيرانًا تَبُوحُ وتَزْهَرُ

---

(١) فى الحيوان ٤ : ٤٩١ : « قرب بعض اللصوص إبلا من المواشة ، وقد أغار عليها من كل جانب وجمعها من قبائل فقربها إلى بعض الأسواق فقال له بعض التجار : ما نارك ؟ » .

(٢) الرجز فى الحيوان ٤ : ٤٩٢ وأمثال الميدانى ٢ : ٧٤ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٠ ونهاية الأرب ١ : ١١٢ .

(٣) ط : « بدر منها عنق » ، صوابه فى ش . وفى الحيوان ٤ : ٤٧٦ : « وربما ندرت منها العنق » . ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة ، والعنق يذكر ويؤنث .

(٤) كذا فى النسختين ، وفى اللآلى ٣٨٣ عن القالى : « أبو المطراد » وقال : « والمحفوظ فى كنيته أبو المطراب بالباء » . وقد وردت « أبو المطراب » فى الحيوان ٤ : ٤٨٢ / ٥ : ١٢٣ والشعراء ٧٨٤ واللآلى ٣٨٤ .

(٥) فى اللآلى : « خائف يتستر » وبذلك ينتفى الإقواء بين البيتين فقط . لكنهما من أبيات ستة فى الحيوان ٦ : ١٦٥ ، خمسة منها رويها مكسور .

وأما نار الحُباحِب [١] فكلّ نارٍ لا أَصل لها ، مثل ما ينقدح [٢] من نعال الدواب وغيرها .

وأما نار اليَراعة فهى طائرٌ صغير إذا طار باللّيل حسِبتَه شِهابا ، وضَرْبٌ من الفَرَاش إذا طار بالليل حَسِبته شَرارًا .

وأوَّل من أورى نارَها أَبو حُباحِب بن كلب بن وَبْرة بن تغلب بن حُلوان بن عمرو بن الحافِ بن قضاعة ، فقالوا : نار أَبى حُباحب .

ومن حديثه ما ذُكر عن ابن الكلْبىّ قال : كان أَبو حُباحب رجلًا من العرب فى سالف الدهر ، بخيلًا لا تُوقَد له نارٌ بليلٍ ، مخافةَ أَن يُقتبَس منها ، فإنْ أُوقَدَها ثم أَبصرها مستضِيءٌ أَطفأَها . فضربت العربُ به المثَل فى البخل والخُلْف فقالوا : « أَخلَفُ من نار أَبى حباحب » .

وقال ابن الشجرى (فى أَماليه) : حُباحِب : رجل كان لا ينتفَع بماله ، لبخله ، فنسب إليه كلُّ نار لا يُنتفع بها ، فقيل لِمَا تقدَحه حوافرُ الخيل على الصَّفا : نارَ الحُباحبِ . قال النابغة فى وصف السيوف :

* ويُوقِدْن بالصُّفَّاح نارَ الحُباحِبِ [٣] *

وجعل الكميت اسمه كنيةً للضرورة فى قوله :

---

(١) ويقال لها أيضًا « نار أبى الحباحب » كما فى الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٢) ط : « ما يقتدح » .

(٣) صدره كما فى ديوانه ٧ من مجموع خمسة دواوين :

* تقدُّ السلوق المضاعف نسجه *

يرى الراءُونَ بالشَّفَراتِ منها كنار أَبى الحُباحب والظُّبينا (١)

وقال القطامى :

أَلا إِنَّما نيرانُ قَيس إِذا اشْتَوَوْا

لطارقِ ليل مثلُ نار الحُباحب (٢). انتهى

وهذا هو التحقيق ، لا ماذكره الموصلى تبعًا للعسكرى (فى أَوائله) .

٢١٤ وزادَ الصفدى (فى شرح لامية العجم) : نارَ الغدر ، قال : كانوا إِذا غدر الرجلُ بجاره أَوقدُوا له نارًا بمنًى أَيامَ الحجّ ثم صاحوا : هذه غَدرةُ فلان !

وعدَّ نار المزدلِفة ، التى أَوّلُ من أَوقدها قصىٌّ ، قسمًا مستقلًا . وجعل عِدّة النيران أَربع عشرة نارًا .

وقال ابن قتيبة (فى أَبيات المعانى) فى نار التحالف : كانوا يحلفون بالنار ، وكانت لهم نارٌ يقال إِنَّها كانت بأَشراف اليمن (٣) لها سَدَنة ، فإِذا تفاقم الأَمر بين القوم فحُلِف بها انقطع بَيْنُهُمْ . وكان اسمها : هُولَة والمَهُولة . وكان سادنها إِذا أُتِىَ برجلٍ هيَّبَهُ من الحلف بها ، ولها قيِّم يطرح فيها المِلح

(١) أنشده فى التهذيب واللسان (شفر) بعد أن ذكر أن شفرات السيوف حروف حدها . وهو فى ديوان الكميت ٢ : ١٢٦ عن التهذيب ١١ : ٣٥١ . وعجزه فى جميعها :

* وقود أبى حباحب والظبينا *

(٢) ديوانه ٥٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٦٠ وثمار القلوب ٤٦٣ والمخصص ١١ : ٢٨ وأمثال الميدانى ٢ : ٨٦ واللسان (حبحب) . وفى الحيوان ٤ : ٤٨٧ : « إذا أشتوت » . وقيس تؤنث باعتبار القبيلة . ويروى : « إذا شتوا » أى أقاموا شتاء ، وقد سبقت فى ص ٩٠ . وهى الرواية الجيدة .

(٣) ط : « بأشواف » ، وأثبت ما فى المعانى الكبير ٤٣٤ . وفى ش : « بأسواق » . والمراد بالأشراف الأعالى .

والكبريت ، فإذا وقع فيها استشاطت وتنقَّضت [١] فيقول : هذه النار قد تهدَّدتك . فإن كان مُرِيبًا نَكَلَ ، وإن كان بريئًا حَلَف . قال الكميت :

هُمُ خوَّفونا بالعمى هُوَّة الرَّدَى كما شَبَّ نارَ الحالِفِينَ المهوِّلُ [٢]

وقال الكميت ، وذكر امرأةً :

فقد صرتُ عمًّا لها بالمشيـ ـبِ زَوْلًا لَدَيْهَا هو الأَزْوَلُ [٣]
كَهُولَةِ ما أَوقَدَ المُحْلِفونَ لدى الحالِفِينَ وما زوَّلوا [٤]

وقال أوس :

إذا استقبلته الشَّمسُ صدَّ بوجهه كما صَدَّ عن نار المهوِّلِ حالفُ [٥]

وقال أيضًا فى نار الأُهبة : كانوا إذا أَرادوا حرباً أَو توقَّعوا جيشاً وأَرادوا الاجتماع ، أَوقدوا ليلًا على جبل ، لتجتمعَ إليهم عشائرُهم ، فإذا جدُّوا وأَعجلوا أَوقدُوا نارَين .

وقال الفرزدق :

ضرَبوا الصنَّائعَ والملوكَ وأَوقـدوا نارَين أَشرفَتا على النِّيران [٦] . انتهى

---

(١) تنقضت ، بالقاف : صوتت .

(٢) الهاشميات ٦٩ ونهاية الأرب ١ : ١١١ . وقبله فى الهاشميات :

وما ضرب الأمثال فى الجور قبلنا لأجور من حكامنا المتمثل

وأراد بالعمى عمى البصيرة والجهل . وفى نهاية الأرب : « هم خوفونى » .

(٣) ديوان الكميت ٢ : ١٤ واللسان (زول) والتهذيب ١٣ : ٢٥١ والزول : العجب . وزول أزول مبالغة ، أى عجب عاجب . وفى النسختين : « زوالا » ، صوابه من اللسان والتهذيب والمعانى الكبير ٤٣٥ . قال ابن قتيبة : « يقول : صرت فى أعين النساء كذلك » .

(٤) المعانى الكبير ٤٣٥ والحيوان ٤ : ٤٧١ والتهذيب واللسان (هول) والبيان ٣ : ٧ وأيمان العرب للنجيرمى ٣١ .

(٥) ديوان أوس بن حجر ٦٩ واللسان والتهذيب والمقاييس (هول) والبيان ٣ : ٧ وأيمان العرب للنجيرمى ٣١ .

(٦) ديوان الفرزدق ٨٨٣ والحيوان ٤ : ٤٧٥ .

وقوله : « تحرّق » روى بالبناء للمفعول ، وروى بالبناء للمعلوم والمفعول مَحذوف ، أى الحطب .

وقوله : « تشَبُّ لمقرورين » إلخ أى تُوقد . والمقرور : الذى أصابه القرُّ ، وهو البرد . والاصطلاء : افتعال من صَلِىَ النارَ وصَلِىَ بها ، من باب تعب : وجَدَ حرَّها . والصِّلاء ككتاب : حَرّ النار . وقوله : « وبات على النار » إلخ بات له معنيان ، أشهرهما ما قاله الفراء ، بات الرجل إذا سمر الليل كلَّه فى طاعة أو معصية . وهو المراد هنا . والثاني بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواءٌ كان فى ليل أو نهار . والندى : الجود والكرم . والمحلَّق هو الملوح ، واسمه عبد العزَّى ، من بنى عامر بن صعصعة كما تقدم . وهو جاهلى . كذا فى أنساب ياقوت وغيره .

المحلق

وقال العسكرى (فى التصحيف) : المحلَّق الذى مدحه الأعشى مفتوح اللام ، هو اسمه ، وهو المحلَّق بن جَزْء ، من بنى عامر بن صعصعة . والمحلَّق الضبّى ولَّاه الحكم بن أيوب الثَّقفى سَفَوان بفتح اللام أيضًا ، قال فيه بعض الشعراء (١) :

أَبا يوسف لو كنت تعلمُ طاعتى ... ونُصحى إذًا ما بِعتَنى بالمحلَّق

وذكر أحمد بن حباب الحميرىّ ، أنَّ فى جُعفىٍّ فى مَرَّان منهم « المخلِّق » بخاء معجمة ولام مكسورة . انتهى .

وقد خالف الجمهورُ فى قوله إن المحلَّق اسمه . قالوا : إنَّ اسمه

(١) هو أبو نويرة بن الحصين ، وكان الحكم بن أيوب قد أخذه بذنب العطرق . الحيوان ١ : ٢٠ . وانظر تصحيف العسكرى .

٢١٥ عبد العُزَّى بن حَنْتم بن شدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد ، وهو أبو بكر ، ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وسمِّى محلَّقا لأنَّ فرسه عضَّه فصار موضعُ عضِّه كالحلْقة ، فقيل له المحلَّق [(١)] .

وقال ابن السِّيد (فى أبيات الجمل) : وسمِّى المحلَّق لأنَّ بعيرا عضَّه فى وجهه فصار فيه كالحلقة . وقيل : بل كوى نفسَه بكيَّةٍ شبهِ الحلْقة .

وزاد اللخمى : لأنَّه كان يأتي موضع الحِلَاقِ بمنًى .

وحكى الموصلى أنَّه أصابه داء فاكتوى على حَلقه فسمِّىَ المحلَّق .

وروى أبو عبيدة : المحلِّق ، بكسر اللام . وروى الأصبهانى بفتحها .

وقال بعض فضلاء العَجَم (فى شرح) [(٢)] .

وقال الجوهرىُّ : المحلِّق بكسر اللام : اسم رجل من بنى أبى بكر بن كلاب ، من بنى عامر . انتهى .

وكسر اللام خلاف الصَّحيح . وهذا قول الأمير ابن ماكولا ، نقله عن النسَّابة حسن ، ابن أخى اللبن . قال الأمير : وحنتم بحاء مهملة مفتوحة بعدها نون ساكنة ثم مثناة فوقية . والمحلَّق كان سيِّدًا فى الجاهلية ، وهو الذى مدحه الأعشى .

وقال الكلبى (فى جمهرة الأنساب) : المحلَّق هو عبد العزَّى بن حنتم

(١) الكلام بعده إلى كلمة « فى شرح » ساقط من ش .

(٢) إلى هنا ينتهى سقط ش الذى لم يبيض له ، بل الكلام فيها متصل إلى مبدأ قوله : « وقال الجوهرى » . وفى المطبوعة بعد كلمة « فى شرح » بياض بقدر سطرين .

ابن شدّاد بن ربيعة المجنون بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كان سيّدًا وذا بأس فى الجاهلية ، وله يقول الأعشى :

* وبات على النار النّدى والمحلَّقُ *

وله حديث . وكان الأعشى نزل به فأمرته أُمُّه فنحر للأعشى ناقة ولم يكن له غيرها . انتهى .

قال ابن السِّيد (١) : لمَّا كان من شأْن المتحالِفينَ أَن يتحالفوا على النار ، جعل النَّدى والمحلَّق كمتحالفين اجتمعا على نار . وذكر المقرورين لأَنَّ المقرورَ يُعْظِم النار ويُشعِلها لشدة حاجته .

وقد أَخذ أَبو تمام الطائى هذا المعنى وأَوضحه فقال فى مدحه الحسنَ ابنَ وهب :

قد أَثقب الحسنُ بن وهب فى الندى   نارًا جلَتْ إنسانَ عينِ المجتلى
موسومةً للمهتدى ، مأْدومةً   للمُجْتدى ، مظلومةً للمصطلى (٢)
ما أَنت حين تُعدُّ نارًا مثلها   إلا كتالى سورةٍ لم تُنزَلِ . اهـ

وقال اللخمى : كانَ الناس يستحسنون هذا البيت للأعشى ، حتى قال الحطيئة :

(١) فى الاقتضاب ٣٩١ . وقد تصرف البغدادى بعض التصرف فى النقل .

(٢) فى الديوان ٢٣٣ :

مأروثة للمجتلى ، موسومة   للمهتدى ، مظلومة للمصطلى

مأروثة : موقدة مذكاة .

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره   تجدْ خيرَ نار عندها خيرُ مُوقِدِ

فسقط بيت الأعشى . انتهى .

وهذا مأخوذٌ من الأوائل للعسكرى والموصلى .

وأورد صاحبُ الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ أو أجدُ على النَّارِ هُدًى (١) ﴾ ، واستشهد به على أَنَّ معنى الاستعلاء فيها أَنَّ أهلَ النار يستعلون المكانَ القريب منها ، كما قال سيبويه فى مررت بزيد : إنَّه لصوقٌ فى مكان يقرب من زيد . أو لأَنَّ (٢) المصطلين بها إذا تكنَّفوها قيامًا وقعودًا كانوا مشْرِفين عليها .

وكذلك أورده ابن هشام (فى المغنى) قال : أحد معانى على الاستعلاء ، إمّا على المجرور وهو الغالب ، نحو : ﴿ عليها وعَلى الفُلْكِ تُحمَلون (٣) ﴾ أو على ما يقرب منه نحو : ﴿ أو أجدُ على النارِ هُدًى ﴾ أى هاديًا ، وقوله :

* وبات على النار الندى والمحلَّقُ *

وأورده فى الباء الموحدة أيضًا وقال : أقول إنَّ كلًّا من الإلصاق
٢١٦ والاستعلاء إنَّما يكون حقيقيًّا إذا كان مُفْضيا إلى نفس المجرور ، كأمسكت بزِيد ، وصَعِدت على السَّطح . فإنْ أَفضَى إلى ما يقرب منه فمجازىٌّ ، كمررت بزيد ، فى تأويل الجمهور (٤) ، وكقوله :

---

(١) الآية ١٠ من سورة طه .

(٢) ش : « ولأن » وما أثبت من ط يطابق ما فى الكشاف ٢ : ٢١ وفيه : « أو لأن المصطلين بها والمستمتعين بها » .. إلخ .

(٣) الآية ٢٢ من المؤمنون وكذا ٨٠ من غافر . وحذف واو « وعليها » للاقتباس ، وهو أمر جائز . انظر حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص لكاتبه ص ٤٩ .

(٤) فى المغنى ص ١٠٠ : « فى تأويل الجماعة » .

* وبات على النار النَّدى والمحلقُ *

وقوله : (رضيعَىْ لِبان) إلخ هو مثنَّى رضيع ، قالوا : رضيع الإنسان (١) : مُراضِعه . قال التّبريزى (فى شرح ديوان أبى تمام) : إذا كانت المفاعلة بين اثنين جاء كلُّ واحدٍ منهما على فعيل كما جاء على مفاعل ، كقعيد للذى يقاعدُك وتقاعده ، ونديم بمعنى مُنادم ، ورضيع وجليس ، بمعنى مراضع ومجالس . انتهى .

وإليه أشار الجوهرى بقوله : « وهذا رضيعِى كما تقول أُكيلى » . وكذلك قال صاحب المصباح : راضعته مراضعة ، وهو رضيعى . وفى (عمدة الحفَّاظ للسَّمين) : وفلان رضيع فلان أى رضيعٌ معه . وأَنشد هذا البيت ونسبه للنابغة . وهو سهو .

وفعيل هذا لا يعمل النصب . قال الشارح المحقق فى أبنية المبالغة : « وأمَّا الفعيل بمعنى الفاعل ، كالجليس ، فليس للمبالغة ، فلا يعمل اتفاقًا (٢) » . فإضافة رضيعَىْ إلى لبان ليس من الإضافة إلى المفعول به المصرَّح (٣) ، بل هو مفعولٌ على التوسُّع بحذف حرف الجر ، لأنَّه يقال رضيعُه بلبان أُمِّه ، فحذف الباء فانتصب لبان وأُضيف إليه الوصف .

و (ثدى) بالجر بدل من لبان ، وعلى رواية النصب بدل أيضًا بتقدير مضافٍ مجرور فيهما ، أى لبان ثدى ، فلما حذف المضاف انتصب . أو هو منصوب على نزع الخافض ، أى من ثدى أُمّ . ولا يجوز الإبدال على محل

---

(١) ط : « الأسنان » ، صوابه فى ش .
(٢) شرح الرضى ٢ : ١٨٨ .
(٣) أى الصريح . وفى ش : « المسرح » ، غريب .

لبان (١) لأنَّ شرطه كالعطف على المحلّ إمكانُ ظهور ذلك المحلّ فى الفصيح . لا يجوز مَثلًا : مررت بزيد وعمرًا ، خلافًا لابن جنى ، لأنَّه لا يجُوز : مررت زيدًا . فأمَّا قوله :

* تمُرُّون الديارَ ولم تَعُوجوا (٢) *

فضرورة .

وغفل بعضُ من شرح (دُرّة الغواص) عن عدم عملِ فعيل المذكور ؛ فقال فى شرحه : وثدى منصوب برضيعى ، ولا حاجة لتقدير مِن كما قيل ، لأنَّ رضيع متعدٍّ بنفسه . هذا كلامه ، مع أنَّه قال رضيع لا يكون إلَّا بمعنى مراضع .

ولا مانع عندى أن يكون هنا بمعنى راضع ، وتكون المشاركة من التثنية ، بل هذا هو الجيِّد ، إذ لو كان رضيع هنا بمعنى مُراضِع لما ثنَّى ، ولكان المناسب أن يقول :

* رضيع النَّدى من ثدى أُمٍّ تقاسما *

وعليه يسهل إعراب البيت ، فيكون رضيعَىْ مضافًا إلى مفعوله لأنَّه ماض ، واسم الفاعل الماضى تجب إضافته إلى ما يجيء بعده ممّا يكون فى المعنى مفعولًا ، فيكون « ثدى أُمٍّ » بَدَلًا من لبان بتقدير مضاف مجرور ، والأَصل رضيعى لبانِ لبانِ ثدى أُمٍّ ، أَوْ يكون بدلًا من لبانٍ على المحلّ ، على

---

(١) ش : « على المحل » .

(٢) من الشواهد النحوية المشهورة . وهو لجرير ، وسيأتى فى ٦٧١ بولاق . وعجزه :

* كلامكم على إذن حرام *

قول من لا يشترط المحرز الطالب لذلك المحلّ . وفعيل قد وضع بالاشتراك تارةً لفاعل وتارة لمفاعل ، والقرينة تعيّن ، وهى هنا التثنية .

وقال الأندلسى (فى شرح المفصل) : رضيع فعيل للمبالغة . وعليه فيكون عامِلًا عملَ فعله .

وقد ذهب ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وأبيات الجمل) إلى ما ذكرنا ، قال : لك أن تجعل الرضيع بمعنى الراضع ، كقولهم قدير بمعنى قادر ، فيكون متعدِّيا إلى مفعول واحد . وإن شئت جعلته بمعنى مرضع كقولهم : رُبٌّ عقيدٌ ، بمعنى مُعْقَد ، فيتعدَّى إلى مفعولين . ومن ٢١٧ خفض ثدى أُمّ جعله بدلًا من لبان (١) ، ومن نصبه أبدله من موضعه ، لأنَّه فى موضع نصب . ولابدَّ من تقدير مضاف فى كلا الوجهين ، كأنَّه قال : لبان ثدى أُمّ . وإنما لزم تقدير مضاف لأنَّه لا يخلو من أن يكون بدلَ كلٍّ أو بدل بعض أو بدل اشتمال ، فلا يجوز الثانى ، لأنَّ الثدى ليس بعض اللبان ؛ ولا الثالث ، لأنَّ الأوَّل يشتمل على الثانى (٢) ، وذلك لا يصح هاهنا . وقد ذهب قوم إلى أنَّ الثانىَ ، هو المشتمل على الأوّل ، وذلك غلط ، فلم يبق إلَّا أن يكون بدل كل (٣) . والثدى ليس اللبان ، فوجب أنْ يقدَّر لبان ثدى . ويجوز أن يكون ثدى أُمّ مفعولا سقط منه حرف الجر ، كقولك : اخترت زيدًا الرجال . انتهى .

---

(١) فى الاقتضاب ٣٩٢ : « من لفظ اللبان » .

(٢) فى الاقتضاب : « لأن معنى قولنا بدل اشتمال أن يكون الأول يشتمل على الثانى » .

(٣) الاقتضاب : « أن يكون بدل الشىء من الشىء وهما لعين واحدة » ، فى هذا الموضع وسابقه .

وتعقَّبه اللخمى بأنَّه قيل : إن اسم الفاعل هنا بمعنى المضىّ ، فلا يعمل عند البصريين ، وإن انتصاب ثدى إنَّما هو على التمييز ، لأنَّه يحسن فيه إدخال من المقدَّرة فى التمييز . ويحتمل أن يكون منصوبًا بإضمار فعلٍ دلَّ عليه رضيع ، والتقدير : رَضِعا ثدى أُمّ ، كقوله تعالى : ﴿ وجاعلُ الليل سَكنًا والشمسَ والقمرَ حُسبانا (١) ﴾ . وهذا إنَّما يكون على أن تجعل رضيعَىْ خبرًا لبات لا حالًا . انتهى كلامه .

وقال بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصل) : ثدى بدل من محلّ لبان ، فى تقدير : رضيعين لبانا ثدىَ أُمٍّ ، وهو بدل اشتمال . وقيل ثدى أُمٍّ منصوب على إضمار رضِعا ، بدلالة رضيعى .

وتبعه الكَرْمانى (فى شرح أبيات الموشح) . وفيه أنَّ الوصف ماضٍ ، وأنَّ بدل الاشتمال لابدّ له من ضمير .

والجيِّد فى نصب رضيعى أن يكون على المدح .

وجوَّز ابنُ السِّيد واللخمى غيرَ هذا : أن يكون حالا من الندى والمحلَّق ، ويكون قوله « على النار » خبر بات . وأن يكون خبر بات وعلى النار حالا . وأن يكونا خبرين .

أقول : أمَّا الأول ففيه مع ضعف مجىء الحال من المبتدأ المنسوخ فسادُ المعنى ، لأنَّه يقتضى أن يكونا غير رضيعين فى غير بياتهما على النار ، وجَودة المعنى تقتضى أنَّهما رضيعان مُذ وُلدا .

وأمّا الأخيران ففيهما قبح التَّضمين الذى هو من عيوب الشعر ، وهو توقُّف البيت على الآخر . ويَرِدُ هذا أيضًا على جعله حالا من الندى والمحلق ،

---

(١) الآية ٩٦ من الأنعام . وفى ط : « وجعل » ، وهذه قراءة عاصم وحمزة والكسائى . والباقون : « وجاعل » . إتحاف فضلاء البشر ٢١٤ .

وعلى جعله بدلًا من مقرورين ، وعلى جعله صفة له .

حكى هذه الثلاثة بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) . وجوَّز هذه الثلاثة شارح أبيات الموشح ، مع تجويز كونه خبرًا لبات . قال : وعلى هذه الأوجه خبر بات قوله تقاسما .

وهذا تعسُّف ؛ فإنَّ تقاسما جواب مقدَّر نشأ من قوله : وبات على النار الندى والمحلق ، والخبر هو على النار .

و (اللِّبان) بكسر اللام ، قال الأندلسى : هو لبن الآدمى . قيل ولا يقال له لبن إنَّما اللبن لسائر الحيوانات . وليس بصحيح ، لأنه قد جاء فى الخبر : « اللَّبنُ للفَحْل » أى للزوج . نعَمْ اللِّبان فى بنى آدم أكثر . انتهى .

وكذلك قال ابن السِّيد : روى عن رسول الله – ﷺ – « أنَّ لبن الفحل محرِّم » كما اتفق عليه الفقهاء . وفسَّروه بأنَّ الرجل تكون له امرأة تُرضِع بلبنه ، فكل من أرضعته حرَّمته عليه وعلى ولده . والصحيح أنَّه يقال : اللبان للمرأة خاصّة ، واللبن عام .

وقال الحريرى (فى درة الغواص) تبعا لابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : يقولون لرضيع الإنسان : قد ارتضع بلبنه ، وصوابه ارتضع بِلِبانه ، لأنَّ اللبن المشروبُ ، واللِّبان مصدر لابنه أى شاركه فى شُرب اللبن . وهذا هو معنى كلامهم الذى نَحَوْا إليه . وإليه أشار الأعشى فى قوله :

* رضيعَىْ لبانٍ ثدىَ أُمٍّ تقاسما *

البيت . انتهى .

٢١٨ وقد تقدم الكلام على اللِّبان فى الشاهد الثالث والتسعين بعد الثلثمائة [1] .

وقد أخذ معنى هذا المصراع وبسَطه الكميتُ ، فى مدح مَخْلد بن يزيد ، وقال :

تَرى الندى ومَخْلدًا حليفيْنْ كانا معًا فى مَهدِه رضيعَيْنْ

* تنازعا فيه لِبانَ الثَّديينْ *

وفيه لُطْفُ بلاغةٍ لجعلهما أخوين من جنسٍ واحد .

و (تقاسما) : تفاعلا من القَسَم ، أى أقسم كلٌّ منهما لا يفارق أحدُهما الآخر . وروى بدله (تحالفَا) من الحَلِف وهو اليمين . والباء فى قوله : (بأسحم) داخلةٌ على المقسم به . وقد اختُلف فى معناه : قال ابن السيد : فيه سبعة أقوال :

أحدها : هو الرماد ، وكانوا يحلفون به . قال الشاعر [2] :

حَلفت بالمِلْح والرماد وبالنّـ ـارِ نُسْلِـم الحَلَقَـهْ
حَتَّى يظلَّ الجوادُ منعفرًا وتَخضِبَ النَّبلُ غرّة الدَّرقَهْ [3]

ثانيها : هو الليل .

ثالثها : هو الرَّحِم .

رابعها : هو الدم ، لأنهم كانوا يغمسون أيديَهم فيه إذا تحالفوا .

حكى هذه الأقوال الأربعةَ يعقوب ، وحكى غيره ، وهو الخامس أنَّه

---

(١) الخزانة ٥ : ٣٣٢ .

(٢) البيتان أنشدهما الجاحظ فى البيان ٣ : ٨ مسبوقين بقوله « وقال الأول » . وأنشدهما ابن منظور فى اللسان (حلق) شاهدا على فتح لام الحلقة المستعملة فى حلقة القوم .

(٣) وكذا فى البيان . لكنها وردت محرفة فى اللسان برواية : « ويخضب القيل عروة الدرقه » .

حلمه الثدى . وقيل ، وهو السادس : زِقُّ الخمر . وقيل وهو السابع : دماء الذبائح التى كانت تُذبَحُ للأَصنام . وجعله أَسحم لأَنَّ الدم إِذا يبس اسودَّ .

وأَبعَدُ هذه الأَقوال قول من قال إِنَّه الرماد ، لأَنَّ الرماد لا يُوصَف بأَنه أَسحم ولا داجٍ ، وإِنَّما يوصف بأَنه أَورق . انتهى .

وقال أَحمد بن فارس : الأَسحم : الأَسود . والأَسحم فى قول الأَعشى :

* بأَسحم داج *

هو الليل ، وفى قول النابغة :

* بأَسحم دانٍ (١) *

هو السحاب ، وقول زهير :

* بأَسحَم مِذود (٢) *

هو القرن . ويقال بأَسحم داجٍ ، أَى فى الرحم . انتهى .

وقال الحريرى (فى الدرة) : عنى بالأَسحم الداجى ظلمة الرحم المشار إليها فى قوله تعالى : ﴿ يَخلقُكُمْ فى بُطونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلقٍ فى ظُلُماتٍ ثَلاث (٣) ﴾ . وقيل بل عنى به الليل . وعلى كلا هذين التفسيرين

(١) البيت بتمامه فى ديوان النابغة لابن السكيت ٧٣ :

عفا آيه ريح الجنوب مع الصبا
وأسحم دان مزنه متصوب

وكذا فى اللسان (سحم) . وانظر المقاييس (سحم) . وفيهما : « بأسحم دان » .

(٢) وكذا فى المقاييس (سحم) ، وهو بتمامه فى الديوان ٢٢٩ واللسان (سحم) :

نجاء مجد ليس فيه وتيرة
وتذبيبها عنه بأسحم مذود

(٣) الآية ٦ من سورة الزمر .

فمعنى تقاسما فيهما أى تحالفا . وقد قيل إنَّ المراد بلفظة تقاسما اقتسما ، وإن المراد بالأسُحم الداجى الدمُ . وقيل المراد بالأَسْحم اللبنُ لاعتراض السُّمرة فيه ، وبالداجى الدائم . انتهى .

ولا وجه لتفسير تقاسَمَا ، باقتسما ، على تفسير الأَسحم بأَحد المعنيين الأَخيرين . وكيف يصحّ تفسير الداجى بالدائم مع أَنَّه من الدُّجية وهو الظلام . وقال الجوهرى : قيل هو الدم ، وقيل الرحم ، وقيل سواد حلمة الثدى ، وقيل زِقُّ الخمر .

وقوله : (عوض) هو ظرفٌ مقطوع عن الإضافة متعلّق بما بعده . وجملة (لا نتفرق) جواب القسم ، وجاء به على حكاية لفظ المتحالفين الذى نطقا به عند التحالف ، ولو جاء به على لفظ الإخبار عنهما لقال لايفترقان . وزعم ابن السِّيد ، وتبعه اللخمى ، أَنَّه يجوز مع كون عوض ظرفا أَن يكون عوض مقسَما به ، والباء فى أَسحم بمعنى فى . وهذا فاسد ، لأَنَّه كان يجب حينئذ إعرابه وجرُّه بحرف القسم .

قال الأَندلسى : لا يجوز أَن يكون عوض اسم صنم ، لتقدُّم المقسم به قبله ، ولبنائه ، وأَيضًا لا يجوز حذف حرف القسم عند ذِكر الفعل .

وعليه اقتصر الخوارزمى ، نقله عنه ابن المستوفى قال : عنى بأَسحم داج الليل ، وهو ليس بالمقسم به ، إنَّما هو ظرف بمنزلة أَن تقول : تقاسَمَا فى ليلٍ داج يكون تآلفهما فيه واستئناسُ كلٍّ منهما بصاحبه أَكثر . وقال صاحب ٢١٨
العين : عوض كلمة تجرى مجرى القسم ، فعوض على هذا القول معناه حلَفا بالدَّهر لا نتفرَّق ، فحذف حرف القسم ونصب المقسم به ، كما فى قولك : اللهِ لأَفعلنَّ . هذا كلامه .

وفيه أنَّ حرف القسم لا يحذف مع ذكر الفعل .

وقال ابن السِّيد : ومن اعتقد أنَّ عوض اسم صنم لزمه أن يجعل الباءَ فى قوله بأسحم بمعنى فى . ويعنى (١) بالأسحم الليل أو الرحم . ولا يجوز أن تكون الباء فى هذا الوجه للقسم ، لأنَّ القسم لم يقع بالأسحم ، إنما وقع بعَوض ، الذى هو الصَّنم . انتهى .

ويُعَرف وجهُ ردِّه مماَّ ذكرنا .

وقوله : « وأمَّا إذا ما المحل » إلخ المحْلُ : انقطاع المطر ويُبس الأرض من الكلأ . وسَرَّح مالَهم ، أى أطلقها وفرَّقها . والمال عند العرب : الإبل والبقر والغنم . والسَّملق ، كجعفر : القاعُ الصَّفصَف .

وقوله : « نَفَى الذَّمَّ » إلخ هو جواب إذا . والجفنة ، بالفتح : قَصْعة الطَّعام فاعل نفى . والجابية بالجيم ، قال الجوهرى : هى الحوض الذى يُجبَى فيه الماء للإبل . وأنشد البيت . وتفْهَق ، قال المبرد (فى أول الكامل) : من قولهم : فَهِقَ الغدير يفْهَق ، إذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضعُ مزيد . قال الأعشى :

نفى الذم عن رَهط المحلِّق جفنة .... البيت

هكذا ينشده أهل البصرة ، وتأويله عندهم أنَّ العِراقىَّ إذا تمكَّن من الماء ملأ جابيته ، لأنَّه حضرىٌّ فلا يعرف مواضعَ الماء ولا محالَّه . وسمعت أعرابيَّة تُنشِد « كجابية السَّيح » بإهمال الطرفين ، تريد النهر الذى يجرى على جابيته ،

(١) ط : « يعنى ».

فماؤها لا ينقطع ، لأَنَّ النهر يَمُدُّه . انتهى .

وقال ابن السِّيد (فى حاشيته على الكامل) : كان الأَحمر يقول : الشيخ تصحيف ، وإِنَّما هو السَّيح بالسين والحاء غير معجمتين ، وهو الماء الجارى على وجه الأَرض يذهب ويجىء . والجابية : الحوض ، وجمعه الجوابى . وكلُّ ما يُحبَس فيه الماء فهو جابية . وقيل أَراد بالشيخ العراقىّ كِسرى ، وحكاه أَبو عبيد فى كلامٍ ذكره عن الأَصمعى فى شرح الحديث . وخصَّ بالشيخ على تأْويل المبرد ، لأَنَّه قد جرَّب الأُمور وقاسى الخير والشر ، وهو يأْخذ بالحزم فى أَحواله . انتهى .

« ودردق » بدالين بينهما راء : الأَطفال ، يقال : ولِدانٌ دردق ، ودَرَادق . كذا فى العباب .

والسَّديف : شحم السَّنام . وتَدَفَّقُ أَصله تتدفق بتاءين .

والأَعشى شاعر جاهلى قد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين من أَوائل الكتاب [١] .

وقد روى صاحب الأَغانى سببَ هذه القصيدة على غير ما ذكرناه أيضًا .

وقد رَوى عن النَّوفلىِّ [٢] أَنَّ المحلَّق كانت له أَخواتٌ ثلاث ، لم يرغبْ أَحدٌ فيهن لفقرهنَّ وخموله . والتزويج إِنَّما كان لهنَّ لا لبناته . والله أَعلم .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

(٢) هو على بن محمد النوفلى . الأغانى ٨ : ٧٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٥٢٢ (لقد رأيتُ عجبًا مُذْ أَمْسَا)

على أن (أمس) غير منصرف ، مجرور بالفتحة ، والألف للإطلاق .

وهذا نصُّ سيبويه فى باب تغيير الأسماء المبهمة إذا صارت أعلامًا خاصَّة [٢] ، أوردته بطوله لكثرة فوائده :

وسألته رحمه الله ، يعنى الخليل ، عن أمس اسم رجل فقال : مصروف ، لأنَّ أمس ههنا ليس على الجرّ [٣] ولكنَّه لما كثر فى كلامهم وكان ٢٢٠
من الظروف تركوه على حالٍ واحدة ، كما فعلوا ذلك بأَيْنَ وكسَروه كما كسروا غاقِ ، إذْ [٤] كانت الحركة تدخله لغير إعراب ، كما أنَّ حركة غاق لغير إعراب . فإذا صار اسمًا لرجل انصرف ، لأنَّه قد نقلتَه إلى غير ذلك الموضع ، كما أنَّك إذا سمَّيت بغاق صرفته . فهذا يجرى مجرى هذا ، كما جرى ذا مجرى لا .

واعلم أنَّ بنى تميم يقولون فى موضع الرفع : ذهب أمسُ بما فيه ، وما رأيته مُذ أمسُ ، فلا يصرفون فى الرفع ، لأنَّهم عدلوه عن الأصل الذى هو عليه فى الكلام ، لا عمَّا ينبغى له أن يكون عليه فى القياس . ألَا ترى أنَّ أهلَ

---

(١) فى كتابه ٢ : ٤٤ . وانظر نوادر أبى زيد ٥٧ والجمل ٢٩١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٦٠ وابن يعيش ٤ : ١٠٦ ، ١٠٧ والشذور ٩٩ والعينى ٤ : ٣٥٧ والتصريح ٢ : ٢٦٦ ، ٣١٦ والهمع ١ : ٢٠٩ .

(٢) سيبويه ٢ : ٤٢ و ٣ : ٢٨٠ من نسختى .

(٣) فى سيبويه : « لأن أمس ليس هاهنا على الحد » ، أى ليس على حد الأسماء المبهمة .

(٤) كذا فى ش وسيبويه . وفى ط : « إذا » .

الحجاز يكسرونه فى كلِّ موضع ، وبنو تميم يكسرونه فى أكثر المواضع فى الجرِّ والنصب . فلمَّا عدلوه عن أصله فى الكلام ومجراه ، تركوا صرفه كما تركوا صرف أُخَر حين فارقت أخواتها فى حذف الألف واللام منها ، وكما تركوا صرف سحر ظرفًا . لأنَّه إذا كان مجرورًا أو مرفوعًا أو منصوبًا غير ظرف لم يكن بمنزلته إلَّا وفيه الألف واللام ؛ أو يكون نكرةً إذا أُخرجَتا منه . فلمَّا صار معرفة فى الظروف بغير ألف ولام ، خالف التعريف فى هذه المواضع ، وصار معدولًا عندهم كما عدلت أُخر ، فتُرك صرفه فى هذا الموضع كما ترك صرف أمس فى الرفع . وإنْ سمَّيت رجلًا بأمس فى هذا القول صرفته ، لأنَّه لا بُدَّ لك من أن تصرفه فى الجر والنصب ، لأنَّه فى الجر والنصب مكسورٌ فى لغتهم ، فإذا انصرف فى هذين الموضعين انصرف فى الرَّفع ، لأنَّك تدخله فى الرفع وقد جرى له الصَّرف فى القياس فى الجر والنصب ، لأنَّك لم تعدله عن أصله فى الكلام مخالفًا للقياس . ولا يكون أبدًا فى الكلام اسمٌ منصرفٌ فى الجر والنصب ولا ينصرف فى الرفع . وكذلك سحر اسم رجل تصرفه ، وهو فى الرَّجُل أقوى لا يقع ظرفًا ، ولو وقع اسمَ شيءٍ فكان ظرفًا صرفته وكان كأمس لو كان أمس منصوبًا غيرَ ظرف مكسورٍ كما كان . وقد فتح قومٌ أمس فى مُذْ لمَّا رفعوا وكانت فى الجرِّ هى التى تُرْفَع ، شبَّهوها بها . قال :

لقد رأيتُ عجبًا مُذ أمسا   عجائزًا مثلَ الأفاعى خَمْسا

وهذا قليل .

انتهى كلام سيبويه ، ونقلته من نسخة معتمدة مقروءة على مشايخَ

(١) كذا فى ش وسيبويه . وفى ط : « إذا » .

جِلَّة ، عليها خطوطُ إجَازاتهم ، منهم زيد بن الحسن بن زيد الكندى إمام عصره عربيّةً وحديثًا ، وتاريخ إجازته سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وهى نسخة ابن وَلَّاد تلميذ ثعلب والمبرد ، وتوفى بمصر فى سنة ثمان وتسعين ومائتين .

فما اعترض به الشارح المحقّق على الزجّاجى ، فى زعمه أنَّ أمس فى البيت مبنيّة على الفتح ، حقٌّ لا شُبهة فيه (١) .

وقد غلَّطه شراحه ، منهم ابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) قال : مذ أمسا جارٌّ ومجرور ، ومُذْ هنا حرفُ جر ، وهى بمنزلة فى ، كأنه قال : لقد رأيت عجبًا فى أمس ، والعامل فيها رأيت ، والفتحة فتحة إعراب ، وهى علامة الخفض كما تكون فيما لا ينصرف . وقد غلط أبو القاسم فيها وزعم أنَّها فى البيت مبنية على الفتح ، وإنَّما هى فى البيت على لغة بعض بنى تميم . وليس فى العرب من يبنيها على الفتح وهى مخفوضة بمذ ، ولكنَّها لا تنصرف عندهم للتعريف والعدل . وإنَّما دخل عليه الوَهَم من قول ٢٢١

(١) فى ش حاشية بخط ناسخها هنا نصها :

« قوله : فما اعترض به الشارح المحقق .. الخ . قلت : ليس بحق ، ولم ينفرد به الزجاجى . وقد أقره عليه جملة من الشروح ، وردوا من رد عليه . قال الخفاف : وقد أخذ على أبى القاسم (فى الأصل : ابن القاسم) ذكر بنائها على الفتح ، وقيل إنما هو إعرابه إعراب ما لا ينصرف . وليس كذلك ، فقد حكى الثلاثة الأوجه فى المنتخب لأبى إسحاق الزجاج (فى الأصل : الزجاجى) الذى نقل أبو القاسم منه . انتهى . قلت : نقل الأوجه الثلاثة الهروى فى الذخائر وأقرها ، وقال : إن البناء على الفتحة لغة لبعض تميم . وذكر الثعلبى فى شرح جمل الجرجانى مثله . ومثله فى شرح شواهد الجمل للأعلم وابن السيد البطليوسى . فتأمله . فعدم ذكر سيبويه له لا يدل على نفيه ، إذ ليس فى كلام سيبويه ما يدل على نفيه . والله أعلم » .

سيبويه : وقد فتح قومٌ أمس مع مذ لمَّا رفعوا وكانت فى الجر هى التى ترفع ، شبَّهوها بها . وأنشد البيت على ذلك . فتوهَّم أنه لما ذكر الفتح الذى هو لقبُ البناء أنَّه أراد أن أمس مبنيٌّ . ولو تأمَّل لبانَ له العذر فى ذكر الفتح هنا ، إذْ لايمكن أنْ تسمَّى الحركة التى يحدثها عامل الجرِّ نصبًا ، لأنَّها ليست للنَّصب ، إنَّما هى للجر . وسوَّى بين عمل الجارّ والناصب دلالة على ضعف الجارّ فيما لاينصرف ، ولم يسمِّها جرًّا استقلالًا لها ، لأنَّها لمَّا ضُمَّت إلى النصب صارت كأنَّها غير جرٍّ البتة . ألا تراه قال : وجميع ما لا ينصرف إذا أُدخلت عليه الألف واللام انجرّ وهو لم يزل مجرورًا ، إلَّا أنَّه جعل الجر المحمول على النصب غير جرّ . وإلَّا فالعوامل فى المنصرف وغير المنصرف واحدة . فاعلم ذلك . انتهى كلام اللخمى

وقال النحاس : قال سيبويه : قد فتح قوم أمس فى مذْ إلخ . هذا من كلام سيبويه مشكلٌ يحتاج إلى الشرح . وشَرَحه علىٌّ بن سليمان قال : أهل الحجاز على ما حكاه النحويُّون ، يكسرون أمس فى الرفع والنصب والخفض ، وبنو تميم يرفعونه فى موضع الرفع بلا تنوين ، يجعلونه بمنزلة ما لا ينصرف . وذلك أنَّه ليس سبيل الظرف أنْ يرفع لأنَّ الأخبار ليست عنه ، فلما أخبروا عنه زادوه فضلةً فأخرجوه من البناء إلى ما لا ينصرف ، فلمَّا اضطر الشاعر أجراه فى الخفض مجراه فى الرفع ، وقدَّر مذ هذه الخافضة ، وفتحه لأنه لا ينصرف . انتهى .

وقال الأعلم : الشاهد فيه إعراب أمس ومنعها من الانصراف ، لأنَّها اسمٌ لليوم الماضى قبل يومك معدول عن الألف واللام . ونظير جرِّها بعد مذ هھنا رفعُها فى موضع الرفع إذا قالوا : ذهب أمسُ بما فيه ، وما رأيته مذ

أمسُ ، وهى لغةٌ لبعض بنى تميم . فلمَّا رُفعت بعد مذ لأنَّ مذ يرتفع ما بعدها إذا كان منقطعًا ماضيًا ، جاز للشاعر أن يخفضه بعدها على لغة من جَرَّ بها فى ما مضى وانقطع ، لأنَّ مذ هذه الخافضة لأمس هى الرافعة له فى لغة من يرفع . وقد بيَّنت هذا وَكشفت حقيقتَه فى كتاب النُّكت . انتهى . ٢٢٢

وليس فى كلام سيبويه ما يدلُّ على أنَّه ضرورة . فتأمَّلْ .

وأمَّا ما وهَّم به الشارح المحقق الزمخشريَّ ، فقد يُمنع بأن يكون الزمخشريُّ ذهب إلى ما حكاه الكِسائى عن بعض بنى تميم ، بأنَّهم يمنعون صرف أمس رفعًا ونصبًا وجرًّا . ونقلَهُ أبو حيان (فى الارتشاف) . ويؤيِّده قول أبى زيد (فى النوادر) : قولُه مذ أمسًا ذهب بها إلى لغة بنى تميم ، يقولون : ذهب أمسُ بما فيه . وقال الجرمى (فيما كتبه على النوادر) : جعل مذ من حروف الجر ولم يصرف أمس ، فتح آخره فى موضع الجر ، وهو الوجه فى أمس [1] .

وأبو زيد من مشايخ سيبويه ، وإذا نقل عنه فى كتابه قال : « حدَّثنى الثقة » .

والشارح مسبوق بالتوهيم ، قال أبو حيان : اختلف النحاة فى إعراب أمس مطلقًا إعراب مالا ينصرف عند بعض تميم ، فذهب إلى إثبات ذلك ابن الباذش ، وهو قول ابن عصفور وابن مالك . وقال الأستاذ أبو علىّ : هذا

(١) فى النوادر ٥٧ : « ولم يصرف أمس ، ففتح آخره وهو فى موضع الجر . والرفع الوجه فى أمس » .

غلط ، وإنّما بنو تميم يعربونه فى الرفع ، ويبنون فى النصب والجر . انتهى .

والبيتان من رجز فى نوادر أبى زيد سمعه من العرب ، وأنشد بعدهما :

(يأْكلن مافى رَحلهنَّ هَمْسا لا ترك اللّهُ لهنَّ ضِرسا)

وقال : الهمس : أن تأْكل الشىء وأنت تخفيه .

وقوله « عجائزًا » نوّنه لضرورة الشعر ، قيل بيان لقوله عجبًا ، وقيل بدَلٌ منه . وهو جمع عجوز . قال ابن السكيت : العجوز : المرأة الكبيرة ، ولا تقل عجوزة ، والعامة تقوله . ومثل صفةٌ لعجائز ، وكذا قوله خمسا . والسَّعالى : جمع سِعلاة بالكسر ، ويقال أيضًا سِعلاء بالمد والقصر ، وهى أُنثى الغول ، وقيل ساحرة الجنّ . وروى أبو زيد وسيبويه بدله : « مثل الأَفاعى » جمع أَفعى ، وهى حيَّة يقال هى رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأْس ، لا تزال مستديرةً على نفسها ، لا ينفع منها تِرياق ولا رُقية . يقال هذه أَفعًى بالتنوين لأَنه اسمٌ وليس بصفة . كذا فى المصباح .

والرَّحل : المأْوى والمنزل ، وروى أَيضًا : « يأْكلن ما فى عِكْمهنَّ » والعَكم : العِدْل بكسر أَوّلهما

وجملة « لا ترك الله » إلخ دعائية . وزاد ابنُ السِّيد (فى أَبيات الجمل) بعد هذا :

* ولا لقينَ الدهرَ إلَّا تعسا *

وقال : التعس : السُّقوط على القفا . وزاد ابن هشام اللخمى :

(فيها عجوزٌ لا تُساوِى فَلْسا لا تأْكل الزُّبدةَ إِلَّا نهسا)

والبيت الشاهد من أَبيات سيبويه الخمسين التى ما عرف قائلها . وقال ابن المستوفى : وجدت هذه الأَبيات الثمانية فى كتاب نحوٍ قديم ، للعجاج أَبى رؤبة . وأَراه بعيدًا من نمطه . صاحب الشاهد

وقوله : « لا تأْكل الزُّبدة إِلَّا نهسا » ، أَى لا أَسنانَ لها ، فهى تنهسها . وهو إِغراقٌ وإِفراط . والنَّهْس : أَخذ اللحم بمقدَّم الأَسنان . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الخمسمائة (١) :

٥٢٣ (لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أَفْضَلْتَ فى حَسَبٍ
عَنِّى ولا أَنتَ ديَّانى فتَحْزُونى)

على أَنَّ أَصل (لاهِ ابنُ عمِّكَ) : للهِ ابنُ عمِّك ، فحذف لام الجر لكثرة الاستعمال ، وقدَّر لام التعريف ، فبقى لاه ابنُ عمك ، فبُنىَ لتضمُّن الحرف .

وصريحُه أَنَّ كسرة الهاء كسرة بناء ، وظاهر كلام المفصَّل أَنَّها كسرة إِعراب ، قال : وتضمر ، أَى باء القسم ، كما تضمر اللام فى : لاه أَبوك ؛ فإِنَّ المضمر يبقى معناه وأَثرهُ ، بخلاف المحذوف فإِنَّه يبقى معناه ولا يبقى أَثره . كذا حققه السيِّد عند قول الكشاف فى تفسير : ﴿ يَجْعَلُون

(١) مجالس العلماء للزجاجى ٧١ والخصائص ٢ : ٢٨٨ وابن الشجرى ٢ : ١٣ ، ٢٦٩ والإنصاف ٣٩٤ وابن يعيش ٨ : ٥٣/٦ : ١٠٤ والمقرب ٤٢ والمغنى ١٤٧ والعينى ٣ : ٢٨٦ والتصريح ٢ : ١٥ والأشمونى ٢ : ٢٣٣ والمفضليات ١٦٠ ، ١٦٢ .

أصابِعَهم (١) ﴾ ؛ لأَنَّ المحذوف باقٍ معناه (٢) وإن سقطَ لفظه .

قال ابن يعيش (فى شرحه) : اعلم أَنَّهم يقولون : لاهِ أَبوك ، ولاهِ ابنُ عمك ، يريدون : لله أَبوك ولله ابن عمك . قال الشاعر :

لاه ابنُ عمك لا أُفضلت فى حسب .... البيت

أَى لله ابنُ عمك ، فحُذفت لام الجر ولام التعريف ، وبقيت اللام الأَصلية . هذا رأْى سيبويه . وأَنكر ذلك المبرد ، وكان يزعم أَنَّ المحذوف لام التعريف واللام الأَصليَّة ، والباقية هى لام الجر وإِنَّما فتحت لئلا ترجع الأَلف إِلى الياء ، مع أَنَّ أُصل لام الجر ، الفتح . وربَّما قالوا ، لَهْىَ أَبوك ، فقلبوا اللام إِلى موضع العين وسكَّنوا ؛ لأَنَّ العين كانت ساكنة وهى الأَلف ، وبنوه على الفتح لأَنَّهم حذفوا منه لام التعريف وتضمَّن معناها ، فبُنِىَ لذلك كما بنى أَمس والآن ، وفتح آخره تخفيفًا لما دخله من الحذف والتغيير . انتهى .

وقال الأَندلسى (فى شرحه أَيضًا) عند قوله « وتضمر كما تضمر اللام » إِلخ : هذا هو الوجه الثالث ، وهو أَن تحذف الحرف لفظًا وتقدِّره معنًى فيبقى عمله ، كما تضمر ربَّ . ٢٢٣

وقال ابن السِّيد (فى شرح أَبيات أَدب الكاتب) : قوله لاه أَراد : لله ، حذف لام الجر واللام الأُولى من الله (٣) . وكان المبرد يرى أَنَّه حذف

(١) الآية ١٩ من سورة البقرة .

(٢) ط : « باق بمعناه » ، صوابه فى ش والكشاف .

(٣) فى النسختين : « من الله » ، صوابه من الاقتضاب ٤٤٢ .

اللامين من الله (١) وأبقى لام الجر وفتحَها . وحجته أنَّ حرف الجر لا يجوز أن يحذف . انتهى .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : قوله لاه ابن عمك أصله لله ، فحذف لام الجر وأعملها محذوفة ، كما فى قوله ، اللهِ لأفعلنَّ ، وأتبعها فى الحذف لام التعريف ، فبقى لاهِ بوزن عال . ولا يجوز أنْ تكون اللام فى لاه لام الجرّ (٢) وفتحت لمجاورتها للألف ، كما زعم بعض النحويِّين ، لأنَّهم قالوا : لَهْىَ أبوك ، بمعنى لله أبوك ، ففتحوا اللام ولا مانع لها من الكسر فى لَهْى لو كانت الجارّة ، وإنما يفتحون لام الجرّ مع المضمر فى نحو : لك ولنا ، وفتحوها فى الاستغاثة إذا دخلت على الاسم المستغاث به ، لأنَّه أشبه الضمير من حيث كان منادًى ، والمنادى يحلُّ محلَّ الكاف من نحو : أدعوك . فإنْ قيل : فكيف يتصل الاسم بالاسم فى قوله لاه ابن عمك بغير واسطة وإنما يتصل الاسم بالاسم فى نحو : لله زيد ولأخيك ثوب ، بواسطة اللام ؟ فالجواب : أنَّ اللام أوصلت الاسم بالاسم وهى مقدَّرة كما تحمَّلت الجرَّ وهى مقدرة . انتهى .

فهؤلاء كلهم صرَّحوا بأنَّ الكسرة إعراب ، وأن لاه مجرور باللام المضمرة .

وكأنَّه ، والله أعلمُ ، اختصر كلامَه من أمالى ابن الشجرى فوقع فيما وقع (٣) . وهذه عبارة ابن الشجرى (٤) :

---

(١) ط : « من لله » ، صوابه فى ش والاقتضاب .

(٢) ط : « الجار » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٤ .

(٣) البغدادى يشير هنا إلى نص الرضى الذى سبق فى أول الشاهد .

(٤) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥ .

أقول : إنَّ الاسم الذى هو لاه على هذا القول تامّ ، وهو أن يكون أصله لَيَه على وزن جَبَل ، فصارت ياؤه ألفًا لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها . ومن قال : لَهْى أبوك فهو مقلوب من لاه ، فقدِّمت لامه التى هى الهاء على عينه التى هى الياء فوزنه فَلْع . وكان أصله بعد تقديم لامه على عينه : لِلَهْيَ ، فحذفوا لام الجر ثم لام التعريف ، وضمَّنوه معنى لام التعريف فبنَوْه ، كما ضمنوا معناها أمسِ فوجب بناؤه ، وحرَّكوا الياء لسكون الهاء قبلها ، واختاروا لها الفتحة لخفَّتها . انتهى .

وقول الشارح المحقق ، كما هو أحد مذهَبَىْ سيبويه فى الله ، وهو أنَّه من لاه يَليهُ ، قال ابن الشجرى : أصل هذا الاسم الذى هو الله تعالى مسمَّاه إلاه فى أحد قولى سيبويه بوزن فِعال ، ثم لاهِ بوزن عال . ولمَّا حذفوا فاءه عوَّضوا منها لام التعريف ، فصادفت وهى ساكنةٌ اللام التى هى عينٌ وهى متحرِّكة ، فأدغمت فيها . إلى أن قال : وهذا قول يونس بن حبيب ، وأبى الحسن الأخفش ، وعلى بن حمزة الكسائى ، ويحيى بن زياد الفراء ، وقطرب بن المستنير . وقال بعد وفاقه لهذه الجماعة : وجائز أن يكون أصله لاه ، وأصل لاه لَيَه على وزن جبل (١) ، ثم أدخل عليه الألف واللام فقيل الله . واستدلَّ على ذلك بِقول العرب : لَهْيَ أبوك ، يريد لاهِ أبوك . قال : فتقديره على هذا القول فَعَل ، والوزن وزن باب ودار . وأنشد للأعشى (٢) :

كحلفَةٍ من أبى رِياح   يسمعها لاهُه الكُبارُ

---

(١) الذى فى الأمالى : « على وزن فعل » .

(٢) ط : « وأنشد الأعشى » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى .

ولذى الإصبع العَدْوانىّ :

لاهِ ابن عمك لا أُفضلت فى حسب .... (البيت)

انتهى كلام سيبويه . هذا كلامه (١) .

وأقول : هذان البيتان ليسا بموجودين فى كتاب سيبويه كما نبَّهنا سابقًا فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائة (٢) .

وقد تكلَّم أبو على الفارسى على قولهم : لَهْىَ أبوك (فى التذكرة القصرية) ، (وفى إيضاح الشعر) فلا بأس بنقل كلامَيْه لمزيد الفائدة والإيضاح : ٢٢٤

قال (فى التذكرة) : لهى أبوك مقلوب من لاه ، على القول الذى لاه فيه فَعَل ، أى بفتحتين ، لا على القول الذى لاه فيه عالٍ محذوفة الفاء وهى همزة إلاه . ومن إشكال هذه المسألة مخالفة وزنها لوزن ما قُلبت منه ، لأَنَّ الأصل فَعَل أى بفتحتين ، ولهى فَلْع أى بسكون اللام . ومن إشكالها أيضًا أَنَّ المقلوب منه مُعْرب وهو لاه ، والمقلوب مبنىّ على الفتح وهى لهىَ . وإنَّما جعلنا لهى هو المقلوب لأَنَّه أَقل تمكنًا وأَكثر تغييرًا ، بدليل أَنَّ اسم الله تعالى معرب متصرِّف فى الخبَر والنداء ، أى ليس هو مبنيًا ؛ ودخول جميع العوامل عليه ، ولهى أبوك مبنىٌّ لا يزول عن هذا الموضع ، فهو بهذا أَكثر تغييرًا وأَقل تمكنًا . ولا يخرج لاه فى كلامهم مع ما قد ذكرنا من الدَّليل على أَنَّه الأَصل أَنَّه ليس له أَصل اشتقَّ منه ، إذْ كان فى كلامهم ما العين فيه ياء كثيرٌ . فأَمَّا مخالفة

(١) الذى فى أمالى ابن الشجرى : « انتهى كلامه ، أى كلام سيبويه » .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٦٨ .

وزن لهى الأَصلَ الذى قلبت منه فقد جاء مثلُه ، قالوا فُوقٌ ، فعين الفُعْل منه ساكنة ، وقال امرؤُ القيس :

* ونَبْلى وفقاها كعراقيب (١) *

فقلب العينَ إلى موضع اللام وحرَّك اللام كما سكن اللام فى لهي ، وذلك لأَن المقلوب بناء مستأْنف ، فجائز أَن يأْتىَ مخالفًا لما قُلب منه . يدلُّك على أَنَّه بناء مستأْنف قولهم : قسيٌّ ، هى مقلوب من قُووس ، وهم لا يتكلمون بقووس البتة ، فتركهم الكلام بالأَصل يَدُلُّك على أَنَّ المقلوب مبنىٌّ بناء مستأْنفًا ، لأَنَّه لو لم يكن مستأْنفا وكان هو المقلوب منه لكان المقلوب منه متكلَّمًا به ، وإذا ثبت أَنَّه بناءٌ مستأْنف لم يُنكر أَن يأْتى على غير وزنِ المقلوب منه ، كما أَنَّه لما أَنْ كانت أَبنيته مستأْنفة لم يُنكَر أَن تجىء على وزن الواحد . وأَمّا وجهُ بنائه فهو أَنَّه تضمَّن معنى حرف التعريف كما تضمنَ أَمسِ ذلك . أَلا ترى أَنَّه فى معنى لله أَبوك ، وليس فيه حرف التعريف . وحرِّك بالفتح كراهةً للكسر مع الياء . ولا يُحكم بأَنَّ لاهِ مبنى وأَنت تجد سبيلًا إلى الحكم له بالإعراب . أَلا ترى أَنَّه اسم متمكن منصرف ، فلا يحكم له بالبناء إِلَّا بدليل ، كما لم يحكم للهىَ إِلَّا بدليل ، وهو الفتح . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « وتبكى وفقاها » ، والصواب ما أثبت من اللسان (فوق ، فقا) وأخبار النحويين البصريين للسيرافى ، فى ترجمة (أبى عمرو بن العلاء) من أبيات منسوبة لامرئ القيس بن عابس الكندى ، وتروى أيضا للفند الزِّمانى . ورواها ابن قتيبة فى الشعراء ٨٥ بدون نسبه . والبيت بتمامه :

ونبلى وفقاها كـ ـعراقيب قطا طحلِ

وكتب ناسخ ش بخطه : « قوله وتبكى إلخ كذا بخط المؤلف ، وهو تحريف ، والصواب الذى لا محيد عنه :

ونبلى وفقاها كـ ـعراقيب قطا طحل

والبيت لامرئ القيس بن عابس ، بالباء الموحدة ، الكندى الصحابى » .

وصريح كلامه أخيرًا يردُّ ما زعمه الشارح من بناء لاه .

وقال (فى إيضاح الشعر) : تحذف حروف المعانى مع الأسماء على ضروب :

أحدها : أن يحذف الحرف ويضمَّن الاسم معناه ، وهذا يوجب بناء الاسم ، نحو أينَ وخمسةَ عشرَ ، وأمس فى قول الحجازِّيين ومَن بناه ، ولَهْىَ أبوك .

والآخر : أن يعدَل الاسم عن اسمٍ فيه حرف ، فهذا المعدول لا يجب بناؤه ، لأنَّه لم يتضمَّن الحرف فيلزم البناء ، كما تضمَّنه الأوَّل ، لأنَّ الحرف يراد فى ذلك البناء الذى وقع العدل عنه . وإذا كان هناك مرادًا لم يتضمَّن هناك الاسم . ألا ترى أنَّه محال أن يراد ثَمَّ [1] ، فيعدل هذا عنه ويتضمَّن معناه ، لأنَّك إذا ثبَّتَّ الحرف فى موضعين فلا يكون حينئذ عدلا . ألا ترى أنَّ العدل إنَّما هو أن تلفظ ببناءٍ وتريد الآخر ، فلابدَّ من أن يكون البناء المعدول غير المعدول ومخالفًا له . ولا شىء يقع فيه الخلاف بين سحر المعدول والمعدول عنه إلَّا إرادة لام التعريف فى المعدول عنه وتعرِّى المعدول منه . فلو ضمَّنْتَه معناه لكان بمنزلة إثباته ، ولو أثبتَّه لم يكن عدلا . فإذا كان كذلك لم يجز أن يتضمَّنه وإذا لم يتضمَّنْه لم يجز أن يُبنَى كما بنى أمس . ٢٣٥

والضرب الثالث : أن تحذفَ الحرف فى اللفظ ويكون مرادًا فيه . وإنَّما تحذفه من اللفظ اختصارًا واستخفافًا . فهذا يجرى مجرى الثبات . فمن هذا القِسم الحذف فى جميع الظروف ، حُذفت اختصارًا ، لأنَّ فى ذكرك الأسماء

(١) ط : « تم » ، صوابه فى ش .

التى هى ظروفٌ دلالةً على إرادتها . ألا ترى أنك إذا قلت جلستُ خلفك وقدِمت اليومَ ، عُلم أنَّ هذا لا يكون شيئًا من أقسام المفعولات إلَّا الظرف . فلما كان كذلك كان حذفُها بمنزلة إثباتها ، لقيام الدَّلالة عليها . فإذا كنَيْت رددت فى التى كانت محذوفة للاختصار ، وللدلالة القائمة عليها ، لأنَّ الضمير لا يتميَّز ولا ينفصل كما كان ذلك فى المظهر . ألا ترى أنَّ الهاء فى كناية الظرف كالهاء فى كناية المفعول به . فإذا رددت الحرف الذى كنت حذفته فوصلته به دلَّ على أنَّه من بين المفعولات ظرف . فقد علمتَ بردِّك له فى الإضمار أنَّك لم نضمِّن الاسم معنى الحرف فتبنِيَه ، وأنَّه مراد فى حال الحذف ، لأنَّ فى ظهور الاسم دلالةً عليه ، فحذفته لذلك . فهذا يشبه قولهم : اللهِ لأفعلنَّ ، فى أنَّهم مع حذفهم ذلك يجرى عندهم مجرى غير المحذوف ، إلَّا أنَّه لما حذف فى الظرف واستُغنِىَ عنه وَصَل الفعلُ إليه فانتصب . والجارُّ إذا حذفوه على هذا الحدِّ الذى ذكرته لك من أنَّ الدلالة قائمة على حذفه ، يجرى على ضربين : أحدهما : أن يوصل الفعل كباب الظروف ، واخترتُ الرجالَ زيدًا . والآخر : أن يوصل الفعل ولكن يكون الحرف كالمثبت فى اللفظ ، فيجرُّون به كما يجرُّون به وهو مثبت ، وذلك قولهم : اللهِ ، وكما قام لنا من الدلالة على حذفهم له فى « وبلدٍ (١) » ، وكما ذهب إليه سيبويه فى :

* ونارٍ توقَّدُ باللَّيلِ نارا (٢) *

---

(١) إشارة إلى ما أنشده سيبويه فى ١ : ٤٦٥ (٣ : ٦٢٨ من نسختى) من قول الراجز :

* وبلد تحسبه مكسوحا *

(٢) إشارة إلى قول أبى دُوَاد . سيبويه ٢ : ٣٣ :

أكل امرئ تحسبين امرأً ونار توقد بالليل نارا

وكما ذهب بعض المتقدّمين من البصريين فى قوله : ﴿ واختلافِ الليل [١] ﴾ إلى أنه على ذلك . ولو قال قائل فى إنشاد من أنشد :

* ولا مستنكَرٍ أن تعقَّرا [٢] *

إلى هذا الوجه لكان قياسَ هذا القول . فأمّا تركهم الردَّ فى حال الإضمار فى نحو :

ويومٍ شهدناه سُليمًا وعامرًا قليل سِوى الطَّعنِ النِّهالِ نوافلُهْ

فمنهم من يقول : إنّما فعل ذلك لأنَّ الإضمار لا يكون إلّا بعد مذكور ، فيعلم أنّه إضمارُ ذلك . وهذا إذا اتّسعوا فيه فجعلوا نصبه نصبَ المفعول به لم يلزم أن يكون عليه دلالة كما كان فى حال كونه ظرفًا . فأمّا قولهم : لَهْىَ أبوك ، فلا تكون هذه اللام الثانية فى الاسم إلا التى هى فاء الفعل . والدليل على ذلك أنّها لا تخلو من أن تكون الجارّة ، أو المعرِّفة ، أو التى هى فاء . فلا يجوز أن تكون المعرِّفةَ لأن تلك يتضمَّنها الاسم ، وإذا تضمنها الاسم لم تظهر . ألا ترى أنَّ الواو فى خمسةَ عشر لا تثبت ، واللام فى أمس فى قول من بَنَى لا تظهر . فلما كان الاسم هنا مبنيًّا أيضًا على الفتح ، ولم يكن فيه معنًى يوجب بناءَه على تضمُّنه لمعنى حرف التعريف ، وجب أيضًا أن لا يظهر كما لم يظهر أيضًا فيما ذكرت لك . فإذا لم يجز ظهور حرف التعريف لم تخلُ المحذوفة من أحد أمرين : إما أن تكون الجارّة ، أو التى هى فاء

---

(١) من الآية ١٦٤ من البقرة و ١٩٠ من آل عمران و ٥ من الجاثية .

(٢) هو قول النابغة الجعدى . سيبويه ٢ : ٣٢ :

فليس بمعروف لنا أن نردها صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا

(٣) سيبويه ١ : ٩٠ وابن الشجرى ١ : ٦ والكامل ٢١ .

الفعل . فلا يجوز أن تكون الجارّة لأنّها مفتوحة وتلك مكسورة مع المظهرة ، فلا يجوز إذًا أن تكون إيّاها للفتح . فإن قال قائل : ما تُنكر أن تكون الجارّةَ
٢٢٦ وإنّما فتحت لأنّها جاورت الألف ، والألف يُفتح ما قبلها ؟ قيل له : الدلالة على أنّها فى قولهم لاه أبوك هى الفاء وليست الجارّة ، أنها لو كانت الجارّة فى لاهِ وفتحت لمجاورة الألف لوجب أن تكسر فى لهى ولا تفتح ، لزوال المعنى الذى أوجب فتحَه ، وهو مجاورة الألف . فعلمتَ أنّ الفتح لم يكن لمجاورة الألف .

فإن قال : ترك فى القلب كما كان فى غير القلب ، فذلك دعوى لا دلالة عليها ، ولا يستقيم فى القلب ذلك . ألا تراهم قالوا جاهٌ فى قلب وَجْه ، وفُقًا فى فُوق . فإذا كانوا قد خصُّوه بأبنيةٍ لاتكون فى المقلوب عنه دلَّ على أنّه ليس يجب أن يكون كالمقلوب عنه . على أنّ ادِّعاء فتح هذه اللام مع أنّها الجارة ، لا يسوغ فى اللغة التى هى أشيع وأفْشَى . ولم تفتَح [1] فى هذه اللغة الشائعة إلا مع المنادى ، وذلك لمضارعته المضمر . فإذا لم يجز ذلك ثبت أنّها فاء الفعل ، وإذا ثبت ذلك ثبت أنّ الجارة مضمرة ، لابدَّ من ذلك . ألا ترى أنّك إن لم تضمر يتّصل الاسم الثانى بالأوّل ، لأنّه ليس إياه . فالمعنى إذًا : لله أبوك .

وممّا يدلُّ على فساد قول من قال إنَّ هذه اللام هى الجارّة أنّها إذا كانت إياها كانت فى تقدير الانفصال من الاسم ، من حيث كان العامل فى تقدير الانفصال عن المعمول فيه ، فإذا كان كذلك فقد ابتدأ الاسمُ أوّله ساكن . وذلك ممّا قد رفضوه ولم يستعملوه . ألا ترى أنّهم لم يخففوا الهمزة إذا

---

(١) ط : « ولم يفتح » ، وأثبت ما فى ش .

كانت أولى كلمة من حيث كان تخفيفها تقريبًا من الساكن . فإذا رفضوا التقريب مِن الساكن فى الابتداء – فأَنْ يرفضوا فيهِ الابتداء بالساكن نفسه أُولى .

ويدلُّ على فساد ذلك أَنَّهم لم يخرِمُوا [أَوّل] (١) متفاعلن كما خرِموا أَوّل فعولن ومفاعلن ونحو ذلك ، مما يتوالى فى أَوله متحرّكات (٢) لأَنَّ متفاعلن يسكن ثانيه للزحاف ، فيلزم لو خرموه كما خرم فعولن الابتداء بالساكن (٣) . وعلى هذا قال الخليل : لو لفظت بالدال من قد ، والباء من اضرب لقلت أَد ، وإِب ، فاجتَلبت همزة الوصلِ . وقال أَبو عثمان : لو أُعللت الفاء من عِدَة وزِنة ونحوهما ولم تحذفها للزمك أَن تجتلب همزة الوصل فيها فتقول : إِعدة (٤) . ومن زعم أَنَّ الهمزة فى أَنا كان الأَصل فيها أَلِفًا (٥) ثم أُبدل منها همزة فقد جهِل ما ذكرناه من مذاهب العرب ومقاييس النحوِيّين . فأَمَّا أَمْسِ فقد جوَّزت العرب فيه ضربين : ضمَّنها قوم معنى الحرف فبنَوها فى كلِّ حال ، وعَدَلها آخرون فلم يصرفوه ، فهؤُلاءِ جعلوه بمنزلة سحَر فى باب العدل وأَنَّهم لم يضمِّنوه الحرف . فأَما أُخَرُ والعدل فيه فله موضعٌ آخر يذكر فيه إِن شاء الله تعالى .

انتهى كلام أَبى على ، ولتعلُّق جميعه بهذا البابِ سقناه برمته ، ليكون كالتتِمَّة له ، وبالله التوفيق .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لذى الإِصْبع العَدْوانىّ ، وهو شاعر جاهلىّ ،

---

(١) التكملة من ش .

(٢) ش : « متحركان » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) ش : « لو خرمه كما خرم » فقط .

(٤) ش : « ايعدة » ، والوجه ما فى ط .

(٥) ط : ط « ألف » ، صوابه فى ش .

وتقدمت ترجمته فى الشاهد الخامس والثمانين بعد الثلثمائة [١] . وعدَّتها فى رواية المفضَّل (فى المفضَّليات) ثمانية عشر بيتًا ، وفى رواية ابن الأنبارى فى شرحها عن أبى عكرمة ، ورواية أبى على القالى فى أماليه ، ستة وثلاثون بيتًا . واقتصرنا على رواية المفضل . قالها فى ابن عمٍّ له كان ينافِسُه ويُعاديه ، وهى :

(لى ابنُ عمٍّ على ما كانَ من خُلق … مختلفــانِ فأَقليــهِ ويَقْلينـــى
أَزرَى بنا أَنَّنا شالت نعامتُنا … فخالَنى دُونَه وخِلتُه دونى ٢٢٧
ياعمرُو ، إلَّا تدَعْ شتمى ومنقَصَتى … أَضربْك حتَّى تقولَ الهامةُ اسقُونى
لاهِ ابنُ عمِّك لا أَفضَلْتَ فى حسبٍ … عنِّى ولا أَنت دَيّانى فتخـــزُونى
ولا تقوتُ عيالى يومَ مَسغَبةٍ … ولا بِنفْسِك فى العَزَّاء تَكفينى
إنِّى لعمرُكَ ما بابِى بذى غَلَقٍ … عن الصَّديق ولا خيرى بممنونِ
ولا لسانى على الأَدنَى بمنطلِقٍ … بالفاحشات ، ولا فتكى بمأْمونِ
عَفٌّ يؤوسٌ إذا ما خِفْتُ من بلد … هُونًا فلستُ بوقَّافٍ على الهُونِ
عنِّى إليكَ فما أُمِّى براعيةٍ … تَرعى المَخَاضَ وما رأْيِى بمغبونِ
كلُّ امرئٍ راجعٌ يومًا لشيمته … وإنْ تَخالَقَ أَخلاقًا إلى حين
إنِّى أَبىٌّ أَبىٌّ ذو مُحافظةٍ … وابـنُ أَبىٍّ أَبىٍّ من أُبيِّيـنِ
وأَنْتـمُ معشرٌ زَيـدٌ على مائـة … فأَجمِعوا أَمرَكم كُلًّا فكيـدونى
فإنْ عَرفتُم سبيلَ الرُّشد فانطلقوا … وإنْ جهِلتم سبيلَ الرُّشد فأْتونى
ماذا علىَّ وإن كنتم ذوِى كرمٍ … أَن لا أُحبَّكُمُ إن لم تحبُّونى [٢]

(١) الخزانة ٥ : ٢٨٤ .

(٢) ش : « إذ لم تحبونى » .

لو تشربون دمى لم يَرْوَ شاربُكم ولا دماؤكمُ جمعًا تروِّينى
اللهُ يَعلمنى واللهُ يَعلمكمْ واللهُ يجزيكمُ عنِّى ويَجزينى
قد كنتُ أُوتيكمُ نصحى وأَمنَحُكم وُدِّى على مُثْبَتٍ فى الصَّدر مكنونِ
لا يُخرج الكَرهُ منِّى غيرَ مأْبيةٍ ولا أُلينُ لمن لا يبتغى لينى)

ومن رواية أَبى عكرمة :

(فإنْ تُرِدْ عرَضَ الدُّنيا بمنقصَتِى فإنَّ ذلك مما ليس يُشجينى
ولا يرى فىَّ غيرَ الصَّبر منقصةً وما سواهُ فإنَّ اللهَ يكفينى
لولا أَياصرُ قُربَى لستَ تحفظُها ورهبةُ اللهِ فيمن لا يعادينى
إذن برَيْتُكَ بَرْيًا لا انجبارَ له إنى رأَيتُك لا تنفَكُّ تَبْرينى
إنَّ الذى يَقبِضُ الدُّنيا ويبسُطُها إنْ كان أَغناكَ عنِّى سوفَ يُغنينى
ياعمروُ ، لو لنتَ لى أَلفيتَنى بشرا سَمحًا كريمًا أُجازِى من يجازينى (١)
واللهِ لو كرِهتْ كفِّى مصاحبتى لقلت إذ كرهتْ قُربى لها بِينى)

وقوله : « لى ابن عمٍّ ، عُلم مِن هذا ، أَنهما اثنان . فقوله مختلفان خبر مبتدأ مضمر ، أَى نحن .

وقوله : « مِن خلق » أى من تخالق . وكان تامّة أى ثَبت ، ومن بيانٌ لما .

ومطلع القصيدة على رواية أَبى عكرمة والقالىّ :

(يا مَنْ لقلبٍ شديدِ الهمِّ محزونِ أَمسى تذكَّرَ ريَّـــا أُمَّ هارونِ

---

(١) ط : « لو كنت لى » ، صوابه فى ش . وفى المفضليات ١٦٤ : « يسَرًا » .

أمسى تذكُّرها من بعد ماشَحطتْ والدهرُ ذو غلظةٍ حينًا وذو لينِ
فإنْ يكنْ حبُّها أمسى لنا شجنًا فأصبح الوأْىُ منها لا يواتينى
٢٢٨ فقد غَنِينا وشملُ الدَّهر يجمعُنا أُطيعُ ريًّا وريًّا لا تُعاصينى
ترمى الوشاة فلا تخطى مقاتلهم بصادقٍ من صَفاء الودِّ مكنون
ولى ابنُ عم على ما كان من خلق .... إلى آخره)

والشجن : الحزن . والوأْى : الوعْد . وغنينا : أَقمنا .

وقوله أَزرى بنا ، إلخ قال ابن الأَنبارى : يقال أزرى به ، إذا قصَّر [1] ، وزَرَى عليه إذا عابه . وقوله : « شالت نعامتُنا » أَى تفرَّق أَمرنا واختلف . يقال عند اختلاف القوم : شالت نعامتهم ، وزَفَّ رَأْلهم . والرأْل : فَرْخ النَّعام . وقيل يقال شالت نعامتهم ، إذا جلَوْا عن الموضع . والمعنى : تنافرنا فصرتُ لا أَطمئنُّ إليه ولا يطمئن إلىَّ ، ويقال أَلقَوْا عصاهم ، إذا سكنوا واطمأَنُّوا . انتْهى .

وقال الزمخشرى (فى المستقصى) : شالت نعامتهم ، أَى تفرَّقوا وذهبوا . لأَنَّ النعامة مَوْصوفةٌ بالخِفَّة وسرعة الذَّهاب والهرب . ويقال أَيضًا خفَّت نعامتهم وزَفَّ رأْلهم . وقيل : النعامة : جماعة القوم . وأَنشد البيت مع أَبيات أُخر .

وقوله : « ياعمرو إلَّا تَدَعْ شتمى » إلخ قال ابن الأَنبارى : قال الأَصمعى : العرب تقول : العطش فى الرأْس . وأَنشد قول الراجز :

قد علمَتْ أَنِّى مروِّى هامِها ومُذهبُ الغليلِ من أُوامِها

* إذا جعلتُ الدَّلوَ فى خِطامها *

(١) ط : « قصد » ، صوابه فى ش .

الغليل : شدّة العطش . والأُوام : حَرٌّ تجده فى أَجوافها . وأَنشد أَيضًا :

* ستعلم إنْ متنا صدًى أَيُّنا الصَّدِى (١) *

صَدًى أَى عَطَشا . والمعنى : إن لا تَدعْ شتمى اضربْك على هامتك حيث تَعطَش . ويقال إنَّ الرجل إذا قُتل فلم يُدرَك بثأْره خرجت هامةٌ من قبره فلا تزال تصيح : اسقونى اسقونى ! حتَّى يُقتل قاتلُه . وأَنشد فى ذلك :

فإن تك هامـةً بِهَـراةَ تزقُـو فقد أُزقيتَ بالمَرْويْنِ هاما (٢) . انتهى

قال الشريف المرتضى (فى أَماليه) بعد نقل هذا : وهذا باطلٌ لا أَصل له . ويجوز أَن يعنيَه ذو الإصبع على مذاهب العرب .

وقوله : (لاهِ ابنُ عمك) إلخ أَصله : لله ابن عمك ، فحذف لام الجر مع لام التعريف وبقى عمله شذوذا ، وهو خبر مقدَّم ، وابن عمك مبتدأٌ مؤخر ، واللام المحذوفة للتعجُّب (٣) .

ونقل الشريف المرتضى عن ابن دريد أَنَّه قال : أَقسَمَ وأَراد : لله ابنُ عمك ، فتكون اللام للقسم ، وجملة لا أُفضلت جوابه .

وهذا غير صحيح ، لأَنه يبقى قوله ابن عمك ضائعًا .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : أَصله لله درُّ ابن عمِّك . وهذا تكلُّف لأَنَّه إجْحاف مستغنًى عنه بجعل اللام للتعجب ، ويكون جملة لا أُفضلت إلخ

---

(١) لطرفة فى معلقته . وصدره :

* كريم يروى نفسه فى حياته *

(٢) لعبد الله بن خازم السلمى ، فى الأمالى ٣ : ٣١ والمخصص ٨ : ١٦٢ والحيوان ٢ : ٢٩٩ .

(٣) ما بعدها إلى « للتعجب » التالية فى آخر الصفحة ساقط من ش .

بيانًا وتفسيرًا لجهةِ التعجُّب من كمال صفاته ، المقتضى للتعجُّب منها .

وقال ابن الأَنبارى : وروى : « لاه ابنِ عمِّك » بالخفض ، وهو قسمٌ ، المعنى : رَبِّ ابن عمك بخفض ربّ ، فيكون على هذا ربّ تابعًا للفظ الجلالة بالوصفيَّة ، ويكون جملة لا أَفضلت إلخ جوابَ القسم ، واللام المضمرة للقسم ، ولاه مقسم به .

وقد أُورد الشارح المحقِّق هذا البيت (فى عن) من حروف الجر ، على أَنَّها هنا فى بابها من المجاوزة ، وأَفضلت مضمَّن لمعنى تجاوزت فى الفضل .

وأَورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ عن فيه بمعنى على ، قال : لأَن المعنى المعروف : أَفضلت عليه .

٢٢٩ وهذا قول ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، وتبعه ابن قتيبة وغيره .

قال ابن السيد (فى شرح أَبيات أَدب الكاتب) : ذهب يعقوب بن السكيت ، ومِن كتابه نقل ابن قتيبة هذه الأَبواب ، إلى أَنَّ عن ههنا بمعنى على . وإنَّما قال ذلك لأَنَّه جعل أَفضلت من قولهم أَفضلت على الرجل ، إذا أُوليته فضلا . وأَفضلت هذه تتعدَّى بعلى ، لأَنَّها بمعنى الإنعام . ومعناه إنَّك لم تنعم علىَّ بأَن شرَّفتنى فتعتدَّ [1] بذلك علىَّ . وقد يجوز أَن يكون من قولهم : أَعطى وأَفضل ، إذا زاد على الواجب . وأَفضل هذه أَيضًا تتعدّى بعلى ، يقال

(١) ط : « فتعتدى » ، صوابه فى ش والاقتضاب ٤٤٢ .

أفضل على كذا ، أى زاد عليه فضلةً . وقد يجوز أن يكون من قولهم : أفضل الرجلُ إذا صار ذا فضلٍ فى نفسه ، فيكون معناه ليس لك فضلٌ تنفرد به عنّى وتحوزُه دونى . فتكون عن هنا واقعةً موقعها غير مبدلة من على . انتهى .

ومنه أُخذ ما نقله ابن الملّا بقوله : قيل ضمّن أفضل معنى انفرد ، فعدّى بعن ، لأنّه إذا أفضلَ عليه فى الحسب أى زاد فقد انفرد عنه بتلك الزيادة . وقيل هى على بابها ، لأنّه إذا كان أفضلَ وكان فوقَه فى الحسب فقد زاد عنه وصار فى حيِّز ، فكأنّه يقول : مازاد قدْرُك عن قدرى ، ولا ارتفع شأنك عن شأنى . انتهى .

هذا وقد روى صاحب الأغانى (١) :

لاهِ ابن عمك لاأفضلتَ فى حسبٍ شيئًا ....

وعليها لَا يكون فى البيت عن ، فلا يأتى هذا البحث .

وعلى تلك كان الظاهر أن يقول « عنه » بضمير الغائب ، لكنّه التفت من الغيبة إلى التكلم .

قال ابن السِّيد : ويعنى بابن العم المذكور نفسَه ، فلذلك ردَّ الإخبار بلفظ المتكلِّم ولم يُخرجْه بلفظ الغيبة ، لئلّا يتوهَّمَ أنّه يعنى نفْسَه . ولو جاء بالكلام على لفظ الغيبة لكانَ أحسن ، ولكنه أراد تأكيد البيان ورفع الإشكال .

و (الحسَب) : ما يعدُّه الإنسان من مآثر نفسه .

و (الدَّيّان) : القيِّم بالأمر المجازِى به ، وهو فعّال من الدِّين وهو الجزاء . وفى القاموس : الديّان : القهّار ، والقاضى ، والحاكم ، والمجازِى الذى لا يُضيع عملًا ، بل يجزى بالخير والشر .

---

(١) الأغانى ٣ : ٩

و (تخزونى) بالخاء والزاى المعجمتين : مضارع خزاه خَزْوًا بالفتح : ساسه وقهره وملكه . وأما الخِزْى بالكسر وهو الهَوان والذُّل فالفعل منه كرضِى . وأخزاه الله : فضحه . قال الدمامينى : يحتمل الرفع والنصب فى فتخزونى (١) كما يحتملهما نحوُ : ما تأتينا فتحدثنا ، أى ولا أنت مالكى فأنت تسوسنى ، أو ليس لك ملك فسياسة . وعلى تقدير النصب فالفتحة مقدَّرة كما فى قوله :

* أَبَى اللهُ أن أَسمُو بأُمٍّ ولا أَبِ(٢) *

وليس بضَرورة . وقد قرِئ فى الشواذ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَعفُونَ أَو يَعْفُو الذى بيدِه عُقْدَةُ النكاح (٣) ﴾ ، بإسكان الواو من يعفو الذى . انتهى .

وقال ابن السِّيد : وقوله لا أُفضلت ، معناه لم تُفْضِل . والعرب تقرن لا بالفعل الماضى فينوب ذلك مناب لمْ إذا قرنت بالفعل المستقبل . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ فلا صَدَّقَ ولا صَلَّى (٤) ﴾ . معناه : لم يصدِّقْ ولم يُصلِّ . ومنه قول أبى خراش :

إن تغفر اللهمَّ تغفرْ جَمًّا وأَىُّ عبدٍ لك لا أَلَمَّا

ومعنى البيت : لله ابن عمك الذى ساواك فى الحَسب ، وماثَلَكَ فى

---

(١) ش : « تمزونى » .

(٢) لعامر بن الطفيل فى ديوانه ١٠ . وصدره كما فى الديوان والخزانة ٣ : ٢٥٧ بولاق وتفسير أبى حيان ٢ : ٢٣٧ :

* فما سودتنى عامر عن وراثة *

(٣) الآية ٢٣٧ من البقرة . وهذه قراءة الحسن ، كما فى القراءات الشاذة لابن خالويه ١٥ وتفسير أبى حيان . وقال أبو حيان : « وقرأ الحسن : أو يعفو بتسكين الواو ، فتسقط فى الوصل لالتقائها ساكنة مع الساكن بعدها » .

(٤) الآية ٣١ من القيامة .

الشرف ، فليس لك فضل عليه فتفتخر به ، ولا أنت مالكُ أمرِه فتسوسَه وتصرِّفَه على حكمك .

وقوله : « ولا تقوتُ على » إلخ تقُوت : تعطى القُوت . والمَسغَبة : المجاعة . والعَزَّاء بفتح العين المهملة وتشديد الزاى : الضِّيق والشدَّة . ٢٣٠

وقوله : « إنِّى لعمرك » إلخ الممنون : المقطوع ، أو من المِنَّة .

وقوله : « عفٌّ يؤوس » إلخ أى أعفُّ عما ليس لى ، لست بذى طمع ، آيَسُ ممّا فى أيدى غيرى فلا تتبعه نفسى . والهُون ، بالضم : الذُّل .

وقوله : « فما أُمى براعية » أى لست بابن أَمَة . عَرَّض به وكان ابنَ أَمَة . وإنَّما خصَّ رِعْيةَ المخاض لأنَّها أشدُّ من رِعْية غيرها ، ولا يُمتَهنُ فيها إلَّا من لم يُبالَ به .

وقوله : « إنِّى أبِيٌّ » إلخ قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : كسرة النون من أبيِّينِ حركة التقاء الساكنين ، وهما الياء والنون ، وكسرت النون على أصل التقاء الساكنين إذا التقيا . ولم تفتح كما تفتح نون الجمع ، لأنَّ الشاعر اضطُرَّ إلى ذلك لئلا يختلف حركة حرف الروى فى سائر الأبيات .

وقوله : « وأنتم معشر » إلخ زَيْدٌ : زيادة . وأجمع أمرَه ، بألِف ، قال تعالى : ﴿ فأجمِعُوا أمرَكم وشُركاءكم [1] ﴾ .

وقوله : « لا يُخرج الكَرْه » هو فاعل يُخرج ، يقول : إذا أُكرِهتُ على الشىء لم يكن عندى إلَّا الإباءُ له ، لا أعطى على القسْرِ شيئا . والمأبية : مصدر ، كالإباء .

* * *

---

(١) الآية ٧١ من يونس .

النكرة والمعرفة

أُنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٥٢٤ (أَظبيٌ كانَ أُمَّكَ أَمْ حمارُ)

على أَنَّ الضمير المستتر فى كان نكرة ، لأَنَّه عاد على نكرة غير مختصة بشيء ، وهو ظَبْى .

وقد تكلَّم الشارح المحقِّق عليه فى باب الأَفعال الناقصة ، وسيأْتى إن شاءَ الله الكلام عليه هناك .

ولنشرح هنا الشعر ونعيِّنْ قائله فنقول :

هو من أَبيات أَوردها أَبو تمام (فى كتاب مختار أَشعار القبائل) ، صاحب الشاهد ونسبها لثَرْوانَ بنِ فَزارة بن عبد يغوث العامرىّ ، وهى :

أبيات الشاهد (وكائن قد رأَيتُ منَ آهلِ دارٍ   دعاهمْ رائدٌ لهمُ فساروا
فأَصبح عهدُهم كَمَقصٍّ قرن   فلا عينٌ تُحَسُّ ولا آثارُ
لقد بدِّلْتُ أَهلًا بعدَ أَهل   فلا عجبٌ بذاك ولا سُخَارُ
فإِنَّك لا يضرُّك بعد عامٍ   أَظبيٌ كانَ أُمَّك أَم حمارُ
فقد لحق الأَسافلُ بالأَعالى   وماج اللؤمُ واختلط النِّجارُ
وعاد العبدُ مثلَ أَبى قُبيس   وسِيقَ مع المُعَلهَجةِ العِشَارُ)

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٣ والمقتضب ٤ : ٩٣ وابن يعيش ٧ : ٩١ ، ٩٤ والمغنى ٥٩٠ وشرح شواهدهِ للسيوطى ٣١٠ .

وقوله : « وكائن » هى خبرية بمعنى كم الخبرية . والرائد : الذى يُرسَل فى طلب الكلأ .

وقوله : « فأصبح عهدُهم » إلخ العهد بالفتح : المنزل الذى لا يزال القومُ إذا بَعُدوا عنه رجَعوا إليه ؛ وكذلك المعهد . وقوله : « كمقصٌ قرن » قال أبو تمام : أى كمَقطع قرن . يريد : خلت ديارهُم . وقيل : مَقَصُّ قرن : جبلٌ مشرف على عرفات أيضًا . وليس يريده . انتهى .

قال أبو محمد الأعرابى : مقَصّ : موضعٌ تقتصُّ فيه الأرض ، أى لا يوجد لهم ولعهدهم أثر ، كما لا يوجد أثر من يمشى على صخرة . وقرن : جبل . انتهى . وتُحَسُّ بالبناء للمفعول ، من أحسَّ الرجل الشىء إحساسًا ، أى علم به . والأثار بالفتح ، هو الأثر . ويقال أثارةٌ أيضًا بالهاء .

وقوله : « لقد بذِلتُ أهلًا » إلخ بالبناء للمفعول . والسُّخار بضم السين ٢٣١
وكسرها : اسم لِلسُّخريَة والاستهزاء .

وقوله : « فإنَّك لا يضرُّك » هذه رواية أبى عبيدة . ورواه مؤرِّج السَّدوسى (فى أمثاله) : « فإنَّك لا يَضُورك » يقال ضاره يضوره ويضيره بمعنًى . ورَوَيا : « حولٍ » بدل عام . ولم أر رواية « فإنك لا تبالى » لأحد إلَّا للنحويِّين . وقوله : (أظبى كان) إلخ هذه هى الرواية المشهورة التى رواها سيبويه فمَنْ دونه من النحاة . وقال أبو محمد الأسود الأعرابى (فى ردِّه على ابن السيرافى فى شرح أبيات سيبويه) : كيف يكون الظبى والحمار أُمَّينِ وهما ذكرا الحيوان ؟ حتَّى إن المثل يُضرَب بالحمارِ فيقال :

* من يَنِكِ العيرَ ينكْ نيَّاكَا *

والصواب ما أنشدَنَاه أبو الندى :

* أَطبى ناك أُمَّك أَمْ حمارُ *

وإنَّما قُلبت اللفظة تحرُّجا (١) فيما أرى ، ثم استشهد به النحويون على ظاهره . وهذه الأبيات قطعة طريفةٌ أَكْتَبَها أبو النَّدى ، وذكَر أنَّها لثَرْوان بن فزارة بن عبد يغوث بن ربيعة بن عمرو بن عامر . انتهى .

أقول (٢) : يدفع ما توقَّف فيه بأن أُمّ هنا معناه الأَصل . وهذا معنى شائع لا ينبغى العدول عنه ، فإن الأُمَّ فى اللغة تطلق (٣) على أَصل كل شىء ، سواءٌ كان فى الحيوان أَو فى غيره .

وقال الأَعلم : وصف فى البيت تغير الزَّمان واطِّرَاح مراعاةِ الأَنساب . ويتَّصل به ما يبيِّنه ، وهو قوله :

* فقد لحقَ الأَسافلُ بالأَعالى *

فيقول : لا تبالى بعد قيامك بنفسك ، واستغنائك عن أَبويك ، من انتسبتَ إليه من شريف أَو وضيع . وضربَ المثلَ بالظبى والحمار ، وجعلهما أُمَّين ، وهما ذَكَران ، لأَنَّه مثَلٌ لا حقيقة ، وقصَدَ قصْدَ الجنسين ولم يحقِّق أُبوَّة . وذكَر الحول لِذِكْر الظبى والحمار (٤) لأَنَّهما يستغنيان بأَنفسهما بعد الحول ، فضرب المثل بذكره للإنسان لِمَا أرادَ من استغنائه بنفسه . انتهى .

وقوله : « وماج اللؤم » إلخ ماج يموج (٥) . واللؤم : دناءة النفس

---

(١) ط : « تخرجا » ، صوابه فى ش .
(٢) ش : « وقال » ، صوابه فى ط .
(٣) ش : « يطلق » .
(٤) ش : « تذكر الظبى والحمار » ، صوابه فى ط .
(٥) ش : « ماج تموج » .

والآباء . والنِّجار بكسر النون وضمها بعدها جيم : الأَصل : أَى ذهبَ السُّودُدُ وغلب على الناس اللؤم والدناءة ، واشتبه الأَصلُ والنَّسب ، حتَّى لو بقُوا على هذه الحالة سَنة لا يبالى إنسانٌ أَهجينا كان أَو غير هجين .

وقوله : « مثل أَبى قُبَيس » هو مصغَّر أَبو قابوس ، وهو كنية النعمان ابن المنذر ملك الحيرة . وقابوس : معرَّب كاووس ، اسمُ ملكٍ من ملوك الفرس القديمة . وقال أَبو محمد الأَعرابى : الذى أُنشَدَناه أَبو الندى :

* وعادَ الفِنْدُ مثلَ أَبى قُبَيس *

ورواية الناس : « العبد » . وذكر أَبو الندى أَنَّه تصحيف . والفِنْد بكسر الفاء وسكون النون : قطعة من الجبل طُولًا ، وقيل الجبل العظيم . وأَبو قبيس : جبلٌ بمكة ، سمِّى برجل من مَذحجَ حدَّاد ، لأَنَّه أَوّل من بنَى فيه . وفى القاموس : « المعلهج كمزعفَر : الأَحمق اللئيم ، والهجين . وحُكمُ الجوهرىِّ بزيادة هائه غلط » . والهجين : اللئيم ، وعربىٌّ ولد مِن أَمَة ، أَو مَنْ أَبوه خيرٌمن أُمِّه . وفرسٌ هجين : غير كريم ، كالبِرذون . والعشار بالكسر : جمع عَشير ، وهو القريب والصَّديق ، أَو جمعُ عُشَراء ، والعُشَراء من النُّوق : التى مضى لحملها عَشرة أَشهر أَو ثمانية ، أَو هى كالنُّفساء . وقال أَبو محمد الأَعرابى : الفند كناية عن الرجل الوضيع . وأَبو قبيس : الرجل الشريف . والمُعَلهَجة : الفاسدة النسب ، أَى تزوَّجتْ هذه المعلهجة ومُهرت مهر الشريفة .

وثَروان بن فزارة : صحابىٌّ وفَد على رسول الله ﷺ . وهو القائل : ثروان بن فزارة ٢٣٢

إليك رسولَ الله خَبَّتْ مطيَّتى مَسافةَ أُرباعٍ تَرُوحُ وتَغتدِى

ونسبَه صاحب الجمهرة ، وابن حجر (فى الإصابة) عنه كذا : ثرْوان بن فزارة بن عبد يغوث بن زهيرٍ الصَّتْمِ بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة .

والصَّتْم بفتح الصاد وسكون التاء المثناة الفوقية : لقب زهير ، ويقال له زهيرٌ الأكبر .

صاحب الشاهد

ونسب سيبويه هذا البيت لخداش بن زهير . وزهير هذا هو زهير الصَّتْم المذكور ، وهو أخو عبد يغوث جدّ ثروان الصحابى . قال المرزبانى : هو جاهلىّ . وأورده ابن حجر (فى الإصابة) فى قسم المخضرمين الذين أدركوا زمن النبى - صلى الله عليه وسلم - ولم يجتمعوا به . قال : خداش بن زهير العامرى ، شهد حُنَينا مع المشركين ، وله فى ذلك شعر يقول فيه :

يا شَدَّةً ما شَدَدْنا غيرَ كاذبةٍ على سَخينةَ لولا اللَّيلُ وَالحَرَمُ

ثم أسلم خداشٌ بعد ذلك بزمان ، ووفد ولدُه سعساع على عبد الملك يتنازعون فى العِرافة ، فنظر إليه عبد الملك فقال : قد ولَّيتك العِرافة . فقام قومه وهم يقولون : فَلَجَ ابنُ خداش (١) ! فسمعهم عبد الملك فقال : كلَّا والله لا يهجونا أبوك فى الجاهليَّة ونسوِّدك فى الإسلام . وذكر البيت المتقدم . والمراد بقوله « سخينة » قريش . وذكر المرزبانى أنَّه جاهلى ، وأنَّ البيت الذى قاله فى قريش كان فى حرب الفجار . وهذا أصْوَب . انتهى .

---

(١) فلج : غلب وفاز . وفى الإصابة ٢٣٢٣ : « فلح » ، صوابه هنا .

ونسب العسكرى (فى كتاب التصحيف) البيتَ الشاهد لزُرارة ابن فَرْوان [1] من بنى عامر بن صعصعة ، وقال : الفاء فى فَرْوان مفتوحة .

ولم أَر زرارة هذا فى الأَقسام الأَربعة من الإصابة ، ولا فى جمهرة الأَنساب لابن الكلبى . والله أعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وقد تقدم شرحه فى الشاهد الخامس والخمسين [2] :

(ولقد أَمرُّ على اللَّئيم يسبُّنى)

على أَنَّه يجوز وصف المعرف باللام الجنسية بالنكرة كما هنا ، فإِنَّ جملة يسبُّنى نكرة وقعت وصفًا للئيم .

وفيه أَنَّهم قالوا : الجُمل لا تتَّصف بتعريف ولا تنكير . وقالوا أَيضًا : إِنَّ الجملة بعد المعرَّف باللام الجنسية يحتمل أَن تكون حالًا منه وأَن تكون وصفًا له . ومثَّلوا بهذا البيت . منهم ابن هشام (فى المغنى) وغيره .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الخمسمائة [3] :

٥٢٥ (أَزِفَ الترحُّلُ غير أَنَّ رِكابَنا لمَّا تزُلْ برحالِنا وكأَنْ قَدِ)

(١) فى النسختين : « فزوان » بالزاى المعجمة فى الموضعين ، صوابه من التصحيف للعسكرى ٤١٥ . ومادة (فزا) ليست فى المعاجم . وأما فروان بالراء المهملة فقد ذكر فى القاموس واللسان . وقال ابن منظور : « فروة وفروان : اسمان » .

(٢) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

(٣) الخصائص ٢ : ٣٦١ / ٣ : ١٣١ وابن يعيش ٨ : ٥ ، ١١٠ ، ١٤٨ / ٩ : ١٨ ، ٥٢ والمغنى ١٧١ ، ٣٤٢ والعينى ١ : ٨٠/٢ : ٣١٤ والتصريح ١ : ٢٦ والهمع ١ : ١٤٣ وديوان النابغة ٢٧ من مجموع خمسة دواوين .

على أنْ (قد) كلمة مستقلة يصلح الوقفُ عليها .

وهذا الفصل قد أخذه الشارح المحقِّق من سرِّ الصناعة لابن جنى ، وهذه عبارته فيه ، قال :

وذهب الخليل إلى أنَّ حرف التعريف بمنزلة قد فى الأَفعال ، وأَن الهمزة واللام جميعًا للتعريف . وحُكى عنه أنَّه كان يسمِّيها أَل ، كقولنا قد ، وأنَّه لم يكن يقول الأَلف واللام كما لا تقول فى قد القاف والدال . ويقوّى هذا المذهبَ قطعُ أَل فى أَنصاف الأَبيات ، نحو قول عَبيد :

٢٣٣ يا خليليَّ اربَعا واستَخْبرا الـ ـمَنْزِلَ الدارسَ من أَهل الحلالِ
مثلَ سَحْقِ البُرد عَفَّى بَعدك الـ ـقَطْرُ مَغناهُ وتأْويب الشَّمالِ

وهذه قطعةٌ لعبيد مشهورة ، عددها بضعة عشر بيتًا ، يطَّرد جميعُها على هذا القطع الذى تراه ، إلَّا بيتًا واحدًا من جملتها . ولو كانت اللام وحدها حرفًا للتعريف لمَا جاز فصلها من الكلمة التى عَرَّفَتها ، لاسيَّما واللام ساكنة ، والساكن لا يُنوَى به الانفصال . ويقوِّى ذلك أَيضاً قولُ الآخر (١) :

عَجِّل لنا هذا وأَلحقنا بِذَال الشَّحمِ إنَّا قد أَجِمْناه بَجَلْ

فإفراده أَل ، وإعادته إيّاها فى البيت الثانى يدلُّ من مذهبهم على قوّة اعتقادهم لقطعها ، فصار قطعُهم أَل وهم يريدون الاسم بعدها ، كقطع النابغة قد وهو يريد الفعل بعدها . وذلك قوله :

أَفِدَ الترحُّلُ غير أَنَّ ركابَنا لمَّا تَزلْ برحالِنا وكأَن قَدِ

---

(١) هو ذو الرمة ، وليس فى ديوانه ولا ملحقاته . وانظر سيبويه ٣ : ٣٢٥ من نسختى .

ألا نرى أنَّ التقدير فيه : وكأن قد زالت ، فقطْعُ قد من الفعل كقطعِ أل من الاسم . وعلى هذا أيضًا قالوا فى التذكُّر : قام ال ، إذا نويت بعده كلامًا ، أى الحارث والعباس ، فجرى هذا مجرى قولك فى التذكر : قدى ، أى قد انقطع ، أو قد قام ، أو قد استخرج ، ونحو ذلك . وإذا كان أل عند الخليل حرفًا واحدًا فقد كان ينبغى أن تكون همزته مقطوعة ثابتة ، كقاف قد وباء بل ، إلا أنه لما كثر استعمالهم لهذا الحرف عُرف موضعه ، فحُذفت همزته كما حذفوا : لم يك ولم أدْرِ ولم أُبَلْ . ويؤكد هذا القولَ عندك أيضًا أنهم قد أثبتوا هذه الهمزة بحيث تحذف همزات الوصل البتة ، وذلك نحو قول الله عز وجل : ﴿ آللّٰه أذن لكُمْ (١) ﴾ و : ﴿ آلذكَرَينِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثيَيْن (٢) ﴾ ونحو قولهم فى القسم : أفأللّٰه ، ولاها اللّٰه ذا . ولم نر همزة الوصل ثبتت فى نحو هذا ، فهذا كلُّه يؤكِّد أن همزة أل ليست بهمزة وصل ، وأنها مع اللام كقد وهل ونحوهما . انتهى كلامه .

ثم أخذ فى تأييد المذهب بكون اللام هى المعرّفة ، ونقْض مذهب الخليل فقال : وأمَّا ما يدلّ على أنَّ اللام وحدها هى حرف التعريف وأنَّ الهمزة إنَّما دخلت عليها لسُكونها فهو جَرُّ الجارِّ إلى ما بعد حرف التعريف ، وذلك نحو قولهم : عجبت من الرجل ، ومررت بالغلام ، فنفوذ الجرّ بحرفه إلى ما بعد التعريف يدلُّ على أنَّ حرف التعريف غير فاصلٍ عندهم بين الجارِّ والمجرور . وإنَّما كان كذلك (٣) لأنَّه فى نهاية اللطافةِ والاتِّصال بما عرَّفه . وإنَّما كان

(١) الآية ٥٩ من يونس .

(٢) الآية ١٤٤ من الأنعام .

(٣) ط : « ذلك » .

كذلك لأنَّه على حرف واحد ولا سيَّما وهو ساكن (١) .

ولو كان حرف التعريف عندهم حرفين كقد وهل لمَا جاز الفصلُ به بين الجار والمجرور ، لأنَّ قد وهل كلمتان بائنتان قائمتان بأنفسهما . ألا ترى أنَّ أصحابنا أنكروا على الكسائى وغيره فى قراءته : ﴿ ثم ليَقْطَع (٢) ﴾ بسكون اللام . وكذلك : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضوا تَفَثَهُمْ (٣) ﴾ ؛ لأنَّ ثُمَّ قائمة بنفسِها ، لأنَّها على أكثرَ من حرف واحد ، وليست كواو العطف وفائه ، لأنَّ تينك ضعيفتان متَّصلتان بما بعدهما ، فلطُفتا عن نيِّة فصلِهما وقيامِهما بأنفسهما . وكذلك
٢٣٤ لو كان حرف التعريف فى نية الانفصال لَما جاز نفوذُ الجرّ إلى ما بعد حرف التعريف . وهذا يدلُّ على شدة امتزاج حرف التعريف بما عرَّفه . وإنَّما كان كذلك لقلَّته وضعفِه عن قيامه بنفسه ، ولو كان حرفين لَمَا لحقته هذه القلَّة ، ولا تجاوز حرفُ الجرِّ إلى مابعده .

ودليلٌ آخر يدلُّ على شدة اتِّصال حرف التعريف بما دخل عليه ، وهو أنَّه قد حدث بدخوله معنًى فيما عرَّفه لم يكن قبل دخوله ، وهو معنى التعريف ، فصار المعرَّف كأنه غير ذلك المنكور وشيءٌ سواه . ألا ترى إلى إجازتهم الجمعَ بين رجل والرَّجل ، قافيتين فى شعر واحد ، من غير استكراه ولا اعتقاد إيطاء . فهذا يدلُّك على أنَّ حرف التَّعريف كأنه مبنىٌّ مع ما عرَّفه ، كما أنَّ ياء التحقير مبنية مع ما حقَّرته ، وكما أنَّ ألف التكسير مبنيّة

(١) فى النسختين : « ولا سيما ساكن » . وانظر ابن يعيش ٩ : ١٨ س ٢ حيث أرى أن ابن يعيش إنما يلخص كلام ابن جنى .
(٢) الآية ١٥ من الحج .
(٣) الآية ٢٩ من الحج .

مع ما كسَّرته . فكما جاز أن يجمع بين رَجْلكم ورُجَيلكم (١) قافيتين ، وبين درهمكم ودراهمكم ، كذلك جاز أيضًا أن يجمع بين رجل والرجل ، لأن النكرة شيء سوى المعرفة ، كما أنَّ المكبَّر غير المصغَّر ، وكما أنَّ الواحد غير الجميع . فهذا أيضًا دليلٌ قويٌّ يدلُّ على أنَّ حرف التعريف مبنيٌّ مع ما عرَّفه ، أو كالمبنِّى معه . ويَزيدك تأنيسًا بهذا أنَّ حرف التعريف نقيض التنوين ، لأنَّ التنوين دليل التنكير ، كما أنَّ هذا الحرف دليل التعريف . فكما أنَّ التنوين فى آخر الاسم واحد ، فكذلك حرف التعريف من أوَّله ينبغى أن يكون حرفًا واحدًا . فأمَّا ما يحتج به الخليل من انفصاله عنه بالوقوف عليه عند التذكُّر ، فإن ذلك لا يدلُّ على أنَّه فى نية الانفصال منه ، لأنَّ لقائلٍ أن يقول : إنَّه حرف واحد ، ولكنَّ الهمزة لمَّا دخلت على اللام فكثُر اللفظ بها ، أشبهت اللامُ بدخول الهمزة عليها من جهة اللفظ لا المعنى ، ما كان من الحروفِ على حرفين ، نحو : هل ، ولو ، ومن ، وقد ، فجاز فصلها فى بعض المواضع . وهذا الشبه اللفظى موجودٌ فى كثير من كلامهم . ألا ترى أنَّ أحمد وبابه مما ضارع الفعل لفظًا ، إنَّما روعيت به مشابهة اللفظ ، فمُنع ما يختصّ بالأسماء وهو التنوين . ومن الشبه اللفظى ما حَكى سيبويه مِنْ صرفهم جَنَدِلًا وذَلذلا (٢) ، وذلك أنَّه لما فُقد الأَلفُ التى فى جنادل وذلاذل من اللفظ ، أشبها الآحاد ، نحو : عُلَبِط وخُزَخِز ، فصُرفا كما صرفا ، وإن كان الجميع من وراء الإحاطة بالعلم أنَّه لا يراد هنا إلَّا الجَمْع ، فغلب شبه اللفظ بالواحد ، وإن كانت الدلالة قد قامت من طريق المعنى على إرادة الجمع . وهذا الشبه

(١) فى النسختين : « ورجليكم » ، صوابه ما أثبت ، فإنه المعبر عن التصغير ، كما أن ما بعده لتمثيل جمع التكسير .

(٢) مخفف الذلاذل ، وهى أسافل القميص الطويل .

اللفظىُّ أكثر من أن أضبطه لك . فكذلك جاز أن تشبه اللام لمَّا دخلت الهمزة عليها فكثَّرتها فى اللفظ ، بما جاء من الحروف على حرفين : نحو بل ، وقد ، ولن . وكما جاز الوقوف عليها مع التذكُّر ، لما ذكرناه من مشابهتها قد وبل ، كذلك جاز أيضًا قطعها فى المصراع الأوّل ومجىء ما تعرَّفَ به فى المصراع الثانى ، نحو ما أنشدناه لعَبيد .

وأما قوله سبحانه : ﴿ آلذَّكَرَين حَرَّم ﴾ وقوله : ﴿ آللهُ أَذِنَ لَكُم ﴾ ، فإنَّما جاز احتمالهم لقطع همزة الوصل ، مخافةَ التباس الاستفهام بالخبر . وأيضًا فقد يقطعون فى المصراع الأوّل بعض الكلمة وما هو منها أصل ، ويأتون بالبقيَّة فى أول المصراع الثانى . فإذا جاز ذلك فى أنفُس الكلم ولم يدلّ على انفصال
بعض الكلمة من بعض ، فغير منكر أيضًا أن يُفصل لامُ المعرفة فى المصراع ٢٣٥
الأول ولا يدلُّ ذلك على أنَّها عندهم فى نية الانفصال ، كما لم يكن ذلك فيما هو من أصل الكلمة . قال :

يا نفسُ أكْلًا واضْطِجا عًا نفسُ لسْتِ بخالده (١)

وهو كثير . ومنه قول الأعشى :

حلَّ أهلى ما بين دُرْنا فبادُو لَى وحلَّت عُلويّةً بالسِّخالِ (٢)

وإذا جاز قطع همزة الوصل التى لا اختلاف بينهم فيها ، نحو ما أنشده أبو الحسن :

ألا لا أرى اِثنين أحسَنَ شِيمـــةً على حَدَثانِ الدّهر منّى ومن جُمْلِ (٣)

---

(١) نسبه ابن يعيش ٩ : ١٨ – ١٩ إلى كثير . وليس فى ديوانه .

(٢) ديوان الأعشى ٣ . والدال فى كل من درنا وبادولى تقال بالفتح وبالضم أيضا ، وهما موضعان .

(٣) لجميل فى ديوانه ١٨١ . وانظر معجم شواهد العربية .

فأَنْ يجوز قطع الهمزة التى هى مختلَف فى أمرها ، وهى مفتوحة أيضًا مشابهةٌ لما لا يكون من الهمز إلّا قطعًا ، نحو همزة أحمر ، أولى وأجدر . إلى آخر ما ذكر ، فإنّه أطال وأطابَ بضعفَىْ ما نقلنا .

وقد أورَدَهُ (١) الشارح المحقق فى الجوازم ، وفى كأنَّ من الحروف المشبَّهة بالفعل أيضًا ، على أنَّ الفعل بعد قد محذوف ، أى كأنْ قد زالت .

وقد أورده ابنُ هشام عَلى أنَّ الفعل يجوز حذفه بعدها لقرينة ، وفى التنوين أيضًا على أنَّ دال قد لحقها تنوين الترنم ، قال : تنوين الترنُّم ، وهو اللاحق للقوافِى المطلقة بدًلا من حَرفِ الإطلاق (٢) ، وهو الألف والواو والياء ، وذلك فى إنشاد بنى تميم . وظاهر قولهم أنَّه تنوين محصِّل للترنم (٣) . وقد صرَّح بذلك ابن يعيش . والذى صرَّح به سيبويه وغيره من المحقّقين أنَّه جىء به لقطع الترنم ، وأنَّ الترنم ، وهو التغنِّى ، يحصل بأحرف الإطلاق ، لقبولها لمدِّ الصوت فيها ، فإذا أنشدوا ولم يترنَّموا جاءُوا بالنون فى مكانها . ولا يختصُّ هذا التنوين بالاسم ، بدليل قوله : وكأن قدن (٤) البيت . انتهى .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة للنابغة الذبيانى ، وهو من أوائل القصيدة ، وهى :

أبيات الشاهد

(أمِنَ آلِ ميَّةَ رائحٌ أو مغتدى — عَجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوَّدِ
زعمَ البوارحُ أنَّ رحلتَنا غدًا — وبذاك تنعابُ الغُرابِ الأسودِ
لا مرحبًا بغدٍ ولا أهلًا به — إنْ كان تفريقُ الأحبَّةِ فى غدِ

(١) ط : « أورد » ، صوابه فى ش .
(٢) فى النسختين : « حروف الاطلاق » ، صوابه فى المغنى ٣٧٨ فى حرف النون .
(٣) ش : « المترنيم » .
(٤) ش : « وكأن قد » .

أَزِف الترحل .... البيت

قال شارح ديوانه : قوله : « أَمنَ آل مية » يخاطب نفسه كالمستثبت، والنون من أَمنَ متحركة بفتحة همزة أَل الملقاة عليها لتحذف تخفيفًا . قال الأَصمعى : تقديره أَمِنْ آل ميَّة أَنت رائح أَو مغتدِ (١) . ورائح : مِن راح يروح رواحا . ومغتد : مِن اغتدى ، أَى ذهبَ وقتَ الغداة ، وهو ضدُّ الرواح . وعجلان : من العَجلة ، نصبه على الحال . وذا : حالٌ من ضمير عجلان ، وقيل بدل منه . والزاد فى هذا الموضع : ما كان من تسليم وردٌ تحية . وتَنعاب الغراب : صِياحه . والبوارح : جمع بارح ، وهو ماوَلَّاكَ مياسره ، يمرُّ من ميامنك إلى مياسرك . والعرب تتطيَّر بالبارح وتتفاءل بالسانح .

و (أَزِف) من باب فرح ، أَى دنا . وروى بدله : « أَفد » وهو مثله وزنًا ومعنًى . و (الترحُّل) : الرحيل . وغير منصوب على الاستثناء المنقطع . و (الرُّكاب) الإبل ، واحدها راحلة من غير لفظها . ولَمَّا جازمةٌ بمعنى لم . وتَزُل بضم الزاى ، من زال يزول زوالًا ، أَى فارق . والباء للمعية . و (الرحال) : جمع رحل ، وهو ما يستصحبه الإنسانُ من الأَثاث .
٢٣٦ و (كأَنْ) مخففة من الثقيلة . قال الشارح المحقق فى بابها : الأَفصح عند تخفيفها إلغاؤها ، وإذا لم تعملها لفظًا ففيها ضمير شأْن مقدّر ، فاسمها ضمير الشأْن ، والجملة المحذوفة بعد قد خبرها . وسيأْتى الكلام عليه إن شاء الله فى كأَنَّ .

ونقل ابن الملَّا (فى شرح المغنى) عن ابن جنى (فى الخصائص) ،

---

(١) ش : « مغتدى » .

أنَّه جوَّز أن يكون قد هنا بمعنى حسبى ، أى وكأن ذلك حسبى ، فقدى وحده هو الخبر . هذا كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الخمسمائة (١) :

٥٢٦ (ياخليليَّ اربعَا واستخبِرا الـ ـمَنزِلَ الدَّارسَ مِنْ أَهلِ الحِلالِ)

على أنَّ الخليل استدلَّ على أنَّ حرف التعريف أَل لا اللامُ وحدها ، بفصلِ الشاعر إيّاها من المعرَّف بها . ولو كانت اللام وحدَها حرف تعريف لما جاز فصلُها من المعرَّف ، لا سيَّما واللام ساكنة .

وقد تقدَّم بيانه ونقضُه فى البيت قبله .

قال ابن جنى (فى المنصف) ، وهو شرح (تصريف المازنى المسمَّى بالملوكى) : قد ذهب بعضُهم إلى أنَّ الألف واللام جميعًا للتعريف بمنزلة قد فى الأفعال ، ولكن هذه الهمزة لمَّا كثرت فى الكلام وعُرف موضعها ، والهمزة مستثقلة (٢) حذفت فى الوصل لضربٍ من التخفيف . قالوا : والدليل على ذلك أنَّ الشاعر إذا اضطُرَّ فصَلها من الكلمة كما تفصل قد . من ذلك قوله :

عجِّل لنا هذا وأَلحِقنْا بذا ال الشَّحمِ إنَّا قد مَلِلناه بَجَلْ (٣)

فقطَعَها فى البيت الأوّل ثم ردَّها فى أول الكلمة بعد . لأنَّها مرَّت

(١) الخصائص ٢ : ٢٥٥ والمنصف ١ : ٦٦ وابن يعيش ٩ : ١٧٠ وديوان عبيد بن الأبرص ٥٨ .

(٢) ط : « مستقلة » ، صوابها فى ش والمنصف ١ : ٦٥ .

(٣) سبق الكلام عليه فى ١٩٨ .

فى البيت الأوّل ، فكأنَّها لمَّا تباعدت أُنسيَها ولم يعتدَّ بها [١] . وهذا أحد ما يدلُّ عندى على أنَّ ما كان من الرجز على ثلاثة أجزاء فهو بيتٌ كامل وليس بنصف بيت على ما يذهب إليه أبو الحسن الأخفش [٢] . ألا ترى أنَّه ردّ أْل فى أوّل البيت الثانى . لأنَّ الأوّل بيتٌ كامل قد قام بنفسه وتمَّت أجزاؤه ، فاحتاج فى ابتداء البيت الثانى أن يعرِّف الكلمة التى فى أوله ، فلم يعتدَّ بالحرف الذى كان فصله لأنَّهما ليسا فى بيتٍ واحد . ولو كان هذان البيتان بيتًا واحدًا كما يقول من يخالف لما احتاج إلى ردِّ حرف التعريف . ألاترى أنَّ عبيدًا لمّا جاء بقصيدة طويلةِ الأبيات وجعل آخر المصراع الأول أْل لم يُعِد الحرف فى أول المصراع الثانى ، لمَّا كانا مصراعين ، ولم يكن كلُّ واحد منهما بيتًا قائمًا برأسه . وذلك قوله :

يا خليلَّى اربَعا واستخبرا الـ ـمَنزلَ الدَّارسَ مِنْ أهل الحِلالِ

فطرَد هذه القصيدة وهى بضعة عشر بيتًا على هذا الطَّرْز [٣] إلَّا بيتًا واحدًا وهو :

فانتحينا الحارث الأعرجَ فى جحفل كاللَّيل خطَّارِ العوالى

فهذا ما عندى فى هذا . وقد كان أبو علىّ يحتجُّ أيضًا على أبى الحسن بشىءٍ غير هذا . انتهى .

وقال ابن جنى (فى باب التطوُّع بما لا يلزم ، من الخصائص) قال :

---

(١) فى المنصف ١ : ٦٦ : « أو لم يعتد بها » .

(٢) المنصف : « على ما ذهب » .

(٣) المنصف : « تطرد هذه القصيدة ، وهى بضعة عشر بيتا على هذا الطراز » .

وهو أمرٌ قد جاء فى الشعر القديم والمولَّد جميعًا ، مجيئًا واسعًا [١] . وهو أن يلتزم الشاعر ما لا يجب عليه ، ليدلّ بذلك على غزارةِ [٢] وسَعةِ ما عنده . وأورد قصائد إلى أن قال : وعلى ذلك ما أنشدَنا أبو بكر محمد بن على [٣] عن أبى إسحاق [٤] لعَبيدٍ ، من قوله : ٢٣٦

(يا خليليَّ اربَعا واستخبِرا الـ ـمنزل الدَّارسَ من أهلِ الحِلال

مثل سَحقِ البُرد عَفَّى بعدك الـ ـقَطرُ مَغناه وتأويبُ الشَّمال

ولقـد يَغْنَـى بـه جِيرانُك الـ ـمُمسكو منكَ بأسباب الوصال

ثمَّ أودى وُدُّهم إذْ أزمعوا الـ ـبينَ والأيَّامُ حالٌ بعدَ حال

فانصرِفْ عنهم بعنس كالوَأى الـ ـجَأبِ ذى العانة أو شاةِ الرِّمالِ

نحنُ قُدْنا من أهاضيب المَلَا الـ ـخيلَ فى الأرسان أمثالَ السَّعالى

شُزَّبًا يعسِفْن من مجهولةِ الـ ـأرض وَعْثًا من سهولٍ أو رمالِ

فانتجنا الحارثَ الأعرج فى جَحفلٍ كاللَّيل خطَّار العوالى

ثم عُجناهُنَّ خُوصًا كالقَطا الـ ـقارباتِ الماءَ من أيْنِ الكَلالِ

نحوَ قُوصٍ يومَ جالت جَولةُ الـ ـخيل قُبًّا عن يمينٍ أو شِمال

كم رئيس يقـدُم الألفَ على الـ ـسَّابحِ الأجردِ ذى العَقْبِ الطُّوال [٥]

---

(١) ط : « مجيا واسعا » بالتسهيل والإدغام ، وأثبت ما فى ش والخصائص ٢ : ٢٣٤ .

(٢) فى الخصائص : « على غزره » .

(٣) يبدو أنه محمد بن على بن إسماعيل الملقب بمبرمان ، وهو أستاذ أبى على الفارسى وأبى سعيد السيرافى .

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج . وهو من شيوخ مبرمان السابق . البغية ٧٥ .

(٥) ط : « الأجود » ، صوابه فى ش . والأجرد : القصير الشعرة ، كما سيأتى فى تفسير البغدادى .

قد أَباحت جمعَه أَسيافُنـا الـ ـبيضُ فى الرَّوعة من حيّ حِلالِ (١)
ولنا دارٌ ورِثناها عن الـ ـأَقدمِ القُدمُوس من عمٍّ وخال
منــزلٌ دَمَّنَــه آباؤنــا الــ ـمُورثونا المجْدَ فى أُولَى الليالى (٢)
ما لنا فيها حصونٌ غير ما الـ ـمفرداتِ الخيلِ تعدُو بالرِّجالِ
فى روابى عُذمليّ شامخ الـ ـأَنف فيه إرثُ مجد وجَمالِ
فاتَّبعنـا دأْبَ أُولانَـا الأُولى الـــ ـمُوقدى الحربِ ومروى بالحبال (٣))

وقال القصيدةَ (٤) كلَّها على أَنَّ آخر مصراع كلِّ بيت منها منتهٍ إلى لام التعريف ، غير بيت واحد ، وهو قوله : « فانتجعنا الحارث » إلى آخره ، فسار هذا البيت الذى نقضَ القصيدة أَنْ تَمضىَ (٥) على ترتيب واحد هو الجَزْء . وذلك أَنَّه دلَّ على أَنَّ هذا الشاعر إنَّما تساند إلى ما فى طبعه ، ولم يتجشَّم إلَّا ما فى نهضته ووضعه ، من غير اغتصاب [له] (٦) ولا استكراه أَلجأَ إليه (٧) ، إذ لو كان ذلك على خلاف ماحدَّدناه وأَنَّه إنما صنع الشعر صنعا لكان قمِنا أَن لا ينقض ذلك ببيت واحد يُوهيه ، ويُقدح فيه . وهذا واضح . انتهى .

وقوله : (يا خليلىَّ) مثنَّى خليل . و (اربَعا) بأَلف التثنية من رَبَع

---

(١) ط : « الأبيض » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « منزل فى دمنة » ، صوابه من الخصائص ٢ : ٢٥٧ والديوان واللسان (دمن) . دمن القوم المنزل : سودوه وأثروا فيه بالدمن وغيره ، وهو بكسر الدال : البعر .

(٣) كذا ، وفى الخصائص والديوان : « وصوف بالحبال » ، أى : ومنهم موف بالحبال .

(٤) فى الخصائص ٢ : ٢٥٨ : « فقاد القصيدة » .

(٥) فى النسختين : « أن يمضى » : صوابه فى ش .

(٦) التكملة من ش والخصائص .

(٧) ش : « أجاء إليه » وفى الخصائص : « أجاءه إليه » .

زيدٌ بالمكان يربَع بفتح الباء فيهما ، إذا اطمأنَّ وأقام به . و (استخبرا) أمرٌ مسندَ إلى ألف التثنية . و (الحِلال) : جمع حالٍّ بمعنى نازل . وفى القاموس : الحِلال : جمع حِلَّة بكسر المهملة فيهما ، وهم القوم النزول ، وجماعةُ بيوتِ الناس ، أو مائةُ بيت ، والمجلس ، والمجتمَع .

وقوله : « مثل سَحْق البرد » إلخ السَّحق بالفتح : الثوب البالى ، وقد سَحُق ككرم سُحوقة بالضم ، كأَسحَقَ . والبُرْد بالضم : ثوبٌ مخطَّط : فهو من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف . وعَفَّى تعفية : غطَّاه تغطية ومحاه . والقطر ، أى المطر ، فاعله . ومغناه مفعوله . والمغنَى : المنزل الذى غنِىَ به أهلُه ثم ظعنوا ، أو عامٌّ من غنِىَ بالمكان كرضى ، إذا أقام فيه . والتأويب : الرجوع ؛ والمراد تردُّد هبوبها . والشَّمال : الريح المعروفة . ٢٣٨

وقوله : « ولقد يَغنى » هو من غَنِىَ المذكور . والممسكو أصله الممسكون ، حذفت نونه تخفيفًا . قال ابن جنى (فى المنصف) : قوله الممسكو أراد الممسكون ، ولكنَّه حذف النون لطول الاسم لا للإضافة . وعندى فيه شىءٌ ليس فى قوله الحافظو عورة العشيرة ، وذلك أنَّ حرف التعريف منه فى المصراع الأوَّل ، وبقية الكلمة فى المصراع الثانى ، والمصراع كثيرًا ما يقوم بنفسه حتَّى يكاد يكون بيتًا كاملًا (١) ، وكثيرا ما تقطع همزة الوصل فى أوَّل المِصراع الثانى نحو قوله :

(١) ش فقط : « بيتا كاملا » . وفى حواشى ش بخط الناسخ « قوله بيتا كلاما كذا بخط المؤلف رحمة الله ، والصواب بيتا كاملا » .

لتسمعُنَّ وشيكًا فى دِياركُم : اللّهُ أكبرُ ، ياثاراتِ عُثمانا (١)

وقد أجاز أبو الحسن الخرمَ فى أول المصراع الثانى ، بخلاف قول الخليل ، وجاء ذلك فى الشعر كقول امرئ القيس :

وعينٌ لها حَدرةٌ بَدْرة شُقَّت مآقيهما من دُبُرْ

فلمّا كان أول المسكو فى المصراع الأوّل وباقيه فى المصراع الثانى ، وهما كالبيتين ، ازدادت الكلمة طولًا ، وازداد حذف النون جوازا . وليس الحافظو كذلك (٢) . فهذا فصلٌ فيه لطف ، وكلا الاسمين إنّما وجب فيه الحذف لطوله .

وقوله : « ثم أودى » أى هلك . وأزمعوا : مِن أزمعت الأمرَ وعليه : أجمعتُ أو ثبتُّ عليه . وقوله « والأيام حالٌ » أى ذات حالٍ وتغيّر .

وقوله : « بعنْسٍ كالوأى » العنس بالفتح : الناقة الصُّلبة . والوأى بفتح الواو والهمزة بعدها ألف مقصورة : الحمار الوحشىّ . والجأب ، بفتح الجيم وسكون الهمزة : الحمار الغليظ . والعانة بالنون : الأتان ، وهو المراد هنا ، والقطيع من حمر الوحش ، والشاة الواحدة من الغنم للذكر والأنثى ، أو تكون من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام وحمر الوحش ، والمرأة ، الجمع شاء . كذا فى القاموس .

وأهاضيب الملا : اسم مكان . وأهاضيب : جمعُ هضاب جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض ، أو جبلٌ خُلِقَ من صخرة

---

(١) البيت لحسان بن ثابت فى ديوانه ٤١٠ . وقبله :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

(٢) بعده فى المنصف : « لأن الكلمة بكمالها فى المصراع الأول ، فلم تطل طول المسكو » .

واحدة ، أو الجَبَل . قال أبو عبيد البكرى (فى المعجم) : الملا : بفتح الميم والقصر : موضعٌ من أرض كلب ، وموضع فى ديار طىّ . والسعالى : جمع سِعلاة ، وهى أنثى الغول .

وقوله : شُزَّبا إلخ ، هو جمع شازب : الضامر اليابس . والعَسْف : الأخذ على غير الطريق . ووُعْثًا مفعول يعسفن ، جمع أوعث بمعنى وَعْث . والوَعث بالفتح : الطريق العَسِرة كالوعِث بكسر العين . وقوله : من سهول أو رمال ، بيان لقوله رُعْثا .

وقوله : « فانتجعنا الحارث » إلخ مِن انتجع فلانا أى أتاه طالبا معروفه . وهُنا تهكُّم وسُخْرية . والحارث الأعرج هو من ملوك الشام ، وأُمّه مارِيَة ذات القُرطين . والجَحفل بفتح الجيم : الجيش الكثير . والخَطّار : المضطرب . والعوالى : الرِّماح ، جمع عالية ، والعالية : أعلى القناة ، أو النصف الذى يلى السِّنان .

وقوله : « ثم عجناهن » يقال عاج رأسَ البعير أى عطفه بالزمام . والخُوص بالضم : جمع أخوَص ، وخَوصاء ، وهى الغائرة العينين . والقاربات ، من القَرَب بفتحتين ، وهو سير الليل لوِردِ الغد . والأين : الإعياء . والكلال بمعناه أيضًا .

وقوله : « نحو قوص » بالضم : موضع (١) . وقُبًّا : جمع أقبّ ، وصفٌ من القَبَب بفتحتين ، وهو دقّة الخصر وضمور البطن . ٢٣٩

وقوله : « كم رئيسٍ يقدُم الألف » الرئيس : سيِّد القوم وكبيرهم .

---

(١) فى معجم البلدان : « نحو قرص » ، وقال : « بالضم بلفظ القرص من الخبز : تل بأرض غسان فى شعر عبيد بن الأبرص ، وأما قوص ، فهو خطأ ، لأنها مدينة كبيرة كانت قصبة صعيد مصر » .

والسابح : الفرس الحَسن الجرى . والأجرد : القصير الشَّعر . والعقب ، بفتح المهملة وسكون القاف : الجرى بعد الجرى . والطُّوَال بالضم بمعنى الطويل ، وجمعَه مفعول أباحت ، وأسيافنا فاعله .

والقُدمُوس بالضم : القديم ، والسين زائدة .

والمورثونا المجد : جمع مُورث ، ونا ضمير المتكلم مع الغير ، والمجد بالنصب مفعول .

وقوله : « مالنا فيها » أى فى تلك الدار . والمفرَدات ، بفتح الراء : التى أُفردَت عن غيرها ، وما زائدة ، والخيلِ بدل من المفردات .

وقوله : « فى روابى » إلخ جمع رابية ، وهى ماعلا من الأرض . والعُدْمُلىُّ بضم العين وسكون الدال المهملتين ، وضم الميم وكسر اللام ، قال صاحب القاموس : العُدمُل والعُدمُلىّ والعُدامِل والعُدَاملىّ مضمومات : كلُّ مسنٍّ قديم ، والضَّخِم القديمُ من الشجر ومن الضِّباب . والإرث بالكسر : الأصل .

وقوله : « فاتبعنا دأْب أُولانا » إلخ أى دأْب عشيرتنا الأُولى ، أى آبائنا الأقدمين . والأُولى الثانية بدل من الأُولى (١) ، وهى اسم إشارة بمعنى أُولئك (٢) . والموقدين صفة له ، أو بدل وحذفت نونه للإضافة .

وعبيد هو عبيد بن الأبرص الأسدى ، بفتح العين وكسر الموحَّدة ، وهو

(١) كذا . ووجه كتابتها « الألى » باعتبارها اسم موصول صفة لأولانا .

(٢) الوجه هنا أيضا أن تكون اسم موصول لا اسم إشارة . لأن أل لا تدخل على أسماء الإشارة .

شاعرٌ جاهلى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادسَ عشرَ بعد المائة [١] .

وقوله فى البيت الآخر : « عجِّل لنا هذا وأَلحقنا » البيت ، هو من أبيات سيبويه . وهذا نصُّه فى المسألة : وزعم الخليل أَنَّ الأَلف واللام اللتين يعرِّفون بهما حرفٌ واحد كقد وأَن ، ليست واحدة منهما منفصلة من الأُخرى كانفصال أَلف الاستفهام فى قوله : أَزيد ، ولكن الأَلف كأَلف ايم فى ايم الله ، وهي موصولة كما أَنَّ أَلف ايم موصولة . إلى أَن قال : وقال الخليل : وممَّا يدلُّك على أَن تلك مفصولة من الرَّجُل ولم يُبنَ عليهَا [٢] وأَنَّ الأَلف واللام فيها [٣] بمنزلة قد ، قول الشاعر :

دَعْ ذا وعجِّل ذا وأَلحقنا بِذَال ... بالشَّحم إِنَّا قد مَلِلناهُ بَجَلْ [٤]

قال : هى ههنا كقول الرجل وهو يتذكَّر قدى ، ثم يقول قد فعل . ولا يُفعَل مثلُ هذا علمناه بشيءٍ ممَّا كان من الحروف الموصولة . ويقول الرجلُ أَلِى ، ثم يتذكَّر . فقد سمعناهم يقولون ذلك ، ولولا أَنَّ الأَلف واللام بمنزلة قد وسوف ، لكانتا بناءً بنى عليه الاسم لا يُفارقه [٥] ، ولكنَّهما جميعًا بمنزلة هل ، وقد ، وسوف [٦] ، يدخلان للتعْريف [٧] . انتهى نصُّه .

وقال الأَعلم : الشاهد فى قوله بذال ، وأَراد : بذا الشَّحم ، ففصل

---

(١) الخزانة ٢ : ٢١٥ - ٢١٩ .

(٢) فى النسختين : « عليهما » ، صوابه من سيبويه ٢ : ٦٤ .

(٣) فى النسختين : « فيهما » ، صوابه فى سيبويه .

(٤) سبق الكلام عليه فى حواشى ٢٠٥ .

(٥) فى النسختين : « لكانتا بنى على الاسم لا تفارقه » ، صوابه وتكملته من سيبويه .

(٦) بعده فى كل من النسختين : « وهل » ، وهو تكرار لم يرد فى سيبويه .

(٧) فى سيبويه : « تدخلان للتعريف وتخرجان » ، وفى إحدى مخطوطاته : « يدخلان للتعريف » فقط ، كما هنا .

لام التعريف من الشحم لمَا احتاجَ إليه من إقامة القافية (١) ثم أعادها فى الشحم لمَّا استأنف ذكره بإعادة حرف الجرّ . ومعنى بجل حَسْب ، يقال بَجَلى كذا ، أى حَسْبِى (٢) . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت غُفْل لم يُحلَّ قائله . وقال العينى (٣) : قائله غيلان بن حُرَيث الرَّبَعى الراجز .

وقوله : « وألحقنا » فى رواية سيبويه : « وأُلزِقْنا » ، وضبطَ بعضُ شرّاح أبياته « بخِلّ » بالخاء المعجمة ، أُراد به الخِلّ المعهود . والباء فيه حرف جر . وهذا أقرب إلى المعنى . انتهى . ولم أَرَ ما ذكره . والله أَعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الخمسمائة (٤) :

٢٤٠ **٥٢٧** (وبالنَّسْرِ عَنْدَما)

هو قطعة من بيت وهو :

(أَمَا والدِّماءِ المائراتِ تخَالُها   على قُنَّة العُزَّى وبالنَّسر عَندما)

على أنَّ لام التعريف قد تزاد فى العلمِ .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : نسرٌ : الصَّنم الذى كان قومُ نوح يعبدونه ، وقد ذكره الله تعالى فى قوله : ﴿ ولا تَذرُنَّ وَدًّا ولا سُواعًا ولا يَغُوثَ

---

(١) ط : « من إقامته القامة » ، صوابه فى الشنتمرى وفى ش مع أثر تصحيح .
(٢) فى الشنتمرى : « أى حسبى ركفانى » .
(٣) العينى ١ : ٥١٠ .
(٤) المنصف ٣ : ١٣٤ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٤ / ٢ : ٣٤١ والإنصاف ٣١٨ والعينى ١ : ٥٠٠ واللسان (أبل ٦) .

ويَعُوقَ ونَسرًا (١) ﴾ . وأَدخل فيه الشاعر الأَلف واللام زيادة للضرورة فى قوله : « وبالنَّسر عَندمَا » البيت . انتهى .

وقال ابن جنى (فى سر الصناعة) : أَنشدنَا أَبو علىٍّ هذا البيت وقال : اللام فى النَّسر زائدة . وهو كما قال ، لأَنَّ نسرًا بمنزلة عمرو .

وقال ابن جنى قبلَ هذا : وأَمَّا اللات والعُزَّى فذهب أَبو الحسن إلى أَنَّ اللام فيهما زائدة . والذى يدلُّ على صحَّة مذهبه أَنَّ اللات والعزَّى علمان ، بمنزلة يغوث ويعوق ونَسر ومَنَاة ، وغير ذلك من أَسماء الأَصنام . فهذه كلُّها أَعلام وغير محتاجةٍ فى تعرُّفها إلى اللام ، وليست من باب الحارث والعبّاس ، التى نُقِلت فصارت أَعلامًا وأُقِرَّت فيها (٢) لامُ التعريف ، على ضربٍ من توهُّم روائح الصِّفة فيها ، فتحمَلُ على ذلك . فوجب أَن تكون فيها زائدة ، ويؤكِّد زيادتها فيها أَيضًا لزومُها إيّاها كلزوم لام الآن والذى وبابه . فإن قلت : فقد حكى أَبو زيد : لقيته فينةَ والفينةَ ، وقالوا للشَّمس : إلاهة والإلاهة . وليست فينة ، ولا إلاهة ، بصفتين فيجوز تعريفهما وفيهما اللام كالحارث والعباس . فالجواب : أَن فينةَ والفينةَ وإلاهةَ والإلاهة ، ممَّا اعتقب عليه تعريفان : أَحدهما بالأَلف واللام ، والآخر بالوضع والعلميَّة ، ولم نسمعهم يقولون : لات وعُزَّى بغير لام (٣) ، فدلّ لزوم اللام على زيادتها ، وأَنَّ ماهى فيه ليس مما اعتقَب فيه تعريفانِ . انتهى .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة نوح .

(٢) ط : « وفيها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) فى حواشى المطبوعة : « قوله وعزى بغير لام . بل وقد قال أبو سفيان : ولا عزى لكم . وقال خالد بن الوليد : كفرانك يا عزى . ١ هـ من هامش الأصل » .

أقول : أما النص الأول فقد ورد فى إمتاع الأسماع ١ : ١٥٨ وفيه أن عمر بن الخطاب قال حين سمع كلمة أبى سفيان : « لنا العزى ولا عزى لكم » قال : « الله مولانا ولا مولى لكم » .

وأما نص خالد بن الوليد فقد ورد هنا محرفا ، والصواب أن خالد بن الوليد لما بعثه رسول =

ومحصّلهُ أنَّ اللام فى النسر زائدة بعد وضع العلميَّة ، وأنَّ اللام فى اللات والعزَّى زائدة فيهما عند وضع العلميَّة ، وأنَّ اللام فى الفينة والإلاهة للتعريف ، وليست زائدة . ولهذا لم ينشد الشارح المحقّق البيت بتمامه لتعين الزائد الطارئ للضرورة من الزائد غير المنفكّ إلّا فى ضرورة ، كقوله [1] :

عزّاىَ شُدّى شدَّةً لا تكـذّبى على خالدٍ وألقِى الخمارَ وشمِّرى [2]

صاحب الشاهد وبيت الشاهد أول أبيات ثلاثة لعمرو بن عبد الجِنّ ، وبعده :

أبيات الشاهد (وما سبَّح الرهبانُ فى كلِّ ليلة أبيلَ الأبيلينَ المسيحَ بنَ مريما

لقد هَزَّ منِّى عامرٌ يومَ لعلعٍ حُسامًا إذا ماهُزَّ بالكفِّ صمّما

كذا أنشد هذه الأبياتَ أبو على (فى التَّذكِرة القصرية) عن ابن الأعرابىّ ، وابنُ الأنبارىِّ (فى مسائل الخلاف) ، وابن الشجرى (فى أماليه).

وقوله : (ألا والدِّماء [3]) إلخ ، ألا : كلمة يستفتح بها الكلام ،

= الله ﷺ ، إلى العزى ، وهى سمرة كانت لغطفان يعبدونها ، وكانوا بنوا عليها بيتا وأقاموا لها سدنة ، قام خالد بهدم هذا البيت ، وأحرق تلك السمرة وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك أنى رأيت الله قد أهانك

وانظر ما سيأتى فى حواشى ص ٢٣٦ .

(١) البيت لدبية بن حرمى الشيبانى ثم السلمى ، وكان سادنا للعزى . الأصنام لابن الكلبى ٢٥ – ٢٦ .

(٢) ش وكذا أصل الأصنام : « عزّى » ، وهى صحيحة مع الخرم ، وأثبتت ما فى ط وهامش نسخة الخزانة الزكية من الأصنام . وفى الأصنام : « على خالد ألقى الخمار » .

(٣) كذا وردت « ألا » هنا ، مع أن نص الشاهد هنا : « أما والدماء » . ط : « ألا ودماء » ، صوابه فى ش .

التنبيه ، والواو للقسم والدماء مقسم به [١] ، والبيت الثالث جواب القسم .
و (المائرات) المتردِّدات ، من مار الدم على وجه الأرض يمور ، إذا تردَّد .
ويروى : « أما ودماءٍ مائرات » بدون لام . و (تخالها) : تظُنها . وعَندما المفعول
الثانى . و (وقُنَّة العُزَّى) : أعلاها . وقُنَّة الجبل ، بالضم : أعلاه . والعَنْدَم : ٢٤١
البقَّم . والعندم : دمُ الأخوين . رواه أبو على (فى الحجَّة) :

* أمَا ودماءٍ لا تزالُ كأنَّها *

وقال : انتصاب عندم بأحد شيْئين : أحدهما : ما فى كان من معنى الفعل ، والآخر : أن يجعل على قنة العزى مستقَرًّا فيكون الحال عنه . فإنْ نصبت بالأوّل فذو الحال الضمير الذى فى كأنَّها ، وإن نصبته عن المستقرّ فذو الحال الذّكر الذى فى المستقَرّ ، والمعنى على حذف المضاف ، كأنَّه مثلُ عندم . انتهى .

وقوله : « وما سبَّح » إلخ الواو عاطفة على الدماء ، وما مصدرية وسَبَّح بمعنى نَزَّه ، والرهبان فاعله ، وأَبيلَ مفعولُه ، وفى كل ليلة متعلق بسَبَّح . وروى : « فى كل بِيعة » أى وتسبيح الرهبان [٢] أبيل الأبيلين . والبِيعة بكسر الباء : متعبَّد النصارى . وأَبيل الأَبيلين : راهب الرُّهبان ، قال ابن فارس ، والصاغانى (فى العباب) : الأَبيل : راهب النَّصارَى ، وكانوا يسمُّون عيسى عليه السلام أَبيل الأَبيلين ، ومعناه راهب الراهبين . وعيسى : بدلٌ أو عطفُ

(١) ش : « مقسم بها » .
(٢) ط : « وسبح الرهبان » ، صوابه فى ش .

بيان له . والأَبيل يفتح الهمزة وكسر الموحَّدة ، كأَمير : الرَّاهب ، سمِّى به لتأَبُّله عن النساء وترك غِشيانهنَّ . والفعل منه أَبَلَ يأْبُلُ إبالة ، ككتب كتابة ، إذا تنسَّك وترهَّب .

وأَورده الجواليقى (فى المعرَّبات) قال : الأَبيل : الراهب ، فارسى معرب ، قال الشاعر [1] وهو جاهلى :

وما سبَّحَ الرُّهبانُ فى كل بِيعة .... البيت

وقال الآخر [2] :

* وما صَكَّ ناقوسَ النَّصارَى أَبيلها [3] *

وقالوا : أَيْبُلِىٌّ . قال :

وما أَيْبُلِىٌّ على هيكلٍ بَناهُ وصلَّب فيه وصارَا [4]

قال أَبو عبيدة : أَيْبُلِىّ : صاحب أَبيل ، وهى عصا الناقوس . انتهى .

والأَيْبُلى [هو] [5] بتقديم المثناة التحتية الساكنة وتأْخير الموحَّدة المفتوحة ، ويجوز ضمها ، ويجوز إبدال الأَلف هاء فيقال هَيْبُلىّ ، ويجوز إبدال الياء التحتيَّة أَلفا فيقال آبُلى . وقد جمع صاحبُ القاموس هذه اللغات فقال :

---

(١) هو عمرو بن عبد الجن . كما سيأتى ، وكما فى حواشى المعرب ٣٠ ومعجم الشعراء للمرزبانى ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ١٢٣ .

(٣) صدره فى الديوان :

* فإنى ورب الساجدين عشية *

(٤) البيت للأعشى فى ديوانه ٤٠ ، وكذا وردت الرواية فى اللسان (أبل ٦) . وفى المعرب : « وما أيبلى » وكذا فى التعليق التالى : « أيبلى : صاحب أيبل » . ولا يستقيم وزن البيت بهذه الصورة ، كما أنه يتجافى مع التقييد التالى للبغدادى .

(٥) التكملة من ش .

الأَبيل كأَمير : العصا ، والحزينُ بالسريانيّة ، ورئيس النصارى ، أَو الراهب ، أَو صاحب الناقوس ، كالأَيْبُلّى بضم الباء وفتحها ، والهَيْبُلَى والآبَلىّ بضم الباء ، والأَيبل بضم الباء وفتحها . انتهى .

وقوله : « وما أَيبلىٌّ على هيكل » ، هو من قصيدةٍ للأَعشى ميمون . قال الصاغانى (فى العباب) : قيل أَراد أَبيلىّ كأَميرىّ ، فلمّا اضطُرّ قدَّم الياء كما قالوا أَينق ، والأَصل أَنوق . قال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

إنّنى واللهِ فاقبَلْ حِلفتى　　　بأَبيلٍ كلَّما صَلَّى جأَرْ

وقال ابن دريد : الأَبيل : ضارب الناقوس . وأَنشد :

* وما صَكَّ ناقوسَ النَّصارى أَبيلُها * انتهى

ونقل العينىُّ عن ابن الأَثير أَنّه رُوِىَ أَيضًا :

* أَبيل الأَبيلِيِّين عيسى بنَ مريما *

على النَّسَب .

وقوله : « هزَّ منىَّ عامر » إلخ هذا من قبيل التجريد ، يريد أَن عامرًا وجدنى حُسامًا فى ذلك اليوم . ورَوى الصاغانىُّ (فى العباب) : « لقد ذاق منّى » . ولعلع كجعفر : موضع ، قال ابن ولّاد : لَعلعٌ من آخر السَّواد إلى البرّ ، ما بين البصرة والكوفة . وقال غيره : لعلعٌ : ببطن فلْج ، وهى لبكر وائل ، وقيل هى من الجزيرة . كذا فى معجم مااستعجم للبكرى . وصمَّم : مضى ، يقال صمَّم الرجل فى الأَمر ، إذا جدَّ فيه .

صاحب الشاهد والأبيات لعمرو بن عبد الجنّ . كذا قال الصاغانى فى العباب وغيره .

عمرو بن عبد الجن وفى جمهرة الأنساب لابن الكلبى أنّه تنوخى . وهو عمرو بن عبد الجن بن

٢٤٢ عائذ الله بن أسعد بن سعد بن كثير بن غالب بن جرم . وأسد بن ناعصة بن عمرو بن عبد الجنّ ، كان فارسًا فى الجاهلية . قال : ورأيت رجلًا من بنى عبد الجنّ بالكوفة شجاعًا ، قُطعت رجلُه فجُعِلت له من فِضَّة . وتنوخ : قبيلةٌ من قبائل اليمن .

(تتمة)

العُزَّى فى الأصل : تأنيث الأعزّ ، وقد يكون الأعزُّ بمعنى العزيز ، والعُزَّى بمعنى العزيزة . قال فى الصحاح : العزَّى : اسم صنم كان لقريش وبنى كنانة ، ويقال العزَّى : سمُرة كانت لغطفان يعبدونها ، وكانوا بنَوْا عليها عليها بيتًا وأقاموا لها سَدَنة ، فبعث إليها رسولُ الله – ﷺ – خالدَ بن الوليد فهدم البيتَ وأحرق السَّمُرَة وهو يقول :

يا عُزَّ كُفرانَكِ لا سُبحانكِ إنِّى رأيتُ اللهَ قد أهانكِ

ولا بأس بإيراد شيءٍ من أخبار الأصنام وسببِ اتخاذ العرب لها ، وكيف أزالها النبىُّ – ﷺ .

قال أبو المنذر هشام بن محمَّد بن السائب الكلبى (فى كتاب الأصنام) : حدَّثنى أبى وغيرُه [١] أنَّ إسماعيل بن إبراهيم – صلى الله عليهما وسلم – لمَّا سكن مكة ووُلد له بها أولادٌ كثيرة حتى ملئوا مكَّة ونَفَوْا من كان فيها من العماليق ، فضاقت [٢] عليهم مكَّة ووقعت بينهم الحروب

---

(١) بعده فى الأصنام ٦ : « وقد أثبتُّ حديثهم جميعا » .

(٢) فى الأصنام : « ضاقت » ، وهو الوجه .

بعضُهم بعضًا ، فتفسَّحوا فى البلاد والتماسِ المعاش . وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة ، أنَّه كان لا يظعنَ من مكة ظاعنٌ إلَّا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم ، تعظيمًا للحرم ، فحيثما حلُّوا وضعوه وطافُوا به كطوافهم بالكعبة ، صبابةً بها وحُبًّا (١) ، وهم على إرث أبيهم إسماعيل : من تعظيم الكعبة ، والحجّ ، والاعتمار .

ثم سلخ ذلك بهم إلى أنْ عبدوا ما استحبُّوا ونَسُوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيلَ غيرَه ، فعبدُوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كان عليه عليه الأُمَم من قبلهم ، كقوم نوح ، وفيهم بقايا على دين أبيهم إسماعيل ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه ، فكان أول من غيَّر دين إسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثانَ وسيَّب السائبةَ ووصلَ الوصيلة ، وبَحَرَ البَحيرةَ وحمى الحامية : عمرو بن ربيعة ، وهى لُحَىّ ، بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدى ، وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذى يَلِى أمر الكعبة (٢) . فلما بلغ عمرُو ابنُ لحىّ نازعَه فى الولاية ، وقاتل جرهما ببنى إسماعيل ونفاهم من بلاد مكة ، وتولَّى حجابة البيت .

ثم إنَّه مرض مرضًا شديدًا ، فقيل له : إنَّ بالبلْقاء من الشامِ حَمَّة (٣) إنْ أتيتها برأت . فأتاها فاستحمَّ بها فبرأ ، ووجد أهلَها يعبدون الأصنام ، فقال : ماهذه ؟ فقالوا : نستسقى بها المطر ، ونستنصر بها على العدوّ . فسأَلهم أن يُعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبَها حولَ الكعبة .

وحدَّث الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، أنَّ إسافًا رجلٌ من

(١) فى الأصنام: « وحبا بالحرم » .
(٢) هو الحارث بن مضاض الجرهمى .
(٣) الحمة : عين ماء فيها ماء جار يستشفى بها الأعلاء والمرضى .

جرهم يقال له إساف بن يعلى ، ونائلةَ بنت زيد من جُرهم ، وكان يتعشَّقها فى أرض اليمن ، فأقبلوا حجّاجا فدخلَا الكعبة ، فوجدا غفلة من الناس وخَلوة من البيت ، ففجر بها فى البيت ، فمُسخا فوجدوهما مسيخين ، فوضعوهما
٢٤٣ موضعَهما فعبدتْهما خزاعة وقريش ، ومن حَجَّ البيتَ من العرب .

وكان أولَ مَن اتخذ تلك الأصنامَ من ولد إسماعيل وغيرهم ، سمَّوها بأسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دينَ إسماعيل – هذيلُ بنُ مدركة ، اتخذوا سُوَاعًا فكان لهم برُهاطٍ من أرض ينبع ، وكانت سدنته بنى لِحْيان . واتَّخذت كلبٌ : وُدًّا بدُومةِ الجندل ، واتَّخذت مذحج وأهل جرش : يغوث ، واتخذت خَيْوان : يعوق ، فكان بقريةٍ لهم يقال لها خَيوان من صنعاء على ليلتين مما يلى مكة .

واتخذت حمير : نَسرًا فعبدوه بأرضٍ يقال لها بَلْخَع (١) ، ولم أسمع حمير سمَّت به أحدًا (٢) ، ولم أسمع له ذكرًا فى أشعارها ولا أشعار العرب (٣) . وأظنُّ ذلك كان لانتقال حمير أيام تُبَّع عن عبادة الأصنام إلى اليهودية .

وكان لحمير أيضًا بَيت بصنعاء يقال له : رئام ، بهمزة بعد الراء

---

(١) هنا ما فى ط والأصنام ١١ ومعجم البلدان . وفى ش : « بكخع » بالكاف ، تحريف .

(٢) قال ياقوت : « يعنى قالوا : عبد نسر » .

(٣) قال ياقوت ، تعليقا على ذلك : قلت : وقد ذكره الأخطل فقال :

أما ودماء مائرات تخالها ... على قنة العزى وبالنسر عندما

وما سبح الرحمن فى كل بِيعة ... أبيل الأبيلين المسيح بن مريما

لقد ذاق منا عامر يوم لعلع ... حساما إذا ما هز بالكف صمما

المكسورة ، يعظِّمونه ويتقرَّبون عنده بالذبائح ، وكانوا فيما يذكرون يُكلَّمون منه . فلمَّا انصرف تُبَّعٌ من مسيره الذى سار فيه إلى العراق (١) قدِم معه الحَبْرانِ اللذان صحباه من المدينة ، فأمراه بهدم رئام . وتهوَّد تبَّع وأهل اليمن ، فمن ثَمَّ لم أسمع بذكر رئام ولا نسرٍ فى شىءٍ من الأشعار ولا الأسماء ، ولم تحفظ العرب من أشعارها إلَّا ما كان قبيل الإسلام .

قال أبو المنذر : ولم أسمع فى رئام وحده شعرًا ، وقد سمعتُ فى البقيّة .

هذه الخمسة الأصنام التى كان يعبدها قوم نوح ، وذكرها الله فى كتابه : ﴿ ولا تذرُنَّ وَدًّا ولا سُواعاً ولا يغوثَ ويعوقَ ونسرًا (٢) ﴾ . فلمَّا صنع هذا عمرو بن لُحيٍّ دانت العربُ للأصنام ، فكان أقدمها مناة . وسمَّت العرب عبد مناة وزيد مناة . وكان منصوبًا على ساحل البحر من ناحية المشلَّل بقُديد ، بين المدينة ومكة . وكانت العرب جميعًا تعظِّمه وتذبح حوله ، وكان أشدَّ إعظامًا له الأوسُ والخزرج (٣) . وكان أولاد معدٍّ على بقيّة من دين إسماعيل ، وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه .

ومناة هى التى ذكرها الله : ﴿ ومَناةَ الثالثةَ الأُخرى (٤) ﴾ . وكانت

(١) هذا ما فى ش والأصنام . وفى ط : « من العراق » ، ولها وجه إذا روعى أن تبعا قد سار إلى العراق ، وانصرف أيضا من العراق .

(٢) الآية ٢٣ من سورة نوح .

(٣) بدله فى الأصنام : « ولم يكن أحد أشد إعظاما له من الأوس والخزرج » .

(٤) الآية ٢٠ من سورة النجم .

لهذيلٍ وخزاعة . وقريش [١] وجميعُ العرب تعظِّمها ، إلى أن خرج رسول الله – ﷺ – من المدينة سنة ثمان من الهجرة ، وهو عامُ الفتح [٢] . فلما سار من المدينة أربعَ ليال أو خمس ليال بعث عليًّا فهدمَها وأخذ ما كان لها ، فأقبل به إلى النبى – ﷺ – وكان فيما أخذ سيفانِ كان الحارث بن أبى شَمِرٍ ملك غسّان أهْداهما ، أحدهما اسمه مِخْذم [٣] والآخر رَسُوب [٤] ، فوهبهما لعليّ ، فيقال إنَّ ذا الفَقار سيفَ عليٍّ أحدُهما ، ويقال إنَّ عليًّا وجدَهما فى الفلْس [٥] : صنم لطيّ حين بعثَه النبى – ﷺ – فهدَمه .

ثم اتَّخذوا اللاتَ بالطائف ، وكانت صخرةً مربَّعة ، وكان يهوديٌّ يلُتُّ عندها السَّويقَ ، وكان سدنتها من ثَقيف ، وكانوا بَنَوْا عليها بناء ، وكانت قريشٌ وسائر العرب تعظِّمها . وسمَّت زيدَ اللات وتيم اللات ، وكانت فى موضعِ منارةِ مسجدِ الطائف اليُسرى اليومَ . فلم تزل كذلك حتَّى أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله – ﷺ – المغيرة بنَ شُعبة فهدمَها وحرَّقها بالنار .

ثم اتَّخذوا العُزَّى وسمَّى بها عبدُ العزى بن كعب ، وكان الذى اتَّخذها ظالم بن أسعد ، وكانت بوادٍ من نخلةَ الشاميّة عن يمين المُصعِد إلى

(١) فى الأصنام : « وكانت قريش » .

(٢) فى الأصنام : « وهو عام فتح الله عليه » .

(٣) ط : « مخزم » ، صوابه فى ش . وفى الأصنام ومعجم البلدان : « أحدهما يسمى مخذما » .

(٤) المخذم ، أصل معناه السريع القطع . والرسوب : الذى يمضى فى الضريبة ويغيب فيها ، من الرسوب ، وهو الذهاب سفلا . وبعده فى الأصنام : وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره فقال :

مظاهر سربالى حديد عليهما عقيلا سيوف : مخذم ورسوب

(٥) ضبط فى الأصنام بالفتح ، وفى معجم البلدان بالضم ، وفى القاموس بالكسر .

العراق من مكة فوق ذات عرق بتسعة أميال ، فبنى عليها بيتًا (١) ، وكانوا يسمعون فيه الصَّوت ، وكانت أعظمَ الأصنام عند قريش ، وكانت تطوف بالكعبة وتقول : « واللاتِ والعُزَّى ، ومناةَ الثالثة الأُخرى ، فإنَّهنَّ الغرانيقُ ٢٤٤
العُلَى ، وإنَّ شفاعتَهنَّ لَترتجَى » . وكانوا يقولون : بناتُ الله ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، وهنَّ يشفَعْن إليه . فلمَّا بعث الله رسولَه أنزل عليه : ﴿ أفرأيتم اللَّاتَ والعُزَّى * ومَناةَ الثالثةَ الأُخرى * ألكمُ الذَّكرُ وله الأُنثى (٢) ﴾ الآية . وحمت لها قريشٌ شِعبًا من وادى حُراض يقال له سَقَام (٣) ، يضاهون به حرم الكعبة . وكان لها مَنحَرٌ ينحرون فيه هداياها ، يقال له « الغَبغَب » ، وكانت قريشٌ تخصُّها بالإعظام ، فلذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان قد تألَّه فى الجاهلية وترك عبادةَ الأصنام :

تركتُ اللاتَ والعزَّى جميعًا كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبورُ
فلا العُزَّى أدينُ ولا ابتغيها ولا صنمَىْ بنى غَنْم أزور (٤)
ولا هُبَلًا أزورُ ، وكان ربًّا لنا فى الدَّهر إذْ حِلْمى صغيرُ

وكان سدَنة العُزَّى بنى شيبان ، من بنى سليم ، وكان آخر من سَدَنها دُبيَّة (٥) ، فلم تزل كذلك حتَّى بعث الله نبيَّنا – ﷺ – فعاب

---

(١) فى الأصنام : « فبنى عليها بُسًّا ، يريد بيتًا » . البس بضم الباء .
(٢) الآيات ١٩ – ٢١ من سورة النجم .
(٣) ش : « سعام » ، صوابه فى ط ومعجم البلدان فى رسمه ، وذكر أنه بضم السين ، وفى شعر أبى خراش الهذلى :

أمسى سقام خلاء لا أنيس به إلا السباع ومر الريح بالغرف

(٤) كذا فى النسختين . وفى هامش ش حاشية بخط ناسخها : « هكذا بخط المؤلف : ولا ابتغيها ، وصوابه : « ولا ابنتيها » ، أى كما فى الأصنام .
(٥) فى الأصنام : « دبية بن حرمى السلمى » .

الأَصنامَ ونهاهم عن عبادتها ، ونزل القرآنُ فيها ، فاشتدَّ ذلك على قريش ، فلمَّا كان يومَ الفتح دعا خالدَ بنَ الوليد فقال : انطلقْ إلى شجرةِ بطن نخلة [1] فاعضِدْها . فانطلق فقتل دُبيَّة .

وحدثنى أَبى عن أَبى صالح عن ابن عباس قال : كانت العزَّى شيطانةً تأْتى ثلاثَ سَمُرات ببطن نخلة ، فلما بَعث النبىُّ خالدَ بنَ الوليد قال له : « ائت بطنَ نخلةَ فإِنَّك تجد ثلاثَ سمُرات ، فاعضِد الأُولى » . فأَتاها فعضَدها ، فلما جاء إِليه عليه الصلاة والسلام فقال : هل رأَيتَ شيئًا ؟ قال : لا . قال : « فاعضد الثانية » . فعضدها ثم أَتى النبىَّ عليه السلام فقال : هل رأَيت شيئًا ؟ قال : لا . قال : « فاعضِد الثالثة » . فأَتاها فإِذا بحبشيَّةٍ ناقشة شعرها ، واضعةٍ ثديَيها على عاتقها ، تَصرِفُ بأَنيابها ، وخلفها دُبيَّة السُّلمىّ ، فلما نظر إلى خالد قال :

عُزَّاىَ شُدِّى شَدَّة لاتُكَــــذِّبى على خالدٍ أَلقى الخِمارَ وشمِّرى [3]
فإِنَّكِ إن لاتقتُلى اليوم خالدًا تبوئى بذُلٍّ عاجلا وتَنصَّرِى

فقال خالدٌ [رضى الله عنه] :

ياعُزّ كُفْرانَكِ لا سُبحانكِ إِنِّى رأَيتُ اللهَ قد أَهانكِ

(١) فى الأَصنام : « شجرة ببطن نخلة » .
(٢) فى الأَصنام : « دبية بن حرمى الشيبانى ثم السلمى » .
(٣) فى ش وأَصل الأَصنام : « عزى » وأثبت ما فى ط .
وقد صححها أحمد زكى إلى « أعُزَّاءُ » مستندا إلى ما ورد فى حاشية نسخته من كتاب الأَصنام ، وكتب فى ذلك تحقيقا مسهبا ، فارجع إليه . وفى سيرة ابن هشام ٨٢٩ :

أيا عز شدى شدة لا ثوى لها على خالد ألقى القناع وشمرى
أيا عز إن لم تقتلى المرء خالدا فبوئى بإثم عاجل أو تنصرى

ثم ضربَها ففلق رأْسها فإذا حُمَمة (١) ، ثم عضَد الشجرة وقَتل دُبيَّة ، ثم أَتى النبىَّ - ﷺ - فأَخبره فقال : « تلك العُزَّى ولا عُزَّى بعدها للعرب » (٢) .

قال أَبو المنذر : ولم تكن قريش ومن بمكة يعظِّمون شيئًا من الاصنام إعظامَهمُ العزَّى ثم اللاتَ ثم مناة . فأَمَّا العزَّى فكانت تخصُّها دون غيرها بالزيارة والهديَّة ، وكانت ثقيف تخُصُّ اللاتَ ، وكانت الأَوس والخزرج تخصُّ مناة ، وكلُّهم كان معظِّما للعزَّى ، ولم يكونوا يرون فى الخمسة الأَصنام التى رفعها (٣) عمرو بن لحىّ كرأْيهم فى هذه .

وكانت لقريش أَصنامٌ فى جوف الكعبة وحولَها ، وكان أَعظمها عندهم « هُبَل » (٤) ، وكان فيما بلغَنى من عقيقٍ أَحمر على صورة الإنسان ، مكسورَ اليد اليمنى ، أَدركته قريشٌ كذلك ، فجعلوا له يدًا من الذَّهب . وكان أَوّل من نصبه خُزيمةَ بنَ مدركة ، وكان يقال له (٥) هبلُ خزيمة ، وكان قُدّامة سبعةُ أَقدُح (٦) مكتوبٍ فى أَوّلها : صريح ، والآخر : ملصَق . فإذا شكُّوا فى مولودٍ أَهدوا له هديّةً ، ثمَّ ضربوا بالقداح ، فإنْ خرج : صريح أَلحقوه ، وإن كان ٢٤٥
ملصقًا دفعوه . وقِدْحًا على الميت ، وقِدحًا على النِّكاح ، وثلاثةً لم تُفسَّر لى .

---

(١) الحممة : واحدة الحمم ، وهى الفحم البارد ، والرماد ، وكل ما احترق من النار .

(٢) بعده فى الأصنام : « أمَا إنها لن تعبد بعد اليوم » .

(٣) فى الأصنام ٢٧ : « دفعها » بالدال . ورفعها : نصبها للعبادة .

(٤) ط : « وكان أعظمها هبل عندهم » ، وأثبت ما فى ش والأصنام .

(٥) ط فقط : « لها » ، تحريف .

(٦) وكذا فى الأصنام ، وهو جمع قِدح بالكسر . وقدح الميسر يجمع على أقدح وقداح وأقداح ، وجمع الجمع أقاديح .

فإذا اختصموا فى أمرٍ أو أرادوا سفرًا أو عملا ، أتوه فاستقسموا بالقِداح عنده ، فما خرج عمِلوا به وانتهَوْا إليه .

وكان لهم « إساف ونائلة » ، لمَّا مُسخا حجرين وُضعا عندَ الكعبة ليتَّعظ الناس بهما ، فلما طال مكثُهما وعُبدت الأصنامُ عُبِدَا معها ، وكان أحدهما بِلصق الكعبة والآخر فى موضع زمزم ، فنقلت قريشٌ الذى كان بِلصق الكعبة إلى الآخر . وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما ، فلما ظَهر رسولُ الله – ﷺ – يومَ فتح مكة دخل المسجد والأصنامُ منصوبةٌ حول الكعبة ، فجعل يطعُن بسِيَةِ قوسه فى عيونها ووجوهها ويقول : ﴿ جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقا [1] ﴾ ، ثم أمر فكُفئت على وجوهها ، ثم أُخرجَتْ من المسجد فحُرِّقت ، فقال فى ذلك راشد بن عبد الله السُّلمىّ :

قالت هلُمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يأبى الإلـهُ عليـكِ والإسلامُ
أوَ ما رأيتِ محمدًا وقَبيلَهُ ... بالفتح حين تُكسَّر الأصنامُ
لرأيت نورَ الله أضحى ساطعًا ... والشِّركَ يغشى وجهَه الإظلامُ

وكان لهم أيضًا مناف ، وسمَّت به عبدَ مناف ، ولا أدرى أين كان ولا مَنْ نصَبه .

ولم تكن الحيَّضُ من النساء تدنو من أصنامهم ولا تمسَّحُ بها ، إنَّما كانت تَقف ناحيةً منها . وكان لأهل كلِّ دارٍ من مكة صَنم فى دارهم يعبدونه ، فإذا أراد أحدُهم السفرَ كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسَّح به ،

(١) الآية ٨١ من سورة الاسراء .

وإذا قدم من سفره كان أوّل ما يصنع إذا دخل منزله أنْ يتمسَّح به . فلمّا بعث الله نبيَّه وأتاهم بتوحيد الله وعبادتِه قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الآلهةَ إلهًا واحدا إنَّ هذا لشَىءٌ عُجاب (١) ﴾ ، يعنون الأصنام . واستُهتِرت العربُ فى عبادتها ، فمنهم من اتَّخذ بيتًا ، ومنهم من اتَّخذ صنما ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناءِ بيت نصب حجرًا أمامَ الحرم وأمامَ غيره مما استحسَنَ ، ثم طاف به كطوافِه بالبيت ، وسمَّوها الأنصاب . فإذا كانت تماثيلَ دعَوها الأصنامَ والأوثان . وسَمَّوا طوافهم الدَّوَار . فكان الرجلُ إذا سافر منزلًا أخذ أربعةَ أحجار فنظر إلى أحسنها فاتَّخذه ربًّا ، وجعل ثلاثَ أثافىَّ لقِدره (٢) ، وإذا ارتحل غيَّرَهُ (٣) ، فإذا نزلَ منزلًا آخر فعلَ مثل ذلك ، فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلِّها ويتقرَّبون إليها ، وهم على ذلك عارفون بفَضْل الكعبة عليها (٤) . وكانت بنو مُلَيح من خُزاعةَ يعبدون الجنَّ ، وفيهم نزلت : ﴿ إنَّ الذين تَدْعُون من دُونِ الله عبادٌ أمثالكم (٥) ﴾ .

وكان من تلك الأصنام « ذو الخَلَصَة » ، وتقدَّم شرحُه فى أوائل الكتاب فى الشاهد السابع والعشرين (٦) .

وكان لمالك ومِلْكانَ ابنَىْ كِنانة بساحل جُدّة صنم يقال له سعد ، وكان صخرةً طويلةً ، فأقبل رجلُ منهم بإبلٍ ليقفَها عليه يتبرَّك بذلك فيها ، فلما أدناها منه نَفَرت فذهبت فى كلِّ وجه ، فتناول حجرًا فرماه به وقال :

---

(١) الآية ٥ من سورة ص .
(٢) ط : « الثلاث أثافى » ، وأثبت ما فى ش والأصنام ٣٣ .
(٣) فى الأصنام ٣٣ : « وإذا ارتحل تركه » .
(٤) بعده فى الأصنام : « يحجونها ويعتمرون إليها » .
(٥) الآية ١٩٤ من الأعراف .
(٦) الخزانة ١ : ١٨٩ – ١٩١ .

لا بارك الله فيك ، إنَّها ، أَنْفَرْتَ عليَّ إبلى ! ثم انصرف وهو يقول :

أَتينا إلى سعدٍ ليجمعَ شملَنا   فشتَّتنا سعدٌ فلا نحنُ من سعدِ
وهل سعدُ إلَّا صخرةٌ بتنوفة   من الأرضِ لا يدعُو لغَيٍّ ولا رُشْدِ [١] ٢٤٦

وكان لدَوْس ، ثم لبنى مُنهِب بن دَوس ، صنم يقال له « ذو الكُفَيْن [٢] » ، فلما أَسلموا بعث النبى – ﷺ – الطُّفيل بنَ عَمرِو الدَّوسى فحرَّقه وهو يقول :

ياذا الكُفَيْنِ لستُ من عبادكا   ميلادُنا أَكبر مِن ميلادِكا
* إنِّى حشَوتُ النارَ فى فؤادكا *

وكان لبنى الحارث بن يَشكر من الأَزد صنم يقال له : « ذو الشَّرَى » .

وكان لقضاعة ولخم وجُذام وعاملة وغطفان ، صنمٌ فى مشارف الشام يقال له « الأُقيصِر » .

وكان لمزينة صنم يقال له « نُهْمٌ » ، وبه سمَّت عَبدَ نُهْم [٣] ، وكان سادنه خزاعيَّ بنَ عبد نُهْمٍ من مزينة ، فلما سمع بالنبى – ﷺ – ثار إلى الصنم فكسَّره وأَنشأَ يقول :

---

(١) فى الأصنام ٣٧ : « لا يدعى لغى ولا رشد » ، وما هنا يطابق ما فى سيرة ابن هشام ٥٣ جوتنجن .

(٢) فى القاموس (كفف) : « وذو الكفين : صنم كان لدوس » . وعلق عليه فى تاج العروس بقوله : « وذو الكفين كزبير : صنم لدوس بن نصر . ومنه قوله :

* ياذا الكفين لست من عبادكا *

ونقل السهيلى فيه التشديد . وقال : « أنه خفّف للضرورة » . وانظر الروض الأنف ١ : ٢٣٥ .

(٣) ط : « عبدتهم » ، صوابه فى ش .

ذهبت إلى نُهْم لأَذبحَ عنده عَتيرَةَ نُسْكٍ كالذى كنتُ أفعلُ
فقلت لنفسى حينَ راجعتُ عقلَها أهذا إلهٌ أبكمٌ ليس يَعقِلُ
أَبَيْتُ فدِينى اليومَ دينُ محمد إله السماء الماجدُ المتفضِّلُ

ثم لحق بالنبى – ﷺ – فأَسلم ، وضمن [١] إسلَام قومِه مزينة .

وكان لأَزد السراة صنم يقال له « عائم » بالهمزة .

وكان لعنزة صنمٌ يقال له « سُعَير » ، وتقدَّم شرحه قريبًا [٢] .

وكان لخوْلان صنمٌ يقال له « عُمْيَانِس » ، يَقسِمون له من أنعامهم وحُروثهم قَسْمًا بينه وبين الله تعالى بزعمهم ، فما دخل فى حقِّ الله من حقِّ عُميانس ردُّوه عليه ، وما دخل فى حقِّ الصَّنم من حقِّ الله الذى سمُّوه له تركوه . وفيهم نزل فيما بلغنا : ﴿ وجَعَلُوا للهِ ممَّا ذَرأَ مِنْ الحَرْثِ والأَنعامِ نصيبًا [٣] ﴾ الآية .

وكان لبنى الحارث كعبةٌ بنَجْران يعظِّمونها .

وكان أَبرهة الأَشرمِ بَنى بيتًا بصَنْعاء [٤] ، سمَّاها « القَلِيس » بفتح القاف وكسر اللام ، وضبطه صاحب القاموس بضم القاف وفتْح اللام المشددة ، بناها بالرُّخام وجيِّد الخشَب المذْهَب ، وكتب إلى ملك الحبشة : إنِّى قد بنيت لك كنيسةً لم يبنِ مثلَها أَحد ، ولستُ تاركًا العربَ حتَّى أُصرفَ

(١) فى الأصنام : « وضمن له » . وفى الإصابة ٢٢٤٤ : « وبايعه على مزينة لما .
(٢) فى الشاهد ٥٢١ من هذا الجزء .
(٣) الآية ١٣٦ من الأنعام .
(٤) المراد بالبيت الكنيسة . والذى فى الأصنام : « بيتا بصنعاء كنيسة سماها القليس » .

حجَّهم عن الكعبة . فبلغ ذلك بعضَ نسأة الشُّهور ، فبعث رجلين من قومه وأَمَرهما أن يخرجا حَتَّى يتغوَّطا فيها . ففعلا ، فلما بلغَه ذلك غضب وخرج بالفِيل والحبشة ، فكان من أمره ما كان .

قال أبو المنذر : المعمول من خشَبٍ أو ذهبٍ أو فضة صورةَ إنسانٍ فهو صنم . وإذا كان من حجارة فهو وَثَن .

هذا ملخص ماذكره من الأصنام ، وبقى عليه « عَوْض » وتقدَّم شرحُه قبل هذا بستة شواهد [١] . و « اليعبوب » ، وهو صنمٌ لجديلةِ طيّ ، وكان لهم صنم أُخذتْه منهم بنو أسد فتبدَّلوا اليعبوب بعده ، قال عَبيد :

فتبدَّلوا اليَعبوبَ بَعْدَ إلههمْ صَنَمًا فقَرُّوا ياجديلَ وأَعذِبوا [٢]

أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا .

و « باجِرَ » بالموحدة وبالجيم ، قال ابن دريد : هو صنمٌ كان للأزد فى الجاهليّة ومَنْ جاورهم من طيّ وقضاعة ، كانوا يعبدونه . وهو بفتح الجيم ، وربَّما قالوا بكسرها .

* * *

٢٤٧ وأنشد بعده :

(لِحافى لحافُ الضَّيفِ والبُردُ بُردُه)

على أن أل فى (البرد) عوضٌ عن الضمير المضاف إليه ، والتقدير : « وبردِى برده » . وتمامه :

---

(١) فى الشاهد ٥٢١ ص ١٦٤ – ١٦٥ .

(٢) يقال قر بالمكان بكسر القاف ويقر بفتحها ، والأولى أعلى .

* ولم يُلهِنى عنه غزالٌ مقنَّعُ *

وهو من شعرٍ فى الحماسة ، وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثالث والتسعين بعد المائتين [١] .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ٢٥١ – ٢٥٥ .

باب العلم

أُنشد فيه (١) :

٥٢٧ (سُبحانَه ثُمَّ سُبْحانًا نعوذُ بِهِ وقبْلنا سَبَّح الجُودِىُّ والجُمُدُ)

على أَنَّ (سبحان) أَكثر ما يستعمل مضافًا ، وإذا قطع فقد جاء منوَّنا فى الشعر ، كما فى البيت ، فلا يكون سبحان علما معرَّفًا بالعلمية (٢) بل تعريفه إمَّا بالإضافة لفظًا كسبحان الله ، أَو تقديرًا كما فى قوله :

* سبحانَ مِنْ علقمةَ الفاخِرِ (٣) *

أَى سبحانَ الله . وإمّا باللام ، وهو قليل كقوله :

* سبحانك اللَّهمَّ ذا السُّبحانِ (٤) *

وإذا قطع عن الإضافة فى الشعر نوِّن ونُصب على المفعولية المطلقة كسائر المصادر . فسبحان عنده إمّا معرف بالإضافة أَو باللام ، وإما منكَّر فى الشعر ، ولا علمِيَّة .

وقريبٌ منه قول الطِّيبى (٥) (فى حاشية الكشاف) : لا يستعمل

---

(١) علق مصحح طبعة بولاق على هذا الشاهد بأن البغدادى لم يضع له رقما.وقال : « فلعله سهو منه » ، وفى الحق أن البغدادى لم يضع له رقما لأنه سبق ترقيمه فى الجزء الثالث ص ٣٨٨ ورقمه الأصيل هو ٢٤٣ . وقد سبق أيضا تخريجى لهذا الشاهد فى ٣ : ٣٨٨ .

(٢) ط : « معروفا بالعلمية » ، صوابه فى ش .

(٣) للأعشى ، كما سبق فى ٣ : ٣٩٧ وكما سيأتى .

(٤) انظر الشاهد ٥٢٨ .

(٥) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبى المتوفى سنة ٧٤٣ كما فى الدرر الكامنة . ومن حاشيته نسخة بالمكتبة التيمورية باسم « فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب » .

سبحان علمًا إلّا شاذا ، وأكثر استعمالِه مضافًا . فليس بعَلَمٍ ؛ لأنَّ الأعلام لاتضاف .

وقد ردَّ ابن هشام (فى الجامع الصغير) ، بعينِ ما ردَّ به الشارح المحقِّق ، إلّا أنَّه قال : لمُلازمتِه للإضافة .

هذا محصَّله ، وهو مخالفٌ لكلام سيبويه فَمنْ بعدَه . والباعث له على المخالفة ماذكره . قال س فى باب ماينتصب من المصادر على إضمار الفعل المتروك إظهاره :

زعم أبو الخطَّاب أنَّ سبحان الله كقولك : براءةَ الله مِن السُّوء ، كأنَّه يقول : أُبرأُ براءةَ الله من السُّوء (١) . وزعم أنَّ مِثله قولُ الأعشى :

أقول لمَّا جاءنى فخرُه ... سبحانَ مِن علقمةَ الفاخرِ

أى براءةً منه . وأمَّا التنوين فى سبحان فإنَّما تُرِك صرفُه لأنَّه صار عندهم معرفة ، وانتصابه كانتصاب الحمدَ لله . وزعم أنَّ قول الشاعر (٢) :

سَلامَك ربَّنا فى كلِّ فجرٍ ... بريئًا ما تَغَنَّثك الذُّمومُ (٣)

على قوله بَرَّأتُك (٤) ربَّنا من كل سوء . فكل هذا ينتصب انتصابَ حمدا وشكرًا ، إلّا أنَّ هذا ينصرف وذلك لا ينصرف . ونظير سبحان الله فى البناء من المصادر والمجرى ، لا فى المعنى : غفران ، لأنَّ بعضَ العرب يقول :

---

(١) انظر سيبويه ١ : ٢٣٤ من نسختى .

(٢) هو أمية بن أبى الصلت كما سيأتى . وانظر ديوانه ٥٤ .

(٣) تغنثك ، أى تتغنثك ، بحذف إحدى التاءين ، أى تعلق بك .

(٤) فى سيبويه : « براءتك » .

غفرانك لا كُفرانك ، يريد : استغفارًا لا كفرًا . وقد جاء سبحان منوَّنًا مفردًا فى الشعر ، قال الشاعر :

* سبحانه ثم سبحانًا نعوذ به *

شبَّهوه بقولهم : حِجْرًا ، وسَلامًا . انتهى كلامُ سيبويه .

وقوله : « سبحان من علقمة الفاخر » قال الأعلم : الشاهد فيه نصب سبحان على المصدر ، ولزومها النَّصبَ من أَجلِ قلَّة التمكن . وحُذف التنوينُ منها لأنَّها وضعت عَلمًا للكلمة ، فجرت فى المنع من الصرف مجرى عثمان ونحوه ، ومعناها البراءة والتنزيه . ٢٤٨

وقوله : « سلامَك ربَّنا » إلخ قال الأعلم : الشاهد فى نصب سلامَك على المصدر الموضوع بدلًا من اللفظ بالفعل ، ومعناه البراءة والتنزيه ، وهو بمنزلة سبحانك فى المعنى وقلَّة التمكن . ونصب بريئًا على الحال المؤكَّدة ، والتقدير : أُبرِّئك بريئًا (١) لأنَّ معنى سلامك كمعنى أُبرِّئك ، ومعنى تَغَنَّثك : تَعْلَق بك ، وهى بالثاء المثلثة . والذُّموم : جمع ذَمّ . أى لاتلحقك صفةُ ذمّ .

والبيت لأُميَّة بن أَبى الصَّلت .

وقوله : (سبحانه ثمَّ سبحانا (٢)) إلخ قال الأعلم : الشاهد قوله سبحانا ، وتنكيره وتنوينه ضرورة ، والمعروف فيه أنَّه يضاف إلى ما بعده ، أو يجعل مفردًا معرفة كما تقدَّم فى بيت الأعشى . ووجه تنكيره وتنوينه

(١) ش : « أبرأتك بريئا » ، وما فى ط يطابق ما فى الشنتمرى ١ : ١٦٤ .

(٢) ط : « سبحانه سبحانا » بإسقاط « ثم » وهى ثابتة فى ش .

أن يشبَّه ببراءة لأنَّه فى معناها . والجُودى والجُمُد بضمتين : جبلان . انتهى .

وقال ابن خلف : قوله: سبحانًا فيه وجهان : يجوز أن يكون نكرة فصرَفه ، ويجوز أن يكون صرَفه للضرورة . انتهى .

وهذا من كلام أبى على (فى التذكرة القَصْريّة) قال : سبحانًا يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون هو الذى كان يضيفه فى سبحانه . ويجوز أن يكون معرفةً فى الأصل ثم نكِّر ، كزيد من الزيدين . وجاز إفراد سبحان وإن لم يستعمل ذلك فى الكلام ، فجاء فى الشّعر كما استعمل العَلَم ، فى قوله :

* سُبحانَ من علقمة الفاخر * انتهى .

ويكون تنوينه على الأوّل ضرورة . وإلى الثانى ذهب ابن الشجرى (فى أماليه) ، قال : سبحان فى قول الأعشى :

* سبحانَ مِنْ علقَمَةَ الفاخِرِ *

لم يصرفْه لأنَّ فيه الألف والنون زائدَين ، وأنَّه علمٌ للتسبيح . فإن نكَّرته صرفته ، كما قال أميّة :

سبحانه ثم سبحانًا نعوذ به .... البيت . اهـ

وقد تقدم فى الشاهد الرابع والستين بعد الأربعمائة [٢] النقلُ عن تذكرة أبى على ما يتعلق بتنوين سبحان بأبسط من هذا ، فارجع إليه .

---

(١) : « زائدان » ، وما أثبت من ش يطابق ما فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٥٠

(٢) انظر ما سبق فى ٦ : ٢٨٦ .

وقال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : سبحان علمٌ عندنا واقع على التَّسبيح ، وهو مصدر معناه البراءة والتنزيه ، وليس منه فعل وإنَّما هو واقعٌ موقع التسبيح الذى هو المصدر فى الحقيقة ، جُعل علمًا على هذا الموضع ، فهو معرفة لذلك ولا ينصرف ، للتعريف وزيادة الألف والنون . قال الأعشى :

* سبحانَ من علقمة الفاخرِ *

فلم ينوِّنه لما ذكرنا من أنَّه لا ينصرف . فإن أضفته قلت سبحان الله ، فيصير معرفة بالإضافة ، وابتُزَّ منه تعريف العلمية كما قلنا فى الإضافة ، نحو : زيدُكم وعَمْرِكم ، يكون بعد سلب العلمية . فأمَّا قوله :

* سبحانه ثم سبحانًا نعوذ به *

ففى تنوين سبحانًا هنا وجهان : أحدهما أن يكون ضرورةً كما يُصرف ما لا ينصرف فى الشعر ، من نحو أحمد وعمر .

والوجه الثانى : أن يكون أراد النكرة . انتهى .

وقد حمل صاحب (الكشف) قولَ الزمخشرى : « سبحان علم للتسبيح » على أنَّه علمٌ مطلقًا سواء أُضيف أو لم يضف . وكذا قال الفنارى (فى حاشية ديباجة المطوّل) : إنَّه علمٌ ، أُضيف أو لم يضف ، وهو غير منصرفٍ للألف والنون مع العلمية .

وهذه طريقة ابن مالك ، وتبعه الشارح المحقق ، وهى أنَّ العلَم يجوز أن يضاف مع بقائه على علميَّته من غير قصدِ تنكير . ولا يردّ بهذا على الشارح المحقق هنا كما زعمه بعض مشايخنا ، لأنَّه قد نقل أنَّه يعرَّف باللام تارة وينكَّر تارة .

وأمّا قوله : إنه ممنوعٌ من الصرف مع الإضافة أيضًا ، فلعله مفرَّع على القول بأنَّه إذا لم تَزُل إحدى العلَّتين فهو غير منصرف وإن كان مضافًا . ٢٤٩

وهذه عبارة صاحب الكشف : قوله « سبحان علم للتسبح » ، الظاهر من إطلاقه ههنا وفى المفصل أنَّه علم للتسبيح ، أى التنزيه البليغ لا التسبيح بمعنى قول سبحان الله مطلقًا ، مضافًا كان أم لا ، خلافَ مانصَّ عليه الشيخ ابن الحاجب أنَّ ذلك فى غير حال الإضافة . والوجه ما ذهب إليه العلَّامة ، لأنَّه إذا ثبتت العلَّةُ بدليلها فالإضافة لاتنافيها ، وليست من باب زيد المعارك لتكون شاذَّة ، بل من باب حاتم طيّئ وعنترة عَبْس ، ولهذا لم يضف إلَّا إلى اسم من أسمائه تعالى . ولو لم يحمل على ما ذكرت لم يكن لقوله سبحان علم للتسبيح فى هذا الموضع معنًى . وأمَّا دلالته على التنزيه البليغ فمن الاشتقاق ، أعنى من التسبيح ، وهو الإبعاد فى الأرض . ثم ما يعطيه نقله إلى التفعيل ، ثم العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصّة ، لا سيما وهو علم يشار به إلى الحقيقة الحاضرةِ فى الذهن ، وما فيه من قيامه مقام المصدر مع الفعل . ولهذا لم يجز استعماله إلَّا فيه تعالت أسماؤه (١) وعظم كبرياؤه . وكأنه قيل : ما أبعد الذى له هذه القدرة عن جميع النقائص ، فلا يكون اصطفاؤه لعبده الخصيصِ به إلَّا حكمةً وصوابًا . فالتنزيه لا ينافى التعجُّبَ كما تَوَهَّم واعترضَ وجعله مُدَارًا . والتعجب ههنا هو الوجه ، بخلافه فى قوله : ﴿ سبحانَكَ هذا بهتانٌ عظيم (٢) ﴾ . فافهمْ . انتهى .

وقد تضمَّن كلامُه جوابَ من استشكل العلميَّة بأمرين :

---

(١) ط : « تعالى أسماؤه » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) الآية ١٦ من سورة النور .

أَحدهما : أَنَّ مدلول التسبيح لفظ ، لأَنَّه مصدرُ سبَّح إذا قال سبحان الله ، ومدلول سبحانه التنزيه لا اللفظ ، فلا يصلح جعل سبحان الذى مدلوله معنًى على ما مدلوله لفظ .

وثانيهما : ما ذكره البهلوان (فى حاشية الكشاف) من أَنَّه قد تقرّر أَنَّ العلَم لا تجوز إضافته إلَّا بعد تنكيره ، وطريق تنكير العلم أَن يؤوَّل بواحد من الأُمَّة المسمَّاة به . وعلم الجنس مسمَّاهُ شيءٌ واحد لا متعدّد ، فلا يصلح تنكيره .

وقول صاحب الكشف : وليست من باب زيد المعارك ، أَى من إضافة العلمِ إلى ماهو متَّصف به معنًى ، قَصَد به ردَّ كلام الطِّيبى .

وأَشار أَبو السعود (فى تفسيره) لردِّهما بقوله : وحيث كان المسمّى معنًى لاعينا ، وجنسًا لا شخصا ، لم تكن إضافته من قبيل ما فى زيد المعارك أو حاتم طىّ . وإنَّما فعل هذا لأَنَّ نحو زيد المعارك لا يكون إلا فى علَمِ الشخص دون علم الجنس .

قال صاحب اللباب : طريق تنكير العلم أَن يُتأَوَّل بواحدٍ من الأُمّة المسمَّاة به ، نحو هذا زيد ورأَيت زيدًا آخر . أَو يكون صاحبه قد اشتهر بمعنًى من المعانى فيجعل بمنزلة الجنس الدالّ على ذلك المعنى ، نحو قولهم : لكلِّ فرعونٍ موسى .

قال شارحه : قوله وطريق تنكير العلم ، أَى من أَعلام الأَشخاص لا من أَعلام الأَجناس ، فإنّه لا ينكَّر بالطريق الأَوّل ، لأَنَّ من شرطه أَن يوجد الاشتراك فى التسمية ، والمسمَّى بعلم الجنس واحدٌ لا تعدُّد فيه ، اللهم إلَّا أَن يوجد اسمٌ مشترك أُطلق بحسب الاشتراك على نوعين مختلفين ثم وَرَدَ

الاستعمالُ فيه مرادًا به واحدٌ من المسمَّى به .

وأمّا بالطريق الثانى فلا شبهة فى إمكان تنكيرها ، مثل أن يقال : فرَسْت كلَّ أُسامةٍ ، أى بالغ فى الشجاعة .

وقوله : « وزيدًا آخر » تأويله المسمَّى بزيد ، وحينئذ يصير اسم جنسٍ متواطئًا يدخل فيه كلُّ من سمى به .

وقوله : لكل فرعونٍ موسى ، أى لكل ظالم مُبْطِلٍ عادلٌ محقٌّ . ويجوز أن ٢٥٠
يبقى العلم فى هذا على حاله ، ويكون المضاف محذوفًا ، أى لِمثل كلِّ فرعونٍ مِثْلُ موسى . وليس المراد هنا مسمًّى بموسى ، ولا مسمًّى بفرعون . انتهى .

ويمكن تصوير تنكير العلم الجنسى بطريقٍ آخر ، وهو أنْ يجرَّدَ عن ملاحظة التعيين ، ويُراد به مطلقُ الماهيَّة فى ضمن أىِّ فردٍ من أفراده .

والحاصل أنَّ القول بالعلمية مطلقًا أُضيف أو لم يُضَفْ صعب .

ولله درُّ الشارح المحقق ، تَفصَّى عن الأُمورِ بسلوكه طريقةً وسطى لايَردُ عليها ما ذُكر ، وإن كانت مخالفةً للجمهور .

بقى بحثٌ فى عامل سبحان ، هل يجوز أن يقدَّر فعلَ أمر ؟ فيه نزاعٌ . ذكر السيِّد (فى شرح المفتاح) فى قوله تعالى : ﴿ فلمَّا جَاءهَا نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فى النَّار وَمَنْ حَوْلَهَا وسُبحانَ اللهِ رَبِّ العالمين (١) ﴾ أنَّ قوله وسبحان بتقدير الأمر ، تنزيهًا له تعالى فى مقام المكالمة عن المكان والجهد ، أى وسبِّحهُ تسبيحا . انتهى .

---

(١) الآية ٨ من سورة النمل .

وقال القاضى ، فى ﴿ فسُبْحانَ اللهِ حينَ تُمْسُونَ [١] ﴾ : إخبارٌ فى معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الأوقات .

وقال بعضُ من كتب عليه : لم يجعله أمرًا ابتداء ، لأنَّ سبحان الله على ما بُيِّن فى النحو لزم طريقةً واحدة ، لا ينصبه فعلُ أمر

وجوّز الأمرين أبو شامة فى : ﴿ سبحان الذى أَسْرى [٢] ﴾ ، قال : إن فعله المحذوف إمّا فعل أمر أو خبر ، أى سبِّحوا أو سُبِّح الذى أسرى بعبده ، على أن يكون ابتداءً ثناءً من الله على نفسه ، كقوله : ﴿ الحمدُ لله ربِّ العالمين ﴾ .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات لورقة بن نوفل الصحابى ، قالها لكفَّار مكَّة حين رآهم يُعذِّبون بلالًا على إسلامه ، تقدَّم شرحُها مع ترجمته فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائتين [٣] . وقبله :

سُبحان ذى العَرش لا شيءٌ يعادلُه ربُّ البريَّةِ فردٌ واحدٌ صمَدُ

وقوله : (نَعُوذ به) يريد كلمَّا رأينا أحدًا يعبُدُ غير الله عُذْنا بعظمته وسبَّحْنا حتَّى يعصمَنا من الضَّلال . وروى الرِّياشى : (نعودُ له) بالدال المهملة وباللام ، أى نعاوده مرَّة بعد مرَّة .

و (الجُوديُّ) : جبل بالموصل ، وقيل بالجزيرة . و (الجُمُد) بضم الجيم والميم : جبلٌ أيضًا بين مكة والبصرة . ومفعول سبَّح محذوف ، أى سبَّحه الجوديُّ .

* * *

---

(١) الآية ١٧ من سورة الروم .

(٢) الآية الأولى من الاسراء .

(٣) الخزانة ٣ : ٣٨٨ - ٣٩٧ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الخمسمائة [١] :

٥٢٨ (سُبحانَكَ اللهمَّ ذا السُّبحانِ)

على أَن (سبحان) جاء معرَّفا باللام فلا يكون علما ، فلا يأْتى فيه ما زعمه بعضهم من أَنَّه علَمٌ ولو أُضيف . وذا بمعنى صاحب منصوب لأَنَّه تابع للَّهُمَّ [٢] على المحل .

وهذا الرجز أُنشده ابن مالك (فى شرح الكافية) ، قال فى نظمها :

سُبحان فى غير اختيارٍ أُفرِدا ... مُلابِسَ التَّنوين أَو مجرَّدا
وشذَّ قولُ راجزٍ ربّانى ... سبحانكَ اللهمَّ ذا السُّبحانِ [٣]

وقال فى الشرح : من الملتزمِ الإضافةِ سبحان ، وهو اسمٌ بمعنى التسبيح وليس بعلم ، لأَنَّه لو كان عَلَمًا لم يضَفْ إلى اسم واحدٍ كسائر الأَعلام . وأُخلىَ من الإضافة لفظًا للضرورة ، منوَّنا وغير منوَّن . فالتنوين كقول الشاعر :

سبحانه ثم سبحانا نعوذُ به ... . البيت

وغير المنوَّن كقول الاخر : ٢٥١

* سُبحانَ مِن علقمةَ الفاخِرِ *

وزعم الزمخشرىُّ وأَبو علىّ أَنَّ الشاعر ترك تنوين سبحان لأَنَّه علمٌ على التسبيح ، فلا ينصرف للعلميَّة وزيادة الأَلف والنون .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٨ والهمع ١ : ١١٩٠ ويس ١ : ١٢٥ .
(٢) فى النسختين : « تابع لا للهم » ، والوجه ما أثبت .
(٣) الكافية الشافية لابن مالك ص ٥٢ .

وليس الأمر كما زعَما ، بل ترك التنوين لأنّه مضاف إلى محذوف مقدَّرِ الثبوت ، كما قال الراجز :

* خالطَ من سَلْمَى خياشيمَ وفا (١) *

أراد : وفاها . وشذَّ دخول الألف واللام على سبحان والإضافةُ إليه ، فيما أنشده ابن الشَّجرى ، من قول الراجز :

* سبحانك اللهمّ ذا السبحانِ *

انتهى .

وأورده أبو حيان أيضا (فى الارتشاف) كما يأتى بعد هذا (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(سبحانَ من علقمة الفاخرِ)

على أنّهم استدلُّوا به على علميَّة (سبحان) بمنعه من الصَّرف للعلميَّة وزيادة الألف والنون كعثمان . وردّه الشارح المحقق بأنّه من قبيل المضاف ، أى سبحان الله ، حَذَف المضاف إليه وأبقى المضاف على حاله من التجرُّد عن التّنوين .

والشارح المحقّق مسبوقٌ بهذا الرّد ، نقله أبو حيان (فى الارتشاف) قال فيه : معنى سبحان الله براءةً من السُّوء . ويستعمل مفردا منوَّنا وغير منوَّن . فإذا قلت سبحان فهو ممنوع من الصرف عند سيبويه للعلمية وزيادة

---

(١) للعجاج ، كما سبق فى ٣ : ٤٤٢ .

(٢) هو الشاهد ٢٣٥ فى الخزانة ٣ : ٣٩٧ .

الألف والنون . وقيل : هو مضاف فى التقدير ، ترك على هيئته حين كان مضافًا فى اللفظ . وهو اسمٌ وضع موضع المصدر الذى هو التسبيح ، وأصله الإضافة ثم استُعمِل مقطوعًا عنها منوَّنا فى الشعر وغير منوَّن . وقيل وضع نكرةً جاريةً مجرى المصادر ، فعرِّف بالإضافة وبأل . قال :

* سُبحانك اللَّهمَّ ذا السُّبحانِ * انتهى

وممَّن حكى ماردَّه الشارح ، ابنُ الحاجب (فى شرح المفصَّل) قال : والذى يدلُّ عليه أنَّه علمٌ قولُ الشاعر :

قد قلتُ لما جاءنى فخرُه سبحانَ من علقمةَ الفاخرِ

ولولا أنَّه علم لوجب صرفُه ، لأنَّ الألف والنون فى غير الصفات إنما تَمْنع مع العلميَّة ، ولا يستعمل سبحان علمًا إلَّا شاذًّا . وأكثر استعماله مضافا . وإذا كان مضافا فليس بعلم ، لأنَّ الأعلام لا تضاف وهى أعلام ، لأنَّها معرفة ، والمعرفة لا تضاف . وقيل : إنَّ سبحان فى البيت حُذف المضاف إليه وهو مُرادٌ للعِلم به . انتهى .

وزعم الراغب أنَّ سبحان فى هذا البيت مضاف إلى « علقمة » ومِنْ زائدة .

وهو ضعيف لغةً وصناعة .

أمّا الأوّل فلانَّ العرب لاتستعمله مضافا إلَّا إلى الله ، أو إلى ضميره ، أو إلى الربِّ ، ولم يسمع إضافته إلى غيره .

وأمَّا صناعةً فلأن مِنْ لاتزاد فى الواجب عند البصريِّين .

و (سبحان) هنا للتعجُّب ، ومِن داخلةٌ على المتعجَّب منه . والأصل

فيه أن يسبّح اللهَ عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثُر حتى استعمل فى كل متعجَّبٍ منه .

وصاحب الصحاح ، وتبعه صاحب العباب ، نظرا إلى ظاهره فقال : العرب تقول سبحان من كذا ، إذا تعجَّبْتَ منه . قال الأعشى يذكر علقمة ابن عُلاثة :

أقول لمَّا جاءنى فخـرُهُ سبحانَ من علقمةَ الفاخِرِ

يقول : العجب منه إذ يفخر . وإنَّما لم ينوَّن لأنَّه معرفةٌ عندهم ، وفيه شَبَه التأنيث . انتهى .

ولا يَخفى ضعفُه . ووجودُ الزيادة تغنى عن شبه التأنيث .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للأعشى ميمون ، هجا بها علقمة بن عُلاثة

٢٥٢ الصحابى ، وفَضَّل عدوَّ الله عامرَ بنَ الطُّفيل عليه .

وقد تقدم شرحُها وسببُها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(خالط من سَلْمَى خياشيمَ وفا)

على أنَّ أصله وفاها ، حذف المضاف إليه وبقى المضاف على حاله . وتقدّم شرحه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين (٢) .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٣٩٧ – ٤٠٣ .

(٢) الخزانة ٣ : ٤٤٢ .

وأنشد بعده :

ولأنت أجرأُ من أُسامةَ إذْ دُعِيتْ نزالِ ولُجَّ فى الذُّعرِ

تقدّم شرحِهِ فى الشاهد السابع والستين بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(كأنَّ فَعْلَةَ لم تملأْ مواكبُها ديارَ بكر ولم تَخْلَع ولم تَهَبِ)

وقد تقدَّم شرح هذا أيضًا فى الشاهد السادس والثمانين بعد الأربعمائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيدِ مُبارَكا شديدًا بأحناء الخلافةِ كاهلُه)

وتقدم شرحه أيضًا فى الشاهد التاسع عشر بعد المائة (٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(علا زيدُنا يومَ النَّقا رأسَ زيدِكم بأبيضَ ماضى الشَّفرتينِ يمَانِى)

وهذا أيضًا تقدم شرحه فى الشاهد الثامن عشر بعد المائة (٤).

* * *

(١) الخزانة ٦ : ٣١٦ — ٣٢٧ .

(٢) الخزانة ٦ : ٤٤٧ — ٤٦٥ .

(٣) الخزانة ٢ : ٢٢٦ — ٢٢٨ .

(٤) انظر ما سبق فى ١ : ٢٢٤ — ٢٢٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الخمسمائة [(١)] :

٥٢٩ (سَكنوا شُبيثًا والأحصَّ وأَصبحتْ
نَزلت مَنَازِلَهُـم بنـو ذبيـانِ
وإذا فلانٌ ماتَ عن أُكرومـةٍ
رَقعوا مَعاوزَ فقدِهِ بفُلانِ)

على أنَّ (فلانا) يجوز أَن يأْتىَ فى غير الحكاية ، خلافًا للمصنِّف وابن السَّرَّاج ، كما فى البيت الثانى ؛ فإنَّ فلانًا الأَوَّل وقع فاعلًا لفعل يفسِّره ما بعده ، وفلانًا الثانى جُرّ بالباء ، وهما وقعا فى غير حكاية .

والمصنِّف ذهب إلى هذا (فى شرح المفصَّل) قال فى آخر شرح العلم : ولم يثبت استعمال فلانٍ إلّا حكاية ، لأَنَّه اسمُ اللفظِ الذى هو علم ، لا اسمُ مدلولِ العلم ، فلذلك لا يقال جاءَنى فلان ، ولكن يقال قال زيد جاءَنى فلان . قال الله تعالى : ﴿ يقولُ ياليْتنى اتَّخذتُ مَعَ الرَّسول سَبيلًا * ياويْلَتى ليتَنِى لم أَتَّخِذْ فلانًا خليلا [(٢)] ﴾ ، فهو إذن اسمُ الاسم . انتهى .

صاحب الشاهد — والبيتان للمرَّار الفقعسى ، قد سقط من بينهما بيت .

روى القالى (فى أماليه) عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمِّه الأَصمعىِّ قال : بينا أنا بحِمَى ضَرِيَّة إذْ وقف علىَّ غلامٌ من بنى أَسد فى أَطمارٍ ، ما ظننته يجمع بين كلمتين ، فقلت : ما اسمك ؟ فقال : حُرَيقيص .
٢٥٣ فقلت : أَمَا كفى أَهلَك أَنْ سمَّوك حُرقوصًا حتَّى حقَّروا اسمك ؟ فقال : إنَّ السَّقْط يُحرِق الحَرَجة ! فعجبت من جوابه ، واتَّصل الكلامُ بيننا فقلت : أَنشدْنا شيئًا من أَشعار قومك . قال : نعم ، أنشدك لمرَّارنا ؟ قلت : افعلْ . فقال :

---

(١) أمالى القالى ١ : ٦٦ ومعجم البلدان (شبيث) .
(٢) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة الفرقان .

سكنوا شُبيثًا والأحصَّ وأصبَحتْ ... نَزلَتْ منازِلَهم بنو ذُبيان
وإذا يقال أُتِيتُم لم يَبرحوا ... حَتَّى تقيم الحربُ سوقَ طِعانِ (١)
وإذا فلانٌ مات عن أُكرومة ... رَقَعوا معاوزَ فقدِه بفُلانِ (٢))

قال : فكادت الأرض أن تسُوخ بى لحسن إنشاده وجودةِ الشعر . فانشدتُ الرَّشيد هذه الأَبياتَ فقال : ودِدتُ يا أَصمعىُّ أَن لو رأَيتُ هذا الغلامَ فكنت أُبْلغه أَعلى المراتب : انتهى .

وحِمَى ضريَّة ، بفتح الضاد المعجمة وكسر الراءِ المهملة وتشديد المثناة التحتيَّة : نُسِب هذا الحمى إلى ضَريَّة بنت ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وهو أَكبر الأَحْماء من ضَريّة إلى المدينة ، وهى أَرضٌ كثيرة العشب . وأَوّل مَن حماه فى الإسلام عمر بن الخطاب لإبل الصَّدقة وظَهْرِ الغُزاة ، وكان حِماه ستة أَميالٍ من كل ناحية من نواحى ضريّة ، وضريَّة فى أَوسط الحِمى .

والحُرقوص بالقاف وبالمهملات ، كعصفور : دويبَّةٌ كالبُرغوث ، ربَّما نبت له جناحان فطار .

والسّقط قال القالى : هو ما يسقُط من الزند إذا قدح . وقال أَبو عبيدة : فى سقط النار وسقط الولد ثلاثُ لغات (٣) : الضَّمُّ والفتح والكسر . وزِنادُ العرب من خشب ، وأَكثر ما يكون من المَرْخ والعَفار ، ولذلك قال الأَعشى .

---

(١) فى الأمالى : « حتى تقيم الخيل » .
(٢) فى الأمالى : « معاوز فقره » .
(٣) ط : « ثلاثة لغات » ، صوابه فى ش وأمالى القالى .

زِنادك خيرُ زِناد المُلُو كِ صادفَ منهنَّ مَرْخٌ عَفارَا

وإنَّما يؤخذ عود قدر شِبر فيحدِّد طرفه ، فيَجْعل ذلك المحدَّد فى ذلك الثَّقب وقد وضَعَه بين رجليه ، فيُديره ويَفتله فيُورى نارًا . فالأعلى زنْد والأسفل زندة .

والحرجَة بفتح الحاءِ والراءِ المهملتين بعدهما جيم ، قال القالى : هو الشجر الملتفُّ ، وجمعه حراج . قال العجّاج :

عاينَ حيًّا كالحِراجِ نَعَمُهْ يكون أقصى شلِّهِ مُحْرَنْجَمُه

يقول : عاين هذا الجيش الذى أتانا حيًّا . ويعنى بالحىِّ قومَه بنى سعد . والنَّعم : الإبل . وأقصى : أبعَدُ . وشلُّه : طرْده . ومُحْرنْجَمُه : مبركه حيث يجتمع بعضه إلى بعض . والمعنى أنَّ الناس إذا فوجئوا بالغارة وطَردوا إبلَهم وقاموا هم يقاتلون ، فإن انهزموا كانوا قد نَجَوا بها . يقول : فهؤلاء من عِزِّهم ومنعتهم لايَطردونها ، ولكن يكون أقصى طَردهم أن ينيخوها فى مبركها ثم يقاتلوا عنها . انتهى .

وقوله : (سكنوا شُبَيْثا) هو بضم الشين المعجمة وفتح الموحدة وآخره ثاءَ مثلثة : اسم ماءٍ لبنى تغلب . قال الجعدىُّ وذكر كليبًا لمَّا طعنه جسَّاس :

فقال لجسّاسٍ أغِثنى بشَربةٍ من الماء وامنُنْها علىَّ وأنعِمِ
فقال : تجاوزتَ الأحصَّ وماءه وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مترسَّمِ

[مترسَّم [1]] أى موضع الماء لمنْ طلبه [2] . وقال عمرو بن الأهتم :

فقال لجسَّاس أغثنى بشربة وإلَّا فنبِّئْ من لقيتَ مكانى

(١) التكملة من ش .
(٢) ظ : « لما طلبه » ، صوابه فى ش .

فقال : تجاوزتَ الأَحصَّ وماءه وبطنَ شُبيث وهو غير دِفانِ

كذا فى المعجم للبكرى . قال السُّكَّرى : يقال ماء دَفْن ومياهٌ دِفان ، أى مندفنة قد درس مَواضعُها . والأَحصّ بمهملتين قال البكرى (فى معجمه) : هو على وزن أَفْعَل ، وادٍ لبنى تغلب ، كانت فيه بعضُ وقائعهم مع إخوتهم بكر . قال مهلهل :

وادِى الأَحصِّ لقد سَقاك من العِدَى فَيضَ الدُّموع بأَهله الدَّعْسُ

والدّعس من منازل بكر . وقال جرير :

سادت همومى بالأَحصِّ وِسادى هيهاتَ من بلد الأَحصِّ بلادى

وبالأَحصِّ قَتل جسّاسُ بن مرة ، كُليبَ بنَ ربيعة . انتهى .

وقوله : « تجاوزت الأَحصَّ وشُبيثًا » ، صار مثلًا يضرب لطالب الشئ بعد فوته ، أورده الزمخشرى (فى أمثاله) قال : هما ماءَان . وأصله أَنَّ جسّاس ابن مُرّة لمَّا ركب ليلحق كليبًا أَردفَ خلفه عمرو بنَ الحارثِ بن ذُهل بن شيبان ، فلما طعنه وبه رمقٌ قال له :

أَغِثْنِىَ يا جسَّاسُ منك بشَربةٍ تعوَّدها فضلًا علىَّ وأَنعِمِ (١)

فقال له جسَّاس : تجاوزتَ الأَحصَّ وشُبيثا . أَراد : إنك تباعدتَ عن موضع سُقياك ! ثم نزل عمرٌو فحسِب أَنَّه يسقيه ، فلما علم أَنَّ نزوله للإجهاز عليه قال :

المستجير بعمرٍو عند كُربته كالمستجيرِ من الرَّمضاءِ بالنارِ . اهـ

(١) ش : « عليك » تحريف . وفى معجم البلدان (الأحص) :

« تفضل بها طولا على وأنعم »

وفى جمهرة العسكرى ١ : ٢٧٩ :

« تمن بها فضلا على وأنعم »

و (أَصبحَتْ نزلَتْ) إلخ بنو ذبيان اسم أَصبحت ، وجملة نزلت خبرها ، وتقدَّم من الشارح أنَّه يجوز وقوع الماضى خبرًا للأَفعال الناقصة .

وقوله : (وإذا يقال أُتيتم) إلخ هذا البيت هو الذى أَعجب الأَصمعىَّ والرَّشيد ، لدلالته على كمال الشجاعة . وأُتيتم بالبناء للمفعول يستعمل فى المكروه ، أَى دُهيتم بمجىء العدوّ . وبَرِح الشَّىءُ ، من باب تعب ، بَرَاحا : زال من مكانه . وروى « الخيل » بدل الحرب . والطِّعان : المطاعنة بالرمح .

وقوله : (عن أُكرومة) عن متعلقة بحال محذوفة ، أَى منصرفا عن أُكرومة بضم الهمزة ، أَى عن ذكرٍ جميل ومَنقُبةٍ كريمة . والأُكرومة من الكرَم ، كالأُعجوبة من العَجَب . وقوله : (رقَعوا مَعاوز) إلخ رقعوا بالقاف ، من رقَعت الثوب رَقْعا من باب نفع ، إذا جعلتَ مكان القطع خِرقةً ، واسمها رُقعة ، و (المعاوز) قال القالى : هى الثِّياب الخُلْقان . وفى الصحاح : المِعْوزة والمِعْوز بكسر أَولهما : الثَّوب الخلق الذى يبتذل (١) ، والجمع معاوز . و (الفقد) : مصدر فقدته فقدًا من باب ضرب ، إذا عَدِمته . يقول : إذا مات منهم سيِّد أَقاموا موضَعه سيِّدًا آخر .

المرار للفقعسى

والمرار الفقعسىّ الأَسدىُّ هو شاعر إسلامى من شعراءِ الدولة الأَموية ، بفتح الميم وتشديد الراء الأُولى . وينسب تارة إلى فقعس وهو أَحد آبائه

(١) ط : « الثوب الخلق أى يبتذل » ، صوابه من ش والصحاح (عوز) .

الأقربين ، وتارة إلى أسد بن خزيمة بن مدركة،وهو جدّه الأعلى . وتقدمت ترجمته فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (١) .

والموجود فى نسخ الشرح : « المرار العَبْسى » ، وهو تحريف وتصحيف من الفَقْعسى ، إذ ليس من الشُّعراء المرار العبسى ، وكأنه حرّف بالنظر إلى قوله نزلت منازلهم بنو ذبيان ، فإنَّ عبسًا وذبيان أخوان أبَوَا قبيلتين ، وهما ابنا
بعيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويدلُّ ٢٥٥
أيضًا لما قلنا حكايةُ الأصمعى إذ وقف على غلامٍ من بنى أسد ، وفيها « أُنشدكَ لمرَّارِنا » . والله أعلم .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الخمسمائة :

٥٣٠ (أخذتُ بعَيْنِ المال حَتَّى نَهكْتُه وبالدَّيـنِ حتَّـى ما أكاد أُدانُ
وحَتَّى سألتُ القرضَ عند ذوِى الغنى ورَدّ فلانٌ حاجتـى وفـلانُ)

لما تقدَّم قبله ، فإن (فلانًا) فاعل ردّ ، وهو فى غير حكاية .

روى أبو الفرج الاصبهانى (فى الأغانى (٢)) بسنده قال :

مرَّ عبيد الله بن العباس بن عبد المطَّلب بمَعْنِ بن أوسٍ المزنى وقد كُفَّ بصرِه ، فقال له : يامعن كيف حالك ؟ فقال : ضعف بصرى وكثُر عيالى ، وغلبَنى الدين . قال : وكم دَيْنُك ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فبعث بها

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٧ - ٢٨٩ .
(٢) الأغانى ١٠ : ١٥٧ .

إليه ، ثم مرَّ به من الغد فقال : كيف أُصبحت يامعن ؟ قال :

أُخذتُ بعينِ المال حَتَّى نهكتُه .... البيتين

قال له عُبيد الله : الله المستعان ، إنا بعثْنا إليك لقمةً فما لُكْتها حَتَّى انتُزِعتْ من يديك ، فأَىُّ شيءٍ للأَهل والقرابة والجيران ، وبعث إليه بعشرة آلاف درهمٍ أُخرى ، فقال معنٌ يمدحه :

إنَّك فرعٌ من قريش وإنَّما يمجُّ النَّدى منها البحورُ الفوارعُ
ثوَوْا قادةً للناسِ بطحاءَ مكة لهمْ وسقاياتُ الحجيج الدوافعُ
فلما دُعُوا للموت لم تَبك منهم على حادث الدهر العيونُ اللوامعُ

قوله : (أُخذت بعين المال) إلخ يقال أُخذ الخطام وأَخذ به ، على زيادة الباءِ ، أَو أُخذت مضمَّن معنى تصرَّفت . وعين المال هنا : نَقْده ، فإنَّ العينَ له معانٍ منها النقد . وحَتَّى هنا بمعنى الغاية . و (نَهَكته) : أَتلفته ومَزَّقته ، وهو من نهكَتْه الحمَّى ، إذا جَهَدته وأَضْنته ونقصَتْ لحمه ، جاءَ من باب نفع ومن باب فرح ، أَو من بَاب نهكت الثَّوب من باب نفع : لَبِستُه حتَّى خَلُقَ . يقول : تَصرَّفتُ بالمال النقد وأَسرفت فيه إلى أَن فَنِىَ .

قوله : (وبالدَّين) معطوف على قوله بعين المال ، أَى وأُخذت الدين من هنا ومن هنا حتَّى ما بقىَ من يُقرضنى . و (أُكاد) بفتح الهمزة بمعنى أُقربُ . قال فى المصباح : كاد يفعل كذا يكاد ، من باب تعب : قاربَ

---

(١) فى النسختين : « فى سقايات الحجيج » ، صوابه من الأغانى .

الفعل . قال ابنُ الأنباريّ : قال اللغويُّون : كدت أَفعل معناه عند العرب قاربت الفعل ولم أَفعل ، وما كدت أَفعل معناه فعلت بعد إبْطاء . قال الأَزهريّ : وهو كذلك ، وشاهده قوله تعالى : ﴿ وما كادُوا يَفْعلُون (١) ﴾ . وقد يكون ما كدت أَفعل بمعنى ما قاربت . انتهى .

وهذا الأَخير هو المراد هنا .

و (أُدان) : مجهول دِنته بمعنى أَقرضته ، قال صاحب المصباح (٢) : قال جماعة : يُستعمل دان لازمًا ومتعديا ، فيقال دِنته إذا أَقرضتَه فهو مَدين ومديون ، واسم الفاعل دائن فيكون الدائن من يأْخذ الدَّين على كونه لازمًا ، ومن يعطيه على كونه متعدّيا . وقال ابن القطَّاع : دنته أَقرضته ، ودنته استقرضت منه . وقال ابن قتيبة : لا يستعمل دانَ إلَّا لازمًا فيمن يأْخذ الدين . وقال ابن السكيت أَيضًا : دان الرجلُ إذا استقرض ، فهو دائن . وكذلك قال ثعلب ، ونقله الأَزهرى أَيضًا . وعلى هذا فلا يقال منه مدين ولا مديون ، لأَنَّ اسم المفعول إنَّما يكون من فعل متعدٍّ ، وهذا الفعل لازم ، فإذا أَردت التعدِّى قلت أَدنته وداينته . قاله أَبو زيد ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وثعلب . انتهى . ٢٥٦

وقوله : (وحتى سأَلت القرضَ) إلخ سأَلت هنا بمعنى طلبت ، والقرض بفتح القاف وكسرها ، وهو ما تعطيه غيرك من المال لتُقضَاه . والفرق بينه وبين

(١) الآية ٧١ من سورة البقرة .

(٢) كتب مصحح طبعه بولاق : « قوله قال صاحب المصباح ، إلخ قد تصرف فى عبارته بتقديم وتأْخير وبعض حذف ، كما يظهر بالوقوف عليه » .

الدَّين أنَّ الدّين أعمُّ منه ، يكون ثمن مبيع وغيره ، والقرض خاصٌّ بالنَّقد من غير ربح .

وقوله : (وردَّ فلان) إلخ معطوف على سألت ، قال أبو هلال العسكرى (فى كتاب الفروق فى اللغة) : الفرق بين الفقر والحاجة أنَّ الحاجة هى القُصور عن المبلغ المطلوب ، ولهذا يقال : الثوب يحتاج إلى خرقة ، وفلان يحتاج إلى عقل ، وذلك إذا كان قاصرًا غير تامّ . والفقر خلاف الغنَى . فأمّا قولهم مفتقر إلى عقل فهو استعارة ، ومحتاج إلى عقل حقيقة . والفرق بين النقص والحاجة : أنَّ النقص سبب الحاجة ، والمحتاج يحتاج لنقصه ، والنَّقص أعمُّ من الحاجة ، لأنَّه يستعمل فيما يحتاج وفيما لا يحتاج .

وقوله : « فما لُكتهَا » من لاك اللُّقمة يلوكها لَوكًا ، إذا مَضَغها .

وقوله : « إنَّك فرع من قريش » إلخ هو مخروم ، ويروى : « وإنك » بالواو فلا خرم . والفرع مستعار من فروع الشجرة ، وهى أغصانها . وفى الصحاح : هو فرعُ قومِه للشَّريف منهم . ومَجَّ الماءَ من فيه : رمى به . والنَّدى : أصل المطر ، ويطلق لمعانٍ ، يقال أصابه ندًى مِن طلٍّ ومِن عَرَق ، وندى الخير وندى الشر ، وندى الصوت . والندى : ما أصابَ من بلل . وبعضهم يقول : ما سقط آخر الليل ندًى ، وأمَّا الذى يسقط أوله فهو السَّدَى بالقصر أيضًا . وضمير منها لقريش . وشبَّه أجوادهم وكرماءَهم بالبحور . والفوارع : جمع فارع ، وهو العالى .

وقوله : « ثَوْوا قادَة للناس » إلخ ثوى هنا متعدٍّ بمعنى سكنوا ونزلوا . قال صاحب المصباح : ثوى بالمكان وفيه ، أى أقام ، وربَّما تعدَّى بنفسه . وقادة : جمع قائد ، من قاد الأمير الجيش والناسَ قيادةً . وبطحاءَ مكة مفعول ثووا ، ولهم خبر مقدم ، والدوافع مبتدأٌ مؤخر : جمع دافع ، يقال شاةٌ أو ناقة دافعٌ ودافعة ومِدفاع ، وهى التى تدفع اللِّبأ فى ضرعها قُبيل النِّتاج . وفى بمعنى مع . والسِّقاية بالكسر : الموضع يُتَّخذ لسقى الناس . والحَجيج : جمع حاجّ .

وقوله : « فلمَّا دُعُوا للموت » بالبناءِ للمفعول . يصفهم بالشجاعة ، يقول : إن طُلبوا للحرب لم تدمع لهم عينٌ خوفًا من القتل .

عبيد الله بن العباس

وعبيد الله بن العباس هو ابن عمِّ رسول الله – ﷺ وهو أخو عبد الله ابن العباس حَبْرِ هذه الأمّة . قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) [1] : أجواد الحجاز ثلاثة فى عصر واحد : عبيد الله بن العباس ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص .

فمنْ جود عُبيد الله بن العباس أنه أوَّل من فَطَّر جيرانه ، وأول من وضعَ الموائد على الطُّرق ، وأول من حَيَّا [2] على طعامه ، وأول من أنهبه . وفيه يقول شاعر المدينة :

وفى السَّنة الشهباءِ أطعمتَ حامضا ... وحُلوًا ، ولحمًا تامكا وممزَّعا
وأنت ربيعٌ لليتامى وعِصمةٌ ... إذا المحلُ من جوِّ السماء تطلَّعا
أبوك أبو الفضل الذى كان رحمةً ... وغيثًا ونورًا للخلائق أجمعا ٢٥٧

(١) العقد ١ : ٣٣٩ – ٣٤٣ .

(٢) ط : « من حى » ، صوابه فى ش والعقد .

ومن جوده : أنّه أتاه رجلٌ وهو بفِناءِ داره ، فقال : يا ابن عباس ، إنَّ لى عندك يدًا وقد احتجتُ إليها . فصعَّد فيه بصره وصوَّبه فلم يعرفه ، ثم قال : ما يدُك عندنا ؟ قال : رأيتك واقفًا بزمزم وغلامُك يمتح لك من مائها ، والشمس قد صَهَرتك ، فظلَّلتك بطرف كسائى حتَّى شربتَ . قال : إنِّى لأذكُر ذلك ، وإنَّه يتردَّد بين خاطرى وفكرى . ثم قال لقيِّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها إليه ، وما أُراها تفى بحقِّ يدِه عندنا . قال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاهُ ، فكيف وقد ولَدَ سيِّدَ الأوَّلين والآخِرين محمدًا - ﷺ - ثم شفع [1] بك وبأبيك !

ومن جوده أيضًا : أن معاوية حَبَس عن الحسين بن على عليهما السلام صِلاتِه حتَّى ضاقت عليه حالُه ، فقيل : لو وجَّهت إلى ابن عمك عُبيد الله ، فإنَّه قدِم بنحوٍ من ألف ألف درهم . فقال الحسين : وأين تقع ألفُ ألفٍ من عُبيد الله ، فوالله لهو أجوَدُ من الرِّيح إذا عصَفت ، وأسخى من البحر إذا زَخر ! ثم وجَّه إليه مع رسوله بكتابٍ ذكر فيه حَبْسَ معاوية عنه صِلاتِهِ ، وضيقَ حاله ، وأنَّه يحتاج إلى مائة ألف درهم ، فلما قرأ عُبيد الله كتابه - وكان من أرقِّ الناس قلبًا وألينهم عِطْفًا - انهملت عيناه ثم قال : ويلك يا معاوية مِمَّا اجترحَتْ يداك من الإثم حين أصبحتَ ليِّن المهاد ، رفيعَ العماد ، والحسينُ

(١) فى العقد : « ثم شفعه » .

يشكو ضيقَ الحال ، وكثرةَ العيال : ثم قال لقَهرَمانِهِ : احمل إلى الحسين نصفَ ما أملِكه من فضة وذهب ، وثوب ودابّة ، وأَخبِره أَنّى شاطرتُه مالى ، فإنْ أَقنعَه ذلك وإلّا فارجع واحملْ إليه الشّطر الآخر . فقال له القيِّم : فهذه المُؤَن التى عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بَلْغنا ذلك دَللْتُك على أمر تقيم به حالك . فلمّا أتى الرسولُ برسالته إلى الحسين قال : إنّا لله ، حَمَلتُ والله على ابن عمّى ، وما حسِبته يتّسع لنا بهذا كلّه . فأخذَ الشّطر من ماله . وهو أوّل منَ فعل ذلك فى الإسلام .

ومن جوده : أنّ معاوية أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا النّيروز حُللًا كثيرة ، ومِسْكًا ، وآنيةً من ذهب وفضّة ، ووجّهها مع حاجِبه ، فلما وضعَها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظُر إليها فقال : هل فى نفسك منها شيءٌ ؟ فقال : نعم ، والله إنَّ فى نفسى منها ما كان فى نفس يَعقوب من يوسفَ عليهما السلام ! فضحك عُبيد الله وقال : فشأنَكَ بها فهى لك . قال : جُعِلتُ فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجدَ علىَّ . قال : فاختِمْها بخاتَمك وادفَعْها إلى الخازن ، فإذا حان خروجنا حَمَلها إليك ليْلا . فقال الحاجب : والله لهذه الحِيلةُ فى الكرمِ أكثرُ من الكرم ، ولَوَدِدت أنّى لا أموت حتّى أراك مكانه ! يعنى معاوية . فظنَّ عُبيدُ الله أنّها مكيدة منه ، قال : دع عنك هذا الكلام فإنّا قومٌ نفى بما وَعَدنا ، ولا ننقض ما أكّدنا .

ومن جوده أيضًا : أنّه أتاه سائل وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدّقْ ،

(١) فى العقد : « يقيم حالك » .

فإنِّى نبِّئت أنَّ عبيد الله بن عباس أعطى سائلًا ألف درهم واعتذرَ إليه . فقال له : وأين أنا من عبيد الله ؟ قال : أين (١) أنت منه فى الحسَب أم كثرة المال ؟ قال : فيهما . قال : أمَّا الحسبُ فى الرجل فمروءَته وفعله ، وإذا شئتَ فعلتَ ، وإذا فعلتَ كنتَ حسيبا . فأعطاه ألفَىْ درهم واعتذر إليه من ضيق ٢٥٨
الحال ، فقال له السائل : إن لم تكن عُبيدَ الله بن عباس فأنت خير منه ، وإنْ كنت هو فأنت اليوم خيرٌ منك أمس . فأعطاه ألفًا أخرى فقال السائل : هذه هِزَّةُ كريمٍ حسيب ، والله لقد نقَرت حبَّةَ قلبى فأفرغتَها فى قلبك فما أخطأتَ إلَّا باعتراض الشكِّ من جوانحى (٢) .

ومن جوده أيضًا : أنَّه جاءَه رجلٌ من الأنصار فقال : ياابنَ عمِّ رسول الله ، إنَّه وُلد لى فى هذه الليلةِ مولود ، وإنِّى سمَّيته باسمك تبرّكًا منِّى به ، وإنَّ أمَّه ماتت . فقال عبيد الله : بارك الله لك فى الهبة وأجزل لك الأجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله وقال : انطلق الساعةَ فاشترِ للمولود جاريةً تحضُنه ، وادفعَ إليه مائتى دينار للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصارى : عُدْ إلينا بعد أيام فإنك جئتنا وفى العيشُ يُبس ، وفى المال قِلّة . قال الأنصارى : لو سبقتَ حاتِمًا بيومٍ واحد ما ذكرَتْه العرب أبدًا ، ولكنَّه سبقك فصرت له تاليا ، وأنا أشهد أنَّ عفوك أكثر من مجهوده ، وطَلَّ كرمِك أكثرُ من وابله .

معن بن أوس — وأما معن بن أوس المزنى فهو ابن أوس بن نصر بن زياد بن أسعدَ

(١) ط : « قال قال » والثانية منهما مقحمة .

(٢) وكذا فى نسخة من نسخ العقد . وفى سائر النسخ : « بين جوانحى » .

ابن أُسحم بن ربيعة بن عِداءِ بن ثعلبة بن ذؤيب بن سعد بن عِداءِ بن عثمان ابن عمرو بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر .

ومزينة بالتصغير ، هى أم عمرو بن أُدّ بن طابخة . كذا فى جمهرة الأنساب للكلبى .

وأُسحم بالمهملتين . وعِداءٌ فى الموضعين بالكسر والمد والتخفيف . وروى فى الأوّل عدىّ بتشديد الياء .

ومعنٌ شاعر مجيدٌ فحل من مخضرَمى الجاهليّة والإسلام ، أُورده ابن حجر فى المخضرمين من الإصابة ، ولهُ مدائحُ فى أُصحاب النبى – ﷺ – وعُمِّر إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومَرْوان بن الحكم . معن بن أوس

وكان معاوية يفضِّل مُزينة فى الشعر ويقول : كان أُشعرُ الجاهلية منهم ، وهو زهير (١) ، وكان أُشعرُ الإسلام منهم ، وهو كعب بن زهير .

روى صاحب الأغانى أنَّ معن بن أُوس كان مِئناثًا ، وكان يحسن صُحبة بناته وتربيتهنّ ، فوُلد لبعض عشيرته بنتٌ فكرهها وأُظهَر جزعًا من ذلك ، فقال معن :

رأيتُ رجالا يكرهون بناتِهمْ وفيهنّ لا تَكذبْ نساءٌ صوالحُ
وفيهنّ والأيّامُ يعثُرن بالفتى نوادبُ لا يَملَلْنهُ ونوائح

والبيت الثانى من أُبيات مغنى اللبيب على أنَّ فيه الاعتراض بين المبتدأ والخبر .

(١) ش : « هو » بدون واو ، فى هذا الموضع وتاليه .

قال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) بعد إيراد هذين البيتين : أنشد صاعدُ بن الحسن لحسّان بن الغَدير ، أحد بنى عامر (١) شعرًا ، فيه الأوّل من هذين البيتين ، وهى أبيات منها :

أبيات الشاهد

(لأىّ زمانٍ يخبأُ المرءُ نفعَه غدًا بل غدٌ للموت غادٍ ورائحُ
إذا المرء لم ينفعك حيًّا فنفعُه أقلُّ إذا رُصَّتْ عليه الصفائحُ
رأيتُ رجالًا يكرهون بناتِهمْ وهنَّ البواكى والجُيوبُ النواصحُ
ولِلموت سَوراتٌ بها تُنقَضُ القُوَى وتسلو عن المال النفوسُ الشائح (٢)
وما النأى بالبعد المفرّق بيننا بل النأى ماضُمّت عليه الضّرائح)

وروى أنَّ عبد الملك بن مروان قال يومًا وعنده عدّة من آل بيته وولده :
٢٥٩ ليقلْ كلُّ واحدٍ منكم أحسنَ شعرٍ سَمِعه . فذكروا لامرىء القيس ، والأعشى ، وطرفةَ ، حتّى أتوا على محاسنِ ما قالوا ، فقال عبد الملك (٣) : أشعرهم ، والله ، الذى يقول :

وذى رحِمٍ قلَّمتُ أظفار ضِغنه بحلمىَ عنه ، وهو ليس له حِلمُ
إذا سُمتُه وصلَ القرابة سامنى قَطِيعتَها ، تلك السفاهةُ والظلمُ
فأسعَى لكى أبنِى ، ويهدِمُ صالحى وليس الذى يبنى كمن شأنُه الهدمُ
يُحاول رَغمى لا يحاول غيره وكالموت عندى أنْ يحلَّ به رَغمُ
فما زِلتُ فى لينٍ له وتعطُّفٍ عليه ، كما تحنو على الوَلد الأُمُّ

(١) فى سمط اللالى ٨٠٤ : « أحد بنى عامر بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان » .
(٢) فى النسختين : « تنقص القوى » ، والوجه ما أثبت من السمط .
(٣) ط : « عبد الله » ، صوابه فى ش .

لأستلَّ منه الضِّغْنَ حتَّى سللته وإن كان ذا ضغن يضيق به الحِلمُ

قالوا : ومَن قائلها ياأمير المؤمنين ؟ قال : معن بن أوس المزنى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الخمسمائة (١) :

٥٣١ (اللهُ أعطاكَ فضلًا مِن عطيَّتِهِ على هنٍ وهنٍ فيما مَضَى وهَنِ)

على أنَّه قد يكنى بهَن عن العَلَم كما هُنَا .

وهذا من شرح المفصل لابن الحاجب ، وعبارته : وقد يكنى بهنٍ عمَّا لايراد التصريح به لغرضٍ ، كقول ابن هَرْمة يخاطب حسن بنَ زَيد :

اللهُ أعطاك فضلا .... البيت

يعنى عبد الله وحَسنا وإبراهيمَ ، بنِى حسن بن حسن ، كأنَّهم كانوا وعدوه شيئًا فوفَى به حسن . ومن ثَمَّ قال بعضهم : يكنى به عن الأعلام أيضًا . انتهى .

وقال أحد شُرَّاح أبيات الإيضاح للفارسى : قال الهروى : هن وهنةُ كناية عن الشيءِ لا تذكره باسمه . ولم يخصَّ جنسًا من غيره . وقال أبو الحسن الأخفش (فى الأوسط له) : تقول : هذا فلان بن فلان ، وهذا هن بن هن ، وهذه هنةُ بنت هنة (٢) ، كأنَّه قيل : هذا زيد بن عمرو فلم يذكره ، فوضع

(١) مجالس ثعلب ٢٦ والهمع ١ : ٧٤ .

(٢) ط : « هنت بنت هنت » وتقرأ بسكون النون .

بأنّها يكنى بها عن الأعلام . وهو صحيح ، ويدل على ذلك قول ابن هَرْمة يمدح حسن بن زيد :

الله أعطاك فضلًا من عطيته .... البيت

يعنى حسنا وإبراهيم وعبد الله ، بنى حَسَن بن حسن ، وكأنّهم كانوا وعدوه شيئًا فوفى به حسن . انتهى . كلامه

وقال الشنوانى فى (حاشية الأوضح) : الهنُ يطلَق ويراد به الحقير ، قال الشاعر :

الله أعطاك فضلا .... البيت

يعنى على أقوام هم بالنسبة إليك صغارٌ محتقرون . انتهى .

والبيت من أبيات ثلاثة رواها أبو العباس أحمد بن يحيى ، الشهير بثعلب (فى أماليه) قال : أخبرنا محمد قال حدثنا أبو العباس : قال حدثنى عمر بن شَبَّة [1] قال : أخبرنى أبو سلمة قال : أخبرنى ابن زَبَنَّج راوية ابن هَرْمة قال :

أصابت ابنَ هرمة أزمةٌ فقال لى فى يوم حارٍّ : اذهبْ فتكارَ لى حمارين إلى ستة أميال ، ولم يسَمِّ موضِعًا . فركب واحدًا وركبت واحدًا ، ثم سرنا حتّى انتهينا إلى قصور حسن بنِ زيد ببطحاءِ ابن أزهر ، فدخلنا مسجدَه ، فلمّا زالت الشمس خرج علينا مشتملًا على قميصه فقال لمولًى له : أذِّنْ . فأذَّنَ ثم لم يكلّمنا كلمة ، ثم قال له : أقم . فأقام فصلّى بنا ، ثم أقبل على ابن هرمة فقال : مرحبًا بك أبا إسحاق ، حاجتَك . قال : نَعم ، بأبى أنتَ وأمّى ،

---

(١) موضع « شبة » بياض فى ش .

أبياتٌ قلتها . وقد كان عبد الله بن حَسَن ، وحسَن ، وإبراهيم ، بنو حسن بن حسن ، وعَدُوه شيئًا فأخلفوه ، فقال : هاتها . فأنشد : ٢٦٠

أَمّا بنو هاشمَ حولى فقدْ قرعوا   نَبلِى الصِّيَابَ التى جَمَّعت فى قَرَنِى

فما بيثربَ منهم مَنْ أُعاتبُه   إلَّا عوائدُ أرجوهُنَّ من حَسَنِ

الله أَعطاك فضلًا مِن عطِيَّتِه   على هَنٍ وهنٍ فيما مضى وهَنِ

قال : حاجتَك . قال : لابن أَبى مضرِّس علىَّ خمسون ومائة دينار . قال : فقال لمولًى له : أَبا هَيْثم اركبْ هذه البغلة فأْتنى بابن أَبى مضرِّس ، وذِكْرِ حقِّه . قال : فما صلَّينا العصر حتَّى جاءَ به فقال له : مرحبًا بك يا ابن أَبى مضرِّس ، أَمعك ذِكر حَقٍّ على ابن هَرْمة ؟ فقال : نعم . قال : فامحُه . قال : فمحاه ثم قال : ياهيثم بعْ ابنَ أَبى مضرِّس من تمر الخانقَيْن بمائة وخمسين دينارًا وزدْه فى كلِّ دينار ربعَ دينار ، وكِلْ لابن هرمة بخمسين ومائة دينَار تمرًا ، وكل لابن زبنَّج بثلاثين دينارًا تمرًا . قال : فانصرفنا من عنده فلقيَه محمد بن عبد الله بن حسن بالسَّيَالة ، وقد بلغه الشعرُ ، فغضب لأَبيه وعمومته فقال : أَيا ماصَّ بَظْرِ أُمِّه ، أَأَنت القائل :

* على هَن وهن فيما مضى وهَنِ *

قال : لا ، والله بأَبِى أَنت ، ولكنِّى الذى أَقول لك :

لا والذى أنت منه نعمةٌ سلفت   نرجو عواقبها فى آخر الزمنِ

(١) وكذا فى الأغانى ٤ : ١٠٥ . وفى مجالس ثعلب ٢٧ : « فَعْل أمه » ، على سبيل الكناية .

لقد أُبِنتُ بأمرٍ ما عَمَدت له ... ولا تعمَّده قولى ولا سَننى
فكيفَ أُمشِي مع الأَقوام معتدلا ... وقد رَمَيْتُ برىءَ العُود بالأُبَنِ
ما غيرَّت وجهَه أُمٌّ مهجنةٌ ... إذا القَتَامُ تغشَّى أَوجُهَ الهُجُنِ

قال : وأُمُّ الحسن أُمُّ ولد . انتهى ما رواه ثعلب .

قال صاحب الأَغانى : ويروى أَن ابن هَرْمة لما قال هذا الشعر فى حسن بن زيد قال عبد الله بن حسن : والله ما أَراد الفاسق غيرى وغير أَخوىَّ حسنٍ وإبراهيم : وكان عبد الله يُجرى عليه رزقًا ، فقطعه عنه وغضب عليه ، فأَتاه يعتذر ، فنُحِّى وطرد ، فسأَل رجالًا أَن يكلِّموه فردَّهم ، فيئس من رضاه فاجتنَبه وخافَه ، فمكث ما شاءَ الله ، ثم مرَّ عشيَّةً وعبدُ الله على زِرْبِيَّته (١) فلما رآه عبدُ الله تضاءَل وتصاغر وأَسرع فى المشى (٢) ، فرقَّ له عبد الله وأَمر به فردُّوه وقال له : يافاسق ، تقول : على هن وهن ، تفضِّل الحسنَ علىَّ وعلى أَخوىّ ؟! فقال : بأَبى أَنت وأُمى ، وربِّ هذا القبر ما عنيتُ إلَّا فرعون وهامان وقارون ، أَفتغضب لهم ؟! فضحك وردَّ عليه جِرايتَه . انتهى .

وزبنَّج بفتح الزاى المعجمة وفتح الموحدة وتشديد النون المفتوحة بعدها جيم . والأَزمة : الشِّدّة والضائقة (٣) . وقوله : « فتَكار » أَمرٌ من تكارى يتكارى بمعنى اكترى يكترى ، أَى أَخذ الدابة بالكِراءِ والأُجرة .

---

(١) الزربية ، مثلثة الزاى : الطنفسة ، وقيل البساط ذو الخمل . وفى الأغانى : « على زربية فى ممر المنبر ، ولم تكن تبسط لأحد غيره فى ذلك المكان » .

(٢) فى الأغانى : « فلما رأى عبد الله تضاءل وتقنفذ وتصاغر وأسرع المشى » .

(٣) ط : « والمضايقة » صوابه فى ش .

وحسن بن زيد ، هو حسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، ولِىَ المدينة ، وكان شريفًا فاضلا . فزيد بن حسن هو أخو حسن بن حسن . فحسن بن زيد يكون ابنَ عمٍّ لهؤلاءِ الإخوة الثلاثة . حسن بن زيد

وقوله : « أما بنو هاشم حولى » إلخ قرعَتْ : أصابت . ونبلى بالفتح : سِهامى . والصِّياب بالكسر : جمع صائب ، من صاب السهم يصوب صَيبوبة : أى قصد ولم يَجُرْ [1] . وصاب السهم القرطاس يَصيبه صَيْبا : لغة فى أصابه . والقَرَن بالتحريك : الجَعبة . قال الأصمعى : القرَن : جَعْبة من جلود تكون مشقوقة ، ثم تُخرز حتَّى تصل الريح إلى الريش فلا يفسُد . ٢٦١

ويثرب هى المدينة المنوَّرة . وقوله : « إلَّا عوائدُ » استثناءٌ منقطع ، أى لكن . وعوائد مبتدأٌ وأرجوهن خبره ، وحسن هو حسن بن زيد . يقول : ليس فى المدينة من أعاتبه على ترك إحسانه إلىَّ ، لكننى أرجو العوائد من حسن بن زيد . والعوائد : جمع عائدة ، وهى الصِّلة والإحسان .

وقوله : « الله أعطاك فضلا » الفضل هنا : الزيادة . يقول : إنَّ الله أعطاك فضلا على أبناءِ عمك ، أى فضَّلك عليهم . وقوله : « فيما مضى » أى فى الأزل . وعبَّر عن كل واحدٍ منهم بهَنِ الموضوع لما يستقبح ذكرهُ من أسماء الجنس . وليس هَن هنا كناية عن علم كلٍّ منهم ، ولو كان كناية عنهم لما غضب على الشاعر محمدُ بن عبد الله لأبيه وعمَّيه ، ولَمَا اشتدَّ غضب عبد الله لنفسِه ولأخويه . ولو كان الغضب لمجرد التفضيل لما بلغ هذا المبلغ منهم ،

---

(١) كذا فى النسختين بالراء المهملة . والجور : الميل والعدول . وفى اللسان : « لم يجز » بالزاى .

وهم فروعُ الإمامة ، وهضاب الحلم والإغضاء .

وقوله : « حاجتَك » ، هو منصوب فى الموضعين بتقدير اذكرْ . وقوله : « من تمر الخانقين » ، بالخاءِ المعجمة والنون والقاف ، هو موضع ، ويعرب إعرابَ المثنى . كذا فى معجم ما استعجم للبكرى . وكِلْ : أمرٌ من كال يَكيل كيلا . والسَّيالة ، بفتح السين المهملة وتخفيف المثناة التحتية ، قال صاحب المعجم : هى قرية جامعة ، بينها وبين المدينة تسعة وعشرون ميلا ، وهى لولد حسن بن على بن أبى طالب ، وهى فى الطريق منها إلى مكة .

وقوله : « لا والذى أنت منه نعمةٌ سلفَتْ » إلخ لا نفىٌ لما اتُّهِم به الشاعر ، والواو للقسم . يعنى ليس الأمر كما توهّم والله الذى أنعم بك علينا ، ونرجو حسن عاقبةِ هذه النعمة عند انقضاء الأجل بأن يُميتنا على حبِّكم .

وقوله : « لقد أُبِنْتُ » إلخ هذا جوابُ القسم ، وأُبِنْت بالبناءِ للمفعول ، أى ذُكِرتُ بسوءٍ ، وهو بالألف والباءِ والنون . يقال فلانٌ يؤبَن بكذا ، أى يُذكر بقبيح . وأَبنه يأْبُنه من باب نصر وضربَ ، إذا اتَّهمه به . وعَمَدت : قصدت . والسَّنن بفتحتين : الطَّريقة .

وقوله : « فكيف أمشِى مع الأقوام » إلخ المعتدل : المستقيم . وجملة قد رَميتُ من الفعل والفاعل ، حال من فاعل أمشى . ورَميتُ بمعنى قَذَفتُ . برىءَ العود مفعوله ، وبالأُبَن متعلّق برميت . والأُبن ، بضم الألف وفتح الموحدة : جمع أُبنة بضم الألف وسكون الموحدة ، وهى العقدة فى العود ،

ومتعلّق برىءَ محذوف ، أى برىءَ العود من الأُبن. يقول : فيكف أُكون بين الناس مستقيمًا إذا قذفتُ المستقيم بالعيوب .

وقوله : « ما غَيَّرت وجهَه » إلخ غيَّره تغييرًا : جعله غَيْرًا . يريد أَنَّ أُمَّ الحسن بن الحسن ، وإن كانت أُمَّ ولد ، ما ولدت ابنها الحسن مغايرًا لشكل آبائه ، كما يقال « الولد للخال » ، بل ولدته على صورة آبائه : سيِّدًا جليلا شهمًا . والمهجِّنة : بكسر الجيم ، وهى المرأة التى تلد هجينًا . والهجين : الذى تلدهُ أُمٌّ ليست بعربيَّة . والقَتَام بفتح القاف : الغبار . وغشَّى تغشية أى غطَّى تغطية . وأُوجُهَ مفعوله جمع وجه . والهُجُن بضمتين : جمع هجين . والزِّرْبِيَّة بكسر الزاءِ المعجمة وسكون الراء المهملة ، هى الطِّنفسة [1] وجمعها زَرَابىّ .

وابن هَرْمة بفتح الهاءِ وسكون الراء بعدها ميم : شاعرٌ مطبوع أُدرك الدولتين ، ومات فى مدَّة هارون الرشيد . واسمه إبراهيم ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والستين [2] . ٢٦٢

* * *

وأُنشد بعده :

(يامرحَباهُ بِحمارِ ناجِيَهْ)

على أَنَّ هاءَ السكت فى الوصل قد تحرَّك بالضم وبالكسر .

وتقدَّم فى باب المندوب أَنَّ بعضَهم يحرِّكها بالفتح بعد الأَلف .

---

(١) انظر ما سبق من التعليق فى ٢٢٦ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٤ - ٤٢٦ .

ويا : حرفُ نداءٍ ، والمنادى محذوف ، ومرحبًا مصدر منصوب بعامل محذوف ، أى صادف رُحبا وسَعة ، حذف تنوينه لنيَّة الوقف ووَصَل به هاءَ السكت ، ثم عنّ له الوصل فوصل . والباءُ متعلِّق به . وحمار مضاف إلى ناجية . وروى الفراءُ (فى تفسيره [1]) : « ناهيَهْ » بدل ناجيهْ ، وهو اسم شخص .

وقد تقدم الكلام عليه فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائة [2].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الخمسمائة [3] :

٥٣٢ (يارِبِّ يا ربَّاهِ إيّاكَ أسَلْ)

على أنَّ الهاءَ فى (ربَّاه) للسكت ، وتضم وتكسر .

وتقدَّم فى باب المندوب أنَّها تفتح أيضًا عند بعضهم إذا كانت بعد ألف كما هنا . ففيها بعد الألف ثلاث حركات .

وذكر هنا أنَّها تزاد فى السَّعة وصلًا ووقفًا فى آخِر « هَنِ » وإخوته [4] . وهى فى نحو هذين البيتين فى حال الضرورة ، وهذا قول الكوفيين وبعضِ البَصريِّين . وقدَّم [5] فى باب المندوب أنَّ الكوفيين يثبتونها وقفًا ووصلًا فى الشِّعر وغيره . ففى كلامَيْه تدافع .

---

(١) معانى الفراء ٢ : ٤٢٢ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٨ – ٢٨٩ .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٤٢٢ وابن يعيش ٩ : ٤٧ وشرح شواهد الشافية ٢٢٨ .

(٤) أمثال هناناه وهنانيه وهنوناه وهنتاه وهنتاناه وهنتانيه وهناناء . انظر الرضى ٢ : ١٢٩ .

(٥) ش : « تقدم » ، صوابه ما فى ط . وهو يشير إلى ما أورده الرضى فى باب المندوب من شرحه على الكافية ١ : ١٤٤ وهو ما ذكره هنا من إثبات الهاء وقفا ووصلا فى الشعر وغيره .

قال الفراءُ (فى تفسيره) من سورة الزمر ، عند قوله تعالى : ﴿ يا حسرتا [١] ﴾ : يا ويلتا مضافٌ إلى المتكلِّم . تُحَوِّل [٢] العربُ الياءَ إلى الألف فى كلِّ كلام كان معناه الاستغاثة : يخرُج على لفظ الدعاءِ [٣] . وربما أُدخلت العرب الهاءَ بعد الألف التى فى حسرتا ، فيخفضونها مرّة ويرفعونها . أنشدنى أبو فَقْعس ، بعضُ بنى أسد [٤] :

يارِبِّ ياربَّاهِ إيـاك أَسل   عَفراء ياربَّاهِ من قبلِ الأَجَلْ

فخَفَض . وأنشدنى أيضًا :

يامرحباهِ بحمار ناهِيَه   إذا أَتى قرَّبته للسَّانيه

والخفض أكثر فى كلام العرب ، إلّا فى قولهم : ياهناهُ وياهَنَتاه ، فالرفع فى هذا أكثر من الخفض ، لأنّه كثُر فى الكلام ، فكأنّه حرفٌ واحدٌ مدعُوّ . انتهى .

وظاهره على إطلاقه لا يختصُّ بضرورةٍ عندهم ، وأمّا عند البصريين فلا يجوز تحريكها ، ولا تلحق وصلا فى غير ياهناه .

والبيتان المذكوران وقعا بلا مناسبةٍ (فى أوائل إصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت) ، قال شارح أبياته يوسف بن السيرافى : لم ينشد يعقوب هذين البيتين ولا الأبياتَ التى بعدهما شاهدًا لشىءٍ تقدَّم ، وإنَّما أنشد ذلك لأنَّ الهاءَ تُضمُّ وتكسر ، وهذا لا يتعلَّق بالباب . وهذه الهاءُ ليست من الكلمة ، وإنَّما دخلتْ للوقف ، ثم احتاج إلى وَصْلها الشاعرُ فحرَّكها بالكسر . ومَنْ

(١) مما يجدر ذكره أن « يا حسرتا » و « يا ويلتا » كتبتا فى ش بألف تتلوها ياء ، إشارة إلى جواز الكتابتين . وهى الآية ٥٦ من الزمر .

(٢) فى معانى الفرا : « يحول » بالياء .

(٣) ش فقط : « تخرج على لفظ الدعاء » .

(٤) ط : « لبعض بنى أسد » ، صوابه فى ش ومعانى الفراء .

ضمَّ شبهها بهاءِ الضمير ، وهذا ردىءٌ جدًّا . وعفراء : اسم امرأة سَأَل ربَّه أَن يُرِيَه إيّاها قبل أَجله ، ويجمعَ بينهما . انتهى .

وقال الزمخشرى (فى المفصل) : وحقُّ هاءِ السكت أَن تكون ساكنة ، وتحريكها لحنٌ ، نحو ما فى (إصلاح المنطق لابن السكيت) ، من قوله : ٢٦٣

* يا مرحباهُ بحمار عفراء *

و : * يا مرحباهُ بحمارِ ناجيه *

ممّا لا معرَّج عليه للقياس واستعمالِ الفصحاءِ . ومَعذرةُ من قال ذلك أنَّه أَجرى الوصل مجرى الوقف ، مع تشبيه هاءِ الوقف بهاءِ الضمير .

قال شارحه (ابن يعيش) : اعلم أَنَّه قد يؤتى بهذه الهاءِ لبيان حروف المدّ واللين ، كما يؤتى بها لبيان الحركات (١) . ولا تكون إلَّا ساكنة لأَنَّها موضوعةٌ للوقف ، والوقف إنَّما يكون على الساكن . وتحريكها لحنٌ وخروجٌ عن كلام العرب ، لأَنَّه لا يجوز ثبات (٢) هذه الهاءِ فى الوصل فتحرّك ، بل إذا وصلت استغنيتَ عنها بما بعدها من الكلام . فأَمَّا قوله :

* يا مرحباهُ بحمار عفراء *

فإنَّ الشعر لعُروة بن حِزام العُذْرىّ . وقول الآخر :

* يا مرحباه بحمار ناجيه *

---

(١) بعده فى ابن يعيش : « نحو يا زيداه وعمراه ، ووَا غلامَهُوه ، وانقطاع ظهرهيه » .

(٢) كذا فى ش وابن يعيش . وفى ط : « إثبات » تحريف .

فضرورة ، وهو ردىءُ فى الكلام . وإنَّما اضطر الشاعر حين وصلَ إلى التحريك لأنَّه لا يجتمع ساكنانِ فى الوصل على غير شرط إلَّا حرِّك . وقد رويت بضم الهاءِ وكسرها . فالكسر لالتقاء الساكنين ، والضم على التشبيه بهاءِ الضمير . وبعد هذا البيت :

إذا أتى قرَّبته لما شاءْ من الشَّعير والحشيشِ والماءْ

ومعناه أنَّ عروة كان يحبُّ عفراء ، وفيها يقول :

يارَبِّ ياربَّاه إياك أَسَلْ عَفراءَ يا ربَّاهُ من قَبلِ الأَجَلْ

* فإنَّ عفراءَ من الدُّنيا الأَمَلْ * .

ثم خرجَ فلقى حمارًا عليه امرأةٌ فقيل له : هذا حمار عفراءَ ! فقال :

* يا مرحَباهُ بحمارِ عفراءْ *

فرحَّب بحمارها لمحبَّته لها ، وأعدَّ له الشعير والحشيشَ والماءَ .

ونظير معناه قولُ الآخر :

أُحبُّ لحبِّهـــا السُّودانَ حتَّـــى أُحبُّ لحبِّها سودَ الكلابِ [1] . انتهى .

وهذا من رجزٍ أورده أبو محمد الأسود الأعرابى (فى ضالَّة الأديب) ولم ينْسُبه إلى أحد ، وهو :

(إليك أشكو عَرَقَ دهرٍ ذى خَبَلْ وعَيَلا شُعْثًا صغارًا كالحَجَلْ

وأُمَّهم تهتِف تَستكسى الحُلَلْ قد طار عنها دِرعُها ما لم يُخَلْ

ياربِّ يا ربَّــاهُ إيّـــاكَ أَسَلْ عفراءَ يا ربَّاهُ من قبـلِ الأَجَلْ

(١) انظر عيون الأخبار ٤ : ٤٣ وجمل الزجاجى ١٩٥ .

فإنَّ عفـراءَ من الدُّنيـا أَمَـلْ لو كلَّمَتْ رُهبان دَيرٍ فى قُلَلْ (١)

* لزحَفَ الرُّهبانُ يَمْشِى وزَحَل (٢) *

وقد راجعت ديوان عُروة فلم أَجد هذا الرجز .

وعروة تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد السادس والتسعين بعد المائة (٣) .

وقوله : « عَرْقَ دهرٍ ذى خَبَل » ، العَرْق ، بفتح العين وسكون الراء المهملتين : مصدر عرقت العظم ، من باب نصر ، إذا أَكلتَ ما عليه من اللحم . والخَبَل : الفساد . والعَيَل ، بفتحتين : لغة فى العِيال .

وتهتف : تصوِّت . والحُلَل بضم ففتح ، قال الصاغانى : هى برود اليَمن . والحُلَّة : إِزارٌ ورداءٌ ، لا تسمَّى حلة حتَّى تكون ثوبين . والدِّرع بالكسر : ثوب المرأة خاصّة . ويُخَلْ بالخاءِ المعجمة ، أى يتفقَّد . والخائل : الحافظ للشىءِ ، يقال فلان يَخُول على أَهلِهِ ، أى يرعى عليهم ويتَفَقَّدُهم . ٢٦٤

وأَسَل : أَصله أَسأَل ، مخفَّف بحذف الهمزة . وزَحَل بالزاءِ المعجمة والحاءِ المهملة : فارق مكانه وجاءَ إليها .

* * *

(١) فى اللسان : « فى القلل » .

(٢) ط : « تمشى » ، صوابه فى ش . وفى اللسان (رهب) : « يسعى فنزل » ، وقد أورده شاهدا لاستعمال الرهبان بمعنى الواحد . قال : « وقد يكون الرهبان واحدا وجمعا » .

(٣) فى الخزانة ٣ : ٢١٥ – ٢١٨ .

تتمـــة

قد حققٌ الشارح المحقق هنا أنَّ الألف والهاءَ فى (ياهَناه) زائدتان ، بدليل أنَّهما تلحقان فروعه من التثنية والجمع والتأنيث ، كما نقله عن الأخفش ، فيكون من المحذوف اللام ، ووزنه فَعَاه . وقصد بهذا البيان الوافى الردَّ على ابن جنّى فى زعمه أنَّ الهاءَ لام الكلمة ، وأنَّ وزنها فَعَال ، وشدَّدَ فى زعمه وخطَّأَ من عدَّها للسَّكت . فردَّ عليه الشارح بأنَّها قد لحقت مع الألف آخر المثنى والمجموع على حدِّه ، وآخرَ المؤنث . ولو كانت لامًا لما جاز تأخيرها . وأجاب عن تحريك الهاء .

وهذه عبارة ابن جنى (فى سر الصناعة) فى إبدال الهاء من الواو ، قال : أبدلوها من حرف واحد ، وهو قول امرىء القيس :

وقد رابَنى قولُها يا هنا ه ويحَكَ أُلحقتَ شرًّا بشرّ

فالهاء الأخيرة فى هَناهُ بدل من الواو فى هنوك وهنوات ، وكان أصله هناو ، فأُبدلت الواو هاء ، قالوا : هناه . هكذا قال أصحابنا . ولو قال قائل إنَّ الهاء إنَّما هى بدل من الألف المنقلبة عن الواو الواقعة بعد ألِف هَناه ، إذ أصله هناو ، ثم صارت هَنا بألفين ، كما أن أصل عطاء عطاو ، ثم صار بعد القلب عطاا ، فلما صار هناا التقت ألفان ، كُره اجتماع الساكنين فقلبت الألف الأخيرة هاء فقالوا هناه ، كما أبدَلَ الجميعُ من ألف عطاا الثانية همزة لئلَّا يجتمع همزتان ، لكان قولًا قويًا ، ولكان أيضًا أشبه من أن يكون قلبت الواو فى أوّل أحوالها هاء ، من وجهين :

أحدهما : أَنَّ مِن شريطة قلب الواو أَلفًا أَن تقَع طرفًا بعد أَلف زائدة ، وقد وقعت هنا كذلك .

والآخَر : أَنَّ الهاء إلى الأَلف أَقربُ منها إلى الواو ، بل هما فى الطرفين . أَلا ترى أَنَّ أَبا الحسن ذهب إلى أَنَّ الهاء مع الأَلف من موضع واحد لقرب مكانَيْهما . فقَلْبُ الأَلِف إذًا هاءً أَقرب من قلب الواو هاء .

وكتب إلَىَّ أَبو علىٍّ من حلب ، فى جواب شىءٍ سأَلته عنه فقال : وقد ذهب أَحد علمائنا إلى أَنَّ الهاء من هناه إنَّما لحقت فى الوقف لخفاء الأَلف ، كما تلحق بعد أَلف الندبة ، ثم إنَّها شبِّهت بالهاء الأَصلية فحرّكت . ولم يسمِّ أَبو علىٍّ هذا العالمَ مَنْ هو ؟ فلمَّا انحدرتُ إليه إلى مدينة السلام وقرأْتُ عليه نوادر أَبى زيد ، نظرت وإذا أَبو زيد هو صاحب هذا القول . وهذا من أَبى زيد غير مرضىٍّ عند الجماعة ، وذلك أَنَّ الهاء التى تلحق لبيان الحركات وحروف اللين إنَّما تلحق فى الوقف ، فإذا صرتَ إلى الوصل حذَفتَها البتَّة ، فلم توجد فيه ساكنة متحركة .

وقد استقصيت هذا الفصل (فى كتابى فى شعر المتنبى) عند قوله :

* واحرَّ قَلباهُ ممَّنْ قلبُه شَبِمُ (١) *

---

(١) مطلع قصيدة له فى ديوانه ٢ : ٢٥٤ بشرح العكبرى . وعجزه :

* ومن بجسمى وحالى عنده سقم *

ودللّت هناك على ضعف قول أبى زيد وبيت المتنبى جميعًا . انتهى .

وقال ابن جَهْوَر (فى إعراب أبيات الجمل) : واختُلف فى أُصلها فذهب قومٌ إلى أن هذه الهاء أصل وليست بمبدلة ، وأنَّها مثل سَنة وعِضة ، التى لامها تارَةً هاء وتارَةً حرف علّة . وهذا القول ضعيفٌ من جهة أنَّ باب قَلَق وسَلَس قليل . وذهب آخرون إلى أنَّ الألف والهاء زائدتان ، وعلى هذا كثيرٌ من البصريين والكوفيين ، بدليل قولهم : هن وهنة ، وأنَّ لام الكلمة محذوفة . وعلى هذا تأتى مسائل التثنية والجمع والمذكر والمؤنث . فالألف والهاء ٢٦٥ فى كونهما زائدتين نظيرتا الألف والهاء فى الندبة ، إلّا أن هذه الهاء ليست للسَّكت كما ذهب إليه بعضهم لتحرُّكها ، وهاء السكت لا تتحرَّك . ومن جعلها هاءَ سكت قال : زيدت الألف لبُعد الصوت ، وزيدت الهاء للوقف ، ثم كثُر فى كلامهم حتّى صارت الهاء كأنَّها أصلية تحرَّكت . فإذا ثنَّيته على هذا قلت : ياهنانِيه أقبِلا . فالألف والنون للتثنية ، والياء التى بعد النون هى الألف التى كانت فى هناه ، فانقلبت ياءً لانكسار ماقبلها ، وهو نون التثنية ، وانكسرت الهاء بعد أن كانت مضمومة لمجاروتها الياء . وتقول فى الجمع : ياهَنُوناه أقبلوا ، الواو والنون للجمع ، والألف بعد النون بقيت على حالها لانفتاح نون الجمع قبلها ، وبقيت على حالها مضمومة . وإنَّما جاز أن يجمع هذا بالواو والنون من قِبل أنَّ هذه الكلمة قد تطرَّق عليها التغيير بحذف لامها ، فصارت الواو والنون كالعِوَض من لام الكلمة على حدِّ قولهم : سِنُون . وتقول فى المؤنث : ياهَنتَاه أقبلى ، وفى التثنية : ياهنتانِيهِ أقبلا ، وفى الجمع :

ياهَناتُوه أَقبِلْن ، قلبْتَ أَلف هناه واوًا لانضمام ماقبلها ، كما قلبتها ياءً لانكسار ماقبلها فى التثنية . وهَنَاه كلمة يُكنى بها عن النِّكرات ، كما يكنى بفلانٍ عن الأَعلام . فمعنى ياهناه : يا رجل . ولا تستعمل إلَّا فى النداء عند الجَفاء والغِلظة . وقيل : إنَّها كناية عن الفواحش والعوْرات ، يكنى بها عما يُستقبَح ذكره . انتهى .

وقوله : فمعنى يا هناه يا رجل ، مساوٍ لقول الشارح المحقِّق : للمنادى غير المصرَّح باسمه .

وإنَّما أُورده فى باب العلَم استطرادًا بمناسبة هنٍ الذى قد يُكنى به عن العلم . ولهذا قال : ومنه ، أى ومن هنٍ المذكور . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الخمسمائة [١] :

٥٣٣ (قُلْ لابنِ قيسٍ أَخى الرُّقيَّاتِ   ما أَحْسَنَ العِرْفَ فى المصيباتِ)

على أَنَّ هذا البيْت يدلُّ على أَنَّ الرقيات فى قولهم قيس الرقيات بالإضافة ، ليس من باب إضافة الاسم إلى اللقب ، بل هو من باب الإضافة لأَدنى ملابسة ، لنكاحه لنسوةٍ اسمُ كلٍّ منها [٢] رقيَّة . وقيل : هنَّ جداته . وقيل : شبَّب بثلاثٍ كذلك . ولو كان الرقيّاتُ لقبًا لقيس لقيل فى البيت : قل لابن قيس الرقيات ، فلمّا أَضاف « أَخًا » إليه وأَتبعه لقيس فى إعرابه ، علم أَنَّه غير لقب لقيس ، ولو كان لقبًا له لقيل قيس الرقيات ، إما بتنوين قيس وإتباع الرقيات له بجعله عطف بيان له ، وإمّا بإضافتِه إلى الرقيات . فلما أَتبعه

---

(١) ديوان أبى دهبل ٥٠ بتحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، واللسان (عرف ١٤٣) .

(٢) ط : « منهما » ، صوابه فى ش .

بإضافة أخ إلى الرقيات عُلم أنّه غير لقب له ، فعرف أنّ الإضافة إليها فى قولهم قيس الرقيات للملابسة المذكورة .

هذا على تقرير الشارح . وأمّا على ما سيأتى فأخى الرقيات تابع لابنٍ لا لقيس .

و (العِرْف) بكسر العين وسكون الراء المهملتين ، قال صاحب العباب : هو الصَّبر . وأنشد البيت عن ابن الأعرابى . يتعجَّب من الصَّبر فى المصائب .

و (الأخ) يستعمل فى اللغة على خمسة معان :

الأول : أخو النسب من الأبوين ، أو من أحدهما .

الثانى : أخو النسبة إلى القوم ، يقال يا أخا تميم ، لمن هو منهم . وبه فسّر قوله تعالى : ﴿ يا أُخْتَ هَرُون [1] ﴾ .

الثالث : أخو الصَّداقة .

الرابع : أخو المجانسة والمشابهة ، كقولهم : هذا الثوب أخو هذا .

الخامس : أخو الملازمة والملابسة ، كقولهم : أخو الحرب ، وأخو الليل . ٢٦٦

فإن كان الرقيات عبارةً عن الزَّوجات أو المعشوقات فالأخ بالمعنى الأخير . وإن كان أُريد بها الجَدَّات فالأخ بالمعنى الثانى .

ولم يذكر الشارح المحقق وجه تلقيبه بالرقيات على تقدير كون الرقيات

(١) الآية ٢٨ من سورة مريم .

لقبًا . فأقول : يكون وجهُه ما نقله كراع من أنَّه إنما لقِّب بهذا لقوله :

رقية لا رقية لا رُقيَّةُ أيُّها الرجلُ (١)

قال ابن دريد (فى الوشاح) : من الشعراء من غلبت عليهم ألقابهُم بشعرهم ، حتَّى صاروا لا يعرفون إلَّا بها . فمنهم : منبّه بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وهو أعصرُ ، وإنَّما سمى أعصُرَ بقوله :

قالت عُميرةُ ما لرأسِك بعدما نَفِدَ الشَّبابُ أَتى بلونٍ مُنكَرِ

أعُميرُ ، إنَّ أباكِ غير رأسَه مرُّ الليالى واختلافُ الأعصرِ

ومنهم : شأسُ بن نهارِ العبدىّ ، سمِّى الممزَّق بقوله :

فإنْ كنتُ مأكولًا فكن خيرَ آكلٍ وإلّا فأدرِكْنى ولمَّا أُمــزَّقِ

ثم ذكر أكثر من خمسين شاعرًا لقِّبَ بشعر قاله .

وتفصيل الشارح المحقق فى قيس الرقيات أجود من تفصيل ابن الحاجب (فى شرح المفصَّل) وإن كان مأخوذًا منه ، وهذه عبارته :

وابن قيس الرقيات عبد الله ، قال الأصمعى : نكح قيسٌ نساءً اسمُ كلِّ واحدةٍ رقية . وقيل : كانت له جدّاتٌ كذلك . وقيل : كان يشبِّب بثلاثٍ كذلك . والاستشهاد على الوجه الضَّعيف فى إضافته على ذلك . فأما إذا جُعل الرقيات لقبًا لقيس كانت الإضافة من باب قيسِ قُفَّة ، وإمَّا على الوجوب أو على الأفصح كما تقدَّم . ورواية تنوين قيسٍ تقوِّى الوجه الثانى . وقوله :

(١) ط : « رقية لا رقبة أيها الرجل » وتكملة البيت من ش . وهو من مجزو الوافر . وقد ورد فى ملحقات ديوانه بتحقيق الدكتور نجم كما فى المطبوعة . والحق أنه ليس شطرا بل هو بيت كامل .

قلْ لابن قيس أخى الرُّقيَّات ما أَحسنَ العِرفَ فى المُصيباتِ

يقوِّى الوجه الأَول . انتهى .

أَراد بالاستشهاد على الوجه الضعيف الإضافة لأَدنى ملابسة . وقوله : « تقوِّى الوجه الثانى » ، أَى كون الرقيات لقبًا . وقوله : « يقوِّى الوجه الأَول » أَى كون الرقيات غير لقب .

والقول الأَوّل ، وهو أَنَّ الرقيات أَسماء زوجاته قول الأَصمعى ، نقله عنه صاحب الصحاح .

والقول الثانى ، قاله ابن سلام الجمحى ، قال : لقب بالرُّقيَّات لأَنَّ جدّاتٍ له توالَين كلٌّ منها تسمَّى رقية .

والقول الثالث قاله ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) . وقال أَبو عبيد (فى كتاب النسب) : سمِّى بذلك لأَنَّه كان يشبِّب بامرأَتين كلٌّ منهما تسمَّى رقية . وعلى هذا يكون الجمع عبارة عن اثنتين .

واعلم أَنَّ قول الشارح المحقِّق تبعا لغيره ، إنَّ الرقيات تابعٌ لقيس لا لابنه ، هو قول أَبى على ، فإِنَّه قال : قيْس هو الملقَّب بالرقيات ، لا اختلاف فى ذلك ، لقِّب به لأَنَّ لهُ جدَّات توالين يسمَّيْن الرقيات . قاله ابن سلام . انتهى .

وقوله : لا اختلاف فى ذلك ، هو خلاف الواقع ، فإِن الأَكثرين ذهبوا إلى أَنَّه لقب لابنه : إمّا عبد الله وإما عبيد الله .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : إنَّما سمى عبد الله بن قيس أَحد

بنى عامر بن لؤى ، الرُّقياتِ ، لأنَّه كان يشبِّب بثلاث نسوة يقال لهنَّ كلهنَّ رقية .

وكذا فى الأغانى . ورأيت بخطِّ الحافظ مُغُلْطاى (على هامش كامل المبرد) مانصُّه : ونقلت من خطِّ الشاطبى : وافق الأصمعىَّ ابنُ قتيبة على قوله . فعلى هذا يقال عبد الله بن قيس الرقيات بالرفع على الصفة لعبد الله . انتهى . ٢٦٧

وذكر النحاس عن البرقى أنَّ فى أجداده ثلاثَ نسوة كلُّ امرأة منهنَّ تسمَّى رقية . فعلى هذا يقال عبد الله بن قيس الرقيات على الإضافة . قاله ابن بَرِّىّ .

ونقلت من خطِّ الشاطبى أيضًا : رأيت بعضَ من ألَّف فى النسب يقول : إنَّ الذى يسمَّى ابن الرقيات هو قيس أبو عبيد الله وعبدِ الله . انتهى .

وفى (ألقاب ابن سراقة) أنَّ الذى يقال له الرقيات هو قيس ، وقيل عبد الله بن قيس . انتهى ما أورده الحافظ مُغُلطاى .

وكذلك قال أبو عبيد (فى النسب) : عبيد الله بن قيس سمِّى بالرُّقيات لأنَّه كان يشبِّب بامرأتين كلٌّ منهما تسمى رقية . انتهى .

وإذا قيل ابن قيس الرقيات فالمراد ابنه الشاعر ، فإنَّ لقيسٍ ابنين : عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما فقال ابن قتيبة والمبرد (فى الكامل) : هو عَبد الله المكبَّر . وقال المرزبانى (فى معجمه) : هو عُبيد الله

بالتصغير . قال : ومن الرُّواة من يقول الشاعر عبد الله ، وهو خطأٌ . انتهى .

وقال ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) : ذكر المبرّد أنَّ اسمه عبد الله بن قيس . وكذلك قال فيه ابن سلام ، والجاحظ ، وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله ، حكاه أبو عبيد عن الأصمعى وغيره ، ومنهم الكلبى . وكذلك قال المصعب الزبيرى (فى أنساب قريش) وبيّن أنَّ له أخًا شقيقًا يقال لهُ عبد الله بن قيس ، ويقال فيه نفسِه الرُّقيات لقبٌ له ، ويقال ابن الرقيات . واختُلف فى معنى تلقيبه بذلك ، فقال ابن قتيبة : لأنَّه كان يشبِّب بثلاث رقيات . وقال ابن سلام : إنَّما نسب إلى الرقَيَّات لأنَّ له جدّاتٍ اسمهنَّ رقَيَّات . وقال كراع : سمِّى ابن قيس الرقيات لقوله :

رقَيَّــــة لا رقيــــة لا رقية أيها الرجل (١) . انتهى.

فأنت ترى أنَّ مَبنى كلامِ هؤلاءِ الأئمة على أنَّ الملقب بالرقيات إنَّما هو ابن قيس لا قيس . ولا جائز أنْ يقال إنَّه من قبيل تعدِّى اللقب من الأب إلى الابن ، لما نقلنا عن هؤلاءِ الأئمة .

وعلى ما ذكرنا جَرى صاحب القاموس ، وخطَّأ صاحبَ الصحاح فقال : « وعبيد الله (٢) بن قيس الرقيات ، لعدّة زوجاتٍ أو جدّاتٍ له

---

(١) ط : « رقية لا رقية أيها الرجل » صوابه فى ش . وانظر الحاشية السابقة .

(٢) ش : « وعبد الله » ، صوابه فى ط والقاموس .

أَسماؤهن رقيّة كسميّة . ووهم الجوهرى » . انتهى .

وهذه عبارة الصحاح : وعبد الله بن قيس الرقيات إنّما أُضيف قيس إليهنّ لأنّه تزوج عدّة نسوة . إلى آخر الأقوال الثلاثة .

ونقل السيوطى عن ابن الأَنبارى (فى فصل معرفة الأَلقاب وأَسبابها (١)) أنه كان يختار الرفع فى الرقَيّات ، ويقول : إنَّه لقبٌ لعبد الله ، لتشبيبِهِ بثلاث نسوة أَسماؤهنّ رقية . وقال غيره : الرقيات جَدّاته ، فهو مضاف . انتهى .

يعنى أنَّ عبد الله مضافٌ إلى الرقيات على تفسيرها بالجدّات ، فيكون مثل حَبّ رُمّان زَيد ، فإنَّ القصد إلى إضافة الحبّ المختصّ بكونه للرّمان إلى زيد . والمتلبِّس (٢) بالرقيات ابن قيس لا قيس . وبهذا يوجَّه رواية جرّ الرقيات .

ابن قيس الرقيات

وابن قيس الرقيات شاعر قريش (٣) . وهذه نسبته (من الجمهرة لابن الكلبى) : عبيد الله الذى يقال له ابن قيس الرقيات ، هو ابن قيس بن شُريح ابن مالك بن ربيعة بن وهيب بن ضَباب بن حُجير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر بن النضر .

---

(١) المزهر ٢ : ٤١٨ وعنوانه فيه « معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب » .

(٢) ش : « والملتبس » ، صوابه فى ط .

(٣) ش : « شاعر قرشى » ، والوجه ما أثبت من ط . وانظر ما سيأتى من نقل البغدادى عن الزبير بن بكار .

وعُبَيد الله ، وشُرَيح ، ووُهَيب ، وحجير بتقديم المهملة ، ولؤَىّ ، هذه الخمسة بالتصغير . ٢٦٨

وضَباب بالفتح . وعَبْد بالإفراد . ومَعِيص بفتح الميم وكسر العينِ المهملة .

وعبد الله بن قيس أخو عبيد الله الرقيات له عقب ، ولا عقب لعبيد الله . وأُسامة بن عبد الله بن قيس قُتل يوم الحَرّة ، وله يقول ابن قيس الرقيات :

فنعى أُسامةَ لى وإخوتَه فظَلِلْتُ مُستَكًّا مسامِعِيَهْ (١)

ورقَيَّة التى كان يشبِّب بها ابن قيس الرقيات بنت عبد الواحد بن أَبى سَعد بن قيس بن وهب بن وَهبان بن ضَباب . كذا فى الجمهرة ومختصرِها لياقوت الحموى .

قال الزبير بن بكار : سألت عمّى مصعبا ، ومحمد بن الضحاك ، ومحمد بن حسن ، عن شاعر قريش فى الإسلام ، فكلُّهم قالوا : ابن قيس الرقيات .

وفى الأَغانى أَنَّ ابن قيس الرقيات كان زبيرىَّ الهوى ، خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، فقاتل معه إلى أَن قُتل مصعب ،

---

(١) ط : « مسامعه » ، صوابه فى ش والديوان ٩٩ . وهو من قصيدة مطلعها :

ذهب الصبا وتركت غيتيه ورأى الغوانى شيب لمتيه

فخرج هاربًا حتَّى دخل الكوفة ، فوقف على باب دارٍ فرأته صاحبةُ الدار فعرفَتْ أنَّه خائف ، فأدخلَتْه عليَّةً (١) وجاءت إليه بجميع ما يحتاجه ، فأقام عندها أكثَرَ من حولٍ وهى لا تسأله من هو ولا يسألها من هى ، وهى تسمع الجُعْل صباحًا ومَساءً (٢) . فبينا هو على تلك الحال وإذا بمنادى عبد الملك يُنادى ببراءة الذمة ممن أُصيبَ عنده : فأعلمَ المرأةَ أنَّه راحل ، فقالت : لا يروعك ماسمعت ، فإنَّ هذا نداءٌ شائع منذ نزلتَ بنا ؛ فإن أردت المقام فالرُّحب والسَّعة وإن أردت الانصراف فأعِلْمنى . فقال لها : لابدَّ من الرحيل . فلما كان الليل رَقَتْ إليه وقالت : انزل إن شئت . فنزل وإذا راحلتان على إحداهما رحْلٌ والأُخرى زاملة ، ومعهما عبدانِ ونفقةُ الطريق ، فقالت : العبدانِ لك مع الراحلتين . فقال لها : من أنت ؟ فوالله ما رأيتُ أكرم منك ؟ قالت : أنا التى تقول فيها :

عادَ له من كَثِيرةَ الطَّربُ فعينُه بالدُّموع تنسَكبُ

وفى رواية الأصمعىّ أنَّها قالت له : ما فعلتُ بك ما فعلتُ لتكافئنى ! فسأل عنها فقيل : كَثيرة . فذكرها فى شعره . ثمَّ مضى حتَّى دخل مكة فأتى أهلَه ليلا ، فلما دخل عليهم بكَوا وقالوا : ما خرَج عنَّا طلبُك إلَّا فى هذه الساعة فانجُ بنفسك . فأقامَ عندهم حتَّى أُسحر ، ثمَّ نهض ومعه العبدانِ حتى أَتى المدينة . فجاء إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عند المَساء ،

---

(١) العلية ، بتشديد اللام والياء مع ضم العين وكسرها : الغرفة ، وجمعها العلالى .

(٢) الجعل ، بالضم : ما يجعل لقاء عمل ، والمراد هنا : بالمال المعد لمن يدل على مكانه .

وهو يُعشِّى أصحابَه ، فجلس معهم وجعل يتعاجم ، فلما خرج أصحابُه كشف عن وجهه وقال : جئت عائذًا بك . فكتب ابن جعفر إلى أُمِّ البنين بنت عبد العزيز ، وهى زوجة الوليد بن عبد الملك ، لتشفع له ، فشفَّعها فيه ، وقال لها : مُرِيهِ يحضر مجلسَ العشية . فحضر مع النَّاس ، فأَذِن لهم وأَخَّر الإذن له حتَّى أخذوا مجالسهم ثم أذن له ، فلما دخل قال عبد الملك : يا أهل الشام ، أتعرِفون (١) هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا عُبيد الله بن قيس الرقيات ، الذى يقول :

كيفَ نومى على الفِراش ولمَّا تَشْمَلِ الشامَ غارةٌ شعواءُ
تُذهِل الشيخَ عن بَنِيه وتُبدِى عن خدامِ العقيلةُ العذراءُ (٢)

قالوا : ياأمير المؤمنين اسقِنا دمَ هذا المنافق . قال : الآن وقد أمَّنته ٢٦٩
وصار على بِساطى (٣) وفى منزلى ؟! إنَّما أَخَّرتُ الإذنَ له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه فى الإنشاد فأَذِن له . فأنشده :

* عاد له من كثيرةَ الطَّرَبُ *

حتَّى وصل فيها إلى قوله :

إنَّ الأغرَّ الذى أبوه أبو الـ ـعاصى عليه الوَقارُ والحُجبُ
خليفـةُ الله فى رعِيَّتـه جفَّت بذاك الأقلام والكتب (٤)
يعتـدلُ التـاج فوق مَفرِقـه على جبيـنٍ كأنَّـه الـذهبُ

---

(١) ط : « تعرفون هذا » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) هو من شواهد حذف التنوين للضرورة . وقيل إنه على نية إضافة « خدام » إلى ضمير العقيلة . انظر الإنصاف ٦٦١ وابن يعيش ٩ : ٣٧ وما سيأتى فى ص ٢٨٩ .

(٣) ش : « وسار على بساطى » ، صوابه فى ط . وفى الأغانى ٤ : ١٥٦ : « وقد أمنته وصار فى منزلى وعلى بساطى » .

(٤) ط : « بذلك الأقلام » ، صوابه فى ش والديوان .

فقال له عبد الملك : تمدحنى بما يُمدح به الأعاجم (١) وتقول فى مصعب بن الزُّبير :

إنَّما مصعبٌ شهاب من الـ ـلهِ تجلَّتْ عن وَجهه الظلماءُ
مُلكه مُلكُ رحمةٍ ليس فيه جَبَروتٌ ولا به كِبرياءُ
يَتَّقى اللهَ فى الأُمور وقد أفْـ ـلحَ من كان همَّه الاتِّقاءُ

أمَّا الأَمان فقد سبق لك ، لكن لا تأْخذ مع المسلمين عطاءً أبدًا ! فقال ابن قيس لابن جعفر : وما ينفعنى أَمانى ولا آخُذَ مع الناس عطاء ؟! فقال له ابن جعفر : كم بلغت من السِّنِّ ؟ قال : ستِّين سنة . قال : فعَمِّرْ نفسَك (٢) . قال : عشرين سنة (٣) . قال : كم عطاؤك ؟ قال : أَلفا درهم . فأَمر له بأَربعين أَلف درهم (٤) .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : لما قُتل مصعب صار إلى ابن جعفر يستشفع به إلى عبد الملك ، فقال له : إذا دَخلت معى فكلْ أكلًا يستشنعه . ففعل فقال : مَن هذا يا ابن جعفر ؟ قال : هذا أَكذبُ الناس . قال : ومن هو ؟ قال : الذى يقول :

ما نَقِمُوا من بنى أُميَّة إ لَّا أَنَّهم يحلُمون إنْ غضِبوا
وأَنَّهم معدنُ الملوك فلا تصلحُ إلَّا عليهمُ العربُ

(١) فى الأغانى : « تمدحنى بالتاج كأنى من العجم » .
(٢) أى قدر لنفسك عمرا مستقبلا .
(٣) فى الأغانى : « قال : عشرين سنة من ذى قبل ، فذلك ثمانون سنة » .
(٤) بعده فى الأغانى : « وقال : ذلك علىَّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك » .

قال : قد عفونا عنه ، ولكن لا يأخذ مع المسلمين عَطاء . فكان ابن جعفر إذا خرج عطاؤه يُعطيه منه . انتهى .

وفى رواية صاحب الأغانى : قال ابن قيس الرقيات : تسأل أمير المؤمنين عن أمرى ؟ قال : نعم ، فإذا دخلتُ إليه فادخل معى ، وإذا دُعىَ بالطَّعام فكل أكلًا فاحشا . ففعل فقال عبد الملك : من هذا يا ابن جعفر ؟ قال : إنسانٌ قد يجوز أن يكون صادقًا إن استُبقِىَ ، وإن قُتل كان أكذبَ الناس . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنَّه الذى يقول :

ما نَقَمُوا من بنى أُميّة إ   لّا أنَّهم يحلمُون إن غضبوا

الأبيات . فإنْ قتلتَه لغضبك عليه كذَّبته فيما مدحَكم به . قال : هو آمن ، ولكن لا أُعطيه عطاءً من بيت المال . قال : ولم وقد وهبتَه لى ، فأُحبُّ أن تَهَبَ لى عطاءه أيضًا كما وهبت لى دمَه ! قال : قد فعلتُ . قال : وتعطيه ما فاته من العَطاء . قال : قد فعلت . وأمر له بذلك . انتهى .

وقوله : « كيف نومى على الفراش » البيتين ، أوردهما ابن السِّيد (فى أول أبيات معانيه) وقال : الغارة الاسم ، والإغارة المصدر . والشَّعواء : الواسعة . والخِدام : جمع خدَمَةٍ بالتحريك : الخلخال : وحذف التنوين من خدامِ للضَّرورة ، والعقيلة فاعل تبدى ومعناها المرأة التى عُقلت أى حُصِّنت من أن تُرَى ، وهى الكريمة . والعذراء [1] : البكر .

* * *

(١) ش : « العذراء » بدون واو قبلها .

٢٧٠ وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الخمسمائة [١] :

٥٣٤ (ومِنْ طلبِ الأوتارِ ماحَزَّ أَنفَهُ قَصِيرٌ ورامَ الموتَ بالسَّيفِ بَيْهَسُ
نعامةُ لمَّا صرَّعَ القومُ رهطَه تبيَّن فى أثوابِه كيف يَلبَسُ)

على أَنَّ الشاعر قد أُتبع اللقب الاسم ، فإنَّ بيهسًا اسم رجل ، ونعامةُ لقبه ، وهو عطف بيان لبيهس .

قال شارح اللباب : هذا من الإجراء فى المفرد ؛ فإنَّ نعامة وبيهس : اسمان لذاتٍ واحدة ، والثانى لقب ، فكان القياس إضافة العلم إلى اللقب ، وقد أُجرىَ عليه .

وكذا قال أَبو حيان (فى تذكرته) قال : إذا كان الاسم واللَّقبُ مفردَين بلا ألْ أُضيف الاسم إلى اللَّقب . وقد يُجمع بينهما ويُفصل أحدُهما عن الآخر ، وجاء ذلك فى الشعر . وأُنشد البيتين .

وما فى (ما حَزَّ) إمّا زائدة ، أى ومن طلب الأوتار حزَّ أنفه قصير ، وهو إشارة إلى قصَّة قصير مع الزَّبَّاء ، وهى مشهورة . أو مصدريّة على أنَّه مبتدأٌ مع خبرِه ، والجار والمجرور وهو من طلبِ خبرُه مقدَّما عليه ، أى حزُّ أَنفهِ حاصلٌ من جهة طلب الأوتار .

و (نعامة) عطف بيان لبيهس ، وهو محل الاستشهاد . ومحلُّ كيف نصبٌ على الحال ، والعامل يلبس ، والجملة وهى كيف مع ما عمل فيه سادٌّ

(١) ديوان المتلمس ٦ مخطوطة الشنقيطى ، والحماسة بشرح المرزوقى ٦٥٩ .

مَسَدَّ المفعولين لتَبَيَّنَ (١) . ولا يجوز أن يكون مفعولًا لتبيَّن لئلَّا يبطل صدريَّته . انتهى .

صاحب الشاهد والبيتان من قصيدة للمتلمس أورد منها أبو تمام (فى الحماسة) بعضَها . وهذا أوَّل ما أورده :

أبيات الشاهد
(ألم تر أنَّ المرء رهنُ مَنِيَّةٍ صريعٌ لعافِى الطير أو سوفَ يُرمَسُ
فلا تَقبلَنْ ضَيمًا مخافةَ مِيتةٍ ومُوتَنْ بها حرًّا وجلدُك أملسُ
فمن طلب الأوتار ما حزَّ أنفه .... البيتين
وما الناسُ إلا ما رأَوْا وتحدَّثوا وما العجزُ إلَّا أن يُضاموا فيَجلسوا
ألم تر أنَّ الجونَ أصبحَ راسيا تُطِيف به الأيامُ ما يتأيَّسُ
عَصى تُبَّعًا أزمانَ أُهلكتِ القُرى يُطانُ عليه بالصَّفيح ويُكلَسُ
هلُمَّ إليها قد أُثيرت زروعُها وعادت عليها المنجنونُ تَكَدَّسُ
وذاك أوانُ العِرضِ حَيَّ ذُبابهُ زنابيـــرُهُ والأزرقُ المُتَمـــلسِّ
يكون نذيرٌ من ورائىَ جُنَّةٌ وينصُرنى منهم جُلَىٌّ وأَحمَسُ
وجمْعَ بنى قُرانَ فاعرِضْ عليهمُ فإن تقبلوا هاتا التى نحنُ نُوبسُ
فإن يُقبلوا بالودِّ نُقبلْ بمِثِله وإلَّا فإنَّا نحن آبَى وأَشمَسُ
وإنْ يك عنَّا فى حُبيبٍ تثاقلٌ فقد كان مِنا مِقنبٌ ما يعرِّسُ)

هذا ماأورده أبو تمام .

قال ابن الأعرابىّ : إنَّما قال [هذا] (٢) فيما كان بين بنى حنيفة وبين ضُبيعة باليمامة ، فأراد بنو حنيفة (٣) ، فنهاهم أن يُقيموا على الذلّ وأن يقبلوا

---

(١) كذا فى النسختين ، أى قول ساد مسد المفعولين .
(٢) التكملة من ش .
(٣) كذا فى النسختين ، والمعنى : أرادوا قبول الضيم .

الضَّيم من قومهم ، وأمرهم (١) بقتالهم حتَّى يعطوهم حَقَّهم .

ومعنى ألم تر : ألم تعلم . يقول : الإنسانُ مُرتَهنٌ بأجل ، فإمّا أن يموت حتفَ أنفه فيدفن ، وأمّا أن يُقتَل فى معركة فيترك لعوافي الطَّير والسِّباع . وهو جمع عافية ، وهو كلُّ طالب رزقٍ من إنسان أو بهيمة أو طائر . والرَّمْس : الدَّفن . ٢٧١

وقوله : « فلا تقبلَنْ ضيما » إلخ الضيم : الظلم ، والهضْم . ومِيتة : فِعلة من الموت ، تكون للحال والهيئة ، أى لا تقبلِ الضيمَ مخافةَ حالةٍ من حالات الموت ونوع من أنواعه . وميتة مرجع الضمير فى « بها » ، أى مت بتلك المِيتة حرًّا لم يستعبدك الحُرّ . وجلدك أملس : نقيٌّ من العار سليمٌ من العيب . يريد أنَّ الموتَ نازل بك على كلِّ حال ، فلا تتحمل العار خوفًا منه .

وقوله : (فمن طلب الأوتار) من للتعليل ، وما إمَّا زائدة وإما مصدرية . والأوتار : جمع وتر بفتح الواو وكسرها : الثَّأر والذَّحل . وحزّ بالحاء المهملة والزاء المعجمة : ماضٍ من حززت الخشبة حزا ، من باب قتل : فَرضتُها . والحزُّ : الفرض . وأنفَه مفعولهُ ، وقصير فاعله .

و (صَرَّع) مبالغة صَرَعتُه صرعا ، من باب نفع ، إذا قتلتَه . والقوم فاعله ، ورهطه مفعوله . والرَّهط : ما دون عشرة من الرجال ليس فيهم امرأة ، وقيل من سبعة إلى عشرة . وما دون السَّبعة إلى ثلاثةٍ نفرٌ . وقال أبو زيد : الرهط والنَّفَر : ما دون العشرة من الرجال . وقال ثعلب : الرَّهط والنفَر والقوم

(١) ط : « أمر » وأثبت ما فى ش .

والمعشر والعشيرة ، معناهم الجمع ، لا واحدَ لهم من لفظهم ؛ وهو للرِّجال دون النساء . وقال ابن السكيت : الرَّهْط والعِتْرة بمعنًى . ورهط الرجل : قومُه وقبيلته الأقربون . كذا فى المصباح . و (تبَيَّنَ) بمعنى عَلِم . وهذا الكلام من المتلمِّس تحضيضٌ على دفع الضَّيم وركوب الإباء من التزام العار ، فلذلك أخذ يذكِّر بحالِ من لم يزل يحتال حتَّى أُدرك مَباغِيَه من أعدائه .

وفى اليت إشارةٌ إلى قصَّتين : إحداهما : قصة قصير صاحب جذيمة الأبرش مع الزباء ، والثانية : قصة بَيْهس .

قصة قصير

أمّا الأولى فقد رواها صاحب الأغانى عن ابن حبيب قال : كان جذيمة الأبرش من أفضل الملوك رأيًا وأبعدِهم مُغارا ، وأشدِّهم نكاية . وهو أوّل من استجمع له الملكُ بأرض العراق . وكانت منازُله ما بين الأنبار ، ورَقَّة [١] ، وهِيت ، وعَين التَّمر ، وأطراف البَرّ ، والقُطقُطانة ، والحِيرة . فقصد فى جموعه عمرَو بن الظَّرِب بن حسّان بن أُذَينة بن السَّميدع بن هَوْبر العاملى ، من عاملة العماليق ، فجمع عمرٌو جموعَه ولقيَه ، فقتله جذيمةُ وفَضَّ جموعَه فانفَلُّوا [٢] وملَّكوا بعده عليهم ابنته الزبَّاء ، وكانت من أحزم النساء ، فخافت أن يغزوَها ملوكُ العرب فاتَّخذت لنفسها نَفقًا فى حصنٍ كان لها على شاطئ الفرات ، وسَكَرَت الفرات [٣] فى وقتِ قلَّة الماء ، وبنت فى بطنه أزَجًا من الآجُرّ والكِلْس ، متَّصلًا بذلك النفق ، وجعلت نفقًا آخر فى البرِّيَّة متَّصلًا

(١) كذا فى النسختين ، وصوابها : « وبقّة » كما فى الخزانة ١١ : ٤٠٩ .

(٢) يقال فل القوم يفلهم فلا : هزمهم فانفلوا . وفى الأغانى ١٤ : ٧١ : « ونفلوا » ، وما هنا صوابه .

(٣) سكر النهر يسكره سكرا : سد فاه . وفى الأغانى : « وسكنت الفرات » ، تحريف .

بمدينةِ أُختها ، ثم أَجرت الماءَ عليه ، فكانت إذا خافت عدوًّا دخلت النَّفق . فلمَّا استجمع لها أَمرُها أَرادت أَن تغزوَ جذيمة ثائرةً بأَبيها ، فقالت لها أُختها ، وكانت ذاتَ رأْى وحزم : الرَّأْى (١) ابعثى إليه فأَعلميه أَنَّكِ قد رغبت فى أَن تتزوَّجيه وتَجمَعى ملكَكِ إلى ملكه ، وسليه أَن يُجِيبك ، فإن اغترَّ ظَفِرتِ به بلا مخاطرة . فكتبَتْ إليه بذلك ، فاستخفَّه الطمع ، وشاوَرَ أُصحابَه فكلٌّ صوَّب رأْيَه فى قصدها وإجابتها ، إلَّا قصيرَ بنَ سعد بن عمرو بنِ جَذيمة بن قيس بن هلال بن نُمارة بن لخم ، فقال : هذا رأْى فاتر ، وغَدْرٌ حاضر ، فإن كانت صادقة فلتُقبلْ إليك ، وإلَّا فلا تملِّكها من نفسك (٢) . فلم يوافقْ جذيمةَ قَولُه ورحل إليها ، فلمَّا دخل عليها أَمَرتْ بقطع رواهِشه (٣) ، ونزف دمُه إلى أَن مات . فخرج قصيرٌ إلى عمرو بن عدى ، ابن أُخت جذيمة ، ٢٧٢
فقال : هل لك فى أَن أَصرفَ الجنود إليك على أَن تطلبَ بدم خالك ؟ فجعلَ ذلك له ، فأَتى القادةَ والأَعلامَ فقال : أَنتم القادةُ والرؤساء ، وعندنا الأَموال والكنوز . فانصرَفَ إليه منهمْ بشَرٌ كثير ، وملَّكوا عمرو بن عدى ، فقال قصير : انظُرْ ما وعدتَنى به فى الزباء . قال : وكيفَ وهى أَمنعُ من عقاب الجوّ ؟! فقال : إذا أَبيتَ فإنِّى جادعٌ أَنفى وأُذنى ، ومحتالٌ لقتلها ، فأَعنِّى وخَلَاكَ ذمّ . فقال له عمرو : أَنت أَبصر . فجدع قصيرٌ أَنفَه ثم انطلق حتَّى دخل على الزبّاء فقال : أَنا قَصِير ، لا وربِّ البشَر ما كان على ظهر الأَرض

(١) كذا . والعبارة مسهبة فى الأغانى .
(٢) فى الأغانى : « فلا تمكنها من نفسك » .
(٣) الرواهش : عروق فى باطن الذراع .

أحدٌ كان أنصحَ لجذيمة منِّى ولا أغشَّ لك ، حتَّى جدعَ عمرُو بن عدىٍّ أنفِى وأذنى ، فعرَفْتُ أنِّى لم أكن مع أحد أثقلَ عليه منك . فقالت : أىْ قصيرُ ، نقبَل ذلك منك ونَصرِفك فى بضاعتنا . فأعطته مالًا للتجارة ، فأتى بيتَ مال الحِيرة فأخذ ممَّا فيه بأمر عمرو بن عدى ما ظَنَّ أنَّه يرضيها ، وانصرف إليها به . فلمَّا رأت ما جاءَ به فرحت به وزادته ، ولم يزل بها حتَّى أنِسَتْ به ، فقال لها يومًا : إنَّه ليس من مَلِكةٍ ولا مَلِك إلَّا وينبغى لها أنْ تتَّخذ نفقًا تهرُب إليه عند حدوث حادثة . فقالت : إنِّى قد فعلت ذلك ، تحت سريرى هذا ، يخرج إلى نفقٍ تحتَ سرير أختى . وأرَتْه إيّاه . فأظهر سرورًا بذلك ، وخرج فى تجارته كما كان يفعل ، وعرف عمرو بن عدىّ ما فعله ، فركب عمرو فى ألفَىْ دارعٍ على ألف بعير فى جَوالق ، حَتَّى إذا صاروا إليها تقدَّم قصيرٌ ودخل على الزبَّاء فقال : اصعدى حائطَ مدينتِك ، فانظرى إلى مالِكِ ، فإنِّى قد جئتُ بمالٍ صامت . وقد كانت أمِنَتْه فلم تكن تتَّهمه ، فلما نظرت إلى ثِقَل مَشْيِ الجمال قالت – وقيل إنَّه مصنوعٌ منسوب إليها – :

ما للجمالِ مشيها وئيدَا أجَندلًا يحمِلْنَ أم حديدا

الأبيات المشهورة . فلما دخلت الإبل خرجوا من الجَوالق فثَاروا بأهل المدينة ضربًا بالسيف ، ودخلوا عليها قصرَها فهَربت تريد السَّرَبَ (١) ، فوجدت قَصيرًا قائمًا عنده بالسَّيف ، فانصرفتْ راجعة واستقبلها عَمرو بن عدىّ فضربها . وقيل : بل مصَّت خاتَمها وقالت : « بيدِى لابيَدِ عمرو ! » وخرِبت المدينة وسُبيَت الذَّرارىُّ ، وغنم عمرٌو كلَّ شىءٍ كان لها ولأبيها وأُختها . انتهى .

---

(١) السرب ، بالتحريك : الحفير تحت الأرض .

قصة بيهس

وأمَّا بيهس الذى يلقب « نَعامة » فهو رجلٌ من بنى فزارة ، وكان يحمَّق ، فقُتِل له سبعةُ إخوة ، فجعل يلبس القميصَ مكانَ السَّراويل ، والسراويلَ مكان القميص ، فإذا سئل عن ذلك قال :

البَسْ لكلِّ حالة لَبوسها إمَّا نعيمَها وإمَّا بُوسَها (١)

فتوصَّل بما صوَّره من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته .

وقوله : « البس لكلِّ حالة » إلخ قال الزمخشرى (فى أمثاله) : قاله بيهس حين شقَّ قميصه فغطَّى به رأْسه وكشف استَهُ بعد قتل إخوته . وإنَّما أراد أنَّه افتضح بقتلهم ، وإنَّه إن لم يثأر بهم فهو كالمقنَّع رأْسَه واستُه مكشوفةٌ . يضرَب فى تلقِّى كلِّ حال بما يَليق بها (٢) . انتهى .

وقد أورده (فى الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمناهُ صنْعَةَ لَبوسٍ ﴾ (٣) على أن أَصل لَبوسٍ اللباس ، بمعنى ما يُلبس .

٢٧٣ وقد أخطأَ خَضرٌ الموصلى (فى شرح شواهد التفسيرين) فى نسبته إلى بيهس بن صهيب بيهس بن صُهيب القضاعى ، وهو شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ، وقد ترجمه الأَصبهانى (فى الأَغانى) بحكاياتٍ ونقلها خضرٌ منها ، ونسبها إلى قائل البيت . وقد حصل له اشتباهٌ من اتِّفاق الاسمين .

وقائل البيت جاهلىٌّ ، وقد ضرب به المثل فى الجاهلية .

---

(١) ط : « بؤسها » بالهمز ، صوابه فى ش والأغانى ٢١ : ١٢٣ .
(٢) ط : « يلتقى بها » ، صوابه فى ش .
(٣) الآية ٨٠ من سورة الأنبياء .

وقال أبو عبيدٍ : المدركون الثأرَ فى الجاهلية ثلاثة : بيهس ، وقَصير ، وسيفُ [بنُ] ذى يزن (١) .

وبيهس صاحب البيت (كما فى الجمهرة) هو بيهس بن خلف بن هلال بن غُرَاب (٢) . بن ظالم بن فزارة بن ذُبيان . فهو عدنانىٌّ ، وذاك قحطانى .

قال ابن الكلبى (فى الجمهرة) : بيهس وإخوته التسعة ، منهم : نَفْر ، وربيع ، وحُصين ، بنو خَلَف ، كانوا من أشطر فتيان العرب . انتهى .

والمشهور أنَّهم سبعة .

قصة بيهس وهذه قصته (من مجمع الأمثال للميدانى) قال : بيهس الفَزارىّ الملقَّب بنعامة كان سابعَ سبعة إخوةٍ ، فأغار عليهم ناسٌ من أشجع بينهم وبينهم حرب ، وهم فى إبلهم ، فقتلوا منهم ستَّة وبقىَ بيهس ، وكان يحمَّق ، وكان أصغرهم ، فأرادوا قتله ثم قالوا : وما تريدون مِنْ قتلِ هذا ، يحسَب عليكم برجلٍ ، ولا خير فيه . فتركوه فقال : دعونى أتوصَّل معكم (٣) . فلما كان من الغد نزلوا فنحروا جَزورًا فى يوم شديد الحرّ فقالوا : ظلِّلوا لحمكم لا يفسُد . فقال بيهس : « لكنَّ بالأثلات لحمًا لا يظلَّل » يريد إخوته ، فذهبت مثلا .

فلما قال ذلك قالوا : إنَّه لَمُنكَرٌ ، وهمُّوا أن يقتلوه ، ثم تركوه وظلُّوا يشوون من لحم الجزور ويأكلون ، فقال أحدهم : ما أطيبَ يومَنا وأخصبه !

---

(١) التكملة من ش والأغانى ٢١ : ١٢٢ .

(٢) ط : « عزاب » ، صوابه فى ش .

(٣) فى أمثال الميدانى ١ : ١٣٨ : « أتوصل معكم إلى الحى » .

فقال بيهس : « لكنْ على بَلْدَح قومٌ عَجْفَى ! » . فأَرسلها مثلا .

ثم انشعب طريقهُم فأَتى أُمَّه فأَخبرها الخبر ، قالت : فما جاءنى بك من بين إخوتك ؟ قال بيهس : « لو خُيِّرت لاخترت » . فذهبت مثلا .

ثم إنَّ أمَّه عطفَتْ عليه ورقَّت ، فقال الناس : لقد أَحبَّت أُمُّ بيهسٍ بَيهسا . فقال : « ثُكْلٌ أَرْأَمَهَا ولدًا ! » أى أَعطفها على ولد . فأَرسلَها مثلا .

ثم إنَّ أُمَّه جعلت تعطيه ثيابَ إخوته فيلبَسُها فيقول : « ياحبَّذا التُّراثُ لولا الذِّلَّة ! » . فأَرسلها مثلا .

ثم إنَّه أَتى على ذلك ما شاء الله ! فمرَّ بنسوة من قومه يُصلحن امرأَة منهنَّ ، يردن أَن يُهدينها لبعضِ قتلةِ إخوته ، فكشف ثوبَه عن استه وغَطَّى رأْسه ، فقلن : ويلك ما تصنع يابيهسٍ ؟ فقال : « البَسْ لكلِّ حالة » البيت . فأَرسلَها مثلا .

ثم أَمر نساءً من بنى كنانة وغيرِها فصنعن له طعامًا ، فجعل يأْكل ويقول : « حبَّذا كثرةُ الأَيدى فى غير طَعام ! » . فأَرسلها مثلا ، فقالت أُمُّه : لايَطلبُ هذا بثأْر ! فقال : « لا تأْمن الأَحمق وفى يده سكين ! » . فأَرسلها مثلا .

ثم إنَّه أُخبر أَنَّ أُناسا من أَشجع فى غارٍ يشربون فيه ، فانطلق بِخالٍ له يقال [له] (١) أَبو حنش فقال له : هل لك فى غارٍ فيه ظباءٌ لعلَّنا نصيبُ منها ؟ ويروى : « هل لك فى غنيمة باردة ؟ » . فأَرسلها مثلا . فانطلق بيهسٌ

---

(١) التكملة من ش .

بخاله حتَّى أقامه على فم الغار ، ثم دفع أبا حنش فى الغار فقال : ضربًا أبا حنش ! فقال (١) بعضهم : إن أبا حنشٍ لبطل ! فقال أبو حنش : « مُكرهٌ أخاك لا بَطل » . فأرسلها مثلا (٢) .

فقتلهم جميعًا ، وجعل يتتبع قتلة إخوته ويتقصَّاهم حتَّى قتل منهم أناسًا كثيرًا .

وقوله : « لكنْ على بلدحَ قومٌ عجفى » يضرب فى التحزُّن بالأقارب . وبَلدح ، كجعفر : جبلٌ فى طريق جُدّة ، على أربعة أميال من مكة .

وقوله : « وما الناس إلّا ما رأَوْا » إلخ رواه أبو عمرو :

وما البأسُ إلَّا حملُ نفسٍ على السُّرى وما العجزُ إلَّا نومةٌ وتشمُّسُ ٢٧٤

ومعنى الأول : ما الناس إلّا رؤية وتحدُّث ، أى اعتبار بالمشاهدة أو بما يروَى من أخبار الأُمم .

وقوله : « ألم تر أنَّ الجون » إلخ بفتح الجيم : حصنُ اليَمامةِ . يقول : لاتوعدونا فإنَّ حصننا حصين لا يُوصَل إليه ، ولا يُستباح حِماه . وجملة : « تطيف » إلخ إمّا فى موضع خبر ثان لأصبح ، وإمّا صفة لراسيًا . « وما يتأيَّس » : لا يلين ، فى موضع الحال .

وقوله : « عصى تُبَّعا أزمانَ » إلخ يقول : إنَّ تُبَّعا لمَّا غزا القرى والمدن ، لم يصل إلى اليمامة . و « يُطانُ عليه بالصَّفيح » ، أى يجعله بَدَلَ طينِه فى الإصلاح والعِمارة . ويجوز أن يكون بالصفيح حالًا ، أى يطان ويكلس بصفاحه ، أى هو مبنىٌّ بالحجارة . ويُكْلَس : يُصهرج . والكِلْس :

(١) ط : « قال » ، وأثبت ما فى ش وأمثال الميدانى .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية القصة لم أجده فى الميدانى .

الصَّاروج (١) . والصفيح : الحجارة العِراض . ومعناه أنَّه يُبنى على المياه التى هى كالصَّفيح . والصَّفيح : السيوف ، واحدها صفيحة . ويشبَّه الماء إذا كان صافيا بالسَّيف . وذكر الماء وأراد العمارة ، لأنَّها به تكون .

وقوله : « هلُم إليها » إلخ يخاطب النعمان . وهذا تهكُّم وسُخريَة . يقول : إن قدرتَ عليها فاقصِدها فإنَّها أخصب ما يكون ، مُزدَرعُها مُثار ، ودواليبها تدور (٢) . وضمير إليها لليمامة . والمَنْجنون : الدُّولاب . ومعنى تَكدَّس : يركب بعضها بعضا فى الدَّوران . ويستعمل فى سَير الدوابِّ وغيرها .

وقوله : « وذاك أوانُ العِرض » بكسر العين المهملة : واد من أودية اليمامة . وحيَّ أى عاش بالخصب . وروى : « جَنَّ » أى كثُر ونشِط . وزنابيره بدل من ذبابه . وذباب الرَّوض قد يسمَّى الزنابير . وقوله « الأزرق المتلمِّس » : جنسٌ آخر يكون أخضر ضخمًا . والمتلمس : الطالب . وقد سُمِّى الشاعر المُتلمِّس بهذا البيت ، واسمه جرير . ولك أن تنصب الأوانَ وترفع العرض بالابتداء ، واسم الزمان يضاف إلى الجمل ، كأنَّه قال : وهذا الذى ذكرت هو فى ذاك الأوان .

وقوله : « يكون نذير من ورائى » إلخ هو نذير بن بُهثة بن وهب . وقيل أراد بالنذير المنذِر . والمعنى : إنِّى لمُرصِدٌ لهم مَن يُنذِرنى بهم فأتَّقى وأتحرَّز . وجُلَىٌّ بضم الجيم وفتح اللام وتشديد الياء ؛ وأحمس : بطنان من ضُبيعة

(١) فى النسختين : « الصهروج » ، وصوابه من اللسان والقاموس .

(٢) ط : « تدر » ، صوابه فى ش .

ابن ربيعة . يقول : فإذا جاء وقتُ التحارب قام بنصرى هذان البطنان . وقيل نذير وجُلَىٌّ : أخوان ، وأحمس بن ضُبَيْعة أبوهما . يقول : هم ينصروننى ويكونون لى وقايةً من العدوّ .

وقوله : « وجَمْعَ بنى قُرّان » إلخ جمع منصوب بفعل مضمر ، كأنه قال : سَمِّ جمع بنى قُرّان . ومعنى البيت : أجرونا مُجرى نظائرنا ، فإنَّا نرضى بهم قُدوة ، واعرِضوا ما تَسُومونَنا [1] على بنى قُرّان ، فإن التزموه وقبلوه فلَنا بهم أُسوة ، وإلَّا فالامتناع واجب . وقوله : « هاتا » إلخ أى هذه الخطة التى نُكرَهُ عليها . والأَبْس : القهر . وقال ابن الأعرابى : أَبَست الرجل ، إذا لقيتَه بما يكره ، وأَبَسته إذا وضعتَ منه باستخفافٍ وإهانة .

قوله : « فإن يُقبلوا بالودِّ نقبل بمثله » إلخ أعاد الشرط وذلك أنَّه قال قبل هذا : فإن يَقبْلُوا هاتا ، ولم يأتِ له بجواب ، ثم قال : فإن يُقبلوا بالودّ نُقبل بمثله ، فاكتفى بجوابٍ واحد لاشتماله على ما يكون جوابًا لهما ، فكأنَّه قال : إن قبلوا ما نوبَسُ به نَقبل مثله ، وأن أَقبلوا بعد ذلك وَادِّينَ أَقبلْنا ، وإلَّا فنحن أشدُّ أو أبلغ شِماسا ، أى امتناعا . وكان بنو ضبيعة حلفاءَ لبنى ذُهل بن ثعلبة ابن عُكابة ، فوقع بينهم نزاع ، فعاتبَهم المتلمس .

٢٧٥ وقوله : « وإن يك عنَّا » إلخ أراد : حُبَيِّب فخفَّف ، وهو حُبيِّب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . يقول : إن تكاسَل بنو حبيِّب عن إدراك ثأرنا فقد كان منَّا من يدأب ويسهر . والمِقنب بالكسر : زهاء ثلثمائةٍ من

(١) ط : « ماتسامونا » ، والصواب من ش .

الخيل . والتعريس : النزول فى آخر الليل . وقوله : « ما يعرِّسُ » أى ما يستقرُّون إذا وُتِروا ، ولكنَّهم يَغْزُون [١] ويُغيرون أبدًا حتَّى يدركوا بثأرهم .

المتلمس

والمتلمس شاعرٌ جاهلى ، واسمه جَرير بن عبد المسيح ، وسمِّى المتلمسَ بالبيت المذكور . وقد تقدَّمت ترجمته مفصَّلة فى الشاهد التاسع والستين بعد الأربعمائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٣] :

٥٣٥ (ألا يا ديارَ الحىِّ بالسَّبُعانِ)

على أنَّ (السَّبُعان) أُعرب بالحركة على النون مع لزوم الألف . وإذا نسب إليه قيل السَّبُعانىّ .

وقال الزمخشرى (فى باب النسب من المفصل) : ومن ذلك قِنَّسرىٌّ ونَصِيبىٌّ ، فيمن جعل الإعراب قبل النون . ومن جعله معتقب الإعراب قال قِنَّسرينى . وقد جاء مثل ذلك فى التثنية قالوا : خليلانىٌّ وجاءنى خليلانِ [٤] اسم رجل . وعلى هذا قوله :

* ألا يا ديارَ الحىِّ بالسَّبُعانِ *

---

(١) ط : « يفرون » ، صوابه فى ش .

(٢) انظر ما سبق فى ٦ : ٣٤٥ - ٣٥٢ .

(٣) فى كتابه ٢ : ٣٢٢ . وانظر الخصائص ٣ : ٢٠٣ وإصلاح المنطق ٣٩٤ وابن يعيش ٥ : ١٤٤ والاقتضاب ٤٧٢ والعينى ٤ : ٥٤٢ والتصريح ١ : ٦٩ - ٢ : ٣٢٩ والأشمونى ٤ : ٣٠٩ . والبيت فى ديوان تميم ٢٣٥ .

(٤) ط : « وجاءنى خيلانى » ، صوابه فى ش وابن يعيش ٥ : ١٤٤ .

قال ابن المستوفى : وجدت بخط الزَّمخشرىّ : ومن جعله مُعْتِقِب الإعراب ، بكسر القاف . وقد صحَّح عليه مرَّتين . فالمفتوح القافِ مصدر ، والمكسورها اسم فاعل . انتهى .

وقد أورد سيبويه هذا المصراع فى أوزان الأسماء قال : ويكون على فَعُلانٍ وهو قليل ، قالوا : السَّبُعان ، وهو اسمٌ . قال ابن مقبل :

* ألا يا ديارَ الحىِّ بالسبعانِ * انتهى

وأورده ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) على أنَّه لم يأْت اسمٌ على فَعُلان إلّا حرف واحد .

وكذلك قال أبو عُبيدٍ عبدُ الله البكرى (فى شرح أمالى القالى) . وقال (فى معجم ما استعجم) : السَّبُعان بفتح أوله وضم ثانيه على بناء فعُلان ، هكذا ذكره سيبويه ، وهو جبلٌ قِبَل الفلج . وأنشد هذا البيت . والفلج بفتح الفاء وسكون اللام بعدها جيم : موضعٌ فى بلاد بنى مازن ، وهو فى طريق البصرة إلى مكة .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : السبعان منقول من تثنية السَّبُع بفتح فضم ، قال أبو منصور : هو موضعٌ معروف فى ديار قيس . وقال نصر : السَّبُعانِ : جبلٌ قِبَل فلج ، وقيل واد شَمالىَّ سَلَم عنده جبلٌ يقال له العَبد ، أسود ليس له أركان . ولا يعرف فى كلامهم اسمٌ على فَعُلان غيرُه . انتهى .

وهذا المصراع وقع صدر بيتٍ هو مطلعُ قصيدتين لشاعرين إحداهما (١) لتميم بن مقبل ، وهو شاعرٌ إسلامىٌّ مخضرم ، وتقدمت ترجمته فى

(١) ط : « أحدهما » ، صوابه فى ش .

الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل الكتاب [١] .

والثانية لشاعر جاهلىٍّ من بنى عُقَيل .

أمّا الأُولى وهى [٢] المشهورة التى ذكرها شُرّاح الشواهد ، فهذه أبيات من أولّها :

أبيات الشاهد

(ألا يا ديارَ الحىِّ بالسَّبُعان أَمَلَّ عليها بالبلى المَلَوانِ
نهارٌ وليلٌ دائب مَلَواهُما على كلِّ حال الناسِ يختلفانِ
ألا يا ديارَ الحىِّ لا هَجْرَ بيننا ولكنَّ روعاتٍ من الحَدَثان
٢٧٦ لدهماءَ إذْ للنَّاس والعيشِ غِرَّةٌ وإذْ خُلُقانا بالصِّبا عَسِرانِ)

وقوله : (ألا يا ديار الحىّ) إلخ ألا : حرف تنبيه . يتأسَّف على ديار قومِه بهذا المكان ، ويُخبر أنَّ الملوين ، وهما الليل والنهار ، أبلياها ودَرَساها . والحىّ : القبيلة . وقوله : (بالسَّبُعان) متعلّق بمحذوف على أنَّه حال من ديار .

وقوله : (أمَلّ عليها) فيه التفاتٌ ؛ لأنَّه لم يقل عليكِ . قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : هو من أمللت الكتاب أُمِلُّه . خاطبَها ثم خرج عن خطابِها إلى الإخبار عن الغائب . وقيل : ويجوز أن يكون من أمللت الرجلَ ، إذا أضجرتَه وأكثرتَ عليه ما يؤذيه ، كأنَّ الليل والنهار [٣] أمَلَّاها من كثرة ما فعلا بها من البِلَى . و (الملوان) : اللَّيل والنهار ولا يُفرد واحدٌ

(١) الخزانة ١ : ٢٣١ - ٢٣٣ .
(٢) ط : « هى » صوابه فى ش .
(٣) الكلام بعده إلى كلمة « الليل والنهار » التالية ساقط من ش .

منهما . يريد أنَّ الليل والنهار أمَلَّا عليها أسباب البلى ، فزاد الباء (١) كما قال :

* لا يقرأْن بالسُّوَرِ * انتهى

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى (٢)) : أمَلّ بمعنى دأَب ولازم ، ومن هذا قيل للدين مِلّة ، لأنَّها طريقةٌ تلازم . وقال الأصمعى : أملَّ فى معنى أملى ، أى طال . انتهى .

وقال الجوهرى : أملَّه وأملَّ عليه ، أى أسامَهُ ، فأراد بأملَّ عليها أسامَها الملوانِ بالبلى لكثرة اختلافِهما عليها . والبِلى ، بالكسر والقصر مصدر بلىَ الثوبُ يبلَى ، من باب تعب ، بِلًى وبَلاءً بالفتح والمد ، أى خَلُقَ ، فهو بالٍ . وبلىَ الميِّت : أفنتْه الأرض .

وأنشد ابن السكيت هذا البيت (فى إصلاح المنطق) على أنَّ الملوين فيه بمعنى الليل والنهار .

وقال أبو عبيد البكرى ، وابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : جعل الشاعر الملوين هنا بمعنى الغداة والعشىّ ، ويدلُّ عليه قوله بعده :

* نهارٌ وليلٌ دائبٌ ملواهُما *

ودأَب : اجتهد وبالغ فى العمل . وقوله : « على كلّ » متعلق بدائب . والرَّوعة : المَّرة من الروع ، وهو الفزع . والحدَثانُ : مصدر حدثَ الشىء ، من باب قَعد ، إذا تجدَّد . أراد حوادث الدهر .

---

(١) الكلام بعده إلى « طريقة تلازم » ساقط من ش .

(٢) سمط اللآلىء ٥٣٣ .

والغِرة بالكسر : الغفلة . وخُلُقانا : مثنى خُلُق بضمتين ، مضاف إلى نا .

وأمّا الثانية فقد أورد خمسة أبيات من أوّلها إبراهيمُ الحُصْرىّ (فى كتابه زهر الآداب [١]) ، وقال : إنّها لشاعرٍ جاهلى من بنى عُقيل . وتابعه ياقوت (فى معجم البلدان) ، وهى :

أبيات أخرى

(ألا يا ديار الحىِّ بالسَّبُعانِ ... عَفَتْ حِجَجًا بعدِى وهنَّ ثَمانى

فلم يبق منها غيرُ نُؤيٍ مهدّمٍ ... وغيرُ أثافٍ كالرَّكِيِّ دِفانِ

وآثارِ هابٍ أورقِ اللّون سافرت ... به الرِّيحُ والأمطارُ كلَّ مكانِ

قِفارٌ مَرَوْرَاةٍ يَحارُ بها القطا ... ويُضحِى بها الجأْبانِ يفترقانِ

يُثيرانِ مِن نسج الغُبار ملاءَةً ... قميصين أسمالًا ويرتديانِ)

وقوله : (عفَتْ حججا) يقال عفت الدار تعفو ، أى اندرست وذهب أثرها . والحِجج : جمع حِجّة بكسر أولهما : السَّنة . وروَى ياقوت :

* خلت حججٌ بعدى لهنَّ ثمانِ *

وقوله : « فلم يبق منها » إلخ النؤى : حُفيرةٌ حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر . والأثافيّ [٢] : جمع أُثفيَّة ، وهى ثلاثة أحجار [٣] تكون عليها القِدر . والرَّكى : جمع ركية ، وهى البئر . ودِفان بكسر الدال بعدها فاء ، يقال ركية دفين ودِفان ، إذا اندفن بعضُها . والجمع دُفُن بضمتين .

(١) زهر الآداب ٩٢٦ .

(٢) ط : « وأثاف » .

(٣) ط : « ثلاثة أحجارة » ، ش : « ثلاث حجارة » ، والوجه ما أثبت .

وقوله : « وآثار هابٍ » الهابى : التراب الناعم الدقيق ، وهو اسم فاعل من هبا يهبو هَبْوًا ، أى ارتفع . والهَبَاء : دقاق التراب . والهابى أيضًا : ترابُ القبر ، وأنشد له الأصمعى : ٢٧٧

وهابٍ كجثمان الحمامة أجفلَتْ به ريحُ تَرْجٍ والصَّبا كلَّ مُجَفِلِ (١)

والمراد به هنا الرَّماد ، لأنَّ الوُرقة هى لون الرَّماد .

وقوله : « قفار مَرَوْراة » إلخ القفار : جمع قَفر ، وهو المَكان الذى لا ماءَ فيه ولا نبات ، وهو صفة لمكانٍ قبله . والمروراة بفتح الميم والراء قال فى الصحاح : هى المفازة التى لا شىء فيها ، وهى فَعَوعلة (٢) والجمع المَرَورَى والمروريَات والمَراوِىّ . والجأب ، بفتح الجيم سكون الهمزة : الحمار الغليظ من حُمر الوحش . وأراد بالجأبين الذكر والأنثى ، وإنَّما يفترق كلُّ منهما عن الآخر لعدم القُوت .

وقوله : « ينيران من نسج » إلخ أى يَحُوكان ، يقال أنرت الثوبَ وهَنَرته ، أى حُكْته . ويقال أيضًا نِرْتُه أُنيره نَيْرا بالكسر . والنِّير : علم الثوب ولُحمته . وفى القاموس : النِّير علمٌ للثوب . ونرت الثوب نَيْرا ونيَّرته وأنرته : جعلت له نِيرا . وهُدبُ الثوب : لحمته . ومن نسج ، كانَ صفةً لقميصين ، فلمَّا قدِّم عليه صار حالًا منه . والمُلاءة بالضم والمد : الرَّيطة . وقميصين بدل من ملاءة ، وملاءة مفعول ينيران ، وعليهما حال من الغبار . وأسمالًا : خلَقًا ، يقال ثوب أسمالٌ أى خَلَق . ويرتديان معطوف على يُنيران ، ومعناه يلبَسَانِ .

---

(١) نسب فى اللسان (ترج ، جفل) إلى مزاحم العقيلى ، وأنشده فى (هبا) بدون نسبة ، ولم يستشهد به ياقوت فى (ترج) .

(٢) ط : « علة » ، صوابه فى ش .

يريد أنَّ الحمارين ، لشدة عدْوِهما ، يثور التراب ويعلوهما ، فيصير كالثوب عليهما . وإنَّما اشتدَّ عدوُهما للنَّجاة من هذه المفازة .

قال ياقوت : زعموا أنَّ أول من جَعل الغبار ثوبا هذا الشاعر . وكذلك قال الحُصْرى : هُو أوّل من نظر إلى هذا المعنى ، وتبعته الخنساء فى قولها من أبيات ، وقد قيل لها : لقد مدحتِ أخاك حَتّى هجوتِ أباك ! فقالت :

جارى أباه فأقبلَا وهما يتعَاورانِ مُلاءَة الحُضْرِ

وهذه أبرع عبارة ، وأنصع استعارة . وتبعها عدىٌّ بن الرقاع فى وصف حمار وأتانِه :

يتعاوران من الغُبار ملاءةً بيضاءَ محدَثَةً هما نَسَجاها
تُطوَى إذا ورَدَا مكانًا جاسيا وإذا السَّنابِكُ أسهَلَتْ نَشَراها

قال شارح ديوانه : قوله يتعاوران إلخ ، أىْ تصير الغبرة للعَيْر مرَّة وللأَتان مرَّة . ويقال من العاريَّة : قد تعوَّرنا العوارىّ . والمكان الجاسى : الغليظ ، فإذا جرَيا فيه لم يكن لهما غُبْرةٌ ، وإذا أسهلا ، أى صارَا إلى سهولة الأرض ، ثار لهما غبار . فجعل إثارة الغبار بمنزلة مُلاءة تنشر عليهما ، وزوالَ الغبار بمنزلة طىِّ الملاءة . وهذا أحسن ما قيل فى وصف الغُبار والعَجَاج . وإلى هذا المعنى أشار أبو تمام الطائى فى وصف كثرة ظَعْنه وقصده الملوك :

يثير عجاجةً فى كلِّ يوم يَهيم بها عدىُّ بنُ الرِّقاعِ

وقد سلك البحترىُّ طريقة الخنساء وأحسن فيه ، إذ يقول فى يوسف ابن أبى سعيد (١) :

جَدٌّ كجد أبى سعيد إنّه ترك السِّماكَ كأنّه لم يُشرِفِ
قاسمتَه أخلاقه ، وهى الرَّدَى للمعتدِى ، وهى النَّدى للمُعْتفِى
فإذا جرى فى غايةٍ وجريْتَ فى أخرى التقى شأْواكما فى المَنْصِفِ

* * *

٢٧٨ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٣٦ (ولها بالماطِرُونِ إذا أَكَلَ النملُ الذى جَمَعا)

على أنَّ أبا على قال : الماطرونَ مجرور بكسرةٍ على النون .

أقول : قاله فى باب ما جعلت فيه النون المفتوحة اللاحقة بعد الواو والياء فى الجمع حرفَ إعراب (من كتاب إيضاح الشعر) ، وهذا نصُّه :

اعلم أنَّ هذه النون إذا جُعلت حرفَ الإعراب صارت ثابتةً فى الكلمة ، فلم تُحذف فى الإضافة كما كانت تُحذَف قبل (٣) ، كما لا تُحْذف نون فِرسِن وضَيفن ورَعْشنٍ ونحو ذلك من النونات التى تكون حرف إعراب ، وإن كانت زائدة . ويكون حرف اللين قبلها الياء ولا يكون الواوَ ، لأنَّ الواو تدلُّ على إعرابٍ بعينه فلم يجُزْ ثباتها ، من حيث لم يجز

(١) هو يوسف بن أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، ولاه المتوكل حرب أرمينية وأذربيجان بعد وفاة أبيه فجأة فى سنة ٢٣٦ .

(٢) الحيوان ٤ : ١٠ والكامل ٢١٧ والأغانى ٦ : ١٥٠ والعينى ١ : ١٤٨ والتصريح ١ : ٢٦ ومعجم البلدان (الماطرون) ، وديوان أبى دهبل ٨٥ .

(٣) ط : « كما كانت لا تحذف قبل » ، صوابه فى ش . والمراد كما كانت تحذف قبل أن تكون حرف إعراب .

ثبات إعرابين فى الكلمة . ألا ترى أنَّهم إذا نسبوا إلى رجلان ونحوه من التثنية حذفوا فقالوا : رجليٌّ ، مع أنَّ الألف قد لا تدلُّ على إعرابٍ بعينه ؛ لأنَّ قومًا يجعلون حرف الإعراب فى الأحوال الثلاث ألفًا . فإذا حذفوا ذلك مع أنَّهم قد جعلوها بمنزلة الدالِّ فيه ، لا يكون لإعرابٍ مخصوص ، فأنْ لا تثبت الواو الدالَّةُ على إعراب مختصٍّ أولى . فأمَّا من أجاز ثبات الواو فى هذا الضَّرب من الجمع ، وزعم أنَّ ذلك يجوز فيه ، قياسًا على قولهم زيتون ، فقوله فى ذلك يبعُد من جهة القياس ، مع أنَّا لم نعلمه جاء فى شيء عنهم . وذلك أنَّ هذه الواو لم تكن قطُّ إعرابًا ولا دالًّا عليه ، كما كانت التى فى مسلمون . فالواوُ فى زيتون كالتى فى منجنون ، فى أنَّه لم يكن قطُّ إعرابًا كما أنَّ التى فى منجنون كذلك . وعلى ما ذهب إليه الناس جاء التنزيل ، وهو قوله تعالى : ﴿ ولا طَعَامٌ إلَّا مِنْ غِسْلينٍ [1] ﴾ ، لمّا صارت النون حرف إعراب صار حرف اللين قبله الياء . وقال تعالى : ﴿ لَفِى عِلِّيِّينَ * وما أدراكَ ما عِلِّيُّونَ [2] ﴾ . فأمَّا قولُ الشاعر :

ولها بالماطـرونِ إذا أكل النملُ الذى جَمَعا

فأعجميٌّ ، وليست الواو فيه إعرابًا كالتى فى سنين . فأمَّا ثبات الياء فى سنين وفلسطين وقنّسرين فإنَّها لما لم تدلَّ على إعراب ، بعينه ، أشبهت الياء التى فى شمليل وقنديل ، ولذلك ثبتت فى النسب ولم تحذف كما حذف ما يكون فى ثباته فى الاسم اجتماعُ علامتين للإعراب . وقد كثر هذا الضرب من

(١) الآية ٣٦ من الحاقة .

(٢) الآيتان ١٨ ، ١٩ من المطففين .

الجمع ، حتَّى لو جُعل قياسًا مستمرًّا كان مذهبا . انتهى

ومثله قول ابن جنى (فى سر الصناعة) : فأمّا الماطرون فليست النونُ فيه بزائدة ، لأنَّها تعرَب . قال :

* ولها بالماطرونِ إذا *

بكسر النون ، فالكلمة إذًا رباعيّة . انتهى .

وفيه ردٌّ لمن جعل الكلمة ثلاثية ، كصاحب القاموس ، فإنَّه قال (فى مادة مطر) : وماطرون : قريةٌ بالشام .

وفيه أنَّه كان يجب أن يقول الماطرون .

وقد خالف الجوهرىُّ فرواه « الناطرون » بالنون ، وقال : الناطرون : موضعٌ بناحية الشام ، والقول فى إعرابه كالقول فى نصيبين ، ويُنشَد هذا البيتُ بكسر النون :

ولها بالناطرونِ إذا .... البيت

وردّ عليه الصاغانى (فى العباب) فقال : الماطرون : موضع قرب دمشق . وقال بعضُ من صنَّف فى اللغة : الناطرون : موضع بناحية الشام .

وكذلك غلَّطه صاحب القاموس (١) . ولم يذكره أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) . وقال العينىّ (٢) كالشارح المحقق : « فى شرح كتاب ٢٧٩

(١) قال فى مادة (مطر) : « ووهم الجوهرى فقال : ناطرون بالنون » . وفى مادة (نطر) : « وغلط الجوهرى فى قوله ناطرون موضع بالشام وإنما هو ماطرون بالميم » .

(٢) العينى ١ : ١٤٧ فى شواهد المعرب والمبنى ، وهو قول أبى دهبل :

طال ليلى وبت كالمجنون واعترتنى الهموم بالماطرون

سيبويه : الماطرون بالميم وطاء مفتوحة ، والمشهور الماطِرون بالميم وكسر الطاء . وقال أبو الحسن القُفْطى : الماطرون : بستانٌ بظاهر دمشق » . ثم قال : والبيت من أبياتٍ ليزيدَ بن معاوية بن أبى سفيان تغزّل بها [1] فى نصرانيَّة قد صاحب الشاهد ترَّهبت فى دَيرٍ خراب عند الماطِرون ، وهو بستانٌ بظاهر دمشقَ يسمَّى اليوم المَيْطور . وأوَّلها :

أبيات الشاهد

(آبَ هذا الليلُ فاكتنعا وأُمِرَّ النومُ فامتنَعَــا
راعيًا للنَّجم أرقُبــه فإذا ما كوكبٌ طَلَعا
حالَ حَتَّى إننى لأَرى أنَّه بالفَوْرِ قدْ رجَعا
ولها بالماطـــرونَ إذا أَكلَ النملُ الذى جمعا
خُرفةٌ ، حتَّى إذا ارتبعتْ سَكنت من جِلَّقٍ بِيَعا
فى قِبابٍ حَول دَسكرةٍ حولها الزيتونُ قد يَنَعا)

آب : رجَع . واكتنع : افتعل من الكَنَع ، بالكاف والنون ، قال صاحب العباب : اكتنع الليل : حضر ودنا . وأنشد هذا البيت . وأُمِرَّ بالبناء للمفعول بمعنى جُعِل مُرًّا .

وقوله : (ولها بالماطرون) اللام متعلّقة بمحذوف على أنَّه خبر مقدَّم وخُرفة مبتدأٌ مؤخر ، وضمير المؤنث للنَّصرانية التى تغزَّل بها [1] ، وبالماطرون فاعل لها ، وإذا ظرف عامله متعلَّق اللام . والخُرفة بضم الخاء المعجمة وبالفاء : المُختَرَف والمُجتَنى ، وقيل ما يجتنى . وهذه الرواية رواية المبرد (فى الكامل) ، وروى صاحب العباب فى البيت : « خِلْفة » بالكسر بدل خُرفة .

---

(١) ط : « تنزل بها » ، صوابه فى ش .

وقال : خِلْفة الشجر : شجرٌ يخرج بعد الثَّمَر الكثير . وكذا روى العينىُّ عن ابن القوطيّة أنَّه قال : الرواية هى الخِلفة باللام ، وهو ما يطلع من الثمر بعد الثمر الطيِّب . والجيِّدُ عندى رواية الخِلْفة على أَنها اسمٌ من الاختلاف أى التردُّد . والنَّمل فاعل أُكل ، والذى مفعوله ، والعائد محذوف أى جَمَعَه . وارتبعت : دخلت فى الرَّبيع . ويروى : « ربعت » بمعناه . ويروى : « ذكرت » بدل سكنت . وجلِّق ، بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة : مدينة بالشام . ومن جلِّق كان صفة لقوله بيعا ، فلما قدِّم عليه صار حالًا منه . وبِيعا : مفعول سكنت أو ذَكرت ، وهو جمع بيعة بالكسر . قال الجوهرىّ وصاحبا (العباب والمصباح) : هى للنَّصارى . وقال العينى : البِيعة لليهود ، والكنيسة للنصارى . وهذا لا يناسب قوله إنَّ الشِّعر فى نصرانيَّة .

ومعنى البيتين أنَّ لهذه المرأة تردّدًا إلى الماطرون فى الشتاء ، فإنَّ النمل يخزُن الحبَ فى الصَّيف ليأْكله فى الشتاء ، ولا يخرج إلى وجه الأَرض من قريته . وإذا دخلت فى أَيام الرَّبيع ارتحلت إلى البيَع التى بجلِّق . وقال العينى : « قوله بالماطرون صفةٌ لخرفة » . وهذا مخالفٌ لقولهم إن صفة النكرة إذا تقدَّمت صارت حالا منه . وقال : إذا للوقت ، والتقدير : لها خُرفة وقتَ أُكل النَّمل ما جمعه .

وقوله : « فى قِباب حول » إلخ الظرف صفة لقوله بيعا ، وهو جمع قُبّة . والدَّسكرة بفتح الدال ، نقل صاحب العباب ، عن الليث أنَّها بناءٌ يشبه قصرًا حوله بيوتٌ ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . ويَنَع : لغةٌ فى أَينع أى نَضِج واستوى .

قال المبرد (فى الكامل) : أينعت الثمرة إيناعا ، أى أدركت . وينَعَت يَنْعا ويُنْعا بالفتح والضم . ويقرأ: ﴿ انظُرُوا إلى ثَمَره إذا أثمَرَ ويَنْعه [1] ﴾ و (يُنعِه) كلاهما جائز . وأنشد هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة وقال : قال أبو عبيدة : هذا الشعر يُختلف فيه ، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص ، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية . انتهى .

وقد سها العينىُّ هنا فى قوله : « الاستشهاد بالماطرون حيث نزِّل منزلة الزيتون فى إلزامه الواو وإعرابه بالحروف » ، وصوابه « وإعرابه بالحركات » .

ولو استشهد الشارح المحقَّق بقوله :

طال ليلي وبتُّ كالمجنون ... واعترتنى الهُمومُ بالماطرونِ

كما استشهد به ابنُ هشام (فى شرح الألفيَّة) لكان أولى ، فإنَّ كسرة النون صريحة ، لوقوعها فى القافية .

وهو مطلع قصيدة ، وبعده :

صاحِ حيًّا إلاله حيًّا ودُورا ... عند أصل القناة من جَيْرونِ
عن يَسارى إذا دخلتُ إلى الدا ... رِ ، وإنْ كنتُ خارجًا فيمينى
فَلِتلكَ اغتربت بالشَّام حتَّى ... ظَنَّ أهلى مُرجِّماتِ الظُّنونِ
هِى زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغـ ... ـوَّاصِ ميزتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا ما نسَبْتَها لم تجِدْها ... فى سَناءٍ من المكارمُ دُونِ
تجعلُ المِسكَ واليَلَنْجوج والنَّـ ... ـدَّ صِلاءً لها على الكانونِ

(١) الآية ٩٩ من الأنعام .

ثُمَّ خاصرتُها إلى القُبّة الخضـ ـراءِ تَمشِى فى مَرمرٍ مسنونِ
قُبَّةٌ من مَرَاجِـلٍ ضربَتْهـا عند حدِّ الشتاء فى قَيْطـونِ
ثمَّ فارقتُهـا على خير ما كا نَ قريـنٌ مفارِقًـا لِقَريـنِ
فبكت خَشيـةَ التَّفـرُّقِ للبَيْـ ـنِ بكاءَ الحزينِ إثْرَ الحزيـنِ
ليتَ شعرى أمِنْ هوًى طار نومى أَمْ برانى ربِّى قصيرَ الجُفونِ (١)

وجَيرون : بابٌ من أبواب دمَشق . والرَّجم : الكلام بالظنِّ . واليلنجوج بجيمين : عود البَخُور ، وروى بدله « الألُوَّة » بفتح الهمزة وضم اللام ، وهو العود أيضاً . والصِّلاء بالكسر والمد : التدَفِّى بالنار . والمخاصرة : أن يضع كلُّ اثنينِ (٢) يدَه على خَصْر الآخَر . والمسنون : الأملس المجلوّ . والمراجل : جمع مِرجل بالكسر ، وقال ابن الأعرابىّ وحدَه : بفتح الميم ، هو ضربٌ من برود اليمنِ . كذا فى العباب . وأخطأ العينىُّ فى قوله : هو القِدر من النُّحاس ، إذ لا مناسبة له هنا . والقيطون : المُخْدع .

قال العينى : هذه القصيدة لأبى دَهبلٍ الجُمَحى ، وهو شاعرٌ إسلامىٌّ شَبَّب فيها بعاتكة بنتِ معاوية ، حين حجَّتْ ورجع معها إلى الشام ، فمرض بها . ويقال إنَّ يزيد قال لأبيه إنَّ أبا دهبلٍ ذكر رملةَ ابنتَكَ فاقتلْه . فقال : أَىَّ شىءٍ قال ؟ قال :

هى زهراء مثل لؤلؤة الغـ ـوَّاصِ .... البيت

(١) فى النسختين : « أم برانى رمى » ، صوابه فى الحماسة البصرية ٢ : ٢٠٧ . ويروى أيضا : « أم برانى البلرى » ، كما فى الأغانى ٦ : ١٥٤ .

(٢) الوجه « كل واحد من اثنين » .

قال معاوية : لقد أُحسن ! قال : فقد قال :

وإذا ما نسبتها .... البيت

قال : صدق ! قال : فقد قال :

ثم خاصرتُها إلى القبَّة .... البيت

فقال معاوية : كذبَ !

وقال ثعلب : حدَّثنا الزبير قال : حدَّثنى مصعب قال : حدثنى إبراهيم ابن أَبى عبد الله قال : خرج أَبو دهبل يريد الغَزْو ، وكان رجلا صالحا جميلا ، فلما كان بِجَبرونَ جاءَته امرأة فأَعطته كتابًا ، فقالت : اقرأْ لى هذا الكتاب . فقرأَه لها ، ثم ذهبت وخرجت إليه فقالت : لو تبلَّغت معى إلى هذا القصر فقرأْتَه على امرأَةٍ فيه كان لك فيه أَجر . فبلغ معها القصر ، فلمَّا دخله فإذا فيه جوارٍ كثيرة ، فأَغلقوا عليه القصر ، وإذا امرأَةٌ وضيئةٌ تدعوه إلى نفسِها ، فأَبى ، فحبِس وضُيِّق عليه حتى كاد يموت . ثم دعته إلى نفسها فقال : أَمَّا الحرام فو الله لا يكون ، ولكن أَتزوَّجكِ . فتزوَّجته وأَقام معها زمانًا طويلا لا يخرج من القصر حتَّى يُئس منه وتزوّج بنوه وبناته واقتسموا ماله ، وأَقامت زوجتُه تبكى عليه حتَّى عميت .

ثم إنَّ أَبا دهبل قال لامرأَته : إنَّكِ قد أَثمتِ فىَّ وفى أَهلى وولدى فأْذنى لى فى المصير إليهم ، وأَعودَ إليك . فأَخذت عليه العهودَ أَن لا يقيم إلَّا سنة . فخرج من عندها ، وقد أَعطته مالًا كثيرًا ، حتَّى قدم على أَهله فرأَى حال زوجته فقال لأَولادهِ . أَنتم قد وَرِثتمونى وأَنا حىٌّ ، وهو حظُّكم ، والله لا يَشرَك

زوجتى فيما قدِمْتُ به أحد . فتسلَّمتْ جميعَ ما أتى به .

ثم إنَّه اشتاقَ إلى زوجته الشاميَّة ، وأراد الخروج إليها ، فبلغه موتُها ، فأقام وقال هذه القصيدة . ويقال إنَّها لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت . وذهب إليه الجوهريّ وغيره . وقال ابن برّىّ : الصحيح أنَّها لأبى دهبل . انتهى كلام العينى .

ولم ينسبها أبو الفرج الأصبهانى (فى الأغانى) إلَّا لعبد الرحمن بن حسان قال : حدثنا محمد بن العبّاس اليزيدى قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدَّثنا المدائنى ، عن أبى عبد الرحمن المبارك قال : ٢٨١

شبَّب عبد الرحمن بن حسّان بأُخت معاوية ، فغضب يزيد فقال لمعاوية : اقتلْ عبد الرحمن بن حسان . قال : ولم ؟ قال : شبَّب بعمَّتى . قال : وما قال ؟ قال : قال :

طال ليلى وبتُّ كالمحزونِ ومِللتُ الثَّواءَ فى جَيرونِ

قال : يابُنىَّ ، وما علينا من طول ليله وحزنه .

– وهذا هو مطلع القصيدة عند صاحب الأغانى ، وليس فيه ذكر الماطرون –

قال يزيد : إنه يقول :

فلذاك اغتربت بالشام (١) .... البيت

(١) فى النسختين : « فلذلك اغتربت » ، تحريف . وفى الأغانى ٦ : ١٥٧ : « فبذاك اغتربت » .

قال : يابُنىَّ وما علينا من ظنِّ أهله ؟ قال : إنَّه يقول :

هى زهراء مثل لؤلؤة الغـ ـوّاصِ .... البيت

قال : صدَقَ يابنىَّ . قال : وإنَّه يقول :

وإذا ما نسبتها لم تجدها .... البيت

قال : صدق ، هى هكذا . قال : إنَّه يقول :

ثم خاصرتها إلى القبة .... البيت

قال : ولا كلُّ هذا يابنىّ . ثم ضَحِك وقال : أنشدْنِى ما قال أيضًا . فأنشده قولَه :

قُبَّة من مراجلٍ نصبوهـا عند حدِّ الشتاء فى قَيطونِ
عن يسارى إذا دخلت .... البيت
تجعـل النَّـدَّ والألوّة .... البيت
وقباب قد أشْرِجَتْ وبُيوتٌ نُطِّقَتْ بالريحان والزَّرَجونِ (١)

قال : يابنى ليس يجب القتل فى هذا ، والعقوبة دون القتل ، ولكنَّا نكفُّه بالصِّلة والتجاوز عنه .

ونسخت من كتاب ابن النطَّاح : وذكَر الهيثم بن عدىّ عن ابن دأْب قال : حدَّثنا شعيب بن صفوان ، أنَّ عبد الرحمن بن حسان كان يشبِّب بابنة معاوية ويذكُرها فى شعره ، فقال الناس لمعاوية : لو جعلتَه نكالًا . فقال : لا ، ٢٨٢

(١) الزرجون : قضبان الكرم .

ولكن أداويه بغير ذلك . فأذن له وكان يدخل فى أُخريات الناس ، ثم أجلسه على سريره معه ، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ثم قال : إنَّ ابنتى الأُخرى عاتبةٌ عليك . قال : فى أىّ شىء ؟ قال : فى مِدحتك أُختَها وتركك إيّاها . قال : فلها العُتَبى وكرامةٌ ، أنا ذاكرُها . فلمَّا فعل وبلغ ذلك الناسَ قالوا : وقد كنَّا (١) نرى أنَّ نسيب عبد الرحمن بن حسان بابنة معاوية لشىءٍ ، فإذا هو على رأى معاوية وأمرِه . وعلمَ من كان يعرف أنَّه ليس له بنت أُخرى ، أنَّه إنَّما خدعه ليشبِّب بها ، ولا أصل لها ، ليعلم الناس أنَّه كذَبَ على الأُولى لمَّا ذكر الثانية .

هذا ما أورده صاحب الأغانى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٥٣٧ (ليتَ شعرِى وأينَ منِّىَ ليتٌ إنَّ لوًّا وإنَّ ليتًّا عنــاءُ)

على أنَّ الكلمة المبنيَّة إذا أُريد بها لفظُها فالأكثر حكايتُها على ما كانت عليه ، وقد تجىء معربةً كما فى البيت ، كما أُعرب ليتٌ الأُولى بالرفع على الابتداء ، ونصبَ الثانية مع لو بإنَّ .

وأورده سيبويه (فى تسمية الحروف والكلم) قال : والعرب تختلف

---

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٤٢ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٢ . وانظر المقتضب ١ : ٣٢٥ / ٤ : ٣٢ ، ٤٣ والجمهرة ١ : ١٢ / ٢ : ٢٩ وابن يعيش ٦ : ٣٠ / ١٠ : ٥٧ وديوان أبى زيد الطائى ٢٤ .

فيها ، يؤنِّثها بعض ويذكِّرها بعض . وأمَّا ليت وإنَّ فحرِّكت أواخرها بالفتح ، لأنَّها بمنزلة الأفعال ، فإذا صيَّرتَ واحدًا منهما اسمًا فهو ينصرف على كلِّ حال . وإن جعلته اسمًا للكلمة وأنت تريد لغة من ذكَّر لم تصرفها ، وإنْ سمَّيتَها بلغة من أنَّثَ كنتَ بالخيار .

إلى أن قال : وأمَّا أوْ ولَوْ فهما ساكنا الأواخر [١] ، فإذا صارت كلُّ واحدةٍ منهما اسمًا فقصَّتها فى التأنيث والتذكير ، والانصراف وترك الانصراف ، كقصة ليت وإنَّ ، إلَّا أنَّك تلحق واوًا آخَرَ [٢] فتثقِّل . وذلك لأنَّه ليس فى كلام العرب اسمٌ آخره واو قبلها حرف مفتوح . قال أبو زُبيد :

ليت شعرِى وأين منِّى ليتٌ   إنَّ ليتًا وإنَّ لوًّا عناءُ

وقال آخر :

ألامُ على لوٍّ ولو كنتُ عالما   بأذناب لوٍّ لم تَفُتنى أوائلُه

انتهى كلام سيبويه .

قال الأعلم : الشاهد فى تضعيف لو ، لمَّا جعلها اسما وأخبر عنها ، لأنَّ الاسم المفرد المتمكِّن لا يكون على أقلَّ من حرفين متحرِّكين ، والواو فى « لو » لا تتحرَّك ، فضوعفت لتكون كالأسماء المتمكنة . ويحتمل الواو [٣] بالتضعيف الحركة . وأراد بلو ههنا لو التى للتمنِّى فى نحو قولك : لو أتيتنا ، لو أقمت عندنا ، أى ليتك أتيت . أى أكثرُ التمنِّى يكذِّب صاحبَه ويعنِّيه ، ولا يبلغ فيه مراده . انتهى .

---

(١) سيبويه : « فهما ساكنتا الأواخر » .

(٢) سيبويه : « واوا أخرى » .

(٣) ط : « للواو » ، صوابه فى ش والشنتمرى .

والبيت من قصيدةٍ لأَبى زُبَيْدٍ الطائى ، أُورد منها الأعلم (فى باب النسيب من حماسته) ستَّةَ أبيات ، وهى : صاحب الشاهد

(ولقد مِتُّ غير أَنِّىَ حَىٌّ ‏ يومَ بانت بودِّها خَنساءُ أبيات الشاهد
من بنى عامر لها شِقُّ قلبى ‏ قسمةً مثل ما يُشَقُّ الرداءُ (١)
أُشرِبَتْ لونَ صفرةٍ فى بياض ‏ وهى فى ذاك لَدْنةٌ غَيداءُ
كلُّ عينٍ مَتَى تراها من النا ‏ س إليها مُديمةٌ حَولاءُ
ليتَ شعرى وأين منى ليتٌ ‏ إنَّ ليتًا وإنَّ لَوًّا عناءُ ٢٨٣
أَىُّ ساع سعَى ليقطع شِربى ‏ حِين لَاحت للصَّابحِ الجوزاءُ)

قوله : « ولقد مِتُّ » إلخ يعنى أَنا لشدَّة الحزن ميت ، إلَّا أَنِّى فى عداد الأَحياء . وبانت : فارقت ، يريد هجَرَتنى .

وقوله : « لها شِقّ قلبى » بالكسر ، يريد : شقَّت قلبى بحبِّها فاستولت عليه .

وقوله : « أُشرِبَتْ لونَ صفرة » إلخ أى صُبغت بهذين اللونين . وهذا أحْمَد الأَلوان عندهم . وفى بمعنى مع . واللَّدنة : الناعمة . والغيداءُ : المتثنِّية من النَّعمة ، وهى أَيضًا الطويلة العنق .

وقوله : « كلُّ عين » إلخ كلُّ مبتدأٌ ، ومتى اسم استفهام ظرف لتراها ، وجملة تراها صفة لعين ، ومُدِيمة خبر المبتدأ ، وإليها متعلق به ، وهو اسم فاعل من أُدمت أى واظبت . وحَولاء خبر ثانٍ . جعلها حولاء لمَيْلها إليها بالنَّظر ، فكأَنَّ بها حوَلًا .

(١) فى الديوان : « لها شق نفسى » .

وقوله : (ليت شعرى) إلخ قد شرحه الشارح فى ليت [١] وقال : التُزم حذفُ الخبر فى ليت شعرى مردَفًا باستفهام ، نحو : ليت شعرى أتأتينى أم لا ؟ وهذا الاستفهام مفعولُ شعرى . فجُملةُ « أىُّ ساع سعَى » فى البيت بعده مفعول شعرى . والشِّرب بالكسر : النَّصيب من الماء . والصابح : مِن صبَحت الإبل ، إذا سقيتَها فى أوَّل النَّهار ؛ والإبل مصبوحة ، والقوم صابحون . كذا فى الجمهرة لابن دريد ، وأنشد هذا البيت .

وقال القالىُّ (فى المقصور والممدود) : والجوزاء : برجٌ مِنْ بروج السماء . والعرب تقول : « إذا طلعت الجوزاء توقَّدت المَعْزاء ، وكَنَست الظِّباء ، وعرِقَت العِلباءُ [٢] ، وطاب الخباء » . وأنشد هذا البيت .

وزاد صاحب الأغانى بعد هذا :

(فاستظلَّ العصفورُ كَرهًا مع الضَّـ ـبِّ وأوفى فى عُودِهِ الحِرباءُ
ونفى الجُندبُ الحصى بكُراعَيْـ ـهِ وأذكَتْ نيرانَها المَعْزاءُ
من سَمومٍ كأنَّها حَرُّ نار شَفَـــعتها ظهيرةٌ غرَّاءُ
وإذا أهلُ بلدةٍ أنكرونى عرفَتْنى الدوِّيَّـــةُ الملساءُ
عرفَتْ ناقتى شمائلَ منِّى فهى إلَّا بُغامَها خرساءُ
عرفت ليلَها الطَّويلَ وليلى إنَّ ذا النومَ للعيونِ غِطاءُ)

سبب القصيدة

وأوْرد سبب هذه القصيدة بسنده عن ابن الأعرابى قال : كان الوليد

(١) ط : « فى البيت » صوابه فى ش

(٢) العلباء ، بالكسر : عصب العنق . قال اللحيانى : « هو مذكر لا غير » ، لكن ورد هنا بالتأنيث .

ابن عُقبة قد استعمل الربيع بن مُرَىّ بن أُوس بن حارثة بن لأْم (١) الطائىَّ على الحِمَى ، فيما بين الجزيرة وظهر الحِيرة ، فأُجدبت الجزيرة . وكان أبو زُبيدٍ فى تغلب . فخرج لهم لِيُرعِيَهم (٢) فأَبَى عليه الأُوسىُّ وقال : إن شئتَ أُرعيك وحدَك فعلتُ . فأَتى أبو زُبيد الوليدَ بن عقبة ، فأَعطاه ما بين القصور الحُمر من الشام إلى القصور الحُمر من الحيرة ، وجعلها له حمًى وأَخذَها من الآخر .

قال عُمر بن شَبّة فى خبره خاصَّة : فلما عُزل الوليدُ عن الكوفة وولى سعدُ بن أبى وقّاص مكانه ، انتزعها منه وأَخرجها من يده ، فقال أبو زُبيد :

ولقد مِتُّ غير أَنِّىَ حيٌّ يوم بانت بودِّها خنساءُ

إلى آخر القصيدة .

وأبو زبيدٍ الطائىُّ : شاعر نصرانىٌّ كان فى صدر الإسلام ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثمانين بعد المائتين (٣) ٢٨٤

* * *

(١) ط : « حارثة بن لؤى » صوابه فى ش مع أثر تصحيح والاشتقاق ٣٨٣ والمعمرين ٣٥ وكامل المبرد ١٣٢ . وفيه يقول بشر بن أبى خازم (ديوانه ٢٢٢ والكامل ١٣٣) :

إلى أوس بن حارثة بن لأم ليقضى حاجتى فيمن قضاها

وقال ابن دريد فى الاشتقاق : انه كان رأسا لطيئ ، وعاش مائتى سنة . وفى المعمرين : « عاش أوس بن حارثة بن لأم بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن لوذان ابن رومان بن خارجة بن سعد بن جندب بن فطرة بن طيئ ، مائتى سنة وعشرين سنة » .

(٢) ش : « بهم ليرعيهم » .

(٣) الخزانة ٤ : ١٩٢ – ١٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد المفصَّل (١) :

٥٣٨ (بوحْشٍ إصمِتَ)

هو قطعة من بيتٍ للرّاعى ، وهو :

(أشْلَى سَلُوقيّةً باتت وبات بها بوحْشٍ إصمِتَ فى أصلابها أَوَدُ (٢))

على أنَّه (٣) إذا سمِّى بفعل فيه همزة وصل قُطِعَتْ ، كإصمتَ بكسر الهمزة والميم .

وتقدَّم عن الشارح المحقق أنَّه منقول من فعل أمر ، لبرِّيَّة معيَّنة . وقيل : هو علم الجنس لكلِّ مكانٍ قفر ؛ تقول : لقيته بوحش إصمتَ وببلدِ إصمت . والوحش : المكان الخالى . وكسر ميم إصمِتَ ، والمسموع فى الأمر الضم ، لأنَّ الأعلامَ كثيرًا ما تغيَّر عند النقل تبعًا لنقل معانيها ، كما قيل فى شُمْس بن مالك ، بضم الشين . انتهى .

وقوله : « وكسر ميم إصمت » إلخ جواب عن سؤال مقدَّر ، وهو أنَّه لو كان منقولًا من فعل الأمر لكانت الهمزة والميم مضمومين ، لأنَّه يقال صمت يصمُت صَمْتًا من باب نصر ، وصُموتا وصُمتا بضمهما بمعنى سكت ، واصمُتْ مثله ، فأجاب بما ذكره .

ومثلُه للأندلسى (فى شرح المفصل) قال : المشهور فى مضارع

---

(١) ابن يعيش ١ : ٢٩ ، ٣٠ والأشمونى ١ : ١٣٣ ومعجم البلدان (اصمت) واللسان (صمت ٣٦٠) وديوان الراعى ٤٦ .

(٢) فى المعانى الكبير ٢٢٠ :

يشلى سلوقية زلا جواعرها مثل اليعاسيب فى أصلابها أود

(٣) ش : « يعنى أنه » .

صمت : يصمُت بالضم ، فإمَّا أن يكون الكسر لغة فيه ، لم يُنقل ، وإما أن يكون ممَّا غيِّر فى التسمية كما قالوا : شمس بن مالك ، بالضم فغيَّروا لفظ الشَّمس . وإمَّا أن يكون مرتجلا وافق لفظَ الأَمر الذى بمعنى اسكت فلا يكون من هذا الفصل . انتهى .

وكذا قال ابن يعيش (فى شرح المفصل) .

وأَجاب ابن الحاجب (فى أَماليه على المفصَّل) بغير هذا ، قال : وقد أُخذ على صاحب المفصل باستشهاده ، فإنَّ العرب تقول صمت يصمُت ، فالأَمرُ فيه بالضم ، فكيف جاء إصمت ؟ وجوابه أَن يقال : إنَّ فَعَلَ يأْتى على يفعُل ويفعِل . ومنهم من يقول : إنْ سُمع للفعل مضارع اتُّبع وإلَّا فأَنت فيه مخيَّر ، إن شئت قلت يفعُل أَو يفعِل . ومنهم من يقول : إن كثُر استعمال المضارع اتُّبع ، وإلَّا كنت فيه بالخيار . انتهى .

وقال فى شرح المفصل : واستشهاده بالبيت مستقيم على وجهين : أَن يثبت أَنَّ فعَلَ يجىء على يفعُل ويفعل .

والوجه الثانى : أَن يثبت صمت يصمِتُ ، ولا يستقيم على غير ذلك

وقول بعضهم : « يجوز أَن يكون أَصله اصمُت ثم غيِّر بالتسمية » فغَيْر ثَبْت .

وأَصله أَنَّ رجلا قال لصاحبه فيها : اصمت ، تخويفًا ، فسمِّيت به . وقد قيل إنَّ وحش إصمت علمٌ على كلِّ مكان قَفر كأُسامة ، وإن كان وحشٌ فى أَصله بمعنى خالٍ ، ولا يخرج بذلك عن أَن يكون إصمت علمًا

منقولا قدّر ، أوْ مرتجلا ، كحمارِ قَبَّانَ ونحوه من المضافات . انتهى .

وهذا كله مبنيٌّ على أنّه لم يسمع يصمت بالكسر .

وقد نقله ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) عن الجمهرة لابن دريد قال : قال أبو بكر محمد بن الحسن : الصَّمت معروف ، صَمت يَصمِتُ صَمتْا ، إذا سكت ، وأَصمتُّه أَنا إصماتا ، إذا أَسكتّه . كذا سمعته على شيخنا أَبى الحرم مكّى بن زبان بكسر الميم (فى الجمهرة) . فسقطَ ما تمحَّلوه هنا .

وقال ابن جنى (فى الخصائص [١]) : وأَما الفعل المستقبل المنقول إلى
٢٨٥ العلم فنحو قولهم فى اسم الفلاة إصمت ، وإنَّما هو فى الأَصل أَمر من صمت يصمت إذا سكت . كأَنَّ إنسانًا قال لصاحبه فى مفازةٍ : إصمت يُسكِتُه تسمُّعًا لنبأة أَوْجَسَهَا ، فسمِّى المكان بذلك . وهذا ونحوه ممَّا ذهب إليه أَبو عمرو بن العلاء فى قول الهذلى [٢] :

على أَطرِقَا بالياتِ الخيا ءِ إلَّا الثُّمامُ وإلا العصىُّ

أَلا تراه قال : إنَّ أَصله أَنَّ رجلا قال لصاحبه هناك : أَطرقا ، فسمِّى المكان به فصار علمًا له ، كما صار إصمت علمًا له . وقطْعُ الهمزة من إصمت مع التسمية به خاليًا من ضميره ، هو الذى شجَّع النحاة على قطع هذه الهمزات إذا سمِّى بما هى فيه . فإن قيل : فقد قالوا : لقيته بوحشِ إصمتَةَ ، ولو كان إصمت فى الأَصل فعلا لما لحقته تاء التأْنيث ؟ قيل : إنَّما

---

(١) لم أعثر على هذا النص فى الخصائص .

(٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين ١ : ٦٥ .

لحقت هذه التاء فى هذا المثال على هذا الحدِّ ليزيدوا فى إيضاح ما انتحَوْه من النقل ، ويُعلموا بذلك أنَّه قد فارقوا موضعه من الفعلية ، من حيث كانت هذه التاء لا تلحق هذا المثال فعلًا ، فصارت إصمتةُ فى اللفظ كإجردَة وإبرِدة [١] . نعم وآنسهم بذلك تأنيثُ المسمَّى به ، وهو الفلاة . انتهى .

وقال الزمخشرى (فى أمثاله) : لقيته بوحش إصمت : المكان الوحش : الموحش ، وهو الخالى من الإنس . وإصمت علم للفلاة القفر ، سمِّيت بذلك لأنَّه لا أنيس بها فينطقُوا ، أَوْ لأَنَّها لشدَّتها تُصمت سالكها . والدَّليل تشتبه عليه طرقها فلا يتكلَّم ، لأَنه لايتَّضح له الهُدَى فيها . ومانعُها من الصرف التعريف ووزن الفعل ، لأَنَّه بزنة اضرب ، وهى مجرورة الموضع بإضافة وحشٍ إليها . وقيل : اسم بلدة بعينها . ويروى : « ببلدة إصمت » . ويقال تركتَنى ببلدة إصمتة وبلدِ إصمت . يضرب للرجل الذى لا ناصر له ولا مانع . انتهى .

ولم يورد أبو عبيد البكرى هذه الكلمة (فى معجم ما استعجم) وأوردها ياقوت (فى معجم البلدان) وقال : إصمِت بالكسر وكسر الميم وتاء مثناة : اسم علم لبرِّيَّة بعينها . قال الراعى :

* أشلى سَلوقيَّةً باتت وبات بها * إلخ

وقال بعضهم : العلَمُ هو وحش إصمت ، الكلمتان معًا . وقال أبو زيد : يقال لقيتُهُ بوحش إصمت ، وببلدَةِ إصمتَ ، أى بمكان قفر .

---

(١) الإجردة ، بتشديد الدال وتخفيفها : نبت يدل على الكمأة . والإبردة بتخفيف الدال : برد فى الجوف . ويجد الرجل بالغداة البرد فيقول : انما هى إبردة الثرى ، وإبردة الندى

وإصمت منقول من فعل الأَمر مجرد [١] عن الضمير ، وقطعت همزته ليجرىَ على غالب الأَسماء . هكذا جميعُ ما يسمَّى به من فعل الأَمر . وكسرُ الهمزة فى إصمت ، إمَّا لغةٌ لم تبلغنا ، وإمَّا أَن يكون غُيِّر فى التسمية به عن إصمُت بالضم الذى هو منقول فى مضارع هذا الفعل [٢] ، وإمَّا أَن يكون مرتجَلا وافق لفظ الأَمر الذى بمعنى اسكت . وربَّما كان تسميةُ هذه الصحراء بهذا الفعل للغَلَبة ، لكثرة ما يقول الرجل لصاحبه إذا سلكها : اصمُت لئلَّا تُسْمَع فتهلِك [٣] ، لشدَّة الخوف . انتهى .

فهذه عدة توجيهات لكسر الهمزة والميم ، ولتسمية الفلاة به .

وإصمته غير منصرف أَيضًا ، لكنْ للعلميَّة والتأْنيث .

والقول بأَنَّ إصمت مرتجل لا منقول أَسلم وأَسهل ، وحينئذ لا يحتاج إلى توجيه كسر الميم ، ويكون منع الصرف للعلمية والتأْنيث المعنوى ، وفى إصمتة التأْنيث اللفظى على طريقة واحدة .

والعجب من ابن يعيش فإنَّه وجَّه منع الصرف فى إصمت بما ذكرنا مع القول بالنقل . وكونُه علَم جنس أَظهر من كونه علَم شخص لبقعةٍ معيَّنة ، كما
٢٨٦ هو ظاهرٌ من استعمالهم : والصحيح أَنَّ العَلَم إنَّما هو إصمِت وإصمِتة ، لا مجموع وحش إصمت ووحش إصمتة ، بدليل أَنَّه يقال بلد إصمت ، وصحراءُ إصمت وغير ذلك ، ولم يقل أَحد بعلمية المجموع فيه ، وما يضاف

(١) ط : « ومجرد » ، وفى معجم البلدان : « مجردا » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) وكذا فى معجم البلدان . وفى ش « فى المضارع لهذا الفعل » .

(٣) فى معجم البلدان : « فنهلك » بالنون .

إليهما من وحشٍ وبلد وبلدة وصحراءَ أيضًا ، كما نقله صاحب القاموس ، إضافتُه للتخصيص . وقد يجمع إصمِت على إصمِتينَ شذوذًا ، كأنّهم سمَّوا كلَّ قطعةٍ منها بإصمت إن كان إصمت علَم قفرٍ بعينه . وإن كان علم جنسٍ فواضح . وقد رأيتُه فى شعر أُمية بن أبى الصَّلت ، قال من قصيدة :

وتُرذَى النّاب والجعماء فيـه ... بوحش الإصمِتينَ له ذُبابُ [(١)]

قال شارح ديوانه : تُرذَى من الرذيّة ، أى تُترك ، وقد أُرذِيَت فهى مُرْذاة . والناب : الناقة المسنّة . والجعماء [(٢)] : الذاهبة الأسنان . والإصمتين : مكانٌ ليس فيه أحد . وهو مثلٌ للعرب ، يقال تركت فلانًا بوحش الإصمتِينِ . وله ذبابٌ ذبابَ الحمار [(٣)] . انتهى .

واعلم أنَّ ابن المستوفِى استشكل كون إصمت منقولا من الفعل دون ضميره وقال : قول النحاة إنَّ إصمت منقول من فعل الأمر مجرَّدًا من الضمير ، فيه نظر ، لأنّه جمعٌ بين نقيضين ، وذلك أنّهم إنّما سمّوا به بعد الأمر للمواجهة ، فلابدَّ من الضمير فيه . وإذا كان كذلك فهو من باب المسمَّى بالجملة المركبة من الفعل والفاعل . اللهمَّ إلّا أن يكونوا نزعوه بعد التسمية تحكُّما منهم . انتهى .

أقول : لا يردُ ماذكره ، فإنّهم قالوا : إذا سمِّى بفعل فإن لم يُعتَبر ضميره الفاعلُ فهو مفرد لا ينصرف ، وإن اعتُبر ضميره فهو جملة محكيَّة ،

---

(١) ترذى : تهلك . والجعماء : الناقة المسنة ، أو التى غابت أسنانها فى اللثات . ط وديوان أمية ١٩ : « والجمعاء » ، وهى الناقة الهرمة أيضا .

(٢) ط : « والجمعاء » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) ش : « وله ذباب الحملر » .

سواء كان الضمير مما يجب استتاره أم لا ، بدليل أحمَدَ المنقولِ من المضارع للمتكلم ، وتغلبَ المنقول من المضارع للمخاطب ، فالضمير أمر اعتبارى يجوز أن يلاحظ ويعتبر ، ويجوز عدمه ، ولا ينظر إلى مكان تجريده من الفعل حين التسمية .

واستشكَل أيضًا قطع الهمزة بعد التسمية بأنّه من باب تحصيل الحاصل ، لأنّها مقطوعة قبل التسمية ، إذ لم تقع حشوا . قال : وقولهم إنّهم قطعوا الهمزة من إصمت مع التسمية به خاليًا من الضمير ، فيه أيضًا نظر ، لأنَّ المكان عندهم إنّما سمِّى بقول الرجل لصاحبه : اصمت ، يُسْكِتُه [1] بذلك من غير أن يكون تقدَّمه كلام قبله ، وصلَه به فوصل الهمزة . وكذا كلُّ فعل أمر من يفعل قطعت همزته . انتهى .

أقول : مرادهم التزام قطعها بعد التسمية دَرْجًا وابتداء ، بخلاف إصمت قبل التسمية ، فإنَّ الهمزة لا تقطع فى الدَّرْج ، وهذا ظاهر . وأمَّا ما قاله صاحب القاموس من أنَّ إصمت وإصمتة بقطع الهمزة ووصلِه فمشكل ، ولم أره لغيره ، وكأنّه مأخوذ من مفهوم قول أبى زيد كما نقله ابن مكرَّم (فى لسان العرب) ، وهو أنَّ بعض العرب قطع الألف من إصمت ونصب التاء . ومفهومه أنَّ أكثر العرب يصل الألف ويسكن التاء ، ويكون حينئذ هذا من باب التسمية بالجملة المحكية . ولم أر من قاله . وأمَّا وصلها فى إصمتةَ فلم أعرف وجهه ، وقد ذكروا همزة الوصل فى أسماءٍ معدودة وليس هذا

---

(١) ش : « يسكنه » ، بالنون .

منها ، اللهمَّ إِلَّا أَن يقال توصل بنقل حركتها إِلى ساكن قبلها ، كقولك : مِنِ اصمتة . والله أَعلم .

وأَمَّا أَطرِقا فقد أُدرجه صاحب المفصَّل فى المنقول من فعل الأَمر مع إِصمت . وظاهره أَنَّه كإِصمت غير منصرف ، وأَنَّه من التسمية بالفعل دون ٢٨٧
ملاحظة الضمير البارز الفاعل . ولو لَاحَظَه لذكره فى العلم المركَّب من جملة أَو غيرها ، والصَّواب ذكره فى قسم المركَّب ، لأَنه جملة مركبة من فعل وفاعل قطعًا . ولهذا قال ابن الحاجب (فى شرحه) : تمثيله بقوله أَطرقا فى غير قسم المركَّب ليس بمستقيم . وأَجاب ابن يعيش بأَنَّ أَطرقا لها جهتان : جهة كونه أَمرًا ، وجهة كونه جملة . فإِيرادهُ هنا من حيث أَنَّه أَمر . ولو أُورده فى المركَّبات من حيث هو جملة لجاز . انتهى .

وفيه نظر ؛ فإِنَّ التقسيم يصير حينئذ فاسدًا ، لأَنَّ كل تقسيم صحيح ذكرت فيه أَنواعٌ باعتبار صفاتٍ مصحِّحةٍ للتقسيم يجب أَن يكون صفة كلِّ قسم منتفية عن بقية الأَقسام (١) ، وإِلَّا لم يصحَّ التقسيم باعتبارِها ، وههنا التقسيم قد ذكر فيه المركب فيجب أَن يكون التركيب منتفيًا عن بقية الأَقسام .

وأَجاب بعضهم بأَنَّه يصح أَن يكون أَطرقا أَمرًا للواحد ، وتثنيتُه تثنية الفعل لا الفاعل ، كأَنَّه قال : أَطرق أَطرق ، كما قيل فى : ﴿ أَلْقِيَا فى جَهَنَّمَ (٢) ﴾ ، وفى : « قفا نبك » ، تأْكيدًا ومبالغة .

---

(١) الكلام بعده إِلى كلمة « الأَقسام » التالية ساقط من ش .

(٢) الآية ٢٤ من سورة ق .

وأَجَابَ بعضٌ آخر بأَنَّ الأَلف يجوز أَن تكون بدلا من نون التوكيد الخفيفة ، والأَصل أَطرقن ، فأَبدلت للوقف أَلفًا . ويردُّه ما حكوا فى وجه التسمية من أَنَّ رجلًا قال لصاحبيه فى موضع : أَطرِقا ، تخويفًا لهُما ، فسمِّى به .

قال أَبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : أُطرقا : موضعٌ بالحجاز . قال أَبو عمرو بنُ العلاء : غزا ثلاثةُ نفرٍ فى الدَّهر الأَول ، فلمَّا صاروا إلى هذا الموضع سمِعوا نبْأَة فقال أَحدهم لصاحبيه : أُطرِقا ، أَى اسكتا [(١)] . وقال فى موضع آخر : أَى الزما الأَرض ، فسمِّى به ذلك الموضع . قال أَبو الفتح بن جنى : دلَّ قولُ أَبى عمرٍو أَنَّ الموضعَ سمِّى بالفعل وفيه ضميره لم يجرَّد عنه ، كما يقال : لقيته بوحش إِصمتَ ، أَى بفلاة يُسكت [(٢)] فيها المرءُ صاحبه فيقول له . اصمُت ، إِلَّا أَنَّه جرَّد إِصمت مِن الضمير ، فأَعربه ولم يصرفه ، للتعريف والتأْنيث أَو وزن الفعل . انتهى كلام أَبى عبيد .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : قال أَبو عمرو : أُطرقا : اسمٌ لبلد بعينه من فعل الأَمر ، وفيه ضمير وهى الأَلف . كأَنَّ سالكه سمع نبأَة فقال لصاحبيه : أُطرقا . وقال الأَصمعىّ : كان ثلاثة نفر بهذا المكان فسَمِعوا صوتًا فقال أَحدهم لصاحبيه : أُطرقا ، فسمِّى بذلك . انتهى .

وقيل إِنَّ أُطرقا غير علم لأَرض ، فلا شاهد فيه . ثم اختلفوا فقال قوم :

---

(١) وكذا فى معجم ما استعجم ١٦٧ . وفى ش « اسكنا » بالنون .

(٢) ش فقط : « يسكن » بالنون .

هو جمع طريق ، كصديق وأصدقاء ، وقُصر للضرورة . حكاه ياقوت .

وقال أبو عبيد (فى المعجم) : قال بعضهم : هو جمع طريق على لغة هذيل ، ويجوز أن يكون مقصورًا من الممدود ، نحو نصيب وأنصباء . وعلى هذا استشهد به الحربى . انتهى .

قال ابن يعيش : يكون على هذا حذَف الألف الأُولى التى للمدّ ، فعادت ألف التأنيث إلى أصلها ، وهو القصر . وينبغى أن تكتب الألف بالياء . انتهى .

وقال ثعلب ، كما نقله أبو عبيد أيضًا : قوله على أطرقا ، أراد على أطرقة ، فأبدل من تاء التأنيث ياءً كما يقال فى شُكَاعى شكاعة [1] كما يبدل أيضًا من الألف تاء . قال الراجز :

مِن بعدِما وبعدِمتا وبعدِمَتْ صارت نفوسُ القَومِ عندَ الغَلصَمَت [2]

انتهى .

وقال بعضهم : الرواية « علا أطرقا » وقال ابن يعيش : رواه بعضهم بضم الراء ، كأنَّه جعله جمع طريق ، ويجعل علا فعلًا ناصبًا له من العلوّ ، وفيه ٢٨٨
ضمير ، كأنَّه قال : السَّيل علا أطرقًا . وعلى هذا يكون قد أنَّث الطريق ؛ لأنَّ فعيلا وفَعَالا إنَّما يجمعان على أفعُل إذا كان مؤنثا ، نحو عَنَاق وأعنق ،

---

(١) وكذا فى معجم ما استعجم ص ١٦٨ . وكتب مصحح طبعة بولاق : « كذا بالأصل » ولعل المناسب فى « شكاعة شكاعى » .

(٢) الرجز لأبى النجم العجلى ، كما فى مجالس ثعلب ٣٢٦ .

ويكون باليات الخيام من صفة أُطرُقًا . انتهى .

وحكاه أبو عبيد أيضًا قال : ويروى : علا أُطرُقًا من العلوّ . وجمْعُ طريقٍ على أُطرق يدلُّ على تأنيثه ، لأنَّه تكسير المؤنث كعَناق وأَعنق وعُقاب وأَعقب . وقال ياقوت : قال أبو الفتح : وبروى « علا أُطرقًا » ، فعلا فعلٌ ماض . وأُطرقا : جمع طريق . فمن أنَّث الطريق جمعه على أُطرق مثل عناق وأَعنق ، ومن ذكَّره جمعه على أُطرِقًا ، كصديق وأَصدقاء ، فيكون قد قصره ضرورة . هذا ، والصحيح أنَّ أُطرِقا علَم أرض ، بدليل قول عبد الله بن أبى أُمية بن المغيرة المخزومى ، يخاطب بنى كعب بن عمرو ، من خُزاعة ، وكان يُطالبهم بدم الوليد بن المغيرة (١) ، أَبى خالد بن الوليد ، لأنَّه مرَّ برجل منهم يصلح سِهامًا فعثَر بسهم منها فجرَحه ، فانتقض عليه فمات. :

إنِّى زعيمٌ أَن تسيروا وتهرُبوا   وأَنْ تتركوا الظَّهْرَانَ تَعوِى ثعالُبه
وأن تتركوا ماءً بجِزْعةِ أطرِقا   وأَنْ تسلكوا أىّ الأَراكِ أطايبه (٢)
وإنَّا أُناسٌ لا تُطَلُّ دماؤنا   ولا يتعالى صاعدًا مَن نُحاربُه

وقالوا فى تفسير هذا : الجِزعة والجِزع بمعنًى واحد ، وهو معظَم الوادى . وقال ابن الأَعرابىّ : هو ما انثنى منه . وأُطرقا هنا وقع مضافًا إليه ، وهو علم موضع ، سمِّى بفعل الأَمر كما تقدَّم . ولا يتأتَّى هنا ما تمحَّلوه فى ذلك البيت .

---

(١) الوليد هذا هو والد خالد بن الوليد ، كما فى جمهرة ابن حزم ١٤٧ . وقد وردت كلمة « بن » مقحمة فى النسختين ، بعد « المغيرة » ، والصواب حذفها كما فعل الإمام الشنقيطى فى نسخته بالترميج عليها .

(٢) ط : « أصائبه » ، صوابه فى ش ومعجم البلدان (أطرقا) .

قال ياقوت : وهذا الشّعر يؤذن بأنَّ أُطرقا موضع من ضواحى مكة ، لأنَّ الظَّهرانَ هناك ، وهى منازلُ كعب من خزاعة . فيكون أُطرقا من منازلها بتلك النَّواحى ، وهى من منازل هُذيلٍ أيضًا ، ولذلك ذكروه فى شعرهم . والله أُعلم . انتهى .

وقد آن لنا أَن نرجع إلى المقصود فنقول : البيت الشاهد من قصيدة للراعى واسمه عُبيد بن حُصين النُّميرىّ [١] ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة [٢] . وهى من قصيدة مدح بها عبدَ الله بنَ معاوية بن أَبى سفيان ، أوَّلها : صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

طافَ الخيال بأَصحابى وقد هجَدوا ... من أُمّ عَلْوانَ لا نَحْوٌ ولا صدَدُ

فأَرَّقت فتيةً باتُوا على عَجلٍ ... وأَعيُنًا مسَّها الإدلاجُ والسَّهَدُ [٣]

هل تبلغَنِّى عبدَ الله دَوسرةٌ ... وجناءُ فيها عَتيقُ النِّىِّ ملتبدُ

كأَنَّها يومَ خِمْسِ القوم عن جُلَبٍ ... ونحنُ والآلُ بالموماة نَطَّرِدُ

قَرْمٌ تعدَّاه عادٍ عن طَرُوقته ... من الهِجان على خُرطومه الزَّبَدُ

أَو ناشطٌ أَسفعُ الخدَّينِ أَلجأَهُ ... نفحُ الشَّمَالِ فأَمسى دونه العَقَدُ

(١) ط : « النمرى » ، صوابه فى ش ، فإن الراعي من بنى نمير بن عامر بن صعصعة . وأما النمرى بفتح الميم فهو نسبة إلى النمر بن قاسط بن هنب بن أفضى بن دعمى .

(٢) فى الخزانة ٣ : ١٥٠ – ١٥١ .

(٣) كذا على الصواب فى النسختين ، وظنها مصحح بولاق « فارقت » من الفراق ، فعلق عليها بما يفيد تصحيحها : « قد فارقت » ، ووقع فى ذلك ناشر ديوان الراعى ٤٤ فجعلها « قد فارقت » .

ثم وصف الثور والأطلال فقال :

حتَّى إذا هبط الأُحدانَ وانقطعت عنها سلاسلُ رملٍ بينَها وُهُدُ
صادف أُطلسَ مَشّاءً بأَكلُبه إثر الأَوابِدِ ما يَنمِي له سَبَدُ
أَشلَى سَلوقيَّةً باتتْ وبات بها بوحشٍ إصمِتَ فى أُصلابها أُودُ
٢٨٩ يدِبُّ مستخفيًا يُغْشِى الضَّراءَ بها حتى استقامت وأَعراه لها جَدَد (١)
فجال إذْ رُعْنَه ينأَى بجانبِه وفى سوالفها من مثله قِدَدُ

هجدوا : رقدوا . والنَّحو : التوجُّه . والصَّدَد : القُرب . وخبر نحو محذوف ، أى منها .

والإدلاج : السَّير من أُول الليل . والسَّهَد بفتحتين (٢) : الأَرق والسَّهر .

عبد الله بن معاوية — وعبد الله هو أخو يزيد بن معاوية . فى الجمهرة : وعبد الله بن معاوية كان أَحمقَ الناس ، وأُمّه فاختته بنت قَرَظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . وأُم يزيدَ ميسونُ بنتُ بَحْدَل الكلبيّة .

والدَّوسرة ، بالفتح : النَّاقة الضخمة . والوَجْناء : الشديدة . والنَّىُّ ، بفتح النون : السِّمَن والشحم . والخِمس ، بالكسر من أُظماء الإبل : أَن ترعى ثلاثةَ أَيام وترد اليوم الرابع .

والجُلَب ، بضم الجيم وفتح اللام : جمع جُلْبة ، وهى الشِّدَّة . يقال :

---

(١) كذا ورد فى متن البيت وشرحه ، لذا أبقيته على خطئه . والصواب إن شاء الله : « يمشى الضراء » . يقال فلان يمشى الضراء ، — بفتح الضاد — إذا مشى مستخفيا فيما يوارى من الشجر . قال بشر :

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا
بشهباء لا يمشى الضراء رقيبها

(٢) يقال بفتحتين ، وبضمتين ، وبضمة أيضا .

أَصابتنا جُلبةُ الزمان وكُلبتُه . والآل : السراب بعد الزوال . والموماة ، بالفتح : الفلاة .

وقَرْم خبر كأَنَّها ، وهو بفتح القاف وسكون الراء : البعير المكرَّم لا يحمل عليه ولا يذلَّل ، ولكن يكون للفِحلة . وتعدَّاه أى تعدَّى عليه . وعادٍ من عدا عليه ، أى تجاوز عليه الحدّ . والطَّروقة : أُنثى الفحل . يقال طرق الفحل الناقة طرْقا ، فهى طروقة ، فَعُولة بمعنى مفعولة . والهِجان من الإبل ، البيضُ ، يستوى فيه المؤنث والمذكر والواحد والجمع . والخُرطوم : الأَنف . والزَّبَد : الرّغوة التى تظهر على فم البعير عند هيجانه . شبَّه ناقته فى حالة جهدها وشدَّتها ، وهو سائرٌ فى شدَّة الهجير ، بفحل هائج ، حال دون أُنثاه حائل . وفيه مبالغاتٌ لا تخفى .

وقوله : « أَو ناشط » إلخ ، يعنى أَنَّها إمّا تشبهُ ذلك الفحلَ أو تشبه الناشط ، وهو الثور الوحشىُّ يخرج من أَرضٍ إلى أَرض . والأَسفع : الأَسود ، من السُّفعة بالضم ، وهى سوادٌ مشرَبٌ حمرة ، يعنى اسودَّ وجهُه من شدَّة الحر ، أَو من شدَّة البردِ والريح . وأَلجأَه : اضطرَّه . والنَّفح : الهُبوب . والشَّمال : الريح المعروفة . قال الأَصمعىّ : ما كان من الرياح نفح فهو برد ، وما كان لفح فهو حرّ . والعَقِد بفتح العين وكسر القاف وفتحها : ماتعقَّد من الرمل ، أى تراكم ، الواحدةَ عقِدَة كذلك . يعنى فهو مسرعٌ ليصل كِناسه ومأْواه . والأُحدان بالضم : قطع رمل متفرقة ، والأَصلُ وُحْدانٌ جمع أَوحد (١) .

---

(١) نظيره أسود وسودان .

ووُهُد بضمتين : جمع وهاد ، وهو جمع وهدة ، وهو المكان المطمئن .

وصادف ، أى ذلك الناشط . وأَطلس مفعوله ، يريد به صيّادًا وقانصا . والأَطلس قال فى القاموس : هو الرجُل يُرمَى بقبيح ، والسارق ، والذئب الأَمعط . وفى الصحاح : الأَطلس : الخَلَق ، وكذلك الطِّلْس بالكسر ، والجمع أَطلاس . ورجل أُطلس الثَّوب . قال ذو الرمة يصف قانصًا :

مُقزَّع أَطلس الأَطمارِ ليس له إِلَّا الضِّراءَ وإِلَّا صيدَها نشَبُ

ومَشَّاءً : مبالغةُ ماشٍ أَى كاسب . وأَكلُب : جمع كلب . والأَوابد : جمع آبدةٍ ، وهى الوحوش .

ويَنمِى ، من نَمى المال وغيرُه يَنمِى نماءً : زاد . والسَّبَد : الصُّوف ، كنى به عن المال والماشية .

وقوله : « أَشْلَى سلوقيّة » ، فاعل أَشلى ضميرُ أَطلس ، المرادُ به القانص . قال أَبو زيد : أَشليت الكلب : دعَوته . وقال ابن السِّكّيت : يقال أَوسَدت الكلب بالصَّيد وآسدته ، إذا أَغريتَه به . ولا يقال : أَشليته ، إنَّما

٢٨٩ الإشلاء الدُّعاء . يقال أَشليتُ الشَّاةَ والناقَةَ ، إذا دعوتَهما بأَسمائهما لتحلُبهما . وقول زيادِ الأَعجَم :

أَتينا أَبا عمرٍو فأَشْلَى كلَابَه علينا فكدنا بين بيتَيْهِ نُؤكَلُ

يروى : « فأَغرى كلابه » . كذا فى الصحاح . وسَلوقيّه أى كلابًا سلوقيّة . قال أَبو عُبيد البكرىّ (فى معجم ما استعجم) : سَلوق بفتح أَوله

وضم اللام : موضعٌ تنسَب إليه الكلاب السَّلوقيةُ والدُّروع [١] . و (فى كتاب العين) : موضعٌ باليمن تنسب إليه الكلاب . وقال أيضًا : السَّلوقى من الدُّروع والكلاب : أجودها . وقال الأصمعىّ : إنَّما هى منسوبة إلى سَلَقْيَة ، بفتح أوله وثانيه وإسكان القاف وتخفيف الياء ، وهو موضعٌ بالروم . فغيَّره النسب . هكذا حكى أبو بكر . و (فى البارع) عن أبى حاتم : السَّلوقية من الكلاب منسوبةٌ إلى مدينة من مدائن الرُّوم يقال لها سَلَقْية [٢] ، فأعربت [٣] . قال أبو حاتم : وقال أبو العالية : إنَّما يقال لها سَلوقيَة ، وقد دخلتُها ، وهى عظيمة ، ولها شأْن . انتهى .

وقوله : (باتت وبات بها) قال صاحب المصباح : بات ، له معنيان أشهرهما اختصاص الفعل بالليل ، كما اختصَّ الفعل فى ظلَّ بالنَّهار . فإذا قلت : بات يفعل كذا فمعناه فعله بالليل . وقال الليث : منْ قال بات بمعنى نام فقد أخطأَ ، لأنَّك تقول باتَ يرعى النجوم ، ومعناه ينظر إليها ، وكيف ينام من يراقب النجوم . والمعنى الثانى تكون بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواءٌ كان فى ليل أو نهار . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « فإنَّه لا يدرى أين باتت يَدُه [٤] » . والمعنى صارت ووصلَتْ . انتهى .

---

(١) ط : « الدرع » ، صوابه فى ش ، مع أثر تصحيح ، ومعجم ما استعجم .

(٢) فى النسختين : « سلققية » ، صوابه من معجم ما استعجم .

(٣) ط : « فعربت » ، وأثبت ما فى ش ومعجم ما استعجم .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد والأربعة ، وأوله : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا » . الجامع الصغير ٤٣٥ .

وقال الشارح المحقق : وتجيء بات تامّة بمعنى أقام ليلًا ونزل ، سواء نام أو لم ينم . وفى كلامهم : « سِرْ وبِتْ » . انتهى .

وقوله : (فى أصلابها أود) أى فى أصلاب الكلاب السّلوقية . إذْ لكلّ كَلبٍ صُلبٌ . ولهذا قدَّرنا موصوف السلوقية جمعًا ، ولقوله : (بأكلُبِهِ) . وقدَّر بعضُهم تبعًا لابن الحاجب : كلبةً سلوقيَّة . ووجَّه جمع الأصلاب بجَعْلِ كلِّ طائفة من الفقِرَ صُلبا . وله العذر لأنَّه لم يقف على ما قبله . والصُّلب : وسَط الظَّهر من العنق إلى العجز ، وهى فِقَرات أى خَرَزات منتظمة . والمتنانِ يكتنفانِ يمينًا وشمالا . والأَوَدُ بفتحتين : الاعوجاج . والجملة حالٌ من ضمير الكلاب ، وهى حالٌ لازمة ، لأنَّ الكلاب السّلوقية يكون أوساطها مخروطةَ الشّكل خِلقة . قال الأصمعىّ : إذا كان فى ظهر الكلب احديدابٌ قليل كان أفرَهَ له ، وكذلك إذا كان واسعَ الفَقْحة كان أسرع لجريه ، وكذلك من الدوابّ . وكذا إذا اتَّسع مَنخراه وشِدْقاه . فقوله : « أشلى سلوقيَّة » استئناف بعد الإخبار عن الناشط بما ذكره . وأراد : أشلى عليه ، أى أغرى الكلابَ على الناشط .

وجملة باتت إلخ استئناف بيانىٌّ ، كأنه قِيل : فما صنعَتْ ؟ قال : باتت . وقيل الجملة صفة سلوقية . وباتَ هنا تامَّة كما نقلنا عن الشارح المحقق . وقوله « وبات بها » أى وبات الصيَّاد مع السلوقيَّة ، فالباء بمعنى مع ، والضمير للسّلوقية . وقوله : (بوحشٍ إصمِت) الباء بمعنى فى ، متعلّق بأحد الفعلين . وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : المجرور فى قوله : بوحش ، يتعلق

٢٩١ بأشلى ، وتقديره : أشلى سلوقيّة بوحش هذه البرِّيَّة ، باتت السلوقيَّة فى هذه البرّيّة . وبات بها ، أى عندها ، والضمير للسلوقيَّة . انتهى .

يريد أنَّ الضمير فى قوله « عندها » للسَّلوقيَّة ، وأما ضمير بها فهو لوحش إصمت . وصرَّح به (فى شرح المفصل) قال : بها ، أى بوحش إصمت . وأضمرَ لأنَّه متقدِّم فى المعنى لأشلى أو لباتت الأوّل . انتهى .

وكذا صنع الأندلسىُّ قال : أعمل الفعل الأوّل وأضمر الثانى . وروَى أبو الحسن علىُّ بن عبد الله الطُّوسى :

أشلى سَلوقِيَّةً زُلًّا جَوَاعِرُها بوحش إصمت إلخ .

والزُّلُّ بضم الزاى المعجمة وتشديد اللام : جمع أزَلّ ، وهو الممسوح العجُز . والجواعر : جمع جاعرة ، وهو موضع رَقْمةِ است الحمار [١] .

وقوله : « يدبُّ مستخفيًا » إلخ دبَّ يدِبُّ من باب ضرب ، أى مشى مشيًا رويدا . وفاعله ضمير الصيَّاد . وكذلك ضمير يُغْشِى مضارع أغشَى ، بمعنى أحاط . والضِّراء مفعوله ، وهى جمع ضِروةٍ بالكسر ، وهو ولدُ الكلب . وضمير بها للسَّلوقيَّة . وجملة يُغشى حالٌ من ضمير يدبّ . وحتَّى بمعنى إلى . وأعراه : كَشفه . والضمير للناشط . وجَدَدُ فاعله ، وهو بفتحتين : الأرض الصُّلبة .

وقوله : « فجال » ، من الجوَلان ، وفاعله ضمير الناشط ، وإذ ظَرفٌ لجال ، ورُعْنَه من الرَّوع ، وهو الذعر ، والنون ضمير الكلاب السلوقيَّة

---

(١) ش : « رقمة الحمار » .

وينأى : يبعُد . يريد أنَّ الناشط نجا من يَدِ الكَلَّاب والحالُ أنَّ فى سوالف الكِلاب من جِلدِ مثل هذا الناشِط قِدَدًا (١) . والسَّالفة : صفحة العنق . والقِدَد : جمع قِدَّة ، وهو سير غير مدبوغ .

وأما البيت الثانى فهو لأبى ذؤيبٍ الهُذلى ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين (٢) من قصيدةٍ عدّتها أربعةَ عشرَ بيتا ذكر من أولها دروس الديار وطموسَها ، إلى أن رثى ابن عمّه نُشَيبة بخمسة أبيات من آخرها . وأوَّلُها :

عَرفتُ الدِّيارَ كرقم الدَّوا ة يزبُرها الكاتبُ الحميرىُّ

إلى أن قال بعد أبيات ثلاثة :

* على أطرِقا باليات الخيام *

إلى آخره . يزبُرها (٣) : يكتبها . وذكَر الحميرىَّ لأنَّ الكتابة أصلُها من اليمن . يريد : عرفتُ رسومَ الديار وآثارَها خفيّة كآثار الخطِّ القديم . وقوله : « على أطرِقا » قال السكرى (فى شرحه) : أراد : عرفتُ الديارَ على أطرقا . والثُّمام : شجرُ يُلقَى على الخيام . والعِصىُّ : خشبُ بيوتِ الأعراب . وقوافى هذه القصيدة إنْ شدَّدتها وصلتَها ، وإلَّا خفضتَها . انتهى .

والخَيمة عند العرب : بيتٌ من عيدان . والثُّمام : نبتٌ ضعيف يحشى

---

(١) فى النسختين : « قدد » .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ – ٤٢٣ .

(٣) ط : « بربرها » ، صوابه فى ش .

به خَصاصُ البيوت ويُستَر به (١) جوانبُ الخيمة . فالثمام والعصى استثناء من الخيام ، ويكون الاستثناء متَّصلا .

قال ابن يعيش : هذه القصيدة تروى مطلقةً مرفوعة ، وتروى مقيَّدة ساكنة ، وهى من المتقارب . فمن أَطلقها كانت من الضرب الأوّل ووزنه فعولن عِصِىْ يُو . ومن قيَّدها كانت من الضرب الثالث ، وهو المحذوف . فِعِلْ عِصِى . وقوله : « على أَطرقا » نصبٌ على الحال من الدِّيار ، وكذلك بالياتِ الخيام حال . والمراد : عرفتُ الديار على أَطرقا فى هذه الحال . وقوله : « إلَّا الثمام وإلَّا العصى » يروى برفع الثمام ونصبه ، فمن نصب فلا إشكال فيه لأَنَّه استثناء من مُوجَب . ومن رفع فبالابتداء والخبر محذوف ، والتقدير : إلَّا الثمامُ وإلا العصىُّ لم تَبْلَ . ومن نصب الثمام ورفع العصىّ فإنَّه يحمله على المعنى ، وذلك أنَّه لما قال بليت ، إلَّا الثمام ، كان معناه بَقِىَ الثمامُ ، فعطف على هذا المعنى وتوهُّمِ اللفظ . ومن قيَّد القافية جاز أَن تكون العصىُّ مرفوعة كالمطلقة ٢٩٢
على ما ذكرنا ، وجاز أَنْ تكون منصوبةً بالعطف على الثمام ، إلَّا إنَّه أَسكن للوقف . وما فيه أَل يكون الوقف عليه كالمرفوع والمجرور . انتهى .

وقال (صاحب المقتبس) : ويروى : « باليات » ، مرفوعًا ومنصوبًا على أَنَّه خبر مبتدأ محذوف ، أَى هى ، وعلى الحال . وقوله : على أَطرقا متعلِّق بعرفْت . قال بعض فضلاء العجم : ويجوز أَن يكون باليات على رواية الرفع مبتدأ وخبره على أَطرقا ، والإضافة كسَحْق عِمامة . وعلى هذا كان كلامًا

(١) ط : « ويستتر به » .

منقطعًا عن الأوّل وإخبارا ثانيًا عن اندراس المنازل .

وقال ابن الحاجب (فى الإيضاح) : باليات الخيام حالٌ من الديار . وإلّا الثمام استثناءٌ منقطع . وبعض الناس يُنشد بالياتُ بالرفع ، يجعله مبتدأ . وبعضهم ينشده « إلّا الثُّمامُ وإلّا العصىُّ » بالرفع ، وليس بصواب ، وإنّما يجوز بناء الرفع على وجهين : أحدهما على الإتباع على المعنى دون اللفظ ، فيكون [مثل [1]] : أعجبنى ضربُ زيدٍ العاقلُ بالرفع . والثانى إمّا على قولهم : ما جاءنى أحدٌ إلّا حمارٌ على اللغة التميمية . فقوله باليات الخيام ، الخيام مرفوعة من حيث المعنى ، فكأنّه قال : باليات خيامُها ، فيكون قوله إلّا الثُّمام على اللغة التميمية ، وإمّا على أنّ إلّا بمثابة غير . وكلٌّ منهما ضعيف . أمّا أعجبنى ضربُ زيدٍ العاقلُ فلأنّ زيدًا معرب ، والتوابع إنّما تجرى على متبوعاتها على حسب إعرابها . وأمّا ما جاءنى أحدٌ إلّا حمار ، فلأنّ ذلك إنّما يثبُت فى النفى ، مع أنّه فيه ضعيف ، لأنّ الحمار ليس من جنس الأحد ، فلا يكون بدلًا ، وأمّا كون إلّا بمثابة غير فشرطُه فى الفصيح أن تكون تابعةً لجمع منكّر غيرِ منحصر ، وذلك مفقود . انتهى .

وتوجيه ابن يعيش لرواية الرفع ، أسلمُ من هذا . فتأمّلْ . فلا يردُ عليه ما ذكره .

* * *

(١) بمثل هذه يلتئم الكلام .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٥٣٩ (بَنَاتُ أَلْبُبِي)

على أنَّه إذا سمّى بألبب يبقى الفكُّ ولا يدغم ، وهو بفتح الهمزة وسكون اللام وضمِّ الموحَّدة الأُولى .

وهذا قطعةٌ من بيت ، وهو :

* (تأْبَى له ذاك بناتُ أَلْبُبى) *

قال صاحب الصحاح : وبنات أَلْبُب : عروقٌ فى القلب تكون فيها الرِّقَّة . وقيل لأَعرابيَّة تعاتب ابنًا لها : مالك لا تدعين عليه ؟ قالت :

* تأْبى له ذاك بناتُ أَلْبى *

والذى أَورده سيبويه :

* قد علمت ذاك بناتُ أَلْبُبِهْ *

قال : وإذا سمَّيت رجلًا بأَلْبُب ، من قولك :

* قد علمت ذاك بنات أَلْبُبه *

تركته على حاله ، لأَنَّ هذا اسم جاء على الأَصل ، كما قالوا : رَجاء بن حَيْوة (٢) ، وكما قالوا : ضَيون . فجاءُوا به على الأَصل . وربَّما جاءت العرب

---

(١) فى كتابه ٢ : ٣ ، ٦١ ، ٤٠٣ ، والمنصف ١ : ٢٠٠ / ٣ : ٣٤ .

(٢) ش : « كما قالوا بن حيوة » ، وكلمة « رجاء » من ط وسيبويه . ورجاء بن حيوة بن جرول الكندى الفلسطينى كان ثقة فاضلا كثير العلم ، من عباد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ٤ : ١٨٦ .

بالشيء على الأصل . ومجرى بابه فى الكلام على غير ذلك . انتهى كلام سيبويه .

قال صاحب الصحاح : قال المبرِّد فى قول الشاعر :

* قد علمت ذاك بنات أُلبَبِه *

يريد : بنات أَعْقَلِ هذا الحيّ . فإن جمعت أَلبًا قلت ألابِب ، والتصغير أُلَيِبب ، وهو أَولى من قول من أَعلَّها . انتهى .

وقال ياقوت (فى حاشية الصحاح) : ويروى : « بنات أَلبَبِه » بفتح الباء الأُولى . والله أَعلم .

ولم يورد أَبو جعفر النحاس ولا الأَعلم الشَّنتمرِيّ هذا البيت فى شواهد سيبويه ، وكأَنَّهما لم يتنبها لكونه شعرًا . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده :

(يَعْصِرْنَ السَّليطَ أَقاربُه)

على أَنّه لو سمِّىَ بضربْنَ (١) على لغة أَكلونى البراغيث ، بجعلِ النونِ حرفًا دالًّا على الجمع المؤنَّث كما فى « يعصرن السليط أَقاربه » ، فإنَّ النون فيه على قولٍ حرفٌ علامةٌ لجمع المؤنث .

وأَقاربه هو الفاعل ، والسَّليط مفعوله ، وهو الزيت .

وهذا المقدار قطعةٌ من بيت للفرزدق ، تقدَّم شرحُه فى الشاهد السادس والسبعين بعد الثلثمائة (٢) .

* * *

(١) ش : « يضربن » ، صوابه فى ط . وفى شرح الرضى ٢ : ١٣٤ : « ولو سميت بضربن على لغة يعصرن السليط أقاربه ، جعلت النون معتقب الإعراب ولم تصرفه للتعريف والوزن » .

(٢) الخزانة ٥ : ٢٣٣ - ٢٤١ .

أســـماء العدد

أنشد فيه ، وهو الشاهد الأربعون بعد الخمسمائة [(١)] :

٥٤٠ (حَتَّى استثَاروا بِىَ إحدَى الإِحَدِ)

على أَنَّ إحدى يُستعمَل فى المدح ونفى المِثْل . فمعنى « هو إحدى الإحَد » : داهيةٌ هى إحدى الإحَد .

قال الدمامينى (فى شرح التسهيل) : إن قلتَ : كيف حمل إحدى الإحِدِ مع أَنَّه للمؤنَّث على المذكَّر ؟ قلتُ : لأَنَّ المراد به داهيةٌ واحدة من الدواهى ؛ ومثله يحمل على المذكَّر ، فتقول : هو داهيةٌ من الدَّواهى . وأَحَدُ الأَحدينَ المرادُ به إحدى الدَّواهى ، ولكنَّهم يجمعون ما يستعظمونه جمع العاقل وإن لم يكن عاقلا . فمن قال هو أَحَدُ الأَحِدِينَ ، فقد راعى مطابقة لفظِ هو فلذلك ذكَّر اللفظين جميعاً . ومن قال إحدى الإحد راعى المعنى ، فلذلك أَتى بإحدَى ، لأَنَّ أَلفها إمَّا للتأْنيث ، أَو للإلحاق ، ولكنَّها تشبه فى اللفظ أَلف التأْنيث ، فأَضافها إلى جمع المؤنَّث وهو الإحَد بكسر الأَلف وفتح الحاء . وفيه لغةُ أُخرى وهو ضَمُّ الأُلف وفتح الحاء . والمشهور فى هذا الجمع أَعنى فُعَل بضم الفاء ، أَن يكون مفرده فَعلةً مؤنَّثا بالتاء ، كغرف جمع غرفة ، لكنَّه جمع به المؤنث بالأَلف كإحدَى ، حملًا لها على أُختها ، أَو يقدَّر له مفرد مؤنَّث بها ، كما حقَّقه السُّهيلى (فى الروض الأُنف) فى جمع ذكرَى وذكر .

(١) الأغانى ٩ : ١٥١ والميدانى ١ : ٢٥٨ واللسان (وحد ٤٦٦) .

وكما أنَّ إحدى الاحد ، معناه إحدى الدواهى ، كذلك معنى أحد الأحدين (١) لايختصُّ استعماله بالعقلاء ، لكنهم يجمعون ما يستعظمونه جمعَ العقلاء .

قال (صاحب اللباب) : ما لا يعقل يُجمع جمع المذكَّر فى أسماء الدَّواهى ، تنزيلًا له منزلة العقلاء فى شدة النِّكاية . والداهية : الأمر العظيم . ودواهى الدَّهر : ما يصيب الناسَ من عظيم نوَبه . والدَّهْى ، بسكون الهاء : النُّكر وجودة الرأى . يقال رجلٌ داهية بيِّنُ الدَّهْى والدَّهاء بالمد . وقد يضاف إحدى إلى ضمير الإحَد . قال أبو زيد : يقال : لا يقوم لهذا الأمر إلَّا ابن إحدَاها ، أى الكريم من الرجال . وهذا تفسيرٌ بالمعنى .

وزعم أبو حيان أنَّ إحدى الإحد خاصٌّ بالمؤنَّث . قال : كما قالوا : هو أحَدُ الأحَدِين ، وهى إحدى الإحَد ، يريدون التَّفضيل فى الدهاءِ والعقل ، بحيث لا نظير له . قال :

* استثاروا بىَ إحدى الإحدِ * انتهى

وهذا البيت الذى أورده يرّد عليه .

ويقال أيضاً : هو واحد الواحدين ، نقله صاحب القاموس . ويقال أيضًا : هو واحد الأحدِين ، وواحد الآحاد ، حكاهما صاحب العباب .

ولا تختصُّ إضافة إحدى ، وواحِد ، وأحِد ، إلى الجمع من لفظه . قال
٢٩٤ صاحب الكشاف ، عند قوله تعالى : ﴿ إنَّها لإحْدَى الكُبَر (٢) ﴾ ، أى

(١) ش : « إحدى الأحدين » ، صوابه فى ط .

(٢) الآية ٣٥ من سورة المدثر .

لإحدى البلايا ، والدَّواهى الكُبَر . ومعنى كونها إحداهنَّ أنَّها منهنَّ واحدةٌ فى العِظَم لا نظير لها ، كما تقول : هى إحدى النساء . وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ليكونُنَّ أهْدَى من إحدى الأُمم (١) ﴾ : من الأُمّة التى يقال لها إحدى الأُمم ، تفضيلاً لها على غيرها فى الهُدى والاستقامة .

قال (صاحب الكشف) : أقول : دلالتها على تفضيلها على سائر الأُمم ليس بالواضح ، بخلاف واحد القوم ونحوه . ثُم وجَّهها بأنَّه على أُسلوبِ :

* أو يرتبطْ بعضَ النُّفوسِ حِمامُهَا (٢) * انتهى .

قال شيخنا الخفاجى : يريد أنَّ واحدًا بمعنى منفرد ، ويلزم من انفراده امتيازُه وعظمتُه ، بخلاف إحدى فإنَّه اسمٌ لجزء الشىء ، فلا دلالة له على التعظيم ، إلَّا أنْ يقال إنَّ البعض يدلُّ عليه كما فى البيت ، لأنَّ فيه إبهامًا ، والإبهام يستعمَل للتعظيم . ولك أنْ تقول : لا حاجة إلى هذا ، لأنَّ الزمخشرىَّ أشار إلى أنَّ إحدى هنا بمعنى واحدة . انتهى .

وردَّ الدمامينى على صاحب الكشَّاف ، بأنَّ الذى ثبت استعمالُه للمدح أَحَد وإحدى مضافين إلى جمعٍ من لفظهما ، واستعملوا ذلك أيضًا فى المضاف إلى الوصف ، نحو : هو أَحد العلماء . أمَّا فى أَسماء الأَجناس مثل الأُمم ففيه نظر . انتهى .

---

(١) الآية ٤٢ من سورة فاطر .

(٢) البيت للبيد فى معلقته . وصدره :

* تراك أمكنة إذا لم أرضها *

قال شيخنا : لا حاجة إلى النقل ، لأنَّه إن كان استفادته من أحد بمعنى واحد ومنفرد فهو معنى حقيقيٌّ لا معنى لنخصُّصه . وإن كان لأنَّ إبهام البعض يفيدُه فهو مجازيٌّ ، فهو لا يُقتَصَر فيه على السَّماع . وفى الحماسة :

يا واحِدَ العُرْب الذى ما إنْ لهم   من مَذهبٍ عنه ولا من مَقْصِرِ [١]

وقال زهير :

* إذا طرَّقت إحدى الليالى بمعظَمِ [٢] * انتهى

وقد سمع فى إحدى قطعُها عن الإضافة ، سئل ابن عبّاسٍ رضى الله عنه ، عن رجل تتابع عليه رمضانان ، فسكَت ، ثم سأله آخر فقال : « إحدَى من سَبْع ، يصوم شهرين ويُطعم [٣] » . قال ابن الأثير (فى النهاية) : يريد به إحدى سِنِى يوسفَ عليه السلامُ المجدبة . فشبَّه حاله بها فى الشدّة . أو من الليالى السَّبع التى أرسَل الله فيها العذابَ على عاد . انتهى .

وهذا يردُّ على ابن مالك فى قوله (فى التسهيل) : « ولا يستعمل إحدى فى غير تنييف دون إضافة » فإنَّ إحدى قد استعملت بلا إضافة ، إلَّا أن يزعم أنَّ الأَصل أنَّها إحدى الإحَد من سبع ، فحذف المضاف إليه .

والبيتان من رجزٍ للمرَّار بن سعيد الفَقعسىّ ، أُورد بعضه الأَصبهانى صاحب الشاهد

(١) نسب فى الحماسة ١٧٦٢ بشرح المرزوقى إلى ابن المولى ، واسمه محمد بن عبد الله بن مسلم . والبيت فى مدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب . والمقصر بفتح الصاد وكسرها : الكف والإمساك .

(٢) من معلقة زهير . وصدره :

* لحى حلال يعصم الناس أمرهم *

(٣) وكذا فى الفائق ١ : ١٥ : « يصوم شهرين ويطعم مسكينا » .

(فى الأغانى) قال : كان المرّار قصيرًا مفرِط القصر ، ضئيل الجسم . وفى ذلك يقول :

عَدُّونىَ الثعلبَ عند العَدَدِ [(١)] حتَّى استثاروا بىَ إحدَى الإحدِ

ليثًا هِزبرًا ذا سلاحٍ مُعتَدِ يَرمى بطَرْفٍ كالحريق المَوقَدِ

يقول : حسِبونى من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال ، أُروغ عنهم ولا أُكافحهُم . وحتَّى بمعنى إلى . و (استثاروا) : هيَّجوا ، من ثار إلى الشرّ ، إذا نهض ، واستثارهُ : أنهضه . وثارت الفتنة : هاجت . واستثارها : هيَّجها . والباء من (بىَ) تجريديّة . والتجريد (كما فى الكشف) هو تجريد المعنى المرادِ عمن قام به ، تصويرًا له بصورة المستقلّ ، مع إثبات ملابسة بينه وبين القائم به بأداة أو سياق . والأداة هنا الباء ، كما يقال : لقيت بك أسدًا ، و ﴿ اسأَل به خبيراً [(٢)] ﴾ : قال صاحب الكشف : ولعلَّ جعْلَها إلصاقيَّة أوجَه ، أى كائنا ملصَقًا بك . والمراد التصوير المذكور ، لأنَّ الإلصاق هو الأصل ، فقد سلم عن الإضمار وأفاد المبالغة الزائدة . انتهى . ٢٩٥

قال شيخنا الخفاجى : وفيه أنَّ السبب مبدأٌ أو مَنشأٌ للمسبَّب ، كما أنَّ المنتزع مع المنتزع منه كذلك ، فهو أقرب إلى التجريد ، ومجرَّدُ الإلصاق لا يفيده . انتهى .

و (إحدى) منصوب بفتحة مقدَّرة ، مفعول للفعل قبله ، أى إحدى

(١) فى الميدانى ١ : ٢٥٨ : « الثعلب فيما عدوا » ، وما هنا صوابه .

(٢) الآية ٥٩ من الفرقان . وقد اكتفى فى الاستشهاد وحذَف الفاء . ونص الآية : ﴿ الرحمن فاسأل به خبيرا ﴾ .

الدَّواهى . قال أبو الهيثم : إحدى الإحد ونحوهُ أبلغُ المدح . وقال صاحب (العباب) ، وتبعه صاحب القاموس : يقال فى الأمر المتفاقم : إحدى الإحد ، أى الأمر المشتدّ ، الصَّعبُ ؛ منْ تفاقم الأمر ، إذا عظم .

و (فى أمثال الميدانى [١]) قال ابن الأعرابىّ : هذا أبلغ المدح ، كما يقال واحدٌ لا نظير له . التَّأنيث للمبالغة بمعنى الداهية . وأنشد هذا البيتَ ، وقال : يضرب لمن لا نهاية لدهائه ، ولا مِثلَ له فى نَكرائه [٢] . ومثلُه لرجل من غطَفان :

إنّكمُ لا تنتهوا عن الحسدْ حتَّى يدلّيكمْ إلى إحدى الإحَدْ

وقوله : « ليثا هزبْرًا » إلخ هذا تفسيرٌ وعطف بيان لإحدى الإحد . واللَّيث : الأسَد ، وكذلك الهزبر . و « ذا سلاح » صفة لقوله ليثا . وكذلك قوله « معتدى » ، إلَّا أنَّه وقف على لغة ربيعة فى تسكين المنصوب . وهو من الاعتداء ، قال فى الصحاح : والعُدوان : الظُّلم الصُّراح ؛ وقد عدَا عليه ، وتعدَّى عليه [٣] واعتدى ، كلُّه بمعنًى [٤] .

وقوله : « يرمى » إلخ هو صفة أُخرى لقوله ليثا . والطَّرْف : نظر العين . والحريق : المُحْرَق . والمُوقَد بفتح القاف . أراد أنَّ عينه فى غضبِهِ حمراءُ كالنارِ الموقدة الملتهبة .

---

(١) أورده فى باب النال فى قولهم : « ذاك أحد الأحدين » .

(٢) إلى هنا ينتهى نص الميدانى . وقد أوجزه البغدادى إيجازا .

(٣) فى النسختين : « عدى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) قلت : الأولى أن يكون من قولهم : أعتد الشىء إعتادا : أعده ، كما فى قوله :

أعتدت للغرماء كلبا ضاريا عندى وفضل هراوة من أرزن

والمرار بن سعيد : شاعرٌ إسلاميّ فى الدولة المْروانية ، وكان لصًّا من لصوص العرب . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (١) . وهو بفتح الميم وتشديد الراء الأُولى .

تتــمة

قد ذكر الشارح المحقّق بعد هذا البيت إحدى وعشرين كلمة من الكلمات التى تختصُّ بالـنفى ، وهــى فى أكثر النسخ محرفة غير منتفَع بــها ، فرأينا من الإحسان ضبطَها وشرحَها ، ابتغاءً لوجه الله عزّ وجل وهى :

الأُولى : عَرِيب ، بفتح العين المهملة وكسر الراء ، قال ابن السِّيد : أى ما بها مُعرب يُبين كلامَه ويُعربه . وقد قالوا : ما بها معرِبٌ ، فى هذا المعنى . وكذا قال صاحب القاموس .

الثانية : ديَّار ، أُصله دَيْوار ، فَيْعال من دار يدور فأُدغِم . قال ابن السِّيد (فى شرح إصلاح المنطق) : ديَّار من الدَّار ، إمّا أن يكون فعّالا من ذلك ، وكان حكمه دوَّار ، لأَن دارًا من الواو ، بدليل قولهم فى تحقيرها : دُوَيرَةٌ . قال يعقوب (فى إصلاح المنطق) : وفى جمعها أُدؤُر قلبت واوه همزةً لانضمامها كأُجْوهٍ (٢) فى وجوه . وإما أَنْ يكون فَيعالًا أَصلها ديوار ، فأُدغم . وقد غلط يعقوب فى ديّار لأَنَّ ذا الرمة استعمله فى الواجب فقال :

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) ط : « كأوجه » ، صوابه فى ش .

إلى كلِّ ديّارٍ تعرَّفن شخصَه من القفر حتَّى تقشعِرَّ ذوائبُه [١]

الثالثة : دارِيٌّ منسوب إلى الدار . والدّارِيُّ أيضًا : ربُّ النَّعم ، سمى بذلك لأنَّه مُقِيمٌ فى داره فنسب إليها . وإذا أرادوا المبالغة فى لزوم الرجل
٢٩٦ الدار قالوا : داريّة ، والهاء للمبالغة . والدَّراىُّ : العطَّار أيضا ، وهو منسوبٌ إلى دارِينَ : فُرضة بالبحرين ، وفيها سوقٌ ، وكان يُحمل المسكُ من الهند إليها . والدَّارىُّ أيضًا : نُوتيُّ السفينة ومَلَّاحُها ، منسوب إلى دارين أيضًا .

وهذه الثلاثة لا تلتزم النفى . وأمَّا تميمٌ الدارىُّ الصَّحابى فمنسوب إلى الدار [٢] ، أحد آبائه .

الرابعة : دُورىّ ، قال يعقوب (فى إصلاح المنطق [٣]) : ما بها دُورىٌّ [٤] غير مهموز . قال ابن السِّيد : هو منسوبٌ ، فكان قياسه دارىٌّ ، لأن دُورًا جمع دار ، وإذا نسب إلى الجمع فالحكم أن يردَّ ذلك الجمعُ إلى الواحد . وأما أبو عُمَر الدُّورىُّ فليس منسوبًا إلى الدُّور التى هى جمع دار ، إنَّما هو منسوبٌ إلى موضعٍ بالعراق يقال له دُور . انتهى . وزاد بعضهم : دؤرىٌّ بهمز الواو ، قال القالى [٥] (فى أماليه) : قال اللّحيانى :

---

(١) ديوان ذى الرمة ٤٨ .

(٢) فى الإصابة : تميم بن أوس بن حارثة – وقيل خارجة – بن سود – وقيل سواد – بن جذيمة بن دراع بن عدى بن الدار . و « دراع » كذا وردت فى الإصابة والاستيعاب . لكن فى تهذيب التهذيب : و « وداع » ويقال « ذراع » .

(٣) الكلام بعده الى « قال » التالية ساقط من ش .

(٤) إصلاح المنطق ٣٩١ .

(٥) ط : « قال قال القالى » .

دؤرى بالهمز غلطٌ عندنا . وزاد صاحب القاموس ما بها دَيُّور ، وهو فيعول . وهذه الخمسة من مادة واحدة .

الخامسة : طُورِيٌّ . قال ابن السِّيد : هو منسوبٌ إلى الطُّور ، وهو الجبل . أى ما بها إنسيٌّ ولا وحشيٌّ . وقال القالى : هو منسوب إلى الطُّورة ، وهى فى بعض اللغات : الطِّيَرة . انتهى . نقل صاحب (العباب) عن ابن دريد أنَّ الطِّوَرة ، بكسر الطاء [1] ، فى بعض اللغات مثل الطيرة ، بكسرها وفتح الياء ، أى التطُّير . وكونه منسوبا إلى هذا بعيد . والصَّواب الأوَّل . ومثله طُورانيٌّ بزيادة الألف والنون . قال صاحب العباب : الطُّوريّ : الوحشى والغريب . قال ذو الرمة :

أعاريبُ طُوريُّون من كلِّ قَرْيَةٍ يَحيدون عنها من حِذارِ المَقَادرِ [2]

وقال أبو عمرو : وقوله « طوريُّون » ، واحدهم طُورىٌّ وطُورانىّ كذلك ، وهما الوحشىُّ من النَّاسِ والطير . يقال حمام طُورىٌّ وطُورانىّ . ويقال ما بها طُورىٌّ وطُورانىٌّ ، أى أحد . قال العجاج :

* وبلدةٍ ليس بها طورىٌّ * انتهى .

وعلى هذا لا يلزم طورىٌّ النفْى .

السادسة : طاوىٌّ بألف وواو ، نقله القالى عن اللحيانى . وقال : ما بها طاوىٌّ غير مهموز . وضبطها صاحب القاموس بضم الطاء وفتح الهمزة وهى عين الفعل ، وكسر الواو وهى لام الفعل ، وياء مشدَّدة . ولم أر من

---

(١) بعده فى ط : « انتهى » وهى كلمة مقحمة رمج عليها فى ش .

(٢) ديوان ذى الرمة ٢٩٧ واللسان (طور) وقال : « يحيدون عن القرى حذار الوباء والتلف » .

ذكر هذه الكلمة فى عداد نظائرها كذا كابن السكِّيت ، فإنَّه عقد لها فصلًا (فى أواخر إصلاح المنطق) . وكالقالى (فى أماليه [١]) فإنَّه ذكر جملةً كثيرة منها . وذكر صاحب القاموس فيها لغتين أُخريين ، ذكرهما القالى ولم يذكر الأُولى : إحداهما طوئىٌّ بتأْخير الهمزة عن الواو مع ضم الطاء وسكون الواو . وعلى هذه اقتصر صاحب الصحاح . والثانية طُؤْوِىٌّ بضم الطاء وسكون الهمزة وكسر الواو . ولم يذكر ابن السكيت غير هذه [٢] . قال ابن السيد (فى شرحه) : وطؤوىٌّ من طاء يطوء ، مثل طاع يطوع ، إذا ذهب فى الأَرض . غير أَنَّه مقلوب ، وكان قياسه طَوئِىٌّ على مثل طَوْعىّ ، وعليه قولهم : طوئىٌّ . انتهى .

فظهر بهذا التحقيق أَنَّ طاويًّا المذكور أَوّلًا فى كلام صاحب القاموس مقلوب أيضًا وأَصله طوئى ، فتكون [٣] الثلاثة من مادة واحدة ، وهى طاء وواو وهمزة . ولو كانت الكلمة معتلَّة كما زعم صاحب القاموس تبعًا لصاحب الصِّحاح كيف يصحُّ [٤] إيراد طوئى بتأْخير الهمزة فيها . وقد ذُكرتْ هذه الكلمة (فى التسهيل) كما فى الشرح ، فقال الدَّمامينى (فى شرحه) : هى ٢٩٧
بطاء مهملة مفتوحة فهمزة ساكنة فواو فياءِ نسب . كذا هو مضبوطٌ فى بعض النسخ . وقد قيل إنَّه من الطَّىّ ، أَى ما بها أَحد يَطوِى . قال ابن هشام : هذا لا يصحُّ لاختلاف المادة ، إلَّا إن قيل إن الهمزة مثلُها فى العَأْلم .

---

(١) إصلاح المنطق ٣٩١ وأمالى القالى ١ : ٢٤٩ – ٢٥١ .

(٢) الذى فى إصلاح المنطق : « طوئى » بتأْخير الهمزة .

(٣) ش : « فيكون » .

(٤) كذا فى النسختين ، مع وجوب نفى جواب « لو » بلم إذا كان مضارعا ، كما فى المغنى ، وتصح بالتأويل .

قلت : لا يصحُّ ؛ لأَنَّ الطيَّ مادته طاء فواو فياء ، بدليل طويت . ووقعتْ فى بعض النسخ لفظةُ طأْوىٍّ مضبوطة بفتح الهمزة . ولا يتأَتَّى أَن يكون من الطَّىِّ أَصلا . وقد يقال إِنَّه من وطىء ، فقلبت فاء الكلمة إلى موضع اللام . انتهى كلام الدماميني .

والتحقيق ما نقلناه عن ابن السِّيد ، وبه تلتئم لغاتها ، ويزول الإشكال . هذا وفى غالب نسخ الشرح : « طاريّ » بالراء . وقد أُثبته ابن الصائغ على هامش التسهيل ، وقال : هو الغريب الذى طرأً على البلاد . وعليه تكون الكلمة مهموزةَ اللام ، أُبدلت ياءً لانكسار ما قبلها وتطرُّفها . لكن يَرِدُ أَنَّ هذه الكلمة غير لازمة للنّفى .

السابعة : أَرِم ، أُوردها ثعلب (فى الفصيح) ، قال شُرَّاحه : بفتح الهمزة وكسر الراء . وأَما الإِرَم بكسر الهمزة وفتح الراء فهو العلَم ، وهو حجارةٌ يجعل بعضُها على بعض فى المفازة والطريق يُهتدى بها . كذا قال شارحه الهَرَوىّ .

الثامنة : أَرِيم ، بزيادة الياء على ما قبلها . وكلاهما وصفٌ ، ويقال أَيضًا آرم على فاعل . قال ابن السِّيد : أَرِم وآرم على فَعِل وفاعل ، معناهما آكل . يقال أَرم يأْرِم أَرمًا من باب ضرب ، إذا أَكل . والأُرَّم : الأَضراس ، جمع آرم ، لأَنها تأْرِم ، أَى تأْكل . ومنه قيل : فلانٌ يحُرُق عليك الأُرَّم ، أَى يصرف بأَنيابه عليك غيظًا ، يعنى يصوِّت . قال الشاعر (١) :

نُبِّئْتُ أَحماءَ سُليمَى أَنَّما ظَلُّوا غضابا يحْرُقون الأُرَّما

(١) الرجز فى نوادر أبى زيد ٨٩ والمخصص ١٣ : ١٢٦ واللسان (أرم) . وكثيرا ما يطلقون اسم الشاعر على الراجز .

ويزاد فى آخر الأوَّل ياء النسبة فيقال أُرَمِيٌّ ، نقله القالى عن ابن الأعرابى ، وصاحبُ العباب . وضبطه صاحبُ القاموس بضبطينِ لم أُجد واحدًا منهما لأحد . قال إِرَمِيٌّ كعنبىّ ويحَرَّك ، ويقال أَيرمىٌّ أيضًا ، نقله القالىُّ عن ابن الأعرابىّ أيضًا ، وصاحبُ العباب عن أبى خَيرة . وهو فى الحقيقة مقلوب أُريمىّ . وزاد صاحب القاموس : كسر أوَّله .

التاسعة : كَتِيع بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية . قال ابن السِّيد : هو من قولك : أجمع أكتع . وأنشد القالىُّ عن ابن الأنبارىّ :

أَجدَّ الحىُّ فاحتملوا سِراعًا فما بالدار إذْ ظعنوا كتيعُ (١)

وزاد صاحب العباب عن ابن عبَّاد « كُتَاع » كغراب . وقد جاء الكتيع بمعنى المفرد من الناس ، فالأولى أن يكون منه .

العاشرة : كَرَّاب بفتح الكاف وتشديد الراء ، وهو فَعَّال من الكِرَاب ، يقال كربت الأرض كِرابًا ، إذا قلبتها للحرث . ولم يذكر هذه الكلمةَ ابنُ السكيت .

الحادية عشرة (٢) : دُعويٌّ ، بضم الدال وسكون العين وكسر الواو وياء النسبة . قال ابن السكيت : هو من دَعوت . ووقع عند شارحه دُوعىٌّ ، وقال : هو من الدُّعاء ، نسب على غير قياس ، وكان قياسه دَعوى أو دعائى . انتهى ، ولم أره لغيره .

---

(١) أمالى القالى ١ : ٢٥١ . ونظيره فى اللسان (كتع) والأصمعيات ١٧٦ ، لعمرو بن معديكرب :

وكم من غائط من دون سلمى قليل الأنس ليس به كتيع

(٢) ش : « الحادى عشر » ، ولا تلتئم مع سبقها بكلمة « العاشرة » .

الثانيةَ عشرةَ (١) : شفْر ، بفتح الشين وضمها مع سكون الفاء فيهما ، حكاهما القالى عن اللِّحيانى . قال ابن السِّيد : ما بها شفْر ، أى ما بها قليل ولا كثير ، من قولك : شَفَّرَ بالتشديد ، إذا قلَّ . وزاد صاحب العباب عن الفرّاء : شَفْرة بالفتح والهاء ، وأنشد عن شمر : ٢٩٨

رأتْ إخوتى بعد الجميع تفرَّقوا فلم يبقَ إلَّا واحدًا منهم شَفْرُ (٢)

وقول الشارح المحقق : « وقد لا يصحب نفيًا » ، أى يقع فى الإيجاب . وأورد له صاحب العباب قولَ ذى الرمة :

تَمرُّ لنا الأيَّامُ ما لَمحت لنا بصيرةُ عينٍ مِن سِوانا إلى شَفْر (٣)

وقال : أى تمرُّ بنا . ويروى : « إلى سَفْر » يريد المسافرين .

الثالثةَ عشرةَ : دُبِّىٌّ ، بضم الدال وكسر الموحَّدة المشددة بعدها ياءُ نِسبة . فى العباب : قال الكسائىّ : هو من دببت ، أى ليس فيها منْ يِدبُّ . وقال ابن السِّيد : هذا على غير القياس ، والقياس دبيبىٌّ ، لأنَّه منسوب إلى الدبيب .

الرابعة عشرة : دِبِّيج بكسر الدال وكسر الموحدة المشدَّدة . قال ابن السِّيد : هو من الدَّبْج ، وهو النَّقْش والتَّزيين . ورواه بعضهم : دِبِّيح بالحاء المهملة ، ولا وجه له إلَّا أن يكون فِعِّيلا من قولهم : دبَّحَ الرجلُ بالتشديد ، إذا طأطأ رأسه . انتهى . وقال صاحب (العباب) : شكَّ أبو عُبيدٍ فى الجيم

---

(١) ش : « الثانية عشر » . وكذا يستمر التعداد على هذا النمط الخاطىء فيها إلى « التاسعة عشر » .

(٢) ط : « رأيت » ، صوابه فى ش واللسان (شفر) . والكلام بعده إلى لفظ « المسافرون » ساقط من ش .

(٣) ديوان ذى الرمة ٢٦٨ . أى ما نظرت منا عين إلى إنسان سوانا ، وذلك لانقطاعهم فى السفر فى الفلاة .

والحاء ، وسأل عنه بالبادية جماعةً من الأعراب : فقالوا : ما بالدار دُبِّيٌّ ، وما زادوا على ذلك . ووُجد بخطٍّ أبى موسى الحامض : ما بالدار دِبِّيجٌ ، موقَّع بالجيم ، عن ثعلب . وقال ابن فارس : الحاء فى هذه الكلمة أقيس من الجيم . قال : وإن كان بالجيم كما قيل فليس من هذا ، ولعلَّه يكون من دُبِّىّ من الدَّبيب ، ثم حوِّلت ياء النِّسبة جيمًا على لغة من يفعل ذلك . انتهى .

وقال القالىّ : أنشد ابنُ الأعرابىّ :

هَل تعرفُ المنزلَ مِنْ ذاتِ الهُوجْ (١) ليس بها من الأَنِيس دِبِّيـــــــــجْ

وهو فِعِّيل من الدَّبْج ، وهو النقش والتزيين ، وأَصله فارسىٌّ مأْخوذ من الدِّيباج .

الخامسة عشرةَ : وابِرٌ ، بالواو وكسر الموحَّدة . قال ابن السِّيد : يجوز أن يكون معناه ذا وَبَرٍ ، أى مالك إبل . ويجوز أن يكون معناه مخيِّم بخِباء من وَبَر . وأَنشد القالىُّ عن ابن الأعرابىّ :

يمينًا أُرى من آل زَبّانَ وابرًا فيُفلِتَ منِّى دون منقطَعِ الحبلِ

والفعل منفىٌّ فى جواب القسم ، أى لا أُرى . وأَنشد (صاحب العباب) أيضًا :

فأُبتُ إلى الحىِّ الذين وراءهم جريضا ولم يفلتْ منَ الجيش وابرُ (٢)

وفى غالب نسخ الشرح : « آبر » بدل وابر ، وهو اسم فاعل من

(١) فى النسختين : « المنزل ذات الموج » ، صوابه من أمالى القالى وسمط اللآلئ ٥٦٥

(٢) اللسان (وبر) .

أُبرت النخلةَ ، إذا أُصلحتها باللَّقْح . ولم أَر من ذكرها فى هذه الكلمات ، مع أَنها لا تلزَم النفى . ووقع فى التسهيل أَيضًا آبر ، قال الدَّمامينىّ : هو تحريف من النُّسَّاخ ، فإنَّ « آبرًا » يستعمل فى الإيجاب ، والصواب : وابر ، بالواو .

السادسة عشرة : آبِز ، قال الشارح : هو بالزاى ، وهو اسم فاعل من أَبَزَ الظبى يأْبِز أَبْزًا وأُبوزًا : وثب أَو تطلَّق فى عدْوه . والآبز أَيضًا : الإنسان الذى يستريح فى عَدْوه ثم يَمضى . ولم أَرها أَيضًا فى هذه الأَلفاظ مع أَنَّها لا تلزَم النفى . وإن قلنا إنها وابز ، أَوّلها واو ، فليست مادة الواو والباء والزاى موجودة . ولا أَشكُّ أَنَّ هذه الكلمة تصحَّفت على الشارح إمّا من آبن بالنون ومدّ الهمزة ، وهى فى التسهيل ونقلها القالىّ عن ابن الأَعرابى . قال الدمامينى : آبن على زنة اسم الفاعل من أبنه ، إذا عابه ، أَى ما فيها من يعيب ، وذلك جنسُ الإنسان ، وإمَّا من وابن ، نقل القالى عن اللّحيانى : ما بها وابنٌ بالواو والموحَّدة . قال صاحب القاموس : وما فى الدار وابنٌ بالموحّدة كصاحب ، أَى أَحد ، مأْخوذ من الوَبْنة وهى الجَوْعة . ٢٩٩

السابعة عشرة : تأْمور : قال ابن السِّيد : حكى أبو زيد : ما بها تأْمور ، أَى أَحد ، بالهمز . ويقال أَيضًا : ما فى الرّكيَّة تامور ، يعنى الماء . وكذا نقل القالى عن أَبى زيد . والتامور ، بلا همز : الدَّم . ويقال دم النَّفْس . قال أَوس بن حجر يحضِّض عمرو بن هند على بنى حنيفة فى قتْل المنذر بن ماء السَّماء :

أُنبئْتُ أَنَّ بنى سُحيمٍ أَدخلوا   أَبياتَهم تامورَ نفسِ المنذرِ (١)

قال الأَصمعى : يعنى مُهجة نفسه . والتامور : الخمر ، والزعفران أَيضًا .

الثامنة عشرة : تُؤمور ، بضم التاء والهمزِ ، نقل القالى عن اللِّحيانى : ما بها تامور ولا تؤمور بالهمز ، أَى أَحد .

التاسعة عشرة : تُومور ، بضم التاء بلا همز .

العشرون : تُومُرِىٌّ ، بضم التاء والميم . قال ابن السِّكِّيت : وما بها تومُرىّ منسوب إلى تامور . وبلادٌ خلاءٌ (٢) : ليس بها تومرىّ . ويقال للمرأَة : ما رأيت تومَريًّا أَحسنَ منها ، للمرأَة الجميلة ، أَى لم أَر خَلْقا . وما رأَيت تومريًّا أَحسن منه . انتهى . قال شارحه ابنُ السِّيد : تُومُرى منسوب إلى التامور ، وهو دم القلب ، نسبة على غير قياس .

وهذه الكلمات الأَربعة من مادة التمر .

الحادية والعشرون : نُمِّىٌّ ، بضم النون وتشديد الميم وتشديد الياء . قال صاحب القاموس : وما بها نُمِّىٌّ كُقمِّىٍّ : أَحد . والنُّمِّىُّ أَيضًا : الخيانة ، والعيب ، والطبيعة ، وجوهر الإِنسان وأَصله . وقال القالى : هو من نممت ، وهو منسوبٌ على خلاف القياس إلى النِّمَّة بالكسر ، وهى القَمْلة . فالنُّمِّىُّ معناه ذو قمل . وهذه الكلمة ليست موجودةً (فى الإِصلاح) ، وهى مذكورة (فى التسهيل) . هذا ماذكره الشارح المحقِّق . وهو فى هذا تابعٌ لابن مالك .

---

(١) ديوان أوس بن حجر ٤٧ واللسان (تمر) .

(٢) ط : « خلا » ، صوابه فى ش .

وبقيت كلماتٌ أُخَر أوردها ابن السكيت ، هى : صافر . قال شارحه : هو اسم فاعل من صَفَر الرجلُ يصفِر صفيرًا ، إذا صوَّت بِنَفسه .

ونافخ ضَرَمَة بفتح الضاد والراء ، قال شارحه : أى نافخ حَطَبة فيها نار .

وصوّات ، وهو فعَّال من الصوت .

ولاعِى قَرْوٍ ، بالعين المهملة وفتح القاف وسكون الراء بعدها واو . قال شارحه : أمَّا لاعى فلاعقٌ حريص ، يقال رجلٌ لعْوٌ ولعًا ، وكلبة لَعْوة كذلك . والقَرْو : مِيلغة الكَلب ، فكأنَّ معناه : ما بها كلبٌ ولا ذئب . وقال صاحب الصحاح : « يقال ما بها لاعِى قروٍ ، أى ما بها مَنْ يلحس عُسًّا ، معناه ما بها أحد » .

ومنها : « ما بها ناخر » قال شارحه : ناخر : اسم فاعل من نخر يَنخِر ، إذا ردَّد نَفَسه فى خيشومه .

ومنها : ما بها نابح ، قال شارحه : يعنى كلبًا . يقال نَبَحَ الكلب يَنبحُ بكسر الباء وفتحها ، فهو نابح ونبَّاح .

ومنها : أنيسٌ . قال شارحه : هو فعيل من أَنِسَ بالشىء . غير أنَّه لا يستعمل إلَّا فى الجَحْد . قال :

* وبلدةٍ ليسَ بها أنيسُ [1] *

---

(١) لجران العود فى ديوانه ٥٢ . وبعده :

* إلا اليعافير وإلا العيس *

والكلام بعده إلى نهاية البيت التالى ساقط من ش .

ويرِدُ عليه قولُه ، كما يأتى قريبًا :

أذئبُ القَفْر أم ذئبٌ أنيسٌ أصابَ البكرَ أم حَدَثُ اللَّيالى [(١)]

فهذه ستَّة أُخرى .

وأورد أيضًا : ما بها داعٍ ولا مجيب .

ولا يخفى أنَّ هذا لا يختصُّ بالنفى .

ولم يزِدْ شارحه على قوله : داعٍ من الدعاء ، ومجيب من الإجابة .

وأورد : ما بها راغٍ ولا ثاغٍ . قال شارحه : قد تستعملان فى غير النفى [(٢)] ؛ لأنَّ الثغاء صوت المعز ، والرُّغاء صوت الإبل . ومعلوم أنَّهما قد يستعملان فى الإيجاب والنفى .

وهذه كلمات أُخرُ (من أمالى القالى) : ما بها دَوِّىٌّ منسوب إلى الدَّوِّيَّة . وقال صاحب الصحاح : ما بها دَوِّىٌّ أى أحد ممن يسكن الدَّوّ وهو أرض من أرض العرب . وربَّما قالوا : داوِيَّة قلبوا الواو الأُولى الساكنة أَلفا لانفتاح ما قبلها . ولا يقاس عليه .

ومنها : ما بها عينٌ . وزاد أبو عبيد عن الفرَّاء : ما بها عائن . وزاد اللحيانى : ما بها عائنة . قال صاحب الصحاح : عائنة بنى فلان : أموالُهم ورُعْيانهم . وما بها عائن ، وكذلك ما بها عينٌ ، أى أحد . وبلدٌ قليل العَيْن ، أى قليل الناس . انتهى .

---

(١) ستأتى نسبته إلى الحطيئة فى ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٢) ش : « قد يستعملان فى الإيجاب والنفى . وما بعده إلى كلمة « النفى » التالية ساقط من ش .

فعلم أنَّ عينا وعائنة لا يلزمان النفى . وكذلك قال ابن السِّيد (فى شرح الإصلاح) : حكى عن الفراء : ما بها عائن وما بها عين . فأمَّا عائن فلا يستعمل فى الإيجاب ، وأمَّا العين فهم أهل الدار ، فقد يستعمل فى الإيجاب . قال الراجز :

* تشرب مافى وَطْبها قبل العَيْنْ *

ومنها : ما بها طارف ، أى من يطرِف بعينه ، أى ينظر بها . فهذه ثلاث كلمات ، فالمجموع تسع كلمات .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الخمسمائة [1]:

٥٤١ (لها ثَنَايا أربعٌ حِسانُ وأربعٌ ، فثغرُها ثَمانُ)

على أنَّه قد تحذف الياء من ثمانى ويجعل الإعراب على النون .

واستشهد به صاحبُ الكشَّاف لقراءةِ من قرأ : ﴿ وله الجَوَارُ المُنشَآت [2] ﴾ ، بحذف الياء من الجَوار ورفع الراء كما فى ثمان .

وأنكر الحريرى (فى دُرّةِ الغوّاص) حذفَ هذه الياء .

وقال ابن برّيٍّ فيما كتب عليه : الكوفيُّون يجيزون حذف هذه الياء فى الشعر . وأنشد عليه ثعلبٌ قوله :

لها ثنايا أربعٌ حِسانُ وأربعٌ فثغرها ثمانُ . اهـ

والصحيح أنَّه غير مختص بالشِّعر بدليل الحديث الذى أورده

(١) التصريح ٢ : ٢٧٤ والأشمونى ٤ : ٧٢ واللسان (ثمن ٢٣١) .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرحمن .

الشارح المحقق ، وهو (فى صحيح مسلم ، فى باب الكسوف) ، عن ابن عباس أنَّه قال [١] : « صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ حينَ كسفت الشَّمسُ ثَمانَ ركعاتٍ فى أربع سجدات » ، قال شارحه النووّى : قوله ثمانَ ركعاتٍ فى أربع سجدات ، أى ركع ثمانَ مرات ، كلّ أربع فى ركعة ، وسجد سجدتين فى كل ركعة . وقد صرّح بهذا فى الكتاب فى الرواية الثانية .

ولا أعرف صاحب هذا الرجز . وأنشد المعرّىُّ (فى شرح ديوان البحترى [٢]) قبل هذين البيتين :

* إنَّ كُرَيًّا أَمَةٌ مِيسانُ *

وكُرَيًّا ، بضم الكاف وفتح الراء وتشديد المثناة التحتية : اسم أَمَة . والأَمَة : خلافُ الحرّة . ومِيسان ، بكسر الميم : فِيعال من المَيْس ، وهو مصدر ماس يميس ميسًا ومَيَسَانا أيضا ، وهو التبختر . أراد أنَّها تتبختر فى مشيها .

وقوله : (لها ثنايا) إلخ هى جمع ثَنيّة ، وهى أربعٌ من مقدَّم الأسنان ثِنتان من فوق وثنتان من تحت . وحذفُ التاء من أربع لأنَّ المعدود وهى الثنيَّة مؤنَّث . وأراد بالأربع الثانى الرَّباعيَاتِ ، بفتح الراء ، وتخفيف الياء ، جمع رباعيَة على وزن ثمانية . والرَّباعيَات : أربع أسنان ، ثنتان من يمين الثنية ، واحدة من فَوق وواحدة من تحت وثنتان من شِمالها ، كذلك . و (الثَّغر) : ٣٠١
المبسِم ، على وزن مجلس ، وهو موضع البَسْم . يقال بسم بَسْمًا من باب ضرب ، إذا ضحك قليلًا . وابتسم وتبسَّم كذلك . والإنسان إذا تبسَّم فإنَّما يُرى من أسنانه الثنايا والرباعيَات ، وهى ثمانية .

---

(١) كلمة « قال » ليست فى ش .

(٢) هو المسمى « عبث الوليد » . وقد طبع بمطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦ بعناية محمد عبد الله المدنى .

واعلم أنَّ أسنان الإنسان أربع وثلاثون سِنًّا (١) : أربعُ ثنايا : وأربعُ رَبَاعيَات ، وأربعة أنياب ، وأربعة نواجذ ، وستَّة عشر ضِرسا . وبعضهم يقول : أربع ثنايا ، وأربعُ رباعيَات ، وأربعة أنياب ، وأربعة نواجذ ، وأربع ضواحك ، واثنتا عشرة رحًى .

* * *

وأنشد بِعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٤٢ (ثلاثةُ أنفُسٍ وثلاثُ ذودٍ لقد جارَ الزمانُ على عيالى)

على أنه يجوز إضافة العدد إلى اسم الجمع ، وهو هنا الذَّود .

وأنشدَه سيبويه شاهدًا على تأنيث ثلاثة أنفس ، وكان القياس ثلاث أنفس ، لأنَّ النفس مؤنَّثة ؛ لكن أنَّث لكثرة إطلاق النفس على الشخص . ويأتِى نصُّه بعد أربعة شواهد .

ذكر الأصبهانى (فى الأغانى) بسنده ، أنَّ الحطيئة خرج فى سَفَرٍ له حين عمَّ الغلاء (٣) ، ومعه امرأته أُمامة ، وبنتُه مُليكة ، فنزل منزلًا وسرَّح ذودًا ثلاثا ، فلما قام للرَّواح فقد أحدَها فقال :

(١) كذا . والصواب أنها اثنتان وثلاثون ، كما فى المخصص ١ : ١٤٦ وكما يقتضيه العد والتفصيل التالى . وقد تنبه لذلك مصحح طبعة بولاق . وفى اللسان (ربع ٤٦٥) « قال الأصمعى : للإنسان من فوق ثنيتان ، ورباعيتان بعدهما ، ونابان ، وضاحكان ، وستة أرحاء من كل جانب ، وناجذان . وكذلك من أسفل » . ومجموع ذلك اثنتان وثلاثون سنا .

(٢) فاته أن يذكر هنا أنه من شواهد سيبويه . وانظر سيبويه ٢ : ١٧٥ ومجالس ثعلب ٣٠٤ والخصائص ٢ : ٢١٤ والإنصاف ٧٧١ والعينى ٤ : ٤٨٥ والتصريح ٢ : ٢٧٠ والهمع ١ : ٢/٢٥٣ : ١٤٩ ، ١٧٠ والأشمونى ٤ : ٦٣ وديوان الحطيئة ١٢٠ .

(٣) حين عم الغلاء ، ليست فى الأغانى ٢ : ٤٧ .

أذئبُ القفر أم ذئبٌ أنيسٌ أصابَ البَكر أم حَدَثُ اللَّيالى
ونحنُ ثلاثَةٌ وثلاثُ ذَودٍ لقد جارَ الزّمانُ على عيالى

سَرَّح الدابَّة : أطلقها لترعى .

و (الذَّود) من الإبل ، قال ابن الأنباريّ : سمعت أبا العباس يقول : ما بين الثلاثِ إلى العشر ذَوْد .

وقال الفارابى : وهى هنا ثلاثة ، وهى مؤنثة .

وقال (فى البارع) : الذَّود لا تكون إلّا إناثًا .

ويرِدُ عليه قوله أصاب البَكْر ، بفتح الباء ، وهو الفتىُّ من الإبل .

والرَّواح : المسير . والقفر : الخلاءُ والمفازة . وأراد بالذِّئبِ الأنيسِ السارق . وحَدَث الليالى بفتحتين : ما يحدُث فيها من المصائب ، والمراد مطلق الحدَث لا بِقَيْدِ كونِه بالليل . وأصاب : أدرك ، وفاعله ضمير الذئب ، والبَكر مفعوله ، أراد : ما أدرى كيف تلفَ البكرُ ، أصابه أحدُ الذئبين ، أم حدثُ الليالى .

وقوله : (ثلاثة أنفسٍ) خبر مبتدإٍ محذوف ، أى نحن ثلاثة . و (العيال) بكسر العين : أهل البيت ، ومن يمونه الإنسان ، الواحد عيِّل كجياد جمع جيِّد .

وترجمة الحُطيئة تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة [1] .

ورأيت (فى أمالى الزجاجى الوسطى [2]) قال : أخبرنا الأشناندانىُّ

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ - ٤١٣ .

(٢) لم ترد فى صلب أمالى الزجاجى . وقد أثبتها فى ملحقات الأمالى ٢٣٣ .

عن العُتْبىّ عن رجلٍ من قريش قال : حضرت مجلِسَ عبد الملك وعنده بطنٌ من بني عامر بن صعصعة ، وكان رجُلٌ بينهم معه ابنتاه وذَوْدُه ، وهنَّ ثلاثٌ ، فراح ذودُه يوما ، ففقدَ منها واحدًا ، فنشده – أى سأل عنه وطلبه – فلم يُنشَد ، فأوفى على صخرة وأنشأ يقول :

(أذئبُ القفر أم ذئبٌ أنيسٌ   سَطا بالبَكْر أمْ صرفُ اللَّيالى
وأنتم ، لو أراد الدهرُ عَدْوًا   عديدُ التُّرب من أهلٍ ومال
ونحنُ ثلاثةٌ وثلاثُ ذَود   لقد جارَ الزَّمانُ على عيالى (١)
ولو مَوْلَى ضِبابٍ عالَ فيهم   لجُرَّ الدَّهرُ عن حالٍ لحالِ (٢) ٣٠٢
ومولاهم أبى لا عيبَ فيه   وفى مولاكمُ بعضُ المقالِ
هلُـمَّ براءةً والحىُّ ضاح   وإلَّا فالوقوفُ على إلالِ
دعا داعى القلوص على ثَبيرٍ   ألا أينَ القلوصُ بنى قِتالِ

فطلبوا له ذودهُ فردُّوها عليه ، وغرِموا له وقالوا : اخرجْ عنَّا . انتهى .

وسطا بكذا وعليه : بطشَ بشدّة . والصَّرف ، بالفتح : حادث الدهر . وأنتم مبتدأٌ ، وعديد خبرُه ، والجملة دليلٌ لجواب لو . والعَدْو : مصدر عدا عليه ، أى ظلمه وتجاوز الحدّ . وعال الزمان ، بالعين المهملة ، أى جار ، مصدره العَوْل .

والمولى هنا : حليف القوم . وضِباب بالكسر : قبيلة . وعال هنا بمعنى افتقر وصار ذا عَيْلة . وجُرَّ بالبناء للمفعول ، والدهر نائب الفاعل . يوبْخهم بأنَّه مولًى لهم ولم يأخذوا بيده .

---

(١) ش : « لقد عال الزمان » .

(٢) هكذا ضبط البغدادى الدهر بالشرح بعده : ولو نصب « الدهر » على الظرفية لكان أولى .

وهَلُمَّ هنا بمعنى احضُروا . وبراءةً : مفعول له . وضاح : بارز . وإلال بكسر الهمزة ولامين : جبل بعرفات . يعنى إنْ لم تحضُروا للبراءة فى حال حال كون الحىِّ ضاحيًا فنحن نقف معكم على إلال .

وداعى فاعل دعا . والقَلوص : الناقة الشابة . وثَبير : جبَل بَيْنَ مكة ومِنَى . وقتال ، بالكسر : اسم رجل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من أبيات المفصَّل (١) :

٥٤٣ (ثلاثُ مئينٍ للمُلوكِ وفَى بها ... رِدائى وجَلَّتْ عن وُجوهِ الأهاتِمِ)

على أنَّه جاء ثلاث مئِين فى ضرورة الشِّعر .

وقال صاحب المفصل : وقد رجع إلى القياس من قال :

ثلاث مئين .... البيت

قال ابن يعيش : هذا فى الشعر على القياس ، لأنَّ الشِّعر يفسَح لهم فى مراجعة الأُصول المرفوضة . فهذا ، وإن كان القياسَ ، إلَّا أنَّه شاذٌّ فى الاستعمال . وكذا قال ابن مالك : إذا كان مفسِّر الثلاثة وأخواتها مائة فيفرد ، نحو ثلثمائة . وكان القياس أن يجمع فيقال ثلاث مئات أو مئين . إلَّا أنَّ العرب

(١) ابن يعيش ٦ : ٢١ . وانظر المقتضب ٢ : ١٧٠ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٤ ، ٦٤ والعينى ٤ : ٤٨٠ والتصريح ٢ : ٢٧٢ والأشمونى ٤ : ٦٥ والنقائض ٣٧١ وديوان الفرزدق ٨٥٣ .

لا تجمع المائة إذا أُضيف إليها عددٌ إلّا قليلا ، كقوله :

ثلاث مئين للملوك ... البيت

وكلُّهم من سيبويه (١) قال : يقال ثلثمائة ، وكان حقُّه أن يقولوا مئين أو مئات ، كما تقول ثلاثة آلاف ، لأنَّ ما بين الثلاثة إلى العشرة يكون جماعة نحو : ثلاثة رجال ، وعشرة رجال ، ولكنَّهم شبهوه بأحدَ عشر وثلاثة عشر . انتهى .

والنون من مئين منوَّنة . قال شارح اللباب ، قالوا : قُتِل فى معركة ثلاثةٌ من ملوك العرب ، وكانت دياتُهم ثلثمِائة بعير ، فرهَن رداءَه بالدّيات الثلاث ، وهو دليلُ شرَفه . (والأهاتم) بنقطتين من فوق : بنو الأهتم بن سنان بن سُمَىّ . وإنَّما سمِّى بذلك لأنَّه كسرت ثنيَّته يوم الكُلاب . والهتم : كسر الثنايا من أُصلها . انتهى .

وقال بعض فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : قوله ثلاث مئين ، قيل غرم ثلاثَ ديات فرهَن بها رداءَه . وكانت الدية مائة إبل ، والمعنى ثلثمائة إبل . وفَى بها ردائى حين رهنتُه بها ، وجلَّت تلك المئونَ المرهونُ بها ردائى حين أدَّيتها ، وجَلَّت فَعْلتى هذه العارَ عن وجوه الأهاتم ، وهم قوم الأهتم ، وهو لقب سنان بن سُمَىّ ، لأنَّه هتمت ثنيَّته يوم الكُلاب . وفى البيت وصفٌ لعظم شأنه ، لأنَّه لا يُقدم على تحمل الديات والغراماتِ إلاَّ السيِّد العظيمُ الشأن . ووصفٌ لنفاسه بُرده وغَلاء ثمنه ، حيث رهنه بثلثمائةٍ من ٣٠٣
الإبل . وفيه تأكيدٌ لعظَم شأنه (٢) . انتهى .

(١) انظر سيبويه ١ : ١٠٦ - ١٠٧ بولاق و ١ : ٢٠٩ من نسختى .

(٢) ش : « بعظم شأنه » .

وقوله : « ووصفٌ لنفاسة بردهِ » إلخ ليس رهنُ البردة لأَنَّها تقاوم ثمن الإبل المذكورة ، بل لأَنَّ الشَّريف إذا رهن شيئًا ولو كان حقيرًا فلا بدَّ له من فِكاكه لئَّلا يلزمه العار ، ولو مات فكَّه بنوه أَو أَقاربه . ومصداق ذلك ما قَدَّمناه فى ترجمة أَبى تمام من حكاية كِسْرى مع حاجب بن زُرارة ، فى الشاهد الرابع والخمسين (١) .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق مذكورةٍ (فى المناقضات) وليست رواية البيت كذا ، وإنَّما هى :

فِدًى لسيوفٍ مِن تميم وفى بِها ردائى وجلَّت عن وجوه الأَهاتم (٢)

قال شارح المناقضات : يعنى بالأَهاتم الأَهتمَ بن سِنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سَعد بن زيد مناة بن تميم .

فعُرِفَ أَنَّ الأَهتم ليس لقبًا لسنان بن خالد ، ولا سنان هو ابن سَمّى كما تقدَّم . ومشى عليه العينى .

وناقضه جرير بقصيدة مثلها منها :

فغيْرك أدنَى للخليفة عَهْدَهُ وغيرك جلَّى عن وجوه الأَهاتمِ

قال شارحها : قوله فغيرك أَدنَى إلخ ، يعنى وَكيعَ بن حسّان بن قيْس ، قتل قتيبة بنَ مسلم فتكًا ، وبعث برأسِه إلى سليمانَ بن عبد الملك بن مروان وطاعتِه (٣) ، لأَنَّ قتيبة كان خلع سليمان .

وقصّة رداء الفرزدق رواها أَبو عبيدة ، قال : كان الفرزدق بالمدينة حين جاءت وقعة وكيع ، وحجَّ سليمانُ بن عبد الملك فبلغه بمكة وَقْعة وكيع

(١) الخزانة ١ : ٣٥٤ – ٣٥٦ .

(٢) رسمت « فدى » فى ط بالألف فى هذا الموضع وتاليه .

(٣) فى النقائض ٤٠٠ : « وبعث بطاعته مع الرأس » .

بقتيبة ، فخطب النَّاسَ بمسجد عرفات : فذكر غدرَ بنى تميم ووثوبَهم على سلطانهم ، وإسراعَهم إلى الفتن ، وأنَّهم أصحاب فتن وأهلُ غدر وقلَّة شكر ، فقام إليه الفرزدق فقال وفتح رداءَهُ : يا أمير المؤمنين ، هذا ردائى رهنٌ لك بوفاءِ بنى تميم ، والذى بلغك كذب ! فقال الفرزدق فى ذلك حيثُ جاءت بيعة وكيع لسليمان :

أبيات الشاهد

(فدًى لسيوفٍ من تميم وَفى بها ... ردِائى وجَلَّتْ عن وجوه الأهاتِمِ
شَفَيْن حزازات الصُّدور ولم تَدَعْ ... علينا مقالًا فى وفاءٍ للائِم
أبأْنا بِهم قتلَى وما فِى دمائهم ... وفاءٌ وهنَّ الشافيات الحوائِم
جَزَى الله قومى إذْ أَرادَ خَفَارتى ... قُتيبة سَعْىَ الأَفضلِينَ الأَكارِمِ [1]
هُمُ سَمِعُوا يومَ المحصَّب من مِنًى ... ندائى إذا التفَّتْ رفاقُ المواسِمِ [2])

والحوائم : العطاش التى تحوم حولَ الماء . وخفض الحوائم على معنى الحسن الوجه . انتهى .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب [3] .

وقال العينى : الرداء فى البيت الشاهد بمعنى السَّيف . وأَنشدَ عليه بيتًا [4] ثم قال : ثلاث مئين مبتدأ ، وجملة وفى بها خبره . وجَلَّت بالتشديد ،

---

(١) الخفارة : الذمة ، وانتهاكها . والمراد هنا انتهاكها .

(٢) وفيها يقول أيضا (الديوان ٨٥٤) :

فإن فك قيس فى قتيبة أغضبت ... فلا عطست إلا بأجدع راغم
وما كان إلا باهليا مجدعا ... طغى فسقيناه بكأس ابن خازم

ويقول لجرير أيضا :

أتغضب أن أذنا قتيبة حزتا ... جهارا ولم تغضب ليوم ابن خازم

(٣) الخزانة ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٤) هو قول الشاعر :

ينازعنى ردائى عبد عمرو ... رويدًا يا أخا سعد بن بكر

بمعنى جَلَت بالتخفيف ، من جلّ القوم عن البلد يَجُلُّون بالضم ، إذا جَلَوْا وخرجوا . والمعنى : كشفَتْ ردائى حين وفت بديات الملوك الثلاثة ، هَمَّ
٣٠٤ ذلك ، وتَمادِىَ الحروب عَن أعيان الأهاتم وكبرائهم . فافهم .

هذا كلامه ، وهو كلام من لم يصل إلى العُنقود .

ورأيت مثل البيت الشاهد فى شعر قُراد بن حَنَش الصارديّ ، وهو :

ونحن رَهنَّا القوسَ ثُمّت فُودِيَتْ   بألِف على ظهر الفزارىّ أقرعا
بعشرِ مئينٍ للملوك سَعَى بها   ليوفىَ سيَّارُ بن عمرٍو فأسرعا

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد [1]) : إنَّ سيار بن عمرو بن جابرٍ الفَزارى احتمل للأسود بن المنذر ديةَ ابنه الذى قتله الحارث بن ظالم ، ألفَ بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنَهُ بها قوسَه ، فوفى . وكان هذا قبل قوس حاجب ابن زرارة .

وقال أبو عبيدة (فى مقاتل الفُرْسان) : إنَّ أخا سيار لأُمِّه الحارث بن سفيان الصَّارِدىَّ تكفَّلها للأسود [2] ، فقام منها بثمانمائة ثم مات ، فرهن سيَّار قوسه على المائتين الباقيتين لا غير ، فلمَّا مدح قُراد بن حَنش بنى فزارة جعل الحمالة كلَّها لسِيَّار . انتهى .

وألف أقرع ، بالقاف ، أى تامّ .

---

(١) لم أجد هذا النص فى العقد بتتبُّع فهارسه ، فليس فى أعلامه سيار بن عمرو ، ولا الأسود ابن المنذر .

(٢) ش : « كفلها للأسود » .

وقراد بن حنش : شاعرٌ جاهلى من بنى صاردة ، بتقديم الراء على الدال ، وهم فخذ من فزارة . قراد بن حنش

* * *

[وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الخمسمائة (١) :

٥٤٤ (وحاتمُ الطائىُّ وهَّابُ المِئِى)

على أنَّ أصله عند الأخفش : المئين ، فحذفت النون لضرورة الشعر .

وهذا البيت من رجز أورده أبو زيد (فى نوادره) فى موضعين : الموضع الأول قال فيه : هو لامرأة من بنى عامر . والموضع الثانى قال فيه : هو لامرأة من بنى عُقيل ، تفخر بأخوالها من اليمن ، وهو :

(حَيدة خالِى ولَقيطٌ وعَلِي وحاتمُ الطائىُّ وهابُ المِئِى

ولم يكن كخالِكَ العبدِ الدَّعى يأْكل أزمانَ الهُزال والسِّنِى

هَنَاتِ عَيْرٍ مَيِّتٍ غير ذَكِى)

قولها : هَنات عَيرٍ ، تعنى ذكَر العير ، فكنتْ عنه لأنَّها امرأة . انتهى

وقال فى الموضع الأوّل : حذف التنوين من حاتم الطائى لالتقاء الساكنين . وقال أبو عليّ فيما كتبه عليه : خفِّفت ياءاتُ النسب كلها للقافية . فأمّا المِئىُّ والسنِىُّ فإنَّها جمعٌ على فعول ، ثم قلبت الواوات ياءات فصار مئىّ وسنىٌّ ، ثم خفِّف بأَنْ حذف إحدى الياءين كما فعل فى على والدعى ، فبقى المئى والسِّنِى . انتهى .

---

(١) نوادر أبى زيد ٩١ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٨٣ والإنصاف ٣٨٨ وشرح شواهد الشافية ١٦٣ والعينى : ٥٦٥ عرضا واللسان (مأى ١٣٧) .

(٢) هذا الموضع الأول لم أعثر عليه فى النوادر .

وقال أبو بكر بن السراج (فى الأُصول) : ذكر الأَخفش سنين ومئين فقال : فيهما قولان . ثم اختار أَحدهما وهو الصحيح عندنا ، فقال : وأَمّا سِنين ومِئين فى قول من رفع النون فهو فَعِيل ، ولكن كسر الفاء ككسرة ما بعدها ، وأَجمعوا كلهم على كسرها ، فصارت النون فى آخر سنين بدلًا من الواو ، لأَنَّ أَصلها من الواو . وفى مئين النون بدل من الياء ، لأَنَّ أَصلها من الياء ، كأَنَّها كانت مئى ؛ وقد قالوها فى بعض الشعر ساكنةً ، ولا أُراهم أَرادوا إِلَّا التثقيل ثم اضطرُّوا فخفَّفوا ، لأَنَّهم لو أَرادوا التخفيف لصار الاسمُ على فِعِل ، وهذا بناءٌ قليل . قال الشاعر :

حَيدةُ خالى ولقيطٌ وعلى وحاتم الطائىُّ وهَّاب المِئى

٣٠٥ وأَما قولهم : ثلاث مئى ، فإِنهم أَرادوا بمئى جماعة المائة ، كتمرة وتمر ، تقول فيه : رأَيت مئيًا مثل مِعْيًا . وقولهم : رأَيت مِئًا مثل مِعًا خطأٌ ، لأَنَّ المئى إِنَّما جاءت فى الشعر . فنقول : ليس لك أَن تدَّعى أَنَّ هذه الياء للإِطلاق ، وأَنت لا تجد ما هو على حرفين يكون جماعةً ويكون واحدُه بالهاء نحو تمرة وتمر . قال أَبو الحسَن : وهو مذهب يونس ، يعنى بالياء . قال : والقياس الجيِّدُ عندنا أَن يكون سنين فِعْلينا مثل غسلين محذوفة ، ويكون قول الشاعر سِنى والمئى مزنَّحما . فإِنْ قلت : إِن فعلينا لم يجىءْ فى الجمع ، وقد جاء فَعِيل نحو كليب وعبيد ، وقد جاء فيه ما لزمه فِعِيل مكسور الفاء نحو مئين ، فإِنَّ من الجمع أَشياءَ لم يجىء مثلُها إِلَّا بغير اطّراد نحو سَفْر ، وقد جاء منه ما ليس له نظير

نحو عِدًى . وأنت إذا جعلت سنينًا [1] فعيلا جعلت النون بدلا ، والبدل لا يقاس عليه ولا يطَّرد ، ومخالفة الجمع للواحد قد كثر ، فأن تحملَه على ما لا بدل فيه أولى . وليس يجوز أن تقول إنَّ الياء فى سنين أصليّة وقد وجدتَّها زائدة فى هذا البناء بعينه لمَّا قلت فِعلين وفِعلون ، يعنى أنَّك تقول سنين يا هذا أو سنون .

ثم قال : قوله :

وحاتِم الطائىُّ وهابُ المِئى   يأْكل أَزمانَ الهُزال والسِّني

فهذا إمَّا أن يكون رخَّم سنين ومئين ، وإمَّا أن يكون بنى سنة ومائة على سنى ومئى ، وكان أصلهما سِنُو ومِئُو ، فلمَّا حذف النون ورخَّم بقىَ الاسم آخره واوٌ قبلها ضمة ، فلمَّا أراد أن يجعله اسماً كالأسماء التى لم يحذف منها شىء قلب الواو ياءً وكسر ما قبلها ، لأنَّه ليس فى الأسماء ما آخره واوٌ قبلها ضمة . فمتى وقع من هذا شىءٌ قلبت الواوُ ياء . ا هـ .

وقولها : (حيدة خالى) مبتدأٌ وَخبر . وحَيدة بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية . ولَقِيط بفتح اللام معطوف على حيدة . وكذا علىٌّ وحاتم ، فيكون أخوالها أربعة . وروى هذين البيتين فقط الأخفش سعيد بن مَسْعدة (فى كتاب المعاياة) لرجل من طيِّىء ، وذكر خالدًا بدل حاتم .

وقولها : « ولم يكن كخالكَ » إلخ الكاف مفتوحة لأنَّها خاطبت رجلاً . والدَّعىُّ : غير خالص النسب .

وقولها : « يأْكل أزمان » إلخ هذا بيانٌ لعدم المشابهة بين خالها

(١) ط : « جعلت شيئا » ، صوابه فى ش .

وبينه . وأَزمانَ : ظرفٌ ليأْكل ، وهو جمع زمان . والهُزَال بالضم : الضَّعف من الجوع . والسِّنى : مرخَّم سنين جمع سنة ، بمعنى الجدب والقحط .

وهناتِ مفعول يأْكل ، منصوب بالكسرة ، جمع هَنَة مؤنث هَنٍ ، وهو كناية عما يُستقبَحُ التصريحُ باسمه ، وهو هنا أَير الحمار . والعير ، بفتح العين المهملة : الحمار الوحشىّ والأَهلىّ أَيضًا ، والأُنثى عيرة . وميِّت : وصف عير ، وكذلك غير ذكى . والذكىُّ : المذبوح ، خففت الياء للضرورة .

وقال أَبو الحسن علىٌّ الأَخفش (فيما كتبه على نوادر أَبى زيد) : قال أَبو سعيد (١) : وروَى الرياشىُّ مرّةً أُخرى بدل البيت الأَخير :

* هَناتِ عَير مِيتة غير ذكِى (٢) *

قال أَبو الحسن : الأَوّل أَحبُّ إِلىّ ، وهو أَجود . والمَيْتة بفتح الميم يكون نعتًا للشىء ، فإِذا كسرت كانت الشىءَ بعينه . قال أَبو الحسن : المِيتة تكون مصدرًا كقولك القِعدة والرِّكبة وما أَشبهها ، وتكون نعتًا كقولك : مررت بفرس مِيتة فتنعته بالمصدر ، كما تقول : مررت برجل عدل ، ثم يصير
٣٠٦ اسماً غالبا كأَجدل وما أَشبهه ، فتقول : هذا مِيتة كما تقول : هذا أَجدلٌ . والميتة بكسر الميم : الحال التى يكون عليها الشىء ، كقولك : كريم الميتة وحسن الصِّرعة . والكسر مطَّرد فى الحالات كلها ، كما أَنَّ الفتح مطَّرد فى المرَّة . هذا الحق عندى الذى لا يجوز غيره . انتهى .

---

(١) أبو سعيد الحسن بن الحسين البصرى ، المعروف بالسكرى .

(٢) فى النوادر : « هنات عين » ، وما هنا صوابه .

تتمـــة

زعم العينى أن البيت الشاهد من هذا الرجز ، وهو :

إنّى لدى الحربِ رخىُّ اللببِ عِنْدَ تناديهم بهالٍ وهَبِ (١)
أُمّهتى خِندفُ والياسُ أبى وحاتمُ الطائىُّ وهابُ المئى

وهذا لا أصل له ، فإنَّ الرجز عنده لقصىّ بن كلاب ، أحد أجداد النبى ﷺ . وكيف يكون حاتم الطائى أبًا لقصىٍّ مع أنَّه بعده بمدة طويلة . وقافية الرجز أيضًا تأْباه ، وليس فى هذا اشتباه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٥٤٥ (إذا عاش الفَتَى مائتينِ عامًا فقد ذهبَ اللَّذاذةُ والفَتاءُ)

على أنَّه قد يفرد مميِّز المائة ويُنصَب ، كما فى البيت .

وأوردهُ سيبويه فى موضعين : الأوّل (فى باب الصفة المشبَّهة بالفاعل) وذكرِ أسماء العدد وعملها فى الأسماء التى تبيِّنها بالجر والنصب . حتى انتهى إلى قوله : « فإذا بلغت العقد تركت التنوين والنون وأضفت ، وجعلت الذى يعمل فيه وتبيِّن به العدد من أىِّ صنف هو ، واحدًا ، كما فعلت ذلك فيما

---

(١) ط : « أن لدى الحرب » ، صوابه فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ١٠٦ ، ٢٩٣ . وانظر المقتضب ٢ : ١٦٩ ومجالس ثعلب ٣٣٢ والمعمرين ٧ وأمالى المرتضى ١ : ٢٥٤ والجمل ٢٤٦ وابن يعيش ٦ : ٢١ والمقرب ٦٦ والاقتضاب ٣٦٩ والعينى ٤ : ٤٨١ والهمع ١ : ٢٥٣ والتصريح ٢ : ٢٧٣ والأشمونى ٤ : ٦٧ واللسان (فتا ٣) .

نوَّنت . إلَّا أنَّك تدخل فيه الألف واللام ، لأنَّ الأوَّل يكون به معرفة ولا يكون المنوَّن به معرفة . وذلك قولك : مائة درهم ومائة الدرهم . وكذلك إن ضاعفته ، فقلت : مائتا الدرهم ومائتا الدينار ، وكذلك الذى بعده ، واحدًا كان أو مثنًى . وذلك قولك : ألف درهم وألفا درهم . وقد جاء فى الشِّعر بعض هذا منوَّنا . قال الرَّبيع بن ضَبُع الفَزارى :

* إذا عاشَ الفتى مائتين عامًا * » انتهى .

والموضع الثانى (باب كم) قال فيه : « لأنَّه لو جاز إذا اضُطُّر شاعر [1] فقال : ثلاثة أثوابا ، كان معناه معنى ثلاثة أثواب ، قال الشاعر :

* إذا عاش الفتى مائتين عاما * » انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه إثبات النون فى مائتين فى ضرورة ، ونصب ما بعدها ، وكان الوجه حذفَها وخفضَ ما بعدها ، إلَّا أنَّها شبِّهت للضَّرورة بالعشرين ونحوِها مما يثبت نونه وينصب ما بعده .

وصف فى البيت هَرَمه وذَهابَ مروءته ولذَّتِه ، وكان قد عُمِّر نيِّفًا على المائتين فيما يروى . وروى : « أودى » بدل ذهب ، بمعنى انقطع وهلك . والفتاء : مصدرٌ لفَتى [2] . وروى : « تسعين عاما » ، ولا ضرورة فيه على هذا . انتهى .

---

(١) فى سيبويه ١ : ٢٩٣ : « لأنه لو جاز فى الكلام أو اضطر شاعر » .

(٢) ش : « مصدر الفتى » .

ورواية « تسعين » لا أصل لها كما يعلم مما يأتى . ورُوى : « التخيّل » بدل « اللذاذَة » . والتخيُّل : التكبُّر وعُجْب المرء بنفسه . وروى بدله : « المسرّة » و « المروءة » أيضًا . والفَتَى : الشابُّ ، وقد فَتِيَ بالكسر يَفْتَى بالفتح فَتًى ، فهو فتىٌّ السنّ بيِّن الفتاء . قال الجواليقى : والفتاء مصدرٌ لفَتِيَ (١) .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ ستَّة للرَّبيع بن ضَبُع الفزارى ، وهى :

(ألا أبلغ بنَىّ بَنِى ربيع ... فأنذالُ البنينَ لكمْ فداءُ (٢)
بأنِّى قد كبرت ودَقَّ عظمى ... فلا تَشْغَلْكمُ عنِّى النساءُ
فإنَّ كنائنى لَنساءُ صِدق ... وما ألَّى بنِيَّ وما أساءُوا ٣٠٧
إذَا كان الشتاءُ فأدفئونى ... فإنَّ الشيخ يَهدمُه الشتاءُ
فأمَّا حين يذهبُ كلُّ قُرٍّ ... فسربالٌ خفيف أو رداءُ
إذا عاش الفتى مائتين عاما ... .) البيت

قوله : « فأنذال البنين (٣) لكم فداء » جملة دعائية معترضة . وروَى الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : « فأشرار البنين » ، قال : وصفهم بالبِرّ . وقوله : « بأنِّى قد كبرت » الباء متعلقة بقوله أبلغِ فى البيت المتقدم . وكبِر من باب تعب . ودقَّ ، أى صار دقيقا . ودقَّ يدِقُّ من باب ضرب دِقَّة : خلاف غلُظ ، فهو دقيق . وروى : « ورقَّ جلدى » ، أى صار رقيقا بالرّاء ، من الرقَّة . ولا ناهية . وشغل من باب نفع . وعَنِّى أى عن تفقُّد

---

(١) ش : « مصدر لفتى أيضا » .
(٢) ش : « فانزال » ، صوابه فى ط .
(٣) ش : « فانزال » ، صوابه فى ط .

أُمورى وإصلاحها . والكنائن : جمع كَنَّة بالفتح والتشديد ، وهى امرأة الابن والأخ . يريد أَنَّهنَّ نعم النساء . وأَلَّى بتشديد اللام ، أى ما أبطئوا وما قصَّروا . وهو من الْأَوْت . يقول : ما أَبطأَ بَنىَّ عن فعل المكارم وما يجبُ عليهم من القيام بأمرى . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : معنى أَلَّى قصَّر فى برّى . يقال أَلا يأْلو ، فإذا أَكثرت الفعل قلت : أَلَّى يؤلِّى تأْلية . انتهى .

وقال أبو حاتم السِّجستانى (فى كتاب المعمَّرين) : حدّثنا أبو الأسود النُّوشجانى عن العُمَرى عن أبِى عمرو الشيبانىّ قال : سأَلنى القاسم بن معن عن قوله :

* وما أَلَّى بَنىَّ وما أَساءُوا *

قلت : أَبطئُوا . فقال : ما تركتَ فى المسأَلة شيئًا .

ونقل صاحبُ الصحاح هذه الحكاية مجملة ثم قال : أبو حاتم : والتأْلية التقصير ، ومن قال « وما آلى » بالمد فمعناه ما أَقسموا ، أى لا يبرُّونى . انتهى .

وقال السيِّد المرتضى (فى أماليه) : أَلَّى بالتشديد هو الصحيح ، ومعناه قصَّر فى قول بعضهم . واللغة الأُخرى أَلا مخفَّفا ، يقال أَلا الرجلُ يأْلو ، إذا قصَّر وفتر . فأَمَّا آلى بالمد فى البيت فلا وجه له ، لأَنَّه بمعنى حلف ، ولا معنى له ههنا . انتهى .

وقوله : « إذا كان الشتاء » إلخ هذا البيت من أَبيات الجمل وغيره .

ويروى : « إذا جاء الشتاء » . وادفئونى : سخِّنونى لأَدفأَ . يقول : إذا دخل فصلُ الشتاء فدثِّرونى بالثياب . فإنَّ هذا الفصل يُضعف قوَّة الشَّيخ ويَهدِم عمره ، ويُخاف عليه فيه . ودلَّ على أَنَّه يريد أَن يدفأَ بالثياب لا بغير

ذلك ، قولُه بعد البيت : « فأمَّا حين يذهب كلُّ قُرٍّ » . والشّتاء فى غير هذا الموضع ، يراد به الضِّيق وشظَف العيش ، كما قال الحطيئة :

إذا نزل الشّتاءُ بدار قومٍ تجنَّب جارَ بيتهم الشّتاءُ

إذ الشّتاءُ نفسُه لا يقدر أحدٌ أن يمتنع منه ، وإنّما أراد أنّهم يواسون من جاورهم فيتجنَّبه الضيقُ وسوءُ الحال والمعيشة . ويهدمه ، من هدمت البناء ، من باب ضرب ، إذا أسقطتَه فانهدم . وروى : « يُهرِمه » بالراء [١] ، أى يُضْعفه ، يقال هرِم الرجل من باب تعب ، إذا كبر وضعف .

والقُرُّ بضم القاف : البَرْد . والسِّربال بالكسر : القميص . قال الجواليقى : وأو بمعنى الواو .

وقوله : (إذا عاش الفتى) إلخ نصب عامًا على التمييز ، كما ينصب [٢] المفرد بعد العشرين وما فوقها . ولمَّا صرفه عن الإضافة نصبه على التمييز وأعمل فيه مائتين ، ونصب مائتين على الظرف . قال ابن المستوفى : نُسبت هذه ٣٠٨
الأبياتُ ليزيد بن ضبَّة . والرواية : « إذا عاش الفتى ستّين عامًا » فلا ضرورة ولا شاهد . انتهى

وقول شارح اللباب : ورُوى « إذا عاش الفتى خمسين عامًا » ، رواية واهية ، فإنَّ ابن الخمسين لا يبلغ من الضَّعف هذه الرتبة .

والصحيح أنّ الأبيات للربيع بن ضبُع الفزارى ، كما رواها له جمٌّ غفير ، الربيع بن ضبع
وهو من المعمرين ، أورده أبو حاتم السجستانى (فى كتاب المعمرين) وقال :

(١) بعده فى النسختين : « من باب تعب » . والوجه فى هذه العبارة أن توضع بعد كلمة « الرجل » التالية كما أثبت .

(٢) ش : « كما نصب » .

قالوا : وكان من أطول من كان قبلَ الإسلام عمرًا : رَبيع بن ضَبُع بن وهب بن بَغيض بن مالك بن سَعد بن عديّ بن فزارة ، عاش أربعين وثلثمائة سنة ولم يُسلم . وقال لمّا بلغ مائتى سنة وأربعين سنة :

أصبحَ منّى الشبابُ قد حَسَرَا ... إن يَنأَ عنّى فقد ثوى عُصُرا
ودَّعنا قبلَ أن نودِّعَه ... لما قضى من جِماعنا وَطَرا
ها أنا ذا آمُل الخلودَ وقد ... أدرك عقلى ومولِدى حُجُرا
أباامرئِ القيس، هل سمعت به ... هيهاتَ هيهاتَ طال ذا عُمُرا
أصبحتُ لا أحملُ السِّلاحَ ولا ... أملكُ رأسَ البعير إنْ نفرا
والذئبَ أخشاه إن مررتُ به ... وحدى ، وأخشَى الرياح والمطرا
مِن بعدِ ما قوَّةٍ أُسَرُّ بها ... أصبحتُ شيخًا أُعالج الكِبَرا

وقال لمّا بلغ مائتى سنة :

ألا أبلغ بَنّى بنى رَبيعٍ ... فأشرارُ البنينَ لكم فِداءُ

الأبيات المتقدمة . هذا ما أورده أبو حاتم .

وأورده ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) فيمن أدرك النبى ﷺ وكان يمكنه أن يسمع منه ، فلم يُنقل ذلك . وقال : هو جاهليّ ، ذكر ابن هشام (فى التيجان) أنّه كبر وخَرِف وأدرك الإسلام . ويقال إنّه عاش ثلثمائة سنة ، منها ستُّون فى الإسلام ، ويقال لم يسلم . انتهى .

وذكره السيد المرتضى (فى فصل المعمرين من أماليه) قال :

ومن المعمَّرين : الرَّبيع بن ضَبُع الفزارى ، يقال إنَّه بقى إلى أيام بنى أُميَّة وروى أنَّه دخل على عبد الملك بن مرْوان ، فقال له : ياربيع ، أخبرنى عمَّا أدركتَ من العمر والمَدَى ، ورأيتَ من الخطوب الماضية . فقال : أنا الذى أقول :

ها أنا ذا آمُلُ الخلودَ وقد   أدرك عَقْلى ومَولدى حُجُرا

فقال عبد الملك : قد رويتُ هذا من شعرك وأنا صبىٌّ . قال : وأنا القائل :

إذا عاش الفتى مائتين عامًا   فقد ذهبَ اللذاذةُ والفَتاءُ

قال : وقد رويتُ هذا من شعرك وأنا غلام ، وأبيك يا ربيعُ لقد طار بك جَدٌّ غير عاثر ، ففصِّل لى عمرِكِ . قال : عشت مائتى سنة فى فترة عيسى عليه السلام ، وعشرًا ومائة سنة فى الجاهليَّة ، وستِّين سنةً فى الإسلام . قال : فأخبرنى : عن فِتيةٍ من قريش متواطِئِى الأسماء . قال : سل عن أيِّهم شئت . قال : أخبِرنى عن عبد الله بن عباس . قال : فَهمٌ وعِلْم ، وعطاءٌ جَذْم ، ومِقرًى ضخم . قال : فأخبرنى عن عبد الله بن عُمَر . قال : حلم وعلم ، وطُول كظم ، وبعدٌ مِن الظُّلم . قال : فأخبرنى عن عبد الله بن ٣٠٩
جعفر . قال : ريحانه طيِّبٌ ريحُها ، ليِّنٌ مسُّها ، قليل على المسلمين ضرُّها . قال : فأخبرنى عن عبد الله بن الزُّبير . قال : جبلٌ وعر ، ينحدر [1] منه الصخر .

---

(١) فى النسختين : « يتخذ » . وفى هامش ش : « ب يتحدد » ، إشارة إلى نسخة . وأثبت ما فى أمالى المرتضى ١ : ٢٥٤ .

قال : لله درُّك يا ربيع ما أَعرفَكَ بهم ؟ قال : قُربَ جوارى ، وكثرةُ استخبارى .

قال السيِّد رضى الله عنه : إن كان هذا الخبر صحيحًا فيشبه أَن يكون سؤال عبد الملك إنَّما كان فى أَيَّام معاوية ، لا فى ولايته ، لأَنَّ الربيع يقول فى الخبر : عشت فى الإسلام ستين سنة ، وعبد الملك ولى فى سنة خمس وستين من الهجرة . فإِنْ كان صحيحًا فلا بدَّ مما ذكرناه . فقد رُوى أَنَّ الربيع أَدرك أَيَّام معاوية .

ويقال إنَّ الربيع لمَّا بلغ مائتى سنة قال :

أَلَا أَبلغْ بَنىَّ بنى ربيع .... الأَبيات المتقدمة .

وقوله : « عطاءٌ جَذْم » ، أَى سريع . وكلُّ شىء تسرَّعت به فقد جذمته . وفى الحديث : « إذا أَذَّنت فرتِّل ، وإذا أَقمت فاجذِم [1] » ، أَى أَسرع . والمِقْرَى : الإناء الذى يُقرَى فيه الضَّيف . انتهى ماذكره السيد المرتضى .

وقال ابن السيد (فى شرح أَبيات الجمل) : روى الرُّواة أَنَّ الرَّبيع بن ضبُع عاش حتَّى أَدرك الإسلام ، وأَنَّه قدم الشامَ على معاوية بن أَبى سفيان ، ومعه حَفَدَاته [2] . ودخل حفيده على معاوية فقال له : اقعد يا شيخ . فقال له : وكيف يقعد من جدُّه بالباب ؟ فقال له معاوية : لعلَّك من ولد الرَّبيع بن ضبُع ؟ فقال : أَجل . فأَمره بالدخول ، فلما دخل سأَله معاوية عن سنِّه فقال :

---

(١) ش : « فاجزم » ، صوابه فى ط وأمالى المرتضى ١ : ٢٥٦ .

(٢) الحفدات : جمع حفدة بالتحريك ، وهم أولاد الاولاد .

أَقفَر من مَيَّةَ الجريبُ إلى الزُّ ... جَّيْنِ إِلَّا الظباءَ والبقَرا
كأنَّهــا دُرَّةٌ منعَّمــةٌ ... من نِسوةٍ كنَّ قبلها دُرَرا
أَصبح منِّى الشباب مبتكرًا ... إنْ ينأَ عنى فقد ثوى عُصُرا

إلى آخر الأَبيات المتقدِّمة . فقرأ معاوية : ﴿ ومن نُعَمِّرْه نُنَكِّسْهُ فى الخَلْق [1] ﴾ . انتهى .

وقد أَورد أَبو زيد (فى نوادره) هذه الأَبياتَ كذا . وقال أَبو حاتم : الزُّخَّين [2] بالخاء المعجمة . وقال الأَخفش : الذى صحَّ عندنا بالجيم [3] .

وقوله : « أَصبح منِّى الشَّبابُ » إلخ حسر البعير : أَعيا . وروى : « مبتكرا » اسم فاعل من الابتكار . وإنْ ينأَ ، أَى يبعد [4] وثوى : أَقام . وعُصُرا ، بضمتين ، أَى دهرا .

وقوله : « فارقنا » أَى الشَّباب . وهذا البيت أُورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ المراد : أَراد فراقنا . قال ابن جنى (فى المحتسب) : ظاهر هذا البيت إلى التناقض ، لأَنَّا إذا فارقَنَا فقد فارقْناه لا محالة ، فما معنى قوله من بعد : « قبل أَن نفارقه » . وهو عندنا على إقامة المسبَّب مقام السَّبب ،

---

(١) الآية ٦٨ من سورة يس .

(٢) الذى فى النوادر ١٥٨ : « وروى أبو حاتم : الزُّجين والزُّجين » . ش : « الرخين » .

(٣) الذى فى النوادر : « قال أبو الحسن : الذى صح عندنا الزجين بالجيم معجمة » .

(٤) ش : « أى إن وجد » .

وهو وضع المفارقة موضع الإرادة ؛ لقرب أَحدِهما من الآخر [١] . وروى بدله [٢] :

* ودَّعنا قبل أَن نودِّعه *

والجماع : الاجتماع . والوَطَر : الحاجة . وهاتان الكلمتان هنا قبيحتان .

قال الدماميني (فى الحاشية الهندية على المغنى) : وقع فى حماسة أَبى تمام قول ربيع بن مالك [٣] يرثى مالكَ بن زهير العبسى :

مَن كان مسرورًا بمقتل مالكٍ ... فليأْتِ نسوتَنا بوجه نهارِ
يجِدِ النساءَ حواسرًا يندبنه ... بالصُّبح قبل تبلُّج الأَسحارِ

قال المرزوقى : إنِّى لأَتعجَّب من أَبى تمَّام مع تكلُّفه رَمَّ جوانبِ
ما اختاره من الأَبيات كيف ترك قوله : « فليأْتِ نِسوتَنا » وهى لفظةٌ شنيعة ٣١٠
جدًّا . وأَصلحه المرزوقى بقوله : « فليأْت ساحتَنا » . قال التفتازانى : وأَنا أَتعجَّب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه ، وحافظ على لفظ الشاعر دراية ، مع زعمه أَنَّ القراء يقرءُون القرآن برأْيهم . وأَنا أَتعجَّب من إنشاد

(١) فى المحتسب ١ : ١٦٨ : « فوضع المفارقة » ، وهى المسبب . موضع الارادة لها ، وهى السبب ، وذلك لقرب أحدهما من صاحبه .

(٢) أى بدل رواية ابن جنى ، وهى « فارقنا قبل أن نفارقه » . والرواية التى يشير إليها هى المثبتة فى الإنشاد السابق فى ص ٣٨٤ .

(٣) فى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف . والصواب : ربيع بن زياد » . وهو الربيع بن زياد ابن عبد الله بن ناشب العبسى . وهذا الصواب هو الثابت فى الحماسة ٩٩٥ من مقطوعة أولها :

أنى أرقت فلم أغمض حار ... من سيِّئ النبأ الجليل السارى

صاحب المغنى لمثل هذا البيت ، أورده هنا مع أنّه أشنع من بيت الحماسة وأفحش . ولقد كان فى غُنية بما أورده من الكتاب والسنة .

قال ابن نُباتة (فى مطلع الفوائد ومجمع الفرائد) : فى قوله : « بالصُّبح قبل تبلج الأسحار » سؤال لطيف ، وهو أنّ الصُّبح لا يكون إلّا بعد تبلُّج الأسحار ، فكيف يقول قبله ؟ والجواب : أنّه أراد بقوله يندبنه بالصُّبح ، أنّهن يصفنه بالخلال المضيئة ، والمناقب الواضحة ، التى هى كالصُّبح . انتهى .

وقوله : « أُصبحت لا أَحمل السلاح » إلخ أُورد (فى التفسيرين) عند قوله تعالى : ﴿ فهُمْ لها مالِكُون [1] ﴾ على أنّ المِلك الضبط والتسخير ، كما فى قوله : لا أَملك رأس البعير ، أى لا أَضبطه .

وقوله : « والذئبَ أَخشاه » إلخ أُورده سيبويه (فى كتابه) والزجاجي (فى جملِهِ) ، وابن هشام (فى شرح الألفيّة ، باب الاشتغال) على أنّ الذئب منصوب بفعلٍ يفسِّره أَخشاه . يقول : قد ضعفَتْ قواه عن حمل سلاح الحرب ، وصار فى حال من لا يقدر على تصريف البعير إذا ركبه ، ويخاف الذئب أن يعدوَ عليه ، ويتأذّى بالرِّيح إذا هبّت ، والأمطار إذا نزلت .

وحجر بضم الحاء المهملة والجيم هو أبو امرئ القيس الشاعر . وقوله : « طال ذا عمرا » هو تعجُّب . أى ما أَطولَ هذا العمر .

وقوله : « من بعد ما قوّة » إلخ ما زائدة . وأُعالج ، أى أُقاسى أمراضَ الكبر [2] .

* * *

(١) الآية ٧١ من سورة يس .

(٢) هذا ما فى ش . وفى ط : « أى أقاسى فى أمراض الكبر » .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من أبيات الأُصول [1] :

٥٤٦(فيها اثنتانِ وأربعونَ حلوبةً سُودًا كخافية الغُراب الأَسحَمِ)

على أنَّه يجوز وصف المميِّز المفرد بالجمع باعتبار المعنى ، كما فى البيت ، فإنَّ (حلوبة) مميِّز مفرد للعدد وقد وصف بالجمع ، وهو سُود : جمع سوداء .

قال ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) : وتقول : عندى عشرون رجلًا صالحًا ، وعشرون رجلًا صالحون ، ولا يجوز صالحين على أن تجعله صفة رجل . فإن كان جمعًا على لفظ الواحد جاز فيه وجهان تقول : عندى عشرون درهما جيادًا وجيادٌ . ومن رفع جعله صفة للعشرين ومن نصب أتبعه التفسير . وهذا البيت ينشَد على وجهين :

فيها اثنتان وأربعون حَلوبةً سُودًا كخافية الغُراب الأَسحَمِ

ويروى « سودٌ » بالرفع . وتقول : عندى ثلاث نسوةٍ عجوزان وشابَّةٌ ، وعجوزين وشَابَّةٌ ، تردُّ مرَّةً على ثلاث ، ومرّة على نسوة . انتهى .

فعرف أنَّ كلام الشارح ليس على إطلاقه ، وينبغى تقييده بأن تكون الصفة على زنة المفرد ، بأن لا تكون جمعًا .

وبالنصب والرفع رواه شُرَّاح معلقة عنترة .

قال أبو جعفر والخطيب التبريزى : قوله سودًا نعت لحلوبة ،

(١) يعنى أصول ابن السراج . والبيت من شواهد ابن يعيش ٣ : ٥٥ / ٦ : ٣٤ وشذور الذهب ٢٤١ والأشمونى ٤ : ٧٠ والعينى ٤ : ٤٨٧ .

لأنَّها فى معنى الجماعة ، والمعنى من الحلائب . ويروى : « سودٌ » على أن يكون نعتا لقوله اثنتان وأربعون . فإن قيل : كيف جاز أن ينعتهما وأحدُهما ٣١١
معطوف على صاحبه ؟ قيل : لأنَّهما قد اجتمعا فصارا بمنزلة قولك : جاءَ زيد وعمرٌو الظريفان . انتهى .

قال العينى : الشاهد فى قوله سودًا ، فإنَّها نعتٌ لقوله حلوبة ، وروعىَ فيها اللفظ . انتهى .

ووجه ما قاله شُرَّاح معلقةِ عنترة : أبو جعفر النحوى ، والأعلم ، والخطيب ، أنَّ الحلوبة تستعمل فى الواحد والجمع على لفظٍ واحد ، يقال ناقةٌ حَلوبة وإبلٌ حلوبة .

وقال الزّوزنى (فى شرح المعلقة) : الحلوبة : جمع الحلوب عند البصرِيِّين ، وكذلك قَتوبة وقتوب ، ورَكوبة وركوب . وقال غيرهم : هى بمعنى محلوب ، وفعولٌ إذا كان بمعنى المفعول جاز أن تَلحقه التاء (٢) . انتهى .

وعلى هذا لا شاهد فيه ، ويكون من وصف الجمع بالجمع .

ولم يذكر الإمام المرزوقىُّ (فى شرح الفصيح) غير هذا الأخير ، قال : وفعول إذا كان فى معنى مفعول قد تلحقه الهاء ، نحو : رَكوبة وحَلوبة وقَتوبة . وأنشد هذا البيت .

وبما تقدَّم يُردُّ قول الأعلم ، فى زعمه أنَّ سودًا ليس بوصفِ الحلوبة . قال : قوله سودًا حال من قوله اثنتان وأربعون ، وهو حال من نكرة .

---

(١) ط : « يلحقه التاء » .

ويجوز رفعه على النعت . ولا يكون نعتًا لحلوبة لأنَّها مفردة ، إذا كانت تمييزًا للعدد ، وسودًا جمع ، ولا ينعت الواحد بالجمع . انتهى .

ويُعرفُ جوابُه مما سُقناهُ .

صاحب الشاهد والبيت من معلقة عنترة بن شدَّاد العَبسى ، وقبله :

(ما راعَنى إلَّا حَمولـةُ أَهلِهـا وَسْطَ الدّيار تَسَفُّ حبَّ الخِمْخِم)

راعنى : أفزعنى . والحمولة ، بفتح الحاء : الإبل التى يُحمَل عليها . ووسْطَ ظرف . وتسَفّ : تأكل ، يقال سَفِفْت الدواء وغيره بالكسر ، أَسَفُّه بالفتح . قال أبو عَمرٍو الشيبانى : والخِمخِم ، بكسر الخاءين المعجمتين : بقلة لها حبٌّ أَسوَد ، إذا أكلته الغنم قلَّت أَلبانها وتغيَّرت . وإنَّما وصفَ أنَّها تأكل هذا لأنَّها لم تجد غيره . وروى ابنُ الأعرابى : « الحِمحِم » بكسر الحاءين المهملتين ، يروى بضمهما . وقال : الحِمحم أَسرع هَيْجًا ، أى يُبْسًا ، من الخمخم . وإنَّما راعه كون الحمولة وسط الدَّار لأنَّها كانت عازبةً فى المرعى ، فلما أَرادوا الرَّحيل ردُّوها إلى الديار ليتحمَّلوا عليها ، فأفزعَه ذلك .

وقال الخطيب : معنى البيت أنَّه راعه سَفُّ الحمولة حبَّ الخِمخِم ، لأنَّه لم يبق شىء إلَّا الرحيل ، فصارت تأكل حبَّ الخمخم ، وذلك أنَّهم كانوا مجتمعين فى الربيع ، فلما يبس البقل ارتحلوا وتفرَّقوا . يقول : لمَّا جئتُ فنظرْتُ إلى أَهلها قد تحمَّلوا أفزعنى ذلك ، لفراق إيَّاها . وقوله : « فيها اثنتان وأربعون حلوبة » إلخ أى فى هذه الحمولة من النُّوق التى تُحلَب اثنتان وأربعون حَلوبة .

وقال العينى : الضمير راجعٌ للرِّكابِ [1] فى بيت قبله .

---

(١) فى النسختين : « للركائب » ، صوابه من العينى . ونصه : « فيها ، أى فى الركاب » . وروى فى البيت قبله : « زمت ركابكم بليل مظلم » .

وهذا خلافُ الظاهر مع القرب . وفيها خبر مقدَّم ، واثنتان مبتدأٌ مؤخر ، والجملة حال من الحمولة .

وقال أبو جعفرٍ ، والخطيب : اثنتان مرفوع بالابتداء ، وإن شئت بالاستقرار . يريد أنَّ فيها حالٌ من حمولة ، واثنتان فاعلُ فيها . وقالا : ويروى : « خليَّة » بفتح الخاء المعجمة بدل حَلوبة . والخليَّة : أن يُعطَف على الحوار ثلاثٌ من النوق ، ثم يَتخلَّى الراعى بواحدةٍ منهنّ . فتلك الخليَّة . وأوضحُ منه أنَّ الخلية ناقةٌ تعطف مع أخرى على ولدٍ واحد فتدرَّان عليه ، ويتخلَّى أهلُ البيت بواحدةٍ يحلبونها . ٣١٢

وقوله : (كخافية) صفة سودًا . وشبَّه سواد تلك النوق الحلائب بسوادِ خوافى الغراب ، وهى أواخر الرِّيش من الجناح مما يلى الظَّهر ، سميت بذلك لخفائها . و (الأسحَم) : الأسود . وإنَّما خَصَّ الخَوافىَ لأنَّها أسبط وأشدُّ بريقًا وألين . وإنَّما ذكر أنَّ فى إبلهم هذا العددَ من الحلوبة السُّود ليخبر بكثرتهم ، وكثرة إبلهم ، لأنَّه إذا كان فى إبلهم هذا العدد من هذا الصنف على غرابته وقلَّته ، فغيره من أصنافَ الإبل أكثر من أن يُحصَى عدده . وإنَّما وصفَها بالسُّود لأنَّها أنفسُ الإبل عندهم وأعزُّها .

وترجمة عنترة صاحب المعلقة تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب (١) .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٢٨ - ١٢٩ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٥٤٧ (وكانَ مَجنِّى دُونَ مَنْ كُنتُ أَتَّقِى ثلاثَ شُخوصٍ : كاعبان ومُعْصِرُ)

على أنَّه يجوز اعتبار المعنى فتجرَّد علامة التأنيث من عدد المؤنَّث المعنوى ، كما هنا ، فإنَّه جرَّد ثلاثًا من التَّاء لكون شخوص بمعنى نساء ، بدليل الإبدال عنه بما بعده .

قال سيبويه : وزعم يونس عن رؤبة أنَّه قال : ثلاث أنفُس (٢) على تأنيث النفس ، كما تقول : ثلاث أعين للعين من الناس . قال الحطيئة :

ثلاثة أَنفسٍ وثلاثُ ذَودٍ لقد جار الزَّمانُ علَى عيالِى (٣)

وقال عمر بن أبى ربيعة :

فكان مجنِّى دونَ من كنتُ أَتَّقى ثلاثَ شُخوصٍ : كاعبانِ ومُعْصرُ

فأنَّث الشخص إذْ كان فى المعنى أُنثى . انتهى

قال أبو جعفر النحَّاس : قرأت على أبى الحسن علىّ بن سليمان ، عن أبى العباس المبرد هذا البيت . قال أبو العباس : لما اضطُرَّ جعل الشخص بدلًا من امرأة إذْ كان يقصدها به ، ولذلك قال : كاعبان ومعصر ، فأبان .

(١) فى كتابه ٢ : ١٧٥ . وانظر المقتضب ٢ : ١٤٨ والكامل ٣٨٣ وأمالى الزجاجى ١١٨ والخصائص ٢ : ٤١٧ والإنصاف ٧٧٠ والمقرب ٦٧ والعينى ٣ : ٤٨٣ والتصريح ٢ : ٢٧١ ، ٢٧٥ والأشمونى ٣ : ؟ وديوان عمر ٩٢ .

(٢) فى النسختين : « ثلاثة أنفس » ، صوابه فى سيبويه واللسان (نفس ١٢١) .

(٣) ديوان الحطيئة ١٢٠ .

ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ منْ جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالِها [١] ﴾ لأَنَّ المعنى واقعٌ على حسنات ، وأَمثال نعتٌ لما وقع عليه العدد . وكذلك : ﴿ وقطَّعناهم اثنتى عَشْرَة أَسباطًا [٢] ﴾ لأَنَّ المعنى واقعٌ على جماعات . وعلى هذا تقول : عندى عشرة نسَّابات ، لأَنَّك تريد الرِّجال ، وإِنَّما نسابات نعت . وتقول إِذا عَنَيتَ المذكَّر : عندى ثلاثةُ دوابَّ يا فتى ، لأَنَّ الدَّوابَّ نعت ، فكأَنك قلت : عندى ثلاثة براذين دوابّ . وتقول : عندى خمسٌ من الشاءِ ، لأَنَّ الواحدة شاةٌ لذكرٍ كان أَو أُنثى . انتهى .

وما نقله عن المبرِّد هو مسطور (فى الكامل) قال فيه : قوله ثلاث شخوص ، الوجه ثلاثة شخوص ، ولكنَّه لما قَصد إِلى نساءٍ أَنَّث على المعنى . وأَبان ما أَراد بقوله : كاعبان ومعصر . ومثله قولُ الشاعر [٣] :

فإِنَّ كلابًا هذه عَشْرُ أَبطُنٍ ... وأَنتَ برىءٌ مِن قبائِلها العَشْرِ

فقال : عشر أَبطن لأَنَّ البطن قبيلة ، وأَبان ذلك فى قوله من قبائلها العشر . وقال الله عز وجلّ : ﴿ منْ جاء بالحسَنة فله عشرُ أَمثالها ﴾ ؛ لأَنَّ المعنى حسنات . انتهى .

وكذا قال السكرى (فى شرح أَشعار اللصوص) ، قال : كان يجب أَن يقول ثلاثة ، لأَنَّ الشخوص مذكَّرة ، ولكنَّه ذهب إِلى أَعيان النِّساء ، ٣١٣
لأَنَّهنَّ مؤنثات ، وإِنْ كان سبب اللفظ مذكَّرًا .

---

(١) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

(٣) هو النواح الكلابى . والبيت من شواهد سيبويه ٢ : ١٧٤ .

وقد أدرج ابن جنى (فى الخصائص) هذا فى فصل سمّاه الحَمْل على المعنى ، قال : اعلم أنَّ هذا الشرج [١] غَورٌ من العربيّة بعيد ، ومذهب نازح فصيح ، قد وردَ به القرآن وفصيحُ الكلام ، منثورًا ومنظوما ، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث ، وتصوُّرِ معنى الواحد فى الجماعة والجماعةِ فى الواحد . ثمَّ قال : فمن تذكير المؤنَّث قولُ الحطيئة : ثلاثة أنفس ، ذهب بالنَّفس إلى الإنسان فذكَّر . وقال عمر : « ثلاثُ شخوص » ، أنَّث الشخص لأنَّه أراد به المرأة . انتهى .

وقال ابن السِّكِّيت (فى كتاب المذكَّر والمؤنَّث) : أنَّث الشُّخوص لأنَّها شخوصُ إناث . فلو قلت ثلاثة شخوص كان أجود ، لأنَّ الشخص ذكر وإن كان لأنثى . وممَّا اجتمعت عليه العرب لإيثار المضمر على الظاهر قولهم : ثلاثة أنفس ، وثلاثة أعيان . والخليل يختار : ثلاث أعين . والعين والنفْس أنثيان ، فذهبوا إلى أعيان الرجال وأنفس الرجال . فإذا وجَّهت النفس إلى الرجل أو المرأة ذهبت بهما جميعًا إلى التذكير ، لأنَّه غير مؤنث ، فتصير النَّفْس تؤدِّى عنَ الإنسان ، ويؤدِّى الإنسان عن الذكر والأُنثى ، فتقول : ثلاثة أنفس كما تقول : ثلاثة من الناسِ وإن عنيتَ نساء . فإذا أردت الزَّوجَ كانت النفسُ أنثى ، وإذا أفردتَّها بفعل أو وصفتها به عاملتها معاملة التأنيث ، كما قال الله تعالى : ﴿ خلقَكم من نفسٍ واحِدَة [٢] ﴾ ولم يقل واحد وهو آدم . وقد يجوز لكَ أن تذهب إلى المعنى ، فإن كانت أُنثى أُنِّثت ، وإن كان ذكرًا ذكِّرت . وليس بالوجه . انتهى .

---

(١) الشرج ، بالجيم : النوع . وفى النسختين : « الشرح » ، تحريف .

(٢) الآية ٦ من سورة الزمر .

و (المجنّ) بكسر الميم : التُّرس . قال العينى : ويروى : « فكان نصيرِى » ، بدل مجنِّى ، ومعناه مانِعِى وساترى . ويروى : « بصيرى » بالباء الموحدة ، جمع بصيرة ، وهى التُّرس . حكاه أبو عبيدة . وقال ابن سِيده : يؤيِّده رواية من روى : « فكان مجنِّى » . قال : وأكثر الناس يروونه « نصيرى » ، بالنون . وهو تصحيف . وقال أبو الحجّاج : هذا القول فيه إفراط ، ورواية النون غير بعيدة مِن الصَّواب ، وإن كان رواية الباء أظهر لقوله « دون » ، ولم يقل « على » المستعملةِ مع النَّصر فى مثلِ هذا النحو . انتهى .

و (الكاعب) قال الجوهرىُّ : هى الجارية حين يبدو ثديُها للنُّهود . وقد كعَبت تكْعب بالضم كُعُوبًا ؛ وكعَّبت بالتَّشديد تكعيبا مثله . و (مُعْصِر) بضم الميم وكسر الصاد ، هى الجارية أوّلَ ما أدركت وحاضت . يقال قد أعصرت ، كأنَّها دخلت عصر شبابها أو بلغته . قال الراجز [1] :

جارية بسَفَوانَ دارُها يرتجُّ عن مثل النَّقا إزارُها
قد أعصرَتْ أو قد دنا إعصارُها

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة طويلة لعمر بن أبى ربيعة تقدَّم نقلها فى الشاهد التسعين بعد الثلثمائة [2] . وهذه أبيات قبله : أبيات الشاهد

(فلما تقضَّى اللَّيلُ إلَّا أقلَّهُ وكادتْ تَوالى نجمِه تتغوَّرُ [3]

(١) هو منظور بن مرثد ، كما فى العقد ٣ : ٤٦٠ ، واللسان (عصر) .

(٢) الخزانة ٥ : ٣١٦ - ٣٢١ .

(٣) ويروى : « وكادت هوادى » .

أشارت بأنَّ الحيَّ قد حان منهمُ ... هُبوبٌ ولكن موعدٌ لك عَزْوَرُ ،
فلمَّا رأت من قد تنوَّرَ منهمُ ... وأيقاظَهمْ قالت: أشِرْ كيف تأمرُ (١)
فقلتُ : أُبادِيهمْ فإمَّا أفوتُهمْ ... وإمَّا يَنالُ السَّيفُ ثأرًا فيثأرُ ٣١٣
فقالت : أتحقيقًا لما قال كاشحٌ ... علينا ، وتصديقًا لما كان يُؤثَرُ
فإنْ كان ما لا بدَّ منه فغيرُهُ ... من الأمر أدنى للخفاءِ وأستَرُ
أقصُّ على أُختَيَّ بدءَ حديثنا ... ومالِيَ من أن تعلما مُتأخَّرُ
لعلَّهما أن تَبغِيا لكَ مَخرجًا ... وأنْ تَرحُبا سَرْبًا بما كنتُ أحْصَرُ (٢)
فقالت لأُختيها : أعينَا على فتًى ... أتى زائرًا ، والأمر للأمرِ يُقْدَرُ
فأقبلَتا فارتاعتا ثم قالتا : ... أقِلِّي عليكِ اللَّومَ فالخطبُ أيسَرُ (٣)
يقومُ فيمشي بيننا متنكِّرًا ... فلا سِرُّنا يَفْشُو ، ولا هو يُبصَرُ (٤)
فكان مِجنِّي دون مَن كنت أتَّقي ... ثلاثَ شخوصٍ كاعبان ومُعصِرُ)

التوالي : التتابع (٥) . وتتغوَّرُ : تغور فتذهب ، وهو مأخوذ من الغَور . والهبوب : الانتباه ، يقال هبَّ من نومه ، إذا استيقظ .

وعَزْور ، بفتح العين المهملة وسكون الزاى المعجمة بعدها واو

---

(١) فى الديوان ٩٠ : « من قد تنبه » ، وأشير إلى رواية « من قد تثور » بالثاء .

(٢) فى الديوان : « لعلهما أن تطلبا » .

(٣) بين هذا البيت وتاليه فى الديوان :

فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفى ... ودرعى وهذا البرد ، إن كان يحذر

(٤) فى الديوان : « ولا هو يظهر » .

(٥) هذا حق ، ولكن ابن أبى ربيعة لم يرد بقوله « توالى نجمه » تتابعها . وإنما أراد توالى : جمع تال ، وهو ما تأخر من النجوم هنا .

وفى اللسان (تلى ١١٢) : « والتوالى : ما تأخر » .

مفتوحة ، قال أبو على : هى ثنيَّة الجُحفةُ . وقال السَّكونىُّ : عزور : جبلُ بينَه وبين جبل رضوَى قدرُ شوطِ الفرس . وهما جبلان شاهقان منيعان لا يرُومُهما أُحد . ورَضوى من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ، مُيامِنةً طريق المدينة ، ومياسِرة طريق البرِّ (١) لمن كان مُصعِدًا إلى مكة ، وعلى ليلتين من البحر . كذا (فى معجم ما استعجم) للبكَرى .

وأَيقاظ : جمع يَقُظ ، بفتح الياء وضم القاف (٢) ، بمعنى يقظان .

وقوله : « فقالت أَتحقيقًا » من كلام العرب : أَكُلَّ هذا بخلًا . وذلك أنَّه رآه يفعل شيئًا يكره فقال : أكلَّ هذا تفعَلُ بخلا .

وقوله : « أُباديهم » يريد أُظهر لهم ، غير مهموز . يقال بدا يبدو غير مهموز ، إذا ظهر .

وقوله : « بدءَ حديثنا » يريد أَوَّل حديثنا .

وقوله : « وأَن ترحبا » ، يريد أن تتَّسعا ، أَى تتَّسع صدورهما ، من قولك : فلان رحيب الصدر . وقوله « أُحصَر » أَى أُضيق به ذَرْعا ، يقال حَصِر صدُره ، بمهملات ، من باب فرح ، إذا ضاق . والسَّرْب ، بالفتح (٣) : الطريق .

---

(١) وكذا فى معجم ما استعجم ٦٥٥ . وصوابه « البريراء » ، كما فى كتاب عرام الذى ينقل عنه البكرى . انظر نوادر المخطوطات ٢ : ٣٩٦ .

(٢) وكذا يقظ ، بفتح فكسر ، كما فى القاموس واللسان .

(٣) الأولى أن يقال بالفتح وبالكسر ، من قولهم : إنه لواسع السرب ، بالكسر ، أى الصدر والرأى والهوى ، كما فى اللسان (سرب ٤٧٧) . وفى القاموس : « وبالكسر : القطيع من الظباء والنساء وغيرها ، والطريق ، والبال ، والقلب ، والنفس » ، بعد أن ذكر أن السرب بالفتح الماشية كلها ، والطريق ، والوجهة ، والصدور ، والخرز » .

وقوله : (فكان مجنِّى) إلخ أى وقايتى . ودُونَ بمعنى قدّام . ومجنّى اسم كان ، وثلاثَ بالنصب خبرها ، ومَن موصولة والعائد محذوف ، أى أتَّقيه .

ويروى أنَّ يزيد بن معاوية لمَّا أراد توجيهَ مسلم بن عُقبة إلى المدينة اعترض الناسَ ، فمرَّ به رجلٌ من أهل الشام ومعه تُرسٌ قبيح ، فقال : يا أخا أهل الشام ، مجنُّ ابن أبى ربيعة أحسن من مِجنِّك . يشير إلى هذا البيت .

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدَّمت فى الشاهد السابع والثمانين [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [2] :

٥٤٨ (كأنَّ خُصيْيْهِ من التَّدلْدُلِ ظَرفُ عجوزٍ فيه ثِنْتا حَنْظَلِ)

على أنَّه ضرورة ، والقياس حنظلتان بدون العدد ، لما بيَّنه الشارح المحقق .

وأورده سيبويه فى باب تكسير الواحد للجميع بعد باب العدد . قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة ثنتا إلى الحنظل ، وهو اسم يقع على جميع الجنس . وحقُّ العدد القليل أن يضافَ إلى الجمع القليل . وإنَّما جاز على تقدير : ثنتان من الحنظل . هذا كما قال : ثلاثة فلوس [3] ، أى ثلاثة من هذا

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٧٧ ، ٢٠٢ . وانظر إصلاح المنطق ١٨٩ والمقتضب ٢ : ١٥٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٠ وابن يعيش ٤ : ١٤٣ ، ١٤٤ / ٦ : ١٨ والمقرب ٨٠ وشرح شذور الذهب ٤٥٨ والعينى ٤ : ٤٨٦ والدرر اللوامع ١ : ٢٠٩ وسيأتى فى ص ٥٢٦ .

(٣) كلمة « هذا » ليست فى الشنتمرى .

٣١٥ الجنس ، على ما بيَّنه فى الباب . والتَّدلْدل : التعلق والاضطراب . وكان الوجهُ أَن يقول : حنظلتان ، فبناه على قياس الثلاثة وما بعدها إلى العشرة [1] . وإنَّما خصَّ ظرف العجوز لأنَّها لا تستعمِل طِيبا ولا غيرَه مما يتصنَّع به النِّساءُ للرجال ، يأْسًا منهم [2] ، ولكنَّها تدخر الحنظل ونحوَه من الأَدوية . وظرف العجوز هو مِزودها الذى تخزُن فيه متاعَها . انتهى .

وهذان البيتان أَوردهما أَبو تمام (فى باب الملح من الحماسة) . وروى : « سحق جراب » بدل ظرف عجوز ، قال ابن جنى فى إعرابها : أُخرج التثنية عن أَصلها [3] ، وذلك أَنَّ قياسها على الجمع عندى اثنا رجال [4] ، كقولهم : عندى ثلاثة رجال ، غير أَنَّ التثنية لمَّا أَمكنك فيها انتظام العِدَّة وبيانُ النوع ، غَنِيتَ بقليل اللفظ عن كثيره ، أَى غَنِيتَ برجلان عن اثنا رجال . فلمَّا قال ثنتا حنظل علمتَ بذلك أَنَّه أَخرجه على قياس الجمع [5] . ويريد : كأَنَّ

---

(١) يعنى إضافة العدد إلى تمييزه .

(٢) يريد يأسا من الرجال . وفى الشنتمرى : « ليأسها منهم » . وبعده وهو ختام ما فى الشنتمرى : « وإنما تدخر فيه ما تتعانى ، من الحنظل وغيره » . فما بعد « منهم » من الكلام هنا لم يرد فى الشنتمرى .

(٣) ش : « على أصلها » وكذا فى إعراب الحماسة الورقة ٢٤٦ . والوجه « عن أصلها » كما فى ط ، لأن أصل التثنية ألا يذكر معها العدد فيقال رجلان وحنظلتان .

(٤) فى إعراب الحماسة : « على الجمع أن يقال : عندى اثنا رجال » .

(٥) فى النسختين : « عن قياس الجمع » ، صوابه فى إعراب الحماسة ، وذلك لأن الراجز خرج عن أصل التثنية ، وجرى على قياس الجمع .

خصيبه بما عليهما من الصَّفَن ، أو كأنَّ ما عليهما منه بهما ، سَحْقُ جِراب فيه ثنتا حنظل ، فحذف اختصارًا ، أو عِلمًا بما يعنيه . انتهى .

وأورده الشارح المحقّق فى باب التثنية . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله هناك فى وجه تثنية خُصْى .

و (السَّحق) بالفتح : الخَلَق . و (الحنظل) واحدها حنظلة . وروى عن أبى حاتم أنَّه قال : الحنظل ههنا الثُّوم . وأوردهما الأعلم (فى حماسته) برواية : « ظرفُ عَجوز » . وكُتِب فى الهامش : شبَّه خصيتيه فى استرخاء صفَنهما وتجلجُل بيضتهما ، حين شاخ واسترخت جلدة استه ، بظرف عجوز [1] فيه حنظلتان . وخصَّ العجوز لأنَّها لا تستعمل الطِّيب ولا تتزيَّن للرِّجال ، فيكون فى ظرفها ما لا تتزيَّن به ، ولكنَّها تدَّخر الحنظل ونحوَه من الأدوية . ويحتمل أن يكون هذا فى وصف شجاع لا يجبُن فى الحرب فتتقلَّص خصيتاه . ويحتمل أن يكون هجوًا . ووجهه أنَّه يصف شيخًا قد كبر وأسنَّ ؛ ولذلك قال : ظرف عجوز ، لأنَّ ظرف العجوز خَلَقٌ متقبِّض فيه تشنُّج لِقِدَمه ، فلذلك شبَّه جلد الخُصية به للغضون التى فيه . والأولى أن يكون هجوا لِذِكْرِهِ العجوز ، مع تصريحه بذكر الخُصيتَين . ومثل هذا لا يصلح للمدح . انتهى .

وهذا الكلام هو ما قاله أبو عبد الله النَّمَرىُّ (فى شرح الحماسة) ، وزيَّفه أبو محمد الأعرابى ، الشَّهير بالأسود الغَنْدجانىّ . قال (فيما كتبه على شرح النمرى) : قال أبو عبد الله : هذا يحتمل الذَّم والمدح ، إلَّا أن يكون له

(١) ش : « كظرف عجوز » .

تمام فيُحْمل عليه (١) . فأمّا الذم فهو أن يصف شيخا قد اضطرب جلده لكبر سنّه وهَرَمه . وأمّا المدح فهو أنّ الأبطال يوصفون ، إذا شهدوا الحرب ، بطُول الخُصى وقلّة تقلّصها . قال أبو محمد الأعرابيّ : هذا موضع المثل :

* لا تقعَنَّ البحرَ إلّا سابحا *

قوله : « هذا يحتمل الذم والمدح » يدلُّ على أنه لم يمارس الأشعار والأراجيز ، ولم يستقْرِ الدواوين . ومثل هذا البيت لا يعرف مَعناه قياسًا إلا بمعرفة ما يتقدَّمه من الأبيات . وقد أثبتُّها لك ههنا لئلا يشتبهَ عليك من معنى البيت ما اشتبه على أبى عبد الله ، فتكونا زَنْدين فى مرقَّعة (٢) .

والأبيات لخِطامٍ المجاشعى ، وهى من نوادر الرجز : صاحب الشاهد

أشطار الشاهد

(يارُبَّ بيضاءَ بِوُعْسِ الأَرْمُل شبيهةِ العين بعينَىْ مُغْزِلِ

فيها طِماحٌ عن حَليلٍ حَنْكَلِ وهى تُدَارِى ذاك بالتجمُّلِ ٣١٦

قد شُغِفَتْ بناشِئٍ هَبَرْكَلِ ينفُض عطفَىْ خَضِلٍ مرجَّلِ

يُحسَبُ مختالًا وإن لم يَخْتَلِ دَسَّ إليها برسول مُجمِلِ

عَنْ كيفَ بالوصل لكم أم كيف لى فلم تزلْ عن زوجها المُخْتشِلِ

ابعثْ وَكنْ فى الرَّائحين أَو كُلِ وكلُّ ما أُكلت فى محلَّلِ

(١) فى النسختين : « فيعمل عليه » ، والوجه ما أثبت .

(٢) فى أمثال الميدانى ١ : ٢٩٢ : « قال أبو عبيد : نرى المرقعة كنانة أو خريطة قد رقعت . يضرب للرجل المحتقر لا يغنى شيئا » . والمراد هنا أنهما مستويان فى الخسة . وانظر المستقصى ٢ : ١١١ وأساس البلاغة (زند) .

وأَوْقِـــرَنَّ يا هُدِيتَ جملى ... حتى إذا دبَّ الرِّضَا فى المِفْصلِ
وكان فى القلب تُحيتَ المَسْعَلِ ... ثم غدا الشَّيْخُ لها بأَزفَلِ
من الرِّضَا جنْعَدَلٍ التكتُّلِ ... كأَنَّ خُصيَيْهِ من التَّدلدُل
ظرفُ عجوزٍ فيه ثنتا حَنظل ... لمَّا غدا تبهَّلت : لا تأْتلى
عنْ : رَبِّ ياربِّ علَيه عجِّل ... برهْصةٍ تقتلُه أو دُمَّلِ
أُوحيَّةٍ تَعَضُّ فوقَ المِفْصَلِ)

قال أَبو محمد الأَعرابى : فقوله « كأَنَّ خُصيَيْه من التدلدل » أَذَمُّ ذَمٍّ يكون فى الشيخ . وذلك أَنَّهما يتدلَّيان من الكبر ، كما قال الآخر .

قد حلفَتْ بالله لا أُحبُّه ... أَنْ طال خُصيَاهُ وقَصرَ زُبُّه

يقال لمن هذه صفته : الدَّوْدَرِيُّ (١) . انتهى ما أُورده .

وبيضاء : امرأَةٌ حسناء . والوُعْس : جمع وعساء ، وهى أَرضٌ ليِّنة ذات رمل . والأَرمُل : جمع رمل . ومُغْزل : ظبيةٌ ذات غزال . شَبَّه عينها بعين الظبية .

والطِّماح بالكسر : الجماح . والحليل : الزَّوج . وروى : « خليل » بالمعجمة ، وهو الصديق . والحنكل بفتح الحاء وسكون النون وفتح الكاف : القصير ، واللئيم ، والجافى الغليظ . كذا فى القاموس . وتدارى من المداراة . والتجمُّل : تكلُّف الجميل .

وقوله : « قد شُغفتْ » هو جواب ربَّ . وشَغَفَ الهوى قلبَه ، من باب نفع ، إذا بلغ شَغَافه بالفتح ، أَى غِشَاءَه . والناشئ ، مهموز الآخر ، وهو

---

(١) فى اللسان (ددر) : « الدودرى : العظيم الخصيتين ، لم يستعمل إلا مزيدا ، إذ لا يعرف فى الكلام مثل ددر » .

الحدَث الذى جاوز حدَّ الصِّغر . والهبَركل ، بفتح الهاء الموحَّدة وسكون الراء وفتح الكاف : الشابُّ الحسن الجِسْم . وينفُض : يحرِّك . والعِطف ، بالكسر : الجانب . ونَفْضُ العِطف كنايةٌ عن العُجب والغرور . والخَضِل ، بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين : الرَّطب ، والناعم . أى قَوَامٌ خَضِل . والمرجَّل : الموشَّى والمزيَّن .

ويُحسب بالبناء للمفعول . والضمير للناشئ . والمختال : المعجَب بنفسه . وإن لم يَختَل ، أى وإن لم يُعجبْ بنفسه ، وأَصله يَختال : حذفت الأَلف لالتقاء الساكنين بالجزم . ودسَّ : أَرسلَ بخفية . والباء فى برسول زائدة . ومُجمِل : اسم فاعل من أَجمل فى الطلب ، إذا رفَق .

وقوله : « عن كيف » إلخ عن لغة فى أَنْ ، وهى تفسيرية . والمُخْتَشِل : اسم فاعل من اختشَلَ ، بالخاء والشين المعجمتين ، إذا ذَلّ وضعُف .

والمِفصَل ، بكسر الميم وفتح الصاد : اللسان . وتُحيتَ : مصغر تحت . والمَسْعَل : محل السُّعال . والأَزفَل ، بفتح الهمزة وسكون الزاى وفتح الفاء : الغضب والحدّة .

وقوله : «من الرضا [١] » إلخ من ابتدائية . وجَنَعْدَل ، بفتح الجيم وضمها وفتح النون وسكون العين وفتح الدال : الصُّلب الشديد . والتكتُّل : الاكتناز . وتبهَّلت : تضرَّعت ، و دعت . ولا تأْتلى : لا تقصِّر . ٣١٧

وعَنْ لغة فى أَنْ . ورَبٌّ منادى . والرَّهْصَة ، بفتح الراء : أَن يتلف باطنُ حافر الدابة من حجرٍ يَطؤه .

والدَّوْدَرِيُّ ، بفتح الدال وسكون الواو وفتح الدال الثانية

---

(١) كُتبت « الرضا » فى الرجز وفى التفسير هنا بالياء فى ش . وهى صحيحة . وفى اللسان : « وتثنية الرضا رضوان ورضيان ، الأولى على الأصل ، والأخرى على المعاقبة » .

وكسر الراء وتشديد الياء (١) . وفيه لغة أُخرى : دَرْدَرِىٌّ بالراء موضع الواو . وقال صاحب القاموس : هو الآدَر ، الطويل الخُصيتَين ، والذى يذهب ويجىء فى غير حاجة .

وقال ابن المستوفِى : ويروى قبل الرجز الشاهد قولهُ :

(تقول : يا ربّاه ، ياربّ هَلِ إن كنتَ من هذا منجِّى أَحبُلى
إمّا بتطليقٍ وإمَّا بارْحلِى أَو ارمِ فى وَجْعائه بدُمَّلِ)

وقال العينى فى هذا : الرجزُ لجندل بن المثنَّى . وفى (شرح الفصيح) قال ابن السيرافى : قالته سَلمى الهذلية . انتهى .

أَقول : شرح ابن السيرافى هذين البيتين (فى شرح أَبيات إصلاح المنطق) ولم يذكر هذه الأَبياتَ الأَربعةَ المتقدِّمة عليهما ، ولا نسبَ الرجزَ لأَحد . وهذه عبارته : التدلدل : تحرُّك الشىء المعلَّق واضطرابه . وظرفُ العجوز : الجرابُ الذى تجعل فيه خُبزَها وما تحتاج إليه . وظرف العجوزِ خَلقٌ متقبَض ، فيه تشنُّج لِقدمه . شبَّه جلد الخُصية به ، للغُضون التى فيه . وشبَّه الأُنثيين فى الصَّفَنِ بحنظلتين فى جراب . انتهى .

وقال ابن المستوفى : قال ابنُ السيرافىّ : حكي هذا الشاعر عن امرأةٍ أَنَّها دعَتْ على زوجها وطلبت الراحةَ منه . وقولها : « هَلْ » أَرادت هل تحسنْ

(١) ضبط فى اللسان ضبط قلم بفتح الراء المخففة مع القصر ، وفى القاموس : « والدودرى كيهيرى : الذى يذهب ويجىء فى غير حاجة ، والآدر والطويل الخصيتين ، كالدردى » . وذلك بتشديد الراء المفتوحة مع القصر أيضا .

إلىَّ بتفريقٍ ما بينى وبينه من الوُصلة وعَقْد التزويج . والأَحبُل : جمعَ حبل ، وهو ما بينهما من العَقد . ومنجِّى : خبر كنت ، وأَسكن الياء من أَجل القافية . وقوله : « إمّا بتطليق » : إمَّا أَن يطلّق طلاقًا بيّنا . وإمَّا أَن يقول ارحَلى ، يريد به الطلاق . وحذفَ المستفهم عنه [١] اعتمادًا على فهم السامع . وحذف جواب الشرط ، وهو إن كنت منجّيًا لِى من هذا الرجل فافعَلْ .

وقوله : « أَو ارمِ فى وجعائه » إلخ هذا البيت أَورده العينى بعد الثلاثة وقال : الوجعاء ، بفتح الواو وسكون الجيم والمد : الاست .

وتقدَّمت ترجمة خطام المجاشعى فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة [٢] . ٣١٨

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأَربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [٣] :

٥٤٩ (فطافَتْ ثلاثًا بينَ يومٍ وليلةٍ وكان النَّكيرُ أَن تَضِيفَ وتجأَرا)

على أَنَّ العدد المميَّز بمذكَّر ومؤنَّث معًا المفصولَ بينه وبينهما بلفظِ بينَ أَو من ، أَو بالمجموع ، إن كان المميِّزان يومًا وليلة ، فالغلبة للتأْنيث ، فإِنَّه اعتبر جانبَ المؤنَّث فذكَّر عدده . وإن كان المميِّزان غير يوم وليلة فالغلبة للتذكير .

---

(١) ط : « منه » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٨ .

(٣) فى كتابه ٢ : ١٧٤ . وانظر المقرب ٦٨ والمغنى ٦٦٠ وديوان النابغة الجعدى ٤١ .

وهاتان المسألتان صرَّح بهما سيبويه . وهذا نصه : وتقول : سار خمس عشرةَ من بين يومٍ وليلة ، لأنك أَلقيت الاسم على الليالى ثم بيَّنتَ فقلت : من بين يوم وليلة . ألا ترى أنَّك تقول : لخمسٍ بقين أو خلون ، ويَعلمُ المخاطَب أنَّ الأيام قد دخلت فى الليالى . فإذا أُلقىَ الاسمُ على الليالى اكتُفِى بذلك عن الأيَّام ، كما أنَّك تقول : أتيته ضَحوةَ وبُكرة ، فيعلم المخاطب أنَّها ضحْوة يومِك وبكرةُ يومك . وأشباه هذا فى الكلام كثير . فإنَّما قوله : « من بين يوم وليلة » توكيدٌ بعد ما وقع على اللَّيالى ، لأنَّه قد عُلم أنَّ الأيام داخلةٌ مع اللَّيالى . قال النابغة الجعدىّ :

فطافت ثلاثًا بين يومٍ وليلة يكون النَّكير أنْ تَضيف وتجأرا

وتقول : أعطاه خمسة عشر من بين عبدٍ وجارية ، لا يكون فى هذا إلَّا هذا ، لأنَّ المتكلم لا يجوز له أن يقول : خمسة عشر عبدًا فيعلم أنَّ ثَمَّ من الجوارى بعدَّتهم ، ولا خمس عشرة جارية فيعلم أنَّ ثَمَّ من العبيد بعدَّتهن ، فلا يكون هذا إلَّا مختلطًا ، ويقعُ عليهم الاسم الذى بيِّن به العدد . وقد يجوز فى القياس خمسة عشر من بين يوم وليلة ، وليس بحدِّ كلام العرب . انتهى .

وقد عمَّم الشارح المحقق فى قوله : « الغلَبة للتذكير ، نحو اشتريت عشرةً بين عبد وأمة ، ورأيت خمسة عشر من النُّوق والجمال » . وفى المثالين أربع صور . والأوَّل ممن يعقل ، والثانى ممن لا يعقل ، وفى كلٍّ منهما إمَّا تقديم المذكَّرِ وإمَّا تأخيره . والحكم فى الصُّور الأربع واحد ، وهو تأنيث العدد .

وهذا صريح قول سيبويه : لا يكون فى هذا إلّا هذا . وهذا هو الظاهر ، فإن المذكَّر عاقلًا كان أو غيره لشرفه يغلَّب على المؤنث ، قدِّم أو أُخِّر . وهذا يشمل ما لو كان مع غير عاقل ، نحو : اشتريت أربعة عشر بين عبد وناقة ، أو بين ناقة وعبد . وكذا يغلَّب مؤنَّث العاقل على غيره ، فتقول : اشتريت أربع عشرة بين جَمَل وأَمَة ، أو بين أمة وجمل . قال أبو حيَّان : وهذا هو القياس .

وقد خالف الفرَّاء فى الثلاثة (١) الأخيرة من الأربع (٢) فى عموم قول الشارح المحقّق ، فأوجب تذكير العدد فيها لِتغليب المؤنث ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يتربَّصْنَ بأنْفُسِهِنَّ أَربعةَ أَشهرٍ وعَشْرا (٣) ﴾ : وتقول : عندى ثلاثةٌ بين غلام وجارية ، ولا يجوز هنا ثلاث . فإن قلت : بين ناقة وجمل غلَّبت التأنيث ولم تبالِ أبدأْتَ بالجَمَل أو بالناقة ، فقلت : عندى خمس عشرة بين جمل وناقة . ولا يجوز أن تقول : عندى خمس عشرة أمة وعبدًا ، ولا بين أَمَة وعبد (٤) إلّا بالتذكير ، لأَنَّ الذُّكرانَ من غير ما ذكرتُ لك لا يُجتَزأُ (٥) منها بالإناث ، ولأَنَّ الذكَر (٦) موسوم بغير سمة الأُنثى . انتهى .

---

(١) ط : « فى الثلاث » والأوفق ما أثبت من ش .

(٢) كذا فى النسختين ، وهو جائز ، فإنّ المعدود إذا لم يذكر جاز فى العدد المطابقة وعدمها .

(٣) الآية ٢٣٤ من البقرة .

(٤) ط : « بين عبد وأمة » ، وأثبت ما فى ش ومعانى القرآن ١ : ١٥٢ .

(٥) ط : « لا تجتزىء » ، وأثبت ما فى ش ومعانى القرآن .

(٦) فى معانى القرآن : « ولأن الذكر منها » .

ونقل ابنُ السكيت كلامه هذا بحروفه (فى كتاب المؤنث والمذكر) و (فى كتاب إصلاح المنطق) .

ووافق أبو حيان الشارح فيمن يعقل وخالفه فيمن لا يَعقِل . قال (فى الارتشاف) : وإذا ميَّزت عددًا مركَّبا بمذكَّر ومؤنَّث ذَوَىْ عقل فالحكم فى العدد للمذكَّر ، سواء أقدِّم التمييز المذكر أم أُخِّر ، أو اتَّصل بالمركب أو انفصل ببينَ ، أو كان المذكَّر نِصفًا أو أقلّ . تقول : اشتريت خمسة عشر عبدًا وأمة ، أو أمة وعبدًا ، أو بين عبدٍ وأمة ، أو بين أمة وعبد ، تغلَّب المذكَّر ولو كان واحدًا . فإن عُدم العقل منهما فإمّا أن يتَّصل التمييزانِ بالمركَّب أو يفُصل ببينَ . فإن اتَّصل فالحكم للسابق منهما ، فتقول : اشتريت ستَّة عشَرَ جملا وناقة ، وست عشرة ناقة وجملا . وإن فَصَلت (١) ببينَ فالحكم للمؤنث . تقول : اشتريت ست عشرةَ بين جملٍ وناقة ، وست عشرة بين ناقة وجمل . انتهى .

وقول الشارح المحقق : إذا أبهمت الليالى ولم تَذْكُر (٢) جرى اللفظ على التأنيث إلخ لم يجعله عند الإبهام من باب التغليب موافقةً لسيبويه ، إذ لا يصدق عليه تعريف التغليب ، وهو أن تعمَّ كِلَا الصِّنفين بلفظ أحدهما ، ٣١٩ إذْ لم يذكر عند الإبهام شىءٌ من الليالى والأيّام حتى يغلب (٣) أحدُهما على الآخر . وإنّما أراد الشارح أنَّ الليالى مستلزِمةٌ للأيَّام ، والأيام تابعةٌ لها وداخلةٌ

---

(١) ش : « فضل » .

(٢) فى الرضى ٢ : ١٤٦ : « فلهذا إذا أبهمت ولم تذكر الأيام ولا الليالى جرى اللفظ على التأنيث ، نحو قولك : أقام فلان خمسا » .

(٣) ش : « حتى تغلب » .

فيها ، كما قال سيبويه فى : لخمسٍ بقين . قال الزجاج فى تفسير الآية المذكورة : معنى قوله عز وجل : ﴿ وعَشْرًا ﴾ يدخل فيها الأيَّام . زعم سيبويه أنَّك إذا قلت لخمسٍ بقين قد علم المخاطب أنَّ الأيام داخلةُ مع الليالي . وزعم غيره أنَّ لفظ التأنيث مغلَّب فى هذا الباب . انتهى .

وأراد بغير سيبويه الفَرَّاء ، فإنَّه زعم فى تفسيره عند هذه الآية أنَّه تغليب . قال : لم يقل وعشرة ؛ لأنَّ العرب إذا أُبهمت العدد من اللَّيالى والأيَّام غلَّبوا عليه الليالى ، حتَّى إنَّهم ليقولون : صُمْنا خمسًا من شهر رمضان ، لكثرة تغليبهم اللَّيالى على الأيام . فإذا أظهروا مع العدد تفسيره كانت الإناث بطرح الهاء ، والذُّكران بالهاء ، كما قال الله تعالى : ﴿ سَبْعَ ليالٍ وثمانيةَ أيَّام [1] ﴾ . وإن جعلت العدد غير متَّصل بالأيام كما يتصلُ الخافضُ بما بعده غلَّبت الليالىَ أيضًا على الأيَّام . فإذا اختلطا فكانت ليالىَ وأيامًا غلَّبت التأنيث فقلتَ : مضى له سبعٌ ، ثم تقول بعد أيام : فيها برد شديد . وأمَّا المختلط فقول الشاعر :

* أقامت ثلاثًا بين يومٍ وليلة *

فقال : ثلاثًا وفيها أيَّام . انتهى

ويردُ عليه ما ذكر من أنَّه ليس من التغليب فى شيء ، وهو أوّل من ذهب إليه . لا الزجّاج ، فإنه حاكٍ للمذهبين . ولا الزجَّاجيُّ ، فإنَّه تلميذه .

(١) الآية ٧ من سورة الحاقة .

قال ابن مالك (فى فصل التاريخ من شرح الكافية الشافية) . أوّل الشهر ليلةَ طلوع هلاله ، فلذلك أُوثِرَ فى التّاريخ قصدُ الليالى واستُغنىَ عن قصد الأيَّام ، لأنَّ كلّ ليلة من أيام الشهر يتبعها يومٌ ، فأغناهم قصد المتبوع عن التابع . وليس هذا من التغليب ، لأنَّ التغليب هو أن تعمَّ كلا الصِّنفين بلفظ أحدهما ، كقولك : الزَّيدون والهندات خرجوا . فالوَاوُ قد عمَّت الزيدين والهندات تغليبًا للمذكَّر . وقولك : كُتبَ لخمسٍ خلون لا يتناول إلَّا الليالى ، والأيَّام مستغنى عن ذكرها ، لكون المراد مفهومًا . انتهى .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : التأريخ عدد اللَّيالى والأيَّام بالنسبة إلى ما مضى من الشهر أو السنة وإلى ما بقىَ منهما . وفعله أرَّخ وورَّخ ، تأريخا وتوريخًا ، لغتان . فإن ذكَرت الليالى والأيَّام بالنسبة إلى السَّنة أو الشَّهر و ذكَرت العدد ، كان على جنسِه من تذكيرٍ وتأنيثٍ . فتقول : سِرت من شهر كذا خمسَ ليال ، أو خمسةَ أيّام . وإن لم تَذكر المعدود فالعرب تستغنى باللَّيالى عن الأيَّام فتقول : كُتبَ لثلاث خَلوْنَ من شهر كذا ، وليس من تغليب المؤنَّث على المذكَّر ، خلافًا لقوم منهم الزَّجاجِىّ . انتهى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : قالوا : يغلَّب المؤنَّث على المذكَّر فى مسألتين : إحداهما ضبُعان فى تثنية ضَبُع للمؤنَّث وضِبْعان للمذكَّر ، إذ لم يقولوا ضِبْعانان . والثانية التأريخ ، فإنَّهم أرَّخوا باللَّيالى دون الأيَّام . ذكر ذلك الزجَّاجىُّ وجماعة . وهو سهوٌ ، فإنَّ حقيقة التغليب أن يجتمع شيئان فيجرى حكم أحدهما على الآخر ، ولا يجتمع الليل والنهار . ولا هنا تعبيرٌ عن شيئين

بلفظ أحدهما ، وإنَّما أَرَّخت العربُ باللَّيالى لسبْقها ، إذ كانت أَشهرُهم قمريّة ، والقمر إنَّما يطلُع ليلا . وإنَّما المسأَلة الصحيحة قولك : كتبته لثلاثٍ بين يوم وليلة . وضابطه أن يكون معَنا عددٌ مميَّز بمذكَّر كلاهما ممَّا لا يعقل ، وفُصِلا من العدد بكلمة بين . قال :

* فطافَتْ ثلاثًا بين يوم وليلة * انتهى ٣٢٠

قال الشهاب ابن قاسم العبادىّ (فيما كتبه على هامش المغنى) : قد يكون الزَّجاجىُّ عدَّ اعتبار أَحدِ الأَمرين دون الآخر كما هنا نوعًا آخر من التغليب ، لأَنَّ فى التغليب تقديمَ أَحدِ الأَمرين فى الاعتبار على الآخَر ، فلا يحكم بالسَّهو عليه . فليُتأَمَّلْ . انتهى .

وقول ابن هشام : قالوا : يغلَّب المؤنَّث على المذكَّر فى مسأَلتين إلخ ، مأْخوذ من (درّة الغوَّاص للحريرى) قال فيها : من أُصول العربية أَنَّه متى اجتمع المذكر والمؤنث غلِّب حكم المذكر على المؤنَّث ، إلَّا فى موضعين :

أَحدهما : أَنَّك متى أَردت تثنية المذكَّر والأُنثى من الضِّباع قلت ضَبُعانِ ، فأُجريت التثنية على لفظ المؤنث الذى هو ضبُع لا على لفظ المذكر الذى هو ضِبْعان . وإنَّما فعل ذلك فِرارًا مما كان يجتمع من الزوائد لو ثنِّى على لفظ المذكر .

والموضع الثانى : أَنَّهم فى باب التاريخ أَرَّخوا باللَّيالى دون الأَيّام . وإنَّما فعلوا ذلك مراعاةً للأَسبق ، والأَسبق من الشهر ليلته . ومن كلامهم : سرنا عشرًا من بين يوم وليلة . انتهى .

وفى كل من المسألتين نظر . أمَّا الثانية فقد تقدَّم الكلام عليها ، وردٌّ عليه ابن بَرِّىٍّ (فيما كتبه على الدرة) وقال : ليس باب التاريخ ممَّا غلِّب فيه المؤنث كالضبُع ، بل هو محمول على الليالى فقط ، كقولك : كتبت لخمسٍ خلوْنَ . فإنْ قلت : سرت خمسةَ عشَر ما بين يومٍ وليلة فقد غلَّبت المؤنَّث على المذكَّر . انتهى . وأمَّا الأولى فقد حكىَ الضبُع المذكَّر فلا تغليب فى تثنيته . حكى الدَّمِيرى [1] (فى حياة الحيوان) عن ابن الأنبارىّ أنَّ الضبع يطلق على الذكر والأُنثى .

وكذلك حكاه ابن هشام الخضراوى (فى كتاب الإفصاح ، فى فوائد الإيضاح للفارسى) عن أبى العباس وغيره . انتهى .

وكذلك حكى الدمامينى (فى الحاشية المصرية على المغنى) عن ابن الأنبارىِ . ونقل الصاغانى (فى العباب) عن الوزير الصاحب بن عبّاد ، أنه يقال ضَبُعَة بالهاء ، وجمعه ضَبُع ، فيكون اسمَ جنس جمعىّ يفرق بينه وبين واحدِهِ بالتاء . ويقال أيضًا ضِبعانةٌ مؤنث ضِبْعان . وقال الفيومى فى المصباح : الضَّبُع بضم الباء فى لغة قيس ، وبسكونها فى لغة تميم ، وهى أُنثى ، وقيل يقع على الذكر والأُنثى . وربَّما قيل فى الأُنثى ضَبْعة بالهاء ، كما قيل سَبْع وسَبْعة بالسكون مع الهاء ، للتخفيف . والذكر ضِبْعانٌ والجمع ضَباعِينْ ، مثل سِرحان وسَراحَين . ويجمع الضبُع بضم الباء على ضباع ، وبسكونها على أَضبُع . انتهى .

---

(١) نسبة إلى دميرة ، بفتح الدال . قال صاحب القاموس : « قريتان بالسمدونية » . وهو كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميرى المتوفى سنة ٨٠٨ . جمع كتابه وهو ابن ثلاثين سنة ودفن فى ضريحه بالقاهرة بالحسينية فى مسجده المعروف بالصوابى . قاموس الأعلام للزركلى .

وقول (صاحب المغنى) : ولا يجتمع اللَّيل والنهار ، أى لفظهما ، عند قصد الإبهام فى التاريخ ، نحو : كتب لخمسٍ خلون وسرنا خمسًا ، وأربعة أشهر وعشرًا ، فإنَّه لم يذكر واحدًا منهما فضلا عن اجتماعهما كما بيَّنَّا . فلا تعبير عن شيئين بلفظ أحدهما .

ونقل بعضهم كلامَ المغنى (فى شرحه على الدرة) وتعقَّبه بقوله : وفيه نظرٌ لا يخفى ، فإنَّ قوله لا يجتمع الليل والنهار ، إنْ أراد فى الوجود فمسلَّم ، لكنَّه لا يفيد ، لأنَّ المراد بالاجتماع فى التغليب الاجتماعُ فى الحكم ، وإرادة المتكلِّم لدلالة اللفظ الواقع فيه التغليب عليهما . انتهى .

وهذه الإرادة واهية ، إذ لا يَتوهَّم أحد اجتماعَهما فى الوجود ، وإنَّما المراد اجتماعهما فى اللفظ . فإذا لم يُوجدا فيه فلا تغليب . وهذا ظاهر .

٣٢١ وقول ابن هشام : وإنَّما المسألة الصحيحة ، أى لتغليب المؤنَّث على المذكر فى التاريخ . إذ الكلام فيه ، وليس المعنى أنَّه لا يغلَّب المؤنث على المذكر إلاَّ فى التاريخ ، إذ ليس الكلام على مطلق تغليب المؤنَّث على المذكَّر ، كما فهمه الدَّمامينى (فى الحاشية الهنديَّة) . وقال معترضًا عليه : أقول لا اختصاصَ لهذه المسألة بالتاريخ ، فإنَّه يقال فى غيره : اشتريت عشرا بين جملٍ وناقة .

ويريد بالمثال أنَّه يغلب المؤنَّث على المذكَّر فى غير التاريخ كما هو مدلول سياق كلامه . ومثالُه جارٍ على مذهب الفراء وأبى حيّان . وأمَّا على ما ذكره الشارح المحقِّق فيجب أنْ يقول : اشتريت عشرةً بالتأنيث ، لتغليب المذكَّر .

وقول ابن هشام : وضابطه أن يكون مَعَنا إلخ أى ضابط تغليب المؤنث على المذكر فى التاريخ . ولا يرِدُ اعتراض الدمامينى بقوله يقع التغليب ، بدون هذا الضابط ، كقوله تعالى : ﴿ أربعةَ أشهرٍ وعَشْرا [1] ﴾ ، فإنَّ ابن هشام قد غلَّط من قال بالتغليب فى نحوها ، فإنَّ الآية ليست من التغليب فى شيء كما تقدم بيانه .

وحاصل كلام ابن هشام أنَّ التاريخ يكون بلا تغليب ، كما فى نحو الآية ، ويكون بتغليبٍ إذا كان داخلًا فى الضابطة المذكورة . والتغليب [2] يكون فيه وفى غيره كما ذكره الشارح المحقق وغيره فى تلك الأمثلة .

وهذا مما أنعم الله به علىَّ من فهم كلام المغنى ؛ فإنَّ شراحه لم يهتدُوا لمُرادِه . ولله الحمد على ذلك .

ولنرجع من هنا إلى شرح البيت فنقول : وصف النابغة الجعدى به بقرةً وحشيَّة أكل السَّبُعُ ولدَها فطافت – وروى : (أقامت) – ثلاثة أيام وثلاث ليال تطلُبه ، ولا إنكار عندها ولا غَنَاء إلَّا الإضافة ، وهى الجزع والإشفاق ، والجُؤار وهو الصِّياح . والنَّكير : الإنكار ، وهو من المصادر التى أتت على فعيل ، كالنذير والعذير . وأكثر ما يأتى هذا النوع من المصادر فى الأصوات ، كالهدير والهديل . أى ما كان عندها حين فقدته إلَّا الشفقة والصِّياح ، وتُضيف مضارع أضاف إضافة .

وأورد البيت العسكرى (فى موضعين من كتاب التصحيف)

---

(١) الآية ٢٣٤ من البقرة .

(٢) ش : « والضابط » .

قال فى الموضع الأوّل (١) : حدثنا أحمد بن يحيى قال : سمعت سلمة بن عاصم يقول : صحَّف الكِسائىُّ فى بيت النَّابغة الجَعدىّ فقال : هو تُصِيف ، بالصاد غير معجمة ، وتُضِيف أى تشفق . والإضافة : الشَّفقة . ويروىِ : « أن تَضِيف » بفتح التاء ، أى تعدِل ههنا مرة وههنا مرة . يقول : كان نكيرُها لمَّا رأت الشَّلوَ ، أنْ تُشفق وتجأر ، لا شئَ عندها غير ذلك .

وقال فى الموضع التانى (٢) : يروى : « تُضيف » مضموم التاء والضادُ معجمة . ويروى : « تَضيف » مفتوح التاءِ فمن رواه بفتحها وهو الجيّد ، أراد تُشفِق . ومنه قوله :

وكنت إذا جارِى دعَا لمَضُوفةٍ ... أُشمِّر حتَّى ينصُفَ الساقَ مِئزرِى (٣)

وفى الحديث : « حتى إذا تضيَّفَت الشَّمسُ للغروب » بضاد معَجمة ، أى مالت . ويقال ضافت تَضيف ضَيْفا ، إذا مالت .

وأخبرنى ابن الأنبارى عن ثعلبٍ قال : سئل ابنُ الأعرابىّ عن قوله حين تضيَّفَتْ فقال : لا أعرفه ، ولكن إن كان تصيَّفت بصاد غير معجمة فهو حين تميل ، كما قال أبو زُبَيد :

كلَّ يوم تَرميه مِنَّا برشْقٍ ... فمصيبٌ أوضافَ غيرَ بعيدِ (٤) ٣٢٢

---

(١) كتاب التصحيف ١٢٦ .

(٢) كتاب التصحيف ٣٢٧ .

(٣) لأبى جندب الهذلى فى ديوان الهذليين ٣ : ٩٢ واللسان (ضيف) . وانظر المحتسب ١ : ٢١٤ وابن يعيش ١٠ : ٨١ والعينى ٤ : ٥٨٨ .

(٤) الصواب : « ترميه منها » ، كما فى الديوان ٤٢ واللسان (رشق ، صيف) . وضمير « منها » عائد إلى « المنون » فى بيت قبله :

علل المرء بالرجاء ويضحى ... غرضا للمنون نصب العود

يقال : صاف السهم وضاف ، حُكِيا جميعًا ، أى مال . وحكى أبو بكر بن الخبّاز (١) عن ثعلب عن ابن الأعرابى : يقال صاف السهم بصاد غير معجمة ، إذا أخطأ ، لم يقل عربىٌّ قطُّ ضاف منقوطة . وأنشد غيره :

* فلما دخلناه أَضَفْنا ظهورنا (٢) *

وضِفتُ فلانا ، إذا ملتَ إليه . وأضفته ، إذا أملته إليك . ومنه قيل للدعىّ مضاف ، لأنّه مسندٌ إلى قومٍ ليس منهم . انتهى .

وبعـده :

(وأَلفَتْ بيانًا عند آخر معهدٍ إهابًا ومعبوطًا من الجوف أحمرا
وخدًّا كبُرقُوع الفتاة ملمَّعا ورَوْقين لمَّا يَعْدُوَا أن تَقشَّرا)

أراد أنّها وجدت عند آخر معهدٍ عهدَتْه فيه ، ما بيّن لها وحقّق عندها أنَّ السبع أكله . ثم فسَّر ذلك البيان بما ذكره بعد ذلك . والإهاب : الجلد . والمعبوط : الدّمُ الطرِىّ . والرَّوقانِ : القرنانِ . وشبَّه خدَّه لمَا فيه من السَّواد ، ورَدْع الدّم والبياضِ ، ببُرقوعِ فتاةٍ لأنَّ الفتياتِ يزيِّنَّ براقعهن ، وبقر الوحش بيض الألوان لا سوادَ فيها إلّا فى قوائمها وخدودها وأكفالها .

صاحب الشاهد وهذه الأبيات من قصيدةٍ طويلة ، نحو مائتى بيت ، للنَّابغة الجعدى الصحابى ، أنشَدَ جميعها للنبىِّ ﷺ . ومنها :

---

(١) فى التصحيف ٣٢٧ : « أبو بكر الخباز » .

(٢) لامرئ القيس فى ديوانه ٥٣ . وتمامه فى التصحيف :

* إلى كل قينى جديد مقشب *

وفى الديوان :

* إلى كل حارى جديد مشطب *

(أتيتُ رسولَ الله إذْ جاء بالهدى ويتلو كتابًا كالمجَرَّة نيِّرا)

وهى من أحسن ما قيل فى الفخر بالشجاعة ، وقد أوردنا منها أبياتًا كثيرة فى ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة (١) .

ومن أواخرها :

(بلغْنَا السَّماءَ مجدُنا وسناؤنا وإنَّا لنرجو بَعْدَ ذلكَ مظهَرا
ولا خير فى حلمٍ إذا لم تكن له بوادرُ تحمى صَفْوَهُ أن يكدَّرا
ولا خيرَ فى جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرا)

والبيت الأوّل أورده شرَّاح الألفيّة لإبدال مجدنا بدل اشتمال من الضمير المرفوع فى قوله بلغنا . وروى على غير هذه الرواية ، وتقدَّم هناك . ويروى بنصب « مجدَنا » على أنَّه مفعول لأجله .

وأنشدَهُ صاحب الكشاف أيضًا عند قوله تعالى : ﴿ ورفَعْناهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٢) ﴾ ، على أنَّ الحسنَ البصرىَّ فسَّر المكان بالجنة ، كما أنَّ النَّابغة فسَّر المَظهَر بالجنَّة لمَّا سمع النبى ﷺ هذا البيت ، وقال له : إلى أين المَظْهَر يا أبا ليلى (٣) ؟ فقال له النبى ﷺ : « أجل إن شاء الله » .

ولما أنشده البيتين بعده قال له النبى ﷺ : « لا يَفْضُضِ الله فاك ! » . فكان من أحسن الناس ثغرا ، وكان إذا سقطت له ثنيَّة نبتت ، وكان فوه كالبَرد المتهلّل ، يتلألأ ويبرق .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ١٦٩ – ١٧١ .
(٢) الآية ٥٧ من سورة مريم .
(٣) حاشية ش : « هكذا بخط المصنف ، وفيه نقص . وفى طبقات ابن قتيبة : فقال إلى الجنة . والذى فى الأغانى : فقال النبى ﷺ : فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقلت : الجنة . فقال : قل إن شاء الله . فقلت : إن شاء الله » . وانظر الشعراء لابن قتيبة ٢٨٩ والأغانى ٤ : ١٢٩ – ١٣٠ .

المذكر والمؤنث

أُنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون بعد الخمسِمائة [١] :

٥٥٠ (فقلتُ لها: أُصبتِ حَصاةَ قلبي ورُبَّتَ رميــةٍ مِنْ غَيْــرِ رامِـــى)

على أنَّ تاء التأْنيث قد تلحق الحرفَ كربّ إذا كان مجرورها مؤنثًا ، ليدلّ من أوّل الأَمر أنَّ المجرور مؤنَّث . والمشهور أنَّها تزاد فى بعض الحروف للتأْنيث اللفظى . والبيت قبله :

(رمَتْنِي يومَ ذاتِ الغَمْر سَلْمَى بسهمٍ مُطْعِمٍ للصَّيدِ لامِ)

وذات الغمر : موضعٌ ، كذا ذكره ابن الأَثير (فى المرصع) . وأَنشد قول قيس الهذلى :

سَقى اللهُ ذاتَ الغَمر وَبْلًا وديمة وجادت عليها البارقات اللوامعُ

ولم أَره فى معجم البلدان ، ولا فى معجم ما استعجم .

وسَلمى فاعل رمتنى ، وهى اسم امرأة ، والباء متعلّقة برمَتنى . والسَّهم : النُّشّاب : ولأْم صفته ، أَى عليه ريشٌ لؤام ، بضم اللام مهموز العين على وزن فُعَال . قال صاحب الصحاح : واللُّؤام : القُذَذ الملتئمة ، وهى التى تلى بطنُ القُذَّة منها ظهرَ الأُخرى ، وهو أَجود ما يكون . تقول منه : لأَمت السَّهم لأما . ومُطعِم : اسم فاعل من أُطعم . وحصاة القلب : حبَّته [٢] .

والبيتان أَنشدهما الزمخشرى (فى المستقصى) ولم يعزُهما لأَحد ، وقال :

---

(١) المستقصى للزمخشرى ٢ : ١٠٥ .

(٢) ط : « حبتها » ، صوابه فى ش .

« ربَّ رميةٍ من غير رامٍ (١) » : مثَلٌ أوّلُ من قاله الحكم بن عبد يغوث المِنْقرى ، وكان من أرْمَى النَّاس . وذلك أنَّه نذر ليذبحنَّ مَهاةً على الغَبغَب ، فرام صيدها أيَّامًا فلم يمكنه ، فكان يرجع مُخْفِقًا حتَّى همَّ بقتل نفسِه مكانَها ، فقال له ابنه مُطعِم : احمِلْنى أرفِدْك . فقال : ما أحمِلُ من رِعِشٍ رَهِلٍ جبان فَشِلٍ ! فما زال به حتَّى حمله ، فرمى الحكم مهاتَين فأخطأهما ، فلما عَرَضت الثالثةُ رماها مطعِمٌ فأصابها فعندها قال الحكم ذلك . يُضرب فى فلتة إحسانٍ من المسىء . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٥١ (يا صاحِبًا رُبَّتَ إنسانٍ حَسَنْ)

على أنَّه قد جاء مَجرورُ ربَّتَ مذكَّرًا على خلاف الأوّل . ويجوز أن يريد بالإنسان المؤنَّث فيوافق ما قبله . والإنسان من الناس اسمُ جنسٍ يقع على الذَّكر والأنثى ، والواحدِ والجمع . كذا فى المصباح .

وهذا الالتزام ليس بلازم . على أنَّ بقيّة الرجز يَمنعُ ما أوَّله ، كما سيأتى .

قال أبو على (فى كتاب الشعر) : ولحقت بعضَ الحروف تاءُ التأنيث ، وذلك رُبَّ وربت ، وثُمَّ وثُمَّت ، ولا ولات . قال :

ثُمَّت لا تجزوننى عنْد ذاكمُ ... ولكن سَيجزينى الإله فيُعقِبا (٣)

وأنشد أبو زيد :

---

(١) نص المثل فى المستقصى : « رمية من غير رام » . وعند العسكرى ١ : ٤٩ والميدانى ١ : ٣٧٣ وفصل المقال ٤٣ : « رب رمية » بزيادة « رب » ، كما هنا . وكذا فى الفاخر ١٤٣ .

(٢) ش : « الواحد والخمسون بعد الخمسمائة » . وانظر للشاهد نوادر أبى زيد ١٠٣ وابن يعيش ٨ : ٣٢ .

(٣) للأعشى فى ديوانه ٩٠ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٢٢ .

يا صاحبَا رُبَّتَ إنسانٍ حسن يسأَل عنكَ اليوم أو يسأَل عنْ

وقياس مَن يسكِّن التاء فى ثمتْ ورُبّت أن يقف عليها بالتّاء ، كما يقف على ضربَتْ . وقياس من حرّك أن يقف بالهاء كما يقف على كيت وذيت . انتهى .

أشطار الشاهد والبيت من رجزٍ أورده أبو زيد (فى نوادره) :

(ياصاحِبَا رُبَّتَ إنسانٍ حسنْ يسأَل عنكَ اليوم أو يسأَل عنْ

٣٢٤ إنَّا على طُول الكلالَ والتونْ مما نقيم الميل من ذات الضِّغَنْ

نسوقُها سَنًّا وبعض السَّوق سَنّ حتَّى تراها وكأَنَّ وكأَنْ

* أعناقَها مشرَّباتٌ فى قَرَنْ *)

قال أبو زيد : ليست التاء [١] فى رُبّت للتأنيث ، فلهذا جاز أن يَقول [٢] ربَّت إنسان [٣] . انتهى .

وقوله : « ياصاحبَا » أصله يا صاحبى ، فالألف أصلها ياء . ويَسأل جواب رُبّ ، وهو العامل فى محل مجرورها . وقوله : « أو يسأَل عن » معطوف على يسأل عنك ، وكلاهما بياء الغيبة . أراد : يسأل عنى بياء المتكلم .

وقوله : « إنَّا على » إلخ بكسر الهمزة ابتداء كلام . وعلى بمعنى مع . والكلال : مصدر كلّ يَكِلُّ ، من باب ضرب ، إذا تعب وأعيا . والتَّوَنْ ،

---

(١) ش : « ليس التاء » .

(٢) ط : « أن تقول » بالتاء ، وأثبت ما فى ش .

(٣) لم أعثر على هذا التعليق فى النوادر المطبوعة .

بفتح التاء والواو ، وهو التوانى . قال صاحب الصحاح : وتوانَى فى حاجته ، أى قصَّر . وقولُ الأعشى :

ولا يدعُ الحمدَ ، بل يشترى　　بوَشْك الظُّنون ولا بالتَّوَنْ (١)

أراد بالتوانْ ، فحذف الألف لاجتماع الساكنين ، لأنَّ القافية موقوفة . والضِّغَن بكسر الضاد وفتح الغين المعجمتين : جمع ضِغْن بسكون الوسط . قال صاحب الصحاح : إذا قيل فى الناقة : هى ذات ضِغْن فإنَّما يراد نزاعها إلى وطنها .

والسَّنُّ بفتح السين المهملة ، قال الرِّياشيّ : هو أسرع السير . والقَرَن ، بفتح القاف والراء : حبلٌ يقرن به البعيران . والمشَرَّبات ، بفتح الراء المشددة ، قال أبو حاتم والرياشيُّ والمازنى : هى المُدْخَلات ، من قوله : ﴿ وأُشرِبُوا فى قُلوبِهِمُ العِجْل (٢) ﴾ . وقال أبو الحسن الأخفش : ومن روى : « مسَرَّبات » بالسين المهملة فإنَّه يذهب الى أنَّها تُسَرَّبُ فى القَرَن ، أى تذهب فيه وتجىء . من قوله تعالى : ﴿ وساربٌ بالنَّهار (٣) ﴾ .

وقول الشارح المحقق : وتلحق ، أى التاء ، ثُمّ أيضًا إذا عطفتَ بها قِصَّةً على قصة ، لا مفردا على مفرد . هذا هو المشهور . وقد رأيت فى شعر رؤبة بن العجاج عَطْفَ المفرد بها . قال :

فإن تكنْ سوائقُ الحِمام　　ساقتهمُ للبلدِ الشَّآمِ

فبالسَّلامِ ثُمَّتَ السَّلامِ

---

(١) فى الديوان ٢١ : « أو يشتريه » . وهو الصواب إن شاء الله . وانظر الصحاح واللسان (ونى) .

(٢) الآية ٩٣ من البقرة .

(٣) الآية ١٠ من سورة الرعد .

وكذلك استعملها ابن مالك فى جموع التكسير من (الأُلفية) قال :

أَفعلةٌ أَفْعُلُ ثم فِعلَه ثُمَّتَ أَفعالٌ جموعُ قلَّه

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الخمسمائة [١] :

٥٥٢ (لقد أَغدُو على أَشقَـ ـرَ يَغتالُ الصَّحاريَّا)

على أَنَّه جمع صحراء ، فلما قلبت الأَلف بعد الراء فى الجمع ياءً قلبت الهمزة التى أَصلها أَلفُ التأْنيثِ أَيضًا .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : قد اطَّرد عنهم قلب أَلف التأْنيث همزة [٢] . والقول فى ذلك أَنَّ الهمزة فى صحراء وبابها إِنَّما هى بدلٌ من أَلف التأْنيث ، كالتى فى نحو حُبلى وسكرى ، إِلَّا أَنَّها فى صفراء وقعت الأَلف بعد أَلف قبلها زائدة ، فالتقى أَلفان زائدتان ولم يجزْ فى واحدةٍ منهما الحذف . أَمَّا الأُولى فلو حذفَتها لا نفردت الآخرة ، وهم قد بنَوا الكلمةَ على اجتماع أَلفين فيها . وأَمَّا الآخِرة فلو حذفتها لزالت سلامةُ التأْنيث [٣] . وأَما الحركة ٣٢٥
فقال سيبويه : إِنَّه لما انجزم الحرفان حركت الثانية فانقلبت همزة ، فصارت : صفراء وصحراء .

---

(١) سر الصناعة ١ : ٩٧ والإنصاف ٨١٦ وابن يعيش ٥ : ٥٨ والمقرب ١٠٧ وشرح شواهد الشافية ٥ .

(٢) بعده فى سر الصناعة : « وذلك نحو حمراء وصفراء وصحراء ، وأربعاء ، وعشراء ، ورحضاء ، وقاصعاء ، وما أشبه ذلك » .

(٣) فى سر الصناعة : « لزالت علامة التأنيث التى وسمت الكلمة بها . وهذا أفحش من الأول . فقد بطل حذف شىء منهما » .

فإن قيل : ولِمَ زعمت أنَّ الثانية منقلبة ، وهلاَّ زعمت أنها زيدت للتأنيث همزة فى أول أحوالها ؟ فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنّا لم نرهم فى غير هذا الموضع أنَّثوا بالهمزة ، إنَّما يؤنِّثون بالتاء أو بالألف ، فكان حمل همزة التأنيث فى نحو صحراء على أنَّها بدلٌ من ألف التأنيث لِما ذَكَرْنا أحرى .

والوجه الآخر : أنَّا قد رأيناهم لمَّا جمعوا بعضَ ما فيه همزة التأنيث أبدلوها فى الجمع ولم يحقِّقوها البتة ، وذلك قولهم فى جمع صحراء وصلفاء : صحارَى وصَلافَى ، ولم نسمعهم أظهروا الهمزة فى شىءٍ من ذلك ، فقالوا صحارىء وصلافىء . ولو كانت الهمزة فيهن غير منقلبة لجاءت فى الجمع . ألا تراهم قالوا : كوكب دِرِّىءٌ وكواكب دراریء ، وقُرَّاء وقَراریء ، ووُضَّاء ووضَّائىء ، فجاءُوا بالهمزة فى الجمع لمَّا كانت غير منقلبة ، بل موجودة فى قرأت ودرأت ووضُؤت . فهذه دلالة قاطعة .

فإن قيل : فما الذى دعاهم إلى قلبها فى الجمع ياءً ، وهلَّا تركوها ملفوظًا بها كما كانت فى الواحدة فقالوا صحارِىء وصلافىء ؟ فالجواب أنَّها إنَّما كانت انقلبت وأصلها الألف ، لاجتماع الألفين ، وهذه صُورتها صحراا ، وصلفاا ، فلمَّا التقت ألفان اضطُرُّوا إلى تحريك إحداهما فجعلوها الثانية ، لأنَّها حرف الإعراب ، فصارت صحراء وصلفاء .

وحال الجمع ما أذكره ، وذلك أنَّك إذا صرت إلى الجمع لزمك أن تقلب الأولى ياء لانكسار الراء فى صحارى قبلها ، كما تنقلب ألف قرطاس ياء

(١) ط : « ووضأت » ، صوابه فى ش وسر الصناعة ١ : ٩٦ .

فى قراطيس ، فكذلك تنقلب أَلف صحراء الأُولى ياء فتصير فى التقدير : صحارى ا وصلافى ا ، فتقع الياء الساكنة قبل الأَلف الأَخيرة الراجعة عن الهمزة لزوال الأَلف [من قبلها ، فتنقلب الأَلف ياءً لوقوع الياء ساكنة قبلها ، وتدغم الأُولى المنقلبة عن الأَلف (١)] الزائدة فى الياء الأَخيرة المنقلبة عن أَلف التأْنيث ، فيصير صحارىّ . أَنشد أَبو العباس للوليد بن يزيد :

لَقد أَغدُو على أَشقَـ ـرَ يغتال الصحاريَّا

وقال آخر

إذا جاشَتْ حوالَيْهِ ترامَتْ ومدَّتْه البَطَاحىُّ الرِّغابُ (٢)

جمع بطحاء . وكذلك ما حكاه الأَصمعى من قولهم : صَلافىّ وخبَارىّ ، جمع صَلفاء وخَبْراء . فبهذا استدللنا على أَنَّ الهمزة فى صحراءَ وبابِها بدلٌ من أَلف التأْنيث . انتهى .

وهذا أَصل كلِّ جمعٍ لنحو صحراء ، ثم يخفَّف بحذف الياء الأُولى فيصير صحارِى ، بكسر الراء وتخفيف الياء ، مثل مدارِى ، ثم يبدل من الكسرة فتحة فتنقلب الياء أَلفًا لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها ، كما فعلوا فى مدارَى . وهذان الوجهان هما المستعملان ، والأَوّل أَصلٌ متروك يوجد فى الشعر :

وقوله : (لقد أَغدو) مضارعُ غدا غدُوًّا من باب قعد ، إذا ذهب

(١) التكملة من سر الصناعة .

(٢) ش . « حوالبه » مع أثر تصحيح ، وما أثبت من ط يوافق سر الصناعة وابن يعيش ٥ : ٥٨ . وكلمة « ترامت » ساقطة من النسختين ثابتة فى سر الصناعة وابن يعيش ٥ : ٥٨ .

غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس . و (الأَشقر) من الخيل : الذى حمرته صافية . والشُّقرة فى الإنسان : حمرة يعلوها بياض . و (يغتال) : يُهلك ، يقال اغتاله ، أى أَهلكه . وعين الفعل واوٌ . استعارَ يغتال لقطع المسافة بسُرعة شديدة ، فأَنَّ أَصل اغتاله بمعنى قتله على غِرّة وغفلة . و (الصحراء) : البرِّيَّة . وقال الليث : الصحراء : الفضاء الواسع . وقال النضر : الصَّحراء من الأَرض : الملساء ، مثل ظهر الدابة الأجرد ، ليس
بها شَجرة ولا آكام ولا جبال . ٣٢٦

ولم أَقف على تتمة هذا الشعر . وهو للوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع عشر بعد المائة [١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الخمسمائة [٢] :

٥٥٣ (مَتَى كُنَّا لأُمِّك مَقْتَوِينَا)

على أَنَّ مَقتوينا جمع مَقْتوىّ بياء النسبة المشدَّدة ، فلما جُمع جمع تصحيح حذفت ياء النسبة . والمَقْتَوِىُّ بفتح الميم : نسبة إلى المَقتَى بفتحها ، فقلبت الأَلف واوًا فى النسبة ، كما تقول مَعلَوىٌّ فى النسبة إلى مَعْلًى . والمَقْتَى مصدرٌ ميمى . قال صاحب الصحاح : القَتْو : الخِدمة ، وقد قتوت أَقتو قَتْوًا ومَقْتًى ، أَى خدمت ، مثل غزوت أَغزو غزوًا ومَغزًى . قال :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٢٨ .

(٢) نوادر أبى زيد ١٨٨ والخصائص ٢ : ٣٠٢ والمنصف ٢ : ١٣٣ والتصريح ٢ : ٣٧٧ ويس ١ : ٢/٧٣ : ٣٧٧ .

إنِّى امرؤٌ من بنى فَزارةَ لا أُحسِنُ قَتْوَ الملوكِ والخَبَبا [1]

ويقال للخادمِ مَقتَوىٌّ ، بفتح الميم وتشديد الياء ، كأنَّه منسوب إلى المَقْتَى . ويجوز تخفيف ياء النسبة ، كما قال عمرو بن كلثوم :

* متَى كنَّا لأُمِّك مَقْتَوينا * انتهى

قال ابن جنى (فى الخصائص) : كان قياسُه إذا جمع أن يقال مَقتويُّون ومقْتَويِّين ، كما إذا جمع بَصرىٌّ وكوفى قيل : كوفيُّون وبَصريُّون ، إلَّا أنَّه جعل علم الجمع معاقِبًا لياء النسبة ، فصحّت اللام لنيَّة الإضافة إلى النسبة ، ولولا ذلك لوجب حذفُها لالِتقاء الساكنين ، وأن يقال مَقْتَوْن ومَقْتَيْن ، كما يقال : هم الأَعلَوْن وهم المصطفَوْن . فقد ترى [2] إلى تعويض علم الجمع من ياء النسبة . الجميعُ زائدٌ [3] . انتهى .

ثم قال صاحب الصحاح : قال أَبو عبيدة : قال رجلٌ من بنى الحِرماز : هذا رجل مَقْتَوِينٌ وهذان رجُلان مَقْتَوِينٌ ورجالٌ مَقْتَوِينٌ ، كلُه سواء . وكذلك المؤنَّث . وهم الذين يعملونَ للنَّاسِ بطعام بطونهم .. قال سيبويه [4] : سألت الخليل عن مَقْتَوىٌّ ومَقْتَوِين فقال : هذا بمنزلة الأَشعرىّ والأَشعَرِين . انتهى .

والواو من مقتوين فى رواية أَبى عبيد مكسورة ، والنون منوَّنة بالرفع . وزاد عليه أَبو زيد (فى نوادرِهِ) فتح الواو ، قال : رجل مَقْتَوَينٌ ورجالٌ

---

(١) مجالس ثعلب ٥٣٤ وشرح القصائد السبع ٤٠٣ ويس ٢ : ٣٧٧ واللسان (خبب ، قتا) .

(٢) ط : « نرى » ، وأثبت ما فى ش والخصائص .

(٣) أى وكلها زائد . وفى النسختين : « زائدا » ، صوابه فى الخصائص .

(٤) سيبويه ٣ : ٤١٠ هارون .

مَقتَوِينٌ ، وكذلك المرأة والنساء ، وهو الذى يخدم القوم بطعام بطنه . وقال عمرو بن كلثوم :

تَهدَّدْنا وأَوعِدْنا رُوَيدًا متى كُنَّا لأُمِّك مَقْتَوِيْنا

الواو مفتوحة ، وبعضهم يكسرها ، أى متى كنَّا خدمًا لأُمِّك . انتهى .

وقد تكلَّم أَبو على (فى كتاب الشعر) على هذهِ اللفظة وبيَّن وجوه استعمالها ، مع شرح كلام أَبى زيد وغيرهِ ، فلا بأْس بإيراد كلامه ، وإن كان فيه طول . قال : أَنشد أَبو زيد :

* متى كنا لأُمِّك مَقتَوِيْنَا *

قالوا : رجل مَقتوِىٌّ وقالوا فى الجمع مَقْتُوون ، كما قالوا أَشعرىٌّ وأَشعرون ، فحذفوا ياءى النسب مع الجمع بالواو فى هذين الموضعين ونحوهما . فأَمَّا تصحيحهم الواو فإن شئت قلت صحَّحوها فى الجمع الذى على حدِّ التثنية ، كما صحَّحوها فى جمع التكسير حيث قالوا مَقاتوة ، كما أَنَّهم لمَّا حذفوا ياءى النسب فى الجمع على حدِّ التثنية حذفوهما فى التكسير ، فقالوا : المهالبة . وإن شئت قلت : بنوْا مَقُتَوون على الجمع ، كما بنَوْا مذروان على حدِّ التثنية . أَلا ترى أَنَّهم لم يفردوا الواحد منه بغير حرف التثنية ، كما لم ٣٢٧
يُفْردوا واحدَ مذروان وإنَّما استعمل واحدٌ بحرف النَّسب مَقْتَوىّ .

وفيه قول آخر ، وهو أَنَّ الواو صحَّت لمَّا كانت النسبة مرادةً فى الكلمة ، فصحِّحت بالواو مع الحذف كما صحَّت مع الإثبات ، ليكون تصحيحُها دلالة على إرادة النسب ، كما صحَّت الواو والياء فى عَوِر وصَيِدَ ،

ليعلم أَنَّ الفعل لمعنًى ما يلزم تصحيحُ الواو فيه . وكذلك ازدوَجوا واعتوَرُوا . أَلا ترى أَنَّك لو بنيت منه افتعلوا ، لا تريد فيه معنى تفاعلوا ، لأَعللت . فأَمّا النون فقد فتحت كما فتحت فى مُسلمون ، وقد جُعلت حرفَ الإعراب ، كما جعلت فى سنين ونحوِه حرفَ الإعراب . حُكى ذلك عن أَبى عبيدة ، وحَكاه أَبو زيد ، إِلَّا أَنَّ أَبا زيد حكى الفتح والكسر فيما قبل الياء فيمن جعل النون حرف إعراب ، وحَكَيا جميعًا : رجلٌ مقتوينَ ورجلانِ مَقْتَوِينَ ورجالٌ مَقْتَوِينِ . قال أَبو زيد : وكذلك المرأة والنساء .

فأَمَّا ما انفرد أَبو زيد بحكايته من كسر الواو التى قبل الياء وفتحها ، فالأَصل فيه الكسر ، أَلا ترى أَنَّك لو أَثبتَّ ياء النسب لقلت مَقْتويُّون ، فإذا حذفتها وأَنت تريدها وجب تقدير الكسرة ، كما كانت تقدَّر مع الياءين لو أَثبتَّهما . فالذى فَتح إِنَّما أَبدل من كسرة الواو الفتحة ، كما أَبدل الكسرة من الفتحة فى قوله :

* ولكنِّى أُريد به الذَّوِينا (١) *

فأَبدل من الفتحة فى الواو الكسرة . يدلُّك على أَنَّ الأَصلَ فيها الفتحة قوله تعالى : ﴿ ذَوَاتا أَفنان (٢) ﴾ . وإِنَّما جاز ذلك فى الفتحةِ والكسرة لأَنَّهما كالمِثلين . أَلا ترى أَنَّهم قد حرَّكوا بالفتح مكان الكسر فى جميع مالا ينصرف ، وجعلوا النصب والجرَّ على لفظٍ واحد فى التثنية وضربَىِ الجمع المسلَّم فى التأْنيث والتذكير . فكما كانت كلُّ واحدة من الكسرة والفتحة فى

(١) هو الشاهد ١٦ من الخزانة كما أنه من شواهد سيبويه ٢ : ٤٣ بولاق . وصدره :

* فلا أعنى بذلك أسفليكم *

(٢) الآية ٤٨ من سورة الرحمن .

هذه المَواضع بمنزلة الأُخرى ، كذلك جاز أَن تفتح الواو وتكسَر من مَقتوين فيما رواه أَبو زيد . فأَمَّا إجراؤه الكلمة وهى جمعٌ على الواحد فيما اجتمع أَبو زيد وأَبو عبيدة فى حكايته ، فوجهه أَنَّه قد جاء : ﴿ هُنَّ أُمُّ الكِتاب [1] ﴾ ولم يكنَّ أُمّهات . فكما أُجرى الواحد على الجميع ، كذلك فى مقتوين وصف الواحد بالجميع . وكأَنَّ الذى حسَّن ذلك أَنَّه فى الأَصل مصدر . أَلا ترى أَنَّه مفعل من القَتْو ، والمصدر يكون للواحد والجميع على لفظ واحد ، فلمَّا دخله الواو والنون وكانا معاقبين لياء النسب صارتا كأَنهما لغير معنى الجمع ، كما كانتا فى ثُبة وبُرة لمَّا كانتا عوَضًا من اللام المحذوفة لم يكونا على حالهما فى غير ما هما فيه عوض . أَلا ترى أَنَّ نحو طلحة لا يجمع بالواو والنون . فجرى مَقْتُوون على الواحد والجميع كما يجرى المصدر عليهما . وهذا الاعتلال يستمرُّ فى قول من لم يجعل النون حرفَ إعراب وفى قول من جعلها حرف إعراب . أَلَا ترى أَنَّ من قال سنين فجعل النون حرف إعراب فهو فى إرادته الجمع كالذى لم يجعلها حرف إعراب . ومن هذا الباب إنشاد من أَنشد :

* قَدنِيَ من نَصْرِ الخُبيبينِ قَدِى [2] *

من أَنشدَه على الجمع أَراد الخبيبين ونسب إلى أَبى خبيب ، يريده ويريد شيعته . وعلى هذا قراءة من قرأَ : ﴿ سَلامٌ على إلياسين [3] ﴾ أَراد النسب إلى الياس . وكما جُمع هذا النحو على حدِّ التثنية كذلك جمع على

---

(١) الآية ٧ من سورة آل عمران .

(٢) هو الشاهد ٤٠٣ من الخزانة . واختلف فى نسبة قائله .

(٣) الآية ١٣٠ من سورة الصافات . وانظر الإتحاف ٣٧٠ .

التكسير فى نحو المهالبة والمناذرة . ومن هذا الباب : الأعجمونَ فى قوله تعالى :
٣٢٨ ﴿ ولو نَزَّلناه على بعْضِ الأعجمِينَ (١) ﴾ . ومن زعم أنَّ أعجمين جمع أعجم فقد غلط ، لأنَّ نحو أعجم لا يجمع بالواو والنون ، كما أن عجماء لا تجمع بالألف والتاء إذا كانت صفة . فإنَّما أعجمون جمع أعجمىّ ، وحذف ياء النسب . وإنَّما أعجم وأعجمىٌّ مثل أحمر و أحمرىّ ، يراد بكلٍّ واحد منهما ما يراد بالآخر . إلَّا أنَّ حكم اللفظ مختلف .

فأما الألف فى قوله مقتوينا فتحتمل ضربين : من قال مَقْتَوِينٌ فالألف بدلٌ من التنوين كالتى فى رأيت رجلا . ومن قال هؤلاء مَقْتَوُونَ ومَقْتَوِينَ فالألف للإطلاق ، كقوله :

* أقلِّى اللومِ عاذلَ والعتابا (٢) * انتهى .

وفيه لغة أخرى وهى ضم الميم ، ولم أر مَن ذَكرها ومن شَرحها غير أبى الحسن الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) وغير أبى علىّ . قال (فى أواخر البغداديات) : قد كتبنا فى هذه الأجزاء وفى غيرها شرح قوله :

* متى كنا لأُمِّك مُقتوِينا *

ودلَّنا على صحَّة قول الخليل فيه ، من أنَّه جمعٌ يراد به النسب على حدِّ الأعجمينَ والأشعرِين ، بتصحيح لام الفعل ، وأنَّ ذلك إنَّما صحَّ كما صحَّ عَوِروا واجتَوَروا . وهذا دليلٌ بيِّن على صحة قول الخليل . فأمَّا ما أنشدَناهُ أبو الحسن الأخفش ليزيدَ بن الحكم ، قوله :

(١) الآية ١٩٨ من سورة الشعراء .

(٢) لجرير ، وهو الشاهد ٤ من الخزانة ١ : ٦٩ . وعجزه :

* وقولى إن أصبت لقد أصابا *

تَبدَّلْ خليلًا بِى كشَكلك شَكلُه فإنِّى خليلًا صالحًا بك مُقْتوِى

فإنَّه أنشِدْناه عن أحمد بن يحيى مُقْتوِى بضم الميم ، وهكذا صحَّتُه .

وحُدِّثنا عن أحمد بن يحيى أنَّه قال : المُقْتوِى من الخدمة . وهو عندنا كما قال . وشرحه أنَّهُ مُفْعَلِلٌ ، فالواوُ الصحيح فى الكلمة لامُ الفعل ، والياء منقلبة عن اللام الزائدة وأصله واو . والدليل على ذلك أنَّه مثل احمررت ، فأمَّا الواو فصحَّت كما صحَّت فى ارعويت ونحوه ، إذ لا يجوز أن يتوالى فى الكلمة إعلال لامين ، ولا إعلال عين ولام ، لم يوجد ذلك فى شيءٍ إلا فيما حُكم له بالقلَّة .

وفى هذه القصيدة حروفٌ أُخرُ مثلها ، وهو قوله « مُحْجَوِى » ، و « مُدحوِى » ، وهو من حجا ودحا .

ويدلُّك أيضًا على ما ذكرنا من أنَّ مُقْتوى فى البيت مُفْعَلِلٌ ، وأنَّ الميم ليس بمفتوح ، إنما هو ميم مُفعلِل ، تعدِّيهِ إلى قوله خليلا . والمفتوحة الميم لا تتعدَّى إلى شىء ، لأنَّه ليس باسم فاعل .

فإن قلت : أرأيت مُفْعَلِلٌ نحو مُرْعَوٍ متعدّيا فى موضع ، فيجوز تعدِّى هذا الذى فى البيت ؟ أوَ ليس هذا الباب يجىء كلُّه غير متعدّ ؟ فالقول فيه أنَّ هذا الباب من اسم الفاعل كما قلت غير متعدٍّ ، كما أنَّ فعله كذلك ، إلّا أنَّ الشاعر للضرورة يجوز أن يكون حمل ذلك على المعنى فعدَّاه . والمعنى : فإنِّى خليلا بك خادمٌ . فحمله على هذا المعنى وعدَّاه . وإن شئتَ أضمرت شيئًا دلَّ عليه مُقتوِى فتنصبه به . انتهى .

وتبعه ابن جنى (فى المحتسب) قال : قالوا : ارعوى افعلّ [١] ، واقتوى أى خدم وساس ، فمقتوٍ فى بيت يزيدَ مُفعَلّ [٢] من الفَتْو ، وهو الخدمة . وخليلًا عندنا منصوب بفعل مضمر ، يدلُّ عليه مقتو ، وذلك أنَّ افعَلَّ [٣] لا يتعدى إلى المفعول به ، فكأنَّه قال : فإنى أَخدُم أَو أَسوس ، أَو أَتعهد أَو أَستبدل بك خليلا . ودلَّ مقتو على ذلك الفعل . انتهى .

وقد شرحنا قصيدة يزيد بن الحكم فى أَول باب المفعول معه ، فى الشاهد الثمانين بعد المائة [٤] .

والبيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى ، تقدَّم سببُها وشرح أَبياتٍ
٣٢٩ منها مع ترجمته فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة [٥] .

أبيات الشاهد — وهذه أَبياتٌ منها :

(بأَىِّ مشيئةٍ عمرَو بنَ هندٍ ... تُطيع بنا الوُشاةَ وتَزدرينا
بأَىِّ مشيئةٍ عمرَو بنَ هندٍ ... نكون لقَيْلكم فيها قَطينا
تهدَّدْنا وأَوعِدْنا رويدًا ... متى كنَّا لأُمِّك مقتوينا
فإنَّ قناتَنا يا عمرُو أَعيَتْ ... على الأَعداءِ قبلكَ أَن تَلينا)

قوله : « بأَىِّ مشيئة » متعلق بتطيع . وعمرو منادًى مبنىٌّ على الضم . قال شُرّاح المعلَّقة : هو منصوب على أَنَّه إتباع لقوله ابن هند كما قيل مِنْتِن ، فأَتبعوا الميم التاء ، والقياس الضم .

---

(١) ط : « افعلل » ، وهو جائز على أصل الوزن قبل الإدغام .
وما أثبت من ش يطابق المحتسب ٢ : ٢٥ .
(٢) فى المحتسب : « مفتعل » ، وما هنا صوابه .
(٣) ط : « افعل » ، صوابه فى ش والمحتسب ٢ : ٢٦ .
(٤) الخزانة ٣ : ١٣٢ ، ١٣٩ .
(٥) الخزانة ٣ : ١٨٣ — ١٨٥ .

وعمرو بن هندٍ هو ملك الحِيرة فى الجاهليَّة ، قتله صاحبُ هذه المعلَّقة ، وتقدَّم سبب قتله هناك .

وتزدرينا : تحتقرنا . والمعنى : أىُّ شىءٍ دعاك إلى هذه المشيئة ، ولم يظهر منا ضَعفٌ يُطمع الملك فينا حتَّى يُصغِىَ إلى من يَشِى بنا عِنده ، ويُغريه بنا فَيحقِرنا ؟ وتقدير تطيع بنا ، أى فى أمرنا . والقَيْل بفتح القاف : مَن هو دون الملك . وفيها ، أى فى المشيئة . والقطين : جمع قاطن ، من قطن بالمكان إذا أقام فيه . يقول : كيف شئتَ يا عمرو أنْ نكون خدَمًا ورعايا لمن ولَّيتموه أمرَنا ، أى ما دعاك إلى هذه المشيئة ولم يظهر منا ضعفٌ يُطمع الملك فينا .

وقوله : « تهدَّدْنا وأَوعِدْنا رويدًا » هذا استهزاءٌ به . وهو بالجزم على أنَّه أمر ، أى ترفَّقْ فى تهدُّدنا وإيعادنا ، ولا تبالغ فيهما ، متى كُنَّا خدمًا لأُمِّك حتَّى نهتمَّ بتهديدك ووعيدك إيانا ؟! وروى : « تُهدِّدُنا وتُوعِدُنا » بالمضارع على الإخبار . ثم قال رويدًا ، أى دع الوعيد والتهديد وأَهمِلْه . قال شرّاح المعلقة : قالوا : وعدته فى الخير والشر ، فإذا لم تذكر الخير قلت : وعدته ، وإذا لم تذكر الخير قلت : وعدته ، وإذا لم تذكر الشر قلت ، أوعدته .

وذكر ابن الأنبارىّ أنَّه يقال وعدت الرجل خيرًا وشرا ، وأَوعدته خيرا وشرًّا . فإذا لم تذكر الخير قلت : وَعَدته . وإذا لم تذكر الشرَّ قلت أُوعدته .

وقوله : « فإنَّ قناتنا » إلخ قال الزَّوْزنى : العرب تستعير للعزِّ اسمَ القناة . يقول : إنَّ قناتنا أَبت أن تلين لأَعدائنا قبلك . يريد أَنَّ عزَّهم أَبى أن يزول بمحاربة أعدائهم ، لأَنَّ عزَّهم منيعٌ لا يرام .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الخمسمائة (١) :

٥٥٤ (كسامِعَتَىْ شاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ)

على أنّه إذا كان المؤنث اللفظى حقيقىَّ التذكير جاز فى ضميره التذكير والتأنيث . وشاة هنا مؤنّثةٌ لفظا ، ومعناها الثّور الوحشى ، وقد رجع إليه ضميره فى وصفه وهو مفرد مذكر ، رِعايةً لجهة المعنى .

قال ابن السكيت (فى كتاب المؤنث والمذكر) : ما جاءك من الجمع مثل الشاء والبقر والحصَى فهذا اسمٌ موضوع ، فإذا أرادت العرب إفراد واحِدهِ قالوا : شاة ، للذّكر والأُنثى .

ولم يُرَدْ بالهاء ههنا التأنيث المحض ، إنّما أرادُوا الواحد ، فكرِهوا أن يقولوا : عندى جراد ، وهم يريدون الواحد من الجراد ، فلا يعرف جمعٌ من واحد ، فجعلت الهاء دليلا على الواحد . فهذا قياس مطرد .

وهذا عجزٌ ، وصدره :

(مؤلَّلتانِ تَعرِف العِتقَ فيهما)

وقبله :

(وصادقتا سَمْعِ التوجُّسِ للسُّرى لجَرس خفىٍّ أو لصوتٍ مندَّدِ)

وهما من معلقة طَرَفة بن العبد المشهورة . وصف ناقتَه بعدّة أبيات إلى أنْ صاحب الشاهد

٣٣٠ وصف أُذنيها فقال : « وصادقتا سمع » إلخ يعنى أُذنيها ، أى لا تكذبها إذا سمِعتْ شيئًا . والتَّوجُّسُ : الخوف والحذَر من شىءٍ يُسمَع . وقوله : « للسُّرى » أى فى السُّرى . والجَرْس بفتح الجيم : الصوت الخفىّ . والمندَّد بفتح الدال المشدَّدة : الصوت المرفوع المُبيَّن .

---

(١) شروح المعلقات ، واللسان (شوه) .

وقوله : (مؤلَّلتان) صفة صادقتا ، أي محدَّدتان كتحديد الأَلَّة ، بفتح الهمزة وتشديد اللام ، وهي الحَرْبَة . ويريد أنَّ أُذنيها كالحربَة في الانتصاب . و (العِتق) : الكرم والنَّجابة . أي أنت تتبيَّن الكرم فيهما إذا نظرت إليهما ، لتحديدهما وقلة وبرهما . قال الخطيب التبريزي : العتق هنا في الأُذنين : أن لا يكون في داخلهما وبَر ، فهو أَجود . والسَّامعتان : الأُذنان .

قال شراح المعلقة : (الشاة) هنا : الثَّور الوحشي ، ولهذا قال مفرد بلا هاءٍ . و (حومل) اسم رملة ، لا ينصرف . وشبَّه أُذني ناقته بأُذنَيْ ثور وحشي ، لتحديدهما وصدقِ سمعهما . وأُذن الوحشيّ أَصدق من عينه . وجعله مفردًا لأَنَّه أَشَدُّ توجُّسا وحذرًا ، إذ ليس معه وحشٌ يلهيه ويشغله ، فانفراده أَشدُّ لسمعه وارتياعِه .

وترجمة طرفة بن العبد تقدَّمت في الشاهد الثاني والخمسين بعد المائة (١) .

* * *

وأَنشد بعده .

(فلا مُزْنةٌ ودَقَتْ ودْقَها ولا أَرضَ أَبقلَ إبقالَها)

تقدَّم شرحه مفصَّلا في الشاهد الثاني أَول الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الخمسمائة (٣) :

٥٥٥ حَلفْتُ بهَدْيٍ مُشْعَرٍ بَكَراتُه يخُبُّ بصحراءِ الغَبيط دَرَادِقُه)

(١) الخزانة ٢ : ٤١٩ - ٤٢٥ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥ - ٥٥ .

(٣) الحماسة ١٧٤٦ بشرح المرزوقي .

علی أنَّ تأْنيث نحو الزينبات مجازىّ لا يجب له تأْنيثُ المسند ، بدليل البيت ، فإن البكرات كالزينبات ولم يؤنَّث له المسند ، وهو مُشعَر .

وهذا ظاهر .

وقد خطَّأَ المبرد (فى كتاب الروضة) قولَ أبى نواس :

كَمَنَ الشَّنْآنُ منهُ لنا ككُمُون النَّار فى حَجَرِه

وقال : كان يجب أن يقول فى حجَرها ، لأَنَّ النار مؤنَّثة . وأَجابوا عنه بأَنَّ أَبا نواس أَراد : ككمون النار فى حجَر الكُمون .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لعارقٍ الطَّائىّ ، عدَّتها فى رواية أَبى تمام فى الحماسة أحدَ عشر بيتا ، وفى رواية : الأَعلم (فى حماسته) أَربعة عشر بيتا . وبعده وهو آخر القصيدة :

(لئن لم تغيِّرْ بعضَ ما قد صَنعتمُ لَأَنْتحِيَنْ للعَظْمِ ذو أَنا عارقُه)

وبهذا البيت سمِّى عارقًا ، واسمه قيس كما يأْتى .

خاطب بها عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقيل أَخاه المنذَر بن المنذر بن ماءِ السماء . كان أَحدُهما بعث جيشًا للغزو فلم يصيبُوا أَحدًا وأَخفقوا ، فمرُّوا بحىٍّ من طَيِّئٍ فى حِمَى الملك فاستاقوهم ، وكان قد أَرعاهم الحمى وكتب لهم بذلك عهدا ، فلمَّا قدِموا بهم إلى الملك شاوَر فيهم زُرارة بن عُدُس الدَّارمى ،
٣٣١ فأَشار عليه بقتلِ المقاتِلة منهم ، واستعبادِ ذراريهم ، فقام رجلٌ منهم وقال : هذا كتابُك لنا . فأَجرى عليهم الملك رزقًا ، فارتجل عارق هذا الشعر ، فلمَّا سمعه الملك أَحسنَ إليهم وخلَّى سبيلهم .

وقوله : (حلفتُ بهدْىٍ) إلخ الهدى : ما يُهدى إلى الحرم من النَّعم . يقال أَهديت الهدْىَ إلى الحرم ، أى سُقته إليه . و (مُشْعَر) : اسم مفعول

من الإشعار ، وهو أن يُطعن فى السَّنام فيسيلَ الدم عليه ، فيستدلّ بذلك على كونه هَدْيًا . وجعل الهَدْىَ دالًّا على الجنس . وما بعده صفته ، وهو مشعَرٍ ، وبكراته مرفوع بمشعر ، وهو جمع بَكْرة ، وهى الشَّابَّة من الإبل . وخبَّ يخُبُّ خببا ، كطلب يطلب طلبا . والخبب : ضربٌ من العدو ، وهو خَطْو فسيح . والباءُ بمعنى فى . و (الغبيط) بفتح الغين المعجمة وكسر الموحَّدة : موضعٌ قريب من فَلْج فى طريق البَصرة إلى مكة . و (الدَّرادِق) : جمع دَردَق كجعفر ، وهو صغار الإبل . والضمير فى بَكراته ودرادقه للهَدْى .

وقوله : « لئن لم تغيِّر » إلخ هذه اللام هى اللام الموطئة ، وطَّأت الجواب الآتىَ للقسم الذى قبل الشرط ، سواء كان القسم قبلها موجودًا كما هنا أو غير موجود كقوله تعالى : ﴿ لئن أُخرِجُوا لا يَخْرُجُون (١) ﴾ . ولا يجور أن تكون هذه اللام لام جواب القسم بأن يكون الجوابُ للشرط ، ومجموع الشرط وجوابه جواب القسمْ ، إذْ لو كانت كذلك لجاز جزم الفعل فى قولك : لئن أكرمتنى أُكرِمك ، بالجزم ، والتالى باطل والمقدَّم مثله . وقد أجمع النُّحَاة على أن الفعل الثانى واجبُ الرفع . فإن قلت : فما جوابُ الشرط ؟ قلت : محذوف دلَّ عليه جوابُ القسَم . و « تغيِّر » بالخطاب ، وروى بالغيبة على البناءِ للمفعول ورفْع بعض . وقوله : « لأُنْتَحِيَنْ » اللام لام جواب القسم ، وأنتحين مؤكد بالنون الخفيفة جوابُ للقسم فى البيت قبله وهو حلفت . والانتحاء للشىء : التعُّرض له ، والاعتماد والميل . وروى : « لأَنتحينَّ العظمَ » بنون التوكيد الثقيلة وبلام

---

(١) الآية ١٢ من سورة الحشر .

التعريف بعدها . وذو صفة للعَظْم ، وهو فى لغة طَيِّئ بمعنى الذى . وجملة « أنا عارقُه » صلته . وبه أُورده الزمخشرى (فى المفصَّل) قال : ومن الموصولات ذو الطائية . وأُنشد البيت .

وعارق اسم فاعل من عرَقت العظم عَرْقا ، من باب قتل : أَكلتُ ما عليه من اللحم . جعل شكواه كالعَرْق ، وجعل ما بعده إن لم يغيّر ما صنعه تأْثيرًا فى العظم . يقول : حلفت أيُّها الملك بقرابين الحَرمِ وقد أُعْلِمَتْ بكراتُها بعلامةِ الإهداء ، يخبُّ بصحراء ذلك الموضع صغارُها ، إن لم تغيِّر بعضَ ما صنعته ، ولم تتدارك ما فاتنا من عدلك لأَميلنَّ على كسر العظم الذى أَخذتُ ما عليه من اللَّحم . جعل شكواه وتقبيحه لما أَتاه كالعَرْق ، وجعل ما بعده إن لم يغير تأْثيرا فى العظم نفسه . وقد أَحسن فى التوعُّد ، وفى الكناية عن فعله وعما يهمُّ به [1] بعده . ومعناه : أَكسر عظمكم بعد هذا التهديد ، إنْ لم ترجعوا عنْ هذا الظلم [2] .

عارق الطائى وعارقٌ اسمه قَيس بن جِروة بن سيف [3] بن وائلة بن عمرو بن مالك بن أَمان ، ويقال لأَولاده الأَجئِيُّون ، لإقامتهم بأَجأ ، وهو أَحد جبلى طىّ . وأَمان هو ابن ربيعة بنَ جرول بن ثُعَل الطائى . كذا فى جمهرة الأَنساب . ويقال له الأَجئىّ لما ذكرنا . وهو شاعرٌ جاهلى أَورد أَبو تمام من شِعره فى عدّة مواضعَ من الحماسة .

* * *

(١) ط : « وعماهم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ش : « كعب » ، صوابه فى ش ومعجم المرزبانى ٣١٦ .

(٣) فى معجم المرزبانى : « بن سيف بن مالك بن عمرو بن أمان » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الخمسمائة [1] : ٣٣٢

٥٥٦ (لو كنتُ مِن مازنٍ لم تَستَبِحْ إبلى
بنو اللَّقِيطةِ من ذُهْل بنِ شَيْبانا)

على أنّ (بنون) لتغيُّر مفرده فى الجمع أشبه جمع المكسَّر ، فجاز تأْنيث الفعل المسند إليه ، كما يجوز فى الأَبناء الذى هو جمْع مكسَّر ، كما أُسند فى البيت (لم تستبِحْ) بتاء التأْنيث فى أُوله إلى بنو .

وهذا ظاهر .

صاحب الشاهد والبيت أوّل أَبياتٍ ثمانية ، هى أَوّل الحماسة ، لقُرَيْط بن أُنَيْف العَنْبَرِىّ . وبعده :

أبيات الشاهد
(إذَنْ لقامَ بنصرى مَعشرٌ خُشُنٌ عند الحفيظة إنْ ذو لُوثةٍ لانا
قومٌ إذا الشَّرُّ أَبدى ناجذَيه لهمْ طاروا إليه زَرافاتٍ ووُحدانا
لا يسأَلون أَخاهم حِينَ ينْدُبهمْ فى النائبات عَلى ما قال برهانا
لكنَّ قومى وإنْ كانوا ذوِى عَدَدٍ ليسوا من الشَّرِّ فى شيءٍ وإنْ هانا
يَجزُون من ظلم أهلِ الظُّلم مَغفرةً ومِنْ إساءةِ أَهلِ السُّوء إحسانا
كأَنَّ ربَّك لم يخلُقْ لخشيته سِواهُمُ من جميع الناسِ إنسانا
فليتَ لى بِهِمُ قومًا إذا ركبوا شَنُّوا الإغارةَ فُرسانا ورُكبانا)

قال أَبو عبيدة : أَغار ناسٌ من بنى شيبانَ علِى رجل من بنى العنير ، يقال له قُريط بن أُنَيف ، فأَخَذُوا له ثلاثين بعيرًا ، فاستنجد قومه فلم ينجدُوه ، فأَتى مازنَ تميم فركب معه نفرٌ فأَطردوا لبنى شيبان مائة بعير ، فدفعوها إليه ، فقالَ هذه الأَبيات . انتهى .

---

(١) الحماسة ٢٣ بشرح المرزوقى ، والمغنى ٢١ ، ٢٥٧ والأشمونى ٤ : ٤٣ واللسان (تيم ٣٤٢) .

ومازن هنا هو ابن مالك بن عمرو بن تميم ، أُخى العنبر بن عمرو بن تميم . وإذا كان كذلك فمدحُ هذا الشاعر لهم يجرى مجرى الافتخار بهم .

قال المرزوقى : قصد الشاعرُ فى هذه الأَبيات إلى بعث قومه على الانتقام له من أَعدائه ، لا إلى ذمِّهم . وكيف يذمُّهم ووبالُ الذَّمِّ راجعٌ إليه ؟ لكنه سلك طريقةَ كبشةَ أُختِ عمرو بن معديكرب فى قولها :

وَدَعْ عنك عَمرًا إنَّ عمرًا مسالمٌ وهل بطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لَمَطْعَمِ

فإنها لا تهجو أُخاها ، وعمرٌو هو الذى كان يُعَدُّ بأَلف فارس ، ولكنَّ مرادها تهييجه .

و (الاستباحة) : الإباحة . وقيل الإباحة : التخلية بين الشىء وبين طالبه ، والاستباحة : اتخاذ الشىء مباحا . والأَصل فى الإباحة إظهار الشىء للناظر ليتناوله مَنْ شاء ، ومنه : باحَ بسرِّه . (واللقيطة) إنَّما أُلحق بها الهاء ، وإن كانتْ فعيلًا بمعنى مفعول ، لأَنَّها جعلت اسمًا ولم تتبع موصوفا كالذَّبيحة . كذا فى شروح الحماسة . ولا مناسبة للَّقيطة هنا لأَنَّها فزارية ، لا اتِّصال لها بذُهْل بن شيبان . والصواب : (بنو الشَّقيقة) كما يأْتى .

وأَوَّل من شرح على « اللقيطة » واتَّبعوه : أَبو عبد الله النمرىُّ ، أَوَّل من شرح الحماسة . قال : اللقيطة نَبَزٌ نبزَهُم الشاعر به ، وليس بنسبٍ لهم ، جعل أُمَّهم ملقوطة ، وأَخرجها مخرج النطيحة والرميَّة . هذا كلامه .

وردّ عليه الأَسود أَبو محمد الأَعرابىّ ، (فيما كتبه على ذلك الشرح)

قال : هذا موضع المثل « أَوَّلُ الدَّنِّ دُرْدِىٌّ » . هذا أوّل بيت من الحماسة جهل جهة الصَّواب فى صحّة متنه واستواءِ نِظامه ، فاشتغل بوزن اللَّقيطة ٣٣٣ وذِكر النطيحة . والصواب إن شاء الله ما أَنشدَنَاه أَبو الندى ، وذكر أَنَّه لقُريط بن أُنيف العنبرىّ :

لو كنتُ من مازن لم تستبْح إبلى بنو الشَّقيقة من ذُهْل بن شيبانا

قال : الشقيقة هى بنت عبّاد بن زيد بن عوف بن ذُهل بن شيبان . وهى أُمُّ سيّار ، وسمير ، وعبد الله ، وعمرو ، أَولاد سعد بن همام بن مرّة بن ذُهْلِ بن شيبان . وهم سيَّارةٌ مَرَدة ، ليس يأْتون على شىءٍ الَّا أَفسدوه .

قال : وأَمَّا اللقيطة ، وليس هذا موضعها ، فهى أُمُّ حصن بن حذيفة وإخوَتِه ، وهم خمسة ، واسمها نُضَيْرة بنت عُصَيم بن مرْوان بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة . وإنما أُلحقَ بها هذا الاسم لأَنَّ أَباها لم يكن له ولد غيرها ، والعرب ذاك الدّهْرَ تئد الجوارىَ ، فلما رآها انتشرت نفسه عليها ورَقَّ لها ، وقال لأُمِّها : استرضعيها وأَخفيها من النَّاس . فكان أَوّل من فَطِنَ لها حَمَل بن بدر ، فقال لأَخيه حذيفة ، وتحته العُذريَّة ليس له ولدٌ إِلَّا منها ، وهو مسهر ، وبه كان يكتنى : مالك لا تتزوَّج وتجمع النساء تُرْزق منك عَضُدًا . قال : ومن لى بالنساءِ تُشْبِهُنى وتلائمنى ؟ قد علمتَ ما لقيتُ من العُذْريَّة وطلبها . قال : قد التقطتُ لك امرأَةً ترضاها وتشبهك . قال : من هى ؟ قال : بنتٌ لعُصيم بن مروان بن وهب . قال : وإنَّ له لبنتا ؟ قال : نعم . قال : فإنِّى لم أَسمعْ بها . قال : كانت مُخْفاة وقد خُبِّرْت خبَرها . قال : فأَنْتَ رسولى إلى عُصيم فيها . قال : فأَتاه فزوَّجه إِيَّاها .

وبهذا سمِّيت اللقيطة . وهى أُم حصن ، ومالك ، ومعاوية ، وورد ، وشَريك ، بنى حذيفة . وإياهُم عَنَى زبّان بن سيَّارٍ بقوله :

أَعددتُها لبنى اللَّقيطة فوقَها رُمحٌ وسيفٌ صارم وشَلِيلُ [١]

انتهى كلام الأسود . وما أُورده فى تسمية اللقيطة خلافُ ما قاله السكَّرىُّ (فى شرح ديوان حسان بن ثابت) قال : اللقيطة : أُمُّ حصن بن حذيفة ، كانت سَقَطت منهم فى نُجعة وهى صغيرة ، فأُخذت فسمِّيت اللقيطة .

وكذا قال ياقوت (فى أَنساب العرب) قال : وحصن بن حذيفة ، هو ابن اللقيطة ، لأَنَّ قومها انتجعوا فسقطَتْ وهى طفل ، فالتقطها قومٌ فردُّوها عليهم . انتهى . والله أَعلم .

وقوله : « إذن لقام بنصرى » إلخ يأْتى إن شاء الله الكلامُ على إعراب هذا البيت فى إذن من نواصب الفعل . وقام بالأَمر : تكفَّل به . وخُشُن بضمتين : جمع خَشِن وقيل أَخشن ، وضمَّة الشين للإتباع . والحفيظة : الغضب فى الشيء الذى يجب عليك حِفظُه . واللُّوثة بضم اللام : الضَّعف ، وهى الرواية الصحيحة ، وبالفتح : القوَّة والشدَّة . والأَوَل أَسدُّ ؛ لأَنَّ مراده التعريضُ بقومِه ليغضبوا أَو يهتاجُوا لنصرته .

وقوله : « قوم إذا الشر » إلخ الناجذ بالجيم والذال المعجمة : ضرس الحُلم ، زائد . والناجذ : مثَل لاشتداد الشَّر ، كما يقال : كشَّر الحربُ عن

---

(١) الشليل ، بالشين المعجمة : الدرع . ط : « وسليل » ، صوابه فى ش والمفضليات ٣٥٣ .

نابه (١) كذا فى شرح الطبرسى . وقال غيره : الناجذ : أقصى الأضراس ، كنى بإبدائه عن كشف الحال ورفع المجاملة . واستعمال الناجذ للشر استعارة لاشتداد أمره . وطاروا : أسرعوا إلى دَفْعِهِ ولم يتثاقلوا ، والزَّرافة ، بفتح الزاى ، قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : معناها الجماعة ، سمِّيت بذلك ٣٣٤
للزيادة التى فى الاجتماع والتضامّ (٢) . ومنه التزريف ، للزيادة فى الحديث ، يقال زرَّف فى كلامه ، أى زاد فيه . ومنه الزَّرافة لطول عنقها وزيادته على المعتاد المألوف فيما قدُّه قدُّها . ووُحْدَان : جمع واحد ، كصاحب وصُحبان ، بمعنى منفردِين .

وقوله : « لا يسألون أخاهم » إلخ قال ابن جنى : ليس يندبُهم هنا من النُّدبة التى هى التفجُّع ، وإنما هى بمعنى الاستغاثة . غير أنَّ أصلهما واحد ، وهو ما اجتَمعا فيه من معنى الخصوص والعناية .

والبرهان : الدليل ، فُعلالٌ لا فُعلانٌ ، لقولهم : برهنت عليه ، أى أقمت الدَّليل . وأخو القوم : الواحدُ منهم . واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ إذْ قال لهمْ أخوهُمْ نوحٌ ألاَ تتَّقُونَ (٣) ﴾ على أنَّ الأخ يطلق ويراد بِهِ الواحد من القوم كما فى البيت . وفى البيت تعريضٌ بقومه .

وقوله : « لكنَّ قومى » إلخ يعنى إنَّ قومى وإنْ كان فيهم كثرةُ عدد

(١) الحرب ، بمعنى القتال ، مسكن الراء ، مؤنث . وحكى ابن الأعرابى فيها التذكير . وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابه كره اللقاء تلتظى حرابه

وقد تكون الحرب فتح فكسر ، وهو الغضبان .

(٢) فى إعراب الحماسة الورقة ٥ : « والتضام فيه » .

(٣) الآية ١٠٦ من سورة الشعراء .

وعُدَّةٍ ليسوا من دفع الشرِّ فى شىء وإن كان فيه خفَّة وقلَّة . وفيه مطابقةٌ ، حيث قابل الشرطَ بالشرط فى الصَّدر والعجز ، والعدد والكثرةَ بالهُون والخفَّة . ويريد أنَّهم يؤْثرون السلامة ما أَمكن ، ولو أَرادوا الانتقام لقَدَروا بِعَدَدهم .

وقوله : « يجزون من ظُلْم » هذا البيت وما بعده استشهد بهما أَهل البديع على النوع المسمَّى : « إخراج الذمّ مُخرج المدح » . ونبَّه بالبيتين على أَنَّ احتمالهم إنَّما هو لاحتساب الأَجر على زعمهم ، فكأَنَّ الله لم يخلق لخوفه غيرهم . وقوله : « سواهم » استثناء مقدَّم من إنسان .

وقوله : « فليت لى بهم » أَورده ابن هشام (فى حرف الباء من المغنى) على أَنَّ الباء فى بهم للبدلية . وقال ابنِ جنى : ليست الإغارة هنا مفعولًا به ، بل هى منتصبة على المفعول لأَجله ، أَى شنُّوا للإغارة فرسانًا وركبانًا ، أَى فى هذه الحال .

قريط بن أنيف

وقُرَيط بن أُنيف ، بضم القاف وفتح الراء . وأُنيف بضم الهمزة وفتح النون . وهو شاعر إسلامى . قاله الخطيب التّبريزى فى الحماسة .

وقد تتبَّعتُ كتب الشعراء وتراجمهم فلم أُظفرْ له بترجمة .

* * *

وأنشد بعده :

(بحَورانَ يعصِرْنَ السَّليطَ أَقاربه)

وتقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد السادس والسبعين بعد الثلثمائة [1] .

* * *

(١) الخزانة ٥ : ٢٣٣ - ٢٤١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الخمسمائة (١) :

٥٥٧ (مع الصُّبح رَكبٌ من أُحاظةَ مُجْفِلُ)

على أنَّ اسم الجمع بعضُه كالرَّكب يجوز تذكيرو وتأْنيثه ، وفى الشعر جاء مذكَّرًا ، فإنه عاد الضميرُ عليه من مُجْفِل بالتذكير ، ولو أُنِّث لقيل مجفلة . ومجفل صفة ثانية لركب .

وهذا عجز بيتٍ ، وصدره :

(فعبَّتْ غِشاشًا ثم مرَّت كأَنَّها)

والبيت من القصيدة المشهورة بلاميَّة العرب ، للشَّنفَرَى . وهذه أَبياتٌ منها متَّصلة به : صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(وتشربُ أَسآرِى القَطَا الكُدرُ بعدما ... سَرَت قَربًا أَحناؤها تتصلصلُ
هممتُ وهمَّتْ وابتدرنا وأسدلت ... وشمَّر منى فارطٌ مُتمهِّلُ
فولَّيتُ عنها وهى تَكبو لِعُقرِهِ ... يباشِرُه منها ذُقُونٌ وحَوْصَلُ
كأَنَّ وَغَاها حَجْرَتيهِ وحولَه ... أَضاميمُ من سَفْر القبائل نُزَّلُ
تَوَافَيْنَ من شتَّى إليه فضمَّها ... كما ضمَّ أُذوادَ الأَصاريمِ منهلُ ٣٣٥
فعبَّت غِشاشا ....) البيت

وقوله : « وتشرب أَسآرى » إلخ الأَسآر بفتح الهمزة : جمع سؤر ، وهو بقية الماء . يريد أَنَّه يسبق القطا إذا سايرَها فى طلب الماء لسرعته ، فترد بعدَه وتشرب سؤره ، مع أَنَّ القطا أَسرع الطير ورودًا . وأَسآرى : مفعول تشرب ، والقطا فاعله ، والكُدر صفته .

---

(١) شرح شواهد الشافية ١٤٨ .

والقطا ثلاثة أضرب : أحدها كُدرىٌّ ، وهى الغُبْرُ الألوان ، الرُّقْش الظُّهور ، والبطون ، والصُّفْر الحلوق .

ثانيها : جُونىٌّ بضم الجيم ، وهى سود الأجنحة والبُطون ، وهى أكبر من الكدر (١) ، وتُعدَل جُونيَّة بكِدْرِيَّتين ، وهى منسوبة إلى الجُونة ، وهى الدُّهمة . والكدرىّ منسوبٌ إلى الكُدرة ، وهى الغبرة .

ثالثها : غَطَاطٌ ، وهى غُبْر البطون والظهور ، سودُ بطونِ الأجنحة ، طِوال الأرجل والأعناق ، لطاف الأجسام ، لا تجتمع أسرابًا ، أكثرُ ما تكون ثلاثًا أو اثنين . كذا فى (شرح أدب الكاتب) لابن برى ، واللَّبلى .

وسَرَيتُ ، إذا سِرتَ فى أول الليل ؛ وأسريتُ ، إذا سرتَ فى آخره . وقيل : بل هما لغتان .

والقرَب ، بفتح القاف والراء ، قال الخطيب التَّبريزى (فى شرح القصيدة) : هو ورود الماء . يقال قرِبْت الماء أقْرَبُه ، إذا وردتَه . وليلة القَرَب : ليلةُ ورود الماء .

وقال الزمخشرىّ (فى شرحها) : قرَبا : حال من ضمير سَرت . والقَرَب : السير إلى الماء بينك وبينه ليلة . قال الأصمعىُّ : قلت لأعرابىّ : ما القَرَب ؟ فقال : سير الليل لورُود الغد . وقال الخليل : القارب : طالب الماء ليلًا ، ولا يقال لطالب الماء نهارًا . انتهى .

والأحناء : جمع حنو ، بكسر المهملة وسكون النون ، هو الجانب . ويتصلصل : يصوِّت . قال الخطيب : وروايتى « أحشاؤها » وهو أجود عندى . ويقال لليابس : سمعت صلصلة ، أى صوتا من يُبسه .

(١) ش : « الكدرى » .

والصلصال : الفَخَّار . يقول : تَتَصلصل (١) أَجوافُها من العطش ليبسها .

وقوله : « هَممتْ وهَمَّت » إلخ هممتُ أَنا وهمَّت القطا . وابتدرنا : استبقنا . وأَسدلَتْ : أَرختْ جناحَها وكفَّت عن الطيران لتعبِها . قال الخطيب : وحِفظى « وابتدرنا وقصَّرتْ » ، يريد أَنَّ القطا عَجَزت عن العلْو وهو لم يكِلَّ . وشمَّر : خفَّ . والفارط ، بالفاء : المتقدِّم . والمتمهِّل : المتأَنِّى . وفيه مبالغةٌ وتجريد .

وقوله : « فولَّيت عنها » إلخ تَكبو : تَتساقط القطا إلى عُقْر الحوض أَى تقرب منه . والعُقْر ، بضم العين المهملة وسكون القاف ، هو مقام الساقى من الحوض ، يكون فيه ما يتساقط من الماء عند أَخذِه من الحوض . والذُّقون : جمع ذقن فى الكثرة ، وأَذقانٌ فى القِّلة . وحوصل : جمع حوصلة . يقول : وردتُ وصدرتُ والقطا تكرع ثم تصدُر ، وكنت أَسرعَ منها .

وقوله : « كأَنَّ وغاها حَجرتَيه » إلخ وغاها : أَصواتها . والوغى بالغين المعجمة والمهملة : الصوت . وحَجْرَتَيه منصوب على الظرف ، والضمير للعقْر ، أَى مقام الساقى . وحَجْرتاه : ناحيتاه ، مثنى حَجْرة بفتح المهملة وسكون الجيم : الناحية . وحوله ظرف معطوف عليه ، والضمير للعُقْر أَيضا . وأَضاميم : خبر كأَنَّ على حذف مضاف ، أَى كأَنَّ وغاها وَغَى أَضاميم ، لأَنَّ التشبيهَ إِنَّما هو بين الصَّوتين . وأَضاميم : جمع إِضمامة بالكسر ، وهو القوم (٢) ينضَمُّ بعضهم إلى بعض فى السفر . ٣٣٦

---

(١) ط : « يتصلصل » .

(٢) كذا فى النسختين . يعنى لفظ الأَضاميم .

ونُزَّل : جمع نازل صفة أضاميم . أى يُسمع لهذهِ القطا أصواتٌ كما يسمع أصواتُ هؤلاء عند نزولهم .

وقوله : « توافَينَ مِن شتَّى » إلخ توافين : اجتمعن ، والضمير للقطا . ومن شَتَّى ، أى من طرق مختلفة ، جمع شتيت بمعنى مختلف . وضمير إليه للعُقْر ، وكذلك فاعل ضَمَّها ضمير العُقْر . وأذواد : جمع ذَود ، وهو ما بين الثَّلاث إلى العشر من الإبل . والأَصاريم : جمع أُصرام بالفتح ، وهو جمع صِرْم بالكسر ، وهو القطعة من الإبل . كذا قال الخطيب . وقال غيره : هو أبياتٌ مجتمعة من الأَعراب . والمنهل : مورد الماء ، وهو فاعل ضَمّ ، وأذواد مفعوله .

وقوله : (فَعَبَّتْ غِشاشا) إلخ عبّت : شربت بلا مصٍّ . قال ثعلب : عبّ يعُبُّ ، إذا شرب الماءَ فصبّه فى الحلق صبًّا . وقال الخطيب : عبَّت : تابعت الشُّرب ، كأنَّها تعبِّيهِ فى أجوافها ، فيكون من التعبية . وغِشاشا بكسر الغين المعجمة بعدها شينان معجمتان . قال الخطيب : قال بعض أهل اللغة : معناه على عجلة . وقال غيره : قليلًا أو غير مرىءٍ [1] . والرَّكب : رُكبانُ الإبل خاصّة . يقول : وردتِ القطا على عَجَل ثم صدرَت فى بقايا من الظُّلمة فى الفجر . وهذا يدلُّ على قوّة سُرعتها . ومُجفِل بالجيم : مسرع ، صفة ثانية لرَكب ، ومن أُحاظَة صفة أُولى . (وأُحاظَة) بضم الهمزة بعدها مهملة وظاء مُشالة معجمة ، قال الخطيب : أُحاظة فيما ذكر ثعلب : قبيلة

(١) ش : « قليلا أى غير مرىء » .

من الأَزْد . وقال غيره : هى قبيلةَ من اليمن . ولم يعرفها المبرد ، ولم أسمع باسمها إلّا فى هذا الشعر . انتهى .

وقوله : « وقال غيره » إلخ ، غير جيد ، فإنَّ الأَزد من اليمن .

وقيل أُحاظة موضع لا قبيلة . قال البكرى (فى معجم ما استعجم) : أُحاظة : بلد . وأَنشد هذا البيت ، ثم قال : وقد قيل إنَّ أُحاظة قبيلة من ذى الكَلاع من حمير ، وهو الصحيح . انتهى .

وقد ذكره ابن الكلبى (فى جمهرة حِمير) قال : وأُحاظة أَخو مَيْتَم بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَريب بن زُهير ابن أَيمن بن الهَمَيْسع بن حمير بن سبأ . ثم ذكر مَيْتَم وأُحاظة وغيرهما . وقال : وقد تكلَّعُوا ، وهم رهط سَمَيفَع ، وهو ذو الكَلاع الأَصغر ، ابن ناكور ابن عمرو بن يعفُرَ بن يزيد ، وهو ذو الكَلاع الأَكبر ، ابن النعمان . ثم ذكر أَنَّ قبائل ذى الكلاع ثلاثٌ وعشرون قبيلة ، منهم مَيْتَم وأَخوه أُحاظة . ثم قال : تكلَّع هؤلاء فى الجاهلية على سَمَيفع . والتكلُّع فى لغتهم : التجمُّع . ومَيْتَم بفتح الميم وسكون المثناة التحتية وفتح المثناة الفوقية .

والشَّنفَرَى : شاعرٌ جاهلىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين (١) .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٣٤٣ - ٣٤٤ .

بـــاب المثنى

أُنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الخمسمائة[١] :

٥٥٨ (أُحِبُّ منها الأَنفَ والعَينانا)

٣٣٧ على أنَّ لزوم الأَلِف المثنَّى فى الأَحوال الثلاثة لغةُ بنى الحارث بن كعب ، فإِنَّهم يقلبون الياء الساكنة إِذا انفتحَ ما قبلها أَلفا ، يقولون : أَخذت الدرهمان ، واشتريت ثوبان ، والسَّلام علاكم . قاله أَبو حاتم والأَخفش (فى شرح نوادر أَبى زيد) .

صاحب الشاهد والبيت من رجزٍ مسطورٍ فى هذه النوادر ، قال : وأَنشدنى المفضَّل لرجل من ضبَّة ، هلكَ مذ أَكثر من مائة سنة :

(إِنَّ لسُعدَى عندنا ديوانا   يُخزِى فلانًا وابنَهُ فلانا
كانت عجوزًا عَمِرَتْ زمانا   وهى ترى سيِّئها إِحسانا
أَعرف منها الأَنفَ والعينانا   ومَنخرين أَشبها ظَبيانا

ظَبيانُ : اسم رجل . أَراد : منخرى ظبيان ، فحذف ، كما قال : ﴿ واسْأَلِ القَريةَ[٢] ﴾ ، يريد : أَهل القرية . انتهى .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : من العرب من لا يخافُ اللَّبْس

(١) نوادر أبى زيد ١٥ وابن يعيش ٤ : ٦٧ ، ١٤٣ والمقرب ٨٠ والعينى ١ : ١٤ ٨ والتصريح ١ : ٧٨ والهمع ١ : ٤٩ والأشمونى ١ : ٩٠ وملحقات ديوان رؤبة ١٩٧ .

(٢) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

ويُجرى البابَ على أُصل قياسه ، فيدعُ الأَلف ثابتةً فى الأَحوال ، فيقول : قام الزيدان ، وضربت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، وهم بنو الحارث وبطنٌ من ربيعة . وأَنشدوا فى ذلك :

* تزوَّدَ منَّا بين أُذناه ضربةً [١] *

وقال آخر [٢] :

فأَطرَقَ إطراقَ الشُّجاع ولو يَرَى مساغًا لناباه الشُّجاعُ لصمَّما

وقال آخر :

أَعرفُ منها الجيدَ والعَينانا ومَنخِريْنِ أَشبها ظَبْيانا

يريد : العينين . ثم إنه جاء بمنخِرَين على اللغة الفاشية . ورَوَيْنا عن قطرب :

* خبّ الفؤادِ مائل اليدانِ *

وقال آخر [٣] :

إنَّ أَباها وأَبا أَباها قَد بلغا فى المجد غَايتاها

وفيها : وعلى هذا يتوجَّه عندنا قراءة من قرأ : ﴿ إن هَذَان لساحران [٤] ﴾ . انتهى .

وقوله :

* إن لسُعدَى عندنا ديوانا *

---

(١) لهوبر الحارثى فى اللسان (صرع ٦٤ هبا ٢٢٦) . وعجزه :

* دعته إلى هابى التراب عقيم *

(٢) هو المتلمس . ديوانه الورقة الأولى من مخطوطة الشنقيطى .

(٣) انظر الشاهد التالى .

(٤) الآية ٦٣ من سورة طه .

سُعدى ، بضم السين : اسم امرأة . قال السكريُّ : الدِّيوان مكسور ، ولذلك قالوا دواوين ، مثل قيراط ودينار . ولو كان ديوان بالفتح لقالوا دياوين ، ولأدغموا الواحدَ فقالوا دَيَّان ، كما قالوا ديَّار . انتهى .

قال ابن السِّيد : الديوان أصله فارسى معرّب ، واستعملته العربُ ، وجعلوا كلَّ محصَّلٍ من كلامٍ أو شعر ديوانا . وفاعل يُخزِى ضمير الديوان . وقوله : « كانت عجوزًا » ، أى صارت عجوزًا . وعَمِرَتْ ، بفتح العين وكسر الميم . وقوله : « ومنخِرين أشبها ظبيانا » تقدَّم عن أبى زيد أنَّ ظبيان اسم رجل ، وأنه على تقدير مضاف ، أى مَنخِرى ظبيان .

وزعم بعضُهم كما نقله العينى أنَّه مثنى ظَبْى ، على حذف مضاف ، والتقدير : أشبها منخرى ظبيين .

وهذا وإن كان فى نفسه صحيحًا إلَّا أنَّ نقل أبى زيد يدفعه .

والمنخر ، على وزن مسجد : خرق الأنف ، وأصله موضع النَّخير ، وهو الصَّوت من الأنف ، يقال نخر ينخُر من باب قتل ، إذا مدَّ النَّفسَ فى الخياشيم . والمِنْخِر ، بكسر الميم للإتباع لغة . والمُنخور كعصفور : لغةُ طيِّئ .

وعُرف من نقل أبى زيد أنَّ الرواية : « أعرف منها الأنف » لا : « أُحِبُّ منها » كما هو فى الشرح .

وبنو الحارث بن كعب : قبيلةٌ عظيمة من قبائل العرب من قحطان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الخمسمائة (١) :

٥٥٩ (إنَّ أَباها وأَبا أَباها قد بلغا فى المجدِ غايتاها)

لما تقدَّم قبله . ٣٣٨

والشاهد فى : « غايتاها » ، و « أبا أباها » . فيجوز أن يكون جاء على لغة القصر ، يقال : هذا أباك ومررت بأباك ، فتكون الحركة مُقدَّرة على الألف .

والبيتان نسبهما ابنُ السِّيد (فى أبيات المعانى) لرجل من بنى الحارث . صاحب الشاهد

وقال العينى ، وتبعه السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : نسبهما الجوهرىُّ إلى أبى النجم ، وأنشد قبلهما :

(واهًا لرَيَّا ثم واهًا واهَا هى المُنىَ لو أَنَّنا نِلناها
ياليتَ عينيها لنا وفاها بثمنٍ نُرضِى به أَباها)

إنَّ أَباها ... إلخ .

وقد رجعتُ إلى الصحاح فلم أر فيه إلّا البيتين الأوَّلين ، ولم أر فيه ما أنشده الشارح هنا .

وقال العينىُّ أيضًا وتبعه السيوطى : أنشد أبو زيد فى نوادره عن المفضَّل قال : أنشدنى أبو الغُول ، لبعض أهل اليمن :

(أَىَّ قلوصٍ راكبٍ تراها شالُوا عَلَاهُنَّ فشُلْ عَلاها
واشددْ بمثْنَى حَقَبٍ حِقْواها ناجيةً وناجيًا أباهــا

(١) الإنصاف ١٨ وابن يعيش ١ : ٥١/٣ : ١٢٩ والمقرب ٨١ والمغنى ١٢٢ ، ٢١٦ والشذور ٤٨ والتصريح ١ : ٦٥ والعينى ١ : ١٣٣ / ٣ : ٣٤٦ والهمع ١ : ٣٩ والأشمونى ١ : ٧٠ .

إنَّ أباها ...) إلخ .

وقد رجعت إلى النوادر أيضا فلم أر فيها هذين البيتين ، وإنَّما أورد عن المفضَّل الأبيات الأربعة من قوله : أيَّ قلوص إلى قوله : وناجيا أباها . أوردها فى موضعين من النوادر (١) ، ولم يزد على تلك الأربعة . وقد شرحناها فى الشاهد الثامن عشر بعد الخمسمائة من باب الظروف (٢) .

و (المجد) : الشرَّف . وكان الظاهر أن يقول : قد بلغا فى المجد غايتيه ، بضمير المذكر الراجع إلى المجد ، لكنَّه أنَّث الضمير لتأويل المجد بالأصالة . والمراد بالغايتين الطَّرفان من شَرف الأبوين ، كما يقال أصيل الطرفين . وقال العينى : المجد : الكرم ، والضمير لريَّا . وهذا على ما ذكره الجوهرى من أنَّ قبل البيت : « واها لريَّا » . وأما على رواية أبى زيدٍ فيكون ضمير أباها للقَلوص . هذا كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الخمسمائة (٣) :

٥٦٠ (يارُبَّ خالٍ لكَ من عُرَينه فَسْوتُه لا تنقضِى شَهرَيْنَه)
شهرَىْ ربيعٍ وجُمادَيَيْنَهْ)

على أن نون التثنية قد تفتح كما فى « شهرينه » و « جمادينهْ » ، وكما فى البيت السابق :

* أعرف منها الأنفَ والعينانا *

---

(١) نوادر أبى زيد ٥٨ ، ١٦٤ .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١١٢ – ١١٥ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ١٤٢ والمقرب ١٥٩ والإنصاف ٧٥٥ والمخصص ١٥ : ١١٤ .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : قرأْت على أَبى على (فى نوادر أَبى زيد) :

* أَعرف منها الأَنفَ والعينانا (١) *

وروينا عن قُطربٍ لامرأَةٍ من فقعَس :

يارُبَّ خالٍ لكَ من عُرَينه حَجَّ على قليِّص جُوَيْنَه
فَسْوتُه لا تنقضى شَهْرَينه شهرَىْ ربيع وجماديينَه

وقد حُكىَ أَنَّ منهم من ضمّ النون فى نحو الزيدانُ والعَمْرانُ . وهذان من الشذوذ بحيث لا يقاس غيرهما عليهما . انتهى .

وقيَّد ابن عُصفور (فى كتاب ضرائر الشعر) فتح النون بحالة النصب والخفض ، وبحالة النصب فقط فى لغة من أَلزم المثنَّى الأَلف فى جميع الأَحوال .

وقد وجَّه أَبو على (فى كتاب الشعر) فتح النون على وجوه . قال : أَنشد أَبو زيد :

* أَعرفُ منها الأَنفَ والعينانا * ٣٣٩

تحريك النون بالفتح يحتمل غير وجه . منها : أَنَّ حركتها لمَّا كانت لالتقاء الساكنين ، ورأَى التحريكَ فى التقائهما فى المنفصل والمتَّصلِ لا يحرَّك بضربٍ واحد من الحركة ، جعل التثنية مثل ذلك . أَلا ترى أَنَّهم قالوا : رُدَّ ، ورُدُّ ، ورُدِّ . وقالوا : عَوْضُ ، وعَوْضَ (٢) ونحو ذلك ، فلم يلزموا فى المتَّصل ضربًا واحدًا من التحريك ، فكذلك جعل نون التثنية بمنزلته .

(١) ط : « أعرف منه » ، صوابه فى ش ونوادر أبى زيد ١٥ .

(٢) كذا فى النسختين . والحق أنها مثلثة الضاد ، كما فى القاموس واللسان .

ويجوز أن يكون شبَّه التثنية بالجمع ، لمَّا رآهم يقولون : مضت سنون ، ويقولون: مضت سنين ، فيجعلون النون فى الجمع حرف الإعراب ، جَعلها فى التثنية كذلك .

ويجوز أن يكون شبَّه غير العلَم بالعلم . ألا ترى أنَّ النحوِّيين قد أجازوا فى رجل يسمى بتثنيةٍ أن يجعلوا النون حرفَ الإعراب ، فيقولون : هذا زيدانُ وعَمْرانُ ، وكان القياس أن لا يُعرَّى من شيءٍ يدلُّ على التثنية ، كما أنَّه إذا سمىَ بجمعٍ بالألف والتاء لم يعرُّوه ممَّا يدلُّ على حكايةِ ذلك . إلَّا أنَّهم لما قالوا السَّبعانُ فى الاسم المخصوص فلم يُبقوا شيئًا يدلُّ على حكاية التثنية جاز على ذلك تغيير ما سمِّى بتثنية .

وقد حكى البغداديُّون تحريكَ نون التثنية بالفتح إذا وقعت بعد ياء . وأنشدوا :

* على أحوذِيَّينَ (١) *

ويشبه أنْ يكونوا شبَّهوا التثنية بالجمع . فكما فتحوا النون بعد الياء فى الجمع كذلك فتحوا ما بعد الياء فى التثنية ، وهذا مما يقوى فتح النون فى قوله : « العينانا » . ألا ترى أنَّه ليس يلزمها على رأيهم وعلى ما أنشدوه حركةٌ واحدة . وما عليه الجمهور أولى من جهة القياس أيضًا ، وهو الأكثر فى الاستعمال . وذلك أنَّ هذه الياء لا تلزم الكلمة .

وقد وجدتُ من الحروف ما لا يقع به الاعتداد لمَّا لم يلزم . فالياء فى

---

(١) البيت بتمامه كما فى اللسان (حوذ) فى وصف جناحى قطاة :

على أحوذيين استقلت عليهما   فما هى إلا لمحة فتغيب

وهو لحميد بن ثور فى ديوانه ٥٥ .

هذا الموضع ليست بلازمة . ألا ترى أنَّ منهم من يجعلها فى جميع الأحوال ألِفًا . وقد حذفوا هذه النون فى غير الإضافة ، كما يُحكى عن الكسائى أنَّه أنشد :

يا حبُّ قد أمسينا ولم تنام العَيْنا

أراد : العينان ، فحذف النون .

وقوله : « إنَّ عمَّىَّ اللذا » أشبهُ شيئًا (١) ، لأنَّ الاسم قد طال بالصلة : انتهى .

وقوله : (يا رُبّ خالٍ) إلخ يا حرف تنبيه ، وربَّ ، والعامل فى محلّ مجرورها حجّ . و (عرينة) بضم العين وفتح الراء المهملتين : قبيلة باليمن . وقوله (٢) : « حجّ على قليِّص » إلخ حذفه الشارح المحقق لعدم تعلُّق غرضه به . وإنَّما ذكر البيت الأوّل وإن كان مثل الثانى ليعلم منه فتح النون فى البيتين الآخرين ، إذ لولا ذكرُه لربَّما ظُنَّ أنَّ النون فيهما مكسورة ، كقول الراجز :

قل لخليليكَ وتحسنانِه هل أنتما العيشَ ملبِّثانِه
فى دار حىٍّ حيث تعلمانِه إن لا تقولان فتُحسنانِه

وقُلَيِّص : مصغر قَلوص ، وهى الناقة الشابة . وجُوَينة : مصغر جون بفتح الجيم . والجون من الخيل ومن الإبل : الأدهم الشديد السواد . وقوله : (فَسوته لا تنقضى) إلخ الفَسْوة بالفتح : ريح يخرج بغير صوت يسمع . وهو على حذف مضاف ، اى نَتْن فَسوته لا ينقضى فى هذه المدَّة ، ففسوته تشبه

---

(١) ط : « أشبه شىء » . والمراد أشبه قليلا . وهو يشير إلى قول الأخطل (الخزانة ٢ : ٤٩٩ بولاق) :

أبنى كليب ان عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

(٢) ش : « وقد » ، صوابه فى ط .

فَسوة الظَّرِبان . والظَّربان بفتح الظاء المعجمة المشالة وكسر الراء بعدها موحدة ، وهى دُوَيْبَّة كالهرّة منتنة الريح ، تزعم العرب أنَّها تفسو فى ثوب
٣٤٠ أحدهم إذا صادها ، فلا تذهب رائحته حتَّى يبلى الثوب . وقد ضُرب بها الأمثال ، يقال : « أنتن من ظَرِبان » ، و « أفسَى من ظربان » ، و « فسا بينهم الظَّربانُ » ، إذا تقاطع القوم وتهاجروا . و (تنقضى) : تذهب شيئًا فشيئًا . (شهرين) منصوب على الظرف وعامله تنقضى ، وهو مثنى شهر ، وفتح النون شذوذًا ، والهاء بعدها للسكت أُتِىَ بها لبيان الفتحة ، فإنَّها قد يبيَّن بها حركة نون الاثنين مكسورة ومفتوحة ، ويبيَّن بها حركة نون الجمع أيضًا ، كقوله :

قد صبَّحت بالأمسِ ماءَ لِينه (٢) يحفُّها م القوم أربعونه

* حاليةً كاسيةً دهينه *

قوله : (شهرَىْ ربيع) إلخ بدل من شَهرينه . و (جُماديَيْنَه) معطوف على شهرى ، لا على ربيع ، لوجهين : أحدهما : أنَّه لا يقال شهر جمادى فإنَّ لفظ شهر لا يضاف إلَّا لما فى أوله راء كشهر ربيع وشهر رجب وشهر رمضان ، كما هو المشهور . ثانيهما : لئلَّا يفسد المعنى ، فإنه لو عطف على ربيع لاقتضى أنَّ البدل أربعة أشهر ، والمبدل منه شهران ، وهذا خُلْف من القول ، فعطفهُ على البدل يفيد أنَّ عدم الانقضاء فى أربعة أشهر : شهرى

---

(١) لينة ، بالكسر : بئر من أعذب الآبار بطريق مكة ، وقال السكونى : هو المنزل الرابع لِقاصدِ مكة من واسط . قال زهير :

شج السقاة على ناجودها شبما من ماء لينة لا طرقا ولا رنقا

ربيع وجماديين ، وهو مثنًّى جمادى بضم الجيم وقصر آخره ، فلمَّا ثُنِّى قلبت الألف ياء كقولك : فَتَيانِ فى تثنية الفتى .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الخمسمائة (١) :

٥٦١ (ليثٌ وليثٌ فى مَحلٍّ ضَنْكِ كِلاهُما ذو أُشَرٍ ومَحْكِ)

على أَنَّ أَصل المثنى العطف بالواو ، فلذلك يرجع إليه الشاعر فى الضرورة كما هنا ، فإنَّ القياس أَن يقول ليثان ، لكنَّه أَفردهما وعطف بالواو لضرورة الشعر .

قال ابن الشجرى (فى أَماليه) : التثنية والجمع المستعملان أُصلهما التثنية والجمع بالعطف ، فقولك : جاء الرجلان ومررت بالزيدين أُصله جاء الرجل والرجل ، ومررت بزيد وزيد ، فحذفوا العاطف والمعطوف وأَقاموا حرفَ التثنية مقامَهما اختصارًا . وصحَّ ذلك لاتفاق الذَّاتين فى التسمية بلفظ واحد . فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا إلى التكرير بالعاطف ، كقولك : جاء الرجل والفرس ، إذ كان ما فعلوه من الحذف فى المتَّفقينِ يستحيل فى المختلفين . ولمَّا التزموا فى تثنية المتَّفقين ما ذكرنا من الحذف ، كان التزامه فى الجمع ممَّا لا بدَّ منه ولا مندوحة عَنه ، لأَنَّ حرف الجمع ينوب عن ثلاثة فصاعدًا إلى ما لا يدركه الحصر . ويدلك على صحَّة ما ذكرته أَنَّهم ربَّما رجعوا

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١١ والمقرب ٧٩ والهمع ١ : ٤٣ .

إلى الأَصل فى تثنية المتَّفقين وما فُويقَ ذلك من العدد ، فاستعملوا التكرير بالعاطف إمَّا للضَّرورة ، وإمَّا للتفخيم . فالضَّرورة كقول القائل :

* كأنَّ بينَ فكِّها والفكِّ (١) *

أراد أن يقول : بين فكَّيها ، فقاده تصحيح الوزن والقافية إلى استعمال العطف .

ومثله فيما جاوز الاثنين قول أبى نواس :

أقمنا بها يوما ويوما وثالثًا ويومًا له يومُ الترحُّلِ خامسُ

فإن استعملت هذا فى السَّعة فإنَّما تستعمله لتفخيم الشىء الذى تقصد تعظيمه ، كقولك لمن تعنِّفه بقبيحٍ تكرَّرَ منه ، وتنبِّهه على تكريرِ
٣٤١ عفوك : قد صفحت عن جُرْمٍ وجُرمٍ وجُرم وجُرم ، وكقولك لمن يَحقِر أَيادىَ أَسديتَها إليه ، أَوْ يُنكر ما أَنعمتَ به عليه : قد أَعطيتك أَلفًا وأَلفا وأَلفا . فهذا أَفخم فى اللفظ ، وأَوقع فى النفس ، من قولك : قد صفحت لك عن أَربعةِ أَجرام ، وقد أَعطيتك ثلاثة آلاف . انتهى .

صاحب الشاهد وهذا الشعر لواثلة بن الأَسقع ، أَورده له الكَلاعى (فى السيرة النبوية) فى وقَعة مرج الرُّوم قال : كان واثلة بن الأَسقع فى خيلِ قيسِ بن هُبيرة ، فى جيش خالد بن الوليد ، فخرج بِطْرِيقٌ من كبارهم ، فبرزَ له واثلة وهو يقول فى حملته :

(٢) ليثٌ وليثٌ فى مجالٍ ضَنْكِ كلاهما ذو أَنَفٍ ومَحْكِ

(١) الرجز لمنظور بن مرثد ، كما فى اللسان (زكك) .

(٢) بين هذا الكلام وتاليه فى أمالى ابن الشجرى : « ومثله :

* ليث وليث فى مكان ضنك * »

أُجُولُ جَولَ حازمٍ فى العَرك أُو يكشفَ اللهُ قناعَ الشكّ
مَعْ ظفرى بحاجتى ودَرْكى)

ثم حمل على البِطريق فقتله .

وأُورد الجاحظ تتمته وقصّته (فى كتاب المحاسن والمساوى) لجحدر بن مالك الحنفى على غير هذا الوجه ، قال :

كان باليمامة رجلٌ من بنى حنيفة [١] يقال له جحدر بن مالك ، وكان لسنًا فاتكا شاعرا ، وكان قد أُفحشَ على أُهل هَجَر وناحيتها ، فبلغ ذلك الحجاج بنَ يوسفَ ، فكتب إلى عامل اليمامة يوبِّخه فى تلاعُب جحدرٍ به ، ثم يأْمرهُ بالتجرُّد فى طلبه حتَّى يظفرَ به . فبعث العامل إلى فِتيةٍ من بنى يربوع ابن حنظلة ، فجعلَ لهم جُعلاً عظيما إن هم قتلوا جحدرًا ، أُو أُتَوا به ، ووعَدَهم أُن يوفدهم إلى الحجاج ويُسْنِىَ فرائضهم [٢] ، فخرج الفتية فى طلبه حتَّى إذا كانوا قريبًا منه بعثوا إليه رجلا منهم يريه أُنَّهم يريدون الانقطاع إليه . فوثق بهم ، واطمأَنَّ إليهم . فبيناهم على ذلك إذْ شدُّوه وَثَاقا ، وقدِموا به إلى العامل فبعث به معهم إلى الحجَّاج ، فلما قدِموا به على الحجاج قال له : أُنت جحدر ، قال : نعمْ : قال : ما حملك على ما بلغنى عنك ؟ قال : جراْةُ الجَنَان ، وجَفوةُ السُّلطان ، وكَلَبُ الزَّمان . قال : وما الذى بلغ من أُمرك فيجترئَ جنانُك ، ويصلَك سلطانك ، ولا يكلَبَ عليك زمانك ؟ قال :

---

(١) فى معجم البلدان (حجر) : « من بنى جشم بن بكر » . وفى الموفقيات ١٧٠ : « رجل من ربيعة يقال له جحدر بن مالك العجلى » . وما فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٩٦ مطابق لما هنا .

(٢) أصل الإسناء الرفع . فالمراد زيادة الفريضة .

لو بَلانى الأَميرُ لوجدنى من صالحى الأَعوان ، وبُهَم الفُرسان (١) ومَنْ أَوفى عليٍ أَهل الزَّمان . قال الحجاج : أَنا قاذفُك فى قبّة فيها أَسد ، فإن قتلَكَ كفانا مؤنتك ، وإن قتلتَه خلّيناك ووصلْناك . قال : قد أَعطيتَ أَصلحك الله المُنْية ، وعظّمت المِنَّة ، وقرّبت المحنة . فأَمر به فاستُوثق منه بالحديد ، وأُلقِىَ فى السِّجن ، وكتب إلى عامله بكَسكَر يأْمره أَن يصيد له أَسدًا ضاريا . فلم يلبث العامل أَنْ بعث له بأُسْدٍ ضاريات ، قد أَبزَتْ على أَهل تلك الناحية (٢) ومنعت عامَّة مراعيهم ومَسارح دوابِّهم ، فجعل منها واحدًا فى تابوت يُجَرُّ على عجلة ، فلما قدِموا به أَمر فأُلقىَ فى حَيِّزٍ (٣) ، وأُجيع ثلاثا ، ثُمَّ بعث إلى جحدر فأُخرِج وأُعطِىَ سيفا و دُلّىَ عليه ، فمشى إلى الأَسد وأَنشأَ يقول :

(ليثٌ وليثٌ فى مجال ضنكِ كلاهما ذو أَنَفٍ ومَحْك
وصولةٍ فى بطشِهِ وفَتْكِ إن يكشِفِ اللهُ قِناعَ الشكِّ
وظفَـرًا بجؤجـؤٍ وبَـرْكِ فهو أَحقُّ منزلٍ بتَركِ
الذئبُ يَعوِى والغُرابُ يبكى ٣٤٢

حتى إذا كان منه على قَدر (٤) رمح تمطَّى الأَسد وزأَر ، وحمل عليه ، فتلقّاه جحدرٌ بالسَّيف فضربَ هامتَه ففلقَها ، وسقط الأَسد كأَنَّه

(١) جمع بهمة : بالضم ، وهو الفارس الذى لا يدرى مقاتله من أين يدخل عليه .

(٢) الإبزاء : الغلبة والقهر . وفى المحاسن ٥١ وأمالى ابن الشجرى : ٢ : ١٩٦ والموفقيات ١٧٣ : « قد أبرت » . والإبرار : الغلبة أيضا . يقال أبر عليهم إبرارا : غلبهم .

(٣) كذا فى النسختين والمحاسن . وفى الموفقيات : « حير » بالفتح والراء المهملة ، وهو الوجه . والحير ، كما فى القاموس : شبه الحظيرة .

(٤) ط : « قد رمح » ، صوابه فى ش . وفى أمالى الشجرى : « على قيد رمح » . والقيد ، بكسر القاف : القدر أيضا .

خيمةٌ قَوَّضَتها الرِّيح . ولم يلبث جحدرٌ لشدَّةِ حملة (١) الأسدِ عليه ، مع كونه مكبَّلاً ، أنْ وقع على ظهره (٢) متلطِّخًا بالدم . وعلت أُصواتُ الجماعة بالتكبير ، وقال له الحجَّاج لمَّا رأى منه ما هاله : يا جَحدرُ ، إنْ أحببتَ أن أُلحِقك ببلادك وأُحسنَ جائزتك فعلتُ ذلك بك ، وإن أَحببتَ أن تقيم عندنا أقمتَ فأَسنَينا فريضتك . فقال : أَختار صحبة الأَمير . ففرض له ولجماعة أهلِ بيته ، وأَنشأ جحدرٌ يقول :

يا جُملُ إنَّكِ لو رأَيتِ بسالتى ... فى يوم هَيْج مُردَفٍ وعَجاجِ (٣)
وتقدُّمى للَّيثِ أَرسُف نحَوه ... حَتَّى أُكابره عن الأَخراجِ (٤)
جَهْمٌ كأَنَّ جبينَه لما بدا ... طَبَق الرحَا متفجِّر الأَثباجِ
يرنو بناظرَتين يَحْسَبِ فيهما ... من ظَنَّ خالهما شُعاعَ سِراجِ (٥)
شَثْنٍ براثنُه كأَنَّ نيوبه ... زُرْق المعابل أَو شَذاة زِجاجِ
وكأَنَّما خِيطتْ عليه عَباءةٌ ... بَرقاءُ أَو خَلَقٌ من الدِّيباجِ
قِرنان مُحتَضَرانِ قد ربَّتهما ... أُمُّ المنيَّةِ غيرَ ذات نتاجِ
وعلمتُ أَنِّى إن أَبَيْتُ نِزالَه ... أَنِّى من الحجَّاج لستُ بناجِ
فمشَيتُ أَرسُف فى الحديد مكبَّلا ... بالموت ، نفسى عند ذاكِ أُناجى

(١) ط : « حمل » . والوجه ما أثبت من ش .

(٢) ط : « اذ وقع على ظهره » ، صوابه فى ش .

(٣) فى الأخبار الموفقيات ١٧٤ :

يا جمل أنك لو رأيت كريهتى ... فى يوم هيج مسدف وعجاج

وبين الأبيات هنا وبينها فى الموفقيات خلاف فى الرواية والزيادة والنقص .

(٤) فى الموفقيات : « كيما أكابره على الأحداج » ، وفى النسختين هنا : « عنى » ، والوجه « حتى » كما فى المحاسن .

(٥) فى الموفقيات : « تحسب فيهما » لما أجالهما » .

هذا ما أورده الجاحظ (١) .

وقد أورد ابنُ الشجرى فى أماليه هذه الحكاية مختصرة لجحدر المذكور ، مع أربعة أبيات من الرجز ولم يذكر هذه الأبيات .

وأخرج السيوطى (فى بحث ربّ من شرح شواهد المغنى) هذه الحكاية بنحو ما ذكره ابن الشجرى عن المعافى بن زكريا ، وابن عساكر فى تاريخه بسند متَّصل عن ابن الأعرابى ، وعن الزبير بن بكار (فى الموفَّقيات) .

ولم يورد السكرى (فى كتاب اللصوص) شيئًا مما أورده الجاحظ ، مع أنه استوعب أحوال اللصوص وأشعارهم فى كتابهِ ، وأورد له أشعارًا كثيرة جيدة .

وقوله : (ليثٌ وليثٌ (٢)) : إلخ الليث : الأَسَدُ . والضَّنْك : الضِّيق . و (الأَشَر) بفتحتين ، البَطر . وروى بدله : « ذو أُنَف » ، بفتح الهمزة والنون ، بمعنى الاستنكاف . (والمحك) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة : اللَّجَاج .

والحازم من الحزْم ، وهو التثبُّت والتيقُّظ . والعَرْك بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الحرب ، والمعركة موضعه . وقوله : « أو يكشف الله » إلخ أو هنا بمعنى إلى . والظَّفر : الغلبة . والدَّرَك : الوصول .

والجؤجؤ فى شعر جحدر ، بجيمين وهمزتين ، على وزن قنفذٍ : الصَّدر . والبرك بفتح الموحدة وسكون الراء : ما حول الصَّدر .

وقوله : « كأنَّه خيمة قوَّضتها الريح » ، رواه ابن الشجرى :

---

(١) فى المحاسن ٥٢ ستة أبيات بعد السابقة ، كما أن فى الموفقيات أربعة أبيات مع تلك الستة ، أغفل البغدادى روايتها .

(٢) ش : « وليث » ، بسقوط « ليث » .

« كأنَّه أُطُمٌ مقوَّض » ، وقال : الأُطم بضمتين : الحِصْن . والمقوَّض : من قوَّضت البناءِ ، إذا نقضتَه من غير هدم . والمكبَّل : المقيَّد ، والكَبْل بفتح الكاف وكسرها مع سكون الموحدة : القيد الثقيل .

وقوله : « يا جُمْل إنَّكِ لو رأيت بسالتى » إلخ جُمْل بضم الجيم وسكون الميم : اسم امرأة . والبسالة : الشَّجاعة . وأرسُف : أمشى بالقيد ، ٣٤٣
يقال رسَف فى قيده ، من باب ضرب وقتل . والجَهْم : العَبُوس . والأثباج : جمع ثَبَج بفتح المثلثة والموحدة ، وهو ما بين الكاهل إلى الظَّهر . ويرنو : ينظر . وشَثْن بمعنى خشن . والبراثن : جمع بُرثن كقنفذ ، وهو ظُفر السَّبع . والنيوب : جمع نابٍ ، وهى السِّنُّ . وزُرق : جمع أزرق . والمعابل : جمع مِعْبلة بكسر الميم ، وهو نصل طويل عريض . والشَّذَاة بفتح الشين والذال المعجمتين : الطَّرَف . والزِّجاج بالكسر : جمع زُجّ بضم الزاى ، وهى الحديدة التى فى أسفل الرمح . والقِرْنان : مثنَّى قِرن بالكسر ، وهو المساوى لصاحبهِ فى الشَّجَاعة وغيرها .

واثلة بن الأسقع — وواثلة بن الأسقع ، بالمثلثة والقاف ، هو من الصحابة ، قال ابن الأثير (فى أسد الغابة فى أسماء الصحابة) : واثلة بن الأسقع بن عبد العُزَّى الكنانى الليثى ، وقيل : واثلة بن عبد الله بن الأسقع . أبو شدّاد ، وقيل أبو الأسقع ، وقيل أبو قِرْصافة (١) . أسلم وخدم النبى ﷺ ثلاثَ سنين . من أصحاب الصُّفَّة . وله رواية . مات سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مائة ، وقيل : مات سنة

(١) بكسر القاف . والقرصافة : الخذروف ، ومن النساء والنوق : التى تتدحرج كأنها كرة .

خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة . وتوفى بالمقدس وقيل بدمشق . وكان قد عمىَ . انتهى .

ووقعة مرج الرُّوم كانَت بعد سنة خمسَ عشرةَ من الهجرة بعد فتح الشام ، فى خلافة عمر بن الخطَّاب . فلا شكَّ أن واثلة أقدمُ من جحدر ، ويكون جحدر قد أخذَ الشعرَ من واثلة وزاده . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٦٢ (كأنَّ بين فكِّها والفكِّ فارةَ مِسْكٍ ذُبِحَتْ فى سُكِّ)

لما تقدّم قبله . وكان القياس أن يقول : بين فكَّيها ، لكنَّه أتى بالمتعاطفين للضرورة .

قال ابن يعيش : الأصل فى قولك الزيدان : زيد وزيد . والذى يدلُّ على ذلك أنَّ الشاعر إذا اضطرَّ عاود الأصل ، نحو قوله :

* كأنَّ بين فكِّها والفكِّ *

أراد : بين فكَّيها ، فلمَّا لم يتَّزن له رجع إلى العطف ، وهو كثيرٌ فى الشعر . انتهى .

والفَكُّ بالفتح : اللَّحْى ، بفتح اللام وسكون المهملة ، وهو عظم الحَنَك ، وهو الذى عليه الأسنان . وهو من الإنسان حيث ينبتُ الشَّعر

---

(١) إصلاح المنطق ٧ والمخصص ١١ : ٢٠٠ / ١٣ : ٢٩ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٠ وابن يعيش ٤ : ١٣٨ / ٨ : ٩١ واللسان (زكك) .

وقال (فى البارع) : الفَكَّان : مُلتقى الشِّدقين من الجانبين . قال ابن السِّيرافى : وصف امرأةً بطيب الفم . يريد أنَّ ريحَ المِسك يخرج من فيها . (وفأْرَةَ) منصوبٌ اسم كأنَّ ، وبين خبَرها . والسُّكُّ : ضرب من الطِّيب . انتهى .

(وذُبحت) بالبناء للمفعول . قال يعقوب (فى إِصلاح المنطق) : قال الأَصمعى : الذَّبح : الشقُّ . وأَنشد البيت . أَى شُقَّت وفُتِقت .

وقال المفضَّل بن سلمة الضبى (فى كتاب الطِّيب) : ومن الطِّيب المسك ، يقال هو المِسك ، والأَنابُ ، واللَّطيمة . وقال أَبو زيد : اللَّطيمة : المِسك ، يقال للعِير التى تحمل المسك أَيضا لطيمة . ويقال للتى فيها المسك : فارة ونافجة . قال الأَحوص :

كأَن فارة مسك فُضَّ خاتَمُها ... صهباءَ ذاكيةً من مسك دارينا

وقال آخر :

كأَنَّ حَشْوَ المسك والدَّمالِج ... نافجةٌ من أُطيب النَّوافِج

ويقال : فُتِقت الفارة ، وذُبحت ، ولُمِضَّت ، وشُقَّت . قال الراجز :

٣٤٤ كأَنَّ بَين فكِّها والفَكِّ ... فارةُ مِسكٍ ذُبحتْ فى سُكِّ

والسُّكُّ ، بضم السين : نوعٌ من الطِّيب . وقال أَبو حنيفة الدينَوَرّى (فى كتاب النبات) : الفار : جمع فارة ، وهى فار المسك ، وهى نوافجه التى يكون المسك فيها ، شبِّهت بالفار وليست بفار ، إنما هى سُرَرُ ظباءِ المسك . قال الشاعر :

إِذا التاجر الهندىُّ وافى بفارة
من المسك أَضحَتْ فى مَفارقهم تجرى (١)

(١) المخصص ١١ : ٢٠٥

وقال آخر فى وصف امرأة :

* كأنَّ فارة مِسكٍ فى مُقبَّلها *

وهي مهموزة فأرة وفأر . وكذلك الفأر كله مهموز . وبنواحى الهند فأر يجلب إلى أرض العرب أحيانًا ، قد تأنَّست وأَلِفتْ ، تدور فى البيوت ، تدخل بين الثِّياب . فلا تلابس شيئًا ، ولا تدخل بيتًا ولا تخرأُ على شيء ، ولا تبول عليه ، إلَّا فاح طيبًا . ويجلب التجَّار خرءَها فيشتريه الناس ، ويجعلونه فى صُرَرٍ ، ويضعونها بين الثياب فتطيب . وأخبرنى مَن رآها أنَّها نحو بنات مِقْرض . وفارة الإبل مأخوذة من هذا ، وهى الإبل التى ترعى أفواه البقول الطِّيبة فى العَذَوات العازبَة [1] ثم ترد الماء فتشرب ، فإذا رويت ثم صدَرت فالتفَّ بعضها ببعض ، فاحتْ برائحة طيِّبة .

قال الأصمعى : قلت لأبى مهديَّة : كيف تقول : ليس الطِّيب إلا المسك . وهو يريد أن يعلم كيف يُعْرِبُه . فقال أبو مهدية له : فأين العنبر ؟ فقال الأصمعى : فقلْ : ليس الطيب إلَّا المسك والعنبر . فقال : أين أدهان حَجْر ؟ فقال : فقل ليس الطِّيب إلا المسك والعَنبر وأدهان حَجْر . فقال : فأين فارة إبلٍ صادرةٍ ؟

ومن هذا الجنس والضرب الذى ذكرنا الدُّوَيْبَّة التى تسمَّى الزَّبَاد ، وهى مثل السِّنَّوْرة الصغيرة فيما ذكر لى ، تجلب من تلك النواحى ، وقد تأنس فتُقتَنى وتحتلب شيئًا شبيهًا بالزَّبَد يظهر على حَلَمتها [2] بالعَصر ، كما يظهر على آنِف الغلمان المراهِقين ، فيُجمع وله رائحة طيِّبة البَنَّة . وقد رأيتُه يقع فى

(١) العذاة ، كغداة : الأرض الطيبة التربة الكريمة المنبت . والعازبة : البعيدة النائية .

(٢) ش : « حلمته » .

الطِّيب . وقد بلغنى أنَّ شحمَه كذلك أيضا .

وقد ذكر بعضُ الشعراء القُدُم بعضَ هذا وجعله أمعاءَ الدابَّة ، وظن أنَّه إنَّما طاب جوفه لأنه يأكل الطِّيب ، فقال :

تَكسو المفارقَ واللَّباتِ ذا أَرجٍ ... من قُصْبِ معتلِفِ الكافور درَّاجِ (١)

والأعراب لا يميِّزون هذا . وفى فارة الإبل يقول الراعى :

لها فأرةٌ ذفراءُ كلَّ عشيّةٍ ... كما فتق الكافورَ بالمسك فاتقُه

ظنَّ أنَّه يُفتَق به . وكان الراعى أعرابيًّا قُحًّا ، والمسك لا يُفتَق بالكافور . انتهى كلام الدينَوَرى .

والبَنَّة ، بالفتح للموحَّدة وتشديد النون : الرائحة الطَّيِّبة ، وربَّما قيلت فى غير الطَّيِّبة .

وقال أبو القاسم علىّ بن حمزة البصرىّ اللغوى (فيما كتبه على كتاب النبات من تبيين أغلاط الدينوَرى) : قد غلط فى همز هذه الفارة ، لأن الفأر كله مهموز إلَّا فارة الإبل . وقد اختلف فى فارة المسك وفأرة الإنسان وهى عضلُهُ . والأعلى فى فأر المسك الهمزُ ، وفى فار الإنسان ترك الهمز . ومن كلامهم : « أبرِز نارك ، وإن أهَزلْتَ فارك » ، أى أطعم الطعام وإن أضررت بيدنك . فأمَّا قوله : « والمسك لا يُفتَق بالكافور » ، فصحيح . ولم يقل الراعى : « كما فتق المسك بالكافور فاتقه » ، إنَّما قال : « كما فتق الكافور ٣٤٥

---

(١) للراعى فى ديوانه ٣٥ واللسان (قصب ، كفر) . وفى النسختين : « يكسو » بالياء ، صوابه بالتاء ، كما فى المراجع السابقة .

(٢) فى اللسان (فور) : « برز نارك » ، بالتضعيف .

بالمسك » ، وإن كان المسكُ لا يُفتق بالكافور فإنَّ الكافورَ يُفتق بالمسك .

وجعل الراعىَ أعرابيًّا قُحًّا ونسبَه إلى الجفَاء ، وأوهم أنَّه غلط ، وخطَّأه فى شىء لم يقله ، إلاَّ أن يكون عند أبى حنيفة أنَّ الكافور لا يفتق بالمسك ، ويكون هو قد غلط فى العبارة وعَكَسَها ، فيكون فى هذه الحال أسوأ حالاً منه فى الأولى ، ويكون قليلَ الخبرة بالطِّيب وعملِه واستعماله . ولا رائحة أخمُّ من الكافور إذا فُتِقَ بالمِسْكِ ، يشهد بذلك بنو النَّعمة والعَطَّارون قاطبة . انتهى .

صاحب الشاهد والرجز الشاهد لمنظور بن مرثَدٍ الأسدىّ . قال ابن برى (فى حاشيته على صحاح الجوهرى) : وقبله :

يا حبَّذَا جاريةٌ من عَكٍّ تُعقِّد المِرْط على مِدَكِّ

* مثل كثيبِ الرمل غير رِكِّ *

وعَكٌّ بفتح العين المهملة : أبو قبيلة من الأزد فى قحطان . والمرط ، بالكسر : كساء من صوفٍ أوْ خَزّ يُؤتَزَر به [1] وتتلفَّع به المرأة . وأراد بالمِدَكّ بكسر الميم : العجُز . والرِّكُّ ، بكسر الراء المهملة : المهزول ، والمكان المضعوف [2] الذى لم يمطر إلّا قليلا . قاله الصغانى ، وأنشد البيت للمعنى الأوّل . وقال : وذكره بعضُ من صنَّف فى اللغة بالزاى ، فى اللغة وفى الرجز ، وهو تصحيف . انتهى .

وأراد به الجوهرىَّ . وقد خطَّأه كذلك ابن بَرِّىٌّ (فى حاشيته على الصحاح) ، وتبعه الصَّفَدى أيضا .

ومنظور بن مرثد تقدم فى الشاهد الثانى والأربعين بعد الأربعمائة [2] .

* * *

(١) ش : « يتزر به » .

(٢) انظر الخزانة ٦ : ١٣٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الخمسمائة [١] :

٥٦٣ (لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ كنتَ أكرمَهُمْ   مَيْتًا وأَبعدَهُمْ عن مَنزِلِ الذّامِ)

على أنَّ تعاطف المفردين فيه ليس من قبيل ما تقدَّم من كونه للضرورة ، بل لقصد التكثير ، إذ المُرادُ : لو عُدّت القبور قبرًا قبرًا . ولم يرد قبرين فقط ، وإنَّما أُراد الجنسَ متتابعًا واحدًا بعد واحد . يعنى : إذا حُصِّلت أنساب الموتى وجدتَنى أُكرمَهم نسبًا ، وأَبعدهم من الذَّم .

والبيت من أَبيات أَربعة أَوردها أَبو تمَّام والأَعلم الشَّنتمرىُّ وصاحب الحماسة البَصْرية (فى حماساتهم) ، لِعصام بن عُبيْد الزِّمَّانى . ونسبها الجاحظ (فى كتاب البيان) لهَمّامٍ الرَّقاشى ، وهى : صاحب الشاهد

(أَبلغْ أَبا مِسمعٍ عنّى مُغلغلةً   وفى العتاب حياةٌ بينَ أَقوامِ) أبيات الشاهد
أَدخلتَ قَبلىَ قومًا لم يكن لهمُ   فى الحقِّ أَن يَلِجوا الأَبوابَ قُدَّامى
لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ كنت أَكرمَهُمْ   مَيتًا وأَبعدَهم عن منزل الذامِ
فقَد جعلتُ إذا ما حاجتى نزلَتْ   بباب دارك أَدلُوها بأَقوامِ)

قوله : « أَبلغ أَبا مسمع » إلخ هو بكسر الميم الأُولى وفتح الثانية . والمغلغة : الرِّسالة ، لأَنَّها تُغَلْغَل إلى الإنسان حتَّى تصل إليه من بُعْد ، من قولهم : تغلغل الماء ، إذا دخل بين الأَشجار . وأَصل الغلغلة دخول الشىء فى الشَّىء . وجملة « وفى العتاب حياة » إلخ معترضة بين أَبلغْ وبين أَدخلتَ . والعتاب : اللَّوم والتوقيف على الذنب . يعنى ما دام القوم يلومُ كلٌّ منهم

(١) المقرب ٧٩ والحماسة بشرح المرزوقى ١١٢٢ . ونسبه الجاحظ إلى همام الرقاشى فى البيان ٢ : ٣١٦ / ٣ : ٣٠٢ / ٤ : ٨٥ .

صاحبَه على ما صَدَر منهم من التقصير لصاحبه ، يُرجَى صلاحُهم وارتباط مَوَدَّاتهم . وإنْ لم يتعاتبوا انطوت ضمائرُهم على الأُحقاد .

وقوله : « أدخلْتَ قبلىَ قوما » إلخ أى قدَّمتهم علىَّ فى الإذن وإن لم يكن من حقِّهم أَنْ يتقدّموا علىَّ إذا وردْنا الأَبواب . و يَلِجُوا : يدخُلوا . ورُوى : « أَنْ يَدْخُلوا » . ودخل يتعدَّى فى الأَصل بحرف جر ، ثم يحذف الجار تخفيفا فيقال : دخلت البيت . وقوله : « لو عُدَّ قبر وقبرٌ » إلخ قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : لم يُرد لوعُدّ قبران اثنانِ وإنَّما أَراد لو عُدّت القبور قبرًا قبرًا . ولو قال : عُدّ قبر قبر فرفع لم يجز ذلك كما جاز لو عدت القبورُ قبرًا قبرًا . وذلك أَنَّ هذا من مواضع العطف ، فحذف حرفه لضربٍ من الاتِّساع . وهذا الاتساع خاصّةً إنَّما جاء فى الحال ، نحو : فصَّلت حسابه بابا بابا ، ودخلوا رجلا رجلا ، أى متتابعين . ولو رفعت فقلت : فصِّل حسابُه بابٌ بابٌ ، وأُدخلوا رجلٌ رجلٌ على البدل لم يجُزْ . وعلى هذا قالوا : هو جارى بيتَ بيتَ ، ولقيتُه كَفَّةَ كفَّةَ (١) ، فاتَّسعوا بالبناء على الحال . ونحوُها فى ذلك الظَّرف نحو قولك : كان يأْتينا يومَ يومَ ، وليلة ليلةَ ، وأزمانَ أزمانَ ، وصباحَ مساءَ . فلو خرجت به عن الظرفيَّة لم يجز فيه هذا البناء . أَلا تراك تقول : هو يأْتينا كلَّ صباح مَساءٍ ، فى ليلةٍ ليلةٍ ، فتعرب البتَّة . انتهى .

وقال الطَبرِسّى : يريد لو عُدّت القبُور قبرًا قبرًا ، إلَّا أَنَّه اقتصر ،

---

(١) انظر سيبويه ٣ : ٣٠٤ . وهو بفتح الكاف ، أى كفاحا ، وذلك إذا استقبلته مواجهة . اللسان (كفف ٢١٣) .

وحذف القبور ، وجعل القبر فاعلا [١] وأزاله عن سَنَن الحال . وقيل : معناه لو عُدَّ قبرى وقبرُ الداخل قبلى لكنتُ أُكرمَ منه مَيْتا . انتهى .

والذام : لغة فى الذّمّ بتشديد الميم .

وقوله : « فقد جعلت إذا » إلخ هو بالتكلُّم . قال الطبرسى : أى طفقت وأقبلت ، إذا نزلَت حاجتى بباب دارِك ، يريد إذَا أَلجأتنى إليك حاجةٌ أدلوها أى أتنجَّزها بغيرى [٢] ، واستشفعت أقوامًا فى قضائها ، ولم أُقَرِّبْك بنفسى . انتهى .

قال أبو حنيفة الدينَوَرىّ (فى كتاب النبات) ؛ الدَّلو : الاستقاء بالدَّلو من العُمق . يقال أدلى الدلو : إذا حدَرَها للاستقاءِ ، يُدْلِيها إدلَاء . ودلَاها ، إذا اجتذبها إليه يَدلوها دَلوًا . قال تعالى : ﴿ فأرسَلوا وارِدَهم فأدلى دَلْوَه [٣] ﴾ ، فهذا من الإدلاء ، وهو إلقاؤها فى البئر .

وقال الشاعر فى دَلوت :

فقد جَعلتُ إذا ما حاجةٌ عرضت ... البيت .

أى أبتغِى شُفعاء يستخرجون لى حاجتى . انتهى .

وعصام بنُ عُبَيْد : شاعر جاهلى . وعُبَيْد : مصغَّر عبد بالتذكير . وزِمَّان بكسر الزاى وتشديد الميم : أحد أجداد الشاعر ، وهو من بنى حنيفة . عصام بن عبيد

* * *

(١) فى حواشى ط : « قوله فاعلا يريد نائب الفاعل » . وفى حواشى ش بخط ناسخها : « هكذا بخط المؤلف ، والصواب نائب فاعل » والحق أن هنا تجوز فى التعبير بالفاعل عن نائبه .

(٢) ش : « أى أنجزها بغيرى » . والتنجز : طلب إنجاز العدة أو الحاجه ، كالاستنجاز .

(٣) الآية ١٩ من سورة يوسف .

وأنشد بعده :

(هَمَا نفثَا فى فىَّ من فَمَوْيهما   على النَّابح العاوى أَشدَّ رجامِ)

وتقدم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد السادس والعشرين بعد الثلثمائة [١] .

وضمير التثنية لإبليس وابن إبليس [٢] . و(نفثا) أى أُلقيا على لسانى . و (النابح) هنا أُراد بهِ من يتعرَّض للهجو والسَّبِّ من الشعراء ، وأُصله فى الكلب . ومثله العاوى . و (الرَّجام) : مصدر راجمه بالحجارة أى راماه . وراجم فلانٌ عن قومه ، إذا دافع عنهم . جعل الهجاء فى مقابلة الهجاء كالمراجَمَة ، لجعله الهاجى كالكلب النابح .

والبيت آخر قصيدة للفرزدق قالها فى آخر عمره تائبًا إلى الله تعالى ممَّا فرط منه من مهاجاته النَّاس ، وذمَّ فيها إبليَس لإغوائه إيَّاه فى شبابه .

* * *

٣٤٧ وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الخمسمائة [٣] :

٥٦٤ (يدَيانِ بَيضاوَانِ عِنْدَ محلِّمِ)

هذا صدرٌ ، وعجزه :

(قد يَمنعانِك أَنْ تُضامَ وتُضْهَدَا)

على أنَّه مثنى يدًا بالقصر ، فلمَّا ثُنِّىَ قلبت أَلفه ياء ، كَفَتَيانِ

---

(١) الخزانة ٤ : ٤٥٩ - ٤٦٦ .

(٢) وذلك فى قول الفرزدق قبل هذا البيت :

وان ابن ابليس ألبنا   لهم بعذاب الناس كل غلام

(٣) المنصف ١ : ٦٤ / ٢ : ١٤٨ وابن يعيش ٤ : ١٥١ / ٥ : ٨٣ / ٦ : ٥ / ١٠ : ٥٦ والمقرب ٨٠ ويس على التصريح ٢ : ٢٣٣ .

فى مثنّى فتى ، لأنَّ أصلها الياء ، فإنَّ التثنية من جُملة ما يَرُدُّ الشىء إلى أصله . وإنَّما قلبت فى المفرد ألفًا لانفتاح ما قبلها . وتقلب واوًا فى النسبة إليها عند الخليل وسيبويه ، فيقال يدَوِىٌّ . قال صاحب الصحاح : وبعض العرب يقول لليد : يدًا ، مثل رحًا [١] . قال الشاعر :

يارُبَّ سارٍ باتَ ما توسَّدا إلّا ذراعَ العَنْسِ أو كفَّ اليدا [٢]

يديان بيضاوان .... البيت

وكذا قال ابن يعيش . وفيه ردٌّ على من زعم أنَّ يديان [٣] مثنَّى يد [٣] رُدّت لامُهُ شذوذًا ، كالزمخشرى (فى المفصل) . قال ابن يعيش : متى كانت اللام الساقطة ترجع فى الإضافة فإنَّها تُردُّ إليه فى التثنية ، لا يكون إلا كذلك . وإذا لم ترجع فى الإضافة لم ترجع فى التثنية كأب وأخ ، تقول أخوان وأبوان ، لأنَّك تقول فى الإضافة : أبوك وأخوك ، فترى اللام رجعَتْ فى الإضافة ، فلذلك رددتها فى التثنية . وذلك لأنَّا رأينا التثنية قد تردُّ الذاهب الذى لا يعود فى الإضافة ، كقولك فى يد : يدَيَان ، وفى دم : دموان . وأنت تقول فى الإضافة يدك ودمُك ، فلا تردّ الذاهب . فلمَّا قويت التثنية على ردِّ ما لم تردَّه الإضافة صارت أقوى من الإضافة . وحمل أصحابنا يديان على القلَّة والشُّذوذ ، وجعلوه من قبيل الضَّرورة .

(١) ش : « رحى » . والرحى تثنيتها كما فى اللسان رحوان ، قال ابن منظور : « والياء أعلى » ، أى رحيان ، فهى يائية واوية ، لأنه يقال رحوت بالرحا ورحيت بها .

(٢) هو الشاهد ٥٦٧ فى ص ٤٩٨ .

(٣) ش : « يدان » ، صوابه فى ط .

والذى أراه أنّ بعض العرب يقول فى اليد : يدًا فى الأحوال كلِّها ، يجعله مقصورًا كرحًا . إلى آخر ما ذكره الجوهرىّ .

وكذا صنع ابن الشجرى (فى أماليه) قال : ويدٌ أصلُها يَدَىٌ لظهور الياء فى تثنيتها ، ولقولهم:يديتُ إليه يدًا ، أى أسديتِ إليه نعمة . قال :

يَدَيت على ابن حَسحاسٍ بن بدرٍ بأسفلِ ذى الجَذَاةِ يدَ الكريمِ (١)

فيجوز أن تكون اليد ، التى هى النِّعمة مأخوذةً من التى هى الجارحة لأنَّ النِّعمةَ تُسدَى باليد . ويجوز أن تكون الجارحة مأخوذةً من النعمة ، لأن اليد نعمةٌ من نعم الله على العبد ، ويدلُّ على سكون عينها جمعُها على أيدٍ ، لأنَّ قياس فَعْلٍ فى جمع القلة أفعُل ، كأكلُبٍ وأكعُب وأبحر ، وأنسر فى جمع نسر . وفتحُ الدالِ فى التثنية كقوله : « يديان بيضاوان » البيت لا يدُلُّ على فتحها فى الواحد ، لما ذكرته من إجراء هذه المنقوصات على الحركة إذا أعيدت لاماتها ، وذلك لاستمرار حركات الإعراب عليها فى حال نَقْصِها ، وكذلك إذا نسبتَ إليها أعدت المحذوف وفتحت الدال ، وأبدلت من الياء واوًا ، كما أبدلت من ياء قاض . فقلت : يدوِىٌّ . هذا قولُ الخليل وسيبويهِ فى النَّسَب إلى هذا الضرب .

وأبو الحسن الأخفشُ ينسُب إليه على زنته الأصلية ، فيقول يَدْيىٌّ ، وفى غدٍ : غَدْوِىّ ، وحِرٍ : حِرْحىّ (٢) . والخليل وسيبويه يقولون : غَدَوىٌّ

---

(١) البيت لمعقل بن عامر الأسدى كما فى الحماسة ١ : ١٨٩ بشرح التبريزى . وانظر حواشى شرح المرزوقى ١٩٣ . وفى حواشى نسخة من نسخ أمالى ابن برى أنه لعامر بن موألة . وفى ط : « الجزاة » بالزاى ، صوابه بالذال كما فى ش والحماسة . والجيم مفتوحة ومكسورة . انظر شرح التبريزى . والرواية فى جميع المراجع : « ابن حسحاس بن وهب » .

(٢) ط : « غلوى وحرحى » ، وتصحيحه واكماله من ش .

وجِرَحِىّ . وجمع اليد التى هى الجارحة فى الأكثر على أيدٍ ، وقد جمعها على أياد فى قوله : ٣٤٨

* قُطنٌ سُخامٌ بأيَادِى غُزَّلِ *

سُخَامٌ : ناعم . واليد التى هى النعمة جمعُها فى الأكثرِ الأشهر على أيادٍ . وقد جمعوها على الأيدى ، وإنَّما الأيادى جمع الجمع ، كقولهم فى جمع أكلب : أكالب . وقولهم فى تثنيتها : يدانِ ، أكثر من قولهم : يديان . فهذا مضادٌّ لقولهم : دَمانِ (١) ودَمَيَانِ . انتهى .

وكذا قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) قال : إذا قالوا فى النسب إلى يدٍ يَدَوِىّ تركوا عين الفعل محرَّكة بعد الردّ ، لأنَّهم لو حذفوا الحركة عند رد اللام لكانت اللام كأنها لم تردّ ، لأنَّها قد عاقبت الحركة . وهذا قولُ أبى علىّ فيما أخذته عنه ، وهو يشهد لصحَّة قول سيبويه فيما ذهب إليه فى تبقية الحركة التى حدثت بعد الحذف ، إذا ردَّ إلى الكلمة ما حذف منها . وأبو الحسن يذهب إلى ما وجب بالحذف عند ردِّ المحذوف ، والقول قول سيبويه . ألا ترى أنَّ الشاعر لما ردَّ الحرف المحذوف بَقَّى الحركة (٢) فى قوله :

يديان بيضاوان .... البيت

قال أبو على : فإن قيل : فما تصنع بقوله :

* إنَّ مع اليومِ أخاه غَدْوَا (٣) *

وقول الآخر (٤) :

وما النَّاس إلَّا كالدِّيار وأهلها بها يوم حَلُّوها وغَدْوًا بلاقعُ

(١) ط : « أدمان » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « أبقى » ط : « وبقى » ، والوجه ما أثبت من المنصف .

(٣) اللسان (لا ٢٩٢ غدا ٣٥٢) ومعجم الشواهد ٥٥٨ .

(٤) هو لبيد . ديوانه ١٦٩ .

ألا ترى أنّه ردَّ اللام وحذف حركة العين . فهذا يشهد لصحَّة قول أبى الحسن الأخفش . فالجواب : أنَّ الذى قال غَدْوًا ليس من لغته أن يقول غد فيحذف ، بل الذى يقول غد غير الذى قال غدوًا . انتهى .

قال ابن المستوفى : الذى قاله ابن جنى غير ما ذكره الجوهرى ، فتثْنيته يدين على ما ذكره ابن جنى صناعيَّة ، وعلى ما ذكره الجوهرىّ لغوية .

وقد تكلَّم ابن السكيت على « يد » زيادة على ما ذكرنا (فى كتاب المؤنث والمذكر) ، فأحببنا إيراده تتميمًا للفائدة . قال : اليد مؤنثة تصغيرها يُدَيَّة ، يردُّ إليها فى التصغير ما نقص منها ، والناقص منها ياء . والدليل على ذلك أنَّ الشاعر قال :

يَديانِ بيضاوانِ عند محَلِّمٍ قد تمنعانِكَ منهما أن تهضَما

وتجمع ثلاثَ أيد ، ثم جمعوها الأيادىَ ، ولم يقولوا يُدِىّ بالضم ، ولا أيداء ، وهو قياس . فاستُغنى بأيد وأيادٍ عنه . قال الشاعر (٢) :

فلن أذكرَ النُّعمانَ إلَّا بصالح فإنَّ له عندى يَديًّا وأنعُمَا

فإن شئت جعلت اليَدىّ بالفتح على جهة عِصىّ وعُصِىّ ، وتركت ضم أولها أو كسره لثقل الضم والكسر فى الياء . وإن شئت جعلته جمعًا مفتعَلا (٢) مثل عبد وعبيد ، وكلب وكليب ، ومَعْز ومعيز . ويقال قد يدَيتُه أى أصبت يَده ، وقد يدِىَ من يده إذا شلَّ منها . وحدَّثنى الأثرم عن أبى عبيدة قال :

---

(١) هو ضمرة بن ضمرة كما فى معجم الشواهد ٣٣٠ . « وينسب إلى الأعشى » ، وليس فى ديوانه .

(٢) يعنى أنه اسم جمع .

كنت مع أَبى الخطاب عند أَبى عمرٍو فى مسجد بنى عدىّ ، فقال أَبو عمرو : لا تجمع أَيدٍ بالأَيادى ، إِنَّما الأَيادى للمَعروف . قال : فلما قمْنا قال لى أَبو الخطاب : أَمَا إِنَّها فى علمه ولم تحضُره ، وهو أَروَى لهذا البيت مِنِّى :

ساءها ما تأَمَّلَتْ فى أَياديـ ـناوإشناقُهاإلى الأَعناق[1]. انتهى

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أَبيات المفصل) : المحلِّم بكسر اللام ، يقال إِنه من ملوك اليَمن [2] . وصفُ اليدِ وهى النِّعمة بالبياض ، عبارةٌ عن كرم صاحبها . وقوله : (عندَ محلِّم) أَى لمحلِّم . يقال : عند فلانٍ عطيّةٌ أَو مال ، أَى له ذلك . كذا (فى المقتبس) . قلت : وجه التشبيه على ما ذكر غير ظاهر ، والأَظهرُ أَنْ يراد العضوان ، ويراد ببياضِهما نقاؤهما وطهارتُهما عن تناول ما لا يحسُن فى الدِّين والمروءة . و (ضامَه) : ظلمه ، وكذا هضمه . (وضهده) : قهره . وقوله « أَن تضام وتضهَدا » مفعول ثان لقوله : تمنعانك ، يقال منعه كذا ومنعه من كذا . وروى : « قد تنفعانك » وعليه فقوله أَنْ تضام فى محلِّ النصب على الظَّرف ، أَى وقت كونك مظلومًا مقهورًا . والمعنى : لهذا الملك يدان طاهرتان عن مُوجِبات الذم ، وتمنعانك أَيُّها المخاطب أَن تكون مظلومًا بالنُّصرة على من يَظلمك والإعانة عليه . انتهى .

٣٤٩

(١) لعدى بن زيد فى ديوانه ١٥٠ .

(٢) وفى الاشتقاق ٢٨٧ : « واشتقاق محلم من قولهم : تحلمت يرابيع أرض بنى فلان ، إذا سمنت »

ورواه الجوهرى :

يديَانِ بيضاوانَ عند محرِّق قد تمنعانك منهما أَنْ تهضما

ومحرِّق بكسر الراء المشددة ، قال صاحب العُباب : كان عمرو بن هند ملك الحيرة يلقَّب بالمحرِّق ، لأَنَّه حرَّقَ مائة من بنى تميم . ومحرِّق أَيضا : لقب الحارث بن عمرو ملك الشَّام ، من آل جَفْنة . وإنَّما قيل له ذلك لأَنَّه أَوَّل من حرَّق العرب فى ديارِهِمْ . وهمْ يدعَوْن : آل محرِّق .

ورِوِى ابن الشجرى (١) :

..... عنــدَ محلِّــم قد تمنعانك أَن تذِلَّ وتُقهَرا

وأَنشده ابن الأَعرابى وأَبو عُمَر الزاهد :

..... عنــد محلِّــم قد تمنعانك بينهم أَن تهضما

وروى أَيضًا على غيرِ ما ذكر .

ومع كثرة تداوله فى كتب اللغة والنحو لم ينسبه أَحدٌ إلى قائله ولا ذكر تتمة له . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الخمسِمائة (٢) :

٥٦٥ (فلو أَنَّا على جُحْرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّميانِ بالخَبَرِ اليَقِينِ)

على أَنَّه جاءِ (دمَيان) فى تثنية دم .

---

(١) فى أماليه ٢ : ٣٥ . وكذا فى المقتضب ١ : ٣٣٢ ومجالس العلماء للزجاجى ٣٢٧ .

(٢) المقتضب ١ : ٢٣١ / ٢ : ٢٣٨ / ٣ : ١٥٣ ومجالس العلماء ٣٢٨ والمنصف ٢ : ١٤٨ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٤ والإنصاف ٣٥٧ وابن يعيش ٤ : ١٥١ ، ١٥٢ / ٥ : ٨٤ / ٦ : ٥ / ٩ : ٢٤ والمقرب ٨٠ وشرح شواهد الشافية ١١٢ والأشمونى ٤ : ١١٩ ويس ٢ : ٣٣٢ .

وهو شاذٌّ عند الجوهريّ ، لأنَّه واوىّ . وما أُورده الشارح المحقّق هو كلام صاحب الصحاح إلى قوله « فإن قيل » إلخ .

وصدرُ كلامه : الدمُ أُصله دَمَوٌ بالتحريك ، وإنَّما قالوا دَمِىَ يدمَى ، لحال الكسرة التى قبل الياء ، كما قالوا : رضِىَ يرضَى ، وهو من الرِّضوان . وأُنشد البيت .

وقال ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) : وأَمَّا دَمٌ فهو فَعَل بالتحريك لأَنَّك تقول : دَمِىَ يَدمَى دما ، فهو دَمٍ . فهذا مثل فَرِقَ يَفرَقُ فَرَقًا ، فهو فرِق . فدمٌ مصدر مثل بَطَر وحَذَر . وهذا قول أَبى العباس المبرد [1] . وليس عندى فى قولهم دمى يدمى حجّة لمن ادَّعى أَن دمًا فعل ؛ لأَنَّ قولهم دمى يدمى دمًا إنما هو فِعْلٌ ومصدرٌ اشتقَّا من الدم ، كما اشتقَّ ترِب يَتْرَبُ تَرَبًا [2] من التُّراب . فقولهم دَمًا اسمٌ للحدث ، والدمُ : الشىء الذى هو جسم . ولكن قولَهم دَمَيان دلَّ على أَنَّه فَعَل . قال الشاعر لمَّا اضطُرَّ :

فلو أَنَّا على جُحْرٍ ذُبحنا .... البيت

ثم قال : وأَما دم فقد استبان أَنَّه من الياء ، لقول بعض العرب دَمَيان . وقال بعضهم : دَمَوان . فممَّا دلَّ على أَنَّه من الواو أَكثر ، لأَنَّهم قد قالوا هنوانِ وأَخوانِ وأَبوانِ . انتهى كلامه . وهذا مأْخذ كلام الصحاح .

وقد ردَّ ابن جنى بعض هذا (فى شرح تصريف المازنى) وأَيَّد مذهبَ سيبويه ، قال : وزن شاة فعْلة ساكنة العين . هذا هو الصواب . وكلَّمت بعض

---

(١) ط : « أبى العباس والمبرد » .

(٢) ط : « كما اشتق ترب من يترب تربا » . وقد رمج على « من » فى ش ليصح الكلام كما أثبت .

الشيوخ من أصحابنا بمدينة السَّلام فى العَين منها هل هى ساكنة أو
متحرِّكة ؟ فادَّعى أنَّها متحرِّكة ، فسألته عن الدَّلالة على ذلك فقال :
٣٥٠ انقلابُها ألفًا يدلُّ على أنَّها متحركة ، لأنَّها لو كانت ساكنة لوجب إثباتها كما
ثبتت فى حوض وثوب . فقلت له : أنا وأنت مجمعان على أنَّ سكون العين هو
الأصل ، وأنَّ الحركة زائدة ، وحكم الزيادة أن لا تثبتَ إلَّا بدليل . فأمَّا قولك
انقلابها دليلٌ على الحركة فغير لازم ، لأنَّ الحركة التى فيها إنَّما دخَلتْها لمجاورتها
تاء التأنيث ، وقد أجمعنا على أنَّ تاء التأنيث يُفتح ما قبلها ، وأنَّ سكون العين
هو الأصل حتى تقومَ دلالةٌ على الحركة . وأمَّا انقلاب العين فإنَّما هو لما
حدث فيها من الفتح عند مجاورتها تاء التأنيث ، فوقَفَ الكلام هناك .
وكأنَّها (١) كانت شَوْهة فلما حذفت الهاء بقيت شَوْهٌ ففتحوا الواو (٢) لِتاءِ
التأنيث ، فصار شَوَة ، فانقلبت الواو ألفًا لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها .

فإن قيل : ما تنكر أن تكون فَعَلة ، لأنَّ اللام لما ردّت وأُبدلت فى شاء همزة بقيت الألف بحالها . ولو كانت إنَّما انفتحت العينُ لمجاورتها التاءَ لوجبَ إذا رجعَت اللام وزالت التاء أن تعود إلى سكونها فيقال شَوْهٌ أو شَوءٌ (٣) إذا أُبدلت الهمزة ؟ قيل : هذا لا يلزم ، لأنَّ العين لمَّا تحركت لمجاورتها التاء ثم

(١) ش : « وأنها » ، صوابها فى ط والمنصف ٢ : ١٤٧ .

(٢) فى المنصف : « ففتحت الواو » . وما بعده من الكلام إلى « وانفتاح ما قبلها » ساقط من المنصف .

(٣) ط : « وشوء » ، وأثبت ما فى ش والمنصف .

ردَّت اللام بعد ذلك ، تركت الفتحة فى العين بحالها قبل الردّ . وهذا مذهب سيبويه . ألا ترى أنّه لم يكن عندَه فى قول الشاعر :

* جَرَى الدَّمَيانِ بالخبر اليقين *

دلالةٌ على تحرُّك العين من دم ، لأنَّها لما أُجرى عليها الإعراب فى قولهم دمٌ ودمًا ودمٍ ، ثم رد اللام فى التثنية بقّى الحركة (١) فى العين على ما كانت عليه قبل الردّ ، كما قال الآخر :

* يديانِ بيضاوَان عند محلِّمٍ *

وقد أجمعوا على سكون العين من يد . وقد تراه قال يَدَيان ، فحرَّكها عند الرّد ، لأنَّها قد جرت محركة قبل الرد (٢) . والقول فيه مثله فى الدَّميان . وغيره من أصحابنا ، وهو أبو العباس ، يذهب إلى ترك العين من دم لأنَّه مصدر دَميت دَما ، مثل هوِيت هوى . قال أبو بكر بن السرَّاج : « وليس ذلك بشىء » .

ثم أورد ما نقلناه من كلام ابن السراج . وحاصل كلامه أنَّ دما أصله سكون العين ، وأنَّ لامه ياء لا واو . وبه جزم الزجاج (فى تفسيره) عند قوله : ﴿ يسومُونَكُم سُوءَ العذاب (٣) ﴾ الآية . قال : إنَّ الأخفش يختار أن يكون المحذوف من ابن الواو ، لأنَّ أكثر ما يحذف الواو لثقلها ، والياء تحذف أيضًا لأنَّها تثقل . والدليل على هذا أنَّ يدًا قد أجمعوا أنَّ المحذوف منه الياء ، ولهم

(١) ش : « بقيت الحركة » ، وما أثبت من ط يطابق المنصف .

(٢) فى المنصف : « متحركة قبل الرد » . وكلمة « محركة » ساقطة من ش .

(٣) من الآيات ٤٩ فى البقرة و ٤١ فى الأعراف و ٦ من إبراهيم .

دليل قاطع من الإجماع . يقال يَدَيتُ إليه يدًا . ودم محذوف منه الياء ، يقال دمٌ ودميان . قال الشاعر :

* جرى الدَّميَانِ بالخبرِ اليقينِ *

والبنوّة ليس بشاهدٍ قاطعٍ فى الواو ، لأنّهم يقولون الفتوّة ، والتثنية فتيانِ ، فابنٌ (١) يجوز أنْ يكون المحذوف منه الواو والياء ، وهما عندى متساويان . ا هـ .

وقد حكى الخلاف ابن الشَّجرىّ (فى أماليه) فى كون العين محرَّكة أو ساكنة ، وفى كون اللام ياءً أو واوًا ، ورجَّح كونها ياء ، قال : ودم عند بعض التصريفيين دَمْىٌ ساكن العين قالوا : لأنَّ الأصل فى هذه المنقوصات أن تكون أعينها سواكن ، حتَّى يقوم دليلٌ على الحركة ، من حيث كان السُّكون هو الأصل ، والحركة طارئة . قالوا : وليس ظهور الحركة فى دَمَيان دليلا على أنَّ العين متحركة فى الأصل ، لأنَّ الاسم إذا حذفت لامه واستمرَّت حركات
٣٥١ الإعراب على عينه ، ثم أعيدت اللام فى بعض تصاريف الكلمة ، أُلزموا العينَ الحركة . وقال من خالف أصحابَ هذا القول : أصل دمٍ دَمَىٌ بفتح العين ، لأنَّ بعض العرب قلبوا لامه ألفًا فألحقوه بباب رَحًا ، فقالوا : هذا دمٌ ودمًا كرحا . وقال بعض العرب فى تثنيته دَمانِ فلم يردُّوا اللام ، كما قالوا فى تثنية يدٍ يدان . والوجه أن يكون العمل على الأكثر . وكذلك حكى قومٌ دمَوان . والأعرفُ فيه الياء . وعليه أنشدوا :

* جَرَى الدَّميانِ بالخَبَرِ اليقينِ *

---

(١) فى النسختين : « فاين » . وانظر اللسان (بنى ٩٧) .

قال بعض أهل اللغة : من العرب من يقول الدَّمُّ بالتشديد ، كما تلفظ العامَّة ، وهى لغة رديّة . وأنشدُوا لتأبَّط شرًّا :

حَيثُ التقت بكرٌ وفَهْمٌ كلُّها والدَّمُّ يجرى بينهم كالجَدْولِ

والعامَّة تفعل مثلَ هذا فى الفم . ومن العرب (١) من يشدِّد الفم أيضًا . وإنَّما يكون ذلك فى الشِّعر ، قال :

* ياليتَها قد خرجَتْ منْ فُمِّهْ * انتهى

والجُحْر ، بضم الجيم وسكون الحاء المهملة : الشقُّ فى الأرض . وقوله : (جَرَى الدِّميان) إلخ أراد بالخبر اليقين ما اشتهرَ عند العرب ، من أنَّه لا يمتزج دمُ المتباغضين . وهذا تلميحٌ فى غاية الحسن ، أى لمَا امتزجا وعُرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابى : معناه لم يختلط دمى ودمُه ، من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمى يَمْنةً ودمُه يَسْرة . ويوضِّحه قولُ المتلمس من قصيدة :

أُحارثُ إنَّا لو تُساطُ دماؤنا تزايَلْنَ حتَّى لا يمسَّ دمٌ دَما

وقال ابن قُتيبة فى ترجمة المتلمس (من كتاب الشعراء) : هذا البيتُ من إفراطه . يقول : إنَّ دماءَهم تَماز من دماءِ غيرهم . وهذا محالٌ لا يكون أبدًا .

وكذا قال ابن عبدِ ربِّه (فى العقد الفريد (٢)) .

و (تساط) بالسين المهملة ، يعنى تُخلَط . ومنه قول العامَّة : « لو خُلِط دمى بذمه لما اختلط » ، أى لبايَنه من شدَّة العداوة ولم يمازجْه .

---

(١) فى أمالى الشجرى ٢ : ٣٥ : « ومن العرب العُرب » ، يعنى الخلص .

(٢) العقد ٥ : ٣٥٩ حيث قال : « وهذا من الكذب المحال » .

وقال الأندلسيُّ : معناه لو ذُبحنا على جُحْرٍ واحد لا متزجت دماؤُنا بدمائكم . يصف ما بينهما من العَداوة . وهذا خلاف المعنى ، والصواب : لَمَا امتزجت دماؤُنا .

ونقل بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) أن معنى البيت : لو ذُبحنا على جُحرٍ لعُلِمَ مَنِ الشُّجاعُ منَّا من الجبان ، بجَرْيِ دمِه وجمودِه (١) ؛ لأنَّ من زعمهم أنَّ دم الشُّجاع يجرى ، ودم الجبان يجمُد . وتحقيقه : جرى دمى ودمك ملتبسين بالخبر اليقين . ولا يخفى أنَّ هذا المعنى غير صحيح هنا ، بدليل ما قبله ، وهو :

(لعمرُك إنَّنى وأبا رياحٍ ... على حال التَّكاشُرِ منذُ حينِ
لَيُبغضُنى وأُبعضُه وأيضًا ... يرانى دونَه وأراهُ دونى
فلو أنَّا على جُحرٍ ذُبحنا ... .) البيت

هكذا روى الأبياتَ الثلاثة ابنُ دريد ، (فى كتابه المجتنى (٢)) عن عبد الرحمن عن عمِّه الأصمعىّ ، ونسبها لِعلىِّ بن بدَّال بن سُليم .

والتكاشر : المباسطة ، من الكَشْر ، وهو التبسُّم . وروى ابن دريد بدله (فى الجمهرة) : « على طول التجاور » . وعلى بمعنى مع .

وقد أُدخل هذه الأبياتَ الثلاثةَ صاحبُ (الحماسة البصرية) فى قصيدةِ المثقِّب العبدىّ . وأنشد بعدها :

---

(١) أى جمود دم عدوه .

(٢) فى النسختين : « المجتبى » بالباء ، وإنما هو بالنون . والكتاب مطبوع فى حيدآباد سنة ١٣٤٢ . يقول فيه ابن دريد فى ص ١٢ : « سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه طرائف الآثار ، كما تجتنى أطايب الثمار » . فهذا يقطع بأنه بالنون .

(فإمَّا أنْ تكون أخى بصدقٍ فأعرفَ منك غَثّى مِنْ سمينى ٣٥٢
وإلّا فاطَّرِحْنى واتَّخذنى عدوًّا أتَّقيك وتَتَّقينى)

وتبعه ابنُ هشام (فى شرح شواهده) ، والعينىُّ أيضًا (فى شرح شواهد شروح الألفية) ، ولم يوردها أحد فى هذه القصيدة .

وقد رجعت إلى ديوانه فلم أجدْها فى هذه القصيدة . ورواها المفضَّل (فى المفضليات) عاريةً عنها ، ولم ينبِّه عليها أحد من شرَّاحهم كابن الأنبارىّ وغيره .

وقال ابن المستوفِى : رأيتُ [1] هذه الأبياتَ فى كتاب نحوٍ قديم منسوبةً للفرزدق . ووجدتها أيضًا فى نسخة قديمة ذكر كاتبُها أنَّها زياداتُ الحماسة ، كتبها محمد بن أحمد بن الحسن فى ربيع الآخِر ، سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، ونِسبها لمِرداسٍ [2] بن عَمْرٍو . وقال : وتروَى للأخطل . ووجدتُها (فى نوادر اللِّحيانى أبى الحسن على بن حازم [3]) قد أنشدها لأوس . انتهى كلام ابن المستوفى .

وابن دريد هو المرجع فى هذا الأمر ، فينبغى أنْ يؤخذ بقوله . والله أعلم .

وعلى بن بَدَّال ، بفتح الموحدة وتشديد الدال ، وآخره لام . على بن بدال

* * *

(١) ط : « فى رواية » وأصلح الشنقيطى بقلمه هاتين الكلمتين بلفظ « رأيت » ، وهو الصواب إن شاء الله .

(٢) ط : « ونسبها المرداس » ، صوابه فى ش .

(٣) فى النسختين : « خازم » بالخاء المعجمة ، صوابه من كتب التراجم . وفى البغية : « على ابن المبارك ، وقيل ، ابن حازم ، أبو الحسن اللحيانى » . وفى طبقات الزبيدى ٢١٣ : « اللحيانى هو على بن حازم . وله كتاب فى النوادر شريف » .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الخمسمائة (١) :

٥٦٦ (فلَسْنا على الأعقابِ تَدْمَى كُلومُنا
ولكنْ على أقدامنا يَقطُر الدَّمَا)

على أنّ المبرِّد استدلَّ به بأَنَّ الدمَ أُصله فَعَل بتحريك العين ، ولامه ياء محذوفة ، بدليل أنَّ الشاعر لما اضطُّر أُخرجه على أُصله وجاء به على الوضع الأَوّل . فقوله الدَّما بفتح الدال فاعل يقطر ، والضمة مقدَّرة على الألف ، لأَنَّه اسمٌ مقصور ، وأُصله دَمَيٌ ، تحرَّكت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت أَلفًا .

والدَّليل على أَنَّ اللام ياءٌ قولهم فى التثنية : دميان ، وفى الفعل : دمِيَت يده . هذا محصَّل مدَّعاه ، وهو إِنَّما يتمُّ على أَنَّ فتح الميم قبل حذف اللام ، وعلى أَنَّ الدمَا بمعنى الدم ، وعلى أَنَّ يقطُر بالياء التحتية . وفى كلّ واحد بحث .

أَمَّا الأَولْ فممنوع ، وإِنَّما فتحة الميم حادثةٌ بعد حذف اللام ، وهو مذهب سيبويه ، وذلك أَنَّ الحركةَ عنده إِذا حدثت لحذفِ حرفٍ ثم ردَّ المحذوف ثبتت الحركة التى كانت قد جَرت على الساكن قبل دخولها عليه بحالها . ويشهد له قولهم : يديان ؛ فإِنَّهم أَجمعوا على سكون العين من يد من غير خلاف . وقد نراهم ، قالوا : يديان ، فحرَّكوا عند الرّدِّ ، لأَنَّها قد جرت محرّكة قبل رد اللام .

---

(١) المنصف ٢ : ١٤٨ والتصحيف للعسكرى ٣٢٥ ومجالس العلماء للزجاجى ٣٢٥ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٤ ، ١٨٧ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ / ٥ : ٨٤ وشرح شواهد الشافية ١١٤ والحماسة بشرح المرزوق ١٩٨ .

وأمَّا الثانى فممنوعٌ أيضًا ، لاحتمال أنَّه مصدر دمىَ دمًا ، كفرح يفرح فرحا . قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) : دمًا : مصدر دميت يده ، لا بمعنى الدَّم . وأما قوله ، وأنشدَنيه (١) أبو على :

* ولكنْ على أقدامنا يقطُر الدَّما *

فالدَّما فى موضع رفع ، وهو مصدر مقصور على فَعل ، وتقديره على حذف مضاف . وكذا قول الشاعر (٢) .

كأطومٍ فقدَتْ بُرغُزَها أعقبتها الغُبْسَ منه عَدما
غَفَلتْ ثم أَتتْ ترقبُه فإذا هِى بعظامٍ ودَمَا

فإنَّه أوقع المصدر فيهما موقَع الجوهر ، وتأويله عندى على حذف المضاف ، كأنَّه قال : يقطر ذو الدَّمَى ، وإذا هى بعظام وذِى دَمًى . انتهى .

والأَطوم ، بفتح الألف وضم الطاء : البقَرة الوحشيَّة . والبُرغز بضم الموحَّدة فالغين المعجمة ، وسكون الراء المهملة بينهما ، وآخره زاى ، هو ولدُها . والغُبْس : جمع أغبَس ، وهى الذئاب ، وقيل هى الكلاب . والدَّما فى الموضعين لاخفاءَ فى كونه بمعنى الدَّم ، والتأويل خلافُ الظاهر . ٣٥٣

وأما الثَّالث فقد روى أيضًا بالنون وبالتاء الفَوقيَّة .

أمَّا الأوَّل فقد قال العسكرى (فى كتاب التصحيف (٣)) : اختلفوا فى نصب الدم ، ورواه أبو عبيدة :

* على أقدامنا تَقْطُر الدَّما *

---

(١) ط : « وأنشد فيه » صوابه فى ش والمنصف ٢ : ١٤٨ .
(٢) الشاعر مجهول . وانظر معجم شواهد العربية ٣٣٧ .
(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٣٢٥ .

بالنون ، أي نقطر دمًا مِن جراحنا . انتهى .

فقَطَر على هذا متعدٍّ ، يقال قطر الدمُ وقَطَرته ، أي سال وأسلته . وأمّا الرواية بالتاء الفوقية فقد رواها شراح الحماسة وقالوا : قطر فعلٌ متعدٍّ مسنَدٌ إلى ضمير الكلوم . فالدَّما على هاتين الروايتين مفعول به ، يحتمل أنَّه مقصور كما قال المبرد ، ويحتمل أنَّه الدم منقوص وألفه للإطلاق . وحينئذ يسقط الاستدلال على أنَّه مقصور . وقال المرزوقى (فى شرح الحماسة) ، وتبعه التبريزى وغيره : وإن شئتَ جعلت الدم منصوبًا على التمييز ، كأنَّه قال : تقطر دما ، وأدخل الألف واللام ولم يعتدَّ بهما . وقال (فى شرح الفصيح) : وبعضهم يجعل الدَّما تمييزًا ، ولا يعتدّ بالألف واللام ، أراد تقطر كلومنا دمًا ، أى من الدم ، كما فى قوله :

* ولا بفَزارةَ الشُّعرِ الرِّقابا (1) *

وما أشبهه . ويجوز فى هذا الوجه أن تنصبه على التشبيه بالمفعول به ، كما يفعل بقوله : هو الحسَنُ وجها . انتهى .

أقول : قد خطَّأ أبو عليٍّ الوجه الأوّل (فى المسائل البصرية) قال : وحملُ الدَّما على التمييز خطأ . انتهى . وأما الوجه الثانى فليس على منوال ما مثّل به . وزاد ابن جنى (فى إعراب الحماسة) فقال : روىَ : « تَقطر الدما » ،

(1) ط : « بغزارة » تحريف ، صوابه فى سيبويه ١ : ٥٢ ، ٤٨٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٤٣ والإنصاف ١٣٣ والعينى ٣ : ٩ . والأشمونى ٣ : ١٤ . والبيت للحارث بن ظالم . وصدره :

* فما قومى بثعلبة بن سعد *

بفتح المثناة الفوقية وضمّها . أمَّا الأوَّل فلأنَّ قطر متعدٍّ . وأما الثّانى فعلى أنَّه منقول من قَطر الدمُ بالرفع ، وأقطرته ، كقولك : سال وأسلته . انتهى .

وقد جاء تَقطُر الدَّما متعديًّا ناصبًا للدم ، فى قول العبّاس بن عبد المطلب لأبى طالب ، حين قتل خِداش بنَ علقمة بن عامر ، من أبيات عدَّتها ثلاثة عشر بيتا ، أوردها أبو تمام (فى آخر كتاب مختار أشعار القبائل) ، وهو :

أبى قومُنا أن ينصفونا فأنصفَتْ قواطعُ فى أيماننا تقطُر الدما [1]

وأورد السّيُوطى (فى الأشباه والنظائر) مجلس ثعلبٍ مع جماعة من النحويِّين ، نقله من كتاب غرائب مجالس النحويين للزجاجى قال : حدَّثنا أبو الحسن على بن سليمان قال : كنَّا عند أبى العباس ثعلب فأنْشدَنا :

فلسنا على الأعقاب تَدمَى كلومُنا ولكن على أقدامنا يقطُر الدَّما

فسألَنا : ما تقولوّن فيه ؟ فقلنا:الدم فاعلٌ جاء على الأصل . فقال : هكذا رواية أبى عُبيد [2] . وكان الأصمعىّ يقول : هذا غلط ، وإنَّما الرواية : « تقطر الدما » منقوطة من فوقها ، والمعنى : ولكن على أقدامنا تقطر الكلوم الدما ، فيصير مفعولا به . ويقال قطر الماءُ وقطرته أنا . وأنشدنا :

* فإذا هى بعظام ودما * البيتين

---

(١) البيت أيضا من أبيات ثلاثة فى حماسة البحترى ٦٠ . وهو مع قرين له فى معجم المرزبانى ٢٦٢ .

(٢) وكذا فى الأشباه والنظائر للسيوطى ٣ : ٤٠ لكن فى مجالس العلماء للزجاجى ٣٢٥ : « رواية أبى عبيدة » .

وقال : كان الأصمعىّ يقول : إنَّما الرواية بكسر الدال ، ثم قصر الممدود . انتهى .

وأما ما ادَّعى المبرد أنَّ لام الدم ياء لا واو ، فقد تقدم الكلام عليه فى البيت قبل هذا .

صاحب الشاهد — وهو من أبيات ثلاثة أوردها أبو تمام (فى الحماسة) للحُصين بن الحُمَام المرّىّ ، وأوردها الأعلم الشنتمرىُّ (فى حماسته أيضًا) ، وهى : ٣٥٤

أبيات الشاهد

(تأخَّرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجدْ ... لنفسى حياةً مثلَ أنْ أتقدّما
فلسْنا على الأعقابِ تَدمَى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامنا تقطُر الدِّما
نُفلِّق هامًا من رجالٍ أعزَّةٍ ... علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلَما)

وقوله : « تأخَّرت أستَبقى الحياة » إلخ قال الطبرسىّ فى شرحه : يقول : نكصت على عقبى رغبةً فى الحياة ، فرأيت الحياة فى التقدُّم . وقال المرزوقى : يجوز أن يكون هذا مِثْلَ قولهم : « الشُّجاع مُوَقًّى » ، أى تهيُّبه الأقرانُ فيتحامَونه ، فيكون ذلك وقايةً له . وفى طريقته قولُ الآخر :

يخافُ الجبانُ ، يُرَى أنَّه ... سيُقتَل قبل انقضاءِ الأجَل
وقد تدركُ الحادثاتُ الجبانَ ... ويَسلم منها الشُّجاعُ البطَلْ

ومثله قوله الآخر :

نُهين النُّفوسَ وهَونُ النُّفو ... سِ يومَ الكريهةِ أوقَى لها

ويجوز أن يقول : أحجمت مستبقيًا لعَيْشى فلم أجدْ لنفسى عيشًا كما يكون فى الإقدام ، وذلك لأنَّ الأحدوثة الجميلةَ عند الناس إنَّما تكون بالتقدُّم لا بالتأخُّر ، وبالاقتحام لا بالانحراف . ومن ذُكر بالجميل وتُحُدِّث عنه بالبلاء

حيٌّ ذكره واسمُه ، وإن ذهب أثره وجسمه . وقوله : « حياةً مثلَ أن أتقدَّما » ، معناه حياة تشبه الحياة المكتسبة فى التقدُّم وبالتقدُّم

وقوله : (فلسْنَا على الأعقاب) إلخ الأعقاب : جمع عقِب بفتح فكسر ، هو مؤخَّر القدم . والكلوم : جمع كَلم بفتح فسكون ، وهو الجُرْح . قال المرزوقى : أراد : لسنا بداميةِ الكلوم على الأعقاب . ولو لم يجعل الإخبار على أنفسهم لكان الكلام : ليست كلومنا بداميةٍ على الأعقاب . فيقول : نتوجَّه نحو الأعداء فى الحرب ولا نُعرِض عنهم ، فإذا جُرحنا كانت الجراحات فى مقدَّمنا ، لا فى مؤخَّرنا ، وسالت الدِّماء على أقدامنا ، لا على أعقابنا . ومثله قولُ القُطامىّ :

ليست تُجرَّحُ فُرَّارًا ظهورُهمُ   وفى النُّحور كلومٌ ذاتُ أبلادِ[1]

انتهى .

وقد أورد ابن هشام صاحب السيرة هذا البيتَ (فى سيرته) ، وتبعه الشامىُّ فأورده (فى سيرته) أيضًا ، قالا : إن من جملة من فرّ يوم بدرٍ خالدَ ابنَ الأعلم ، وهو القائل :

ولسنا على الأعقابِ تدمَى كلومُنا   ولكنْ على أقدامنا تقْطُر الدِّما

فما صدق فى ذلك ، بل هو أوّل من فرَّ يوم بدر فأُدركَ وأُسر . انتهى .

فظاهره أنَّه قائل هذا البيت . وليس كذلك وإنما قاله متمثلا به .

وقوله : « نفلِّق هامًا » إلخ قال المرزوقى : يقول : نشقِّق هامات من

---

(١) قبله فى الديوان ٨٨ :

ثابت له عصب من مالك رجح   عند اللقاء مساريع إلى النادى

رجالٍ يكرِمُون علينا ، لأنَّهم منا ؛ وهم كانوا (١) أسبق إلى العقوق وأوفر ظلما ، لأنَّهم بَدءُونا بالشرّ وألجئونا إلى القتال ، فنحن منتقمون ومُجازُون . انتهى .

وقال الخطيب التِّبريزى : أصل العقوق القطع ، يقال عقَّ الرحِمَ كما يقال قطعها . وجمع العاقّ أعقَّةٌ ؛ وهو جمع نادر . انتهى .

صاحب الشاهد ٣٥٥ وهذه الأبيات الثلاثة من قصيدةٍ عدتها واحدٌ وأربعون بيتا (٢) للحصين ابن الحُمام ، وهو شاعر جاهلى ، أوردَها المفضَّل (فى المفضليات) وليس البيتان الأوّلان مِن الثلاثةِ موجودَين فى رواية المفضَّل ، والبيت الثالث فى روايته إنَّما هو : « يفلِّقْنَ » بالنون ، لأنَّه ضمير السُّيوف فى بيتٍ قبله ، وهو :

(صَبَرنا وكان الصَّبرُ منَّا سجِيّةً بأسيافنا يَقْطَعْنَ كفًّا ومِعْصَما)

وقد تقدَّم أبياتٌ كثيرة منها مشروحةٌ مع ترجمته فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائتين ، من باب الاستثناء (٣) .

وقد أورد ابنُ الأنبارىِّ (فى شرحه) منشأً هذه القصيدةِ فقال : كانت بنو سعد بن ذبيان قد أحلَبَتْ على بنى سهم مع بنى صِرْمة ، وأحلَبَتْ معهم مُحارب بن خَصَفة ، فساروا إليهم ورئيسُهم حُمَيضة بن حرملة الصِّرمى ، ونكصت عن حُصينِ بن الحُمام قبيلتان ، وهما عَدْوان بن وائلة بن سهم ، وعبد غَنْم بن وائلة بن سهم ، فلم يكن معه إلَّا بنو وائلة بن سهم والحُرَقة ،

---

(١) ط : « وان كانوا » ، وأثبت ما فى ش وشرح المرزوقى ١٩٩ .

(٢) ط : « أحد وأربعون بيتا » .

(٣) الخزانة ٣ : ٣١٨ – ٣٢٧ .

فسار إليهم فلقيَهم الحصين ومن معه بدارةِ موضوع ، فظفر بهم وهزمَهم ، وقَتل منهم فأكثر ، فلذلك يقول الحُصين بن الحمام :

ولا غرْوَ إلّا يوم جاءت محاربٌ   يقودون ألْفًا كلُّهم قد تَكتّبا[1]
مَوالى موالينا لِيَسْبُوا نساءنا   أثعلبُ قد جئتم بنَكْراءَ ثعلبا

وإنّما سارت إليهم محاربٌ للحِلف الذى كان بينهم . فقال الحصين :

أيا أخوينا من أبينا وأُمّنا   إليكم وعند الله والرَّحِم العُذْرُ . انتهى

وأَحْلَبَ بالحاء المهملة ، قال (فى الصحاح) : يقال للقوم إذا جاءُوا من كل أوب للنُّصرة : قد أُحلبوا . والمُحْلِب : الناصر . ويعجبنى من آخِرِ هذه القصيدة قولُه :

(فلستُ بمبتاع الحياة بسُبّةٍ   ولا مبتغٍ من رَهبة الموت سُلّما)

يقول : لا أشترى الحياة بما أُسبُّ عليه وأُعَيَّر به ، ولا أُطلب النجاة من الموت ، لأنّى أُعلم أنَّ الموتَ لابدَّ منه . يعنى مَنْ طلب النجاةَ من الموت احتملَ الذُّلّ ، ومن علم أنه ميت لا محالة لم يحتمل المذلة .

والحُصَين ، بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين . والحُمَام ، بضم المهملة وتخفيف الميم . والمرّىّ نسبة إلى مُرّة ، وهو أبو قبيلة ، وهو مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان . وسهم وصرْمَة أَخَوانِ ، وهما ابنا مرّة . ووائلة هو ابن سهم . والحصين من بنى وائلة ، وهو الحصين بن الحمام بن ربيعة بن الحصين بن الحمام

(١) الغرو : العجب . ط : « ولا غزو » ، صوابه فى ش .

مساب بن حرام بن وائلة . وحميضة ، بالتصغير هو ابن حرملة بن الأشعر بن إياس بن مُرَيطة بن ضَرَمَة بن صِرْمَة بن مرة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الخمسمائة [٢] :

٥٦٧ (يارُبَّ سارٍ باتَ ما تَوَسَّدا إلَّا ذراعَ العَنْسِ أو كفَّ اليدا)

على أنَّ السِّيرافى استدلَّ به على أنَّ « يدا » أصله فعَل بتحريك العين :

قال صاحب الصحاح : بعض العرب يقول لليَدِ يدًا ، مثل رحًى . وأنشد الشعر . وتثنيتها على هذه اللغة يدَيان مثل رَحَيان . قال الشاعر :

يديان بيضاوانِ عند محرِّق قد تَمنعانك منهما أنْ تُهْضَما . انتهى .

وتبعه ابن يعيش بقوله : « والذى أراه أنْ بعض العرب يقول فى اليد ٣٥٦
يدا » . إلى آخر ما ذكره صاحب الصحاح .

وقال ابن الأنبارى (فى كتاب الأضداد) : أُنشد الفراء :

* يارُبَّ سارٍ بات ما توسَّدا * إلخ

أى كانَ ذراعُ النَّاقة له بمنزلة الوسادة . وموضعُ اليد خفضٌ بإضافة الكفِّ إليها ، وثبتت الألف فيها وهى مخفوضة لأنَّها شبهت بالرَّحَى والفتى . وعلى هذا قالت جماعةٌ من العرب : قام أباك ، وجلس أخاك ، فشبَّهوهما بعصاك ورحاك . هذا مذهب أصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصبٌ

(١) فى القاموس (ضرم) : « وضرمة بن صرمة بكسر الصاد المهملة : جد لهاشم بن حرملة » وقد ضبطت « ضرمة » بفتح الضاد والراء . وانظر مختلف القبائل لابن حبيب ٤٥ .

(٢) رسالة الملائكة ١٦٥ وابن يعيش ٤ : ١٥٢ والهمع ١ : ٣٩ .

بكفَّ ، وكفَّ فعلٌ ماض من قولك : قد كفَّ فلان الأذى عنَّا . انتهى كلامُه . فتأمَّل كلامَه .

و (يا) حرف تنبيه و (رُبَّ) حرف جر . و (سارٍ) : اسم فاعل من سَرَى فى الليل . واسم بات ضمير سار ، وجملة ما توسَّدَا خبرها ، والجملة الكبرى صفةٌ لسارٍ . ويجوز أن تكون بات تامّة ، وجملة ما توسَّدا حالٌ من ضمير فاعلها . و (توسَّد) بمعنى اتَّخذ وسادة . و (العَنْس) بفتح العين وسكون النون : النَّاقة الشديدة . ويروى : « العِيس » بالكسر وبالمثناة التحتيَّة ، وهى الإبل البيض التى يخالط بياضَها شيءٌ من الشُّقرة ، واحدها أعْيَس والأُنثى عيساء . يقول : أكثرُ من يسير اللَّيل لم يتوسَّد للاستراحة إلَّا ذراع ناقته المعقولة ، أو كفَّ يدِه . وجواب ربَّ محذوف ، تقديره لقيته ، أو مذكورٌ فى بيت بعده . ولا يصح أن يكون جوابها ما توسَّد . فتأمَّل .

وهذا الرجز لم أقف على قائله ولا تتمَّته . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الخمسِمِائة (١) :

٥٦٨ (هُمَا خُطَّتَا إمّا إسارٌ ومِنَّةٌ   وإمَّا دمٌ ، والقتلُ بالحرِّ أجدَرُ)

على أنَّ نون التثنية قد تحذف للضرورة كما هنا ، فإنَّ الأصل : هما خطتان .

---

(١) الخصائص ٢ : ٤٠٥ والمغنى ٩٩ والعينى ٣ : ٤٨٦ والتصريح ٢ : ٥٨ والهمع ١ : ٤٩ / ٢ : ٥٢ والأشمونى ٢ : ٢٧٧ والحماسة بشرح المرزوقى ٨٩ واللسان (خطط) .

وهذا على رفع إسار . وأمَّا على جرِّه فخطَّتا مضاف إليه وحذفتَ النون للإضافة . قال ابن هشام (فى المغنى) : فى رفع إسار حذف نون المثنَّى من خُطَّتان . وفى جره الفصلُ بين المتضايفين بإمَّا . فلم ينفكَّ البيتُ عن ضرورة . انتهى

وقد تكلَّم على الوجهين ابن جنِّى (فى إعراب الحماسة) بكلامٍ لا مزيد عليه فى الحُسْن . قال : أمَّا الرَّفع فظريف المذهب [1] ، وظاهر أمره أنَّه على لغة من حذف نون التثنية لغير إضافة ، فقد حُكِى ذلك . ومما يعزى إلى كلام البهائم قولُ الحَجَلة للقطاة : « بيضُكِ ثِنْتا ، وبيضى مائَتا » ، أى ثنتان ، ومائتان . وقول الآخر [2] :

لنا أعنزٌ لُبْنٌ ثلاثٌ فبعضُها　　　لأولادها ثنتا وما بيننا عَنْزُ

وذهب الفرّاء فى قوله :

لها مَتنتانِ خَظَاتا كَمَا　　　أكبَّ على ساعدَيهِ النَّمِرْ [3]

إلى أنَّه أراد خظاتان ، فحذف النون استخفافًا . واستدلَّ على ذلك بقول الآخر [4] :

ومتنـان خظاتـــانِ　　　كزُحلُوف من الهَضْبِ

وقد تقصَّيت القول على هذا الموضع فى كتابى (سر الصناعة) . فعلى هذا يجىء قوله :

هما خطتا إمّا إسارٌ ومِنَّة　　　وإمّـا دم ....

---

(١) وكذا ورد فى إعراب الحماسة الورقة ٢١ بالظاء المعجمة .

(٢) الخصائص ٢ : ٤٣٠ وشرح القصائد السبع الطوال ٣٠٥ وشرح الحماسة للمرزوق ٨١ .

(٣) لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٤ .

(٤) هو أبو دوّاد الأيادى . ديوانه ٢٨٨ واللسان (خظا) .

على أنه أراد : خطتان ، ثم حذف النون على ما تقدَّم .

فإن قلت : فإذا كان بالتثنية قد أُثبت شيئين ، فكيف فسَّر بالواحد ، ٣٥٧
فقال : إمّا وإمّا ، وهما يثبتان الواحد كما تثبته أو [١] .

فالجواب : أنّه تصوّر أمرين ، واعتقد أنّه لابدَّ من أحدهما ، وعلم أنَّ المحصول عليه أحدُهما لا كِلاهما ، ففسَّر ما تصوّره ، وهما شيئان ، بما يُحصَل عليه وهو الواحد ، كما يخص بعد العموم فى نحو قولك : ضربت زيدًا رأسه ، ولقيت بنى فلان ناسًا منهم .

فإن قلت : فهلّا حملتَه على حذف المضاف فكان أقرب مذهبا وأيسر متوهَّما ، حتَّى كأنَّه قال : هما إحدى خُطّتين ؟

قيل : يمنع من ذلك قوله هما ، وهما لا يكون خبره مفردًا . ألا تراك [٢] لا تقول : أخواك جالس ولا نحو ذلك . فلذلك انصرَفْنا عن هذا الوجه إلى الذى قبله .

ويجوز عندى فيه وجهٌ أعلى من هذا ، لِضعفِ حذف نون التثنية عندنا ، وهو أن يكون على وجه الحكاية ، حتى كأنَّه قال : هما خُطَّتا قولِك : إمّا إسار ومنَّة وإمّا دم ، فتحذف النون على هذا للإضافة البتَّة .

وأمّا من جَرَّ إما إسار ومِنَّة ، فأمره واضح [٣] . وذلك أنَّه حذف النون للإضافة ولم يعتدَّ « إمَّا » فاصلًا بين المضاف والمضاف إليه . وعلى هذا تقول : هما غُلاما إمّا زيدٍ وإمّا عمرو ، وهذان ضاربا إمّا زيدٍ وإمّا جعفرٍ .

---

(١) ش : « كما ثبته أو » . وما فى ط يطابق ما فى إعراب الحماسة .

(٢) فى النسختين : « ألا ترى » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٣) هذا الكلام إلى آخره موضعه فى إعراب الحماسة قبل الكلام السابق .

وأجود من هذا أن تقول : هما إمَّا خطتا إسارٍ ومِنَّه وإمّا دمٌ . وإن شئت : وإمّا خُطَّتا دم .

فإن قلت : إن إمَّا مثل « أوْ » فى أنَّ كلَّ واحدةٍ منهما توجب إحدى الشيئين ، فترجع بك الحال إذن إلى أنَّك كأنَّك قلت : هما خطتا أحدِ هذين الأمرين . وليس الأمر كذلك ، إنما هما خُطَّتان إحداهما كذا والأُخرى كذا . وليست أيضًا كلُّ واحدة من الخطتين للإسار والدَّمِ جميعًا ، إنَّما أحدهما لأحدهما (١) على ما تقدَّم .

فالجواب : أنَّ سبب جوازِ ذلك هو أن كلَّ واحِدٍ من الإسار والدم لمَّا كان مَعرِضا لكلِّ واحدةٍ من الخطتين ، يصلح أن يصير بصاحب الخطة إليه ، أُطلِقا جميعًا على كلِّ واحد منهما بأنْ أُضيفا إليه ، وجُعِلَ مُفضًى له ومَظِنَّة مِنه . ونحوٌ منه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ومِنْ رحْمتِهِ جَعَلَ لكم اللَّيلَ والنَّهارَ لتسكُنوا فِيه ولِتَبْتَغُوا مِنْ فضله (٢) ﴾ ولم يجعل كلَّ واحد من اللَّيل [والنَّهار (٣)] لكلِّ واحِدٍ من السُّكون والابتغاء ، وإنَّما جَعل الليل للسُّكون ، والنَّهارَ للابتغاء ، فخلط الكلام اكتفاءً بمعرفة المخاطَبِين بوقت السُّكون من وقت الابتغاء . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من أحد عشر بَيتًا لتأبَّط شرًّا ، أوردها أبو تمام (فى الحماسة) هكذا :

أبيات الشاهد

(إذا المرءُ لم يَحْتَل وقد جَدَّ جِدُّهُ أَضاعَ وقاسى أَمرَهُ وهو مُدْبرُ
ولكنْ أَخو الحزم الذى ليس نَازِلًا به الخطبُ إلَّا وهو للقَصْدِ مُبصرُ

(١) فى إعراب الحماسة : « إنما لإحداهما » .
(٢) الآية ٧٣ من سورة القصص .
(٣) التكملة من إعراب الحماسة .

فذاك قَرِيعُ الدَّهرَ ما عاش حُوَّلٌ ... إذا سُدَّ منه مَنخِرٌ جاش مَنخِرُ
أَقول لِلحيانِ وقد صفِرَتْ لهمْ ... وِطابِى ويومى ضَيِّق الحَجْر مُعْوِرُ [1]
هما خُطَّتا إمَّا إسارٍ ومِنَّةٍ ... وإمَّا دمٍ والقتلُ بالحُرِّ أَجدرُ
وأُخرى أُصادِى النَّفسَ عنها وإنَّها ... لَمَوردُ حزمٍ إن فَعلتُ ومَصْدَرُ
فَرَشْتُ لها صدرى فزلَّ عن الصَّفا ... به جؤجؤ عبْلٌ ومَتنٌ مخصَّرُ
فخالط سهلَ الأَرض لم يَكدحِ الصَّفا ... به كدحةً ، والموتُ خَزْيانُ يَنظرُ
٣٥٨ فأُبْتُ إلى فهمٍ وما كدتُ آيبًا ... وكَمْ مثلِها فارقْتُها وهى تَصفِرُ)

وأورد صاحب الأغانى أولَ الأبيات « أَقول للحيان » والأَبيات الثلاثة قبله ، بعد قوله : فأبت إلى فهم ... البيت .

خبر الأبيات

وخبر هذه الأبيات أنَّ تأبَّط شرًّا كان يشتار عسلًا فى غارٍ من بلاد هذيل ، وكان يأتيه كلَّ عام ، وأنَّ هذيلا ذُكِرَ لها ذلك ، فرصَدتْه لوقت ، حتَّى إذا هو جاء وأصحابه تدلَّى فدخل الغار . فأغارت هذيلٌ على أصحابه وأنفروهم ، ووقفوا على الغار فحرَّكوا الحبْل ، فأطلع رأْسَه فقالوا : اصعدْ . قال : فعلام أَصعد ؟ على الطَّلاقة والفِداء ؟ قالوا : لا شرطَ لك . قال : أفتُراكمْ آخِذِىَّ وقاتِلىَّ وآكلى جَنائىَ [2] . لا والله لا أَفعَل ! ثم جعل يُسيل العسلَ على فم الغار ، ثم عمد إلى زِقٍّ فشدَّه على صدره ثم لصِقَ بالعسَل ، ولم يزل يتزلَّق عليه حتَّى جاء سليمًا إلى أسفل الجبل ، فنهضَ وفاتَهُم ، وبين موضعه الذى وقع فيهِ وبينهم [مَسيرةُ [3]] ثلاثةِ أيام .

---

(١) الحجر ، بفتح الحاء : الناحية ، ومثله الحجرة بالفتح . وفى المثل : « يربض حجرة ويرتعى وسطا » . شرح الحماسة للمرزوقى ٨١ .

(٢) ط : « جنائى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) التكملة من ش .

وقوله : « إذا المرء لم يَحْتَل » إلخ الحِيلةِ من حال الشيء ، إذا انقلبَ عن جهته ، كأنَّ صاحبها يريد أن يستنبط ما تحوَّل عند غيره ، ولذلك يقال : فلانٌ حُوَّلٌ قُلَّب . و « جَدَّ جِدُّه » : ازداد جِدُّه جدًّا . والجدّ ، بالكسر : الاجتهاد . وأضاع : وجد أمره ضائعا ، أو بمعنى ضيَّع . والمعنى عالج أمره مدبرًا فيه غير مقبل . أى إذا المرء لم يطلبْ رشدَه فى إصلاح أمره فى الوقت الذى يجب أن يفعله آل به أمره إلى الضَّياع .

وقوله : « ولكنْ أخو الحَزْم » ، يقول : صاحب الحزم هو الذى يستعدُّ للأمر قبل نزوله .

وقوله : « فذاك قَريعُ الدَّهر » إلخ يجوز أن يكون فى معنى مختار الدهر ، ويكون من قرعت أى اخترته بقرعتى . ويجوز أنْ يكون من قرعَه الدهر بنوائبه حتَّى جرَّب وتبصَّر . وقوله : « ما عاش » أى مدَّةَ عيشِه . وقوله : « إذا سُدّ منه منخِر » إلخ مَثَلٌ للمكروب المضيَّق عليه . وجاشَ : تحرَّك واضطرب . والمعنى لا يؤخذ عليه طريقٌ إلَّا نفذ فى طريقٍ آخر ، لافتنانه فى الحِيَل .

وقوله : « أقول لِلِحيانِ » إلخ لِحْيان : بطنٌ من هذيل ، خاطبهم لمَّا كانوا على رأس الغار الذى اشتار منه العسل . وقوله : « صفرت وطابى » الواو للحال . والوطاب هنا : ظُروف العسل ، وهى فى الأصل جمع وَطْب ، وهو سِقاء اللبن . وصفِرت : خلَتْ . أشار إلى ظُروف العسل التى صَبَّ العسلَ منها على الجانب الآخر وركبه متزلِّقا حتَّى لحق بالسهل . وقيل : معناه خلا قلبى من وُدِّهم ، يريد وِطابَ ودِّى .

وقيل : أُشرفتْ نفسى على الهلاك . فأَراد بالوطاب جسمَه . ومُعْوِر ، من أعور لك الشيءُ ، إذا بدت لك عورته ، وهى موضع المخافة . وكلُّ ما طلبتَه فأَمكنك ، فقد أُعورَك وأُعورَ لك .

وقوله : « هما خطَّتا » إلخ هذا مقولُ القول . والخُطَّة : الحالة والشأْن . وكأَنَّهم كانوا يريدونه على الحالتين ، فأَخذ يتهكَّم عليهم ويحكى مقالتهم . والمعنى : ليس إلَّا واحدةٌ من خصلتين على زعمكم : إمّا استئسارٌ والتزامُ مِنَّتكم إنْ رأَيتم العفو . وإمّا قتلٌ وهو بالحرّ أُجدرُ مِمَّا يُكسبه الذل . فهاتان الخصلتان هما اللتان أَشار إليهما بقوله : « هما خطتا » . وقد ثلَّثهما بخطةٍ أُخرى ذكرها فيما بعد . وكلُّه تهكم وهُزءٌ . وقوله : « والقتل بالحرِّ أُجدر » اعتراضٌ بينَ ما عدَّه من الخصال .

وقوله : « وأُخرى أُصادى النفس » إلخ المصاداة : إدارة الرأْى فى تدبير الشيء والإتيان به . يقول : وههنا خصلة أُخرى أُدارِى نفسى فيها ، وإنَّها هى الموضع الذى يرِدُه الحزمُ ويصدُر عنه إن فعلت . وإنَّما قسَّم الكلام هذه الأَقسامَ لأَنَّه رآهم يبُتُّون (١) أمره عليها ، ولأَنَّه نظر إلى جهتَى الجبل ، فعلم أَنَّه إنْ رضى ما أَراده بنو لحيان كان فيه إحدى الحالتين من الأَسر والقتل بزعمهم . وإن احتال للجهة الأُخرى فالحزم فيها وخلاصُه فيها ، وكان أَمرًا ثالثا . ٣٥٩

وقوله : « وإنَّها لمورد حزم » اعتراض أَيضا .

وهذه الأَبيات الثلاثة من باب التقسيم الذى هو من محاسن الكلام ، وهو أَن يقصد وصف شيءٍ تختلف أَحواله ، فيُقسِّمَ أَقسامًا محصورة لا يمكن

---

(١) أى يقطعون . وفى ط : « ينون » ، وأثبت ما فى ش .

الزيادةُ عليها ولا النُّقصان ، كما قسَّم تأبَّط شرا أُحواله مع بنى لحيانَ أُقساما ثلاثة لا رابع لها . ومنه قول بشر بن أبى خازم :

ولا يُنْجِى من الغَمَراتِ إلَّا ‌ ‌ ‌ بَراكَاءُ القتالِ أُو الفِرارُ

وليس فى أُقسام النَّجاة للمحارب قسمٌ ثالث .

ونحوه قولُ زهير :

وأَعلم ما فى اليومِ والأُمسِ قبلَه ‌ ‌ ‌ ولكنَّنى عن علم مافى غدٍ عَمِى

فقسَّم الأَيام ثلاثة ، ولا رابعَ لها .

وقوله : « فرشْتُ لها صدرى » إلخ بيَّن بهذا كيفيَّة مزاولتِه لنفسه . والفَرْش : البسط . وضمير لها للخُطَّة التى عبَّر عنها بقوله : « وأُخرى » ، أى فرشت من أُجل هذه الخُطَّة صدرى على الصَّفا . وهذا حين صَبَّ العسل فتزلَّقَ به عن الصَّفا ، أى بصدره . جُؤْجُؤٌ عبْل ، أى ضخم . ومتن مخصَّر ، أى دقيق . والصَّدر والمتن : صدره ومتنه ، ولكنَّه أُخرجه مخرج قولهم : لقيت بزيدٍ الأَسَد ، وزيدٌ هو الأَسد عندهم ، ووضَع فرشت موضع أُلقيت ووضعت . ويقال فرشت ساحتى بالأُجُرِّ . وأفرشت الشاة للذَّبح ، إذا أَضجعتَها . كذا قال التِّبريزى .

وقوله : « فخالط سهلَ الأَرض » إلخ الخلط ، أُصله تداخُل أَجزاء الشىء فى الشىء . والكَدْح بالأَسنان والحجر : دون الكدم . يقول : وصلت إلى السهل ولم يؤثِّر الصَّفا وهو الصَّخر ، فى صدرى أَثرًا ولا خَدْشا ، والموت كان قد طمع فىَّ ، فلما رآنى وقد تخلَّصت بقىَ مستَحيًا . وخزيان ، من الخَزَايَة وهى الاستحياء ، ويجوز أن يكون من الخِزْى ، وهو الفضيحة والهوان .

و « ينظر » خبر ثان أو حال من ضمير خزيان . وينظر : يتحيَّر . وقد حُمِلَ قولُه تعالى : ﴿ وأنتم حِينئذ تَنْظُرون [١] ﴾ على معنى تتحيَّرون .

وقوله : « فأُبت إلى فهم » . إلى آخره ، أُبت : رجَعت . وفهْم : قبيلة تأبط شرًّا . وقوله : « وكم مثلها » إلخ أى مثل هذه الخطة فارقتها بالخروج منها وهى مغلوبة تصفر وأنا الغالب . وقيل معناه : كم مثل لحيان فارقتها وهى تتلهَّف كيف أفلتّ .

وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على هذا البيت فى باب الفعل ، وفى أفعال المقاربة .

وقد تقدَّمت ترجمة تأبَّط شرا فى الشاهد الخامس عشر من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبتون بعد الخمسِمائة [٣] :

٥٦٩ (متَى ماتَلْقَنى فَرْدَينِ ترجُفْ ‌ ‌ رَوَانِفُ أَلْيتَيكَ وتُسْتطَارا)

على أنَّه يجوز اتفاقا أن يقال أليتان بتاء التأنيث ، إلى آخر ما نقله عن أبى على .

وقد نقل عنه ابن الشجرىّ (فى المجلس الثالث من أماليه) خلافَ

---

(١) الآية ٨٤ من الواقعة .

(٢) الخزانة ١ : ١٣٧ - ١٣٩ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨ وإصلاح المنطق ٣٩٩ وابن يعيش ٢ : ٥٥ / ٤ : ١١٦ / ٦ : ٨٧ وشرح شواهد الشافية ٥٠٥ والعينى ٣ : ١٧٤ والتصريح ٢ : ٢٩٤ والهمع ٢ : ٦٣ وديوان عنترة ١٠٨ .

هذا ، قال : قال أبو على الحسن بن أحمد الفارسى : قد جاء من المؤنّث بالتاء حرفان لم يلحق فى تثنيتهما التاء ، وذلك قولهم : خُصْيانِ وألْيان ، فإذا أفردوا قالوا : خُصْيَة وألْيَة . وأنشد أبو زيد : ٣٦٠

* يَرتَجّ أَلْياهُ ارتجاجَ الوَطْبِ (١) *

وأنشد سيبويه :

كأنَّ خُصْيَيْهِ من التَّدلدُلِ ظرفُ عجوزٍ فيه ثِنْتا حنظلِ (٢)

انتهى .

وقد جاءت فى قوله : « روانف أليتيك » تاء التأنيث كما ترى ، فالعرب إذن مختلفةٌ فى ذلك . انتهى كلام ابن الشجرى .

وهذا كلام الصحاح ، قال : الألْيَة بالفتح : ألية الشّاة . فإذا ثنّيتَ قلت أليانِ ، فلا تلحقه التاء .

وأنشده الزمخشرى (فى المفصل) على أنّ الحال قد تجىء من الفاعل والمفعول معًا ، كفردين فإنّه حالٌ منهما فى تلقنى .

وكذا أنشده (فى الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿ أَنْ لا تكلّمَ النّاسَ ثلاثَةَ أيّامٍ إلّا رَمْزًا (٣) ﴾ فى قراءة من قرأ : ﴿ رُمُزًا ﴾ بضمتين ، وهو جمع رَموز كرسل جمع رسول . و ﴿ رَمَزًا ﴾ بفتحتين ، وهو جمع رامز

(١) نوادر أبى زيد ١٣٠ .

(٢) سيبويه ٢ : ١٧٧ . والرجز لخطام المجاشعى ، أو جندل بن المثنى ، أو سلمى الهذلية ، أو شماء الهذلية . معجم الشواهد .

(٣) الآية ٤١ من آل عمران . وقراءة « رمزا » بضمتين هى قراءة علقمة بن قيس ، ويحى ابن وثاب . وبفتحتين قراءة الأعمش . وبفتحة سائر القراء . تفسير أبى حيان ٢ : ٤٥٣ .

كخدمٍ جمع خادم . قال : هو حالٌ منه ومن الناس دفعة [١] كما فى البيت ، بمعنى إلَّا مترامزَينِ ، كما يكلِّمُ الناسُ الأَخرسَ بالإشارة ويكلِّمهم .

و (متى) جازمة ، و (تلقنى) شرطها ، و (ترجف) جزاؤها . وروىَ : « تُرعَد » بالبناء للمفعول . و (روانف) فاعل ترجف .

قال أَبو على (فى المسائل البصرية) : وتستطارَا جزمٌ عطف على تُرعَد ، فحمَلْته على الأَليتين أَو على معنى الرَّوانف ، لأَنهما اثنان فى الحقيقة . وهذا أَحسن من أَن تحمِلَه على أَنَّ فى وتُستطارَا ضميرَ الرّوانف ، وتجعل الأَلف بدلًا من النون الخفيفة ، لأَنَّ الجزاء واجب . وقد جاءَ :

* ومَهما تشأْ منه فَزارةُ تَمنَعا *

إلا أَنَّ هذا إن لم يَضطرّ إليه وزن كان بمنزلته فى الكلام . انتهى .

وتبعه ابن السِّيد (فى أَبيات المعانى) قال : تستطارا جزمٌ بالعطف على ترعد بحملِه على الأَليتين ، أَو على معنى الروانف ، لأَنهما اثنتان فى الحقيقة ، وإنَّما جمعهما اتِّساعًا . وقال قوم : تستطار محمولٌ على الروانف ، وفيه ضميرها ، وكان الوجه أَن يقول : تُسْتَطَرْ ، إلَّا أَنه أَتى بالنون الخفيفة فانفتحت الراء ، فلم تسقط الأَلف التى هى عين الفعل ، وأَبدل من النون أَلفا . ومثله قولُ الآخر :

---

(١) ش : « وفقه » ، صوابه فى ط والكشاف للزمخشرى ١ : ١٤٤ .

* ومَهما تَشأْ منه فَزارةُ تَمنعَا (١) *

يريد : تَمنعنْ . والقول الأوَّل اختيار أَبى علىّ ، لأَنَّه اضطُرّ فى البيت الثانى ولم يُضطَّر فى تستطار ، لأَنَّ له حملَه على معنى التثنية ، فهو بمنزلته فى الكلام . انتهى .

وزاد ابن الشجرى (فى أَماليه) وقال : معنى تُستطار تستخَفّ . ويحتمل وجهين من الإعراب ، أَحدهما : أَن يكون مجزوما معطوفًا على جواب الشرط ، وأَصله تُستطارانِ ، فسقطت نونه للجزم . فالأَلف على هذا ضميرٌ عائد على الروانف ، وعاد إليها وهى جمعٌ (٢) ضميرُ تثنية ، لأَنَّها من الجموع الواقعة فى مواقع التثنية ، نحو قولك : وجوه الرَّجلين ، فعاد الضمير على معناها دون لفظها ، إذ المعنى رانفتا أَليتَيك . كما أَنَّ معنى الوجوه من قولك : حيَّا الله وجوهَكما ، معنى الوجهين ؛ لأَنَّه لا يكون لواحدٍ أَكثر من وجه ، كما أَنَّه ليس للأَلية إلَّا رانفة واحدة .

والجواب الثانى : أَن يكون نصبًا على الجواب بالواو ، بتقدير : وأَن تستطار ، فالأَلف على هذا لإطلاق القافية ، والتاء للخطاب ، وهى فى الوجه الأَوّل للتأْنيث . ويجوز أَن تجعل التاء فى هذا الوجه أَيضا لتأْنيث الرَّوانف ، وجاء الجواب بعد الشرط والجزاءِ كما يجىء بعد الكلام الذى ليس بواجب ، كالنهى والنفى . ومثله فى انتصاب الجواب بالواو بعد الشرط والجزاء قولُه

---

(١) لعوف بن عطية بن الخرع ، كما فى سيبويه ٢ : ١٥٢ . وصدره :
* فمهما تشأ منه فزارة تعطكم *

(٢) ط : « هو جمع » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢١ .

عز وجل : ﴿ إنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فيظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ [١] ﴾ ثم قال : ٣٦١
﴿ أَوْ يوبِقْهُنَّ بما كَسَبُوا وَيَعْفُ عن كثيرٍ * ويَعْلَم الذين يُجَادِلون [٢] ﴾ . ومن قرأ ﴿ ويعلمُ ﴾ رفعا [٣] استأنفه . ومثله قول النابغة :

فإن يهلِكْ أبو قابوس يَهلِكْ ربيعُ النّاسِ والشَّهرُ الحرامُ
ونأْخذ بعدَه بِذناب عيشٍ أَجبِّ الظَّهرِ ليس له سَنامُ

قد رُوىَ : « ونأْخُذْ » جزما بالعطف على جواب الشرط ، وروى نصبًا على الجواب ، وروىَ رفعًا أيضًا على الاستئناف . انتهى .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : يجوز أن يكون معطوفًا على ترجف وأُلحقت به نون التوكيد الخفيفة فقُلبَتْ أَلفا فى الوقف ، إلَّا أَنَّ إلحاق نون التوكيد فى جواب الشرط ضعيف . ويجوز أن يكون منصوبًا على أحد وجهين : أحدهما مذهب الكوفيين بالواو التى يسمُّونها واو الصرف ، مثلُها عندهم فى قوله تعالى : ﴿ ويَعْفُ عن كثيرٍ * ويَعْلَمَ ﴾ فى قراءة الأَكثرين . والثانى مذهب البصريين ، وهو أَنْ يكون معطوفًا على مقدَّر مثلَها عندهم فى قوله ويعلم ، أى لينتقِمَ ويَعْلم . إلا أنَّه لا يمكن التقدير لفعل منصوب ، لأنَّه فى المعنى سبب ، ولو قدِّر فعل منصوب لكان مسبَّبا ، فينبغى أن يكون التقدير لاسمٍ منصوب مفعول من أجله ، كأنَّه قيل : ترجف روانف أَليتيك خوفًا واستطارة .

(١) الآية ٣٣ من سورة الشورى .

(٢) الآية ٣٤ ، ٣٥ من سورة الشورى .

(٣) بعده فى أمالى ابن الشجرى : « وهو نافع وابن عامر » .

فلمَّا أَتى بالفعل موضع استطارةً وعطفَ على المقدَّر (١) ، وجب أَن يكون منصوبًا مثله فى قولك : أُريد إِتيانك وتحدِّثنى . والرَّوانف : أَطراف الأليتين ، واحدته رانفة . وتُستطار بمعنى يُطلَبُ منك أَنْ تطير خوفًا وجبنا . والعرب تقول لمن اشتدَّ به الخوف : طارت نفسه خوفًا . ومنه قوله :

* أَقولُ لها وقد طارت شَعاعا (٢) *

وقال ههنا : وتستطارا ، كأَنَّه طُلب منه أَن يطير من الخوف . والضمير فى وتستطارا للمخاطب لا للروانف ، إِذْ لا تطلب من الروانف استطارة ، وإِنَّما المقصود طلبُه من المخاطب . انتهى .

وقوله : « كأَنَّه قيل ترجف روانف أُليتَيك خوفًا واستطارةً » ، هو أَجود ممَّا نقله العينى ، بأَنَّ نصبه بأَنْ فى تقدير مصدر مرفوع بالعطف على مصدر ترجف ، تقديره : ليكن منك رَجْف الرَّوانف والاستطارة .

وقال ابن يعيش : قوله وتستطارا يحتمل وجوها :

أَحدها : أَن يكون مجزومًا بحذف النون ، فالضمير للرَّوانف ، وعاد إِليها الضمير بلفظ التثنية لأَنَّها تثنية فى المعنى .

والثانى : أَن يكون عائدًا إِلى الأَليتين .

(١) ش : « عطفا على المقدر » .

(٢) لِقطرىّ بن الفجاءة فى الحماسة بشرح التبريزى ١ : ٩٦ والحماسة البصرية ١ : ٩١ وحماسة الخالديين ١ : ١١٦ . وعجزه :

* من الأَبطال ويحك لا تراعى *

والآخر : أن يكون الضمير مفردًا عائدًا إلى المخاطب ، والألف بدلٌ من نون التوكيد . انتهى مختصرًا .

ونقله العينىُّ بحروفِهِ ولم يعزه . ولا يخفى اختلاله ، فإنَّه قال : فيه وجوه . ولم يذكر غير الجزم ، وكان يجب أن يقابله بالنصب كما فعله غيره [1] ، ويقول بعده : والضمير للمخاطب والألف للإطلاق ، ويدرج عود الضمير إلى الأليتين فى صورة الجزم . أو يقول : وتستطارا مجزوم ، فى مرجع ضميره أوجه ثلاثة . وجعلُه تعدُّدَ احتمالِ مرجع الضمير وجوهًا مقابلة للجزم فاسد ، فإنَّ الثلاثة محتمَلة فى صورة الجزم . فتأمَّل .

وزاد العينى بعد هذا : ويقال الضمير المفرد عائد إلى الروانف ، تقديره : تستطارن هى . انتهى .

وهذا هو الأوَّل مما ذكره ابن يعيش بعينه ، فذكرُهُ تكرارٌ له [2] ٣٦٢

صاحب الشاهد والبيت من أبياتٍ عدّتها ثلاثةَ عشر بيتًا لعنترة العبسىِّ ، خاطب بها عُمارة بن زيادٍ العبسى . قال الأعلم (فى شرح شعره فى الأشعار الستَّة) ، وابن الشجرى (فى أماليه) : كان عُمارة يحسد عنترة على شجاعته ، إلَّا أنَّه كان يظهر تحقيره ويقول لقومه : إنَّكم قد أكثرتم مِن ذِكره ، ولَوَدِدْت أنِّى لقيتُه خاليًا حتَّى أُريحَكم منه ، وحتَّى أُعلِمَكم أنَّه عبد . وكان عمارة مع كثرة جُودِهِ كثيرَ المال ، وكان عنترة لا يكاد يمسك إبلا ، ولكن يعطيها إخوتَه

(١) ش : « كما فعل غيره » .

(٢) ش : « تكرارا له » أى قد ذكره مكررا له . وفى ط : « تكرار » بالرفع على أنه خبر لذكره .

وبقسمها فيهم ، فبلغه ما يقول عُمارة فقال الأبيات .

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ ستة منها ، ويأتى إن شاء الله تعالى بقيَّتها (فى أفعل التفضيل) :

(أَحَولِى تنفُضُ استُكَ مِذْرَوَيها ... لِتقتلَنى فها أنا ذا عُمارا
مَتى ما تلقنى فَردينِ ترجُفْ ... روانفُ أَليتيكَ وتُستطارا
وسيفى صارمٌ قَبضَتْ عليه ... أَشاجعُ لا ترى فيها انتشارا
حُسامٌ كالعقيقة فهو كِمْعِى ... سِلاحى لا أَفَلَّ ولا فُطارا
وكالورقِ الخِفَافِ ، وذاتُ غرْب ... ترى فيها عن الشِّرَع ازورارا
ومُطَّردُ الكعوب أَحصُّ صَدْقٌ ... تَخال سِنانه باللَّيل نارا)

وقوله : « أحولى تنفُضُ » إلخ الهمزة للاستفهام الإنكارى التوبيخى . وحولى : ظرف لتنفُض ، واستك فاعل تنفُض ، ومِذرويها مفعوله . والمعنى : أتتوعَّدنى وتهدِّدنى واستُك تضيق عن ذلك . وتنفُض مِذرويْها مثَلٌ لخفَّته بالوعيد وطَيشِهِ . يقال : جاء فلانٌ ينفض مِذرويه ، إذا جاء يتهدَّد . وقد شرح السيد المرتضى ، قدس الله روحه ، هذه الكلمةَ (فى أماليه) أحسن شرح ، فى كلامٍ نقله للحسن البصرىّ ، وقع فيه : « ترى أحدَهم يملُخ فى الباطل مَلْخًا ، ينفض مذْرويه ويقول : ها أناذا فاعرِفونى » . قال : المَلْخ هو التثنِّى والتكسُّر ، يقال ملخ الفرسُ ، إذا لَعِب . والمِذروانِ : فرعا الأليتين . هذا قول أبى عُبيدَةَ (١) ، وأنشد بيت عنترة . وقال ابن قتيبة رادًّا عليه : ليس المِذروان

(١) فى أمالى المرتضى ١ : ١٥٦ : « أبى عبيد » . وسيأتى فى النص ص ٥١٧ نقل أبى عبيد عن أبى عبيدة .

فرعَى الأليتين بل هما الجانبان من كلّ شىء ، تقول العرب : جاء فلانٌ يضرب أصْدَرَيه [١] ، ويضرب عطفيه ، وينفض مِذرويه ، وهما مَنْكباه . وذكر أنَّه سمع رجلًا من نصحاء العرب يقول : قَنَعَ مِذروَيه ، يريد جانبَىْ رأسه ، وهما فوداه . وإنّما سمِّيا بذلك لأنَّهما يَذْرَيانِ أى يَشيبانِ . والذَّرى [٢] : الشيب . قال : وهذا أصل الحرف ثم استعير للمنكبين والأليتين والطَّرفين من كل شىء . وقال أميّة بن أبى عائذ الهذَلىّ يذكر قوسا :

على عَجْسٍ هتَّافة المِذرويْـ ـنِ زوراءَ مضجَعةٍ فى الشّمالِ

أراد : قوساً ينبض طرفاها . قال : فلا معنَى لوصف الرجل الذى كره الحسنُ ، بأنَّه يحرك أليتيه ، ولا من شأنِ من يبذَخ وينبِّه على نفسه ، يقول : ها أناذا فاعرِفُونى ، أن يحرِّك أليتيه . وإنَّما أراد أنَّه يضرب عِطْفيه ، وهذا مما يوصف به المرِح المختال . وربَّما قالوا : جاءنا ينفض مِذروَيه ، إذا تهدَّد وتوعَّد ، لأنَّه إذا تكلَّم وحرَّك رأسه نفضَ قرون فوَدَيه ، وهما مِذرواه . قال المرتضَى قدَّس الله روحه : وليس الذى ذكره أبو عبيدَة [٣] ببعيد ، لأنَّ من ٣٦٣
شأن المختال الذى يُزهَى بنفسه أن يهتزَّ ويتثنَّى ، فتتحرَّك أعطافه وأعضاؤه . ومِذرواهُ من جملةِ ما يهتزُّ ويتحرَّك ، لأنَّهما بارزان من جسمه فيظهر فيهما

(١) ط : « بصدريه » : صوابه فى ش . والأصدران : العطفان ، أى جانبا الإنسان من لدن الرأس إلى الورك . وانظر ما سيأتى من الأقوال فى شرحه .

(٢) فى الأمالى : « الذرى والذروة » .

(٣) فى النسختين : « أبو عبيد » . وانظر حواشى الصفحة السابقة .

الاهتزاز . وإنّما خصَّ المذروان بالذكر مع أنَّ غيرهما يتحرَّك أيضًا على طريق التقبيح على هذا المختال ، والتهجين لفعله (١) .

وقول ابن قتيبة : ليس من شأن من يبذَخ أنْ يحرِّك أليتيه ، ليس بشيء ، لأنَّ الأغلب من شأن البَذَّاخ المختالِ الاهتزازُ وتحريكُ الأعطاف . على أنَّ هذا يلزمه فيما قاله ، لأنَّه ليس من شأن كلِّ متوعِّدٍ أن يحرِّك رأسَه وينفض مِذرويه . فإذا قال إنَّ ذلك فى الأكثر قيل له مثله .

هذا ما أورده السيد المرتضى رحمه الله .

وقوله : جاء فلانٌ يضرب أصدَرَيه ، قال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق (٢)) بَدلَه : جاء يضرب أزدريه ، إذا جاء فارغا . قال شارحه ابن السِّيد : قوله : يضرب أزدريه ، إنَّما أصله أصدَرَيه ، فأبدلوا مكان الصاد حرفًا يطابق الدال فى الجهر وعدم الإطباق ، وهو الزاى . والأصدران : عِرقان يضربان تحت الصُّدغين ، لا يفرد له واحد . ومعناه أنَّه جاءَ فارغًا نادمًا خائبا ، يلطِمِ صُدغيه ، ويضرب أعلاهما إلى أسفلهما ، ندمًا وتحسرًا ، خدّيه (٣) . انتهى .

واعلم أنَّ كلام ابنِ قتيبة مأخوذٌ من كلام أبى مالك (٤) نقله عنه

(١) ط : « بفعله » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح ، وهو المطابق لما فى المرتضى .

(٢) إصلاح المنطق ٣٩٩ .

(٣) كذا فى النسختين .

(٤) ط : « من كلام مالك » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح . وهذا أبو مالك عمرو بن كركرة ، ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء ١٦ : ١٣١ ، ١٣٢ . ونقل عنه السيوطى فى بغية الوعاة قال : كان يعلم فى البادية . وورَّق فى الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب . قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن مناذر يقول : كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وأبو عبيدة فى نصفها ، وأبو زيد فى ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها .

أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على الغريب المصنَّف لأبى عبيد القاسم بن سلام) من تبيين غلطاته فيه . قال أبو القاسم : وروى عن أبى عُبيدَة : المِذْرَى : طرف الألية . والرَّانفة : ناحيتها . ثم قال إخبارًا عن نفسه : يقال المذروان أطراف الأليتين ، وليس لهما واحد ، وهذا أجود القولين ، لأنَّه لو كان لهما واحدٌ فقيل مِذرًى لكان فى التثنية مِذريَان بالياء . وما كانت فى التثنية بالواو . قال أبو القاسم : كان يجب عليه إذ سمَتْ به نفسُه إلى الردِّ على أبى عبيدة معمرِ بن المثنى ، أن يَضبط ما يروِى أوّلًا ، وإلَّا فهو كالذى لم يُتمّ . والمذروان والرانفان بمعنًى واحد ، وقد فرق بينهما فجعل المذروين الطَّرفين ، وعبَّر عنهما بالأطراف ، وجعل الرانفة الناحية ، وليس كذلك قال أبو عبيدة وغيره . وكلام أبى مالك أحكا (١) ، لأنَّه أتمُّ . المذروان : أعالى الأليتين وأعالى القرنين أيضًا ، وكذلك أعالى المنكبين . وكذلك الرَّوانف ، الواحدة رانفة . وأنشد بيت عنترة . ففى هذا القول دليلٌ على أنَّ المذروين ليس باسمٍ لشيءٍ واحد . ومع هذا فقد قال أبو يوسف بنُ السكيت فى (باب المثنى) : جاء ينفُض مِذرويه ، إذا جاء يتوعَّد . وجاء يضرب أزْدَرَيه ، إذا جاء فارغا ، ويقال بالصاد أيضًا .

وهذا وإن كان غيرَ ما قال أبو مالك فإليه يَرجِع ، لأنَّ تحريك المنكبين من فعال المتوعِّد ، فيريد أنَّه متوعِّدٌ هذا فِعالُه ، ومحرِّكٌ منكبيهِ ، إنَّما تتحرَّك له فروعهما وأعاليهما ، كما قال أبو مالك . وما حكاه فى واحد المِذروين كلام

(١) من قولهم : حكأ العقدة وحكاها ، أى شدها وأحكمها .

أبى عمرٍو الشيبانى ، فلم ينسبْه إليه . انتهى كلامُه (١) .

قال ابن الشجرى : وهذا الحرفُ مما شذَّ عن قياس نظائره ، وكان حقُّه أن تصير واوه إلى الياء كما صارت إلى الياء فى قولهم : مَلهَيان ومَغزَيَان ، لأنَّ الواو متى وقع فى هذا النحو طرفًا رابعًا فصاعِدًا استحقَّ الانقلابَ إلى الياء ، حملًا على انقلابه فى الفعل نحو يُلهِى ويُغزى . وإنَّما انقلبت الواو ياءً فى قولك : مَلهيان ومغزَيان وإنْ لم تكن طرفا لأنَّها فى تقدير الطَّرَف ، من حيث
٣٦٤ كان حرف التثنية لا يحصِّن ما اتَّصل به ، لأنَّ دخوله كخرُوجِه . وصحَّت الواو فى المذروين لأنَّهم بنَوْه على التثنية ، فلم يُفرِدوا فيقولوا مِذرًى كما قالوا مَلهًى ، فصحَّت لذلك كما صحَّت الواو والياء فى العِلاوة والنِّهاية ، فلم يقلبا إلى الهمزة لأنَّهم بَنَوْا الاسمين على التأْنيث . وكما صحَّت الياءُ فى الثِّنايَين من قولهم : عقَلته بثنايَيْن ، إذا عقلت يديه جميعًا بطرفَىْ حبل ، لأنَّهم صاغوه مثنًّى . ولو أنَّهم تكلموا بواحِدِه لقالوا ثِناء مهموز ، كرداء ، ولقالوا فى تثنيته : ثِناءين ، كرِداءين . انتهى .

وقوله : (فها أناذا عُمارا) أراد : يا عمارة ، فرخَّم وألحق ألف الإطلاق .

وعُمارة هو أحد بنى زياد العبسِىِّ ، وهم : الربيع ، وعمارة ، وقَيسٌ ، وأنس ، كلُّ واحد منهم قد رأَس فى الجاهلية وقاد جيشًا . وأُمُّهم فاطمة بنت الخُرشُب الأَنمارِيّة ، وكانت إحدى المُنْجبات . وهى التى سئلت : أىُّ بنيكِ أفضل ؟ فقالت : الربيع ، بل عُمارة ، بل قيسٌ ، بل أنس . ثم قالت :

---

(١) كلامه ، ليست فى ط .

« ثكِلتُهم إن كنت أدرى أيُّهم أفضل ، هم كالحَلْقة المفْرَغة لا يُدرَى أين طرفاها » . وكان لكلٍّ واحد منهم لقبٌ ، فكان عُمارة يقال له : الوهَّاب ، وكان الرَّبيع يقال له : الكامل ، وقيسٌ يقال له : الجواد ، وأنس يقال له : أنسُ الحِفاظ . وكان عُمارة آلى على نفسه أن لا يسمع صوتَ أسيرٍ ينادِى فى الليل إلّا افتكّه .

وقوله : (متى ما تلْقَنِى فَرْدينِ) أى منفردين أنا وأنت خاصّة ، ليس معى مُعِين وليس معك معين . وما زائدة .

قال ابن الشجرى : والرانفة : طرف الألية الذى يلى الأرض إذا كان الإنسان قائمًا . وروى بدل فردين : « خِلْوَين » بالكسر ، أى خاليين . وروى أيضًا : « بِرْزَين » بالكسر ، أى بارزين .

و « سيفِى صارم » إلخ الصارم : القاطع . والأشاجع : عصب ظاهر الكفّ ، واحدها أشجع . قال ابن الشجرى : هى عروق ظاهرِ الكفّ ، واحدها أشجع ، وبه سمِّىَ الرجل . وهو قبل التسمية مصروفٌ كما ينصرف أفكَلٌ . ويقال : رجل عارى الأشاجع ، إذا كان قليل لحم الكفّ . انتهى .

وقوله : « لا ترى فيها انتشارا » ، قال الأعلم : يصف أنّه سليم العصب شديد الخلق . والانتشار : انتشار العصب ، وهو انتفاخها ، كانتشار الفرس فى يديه (٢) .

---

(١) المحبر لابن حبيب ٣٩٨ ، ٤٥٨ والاشتقاق ٢٧٧ وجمهرة أنساب العرب ٢٥٠ والأغانى ١٤ : ١٩ والمعارف ٣٧ والعقد ٣ : ٣٥١ .

(٢) كلمة « الفرس » ساقطة من ش .

وقوله : « حسامٌ كالعقيقة » إلخ يقول : هو صافٍ برّاق كالقِطعة من البرق ، وهى العقيقة . ويقال العقيقة : السَّحابة تنشقّ عن البَرْق . والكِمْع ، بكسر الكاف وسكون الميم : الضجيع . يقول : هو ملازمٌ لى وإن كنت مضطجعًا . وقوله : « لا أَفلّ » أراد سلاحى لا فَلّ فيه ولا فُطارا . والأَفلّ : الذى فيه فلول . والفُطَار بضم الفاء : المشقّق . يقول : هو حديد السِّلاح تامُّها . وقال ابن الشجرىّ : العقيقة الشُّقَّة من البرق ، وهى ما انعقَّ منه . وانعقاقه : تشقُّقه . والكِمْع والكميع : الضَّجيع ، وجاء فى الحديث النَّهى عن المُكامَعة ، والمكاعمة . والمكامعة : أن يضطجع الرجلان فى ثوب واحد ليس بينهما حاجز . والمكاعمة : أن يقبِّل الرجل الرجل على فيه .

وقوله : « لا أَفلّ ولا فطارا » أى لا فَلّ فيه ولا فَطْر . والفلّ : الثَّلم . والفَطْر : الشق . وموضع قوله كالعقيقة وصفٌ لحسام ، ففى الكاف ضمير عائدٌ على الموصوف . وانتصاب أَفلّ على الحال من المضمر فى الكاف ، والعامل فى الحال ما فى الكاف من معنى التشبيه ، والتقدير : حسامٌ يشبه العقيقة غيرَ منفلٍّ ولا منفطر . انتهى .

٣٦٥ وقوله : « وكالوَرَق الخِفاف » إلخ يعنى سهامًا جعل نصالها بمنزلة الوَرق فى خِفَّتها . وأراد : بعضُ سلاحى سِهامٌ مثلُ الوَرَق الخِفاف بكسر الخاء ، جمع خفيف ضِدّ الثقيل . وقوله : « وذاتُ غرب » يعنى قوسًا . وغَربها : حدُّها بفتح الغين المعجمة وسكون المهملة . والشِّرَعُ ، بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة : جمع شِرْعة بكسر فسكون ، وهى الأَوتار . والازورار : الميلان .

يقول : هى محنيَّة ففيها ميْلٌ عن وترها . وكُلَّما (١) مالت عنه وبعدت كان أمضَى لسهمها وأنفذ .

وقوله : « ومطَّردُ الكعوب » يعنى رمحًا طويلا . وكعوبه : رءُوس أنابيبه . واطِّرادها : تتابُعُها واستقامتها . والأحصّ ، بمهملتين : الأملس الذى لا لحاءَ عليه ولا عُقدة . والصَّدْق ، بفتح الصاد ، وهو الصُّلب المستقيم . وشبَّه سنانه بالنار لصفائه وحدَّته . يقول : إذا نظرتَ إليه ليلًا أضاء لك الظلامَ ، فكأنَّه نار .

وقد تقدَّمت ترجمة عنترة فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكِتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الخمسمائة (٣) :

٥٧٠ (بلَى أيرُ الحِمار وخُصيتاهُ أَحبُّ إلى فزارةَ مِنْ فَزارِ)

لما تقدَّم قبله ، وسيأْتى ما يتعلَّق به قريبًا .

والبيت من أبياتٍ ثلاثة للكميت بن ثعلبة ، وهى : صاحب الشاهد

(نَشدتُك يا فَزارُ وأَنت شيخٌ إذا خُيِّرتَ تخطئُ فى الخِيارِ
أُصَيحانيّةٌ أُدِمَتْ بسمنٍ أَحبُّ إليك أَم أَيرُ الحمارِ
بَلى أَيرُ الحمار وخُصيتاه أَحبُّ إلى فزارةَ من فَزارِ)

وقوله : « نشدتك » ، أَراد : نشدتك بالله ، أَى ذَكَّرتك به

(١) فى النسختين : « وكل ما » ، صواب كتابتها بالاتصال .

(٢) الخزانة ١ : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) الدرة الفاخرة لحمزة الأصبهانى ٨٧ وجمهرة العسكرى ٢ : ١٦ والميدانى ١ : ١٠٠ والمحاسن والأضداد ٨٨ والمحاسن والمساوى ١ : ٤٠٧ .

واستعطفتك به ، لتخبرَنى عمَّا أسألك . ويقال أيضًا نشدتك اللهَ من باب نصر . وجملة « تخطئ » فى محلّ رفعٍ صفة لشيخ ، من الخطإ ضدِّ الصواب . وإذا ظرف له . والخيار هو الاختيار .

وقوله : « أصيحانيّة أُدِمت » إلخ الهمزة للاستفهام ، وصيحانية صفة لموصوف محذوف ، أى أتمرة صيحانية . والصَّيحانىُّ : تمرٌ معروف بالمدينة . ويقال كان كبشٌ اسمه صَيحان بمهملتين ، شُدَّ بنخلةٍ فنُسبت إليه وقيل صَيحانيّة . وأُدِمت بالبناء للمفعول من الإدام ، يقال أَدمت الخبزَ ، إذا أصلحت إساغته بالإدام ، وهو ما يؤتدم به ، مائعًا كان أو جامدًا .

وقوله : (بلى أَيْرُ الحِمار) قد وقعتْ بلى هنا جوابًا للاستفهام المجرَّد من النفى وشِبهه . وهذا يشكل على اتِّفاقهم بأنَّها لايجاب بها الإيجاب . وقد وقع مثله فى أحاديثَ من صحيحى البخاريِّ ومسلم ، نقلها ابن هشام (فى المغنى) . وبنو فزارة يُرمَوْن بأكل أير الحمار .

وقد بيَّن مثلَه الجاحظُ فى مساوى البخل (من كتاب المحاسن والمساوى [1]) قال : المثل السائر « هو أبخَلُ من مادر » ، وهو رجلٌ من بنى هلال . وبلغ من بخله أنَّه كان يسقى إبلَه فبقىَ فى أسفل الحوض ماءٌ قليل ، فسلحَ فيه ومدَرَ الحوض به ، فسمِّى مادرا .

وذكروا أنَّ بنى فَزارة وبنى هلال تنافروا إلى أنس بن مُدرك ، وتراضَوْا به ، فقالت بنو هلال : يا بنى فزارة أكلتم أير الحمار . فقال بنو فزارة : لم نعرِفْه .

---

(١) صوابه : « المحاسن والأضداد » . انظر منه ص ٤٤ - ٤٥ .

وكان سبب ذلك أنَّ ثلاثة اصطحبوا : فزاريٌّ ، وتَغلبيٌّ ، و كِلابىٌّ ، فصادفوا حمارَ وحش ، ومضى الفزارى فى بعض حوائجه ، فطبخا وأكلا وخبَّئا للفزارىِّ أير الحمار ، فلمَّا رجع قالا له : قد خبَّأْنا لكَ حِصتَّك فكُلْ . وأقبل يأكل ٣٦٦ ولا يُسيغه ، فجعلا يضحكان ، ففطن وأخذ السَّيف وقام إليهما وقال : لتأكلانّ منه وإلَّا قتلتكما ! فامتنعا فضرب أحدَهما فقتله ، وتناوله الآخَر فأكل منه !

فقالت بنو فزارة : منكم يا بنى هِلال من سَقَى إبلَه فلمَّا روِيَتْ سلحَ فى الحوض ومَدَره بُخْلا .

فنفَّرهم أنس بن مدرك على الهلاليِّين ، فأخذَ الفزاريون منهم مائةَ بعير ، وكانوا تراهنو عليها .

وفى بنى هلال يقول الشاعر :

لقد جلَّلت خِزيًا هلالُ بن عامر بنى عامر طُرًّا لسلحة مادرِ [1]
فأُفٍّ لكم لا تذكروا الفخرَ بعدها بنى عامر ، أنتم شِرارُ العشائرِ

هذا ما أورده الجاحظ ، ونقله حمزة الأصفهانى ، والميدانى ، والزَّمخشرى فى أمثالهم [2] .

والكميت بن ثعلبة : شاعر إسلامىٌّ فقعسى أسدىّ . ويقال له الكميت بن ثعلبة الكميت الأكبر . وهو ابن ثعلبة بن نوفل بن نَضْلة بن الأشتر بن حَجْوان [3] ابن فقعس الأسدى . وهو جدُّ الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر . وهو القائل فى قصّة ابن دارة وقتْلِه :

---

(١) فى جميع المراجع المتقدمة : « بسلحة مادر » .

(٢) الدرة الفاخرة ٨٦ والميدانى ١ : ١٠٠ والمستقصى ١ : ١٣ .

(٣) بتقديم الحاء المهملة . قال ابن دريد : اشتقاقه من حجا يحجو بالمكان ، أى أقام به ، أو من حج الشيء يحجه حجا ، إذا سحبه . الاشتقاق ١٠٤ وجمهرة ابن حزم ١٧٨ ، ١٩٥ .

فلا تُكثروا فيها الضَّجَاج فإنَّه محا السَّيفُ مَا قال ابنُ دارةَ أجمعا

ومِن شِعْرِ الكميتِ ابنِ ابنِه – وله ديوان مفرد ، ولم يذكر الجمحى (فى طبقات الشعراء) غَيرَه ممن اسمه كميت (١) –:

فقلت له تالله يَدرى مسافرٌ إذا أَضمرته الأَرضُ ما اللهُ صانعُ (٢)

أَسلَم فى زمن النبى ﷺ ، ولم يجتمع معه ، وقد أَورده ابن حجر فى قسم المخضرمين (من الإصابة) عن أَبى عبيدة والمرزبانى (٣) .

وأَما الكميت بن زيد مادحُ آل البيت فقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادسَ عشر من أَوائل الكتاب (٤) . وهو أَسدىٌّ أَيضًا .

وأَمَّا أَنَس بن مدركة الخَثْعمى فهو من الصَّحابة رضى الله عنهم (٥) .

* * *

(١) الحق أنه ذكرهم جميعا فى ١٦٣ وإن يكن قد خص الكميت بن معروف بالعناية . والنص فيه : « والثالث الكميت بن معروف ، وهو شاعر ، وجده الكميت بن ثعلبة شاعر ، والكميت بن زيد شاعر ، والكميت بن معروف الأوسط أشعرهم قريحة . والكميت بن زيد أكثرهم شعرا » ، ثم أنشد أبياتا للكميت بن معروف .

(٢) يدرى ، أى لا يدرى ، وحذف النفى بعد القسَم كثير فى كلامهم ، وفى الكتاب العزيز : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » ، أى لا تفتأ . والرواية فى طبقات ابن سلام :

فقلت لها : والله ما من مسافر يحيط له علم بما الله صانع

ومات سنة اثنتين وعشرين ومائة .

(٤) الخزانة ١ : ١٤٣ – ١٤٧ .

(٥) فات البغدادى أن ينبه على أنه قد سبقت ترجمته فى الشاهد ١٧١ . انظر الخزانة ٣ : ٩١ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الخمسمائة [١] :

٥٧١ (يرتَجُّ أَلياهُ ارتجاجَ الوَطْبِ)

على أَنَّه قيل أَليانِ فى تثنية أَلية ، مِن ضرورة الشعر ، والقياس أَليتانِ .

قال القالى (فى المقصور والممدود) : قال أَبو حاتم : ربَّما حذفت العربُ هاء التأْنيث من أَلية فى الاثنين ، فقالوا : أَليتان وأَليان . وأَنشدونا :

(كأَنَّما عطيَّةُ بن كعبِ ظعينةٌ واقفةٌ فى ركْبِ
يرتجّ أَلياهُ ارتجاجَ الوطْبِ)

وأَورد أَبو زيد (فى نوادره) هذه الأَبياتَ الثلاثة ولم يزدْ عليها شيئًا . قال الجواليقى (فى شرح أَدب الكاتب) : الظعينة : المرأَة . والرَّكب : أَصحاب الإبل . والارتجاج : الاضطراب . والوَطْب : سِقاء اللبن . ا هـ .

قال ابن السِّيد (فى شرحه أَيضًا) : وصفه بأَنَّ كَفَله عظيم رِخوٌ يرتجُّ ، لعظمه ورَخاوته ، ارتجاجَ الوطب ، وهو زِقُّ اللبن . وارتجاجه : ٣٦٧
اضطرابه . وهذا كقول الآخر :

فأَمَّا الصُّدور لا صدورَ لجعفرٍ ولكنَّ أَعجازًا شديدًا ضريرها [٢]

(١) نوادر أبى زيد ١٣٠ والمقتضب ٣ : ٤١ والمنصف ٢ : ١٣١ والاقتضاب ٣٩٣ وابن الشجرى ١ : ٢٠ وابن يعيش ٤ : ١٤٣ ، ١٤٥ والمقرب ٨٠ .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٣٤ / ٩ : ١٢ واللسان (ضرر ١٥٦) .

يقول : قوّتهم ليست فى صدورهم ، إنّما هى فى أكفالهم ، فهم يلقون منها ضريرًا ، أى ضررًا ومشقّة [١] . والظعينة : المرأة ، سمّيت بذلك لأنّه يُظعَن بها . وكان يجب أن يقال ظعين بغير هاء ، لأنّها فى تأويل مظعون بها . وفعيل إذا كان صفة للمؤنّث فى تأويل مفعول كان بغير هاء ، نحو امرأة قتيل وجريح ، ولكنّها جرت مجرى الأسماء حتّى صارت غير جاريةٍ على موصوف ، كالذبيحَة والنطيحة . ووصَفها بأنّها واقفةٌ فى ركب لأنّها تتبختر إذا كانت كذلك وتعظّم عجيزتَها لترىَ حُسنَها . ألا ترى إلى قول الآخر :

تخطّط حاجِبَها بالمدادِ وتَربِطُ فى عَجْزِها مِرفَقَه . اهـ

قوله : وفعيل إذا كان صفة للمؤنّث فى تأويل مفعول كان بغير هاء ، أقول : هذا إذا كان جاريًا على موصوفه كما مثّل . فأمّا إذا كان لِموصوف غير مذكور فيجب التأنيث لئلّا يلتبس بالمذكر . فظعينة هنا واردةٌ على القياس .

وهذا الرجز مع كثرة الاستشهاد به لم يُعلم قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده [٢] :

(كأنَّ خُصيَيهِ من التّدلدُلِ ظرفُ عجوزٍ فيهِ ثِنْتا حَنْظلِ)

لما تقدّم قبله .

ومثلَه [٣] قال سيبويه : من قال خصيانِ لم يثنّه على الواحد

---

(١) الذى فى اللسان أن الضرير هو الصبر على الشىء والمقاساة له .

(٢) سبق تخريجه فى الشاهد ٥٨٢ فى هذا الجزء ص ٤٠٠ .

(٣) الكلام بعد هذا إلى قوله « فقلت خصية » ورد فى ش بين كلمة « فسكنه » وكلمة « ونقل الأمام المرزوقى » التاليتين .

المستعملِ فى الكلام ، يعنى أَنَّ خُصيين تثنية خُصْى لا يستعمل فى الكلام .

ومثله قول ثعلب ، قال (فى فصيحهِ) : وتقول . هما الخصيانِ ، فإذا أَفردت أُدخلت الهاء فقلت خصية (١)

وهو فى (نوادر أَبى زيد) . ومن أَبيات أَدب الكاتب :

قد حلفَتْ باللهِ لا أُحبُّه أَن طال خُصياه وقَصْرَ زُبُّه

أَراد : [قَصُر (٢)] ، بضم الصاد ، فسكَّنه .

ونقل الإمام المرزوقى (فى شرح الفصيح) عن الخليل أَنَّه قال : الخصية تؤنَّث ما دامت مفردة (٣) ، فإذا ثنَّوها أَنَّثوا وذكَّروا .

ونقل اللَّبلىُّ (فى شرحه أَيضًا) عن ابن خالويه قال : أَجمعت العرب على إثبات الهاء فى واحِدها فقالوا خصية ، فإذا ثنَّوا فمنهم من يقول الخصيان بغير هاء ، وهى المختارَةُ . ومنهم من يقول خصيتان . قال : فمن أَثبت الهاء فى الاثنين فلا سؤالَ معه فى الفرع على الأَصل . ومن قال : هُما الخصيانِ ، بناهُ على لفظِ من قال : هما الأُنثيان ، لأَنَّ الأُنثيين لا واحدَ لهما من لفظهما ، فلما لم تلحق العلامة فى الأُنثيين فى ذلك أَسقطها من هذه .

وقال القالى (فى المقصور والممدود) : قال أَبو حاتم : وربَّما حذفت العرب هاء التأْنيث فى الاثنين من الخصية فقالوا : خُصيَتان وخُصيان . وأَنشد

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) التكملة من ش . وانظر أدب الكاتب ٣١٧ .

(٣) ش : « ما دامت مؤنثة » ، صوابه فى ط .

هذين البيتين عن أبى زيد . ثم قال : قال أبو زيد : لا يقال للواحد خُصْى بغير هاء .

وكذا قال أبو عثمان المازنى (فى التصريف الملوكى) ، قال : وأما الصَّلاية والعَباية فلم يجيئوا بهما على الصلاء والعباء ، كما أنهم حين قالوا خصيانِ لم يجئْ على الواحد ، ولو جاء على الواحد لقالوا : خصيتان [1] .

٣٦٨ وقال ابن جنى (فى شرحه) : العَباية والصَّلايةُ بنيت فى أوَّل أحوالها على التأنيث ولم تجئ على المذكَّر ، ولو جاءتْ عليه لقالوا : عَباءة وصلاءة ، كما أنَّ خصيان لو جاء على خصية لقيل خصيتان ، ولكنَّه بُنى على التثنية فى أوَّل أحواله وإن كانت فرعا ، كما بنيت العباية على التأنيث فى أوَّلِ أحوالها وإنْ كانت فرعا .

قال أبو العباس : يقال خصية وخصْىٌ . فمن قال خصية قال خصيتان . ومن قال خُصْىٌ قال خُصيان . ومثله ألْية وألْى . فمن قال ألْية قال أليتان . ومن قال ألى قال أليان . قال الرَّاجز :

* يرتجّ ألياهُ ارتجاجَ الوطبِ *

وقال آخر [2] :

أُخُصْيَىْ حمارٍ بات يَكدِم نَجْمَةً [3] أتؤخذ جاراتى وجارُك سالمُ

---

(١) وكذا فى المنصف ٢ : ١٣١ . وفى ش : « الخصيتان » .

(٢) هو الحارث بن ظالم المرى ، كما فى المفضليات ٣١٣ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٦٨ واللسان (نجم ٤٥) .

(٣) فى جميع المراجع : « أخصيى حمار » بالتثنية . وفى ط : « أخصى » بالإفراد تحريف ، وصححت فى ش بالتثنية . و « نجمة » هى فى ط : « لحمة » وقد صححت بذلك فى ش . والنجمة : واحدة النجم من النبات ، وهو هنا نبت بعينه ، وهو الثيل الذى ينبت على شطوط الأنهار .

وقال آخر :

* يا بأبى خُصياك من خُصْىٍ وزُبّْ *

وقال آخر :

كأنَّ خُصييه من التَّدلدلِ .... البيت

فثنَّى الخُصْىَ على خُصيين . اهـ

وإلى هذا ذهب أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على إصلاح المنطق) . قال ابن السكيت فى (إصلاحه) : تقول : ما أعظم خُصيتَه وخُصيتَيه ، ولا تكسر الخاء . قال الراجز :

* كأنَّ خُصييْهِ من التَّدلدُلِ *

الواحدة خُصية . وقالت امرأة من العرب [1] :

لستُ أبالى أن أكونَ مُحْمِقه   إذا رأيتُ خصيةً معلَّقه

وقال أبو القاسم المذكور : هذا قولٌ أصاب فى بعضه وسها فى بعضه . الواحدة من الخصيتين خُصْية ، ومن الخصيين خُصْى . قال الراجز :

يا بأبى أنتَ ويافوقَ البِـــيَبْ   يا بأبى خُصياك من خُصْىٍ وزُبّ [2]

وقال الفرزدق :

أتانى على القعساء عادلَ وطبِهِ   بخُصيِ لئيمٍ واستِ عبدٍ تُعادِلُه [3]

(١) مجهولة . وانظر معجم شواهد العربية ٥٠٧ .

(٢) لآدم مولى بلعنبر ، فى البيان ١ : ١٨٢ واللسان (أبا) .

(٣) ديوان الفرزدق ٢٣٧ . وانظر سيبويه ١ : ٨٤ . ولم يرد فيما طبع من كتاب التنبيهات . وانظر منه ص ٢٩١ .

والسابق إلى هذا المذهب أبو الحسن على اللّحيانى (فى نوادره) كما نقله عنه اللَّبْلى (فى شرح الفصيح) قال : حكى اللحيانى فيما جاء مثنّى من كلام العرب : ألى وخُصْى ، وألية وخصية ، وفى التثنية أليان وأليتان ، وخُصيان وخُصيتان ، قال : هما لغتان . ا هـ

ونقل ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) عن أبى عمرٍو الشَّيبانى أنّه قال : الخصيتان : البيضتان . والخُصيانِ : الجلدتان اللتان فيهما البيضتان . وأنشد البيتَ الشاهد .

قال شارح أبياته ابن السيرافى : التدلدل : تحرُّك الشىء المعلَّق واضطرابُه . وظَرف العجوز : الجراب الذى تَجعل فيه خُبزَها وما تحتاج إليه . وظرف العجوز خَلَقٌ فيه تشنُّج لقدَمه . شبَّه جلد الخُصية به للغضون التى فيه ، وشبَّه الأُنثيين فى الصَّفن بحنظلتين فى جِراب . اهـ

وكذا قال المرزوقى : هذا البيت (١) أن يكون شاهدًا للصَّفن أولى ، لأنَّه شبه موضع البيضتين بظرف جراب ، والبيضتين بالحنظلتين . ا هـ

وهذا التأويل وإن أمكن حمله فى البيت هنا فلا يمكن حمله فى الأبيات السابقة .

صاحب الشاهد — وقد تقدّم فى الشاهد الثامن والأربعين بعد الخمسمائة من باب العدد (٢) أنَّهما من رجزٍ لخِطامٍ المُجاشعى . ونسبهما أبو سهل الهَروىّ (فى شرح الفصيح) إلى جندل . وقيل قائلهما دُكين . وأنشد قبلهما :

رِخْوِ يدِ اليُمنى من الترسُّلِ   مِن الرضا جَنْعَدِلِ التَّكتُّلِ

---

(١) ش : « هذا البيت يحتمل » ، وكلمة « يحتمل » مقحمة .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٤٠٣ من هذا الجزء .

٣٦٩ ويقال : مرَّ فلان يتكتَّل ، إذا مرَّ وهو يقارب الخطْوَ ويحرِّك مَنكِبيه . ا هـ

وقال اللَّبْلى [١] (فى شرحه) : قال السِّيرافى : هذان البيتان لشمَّاءَ الهذلية . وأُنشدَ الشعر هكذا :

تقـول يارَبٍّ ويـاربٍّ هَلِ هل أَنتَ من هذا مُخَلٍّ أُحبُلى
إمّا بتطليقٍ وإلّا فاقتلِ [٢] أَو ارْمِ فى وَجْعائه بدُمَّلِ
كأَنَّ خصييه من التَّدلدلِ ظرف عجوز فيه ثِنْتا حَنظَلِ

شَبَّه خصييه فى استرخاء صَفَنَهما ، حين شاخ واسترخت جلدةُ استهِ بظرفِ عجوزٍ فيه حنظلتان . وخصَّ العجوز لأَنَّها لا تستعمل الطِّيب ولا تتزيَّن للرجال فيكون فى ظرفها ما تتزيَّن به ، ولكنها تدَّخر الحنظل ونحوه من الأَدوية . ويحتمل الشعر أَنْ يكون مدحًا فى وصف شجاعٍ لا يجُبن فى الحرب فتتقلُّص خصيتا . قال : ويحتمل أَن يكون هجوًا . ووجهُه أَنْ يصف شيخًا قد كبر وأَسنَّ ، ولذلك قال : ظرف عجوز ، لأَنَّ ظرفها خَلَقٌ منقبض [٣] ، فيه تشنُّج لقدمه ، فلذلك شبَّه جِلد الخُصْية به ، للغُضون التى فيه . والأَولى أَن يكون هجوًا ، لِذِكْره العجوزَ والحنظلتين ، مع تصريحه بذكر الخُصيتين .

قال التُّدْميرى [٤] : ويروى : « من التهدُّل » ، وهو استرخاء جِلدة

---

(١) سبقت ترجمته فى ١ : ١٩ .

(٢) رسمت فى ش بالباء والتاء معا لتقرأ بالوجهين .

(٣) كذا وردت بالنون فى النسختين .

(٤) نسبة إلى تدمير ، بضم التاء وفتحها ، مع سكون الدال وكسر الميم ، وهى كورة بالأندلس شرق قرطبة ، وينسب إليها جماعة . والذى يعنيه هنا هو شارح الفصيح أحمد بن عبد الجليل ابن عبد الله التدميرى ، كما فى بغية الوعاة ١٣٨ وكشف الظنون . توفى بفاس سنة ٥٥٥ . وفى ط : « الدميرى » تحريف .

الخصية . قال : وظرف العجوز : مِزْودها الذى تخزُن متاعها فيه . والحنظل نباتٌ معروف ، ويقال العلقم . ورُوى عن أَبى حاتم أَنَّه قال : الحنظل ههنا : الثُّوم . ا هـ

وتقدَّم ما فيه . وقوله إنَّ الشِّعر لشمَّاء الهذلية ينافيه أَوله :

* تقول ياربٌ ويَاربٌ هلِ *

وقوله :

* لستُ أُبالِى أَن أَكون مُحمِقه *

يقال أَحمقت المرأَةُ ، إذا ولدت ولدًا أَحمق . قال التُّدميرى [(١)] : معنى الشِّعر أَنَّ هذه المرأَة كانت تلاعب ابنًا لها صغيرًا وترقِّصه ، وتنظر فى أَثناء ذلك إلى خصيَتَيه [(٢)] فتفرح بكونه ذكرًا ، فقالت : لست أُبالى إذا ولدت الذكور أَنْ يكون أَولادى حمقَى ، وأَن أَكون أَنا محمقة أَى أَلِدُ الحمقى . وذلك كله فِرارًا من البنات وكراهيةً لهنَّ .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الخمسمائة [(٣)] :

٥٧٢ (كَأَنَّهُ وجْهُ تُرْكِيَّيِنِ إذْ غَضِبَا)

على أَنَّه إذا أُضيف الجُزءانِ لفظًا ومعنًى إلى متضمِّنيهما المتَّحدين بلفظ واحد ، فلفظ الإفراد فى المضاف أَولى من لفظ التثنية ، كما فى

(١) ش : « الدميرى » ، صوابه فى ط . وانظر ما سيأتى فى ص ٥٣٣ .

(٢) ط : « خصيته » ، صوابه فى ش .

(٣) ابن يعيش ٤ : ١٥٧ وديوان الفرزدق ٣٧١ . وجاء غير منسوب وبقافية « تذبيب » فى معانى الفراء ١ : ٣٠٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٢ .

البيت ، فإن تركيبين متضمِّنان ولفظهما متَّحد ، لجزأيهما ، وهما الوجهان ، فإنَّ وجه كلِّ أحدٍ جزء منه ، فلما أُضيف إليهما أُضيف بلفظ المفرد ، وهو الوجه . وهذا أولى من أن يقول : كأنَّه وجها تركيّين . وجمعُه أولى من الإفراد . فلو قال : كأنَّه وجوه تُركيَّين كان أولى من وَجْه تركيَّين . هذا محصَّل كلامه .

وإيضاحُه أنَّ كل ما فى الجسد منه شئٌ واحد لا ينفصل كالرأس والأنف واللسان والظهر والبطن والقلب فإنَّك إذا ضممت إليه مثله جاز فيه ثلاثة أوجه :

(أحدها) : الجمع ، وهو الأكثر نحو قوله تعالى : ﴿ فقد صَغَتْ قُلُوبُكما [1] ﴾ . وإنما عبَّروا بالجمع والمراد التثنية لأنَّها جمع . وهذا لا يلبس . وشبَّهوا هذا النَّوع بقولهم : نحن فعلنا . قال سيبويه [2] : وسألت الخليل عن : ما أحسنَ وجوهَهما فقال : لأنَّ الاثنين جميع ، وهذا بمنزلة قول ٣٧٠
الاثنين : نحن فعلنا ذاك ، ولكنَّهم أرادوا أن يَفرِقوا بين ما يكون منفردا وبينَ ما يكونَ شيئًا من شيء . ا هـ

يريد أنَّهم قد استعملوا فى قولهم : ما أحسنَ وجوهَ الرجلين الجمعَ موضع الاثنين ، كما يقول الاثنان : نحن فعلنا ، ونحن إنَّما هو ضميرٌ موضوعٌ للجماعة . وإنَّما استحسنوا ذلك لما بين التَّثنية والجمع من التقارب ، من حيث كانت التثنية عددًا تركَّب من ضمِّ واحدٍ إلى واحد . وأول الجمع وهو الثلاثة تَركَّب من ضمّ واحدٍ إلى اثنين ، فلذلك قال : لأنَّ الاثنين جميع .

---

(١) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٢) سيبويه ٢ : ٤٨ من نسختى .

وقوله : « ولكنَّهم أرادوا أن يفرقوا » إلخ ، معناه أنَّهم أعطوا المفرد حقَّه من لفظ التثنية فقالوا فى رجُل رجلان ، وفى وجهٍ وجهان ، ولم يفعل ذلك أهل اللغة العليا فى قولهم : ما أحسن وجُوه الرجلين ، وذلك أنَّ الوجه المضاف إلى صاحبه إنَّما هو شىءٌ من شىء . فإذا ثنَّيت الثانىَ منهما عَلم السامع ضرورةً أنَّ الأوّل لا بدّ أن يكون وَفْقَه فى العِدّة [1] فجمعوا الأوّل كراهة أن يأتوا بتثنيتين متلاصقتين فى مضاف ومضاف إليه . والمتضايفان يجريان مجرى الاسم الواحد ، فلما كرهوا أن يقولوا ما أحسن وجْهَى الرَّجلين ، فيكونوا كأنهم قد جمعوا فى اسم واحد بين تثنيتين ، غيَّروا لفظ التثنية الأولى بلفظ الجمع ، إذ العلم محيط بأنه لا يكون للاثنين أكثر من وجهين ، فلما أمنوا اللبس فى وضْع الوجوه موضع الوجهين استعملوا أسهلَ اللفظين . كذا فى أمالى ابن الشجرى .

وهذا علَّة البصريين .

وقال الفراءُ : إنَّما خصَّ هذا النوع بالجمع لأنَّ الشىء الواحد منه يقوم مقام الشيئين ، حملًا على الأكثر ، فإذا ضم إلى ذلك شىءٌ مثله كان كأنَّه أربعة ، فأتى بلفظ الجمع .

وهذا معنًى حسنٌ من معانى الفراء .

قال ابن يعيش : وهذا من أُصول الكوفيين . ويؤيِّده أنَّ ما فى الجسَد منه شىء واحد ففيه الدية كاملةً كاللِّسان والرأْس . وأمَّا ما فيه شيئانِ كالعين فإنَّ فيه نصفَ الدية .

---

(١) ط : « العدد » ، وأثبت ما فى ش . وفى أمالى ابن الشجرى ١ : ١٣ : « فى جميع العدة » .

وهذه عبارة الفراء ، نقلناها تبرُّكًا . قال فى تفسيره ، عند قوله تعالى : ﴿ والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقطَعُوا أَيديَهُمَا [١] ﴾ : وفى قراءة عبد الله : ﴿ والسارقون والسَّارقات فاقطَعُوا أَيمانَهما ﴾ وإنَّما قال أَيديَهُما لأَنَّ كلَّ شيءٍ موحّد من خلق الإنسان إذا ذُكر مضافًا إلى اثنين فصاعدًا جمع ، فقيل : قد هشَّمت رءُوسهما ، وملأْت [٢] ظهورهما وبطونهما ضربًا . ومثله : ﴿ فقد صَغت قُلوبُكما [٣] ﴾ . وإنَّما اختير الجمع على التثنية لأَنَّ أَكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين فى الإنسان : اليديْن ، والرجْليْن ، والعينين [٤] فلما جرى أَكثره على هذا ذُهب بالواحد [٥] منه مذهب التثنية . وقد يجوز هذا فيما ليس من خَلْق الإنسان ، وذلك أَن تقول للرجلين : خلَّيتما نساءكما ، وأَنت تريد امرأَتين ، وخرقتما قُمصكما . وإنَّما ذكرتُ ذلك لأَنَّ من النحويين من كان لا يجيزه إلَّا فى خَلْق الإنسان . وكلٌّ سواء . ا هـ

وكذا قال ابن الشجرى فى هذا ، قال : وجَرَوا على هذا السَّنَن فى المنفصل عن الجسد ، فقالوا : مدَّ الله فى أَعمارَكما ، ونسأَ الله فى آجالكما . ومثله فى المنفصل فيما حكاه سيبويه : ضَعْ رحالهما [٦] . اهـ

أَقول : كذا [٧] فى الشرح أَيضًا . وحكاه سيبويه (فى أَوائل

---

(١) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) ط : « وملئت » ، صوابه فى ش ومعانى الفراء ١ : ٣٠٦ .

(٣) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٤) هذا ما فى ش ومعانى القرآن ١ : ٣٠٧ . وفى ط : « اليدان والرجلان والعينان » .

(٥) فى معانى القرآن : ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين .

(٦) سيبويه ٣ : ٦٢٢ من نسختى وكذا ٢ : ٢٠١ بولاق .

(٧) ش : « أقول كهذا » .

كتابه [١]) : وَضَعا رحالَهما بالماضى لا بالأمر . قال : وقالوا : وَضَعا رحالهما ، يريد رحلَىْ راحلتين . وحدّ الكلام أن يقول : وضعت رحلَى الرّاحلتين .
٣٧١ وقال (فى أواخر كتابه) : زعم يونس أنّهم يقولون : ضَعْ رحالهما وغِلمانهما ، وإنّما هما اثنان .

هذا حكم ما كان منه فى الجسد شىءٌ واحد ، فإن كان اثنين كاليد والرجل فتثنيتُه إذا ثنيت المضاف إليه واجبة ، لا يجوز غيرها . تقول : فقأت عينَيهما ، وقطعت أُذنيهما ، لأنّك لو قلت أعينهما ، وآذانهما لا لتبس بأنّك أوقعت الفعل بالأربع .

فإن قيل : فقد جاء فى القرآن : ﴿ فاقطعُوا أَيديَهما [٢] ﴾ فجمَع اليد وفى الجسد يدان ، فهذا يوجب بظاهر اللفظ إيقاع القطع بالأربع . فالجواب أنّ المراد فاقطعوا أيمانهما . وكذلك هى فى مصحف عبد الله بن مسعود [رضى الله عنه [٣]] . فلمّا عُلم بالدّليل الشرعى أنّ القطع محلُّه اليمين وليس فى الجسد إلّا يمينٌ واحدة ، جرت مجرى آحاد الجسد ، فجُمعت كما جمع الوجه ، والظهر ، والبطن .

(الثانى) من الوجوه الثلاثة [٤] : الإفراد . ولم يذكر سيبويه هذه

---

(١) ش : « فى كتابه » فقط . وهو يشير إلى ما ورد فى سيبويه ١ : ٢٤١ كما أن قوله التالى « فى أواخر كتابه » ، يشير به إلى ما ورد فى ٢ : ٢٠١ .

(٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٣) التكملة من ش . وفى أمالى ابن الشجرى : « فى مصحف عبد الله » فقط . ومما هو جدير بالذكر أن هذا الحوار مأخوذ من أمالى ابن الشجرى . ولم يصرح البغدادى هنا بالأخذ .

(٤) انظر ما سبق فى أول الكلام على الشاهد من قول البغدادى : « جاز فيه ثلاثة أوجه : أحدها الجمع » . فهذا هنا استمرار ذكر هذه الأوجه .

المسألة ، وذلك نحو قولك : ما أحسن رأسهما ، وضربت ظهر الزيدين ، وذلك لوضوح المعنى ، إذ لكلّ واحد شىءٌ واحد من هذا النوع ، فلا يشكل ، فأُتى بلفظ الإفراد إذْ كان أخف .

قال الفراء فى تفسير تلك الآية : وقد يجوز أن تقول (١) فى الكلام : السَّارق والسَّارقة فاقطعوا يمينَهما ، لأنَّ المعنى اليمينَ من كلِّ واحدٍ منهما ، كما قال الشاعر (٢) :

كُلوا فى نصفِ بطنكمُ تعيشُوا فإنَّ زمانَكم زَمَنٌ خَميصُ

وقال الآخر (٣) :

الـواردون وتَيـمٌ فى ذرا سبـأٍ قد عضَّ أعناقَهمْ جِلدُ الجواميسِ

من قال « ذُرا » بالضم جعل سبأً جبلا ، ومن قال « ذَرَا » بالفتح أراد موضعًا (٤) .

ويجوز فى الكلام أن تقول : ائتِنِى برأس شاتين ورأسَىْ شاة (٥) .

---

(١) ط : « يقول » ، وأثبت ما فى ش ومعانى الفراء ١ : ٣٠٧ .

(٢) البيت مجهول القائل . وهو من شواهد سيبويه ١ : ١٠٨ كما أنه هو الشاهد ٥٧٥ من شواهد الخزانة .

(٣) هو جرير . ديوانه ٣٢٥ ومعجم الشواهد ٢٠٠ .

(٤) لم يذكر فى معانى القرآن ١ : ٣٠٨ الضبط بالضم فى الأولى وبالفتح فى « ذرا » الثانية . وقد وجهه محققا معانى القرآن على هذا الوجه : « من قال ذرى جعل سبأ جبلا » مع ضبط « ذرى » هنا فى الفتح وقراءة « جيلا » بالياء ، بمعنى القبيلة ، أى إن تيما يحتمون بسبأ ويمتنعون بها . ثم أتبعا ذلك بقراءة « من قال ذرى أراد موضعا » مع ضبط « ذرى » هنا بضم الذال .

(٥) فى معانى القرآن : « ورأس شاة » . وبعده : « فإذا قلت برأس شاة » .

فإذا قلت : رأسَىْ شاة فإنَّما أُردت رأْس هذا الجنس . وإذا قلت برأْس شاتين فإنَّك تريد بِه الرأْس من كلِّ شاة . قال الشاعر فى ذلك :

كأَنَّه وجهُ تركيَّينِ قد غضِبا مُستهدفٌ لطِعانٍ غير تذبيبِ . ا هـ

وقوله : « رأْسَىْ شاة » هذه مسأَلة زائدة على ما ذكروا فى هذا الباب ، استُفيد جوازها منه .

قال ابن خلف : وقرأَ بعض القراء : ﴿ فبدَتْ لهما سَوءَتُهما [١] ﴾ بالإفراد [٢] . والعجَب من ابن الشجرىّ فى حمله الإفراد على ضرورة الشعر ، فإنَّه لم يقل أَحدٌ إنَّه من قبيل الضرورة . قال : ولا يكادون يستعملون هذا إلَّا فى الشعر . وأَنشدُوا شاهدًا عليه :

كأَنَّه وجه تركيَّين قد غضبا .... البيت

وقال فى آخره : ذبَّ فلانٌ عن فلان [٣] : دفع عنه . وذبَّب فى الطعن والدَّفع ، إذا لم يبالغ فيهما . ا هـ

وتبعه ابن عصفور (فى كتاب ضرائر الشعر) ، والصحيح أَنَّه غير مختصّ بالشعر .

(الثالث) : التثنية . وهذا على الأَصل وظاهرِ اللفظ . قال سيبويه [٤] : وقد يثنُّون ما يكون بعضًا لشىء . زعم يونُس أَنَّ رؤبة كان يقول :

---

(١) الآية ١٢١ من طه . وفى الأعراف ٢٢ : « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما » بدون فاء .

(٢) هى قراءة الحسن . إتحاف فضلاء البشر ٢٢٢ .

(٣) ط : « على فلان » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٢ .

(٤) سيبويه ٢ : ٤٨ من نسختى .

ما أُحسن رأسَيْهما . وقال الراجز [١] :

* ظهراهما مثلُ ظهور الترْسيْن *

قال الفراء فى تفسير تلك الآية [٢] : وقد يجوز تثنيتُهما . قال أَبو ذؤيبِ الشاعر :

فتخالسا نَفْسَيهما بنوافذ كنَوافذ العُبُطِ التى لا تُرقَع . اهـ

وقال ابن الشجرىّ : ومن العرب من يُعطى هذا حقّه كلَّه من التَّثنية ،
فيقولون : ضربتُ رأْسيهما ، وشققتُ بطنَيْهما ، وعرَفت ظهريكما ، وحيَّا الله ٣٧٢
وجهيكما . فممَّا ورد بهذه اللغة قولُ الفرزدق :

* بما فى فؤادَينا من الشَّوقِ والهوى [٣] *

وقول أَبى ذؤيب :

فتخالَسَا نفسيهما بنوافذٍ .... البيت

أَراد : بطَعَناتٍ نوافذَ كنوافذ العُبط : [جمع العبيط [٤]] ، وهو البعير الذى يُنحر لغير داء . ا هـ

والجمع فى هذا الباب هو الجيِّد المختار ، وبه نزل القرآن العظيم [٥] .

(١) هو خطام المجاشعى ، كما فى سيبويه .

(٢) يعنى آية « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » . انظر معانى القرآن ١ : ٣٠٧ .

(٣) ديوان الفرزدق ٥٥٤ والنقائض ٥٥٣ . وتمامه :

* فيبرأ منهاض الفؤاد المشعف *

(٤) التكملة من ش وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٢ .

(٥) اقتبسه البغدادى من قول ابن الشجرى : « والجمع فى هذا ونحوه هو الوجه ، كما جاء فى التنزيل : قالا ربنا ظلمنا أنفسنا » .

والبيت الشاهدُ قافيته رائيَّة لا بائية

صاحب الشاهد

وهو من قصيدة عِدَّتُها ستةَ عشرَ بيتًا للفرزدق ، هجا بِها جريرًا تهكَّم به وجعَله امرأة . وهذه عشرةُ أبيات بعد ستَّةٍ من أوَّلها :

أبيات الشاهد

(ما تأمرونَ عِبادَ الله أسألُكم ... بشاعرٍ حوله دُرجانِ مختمرِ [(١)]
لئنْ طَلبتم به شأْوِى لقد علمَتْ ... أنِّى على العَقْب خرّاجٌ من القَتَرِ
ولا يُحامِى على الأنساب منفلق ... مقنَّع حين يُلقَى فاترُ النظرِ [(٢)]
هَدَرتُ لمَّا تلقَّتْنى بجُونتها ... وخشخشَتْ لى حفيفَ الرِّيح فى العُشَرِ
ثم اتَّقتنى بجَهْمٍ لا سلاح له ... كمَنخِرِ الثَّور معكوسًا من البقرِ
مُعْلَنْكسِ الكَيْنِ مجلومٍ مشافره ... ذِى ساعدينِ يسمَّى دارةَ القمَرِ
كأنَّه وجهُ تركيَّينِ قد غضبا [(٣)] ... مستهدفٌ لطِعانٍ غَيْرُ منحجرِ
كأنَّ رُمّانةً فى جوفه انفلقَتْ ... يكادُ يوقِدُ نارًا ليلةَ القُرَرِ
هل يَغلِبن بظرُها أيرى إذا اطَّعنا ... والطَّاعن الأوَّل الماضى من الظَّفَرِ
إنِّى لقومِى سنانٌ يَطعنُون به ... وأنتِ أُختَ كُليب عَيْبَةُ الكمَرِ)

قوله : « ما تأمرون عبادَ الله » إلخ ما استفهامية ، وعبادَ الله منادًى ، والباء من قوله « بشاعر » متعلِّق بقوله « تأمرون » ، أو هو بمعنى عن متعلِّق بأسألكم . وأراد بالشاعر جريرًا . ومختمر صفة ثانية له ، اسم فاعل من اختمرتِ المرأة ، أى لبِست الخمار بالكسر ، وهو ثوبٌ تغطِّى به المرأة رأسَها . وجملة « حوله دُرجانِ » صفةٌ أُولى لشاعر . نسبَه إلى أنَّه امرأة :

---

(١) ديوان الفرزدق ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٢) فى الديوان : على الأحساب » . وستأتى هذه الرواية فى التفسير .

(٣) حورت فى ش إلى : « إذ غضبا » ، وهى رواية الديوان .

والدُّرج بالضم ، وهو وعاء الطِّيب ، كالحُقَّة والعُلْبة .

وقوله : « لئن طلبتم به شأْوى » إلخ به أى بهذا الشاعر . والشَّأْو : بفتح الشين وسكون الهمزة : الغاية والسَّبق . يقول : إن أردْتم منه أن يبلغ غايتى ، أو يسبقنى . واللام فى لئن موطِّئة للقسم ، وجملة لقد علمَتْ : جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف يدلُّ عليه جواب القسم . وفاعل علمت ضمير شاعر ، والمراد به امرأة (١) . وعلى بمعنى مع . والعَقْبُ بفتح العين وسكون القاف : جرْىُ الفرسِ بعد جريه الأَوَّل . والخَرَّاج : مبالغة خارج . والقَتَر بفتح القاف والمثناة الفوقية : الغُبار . يقول : لا يمكن أن تبلغ شأْوِى فضلًا عن السَّبق ، فإنَّها تعلم أنِّى كثيراً ما خرجت من الغُبار ، أى إذا كان أحدٌ سابقًا شققت غباره فسبَقْته وخرجتُ من غُبارِه . وهذا بعد التَّعب والجرى الكثير ، فكيف أكون فى أوَّل جَريٍ .

وقوله : « ولا يحامى على الأحساب (٢) » ، أراد بالمنفلق : ذاتٌ لها انفلاق ، وهو كناية عن ذات الفرج . والانفلاق : الانشقاق . ومقنَّع : ذات قِناع . وحين متعلِّق بمقنَّع . ويُلقَى بالبناء للمفعول ، من اللُّقِيّ . وفاتر النَّظَر ، أى ضعيف النظر . وهذه الأوصاف الثلاثة من أوصاف النِّساء .

وقوله : « هدَرْتُ لمَّا تلقَّتنى » إلخ الجُونة ، بضم الجيم : العُلبة ، ٣٧٣

(١) ش : « المراد به امرأة » بإسقاط الواو .

(٢) هى رواية الديوان . وإن كان البغدادى قد رواه : « على الأنساب » فى الإنشاد المتقدم .

ودُرْج الطِّيب . والخشخشة : صوت السِّلاح ونحوه . وحَفيف مفعول مطلق ، أى خشخشتُه كحفيف الريح . والحَفيف ، بالحاء المهملة وفاءين ، وهو صوتُ الريح إذا مرَّت على الأشجار . والعُشَر بضم ففتح : شجر عظيمٌ له شوك . والهدير : صوت شِقشِقة الجمل . يقول : لما برزَتْ لمحاربتى وكان سلاحُها جُونتها ، وكان صوتها مؤنَّثًا ضعيفًا كصوت الريح المارَّة بالأشجار ، هدَرتُ عليها كالفحل الهائج فأدهشتها .

وقوله : « ثم اتَّقتنى بجهمٍ لا سلاح له » إلخ الجهم : الغليظ الثخين ، وهو هنا كناية عن فرجها . وأراد بالسِّلاح الشعرَ النابت حوله ، وشبَّهه بمنخر الثَّور حالة كونه معكوسًا . والعكس : أنْ يشدَّ حبلٌ فى منخره إلى رُسغ يدَيه ليذلّ ، وحينئذ يُرى شَقُّه أوسعَ . وأصله فى البعير .

وقوله : « معْلنكِسِ الكَيْن » المعلنكس : الكثيف المجتمع . وقال شارح ديوانه : هو الكثير اللَّحْم . والكَيْن بالفتح : لحم الفرج من داخِل . والمَشَافر : جمع شُفْر بالضم على خلاف القياس ، وشُفر كلِّ شيء : حرفُه . والمجلوم : المقصوص شعرُه بالجَلَم بفتح الجيم واللام ، وهو المِقَصّ ونحوه . ومعلنكس ومجلوم كلاهما بالجرّ صفتان لجهم ، وكذا قوله : « ذى ساعدين » ، وجملةُ يسمَّى إلخ . وأراد بالسَّاعدين الأسكتينِ ، أى حرفيه ، وسمَّاهما ساعدين لغِلَظهما وطولهما .

وقوله : (كأنَّهُ وَجْهُ تركيين) إلخ أى كأنَّ ذلك الجهم ، المراد به الفرج . شبَّه كل فِلقة منه بوجهِ تركىّ . والأتراك غِلاظ الوجوه عراضُها

حُمْرها . وإذا ظرفٌ عامله ما فى كأَنَّ من معنى التشبيه . وعند غضَبهم تشتدُّ وجوههم حُمرةً . وروى الفراء وغيره : « قد غَضِبا » فتكون الجملة حالًا من تركيبين ، على طَرْز قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحدُكم أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيهِ ميْتًا (١) ﴾ . ومستهدف صفة لوجه ، وهو اسم فاعل من استهدف . قال صاحب العباب : واستهدف ، أَى انتصب . قال النابغة فى صفة فرج :

وإذا طعنتَ طعنتَ فى مُستهدِفٍ رابِى المجسَّةِ بالعبير مُقَرْمَدِ

وشىء مستهدِف ، أَى عريض . ا هـ

(والطِّعان) بالكسر : مصدر طعنه بالرمح طَعْنًا وطِعانًا . وغيرُ بالرفع صفة لمستهدف . و (المنجحر) : اسم فاعل من انجحر ، أَى دخلَ جُحره ، بضم الجيم وسكون المهملة ، يقال أَجْحرته ، أَى أَلجأْته إلى أَن دخل جُحْره ، فانجَحَر .

وقوله : « كأَنَّ رمّانة » إلخ ، يريد أَنَّ داخل ذلك الفرج محمرٌّ شديد الحرارة . ويُوقِد : يُشعِل . والقُرَر : جمع قُرّة بالضم : البرد ، كغُرْفة وغُرَف .

وقوله : « هل يَغْلِبَنْ بَظْرُها » إلخ يَغلبن مؤكد بالنون الخفيفة . والبَظْر : لحمة بين شُفرى الفرج تقطعها الخاتنة . والمرأَة التى لم يختن بظرها يقال لها بَظْراء . ومنه قولهم فى الشتم : يا ابنَ البَظْراء ! واطَّعنا أَصله ، تطاعنًا ، والأَلف ضمير البظر والأَير . وقوله : « والطاعن الأَوَّل » إلخ ، أَى من يطعن أَوّلًا هو

(١) الآية ١٢ من سورة الحجرات .

الذى يذهب بالظَّفَر ويغلب . ومعلوم أَنَّ الذكر هو الذى يبدأُ بالطَّعْن للأُنثى .

وقوله : « إنى لقومى سِنانٌ » إلخ يقول : إنِّى لقومى كالسِّنان يطعنُون بى نحُورَ الأَعداء . ويطعنُون بضم العين . وقوله : « وأَنتِ أُختَ » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأَنتِ مبتدأ ، وعَيْبة خبره . وأُختَ منادًى . لمَّا جعل جريرًا امرأَة قال له : يا أُختَ كليب ، أَى يا امرأَةً من قبيلة كُليب . والعَيْبة بالفتح : خُرجٌ صغير توضع فيه الثِّياب . والكمَرُ : جمع
٣٧٤ كمَرةٍ بفتحتين ، كقصب جمع قصبة ، وهو الذكر والأَير ، وأَصله الحشَفة ، ويطلق عليه مجازًا ، تسمية للكلِّ باسم الجزء .

وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين من أَوائل الكتاب [(١)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [(٢)] :

٥٧٣ (ظَهراهُما مثلُ ظهورِ التُّرْسَيْنْ)

على أَنَّه قد جمع بين اللغتين ، فإنَّه أَتى بتثنية المضاف فى ظهراهما ، وبجمعه فى ظهور الترسين .

---

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ – ٢٢٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٤١ / ٢ : ٢٠٢ . وانظر البيان ١ : ١٥٦ والجمل ٣٠٣ وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ٧٨٧ والمخصص ٩ : ٧٠ وابن يعيش ٤ : ١٥٥ ، ١٥٦ وشرح شواهد الشافية ٩٤ والعينى ٤ : ٨٩ والهمع ٢ : ٦٢ والمغنى ٣١٦ والأشمونى ٣ : ٧٤ ويس ٢ : ١٢٢ .

واستشهد به سيبويه على تثنية المضاف على الأصل ، فى موضعين من كتابه

الموضع الأول : فى الرُّبع الأوّل ، فى باب ما جرى من الأسماء التى من الأفعال وما أشبهها ، من الصفات التى ليست بفعلٍ . وتقدَّم نقل كلامه فى البيت الذى قبل هذا .

والموضع الثانى : أوَّل الرُّبع الرابع بين أبواب جموع التكسير ، فى بابٍ ترجمته : هذا باب ما لُفظ به مما هو مثنًّى كما لفظ بالجمع . قال : وهو أن يكون كلُّ واحدٍ منهما بعضَ شىءٍ مفرد من صاحبه ، وذلك قولك : ما أحسن رُءُوسَهما وأحسنَ عواليَهما . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكما [1] ﴾ ، ﴿ والسَّارقُ والسَّارقة فاقْطَعُوا أيديَهما [2] ﴾ . فرقوا بين المثنَّى الذى هو شىءٌ على حدة وبين ذا . وقال الخليل : نظيره قولك : فعلنا ، وأنتما اثنان ، فتَكَلَّمُ به كَمَا تَكَلَّمُ به وأنتم ثلاثة . وقد قالت العرب فى الشيئين اللذين كلُّ واحدٍ منهما اسمٌ على حِدَة وليس واحدٌ منهما بعضَ شىء ، كما قالوا فى ذا ، لأنَّ التثنية جمعٌ ، فقالوهُ كما قالوا : فعلنا . زعم يونس أنَّهم يقولون : ضَعْ رحالهما وغِلْمانهما ، وإنَّما هما اثنان [3] . إلى أن قال : وزعم يونس أنَّهم يقولون : ضربت رأسيهما . وزعم أنه سمع ذلك من رؤبة أيضًا ، أجرَوْه على القياس . قال هِمْيانُ بن قُحافة :

---

(١) الآية ٤ من التحريم .

(٢) الآية ٣ من المائدة .

(٣) ط : « وأنهما » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وكتاب سيبويه ٢ : ٢٠٢ .

* ظهراهما مثلُ ظهورِ التُّرسيْنْ *

وقال الفرزدق :

* هما نفثا فى فىَّ مِنَ فَمَوَيهما (٢) *

وقال أيضًا :

بما فى فؤادَينا من الشَّوقِ والهوى فيُجبرَ مُنْهاضُ الفؤادِ المعذَّب (٢)

انتهى كلامه .

قال الأعلم : الشاهد فيه تثنية الظهرين على الأصل ، والأكثرُ فى كلامهم إخراجُ مثل هذا إلى الجمع ، كراهةً لاجتماع تثنيتَينِ فى اسمٍ واحد ، لأنَّ المضاف إليه من تمام المضاف ، مع مافى التثنية من معنى الجمع ، وأنَّ المعنى لا يشكل ، ولذلك قال : مثل ظهور التُّرسين ، فجمع الظَّهر .

قال الزجاج (فى تفسير آية السارق) : قال بعض النحويين : إنَّما جُعلتْ تثنية ما كان فى الإنسان منه واحدٌ جمعًا لأنَّ أكثر أعضائه فيه منه اثنان ، فحُمل ما كان فيه الواحد على مثل ذلك . قال : لأنَّ للإنسان عينين ، فإذا ثُنِّيت العينين قلت عيونهما ، فجُعلت « قلوبكما » و « ظهوركما » فى القرآن كذلك ، وكذلك « أيديهما » . وهذا خطأ ، إنَّما ينبغى أن يفصل بين ما فى الشىء منه واحد وبين ما فى الشىء منه اثنان . وقال قوم : إنَّما فعلنا

---

(١) عجزه :

* على النابح العاوى أشد رجام *

(٢) صوابه « المشعف » كما أشار إلى ذلك الشنتمرى . وانظر ما سبق من التعليق فى ص ٣٧٢ .

ذلك للفصل بين ما فى الشىء منه واحدٌ وبين ما فى الشىء منه اثنان ، فجعل ما فى الشىء منه واحدٌ تثنيتُه جمعًا ، كقول الله : ﴿ فقَدْ صغت قلوبكما (١) ﴾ . قال أبو إسحاق : حقيقة هذا الباب أنَّ ما كان فى الشىء منه [واحدٌ (٢)] ، لم يثنَّ ولفِظَ به على لفظ الجمع (٣) لأنَّ الإضافة تبيِّنه . فإذا ٣٧٥
قلت : أشبعتُ بُطونَهما عُلم أنَّ للاثنين بطنين فقط . وأصل التثنية الجمع ، لأنَّك إذا ثنيت الواحدَ فقد جمعت واحدًا إلى واحد . وكان الأصل أن يقال اثنا رجال ، ولكنْ رجلانِ لا يدلُّ على جنس الشىء وعددِه ، فالتثنية يحتاج إليها للاختصار فإذا لم يكن اختصارٌ ردَّ الشىء إلى أصله ، وأصله الجمع ، فإذا قلت قلوبهما فالتثنية فى هما قد أغنتك عن تثنية قلبٍ ، فصار الاختصار ههنا تركَ تثنية قلب . وإن ثُنِّىَ ما كان فى الشىءِ منه واحدٌ فذلك جائز عند النحوِّيين . قال الشاعر :

* ظهراهما مثلُ ظُهورِ التُّرسَيْنْ *

فجاء بالتثنية والجمع فى بيتٍ واحد .

وحكى سيبويه أنَّه قد يجمع المفرد الذى ليس من شىءٍ إذا أردت به التثنية . وحُكى عن العرب : وضَعا رحالَهما ، يريد : رحْلَى راحلتيهما . انتهى .

وأنشده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جنَّتَان (٤) ﴾ قال : ذكر المفسِّرون أنَّهما بستانان من بساتين الجنة . وقد يكون فى العربية جنَّة تثنِّيها العرب فى أشعارها . أنشدنى بعضهم :

---

(١) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٢) تكملة يفتقر اليها الكلام .

(٣) ط : « لم يثن لفظ به على الجمع » ، وصوابه فى ش .

(٤) الآية ٤٦ من سورة الرحمن .

ومهمهيـــنِ قَذَفين مَرْتَيْـــن قطعتُه بالسَّمْتِ لا بالسَّمتَيْنْ (١)

وأنشدنى آخر :

يسعَى بكبداءَ ولَهْذَمينِ قد جعل الأَرطاةَ جنَّتينِ

وذلك أنَّ الشِّعر له قوافٍ تقيمها الزيادة والنقصان ، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام .

قال الفراء : الكَبْداء (٢) : القوس . ويقال لَهذَم ولِهْذِم ، لغتان (٣) ، وهو السَّهم . انتهى .

صاحب الشاهد والصحيح أنَّ هذين البيتين من رجزٍ لخِطامِ المُجاشعى ، وهو شاعر إسلامٌى ، لا لهميان بن قحافة . كما تقدَّم نقلُ أبياتٍ كثيرة من هذا الرجز فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة (٤) . والرواية الصحيحة كذا :

أشطار الشاهد (ومَهْمهيـنِ قَذَفيـنِ مَرْتَيْـنْ ظَهراهُما مثلُ ظُهور التُّرسيْنْ

جُبْتُهما بالنَّـعتِ لا بالنعتيـنْ على مُطارِ القلبِ سامى العينَيْنْ)

والواو فى مهمهين واو ربَّ . والمهمهُ : القفر المخُوف . والقَذَف ، بفتح القاف والذال المعجمة بعدها فاءٌ : البعيد من الأَرض . وقال العينى :

---

(١) لخطام المجاشعى ، أو هميان بن قحافة . معجم الشواهد ٥٤٣ .

(٢) فى معانى الفراء ٣ : ١١٨ : « الكيداء » ، وكذا فى الرجز « بكيداء » ، وما هنا صوابه . وفى اللسان : « وقوس كبداء : غليظة الكبد شديدتها . وقيل قوس كبداء ، إذا ملأ مقبضها الكف » . وكبد القوس : فُوَيق مقبضها حيث يقع السهم .

(٣) ضبط فى اللسان والقاموس بوزن جعفر فقط .

(٤) الخزانة ٢ : ٣١٣ - ٣١٨ .

هو المكان المرتفع الصُّلب . قال : ويروى « فَدْفَدين » . والفَدفد : الأَرض المستوِية . قاله الجوهرى .

والمرت ، بفتح الميم وسكون الراء المهملة بعدها مثناة فوقية : الأَرض التى لا ماء فيها ولا نبات . والظَّهر : ما ارتفعَ من الأَرض . شبَّهه بظهر تُرسٍ فى ارتفاعه وتعرِّيه من النبت . كما قال الأَعشى :

وفلاةٍ كأنَّها ظهر تُرسٍ ليس إلَّا الرَّجيعَ فيها عَلاقُ

وقال الأَعلم : وصَفَ فلاتين لا نبتَ فيهما ولا شخصَ يُستَدَلُّ به ، فشبَّههما بالتُّرسين .

وقال العينى : مثل ظهرَى التُّرسين فى الاستواء والامِّلاس ، وعدم المرافق فيهما ، من نبتٍ للرَّاعية ، أَو علَمٍ هادٍ للناس . وجبتهما : قطعتهما ، وهو جواب ربَّ المقدَّرة . يقال جاب الوادى يجُوبه جوبا ، إذا قطَعَه بالسَّير فيه . وروى : « قطعته » بإفراد الضمير .

نقل العينىُّ عن أَبى على أَنَّه قال : أُفرد الضمير وهو يريد المهمهين ، كما ٣٧٦
قال تعالى : ﴿ نُسقِيكُمْ ممَّا فى بطونه [1] ﴾ . ويقال التقدير : قطعت ذلك . ويقال : إنما أفرد الضَّميرَ لأَنَّه أراد المهمهَ ، وإنَّما ثنَّاه تنبيهًا على طوله واتصال المشْى لراكبه فيه ، كما قال رؤبة :

* ومهمهٍ أُطرافُه فى مهمهِ * انتهى

وهذا يؤيِّد ما قاله الفراء . وقوله : « بالنعت لا بالنعتين » أَى نُعتا لى مرَّةً واحدة ، فلم أَحتج إلى أَن يُنعتا لى مرَّة ثانية . وصَفَ نفسه بالحِذق والمهارة . والعربُ تفتخر بمعرفة الطُّرق ، وتعيِّر الجاهلَ بها .

---

(١) الآية ٦٦ من سورة النحل .

وأمّا رواية « قطعته بالسَّمْت لا بالسمْتين » فهو من رجزٍ لشاعر آخر ، أُنشده الفارسي (فى تذكرنه) ، وذكر قبله :

ومهمهٍ أعورِ إحدَى العينيْنْ بصيرِ الاخرَى وأصمِّ الأُذْنيْنْ

* قطعتُه بالسَّمت لا بالسَّمتيْنْ *

قال : كانت فى هذا الموضع بئران ، فعوِّرت إحداها وبقيت الأخرى ، فلذلك قال : أعور إحدى العينين . وقوله : « وأصمّ الأُذْنين » يعنى أنَّه ليس به جبل فيُسمعَ صوت الصدى .

وقوله : « بالسمت » إلخ أى قيل لى مرّةً واحدة فاكتفيت . انتهى

وقال : السَّمْت : السَّير بالحَدْس . وقال ابن يسعون : يريد بالسمت إلخ بإشارةٍ واحدةٍ (١) ، ولم أُحتج إلى تكرير النظر ، لحذق ومعرفتى بالطريق .

وقوله : « على مُطارِ القَلب » متعلّق بجُبتهما . أراد : على فرسٍ جيِّدٍ هذه صفته .

وترجمة خِطام المجاشعىّ تقدَّمت فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة (٢) .

* * *

(١) ط « بإشارة واحد » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تغيير .

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الخمسِمائة [١] :

٥٧٤ (وعَيناىَ فى رَوْضٍ من الحُسْنِ تَرْتَعُ)

على أنَّه قريبٌ من وقوع المفرد موقع المثنَّى [٢] ، فيما يصطحبان ولا يفترقان ، كقولك : عينى لا تنام ، أى عيناى ، وإنَّما قال « قريب منه » لأنَّ المثال وقع فيه المفرد فى موقع المثنى ، والبيت وقع فيه المثنَّى وهو عيناى فى موضع المفرد ، لأنَّ خبره ترتع ، وليس فيه ضمير اثنين .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : قال أبو عمرو : وإذا كان الاثنان لا يكاد أحدُهما ينفرد من الآخر مثل اليدين والرجلين والخُفَّين ، فإن تقدَّم مثنَّاه جاز لَكَ فى الشعر والكلامِ ، أَنْ توحِّد صفته فتقول : خفَّان جديدٌ وجديدان ، وعينان ضخمةٌ وضخمتان ، لأَنَّ الواحد يدلُّ على صاحبه إذَا كان لا يفارقه . وأنشد الفراء :

سأجزيك خِذلانًا بتقطيعىَ الصَّفا إليك وخُفًّا واحدٍ يقطرُ الدَّما

فقال : يقطر ، ولم يقل : يقطران . انتهى .

والمصراع عجزٌ ، وصدرُه :

(حشاىَ على جمرٍ ذكىٍّ من الغضا)

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لأبى الطيِّب المتنبِّى ، مطلعُها :

(حُشاشة نفس وَدَّعَتْ يومَ ودَّعوا فلم أَدر أَىَّ الظاعِنينَ أُشيِّعُ)

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٢٠ ، ١٢١ وديوان المتنبى بشرح العكبرى ١ : ٣٨٤ .

(٢) ط : « الشىء » ، صوابه فى ش .

قال الواحدى فى شرحه : الحشا : ما فى داخل الجوف ، ويريد به القلبَ ههنا . يقول : قلبى على جَمرٍ شديد التوقُّد من الهوى ، أى لأَجل توديعهم وفراقهم . وعينى ترتع فى وجه الحبيب فى روضٍ من الحسن .

والبيت من قول أَبى تمام :

٣٧٧ أَفى الحقِّ أَن يُضحى بقلبىَ مأْتمٌ من الشَّوق والبلوى ، وعيناىَ فى عُرْسِ

وإِنَّما لم يقل ترتعان لأَنَّ حكم العينين حكمُ حاسَّةٍ واحدة ، ولا تكاد تنفرد إِحداهما برؤيةٍ دون الأُخرى ، فاكتفى بضمير الواحدة ، كما قال الآخر (١) :

* بها العينانِ تنهلُّ (٢) * انتهى

وقال صدر الأَفاضل ، عند قول المعرىّ (٣) :

كأَنَّ أُذْنيهِ أَعطَتْ قلبَه خَبرًا عن السَّماءِ بما يلقى من الغِيَرِ

فإِن قلت : كيف لم يبرز الضمير فى أَعطت مع إِسناده إِلى ضمير الاثنين ؟ قلت : إِمَّا لأَنَّه قد نزَّل العضوين منزلة عضوٍ واحد ، لأَنَّ المقصود بهما منفعةٌ واحدة . وعليه قولُ امرئ القيس :

وعَيــنٌ لها حَدرةٌ بدرةٌ شُقَّتْ مآقيهِمَا من أُخُرْ (٤)

أَلا ترى أَنَّه عنى بالعين العينين ، حتَّى صرف إِلى ضمير الاثنين . وقول أَبى الطيب :

---

(١) هو امرؤ القيس . ملحقات ديوانه ٤٧٢ . وانظر ما سيأتى فى ص ٥٥٦ .

(٢) صدره :

* لمن زحلوقة زل *

(٣) شروح سقط الزند ١٤٦ .

(٤) ديوان امرئ القيس ١٦٦ .

وتكرّمت رُكُباتُها عن مَبْرَكٍ تقعانِ فيه وليس مِسكًا أذفرا

لأنَّه جعل كلَّ رُكبتين كركبةٍ واحدة حتَّى قال : تقعان . وإمَّا لأنَّه قد عامل المثنى معاملة الجمع . ومنه قول عنترة :

متَى ما تلقنى فَردينِ تَرجُف روانـفُ أَليتـيْكَ وتُستطـارا

وقال آخر (٢) :

* أقراب أَبلقَ يَنفِى الخيلَ رمَّاحِ (٢) *

أَلا ترى أَنَّه قد سمَّى الرَّانفتين والقُرْبين روانف وأَقرابًا .

ومثله فى احتمال الوجهين قوله (٣) :

كأَنَّ فى العينين حَبَّ قَرنفُلٍ أَو سُنْبلًا كحِلَتْ به فانهلَّتِ

وقولُ الفرزدق :

* ولو بَخِلتُ يداىَ بها وضنتْ (٤) *

هذا وقول أَبى الطَّيِّب :

* وعيناىَ فى روضٍ من الحسن تَرتَعُ *

مع تمكُّنه من أَن يقول : وعينىَ – دليلٌ على أَنَّه لا فى مقام الضرورة .

انتهى .

---

(١) هو أوس بن حجر . ديوانه ١٥ .

(٢) ط : « سعى الخيل » ، صوابه فى ش والديوان . وصدره :

* كأن ريقه لما علا شطبا *

(٣) هو سلمى بن ربيعة ، كما فى الحماسة ٥٤٦ بشرح المرزوقى . ونسب فى الأصمعيات ١٦١ إلى علباء بن أرقم .

(٤) عجزه كما فى الديوان ٣٦٤ :

* لكان لها على القدر الخيار *

وقد تكلَّم ابن الشجرى (فى أماليه) على البيت ، وجعل المسألة رُباعيّة ، فلا بأْس بنقل كلامه تتميمًا للفائدة . وقال بعد إنشاد البيتِ : الحشا : ما بين الضِّلَع التى فى آخر الجنب إلى الورك ، والجمع أَحشاء . وذَكت النار تذكُو : اتَّقدت وارتفعَ لهبُها . والرَّوضة : موضع يتَّسع ويجتمع فيه الماء ، فيكثُر نبْته . ولا يقال لموضع الشَّجر روضة . والرُّتوع فى الأَصل للماشية ، وهو ذهابها ومجيئها فى الرِّعى . وكثر ذلك حتَّى استعمل للآدميِّين . وفى التنزيل : ﴿ نرتَعْ ونَلْعَبْ [1] ﴾ . ومن قرأَ : ﴿ نرتَعِ ﴾ بكسر العين فهو نفعل من الرَّعى . وأَصل رتَع : أَكل ما شاء . ومنه قولُ سُويد بن أَبى كاهل :

ويُحَيِّينى إذا لاقيتُه وإذا يخْلو له لحمِى رتَعْ [2]

وإنَّما قال عيناى فثنى ثم قال ترتع فأخبر عن الاثنين بفعل واحدة ، لأَنَّ العضوين المشتركينِ فى فعلٍ واحد مع اتفاقهما فى التسمية يجرى عليهما ما يجرى على أَحدهما . أَلا ترى أَنَّ كل واحدةٍ من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية دون الأُخرى . فاشتراكهما فى النظر كاشتراك الأُذنين فى السمع ، والقدمين فى السَّعى . ويجوز أَن يعبَّر عنهما بواحدةٍ ، تقول : رأَيته بعينى ، وسَمِعته بأُذنى ، ٣٧٨

---

(١) الآية ١٢ من سورة يوسف . وهذه قراءة أبى عمرو ، وابن عامر ، بالنون وسكون العين . وأما قراءة « نرتع » بالنون وكسر العين فهى قراءة البزى ، كما قرأ قنبل : « نرتعى » بإثبات الياء . وقراءة عاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف : « يرتع ويلعب » بالياء وسكون العين من الرتوع . وقرأ نافع وأبو جعفر : « يرتع ويلعب » من الارتعاء . إتحاف فضلاء البشر ٢٦٢ .

(٢) المفضليات ١٩٨ .

وما سَعتْ فى ذاك قدمى . فإنْ قلت بعينَىَّ وأُذنىَّ وقدمىَّ فثنَّيت ، فهو حقُّ الكلام ، والأوَّل أخفّ وأكثرُ استعمالًا .

ولك فى هذا الباب [1] أربعةُ أوجهٍ من الاستعمال :

أحدها : أن تستعمل الحقيقة فى الخبر والمخبر عنه ، وذلك قولك : عيناى رأتاه ، وأُذناى سمعناه ، وقدماى سَعَتا فيه .

والثانى : أن تعبِّر عن العضوين بواحدٍ وتفرد الخبر ، حملًا على اللفظ تقول : عينى رأته ، وأُذنى سمعتْه ، وقدمى سعَتْ فيه . وإنَّما استعملوا الإفرادَ فى هذا تخفيفا ، وللعلم بما يريدون . فاللفظ على الإفراد والمعنى على التثنية . فلو قيل على هذا :

* وعَينىَ فى روضٍ من الحسن ترتَعُ *

كان جيّدًا .

والثالث : أن تثنِّىَ العضو وتفرد الخبر ، لأنَّ حكم العينين أو الأذنين أو القدمين حكمُ واحدةٍ ، لاشتراكهما فى الفعل ، فتقول : أُذُناى سَمعتْه ، وعيناى رأتْه ، وقدماى سَعَت فيه ، كما قال :

* وعيناىَ فى روضٍ من الحُسن تَرتعُ *

ومنه قوله سُلمىّ بن ربيعة السِّيدى [2] :

فكأنَّ فى العينين حب قرنفل أو سُنبلا كُحِلت بها فانهلَّتِ [3]

---

(١) كذا فى النسختين ، وهو الوجه . والذى فى أمالى ابن الشجرى ١ : ١٢١ : « فى هذا البيت » .

(٢) نسبة إلى بنى السيد بن ضبة ، كما فى شرح التبريزى للحماسة ٢ : ١١٩ . وفى ش : « السدى » تحريف .

(٣) كذا فى النسختين ، وإن كان الشنقيطى قد جعلها بقلمه « كحلت به » ، وهى رواية أبى تمام ، كما فى شرح التبريزى والمرزوقى ٥٤٧ .

ومنه قول امرئ القيس :

لمن زُحلوفةٌ زُلُّ   بها العينان تنهَلُّ

وللفرزدق :

ولو بخلت يداىَ بها وضنَّت   لكان علىَّ للقدَرِ الخيارُ

والرابع : أن تُعَبِّر [١] عن العضوين بواحد وتُثَنِّىَ الخبر [٢] ، حملًا على المعنى ، كقولك : أُذنى سَمِعَتاه ، وعينى رأَتاه . ومنه قول امرئ القيس ، وهذا قليل [٣] :

وعينٌ لها حَدْرةٌ بدْرةٌ   شُقَّت مآقيهما مِن أُخُرْ

وقول الآخر :

إذا ذكرتْ عينى الزَّمانَ الذى مضَى   بصحراءِ فَلْجٍ ظلتا تَكِفانَ

فأمَّا ما أنشده ابن السكيت من قول الراجز :

* والسَّاقُ منى باردات الرِّيْرِ [٤] *

فكان الوجه أن يقول باردةٌ حملًا على لفظ الساق ، أو باردتان ؛ لأنَّ المراد بالساق الساقان ، ولكنه جمع فى موضع التثنية . ويشبه ذلك قولك : ضربتُ رءُوسهما . ويمكن أن تكون الألف فى باردات إشباعًا ، كقول القائل :

---

(١) ط : « أن يعبر » ، وما أثبت من ش يطابق أمالى ابن الشجرى .

(٢) ط : « ويثنى الخبر » ، وأثبت ما فى ش وأمالى ابن الشجرى .

(٣) والبيت فى ديوان امرئ القيس ١٦٦ .

(٤) قبله فى اللسان (رير) :

أقول بالسبت فُوَيق الدير   إذا أنا مغلوب قليل الغير

وأَنتَ من الغوائل حينَ تُرمَى ومن ذمٍّ الرجال بمنتَزَاحِ [١]

أَراد : بمنتزح ، فأَشبع الفتحة فنشأَت عنها الأَلف . ويقال مخٌّ رارٌ وريرٌ ، للرَّقيق منه .

وقوله : (من الغضى [٢]) مفسِّر للجمر . وكذلك قوله : (من الحسن) مفسِّر للرَّوض ، فمن متعلقة بمحذوف وصفٌ للمفسَّر . وقال (حشايَ) والمراد ما جاور الحشا ، وهو القلب . والعرب تعبِّر عن الشيء بمجاوِرِه ، فالمعنى : قلبى على جمرٍ من الغضى ، شديدِ التَّوقُّدِ ، لفراقهم ، وعينى ترتع من وجه الحبيب فى روضٍ من الحسن . واستعار الرُّتوع للعين لتصويب النَّظر وتصعيدِه فى محاسن المنظور إليه . واستعارَ لحسنه روضًا تشبيهًا لعينيه بالنَّرجِس ، ولخدَّيه بالشَّقيق ، ولثغره بالأُقحُوَان .

ومعنى البيت ناظرٌ إلى قول أَبى تمَّام :

أَفى الحقّ أَن يمسى بقلبي مأْتمٌ من الشَّوق والبلوى ، وعيناىَ فى عُرْسِ

وأَنشِدْتُ للرضىّ : ٣٧٩

* فالقلب فى مأْتم والعين فى عُرُسٍ [٣] *

---

(١) لإبراهيم بن هرمة فى ديوانه ٨٧ وشرح شواهد الشافية ٢٥ .

(٢) الذى فى أمالى ابن الشجرى فى نص البيت وتفسيره : « من الهوى » ، ولكن البغدادى ذكر رواية « الغضى » هنا وفى متن البيت .

(٣) صدره فى ديوانه ١ : ٤٢٥ :

* تلذ عينى وقلبى منك فى ألم *

وقبله :

كم نظرة منك تشفى النفس عن عرض وترجع القلب منى جد منتكس

واستعمال المأتم لجماعةِ النساء فى المناحة خاصّة مما لم تُرده العرب ، ولكنَّه عندهم لجماعةٍ فى المناحة وغيرها . قال أبو حيَّة :

رمتْه أناةٌ من ربيعةِ عامرٍ   نَئُومُ الضُّحى فى مأتمٍ أىِّ مأتمِ

وقول امرئ القيس فيما ذكرته شاهدًا وصَف به عينَ فرس . ومعنى حَذْرة : مكتنزة ضخمة . وبَدْرة : تبدُر النَّظر . وشقت مآقيهما من أُخُر ، أى اتَّسعت مِن آخرهما .

والبيت من ثالث البحر المسمَّى بالمتقارب [1] ، عروضه سالمة وضربه محذوف ، ووزنه فَعُل ، وقد استعمل فيه الخرم الذى يسمى الثَّلم فى أوّل النصف الثانى ، وقلَّما يوجد الخرم إلَّا فى أوّل البيت .

وقوله : « لمن زحلوفة » الزحلوفة [2] : الزلَّاقة التى يتزلَّج فيها الصِّبيانُ فيزْلَقُون . ويروى : « زحلوقة » بالقاف . انتهى كلام ابن الشجرى .

وترجمة المتنبِّى قد تقدَّمت فى الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة [3] .

* * *

---

(١) كتب مصحح طبعة بولاق : « قوله عروضه سالمة ، فيه أن العروض محذوفة مثل الضرب » . وقد فات البغدادى أن ينبه هنا على هذا الخطأ الذى وقع فيه ابن الشجرى فى أماليه ١ : ١٢٣ .

(٢) كلمة « الزحلوفة » ساقطة من ش .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٤٧ - ٣٦٣ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٥٧٥ (كُلُوا فى بعضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا فإنَّ زَمانَكُمْ زمنٌ خَميصُ)

على أنَّ فيه قيام المفرد مقام الجمع ، وهو « بطونكم » ، لأنَّه يريد : بطن كلِّ واحدٍ منهم .

وظاهره أنَّه غير ضرورة . ونصَّ سيبويه على أنَّه ضرورة .

قال سيبويه (فى مسائل التمييز من باب الصفة المشبهة من أوائل الكتاب) :

قال بعضهم فى الشعر ما لا يستعمل فى الكلام [٢] . قال علقمة بن عَبَدَة :

به جِيَفُ الحسْرَى فأمَّا عِظامُها فبِيضٌ وأمَّا جلدُها فصليبُ [٣]

وقال :

لا تُنكروا القتلَ وقد سُبينا فى حَلقكمْ عظمٌ وقد شَجِينا [٤]

(١) فى كتابه ١ : ١٠٨ . وانظر معانى الفراء ١ : ٣٠٧ والمقتضب ٢ : ١٧٢ والمحتسب ٢ : ٨٧ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣١١ / ٢ : ٢٥ ، ٣٨ ، ٢٤٣ وابن يعيش ٥ : ٨ / ٦ : ٢١ ، ٢٢ والهمع ١ : ٢٥ .

(٢) فى كتاب سيبويه : « وليس بمستنكر فى كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع ، حتى قال بعضهم فى الشعر ما لا يستعمل فى الكلام » .

(٣) الرواية فى سيبويه والشنتمرى والمفضليات ٣٩٤ وديوان علقمة ١٣٢ : « بها جيف الحسرى » . وما قبله من الأبيات يجيز الروايتين ، فإن فيها : « فأوردتها ماء » ، وفيها : « بمشتبهات هولهنّ مهيب » .

(٤) الرجز للمسيب بن زيد مناة الغنوى ، كما فى الشنتمرى واللسان (شجا) . ونسب فى المحتسب ٢ : ٩٧ إلى طفيل . وفى ش : « لا تنكر » فى جميع المواضع ، وكذا فى أصول سيبويه ، وصوابه ما أثبت . وانظر حواشى سيبويه ١ : ٢٠٩ من نسختى .

إلى أن قال : وممَّا جاء فى الشعر على لفظ الواحد يراد به الجمع :

كلُوا فى بعض بطنكم تعِفُّوا .... البيت

وقوله : « به جيف الحَسْرى » إلخ ، هو جمع حَسِير ، وهى النَّاقة التى أُعيَتْ ، من الإعياء والكلال .

قال الأَعلم : وصف طريقًا بعيدًا شاقًّا على مَن سلكه . والصَّليب : اليابس ، وقيل هو الودَك . أى قد سال ما فيه من رطوبةٍ لإحماء الشَّمس عليه . يقول : أُكلت السباعُ ما عليها من اللَّحم فتعرَّت ، وبدا وضَحُ العظام .

وقوله : « لا تنكروا القتل » إلخ قال الأَعلم : وصف أنَّهم قَتلوا من قومٍ كانوا قد سَبوْا من قومه ، فيقول : لا تنكروا قتلنا لكم وقد سَبَيتم مِنَّا ، ففى حلوقكم عظمٌ بقتلنا إيَّاكم ، وقد شجِينا نحن ، أى غُصِصنا بسبْيكم لمن سبيْتم منَّا . والبيت للمسيَّب بن زيد مناة الغنَوىّ .

وقوله : (كلوا فى بعضٍ) إلخ قال الأَعلَم : وصف أنَّهم قُتلوا من شدَّة الزَّمان وكَلَبِه [١] ، فيقول : كلوا فى بعض بطونكم ولا تملئوها حتَّى تعتادوا ذلك تعفُّوا عن كثرة الأَكل وتَقنعوا باليسِير ، فإنَّ الزمان ذو مَخمَصة
٣٨٠ وجَذْب . والشاهد أنَّه وضع الجِلد موضع الجُلود ، والحلقَ موضع الحلوق ، والبطنَ موضع البطون ؛ لضرورة الشعر .

ونقل ابن السَّرَّاج كلامَ سيبويه فى باب التمييز ، وتبعهما ابن عصفور (فى كتاب ضرائر الشعر) .

---

(١) الذى فى الشنتمرى : « وصف شدة الزمان وكلبه » فقط .

وذهب الفراء (فى تفسيره) إلى أنّه جائزٌ فى الكلام غير مختصٍّ بالشّعر . وقد تقدَّم النقل عنه قبل هذا ببيتين . وقال أيضًا فى تفسير سورة النحل عند قوله تعالى : ﴿ يتفيَّؤُ ظِلالُه عن اليمين والشَّمائل [١] ﴾ ، قال : وحَّدَ اليمين وجمَع الشمائل ، وكلُّ ذلك جائزٌ فى العربيّة . قال الشاعر :

بِفِى الشّامِتِينَ الصّخرُ إنْ كان هدَّنى   رزيَّةُ شِبْلَىْ مُخْدِرٍ فى الضَّراغِمِ [٢]

ولم يقل بأفواه الشامتين . وقال الآخر [٣] :

* قد عضَّ أعناقَهم جِلدُ الجوامِيسِ [٤] *

ولم يقل جلود . وقال آخر [٥] :

فباسِتِ بنى عبسٍ وأستاهِ طيِّئٍ   وباستِ بنى دُودَانَ حاشا بنى نصرِ

فجمعَ ووحَّد . وقال آخر :

كُلوا فى نصفِ بطنِكُمُ تعيشُوا   فإنَّ زمانَكم زمنٌ خميصُ

وجاز التوحيد [٦] لأنَّ أكثر الكلام يواجَه به الواحد ، فيقال : خذْ عن يمينك وعن شِمالك ؛ لأن المكلِّم واحد والمتكلِّم كذلك ، فكأنَّه إذا وحَّد ذهب إلى واحدٍ من القوم . وإنْ جمع فهو الذى لا مسأَلة فيه . انتهى .

---

(١) الآية ٤٨ من سورة النحل .

(٢) البيت للفرزدق فى ديوانه ٧٦٤ يرثى ابنينْ له . وفى الديوان « إن كان مسنى » .

(٣) هو جرير . ديوانه ٣٢٥ .

(٤) صدره كما فى معانى الفراء ٢ : ١٠٢ ، وما سبق فى ٥٣٧ :

* الواردون وتيم فى ذرى سبأ *

(٥) فى معانى القرآن : « الآخر » ، والكلام بعده إلى « آخر » التالية ساقط من ش .

(٦) فى معانى القرآن : « فجاء التوحيد » .

وتبعه جماعة منهم ابن جنى (فى المحتسب ، قال فى سورة المؤمنين : قرأ ﴿ عَظْمًا ﴾ واحدًا ﴿ فكسَوْنا العِظَام ﴾ جمَاعةً : السُّلمىُّ ، وقتادة ، والأعرج ، والأعمش ، واختُلف عنهم . وقرأ : ﴿ عِظامًا ﴾ جماعةً ﴿ فكسونا العظم ﴾ واحدًا : مجاهدٌ . قال أبو الفتح : أمَّا من وحَّد فإنَّه ذهب إلى لفظ إفراد الإنسان والنُّطفة والعَلقة . ومَن جمع فإنَّه أراد أنَّ هذا أمرٌ عامٌّ فى جميع الناس (١) .

وقد شاع عنهم وقوعُ المفرد فى موضع الجماعة ، نحو قول الشاعر :

* كلوا فى نِصْفِ بطنكمُ تعِفُّوا *

وقال آخر (٢) :

* فى حَلْقكم عَظْمٌ وقد شَجِينا *

وهو كثير ، وقد ذكرناه . إلَّا أنَّ من قدَّم الإفراد ثم عقَّب بالجمع أشبَهُ لفظًا ، لأنَّه جاورَ بالواحد لفظ الواحد الذى هو إنسان ، وسُلالة ، ونطفة ، وعَلَقة ، ومُضغة ، ثم عقَّب بالجماعة ، لأنَّها هى الغَرَض . ومَنْ قدَّم الجماعةَ بادر إليها ، إذْ كانت هى المقصود ، ثم عاد فعامل اللفظَ المفردَ بمثله . والأوَّل أجرَى على قوانينهم . ألا تراك تقول : من قامَ وقعدُوا إخوتك ، فيحسُن لانصرافه عن اللفظ إلى المعنى . وإذا قلت : مَن قاموا وقعدَ إخوتك ، ضعُف ، لأنَّك قد انتحيت بالجمع على المعنى ، وانصرفت عن اللفظ . فمعاودة اللَّفظ

(١) انظر لتوضيح هذا المحتسب ٢ : ٨٧ .

(٢) هو طفيل ، أو المسيب بن زيد مناة . وانظر ما سبق فى حواشى ٥٥٩ .

بعد الانصراف عنه تراجعٌ ، وانتكاث [١] . فاعرفْه وابنِ عليه ، فإنَّه كثيرٌ جدًّا . انتهى .

ومنهم الزمخشرى (فى كشَّافه) قال عند قولِه تعالى : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قلوبِهِم وعلى سَمْعهم [٢] ﴾ : فإنه وحَّد السَّمعَ مع جمعِ القلوب ، كما وحَّد الشاعر البطْن مع جمع كُلوا . ومقتضى الظاهرِ أسماعهم وبطونكم ، لكنْ لمَّا كان المراد سمعَ كلٍّ واحد منهم وبطنَ كلِّ واحدٍ مع أمْنِ اللبس جاز ، فإنَّه من المعلوم أنَّ لكلِّ واحدٍ منهم سمعًا واحدًا وبطنا .

وقد أُورد البيت فى عدَّة مواضع (من الكشاف) ، وأُورده أيضًا (فى المفصَّل) فى باب التمييز ، ولم يقل شُرَّاحُه كابن يعيش : إنَّه ضرورة .

ومنهم صاحب اللباب قال : وقد يقع الواحد موقع الجمع نحو قوله ٣٨١
تعالى : ﴿ فإنْ طِبْن لكمْ عَنْ شيءٍ منهُ نَفْسًا [٣] ﴾ . ونظيره :

* كُلوا فى بَعْضِ بطنكمُ تعِفُّوا *

وقوله : (كُلوا فى بعضِ بطنكم) ، قال صاحب الكشَّاف : أُكل فى بعض بطنه ، إذا كان دون الشِّبَع ، وأُكل فى بطنه إذا امتلأَ وشبع . وأَراد بعض بطونكم . وقوله : (تعِفُّوا) مجزوم بحذف النون فى جواب الأَمر . قال ابن السيرافى : الخميص : الجائع . والخمص [٤] : الجُوع . أَراد بوصفه الزَّمن

---

(١) فى ش والمحتسب ٢ : ٨٨ : « والانتكاث : الانصراف عن الشيء » ، وفى اللسان : « وطلب فلان حاجة ثم انتكث لأخرى أى انصرف إليها . » وفى ط : « وانتكاب » بالباء ، ولا وجه له ، فإن الانتكاب إلقاء الكنانة أو القوس على المنكب .

(٢) الآية ٧ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٤ من سورة النساء .

(٤) الخمص ، بالفتح وبالتحريك أيضا .

بخميص أنَّه جائعٌ مَنْ فيه ، فالصِّفة للزمن والمعنى لأهله . يقول لهم : اقتصروا على بعض ما يُشبعكم ولا تملئوا بطونَكم من الطَّعام فينفَدَ طعامُكم ، فإذا نفِدَ احتجتم إلى أن تسألوا الناس أن يُطعموكم شيئًا . وإن قَدَرتم لأنفسكم جزءًا من الطَّعام عَفَفتم عن مسألة الناس . انتهى .

قال شارحُ اللُّباب ، وبعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) تعفُّوا : من العِفَّة . ويروى : « تعيشوا » . كانوا يتلصَّصُون ويتغاورون ، لأنَّهم فى زمن قحط ، فقال لهم ذلك . والمعنى : كلوا قليلًا تكونوا أعفَّاء لا يصدُر منكم فعلُ قبيح كالإغارة والتلصُّص . أو تعيشوا ، ولا تموتوا ، فإنَّ زمانكم زمنُ قحط أهلهُ جائعون . انتهى .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعلم قائلها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الخمسمائة [١] :

٥٧٦ (لنا إبلانِ فيهما ما عَلمتُمُ)

على أنَّه يجوز تثنية اسم الجمع على تأويل : فرقتين ، وجماعتين .

قال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : القياس يأبى تثنية الجمع . وذلك أنَّ الغرضَ من الجمع الدلالةُ على الكثرة ، والتثنية تدلُّ على القلة ، فهما معنيان متدافعان ، ولا يجوز اجتماعها فى كلمةٍ واحد . وقد جاء شىء من ذلك عنهم على تأويل الإفراد ، قالوا : إبلانِ ، وغَنَمانِ ، وجمالان . وحكى سيبويه :

---

(١) انظر الأصمعيات ١٦٧ .

لقاحان سوداوان ، وإنَّما لقاحِ جمع لِقْحة . هذا كلامه .

أقول : المراد من تثنية الجمع تضعيفه بجعله مثلَين من نوعين ، فلا تدافع بين التثنية والجمع ، إلَّا إذا توجَّها إلى مفرد . وقد تقدم ما يتعلَّق به فى الشاهد الثلاثين [1] .

وأنشده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ فالتَقَى الماءان [2] ﴾ من سورة القمر فى قراءة التثنية [3] ، على أنَّ المراد نوعان : ماء السماء وماء الأرض ، كما يقال : تمران وإبلان .

وهذا المصراع وقعَ فى شعرين : أحدهما ما أنشده أبو زيد (فى نوادره [4]) ، وهو المشهور فى كتب النحو والتفسير ، وتمامُه :

* فعن أيَّة ما شئتُمُ فتنَكَّبُوا [5] *

وهو بيت مفرد لم يذكر غيره ولا قائله .

ونسبه الصَّاغانى (فى العباب) لشُعبه بن قُمير — وهو شاعر شعبة بن قمير

(١) الخزانة ١ : ٢٠٥ .

(٢) الآية ١٢ من سورة القمر .

(٣) قراءة « الماءان » لم ينسبها الزمخشرى ، وقد نسبها أبو حيان ٨ : ١٧٧ إلى على ، والحسن ، ومحمد بن كعب ، والجحدرى . وقرئ بالتثنية مع الواو « الماوان » وهى قراءة ثانية للحسن كما فى الكشاف وتفسير أبى حيان ، وعن الحسن أيضا : « المايان » بالياء ، كما فى تفسير أبى حيان .

(٤) نوادر أبى زيد ١٤٣ . وإيراده فيها يوهم أو يرجح أنه لشعبة بن قمير ، لأن أبا زيد أورده بعد أبيات لشعبة بن قمير ، مماثلة فى الوزن والروى .

(٥) أشير فى النوادر وشرحها إلى رواية : « فعن أيه » بإضافة أى الى الهاء .

مخضرم ، أُسلم فى زمن النبى ﷺ ولم يره . ذكَره ابنُ حجر (فى الإصابة ، فى قسم المخضرمين) ، وقال : الإبل لا واحد لها من لفظها ، وهى مؤنَّثة ، لأَنَّ أَسماء الجموع التى لا واحدَ لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأْنيث لها لازم ، والجمع آبال . وإذا صغَّرتها أَدخلتها الهاء فقلت أُبَيْلة ، كما تقول غنيمة . وإذا قالوا (١) : إبلان فإنَّما يريدون قطعتين من الإبل . انتهى .

ومثله ما أَنشده أَبو تمام (فى الحماسة) من شعرٍ للمُساوِر بن هند ، وهو :

إذا جارةٌ شُلَّت لسعدِ بن مالك لها إبلٌ شُلَّت لها إبلانِ (٢)

أَراد : إذا جارةٌ لسعد بن مالك شُلَّت إبلٌ لها شُلَّ من أَجلها قطِيعانِ ٣٨٢
من الإبل . والشَّلّ : الطَّرد .

قال ابن المستوفى : قالوا فى نحوه : إبلانِ وغَنَمانِ ولقاحانِ . ونحوهُ أَنَّهم أَرادوا به قطعتين : قطعة فى جهة ، وقطعة فى أُخرى ، أَو قطعتين من الإبل والغنم ، أَو إبلا موصوفة بصفة غير الإبل الأُخرى لتفيد التثنيةُ معنًى ما . وقوله : (عن أَيَّةٍ) بالتنوين ، والأَصل عن أَيَّتهما ، فلما حُذف المضاف إليه عوِّض عنه التنوين . والمشهور فى الكتب « فعَنْ أَيِّها » بتأْنيث الضمير ، على أَنَّه راجع إلى فِرْقة وقِطْعة . وروى : « وعن أَيْهما » بضمير التثنية مع تخفيف

(١) ط : « أرادوا » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى الحماسة ١٦٦٣ بشرح المرزوق : « شلت بها » أى بسببها ولمكانها .

أىّ . وهذه الرواية واضحة . قال صاحب العباب : وانتكب الرجل كنانته أو قوسه ، إذا ألقاها على منكبيه ؛ وكذلك تنكبها . وتنكَّبهُ : تجنَّبه . انتهى .

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : الإبلان : جماعتان من الإبل . ولفظ الإبل فى عُرفهم عبارةٌ عن مائة بعير ، وإن جاز استعمالُه فى أكثر منه . وقوله : (فيهما ما علمتم) قال صاحب الكتاب ، يعنى الزَّمخشرى : أى ما علمتم من قِرى الأضياف وتحمُّل الغرامات والدِّيات . والتنكُّب : التجنُّب . وتنكَّبَ القوسَ : ألقاها على مَنكِبهِ . ولا يدرى مم أخذ ما فى البيت (١) . نقله كلَّه (٢) عن المقتبس .

قلت : أخذه من الثانى ، وضمَّنه معنى الأخذ . والمعنى : لنا قطيعان من الإبل فيهما ما علمتم من قِرى الأضياف وتحمُّل الغرامات ، فخذوا عن أيِّهما ما شئتم وأردتم ، فإنَّها مباحةٌ غير ممنوعة . ولا يبعد أن يريد : فتجنبوا عن أيِّهما ما دام لكم مشيئة أى أبدًا . فتجنَّبوا فإنَّها محفوظة بنا . وفى هذا الوجه يكون البيت مشتملًا على السَّماحة والحماسة والقصدِ إلى وصف أربابها بالعزَّة والقوة ، وأنَّ أحدًا لا يقدر على التعرُّض لإبلهم . هذا كلامُه .

وقال خَضِرْ الموصلى (فى شرح شواهد التفسيرين) : تنكَّبوا : اجعلوه فى مَنكِبِكم . وعن للمجاوزة ، لأنَّ القطعة المُتنكِّبة (٣) قد انفصلت عن الباق ، مِن تنكَّب القوسَ : ألقاها على مَنكبه ، أو من نكَّب عن الطريق :

(١) أى من أى المعنيين . ش : « مم أخذها فى البيت » .

(٢) ط : « نقل كله » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) ط : « المنتكبة » ، بتقديم النون ، والوجه ما أثبت من ش .

عدل عنه ، أى اعدِلوا عن أيِّها شئتم . وما زائدة ، على معنى أنَّ فى كل طائفة منها ما يدلُّ على أنَّها للأجواد ، فانصرفوا عن أيِّها شئتم ، خائبين عاجزين عن مجاراتنا (١) . انتهى .

والظاهر أنَّ المعنى هو هذا الأخير . ويمنع المعنى الأوّل شيئانِ : أحدهما : لفظىٌّ وهو تعديةُ تنكَّب بعن ، فإنَّ المعنى على الانصراف والمجاوزة عنهما . والثانى : معنوىّ (٢) وهو أنَّ الإبل لا يمكن حملُها على المَنكِب عادةً . والله أعلم .

ثم رأيت (فى شرح أبيات إيضاح الفارسى ، لابن بَرّىّ) المصراعَ الثانىَ : « فَعْن أيِّها » ، بإفراد الضمير وتأنيثه . وقال : قبله :

(غداةَ دعا الداعى فكان صريخُه … نجيحًا إذا كرَّ الدُّعاءَ المثوِّب
بكلِّ وآةٍ ذاتِ جِدٍّ وباطلٍ … وطِرْفٍ عليه فارسٌ متلبِّبُ
وجمعِ كرامٍ لم تَمَزَّرْ سَراتُهم … حُسَى الذُّلِّ لا دُردٌ ولا متأَشِّبُ (٣)

الصريخ : الإجابة ، وهو فى معنى مُصْرِخ الذى هو مصدر ،
كالإصراخ . يقال أصرخته ، إذا أغثْتَه . ونجيحا : مُنْجِحا . والمثوِّب : المنادِى .
والوآة ، بفتح الواو وهمزة ممدودة فهاء : الفرسُ السريعة المقتدرة الخلق ، كأنَّها ٣٨٣
تضمن لَحاق المطلوب وتعدِّيه لسرعتها وقوّتها . والطِّرف : الحِصان الكريم .

---

(١) ط : « مجازاتنا » بالزاى ، صوابه بالراء كما فى ش .

(٢) ش : « والمثانى معنى » .

(٣) لم تمزر ، من التمزر ، وهو الشرب قليلا قليلا . ومثله التمزز . وفى نوادر أبى زيد ١٤٣ : « والتمزر وهو الشىء الذى تجزأ به » . وفى النسختين : « لم يزر » ، وصوابه من النوادر . والحسى : جمع حسوة ، بالضم ، وهى الشىء القليل من الشراب ، أو ما كان ملء الفم . وفى النسختين : « حشى » بالشين ، صوابه من النوادر . والدرد : جمع أدرد ، وهو الذى لا أسنان له . والمتأشب : المختلط

والمتلبِّب : المتحزِّم المشمِّر . وقوله : « فعَن أيِّها » أعاد الضَّمير على مجموع الإبلين لأنَّها جماعة . وأراد بقوله « ما علمتم » المنيَّة ، ويجوز أن تكون الهاء تنبيهًا ، والتقدير : فعَنْ أيِّها شئتم فتنكَّبوا . وعدَّى تنكَّبوا بعن ، لأنَّه بمعنى اعدلوا ، ومعناه التحذير والإرشاد ، أى تنكبوا ما شئتم من ذلك فهو خيرٌ لكم . انتهى كلامه .

وقال شارحٌ آخر لأبياتِ الإيضاح (١) : الهاء من أيِّها راجعة إلى الأصناف الثلاثة التى ذكرها قبل ، وهى راكبُ كلِّ وآة ، وراكبُ كل طِرف ، والجمعُ الكرامُ . ومراده الإيعادُ والتَّهديد ، لا صريح الاستفهام ، كأنَّه قال : فعن أيِّها ما شئتم فتنكَّبوا هذه الإبل إن استطعتم ، أى إنَّكم لا تقدرون على ذلك . هذا كلامه .

والشعر الثانى هو شعر عَوف بن عطيَّةَ [بن (٢)] الخرِع التَّيمى .

والمصراع أوَّل قصيدةٍ عدَّتُها سبعةَ عشرَ بيتا . وهذه أربعة أبياتٍ من أوَّلها :

(هما إبلانِ فيهما ما علمتُمُ … فأدُّوهما إن شئتمُ أنْ نُسالِما
وإن شئتمُ ألْقحتمُ ونَتَجتمُ … وإن شئتمُ عينًا بعينٍ كما هما
وإن كان عقلًا فاعقلوا لأخيكُما … بناتِ المَخَاضِ والبكارَ المَقَاحما
جزَيتُ بنى الأعشى مكانَ لَبونهم … كرامَ المَخَاضِ واللِّقاحَ الرَّوائما)

قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى (فى شرح ديوانه) : أقبلَ أهلُ بيتٍ من ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وهم بنو الأعشى ، حتَّى نزلوا وسطَ الرِّباب ، فأغار عليهم بنو عَبدِ مَناة بن بكر بن سعد بن ضَبَّة ،

(١) ط : « وقال شارح آخر أبيات الايضاح » ، صوابه فى ش .
(٢) التكملة من ش .

فأَخذوا إبلهم ، فقال بنو الأَعشى : انظُروا رجلًا من الرِّباب له مَنعةٌ وعزٌّ فادَّعُوا عليه جوارَكم لعلَّه يمنعُكم ، وتُلبِسُوا بين القوم شرًّا ! فأَتوا عوف بن عطِّية بن الخرع فقالوا : يا عوف ، أَنت والله جارُنا ، وقد أَخبرْنا قومَنا أنَّا نريدك . فانطلق عوفٌ إلى عبد مناة فقال : أَدُّوا إلى هؤلاء إبلَهم . فأَخذوا يضحكون به ، وقالوا : إن شئتَ جمعْنا لك إبلًا ، وإن شئت عَقَلنا لك . قال : أَمَا عندكم غيرُ هذا ؟ قالوا : لا . فانصرفَ عنهم فقال لبنى الأَعشى : اتبعوا مصادِرَ النَّعم . حتَّى إذا أَوردوا قال : يا بنى الأَعشى لا تقصِّروا ، خذوا مثلَ إبلكم . فأَخذوا ثمَّ انطلقوا حتَّى نزلوا معه على أَهله ، فجاءه بنو عبدِ مناة فقالوا : يا عوفُ ، ما حملك على ما صنعت ؟ قال : الذى صَنَعتم حملنى . فأَخذ يلعبُ بهم وقال : إنْ شئتم جمعنا لكم ، وإن شئتم عقَلنا لكم . فقال عوف فى ذلك هذه القصيدة

وقوله [١] : (هما إبلان) إلخ أى إبل بنى الأَعشى وإبلُكم . وأَدَّى الأَمانة إلى أَهلها ، إذا أَوصلَها . والاسم الأَدَاءُ [٢] والتأْدية .

وقوله : « وإن شئتم أَلقحتم » إلخ قال السكَّرى : يقول : إن شئتم فردُّوها ، أَو تلقحونها وتُنتِجونها وتردُّونها بأَولادها . و « عين بعين » أَى ردُّوها بأَعيانها حتَّى نردَّها بأَعيانها . ويقال قد نَتجت الفرسَ والناقةَ فهى منتوجة . وفرس نتوجٌ : فى بطنها ولد . انتهى

ويقال أَلقح الفحلُ الناقةَ إلقاحًا : أَحبلها . والنِّتاج : اسمٌ يشمل

---

(١) بدله فى ش : « وما » !

(٢) ط : « الأدى » ش : « الادا » ، والوجه ما أثبت كما فى المعاجم .

وضعَ البهائم من الغنم وغيرها . وإذا وَلِىَ الإنسان ناقةً أو شاة ماخضًا حتّى تضع قِيلَ : نتجها نتجًا ، من باب ضرب . فالإنسان كالقابلة ، لأنه يتلقّى الولدَ ويُصلح من شأنه ، فهو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد نتيجة . ٣٨٤

وقوله : « وإن كان عقلًا فاعقِلوا » إلخ يقال عَقَلت عنه : غرمت عنه مالزمه من ديَة وَجناية . وابن مخَاض : ولد النَّاقة يأْخذ فى السنة الثانية ، والأُنثى بنتُ مخاض ، والجمع فيهما بنات مَخَاض . والبكار : جمع بَكرة ، ككلاب جمع كلبة . والبَكرة : الصَّغيرة الشابَّة من النُّوق ، والذكر بَكْر . والمَقَاحم : جمع مُقْحَم بضم الميم وفتح الحاء : البعير الذى يُرْبِع ويُثْنى فى سنةٍ واحدة ، فيُقحَم (١) سنًّا على سنّ . قال الأَصمعى : وذلك لا يكون إلَّا لابن الهرِمَين . قال السكرى : يقول : إن صار الأمر إلى عقلِ أَخيكم الذى أُخِذت إبله فاعقِلوا بناتِ المخاض والبكارَ المقاحم ، أى اجمعوا له الرُّذالَةَ فأَدُّوها إليه . وهذا هزءٌ بهم (٢)

وقوله : « جَزيتُ بنى الأَعشى » إلخ يريد أَنَّه عوَّضهم إبلًا خيرا من إبلهم . قال السكرى : والمَخَاض : الحوامل ، واحدتها خَلِفة . واللِّقاح : ذوات الأَلبان ، واحدتها لِقْحة بكسر فسكون . ويقال أَيضًا لَقُوح ، والجمع لُقُح بضمتين . والرَّوائم : جمع رائم ، وهى التى أَحبَّت ولدها وعَطفت عليه . يقال قد رئمتْه أُمُّه رِئْمانًا . ورأْمها : ما عُطفت عليه من ولد غيرها أَو بَوٌّ . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « فتقحم » ، ووجهه ما أثبت .

(٢) رسمت فى ش : « هزؤ بهم » .

وعوف بن عطيّة بن الخرع تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والسبعين بعد الأربعمائة [١] .

تتمَّة

من أمثلة تثنية اسم الجمع : قومان . قال الفرزدق :

وكلُّ رفيقَىْ كلِّ رحلٍ وإن هما تَعاطَى القنا قومَاهُما أَخوَانِ

واستشهد به ابن عصفور (فى شرح الجمل الكبير) على تثنية قوم . وكذا ابن مالك (فى شرح التسهيل) . فقوماهما فاعل تعاطَى ، وحذف نون التثنية للإضافة إلى هما .

وفيه شاهدٌ أيضًا على تثنية المضاف إلى اثنين المرجوحة ، فيكون من قبيل :

* ظهراهُما مثلُ ظهورِ التُّرسيْن [٢] *

ومعنى البيت أنَّ كل رفيقين فى السَّفر أخوانِ وإن تعادى قوماهما وتعاطَوُا المطاعنة بالقنا . ورحْلُ الشخص : مأواه فى الحضَر ، ثم أُطلق على أمتعة المسافر ، لأنَّها هناك مأواه .

وهذا البيت مع وضوح معناه قد حرَّفه أبو علىّ الفارسى (فى المسائل البغداديات) بتنوين قوم ، وزعم أنَّه مفرد منصوب ، فاختلَّ عليه معنى البيت وإعرابه ، فاحتاج إلى أن صَحَّحه بتعسُّفات وتمحُّلات كان غنيًا عنها ،

---

(١) ش : « الواحد » بدل « الحادى » . وانظر الخزانة ٦ : ٣٧٠ .

(٢) انظر ما سبق فى ٥٤٤ .

ومقامُه أعلى وأجلُّ من أن يُنسب إليه مثل هذا التحريف ، ولكن هو كما قيل :

* كفى المرءَ نبلًا أن تُعدَّ معايبُه (١) *

وقد تبعه على هذا التحريف والتخريج ابنُ هشام (فى مغنى اللبيب) ولخَّص كلامه من غير أن يعزوَه إليه . وأنقلُ لك كلامَهما حتَّى لا تقضىَ العجبَ منهما .

قال أبو علىّ (فى البغداديات) : ينشد بيت الفرزدق وهو :

وكل رفيقَىْ كلِّ رحل .... البيت

وفيه غير شىء من العربيَّة . فمنه : قال تعاطى وقد تقدَّمه اثنان ولم يقل تعاطيا . فإنْ قلت : إنه حذف لام الفعل من تعاطى لالتقاء الساكنين ولم يردَّه إلى أصله للضَّرورة فيقول تعاطيا ، فهو قولٌ . وهذه الضرورة عكسُ ما فى قول امرىء القيس :

* لها متنتانِ خظاتا (٢) *

لأنَّ هذا البيت اللام فى موضعٍ وجب حذفُها ، مثل رَمَتَا ، لأنَّ الحركة للتاء فى رَمَتا غير لازمة ، والفرزدق حذفَه فى موضع وجب إثباته ، لأنَّك تقول

(١) البيت ليزيد بن محمد المهلبى ، كما فى زهر الآداب ٥٥ ونهاية الأرب ٣ : ٩٤ والتمثيل والمحاضرة للثعالبى ٩٣ . وورد فى جمهرة الأمثال للعسكرى ٢ : ٢٨٣ والتنبيه على أمالى القالى ص ١٥ بدون نسبة . وصدره :

* ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها *

(٢) لامرىء القيس فى ديوانه ١٦٤ . وقد سبق فى ص ٥٠٠ . والبيت بتمامه :

لها متنتان خظاتا كما أكب على ساعديه النمر

تعاطيا وتراميا . وإن قلت تعاطى تفاعلَ ، والألف لام الفعل ليست بضميره ، وفى الفعل ضميرُ واحدٍ وإن كان فى اللفظ مثنًّى ، فهو فى المعنى كناية عن
٣٨٥ كثرة ، وليس المراد بالتثنية هنا اثنين فيحمل الكلام عليها ، ولكنَّه فى المعنى يرجع إلى كل ، فحملت الضمير على كلّ ، فهو قول [1] . ويقوِّى هذا : ﴿ وإنْ طائفَتانِ من المؤمنين اقتتَلُوا [2] ﴾ . ألا ترى أنَّ الطائفتين لمَّا كانتا فى المعنى جمعًا لم يرجع الضمير إليهما مثنًّى لكنه جمع على المعنى . وكذلك تعاطى ، أفرد على المعنى إذْ كان لكلّ ، ثم حَمل بعدُ الكلامَ على المعنى فقال : هما أخوان . فالقول فى هما أنَّه مبتدأ فى موضع خبر الابتداء الأول وهو كلّ ، وثنَّاه وإن كان فى المعنى جمعًا للدلالة المتقدّمة أنَّ المراد بهذه التثنية الجمع . ألا ترى أنَّ قوله كلُّ رفيقَىْ كلِّ رحل ، جمع ؟! ونظيره قوله ﴿ بَيْنَهُمَا ﴾ بعدَ : ﴿ وإن طائفتانِ من المُؤمِنين اقتَتَلُوا ﴾ .

فإن قال قائل : إنَّ هُما يرجع إلى رفيقين على قياس قولهم فى قوله تعالى : ﴿ والذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكم وَيَذَرُونَ أزواجًا يتربَّصْنَ [3] ﴾ فهو عندنا مخطئٌ ، لأنَّ الاسم الأوّل يبقى متعلِّقًا بغير شيء . وهذا القول ينتقض فى قول من يقول به ، لأنَّه عندهم يرتفع بالثانى ، أو بالرَّاجع إليه ، فإذا لم يكن له ثانٍ كان إيَّاه فى المعنى ولم يعد إليه شيء ، وجب أن لا يجوز ارتفاعه به عندهم . والجملة التى هى هما أخوان رفعٌ خبر لكل . ولا أستحسن أن يكون هما فصلاً

---

(١) فهو قول ، ساقط من ش .

(٢) الآية ٩ من الحجرات .

(٣) الآية ٢٣٤ من البقرة .

لو كان المبتدأ والخبر معرفتين ، لأنّى وجدت علامة ضمير الاثنين يُعنَى به الجمع فى البيتِ والآيةِ ، وفى قول الآخر [١] :

إنَّ المنيَّة والحُتوفَ كلاهما   يُوفى المَخارمَ يرقُبان سَوادِى

وقوله : ﴿ أَنَّ السَّمواتِ والأَرضَ كانتا رَتْقًا ففتقناهُما [٢] ﴾ ، ونحو هذا . ولم أَجد الاثنين المظهرين يُعنَى بهما الجمع والكثرة . فإنْ كان كذلك جعلت هما مبتدأ وجعلت أُخوان خبره ، وحملته على لفظِ هما دون معناه . ولو جعلت هما فصلًا وكان الاسمان معرفتين وما قرب منهما ، وجعلت أُخوان خبر كلّ لم يمتنع ، لأَنَّ الاثنين المظهَرين قد عنى بهما الكثرة أَيضًا . أَلا ترى أَنَّ فى نفس هذا البيت : وكلّ رفيقَىْ كلِّ رحل ، وليس الرفيقان باثنين فقط ، وإنَّما يراد بهما الكثرة . فكذلك يراد بأَخَوَانِ الكثرة . إلا أَنَّ قوله : « وكل رفيقَىْ » فى الحمل على الجمع أَحسن من حَمل أَخَوان على الجمع ، لأَنَّ المعنى فى قوله : وكلُّ رفيقى كلِّ رحل : كلُّ الرفقاء ، إذا كانوا رفيقين رفيقين فهما أَخَوانِ وإنْ تعاطى كُلُّ واحد مغالبة الآخر ، لاجتماعهما فى السَّفرة والصُّحبة . فالقول الأَوَّل فى هذا هو الوجه . ومثل هذا قولهم : هذان خير اثنين فى الناس ، وهذان أَفضل اثنين فى العلماء . فيدلُّك على أَنَّ الاثنين فى قولنا : هذان خير اثنين فى الناس ، والرفيقين فى هذا البيت ، ما يذهب إليه سيبويه ، من أَنَّ المعنى : إذا كان الناس اثنين اثنين فهذا أَفضلهم ، وإضافة رفيقين فى هذا البيت إلى كلِّ رحل ، لو كان المراد بهما اثنين فقط لكانت هذه

(١) هو الأسود بن يعفر النهشلى . المفضليات ٢١٦ .

(٢) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

الإضافة مستحيلة ، لأَنَّ رفيقين اثنين لا يكونان لكلِّ رحل . ففى هذا البيت دليلٌ على أَنَّ رفيقين يراد بهما الكثرة . وفيه أَنَّه حمل هما على معنى كلّ ، وفيه الوجهان اللذان حمَّلناهما تعاطى .

فأَمّا قوله قومًا فيحتمل ثلاثة أَوجه : أَحدها : أَن يكون بدلا من القنا ، لأَنَّ قومهما من سببهما وما يتعلَّق بهما . ويحتمل أَن يكون مفعولًا له ، وكأَنه
٣٨٦ قال : وإن هما تعاطيَا القنا للمقاومة ، أَى لمقاومة كلٍّ واحد منهما صاحبَه ومغالبتِه . ويحتمل أَن يكون مصدرًا من باب ﴿ صُنْعَ اللهِ (١) ﴾ و ﴿ وعْدَ اللهِ (٢) ﴾ لأَنَّ تعاطىَ القنا يدلُّ على مقاومة . فتحمل قوما على هذا كما حملت ﴿ وعد الله ﴾ على ما تقدَّم فى الكلام ، مما فيه وعْدٌ . هذا آخر كلامه .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : هذا البيت من المشكلات لفظًا ، وإعرابًا ، ومعنًى . فلنشرحه .

قوله : كلّ رحل ، كلّ هذه زائدة ، وعكسُه حذفها فى : ﴿ على كلِّ قلبِ متكبّر (٣) ﴾ فيمن أَضاف . وتعاطى أَصله تعاطيا ، فحذفت لامُه للضَّرورة . وعكسه إثبات اللام للضرورة فيمن قال :

* لها مَتْنتَانِ خظاتا *

إذا قيل إنَّ خظاتا فعل وفاعل ، أَو أَلف تعاطى لامُ الفعل ووحَّد الضمير لأَنَّ الرفيقين ليسا باثنين معيَّنين ، بل هما كثير ، كقوله تعالى :

---

(١) من الآية ٨٨ فى سورة النمل .

(٢) من الآية ١٢٢ فى سورة النساء ، وآيات أخرى .

(٣) من الآية ٣٥ من سورة غافر .

﴿ وإنْ طائفتان مِنَ المُؤْمنينَ اقتَتَلُوا [١] ﴾ ، ثم حمل على اللفظ إذ قال : هما أَخَوَان ، كما قِيلَ : ﴿ فأَصلِحُوا بينهما [٢] ﴾ . وجملة هما أَخوان خبر كلّ . وقوله: قومًا إمّا بدل من القنا لأَنَّ قومهما من سببهما إذ معناه تقاوُمُهما ، فحذفت الزوائد فهو بدل اشتمال . وإمّا مفعول لأَجله ، أى تعاطيا القنا لمقاومةِ كلٍّ منهما للآخر ، أَو مفعول مطلق من باب ﴿ صُنْعَ الله ﴾ لأَنَّ تعاطىَ القنا يدلُّ على تقاوُمهما . ومعنى البيت : أَنَّ كلَّ الرُّفقاء فى السَّفر ، إذا استُقْرُوا رفيقينِ رفيقينِ فهما كالأخوين ، لاجتماعهما فى السَّفر والصُّحبة ، وإن تعاطى كلٌّ منهما مغالبةَ الآخر . انتهى كلامه .

وهذا كلُّه كما ترى فاسدٌ لفساد أَساسِه . وقد تنبَّهَ له الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) إلَّا أَنَّه لم يقف على كلام أَبى على ، وقال : أَطال المصنف ، يعنى ابن هشام ، فى تقرير ما يزيل الإشكال الذى ادَّعاه ، وكله مَبنيٌّ على حرف واحد ، وهو ثبوت تنوين قومًا من جهة الرواية ، ولعلها ليست كذلك . وإنَّما هى « قوماهُما » تثنية قوم ، والمثنَّى مضافٌ إلى ضمير الرفيقين . ولا إشكالَ حينئذٍ لا لفظًا ، ولا إعرابًا ، ولا معنى . وقد رأَيت فى نسخة (من ديوان الفرزدق) هذا البيتَ مضبوطَ الميم من « قوماهما » بفتحة واحدة ، وملكت هذه النسخةَ فى جِلدين . وضَبط هذا البيتِ هو الذى كان باعثًا على شرائها . ولله الحمد والمنّة . انتهى .

(١) من الآية ٩ فى سورة الحجرات .

(٢) من الآية السابقة .

وقد نقل العينيُّ [١] كلام ابن هشام بعينه (فى شرح شواهد الألفيّة) من غير عَزوٍ إليه .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للفرزدق خاطب فيها ذئبًا أتاه وهو نازلٌ فى بعض أسفاره ، وكان قد أوقدَ نارا ، ثم رمى إليه من زاده . وقال له : تعشَّ ، وينبغى أن لا يخون أحدٌ منّا صاحبَه حتى نكونَ مثل الصَّاحبين .

وقال أبو عبيدة (فى كتاب الضِّيفان [٢]) : ضاف الفرزدقَ ذئبٌ [٣] ، ومعه مسلوخ ، فألقى إليه رُبع الشاة ، وأراد أصحابه طردَه فنهاهم ، ثم ألقى إليه الرُّبع الآخَر فشبع ، فقال الفرزدق هذه القصيدة ، وهذه أبياتٌ منها [٤] :

أبيات الشاهد (وأطلسَ عسّالٍ وما كان صاحبًا دعوتُ لنارى مَوهنًا فأتانى [٥]
فلمَّا أتانى قلتُ دونك إننى وإيَّاك فى زادى لَمُشْتركانِ
فبتُّ أقدُّ الزَّادَ بينى وبينه على ضوءِ نارٍ مرّةً ودُخانِ
فقلت له لما تكشَّر ضاحكًا وقائمُ سيفى فى يدِى بمكانِ [٦]
تَعشَّ فإنْ عاهدتَنى لا تخونُنى نكنْ مثلَ من ياذئبُ يصطحبانِ [٧]
٣٨٧ وأنت امرؤٌ يا ذئبُ والغدرُ كنتما أُخَيَّينِ كانا أُرضِعا بِلِبانِ

(١) العينى : ٤٦٣ عرضا .
(٢) هذا النص نقله أيضا فى العينى ١ : ٤٦١ .
(٣) يقال ضافه وتضيفه : نزل به وصار له ضيفا .
(٤) ديوان الفرزدق ٩٧٠ والعينى ١ : ٤٦٢ .
(٥) فى الديوان : « دعوت بنارى » .
(٦) الديوان : « من يدى » .
(٧) فى الديوان : « فان واثقتنى لا تخوننى » .

ولو غَيرَنا نبّهتَ تلتمس القِرى رماك بسهمٍ أو شَباةِ سِنَانِ [1]
وكلُّ رفيقَىْ كلِّ رحلٍ وإن هما تعاطَى القنا قوماهُما أخوانِ)

والأطلس : الأغبر من الذئاب . والواو واو ربّ . وعسّال : صفة مبالغة من العَسَلان ، وهو مَشْى الذئب باضطرابٍ وسرعة . والمَوْهن ، بفتح الميم وكسرِ الهاء : ساعة تمضى من اللّيل . وأَقُدُّ : أَقطع طولا . والتكشُّر : ظهور الأسنان عند الضحك . وتعشَّ : أمر من تعشّى . والبيت شاهد لإطلاق مَنْ على اثنين ، لقوله يصطحبان . وأُخيَّين : مصغَّر أُخوين . واللِّبان بالكسر : لبن الآدمىّ . وشَباة كلِّ شىء : حدُّه ، وهو بفتح الشين المعجمة والموحدة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الخمسمائة [2] :

٥٧٧ (لأَصبَحَ الحىُّ أَوبادًا ولم يَجِدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فى الهَيْجَا جِمَالَيْنِ)

على أنّه يجوز تثنية الجمع المكسَّر ، فإنّ جِمالين مثنى جِمال ، أى قطيعين من الجمال .

وأورده صاحبُ الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ربُّ السَّمواتِ والأرض وما بينهما [3] ﴾ على تثنية الضمير مع أنَّ المرجع السموات والأرض ، بإرادة ما بين الجنسين .

---

(١) فى الديوان : « أتاك بسهم » .

(٢) مجالس ثعلب ١٧١ والأغانى ١٨ : ٤٩ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ والمقرب ٨٠ والهمع ١ : ٤٢ .

(٣) الآية ٦٥ من سورة مريم و ٢٤ من الشعراء و ٥ من الصافات و ٦٦ من ص و ٧ من الدخان و ٣٧ من النبأ .

وقال (فى المفصل) : وقد يُثَنَّى الجمع على تأْويل الجماعتين والفريقين . أَنشد أَبو زيد :

* لنا إبلانِ فيهما ما علمتم (١) *

وفى الحديث : « مثَل المنافق كالشاة العائرة بين الغَنَمين (٢) » . وأَنشد أَبو عبيدٍ :

لَأَصبحَ الحىُّ أَوبادًا ولم يجدوا .... البيت

وقالوا : لِقاحانِ سَوداوانِ . وقال أَبو النَّجم :

* بين رماحَىْ مالكٍ ونهشَلِ (٢) * انتهى

والحديث رواه نافعٌ عن ابن عمر ، والمروىّ فيه : « مثل المنافقِ مَثَلُ الشاةِ العائرة بين غنمين ، تَعِير إلى هذه مرّةً وإلى هذه مرة ، لا يُدرَى أَيَّهما تتَّبع » . والعائرة بالعين المهملة : المتردِّدة ، مِنْ عار الفرَس ، إذا ذهبَ هُنا وهنا . شبَّه المنافقَ فى تردُّده وعدم ثباتِه على جانبٍ بالشاة المتردِّدة بين قطيعين من الغنم ، لا تستقرُّ فى قطيع . ويقال : سهم عائر وحجر عائر ، إذا لم يُعلم من أَين هو ، ولا مَنْ رماه .

ولم يقيِّد الجمعَ بالمكسَّر (٣) كما قيَّده الشَّارح المحقِّق به ، احترازًا من الجمع المصحَّح ، لئلَّا يجتمع فيه إعرابانِ بالحروف ، وهو ممتنِعٌ لوضوحه .

---

(١) انظر الشاهد السابق .

(١) رواه النسائى فى كتاب الإيمان وشرائعه ٨ : ١٢٤ ، كما رواه أحمد فى ٢ : ٣٢ ، ٤٧ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٤٣ ، ٢٨٣ أولى ، من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) شرح شواهد الشافية ٣١٢ وابن يعيش ٤ : ١٥٥ . وانظر الخزانة ٢ : ٣٩٤ .

(٣) يعنى الزمخشرى فى المفصل .

واللِّقاح : جمع لَقوح ، وهى النَّاقة ذاتُ اللَّبن ، مثل قِلاص وقَلوص . وقال ثعلب : اللِّقاح جمع لِقْحة بالكسر ، وإن شئتَ لَقوح ، وهى التى نُتجتْ ، فهى لقوحٌ شهرين أو ثلاثة ، ثم هى لَبُونٌ بعد ذلك . وتقدَّم شرح قوله :

* بين رماحىْ مالكٍ ونَهْشَلِ *

فى باب الندبة [1] .

وقوله : (لأَصبَح الحىُّ أَوبادًا) البيت ، قبله :

سَعى عِقالًا فلم يترُك لنا سَبَدًا فكيفَ لو قد سَعَى عمرٌو عِقالينِ)

أَنشدهما أَبو عبيد القاسم بن سلَّام البغدادىُّ (فى أَمثاله) وقال : استعملَ معاويةُ بنُ أَبى سفيان ابنَ أَخيه عمرَو بن عُتبة [2] بن أَبى سفيان ، على صدقات كلب ، فاعتَدى عليهم ، فقال عمرُو بن العَدّاء الكلبىُّ هذا الشِّعر . صاحب الشاهد

و (سعى) فى الموضعين ، من سَعَى الرجلُ على الصدقة ، أَى الزكاةِ يسعَى سعيًا : عمل فى أَخذها من أَربابها . وعقالًا وعقالينْ منصوبان على الظرف ، أَراد : مدّة عِقال ، ومدّةَ عِقالين . والعِقال : صدَقة عام . قال ٣٨٨ الأَصمعىّ : بُعِث فلانٌ على عِقال بنى فلان ، إذا بُعث على صدقاتهم . قال أَبو عبيد : هذا كلام العرب المعروف عندهم . فأَمَّا ما روىَ أَنَّ عمر كان يأْخذ مع كل فريضة عقالًا ورواءً ، فإذا دخلَتْ إلى المدينة باعها ثم تصدَّق

---

(١) هو الموضع الذى سبقت الإشارة إليه من الخزانة ٢ : ٣٩٤ .

(٢) ش : « عمرو بن أبى عتبة » تحريف . وقد كتب ناسخ ش تعليقا بخطه : « كذا بخط المؤلف ، وصوابه عمرو بن عتبة » . وانظر لعمرو بن عتبة جمهرة ابن حزم ١١٢ ، وقد ذكر أنه قتل مع ابن الأشعث ، وأن عقبه بالبصرة . منهم العتبى الشاعر . وانظر المعارف ١٥١ .

بتلك العُقُل والأَروِيَة ؛ فالعقال : الحبل الذى يُعقَل به البعير ، والرِّواء : الحبل الذى يُقرن به البعيران .

وقالوا فى قول أَبى بكر : « لو منعونى عِقالًا ممَّا أَدَّوْا إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم عليه » : يعنى بالعقال صَدقةَ عام ، وقيل أَراد الحبل الذى كانت تُعقل به الفريضةُ المأْخوذة فى الصَّدقة . وهو بالحبل أَولَى فى هذا الموضع ، لأَنَّ الإِنسان إنما يذكر فى مثل هذا الموضع الأَقلَّ لا الأَكثر ، بناء على قوّة العَزْمة فى الأَدنى ، فكيف فى الأَعلى . انتهى .

وقال المبرد (فى الكامل [1]) ، بعد نقل كلام أَبى بكر ، رضى الله عنه : قوله : « لو منعونى عقالًا » على خلاف ما تتأَوَّلهُ العامة . ولقول العامة وجهٌ قد يجوز ، فأَمَّا الصحيح فأَنَّ المصدِّق إذا أَخذ من الصَّدقة ما فيها ولم يأْخذ ثمنًا قِيلَ : أَخذ عقالا . وإذا أَخذ الثمن قيل : أَخذ نقدا .

وقال الشاعر :

أَتانا أَبو الخطاب يَضرِب طَبْلَه   فرُدَّ ولم يأْخذْ عِقالًا ولا نَقْدا [2]

والذى تقول العامّة تأْويلُه : لو مَنعونى ما يُساوى عِقالًا فضْلا عن غيره . وهو وجه . والأَوّل هو الصحيح ، لأَنَّه ليس له عليهم عِقال يُعقَل به البعير فيطلبه فيُمنَعه ، ولكن مجازه فى قول العامَّة ما ذكرنا . وهو من كلام

---

(١) الكامل ٢٢٢ ليبسك .

(٢) بعده فى حواشى الكامل : « كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول » .

العرب [١] : أتانا بجَفْنَةٍ يقعدُ عليها ثلاثة ، أى لو قعد عليها ثلاثة لصَلَح . انتهى .

وقال ثعلب (فى أماليه) : العِقال : صدقة سنَةٍ فى خبر أبى بكر : « لو مَنَعونى عِقالًا » . وأنشد البيتين .

والسَّبَد ، بفتحتين ، الشَّعر والوبر .

وقال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) : إذا قِيلَ : ما له سَبَد ولا لَبد ، فمعناه ماله ذو سَبَد ، وهى الإبل والمَعْز ، ولا ذو لَبَد ، وهى الغنم . ثم كثر ذلك حتى صار مثلًا مضروبًا للفقر ، فقيل لكل من لا مالَ له أىَّ شىء كان . ففيه مجازٌ من وجهين :

أحدهما : إيقاعهم النفىَ على السَّبَد واللَّبد ، وهم يريدون نفىَ ما له السَّبَد واللبد .

والثانى : استعمالهم ذلك فى كلّ من لا مال له ، وأصله أن يكون فى الإبل والمعز والغنم خاصّة . انتهى .

وقوله : « فكيف » هو ظرف مع عامله المحذوف فى محل الرفع على أنَّه خبر لمبتدأ محذوف ، أى كيف حالنا . وهذه الجملة دليلُ جواب لو . يقول : تولَّى هذا الرجل علينا سَنةً فى أخذ الزكاة منَّا فلم يترك لنا شيئًا لظلمه إيَّانا ، فلو تولَّى سَنتين علينا على أىِّ حال كنَّا نكون ؟

وقوله : « لأصبح الحىُّ » إلخ ، اللام فى جواب قسَمٍ مقدَّر [٢] . وزعم

---

(١) كلمة « هو » ليست فى الكامل .

(٢) ط : « جواب القسم » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

خضرٌ الموصلى (فى شرح شواهد التفسيرين (١)) أنَّ اللام فى جواب « لو » المتقدِّمة . وهو ذهولٌ عما قبله . والحىّ : القبيلة . والأوباد : جمع وَبَد بفتحتين ، قال الجوهرى : الوبد بالتحريك : شدَّة العيش وسوءُ الحال ، مصدرٌ يوصف به فيستوى فيه الواحد والجمع ، ثم يجمع فيقال أوباد ، كما يقال عَذْلٌ وعذول ، على توهُّم النعت الصحيح . وأنشد البيت .

وقال ابن بَرّىٌّ (فى شرح أبيات الإيضاح للفارسى) : الوجه أن يكون جمع وَبِد ، وهو السِّىّءُ الحال ، كفخذ وأفخاذ . انتهى .

والهيجاء : الحرب ، قال ابن ولاَّد (فى المقصور والممدود) : الهيجاء ٣٨٩
تُمدُّ وتُقصَر . قال الشاعر (٢) :

* يا رُبَّ هَيجا هى خيرٌ من دَعَه *

وقال آخر (٣) :

* إذا كانت الهيجاءُ وانشقَّت العصا (٤) * انتهى .

وهى مؤنَّثة كما فى البيتين .

---

(١) ط : « التفسير » ، صوابه فى ش . والتفسيران هما تفسير الزمخشرى المسمى بالكشاف ، وتفسير البيضاوى المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل .

(٢) هو لبيد . ديوانه ٣٤٠ والأغانى ٤ : ٩١ والعمدة ١ : ٢٧ والهمع ٢ : ٢٥ .

(٣) البيت مجهول القائل . وانظر ابن يعيش ٢: ٤٨ ، ٥١ والمغنى ٥٦٣ .

(٤) عجزه كما فى المراجع المتقدمة ، والمقصور والممدود لابن ولاد ١١٧ :

* فحسبك والضحاك سيف مهند *

وهذه الكلمة مع شهرتها لم يوردها القالى (فى المقصور والممدود) مع أنه استقصَى النوعين (١) فى كتابه .

وثنّى الجمالَ لأنه جعلها صِنفين : صِنفًا لترحُّلهم يحملون عليها أثقالَهم ، وصنفًا لحربهم يركبونه إذَا جَنَبوا خيلَهم . ويؤيِّده رواية أبى الفرج : « يومَ الترحُّل والهيجا (٢) » . و (أوبادًا) : خبر أصبح إن كانت ناقصة ، وحالٌ من القوم إن كانت تامّة . وروى أبو الفرج : « لأصبح الحيُّ أوقاصًا » ، وهو جمع وَقَص بفتحتين ، وقد تسكَّن القاف : ما بين الفريضتين من نُصُب الزكاة ممّا لا شيء فيه . فعلى هذه الرواية حذفُ مضاف ، أى لأصبح مالُ الحىِّ أوقاصًا ، أى لا يوجد عندهم فى العام الثانى ما يجب فيه الصَّدَقة .

وعَمْرو بن عَدّاءٍ الكلبُّى : شاعرٌ إسلامىّ . عمرو بن عداء

* * *

تم بعون الله تعالى وحسن تيسيره الجزء السابع
من خزانة الأدب بتقسيم محققها

(١) ش : « مع استقصاء الدوعين » .

(٢) ط : « والهيجاء » ، صوابه بالقصر كما فى ش والأغانى ١٨ : ٤٩ . ولا يستقيم الوزن بمد الهيجاء .

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

* * *

(ب) فهرس الشواهد

بقية باب الظروف

٥١٢ صَريعُ غَوانٍ راقَهُنَّ ورُقْنَــــه لدُن شَبَّ حتى شَابَ سُودُ الذَّوائِب ٨٦
٥١٣ فأَصبحتَ أَنَّى تأْتِها تَبْتَئِسْ بها كلَا مَرْكَبَيْها تحتَ رجليكَ شاجرُ ٩١
٥١٤ شرِبنَ بماءِ البحرِ ثمَّ ترفَّعتْ مَتى لجِجٍ خُضرٍ لهنَّ نئيجُ ٩٧
٥١٥ أَوْ راعيان لبُعرانٍ لنا شربَتْ كَيْ لا يحسَّان من بُعراننا أثرا ١٠٢
٥١٦ يا أَبا الأَسودِ لِمْ أَسلمتِني لِهمومٍ طارقــاتٍ وذِكْــرْ ١٠٨
٥١٧ فإنَّ الكُثرَ أَعيــانى قديما ولم أُقتِرْ لدُنْ أَنَّى غلامُ ١١١
٥١٨ طارُوا عَلاهنَّ فطِرْ عَلَاها واشدُدْ بمثْنَى حَقَبٍ حَقواها ١١٣
٥١٩ فلــولا نبْــلُ عَوْضٍ فى حُظُبَّـــاىَ وأَوصالـــي ١١٦
٥٢٠ ولو لا دِفاعِى عن عِفاقٍ ومَشهدى هَوَتْ بعفاقٍ عوضُ عَنقاءُ مُغرِبُ ١٢٩
٥٢١ رضيعَىْ لِبانٍ ثَدْىَ أُمٍّ تقاسما بأَسْحَمَ داجٍ عَوضُ لا نتفرَّقُ ١٣٨
٥٢٢ لقد رأَيت عجبًا مُذْ أَمسَا ١٦٧
٥٢٣ لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أَفضَلْتَ فى حسَبٍ عَنِّى ولا أَنتَ ديَّانِى فتخزونى ١٧٣

باب النكرة والمعرفة

٥٢٤ فإنكَ لا يضرُّكَ بعد عامٍ أَظبىٌّ كان أُمَّكَ أَم حمارُ ١٩٢
٥٢٥ أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أَنَّ ركابَنا لمَّا تَزُلْ برِحالنا وكأَنْ قَدِ ١٩٧
٥٢٦ يا خليلىَّ اربَعَا واستخْبِرا الـ ـمنْزِلَ الدَّراسَ من أَهل الحلالِ ٢٠٥
٥٢٧ أَما والدِّماءِ المائراتِ تخالها على قُنَّةِ العُزَّى وبالنَّسرِ عَندما ٢١٤

باب العلم

أسماء العدد

٥٤٠ حتّى استثارُوا بىَ إحدَى الإحَدِ ٣٤٧
٥٤١ لها ثنايَا أربعٌ حِسَانُ وأربعٌ فثغرُها ثمانُ ٣٦٥
٥٤٢ ثلاثة أنفسٍ وثلاثُ ذَوْدٍ لقد جار الزّمان على عيالى ٣٦٧
٥٤٣ ثلاث مِئينٍ للملوكِ وفَى بها ردائى وجَلَّت عن وجُوه الأهاتِمِ ٣٧٠
٥٤٤ وحاتمُ الطائىُّ وَهَّابُ المِئي ٣٧٥
٥٤٥ إذا عاشَ الفَتَى مائتَينِ عامًا فقد ذهبَ اللّذاذَةُ والفتاءُ ٣٧٩
٥٤٦ فيها اثنتانِ وأربعونَ حَلوبةً سُودًا كخافيةِ الغرابِ الأسْحَمِ ٣٩٠
٥٤٧ وكان مِجَنِّى دُونَ مَن كنت أتّقِى ثلاثَ شخوصٍ : كاعبانِ ومُعصِرُ ٣٩٤
٥٤٨ كأنَّ خُصْيَيْهِ من التّدلدُلِ ظرفُ عجوزٍ فيه ثِنتَا حَنْظَلِ ٤٠٠
٥٤٩ فطافتْ ثلاثًا بينَ يومٍ وليلةٍ وكان النَّكيرُ أن تَضِيفَ وتجأرا ٤٠٧

باب المذكر والمؤنث

٥٥٠ فقُلت لها : أصبْتِ حَصاةَ قلبى ورُبَّتَ رميةٍ من غير رامِ ٤٢٠
٥٥١ يا صاحبَا رُبَّتَ إنسانٍ حسَنْ ٤٢١
٥٥٢ لقد أغدو على أشْقَـ ـرَ يغتال الصَّحَارِيَّا ٤٢٤
٥٥٣ تهدَّدْنا وأوعِدْنَا رُويدًا متَى كنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِينا ٤٢٧

٥٤٤ مؤلَّلتانِ تَعرِف العِتْقَ فيهما كسامعَتَيْ شاةٍ بحوملَ مُفْرَدِ ٤٣٦
٥٥٥ حَلَفت بِهَديِ مُشْعَرٍ بَكَراته يَخُبُّ بصحراء الغبيطِ درادقهُ ٤٣٧
٥٥٦ لو كنت من مازنٍ لم تَستَبِحْ إبلى بنو اللَّقيطةِ من ذهلِ بنِ شيبانا ٤٤١
٥٥٧ فعبَّتْ غِشاشًا ثم مَرَّت كأنَّها مع الصُّبح ركبٌ من أُحاظَةَ مُجْفِلُ ٤٤٧

بــــاب المثنى

٥٥٨ أُحِبُّ منها الأَنفَ والعينانا ٤٥٢
٥٥٩ إنَّ أباهــا وأَبــا أَباهـــا قد بَلَغا فى المجد غايتاها ٤٥٥
٥٦٠ يارُبَّ خالٍ لَكَ من عُرينَه فَسْوَتُه لا تنقضى شهرينَه
شهرَىْ ربيع وجمادَيْنَه ٤٥٦
٥٦١ ليثٌ وليثٌ فى مجالٍ ضَنْكِ كِلاهما ذو أَشَرٍ ومَـحْكِ ٤٦١
٥٦٢ كأَنَّ بيـنَ فكِّهـا والـفكِّ فارةَ مِسْكٍ ذُبِحتْ فى سُكِّ ٤٦٨
٥٦٣ لو عُدَّ قبرٌ وقبرٌ كنتَ أكرمَهم مَيتًا وأَبعدَهم عن منزلِ الذَّامِ ٤٧٣
٥٦٤ يَدَيانِ بيضاوانِ عِنْد محلِّمٍ قد يمنعانِك أَن تُضَامَ وتُضهَدا ٤٧٦
٥٦٥ فلو أَنَّا على جُحْرٍ ذُبِحْنا جَرَى الدَّميانِ بالخَبَرِ اليَقينِ ٤٨٢
٥٦٦ فلَسْنا على الأَعقاب تَدْمَى كلومُنا ولكن على أقدامنا يقْطر الدَّمَا ٤٩٠
٥٦٧ يارُبَّ سارٍ باتَ ما تَوَسَّدا إلَّا ذِراعَ العَنْسِ أَو كفَّ اليَدَا ٤٩٨
٥٦٨ هما خُطَّتا إمَّا إسارٌ ومِنَّةٌ وإمَّا دمٌ والقتل بالحرِّ أَجدرُ ٤٩٩
٥٦٩ مَتى ما تلقنِى فَرِدَينِ ترجُفْ رَوانـفُ أَليتـيْكَ وتُستطـارا ٥٠٧

رقم الإيداع : ١٩٨٢/٣٣٠٩

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي
١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثامن

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة

١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع

٩٩/١٥١٨٩

الترقيم الدولى .I.S.B.N

977 - 5046 - 60 - 2

المنطقة الصناعية الثانية – قطعة ١٣٩ – شارع ٣٩ – مدينة ٦ أكتوبر

ت : ٣٣٨٢٤٠ – ٣٣٨٢٤١ – ٠١١/٣٣٨٢٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

باب المجموع

(أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الخمسمائة) :

٥٧٨ (لنا جاملٌ لاَيهدأُ اللَّيلَ سامِرُه)

على أن (جاملاً) ليس بجمع ؛ بدليل عود الضمير عليه من (سامرُه) مفرداً .

قال صاحب الكشاف فى (سورة الأَعراف) : الأُناس اسم جمع غير مكسَّر ، بدليل عود الضمير المفرد إليه ، وتصغيرِه على لفظه .

والسابق إلى هذا أبو على ، قال (فى البغداديات) : فإن قال قائلٌ : فهلاَّ جاز تكسيره، أى اسم الجمع ، كما جاز تحقيره ، فيما حكاه سيبويه من قولهم : رَجْل[1] ورُجَيل ؟ قيل له : لا ينبغى أن يجوز . وذلك أنَّ هذا الاسم على بناء الآحاد ، والمراد به الكثرة ، فلو كسِّر كما صغِّر لكان فى ذلك إجراؤه مُجرى الآحاد ، وإزالتُه عمَّا وضع له من الدلالة على الكثرة ، إذ كان يكون فى ذلك مساواتُه له من جهة البناءِ والتكسير والتحقير ، والحديث عنه كالحديث عن الآحاد ، نحو ما أنشد أبو الحسن :

---

(١) رجل هنا ، بالفتح وسكون الجيم : اسم جمع للراجلين الذين يمشون على أرجلهم لايركبون . وانظر سيبويه ٢ : ١٤٢ .

* لهم جاملٌ لا يهدأُ الليـلَ سامِرُه *

وهذا كلُّ جهاته أو عامَّتُه ، فيجب إذا صغِّر أن لا يكسَّر ، فيكون بترك تكسيره منفصلا مما يراد به الآحاد دون الكثرة . انتهى .

صاحب الشاهد

والمصراع من قصيدة للحطيئة هجا بها الزِّبرقانَ بن بدرٍ الصَّحابى التميمى ، ومدح فيها ابن عمه بَغِيض بن شَمَّاسٍ ، وفضَّله عليه .

وتقدَّم السببُ فى هذَا مفصَّلاً فى باب ما لا ينصرف(١) . والروايةُ : « ذَوُو جامل » بدلَ : « لنا جامل » .

وهذه أَبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

فدعْ آلَ شَمَّاسِ بن لأْيٍ فإنَّهم ... مَواليكَ أَو كاثرْ بهم من تُكاثره

أَتحصُرُ أَقـواماً يجودوا بمالِهم ... فلولا قَبيلَ الْهُرمُزان تحاصرُه(٢)

فلا المالُ إن جادوا به أنت مانعٌ ... ولا العزُّ من بنيـانهم أَنت عاقرُه

فإن تكُ ذا عزٍّ حـديثٍ فإنهم ... لهم إرثُ مجدٍ لم تخُنْه زوافرُه(٣)

فإن تك ذا شـاءٍ كثيرٍ فإنَّهـم ... ذُوو جاملٍ لا يهدأُ الليلَ سامرُه

---

(١) هذا سهو منه ، والصواب أنه تقدم فى باب التميز فى الشاهد الرابع عشر بعد المائتين ، عند قول الحطيئة :

سيرى أمام فإن الأكثرين حصى ... والأكرمين إذا ما ينسبون أبا

انظر الخزانة ٣ : ٢٩٠ – ٢٩٢ .

(٢) وكذا فيما سيأتى فى الشرح . والوجه مافى الديوان ١١ : « أتحصر قوماً أن يجودوا » . وفى الديوان أيضاً : « فهلا قتيل الهرمزان » . قال السكرى : « يقوم : أتمنع الناس أن يجودوا بأموالهم فى الحقوق ، فهلا منعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين يعطى الأموال فى وجوهها . والهرمزان : دهقان تستر . وإنما نسب الهرمزان إلى قتل عمر لأنهم رأوا أبا لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وهو يعرض على الهرمزان السكين التى قتل بها عمر . فلذلك السبب وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله ، متهماً له أن يكون مالأ أبا لؤلؤة على أبيه عمر بن الخطاب » .

(٣) فى الديوان : « فإنهم ذوو إرث مجد لم تخنهم زواخره » .

٣٩٠ وقوله: «مَواليكَ» أى أبناءُ عمك. والمكاثرة: المفاخرة. أى فاخِرْ بهم إذا لم يكن عندك من الفخر ماتفاخر به.

وقوله: «أتَحْصرأقواماً» إلخ، أى أتمنع وتحبس؟! يقول: دع هؤلاء الذين يجودون بمالهم، وعليك بالهرمزان فامنعْه. أى إنَّك لا تقدر إلا على العجم[(١)]. ولولا بمعنى هَلَّا. والهرمزان كان والىَ مَدينةِ تُستَر، فلما فتحت جاءُوا به إلى عمر بن الخطاب.

وقوله: «فإنْ تك ذا عزٍّ» إلخ الحديث: الحادث. يريد أنَّ عزَّه حادث بتوليته النبيُّ صلى الله عليه وسلم صدقاتِ بنى تَميم[(٢)]. والإرث بالكسر: الأَصل والمجدُ والشرف. وزوافره: موادُّه وروافده، يقال: هو زافرتهم عند السُّلطان، أى يقوم بأَمرهم ويُعينهم. ويقال: هو فى زافرة قومه، أى فى عددهم وكثْرتهم. ويقال: زوافره: معظمه.

وقوله: «فَإن تك ذا شاءٍ كثيرٍ» إلخ، الشاء: جمع شاة. قال صاحب المصباح: الشاة من الغنم يقع على الذكر والأُنثى، فيقال: هذا شاةٌ للمذكر، وهذه شاة للأُنثى، وشاة ذكر وشاة أُنثى، وتصغيرهما شُويهة. والجمع شاءٌ وشَاهٌ بالهاءِ رجوعاً إلى الأَصل، كما قيل شفة وشِفاه. ويقال أَصلها شاهَة مثل عاهة. انتهى.

والجامل: اسم جمع بمعنى جماعة الإبل مع رُعاتها. والهُدءُ مهموز الآخر: السُّكون. والليل ظرف، وسامره: فاعله، والضمير للجامل. أى لا يسكن ولا ينام الذى يحفظ الإبل، وهو السامر. يعنى أنَّ الرُّعاة يسهَرون ليلَهم لحفظ إبلهم. قال صاحب الصحاح: السَّمَر: المسامرة،

(١) كذا. وانظر ما أسلفت من الرواية والتحقيق فى الحاشية.
(٢) إضافة المصدر إلى مفعوله ثم الإتيان بالفاعل قليل. الأشمونى ٢ : ٢٨٩.

وهو الحديث بالليل، وقد سَمَر يسمُر، فهو سامرٌ. والسَّامر أيضاً: السُّمَّار، وهم القوم يَسمُرون. انتهى.

وترجمة الحطيئة تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة[١].

* * *

وأنشد بعده:

(مع الصُّبح ركبٌ من أُحاظةَ مُجْفِلُ)

على أَنَّ (ركباً) ليس جمعاً بدليل عود الضمير إليه من صفته بالإفراد، ولو كان جمعاً لقيل مجفلون.

والمصراع من لاميَّة العرب للشنفرَى، تقدَّم الكلام عليه قبل باب المثنى، فى الشاهد السابع والخمسين وبعد الخمسمائة[٢].

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الخمسمائة[٣]:

٥٧٩ (عَرَفْنَا جعفراً وبنى أَبيه   وأنكرنا زعانفَ آخرِينِ)

على أَنَّ نون الجمع قد تُكسَرُ فى ضرورة الشعر كما فى آخرين.

وقد يمكن أن تكون كسرة النون كسرة إعراب كما تقدَّم النَّقل عن أبى على فى باب التثنية. وسيأْتى فى آخر هذا الباب، فلا ضرورة حينئذ.

قال الشارح المحقق فيما سيأْتى: إذا كسرت النون فلا يكون ما قبلها إلاَّ الياء.

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ – ٤١٣.

(٢) انظر الخزانة ٧ : ٤٤٧ – ٤٥١.

(٣) طبقات ابن سلام ٥٩ والعينى ١ : ١٨٧ والتصريح ١ : ٧٩ والهمع ١ : ٧٩ والأشمونى ١ : ٨٩ وديوان جرير ٥٧٧.

وكذلك نصّ ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) أَنَّ كسرنون الجمع لا يكون إلاَّ فى حال النصب والخفض ، كما أَنَّ فتح نون التثنية لايكون إلا كذلك . فلكسرِها شرطان : أَحدهما الشعر ، وثانيهما الياءِ .

وبهذا يعرف سقوط قول ابن هشام (فى شرح الشواهد): إِنَّ الشَّرط الثانى قد أَهمله النحويُّون ، وإِنَّ الشرط الأَوَّل أَهمله ابنُ مالك (فى منظومته) دون التسهيل.

قال ابن عصفور : ووجه كسر النون تحريكها على أَصل التقاء الساكنين . وقال العينى : ويقال إن كسر نون الجمع ليس بضرورة ، ٣٩١
وإنَّما هو لغةٌ لقوم بنَى الشاعر كلامَه على هذه اللغة .

صاحب الشاهد والبيت آخر أَبياتٍ أَربعة لجرير ، خاطب بها فَضَالة العُرَنىّ(١) أَوردها محمد بن حبيب (فى المناقضات) ، وهى :

(أَتوعدنى وراءَ بنى رياح كذبتَ لتقصُرَنَّ يداك دُونى
فنِعم الوفدُ وفدُ بنى رياح ونعم فوارسُ الفزَع اليقينِ
عَرِينٌ من عُرَينة ليس منَّا برئتُ إلى عُرينة من عَرينِ
عَرَفنا جعفرًا وبنى عُبيدٍ وأَنكرنا زعانف آخرينِ)

وزاد العينىُّ فى روايته بعد هذا بيتاً ، وهو :

(قُبيِّلةٌ أَناخَ اللؤمُ فيها فليس اللؤمُ تارِكَهم لحينِ)

وسبب هذا، على(٢) ماحكاه محمد بن حبيب : أَنَّ جريراً لمَّا هجا

(١) فى حاشية ش : « قوله العرنى هكذا وجد بخط المؤلف ، وصوابه العرينى » . ولا وجه له فإن حذف الياء فى مثل هذا قياس . انظر سيبويه ٣ : ٣٣٩ والأشمونى ٤ : ١٨٦ .
(٢) على ، ساقطة من ش .

غسَّان السَّلِيطِيّ ، وهو سَليط بن الحارث بن يربوع ، وكان خالَ فضالة[١] أَحدِ بنى عَرين بن ثعلبة بن يربوع ، قال فَضَالةُ لجريرٍ : أَتهجُو خالى ، أَمَا والله لأَقتلنَّك ! فقال جريرٌ هذه الأَبيات .

وقوله : « أَتُوعِدُنى » الخ ، الهمزة للإنكار ، ووراءَ بمعنى ، خَلْفَ . ورِياح بكسر الراءِ بعدها مثناة تحتيَّة ، هو رياح بن يربوع بن حَنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تَميم . وبنوهُ هم : همَّام ، وهَرْمىٌّ[٢] ، وحِميرىّ ، وزيد ، وعبد الله ، ومُنقِذ ، وجابر .

وقولهُ : «فنعم الوفدُ» إلخ . الوفد : الجماعة . والفزع : الخوف ، وإنَّما وصفه باليقين لأَنَّ المدح إنما يكون لمن يُغيثُ عند الخوف المتيقَّن ، لا الخوفِ المتوهَّمِ أَو المظنون .

وقوله : « عَرين من عُرينة » الخ : عَرين بفتح العين وكسر الراءِ : هو عَرين ابن ثعلبة بن يربوع ، وهو مبتدأ وخبرُه من عُرينة . وهو بضم العين وفتح الراءِ ، وهو بطن من بَجِيلة ، من قبائل اليمن ، وهو عُرينة بن قَسْر بن عَبقَر بن أَنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد ابن كَهْلان . وبجيلة هى أُمُّ عبقر ، وهى بجيلة بنت سَعد العشيرة ، وهى أُمُّ جماعةٍ كلٌّ منهم بطن ، بها يعرفون . وجملة ليس منا ، خبر ثان ، أَو مستأْنفة . يريد إنَّ عَريناً قحطانى لا عدنانى ، وإنَّما نفاه عن نسبه وجعله قحطانيًّا نكاية فى فَضالة ، فإنَّه من ولد عرين .

وقوله : « برئت إلى عُرينةَ » إلخ . قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) :

---

(١) ش : « وكان خاله » فقط .

(٢) ضبطه فى الاشتقاق ٢٢١ بقوله : « منسوب إلى الهرم ، والواحدة هرمة ، وهو ضروب من الحمض » .

الأَصل برئت إِليه منه ، فأَناب الظاهرَين عن الضميرين لإيضاح المتبرَّأ منه من المتبرَّأ إليه ، ولأَنَّ إيقاع البراءة على صريح اسم عرين أبلغ .

وقال العينى : يقال برئ إليه بمعنى برئ له ، لأَنَّ إلى تجىء مرادفة للاَّم . ويجوز أن تكون إلى للغاية ، والمعنى برئت من عَرين منتهياً إلى عُرينة ، فيكون إلى عرينة حال . هذا كلامه .

وقوله : «عرفنا جعفراً وبنى أَبيه» أى إخوته ، وهم جعفر وجَهْوَر وعبيد. وكذا عرين أخوهم لكنَّه نفاه منهم، وجميعهم أَولاد ثعلبة بن يربوع . وثعلبة[1] هو أخو كليب بن يربوع . وجرير من أولاد كليب ، فرياح وثعلبة وكليب إخوة . وروى :

* عرفنا جعفراً وبنى عُبيد *

وقوله : « وأَنكرنا زعانف » إلخ . نا فاعل، وزعانف مفعوله . وهذا تعريض بفضالة من بنى عرين بأَنه من الملحَقِين والأَتباع ، لا من الصَّريح الخالص النَّسب . وزعانف : جمع زِعنِفة بكسر الزاى والنون وسكون العين بينهما . قال محمد بن حبيب : الزَّعانف: الأَتباع، واحده زِعنِفة ، وهو من زعانف الثوب : أَهدابه التى تَنُوس منه . وكذلك لئام الناس ورُذَالهم إنَّما هم من أَطراف الأَديم وأَخبثِه . وآخرين : صفة لموصوف محذوف ، أى قوم آخرين ، كذا قال الشارح المحقق . ٣٩٢

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أوّل الكتاب[2] .

* * *

(١) ط : « وثعلب » ، صوابه فى ش .
(٢) الخزانة ١ : ٧٥ - ٧٧ .

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الخمسمائة[١] :

٥٨٠ (نَضَّر اللهُ أَعظُماً دَفَنوهـا بسجستانَ طلحةَ الطَّلحَاتِ)

على أنَّ السماع والاستعمال فى نحو طلحة ، وهو كلُّ علم مذكَّر مختوم بالهاءِ ، جمعُه بالألف والتاءِ ، ولم يسمع جمعُه بالواو والنون .

وقد بسط ابنُ الأنبارىِّ الكلامَ على هذه المسألة (فى مسائل الخلاف) فلا بأْس بإيراده ، قال :

ذهب الكوفيُّون إلى أنَّ الاسم الذى آخره تاءُ التأْنيث إذا سمِّى به رجلٌ يجوز أن يجمَع بالواو والنون، نحو: طلحة وطلْحُون. وإليه ذهب ابن كيسان إلَّا أنَّه يفتَحُ اللام[٢] فيقول : طَلَحون بالفتح ، كما قالوا أَرَضون حملاً على أرضات . واحتجَّ الكُوفيُّون بأنَّه فى تقدير جمع طلح، لأَنَّ الجمع قد تستعمله العرب على تقدير حذف حرفٍ من الكلمة ، قال الشاعر :

* وعقبة الأَعقابِ فى الشهر الأَصمّْ *

فكَسَّره على مالا هاء فيه . وإذا كانت الهاءُ[٣] فى تقدير الإسقاط جاز جمعه بالواو والنون. ويدلّ لنا أَنَّا أَجمعنا على أنَّه لو سمِّى رجل بحمراء أو حُبلى جمع بالواو والنون . ولا خلافَ أَنَّ مافى آخره أَلفُ التأْنيث أَشدُّ تمكناً فى التأْنيث مما فى آخره تاءُ التأْنيث ، لأَنَّ أَلف التأْنيث صِيغت الكلمة عليها ولم تُخرج الكلمةَ من التذكير إلى التأْنيث ، وتاءُ

(١) الإنصاف ٤١ ، وابن يعيش ١ : ٤٧ ، والهمع ٢ : ١٢٧ ، وديوان ابن قيس الرقيات ٢٠ .
(٢) ش : « بفتح اللام » ، وأثبت مافى ط والإنصاف .
(٣) ط : « وإذا كان » ، وأثبت مافى ش والإنصاف .

التأْنيث ما صِيغت الكلمة عليها وأخرجَت الكلمةَ من التذكير إلى التأْنيث. ولهذا المعنى قام التأْنيث بالأَلف فى منع الصرف مقام شيئين، بخلاف التأْنيث بالتاءِ . فإذا جاز أن يُجمع بالواو والنون ما فى آخره أَلف التأْنيث، وهى أوكد من التاءِ ، فلَأَنْ يجوز فيما آخره التاء كان ذلك من طريق الأَولى .

وأَمَّا ابن كيسان فاحتجَّ على ذلك بأَنَّه إنَّما جوَّزنا جمعه بالواو والنون لأَنَّ التاءَ تسقط فى الطلحات ، فإذا سقطَتْ وبقى الاسم بلا تاء جاز جمعه بالواو والنون كقولهم : أَرض وأَرضون . وكما حرِّكت العين فى أَرَضُون بالفتح حملاً على أَرَضات ، فكذلك حركت العين من الطَّلَحون حملاً على الطَّلَحَات ، لأَنَّهمْ يجمعون ما كان على فعْلة من الأَسماءِ دون الصفات ، على فَعَلات بالتحريك .

وقال البصريون : لا يجوز هذا الجمع . والدليل على امتناعه أَنَّ نحو طلحة فيه علامة التأْنيث ، والواوُ والنونُ علامة التذكير ، فلو قلنا إنَّه يجوز الجمع بالواوَ والنون لأَدَّى إلى أَن يُجمَع فى اسم علامتان متضادَّتان ، وذلك لايجوز . ولهذا إذا وصفُوا المذكَّر بالمؤنَّث فقالوا رجل رَبْعة جمعوه رَبَعاتٍ بلا خلاف ، ولم يقولوا رَبْعون . والذى يدلُّ على صِحَّة هذا القياس أنَّه لم يسمع من العرب فى جمع هذا الاسم(١) إلاَّ بالأَلف والتاءِ كقولهم فى طلحة : طَلَحات ، وهُبيرة : هبيرات(٢) . ولم يسمع عن أحدٍ من العرب أَنَّهم قالوا الطَّلَحون . فإذا كان هذا الجمع ٣٩٣

(١) فى جمع هذا الاسم ، ساقط من ش . وبعده فى الإنصاف : « أو نحوه » .

(٢) ط فقط : « وهبيرات » .

مدفوعاً[١] من جهة القياس ، معدوماً من جهة النقل ، وجب أن لايجوز .

وأمَّا قولهم إنَّه فى التقدير جمع طَلْح ففاسد ، لأَنَّ الجمع إنَّما وقع على جميع حروف الاسم ، وتاءُ التأْنيث من جملته ، فلم ننزعها عنه قبل الجمع وإنْ كان اسماً لمذكر ، لئلَّا يكون بمنزلة ما سمِّى به ولا علامة فيه . فالتاءُ فى جمعه مكانَ التاءِ فى واحدِه .

وأما ما استشهدُوا به من قولهم :

* وعُقبة الأَعقاب فى الشهر الأَصَمّ *

فهو مع شذوذه وقلَّته لا تعلُّق له بما وقع الخلاف فيه ، لأَنَّ جمع التصحيح ليس على قياسِ جمع التكسير ليُحمَل عليه .

وأمَّا قولهم : إنا أَجمعنا على جمع نحو حمراءَ وحُبلى علمين بالواو والنون. قلنا : إنَّما جاز لأَن ألف التأْنيث يجب قلبها إلى بدل، لأَنَّها صيغت الكلمة عليها ، فتنزَّلتْ منزلة بعضِها ، فلم يفتقر لعلامة تأْنيث الجمع[٢] بخلاف التاءِ فإِنَّه يجب حذفها إلى غير بدل ، لأَنَّها ماصيغت عليها الكلمة ، وإنَّما هى بمنزلة اسمٍ ضُمّ إلى اسم ، فجعلت علامة تأْنيث الجمع عوضاً منها .

وأمَّا قولُ ابن كَيسان : إنَّ التاءَ تسقط فى الطلحات فإذا سقطت جاز الجمع ، ففاسد ، لأَن التاءَ وإن كانت محذوفةً لفظاً إلَّا أنَّها ثابتة تقديراً، لأَنَّهم لمَّا أدخلوا تاءَ التأْنيث فى الجمع حذفوا هذه التاءَ التى كانت فى الواحد ، لأَنَّهم كرهوا أن يجمعوا بين علامتَىْ تأْنيث . وكان

---

(١) ط فقط : « مرفوعاً » بالراء .

(٢) ش : « فلم يفتقر بعلامة تأنيث الجمع » ، والذى فى الإنصاف : « فلم تفتقر إلى أن تعوض بعلامة تأنيث الجمع » .

حذف الأُولى أَوْلَى لأَنَّ فى الثانية زيادةَ معنى ، فإنَّ الأُولى تدلُّ على التأْنيث فقط ، والثانية تدلُّ على التأْنيث والجمع ، وهى حرف إعراب ، فحذف الأُولى بمنزلةِ ماحُــذف لالتقاء الساكنين ، فإنَّه وإن كان محذوفاً لفظاً إلَّا أَنَّه ثابت تقديراً .

والذى يدلُّ على فساد ما ذهب إليه من فتح العين من الطَّلَحون أَنَّ هذا الجمع يسلم فيه نظم الواحد فى حروفه وحركاته ، والفتحُ يُدْخِل فى جمع التصحيح تكسيراً .

فأَمَّا قوله : إنَّ العين حرِّكت من أَرَضون بالفتح حملاً على أَرَضات. قلنا : لا نسلم ، وإنَّما غُيِّر فيه لفظ الواحد ، لأَنَّه جمعٌ على خلاف الأَصل ، لأَنَّ الأَصل فى هذا الجمع أَن يكون لمن يعقل ، ولكنَّهم لمَّا جمعوه بالواو والنون غيَّرُوا فيه نظمَ الواحد تعويضاً عن حذف تاء التأْنيث فيه ، تخصيصاً له بشىء لا يكون فى سائر أَخَواته ، مع أَنَّ هذا التعويض تعويضُ جواز لا تعويضُ وجوب . أَلَا ترى أَنَّهم لايقولون فى جمع شمس شَمْسون ولا فى جمعَ قِدْر قِدْرون ؟ فلمَّا كان هذا الجمع فى أَرض على خلاف القياس أُدخِل فيه ضربٌ من التغيير(١) ، فأَما إذا جُمع من يعقل بالواو والنون فلا يجوز أَن يجعل بهذه المثابة ، لأَنَّ جمعه بحكم الأَصل ، فلا يجوز أَن يدخله تغيير .

ويخرج على هذا حذف التاء وفتح العين من طلحات . أَمَّا حذف التاء فلأَنَّ التاء الثانية صارت عوضاً عنها لأَنَّها للتأْنيث . وأَمَّا أَنتم فحذفتم من غير عوض ، فبان الفرق .

وأَمَّا فتح العين فـلأَجل الفصل بين الاسم والصِّفة ، فإنَّ ما كان

(١) ش فقط : « فإذا جمع » .

على فَعْلة من الأَسماء فإنَّه يفتح منه العين ، نحو : جَفَنات وقَصَعات . وما كان صفةً فإنَّه لا يُحرَّك منه العين نحو صَعْبات . وأَما جمع التصحيح فلا يدخله [شيءٌ][1] من هذا التغيير ، سواءٌ كان اسماً أَو صفة . فبان الفرق بينهما . والله أعلم .

انتهى كلام ابن الأَنبارىّ مختصراً .

واعلم أَنَّ فتح عين فعلة الاسمىّ فى الجمع واجبٌ ، ويجوز تسكينه فى الضرورة كما يأْتى فى بابه . ومنه قول البحترىّ[2] :

٣٩٤ وكيف يَسوغُ لكم جَحدُه وطلحتُكم بعض طَلْحاته[3]

خلافاً لأَبى العلاءِ المعرّى (فى شرحه) فإنَّه زعم أَنَّه غير ضرورة .

وقوله : (طلحة الطلحات) روى بالجرِّ والنصب . قال أَبو حيان (فى تذكرته) : حكى الكسائىُّ والفراءُ عن العرب هذا البيتَ بخفض طلحة على تكرير الأَعظم ، أَى أَعظم طَلْحةِ الطلحات . وما اختلفوا فى جواز نصب طلحة بالردِّ على الأَعظم والحمل على إعرابها . انتهى .

وجعل ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) الجرَّ من الضرورة . قال : ومنه حذف المضاف من غير أن يُقام المضافُ إليه مُقامه ، نحو قوله :

* بسجستان طلحة الطلحات *

فى رواية من خفض طلحة ، يريد أَعْظُمَ طلحة الطلحات ، فحذف

---

(١) التكملة من ش ، والإنصاف ٤٤

(٢) ديوان البحترى ١ : ٩٨ هندية و ١ : ٤٧٥ الصيرفى . يقوله فى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

(٣) يريد بطلحة الأول طلحة بن طاهر بن الحسين الخزاعى أمير خراسان . ويشير بالطلحات إلى طلحة الطلحات ، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى .

المضاف الذى هو أعظُم، لدلالة أَعظُم المتقدِّم الذكر عليه ، ولم يُقِمِ المضافَ إليه وهو طلحة مقامه ، بل أبقاه على خفضه . انتهى .

وقال ابن برِّىٍّ (فى شرح أبيات الإيضاح) : والأَشبه عندى أن تَخفضه[1] بإضافة سجستان إليه ، لأَنَّه كان أميرها . انتهى .

وقول أَبى حيان : نَصب طلحة بالرّد على الأَعظُمَ يعنى البدليَّة . وزعم بعضُهم أنَّه بدل كلٍّ من بعض ، وزاد هذا القسم فى الأَبدال . والصحيح أنَّه بدلُ كلٍّ من كلّ ، بِجعل أَعظُم من قبيل ذكر البعض وإرادة الكلّ ، بدليل المعنى .

وقال ابن السيد البطليوسى (فى أبيات المعانى) : من نصب طلحة فَعلى إضمار أعنى ، لأَنَّه نبَّه عليه بضرب من المدح لما تقدَّم من الترحُّم عليه . وذهب آخرون فى نصبه إلى حذف حرف الجر ، كأَنه أراد رحم الله أعظماً دفنوها لطلحة[2] ، فلمَّا حذف الجار نصب . وقد دَفع[3] قومٌ النصب، وأنشدوه بالجر على تقدير مضاف ، كأَنه فى التقدير : أَعظُم طلحة الطلحات، ثم حذف الثانى لدلالة الأَول عليه . وهذا شاذٌّ ، يقلُّ فى كلامهم حذف الجار مع بقاءِ عمله . انتهى .

وطلحة الطلحات هو أَحد الأَجواد المشهورين فى الإسلام ، واسمه طلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعى . وأُضيف إلى الطلحات لأَنَّه فاق فى الجود خمسة أَجواد اسم كلٍّ واحدٍ منهم طلحة ، وهم طلحة الخير ، طلحة الطلحات

---

(١) ط : « يخفضه » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ط : « بطلحة » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « رفع » بالراء ، صوابه من ش .

وطلحةُ الفياضُ ، وطلحةُ الجودِ ، وطلحة الدَّراهم ، وطلحة النَّدى . وقيل كان فى أَجداده جماعةٌ اسمُ كلٍّ طلحة . كذا قال ابن الحاجب (فى شرح المفصل) .

وقال إبراهيمُ الوَطواط (فى كتاب الغرر والخصائص الواضحة [١]) : قيل سمِّى بذلك لأَنَّه كان أَجودَهم ، وقيل لأَنَّه وهب فى عامٍ واحدٍ أَلفَ جارية ، فكانت كلٌّ جارية منهن إذا ولدت غلاماً تسمِّيه طلحة على اسم سيِّدها . وذكر الطَّلحَات الخمسة ، وهم طَلْحة بن عبيد الله التميمى ، وهو طلحة الفياض ، وطلحة بن عُمر بن عبيد [٢] الله بنَ مَعْمَر التميمىّ أيضاً ، وهو طلحة الجود . وطلحة بن عبد الله بن عَوف الزُّهرى ، أخى عبد الرحمن بن عوف ، وهو طلحة النَّدى . وطلحة بن الحسن بن على ابن أَبى طالب ، وهو طلحة الخير . وطلحة بن عبد الرحمن بن أَبى بكر الصديق ، ويسمى طلحة الدَّراهم . وطلحة بن عبد الله بن خلَف الخُزاعى وهو سادسهم المشهور بطلحة الطَّلحَات . انتهى .

وقال ابن بَرّىٍّ (فى شرح أَبيات الإِيضاح) : سُمِّى طلحةَ الطلحات بسبب أُمه ، وهى صفية بنت الحارث بن طَلحة بن أَبى طلحة ، وأَخوها طلحة بن الحارث ، فقد تكنَّفه الطلحات كما ترى ؛ ففُصل بهذه الإِضافة من غيره من الطَّلحات . وكانوا ستَّة . انتهى .

---

(١) كذا فى النسختين ، وإنما هو « غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحة » .

(٢) ط : « طلحة بن عمرو بن عبد الله » . وفى غرر الخصائص ١٦٨ : « طلحة بن عمر ابن عبد الله ». وأثبت ما فى جمهرة أنساب العرب ١٢٧ والأغانى ٤ : ١٠٧ / ١٠ : ٥٦ . وبه صحح فى نسخة ش . وفى الأغانى ١٠ : ٥٥ أن رملة بنت عبد اللهبن خلف كانت تحت عمربن عبيد الله ابن معمر وولدت منه ابنه طلحة الجود . وانظر نوادر المخطوطات ١ : ٧٨ وجمهرة أنساب العرب ١٤٠ .

وكان والى سجستان ، وبها مات .

قال الزمخشرى (فى أمثاله) : قال سحبان بن وائل البليغ المشهورُ فى طلحة الطلحات :

ياطلحُ أكرمَ من مَشَى حسباً وأعطاهُ لتالدْ[(١)]
منك العطاءُ فأعطِنى وعلىَّ حمدُك فى المشاهدْ[(٢)]

فحكَّمه فقال : فرسُك الوَرْد ، وقصرُك بزَرَنْج ، وغلامك الخبّاز[(٣)] وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أُفٍّ لك ، لمْ تسألْنى على قدرى وإنَّما سألتنى على قدْرك ، وقدْرِ قبيلتك باهلة ! والله لو سألتَنى كلَّ فرسٍ وقصرٍ وغُلامٍ لى لأعطيتك ! ثم أمر له بما سأل وقال : والله مارأيتُ مسألةَ محكَّم ألأمَ منها .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : سجستان : ناحيةٌ كبيرة وولاية واسعة . ذهب بعضُهم إلى أنّ سجستان اسمٌ للنّاحية ، وأنَّ اسم مدينتها زَرَنج ، بتقديم المعجمة على المهملة ، وبينها وبين هَراة عشرة أيام ، ثمانون فرسخاً[(٤)] وهى جنوبىّ هراة . وأرضُها كلُّها رملة سَبِخة ، والرِّياح فيها لا تسكُن أبداً ، ولا تزال شديدة تُدير رُحِيَّهم ، وطحنُهم كلُّه على تلك الرُّحِىِّ . وهِى من الإقليم الثالث ، وفيها نخلٌ كثير وتمر .

---

(١) فى بعض نسخ الزمخشرى : « وأعطاهم » . المستقصى ١ : ٢٨ .

(٢) فى بعض نسخ المستقصى : « وعلى مدحك » .

(٣) المراد بالخباز : الطاهى الذى يجمع بين الخبز والطهو . وانظر حواشى الحيوان ٥ : ٤٥٧ — ٤٥٨ من الطبعة الثانية .

(٤) ط فقط : « وثمانون فرسخاً » ، وما أثبت من ش يطابق ما فى معجم البلدان .

(ونضّر) بمعنى حسّن . والمشهور : (رحم الله أعظما) .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل قصيدةٍ عدّتُها أربعة عشرَ بيتاً لِقيس الرُّقيات[١] ، رثى بها طلحة الطلحات وبعده :

(كانَ لا يحرِمِ الخليلَ ولا يَعْـ تلُّ بالبخْل ، طيِّبَ العَذِراتِ
سَبِط الكفِّ بالنوال إذا مـا كانَجودُالبخيل حَبْسَ العِداتِ)

(فى الزاهر) لابن الأنبارى ، قال الأصمعى : العَذِرة : فناءُ الدَّار. والعَذِرات : أفنية الدور . وكانوا فيما مضى يطرحون النَّجاساتِ فى أفنية دورهم ، فسمَّوها باسم الموضع ، وكذلك الغائط هو عند العرب ما اطمأنَّ من الأرض ، وكانوا فيما مضى إذا أراد الرجلُ قضاءَ حاجته طلبَ الموضعَ المطمئنَّ من الأرض ، فكثُر هذا ، حتَّى سمَّوا الحدثَ باسم الموضع . وكذلك الكنيف فى كلام العرب : الحظيرة التى تُعمل للإبل فتكنُفُها من البرد ، فسمَّوا ما حظروه وجعلوه موضعاً للحدث بذلك الاسم ، تشبيهاً به . انتهى .

وقد تقدَّمت ترجمة قيس الرقيات[٢] فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الخمسمائة[٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(فما وجَدَتْ بناتُ ابنَىْ نزار حَلائلَ أسودينَ وأحمرينا)

---

(١) فى حواشى ش بخط ناسخها : « هكذا بخط المؤلف ، وصوابه ابن قيس الرقيات » .
(٢) كذا فى ط . وفى ش : « ترجمة الرقيات » . وانظر الحاشية السابقة .
(٣) الخزانة ٧ : ٢٨٤ – ٢٩٠

على أنَّ ابن كيسان استدَّل بهذا البيت على جواز جمع أحمر وأسود بالواو والنون ، وهو عند غيره شاذ .

والبيت قد تقدَّم شرحُه مفصَّلاً فى الشاهد الرابع والعشرين من أوائل الكتاب[(١)] .

* * *

وأنشد بعده :

* (وقائلةٍ خَولانُ فانكِحْ فتاتَهُمْ) *

على أنّ (فانكح) عند الأخفش خبر المبتدأ الذى هو خولان ، والفاءُ زائدة فى الخبر ، وعند سيبويه غير زائدة ، والأَصل عنده : هذه خولان فانكح فتاتهم .

والمصراع صدرٌ وعجزُه :

* وأُكرومة الحيَّيْن خِلوٌ كماها * ٣٩٦

وتقدَّم الكلام عليه مستوفًى فى الشاهد السابع والسبعين من باب المبتدأ[(٢)] .

وخولان : حيٌّ من أحياء اليمن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س[(٣)] :

(١) الخزانة ١ : ١٧٨ — ١٨١ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٥ — ٤٥٧ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٦ . وانظر سيرة ابن هشام ٥٠ والمقتضب ٢ : ٧٢ وابن الشجرى ١ : ٧٤ والإنصاف ٦٢٣ وابن يعيش ٨ : ١٥٧ والمقرب ٥٩ والمغنى ٥٣٣ والعينى ٤ : ٤٣ والتصريح ٢ : ٣٤٩ والهمع ١ : ٧٢ / ٢ : ٦١ والأشمونى ٤ : ١٨

٥٨١ (إنَّكَ إنْ يُصْرَعْ أخوك تُصرَعُ)

على أنَّ إلغاءَ الشَّرطِ المتوسِّط بين المبتدإِ والخبر ضرورة ، فإنَّ جملة (تصرع) خبر إنَّ ، والجملة دليلُ جزاءِ الشرط ، وجملة الشرط معترضةٌ بين المبتدإِ والخبر .

ويأْتى الكلام عليه إن شاءَ الله تعالى فى الجوازم[1] .

صاحب الشاهد — والبيت من رجز لعمرو بن خُثارِمٍ البَجَلىّ ، وهو :

أشعار الشاهد

(ياأقرع بنَ حابِسٍ ياأَقرعُ إنِّى أخوك فانظُرَنْ ماتصنعُ
إنَّك إنْ يصرعْ أخوك تصرعُ إنِّى أنا الداعى نزاراً فاسمعُوا
فى باذخ من عزِّ مجدٍ يَفْرَعُ به يَضُرُّ قادرٌ وينفعُ
وأدفعُ الضَّيمَ غداً وأمنعُ عزٌّ ألدُّ شامخٌ لا يُقمَعُ
يتبعُه النَّاس ولا يُستتبَعُ هل هو إلاَّ ذَنبٌ وأكرُعُ
وزَمَعٌ مُؤْتَشَبٌ مجمَّع وحسبٌ وَغْلٌ وأنفٌ أَجدعُ)

قال ابن الأَعرابى (فى نوادره) : كان جرير بن عبد الله البَجَلىُّ تنافَرَ هو وخالدُ بن أَرطاةَ الكلبىُّ إلى الأَقرع بن حابس ، وكان عالِمَ العرب فى زمانه .

والمنافرة: المحاكمة ، من النَّفَر ، لأَنَّ العرب كانوا إذا تنازعَ الرجُلان منهم وادَّعى كلٌّ واحدٍ أنَّه أعزُّ من صاحبه تحاكما إلى عالم ، فمن فضَّل منهما قدَّم نفَرَهُ عليه ، أى فضَّل نفرَه على نفره .

(١) الخزانة ٣ : ٦٤٣ بولاق بعد الشاهد ٦٩٠ .

فقال الأَقرع : ما عندك ياخالد ؟ فقال : ننزل البَرَاح ، ونَطعُن بالرِّماح ، ونحن فتيان الصَّباح[١] .

فقال : ما عندك ياجرير ؟ فقال : نحن أَهل الذَّهب الأَصفر ، والأَحمر المعتَصَر[٢] ، نُخيف ولا نَخافُ ، ونُطعِم ولا نَستطعِم . ونحن حىٌّ لَقَاحٌ ، نُطعم ما هبَّت الرِّياح . نُطعِم الدَّهر ، ونصوم الشهر[٣] ونحن ملوك القَسْر[٤] .

فقال الأَقرع : واللاتِ والعُزَّى ، لو نافرتُ قيصرَ ملكَ الرُّوم ، وكِسرى عظيمَ الفرس ، والنُّعمانَ ملكَ العرب ، لنُفِّرتُ عليهم . وروى : « لنُصِرتُ عليهم » .

فقال عمرو بن خُثارم البَجَلىُّ هذه الأُرجوزة فى تلك المنافرة .

وقوله : (ياأَقرع بن حابس) هو من الصَّحابة رضى الله عنهم ، وكانت هذه المنافرة فى الجاهليَّةِ قبل إسلامه . والصَّرْع : الهلاك .

ونزار هو أَبو قبيلة ، وهو نزار بن معدٍّ بن عدنان .

والباذخ : العالى ، يقال جبلٌ باذخ بمعجمتين . والمجد : العظَمة والشَّرف . ويَفْرَع ، أَى يعلو كلَّ عزٍّ ومجد . يقال :فرعت قومى ، أَى علوتهم بالشَّرف ونحوه . وهو بالفاء ومهملتين .

---

(١) الصباح ، بالباء الموحدة : الغارة . وهى أكثر ماتكون فى الصباح . وفى النسختين : « الصياح » بالياء ، تصحيف . وهم ينسبون فرسانهم إلى الصباح ، ومنه قول لبيد فى رثاء عمه :

يا عامراً ياعامر الصبـــاح ومـــدره الكتيبة الرداح

(٢) فى النسختين هنا : « المعتصر » ، وسيأتى بعد قليل بلفظ « المعصفر » . والأحمر : النبيذ ، والخمر . وفى تفسير البغدادى التالى : « والأحمر المعتصر هو الخمر » .

(٣) فى رواية أخرى ستأتى : « نطعم الشهر ، ونضمن الدهر » . انظر ٣٦٨ بولاق .

(٤) القسر : القهر والغلبة . ط : « ونحن الملوك لقسر » . والوجه من ش .

والأَلدُّ: الأَشَدّ . ولدَّه يلُدُّه : غلبه فى الخصومة . والشامخُ : المرتفِع . ويُقمَع : أَى يُقْهَر ويُذَلّ ، يقال قمعه بالقاف والميم فانقمع .

وقوله : « هل هو » الضمير لخالد بن أَرطاة الكلبي . والأَكرُع : جمع كُراع بالضم ، وهو مُستدَقُّ الساق ، استعاره لأَسفل الناس ، كالذَّنَب .

والزَّمَع بفتح الزاى والميم، هو رُذال الناس. يقال هو من زَمَع الناس،
٣٩٧ أى مآخير . هم والمؤتشَب ، بفتح الشين ، قال (فى الصحاح) : وفلان مؤتشَبٌ ، أى مخلوط غير صريح فى نسَبه .

والوَغْل بفتح الواو وسكون المعجمة. قال (فى الصحاح) : والوغل: النَّذْل من الرجال . وأَجدع بالجيم والدال المهملة : مقطوع الأَنف .

وقوله : « ننزل البَراح » بفتح الموحَّدة والحاء المهملة : المكان الذى لا سُترة فيه من شجر وغيره ، وهو منزل الكرماء .

وقوله : « والأَحمر المعتصَر » هوالخمر .

وقوله : «حىٌّ لَقَاح » بفتح اللام بعدها قاف، قال(فى الصحاح): يقال حىٌّ لَقَاح للذين لايَدِينون لِلملوك ، أَو لم يصبْهم فى الجاهلية سِباء .

جرير بن عبد الله البجلى

وجرير بن عبدالله البجلى صحابى ، وكان جميلاً . قال عمر [رضى الله عنه] : هو يوسف هذه الأُمّة . وقدَّمه عمر فى حروب العِراق على جميع بَجِيلة ، وكان لهم أَثرٌ عظيم فى فتح القادسيَّة . ثم سكن جريرٌ الكوفةَ ، وأَرسله علىٌّ [رضى الله عنه] رسولاً إلى معاوية ، ، ثم اعتزل الفريقين وسكن قرقِيساءَ حتَّى مات، سنة إحدى ، وقيل أَربع وخمسين.

وفى الصحيح أَنَّه صلى الله عليه وسلم بعثه إلى ذى الخَلَصة فهدَمها .

وفيه قال: «ما حَجَبنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منذُ أسلمت ، ولا رآنى إلاَّ تبسَّم» . كذا (فى الإصابة) لابن حجر .

وخالد بن أرطاةَ الكلبيُّ جاهلى .

الأقرع بن حابس

والأَقرع بن حابسٍ صحابىٌّ . قال ابن حجر (فى الإصابة) : هو الأَقرع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سُفيان التَّميمىُّ المُجاشِعى الدَّارِمى . قال ابن إسحاق : وفد على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مكَّةَ وحُنيناً والطائِفَ ، وهو من المؤلَّفة قلُوبهم . وقد حَسُن إسلامه .

وقال الزُّبير (فى النسب) : كان الأَقرع حَكَماً فى الجاهليَّة ،وفيه يقول جرير ، وقيل غيره ، لمَّا تنافرَ إليه(١) هو والفُرافصة أو خالدُ بن أَرطاة :

يا أَقرعَ بن حابس ياأَقرع   إنَّك إنْ يُصرعْ أخوك تُصرعُ

قال ابن دُريد : اسم الأَقرع بن حابس فِراس ، وإنَّما قيل له الأَقرع لِقَرَع كان برأسه . وكان شريفاً فى الجاهلية والإِسلام .

وروى ابن شاهين أنَّه لما أصاب عُيينةُ بنُ حصنٍ بنى العنبر ، قدِم وفدُهم . فذكر القصة وفيها : فكلَّم الأَقرع بن حابس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى السَّبْى . وكان بالمدينة قبلَ قدوم السَّبْى . وفى ذلك يقول الفرزدق يفخر بعمِّه الأَقرع :

وعندَ رسول الله قام ابنُ حابس   بخُطَّة أُسوار إلى المجد حازمِ(٢)

(١) فى الإصابة : «لما سافر إليه» ، وما هنا صوابه .

(٢) وكذا فى الإصابة . والأسوار ، بكسر الهمزة وضمها : الجيد للرمى بالسهام ، ولاوجه له هنا ولا يستقيم مع قوله «إلى المجد» والوجه : «سوار إلى المجد» كما فى ديوان الفرزدق ٨٦٢ أى متوثب إليه .

له أطلق الأَسرى التى فى قيودها مُغلَّلةً أَعناقُهـا فى الشكائِمِ[١]

عمرو بن خشارم

وأما عمرو بن خشارم البجلى فهو جاهلى ، والله أعلم .

هذا على وجه الاختصار ، وأمَّا على وجه البسط فهو ماأورده أبو محمد الأعرابى (فى فُرحة الأَديب) قال : أملى علينا أبو الندى قال :

منافرة جرير البجلى وخالد بن أرطاة

كان سبب المنافرة بين جرير بن عبد الله البَجَلى وبين خالد بن أرطاة بن خُشَين بنَ شَبَث الكلبىّ ، أَنَّ كلباً أصابت فى الجاهلية رجلاً من بَجيلة يقال له مالك بنُ عتبة ، من بنى عاديةَ بن عامر بن قُداد[٢] ، فوافَوْا به عُكاظ ، فمرَّ العَادىُّ بابن عَمٍّ له يقال له القاسم بنُ عَقيل بن أبى عمرو بن كعب بنُ عُرَيج بن الحويْرث بن عبد الله بن مالك بن هلال بن عادية بن عامر بن قُداد ، يأْكل تمراً ، فتناول من ذلك التمر شيئاً ليتحرَّم به ، فجذبه الكلبى ، فقال له القاسم : إنَّه رجلٌ من عشيرتى ! فقال : لو كانت له عشيرةٌ منعته ! فانطلق القاسم إلى بنى عمِّه بنى زيد بن الغوث ، فاستتبعَهُم ، فقالوا : نحنُ منقطِعون فى العرب ؛

٣٩٨ وليست لنا جماعة نقوَى بها ، فانطلَقَ إلى أحمَسَ[٣] فاستتبعَهُم . فقالوا: كلَّما طارت وَبَرة من بنى زيد فى أيدى العرب أردنا أن نتبعَها !

---

(١) ش « مغلغلة » ، وصححها الشنقيطى « مغللة » كما فى الإصابة والديوان . ورواية الديوان :

له أطلق الأسرى التى فى حباله مغللة أعناقها فى الأداهم

والأداهم : القيود ، لسوادها . أما الشكائم فهى لجم الحديد المعترضة فى أفواه الخيل .

(٢) هو عامر بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار . جمهرة أنساب العرب ٤٧٤ ، والاشتقاق ٥١٩ .

(٣) فى النسختين : « إلى آخر » ، والصواب ماأثبت ، وهم بنو أحمس بن الغوث بن أنمار ، من بطون بجيلة . الجمهرة ٤٧٤ . وسيأتى ذكرهم فى الخبر . وفى حواشى ش : « هكذا بخط المؤلف : آخر ، والصواب أحمس » .

فانطلقَ عند ذلك إلى جرير بن عبد الله البجلى فكلّمه ، فكان القاسم يقول : إنَّ أوَّلَ يوم أُرِيتُ فيه الثيابَ المصبَّغة والقبابَ الحُمر ، اليومُ الذى جئتُ فيه جريراً فى قَسْر ، وكان سيِّدَ بنى مالك بن سعد بن زيد ابن قَسر ، وهم بنو أبيه . فدعاهم فى انتزاع العادىِّ من كلب ، فتَبعوه فخرج يمشى بهم ، حتَّى هجم على مَنازلِ كلبٍ بعكاظ ، فانتزع منهم مالك بنَ عُتبة العادىّ ، وقامت كلبٌ دونه ، فقال جرير : زعمتم أنَّ قومه لايمنعونه . فقالت كلب : إنَّ رجالنا خُلوفٌ : فقال جرير : لو كانوا لم يدفعوا عنكم شيئاً . فقالوا : كأنَّك تستطيل على قُضاعة ، إنْ شئت قايسناكُم المجدَ ! وزعيم قضاعة يومئذ خالد بن أرطاة بن خُشَين ابن شَبَث . قال : ميعادنا من قابلٍ سوقُ عكاظ .

فجمَعت كلبٌ وجمعت قَسرٌ ووافَوْا عكاظ من قابل ، وصاحبُ أمر كلب خالدُ بن أرطاة ، فحكَّموا الأقرعَ بنَ حابس بن عِقال بن محمّد بن سفيان بن مُجاشع ، حكَّمه جميعُ الحيَّين ، ووضعوا الرُّهون على يدَىْ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فى أشرافٍ من قريش. وكان فى الرُّهُنِ من قسرٍ: الأصرمُ بن عوفِ بن عُويف بن مالك بن ذُبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يَشكر بن علىّ بن مالك بنِ سَعد بن نَذير بن قسر . ومن أحمس[1] :حازمُ ابن أبى حازم ، وصخر بن العُلبة . ومن بنى زيد بن الغوث بن أنمار رجلٌ . ثم قام خالد بن أرطاةَ فقال لجرير : ما تجعل ؟ قال : الخطَر فى يدِك . قال : ألف ناقة حمراء فى ألف ناقة حمراء . فقال جرير : ألف قينة عذراء فى ألف قينة عذراء، وإنْ شئت فألف أُوقيَّة صفراء لألف أُوقيَّة صفراء . قال: من لى بالوفاء ؟ قال : كفيلك اللاتُ والعُزّى،

(١) ط : «أحمر» ، صوابه فى ش . وانظر الحاشية السابقة .

وإسافٌ ونائلة ، ويَعوقُ وذو الخَلَصة ونَسْر ، فَمنْ عليك بالوفاءِ ؟ قالَ : وَدٌّ ومَناة ،وقَلْس ورُضَا . قال جرير : لك بالوفاءِ سبعون غلاماً مُعِمًّا مُخوِلاً ، يوضعون على أَيدى الأَكْفاءِ من أَهل الله[١] . فوضعوا الرُّهن من بَجيلة ومن كلب على أَيدى مَنْ سمَّينا من قريش ، وحكَّموا الأَقرعَ بن حابس ، وكان عالِمَ العرب فى زمانه ، فقال الأَقرع : ماعندك ياخالد ؟ فقال : ننزل البَرَاح، ونطعُن بالرماح ، ونحن فتيان الصَّباح[٢] ! فقال الأَقرع : ماعندك ياجرير ؟ قال : نحن أَهلُ الذهَب الأَصفر ، والأَحمر المُعْتَصَر[٣] ، نخيف ولا نخاف، ونُطِعم ولانستطعم . ونحن حىٌّ لَقاح ، نُطعِم ما هبَّت الرِّياح ، نُطعم الشَّهر ، ونضمن الدَّهر ، ونحن ملوك القَسْر[٤] ! فقال الأَقرع : واللاتِ والعزَّى لو فاخرتَ قيصر ملكَ الروم ، وكسرى عظيمَ فارس ، والنُّعمان ملكَ العرب، لنفَّرتُك عليهم ! وأَقبل نُعيم بن حجبة النمرى ، وقد كانت قَسرٌ ولدته ، بفرسٍ إلى جرير ، فركبه جرير من قِبَل وحشيِّهِ ، فقيل : لم يحسن أَن يركب الفرس ! فقال جرير : الخَيلمَيامن ، وإنَّا لا نركبُها[٥] إلاَّ من وجوهها .

وقد كان نادى عَمْرُو بنُ خُثارم أَحد بنى جُشَمَ بن عامر بن قُداد فقـال :

(١) أهل الله ، هم قريش ، كانوا يسمون بذلك فى الجاهلية . انظر أول ثمار القلوب للثعالبى .

(٢) ش : « الصياح » صوابه بالباء ، كما فى ط .

(٣) ش : « المعصفر » ، صوابه فى ط . وانظر ماسيأتى من تفسير البغدادى .

(٤) ط : « الملوك لقسر » ش: « الملوك قسر »،والوجه ما أثبت . وانظر ماسبق فى ص ٢١ .

(٥) ط : « لانركب » ، وأثبت ما فى ش .

لا يُغلَبُ اليومَ فتًى وَالاَكُما يا ابنَىْ نزار انصُرا أخاكُما
إنَّ أبِى وجدتُه أباكمـا ولم أجد لى نسباً سواكُما
غَيثُ ربيعٍ سَبِط نداكمـا حتَّى يحُلّ الناسُ فى مَرعاكُما
أنتم سرورُ عَينِ من رآكمـا قد مُلئتْ فما ترى سواكُما ٣٩٩
قد فاز يومَ الفخر من دعاكما ولا يعُدُّ أحدٌ حَصاكُما
وإنْ بنَوْا لم يدركوا بِناكُما مجدًا بناهُ لكما أباكُما
ذاك ومَنْ ينصرُهُ مِثْلاكمـا يوماً إذا ماسُعِّرت نارَاكُمـا

وقال أيضاً :

يا لنَزار قد نَمَى فى الأَخشَبِ دعوةُ داعٍ دعوةَ المثوِّب(١)
يا لَنزارِ ثَمّ فاسعَىْ واركبى يا لنَزار ليْس عنكمْ مذهبى
إنّ أباكمْ هو جدِّى وأبى لم يُنصَرِ المولى إذا لم تغضبى
يا لنزار إنَّنى لم أكذب أَحسابكم أخطرتُها وحَسَبى(٢)
ومن تكونوا عِزَّه لا يغلبِ ينمى إلى عزٍّ هِجانٍ مُصعَبِ
كأنَّه فى البُرْج عند الكوْكبِ(٣)

وقال أيضاً :

يا أقرعَ بنَ حَابس يا أقــرعُ إنِّى أخوكَ فانظُرَن ماتصنعُ

(١) الأخشبان : الجبلان المطيفان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان . قال ياقوت : « وقد تفرد هذه التثنية فيقال لكل واحد منهما : الأخشب ».
(٢) أخطرنى فلان : صار مثلى فى الخطر والشرف .
(٣) بعده فى ش مع علامة إلحاق ، حاشية نصها : « هذان الشطران مما أورده أبو محمد الأعرابى ، ولم يوردهما المؤلف » . والعبارة الملحقة هى :

«وقال أيضاً :

يالنزار دعــوةً صبــاحاً قد فاضح الأمرُ بنا فِضاحا »

إنَّك إن يُصرع أخوك تصرعُ ... إنى أنا الدَّاعى نزارًا فاسمعوا
لى باذخٌ من عزِّهِ ومَفرَعُ[(١)] ... به يضرُّ قادر ويَنفعُ
وأَدفعُ الضيمَ غدًا وأمنع ... عزٌّ أَلدُّ شامخ لا يُقمَع
يتْبعه النَّاسُ ولا يُستتبَعُ ... هل هو إلَّا ذَنْبٌ وأَكرُعُ
وزَمَع مُؤتَشَبٌ مجمَّعُ ... وحسَبٌ وغْلٌ وأنفٌ أجدعُ

وقال أيضاً :

يا أَقرع بن حابس يا أَقرعُ ... إنك إنْ تَصْرَعَ أخاك تصرعُ[(٢)]
إنى أَنا الداعى نزاراً فاسمعوا ... فى باذخ من عزه ومَفْرَعِ[(٣)]
قمْ قَائِماً ثُمَّتَ قلْ فى المجمعِ ... للمرءِ أَرطَاةٍ أَيَا ابنَ الأَفدعِ[(٤)]
ها إنَّ ذا يومُ علاً ومجمَعِ ... ومنظرٍ لمن رأى ومسمعِ

فنفَّره الأَقرع بمضَر وربيعةُ، ولولاهم[(٥)] نفَّر الكلبيَّ .

وكانت القرابةُ بين بجيلةَ وولدِ نزار : أَنَّ إراش بن عمرو بن الغَوث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، خرج حاجًّا ، فتزوَّج سلامَة بنتَ أَنمار بن نزار ، وأَقام معها فى الدار بغَور تِهامة ، فأَوْلدها أَنمارَ بنَ إراشٍ ورجالا ، فلما توفِّىَ إراش وقَع بين أَنمار بن إراش وإخوته اختلافٌ فى القسمة ، فتنحَّى عن إخوتِهِ ، وأَقام إخوتُه[(٦)] فى الدار مع أخوالهم . وتزوج أَنمار بن إراش بهند

(١) المفرع بالراء ، من فرع فلان فلاناً : علاه : ط : « ومفزع » صوابه فى ش .
(٢) رسمت هذه الكلمة فى ش لتقرأ بالياء والتاء معاً فى الموضعين .
(٣) ط : « ومفزع » . وانظر ما سبق من تحقيق . وفى الشطر وما بعده إقواء .
(٤) ش : « الأقرع » ، وأثبت ما فى ط . وقد سبق فى الخبر أن صاحب أمر كلب هو خالد بن أرطاة .
(٥) ط : « ولولاه » .
(٦) ط : « عن أخويه وأقام أخويه » ، تحريف ما أثبت من ش .

بنت مالك بن غافق بن الشاهد ، فولدت أفتَل وهو خثعم ، ثم توفِّيت فتزوَّج بَجيلةَ بنت صَعب بن سعد العشيرة ، فولدت له عبقراً[1] ، فسمَّته باسم جدِّها وهو سعد ولقِّب بعبقر ، لأَنَّه ولد على جبل يقال له عبقر . وولدت أيضاً الغَوث، ووادِعة ، وصُهَيبَة ، وحَزِيمة ، وأشهل ، ٤٠٠ وشَهلاء ، وسُنَيّة ، وطَرِيفاً ، وفَهْماً ، وخُدَعة ، والحارث . انتهى ما أورده أبو محمد الأَعرابىّ .

وظهر أَنَّهما أُرجوزتان على قافية العين ، أُولاهما مرفوعة والثانية مجرورة .

والشاهد إنَّما يتأَتَّى على الأُولى . وقد روى أَيضاً :

* إنَّك إن تصرع أخاك تُصْرَعوا *

بالجمع ، يريد الأَقرع وقومَه . وعلى هذا لاشاهد فيه كالرجز الثانى .

* * *

وأَنشد بعده :

(الحافظو عورةَ العَشيرةِ لا يأْتِيهمُ مِنْ ورائنا وكَفُ)

على أَنَّه تحذف نون الجمع للضَّرورة كما هنا ، والأَصل : الحافظون عورة العشيرة .

وهذا على رواية نصب عورة . أَمَّا على رواية خفضها فالنُّون حذفتْ للإِضافة .

وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين[2] .

---

(١) ط : «عبقر» .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٧٢ - ٢٨٣ .

والوكف ، بفتح الواو والكاف ، وروى بدله : « نَطَفُ » بفتح النون والطاء المهملة ، وكلاهما بمعنى العَيْبِ .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتمُ الطائىُّ وهَّابُ المئى)

على أَنَّه حذف تنوين (حاتم) لالتقاءِ الساكنين . والمئى أصله المئين حذفت النون لضرورة الشعر ، كحذف التنوين .

وقد تقدَّم الكلام عليه مستوفىً فى الشاهد الرابع والأَربعين بعد الخمسمائة(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الخمسمائة (٢) .

٥٨٢ (زعمَتْ تُماضِرُ أَنَّنى إمّا أَمُتْ يَسدُدْ أُبَينُوها الأَصاغرُ خَلَّتى)

على أنَّ جمع (أبينوها) شاذٌّ ، كما بيَّنَه الشارح المحقق .

وملخَّصه : أنّه إمّا جمعُ أُبَيْنٍ مصغر أَبْنَى كأَعمى(٣) .

وإما جمع أُبَين مصغَّر أَبْنٍ بفتح الهمزة(٤) ،وهو جمع ابنٍ بكسرها .

وإمّا جمع أُبَينٍ مصغر ابن ، بجعْل همزة الوصل قطعاً .

وإما مصغَّر بَنيينَ على غير قياس . فهذه أقوال أربعة.

(١) الخزانة ٧ : ٣٧٥ — ٣٧٩ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٤٣ : ٦٩ والقالى ١ : ٨١ وابن يعيش ٩ : ٥ ، ٤١ والهمع ٢ : ٦٣ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٤٧ ، وبشرح التبريزى ٢ : ١٢١ والأصمعيات : ١٦ .

(٣) ابن الشجرى : « فهو اسم سموا به الجمع ولم ينطقوا به ، ولكن لما سمع تصغيره دل على أن المكبر أفضل » .

(٤) فى الرضى ٢ : ١٧٠ : « كأدل جمع دلو » .

قال أبو على (فى بابٍ من الجمع بالواوِ[1] والنون ، من كتاب الشعر) :

قال الشاعر[2] :

إنْ يك لا ساءَ فقد ساءَنى ترْكُ أُبَيْنِيكَ إلى غير راعْ[3]

لا يخلو قولهم أبينون فى تحقير أبناءٍ من أن يكون مقصوراً من أفعال ، أو يكون تحقير أَفعُل ، أو يكون اسماً صيغ فى التحقير .

ولا يجوز أن يكون مقصوراً من أفعال ، لأنَّ أفعالاً لم يُقْصَر فى موضعٍ غير هذا ، فلا يستقيم أن يدَّعى فيه شىء ولا نظير له وقد خولف فيه . ولم يجىء فى شىء كما جاءَ أَسد وأُسد ونحوه .

ولا يستقيم أن يكون تحقير أَفعُل ، وإن كان أَفعُل مثل أفعال فى أنَّ كلَّ واحدٍ منهما للعدد القليل .

فإن قلت : أَوَ ليس قد قالوا : صبيٌّ وصِبْية ، وغلام وغِلمَة ، وقالوا فى التصغير : أُصيبِيَة وأُغيلمة ، وأفعلة من فِعلة كأَفعُل من أفعال فى أنَّ كلَّ واحدٍ جمع أدنى العدد ، جاءَ التكبير على أحدهما ووقع التحقير على الآخر . وكذلك أُبينون ، وإلى هذا يذهب بعض البغداديين .

فالجواب : لا يستقيم أن يكون هذا على أَفعُل وإنْ كان ما ذكرتَ من أدنى العدد يقوم مقام الآخر لدخول الواو والنون وهماً فى أنَّه للعدد القليل ، مثل البناءِ المبنىِّ له ، فلا يستقيم ، إذ لم يُنقَل لحاق الواو والنون له ، كما لا يجتمع الحرفان لمعنًى واحد فى الكلمة . ألا ترى أنَّك إذا جمعتَ ٤٠١

(١) ط : « من الجمع الواو » ، صوابه فى ش .

(٢) هو السفاح بن بكير اليربوعى . المفضليات ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٣) فى المفضليات : « من يك لا ساء » .

اسماً فيه علامة التأْنيث بالأَلف والتاءِ أزلتَها بالحذف أَو القلب . فكما أَزلتَ العلامة فلم تجمعْ بينهما ، كذلك لا يستقيم أَنْ تجمع بين الواو والنون وبين بناءِ أدنى العدد ، لاجتماع شيئين لمعنًى واحد فى الكلمة . فإذا لم يستقم ذلك علمتَ أَنّه صيغ فى التحقير ، كما قال ، كأَنَّك حقَّرت أَبْنَى[1] مثل أَعمَى .

فإن قلت فمن أَبيات الكتاب :

قد شَرِبَتْ إلاَّ دهيدِهينا قُلَيِّصـاتٍ وأُبَيْكرينا[2]

فالقول فى ذلك أنّه ضرورة . وكأَنَّ الذى استهواه أنّ أَفعُل جمعٌ من أَبنية الجموع القليلة ، وقد جاءَ ضربان منه بالتاءِ فهو أَفعِلة وفِعلة ، فلمَّا وافقتها أَفعُل فى القلة وكان تأْنيث الجمع قائماً فيه قدَّر أَنَّ التاءَ فيه تلزم ، فقدَّر فيها التأْنيثُ كما جاءَ فى البناءَين الآخرين[3]، فلمَّا لم تثبت عوَّض منها كما عوَّض من العلامة التى ينبغى أَن تثبت فيها ، فقال أُبَيْكِرِين كما قيل أَرَضُون . فإذا كان كذلك لم تجتمع علامتان لمعنًى . ألاَ ترى أَنَّ الياءَ كأَنَّها عوض من علامة التأْنيث ، كما أَنها فى أَرضين كذلك . وأَمَّا أَبينون فإذا لم تكن فيه ضرورةٌ وكان التصغير قد يصاغ فيه الأَسماءُ التى لا تكون فى التكبير نحو عُشَيْشَة وأُنيسَان[4] كذلك تحمل أَبنَى[5] على هذا النحو دون أَفعُل ، فيلزم فيه اجتماع

(١) فى النسختين : « ابنا » . وانظر سيبويه ٢ : ١٢٥ بولاق و ٣ : ٤٥٦ هارون .

(٢) سيبويه ٢ : ١٤٢ بولاق و ٣ : ٤٩٤ هارون .

(٣) ش : « أن التاء فيه تلزم الآخرين » فقط .

(٤) إذ أن المكبر إنما هو عشية وإنسان ، والمصغر منهما عشيشية وأنيسيان .

(٥) فى النسختين : « ابنا » كما سبق .

شيئين بمعنًى . وأَمَّا الدُّهيدهينا فيشبه أَن يكون لمَّا حذف حرف اللين الذى كان يجب إثباته شُبِّه ذلك بعلامة التأْنيث من حيث الحذف ، فجعَل الواو والنون عوضاً من ذلك كما جعلها عوضاً من علامة التأْنيث. انتهى كلامُ أَبى علىّ .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : ذهب سيبويه إلى أَنَّ الواحد المكبَّر من هذا الجمع أَبنَى على وزن أَفعَل مفتوح العين ، بوزن أَعمى ، ثم حقِّر أَيضاً(١) فصار أُبَينٍ كأُعيمٍ ، ثم جمع بالواو والنون فصار أُبينون، ثم حذفت(٢) النون للإِضافة فصارت أُبينوها .

وذهب الفراءُ إلى أَنَّه كُسِّر ابناً(٣) على أَفعُل مضموم العين ، ككلب وأَكلُب .

ويذهب البغداديون فى هذه المحذوفات إلى أَنَّها كلَّها سواكنُ العين. فأُبينٍ عندهم كأُدَيلٍ ، كما أَنَّ أبنٍ ذلك المقدَّرَ عندهم كأَدْلٍ . وكأَنَّ سيبويه إنَّما عدل إلى أَن جعل الواحد من ذلك أَفعَل اسماً واحداً مفرداً غير مكسَّر لأَمرين :

أحدهما : أَنَّ مذهبه فى ابنٍ أَنَّه فِعْل ، بدلالة تكسيرهم إيَّاها على أَفعال ، وليس من باب فَعْل أَو فُعْل .

والآخر : أَنَّه لو كانَ أَفعُل لكان لمثال القلَّة ، ولو كان له لقبح جمعه بالواو والنون . وذلك أَنَّ هذا الجمع موضوعٌ للقلَّة فلا يُجمَع بينه

---

(١) أيضاً ، ليست فى ش ولا فى تنبيه ابن جنى .

(٢) فى التنبيه : « ثم حذف » .

(٣) هذا ما فى التنبيه لابن جنى . وفى النسختين : « ابنى » ، تحريف .

وبين مثال القلَّة ، لئلاً يكون ذلك كاجتماع شيئين لمعنًى واحد ، وذلك مرفوضٌ فى كلامهم . ورأى مع هذا أنَّه قد جاء فى أسماء الجموع المفردة غير المكسَّرة ما هو على أفعَل مفتوح العين ، وهو ما أنشده أبو زيد من قوله :

ثم رآنِي لا أكونَنْ ذبيحةً   وقد كثُرت بين الأعَمِّ المضائضُ[1]

كذا رواه الأعَمّ بفتح العين، ومثله أثأبة وأثأب، وأضحاة وأضحَى . وهذه أسماءٌ مفردة غير مكسَّرة . وكذلك أرْوَى ، وله نظائر . واعتصَمَ الفراءُ فيما ذهب إليه بقول الشَّاعر :

قد رَوِيتْ إلاَّ دُهيدِهينا   قليِّصاتٍ وأبيكرينا

٤٠٢ فهذا تحقير أبكُر ، وهو مثال القلَّة كما ترى، وقد جمع بالواو والنون . وكان يروى « الأعُمّ » بضم العين ، فهذا عنده كصَكٍّ وأصُكّ ، وضبٍّ وأضُبٌّ . وكيف تصرَّفت الحال فرواية أبي زيد فى النفوس بحيث لا ريب[2] .

وأمَّا قوله :

مَن بك لا ساءَ فَقد ساءَنى   تَركُ أُبينيكَ إلى غير رَاعْ[3]

فيحتمل أمرين : أحدهما أن يكون الياء فيه علمَ الجمع ، كالواو

(١) فى النسختين : « ثم وانى » ، تصحيحه من النوادر ٦٢ . وقبله :
فإن أباها مقسم بيمينه   لئن نبضت كفى وإنى لنابض
(٢) بين هذا الكلام وتاليه كلام طويل فى تنبيه ابن جنى .
(٣) انظر نسبة البيت والكلام عليه فيما سبق . وفى ط : « راعى » . صوابه فى ش . والبيت من قصيدة مقيدة بالسكون ، مطلعها :
صلى على يحيي وأشياعه   رب غفور وشفيع مطاع

فى قوله أُبينوها . والآخر : أَنَّه واحدُ الأَبْنَيْنَ [(١)] على ماتقدَّم من الخلاف فيكون على قول صاحب الكتاب تحقير ابنَى كأَعمى ، وعلى قياس قول الفرّاء تحقير أَبنٍ كأَدلٍ ، فيكون اللام ياء [(٢)] . انتهى .

واقتصر ابن الشجرى (فى أَماليه) على مذهب سيبويه ، قال : وأَشكلُ ما فى هذا الاسم وهو أَبنٍ قولهم فى جمعِ مصغَّره أُبينون فى هذا البيت . لا يجوز أَن يكون أُبينون جمعاً لمصغَّر ابن ، لأَنَّه لو كان كذلك لقيل بُنيُّون . ولا يجوز أَن يكون جمعاً لمصغَّر أَبناء ، لأَنَّه لو كان كذلك لقيل أُبَيناءونَ . ولو أَرادوا هذا لاستغنَوْا بقولهم أُبَيْنَاءُ عن جمعه بالواو والنون . وإذا بطل الأَول والثانى فإنَّ قولهم : أُبينون جمعٌ لتصغير اسم للجمع ، وليس بجمع ، ولكنَّه كنَفَرٍ ورَهْط ، وهو مما قدَّروه ولم ينطقوا به . ومثاله أَبنَى مقصور بوزن أَعشى ، ثم حقَّر فصار إلى أُبينٍ مثل أُعيش، ثم جمع فقيل أُبينون ، وأَصله أُبينيون، ففُعل به ما فُعل فى القاضون . انتهى .

وبقى مذهبٌ خامسٌ نقله الخطيب التَّبريزى (فى شرح هذا البيت من الحماسة) عن أَبى العلاء المعرى قال : زعَم أَبو العلاء أَنَّ أُبينوها تصغير أَبناء . ولمَّا ذكر سيبويه هذا الجمَع عبَّر بعبارةٍ تُوهم أَنَّه جمع أَبنَى على أفعَل ثم صُغِّر ، كما يقال أَعشى وأُعيشٍ والجمع أُعيشون . وإنَّما أَراد أَن الأَلف التى فى أَبناءِ وبعدها الهمزة تحذف ، فيصير تصغيرُه كتصغير أَفعل . كأَنَّ أَبا العلاء يريد أَنَّ مكبَّر هذا الجمع أَبنَى على وزن أَفعَل مفتوح العين بوزن أَعمى ، ثم حقَّر فصار أُبينٍ كأُعيمٍ ، ثم جمع بالواو

(١) هذا ما فى التنبيه . وفى ط : « الأبينين » ، وفى ش : « الأُبينين » .

(٢) فى التنبيه : « فتكون الياء لاماً » .

والنون فصار أُبينون ، ثم حذفت النُّون للإضافة . وكان الأَصل أبناءً على أَفعال ، فالهمزة لام الكلمة ، وهى منقلبةٌ مِن واو ، فلمَّا حذفت الأَلف من أَفعال رجعت اللام إلى ما كانت فصارت أَلفاً فى آخر الكلمة ، فصار أَبنَى كأَعمى ، ثم صغِّر على ما تقدَّم .

قال : ويحسن أن يقال : جمع ابناً على أَفعُل ، لأَنَّ أصله فَعَل كما يقال زمَنٌ وأزمن ؛ ثم صغَّره وجمعه . وقال قوم : إنَّما أَراد بنَيُّون ، وابن من ذوات الواو ، فنقلها إلى أَوّل الاسم ، ثم همزها للضمّة ، كما قالوا وجوه وأُجوه . فقوله أُبينُوها على هذا تصغير أَبنَى مقصوراً عند البصريين ، وهو اسمٌ صيغ للجمع كأَروى وأَضحًى ، فهو على أَفعَل بفتح العين . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ عدَّتها أَحدَ عشر بيتاً لسُلمىّ بن ربيعة[1] من بنى السِّيد بن ضَبَّة ، أوردها أَبو تمام (فى الحماسة) وهى :

أبيات الشاهد

(حَلَّت تُماضِرُ غَربةً فاحتلَّتِ ... فَلْجاً وأَهلُك باللِّوى فالْحِلَّةِ
وكأَنَّ فى العينين حبَّ قَرنفُل ... أَو سُنبلاً كُحِلَت به فانهلَّتِ
زعمتْ تماضرُ أَنَّنى إمَّا أَمُتْ ... يَسدُد أُبينوها الأَصاغرُ خَلَّتى
٤٠٣ ترِبتْ يداكِ وهل رأَيتِ لقومه ... مثلى علَى يُسرى وحينَ تَعلَّتى[2]
رجلاً إذا ما النائباتُ غشِينَه ... أَكفَى لمعضلةٍ وإنْ هى جلَّتِ
ومُناخ نازلةٍ كفَيتُ ، وفارسٍ ... نهِلَتْ قناتى من مَطاه وعلَّتِ
وإذا العذارَى بالدُّخان تقنَّعتْ ... واستعجلَتْ نصبَ القدورفملَّتِ

(١) انظر ما كتبت فى تحقيق اسمه وفى نسبة هذه الأبيات فى حواشى شرح الحماسة للمرزوقى ٥٤٦ .

(٢) ش : « تعلت » ، صوابه فى ط والحماسة .

دارت بأَرزاق العُفاة مَغالقٌ بيدىّ من قَمع العِشار الجِلَّةِ
ولقد رأَبْت ثأْى العشيرةِ بينَها وكفيت جانيَهَا اللَّتيا والَّتى (١)
وصفحتُ عن ذى جهلِها ورَفدتها
نُضْحِى ولم تُصِبِ العشيرَةَ زَلَّتى (٢)
وكفيتُ مولاىَ الأَحمَّ جريرتى وحَبست سائمتى على ذى الخَلَّة)

وقد روى هذه القصيدةَ القالىُّ (فى أَماليه) ، وأَبو الحسن الأَخفش (فى شرح نوادر أَبى زيد) كما نقلناها .

قوله : «حلَّت تُماضر غَربَةً» الخ . قال الإمام المرزوقى : تماضر : امرأته ، وكانت فارقتْه عاتبةً عليه فى استهلاكه المالَ ، وتعريضِه النفسَ للمَعاطب ، فلحقتْ بقومها ، فأَخذ هو يتلهَّف عليها ويتحسَّر فى أثرها وأَثر أَولاده منها ، فيقول : نزلَتْ هذه المرأَةُ بعيدةً منك فاحتلَّت فلْجًا وأَهلُكَ نازلون بين الموضعين . وهذا الكلام توجُّعٌ . وفَلْجٌ : على طريق البصرة . والْحِلَّة : موضع من الحزن ببلاد ضَبَّة . واللِّوى : رمل متَّصل به رقيق (٣) . وبين المواضع التى ذكرها تباعد . فإِنْ قيل : لم قال حلَّت ثم قال احتلَّت (٤) ؟ قلت : نبَّه بالأَوّل أَنَّها اختارت البعد منه والتغَرُّب عنه ، وبالثانى الاستقرار . فكأَنَّه قال : نزلَتْ فى الْغَربة (٥) فاستوطنت فَلْجا . وفلج بفتح اللام : بلد ، وفلج بسكون اللام : ماء . انتهى .

---

(١) سيأتى فى الشرح ص ٤٦ جواز ضبط « جانيها » بفتح الياء وإسكانها .
(٢) تضحى ، كذا وردت ، وسيتكلم فيها البغدادى . وقد جعلت فى ش « نصحى » . ومع أنه تصحيح لكنه ليس يريده البغدادى . والبغدادى سينص فى س ٦ على أنها رواية القالى ، لكن الثابت فى الأمالى : « نصحى » بالنون ، وأراه تغييراً لرواية القالى لتساير الرواية المعروفة .
(٣) كذا بالراء فى النسختين وشرح المرزوقى .
(٤) بعده فى المرزوقى : « وهلا اكتفى بأحدهما » .
(٥) المرزوقى : « نزلت فى هذه الغربة » .

وقال الأَسود أبو محمد الأَعرابيّ (فى شرح الحماسة) : هذه المرأة فارقتْه إمّا بطلاق وإمّا مغاضِبة ، فأَسِف عليها . والْحِلَّة بفتح المهملة وكسرها : موضعٌ حزن وصخورٌ ببلاد ضبّة . واللِّوى هنا : موضعٌ بعينه . والغَرْبة ، بفتح الغين المعجمة : الأَرض البعيدة . وفَلْج بالفتح والسكون : وادٍ بطريق البَصرة إلى مكَّةَ، ببطنه منازلُ للحاجّ، وبينه وبين فَلَج ، زعموا ، مسيرةُ عشرٍ . انتهى .

وقال التِّبريزىّ: قوله غَربة أى دار بعيدة(١) . والحِلَّة: موضعٌ فى بلاد بنى ضبَّة . وقالوا: هى حَزْنٌ ببلاد ضبة . انتهى .

وتماضر من أَسماء النِّساء ، قال ابن جِنِّى (فى إعراب الحماسة) : التاءُ فى تماضر عندنا فاءٌ ، وإنَّما لم يصرف عندنا هذا الاسم لما فيه من التعريف والتأْنيث ، [لا] لأَنَّه بوزن فُعاعِل(٢) . فتماضر إذًا كقُراقر وعُذافر . وكذا القياس فى تاء جَمَل تُرامِز(٣) . انتهى .

والظاهر أَنّ تماضر تُفاعل، والتاءُ زائدة لا أَصلٌ، إذ هو من مَضَر . وإليه ذهب أَبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحترى) قال : تماضر بضم التاء وكسر الضاد ، وهو منقول من فعل مضارع ، كما سُميت المرأة تُكتَم وتُكنَى . وكان فى النسخة (أَى من ديوان البحترى) قال :

---

(١) التبريزى : « أى داراً بعيدة » .

(٢) سقطت كلمة « لا » من النسختين ، وإثباتها من إعراب الحماسة الورقة ٩٣ . وفى ط : « فعاعل » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة . وابن جنى ينفى أن يكون الوزن « تفاعل » بالتاء فتمنع الكلمة من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، ويعنى أن منعها الصرف للعلمية والتأنيث .

(٣) فى اللسان (ترمز) : « الترامز من الإبل : الذى إذا مضغ رأيت دماغه يرتفع ويسفل ، وقيل هو القوى الشديد » .

تَمَاضُر بفتح التاء وضم الضاد . وهذا غلط ، والمعروف فى أسماء النساء ما ذكرنا .

وذكر ابن السرَّاجِ عن قومٍ من النحويِّين أنَّهم جعلوا تُماضر فى الأَبنية التى أغفلها سيبويه . وهذا وهم ، لأَنَّ تُماضر تُفاعل من قولك ماضرتَ تُماضِر. فإمَّا أن يكون مأْخوذًا من اللبن الماضر ، وهو الحامض(١) وقيل الأَبيض، فكأَنَّه من ماضرت الرجلَ، إذا سقيته وسقاك اللبن . وإمَّا أن يكون من مُضَر ، كأَنَّه من ماضرته إذا ناسبتَه إلى مضر . انتهى. ٤٠٤

وقد تبعه تلميذُه الخطيب التّبريزى هنا ، وقال : تماضر من أسماء النِّساء . وقد ذكرها بعض الناس فيما أغفله سيبويه من الأَبنية . وليس الأَمر كذلك ، لأَنَّ تماضر مسمَّاة بالفعل المضارع الذى هو مأْخوذ من اللبن الماضر ، وهو الحامض(٢) ؛ أَوْ من قولهم: عيش مَضِر أى ناعم؛ وقيل: المضر: الأَبيض . انتهى .

وقوله : « وكأَنَّ فى العينين » إلخ ، قال المرزوقى : يقول : أَلفتُ البكَاءَ لتباعُدها(٣) ، فجادت العينان بإسالة دمعهما غزيراً متحلِّباً منهمَا ، فَكأَنَّ فى عينىَّ أَحدَ هذين المهيِّجين الحالبَيْنِ للعُيون . وقوله : « كحلت » إخبارٌ عن إحدى العينين ، وساغ ذلك لمافى العلم من أَنَّ حالتيهما لاتفترقان(٤) [ومتى اجتمع شيئان فى أَمر لايفترقان فيه] اجتُزِئَ بذكر أَحدِهما عن الآخر . انتهى .

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الحامض » التالية ، ساقط من ش .

(٢) إلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ من موضع التنبيه السابق .

(٣) وكذا فى شرح المرزوقى . وفى ط : « وتبعادها » .

(٤) هذا ما فى المرزوقى ، وفى النسختين : « من أن حالتيهما لا يفترقان فيه » ، تحريف . والكلام بعده إلى « فيه » التالية ساقط من ش .

والقَرنفُل والسُّنْبُل من أَخلاط الأَدوية التي تُحرِق العين وتُسيل الدُّموع . وانهلَّ واستهلَّ ، إذا سال .

وقوله : « زعمت تماضر أَنَّني » إلخ . قال المرزوقي في زعمت[١] : يتردَّد بين الشكِّ واليقين ، وههُنا يريد به الظَّنّ . وأَنَّني مع معموليها[٢] نائب عن مفعوليه . يقول : ظنَّت هذه المرأَة أَنَّه إن نزلَ بي حادثُ قضاءِ الله تعالى، سَدَّ مكاني ورمَّ ما يتشعَّث من حالها بزوالي، أَبناؤُها الأَصاغر . ويريد بهذا الكلام التوصُّلَ إلى الإبانة عن محلِّه ، وأَنَّه لايغني غناءَه من النَّاس إلَّا القليل . يقال سدَّ فلانٌ مسَدَّ فلان وسَدَّ خَلَّته ، وناب مَنابه ، وشغل مكانه ، بمعنًى واحد[٣] . فإن قيل : كيف ساغ أَن يقول يسدُّ خَلَّتي وإذا مات لم تكن له خَلَّةٌ ؟ قلت : أَضافها إلى نفسه لمَّا كان يسدُّها أَيامَ حياته ، فكأَنه قال : الخَلَّة التي كنت أَسدُّها . وهذا من إضافة الشيء إلى الشيء [على[٤]] المعتاد فيهما . ومثله قولهم : شِهاب القَذْف ، فأُضيف الشهاب إلى القذف لمَّا كان من رمي الرامي . ووجوهُ الإضافات واسعةٌ كثيرة ، وكذالك متعلَّقاتها . انتهى .

وقال الأَسود : أَرثه الاستغناءَ عنه بأَطفالها . وهذا يدلُّ على أَنَّها غاضبةٌ وهي في حِباله . والخَلَّة بفتح المعجمة : الفُرْجة ، والثُّلمة التي يتركها بموته . والخَلَّة: الضعف والوَهن ، والخَلَّة : الفقر . والخليل : الفقير ، والخَلَّة : الخصْلة .

---

(١) كلمة « في » ليست في ش ولا في المرزوقي . وفي المرزوقي : « زعم » .
(٢) المرزوقي : « وأنني مع الجزاء والجواب » .
(٣) كلمة « واحد » ليست في المرزوقي .
(٤) التكلة من شرح المرزوقي .

وقوله : « تربت يداكِ » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى خطابها. قال المرزوقى فى ترب: يستعمَل فى الفقر والخيبة لا غير. وأترب يستعمل فى الغِنى والفقر جميعاً، فإذا أُريد به الغنى فالمعنى صار له من المال بعدد التراب، وإذا أُريد به الفقر فالمعنى : صار فى التراب، كما يقال : أسهلَ إذا صار فى السهل . وقد يجوز أن يكون مثل أقلَّ، والمعنى صار مالكِ قليلًا من المال . وقوله: « حينَ تَعِلَّتى[1] » : المعنى: وحين اعتمدتُ على إقامة العلَّة لحصول الفقر[2] . وعلى هذا قوله :

* قليل ادِّخار الزادِ إلَّا تعِلَّةً[3] *

أى قـدرَ ما يقام به العِلَّة . أقبل عليها يوبِّخها ويخطِّئُ رأيَها ، ويكذِّب ظنَّها . ويقبِّح اختيارها ، فى إفاتة نفسِها الحظَّ منه ، ويدعو عليها بالفقر[4] والخيبة فى الرَّجَاءِ[5] فقال : صار فى يدك التراب ، وهل رأيت لقومه من يماثلنى فى حالتَى السرَّاءِ والضرَّاءِ حتَّى تُعَلِّقى مثل رجائك فىّ بغيرى إذا أخليتُ مكانى . انتهى .

وقال الأسود: أى خاب رجاؤك حين تعدلين بى أطفالا، وقد رأيتِ الرّجال أعياهم مكانى . وتربت يداك معناه صار فى يدك التراب ، أى لك الخيبة مما أمَّلتِ . وهى كلمةٌ تقال للمخطئ وجهَ القصد . وقوله « حين تعِلَّتى »: يريد العسر ، تعتلُّ حاله وتختلّ . وقال التِّبريزى : التعلَّة من علَّلت ، ٤٠٥
كأنَّه أراد حين أفتقِر فأحتاج إلى العلل ، أى الحُجج ، أو إلى أن أُعلِّل

(١) ط : « تعلت » ، صوابه فى ش والمرزوقى .
(٢) المرزوقى : « بحصول الفقر » .
(٣) لتأبط شراً فى الحماسة بشرح المرزوقى ٤٩٤ . وعجزه :
* فقد نشز الشرسوف والتصق المعا *
(٤) المرزوقى : « بالفقر والبأساء » كما هو عادته فى السجع .
(٥) ط : « الرخاء » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

نفسي كما يعلِّل العليل . قال ابن جني : قوله « وحين تعلّتي » معطوف على موضع قوله يُسرِي ، أي على وقت يُسرى وحين تعلّتي .

ومثلي يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون مفعول رأيت ، فينتصب رجلًا في البيت بعده على التمييز ، كقولك : لي مثله عبداً أي من العبيد ، فيكون تقديره : مثلي من الرِّجال الذين إذا غُشُوا كَفَوْا . والآخر : أن يكون أراد هل رأيت رجلاً مثلي ؟ فلمَّا قدَّم مثلي وهو وصفٌ نكرة نصبه على الحال منها . واللام في قوله لقومه متعلِّقة بنفس رأيت ، كقولك : رأيت لبني فلانَ نَعماً وعبيداً . وإن جعلت مثلي مفعولَ رأيت كانت الهاءُ في قومه له . وإن جعلته حالًا مقدَّمة فالهاءُ لرجل .

وقوله : « رجلاً إذا ما النائبات » إلخ ، قال المرزوقي : رجلًا بدل من مثلي ، كأنَّه قال : هل رأيتِ لقومه رجلًا أكفي للشَّدائد وإن عظُمت عند طروق النوائب وغِشيان الحوادث منِّي ؟ فحذف منِّي لأنَّ المراد مفهوم . والمعضلة : الداهية الشديدة . يقال أعضلَ الأمر ، إذا اشتدَّ . ويروى : « لمضْلِعة » وهي التي تضمُّ[1] الأضلاع بالزَّفراتِ وتنفُّسِ الصُّعَداءِ ، حتى تكاد تحْطِمها[2] .

وقوله : « ومُناخ نازلةٍ » إلخ . قال المرزوقي : أخذ يعدِّد ما كانت كِفايتُه مقسومةً فيه ، ومصروفةً إليه . ومُناخ : مصدر أَنْخت . وكفَيت يتعدَّى إلى مفعولين ، وقد حذفَهما ، كأنَّه قال : كفيته العشيرةَ . يقول : رُبَّ نازلةٍ أناخت ، أنا دفعت شرَّها ، وكفيتُ قَومي الاهتمامَ بها ، وربَّ فارسٍ سقيت رمحي من دم ظهرِهِ ، العَلَلَ بعد النَّهَل . وخصَّ الظَّهر ليُعلمَ أنَّه أدبر عنه وولَّى .

---

(١) في النسختين : « تقيم » ، صوابه في المرزوقي .

(٢) ط : « تحطمها » ، صوابه في ش والمرزوقي .

وقوله: « وإذا العذارَى بالدّخَان » إلخ. قال المرزوقىّ : أَقبلَ يعدّد الخصال المجموعة فيه من الخير[١] بعد أن نبَّه على أنّه لايقوم مقامه أحد ، فكيف من طمِعتْ[٢] فى نيابته عنه . يقول : وإذا أبكارُ النِّساء صَبَرت على دُخان النار حتّى صار كالقِناع لوجْهها ، لِتأثيرِ البرد فيها ، ولم تصبر لإدراك القدور[٣] بعد تهيئتها ونصبها ، فَشَوتْ فى المَلّة قَدرَ ماتعلِّل به نفسَها من اللحم ، لتمكُّن الحاجة والضُّرِّ منها ، ولإجداب الزمان واشتداد السَّنة على أهلها ــ أَحسنتُ[٤] . وجواب إذا فى البيت بعده . وخصَّ العذارى بالذكر لفرط حيائهنَّ ، ولتصوُّنهنَّ عن كثيرٍ مما يَتَبذَّل فيه غيرهنّ[٥] . وجعل نصبَ القُدورِ مفعولَ استعجلت على المجاز والسعة . ويجوز أن يكون المراد به : استعجلتْ غيرَها بنصب القدور ، أو فى نصب القدور ، فحذف الجارّ . انتهى .

وقال الأسود : ويروى « تلفّعت » . واللِّفاع : المِلْحَفة . والقِناع : المِقْنَعَة . أى غَشِين الدخان حتّى صار لهنّ كاللِّفاع أو القِناع من شدَّة البرد . واستعجلت نصبَ القُدور فملّت ، أى ألقت اللحم فى المَلَّة جُوعاً وضَرًا[٦] ، لم تصبِر إلى إدراك القِدر . قال التبريزى : وعلى هذا يكون وملّت بالواو ، وغير أبى تمام يرويه :

---

(١) من الخير ، ليست فى المرزوقى .
(٢) المرزوقى « طمع » ، وتقرأ بالبناء للمجهول .
(٣) المرزوقى : « ولم تصبر على إدراك القدور » .
(٤) هو جواب « إذا » السابقة فى السطر الثالث .
(٥) ش : « فيهن غيرهن » ، صوابه فى ط والمرزوقى .
(٦) فى النسختين : « وضر ألم » والوجه ما أثبت . والضرى ، بفتحتين : مصدر ضرى بالشىء ضراً وضراوة : لهج به واعتاده ولم يكد يصبر عنه .

* واستبطأت نصبَ القـدور فملَّتِ *

وقال ابن جنى : ملَّت هنا من مَلَّة النار [١] لا من الملالة ، أى بادرَتْ للضرورة الخَبْزَ قبل القِدْر .

٤٠٦ وهذا البيت أورده البيضاوى عند قوله تعالى : ﴿ ولهم فيها أزواجٌ مطهَّرة[٢] ﴾ ، واستشهد به على جواز جمع الصفة وإفرادها فى مطهَّرة . وقرأ زيد بن على : ﴿ مطهَّراتٌ ﴾ ، وهما لغتان فصيحتان .

وقوله : « دارت بأرزاق العُفاة » إلخ هو جمع عافٍ [٣] ، وهو كل طالب رِزق من النَّاس وغيرهم . ومغالقٌ : فاعل دارت ، وهى قِداح الميسر جمع مِغْلق ومِغلاقَ بكسرهما ، مأخوذ من غَلِق الرَّهنُ ، لأَنَّه مَن فاز سهمه غَلِق نصيبُه فذهب به غير منازَعٍ فيه . قاله الأَسود . وقال المرزوقى : وإنَّما سُمِّيت القداح مغالق لأَنَّ الجزُر تغلَق عندها وتَهلِكُ بها . والقَمَع ، بفتحتين : قِطع السَّنام ، الواحدة قَمَعة . والعِشار : جمع عُشَراء ، وهى الناقة التى قد أتى عليها من حملها عشرةُ أَشهر ، وتستصحب هذا الاسمَ فتسمَّى به بعد وضعها الحملَ بأَشهر . والجِلَّة بكسر الجيم : المَسَانُّ ، الواحدة جليلة . ومنه : « ماله دقيقةٌ ولا جَليلة » أى شاة ولا ناقة .

قال المرزوقى : قوله أرزاق العُفاة كلامٌ شريف ، يقول : وإذا صار الزمان كذا ، دارت القِداح فى الميسر بيدىّ ، لإقامة أَرزاق الطُّلَّاب من أَسنمة النوق المسانِّ الكبارِ الحوامل ، التى قُرب عهدُها بوضع الحمل . وكلُّ ذلك يُضَنُّ به ويُتنافس فيه .

(١) ط : « من ملت » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة الورقة ٩٧ .
(٢) الآية ٢٥ من سورة البقرة .
(٣) ش : « عافى » .

وقال الأَسود : قوله « بيدىّ » فيه قولان : أَحدهما : أَنَّ ذَواتِ الأَنصباءِ من القداح سبعة ، وعدد الأَيسار سبعة ، فإذا نقص منهم واحدٌ أَخذ أَحدُ الستة قِدحَه وأَخرج من ثمن الجزور نصيبَه ، ثم جعل إحدى يديه ضاربةً بقدح نفسه ، والأُخرى بقدح صاحبه . وإنما أَراد بذلك التمدُّح بأَنَّه يضرب بقِدحين ، لا أَنَّه[١] يفرد لهذا يدًا ولهذا أُخرى . وإيَّاه أَراد متمِّم بن نويرة بقوله :

بمَثْنَى الأَيادى ثم لم تُلْفِ مالكا من القوم ذَا قاذورةٍ متزبِّعا[٢]

والآخر : أَنَّه أَراد : يَقرع بين إبله أَيَّها ينحر ؟ فقال : بيدىَّ ليعلم أَنه لم يرد مقارعة إنسان غيرِه . انتهى .

وقال بعضهم : فى البيت مبالغات : إحداها قوله دارت ، فإنَّه يدل على أَنَّه أَمر متكرر مرّة بعد أُخرى . ثانيها : جمعُ الرزق والعافى . ثالثها : الدَّلالة على أَنَّه غارم لا فائز . رابعها : قوله يدىّ بالتثنية . خامسها : إيثار السَّنام الذى هو أَطيب ما فى الإبل . سادسها : العِشَار ، وهى أَنفَسُ الإبل عند العرب . سابعها : قمعها وتعريفها[٣] . ثامنها : أَنَّ العفاة ما لَهُم مَوئل غيره . وفيه غير ذلك .

وقوله : « ولقد رأَبْت ثَأَى العشيرة » إلخ . قال الأَسود : رأَبْت رأْبًا : أُصلحت . والثَّأَى كالعصَا : الصَّدْع . وقد ثَأَى الخرْزُ ، إذا انخرمت خُرزتان فصارتا واحدة[٤] ، أَى ما كان بينها من نائرة أَطفأْتُ ، أَوجنايةٍ

(١) ط : « إلا أن » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « لم يلف » ، تحريف . ورواية المفضليات ٢٦٦ :

وإن تلقه فى الشرب لا تلق فاحشا على الكأس ذا قاذورة متزبعا

(٣) ش : « جمعها وتعريفها » .

(٤) فى اللسان : « ثأى الخرز يثأى ، وذلك أن يتخرم حتى تصير خرزتان فى موضع » .

غَرِمتُ ، وكفيت جانبها اللتيا والتى ، وهما من أسماءِ الدواهى ، واللَّتيَّا أَصغر من التى ، وهى فى الأَصل تصغيرها ، ثم هما من الأَسماءِ الموصولة وحذفت صلتها . وذلك فى عِظَمِ الأَمر وشدَّته ، كأَنه قال(١) : كفيتُه التى عظُمَتْ شدَّتُها ، وتناهتْ بليَّتها . وكأَنه يريد باللَّتيا صِغارَ المغارم . أَى غُرمُها فى ماله . وبالتى عظامَها ، كالدم يعقله عن القاتل ونحوه . انتهى .

وقال المرزوقى : يقول : وكما ظهر غَنائى فى تلك الأَبواب فلقد سعيت فى إصلاح ذات البين من العشيرة ، وكفيت مَن جَنَى منها الجناية الصغيرة والكبيرة ، بالمال والنفس ، والجاه والعزّ . وقوله «جانيها» إن فتحت الياءَ كان واحداً وإنْ أَدَّى معنى الجمع . وإن سكَّنت الياءَ جاز أَن ٤٠٧
يكون جمعًا سالماً ، وأَن يكون واحداً حذف فتحتها(٢) .

وقال ابن جنى : بينها متعلِّق بنفس الثَّأْى ، أَى أَصلحت الفساد بينها . والهاءُ فى جانيها ضمير العشيرة ، أَى كفيت جانىَ العشيرةِ الداهيةَ التى جناها على نفسه . ولا يجوز أَن يكون ها ضمير اللتيا أَى جانى الداهية ، وذلك أَنَّ الجانى هو المفعول الأَوّل وهو مقدَّم فى موضعه ، فلا يجوز أَن يتعلَّق به ضمير المفعول الثانى؛ لأَنَّه إنما يتقدَّم ضمير الشىء عليه إذا كان رتبته أَن يكون بعده ، فأَمَّا أَن يتقدم ضمير الشىء عليه متعلقاً بما رتبته التقديم على صاحب الضمير فذلك تقديم الضمير على مُظهَره لفظاً ومعنًى ، وهذا عندنا غير جائز البتَّة ، وإنَّما المتجوَّز من ذلك أَن يتقدَّم الضمير على مُظهَره لفظاً على أَن يكون متأَخِّراً عنه معنى .

---

(١) قال ، ساقطة من ش .
(٢) المرزوقى : «قد حذف فتحتها» .

فأَمَّا تقدُّمه عليه لفظاً ومعنى فلا . ألا تُرَى : لاتقول ضرب غلامُها هنداً ، ولكن تقول ضربت غلامَها هند . فكذلك لا يكون « ها » من جانيها ضميراً للتيا ، كما لا تجيز أعطيت مالكه درهماً » ولا كسوتُ صاحبهَا جبة ، ولكن تقول : أعطيت درهمه زيداً ، وكسوت ثوبه عَمراً . وقد يجوز مع هذا كلِّه أَن تكون ها من جانيها ضميراً للَّتيَّا على حدِّما يجيزه مِنْ : أَعطِى الدرهمُ زيداً ، وأُدخل القَبرُ عَمْرًا على القلب . وعلى هذا أَجازوا : مررت بالمكسوَّته جبةٌ ، ولقِيت المعطاهُ درهمٌ . فكأَنَّ اللتيا والتى على هذا هى المكفيَّة جانيها ، كما أَنَّ الجبَّة هى المكسوَّة زيداً فهو على قولك : كفيت اللتيا جانيها . فاعرفْه . انتهى ، ولنفاسته سُقناه برمَّته .

وقوله : « وصفحت عن ذى جهلها » إلخ ، قال الأَسود : أكملَ مكرمةَ صلاحِ ذات البين بما أَردفه من الإغضاء على ما بدَرَ من جاهلها . أى من جَهِل منهم علىَّ صفحت عنه ولم أَجْهل عليه . وقوله : « تُضحِى » أَراد تُضحى وتُمسى [1] ، فاكتفى بذكر أَحدهما من الآخر . ووجهٌ آخر : خصَّ الغداة بالذِّكر لأَنَّ جُناة الشرِّ يتوَخَّون به ظلام الليل إرادةَ أَن يخفى ذلك . انتهى .

وقد صحَّف هذه الكلمة وحرَّفها ، وإنَّما هى نُصحِى بالصاد المهملة [2] . قال المرزوق : يصف نفسه بالحلم معهم ومع سفهائهم [3] ، يقول : عفوت عن

---

(١) ش : « نضحى ، أراد نضحى ونمسى » .

(٢) يشير بذلك إلى رواية القالى . انظر تعقيب البغدادى على الأبيات السابقة ص ٣٧ .

(٣) ط : « سفاهتهم » ، صوابه فى ش . وفى المرزوقى : « يصف نفسه بالحلم معهم ، وكظم الغيظ فيهم ، ومنع سفهائهم » .

جاهلها فلم أُؤاخذْه بما بدر منه من هفوة أو زلَّة ، ثم بذلتُ نصحى لعشيرتى بمقدار جهدى ، ولم أجرَّ عليه جريرتى[١] .

وقال الأسود : المعنى أنَّه ليس من أهل السَّفَه وجُناة الشر .

وقوله : «ولم تصب العشيرة زلتى» ، أى إنْ زلَّ ، ولا عصمةَ ، كفى نفسَه ولم يشتدَّ عليه الأمر فيفتقرَ إلى من يَكفيه أو يُعينه .

وقوله : « وكفيت مولاى الأحمّ » إلخ . قال الأسود : الأحمّ بالمهملة هو الأخصُّ الأدنى ، من الحميم . وهو تفسيرٌ لقوله : « ولم تصب العشيرة زلّتى » وتأْكيدٌ للإكمال . يقول : إن جررت جريرةً أغنيت فيها نفسى عن ابن عمِّى الأدنى ، فضلًا عن الأبعد ، وحبستُ سائمتى ، يريد السَّوام ، وهو المال الراعى . وقد سامت الماشية : دخل بعضُها فى بعض فى الرِّعْى . وهذا إغراقٌ بعد التأْكيد، أى حبستُها عن المرعى على ذى الخَلَّة بالفتح ، أى الفقر ، ليختار منها على عينه ، كما قال :

* يخيِّر منها فى البوازل والسُّدْسِ[٢] * انتهى .

قال ابن جنِّى :اعلمْ أنَّ هذا الشاعر لزم اللام قبل هذه التاء فى هذه الأبيات، وليست بواجبةٍ من حيث كان الرَّوىُّ إنَّما هو التاء . ووجه ذلك فيما ذهب إليه قطرب: أنَّ هذه التاء فى الفعل نظيرة الهاء فى الاسم، ٤٠٨
فكما يلزم ماقبلها فى نحو قائمة وسائمة[٣] فكذلك التُزِم[٤] ماقبلها فِى

(١) المرزوقى : « ولم أجر عليهم جريرتى » .
(٢) لمنصور بن مسجاح الضبى فى الحماسة ١٦٧٥ بشرح المرزوقى . وصدره :
* فطاف كما طاف المصدق وسطها *
(٣) فى إعراب الحماسة : « وسالمة » .
(٤) فى النسختين : « ألزم » ، وأثبت ما فى إعراب الحماسة .

نحو: ضَنَّتِ وحنَّتِ. نَعَمْ، وقد يلتزم الشاعر المدلُّ مالا يجب عليه، ثقةً بنفسه، وشجاعةً فى لفظه. وقد ذكرت مِنْ هذا الطرز (فى كتاب المعْرِب[1]) مايتجاوز قدر الكفاية.

وسلمى بن ربيعة روى بوجهين: أحدهما: بضم السين وتشديد الياء التحتية، قال ابن جنى (فى المبهج): هو اسمٌ مرتجل.

وثانيهما: سَلْمَى بفتح السين والقصر، قال أبو الحسن الأخفش: وقع فى نسختى من نوادر أبى زيد بهذا الضبط، وحفظى[2] بالوجه الأوَّل.

والسِّيد بكسر السين، قال ابن جنى: السِّيد: الذئب، الأُنثى سِيدانة بزيادة الألف والنون.

وضبة أيضاً: اسم منقول من ضبَّة الحديد، ومن أُنثى الضب ونحوه.

وسلمىٌّ شاعرٌ جاهلى، وهذه نسبته (من جمهرة ابن الكلبى): سُلمىُّ بن ربيعة بن زبَّان، بفتح الزاى وتشديد الموحدة، ابن عامر ابن ثعلبة بن ذئب بن السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة ابن أُدٍّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. سلمى بن ربيعة

ومن ولد سُلمىّ فى الإسلام: يعلى بن عامر بن سالم بن أبى سلمىّ بن ابن ربيعة، كان على خراج الرّىّ وهَمَذان.

ومن ولده أيضاً: المفضَّل الرواية بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم المذكور.

* * *

(١) فى إعراب الحماسة: «المعرب فى تفسير قوافى أبى الحسن».

(٢) ط: «وحفظ»، صوابه فى ش مع أثر تصحيح، وكذلك نوادر أبى زيد ١٢١.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٥٨٣ (قد شرِبَتْ إلّا الدُّهيدِهِينا قُلَيِّصـــاتٍ وأُبيكرِينا)

على أنّ جمعَ مصغَّر (دهداه) وجمعَ مصغَّر (بكر) على مافى البيت، شاذٌّ.

أنشد سيبويه هذا الرجز وقال : والدَّهداه : حاشية الإبل ، فكأنه حقَّر دَهادِه[2] فردَّه إلى الواحد وهو دهداه ، وأدخل الياءَ والنون كما تُدخَل فى أَرَضين وسنين ، وذلك حيث اضطُرَّ فى الكلام إلى أن يُدخل ياءَ التصغير . وأما أُبيكرينا فإنه جمع الأَبكُر ، ولكنَّه أدخل الياءَ والنون كما أدخلها على الدُّهيدِهين . انتهى .

وقد تقدم عن أبى على فى البيت قبله مايتعلَّق به .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : وأمَّا أبيكرين فقد يمكن على قول سيبويه أن يقال إنَّ واحدها أبكر، بفتح العين فى هذا الموضع . ألا ترى أنَّك لم تسمع العين فى هذا البيت مفتوحة ولا مضمومة . فإن قلت : فقد سمعت فى غير هذا الموضع أبكُر بضم العين ؟ قيل: أجل قد سُمع هذا بضم عينه ، وغير منكَر أنْ يكون الخروج عن الواحد مرَّةً إلى جمع مكسَّر ، وأُخرى إلى اسمٍ للجمع[3] مفرد غير مكسَّر . ألا تراهم قالوا: رجُل ورجال فكسَّروه ، ثم قالوا رَجْلة فصاغوا للجمع اسماً مفرداً . وكذلك الجمال والأَجمال ، هذا مع قولهم الجامل . فكذلك لا ينكر أن

(١) فى كتابه ٢ : ١٤٢ والمخصص ٧ : ٦١ ، ١٣٧ واللسان (بكر ١٤٦ يمن ٣٥٢ دهده ٣٥٣) .

(٢) هذا الصواب فى ط وكتاب سيبويه . وفى ش : « دهداه » ، تحريف .

(٣) ش : « اسم الجمع » صوابه فى ط وإعراب الحماسة ٩٥ .

يكون أَبكُر بضم العين جمعًا مكسَّرًا ، أو يكون واحد أُبيكرين المكبّر أَبكَر بفتح العين وإن لم يسمع مكبّراً ، لكن يدلُّ عليه ما انحرف عند سيبويه[١] من اعتقاد جمع أمرين لمعنًى واحد . وهذا واضحٌ . وكذلك ينبغى أن يقال فى قول الآخر :

أَشكو إلى مولاىَ من مَولاتى تَربِط بالحبل أُكيرِعَاتِى

٤٠٩ وذلك أنَّ الأَلف والتاءَ موضوعان للقلَّة وضعَ الواو والنون لها ، فلايحسن أن يكون الواحد المكبّر من أُكيْرِعات أَكرِعَة ولا أَكرُعًا[٢] بِضمّ العين لانَّهما مثالا قلَّة . فعلى قياس قوله فى أبينون[٣] ما يجب أن يقال فى الواحد المكبَّر من أُكيرعات إنَّه أَكرَع ، على وزن أَفعَل بفتح العين ؛ كالأَعمى والأَروى . انتهى .

وقال (فى سر الصناعة) أيضاً ، عند سرد ما جمع بالواو والنون من كل مؤنَّث معنوى كأَرض ، أو مؤنَّث بالتاءِ محذوف اللام كُثُبَة ؛ ما نصه :

فإن قلت : فما بالهم قالوا :

* قد رَوِيتْ إلاَّ الدُّهيدِهينا * إلخ

فجمعوا تصغير دَهداهٍ ، وهو الحاشية من الإبل ؛ وأُبيكرًا وهو جمع بَكر ، بالواو والنون ، وليسا من جنس ماذكرت ؟

(١) فى إعراب الحماسة : « ما انحرف سيبويه عنه » .

(٢) ط : « والأكرعة » ش : « ولا كرعة » ، صوابهما ما أثبت من إعراب الحماسة لابن جنى ٩٥ .

(٣) كلمة « قوله » ساقطة من ش ثابتة فى إعراب الحماسة . وما بعد هذا إلى نهاية نص ابن جنى ساقط من ش .

فالجواب : أنّ أبكرًا جمع بَكر ، وكلُّ جمع فتأْنيثه سائغٌ مستمِرّ ، لأَنَّه جماعةٌ فى المعنى . وكأَنَّه قد كان ينبغى أن يكون فى أبكر وأكلب وأعبُدٍ هاءٌ ، فيكون تقديرها أكلُبة وأبكُرة وأعبُدة ، كما قالوا فى غير هذا : فِحالةٌ : جمع فحل، وذِكارة : جمع ذَكَر . فكما جاز أن تأْتىَ الهاءُ فى هذه الجموع كذلك جاز أيضاً أنْ تقدَّر[1] فى أَبكر الهاءُ، فيصير كأَنَّه أَبكرة . وقد جاءَت الهاءُ فى أفعُلٍ نفسها . قال :

بأَجريةٍ بُقعٍ عظام رءُوسها ... لهنَّ إذا حرّكن فى البطن أَزمَلُ[2]

فهذا جمع جَرْو . وأَجريةٌ أَفعُلة ، فأَلحق الهاءَ فى أفعُل .

ويدلُّك على أنَّه أَراد أفعُل قولُ الآخر[3] :

وتجـرُّ مُجِـريةٌ لهـا ... لَحْمى إلى أَجرٍ حَوَاشبْ

وجاز أَن تجمع فِعْلاً على أَفعُل ، وأَفْعلة[4] ، وأَفعُل، لفَعْل مفتوحة الفاء ، من حيث كان فَعل وفِعْل ثلاثيَّين ساكنَى العينين ،وقد اعتقَبا أَيضاً على المعنى الواحد ، نحو حَجّ وحِجّ، وفَصّ وفِصٍّ، ونَفط ونِفط . وإذا ثبتَ أَنَّ أَفعُل من أَمثلة الجموع يجوز فى الاستعمال والقياسِ تأْنيثه ، لم يُنكَر أَن يعتقد فى أَنَّ أَبكُرًا قد كان ينبغى أَن يكون فيها هاءُ تأْنيث الجماعة، فصار إذن جمعُهم إيَّاها بالواو والنون فى قوله « أُبيكرونا » إنَّما هو عِوض من الهاءِ المقدَّرة فى أَبكُر ، فجرى ذلك مجرى أَرض فى جمعهم إيّاها بالواو والنونُ فى قولهم : أَرَضون .

---

(١) ش : « يقدر » .

(٢) الأزمل : الصوت .

(٣) هو حبيب بن عبد الله ، المعروف بالأعلم الهذلى . ديوان الهذليين ٢ : ٨ وشرح السكرى ٣١٤ ، واللسان (جرا ١٥١) .

(٤) فى النسختين : « على أفعل ، وأفعل » ، وأرى الصواب فيما أثبت .

فأمَّا دُهيدِهينا فإنّ واحده دَهداه ، وهو القطعة من حاشية الإبل ، فهو نظير الصِّرمة والْهَجْمة . فكأنَّ الهاءَ فيها لتأْنيث الفِرقة والقِطعة ، كما أَنَّ الهاءَ فى عُصْبة وطائفة لتأْنيث الجماعة ، فكأَنَّه كان فى التقدير : دهداهة ، فلمَّا حذفت الهاءُ فصار دهداهًا جمع تصغيره بالواو والنون تعويضاً من الهاءِ المقدَّرة . قال أبو على : وحسَّنَ أَيضاً جمعَه بالواو والنون أَنَّه قدحذفت أَلف دهداه فى التحقير ، ولو جاءَ على أصله لقيل دهيديه (١) بوزن صلصال وصليصيل ، فواحد دهيدهينا إنَّما هو دهيدِه ، وقد حذفت الأَلف من مكبَّره(٢) فكان ذلك أَيضاً مسهِّلاً للواو والنون ، وداعياً إلى التعويض بهما . انتهى كلامه .

وهذا مخالفٌ لكلامه السابق تبعاً لأَبى على وغيره ، من أَنَّ أُبيكرينا جمع أَبكَر بفتح الكاف . وإليه ذهب يوسف(٣) بنُ السِّيرافى (فى شرح شواهد الغريب المصنف) ، قال : أُبيكرينا جمع أُبيكر ، وأُبيكر تصغير أَبكَر ، وأَبكَر جمع بَكر ، وهو فى الإبل بمنزلة الشابّ فى الناس . وهذه العلامة لا تكون إلَّا لجمع المذكر العاقل فى الكلام ، وربَّما أَدخلها الشاعرُ إذا احتاج . وتدخُل على كثير من الأَسماءِ النواقص.

٤١٠ والبيتان من رجز أَورده أَبو عبيدٍ القاسم بن سلام (فى الغريب المصنَّف) قال : الحاشية صغار الإبل ، والدَّهداه مثل ذلك . قال الراجز :

(١) ش : « دهيده » ، صوابه فى ط .

(٢) ش : « إنما هو دهيدهة ، وقد حذف الألف من مكبره » .

(٣) ش : « أبو يوسف » ، وإنما هو أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ، المتوفى سنة ٣٨٥ . وأبوه الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافى ، المتوفى سنة ٣٦٨ . والذى شرح شواهد الغريب المصنف هو ولده أبو محمد ، كما فى البغية .

(ياوهبُ فابدَأْ ببنى أَبينـا ... ثُمَّتَ ثنِّ ببنى أَخينـا
وجِيرةِ البيت المجاوِرينـا ... قد رَوِيَت إِلَّا الدُّهيدهينا
إِلَّا ثـلاثين وأَربعينـا ... قُلَيِّصـات وأُبيـكرينا)

قال ابنُ السيرافى : نَصَبَ الدُّهيدهينا على الاستثناء . وقوله :«إِلَّا ثلاثين» بدلٌ من الدهيدهينا . وقليِّصات بدل من ثلاثين . انتهى .

وجعلُهُ قليِّصات بدلاً من البدل جائز مشهور ، ولم يجعله بدلاً من الدهيدهينا لأَنَّه لم يُعرَف تعدُّدُ البدل فى غير بدل البَداء ، كما قاله أَبو حيَّان وابن هشام (فى بحث إِذ من المغنى) .

وكذا أَعرب شيخنا ياسينُ الحمصىُّ قولَ ابن مالك أَوّلَ الأَلفية :

* أَحمد ربى اللهَ خيرَ مالك *

فجعل خير بدلاً من الجلالة لا من الرَّبّ[1] قال : وأَمَّا دعوى الدَّمامينى الجوازَ، أَخذاً من كلام ابن الحاجب (فى الأَمالى) فاشتباه؛ لأَنَّ ابن الحاجب قال فى الكلام على آية غافر : الأَحسن أَنَّ ﴿ ذِى الطَّوْل[2] ﴾ بدل ثان من المبدل الأَوّل . فقال الدَّمامينىُّ : فيه دليل بيِّنٌ على جواز تعدُّد المبدل منه . انتهى .

وابن الحاجب لم يقل من المبدل منه ، بل قال من المبدل، يعنى البدل . انتهى .

(١) ط : « رب » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) فى الآية الثالثة من سورة غافر .

وقوله: «يا وهب» هو اسم راعٍ يسقى الإبل. وأبينا وأخينا كلاهما جمع أَب وأَخ. (وقليِّصات) بكسر الياء المشددة جمع مصغَّر قلوص، وهى الناقة الشابَّة. وقد روى بدل «شربَتْ»: «رَوِيَتْ»، و«نَهِلَتْ».

وهذا الرجز مع كثرة الاستشهاد به لم يعرف قائلُه. والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الخمسمائة[1]:

٥٨٤ (ولى دُونَكمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَملَّسٌ
وأَرقَطُ زُهلولٌ وعَرفاءُ جَيْأَلُ)

على أَنَّ أهلاً وإن كان غير علمٍ لمذكَّر عاقل ولا صفةً له، لكنَّه جمعه هذا الجمع لتنزيله هذه الوحوشَ الثلاثةَ، منزلةَ الأَهْلِ الحقيقى.

وكذلك ما بعده، وهو:

(هم الأَهلُ لا مُستودَعُ السرِّ ذائعٌ لديهمْ ولا الجانى بما جَرَّ يُخذَلُ)

وقبلهما:

(لعمرُكَ ما بالأَرضِ ضِيقٌ على امرئٍ سَرَى راغباً أَو راهباً وهو يَعقِلُ)

والأَبيات من قصيدة الشنفرَى، المشهورة بلاميّة العرب، وقد تقدم صاحب الشاهد شرح أَبياتٍ منها[2].

وقوله: «لعمرك» الخ اللام لام الابتداء للتأْكيد. وعمرك بفتح العين مبتدأٌ مضاف إلى الكاف، وخبره محذوف تقديره: قسمى. والعمر، بضم العين وفتحها: مدَّة الحياة، خُصَّ المفتوح بالقسم. وقوله: «مابالأَرض»

---

(١) المنصف ٣: ٦٦، والمحتسب ١: ٢١٨ وابن يعيش ٥: ٣١. وهو البيت الخامس من لامية العرب للشنفرى.

(٢) انظر الخزانة ٣: ٣٤٠ - ٣٤٤.

ما نافية وبالأَرض خبر مقدم ، وضِيق مبتدأ مؤخر ، والجملة جواب القسم[1] وجملة « سرى » إلخ صفة لامرئ . وراغباً: حال من ضمير سرى ، وجملة « وهو يعقل » حال ثانية . يعنى أن من فارق أهله وسافر رغبةً فى أمرٍ يطلبه ، أو خوفاً من شئ يجتنبه ، يرى سعةً فى حاله إن كان ممن يعقل ، فإنَّه يدبِّر نفسه بعقله ، ولا يضيع فى الغربة .

٤١١ وقوله : (ولى دولكم أهلون) الخ ، التفات من الغيبة إلى الخطاب ، خاطب به أهله . وأهلون مبتدأ ، ودونكم ظرف كان فى الأَصل صفة لأَهلون فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . ودون هنا بمعنى غير ، ولى خبر مقدَّم لأَهلون . وقوله: (سِيدٌ عملَّس) خبر لمبتدأ محذوف ، أى هم سِيد وأَرقطُ وعرفاءُ . يقول : اتَّخذتُ هذه الوحوشَ أهلاً بدلاً منكم ، لأَنَّها تحمينى من الأَعداءِ ، ولا تخذُلنى فى حالة الضِّيق . وهذا تعريضٌ بعشيرته ، فى أنَّهم لا حماية لهم كهذه الحيوانات ، ولا غَيرة لهم على مَن جاورهم فضلاً عن الحميم القريب ، مثلُ هذه الوحوش . والسِّيد ، بكسر السين المهملة : مشترك بين الأَسد والذئب ، ومراده الثانى ، ولهذا عيَّنه بالوصف . وكذلك فعل بأَرقط وعرفاءَ . والعملَّس ، بفتح العين المهملة والميم واللام المشددة ، القوىُّ على السَّير السريع . وأَرقط : مافيه نقط بياضٍ وسواد ، مشترك بين حيوانات ، منها النمر والحيَّة . وأَراد الأَوّل ، ولهذا وصفه بزهلول بضم الزاى ، وهو الأَملس ، وقيل الخفيف وهو من أَوصاف النمر . والعرفاءُ: مؤنَّث الأَعرف . قال صاحب العباب : يقال للضبع عرفاءُ لكثرة شعر رقبتها . وأَنشد هذا البيت .

وقال الخطيب التِّبريزى (فى شرح القصيدة) : العرفاءُ: الضبع التى

(١) كلمة « القسم » ساقطة من ش .

تكون طويلة العُرف، ليست ههنا بنعت ، ولكنَّها فى الأَصل نعت، فغلب فصار بمنزلة الأَسماءِ غير النُّعوت[١] حتى إنَّه يقال : «جاءتكم العَرْفاءَ» فيفهم من هذا القول أَنَّ الضبع جاءت . وجيأَل بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية بعدها همزة مفتوحة ، بدل من عرفاءُ . قال صاحب العباب : جيأَل على وزن فَيعَل: اسمٌ للضبع وهى مَعرفة بلا ألف ولام. وأَنشد هذا البيت .

وقوله : « هم الأَهل » إلخ لمَّا نزَّل هذه الوحوشَ منزلة الأَهل ذكرَهم بضمير العقلاء ، وعرَّف الخبَرَ لإفادة الحصر ، أَى هم الأَهل لا غيرهم . وبيَّن وجهه بقوله « لا مستودع السر » إلخ يعنى أَنَّ السر المستودع عندهم غير ذائع بل مصون . « ولا الجانى بما جرَّ يُخذَل » عندهم ، بل يُحمَى . والجانى : الذى فَعَل جناية من قتل أَو نهب ونحوهما . وجرَّ: أَى فعل جريرة بفتح الجيم، وهى التَّبعة والذَّنب . ويُخذَل: يُترك نصره ، يقال خذلته وخذلت عنه من باب قتل ، والاسم الخِذلان ، إذا تركتَ نصره وإعانتَه وتأَخَّرتَ عنه .

وقد تقدَّمت ترجمة الشنفرى ، وهو شاعرٌ لصٌ جاهلى ، فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين[٢] .

* * *

وأَنشد بعده :

* ولكنِّى أُريدُ به الذَّوينا *

تقدَّم شرحه مفصلاً فى الشاهد السادس عشر من أَوائل الكتاب[٣] .

(١) حورت فى ش إلى « المنعوتة » ، والوجه ما فى ط .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٤٣ – ٣٤٨ .
(٣) الخزانة ١ : ١٣٩ – ١٤٦ .

وأراد بالذَّوين ملوكَ اليمن ، كذى نُواسٍ ، وذى رُعَين ، وذى أَصبح .

وهو عجزٌ وصدره :

* فلا أَعنى بذلك أسفلِيكُم *

والمشار إليه بذلك ، هو الهجو .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثّمانون بعد الخمسمائة[1] :

٥٨٥ (ذَرانِىَ من نجدٍ فإنَّ سِنينَه　　لَعِبْنَ بنا شِيباً وشَيَّبْنَنا مُرْدَا)

على أن نون الجمع الذى جاء على خلاف القياس قد يجعلُ مُعتَقَبَ الإعراب ، أَى محلَّ تعاقبه ، أَى تجرى عليها الحركات واحداً بعد واحدٍ، ولا تحذف للإضافة كما فى قوله (سِنِينه) ، فالنون لمّا جرى عليها ٤١٢
الإعراب لم تحذف مع إضافة الكلمة إلى ضمير نجد .

وفى كلامه شيئان : أَحدهما أَنَّه غيرُ خاصٍّ بالضرورة .

والثانى : أَنَّه لا يجوز هذا فيما حقُّه هذا الجمع .

والأَوَّل موافقٌ لكلام أَبى على (فى إيضاح الشعر) دون الثانى . قال فى باب ماجُعلت فيه النون المفتوحة اللاحقةُ بعد الواو والياء فى الجمع حرفَ إعراب ، بعد أَنْ أَنشد جميع الأَبيات الآتية :

اعلم أَنَّ هذه النون إذا جُعلت حرفَ الإعراب صارت ثابتة فى الكلمة فلم تُحذف فى الإضافة ، كما لا تحذف نون فِرْسِنٍ ورَعْشَن

---

(١) معانى الفراء ٢ : ٩١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٥٣ وابن يعيش ٥ : ١١ والعينى ١ : ١٦٩ والتصريح ١ : ٧٧ والأشمونى ١ : ٨٦ واللسان (سنه ٣٩٥) .

ونحوه وإن كانت زائدة ، ويكون حرف اللين قبلها الياءَ ولا يكون الواوَ ، لأَنَّ الواو تدلُّ على إعراب بعينه ، فلم يجزْ ثباتها من حيث لم يجز ثباتُ إعرابَين فى الكلمة . فامَّا من أَجاز ثَبات الواو فى هذا الضَّرب من الجمع وزعمَ أَنَّ ذلك يجوز فيه قياساً على قولهم زيتون ، فقوله بعيد[١] من جهة القياس ، مع أَنَّا لا نعلمه جاءَ فى شئٍ منهم . وذلك أَنَّ هذه الواو لم تكن قطُّ إعراباً كما فى مسلمون . وعلى ما ذهب إليه جاءَ التنزيل : ﴿ فى عِلِّيِّين[٢] ﴾ . انتهى .

وما ذهب إليه الشارح المحقق هو ظاهر كلام الفرّاء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين جَعلوا القُرآنَ عِضِينَ[٣] ﴾ قال : العضون فى كلام العرب : السِّحر . ويقال عضَّوْه أَى فرَّقوه كما تُعضَّى الشاة والجزور ، وواحد العِضون عِضَة ، ورفعُها عضون ، ونصبُها وخفضُها عِضِين . ومن العرب من يجعلها بالياءِ على كلِّ حالٍ ويُعرب نونها ، فيقال هذه عِضِينُك ومررت بِعِضِينك وسنينك . وهى كثيرةٌ فى أَسد وتميم وعامر ، أَنشدنِى بعضُهم من بنى عامر :

ذرانى من نجدٍ فإِنَّ سنينه ... البيت

ثم قال بعد أَبيات مثلِها : وإنَّما جاز ذلك فى هذا المنقوص الذى كان على ثلاثة أَحرف فنقصت لامه ، فلمَّا جمعوه بالنون وتوهَّموا أَنَّه فِعُول إذْ جاءَت الواو وهى واو جمع ، فوقعت فى موقع الناقص، فتوهَّموا أَنَّها الواو الأَصلية وأَنَّ الحرف على فِعُول . أَلا ترى أَنَّهم لا يقولون ذلك

(١) ط : « يبعد » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) من الآية ١٨ فى سورة المطففين . ونصها : « لفى عليين » ، وحذف هذه الأحرف عند الاقتباس من القرآن جائز . انظر ما كتبت فى حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص ٤٩ .
(٣) الآية ٩١ من سورة الحجر .

فى الصـــالحين والمسلمين وما أشبهه . وما كان من حـــرفٍ نقص من أوّله ، مثل زنة ودية وَلِدة ، فإنَّه لا يقاس على هذا . فما كان منه مؤنثاً أو مذكراً فاجرِه على التَّمام مثل الصالحين . انتهى كلامه .

وكذلك قال ابنُ الشجرى (فى أماليه) قال : ومنهم من جعل النون فى جمع سَنة حرف الإعراب وألزمَها الياءَ وأثبت النون فى الإضافة ، ورفَعَها وخَفَضها ونوَّنها ، تشبيهاً لها بنون غِسلين ، فقالوا : أَقمت عنده سنيناً ، وعجبت من سِنينِ زيد ، وأعجبتنى سنينُك . وأنشد البيت .

وهذا مخالف لصنيع ابن جنى (فى سر الصِّناعة) فإنَّه خَصَّه بالضرورة وجوَّزه فى الجمع الحقيقى .

وتبعه ابن عصفور فى (كتاب الضرائر) قال : ومن العرب من يجعل الإعراب فى النون من جمع المذكر السالم . وذلك كلُّه لا يحفَظ إلَّا فى الشعر ، نحو قول الفرزدق :

ماسدَّ حىٌّ ولا ميْتٌ مسدَّهما إلَّا الخلائفُ من بعد النَّبِيِّين[1]

وقوله :

وإنْ أَتمَّ ثَمانيناً رأيتَ له شخصاً ضئيلا وكلَّ السَّمعُ والبصرُ

وقوله :

٤١٣ وأَنَّ لنا أَبا حَسَنٍ عليًّا أَبٌ برٌّ ونحن له بنينُ[2]

(١) الكامل ٢٩٢ ، وابن يعيش ٥ : ١٤ ، والهمع ١ : ٤٩ . وليس فى ديوان الفرزدق .

(٢) لسعيد بن قيس الهمدانى كما سيأتى فى الشاهد ٥٨٨ . و « أن » تقرأ بفتح الهمزة ، كما سيأتى .

وقوله :

وماذا يدَّرى الشعراءُ منِّى .... البيت[١]

ووجْه ذلك إجراءُ جمع السلامة وما يجرى مجراه مجرى المفرد ، ولذلك ثبتت النون فى حال الإضافة ، كقوله :

ولقد ولدتَ بنينَ صدق سادةً ولأَنتَ بعد الله كنتَ السَّيدا[٢]

وقول الآخر[٣] :

سِنِينى كلُّها لاقيتُ حَـرْباً أُعدُّ مع الصَّلادمة الذُّكورِ

وقوله :

ذرانىَ من نجد فإنَّ سِنِينه ... البيت . انتهى

ومن إعراب الجمع بالحركة قولُ الشاعر :

ربَّ حىٍّ عَرَندس ذى طَلَالٍ لا يزالون ضاربين القِبابِ[٤]

فضاربينَ منصوبٌ بالفَتحة على أنَّه خبر يزالون ، وهو مضاف للقباب . والحىّ : القبيلة . والعرندس ، كسفرجل : الشَّديد . والطَّلَال بفتح المهملة : الحالة الحسنَة ، والهيئةُ الجميلة .

---

(١) لسحيم بن وثيل الرياحى فى الأصمعيات ١٩ . وعجزه :
* وقد جاوزت حد الأربعين *
(٢) ابن يعيش ٥ : ١٢ .
(٣) هو قطيب بن سنان المجيمى . وانظر نوادر أبى زيد ١٦٢ ، ومجالس ثعلب ٣٢١ ، وابن يعيش ٥ : ١٢ .
(٤) ش : « القبابا » ، تحريف . وانظر المغنى ٦٤٣ والعينى ١ : ١٧٦ والهمع ١ : ٤٧ والتصريح ١ : ١٧ والأشمونى ١ : ٨٧ والهمع ١ : ٦١

ومثله قول الزمخشرى (فى المفصَّل) : وقد يجعل إعراب ما يجمع بالواو والنون فى النون ، وأكثر ما يجىءُ ذلك فى الشعر ، ويلزم الياء إذْ ذلك ، قالوا : أتت عليه سنين . وقال الشاعر :

دعانىَ من نجد فإن سنينه . . . البيت

وقال سحيم :

وماذا تدَّرى الشُّعراءُ منِّى ... البيت . انتهى .

قال شارحه ابن يعيش : اعلم أَنَّ من العرب من يجعل إعرابَ هذا الجمع فى النون بشرط أن يلحقه نقصٌ كسنين . والشيخ قد أَطلقَ هنا ، والحقُّ ماذكرته . انتهى .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للصِّمّة بن عبد الله القُشَيرى ، وبعده :

أبيات الشاهد — (لحَا الله نجداً كيف يتركُ ذا النَّدى
بخيلاً وحُرَّ الناس تحسَبُه عَبْدا[1]

على أَنَّ نجـدًا قد كسانىَ حُلَّةً
إذاَ مـارآنى جـاهلٌ ظنَّنى عَبـدا

سَـوادًا وأَخـلاقاً من الصُّوف بعدما
أُرانِى بنجـدٍ ناعمـاً لابساً بُردا

على أَنَّه قد كـان للعين قُـرَّةً
وللبيضِ والفتيـانِ منزلهُ حَمْـدا

سقى الله نجـداً من ربيع وصَيِّف
وجَـوْدٍ وتَشْـكاب سقَى مزنُهُ نجدا)

(١) الأبيات برواية أوفى عند العينى ١ : ١٧٠ — ١٧١ .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : وكان من خبره ، أى الصمة ، أنَّه خطب ابنة عمِّه ، فاشتطَّ عمُّه فى المهر عليه ، وبخِل عليه أبوه بالجِمال ، فزُوِّجت من غيره ، فغضب من عمِّه وأبيه ، وخرج إلى طَبَرستان ، وهى مقَرُّ الديلم ، فأَقَام به[1] مدّةَ حياته إلى أن مات فيها . فلهذا تارةً يحنُّ إلى نجد ، وتارة يذمُّه . انتهى .

وقوله : (ذرانىَ من نجد) ويروى أيضاً : (دعانىَ من نجد) وهما بمعنى ، أى اتركانى من ذكر نجدٍ . ونجد من بلاد العرب . وهو خلاف الغور ، والغور هو تهامة . وكلُّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . وهو مذكَّر ، كذا فى الصحاح .

والسنين : جمع سنة ، وهى هنا إمّا بمعنى العام وإمّا بمعنى القحط . ويقال : أرض بنى فلان سنة ، إذا كانت مجدْبة . (وشيباً) حال من نا فى «بنا» ، وهو بالكسر جمع أشيب : وهو الذى ابيضَّ شعره . (ومُردا) : حالٌ أيضاً من نا فى شيَّبْننا ، وهو جمعُ أمردَ وهو الذى لا شعر بعارضيه .

٤١٤ وقوله : «لحا الله نجدًا» إلخ فى الصحاح لحاه الله ، أى قبّحه ولعنه . والنَّدى : الجود . وروى بدله : «الغنى» . «وحُرٌّ» معطوف على ذا الندى ، وجملة تحسبه فى موضع المفعول الثانى . وهذا البيت تعريضٌ بأَبيه وعمِّه .

ونقل ابن المستوفِى عن ثعلب ، أنَّ المراد من هذا البيت أنَّ عيش نجدٍ عيشٌ شديد ، لابدَّ أن يقوم بالمال فيه وإلَّا ضاع . وَنقَل عن ابن الأعرابىّ أيضاً أنَّه ذمَّ نجدًا لِشِتائه وقيظِهِ . وهذا إنَّما يصحُّ مع قطع النظر عن

(١) الوجه «بها» ، كما عند العينى .

سَبَب الشعر . ونقل أيضاً عن أبى زيد البيتين المذكورين ، وأنّه قال : ذمَّ نجْدًا لشدّة شِتائه وقيظه .

ولم أر فى ديوان أبى زيد[1] إلّا البيتَ الشاهد غير مشروح بهذا الشرح ، ونقله أبو على عن أبى زيد (فى التذكرة القصرية) ثم قال : [قال[2]] ابن الهيصم ، هذا الشيخُ الكوفىُّ الذى يجلس إلى أبى حاتم . قال : أنشدنى أعرابىٌّ بالشام هذا البيت وقبله بيتاً آخر ، وهو :

(لحا الله نجدًا كَيف يتركُ ذا الغنى   فقيراً وحُرَّ القَومِ تحسَبُه عَبْدا)

وهذا إنشاد طريف[3] . وسمعت أيضاً هذا البيت بقصر ابنُ هُبيرة من أعرابىّ . انتهى .

وكأنّه لم يقف على هذه القصيدة ولا على شىءٍ من خبرها .

وقوله : « على أنَّ نجدًا » إلخ ، على هنا للاستدراك والإضراب ، وكذلك « على » الآتية . يريد أنّه لمّا تغرَّبَ وفارق نجدًا افتقر ، ولبِسَ الثِّيابَ الأخلاقَ السُّودَ من الصُّوف[4] . وناعماً : متنعِّماً مترفِّهاً .

وقوله : « وللبيض والفتيان » الجارّ والمجرور خبر مقدم ، ومنزله مبتدأٌ مؤخر ، وهو مضاف لضمير نجد . والبيض : النساءُ الحِسان . والفتيان : جمع الفتى ، وهو الشابُّ . والحمد هنا بمعنى المحمود . وهذا تشوُّقٌ منه إلى وطنه وتحزُّنٌ على مفارقته منه . ثم دعا له على طريقة

(١) قد يكون فى نوادر أبى زيد . على أن الشاهد لم يرد فى نوادر أبى زيد .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « ظريف » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تغيير .

(٤) كلمة « من » ساقطة من ش .

العرب بقوله : « سقى الله نجداً »إلخ ،وقوله : « من ربيع »أى من مطرِ ربيع ، وجَوْد معطوف عليه ، وهو بفتح الجيم : المطر الغزير . والمُزْن : السحاب .

والصِّمَّة شاعرٌ إسلامىٌّ فى الدولة المروانية ، وهو بدوىٌّ ، ولجدِّه مُرّة بن هبيرة صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم . وتقدَّم الكلام عليه وعلى نسبه فى الشاهد الخامس والستين بعد المائة [1] .

وذكره الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) فقال : هو الصِّمَّة بن عبدالله من اسمه الصمة إلى آخر نسبه ،ثم أورد له ثلاثة أبيات من شعره ، وأوردَ صِمَّتينِ من الشعراء لبنى جُشَم : أحدهما صِمَّةُ الأكبر ، وهو مالك بن الحارث. وثانيهما : صِمَّةُ الأصغر ، وهو معاوية بن الحارث ، أخو مالك بن الحارث ابن الصمة الأكبر . وهذا الأصغر هو أبو دريد بن الصِّمَّة ، وكلاهما شاعر فارسٌ جاهلى .

والصِّمَّة بالكسرِ للصَّاد المهملة وتشديد الميم .

وقد أورد ابن الأعرابى (فى نوادره) البيت الشاهد فقط ، ونسبه إلى محجن بن مزاحم الغنوى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الخمسمائة [2] :

٥٨٦ (وماذَا يدَّرِى الشُّعراءُ مِنِّى وقدْ جاوزْتُ حدَّ الأربعينِ)

لما تقدَّم قبله من أنَّه معرب بالحركة على النون .

قال المبرد (فى الكامل) عند قول الفرزدق :

---

(١) الخزانة ٣ : ٦٢ .

(٢) ابن سلام ٥٩ ، والمقتضب ٣ : ٣٣٢/٤ : ٣٧ والكامل ٢٩٣ وابن يعيش ٥ : ١١ ، ١٣ ، والعينى ١ : ١٩١ والتصريح ١ : ٧٧ ٧٩ والهمع ١ : ٤٩ والأشمونى ١ : ٨٩ والأصمعيات ١٩ .

إنِّى لباكٍ على ابنَىْ يوسفٍ جزعاً ومثلُ فقدهما للدِّين يُبكينى
ما سدَّ حىٌّ ولا ميْتٌ مَسَدَّهما إلَّا الخلائفُ من بعدِ النَّبِيِّينِ (١)

وابنا يوسف هما محمد أخو الحجاج السفَّاك ، ومحمد ابنه ، فإنَّه جاءهُ نعْىُ أخيه يوم مات ابنه . ٤١٥

قال : أمّا قوله : « من بعد النبيِّينِ » فخفضَ هذه النونَ وهى نونُ الجمع ، وإنَّما فعل ذلك لأنَّه جعل الإعراب فيها لا فيا قبلها ، وجعل هذا الجمعَ كسائرِ الجمع ، نحو أفْلُسٍ ومساجدَ وكلاب ، فإنَّ إعراب هذا كإعراب الواحد . وإنَّما جاز ذلك لأنَّ الجمع يكون على أبنيةٍ شتَّى ، وإنَّما تلحق منه منهاج التثنية (٢) ما كان على حدِّ التثنية ، لايكسَّر الواحد عن بنائه (٣) ، وإلا فإنَّ الجمع كالواحد لاختلاف معانيه ، كما تختلف معانى الواحد ، والتثنية ليست كذلك ، لأنَّها ضرب واحد لا يكون اثنان أكثر من اثنين عدداً كما يكون الجمع أكثر من الجمع .

فممَّا جاء على هذا المذهب قولهم : هذه سنينٌ فاعلم ، وهذه عشرينٌ فاعلمْ ، قال العَدْوانى (٤) :

إنِّى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذو محافظة وابن أَبِىٌّ أَبِىٌّ من أَبِيِّينِ
وأنتُم معشرٌ زَيدٌ على مائة فأجمعُوا كيدكم كُلاًّ فكيدونى (٥)

وقال سُحيم بن وَثيل :

(١) رواية الكامل : « بعد النبيئين » بالهمز .
(٢) الكامل : « وإنما يلحق منه بمنهاج التثنية » .
(٣) ش : « على بنائه » ، صوابه فى ط والكامل .
(٤) ذو الإصبع . وانظر المفضليات ١٦٠ ، ١٦٣ .
(٥) الذى فى الكامل والمفضليات : « طرا فكيدونى » .

(وماذا يدّرى الشُّعراءُ منِّى وقد جاوزتُ رأْسَ الأَربعينِ
أَخو خمسينَ مجتمِعٌ أَشُدِّى ونجَّذنى مداورةُ الشئُونِ)

وفى كتاب الله [تعالى[1]] : ﴿ إلَّا من غِسْلين[2] ﴾. فإنْ قال قائل: فإنَّ غسلين واحد. فجوابه أنَّ كلَّ ماكان على بناءِ الجمع فإعرابه إعراب الجمع. ألا ترى أنَّ عشرين ليس لها واحدٌ من لفظها، فإعرابها[3] كإعراب مسلمين، وواحدهم مسلم. وكذلك جميع الإعراب.

ويقولون : هذه فِلسطُونَ يافتى ، ورأيت فلسطينَ يافتى ،وهذا القولُ الأَجود. وكذلك يبرين ويبرُون يافتى . وكلٌّ ما أشبه هذا فهو بمنزلته ، تقول : هذهِ قِنَّسرون ، ورأيت قِنَّسرِين . والأَجود فى هذا البيت :

وشاهدُنا الجُـــلُّ والياسَمو نَ والمُسمِعاتُ بقصَّابِها[4]

وفى القرآن مايصدِّق ذلك ، قول الله عز وجل : ﴿ كلا إنَّ كتابَ الأَبرارِ لَفِى عِلِّيِّينَ . وما أدراكَ ماعِلِّيُّون[5] ﴾ . انتهى .

وذهب ابن جنى إلى أنَّ تلك الكسرة للضرورة ، والإعرابُ إنَّما هو بالياء. قال (فى سر الصناعة) : فأَمَّا قول سُحيم بن وَثيل :

* وقد جاوزت حـدَّ الأَربعينِ *

فليست النون حرف إعراب ، ولا الكسرة فيها علامة جرِّ الاسم ،

(١) هذه من ش . وفى الكامل : « عز وجل » .
(٢) من الآية ٣٦ من الحاقة .
(٣) فى الكامل : « وإعرابها » .
(٤) للأعشى فى ديوانه ١٢١ واللسان (قصب ١٦٩ جلل ١٢٨) .
(٥) الآية ١٨ ، ١٩ من سورة المطففين .

وإنّما هى حركةُ التقاءِ الساكنين ، وهما الياءُ والنون ، وكسرت على أَصل حركة التقاءِ الساكنين، ولم يفتح كما يفتح[١] نون الجمع ، لأَنَّ الشاعر اضطُرَّ إلى ذلك لئلاَّ تختلف حركة الروىِّ فى سائر الأَبيات .

ويدلك على أَنَّ الحركة التى هى الكسرة ليست جرًّا قولُ الشاعر :

* وابنُ أَبٍّ أَبىٍّ من أَبيِّينِ *

فأَبيُّون جمع أَبىّ ، مثل ظريفون من ظريف . فكما لا شَكَّ[٢] أَنَّ كسر نون أَبيِّين إنَّما هى لالتقاءِ الساكنين ، لأَنَّه جمع تصحيح ، فكذلك ينبغى أن تكون كسرة نون الأَربعين . وكذلك قول الفرزدق :

* إلاَّ الخلائفُ من بعد النبيينِ *

وهذا أَيضاً جمع نبىّ على الصحة لا محالة ، فكسرة نون الجمع فى هذه الأَشياءِ ضرورة ، وأُجريت فى ذلك مجرى نون التثنية . انتهى .

وكذلك قال (فى إعراب الحماسة) ، عند قول الشاعر[٣] :

٤١٦ أَقول لمَّا أَرى كعباً ولحيتَهُ لا باركَ اللهُ فى بضعٍ وستِّينِ[٤]

مِنَ السِّنينَ تملَّاها بلا حسب ولا حياءِ ولا عقلٍ ولا دينِ

قال : كان أَبو العباس يذهب فى قول سُحيم :

* وقد جاوزت حَدَّ الأَربعينِ *

إلى أَنَّه أَخرجَه على أَصل التقاءِ الساكنين ، وهو الكسرة ضرورة. ويؤكِّد ذلك ههنا أَيضاً قوله بعده: « مِن السنين » فجاءَ بِمِن المرادة فى

(١) ش : « كما تفتح » .
(٢) ش : « كما لا شك » .
(٣) الشاعر مجهول . وانظر إعراب الحماسة لابن جنى الورقة ٢١٤ — ٢١٥ .
(٤) فى الحماسة وإعراب الحماسة : « أقول حين أرى » . وش : « أقول أنى » .

جميع التفاسير من أَحد عشر إلى تسعة وتسعين . أَلا تَرى أَنَّ أَصل حركة عشرين درهماً[١] إنَّمَا هو عشرون من الدَّراهم ، فمجيئه بالتمييز على أَصله يؤنسك بـأَنَّ كسر نون السنين من قبلها هو أَيضاً خروجٌ فيها عن الأَصل[٢] ، غير أَنَّ النون فى السنين الثانية مفتوحة على الاستعمال ولم يضطر إلى كسرها ، كما يضطرُّ فى القافية قبلها[٣] . انتهى .

وأَراد بـأَبى العباس المبرِّدَ، وقد نقلنا كلامه ، وليس فيه مانقله عنه ، وكلامه بعده غير واضح . انتهى أَيضاً فتأَمَّلْه .

وسحيم بن وثيل شاعرٌ إسلامى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين من أَوائل الكتاب[٤] مع شرح عدّة أَبياتٍ من هذه القصيدة .

وهذا البيت قبلَ البيتين اللذين أَوردهما المبرد :

(عذرتُ البُزْلَ إنْ هى خاطرتْنى فما بالى وبالُ ابنَىْ لبونِ)

البُزل : جمع بازل، وهو المسنُّ من الإبل . وضربه مثلًا . يقول: عذَرت المسانَّ من الشعراءِ إذا تعرَّضُوا لِى وهاجَوْنى ، فكيف بغلامين حديثين ؟ ! يعنى الأُبيرِد[٥] والأُخْوَصَ[٦] ، وكانا تعرَّضا له .

---

(١) فى إعراب الحماسة : « أن أصل عشرين درهماً » .
(٢) إعراب الحماسة : « على الأصل » .
(٣) إعراب الحماسة : « ولم يضطر فى كسرها كما اضطر فى القافية قبلها » .
(٤) الخزانة ١ : ٢٥٥ — ٢٧٠ .
(٥) ط : « الأبرد » ، صوابه فى ش والأصمعيات والأغانى ١٠ : ١٣ : ١٧ . والأبيرد ، بهيئة التصغير ،وهو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع بن حنظلة . الأغانى والمؤتلف ٢٤ .
(٦) الأخوص هذا بالخاء المعجمة كما فى ش . وجاء فى ط « الأحوص » بحاء مهملة خطأ . والأخوص لقب له، واسمه زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع . وقد سبقت ترجمته فى ٤ : ١٦٤ .

وقوله : (وماذا يَدَّرِى الشعراءُ) إلخ، يَدَّرى بالدال المهملة، يقال ادَّراه يدَّريه ، إذا ختله وخدعه . يقول : كيف يطمع الشعراءُ فى خديعتى وقد جاوزت أربعين سنة وقاربت الخمسين ، وقد اجتمع أَشُدِّى وجَرَّبت وعرفت الخديعة والمكر، فلا يتم علىّ شىءٌ . و «الشئون»: جمع شأْن . ومداورتها: التقلُّب فيها والتصرُّف . و«نجَّذ» بالذال المعجمة ، أى أحكم، يقال رجل منجَّذٌ، إذا كان قد جرَّب الأُمور ، ونجَّذته الأُمورُ، إذا أحكمته ، كما يقال حنَّكته التجارب . والناجذ : آخر الأَضراس ، ويقال له ضِرس الحُلم . ومن ذلك قولهم : ضحك حتَّى بدت نواجذه .

واجتماع الأَشُدّ عبارةٌ عن كمال القُوَى وتمامِ العقل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الخمسمائة[1] :

٥٨٧ (غِراثُ الوُشْح صامِتةُ البُرِينِ)

لما تقدَّم قبله ، من أنَّه معرب بالحركة على النون .

وهو جمعُ بُرة بضم الباء ، قال فى الصحاح : كلُّ حلْقةٍ من سِوار وقُرط ، وخَلخال ، وماأشبهها بُرَة . قال :

* وقعقعن الخلاخلَ والبُرينا[2] *

والبُرَة أيضاً: حلْقة من صُفْر تجعل فى لحم أنف البعير . وقال الأصمعى : تُجعل فى أحد جانبى المنخرين . قال : وربَّما كانت البرة من شَعَر ، فهى الخِزامة .

---

(١) ديوان الطرماح ١٧٧ .

(٢) ش : «والبرين» ، صوابه فى الصحاح واللسان (برا) .

قال أبو علي : أَصل البرة بَرْوة لأَنَّها جمعت على بُرًى مثل قرية وقُرًى ، ويجمع بُراتٍ وبُرين . انتهى .

والصواب أنَّ أَصلها بُروة بضم الباء لا بفتحها ، نحو غرفة وغرف، وخُصلةٍ وخُصَل .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(حسانُ مواضعِ النُّقَبِ الأَعالى)

وقد أَورده أبو على (فى كتاب الشعر) مع أَبياتٍ أُخَر على طرْز البُرِينِ ، من قصيدة هذا البيتِ وغيرها ، ثم قال : وقد كثُر هذا الضرب من الجمع ، حتَّى لو جُعِل قياساً مستمرًّا كان مذهباً . انتهى . ٤١٧

والبيت من قصيدةٍ للطِّرِمَّاح ، عدّتُها سبعون بيتاً كلُّها غزلٌ ونسيب . وقبله : صاحب الشاهد

(ظعائنُ كنتُ أَعهَدُهُنَّ قِدْماً   وهنّ لدى الأَمانةِ غيرُ خُونِ)

وبعده :

(طِوالٌ مثل أَعناق الهـوادى   نواعمُ بين أَبكار وعُونِ[1])

والظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة مادامت فى الهودج . والعَهد : الحفظ بالبال . وقِدماً بكسر القاف وسكون الدال ، قال فى الصحاح : يقال قِدماً كان كذا وكذا ، وهو اسم من القِدَم جُعل اسماً من أَسماءِ الزمان . وخُون : جمع خائنة . وجملة « وهنَّ لدى الأَمانة » إلخ حال من مفعول أَعهدهنّ .

---

(١) فى الديوان : « مشك أعناق الهوادى » ، وصوابهما جميعاً « متل » بالميم المكسورة بعدها تاء مثناة فوقية فلام مشددة . وانظر ما سيأتى من تحقيق .

وقوله : « حِسانُ مواضع » إلخ ، جمع امرأة حَسَنة بمعنى حسناء . والنُّقَب ، بضم ففتح : جمع نُقبة بسكون الثانى ، هو اللون والوجه . كذا فى الصحاح[1] . وأراد بالأعالى مايظهر للشمس من الوجه والعنق وأطرافه فإنَّها مع ظهورها للشمس والهواء والحرِّ والبرد ، إذا كانت فى غاية الحسْن والصفاء ونهاية اللُّطف ، فغيرها يكون أحسنَ . وغِراث : جمع غَرثان ، بمعنى الجوعان ، وأراد لازِمَه وهو الهزيل ، اللازم من الجوع . والوُشْح بالضم : جمع وِشاح بالكسر والضم ، وهو شئٌ ينسج عريضاً من أديم ويرصَّع بالجواهر ، وتشدُّه المرأة بين عاتقيها وكشحيها . قال فى الصحاح : وامرأة غرثَى الوشاح ، أى دقيقة الخصر لا يملأُ وِشاحَها ، فكأنَّه غَرثان .

وصامته أى ساكتة . وسكوت البرة كناية عن امتلاء ساقيها لحماً ، بحيث لا يتحرَّك ليسمع له صوت . والبرة هنا : الخلخال .

وقوله :« طوال مثل» إلخ، هو جمع طويل وطويلة . والمثل[2] :الشِّبه . أراد تشبيه أعناقهنَّ بأعناق الظباء . ورواه المولى خُسرو (فى حاشيته على البيضاوى) بفتح الميم والشين المعجمة وتشديد اللام ، على إضافة طِوال إليه . قال : والمَشَلّ : مَفعَل من شللت الثوب ، أى خِطته ، والمراد به مايستر الأعناق . هذا كلامه ، وتبعه خَضرٌ الموصلىّ (فى شرح شواهد

(١) تفسير الجوهرى هذا لا علاقة له بالبيت ، وإنما هو تفسير عام . ولا يصح هنا . وأراه يعنى بمواضع النقب ما يقابل الوشح والبرين فى عجز البيت ، أى ما يلقى عليه النقاب والوشاح والبرة . فالنقب : هنا بضمتين جمع نقاب ، وهو قناع المرأة تنتقب به ، ولكن هكذا قيده البغدادى وفسره بهذا القيد .

(٢) ش : « ومثل » .

التفسيرين) ، ولا يخفى أن هذا تعسُّفٌ من تصحيف[1] . والهوادى : الظِّباءُ وبقر الوحش المتقدِّمة . والنواعم : جمع ناعمة ، وهى اللَّيِّنة فى اللَّمْس . والعُون : جمع عَوان ، قال الجوهرى : العوان : النَّصَف فى سنِّها من كل شىءٍ ، أى المتوسِّطة .

وقد أورد هذا البيت (فى التفسيرين) شاهداً على أنَّ العوان فى قوله تعالى: ﴿عَوانٌ بين ذلك[2]﴾ بمعنى النَّصَف، بينَ الحديثة والمسنَّة . قال خضرٌ الموصلى : وتوقَّف بعضهم فى الاستشهاد ، لأَنَّ بين يوصف بها الوسط وتضاف إلى متعدِّدٍ ، هما الطرفانِ لذلك الوسط ، وفى البيت الموصوفُ ببيْنَ هو النواعم ، والمتعدِّد الذى أُضيفت هى إليه الأَبكار والعُون فلزم[3] أن يكونا طَرَفاً ، والنَّواعمُ وسطاً ، فلم يدلَّ على أن العوان النَّصَف ، بل على ضدِّه وهو الطَّرَف .

وأَجاب عنه بعض الفضلاء بأَن بين هنا مستعملةٌ للتنويع ، كما يقال : مركوبُ فلانٍ مابين البَغْل والفرس ، أى مركوبه نوعان : بغل وفرس ، فيكون المعنى أَنَّ الممدوحاتِ نواعمُ بعضُها أَبكارٌ وبعضها عُونٌ . ولاشكَّ ٤١٨

(١) أقول : هاتان الصورتان « مثل » و « مشل » والصورة الثالثة التى وردت فى الديوان « مشك » من العسير قبولها . والذى أرى أن توجه إليه الرواية والتفسير هو « طوال متل » بكسر الميم بعدها تاء مثناة فوقية كما أسلفت فى الحاشية رقم (١) وبإضافة طوال إلى « متل » . ونظيره من الشعر القديم قول عمرو بن عمار النهدى ، وأنشده سيبويه فى كتابه ١ : ٨١ بولاق و ١ : ١٦٢ من نسختى :

طويل متل العنق أشرف كاهـــلا أشــق رحيب الجــوف معتدل الجرم

قال ابن منظور : « عنى ما انتصب منه » . وقال الشنتمرى بعد أن ذكر أن البيت فى وصف فرس : « والمتل : العنق الطويل ، الغليظ المغرز . وأضافه إلى العنق لتبيين نوع المتل ، فكأنه قال : طويل الشىء المتل الذى هو العنق » .

(٢) من الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٣) ش : « فلزما » ، والوجه ما أثبت من ط .

أنَّها هى المتوسطات فى السِّنِّ ، وأما الصِّغار اللاتى فى سنِّ الطُّفوليَّة فلا يميل الطبعُ إليهنَّ ، وكذا المسنَّات . فالتوسُّطُ معلومٌ من المقامِ .

أقول : إنَّما يتمُّ الجوابُ أنْ لو استعملَ بين التى للتنويع بغير ما ، والاستعمال يشهد أنَّه لابدَّ منها ، فيقال مركوب فلان مابين بغل وفرس ، وثيابه مابين خزٍّ وحرير ، ولا يقال بين ، كما صرَّح به النحاس . انتهى .

الطرماح بن حكيم

والطرمَّاحُ هو الطِّرِمَّاح بن حَكيم الطائى ، شاعر إسلامى فى الدولة المرْوانيّة ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع مَنْ وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشُّراة الأزارقةِ ، وذلك إنه لما قدمها نزل على تَيْم اللات بن ثعلبة ، وفيهم شيخٌ من الشُّرَاةِ له سِمةٌ وهيئة ، فكان يجالسُه ويسمع منه ، فدعاه إلى مذهبه فقبِله منه ، واعتقدَهُ أشَدَّ اعتقادٍ حتَّى مات عليه .

قال ابن قتيبة[١] : كان الكميت بن زيد صديقاً للطرماح لايتفارقان فى حال من الأحوال ، فقيل للكميت : لاشىء أعجبُ من صفاءِ ما بينكما على تباعُد ما بينكما من النسب والمذهب والبلاد ، وهو شامىٌّ قحطانىٌّ خارجىٌّ ، وأنت كوفىٌّ نِزارىٌّ شِيعى[٢] ، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدَّة العصبية ؟! فقال : اتفقنا على بُغضِ العامَّة .

والطِّرِمّاح بكسر الطاء والراء المهملتين وتشديد الميم ، وآخره حاءٌ مهملة ووزنة فِعِمّال ، فالميم زائدة[٣] .

(١) لم أجد النص التالى فى الشعر والشعراء ، فلعله من كتاب له آخر .
(٢) ط : «وأنت نزارى كوفى شيعى» .
(٣) أقول : مع زيادة الميم لم لا يكون وزنه فعلال ؟ من قولهم : طرمح البناء وغيره : علاه ورفعه .

ولم نذكر بقية نسبه لأنَّ فى ألفاظها غرابة وغموضاً يحتاج إلى ضبط يطول به الكلام ، ولا فائدة فيه .

والشُّراة بضم الشين : الخوارج ، الواحد شارٍ ، كقضاة جمع قاض ، سمُّوا بذلك لقولهم : إنَّا شَرَيْنا أنفسنا فى طاعة الله ، أى بعناها بالجنَّة ؛ حين فَارقْنا الأَئمَّةَ الجائرة . يقال منه تشَرَّى الرجل . كذا فى الصحاح .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الخمسمائة[1] :

٥٨٨ (وأنَّ لنا أَبا حسنَ عَليًّا أَبٌ برٌّ ونحن لـه بنينُ)

لما تقدّم قبله ، فإنه رفع (بنينُ) بالضمة على النون مع لزوم الياء .

وأورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) وقال : إنَّه ضرورةٌ لايُحفظ إلَّا فى الشعر .

وجعله خطأً أبو العباس المبرد (فى كتاب الرَّوضة) ، وخطَّأَ قول أبى نواس :

شَمولٌ تخطَّاها المنونُ فقد أَتَتْ سنينٌ لها فى دنِّها وسِنينُ[2]

ولحنَّه فى قوله بعد هذا :

* تخيّرها بعد البنينَ بنونُ [3] *

---

(١) الضرائر ٢١٩ العينى ١ : ١٥٦ ، والتصريح ١ : ٧٧ .

(٢) ديوان أبى نواس ٣٣٨ من قصيدة مطلعها :

لمن طلل عارى المحل دفين عفا عهده إلا خوالد جون

(٣) البيت بتمامه فى الديوان :

تراث أناس عن أناس تخرموا توارثها بعد البنين بنون

لأنّه جمع فى الكلمة إعرابين: إعراباً بالحرف ، وإعراباً بالحركة. وهو غير مسموع فى كلام العرب .

وتقدَّم الكلام على مثله قريباً ، وهو قوله :

ذرانىَ من نجد فإنّ سنينه . . . البيت

وقوله : (وأنَّ لنا) بفتح الهمزة ، لأنّه معطوف على قوله :

* بأنّا لا نزال لكم عدوّا *

فى بيت قبله كما سيأتى .

ورواه ابن عقيل وابن هشام فى شرح الألفية :

(وكان لنا أبو حسن علىٌّ أباً برّا ونحن له بنينُ)

ولنا كان فى الأصل نعتاً لقوله أب ، فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . ونحن مبتدأ وبنين خبره ، وصفته محذوفة بدليل ماقبله ، والتقدير : ونحن له بنين أبرار ، ولولا هذا التقدير لخلا الحَمْلُ من فائدة . وروى أيضاً :

ألم تر أنَّ والينَا عليًّا أبٌ برٌّ . . . إلخ

٤١٩ والوالى: مِنْ ولىَ الأمرَ يليه ولاية، بكسر اللام فيهما وكسر الواو[1] . والبَرُّ بالفتح، قال صاحب المصباح : برَّ الرجلُ يَبَرُّ بِرًّا وزان عِلم يعلَم علماً فهو بَرٌّ بالفتح ، وبارٌّ أيضاً، أى صادق أَوْ تقىٌّ، وهو خلاف الفاجر، وجمع الأوّل أبرار ، وجمع الثانى بررة، مثل كافر وكفرة[2] . وبَرِرْت

(١) وقيل الولاية ، بالفتح : المصدر . وبالكسر : الاسم مثل الإمارة والنقابة ، وقيل بكسر الواو وفتحها فى الولاية مصدرا .

(٢) بعده فى المصباح : « ومنه قوله للمؤذن : صدقت وبررت ، أى صدقت فى دعواك إلى الطاعات ، وصرت باراً . دعاء له بذلك ، ودعاء له بالقبول . والأصل: بر عملك » .

والدى أَبَرُّه بِرًّا وبُروراً : أحسنت الطاعة إليه ، ورفقت به ، وتحرَّيت محابَّه وتوقَّيت مكَارهه . وبرَّ الحَجُّ واليمينُ والقولُ بِرًّا أيضاً فهو برٌّ وبارٌّ أيضاً . ويستعمل متعدِّياً أيضاً بنفسه فى الحج ، وبالحرف فى اليمين والقول ، فيقال بر الله الحجَّ يبرُّهُ بروراً أى قبله . وبررتُ فى القول واليمين أبَرُّ فيهما بُروراً أيضاً ، إذا صدقتَ فيهما ، فأنا برٌّ وبارٌّ . وفى لغة يتعدَّى بالهمزة فيقال أبرَّ الله الحجَّ ، وأبررت القولَ واليمينَ . والبِرّ بالكسر : الخير والفضل ، والمبرَّة مثلُه . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات لسعيد بن قيس الْهَمْدانى قَالها فى أحد أيَّام صفِّين وذلك أنَّ معاوية دعا أهلَ الشام فقال : إنَّ عَليًّا يخرج فى سَرَعان الخيل فمن ينتدبُ له ؟ فقام عبد الرحمن بن خالد فقال : أنا له . فقال له معاوية : اقعُدْ فلم أعهدْك خفيفاً . فقال عبد الرحمن العكِّىُّ : أنا له . فقال له معاوية : أنت له لولا عَجَلتُك فى الحرب . فقال عمرو بن الحُصين السَّكونى : أنا له . فقال : أنت له حقًّا ! فخرج فى عكٍّ والصَّدِفِ ، وخرج علىٌّ رضى الله عنه كعادته ، فترقَّبه السَّكونِىُّ وحمل عليه من خلفِه ، فلمَّا كاد أن يطعنه اعترضه سعيدُ بن قيسٍ الهمْدانى فطعنه طعنةً قصَم بها صُلبه ، فالتفت علىٌّ رضى الله عنه فرأى السَّكونىَّ صريعاً . ثم قتل سعيدُ بن قيس رجلاً من ذى رُعَين ، فجزِع عليهما معاوية جزعاً شديداً ، فقال سعيدُ بن قيس هذه الأبيات (١) :

(لقد فُجعتْ بفارسها رُعينٌ كما فُجعت بفارسها السَّكونُ
غداةَ أتى أبا حسَن عليًّا وأمُّ النَّقعِ مُشبِلةٌ طَحُونُ

---

(١) الأبيات لم ترد فى وقعة صفين .

ليطعُنَه فقلت له خُذَنْها مُسوَّمةً يخِفُّ لها القَطينُ
أقول له ورُمحى فى صَلاهُ وقد قرَّت بمصرعه العيونُ
ألا ياعَمرو عمرَو بنى حُصَين وكلُّ فَتًى ستدركه المنونُ
أترجو أنْ تنال إمام صِدق أبا حسن، وذا ما لا يكونُ
لقد بكت السَّكونُ عليك حتّى وهَتْ منها النَّواظرُ والجفونُ
ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حرب ورَجمُ الغيب يكشِفهُ اليقينُ
بأنَّا لا نزال لكم عدوًّا طَوَالَ الدّهر ماسُمِع الحنينُ
ألم تر أنَّ والينا عليًّا أبٌ برٌّ ونحن له بنينُ
وأنَّا لا نريد سواه يومًا وذاك الرُّشدُ والحقُّ المبينُ
وأنَّ له العراقَ، وكلُّ كبش حديد القَرْن ترهبُه القُرونُ)

والعكّى : نسبةٌ إلى علكٍّ بفتح المهملة : أبو قبيلة من اليمن، وهو عَكّ بن عدنان بن عبد الله بن الأزد .

والسَّكونى: نسبة إلى السَّكون بفتح السين المهملة ، أبو قبيلة عظيمة من اليمن ، وهو السَّكون بن أشرسَ بن ثور . ويقال لثَور : كِندة ، وإليه ينتسب امرؤ القيس .

٤٢٠ والصَّدِف ، بفتح المهملة وكسر الدال : بطنٌ من كندة ينسبون اليوم إلى حضرموت . وإذا نسبت إليه فقلت صَدَفىٌّ فتحت الدال .

وهمْدان ، بسكون الميم : أبو قبيلة عظيمة باليمن .

وذو رُعين بالتصغير : بطن من حمير، وهو ذو رعين بن سهل بن زيد . كذا فى الجمهرة(١) . وقد تجوّز الشاعر فى حذف ذى منه

(١) يعنى جمهرة ابن الكلبى . لكن فى جمهرة ابن حزم ٤٣٣ : « بن زيد بن سهل بن عمرو ابن قيس » .

وفُجِعت فى الموضعين بالبناءِ للمفعول ، من فجعه ، فى ماله وأهله ، أى أصابه بالرزيَّة . والفجيعة : الرزيَّة ، وفعله من باب نفع . وأُمُّ النَّقْع أراد بها الحرب . والنقْع بالنون والقاف : الغُبار . ومُشْبِلة : اسم فاعل من أشبل عليه أى عطف . وأشبلت المرأة بعد بَعْلها : صبرت على أولادها فلم تتزوَّج. ولَبوةٌ مشبلٌ ، إذا مشى معها أولادُها . والشِّبل بالكسر : ولد الأَسد . وطحون : مبالغة طاحنة ، أى مهلكة .

والضمير فى « خُذَنها » راجعٌ إلى الطعنة المفهومة من قوله ليطعُنه . والمسوَّمة : المرسلة ، من قولهم : سوَّم فيها الخيل ، إذا أرسلها . ومنه السائمة . ويخِفّ : يرحل ويُسافر . والقطين : جمع قاطن ، وهو المقيم .

والصَّلا ، بفتح الصاد والقصر : العجزُ ، وفى الأَصل هو مَغرس الذنَب من الفرس ، ومنه ، قيل : أُخِذت الصلاة . والمَصْرَع[١] : المَهْلك . ووهت : ضعفت . وقوله : ﴿ رَجْماً بالغيب[٢] ﴾ ، أى ظنًّا من غير دليل ولا برهان .

وقوله : « بأَنَّا » ، متعلق بأَبلغْ . والعدوُّ : خلاف الصديق ، يقع على الواحد المذكر والمؤنث والمجموع . وطَوَال الدَّهر بفتح الطاء ، أى طُولَه . والحنين هنا : حنين الناقة ، وهو صوتها فى نزاعها إلى ولدها . والقَرن فى الموضعين ، بفتح القاف[٣] . وجملة ترهبه حاليَّة .

(١) ط : « المسرع » ، صوابه فى ش .

(٢) كذا فى النسختين ، ولعله أراد أن يفسر الشعر على ضوء تفسير الآية الكريمة ، وما ورد فى نص الشعر فى البيت الثامن « ورجم الغيب » . وهى الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٣) القرن الأول : روق الكبش ونحوه . وواحد القرون ، بالضم ، قرن أيضاً بفتح القاف ، وهو سيد القوم ورئيسهم . فهذا ما أراده ولم يفسره .

سعيد بن قيس الهمدانى

وسعيد بن قيس الهمدانى من أَصحاب علىّ رضى الله عنه ، ولم أَر له ذكراً فى كُتب الصحابة [1] ، وإنَّما هو تابعى .

قال ابن الكلبى : السَّبيع : بطنٌ من همْدان . ومن السَّبيع : سَعيد [2] ابن قيس بن زيد بن مرِب بن معديكرب بن أَسيف بن عمرو بن سَبُع بن السَّبيع . انتهى .

وهمدان بسكون الميم : قبيلةٌ عظيمة باليمن ، وهو لقب ، واسمه أَوسَلة .

والسَّبيع بفتح السين المهملة وكسر الموحَّدة .

ومَرِب بفتح الميم وكسر الراءِ المهملة بعدها موحّدة .

ولمَّا لم يقف العينىُّ على ماقبل البيت الشاهد ولا على ما بعده ظَنَّ أَنَّ البيت لأَحدِ أَولادِ علىٍّ رضى الله عنه .

* * *

وأَنشد بعده :

(متَى كنَّا لأُمِّكَ مقتوينا)

على أَنَّه حُكى عن أَبى عبيدة وأَبى زيد جعلُ نون مقتوينا محلَّ تعاقب الإعراب بالحركة . فالأَلف هنا بدل من التنوين .

وهذه عبارة أَبى زيد (فى نوادرِه) : رجل مقتوَينٌ ورجال مقتوينٌ [3] ، وكذلك المرأة والنساءُ ، وهو الذى يخدم القومَ بطعام بطنه . وقال عمرو ابن كلثوم :

(١) ط : « فى كتاب الصحابة » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « سعد » ، صوابه فى ش وجمهرة ابن حزم ٤٣٦ .

(٣) فى نوادر أبى زيد ١٨٨ : « رجل مقتوين ورجلان مقتوين ورجال مقتوين » .

تهدَّدْنا وأوعِدنا رويدًا   متى كنَّا لأُمِّك مقتوَينا

الواو مفتوحة وبعضهم يكسرها ، أى متى كنَّا خدماً لأُمِّك . هذا كلامه .

وقد شرحه[١] أبو على (فى كتاب الشعر)[٢] وقال : النون حرف الإعراب . ونقله عنه وعن أبى عبيدة . وضبط الميم بالفتح والضمّ . وتقدم كلامه منقولاً بتمامه فى الشاهد الثالث والخمسين بعد الخمسمائة من باب المذكر والمؤنث[٣] .

وقال أبو الحسن الأخفش فى شرحه لها : هذا القياس[٤] وهو مسموع من العرب أيضاً ، فتح الواو من مُقتوَين، فتقولُ مُقتوَينَ ، فيكون الواحدُ مُقتَوًى، فاعلمْ[٥]، مثل مصطفًى فاعلم[٦] ، ومصطفين إذا جمعت . ومن قال مُقتوِين فكسر الواو فإنَّه يفرده فى الواحد والتثنية والجمع والمؤنَّث ، لأنَّه عنده مصدر ، فيصير بمنزلة قولهم : رجل عدلٌ وفِطر وصَوم ورضًا[٧] وما أشبهه . ويقال مقَتَ الرجُلُ ، إذا خدَم . فهذا بيِّنٌ فى هذا الحرف . انتهى . ٤٢١

وهذا مبنىٌّ على أنَّ الميم مضمومة، إلاَّ أنَّ قوله مقَت الرجلُ ، فجعل الميم أصليَّة ، لا وجهَ له . فتأمَّلْ .

---

(١) ش : « وقد جره » ، وأثبت ما فى ط .
(٢) يعنى كتاب إيضاح الشعر ، ويسمى أيضاً : « الإيضاح الشعرى » ، و « إعراب الشعر » .
(٣) الخزانة ٧ : ٤٢٩ .
(٤) ط : « هنا القياس » ، وأثبت ما فى ش .
(٥) ط : « فاعل » صوابه فى ش ونوادر أبى زيد .
(٦) ليست فى النوادر . وفى ش : « فاعلم » .
(٧) رسمت فى ش : « ورضى » بالياء .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٥٨٩ (إذا مابنُو نَعْشٍ دنَوْا فتصوَّبُوا)

على أَنَّ الأَخفش حكى : بنو عِرس وبنو نعش ، اعتباراً للفظ ابن وإن كان غير عاقل ، كما فى البيت. كأَنَّه جعلها جمعاً لابن نعش وإن لم يستعمل .

قال سيبويه : وأَمَّا ﴿ كلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[٢] ﴾ ، و﴿رأَيتهمْ لى ساجدِين[٣] ﴾ ، و﴿يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ[٤] ﴾، فزعمْ الخليل أَنَّه جعلهم بمنزلة من يعقل ويسمع ، لمَّا ذكَرهم بالسجود ، وصار النمل بتلك المنزلة حين حدَث عنه ما يحدثُ عن الأَناسىّ[٥]. وكذلك ﴿ فى فلك يسبحون ﴾ ، لأَنَّها جعلت فى طاعتها ؛ وفى أَنَّه لا ينبغى لأَحدٍ أن يقول : مُطرنا بنوءِ كذا ، ولا ينبغى لأَحدٍ أَن يعبد شيئاً منها ، بمنزلة ما يعقل[٦] من المخلوقين ويُبصِر الأُمور . قال النابغة الجعدى :

شرِبت بها والدِّيكُ يدعُو صَباحَه إذا مابنو نَعشٍ دنَوْا فتصوَّبوا

فجاز هذا حيث صارت هذه الأَشياءُ عندهم تُؤمَر وتطيع ، وتفهم الكلام ، وتعبُد ، بمنزلة الآدميِّين . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٤٠ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٦٦ والعمدة ٢ : ٢١٧ ودلائل الإعجاز ١ : ٦١ وابن يعيش ٥ : ١٠٥ والمغنى ٣٦٥ وشرح شواهده للسيوطى ٢٦٥ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٧٣ وديوان النابغة الجعدى ٤ .

(٢) الآية ٣٣ من سورة الأنبياء . وفى سورة يس ٤٠ : « وكل فى فلك يسبحون » بالواو .

(٣) الآية ٤ من سورة يوسف .

(٤) الآية ١٨ من سورة النمل .

(٥) فى سيبويه : « حين حدثت عنه كما تحدث عن الأناسى » .

(٦) فى سيبويه : « من يعقل » .

قال الأَعلم : الشاهد فيه تذكير بنات نعش لإخباره عنها بالدنُوّ والتصوُّب كما يُخبَر عن الآدميين ، على ما بيَّنه سيبويه . وصف خمراً باكرها بالشُّرب عند صِياح الديك . وتصوُّبُ بناتِ نعشٍ : دنُوُّها من الأُفق للغروب . والباءُ فى قوله « بها » زائدة مؤكدة . وكثيراً ماتزيدُها العرب فى مثل هذا . قال تعالى : ﴿ عيناً يشرَبُ بها المقرَّبون[1] ﴾ . انتهى .

أقول : الباءُ فى البيت والآية للتبعيض . وقال (ابن خلف) : الشاهد أنَّه جمع ابناً من غير ما يعقل جمعَ العقلاءِ المذكَّرين ، وكان ينبغى أن يقول : بنات نعش ، وواحدها ابن نعش . وحمَل بنو نعش على ما يعقل لمَّا كان دورُها على مقدارٍ لا يتغيَّر ذلك الدورُ ، وتَعقله . وقال : « دنوا فتصوَّبوا » وكان ينبغى أن يقال دنونَ فتصوَّبْن . انتهى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : والذى جرَّأه على استعمال الواو فى غير العقلاءِ قوله بنو لابنات . والذى سوَّغ ذلك أنَّ مافيه من تغيير نظم الواحد شبَّهه بجمع التكسير ، فسهُل مجيئه لغير العاقل . ولهذا جاز تأْنيث فعله ، نحو : ﴿ إلاَّ الذى آمنَتْ به بنو إسرائيل[2] ﴾ ، مع امتناع قامت الزيدون . انتهى .

وبنات نعش من منازل القمر الثمانية والعشرين ، قال صاحب الصحاح : اتَّفق سيبويه والفرّاءُ على ترك صرف نعشٍ ، للمعرفة والتأْنيث .

قال الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) : الظاهر أنَّه جائز لا واجب ، لأنَّه ساكن الوسط .

(١) الآية ٢٨ من المطففين .
(٢) الآية ٩٠ من سورة يونس .

وقال صاحب العباب : بنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ، أَربعة منها نعش ، وثلاثُ بنات . وكذلك بنات نعشٍ الصغرى . وذكر أَبو عمر الزاهد (فى فائت الجمهرة) عن الفرَّاءِ أَنَّه يقال بنات نُعَشَ فى ميزانُ عُمر ، لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة . قال :
٤٢٢ وليس بينهم خلاف ، تقول : هذه بناتُ نعش مقبلةً ، ومعها بناتُ نعشٍ أُخرى مقبلة . وقد جاءَ فى الشعر بنو نعش ، وأَنشد أَبو عُبيدة للنَّابغة الجعدى :

(وصَهباءَ لا تُخفِى القَذَى وهى دونَه ... تُصفَّق فى رَاوُوقها ثم تُقْطَبُ
تمزَّزْتها والدِّيك يدعو صَباحه ... إذا ما بنو نَعشٍ دنَوْا فتصوَّبوا)

وقال ابن دريد : سمِّيت بنات نعش تشبيهاً بحَمَلة النعش[1] فى تربيعها . وقال الليث : يقال للواحد منها ابن نعش ، لأَنَّ الكواكب مذكَّرة ، فيذكِّرونه على تذكيره . وإذا قالوا ثلاث وأَربع ذهبوا إلى مذهب التأْنيث ، لأَنَّ البنين إنَّما يقال للآدميين . وعلى هذا القياس يقولون : ابن آوى ، وابنُ عِرس ، فإذا جَمَعوا قالوا : بنات آوى وبناتُ عِرْس ، قال الخليل : هذا شئٌ لم يسمَّ بالابن لحال الأَب والأُمّ كما قيل بنون وبنات . وإذا ذكَروا ابن لَبُون وابن مَخاض قالوا : هذا ابن لبون وابن مَخاض . وإذا ثنوًا قالوا : ابنا لبون وابنا مخاض . وإذا جمعوا تركوا القياس ولم يقولوا بنون ، ولكنهم يقولون بنات مخاض ذكوراً . هذا كلام العرب . ولو حمله النحوىُّ على القياس فذكَّر المذكر وأَنَّث

(١) ط : « بجملة النعش » بالجيم ، وصوابها بالحاء كما فى ش ، واللسان (نعش ٢٤٨) ، وجمهرة ابن دريد ٣ : ٦٢ .

المؤنث لكان صواباً . وبعضهم يقول : لا يجوز لِمَا كان من غير الآدميين [١] أن يقال فى جمعه إلاَّ بالتأنيث ، إلَّا أن يُضطرَّ شاعر فيخرجه مخرج الآدميين ، إذا حمل على غير الآدميين ، على مثال مايجمعون عليه . قال تعالى : ﴿ والشَّمْسَ والقَمرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ [٢] ﴾ لمَّا فعلوا فعل الآدميين جمعهُم كما يُجمَعون ،وخاطبهم بمايخاطَبون . انتهى كلام العباب.

وقال القالى (فى المقصور والممدود) : قال أبو حاتم : يقال ابن آوى لهذا السبُع ، وللاثنين: ابنا آوى [٣] ، والجمع: بنات آوى وإنْ كنَّ ذكوراً ، ولا يصرف آوى . ويجمعون كلَّ جماعة من غير الإنس على بنات ، كما قالوا بنات نعش لهذه الكواكب ، ولم يقولوا بنو نعش ، فإن اضطُرَّ شاعرٌ قاله مستكرَهاً . قال الشاعر :

فباكرتها والدِّيك يدعو صباحَه . . . البيت

والصواب: بنات نعش دَنْت فتصوَّبت ، أو دنون فتصوَّبن . فهذا على الاضطرار . وأمَّا ما لايعرف ذكُوره من إناثه فمحمولٌ على اللفظ، يقال للذكر والأُنثى ابن عِرس وابنُ قِتْرة [٤] لضربٍ من الحيات، وابن دأية غير معروف للغراب . فإذا جمعت على هذا النحو قلت : بنات آوى ، وبنات عرس ، وبناتُ قِتْرة، وبناتُ دأْية، للذكور والإناث. وكُّل جمع من غير الإنس والجن والشياطين والملائكة فيقال فيه بنات . انتهى .

---

(١) الكلام بعده إلى « غير الآدميين » ساقط من ش .
(٢) من الآية ٤ فى سورة يوسف .
(٣) ش : « أبناء آوى » ، صوابه فى ش .
(٤) ابن قترة ، بكسر القاف : ضرب من الحيات خبيث إلى الصغر ما هو ، لا يسلم من لدغها ، وهو نحو من الشبر ، ينزو ثم يقع .

صاحب الشاهد والبيتان من قصيدةٍ للنابغة الجعدى أَورد أَبياتاً منها السُّيوطىُّ (فى شرح شواهد المغنى)[١] .

وقوله : و« وصهباء » إلخ ، أَى ربَّ صهباءَ ، وهى الخمر. لا تُخفَى : لا تستُر. والقذى : ما يقع فى الماء والشراب والعين إذا هبتَّ الريح . ودون هنا بمعنى قُدَّامٍ . يقول : إنَّ القذى إذا حصل فى أَسفل الزجاجة رآه الرائى فى الموضـع الذى هو فيه ، اصفائها . والخمر أَقرب إلى الرائى من القذَى ، وهى فيما بين الرائى وبين القذى، يريد أَنَّها يُرى ماوراءها لصفائها . وتصفَّق بالبناء للمفعول . والتصفيق : إدارتها من إناءٍ إلى إناءٍ لتصفو . والراووق : المصفاة . وتُقطَب : تمزج .

وقوله :(شربت بها) إلخ روى أَيضاً :(تمزَّزتها والدِّيكُ) . والتمزُّز : تمصُّص الشراب قليلاً قليلاً . ومزَّه يمزّه أى مصَّه . وقوله (يدعو صَبَاحَه) أَى فى وقت صَباحه[٢] . ٤٢٣

قال ابن رشيق (فى باب السرقات الشعرية من العمدة):

قد اجتلب الفرزدقُ هذا البيت واستلحقه بشعره ، فقال :

وإجَّانة ريَّــا السُّرور كأَنَّها ... إذا غُمست فيها الزجاجةُ كوكبُ[٣]

تمزَّزْتُها والديكُ يدعو صباحَه ... . . . البيت

والنابغة الجعدى شاعر صحابى تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة[٤] .

* * *

(١) وهى فى ديوان النابغة الجعدى ٣ – ١١ فى ٣٢ بيتاً .
(٢) ش : « أى وقت صباحه » بإسقاط « فى » . وفى ط : « فى أى فى وقت صباحه » ، و « فى » الأولى مقحمة .
(٣) الخزانة ٣ : ١٦٧ – ١٧٣ .
(٤) فى ديوان الفرزدق ١٥ : « ريا السروب » ، و« إذا اغتمست » .

جمع المؤنث السالم

أنشد فيه ، وهو الشاهد التسعون بعد الخمسمائة(١) :

٥٩٠ (أَتتْ ذِكَرٌ عوَّدْنَ أَحشاءَ قلبه
خُفوقاً ورَفْضَاتُ الْهَوَى فى المفاصِلِ)

على أَنَّ (رَفْضات) كان يستحقّ أن يفتح فاؤه ، فسكَّن للضرورة ، لأَنَّ رفضات جمع رَفْضَة ، وفعلة بفتح الفاء وسكون العين إذا كان اسماً لا صفة كصَعْبة ، يجب فتحُها إذا جمعت بالأَلف والتاء . ورفضة هنا اسمٌ لأَنَّه مصدر محض ليس فيه من معنى الوصفيَّة شيء ، ولو كان مؤوَّلاً بالوصف كرجل عَدْل لكان للتسكين وجه .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : حُكم لرفضات وهو اسمٌ بحكم الصفة . ألا ترى أنّ رفضات جمع رَفْضة ، ورَفْضة اسم ، والاسم إذا كان على وزن فعلة وكان صحيح العين فإنَّه إذا جمع بالأَلف والتاء لم يكن بدٌّ من تحريك عينه إتباعاً لحركة فائه ، نحو جفنة وجفنات . وإن كان صفةً بقيت العين على سكونها ، نحو ضخمة وضخمات . وإنَّما فعلوا ذلك فرقاً بين الاسم والصفة ، وكان الاسم أولى بالتحريك لخفَّته ، فاحتمل لذلك ثِقل الحركة ، فكان ينبغى أن يقول رَفَضات بالتحريك ، إلاَّ أنَّه لما اضطرَّ إلى التسكين حَكم لها بحكم الصفة فسكّن. ومما يبيِّن لك صحة ماذكرتُه من الحمل على الصِّفة أنَّ أكثر ماجاء من

(١) المقتضب ٢ : ١٩٢ وإصلاح المنطق ١٥٤ والمحتسب ١ : ٥٦ / ٢ : ١٧١ وابن يعيش ٥ : ٢٨ واللسان (سنب ٤٥٧) وديوان ذى الرمة ٤٩٤ .

ذلك فى الشعر إنَّما هو مصدر ، لقوَّة شبه المصدر باسم الفاعل الذى هو صفة . ألا ترى أنَّ كل واحد منهما يقع موقع صَاحِبه . والمعتلُّ اللامِ من فَعْلة بمنزلة الصحيح اللام ، فى أنَّ العين لا تسكن فى جمع الاسم منه إلَّا فى ضرورة ، حكى أبو الفتح عن بعضِ قيس : ثلاث ظبْيات بإسكان الباءِ . وروى أيضاً عن أبى زيد عنهم : شَرْية وشَرْيات . انتهى باختصار .

وقد تكلَّم ابن جنى (فى موضعين من المحتسب) على هذا الجمع فى أوّل سورة البقرة ، وفى سورة لقمان . ولمَّا كان الأَوَّل أَجمَع للفوائد اقتصرنا عليه .

قال : وقد سكَّنو المفتوح ، وهو ضرورة . قال لبيد :

رحَلْن لِشُقَّة ونَصَبْن نصبـاً لوغْرات الهـواجر والسَّمومِ[1]

وقال ذو الرمة :

أبت ذكر عوَّدن أَحشاءَ قلبهِ ... البيت

وروينا أيضاً أنَّ بعض قيس قال : ثلاث ظبْيات ، فأَسكن موضع العين . وروينا عن أبى زيد أيضاً عنهم شَرْية وشَرْيات ، وهو الحنظل . والتسكين عندى فى هذا أَسوغ منه فى نحو : رفضات ووغرات ، من قِبل أنَّ قبل الأَلف ياءً محرَّكة مفتوحاً ماقبلها . وهذا شرط اعتلالها بانقلابها ألفاً . ويحتاج أن نعتذر من ذلك فنقول : لو قلبت ألفاً لوجب حذفُها لسكونها وسكون الأَلف بعدها ، وليس فى نحو رفضات ما يوجب الاعتذار

(١) ديوان لبيد ١٠٢ . والوغرة : شدة حر النهار . والسموم ، بالفتح : الريح الحارة .

٤٢٤ من الحركة . وكانَ رفضات أقربَ مأْخذًا من تمرات ، من قبَلَ أنَّ رفضة حدَثٌ ومصدر ، والمصدر قويُّ الشبه باسم الفاعل الذى هو صفة ، والصفة لا تُحَرَّك فى نحو هذا[١] . ويدلُّك على قوّة شبه المصدر بالصّفة وقوعُ كلٍّ واحدٍ منهما موقع صاحبه . فكذلك سهَّل شيئاً إسكانَ نحو رَفْضة ووَغْرة ، لسكونهما حدَثين ومصدرين ، لشبههما بالصفة . ويزيد فى أُنسك تسكينَ عينِ ما لامُه حرف عِلَّة[٢] ، لما يعقب من الاعتذار من تحريك [عينِه[٣]] ، امتناعُهم من تحريك العين فى فعلة إذا كانت حرفَ علَّة ، وذلك نحو جَوْزات ، ألا ترى لو حرِّك لوجب أن يعتذر من صحة العين مع حركتها وانفتاح ماقبلها ، بأن يقولوا لو أُعلَّت لوجب القلب ، فيلتبس بما عينُه فى الواحد ألفٌ منقلبة نحو قارة وقارات[٤] . وإذا جاز إسكان العينِ الصَّحيحة نحو تمرات صار المعتلُّ أحرى بالصحة . انتهى باختصار .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة طويلة لذى الرمَّة كلُّها غزلٌ ونسيب . وقبله :

(إذا قلتودِّعْ وصلَ خرقاءَواجتنِبْ زيارتَها تُخلِقْ حبالُ الوسائلِ)

يخاطب نفسه . ويقول : إذا قلت ودِّع ياذا الرمة وصل خرقاء ، وخرقاءُ لقب محبوبته ميّة ، وتُخلِقْ مجزوم فى جواب أحد الأمرين المتقدِّمين ، وفاعله ضمير المخاطب ، وهو من أخلقت الثوبَ، إذا أبليتَه

---

(١) بعده فى المحتسب : « نحو صعبة وصعبات ، وخدلة وخدلات » .

(٢) أى فى نحو ظبية وغزوة .

(٣) التكملة من المحتسب ١ : ٥٧ .

(٤) فى النسختين : « فارة وفارات » بالفاء ، وصوابهما بالقاف ، كما فى المحتسب وما سيأتى فى الشاهد ٥٩٣ . والقارة، بتخفيف الراء: الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود ، والجمع قارات ، وقار ، وقور ، وقيران ، كما فى اللسان (قور) .

والحبال : جمع حَبْل بمعنى السَّبب ، استُعير لكلِّ شيء يُتوصَّل به إلى أمر من الأُمور . والوسائل : جمع وسيلة . قال شارح ديوانه : الوسيلة القُربة والمنزلة .

وقوله : (أَبت ذِكر) إلخ ، هذا جوابُ إذا فى البيت قبله . (وأَبت) بمعنى امتنعت . وفى بعض نسخ الشرح (أَتت) بالمثناة على أَنَّه من الإِتيان . ولم أَره فى نسخ الديوان ، وعندى منه ولله الحمد أَربع نسخ ، وذِكر بكسر الذال وفتح الكاف : جمع ذكر ، والذكر بالكسر والضم : اسمٌ لذكرتُه بلسانى وبقلبى ذِكرَى بالكسر والقصر ، نص عليه جماعةٌ منهم أَبو عبيدة ، وابن قتيبة . وأَنكر الفراء الكسر فى القلب وقال : اجعلنى على ذُكرٍ منك بالضم لا غير . ولهذا اقتصر عليه جماعة . والنون من (عوَّدْن) ضمير الذِّكَر . وعودته كذا فاعتاده وتعوّده ، أَى صيَّرته له عادة . و (الأَحشاءُ) : جمع حَشًى بالقصر ، وهو ما فى البطن من مِعًى وكرش[1] ، وغيرهما . والخفوق مفعول ثان لعوَّد ، وهو مصدر خَفَق ، وخفَقاناً أَيضاً إذا اضطرب . و(رفضات) بالرفع معطوف على ذِكر . قال شارح ديوانه : رفضاتُه : تفَرُّقه وتفتُّحه فى المفاصل ، وهو بالفاء والضاد المعجمة . وهذا من قولهم : رفضت الإِبل ترفِض كضرب يضرب ، رُفوضاً ، إذا تبدَّدت فى المرعى حيث أَحبَّت . ورفضات الهوى من إضافة المصدر إلى فاعله .

وقال ابن برى : يقول : إن تجتنب زيارتها تُخلق حبالُ الوسائل لبعد العهد بها ، وتقادُم الوصل الذى يشوِّق إليها . يريد أن يهوِّن على

(١) المِعى والمَعى ، بكسر الميم وفتحها مع فتح العين فيهما : واحد الأمعاء . وفى ش : « من أمعاء » .

نفسِه السلوَّ عنها ، ثم أجاب نفسه فقال : أبت ذكر جمع ذكرة . وأحشاءُ قلبه : جمع حَشًى ، كأنَّه أراد مابين الجنبين ، لاشتمال الخفقان على جميع ذلك . ورفضات : جمع رَفْضة ، يعنى الكسر والحطم . انتهى .

وترجمة ذى الرمَّة تقدَّمت فى الشاهد الثامن(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الخمسمائة(٢):

٥٩١ (وأهلةِ وُدٍّ قد تبرَّيْتُ ودَّهمْ
وأبليتُهم فى الحمد جَهدِى ونائلى)

على أنّ أهلاً الوصف يؤنَّث بالتاء كما فى البيت . ٤٢٥

وقوله : (وأهلة وُدٍّ) صفة لموصوف محذوف ، أى جماعة مستأْهلة للودِّ ، أى مستحقَّة له .

وفى البيت ردٌّ على الخليل فى زعمه أنَّه لا يقال أهلة . قال سيبويه : قلتُ للخليل : هلَّا قالوا أَرْضُون أى بسكون الراءِ ، كما قالوا أهلون ، قال : إنَّها لمَّا كانت تدخلها التاءُ أرادُوا أن يجمعوها بالواو والنون كما جمعوها بالتاءِ . وأهل مذكر لاتدخله التاءُ ولا تغيِّره الواو والنون كما لا تغيِّر غيره من المذكَّر نحو صعب . انتهى .

وقد أنكر بعضهُم استأْهل بمعنى استحقّ . نقل صاحبُ العباب عن تهذيب الأزهرى أنه قال(٣) : خطَّأَ بعضُهم قولَ من يقول فلان يستأْهل أن يكرم أو يهان ، بمعنى يستحقّ . قال : ولا يكون الاستئهال إلاَّ من

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ — ١١٠ .
(٢) المحتسب ١ : ٢١٧ ، واللسان (أهل ٢٨) .
(٣) النص فى تهذيب الأزهرى ٦ : ٤١٨ مقارب لما هنا ، وليس مطابقاً له ، وهو : « وقد سمعت أعرابياً فصيحاً من بنى أسد يقول لرجل أولى كرامة : أنت تستأهل ماأوليت » .

الإهالة ، وهو أخذ الإهالة أو أكلها ، وهى الألية المذابة . قال الأزهرى : وأمّا أنا فلا أنكره ولا أُخطِّئ من قاله ؛ لأنّى سمعت أعرابيًّا فصيحاً من بنى أسد يقول لرجلٍ شكَر عنده يداً أولِيَهَا : « تستأْهل يا أبا حازم ما أُوليت[1] ». وحضر ذلك جماعةٌ من الأعراب ، فما أنكروا قوله . قال : ويحقِّق ذلك قولُه تعالى : ﴿ هو أهلُ التَّقوَى وأهل المغفرة[2] ﴾ . انتهى .

وقول الشارح المحقق « وأهلٌ فى الأصل اسمٌ دخله معنى الوصف » قال الراغب (فى مفردات القرآن) : أهل الرجل : من يجمعه وإيَّاهم نسبٌ أو دين أو نحوُ ذلك ، من صناعةٍ وبيتٍ وبلد . فأهل الرَّجل فى الأصل : من جَمَعَه وإيّاهم مسكن واحد ، ثم تجوِّز به فقيل أهل بيته من يجمعه وإيَّاهم نسبٌ أو ما ذُكر . وعبَّر عن أهله بامرأته[3] . وفلانٌ أهلٌ لكذا ، أى خليقٌ به . والآل ، قيل مقلوبٌ منه لكنْ خصَّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النَّكرات والأزمنةِ والأمكنة ، فيقال : آل فلان ولا يقال آل رجل ، ولا آل زمنٍ كذا ، ولا آل موضع كذا ، كما يقال أهل بلد كذا وموضعِ كذا . انتهى .

وقال صاحب العباب : الأهل : أهل الرجل ، وأهل الدار ، وكذلك الأَهْلَة . قال أبو الطَّمَحان القَينى :

وأهلةِ وُدٍّ قد تبرَّيتُ ودَّهم وأبليتهم فى الجَهْد بذلى ونائلى

أى ربَّ من هو أهلٌ للودّ ، وقد تعرَّضتُ له ، وبذلت له فى ذلك طاقتى

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) من الآية ٥٦ فى سورة المدثر .

(٣) الوجه ما فى مفردات الراغب ٢٨ : « وعبر بأهل الرجل عن امرأته » .

من نائل . والجمع أَهَلَات وأَهْلات وأَهْلون . وكذلك الأَهالى زادوا فيه الياءَ على غير قياس ، كما جمعوا ليلًا على ليال . وقد جاء فى الشعر آهال ، مثل فرخ وأفراخ . وأنشد الأخفش :

* وبلدة ما الإنسُ من آهالِهَا[1] *

وقال ابن عبّاد : يقولون هو أَهلهٌ لكلِّ خير ، بالهاء . وفلان أَهلٌ لكذا ، أى مستحقٌّ له . انتهى .

والواو فى «وأَهلَة» واو ربَّ ، وصفة مجرورها محذوف ، أى رب أهلِ وُدٍّ ملتبس ومُبْهَم . وتبرَّيت جوابُها العاملُ فى محلِّ مجرورها . قال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : قد تبرَّيت لمعروفه تبرِّياً ، إذا تعرَّضت له . أنشد الفراءُ :

وأهلة ود . . . . . البيت

يقال أهل وأهلة . انتهى .

ورواية البيت للشارح المحقق هى رواية ابن السكيت (فى إصلاح المنطق[2] ، وفى كتاب المذكر والمؤنث) . وكذا رواه السخاويّ (فى سفر السعادة) وقال[3] : ومعنى تبرَّيت تعرَّضت له واوُدُّه ، وبذلت له فى ذلك طاقتى .

---

(١) ابن يعيش ٥ : ٧٣ ، واللسان (بلا ٩٦) وفى اللسان :

* بل بلدة ما الإنس من آهالها *

شاهداً على استعمال « بل » فى استئناف الكلام . ونظيره أيضاً :

* بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا *

(٢) ش : « فى الإصلاح » .

(٣) ط : « قال » بدون واو .

وقال ابن السِّيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : ويروى : « فى الجهد بذلى ونائلى » أى ربَّ أَهل وُدٍّ قد تعرَّضت لأَن يعلموا أنِّى أودّهم وبذلت لهم مالى فى العسر واليسر ، ولم أَبخل عليهم بشىء. يصف نفسَه بالوفاء والبذل . وتفسير تبرَّيت : كشفت وفتَّشت . يريد أَنَّه فتَّش عن صحَّةِ وُدِّهم له ليعلمه فيجيزهم به . وأَبليتهم : أَوصلتُهم ومنحتهم . والبليَّة بمعنى المنحة تارة والمِحْنة[1] أُخرى . ومنح يتعدَّى إلى مفعولين. قال زهير :

جَزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأَبلاهما خير البلاءِ الذى يبلُو[2]

أَى خير الصنيع الذى يختبر به عباده . والجُهد بالضم فى لغة الحجاز ، وبالفتح عند غيرهم : الوُسع والطاقة . والنائل : النَّوال ، كلاهما بمعنى العطاء .

صاحب الشاهد — والبيت نسبه ابن السيرافى وصاحب العباب إلى أَبى الطمحان القَينى ، وهو شاعرٌ إسلامى .

أبو الطمحان القينى — قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) : هو حنظلة بن الشَّرْقى . وكان فاسقاً . وقيل له : ما أَدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدَّير . قيل : وماليلة الدير ؟ قال : نزلت بدَيرِ نصرانيَّةٍ فأَكلتُ عندهَا طَفَيْشَلًا بلحم خِنزير[3] وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كأْسها ومضيت .

---

(١) فى النسختين : « والمحبة » ، والوجه ما أثبت . يقال بلى فلان وابتلى ، إذا امتحن بمنحة.

(٢) ديوان زهير ١٠٩ .

(٣) ضبطه صاحب القاموس بوزن سميدع ، وذكر أنه نوع من المرق . وجعله البغدادى فى كتاب الطبيخ ٥٥ ضرباً من التنوريات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى كتاب منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطانى ، أعنى الحبوب ، كالعدس والجلبان وما أشبه ذلك » . وفسره استينجاس فى المعجم الفارسى الإنجليزى ٣١٣ بأنه ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل . وانظر الحيوان ٣ : ٢٤/٥ : ٢٢٦ . ويقال له أيضاً طفشيل بكسر الطاء والشين كما فى كتاب الطبيخ وحواشيه . وهومعرب « تفشله » أو « نفشيله » الفارسية .

وكان نازلاً على الزُّبير بن عبد المطلب ، وكان ينزل عليه الخلعاءُ .

وهو القائل لقوم أغاروا على إبله وكانوا شربوا من ألبانها :

وإنّى لأَرجو مِلحَها فى بطونكم وما بسطَتْ من جلدِ أَشعثَ أَغبرا[1]

يقول : أَرجو أَن يعطِفكم[2] علىّ ذلك اللبنُ أَنْ تردُّوها . والمِلح : اللبن . انتهى .

وقال أَبو عبيد البكرى (فى شرح أَمالى القالى) : إنَّه كان نديماً للزُّبير بن عبد المطلب فى الجاهليَّة ، ثم أَدرك الإسلام .

وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) : أَبو الطمحان القَيْنى اسمه حَنظلة بن الشرق . كذا وجدته فى كتاب بنى القَين بن جَسْر . ووجدت نسبه (فى ديوانه المفرد) : أَبو الطمَحان ربيعة بن عوف بن غَنم بن كِنانة بن القَين بن جَسْر ، شاعر محسنٌ مشهور ، وهو القائل :

أَضاءَت لهم أَحسابُهم ووجوهُهم
دُجى الليـل حتَّى نظَّم الجزْعَ ثاقُبه[3]

---

(١) وكذا جاءت الرواية فى الحيوان ٤ : ٤٧٣ والكامل ٢٨٤ والغريب المصنف ٤٩٤ والاشتقاق ٢٦٧ والمخصص ١ : ٢٦ واللسان (ملح) . وصوابها : « أغبر » بكسر الروى . كما فى الشعراء ٣٨٩ واللآلى ٤٠٥ ومانبه عليه ابن برى . والقصيدة مخفوضة الروى أولها :

ألا حنت المرقال واشتاق ربها تذكر أرماما وأذكر معشرى

ومنها أبيات فى الأغانى ١١ : ١٢٨ / ١٦ : ٦٧ . كما أن ابن الأعرابى أنشد هذا البيت فى نوادره برواية :

* ومابسطت من جلد أشعث مقتر *

وبعد البيت كما فى السمط :

جزاء سنمار جزوها وربهـــا وباللات والعزى جزاء المكفر

(٢) ط : « يلطفكم » ، صوابه فى ش والشعراء .

(٣) الجزع ، بفتح الجيم وكسرها : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض . والبيت فى مصون العسكرى ٢٢ ، ٥٨ والكامل ٣٠٣ والعينى ١ : ٥٦٧ والحماسة بشرح المرزوقى ١٥٩٨ . ونسب فى الحيوان ٣ : ٩٣ إلى لقيط بن زرارة .

ثم أورد اثنين من الشُّعراءِ يقال لهما أَبو الطمَحان أحدهما أبو الطمحان النَّهشلي . ثانيهما : أَبو الطَّمحان الأَسدِىّ .

وقال أَبو حاتم (فى كتاب المعمرين[١]) : هو من بنى كنانة بن القين بن جَسْر بن شَيع الله بن الأَسَد بن وبَرة بن تغلب بن حُلوان ابن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة . عاش مائتى سنة ، وقال فى ذلك :

حَنتنى حانياتُ الدَّهر حتَّى كـأَنِّى خاتلٌ يدنو لصيدِ
قريبُ الخطْوِ يحسَب مَن رآنى ولست مقيَّدًا أَنِّى بقيدِ

انتهى .

وأورده ابن حجر (فى الإِصابة) فى قسم المخضرمين الذين أدركوا زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا ولم يَرَوْه .

وذكره المرزبانى فقال : هو أحد المعمَّرين ، وهو القائل :

وإِنِّى من القوم الذين همُ همُ إِذا مات منهم سيِّدٌ قام صاحبُه
أَضاءت لهم أَحسابُهم ووجوهُهم دجى اللَّيل حتى نظم الجزعَ ثاقبُه

ويقال هو أَمدح بيتٍ قيل فى الجاهلية .

والطَّمَحان بفتح الطاءِ والميم بعدها حاءٌ مهملة .

* * *

٤٢٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س[٢] :

٥٩٢ (وهُمْ أَهَلاتٌ حولَ قيس بن عاصمٍ
إِذا أَدلجُوا يدْعُونَ باللَّيل كَـوْثرا)

(١) كتاب المعمرين ٥٧ . وانظر الأغانى ٢ : ١٢٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ١٩٦ .
(٢) فى كتابه ٢ : ١٩١ . وانظر ابن يعيش ٥ : ٣٣ واللسان (أهل ٢٩) .

على أَنَّه جمعُ أَهلة ، جُمِع باعتبار اسميَّته ، ولهذا فتح عينه .

وفيــه ردٌّ على سيبويه فى زعمه أَنَّه جمع أَهل . قال : وقد يجمعون المؤنَّث الذى ليست فيه هاءُ التأْنيث بالتاءِ ، كما يجمعون مافيه الهاء ، لأَنَّه مؤنَّثٌ مثله . وذلك قولهم : عُرُسات وأَرَضات ، وعِير وعِيَرات ، حرَّكوا الياءَ وأَجمعوا فيها على لغة هذيل ، لأَنَّهم يقولونَ : بَيَضات وجَوَزات . وقد قالوا عِيرات وقالوا أَهْلات فخفَّفوا ، شبَّهوه[1] بصعْبات حيث كان أَهل مذكَّراً تدخله الواو والنون ، فلمَّا جاءَ مؤنثاً كمؤنث صَعْب فُعل به كما فعل بمؤنَّث صَعْب . وقد قالوا أَهَلات[2] كما قالوا أَرَضاتِ . قال المخبَّل :

وهم أَهَلاتٌ حولَ قيسِ بن عاصمٍ ... البيت . انتهى

قال الأَعلم : الشاهد فيه جمع أَهل على أَهَلات وتحريك الثانى[3].
ووجه دخول الأَلف والتاءِ فيه حمل أَهل على معنى الجماعة ، لأَنَّه يؤدِّى عن معناها وإن لم تكن فيه الهاء ، فجمع بالأَلف والتاءِ كما تجمع الجماعة . ووجه تحريك الثانى تشبيهُه بأَرَضات ، لأَنَّه فى الجمع مؤنَّثٌ مثلُها ، ولأَنَّ حكم ما يجمع بالأَلف والتاءِ من باب فَعْلة ، وكان من الأَسماءِ ، تحريكُ ثانيه ، كجفنة وجفنات . انتهى .

---

(١) سيبويه : « شبهوها » .

(٢) سيبويه : « وقد قالوا أهلات فثقلوا » .

(٣) الشنتمرى : « بالألف والتاء وتحريك الثانى » .

وقد تبع الزمخشريُّ (فى مفصَّله) سيبويه فقال : وحكم المؤنَّث الذى لا تاءَ فيه كحكم الذى فيه التاءُ ؛ قالوا : أَرَضات وأَهَلات فى جمع أَرض وأَهل . قال : « فهم أَهلات » البيت .

قال شارحه ابن يعيش : أَهَلات : جمع أَهلة ، وليس بجمع أَهل كما ظنَّه المصنف[1] . أَلا ترى أَنَّ أَهلاً مذكر يجمع بالواو والنون ، لأَنَّهم لمَّا وصفوا به أَجرَوْه مجرى الصِّفات فى دخول تاءِ التأْنيث ، للفرق ، فقالوا : رجل أَهلٌ وامرأَة أَهلة ، كما يقولون ضارب وضاربة . قال الشاعر :

* وأَهلة وُدٍّ قد تبريَّت ودَّهم *

ولمَّا قالوا فى المذكَّر أَهل وأَهلون وفى المؤنث أَهْلَة وأَهَلات ، أَشبَهَ فعلة من الصفات فجمعوه[2] بالأَلف والتاءِ ، وأَسكنوا الثانىَ منه كما فعلوا ذلك بسائر الصفاتِ . ومن العرب من يقول أَهَلاتٌ ، فيفتح الثانىَ كما فتحوا فى أَرَضات ، لأَنَّه اسمٌ مثله وإن كان أَشبه الصِّفة . قال المخبل :

فهم أَهَلاتٌ حول قيس بن عاصم ... انتهى

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للمخبَّل السعدىِّ . قال ابن المستوفى (فى شرح أَبيات المفصل) : وقبله :

أبيات الشاهد — (أَلم تعلمى ياأُمَّ عَمــرةَ أَنَّنى ... تخَـاطَأَنِى رَيبُ الزَّمان لأَكبَرَا
وأَشهدَ من عَوف حُلولاً كثيرة ... يَحجُّون سِبَّ الزِّبرقان المُزعفَرا

(١) الذى فى ابن يعيش : « كما ظنه صاحب الكتاب » ، يعنى سيبويه ، لا الزمخشرى كما يتبادر إلى الذهن من عبارة « كما ظنه المصنف » .

(٢) فى النسختين : « جمعوه » والصواب ما أثبت من ابن يعيش .

فهم أَهَلاتُ حولَ قيس بن عاصم ... البيت)

وقوله : « أَلم تعلمى» إلخ ، قالُ أَبو محمد الأَسود الأَعرابى : معناه أَنَّه كره أَن يعيش ويعمَّر حتَّى يرى الزبرقان من الجلالة والعظمة بحيث يحجُّ بنو سعد عِصابته [١] . انتهى .

وتخاطأَنى بمعنى تخطَّانى وفاتنى . و « ريب الزَّمان » : حوادثه . وكبر فى السِّنِّ ، من باب فرح .

وقوله : « وأَشهدَ » بالنصب عطف على لأَكبَرَ . وعوف : أَبو قبيلة ، وهو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . والحُلول : القوم النُّزول ، منْ حلَّ بالمكان إذا نزل فيه . ويحجُّون : يقصدون . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : الحجُّ : القصد . وأَنشد هذا البيت . ٤٢٨

والسِّبُّ بكسر السين المهملة : العمامة ، قال ابن دريد (فى الجمهرة) : السِّبُّ بالكسر : الشِّقَّة البيضاءُ من الثياب ، وهى السَّبِيبة أَيضاً . وأَنشد هذا البيت وقال : يريد العمامة ههنا . وكانت سادات العرب تصبغ العمائم بالزَّعفران . وقد فسَّر قومٌ هذا البيت بما لا يذكر . انتهى .

أَقول : من جُملة من فسَّره بالقبيح الأَصمعى ، قال (فى كتاب الفَرْق بين ما للإنسان والوحوش) : قالوا فى الدُّبر من الإنسان دون البهائم : اسْتٌ وسِتٌ وسَهٌ بالهاءِ ، ويسمى أَيضاً السُّبَّة بالضم ، والسَّبَّة بالفتح ، والسِّبَّة بالكسر . قال المخبل :

* يحجُّون سِبَّ الزبرقان المزعفرا *

---

(١) العصابة : العمامة ، وكل مايعصب به الرأس .

قال ابن‌السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : قال بعضُ الناس : إنَّ الشاعِر قصد بهذا البيت معنى قبيحاً وكنى بهذا اللفظ عنه . وإنَّما أَراد أَنَّ الزبرقان كان به داءُ الأُبنة يؤتى من أَجله . انتهى .

ويدفعه قوله « يزورون » ، فإنَّ الزيارة لا تستعمل فى مثل هذا ، إلا أن يدَّعىَ التهكم .

وقال أَبو محمد الأَسود : من زعم أَنَّ المخبَّل كنى ههنا عن قبيح فقد أَخطأَ ، وإنما قصد(١) بسبِّ الزبرقان أَنّ بنى سعد بن زيد مناة كانوا يحجُّون عصابته إذا استهلُّوا رجباً فى الجاهلية ، إجلالًا له وإعظاماً لقدره . وذكر ذلك ربيعةُ بن سعد النَّمرى يمدح الزبرقان:

كانت تحجُّ بنو سعدٍ عصابَته ... إذا استهلُّوا على أَنصابه رَجَبا
سِبٌّ يزعفرهُ سعدٌ ويعبده ... فى الجاهلية ينتابُونَه عُصَبا(٢)

والعِصابة : ما يعصب به الرأْس . انتهى .

الزبرقان بن بدر — والزبرقان هو ابن بدر الصحابى ، ولاَّه النبي صلى الله عليه وسلم صدقاتِ بنى تميم .

قال صاحب (زهر الآداب) : سمى الزبرقان لجماله . والزِّبرقان : القمر قبل تَمامه ، وقيل لأَنَّه كان يزبرق عمَّته فى الحرب ، أَى يصفِّرها . انتهى .

واسمه حُصين بن بدر . وإيَّاه عنى المخبَّل بقوله من هذه القصيدة :

---

(١) ش : « أراد » .
(٢) ينتابونه : يقصدونه مرة بعد مرة . وفى ش : « بيتا يومه » . تحريف .

تمنَّى حصينٌ أَن يَسُود جِذَاعَهُ فأَمسى حصينٌ قد أَذلَّ وأَقهرا[١]

والجِذاعُ[٢] ، بكسر الجيم بعدها ذال معجمة : أَولاد السَّعْفاء. قال صاحب جمهرة الأَنساب : ولد عوفُ بن كعب بن سعد عُطارِدًا، وبَهْدَلة ، وجُشَم ، وبِرنيقاً[٣] . وأُمُّهم السعفاءُ بنت غَنْمَ من بنى باهلة ، ويقال لبنيها : الجِذاع . وأَنشد هذا البيت .

وقال السَّخاوى (فى سفر السَّعادة) : وإنَّما سمِّى الزبرقان لصفرةِ عمامته . وزبرقت الثَّوب أَى صفَّرته. وقال « المزعفَر » لأَنَّ السِّبَّ مذكَّر وإن كان المراد به العمامة .

وقوله : (وهم أَهلات) إلخ ، الظاهر أَنَّ هذا البيت غير متَّصل بما قبله ، لسقوط أَبياتٍ بينهما . يقول : هم أَهلات وأَقاربُ حول قيس بن عاصم. يعنى أَنَّه سيِّدُهم ، وهم قد أَحاطوا به . وأَدلج القوم إدلاجاً كأَكرم إكراماً : ساروا اللَّيل كلُّه. فإنْ ساروا من آخر الليل قِيلَ ادَّلجوا ادِّلاجاً بتشديد الدال . قال الأَعلم : وصف اجتماع أَحياءِ سعد من بنى مِنقر وغيرهم إلى قيس بن عاصم المنقرى سيِّدهم ، وتعويلَهم عليه فى

(١) ط : « جذاعة »، صوابه فى ش مع أثر تصحيح، واللسان (جذع، قهر)، والاقتضاب ٤٠٥ والتهذيب ٥ : ٣٩٥ .

(٢) فى النسختين : « والجذاعة » ، والوجه ما أثبت كما يقتضيه السياق وما تؤيده المراجع السابقة . وفى اللسان (جذع) أن جذاع الرجل قومه، لاواحد له . ثم قال بعد إنشاد البيت : « وخص أبو عبيد بالجذاع رهط الزبرقان » .

(٣) ط : « وبرنيق »، صوابه فى ش وجمهرة ابن حزم ٢١٨ والاشتقاق ٢٥٤ واللسان (برنق) . وقال ابن منظور : « وبنو برنيق : بطين من العرب » . وذكروا أن البرنيق : ضرب من الكمأة يكون لها شبيه الأقماع يكون فيها سم قاتل .

أمورهم . والكوثر : الجواد الكثير العطاء. أى إن أَدلجوا حَدَوْا الإبل بمدحِه وذكِره . انتهى .

وقيل إنَّ كوثراً كان شعاراً لهم عند نداء بعضهم بعضاً فى اللَّيل وفى الحرب .

٤٢٩

قيس بن عاصم وقيس بن عاصم صحابى ، وهو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد ابن مِنقر بكسر الميم ، ابن عُبيد بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وفدَ قيسُ بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هذا سيِّد أَهلِ الوبر » .

وترجمة المخبَّل السعدى تقدَّمت فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الأَربعمائة [(١)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الخمسمائة [(٢)] :

٥٩٣ (أَخو بَيَضاتٍ رائحٌ متاوِّبٌ)

على أنَّ هذيلاً تفتح عين فَعْلة الاسميِّ فى الجمع بالأَلف والتاء ، كبَيَضات ، بفتحات .

---

(١) الخزانة ٦ : ٩٣ – ٩٥ .

(٢) المحتسب ١ : ٥٨ والخصائص ٣ : ١٨٤ والمنصف ١ : ٣٤٣ وابن يعيش ٥ : ٣٠ وشرح شواهد الشافية ١٣٢ والعينى ٤ : ٥١٧ والتصريح ٢ : ٢٩٩ والهمع ١ : ٢٣ والأشمونى ٤ : ١١٨ .

صرَّح به ابن جنى (فى الخصائص) بأَنَّ فتح حرف العلة فى بَيَضات وجوَزات لغة هذيل ، فلا يكون من قبيل ضرورة الشعر .

ولهذا لم يورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

قال أَبو عُمَر[١] محمد بن عبدالواحد الزاهد (فى كتاب اليواقيت): قال أَبو العباس : وأَخبرنى سلمة عن الفراء قال : أَنشدنى بعض بنى هذيل « أَخو بيضات » البيت .

وكذا قال الزمخشريُّ (فى المفصل) : إذا اعتلَّت عين فعلةٍ سكنت إلاَّ فى لغة هذيل . فعند غير هذيل يكون الفتح ضرورة .

وقد أَطلق ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) فقال : وقد جاء فى الشعر تحريك مثل هذا . قال الشاعر : « أَخو بيضات » البيت .

وهذا ليس بجيِّد ، ولا بدَّ من التقييد .

قال (فى المحتسب) : امتنعوا من تحريك العين فى فَعْلةٍ إذا كانت حرف علَّة ، كجوْزات وبيضات . ولو حرِّك لوجب أن يُعتذر من صحَّة العين مع حركتها وانفتاح ماقبلها بأَنْ يقال : لو أُعلَّت لوجب القلب فيصير جازات وباضات ، فيلتبس ذلك بما عينُه فى الواحد أَلفٌ منقلبة ، نحو قارة وقارات، وجارة وجارات . وإذا جاز إسكان العين الصحيحة نحو تمرات وشفرات صار المعتلُّ أَحرى بالصحَّة . وربَّما جاء الفتحُ فى العين ، كما قال الهذلى[٢] :

---

(١) ش : « أبو عمرو » ، صوابه فى ط ، كما هو معروف فى ترجمته .

(٢) البيت لم يرد فى ديوان الهذليين ولا شرح أشعارهم . وأوله فى رواية ابن جنى فى كتبه كلها : « أبو بيضات » ، لا « أخوبيضات » .

* أخو بَيَضات رائحٌ مُتأَوِّبٌ *

وعذره فى ذلك أَنَّ هذه الحركة إنَّما وجبت فى الجمع ، وقد سبق العلم بكونها فى الواحد ساكنة ، فصارت الحركة فى الجمع عارضة فلم تُحفَل . وفى هذا بعدَ هذا ضعفٌ. ألا ترى أَنَّ هذه الأَلف والتاء تبنَى الكلمة عليهما وليستا فى حكم المنفصل . يدلُّك على ذلك صحَّة الواو فى خُطُوات . ولو كانت الأَلف والتاءُ فى حكم المنفصل لوجب إعلال الواو، لأَنها لام وقبلها ضمة . قال أَبو على: يدلُّك على أَنَّ الكلمة مبنيّةٌ على الأَلف والتاءِ اطّراد إتْباع الكسر للكسر فى سِدِرات وكِسِرات مع عزّة فِعِل فى الواحد بكسرتين[1] . إلَّا أَنَّ ممَّا يؤنس بكونِ حركةِ العين غير لازمة ،قولُ يونس فى جِرْوة إذا قلت جِرِوات . فصحَّة الواو وهى لامٌ بعد كسرة تدلُّك على قلة الاعتداد بها . أَو يقال : إنَّ هذا شاذ ، يدلُّ على شذوذه امتناعهم أَن يحرِّكوا عين كُلْيَةٍ ومُدْيَةٍ فى هذا الجمع[2] ، لما كان يعقب ذلك من وجوب قلب الياء إلى الواو . فدلَّنا ذلك على أَنّ نحو جروات شاذّ. فهذه أَشياءُ تراها متكافئة . وعلى كل حال فالاختيار خُطْوات بالإسكان . انتهى .

والمصراع صدرٌ . وعجزه :

(رفيقٌ بمسح المنكبين سبوحُ)

والبيت مع كثرة وجوده فى كتب النحو والصرف لم أَطَّلع على قائله ، ولا على تتمته . قال شارح اللباب : يصف ذكَراً من النَّعام ، ٤٣٠
أَى هو أَخو بيضات يرجع ويسرع إلى بيضاته .

(١) الذى فى المحتسب : « مع عزة فعل فى الواحد . و إنما حكى سيبويه منه إبل لاغير » .
(٢) بدله فى المحتسب : « أن يحركوا عين كلية ومدية ، وأن يقولوا : كليات ومديات » .

وقال بعض فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصل) : الرائح : الذى يسير ليلاً . والمتأوِّب : الذى يسير نهاراً ، يصف ظليماً وهو ذكر النعام ، شبَّه به ناقته ، فيقول : ناقتى فى سرعة سيرها كَظليم[1] له بيضات يسير ليلاً ونهاراً ليصل إلى بيضاته . رفيق بمسح المَنكبين : عالم بتحريكهما فى السَّير . سَبوح : حسن الجرى . وإنَّما جعله أخا بيضات ليدلَّ على زيادة سرعته فى السَّير ، لأنَّه موصوفٌ بالسرعة . وإذا قَصد بيضاتِه يكون أسرع . انتهى .

وقال الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) : رائح من الرَّواح ، أى راجع . والسَّبوح من السَّبْحِ ، وهو شدَّة الجرى . والمراد برفيق بمسحِ المنكبين : التحرُّكُ يميناً وشِمالاً ، وذلك من عادة الطَّير . والمَنكب : مجتمَع ما بين العَضُد والكتف . وقد خطَّأ العينىُّ فخر الدين الجارَبردى فى قوله : البيتُ فى صفة النعامة ، بأَنَّ البيت فى مدح جَملِه شبَّهه بالظليم[2] . والتخطئة لا وجهَ لها ، وكونه فى وصف نعامة أو ظليمٍ أمرٌ سهل مع أنَّه متوقِّف على الوقوف على ماقبل هذا البيت .

قال صاحب المصباح : يتوهَّم بعضُ الناس أنَّ الرَّواح لا يكون إلاَّ فى آخر النهار ، وليس كذلك بل الرَّواح والغدوّ عند العرب يستعملان فى المسير أىَّ وقتٍ كان ، من ليل أونهار . قاله الأزهرىُّ وغيره . وعليه قوله عليه الصــلاة والسلام : « من راح إلى الجمعة فى أوَّل النهار فله كذا » ، أى مَن ذهَبَ .

والتـأوُّب : تفعُّل من الأَوْب ، وهو الرُّجوع من السَّفر . والرَّفيق من الرِّفق ، وهو ضدُّ العنف .

(١) ط : « ظليم » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) ش : « يشبهه » ، وأثبت ما فى ط .

جمع التكسير

أَنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(١)] :

٥٩٤ (لنا الجفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فى الضُّحى وأَسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدة دما)

على أَنَّه إن ثبت اعتراض النابغة على حسَّان بقوله : « قلَّلت جِفانَك وسُيوفك » لكان فيه دليلٌ على أَنَّ المجموع بالأَلف والتاءِ جمع قلَّة . وهذا طعنٌ منه على هذه الحكاية .

ثمَّ استظهر أَنّ جمعَى السلامة لمطلقِ الجمع من غير نظر إلى القلَّة والكثرة ، فيصلحان لهما . انتهى .

وقد نظمه أَبو الحسن الدَّبَّاج[(٢)] ، من نحاة إِشبيلية ، ذيلاً لجموع القلة من التكسير فى بيتٍ من المتقدِّمين ، وهما :

بأَفعُل وبأَفعال وأَفعلة وفِعلةٍ يُعرفُ الأَدنىَ من العدد
وسالم الجمع أَيضاً داخلٌ معها فهذه الخمس فاحفظْها ولاتزد

وقد صرح سيبويه بأَنَّ الجمع بالأَلف والتاءِ للقلَّة . وأَوّلَ بيتَ حسّان على أَنَّه للكثرة ، وهذا نصُّه :

وأَمّا ما كان على فَعلة فإِنك إذا أَردت أَدنى العدد جمعتَها بالتاءِ وفتحت العين ، وذلك قولك : قَصْعة وقَصَعات ، فإِذا جاوزْتَ أَدنى العدد كسَّرت الاسم على فِعال ، وذلك قصعة وقِصاع .

(١) فى كتابه ٢ : ١٨١ والمقتضب ٢ : ١٨٨ والمصون ٣ والخصائص ٢ : ٢٠٦ والمحتسب ١ : ١٨٧ ، ١٨٨ والموشح ٦٠ ، والأغانى ٨ : ١٨٨ وابن يعيش ٥ : ١٠ والعينى ٤ : ٥٢٧ والأشمونى ٤ : ١٢١ وديوان حسان ٣٧١ .

(٢) الدباج ، بالدال المهملة المفتوحة والباء المهملة المشددة وآخره جيم . وورد فى النسختين محرفاً « الذباح » ، صوابه من البغية ٢ : ١٥٣ . وهو أبو الحسن على بن جابر بن على الأشبيلى اللخمى النحوى . تصدر لإقراء النحو والقرآن نحو خمسين سنة وتوفى سنة٦٤٦ .

ثم قال : وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير ، قال حسان :

لنا الجَنات الغُرُّ . . . . البيت .

فلم يردْ أدنى العدَد . انتهى .

٤٣١ قال الأعلم : الشاهد فى وضع الجفنات وهى لما قلَّ من العدد فى الأصل، لجريها مجرى الثلاثة ، موضعَ الجفان التى هى للكثير. و(الغُرّ) البيض ، يريد بياضَ الشحم. و(الأَسياف) جمعٌ لأَدنى العدد ، فوضَعَه موضع الكثير . وصف قومَه بالندى والبأْس ، يقول : جفاننا معدَّة للأَضياف ومساكينِ الحىِّ بالغداة ، وسيوفنا يقطرن دماً ، لنجدتنا وكثرة حروبنا . انتهى .

وإلى مذهب سيبويه ذهب الزجاج ، قال فى تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ فِى أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ[(١)] ﴾ قالوا: هى أيام التشريق . ومعدودات يستعمل كثيراً فى اللغة للشىء القليل . وكلُّ عدد قلّ أو كثر فهو معدود ، ولكن معدودات أُوِّل على القلة ، لأَنَّ كلَّ قليل يجمع بالأَلف والتاءِ ، نحو دريهمات وحَمّامات . وقد يجوز ، وهو حسن كثير ، أنْ يقع الأَلف والتاءُ للتكثير . وقد روى أَنَّه عِيب على القائل: « لنا الجفنات الغُرّ » البيت، فقيل له : قلَّلتَ[(٢)] الجفنات ولم تقل الجفان! وهذا الخبر عندى مصنوع ؛ لأَنَّ الأَلف والتاءَ قد تـأْتى للكثرة ، قال الله عز وجلّ : ﴿ إِنَّ المسْلِمِينَ والمسْلِمَاتِ والمؤْمِنينَ والمؤْمِنَاتِ[(٣)] ﴾ ، وقال: ﴿ فى جنَّات ﴾

(١) الآية ٢٠٣ من سورة البقرة .
(٢) ط : « قلت » ، وأثبت ما فى ش .
(٣) الآية ٣٥ من الأحزاب .

وقال: ﴿ وَهُمْ فِى الغُرفَاتِ آمِنُونَ(١) ﴾ فالمسلمون ليسوا فى غُرفات قليلة، ولكن إذا خصَّ القليل فى الجمع بالألف والتاء دلَّ عليه، لأنَّه يلى التثنية. وجائز حسن أن يراد به الكثير، ويدلُّ المعنى الشاهد على الإرادة، كما أنّ قولك جمع يدل على القليل والكثير. انتهى.

وكذلك قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة طلحة من سورة النساء: ﴿صَوَالِح قَوَانِت حَوَافظ لِلْغَيْبِ(٢) ﴾. قال أبو الفتح: التكسير هنا أشبه لفظاً بالمعنى، وذلك أنَّه إنَّما يراد هنا معنى الكثرة لا صالحات من الثلاث إلى العشر. ولفظ الكثرة أشبه بمعنى الكثرة من لفظ القلَّة بمعنى الكثرة، والألف والتاءُ موضوعتان للقلَّة، فهما على حدِّ التثنية بمنزلة الزيدون من الواحد إذا كانوا على حدِّ الزيدان(٣). هذا موجبُ اللغةِ على أوضاعها، غير أنَّه قد جاء لفظ الصحَّة(٤) والمعنى الكثرة كقوله تعالى: ﴿ إنَّ المسْلِمِينَ والمسْلِمَاتِ ﴾ إلى قوله: ﴿ والذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ ﴾ والغرض فى جميعه الكثرة لا ما هو لمَا بين الثلاثة إلى العشرة، وكان أبو علىٍّ ينكر الحكاية المرويَّة عن النابغة وقد عَرَض عليه حسَّان شعره، وأنَّه لما صار إلى قوله لنا الجفنات الغر، البيت، قال له النابغة « لقد قلَّلت جفانك وسيوفَك! قال أبو على: هذا خبر مجهول لا أصلَ له، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَهُمْ فِى الغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ ولا يجوز أن تكون الغرف كلُّها التى فى الجنَّة من الثلاث إلى العشر. وعُذر ذلك عنـدى أنه قد كثر عنهم وقوعُ الواحد على معنى الجمع جنساً، كقولنا: أهلك

---

(١) الآية ٣٧ من سورة سبأ.
(٢) من الآية ٣٤ فى سورة النساء. وقراءة الجماعة: « فالصالحات قانتات حافظات للغيب ».
(٣) فى المحتسب: « إذا كان على حد الزيدان ».
(٤) أى الجمع الصحيح للمؤنث والمذكر، وهما للقلة:

الناسَ الدينارُ والدرهم ، وذهب الناسُ بالشاة والبعير ، فلمَّا كثر ذلك جاءوا فى موضعه بلفظ الجمع الذى هو أدنى إلى الواحد أيضاً ، أَعنى جمعَى السَّالم[١] ، وعُلِم أيضاً أنَّه إذا جىء فى هذا الموضع بلفظ جمع الكثرة لا يتدارك معنى الجنسية ، فلهُوا عنه وأَقاموا على لفظ الواحد تارة ولفظ الجمع المقارب للواحد تارة أُخرى ، إراحة لأَنفسهم من طلب ما لا يدرك ويأْساً منه . فيكون هذا كقوله :

رأَى الأَمرَ يُفضِى إلى آخرٍ فصيَّر آخــرَه أوّلا[٢]

ومثل هذين الجمعين مجيئهم فى هذا الموضع بتكسير القلة[٣] كقوله تعالى : ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ[٤] ﴾ ، وقول حسان : وأَسيافنا ٤٣٢
يقطرن، ولم يقل عيونهم ولا سيوفنا . وقد ذكرنا هذا ونحوَه فى كتاب الخصائص[٥] . انتهى .

قال شيخنا ياسين الحمصى (فى شرح أَلفية ابن مالك) : اعلم أَنَّهم قالوا : إذا قرن جمع القلة بأَل التى للاستغراق ، أَو أُضيف إلى ما يدلُّ على الكثرة انصرفَ بذلك إلى الكثرة . وعلى هذا الإيراد ما قاله النابغةُ على حَسَّان ، ويقال إنَّ حسَّان أَجاب بذلك ، لكنّ قوله أَسيافنا لم يُضَف إلى ما يدلُّ على الكثرة . وعليك بحفظ هذه القاعدة ، فكثيراً ما يُغفَل عنها. وممن غَفَل عنها العلاَّمة ، والقاضى ، وصاحب المغنى[٦] فى تفسير قوله

(١) لفظ المحتسب : « أعنى الجمع بالواو والنون ، والألف والتاء » .
(٢) فى الخصائص ١ : ٢٠٩ / ٢ : ٣١ ، ١٧٠ وابن يعيش ٥ : ١٢٠ وفى بعض أصول الخصائص : « فصير غايته » .
(٣) ط : « بتكثير القلة » ، صوابه فى ش والمحتسب .
(٤) من الآية ٩٢ فى سورة التوبة .
(٥) انظر الحاشية ١ .
(٦) ط : « وصاحب والمغنى » بزيادة واو ، وفى ش : « والمغنى » فقط . والوجه ما أثبت .

تعالى: ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ[(١)]﴾ حيث وجَّهوا التعبير بجمع القلة بما ذكروه. وردَّ عليهم الكورانيُّ بأَنَّ الجمع فى الآية مضاف. واعلم أيضاً أن أبا حيان استشكل انصرافَ جمعِ القلة إلى الكثرة بما حاصله أنه وضع للقلة وهى من ثلاثة إلى عشرة فإذا دخل أداة الاستغراق ينبغى أن يكون الاستغراق فيما وضع له، لا فيما زاد، لأَنه ليس مما وضع له. ثم أَجاب بما حاصله أنه وضع بوضع آخر مع أداة الاستغراق للكثرة. انتهى.

وقال أيضاً (فى حاشيته على التصريح للشيخ خالد): اعلم أَنَّ ما ذكره النحاة من أنَّ جموع القلة للعشرة فما دونها لا ينافى تصريحَ أئمة الأُصول بأَنَّها من صيغ العموم، لأَنَّ كلام النحاة، كما قال إمام الحرمين، محمولٌ على حالة التجرد عن التعريف. انتهى.

وهذا الجواب فيه نظر، فإنَّ غالبَ ماوقع فيه النزاع معرَّف بأَل.

وقد نقل جماعةٌ اعتراض النابغة على حسَّان فى هذا البيت، منهم أَبو عبد الله المرزبانى (فى كتاب الموشَّح) من عدَّة طرق، قال: كتب إلىَّ أحمد بن عبد العزيز، أَخبرنا عمر بن شبَّة قال: حدَّثنى أَبو بكر العُليمى قال: حدَّثنا عبد الملك بن قُريب قال: كان النابغة الذبيانى تُضرَبُ له قبَّةٌ حمراءُ من أَدَم بسوق عُكاظ، فتأْتيه الشُّعراءُ فتَعرِض عليه أَشعارها. قال: فأَوّلُ من أَنشده حسَّان بن ثابتٍ الأَنصارىّ[(٢)]:

لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمَعْنَ فى الضُّحى وأَسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دماً
ولدْنا بنى العَنْقاء وابنَىْ محرِّق فأَكرِمْ بناخالاًوأَكرِم بنا ابنَما[(٣)]

(١) الآية ٢٧ من سورة لقمان.
(٢) الذى فى الموشح ٨٢: «فأول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصارى» فى الكلام سقط.
(٣) ط: «وابن محرق» صوابه فى ش والحيوان ٧: ١٤٨ والموشح وديوان حسان ٣٧١.

فقال له النابغة : « أنت شاعر ، ولكنَّك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدتَ ولم تفخر بمن ولدك » .

وحدثنى على بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا الزُّبير بن بكارٍ قال : حدَّثنى عمِّى مصعب بن عبد الله قال : أنشد حسّان نابغةَ بنى ذبيان قصيدته التى يقول فيها : « لنا الجفنات الغُرّ » فقال له : « ما صنعت شيئاً ، قلَّلت أمركم فقلت : جَفَنات وأسياف » .

وأخبرنى الصُّولى قال : حدَّثنى محمد بن سعيد، ومحمد بن العباس الرِّياشىُّ ، عن الأَصمعى ، عن أبى عمرو بن العلاءِ قال : كان النابغة الذبيانى تُضرب له قبَّةٌ بسوق عكاظ من أَدَم ، فتأْتيه الشعراءُ فتَعرِض عليه أشعَارَها ، فأَتاه الأَعشى فكان أَوَّلَ من أنشده ، ثم أَنشده حسان بن ثابت قصيدتَه التى منها : « لنا الجفنات الغُرُّ » وذكر البيتين ، فقال له النابغة : « أَنت شاعرٌ ولكنَّك أَقللت جِفانك وأَسيافك ، وفخرت بمن ولدتَ ولم تفتخر بمن ولدك » .

قال الصُّولى : فانظر إلى هذا النقد الجليل الذى يدلُّ عليه نقاءُ ٤٣٣ كلامِ النابغة وديباجةُ شعره ، لأَنَّه قال : وأَسيافنا ، وأَسياف جمع لأَدنى العدد ، والكثير سيوف . والجَفَنات لأَدنى العدد ، والكثير جفان . وترك الفخرَ بآبائه وفخرَ بمن ولد نساؤه .

قال : ويروى أَنَّ النابغة قال له : « أَقللتَ أَسيافكَ ولمَّعت جِفَانك[1] » . يريد قوله « لنا الجفنات الغُرّ » والغُرَّة : لمعة بياضٍ فى الجفنة . فكأَنَّ النابغة

---

(١) فى النسختين : « أجفانك » ، صوابه فى الموشح ٦٠ . وإنما تجمع الجفنة على جفان ، كما تجمع على جفن بكسر ففتح ، كهضبة وهضب .

عابَ هَذه الجفان ، وذهب إلى أنَّه لو قال لنا الجفنات البيض فجعلها بيضاً ، كان أَحسنَ . فلعمرى إنَّه حسَنٌ فى الجفان ، إلاَّ أن الغُرّ أَجلُّ لفظاً من البيض .

قال أَبو عبد الله المرزبانى : وقال قومٌ ممن أَنكر هذا البيت : فى قوله يَلمعن بالضُّحى ولم يقل بالدجى . وفى قوله وأَسيافنا يقطرن ولم يقل يجرين ، لأَنَّ الجرى أَكثر من القَطر . وقد رُدَّ هذا القول واحتجَّ فيه قومٌ لحسَّان ، بما لا وجهَ لذكره فى هذا الموضع .

فأَمَّا قوله : « فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » فلا عذر عندى لحسَّان فيه على مذهب نقَّاد الشعر . وقد احترس من مثل هذا الزَّلل رجلٌ من كلب فقال يذكر ولادتَهم لمُصْعَبِ بن الزبير وغيره ممَّن ولده نساؤهم :

وعبدَ العزيز قد ولدْنا ومُصعباً ... وكلبٌ أَبٌ للصَّالحين وَلُودُ

فإنَّه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضَّل رجالهم ، وأَخبر أَنَّهم يلدون الفاضلين ، وجمع ذلك فى بيت وأَجاد . انتهى ماأَورده المرزبانى .

وممن نقلها أَيضاً أَبو الفرج الأَصبهانى (فى الأَغانى) قال بعد إيراد سنده : إنَّ النابغة كانت تُضرب له قبَّةٌ فى سوق عكاظ ، وتُنشده الشعراءُ أَشعارَها ، فأَنشده الأَعشى شعراً فاستحسنه ، ثم أَنشدته الخنساءُ قصيدةً حتى انتهت إلى قولها :

وإنَّ صخرًا لَوالينا وسيِّدُنا ... وإنَّ صخرًا إذا نَشتُو لنحَّارُ
وإنَّ صخرًا لتأْتَمُّ الهداةُ به ... كأَنَّه علمٌ فى رأْسه نارُ

فقال : لولا أنَّ أبا بَصيرٍ الأعشى أنشدنى قبلك لقلت إنَّكِ أشعرُ الناس: أنتِ والله أشعَرُ مِن كلِّ ذات مَثانة[1] . فقالت : إى والله ومن كلِّ ذى خُصيين . فقال حسَّان : أنَا والله أشْعر منك ومنها ومن أبيك . قال :حيث تقول ماذا ؟ قال: حيث أقول : لنا الجفنات الغُرّ ... البيتين. فقال : إنَّك شاعر لولا أنَّك قلَّلت عدد جفانك، وفخرت بمن ولَدْتَه . وفى رواية أُخرى : قال له : إنَّك قُلت الجفنات فقلَّلت العدد ، ولو قُلت الجفان لكان أكثر ، وقلت يلْمَعْنَ بالضُّحى ، ولو قلت يبرقن بالدُّجَى لكان أبلغ فى المديح ، لأنَّ الضيف فى الليل أكثر . وقلت يقطُرن من نجدة دماً فدلَّلْت على قلَّة القتل ، ولو قلت يجرين لكانَ أكثر لانصباب الدم . وفخرت بمن ولدْتَ ولم تفتخر بمَن ولدك . فقام حسَّان منكسراً منقطعاً . انتهى ماروا.

وقال أُسامة بن منقذ (فى باب التفريط من كتاب البديع): اعلم أنَّ التَّفريط هو أن يُقدِم على شىء فيأْتىَ بدُونه ، فيكون تفريطاً منه إذ لم يكمل اللفظ أو يبالغْ فى المعنى . وهو بابٌ واسع يعتمد عليه النقَّاد من الشُّعراء ، مثل قول حسّان بن ثابت الأنصارى : « لنا الجفنات الغُرّ » البيت .

وفرَّط فى قوله الجفنات لأنَّها دون العشرة ، وهو يقدِر أنْ يقول : «لدينا الجفان » ، لأنَّ العدد القليل لا يُفتخر به وكذلك قوله « وأسيافنا» لأنَّها دون العشرة ، وهو قادرٌ أن يقول : « وبيضٌ لنا » .

(١) أصل المثانة مستقر البول وموضعه من الرجل والمرأة ، لكن المراد بها هنا مهبل المرأة . قال الأزهرى : « والمثانة عند عوام الناس موضع البول ، وهو عنده — يعنى ابن الأعرابى— موضع الولد من الأنثى » .

وفرَّط في قوله « الغُرّ » لأَنَّ السُّود أمدح من البِيض ، لأَجل الدُّهن وكثرةِ القِرى فيهنّ .

٤٣٤ وفرَّط في قوله بالضُّحى وهو قادر على أن يقول في الدجى ، لأَن كلَّ شَيْءٍ يلمع في الضحى . وفرَّط في قوله يقطرن ، وهو قادرٌ على أن يقول يجرين ، لأَنَّ القطر قطرة بعد قطرة . وقال قُدَامة : أراد بقوله الغر المشهورات . وقال بالضُّحى لأَنَّه لا يلمع فيه إلاَّ عظيمٌ ساطع الضوء : والدُّجى يلمع فيه يسير النور . وأما أَسياف وجفنات فإِنَّه قد يوضع القليل موضع الكثير ، كما قال سبحانه : ﴿لهمْ جَنَّاتٌ[1]﴾ و﴿درجات[2]﴾ . وقوله يقطرن دماً هو المعروف والمأْلوف ، فلو قال يجرين لخرج عن العادة . وينوب قطَر عن جرى . ا هـ .

وقال ابن أَبي الإِصبع (في كتابه تحرير التحبير) : في باب الإِفراط في الصفة ، وهو الذي سمَّاه قدامة المبالغة ، وسمَّاه مَنْ بعده التبليغ : وحَدَّ قدامةُ المبالغةَ بأَن قال : هي أَن يذكر المتكلِّم حالًا من الأَحوال لو وقف عندها لأَجزأَت ، فلا يقف حتَّى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أَبلغَ في معنى قَصدِه ، كقوله[3] :

ونكرمُ جارنا ما دام فينا ونُتبعه الكرامةَ حيث مالا

وأَنا أَقول : قد اختُلف في المبالغة ، فقوم يرون أَجودَ الشعر أَكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ، ويحتجُّون بما جرى بين النابغة الذبياني وبين

(١) في آيات كثيرة منها الآيتان ٢٥ ، ١٩٨ من البقرة و ١١٩ من المائدة .
(٢) لهم درجات في الآية ٤ من الأنفال .
(٣) في تحرير التحبير ١٤٧ : « كقول عمرو بن الأهتم التغلبي » . وانظر معاهد التنصيص ١ : ٢٥٨ .

حسّان فى استدراك النابغة عليه تلك المواضع ، فى قوله : «لنا الجفنات الغُرّ» .. البيت ؛ فإنَّ النابغة إنّما عاب على حسان تركَ المبالغة . والقصّة مشهورة ، وإن رُوى عنه انقطاعه فى يد النابغة . وقومٌ يرون المبالغةَ من عيوب الكلام . والقولان مردودان .

وقد بَيَّنَ وجهَ الردِّ فيهما [١] .

ونقلُ العينىِّ عن ابن يسعون نقدَ هذا البيت من جهة اللفظ ، ساقطٌ ، لأَنَّ الجمع فى الجفنات نظير قوله تعالى : ﴿ وهم فى الغُرُفات آمنون [٢] ﴾ وأما الغُرّ هنا فليس جمعَ غُرَّة ، بل البيض المشرِفات من كثرة الشُّحوم وبياضِ اللُّحوم . وهى جمع غرّاء . ويجوز أن يريد بها المشهورة المنصوبة للقِرى . وكذلك « يَلمعن » هو المستعمل فى هذا النَّحو الذى يُدَلُّ به على البياض ، كما تقول : لمع السراب ، ولمع البرق ، وكذلك الضُّحى والضَّحاءُ ، لأَنَّهما بمعنًى . على أَنَّ الضُّحى أَدلُّ على تعجيلهم القِرى . وأَمَّا القول بأَنّ يبرقن فى الدُّجى أَبلغ فساقط ، لأَنَّه إنما أَراد أَن إطعامَهم موصول ، وقِراهم فى كلِّ وقت مبذول ، لأَنَّه قد وصف قبلَ هذا قراهم بالليل حيث قال :

وإنَّا لنقرِى الضَّيفَ إن جاءَ طارقاً
من الشَّحم ما أَضحى صحيحاً مسلَّما

ويروى : « ما أَمسى» . وأَمَّا قوله يقطرن فهو المستعمل فى مثل هذا ، يقال سيفه يقطر دماً . ولم تجر العادةُ بأَن يقال : يجرى دماً ، مع أَنَّ

(١) انظر تحرير التحبير ١٤٨ — ١٥١ .
(٢) من الآية ٣٧ فى سورة سبأ .

يقطر أمدح ، لأنَّه يدلُّ على مضاء السَّيف وسرعة خروجه عن الضَّريبة حتَّى لا يكاد يَعلق به دم . ا هـ .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ افتخاريَّة لحسان بن ثابتٍ الصحابى ، عدَّتها خمسة وثلاثون بيتاً . وهذه أبياتٌ منها بعد أن ذكر منازل حبيبته :

لنا حاضرٌ فعمٌ وبادٍ كأنَّه شماريخُ رَضْوَى عزَّةً وتكرُّما
متى ماتَزِنَّا من معدٍّ بعصبة وغسَّانَ نمنعْ حوضَنا أنْ يهدَّما
بكلِّ فتى عارى الأَشاجع لاحَه قِراعُ الكماة يرشح المسكَ والدَّما
٤٣٥ إذا استدبرتنا الشمسُ دَرّت متونُنا كأنَّ عروق الجوف ينضَحْنَ عَندمَا
ولدنا بنى العنقاء وابنَىْ محرِّق فأَكرمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابنَما
نسوِّد ذا المالِ القليل إذا بَدَتْ مُروءَته فينا وإن كان مُكرَما
وإنَّا لنقرِى الضَّيفَ إن جاءَ طارقاً مِنَ الشحْم ماأمسى صحيحاً مسلَّما
أَلسنا نردُّ الكبشَ عن طِيَّة الهوى ونَقلب مُرَّانَ الوشيج محطَّما
وكائن ترى من سيِّدٍ ذى مهابة أَبوه أبونا وابنَ أُخت ومَحرَما
لنا الجفنات الغر ... ... البيت
أَبى فعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنا وقائلُنا بالعُرف إلاَّ تكلما
فكلَّ معَدٍّ قد جزينا بصنعه فبؤسَى ببؤساها وبالنُّعم أَنعُما(١)

---

(١) وكذا فى الديوان ٣٧٢ . وفى ش : « وكل معد » بالواو . وبين هذا البيت وسابقه فى الديوان :

أبى جاهنا عند الملوك ودفعنا وملء جفان الشين حتى تهزما

وهذه آخر القصيدة .

وقوله : « لنا حاضر فعم » الخ ، قال فى الصحاح : الحاضر : الحىُّ العظيم . وأنشد البيت . والفَعْم : الكثير الممتلئ . والبادى : النازل بالبادية ، يقال بَدا يَدَاوة ، بِالفتح والكسر ، وهى الإقامة بالبادية . والشِّمراخ بالكسر : رأس الجبل . ورَضْوى ، بالفتح : جبلٌ بالمدينة .

وقوله : « متى ماتزِنَّا » إلخ تزِنَّا بالخطاب من الوزن . ومعد : أبوقبيلة . والواو فى قوله « وغسَّان » للقسم ونمنع جواب الشرط . وهذه عبارةٌ عن العزّ والمنعة .

وقوله : « بكلِّ فتًى » إلخ متعلق بنمنع . والأَشاجع : أُصول الأَصابع التى تتَّصل بعصب ظاهر الكف ، الواحد أَشجع . وأَراد بعُرِيها كونَها عاريةً من اللَّحم غير غليظة . ولاحَه بالمهملةِ بمعنى غيَّره . وقراع مصدر قارعَة . ومقارعة الأَبطالِ : قرعُ بعضِهم بعضاً . والكماةُ : الشُّجعان . وقوله : « يرشح المسك » إلخ أَراد أَنَّهم ملوك ، فإذا جُرح أَحدهم سال دمُه برائحة المسك .

وقوله : « إذا استدبرتنا الشمس » إلخ . المتون : الظُّهور . والعندَم : البَقَّم ، وقيل دم الأَخوين . قال شارح ديوانه : يريد أَنَّهم إذا عرقوا [عرقوا[1]] برائحة الطِّيب .

وقوله : « ولدنا بنى العنقاء » إلخ ، العنقاءُ : ثعلبة بن عمرو مزيقياء

---

(١) التكملة من ش .

ابن عامر بن ماءِ السماءِ . ومحرِّق: هو الحارث بن عمرٍو مزيقياءَ [1] وكان أَوّلَ من عاقب بالنار . وقوله: « فأَكرم بنا » هو تعجُّب ، أَى ما أَكرمنا خالاً ، وما أَكرمنا ابناً ، وما زائدة .

وقوله: « وإنا لنقرى » إلخ. نقرى: نُضيف. والطروق: المجىء ليلاً. وما مفعول نقرى لتضمُّنه معنى نطعم. يريد أَنَّهم يذبحون للضَّيف الإِبلَ السالمة من علَّة ومرض .

وقوله: « أَلسنا نردُّ الكبش » إلخ. الكبش: سيِّد القوم . والطِّيَّة بالكسر: النية . والهوى: هوى النفس . والمُرَّان بالضم: جمع مارن ، وهو الرُّمح اللين المهَز . أَى نقاتل بها حتَّى تنكسر .

و« ها » فى البيت الأَخير للتَّنبيه .

وترجمة حسَّان تقدَّمَت فى الشاهد الحادى والثلاثين من أَوائل الكتاب [2] .

---

(١) مزيقيا: لقب لعمرو هذا . وهو عمرو بن عامر ماء السماء ، بن حارثة الغطريف ، ابن امرئ القيس البطريق ، بن ثعلبة البهلول ، بن مازن قاتل الجوع ، بن الأزد . الاشتقاق ٤٣٥ والعمدة ٢ : ١٧٨ .

والمحرق هذا ، وهو الحارث بن عمرو ، كان يلقب بالحارث الأكبر ، كما كان يكنى أبا شمر . ويعنى بابنى محرق هنا ولدين من نسله من الغساسنة ، هما ابنه الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات القرطين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث . وحفيده الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج ، وكان يقال لهذا أبو شمر الأصغر ، واسمه عمرو بن الحارث ، وله يقول النابغة :

على لعمرو نعمة بعد نعمة ... لوالده ليست بذات عقارب

وفى ملوك العرب من ملوك الحيرة من لقب بمحرق : امرؤ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى . وله يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محـرق ... تركوا منازلهم وبعـد إياد

وفيهم : عمرو بن هند ، وهو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى . وفى اللسان : « قال ابن سيده : محرق لقب ملك ، وهما محرقان : محرق الأكبر وهو امرؤ القيس اللخمى ، ومحرق الثانى وهو عمرو بن هند مضرط الحجارة » . العمدة ٢ : ١٧٧ — ١٧٩ وانظر اللسان والقاموس (حرق ، مزق) والعمدة ٢ : ١٧٧ — ١٧٩ والمحبر لابن حبيب ٢٤٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٢ والأغانى ٢١ : ١٢١ وسرح العيون ٢ : ٢٠٢ .

(٢) الخزانة ١ : ٢٢٧ — ٢٢٨

المصـــدر

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الخمسمائة [١] :

٥٩٥ (ومَاالحربُ إلاَّ ماعلمتمْ وذقتمُ وما هُوَ عنها بالحديثِ المرَجَّمِ)

على أنَّ الظرف والجار والمجرور يعمل فيهما ما هو فى غاية البعد من العمل ، كحرف النفى والضمير كما فى البيت ، فإنَّ قوله عنها متعلق بهو. ٤٣٦
أى ما حديثِى عنها .

والبيت من معلَّقة زهير بن أبى سُلمى الجاهلى . قال الصاغانى (فى العباب) : الحرب مؤنَّث ، يقال وقعتْ بينهم حرب. قال الخليل : تصغيرها حريب بلا هاءٍ روايةً عن العرب : قال المازنى : لأنَّه فى الأصل مصدر . وقال المبرِّدُ : الحرب قد تذكَّر . وأنشد : صاحب الشاهد

وهو إذا الحرب هفا عقابُه مِرْجمُ حربٍ تلتقى حِرابُه [٢]

وقد جعل الشارح المحقق الضمير كنايةً عن الحديث الذى هو قولٌ وفاقاً لأبى الحُسين الزَّوزنى شارح المعلَّقات ، قال : الضمير كناية القول لا العلم ، لأن العلم لا يكون قولا . وفيه ردٌّ على سائر شرَّاح المعلقات ، فى أنَّ الضَّمير راجع إلى العلم . قال أبو جعفر النحاس ، وتبعه التِّبريزى واللفظ لهُ : قوله وما هو عنها ، أى ما العلم عنها بالحديث ، أى ما الخبر عنها بحديث يُرجَّم فيه بالظنِّ ، فقوله هو كناية عن العِلم ، لأنَّه

(١) همع الهوامع ٢ : ٩٢ ويس على التصريح ٢ : ٦٢ .

(٢) ش : « ملجم » ، صوابه فى ط وشرح شواهد الشافية ٩٨ . والرواية فيها وفى اللسان (حرب ٢٩٣) : « تلتظى حرابه » . وفى اللسان أيضاً : « كره اللقاء تلتظى حرابه » .

لمّا قال : إلاَّ ماعلمتم ، دلَّ على العلم . قال الله تعالى :﴿ ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلون بِما آتَاهُمُ اللهِ مِنْ فَضْلِه هُوَ خَيْراً[١] ﴾، المعنى : أنَّه لما قال يبخلون دلَّ على البخل، كقولهم: منْ كذبَ كان شرًّا له ، أى كان الكذب شرًّا له. ا هـ

وقال الأعلم الشنتمرى : هو كنايةٌ عن العِلم ، يريد : وما علمكم بالحربِ . وعن بدل من الباءِ . هذا كلامه .

وقال صَعُودا (فى شرح ديوانه) : هو ضميرٌ راجع على ما ، وكأنَّه قال : وما الذى علمتم . ثم كنى عن الذى . ا هـ .

والمرجَّم : الذِى يُرجَم بالظنون ، والترجيم والرَّجم: الظنُّ ، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ رجماً بالغيب[٢] ﴾ أى ظنًّا . والذَّوق أصله فى المطعوم ، واستُعير هنا للتجربة . يقول : ليست الحرب إلَّا ماعهدتموها وجرَّبتموها ومارَسْتم كراهتها ، وما هذا الذى أقوله بحديث مظنون . وهذا ماشهدتْ به الشواهدُ الصادقة من التَّجارب ، وليس من أَحكام الظُّنون . خاطب زهيرٌ بهذا الكلام قبيلة ذبيان وَأحلاَفَهم ، وهم أسد وغطفان ، ويحرِّضهم على الصُّلح مع بنى عمهم بنى عبس ، ويخوِّفهم من الحرب ، فإنَّهم قد علموا شدائدَها فى حرب داحس[٣] .

وقد تقدَّم شرح القصة مع شرح أبيات كثيرة من هذه المعلقة مع ترجمة زهير فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[٤] .

* * *

(١) الآية ١٨٠ من سورة آل عمران .
(٢) الآية ٢٢ من سورة الكهف .
(٣) ط : « قد تقدم » .
(٤) الخزانة ٢ : ٣٣٢ — ٣٣٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الخمسمائة [(١)] :

٥٩٦ (أَمِنْ رسمِ دارٍ مَرْبعٌ ومَصِيفُ   لِعينَيْكَ من ماءِ الشُّئونِ وَكيفُ)

على أن رسم دار مصدر مضاف إلى مفعوله ، ومَربَع فاعله .

ورسم هنا : مصدر رَسم المطرُ الدارَ ، أى صيَّرَها رسماً ، بأَنْ عفَّاها . ولا يراد بالرَّسم هنا ما شخصَ من آثار الدار ، لأَنَّ ذلك عينٌ لامعنًى والذى يعمل معنًى لاغير . كذا فى (شرح الإيضاح لأَبى البقاء الفارسى).

وقال شارح أبياته ابن برى : ومعنى رَسَم أثَّر ، ولم يُبقِ منها إلاَّ رسوماً وآثاراً . وقيل معناه غيَّر أثرها بشدَّة الاختلاف عليها ، ومنه قيل : رسمت الناقة رسيماً ، إذا أَثَّرت فى الأَرض بشدَّة وطئها . وقيل الرَّسم بمعنى المرسوم ، فعلى هذا يكون اسماً لا مصدرًا ، فلايجوز أَنْ يعمل . والتقدير أَلِعينيك من ماءِ الشئون وَكِيفٌ من أَجل مَرسومِ دارٍ هو موضعُ الحلول فى الربيع والصيف . انتهى كلامه . ٤٣٧

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ للحطيئة علَّتها ثمانية عشر بيتاً ، مدحَ بها سعيدَ ابن العاص الأُموىَّ لمَّا كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان ، وبعده بيتان [(٢)] :

(تذكَّرتُ فيها الجهلَ حتَّى تبادرَتْ

دموعى وأَصحـــابى علَىَّ وُقوفُ)

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٥١ ، وابن يعيش ٦ : ٦٢ ، وديوان الحطيئة ٣٩ .

(٢) هما قوله فى الديوان ٤٠ :

رشاش كغربٍ هاجرى كلاهما   لـه َداجن بالكرتين عليف

إذا كر غرباً بعد غرب أعاده   على رغمه وافى السبال عنيف

وفى ط : « وبعده بيت » ، والوجه ما أثبت من ش .

ومنهـــا :

(إليك ســـعيدَ الخير جُبت مَهامِهاً
يقابلنى آلٌ بهـــا وتَنُـــوفُ[١])

وقوله : (أمن رسم دار) إلخ الهمزة للاستفهام التقريرى ومن تعليلية متعلِّقة بوكيف ، وهو مصدر وَكف البيتُ بالمطر ، والعينُ بالدَّمع ، وَكْفاً من باب وعد ، ووكوفاً ووكيفاً : سالَ شيئاً فشيئاً . قال شارح ديوانه : التأْويلُ : أمن أن رسم دارًا مربعٌ، أىأثَّر فيها آثاراً . والرَّسم : الأثر بلا شخص . والشُّئون : مجارى الدَّمع من الرأس إلى العين ، واحدها شأْن . وقوله : (لعينيك) جارٌّ ومجرور متعلِّق بمحذوف خبر مقدَّم على المبتدأ وهو وَكيف، يُروى بالتثنية ويروى بالإفراد . و(مربع): فاعل المصدر ، وهو رسم ، وهو على حذف مضاف ، والتقدير : مطره ونحوه . وهـو ومابعده اسمان لزمن الرَّبيع والصَّيف ، ويأْتيان اسمَىْ مكان أيضاً ، ومصدرين أيضاً . وهذه الصيغة يشترك فيها هذه المعانى الثلاثة ، وهى صيغة قياسية يذكرها الصرفيُّون . والمذكور فى كتب اللغة إنَّما هو المربع بمعنى منزل القوم فى الربيع خاصَّة .

وقد استعمل الحريرىُّ فى المقامة الأُولى المربعَ بمعنى الرَّبْع ، وهو المنزل حيث كان ، فى قوله : « ويسرِّب مَن يتبعُه ، لكن يُجهلَ مربعُه[٢] » . ولم يصب ابنُ الخشَّاب فى تخطئه الحريرى (فيما كتَبَه على المقامات) فى قوله : ماأصاب فيه ، لأَنَّ الربع منزلالقوم فى الرَّبيع خاصة ، وقد

(١) التنوف ، بالفتح : جمع تنوفة، وهى ، التى لاماء بها من الفلوات ولا أنيس وإن كانت معشبة .

(٢) مقامات الحريرى ١٥ .

استعمله بمعنى الأوَّل وهو خطأٌ ، لأنَّه كالمصيف والمشتى ، وتلك منازلهم فى هذه الأزمنة خاصة .

وقد أجاد ابن برى فى الردّ عليه فقال : يقال رَبَع بالمكان ، أى أقام به الربيعَ ، ويقال أيضاً ربع بالمكان : أقام به حيثما كان . واسم المكان منهما مَربعٌ قياساً مطَّرداً عند النحويِّين ، كالمصنع والمصرع . والشاهدُ على قولهم : ربع بالمكان ، إذا أقام به حيثُما كان ، قولُ الحادرة :

بكرتْ سُمَيَّةُ غُدوةً فتمتَّعِ وغدتْ غدوَّ مفارقٍ لم يَربَعِ (١)

فسَّره المفضَّل (فى المفضليات) فقال : يقال ربع بالمكان إذا أقام به . ولم يشترط ربيعاً ولا غيره . فعلى هذا يصحّ أن يكون المربع لمنزل الإنسان من بيته وداره ونحو ذلك ؛ وعليه يصحُّ قول يزيدَ بن الصَّعِق :

* يُشَنُّ عليكم بالقنا كلَّ مَربعِ (٢) *

أى كلَّ مكان تقيمون فيه . وأما قول أهل اللغة إنَّ المربع اسمٌ للمنزل فى الرَّبيع خاصة فإنَّما يريدون به الأكثر ، وهو الأَصل ، ثم اتُّسع فيه فجعل لكلِّ مكان أقام به الرجل . ألا ترى أنَّهم لا يكادون يذكرون المربع فى اسم الزمان ، وهو أيضاً قياس مطَّرد مثل اسم المكان . وشاهده قولُ الحطيئة :

* أمن رسم دار مربعٌ ومصيفُ *

فالمربع والمصيف على هذا : اسمٌ لزمان الربيع والصَّيف ، وكذلك قول جرير :

---

(١) المفضليات ٤٣ .

(٢) أنشده فى اللسان (قدد) والتهذيب ٨ : ٢٦٩ يقوله لبنى أسد . وصدره فيهما :

* فرغتم لتمرين السياط وكنتم *

وإنما أوردا هذا البيت فى غير مواده ليذكرا أن بعض بنى أسد أجابه بقوله :

أعبتم علينا أن نمرن قدنـــا ومن لم يمرن قـــده يتقطع

رَدُّوا الجمال بذى طُلوحٍ بعدما هــاج المصيفُ وقد تولَّى المربَعُ[١]

أى رَدُّوا الجمال من موضع رعيها إلى الحىّ حين أرادوا التحمُّل ، وقد
٤٣٨ أتى المصيف وتولَّى المربع . وإذا أقبل زمنُ الصَّيف وتولَّى زمن الربيع يبس العشبُ فى الأرض . وكذلك المربع قد يكون اسماً للمصدر فى نحو قولهم : ربعت بالمكان مربعاً . ولا يكاد يذكرون المربع إلَّا فى اسم المنزل بالربيع ، وإنَّما يَذكر هذا مبيَّناً أهلُ النحو ، ويجعلون له باباً مفرداً وقياساً مطَّرداً . وماخرج عن القياس فى بناءٍ ذكروه . انتهى كلامه .

وقولهُ : « تذكَّرتُ فيها الجهل[٢] » ، أى جهل الشباب والصِّبا .

وقوله : « إليك سعيدَ الخير » إلخ . إليك متعلق بجُبْت ، قدِّم عليه لإفادة الحصر . وجُبْت : قطعت ، يقال جاب الوادى بجوبه ، إذا قطعه ، وسعيد : منادًى مضاف إلى الصفة التى اشتهر بها . ويجوز أن يكون أصله خيِّرٌ بالتشديد ، فخُفِّف . والمهمَه : القَفر . والآل : السَّراب . وتَنُوف : جمع تَنوفة ، وهى الفلاة .

روى الأَصبهانىُّ (فى الأَغانى) بسندهِ إلى خالد بن سعيد قال : لقينى إياس بن الحطيئــة فقال لى : ياأبا عثمان ، مات أبى وفى كِسر بيته عشرون ألفاً أعطاه إيَّاها أبوك وقال فيه خمس قصائد ، فذهبَ واللهِ ما أعطيتمونا ، وبقى ما أعطيناكم ! فقلت : صدقتَ والله .

---

(١) تولى المربع : أدبر وتولى . وفى ط : « توالى » صوابه فى ش ، وديوان جرير ٣٤١ .

(٢) فى النسختين : « تذكر فيها الجهل » .

وروى أيضاً بسندٍ متصل إلى خالد بن سعيد قال : كان سعيد بن العاص بالمدينة زمنَ مُعاوية ، وكان يُعشِّى الناس، فإذا فرغ من العَشاءِ قَال الآذن : ليذهبْ إلَّا مَنْ كان من أهل سَمَره . قال : فدخل الحطيئة فتعشَّى مع الناس ثم لم ينصرف ، فلما ألحَّ عليه الآذنُ قال سعيد : دعْه [1] وأُخِذَ فى الشعر والحطيئة مطرقٌ لا ينطق ، فقال الحطيئة : والله ماأصبتم جيِّد الشعر ولا شاعرَ الشعراءِ . قال سعيد : من أشعر العرب ياهذا ؟ قال : الذى يقول :

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدْماً ولـكنْ فقْدُ من قد رُزِئتُه الإعدامُ
مِن رجالٍ من الأَقارب بانُوا مِن جُذام ٍ هم الرُّءُوسُ الكرامُ
سُلِّطَ الموتُ والمَنونُ عليهم فلهمْ فى صَدَى المقابر هامُ
وكذاكُمْ سبيلُ كلِّ أُناسٍ سوف حقًّا تُبليهمُ الأَيَّامُ

قال : ويْحك من يقول هذا الشعر ؟ قال : أبودُوَادٍ الإيادىُّ . قال : ومَن الثانى ؟ قال : الذى يقول :

أفلحْ بما شئت فقد يُبلغ بالـ ضَّعفِ وقد يُخدَعُ الأَريب [2]

قال : ومن يقول هذا الشعر ؟ قال : عَبيد . قال : ثم من ؟ قال : والله لحسبُك بى عند رهبةٍ أو رغبة ، إذا وضعتُ إحدى رجلىّ على الأُخرى، ثم رفعت صوتى بالشعر [3] ثم عوَيْت على إثر القوافى عُواءَ الفصيل الصادر عن الماءِ ! قال : ومن أنت ؟ قال : الحطيئة . قال : وَيحك قد علمتَ

---

(١) العبارة هنا بتصرف من الأغانى ١٦ : ٣٨ .

(٢) ط : « يخادع الأريب »، صوابه فى ش وشرح المعلقات للتبريزى ٧ : ٤ . وقال التبريزى : « ويروى : أفلج بالجيم ، وأفلح بالحاء من الفلاح وهو البقاء . أى عش كيف شئت فلا عليك ألا تبالغ ، فقد يدرك الضعيف بضعفه مالا يدرك القوى ، وقد يخدع الأريب العاقل عن عقله . ويروى : فقد يدرك بالضعف » .

(٣) فى الأغانى : « ثم رفعت عقيرتى بالشعر » . والعقيرة : الصوت .

تشوِّقنا إلى مجلسك ، وأنت تكتُمنا نفسَك منذُ الليلة ، فأَنشدنى . فأَنشدَه من أَبيات :

سعيدٌ فلا يغررْك قِلَّةُ لحمه تخدَّد عنه اللحمُ وهو صليبُ
إذا غبتَ عنا غاب عنَّا ربيعُنا ونُسقَى الغمامَ الغُرّ حين يَئوبُ (١)
فنعم الفتى تعشو إلى ضوءِ ناره إذا الريح هبّت والمكانُ جديبُ

فقال له : أنت لعمر الله أشعر عندى منهم . فأَمر له بعشرة آلاف درهم . ثم عاد فأَنشده :

* أَمن رسم دار مربعٌ ومصيفُ *

إلى آخر القصيدة ، فأَعطاه عشرة آلاف أُخرى .

٤٣٩ وروى أَيضاً هذا الخبر عن أَبى عبيدة وقال : قال أَبو عبيدة فى هذا الخبر : وأَخبرنى رجلٌ من بنى كنانة قال : أَقبل الحطيئة فى ركب من بنى عبَس حتَّى قدم المدينة (٢) ، فقالوا له : إنا قد أَرذينا (٣) وأَخلينا (٤) فلو تقدمت إلى رجل شريف من أَهل المدينة فَقَرانا وحَمَلنا . فأَتى خالد ابن سعيد بن العاص فسأَله ، فاعتذر إليه وقال : ماعندى شئٌ . فلم يُعِدْ عليه الكلامَ وخرج من عنده ، فارتاب به خالد فبعث يسأَل عنه ،

(١) فى الأغانى : « إذا غاب عنا » .

(٢) بعده فى الأغانى : « فأَقام مدة » .

(٣) أَرذينا : صارت ركابنا رذية هزيلة من كثرة السير . ط والأغانى : « أَردينا » بالدال المهملة ، صوابه بالذال المعجمة كما فى ش .

(٤) المراد أَنهم قد نفد زادهم ، يقال أَخلى عن الطعام ، أى خلا عنه . وفى النسختين : « أَجلينا » بالجيم ، والوجه ما أَثبت من الأغانى .

فأُخبر أنَّه الحطيئة ، فردَّه واعتذر إليه ؛ فأَراد خالد أنْ يستفتحه الكلامَ فقال : من أشعر الناس ؟ فقال : الذى يقول[١] :

ومَن يجعل المعروفَ من دون عِرضه يَفِرْهُ ومن لا يتَّق الشتم يُشتمِ

فقال خالدٌ لبعض جلسائه : هذه بعض عقاربه ! وأمر له بكُسوة وحُمْلان[٢] فخرج بذلك من عنده . اهـ .

وترجمة الحطيئة قد تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين بعد المائة[٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٤] :

٥٩٧ (ضَعيفُ النِّكاية أَعـداءَه يخال الفِرارَ يُراخِي الأَجَـلْ)

على أنَّ سيبويه والخليل جوَّزَا إعمال المصدر المعرَّف باللام مطلقاً كما فى البيت .

قال سيبويه : وتقول : عجبت من الضرب زيداً ، كما تقول[٥] : عجبت من الضارب زيدًا ، يكون الألف واللام بمنزلة التنوين ، قال الشاعر :

ضعيف النكاية أعداءَه ... ... البيت

(١) يعنى زهير بن أبى سلمى . والبيت التالى من معلقته .

(٢) الحملان ، بالضم : ما يحمل عليه من الدواب ، فى الهبة خاصة .

(٣) الخزانة ٢ : ٤٠٦ — ٤١٣ .

(٤) فى كتابه ١ : ٩٩ . وانظر المنصف ٣ : ٧١ والمقرب ٢٥ وشذور الذهب ٣٨٤ والتصريح ٢ : ١٣ والهمع ٢ : ٩٣ والأشمونى ٢ : ٢٨٤ .

(٥) فى سيبويه : « كما قلت » .

وقال المرّار :

لقد علمت أُولَى المغيرة ... البيت . ا هـ .

وقال الأعلم : الشاهد فيه نصب الأعداء بالنكاية لمنع الألف واللام الإضافة[١] ومعاقبتهما للتنوين الموجب للنصب . ومن النحويِّين من ينكر عمل المصدر وفيه الألف واللام ، لخروجه عن شبه الفعل ، فيَنصب مابعده بإضمار مصدر منكور فيقدِّره : ضعيف النكاية نكايةٍ أعداءه . وهذا يلزمه مع تنوين المصدر ، لأَنَّ الفعل لا يُنَوَّن ، فقد خرج المصدر عن شبه الفعل بالتنوين ، فينبغى على مذهبه أن لا يعمل[٢] . يقول : هو ضعيف عن أن يَنكِى عدُوَّه وجبانٌ أن يثبُت ، ولكنه يلتجى إلى الفرار[٣] ويخاله مؤخِّراً لأجلِه . ا هـ .

وأراد ببعض النحوِّيين أبا العباس المبرد .

وجعَل السيرافىُّ نصب أعداءه على حذف الخافض ، أى ضعيف النكاية فى أعدائه .

وقوله : (يخال) بمعنى يظنّ . و (يراخى) : يباعِد ، وفاعله ضمير الفرار ، وفاعل يخال ضمير المهجوّ . وجملة يراخى فى موضع المفعول الثانى ليخال . و (ضعيف) خبر مبتدأ محذوف ، أى هو ضعيف . و (النكاية) : مصدر نَكَيت فى العدوِّ ، إذا أثَّرت فيه . وجاء معدًّى بنفسه . قال أبو النجم :

---

(١) فى الشنتمرى : « من الإضافة » .
(٢) الشنتمرى : « أن لايعمل عمله » .
(٣) الشنتمرى : « هو ضعيف أن ينكى أعداءه وجبان عن أن يثبت لقرنه ، ولكنه يلجأ إلى الفرار » .

* ينكى العِدَى ويكرم الأَضيافا[١] *

وقال عدىٌّ بن زيد :

إذا أَنت لم تنفع بودِّك أَهله ولم تَنْكِ بالبؤسى عدوَّك فابعَدِ

من بَعِد ، من باب فرح ، إذا هلك .

والبيت من أَبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلها . والله أَعلم.

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س[٢] :

٥٩٨ (لقَد عَلمَتْ أُولَى المُغيرةِ أَنَّنى
كرَرْتُ فلم أَنــكُلْ عن الضَّرب مِسمَعا)

لما تقدَّم قبله . ويروى: (لحِقت فلم أَنــكُل) . ٤٤٠

قال الأَعلم: الشاهد فى نصبِ مسمع بالضرب على نحوِ ما تقدَّم . ويجوز أَن يكون بلحقت ، والأَوَّل أَولى ، لقرب الجوار ، ولذلك اقتصر عليه سيبويه . يقول : قد علم أُولى مَن لقيت من المغيرين أَنِّى صرفتُهم عن وجههم هازماً لهم، ولحقتُ سيِّدَهم[٣] مسمعاً ، فلم أَنكُل عن ضربه بسيفى. والنُّكول : الرجوع عن القِرْن جُبنا . ا هـ .

وقال ابن خلف : وكان بعض البصريِّين المتأَخِّرين لا ينصب بالمصدر إذا كان فيه الأَلف واللام ، وينصب مسمعاً بلحقت لا بالضَّرب

(١) كذا فى النسختين . والذى فى اللسان (نكى) :

نحن منعنا واديي لصـــــافا ننكى العدى ونكرم الأضيافا

(٢) فى كتابه ١ : ٩٩ . وانظر المقتضب ١ : ١٤ والجمل ١٣٦ وابن يعيش ٦ : ٩ ، ٦٤ والعينى ٣ : ٤٠ ، ٥٠١ والهمع ٢ : ٩٢ والأشمونى ٢ : ١٠٠ ، ٢٨٤ .

(٣) الشنتمرى : « عميدهم » .

وحجَّته أَنَّ أَل تُبعد المصدر عن شبه الفعل . قال أَبو الحجَّاج[(١)] : ومن أَعمل الضرب فيه فهو عندى على قول من أَعمل الثانى ، وهو أَحسن عند أَصحابنا . أَلا ترى أَنَّ المعنى لحقت مسمعاً فلم أَنكل[(٢)] عن ضربه فحذف المفعول من الأَوّل لدلالة الثانى عليه . ومن أَعمل لحقت أَراد : لحقت مسمعاً فلم أَنكل[(٣)] عن الضرب إِيَّاه ، أَو عن ضربيهِ ، إِلَّا أَنَّه حذَف لأَنَّ المصادرَ يحذف معها الفاعل والمفعول . ولا يجوز على هذا القياس ضربت وشتمت زيداً ، حتَّى تأْتِىَ بعلامة الضمير فى شتمت . يعنى إِذا أَعملت ضربت . قال : لأَنَّ الفعل لا يحذف معه هذا المفعول كما يحذف مع المصدر . وقد أَجاز السِّيرافىُّ حذف الضمير فى هذا النحو مع الفعل أَيضاً ، لأَنَّ المفعول كالفضلة المستغنى عنها . قال أَبو على : ومن أَنشد « كررت » كان مسمع مفعول الضرب لا غير ، لأَنَّ كررت يتعدَّى بالحرف وهو على ، ولا حرفَ ههنا . فإِنْ جعلت على مرادةً كما جاءَ فى قوله : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ[(٤)]﴾ ، وقولِ الشاعر[(٥)] :

تحنُّ فتُبدى ما بها من صبابة ... وأُخفِى الذى لولا الأُسَى لقضانِى[(٦)]

---

(١) أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمرى شارح أبيات سيبويه . ولد سنة ٤١٠ وتوفى سنة ٤٧٦ . معجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ . وهذا النص ليس فى شرح أبيات سيبويه فلعله فى شرح أبيات الجمل له .

(٢) الكلام بعده إلى « أنكل » التالية ساقطة من ش .

(٣) هنا ينتهى السقط السابق .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

(٥) هو عروة بن حزام . وانظر المغنى ١٤٢ ، ٥٧٧ وشرح شواهده للسيوطى ١٤١ والعينى ٢ : ٥٥٢ والهمع ٢ : ٢٩ . والبيت لم يرد فى ديوانه المخطوط .

(٦) الأسى هنا ، بالضم والكسر ، جمع أسوة بالضم والكسر ، وهو ما يتأسى به الحزين ، أى يتعزى . ومثله فى اللسان لحريث بن زيد الخيل :

ولولا الأسى ماعشت فى الناس ساعة ... ولكن إذا ماشئت جاوبنى مثلى

فلما حُذِف أَوصلت الفعلَ(١) فهـــو وجه . قال أَبو الحجَّاج : وهذا خلافٌ لما (فى الإيضـــاح) لأَنَّه قال هنالك : إنَّ ذلك لا يعمل عليه ما وُجد مندوحة عنه . وليس يُنكَر على العالم أَنْ يرجع عن قول إلى ماهو خيرٌ منه . اهـ .

قال ابن برى (فى شرح أَبيات الإيضاح) : وأَجاز السيرافى هذا الذى منعه أَبو على ، وكذلك أَجاز أَبو على فى غير الإيضاح نصب مسمع بكررت على إسقاط حرف الجر كالآية . اهـ .

ولو أَعمل كررت لكان التقدير : كررت فلم أَنكل عن الضرب إيَّاه ، على مسمع ، فحذف على وأَوصل الفعل .

وقال ابن السِّيرافى : لا يحسن أَن يُنصَب مسمع بكررت على تقدير كررت على مسمع فلم أَنكل عن الضرب . وعلى الرواية الثانية ينتصب أَيضاً بالضرب ، إلاَّ أَنَّه على إعمال الثانى الأَقربِ إليه . ولو أَعمل الأَوّلَ لأَضمر ، وكانَ التقدير : لحقت مسمعاً فلم أَنكل عن الضَّرب إياه مِسمعاً .

وقد أَورده ابن قاسم المرادى (فى باب التنازع من شرح الأَلفيَّة) بلفظ « لقيتُ ولم أَنكل عن الضَّرب مسمعَا » ، شاهداً على التنازع فى مسمع .

وأَورده ابن الناظم وابن هشام (فى شرح الأَلفية) فى باب إعمال المصدر ، كالشارح المحقق .

(١) فى النسختين : « فلما حذف الفعل أوصلت » ؛ وهو خطأ . كتب فى حاشية ش : « هكذا بخط المؤلف أوصلت ، والصواب أوصل بحذف التاء » . وأرى الصواب فيما أثبت . والمراد أنه لما حذف « على » أوصلت الفعل وعديته إلى المفعول .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة لمالك بن زُغْبة الباهلى ؛ وبعده :

أبيات الشاهد — (ولو أنَّ رمحى لم يخنِّى انكسارُه لغادرت طيراً تَعْتَفيهِ وأَضْبُعا[1]

٤٤١ وفرَّ ابن كدراءَ السَّدوسىُّ بعدَما تناولَ منِّى فى المكرَّةِ مِنْزعا

[وماكنتُ إلاَّ السَّيفَ لاقَى ضريبةً فقطَّعها ثم انثنى فتقطَّعا

وإنِّى لأُعدِى الخيْلَ تَعثُر بالقنا حِفاظاً على المولى الحَريدِ ليُمنعا

ونحنُ جَنَبنا الخيلَ مِن سَرْوِ حميرٍ إلى أن وَطِئنا أَرضَ خثعَمَ نُزَّعا[2]]

أَجِئتم لكيما تستبيحوا حريمنا فصادفتمُ ضرباً وطعناً مجدِّعا

فأُبتم خزايا صاغرين أذلَّةً شريجةَ أرماح لأَكتافكم معا)

قال أَبو محمد الأَعرابى (فى فُرحة الأَديب) : مِسمَع بن شيبان : أَحد بنى قيس بن ثعلبة ، كان خرج هو وابن كدراء يطلبان بدماء من قتلته باهلة ، من بنى بكر بن وائل ، يوم قُتل أَبو الأَعشى قيسُ بن جَنــدل ، فبلغ ذلك باهِلةَ فلقُوهم فقاتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو قيس ومن كان معهما من بنى ذهل ، وضُرب مِسمعٌ وأَفلت جريحاً .اه.

وقوله :(لقد علِمَتْ أُولى المغيرة) إلخ ، يعنى أَوَّلها . والمغيرة : الخيل ، يُريد مقدِّمة العسكر .

---

(١) تعتفيه بالعين ، كما فى ش ، ويؤيده تفسير البغدادى فيما سيأتى . وفى اللسان (عفا) : « وفلان تعفوه الأضياف وتعتفيه الأضياف ، وهو كثير العفاة ، وكثير العافية ، وكثير العفى » . وفى ط : « تقتفيه » بالقاف فى هذا الموضع وفى التفسير التالى ص١٣٣ . والوجه ما أثبت من ش .

(٢) الأبيات الثلاثة ساقطة من ط ثابتة فى ش . والملحوظ أن البغدادى لم يفسر شيئاً منها .

نقل أبو حيان (فى تذكرته) عن ابن خالويه أنه قال : سألت أبا عُمر[١] عن قوله : « لقد علمت أولى المغيرة » ... البيت ، فقال : أُولى كلِّ شىء : أوّله .

وقال ابن المستوفى : المغيرة يجوز أن تكون وصفاً للخيل المحذوفة ، وهو أجود لأَنَّ استعمالها معه[٢] أكثر . ويجوز أن يكون وصفاً للجماعة المغيرة أو نحوِها . وعلى أىِّ الحالين فهو اسمُ فاعل ، من أغار على العدوِّ إغارة . اهـ .

وذكر ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : أنَّه يقال «المغيرة» بضم الميم وكسرها .

وتبعه ابن خلف ، وتعقَّبه اللخمى بأنَّه يقال فى اسم الرجل المغيرة بكسر الميم ، لأَنَّهم[٣] إنَّما يغيِّرون الأَسماءَ الأَعلام ، ولا يكادون يغيِّرون الصفاتِ الجاريةَ على الأَفعال ، لئلاَّ يخرجوها عن الباب .

والنُّكول : الرجوع جُبناً . قال ابن خلف : مَن ضمَّ الكاف فى المضارع فتحها فى الماضى ، ومن كسرها[٤] فى الأَوَّل فتحها فى الثانى . وسمع بكسر الميم الأُولى وفتح الثانية .

وقوله : « لغادرتُ طيراً » الخ. غادرتُ : تركت. وفلان تعتفيه الأَضيافُ أى تأْتيه . وأَضبُع : جمع ضَبُع . يريد أنَّه لو لم يخنه رمحه لقتله .

---

(١) أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، المعروف بغلام ثعلب .
(٢) ش : « استعماله معها » .
(٣) ط : « لأنهما » ، صوابه فى ش .
(٤) ش : « ومن كسر » .

وقوله « لغادرت طيرًا » الخ . غادرت : تركت . وفلان تعتفيه الأضيافُ[(١)] أى تأتيه . وأضبُع : جمع ضبع . يريد أنَّه لو لم يخنه رمحه لقتله وكانت تأتيه الطيور والسباع ، تأكله . وسَدوس بالفتح : أبو قبيلة . والمَكرَّة بالفتح : موضع الحرب. والمِنْزع ، بكسر الميم وسكون النون وفتح الزاى : السَّهم .

وقوله : « أجئتم لكيما » الهمزة للاستفهام التوبيخى . والاستباحة : النَّهب والأَسْر . والمجدِّع ، بكسر الدال المشددة : مبالغة جادع ، من جَدَعَ أنفه وأذنه وشفته ، من باب نفع ، إذا قطعها .

وقوله : « فأُبتم خزاياً » إلخ . أى رجعتم ، من الأَوب وهو الرُّجوع . وخزايا : جمع خزيان ، وصف من خزِى خِزْياً من باب علم ، أى ذلَّ وهان . وأخزاه الله : أذلَّه وأهانه . وصاغِرِين ، من صَغِرَ صَغَرًا ، من باب تعب ، إذا ذلَّ وهان .

مالك بن زغبة

ومالك بن زُغبة ، بضم الزاى وسكون الغين المعجمتين بعدها موحدةٌ ، شاعرٌ جاهلىّ .

* * *

وأنشد بعده :

(طلبُ المعقِّبِ حقَّهُ المظلُومُ)

على أنَّ المظلوم ارتفع بقوله حَقَّه ، أى غالبه المظلُوم بالحقّ .

وهذا غير ما وجَّهه به فى باب المنادى فإنه قال هناك : إنَّ فاعل المصدر وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه محلُّه الرفع ، فالْمُعقِّب فاعل المصدر ، وهو طلب وقد جر بإضافتهِ إليه ، ومحلُّه الرفع بدليل رفع وصفهِ ، وهو المظلوم .

وهذا التخريج هو المشهور .

(١) ط : « تقتفيه » ، صوابه فى ش .

والمعقِّب اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقَّه مرةً بعد مرة . يقال عقَّب فى الأَمر تعقيباً ، إذا تردَّد فى طلبه مُجِدًّا . وطلبُ بالرفع فاعل لِهاجَه فى المصراع قبله ، وهو : ٤٤٢

* حتَّى تهجَّر فى الرَّواح وهاجَه *

أَى حتَّى سار الحمار فى الهاجرة وحثَّه على المسير طلبٌ كطلب المعقِّب المظلوم حقَّه ، فحقه مفعول المصدر . وما ذكره الشارحُ هنا هو تخريج ابن جنى (فى المحتسب) ، إلَّا أَنَّه فسَّر حقه المظلوم بغير هذا ، قال : أَى عازَّهُ ومنعه المظلوم . فحقَّه على هذا فعلٌ ، حقَّه يحقُّه ، أَى لواه حقَّه . انتهى .

ولم أَر فى كتب اللغة حقَّه يحقُّه بهذا المعنى .

ونقل ابن المستوفى عن الخوارزمى أَنَّه قال : إن رفعت طلب فحقَّه حينئذ فعل ، يقال حقَّه يحقُّهُ : لواه حقَّه وصَدَّه . والمظلوم نعت المعقبِ وفاعل حقَّه مضمَرٌ . هذا كلامه .

والذى ذكره الأَندلسىُّ أَن حاقَّه بمعنى خاصمه وادَّعى كلٌّ واحد منهما الحقَّ ، فإذا غلبه قيل حقَّه . انتهى ما أَورده ابن المستوفى .

فظهر من هذا أَنَّ مأْخذ الشارح المحقق كلامُ الأَندلسىّ .

وقد تقدَّم الكلام مفصَّلاً على هذا البيت مع جملة أَبيات من القصيدة ، وهى للبيدٍ الصحابى ، مع ترجمته ، فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[1] .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٢٤٦ – ٢٥١ .

وأنشد بعده وهو الشاهد التّاسع والتسعون بعد الخمسمائة[١] :

٥٩٩ (أَكُفرًا بعد ردِّ الموتِ عَنِّى وبعدَ عطائِكَ المائَةَ الرِّتاعَا)

على أنَّ العطاءَ هنا بمعنى الإعطاءِ ، ولهذا عمل عمله . والمفعول الثانى محذوف ، أى بعد إعطائك المائةَ الرِّتاعَ إيَّاى . وردّ [٢] : مصدر مضاف إلى المفعول ، وفاعله محذوف ، أى بعد ردِّك الموت عنى .

وأورده شراح الأَلفيَّة على أنَّ العطاءَ اسم مصدر .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة للقُطامىّ ، تقدَّم شرحُ أبياتٍ من أَوَّلها مع ترجمته فى الشاهد الثالث والأَربعين بعد المائة[٣] : وهذه أَبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(ومَن يكنِ استلاَمَ إلى ثَوىً فقد أكرمتَ يازُفَرُ المتاعا
أَكفرًا بعد ردِّ الموتِ عَنِّى .... البيت
فلو بيدىْ سواكَ غداةَ زلَّتْ بى القدمانِ لم أَرْجُ اطِّلاعا
إذًا لهلكتُ لو كانت صِغارٌ من الأَخلاق تُبتَدَعُ ابتداعا
فلم أَر مُنعِمين أقلَّ مَنًّا وأكرمَ عندنا اصطنعوا اصطناعا
مِن البِيض الوجوه بنى نُفَيْلٍ أَبَتْ أَخلاقُهم إلاَّ اتِّساعا)

وهى قصيدةٌ طويلة مدح بها زفر بن الحارث الكلابى ، وحضَّ قيساً وتغلب على الصلح .

---

(١) الشعراء ٧٢٣ والخصائص ٢ : ٢٢١ وابن الشجرى ٢ : ١٤٢ وابن يعيش ١ : ٢٠ وشذور الذهب ١٢ والعينى ٣ : ٥٠٥ والتصريح ٢ : ٦٤ والهمع ١ : ١٨٨ / ٢ : ٩٥ والأشمونى ٢ : ٨٨ وديوان الطرماح ٤١ .

(٢) فى النسختين : «وردك» ، ولايستقيم مع الكلام بعده .والذى فى النص أيضاً : « ردالموت»

(٣) الخزانة ٢ : ٣٦٨ – ٣٧٢ .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : كان القطامىُّ أَسره زُفَرُ فى الحرب التى كانت بين قيس وتغلب ، فأَرادت قيسٌ قتله ، فحالَ زفر بينهم وبينه ومنَّ عليه ، وأَعْطاه مائةً من الإبل وأَطلقه [(١)] ، فقال :

* أكفرًا بعد ردِّ الموت عنِّى *

إلى آخر الأَبيات التى أوردناها

قوله : « ومن يكن استلام» الخ . قال شارح ديوانه : أى مَنْ أتى إلى ضيفه ما يُلام عليه فأَنت أَتيتَ إلى ضيفك أمرًا تستوجب فيه الثَّناء والمدح ، والذِّكرَ الحسن . والثَّوِىُّ : الضيف ، وهو فعيل من الثواء ، قال : وهو الإقامة . والمتاع : الزَّاد . ومتَّعته : زوَّدته . أخبر أنه زوَّده وأعطاه .

وقوله : (أكفرًا بعد ردِّ الموت) إلخ ، الهمزة للاستفهام الإنكارى : وكفرًا مفعول مطلق عامله محذوف ، أى أأكفر كفرًا . و (الرِّتاع) : ٤٣:
جمع راتعة . قال شارح ديوانه : الرِّتاع : الراعية . يقول : أَخُونك بعدَ هذا وقد مننتَ علىّ وأطلقتَنى ؟ ويقال : كان زفر اشتراه من قيس ابن وهب ، ووهب له مائةً من الإبل .

وقوله : « فلو بيدَىْ » إلخ ، الباءُ متعلِّقة بمحذوف كما أشار إليه شارح ديوانه بقوله : يقول لو كنتُ فى يدَىْ غيرِك لم أرجُ اطِّلاعاً ، أى نجاة ، وارتفاعاً من صَرعتى ، ولم أرجع إلى أهلى .

وقوله : « إذن لهلكت » إلخ . قال شارح ديوانه : تبتدَع : تُستحدَث

(١) فى الشعراء : « ووهب له مائة ناقة ورده إلى قومه » .

يقال شيءٌ بِدْع وبديع ، إذا كان بديعاً ، قال : لو ابتُدِعَتْ صِغارٌ[١] لهلكت أنا . انتهى .

وصغار بالرفع ، وتبتدع بالبناء للمفعول . قال العيني : معناه لو ابتدَعْتَ فىَّ أموراً صعاباً لهلكت. هذا كلامه .

وقوله : « فلم أر منعِمِينَ » إلخ . قال شارح ديوانه : يقول : لم أر مثلهم لايمنُّون بما صنعوا . يريد الذين أنعموا عليه .

وقوله : « من البيض الوجوه » . قال شارح ديوانه : نُفَيل بن عمرو ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، رهط زفر .

* * *

وأنشد بعده :

(دارٌ لِسُعْدَى إذْهِ من هواكا)

على أنَّ المصدر يجوز استعماله بمعنى اسم المفعول كما هنا ، فإنَّ هوًى مصدر هَوِيتُه من باب تعب ، إذا أحببته وعَلِقْتَ به. والمراد به هنا اسم المفعول، أى من مهوِيِّك.

وبهذا الوجه أورده سابقاً فى باب المفعول المطلق فى الشاهد الثالث والثمانين[٢] . وتقدَّم الكلام عليه هناك مفصلاً .

وقوله :« إذْهِ » أصله إذ هىَ فحذفت الياءُ ضرورة وبقيت الهاءُ من هى.

وبهذا الوجه أورده أيضاً (فى باب الضمير) بعد الشاهد الثمانين بعد الثلثمائة ، وتقدَّم الكلام عليه أيضاً مستوفًى هناك[٣] .

(١) ط : « صغاراً » . صوابه فى ش . وانظر ما سيأتى .
(٢) الخزانة ٢ : ٥ — ٦.
(٣) الخزانة ٥ : ٢٦٤ — ٢٦٦.

اسم الفاعل

أنشد فيه :

(لِيُبْكَ يَزِيدُ ضارعٌ لخصومة)

على أن قوله ضارع فاعل لفعل محذوف ، أى يبكيه ضارع .

وهذا على رواية « لِيُبْكَ » بالبناءِ للمفعول ، ويزيد نائب الفاعل .

وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً مشروحاً فى الشاهد الخامس والأربعين من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للستمائة[٢] :

٦٠٠ (فبتُّ والهمُّ تَغْشانِى طَوارِقُـه مِن خَوفِ رِحْلةٍ بينِ الظاعنين غدًا)

على أنَّ (غدًا) يحتمل أن يكون منصوباً بأحد عوامل ثلاثة ، وهى رحلة ، وبين ، والظاعنين ، فلا يتمُّ ما ادَّعاه المبرِّد من جواز عمل اسم الفاعل الماضى[٣] . مع أنَّ الكلام فى اسم الفاعل الذى ينصب مفعولًا به لا ظرفاً.

صاحب الشاهد وأورد أبو على فى (إيضاح الشعر) هذا البيت وقال : فيه حذف ، والتقدير من خوف الارتحال وخوف الفراق. ونسب البيتَ لجرير .

وقوله :(فبتُّ والهمُّ) إلخ . بات هنا تامَّة ، قال ابن الأثير (فى النهاية) : كل من أدركه اللَّيل فقد بات يَبيت ، نامَ أَوْ لم ينم . والواو هى واو

(١) الخزانة ١ : ٣٠٣ — ٣١٣

(٢) ديوان جرير ١٥٨ . والرواية فيه :

باتت هموى تغشاها طوارقها من خوف روعة بين الظاعنين غدا

(٣) الذى فى الرضى ٢ : ١٨٧ : « وجوز المبرد وغيره عمله بمعنى الماضى والحال والاستقبال ، واستدلوا بقوله : فبت والهم تغشانى طوارقه » . والذى قيد عمل اسم الفاعل المحلى بأل بأن يكون ماضياً هو أبو على فى كتاب الشعر ، وكذا الرمانى .

الحال ، والهمُّ مبتدأٌ ، وَجملة تغشانى طوارقه خبرُه ، والجملة فى محل نصب حال[١] من التاءِ فى بتُّ . قال ابن الأَثير : غشِيَه يغشاه غِشْياناً ، إذا جاءه . وغشّاه تغشيَةً ، إذا غطّاه . وغَشِى الشىءَ ، إذا لابَسَه . والطوارق هنا : الدّواهى . قال ابن الأَثير : كلٌّ آتٍ بالليل طارق . وقيل أَصل الطروق من الطَّرْق ، وهو الدقُّ . وسمِّى الآتى بالليل طارقاً لحاجته إلى دقِّ الباب . وجمع الطارقة طوارق . ومنه الحديث : « أَعوذ بالله من طوارق الليل إلّا طارقاً يطرُق بخير » . ومن متعلِّقة بقوله تَغْشانِى برحلة مضاف إلى بين ، وكذلك بين مضاف إلى مابعده ، فهما مجروران بالكسرة . والرِّحلة بالكسر : اسم مصدر بمعنى الارتحال . والبَيْن هنا مصدر بان يبين بَيناً ، أَى فارق وبعُدَ . والظاعنين من ظعَن يظعَن بفتح عينهما ظعناً ، بفتح العين وسكونها ، أَى سار وذهب .

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أَوائل الكتاب[٢]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد بعد الستمائة[٣] :

٦٠١ (فيالَرِزامٍ رشِّحوا بى مقدَّماً على الحرب خوّاضاً إليها الكَرائبا)

على أَنَّ (خوّاضاً) صيغة مبالغة ، حُوِّلَ من اسم الفاعل الثلاثى وهو خائض.

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة): فى هذا البيت شاهدٌ على جواز إعمال اسم الفاعل . أَلا تراه كيف نصب الكرائب بخوّاض[٤] .

---

(١) ش : « فى محل حال » ، فقط .
(٢) الخزانة ١ : ٧٥ — ٧٧ .
(٣) الحماسة بشرح المرزوقى ٧٢ والتبريزى ١ : ٧٣ وإعراب الحماسة الورقة ٢٠ .
(٤) فى إعراب الحماسة : « كيف نصب بخواض الكرائبا » .

صاحب الشاهد

وهو من أبياتٍ تسعةٍ لسعد بن ناشبٍ المازنىّ ، أوردها أبو تمام (فى أوائل الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(سأغسِلُ عنّى العارَ بالسَّيف جالباً ... علىّ قضاءُ الله ماكانَ جالبا
وأذهَلُ عن دارى وأجعَلُ هدمها ... لِعرْضىَ مِن باقى المذَمَّة حاجبا
ويَصغُر فى عينى تلادِى إذا انثنتْ ... يمينى بإدراكِ الذى كنتُ طالبا
فإنْ تَهدِموا بالغدرِ دارى فإنَّها ... تُراثُ كريمٍ لايُبالى العواقب
أخو غَمَراتٍ لا يريد على الذى ... يَهُمُّ به من مُفظِع الأَمر صاحبا[1]
إذا هَمّ لم تُرْدَعْ عزيمةُ همِّه ... ولم يأْتِ مايأْتى من الأَمر هائبا
فيالَرِزامٍ رشِّحوا بى مقدَّماً ... إلى الموت خوَّاضاً إليها الكرائبا[2]
إذا همّ ألقى بين عينيه عزمَه ... ونَكَّبَ عن ذِكر العواقب جانبا
ولم يَستشِرْ فى أَمره غيرَ نفسِه ... ولم يَرض إلَّا قائمَ السَّيفِ صاحبا)

قال شُرَّاح الحماسة :سبب هذه الأَبيات أَنّه كان أَصاب دماً ، فهدم : بِلالُ بنُ أَبى بردة دارَه بالبصرة وحَرَّقها . وقيل : إنَّ الحجَّاج هو الذى هدم دارَه .

وقال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ويقال إنه قُتل له حميم ، وإنَّه أَوعَده بهدم داره إن طالبَ بثأْره .

وقوله : « سأَغسل عنّى العار » إلخ . قال التبريزى : أَصل القَضاءِ الحتمِ ، ثم يتوسَّع فيه فيقال قُضِىَ قضاؤُك ، أَى فُرِغ من أَمرك. فاستُعمل فى معنى الفراغ من الشىء . ويروى: « قضاءُ الله » بالرفع والنصب. فإذا

---

(١) فى الحماسة بشرح التبريزى : « أخى غمرات » . وبشرح المرزوق :
أخى عزمات لا يريد على الذى ... يهم به من مقطع الأمر صاحبا
(٢) فى الحماسة بشرحيها : « خواضاً إليها الكتائبا » .

رفعته يكون فاعلًا لجالباً علىّ ، وما فى موضع المفعول ، ويكون القضاءُ بمعنى الحكم . والتقدير : سأَغسل العارَ عن نفسى باستعمال السَّيف فى
٤٤٥ الأَعداءِ ، فى حال جلبِ حكمِ الله علىّ الشىءَ الذى يَجلبه. وإذا نصب القضاءَ يكون مفعولًا وفاعله ما . ويكون القضاءُ الموتَ المحتوم ، كما يقال للمخلوق خَلْق . والمعنى : جالباً الموتَ علىّ جالبُه . وقيل : إنَّ كان فى قوله « ما كان » فى معنى صار . انتهى .

وقال ابن جنى : أَراد جالبَه ، أَى جالباً إيَّاه ، فحذف الضمير مع اسم الفاعل كما يحذف مع الفعل نفسه . ومثله ماأَراناه أَبو على من قول الله تعالى : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ[١] ﴾ أَى قاضِيه ، فى معنى قاضٍ إيَّاه . وعليه البيت الآخر فيه ، وهو :

* بإدراك الذى كنتُ طالبـا *

أَى إيَّاه ، أَو طالبه أَو طالباً له . وأَن يكون المحذوف ضميراً متَّصلًا أَولى من أَن يكون ضميراً منفصلاً .

وقوله : « وأُذهَل عن دارى» إلخ . الذهول : ترك الشىء متناسيًا له . يقول : إذا نبا المنزل بى حتَّى يصير دارَ الهوان انتقلتُ عنه ، وأَجعل خَرَابهُ وقايةً لنفسى من العار الباقى . وهذا قريبٌ من قوله :

* وإذا نبا بك منزلٌ فتحوَّلِ[٢] *

(١) الآية ٧٢ من سورة طه .

(٢) لعبد قيس بن خفاف البرجمى فى المفضليات ٣٨٥ وحماسة البحترى ١٧٩ . وصدره فى الأولى :

* واترك محل السوء لا تحلل به *

وفى الثانية : * احذر محل السوء لا تحلل به *

وقافيته فى الأولى : « فتجمل » ، وفى الثانية مطابقة لما هنا .

وقوله: « ويصغر فى عينى » إلخ. أراد بقوله يصغر صِغَر القَدْر. وخص التلاد، وهو المال القديم، لأَنَّ النفس به أَضنُّ. ونبّه بهذا الكلام علىَّ أَنَّه كما يخفُّ على قلبه تركُ الدار والوطن خوفاً من التزام العار الباقى، كذلك يقلُّ فى عينه إنفاقُ المال عند إدراك المطلوب. وانثنت: انعطفت ومالت. وهذا البيت أَورده ابن الناظم (فى شرح الأَلفيَّة) شاهداً على جواز حذف العائد المجرور بالإِضافة إن كان المضاف وصفاً بمعنى الحال أَو الاستقبال، فإِنَّ الأَصل كنت طالبه فحذف الضمير.

وقوله: « فإِن تهدِمُوا بالغدر » إلخ. الغدر: ترك الوفاءِ. يقول: إن تُخرِبوا دارى بالغدر منكم فإِنها تراثُ كريم. يعنى نفسَه. وسمَّى مِلكه ميراثاً وهو حىٌّ باعتبار مايئُول إليه. والكرم: التنزُّه عن الأَقذار[1].

وقوله: « أَخو غَمَرات » إلخ، بفتحتين، هى الشدائد. ويروى. « أَخو عَزَمات ». والعزم: عقدُ القلب على مايُرى فعلُه. ومُفظِع، مِن أَفظع الأَمرُ إفظاعاً. وكذلك فَظُعَ فظاعةً، أَى عظُم. أَو من أَفظعنى الأَمر ففظِعت به، أَى أَعيانى فضِقت به ذَرْعاً. يصف نفسَه بأَنَّه صاحب همم وأَخو عزَمات[2]، مستبدٌّ برأيه فيها، غير متَّخذ رفيقاً.

وقوله: (فيالرزام رشِّحوا) إلخ. هو فعل أَمر من الترشيح، وهو التربية. ومنه رشَّحت المرأَةُ ولدَها، إذا درّجته فى اللبن، ثمّ قيل: رشِّح فلان لكذا توسُّعاً. أَى رشِّحوا به بترشيحكم إيّاى رجلًا كذا صفته. وأَقام الصفة مقام الموصوف. قال التبريزى: قوله فيالرزام، النية بالفاءِ استئنافُ ما بعدها وإن نسق بها جملةً على جملة. واللام

(١) ش: « والكريم: المتنزه عن الأقذار ».
(٢) ش: « وأخو عمرات ».

من يالرزام لام الاستغاثة، ورزام مجرورٌ بها ، وهو قبيلة ، وهم المدعُوُّون وأصل حركة اللام مع الظاهر الكسر ، وفتحت مع المستغاث لكونه فى موقع الضمير، ومُقْدِماً بكسر الدال بمعنى متقدِّماً، كما يقال[1] وجَّه وتوجَّه، ونَبَّهَ بمعنى تنبَّه، ونكَّب بمعنى تنكَّب . والكرائب : جمع كريبة وهى الشَّدة من شدائد الدهر . والأَصل فى الكرب الغمُّ الذى يأْخذ بالنَّفْس. ويروى بدله (الكتائبا) جمع كتيبة ، وهى الجيش .

وقوله :« إذا همَّ ألقى » إلخ ، أى جعله بمرأى منه لايغفل عنه . وقد طابق فيه لمَّا قابله بقوله : « ونكَّب عن ذكر العواقب جانبا » . وسمّى المعزوم عليه عزماً . ونكَّب إن كان بمعنى حرّف فجانباً مفعول به له ، وإن كان بمعنى انحرف فجانباً ظرف له .

٤٤٦ قال ابن جنى : لك فى جانباً وجهان : أحدهما أن يكون مفعولًا به أى نكَّب جانباً منه عن ذكر العواقب. والآخر : أن يكون ظرفاً[2]، أى نكَّب عن ذكر العواقب فى جانب . ويؤَكِّد هذا روايةُ من رواه :

* وأعرضَ عن ذكر العواقب *

وقوله :« ولم يستشِر» إلخ ، نبَّه على الرأى به وعلى الفعل بقوله : « ولم يرض » . وقائم السيف : مَقْبِضُه . وانتصب لأَنه مستثنًى مقدَّم .

وقال ابن جنى : إن شئت نصبتَ صاحباً على أَنَّه مفعول به ونصبت قائم السيف على الاستثناء ، أى لم يرض صاحباً إلَّا قائمَ السيف. وإن شئت نصبت قائم السيف نصبَ المفعول به وجعلت صاحباً بدلاً منه ،

---

(١) ط : « كما يقال له » .

(٢) فى شرح ابن جنى : « أن يكون انتصابه على انتصاب الظرف » .

كقولك : لم أضرب إلَّا زيداً قائماً ، أى لم أَضرب أحدًا إلا زيدًا فى حال قيامه . ومن نصب زيداً فى قولك : مارأيت أحداً إلَّا زيداً على البدل لم ينصب قائم السَّيف فى القول الأَوَّل إلَّا على الاستثناءِ المقدَّم دون البدل ، وذلك لتقدُّمه على صاحبه ، والبدل لايجوز تقدمه على المبدل منه . انتهى .

وزاد ابن هشام (فى شرح الشواهد) بيتين بعد هذه الأَبيات وهما :

(فلا توعِدنِّى بالأَمير فإِنَّ لى ... جَناناً لأَكناف المخاوِف راكبا
وقلباً أَبيًّا لا يُروَّع جأْشُــه ... إذا الشرُّ أَبدى بالنَّهار كواكبا)

وسعد بن ناشب شاعرٌ إسلامىٌّ فى الدولة المروانية . قال شراح الحماسة : هو من بنى مالك[1] بن عمرو بن تميم . سعد بن ناشب

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) : هو من العنبر ، وكان أَبوه ناشبٌ[2] أعورَ ، وكان من شياطين العرب ، وله يومُ الوقيط[3] وكان فى الإِسلام بين تميم وبكر. وكان سعدٌ من مَرَدة العرب ، وفيه يقول الشاعر[4] :

وكيفَ يُفيقُ الدهرَ سعدُ بنُ ناشبٍ ... وشيطانُه عند الأَهِلَّة يُصَرعُ[5]

وسَعد بفتح السين وسكون العين ، وناشب بكسر الشين المعجمة .

* * *

(١) فى النسختين : « بنى مالك بن مالك » تحريف . وانظر شرح التبريزى والجمهرة ٢١١ .
(٢) ط : « ناشبا » ، صوابه فى ش .
(٣) انظر له العقد ٥ : ١٨٢ — ١٨٥ .
(٤) هو دعلج بن الحكم ، كما فى الحيوان ٦ : ٢٤٣ والشعراء ٦٧٧ .
(٥) انظر للصرع عند الأهلة ماورد فى الحيوان ٥ : ٤٧٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد السمّائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٦٠٢ (ضَرُوبٌ بنَصْلِ السَّيفِ سُوقَ سِمانِها
إذا عَدِموا زاداً فإنَّك عاقرُ)

على أنَّ (ضروباً) صيغة مبالغة اسمِ الفاعل ، محوَّل عن ضارب ، ولهذا عمل عمله . و(سوق) نصب به على المفعولية .

ولهذا أورده سيبويه .

صاحب الشاهد — والبيت من أبياتٍ لأبى طالبٍ عمّ النبي صلى الله عليه وسلم ، رثى بها أبا أُميّة بنَ المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم[٢] ، وكان أَبو أُمية زوج أُخته عاتكةَ بنتِ عبد المطلب ، فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له سَرْو سُحيم ، فقال أبو طالب هذه الأَبياتَ يرثيه :

أبيات الشاهد

(أَلا إنَّ زادَ الركب غيرَ مُدافَعٍ ... بسَرْوِ سُحيم غيَّبته المقابرُ[٣]
بَسرْو سُحيم عارفٌ ومُناكِرٌ ... وفارسُ غارات خطيبٌ وياسرُ
تنادَوْا بأَنْ لا سيِّدُ الحىِّ فيهم ... وقد فُجع الحيّانِ كعبٌ وعامرُ
فكان إذا يأْتى من الشام قافلا ... بمَقْدَمِه تسعى إلينا البشائرُ

(١) فى كتابه ١ : ٥٧ . وانظر المقتضب ٢ : ١٤ والجمل ١٠٤ وابن الشجرى ٢ : ١٠٦ وابن يعيش ٢ : ٦٩ ، ٧٠ والخزانة ٢ : ١٧٥ ، وشذور الذهب ٣٩٣ والعينى ٣ : ٣٥٩ والتصريح ٢ : ٦٨ ، والهمع ٢ : ٩٧ ، والأشمونى ٢ : ٢٩٧ وديوان أبى طالب مخطوطة الشنقيطى ١١ . والملحوظ أنه تكرار عددى للشاهد ٢٩٢ فيما سبق فى ٤ : ٢٤٢ مع التزام البغدادى بعدم تكرار العدد إذا تكرر الاستشهاد .

(٢) ش : « ابن عمرو بن مخزوم » ، صوابه فى ط . وانظر جمهرة ابن حزم ١٤٤ — ١٤٥ وديوان أبى طالب .

(٣) السرو من الجبل : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل . وسحيم ، سيفسره البغدادى . وفى الديوان : « بوادى أشى » . وأشى : موضع بالوشم ، والوشم : واد باليمامة . والأبيات الثلاثة بعد هذا البيت لم ترد فى الديوان .

فيُصبح أَهلُ الله بِيضاً كأَنَّما كسَتْهم حَبِيرًا رَيدةٌ ومَعافرُ
٤٤٧ ترى دارَه لا يبرح الدَّهْرَ عندها مجعجعةٌ كومٌ سِمانٌ وباقرُ
إذا أُكلت يوماً أَتى الدَّهرَ مثلُها زواهقُ زُهْمٌ أَو مَخاضٌ بهازرُ(١)

ضروبٌ بنصل السيف سُوقَ سِمانها . . . . البيت

وإلَّا يكنْ لحمٌ غريض فإنَّه تُكبُّ على أَفواههنَّ الغرائرُ
فيالكَ من ناع حُبِيتَ بأَلَّة شِراعيَّة تصفَرُّ منها الاظافرُ)

قوله: « أَلا إنَّ زاد الركب » قَال ابن بكَّار (فى أَنساب قريش):
كانَ أَزواد الرَّكب من قريش ثلاثةً :
الأَول : مسافر بن أَبى عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس .
الثانى : زَمَعة بن الأَسود بن المطَّلب بن أَسد بن عبد العُزَّى .
الثالث : أَبو أُميَّة بنُ المغيرة بن عبد الله بنِ عمر(٢) بن مخزوم .
وإنَّما قيل لهم أَزواد الركب أَنَّهم كانوا إذا سافروا لم يتزوَّد معهم أَحدٌ . ولم يسمَّ بذلك غير هؤلاءِ الثلاثة . وكان عند أَبى أُمية بن المغيرة أَربعُ عواتك : عاتكة بنت عبد المطلب ، وهى أُم زهير وعبد الله ، وهو الذى قال للنبىِّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفجُرَ لنا مِنَ الأَرْضِ يَنبوعاً(٣) ﴾ . وعاتكة بنت جذل الطِّعان ، وهى أُمّ أُمِّ سلمة والمهاجرِ . وعاتكة بنت عتبة بن ربيعة . وعاتكة بنت قيس ، من بنى نهشل بن دارم التميميَّة . انتهى .

(١) هذا البيت وكذا آخر الأبيات لم يردا فى الديوان .
(٢) ش : « عمرو » . وانظر ماسبق من تحقيق . ولأزواد الركب أيضاً الأغانى ٨ : ٤٦ .
(٣) الآية ٩٠ من سورة الإسراء .

وقوله: « غيرَ مُدافَعٍ » بالنصب . وجملة « غيبته المقابر » خبر إنَّ . والباءُ من قوله بِسَرْو سحيم متعلِّق به . وسُحَيم بضم السين وفتح الحاءِ المهملتين : موضعٌ فى طريق الشَّام من مكة . وسَرْو على لفظ الشَّجر بمعنى أعلى . فسَرْوُ سحيم : أعلاه . وقوله :« بسرو سحيم » تأكيد للأوَّل . وقوله عارفٌ خبر مبتدأٍ محذوف ، أى هو ذو معرفة بالأُمور . ومُناكر اسم فاعل ، من ناكرهُ بمعنى قاتله .

والياسِر : اللاعب بالميسر ، وهو قِمار العرب بالأَزلام ، وهو ممَّا يُفتخَر به عندهم ، كانوا يقامرون بها فى أيَّام الغلاءِ والقحط ، ويفرِّق الغالب لحمَ الجزور على الفقراءِ .

وقوله : « تَنادَوْا » أى تَنادَى جماعة الركب . وأَنْ مخففة من الثقيلة ، وجملة لا سيِّد الحيِّ فيهم من المبتدإ والخبر خبر أنِ المخفَّفة . وفُجِع بمعنى أُصيب بالرزية . والقافل : الرَّاجع من السَّفر .

وعنَى بأَهل الله قريشاً . وكانت العرب تسمِّيهم أهلَ الله لكونهم أربابَ مكة . والحَبير ، بفتح الحاءِ المهملة وكسر الموحدة : ثيابٌ ناعمة كانت تصنع باليمن . ورَيْدة بفتح الراءِ المهملة وسكون المثناة التحتية : بلدةٌ من بلاد اليمن ، وأراد أهل ريدة . ومَعافر بفتح الميم بعدها عين مهملة وكسر الفاءِ : قبيلةٌ من قبائل اليمن .

ومجعجِعة : اسم فاعل من جعجعت الإبلُ ، إذا صوَّتت ، وإنَّما تصوِّت لذبح أولادها ، وكان فى الأَصل صفة لكوم ، وقَدْ قدِّمَ عليه (١) صار

(١) ط : « لما قد قدم عليه » .

حالاً منه . والكُوم : جمع كَوماء ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . والباقر : اسمُ جمع بمعنى البقر .

وقوله : « إذا أُكِلت » أى إذا أكلها الأَضياف يريد أنَّه يُدنِى[1] من موضعه الذى ينزله قطعةً من الإبل للنحر والقِرى ، فكلَّما فنيت قطعةٌ أَحضَرَ قطعة أُخرى . والزواهق : جمع زاهقة ، وهى السمينة المفرطة السِّمَن . والزُّهم[2] : جمع زَهِمة بفتح فكسر ، وهى الكثيرة الشحم . والمَخَاض : الحوامل من الإبل ، واحدها خَلِفَة من غير لفظها . والبهازر : جمع بَهْزَرة ، بتقديم المعجمة ، على وزنَ حيدرة ، وهى الناقة الجسيمة . ٤٤٨

وقوله : « ضروبٌ بنصل السيف » أى هو ضروبٌ . ونصل السيف : شَفرته ، فلذلك أضافه إلى السيف . وقد يسمَّى السَّيفُ كلُّه نصلا . مدحه بأَنَّه كان يُعرقب الإبل للضِّيفان عند عدم الأَزواد . وكانوا إذا أَرادوا نحر الناقة ضربُوا ساقها بالسَّيف فخرَّت ، ثم نحروها ، وقوله : « إذا عَدِموا زادًا » إلخ ، الجملة الشرطية التفاتٌ إلى الخطاب من الغيبة . والسُّوق : جمع ساق .

وقوله : « وإلاَّ يكنْ لحم غريض » ، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء وآخره ضاد معجمة ، هو الطرىُّ من اللَّحم . وتُكَبّ : تُصبُّ . والغرائر : الأَعدال ، جمع غِرارة بالكسر ، وهى وعاءٌ يجعل فيه الدَّقيق وغير ذلك . وقوله : « فيالك من ناع » مجرور مِنْ تمييزٌ للكاف . والناعى : المخبر بموت إنسانٍ . دعا عليه ، لكونه أَخبر بموت المرثىّ . وحُبِيت : خُصصت . والأَلَّة بفتح الهمزة وتشديد اللام : الحَرْبة . والشِّراعية ، بكسر الشين

(١) ط : « أنه يرى » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « والزهماء » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

المعجمة : الطويلةُ ، وقيل التى قد أُشرِعت للطَّعن أَى مُدَّت نحوه . وصفرة الأَظفار كنايةٌ عن الموت ، فإنَّ الميّت تصفرُّ أَظافره .

وتَرجمة أَبِى طالب تقدَّمت فى الشاهد الواحد والتسعين [1] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه :

٦٠٣ (شُمٌّ مَهَاوِينَ أَبدانَ الجَزُورِ مَخا

مِيصِ العَشيَّاتِ لا خُورٍ ولا قَزَمِ)

على أَن (مهاوين) جمع مِهوان من أَهان ، وبناءُ مفعال من أَفعل قليلٌ نادر ، والكثير من فعَلَ .

وقد أَورده الزمخشرى (فى المفصل) على أَنَّ ما جمع من اسم الفاعل يعمل عمل المفرد .

والأَوصاف جميعها مجرورةٌ فى البيت ، لأَنَّ قبله :

(يأْوى إلى مجلسٍ بادٍ مكارمُهم لا مُطِمعى ظالمٍ فيهم ولا ظُلُمِ)

والبيت إنَّما وردَ (فى كِتَاب سيبويه والمفصل وغيرهما) على إعمال مفعال عمل فِعْلِه ، وليس فيهما ما يدلُّ على أَنَّ الأَوصاف مرفوعة أَو مجرورة .

ولا وجه لقول ابن خلف : البيت فى الكتاب رويُّه مرفوع ، وهو مخفوضٌ كما يدلُّ عليه ما قبله . وكذا قول ابن المستوفى : قد أَنشده سيبويه فى كتابه كما أَنشده الزمخشريُّ بالرفع ، وهو مجرور . انتهى .

(١) الخزانة ٢ : ٧٥ – ٧٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٥٩ . وانظر ابن يعيش ٦ : ٧٤ ، ٧٦ والعينى ٣ : ٥٦٩ والهمع ٢ : ٩٧ .

ولم يقف ابن الحاجب (فى أماليه على المفصل) على البيت الأوّل فظنَّه مرفوعاً وقال : شم خبر مبتدإ محذوف وما بعده أخبارٌ وأوصاف . وكذلك قال العينى .

وقوله : « يأوى إلى مجلس » إلخ فاعل يأوى ضمير مستتر . يقال أوى إلى منزله يأوى ، من باب ضرب ، أُوِيًا على وزن فُعول ، إذا أقام فيه . والمجلس : موضع الجلوس ، وقد أطلق هنا على أهلِهِ ، تسميةً للحالِّ باسم المحلّ ، يقال انفضَّ المجلس ، بدليل الأوصاف الآتية ، ولهذا عاد الضمير إليه من « مكارمهم » بجمع العقلاء ، كما يطلق المقامة بالفتح على محلِّ القيام ، وعلى الجماعة من الناس . وبادٍ : اسم فاعل من بدا يبدُو بدوًّا ، إذا ظهر . والمكارم : جمع مَكرُمة بفتح الميم وضمِّ الراء ، قال صاحب المصباح : المكرمة ، بضم الراء : اسمٌ من الكرم ؛ وفعلُ الخير مكرُمة ، أى سببٌ للكرم أو التكريم . وباد صفة سببيّة لمجلس . وقوله : « لا مطمعى ظالم » صفة ثانية لمجلس ، وأصله مطمِعين ، حذفت نونه للإضافة . وقوله : « ولا ظُلُم » بضمتين : جمع ظَلوم صفة ثالثة لمجلس . يريد إنَّ الناس قد عرفوا أنَّه من ظلمهم انتصفوا منه ، فليس أحدٌ يطمع فى ظلمهم ، ولا هم يَظلمون أحداً . ٤٤٩

وقوله : « شمٍّ » صفة رابعة لمجلس ، وهو جمع أَشم ، وصفٌ من الشَّمم ، وهو ارتفاعٌ فى قصَبة الأنف مع استواءِ أعلاه[1] ، فإن كان فيها احْديدابٌ فهو القَنَى ، يقال أقنى الأنف . جعل الشمم كنايةً عن العزَّة والأَنفَة . يقال للعزيز شامخ الأَنف ، وللذليل خاشع الأَنف . وقال ابن الحاجب : وصفَهم بالارتفاع إمَّا فى النسب والكرم ، أو القدْر ، أو العزَّة[2] ، وهو

(١) ش : « من استواء أعلاه » ، صوابه فى ط .

(٢) ط : « أو عزة » ، صوابه فى ش.

مأْخوذ من الشَّم المذكور . وهذا كلامه ، ولا حاجة إليه . وقوله :« مهاوين» صفة خامسة لمجلس ، وهو مجرور بالفتحة لأَنَّه على صيغة منتهى الجموع ، وهو جمع مِهوان ، وهو مبالغة مُهِين ، من أَهانه أَى أَذلَّه .

قال الأَعلم : الشاهد فيه نصب أَبدان الجزور بقوله مهاوين ، لأَنَّه جمع مِهوان ، ومهوان تكثيرُ مهين ، كما كان منحار ومضراب تكثير ناحر وضارب ، فعمل الجمْعِ على واحدِه. يريد أَنَّهم يُهينون للأَضياف والمساكين أَبدانَ الجزور ، وهو جمع بَدَنة ، وهى الناقة المتَّخَذة للنحر المسمَّنة . وكذلك الجزور .

هذا كلامه ، وتبعه ابن يعيش وقال : الأَبدان : جمع بدَنة وهى الناقة المتَّخذة للنحر . يريد أَنَّهم يسمِّنون الإبل فينحرونها للأَضياف . وعليه يقتضى أَن يكون من إضافة أَحد المترادفين إلى الآخر ، مع أَنَّه لم يُسمَع جمعَ بَدَنة على أَبدان ، وإنَّما ورد جمعُها على بَدَنات وبُدُن بضمتين وإسكانِ الدال تخفيفاً . والصواب أَنَّه جمعَ بَدَن ، وهو من الجسَد ما سِوى الرأْس واليدين والرِّجلين . وإنَّما آثر ذكره على غيره لإفادة زيادة وصفهم بالكرم ، فإنَّهم إذا فرَّقوا أَفضلَ لحم الجزور فتفريق ما سواه يكون بالطريق الأَولَى ، والإضافة حينئذٍ من إضافة البعض إلى الكلّ . والبدنة : ناقة أَوبقرةٌ ،زاد الأَزهرى: أَو بعير . قالوا : ولا تقع على الشَّاة .

و (الجزور) ، بفتح الجيم من الإبل خاصَّة ، يَقع[1] على الذكر والأُنثى ، والجمع جُزُر بضمتين ، وتجمع أَيضاً على جُزُرات[2]، ثم على جزائر . ولفظ الجزور أُنثى ، فيقال رعَت الجزور . قاله ابن الأَنبارى .

---

(١) ط : « تقع » بالتاء ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى اللسان (جزر ٢٠٤) أن جزرات جمع الجمع ، كطرق وطرقات .

وزاد الصّغانى : وقيل الجزور الناقة التى تنحر ، وجزرت الجزور وغيرها من باب قتل ، إذا نحرتها . كذا فى المصباح .

واللام فى الجزور لاستغراق الأفراد . وقال ابن خلف : أراد أن يقول الجُزر فاكتفى بالواحد عن الجمع . وروى : « مهاوين أبداء الجزور »، وهو جمع بَدْء[١] بفتح الموحدة وسكون الدال بعدها همزة، قيل هو بمعنى النصيب ، وقيل بمعنى المَفْصِل. وقال الأعلم: أبداءُ الجزور أفضل أعضائها، واحدها بدء[٢]، ومنه السِّيد بدءٌ لفضله . وقوله: « مَخَاميص العشيَّات » صفة سادسة لمجلس ، وهو مجرور بالكسرة لأنَّه مضاف ، وهو جمع مخماص مبالغة خميص ، من خَمُصَ الشخصُ خُمْصاً فهو خميص ، إذا جاع، مثل قرُب قرباً فهو قريب . والمخمصة : الجماعة .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : هو جمع مخموص ، من خمصه الجوع خمصاً ، أى جعله ضامرَ البطن .

والعشيَّات : جمع عشىّ ، والعشىّ والعِشاءُ بالكسر: من صلاة المغرب إلى العتَمة . والعشىُّ قِيل بمعنى العشيّة ، وقيل جمعها . ومخاميص العشيَّات ، كقولهم : نهاره صائم . وقال ابن الحاجب : هذه الإضافة اتِّساع ، والأصل : فى العشيات .

قال الأعلم : يريد ، أنهم يُؤخِّرون العَشَاء لأجل ضيفٍ يطرق، فبطونهم خميصة فى عشيَّاتهم لتأخُّر الطعام عنهم.

(١) الكلام بعده إلى « بدء » التالية ساقط من ش .

(٢) هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه قريباً .

٤٥٠ وليس المعنى على قول ابن خلف : المخاميص : الذين ليسوا بعظام البطون. يعنى أنَّهم لا يأْكلون حتّى تعظُم بطونُهم ، وإنَّما يكتفون بأَخذ ما يحتاجون إليه من الطعام ، ليس فيهم نَهِمٌ .

هذا كلامه ، وفيه أنَّه يبقى العشيَّاتُ لغوًا .

وقوله : « لاخورٍ » بالجر صفة سابعة لمجلس ، والخور : الضُّعفاءُ عند الشِّدَّة . قال صاحب الصحاح : الخَوَر بفتحتين : الضَّعف ، رجلٌ خوَّار ورُمح خوّار ، وأَرض خوَّارة ، والجمع خُور بتخفيف الواو . وقال العينى : هو جمع أَخْوَر ، وهو الضَّعيف . وقوله هو القياس .

وقوله : « ولا قَزَمِ » بالجرصفة ثامنة لمجلس ، وهو بفتح القاف والزاى . قال صاحب الصحاح : القَزَم بالتحريك : الدناءَة والقَماءَة . والقَزَم : رُذال الناس وسَفِلتهم ، يقال رجل قَزَم ، والذكر والأُنثى والواحد والجمع فيه سواءٌ ، لأَنَّه فى الأَصل مصدر .

صاحب الشاهد والشعر نسبه سيبويه إلى الكميت بن زيد الأَسدى ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس عشر[١] .

وقال ابن المستوفى كابن خلف : رواه سيبويه للكميت . ولم أره فى ديوانه .

وأنشده ابن السيرافى لتميم بن مقبل[٢] ، ولم أره فيما كتبه ، من شعره . والله أعلم .

---

(١) الخزانة ١ : ١٤٣ – ١٤٧ .

(٢) ط : « ابن أبى مقبل » ، صوابه « ابن أبى بن مقبل » . وأثبت ما فى ش. يقال تميم بن مقبل ، وتميم بن أبى بن مقبل . نسبة إلى جده أو إلى أبيه ثم جده . وأُبى ، بهيئة التصغير .

وترجمة تميم بن مُقبل تقدَّمت أيضاً فى الشاهد الثانى والثلاثين[١]. وكلاهما شاعر إسلامى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

٦٠٤ (حَتَّى شَآها كَليلٌ مَوْهِناً عَمِلٌ
باتت طِراباً وباتَ اللَّيلَ لم يَنَم ِ)

على أنَّ سيبويه قال : إذا حُوِّل فاعل إلى فعيل أو فَعِل عمِل أيضاً . وأنشد هذا البيت ، فإنَّ كايلا قد عمل فى قوله مَوهنا . ورُدَّ بأَنَّ موهناً ظرف لشآها ، ولو كان لكليل أيضاً فلا استدلال فيه ، لأنَّه ظرف يكفيه رائحةُ الفعل . واعتُذِر لسيبويه بأَنَّ كليلا بمعنى مُكِلّ فموهناً مفعوله على المجاز ، كما يقال أتعبتَ يومَك ، ففعيل مبالغة مُفعِل لا فاعل . وفيه أنَّه قليل نادر ولا يصحُّ الاستدلال بالمحتمل مع أنَّ هذا الاعتذار بعيد . هذا كلامه .

قال التبريزى (فى شرح الكافية) : أنشد سيبويه هذا البيت على إعمال فعيل ، فإنَّ كليلا بمعنى مُكِلّ، وموهناً منصوب على أنَّه مفعول به ، أى يُكِلُّ أوقاتَ الليل من كثرة العمل. وطعنوا فى هذا البيت من جهة استشهاده . وقيل كليل بمعنى كالّ ، من كلّ يكِلّ فإنَّه لازم ، وموهناً منصوب على الظرف . وهذا التأويل ليس بقوىٍّ ، لأَنَّ صدر البيت

---

(١) الخزانة ١ : ٢٣١ – ٢٣٣.

(٢) فى كتابه ١ : ٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ١١٥ والمنصف ٣ : ٧٦ وابن يعيش ٦ : ٧٢ والمقرب ٢٤ والمغنى ٣٤٥ ويس على التصريح ٢ : ٦٨ والهذليين ١ : ١٩٨ وشرح السكرى ١١٢٩ .

وعجزه ينافيه، فإنَّه قال: « وباتَ الليل لم ينم » فلا يمكن أن يوصف بأنَّه قال فى بعض أوقات الليل، وقال عَمِل وهو يدلُّ على كثرة العمل.

وقال ابن مالك: إنَّما أنشد سيبويه هذا البيت ليُعلم جوازُ العدول من فاعل إلى فعيل، لأَنَّ أصله كالّ. ولم يتعرَّض للإعمال.

وهذا أيضاً ضعيفٌ، بما نقل السيرافى أنَّه قال سيبويه: كليل فى معنى مُكِلّ، مثل أليم، وداءٌ وجيع، بمعنى مؤلم وموجع. انتهى.

وقال ابن هشام (فى المغنى): رُدَّ على سيبويه فى استدلاله على إعمال فعيل بهذا البيت. وذلك أنَّ موهناً ظرف زمان، والظرف يعمل فيه روائح الفعل، بخلاف المفعول به. ويوضِّح كونَ الموهن ليس مفعولاً به أنَّ كليلا من كلّ، وفعله لا يتعدَّى. واعتُذِر عن سيبويه بأن كليلا بمعنى مُكِلّ، وكأنَّ البرقَ يُكِلّ الوقْتَ بدوامه فيه، كما يقال
٤٥١ أتعبتَ يومك. أو بأنَّه إنَّما استشهد به على أنّ فاعلا يُعدَل عنه إلى فعيل للمبالغة، ولم يَستدِلَّ به على الإعمال. وهذا أقرب؛ فإنَّ فى الأوَّل حملَ الكلام على المجاز مع إمكان حمله على الحقيقة. اهـ.

ونحن ننقل لك كلام سيبويه هنا ليظهر لك حقيقةُ الحال، قال (فى باب ما جرى فى الاستفهام من أسماء الفاعلين، من أوائل الكتاب): وأجروا اسمَ الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا فى الأمر مُجراه، إذا كان على بناءِ فاعل، لأنَّه لا يريد به ما أُريدَ بفاعل من إيقاع الفعل، إلاَّ أنَّه يريد[1] أن يحدِّث عن المبالغة. فممَّا هو الأصل الذى عليه أكثر هذا المعنى: فعول، وفعّال، ومِفعال، وفعِل. وقد جاء فعيل كرحيم وقدير، وسميع وبصير، يجوز فيهن ما جاز فى فاعل من التَّقديم والتأْخير،

(١) فى سيبويه: « لأنه يريد ».

والإضمار والإظهار . لو قلت : هذا ضَروبُ رءُوسِ الرجال وسُوقَ الإبل ، على : ضروبٌ(١) سوق الإبل جاز ، كما تقول : ضاربُ زيدٍ وعمراً(٢) نُضمِر : وضاربٌ عمراً . ومما جاءَ مقدَّماً ومؤخَّراً على نحو ما جاءَ فى فاعل قولُ ذى الرمة :

هجُومٌ عليها نفسَه غير أنَّه متى يُرمَ فى عينيه بالشَّبْحِ ينهضِ

وقال القُلاخ :

* أخا الحرب لبّاساً إليها جِلالها(٣) *

وقال أبو طالب :

* ضروبٌ بنصل السَّيف سُوقَ سمانِها *

وقد جاءَ فى فَعِلٍ وليس فى كثرة ذلك ، قال :

* أو مِسحلٌ شنج عِضادَةَ سَمحجٍ(٤) *

وممَّا جاءَ فى فَعِلٍ قوله :

* حَذِرٌ أُموراً لا تُخافَ وآمنٌ(٥) *

ومن هذا الباب قول رؤبة :

* برأس دمّاغ رُءُوسَ العِزّ *

(١) سيبويه : « على : وضروب » .
(٢) ط : « ضارب زيد عمراً » ، صوابه فى سيبويه وش أيضاً مع أثر تصحيح .
(٣) عجزه فى سيبويه :

* وليس بولاج الخوالف أعقلا *

(٤) لعمرو بن أحمر ، كما فى سيبويه ، أو هو للبيد فى ديوانه ١٢٥ . وعجزه :

* بسراته ندب لها وكلوم *

(٥) عجزه فى سيبويه :

* ماليس منجيه من الأقدار *

ومنه قول ساعدة :

حتى شآها كَلِيلٌ موهناً عمل . . . البيت

وقال الكميت :

شمٌ مهاوينَ أبدانَ الجزور . . . البيت

ومنه : قدير وعليم ورحيم ، لأنَّه يريد المبالغة وليس بمنزلة قولك حسنٌ وجهَ الأَخ ، لأَنَّ هذا لا يقلب ولا يضمر[1] ، وإنَّما حدُّه أَن يتكلَّم به فى الأَلف واللام[2] ولا تعنى أَنَّك أَوقعت فعلاً سلف منك إلى أَحد . ولا يحسن أَن تفصل بينهما فتقول : هو كريمٌ فيها حسبَ الأَب .

هذا نصُّه بحروفه ، مع حذف بعض أَمثلة .

قال الأَعلم : الشاهد فى نصب الموهن بكليل ، لأَنَّه مغيَّر عن بنائه للتكثير . وقد رُدَّ هذا التأْويل على سيبويه لما قدَّمنا : أَن فعيلا وفعلا بناءانِ لما لا يتعدَّى فى الأَصل . وجَعل الرادُّ نصبَ موهن على الظرف ، والمعنى عنده أَنَّ البرق ضعيفُ الهبوب كليلٌ فى نفسه . وهذا الردُّ غير صحيح ، إذْ لو كان كليلاً كما قال لم يقل عَمِلٌ وهو الكثير العمل ، ولا وصَفَه بقوله: وبات الليل لم ينم . والمعنى على مذهب سيبويه أَنَّه وصَف حمارًا وأُتُناً نظرتْ إلى برق مُستمطَر دالٍّ على الغيثُ يُكِلُّ الموهن بدُءُوبهِ وتَوالِى لمعانه ، كما يقال أَتعبتَ ليلكَ ، أَى سرتَ فيه سيراً حثيثاً مُتْعِباً متوالياً . والموهن : وقتٌ من الليل . فشآها البرق أَى ساقها وأَزعجها إلى مهبِّه ، فباتت طَرِبَةً إليه ، منتقلة نحوه . وفعيل فى معنى

(١) انظر ما كتبت على هذا من تعليق فى نسختى من سيبويه ١ : ١١٥ .

(٢) بعده فى سيبويه : « أو نكرة » .

مُفعِل موجودٌ كثير . يقال بصير فى معنى مبصر ، وعذاب أليم بمعنى مؤلم ، وسميع بمعنى مسمع . وكذلك كليل فى معنى مُكِلّ . وإذا كان بمعناه عمل عمله ، لأَنَّه مغيَّر منه للتكثير كما تقدَّم . ا هـ .

وقال ابن خلف أيضاً[١] : الشاهد نصب موهناً بكليل نصبَ المفعول به ، لأَنَّه بمعنى مُكِلٍّ فيعمل عمله .

٥٢ وقال المبرد : مَوهناً ظرف وليس بمفعول . ولا حجَّة له فيه . وجعل كليلاً من كلّ يكل ، وكلّ لا يتعدَّى إلى مفعول به فكيف يتعدَّى كليل .

قال أبو جعفر : لايجوز عند الجرمىّ والمازنى والمبرد أن يُعملوا فعيلا. قال : وما عَلمْتُ[٢] إلَّا أنَّ النحويِّين مجمعون على ذلك . ولا يجيزون هو رحيمٌ زيداً ، ولا عليمٌ الفقه . والعلَّة فيه أنَّ فعيلا فى الأَصل من فَعُل فهو فعيل ، وهذا لا ينصِب بإجماعهم ، وهو معهم على ذلك . وفعيل هذا بمنزلة ذاك ، لأَنه إنما يُخبَر به عمَّا فى الهيئة ، فهو ملحق به لا يعمل كما لا يعمل . وفَعِل عند المبرِّد بمنزلته . واحتجَّ بقولهم رجل طَبٌّ وطبيب .

قال أبو إسحاق (فى الحجَّة) ، فى إعمال فعيل[٣] : إنَّ الأَصل كان أن لا يعمل إلَّا ما جرى على الفعل ؛ فلما أَعربوا ضروباً لأَنه بمعنى ضارب وجب أن يكون فعيل مثله . قال : ومنه قدير . وسيبويه أورد هذا على أَنَّه للمبالغة فى كالّ ، وكالّ يتعــدَّى إلى مفعول على تقديره . وكأَنَّ الذى عند سيبويه أَنَّ كلَّلت يتعدَّى ، ويكون معناه أَنَّ

(١) نص ابن خلف هذا مسهب سينتهى فى آخر صفحة ١٦٠ .

(٢) ط : «عملت» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) فى النسختين «ليس فى إعمال فعيل» ، وكلمة «ليس» مقحمة .

كلَّل الموهن، أى جعل يبرق فيه برقاً ضعيفاً . وزعم أَنَّ كليلا بمعنى مُكِلّ .

وليس هذا من مذهب سيبويه فى شىء ، لأَنَّ سيبويه غرضُه ذكر فعيل الذى هو مبالغة فاعل ، وماعرَض لفعِلٍ الذى بمعنى مُفعِل .

وقد روى أَبو الحسَن اللِّحيانىُّ (فى نوادره) أَنَّ بعض العرب يقول فى صفة الله عز وجل: هو سميعٌ قولَك وقولَ غيرك، بتنوين سميع ونصب قولك. وهذا يشهد لصحَّة مذهب سيبويه . وقال أَبو نصر هارون ابن موسى : زعم الرادّ على سيبويه أَنَّ موهناً ظرف . وهو على ما ذكرنا من فساد المعنى . والكليل ههنا : البرق . والموهن : وقتٌ من الليل ، ولو كان ظرفاً لوصف البرق بالضَّعف فى لمعانه ، وإذا كان بهذه الصفة فكيف يسوقُها وهو لايدلُّ على المطر ؟ ولكنَّ البرق إذا تكرر فى لمعانه واشتدَّ ودام دلَّ على المطر ، وشاق[1] ، وأَتعب الموهن فى ظلمته، لأَنَّه كلمَّا هبَّ ذهبت الظلمة ثم يرجع إذا فَتَر البرق ، ثم يذهب إذا لمع . فلذلك عدْى الشاعر الكليل إلى الموهن .

وقوله: (شآها) أى شأَى الإبل، أى ساقها . قال الأَخفش : تبعها . يقال شاءَنى الأَمر وشآنى، أَى ساقنى . ويقال أَيضاً شآنى: حزننى. و(كليل) أى برق ضعيف . وإنَّما ضعَّفه لأَنه ظهر من بعيد. و(الموهن) بفتح الميم وكسر الهاء : قِطعة من الليل . و (العَمِل) : الدائب المجتهد فى أَمره الذى لايفتُر . و (باتت طراباً) يعنى البقر الوحشيّةَ طراباً إلى السير إلى الموضع الذى فيه البرقُ، وبات البرق الليل أَجمعَ لايفتُر. فعبَّر عن البرق بأَنه لم ينم لاتِّصاله من أَول الليل إلى آخره . انتهى ماأَورده ابن خلف .

---

(١) ط : « وساق » بالسين المهملة ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقال النحاس : شآها يعنى الإبل . وكليل : برق خفى . طراباً : طربت للبرق وشاقَها[١] . وبات البرق لم ينم لشـدَّة دوامه . قال ابن حبيب : طراباً من الطرب تَحنُّ إلى أولادها . قال الجمحى : تنزع إلى أوطانها .

والصحيح أنَّه عنى بها البقر لا الإبل ، خلافاً للشارح المحقق وغيره . قال السكرى (فى شرح أشعار الهذليين) : حتى شآها يعنى شأى البقر ، يقال شُؤْته ، فكان ينبغى أن يقول شاءها ، فقلب فقدَّم الهمزة . ومعنى شؤته شُقْته[٢] وهيَّجته وسررته . يقول : حتى شاءَ البقرَ كليلٌ ، وهو البرق الضعيف ، موهناً : بعد هَدء من الليل . عمِلٌ ، أى ذو عمل ، لايفتر البرق . وباتت طراباً ، يعنى البقر . وبات الليلَ ، يعنى البرق . وعَمِل : دائب ، يقال للرجل إذا دأب : قد عَمل يعمل . انتهى. ٤٥٣

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة لساعدة بن جُؤَيَّة ، رثى بها من أُصيب يوم مَعْيَط[٣] ، وهو أَرض ، منهم سُراقة بن جُعشم من بنى مُدلج ، كان يرسل إليهم الأَخبار . وهذا مطلعها :

(ياليتَ شِعرى ولا مَنْجَى من الهَرَمِ   أم هلْ على العيش بعدَ الشَّيبِ من نَدَمِ)

قال السكرىّ[٤] : ويروى :

---

(١) ط : « وساقها » بالسين ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : « سبقته » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وفى شرح السكرى ١١٢٩ : « شآها : شاقها فاشتاقت » . وفى اللسان تعليقاً على هذا البيت : « شآها ، أى شاقها وطربها بوزن شعاها » .

(٣) بفتح الميم وسكون العين وفتح الياء ، كما فى ش ومعجم البلدان .

(٤) لم أعثر على هذا النص فى شرح السكرى .

* ياللرِّجال ألا مَنْجَى من الهرم *

يقول : هل يندم أَحدٌ عَلَى أَن لا يعيش بعد أَن يشيب . وقوله « على العيش » ، أَى على فوت العيش . ومثله : «المال يُزرِى بأَقوام[(١)]» يريد فقد المال ا هـ .

وهذا البيت أَورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ زيادة أَمْ فيه ظاهرةٌ . إلى أَن قال :

(تالله يبقى على الأَيّام ذُو حِيَدٍ أَدفَى صَلودٌ من الأَوعال ذو خَدَمِ)

يريد : تالله لا يبقى ، فحذف لا النافية فى جواب القسم . وروى :«لِله يبقى» واللام للقسم والتعجُّب معاً . ولأَجله استشهد ابن هشام (فى المغنى) بهذا المصراع . وذُو حِيَدٍ هو الوعِل . والحِيَد بكسر ففتح : جمع حَيْد، بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهى العُقَد فى قرن الوعِل . والأَدفى بالقصر : الذى يَميل قرنُه إلى نحو ذنَبه. وصَلود : صفة أَدفَى . والصَّلود : الذى يقرع بظلفه الجبلَ . والخَدَم بفتح الخاء المعجمة والدال : جمع خَدَمة ، وهى الخلخال ، ويجمع على خِدام أَيضاً بالكسر . والخَدَم : خطوطٌ بيضٌ فى قوائمه تشبه الخلاخيل .

ثم وصف تحصُّنه فى رءُوس الجبال فى ثمانية أَبيات ، فلما جاءه أَجَلُه لم يسلَم من الصيَّاد، فهلك على يديه ، وقال :

(فكان حتفاً بمقدار وأَدركهُ طولُ النهار وليلٌ غير مُنصرمِ)

---

(١) كذا وردت هذه القطعة للاستشهاد بها ، وأنا فى ريب من صحتها بدليل اقتضابها المخل . وفى ديوان حسان ٣٢٧ :

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب ويقتدى بلئام الأصل أنذال

أَراد: أَدركه طولُ النهار وليلٌ غير منقطع . يقول: لم يفلت من طُول الأَيام والليالى . وبعده :

(ولا صِوارٌ مذرَّاة مناسجُها مثلُ الفريد الذى يجرى من النُّظُمِ [(١)])

هذا معطوفٌ على ذو حِيَد فى جواب القسم السابق. أى تالله لا يبقى على الأَيام ذو حيد ولا صِوارٌ ، وهو بكسر الصاد المعجمة : جماعة البقر . يقال نعجة مذرَّاةٌ وكبش مذرًّى بالذال المعجمة ، إذا جُزَّ وتُرِك بين كتِفيه صوف لم يجزَّ . فهى الذِّروة بكسر الذال وضمها . والنُّظُم بضمتين : جمع نظام ، وهو الخيط الذى فيه اللؤلؤ . يقول : الصِّوار مثل اللؤلؤ فى الحسن والبياض .

(ظَلَّتْ صوافنَ بالأَرزان صاوِيةً فى ماحقٍ من نهار الصَّيْف مُحتدِمِ [(٢)])

أَى قد رفعن إحدى قوائمهنَّ. والصوافن: التى تفرّج بين رجليها. والأَرزان: جمع رِزْن ، بكسر الراءِ المهملة وسكون الزاى ، وهو الموضع الغليظ الذى فيه الماءُ . وصاوية بالصاد المهملة : اليابسة من العطَش . والماحق : شدَّة الحر . والمحتدم : المحترق ، بالحاءِ والدال المهملتين. أى كان ذلك اليوم محترقاً من شدة الحر .

(قد أُوبِيَتْ كلَّ ماءٍ فهى صاويةٌ مهما تُصِبْ أُفقاً من بارقٍ تَشِمِ [(٣)])

---

(١) فى شرح السكرى : « ولاصوار مدراة » بالدال المهملة . وقال فى تفسيره : « يقول : كأن منا سجها دريت بالمدرى ، أى ضربتها الريح كما يدرى الشعر بالمدارى » . وفى ديوان الهذليين ١ : ١٩٧ : « مذراة » بالذال المعجمة . وفى تفسيره : « يقول : كأن مناسجها ذريت بالمذرى ، أى ضربتها الريح كما يذرى الشعير بالمذارى » .

(٢) صاوية ، هنا ، بالواو فى النسختين وشرح السكرى . قال : « والصاوى اليابس ومن قال طاوية فإنه يريد خماص » .

(٣) ط : « صادية » بالدال ، وأثبت مافى ش وهو ما يقتضيه التفسير التالى . وفى شرح السكرى : « فهى طاوية » ، أى ضامرة .

٤٥٤ (حتى شآها كليلٌ مَوهناً عمِلٌ ... باتت طِراباً وباتَ اللَّيلَ لم ينم
كأنَّما يتجلَّى عن غواربه ... بعدَ الرُّقاد تمشِّى النارِ فى الضَّرَمِ [1]
حَـيْرانُ يركب أعلاه أسافلَه ... يَخْفِى تُرابَ جديدِ الأَرض منهزِم [2]
فأَسأَدَتْ دَلَجاً تُحيِى لموقعه ... لم تنتَشِبْ بِوُعوث الأَرض والظُّلَم
حَتَّى إذا ماتجلَّى ليلُها فزِعَتْ ... من فارسٍ وحليفِ الغربِ ملتثِم
فافتَنَّها فى فضاءِ الأَرض يأْفِرها ... وأَصحرَتْ فى قِفافٍ ذات مُعتصَمِ
أَنحى عليها شُراعيًّا فغادرَها ... لدى المَزاحف تَلَّى فى نَضُوحِ دم

وبعد هذا شَرَع فى الرثاء .

قوله : « قد أُوبيت كلَّ ماءٍ » البيت إلخ أَورده أَبوحنيفة (فى كتاب النبات) مع أَبيات أَربعة بعده وقال : وصف بها ساعدةُ بن جؤَيَّة حميراً . وقال : أُوبيت : مُنعت . وقال السكرى : يقول : مُنعت كلَّ ماء ، أَى قطع عنها ، يقال طعام وشراب لايؤْبَى : لاينقطع . وقال شارح اللباب : أَى جعلت تأْبى كل ماءٍ وتكرهه . وصاوية بالصاد المهملة . قال أَبو حنيفة : الصاوى : اليابس ، أَى يبست من العَطش. وقوله : « مهما تصب أُفقاً » قال السكرى أَى ناحية من بارق ، أَى من سحابٍ فيه برق. وتَشِم : تنظر إليه ، والضمير فى الجميع ضمير الصِّوار .

وهذا البيتُ أَورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ ابن يسعون استدلَّ به على مجىء مهما حرف شرط كإنْ . قال : واستدلَّ ابن يسعون تبعاً للسُّهيلى، على أَنَّ مهما تأْتى حَرفاً بقوله : قد أُوبيت كل ماءٍ،

(١) فى شرح السكرى : « يخفى جديد تراب الأرض » ، وكذلك فى ديوان الهذليين .
(٢) وكذا فى شرح السكرى . وقال : « أى أحيت ليلتها . يريد لتبلغ ذلك المطر » . وفى ش : « يحيى » تصحيف .

البيت . قال : إذ لا تكون مبتدأً لعدم الربط من الخبر وهو فعل الشرط ، ولا مفعولا لاستيفاء فعل الشرط مفعوله ، ولاسبيل إلى غيرهما ، فتعيّن أنَّها لاموضع لها . والجواب أنَّها مفعول تصب وأُفقاً ظرف ، ومن بارق تفسير لمهما أَو متعلِّق بتُصب ، فمعناها التبعيض . والمعنى أَى شيء تُصِبْ فى أُفق من البوارق تَشِم . وقال بعضهم : مهما ظرف زمان ، والمعنى أَىَّ وقت تصب بارقاً من أُفق . فقلب الكلام . أَو فى أُفق بارقاً فزاد من واستعمل أُفقاً ظرفاً . ا هـ .

ثم ذكر أَنَّها لاتأْتى ظرفاً ، خلافاً لابن مالك .

وإلى الظرفية ذهب صاحب اللباب ، قال : وقد تستعمل **مهما** للظرف ، نحو :

*** مهما تصب أُفقاً من بارق تشِم ***

قال شارحه : أَى مَهما تصب بارقاً فى جهة فى أُفق[1] وناحيةٍ من من الجهات تَشِم الناقة ذلك البارق . من شِمت البرقَ ، أَى نظرت إلى سحابهِ أَين يمطر . والبارق : السَّحاب ذو البرق . ومهما فى البيت ظرف ، لأَنَّ الفعل بعده تسلَّط على مفعوله فلا يتسلَّط عليه تسلُّطَ المفعول به ، لأَنه لايتعدَّى إلا إلى واحد ، فهو ظرف ، أَى فى أَىِّ جهة تصب . ا هـ .

وقال أَبو حيان (فى تذكرته) : قال الفارسى : هذا على القلب ، والمعنى : مهما تصب بارقاً من أُفق . فإن جعلت أُفقاً ظرفاً كانت منْ

(١) ش : « بارقا فى أفق فى جهة » .

زائدة لأنَّها غير واجبة ، فهى مثل إن تصب عندى من درهم . فلا قلب.
وأجاز أن تكون من غير زائدة ، ومن بارق فى موضع نصب بتشم .
ومفعول تصب محذوف ، وهو ضمير منصوب يعود على أُفق أَو على
بارق. قال: الذى ذكره الفارسى من إعمال الفعلين والمعمول متوسِّط
غريب؛ قلَّما يذكره النحويُّون . وقد ذكرنا فى باب كونه تقدَّمَ على
الفعلين ، نحو أَىّ رجل ضربت أَو شَتمت ويجب أَن يكون الأَوّل أَولى
٤٥٥ بالعمل بلاخلاف،كما كان ذلك فى قولك أَىّ رجل ضربت أَو شتمت ،
لأَنه فى هذه المسأَلة أَقرب. وفى مسأَلة أَبى على وإن لم يكن أَقرب الفعلين
فليس بأَبعد الفعلين ؛ لأَنَّ النسبة فى التَّلاصُق واحدة ، إلَّا أَنَّ عمل
الفعل مقدَّماً أَولى من عمله مؤَخَّراً بلا خلاف. ابن يسعون : يجوز أَن
يقدَّر إنَارة أُفق فلا قلب . ويحتمل أَن يكون مهما مفعولاً بتصبْ .
أَى أَىّ شىءٍ تجد فى أُفق من البرق تشم . وفى رواية الجمحى :

* مهما يُصب بارقٌ آفاقَها تَشم *

وهذا سَهْلُ[1] الإعراب ؛ ومهما ظرفٌ العاملُ فيه يُصب،ولايحتاج فيه
إلى ضمير . والظرف فى مهما قليل ، ويتصوَّر أَن يكون بمعنى إن على
ما ذكروا ، إلَّا أَنَّ هذا أَولى . انتهى ما أَورده أَبو حيان .

وقوله: « حتَّى شآها » إلخ ضمير المؤنث للصِّوار ، وهى البقر ،
لا للحميرِ الوحشيّة ، خلافاً لأَبى حنيفة ، ولا للإبل خلافاً للشارح
وغيره ، ولا للناقة خلافاً لشارح اللُّباب. قال أَبو حنيفة : شآها : شاقَها
بالشين المعجمة . قال : قدَّم همزة شاءَ ، يقال شاءَنى يشوءُنى ويَشيئنى
أَيضاً، أَى شاقنى . قال الشاعر[2] :

(١) فى النسختين : « أسهل » ، تحريف .
(٢) هو الحارث بن خالد المخزومى ، كما فى اللسان (شأى ١٤٥) .

مَرَّ الحُمولُ فما شأَوْنَكَ نقرةً ولقد أُراكَ تُشاء بالأَظعانِ

أَى تُشَاق، فجاءَ باللغتين. والكليل: البرق الضعيف، وقد يستحبُّ أَن يكون قليلًا. والعَمِل: الدَّائب[1] لايفتر. والطِّراب: التى قد استخفَّها الفرح. والمَوهن: بعد ساعةٍ من نصف الليل، وضمير بات للبَرْق الكليل.

وقوله: «كأنَّما يتجلَّى» إلخ، أَى البرق الكليل. والغوارب: أَعالى السَّحاب. والضَّرَم: مادقَّ من الحطب، فالنار تُسرع فيه.

وقوله: «حَيْرانُ يركب أَعلاه» إلخ، قال السكرى: يعنى هذا السحابُ لا يمضى على جهته قد حار، فهو يتردَّد. وقوله: «يخفى تراب الأَرض»[2] أَى يُظْهِرُه[3]، مِن خَفَاهُ: أَظهره، يعنى المطر يُظهر التراب. وجَديد الأَرض، بالجيم: أَرضٌ صلبة لم تُحفَر. وقوله «منهزم» يقول: هذا السحاب قد انخرق بالماءِ، يقال انشقَّ سحاب الماءِ. هذا مثلٌ. ويقال للدابة: انشقَّ سِقاؤُه بالعَدْو. اهـ.

وقال أَبو حنيفة: قوله حيران، أَى لاجهة له فهو ماكث. وخفاه: أَظهره. يعنى أَنَّ سيله يشقُّ الأَرض فيُظهر باطنها. ومنهزم: منشقٌّ بالمـاءِ.

وقوله: «فأَسأَدتْ دَلجًا» إلخ، قال أَبوحنيفة: الإِسآد سير الليل كلِّه. وكذلك الدَّلج. وتُحيي لموقعه يريد تُحيي الليلَ لموقع هذا الغيث، تسير إليه. لم تنتشب: لم تتحَبَّس، أَى لم يعقْها وعوثُ الأَرض.

(١) ط: «الدائم» بالميم.

(٢) كذا فى النسختين. والذى فى النص: «تراب جديد الأرض».

(٣) ط: «يظهر»، وأثبت مافى ش.

وقال السكرى : قوله تُحيِي لموقعه، يعنى هذه البقرة تحيي ليلتها جمعاءَ لموقع ذلك السحاب لتبلغَه . والوَعْث : الليِّن ؛ وهو يحبس .

وقوله :« حتَّى إذا ما تجلَّى ليلها » إلخ . قال السكرى : يعنى بحليف الغربِ رُمحاً حديدَ السِّنان . وغرب كلِّ شيءٍ : حدُّه . وملتئم : يشبه بعضُه بعضاً لا يكون كعبٌ منه رقيقاً[1] والآخر غليظاً . وقيل يعنى بحليف الغرب فرسَه ، والغَرْب : النشاط .

وقوله : « فافتنَّها » يريد انشقَّ بها فى ناحية ، مِن فنن[2] ، بالفاءِ والمثناة فوق والنون . وقيل افتنَّها: طرحها . ويأْفِرها : يسوقها من الأَفر بالفاءِ والراءِ المهملة ، وهو عدْوٌ فيه قَفْز . وقوله : وأَصحرت ، أى صارت فى صَحَار[3] ، وقوله : « فى قفاف » القُفّ بالضم : ماغلُظ من الأَرض وارتفع ولم يبلغ أَن يكون جبلاً . والمعتصَم بفتح الصاد : الملجأُ .

٤٦٢ وقوله :« أَنحى عليها » إلخ ، أى أَهوى إليها الفارس بالرُّمح . والشُّراعى بضم الشين المعجمة : الرُّمح الطويل . وغادَرَها : تركَها وخلَّفها . وتَلَّى : صَرْعى . ولدى المزاحف: جمع مَزْحَف ، أى حيث زاحَفَها فيه ، أى قاتَلها . والنضخ : ما أَصابك [من[4]] الشيء على غير عمد ، يقال أَصابه نضخٌ من الدَّم والزعفران والبَول ما لم تتعمَّد به ، فإذا أَنت تعمَّدته قلت : نضحته بالماءِ ، بالحاءِ المهملة . يقال نضح ينضح إذا مارشح .

---

(١) ش : « دقيقاً » .

(٢) فى النسختين : « فتن » بالتاء ، انسياقاً وراء الضبط التالى ، والصواب أن الضبط التالى إنما هو ضبط لافتنها . وأن « فنن » إنما هو بيان للمادة اللغوية .

(٣) ش : « فى صحارى » . يقال فى جمع الصحراء الصحارى والصحارَى ، بكسر الراء وفتحها .

(٤) التكملة من ش .

وترجمة ساعدة بن جؤية الهذلى قد تقدَّمت فى الشاهد التاسع والستين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٦٠٥ (حَذِرٌ أُموراً لا تُخافُ وآمنٌ ماليسَ مُنجِيَهُ من الأَقدارِ)

على أَنَّ سيبويه استدلَّ به على عمل فَعِلٍ بهذا البيت ، ومنعه غيره وقال : إنَّ البيت مصنوع . يُروى عن اللاحقىّ أَنَّ سيبويه سأَلنى عن شاهدٍ فى تعدِّى فَعِلٍ، فعملتُ له هذا البيت .

أَقولُ: إنْ طُعِنَ على سيبويه بهذا البيت فقداستُشهِدَ ببيتٍ آخر لا مطعنَ عليه فيه ، وهو قولُ لبيد الصَّحابى :

أَو مِسحلٌ شَنِجٌ عِضادَةَ سَمحجٍ بسَراته نَدَبٌ لها وكُلومُ

وقال الأَعلم ، وتبعه ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : قد وجدنا فى شعر زيد الخيل الطائى الصحابى بيتاً آخر لا مطعنَ فيه ، وهو:

أَلم أُخبِرْكُما خبرًا أَتانى أَبو الكَسَّاحِ جَدَّ به الوعيدُ[٣]
أَتانى أَنَّهم مَزِقون عِرْضى جِحَاشُ الكرمِلَينِ لها فديدُ

أَمَّا البيت الأَوَّل فقد قال ابن خلف : الشاهد فيه أَنَّه نصبٍ عضادة بشنج نصبَ المفعول به ، لأَنَّه تكثير شانج ، وشانج فى معنى ملازم ،

(١) الخزانة : ٣ : ٨٦ - ٨٧ .
(٢) فى كتابه ١ : ٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ١١٦ والجمل ١٥٥ وابن الشجرى ٢ : ٥٤٣ وابن يعيش ٦ : ٧١ والعينى ٣ : ١٠٧ والأشمونى ٢ : ٢٩٨ .
(٣) انظر التعليق التالى .

وفعله شنِجتُه كلزِمته ، على ما حكاه البصريون . وذلك غير مشهور . قال أَبو نصر هارون بن موسى : وردَّ عليه هذا القول بعضُ النحويِّين وزعم أَنَّ عضادة ظرف . وهذا من الذين يتهاونون بالخلَفَ إذا عرفوا الإِعراب ، وهو إذا جعله ظرفاً كان المعنى فاسدًا ، وذلك أَنَّ الشاعر شبَّه ناقته فى نشاطها وصلابتها بحمارٍ وحشىٍّ ملازمٍ لأَتانٍ يضربُها ؛ فلشدَّته وصلابته قد لازمها ، وقبض الناحية التى بينها وبينه ، ولم يحجِزْه عن ذَلك رَمْحُها وعضُّها اللذان بسَراتهِ منها ندبٌ وكلوم . ولو كان ظرفاً لكان المعنى أَنَّ المسحل شنِجٌ متقبِّض فى ناحية السَّمحج مَهينٌ، قد شعفه عضُّها ورَمْحها ، فكيف يشبِّه أَحدٌ ناقتَه بمسحل هذه صفته .

والذى يحتجُّ لسيبويه أَيضاً أَنَّ العضادة ليست من الظُّروف، لأَنَّه يريد بالعضادة جنبَها وأَعضادها . أَلا ترى أَنَّه لا يجوز أَن يقول هو شنجُ رِجْلٍ سمحجٍ ولا يدِ سمحج . ومسحل معطوف على« مُسدَّم » قبله ؛وهو :

حَرف أَضرَّ بها السِّفار كأَنَّها   بعَد الكلالُ مُسدَّمٌ محجومُ

وصفَ لبيد ناقته . والحرف : الضَّامرُ . وأَضرَّ بها السِّفار : أَنضاها وهزلها . والكَلال : التعب . والمسدَّم : الفَحْل من الإبل الذى قد حُبس عن الضِّراب . والمحجوم : المشدود الفم . والمسحل : حمار الوحش . والسَّمحج : الأَتان الطَّويلة . وسراتها : أَعلاها . والنَّدَب :الأَثر . والكلوم : الجراحات .يريد أَنَّ هذه الأَتان بها آثارٌ من عضِّ الحمار ، كأَنها جراحات. ٤٥٧ وعِضادة : جنب . والشنج : المتقبِّض فى الأَصل ، ويراد به فى البيت الملازم ؛ كأَنَّه قال : أَو مسحل ملَازمٌ جنبَ أَتان لايفارقها . يقول : كأَن هذه الناقة بعد ماكلَّت بعيرٌ مسدَّم ، أَو مِسحلٌ موصوفٌ بما ذكر .

وأمَّا البيت الثانى فمزقون : جمع مَزِق مبالغة مازق ، من المَزْق وهو شقُّ الشيء . وعِرض الرجل، بالكسر: جانبه الذى يصُونه ،من نفسه وحَسَبِه. وجحاش، أى هم جحاش ، فهو تشبيه بليغ كما حقَّقه السعد ، لا استعارة كما زعمه العينى. وهو جمع جَحْش ،وهو ولد الحمار . والكِرْمِلِينِ ، بكسر الكاف وفتح اللام[1] : اسم ماءٍ فى جبل طيِّئٍ . والفدِيدُ: الصوت، يريد أنَّهم عندى بمنزلة الجحاش التى تنهق عند ذلك الماء ، فلا أعبأُ بهم . وتخصيص الجحاش مبالغة فى التحقير .

والبيت استشهد به شرَّاح الألفية .

وأمَّا ما روى عن اللاحقِ فى البيت الأوّل فقد حكاه المازنى قال : أخبرنى أبو يحيى اللاحق قال : سألنى سيبويه عن فَعِلٍ يتعدَّى ، فوضعت له هذا البيت . وإذا حكى أبو يحيى مثلَ هذا عن نفسه ورضىَ بأن يخبر أنَّه قليلُ الأمانة ، وأنَّه ائتُمن على الرواية الصحيحة فخان، لم يكن مثلُه يُقبل قوله ويُعترض به على ماقد أثبته سيبويه. وهذا الرجلُ أحبَّ أن يتجمَّل بأنَّ سيبويه سأله عن شيءٍ فخبَّر عن نفسه بأنَّه فعل مايبطل الجمال . ومن كانت هذه صفتَه بعُدَ فى النفوس أنْ يسأله سيبويه عن شيءٍ . وقال أبو نصر هارون بن موسى : وهذا[2] ضعيفٌ فى التأْويل ، وكيف يصلح أن ينسُب اللاحقُّ إلى نفسه ما يضَعُ منه ولا يَحِلُّ، أو كيف يجوز هذا على سيبويه، وهو المشهور فى دينه وعلمه وعقله وأخْذِه عن

(١) وكذا ضبط ياقوت « الكرمل » بالكسر ثم السكون وكسر الميم . وقال فى مادة (الكرملين) : « اسم ماء فى جبلى طيئ ، فى قول زيد الخيل ، وثناه ثم أفرده فى شعر واحد :

ألم أخبر كما خبراً أتانى … أبو الكساح يرسل بالوعيد
أتانى أنهم مزقون عرضى … جحاش الكرملين لها فديد
فسيرى يا عدى ولا تراعى … فحلى بين كرمل فالوحيد » .

(٢) ط : « هذا » بغير واو .

الثقات الذين لا اختلافَ فى علمهم وصحَّة نقلهم . وإنَّما أراد اللاَّحقُ بقوله : « فوضعتُ له هذا البيتَ » : فرويتُه. والحَذِر : مبالغة حاذر ، من الحذَر وهو التحرُّز . وجملة « لا تُخاف » بالبناء للمفعول صفة قوله أموراً . وروى بدله « لا تضير » بمعنى لا تضرّ، يقال ضاره يَضِيره، وضرَّه يضرُّه بمعنًى واحد ، كما يقال ذامَه يذيمه وذمَّه يذمُّه بمعنًى.

قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : معنى البيت يحتمل أمرين :

أحدهما : أنَّه يصف إنساناً بالجهل وقلَّة المعرفة ، وأنَّه يضع الأُمور فى غير موضعها ، فيأْمن من لا ينبغى أن يُؤمن ، ويحذر من لا ينبغى أن يُحذر .

والوجه الثانى ، وهو الأَشبه عندى : أن يكون أَراد أنَّ الإنسان جاهلٌ بعواقب الأُمور ، يدبِّر فيخونه القياس والتدبير . ونحوه قولُ أبى العتاهية :

وقد يَهلكُ الإنسانُ من باب أَمنهِ ... وينجو بإِذن الله من حيثُ يحذَرُ

وزعم قوم أنَّ البيت لابن المقفَّع لا لِلاَّحق . انتهى .

وقال ابن هشام اللخمى : الظاهر من البيت أنَّه ذمٌّ. ويحتمل أن يكون مدحاً ، يمدحه بكثرة الحذَر ، فيخرج هذا المعنى إنِّى[1] لأُعِدُّ للأَمر عسى أن لا يكون أبدًا . وحذِر وآمنٌ بمعنى الاستقبال ، لأَنَّ الحذَر والأَمن إنَّما يكونان فيما يأْتى ، وأَمَّا ما مضى فقد عُلم . والهاء فى

(١) ش : « إلى » .

« منجيَه » عائدة على الضمير الذى فى ليس . ومنجيه بمعنى المضارع لا الماضى ، والدليل عليه وقوعُه خبر ليس، والنفى إنَّما يقع على الأخبار، وليس إنَّما تنفى المضارع . انتهى كلامه .

٤٥٨ وقال العينى : إنَّ منجيَه اسم فاعل مضاف إلى الهاءِ ، والهاء فى موضع نصب لأنَّ اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال وأُضيف كانت إضافته غيرَ محضة ، وكانت النيَّة بها الانفصال . هذا كلامه .

أبان اللاحق والللاحق هو أبانُ بن عبدِ الحميد اللاحق . هو من شعراء هارونَ الرَّشيد. وهو شاعرٌ مطبوع بَصرىّ ، لكنَّه مطعون فى دينه.

قال صاحب الأَغانى : هو أَبان بن عبد الحميد بن لاحق بنِ عُفير[١] مولى رَقاش . قال أَبوعبيدة : بنو رَقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أُمهم ، وهم مالك، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة ابن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل .

أَخبرنى الصُّولى قال : حدَّثنى محمد بن سعيد قال : حدثنا يحيى ابن إسماعيل[٢] قال :جلس أبان بن عبد الحميد ليلةً فى قوم فثلَبَ أَبا عبيدة فقال : يقدح فى الأَنساب ولا نسب له ! فبلغ ذلك أَبا عبيدة فقال : لقد أَغفل السُّلْطانُ كلَّ شىء ، حتى أَغفل[٣] أَخذَ الجزية من أَبان اللاحق ؛ هو وأَهله يهود ، وهذه منازلُهم فيها أَسفار التوراةِ وليس

---

(١) فى الأغانى ٢٠ : ٧٣ : « بن عفر » .
(٢) فى الأغانى ٢٠ : ٧٨ : « عن عيسى بن إسماعيل » .
(٣) فى الأغانى : « حين أغفل » .

فيها مصحف ، وأوضحُ الأدلَّة على تَهَوُّدهم[١] أنَّ أكثرهم يَدَّعى حفظ التوراةِ ولا يحفظ من القرآن مايصلِّى به . فبلغ ذلك أبانًا فقال :

لا تَنُمَّنَّ عن صديقٍ حديثاً واستعذْ من تشرُّرِ النمَّامِ[٢]
واخفضِ الصوت إن نطقت بليلٍ والتفت بالنهار قبل الكلامِ

وكان المعذَّل بن غيلان صديقاً لأبان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان[٣] بالهجاء ، ويهجوه المعذَّل بالكفر وينسبه إلى الثَّنَوية ، ويهجوه أبانٌ بالفُسَاء الذى يُهجَى به عبد القيس ، والقِصَر ، وكان المعذَّل قصيرًا . ومن هجوه :

رأيتُ أباناً يومَ فطرٍ مصلِّياً فَقسّم فكرِى واستَفزَّنَى الطَّربْ
وكيف يصلِّى مظلمُ القلْبِ دينُه على دين مانى ، إنَّ هذا من العجَبْ

وهجاه أبو نُواس بقوله :

جالستُ يوماً أباناً لا درَّ درُّ أبانِ
حتَّى إذا ما صلاةُ الْ أُولَى دنَتْ لأَوانِ[٤]
فقامَ ثَمَّ بها ذو فَصاحةٍ وبيانِ
فكلُّ ما قال قلنا إلى انقضاء الأذانِ
فقال كيف شهدتمْ بذا بغير عِيانِ

(١) فى الأغانى : « وأوضح الدلالة على يهوديتهم » .
(٢) كذا فى النسختين . وفى الأغانى : « تسرر » .
(٣) ط : « يتعاقبان » ، ش : « يتعاقبان » . والأخيرة محرفة ، وأثبت ما فى الأغانى .
(٤) فى النسختين : « لأذان » ، صوابه فى الأغانى والحيوان ٤ : ٤٤٩ .

لا أَشهدُ الدَّهــرَ حتَّى تُعــاينَ العينـــانِ

فقلت : سبحانَ ربِّى فقــال : سبحانَ مانِى

وأَخبرنى الصُّولى قال : حدثنا أَبو العيناء قال : حدثنى الحِرمازى قال : خرج أَبان بن عبد الحميد اللاحقى من البَصرة طالباً للاتِّصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيي غائباً ، فأَقام ببابه لمَّا قَصدهُ مُديدةً لا يصلُ إليه ، فتوسَّل بمن أَوصل له شعرًا إليه ، وقيل إنَّه توسَّل إلى بعض بنى هاشم ممَّن شخص مع الفضل ، فقال له :

ياغزيرَ الندى وياجوهرَ الجو هَرِ من آل هاشم بالبطـاحِ

إنَّ ظنِّى وليس يُخلفُ ظنِّى بانَ فى حاجتى سبيلُ النجاحِ (١)

إنَّ مِن دُونها لمصمتَ بـابٍ أَنت من دون قُفلهِ مفتاحى

تاقت النفسُ ياجليـلَ السَّماحِ نحو بحرِ الندى مُجارِى الرِّياح(٢)

ثم فكَّرتُ كيف لى واستَخَرتُ الـ ـلهَ عندَ الإمساءِ والإِصباحِ

فامتدحتُ الأَميرَ أَصلحه اللـ ـهُ بِشعرٍ مشهَّر الأَوضاحِ ٤٥٩

فقال له : هات مديحَك . فأَعطاه شعرًا فى الفَضْل فى هذا الوزنِ وقافيته :

أَنا مِن بُغية الأَمير ، وكنزٌ من كنوز الأَمير ذو أَرباحِ

كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أَديبٌ ناصحٌ زائد عـلى النُّصَّـاحِ

شاعرٌ مُفْلق أَخفُّ من الـرِّيـ ـشَةِ فيما يكون تحتَ الجَناحِ(٣)

(١) ط : « أن » ، وأثبت ما فى ش . وفى الأغانى : « بك » .
(٢) فى الأغانى : « يا خليل السماح » .
(٣) فى الأغانى ٢٠ : ٧٥ : « عند الجناح » .

وهى طويلة ، ومنها :

إن دعانى الأَمير عاينَ منِّى شَمَّريًّا كالبُلبل الصَّيَّاح

قال : فدعا به ووصَلَه ، ثم خُصَّ بالفضل وقَدِم معه ، فقرُب من قلب يحيي بن خالد ، وكان صاحبَ الجماعة وذا أَمرِهم .

أَخبرنى حبيبُ بن نصرٍ المهلَّبى قال : حدَّثنا على بن محمد النَّوفلى ، أَنَّ أَبان بن عبد الحميد عاتبَ البرامِكة على تَركِهم إيصالَه إلى الرَّشيد وإيصالَ مدحه إليه ، فقالوا له : وما تريد بذلك ؟ فقال : أُريد أَنْ أَحظى منه بمثل ماحَظِىَ به مروان بن أَبى حَفصة . فقالوا له : إنَّ لمروان مذهباً فى هجاءِ آل أَبى طالب به يَحظى ، وعليه يُعطَى ، فاسلُكْه حتَّى نفعل ! قال : لا أَستحلُّ ذلك . قالوا : لا تجىءُ أُمُورُ الدنيا[1] إلاَّ بفِعْل ما لا يحلّ. فقال أَبان :

نَشدتُ بحقِّ الله من كان مسلماً أَعُمُّ بما قد قلته العُجْمَ والعربْ
أَعَمُّ رسولِ الله أَقربُ زُلفـةً لديه ، أَم ابنُ العمِّ فى رُتْبة النَّسب
وأَيُّهمـا أَولَى به وبعهـدِه ومَن ذا له حقُّ التُّراثِ بما وجَبْ
فإنْ كان عبّاسٌ أَحقَّ بتِلـكمُ وكان علىٌّ بعد ذاك على سببْ
فأَبناءُ عبّـاس همُ يرثونه كما العمُّ لابن العم فى الإِرْث قد حَجَبْ

وهى طويلة قد تركتُ ذكرها لما فيه [من] تنقيص[2] . فقال الفضل : ما يرِدُ على أَمير المؤمنين شىءٌ أَعجبُ إليه من أَبياتك . فركب فأَنشدها الرشيدَ ، فأَمر لأَبانٍ بعشرين أَلف درهم ، ثم اتَّصلت بعد ذلك خدمتُه للرشيد وخُصّ به . انتهى مانقلتُه من الأَغانى .

(١) فى الأغانى : « قالوا : فما تصنع ، لا يجىء طلب الدنيا » .
(٢) فى الأغانى : « لما فيه » فقط . وقد زدت كلمة « من » ليستقيم الكلام .

وأما ابن المقفَّع فاسمه عبد الله ، وهو كاتبٌ بليغ لكنَّه زنديق . عبد الله بن المقفع

قال السيد المرتضَى قُدِّس سُّره (فى أماليه) : قال جعفر بن سليمان : روى عن المهدىِّ أنَّه قال : ماوجدت كتاب زندقة قطُّ إلاَّ أصلُه ابنُ المقفع .

وروى ابن شبَّة قال : حدثنى من سمع ابنَ المقفَّع وقد مرَّ ببيتِ نارِ المجوس بعد أن أسلم ، فلمَحه وتمثَّل :

يابيتَ عاتكةَ الـذى أتعزَّلُ حَذَرَ العِدَى وبه الفؤادُ موكَّلُ
إنِّى لأَمنَحُكَ الصـدودَ وإنَّنى قسماً إليك مع الصُّدود لأَمْيَلُ

وكان الخليل بن أحمد يحبُّ أن يرى عبد الله بن المقفع ، وكان ابن المقفع يحبُّ[1] ذلك ، فجمعهما عبَّاد بن عبَّاد المهلبى ، فتحادثا ثلاثة أيام وليالِيَهُنّ ، فقيل للخليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : مارأيت ٤٦٠
مثلَه ، وعلمُه أكثرُ من عقله . وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : ما رأيتُ مثلَه ، وعقلُه أكثر من علمه . قال المغيرة : صَدَقا[2] ، أدَّى عقلُ الخليل إلى أن مات وهو أزهدُ الناس[3] ، وجهلُ ابن المقفَّع أدَّاه إلى أن كتب أماناً عن المنصور لعبد الله بن علىّ فقال فيه : « ومتى غدَر أميرُ المؤمنين بعمِّه عبدِ الله فنساؤه طوالقُ ، ودوابُّه حُبْس ، وعَبيدُه أحرار ، والمسلمون فى حِلٍّ من بيعته » . فاشتدَّ على المنصور جدًّا ، وخاصَّة أمر البيعة[4] ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبى ، وهو أمير البصرة مِنْ قِبَله ، بقتله ، فقَتَله .

(١) وكذا فى أمالى المرتضى ١ : ١٣٦ . وفى ش : « يحب أن يرى ذلك » .
(٢) فى أمالى المرتضى : « فصدقا » .
(٣) فى الأمالى : « إلى أن مات أزهد الناس » .
(٤) فى النسختين : « وخاص أمر البيعة » ، صوابه من المرتضى .

وكان ابن المقفَّع مع قلة دينه جيِّدَ الكلام فصيحَ العبارة له حِكَمٌ وأَمثال .

ثم أورد السيد المرتضى نُتفاً من حِكمه وأمثاله .

قال الصغانى (فى العباب) : عبد الله بن المقفَّع كان فصيحاً بليغاً ، وكان اسمه رَوْزبة ، وكان قبل إسلامه يكتنى بأَبى عمر ، فلمَّا أَسلم تسمى بعبد الله وتكنَّى بأَبى محمد . والمقفَّع اسمه المبارك ، ولُقِّب بالمقفَّع لأَنَّ الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتقفَّعت يده . ورجل مقفَّع اليدين أى متشنِّجُهما . انتهى .

وقيل هو المقفِّع بكسر الفاء لعمله القَفْعة ، بفتح القاف وسكون الفاء . والقفعة : شىءٌ شبيهٌ بالزنبيل[1] بلا عُروة ، وتُعمَل من خوص ، ليست بالكبيرة . وقال الليث : القفعةُ تُتَّخذ من خوص ، مستديرةٌ ، يجتَنَى فيها الرُّطب ونحوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الستمائة[2] :

٦٠٦ (أَمِنْ ريحانَة الداعى السَّميعُ يؤرِّقنى وأَصحابى هُجوعُ)

على أَنَّ فعيلا قد جاء لمبالغةِ مُفعِلٍ على رأيٍ .

وهو رأى الجمهور ، منهم ابن الأَعرابى (فى نوادره) أنشد لنُغْبة الغَنَوى :

---

(١) فى القاموس : « والزبيل كأمير وسكين وقنديل ، وقد يفتح : القفة أو الجراب ، أو الوعاء » . ش : « بالزبيل » .

(٢) الكامل ١٤٤ ليبسك والشعراء ٣٣٢ ، ٣٣٤ والأغانى ١٤ : ٣١ وابن الشجرى ١ : ٦٤ / ٢ : ١٠٦ وابن يعيش ١ : ٧٣ والأصمعيات ١٧٢ .

إنّى تودُّكُم نفسى وأَمنحُكمْ حُبِّى، ورُبَّ حبيبٍ غيرُ محبوب

حبيب فى معنى محِبّ ، مثل أَليم فى معنى مؤلم ، وسميع فى معنى مسمع . وأَنشد هذا البيت .

ومنهم أَبو العبّاس المبرِّد، قال (فى الكامل): قيل خصيب وأَنت تريد مخصب ، وجديب وأَنت تريد مجدب[1] ، كقولك : عذاب أَليم وأَنت تريد مؤلم . ويقال رجل سميعٌ أَى مُسمِع ، قال عمرو بن معديكرب :

* أَمن ريحانة الداعى السَّميعُ * . . . البيت

ومنهم أَبو إسحاقَ الزَّجاج قال (فى تفسيره) من البقرة ، عند قوله تعالى: ﴿ولهم عذابٌ أَليم[2]﴾ معنى أَليم مُوجِع يصل وَجعُه إلى قلوبهم . وتأْويل أَليمٍ فى اللُّغة مُؤلم . قال الشاعر . وأَنشد هذا البيت .

ومنهم البيضاوى، فى تفسير قوله تعالى: ﴿بَديعُ السَّموات والأَرض[3]﴾ قال : أَى مُبدِعهما . ونظيرُهُ السَّميع فى قوله :

* أَمن ريحانةَ الداعى السميعُ *

ويقابل قولَ الجمهور قولُ صاحب (الكشاف) عند قوله : ﴿بديعُ السَّمٰوات والأَرض﴾: هو من إضافة الصِّفة المشبهة إلى فاعلها ، أَى بديعُ سمواتِه وأَرضه . وقيل البديع بمعنى المبدِع ، كما أَنَّ السميع فى قول عمرو :

* أَمن ريحانة الداعى السَّميعُ *

---

(١) وكذا فى الكامل . وخالفت ش هنا فورد فيها « مجدباً » بالنصب .

(٢) فى آيات كثيرة من الكتاب أولها الآية ١٠ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ١١٧ من البقرة و ١٠١ من الأنعام .

بمعنى المسمع . وفيه نظر . انتهى .

قال السعد (فى حاشيته) : اعترِض المصنَّف بأنَّه لم يثبُت فعيل بمعنى مفعل ، ولا استشهادَ فى البيت ، لأَنَّ داعى الشَّوق لَمَّا دعا القائل صار سميعاً لدعوته فتسبَّب لكونه سميعاً ، فأوقع على الداعى اسمَ السميع لكونه سبباً فيه . على أَنَّ الشاذَّ لا يصحُّ القياس عليه إن ثبت. ٤٦١
انتهى .

وقال السَّفاقُسىّ فى إعرابه بعد ما نقل كلام السَّعد : قال ابن عطية : بديع مصروف من مُبدِع ؛ كبصير من مبصر ، ومثله سميع بمعنى مسمع فى البيت . وعلى هذا يكون من إضافة اسم الفاعل لِمَفعوله . إلّا أَنَّ الزمخشرى ذكر هذا الوجه وقال : إنَّ فيه نظراً . ولم يبيِّنه ، فلعلَّه يريد أنَّ فعيلا بمعنى مفعل لا ينقاس ، مع أَنَّ بيت عمرٍو محتملٌ للتأويل . انتهى .

وما تأوَّله السَّعد يدفعه البيت الذى بعده ، وهو :

(يُنادِى من براقشَ أَو مَعينٍ فأَسمَعَ واتلأَبَّ بنا مَليعُ)

فإنَّ[1] فاعل ينادى وأسمع وهو فعل ماض: ضمير الداعى ، فيكون الداعى مُسمِعاً لا سامعاً .

وبَراقش ومَعين ؛ بفتح أولهما : بلدتان كانتا متقابلتين باليمن . كذا (فى معجم ما استعجم) .

واتلأَبَّ بمعنى استقام . والمليع ، بفتح الميم : الأَرض الواسعة .

(١) ش : « قال » ، صوابه فى ط .

صاحب الشاهد

والبيتان أوَّلا قصيدةٍ لعمرو بن معديكربَ الزُّبيدى الصَّحابى . قال جامعُ ديوانه أبو عبدِ الله بنُ الأعرَابىِّ : قالها عمرو فى أُخته، رَيحانة بنتِ معديكرب ، وهى أمُّ دريد بن الصِّمَّة ، وكان الصِّمَّة غزا بَنِى زُبيد فسباها ، فغزا عمرٌو مراراً فلم يقدِرْ عليها .

وقوله: (أَمن ريحانة) إلخ ، الهمزة للاستفهام ، ومن للتَّعليل متعلق بقوله يؤرقنى . وريحانة : اسم أختِ عمرٍو . والداعى : مبتدأٌ بتقديرِ موصوفٍ ، والتقدير : الشوق[1] الداعى . و (السَّميع) صفة الداعى وجملة (يؤرِّقنى) خبر المبتدإ ، وجملة (وأصحابى هجوع) حالٌ من الياء . وهُجوع : جمع هاجع ، أى نائم ، كقعود جمع قاعد .

ولصاحب الأغانى فى ريحانة روايتان :

إحداهما أنَّها أُخته . قال : إنَّ هذه القصيدة قالها عمرٌو فى أخته رَيحانةَ لمَّا سباها الصِّمَّة بن بكر ، وكان أغار على بنى زُبيد فى قيس ، فاستاق أموالَهم وسبَى ريحانة ، وانهزمت زُبيد بين يديه . وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معديكرب ، ثم رجَع عبد الله واتَّبعه عمرو .

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلَّام ، أنّ عَمْرًا اتَّبعه يناشده أن يخلِّيَ عنها ، فلم يفعل ، فلمَّا يئس منه ولىَّ وهى تناديه بأعلى صوتها : يا عمرو ! فلم يقدر على انتزاعها، وقال :

* أمن ريحانةَ الدَّاعى السَّميعُ *

وع[illegible]ذه الرواية فالداعى فاعل الظرف ، وهو بمعنى الذى يدعو وينادِى [illegible] بمعنى الشوق الداعى ، والسميع بمعنى المسمع . أو الداعى

(١) فى النسختين : « والتقدير والشوق » ، والواو الثانية مقحمة .

مبتدأً والظرف قبله خبره ، ومن عليهما للابتداءِ لا للتعليل ، والجملتان في المصراع الثانى حالان متداخلتان .

والرِّواية الثانية : أَنَّ ريحانةَ امرأَتُه المطلَّقة ، قال : أَخبرنى الحسين ابن يحيى قال : [قال[1]] حمّاد : قرأْت على أَبى : وأَمَّا قصة ريحانة فإِنَّ عمرو بن معديكرب تزوَّج امرأَةً من مُرَادٍ وذهب مُغيراً قبل أَن يدخل بها ، فلمَّا قدِم أُخبِرَ أَنَّه قد ظهر بها وَضَح ، وهو داءٌ تحذره العرب ، فطلَّقها وتزوَّجها رجلٌ آخر من بنى مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً وأَنَّ الذى قِيل فيها باطل ، فأَخذ يشبِّب بها ، فقال قصيدته ، وهى طويلة :

* أَمن ريحانة الداعى السميع * انتهى .

فإِعرابه على هذا هو الإِعراب الأَوَّل . وهذه الرواية هى القريبةُ إِلى الصواب ، والقصيدة تدلُّ عليها .

وقال الطِّيبى[2] : ريحانة امرأَة ، وقيل موضع .

وقد رجعتُ إِلى كتب البلدان والأَماكن فلم أَجدْ هذا الاسم فيها .

٤٦٢ وقال صاحب (الكشف)[3] : عَلَمُ حَبيبةِ عمرو ، وهى أُخت دريد ابن الصِّمَّة ، تعلَّق بها عمرٌو وأَغار عليها ، ثم التمس من دُريد أَن يتزوَّجها فأَجاب .

---

(١) التكلة من ش .

(٢) الطيبى : أحد شراح الكشاف ، وهو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبى . المتوفى سنة ٧٤٣. بغية الوعاة ٢٢٨ ، أولى و ١ : ٥٢٢ ثانية . وقال صاحب الكشف عند الكلام على كشاف الزمخشرى ، وقد سرد أسماء أصحاب الحواشى عليه ، وذكر حاشيته على الكشاف فقال : « وهى أجل حواشيه ، فى ستة مجلدات ضخام » .

(٣) صاحب الكشف عن مشكلات الكشاف هو عمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥. كشف الظنون .

وهذه الرواية لا أصلَ لها .

ثم نقل صاحب الكشف عن ابن قُتيبة أنَّها أُخت عمرو ، وكانت تحت الصِّمَّة فولدت له دريد بن الصمة . واعترضَه بأَنَّ دريداً قُتل يوم هوازن وهو شيخ هِمٌّ[1] يُنيف على المائة ، لا يُنتفَع إلاَّ برأْيه. وعمرٌو أَسلم فى زمن عمر وهو على جَلَده . هذا كلامه .

والأَوّل حقٌّ لا شبهة فيه ، ولهذا صوَّبنا أَنَّها امرأته لا أُخته . وأَمَّا عمرٌو فقد أَسلم على يَدَىِ النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو من الصحابة كما يشهد به كتب الصحابة .

(تتمة)

وأَمَّا فعيل بمعنى مُفعَل بالفتح ، اسم مفعول ففيه خلافٌ أَيضاً . فأَخْذه من المزيد المتعدِّى لم يرتضه الزمخشرى .

وقال ابن مالك (فى التسهيل) : وربَّما استُغنى عن فاعل بمفعِل أَو مُفعَل .

قال ابن عقيل (فى شرحه) قالوا : عمَّ الرجلَ بمعروفه ، ولمَّ متاعَ البيت ، فهو مُعِمٌّ ومُعَمٌّ ، ومُلِمٌّ ومُلَمٌّ. ولم يُقَل بهذا المعنى عامٌّ ولا لامّ، ولا نظير لهما ، حكاه ابن سيده .

وقال ابن برى (فى حاشيةِ صحاح الجوهرى) : قد جاء ذلك كثيراً نحو مُسْخَن وسَخين ، ومُقْعَد وقعيد ، ومُقنَع وقنيع ، ومُحَبّ وحبيب ومُطْرَدٌ وطريد، ومُقْصًى وقصىّ، ومُهْدًى وهدىّ، ومُوصًى ووصىّ[2]، ومُبرَم

(١) هم ، بالكسر : شيخ كبير . وفى ش : « هرم » بمعناه .

(٢) ط : « ومقص وقصى، ومهد وهدى، وموص ووصى » ، صوابه فى ش .

وبريم ، ومُحْكَم وحكيم ، ومُبدَع وبديع ، ومُفرَد وفريد ، ومُسمَع وسميع ، ومُونَق وأنيق ، ومؤلم وأليم ، فى أخواتٍ له . انتهى .

قصيدة الشاهد

وقصيدة عمرو بن معديكرب عدَّتها اثنان وثلاثون بيتاً ، كلُّها تغزُّل بالنِّساء وحماسة .

وبعد البيتين الأُوَّلَين :

(وربَّ محرَّشٍ فى جَنْبِ سلمى يَعُلُّ بعينها عندى شفيعُ
كأنَّ الإثمدَ الحـارىَّ منها يُسَفُّ بحيث تَبتدِرُ الدُّموع[1]
وأبكارٍ لهوتُ بهنَّ حِينـاً نواعمَ فى أَسِرَّتها الرُّدوعُ
أمشِّى حولَها وأطوف فيهـا وتعجبنى المحَاجرُ والفُروع[2]
إذا يضحكْن أو يَبْسِمْنَ يوماً بدا بردٌ أَلحَّ به الصَّقيعُ
كأنَّ على عوارضِهنَّ راحـاً يُفَضُّ عليه رُمَّانٌ ينيـعُ
تَراها الدَّهرَ مُقتِرةً كِبـاءً ومِقْدحَ صحفة فيها نقيعُ[3]
وصِيغُ ثيابها فى زعفـرانٍ بجلدتها كما احمرَّ النجيعُ
وقد عَجِبتْ أمامةُ أن رأتنى تفرَّع لمتى شَيبٌ فظيعُ)

وهذا آخر الغزل . ومن أبيات الحماسة :

(أشابَ الرأسَ أيامٌ طِوالٌ وهَمٌّ ما تَبَلَّغُـه الضُّلوُّع[4]
وزحفُ كتيبةٍ للقاء أُخرى كأنَّ زُهاءها رأسٌ صليعُ
دنَتْ واستأْخرَ الأَوغالُ عنها وخُلِّى بينَهم إلَّا الوريعُ

(١) ش : « يبتدر » ، وأثبت ما فى ط والأصمعيات .
(٢) ش : « ويعجبنى » .
(٣) الأصمعيات : « وتقدح صحفة » .
(٤) ط : « ما تبلعه » بالعين المهملة .

فِدًى لهمُ معاً أُمّى وخـالى   وشَرخ شبابهم إن لم يضيعوا
وإسنادُ الأَسنة نحو نحرى   وهَزُّ المشرفيَّة والوقـوع (١)
فإنْ تَنُبِ النَّوائبُ آل عُصْم   تجد حَكَماتهم فيها رفـوع (٢)
إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْـهُ   وجـاوزْه إلى ما تستطيعُ ٤٦٣
وصِلْه بالزَّماعِ فـكُلُّ شىء   سَما لكَ أَو سموتَ له وَلوعُ
وكَم من غائطٍ من دون سَلمى   قليـل الإنس ليس به كتيعُ
به السِّرحان مفترشاً يديه   كأَنَّ بياضَ لَبَّته الصَّديعُ)

وقوله: « وربَّ محرِّش» الخ. التحريش: الإغراءُ بين القوم. ويَعُلّ من العلل مَرّةً بعد مرَّة. والحاريّ: نسبة إلى الحِيرة. ويُسفُّ: يُذَرُّ. والأَسِرة: جمع سِرارة بالكسر، وهو، الخطوط فى الكفّ. والردوع: جمع رَدْع، يقال به رَدعٌ من زعفرانٍ أَودم، أَى لَطْخٌ وأَثر. يريد أَنَّهنَّ يصبُغن ثيابهنَّ بالزَّعفران.

وقوله: «أُمشِّى حولها» هو جواب ربّ المقدرة فى وأَبكار. والمحاجر: جمع مَحجِرِ العين كمجلس، وهو ما يبدو من النِّقاب. والفُرُوع: جمع فرع، وهو الشَّعر التامّ. والبَرَدَ بفَتحتين: حبُّ الغمام. والصَّقيع: الجليد. والعارض: الناب، والضِّرس الذى يليه. والراح: الخمر. وينيع: يانع، أَى بالغ. ومُقْترِة: اسم فاعل منالقُتار بضم القاف، وهو هنا الدُّخنة. والكِباء، بالكسر والمد: العود. والمِقدح، بكسر الميم: المغـرفة. والنَّقيع يُبرَّد لها فتشربه. والنجيع: الدم. وتفرَّع: عـلا. واللِّمَّة بالكسر: شعر الرأس الذى يُلمّ بالمنكِب.

(١) فى ش مع أثر تصحيح: «والرفوع».
(٢) ش: «فيها رقوع» بالقاف.

وقوله : أشاب الرأس . إلخ . وتبلّغه أى تَسَعه .

وزُهاءها ، بالضم والمد ، أى مقدارها . والرأس الصليع : الذى انحسر شعر مقدّمه .

والأوغال : جمع وَغْل ، وهو النَّذل من الرجال . والوريع، بالراء المهملة ، وكذلك الورع بفتحتين ، وهو الصَّغير الضعيف الذى لاغَناءَ عنده .

والوقوع : المواقعة والقتال .

وآل عصم مفعول تَنُب أى [تُصِبْ[1]] ، مِن النائبة . والحَكَمَات، بالتحريك: جمعَ حكمة بفتحتين ، وهى ما أحاط بالحنَك مناللّجام . والرُّفوع بالضم : مصدرٌ بمعنى الارتفاع .

وقوله : « إذا لم تستطع » إلخ. هذا من شواهد تلخيص المفتاح، فيه الإرصاد .

وقوله : « وصِلْه » أىوصِلِ الشىء الذى لم تستطعه. والزَّماع بالفتح: العَزْم والتصميم . والوَلوع بالفتح : مصدر وَلِعْت بالشىء ، إذا لزمته .

والغائط : المطمئنُّ من الأرض الواسعُ. وكتيع ، أى أحدٌ ، ملازمٌ للنفى .

والسِّرحان : الذئب . واللَّبّة بالفتح : موضع القِلادة من الصَّدر . والصَّديع بالدال: الصُّبح .

وما أثبتناه هو رواية ابن الأعرابى (فى ديوان عمرو بن معديكرب) .

(١) التكلة من ش .

وروى صاحبُ الأَغانى الشعر على غير ماذكرنا ، وتبعه الناسُ عليه ، وهو :

(أمن ريْحانةَ الداعى السميعُ يؤَرِّقنى وأَصحابى هُجوعُ
سَباها الصِّمَّة الجشَمىُّ غَصْبا كأَنَّ بياض غرَّتها صديع[1]
وحالت دونها فُرسانُ قيسٍ تَكشَّفُ عن سواعدها الدُّرُوع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه . . . . البيت)

وزاد الناس فى هذا الشعر وغُنِّىَ فيه :

(وكيف أُحبُّ من لا أَستطيعُ ومَنْ هو للذى أَهوَى مَنوعُ
ومَن قد لامنى فيه صديقى وأَهلى ثمَّ كُلاًّ لا أُطيعُ
ومَن لو أَظهر البغضاء نحوى أَتانى قابضُ الموتِ السريعُ ٤٦٤
فِدًى لهمُ مَعاً عمِّى وخالى وشَرخُ شبابهم إن لم يطيعوا)

هذا ماروواه ، وليس فى الديوان بعض هذه الأَبيات[2] ، والله أَعلم .

وترجمة عمرو بن معديكرب تقدمت فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[4] :

---

(١) ط : « غضباً » ، صوابه فى ش والأغانى .
(٢) وكذلك لم يرد معظمها فى الأصمعيات .
(٣) الخزانة ٢ : ٤٤٤ ـ ٤٤٦ .
(٤) فى كتابه ١ : ٥٨ . وانظر نوادر أبي زيد ١٠ والجمل ١٠٦ وابن يعيش ٦ : ٧٤ ، ٧٥ والعينى ٣ : ٤٥٨ والتصريح ٢ : ٦٩ والهمع ٢ : ٩٧ والأشمونى ٢ : ٢٩٩ وديوان طرفة ٦٨ .

٦٠٧ (ثُمَّ زادُوا أَنَّهمْ فى قومهمْ غُفـرٌ ذنبَهُـمُ غيرُ فُخُرْ)

على أنَّ مثَنَّى المبالغة ومجموعها يعمل ، كما فى البيت ؛ فإنَّ ذنبهم مفعول لغُفُر ، وهو جمع غَفور ، مبالغة غافرٍ، وفُخُر بضمَّتين أيضاً : جمع فَخُور[1] .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة عدَّتها أربعة وسبعون[2] بيتاً لطرفة ابن العبد ، وهو شاعر جاهليٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[3] . وقبله :

أبيات الشاهد

(ولىَ الأَصلُ الذى فى مِثلِهِ يُصلح الآبرُ زَرعَ المؤتَبِرْ[4]
طيِّبو الباءةِ سَهلٌ ، ولهم سُبُل إنْ شئتَ فى وحشٍ وَعِرْ
وهمُ ما همْ إذا مالبسوا نسجَ داودَ ، لبأْسٍ مُحتَضَرْ
وتَساقَى القومُ كأْساً مُـرّةً وعلا الخيلَ دِماءٌ كالشَّقُرْ
ثمَّ زادوا أَنَّهم فى قومهمْ ... البيت)

قال الأَعلم (فى شرحه) : وقوله :«ولىَ الأَصل» إلخ، يقول:لى الأَصل الذى فى مثله يتمُّ المعروف والاصطناع . والآبر : المصلح للشىء القائمُ عليه . المؤتبِر : المستدْعِى إلى الإصلاح ، وأكثر مايستعمل الإبار فى النخل ، ثم هو عامٌّ فى كلِّ شىء . وضربه هنا مثلاً لإتمام الصنيعة .

والباءة : السَّاحة والفِناءُ ، أى ساحتهم طيبة سهلة لمن أراد مَعروفهَم ،

---

(١) ش : « أربعة وستون بيتاً » ، والصواب كما فى ط أنها أربعة وسبعون . ديوان طرفة ٦٣ — ٧٥ قازان و ٦٧ - ٨٧ نشرة على الجندى .

(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ - ٤٢٥ .

(٣) ويروى أيضاً : « غير فجر » بالجيم كما فى سيبويه ، وهو جمع فجور ، وكذلك الأنثى فجور بغير هاء ، كما فى اللسان .

(٤) ط : « ذرع » ، صوابه فى ش والديوان .

وهى وعرة خشنة لمن أرادهم بسوءٍ . وهذا مَثَل . والوَحْش : المتوحْش ، وهو كناية عن خشونة الجانب وشدّته .

وقوله : « وهمُ ماهمْ » إلخ ، هذا تفخيمٌ وتعجُّب ، كأنَّه قال : أَىُّ رجالٍ هم ! وقوله : « نسج داود » يعنى الدُّروع . والنَّسجَ : عملُها وسَرْدها وأوَّل من عملها داودُ عليه السلام ، فلذلك تنسَب إليه . والبأْس : شِدَّة الأَمر . والمحتضَر : المحضور المجتمَعُ إليه . يقول : إذا لبسوا الدُّروع وتسلَّحوا للقتال فأَىُّ رجالهم ! ويروى « محتضر » بالكسر ، أى حاضر .

وقوله : « تساقى القوم » إلخ ، هذا مثَلٌ ضربه ، أى سقى بعضُهم بعضاً كأْسَ الحتوف ، أى قتل بعضُهم بعضاً . والكأْس : الإناءُ فيه الشراب ، والشَّراب فى الإناء يقال له كأْسٌ أيضاً . والشُّقُر : شقائق النُّعمان . وقال الأَصمعى : هو شجرٌ له ثمر أحمر .

وقوله : « ثم زادُوا أَنَّهم » إلخ ، لمَّا وصفهم بالإقدام والجرأة والصَّبر فى الحرب ، وغير ذلك من أفعال البرِّ ، بيَّن أَنَّ لهم مَزيداً على ذلك ، وهو أَخْذُهم بالعفو والصَّفح عن الذنب وتركِ الفخر بذلك ، لأَنَّ الفخر إعجابٌ وخفَّة . انتهى .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : قوله : « ثم زادُوا أَنَّهم » ، أراد : بأَنَّهم ، فحذف الباءَ . وقوله « فى قومهم » فى بمعنى عِند ، والظرف متعلق بزادُوا ، والتقدير : ثم زادوا عند قومهم بأَنَّهم غُفر ذنبَهم غيرُ فخر . وغير فُخر خبر بعد خبر ، ويروى : « غير فُجُر » بالجيم ، يعنى أَنَّهم لا يَكذِبون . والفُجور : الكذب . والمشهور رواية الخاء ، وهى أوجَه . انتهى . ٤٦٥

وقال ابن خلف : يريد زادُوا على الفضائل التى ذكرها فيهم أَنَّهم إذا جنَى عليهم بعضُ قومِهم غفرُوا لهمْ ذنبهم مع قدرتهمْ على الانتصاف. وقد يكون زادَهم بمعنى شرَّفهم ورفَعهم ، فتكون أنْ على هذا فاعلةٌ بزَاد ، أَى زَادَهم المجدُ شرفاً ورفعة . هذا كلامه ، وهو سبقُ قلم منه ، فإنَّ فاعل زاد هو الواو . وقوله : « والمراد زادوا على الفضائل » إلخ ، هو تقدير ابن السيرافى (فى شرح أَبيات الكتاب) .

قال ابن الحاجب (فى أَماليه على المفصَّل) : للفتح فى أَنَّ وجهان : أَحدهما أَن يكون فى موضع المفعول ، والآخر : أَن يكون المعنى ثم زادوا على ما تقدَّم [من الخصال ، أَو على من تقدَّم[1]] ، ثم فتح أَنَّ على معنى اللام ، لأَنَّهم على صفةٍ كذا وكذا . وللكسر وجهان : أَحدهما التعليل على ماذُكر فى الوجه الثانى . والثانى : أَن يكون على الحكاية [وهو ضعيف[2]] ؛ لأَنه ليس موضع الحكاية . اهـ .

وبعد هذه الأَبيات بقليل :

(نحنُ فى المشتاة ندعُو الجَفَلَى ... لا تَرى الآدبَ فينا ينتقرْ
حينَ قال الناسُ فى مجلسهمْ ... أَقتارٌ ذاكَ أَم رِيحُ قُطُرْ
بِجفانٍ تَعتَرِى نادِيَنا ... مِنَ سَديفٍ حينَ هَاجَ الصِّنَّبِرْ)

قال الأَعلم : قوله : « نحن فى المشتاة » يريد فى الشَّتاءِ والبرد ، وذلك أَشدُّ الزمان . والجَفَلى : أَن يعمَّ بدعوته إلى الطَّعام ولا يخصَّ أَحدًا . والآدب : الذى يدعُو إلى المأْدُبة ، وهى كلُّ طعام يُدعَى إليه . والانتقار :

(١) التكلة من ش .
(٢) هذه التكلة أيضاً من ش .

أن يدعوَ النَّقَرَى ، وهو أن يخصَّهم ولا يُعمَّهم. يقول: لا يخصُّون الأغنياءَ ومن يطمعون[1] فى مكافأته ، ولكنَّهم يعمُّون طلباً للحمد ، ولاكتساب المجد . والقُتار ، بالضم : رائحة اللحم إذا شُوِىَ . والقُطُر ، بضمتين : العود الذى يتبخَّر به . يقول : نحن نُطعم فى شدَّة الزَّمان إذا كان ريحُ القُتار عند القوم بمنزلة رائحةِ العُود ، لما هم فيه مِن الْجَهد والحاجة إلى الطعام .

وقوله : « بجفانٍ تَعترِى » إلخ ، أى ندعوهم إلى الجفان. ومعنى تَعترى : تُلمُّ به وتأتيه . والنادى : مجلس القوم ومتحدَّثهم . والسَّديف : قطع السَّنام .

والصَّنَبر : أشدُّ ما يكون من البرد . اهـ. قال صاحب الصحاح : صنابر الشِّتاء : شدَّة برده ، وكذلك الصِّنَّبِر ، بتشديد النون وكسر الباء وأنشد البيت ، ثم قال : والصِّنَّبْرُ بتسكين الباء : يومٌ من أيام العَجوز ، ويحتمل أن يكونا بمعنًى وإنَّما حركت الباء للضرورة . انتهى .

وجزم ابن جنى (فى الخصائص) بأنَّ الباءَ ساكنة ، وقال : كان حقُّ هذا إذا نُقلت الحركةُ أن تكون الباءُ مضمومة ، لأنَّ الراء مرفوعة لكنَّه قدَّر الإضافة إلى الفعل ، يعنى المصدر . كأنَّه قال : حين هَيْج الصِّنبر ، يعنى أنَّه نقل الكسرة من الراء إلى الباءِ الساكنة وسكنت الراءُ . وهذا من الغرائب فإنَّ الصنبر فاعل بهاجَ ، لكنه أعربه بالكسر نظراً إلى أنَّ الفعل فى معنى المصدر المضاف إلى هذا الفاعل ثم نقل الكسر[2] .

(١) ط : « يطمعون » بتقديم العين ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٢) الخصائص ١ : ٢٨١ وهذا تصرف من البغدادى .

قال الدماميني في الجملة المضاف إليها (من الحاشية الهندية على المغنى) : وعلى ذلك يتنزَّل اللُّغز الذى نظمتُه قريباً ، وهو :

٤٦٦ أيا علمــاء الهند إنِّىَ سَائلٌ فَمُنُّوا بتحقيقٍ به يظهر السِّرُّ
أرى فاعلا بالفعل أعرب لفظه بجرٍّ ولا حرفٌ يكون به الجرُّ
وليس بمَحْكيٍّ ولا بمجــاور
لدى الخفض، والإنسان للبحث يُضطرُّ
فهل من جواب عندكم نستفيده
فمِن بحركم ما زال يُستخرج الدرُّ

قال الشُّمُنِّى : سبقه إلى هذا اللغز أبو سعيد فرج بن قاسم المعروف بابن لُبٍّ النحوى الأَندلسى (فى منظومته النونيَّة فى الأَلغاز النحوية) فقال :

ما فاعلٌ بالفعل لكنْ جرُّه مع السُّكون فيه ثابتانِ

وفى شرحها : يعنى الصِّنبر ، من قول طرفة . انتهى .

* * *

وأنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه(١) :

٦٠٨ (ممَّنْ حَملنَ به وهنَّ عواقدٌ حُبكَ النِّطاقِ فشبَّ غيرَ مهبَّلِ)

على أَن (حُبُك النطاق) مفعول لعَواقد . وهو جمع عاقدة(٢) .

---

(١) فى كتابه ١ : ٥٦ . وانظر الشعراء ٦٧١ و الكامل ٧٩ والإنصاف ٤٨٩ وابن يعيش ٦ : ٧٤ والمغنى ٦٨٦ والعينى ٣ : ٥٥٨ والأشمونى ٢ : ٢٩٩ والحماسة ٨٥ بشرح المرزوقى و ١ : ٨٤ بشرح التبريزى وديوان الهذليين ٢ : ٩٢ .

(٢) ش : « عاقد » ، وإنما يقال عاقد للأنثى من الإبل التى تعقد بذنبها عند اللقاح .

قال سيبويه : وممَّا يجرى مجرى فاعل من أسماء الفاعلين فواعل ، أجرَوه مُجرى فاعلة ، حيث كان جمعَه ، وكسَّروه عليه كما فعلوا ذلك بفاعلين وفاعلات . فمن ذلك قولهم : « هُنَّ حواجُّ بيتِ الله » .

قال أبو كبير :

* ممن حملن به وهن عواقدٌ * ... البيت

قال الأعلم : الشاهد فى نصب حبك النطاق بعواقد ؛ لأنَّه جمع عاقدة وعاقدة تعمل عمل الفعل المضارع لأنَّها فى معناه ، فجرى جمعها فى العمل مَجراها . ونوَّنَ عواقدُ للضرورة . وصفَ رجلاً شَهمَ الفؤاد ماضياً فى الرجال ، فذكر أنَّه ممن حملتْ به النساء مُكرهاتٍ ، فغلب عليه شَبَه الآباء وخرج مذكَّراً . وكانت العرب تفعل ذلك : يُغضب الرجلُ منهم امرأتَه ويُعْجِلها حلَّ نطاقها ويقع عليها ، فيغلب ماؤه على مائها فينزع الولَدُ إليه[1] فى الشَّبَه . وحُبُك النطاق : مشَدُّه ، واحدها حِباك ، وهو من حبكت الشىء ، إذا شددته وأحكمته . والنطاق : إزار تحتبك به المرأةُ فى وسطها وتُرسل أعلاه على أسفله ، تقيمه مَقامَ السَّراويل . والمهبَّل : الثقيل ، ويقال هو الذى يُدعَى عليه بالهَبَل ، فيقال : هبِلتْه أمُّه ؛ أى فقدته . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لأبى كبير الهذلىّ ، عدَّتها سبعة وأربعون بيتاً أوردها السُّكَّرى (فى أشعار الهذليين) ، واقتصر منها أبو تمَّام على أبيات أوردها (فى أوائل الحماسة) ، وكذلك اقتصر عليها ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) ، فلنقتصر على ما أورده ، وهو :

(١) ط : « الوليد إليه » ، وأثبت ما فى ش والشنتمرى .

(ولقد سَرَيْتُ على الظَّلامِ بِمِغشمٍ جَلْدٍ من الفِتيان غيرِ مثقَّلِ
ممَّن حملنَ به وهن عـواقـدٌ حُبُكَ النطاق فشبَّ غَيرَ مهبَّلِ
حملَتْ به فى ليـلةٍ مزءودةٍ كَرْهًا وعَقْدُ نطاقِها لم يُحلَلِ
فأَتَتْ به حُوشَ الفؤادِ مبطَّنـا سُهدًا إذا ما نَامَ ليلُ الهَوْجلِ
ومبرَّأً من كلِّ غُبَّرِ حِيضة وفسادِ مُرضعةٍ وداءِ مُغْيِـلِ
وإذا نبذتَ له الحصاةَ رأيتَه ينزُو لوقعتها طُمورَ الأَخيَـلِ
٤٦٧ وإذا يهبُّ من المنـامِ رأيتَـه كرُتوب كَعبِ السَّاق ليسَ بِزُمَّلِ
ما إنْ يمسُّ الأَرضَ إلَّا مَنكبٌ منه وحرفُ السَّاق طَيّ المحملِ
وإذا رميتَ به الفِجاجَ رأيتَـه يَهوِى مخارِمَها هُوِىَّ الأَجدلِ
وإذا نظرتَ إلى أَسرَّةِ وجهِـه بَرقَتْ كبَرق العارض المتهلِّلِ
يَحمِى الصِّحابَ إذا تكونُ كريهةٌ وإذا هُـمُ نزلُوا فمأْوَى العُيَّـلِ)

سبب الأبيات قال التبريزى (فى شرح الحماسة): كان السببفى هذه الأَبيات أَنّ أَبا كبير تزوّج أُمّتأَبَّط شراً،وكانغلاماً صغيراً، فلمَّا رآه يُكثر الدخول على أُمِّه تنكَّر له، وعرف ذلك أَبو كبير فى وَجْهه إلى أَنْ ترعرعَ الغلام، فقال أَبو كبير لأُمِّه: ويحكِ، قد والله رابنى أَمرُ هذا الغلام، ولا آمَنُه، فلا أَقرُبك! قالت: فاحتَلْ عليه حتَّى تقتُلَه. فقال له ذاتَ يوم: هل لك أَن تغزو؟ فقال: ذلك من أَمرى. قال: فامضِ بنا. فخرجا غازِيَيْنِ ولا زادَ معهما، فسارا ليلتَهما ويومَهما من الغدِ حتَّى ظنَّ أَبو كبير أَنَّ الغلام قد جاع، فلما أَمسى قَصد به أَبو كبيرٍ قوماً كانوا له أَعداءً فلما رأَيا نارهم(١) من بُعد قال له أَبو كبير: ويحك قد جُعنا، فلو

(١) ش: «فلما رآهم». وفى التبريزى: «فلما رأى نارهم».

ذهبتَ إلى تلك النار فالتمستَ منها لنا شيئاً ! فمضى تـأبَّط شرًّا فوجدَ على النار رجلين من ألصِّ مَن يكون من العرب ، وإنَّما أَرسله إليهما أَبو كبير ليقتلاه[1] ، فلمَّا رأَياه قد غَشِيَ نارَهما وثبا عليه ، فرمى أَحدَهُما وكرَّ على الآخَر فرماه ، فقتلهما[2] ، ثم جاءَ إلى نارهما فأَخذ الخُبزَ منها فجاءَ به إلى أبي كبير ، فقال : كُلْ لا أَشبع الله بطنَك ! ولم يأْكل هو ، فقال : ويحك أَخبرني قصَّتك . فأَخبره فازداد خوفاً منه ، ثم مضيا في ليلتهما فأَصابا إبلا ، وكان يقول له أَبو كبيرٍ ثلاثَ ليالٍ : اختر أَيَّ نصفَي اللَّيل شئتَ تحرس فيه وأَنام ، وتنام النصفَ الآخر . فقال : ذلك إليك ، اختر أَيَّهما شئت. فكان أَبو كبير[3] ينام إلى نصف الليل ويحرسُه تـأَبط شرًّا ، فإذا نام تـأَبَّط شرًّا نام أَبو كبير أَيضاً لا يحرس شيئاً حتى استوفى الثلاث ، فلمَّا كان في الليلة الرابعة ظنَّ أَنَّ النُّعاس قد غَلَب على الغلام ، فنام أَوَّلَ الليل إلى نصفه وحرسَه تـأَبَّط شرًّا ، فلما نام الغلامُ قال أَبو كبير : الآن يستثقل نوماً وتُمكِنُني فيه الفُرصة . فلمَّا ظنَّ أَنَّه قد استُثقِلَ[4] أَخذ حصاةً فحذف بها ، فقام الغلام كأَنَّه كعبٌ فقال : ماهذه الوَجْبة[5] ؟ قال : لا أَدرى . قال : واللهِ صوتٌ سمعتُه في عُرض الإبل . فقام فعَسَّ وطاف فلم ير شيئاً ، فعاد فنام ، فلما ظنَّ أَنه استُثقِلَ أَخذ حُصَيَّةً صغيرة فحذف بها ، فقام كقيامه الأَوَّل فقال : ما هذا الذى أَسمع ؟ قال : والله ما أَدرى ، لعلَّ

---

(١) التبريزى : « وإنما أرسله إليهما أبو كبير على معرفة » .

(٢) التبريزى : « وثبا عليه ، وكر ساعياً واتبعاه ، فلما كان أحدهما أقرب إليه من الآخر عطف عليه فرماه فقتله ، ورجع إلى الآخر فرماه فقتله » .

(٣) يستمر نقل البغدادى عن التبريزى بتصرف كبير .

(٤) المستثقل ، بالبناء للمفعول : الذى أثقله النوم .

(٥) الوجبة : السقطة مع الهدة ، أو صوت ما يسقط .

بعضَ الإبل تحرَّك . فقام وطاف فلم ير شيئاً فعاد فنام ، فأخذ حُصَيَّةً[1] أصغر من تلك فرمى بها فوثب ، فطاف ورجع إليه فقال: يا هذا ، إنّى قد أنكرتُ أمرك ، والله لئن عدتُ أسمع شيئاً من هذا لأقتلنَّك ! قال أبو كبير : فبتُّ والله أحرسُه خوفاً أن يتحرَّك شيءٌ من الإبل فيقتلنى . فلمَّا رجعا إلى حيِّهما قال أبو كبير : إنَّ أُمَّ هذا الغلام لا أقربُها أبداً . وقال هذه الأبيات . انتهى .

وزعم بعضُ الرواة أنَّ هذه القصيدة لتأبَّط شرًّا قالها فى ابن الزَّرقاء .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : وبعض الرُّواة يَنْحَلُ هذا الشعر تأبَّط شرًّا ، ويذكر أنَّه كان يتبع امرأةً من فَهْم ، وكان ابنٌ لها من هذيل ، وكان يدخل عليها تأبَّط ، فلمَّا قارب الغلامُ الحلم قال لأُمِّه : ٤٦٨
مَن هذا الرجل الداخلُ عليك ؟ قالت : صاحبٌ كان لأبيك . قال : فلا أرَيَنَّه عندكِ ! فلمَّا رجع تأبَّط أخبرته وقالت : هذا الغلام مفرِّقٌ بينى وبينك فاقتلْه . قال : سأفعل ذلك . فمرَّ به وهو يلعبُ مع الصِّبيان فقال له : هلمَّ أَهَبْ لك نَبْلا . فمضى معَه فتذمَّم من قتله ووَهَب له نَبْلا ، فلمَّا رجع تأبَّط إلى أمّ الغلام أخبرها فقالت : إنَّه والله شيطانٌ من الشياطين واللهِ ما رأيتُه مُستثقَلاً نوماً قطُّ، ولا ممتلئاً ضحِكاً قطُّ، ولا همَّ بشىء إلاَّ فعله . ولقد حملتُه فما رأيتُ عليه دماً حتَّى وضعتُه . ولقد وقع علىّ أبوه فى ليلةِ هربٍ وإنِّى لمتوسِّدةٌ سَرْجاً ، وإنَّ نطاقى لمشدود ، وإنَّ على أبيه لدرعاً ، فاقتلْه فأنت والله أحبُّ إلىَّ منه . قال : سأغزو به . فمرَّ فقال : هل لكَ فى الغزو ؟ قال : إذا شئت . فخرج به غازياً فلم يجد منه غِرَّة ، حتَّى مرَّ فى بعض الليالى بنار لابنَىْ قُترة الفزاريَّين ، وكانا

---

(١) ط : «حصاة» ، وأثبت ما فى ش والتبريزى .

فى نُجعة ، فلمَّا رأى تأبَّط[1] النارَ عرفها وعرف أهلهَا ، فأكبَّ على رِجله ينادى : نُهِشْتُ نهِشْت ، أَبغِنى ناراً ! فخرج الغلامُ يَهوى نحوَ النَّار ، فصادف عندها الرَّجلين[2] فواثباه فقتلهما ، وأخذ جَذوةً من النَّار واطَّردَ إبلَ القوم ، وأقبلَ نحوَ تأبَّط ، فلما رأى تأبَّط النارَ تهوى نحوه ظنَّ أنَّ الغلام قُتل وأنَّه دلَّ عليه ، فمرَّ يسعَى . قال : فما كان إلَّا أن أدركنى ومعه النار يطَّرد إبلَ القوم ، فلمَّا وصل إلىَّ قال : ويلك لقد أتعبتنى ! ثم رمى بالرأسين فقلت : ما هذا ؟ قال : كلبان هَارَّانِى على النَّار فقتلتهما . فقلت : الهربُ الآن فإنَّ الطلب من ورائنا . فأخذْتُ به على غير الطريق ، فما سرنا إلَّا قليلا حتَّى قال : أخطأْتُ والله الطريق ، وما تستقيم الريح فيه ، فما لبثَ أن استقبلَ الطريق وما كان والله سلكَها قطُّ . قال : فسرتُ به ثلاثاً حتَّى نظرت إلى عينيه كأنهما خيطان ممدودان ، وأدركَ اللَّيلُ فقلت : أَنِخْ فقد أمِنَّا . فأنخنا فنام فى طرفٍ منها ونمتُ فى الطَّرف الآخر ، فما زلت أَرمُقه حتَّى ظننت أَنَّه قد نام ، فقمت أريده فإذا هو قد استوى وقال : ماشأْنُك ، فقلت : سمعتُ حِسًّا فى الإبل . فطاف معى بها فلم يرَ شيئاً فقال : أتخاف شيئاً ؟ قلت : لا . قال: فنم ولا تُعدْ فإنِّى قد ارتبتُ بك . فنمت وأمهلته حتَّى لم أشكَّ فى نومه فقذفتُ له بحصاةٍ نحوَ رأْسه فإذا هو قد وثب ، وتناوَمت فأقبلَ نحوى حتَّى ركضنى برجله وقال : أنائم أنت؟ قلت: نعم. قال: أسمعتَ ماسمعتُ؟ قلت: لا . فطاف فىالإبل وطُفت معه فلم نر شيئاً ، فأقبل علىَّ تتوقَّد عيناه ، قال : قد أرى ما تصنعُ منذُ الليلة ، والله لئن أنبَهنى شيءٌ لأَقتلنَّك ! قال : فلبِثت

(١) وكذا فى الشعراء ٦٧٣ . وفى ش : « تأبط شراً » فى هذا الموضع والموضعين التاليين .

(٢) ش : « رجلين » ، وأثبت الصواب من ط والشعراء .

والله أَكلؤه مخافَة أَن ينبِّهه شيءٌ فيقتلَنى . فلمَّا أَصبح قلتُ : أَلا تنحر جزوراً ؟ قال : بلى . قال : فنحرنا ناقة فأَكل، ثم احتلب أُخرى فشرب، ثم خرج يريد المذهب[1] وكان إذا أَراد ذلك أَبعدَ وأَبطأَ علىَّ ، فاتَّبعته فإذا أَنا به مضطجعاً على مَذهبه، وإذا يده داخلة فى جُحر أَفعًى فانتزعها، فإذا هو قابضٌ على رأْس أَفعى وقد قتلهَا وقتلَتْه . فذلك قولى :

ولقد غدوتُ على الظَّلام بمِغشمٍ   جَلدٍ من الفِتيان غيرِ مثقَّلِ

انتهى ما أَورده ابن قتيبة .

والمشهور : « ولقد سريت على الظلام » ، أَى فى الظلام . والمغشم ، بالكسر : الغشوم ، من الغَشْم وهو الظلم . والجَلْد بالفتح ، وهو من له الجلادة ، وهى قوَّة القلب. وقوله : « غير مثقَّل » قال التبريزى : أَى كان حسنَ القبول محبَّباً إِلى القلوب . ٤٦٩

وقوله : « ممَّن حملنَ به » النون ضمير النساء ولم يجرِ لهنَّ ذكر، ولمَّا كان المراد مفهوماً جاز إضمارها . وقال « به » فردَّ الضمير على لفظ مَنْ ، ولو ردَّ على المعنى لقال بهم . وروى السكرى وغيره : « ممَّا حملن به» قال التبريزى ، تبعاً لشارح الهذليِّين : أَى هو من الحمل الذى حملن به .

قال ابن الشجرى (فى أَماليه) : عدَّى حمل فى البيت بالباءِ وحقُّه أَن يصل إِلى المفعول بنفسه ، كما جاءَ فى التنزيل :﴿حَمَلَتْهُ أُمُّه كُرْهاً[2]﴾ ولكنَّه عدى بالباءِ لأَنَّه فى معنى حَبلتْ .

---

(١) المذهب ، قال الكسائى : « يقال لموضع الغائط : الخلاء ، والمذهب ، والمرفق والمرحاض » .

(٢) الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

وأورده ابن هشام (فى المغنى) وقال : ضمَّن حمل فى الموضعين معنى عَلق ، ولولا ذاك لعدِّى بنفسه .

وقوله : (وهنَّ عواقدٌ حُبُكَ) إلخ ، بتنوين عواقد . واستشهد به ابن الأَنبارىّ على أَنَّ الأَصل فى الأَسماءِ عند البصريِّين الصرف ، وإنَّما يُمنع بعضُها من الصَّرف لأَسباب عارضة ؛ فإذا اضطُرَّ الشاعر ردَّها إلى الأَصل ولم يعتبر تلكَ الأَسباب العارضة ، كما صرف عواقد فى البيت ، وهو جمع عاقدة ، وأَعمله فى حُبُكَ حكايةً للحال وإن كان ذلك فيما مضى ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيد[1] ﴾. وحُبُك بضمتين. قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) ، وأَورد فيها بعضَ هذه الأَبيات : هو جمع حِباك ، والحِباك بالكسر : مايُشدُّ به النِّطاق مثل التِّكَّة . والنِّطاق : شُقَّة تلبسها المرأة وتشدُّ وسطها ثم ترسل الأَعلى على الأَسفل إلى الرُّكبة ، والأَسفلُ ينجرُّ على الأَرض ليس لهُ حُجزة ولا نَيْفق ولا ساقان ؛ والجمع نُطُق . والحُجزة بالضم : موضع التِّكَّة. والنَّيفق : الموضع المتَّسع من السرَّاويل ؛ والعامة تكسر النون .

وقال ابن خلف : قال أَبو جعفر : وسأَلت عن هذا البيتِ علىَّ ابن سليمان فقال : حملن به من الحبَل ، إى إنَّهن حملن به وهن يخدُمن . وكانت العرب تستحبُّ أَن تطأَ النساءَ وهنَّ متعَبات أَو فزِعات، ليغلب ماءُ الرجل فيخرج الولدُ مذكَّراً . فوصف أَنَّها حَبلتْ به وهى عاقدةُ حبُك النطاق . والحُبُك : الطرائق ، وقيل الحبك الإزار الذى تأْتزر به المرأة ، وقيل الحُبْكة : حُجزة الإزار . والنِّطاق : المِنطقَة . انتهى .

---

(١) الآية ١٨ من سورة الكهف .

وقال ابن المستوفى: الحُبُك من قولهم: حَبك الثوبَ يحبِكه بالكسر حَبْكاً، إذا أجاد نسجه، كأنَّه جمعَ المصدرَ على حِباك؛ وجمع حباكاً حُبُكاً. وقيل الحُبك: جمع الحبيك والحبيكة، وهو ماتكسَّر من ثوبٍ وماءٍ. وقيل جمع الحِباك، وهو الإِزار. والأَوَّل بعيد، لأَنَّ الحبيكة جمعها حبائك، وإذا صحَّ إن الحباك الإزار فهو جمعُه، مثل كتاب وكتب. انتهى. وما نقله هو كلام التبريزى.

وروى السُّكَّرى: (حبكَ الثِّياب). وقال شارحه القارى[1]: حُبُك الإزار: طرائقه. وحَبكة الإِزار: استدارته وشدُّه. والنِّطاق: الإزار يعنى حملت به وعليها مِنطَقها، وأراد أنها متحزِّمة. يقول: لم تُمكِّنْ من نفسها. انتهى.

وقال التبريزى، وتبعه العينى: الرواية: (حُبُك الثِّياب)؛ لأَنَّ النطاق لا يكون له حُبك وهو الطرائق. هذا كلامه.

والمهبَّل، قال القارى: المثقَل باللَّحم، يقال هبَّله اللحم: كثُرَ عليه وغلظ. وكذلك قال أَبو جعفر: المهبَّل: الكثير اللحم، يقالُ: هُبِّلت المرأة وعُبِّلت. وفى حديث الإِفْك حرفٌ ربَّما صحَّفه أَصحاب الحديث، وهو: «والنِّساء إذ ذاك لم يهبَّلن»، أى لم يحملن الشحم. وقيل المهبَّل: الذى يُدعَى عليه بقولهم: هَبِلتْه أُمُّه، كما يقال لمن يُسترذل، ٤٧٠
أى ثكلته.

(١) القارى، راوى أشعار الهذليين عن السكرى، سبقت ترجمته فى حواشى ١ : ٢٧٥. وفى النسختين هنا: «الفارسى»، تحريف.

وقول العينى : أو[1] هو الذى حملت به أُمُّه وهى مُكرَهة ، فاسدٌ . فتأمَّل .

وقال التبريزى: ذكر بعضهم أنَّ المهبَّل المعتوه الذى لا يتماسك . فإنْ صحَّ ذلك فكأنَّه من الإسراع ، يقال جمل هِبِلٌّ . ومعنى البيت أنَّه من الفتيان الذين حملتهم أُمُّهم وهنَّ غير مستعدَّات للفِراش ، فنشأ محموداً مرضيًّا لم يُدْعَ عليه بالهبَل والثُّكل . وحكى عن بعضهم : إذا أردتَ أن تنجب المرأةُ فأَغضبْها عند الجماع . ولذلك يقال فى ولد المذعورة : إنَّه لا يطاق . قال :

تسنَّمتُها غضبَى فجاءَ مسهَّداً   وأنفعُ أولادِ الرجال المسهَّدُ[2]

وقال المبرد (فى الكامل): يقال أَنجبُ الأَولاد ولدُ الفارك ، وذلك لانَّها تُبغض زوجَها فيَسبقها بمائه فيخرجُ الشَّبهُ إليه فيخرج الولد ذكراً .

وقال بعضُ الحكماء : إذا أردتَ أَن تنجب المرأَةُ فأَغضبْها ثم قَعْ عليها فإنَّك تسبقها بالماءِ . وكذلك ولدُ الفزِعة كما قال أَبو كبير . وأَنشد البيتين .

وقوله : « حملتْ به فى ليله مزءودة » هى مفعولة من زأَدته أَزأَده زأْدًا ، أَى أَفزعته ؛ وزُئِدَ فهو مزءُودٌ ، أَى مذعور ، وهو بالزاى والهمزة والدال .

قال المبرد (فى الكامل) : مزءُودة ذات زُؤْد[3] وهو الفزَع . فمن نصب مزءُودة

---

(١) ط : « أى » ، صوابه فى ش والعينى ٣ : ٥٥٩ .

(٢) وكذا جاء البيت غير منسوب فى شرح المرزوقى للحماسة ٨٦ .

(٣) الزؤد ، بضمتين وبضم أيضاً . وضبطت فى الكامل بضمة واحدة .

فإنَّما أرادَ المرأة، ومن خفض أراد الليلة . وجعل الليلةَ ذات فزعٍ لأنَّه يُفزَع فيها قال الله تعالى : ﴿ بَلْ مَكرُ اللَّيْلِ والنَّهَار.(١) ﴾ ، والمعنى بل مكرُكم فى الليل والنهار . وقال جرير :

* ونمتِ وما ليلُ المطىِّ بنائم(٢) *

وقال آخر :

* فنام ليلى وتجلَّى همى(٣) *

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) بعدما قال مثلَ كلام المبرد : هذا ونحوُه إنَّما يتسع فيه بأن يسند الفعلُ إلى الوقت الذى وقع فيه ، ومجيئه مجىء الفاعل . ألا ترى إلى قوله : «فنام ليلى»، وإلى نفيه وهو قوله «وما ليل المطى بنائم» . وبيت أبى كبير إنَّما جعل الوقت الذى هو الليلة بلفظ اسم المفعول ، وهو قوله مزءُودة . فأكثر ما يقولون إذا اتَّسعوا فى نحو هذا : يومٌ ضارب، أى كثُر فيه الضرب، ولا يقولون يوم مضروب . غير أنَّ مزءُودة إنَّما جاز لأنَّهم قد ينصبون الظرف نصبَ المفعول به ، نحو قوله :

* ويوم شهِدناه سُليماً وعامراً(٤) *

فلمَّا كانوا يأخذونه فى هذا الشقّ(٥) جاءُوا به أيضاً مسندًا إليه الفعل

---

(١) الآية ٣٣ من سورة سبأ .

(٢) من شواهد الخزانة ، وهو الشاهد الثمانون فى ١ : ٤٦٥ . وصدره :

* لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى *

(٣) لرؤبة فى ديوانه ١٤٢ .

(٤) لرجل من بنى عامر. وأنشده سيبويه فى كتابه ١ : ٩٠ ، والمبرد فى المقتضب ٣ : ١٠٥ والكامل ٢١ . وعجزه :

* قليل سوى الطعن النهال نوافله *

(٥) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٤ : «فى هذا الشق وهذا الغور» .

إسنادَه إلى مالم يسَّم فاعله. تقول: ربَّ يوم مَقُوم، وربَّ ساعةٍ مضروبة، على قولك: قُمت يوماً وضربت ساعة، وأنت تنصب اليومَ والساعة نصب المفعول به. فكذلك قوله فى ليلة مزءُودة على حدِّ قولك: زئدت الليلة، وعلى قولك قبل إسناد الفعل إليها هذه ليلة زُئِدها زيد، كقولك هذه جبة كُسِيَهَا عمرو، ثم تقول: هذه ليلة مزءُودة كقولك: جبة مكسوّة. هذا على رواية الجرّ. وأمّا من نصب فعلَى الحالِ، ومزءُودَةً للمرأة الحامل. وفائدة ذكر الليلة فى هذه الرواية أنْ تكون بدأت بحمله ليلاً، وهو أنجبُ له، وصاحبه يُوصف بالشَّجاعة. وقد دعاهم ذلك إلى أن وصلوا أنسابهم بالليل تحقُّقاً به. قال:

أنا ابن عمِّ الليلِ وابنُ خالِه إذا دَجَا دخلتُ فى سِرباله
* لَستُ كمن يَفرَقُ من خَياله *

انتهى. ٤٧١

وبه يُدفع قول ابن هشام (فى المغنى): مزءُودة مذعورة، ويروى بالجرِّ صفة لليلة وبالنصب حالاً من المرأة. وليس بقوىٍّ مع أنّه الحقيقة، لأنَّ ذكر الليل حينئذٍ لا كبير فائدة فيه. انتهى.

وقال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى): مزءُودة: فيها زُؤْد وذُعر، كذلك قال الأَصمعى. ويرويه بعضهم بالنصب ويجعله حالاً من المرأة. ويقال إنَّ المرأة إذا حملت وهى مذعورة فأذكرَتْ جاءت به لا يُطاق. انتهى.

ومثله قول ابن جنى: الغرض من ذكر الزُؤْد فى الروايتين جميعاً أنَّ المرأة إذا حملت بولدها وهى مذعورة كان أنجبَ له. ألا ترى إلى قوله:

* فأتت به حُوشَ الجَنان مبطَّنا * ... البيت

وقال التِّبريزى : ويجوز أن يكون جرّ مزءُودة على الجوار وهو فى الحقيقة للمرأة، كما قيل: جُحر ضبٍّ خربٍ ، وهذا لميلهم إلى الحمل على الأقرب ، ولأمنهم الالتباس . ومزءُودة بالرفع صفة أُقيمت مقام الموصوفة[1] . وانتصب كُرْهاً على أنَّه مصدرٌ فى موضع الحال، أى كارهة. وكذلك جملة « وعقد نطاقها لم يحلل » حال . والنِّطاق : ما تنتطق به المرأة تشدُّ وسَطها للعمل. والمنطقة أُخِذت من هذا . والمعنى أنَّها أُكرِهَتْ ولم يُحلَّ نطاقها .

وقوله : « فأَتتْ به حُوش الفؤاد» إلخ حوش الفؤاد: حالٌ من الضمير فى به ، والإضافة لم تفد شيئاً من التعريف . وبه استشهد ابن هشام (فى شرح الألفية) عليه . و [أيضاً[2]] استشهد به صاحب الكشاف فى سورة المزَّمِّل لشىءٍ آخر[3] . وكذلك مبطَّناً وسُهُداً حالان منه .

قال ابن السِّيد (فى شرح الكامل) : حُوشَ الفؤاد ، أى مجتمع الذِّهن جيِّد الفهم .

وقال القارى وابن قتيبة : يعنى وحشىّ الفؤاد .

وقال التبريزى : حُوش الفؤاد وحُوشىّ الفؤاد: وَحشيُّه . لحِدَّته وتوقُّده . ورجلٌ حُوشىّ : لا يخالط الناس . وليلٌ حوشىٌّ: مظلم هائل، كما يقال ليلٌ سخّام وسُخامىٌّ للأسود . وكذلك إبل حُوشٌ وحُوشيَّة ، أى وحشيَّة . وقيل الحوشية بلاد الجن .

---

(١) وكذا النص فى التبريزى ، وهى صحيحة .

(٢) التكملة من ش .

(٣) أتى به شاهداً فى الآية الأولى من المزمل ، على إيقاظ الرسول صلى الله عليه وسلم ليتلقى الأمر الخطير بالقيام بالليل ، وترتيل القرآن .

و(في الأساس) : رجلٌ حوش الفؤاد: ذكيٌّ كيِّس ، وأصله من الإبل الحوشية ، وهى التى يزعمون أنَّ فحولَ نَعَمِ الجنِّ قد ضربتْ فيها . ومبطَّناً : ضامر البطن .

والسُّهُد بضمتين : قليل النوم. وإذا ظرف لِسُهُداً . قال التبريزى : قوله نامَ ليل الهوجل جعل الفعلَ للَّيل لوقوعه فيه ، أى نام الهوجل فى ليله . والهَوْجل: الثَّقيل الكسلان، وقيل الأحمق لا مُسْكة به . وبه سمِّيت الفلاة التى لا أعلامَ بها ولا يُهتدَى فيها : الهوجلَ . أى أتت الأُمُّ بهذا الولد ذكيًّا حديد الفؤاد ، يسهر إذا نام الهوجل .

قال العينى : ما زائدة ، ويحتمل أن تكون مصدرية ، أى حين نومِ ليلِ الهوجَل . انتهى .

والصواب الأوّل ، لأنّ إذَا لا تضاف إلى مفرد .

وقوله : « ومبرَّأً من كلِّ » إلخ ، هو معطوف على حوش الفؤاد ، وقد وقع فى الحماسة قبل البيتين قبله(١) . وقال التبريزى : ويروى بالنصب والجر ، فالنصب عطفٌ على غير مهبَّل ، كأنه قال: شبَّ فى هاتين الحالتين . وإذا جررته كان عطفاً على قوله : جلدٍ من الفِتيان .

وغُبَّرُ الحيض ، بضم المعجمة وتشديد الموحدة المفتوحة : بقاياه ، وكذلك غُبْره بسكون الموحَّدةِ ، وكذلك غُبْر اللبن : باقيهِ فى الضَّرع . والحِيضة بالكسر : الاسم ، وبالفتح المرَّة . وكلّ للتأكيد ؛ كأنّه نفى

(١) ط : « على البيتين قبله » ، صوابه فى ش . والواقع أن البيت الذى أوله « ومبرأ » وقع فى الحماسة سابقاً ترتيبه فى الحماسة للأول منهما ، ويليه بيت « حملت به فى ليلة مزءودة » ، ثم بيت « فأتت به حوش الفؤاد » .

قليلَ ذلك وكثيرَه . وأضاف الفساد إلى المرضعة لأنَّه أراد الفساد الذى
٤٧٢ يكون من قِبَلها . وهم يضيفون الشيءَ إلى الشيء لأدنى ملابسة. والمُغْيِل، بضم الميم وكسر الياء ، من الغَيْل ، وهو أن تُغشَى المرأةُ وهى تُرضع ، فذلك اللَّبن الغَيْل . يقَال أغالت المرأة ، إذا أرضعته على حَبَل . ويروى بدله : « معضل » ، وهو الذى لا دواءَ له ، كأنَّه أعضل الأطباءَ وأعياهم . وأصل العَضْل المنع . يقول : إنَّها حملت به وهى طاهرٌ ليس بها بقيَّةُ حيض ، ووضعتْه ولا داءَ به استصحبَه من بطنها فلا يَقْبلُ علاجاً ، لأنَّ داءَ البطن لا يفارق . ولم تُرضِعْه أمُّه غيلا ، وهو أن تسقيه غَيْلا وهى حُبلى بعد ذلك

وقوله : « وإذا نبذتَ له » إلخ ، نبذتُ الشيءَ من يدى ، إذا طرحتَه. وروى السكرى : « وإذا قذفت » يعنى أنَّك إذا رميتَه بحصاةٍ وهو نائمٌ وجدته ينتبه انتباهَ من سمع بوقعتها هدَّةً عظيمة ، فيطمِر طمورَ الأخيل ، وهو الشقِرَّاق . وانتصاب طمور بما دلَّ عليه قوله : « فزعاً لوقْعتها » كأنه قال : رأيته يطمِرُ طموره ، لأنَّ الخائف المتيقِّظ يفعل ذلك . والطُّمور: الوثب. وقال بعضهم : الأخيل : الشاهين، ومنه قيل تخيَّل الرجل، إذا جَبُنَ عندَ القتال فلم يثبت. والتخيُّل : المضىُّ والسرعة والتلوُّن .

وقوله : « وإذا يهبُّ من المنام» أى يستيقظ. ورأيتَه ، أى رأيتُ رُتوبه فحذف المضاف. ورُتوب الكعب: انتصابه وقيامُه . يقول: إذا استيقظ من منامه انتصب انتصاب كعبِ الساق . وكعب الساق منتصبٌ أبداً فى موضعه . والزُّمَّل بضم الزاى : الضَّعيف النؤُوم .

وقوله : « ما إن يمسُّ الأَرضَ » إلخ . إن زائدة. قال القارى: يقول إذا اضطجع لم يندَلق بَطْنُه ، إنَّما يمسُّ منكبه الأَرض وهو خميص البطن. ولمَّا قال لا يمسُّ الأَرض إلا مَنكِبٌ عُلِم أَنَّه خميص البطن ، فاكتفى بمعناه عن ذكره. يقول : مِنْ ضُمرِ بطنه وخُمْصه إذا اضطجع لا يمسُّ الأَرضَ منه شئٌ إلاَّ منكبُه . ثم جعله لطيفاً مثل مِحْملٍ فى طَيِّه .

وقوله : « طىّ المِحْمل » يريد حمائل السَّيف ، بكسر الميم الأُولى . أَراد أَنَّه مدمج الخلق كطى المِحمل ، كأَنَّه قال : طُوِىَ طىَّ المحمل . وقال التبريزى : انتصب على المصدر بما دلَّ عليه ما قبله ، لأَنَّه لمَّا قال : يمسُّ الأَرض منه إذا نام جانبُه وحرفُ الساق ، عُلِم أَنَّه مطوىٌّ غير سمين . والمعنى إذا نام لا ينبسط على الأَرض ولا يتمكَّن منها بأَعضائه كلِّها حتَّى لا يكاد يتشمَّر عند الانتباه بسرعة .

وهذا البيت أَورده ابن هشام (فى شرح الأَلفية) على أَنَّ طىَّ المحمل نصب بتقدير : يطوى طىَّ المِحمل .

وقوله : « وإذا رميتَ به الفِجاج » إلخ . قال القارى : أَى حملتَه عليها . والفَجّ : الطريق الواسع فى قُبل جبل ونحوه . قال التبريزى : الهُوِىّ بضم الهاء هو القصد إلى أَعلى ، وبفتح الهاء إلى أَسفل . وعلى ذلك قول زهير .

* هوىَّ الدَّلو أَسلمَها الرِّشاءُ (١) *

---

(١) صدره فى ديوان زهير ٦٧ :

* فشج بها الأماعز وهى تهوى *

فلا تـخيُّر [١] فى رواية البيت على الضم ، وإن كان قد قيل غير ذلك . انتهى .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ تَهْوِى إليهم [٢] ﴾ من سورة إبراهيم ، على أنَّ تهوى بمعنى تسرع إليهم وتطير شَوقاً ، كما فى البيت.

والمخارم : جمع مَخرَم كجعفر ، وهو منقطع أنف الجبل . والخَرم : أنف الجبل . والأجدل : الصَّقر .

وقوله : « وإذا نظرتَ إلى أَسرَّة وَجهِه » قال التبريزى : الخطوط التى فى الجبهة الأغلب عليها سِرار ، وتجمع على الأَسرَّة . والتى فى الكفّ الأغلب عليها سِرَرٌ وسُرٌّ ، وتجمع على الأَسرار . وقد قيل الأَسرَّة الطرائق.
والعارض من السحاب : ما يَعرِض فى جانب من السماء . وتهلَّل الرجل ٤٧٣
مَرَحاً واهتَّل ، إذا افترَّ عن أسنانه فى التبسُّم . يقول : إذا نظرتَ فى وجهه رأيتَ أَسارير وجهه تُشرق إشراق السحاب المتشقِّق بالبرق . يَصِفُهُ بحُسن البشر وطلاقة الوجه .

قال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : أخرج أبو نُعيم (فى الدلائل) والخطيب ، وابن عساكر ، بسندٍ حسن عن عائشة قالت :

كنت قاعدةً أَغزِل ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْصِفُ نعله ، فجعل جبينُه يعرَق ، وجعل عرقه يَتولَّد نُورًا ، فبُهتُّ فقال : مالكِ بُهِتِّ ؟ فقالت : جعلَ جبينُك يعرق ، وجعل عرَقك يتولَّد نوراً ، ولو رآك أَبو كبير الهذلىُّ لعلم أَنَّك أَحقُّ بشعره حيث يقول :

---

(١) ط : « فلا تختر » .
(٢) الآية ١٣٧ من سورة إبراهيم .

* ومبرَّأً أَمِن كلِّ غُبَّر حيضةٍ * ... البيت

* وإذا نظرت إلى أَسرَّة وجهه * ... البيت

وقوله: « يحمى الصِّحابَ » إلخ ، العُيَّل ، بضم العين وتشديد المثناة التحتية : جمع عائل ، وهو الفقير .

أبو كبير الهذلى

وأَبو كبير الهذلى: شاعرٌ صحابي ، اشتهر بكنيته . واسمه عامر بن الحُلَيس ، أَحد بنى سهل بن هذيل . كذا قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) وغيرُه .

والحُليس : مصغر الحِلس ، بكسر الحاءِ المهملة وسكون اللام وآخره سين مهملة . والحلس للبعير : كِساءٌ رقيق يكون تحت البَرْذعة .

وأَبو كبير ، بفتح الكاف وكسر الموحَّدة ، على وزن خلاف الصَّغير .

وقد أَورده ابن حجر (فى القسم الأَول من الإصابة) ولم يذكر اسمه فقال: أَبو كبير ، بالموحَّدة ، الهذلى ، ذكره أَبو موسى وقال: ذكر عن أَبى اليقظان أَنَّه أَسلم ثم أَتَى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : أَحِلَّ لىَ الزِّنى . فقال :«أَتحبُّ أَن يؤتَى إليك مثلُ ذلك؟ » قال: لا . قال : « فارضَ لأَخيك ما تَرضَى لِنفسك » . قال : فادعُ الله لى أَن يُذهِبَ عنِّى . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده :

(الحافِظُو عَورة العشيرةِ لا يأْتيهمُ من ورائهم وكَفُ)

على أَنَّ الأَصل : الحافظون عورةَ العشيرة ، فحذفت النون تخفيفاً .

وهذا على رواية نصب عورة . وأَمَّا على رواية جرِّها فالنونُ حذفت للإضافة .

وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين[١] .

والوكف ، بفتح الواو والكاف : العيب والعار .

* * *

وأنشد بعده :

(أبَنِى كُليبٍ إنَّ عمَّى اللَّـذا قَتلاَ الملوكَ وفكَّكا الأَغلالا)

على أنَّ أَصله اللذان قتلا الملوك ، فحذفت النون من الموصول تخفيفاً.

وتقدَّم الكلام عليه أيضاً فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الأَربعمائة[٢]

* * *

وأنشد بعده :

(وإنَّ الذى حانَتْ بفَلْجٍ دماؤُهم همُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خَالِدِ)

على أنَّ أَصله إن الذين حانت ، فحذفت النون منه تخفيفاً .

وتقدَّم الكلام عليه أيضاً فى الشاهد السادس والعشرين بعد الأَربعمائة[٣] .

وحانت : هلكت ، من الحَيْن ، وهو الهلاك . وفلج ، بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيمٌ : موضعٌ فى طريق البصرة .

* * *

٤٧٤ وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٤] :

٦٠٩ (وكَرَّارُ خَلفَ المجْحَرِينَ جوادِهِ
إذا لم يُحَامِ دُونَ أُنثَى حَليلُها)

(١) الخزانة ٤ : ٢٧٢ - ٢٨٣ .

(٢) الخزانة ٦ : ٦ ، ١٣ .

(٣) الخزانة ٦ : ٢٥ ، ٣٤ .

(٤) فى كتابه ١ : ٩٠ . وانظر ديوان الأخطل ٢٤٥ ومعانى الفراء ٢ : ٨١ .

على أَنَّه قد فُصل اسم الفاعل المضافُ إلى مفعوله عنه بظرفٍ ، والأَصل : وكرَّارُ جَوادِهِ خلف المُجْحَرين .

وهذه رواية الفراء ، قال (فى تفسيره): إذا اعترضت صفةٌ بين خافض وما خَفَض جاز إضافته ، مثل قولك : هذا ضاربُ فى الدار أخيهِ ، ولا يجوز إلّا فى شعر ، مثل قوله :

مؤخَّرُ عن أنيابه جِلدِ رأْسه فهنَّ كأَشباه الزِّجاج خُروجُ[1]

بخفض جلد. وقال الآخر :

* وكرار دون المجحرين جوادِه * . . . البيت

بخفض جواده .

وزعم الكسائى أنَّهم يُؤْثرون النصب إذا حالوا بين الفعل والمضاف بصفة[2] ، فيقولون : هو ضاربُ فى غير شىءٍ أخاه ، يتوهَّمون إذْ حالوا بينهما[3] أنَّهم نوَّنوا . انتهى .

والصفة عند الكوفيين : الجار والمجرور والظرف .

وتقدَّم نقلُ كلامِ الفراءِ برُمَّته فى الشاهد الحادى والتسعين بعد المائتين[4] .

وأَمَّا عند سيبويه فهو مضافٌ إلى خلفِ ، وجوادَه منصوب . وهذا نصُّه :

---

(١) فى معانى الفراء : « لهن » موضع « فهن » .
(٢) فى معانى الفراء : « بين الفعل المضاف بصفة » ، وما هنا صوابه .
(٣) ط : « إذا حالوا » ، وأثبت ما فى ش ومعانى الفراء .
(٤) الخزانة ٤ : ٢٣٤ – ٢٣٥ .

ولا يجوز : يا سارق الليلةِ أَهلَ الدار إِلّا فى الشِّعر ، أَى بنصب الليلة وجرِّ أَهل ، كراهية أَن يفصِلوا بين الجارِّ والمجرور(١) . وإِذا كان منوَّناً ، فهو بمنزلة الفعل الناصب ، تكون الأَسماء فيه منفصلة . قال الشمّاخ :

ربَّ ابنِ عمٍّ لسليمى مُشْمَعِلّْ   طبَّاخِ ساعاتِ الكرى زادَ الكَسِلْ(٢)

وقال الأَخطل :

« وكرار خلف المجحَرين جواده » . . . البيت »

قال الأَعلم فى البيت الأَوَّل : الشاهد فيه إِضافة طباخ إِلى ساعات ونصب زادَ على التعدِّى ، والتقدير : طبّاخ ساعات الكرى ، على تشبيه الساعات بالمفعول به ، لا على الظرف . ولا يجوز الإِضافة إِليها وهى مقدَّرة على أَصلها من الظرف ، لأَنَّ الظرف يقدَّر فيه حرف الوعاءِ ، وهو فى ، والإِضافة إِلى الحرف غير جائزة ، وإِنَّما يضاف إِلى الاسم . ولمَّا أَضاف الطباخ إِلى الساعات على هذا التأْويل اتِّساعاً ومجازًا عدَّاه إِلى الزاد لأَنَّه المفعول به فى الحقيقة . انتهى .

وتقدَّم شرحه فى الشاهد المذكور .

وقال فى البيت الثانى : الشاهد فيه إِضافة كرَّار إِلى خلف ونصب الجواد ، والقولُ فيه كالبيت الذى قبله ، إِلَّا أَنَّ الإِضافة إِلى خلف أَضعف، لقلَّة تمكُّنها فى الأَسماء . ويجوز فيه من الفصل ما جاز فى الأَوّل ، والأَوَّل أَجود . انتهى .

(١) يعنى المضاف والمضاف إليه .

(٢) ديوان الشماخ ١٠٩ . وقد نسب فيه إلى جبار بن جزء بن ضرار ، ابن أخى الشماخ .

وقال ابن خلف : الشاهد إضافة كرَّار إلى خلف وهو ظرف ، فإذا نُصِب نصبَ المفعول به على السَّعة جاز أن يضاف إليه كما يضاف إلى المفعول به ، وهذا هو الوجه . وقد أنشد[1] بعضُهم بجرِّ جواده ، فهذا مثل التفسير الذى فى :

* طباخ ساعاتِ الكرى زاد الكسل *

وهو فى كرَّار خلف أحسن، لأنَّ خلفَ أقل تمكُّنا وأضعف من ساعات. انتهى .

وكرّارٌ بالرفع معطوف على عروفٌ فى بيت قبله كما يأْتى . وهو
فعَّال من كرَّ الفارس كرًّا من باب قتل ، إذا فرَّ للجَوَلان ثم عاد للقتال .
وضمَّنه معنى العطف والدفع، ولهذا تعدَّى إلى المفعول . والمجحرين[2] اسم
مفعول من أجحره، بتقديم الجيم على الحاءِ المهملة ، أى ألجأَه إلى أن
دَخل جُحرهُ فانجحر ، أى يكرُّ كرًّا كثيراً جوادَه خلف المجحرين ، وهم ٤٧٥
الملجَئون المغشيُّون، ليحامىَ عنهم ويقاتلَ فى أدبارهم . والجواد : الفرس
الكريم . و(لم يحام): لم يدافع، بإشباع كسرة الميم للوزن. ودونَ بمعنى
أمامَ وقُدَّام . وأراد بالأُنثى أعمَّ مِن الزوجةِ والبنت والأُخت والأمّ.
و (الحليل) : الزَّوج . والحليلة : الزَّوجة ، سمِّيا بذلك لأَنَّ كلَّ واحد
منهما يَحلُّ للآخر دون غيره ، أو لأَنَّه يحُلّ من صاحِبه محَلاًّ لا يحُلُّه
غيره . وصَفه بالشَّجاعة والإقدام . يقول : إذا فرَّ الرجال عن نسائهم
وأسلموهنَّ للعدوّ قاتل عنهم وحماهم .

ورواية البيت فى ديوان الأَخطل كذا :

(١) ش : « أنشده » ، مع أثر تغيير .
(٢) ما بعده إلى كلمة « خلف » التالية ساقط من ش .

وكَرّارُ خلفَ المرهَقين جوادَه حِفاظاً إذَا لم يَحْمِ أُنثى حليلُها

و (المرهَق) : اسم مفعول من أَرهقته ، إذا أَعْسرته وضيَّقت عليه . وقال السكرى (فى شرح ديوانه) : المُرهق : الذى قد غَشِيه السلاح . و (الحفاظ) : الحماية ، علَّة لقوله كرَّار . وإذا ظرفٌ لكرّار .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للأَخطل النَّصرانىّ ، مدح بها همَّام بن مطرِّف التغلبى . وهذه أَبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(رأَيتُ قُروم ابنَىْ نزارٍ كليهما إذا خطرت عندَ الإِمام فُحولُها
يَرَون لهمَّام عليهم فضيلةً إذا ما قُروم الناس عُدَّت فضولُها
فتى الناسِ هَمَّامٌ وموضعُ بيته برابيةٍ يعلو الرَّوابىَ طولُها
فلو كان همَّامٌ من الجنِّ أَصبحت سجوداً له جِنُّ البلاد وغولُها)

إلى أن قال :

(جوادٌ إذا ما أَمحلَ الناسُ مُمرعٌ كريمٌ ، لجَوْعات الشِّتاءِ قَتولُها(١)
إذا نائباتُ الدهر شَقَّت عليهم كفاهم أَذاها واستُخفَّ ثقيلُها(٢)
عَروفٌ لإِضعاف المرازئِ ماله إذا عجَّ منحوتُ الصَّفَاة بَخيلُها(٣)
وكرار خلف المرهقين جواده) . . . البيت

القروم : الأَشراف والسادة . وابنا نزار هما ربيعة ومضر . وأَمحلَ النَّاسُ : أَقحطوا . ومُمرِع : ذو خِصْب ونَعْمة. وشَقَّت من المشقَّة .

---

(١) فى الديوان ٢٤٤ : « لجوعات النساء » .
(٢) فى الديوان : « شفت عليهم » بالفاء ، يقال شف عليه ثوبه يشف شفوفاً ، وشفيفاً ، أى رق حتى يرى ما خلفه . وفى الديوان أيضاً : « فاستخف ثقيلها » ، مبدوءاً بالفاء .
(٣) ش : « لأصناف » ، تحريف . وفى الديوان : « لأضعاف » بالهمزة المفتوحة .

والعروف : الصَّبور هنا ، ومبالغة العارف . وإضعاف مصدر أَضعف يضعف ، وهو من الضَّعف ضدِّ القوَّة . والمرازئ: جمع المرزأ، بفتح الميم فيهما ، مصدرٌ بمعنى المصيبة ، وهو حدوث أَمرٍ يَذْهب به المالُ . قال (فى المصباح): «الرزيَّةُ :المصيبة ،وأَصلها الهمز ، يقال رزأَتْهُ ترزَؤُه[1] مهموز بفتحتين[2] ، والاسم الرُّزءُ كقفل . ورزأْته أَنا ، إذا أَصبتَه بمصيبة . وقد يخفَّف فيقال رزَيْته أَرزَاهُ » . وماله فاعلِ عَروف ، أَى هو عروفٌ مالُه . وعَجَّ : صاح . والصَّفاة ، بالفتح : الصَّخرة . قال السكرىّ: ومنْحوت الصَّفاة : الذى إذا سئل لم يُعطِ ، كما لا يبضُّ الحجر إذا نُحِت .

وقال ابن خلف : المنحوت الذى يؤخذ منه شىءٌ بعد شىءٍ بشدَّة . يقول : هذا الرجل يُعطِى إذا ضجَّ من السؤال الرجلُ الذى يُعطِى اليسير بعد شِدَّة ، ويكون ما يؤخَذ[3] منه بمنزلة ما ينحت من الصَّخر . وبخيلها يريد بخيل النفس ، فأَضمر .

وترجمة الأَخطل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والسبعين[4] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[5] : ٤٧٦

٦١٠ (هلْ أَنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتنا ... أَو عبدَ ربٍّ أَخا عونِ بنِ مخراقِ)

على أَنَّ سيبويه أَنشده بنصب عبد ربّ ، ونصبُه بتقدير اسم الفاعل أَولى من تقدير الفعل ، ليوافق المقدَّر الظاهر .

(١) ط : « ترزأه » ، صوابه فى ش والمصباح . يريد : رزأته المصيبة ترزؤه .
(٢) يريد فتح عين الماضى وفتح عين المضارع .
(٣) ط : « ما يأخذ » ، صوابه فى ش .
(٤) الخزانة ١ : ٤٥٩ - ٤٦٢ .
(٥) فى كتابه ١ : ٨٧ . وانظر المقتضب ٤ : ١٥١ والجمل ٩٩ والعينى ٣ : ٥٦٣ والهمع ٢ : ١٤٥ والأشمونى ٢ : ٣٠١ .

وفيه أَنَّ الأَوْلَى عند سيبويه تقدير الفعل ، فإنَّه قَبْلَ أَنْ قال : «وزعم عيسى أَنَّهم ينشدون هذا البيتَ بنصب عبد ربّ ، قال أبو الحسن : سمعته من عيسى (١) – قال :

وتقول فى هذا الباب : هذا ضاربُ زيدٍ وعمرٍو ، إذا أشركتَ بين الآخِرِ والأَوّل فى الجارّ ، لأَنَّه ليس فى العربية شىءٌ يعمل فى حرف فيمتنع أَن يُشرَكَ بينه وبين مثله . وإن شئت نصبتَ على المعنى ، تضمر له ناصباً فتقول : هذا ضاربُ زيدٍ وعمرًا ، كأَنه قال : ويضرب عمرًا ، أَو وَضاربٌ عمرًا . انتهى .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه نصب عبد ربّ بإضمار فعل ، كأَنه قال : أَو تبعث عبدَ ربّ . ولا يجوز أَن يضمَر إلاَّ الفعل المستقبل ، لأَنَّه مستفهم عنه ، بدليل قوله « هل » . ويجوز أَن ينتصب عبد ربّ بالعطف على موضع دينار ، لأَنَّه مجرورٌ فى اللفظ منصوبٌ فى المعنى . انتهى .

ولم يُصِب الأَعلمُ فى قوله : الشاهد فيه نصب عبد ربّ حملاً على موضع دينار ، لأَنَّ المعنى هل أَنت باعثٌ ديناراً أَو عبدَ ربّ . انتهى .

وإلى تقدير الوصف ذهب ابن السرَّاج (فى الأُصول) قال : أَراد بباعث التنوين ، ونصب الثانى لأَنَّه أَعمل فيه الأَوّل ، كأَنه قال : أَو باعث عبد ربّ . ولو جرّه على ما قبله كان عربيًّا ، إلاَّ أَن الثانىَ كلَّما تباعد من الأَوّل قوىَ النصب . انتهى .

وإلى تقدير الفعل لا غير ذهب الزّجاجىُّ (فى الجمل) .

(١) من عيسى ، ساقط من ش . على أن عبارة « قال أبو الحسن : سمعته من عيسى » ليست فى صلب كتاب سيبويه ، وهى بلا ريب من تعليقات الأخفش .

قال ابن هشام اللخمى : الشاهد فيه نصب عبد ربّ بفعل مضمر وهو مذهب سيبويه. وقد خطّأ بعضُهم الزجّاجيَّ فى قوله : تنصبه بإضمار فعل ، وقال : لا يحتاج هنا إلى الإضمار ؛ لأنَّ اسم الفاعل بمعنى الاستقبال وموضع دينار نصب ، فهو معطوفٌ على الموضع ، ولا يُحتاج إلى تكلُّف إضمار ، وإنَّما يُحتاج إلى تكلُّف الإضمار إذا كان اسم الفاعل بمعنى المضيّ لأنَّ إضافته إضافة محضة لا يُنوَى بها الانفصال . والذى قال الزجّاجيُّ هو الذى قال سيبويه ، وتمثيلُه يشهد لما قلناه ؛ وإن كان جائزًا أن يعطف عبد رب على موضع دينار ، ولكنَّ ما قدَّمنا هو الذى نصَّ عليه سيبويه .

والدليل على أنَّ المراد بباعثُ فى البيت الاستقبالَ دخولُ هل ، لأنَّ الاستفهام أكثر ما يقع عمَّا يكون فى الاستقبال ، وإن كان قد يستفهم عمَّا مضى ، كقولك : هل قام زيد ؟ لكنَّه لا يكون إلاَّ بدليل . والأَصل ما قدَّمنا . انتهى .

وقد نقل العينىُّ كلام اللخمى برُمَّته ولم يعزُه إليه .

والبيت أَورده الزَّمخشرىّ ، عند قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَنتم مُجتمِعُون[1] ﴾ قال : هو استبطاءٌ لهم فى الاجتماع ، وحثٌّ على مبادرتهم إليه ، كما يقول الرجل لغلامه إذا أَراد أَن يحثَّه على الانطلاق : هل أَنت منطلق ؟ وهل أَنت باعثٌ دينارًا ، أَى ابعثهُ سريعاً ولا تبطئ به .

قال ابن خلف : ومعنى باعث موقظ ، كأَنَّه قال : أَوقظْ ديناراً [2] أَو عبدَ ربّ . وهما رجلان .

(١) الآية ٣٩ من سورة الشعراء .
(٢) كذا وردت فى النسختين ، والمعروف « أيقظ » بالياء .

وقال اللخميّ : باعث هنا بمعنى مرسل ، كما قال تعالى : ﴿ فابعَثُوا أَحدَكُم بوَرِقِكم هذِهِ إلىالمدينة[١] ﴾ . وقد يكون بمعنى الإيقاظ : كقوله تعالى : ﴿ من بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا[٢] ﴾ . غير أَنَّ الأَحسن هنا أن يكون بمعنى
٤٧٧ الإرسال ، إذ لا دليل على النَّوم فى البيت .

قال الأَعلم : يحتمل دينار هنا وجهين : أَحدهما أن يكون أَراد أَحد الدنانير ، وأَن يكون أَراد رجلاً يقال له دينار .

وكذا قال اللخمى : دينار وعبد ربٍّ : رجُلان ، وقيل : أَراد بدينار واحدَ الدَّنَانير ، كما قال بعض الشعراء :

إذا كنْتَ فى حاجةٍ مرسلاً وأَنَت بهــا كلفٌ مغــرَمُ
فأَرسلْ حكيمــاً ولا تُوصِه وذاك الحكيمُ هو الدِّرهمُ[٣]

وقال ابن خلف : عبد ربّ الاسمُ إنَّما هو ربِّه ، لكنه تركَ الإضافة وهو يريدها . وأَخا عون : وصف لعبد رب . ويجوز : أَوْ عبدِ ربٍّ أَخى ، بالجرِّ . وزعم عيسى بنعمر أَنَّه سمع العرب تنشده منصوباً .

وقال العينى : أَخا عون بدل منعبد رب ، بدل الشىء من الشىْ ، وهما لعين واحدة .

وقال خضْرٌ الموصليّ: أَخاعون إمّا عطف بيان لعبد ربِّه أو نعتٌ له على رواية النصب ، أو منادًى عليهما . انتهى .

(١) الآية ١٩ من سورة الكهف .
(٢) الآية ٥٢ من سورة يس .
(٣) أى الحكيم مستغن بحكمته عن الوصية . ويقال فى أمثالهم أيضاً : « أرسل حكيما وأوصه » ، أى إنه وإن كان حكيما فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك . الميدانى ١ : ٢٧٧ والمستقصى للزمخشرى ١ : ١٤٠ . والبيتان لابن فارس صاحب المقاييس فى ترجمته فى معجم الأدباء ٤ : ٨٧ والثعالبى، وابن خلكان ، واليافعى ، وابن العماد . وانظر حواشى المقاييس ١ : ١٣ من مقدمة الناشر .

وعلى النداءِ يكون أخا عون هو المخاطَب فى قوله : هل أنت . وكأنَّ هذا الوجْهَ لبعض من شرح الكشّاف . ولم أر لخضرٍ الموصلىٍّ فى تاليفه بنتَ فكر . والله أعلم .

و (مخراق) بكسر الميم وسكون الخاءِ المعجمة : اسم .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلها . وقال ابن خلف : وقيل هو لجابر بن رألان السِّنبِسى . وسِنبس : أبو حىّ من طيِّئٍ .

ونسبه غير خدَمة سيبويه إلى جرير ، وإلى تأبط شرًّا ، وإلى أنّه مصنوع . والله أعلم بالحال .

اسم المفعول

أَنشد فيه :

(أَدنُو فأَنظُورُ[١])

هو قطعةُ بيتٍ تقدَّم شرحه فى باب الإعراب من أَوّل الكتاب ، وهو :

(وأَنَّنى حيثُما يَثْنِى الْهَوَى بَصَرِى
من حيثُما سلكُوا أَدنُو فأَنظُورُ)

الصفة المشبهة

أَنشد فيها :

(أَقامتْ على ربعيهما جارتَا صفاً كُميتا الأَعالى جَونتا مُصْطَلاهُما)

تقدَّم شرحُه بما لا مزيد عليه فى الشاهد الموفى الثلثمائة[٢] .

* * *

وأَنشد بعده :

(روانفُ أَليتيكَ وتُستطارا)

هذا عجز ، وصدره :

(متَى ما تَلقَنى فردَيْنِ ترجُفْ)

والروانف : جمع رانفة ، وهى طرف الأَلية ، فالأَليتان لهما رانفتان. وإِنَّما قال روانف باعتبار ما حولَ كلِّ رانفة ، فتكون الأَلف فى تستَطارا ضمير الرَّوانف ؛ لأَنَّها بمعنى رانفتين .

وهذا قولُ أَبى على (فى المسائل البصرية) .

(١) الشاهد الحادى عشر فى الخزانة ١ : ١٢١ - ١٢٢ .
(٢) الخزانة ٤ : ٢٩٣ - ٣٠٣ .

وقد تقدَّم شَرح هذا البيت أَيضاً مستوفى مفصَّلاً فى الشاهد التاسع والستين بعد الخمسمائة من شواهد باب المثنى[1] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الستمائة[2] : ٤٧٨

٦١١(أَنعتُها إِنِّىَ من نُعَّاتِهـا   كُومَ الذُّرى وادقةً سُرَّاتِها)

على أَن وادقة صفة مشبهة ، وفاعلها ضمير مستتر فيها . و (سُرَّاتها) منصوب بالكسرة على التشبيه بالمفعول للصِّفة المشبَّهة .

قال أَبو على (فى المسائل البصرية) : أَنشد الفرَّاءُ عن الكسائى ، وقد رويناه عن ثعلب عنه (فى نوادر ابن الأَعرابى) :

أَنعتُهـا إِنِّى من نُعَّاتِهـا   مُدارةَ الأَخفـافِ مُجمراتِها
غُلبَ الذَّفارَى وعَفَرْنَيَاتِها   كُـومَ الذُّرى وادقةً سُرَّاتِهـا

قال أَبو على : هذا على : هند حسنةٌ وجهَها . فنى وادقة ذكرٌ من الإبل وليست للسُّرَّاتِ . فافهم . انتهى .

وعدَّ ابن عصفور هذا من ضرورة الشعر ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنه نصب معمول الصِّفة المشبهة باسم الفاعل فى حال إضافته إلى ضمير موصوفها ، نحو قولك : مررت برجل حسنٍ وجهَه بنصب الوجه ، ولا يجوز ذلك إلَّا فى ضرورة نحو قوله :

أَنعتُها إِنِّىَ من نُعَّاتِهـا   كُومَ الذُّرى وادقةً سُرَّاتِها

---

(١) الخزانة ٧ : ٥٠٧ – ٥٢١ .

(٢) ابن يعيش ٦ : ٨٣ ، ٨٨ والمقرب ٢٨ والضرائر ٢٨٦ والعينى ٣ : ٥٨٣ والدرر اللوامع ٢ : ١٣٥ عرضاً والأشمونى ٣ : ١١ والأصمعيات ٣٤ .

ألا ترى أنَّه قد نوَّن وادقة ونصب معمولها وهى مضافة إلى ضمير موصوفها ، وكان الوجه أن ترفع السُّرَّات[١] ، إلاَّ أنَّه اضطُرَّ إلى استعمال النصب بدل الرفع ، فحمَّل الصفة ضميراً مرفوعاً عائدًا على صاحب الصفة ، ونصب معمول الصِّفة إجراءً له فى حال إضافته إلى ضمير الموصوف مُجراه إذا لم يكن مضافاً إليه . وكذلك أيضاً لا يجوز خفض معمولها فى حال إضافته إلى ضمير الموصوف إلاَّ عند الاضطرار ؛ لأَنَّ الخفض لا يكون إلاَّ من نَصْب . ومن ذلك قولُ الأَعشى :

فقلتُ له هذه هاتِها إلينا بأَدماءِ مقتادِها[٢]

ألا ترى أنَّه أَضاف الصِّفة ، وهى أَدماءُ ، إلى معمولها وهو مقتاد فى حال إضافته إلى ضمير موصوفِه . وقولُ الآخر فى الصَّحيح من القولين :

أَقامتْ على ربعيهما جارتَا صَفاً
كُميتَا الأَعالى جَونتَا مُصطلاهما[٣]

ألا ترى أَنَّه أضاف الصفة وهى جونتا إلى معمولها وهو مُصطلًى فى حال إضافته إلى ضمير موصوفه . انتهى .

ونقل ابنُ الناظم (فى شرح الأَلفيَّة) عن سيبويه أَنَّ الجرَّ فى هذا النحو من الضرورات ، وأَنَّ النصب من القِسْم الضعيف . وأَنشد البيت. ولم يصب العينىُّ فى قوله : الاستشهادُ عند ابن الناظم فى نصب سُرَّاتِها ، لأَنَّ فيه شاهدًا على جواز زيد حسنٌ وجهَه بالنصب . انتهى .

---

(١) ط : « السراة » ، خطأ كتابى ، صوابه فى ش والضرائر .
(٢) ديوان الأعشى ٥١ . والرواية فيه :
* بأدماء فى حبل مقتادها *
(٣) للشماخ فى ديوانه ٨٦ . وانظر الخزانة ٤ : ٢٩٣ وهو الشاهد الموفى الثلاثمائة .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل): قوله وادقة سرَّاتِها نظير حسن وجهه. وسُرَّاتها بالكسر فى مَوْضع النصب على التمييز. انتهى.

وهذا إنَّما هو على مذهب الكوفيِّين، والبصريون يقولون: منصوب على التشبيه بالمفعول.

ثم نقل عن صاحب المقتبس أَنَّ عبد القاهر قال : الأَصل وادقة السُّرَّات[1]، فنابت الإضافة عن اللام كما تنوب اللام عن الإضافة. انتهى.

ولا يخفى أَنَّ المعهود عند النحاة هو الثانى لا الأَوَّل.

٤٧٩ [قال[2]] : والرجز المذكور أَنشده ابن الأَعرابى (فى نوادره) على ذلك الترتيب. وبعد البيت الشاهد :

* حَمَّلت أثقالى مصمِّماتِها *

ثم سبعة أَبيات أُخر لا حاجة لنا بإيرادها. وإنَّما جمعوا فى الاستشهاد بين البيت الأَوَّل والبيت الرابع للاختصار، ولظهور المعنى إجمالاً.

وقوله: (أَنعتُها) إلخ، الضمير للإبل، فإنَّ النعوت الآتية إنَّما هى لها. نَعتَه نعتاً من باب نفع: وصفَه. و (نُعَّات) بالضم والتشديد: جمع ناعت.

وقوله : « مُدارة الأَخفاف » منصوب بتقدير أعنى ونحوه على المدح، وكذا الحالُ فى الأَوصاف الآتية. والمعنى أَنَّ أَخفافها مدوَّرة. مُجْمراتها، أَى مجمرات الأَخفاف. والمُجمَر بضم الميم وسكون الجيم

(١) ط : « السراة »، تحريف.
(٢) التكملة من ش.

وفتح الميم الثانية قال صاحب الصحاح(١) : حافر مُجْمَر ، أى صلب .

وقوله : «غُلب» إلخ الغَلَبُ بفتح الغين المعجمة واللام : غِلظُ الرَّقبة ، والوصف أَغلب والجمع غُلْب . والذَّفارَى ، بفتح الذال المعجمة بعدها فاءٌ آخره ألف مقصورةٌ : جمع ذِفرى بكسر الأَوَّل وسكون الثانى والقصر ، قال صاحب الصحاح(٢) : الذِّفرَى من القفا هو الموضع الذى يعرق من البعير خلفَ الأُذن ، والأَلف للتأْنيث وقيل للإِلحاق بدرهم .وأَراد بالذِّفرى العُنق ، من قبيل المجاز المرسل. وعَفَرْنَياتها : جمع عَفَرْناة بفتح العين المهملة والفاءِ وسكون الراء والنون ، والأَلف للإِلحاق بسفرجل ، والتاءُ للتأْنيث . قال صاحب الصحاح : وناقة عَفَرْناة أَى قويَّة . وأَنشد هذا البيت .

وقوله : (كُومَ الذُّرى) منصوب على المدح كالذى قبله كما تقدَّم. وهو بضمِّ الكاف : جمع كَوماءَ بفتحها وبالمدِّ ، وهى الناقة العظيمة السَّنام. والذُّرى بضم الذال : جمع ذِروة بكسرها(٣) ، وهى أَعلى السَّنام. و(وادقةً) منصوب أَيضاً ، من ودق ، إذا دنا ، لأَنَّها إذا سمنت دنَتْ إلى الأَرض من سِمَنها . يقال بعيرٌ وديق السُّرَّة ، أَى سمينها . ووادقة صفة مشبَّهة ، لأَنَّه أُريد به ثبات معناه ودوامُه ، وإن كان بزنة اسم الفاعل الموازن يفعل ، لأَنَّه لا يراد به تجدُّد معناه وانقطاعُه . وقال الخوارزمى: ودَق : دنا ، والمراد به السِّمَن ههنا ، لأَنَّها متى سمنت خرجت من السِّمَن سُرَّتُها ودنت إليك . وسُرَّاتها بضم السين وتشديد الراءِ: جمع سُرّة ، وهى موضعُ ما تقطعه القابلة من الولد .

---

(١) الكلام بعده إلى « صاحب الصحاح » الثانية ساقط من ش .
(٢) هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه .
(٣) الحق أنها بكسر الذال وضمها أيضاً ، كما فى المعاجم .

قال التبريزى (فى شرح الكافية الحاجبيَّة) بعد إيراد هذا البيت : ولا يجوز تقديم المنصوب على العامل لأنَّه مرفوع فى المعنى . ويجوز فى هذه المسألة وفى مررت بزيد الحسنِ وجهَه ، بنصب وجهه ، أن تُثنَّى[1] الصفة فيهما وتجمعَ وتؤنَّث وتذكَّر ، بحسب المعنى . انتهى .

وقوله : «حمَّلتُ» إلخ ، هو بتشديد الميم يتعدَّى إلى مفعولين ، الأوَّل أثقالى وهو جمع ثَقَل بفتحتين ، وهو المتَاع ، كسَبَبَ وأسباب . والثانى : مصمِّماتها ، جمع مصمِّمة ، بكسر الميم المشدَّدة ، من صمَّم فى الأمر ، إذا مضى فيه .

وجميع القوافى ما عدا الأُولى منصوبة بالكسرة ، لأنَّها جمع مؤنث سالم .

والزَّمخشرى إنما أوردَ البيت الشاهد . وزعَم بعضُ شرّاح أبياته من فضلاءِ العجم أنَّه عجز ، وصدره :

* رعَتْ كما شاءَت على غِرَّاتها *

وقال : الغِرَّة بالكسرِ : الغفْلة . وكومُ الذرى بالرفع : فاعل رعَتْ. وهذا من عدم تمييزه بين الرجز والشِّعر ، مع أنَّ الذى ضَمَّه ليس من الرجز[2] .

وهذا الرجز لم ينسُبه ابن الأعرابى إلى أحد ، وإنما قَال : هو لبعض الأَسديِّينَ يصف إبلاً . وقال العينى :قائله عُميربن لَحَا ،بالحاءِالمهملة ،التيمى. ٤٨٠

(١) ش : « يثنى »

(٢) يعنى بالذى ضمه السبعة الأبيات التى أشار إليها البغدادى فى ص٢٢٣ بقوله « ثم سبعة أبيات أخر لا حاجة لنا بإيرادها » . وقد ظن مصحح طبعة بولاق أن البغدادى يشير إلى الشطر الأخير هنا وهو « رعت كما شاءت على غراتها » . وقال معترضاً « بل هو رجز كما هو ظاهر » . فأخطأ هو فى تخطئته للبغدادى .

ولم أَعرفْ شاعراً كذا ، وإِنَّما المعروف عُمَر[١] بن لجإٍ التَّيْمىّ . وعُمَر[٢] مكبَّر لا مصغَّر . ولجأٌ بفتح اللام والجيم مهموز الآخِرِ . والله أعلم بحقيقة الأمر .

والبيت الذى أنشده ابن عُصفور لأَعشى بكر إنَّما الرواية فيه :

فقلتُ له هذهِ هاتِها ... بأَدماءَ فى حبل مُقتادها

فلا ضرورة فيه . وقبله :

فقمنا ولمَّا يصِحْ دِيكنا ... إلى جَوْنةٍ عند حدَّادِها

ويعنى بالحدَّاد الخمّار ، لأَنَّه يَمنع من الخمر ويَحفظها . وكلُّ من حفظ شيئاً ومَنَع منه فهو حدَّاد . وهذه إشارة إلى الجَوْنة المذكورة ، وهى الخابية ، جعلها جَوْنة لاسْوِدادها من القار . والمعنى : هات هذه الخابية وخُذْ هذه الناقةَ الأَدماءَ ، أَى البيضاءَ ، بحَبل قائدها . والأُدْمة فى الإبل: البياض، وفى الناس: السُّمرة ، وفى الظباء : سمرةٌ فى ظهورها وبياضٌ فى بطونها . وضمير له للحدَّاد . وبأَدماءَ حال ، كأَنَّه قال : مشتراة بأَدماءَ . وفى حبل صفة لأَدماءَ ، كأَنه قال : بأَدماءَ مشدودة فى حبل قائدها ، أَو خبر لمبتدإٍ محذوف ،أَى وهى فى حبل قائدها ، والجملة حال . والجَوْنة بفتح الجيم ، معناه السوداءُ .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٣] :

---

(١) ط : « عمرو » ، صوابه فى ش . وقد تقدمت ترجمته فى ٢ : ٢٩٩ — ٣٠٢ . وانظر الشعر والشعراء ٦٨٠ — ٦٨١ .
(٢) ط : « وعمرو » ، صوابه فى ش .
(٣) فى كتابه ١ : ١٠٣ . وانظر العينى ٣ : ٦١٧ وديوان رؤبة ١٥ .

٦١٢ (الحَزْنُ باباً والعَقُورُ كَلْبَا)

على أنَّه كناية عن البخل ، كما أن جبان الكلب كناية عن الجود.

وأنشده سيبويه على أنَّ نصب باب وكلب على حَدَّ الحسن وجهاً .

والبيت من رجز لرؤبة بن العجاج . وقبله : صاحب الرجز

* فذاك وخْمٌ لا يبالى السَّبَّا *

والوخْم : الثقيل . يقول : ذاك من الرجال وخمٌ ثقيل لا يرتاح لفعل المكارم ، ولا يَهشُّ للجود ، ولا يبالى أن يُسَبَّ ، ويرى المال أَحَبَّ إليه من عِرضه .

و(الحزن) بفتح الحاءِ المهملة وسكون الزاى : صفة مشبَّهة ، وهو خلاف السَّهل . وكذلك (العقور) صفة مشبهة . قال الأزهرى : الكلب العقور : هو كلُّ كلب يَعقِر ، من الأَسَد والفَهْد والنَّمر والذئب . يقال عَقَر النَاسَ عقراً، من باب ضرب ، أى جرحهم ، فهو عقور، والجمع عُقُرٌ مثل رسول ورُسُل . و (باباً) و (كلباً) تمييزان .

وصف رؤبة رجلاً بشدَّة الحجاب ومنْع الضَّيف ، فجعل بابه حزناً وثيقاً لا يُستطاع فتحه ، وكلبَه عقورًا لمنْ حلَّ بفنائه طالباً لمعروفِهِ . يقول : إنَّ من أتاه لَقِىَ قبل الوصول إليه مايكره من حاجب أو بوَّابٍ أو صاحب . وجعل له كلباً على طريق الاستعارة ، كما يكون فى البادية .

وترجمة رؤبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أول الكتاب(١) .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٨٩ - ٩٣ .

وأنشد بعده :

(لحافِى لحافُ الضَّيف والبُرد برُدُه)

على أنَّ اللام فى قوله و « البرد » بدل من الضمير ، والتقدير : وبردى برده .

وهذا صدرٌ وعجزه :

(ولم يُلهِنى عنه غزالٌ مقنَّعُ)

وقد تقدَّم شرحه فى الشاهد الثالث والتسعين بعد المائتين[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(رحيبٌ قِطابُ الجيبِ منها)

تمامه :

(. . . . . رفيقةٌ بجسِّ الندامى بَضَّة المتجرِّدِ)

على أن رحيبٌ مضاف إلى قطاب ، وقطاب مضاف إلى الجيب .

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الحادى بعد الثلثمائة من باب الإضافة[٢] .

والرِّواية الصحيحة تنوين رحيبٌ ورفع قِطابُ على الفاعلية . وضمير منها لقَيْنة فى بيت قبله .

و (الرحيب): الواسع . و (قِطابالجَيْب) : مجتَمَعُه حيث قُطِب، أى جُمع ، وهو مَخرج الرأس من الثَّوبِ . وإنَّما وصف قطاب جيبها بالسَّعة لأنَّها كانت توسِّعه ليبدوَ صدُرها فيُنظَر إليه ويُتلذَّذ به . ورفيقة

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٥١ - ٢٥٥ .

(٢) الخزانة ٤ : ٣٠٣ - ٣٠٧ .

بالفاءِ ثم القاف : الملائمة واللّيِّنة . (والجَسُّ) بفتح الجيم : اللمس . و (بضّة) : ناعمة رقيقة. والمراد بالمتجرِّد حيث يتجرَّد من بدنها، أى يُعَرَّى من الثوب ، وهو الأَطراف . وخصَّه بالذكر مبالغةً فى نعومتها ، لأَنَّه إذا كان ما تصيبه الرِّيحُ والشمس والبرد من اليدين والرجلينِ بَضًّا ناعمًا رقيقًا، كان المستتر بالثياب أَشدَّ بضاضة ونعومة . وهذا هو المعنى الجيِّد بخلاف ما أَسلفناه هناك تبعاً لشرَّاح المعلقات ، وهو قولنا المتجرَّد : ما ستره الثياب من الجسَد، أَى هى بضَّة الجسم عند التجريد من ثيابها . ولا يخفى ضعفه وركاكته . وهذا المعنى لاحَ لنا والله الحمد.

والبيت من معلَّقة طرَفة بن العبد ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[1] .

(١) الخزانة ٢ : ٤١٩ - ٤٢٥ .

أفعل التفضيل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث عَشرَ بعد السمّائة[١] :

(أَبيضُ من أُختِ بنى أَبَاضِ)

على أنَّ الكوفيِّين أجازوا بناء أفعل التفضيل من لفظَيِ السَّواد والبياض كما هنا ، وهو شاذٌ عند البصريين .

قال شارح اللباب : أجاز الكوفيون التعجُّب من السَّواد والبياض لأنَّهما أُصول الأَلوان . وأنشدوا :

إذا الرجالُ شتَوْا واشتدَّ أُكلهمُ ... فأَنتَ أَبيضُهُم سِربالَ طبَّاخِ[٢]

وأنشدوا أَيضاً :

جاريةٌ فى دِرعها الفَضْفاضِ ... أَبيضُ من أُختِ بنى أَباضِ

وجاء فى شعر المتنبى :

* لأَنْتَ أَسودُ فى عينى من الظُّلَمِ[٣] *

وقالوا : لمَّا جاء منهما أَفعل التفضيل جاء بناءُ التعجب . والاستشهادات ضعيفة ، لأَنَّها من ضرورة الشعر لا فى سَعَة الكلام ، فيكون نادرًا .

---

(١) أمالى المرتضى ٢ : ٣١٧ والإنصاف ١٤٩ والجمل ١١٥ وابن يعيش ٦ : ٩٣ / ٧ : ١٤٧ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٦ .

(٢) لطرفة بن العبد فى ديوانه ١٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٣) من قصيدته التى مطلعها فى الديوان ٢ : ٣٠٠ :

ضيف ألم برأسى غير محتشم ... والسيف أحسن فعلا منه باللمم

وهو التالى لهذا المطلع . وصدره :

* أبعد بعدت بياضاً لا بياض له *

والبيت هو الشاهد ٦١٤ فيما سيأتى .

وقولهم : إنّهما أصلان للألوان ممنوع ، وبعد تسليمه فدليلُ المنع قائمٌ فيهما وإن كانا من أُصول الأَلوان .

وقال أيضاً فى آخر الكتاب : هذه الأَبيات ليست بحجّةٍ للشُّذوذ ، مع أَنَّه يحتمل أَن يكون أَبيض فى البيتين أَفعل الذى مؤنثه فعلاء ؛ فلا يكون للتفضيل ، فكأَنَّه قال : أَنت مبيضُّهم . وانتصب سربال على التمييز . وكذا البيت الآخَر لا يكون بالتفضيل[1] أَيضاً ، بل معناه مبيضَّة هى من أُخت بنى أَباض . انتهى .

٤٨٢ وهذا محصَّل كلام ابن الأَنبارى (فى مسائل الخلاف) وقال : الأَبيات ضرورة ، أَو أَبيض فيهما أَفعل الذى مؤنثه فعلاءُ ، لا الذى يراد به المفاضلة ، فكأَنَّه قيل فى الأَول : مبيضُّهُم ، وفى الثانى : جسَدٌ مبيضٌ من أُخت بنى أَباض ، ويكون من أُخت فى موضع الصفة[2] .

وقال ابن يعيش (فى باب التعجب) : فإن قيل : لو كان الأَمر كما قلتم لقيل بيضاءُ ، لأَنَّه من صفة الجارية . قيل : إنَّما قال أَبيض لأَنَّه أَراد فى درعها الفضفاض جسدٌ أَبيض ، فارتفاعه بالابتداءِ ، والجارّ والمجرور قبله الخبر ، والجملة من صفة الجارية . انتهى .

وكذا صنيع الشريف المرتضى (فى أَماليه الغرر والدرر) وزاد فى البيت الأَوَّل أَنَّ أَبيض وإن كان فى الظاهر عبارةً عن اللَّون فهو فى المعنى كناية عن اللُّؤم والبُخل ، فحمل لفظ التعجُّب على المعنى دون

---

(١) ش : « للتفضيل » .

(٢) فى الإنصاف : « ويكون من أخت هنا فى موضع رفع ، لأنها صفة لأبيض ، كأنه قال : أبيض كائن من أخت ، كقولهم : أنت كريم من بنى فلان » .

اللفظ . ولو أنَّه أراد بـأَبيضُهم بياضَ الثَّوب ونقاءَهُ على الحقيقة لما جاز أن يتعجَّب بلفظ أفعل . فالذى جوَّز تعجُّبه بهذه اللفظة ما ذكرناه .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ البياض لم يُستعمل قطُّ فى اللؤم والبخل ، وإنَّما استعماله فى المدح ، وإنَّما كان هنا ذمًّا بالنسبة إلى الطبَّاخ . والكلمة فى البيت أَفعل تفضيل لا تعجُّب. وهذا ظاهر. ولما كان الظاهر باقتضاء المعنى أنَّ أَفعل فى الأَبيات الثلاثة للتفضيل لم يتعسَّف الشارح المحقق فى تأْويلها بإخراجها عن التفضيل ، بل أَجاب بـأَنَّها من قبيل الشُّذوذ وضرورة الشِّعر . فللَّه درُّه ما أَبعد مرماه ، وما أَحكم مغزاه !

وأَغرب ما رأَيته قولُ بعضهم : شبَّه كثرة أَولادها لغيرِ رِشدةٍ بالبَيْض . وأَبيضُ بمعنى كثيرِ البيض جائزٌ . هذا كلامُه ولا وجه له .

وقال ابن يعيش (فى باب أَفعل التفضيل) : من اعتلَّ بـأَنَّ المانع من التعجُّب من الأَلوان أَنَّها معانٍ لازمة كالأَعضاءِ الثابتة ، نحو اليَدِ والرجل ، فهذان البيتان شاذَّان قياساً واستعمالاً عنده . ومنَ علَّل بـأَنَّ المانع من التعجُّب كونُ أَفعالها زائدة ، فهما شاذَّان عند سيبويه وأَصحابِه من جهة القياس والاستعمال . أَمَّا القياس فإن أَفعالها ليست ثلاثيَّة على فعَلَ ولا على أَفعل ، إنَّما هو افعلَّ وافعالَّ . وأَما الاستعمال فأَمره ظاهر . وأَمَّا عند أَبى الحسن الأَخفش والمبرِّد فإنَّهما ونحوَهما شاذَّانِ من جهة الاستعمال ، صحيحان من جهة القياس ، لأَنَّ أَفعالهما بزيادة ، فجاز تقدير حذف الزوائد . انتهى .

صاحب الشاهد

قال ابن هشام اللخميُّ (فى شرح أَبيات الجمل) : البيت الشاهد من رجز لرؤبة بن العجَّاج . وقبله :

لقد أتى فى رمضانَ الماضى جاريةٌ فى دِرعها الفَضفاضِ
تُقَطِّعُ الحديثَ بالإيماض أبيضُ من أُختِ بنى أَباضِ

قال : كذا أنشده ابن جنى . انتهى .

ولم أره فى ديوانه . ورأيت (فى نوادر ابن الأعرابىّ) ، ولم ينسبه إلى أحد :

ياليتَنِى مثلُكِ فى البياضِ أَبيضُ من أُخت بنى أَباضِ
جاريةٌ فى رمضَانَ الماضى تُقطِّعُ الحديثَ بالإيماضِ

قال ابن السِّيد واللخمى : وزاد غير ابن الأعرابى على هذا :

مثلُ الغزال زينَ بالخِضَاضِ قَبَّاءُ ذات كَفَلٍ رضراضِ ٤٨٣

قال ابن الأَعرابى بعد الإنشاد : إذا أومضَتْ تركُوا حديثَهم ونظَروا إليها من حُسْنها . وقوله « فى رمضان الماضى » كان الربيع جمَعَهم فى ذلك الوقت .

وأورده الفراءُ (فى كتاب الأَيَّام والليالى) شاهدًا على أنه يقال رمضان بدون شهر ، كما يقال معه .

وقال أَبو عُمر الزاهد المطرِّزى ، الشهير بغلام ثعلب (فى كتاب اليوم والليلة) بعد إنشاد الأَبيات عن ابن الأَعرابى وعن الفراء ، قالا : يقال هذا شهر رمضان ، وهذا رمضان ، بلا شهر . وأنشد فيمن قال بلا شهر :

* جاريةٌ فى رَمضانَ الماضى *

وأَخبرنا ثعلب عن سَلمة عن الفرَّاءِ عن الكسائى ، قال : كان

الرُّؤاسيُّ يكره أن يُجمَع رمضان ، ويقول : بلغنى أنه اسمٌ من أَسماء الله تعالى . انتهى .

وقال اللَّخمى : قال أَبو عمرو : والعرب تركوا الشُّهور كلَّها مجرَّدةً إلا شهر ربيع وشهر رمضان. ويَرِدُ عليه أنَّ رؤبة أَتى برمضان هنا مجرَّداً من الشَّهر ، وهو من فُصَحاءِ العرب . وجاءَ فى الحديث الصحيح : « من صامَ رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه[1] » . ولكنَّ إثبات الشهرِ أَفصح ، كما نطق به القرآن . انتهى .

والدِّرع : القميص . والفضفاض : الواسع . و (أُخت بنى أَباض) بفتح الهمزة بعدها موحَّدة، قال اللخميُّ : معروفة بالبياض . وقال ابن السِّيد : وبنو أَباضٍ قوم . والخضاض بكسر المعجمة[2]: اليسير من الحَلْى وقيل هو نوعٌ منه . قال الشاعر :

ولو أَشرقَت من كُفَّة السِّترِ عاطلاً
لقُلتَ : غزالٌ ما عليه خِضاضُ[3]

والقبَّاءُ : الضامرة البطن ، فَعْلاءُ من القبَب ، وهو دقَّة الخَصْر . والرضراض ، بالفتح : الكثير اللحم :

وقوله : « تقطَّع الحديث » . إلخ أَورده ابن هشام (فى المغنى) مع قوله :

* جارية فى رمضان الماضى *

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . الجامع الصغير ٨٧٧٥ .

(٢) ضبط فى القاموس كسحاب . ونحوه فى اللسان .

(٣) بدون نسبة فى تهذيب اللغة ٢ : ١٦٥ / ٦ : ٥٤٩ واللسان (خضض ، عطل) . وهو من إنشاد القنانى . وفى ط : « لو أشرقت » بالخرم وبالقاف ، صوابه فى ش والتهذيب واللسان .

وقال : إنَّ نقطِّع حكايةٌ للحالِ الماضية . وقال الفراءُ : إنَّها إذا تبسَّمت وكان الناس علىحديثٍ قطعوا حديثَهم ونظروا إلى حُسن ثغرها . وكذلك قال ابن السِّيد : الإيماض ما يبدو من بياض أسنانها عند الضَّحك والابتسامِ . وشبَّهه بوميض البرق . وقد بيَّن ذلك ذو الرمة بقوله :

وتَبْسَمُ لمحَ البرقِ عن متوضِّحٍ
كَلونِ الأَقاحِى شافَ أَلوانَه القَطْرُ [1]

وقال آخر :

كأَنَّ وميضَ البرقِ بينى وبينهـا
إذا حـانَ من بعض البُيـوت ، ابتسامُها [2]

وقال اللَّخمى : معنى الإيماض أَنَّهم إذا تحدَّثوا فأَومضَتْ إليهم ، أى نظرتْ ، شغلهم حسنُ عينيها فقطَّعوا حديثهم . وقيل : الإيماض هنا التبسُّم . شبَّه ابتسامَها بوميض البرق فى لمعانه ، فيكون معناه كمعنى القول الأَوَّل . ويحتمل أَن تكون هى المحدِّثة وأَنَّها تقطِّع حديثها بالتبسُّم . يصفها بطلاقةالوجه وسَماحة الخلق ، كما قال ذو الرمة :

يُقطِّع موضوعَ الحديث ابتسامُها تقطُّعَ ماءِ المزن فى نُزَفِ الخمرِ [3]

واقتصر الدَّمامينى (فىالحاشية الهندية) فى تفسير الإيماض على

---

(١) فى الديوان ٢١٣ : « كنور الأقاحى شاف ألوانها القطر » . شافه : جلاه .

(٢) نحوه قول ذى الرمة فى ديوانه ٦٤٢ :

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة شموس كإيماض الغمام ابتسامهـا

(٣) الموضوع : الخافت المنخفض . والنزف : القليل من الماء والخمر ، واحدته نزفة بالضم . ط : « ترف » بالتاء ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والديوان ٢٦٤ واللسان (نزف) . وفى أساس البلاغة : « فى نطف الخمر » .

٤٨٤ قول اللخمى أوّلاً ، ولكنّ قوله: يجوز رفع جارية على أنّها خبر مبتدإٍ محذوف ، أى محبوبتى جارية ، ويجوز جرُّها بربَّ محذوفة . انتهى غيرُ جيِّد .

قال اللخمى : جارية فاعل يأْتى الواقع فى البيت الذى قبل هذا ، والفضفاض نعتٌ للدِّرع، وأبيض نعتٌ للجارية . انتهى .

والعجب من غلام ثعلب حيثُ قال بعدما نقل تفسيرَ الفراءِ للإيماض: هذا خطأٌ لأنَّ الإيماض لا يكون فى الفم ، إنّما يكون فى العَينين ، وذلك أنّهم كانوا يتحدَّثون ، فنظرتْ إليهم واشتغلوا بحسن نظرها عن الحديث ومَضَتْ . انتهى .

ويردُ عليه ما تقدَّم، وقولُ المبرِّد (فى الكامل) عند قول الشاعر[(١)] :

لا أُحِبُّ النديمَ يُومض بالعيـــ ـــنِ إذا ما انتشى لِعرسِ النَّديمِ

قال : الإيماض تفتُّح البرق ولمحه ، يقال: أومضت المرأةُ[(٢)] إذا ابتسمت . وإنّما ذلك تَشبيهٌ للمعِ ثناياها بتبسُّم البرق. فأراد أنّه فتح عينَه ثم غمَّضَها بغمزٍ . انتهى .

وأما قوله: « إذا الرِّجال شتَوْا » إلخ فهو من أبياتٍ لطرفة بن العبد، هجا بها ملك الحيرة عَمرو بن هند . ويروى كذا :

أنت ابنُ هندٍ فأَخبِرْ من أبوك إذَنْ
لا يُصلح الملكَ إلاَّ كــلُّ بذَّاخ

(١) الكامل ٧٣ ليبسك والعقد ٦ : ٣٤٤ . وفى البيان ٣ : ٢٤٧ : « وقال بعضهم لزائر له ورآه يومئ إلى امرأته ، وهو أبو عطاء السندى ». وفى الأغانى ١٦ : ٨٤ مع هذه النسبة أيضاً أن الزائر كان يلاحظ جاريته .

(٢) ط : « البرق » ، صوابه فى ش والكامل .

إن قلت نصرٌ فنصرٌ كان شرَّفنِى
قِدْماً وأبيضَهم سربالَ طبَّاخِ
ما فى المعالى لكم ظلٌّ ولا ورَقٌ
وفى المخازى لكم أسناخُ أسناخِ

مع أبيات(١) أُخر .

قال ابن الكلبي : هذا الشعر منحول .

وقوله : « واشتدَّ أُكلهم » أَراد بالأُكل القوت، وهو مضموم الهمزة، أى غلت أَسعارهم . ومن روى « أَكلهم » بفتح الهمزة جعل الأَكل بمعنى المأْكول ، وقد يكون معناه أَنَّهم إذا شتَوْا لا يجدون الطَّعامَ إلاَّ بعد جهد وشدَّة وجُوع ، فإذا وجدوه بالغُوا فى الأَكل . ومن روى : «أُكَّلُهم» بضم الهمزة وتشديد الكاف فهو جمع آكل ، وهو راجعٌ إلى المعنى الذى قدَّمت آنفاً . والسِّربال : القميص . يقول : إذا دخل فصلُ الشتاءِ الذى يمنع من التصرُّف ، وانقطعت المِيرةُ وغَلت الأَسعار ، واشتدَّ القُوت فسِربال طبَّاخك نقىٌّ للؤمك . ولو كنتَ كريماً لاسودَّ لكثرة طبخه ، على ما عُهِد من سربال الطبَّاخين . وهذا ضدُّ قول مِسكينٍ الدَّارمى :

كأَنَّ قدورَ قومِى كلَّ يوم قِبابُ التُّركُ مُلْبَسةَ الجِلالِ
كأَنَّ الموقِدينَ لها جِمالٌ طلاها الزِّفتَ والقَطِرانَ طالى
بأَيديهمْ مغارفُ من حديدٍ أُشبِّهها مقيَّرةَ الدَّوالى

وأَنشد ابن السكيت (فى أَبيات المعانى) بيت طرفة .

ومثله قول الآخر :

---

(١) الأبيات كلها خمسة فى ديوان طرفة ١٥ قازان .

ثيابُ طُهاتكَ عند الشِّتا ء بيضٌ تـلألأ لا تَدْنَسُ

وقدرُك لم يَعْرُها طـارقٌ وكَلْبُـك منجَحِـرٌ أخرسُ

قال : كلبه ينجَحر لأنَّه لا يأْتيه طارق ، ولا يكون فى مكان يأْتيه فيه .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابعَ عشرَ بعد السِّتِّمائة [1] :

٦١٤ (لأَنتَ أَسودُ فى عينى من الظُّلَمِ)

لما تقدَّم قبله ، من أن أَسود أَفعل تفضيل من السَّواد ، جاءَ على الشذوذ .

والمعنى عليه ، لأَنَّ الغرضَ كونُ بياض الشَّيب فى نظره أَشدَّ من سواد الظلم ، مبالغةً فى كراهة الشيب . ٤٨٥

وهو عجزٌ ، وصدره :

(ابعَدْ بعِدْتَ بياضاً لا بياضَ له)

والبيت ثانى بيتٍ من قصيدةٍ لأَبى الطيِّب المتنبِّى ، قالها فى صباه . وقبله وهو مطلعها :

(ضيفٌ أَلمَّ برأْسى غيرَ مُحتَشِمِ والسَّيفُ أَحسنُ فعلاً منه باللِّمَمِ)

وتقدم بيتٌ منها فى باب الحال .

قال الإِمام الواحدى (فى شرح ديوان المتنبى): جميع من فسَّر هذا الشعر قال فى قوله :

---

(١) ؟ الى اد ضى ٢ : ٣١٧ ودرة الغواص ١٨ والمغنى ٥٤٣ وديوان المتنبى ٢ : ٣٠٠ .

* لأَنت أَسودُ فى عينى من الظُّلَمِ *

إنَّ هذا من الشاذِّ الذى أَجَازَهُ الكوفيون ، من نحو قوله :

* أَبيضُ من أُختِ بنى أَباضِ *

وسمعت العَرُوضى[1] يقول : أسود ههنا : واحدُ السُّود . والظُّلَمُ : الليالى الثلاث فى آخر الشهر، التى يقال لها « ثلاثٌ ظُلَمٌ » . يقول لبياضِ شيبهِ : أنت عندى واحدٌ من تلك الليالى . على أَنَّ أَبا الفتح قد قال ما يقارب هذا . وقد يمكن أن يكون « لأَنت أَسود فى عينى » كلاماً تامًّا ، ثم ابتدأَ يصفه فقال : « من الظلم » ، كما يقال هو كريمٌ من أَحرار . وهذا يقارب ما ذكره العروضى ، غير أَنَّه لم يجعل الظُّلم الليالىَ فى آخر الشهر . انتهى .

وهذا التأْويل محصِّل للمبالغة المذكورة بجعل الأَسود من أفراد الليالى الحنادس ، مع تفصِّيهِ من الشذوذ .

وقد مشى على هذا التأْويل جماعةٌ ، منهم الشريف المرتضى (فى أماليه) ، قال : لأَنت أَسود فى عينى كلام تام ، ثم قال من الظُّلَمِ ، أى من جملة الظُّلم ، كما يقال حرٌّ من أَحرار ، ولئيم من لئام ، أَى من جملتهم . قال الشاعر :

وأَبيضُ من ماءِ الحديد كأَنَّه ... شهابٌ بدَا ، والليلُ داجٍ عساكرُه

---

(١) العروضى هذا شيخ الواحدى ، وهو أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضى الصفار الشافعى ، حدث عن الأصم وأبى منصور الأزهرى، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى . وأنفق عمره على مطالعة العلوم وتدريس مؤدبى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٠ . بغية الوعاة ١٦٠ وتتمة اليتيمة ٢ : ٢٣ .

كأنه قال : وأبيض كائن من ماء الحديد . فقوله « من ماء الحديد » وصفٌ لأبيض ، وليس يتّصل به كاتصال من بأفضل فى قولك : هو أفضل من زيد ، وكذلك من الظلم فى بيت المتنبى .

ومنهم الحريرى (فى درّة الغوّاص) قال : وقد عِيب على المتنبى هذا البيت . ومَن تأوّل له فيه جعل أسود هنا من قبيل الوصف المحض الذى تأنيثُه سوداءُ ، وأخرجه عن حيِّز أفعل التفضيل ، ويكون على هذا قد تمّ الكلام فى قوله : لأنت أسود فى عينى ، وتكون من [التى(١)] فى قوله من الظلم لتبيين جنس السّواد ، لا أنّها صِلة أسود .

ومنهم ابن هشام (فى المغنى) قال : علّقَ بعضُهم من بأسود ، وهذا يقتضى كونه اسمَ تفضيل ، وذلك ممتنعٌ فى الألوان . والصحيح أنّ من الظُّلم صفة لأسود ، أى أسود كائن من جملة الظُّلم . وكذلك قوله أيضاً :

يلقاك مرتدياً بأحمر من دمٍ ذهبتْ بخُضرته الطُّلَى والأكبُدُ(٢)

من دم إمّا تعليل ، أى أحمر من أجل التباسه بالدم ، أو صفة. كأنّ السيف لكثرة التباسه بالدم صار دماً .

وقوله : (ابعَدْ) هو بكسر الهمزة وفتح العين أمرٌ من بَعِدَ يبعَد ، من باب فرح ، بمعنى هلك وذلّ . قال الواحدى : وعنَى بالبياض الأوّل الشّيب. يقول : يا بياضاً ليس له بياض ! يعنى به معنىَ قولِ أبى تمّام :

له منظرٌ فى العين أبيضُ ناصعٌ ولكنّه فى القلب أسودُ أسفعُ

(١) زيادة من ش لم ترد فى درة الغواص ١٨ .
(٢) البيت للمتنبى فى ديوانه ١ : ٢١٠ . يقول : ذهبت بسواد حديده دماء الأعناق والأكباد .

وقال الشريف المرتضى قُدِّس سرُّه : المعنى الظاهر للناس فيه أَنَّه
أَراد لا ضياءَ له ولا نورَ ولا إشراق ، من حيث كان حلوله محزِناً مؤذناً ٤٨٦
بتقضِّى الأَجل . وهذا لَعمرِى معنًى ظَاهر ، إلَّا أَنَّه يمكن فيه معنًى آخر
وهو يريد : إنَّك بياضٌ لا لونَ بعده ، لأَنَّ البياض آخر أَلوان الشعر ،
فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده . وإنَّما سوَّغ ذلك له
أَنَّ البياض هو الآتى بعد السَّواد ، فلمَّا نَفى أَن يكون للشيب بياضٌ
كان نفْياً لأَنْ يكون بعدهُ لون . انتهى .

وبياضاً : تمييز محوَّل عن الفاعل ، والعرب تكنى بالبياض عن الحُسْن ومنه يد بيضاءُ . أى أَهلك الله مَن لا بياضَ له . والظُّلَم : جمع ظُلمة بمعنى الظلام ، ويكون اسماً لثلاثِ ليالٍ من آخر الشَّهر .

وقوله : « ضيفٌ أَلمَّ برأْسى » إلخ ، قال الواحدى : عنَى بالضَّيف الشَّيب ، كما قال الآخر :

أَهلاً وسهلاً بمَضِيفٍ نَزَلْ   أَستودعُ الله أَليفاً رحَلْ

يريد الشَّيب والشباب . والمحتشم : المتقبِّض والمستَحِى . يريد أَنَّ الشيب ظهر فى رأْسه شائعاً دفعةً من غير أَن يظهر فى تراخ ومُهلة . وهذا [1] معنى قوله : « غير محتشم » . ثم فضَّلَ فِعلَ السَّيف بالشعر على فعل الشَّيب لأَنَّ الشيب يبيِّضه ، وذاك أَقبح أَلوان الشعر ، ولذلك سُنَّ تغييره بالحُمرة ، والسَّيف يُكسبه حمرة . على أَنَّ ظاهر قوله : « أَحسن فعلاً منه باللِّمم » يوجب أَنَّ الشعر المقطوع بالسَّيف أَحسن من الشعر الأَبيض بالشَّيب ، لأَنَّ السيف إذا صادفَ الشَّيب قطعه ، وإنَّما يكسبه حمرةً إذا قَطَعَ اللَّحم . وقد قال البحتُرىّ :

(١) ش : « هذا » بدون واو .

وددتُ بياضَ السَّيف يومَ لقينني مكانَ بياض الشَّيب حَلّ بمَفْرِق

فجعل نزول السيف برأسه أَحبَّ إليه من نزول الشيب . انتهى .

وقد ضمَّن البوصيريُّ ، صاحبُ البردة ، مطلع المتنبيِّ فقال وأجاد :

ولا أَعدَّت من الفِعل الجميل قِرَى

ضيفٍ أَلمَّ برأسي غيرَ محتشم

وقد تقدَّمت ترجمة المتنبي فى الشاهد الواحد والأَربعين بعد المائة (١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامسَ عشر بعد السِّتمائة (٢) :

٦١٥ (إنَّ الذى سمَكَ السماءَ بَنَى لنا بيتاً دعائمهُ أَعزُّ وأَطوَلُ)

على أَنَّه يجوز أَن يكون حُذف منه المفضول ، أَى أَعزُّ من دعائم كلِّ بيت أَو من دعائم بيتك .

وعليه اقتصر صاحب المفصَّل واللُّباب .

وقدَّره بعضهم : أَعزُّ من سائر الدعائم . وقال ابن المستوفى : قالوا أَعزُّ وأَطولُ من السَّماء ، على مبالغة الشعراء .

ونقل التِّبريزى (فى شرح الكافية) عن الطِّرِمَّاح أَنَّه قال للفرزدق : ياأَبا فراس ، أَعزُّ ممَّ وأَطول ممَّ ؟ فأَذَّن مؤذِّن وقال : الله أَكبر ! فقال الفَرزدق : يالكع أَلم تسمع ما يقول المؤذِّن ، أَكبر ممَّ ذا ؟ فقال : من كلِّ شيء . فقال : أَعزُّ من كل عزيز ، وأَطول من كلِّ طويل . انتهى .

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ - ٣٦٣ .

(٢) ابن يعيش ٦ : ٩٧ ، ٩٩ ، والعينى ٤ : ٤٣ ، ومعاهد التنصيص ٢ : ٣٧ ، والأشمونى ٣ : ٥١ ، وديوان الفرزدق ٤١٧ .

ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه ، أى أعزُّ دِعامةٍ وأطولُها .

وبقى احتمالٌ ثالث ، وهو أن يكون أفعل فيه بمعنى فاعل . قال المبرِّد (فى الكامل) : وجائز أن يكون التقدير : دعائمه عزيزة وطويلة .

وبه أورده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) .

قال العينى : الاستشهاد فيه أنهما على وزن أفعل التفضيل ، ولكنْ لم يُقصد بهما تفضيل ، فإنَّهُمَا بمعنى عزيزة وطويلة .

وعمَّم الخلخالى (فى شرح تلخيص المفتاح) فقال : أى من كلِّ شىء ، ٤٨٧
أو من بيتك يا جرير ، أو من السماء ، أو عزيزٍ طويل .

ونقل أبو حيان (فى تذكرته) عن أبى عبيدة أنه قال : يكون أفعل بمعنى فعيل وفاعل ، غيرَ موجب تفضيلَ شىء على شىء ، كقوله تعالى : ﴿ وهو أهْوَنُ عليه[1] ﴾ ، وبقول الأحوص :

* قسماً إليك مع الصُّدود لأَمْيَلُ[2] *

وبقول الفرزدق :

* بيتاً دعائمه أعزُّ وأطوَلُ *

وبقول الآخر :

تمنَّى رجالٌ أن أموت وإن أَمُتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ[3]

(١) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٢) صدره فى ديوانه ١٥٣ :

* إنى لأمنحك الصدود وإننى *

(٣) البيت من أبيات ثلاثة فى أمالى القالى ٣ : ٢١٨ . وانظر شرح المرزوقى للحماسة ١٠١ ، ٩٧٢ . وأشار الميمنى فى الجزء الثالث من سمط اللآلى ص١٠٤ إلى أنها منسوبة فى كتاب الاختيارين للأخفش إلى مالك بن القين الخزرجى . قلت : وهى فى النسخة المطبوعة منه بتحقيق فخر الدين قباوة ص١٦١ .

قال أَبو حيان : وزرَى النحويُّون عليه هذا القولَ ، ولم يسلِّموا له هذا الاختيار وقَالوا : لا يخلو أَفعل من التفضيل . وعارضوا حججه بالإِبطال ، وتأَوَّلوا ما استدَّل به . انتهى .

ونقل الخلافَ ابن الأَنبارى (فى الزاهر) ، قال : قولهم الله أَكبر ، سمعت أَبا العباس يقول : اختلف أَهل العربية فقالوا : معناه كبير ، واحتجوا بقول الفرزدق :

* دعائمه أَعزُّ وأَطولُ *

أَراد : دعائمه عزيزة طويلة . واحتجُّوا بقول الآخر :

* لستُ فيها بأَوحدِ *

وبقول معن :

* لعمركَ ما أَدرى وإِنِّى لأَوْجَلُ *

أَراد: لوَجِلٌ . وبقول الأَحوص :

* قسماً إِليك مع الصدود لأَمْيَلُ *

أَراد: لمائل . واحتجوا بقوله تعالى : ﴿وهو أَهْوَن عليه[٢]﴾ قالوا : معناه هيِّن عليه . وقال الكسائىُّ والفراءُ وهشام : الله أَكبر معناه أَكبر من كلِّ شىءٍ ، فحُذفت مِن لأَنَّ أَفعل خبر . واحتجُّوا بقول الشاعر :

إِذا ما سُتورُ البيتِ أُرخِينَ لم يكنْ
سِراجٌ لنا إِلَّا ووجْهُكَ أَنْوَرُ[٣]

(١) عجزه كما فى الديوان : * على أينا تعدو المنية أول *

(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٣) شرح القصائد السبع لابن الأنبارى ٦٧ ؛ والأزهية للهروى ٢٤٨ .

أَراد : أَنور من غيره . وقالَ معن :

ولا بلغَ المهْـدُونَ نحوَكَ مِدحةً

ولو صَدَقوا إِلَّا الذى فيك أَفضلُ

أَراد: أَفضلُ من قولهم . انتهى .

وقال المبرد (فى الكامل) فى تفسيرقوله تعالى: ﴿يعلمُ السِّرَّ وأَخْفَى[1]﴾ تقديره فى العربية : وأَخفى منه . والعرب تحذف مثلَ هذا فيقول القائل: مررت بالفيل أَو أَعظمَ ، وإِنَّه كالبقَّة أَو أَصغَر[2] . فأَمَّا قوله تعالى: ﴿ وهو أَهْوَنُ عليه ﴾ ففيه قولان : أَحدهما وهو المرضىُّ عندنا إِنَّما هو: وهو عليه هيِّن ، لأَنَّ الله جلَّ وعزَّ لا يكون شىءٌ أَهون عليه من شىء آخر . وقال معن بن أَوس :

* لعمرك ما أَدرى وإِنَّى لأَوجَلُ *

أَراد : وإِنِّى لَوَجِلٌ . وكذلك يكون[3] ما فى الأَذان : « الله أَكبر الله أَكبر » ، لأَنَّه إِنَّما يفاضَل بين الشيئين إِذا كانَا من جنس واحد ، فيقال : هذا أَكبر من هذا ، إِذا شاكله فى بابٍ . فأَمَّا: الله أَجود من فلان والله أَعلم بذلك منه ، فوجهٌ بيِّن[4] لأَنَّه من طريق العلم والمعرفة ، والبذل والإِعطاء . وقوم يقولون : الله أَكبر من كلِّ شىء . وليس يقع هذا على

---

(١) الآية ٧ من سورة طه .

(٢) فى الكامل ٤٢٣ : « وإنه لكالبقة أو أصغر » ولو قال : رأيت زيداً أو شبيباً لجاز ، لأن فى الكلام دليلا . ولو قال : رأيت الجمل أو راكباً وهو يريد عليه ، لم يجز ، لأنه لا دليل فيه . والأول إنما قرب شيئاً من شىء ، وها هنا إنما ذكر شيئاً ليس من جنس ما قبله » .

(٣) فى الكامل : « وكذلك يتأول » .

(٤) الكامل : « فوجهه بين » .

محضِ الرُّؤية[١] لأنَّه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء . وكذلك قول الفرزدق :

إنَّ الذى سمَكَ السماءَ . . . البيت

جائز أن يكون[٢] قال للذى يخاطبه : مِنْ بيتك ، فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة . وجائز أن يَكون[٣] دعائمه عزيزة طويلة ، كما قال الآخر :

قُبِّحْتُمُ ياآلَ زَيْدٍ نَفَرَا ألأَمَ قَوْمٍ أَصْغَرًا وأكبرا[٤]

يريد صغارًا وكباراً . فأَمَّا قول مالك بن نويرة فى ذؤاب[٥] بنِ
٤٨٨ رُبَيِّعة[٦] حيثُ قتل عُتيبة بن الحارث بن شهاب وفخر ببنى أَسد بذلك مع كثرة من قتل بنو يربوع منهم :

فخرَتْ بنو أَسدٍ بمقتل مالك صدَقَتْ بنو أَسد ، عُتيبةُ أَفضلُ

فإنَّما معناه أَفضل ممن قتلوا . على ذلك يدلُّ الكلام . وقد أَبانَ ما قلنا فى بيته الثانى بقوله :

فخرَوا بمقتله ولا يُوفِى به مَثْنى سَرَاتِهمُ الذين نقتِّلُ

والقول الثانى فى الآية : وهو أَهون عليه عندكم ، لأَنَّ إعادة الشيء عند الناس أَهون من ابتدائه حتَّى يُجعَل شيءٌ من غير شيء . انتهى

(١) ط : « الروية » ، صوابه فى ش والكامل .
(٢) ط : « يقول » ، صوابه فى ش والكامل .
(٣) ط : « تكون » ، وأثبت ما فى ش والكامل .
(٤) هو الشاهد ٦٢١ فيما سيأتى ص ٢٧٦ .
(٥) ط : « دواد » ، ش : « دؤاد » ، صوابهما فى الكامل وجمهرة ابن حزم ١٩٤ - ١٩٥ والمحبر ٢٢٠ .
(٦) ربيعة ، بهيئة التصغير ، كما فى الجمهرة ، وضبط بالقلم فى الكامل : « ربيعة » بفتح الراء .

وقوله : (سمَكَ السَّماء) إلخ سَمَك بمعنى رفع ، وأراد بالبيت بيت العزِّ والشرف . وقال الخلخالى : المراد بالبيت هو الكعبة ، وقيل هو العزّة . وتبعه العينى والعباسى (فى المعاهد) . قال ابن يعيش : « وأطول » ههنا من الطَّول بالفتح الذى هو فى الفضل ، لا من الطُّول بالضم الذى هو ضدُّ القِصَر . ودلَّ على إرادةِ مِنْ امتناعُه من التصرُّف .

وهذا البيت أورده علماءُ المعانى على أنَّ فيه جعلَ الإيماء إلى وجْه الخَبَر وسيلةً إلى التعريض بالتعظيم لشأنه . وذلك فى قوله إن الذى سَمَك، ففيه إيماءٌ إلى أنَّ الخبر المبنىَّ عليه أمر من جنس الرِّفعة ، بخلاف مالو قيل إنَّ الله ، ونحوه . ثم فيه تعريضٌ بتعظيم بنائه ، لكونه فِعلَ من رفع السماء التى لا أرفعَ من بنائها ولا أعظم . قال الخلخالى : وإدراك مثل ذلك يحتاج إلى لطفِ طَبع .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ عدَّتُها تسعةٌ وتسعون بيتاً للفرزدق[١] يفخر بها على جرير ويهجوه . وبعده :

أبيات الشاهد

(بيتاً بناه لنا المليكُ، وما بَنَى   حَكَمُ السماء فإنَّه لا يُنقَلُ
بيتاً زُرارةُ محتبٍ بفنائه   ومُجاشعٌ وأبو الفوارس نَهشَلُ
يَلِجونَ بيتَ مجاشع وإذَا احتَبَوْا   برزُوا كأنَّهم الجبالُ المُثَّلُ
لا يَحتبى بفناء بيتِك مثلهم   أبداً إذا عُدَّ الفَعَالُ الأفضلُ)

وتقدَّم بعضُ أبيات منها فى باب الظروف فى الشاهد السابع والتسعين بعد الأربعمائة[٢] .

---

(١) فى ديوانه ٧١٤ - ٧٢٥ وعدتها مائة وخمسة أبيات ، لا تسعة وتسعون كما ذكر البغدادى هنا ، وما ذكره سابقاً فى ٦ : ٥٣٤ .
(٢) الخزانة ٦ : ٥٣٤ - ٥٣٩ .

و (بيتاً) فى البيتين بالتنوين بدل من الأوّل . وزُرارة بالضمّ هو زرارة بن عُدُس بالضم أيضاً ، ابن زيد بن عبد الله بن دارم . ومجاشع : ابن دارم . ونهشل : ابن دارم. ومُحتبٍ : اسم فاعل من الاحتباء . أراد أنّهم متمكنون فى بيت العزّ كتمكُّن المحتبي .

روى صاحبُ الأغانى بسنده عن سَلمَة بن عيَّاش قال : دخلتُ على الفرزدق السجنَ وهو محبوسٌ فيه ، وقد قال قصيدته :

إنّ الذى سمَك السماءَ بَنَى لنا . . . البيت

وقد أُفحِم وأَجْبَل ، فقلت له : ألا أرفِدك ؟ فقال : وهل ذلك عندك ؟ فقلت : نعم . ثمَّ قلت :

بيتاً زُرَارةُ محتبٍ بفنائه . . . البيت

فاستجادَه ، وغاظه قولى فقال لى : ممن أنت ؟ قلت : من بنى عامر ابن لؤىّ . فقالَ : لئامٌ واللهِ، جاورتُهم بالمدينة فما أَحمَدْتُهم . فقلت: ألأَم والله منهم قومُك ، جاءَك رسولُ مالك بن المنذر وأَنت سيِّدهم وشاعرُهم فأَخذ بِأُذُنِك يقودك حتَّى حبسك،فما اعترضَه أَحدٌ ولا نصرك. فقال : قاتلك الله ماأَمكرك[1] ! وأَخذ البيت فأَدخله فى قصيدته . انتهى .

و « يلجُون » من الولوج ، وهو الدُّخول . والمثَّل : جمع مائل ، كركَّع جمع راكع . والفَعال ، بالفتح : الجميل .

٤٨٩ وقد عارضه جريرٌ بقصيدةٍ مثلِها، عدَّتها اثنان وستُّون بيتاً ، منها[2] :

(١) فى الأغانى ٢١ : ٨٥ : « ما أكرمك » .

(٢) المألوف فى المناقضات أن تكون المناقضة مطابقة لأختها فى الوزن والقافية . والروى هنا مكسور لا مضموم كروى الفرزدق . والقصيدة فى ديوان جرير ٤٤٢ - ٤٤٨ . وعدتها ثلاثة وستون، لا اثنان وستون .

أَخزَى الذى سمكَ السماءَ مجاشعا
وبنى بناءَكَ بالحضيضِ الأَسفلِ[١]

إلى أن قال :

وقضَتْ لنا مضرٌ عليك بفَضْلنا وقَضَتْ ربيعةُ بالقضاءِ الفَيصلِ
إنَّ الذى سمك السماءَ بنى لنـا عزًّا عـلاك فما له من مَنقَلِ

وترجمة الفرزدق وجرير قد تقدَّمت فى أوائل الكتاب[٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادسَ عشر بعد السمائة[٣] :

٦١٦ (سَتعلم أَيُّنا للموتِ أَدنَى إذا دَانيتَ لىَ الأَسَلَ الحِرارا[٤])

على أَنّ المفضول محذوف ، والتقدير أدنى من صاحبه . ويجوز أن يكون أَفعل بمعنى اسم الفاعل . أى قريب . ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه ، والتقدير : أَقربنا وأَدنانا ، أو أَقرب رجلين منَّا .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لعنترةَ العبْسىّ ، خاطب بها عُمارة بن زياد العبسىّ ، وتقدَّم شرح أَبياتٍ منها قبل البيتِ فى الشاهد التاسع والستين بعد الخمسمائة من باب المثنى[٥] . وما بعده من الأَبيات لا تعلَّق لها بِه[٦] فلذا تركناها .

---

(١) فى الديوان : « فى الحضيض » .

(٢) الخزانة ١ : ٧٥ - ٧٨ و ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٢ وديوان عنترة ١٠٩ .

(٤) ش : « قبله إليه » ، ومعها تعليق للناسخ : « كذا بخط المؤلف ، ولم يظهر معناه وصحح عليه . فتأمل » .

(٥) الخزانة ٧ : ٥٠٧-٥٢١ .

(٦) ط : « لنا به » ، صوابه فى ش .

و (أَدنَى) و (دانيت) فاعَلْتُ ، كلاهما من الدنوّ وهو القُرب .
قال ابن الشَّجرى (فى أماليه) : أَراد إلى الموت أدنى ، وإذا دانيت[1] إلىّ الأَسل . فوضع اللام فى موضع إلى ، لأَنَّ الدنوّ وما تصرَّف منه أصله التعدِّى بإلى . ومثله فى إقامة اللام مقام إلى قولُ الله سبحانه : ﴿ بأَنَّ ربَّك أوحَى لها[2] ﴾ ، أى أوحى إليها . اهـ .

و (الأَسَل) بفتحتين : أَطراف الرِّماح ، وقيل هى الأَسنَّة ، الواحدُ أَسلة بزيادة الهاء . و (الحِرار) بكسر المهملة : جمع حَرَّى ، كعطاشٍ جمع عَطْشى وزناً ومعنى .

يقول لعُمارة العبْسى : ستعلم إذا تقابلْنا ودانيتَ الرماحَ بيننا أَيُّنا أَقرب إلى الموت . أَى إنك زعمت أَنَّك تقتلنى إذا لقيتنى ، وأَنت أَقربُ إلى الموت عند ذلك منِّى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابعَ عشر بعد السمّائة[3] :

٦١٧ (ولستَ بالأَكثرِ منهم حَصاً وإنَّما العــزَّةُ للــكاثرِ)

على أَنَّ (من) فيه ليست تفضيلية ، بل للتبعيض ، أَى لست من بينهم بالأَكثر حصاً ، إلى آخر ماذكره .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للأَعشى ميمون ، فضَّل فيها عامر بن الطفيل عدوَّ الله على علقمة بن عُلاثة الصحابى قبل إسلامه . وتقدَّم شرح أَوائل

---

(١) ط : « إذا » بدون واو . وأثبت ما فى ش وابن الشجرى .
(٢) الآية ٥ من سورة الزلزلة .
(٣) نوادر أبى زيد ٢٥ ، والخصائص ١ : ٣/١٧٥ : ٢٣٤ ، وابن يعيش ٣ : ٦/٦ : ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، والخزانة ١ : ٢٣٠ بولاق عرضاً و ٢ : ١١ ، هارون والمغنى ٥٧٢ والتصريح ٢ : ١٠٤ ، والأشمونى ٣ : ٤٧ ، وديوان الأعشى ١٠٦ .

هذه القصيدة وسببُ تفضيله على عَلقمة ، فى الشاهد الخامس والثلاثين والثلاثين بعد المائتين(١) .

وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(إنْ تُرجعِ الحقَّ إلى أهله ... فلستَ بالمُسدِى ولا النائرِ
ولستَ فى السِّلم بذى نائلٍ ... ولستَ فى الهيجاءِ بالجاسرِ
ولستَ بالأكثر منهم حصاً ... وإنَّمـا العزة للكاثرِ(٢)
ولستَ فى الأثرَينَ من مالك ... ولا أبى بكر أولِى النـاصرِ
٤٩٠ همْ هامةُ الحىِّ إذا ما دُعُـوا ... ومالكٌ فى السُّودُد القاهرِ
سُدت بنى الأحوص لم تَعْدُهم ... وعـامرٌ سادَ بنى عـامرِ
سادَ وألفى قومَـهُ سـادةً ... وكابرًا سادُوك عن كابرِ(٣)
فاصبْر على حظِّك مما تـرَى ... فإنَّما الفُلْج مـع الصَّابرِ)

المسدِى، من السَّدى بالفتح والقصر، وهو ما مدَّ من الثوب . يقال أَسدى الثَوب ، وسَدَّاه ، وتسدَّاه . والنائر : اسم فاعل من نِرْت الثوب نَيْرًا بالفتح ، ونيَّرته وأنرته : جعلت له نِيراً بالكسر، وهو علمٌ للثَّوب، وهُدبه ولُحمته . وهذا هو المراد هنا . وهذا مثلٌ يضرب فى التبرِّى من الشىء، كقولهم : «لا فى العِير ولا فى النَّفير». وهذا خطابٌ مع علقمة ابن علاثة .

والسِّلم، بالكسر : خلاف الحرب. والنائل بمعنى النوال ، وهو العطاء

(١) الخزانة ٣ : ٣٩٨ - ٤٠٣ .

(٢) هذه هى الرواية المشهورة ، وحورت فى ش إلى « منه حصا » . وكلتاهما صحيحة ، فإنه بصدد تفضيل على الرجل أو على قبيلته .

(٣) ط : « مكابر » ، صوابه فى ش والديوان .

والهيجاءُ : الحرب . والجاسر ، بالجيم ، من الجسَارة ، وهى الجراءة[(١)] والشَّجاعة .

و (الحصا) : العدد ، والمراد به هنا عدد الأَعوان والأَنصار ، وإنَّما أُطلق الحصا على العدد لأَنَّ العرب أُمِّيُّون لا يعرفون الحساب بالقلم ، وإنَّما كانوا يعدُّون بالحصا ، وبه يحسُبُون المعدود . واشتقُّوا منه فعلا فقالوا : أَحصيت . و (العِزَّة) : القوَّة والغلبة . قال الدمامينى : بهذا المعنى فسَّرها الجوهرى فى البيْت ، ولا مانع من جعلها بمعنى خلاف الذِّلَّة .

أقول : الجوهرىُّ لم يذكر البيت هنا ، والمعنى الذى ذكره لازمٌ للقوّة والغلبة . و (الكاثر) بمعنى الكثير ، كذا فى الصحاح . ويجوز أَن يكون اسم فاعل من كَثَرْتُهم ، إذا غلبتَهُم فى الكثرة . قال صاحب القاموس : وكاثروهم : غالبوهم فى الكثرة فَغَلبوهم . وعليه اقتصر بعضُ شرَّاح شواهد المفصل ، قال : الكاثر : الغالب ، من كاثرته فكثرته .

و « الأَثرَيْن » جمع أثرى جمع تصحيح ، بمعنى ذى ثروة وذى ثراءٍ ، أى ذى عـــدد وكثرةِ مال . قال الأَصمعى : ثَرا القومُ يَثرُون ، إذا كثُروا ونَمَوْا .

ومالك هو جدُّ عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامِر بن صعصعة . وأَبو بكر : عمُّ جدِّه ، واسمه عُبيد بالتصغير ابن كلاب بن ربيعة المذكور . فأَبو بكر أَخو جعفر بن كلاب . والأَحوص هو جدُّ والدِ علقمة بنِ علاثة ، لأَنَّ علقمة هو علقمة بن عوف ابن الأَحوص بن جعفر المذكور . فالأَحوص ومالكٌ أَخوان ، والطفيل وعوف ابنا عمّ .

---

(١) ش : « الجرأة » .

« والفُلج » بضم الفاء: اسمٌ من فلج الرجلُ على خصمه يَفلُجُ فَلْجا، من باب نصر، وهو الظَّفر والفوز. وهذا من قبيل التهكُّم.

وقوله: (ولست بالأكثر منهم حصاً) ظاهره الجمع بين أل بين من فى أفعل التفضيل. وجوّزه أبو عُمَر[1] الجَرْمىُّ فى الشعر. رأيت (فى نوادر أبى زيد) عند الكلام على هذا البيت، قال أبو عُمَر[2]: هذا يجوز فى الشعر، يقال أنت أكثر منه مالاً وأنت الأفضل، إذا لم تأْت بمن، فإذا اضطُرَّ الشاعر قال: أنت الأفضل منهم. ولا يجوز إلّا فى اضطرار. ولو قال: أنت الأكبر من هؤلاء، وهو منهم، لكان معناه أنت أكبر منهم. انتهى.

ونسب ابن جنّى جوازَ الجمع بينهما إلى الجاحظ (فى موضعين من الخصائص) قال فى أوائله، فى باب الردِّ على من اعتقد فسادَ علل النحويِّين: يُحكى عن الجاحظ أنَّه قال: قال النحويُّون إنَّ أفعل الذى مؤنَّثه فَعْلى لا تجتمع فيه الألف واللام ومن، وإنَّما هو بمن، أو بالألف ٤٩١
واللام. ثم قال: وقد قال الأعشى:

ولستَ بالأكثرِ منهم حصًا . . . البيت

رحم الله أبا عثمان، أما إنَّه لو علم أنَّ مِنْ فى هذا البيت ليست التى تصحب أفعل للمبالغة، لضرب عن هذا القولِ إلى غيره، مما يعلُو فيه قوله، ويعنو لسدادِهِ وصحَّته خَصمُه.

---

(١) فى النسختين: « أبو عمرو »، صوابه « أبو عمر »، وهى كنية صالح بن إسحاق الجرمى البصرى، كما فى كتب التراجم.

(٢) فى النسختين: « أبو عمرو »، وانظر ما سبق. على أن هذا النص لم يرد فى نوادر أبى زيد.

وكذلك نسب ابن هشام (فى المغنى) هذا القولَ إلى الجاحظ ووهَّمه . ومنَع النحاةُ الجمعَ بينهما .

وبيَّن ابن جنِّى وجهَ المنع (فى أواخر الخصائص) فى باب الامتناع من نقض الفرض ، ومثَّل له أمثلة ثم قال :

ومن ذلك امتناعُهم، أى امتناع العربِ ، من إلحاق مِن بأفعل إذا عرَّفتَه باللام ، نحو الأَحسن منه . وذلك أن (مِن) تُكسب ما يتَّصل به من أفعل هذا تخصيصاً مَا . ألا تَراك لو قلت دخلت البصرة فرأَيت أَفضلَ من ابن سيرين ، لم يسبق الوهمُ إلاَّ إلى الحسَن . وإذا قلت الأَحسن أَو الأَفضل أَو نحو ذلك فقد استوعبت اللامُ من التعريف أَكثرَ ممَّا تفيده من حصَّتها من التخصيص . وكرهوا أَن يتراجعوا بعدما حكموا به من قوّة التعريف إلى الاعتراف بضعفِهِ إذا همْ أَتبعوه مِن الدالَّةِ[1] على حاجته إليها، وإلى قَدْر ما تفيدهُ من التخصيص المُفاد منه . فأَمَّا ما ظنَّ أَبو عثمانَ الجاحظُ من أَنَّه يدخل على قول أَصحابنا فى هذا مِن قول الشاعر :

ولستَ بالأَكثر منهم حصا . . . البيت

فساقطٌ . وذلك أَنَّ مِنْ هذه ليست هى التى تصحب أَفعلَ هذا لتخصيصه . انتهى .

ووجَّه الشارحُ المحقِّق، تبعاً لغيره، ما فى هذا البيت من ظاهر الإشكال بثلاثة أَجوبة:

أَحدها : أَنَّ من فيه ليست تفضيلية ، بل للتبعيض ، أى لست من بينهم بالأَكثر حَصًا .

(١) وصف لمن ، وفى النسختين : « الدلالة » ، صوابه من الخصائص ٣ : ٢٣٤ .

يُحتمل من هذا التقرير[١] أن يكون مرادُه أنَّ الظرف حالٌ من التاء فى لستَ ، كما قال ابن جنى (فى الموضع الثانى من الخصائص) ، وعبارته : ومِن إنَّما هى حالٌ من تاءِ لستَ ، كقولك :لستَ فيهم بالكثير مالًا ، أى لست من بينهمْ وفى جملتهم بهذه الصفة ، كقولك : أنتَ والله من بين الناس حُرٌّ ، وزيد من جملة رَهطِه كريم . هذا كلامه .

ويحتمل أن يكون متعلِّقاً بليس كما قال بعضهم ، ونقله ابن هشام (فى المغنى) . ويردُ عليه شيئانِ : أَحدهما أنَّ ليس لا تدلُّ على الحدَث[٢] ، فلا تعمل فى الظرف . وثانيهما : لزوم الفَصْل بين أفعل وتمييزه بالأجنبىّ .

وأجاب ابن هشام (فى المغنى) عن الأَوَّل بأَنَّ الظرف يجوز تعلُّقه بما فيه رائحةُ الفعل ، وفى ليس رائحة النفى . وعن الثانى بأَنَّ الفصل قد جاءَ للضَّرورة فى قوله :

* ثلاثون للهجر حولاً كميلا[٣] *

وأفعل أقوى فى العمل من ثلاثون . انتهى .

وزاد ابن يعيش (فى شرح المفصل) قال : ويجوز أن يكون متعلِّقاً بالأكثر على حدِّ ما يتعلق به الظَّرف ، لاعلى حدِّ: هو أفضل من زيد، كأنَّه قال : ولست بالأكثر فيهم ، لأنّ أفعل بمعنى الفعل أظهر منه فى ليس ، يدلُّ على ذلك نصب الظَّرف فى قوله :

(١) ط : « التقدير » .

(٢) ط : « الحديث » ، صوابه فى ش :

(٣) هو الشاهد ٢١٦ فى الخزانة ٣ : ٢٩٩ . وصدره :

* على أننى بعد ما قد مضى *

فإنَّا رأينا العِرضَ أحوجَ ساعةً
إلى الصَّونِ من ريطٍ يمانٍ مسهَّمِ (١)

ألا ترى أنَّ الظرف هنا لا يتعلَّق إلَّا بأحوج ، وتعليق الظرف بليس ليس بالسَّهل ، لجريه مجرى الحروف . انتهى .

ولو جُعل الظَّرف حالاً من الضمير فى أكثر لاستغنى عن هذا .

٤٩٢ والأكثرون على أن مِن هنا للبيان . قال أبو حيان : من فى البيت للبيان لا للتفضيل ، والمفضَّل عليه معلومٌ من العهد . وبيان ذلك : أنَّك تقول لمخاطَبك : زيد أفضل من عمرو ، ثم تقول له بعد ذلك : زيد الأفضلُ من تميم ، فمِن هنا للبيان ، أى إنّ زيدًا الذى هو أفضل من عمرو هو من تميم . ولك أن تجمع بينهما فتقول : زيد أفضل من عمرو من تميم . انتهى .

وعلى هذا فالظرفُ حالٌ لا غير .

وقال بعضهم : من هنا بمعنى (فى) ، ويتعلَّق بالأكثر . نقله شارح أبيات الموشَّح .

وهذا كلُّه جوابٌ واحد لإخراج مِنْ مِنَ التفضيل ، لا أجوبةٌ متعدِّدة كما زعم العينى . غاية ما فى الباب الذاهبون إلى إخراجها من التفضيل اختلفوا فى معناها .

---

(١) لأوس بن حجر . وهو الشاهد ٦١٩ فى ص ٢٩٣ .

الجواب الثانى : أَنَّ اللام زائدة ، ومن تفضيلية . وهذا الجواب لأَبى زيد (فى نوادره) .

الثالث : أَنَّ مِن تفضيلية لكنَّها متعلِّقة بأَفعلَ آخر عارياً من اللام ، أى بالأَكثر أَكثر منهم . فأَكثر المنكَّر المحذوف بدلٌ من الأَكثر المعرَّف المذكور. وإنَّما ضعَّفه بقوله « على ماقيل» ، لما ذكره فى باب البدل من أَنَّ النكرة إذا كانت بدل كلٍّ من معرفة يجب وصفُها ، وليس هنا وصف .

هذا والراوية الصحيحة فى هذا البيت ، كما رواه أَبو زيد (فى نوادره) ، وهى ثابتةٌ فى ديوانه ، ويدلُّ عليها سِياق الأَبيات ، إنما هى : « ولست بالأَكثر منه » ، أى من عامر . وعليها فيسقط الجوابُ الأَوَّل ، ويجاب بأَحد الجوابين الأَخيرين .

ولما وصلتُ إلى هنا رأَيت شرحَ المنافرة التى بين علقمة وبين عامر بأَبسط مما مرَّ ، (فى أَوَّل شرح المقامات الحريريَّة للشَّريشى) ، فلا بأْس بإيرادهِ ، قال :

نافر : حاكمَ فى النَّسب . وكانوا فى الجاهلية إذا تنازع الرَّجلان فى الشرف تنافرَا إلى حكمائهم ، فيفضِّلون الأَشرف . وسميت منافرة لأَنهم كانوا يقولون عند المفاخرة : أَنا أَعزُّ نفراً .

وأَشهر منافرةٍ فى الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب[1] مع علقمة بنِ علاثة بن عوف بن الأَحوص منافرة عامر وعلقمة

(١) ش : « مالك بن كلاب » ، صوابه فى ط وشرح المقامات للشريشى ٢ : ٤٨ .

ابن جعفر ، حين قال له علقمة : الرِّياسة لِجدِّى الأَحوص ، وإنَّما صارت إلى عمِّك أَبى براءٍ من أَجله ، وقد استسنَّ عمُّك[1] وقَعَدَ عنها فأَنا أَولى بها منك ، وإن شئتَ نافرتُك .

فقال له عامر : قد شئتُ والله ، لأَنا أَشرفُ منك حسبًا ، وأَثبَت نسباً ، وأَطول قَصَبا .

فقال علقمة : أَنافرك وإنِّى لبَرٌّ وإنَّك لفاجر ، وإنِّى لولود وإنَّك لعاقر[2] ، وإنِّى لوافٍ وإنَّك لغادر .

فقال عامر : أَنافرك إنِّى أَسمَى منك سُمَّة[3] وأَطولُ قِمَّة ، وأَحسن لِمّة ، وأَجعدُ جُمّة ، وأَبعد هِمّة .

فقال علقمة : أَنا جميل وأَنت قبيح ، ولكن أُنافرك ، إنِّى أَولى بالخيرات منك .

فخرجت أُمُّ عامر فقالت : نافِرْه أَيُّكما أَولى بالخيرات . ففعلوا على أَنْ جعلوا مائةً من الإبل يعطيها الحكَمَ الذى يُنفِّر عليه صاحبَه . فخرج علقمة ببنى خالد بن جعفر وبنى الأَحوص ، ومعهما القباب والجُزر والقُدور[4] ، ينحرون فى كلِّ منزلٍ ويطعمون . وخرج عامرٌ ببنى مالك وقال : إنَّها المقارَعة[5] عن أَحسابكم ، فاشخصوا بمثل ما شخَصوا

(١) فى شرح المقامات : « وقد أسن عمك » .

(٢) بعده فى شرح المقامات : « وإنى لعف وإنك لعاهر »

(٣) السمة ، بضم السين وتشديد الميم : الخاصة من القوم ، كالسامة أيضاً مقابل العامة . وفى شرح المقامات : « أسنى منى سنة » ولا تستقيم مع السجع . وانظر اللسان (سمم ١٩٥) .

(٤) فى شرح المقامات : « والجزور والقدر » ، وما هو صوابه .

(٥) ط : « لقارعة » ، صوابه فى ش والشريشى .

به . وقال لعمه أبي براءٍ : أعنّي . فقال : سُبَّنى . فقال : كيف أسبُّك وأنتَ عمِّى ؟ فقال : وأنا لا أسبُّ الأحوص وهو عمِّى ! ولم ينهض معه .

فجعلا منافرتَهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ثم إلى أبي جهل بن هشام ، فلم يقولا بينهما شيئاً .

٤٩٣ ثم رجَعا إلى هرم بن قُطبة بن سِنَان [1] الفَزارى فقال : نَعمْ لأحكمنَّ بينكما ، فأعطِيانى موثِقاً أطمئنُّ به أنْ ترضَيا بحكمى وتسلِّما لما قضيت بينكما [2] .

ففعلا فأقامَا عنده أيَّاماً . ثم أرسل إلى عامر فأتاه سرًّا فقال : قد كنت أحسب أنَّ لك رأياً وأنَّ فيك خيرًا ، وما حبَستُك [3] هذه المدَّةَ إلا لِتَنصرِفَ عن صاحبك . أتنافر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومُك إلَّا بآبائه ، فما الذى أنت به خيرٌ منه ؟ فقال عامر : نشدتُك اللهَ والرَّحِمَ أن لا تفضِّل علىَّ علقمة ، فوالله لئن فعلتَ لا أُفلح بعدها أبدًا . هذه ناصيتى فاجزُزْها واحتكمْ فى مالى ، فإنْ كنتَ لا بدَّ فاعلاً فسوِّ بينى وبينه . فقال : انصرفْ فسوفَ أرى من آرائى [4] .

فانصرف عامر وهو لا يشكُّ أنه ينفِّره عليه . ثم أرسل إلى علقمة

---

(١) كذا فى ط وأصل ش ، وفى هامش ش : « بخط المؤلف : سنان ، والصواب سيار » . لكنى أبقيت ماثبت أنه بخط المؤلف حفاظاً على حقه ، مع ظهور الخطأ فيه ، فالصواب « سيار » بالراء ، كما فى شرح الشريشى . ويؤيده مافى الاشتقاق ٢٨٣ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٥٨ . وسبب الالتباس فى هذا مشابهته لهرم بن سنان بن أبى حارثة ممدوح زهير ، فهذا بنونين .

(٢) الشريشى : « وتسلما ماقضيت بينكما » .

(٣) هذا مافى الشريشى والأغانى ، وفى النسختين : « وما حسبتك » ، تحريف .

(٤) الشريشى والأغانى : « فسوف أرى رأيى » .

سرًّا فقال له ما قال لعامر وقال : أتفاخر رجلاً هو ابن عمِّك فى النسب وأَبوه أَبوك ، وهو مع ذلك أَعظمُ منك غَناءً ، وأَحمد لِقاءً ، وأَسمح سماحاً ، فما الذى أَنت به خيرٌ منه ؟ فردَّ عليه علقمةُ ما ردَّ به عامر ، وانصرف وهو لا يشكُّ أَنَّه ينفِّر عامرًا عليه .

فأَرسل هرمٌ إلى بنيه وبنى أَخيه وقال لهم : إنِّى قائلٌ فيهم غدًا مقالةً ، فإذا فرغتُ فليطَّرد بعضكم عشر جزائر فلينحرْها عن علقمة ، وليطَّرد بعضكم مثلَها فلينحرْها عن عامر ، وفرِّقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعةً[1] .

ثم أَصبح هرمٌ فجلس مجلسَه ، وأَقبل عامر وعلقمة حتَّى جلسا ، فقال هرم : « إنَّكما يا ابنى جعفر قد تحاكمتما عندى ، وأَنتما كركبتَى البعير الآدَمِ الفحلِ تقعان الأَرضَ[2] ، وليس فيكما واحدٌ إلَّا وفيه ما ليس فى صاحبه ، وكلاكما سيِّد كريم » . ولم يفضِّل واحدًا منهما على صاحبه لكيلا يَجلب بذلك شرًّا بين الحيَّين . ونحرَ الجُزر وفرَّق الناس[3] .

وعاش هرِمٌ حتَّى أَدرك خلافة عمر ، فقال : ياهرم ، أَىَّ الرجلين كنتَ مفضِّلا لو فعلتَ ؟ قال : لو قلت ذلك اليومَ عادت جَذَعةً ، ولبلغَتْ شَعَفاتِ هَجر ! فقال عمر : نِعْمَ مُستودَعُ السِّرِّ أَنت ياهرم ، مثلُك فليستودعِ العشيرةُ أَسرارَهم !

(١) الشريشى : « لا يكون بينهم جماعة » . الأغانى : « لا تكون لهم جماعة» .

(٢) الشريشى : « تقعان على الأرض » ، الأغانى : « تقعان إلى الأرض » .

(٣) فى الأغانى : « وفرقوا الناس » ، وأثبت ما فى ش . لكن فى ط والشريشى : « وفرق على الناس » ، ولا إخالها صحيحة .

والحكاية طويلة قد اختصرناها[١] .

وقال فيه الأَعشى :

حكَّمتموه فقضى بينَكم أَبلجَ مثلَ القَمَرِ الباهرِ
لا يأْخذُ الرّشوةَ فى حكمه ولا يبالى غَبَنَ الخاسِرِ

انتهى كلام الشريشى .

وقد شرحها بأَكثر من هذا مرَّتين أَو ثلاثاً الأَصبهانىُّ (فى الأَغانى) ، ومن أَراد بسطَ الكلام فلينظرْه فى الجلد الخامسَ عشر من تجزئة عشرين[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشَرَ بعد الستمائة[٣] :

٦١٨ (ورِثتُ مُهلهِلاً والخيرَ منه زُهيرًا نِعْمَ ذُخرُ الذَّاخِرينا)

على أَن اللام فى (الخير) زائدة ، ومن فى منه تفضيلية . ويجوز أَن يقدر أَفعل آخر عارياً من اللام يتعلَّق به منه ، والتقدير : والخيرَ خيراً منه .

وقال الإمام البيضاوى (فى لب اللباب) : ولا يستعمل ، أَى اسم التفضيل ، إلَّا بمِنْ ، أَو اللام ، أَو الإضافة . و « الخيرَ منه » قليل . وهذه[٤] إشارةٌ إلى البيت .

وأَجاب شارحه السيِّد عبد الله بما أَجاب به الشَّارح المحقِّق ، من التخريجين .

(١) الشريشى : « والحكاية طويلة » ، فقط .
(٢) انظر الأغانى ١٥ : ٥٠ — ٥٥ .
(٣) لم أجد له تخريجاً فى الشواهد .
(٤) ط : « وهذا » .

ولم يقل إنَّ من ليست فيه تفضيلية كما قال فى البيت الذى قبله ، لأَنَّه لم يتأَتَّ ذلك هنا .

صاحب الشاهد والبيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى ، وتقدَّم سبب نظمها مع
٤٩٤ شرح أَبياتٍ منها فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة[1] ، وبعده :

(وعتَّاباً وكُلثوماً جميعاً بهم نِلنا تُراثَ الأَكرمينا)

وقوله : (ورثْتُ مهلِهلاً) إلخ ، هو بالتكلُّم . ومهلهل : اسم جدِّ الشاعر من قِبَل أُمِّه . وهو أَخو كليب بن وائل ، وصاحب حرب البسوس أَربعين سنة . وتقدَّمت ترجمته مع سبب تسميته بمهلهل فى الشاهد العاشر بعد المائة[2] .

وقوله : (والخيرَ مِنْه) أَى ورثت خيرًا من مهلهل . و (زهيرًا) عطف بيان للخير ، وإنَّما كان زهير خيرًا من مهلهل لأَنَّه جدُّهُ من قبل أَبيه ، فإنَّ صاحبَ المعلَّقة كما تقدَّمت ترجمته ، هو عمرو بن كلثوم ابن عَتَّاب بن مالك بن ربيعة بن زهير بن جُشَم بن بكر بنِ حبيب ابن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل .

والمخصوص بالمدح فى (نعم ذخر الذاخرينا) زهير على حذف مضاف ، يريد : ورثتُ مجدَ مهلهل ومجد زهير ، فنعم ذخر الذاخرين زهير ، أَى مجده وشرفه ، للافتخار به .

وقوله : « وعتَّابا وكلثوما » إلخ . عتَّاب جدُّ الشاعر . وكلثوم أَبوه . يقول : ورثنا مجدَ عتَّابٍ وكلثومٍ ، وبهمْ بلغنا ميراثَ الأَكارم ، أَى حُزْنَا مآثرهم ومفاخرَهم فشرُفْنا بها وكَرُمنا .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ — ١٨٥ .
(٢) الخزانة ٢ : ١٦٤ — ١٧٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسعَ عشرَ بعد الستمائة ، وهو من أبيات الإيضاح للفارسى[١] :

٦١٩ (فإنَّا رأينا العِرضَ أحوجَ ساعةً إلى الصَّونِ مِن رَيْطٍ يَمانٍ مُسَهَّمِ)

على أنَّه يجب أنْ يلىَ أفعلَ التفضيل إمَّا من التفضيلية ، كما فى قولهم : زيد أَفضل من عمرو ، وإمَّا معمولُه كما فى البيت ، فإنَّ ساعةً ظرف لأَحوج .

ومثله قوله تعالى: ﴿ النبيُّ أولَى بالمؤمنين مِنْ أنفسهم[٢] ﴾، وقال تعالى: ﴿ قال رَبِّ السِّجْنُ أحبُّ إلىَّ مما يدعوننى إليه[٣] ﴾ .

وقد يفصَل بالنداءِ أيضاً . قال جرير :

لم ألقَ أخبثَ يافرزدقُ منكم ليلاً وأخبث بالنَّهار نهارَا[٤]

قال أبو البقاءِ (فى شرح الإيضاح) : رأينا هنا بمعنى علِمْنا . وأحوج اسمٌ يراد به التفضيل ، وهو مفعول ثانٍ لرأينا ، وساعة منصوب بأَحوج وإلى الصَّون متعلِّق به أيضاً ، وكذلك « من رَيْط » . وجاز أنَّ يتعلق حرفَا الجرّ بأَفعل لأَنَّ معناهما مختلف ، ومِن هى التى يقتضيها[٥] أفعل . والأَقوى أَن يقدَّم من على إلى ،لأَنَّ تعلُّق من بأَفعل يوجب معنًى فى أَفعل وهو التخصيص ، فإذا فصلتَ بينهما ضعفت عُلقته به ، ومع هذا فهو

(١) ابن يعيش ٢ : ٦١ / ٦ : ١٦٤ وشذور الذهب ٤١٥ وديوان أوس بن حجر ١٢١.
(٢) الآية ٦ من سورة الأحزاب .
(٣) الآية ٣٣ من سورة يوسف .
(٤) ديوان جرير ٢٣٢ والهمع ٢ : ١٠٤ .
(٥) ش : « تقتضيها » .

جائزٌ وَرَدَ القرآنُ به . قال تعالى : ﴿ ونحنْ أَقربُ إليهِ مِن حَبْلِ الوَرِيد[١] ﴾ وقال تعالى : ﴿ونحن أَقربُ إليه مِنْكم[٢]﴾ . وهو أكثر من أَن أُحصيَه . وإنَّما ذكره أَبو على ليبيِّن لك أَنَّ عمل أَحوج فى ساعة ليس على حدِّ عمله فى من التى للمفاضلة ، كما أَنَّ قوله بالأَكثر منهم لا يتعلَّق من بالأَكثر على هذا الحدِّ ، بل على حدِّ تعلُّق ساعةً بأَحوج . وأمّا إلى ، ومِن رَيْط ، فيتعلَّقان بأَحوجَ لا محالة . فإِنْ قيل : لِمَ لا تعلِّق ساعة برأَينا ؟ قيل : يمتنع من وجهين : أَحدهما أَنَّ المعنى ليس على هذا ، بل المعنى على شدَّة حاجة العِرض إلى الصَّون فى أَىِّ ساعةٍ كانت . والثانى : أَنَّك لو نصبتَها برأَينا لفصَلْتَ بها بين أَحوج وما يتعلَّق به وهو أَجنبيٌّ ، فلم ٤٩٥
يجُزْ . انتهى كلام أَبى البقاء .

والبيت من قصيدةٍ طويلة جدًّا لأَوس بن حجر[٣] ، وقبله :

(ومستعجبٍ مما يرى من أَناتنا ... ولو زبنَتْهُ الحربُ لم يترمرم

فإِنَّا وجدنا العرض . . . . البيت

أَرى حربَ أَقوامٍ تَدِقُّ وحربُنا ... تجِلُّ فنَعْرَوْرِى بها كلَّ مُعظَمِ

ترى الأَرضَ منَّا بالفضاءِ مريضةً

معضِّلةً منَّا بجمْعٍ عَرَمْرمِ)

(١) الآية ١٦ من سورة ق .
(٢) الآية ٨٥ من سورة الواقعة .
(٣) فى ديوانه ١١٧ – ١٢٤ وليست طويلة جداً فإنها فى ٤٨ بيتاً فقط .

وقوله :« ومستعجبٍ مِمَّا » إلخ[1] الواو واوُ ربّ، ومستعجب :اسم فاعل. قال صاحب العباب : واستعجبت منه : تعجَّبت منه . وأنشد هذا البيت .

والأناة بالفتح : اسمٌ للتأنِّى ،يقال تأنَّى فى الأَمر : تمكَّث ولم يعجَلْ. وزبنَتْه: دفعَته، يقال زبنَت الناقةُ حالبَها زَبْنًا ، من باب ضرب : دفعتْه برِجلها ، فهى زَبونٌ . وحربٌ زبونٌ أيضاً ، لأَنها تدفع الأَبطال عن الإقدام خوفَ الموت . ومنه الزَّبانيَة ، لأَنَّهم يدفعون أَهلَ النارِ إليها . قال صاحب الصحاح : وترمرمَ، إذا حرَّك فاهُ للكلام . وأنشد هذا البيت .

وقوله: « فإنَّا وجَدْنا العِرض» إلخ العِرض ، بالكسر ، قال الشريف (فى أماليه): هو موضع المدح والذمِّ من الإنسان . فإذا قيل ذُكِر عرضُ فلانٍ ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقُط بِذكره ويُمدَح أو يذمُّ به . وقد يدخل بذلك ذكر الرجل نفسِه وذكر آبائه وأسلافه؛ لأَنَّ كلَّ ذلك مما يمدح به ويذَمُّ . والذى يدلُّ على هذا أَنَّ أهل اللغة لايفرقون فى قولهم شَتَم فلانٌ عِرضَ فلان ، بين أن يكون ذكَره فى نفسه بقبيح أو شتَم سلفَه وآباءَه . ويدلُّ عليه قولُ مسكينٍ الدارمىِّ :

رُبَّ مهزولٍ سمينٍ عِرضُه وسمينِ الجسمِ مَهزُولِ الحسَبْ

فلو كان العِرض نفسَ الإنسان لكان الكلام متناقضاً ، لأَن السِّمَن والهُزال يرجعان إلى شىءٍ واحد . إلى آخر ما فصَّله[2] .

---

(١) فى النسختين : « منا » ، صوابه ما أثبت .

(٢) أمالى المرتضى ١ : ٦٣٢ — ٦٣٣ .

وردَّ على ابن قتيبة فى زعمه أنَّ العِرض هو النَّفْس ، ونقَضَ ما استدلَّ به .

وقد أَحكمَ الكلامَ على معنى العِرض ابنُ السِّيد البطَلْيَوسىُّ أَيضاً (فى أوائل شرح أدب الكاتب لابن قتيبة) . وكذلك حقَّق المراد من العِرض ابنُ الأَنبارىّ (فى كتابه الزاهر) ، ولولا خوفُ الإطالة لأَوردتُ كلامَهما .

ويؤيِّد كلامَ الشَّريف المرتضى قولُ ابن السكيت فى شرح هذا البيت (من شرح ديوان أوس) يقول : العِرض يحتاجُ سُويعةً إلى أن يُصان . فإن سَفِهَ الرجلُ عليه قطع عرضَه ومزَّقه إن لم يحتمل فيصونه . انتهى.

وقوله : « أَحوج » قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : هذا خلاف القياس ، لأَنَّه أَفعل تفضيلٍ من المزيد ، قالوا : ما أَحوجَه إلى كذا ، وقياسُه : ما أَشدَّ حاجته ، أَو ما أَشدَّ احتياجه . وأَنشد هذا البيت .

وفيه نظر ، فإنَّ الثلاثىَّ المجرَّد منقول ثابت . قال صاحب الصحاح وغيرُه : وحاجَ يحُوجُ حَوْجاً ، أَى احتاج ، قال الكميت[1] :

غَنِيتُ فلم أَرددكُمُ عند بُغيةٍ وحُجْت فلم أَكْدُدْكُمُ بالأَصابع[2]

وأَحوجه إليه غيره . وأَحوج أَيضاً بمعنى احتاج . انتهى .

٤٩٦ وروى بدله : « أَفقَر ساعَةً » وهذا عند الجوهرىّ شاذّ . قال : وقولهم : فلانٌ ما أَفقره وما أَغناه ، شاذٌّ لأَنَّه يقال فى فعلهما افتقر واستغنى ، فلا يصحُّ التعجُّبُ منه . انتهى .

---

(١) هو الكميت بن معروف ، كما فى اللسان (حوج) ، وفى اللسان (كدد) : « وأنشد الكميت » . وانظر ملحقات ديوان الكميت ١ : ٢٥١ .

(٢) وروى أيضاً : « حجت » بكسر الحاء ، من قولهم : حاج يحيج .

وفيه نظرٌ أيضاً، فإنَّ ثلاثيه مسموعٌ أيضاً . قال صاحب المصباح : الفقير فعيل بمعنى فاعل ، يقال فَقِرَ يَفقَرُ ، من باب تعب ، إذا قلَّ ماله . قال ابن السَّرَّاج : ولم يقولوا فقُرَ أى بالضم ، استغنوا عنه بافتقر. انتهى .

وتنوين ساعةً للتنكير والتقليل ، كما فهم من كلام ابن السِّكِّيت . وقال ابن برّى : قال أبو الفتح بن جنى : قوله ساعة يريد ساعةَ الغضب ، فاستغنى عن الإضافة لدلالة اللفظ عليه . انتهى .

والمعنى أنَّ العرضَ يُصان عند ترك السَّفه فى أقلَّ من ساعة إذا ملك نفسَه ، فكيف لا يصان إذا داومَ عليه . والعرض أكثر احتياجاً إلى الصَّون من الثياب النفيسة ، فإنَّ عرض الرجلِ أحوجُ إلى الصِّيانة عن الدَّنَس والرَّين من الثوب الموشَّى المزيَّن . وعنى بالساعة ساعةَ الغضب والأَنفة ، فإنَّه كثيراً ما أهلك الحلمَ وأتلفه . وفى المثل السائر : « الغضَب غُول الحِلم » .

والرَّيط واحدُه ريطة ، قال صاحب المصباح : الرَّيْطة بالفتح : كلُّ ملاءَة ليست لِفْقَين ، أى قطعتين، والجمع رياط ورَيْطٌ أيضاً، مثل تمرة وتمر . وقد يسمَّى كلُّ ثوبٍ رقيق رَيْطة . انتهى.

والمعنى الأخير هو المراد هنا . قال ابن السكيت : ومُسَهَّمٌ : فيه وشىٌ مثل أَفواق السِّهام[1] . وقال الجوهرى : المسهَّم : البرد المخطَّط .

وقوله : « أرى حَربَ أقوام » إلخ . قال صاحب المصباح : الدَّقيق :

---

(١) الأفواق : جمع فوق ، بالضم ، وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وفى ط : «أفراق» صوابه فى ش .

خلاف الجليل . ودقَّ يدِقُّ من باب ضرب دِقَّةً : خلاف غَلُظ ، فهو دقيقٌ . ودقَّ الأَمرُ دِقَّةً أَيضاً ، إذا غَمُض وخفِيَ معناه ، فلا يكاد يفهمه إلَّا الأَذكياءُ . وجَلَّ الشيءُ يَجِلّ بالكسر : عظُم فهو جَليل . قال ابن السكيت: يقول: نحن نسرعُ إلى هذه الحربِ كما يعجَل الرجلُ إلى فرسه فيَعْرَوْرِيه ، أى يركبُه عرياناً . ويقال: قد اعرورَى فرسَه ، إذا ركبه عُرياً ، بالضم . انتهى .

وقوله: « ترى الأَرض منَّا » إلخ ، فى الصحاح: وعضَّلت الشَّاةُ تعضيلاً إذا نشِب الولد فلم يسهُل مخرجه ، وكذلك المرأة ، وهى شاةٌ معضِّلة ومعضِّل أيضاً بلا هاءٍ . وعضَّلت الأَرضُ بأَهلها : غصَّت بهم . وأنشد هذا البيت .

والعَرَمرم : الجيش الكثير . قال ابن السكيت : هذا مثَلٌ ضربه ، شبَّه الأَرض بالحُبلَى التى تتمخَّضُ وقد نَشِب ولدُها فى بطنها . فيقول: قد نَشِبنا بالأَرض من كثرتنا .

وأوس بن حجر شاعر جاهلى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع عشر بعد الثلثمائة(١) .

وحَجَر ، بفتح الحاءِ والجيم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للعشرين بعد الستمائة(٢) :

٦٢٠ (واستنزلَ الزَّبَّاءَ قَسْراً وهى مِنْ
عُقابِ لُوحِ الجوِّ أعلَى مُنتمَى)

---

(١) الخزانة ٤ : ٣٧٩ — ٣٨٠ .
(٢) من مقصورة ابن دريد .

على أَنَّ تقدُّم (من) على أفعل التفضيل إذا لم يكن مجرورُها اسم استفهام خاصٌّ بالشعر .

وهذا مذهبُ الجمهور ، وهو قليلٌ عند ابن مالك لا ضرورة .
وأَمَّا تقدُّمها على المبتدإ نحو : من زيد أنت أفضل ، فضرورةٌ اتِّفاقاً .

وقال ابن هشام اللخمى فى شرح هذا البيت : من عقاب متعلق بـأَعلى وإنَّما قدَّمه ضرورة ، لأَنَّ أَفعل لا يقوى قوّةَ الفعل فيعملَ عمله فيما قبله فلايجوز. مِن زيد أَنت أَفضل، فتُقدِّم الجارِّ عليه، لضعفه ، إلَّا أَنَّه جائز هنا للضَّرورة ، كما قال الفرزدق : ٤٩٧

وقالت لنا أَهلاً وسهلاً وزوّدت
جَنَى النَّحْل أَو ما زَوَّدَتْ منه أَطيَبُ[1]

انتهى . ولا يخفى أَنَّ المثالَ مخالفٌ للبيتين؛ فإِنَّه مما تقدَّمت من فيه على المبتدأ والخبر ، والبيتان مما تقدَّمت من فيه على الخبر فقط .

والبيت من مقصورةِ ابن دريد المشهورة . وقبله : صاحب الشاهد

(وقد سمَا عَمرٌو إلى أَوتاره فاحتطَّ منها كلَّ عالى المستَمى)

سما يسمو سموًّا : ارتفع . والأَوتار : جمع وِتْر بكسر الواو وفتحها وهو طلبُ الإِنسان بجناية . واحتطَّ : افتعل من الحَطِّ بالمهملتين : أَنزل . وعالٍ : مرتفِع . ومستمىً : مفتعَلٌ من سما يسمو.

وعمرٌو هو عمرو بن عدىٍّ بن نَصْر بن ربيعة بن عبد الحارث بن معاوية بن مالك بن غَنم بن نمارة بن لَخْم ، مِلك الحيرة . ملَكَ بعد خاله عمرو بن عدى

(١) ديوان الفرزدق ٣٢ والعينى ٤ : ٤٣ وابن يعيش ٢ : ٦٠ .

جَذيمة مائة وثمانيَ عشرة[١] سنة . وهو أوّل مَن ملك من ملوك لَخم . وكان مدّةُ ملك لَخْمٍ بالحيرة خمسَمائة سنة .

وكان من حديث عديّ أن جَذيمة قال ذاتَ يوم لنُدَمائه : لقد ذُكَر لى غلامٌ من لخم فى أخواله من بنى إياد ، له ظَرفٌ وأَدَب ، فلو بعثتُ إليه وولَّيتُه كأْسى ، والقيامَ على رأسى ، لكان الرأى . فقالوا : الرأى مارآه الملكُ فليبعَثْ إليه . ففعلَ ، فلمَّا قدِم عليه قال : من أنت ؟ قال : أنا عدىٌّ بن نصر . فولَّاه مجلسَه ، فعشِقَته رَقاشِ بنتُ مالك ، أخت جذيمة ، فقالت له : ياعدىُّ إذا سقيتَ القوم فامزُجْ لهم وعرِّق للملك ، أى امزُجْ له قليلا كالعَرَق ، فإذا أخذَتِ الخمر منه فاخطبْنى إليه فإنَّه يزوّجُك ، فأَشهِدِ القومَ إنْ[٢] فعل . ففعل الغلامُ وخطبها ، فزوَّجه وأَشهد عليه ، وانصرف إليها فعرّفها ، فقالت : عرِّسْ بأَهلك . فلمَّا أصبحَ غدَا متضمِّخاً بالخَلُوق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثار ياعَدىّ ؟ قال : آثارُ العُرس . قال : وأَىُّ عُرس ؟ قال : عُرس رَقاش . فنخر وأَكبَّ على الأَرض ، ورفع عدىٌّ جراميزه[٣] فأَسرع جذيمةُ فى طلبه فلم يجدْه ، وقيل بل قتله وبعث إليها :

حدِّثينى وأنت لا تَكْذبينى أَبِحُـرٍّ زنيتِ أم بهَجينِ[٤]
أم بعبْدٍ فأَنتِ أَهلٌ لعبـدٍ أم بدونٍ ، فأَنتِ أَهل لدُون

فأَجابته رقاش :

(١) ط : « : « وثمان عشرة » ، وهى لغة جائزة . انظر اللسان (ثمن ٢٣١) .
(٢) فى الأغانى « إن هو فعل » .
(٣) أى استعد للفرار . والجراميز : اليدان والرجلان .
(٤) الأغانى ١٤ : ٧٠ والشريشى ٢ : ٤ .

أنتَ زوَّجتَنى وما كنتُ أدرى
وأتانى النسـاءُ للتَّزيينِ[(١)]
ذاكَ من شُرْبِكَ المُدامةَ صِرفاً
وتمـاديك فى الصِّبـا والمجونِ

فنقلها جذيمةُ إليه وحصَّنها فى قصره ، فاشتملتْ على حَمْل وولدت غلاماً فسمَّته عمرًا ، حتى إذا ترعرعَ حَلَّته وعطَّرته[(٢)] ثم أزارتْه خالَه فأُعجبَ به ، وأُلقِيتْ عليه محبَّةٌ منه . ثم إنَّ جذيمة نزل منزلاً وأَمر الناس أَن يجتنوا له الكمأَة ، فكان بعضُهم إذا وجد شيئاً منها يعجبه آثر به نفسَه على جذيمة ، وكان عمرو بن عدى يأْتيه بخيرِ ما يجد ، فعندها يقول عمرو :

هـذا جناىَ وخيارُه فيه إذْ كلُّ جانٍ يدُه إلى فيـه

٤٩٨ ثم إنَّ الجنَّ استهوتْه فطلبه جذيمة [فى آفاق الأَرض[(٣)]] فلم يسمع له خبراً ، إذْ أَقبل رجلان من بنى القَيْن ، يقال لأَحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالج[(٤)] ، ويروى فارج ، من الشَّام ، وهما يريدانِ الملك بهديَّة ، فنزلا على ماءٍ ومعهما قينة يقال لها أُمُّ عمرو ، فنصبَت لهما قدرًا وهيَّأَتْ لهما طعاماً ، فبينا هما يأْكلان إذْ أَقبل رجلٌ أَشعثُ الرأْس قد طالت أَظفاره ، وساءَت حاله ، ومدَّ يدَه فناولتْه القينةُ طعاماً فأَكله ، ثم مدَّ يدَه فقالت القينةُ : « أُعطِىَ العبدُ كُراعاً فطَلبَ ذِراعاً[(٥)] » ، فأَرسلتْها

(١) البيتان أغفلهما أبو الفرج ، وهما عند الشريشى برواية : « فأتانى » .
(٢) بعده فى الأغانى والشريشى : « وألبسته كسوة مثله » .
(٣) التكلمة من ش . وفى الأغانى : « فلم يزل جذيمة يرسل فى الآفاق فى طلبه » .
(٤) ط : « ابنا فالح ، ويروى : فارح » بالحاء المهملة فيهما ، والصواب فى ش والأغانى والشريشى ، حيث ذكر الأول « فالج » والآخر « فارج » .
(٥) فى الأغانى : « إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً » . وانظر جمهرة الأمثال ١ : ١٠٧ .

مثلا . ثم ناولت صاحبيها من شرابِهَا ، وأوكت سقاءها ؛ فقال عمرو ابن عدىّ

صددتِ الكأسَ عنا أُمَّ عمرو وكان الكأسُ مجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثة أُمَّ عمرٍو بصاحبك الذى لا تصبَحِينا

ويروى هذا الشعر لعمرو بن كلثوم التغلبي . ويقال إن عمرو بن كلثوم أدخله فى معلقته . والله أعلم .

وهما من شواهد سيبويه . ومجراها بدلٌ من الكأس ، واليمين خبر كان . وإن شئت جعلت مجراها مبتدأً واليمين ظرفاً ، كأنه قال : ناحية اليمين، وهو خبر عن مجراها ، والجملة خبر كان .

فقال له الرجلان : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن عدىّ . فقاما إليه وسلَّما عليه ، وقلَّما أظفارَه وقصَّرا من شعره ، وألبساه من طرائف ثِيابِهما وقالا : ما كنَّا نهدى إلى الملك هديّةً هى أنفسُ عنده ولا هو عليها أحسنُ عطاءً من ابن أُختِه ، قد ردَّه الله عليه. فلمَّا وقفا بباب الملك بشَّراه فسُرّ به ، وصرفه إلى أُمِّه وقال : لكما حكمُكما . فقالا : حُكمُنا مُنادَمتُكَ ما بقِيتَ وبَقِينا . قال : ذلك لكما .

فهما ندمانَا جذيمة المعروفان . وإيَّاهما عنى متمِّم بن نويرة بقوله فى مرثيته لأخيه مالك بن نويرة :

وكنَّا كَندمانَىْ جَذِيمة حِقبةً من الدَّهر حتَّى قيل لن يتصدَّعا[1]
فلمَّا تفرَّقْنا كأنِّى ومالكاً لطول اجتماعٍ لم نبِتْ ليلةً معا

(١) المفضليات ٢٦٧ .

وقال أبو خِراش الهذلىّ يرثى أخاه عروة :

أَلم تعلمى أَنْ قد تفرَّقَ قبلنا   نديمَا صَفاءٍ مالكٌ وعقيلُ(١)

وروى أَنَّ جذيمة كان لا ينادم أحدًا كِبْرًا وزَهْواً . وكان يقول : أنا أعظم من أَن أُنادم إلّا الفرقدين . فكان يشرب كأساً ويصبُّ لكلِّ واحدٍ منهما كأْساً ، فلما أَتى مالك وعقيل نادماه أَربعين سنة ما أعادا عليه حديثاً .

ثم إنَّ أُمَّ عمرو جعلت فى عنقه طوقاً من ذهب لنذرٍ كان عليها ، ثم أَمرته بزيارة خاله ، فلمَّا رأَى لحيته والطَّوقَ فى عنقه قال : « شبَّ عمرٌو عن الطَّوق ! » . فذهبت مثلاً .

وأَقام عمرٌو مع خاله جذيمة قد حَمَل عنه عامَّة أَمره ، إلى أَنْ قُتل .

وقوله : (فاستَنزَل الزَّبَّاءَ قَسْرًا) البيت ، أَى أَنزل الزَّبَّاءَ . وفاعله ضمير عمرٍو المذكور فى البيت قبله ، والزَّبَّاءَ مفعوله .

الزباء

والزَّبَّاءُ ملكة اسمها نائلة ، وقيل فارعة ، وقيل ميسون . وكانت زرقاءَ . ومن النساءِ الموصوفات بالزَّرَق زرقاءُ اليمامة . وكانت البسوس أيضاً زرقاءَ .

والزَّبَّاءُ تمدُّ وتقصر . فمن مدَّ جعل مذكرها أَزبّ ، ومن قصَر جعل مذكرها زَبَّان .

وكان لها شَعَرٌ ، وإذا مشت سحبته وراءَها ، وإذا نشرته جلَّلها فسمِّيت الزَّبَّاءَ . والأَزَبُّ : الكثير الشعر .

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١١٧ وشرح السكرى ١١٩٠ .

واختُلف فى نسبها ، فقيل كانت روميَّة وكانت تتكلم بالعربيَّة ،
٤٩٩ ومدائنها على شاطىء الفرات من الجانب الشرقىّ والغربىّ . وقيل إنَّها بنتُ عمرو بن ظَرِب بن حسَّان ، من أَهل بيت عاملة من العماليق، ملَكت[1] الشام والجزيرة .

وقيل إنَّ الزَّبَّاء بنت مليح بن البَرَاء ، كان أَبوها ملكاً على الحَضْر ، وهو الذى ذكره عدىٌّ بن زيد بقوله :

وأَخُو الحَضْرِ إذْ بناه وإذ دِجْـ ـلة تُجْبَى إليه والخـابورُ[2]

قتله جذيمة وطرد الزبَّاء إلى الشام فلحقت بالروم ، وكانت عربيَّةَ اللِّسان ما رُئِىَ فى نساء زمانها أَجملُ منها . وكانت كبيرة الهمَّة ، وبلغت من همَّتها أَنْ جمعت الرجال وبذلت الأَموال، وعادت إلى مملكة أَبيها فأَزالت جذيمةَ عنها ، وبنَتْ على الفرات مدينتين متقابلتين ، وجعلتْ بينهما أَنفاقاً تحتَ الأَرض ، وتحصَّنت، وهادنت جَذيمة مدَّة ، ثم خطبها فاستدعته وقتلته ، كما تقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الخمسمائة من باب العلم[3] .

وقوله : (من عقاب لُوح) الخ ، العُقاب بالضمِّ : طائر معروف . واللُّوح بالضم : الهواءُ ، والجوُّ ما بين السماءِ والأَرض . ونظم ابنُ دريد قولَ عمرو بن عدى لقصير : « كيف أَقدر على الزَّبَّاءِ وهى أَمْنعُ من عُقاب لُوح الجوّ » كما يأْتى .

ومنتمًى : مرتفَع ، فى القاموس : وانتمى البازى : ارتفع من

---

(١) ش : « ملكة » .
(٢) ديوان عدى بن زيد ٨٨ .
(٣) الخزانة ٧ : ٢٩٣ — ٢٩٥ .

موضعه إلى آخر . ويروى : « أَعلى منتهى » أى أَعلى ما يُنتهَى إليه . قيل قد غلِط فيه ، لأَنَّ العرب لا تقف بالتنوين ، ومنتمى هنا منصوب على التمييز ، والوقف فيه عند سيبويه على الأَلف المبدلةِ من التنوين .

وقد حقَّق الشارح المحقق فى باب الوقف (من شرح الشافية) أَنَّ هذا ليس مذهب سيبويه ، وأَنَّ هذه الأَلف لام الكلمة لا الأَلف المبدلة من نون التنوين .

وقَسْرًا : قهراً ، إمَّا مفعول مطلق وإمَّا حال . أَى فاستنزل الزباءَ كارهةً . يريد أَنَّ عمراً أَخذ ثأْره منها فقتلها ، وإنَّما قدَر عليها بإعانة قَصير بن سعد ، من أَصحاب جذيمة ، فإنَّه قال لعمرو بن عدى بعد قتل جذيمة : أَلا تطلبُ بثأْر خالك ؟ فقال : وكيف أَقدر على الزَّبَّاءِ وهى أَمنع من عقاب لُوحِ الجوّ ! فأَرسلها مثلاً . فقال له قصير : « اطلبُ الأَمرَ وخَلاَك ذمٌّ ! » ، فذهبت مثلاً أَيضاً .

ثم إنَّ قصيرًا جدع أَنفه وقطع أُذنَه بنفسه ، وفيه قيل : « لأَمر مَا جدَع قصيرٌ أَنفه » . ثم لحق بالزّبّاءِ زاعماً أَنَّ عمرو بن عدىّ صنع به ذلك ، وأَنَّه لجأَ إليها هارباً منه ، ولم يزل يتلطَّف بها بطريق التجارة وكسب الأَموال ، إلى أن وثِقَتْ به وعلم خفايا قصْرِها وأَنفاقَه . فلما كان فى السَّفرة الثالثة اتَّخذ جُوَالقاتٍ كجَوالق المال ، وجعلَ رُبُطَها من داخل الجَوَالق فى أَسفله ، وأَدخل فيها الرجالَ بالأَسلحة ، وأَخذ عَمرو بنَ عدىٍّ معه ، وقد كان قصيرٌ وصفَ لعمرو شأْن النَّفق ، ووصف له الزبَّاءَ ، فلمَّا دخلت الجمالُ المدينة جاءَ عمرو بن عدى على فرسِه فدخل الحِصن بعَقِب الإبل ، وبركت الإبلُ ، وحَلَّ الرجالُ الجوالقات

ومَثَلوا بالمدينة ، ووقف عمرٌو على باب النفق ، فلما جاءت الزباءُ هاربة جلَّلها بالسَّيْف واستباح بلادها .

وقد تقدَّم شرح هذه القصة بأَبسَطَ من هذا فى شرح الشاهد المذكور .

وترجمة ابن دريد تقدمت فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والعشرون بعد السِّتمائة[2] :

٥٠٠ ٦٢١ (قُبِّحتُمُ يا آل زيدٍ نَفَرَا   أَلأَمَ قومٍ أصغرًا وأكبرَا)

على أن أفعل قد يأْتى بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة قياساً عند المبرِّد ، سماعاً عند غيره . وهو الأَصحُّ كما فى البيت فإِنَّهما بمعنى صغير وكبير .

وهذا البيت أورده المبرِّد (فى الكامل) عند شرح قول الفرزدق :

إنَّ الذى سمَك السَّماءَ بنى لنـا   بيتاً دعائمُهُ أعزُّ وأطـوَلُ

قال : وجائزٌ أن يكون التقدير : دعائمه عزيزة طويلة ، كما قال الآخر :

* قبحتم يا آل زيد نفـرًا *   .... البيت

قال : يريد صغارًا وكباراً .

و (فى التسهيل وشرحه لابن عقيل) : واستعمالُه عارياً دون من

---

(١) الخزانة ٣ : ١١٩ - ١٢١ .

(٢) المقرب ٣ : ٣٤٧ والكامل ٤٢٣ .

مجرّدًا عن معنى التفضيل مؤوَّلاً باسم الفاعل : ﴿هو أعلمُ[١] بكم﴾ أى عالمٌ أو صفةً مشبهة : ﴿وهو أهْوَن عليه[٢]﴾ أى هيِّن – مطَّردٌ عند المبرد. وعليه المتأخِّرون . وحكى ابن الأنبارىّ الجوازَ عن أبى عبيدة ، والمنعَ عن النحويِّين . والأَصحُّ قصرُه على السَّماع . قِيل لقلَّة ما وَرَد[٣] من ذلك . وفيه نظر ظاهر ، ولعلَّ وجهه أنَّ الوارد قابلٌ للتأْويل ، إلا أنَّ فى بعضِ التأْويل تكلُّفاً ، وموضع التكلُّف قليل ، ومنه : ﴿بناتى هُن أَطهَرُ لكم[٤]﴾ أى طاهرات ، ﴿لا يَصْلَاها إلَّا الأَشقَى[٥]﴾ أى الشقّ . والوجه ، أَنَّ ذلك مطَّرد ، ولزومُ الإفراد والتذكير فيما ورد كذلك أكثر من المطابقة . فالإفراد : ﴿خيرٌ مستَقرًّا وأَحسَنُ مَقِيلاً[٦]﴾ ، ﴿نحن أَعلمُ بما يستمعون[٧]﴾ والمطابقة :

إذا غاب عنكم أَسْودُ العَين كنتمُ كراماً وأَنتم ما أَقام أَلَائِمُ[٨]

فألائم جمع أَلأَم بمعنى لئيم . وإذا صحَّ جمع أَفعل العارى المجرَّد عن معنى التفضيل إذا جرى على جمعٍ ، جاز تأْنيثه إذا جرى على مؤنَّث . وعلى هذا يكون قول الحَسن بن هانئ :

كأَنَّ كبرى وصُغرى من فقاقعها حصباءُ درٍّ على أَرضٍ من الذَّهبِ

صحيحاً ، لأَنَّه تأْنيث أَصغر وأَكبر ، بمعنى صغير وكبير ، لا بمعنى التفضيل . انتهى .

(١) الآية ٣٢ من سورة النجم .
(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .
(٣) ط : « أورد » .
(٤) الآية ٧٨ من سورة هود .
(٥) الآية ١٥ من سورة الليل .
(٦) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .
(٧) الآية ٤٧ من سورة الإسراء .
(٨) نسب إلى الفرزدق فى العينى ٤ : ٥٧ وليس فى ديوانه .

وقال الشاطبي عند قول ابن مالك :

وأَفعلَ التَّفضيل صِلْهُ أَبدَا تقديراً أَو لفظاً بمن إنْ جُرِّدا

قوله : « أبدا » فيه تنكيت[1] وتنبيه على أنَّ المجرد لا يأْتى بمعنى اسم الفاعل مجرّداً من معنى من قياساً أَصلاً ، خلافاً للمبرِّد القائل بأَنه جائز قياساً ، فيجوز عنده أَنْ تقول : زيد أفضل ، غير مقصودٍ به التفضيل على شىءٍ ، بل بمعنى فاضل . وزعم أَنَّ معنى قولهم فى الأَذان وغيره : الله أكبر : الله الكبير ، لأَنَّ المفاضلة تقتضى المشاركة فى المعنى الواقعِ فيه التفضيل ، والمفاضلة فى الكبرياء هنا تقتضى المشاركة إن قَدِّرَ فيه : من كل شىءٍ . ومشاركة المخلوق للخالق فى ذلك أَوْ فِى غيره من أَوصافِ الرَّبِّ مُحالٌ ، بل كلٌّ كبير بالإضافة إلى كبريائه لا نسبة له ، بل هو كلا شىءٍ . وكذلك قال فى قوله : ﴿ وهو أَهوَنُ عليه[2] ﴾ تقديره معنىً : وهو هيِّنٌ عليه ، لأَنَّ جميع المقدورات متساويةٌ بالنسبة إلى قُدرة الله ، فلا يصحُّ فى مقدورٍ مفاضلةُ الْهُونِ فيه على مقدورٍ آخر . ومنه قوله تعالى : ﴿هو أَعلم بكم﴾ إذ لا مشاركة لأَحدٍ بين علمه وعلم الله تعالى . ومن ذلك قول الفرزدق :

إن الذى سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً . . . البيت

أَى عزيزة وطويلة . فهذه مواضعُ لا يصحُّ فيها معنى المفاضلة ، ٥٠١

(١) المراد بالتنكيت هنا الإشارة . وفى اللسان : « ونكت فى العلم بموافقة فلان أو مخالفة فلان : أشار » . والفعل فيه ثلاثى لا مضعف ، ومثل فى تاج العروس . والنكتة أصل معناها النقطة ، وفى الأساس : « ومن المجاز : جاء بنكتة وبنكت فى كلامه . . وقد نكت فى قوله ، ورجل منكت ونكات » . وفى تاج العروس عن الفنارى : « النكتة هى اللطيفة المؤثرة فى القلب من النكت ، كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل الحاصلة بالنقل ، المؤثرة فى القلب ، التى يقارنها نكت الأرض غالباً بنحو الإصبع » .

(٢) سبق تخريج هذه الآية وتاليتها .

فثبت أنَّها صفات مجرَّدة عن ذلك ، مساويةٌ لسائر الصفات . ومثل ذلك كثير .

فقاس المبرِّد على ذلك ما فى معناه . فالناظم نكَّت عليه[١] ، وارتضى مذهب سيبويه ومن وافقه ، وأَنَّ أَفعل التفضيل لا يتجرَّد من معنى من إذا كان مجرَّدًا أَصلا . وما جاءَ منَّا ظاهرُه خلافُ ذلك فهو راجعٌ إلى تقدير معنى مِن ، أَو إلى بابٍ آخر . فأَمَّا المفاضلة فيما يرجع إلى الله تعالى فهى بالنسبة إلى عادة المخلوقين فى التخاطب ، وعلى حسب توهُّمهم العادىّ . فقوله : الله أَكبر ، معنى ذلك أَكبر من كلِّ شيءٍ يُتوهَّم له كِبْر ، أَو على حسبِ ما اعتادُوه فى المفاضلة بين المخلوقين ، وإن كان كبرياءُ الله تعالى لا نسبة لها إلى كبْر المخلوق .

وكذلك قوله : ﴿ وهو أَهْوَنُ عليه ﴾ يريد على ما جرت به عادتكم ؛ أَنَّ إعادة ما تقدَّم اختراعُه أَسهل من اختراعه ابتداءً .

وقوله : ﴿ هو أَعْلَم بكُم ﴾ أى منكم ، حيث تتوهَّمون أَنَّ لكم علماً ولله تعالى علماً ، أَو على حدِّ ما تقولون : هذا أَعلم من هذا .

وهى طريقة العربِ فى كلامها ، وبها نزل القرآن . خُوطبوا بمقتضى كلامهم ، وبما يعتادون فيما بينهم .

وقد بيَّن هذا سيبويه فى كتابه حيث احتاج إليه . أَلا ترى أَنَّه حين تكلَّم على لعلَّ فى قوله تعالى : ﴿ لعلَّه يَتَذَكَّرُ أَو يَخْشَى[٢] ﴾ صرف

---

(١) انظر التعليق السابق .

(٢) الآية ٤٤ من سورة طه .

مقتضاها من الطَّمع إلى المخلوقينَ فقال : والعلم قد أتى من وراءِ ما يكون ولكن اذهبا على طَمعكما ورجائكما ومبلغِكما من العلم . قال : وليس لهما إلاَّ ذاك[١] مالم يعلما .

وهذا من سيبويه غايةُ التحقيق . وكثيراً ما يذكر أمثال هذا فى كتابه .

وأمَّا بيت الفرزدق فغير خارج عن تقدير مِن ، فقد رُوِىَ عن رؤبة ابن العجَّاج أَنَّ رجلاً قال له : يا أَبا الجَحَّاف، أَخبرنى عن قول الفرزدق : « أَطولُ »، من كل شيء ؟ فقال له : رُويدًا ، إن العربَ تجتزئُ بهذا . قال : وقال المؤذِّن : الله أكبر ، فقال رؤبة : أَما تسمع إلى قوله : الله أكبر ، اجتزأ بها من أَنْ يقول من كلِّ شيء . هذا ما قال، وهو ظاهرٌ فى صحَّة التقدير ، وأَنَّه مرادُ العرب .

ثم إنَّ الذى يدلُّ على أَنَّ المراد معنى مِن ، أَنَّ أَفعل فى هذه المواضع ونحوِها لا يثنَّى ولا يجمع ، ولا يؤنَّث ، وما ذاك إلاَّ لمانع تقدير مِنْ ، كقوله تعالى :﴿ أَصحاب الجنَّةِ يومئِذٍ خيرٌ مُسْتَقَرًّا[٢]﴾ وقوله :﴿ نحن أَعلم بما يَسْتَمِعُون[٣]﴾ ونحو ذلك .

والذى جاء من ذلك على الجمع شاذٌّ ، نحو ما أَنشده الفارسى من قول الشاعر :

إذا غابَ عنكم أَسودُ العين . . . البيت

أَنشده المؤلف في الشَّرح على أَنَّه جمع أَلأَم مجرّداً عن تقدير مِنْ .

(١) الذى فى سيبويه ١ : ١٦٧ بولاق و ٣٣١ من نسختى : « وليس لهما أكثر من ذا » .
(٢) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .
(٣) الآية ٤٧ من سورة الإسراء .

وحمله الفارسىُّ على أنَّه جمع لئيم ، كقطيع وأقاطيع ، وحديث وأحاديث وحذف الزيادة . انتهى كلام الشاطبى .

ولم يذكر البيت الذى أنشده الشَّارح المحقق .

والتفضيل فيه غير مراد ، فإنَّ (أصغر) حالٌ من الضمير فى ألأم ، والمعنى نسبتُهم إلى أشدِّ اللؤم فى حال صغرهم وفى حال كبرهم ، والتفضيل لا وجهَ له إلاَّ بتكلُّف ، وهو أن يكون التقدير : أصغر من غيره وأكبر منه . وهذا معنى سخيف . ويجوز أن يكون أصغر صفة لألأم للتعميم ، فيرجع إلى معنى الحاليَّة . ولا وجه لجعْله صفة لقوم . فتأمَّل .

و (ألأم) منصوب على الذمِّ ، ويجوز أن يكون صفةً لقوله نفرًا ، وَيجوز أيضاً رفعه على أنَّه خبر لمبتدإٍ محذوف ، والتقدير : أنتم ألأم قومٍ ، والقطعُ للذمِّ أيضاً . واللُّؤم بالهمز : ضد الكرَم ، يقال لؤُم على وزن كرُمَ ، لُؤْماً ، فهو لئيم ، وهو الشحيح ، والدَّنِئ النَّفس ، والمهِين. ٥٠٢

وقوله : (قُبِّحتم) هو بالبناء للمفعول وتشديد الباء . يقال قَبَحه الله يَقْبَحه بفتح الباءَين المخفَّفتين، أى نحَّاه عن الخير . وفى التنزيل : ﴿ هُمْ مِن المَقْبُوحِين[1] ﴾ أى المبعَدين عن الفوز . وقبَّحه الله بتشديد الباء للمبالغة . والجملة دعائية . ويُقرأ بضم التاءِ والميم للوزن .

و (نفراً) : تمييزٌ محوَّل عن الفاعل ، والتقدير : قُبِّح نفرُكم ياآل زيد . والنَّفَر بفتحتين : جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وقيل إلى سبعة . ولا يقال نفر فيما زاد على العشرة . قاله صاحب المصباح . وفى ذكر النفر ذمٌّ أيضاً .

---

(١) الآية ٤٢ من سورة القصص .

والبيت لم أَقفْ له على خبر . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الستمائة[1] :

٦٢٢ (ملوكٌ عظامٌ من مُلوكٍ أَعاظِمِ)

على أَنَّ (أَعاظم) بمعنى عظام ، وهو جمع أَعظم بمعنى عظيم ، غير مراد به التفضيل . ولو كان مرادًا للزم الإفراد والتذكير .

ويأْتى فيه ما نقله الشاطبىُّ عن الفارسىّ من أَنَّه جمع عظيم مع حذف الزيادة[2] .

والمصراع من أَبيات لأَعرابىٍّ . والرواية كذا :

أبيات الشاهد

(توسَّمتُه لمَّا رأَيتُ مهابةً عليه وقلتُ : المرءُ من آل هاشمِ
وإلاَّ فمِنْ آل المُرار فإنَّهمْ ملوكٌ عظامٌ من كرام أَعاظمِ
فقمتُ إلى عنزٍ بقيّةِ أَعنزٍ لأَذبحَها فعَل امرئٍ غير نادمِ
فعوَّضنى عنها غِنَاىَ ، ولم تكن تُساوِىُ عنزى غيرَ خمسِ دراهمِ
فقلت لأَهلى فى الخلاء وصِبْيَتى أَحقًّا أُرى أَم تلك أَحلام نائمِ
فقالوا جميعاً :لا بل الحقُّ هذه تخبُّ بها الرُّكبانُ وسْطَ المَواسمِ
بخمسِ مئينٍ من دنانير عُوِّضت
من العنز ما جادت به كفُّ حاتِمِ)

رُوى أَنَّ عُبيد الله بن العبَّاس ، رضى الله عنهما ، خرجَ مرّةً من المدينة يريد مَعاوية فى الشَّام ، فأَصابته سماءٌ ، فنظر إلى نُويرةٍ عن يمينه[3] ، فقال لغلامه : مِلْ بنا إليها . فلما أَتيَاها إذا شيخ ذو هيئة

(١) لم أجد له تخريجا .
(٢) انظر نهاية نص الشاطبى السابق فى ٢٨١ س ٢ .
(٣) النويرة : مصغر النار .

رثَّة ، فقال له : أَنِخ انزلْ حُيِّيت ! ودخل إلى منزله فقال لامرأته : هَيِّئ شَاتَكِ أَقضى بها ذمامَ هذا الرجل ، فقد توسَّمتُ فيه الخير ، فإن يكن من مُضَر فهو من بنى عبد المطَّلب ، وإن يكن من اليمن فهو من بنى آكل المُرار . فقالت له : قد عرفتَ حالَ صبيتى وأَنَّ معيشتهم منها ، وأَخاف الموتَ عليهم إن فقَدُوهَا . فقال : موتهم أَحبُّ إلَىَّ من اللؤم . ثم قبض على الشاة فأَخذَ الشَّفرةَ وأَنشد :

قريبتى لا تُوقِظِى بَنِيَّـــه إن يُوقَظُوا يَنسحبوا عليَّـه
وينزِعُوا الشَّفرةَ من يديَّه أُبغِض هذا أن يُرَى لديَّه

ثم ذبحَهَا وكشط جلدها وقطَّعها أَرباعاً وقذفها فى القِدر ، حتَّى إذا استوت آثَّرَدَ فى جَفنةٍ فعشَّاهم ثم غدَّاهم ، فأَراد عبيدُ الله الرحيل فقال لغلامهِ : ارمِ للشيخ ما مَعَك من نفقة . فقال : ذَبَح لك الشاة فكافأْتَهُ(١) بمثل عشرةِ أمثالِها ، وهو لا يعرفك؟ فقال : ويحك ، إنَّ هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة ، فجاد لنا بها وإن كان لا يعرفنا ، فأَنا أَعرِف ٥٠٣
نفسى ، ارمِ بها إليه . فرماها إليه فكانت خمسمائة دينار . فارتحل عُبيد الله فأَتى معاويةَ فقضى حاجتَه ثم أَقبل راجعاً إلى المدينة ، حتَّى إذا قرُبَ من ذلك الشيخ قال لغلامه : ملْ بنا إليه ننظرْه فى أَىِّ حالة هو ؟ فانتهَيَا إليه فإذا برجلٍ سرىٍّ عنده دُخَانٌ عالٍ ورَمَاد كثير ، وإبل وغنم ففرح بذلك وقال له الشيخ : انزل بالرُّحْب والسَّعة . وقال : أَتعرفنى ؟ فقال : لا والله فمن أَنت ؟ فقال : أَنا نزيلُك ليلة كذا وكذا . فقام إليه فقبَّل رأْسه ويدَيه ورجليه ، وقال : قد قلتُ أَبياتاً أَتسمعها منِّى ؟

(١) ط : « فكافئه » ش : « فكافته » ، كلا هما محرف عما أثبت .

فقال : هات . فأنشد هذه الأبياتَ ، فضحك عُبيد الله وقال : أعطيتنا أكثرَ ممَّا أخذْتَ منَّا ، ياغلام أعطِه مثلَها !

فبلغَتْ فَعلتُه معاويةَ فقال : لله درُّ عُبيد الله ، من أيِّ بيضةٍ خرج ، وفى أىّ عُشٍّ درج ، وهى لعَمرِى من فَعَلاته !

وقوله :« توسَّمته » بمعنى تفرَّسته ، من التوسُّم ، يقال توسَّمت فيه الخير أى طلبت سِمَتَه .

وقوله : « وإلاَّ فمن آل المرار » أى إن لم يكن من آل هاشم فهو من آل المرار ، على حذف مضاف أى آل آكِل المُرار، وهم ملوك اليمن . قال صاحب القاموس : والمرار بالضم : شجرٌ مِن أفضل العُشب وأضخمِه ، إذا أكلته الإبلُ قلَصت مشافرُها فبدَت أسنانُها ، ولذلك قيل لِجدِّ امرئ القيس : « آكلُ المرار » ؛ لكشَرٍ كان به .

وقال الشريف الجَوَّانى : إنَّ فى آكل المُرار خِلافاً ، هل هو الحارث ابن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتِّع[1] ؟ أم هو حُجر بن عمرو بن معاوية ؟ وإنَّ الحارث إنَّما سُمِّىَ آكل المرار لأنَّ عمرو بن الهَبُولَةَ الغسَّانىَّ أغار عليهم ، وكان الحارث غائِباً ، فغنِم وسَبى ، وكان فيمن سبى أمُّ أُناسٍ بنتُ عَوف بن محلِّم الشَّيبانىّ امرأةُ الحارث ، فقالت لعَمرو بن الهَبُولة فى مسيرهِ : لكأنِّى برجلٍ أدلمَ أسودَ ، كأنَّ مشافرَهُ مشافرُ بعيرٍ آكل المرار، قد أخذ برقبتك ! تعنى الحارث . فسمِّىَ آكل المرار . والمُرار ، كغراب : شجر مرٌّ إذا أكلت منها الإبل تقلَّصت مشافرها . ثم تبعه الحارث فى بكر بن وائل فلحقَه فقتله ، واستنقذ امرأته وما كان أصاب .

(١) ابن الأنبارى فى شرح القصائد ٤ : « وإنما سمى مرتع مرتعاً لأنه كان من أتاه من قومه تمه ، أى جعل له مرتعا لماشيته » .

وقال ابن دريد (فى كتاب الاشتقاق) : إنَّ آكل المرار الحارث جدُّ امرئ القيس الشاعر ابن حُجر .

وقوله : «مُلوكٌ عظامٌ» إلخ ، بتنوين ملوك ، وعظامٌ وصْفُه ، وكذلك ما بعده .

وقوله : « فعوَّضنى » الخ ، فاعله ضمير المرءِ من آل هاشم ، المراد به عبيد الله بن عباس . و « غناى » المفعول الثانى لِعوَّضَ . والغنى : ضد الفقر ، وضمير عنها لِلعنز .

وقوله : « تُساوىُ » بضم الياءِ للضرورة ، أورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر[1]) وقال : أجرى حرف العلَّة مجرى الحرف الصحيح فأظهر الضمَّة عليه .

وكذا أورده المرادىُّ (فى شرح الألفية) .

وقوله : « فقلت لأهلى » إلخ ، الخلاءُ بالفتح والمد : الفضاءِ . وصِبية : جمع صبىّ ، أى قلت لزوجتى وأولادى .

وقوله : « أَحَقًّا[2] أرى » إلخ . يقول : من شدَّة سرورى بالدنانير دُهِشت فقلت لهم مستفهماً : أما أراه حقًّا ، أم تلك الدنانير أضغاثُ أحلام ؟ وقوله : « تخبُّ بها » أى بذكرها ، أى بذكر الدنانير . وتخُبُّ ، تسرع من الخَبَب ، وهو ضربٌ من العَدْو ، وفعله من باب نصر . ورُكبان جمع راكب . والمواسم : جمع مَوسِم الحج .

وقوله : « بخمس مئينٍ » إلخ ، هو بدلٌ من قوله بها . ومئين بالكسر والتنوين لغةٌ ، أوْ ضرورة جمع مائة . وعُوّضت : جُعِلت عوضاً من العنز . ٥٠٤

(١) الضرائر ٤٦ ، ٢٧٣ .

(٢) ط : « أحق » ، صوابه فى ش .

وقوله : « ما جادت » إلخ . ما نافية ، أى لم تجُدْ كفٌّ حاتم بهذا الجود . ويحتمل أن تكون ما موصولة خبر مبتدإٍ محذوف ، أى هى ماجادت به كفُّ حاتم . المراد به عُبيد الله بن العباس بالتصغير ، وهو أخو عبد الله بن العباس رضى الله عنهم ، حَبْرُ هذه الأُمَّة . والأَوَّل مشهورٌ بالجود معدودٌ من الأَجواد ، والثانى مشهورٌ بالعلم ، وإن كانا فى العلم والجُود مشتركين .

عبيد الله بن العباس

وقد أَورد ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) بعضَ ما يتعلَّق بجود عبيد الله[1] .

منها : أَنَّه أَول من فَطَّر جيرانَه فى رمضان ، وأَوّل من وضع الموائد على الطُّرُق ، وأَوّلَ من حيًّا على طعامه[2] ، وأَوّل من أَنهبه .

ومن جوده : أَنَّه أَتاه رجلٌ وهو بفِناءِ داره ، فقام بين يديه فقال يا ابن عبَّاس ، إنَّ لى عندك يدًا وقد احتجتُ إليها . فصعَّد فيه بصَره وصوَّبه فلم يعرِفْه ، ثم قال له : ما يدُك عندنا ؟ قال : رأَيتك واقفاً بباب زمزم[3] وغلامُك يمتَح لك من مائها ، والشَّمسُ قد صهرتك ، فظَلَّلْتُك بطرَف كسائى حتَّى شربت . قال : إنِّى لأَذكر ذلك ، وإنَّه يتردَّد بين خاطرى وفكرى . ثم قال لقيِّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها إليه وما أُراها تَفِى بحقِّ يده عندنا . قال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاه ، فكيف

---

(١) العقد ١ : ٣٤٠ – ٣٤٣ .

(٢) أى قال حى على الطعام ، أى هلموا إليه وأقبلوا .

(٣) فى العقد : « بزمزم » .

وقد وَلَد سيِّدَ الأوَّلين والآخِرين محمدًا صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ شفَعَ[(١)] بـأَبيك وبِك .

ومن جوده أَيضاً : أنَّ معاوية حَبس عن الحسين بن عليٍّ صِلاتِه حتَّى ضاقت حالُه عليه ، فقيل[(٢)] : لو وجَّهت إلى ابن عمكَ عُبيد الله ، فإنَّه قَدِم بنحو ألف ألف درهم . فقال الحسين : وأين تقع ألف ألفٍ من عُبيد الله ، فوالله لهو أَجْوَد من الرِّيح إذا عَصَفت ، وأَسخى من البحر إذا زخَر . ثم وجَّه إليه مع رسوله بكتابٍ ذكر فيه حبسَ معاوية عنه صِلاتِه وضيقَ حاله ، وأنَّه يحتاج إلى مائة ألف درهم . فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان من أَرقِّ الناس قلبًا انهملتْ عيناه ، ثم قال : ويلك يا معاوية ما اجترحَتْ يداك من الإثم حين أَصبحت ليِّن المهاد ، رفيعَ العماد ، والحسينُ يشكو ضِيقَ الحال ، وكثرةَ العيال ! ثم قال لِقَهرمانِه : احمل إلى الحسين نصفَ ما أملكه من فضَّة وذهب ، وثوبٍ ودابَّة ، وأَخْبِرْه أنِّى شاطرتُهُ مالى ، فإن أَقنعَه ذلك وإلاَّ فارجعْ واحملْ إليه الشَّطر الآخر . فقال له القيِّم : فهذه المؤن التى عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دللتُك على أمرٍ يُقيم حالك . فلما أَتى الرسولُ برسالته إلى الحسين قال : إنَّا لله ، حملتُ والله على ابن عمِّى ، وما حسبته يتَّسع لنا بهذا كلِّه . فأخذ الشَّطرَ من ماله . وهو أَوّلُ من فعل ذلك فى الإسلام.

ومن جوده : أنَّ معاوية أهدَى إليه وهو عندَه بالشام من هدايا النَّيرُوزِ حُللًا كثيرة ، ومِسكًا ، وآنيةً من ذهبٍ وفضَّة ، ووَجَّهها مع حاجبه ، فلمَّا وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها فقال : هل فى

(١) فى العقد : « ثم شفعه » .
(٢) العقد : « فقيل له » .

نفسك منها شيءٌ ؟ فقال : نعم ، والله إنَّ فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام ! فضحك عُبيد الله وقال : فشأْنَكَ بها فهى لك . قال : جُعِلتُ فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجِدَ علىَّ . قال : فاختِمْها بخاتَمك ، وارفَعْها إلى الخازن ، فإذا حان خروجُنا حملَها إليك ليلا . فقال الحاجب : والله لهذه الحيلةُ فى الكرم أكثر من الكرم ،
ولوددِتُ أنِّى لا أموت حتى أَراك مكانه ، يَعنى معاوية ، فَظَنَّ عُبيد الله ٥٠٥
أنَّها مكيدة منه . قال : دع عنك هذا الكلام فإنَّا قومٌ نَفِى بما وعَدْنا ، ولا ننقُض ما أكَّدَنا .

ومن جوده أيضاً : أنَّه أتاهُ سائلٌ وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدَّقْ فإنِّى نبِّئتُ أنَّ عُبيد الله بنَ العباس أعطى سائلاً ألفَ درهم واعتذرَ إليه . فقال له : وأين أنا من عُبيد الله ؟ قال : أين أنت منه فى الحسَب أم كثرة المال ؟ قال : فيهما . قال أمَّا الحسَب فى الرجُل فمروءته وفعله ، وإذا شئتَ فعلتَ ، وإذا فعلتَ كنت حسيباً . فأعطاه ألفى درهم واعتذر إليه من ضيق الحال ، فقال له السائل : إن لم تكن عُبيدَ الله بن عبَّاس فأنت خيرٌ منه ، وإنْ كنته فأنت اليوم خيرٌ منك أمس ! فأعطاه ألفاً أخرى ، فقال السائل : هذه هِزَّة كريم حسيبٍ ، والله لقد نقرتَ حبَّةَ قلبي فأفرغتَها فى قلبك فما أخطأْتَ إلَّا باعتراض الشدِّ من جوانحى[1]

ومن جوده أيضاً : أنَّه جاءه رجلٌ من الأنصار فقال : يا ابن عمِّ رسول الله ، وُلد لِى فى هذه الليلةِ مولودٌ وإنِّى سميته باسمكَ تبرُّكاً منِّى به ، وإنَّ أُمَّه ماتت . فقال عُبيد الله : باركَ الله لك فى الهبَة ، وأجزل لك

(١) العقد : « إلا باعتراض الشك بين جوانحى » .

الأجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله فقال : انطلق الساعة فاشترِ للمولود جاريةً تحضُنه ، وادفعْ إليه مائتى دينارٍ للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصارىّ : عُد إلينا بعد أيام فإنَّك جئتَنا وفى العيش يُبس ، وفى المالِ قِلَّة ! قال الأنصارىّ: لو سبقتَ حاتماً بيومٍ واحد ما ذكَرَته العرب أبداً ولكنَّه سبقَك فصرتَ له تالياً، وأنا أشهد أنَّ عفوك أكثر من مجهوده[1] وطَلَّ كرمِك أكثرُ من وابِله .

هذا ما اخترناه من العِقد ، وفيه كفاية ، وقصَدْنا بتسطيره الثواب وإن كنَّا أطلنا به الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد السِّتِّمائة[2] :

٦٢٣ (لَعَمْرُكَ ما أدرِى وإنِّى لَأَوْجَلُ
على أيِّنا تَعْدُو المنيَّةُ أوَّلُ)

على أنَّ (أوَّلُ) بنى على الضم لحذفِ المضافِ إليه ونيّةِ معناه . والأصل : أوَّلَ أوقاتِ عَدْوِها .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : إنَّما بنيت أوّل هنا لأنَّ الإضافة مرادةٌ فيها ، فلما اقتُطعت منها وهى مرادة فيها بنيت كقَبْلُ وبعد ، فكأنَّه قال : تعدو المنيَّة أوَّلَ الوقت . وأصلها قبل الإضافة أن

(١) العفو : ما كان بغير مسألة .

(٢) المقتضب ٣ : ٣٤٦ والكامل ٣٥٧ ، ٤٢٣ والمنصف ٣ : ٤٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٢٨ / ٢ : ٢٦٣ وابن يعيش ٤ : ٦/٨٧ : ٩٨ وشذور الذهب ١٠٣ والعينى ٣ : ٤٣٩ والأشمونى ٢ : ٢٦٨ ٢ : ٢٦٨ ويس على التصريح ٢ : ٥٢ وديوان معن ٥٦ . وشرح الحماسة للمرزوقى ١١٢٦ والتبريزى ٣ : ١٣٢

تكون معها مِنْ لِيتِمَّ بها قبل الظرفية صفة ، فتكون كقديم وحديث[1] لم تنقل عن الوصف إلّا إلى الظرّفيّة[2] . فإذا صحَّ فيها مذهب الصِّفة فلابدَّ فيها من معنى مِن قبل الإضافة ، فإذا تصوِّرت صفةً قبل ذلك أَمكن حينئذ نقلها إلى الظرف كسائر ما نقل إلى الظروف من الصِّفات ، نحو قديم وحديث ، ومَلِيّ وطويل . وأَوجَلُ ممَّا جاءَ على الصفات على أَفعل لا فعلاءَ له . أَلا تراهم لايقولون وَجْلاءُ ، استغنَوْا عنها بِوَجِلَة .اهـ .

وظنَّه العينى فعلا مضارعاً فقال : قوله : لأَوجل أَى لأَخافُ ، من وجِل يَوجَل .

و (عمرك) ، بفتح العين : مبتدأٌ محذوف الخبر ، أَى قسمي ،
وجملة ما أَدرى جواب القسم . والمصراع الثانى فى محل نصب على أَنَّه
سادٌّ مسدَّ مفعولَىْ دَرى ، معلَّق عن العمل فى لفظه بسبب الاستفهام ،
وعلى متعلقة بتَعدُو . وأَخطأَ العينى فىقوله : مفعول أَدرى محذوفتقديرهُ :
ما أَدرى مايُفعل بنا أَو مايكون ، ونحوُ ذلك . ولم يتعرَّض لجملة على
أَيِّنا تعدُو إلخ . وهو بالعين المهملة مِن عدا عليه يعدو عَدْوًا ، بمعنى ظَلم ٥٠٦
وتجاوزَ الحد . وروى بالغين المعجمة ، من غدا غَدْوًا[3] ، أَى ذهب
غُدوة ، وهى ما بينَ صلاة الصُّبح وطلوع الشمس . هذا أَصله ، ثم كثُر
حتّى استعمل فى الذهاب والانطلاق أَىَّ وقتٍ كان . والمنيَّة : الموت . وأَوّلُ :
ظرفٌ مبنىٌّ ، وموضعهالنصب بتعدو ، وجملة وإِنّى لأَوجل جملة معترضة
بين أَدرى وبين السادِّ عن مفعوليها . وأَوجَل معناه خائف . والمعنى :

---

(١) فى إعراب الحماسة : « كلى وقديم وحديث » .

(٢) فى إعراب الحماسة : « ثم تنقل عن الوصف إلى الظرفين » .

(٣) يقال غدا يغدو غدواً ، وغدواً أيضاً على فعول .

أُقسم ببقائك ما أَعلم أَيُّنا يكون المقدَّم فى عَدْوِ الموت عليه . وهذا كما قال الآخر :

فأَكرمْ أخاك الدَّهر ما دمتَما معاً   كفى بالممات فُرقةً وتنائيا

والبيت مطلع قصيدةٍ لمعن بن أَوسٍ المُزَنىِّ، أَورد بعضَها أَبو تمام (فى الحماسة) . ونحن نقتصر عليه .

سبب الشعر

قال شُرَّاحها : وسبب هذا الشعر أَنَّه كان لمعن بن أَوس صديقٌ ، وكان معنٌ متزوِّجاً بأُخته ، فاتَّفق أَنَّه طلقها وتزوَّج بأُخرى ، فحَلف صديقُه أَن لا يكلِّمه أَبدًا . فقال معن هذه القصيدة يستعطف بها قلبَه ويسترقُّه له . وفيها ما يدلُّ على القصَّة ، وهو قوله :

فلا تغضَبَنْ أَن تُستعارَ ظعينةٌ   وتُرسَلَ أُخرى ، كلُّ ذلك يُفعلُ

والأَبيات التى أَوردها أَبو تمام بعد المطلع هى هذه :

(وإنِّى أَخوك الدائمُ العَهدِ لم أَحُلْ
إنَ ٱبزَاكَ خَصمٌ أَو نبا بك منزلُ
أُحاربُ من حاربتَ من ذى عداوةٍ
وأَحبسُ مالى إنْ غَرمْتَ فأَعقلُ
كأَنَّك تَشفِى منك داءَ مساءتى
وسُخطى ، وما فى رَيْثى ما تَعجَّلُ
وإن سُؤْتَنى يوماً صَبَرتُ إلى غدٍ
ليُعقِبَ يوماً مِنك آخرُ مقبلُ[1]

(١) فى الحماسة والديوان ٣٦ : « صفحت » . وفى الديوان أيضاً : « ليعقب يوم » .

وإنِّى على أَشياءَ منكِ تَرِيبُنى
قديماً لذو صفح على ذاكَ مُجمِلُ
ستقطعُ فى الدُّنيا ، إذا ما قطعتَنى
يمينكَ ، فانظرْ أىَّ كفٍّ تبدَّلُ
وفى النَّاس إن رثَّتْ حبالُك واصلٌ
وفى الأَرض عن دار القِلى متحوَّلُ
إذا أَنتَ لم تُنصِف أَخاك وجدتَه
على طَرَف الهِجران إنْ كانَ يَعقِلُ
ويركبُ حدَّ السَّيف من أَنْ تَضِيمَه
إذا لم يكنْ عن شَفرة السَّيفَ مَزْحَلُ
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رامَ ظِنَّتى
وبَدَّلَ سُوءَى بالذى كنت أَفعَل[1]
قلبتُ له ظَهرَ المِجنِّ ولم أَدُم
على ذاكَ إلَّا ريثَما أَتحوَّلُ
إذا انصرفتْ نفسى عن الشَّىءِ لم تكَدْ
إليه بوجهٍ آخرَ الدَّهرِ تقبلُ[2])

وقوله : « وإنِّى أَخوك » إلخ . يقول : إنِّى أَخوك الذى يدوم عهدُه ولا يزول ولا يَحُول إن أَبزاك خصم ، أَى غلبَك وقهرك . يقال بزَوت الخصم بَزْواً ، وأَبزيته إبزاءً ، بالباءِ الموحَّدة والزاى . ويجوز أَن يكون أَبزاك من بَزِىَ يبزَى بزًى فهو أَبزَى ، وهو دخول الظهر وخُروج البطن

---

(١) هذا مافى ش . وفى ط والحماسة والديوان : « سوءاً » .
(٢) فى الديوان : « عليه بوجه » .

ويكون المعنى : إن حمَّلك خَصمٌ من الثقل ما يَبزَى له ظهرُك فلا تطيق الثَّباتَ تحته والنهوضَ به .

وقوله : « أُحارب مَن حاربت » إلخ ، هذا تفسير دوام عهده ، أى تجدنى ذاباً عنك ، وإن أَصابك غُرم حبستُ مالى عليك . وأَعقل عنك ، يقال عقَلت عنه إذا غرِمت ما لزمه فى ديته . وعَقلتُه ، إذا أَعطيتَ ديتَه . ويجوز أَن يكون معنى فأَعقل : أَشدُّها بعُقُلها بفنائك لتدفَعَها ٥٠٧
فى غرامتك . والمال إذا أُطلِق يراد به الإبل .

وقوله : « كأَنَّك تشفِى » إلخ ، يريد : إساءتك إلىّ وسخطك علىّ ، فأَضافهما إلى المفعول . والمعنى : إنَّك تستمر فى إساءتك إلىَّ حتَّى كأَنَّ بك داءً ذاك شِفاؤُه . والرَّيثة : ضدُّ العجلة . يقول : ليس فى أَناتى وتركى مكافأَتك ما يجبُ أَن يتعجَّل علىَّ بما يسوءُنى .

وقوله : « وإن سُؤْتَنى يوماً » إلخ ، أَى إنْ فعلتَ ما يسوءُنى تجاوزتُ إلى غدٍ ليجىءَ يومٌ آخر مقبلٌ منك بيومٍ يسرُّنى .

وقوله : « ستقطع فى الدنيا » إلخ ، يقول : أَنا لك بمنزلة يدك اليمنى ، فإذا قطعتَنى فإنَّما تقطع يمينك .

وقوله : « وفى الناس إنْ رثَّتْ » إلخ ، يقول : إذا انقطعت حبالُ الودِّ بينى وبينك ورَثَّت ففى الناس واصِلٌ غيرك . وإذا نبا بى جوارُكَ ففى جوانب الأَرض متحوَّلٌ عن دار البُغض .

وقوله : « إذا أَنت لم تُنصف » إلخ ، أَى إذا لم تُنصف أَخاك ولم توفِّه حقوقَ إخائه وجدته هاجراً لك مستبدلاً بك إن كان له عقل ، ثم لا يبالى أَنْ يركب من الأُمور ما يقطِّعه تقطيع السيف ، ويؤثِّر فيه تأْثيره ، مخافة أَن يصيبه ضيمٌ مَتَى لم يجد عن ركوبه معْدِلاً .

وقوله: « من أن » أى بدلاً من أن. وشَفرة السَّيف بالفتح: حدُّه. ومَزحل، بالزاى والحاء المهملة: مصدر زحَل عن مكانه، إذا تنحَّى عنه وتباعد.

وقوله: « وكنت إذا ما صاحبٌ » إلخ، رام ظِنَّتى بالكسر: عرَّضنى لاتِّهامِ عَقْده والارتياب بودِّه، بأن عدَّ إحسانى إليه إساءة. ومعناهُ: رام إيقاعَ التُّهمة علىّ.

وقوله: « قلبتُ له ظهر » إلخ، أى اتَّخذته عدوًّا وقلبت له ظهر التُّرس متَّقياً منه، ولم أَدُمْ على الحال المذكورة معه إلاَّ قدَر ما أتحوَّل، وبُطء ما أتَنَقَّل.

قال المبرد (فى الكامل): دخلَ عبد الله بن الزَّبير[1] يوماً على معاوية فقال: اسمعْ أبياتاً قلتُها. وكان واجداً عليه. فقال معاوية: هاتِ. فأنشده:

إذا أنت لم تُنصفْ أخاكَ وجدتَه على طَرَف الهِجْرانِ إنْ كان يَعقلُ

مع البيت الذى بعده. فقال له معاوية: قد شَعَرت بعدنا يا أبا بكر! ثم لم ينشَب معاويةُ أن دَخلَ عليه معنُ بن أوسٍ المُزنىُّ فقال: أقلتَ بعدنا شيئاً؟ فقال: نعم. فأنشده:

لعمركَ ما أدرى وإنِّى لأَوْجَلُ على أيِّنا تَعدو المنيَّة أوّلُ

حتى صار إلى الأبيات التى أنشدها ابنُ الزَّبير، فقال له معاوية: يا أبا بكر، أمَا ذكرت آنفاً أنَّ هذا الشعرَ لك؟ قال أصلحتُ المعانىَ وهو ألَّف الشعر، وهو بعدُ ظِئرى، فما قال من شىء فهو لى. وكان عبد الله مُسترضَعاً فى مُزينة. انتهى.

(١) عبد الله بن الزبير، بفتح الزاى وكسر الباء، ترجم فى ١ : ٢٦٤ – ٢٦٦ .

والظِّئر ، بكسر الظاءِ المعجمة بعدها همزة ساكنة : المرأة الأَجنبية تحضُن ولد غيرها . ويقال للرجُل الحاضن ظئر أَيضاً . وهذا هو مراد ابن الزَّبير .

وقال الحُصْرىّ (فى زهر الآداب) بعد إيراد هذه الحكاية : أَراد ابنُ الزبير معاتبة معاوية بشعرِ معن ، وليس ادّعاؤه على حقيقةٍ منه .

وهذان البيتان قد أَوردهما صاحب تلخيص المفتاح فى السرقات الشعرية .

وترجمة معن بن أَوس المزنى تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين بعد الخمسمائة[1] .

* * *

وأَنشد بعده :

(ولا ناعبٍ إلاَّ ببين غُرابُها)

هو عجزٌ ، وصدره :

(مشائيمُ ليسوا مصلِحِين عشيرةً)

على أَنَّ (ناعبا) عَطف بالجرِّ على مصلحينَ المنصوب على خبر ليْسُوا ، لِتَوَهُّم الباءِ ، فإنها تزاد فى خبر ليس . ٥٠٨

وقد تقدَّم الكلام على هذا البيت فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائتين[2] .

(١) الخزانة ٧ : ٢٦٠ — ٢٦٣ .
(٢) الخزانة ٤ : ١٥٨ — ١٦٥ .

ومشائيم : جمع مشؤُوم ، من شئِم عليهم بالبناء للمفعول ، فهو مشئوم ، إذا صار شُؤماً . يقول : لا يُصلحون أَمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ، ولا يأْتمرون بخيرٍ ، فغرابُهم لا ينعَب إلَّا بالتشتيت والفراق . وهذا مثَلٌ للتطيُّر منهم والتشاؤمِ بهم . والنعيب : صوتُ الغراب ومدُّ عنقِه عند ذلك.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد السمّائة[1] :

٦٢٤ (فى سَعْيِ دُنْيا طالما قد مُدَّتِ)

على أَنَّ (دنيا) قد جُرِّدت من اللام والإضافة لكونها بمعنى العاجلة.

يريد أَنَّ الاسمية غلبت عليها لِكثرة استعمالها ، ولهذا لم تجر على موصوف غالباً ، كما غلبت الاسمية على نحو الأَجرع والأَبطَح .

قال ابن يعيش : القياس فى دنيا أَن يكون بالأَلف واللام ، لأَنَّه صفة فى الأَصل على أنه فُعلى ومذكره الأَدنى ، مثل الأَكبر والكبرى . وهو من دنوت ، فقلبت الواو فى الأَدنى أَلفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها ، وذلك بعد أَنْ قُلبت ياءً لوقوعها رابعة . وقد تقدَّم أَنَّ الأَلف واللام تلزم هذه الصفة ، إلَّا أَنَّهم استعملوا دنيا استعمالَ الأَسماء ، فلا يكادون يذكرون معه الموصوف ، ولذلك قلبوا اللام منه ياءً لضربٍ من التعادل والعوض[2] ، كأَنَّهم أَرادوا بذلك الفرقَ بين الاسم والصفة[3] ، فلمَّا غلب عليها حكم

---

(١) الكشاف ٢ : ٣٠ وابن يعيش ٦ : ١٠ وديوان العجاج ٥ .

(٢) أى لئلا يجتمع ثقل الضمة فى أول الكلمة والواو فى آخرها ، فقلبت الواو ياء ليتحقق التعادل والخفة .

(٣) أى إنهم إنما أجروا التعديل فى الاسم لأنه أسبق من الصفة وأولى بالتعديل والتخفيف فقلبت واوه ياء فى نحو : الدنيا والعليا والقصيا . وأما الصفة التى على فعلى بالضم ، فقد بقيت على ثقلها ، بضم أولها وبالواو فى آخرها ، وذلك نحو : الغزوى والقصوى . وانظر شرح الشافية ٣ : ١٧٧ — ١٧٩ .

الأَسماءِ أَجَرْوها مجرى الأَسماءِ . وكانت الأَلف واللام لا تلزم الأَسماءَ فاستعملوها بغير أَلف ولام ، كسائر الأَسماءِ . انتهى .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ﴾[1] من سورة طه . قال : إنَّ تنكير ساحر مع كونه معلوماً معيَّناً لأَجل تنكير المضاف ، وهو كَيْد ، كما نكَّر الشاعر دنيا ، لِأَجلِ تنكير سَعى . والمراد كيدٌ سحرىٌّ وسعْىٌ دنيوىٌّ . ولو عرِّف السحر والدُّنيا لصار الكيد والسعى معرفتين ، والمراد تنكيرهما ، إذِ الغرض كيدٌ مَا وسعىٌ ما .

وقال أَبو حيان : البيت محمولٌ على الضرورة ، إذ دنيا تأْنيث الأَدنى، لا يستعمل إلَّا بالأَلف واللام أَو بالإِضافة. وأَمَّا قول عُمر : « إنِّى لأَكره أَن أَرى الرجل فارغاً لا فى عمل دُنيا ولا فى عمل آخرة »، فيحتمل أَنْ يكون من تحريف الرُّواة . انتهى .

ولا يخفى أَنَّه ورد فى الحديث الصحيح : « فإنْ كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها » . ولم يقل غيره إنَّ دنيا ضرورة . نعم تنوينه ضرورة[2] ، ذكره ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند[3] قول المثلَّم بن رياح المرّى :

إنى مقسِّمُ ما ملكتُ فجاعلٌ   أَجراً لِآخرةٍ ودنيًا تنفعُ[4]

قد استعملت العرب فى غير هذا دنيا نكرة كما ترى ، قال العجاج:

---

(١) الآية ٦٩ من سورة طه .
(٢) فى هامش ش : « أقول : أى ضرورة تدعو إلى صرف دنيا والوزن مستقيم بالألف كما هو ظاهر . فليتأمل » . وكذلك أثبت فى هامش ط على أنه ثابت فى هامش أصلها .
(٣) ط : « عن » ، صوابه فى ش .
(٤) ضرائر ابن عصفور ٣٥ والحماسة بشرح المرزوقى ١٦٥٧ .

* فى سَعْىِ دُنْيَا طالما قد مُدَّت *

وروى ابنُ الأَعرابى « دنيا » بالصَّرف ، وقال أَيضاً فى ذلك[١] : إنهم شبهوها بفُعْلَل فنوَّنوها .

وهذا نادرٌ غريب ، ولم نعلم شيئاً مما فى آخره أَلف التأْنيث مفردًا مصروفًا غير هذا الحرف . ولو قال قائلٌ إن دنيا هذه المصروفة تكون ملحقة فى قول أَبى الحسن بجُخْدَبٍ ، وكالأَلف فى بُهماةٍ[٢] لم أَر بأْساً .

فإن قلت : فلو كانت أَلف دنيا للإلحاق لوجب فيها دُنْوًا ، وذلك أَنَّ اللام فى نحو هذا إذا كانت واوًا فإنَّها إنَّما تبدل ياءً فى فعلى التى أَلفها للتأْنيث ، وجاءت هذه للإلحاق ؟ فالجواب : أَنَّ هذا النحو لمَّا غلب عليه مثال فُعلَى التى أَلفُها للتأْنيث ، وجاءت هذه للإلحاق ،أَجرَوْها على المعتاد من القلب فيها . وأَيضاً فإنَّ أَلف الإلحاق قد تجرى مجرى أَلف التأْنيث . أَلا تراها زائدةً مثلَها ، وذاتَ معنًى مثلها . نعْم ، وإذا جعلت ما فيه أَلفُ الإلحاق عَلماً لم ينصرف ، لمشابهتها حينئذ أَلف التأْنيث .

فإن قلْت : فأَجزْ أَيضاً أَن يكون دنيا فُعْلل كسُودَد ؟ قيل : يمنع من هذا أَنَّ حرف الإلحاق من حيث ذَكَرنا أَشبه بحرف التأْنيث من لام الفعل ، فإذا كان إنَّما لتشبيه الملحق بحرف التأْنيث على ضعف وضرب من التأَوُّل لم يتجاوز ذلك إلى تشبيه الأَصلىّ بحرف التأْنيث ، لإفراط تباعدهما . فلو كانت دنيا على هذا فُعلَلا لكانت دُنْوًا . ولو قال قائل :

(١) ط : « فى غير ذلك » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة الورقة ٢٢٦ .

(٢) البهماة : واحدة البهمى بالقصر ، لضرب من النبات . وفى ط : « بهمات » ، صوابه فى وإعراب الحماسة .

إن دنيا فيمن صرف فُعْيَل بمنزلة عُلْيَب لكان له وجهٌ من التصريف ، ولكنَّه يبقى عليه شيئان : أَحدهما قلَّة عُلْيَب فلا يقاس عليه . والآخر : أَنَّ دنيا تأْنيث الأَدنى . وهذا أَشدُّ شيء تبايناً من[1] حديث فُعْيَل وفعلل ، وهو أَيضاً أَحدما يضعِفُ كونَها أَلفَ إلحاق. فاعرف ذلك. انتهى .

والبيت من رجز للعجاج ، أَوَّلُه :

أشعار الشاهد

(الحمدُ لله الذى استقلَّتِ بإذنهِ السَّماءُ واطمأَنَّتِ
بإذنه الأَرضُ فما تعنَّتِ[2] وَحَى لها القَرارَ فاستقرَّتِ
وشدَّها بالراسياتِ الثُّبَّتِ والجاعلُ الغيثَ غياثَ المُسْنِتِ
والجامعُ الناسَ ليوم المَوْقِتِ بعد المماتِ ، وهو مُحيِي المُوَّتِ
يومَ ترى النفوسُ ما أَعدَّتِ من نُزُلٍ إذا الأُمورُ غبَّتِ
فى سَعْيِ دنْيا طالما قد مُدَّتِ حَتَّى انقضى قضاؤها فأَدَّتِ)

قال أَبو القاسم الزجاجى (فى أماليه الوسطى والصُّغرى) : أَخبرنا أَبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدى قال : أَخبرنا أَبو الفضل الرِّياشيُّ عن الأَصمعيّ ، عن عبد الله بن رؤية بن العجَّاج ، عن أَبيه عن جدِّه قال : أَنشدتُ أَبا هريرة قصيدتى التى أولها :

* الحمد لله الذى استقلَّتِ *

حتى أَتيتُ على آخرها ، فقال : أَشهد إنَّك لمؤمن . انتهى .

(١) ش : « تبايناً عن » ، وفى إعراب الحماسة « تباعداً عن » مع إثبات « تباينا » فى هامش المخطوطة تصحيحاً لها .

(٢) وهكذا ضبطت بالنون فى تفسير البغدادى . ورواية الديوان ٢٦٦ ، والتهذيب ٣ : ١٤٣ ، واللسان (عتا) : « وما تعتت » بالتاء . وفى شرح الديوان : « وعتت : عصت ، يقال عتا فلان على فلان ، إذا عصى عليه » .

وقوله «استقلّت»، أى ارتفعت . والسماءُ فاعله . واطمأَنّت ، أى سكنت ، والأَرض فاعله . و «تعنّت» بالنون : تعبت. فى الصحاح : وَعَنِى بالكسر عناءً أى تعب ونَصِب،وعنَّيته تعنية فتعنَّى . والوحى : الإشارة والإلهام : قال صاحب الصحاح : والكلام الخفىُّ وكلُّ ما ألقيته إلى غيركَ . يقال : وَحَيت إليه الكلام وأوحيت ، وهو أن تكلمه بكلامٍ تُخفيه[1] . وأنشد هذا البيت .

و «الراسيات» ، هى الجبال الثّوابت والرّواسخ . و «الثُّبَّت» : جمع ثابت و«الغيث» : المطر . وفى المصباح : أغاثه : أعانه ونصره . وأغاثنا الله بالمطر ، والاسم الغِياث . و«المُسنِت»: اسم فاعل من أسنتَ القومُ أى أجدبوا ، وأصله من السَّنة[2] وهو القحْط . و «الموَّت» : جمع مائت . و «أَعَدَّت» ، أى هيَّأَت وجعلته عُدَّة. و«من نُزُل» بالضمِّ بيانٌ لما. والنُّزُل : ما يهيَّأُ للنزيل ، أى الضيف. وغبَّت بالغين المعجمة والموحدة ، أى بلغتْ غِبَّها وعاقبتَها . وفى الصحاح : وقد غبَّت الأُمور ، إذا صارت إلى أواخرها . وفى سعى متعلِّق بغبَّت. و«مُدَّت» بالبناءِ للمفعول أى امتدَّت وتطاولت. و «أَدَّت» ٥١٠
بتشديد الدال . يقال أَدَّت فلانًا داهية تؤدُّه أَدًّا بالفتح ، من الإِدِّ ، والإِدَّة ، بكسر أوّلهما ، وهى الداهية والأَمر الفظيع .

وترجمة العجَّاج تقدَّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب[3] .

* * *

(١) ش : «أن يكلمه بكلام يخفيه» ، وأثبت ما فى ط والصحاح .

(٢) ش : «السنت» ، صوابه فى ط .

(٣) الخزانة ١ : ١٧٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد السبعمائة[1] :

٧٢٥ (وإنْ دعوتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمة

يوماً سَراةَ كِرامِ النَّاسِ فادْعِينَا)

على أنَّ (الجُلَّى) قد تجرد من اللام والإضافة لكونها بمعنى الخُطَّة العظيمة .

والخُطَّة بالضم : الشأْن والحالة والخَصْلة ، فتكون الجُلَّى[2] اسماً للشأْن والحال ، كما قال الزمخشرى (فى المفصل) .

وقال ابن يعيش (فى شرحه) : الجيِّد أَن تكون مصدراً كالرُّجعَى بمعنى الرُّجوع ، والبُشْرَى بمعنى البِشارة . وليس بتأْنيث الأَجلّ ، على حد الأَكبر والكبرَى ، لأَنَّه إذا كان مصدرًا جاز تعريفُه وتنكيره .

وإلى هذا ذهب الحريرى (فى درَّة الغوَّاص) قال : وأَمَّا طوبى فى قولهم : طوبى لك ، وجُلَّى[3] فى قول بشامة النهشلىّ :

وإن دعوتِ إلى جُلَّى ومكرمة . . . البيت

فإنَّهما مصدرانِ كالرُّجعى ، وفُعلى المصدريَّة لا يلزم تعريفها .

والبيت وقع فى شعرَينِ : أحدهما للمرقِّش الأَكبر رواه المفضَّل بن محمد الضبي له ، وكذلك ابن الاعرابى (فى نوادره) ، وأبو محمد الأَعرابى (فيما كتبه على شرح الحماسة للنمرى) ، وهو :

(يا دارَ أَجوارِنا قُومى فحيِّينـا وإنْ سَقيتِ كرامَ النَّاس فاسْقِينَا

(١) المؤتلف ٦٦ وابن يعيش ٦ : ١٠٠ ، ١٠١ ويس على التصريح ٢ : ٣٨١ والحماسة بشرح المرزوقى ١٠١ وبشرح التبريزى ١ : ٩٩ والمفضليات ٤٣١ .

(٢) ش : « الجلة » ، صوابه فى ط .

(٣) فى النسختين : « وجلى لك » ، صوابه من درة الغواص ٢٦ .

وإنْ دعوتِ إلى جُلَّى ومكرُمةٍ يومًا سَراة خِيارِ النَّاسِ فادعينا
شُعثٌ مَقادمُنا نُهْبَى مراجلنا نأْسُو بأَموالنا آثارَ أَيدينا[1]
المطعِمُون إذا هبَّتْ شآمية وخيرُ نادٍ رآهُ النَّاسُ نادينا)

قوله: « يادار أجوارِنا » إلخ ، قال فى العباب: الجارُ يجمع على جيران ، وجِيرة ، وأَجوار . وأَنشد الليث :

* ورسمِ دارٍ دارس الأَجوار *

وروى : « يا ذات أَجوارنا » .

وقوله : « شُعْثٌ مقادمنا » إلخ ، رُوى أَيضاً :

* بيضٌ مفارقنا تغلى مراجلُنا *

قال أَبو محمد الأَعرابىُّ : سأَلتُ أَبا النَّدَى عن هذه الرواية قال : هذه روايةٌ ضعيفة ، فإِنَّ بيضَ المفارق قُرع ، ومرجل الحائك يغلى كما يغلى مِرجل الملك . قال : والرِّواية الصحيحة الأُولى، ومعناها إنَّنا أَصحاب حروب وقِرًى . انتهى .

والشعر الثانى لبشامة بنَ حَزْنٍ النهشلى ، رواه المبرِّد (فى الكامل) وأَبو تمّام (فى الحماسة) ، وهو :

(إنَّا محيُّوكِ ياسَلْمَى فحَيِّينا وإنْ سَقَيتِ كرامَ النَّاسِ فاسقِينا
وإنْ دعوتِ إلى جُلَّى ومكرمةٍ يوماً سَراةَ كرامِ النَّاس فادعِينا
إنَّا بنى نهشل لا ندَّعى لأَبٍ عنه ، ولا هو بالأَبناءِ يَشرينا
إنْ تُبتدَرْ غايةٌ يوماً لمكرُمةٍ تَلقَ السوَّابقَ مِنَّا والمصلِّينا
وليس يَهلِك منَّا سيِّدٌ أبدًا إلاَّ افتلينا غُلاماً سيِّدًا فينا

(١) ط : « نهى مراجلنا » ، صوابه فى ش وسائر المراجع .

نكفيه إن نحن مِتْنا أَن يُسَبَّ بنـا ٥١١
وهْـو إذا ذُكـِر الآباءُ يَكفينـا

إنَّا لنُرخِصُ يومَ الرَّوعِ أَنفسَنا ولـو نُسامُ بها فى الأَمن أُغلِينا
بيضٌ مَفارِقُنا تَغلِي مَراجِلُنَا نأْسو بأَموالنا آثارَ أَيدينـا
إنَّا لمن مَعْشرٍ أفنى أَوائلَهُـمْ قولُ الكماةِ أَلا أَينَ المُحامونا
لو كان فى الأَلف مِنَّا واحدٌ فدعَوْا
مَن فـارسٌ خالَهـم إيّاهُ يَعنونا
إذا الكماةُ تنَحَّوا أَن يُصيبهـمُ حدُّ الظُّباتِ وصَلْناها بأَيدينا[(١)]
ولا تَراهُمْ وإنْ جلَّت مصيبتُهُمْ مع البُكاة على مَن مات يبكونا
ونرَكب الكَرْه أَحياناً فيَفرُجُه عنَّا الحِفاظُ وأَسيافٌ تُواتينَا)

قوله: « إنا محَيُّوك يا سلمى » الخ، قال التبريزى: أَى إنَّا مسلِّمون عليك أَيَّتها المرأَة فقابلينا بمثله، وإنْ سقيتِ الكرامَ فأَجرِينَا مُجراهم، فإنَّا منهم. والأَصل فى التحية أَنْ يقال عند اللقاء، ثمَّ استعمل فى غيره من الدعاء. وقيل فى سَقيت معناه إنْ دعوتِ لأَماثل الناس بالسُّقيا فادعِي لنا أَيضاً. والأَشهر فى الدُّعاءِ أَن يقال فيه سقَّيْت فلاناً بالتشديد. والحُجَّة بالتخفيف قول أَبى ذؤيب الهذلى:

* سَقيتُ به دارَها إذْ دنَتْ[(٢)] *

وقوله: « وإن دَعوتِ إلى جُلَّى » إلخ، جُلَّى: فُعلى أَجراها مجرى الأَسماء ويراد بها جليلة، كما يراد بأَفعل فاعل وفعيل. يقول: إن أَشدْتِ بذكر

(١) فى النسختين: « الظباة »، والوجه ما أثبت.

(٢) لم يرد فى ديوان الهذليين، لكنه فى شرح السكرى ٢٠١. وعجزه:

* وصدقت الخال فيه الأنوحا *

خيار الناس بجليلةٍ نابت ، أَو مكرُمةٍ عرضت ، فأَشيدى بذكرنا أَيضاً. وهذا الكلام ظاهرُهُ استعطافٌ لها ، والقَصدُ به التوصُّل إلى بيان شرفه واستحقاقه ما يستحقُّه الأَشراف . ولاسَقْى ثَمٌّ ولا تحيَّة. قاله التبريزى[١] .

و (المكرمة)، بفتح الميم وضم الراء : اسم من الكرَم . وفعلُ الخير مكرُمة ، أَى سببٌ للكرم أَو التكريم . قاله صاحب المصباح .

و (السَّراة) بالفتح : اسمٌ مفرد بمعنى الرئيس، وقيل اسم جمع ، وقيل جمعُ سَرىّ، وهو الشرِيف. وقد تقدَّم الكلام عليه مشروحاً فى الشاهد السبعين بعد الأَربعمائة[٢] .

ولم يتكلَّم ابن جنى (فى إعراب الحماسة) على هذا البيت إلَّا من جهة القافية. قال : يروى فادعينا ، بإِشمام الضم فى كسرة العين . ويروى بإخلاص الكسرة . فأَمَّا من أَخلصَ الكسرة فلا سؤال فى إنشاده من جهة الرِّدف . وأَمَّا من رواه بإِشمام الضم ففيه السؤال . وذلك أَنَّ الحركة قبل الردف ، وهى التى يقال لها الحذْو، لم تأْت عنهم مُشَمَّةً ولا مَشُوبة ، وإنَّما هى إحدى الحركات مُخْلصةً البتَّة . ولم يذكر الخليلُ ولا أَبو الحسن ولا أَبوعَمرو ، ولا أَحدٌ من أَصحابنا[٣] ، حالَ هذه الحركة المشوبة كيف اجتماعُها مع غيرها . فدلَّ ذاك على أَنَّ الحركة فى نحو هذا ينبغى أَن تكون مُخْلَصة. ومذهب سيبويه فى هذا النَّحو، [مثل[٤]] : ادعى واغزِى الإمالة وإشمام الكسرة شيئاً من الضمة . ولم يستثن رِدفاً من غيره . ووجهُ

(١) ش : « قال التبريزى » صوابه فى ط .
(٢) الخزانة ٦ : ٣٥٣ — ٣٥٤ حيث سبق تحقيق السرى .
(٣) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٦ : « ولا واحد من أصحابنا » .
(٤) التكلة من إعراب الحماسة .

جواز هذه الحركة المشوبة مع الكسرة والضمة الصَّريحتين : أَنَّ ما فيها من الإشمام لا يعتدُّ به ، ولا يُنظَر إلى قدره ، وإنَّما هو كإمالة الفتحة إلى الكسرة فى نحو سالم وحاتم . وأَنت تجيزهما فى شعر واحد
٥١٢ مع قادم وغانم ، ولا تحفل بما بين الحركتين ، بل إذا جاز سالم مع قادم ، وسلاح مع صباح ، وقنا مع فتى ، كان اجتماع ادعينا مع يَشرينا ونحو ذلك أَسهلَ وأَسوغ . وإنما كان أَسهلَ من قِبَل أَنَّ الفتحة إذا نُحِيَ بها قِبَل الأَلف نحو الكسرة انتحيتَ أَيضاً بالأَلف بعدها نحوَ الياءِ لا بدَّ من ذلك ، من حيث كانت الأَلف ناشئة عن الحركة قبلها على احتذاءٍ ، وموازنة اتباع[1] . فإذا[2] أَملتَ الفتحة والأَلف فهناك عملان فى الحركة والحرفِ جميعاً كما ترى . وأَمَّا الياءُ فى ادعينا وقيل وبيع ، فإنَّها وإن شِيبَت الحركة قبلها خالصة البتة ، وغير مَشُوبة شَوْبَ ماقبلها ، وجاز ذلك فيها من حيث كانت الطاقة حاملة ، والقدرة ناهضةً بالنُّطق بالياءِ الساكنة ، بعد الضَّمَّة الناصعة ، فكيف بها بعد الكسرة التى إنَّما اعتلَّت بأَن انتُحِيَ بها نحو الضمة . والعملُ فى ذلك خَلْس خفيٌّ . وأَمَّا الأَلف الخالصة فليس فى الطَّوق أَن يُنطَق بها بعد غير الفتحة الخالصة ، ففى سالم إذن تغييران ، وفى قيل وبيع واغزى وادعى تغييرٌ واحد . فإذا جاز اجتماع ما فيه تغييران نحو سالم وسلاح ، مع قادم وصباح ، كان اجتماع ما فيه تغيير واحدٌ مع ما لا تغيير فيه نحو قيل واغزى وادعى ، مع قيل وبيع ، وحَيِّينا واسقينا ، أَحجَى بالجواز ، فاعرف ذلك . وإذا جاز اجتماعُ هذا الخلاف فى المجرى ، وهو أَغلظ حُرمة وأَمسُّ مذمَّة من

---

(١) ط : « موازنة إتباع » ،بدون واو ، وأثبت مافى ش وإعراب الحماسة .

(٢) ش : « فإن » .

الحذْوِ، أعنى اجتماع فَتى مع عَتَا[١] والروى التاء، كان ذلك فى الحذو أسهل، وأخفّ وأدون. وقد كان يجب أن نودع هذا الموضع كتابنا فى تفسير قوافى أبى الحسن؛ لامتزاجه به ومماسّته إيّاه، لكنّه لم يحضرنا حينئذٍ، والخاطر أَجْوَل ممّا نذهب إليه، وأشدُّ ارتكاضاً وذهاباً فى جهات النَّظر من أن يقف بك على انتهائه، أو يُمْطيَك ذِروة أجواله وأقصائه[٢]. انتهى.

وقوله: « إنَّا بنى نهشل» إلخ، قال المبرد (فى الكامل) : من قال إنا بنو فقد خبَّرك وجعل بنو خبر إنَّ. ومن قال بَنِى فإنَّما جعل الخبر إن تُبتدرْ غاية إلخ. ونصب بنى على فعلٍ مضمرٍ للاختصاص، وهو أمدح. وأكثر العرب ينشد:

إنَّا بنى منقر قومٌ ذوُو حسَبٍ فينا سَراةُ بنى سعد وناديها[٣]

وكتب أبو الوليد الوَقَشى (فيما كتبه على الكامل) بعد بيت « إنَّا بنى منقر » إلخ: هذا وإن وافق الأوّل بوجهٍ فإنّه يخالفه بوجهٍ أخصَّ منه وأليقَ به فى قانون النَّحو، لأنَّ هذا نصب على المدح، والأوَّل نصب على الاختصاص، والمسمَّى مُضارِع النِّداء. ألا ترى أنَّه يرفع هنا مايرفع فى النِّداءِ، كقولهم: اللهمَّ اغفرْ لنا أَيَّتها العصابة. اهـ.

وقال التبريزىّ: بَنِى نصب على الاختصاص والمدح، وخبر إنَّ لا ندَّعى، ولو رفع وقال بنو كان خبرًا ولا ندَّعى فى موضع الحال.

---

(١) ط: « غنى » صوابه فى ش وإعراب الحماسة.

(٢) رسمت فى إعراب الحماسة بدون نقط للقاف.

(٣) لعمرو بن الأهتم المنقرى، كما فى حواشى الكامل ٦٥.

والفرق بين أنْ يكون اختصاصاً وبين أن يكون خبراً صُراحاً : هو أنَه لو جعلَه خبراً لكان قَصده إلى تعريف نفسِه عند المخاطب ، وكان لايخلو فعله لذلك من خمولٍ فيهم[1] أو جهل بشأْنهم[2] . فإذا جعل اختصاصاً فقد أَمِنَ الأَمرين جميعاً . وإنّما قلت خبراً صراحاً لأَنَّ لفظ الخبر قد يستعار لمعنى الاختصاص ، لكنّه يُستَدلُّ على المراد منه بقرائنه . وعلى هذا قوله :

* أنا أَبو النَّجم وشِعرى شِعرِى[3] *

وقوله : « لا ندَّعى لأَبٍ عنه » ندَّعى نفتعل ، وعنه تعلَّق به . يقال ادَّعى فلانٌ فى بنى فلان ، إذا انتَسبَ إليهم . وادَّعى عنهم ، إذا عدل ٥١٣ نسبَه عنهم . وهذا كقولهم : رغبت فى كذا ورغبت عنه . وقوله لأَبٍ ، أَى من أَجل أَب . ومعناه إنَّا لا نرغب عن أبينا فننتسبَ إلى غيره ، وهو لا يرغب عنَّا ، قد رضِىَ كلٌّ منَّا بصاحبه . وقوله : « يشرِينا » قال المبرِّد : يريد يبيعنا . يقال شراهُ يشريه ، إذا باعه . فهذه اللغة المعروفة ، قال الله عز وجل : ﴿ وشَرَوْهُ بثمنٍ بَخْس[4] ﴾ ، ويكون شريت فى معنى اشتريت ، وهو من الأَضداد .

وقوله : « إن تُبتَدَرْ غايةٌ » إلخ ، يقال بادرت مكانَ كذا وإلى مكانٍ كذا وكذلك ابتدرنا[5] الغايةَ وإلى الغايةِ . وقوله : « لمكرمة » أَى لاكتساب مكرُمة . ويجوز أَن تكونَ اللام مُضيفة للغاية إلى المكرمة ، كأَنَّه يريد

(١) ط : « فهم » ، صوابه فى ش وشرح التبريزى ١٠٠ .
(٢) التبريزى : « أوجهل من عند المخاطب بشأنهم » .
(٣) واضح أنه لأبى النجم . وانظر الخزانة ١ : ٤٣٩ .
(٤) الآية ٢٠ من سورة يوسف .
(٥) ط : « يبتدرون » ، وأثبت مافى ش .

تسابقهم إلى أقصاها . وإنَّما قال المصلِّين ولم يقل المصَلِّيات مع السوابق لأَنَّ قصده إلى الآدميِّين وإنْ كان استعارهما من صفات الخيل . ويجوز أَن يكون أَخرج السابق لانقطاعه عن الموصوف فى أكثر الأَحوال ، ولنيابتهِ عن المجلِّى ، وهو اسم الأَوَّل من خيل الحلبة ، إلى باب الأَسماءِ فجمعه على السوابق ؛ كما يقال كاهل وكواهل . والمصلِّى : الذى يتلو السابق فيكون رأْسهُ عند صَلاهُ . والصَّلوانِ : العظمان الناتئان من جانبي العجز . وقال ابن دريد : هو العظم الذى فيه مَغرِزَ عَجْب الذَّنب . وقال بعض أَهل اللغة : هما عِرقان فى موضع الرِّدف .

وأَسماءُ خيل الحَلْبة عشرة ؛ لأَنَّهم كانوا يرسلونها عَشَرةً عَشَرة . وسُمِّى كلَّ واحد منها باسمٍ . فالأَوَّل : المجلِّى ، والثانى : المصلِّى ، والثالث : المسَلِّى ، والرابع : التالى ، والخامس : المرتاح ، والسادس : العاطف ، والسابع : المؤمَّل ، والثامن : الحظِيّ ، والتاسع : اللَّطيم ، والعاشر : السُّكَيت بالتصغير ، ويقال سُكَّيت بالتشديد .

وقوله : « إلا افتَلينا » الافتلاءُ : الافتطام والأَخذُ عن الأُمِّ ، ومنه الفَلوّ . قال المبرِّد : مأْخوذ من فلوت الفَلُوَّ ، إذا أَخذتَه عن أُمِّه . وأَخذ هذا المعنى من قول أَبى الطَّمَحانِ :

* إذا مات منَّا سيدٌ قام صاحبه[1] *

وقوله : « إنا لنُرخص » إلخ ، قال المبرد : أَخذه من قول الهمْدانىّ ،

(١) صدره كما فى الكامل ٣٠ والحيوان ٣ : ٩٣ مع نسبته فى الحيوان إلى لقيط بن زرارة :

* وإنى من القـــوم الذين هم هم *

وهو الأَجدع ، أَبو مسروق بن الأَجدع الفقيه[1] :

لقد علمتْ نِسوانُ همدانَ أَنَّنى لهنَّ غداة الرَّوع غيرُ خَذولِ
وأَبذل فى الهَيجاءِ وجهى وإنَّنى له فى سِوى الهيجاءِ غيرُ بذولِ

ومن القَتَّال الكلابىّ حيث يقول :

أَنا ابن الأَكرمينَ بنى قشير وأَخوالى الكرامُ بنو كلابِ[2]
نُعرِّض للسُّيوف إذا التقينا نفوساً لا تُعرَّض للسِّبابِ

وقوله : « ولو نسام بها » أَى نُحمَل على أَن نسام بها . ويقال سامَ بسلعته كذا ، وأَسمته أَنا ، أَى حملته على أَن يُسَام . ويحتمل أَن يكون من سُمْته خسفاً . وأُغلينا ، الأَلف للإطلاق ، والنون ضمير الأَنفس ، ومعنى أُغْلينَ[3] وُجِدَت غالية . وقوله : « بيضٌ مفارقنا » إلخ ، قال التبريزى : ويروى : « بيض معارفنا » وهى الوجوه ، والمراد به نقاءُ العرض وانتفاءُ الذمّ ، جمع مَعرَفٍ ، بفتح الرَّاءِ وكسرها ، سمِّى الوجهُ به لأَنَّ معرفة الأَجسام وتمييزَها به . والأَشهرُ « مفارقنا » . والمراد ابيضَّت مفارقنا من كثرة ما نقاسى الشَّدائد ، كما يقال أَمرٌ يُشِيب الذَّوائب . وتغلى مراجلنا ، أَى ٥١٤
حروبنا ، كقول الآخر[4] :

(١) مسروق هذا هو الفقيه مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وداعة الهمدانى الكوفى العابد ، وكنيته أبو عائشة . كان من كبار التابعين ، وروى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وابن مسعود وغيرهم . وروى عنه ابن أخيه محمد بن المنتشر بن الأجدع ، وإبراهيم النخعى ، وأبو اسحاق السبيعى ، وغيرهم . مات سنة ٦٣هـ وله ثلاث وستون سنة . وفى النسختين هنا : « قول الأجدع بن مسروق بن الأجدع » ، صوابه وتكملته ما أثبت من الكامل ٦٧ . وانظر تهذيب التهذيب فى ترجمته وتاج العروس (جدع) .

(٢) ديوان القتال ٣٧ عن الكامل والخزانة .

(٣) ط : « أغلينا » .

(٤) هو النابغة الجعدى ، كما فى اللسان (فثأ ، جيش) . وأنشده فى (دوم) بدون نسبة . ونسب فى التهذيب كما فى اللسان إلى الكميت . ولم أجده بهذه النسبة فى التهذيب ١٤ : ٢١١ بل هو مجرد من النسبة . والبيت فى ديوان النابغة ١١٨ .

تغـور علينا قِدرُهم فنُديمها ونَفثؤها عنَّا إذا حَمْيُها غلا[١]

ويجوز: ابيضَّت مفارقُنا من كثرة استعمال الطيب، كقول الآخر:

* جَلا الأَذفرُ الأَحوَى من المِسك فَرقه[٢] *

فقوله: «تغلى مراجلنا» أى قدورنا للضِّيافة. ويجوز أن يريد: مَشيبنا مَشِيبُ الكرام لا مشيب اللئام، كقوله:

وشَيبُ مَشيبِ العبدِ فى نُقرة القفـا
وشَيبُ كرامِ الناس فوقَ المفـارق[٣]

فالمراجل: قدور الضيافة. وقوله: «نـأْسُو بـأَموالنا»، يريد تَرفُّعَهُم عن القَوَد[٤] ودَفْعَ أطماع الناس عن مقاصَّتهم[٥]. والأَسْوُ: المداواة، أى نقتل ونَدِى.

وقوله: «لو كان فى الأَلْف» إلخ، قال المبرد: أَخذه من قول طرفة:

إذا القومُ قالوا مَن فتًى خلتُ أَنَّنى
عُنِيتُ فلم أَكْسَلْ ولم أَتبلَّد

ومن قول متمِّم:

(١) فى اللسان (جيش): «تجيش علينا».

(٢) البيت من أبيات بدون نسبة فى الحيوان ٣: ٤٨٦ والبيان ١: ٣٩٦ والكامل ١٠٣ والعقد ٥: ٦/٣٤٣: ٢٢٨.
وعجزه كما فى تلك المراجع:
* وطيب الدهان رأسه فهـو أنزع *

(٣) البيت فى شرح الحماسة للتبريزى عن نوادر ابن الأعرابى.

(٤) القود، بالتحريك: القصاص وقتل القاتل بالقتيل. وفى ش: «ندفعهم»، وفى ط: «نرفعهم»، ، صوابهما ما أثبت من التبريزى فى شرح الحماسة ١: ١٠٤.

(٥) ط والتبريزى: «ورفع أطماع الناس عن مقاصتهم»، ووجهه: «دفع» بالدال كما أثبت من ش.

إذا القوم قالوا مَن فتًى لعظيمة
فما كُلُّهم يُدعَى ولكنَّه الفتى

وقوله : « إذا الكماةُ تنحَّوا » إلخ ، قال المبرد : الظُّبَة : الحدُّ بعينه ، يقال أَصابتهُ ظُبَة السَّيف وظُبَة النَّصل . وأَراد بالنَّصل هنا موضع الضْرب وأَخذ هذا من قول كعب بن مالك :

نَصِلُ السيوفَ إذا قصُرْن بخطونا
قُدُمًا ونُلحِقُها إذا لم تَلحَقِ[(١)]

وقوله : « ولا تراهم وإن جلَّت » إلخ ، يعنى أَنَّهم لا يموتون إلاَّ بالقتل فقد صار لهم عَادةً ، وإنَّ كلَّ من يولد منهم يكون سيّدًا ، فلا يجزعون على من مات منهم .

وقوله : « ونركب الكَرْهَ » إلخ ، يَفرجه : يَكشفه . وقوله : « أَسياف تواتينا » يجوز أَن يكون كقوله[(٢)] :

* فحالفنا السُّيوفَ على الدهر[(٣)] *

ويجوز أَن يكون أَراد بالسُّيوف رجالاً كأَنَّهم السيوف مضاءً . والأَوّل أَولى . قاله التبريزى .

وهذه الأَبيات قد اختُلف فى قائلها ، والصحيح أَنَّها لِبَشامة ابن حَزْن النهشلى . وعليه الآمدىُّ (فى كتابه المؤتلف والمختلف)

---

(١) ديوان كعب ٢٤٥ والبيان ٣ : ٢٦ .

(٢) هو يحيى بن منصور الذهلى ، أو موسى بن جابر الحنفى ، انظر الحماسة ٣٢٦ وما أثبت فى حواشيها من تحقيق .

(٣) البيت بتمامه ، كما فى الحماسة :

فلما نأت عنا العشيرة كلهـــا أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

ونَسبها المبرد (فى الكامل) لأَبى مخزوم النَّهشلى . وقال ابن السِّيد البطليوسى (فيما كتبه على الكامل) : هذه الأَبيات لبَشَامة بن حزن النهشلى . وقال السكرى : هو بشامة بنُ حرِّىّ . والأَوَّل قول أَبى رياش . ويقال بشامة بن جَزْء . وقال ابن الأَعرابى : هو لحُجْر بن خالد[1] بن محمود القيسى . وزعم ابن قتيبة أَنَّها لابن غلفاء التميمى . انتهى .

أَقول : الذى قاله ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) أَنَّ الأَبيات لنهشَلِ بن حَرِّىّ .

وقال النمرى : هى لرجل من بنى قيس بن ثعلبة .

قال أبو محمد الأَعرابى : لم يفرق النَّمَرىُّ بين بنى نهشل الذين هم مضريَّة ، وبين بنى قيس بن ثعلبة الذين هم رَبَعيَّة ، فلزَّهُما فى قَرَنٍ . والبيت الذى فيه « إنا بنى نهشل » لبشامة بن حزن النهشلى . والأَبيات الأُخر الأَربعة للمرقِّش الأَكبر ، وهو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضُبيعة بن قَيس بن ثعلبة . انتهى .

وتقدَّمت الأَبيات الأَربعة أَوّلاً .

قال التِّبريزى : من قال إنَّ الشِّعر للقيسى ، روَى « إنا بنى مالك ».

المرقش أَما المرقش فهو شاعر جاهلى . قال صاحب الأَغانى : المرقِّش لقَبٌ غلب عليه بقوله :

(١) فى النسختين : « لحجى بن خالد » . وإنما هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . شاعر جاهلى كان معاصراً لعمرو بن كلثوم ، كان أنشد شعراً بين يدى الملك النعمان بن المنذر فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو فى مجلس الملك ثم اقتص منه حجر ، وأجار الملك حجراً، فقال حجر أبياتاً يمدح بها النعمان، رواها الجاحظ فى الحيوان ٣ : ٥٨ وأبو تمام فى الحماسة ١٦٤٠ بشرح المرزوق. كما روى له أبو تمام مقطوعات فى الحماسة ٣٥١ ، ٥١٢ ، ٥١٧ بشرح المرزوق .

الدار وحشٌ والرُّسومُ كما رقَّش فى ظهر الأَديم قلمْ[1] ٥١٥

وهو أَحدُ من قال شعراً فلقِّب به ، واسمه فيما ذكر أَبو عمرو الشَّيبانى عمرو . وقال غيره : عوف بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل. وهو أحد المُتيَّمِين، كان يهوَى ابنة عمِّه أَسماءَ بنتَ عوف بن مالك بن ضُبيعة . ويقال له المرقِّش الأَكبر ، لأَنَّه عمٌّ المرقِّش الأَصغر . والمرقِّش الأَصغر عمٌّ طرفة ابن العبد .

وكان للمرقِّشَينِ معاً موقعٌ من بكر بن وائل فى حروبها مع بنى تغلب وبأْسٌ وشجاعة ونجدة ، وتقدُّمٌ فى الحروب ، ونكايةٌ فى العدوّ .

أوس بن غلفاء وأَمّا ابن غلفاء ، بالغين المعجمة والفاء ، فهو أَوس بن غلفاء ، من بنى الهُجَيم[2] بن عمرو بن تميم وهو شاعر جاهلى ، وهو القائل :

أَلَا قالت أَمامةُ يوم غَـول تَقطَّعَ يا ابن غَلفاءَ الحبالُ[3]
ذرينى إنَّمـا خطئى وصَوْبى علىَّ ، وإنَّ ما أَنفقتُ مـالُ

يقول : إن الذى أَهلكتُ مالٌ ، ولم أُتلف عرضاً . والمال يستخلف. كذا (فى كتاب الشعراء لابن قتيبة) .

بشامة بن حزن وأَمَّا بشامة بن حَزْن النهشلى ، فهو بفتح المَوَحَّدة وتخفيف الشين المعجمة . قال ابن جنى (فى المبهج) : معناه عودُ شجر يُستاك به .
قال جرير :

---

(١) المفضليات ٢٣٧ وسمط اللآلى ٨٧٤ .

(٢) ط : « الجهيم » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر للهجيم جمهرة ابن حزم ٢٠٩ والاشتقاق ٢٠١ .

(٣) غول، بالفتح : جبل للضباب حذاء ماء، فيسمى الجبل هضب غول، وكانت فى غول وقعة لضبة على بنى كلاب . معجم البلدان عند إنشاد هذا البيت .

أتنسى إذ تودِّعنا سُـليمى   بعُود بَشامـةٍ سُقِىَ البَشَامُ

والحَزْن ، بفتح الحاءِ المهملة وسكون الزاى بعدها نون ، ومعناه الموضع الغليظ .

وذكره الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) ولم يزد فى نسبه على قوله : بشامة بن حزن النهشلى ، نهشل بن دارم .

ولم أَر له ترجمة ، وليس له ذكر فى ترجمة الأَنساب ، والظاهر أَنَّه إسلامى. وكذا أَبو مخزوم النَّهشلى كما يظهر من شرح المبرِّد لأَبياته .

بشامة بن الغدر

وذكر الآمدى شاعراً آخر اسمُه بَشامة . قال : بشامة بن الغدير ، والغدير اسمه عَمرو بن هلال بن سَهم بن مُرّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان . شاعر مُحسِن مقدَّم ، وهو خال زُهير بن أَبى سُلمى المزنى . وله أَشعارٌ جياد طوال . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الستّمائة[1] :

٦٢٦ (ولا يَجْزُونَ مِن حَسَنٍ بِسُوءَى   ولا يَجْزُونَ من غِلَظٍ بلِينِ)

على أن (سُوءَى) مصدرٌ كالرُّجعى والبشرى وليس مؤنَّث أَسوأ .

والبيت من أَبياتٍ لأَبى الغُول ، مذكورةٍ فى أَوائل الحماسة ، وتقدَّم شرحها فى الشاهد الثالث والثمانين بعد الأَربعمائة[2] .

قال شرَّاح الحماسة : وقد روى « سوءَى » فى البيت رِوايتين أُخْريين : إحداهما : « بِسَىْءٍ » بفتح السين وسكون المثناة التحتية بعدها همزة، وهو

(١) ابن يعيش ٦ : ١٠٠ ، ٢٠٠ والحماسة ٤٠ بشرح المرزوقى .
(٢) الخزانة ٦ : ٤٣٤ – ٤٣٨

مخفَّف سَيِّئٍ بتشديد الياءِ ، كما يخفَّف هيِّن وليّن فيكون وصفاً .
والثانية : « بِسِيٍّ » بكسر السين وتشديد الياء بلا همزة . والسِّيّ :
المِثْل . ومعناه أنَّهم يزيدون فى الجزاءِ على قدر الابتداءِ . قال الطَّبَرْسى[1]
وهذا ليس بشيءٍ ، لأَنه إخلالٌ بالمطابقة التى حسُن البيتُ بها ، لأَنَّه
جعل سيِّئاً فى مقابلة حسن ، واللِّين فى مقابلة الغِلظ . وهذا من المطابقة
الصحيحة ، لأَنَّه قابل الاسم بالاسم ، والمصدر بالمصدر . انتهى .

وروى شُرَّاح المفصل رواية أُخرى وهى : « بسَوْءٍ » وهو مصدر أيضاً
كالرواية الأُولى . قال ابن المستوفى : الذى استشهد به الزمخشرىُّ هو ٥١٦
بعض الروايات ، لكنَّه اختاره لمكان حاجته إلَيه . والمعنى واضح . وضدُّه
قول قُرَيط بن أُنيف العنبرىّ :

يَجزُون من ظلم أَهل الظلم مغفرةً
ومِن إساءةِ أَهلِ السُّوءِ إحسانا[2]

وروى ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) البيتَ هكذا :

ولا يَجْزُونَ من خير بشرٍّ ولا يَجزُون من غِلَظٍ بلينِ

تتمَّة

خطَّأَ الزمخشرىُّ (فى المفصَّل) أَبا نُواس فى قوله :

كأَنَّ صُغرى وكبرى من فقاقعها
حَصباءُ درٍّ على أَرض من الذَّهَبِ

لكونه استعمل صُغرى وكبرى نكرة . وهذا الضَّرب من الصِّفات

---

(١) الطبرسى ، ستأتى ترجمته فى ص ٣٨٥ . ونسبته إلى طبرستان . وفى ط : « الطيبرسى » صوابه فى ش .

(٢) البيت هو السادس من المقطوعة الأولى فى حماسة أبى تمام .

لا يستعمل إِلَّا معرَّفاً ، وإنَّما يجوز التنكير فى فعلى التى لا أَفعل لها نحو حُبلى . قال الأَندلسىُّ : لم يقل إِنَّه ضرورة لأَنَّ المولَّد لا يسوغ له استعمال شىءٍ على خلاف الأَصل للضَّرُورة إِلَّا أَن يردَ به سماع فيُتَوقَّف فيه على محلِّ السماع ، ولا يقاس عليه . وصغرى ما ورد فيه سماع ، وقد حاولوا له أَجوبة :

أَحدها : أَن صُغرى قد غلبت عليها الاسمية كما تقدم فى قوله :

* فى سَعْىِ دُنْيا طالما قد مُدَّتِ[1] *

قال ابن يعيش : والاعتذار عنه : أَنَّه استعمله استعمالَ الأَسماءِ لكثرة ما يجىءُ منه بغير موصوف ، نحو صغيرة وكبيرة ، فصار كصاحبٍ والأبطح فاستعمله نكرة لذلك .

ثانيها : أَنَّ فعلى فيه ليست مؤنث أَفعل بل بمعنى فاعلة ، كأَنَّه قال : صغيرة وكبيرة من فقاقعها ، على حدِّ قوله تعالى: ﴿وهو أَهْوَنُ عَلَيْه[2]﴾ قاله[3] ابن يعيش أَيضاً .

وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى)، قال فيه : ربَّما استُعمل أفعل التفضيل الذى لم يرد به المفاضلة مُطابقاً[4] . مع كونه مجرَّدًا ، كقوله : « وأَنتم ما أَقام أَلائم[5] » . . . البيت ، أَى لئام . فعلى هذا يخرج بيت أَبى نواس ، وقولُ النحويِّين : جملة صغرى وجملة كبرى ، وكذلك

(١) الشاهد ٦٢٤ فى ص ٢٩٦ من هذا الجزء .
(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .
(٣) ط : « قال » ، صوابه فى ش .
(٤) ط : « مطابقة » ، » ، صوابه فى ش .
(٥) للفرزدق . وقد سبق فى ٢٧٧ ، ٢٨٠

قول العروضيين: فاصلة صغرى وفاصلة كبرى . انتهى .

ثالثها : قال الأندلسى : قيل إنَّ من المذكورةَ زائدة ، وكبرى مضافة ، وحذف مضاف الأَوَّلِ كما فى قوله :

* ياتيمَ تيمَ عدىٍّ[(١)] *

لكنَّ حذفَ مِن فى الواجب لا يجوز إلّا عند الأخفش . والأجود أَن يقال حذف المفضَّل الداخلَ عليه مِن ، اكتفاءً بذكره مرّة ، أى كأَنَّ صغرى من فقاقعها وكبرى منها . انتهى .

ولا يخفى أنَّه كان يجب أَن يقول : وزيادةُ مِن فى الواجب لا تجوز إلّا عند الأخفش بدل قوله : « لكنَّ حذف من فى الواجب» إلخ . وقد ردَّ ابن هشام (فى المغنى) هذا الجوابَ فقال : وقول بعضهم إنَّ من زائدة وإنَّهما متضايفانِ ، يردُّه أَنَّ الصحيح لا تُقحَم[(٢)] مِنْ فى الإيجاب ولا مع تعريف المجرور . انتهى .

والبيت فى صفة الخمر . والفقاقع : جمع فُقَّاعة . ويروى : « من فواقعها » جمع فاقعة ، ومعناهما النُّفَّاخات التى تكون على وجه الماء . وصف الخمر وما يعلوها من الحَبَاب فشبَّه الحَبَاب بالدُّرِّ ، وهو اللؤلؤ الكبير ، والخمرَةَ[(٣)] التى تحته بأَرض من ذهب .

---

(١) لجرير . وانظر الخزانة ٢ : ٢٩٨ - ٣٠٢ .

(٢) فى ش : « لايقحم » . والذى فى المغنى : « أن الصحيح أن من لاتقحم فى الإيجاب » .

(٣) ط : « والخمر » ، وأثبت مافى ش . يقال خمر وخمرة . وفى اللسان : « والأعرف فى الخمر التأنيث ، يقال خمرة صرف ، وقد يذكر » .

وقال اللخميّ : باعث هنا بمعنى مرسل ، كما قال تعالى : ﴿ فابعَثُوا أَحدَكُم بوَرِقِكم هذهِ إلىالمدينة[1] ﴾ . وقد يكون بمعنى الإيقاظ : كقوله تعالى : ﴿ من بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا[2] ﴾ . غير أَنَّ الأَحسن هنا أَن يكون بمعنى
٤٧٧ الإرسال ، إذ لا دليل على النَّوم في البيت .

قال الأَعلم : يحتمل دينار هنا وجهين : أَحدهما أَن يكون أَراد أَحد الدنانير ، وأَن يكون أَراد رجلاً يقال له دينار .

وكذا قال اللخمي : دينار وعبد ربٍّ : رجُلان ، وقيل : أَراد بدينار واحدَ الدَّنَانير ، كما قال بعض الشعراء :

إذا كنْتَ فى حاجةٍ مرسلاً وأَنت بهــا كلفٌ مغــرَمُ
فأَرسلْ حكيمــاً ولا تُوصِه وذاك الحكيمُ هو الدِّرهمُ[3]

وقال ابن خلف : عبد ربّ الاسمُ إنَّما هو ربِّه ، لكنه تركَ الإضافة وهو يريدها . وأَخا عون : وصف لعبد رب . ويجوز : أَوْ عبدِ ربٍّ أَخى ، بالجرِّ . وزعم عيسى بن‌عمر أَنَّه سمع العرب تنشده منصوباً .

وقال العينى : أَخا عون بدل من‌عبد رب ، بدل الشيء من‌الشيء ، وهما لعين واحدة .

وقال خضْرٌ الموصليّ : أَخاعون إمّا عطف بيان لعبد ربِّه أَو نعتٌ له على رواية النصب ، أَو منادًى عليهما . انتهى .

---

(١) الآية ١٩ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٥٢ من سورة يس .

(٣) أى الحكيم مستغن بحكمته عن الوصية . ويقال فى أمثالهم أيضاً : « أرسل حكيما وأوصه » ، أى إنه وإن كان حكيما فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك . الميدانى ١ : ٢٧٧ والمستقصى للزمخشرى ١ : ١٤٠ . والبيتان لابن فارس صاحب المقاييس فى ترجمته فى معجم الأدباء ٤ : ٨٧ والثعالبى، وابن خلكان ، واليافعى ، وابن العماد . وانظر حواشى المقاييس ١ : ١٣ من مقدمة الناشر .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد السبعمائة[1] :

٦٢٧ (وأضرَبَ منا بالسُّيوف القَوانِسا)

على أنَّ (القوانس) منصوب بفعل محذوف لا بأَضرَبَ .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : القوانس منصوب عندنا بفعل مضمر يدُلُّ عليه أَضرَب ، أى ضرَبْنا أَو نضربُ القوانسَ . فلا يجوز أَن يتناوله أَضرَب هذه فى البيتِ ، لأَنَّ أَفعل هذه للمبالغة تجرى مجرى فعل التعجُّب . وأنت لا تقول ما أَضربَ زيدًا عمرًا حتى تقول لعمرٍو ، وذلك لضعف هذا الفعل وقلَّةِ تصرفه . فإن تجشَّمت ما أَضرب زيداً عمرًا فإنَّما نصبت عمرًا بفعل آخر ، على ما تقدَّم . انتهى .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه على المفصَّل) : القوانس منصوب بفعل مقدَّر ، كأَنَّه سئل عمَّا يضربون فقال : نضرب القوانسَ . انتهى.

واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ أَىُّ الحِزبَينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا[2] ﴾ على أَنَّ أَمدًا منصوب بفعل دلّ عليه أَحصى الذى هو أَفعل تفضيل ، كما نصب القوانس بما دلّ عليه أَضربَ .

وقال بعض من شرح أَبيات المفصَّل : المراد بالبيت أَضربَ منا بالسُّيوف للقوانس ، فحذف اللام لضرورة الشعر . فمِن لابتداءِ الغاية متعلِّق بأَضربَ تعلُّقَ الظرف ، وبالسُّيوف تعلُّق الآلة ، واللام تعلُّق المفعول به . وهذا التقدير أَولى من الأَوّل لوجهين : الأَول أَنَّ إضمار :

(١) ابن يعيش ٦ : ١٠٥ ، ١٠٦ والمغنى ٦٧٨ والتصريح ١ : ٣٣٩ والأشمونى ٣ : ٥٦ والأصمعيات ٢٠٥ والحماسة بشرح المرزوق ٤٤١ وبشرح التبريزى ٢ : ١٦ .

(٢) الآية ١٢ من سورة الكهف .

نضرب، يفسد معنى البيت، إذ مرادُ الشاعر أَنَّهم ضاربون ونحن أَضربُ منهم، فيحصل التفضيل. ولو قال نضرب القوانس لم يكن فيه تفضيل. والثانى: أَنَّ أَضربَ لا ينصب المفعول به، فكيف يدلُّ عليه والدَّال على عامل هو الذى يصحُّ أن يعمل فى معموله. وإذا لم يصحَّ عملُه فيه لم يدلَّ عليه. انتهى.

وقد ردَّ عليه الجارَبَردىُّ (فى رسالة أَلَّفها على مسأَلة الكحل) قال: كِلا الوجهين فاسد. أَما الأَوّل فلأَنَّ التفضيل إنَّما يفوت لو لزم تقدير فعل ناصبٍ للمفعول، إذْ لا يكون لاسم التفضيل تعلُّق معنوى بذلك المنصوب، لكنَّه ممنوع لجواز أَن يكون أَضرب متعلقاً بالقوانس من حيث المعنى، مع أَن يكون انتصابُها بفعل مقدَّر. وإذَنْ تعلَّق به معنى يحصِّل مرادَ الشاعر وهو التفضيل.

٥١٨ وقال المصنف (فى أَماليه) فى قولنا مررت بزيد قائماً: إنَّ العامل فى زيد فى اللفظ هو الباءُ، ومن حيث المعنى هو مررت، وفى قائماً بالعكس. يعنى أَنَّ الفاعل فيه من حيث المعنى هو الباءُ، ومن حيث اللفظ هو مررت. هذا كلامه.

فأَقول: لا يبعد فيما نحن فيه أَيضاً أَن يكون نضرب عاملاً لفظاً فى القوانس، ويكون لأَضربَ تعلُّقٌ بها من حيث المعنى، فحينئذ يتم ما ذكرنا.

وأَما الوجه الثانى فلأَنَّ الدالَّ على عامل مقدَّر لا يلزم أَن يكون مما يعمل عملَ ذلك العامل. أَلا ترى أَنَّ الدال على العامل المقدَّر فى

قولنا: زيد مررت به هو مررت، مع أنَّه لا ينصب زيدًا. ونظائره كثيرة. فإن قلت: مررت مع الباء يصحُّ أن ينصب زيدًا، فلذلك يدلُّ على الناصب المقدَّر. قلت: فكذا أضرب فيما نحن فيه مع اللام المقدَّرة يصح أَن تنصب القوانس، لأَنَّكم ذهبتم إلى أَنَّ القوانسَ تعلَّق بأَضربَ تعلُّق المضروب به، وإذا صحَّ أَن يكون ناصباً لها مع اللام صحَّ أَن يكون دالاًّ على عاملها. وإذا ثبت فساد الوجهين فلا يكون التقدير الثانى أَولى من التقدير الأَوَّل، بل الأَمرُ بالعكس؛ لأَنَّ تقدير الفعل أَكثر من تقدير حرف الجر. وأَيضاً التفصيل الذى ذكره للخوافض الثلاث مخالفٌ لما يُفهم من كلام المحقِّقين على ما لا يخفى على الأَذكياء. انتهى كلام الجاربردى.

وأَقول: لم يبيِّن الفساد الذى ادَّعاهُ على وجهين من تقدير اللام، وغاية ما أَوردهُ تصحيح تقدير الفعل على زعمه. فتأَملْ وأَنصف. والله تعالى أَعلم.

صاحب الشاهد

والمصراع من قصيدةٍ للعباس بن مرداس الصحابى، قالها فى الجاهليَّة قبل إسلامه ومطلعها:

(لأَسماءَ رسمٌ أَصبحَ اليومَ دارساً وأَقفرَ إلاَّ رَحْرَحانَ فراكِسا[1])

واختار منها أَبو تمام فى الحماسة أَربعة أَبيات، وهى:

(فلم أَر مثلَ الحىِّ حيًّا مصبَّحاً ولا مثلَنَا يوم التقَينا فوارسَا
أَكرَّ وأَحمَى للحقيقة منهمُ وأَضربَ منا بالسُّيوف القَوانسَا
إذا ما حملنا حَملةً نَصبُوا لنا صُدورَ المَذاكى والرِّماحَ المَداعسا

(١) القصيدة ثمانية وعشرون بيتاً فى الأصمعيات ٢٠٤ – ٢٠٧.

إذا الخيل جالت عن صريع نكرُّها
عليهمْ فما يرجِعْنَ إلاَّ عوابسًا)

قال أبو عبيدة (فى كتاب أيام العرب) : غزت بنو سُليم ورئيسهم عبّاس بن مرداسٍ مُرادًا ، فجمع لهم عمرو بن معديكرب فالتَقوا بتثليث من أَرض اليمن ، بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتَلوا قتالاً شديداً فقُتل من كبارِ مُرادٍ ستة ، وقُتل من بنى سُليم رجلان ، وصبر الفريقان حتَّى كره كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه ، فقال عبَّاس بن مرداس قصيدتَه التى على السِّين ، وهى إحدى المنصِفات . انتهى .

وقوله : « فلم أر مثلَ الحىِّ » إلخ ، أَراد بالحىّ المصبَّح بنى زُبيد بن مراد . قال المرزوقى : لم أَر مُغارًا عليه كالذين صَبَّحناهم ، ولا مغيرًا مثلَنا يوم لقيناهم ، فقسَم الشَّهادة قَسْم السَّواءِ بين أَصحابه وأَصحابهم وتناول بالمدحِ كلَّ فرقة منهم . وانتصب حيًّا مصَبَّحاً على التمييز ، وكذلك فوارساً تمييزٌ وتبيين ، ويجوز أَن يكونا فى موضع الحال . فإِن قيل : لم قال فوارس والتمييز يؤتى به مفردَ اللفظ ؟ قلت : إذا لم يتبيَّن كثرةُ العدد واختلاف الجنس من المميَّز يؤتى بالتمييز مجموعَ ٥١٩
اللفظ ، متى أُريد التنبيه على ذلك . وعلى هذا قول الله تعالى : ﴿ هلْ ننبّئكم بالأَخسَرِينَ أَعمالا[1] ﴾ ، كأَنَّه لما كانت أَعمالهم مختلفةً كثيرة نبَّه على ذلك بقوله : « أَعمالا » . ولو قال عملاً كان السامع لا يبعدُ فى وهْمه أَنَّ خُسرَهم كان لجنسٍ واحد من أَجناس المعصية ، أَو لعملٍ واحد من الأَعمال الذميمة . وكذلك قوله : « فوارس » ، جمعَه حتَّى يكونَ فيه إيذانٌ بالكثرة . انتهى .

(١) الآية ١٠٣ من سورة الكهف .

وقال ابن الحاجب (فى الأمالى) : إنْ أُريد بالرؤية العلم فحيًّا منصوب بها مفعول أوّل ، ومثلَ مفعول ثان . وإن أُريد رؤية العين فيحتمل أن يكون حيًّا مصبّحاً هو المفعول ، ومثلَ الحيِّ صفة قدِّمت فانتصب على الحال . ويجوز أن يكون مثل الحي هو المفعول ، وحيًّا مصبحاً إما عطفُ بيان لقوله مثل الحىّ وإمّا حالٌ من الحَىّ ، كأنّه قال : مثل الحيِّ مصبَّحاً ، وأتى بحىّ للتوطئة للصفة المعنويَّة ، كقولهم: جاءنى الرجل الذى تعلم رجلاً صالحاً . وصحَّ الحال من المضاف إليه لأنّه هنا فى معنى المفعول ، أى لم أر مماثلا للحيِّ فى حال كونهم مصبَّحين . والمضاف إليه إذا كان فى معنى فاعل أو مفعول صحَّ منه الحال كغيره . ويجوز أن يكون تمييزًا كقولك: عندى مثلُه تمراً أو قمحًا ، لما فى مثل من إبهام الذات ، فصحَّ تمييزها كتمييز ما أشبهها ، وكلُّ ما ذكر فى ذلك فهو جارٍ فى قوله مثلنا فوارساً ، ففوارساً مثل قوله مصبَّحاً ، ومثلنا مثل قوله مثل الحىّ . انتهى كلام ابن الحاجب .

ونقله [الجاربَرديُّ [1]] فى تلك الرسالة وقال : على تقدير أن يراد بالرُّؤية العلمُ يجوز أن يجعل مثل الحيِّ مفعولا أوّل وحيًّا مصبَّحاً مفعولا ثانياً . فإن قلت : لا يجوز أن يكون مثل الحى مفعولاً أوّل ، لأنّه فى أفعال القلوب حكمُه حكم المبتدأ ، فيجب أن يكون معرفة أو نكرة مخصَّصة بوجهٍ مّا . وهنا ليس كذلك ، لأنّ المِثل كما لا يتعرَّف بالإضافة فلا يتخصَّص أيضاً ، فلا يصلح لأن يكون مفعولاً أوّل .

(١) التكملة من ش . يعنى رسالته فى مسألة الكحل .

فالجواب بعد تَسليم ذلك أَن يقال : المِثل هنا إمَّا تخصَّص بالإضافة أَوْ لا ، بل بقِى على ما كان ، يصلح لأَن يكون مفعولاً أَول . أَمَّا على التقدير الأَوَّل فظاهر ، وأَمَّا على التقدير الثانى فلأَنَّه إذا كان نكرةً وقد وقع فى سياق النفى فيعمّ ، ولا شكَّ أَنَّه يصح الابتداءُ به ، فيصحُّ أَن يكون مفعولاً أَوَّل . انتهى .

وقوله : « أَكرَّ وأَحمى » إلخ ، قال المرزوقى : المصراع الأَوَّل ينصرف إلى أَعدائه وهم بنو زُبيدٍ ، والثانى إلى عشيرته وأَصحابه . والمراد لم أَر أَحسنَ كرًّا وأَبلغ حمايةً للحقائق منهم ، ولا أَضربَ للقوانس بالسُّيوف مِنَّا . وانتصب القوَانسَ مِن فعلٍ[1] دلَّ عليه قوله : وأَضربَ منَّا . ولايجوز أَن يكون انتصابه عَن أَضربَ ، لأَنَّ أَفعل الذى يتمُّ بمِنْ لا يَعمل إلاَّ فى النكرات ، كقولك : هو أَحسنُ [منك[2]] وجهاً . وأَفعل هذا يجرى مجرى فِعل التعجُّب ، ولذلك تعدى[3] إلى المفعول الثانى باللام فقلت : ما أَضرب زيداً لعمرو . قال الدُّريدىُّ : القَونس هو أَعلى البيضة . وقال غيره : قونس الفَرس : ما بين أُذنيه إلى الرأْس . ومثله قونس البيضة من السِّلاح . انتهى .

وقال ابن الحاجب : قولهُ : « أَكرَّ وأَحمَى » إلخ ، تبيين لما ادَّعاه فيما تقدَّم ، فيجوز أَن ينتصب بفعل مقدَّر لا صفة لما تقدَّم ، لئلَّا يفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأَجنبى إذا جُعل تمييزاً . ويجوز أَن يكون صفةً لما تقدَّم ، كأَنَّها صفة واحدة . وإذ جُعلا غير تمييز كأَنَّه ٥٢٠

(١) وكذا فى المرزوقى . وفى ش : « عن فعل » .
(٢) هذه التكملة الضرورية من المرزوقى .
(٣) ش فقط : « يعدى » بالباء .

قال : جاءنى زيدٌ وعمرو العاقلِ والعالِم . وذلك جائز . فأَكرَّ وأَحمَى صفة لحيًّا مصبَّحاً ، وأَضربَ منّا صفةٌ لِفوارسًا . انتهى .

ونقله الجارَبَردى فى تلك الرسالة وقال : كلامُه مشعرٌ بأَنَّه على تقدير كون ماتقدَّم على أَكرّ وأَحمى تمييزاً لو جُعل أَكرَّ وأَحمى صفةً يلزم الفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأَجنبىّ ، وأَمَّا على تقدير كون المتقدِّم غير تمييز لو جعل أَكرّ وأَحمى صفةً لا يلزم ذلك . والفرق مشكلٌ جدًّا . انتهى .

و (أَكرَّ) من كرّ عليه ، إذا صالَ عليه . (وأَحْمَى) من الحماية . وحقيقة الرجل : ما يحقُّ عليه حفظه من الأَهل والأَولاد والجار .

وقوله : « إذا ما حملنا حملة » إلخ ، قال المرزوقى : يروى : « إذا ماشددنا شَدَّة » . يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا فى وجوهنا ونصبوا صُدورَ الخيل القُرَّحِ والرِّماحَ المعَدَّة للدَّفع . والدَّعْس : الدفع فى الأَصل ، ثم يستعمل فى الطَّعن وشدَّة الوطءِ والجماع . والذَّكاءُ : ضد الفتاءِ ، يقال فرسٌ مُذَكٍ إذا تَمَّ سنُّه وكمُل قوَّته . وفى المثل: « جَرْىُ المذَكِّياتِ غِلابٌ(١) » . ويقال « غِلاءٌ » . ويقال فتاءُ فلانٍ كذكاءِ فلان وكتذكية فلان ، أَى حَزَامته على نُقصان سنِّه كحزامة ذاك مع استكماله . قال زهير :

يفضِّله إذا اجتهدَا عليه تمامُ السِّنِّ منه والذَّكاءُ

انتهى .

وقال بعض شراح الحماسة : المذاكى : المُسِنَّات من الخيل . والمذكى من الخيل بمنزلة المُخْلِف من الإبل .

---

(١) أمثال الميدانى ١ : ١٤٣ ، وجمهرة العسكرى ١ : ٢٩٩ .

وقوله : « إذا الخيلُ جالت » قال المرزوقى : أى إذا الخيل دارت عن مصروع منَّا كرَرْنا عليهم لنصرعَ مثل ما صَرَعوا منَّا . ويجوز أن يريد : إذا جالت الخيل عن صريع منهم لا يُقنعنا ذلك فيهم ، بل نكرُّها عليهم لمثله وإن كرِهت الكرَّ لشدَّة البأْس ، فلم ترجع إلاَّ كوالح . والعامل فى إذا نكرُّها ، وهو جوابه . وعوابس حال ، والخيل فاعل فعل يفسِّره ما بعده . انتهى .

وقال شارحٌ آخر : جالت : انكشفت . جال القومُ جولة : انكشفوا ثم كرُّوا . ولم ترجع الخيل إلاَّ عابسةً لما وجدت منْ مسِّ السِّلاح .

وقد ردَّ على العباس عمرو بن معديكرب ، واعتذر بأَنَّ خيلهم لم تكن سِماناً ، وأَنَّه لولا ذلك لم تنالوا الذى نلتم ، فى قصيدة يقول فيها :

أَعبَّاس لو كانت شِيارًا جيادُنا
بتثليثَ ما ناصيتَ بعدِى الأَحامسا[1]
لَدُسْناكُمُ بالخيل من كلِّ جانبٍ
كما داسَ طبَّاخُ القُدور الكَرادسا

يقال ناصيتُ الرجل ، إذا أَخذتَ بناصيته . والكُردوس : كلُّ ملتقى عظمين ، كالمنكِبين والرُّكبتين والوِركين . ودُسناكم : وطِئناكم . انتهى .

قال الطبرسىّ (فى شرحه أبيات العباس من باب المنصفات) : وهو

(١) يقال فرش شير وخيل شيار ، مثل جيد وجياد ؛ من الشارة والشورة ، بالفتح ، وهو السمن . والبيت فى اللسان (شور ١٠٤) .

من باب التناصف. وللعرب قصائدُ قد أنصف قائلوها أعداءَهم [فيها[1]] وصَدقُوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلَوْه من حَرِّ اللقاءِ ، وفيما وصَفوه من أحوالهم فى إمحاض الإخاء ، قد سمَّوها المنصفات . و يروى أَنَّ أَوّلَ من أنصف فى شعره مُهلهِلُ بن ربيعة حيث قال :

كأنَّا غُدوةً وبنِى أبينـا بجنبِ عُنيزَةٍ رَحَيا مُديرِ[2]

٥٢١ ومن التناصف فى الإخاءِ قول الفضل بن العبّاس رضى الله عنهما فى أبى لهب :

لا تَطمَعوا أن تهينونا ونـكرمَكم
وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذونا

انتهى .

والعباس وعمرو بن معديكرب صحابيّان ، تقدَّمت ترجمة الأَول فى الشاهد السابعَ عشر[3] ، وترجمة الثانى فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة[4] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه[5] :

٦٢٨ (مررتُ على وادِى السِّباعِ ولا أَرى
كوادى السِّباعِ حين يُظْلِمُ واديَا)

---

(١) التكلة من ش .
(٢) ط : « فانا غدوة » ، صوابه فى ش ، وأمالى القالى ٢ : ١٣٣ ، والبلدان (عنيزة) والأصمعيات ١٥٥ .
(٣) الخزانة ١ : ١٥٢ — ١٥٤ .
(٤) الخزانة ٢ : ٤٤٤ — ٤٤٦ .
(٥) سيبويه ١ : ٢٣٣ ، والعينى ٤ : ٨٨ ، ومعجم البلدان (وادى السباع) .

أَقلَّ به ركبٌ أَتوه تئيَّةً
وأَخْوَفَ إلاَّ ما وقَى اللهُ ساريا)

على أَن أَفعل فيه من قبيل: ما رأيتُ كعينِ زيدٍ أَحسنَ فيها الكُحْل.

قال سيبويه : إنَّما أَراد أَقلّ به الرَّكبُ تَئيةً منهم ، ولكنَّه حذف استخفافاً ، كما تقول : أَنت أَفضل ، ولا تقول من أَحد . وتقول : الله أَكبر ، ومعناه الله أَكبر من كل شيء . انتهى .

قال ابن خلف: حذف منهم وبه اختصاراً ، لعلم السامع. والهاءُ فى به الأُولَى ضمير (واديا)، والهاءُ فى به التى بعد منهم ضميرُ وادِى السِّباع .

وقال الجاربردى (فى رسالة أَلَّفها لمسأَلة الكُحْل) على عبارة الكافية : ولوقوع التغيير الكثير فى العبارة الثالثة من الحذف والتقديم والتأْخير ، ربَّما يتوهَّم أَنَّها غير جائزة ، فلذلك احتاج إلى إيراد نظيرٍ لها جاءَ فى كلام العرب ، وقد أَنشدَه سيبويه ، وهو قوله :

مَررتُ على وادِى السباعِ . . . البيتين

والاستشهاد إنَّما يحصل من البيتين بقوله : ولا أَرى كوادى السباع أَقلَّ به ركبٌ أَتوه تئيَّة فى وادى السباع . فأَفعَلَ ههنا وهو أَقَلَّ ، جَرَى لشىءٍ وهو فى المعنى لمسبَّبٍ هو الرَّكب مفضَّل باعتبار مَنْ هو له ؛وهو قولُه به ، على نفسه ، باعتبار وادى السباع . انتهى .

وقد شرح الشارح المحقِّق البيتين بما لم يُسبَق به .

وقوله: « الواو فى ولا أَرى اعتراضيَّة » هذا بالنظر إلى مايأْتى بعد البيت الثانى .

وجعل العينى جملة « ولا أرى » حاليَّة . وقوله : « وهو بمعنى المفعول » يعنى أَنَّ أَخْوَف فى البيت مأْخوذ من الفعل المبنيِّ للمجهول ، أَى أَشدَّ مخُوفيَّة ، كما أُخِذ أَشهَر وأَحمَد من المبنى للمجهول ، أَى أَشدُّ مشهوريَّة ومحموديَّة . وقوله : « وهو منصوب على التمييز من أَقلَّ » ، هذا هو الظاهر وعليه اقتصر شارح اللباب قال : التئيَّة : التوقُّف والتثبت . وتئية تمييز ، من قوله أَقلَّ ، أَى أَقلّ توقُّفاً . فأَقلّ : أَفعل من القلة منصوب لأَنَّه صفة لمفعول أَرى . وقال الجاربردىُّ : تئيَّة إمّا مصدر على أَصلِه ، لأَنَّ الإتيان قد يكون تَئيّة أَى بتوقُّف ، وقد يكون بغيره . وإمّا مصدرٌ فى تأْويل المشتقّ ، أَى متوقِّفين ، فيكون حالاً . وأَخوفَ عطف على أَقلّ أَو على تئيّة إن جعلت حالا . وإلاَّ ماوقَى الله : استثناءٌ مفرَّغ ، أَى فى كلّ وقت إلاَّ وقتَ وقاية الله السَّارى . انتهى .

ومحصَّل المعنى أَنَّ ثبوت الرَّكب فى وادى السباع أَقلُّ من ثبوته فى غيره .

صاحب الشاهد

والشعر لِسُحَيم بنَ وثيل ، وهو شاعِرٌ عصرىُّ الفرزدق ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين[1]

ووادِى السِّباع : اسم موضع بطريق البَصرة . قال أَبو عُبيدٍ البكرى (فى معجم ما استعجم) : وادى السباع جمع سبع ، بالبصرة معروف ، وهو الذى قُتل فيه الزُّبير بن العوَّام ، سمِّىَ بذلك لأَنَّ أَسماءَ ـ بنتَ عمران بن الحاف بن قضاعـة . وقال ٥٢٢

(١) الخزانة ١ : ٢٦٥ – ٢٦٧

أسماء بنت دريم الكلبي : هى أَسماءُ بنتُ دُرَيم بن القَين بن أَهْوَدَ[(١)] بن بهراءَ — كانت تنزلُه . ويقَال ، لها أُمُّ الأَسبُع ، لأَنَّ ولدَها أَسد ، وكلب ، والذئب ، والدُّبّ ، والفهد ، والسِّرحان . وأَقبل وائلُ بن قاسط فلمَّا نظر إليها رآها امرأةً ذَاتَ جمال ، فطمِعَ فيها ، ففطنت له فقالت : لو هَممتَ بى لأَتاك أَسبُعِى ! فقال : ما أَرى حولك أَسبعاً . فدعَتْ بنيها فأَتوا بالسُّيوف من كلِّ ناحية . فقال : والله ما هذا إلاَّ وادى السباع : فسمِّى به . انتهى .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : وادى السباع جمع سَبُع . والسبع يقال على ما له نابٌ ويَعدُو على الناس والدوابِّ فيفترسُها ، مثلُ الأَسد ، والذئب ، والنَّمر ، والفهد . فأَما الثعاب فإنه وإنْ كان له ناب فإنَّه ليس بسبع لأَنَّه لا عُدوانَ له . وكذلك الضَّبُع . ووادى السِّباع هو الذى قتل فيه الزُّبير بن العوَّام بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال[(٢)] . كذا ذكره أبو عبيدة . ووادى السباع من نواحى الكوفة ، سمِّىَ بذلك لما أذكُره لك ، وهو : أَنَّ أَسماءَ بنت دُرَيْم بن القَين بن أَهْوَدَ[(٣)] بن بَهراءَ كان يقال لها أُمُّ الأَسبُع . وولدُها بنو وَبَرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، يقال لهم السِّباع ، وهم : كلب ، وأَسد ، والذئب ، والفهد ، والثعلب ، وسِرحان . ونَزْكٌ ، بفتح النون

---

(١) ط : « أهوذ » ، صوابه بالدال المهملة كما فى ش معجم البلدان ومعجم ما استعجم والاشتقاق ونهاية الأرب ٢ : ٢٩٢ والقاموس (هود) .

(٢) فى النسختين : « خمسة أجبل » ، صوابه من معجم البلدان . وفى هامش المطبوعة مانصه : « قوله بينه وبين البصرة إلخ . المعروف الآن أن قبر الزبير بقرب البصرة ، بينهما أربعة أميال أو خمسة ، ولا يعرف جبل هنـاك ، فلعل أجبـل مصحفة عن أميـال . انتهى من هامش الأصل » . ولم ترد هذه الحاشية فى ش . وقد صح توقع ناشر الطبعة الأولى بما صححته به .

(٣) ط : « أهوذ » . وانظر ماسلف من تحقيق .

وسكون الزاى ، وهو الحَرِيش ويقال له الكركَدَّنُ ، له قرنٌ واحد يَحمل الفيلَ على قَرنه على ما قيل . وجُعثُم[(١)] ، وهو الضبع . والفِزْر ، وهو البَبْر : نوع من الضِّباع دون جِرم الفهد إلاَّ أنَّه أَشدُّ وأَجرَأُ منه . وعَنْزة وهى دابَّةٌ طويلة الخَطْم يُعدُّ من رءُوس السِّباع ، يأْتى الناقةَ فيُدْخل خطمَه فى حيائها ويأْكل ما فى بطنها ، ويأْتى البعير فيمتلخ عينيه . وهرّ ، وضبع . والسِّمع بالكسر ، وهو ولد الذئب من الضَّبع . ودَيْسَم ، وهو الثعلب ، وقيل ولد الذئب . ونِمْس ، وهو دويْبَّة فوق ابن عِرس يأْكل اللحم ، وهو أسود ملمَّع ببياض . والعِفْر : جنس من الببر . وسِيد[(٢)] . والدُّلدل . والظَّرِبانُ : دويْبَّةٌ منتنة الفُساء . ووَعوَع ، وهو ابن آوى الضخم . وكانت تنزل مع أولادها بهذا الوادى فسمِّى وادىَ السباع بأَولادها .

قال ابن حبيب : مرَّ وائل بن قاسط بأَسماءَ هذه أُمِّ ولد وَبَرة وكانت امرأَة جميلة ، وبنوها يرعَون حَولها، فهَمَّ بها فقالت له : لعلَّك أَسررت فى نفسك منِّى شيئًا ؟ فقال: أجلْ . فقالت : لئن لم تنته لأَستصرخنَّ عليك! فقال : والله ما أرى بالوادى أحدًا . فقالت : لو دعوتُ سِباعَه لمنعَتنى منك وأَعانتنى عليك. فقال : أوَ تفهم السِّباعُ عنكِ ؟ قالت : نعم . ثم رفعت صوتَها : ياكلبُ ، ياذئبُ ، يافهدُ، يادُبُّ، ياسِرحان ، ياأَسد[(٣)] . فجاءُوا يتعادَون ويقولون : ما خبرُكِ ياأُمّاه ؟ قالت : ضيفكم هذا أَحسِنُوا قِراه . ولم تر أنْ تفضح نفسَها عند بنيها ، فذبحوا له وأَطعموه ، فقال وائل : ما هذا إلاَّ وادِى السِّباع ! فسمى بذلك . انتهى .

(١) فى معجم البلدان : « خثعم » .
(٢) السيد ، بالكسر : الذئب . وفى ش : « سليع » .
(٣) فى معجم البلدان : « يا أسد ياسيد » .

الفعل الماضى

أَنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد السمّائة[1] :

٦٢٩ (واللهِ لا عَذَّبَتْهُمْ بَعدَها سَقرُ)

٥٢٣ على أَنَّ الماضى المنفىَّ بلا فى جواب القسم ينصرف إلى الاستقبال كما فى البيت . وهو عجزٌ وصدرُه :

(حَسْبُ المحبِّينَ فى الدنيا عذابُهُمُ)

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للمؤمَّل بن أُمَيْل المحاربىّ ، قالها فى امرأَةٍ كان يهواها من أَهل الحيرة يقال لها « هند » ، وهى قصيدة مشهورة ، ومنها :

(شفَّ المؤمَّلَ يومَ الحِيرة النَّظرُ ليت المؤمَّل لم يُخلق له بصرُ)

ومنها :

(قَتلتِ شاعرَ هذا الحىِّ من مُضرٍ والله يعلم ما تَرْضَى بذا مُضرُ)

روى الأَصبهانى (بسنده فى الأَغانى) عن على بن الحسن الشَّيبانى قال : رأَى المؤمَّل فى نومه قائلاً يقول : أَنت المتأَلِّى على الله أَنّه لا يعذِّب المحبِّين ، حيث تقول :

يكفى المحبِّين فى الدُّنيا عذابُهمُ والله لاعذبَتْهُمْ بعدها سَقرُ

فقال : نعم . فقال : كذبتَ يا عدوَّ الله ! ثم أَدخل إصبعيه فى عينيه ، وقال له : أَنت القائل :

شفَّ المؤمَّل يوم الحِيرة النَّظرُ ... البيت

(١) الأغانى ١٩ : ١٥٠ ، والخزانة ٤ : ٢٢٨ بولاق ، والمغنى ٢٤٣ .

هذا ما تمنّيت ! فانتبه فزِعاً فإذا هو قد عَمِىَ[(١)] .

وروى بسنده أيضاً عن مُصعب الزُّبيرى أنَّه قال : أُنشِد المهدىُّ :

قتلتِ شاعرَ هذا الحىِّ من مُضرٍ . . . البيت

فضحك وقال : لو علمنا أنَّها فعلتْ لمَا رضينا ، ولغضبناله وأنكرنا . انتهى .

و (شفَّ) بالشين المعجمة والفاء بمعنى أرقَّه وأهزله ونقصه . والمتألِّى بمعنى الحالف : اسم فاعل من تألَّى من الأَليَّةِ وهى اليمين . ويقال منها آلى إيلاءً ، وائتلى أيضاً : افتعل من الأَليَّة .

المؤمل بن أميل

والمؤمَّل : ابنُ أُمَيْل بن أَسِيد المحاربى . والمؤمَّل بصيغة اسم المفعول ، والثانى بالتصغير ، وكلاهما مأْخوذان من الأَمل ، والثالث بفتح الهمزة وكسر السين المهملة .

وهذه ترجمته من الأغانى قال : هو المؤمَّل بن أُميل بن أَسِيد المحاربىّ ، محارب بن خصفة بن قيس بن عَيلان بن مضر . شاعرٌ كوفىٌّ من مخضرمى الدولتين الأُمويَّة والعباسيَّة . وكانت شهرتهُ فى العباسيَّة أكثر ، لأنَّه كان من الجُند المرتزِقة معهم ، ومن يخصُّهم ويخدُمهم من أوليائهم . وانقطعَ إلى المهدىِّ فى حياة أبيه وبعده . وهو صالحُ المذهبِ فى شعره ، ليس من المبرِّزين الفُحُولِ ولا المرذولين . وفى شعره لين[(٢)] . وله طبعٌ صالح .

وروى عنه بالسَّنَد أنَّه قال : قدِمتُ على المهدىِّ وهو بالرَّىّ ، وهو إذْ ذاك ولىُّ عهد ، فامتدحْتُه بأبياتٍ فأمر لى بعشرين ألفَ درهم ، فكتب

(١) انظر معجم المرزبانى ٣٨٤ .

(٢) ش : « ولا المرذولين فى شعره » فقط .

بذلك صاحبُ البريد إلى أَبى جعفر المنصور وهو بمدينة السلام ، يُخبره أَنَّ الأَمير المهدىَّ أَمر لشاعرٍ بعشرين أَلفَ درهم ، فكتب إليه يعذُلُه ويلومه ويقول له : إنَّما كان ينبغى [له[1]] أَن تعطيَه بعد أَن يقيم ببابك [سنة[2]] أَربعةَ آلاف درهم . وكتب إلى كاتب المهدى أَن يوجِّه إليه بالشاعر . فطلبْ فلم يقدر عليه ، وكتب إلى أَبى جعفر : إنه قد توجَّه إلى مدينة السلام . فأَجلسَ قائدًا من قوّاده على جسر النَّهْرَوانِ وأَمره أَن يتصفَّح الناس رجلاً رَجُلًا . فجعل لا تمرُّ به قافلة إلاَّ تصفَّحَ من فيها حتَّى مرَّت القافلةَ التى فيها المؤمَّل ، فتصفَّحهم فلما سأَله من أَنت؟ قال : أَنا المؤمَّل بن أُمَيل المحاربى الشاعر ، أَحدُ زوَّار الأَمير المهدى . فقال : إيَّاك طلبتُ . قال المؤمَّل : فكاد قلبى ينصدع خوفاً من أَبى جعفرٍ ٥٢٤
المنصور . فقبض علىَّ وأَسلمنى إلى الربيع[3] ، فأَدخلنى إلى أَبى جعفر وقال له : هذا الشاعر الذى أَخذ من المهدى عشرينَ أَلفَ درهم ، قد ظفِرْنا به . فقال : أَدخلوهُ إلىَّ[4] . فأُدخلت عليه فسلَّمت تسليمَ مذعورٍ مروَّعٍ[5] فردَّ علىَّ السلام وقال : ليس ههنا إلاَّ خيرٌ ، أَنت المؤمَّل بن أُميل ؟ قلت : نعمْ يا أَمير المؤمنين . قال : أَتيتَ غلامًا غِرًّا فخدعتَه . قلت : نعم ، أَصلح الله أَمير المؤمنين ، أَتيتُ غلاماً غِرًّا كريماً فخدعته فانخدع . قال : فكأَنَّ ذلك أَعجبه ، فقال : أَنشِدْنى ما قلتَ له . فأَنشدته :

---

(١) هذه من ش فقط .

(٢) التكملة من ش ، والأغانى ١٩ : ١٤٧ .

(٣) فى ش : « وسلمنى من الربيع » ، وفى حواشيها : « كذا بخط المؤلف ، والصواب : وأسلمنى إلى الربيع » . وما أثبت من ط والأغانى .

(٤) ط : « قال أدخله إلى » ، وأثبت ما فى ش والأغانى .

(٥) فى الأغانى « تسليم مروع » .

هــو المهدى إلاَّ أَنَّ فيــه ... مشابهـةً من القمر المنير[(١)]
تَشابهَ ذا وذا ، فهُما إذا ما ... أَنارا مشكلانِ على البصيرِ
فهذا فى الظَّلام سراجُ ليـلٍ ... وهذا فى النهار ضياءُ نورِ
ولـكنْ فضَّل الرحمنُ هـذا ... على ذا بالمنابر والسَّـريرِ
وبالمُلْك العزيزِ فـذا أَميرٌ ... وما ذا بالأَميرِ ولا الوزيرِ
وبعضُ الشَّهر ينقص ذا ، وهذا ... منيرٌ عند نقصان الشُّهورِ[(٢)]
فيا ابنَ خليفةِ الله المصفَّى ... به تعلو مُفاخَرةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد توافَوْا ... إليك من السُّهولة والوعورِ
لقـد سبق الملوكَ أَبوك حتَّى ... بَقُوا من بين كابٍ أَو حسيرِ
وجئتَ مصلِّياً تجرى حَثيثاً ... وما بك حين تجرى من فتورِ
فقال الناس : ما هذان إلاَّ ... كما بين الخليقِ إلى الجديرِ
لئن سَبق الكبيرُ فأَهلُ سبق ... له فضلُ الكبير على الصغيرِ
وإنْ بلغ الصغير مدى كبيرٍ ... فقد خُلِق الصَّغيرُ من الكبيرِ

فقال : والله لقد أَحسنت ، ولكن هذا لا يساوى عشرين أَلف درهم ، فأَين المال ؟ قلت : ها هو هذا . قال : يا ربيع امضِ معه فأَعطه أَربعة آلاف درهم وخذْ منه الباقى . قال المؤمَّل : فخرج معى الربيعُ فحطَّ ثَقَلى ووزَن لى من المال أَربعة آلافِ درهم ، وأَخذ الباقى . فلمَّا وَلِىَ المهدىُّ الخلافَة ولَّى ثوبان[(٣)] المظالم ، فكان يجلسُ للناس بالرُّصافة ، فإذا ملأَ كِسَاءه رقاعاً رفَعها إلى المهدىّ ، فرُفعت إليه رقعةٌ فلمَّا دخل بها

(١) الأغانى والطبرى ٨ : ٧٤ : « مشابه صورة القمر » .
(٢) الأغانى : « ونقص الشهر ينقص ذا » ، وفى الطبرى : « ونقص الشهر يخمدذا » .
(٣) فى النسختين « أبو ثوبان » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى الأغانى ١٩ : ١٤٨ ، والطبرى ٨ : ٤٧ .

ابن ثَوْبان جعل المهدىُّ ينظر فى الرِّقاع ، حتَّى إذا وصل إلى رقعتى ضحك ، فقال له ابنُ ثَوبان : أَصلح اللهُ أَميرَ المؤمنين ، ما رأَيتُك ضحكتَ من شىءٍ من هذه الرِّقاع إلاَّ من هذه الرقعة . فقال : هذه رقعة أعرف سببها ، ردُّوا إليه عشرين أَلف درهم . فرَدُّوها إلىّ وانصرفْت .

وروى بسنده أيضاً عن أَبى محمد اليزيدىّ عن المؤمَّل بن أُمَيل قال : صرت إلى المهدىِّ بجُرجان ، فمدحتُه بقولى :

تعزَّ ودعْ عنك سَلمى وسِرْ حثيثاً على سائراتِ البغالِ
وكلٍّ جوادٍ له مَيْعةٌ يخبُّ بسَرجك بعد الكلالَ
إلى الشَّمسِ شمسِ بنى هاشم وما الشمْس كالبدر أَو كالهلال
ويُضحكه أن يدومَ السؤالُ ويتلفُ من ضِحكِه كلّ مالِ[1] ٥٢٥

فاستحسنها المهدىُّ وأمر لى بعشرة آلاف درهم .

وشاع الشعر ، وكان فى عسكره رجلٌ يغنِّى ، فغنَّى فى الشعر لرفقائه وبلغ ذلك المهدىَّ فبعث إليه سرًّا فدخل عليه فغنَّاه ، فأَمر له بخمسة آلاف درهم ، وأَمر لى بعشرة آلاف درهم أُخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور . ثم ذكَر باقىَ الخبر نحو ما تقدَّم ، وزاد فيه أَنَّ المنصورَ قال له : جئتَ إلى غلامٍ غِرٍّ فخدعتَه حتَّى أَعطاك من مال الله عشرين أَلف درهم ، لشعرٍ قُلتَه غير جيِّد ، وأَعطاك من رقيق المسلمين مالاَ يملكه ، وأَعطاك من الكُراع والأَثاث ماأَسرفَ فيه ، ياربيعُ خذْ منه ثمانية عشر أَلف درهم وأَعطه أَلفين ، ولا تَعرِض لشىءٍ من الأَثاث والدواب والرَّقيق ، فنى ذلك غِناه[2] . فأُخِذَتْ منِّى والله بخواتمها . فلمَّا وَلِىَ المهدىُّ

(١) الأغانى : « أن يديم السؤال ويتلف فى ضحكة » .
(٢) الأغانى : « غناؤه » . والغنى يمد ويقصر .

دخلتُ عليه فى المتظلِّمين ، فلمَّا رآنى ضحك وقال : مظلُمَةٌ أَعرفها ولا أَحتاج إلى بيِّنةٍ عليها. وجعل يضحك ، وأَمر بالمال فرُدَّ علىَّ بعينه ، وزادنى فيه عشرة آلاف درهم . انتهى .

ومن شعرِه :

حَلَمْتُ بكم فى نومتى فغضبتمُ
ولا ذنبَ لى إِن كنتُ فى النَّوم أَحلُمُ
سأَطردُ عنِّى النَّومَ كيلا أَراكمُ
إذا ما أَتانى النَّومُ والنَّاسُ نُوَّمُ
تُصارِمُنى ، والله يعلم أَنَّنى
أَبرُّ بها من والدَيْها وأَرحمُ[(١)]
وقد زعموا لى أَنَّها نذرَتْ دمى
وما لى بحمدِ الله لحمٌ ولا دمُ
بَرى حبُّها لحمى ولم يُبقِ لى دماً
وإِنْ زَعموا أَنِّى صحيحٌ مسلَّمُ[(٢)]
فلم أَر مثلَ الحبِّ صحَّ سقيمُه
ولا مثْلَ مَنْ لا يعرف الحبَّ يَسقمُ[(٣)]
ستَقتل جِلدًا بالياً فوق أَعظُمٍ
وليس يُبالى القتلَ جلدٌ وأَعظمُ

(١) الأبيات بعده لاتتصل به مباشرة ، بل هى صوت خاص من القصيدة كما فى الأغانى .
(٢) ش : « ولم يبق لى دم » .
(٣) الأغانى : « ولا مثل من لم يعرف » .

روى صاحب الأَغانى بسنده إلى حذيفة بن محمد الطائى قال : حدثنى أَبى قال : رأَيت المؤَمَّل شيخاً كبيراً نحيفاً[1] أَعمى ، فقلت له لقد صدقتَ فى قولك :

وقد زعَموا لى أَنَّها نذرَتْ دمى . . . البيت

فقال : نعم فديتُك ، لا أَقول إِلاَّ حَقًّا[2] !

(١) الأغانى : « شيخاً مصفراً نحيفاً » .
(٢) الأغانى : « وما كنت أقول إلا حقاً » .

الفعل المضارع

أَنشد فيه ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الستمائة[1] :

٦٣٠ (أَبيتُ أَسرِى وتبيتِى تَدلُكِى جِلدَكِ بالعنبرِ والمِسْكِ الذَّكِى)

على أَنَّ النون من الأَفعال الخمسة قد ينذُر حذفها لا للأَشياءِ المذكورة نظماً ونثراً . والأَصل تبيين تدلكين .

قال ابن جنى (فى باب ما يرِدُ عن العربىِّ مخالفاً لما عليه الجمهور، من كتاب الخصائص) : سأَلت أَبا على رحمه الله عن قوله :

أَبيتُ أَسرِى وتبيتِى تدلُكى وجهَك بالعنبر والمِسكِ الذَّكِى

فخُضْنا فيه ، واستقرَّ الأَمر فيه على أَنَّه حذف النون من تبيتين ، كما حذف الحركة للضرورة فى قوله :

* فاليومَ أَشربْ غير مستحقبٍ[2] *

كذا وجَّهته معه . فقال لى : فكيف تصنع بقوله : « تدلكِى » ؟ قلت : نجعله بدلاً من تبيتى أَو حالا ، فنحذف النون كما حذفَها من الأَوَّل فى الموضعين[3] . فاطمأَنَّ الأَمرُ على هذا . وقد يجوز أَن يكون تبيتى فى موضع النصب بإِضمار أَن فى غير الجواب ، كما جاءَ بيت الأَعشى : ٥٢٦

لنا هضْبةٌ لا ينزل الذُّلُّ وسْطَها ويأْوِى إِليها المستجيرُ فيعصما[4]

(١) الخصائص ١ : ٣٨٨ والمحتسب ٢: ٢٢ والتصريح ١ : ١١ والهمع ١ : ٥١ ويس على التصريح ١ : ٧٦ ، ٣٣٢ .

(٢) لامرئ القيس فى ديوانه ٢٥٨ .
وعجزه :

* إثماً من الله ولا واغــل *

(٣) أى أول الموضعين ، وهو قوله : « تبيتى » .

(٤) الصحيح نسبته إلى طرفة . وانظر معجم الشواهد .

انتهى . وأورده ابن عصفور أيضاً (فى كتاب الضرائر) قال :
ومنه حذف النون الذى هو علامة للرفع فى الفعل المضارع لغير ناصبٍ ولا جازم ، تشبيهاً لها بالضمة ، من حيث كانتا علامتَى رَفْع ، نحو قول أيمن بن خُرَيم :

وإذ يغصِبُوا الناسَ أموالَهم   إذا مَلكُوهم ولم يُغْصَبوا

وقول الآخر :

أبيت أَسرى . . . البيت

وقول الآخر ، أنشده الفارسى :

والأَرض أَورثْتَ بَنِى آداما   ما يَغرسوها شجرًا أَيَّاما[1]

أَلا ترى أَنَّ النون قد حُذفت من يَغصبون ، وتبيتين ، وتدلكين ، ويغرسون ، لغير ناصب ولا جازم كما فعل بالحركة فى أَشربْ من قوله :

* فاليوم أَشرَبْ غيرَ مستحقب *

ولا يحفظ شىءٌ من ذلك فى الكلام إلاَّ ما جاءَ فى حديث خرَّجه مسلم[2] فى قتلى بدر ، حين قام عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداهم . . . . الحديث . فسمع عمر قول النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يارسول الله ، كيف يسمعُوا ، وأَنَّى يجيبوا وقد جيَّفوا[3] ! » ، فحذف النون من يسمعون ويجيبون . انتهى .

---

(١) كذا فى ش وضرائر ابن عصفور ١٠ ، وفى ط : « إذا ما » .

(٢) فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، فى باب عرض مقعد الميت من الجنة عليه وإثبات عذاب القبر . ج ٨ ص ١٦٣ . وقد أخرجه كذلك النسائى فى كتاب الجنائز ، كما أخرجه أحمد ١ : ٣/٤٧٢ : ١٠٤ ، ١٧٢ ، ٢٢٠ ، ٦/٢٦٢ : ١٧٠ .

(٣) ط : « أحيفوا » ، صوابه فى ش وصحيح مسلم . وتمام الحديث : « قال : والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا . ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر » . وفى نسخة من مسلم كما فى الحواشى : « كيف يسمعون وأنى يجيبون ». لكن حذف النون هو الوارد فى معظم النسخ المعتمدة ، كما فى الحواشى .

وهذا البيت لم أقف على قائله :

وقوله : « أبيت أسرى » إلخ ، أبيت مضارع بات بيتوتة ومَبيتاً ومَباتاً ، ومعناه اختصاص الفعل باللَّيل ، كما اختص الفعلُ فى ظَلَّ بالنَّهار. فإذا قلت بات يسرى ، فمعناه فَعلَ السُّرى بالليل ، ولا يكون إلاَّ مع سهر الليل . وأسرِى: مضارع سريت الليل وسَريتُ به سَرياً ، والاسم السِّراية ، إذا قطعتَه بالسَّير . وجملة أسرى خبَر بات . و (تدلُكى) دلكت الشىء دلْكاً من باب قتل ، إذا مَرسْتَه بيدك .ودلكتُ النَّعلَ بالأَرض : مسَحْتَها بها . وروى : (وجْهَك) بدل جلدك . والذكىُّ : الشَّديد الرائحة . قال أبو القاسم البصرى (فى كتاب أغلاط الدِّينَوَرىّ فى كتاب النبات) : يستعمل الذَّكاءُ أَيضاً فى حدَّة الرائحة ، فيقال مسكٌ ذكىٌّ بيِّن الذكاءِ . ويستعمل أَيضاً فيما أنتن فيقال منهما : رائحةٌ ذكيَّة ، وقد ذكَت الرائحة تذكو ذكُوًّا وذَكاءً ، وهى فى الطِّيب أَشهر ، وهم لها أَكثر استعمالاً . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون[١] بعد الستمائة[٢] :

٦٣١ (كجوارِيٍ يَلْعَبْنَ بالصَّحراءِ)

على أَنَّ ظهور الجرّ والتنوين على الياءِ ضرورة .

وقال فى شرح الشافية : وَقومٌ من العرب يُجْرُون الياءَ والواو مُجرى

(١) ش : « الواحد والثلاثون » والأفصح القلب ، أى الحادى . وفى التصريح ٢ : ٢٧٧ : « وحكى الكسائى عن بعض العرب واحد عشر على الأصل ، فلم يلتزم القلب كل العرب » . وفى الأشمونى ٤ : ٧٧ : « وأما ما حكاه الكسائى من قول بعضهم واحد عشر فشاذ نبه به على الأصل المرفوض . قال فى شرح الكافية : ولا يستعمل هذا القلب فى واحد إلا فى تنييف ، أى مع عشرة أو مع عشرين وأخواته » .

(٢) ابن يعيش ١٠ : ١٠١ وشرح شواهد الشافية ٤٠٣ وأمالى الزجاجى ٨٣ .

الحرف الصحيح فى الاختيار ، فيحرِّكون ياءَ الرامى رفعاً وجرًّا ، وياءَ يرى رفعاً ، وكذا واو يغزو رفعاً . وأنشد هذه الأَبياتَ وغيرها . والمشهور ما هنا .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : فيه ضرورتان : إحداهما
٥٢٧ إثبات الياءِ وتحريكها ، وكان حقُّه أَن يحذفها فيقول : كجوارٍ . والثانية أَنَّه صرفَ مالا ينصرف، وكان الوجه لمّا أثبت الياءَ إجراءً لها مجرى الحرف الصحيح أَن يمنع الصرف فيقول كجواريَ . انتهى .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

* ما إنْ رأَيتُ ولا أَرى فى مُدَّتِى *

وإنْ زائدة مؤكِّدة لما النافية ، وجملة (ولا أَرى فى مُدَّتى) أَى فى عمرى، معترضة بين أَرى البصرية وبين مفعولها، وهو الكاف من قوله كجوارٍ ، فإنَّها اسميَّةٌ ولا يصحُّ جعلها حرفية ، فإنَّ التقدير حينئذ ما رأَيت نساءً كجوارى ، وحذف الموصوف من مثل هذا لا ينطبق عليه ضابطُه ، فإنَّ الصِّفة إذا كانت جارًّا ومجروراً فلا بدَّ لجواز حذف الموصوف أَن يكون بعضاً من مجرور بمن أَوفى، كما هو المعروف . ومفعول لا أَرى محذوف ، أَى مثلَهن . والجوارى : جمع جارية ، وهى الشَّابَّة . قال صاحب المصباح : الجارية السَّفينة، سمِّيت بذلك لجريها فى البحر؛ ومنه قيل للأَمَة جارية على التشبيه ، لجرْيها مستَسخَرة فى أَشغال مَواليها . والأَصل فيها الشَّابَّة لخفتَّها . ثم توسَّعوا حتَّى سمَّوْا كلَّ أَمةٍ جارية وإن كانت عجوزًا لا تقدر على السَّعْى ، تسميةً بما كانت عليه . والصحراءُ : البرِّيَّة والخلاء .

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) : والعامل[١] فى فِى والكافِ على الاختلاف فى توجيه العاملين (رأيت) الواقع ، دون أرى المتوقَّع . وإن جاز إعمال كلٍّ واحدٍ منهما على الخلاف فيه ، لكنَّ الأَولَى ما ذكرته ، لوجود الرؤية متحقِّقة مع إعمال الأَوَّل ، وعدمها متوهَّمة مع إعمال الثانى . ويقوِّى ذلك زيادة إن مع ما . وموضع الكاف نصب ، وكذا موضع فى أيضاً . هذا كلامه .

والبيت مع كثرة تداوُله فى كتب النَّحْو واللُّغة لم أَقفْ على قائله . والله أَعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد السمّائة[٢] :

٦٣٢ (أَبَى اللهُ أَن أَسمُو بأُمٍّ ولا أَبِ)

على أَنَّ النصب على الواو يقدَّر كثيرًا لأَجل الضرورة .

وأَورده أَبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى الأَخفش (فى كتاب المعاياة) وقال : إنَّما جاز ذلك للشاعر لأَنَّ الحركات مستثقلة[٣] فى حروف المدِّ واللين ، فلمَّا جاز إسكانها فى الاسم فى موضع الجرِّ والرّفع أَجرىَ عليه فى موضع النصب أَيضاً لمَا أَخبرتُك به . انتهى .

وأَورده ابن عصفور أَيضاً (فى كتاب الضرائر) وقال : حذف الفتحة من آخر أَسمو إجراءً للنَّصب مجرى الرفع .

---

(١) ش : « العامل » .

(٢) كامل المبرد ٩٣ والمحتسب ١ : ١٢٧ وابن يعيش ١٠ : ١٠٠ ، ١٠١ والمغنى ٦٧٧ والعينى ١ : ٢٤٢ والأشمونى ١ : ١٠١ وديوان عامر بن الطفيل ١٠ .

(٣) ط : « مستقلة » ، صوابه فى ش .

صاحب الشاهد والمصراعُ من أَربعة أَبياتٍ لعدوِّ الله عامر بن الطفيل ، على ما فى ديوانه . وكانت كنيته فى السِّلْم أَبو على ، وفى الحرب أَبو عَقيل ، وهى :

أبيات الشاهد (وما سوَّدتْنى عامرٌ عن وِراثة ... أَبَى اللهُ أَنْ أَسمو بـأُمٍّ ولا أَبِ

ولا شرّفتنى كُنيَـةٌ عربيَّةٌ ... ولاخالفَتْ نفسى مَكارمَ مَنصِبى

ولـكنَّنى أَحمى حِماها وأَتَّقى ... أَذاها ، وأَرمِى مَن رَماها بِمَنكِبِ

وأَتركُها تسمو إلى كلِّ غاية ... وتَفْخُر حَيَّىْ مشْرق بعد مغربِ)

٥٢٨ قال جامع ديوانه : أَراد تغلبُ حيَّ المشرق وحيَّ المغرب .

وقوله : « وما سوَّدتنى عامر» أَى جعلتنى سيِّد قبيلة بنى عامر بالإِرث عن آبائهم ، بل سُدتهم بـأَفعالى . وقوله : « أَبى الله » إلخ ، أَبى له معنيان : أَحدهما بمعنى كرِهَ ، وهو المراد هنا . والثانى بمعنى امتنَع . و (أَنْ أَسمو) مفعوله . والسموّ: العلوّ .

وهذا المصراع أَورده ابن هشام (فى الباب الثامن من المغنى) قال فى القاعدة الأُولى : قد يُعطى الشىءُ حكمَ ما أَشبهه فى معناه أَوْ لفظه أَو فيهما . فأَمَّا الأَوَّل فله صور كثيرة . إلى أَنْ قال منها : العطف بِولاَ بعد الإِيجاب ، فى نحو قوله :

* أَبَى اللهُ أَن أَسمُو بـأُمٍّ ولا أَبِ *

لمَّا كان معناه قال الله لى : لا تسمو بـأُمٍّ ولا أَب . انتهى .

وقال العينى : الإِباءُ : شدَّة الامتناع ، وأَنْ أَسمو مفعوله ، والتقدير : أَبَى اللهُ سموِّى وسيادتى بـأُمٍّ ولا أَب . وقوله (ولا أَب) عطفٌ على قوله بـأُمٍّ . وزاد كلمة لا تـأْكيدًا للنفى . هذا كلامه فتـأَمَّلْه .

وأَورده جامعُ ديوانه كذا :

* أَبَى اللهُ أَن أَسمو بـأُمٍّ والأَبِ *

فلا شاهد فيه على ما ذكره ابن هشام . واللام فى الأَب عوضٌ عن المضاف إليه ، أَى بـأُمِّى وأَبى .

وأَورد المصراعَ أَبو العباس المبرِّد (فى الكامل) فى أَبيات ثلاثة كذا :

إِنِّى وإِن كنتُ ابنَ فارسِ عامرٍ وفى السِّرِّ منها والصَّريحِ المهذَّبِ
فما سوَّدتنى عـامرٌ عـن وِراثةٍ أَبَى اللهُ أَن أَسمُو بـأُمٍّ ولا أَبِ
ولـكنَّنى أَحمى حِماها وأَتَّقى أَذاها وأَرمى مَن رماها بِمِقْنَبِ

قال أَبو الحسن الأَخفش (فيما كتبه على الكامل) : هذه الأَبياتُ الثلاثة أَوَّلها :

تقول ابنةُ العَمْرِىِّ مالكَ بعدما أَراك صحيحاً ، كالسَّليم المعذَّبِ
فقلتُ لهـا : همِّى الذى تعَلمينه من الثـأْر فى حَيَّىْ زُبيدٍ وأَرحَبِ
إِنَ اَغزُ زُبَيْدًا أَغزُ قوماً أَعِزَّة مُرَكَّبهم فى الحىّ خير مُركَّبِ
وإِنْ أَغزُ حَيَّىْ خثْعمٍ فدماؤهم شِفاءٌ ، وخير الثَّأْر للمتـأَوِّبِ
فما أَدرك الأَوتارَ مثلُ محقّـق بـأَجردَ طاوٍ كالعسيب المشذَّبِ
وأَسمرَ خَطِّى وأَبيضَ باترٍ وزَغْفٍ دلاصٍ كالغدير المثوَّبِ
سلاحُ امرئٍ قد يعلم الناسُ أَنَّه طَلوبٌ لثارات الرِّجال مُطلَّبِ

فإِنى وإِنْ كنتُ . . . . إِلى آخر الأَبيات الثلاثة .

قال الأَخفش: السَّليم: الملدوغ ، وقيل له سليمٌ تفاؤلاً له بالسَّلامة . وزُبيد وأَرحبُ : قبيلتان من اليمن . والثَّأْر : ما يكون لك عند من أَصاب حميمك من التِّرة . والمتأَوِّب : الذى يـأْتيك لطلب ثأْره عندك ،

يقال: آب يئوب ، إذا رجع . والتأوّب في غير هذا : السَّيْر بالنهار بلا توقُّف . والأَوتار والأَحقاد واحدُهُما وِتر وحِقد . والأَجرد : الفرس المتحسِّر الشعر[1] ، والضامر أَيضاً . والعَسيب : السَّعفَة . والمشذَّب : الذى قد أُخذ ما عليه من العُقَد والسُّلاَّءِ والخُوص . ومنه قيل للطَّويل[2] مشذَّب . وخطِّيٌّ : رمحٌ نسب إلى الخَطِّ ، وهى جزيرة بالبحرين يقال إنَّها تنبت الرماح . وقال الأَصمعى : ليست بها رماح ولكنَّ سفينةً كانت وقعت إليها فيها رِماحٌ وأُرفِئتْ بها فى بعض السنينَ المتقدِّمة ، فقيل لتلك الرماح الخطِّيَّة ، ثم عَمَّ كلَّ رمحٍ هذا النسبُ إلى اليوم .
٥٢٩ والزَّغْف : الدَّروع الرَّقيقة الدقيقة النسج[3] . والمثوِّب : الذى تصفِّقه الرياح فيذهب ويجيءُ . وهو من ثاب يثوب إذا رجع . وإنَّما سمِّى الغدير غديراً لأَنَّ السَّيل غادره . اهـ .

وقد أَورد العينى رواية الأَخفش وفسَّر جميع الأَبيات وقال : الأَوتار جمع وِتر بالكسر : الجناية . والطاوى : ضامر البطن . والأَسمر : الرُّمح . والأَبيضُ : السَّيف . والباتر : القاطع . والزَّغْف ، بفتح الزاى وسكون الغين المعجمَة : جمع زَغَف بفتحتين ، وهى[4] الدرع الواسعة . ومَنْكِب ، بفتح الميم وكسر الكاف : أَعوان العرفان ، وقيل رأْس العرفاء

(١) تحسر الوبر عن البعير ، والشعر عن الحمار ، إذا سقط . ومنه قوله :

تحسرت عقـة عنـه فأنسلهـا   واجتاب أخرى حديداً بعد ما ابتقلا

وفى النسختين : « المنحسر » صوابه فى الكامل .

(٢) فى الكامل : « للطويل المعرق » .

(٣) الذى فى الكامل : « والزغف : الدرع الرقيقة النسج » . والزغف لفظ مشترك بين المفرد والجمع ، كما فى اللسان . وفى القاموس : « درع زغف ودروع زغف أيضاً » . ومثله « الفلك » مشترك بين المفرد والجمع أيضاً للسفينة والسفائن، وكذلك « الجنب » للواحد والجمع .

(٤) ش : « وهو » .

مِن النِّكابة ، وهى العِرافة والنِّقابة . وروى بدله : « بمقنب » بكسر الميم وفتح النون : جماعة الخيل والفُرسان . انتهى المراد منه .

وترجمة عامر بن الطفيل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والستين بعد المائة[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد السمائة[(٢)] :

٦٣٣ (كأَنَّ أَيدِيهِنَّ بالقاعِ القَرِقْ

أَيدِى جَـوارٍ يتعاطَيْنَ الوَرِقْ)

على أَنَّ تسكين الياءِ من (أَيديهنَّ) ضرورة ، والقياس فتحها .

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة الحسن : ﴿ أَو يعفُو الذى ﴾ ساكنة اللام : وسكونُ الواو من المضارع فى موضع النصب قليل ، وسكون الياءِ فيه أَكثر . وأَصل السكونِ فى هذا إِنَّما هو للأَلف لأَنَّها لا تحرَّك أَبداً ، ثم شبهت الياءُ بالأَلف لقربها منها ، فجاءَ عنهم مجيئاً كالمستمرّ ، نحو قوله :

كأَنَّ أَيديهنَّ بالموماةِ أَيدى جوار بِتْن نَاعماتِ

وقال الآخر :

* كأَنَّ أَيديهنَّ بالقاع القَرِقْ *

وقال الآخر :

* يا دارَ هندٍ عَفَتْ إلاَّ أَثافِيها[(٣)] *

(١) الخزانة ٣ : ٨٠ – ٨٢ .

(٢) الخصائص ١ : ٢٩١ ، ٢/٣٠٦ والمحتسب ١ : ١٢٦ ، ٢٨٩ والعمدة ٢ : ١٩٣ وأمالى المرتضى ١ : ٥٦١ وابن الشجرى ١ : ١٠٥ وشرح شواهد الشافية ٤٠٥ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٩ .

(٣) البيت للحطيئة فى ديوانه ١١١ . وعجزه :

* بين الطوى فصارات فواديها *

وكان أبو العباس المبرِّد يذهب إلى أنَّ إسكان هذه الياءِ فى موضع النَّصب من أَحسن الضَّرورات ، وذلك لأَنَّ الأَلف ساكنةٌ فى الأَحوالِ كلِّها ، فكذلك جُعلت هذه ، ثم شبِّهت الواو فى ذلك بالياء ، فقال الأَخطل :

إذا شئت أَن تَلهُو ببعضِ حديثها
رَفَعْنَ وأَنزلْنَ القطينَ المولَّدا[1]

وقال الآخر :

* أَبَى اللهُ أَن أَسمو بأُمٍّ ولا أَبِ *

فعلى ذاك ينبغى أَن تُحمل قراءة الحسن : ﴿أَو يَعْفُو الذى[2]﴾ فقال ابن مجاهد : وهذا إنَّما يكون فى الوقف . فأَمَّا فى الوَصل فلا يكون . وقد ذكرنا ما فيه . وعلى كلٍّ حال فالفتح أَعرَف . ا هـ .

وقال ابن الشجرى (فى أَماليه) : قال المبرِّد : هذا من أَحسن الضَّرورات لأَنَّهم أَلحقوا حالة بحالتين ، يعنى أَنهم جعلوا المنصوب كالمجرور والمرفوع ، مع أَنَّ السكونَ أَخفُّ الحركات . ولذلك اعترضوا على إسكان الياءِ فى ذوات الياءِ من المركَّبات نحو مَعديكرب وقالى قلا . ا هـ.

والبيتان من الرَّجز نسبهما ابن رشيق (فى العمدة) إلى رؤبة بن العجَّاج ، ولم أَرهما فى ديوانه .

وضمير أَيديهن للإبل . والقاع هو المكان المستوى . والقرق ، بفتح القاف الأُولى وكسر الراءِ : الأَملس . وجوار ، بفتح الجيم : جمع جارية .

(١) ديوان الأخطل ٩١ . رفعن : أسرعن السير . أنزلن القطين ، أى أنزلن خدمهن لئلا يسمعوا كلامهن .
(٢) من الآية ٢٣٧ فى سورة البقرة .

ويتعاطين ، أى يناول بعضهن بعضاً . والورِق : الدراهم . وفى التنزيل : ﴿ فابعثُوا أحدكُمْ بورِقِكُم هذِه [(١)] ﴾ : كذا فى أمالى ابن الشجرى .

٥٣٠ وقال الشريف المرتضى رحمه الله تعالى (فى أماليه) : القَرق : الخشن الذى فيه الحصى . وشبّه حذف مناسمهن له بحذف جوارٍ [(٢)] يلعبن بدَرَاهمَ . وخصَّ الجوارىَ لأَنَّهنَّ أخفُّ يداً من النساءِ . وقال آخرون : القرق هنا المستوِى من الأَرض الواسعُ . وإنَّما خُصَّ بالوصف لأَنَّ أَيدىَ الإبل إذا أسرعت فى المستوِى فهو أَحمدُ لها ، وإذا أبطأَت فى غيره فهو أَجهَدُ لها [(٣)] .

تتمـــــة

أَورد الشَّارح المحقق بعد هذا الشعر المثلَ المشهور : « أَعط القوسَ باريها » ، وقال: قد يقدر نصب الياءِ فى السَّعة أَيضاً . وذكر المثل ، فإنَّ باريها مفعول أَعط ، وهو ساكن الياءِ . وهو فى هذا تابعٌ للزمخشرىِّ (فى المفصل) . قال الميدانى (فى أَمثاله) : أَى استعنْ على عملك بأَهل المعرفة والحِذق فِيهِ . ويُنشد :

يابارىَ القوس برياً لست تُحسِنها لا تُفسِدَنْها وأَعط القوسَ باريها

قال شارح أَبياته ابن المستوفى : قرأْته على شيخنا أَبى الحرم مَكِّىِّ ابن ريَّان (فى الأَمثال لأَبى الفضل أَحمد بن محمد الميدانى) : أَعطِ القوس باريَها بفتح ، وكان فى الأَصل « ليس يُحسنه » فأَصلحه وجعلَه

---

(١) من الآية ١٩ فى سورة الكهف .

(٢) وكذا فيما نقل عنه البغدادى فى شرح شواهد الشافية . لكن الذى فى أمالى المرتضى : « شبه خذف مناسمهن له بخذف جوار » بالخاء المعجمة فى الموضعين ، وكلاهما صواب وإن كان استعمال الخاء المعجمة فى سير الإبل هو الأكثر فى الاستعمال .

(٣) أى أشد إجهاداً . وفى أمالى المرتضى : « فهو أحمد لها » ، وما هنا صوابه .

« برياً لست تحسنها » وهو كذلك فى نسخ كتاب الميدانى . ولعلَّ الزمخشرى إنَّما أَراد بالمثل آخر هذا البيت المذكور ، فأَورده على ما قاله الشاعر ، لا على ما ورد من المثل فى النثر ، فإِنَّه ليس بمحلٍّ ضرورة . ويُروَى :

يابارىَ القوس برياً ليس يصلحُه　　لا تظلم القوسَ وَاعطِ القوسَ باريها

والأَوَّل أَصحّ . ويجوز أَن يسكن ياءَ باريها وإِن كان مثلاً برأْسه ، على ما تقدَّم تعليله . ا هـ .

والمشهور تسكين يائه .

وقد أَورده الزمخشرى (فى أَمثاله) وقال : قيل إِنَّ الرواية عن العرب : « باريها » بسكون الياءِ لا غير. يُضرَب فى وجوب تفويض الأَمر إِلى من يحسنه ويتمهَّر فيه . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد السمائة ، وهو من شواهد س[1] :

٦٣٤ (فاليَومَ أَشْرَبْ غير مَستحقِبٍ　　إِثْمًا من اللهِ ولا وَاغِـــــل)

على أَنَّه يقدر فى الضرورة رفع الحرف الصحيح ، كما فى أَشربْ فإِنَّ الباءَ حرفٌ صحيح وقد حذف الضمةُ منه للضَّرورة .

قال سيبويه : وقد يسكَّن بعضهُم فى الشعر ويُشِمّ ، وذلك قول امرئ القيس :

(١) فى كتابه ٢ : ٢٩٧ . وانظر النوادر ٣١٣ والخصائص ١ : ٧٤/٢ : ٣١٧ ، ٣٤٠/٣ : ٩٦ والمحتسب ١ : ١٥ ، ١١٠ وابن يعيش ١ : ٤٨ والمقرب ١١٦ وشذور الذهب ٢١٢ والتصريح ١ : ٨٨ والهمع ١ : ٥٤ وديوان امرئ القيس ١٢٢ ، ٢٥٨ .

فاليوم أَشربْ غيرَ مستحقبٍ . . . البيت

قال الأَعلم : الشاهد فيه تسكين الباءِ من قوله أَشرب فى حال الرفع والوصل . اهـ .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : اعتراض أَبى العباس المبرِّد هنا على الكتاب إِنَّما هو على العربِ لا على صاحب الكتاب ، لأَنَّه حكاه كما سمعَه ، ولا يمكن فى الوزن أَيضاً غيره. وقولُ أَبى العبَّاس: إِنَّما الرواية : فاليوم فاشْربْ ، فكأَنَّه قال لسيبويه : كذبتَ على العرب ولم تسمع ما حكيتَه عنهم . وإِذا بلغ الأَمر هذا الحدَّ من السَّرَف فقد سقطت كُلفَةَ القول معه . وكذلك إِنكاره عليه أَيضاً قولَ الشاعر :

* وقد بدا هَنْكِ من المئزرِ[1] *

فقال : إِنَّما الرواية :

* وقد بدا ذاكِ من المئزرِ *

و « ما أَطيب العِرْس لولا النَّفقَة[2] » . ولو كان إِلى الناس تخيُّر ما يحتمله الموضعُ لكان الرجل أَقومَ من الجماعة به ، وأَوصلَ إِلى ٥٣١
المراد منه . اهـ .

ووقع فى نسخ الكامل للمبرِّد :

* فاليوم أُسقَى غيرَ مستحقبٍ *

فلا شاهدَ فيه على هذا . ورواه أَبو زيد (فى نوادره) كرواية المبرِّد :

---

(١) للأقيشر . وقد سبق فى الشاهد ٣٣٠ .

(٢) وكذا فى المحتسب . وسبق فى ٤ : ٤٨٥ : « ما أطيب العروس » . والعرس بالكسر والعروس : الزوجة . والعرس ، بالضم : طعام الوليمة فى الإملاك .

« فاليوم فاشرب » قالَ أَبو الحسن الأَخفش (فيما كتبه على نوادره) : الرواية الجيِّدة « فاليوم فاشرب » و « اليوم أُسقَى » . وأَما رواية من روى « فاليوم أَشرب » فلا يَجوز[1] عندنا إلاَّ على ضرورة قبيحة ؛ وإن كان جماعةٌ من رؤساءِ النحوِيِّين قد أَجازوا . اهـ .

وهو فى هذا تابعٌ للمبرِّد .

وأَورده ابن عصفورٍ (فى كتاب الضرائر) مع أَبياتٍ مثله وقال : ومن الضرورة حذف علامتَى الإِعراب : الضمة والكسرة ، من الحرف الصحيح تخفيفاً ، إجراءً للوصل مُجرى الوقف ، أَو تشبيهاً للضمة بالضمة من عَضُد، وللكسرة بالكسرة من فخذ وإبل، نحو قول امرئ القيس فى إحدىْ الروايتين :

* فاليوم أَشربْ غير مستحقبٍ *

إلى أَن قال : وأَنكر المبرِّد والزجَّاجىُّ التسكين فى جميع ذلك، لما فيه من إذهاب حركة الإِعراب، وهى لمعنىً ، ورَوَيا موضع فاليوم أَشرب : « فاليوم فاشرَبْ » . والصَّحِيح أَن ذلك جائزٌ سماعاً وقياساً .

أَمَّا القياس فإِنَّ النحويِّين اتفقوا على جواز ذهاب حركة الإِعراب للإِدغام ، لا يخالف فى ذلك أَحدٌ منهم . وقد قرأَت القراءُ : ﴿ مالَكَ لا تـأْمَنَّا[2] ﴾ بالإِدغام ، وخُطَّ فى المصحف بنون واحدة فلم ينكر ذلك أَحدٌ من النحويِّين . فكما جاز ذهابُها للإِدغام فكذلك ينبغى أَن لا يُنكَر ذهابُها للتخفيف .

وأَما السَّماع فثبوت التخفيف فى الأَبيات التى تقدَّمت، وروايتُهما

---

(١) وكذا فى ملحقات نوادر أبى زيد ٣١٤ . وفى ش : « فلا تجوز » بالتاء .

(٢) الآية ١١ من سورة يوسف .

بعضَ تلك الأَبيات على خلاف التخفيف لا يَقدح فى رواية غيرهما. وأيضاً فإنَّ ابن محارب قرأ: ﴿ وبُعولتْهنَّ أَحقُّ بردِّهنَّ[(١)] ﴾ بإسكان التاء. وكذلك قرأ الحسَن[(٢)]: ﴿ وما يَعِدْهُمُ الشَّيطانُ[(٣)] ﴾ بإسكان الدال. وقرأ أيضاً مسلمة ومُحارب: ﴿ وإذْ يَعِدْكُمُ[(٤)] ﴾ بإسكان الدال. وكأَنَّ الذى حسَّن مجىءَ هذا التخفيفِ فى حال السَّعة شدَّةُ اتصال الضمير بما قبله من حيث كان غير مستقلٍّ بنفسه؛ فصار التخفيف لذلك كأَنَّه قد وقع فى كلمة واحدة. والتخفيفُ الواقع فى الكلمة نحو عَضْد فى عَضُد سائغٌ فى حال السَّعة، لأَنَّه لغةٌ لقبائل ربيعة؛ بخلاف ما شبِّه به من المنفصل، فإنَّه لا يجوز إلاَّ فى الشعر. فإن كانت الضمة والكسرة اللتان فى آخر الكلمة علامتَىْ بناءٍ اتَّفق النحويُّون على جواز حذفِهما فى الشَّعر تخفيفاً. انتهى ما أَردنا منه.

وما نقله عن الزجاج مذكورٌ (فى تفسيره) عند قوله تعالى: ﴿ فتوبوا إلى بارئِكم[(٥)] ﴾ من سورة البقرة قال: والاختيار ما رُوى عن أَبى عَمرو أَنَّه قرأ: ﴿ إلى بارئْكم ﴾ بإسكان الهمزة. وهذا رواه سيبويه باختلاس الكسر، وأَحسب أَنَّ الرواية الصحيحة ما رَوَى سيبويه فإِنَّه أَضبط لما رُوى عن أَبى عمرو. والإعراب أَشبه بالرِّواية عن أَبى عمرو، ولأَنَّ حذف الكسر فى مثل هذا وحذْفَ الضم إنَّما يأْتى باضطرارٍ من الشعر. وأَنشد سيبويه وزعمَ أَنَّه مما يجوز فى الشعر خاصَّة:

(١) الآية ٢٢٨ من البقرة.

(٢) ط: «أبو الحسن» صوابه فى ش. على أنى لم أجد من نسب هذه القراءة إلى الحسن. بل هى قراءة الأعمش، فى المحتسب ١: ١٩٩ وشواذ القرآن لابن خالويه ٢٩ وتفسير أبى حيان ٣: ٣٥٤ وإتحاف فضلاء البشر ١٩٤.

(٣) الآية ١٢٠ من سورة النساء و٢٧ من سورة الإسراء.

(٤) الآية ٧ من سورة الأنفال.

(٥) الآية ٥٤ من سورة البقرة.

* إذا اعوجَجْنَ قلتُ صاحبْ قوِّمِ[1] *

بإسكان الباءِ . وأنشد أيضاً :

* فاليوم أَشربْ غير مستحقبٍ *

فالكلام الصحيح أن يقول : ياصاحبُ أَقبل، أَو ياصاحِبِ أَقبل ، ولا وجه للإسكان . وكذلك : اليوم أَشربُ ياهذا . وروى غير سيبويه هذه الأَبياتَ على الاستقامة ، وما ينبغى أَن يجوز فى الكلام والشِّعر .

٥٣٢ روَوْا هذا البيت على ضربين :

* فاليوم أُسْقَى غيرَ مُستحقبٍ *

وروَوْا :

* إذا اعوجَجْنَ قلت صاحِ قوِّمِ[2] *

ولم يكن سيبويه ليروىَ إلاَّ ما سمع ، إلاَّ أَنَّ الَّذى سمعه هؤلاءِ هو الثابت فى اللغة . وقد ذكر سيبويه أَنَّ القياس غير الذى رُوى . اهـ .

والبيت من قصيدةٍ لامرئ لقيس . قال عبد الرحمن السَّعدىّ (فى كتاب مساوى الخمر) :

غزا امرؤ القيس بنى أَسدٍ ثائراً بأَبيه ، وقد جمع جموعاً من حِمْيَرَ وغيرهم من ذُؤبان العرب وصعاليكها ، وهربَ بنو أَسدٍ من بين يديه حتَّى أَنضَوُا الإبل وحسَروا الخيل ، ولحقَهم فظفر بهم ، وقتل بهم

(١) لأبى نخيلة الأعرابى . معجم الشواهد ٥٤٠ . وفى النسختين هنا وفى الموضع التالى : « قومى » ، صوابه من سيبويه .
(٢) فى النسختين : « قومى » . وانظر ما سبق .

مقتلة عظيمة ، وأبار[١] حُلْمَةَ بن أسد[٢] ، ومثّل فى عمرٍو وكاهل ابنى أسد .

وذكر الكلبيُّ عن شيوخِ كندة أنّه جعل يسمُل أعينَهم، ويُحمِى الدُّروعَ فيُلبسهم إيّاها .

وروى أبو سعيد السكريُّ مثلَ ذلك ، وأنّه ذبحهم على الجبل، ومزج الماءَ بدمائهم إلى أنْ بلغ الحضيض ، وأصاب قوماً من جُذامٍ كانوا فى بنى أسد . وفى ظَفَرِه ببنى أسد يقول :

قولا لُدودانَ عبيدِ العصا ... ما غرَّكم بالأَسدِ الباسِلِ
لا تسقينِّى الخمرَ إن لم يَرَوْا ... قَتلَى فئاماً بأَبى الفاضلِ[٣]
حتَّى أُبيرَ الحىَّ من مالك ... قَتلًا ومن يَشرُفُ من كاهلِ
ومن بنى غَنْمِ بن دُودانَ إذ ... يُقذَفُ أعلاهمْ على السَّافلِ[٤]
نَعلوهمُ بالبِيض مسنونةً ... حتى يُرَوْا كالخَشَب الشائلِ
حلَّت لىَ الخمرُ وكنت امرأً ... من شُربها فى شُغُلٍ شاغلِ
فاليومَ أشربْ غير مستحقبٍ ... إثماً من اللهِ ولا واغلِ[٥]

قوله : « لدودان عبيد العصا » دُودان بالضم، هو ابن أسد بن خزيمة ، وأراد القبيلة . وكان أبو امرئِ القيس إذا غضِبَ على أحدٍ منهم ضربوه

---

(١) ش : « وأباد » . والإبارة والإبادة سيان ، كلاهما بمعنى الإهلاك . وانظر البيت الثالث من المقطوعة التالية .

(٢) حلمة ، بضم الحاء ، كما فى مختلف القبائل لابن حبيب ٢٤ . وانظر جمهرة ابن حزم ١٩٠ والعقد ٣ : ٣٤٠ . وهم حلمة بن أسد بن خزيمة .

(٣) فى الديوان ٢٥٧ : « لا تسقنى الخمرة إن لم يروا » .

(٤) فى الديوان : « إذ نقذف أعلاهم » .

(٥) فى الديوان : « فاليوم فاشرب » .

بالعصا ، فسُمُّوا عبيد العصا. أى يُعطُون على الضَّرب والهوان . وأَراد بالأَسد الباسل أَباه . والفِئام، بكسر الفاءِ بعدها همزة ممدودة : الجماعة[(١)] .

وأُبير : أُفنِي . ومالك هو ابن أَسد . وأَراد بمن يَشرُف من كاهل عِلباءَ بنَ الحارث ، من بنى كاهل بن أَسد .

وقوله : يُقذَف ، أَى يُرمَى بعضُهم على بعض إذا قُتلوا . والمسنونة : المحدَّدة . والشائل : الساقط .

وقوله : « حَلَّت لىَ الخمر » إلخ قال السعدى (فى مساوى الخمر): إنَّما قال هذا لأَنه لم يكن حضر قتلَ أَبيه ، وكان أَبوه أَقصاه لأَنَّه كره منه قولَ الشعر ، وإنَّما جاءَه الأَعور العجلى بخبره وهو يشرب فقال : « ضيَّعنى صغيراً ، وحمَّلنِى ثِقْل الثأْر كبيراً . اليومَ خمرٌ وغدًا أَمر . لا صحوَ اليومَ ولا سُكر غدًا » . ثمَّ شرِب سبعاً، ثمَّ لمَّا صحا حلف أَن لا يغسلَ رأْسه ولا يشربَ خمراً حتَّى يدركَ ثَأْره . فذلك قوله : « حَلَّت لِىَ الخمر » . وهذا معنًى مازالت العرب تطرُقه . قال الشَّنفرَى يَرْثى خاله تأَبَّط شرًّا[(٢)] ، ويذكر إدراكه ثأْره ، من قصيدةٍ له:

فادَّركنا الثأْر فيهمْ ولمَّـا ... يَنجُ من لِحْيانَ إلاَّ الأَقلُّ
حلَّت الخمرُ وكانت حراماً ... وبلأْيٍ ما أَلمَّتْ تَحِلُّ[(٣)]

وافهَمْ أَنَّهم إنَّما حرموا الخمر على أَنفسهم فى مدَّة طلبهم، لأَنَّها
٥٣٣ مَشغلة لهم عن كريم الأَخلاق والإقبال على الشهرة[(٤)] . اهـ .

---

(١) لا واحد له من لفظه .

(٢) عند التبريزى فى شرح الحماسة . « قال ابن أخت تأبط شراً » . وروى هذا الشعر أيضاً لخلف الأحمر . انظر التبريزى ٢ : ٣١٣ والمرزوقى ٨٢٧ .

(٣) بلأى : أى بعد جهد ومشقة . ط : « وبلائى » ، صوابه فى ش والحماسة . وفى ط أيضاً : « يحلى » صوابه بالتاء كما فى ش والحماسة وأمالى المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٤) ش : « وإقبال على الشهرة » .

قال إسماعيل بن هبةِ الله الموصليُّ (فى كتاب الأَوائل) أَوَّل من اخترع هذا المعنى امرؤُ القيس فى هذا الشعر . . وأَمّا قولُ أَبى نواس :

فى مجلسٍ ضَحِكَ السُّرورُ بــه عن ناجذَيْهِ وحَلَّتِ الخمرُ

فكان نذَر لايشرَبُ حتى يظفر بمن يهوَى . فلما ظفِر به وشرب قال هذا البيت . وكذا أَيضاً قولُ البحتريِّ :

حتَّى نَحُلَّ ، وقدحَلَّ الشَّرابُ لنا جناتِ عدنٍ على السَّاجور أَلفافا[1]

فإِنَّه نذر أَن لايشرب خمراً حتى يصير إِلى بلده ، فلمَّا صار إِليه حلَّ له الشراب . اهـ .

وبيت أَبى نواس ، قبلَه :

ظلَّتْ حُميَّا الكاسِ تبسُطُنــا حتَّى تهتَّك بيننا السِّترُ

قال السيد المرتضى ، قدس الله روحه (فى أَماليه) : قوله : « وحَلَّتِ الخمر[2] » يحتمل أَنَّ ماوصَف به من طِيب الموضع[3] وتكامل السُّرور به وحضور المأْمول فيه[4] ، صار مقتضياً لِشُربِ الخمر ، وملجِئاً إِلى تناولها ، ورافعاً للحَرَج فيها ، على مذهب الشُّعراءِ فى المبالغة . وتكون فائدة وصفها بأَنَّها حَلَّت ، المبالغةَ فى وصف الحالِ بالحُسْن والطِّيب . ويحتمل أَيضاً أَن يكونَ عقدَ على نفسه وآلَى أَن لا يتناول الخمر إِلَّا بعد

(١) من قصيدة له فى ديوانه ١٣٨٢ تحقيق الصيرفى ، يمدح بها أبا جعفر الطائى . وضمير « تحل » عائد إلى « الخيل » فى بيت سابق ، وهو :

أزاجر أنا جرد الخيــل أجشمهــا سيراً إلى الشــام إغــذاذاً وإيجافا

جنات ألفاف يلتف : بعض شجرها ببعض . والساجور : نهر بمنبج من الشام .

(٢) ط : « حلت لى الخمر » ، صوابه فى ش ، وذلك لأن المرتضى إنما يعلق على بيت أبى نواس: « فى مجلس ضحك السرور » . وانظر أمالى المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٣) ط : « المواضع » ، صوابه فى ش وأمالى المرتضى .

(٤) فى بعض أصول الأمالى : « وحصول المأمول فيه » .

الاجتماعِ مع محبوبه ، فكان الاجتماعُ معه مُخرِجاً عن يمينه ، على مذهب العرب فى تحريم الخمر على نفوسهم إلى أَنْ يأْخذوا بثأرهمْ. ويحتمل أيضاً أن يريد بحَلَّت : نزلت وأقامت ، من الحلول الذى هو المُقام لا من الحَلال ، فكأنَّه وصف [بلوغ[١]] جميع آرابه ، وحضورَ فنونِ لذَّاته ، وأنَّها تكاملت بحلول الخمر التى فيها جماع اللذَّات . وهذا الوجه وإنْ لم يُشَرْ إليه[٢] فالقول يحتمله . ولا مانع من أن يكون مرادًا . وقد قيل إنَّه أراد : إذا استحللنا الخمر سكرنا[٣] ، وفقدنا العقول التى كنا نمتنع لها من الحرام . والوجوهُ المتقدِّمة أشبَهُ وأقرب إلى الصواب . ا هـ .

وقوله : « فاليوم أَشربْ » إلخ غيرَ حالٌ من ضمير أشرب . (والمستحقب) : المكتسِب ، وأصله من استحقب : أى وَضَع فى الحقيبة ، وهى خُرجٌ يُربط بالسَّرج خلف الراكب . (وإثْما) مفعول مستحقب . كأَنَّ شربها بعد وفاءِ النذر لا إثم فيه بزعمه . و (واغل) معطوف على مستحقب ، والواغل : الذى يأْتى شرابَ القوم من غير أن يدعَى إليه ، وهو مأْخوذٌ من الوغول وهو الدُّخول . ومعناه أَنَّه وَغَلٌ فى القوم وليس منهم .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[٤] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الستمائة[٥] :

(١) التكملة من أمالى المرتضى فقط .

(٢) فى الأمالى : « وإن لم يشر إليه أحد ممن تقدم » .

(٣) ش : « انا استحللنا الخمر » ، صوابه فى ط . على أن الذى فى الأمالى : « إنه أراد استحللنا الخمر لسكرنا » .

(٤) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٥) الخصائص ١ : ٣٠٧ والمنصف ٢ : ١١٥ وسر الصناعة ١ : ٨٩ والمخصص ١٣ : ١٤/٢٥٨ : ٩ والإنصاف ٢٦ وابن يعيش ١٠ : ١٠٤ ، ١٠٦ والممتع ٥٣٨ وشرح شواهد الشافية ٤٠٩ والتصريح ١ : ٨٧ والعينى ١ : ٢٣٦ والهمع ٢ : ٥٢ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٩ .

٦٣٥ (ولَا ترضَّاها ولا تَملَّقِ)

على أَنَّ حرف العلة قد لا يحذف للجازم فى الضرورة .

قال أَبو على (فى إيضاح الشعر) فى باب ما كان لامه من الأَفعال حرفَ علَّة : قال الشاعر :

هجوتَ زبَّانَ ثم جئتَ معتذرًا من هجو زَبَّانَ لَمْ تهجُو ولم تَدَعِ

وقال :

* أَلم يأْتيكَ والأَنباءُ تنمِى[1] *

وقال آخر :

* ما أَنس لا أَنساه آخر عيشَتى[2] *

هذه الحروف قد تحذف فى موضع الجزم فى الاختيار ، كما تحذف[3] النون فى التَّثْنية والجمع وفعل المؤنَّثة المخاطبة . وربَّما لم تحذف فى الشعر . فقدَّر الشاعرُ فى الواو والياءِ الحركةَ كالأَبيات الّتى قدَّمناها ، فتشبَّه الأَلف بالياءِ فى نحو لا أَنساه فى البيت ، ونحو قوله : ٥٣٤

إذا العجوزُ غضِبتْ فطلِّقِ ولَا تَرضَّاها ولا تَملَّقِ

ويدلُّ على تقدير الشاعر الحركةَ فى الياءِ والواوِ وحذفِها فى الضرورة أَنَّ سيبويه[4] زعم أَنَّ أَعرابياً أَفصحَ الناس من كُليب ، أَنشَد لجرير :

فيوماً يُوافينَ الهوى غير ماضىٍ ويوماً ترى منهن غُولًا تَغَوَّلُ

اهـ . وكذا قال ابن جنى (فى سر الصناعة ، وفى الخصائص) ، وشرحَهُ

---

(١) لقيس بن زهير ، وهو الشاهد التالى .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٨٦ . وفى ش : « عيشى » تحريف .

(٣) ط : « كما حذفت » ، وأثبت ما فى ش .

(٤) فى كتابه ٢ : ٥٩ .

شرحاً واضحاً (فى شرح تصريف المازنى). وزاد (فى سر الصناعة) أَنَّ بعضهم رواه على الوجه الأَعرف :

* ولا ترضَّها ولا تملَّقِ *

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ينبغى أَنْ تجعل لا فى قوله « ولا ترضَّاها » نافية ، والواو فيه للحال ، مثلُها فى قُمْتُ وأَصكُّ وجهه ، فيكون المعنى إذا ذاك : فطلِّقْها غير مترَضٍّ لها ، ويكون قوله ولا تَملَّقِ جملةَ نهى معطوفةً على جملة الأَمر التى هى طلِّقْ . ولا ينبغى أَن تجعل لاحرفَ نهى ، لأَنَّها لو كانت للنهى لوجب حذفُ الأَلف من ترضَّاها . ا هـ . وينبغى أَن يكون على هذا جملة « لا ترضَّاها » خبر مبتدإ محذوفٍ ، أَى وأَنت لاتترضَّاها .

صاحب الرجز والبيتان من رجز لرؤبْة بن العجَّاج . وبعده :

واعمِدْ لأُخرَى ذاتِ دلٍّ مونقِ لَيِّنةِ المسِّ كمسِّ الخِرنقِ

هكذا أَورَده أَبو محمَّد الأَعرابى (فى ضالَّة الأَديب) .

وقولهُ : « إذا العجوزُ غضبت » روى أَيضًا : « كبرت » بدل غضبت. والترضِّى والاسترضاء بمعنًى . قال الجوهرى : يقال تملَّقه وتملَّق له تملُّقا وتِمِلَّاقاً ، أَى تودَّد إليه وتلطَّف له . واعِمْد بمعنى اقصِد . والدَّلُّ بفتح الدال ، بمعنى الدلالِ والغُنْج . ومونق : اسم فاعل من أَنِق الشىءُ أَنَقاً من باب تعب(١) ، أَى راع حسنُه وأَعجب . والخِرنق بكسر الخاءِ المعجمة والنون وسكون الراءِ بينهما : ولد الأَرنب .

وترجمة رؤْبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أَول الكتاب(٢) .

* * *

(١) كذا . والصواب أنه من آنقنى الشىء إيناقاً ، أى أعجبنى .
(٢) الخزانة ١ : ٨٩ — ٩٣ .

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الستمائة [وهو من شواهد س[1]] :

٦٣٦ (أَلم يـأْتِيكَ والأَنباءُ تَنْمِى)

لمـا تقدَّم فى البيت قبله .

وأَوردَه سيبويه فى موضعين من كتابه على أَنَّه أَثبت الياءَ فى حال الجزم ضرورة ، لأَنَّه إذا اضطُرَّ ضمَّها فى حال الرفع تشبيهاً بالصحيح .

قال الأَعلم : وهى لغةٌ ضعيفة ، فاستعملها عند الضرورة . ا هـ .

وهذا قول الزجاجى (فى الجمل) ، وتبعه الأَعلم .

قال ابن السِّيد (فى شرح أَبياته) : وقوله إِنَّه لغةٌ خطأٌ .

ومثله للصَّفَّار (فى شرح الكتاب) قال : إثبات حرف العلة فى المجزوم ضرورةٌ ، نحو : أَلم يـأْتيك . وقيل إِنَّه لغةٌ ، يعربُ بحركاتٍ مقدَّرة . والصحيح أَنَّه ليس لغة ، ولا أَعلم من قاله غير الزجَّاجى ، ولاسندَ له فيه . ومِمَّا يدلُّ على أَنَّه غير معرب بحركات مقدَّرة أَنَّهم لايقولون لم أَخشى[2] ؛ لأَنَّه لا يظهر فيه حركة بوجهٍ، بخلاف الياء . فإِنْ قلتَ : أَنَّه سمع فى قولِه تعالى : ﴿ لاتَخَفْ دَرَكاً ولاتَخْشَى[3] ﴾ ، وقوله : ٥٣٥

إذا العجوزُ غضبت فطلِّقِ ...... البيت

(١) التكملة من الشنقيطية ، وانظر سيبويه ١ : ٥٩ : ٢/١٥ ونوادر أبى زيد ٢٠٣ والجمل ٣٧٣ والخصائص ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٧ والمحتسب ١ : ٦٧ ، ١٩٦ ، ٢١٥ والمنصف ٢ : ٨١ ، ١١٤ ، ١١٥ وسر الصناعة ١ : ٨٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٨٤ ، ٨٥ ، ٢١٥ والإنصاف ٣٠ وابن يعيش ٨ : ٢٤/١٠ : ١٠٤ والمقرب ٤ ، ٤٣ والمغنى ١٠٨ ، ٣٨٧

(٢) ش : « لم أتخشى » .

(٣) الآية ٧٧ من سورة طه . وهذه هى قراءة حمزة والأعمش وابن أبى ليلى . تفسير أبى حيان ٦ : ٢٦٤ وإتحاف فضلاء البشر ٣٠٦ .

قلت : لا دليل فِيه كما زعمت ، لأَنَّ الأَول مقطوع ، أى وأَنت لا تخشى ، أَى فى هذه الحال . وكذا ولاترضَّاها ، أى طلقها وأَنت لا تترضَّاها ، ثم قال ولا تملَّق ، فلا دليل فيه . ا هـ .

وقال ابن خلف: هذا البيت أَنشده سيبويه في باب الضَّرورات ، وليس يجب أَن يكون من باب الضَّرورات ، لأَنه لو أُنشد بحذف الياءِ لم ينكسر ، وإِنَّما موضع الضرورة ما لا يجد الشاعر منه بدًّا فى إِثباته ولا يقدر على حَذْفه لئلَّا ينكسر الشعر ، وهذا يسمَّى فى عروض الوافِر المنقوصَ ، أَعنى إِذا حُذف الياءُ من قوله : « أَلم يأْتيك » .

هذا كلامه ، ولا يخفى أَنَّ ما فسَّر به الضرورة مذهبٌ مرجوح . والتحقيق عند المحققين أَنَّها ما وقع فى الشِّعر سواءٌ كان للشَّاعر عنه مندوحةٌ أَم لا .

وقال ابن جنى (فى فصل الهمزة من سرِّ الصناعة) : رواه بعضُ أَصحابنا: « أَلم يأْتِك » على ظاهر الجزم ، وأَنشدهُ أَبو العباس عن أَبى عثمان عن الأَصمعىّ :

* أَلا هَلَ اَتاكَ والأَنباءُ تنمِى * ا هـ.

فالأَوّل فيه الكفّ ، والثانى فيه نقل حركة الهمزة من أَتاك إِلى لام هل وحذفُها . ورواه بعضهم :

* أَلم يبلغْك والأَنباءُ تنمِى *

فلا شاهد فيه على الروايات الثلاث .

والبيت أَورده ابن هشام (فى موضعين من المغنى) :

أَحدهما : فى الياءِ قال : الياءُ فى قوله بما زائدة فى الضرورة . وقال

ابن الضائع : الباءُ متعلقة بتَنْمِى وإنَّ فاعلَ يأْتى مضمر ، والمسأَلة من باب الإِعمال[(١)] .

وثانيهما : فى الجملة المعترضة من الباب الثانى، قال : جملة والأَنباءُ تنمى معترضة بين الفعل والفاعل ، على أَنَّ الباءَ زائدة فى الفاعل . ويحتمل أَنَّ يأْتى وتنمى تنازعَا، فأَعمل الثانىَ وأَضمر الفاعل فى الأَوّل ، فلا اعتراض ولازيادة . ولكن المعنى على الأَوّل أَوجَه ، إذ الأَنباءُ من شأْنها أَن تنمِىَ بهذا وبغيره . ا هـ .

يريد أَنَّ يأْتى وتنمى تنازعَا قوله بما ، والأول يطلبه للفاعليَّة، والثانى يطلبه للمفعوليَّة ، فأَعمل الثانىَ على المختار ، وأَضمر الفاعل فى الأَوّل وهو ضمير ما لاقت .

وقال الأَعلم ، وابن الشجرى (فى أَماليه) : الباءُ زائدة بمنزلتها فى : ﴿ كفىَ باللهِ شَهيداً[(٢)] ﴾ . وحسَّن دخولَها فى ما أَنَّها مبهمة مبنيَّة كالحرف، فأَدخل عليها حرف الجر إشعاراً بأَنَّها اسم ، والتقدير : أَلم يأْتيك مالاقت . ويجوز أَن تكون متّصلة بيأْتيك على إضمار الفاعل ، فيكون التقدير : أَلم يأْتيك النبأُ بما لاقت . ودلَّ على النبإِ قوله : «والأَنباءُ تنمى» أَى تشيع . وأَصله من نمى الشىءُ ينمِى ، إذا ارتفعَ وزاد . ا هـ .

وعلى هذا لاتنازع . وفيه الاعتراض بالجملة . وقولُ ابن هشام إنَّ زيادة الباءِ هنا ضرورة هو قول ابن عصفور ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنها زيادة حرف الجر فى المواضع التى لاتُزاد فيها فى سعة الكلام ،

---

(١) يعنى باب التنازع .
(٢) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء .

نحو: ألم يأتيك . البيت فزاد الباءَ فى فاعل يأتى ، وزيادتها لا تنقاس فى سَعة الكلام إلّا فى خبر ما ، وخبر ليس ، وفاعل كفى ومفعوله ، وفاعل أفعِلْ بمعنى ما أفعله . وما عدا هذه المواضعَ لا تُزاد فيه الباءُ إلّا فى ضرورةٍ ، أوشاذٍ مِن الكلام يُحفَظ ولا يقاس عليه . ا هـ .

وقال ابن جنى (فى المحتسَب) : زاد الباءَ فى « بما لاقت » لمَّا كان معناه : ألم تسمع ما لاقت لبونُهم .

هذا كلامهُ ، وكأنه على التضمين . وفيه بعدٌ .

٥٣٦ وقال ابن المستوفى ، وابن خلف : ويجوز أن يكون « لبون » فاعل يأتى على تقدير مضاف ، أى ألم يأتيك خبر لَبونهم ، ويكون فى لاقت ضميرٌ يعود إلى لبون ، ويكون لبون فى نيَّة التَّقديم . وعلى هذا تكون الباءُ متعلِّقة بيأتى ، وفيه التنازع على إعمال الأوّل على خلاف المختار . وفيه تعسُّف لتقدير المضاف فى الأوَّل وعدمه فى الثانى . والكاف فى يأتيك لمخاطب غير معيَّن ، أى يا من يصلُح للخطاب . و (الأنباءُ) : جمع نبأ وهو خبَرٌ له شأن . و (اللَّبُونَ) قال أبو زيد : هى من الشاءِ والإبل[1] : ذات اللبن ، غزيرةً كانت أم بكيئة . فإذا قصَدُوا قَصْدَ الغزيرةِ قالوا لَبنة . وقال ابن السِّيد ، وتبعه ابن خلف : اللَّبون : الإبل ذوات اللبن ، وهو اسمٌ مفرد أراد به الجنس .

وبنو زياد هم الكمَلة : الربيع ، وعمارة ، وقيس ، وأنس ، بنو زِياد ابن سفيان بن عبد الله العبسى . وأُمُّهم فاطمة بنت الخُرشُب الأنماريّة . والمراد لبون الرَّبيع بن زياد ، فإنَّ القصَّة معه فقطْ كما يأتى بيانها .

(١) ش : « هى من الإبل والشاء » .

كما يقال : بنو فلان فَعَلوا كذا ، إذا كان الفاعل بعضهم ، وأسند الفعل إلى الجميع لرضاهم بفعل البعض .

ومثل هذا البيت قولُ عُفَيف بن المنذِر (١) :

أَلم يأْتيكَ والأَنباءُ تنمِى ... بما لاقت سَراةُ بنى تميمِ
تَداعَى من سَرَاتِهمُ رجالٌ ... وكانوا فى النوائر والصَّميمِ (٢)

والبيت أَول أَبياتٍ لقيس بن زُهير بن جَذيمة بن رَوَاحة العبْسى ، وكان سيِّدَ قومِهِ ، ونشأَت بينه وبين الربيع بن زياد العبسى شَحناءُ فى شأْن درعٍ ساومه فيها ، ولمَّا نظر إليها وهو على ظهر فرسه وضعَها على القَرَبوس ثم ركض بها فلم يردَّها عليه ، فاعترض قيْسُ بنُ زهير أُمَّ الربيع : فاطمةَ بنتَ الخُرشب المذكورة ، فى ظعائنَ من بنى عبس ، فاقتاد جمَلها ، يريد أَن يرتهنَها بدرعه ، فقالت له : ما رأَيتُ كاليوم قطُّ فِعْلَ رجل ! أَين ضلَّ حِلمك ياقيس ؟ أَترجو أَن تصطلح أَنت وبنو زياد أَبداً وقد أَخذتَ أُمَّهم فذهبتَ بها يميناً وشمالا ، فقال الناسُ فى ذلك ماشاءُوا أَن يقولوا ؟ وحسبُك من شَرٍّ سماعُه ! فأَرسلتْها مثلا . فعرفَ قيسٌ ما قالت فخلَّى سبيلَها ، ثم طرد إبلاً له ، وقيل إبلَه وإبلَ إخوته ، فقدِم بها مكَّة ، فباعها من عبد الله بن جُدْعان التيميّ ، معاوَضةً بأَدراعٍ وسيوف . ثمَّ جاورَ ربيعة بنَ قُرط بن سلمة بن قُشَير ، وهو ربيعة الخير ، ويكنى أَبا هلال .

---

(١) أحد بنى عمرو بن تميم ، ذكره سيف فى الفتوح ، وأنه شهد مع العلاء بن الحضرمى فى قتال الحطم ، وأبلى فيه بلاء حسناً . الإصابة ٦٤٢٩ . وانظر الطبرى ٣ : ٢٦٩ فى خبر بنى تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سويد . وكان الحطم بن ضبيعة قد أدرك الإسلام فأسلم ثم ارتد .

(٢) الطبرى : « وكانوا فى الذوائب » ، وهو الوجه . والذوائب : الرؤساء ، وذؤابة كل شىء : أعلاه . ومنه قول الأخنس بن شهاب فى المفضليات ٢٠٨ :

أرى كل قوم ينظرون إليهم ... وتقصر عما يفعلون الذوائب

وفاطمة الأَنمارية هى إحدى المنجبات . وسئلت عن بنيها : أَيُّهم أَفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل قيس ، لا بل أَنس ، ثكلتُهم إنْ كنت أَدرى أَيُّهم أَفضل ، همْ كالحلْقة المفرَغة لا يُدرَى أين طرَفاها .

أبيات الشاهد وكانت امرأَةً لها ضيافةٌ وسُودُد . والأَبيات هذه بعد الأَوَّل :

(ومحبَسُها على القرشيِّ تُشرَى ... بأَدراع وأَسيافٍ حِدادِ
كما لاقيتُ من حَمَل بن بدرٍ ... وإخوته على ذاتِ الإصادِ
همُ فخرُوا علىَّ بغير فخرٍ ... وردُّوا دونَ غايته جَوادى
وكنتُ إذا مُنِيتُ بخَصمٍ سَوءٍ ... دلفتُ له بداهيَةٍ نآدِ
٥٣٧ بداهية تدُقُّ الصُّلبَ منهمْ ... بقَصمٍ أَو تَجوبُ على الفؤادِ[(١)]
أُطوِّف ما أُطوِّف ثم آوِى ... إلى جارٍ كجار أَبى دُوادِ
منيعٍ وسطَ عِكرمةَ بنِ قيس ... وهُوبٍ للطَّريف وللتِّلاد
تظَلُّ جيادُه يَعْسِلْن حولى ... بذات الرِّمث كالحِدَإِ العوادِى
كفانى ما أَخاف أَبو هلال ... ربيعةُ فانتهت عَنِّى الأَعادى
كأَنِّى إذْ أَنختُ إلى ابن قُرط ... أَنختُ إلى يَلَمْلَم أَونَضَادِ)

وقوله : « ومحبسُها » بالرفع معطوف على فاعل يأْتيك، وهو ما لاقت، أَو لبون ، وبالجرّ عطفاً على مدخول الباءِ إن كان الفاعل ضمير النَّبأ . والمحبَس : مصدر مِيمىّ .

والقرشىُّ هنا هو عبد الله بن جُدعان ، بضم الجيم ، ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مرَّة القرشى . وعبد الله من أَجواد قريش فى

---

(١) ط : « عن الفؤاد » ، وأَثبت ما فى ش والأغانى ١٥ : ٢٨ .

الجاهليَّة . وشذَّ ابن السِّيد فى قوله : إنَّ قيساً لمَّا قدِم مكة بإبلِ الربيع باعها لِحربِ بن أُميَّة وهشامِ بن المغيرة ، بخَيلٍ وسلاح .

وتُشْرَى ، بالبناءِ للمفعول ، الجملة حال من ضمير المؤنث فى مَحبسها . وقالوا : هو بمعنى تباع . ويجوز أن يكون المعنى يشتريها القرشىُّ ، فالجملة حالٌ من القرشى .

وفى هذا البيت بيانٌ لما لاقته لَبُونُ بنى زياد ، وافتخارٌ وتبجُّح بما فعله مِنْ أَخْذِ إبله وبيعها بمكة .

وقوله : « كما لاقيتُ » قال ابن الشجرى : العامل فيه محذوف تقديره : لاقيتُ منهم كما لاقيت من حَمَل بن بدر .

ومثله فى حذف الفِعل منه للدَّلالة عليه ، قول يزيد بن مفرِّغ الحميرىّ :

لا ذَعرتُ السَّوامَ فى وَضَح الصُّبْـ ـحِ مغيرًا ولا دُعيتُ يزيدا
يومَ أُعطَى من المخافة ضَيماً والمنايا يرصُدننى أن أَحيدا[1]
طالعاتٍ أَخذْنَ كلَّ سبيل لا شقيًّا ولا يدَعْنَ سعيدا

أراد : لا يدعن شقياً ، فحذف . انتهى .

وذات الإصاد ، بكسر الهمزة : موضع .

حرب داحس والغبراء

وهذا البيت وما بعده إشارةٌ إلى حرب داحسٍ والغبراءِ ، وهذا إجمالها (من كتاب الفاخر للمفضَّل بن سلمة) قال : داحسٌ : فرسُ قيس بن زهير العَبْسى ، والغبراءُ : فرس حُذيفة بن بدرٍ الفَزارىّ . وكان من حديثهما أَنَّ رجلا من بنى عبس يقال له قِرواش بن هُنَىّ ، مارَى حملَ

(١) ط : « يوم أعطى من النحافة » ، صوابه فى ش مع أثر تغيير . وفى ديوانه ٧٢ والأغانى ١٧ : ٥١ : « من مخافة الموت » .

ابن بدرٍ أخا حذيفة، فى داحس والغبْراءِ ، فقال حمل : الغبراءُ أجود . وقال قِرواش : داحسٌ أَجود . فتراهنا عليهما عشرةً فى عشرة[١] . فأَتى قِرواشٌ إلى قيس بن زهير فأَخبره ، فقال له قيس : راهنْ من أَحبَبْت وجَنِّبنى بنى بدر فإِنَّهم يَظلمون ، لقُدرتهم على النَّاس فى أَنفسهم ، وأَنا نَكِدٌ أَبَّاءٌ! فقال قرواش: فإِنِّى قد أَوجبتُ الرِّهان . فقال قيس : ويلك ، ما أَردت إلى أَشأَمِ أَهلِ بيت ؟ والله لتنَفِّلنَّ علينا شرًّا[٢] . ثم إنَّ قيساً أَتى حملَ بن بدر فقال : إنِّى أَتيتُك لأُواضِعَك الرِّهانَ عن صاحِبِى . قال حمل : لا أُواضِعُك أَو تجىءَ بالعشر ، فإِن أَخذتُها أَخذتُ سَبَقى ، وإن تركتُها تركتُ حقاً قد عرفتَه لى وعرفتُه لنفسى . فأَحفَظَ قيساً فقال : هى عشرون . قال حَمَلٌ : ثلاثون . فتزايدا حتَّى بلغ به قيس مائة ، وجعل الغاية مائة غَلوة ــ والغَلوة بفتح المعجمة : مقدار رميةِ سهم ــ فضمَّروهما

٥٣٨ أَربعين يوماً ، ثم استقبل الذى ذرَعَ الغاية من ذات الإِصاد، وهى رَدْهة فى ديار عبس وسط هَضْب القليب ــ قال الأَصمعىُّ : هضب القليب بنجد جبالٌ صغار ، والقليب فى وسط هــذا الموضع ، يقال له ذات الإِصاد ، وهو اسم من أَسمائها . والرَّدهةُ : نُقَيرة فى حَجَر يجتمع فيها الماءُ ــ فانتهى الذَّرْع إلى مكانٍ ليس له اسم . فقادوا الفرَسَيْنِ إلى الغاية وقد عطَّشوهما وجعلوا السابق الذى يردُ ذاتَ الإِصاد وهى ملأَى من الماء . ولم يكنْ ثَمَّ قصبةٌ[٣] . ووضع حملٌ حَيْسا فى دلاءٍ ، وجعله فى شِعْب من شعاب هَضْب القليب على طريق الفرسين ، وكمَّن معه فتياناً وأَمرهم إنْ جاءَ داحسٌ سابقاً أَن يردُّوا وجهَه عن الغاية وأَرسلوهما من منتهى الذَّرْع ، فلما دنَوا وقد برز داحسٌ وثب الفِتيانُ

(١) فى الفاخر ٢١٩ : « عشراً إلى عشر ». فالتذكير للنوق ، والتأنيث للإبل .
(٢) التنفيل : الزيادة . وفى الفاخر : « لتنغلن » بالغين المعجمة ، وما هنا صوابه .
(٣) فى الفاخر : « ولم يكن ثم قصبة ولا شىء غير هذا » .

فلطموا وجهَ داحس فردُّوه عن الغاية . فقال قيس : ياحُذيفة أعطِني سَبَقِى . وقال الذى وُضِع عنده السَّبَق : إنَّ قيساً قد سبق ، وإنَّما أَردتُ أَن يقال سبق حذيفة ، وقد قيل[(١)] : فأَمره أَن يدفعه لقيس . ثم إنَّ حذيفة ندَّمه الناس فبعث ابنه يأْخذ السبق من قيس ، فقتله قيس ، فاجتمع الناس فاحتملوا ديتَه مائةَ عُشَراءَ ، فقبضها حذيفةُ وسكن النَّاس . ثم إنَّ حذيفة استفرد أَخا قيس ، وهو مالكُ بنُ زهير ، فقتله . وكان الربيع ابن زياد يومئذٍ مجاورَ بنى فزارة عند امرأَته ، وكان مشاحناً لقيس بن زهير فى دِرعه التى اغتصبها من قيس ، كما تقدَّم ذكرُها ، فلما قُتل مالك بن زهير ارتحلَ الرَّبيع بن زياد ولحق بقومه ، وأَتاه قيس بن زهير فصالحه ونزل معه ، ثم دسَّ قيسٌ أَمَةً له إلى الربيع تنظر ما يعمل ، فأَتته امرأَته تَعرَّضُ له وهى على طُهر ، فزجَرها[(٢)] وقال :

مَنَعَ الرُّقادَ فما أُغمِّضُ حارِ ... جَللٌ من النَّبإِ المهمِّ السارى
مَن كان مسروراً بمقتل مالكٍ ... فليأْتِ نسوتَنا بوجهِ نهارِ
يَجِد النِّساءَ حَوَاسراً يندُبنه ... يندُبن بين عَوانس وعَذَارِى
أَفبعدَ مقتِلِ مالك بن زهيرٍ ... ترجو النِّساءُ عواقبَ الأَطهارِ[(٣)]

فأَخبرت الأَمَة قيساً بهذا فأَعتقها .

ثم إنَّ بنى عبس تجمَّعوا ورئيسُهم الربيع بن زياد[(٤)] ، وتجمَّع بنو ذبيان ورئيسهم حُذيفة بن بدر ، وتحاربوا مراراً .

(١) بعده فى الفاخر : « أفأدفع إليه سبقه » .

(٢) وكذا فى النسختين والفاخر ، وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف : فزجرها ، والرواية : فدحرها ، أى طردها » .

(٣) فى هذا البيت الإتيان بعروض الكامل مقطوعة ، وهى فى سائر الأبيات تامة . وانظر العيون الغامزة للدمامينى ٢٧٤ والعقد ٥ : ٥٠٧ واللسان (قوى ٧٠) . وهو ما يسميه بعضهم الإقواء ، كأن عروض البيت نقصت قوة من قواه . وقال ابن عبد ربه : « والخليل يسمى هذا : المقعر » .

(٤) وذلك فى يوم الهباءة . وهو فى الفاخر ٢٢٦ .

ثم إنَّ الربيع بن زياد أظفره الله فى جفر الهباءة على حُذيفة بن بدر وأَخويه : حملِ بن بدر ومالِك بن بدر ، فقتلهم ومثَّلوا بحذيفة فقطعوا ذكَره فجعلوه فى فِيه ، وجعلوا لسانه فى دُبره .

وقال الربيع بن زيادٍ يرثى حَمل بنَ بدر :

تَعلَّمْ أنَّ خَير النَّاسِ طُرًّا ... علىٰ جَفْر الهباءَة مايَريمُ
ولولا ظُلمُه ما زلتُ أَبكى ... عليه الدَّهرَ ما طلَعَ النُّجومُ
ولكنَّ الفتى حملَ بنَ بدرٍ ... بَغى ، والبغىُ مرتعُه وخِيمُ
أَظنُّ الحلمَ دَلَّ علىَّ قومى ... وقد يُستجهَل الرّجلُ الحليمُ
أُلاقى من رجالٍ منكراتٍ ... فأُنكرُها وما أَنا بالظلومِ (١)
ومارستُ الرِّجالَ ومارسونى ... فمعوَجٌّ علىَّ ومستقيمُ

٥٣٩ ودامت الحربُ بينهم أَربعين سنة إلى أن ضعف قيسُ بن زهير ، فحالفَ ربيعةَ بن قُرط بن سَلمة بن قُشَير ، وهو ربيعة الخير ، ويكنى أَبا هلال . وقيل هو ربيعة بن قُرط بن عبد بن أَبى بكر بن كلاب . فنزل قيسٌ مع بنى عبس عندَه وقال :

أُحاول ما أُحاوِلُ ثم آوِى ... إلى جارٍ كجار أَبى دُوادِ

إلى آخر الأَبيات المذكورة .

وقوله : « وكنت إذا مُنِيت » الخ ، أَى بُليت . ودَلَفت : أَسرعت . والنَّآدُ بهمزة ممدودة قبلها نون وبعدها دال : الشَّديدة من الدَّواهى . وتَقصِم(٢) : تكسر . وتجُوب : تشُقّ .

وقوله : « كجار أَبى دواد » الجار هنا : الناصر والحليف .

(١) فى هذا البيت إقواء كما ترى.
(٢) ط : « وانقصم » ، صوابه فى ش .

كان أَبو دُواد الإِيادىُّ فى الجاهلية جاوَرَ الحارث بن هَمَّام بن مُرّة ابن ذُهل بن شيبان ، فخرج صِبيانُ الحىِّ يلعبون فى غدير ، فغمَسوا ابن أَبِى دُوادٍ فقتلوه ، فقال الحارث بن همَّام : لا يبق فى الحىِّ صبىٌّ إِلاَّ غُرِّق فى الغدير ! فوُدِىَ ابنُ أَبِى دواد تسعَ دياتٍ أَو عشراً .

ويَعْسِلْن ، من العَسَلان ، وهو اهتزاز الذى يعدو . والحِدَأُ : جمع حِدأَة كعنب جمع عنبة : طائر معروف . ويَلملم ونَضَاد[1] : جبلان .

وقول الربيع بن زياد :

مَنْ كان مسروراً بمقتلِ مالك . . . الخ

يقول : من شَمِت من الأَعداءِ بمقتل مالك فليعلم أَنَّا قد أَدركنا ثـأْره . وكانت العرب لا تندُب قتلاها حتَّى تدركَ ثـأْرها . وكان قيسٌ قتل ابنَ حذيفة كما تقدَّم ، فقتل حذيفة مالكاً أَخا قيس . والمراد فليحضُر ساحتنا فى أَوَّل النَّهار ، ليعلم أَنَّ ما كان محرَّماً من البكاءِ قد حَلَّ ، ويجد النساءِ مكشوفاتِ الرءُوس يندُبنه . ورُوِىَ :

يجدِ النساءَ حواسراً يندُبنه يَلطِمْن أَوجهَهُنَّ بالأَسحار

وروى أَيضاً :

* قد قُمْنَ قبل تبلُّج الأَسحارِ *

وروى أَيضاً :

* بالصُّبح قبل تبلُّج الأَسحارِ *

قال ابن نباتة (فى سَرح العيون ، فى شرح رساله ابن زيدون) : لبعض الأُدباءِ اعتراضٌ فى قوله :

* بالصُّبح قبل تبلُّج الأَسحارِ *

---

(١) قال ياقوت فى (نضاد) : « يبنى عند أهل الحجاز على الكسر ، وبنو تميم ينزلونه بمنزلة ما لا ينصرف » .

فإنَّ الصُّبح لا يكون إلَّا بعد تبلُّج الأَسحار .

أُجيبَ بأَقوالٍ منها : أَنَّ الصبح هنا الحقُّ الواضح ، من وصفِه[١] الذى هو كالصُّبح ، لأَنَّها تندبه بخلاله الحسنة الواضحةِ . انتهى .

وقيس بن زهير جاهلىٌّ ، وهو صاحب الحروب بين عَبْس وذبيان بسبب الفرسين : داحس والغبراءِ كما تقدَّم. وكان فارساً شاعراً داهية ، يضرب به المثل فيقال : « أَدهى من قيس » .

ولمَّا طال الحربُ[٢] ومَلّ ، أَشار على قومه بالرُّجوع إلى قومهم ومصالحتهم فقالوا : سِرْ نسرْ معك . فقال : لا والله لا نظَرَتْ فى وجهى ذُبيانيَّةٌ قتلتُ أَباها أَو أَخاها ، أَو زَوْجها أَو ولدها .

وتقدَّم ذكرُ الصُّلح فى شرح معلَّقة زهير بن أَبى سُلمى .

ثمّ خرج على وجهه حتَّى لحق بالنَّمر بن قاسط ، وتزوَّج منهم وأَقام عندهم مدَّة ، ثم رحل إلى عُمان فأَقام بها حتَّى مات . وقيل إنَّه خرج هو وصاحبٌ له من بنى أَسد عليهما المسوحُ يَسيحان فى الأَرض ويتقوَّتان مما تُنبت ، إلى أَن دَفَعا[٣] فى ليلةٍ باردة إلى أَخبيةٍ لقومٍ ، وقد اشتدَّ بهما الجُوع ، فوجدَا رائحةَ شواءٍ فسَعَيا يُريدانِه ، فلمَّا قاربا[٤] أَدركت قيساً شهامةُ النفس والأَنفةُ فرجع وقال لصاحبه : دُونَك وما تريد ، فإنَّ لى لُبْثاً على هذه الأَجارع ، أَترقَّب داهية القرون ٤٣٥
الماضية . فمضى صاحبُه ورجع من الغد فوجده قد لجأَ إلى شجرةٍ بأَسفل وادٍ فنال من ورقها شيئاً ثم مات .

* * *

(١) فى سرح العيون ١٥٨ : « من وصف القتيل » .
(٢) الحرب ، مؤنثة ، وحكى فيها ابن الأعرابى التذكير ، وأنشد :
وهو إذا الحرب هفا عقابه كره اللقاء تلتظى حرابه
(٣) دفع إلى المكان ، ودفع أيضاً بالبناء للمجهول ، كلاهما بمعنى انتهى إليه .
(٤) ش : « قارباه » .

وأنشد بعده :

(فأَنظورُ)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(وأنَّنِى حيثُما يثنى الهَوَى بصرى
من حَوْثُما سلكُوا أدْنُو فأَنظورُ)

أى فأَنظر . وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الحادى عشر من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(ينباعُ)

وهذا أيضاً قطعةٌ من بيت تقدَّم فى الشاهد الثانى عشر[2] بعد بيت فأَنْظور ، وهو :

(يَنباعُ من ذِفرَى غَضوبٍ جَسْرَةٍ
زيَّافةٍ مثلِ الفنيق المُقْرَمِ)

أَى يَنْبَع . والذِّفرى : الموضع الذى يعرَق من الإبل خلف الأُذن . والغضوب : الناقة العَبُوس الصَّعبة الشديدة الرأس . والجَسرة : الجاسرة فى السَّير . والزَّيَّافة : المتبخترة . والفنيق : الفحل المكرَم لا يُركَب لكرامته عند أهله . والْمُقرَم ، بضم الميم وفتح الراءِ : البعير الذى لا يُحمَل عليه ولا يذلَّل ، وإنَّما هو للفِحْلة .

وتقدَّم الكلام هناك مفصَّلا عليه .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٢١ - ١٢٢ .
(٢) الخزانة ١ : ١٢٢ - ١٢٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد السمائة[١] :

٦٣٧ (وما كِدتُ آيبًا)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(فأُبتُ إلى فَهْم وما كدتُ آيباً
وكم مِثْلِها فارقتُها وهى تَصْفِرُ)

على أنَّ أصل خبر كاد الاسم المفرد كما فى البيت .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : استعمل الاسم الذى هو الأَصل المرفوض الاستعمالِ موضعَ الفعل الذى هو فرعٌ ، وذلك أَنَّ قولك : كدت أَقوم ، أَصله كدت قائماً ، ولذلك ارتفع المضارع ، أى لوقوعه موقعَ الاسم[٢] ، فأَخرجه على أَصله المرفوض كما يُضطَرُّ الشاعرُ إلى مراجعة الأُصول عن مستعمل الفروع ، نحو صرفِ ما لا ينصرف ، وإظهار التضعيف ، وتصحيح المعتلِّ ، وما جرى مجرى ذلك . ونحوٌ من ذلك ما جاء عنهم من استعمال خبر عسى على أَصله :

أَكثرتَ فى العذل ملحًّا دائمَا لا تُكثِرَنْ إِنِّى عسيتُ صائمَا[٣]

وهذه [هى[٤]] الرواية الصحيحة فى هذا البيت ، أَعنى قوله « وما كدت آيبا » . وكذلك وجدتُها فى شعر هذا الرجل بالخطِّ القديم ، وهو عتيدٌ عندى إلى الآن . والمعنى عليه البتَّة . أَلا ترى أَنَّ معناه فأُبت

(١) الخصائص ١ : ٣٩١ والإنصاف ٥٥٤ وابن يعيش ٧ : ١٣ ، ١١٩ ، ١٢٥ والخزانة ٤ : ٩٠ بولاق والعينى ٢ : ١٦٥ والتصريح ١ : ٢٠٣ والهمع ١ : ١٣٠ والأشمونى ١ : ٢٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٨٣ .
(٢) كلمة « أى » ساقطة من إعراب الحماسة الورقة ٢٢ .
(٣) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٨٥ .
(٤) التكملة من ش وإعراب الحماسة .

وما كدت أءُوبُ ، كقولك : سلَّمت وما كدت أُسلِّم . وكذلك كُلُّ ما يلى هذا الحرف من قبله ومن بعده يدلُّ على ماقلنا . وأكثر الناس يروى : « ولم أكُ آئباً » ،ومنهم من يروى : « وما كنت آئباً » . والصواب الرواية الأُولى ، إذْ لا معنى هنا لقولك : وما كنت ، ولا لِلَمْ أكُ . وهذا واضحٌ . انتهى .

وقال مثلَه (فى الخصائص فى باب امتناع العرب من الكلام بما يجوز فى القياس) قال : وإنما يقع ذلك فى كلامهم إذا استغنَتْ بلفظ عن لفظ ، كاستغنائهم بقولهم : ما أجودَ جوابه عن قولهم : ما أجوبه . ٥٤١
أو لأنَّ قياساً آخر عارضه فعاق عن استعمالهم إيَّاه ، كاستغنائهم بكاد زيد يقوم عن قولهم : كاد زيد قائماً أو قياماً. وربَّما خرج ذلك فى كلامهم. قال تـأبَّط شراً :

* فأُبتُ إلى فهم وما كدتُ آئباً *

هكذا صحَّة رواية هذا البيت . وكذلك هو فى شعره . فأمَّا رواية من لا يَضبطه : « وما كنت آئباً » و« لم أكُ آئباً » فلبُعده عن ضبطه. ويؤكِّد ما رويناه نحن مع وجوده فى الديوان ، أنَّ المعنى عليه . ألا ترى أنَّ معناه فأُبت وما كدت أءُوب . فأمَّا « ماكنت » فلا وجه لها فى هذا الموضع . انتهى .

ومراده من هذا التأْكيدِ : الردُّ على أبى عبد الله النَّمرى (فى شرح الحماسة)، وهو أول شارحٍ لها ، وقد تحرَّفت عليه هذه الكلمة ، وهذه عبارته : أُبت : رجعت . وفهم : قبيلة . والهاءُ فى قوله : « وكم مثلها » راجعةٌ إلى هذيل. وقوله : « وهى تصفِر » قيل معناه أى تتـأسَّف على فوتى . هذا كلامه . وقد ردَّ عليه أبو محمد الأعرابى أيضاً فيما كتَبه على شرحه

قال : سألت أبا الندى عنه قال : معناه كم مثلها فارقتها[١] وهى تتلهَّف كيف أفلتُ . قال : والرواية الصحيحة « وما كدت آئباً » . والهاءُ راجعة فى فارقتها إلى فهم . قال : ورواية من روى « ولم أك آئِباً » خطأٌ . وفهْمٌ : ابن عمرِو بن قيس عيلان . انتهى كلامه .

قال التبريزى : قد تكلَّم المرزوقىُّ على اختيار ابن جنِّى هذه الرواية ردًّا عليه ولم يُنصِفه ، وقال : قوله ولم أك آئباً، أى رجعت إلى قبيلتى فهمٍ وكدت لا أءُوب لمشارفتى التلف . ويجوز أن يريد: ولم أك آئباً فى تقديرهم وظنِّهم. ويروى: « ولم آلُ آئباً » بمد الهمزة واللام، أى لم أَدَع جهدِى فى الإِياب . والأَوَّل أحسن . انتهى .

وقد أورد ابن عصفور هذا البيت (فى كتاب الضرائر) قال : ومنه وَضْع الاسم موضعَ الفعل الواقعِ فى موضع خبر كاد ، وموضعَ أَن والفعل الواقِع فى موضع خبر عسى ، نحو قول تأَبَّط شراً :

فأُبت إلى فهم وما كدت آئباً . . . البيت

وقول الآخر :

* لا تُكثرنْ إنِّى عسيتُ صائمَا *

كان الوجه أَن يقول[٢]: وما كدت أءُوب وإِنِّى عسيت أَن أَصوم، إِلَّا أَنَّ الضرورة منعت من ذلك . وقولهم فى المثل: «عسى الغويرُ أَبؤساً » شاذٌّ ، يُحفظ ولا يقاس عليه . انتهى .

وقال ابن المستوفى وغيره : قوله إلى فهم ، أَى إلى عقل . وقيل إلى قبيلتى التى هى فهم . وهذا أَولَى . انتهى .

---

(١) الكلام بعده إلى « فارقتها » التالية ساقط من ش .

(٢) ش : « أن يقال » .

ورجوع الضمير من مثلها إلى فهم غير مناسب ، والمناسب رجوعُه إلى لِحيان ، وهى قبيلة من هذيلٍ ، فى قوله :

أقول لِلحْيانٍ وقد صفِرَتْ لهمْ   وطابى ويومى ضيِّقُ الحَجْرِ مُعْوِرُ

ويجوز أن يرجع إلى الحالة التى صدرت منه حين أحاط به بنولحيان وأرادوا قتلَه ، فتحيَّل ونجا منهم . وعبَّر عنه ابن المستوفى بقوله : أى المحنة أو الخُطَّة أو المِنَّة . وكم مبتدأٌ وجملة فارقتها هو الخبر ، وجملة وهى تصفِرُ حاليَّة ، ومثلِها بالجر : مميِّزكم الخبرية .

قال ابن المستوفى : قرأت على شيخنا أبى الحرم مَكِّىٍّ : « وكم مثلها » بجرّ مثلها ورفعها ونصبها . فالجر على الإخبار . والرفع على معنى كم مرّةً وقع مثلُها فارقتها . والنصب على أن تكون[1] كم مبهمة بالاستفهامية ، ويكون مثلها صفة لنكرة محذوفة تقديرها : كم مرّة مثلَها فارقتها . هذا كلامه فتأمَّلْه .

٥٤٢

وقد أنَّث مثلاً لإضافته إلى ضمير المؤنَّث ، بدليل عَود الضمير إليه من فارقتها مؤنَّثاً . قال ابن جنى : أنَّثَ المثْلَ حملاً على المعنى لمَّا كان المراد به الحالَ والصُّورة التى ذكرها . وقد جاء فى التنزيل : ﴿ فله عَشْرُ أمثالها[2] ﴾ لمَّا كان المراد عشر حسنات أمثالِها ، وتأْنيث المذكَّر أغلظ من تذكير المؤنَّث ، لأنَّه مفارقة أصل إلى فرع ، وفى ما وردَ من تأْنيث نحو هذا دليلٌ على قوّة إقامة الصِّفة مقامَ الموصوف ، حتَّى كأنَّ الموصوف حاضر . ولولا أنَّ ذلك كذلك لما جاز تأْنيث المثل ، لكن دلَّ جواز تأْنيثه على قوة إرادة موصوفِه . فاعرفْ ذلك فإنَّه هو غرضُ هذا الفصل . انتهى .

(١) ش : « يكون » .
(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

وقوله : « تصفِرُ » قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) أراد بالصفير النفخ عند الندم . ونقل ابن المستوفِى عن أبى محمد القاسم بن محمد الدِّيمرتى[١] أنَّ المعنى لمَّا أعجزتها جعلَتْ تصفِر خجلاً . قال : ومن عادة العرب إذا فاتهم[٢] أن يقولوا : هو هُو ! ثم يصفروا وراءَهُ، يريدون به البعد . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات لتأبَّط شرًّا ، تقدَّم شرحها فى الشاهد الثامن والستين بعد الخمسمائة[٣] .

وكان بنو لحيان من هُذيل أخذوا عليه طريقَ جَبل وجدُوهُ فيه يشتار عسلاً، لم يكن له طريق غيره ، وقالوا : استأسِرْ أو نقتلك ! فكره أن يستأْسر ، فصبَّ ما معه من العسل على الصَّخر ووضع صدرَه عليه حتَّى انتهى إلى الأَرض من غير طريق ، فصار بينه وبينهم مسيرة ثلاثة أيام ونجا منهم . فَحَكى الحكاية فى الأَبيات . وأَوَّلها :

أبيات الشاهد

(إذا المرءُ لم يَحْتَلْ وقد جدَّ جِدُّه
أَضاعَ وقاسَى أَمرَه وهو مدبرُ
ولكنْ أَخو الحزم الذى ليس نازِلاً
به الخطبُ إلاَّ وهو للقَصدِ مُبصِرُ

(١) ذكره ياقوت فى معجم البلدان (ديمرت) وقال : من نواحى أصبهان . وينسب إليها أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتى الأديب . وذكره كذلك فى معجم الأدباء ١٦ : ٣١٩ ، وترجم له أيضاً ابن النديم فى الفهرست ١٢٨ . ومن تآليفه كتاب تفسير الحماسة فيما نقل ياقوت عن ابن النديم ، وإن لم أعثر عليه فى الفهرست . وفى حواشى ش : «كذا بخط المؤلف ، وصوابه الذيمونى بالذال والنون » . ولا وجه لهذه الحاشية .

(٢) فى حاشية ش : « كذا بخط المؤلف بغير بياض ، وفيه حذف لفساد المعنى دونه » . وكتب مصحح ط : « قوله إذا فاتهم ، هكذا بالأصل . ولعله إذا فاتهم فارس أو نحو ذلك ، فليحرر » .

(٣) الخزانة ٧ : ٥٠٢ — ٥٠٧ .

فذاك قريعُ الدَّهر ما عاش حَــوَّلٌ

إذا سُدَّ منه مَنخِرٌ جـاش مَنخـرُ)

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ومن محاسن أهل الأَدب أنَّ محيي الدين بن قُرناس قال بحضرة شرف الدين الحِلِّيِّ ، ملغزاً فى الشَّبَّابة[1] :

وناطقةٍ خَرساءَ بادٍ شجونُهـا تكنَّفها عَشرٌ ومنهنَّ تُخبِرُ

يَلَذُّ إلى الأَسماع رجعُ حديثهـا إذا سُدَّ منها مَنْخِرٌ جاش مَنْخِرُ

فأَجابه فى الحال :

نهانى النُّهى والشَّيْبُ عن وَصلِ مثلِها

وكم مثلِهـا فارقتُها وهى تصفِرُ

وفى الموضعين تضمين .

تتمة

ما أورده الشارح المحقِّق على البصريِّين فى قولهم : رفع المضارع لوقوعه موقع الاسم ، قد أَجاب عنه صاحب اللباب ، قال فيه : وأمَّا مرفوع الفعل فهو المضارع الواقع بحيث يصحُّ وقوع الاسم ، إمّا مجرَّدًا أَو مع حرف لا يكون عاملاً فيه ، فى نحو زيد يضرب ، وسيضرب ، ويضرب الزيدان . لأَنَّ مبدأَ الكلام لا يتعيَّن للفعل دون الاسم ، ونحو: كاد زيد يقومُ ، الأَصل فيه الاسم ، وقد عُدل إلى لفظ الفعل لزوماً لغرض. وقد استُعمل الأَصل المرفوض فيمن روى قوله : « وما كدت آئباً » . انتهى .

---

(١) الشبابة ، قال الخفاجى فى شفاء الغليل ١١٢ : « بالتشديد : قصبة الزمر المعروفة ، مولد » .

واحترز بقوله لا يكون عاملاً عما إذا كان مع حرفٍ عامل نحو :
٥٤٣ زيد لم يضرب ، أو لن يضرب . وقوله : لأَنَّ مبدأَ الكلام . إلخ ، هذا جواب عن سؤالَ مقدَّر ، وهو أَنَّ يضرب فى يضرب الزيدان مرفوع ، مع أَنَّه ليس بواقعٍ موقعَ الاسم ، إذْ لا يجوز ابتداءُ ضاربٌ الزيدان من غير اعتمادٍ على شيء .

فأَجابَ بأَنَّ هذا الكلام من حيث هو كلامٌ لا يتعيَّن أَن يكون فعلاً دون اسم ، بل جاز أَن يكون ابتداءُ الكلام اسماً على الجملة ، فصدق أَنَّه واقعٌ موقع الاسم على الإطلاق ، أَىْ موقعاً كان يصحُّ أَن يُوقَع فيه اسمٌ من الأَسماء وإن لم يقع اسم مخصوص .

وقوله : ونحو كاد زيد يقوم إلخ ، هذا أَيضاً إيرادٌ وجوابٌ . أَمَّا لإيراد فهو أَنَّ خبر كاد يلزم أَن يكون فعلا ، وهو أَنَّ كاد موضوع لمقاربة وقوع فعلٍ ، فحقُّ خبره أَن يكون فعلاً مضارعاً ، فلا يكون خبره اسماً ، فينبغى أَن لا يرتفع لأَنَّ ارتفاعه لوقوعه موقع الاسم ، والاسم لا يقع خبَرا لكادَ .

وأَجاب بأَن أَصل خبر كاد أَن يكون اسماً كما فى خبر كان ، ولذلك استُعمل ذلك الأَصل المرفوض فى البيت ، فالفعل واقعٌ موقع الاسم نظرًا إلى الأَصل .

وقد بسط الكلامَ على مذهب الفريقين ابنُ الأَنبارىّ (فى مسائل الخلاف) فلا بأْس بإيراده قال : اختلف مذهبُ الكوفيِّين فى رفع المضارع ، فذهب الأَكثرون إلى أَنه يرتفع لتعرِّيه من العوامل الناصبة والجازمة .

وذهب الكسائيُّ إلى أنه يرتفع بالزائد فى أوله . وذهب البصريون إلى أنَّه يرتفع لقيامه مَقام الاسم .

واحتج الكوفيُّون بأَنَّ المضارع إذا دَخل عليه ناصب نصبه ، أَو جازم جزمه ، وإذا خلا منهما ارتفع ؛ فعلمنا أَنَّه بدخولهما يُنصب ويجزم ؛ وبسقوطهما عنه يُرفع . قالوا : ولا يجوز أن يكون مرفوعاً لقيامه مقامَ الاسم ، لأَنَّه لو كان كذلك لكان ينبغى أن يُنصب إذا كان الاسم منصوباً نحو كان زيد يقوم . ثم كيف يأْتيه الرفعُ لقيامه مقام الاسم، والاسم يكون مرفوعاً ومنصوباً ومخفوضاً ؟ ولو كان كذلك لوجب أن يُعرب بإعراب الاسم ، ولوجب أَن لا يرتفع فى كاد زيد يقوم ، لأَنَّه لا يجوز كاد زيد قائماً .

واحتجَّ البصريون بوجهين : أحدهما أَنَّ قيامه مقام الاسم عاملٌ معنويٌّ يشبه الابتداءَ ، والابتداءُ يوجب الرفع . وكذا ما أَشبهه .

وثانيهما : أَنَّ بقيامه مقامَ الاسم قد وقع فى أَقوى أَحواله ، فوجب أَن يُعطَى أَقوى الإِعراب وهو الرفع . وإنَّما لم يرفع الماضى مع جواز قيامه مقام الاسم لأَنَّه ما استحقَّ أَن يكون معرباً بنوع من الإِعراب ، فصار قيامه بمنزلة عدمه . وأَمَّا قول الكوفيين إنَّه يرتفع بالتعرِّى من العوامل الناصبة والجازمة فهو فاسد ، لأَنَّه يؤدِّى إلى أَن يكون الرفع بعد النصب والجزم ، ولا خلاف بين النحويِّين أَنَّ الرفع قبلهما ، وذلك أَنَّ الرفع صفة الفاعل ، والنصب صفة المفعول ، فكما أن الفاعل قبل المفعول ينبغى أَن يكون الرفع قبل النَّصب . وإذا كان الرفع قبل النصب فلَأَن يكون قبل الجزم من طريق الأَولى . وأَما قولهم : لو كانَ مرفوعاً[1] لقيامه مقام الاسم إلخ ، فنقول : إنَّما لم يكن منصوباً أَو

(١) ط : « ولا يجوز أن يكون مرفوعاً » ، وأثبت ما فى ش والإنصاف ٥٥٣ .

مجروراً إذا قام مقام الاسم المنصوب والمجرور، لأَنَّ عوامل الأَسماءِ لا تعمل فى الأَفعال . وأَمَّا قولهم : «وجَدنَا نصبه وجزمه بناصب وجازم لا يدخلان على الاسم فعلمنا أَنَّه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم» ، قلنا : وكذلك
٥٤٤ نقول فإِنَّه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم ، لأَنَّ ارتفاعه لقيامه مقام الاسم ، والقيام مقام الاسم ليس بعامل للرَّفع فى الاسم .

وأَمَّا قول الكسائى إِنَّه يرتفع بالزائد فى أَوَّله ، فهو فاسد من وجوه : أَحدها : أَنَّه كان ينبغى أَن لا يدخل عليه عوامل النصب والجزم[1] لأَنَّهما لا يدخلان على العوامل .

الثانى : كان ينبغى أَن لا ينتصِب ولا يجزم بدخولهما ؛ لوجود الزائد فى أَوله أَبداً .

الثالث : أَنَّ هذه الزوائد بعضُ الفعل لا تنفصل مِنه فى لفظ ، بل هى من تمام معناه ؛ فلو عملت لزم أَن يعمَل الشىءُ فى نفسه .

وأَمَّا قولهم : « لو كان مرفوعاً لقيامه مقام الاسم لكان ينبغى أَن لا يرتفع فى كاد زيد يقوم» إِلخ ، قُلنا : هذا فاسد ، لأَنَّ الأَصل كاد زيد قائماً . ولذلك ردَّه الشاعر فى الضرورة إِلى أَصله فى قوله : « وما كدت آئباً »، إِلَّا أَنَّه لمَّا كانت كاد موضوعة للتقريب من الحال، واسم الفاعل ليسَ دلالتُه[2] على الحال بأَولى من دلالته على الماضى ، عدلوا عنه إِلى يفعل؛ لأَنَّه أَدلُّ على مقتضى كاد، ورفعوه مراعاة للأَصل . فدلَّ على صحة ما ذهبنا إِليه .

انتهى كلامه باختصار ، وفيه مواضع تحتمل المناقشة لا تخفى على المتأَمِّل .

(١) ط : «أن لا يدخل عليه عامل النصب والجزم» ، وأثبت ما فى ش والإنصاف .
(٢) وكذا فى الإنصاف ه ه ه بترك التأنيث .

النواصب

أَنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الستمائة[1] :

٦٣٨ (وَدِدتُ وما تُغنى الودَادةُ أَنَّنى
بما فى ضَميرِ الحاجِبيّةِ عالمُ)

على أَنَّ (أَنَّ المفتوحة[2]) يجوز أَن تقع بعد فعل غير دالٍّ على العلم واليقين كما فى البيت ، خلافاً للزمخشرى (فى مفصّله) ، فإِنَّ وددت بمعنى تمنَّيت .

قال ابن درستويه (فى شرح فصيح ثعلب) : ودِدته بالكسر أَوَدُّه بالفتح ، بمعنى وَمِقته أَمِقه. وكذلك ودِدتُ أَنَّه كَذَا ، إذا تمنَّيته ،لأَنَّه أَيضاً من المِقَة والمحبة . انتهى .

والزمخشرى قاله[3] فى الحروف المشبَّهة بالفعل ، وهذا نصُّه :

فصلٌ : والفعل الذى يدخل على المفتوحة مشدَّدة أَو مخفَّفة يجب أَن يُشاكلَها فى التحقيق . فإِن لم يكن كذلك نحو : أَطمع ، وأَرجو ، وأَخاف ، فليدخُلَ على أَن الناصبة للفعل . وما فيه وجهان كظننت وحسبت وخِلت فهو داخلٌ عليهما[4] جميعاً . انتهى بحذف الأَمثلة .

وقد جاراه ابن يعيش (فى شرحه) ولم ينتقده بشىءٍ ، قال: قد تقدَّم أَنَّ أَنَّ المفتوحة معمولةٌ لما قبلها ، وأَنَّ معناها التأْكيد والتحقيق ، مَجْراها فى ذلك مجرى المكسورة ، فيجب لذلك أَنْ يكون الفعل الذى

(١) الحماسة ١٢٨٧ ، ١٥٧٠ بشرح المرزوق وديوان كثير ٢ : ٣٦ .
(٢) ش : « على أن المفتوحة » .
(٣) ط : « قال » ، وأثبت ما فى ش .
(٤) أى على أن وأن ، المشددة والمخففة .

تُبنَى عليه مطابقاً لها فى المعنى ، بأَن يكون من أَفعال العلم واليقين ونحوهما بما معناه الثبوت والاستقرار ، ليتطابق فى المعنى العامل والمعمول ولا يتناقضا[1] . وحكم المخفَّفة من الثقيلة فى التأْكيد والتحقيق حكمُ الثقيلة ، لأَنَّ الحذف إنَّما يكون لضربٍ من التخفيف ، فهى لذلك فى حكم الثقيلة ، فلذلك لا يدخل عليها من الأَفعال إلا ما يدخل على المثقَّلة . هذا كلامه

والبيت أول أَبيات أَربعة أَوردها أَبو تمام (فى الحَماسة) لكثَيِّر عزَّة . وهى بعد الأَوَّل :

(فإِنْ كـان خيرًا سرَّنى وعلمته وإن كان شرًّا لم تَلُمْنى اللوائمُ

٥٤٥ وما ذكرَتْكِ النَّفسُ إلَّا تفرَّقتْ
فريقين : منهـا عـاذرٌ لى ولائم

فريق أَبَى أن يقبـل الضَّيمَ عَنـوةً
وآخـرُ منهـا قابلُ الضَّيمِ راغمُ)

وقوله : (وما تُغنى الوِدَادة) أَى تنفع ، جملة معترضة بين وَدِدت وبين معموله وهو أَنَّنى إلخ . و (الحاجبيَّة) هى عزَّة محبوبة كثيِّر ، واشتُهر بالإضافة إليها فيقال كثيِّر عزَّة ، بفتح العين المهملة وتشديد الزاى . والحاجبية : نسبةٌ إلى أَحد أَجدادها ، قال ابن الكلبى : عزَّة بنت حُميل ، بضم المهملة ، ابن حَفص ، بفتحها ، من بنى حاجب ابن غِفَار ، بكسر المعجمة . وتقدَّم الكلام عليها فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة[2] .

---

(١) فى ابن يعيش ٨ : ٧٧ : « ليتطابق معنيا العامل والمعمول ولا يتناقضا » .
(٢) الخزانة ٥ : ٢٢١ - ٢٢٣ .

قال الطَّبَرْسىُّ (١) (فى شرح الحماسة) : يقول : تمنَّيت أنِّى عالمٌ بما ينطوى عليه قلبُ هذه المرأةِ لى . والوِدادة بكسر الواو وفتحها (٢) .

وقوله : « فإن كان خيراً » إلخ ، أى فإن كان ما تضمره لى وُدًّا صافياً سرَّنى ذلك ، وإن كان ما تضمره إعراضاً وجفاءً قتلتُ نفسى وأرحتها من لوم اللائمات . أو يُريد : سلوت فاستراحتُ ممَّا ألام فيه من حبِّ من لا يحبُّنى . وهذا الأخير عن البِيارىّ (٣) . وعلمته بمعنى عرَفته ، ولذلك اكتفى بمفعول واحد .

وقوله : « وما ذكرَتْكِ النفسُ » إلخ ، أى ما ذكرتُك إلَّا تفرقتْ نفسى فريقين : ففريق يعذِرنى ، يقول : إنَّ مثلها فى جمالها وكمالِها يُحبّ . وفريق يلومُنى ، يقول : لِمَ تحبُّ من لا يحبُّك ولا تصلُ إليه ؟ والضَّيم : الظُّلم . والعَنْوة بالفتح : القهر . وراغم : ذليل ملصَقٌ أنفُه بالرَّغام وهو التُّراب .

وترجمة كثيِّرٍ قد تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلاثمائة (٤)

---

(١) ط : « الطبرسى » ، صوابه فى ش . والطبرسى هذا هو أمين الدين أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى ، مفسر لغوى من أعيان الشيعة الإمامية . توفى سنة ٥٤٨ . انظر إنباه الرواة ٣ : ٦ ، ٧ ومعجم المؤلفين ٨ : ٦٦ . ومن شرحه للحماسة نسخة فى مكتبة فيض الله التى أدرجت ضمن مكتبة ملت بتركيا برقم ١٦٤٢ . ويسمى هذا الشرح « الباهر فى شرح الحماسة » . وانظر ماسبق فى ٣١٥ .

(٢) ش : « بفتح الواو وكسرها » .

(٣) نسبة إلى بيار ، بالكسر ، وهى مدينة من أعمال قومس . وهو على بن الحارث البيارى الخراسانى ، ترجم له القفطى فى الإنباه ٢ : ٢٧٤ وذكر من تصانيفه كتاب شرح الحماسة . وانظر دمية القصر ٣٠٢ . وشرحه للحماسة يعد مفقوداً وإن كانت قد بقيت منه بقية فى نقول أبى الرضا الراوندى ، ونقول الطبرسى . انظر تحقيق حماسة أبى تمام للدكتور عبد الله عسيلان . وفى النسختين : « البياسى » ، تحريف .

(٤) الخزانة ٥ : ٢٢١ - ٢٢٤ .

وكان مُشوَّه الخلق دميماً مفرط القِصَر، كان يقال له «زُبُّ الذُّباب» وهجاه بعض الشعراء بقوله :

* يَعَضُّ القرادُ باستِه وهو قائمُ[(١)] *

روى صاحب الأغانى بسنده ، أنَّ عمر بن أبى ربيعة المخزومى قدِم المدينة لأَمرٍ، فأَقام شهراً ثمخرج إلى مكَّة ، وخرج معه الأَحوص معتمراً . قال السائب راوية كثيِّر : : فلمَّا مرَّا بالرَّوحاءِ استتليانى[(٢)] ، فخرجت أَتلوهما حتَّى لحقتهما بالعَرْج ، فخرجْنا جميعاً حتَّى وَرَدْنا وَدَّان ، فحَبَسَهما نُصيب وذَبح لهما وأَكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا نُصيب ، فلمَّا جئنا إلى منزلِ كثيِّر فقيل لنا : قد هبط قُدَيدًا . فجئنا قُديداً فقيل لنا : إنَّه فى خيمةٍ من خيامها ، فقال لى ابن أَبى ربيعة : اذهبْ فادعُه لى . فقال نُصيب : هو أَحمقُ أَشدُّ كِبرًا[(٣)] من أن يأْتيَك . فقال لى عمر : اذهبْ كما أَقول[(٤)] . فجئتُه فهشَّ لى وقال: « اذكُرْ غائباً تَرَه » لقد جئتَ وأنا أَذكُرك . فأَبلغته رسالةعمر، فحدَّد لى نظره ثُمَّ قال : أَمَا كان عندك من المعرفة بى ما كانَ يردعُك عن إتيانى بمثل هذا ؟ فقلت : بلى ، ولكنْ ستَرتُ عليك فأَبَى الله إلَّا أَن يَهتِك سترك . قال : إنَّك والله يا ابن ذَكْوانَ ما أَنت من شكلى ، قل لابن أَبى ربيعة : إنْ

---

(١) لمحزين الكنانى . الأغانى ٨ : ٢٩ والحماسة ١٨٨٠ بشرح المرزوقى ومحاضرات الراغب ٢ : ١٢٩ وحواشى الحيوان ٥ : ٤٣٩ . وصدره :

* يكاد خليلى من تقارب شخصه *

(٢) أى طلبا منه أن يتلوهما ويتبعهما .

(٣) الأغانى ١١ : ١٧ : « أحمق وأشد كبراً » .

(٤) الأغانى : « كما أقول فادعه لى » .

كنتَ قرشيًّا فإنِّى قرشى ! فقلت : ألا تترك هذا التلصُّق[1] ؟ فقال : والله لأَنا أَثْبَتُ فيهم منك فى دَوْس[2] . ثم قال : وقل له إن كنت شاعراً فأَنا أَشعر منك . فقلت : هذا إذا كان الحُكم إليك . قال : وإلى مَن هو؟ ومَنْ أولى به منِّى ؟ فرجعتُ إلى القوم فأَخبرتهم فضحكوا ثم نَهضُوا معى إليه ، فدخلنا عليه فى خيمةٍ فوجدناه جالساً على جلد كبش فوالله ما أَوسَعَ للقرشى ، فتحدَّثوا مليًّا ثم أَفضَوْا فى ذكر الشعر . فأَقبل على عمر فقال له: أنت تبِعت امرأة فتنسب بها ، ثم تدعُها فتنسب بنفسك . أخبرنى عن قولك : ٥٤٦

قالت : تصدَّىْ له ليعـرفَنا ثم اغمِزِيه يا أُختُ فى خَفَرِ
قالت لها : قد غمزتُه فأَبَى ثم اسبطرَّت تشتدُّ فى أَثرى
وقولها والدمـوع تسبقهـا لنُفسِدَنَّ الطَّـوافَ فى عُمرِ[3]

أَتُراكَ لو وصفت بهذا الشعر هِرَّةَ أَهلك أَلم تكن قد قبَّحت ، وأَسأْت لها وقلتَ الهُجْرُ ! إنَّما توصف الحرّة بالحياء والإباء، والبخلِ والامتناع ، كما قال هذا ــ وأَشار للأَحوص :

أَدُور ولولا أَن أَرى أُمَّ جعفـر
بـأَبيـاتكمْ مـا درتُ حيث أَدورُ
وما كنت زَوّارًا ولكنَّ ذا الهـوى
إذا لم يُزَرْ لابدَّ أَن سيزورُ

(١) بعده فى الأغانى : « وأنت تفرق عنهم كما تفرق الصمغة » ، وصواب هذه « تقرف » ، و « كما تقرف » . وقرف الصمغة : قشرها واقتلاعها .

(٢) فى الأغانى : « سلوس » .

(٣) وكذا فى الأغانى ١١ : ١٧ . وفى الديوان ١٣٧ : « قالت لترب لها ملاطفة لتفسدن ».

لقد منعتْ معروفَها أُمُّ جعفرٍ
وإنِّى إلى معروفها لَفَقيرُ

فدخلتِ الأَحوصَ الأُبَّهةُ وعُرفتِ الخيلاءُ فيه ، فلما عرف كثيِّرٌ ذلك منه قال له : أَبطِلْ أَخزاك الله وأَذلَّك . أَخبرنى عن قولك :

فإِن تصلى أَصِلْكِ وإِن تبينى بصَرْمكِ بعدَ وصلك لا أُبالى
ولا أُلفَى كمن إِن سِيمَ خَسفاً تعرَّض كى يُردَّ إِلى الوصالِ[١]

أَمَا والله لو كنتَ فحلاً لباليت ، أَلَّا قلتَ كما قال هذا الأَسود ـ وأَشار إِلى نصيبٍ ـ :

بِزينبَ أَلمْ قبل أَن يرحلَ الرَّكبُ
وقُلْ إِنْ تملِّينا فما مَلَّكِ القلبُ

فانكسر الأَحوص ودخلتْ نصيباً الأُبَّهة ، فلمَّا فهم ذلك منه قال : وأَنت ياأَسود أَخبِرْنا عن قولك :

أَهيم بدعدٍ ما حييتُ وإِنْ أَمُتْ فوا كبدى من ذا يهيمُ بها بعدى

أَهمَّك من ينيكها بعدك ؟ فأَبلَس نُصَيب . فلمَّا سكت كثيِّرٌ أَقبل عليه عمر فقال : قد أَنصتنا لك فاستمعْ ، أَخبرنى عن قولك لنفسك وتخيُّرك لمن تحبُّ حيث تقول :

أَلا ليتَنا يا عزَّ من غير ريبةٍ بعيران نَرعَى فى الخَلاَ ونعزِّبُ[٢]

(١) الأغانى : « إن سيم صرماً » . وفى ديوان الأحوص ١٦٩ : « إن سيم ضيما » .

(٢) نعزب ، بالزاى ، من التعزيب ، وهو أن يذهب بالإبل إلى المرعى البعيد . ط : « ونعذب » بالذال ، صوابه فى ش وديوان كثير ١ : ٩٩ . لكن رواية الديوان : « نرعى فى الخلاء ونعزب » ، نعزب : نبعد ونغيب .

كِلانا به عَرٌّ فمنْ يرنا يَقُلْ على حُسْنها جَربى تُعدِّى وأجربُ(١)
إذا ما ورَدنا منهلاً صاح أَهلُه علينا فما ننفكُّ نُرمَى ونُضربُ
ودِدت وبيتِ الله أَنَّكِ بَكرةٌ هِجانٌ وأَنِّى مصعبٌ ثم نَهرُبُ
نكون بعيرَىْ ذى غِنًى فيُضِيعُنا
فلا هو يرعانا ولا نحن نُطلبُ

ويلكَ تمنيَّت لها ولنفسك الرّقّ والجَرَب ، والرَّمى والطَّرد والمَسْخ ، فأَىَّ مكروهٍ لم تتمنَّ لها ولنفسك! ولقد أصابها منك قولُ الأَوَّل : « معاداة عاقِل خير من مودة أَحمق » . فجعل يختلج جَسَد كثيِّر كلُّه ، ثم أَقبل عليه الأَحوص فقال : أَخبرنى عن قولك :

وقلنَ ، وقد يكذبن: فيكَ تعفُّفٌ
وشُؤمٌ إذا ما لم تُطِعْ صاح ناعقُه
فأَعييتَنَا لا واخياً بكرامة
ولا تاركاً شكوى الذى أَنت صادقُه
وأَدركتَ صفوَ الودِّ منَّا فلمتَنا
وليس لنا ذنبٌ فنحن مَواذقُه(٢)
٥٤٧ وأَلفيتنا سِلماً فصدَّعت بيننا
كما صدَّعت بين الأَديم خوالقُه(٣)

(١) فى هامش ش : « كذا بخط المؤلف وشكله بقلمه جربى بالقصر ، وتعدى . وهو خلاف السماع والقياس ، والصواب جرباء تعدى ، بالمد ، وتعدى من أعدى » . وهذا الصواب الذى أشير إليه هو الثابت فى الأغانى وديوان كثير .

(٢) أى مواذق لودك نمذقه لا نخلص لك فيه .

(٣) صدعت ، أى شققت . والخوالق ، من قولهم : خلق الأديم خلقاً : قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة ، أو خفاً ، أو نحو ذلك .

والله لو احتفل عليك مازاد على ما بؤت به على مافى نفسك ! ثم أَقبل عليه نصيبٌ فقال : أَقبل علىَّ يازُبَّ الذُّباب ، فقد تمنَّيتَ معرفة غائب عنك علمُه حيث تقول :

ودِدت وما تغنى الودادة أنَّنى   بمـا فى ضمير الحاجبيَّة عـالمُ

انظر مافى مرآتك واعرِف صورة وجهك، تعرفْ ما عندها لك! فاضطربَ اضطراب العصفور ، وقام القومُ يضحكون .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٦٣٩ (أَنْ هالكٌ كلُّ مَن يحفَى وينتعلُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فى فتيةٍ كسيوف الهندِ قد علموا[2])

على أَنَّ أَنْ مخفَّفةٌ من الثقيلة ، واسمُها ضمير شأْن محذوف، وهالك خبر مقدم ، وكلٌّ مبتدأٌ مؤخَّر ، والجملة خبرها .

وأورده صاحب الكشَّاف عند قوله تعالى : ﴿ وآخِرُ دَعواهُمْ أَن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين[3] ﴾ ،على أَنَّ أَنْ مخفَّفة واسمها ضمير شأْن كما فى البيت .

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٧٢ ، ٤٤٠ ، ٢/٤٨٠ : ١٢٣ والخصائص ٢ : ٤٤١ والمنصف ٣ : ١٢٩ والمحتسب ١ : ٣٠٨ وابن الشجرى ٢ : ٢ والإنصاف ١١٩ وابن يعيش ٨ : ٧٤ ، ٨١ والخزانة ٤ : ٣٥٦ بولاق والعينى ٢ : ٢٨٧ والهمع ١ : ١٤٢ وديوان الأعشى ٤٥ .

(٢) رواية البيت فى الديوان :

فى فتية كسيوف الهنـد قد علمـــوا   أن ليس يدفع عن ذى الحيلـة الحيل

(٣) الآية ١٠ من سورة يونس .

قال السيرافى : وفى كتاب أبى بكر مَبْرَمان[١] : هذا المصراع معمول، أى مصنوع ، والثابت المروىّ :

* أنْ ليس يدفعُ عن ذى الحيلة الحيَلُ *

قال : والشاهد فى كلتا الروايتين واحد ، لأنّه فى إضمار الهاء فى أنْ ، وتقديره ، أنّه هالك ، وأنّه ليس يدفع . انتهى .

قال ابن المستوفى : والذى ذكره السِّيرافى صحيح ، ولا شكَّ أنَّ النحويِّين غيَّروه ليقع الاسم بعد أن المخفَّفة مرفوعا ، وحكمه أنْ يقع بعد أنْ المثقَّلة منصوباً ، فلما تغيَّر اللفظ تغيَّر الحكم . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون[٢] ، وقبله :

(وقد غدَوتُ إلى الحانوت يتبعُنى شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شُلشُلٌ شوِلُ)

وغَدوت : ذهبت غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصُّبح وطلوع الشمس هذا أصله ، ثمَّ كثُر حتَّى استُعمِل فى الذَّهاب والانطلاق أىَّ وقت كان . كذا فى المصباح .

والحانوت : بيت الخمَّار ، يذكَّر ويؤنَّث . وجملة « يتبعنى » حالٌ من التاء فى غدوت . والشَّاوى : الذى يَشوى اللَّحم . والمشَلّ بكسر الميم وفتح الشين : المستحِثُّ والجيِّد السَّوق ، وقيل الذى يشُلُّ اللحمَ فى السَّفُّود ، من شللتُ الثوبَ ، إذا خِطته خياطة . كذا قال ابن السيرافى . والشَّلول، بفتح الشين ، مثل المِشلّ ، ويروى : « نشول » بفتح النون ،

---

(١) هو محمد بن على بن إسماعيل ، أبو بكر المعروف بمبرمان ، تلميذ المبرد والزجاج ، وأستاذ الفارسى والسيرافى . شرح كتاب سيبويه ولم يتمه ، وشرح شواهده . توفى سنة ٣٤٥ . البغية ٧٤ وإنباه الرواة ٣ : ١٨٩ وياقوت ١٨ : ٢٥٤ .

(٢) ش : « لأعشى ميمون » .

وهو الذى يأْخذ اللحم من القِدر ، يقال منه نشل ينشُلُ . والشُّلشُل ، بضم الشينين كقنفذ : الخفيف اليدِ فى العمل ، والمتحرِّك . والشَّوِل ، بفتح فكسر ، مِثل الشُّلشل ، وقيل هو الذى عادتُه ذلك .

وقال الخطيب التِّبريزى فى شرح هذه القصيدة : الشَّوِل هو الذى يحمل الشىءَ ، يقال شُلت به وأَشلته . وقيل هو من قولهم : فلانٌ يشُول فى حاجته ، أَى يُعنَى بها ويتحرَّك فيها . ومن روى : « شُوَل » بضمِ الشين وفتح الواو فهو بمعناه ، إِلَّا أَنَّه للتكثير. وروى بدله : « شَمِل » أَيضاً بفتح فكسر ، وهو الطيِّب النَّفْس والرائحة . يقول : بكرت إِلى بيت الخمَّار ومعى غلامٌ شوَّاءٌ طبَّاخ ، خفيف فى الخدمة .

ويشبه هذا البيتُ قولَ أَبى الطيِّب المتنبِّى وهو :

٥٤٨ فقلقت بالهمِّ الذى قلقلَ الحشَا قَلاقلَ عِيسٍ كلُّهن قَلاقلُ

قلقلت : حرَّكت . والقلاقل : جمع قَلقَل ، كجعفر : الناقة الخفيفة .

وقوله : « فى فتية » إلخ ، متعلِّق بغدوت فى البيت المتقدم . وفى بمعنى مع . وقال العينى : حالٌ من شاوٍ ، أَوْ حالٌ من الياء فى يتبعنى . والفتْية : جمع فتًى ، وهو الشابُّ . وقوله : (كسيوف الهند) فى محل الصِّفة لفتية ، وكذلك جملة (قد علمُوا) يريد أَنَّهم كالسُّيوف فى المضاء والعَزْم ، أوفى صَبَاحة الوجه تبرق كالسيوف . وخصَّها بالهند لحسن صقالتها(١) . وجملة المصراع الثانى فى محل نصب على أنَّه سادٌّ(٢) مَسدَّ مفعولى علموا .

---

(١) لم أجد الصقالة فى اللسان أو القاموس وسائر المعاجم المتداولة ، والمعروف الصقل والصقال بالكسر .

(٢) ط : « سادة » ، صوابه فى ش .

(ويحْفَى) بالحاءِ المهملة من الحفاءِ ، وهو المشى بلا نَعْل ولا خفٍّ . وأَراد به الفقير. (وينتعل) : يلبس النَّعل ، وأَراد به الغنىّ . يريد قد علم هؤلاءِ الفتيان أَنَّ الموت يعمُّ فقيرهم وغنيَّهم ، فهم يبادرون إلى اللِّذَّات قبل أَن يَحُول الموتُ بينها وبينهم ، كما قيل :

خُذوا بنصيب من نعيمٍ ولذَّةٍ فكلٌّ وإن طال المدى يتصرَّمُ

والبيتان من قصيدة جيِّدة للأَعشى ، وهى أَحسن شعره ، وقد أُلحقت بالمعلَّقات السَّبع . وقد شرحها الخطيب التِّبريزى مع المعلقات ، وأَولها :

(ودِّع هُريرةَ إنَّ الرَّكبَ مرتحلُ وهل تُطيق وَداعاً أَيُّها الرَّجُلُ)

نقل الخطيب عن أَبي عبيدة أَنَّه قال: هُريرة: قينةٌ كانت لرجل من آل عمرو بن مَرْثَد ، أَهداها إلى قيس بن حسَّان بن ثَعلبة بن عمرو ابن مرثَد ، فولدت له خُليدًا . وقد قال فى هذه القصيدة :

* جهلاً بأُمِّ خليدٍ حَبلَ مَن تَصِلُ[1] * انتهى

وقيل إنَّ هريرة وخُليدة أُختان كانتا قينتين لبشر بن عمرو ، وكانتا تغنِّيانه ، وقدِم بهما إلى اليمامة لمَّا هرب من النُّعمان بن المنذر . وقيل إنَّ أُمَّ هريرة كانت أَمَةً سَوداءَ لحسَّان بنِ عمرو ، كان الأَعشى يشبِّب بها . وقيل إنَّ الأَعشى سُئِل عن هريرة فقال : لا أَعرفها ، وإنَّما هو اسمٌ أُلقِيَ فى رُوعى .

ونقل صاحب الأَغانى[2] عن الشَّعبي أَنَّه قال : الأَعشى أَغزل النَّاس

(١) صدره فى ديوان الأعشى ٤٢ :

* صدت هريرة عنا ما تكلمنا *

(٢) الأغانى ٨ : ٧٦ .

فى بيت ، وأخنثُ النَّاس فى بيت ، وأشجع الناس فى بيت ، والكلُّ من هذه القصيدة .

أمَّا الأوّل فقوله :

(غرَّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضُها تمشى الهُوينَى كما يمشِى الوجِى الوَحِلُ)

وأما الثانى فقوله :

(قالت هريرةُ لمَّا جئتُ زائرَها ويلى عليكَ وويلى منك يارجلُ)

وأما الثالث فقوله :

(قالوا الطِّرادُ فقلنا تلك عادتُنا أو تنزلون فإنَّا معشرٌ نُزُلُ[1])

والغرَّاءُ : البيضاءُ الواسعة الجبين . والفرعاءُ : الطويلة الفَرْع ، أى الشعر . والعوارض : الرَّباعِيَات والأنياب . والوجِى ، بكسر الجيم : الذى يشتكى حافره ولم يَحفَ . والوَحِل بكسر الحاء المهملة : الذى يتوحَّل فى الطين .

وقوله : « قالوا الطِّراد » يقول : إن طاردتم بالرماح فتلك عادتنا ، وإنْ نزلتم تجالدون بالسُّيوف نزلنا .

وروى صاحب الأغانى[2] بسنده قال : حدَّث جرير بن عبد الله البَجَلى الصحابىُّ قال : سافرت فى الجاهليَّة ، فأقبلت ليلةً على بعيرى أُريد أن
أسقيَه ماءً ، فلمَّا قرَّبته من الماء تـأخَّر فعقلتُه ، ودنوت من الماء ، فإذا ٥٤٩
قومٌ مشوَّهون عند الماء ، فبينا أنا عندهم إذْ أتاهم رجلٌ أشدُّ تشويهًا

(١) التفسير التالى من كلام البغدادى .
(٢) الأغانى ٨ : ٩٧ .

منهم فقالوا : هذا شاعر[١] . ثم قالوا : يا أبا فلان أنشدْ هذا فإنّه ضيف . فأَنشد :

* ودِّع هريرة إنَّ الركبَ مُرتحلُ *

فوالله ما خرَم منها بيتاً حتَّى أتى على آخرها[٢] ، فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا أقولها . قلت : اولا ما تقول لأَخبرتك أَنَّ أَعشى قيس بن ثعلبة أنشدَنيها عامَ أَوَّلَ بنجران. قال : إنَّك صادق[٣] ، أنا الذى أَلقيتُها على لسانه ، وأنا مِسحَلُ [صاحبُه[٤]] ، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعَه عند ميمون بن قيس .

وروى صاحبُ الأَغانى عن الأَعشى قال : حدَّث الأَعشى عن نفسه قال : خرجت أُريد قيسَ بنَ معديكرب بحضْرَمَوْت ، فضلَلْتُ فى أَوائل أَرض اليمن لأَنِّى لم أكن سلكت ذلك الطريق قَبلُ ، فأَصابنى مطرٌ، فرميت ببصرى أَطلب مكاناً أَلجأُ إليه، فوقعَتْ عينى على خباءٍ من شَعَر، فقصدتُ نحوه ، وإذا أَنا بشيخ على باب الخباء فسلَّمت عليه ، فردَّ علىّ السلامَ وأَدخل ناقتى خباءً آخرَ كان بجانب البيت ، فحَططتُ رَحلى وجلست فقال : من أَنت ؟ وأَين تَقصِد ؟ قلت : أَنا الأَعشى ، أَقصِد قيسَ بن معديكرب . فقال : حيَّاك الله ، ، أَظنُّك امتدحتَه بشعر ؟ قلت : نعم . قال : فأَنشِدْنيه . فابتدأْت مطلعَ القصيدة :

رحلَتْ سُميَّةُ غُدوةً أَجمالَها غَضَباً عليكَ فما تقولَ بَدَا لَها

(١) فى الأغانى : « شاعرهم » .

(٢) الأغانى : « حتى انتهى إلى هذا البيت » :

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

(٣) الأغانى : « فإنك صادق » .

(٤) التكلة من الأغانى ، وهى ضرورية ليستقيم الكلام بعدها .

فلما أنشدته هذا المطلعَ منها قال : حسبُك ، أهذه القصيدةُ لك ؟ قلت : نعم . قال : مَن سميَّةُ التى تَنسِبُ بها ؟ قلت : لا أعرفُها ، وإنّما هو اسمٌ أُلقِىَ فى رُوعى . فنادى : يا سميَّة اخرُجى . وإذا جاريةٌ خماسيَّة قد خرجت[١] ، فوقفت وقالت : ما تريد يا أبت ؟ قال : أنشدى عمَّك قصيدتى التى مدحتُ بها قيسَ بن معديكرب ونسبتُ بكِ فى أوّلها . فاندفعَتْ تُنشد القصيدة حتَّى أتت على آخرها لم تخرِمْ منها حرفاً ، فلما أتَمَّتْها قال : انصرفى . ثم قال : هل قلتَ شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم ، كان بينى وبين ابن عمٍّ لى يقال له يزيد بن مُسْهِر ، ويكنى[٢] أبا ثابت ، ما يكون بين بنى العمِّ ، فهجانى وهجوتُه فأفحمتُه . قال : ماذا قلتَ فيه ؟ قال : قلت :

* ودِّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ *

فلما أنشدته البيتَ الأوَّل قال : حسبك ، مَنْ هريرةُ هذه التى نسبتَ فيها ؟ قلت : لا أعرفها ، وسبيلُها سبيلُ التى قبلها . فنادى : ياهريرة . فإذا جاريةٌ قريبة السِّنِّ من الأُولى خرجَتْ ، فقال : أنشدى عمَّك قصيدتى التى هجوتُ بها أبا ثابت يزيدَ بنَ مسهر . فأنشدَتْها من أولها إلى آخرها لم تخرِم منها حرفاً . فسُقِطَ فى يدى وتحيَّرت ، وتغشَّتْنى رِعدة . فلمَّا رأى ما نزل بى قال : ليُفْرِخْ رُوعك يا أبا بَصير[٣] أنا هاجِسُك مسحل بن أُثاثة الذى ألقى على لسانك الشعر . فسكنَتْ نفسى ورجعَتْ إلىّ ، وسكن المطرُ ، فدلَّنى على الطريق وأرانى سمتَ مَقصِدى وقال : لا تعُجْ يميناً ولا شِمالاً حتَّى تقع ببلاد قيس .

---

(١) الخماسية من الوصائف : ما كان طولها خمسة أشبار .

(٢) ط : « يكنى » بدون واو .

(٣) فى هامش كل من ط ، ش : « هاجس الأعشى مسحل بن أثاثة ، وابنتاه سمية وهريرة هما اللتان شبب بهما » .

وروى صاحبُ الأَغانى[١] أَيضاً أَنَّ الأَعشى قال هذه القصيدة ليزيد ابن مسهر أَبي ثابت الشيبانى .

قال أَبو عبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أَنَّ رجلاً من بنى كهف بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، يقال له ضُبيع ، قتل رجلاً من بنى همَّام ، يقال له زاهر بن سيَّار بن أَسعد ابن همام ، وكان ضبيع مطروقًا[٢] ، ضعيف العقل ، فنهاهم يزيد ٥٥٠
ابنُ مسهر ، وهو من بنى ثعلبة بن أَسعد بن همَّام ، أَن يقتلوا ضبيعاً بزاهر ، وقال : اقتلوا به سيِّدًا من بنى سعد بن مالك بن ضُبيعة . فحضَّ بنى سيَّارِ بن أَسعد على ذلك وأَمرَهم به ، فبلغ بنى قيس ما قاله ، فقال الأَعشى هذه القصيدة فى ذلك ، يأْمرُه أَن يدعَ بنى سيَّار وبنى كهف ، ولا يعينَ بنى سيَّار، فإنَّه إن أَعانهمأَعانت قبائل بنى قيس بنى كهف . وحذَّره أَن يلقى بنو سيَّارٍ منهم ما لقُوا يومَ العَين عين مُحلِّم بهجرَ .

يوم محلم وكان من حديث ذلك اليوم كما زعم عُمرَ بنهلال ، أَحد بنى سعد ابن قيس بن ثعلبة ، أَنَّ يزيد بن مُسهِر كان خالَعَ أَصرمَ بنَ عوف ابن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة ، فلما خلع يزيد بن مسهرٍ أَصرمَ من ماله خالعَه على أَن يرهنه ابنيه : أَقلَبَ[٣] وشهاباً ابنَىْ أَصرم ، وأُمُّهما فطيمة بنت شُرَحبِيلَ بن عَوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس . وأَنَّ يزيد قَمَرَ أَصرم[٤] ، فطلَبَ إليه أَن يدفع إليه ابنيهرهينة ، فأَبت

(١) الأغانى ٨ : ٩٦ .
(٢) المطروق : الذى فيه رخوة وضعف .
(٣) فى الأغانى : « أفلت » .
(٤) قمره : غلبه .

أمُّهما ذلك فنادت قومَها ، فحضر الناس واشتملت فطيمة على ابنيها بثَوبها ، ودافع قومُها عنهُما وعنها . فذلك قولُ الأَعشى :

نحْن الفوارسُ يومَ العين ضاحيةً جنَبيْ فُطيمةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ

قال : فانهزم بنو سيَّار .

فحذَّر الأَعشى يزيدَ بن مسهر مثلَ تلك الحالة .

قال أَبو عبيدة : وذَكر عامرٌ ومسمع ، عن قتادة الفقيه أَنَّ رجلين من بنى مَرْوان تنازعا فى هذا الحديث ، فجرَّدوا[1] رسولاً فى ذلك إلى العراق حتَّى قدِم الكوفة ، فأُخبر أَنَّ فُطيمة من بنى سعد بن قيس ، وأَنَّها كانت عند رجل من بنى سيَّار وله امرأَة غيرُها من قومه ، فتغايَرتا فعمَدت السَّيَّارية فحلقت ذوائبَ فُطَيمة ، فاهتاج الحيَّانِ فاقتتلوا ، فهُزِمَتْ بنو سيّارٍ يومئذ . انتهى .

وإنَّما نقلت هذا الفصل لأَنَّ شُرَّاح القصيدة أَخلُّوا فى شروحهم بهذه الأُمور . والله أَعلم .

وترجمة الأَعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الأَربعون بعد الستمائة[3] :

٦٤٠ (ولا تدفِننِّى فى الفَـلاةِ فإنَّنى
أَخـافُ إذا ما مِتُّ أَن لا أَذُوقُهـا)

على أَن (أَن) مخفَّفة لوقوعها بعد الخَوف بمعنى العلم واليقين ،

---

(١) فى الأغانى : « فجرد رسولا » .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

(٣) المغنى ٣٠ والهمع ٢ : ٢ والأشمونى ٣٠ : ٢٨٣ وديوان أبى محجن ٨ .

واسمها ضميرُ شأْن محذوفٌ ، أَو ضميرُ متكلِّم . وجملة لا أَذوقها فى محل رفع خبرها[1] .

وقبله :

(إذا متُّ فادفنِّى إلى جَنبِ كَرمةٍ
تروِّى عظامى بعد موتى عروقُها)

وأَصل الخوف الفزع وانقباض النفس عن احتمال ضرر ، وإذا اشتدَّ الخوف التحقَ بالمتيقَّن كما قال الشارح المحقق .

قال ابن خطيب الدَّهشة[2] وهو ابن مؤلِّف المصباح (فى كتاب التقريب[3] ، فى علم الغريب) : يقال خاف الشىءَ : علمَه وتيقَّنَه . انتهى .

وذلك لأَنَّ الإنسان لا يخاف شيئاً حتى يعلم أَنَّه مما يُخاف منه ، فهو من التعبير بالمسبَّب عن السَّبب ، وليس إطلاقُه عليه لأَنَّه من لوازم اليقين كما قال الشُّمُنِّى ، فكم من يقينٍ لا خوفَ منه .

وقال بعض المحقِّقين : الخوف والخشية يُستعملان بمعنى العلم ، لأَنَّ الخوفَ عبارة عن حالة مخصوصة متولِّدة من ظنٍّ مخصوص ، وبين

---

(١) كلمة « رفع » ساقطة من ش .

(٢) أى ابن خطيب جامع الدهشة ، وخطيب جامع الدهشة هو صاحب « المصباح المنير ، فى غريب الشرح الكبير » ، وهو أحمد بن محمد بن على الفيومى المقرى المتوفى سنة ٧٨٠ . وقد سبقت ترجمته فى حواشى الخزانة ١ : ٢٥ . واسم ولده هذا هو محمود بن أحمد بن على الحموى الفيومى ، وهو من فقهاء الشافعية كوالده . وأصله من الفيوم ، ومولده ووفاته بحماة (٧٦٠ - ٨٣٤) .

(٣) ذكر صاحب كشف الظنون أنه لغة تتعلق بالموطأ والصحيحين. وفى ش : «التعريب » ، صوابه فى ط . ومما يجدر ذكره أن كتاب والده « المصباح المنير » هو شرح للغات التى وردت فى غريب الشرح الكبير للرافعى ، وهو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزوينى الشافعى المتوفى سنة ٦٢٣ وهو أحد شرحين ألفهما على كتاب « الوجيز فى الفروع » للإمام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ وهو فى فقه الشافعية .

٥٥١ الظنّ والعلم مشابهةٌ فى أُمور كثيرة ، فلذلك صحّ إطلاق كلٍّ منهما على على الآخر .

وفى تخصيصه التولُّد بالظنّ نظر ، لأنّ الخوف كما يتولّد عن الظّنّ يتولّد عن العلم أيضاً .

وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فمن خافَ من مُوص[(١)] ﴾ فمن توقَّعَ وعَلِم . وهذا فى كلامهم شائع ، يقال أخاف أن تُرسِل السماءُ ، يريدون التوقُّعَ والظنَّ الغالبَ ، الجارىَ مجرى العلم[(٢)] .

وقال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) عند قول ابن هشام (فى المغنى) : «الخوف فى هذا البيت يقين» : قد يقال لا يلزم من تعقُّل العقلاءِ أنّه لا يذوقها بعد الموت ، حملُ الخوف على اليقين عند هذا الشاعر ، لأنّ استهتاره بشُربها، ومغالاتَه فى محبّتها ، أمرٌ مشهور، فلعلّ ذلك حمله على أنّه خاف ولم يقطع بما تيقّنه غيره ، ولذلك أمر بدفنه إلى جنب الكرمة ، رجاءَ أنّه ينال منها بعد الموت. ومن ثَمَّ قيل إنّ هذا أَحمقُ بيت قالته العرب . انتهى .

قال المُلاّ أحمد الحَلَبى (فى شرحه) بعد نقل هذا الكلام : وهذا مَبنىٌّ كما قال شيخنا على أنّه كان إذْ ذاك متردِّدًا بين ذَوقها بعد الموت بتقدير دفنه إلى جنب الكرمة ، أوْ لَا بتقدير دفنه فى الفلاة . فلا علمَ ولا ظنَّ . قال : وهذا احتمال ، لأنّ التعليلَ بقوله فإنّنى أخاف ، إن كان لمجموع الأمر والنهى[(٣)] على معنى فإنّنى أخاف أن لا أذوقها غدًا

(١) الآية ١٨٢ من سورة البقرة .
(٢) تفسير الكشاف ١ : ٨٧ .
(٣) فى ش : « لجموع » ، والوجه ما أثبت من ط .

فلا علم ولا ظن ، فهى الناصبة أُهمِلت . ففى (شرح الكافية للحديثى) أَنَّ الخفيفة بعد فعل الخوف والرَّجاءِ ناصبة ، لأَنَّه يحتمل أَن يقع وأَن لا يقع ، وبعد الظنِّ تحتملُها والمخفَّفة ، نظراً إلى الرُّجحان وعدمه ، أَو على معنى فإِنَّنى أَخاف الآنَ ، بتقدير: أَن لا تدفنِّى إلى جنبها بل فى الفلاة : أَن لا أَذوقها إِذا ما مِتُّ ، أَو فإِننى أَخاف إذا ما متُّ ، بهذا التقدير : أَن لا أَذوقُها . فالخوفُ هنا علمٌ ويقين ، فهى المخفَّفة . وكذا إنْ جُعل تعليلا للنَّهى وحدَه ، لأَنَّه الذى قارنه فى هذا البيت ، على معنى فإِنَّنى أَخاف الآن أَو إذا مامتُّ ، بتقدير أَن تدفننى فى الفلاة لا إلى جَنْبها ، أَن لا أَذوقها . انتهى .

قال ابن المُلاَّ : وههنا بحثٌ ، وهو أَنَّ الشاعر وإنْ كان من المغرمين بالصَّهباءِ ، المتهتِّكين بها ، لكنَّه من ذوى العقول الكاملة ، والأَنظار الصائبة ، فكيف يظنُّ به أَنَّه غير قاطع بما يتيقَّنه غيره من عدم الذَّوق بعد الموت؟ بل هو أَمرٌ مركوز فى الأَذهان ، غنىٌّ عن البيان وإنَّما جرى فى كلامه هذا على مذهب الشُّعراءِ فى تخييلاتهم ، ورامَ سلوكَ جادَّةِ تمويهاتِهم ، فإِنَّهم سحرة الكلام ، ومخترعو صُوَر الإِيهام . فأَمَر أَوّلًا بدفنه بعد الموت بجانب كرمة ، وأَبدى عذره فى ذلك بوصفها بقوله :

* تروِّى عظامِى بعد موتى عروقُها *

ليستفاد من ذلك علَّة الأَمر بالدَّفن المذكور ، إشارة إلى أَنَّ ما لا يُدرك كلُّه لا يترك كلُّه . وإذا تعذَّرت الترويَة الحقيقيَّة فلا أَقلَّ من حصول التروية المجازيَّة . ثمَّ نهى ثانياً تأْكيداً للأَمر الأَوّل عن دفنه لا بجنب كرمة ، وعلَّل ذلك بأَنَّه لا يذوقها إذا مات فلا يتروَّى بها حقيقة . فدفْنُه إلى جانبها مفوِّت للتروية المجازيَّة . ولمزيد

شَغَفَه بها آثر التعبير عن هذا اليقين بالخوف إيهاماً ؛ لأنَّه مع ذلك لا يقطع بعدم الذَّوق . وجعَلَ رفع الفعل بعد أنْ معه دليلاً على ما قصَده معنى . وإنَّما قلنا إنَّ ترويةِ العظام مجازيَّة لأنَّ الرِّوَى[1] حقيقةٌ لذوات

٥٥٢ الأكباد عن عطش ، وليست العظام منها . على أنَّه لا عطش بعد الموت . أو لما [ليسَتْ] له قوَّةٌ نامية . ومنه قولهم : رَوِىَ النباتُ من الماء . والعظام جماد . انتهى كلامه ، ومن خطه نقلت .

ويؤيد هذا رواية ابن السكيت :

ولا تدفنَنِّى فى الفلاة فإنَّنى يقيناً إذا ما متُّ لستُ أذوقها

وعليها لا شاهد فى البيت .

صاحب الشاهد والبيتان أوّلا قصيدةٍ لأبى مِحْجَنٍ الثَّقفى ، رواها ابنُ الأعرابى وابن السكيت (فى ديوانه) ، وبعدهما :

أبيات الشاهد (أباكِرها عنـدَ الشُّروق وتارةً يُعاجلنى عند المَساءِ غَبوقُها[2]

وللكأْس والصَّهباءِ حقٌّ معظَّم فمِنْ حقِّها أن لا تُضاعَ حقوقُها

أُقوِّمهـا زِقًّـا بِحِقٍّ بِذَاكـمُ يُساق إلينا فَجْرُها وفُسوقها[3]

وعندى على شُرب المدام حفيظة إذا ما نساءُ الحىِّ ضاقت حُلوقها

---

(١) الروى ، بكسر ففتح : الرى ، كما فى اللسان . وفيه : « روى من الماء بالكسر ، يروى رياً وروى أيضاً مثل رضا ، وتروى وارتوى ، كله بمعنى » . وفى ش مع أثر تصحيح : « التروى » ولا داعى له .

(٢) فى الديوان ٢٤ : « يعاجلنى بعد العشى » .

(٣) ط : « بداكم » ، صوابه فى ش وديوان أبى محجن ٢٤ . ورواية الديوان أيضاً ، وهى الوجه : « تجرها ونسوقها » . وقال أبو هلال العسكرى فى تفسير البيت : « الحق من الإبل : ابن ثلاث سنين ، والأنثى حقة ، وسمى ذلك لأنه استحق أن يحمل عليه . يقول : أشترى زقاً بحق ، ولهذا يحمل إلينا الخمر ، لأنا نربح حاملها . والتجر : جمع تاجر ، مثل صحب وصاحب » .

وأُعجِلْنَ عن شدِّ المآزر وُلَّهاً ... مفجَّعةَ الأَصوات قد جفَّ ريقُها
وأَمنع جارَ البيت ممَّا ينوبه ... وأُكرم أَضيافاً قِراهَا طُروقُها)

قال ابن السكيت: قوله: (إذا متُّ فادفنِّى) هذا خطابٌ مع ابنه يأْمره بذلك ، وفيه مبالغة على حبِّه للخمر وتعطُّشه إليها ، إذْ أَظهرَ الرَّغبة إليها وهو ميّت . وقوله : (ولا تدفنَنِّى فى الفَلاة) الخ . قال ابن السكيت : الفلاة : الأَرض المهلكة التى لا عَلَم بها ولا ماء . والمعنى أَنَّ الفلاة لا يُغْرسُ فيها كرم[1] فلا تدفنِّى إلاَّ بمكان ينبت فيه العنب حتَّى أَكون قريباً منه ، فأَلتذَّ بذلك .

وقوله : « أُباكِرُهَا عند الشُّروق » إلخ . قال ابن السكيت : أى إنِّى أُصبَحُها عند شروق الشمس ، ومرَّةً أَشربها عِشاءً ، إلَّا أَننى أُقدِّم شربها على العِشاء فيعاجلنى الغَبوق . والصَّبوح : شرب الغدوّ . والغَبُوقُ : شرب آخر النهار . وأُباكرها : أُبادر إليها فى بكرة النهار .

وقوله : « وللكأْس والصَّهباء » إلخ . قال ابن السكيت: حقُّها : كونُها تسرُّ القلب وتُذهب الهمّ ، وتُسخِّى البخيل وتشجِّع الجبان ، إلى غير ذلك من فعلها ، وهذا حقٌّ لها . وإذا كان هذا دأْبَها فمن حقِّها أَن تعظَّم ولا تضيَّع حقوقها . انتهى .

وقال ابن المُلَّا : فإن قُلتَ : حقُّ الكلام أَن يقول : ومن حقِّهما أَن لا يضاع حقوقهما ، لادعائه أَنَّ الحقَّ المعظَّم للكأْس والصهباء . قلت : نعم ، إلَّا أَنَّه ذهب إلى أَنَّ الكأْس والصهباء وإن كانا شيئين فهما بمثابة الشىء الواحد . واستَلْمَحَ قول القائل[2] :

(١) ط : « لا يعرش فيها كرم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) أى لمحه وأخذ منه . والوجه أن تقرأ : « وأستلمح » بصيغة المضارع ، أو « استلمح » بصيغة الأمر ، وبإحدى هاتين القراءتين ينتفى اعتراض البغدادى عليه فيما سيأتى .

رَقّ الزجاجُ وراقت الخمـر وتشاكـلا فتشـابَه الأَمرُ
فـكأَنّما خمـرٌ ولا قـدحٌ وكـأَنّما قـدح ولا خمرُ

انتهى . وفيه أَنَّ هذين البيتين لأَبى إسحاق الصّابى ، وهو متأَخّر عن أَبى مِحْجن بأَكثر من ثلاثمائة سنة . وكان ينبغى أَن يعكس[1]

وقوله : «أُقوِّمها زقًّا » إلخ. قال ابن السكيت : الزِّقُّ بالكسر : ظرف الخمر . والحِقّ بالكسر من الإبل : ابن ثلاث سنين ، وكذلك الحِقّة ، وسُمِّيا بهذا الاسم لأَنّهما استحقّا أَن يركبا . وفَجْرها : فجورها[2] والفاجر : المائل عن الطاعة . والطاعة : الوقوف على الأَوامر . والفسوق توسيع ما ضيَّقه الله من أَمر الدين .

٥٥٣ وقوله : « وعندى على شُرب » إلخ. قال ابن السكيت: الحفيظة كل شىءٍ يُغضَب لأَجله . يعنى وإن كنت سكرانَ لا أُهملُ الحفاظ إذا استغاثت بى نساءُ الحىّ وصِحَن لنازلةٍ نزَلَتْ بهنّ .

وقوله : « وأُعجِلن عن شدّ » إلخ . قال ابن السكيت : أَى دَهَمهنّ من البلاءِ ما أَعجلهنّ عن شد المآزر فى أَوساطهن . ووُلَّهاً : مفعول من أَجله ، أَى للولَه الذى نزل بهنّ . والوالهُ : الذّاهب العقل . والمفجّعة : التى نزل بها ما أَخافَها وأَفزَعها . وجفّ ريقها ، أَى يبس . انتهى .

والصواب أَنّ « وُلَّهاً » حال لا مفعول من أَجله .

وقوله : « وأَمنع جارَ البيت » إلخ . قال ابن السكيت : قَرَاها : أَطعمها يقول : إذا طرقتنا الضِّيفانُ ليلاً أَعجلْنا لها القرى ، فكأَنّ طروقها هو الذى قَراها . انتهى .

---

(١) ش : « أن لا يعكس » ، صوابه فى ط .
(٢) ط : « وفجورها » ، والوجه طرح الواو كما فى ش .

أبو محجن الثقفى

وأبو محجن : شاعر صَحابى ، له سَماعٌ ورواية . كذا فى الاستيعاب كما يأْتى .

وإنّما أثبت له السُّيوطى (فى شرح أبيات المغنى) رواية ، ولم يذكر أنَّ له سماعاً . ونفاها أيضاً الذهبيُّ (فى تاريخ الإسلام) . وقال (فى التجريد) : أبو محجن الثقفى عمرو بنُ حَبيب ، وقيل مالك بن حبيب ، وقيل عبدالله . كان فارساً شاعراً من الأَبطال ، لكنْ جلَده عمرُ فى الخمر مرّاتٍ ، ونفاه إلى جزيرة فى البحر ، فهرب ولحق بسعد وهو يحارب الفُرسَ فحبسه . وله أخبارٌ . روى عنه أبو سعدٍ البقَّال . انتهى .

ورواية أبى سعد البقَّال عن أبى محجن إنَّما هى بتدليس ، لأنَّه لم يدرك عصره . وقد ذكروه فى الضُّعفاء .

وقيل إنَّ اسمه أبو محجن ، وهى كنيته أيضاً . وهو بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم .

وهذه ترجمته (من الاستيعاب ، تأْليف أبى عمر يوسف الشهير بابن عبد البر) قال : أبو محجن الثقفى اختُلف فى اسمه ، فقيل مالك ابن حَبيب، وقيل عبدالله بن حَبيب بن (1) عمرو بن عمير بن عوف بن عُقدة بن عميرة بن عوف بنَ قَسِيّ ، وهو ثقيف ، الثقفى . وقيل اسمه كنيتُهُ . أسلمَ حَين أَسلمتْ ثقيف . وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه . حدَّث عنه أبو سعد البقّال قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَخْوَفُ ما أخاف على أُمَّتى من بعدى ثلاث : إيمانٌ بالنُّجوم ، وتكذيبٌ بالقَدَر ، وحَيف الأَئمة » .

---

(١) هذا يطابق ما فى الاستيعاب ٣١٦١ والإصابة ١٠٠٧ من باب الكنى . وفى ش : « وقيل » موضع « بن » هذه .

وكان أبو محجن هذا من الشُّجعان الأَبطال فى الجاهليَّة والإسلام ، من أُولى البأْس والنجدة ، ومن الفُرسان البُهَم[1] . وكان شاعراً مطبوعاً كريماً إلَّا أنَّه كان منهمِكاً بالشَّرابِ لا يكادُ يُقلِعُ عنه[2] ولا يردُعه حَدٌّ ولا لومُ لائم . وكان أبو بكرٍ الصِّدِّيق يستعين به . وجلدَه عمر ابن الخطاب فى الخمر مراراً ، ونفاه إلى جزيرة فى البحر ، وبعث معه رجلاً فهرب منه ، ولحق بِسعد بن أبي وقاص بالقادسيَّةِ وهو محاربٌ للفرس . وكان قد همَّ بقتل الرجُل الذى بعثه عمر معه ، فأَحسَّ الرجلُ بذلك ، وخرج فارًّا ولحق بعُمَر ، وأخبره خبره ، فكتب عمر إلى سعدٍ بحبس أَبي محجن ، فحبسه .

حدَّثنا إسحاق ابن إبراهيم قال : حدثنا عبد الرزَّاق، عنِ ابن جُريج قال : بلغنى أنَّ عمر بن الخطابَ حَدَّ أبا مِحْجن الثَّقفىَّ سبعَ مَرَّات . ذكر ذلك عبدُ الرزَّاق فى باب من حُدَّ من الصحابة فى الخمر . قال : وأخبرنا معمَّر عن أيُّوب عن ابن سيرين قال : كان أبو محجن الثَّقفى لا يزالُ يُجلَدُ فى الخمر ، فلما كثَّر عليهم[3] سَجَنوه وأوثقوه ، فلمَّا كان يوم القادسيَّة رآهم يقتتلون فكأنَّه رأى أنَّ المشركين قد أصابوا من المسلمين ، فأَرسل إلى أُمّ ولد سعد ، أو إلى امرأة سعد ، يقول لها : إنَّ أبا محجن يقول لك : إن خلَّيت سبيلَه وحملتِه على هذا الفرس ودفعتِ إليه سلاحاً ليكوننَّ أولَ من يرجع إليك ، إلاَّ أن يُقتلَ . وأنشد يقول : ٥٥٤

كفَى حزناً أَن تلتقِى الخيلُ بالقنـا
وأُتـركَ مشدودًا علـىَّ وَثَاقيـا

(١) البهم ، بضم ففتح : جمع بهمة بالضم ، وهو الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى .
(٢) وكذا فى الاستيعاب ، وفى ش : « يقطع عنه » .
(٣) فى الاستيعاب : « أكثر عليهم » .

إذا قمتُ عَنَّانى الحَديدُ وغُلِّقت
مَصَارعُ دونى قد تُصِمُّ المنادِيا(١)

وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوة
فقد تركونى واحدًا لاَ أخاليا(٢)

وقد شَفَّ نفسىَ أنَّنى كلَّ شَارق
أعالج كِبْلا مُصمتاً قد برانيا

فللهِ درِّى يومَ أُترك مُوثَقاً
وتُذهَلُ عنِّى أُسرتى ورجاليا

حُبستُ عن الحرب العَوان وقد بدت
وإعمالُ غيرى يوم ذاك العَواليا(٣)

ولله عهدٌ ، لا أخيسُ بعهده
لئن فُرِجَتْ أن لا أزور الحوانيا

فذهبت الأُخرى فقالت ذلك لامرأة سعد ، فحلَّت عنه قيوده ، وحُمل على فرسٍ كان فى الدار ، وأُعطِىَ سلاحاً ، ثم خرج يركض حتَّى لحق بالقوم ، فجعل لا يزالُ يَحمل على رجل فيقتله ويدقُّ صُلبه . فنظر إليه سعدٌ فجعل يتعجَّب ويقول : مَن ذلك الفارس ؟ قال : فلم يلبثوا إلاَّ يسيراً حتَّى هزمهم الله ، ورجَع أبو محجن وردَّ السلاح ، وجَعلَ

(١) ط : « غنانى الحديد » ، وأثبت ما فى ش والديوان ١٧ والاستيعاب وابن سلام . والمصارع : جمع مصرع كمنبر ، وهو لغة فى مصراع الباب . وما بعد هذا البيت من أبيات المقطوعة لم يرد فى الاستيعاب ، وأورد ابن سلام الثلاثة الأولى ، وزاد عليها رابعاً لم يرد فى ديوانه ، وهو :

أرينى سلاحى لا أبالك أننى أرى الحرب ما تزداد إلا تماديا

(٢) وكذا فى ابن سلام والأغانى ٢١ : ١٣٩ . وفى الديوان : « فأصبحت منهم واحداً » . وما بعد هذا البيت لم يرد فى الاستيعاب ولا الديوان ولا ابن سلام ، وإنما ورد فى الأغانى ٢١ : ١٣٩ .

(٣) فى الأغانى : « حبيساً عن الحرب العوان » . والعوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة .

رجليه فى القيود كما كان ، فجاءَ سعد فقالت له امرأته أَو أُمُّ ولده : كيف كان قِتالكم ؟ فجعل يخبرها ويقول : لقينا ولقينا ، حتَّى بعث الله رجلاً على فرسٍ أَبلق لولا أَنِّى تركت أَبا محجنٍ فى القيود لظننتُ أَنَّها بعض شمائل أَبى محجن ؟ فقالت : والله لأَبو محجن كان من أَمره كذا وكذا . فقصَّت عليه قِصَّته . فدعا به وحلَّ قيوده وقال : لا نجلدك على الخمر[1] أَبداً . قال أَبو محجن : وأَنا والله لاأَشربها أَبداً . كنت آنَف أَن أَدعَها من أَجل جَلْدِكم . قال : فلم يشربْها بعد ذلك .

وروى صاحب الاستيعاب بسنَده إلى إبراهيم بن محمد بن سعد بن أَبى وقَّاص عن أَبيه قال :

لمَّا كان يوم القادسية أُتىَ سعد بأَبى محجن وهو سكرانُ من الخمر ، فأَمر به إلى القيد ، وكان سعدٌ به جراحة فلم يخرُج يومئذ إلى الناس ، واستعمَلَ على الخيل خالد بنَ عُرفُطة ، ورُفع سعدٌ فوق العذيب[2] لينظر إلى الناس[3] ، فلما التقى الناسُ قال أَبو محجن :

كفى حزناً أَن تردىَ الخيل بالقنا[4] . . . الأَبيات السابقة

فقال لابنة خَصَفة[5] امرأَةِ سعد : ويحكِ خلِّينى ولكِ علىّ[6] إنْ

(١) انظر ما سيأتى من كلام ابن حجر فى هذا فى ص ٤١١ - ٤١٢ .

(٢) العذيب ، بهيئة التصغير : ماء بين القادسية والمغيثة .

(٣) ش : « ينتظر إلى الناس » ، صوابه فى ط والاستيعاب .

(٤) فى الاستيعاب : « أن تلتقى » وفى ط ، ش : « أن تردد » ، وصواب هذه ما أثبت من الأغانى . ردت الخيل تردى ردياً : رجمت الأرض بحوافرها .

(٥) كذا فى الاستيعاب والإصابة . وفى النسختين: « حفص » ، تحريف . وفى الأغانى: « سلمى بنت أبى حفصة » ، تحريف أيضاً . وانظر الطبرى ٣ : ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ .

(٦) هذا ما فى ش . وفى ط : « ولك » فقط . وفى الاستيعاب : « ولك على عهد الله » .

سلَّمنى الله أن أجىءَ حتى أَضع رجلى فى القَيد ، وإن قتِلتُ استرحتم منّى . فخَلَّته فوثب على فرس لسعدٍ يقال لها البلقاءُ ، ثم أَخذ الرَّمحَ ثم انطلق حتَّى أَتى النَّاس ، فجعل لا يحمل فى ناحيةٍ إلَّا هزمهم ، فجعل الناسُ يقولون : هذا مَلَكٌ : وسعد ينظر ، فجعل سعد يقول : الضَّبرُ ضَبرُ البلقاءِ ، والطَّعنُ طعن أَبى محجن ، وأَبو محجن فى القيد ! فلمّا هُزم العدوُّ رجع أَبو محجن حتَّى وضع رجله فى القَيد، فأَخبَرت ابنةُ خَصَفة[1] سعدًا بالذى كان من أَمره، فقال : لا والله ماأَبلى أَحدٌ من المسلمين ما أَبلى فى هذا اليوم ! لا أَضرب رجلاً أَبلى فى المسلمين ما أَبلى ! قال : فخَلَّى سبيله .

وقال أَبو محجن : كنت أَشربها إذ يقام علىَّ الحدُّ وأُطهَر منها ، فأَمَّا إذْ بَهْرَجتَنى[2] فوالله لا أَشربُها أَبداً .

ومن رواية أَهل الأَخبار أَنَّ ابناً لأَبى محجن دخل على معاوية ، فقال له معاوية : أَبوك الذى يقول :

٥٥٥ إذا متُّ فادفنى إلى جنب كرمة . . . الأَبيات المتقدمة

فقال له ابنه : لو شئتَ ذكرتُ أَحسنَ من هذا من شعره . قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسأَل الناسَ عن مالى وكثرته وسائل الناس عن حزمى وعن خلقى[3]

---

(١) كذا فى الاستيعاب والإصابة . وفى النسختين هنا: « حفصة » تحريف .

(٢) هذا ما فى الاستيعاب واللسان (بهرج) . وفى النسختين : « إن بهرجتنى » . وبهرج الشىء : أبطله ، كما تبهرج الدنانير والدراهم . أراد أهدرتنى بإسقاط الحد عنى . كما فى اللسان .

(٣) وكذا فى الاستيعاب . لكن رواية الديوان ص ٣ :

لا تسألى الناس عن مالى وكثرته وسائلى القوم عن دينى وعن خلقى

وقال أبو هلال فى تفسيره : « إنه خاطب امرأته . وكان من عاداتهم أن يخاطبوا نساءهم فى ابتداءات قصائدهم إذا حضروا ، ويخاطبوا خليليهم إذا سافروا ، لأنه كان لا يسافر منهم أقل من ثلاثة » .

قد يعَلم الناسُ أَنِّى من سَراتِهمُ
إذا تَطِيشُ يد الرِّعدِيدةِ الفِرقِ (١)

قد أَركبُ الهولَ مسدولاً عساكرُه
وأَكْتمُ السرَّ فيه ضربةُ العنقِ

أُعطى السِّنانَ غداةَ الرَّوع حِصَّتَه
وعاملُ الرُّمح أَرويهِ من العَلَقِ (٢)

وزاد بعضُهم فى هذه الأَبيات :

وأَطعنُ الطَّعنةَ النَّجلاءَ قد علموا
تنفى المسابير بالإزباد والفَهَقِ (٣)

عفٌّ المطالب عمَّا لستُ نائلَه
وإن ظُلمتُ شديدُ الحِقدِ والحَنَقِ

وقد أَجودُ وما مالى بذى فَنَعٍ
وقد أَكُرُّ وراءَ المُجحَرِ البَرِقِ (٤)

---

(١) فى الاستيعاب : « القوم أعلم » . وفى الديوان :

قد يعلم الناس أنا من سراتهم إذا سما بصر الرعديدة الفرق

(٢) ط : « عاسل » ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح . وفى الاستيعاب : « وحامل الرمح » تحريف . ورواية الديوان أيضاً « نحلته » موضع « حصته » . قال العسكرى : « أصل النحلة أن يعطى الرجل الرجل ناقة ينتفع بمنافعها ثم يردها ، ثم سمى كل عطية نحلة . وجعل أبو محجن ما نال السنان من الدم نحلة . وروى : حصته . ومجاز هذا الكلام مجاز قولهم : فلان يوفى هذه الصناعة حقها ، إذا قام بها حق القيام . وعامل الرمح وعاملته : على قدر ذراع من السنان . وسافلته : على قدر ذراع من الزج » .

(٣) فى الاستيعاب : « لو علموا » . وفى الديوان : « عن عرض » . والمسابير : جمع مسبار ، وهو الميل الذى يسبر به غور الجراحات . ط ، والديوان : « بالأزياد » صوابه فى ش .

(٤) الفنع : الكثرة . ط : « قنع » صوابه فى ش والديوان . والمجحر ، بتقديم الجيم : المضيق عليه كأنه فى جحر . وفى ط : « المحجر » بتقديم الحاء ، صوابه فى الاستيعاب وش مع أثر تصحيح . والبرق : الشاخص البصر ، كما فى شرح الديوان . وفى الاستيعاب : « الفرق » .

قد يُقْتِرِ المرءُ يوماً وهو ذو حسب
وقد يثُوبُ سوامُ العاجز الحَمِقِ[١]
ويكثُر المال يوماً بعد قِلَّته
ويكتسِى العودُ بعد الجدبِ بالورقِ

فقال له معاوية : لئن أسأْنا القول لَنُجزلُ العطيَّة[٢]. ثم أجزل جائزته وقال : إذا ولدَتِ النساءُ فلتلدْ مثلَكَ !

وزعم الهيثم بن عدىّ أنَّه أَخبره مَن رأَى قبر أَبى محجن الثقفى بأَذْرَبيجان ، أَو قال : فى نواحى جُرجانَ ، وقد نَبتتْ عليه ثلاثُ أُصولِ كَرْمٍ وقد طالت وأثمرت ، وهى معرَّشة على قبره ، مكتوب على القبر : « هذا قبر أَبى محجن » قال : فجعلت أَتعجَّب وأَذكر قوله :

* إذا متُّ فادفنِّى إلى جنب كرمة *

هذا ما اخترته من الاستيعاب

وروى ابن الأَعرابى (فى شرح ديوان أَبى محجن) عن ابن الكلبى أَنَّه قال : أَخبرنا عَوَانةُ قال : دخل عُبيد بن أَبى محجن على عبد الملك فقال له عبد الملك : أَبوك الذى يقول من قصيدة :

* إذا متُّ فادفنِّى إلى جنْب كرمة *

فقال : لا يا أَمير المؤمنين ، ولكن أَبى الذى يقول :

لاتسأَل القومَ عن مالى وكثرته . . . إلى آخر الأَبيات المذكورة .

ونقل ابن حجر (فى الإصابة) عن ابن فَتحون (فيما كتبه على

(١) يثوب : يكثر ، من قولهم : ثاب إليه قومه ، أى نهضوا إليه وكثروا حوله .
(٢) فى الاستيعاب : : « لئن كنا أسأنا القول لنحسنن لك الصفد » .

أوهام الاستيعاب) أنَّه عاب أبا عمر على ماذكَر فى قصة أَبى مِحجن أنَّه كان منهمكاً فى الشَّراب ، فقال : كان يكفيه ذكر حدِّهِ عليه ، والسكوتُ عنه أَليق . والأَولى فى أمره ما أَخرجه سَيف (فى الفتوح) : أَنَّ امرأَةَ سعدٍ سأَلتْه فيمَا حُبس[1] ؟ فقال : والله ما حُبِسْتُ على حرامٍ أكلته ولا شربته ، ولكنِّى كنتُ صاحب شرابٍ فى الجاهلية ، فجرى كثيراً على لسانى وصفُها ، فحبسنى بذلك ، فأَعلَمتُ بذلك سعدًا فقال : اذهب فما أنا بمؤاخِذِك بشئٍ تقوله حتَّى تفعله .

قال ابن حجر : وسيفٌ ضعيف ، والروايات التى ذكروها أَقوى وأشهر . وأنكر ابن فتحون قولَ من روى أَنَّ سعداً أَبطل عنه الحدَّ وقال : لا يُظَنُّ هذا بسعد ! ثم قال : لكن له وجه حسن ولم يذكروه . وكأَنَّه أَراد أَنَّ سعدًا أَرادَ بقوله لا يَجلدهُ فى الخمر[2] بشرطٍ أَضمره ، وهو إنْ ثبتَ عليه أَنَّه يشربها . فوفَّقه الله أَنْ تاب توبةً نصوحاً فلم يَعُدْ إليها ، كما فى بقية القصَّة .

وقوله فى القصة : « الضَّبر ضَبْر البلقاء » هو بالضاد المعجمة والباء الموحَّدة : عَدْو الفرس . ومن قاله بالصاد المهملة فقد صحَّف . نبَّه عليه ٥٥٦
ابن فتحون .

تتمة

سمَّاه الآمدىُّ (فى المؤتلف والمختلف) على خلاف ما تقدَّم مع بعض تغيير فى أَسماء آبائه . قال : هو حبيب بن عمرو بن عُمير بنَ عوف بن عُقْدة بن غِيَرة الثقفى . وهو شاعرٌ فارس ، وهو القائل :

---

(١) وكذا فى الإصابة بإبقاء الألف ، وهى لغة قرئ بها : « عما يتساءلون » . وفى ش : « فيم حبس » .

(٢) ط : « لاتجلده » ، صوابه فى ش والإصابة . وانظر ماسبق فى ص ٤٠٨ .

لمّا رأينا خيلاً محجّلةً وقومَ بغْيٍ فى جَحفل لجبِ[(١)]
طِرنا إليهم بكلِّ سَلهبة وكلِّ صافى الأَديم كالذهبِ
وكلِّ عَرّاصةٍ مثقَّفة فيها سِنانٌ كشُعلة اللَّهبِ
وكلِّ عضْبٍ فى مَتنه أُثُرٌ ومشرفىٍّ كالملح ذى شُطَبِ[(٢)]
وكلِّ فضفاضة مضاعفةٍ من نسج داودَ غير مؤتشَبِ
لمّا التقينا ماتَ الكلام ودا رَ الموتُ دَورَ الرَّحى على القُطُبِ
فكُلُّنا يستكيص صاحبَه عن نفسه، والنفوسُ فى كُرَبِ[(٣)]
إن حملوا لم نَرِمْ مواضعَنا وإنْ حمَلْنَا جثَوْا على الرُّكبِ

انتهى. وهذا الشعر لم يروه ابن الأعرابى وابن السكيت (فى ديوانه).

وحَبيب بالحاء المهملة المفتوحة، أورده الآمدى مكبَّراً اسماً لخمسة شعراء، أحدهم أبو محجن. ثم قال: وأما حُبَيب بالتصغير فهو حُبيْب ابن تميم المجاشعى. وأورد له شعراً.

وبعد أن نقل العينى الخلاف فى اسمه هل هو مالك بن حَبيب أو عبد الله بن حبيب قال: وضُبط عن أبى عُمر «حُبيْب» مصغَّراً. وتبعه السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) على هذا الضبط. والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد السمائة[(٤)]:

(١) المؤتلف للآمدى ٩٥ – ٩٦.

(٢) الأثر بضمتين، وبضمة، وبفتحتين وبفتحة، وبالكسر أيضاً، وهو فرند السيف وماؤه.

(٣) يقال كاص يكيص كيصا وكيصا، وكيوصا: كع وجبن وضعف. وفى المؤتلف: «يستليس».

(٤) ديوان النابغة ٤٨ من مجموع خمسة دواوين. وانظر لقصة الشعر ديوانه، والحيوان ٤: ٢٠٣ – ٢٠٥ والشعراء ١١٢ – ١١٣ والمحاسن والمساوى ٢: ١٣٤ وأمثال الميدانى ١: ٨٢ ومروج الذهب ٢: ١٢٩ وحياة الحيوان للدميرى ١: ٤١٦.

٦٤١ (فلما رأى أَنْ ثَمَّرَ اللهُ مالَه
وأَثَّل موجودًا وسَدَّ مفاقِرَهْ)

على أَنَّ الفراءَ وابنَ الأَنبارى جوّزا وقوعَ أَن المصدرية بعد فعل علم غير مؤوَّل بالظن ، كما فى البيت ، فإِنَّ رأى فيه عِلْمية . ويجوز أَن تكون فيه مخفَّفة ، من غير فصل بينها وبين ثَمَّر على الشذوذ . فأَنْ وما بعدها فى تأْويل مصدر سادٍّ مسدَّ مفعولى رأى ، إلاَّ أَنَّها فى القول الثانى مخفَّفة واسمها ضمير شأْن محذوف ، وجملة ثمر الله خبرها .

ولم يتعرَّض لكون رأى بَصَرِيَّة فتكون أَنْ هى المصدرية الداخلةَ على الفعل ، لأَنَّ ذلك لا يجوز ، لأَنَّ التثمير أَمر معنوىٌّ غير مُدرَك بحاسَّة العين ، ومعناه التكثير .

قال صاحب الصحاح : وأَثمر الرجلُ بالمثلثة ، أَى كَثُرَ ماله . وثَمَّرَ الله ماله ، أَى كثَّرهُ .

ففاعل رأى ضمير الحليف ، أَى المعاهد فى بيتٍ قبله .

(وأَثَّل) أَى أَصَّل وثبَّت . والتأْثيل : التأْصيل والتثبيت .

قال صاحب الصحاح : يقال سدَّ الله مفاقره ، أَى أَغناه وسدَّ وجوه فقره . انتهى . فيكون جمعَ مَفْقَر كجعافر جمع جعفر . والمفقَر : مكان الفقر وجهتُه .

وجواب لمَّا فى بيت بعده .

والبيت من قصيدة للنابغة الذبيانىِّ يعاتب بها بنى مُرّة فيما كان بينه وبين يزيد بن سنان بن أَبى حارثة ، واجتماع قومه عليه ،وطواعيتهم

له ، وطلبِه بحوائجهم عند الملوك . وكان النابغة يُحسَد كثيرًا ، وكان
عفيفاً شريفاً فى قومه . وهذا أوّلها : ٥٥٧

(ألا أَبلغـا ذبيانَ عنّى رسـالةً
فقـد أَصبحَتْ عن منهج القَصْـد جـائرَه
أَجِـدَّكُمُ لم تَزجُـروا عن ظُـلامةٍ
سفيهاً ، ولن تَرعَوْا لذِى الـوُدِّ آصِرَه
فلَو شهـدتْ سهمٌ وأَفنـاءُ مـالك
فتعـذِرَنى من مُـرَّةَ المتناصِرَه[1])

إلى أن قال بعد بيتين :

(فإنْ يكُ مولانا تجانَفَ نصرُه
وأَسلمنَـا لِمُـرَّة المتظـاهرَه
فإنّى لأَلقَى من ذوى الضِّغن منهـمُ
بِـلا عثرة ، والنفسُ لابدَّ عـاثره
كما لقِيَتْ ذاتُ الصَّفـا من حَليفهـا
وكانت تَديهِ المالَ غِبًّا وظـاهرَه
تَذكَّـرَ أَنّى يجعَـلُ اللهَ جُنَّـةً
فيصبحَ ذا مـالٍ ويقتـلَ واترَه
فلما رأى أَنْ ثمَّـرَ اللهُ مـالَه
وأَثَّـلَ موجـودًا وسَـدَّ مَفاقِرَه
أَكبَّ على فَأْسٍ يُحِـدُّ غـرابَهـا
مذكَّـرةٍ من المَعَـاول باتـره

(١) وكذا فى الديوان . وفى الحيوان « أليس لنا مولى يحب سراحنا فيعذرنا » .

فلمَّا وقاها الله ضربةَ فأْسِهِ
وللبرِّ عينٌ ما تغمِّض ناظرَه

تنـدَّم لما فاته الذَّحلُ عِندها
وكانت له إذ خاسَ بالعهد قاهِرَه

فقال تعالَىْ نجعلِ اللهَ بيننا
على مالِنا أو تُنجزى لىَ آخرَه

فقالت يمينُ الله أَفعلُ ، إنَّنى
رأَيتُكَ مسحورًا يمينُك فاجِره

أَبى لِىَ قبرٌ لا يزال مُقابِلى
وضربةُ فَأْس فوق رأْسىَ فاقره)

وهذا آخر القصيدة .

والآصرة : القرابة . يقال : فلانٌ ما تأْصره علىّ آصرةٌ ، أَى لا تَعطِفه علىّ رَحِمَ . وسهمٌ هو ابن مُرّة بن عوفِ الذُّبيانى . ومالك هو أَخو سهم ، قبيلتان . ولهذا قال « المتناصره » أَى التى ينصُر بعضها بعضاً . وتجانَفَ: تمايل . والمتظاهرة : التى صار كلٌّ منهم ظهيرًا ومعيناً للآخَر . والضِّغن : الحقد . وذاتُ الصَّفا هى الحيَّة كما يأْتى شرحها . والحليف : المُعاهَد . وقوله : « وكانت تديه المالَ » إلخ روى الأَصمعى بدله :

* وما انفكَّت الأَمثالُ فى الناس سائره *

وقال : تلك الرواية منحولة ، لأَنَّك تقول وديت فلاناً ، للمقتول نفسِه ، ولا تقول وديت وليَّهُ ولا أَهلَه . ووَدَى فلانٌ فلاناً : أَعطَى ديَتَه . وغِبًّا ، أَى تعطيه من الدِّية فى يوم ولا تعطيه فى اليوم الثانى . والغِبُّ

بالكسر : فَصلُ الفعل وتركه بيومٍ[1] بين فعلٍ يومين . ومنه حُمَّى الغِبّ ، إذا أَتت يوماً وتركت يوماً . والظاهرة : البارزة غير مختفية[2] ، وقيل الظاهرة التى تشرب كلَّ يوم .

وروى أبو عبيدة بدل البيت :

(فواثَقَها بالله حينَ تراضيا فكانت تديه المالَ غِبًّا وظاهره)

وقوله : « تذكر » فاعله ضمير الحليف. وأَنَّى بمعنى كيف . والجُنَّة بضم الجيم : الوقاية . والواتر : الذى عنده الثأْر ، من الوَتْر بفتح الواو عند قوم وكسرها عند آخرين ، وهو الذَّحْل والثأْر . وقوله : « فلما رأى » فاعله ضمير الحليف . وقوله : « أَكبَّ » هو جوابُ لمَّا . يقال أَكبَّ على كذا ، أَى لازمَه . ويُحدُّ : مضارع أَحدَّه ، أَى جعله حديدًا قاطعاً . ٥٥٨ والغُراب ، بضم المعجمة : رأس الفأْس القائم ؛ ولها رأْسان ، فالرأس العريض يقال له قَدُوم ، والآخر يقال له غُراب . قال صاحب الصحاح : الذَّكر من الحديد : خلاف الأَنيث . وسيف ذكَرٌ ومُذكَّر ، بفتح الكاف المشدودة ، أَى ذو ماءٍ . وقال أَبو عبيد : هى سيوفٌ شَفَراتها حديدٌ ذكَرٌ ومتونها أَنيث. قال : ويقول الناس إنَّها من عمل الجنِّ . انتهى .

والذكر هو الفُولاذ والصُّلب . والأَنيث ، هو الحديد المعروف . والمعاول : جمع مِعْول بكسر الميم وفتح الواو ، وهى الفأْس العظيمة التى يُنقَر بها الصَّخر . والباترة : القاطعة . والذَّحل ، بفتح الذال المعجمة وسكون الحاءِ المهملة : الثَّأْر والحقد . وكانت ، أَى الحيَّة .

(١) ط : « يقوم » .
(٢) كذا فى النسختين .

وخاس بالعهد بإعجام الأَوَّل وإهمال الآخِرِ ، بمعنى غَدَر به . وأراد بقَهرِها إيّاه قطعَ العطيَّة من الدِّية . أو تنجزى : إلى أن تنجرى .

وقوله : « يمينَ الله أفعل » أى أقسم يميناً بالله لا أفعل ، أى لا أُعطى. كما كنت أُعطيك . أو بمعنى لا أَقبل عهدَك بعد هذا . والمسحور : المخدوع ، يقال سحره أى خدعَه وعلَّله. وأرادت: إنَّك إنسانٌ خادعٌ غدَّار . وفاقرة: قاطعة ، يقال فقر الحبلُ أنفَ البعير ، إذا حزَّه وأثَّر فيه.

وهذه الأَبيات موقوفةٌ على سماع حكايةٍ هى من أكاذيب العرب قال أَبو عمرٍو الشَّيبانى وابنُ الأَعرابى : ذكروا أَنَّ أخوين كانا فيما مضى فى إبلٍ لهما ، فأَجدبت بلادُهما وكان قريباً منهما وادٍ يقال له عُبَيدَانُ فيه حيَّة قد أَحمته[١] فقال أَحدُهما لصاحبه : هل لك فى وادى الحيَّة فإنَّه ذو كَلإٍ ؟ فقال أَخوه : إنِّى أخاف عليك الحيَّةَ ، ألا ترى أَنَّ أَحدًا لم يهبط ذلك الوادىَ إلَّا أَهلكَتْه ؟ فقال : والله لأَفعلنَّ ! فهبط ذلك الوادىَ فَرعى فيه إبلَه ، فبينا هو ذاتَ يومٍ فى آخِرِ الإبل نائمٌ إذْ رفعت الحيَّة رأْسَها فأَبصرَته ، فأَتته فقتلتْه ثمّ دخلتْ جُحْرها ، وأَبطأَت الإبلُ على أَخيه فعَرَفَ أَنَّه قد هَلَك ، فقال : ما فى الحياة بعد أَخى خَيرٌ ، ولأَطلبنَّ الحيَّة ولأَقتلنَّها أو لأَتبعنَّ أَخى . فهبط ذلك الوادىَ فطلب الحيَّة ليقتلَها فقالت له : أَلستَ ترى أَنِّى قد قتلت أَخاك ، فهل لك فى الصُّلح فأَدَعكَ ترعى الوادىَ فتكونَ فيه ، وأَعطيَك ما بقِيتُ دينارًا يوماً ويوماً لا ؟ قال : أَوَ فاعلةٌ أَنتِ ؟ قالت : نعم . قال : فإنِّى أَقْبَل . فحلف لها وأَعطاها المواثيق لا يضرُّها ، وجعلتْ تعطيه ماضَمِنَتْ له ، فكثر ماله ونَبتت إبِلُه حتَّى صار من أَحسن

(١) كذا فى النسختين ، ويقال أحمى المكان : جعله حمى لايقرب .

الناس حالًا . ثم إنَّه ذكرَ أخاه ذات يوم فَدمعَتْ عيناه وقال : كيف ينفعنى العيشُ وأنا أنظرُ إلى قاتل أخى ؟ فعمَد إلى فأْس فأحدَّها ثم قعد ، فمرَّتْ به فتبعها وضرَبها فأخطأَها ، ودخلت جُحْرها ، ووقعت الفأْس فوق جُحْرها فأثَّرت فيه ، فلمَّا رأت ما فَعلَ قَطعتْ عنه الدِّينار الذى كانت تعطيه ، فلمَّا رأى ذلك تخوَّفَ شرَّها ونَدِم ، فقال لها : هل لكِ أَن نتواثقَ ونعودَ إلى ما كنَّا عليه ؟ فقالت : « كيف أعاودُك وهذا أثر فاسِك » ، وأنت ترى قبر أخيك ، وأنت فاجر لا تبالى بالعهد.

وكان حديث الحيّة والفأْس من مشهور أمثال العرب .

قال أبو عبيدة : لمَّا حجَّ عبد الملك بن مروان أوّلَ حجَّة حجَّها فى خلافته قدِم المدينةَ فخطب، فقال : يا أهل المدينة ، والله لا تحبُّوننا ولا نحبُّكم أبداً وأنتم أصحابُ عثمان ، إذْ نفيتمونا عن المدينة ونحن أصحابُكم يوم الحَرَّة ، فإنَّما مثَلُنا وَمثَلُكم كما قال النابغة . وأنشد ٥٥٩
هذه الأبياتَ من صفة الحية .

ثم قال : إنَّه كانت حيّةٌ مجاورةً رجلاً فوكعَتْه فقتلته ، ثم إنَّها دعت أخاه إلى أن يصالحها على أن تدِىَ له أخاه ، فعاهدها ، ثم كانت تعطيه يوماً ولا تعطيه يوماً ، فلمَّا تنجَّز عامة دِيَته قالت له نفسه : لو قتلتَها وقد أخذْتَ عامَّةَ الدِّيَة فيجتمعان لك ! فأخذ فأْساً فلما خرجتْ لتعطيَه الدينارَ ضربَها على رأسها وسبقته فأخطأَها وندم ، فقال : تعالَىْ نتعاقد ولا نغدِر وتُنْجزى آخر دِيَتى . فقالت : أبى الصُّلحَ القبرُ الذى بين عينيك ، والضَّربةُ التى فوق رأسى ، فلن تحبِّنى أبداً ما رأيتَ قبر أخيك ، ولن أُحبَّك ما كانت الضربة برأسى . إنَّا لن نحبَّكم ما ذكرنا ما صنعتم بنا ، ولن تحبُّونا ماذكرتم ما صنعنا بكم . انتهى .

والنابغة شاعرٌ جاهليٌّ تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الرابع بعد المائة[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد السبّمائة[(٢)]

٦٤٢ (أنْ تقرآنِ على أسماءَ ويحكُما
مِنِّى السَّلامَ وأن لا تُشعِرَا أَحَدَا)

على أنَّ (أنْ الخفيفة المصدريَّة) قد لا تنصب المضارع كما فى البيت، إمَّا للحَمْلِ على ما المصدرية أو على المخفَّفَة. ولو نصبت لحذفت النون من تقرآن .

قال ابن جنى (فى الخصائص) : سألت أبا علىٍّ رحمه الله عنه فقال : هى مخفَّفة من الثقيلة ، كأنه : قال أنَّكما تقرآن ، إلَّا أنَّه خفَّف من غير تعويض .

وحدَّثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال : شبَّه أنْ بما ، فلم يُعملها كما لا يُعمل ما . انتهى .

وزاد (فى سر الصناعة) : وهذا مذهب البغداديِّين . وفى هذا بُعدٌ . وذلك أنَّ (أنْ) لا تقع إذا وُصِلت حالاً أبداً ، إنَّما هى للمضىِّ أو للاستقبال نحو : سرَّنى أن قام ، ويسرُّنى أن يقوم . ولا تقولُ يسرنى أن يقوم وهو فى حال القيام . و(مَا) إذا وُصِلتْ بالفعل وكانت مصدراً فهى للحال أبداً نحو قولك : ماتقوم حسن ، أى قيامك الذى أنت عليه حسن ، فيبعد تشبيه واحدةٍ منهما بالأُخرى وكلٌّ واحدةٍ منهما لا تقع موقع صاحبتها. قال أبو على : وأوْلَى أن المخففةَ من الثقيلة الفعلَ بلا عوض ضرورةً .

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ — ١٣٨ .

(٢) مجالس ثعلب ٣٩٠ والخصائص ١ : ٣٩٠ والمنصف ١ : ٢٧٨ والإنصاف ٥٦٣ وابن يعيش ٧ : ١٥ / ٨ : ١٤٣ ومغنى اللبيب ٣٠ ، ١٩٧ والعينى ٤ : ٣٨٠ والتصريح ٢ : ٢٣٢ والأشمونى ٣ : ٢٨٧ .

وهذا على كلٍّ حال وإن كان فيه بعضُ الضعف ، أسهلُ مما ارتكبه الكوفيُّون . انتهى .

وكذلك قال (فى شرح تصريف المازنى) : سألت أبا على عن إثبات النون فى تقرآن بعد أن ، فقال : أَنْ مخفَّفة من الثقيلة ، وأَوْلاها الفعلَ بلا فصلٍ للضرورة . فهذا أيضاً من الشاذِّ عن القياس والاستعمال جميعاً، إلَّا أَنَّ الاستعمال إذا ورد بشىءٍ أُخذ به وتُرك القياس ، لأَنَّ السَّماعَ يُبطل القياس . قال أبو على : لأَنَّ الغرض فيما ندوِّنه من هذه الدواوين ، ونقنِّنه[1] من هذه القوانين ، إنَّما هو ليلحقَ من ليس من أهل اللُّغة بأَهلها ، ويستوىَ من ليس بفصيح ومن هو فصيح . فإذا ورد السماعُ بشىءٍ لم يبق غرضٌ مطلوب ، وعُدِل عن القياس إلى السماع . انتهى .

وذهب إلى هذا ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) قال : ومنه مباشرة الفعل المضارع لأَن المخفَّفة من الثقيلة وحذفُ الفَصْل ، نحو قول الشاعر ، أَنشده الفرَّاءُ عن القاسم بن معنٍ قاضى الكوفة :

إنِّى زعـيمٌ يانُويْـ قةُ إنْ سلمتِ من الرَّزَاحِ[2]
أن تهبطين بلاد قو مٍ يَرْتَعُون من الطِّلاحِ[3] ٥٦٠

وقولِ الآخر :

أَنْ تقرآنِ على أسماءَ ويحكما . . . البيت

(١) فى المنصف ١ : ٢٧٩ : « ونثبته » .

(٢) الرزاح ، كسحاب : شدة الضعف فى الإبل حتى تكاد تلصق بالأرض ولا يكون بها نهوض . وفى معانى الفراء ١ : ٣٦ : « من الزواح » كما فى اللسان (زوح) .

(٣) الطلاح : جمع طلحة ، وهو الواحدة من الطلح ، شبهوه بقصعة وقصاع . والطلح أعظم العضاه وأكثره ورقاً وأشده خضرة .

وقول الآخر :

إذا كان أَمرُ الناس عند عجوزهم
فلا بدَّ أَنْ يلقَوْنَ كل يبابِ[(١)]

وقولِ ابن الدُّمينة[(٢)] :

ولى كبدٌ مقروحةٌ من يبيعُنى
بها كبدًا ليست بذاتِ قُروح

أَبَى النَّاسُ وَيْحَ النَّاسِ أَن يشترونها
ومن يشترى ذا علَّةٍ بصحيحِ[(٣)]

وقولِ الآخر[(٤)] :

وإنِّى لأَختار القِرى طاوىَ الحشا
محاذرةً من أَنْ يُقالُ لئيمُ

قال أَبو بكر بن الأَنبارى : رواه الكسائىُّ والفراءُ عن بعض العرب برفع يقال . ولا يحسُن شىءٌ من ذلك فى سَعة الكلام حتَّى يفصل بين أَن والفعل بالسين أَو سوف أَو قَدْ فى الإِيجاب ، وبلا فى النفى . فإِنْ جاءَ شىءٌ منه فى الكلام حُفظ ولم يُقَس عليه ، نحو قراءَة ابن مجاهد: ﴿لمن أَراد أَنْ يُتمُّ الرَّضاعة[(٥)]﴾ برفع يتمُّ . ومن النحوِّيين من زعم أَنَّ أَنْ فى جميع ذلك هى الناصبة للفعل ، إِلَّا أَنَّها أُهملت حملاً على المصدرية

(١) فى حواشى ش : « هكذا بخط المؤلف ، وصوابه : كل تباب » .

(٢) ديوان ابن الدمينة ٢٧ .

(٣) فى الديوان : « ويب الناس » .

(٤) هو حاتم الطائى . ديوانه ١١٤ .

(٥) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

فلم تعملْ لمشابهتها لها فى أنَّها تقدَّر مع ما بعدها بالمصدر . وما ذكرتُ[١] قبلُ من أنَّها مخفَّفة أولى ، وهو مذهب الفارسيِّ وابن جنِّى ، لأنَّها هى التى استقرَّ فى كلامهم ارتفاعُ الفعل المضارعِ بعدها . انتهى .

وذهب الزمخشرىُّ إلى أنَّ الرفع بعد أنْ لغةٌ . قال (فى المفصل) : وبعض العرب يرفع الفعل بعد أنْ تشبيهاً بما . قال :

أن تقرآنِ على أسماءَ ويحَكما . . . البيت

وعن ابن مجاهد : ﴿ أَنْ يتمُّ الرَّضاعة ﴾ بالرَّفع . انتهى .

قال شارحه ابن يعيش : قال ابنُ جنِّى : قرأتُ على محمد بن الحسن ، عن أحمد بن يحيي قولَ الشاعر :

ياصاحبيَّ فدَتْ نفسى نفوسَكُما ... وحيثُما كنتما لاقيتُما رَشَدا
أنْ تحملاحاجةً لىخفَّ مَحمَلُها ... وتصنعا نِعمةً عندى بها وَيَدا
أن تقرآن . . . . البيت

فقال فى تفسير أنْ تقرآن : وعِلَّةُ رفعه أنَّه شبَّه أنْ بما فلم يُعمِلْها فى صِلتها . ومثله الآية ، وهو رأى السِّيرافى . ولعلَّ صاحب هذا الكتاب نقله من الشَّرح . وهذا رأْى البغداديِّين ، ولا يراه البَصريُّون . وصحَّة مَحْمَل البيت عندهم على أنَّها المخفَّفة من الثقيلة ، أى أنَّكما تقرآن . وأنْ وما بعدها فى موضع البدل من قوله حاجة ، لأنَّ حاجته قراءةُ السلام عليها . وقد استبعدوا تشبيه أنْ بما ، لأنَّ ما مصدرٌ معناه الحال ، وأنْ وما بعدها مصدرٌ إمّا ماضٍ وإمَّا مستقبَل ، على حسَب الفعل الواقع بعدها ، فلذلك لا يصحُّ أَحدُهما بمعنى الآخر[٢] . انتهى .

(١) ش : « وما ذكرته » .
(٢) فى ابن يعيش ٨ : ١٤٣ : « حمل إحداهما على الأخرى » .

ونقل ابن هشام (فى المغنى) خلافَ هذا ، قال فى بحث أَن المخفَّفة وقد[1] يرفع الفعل بعدها كقراءة ابن مُحيصِن : ﴿ لمن أَرادَ أَنْ يتمُّ الرَّضاعة ﴾ ، وكقول الشاعر :

* أَن تقرآن على أَسماءَ وَيْحَكما *

وزعم الكوفيون أَنَّ أَنْ هذه هى المخفَّفة من الثقيلة شذَّ اتِّصالها بالفعل . والصَّواب قولُ البصريين ، أَنَّها أَن الناصبة أُهمِلتْ حملاً على أُختها ما المصدرية . هذا كلامه .

وقوله : « أَن تحملا حاجة » فى موضع نصب بفعل مضمر دلَّ عليه
٥٦١ ما تضمَّنه البيت الأَوّلُ من النداءِ والدعاءِ . والمعنى : أَسالكما أَن تحملا . وقول ابن جنى : التقدير أَنَّكما تقرآن، إشارة إلى أَنَّ اسم أَنْ ضميرٌ محذوف ، وهو ضمير التثنية .

وقد ذهب ابن هشام (فى موضعين من المغنى) كالشَّارح المحقق . إلى أَنَّها فى البيت هى الخفيفة الناصبة للمضارع ، قال فى القاعدة الحاديةَ عشرة من الباب الثامن : مِن مُلَح كلامهم تقارُضُ اللفظين فى الأَحكام ، ولذلك أَمثلة منها إعطاءُ أَن المصدريّة حكمَ « ما » فى الإِهمال كقوله :

أَن تقرآن على أَسماءَ ويحكما . . . البيت

الشاهد فى أَن الأُولى[2] وليست مخفَّفة من الثقيلة ، بدليل أَن المعطوفةِ عليها . وإِعمالُ « ما » حمْلاً على « أَنْ » كما روى من قوله عليه

---

(١) ش : « قد » .
(٢) ش : « ليست » بطرح الواو .

الصلاة والسلام : «كما تكونوا يولَّى عليكم » ، ذكره ابنُ الحاجب . والمعروف فى الرواية : « كما تكونون » . انتهى .

قال الدمامينى معترضاً على دليله فى الأَوّل : لا مانع من عطف أن الناصبةِ وصِلتها على أن المخفَّفة وصلتها ، إذ هو عطفُ مصدر على مصدر ولا يمنعه أَحَد ، كما تقول : عندى أَن لا تسىءُ إلى أَحد وأَن تحسنَ إلى عدوِّك ، برفع تسىءُ .

واعتذر عنه الشُّمُنِّىُّ بأَنَّ المراد بالدليل هنا ما يُفيد الظنَّ والرُّجْحان وليس المراد أَنَّ ذلك دليلٌ من جهة امتناع عطف أَن الناصبة وصلتها على أن المخففة وصلتها ، ومن جهة أَنَّ الظاهر أَنَّ الثانية من نوع الأُولى، والثانية ليست خفيفةً ، فكذا الأُولى .

وقال الدمامينى فى دليله بالحديث : لا حاجة إلى جعل ما ناصبه حملاً على أُختها أَنْ ، فإنَّ فيه إثباتَ حكمٍ لها لم يثبت فى غير هذا المحلِّ ، بل الفعل مرفوع ونون الرفع محذوفة . وقد سُمع ذلك نظماً ونثراً . قال الشاعر :

* أَبيت أَسرى وتبيتى تدلكى[(١)] *

أَى : وتبيتين تدلكين . وخرَّج على ذلك مارُوى عن أَبى عمرو : ﴿ قالوا ساحران تَظَّاهرَا[(٢)] ﴾ بتشديد الظاء، أَى أَنتما ساحران تتظاهران،

(١) رجز مجهول القائل . انظر معجم شواهد العربية ٥١٥ .

(٢) الآية ٤٨ من القصص . والمراد بالساحرين : موسى وهارون ، أو موسى ومحمد ، أو عيسى ومحمد . ونسبة هذه القراءة إلى أبى عمرو لم ترد فى الإتحاف أو تفسير أبى حيان ، وإنما نسبت فى تفسير أبى حيان ٧ : ١٢٤ إلى محبوب عن الحسن ، ويحيى بن الحارث الذمارى ، وأبى حيوة ، وأبى خلاد عن اليزيدى . ونسبت فى القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١١٣ إلى يحيى الذمارى . وقال ابن خالويه : « تشديده لحن لأنه فعل ماض ، وإنما تشدد فى المضارع » ورد عليه أبو حيان بقوله : « وله تخريج فى اللسان ، وذلك أنه مضارع حذفت منه النون ، وقد جاء حذفها فى قليل من الكلام وفى الشعر » .

فحذف المبتدأ أو أُدغمت التاءُ فى الظاءِ وحذفت نون الرفع . وفى الحديث : « لا تَدخُلوا الجنَّةَ حتَّى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتَّى تَحَابُّوا »، فحذف النون من الفعلين المنفيَّين . فعليه يخرَّج « كما تكونوا » إن ثبتَ . ولا حاجة إلى ارتكاب أمرٍ لم يثبت .

ولم يهتد أبو البقاءِ لمرادِ الزَّمَخْشرىّ فى تشبيه أن بما .

قال تلميذه الإمام الأندلسى (فى شرح المفصَّل) : قال أبو البقاءِ : إن أراد تشبيه أن بما النافية فهو تشبيهٌ بعيد ، لأنَّ أن تقرآن فى الشعر إيجاب فهو ضدٌّ للنفى . وتشبيهُ الإثبات بالنفى بعيدٌ خصوصاً فى باب العمل والإلغاءِ . وإن أراد بما الزائدة فهو أقرب ، ويؤيِّد ذلك قراءَة ابن مجاهد : ﴿ لمن أراد أن يتمُّ الرَّضاعة[1] ﴾ .

ثم قال : قلت ماذكره شيخنا خالٍ عن التحقيق ، بل المشبَّه بها ههنا ما المصدرية ، فى أنَّها تطلب[صِلة[2]] وتقدَّر معها تقديرالمفرد ، فتقسيم الشيخ ضائع . ومن أراد إبطال شىءٍ بالتقسيم فطريقُهُ أن يحصُر الأَقسام بأَسْرها ، ثم يُبطلَ قسماً قسما . والشيخ لم يفعل ذلك . واستدلالُه أيضاً بقراءَة ابن مجاهد على أنَّها زائدة عجيب ، والأَجود أن يقال : إنَّها فى البيت مفسِّرة بمعنى أى ، وتكون تفسيراً للحاجة المذكورة فى البيت المتقدِّم . انتهى كلام الأَندلُسِىّ .

وهذا تخريجٌ ثالث للبيت ، تبعه جماعةٌ ، فجعلوا أنْ تقرآن تفسيراً لحاجةً .

قال الشارح المحقق فى آخر الكتاب أنْ لا تفسَّر إلَّا مفعولاً مقدَّرَ

---

(١) الآية ٢٣٣ من البقرة .

(٢) تكلة يفتقر إليها الكلام .

اللفظ ، دالاًّ على معنى القول مؤدِّياً معناه . وقد تفسِّر المفعول به الظاهر ٥٦٢
كقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى . أَنِ اقْذِفِيهِ[1] ﴾ . انتهى .

ولا يخفى أنَّ الحمل ليس فيه معنى القول ، فلا يجوز جعل أَنْ تفسيرية . فتأَمَّلْ .

وقوله: « ياصاحبيَّ فدَتْ نفسى » إلخ الجملة الدعائية ــ وهى فدت نفسى إلخ ، والجملة الشرطيّة المراد بها الدُّعاءُ أيضاً وهى المصراع الثانى ــ وقع الاعتراضُ بهما بين قوله ياصاحبي وبين قوله « أَن تحملا » . وأَنْ تحملا فى تأْويل مصدرٍ إمّا منصوبٍ بفعل مقدَّر هو المقصود بالنداءِ ، تقديره : أَسأَلكما أن تحملا ، أى حَمْلَ حاجة لى . وإمَّا مجرور بلام محذوفة مع فعلٍ يدُّل على النداءِ ، أى أُناديكما أو أَدعوكُما لأَنْ تحملا . ويجوز أن يكون مفعولاً لأَجله وعامله محذوفٌ يدلُّ عليه الدُّعاءُ لهما ، وتقديره: أدعو لكما لأَجل حملكما حاجةً لى . وعلى هذا لا اعتراض فى الكلام ، ويكون المقصود بالنداءِ هو الجملة الدعائية .

و « المَحْمَل » بفتح الميمين: مصدر ميمى بمعنى الحمل . وعطف اليد على النِّعمة تفسيرىٌّ .

وروى شارح اللُّباب وغيرُه :

* تستوجبا مِنَّةً عندى بها وَيَدا *

وهذا يقتضى أن يكون قوله: «أَن تحملا» شرطاً ، و« تستوجبا » جوابه . فإنْ على هذا إما مكسورة وإمّا مفتوحة وهى حرف شرط كالمكسورة ، وهو مذهب الكوفيِّين ، وتبعهم الشارح المحقق وابنُ هشام (فى المغنى) .

---

(١) الآية ٣٩ من سورة طه .

وقوله: « أنْ تقرآن » هو إمّا بدل من قوله حاجة، وإمّا خبر مبتدإ محذوف، أي هى أن تقرآن. والجملة استئنافٌ بَيانيٌّ . كذا فى شرح اللباب وغيره . وقال ابن المستوفى : هو بدلٌ من قوله أن تحملا . وإن كان أنْ تفسيريّةً فلا محلَّ لما بعدها من الإعراب.

قال الزمخشريُّ (فى أساس البلاغة) : يقال : اقرأْ سلامى على فُلانٍ، ولا يقال: اقرأه منِّى السلام . انتهى .

ووجهُه أنَّ قرأَ يتعدَّى إلى مفعول واحدٍ بنفسه، وإلى المبلَّغ إليه بعلى . وهذا مذهب الأَصمعىّ ، قال صاحب المصباح : قال الأَصمعى : وتعديته بنفسه خطأٌ، فلا يقال اقرأْه السلام، لأَنَّه بمعنى اتلُ عليه . وحكى ابن القطَّاع أنَّه يتعدى بنفسه رباعيًّا فيقال : فلانٌ يُقرِئك السَّلام . انتهى .

وما فى البيت جارٍ على كلام الأَصمعىّ ، ولا مانعَ من تعلق منِّى بتقرآن كما فهمه ابنُ المُلاَّ من نقل كلام الزمخشرى ؛ فإنَّ مراده أنَّ قرأَ لا يتعدَّى إلى مفعولين بنفسه ، ولا يمنع من تعلُّق « مِنِّى » به إذا كان مستعملاً على ما قاله . ويجوز أن يكون « مِنِّى » حالاً من السلام .

و (أَسماءُ) من أَعلام النساء ، ووزنه فَعْلاءُ لا أَفعال، لأَنَّه من الوسْم[1] وهو الْحُسن ، فهمزته بدل من الواو .

وجملة (ويحكما) معترضة . ووَيْحَ : كلمة ترحُّم ورأْفة ، وهو مصدرٌ منصوب بفعل واجب الحذف .

وهذه الأَبيات الثلاثة قلَّما خلا عنها كتابُ نحوٍ ، ومع كثرة الاستعمال لم يعزُها أَحدٌ إلى شاعر . والله أَعلم .

* * *

(١) كذا فى النسختين . والوجه « الوسام » أو « الوسامة » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد السمائة[1] :

٦٣٤ (كانَ جزائى بالعَصا أَنْ أُجْلَدَا)

على أن الفرّاء استدل به على جواز تقديم معمول معمولِ أن المصدريَّة عليها[2] ، فإنَّ قوله (بالعصا) يتعلّق بقوله أُجلدا، و (أُجْلَدَ) معمول أَنْ .

٥٦٢ وقال البصريون : معمولُ الصلة من تمام الصلة ، فكما لا يجوز تقديم الصِّلة على أَنْ ، كذلك لا يجوز تقدُّم معمولها عليها . وأجابوا عن هذا كما قال الشارح المحقق بأنَّه نادر ، أو هو متعلّق بأُجلد مقدّراً ، يُريد : بأَن أُجلد . فاختصر .

وزاد الشارح المحقق بأَنَّ قوله بالعصا خبرُ مبتدإٍ مقدَّر ، وتقديره ذلك الجزاءُ بالعصا ، والجملة اعتراضية.

وقال التبريزى[3] (فى شرح الحاجبية[4]) : لم يتعلّق بالعصا بأَن أُجلد ، بل إمَّا بأَعنى للتبيين ، أو بمثْلِ المؤخَّر ، أو بجعل كان تامَّةً

(١) المحتسب ٢ : ٣١٠ والمنصف ١ : ٢٩ ، ١٣٠ / ٣ : ٢٠ وابن يعيش ٩ : ١٥١ والعينى ٤ : ٤١٠ والهمع ١ : ٨٨ / ٢ : ٣ والأشمونى ٣ : ٢٨٤ وملحقات ديوان العجاج ٧٦ ليبسك .

(٢) ش : « تقديم معمول أن المصدرية عليها » ، والصواب ما أثبت من ط ، فإن « بالعصا» معمول لأجلد الذى هو معمول أن المصدرية فى هذا الشاهد .

(٣) هذا التبريزى غير التبريزى المشهور ، أبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى ، المتوفى سنة ٥٠٢ . بل هو تاج الدين أبو محمد على بن عبد الله بن أبى الحسن الأردبيلى التبريزى المتوفى سنة ٧٤٦ . قال صاحب كشف الظنون ٢ : ٢٥٣ عند الكلام على شرحه : « وهو شرح كبير كشرح الرضى » . وانظر بغية الوعاة ٣٣٩ .

(٤) أى الكافية فى النحو لابن الحاجب .

وبالعصا متعلِّقاً بها ، وأَنْ أُجلَد فى موضع رفع على أَنَّه بدل من الجزاء . انتهى .

وقال أبو على (فى الإيضاح الشِّعرىّ) : لا يمتنع أن يتقدَّم على وجه التبيين ، ليس على أَنَّه متعلق بالصلة ، لم يجعلوا بالعصا متعلقا بالجَلْد ، ولكن جعلوه تبييناً للجلْد ، كقوله :

* أَبَعْلِىَ هذا بالرَّحا المتقاعسُ[(١)] *

وقوله تعالى : ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين[(٢)] ﴾ .

قال ابن جنى عند قول الحماسى[(٣)] :

ولا يحمل القوْمُ الكرامُ أخاهم الـ ـعتيدَ السِّلاحِ عنهمُ أَن يُمارِسا

أراد : فى تَرْكِ أَن يمارسَ ، فحذف « فى » أَوَّلاً ، ثم « تَرْك » ، ومعناه أن يمارس عنهم . إلَّا أَنَّ إعرابه الآنَ يمنع من حمله عليه ، لما فى ذلك من تقديم بعض الصِّلة على الموصول . فإذا كان كذلك أضمر لحرف الجرِّ ما يتناوله ودلَّ عليه يمارس . ومثله قول العجاج :

* كان جزائى بالعصا أن أُجلدَا *

وقال أيضاً بعده ، عند قول الحماسى من بيت :

* والله أعلم بالصَّمَّانِ ماجَشِمُوا[(٤)] *

---

(١) للهذلول بن كعب العنبرى ، كما فى الحماسة ٦٩٦ بشرح المرزوقى . وانظر معجم شواهد العربية ١٩٧ . وصدره :

* تقول وصكت صدرها بيمينها *

(٢) الآية ٢٠ من سورة يوسف .

(٣) هو حسيل بن سجيح ، كما فى الحماسة ٥٧١ بشرح المرزوقى .

(٤) لمحرز بن المكعبر لضبى ، كما فى الحماسة ٥٧٣ بشرح المرزوقى . وصدره :

* حتى أتى علم الدهنا يواعسه *

المعنى والله أعلم : ماجَشِموا بالصَّمَّان . فإنْ حملتَه على هذا كان لحناً ، لتقديم ما فى الصِّلة على الموصول . لكنْ تجعلُه تبييناً فتعلِّقه بمحذوف يدلُّ عليه الظاهر . وهو بابٌ فاعرفه .

وقد تكلَّم على التبيين بأَبسَط من هذا (فى شرح تصريف المازنى) قال : إن كان على تقدير أن أُجلد بالعصا فخطأٌ ، لأَنَّ الباءَ فى صلة أَنْ ، ومحالٌ تقديم شيءٍ من الصلة على الموصول ، ولكنَّه جعل الباءَ تبييناً ومثله قولُه تعالى : ﴿ وكانوا فيهِ من الزَّاهدين[1] ﴾ فلمَّا قدَّم جعل تبييناً فأُخرج عن الصلة . ومعنى التبيين أنْ تعلِّقه بما يدلُّ عليه معنى الكلام ، ولا تقدِّره فى الصلة ، لأَنَّ معنى البيت جلدى بالعصا . فإذا فعلتَ هذا سلم لك اللفظُ والمعنى ، ولم تقدِّم شيئاً عن موضعه الذى هو أَخصُّ بهِ ، ولا يجوز إزالتُه عنه . وليس يمتنع أن يكون تفسير المعنى مخالفاً لِتقديرِ الإعراب . أَلا ترى أَنَّ معنى قولهم : «أَهلَكَ والليل» ، معناه الحقْ بأَهلك قبل الليل ، وإنَّما تقديره فى الإعراب : الحقْ بأَهلك وسابق الليل . فكذلك أَيضاً يكون معنى الكلام كان جزائى أن أُجلد بالعصا ، وتقديره فى الإعراب غير ذلك . وسيبويه كثيراً ما يميل فى كلامه على المعنى ، فيتخيَّل مَن لا خبرة له أَنَّه قد جاءَ بتقدير الإعراب ، فيحمله فى الإعراب عليه وهو لا يدرى ، فيكون مخطئاً وعنده أَنَّه مصيب ، فإذا نوزع فى ذلك قال : هكذا قال سيبويه وغيرُه . فإذا تفطَّنت لهذا الكتاب وجدتَه كثيرًا . وأَكثر ما يستعمله فى المنصوبات فى صدر الكتاب ، لأَنَّه موضعٌ مشكلٌ وقلَّما يُهتدَى له . انتهى .

---

(١) الآية ٢٠ من سورة يوسف .

والبيت للعجاج ، كما قاله ابن جنى . وقبله :

رَبَّيتُه حتَّى إذا تمَعْدَدا وآض نَهْداً كالحصان أَجرَدَا

كان جزائى . . . إلخ .

قال ابن جنى (فى شرح التصريف) : تمعدَد من لفظ معدٍّ بن عدنان
٥٦٤ وإنَّما كان منه لأَنَّ معنى تمعدد تكلَّم بكلام مَعدٍّ، أى كبر وخَطَب[1] . هكذا قال أبو على . ومنه قول عمر : « اخشَوشِنوا وتمعدَدُوا » . قال أحمد بن يحيى : تمعددُوا ، أى كونوا على خُلُق معدّ . انتهى .

وأورده الجوهرى فى (عدد) ، ونقل الخلاف فى مِيمه وقال: تمعدد الرجل أى تزيَّا بزيِّهم ، أو تنسَّب إليهم ، أو تصبَّر على عيش معدّ . وقال أبو عبيدٍ : فى أَثَر عمر قولان : يقال هو من الغِلظ ، ومنه قيل للغلام إذا شبّ وغُلظ : قد تمعدد . قال الراجز :

* ربَّيته حتى إذا تمعددا *

ويقال معناه تشبَّهوا بعَيْش معدٍّ . وكانوا أهلَ قَشَف وغلظ فى المعاش . يقول : فكونوا مثلهم ودَعُوا التنعُّم وزىَّ العجم . قال : وهكذا هو فى حديث آخر: « عليكم باللِّبْسة المعدِّيّة » .اهـ .

وقال ابن دريد (فى الجمهرة): التمعدد: الشدَّة والقُوّة . وأنشد هذا الرجز ثم قال : والمِعدة من هذا اشتقاقُها . ومَعْدان : اسم رجلٍ أَحسب اشتقاقه من المعدة . اهـ .

وقوله: « وآض نَهدًا » إلخ ، آض بمعنى صار . والنَّهْد ، بفتح النون وسكون الهاءِ : العالى المرتفع . والحِصان ، بكسر الحاءِ ، هو الذكر من الخيل . والأَجرد ممَّا تُمدَح به الخيل ، ومعناه القصير الشَّعَر .

(١) فى المنصف ٣ : ٢٠ : « خطب وكبر » .

والعجّاج تقدّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب [(١)].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد السّمائة [(٢)] :

٦٤٤ (وشفاءُ غَيِّكِ خابرًا أَن تسأَلى)

على أَنَّ تقدُّم خابرًا على أَنْ نادر ، أَو هو منصوب بفعل يدلُّ عليه المذكور ، والتقدير : تسأَلين خابرًا .

ولم يذكر التخريج الثانىَ فى البيت الذى قبله ؛ لأَنَّه لا يتأَتَّى هنا ، فإِنَّ خابراً منصوب .

قال ابن السرّاج (فى الأُصول) : ولا يجوز عند الفراءِ إذا قلت أَقوم كى تضرب زيداً : أَقومِ زيداً كى تضرب . والكسائىُّ يُجيزه ، وينشد :

* وشفاءُ غَيِّكِ خابراً أَن تسالى *

وقال الفَرَّاءُ : خابرًا حالٌ من الغىّ . ا هـ .

ونقله صاحبُ اللباب فقال : ولا يجوز : قمتُ زيداً كى أَضرب ، كما لا يجوز : أُريد زيدًا أَن أَضرب ، خلافاً للكسائىّ . وقولُه :

* وشفاءُ غَيِّكِ خابرًا أَن تسالى *

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٠ . وفى ش : « الواحد والعشرين » .

(٢) الحماسة البصرية ٢ : ٣٧ مع نسبته إلى امرأة من سليم . وفى الأغانى ١٩ : ٩٣ قصيدة طويلة منسوبه إلى ربيعة بن مقروم منها هذا الشاهد . وهناك أبيات من الروى والعروض، ليس منها هذا البيت فى الحماسة بشرح المرزوقى ٦١ — ٦٧ .

ممَّا يعضد مذهبَه . والفراءُ يجعل المنصوب حالاً من الغى على ماحكاه ابن السَّرَّاج . اهـ .

وقول الفراءِ فى البيت لا وجهَ له ، فإنَّ خابرًا اسمُ فاعل من خبرته أخبُره ، من باب نصر ، خُبراً بالضم ، إذا عَلِمته . وهو بالخاءِ المعجمة والباءِ الموحَّدة . فالخابر : العالم . و (الغىّ) بفتح الغين المعجمة : مصدر غوى غَيًّا ، من باب ضرب ، أى انهمَكَ فى الجهل ، وهو خلاف الرُّشد ، والاسم الغَوَاية بالفتح .

والمصراع عجزٌ وصدره :

(هلَّا سألتِ وخُبْرُ قَومٍ عندَهم وشفاءُ غَيِّكِ خابرًا أن تسألى[1])

وبعده :

(هَل نكرم الأَضيافَ إن نزلوا بنا ونَسُود بالمعروف غيرَ تنحُّلِ)

فلا يمكن تخريج البيت إلاَّ على ما ذكره الشارح المحقق أو الكسائى .

ولا يصحُّ جعل خابرًا حالاً من الغى ولا من الكاف ، فإنَّ الغىَّ لا يتَّصف بالخُبْر ، إذْ هو ضدُّه . وكذلك المخاطبة لا تتَّصف به لأَنَّها متَّصفة بالغى ، ولعدم قوله خابرة بالتأْنيث .

٥٦٥ وقد تصحَّف على شارح اللباب لفظتان منه : الأُولى : الغَىُّ تصحَّفت عليه بالعَين المهملة المكسورة . والثانية : قوله خابرًا ، تصحَّفت عليه بجابر بالجيم ، فإنَّه قال بعد عبارة اللباب : هكذا ذكره المصنِّف ، وفيه نظر :

أَمَّا أَوّلاً فلأَنَّه يتعلق بالقصَّة ، فإن كان جابرٌ اسمَ رجل فالحقُّ ماذكره

(١) البيت شديد التحريف فى الحماسة البصرية . والبيت الذى بعده، وهما بيتان اثنان فقط ، سيأتى قريباً فى ص ٤٣٥ .

الكسائى ، وإن لم يكن اسم رجل جاز أن يكون فاعلاً من الجبر ، فالحقُّ ما ذكره الفراء . وإن كان مجهولَ الحال احتمل الوجهين .

وأما ثانياً فلأنَّ وصف الشفاءِ بالجبر كان أولى من وصف العِىّ به ، فإنَّ العِىَّ والعجز ليس سبب الجبْر والصَّلاح ، بل هو سبب الاختلال ، والشِّفاءُ والخلاص عَن العِىّ هو الجابر للاختلال . فلعلَّ تأْويله أنَّ العِىّ سببُ السؤالِ والحاملُ عليه ، والسؤالَ سببُ الشفاءِ والجبر . فجاز أن يُجعل العىُّ شافيًا ، إسنادًا للأَثر إلى سبب السبب .

هذا كلامه ، وهو فى هذا معذورٌ ، لأَنَّه لم يقف على أصل الشعر .

وقد أورد البيتَ بمصراعيه ابنُ الأَنبارىِّ والقالىُّ (فى تأْليفِهما فى المقصور والممدود) . شاهدًا للممدود المكسور أَوَّله ، وهو الشِّفاءُ .

ورأيت (فى الحماسة البصرية) : قالت امرأة من بنى سُليم :

هلاَّ سأَلتِ خبيرَ قَومٍ عنهمُ　　　وشفاءُ عِلْمكِ خابرًا أَن تسالى
يُبدى لكِ العلمَ الجلىَّ بفهمه　　　فيلوحُ قبل تفكُّرٍ وتأَمُّلِ

ومثل البيتين الأَوَّلين فى المعنى وغالبِ اللفظ ، قولُ سَعْيَةَ بنِ عُريضٍ (١) من يهود خيبر :

إن تسأَلى بى فاسأَلى خابرًا　　　فالعلم قد يُلفَى لدى السائلِ
يُنبيكِ من كان بنا عالماً　　　عنَّا ، وما العالمُ كالجاهلِ

(١) فى النسختين : « سعيد بن العريض » ، تحريف . وهو بفتح السين المهملة والياء المثناة التحتية ، كما فى الروض الأنف للسهيلى ١ : ١٤٢ وابن الأثير فى أسد الغابة ١ : ٦٩ — ٧٠ ٢٤١ . وانظر ماأثبتناه فى شرح الأصمعيات ٨٢ — ٨٣ . وسعية هذا هو أخو السموءل المشهور بالوفاء . وسعية لم يدرك الإسلام ، ولكن أدركه ولداه : ثعلبة وأسد، وأسلما وحسن إسلامهما وتوفيا فى حياة رسول الله .

صاحب الشاهد — وبيت الشاهد من قصيدةٍ لربيعة بن مقرومٍ . وبعد ذينك البيتين :

أبيات الشاهد
(ونحُلّ بالثَّغر المخوفِ عدوُّه ونردُّ خالَ العارض المتهلِّلِ
ونُعينُ غارمَنا ونمنعُ جارَنا ويزينُ مولًى ذكرُنا فى المحفلِ
وإذا امرؤٌ منَّا جنَى فكأنَّه مما يَخافُ على مناكبِ يَذبُلِ
ومتى يقمْ عند اجتماع عشيرةٍ خطباؤنا بين العشيرة يَفصلِ[1]
وإذا الحَمَالةُ أثقلت حُمَّالَها فعلى سوائِمنا ثقيلُ المَحمِلِ
ويحقُّ فى أموالنا لِحَرِيبِنا حقٌّ ننوءُ به وإن لم نُسألِ[2])

ومن هذه القصيدة :

(ولقد شهِدتُ الخيلَ عند طِرادها بسليمِ أوظفةِ القوائم هيكلِ
متقاذفٍ شَنِجِ النَّسا عَبْلِ الشوى سبَّاقِ أندية الجياد عَميثْلِ[3]
لولا أُكفكِفُه لكاد إذا جرى منه الشَّكيمُ يدقُّ فأْس المِسْحَلِ
وإذا جرى منه الحميمُ رأيتَه يَهوى بفارسه هَوىَّ الأَجدلِ
وإذا تُعلَّل بالسِّياط جيادُها أَعطاك نائبةً ولم يتعلَّلِ
ودعَوْا نَزَالِ فكنتُ أوَّلَ نازلٍ وعلام أَركبُه إذا لم أَنزلِ
ولقد جمعت المالَ من جمع امرئٍ ورفعتُ نفسى عن لئيم المأْكلِ
٥٦٦ ودَخلت أبنيةَ الملوك عليهمُ ولشرُّ قولِ المرءِ مالم يَفعلِ
وألدَّ ذى حنَقٍ علىّ كأنَّما تغلى عداوةُ صدره فى مِرجلِ

(١) ط : « خطابنا » ، وأثبت مافى ش مع أثر تصحيح والأغانى .
(٢) فى الأغانى : « ونحق فى أموالنا لحليفنا حقاً يبوء به » . والحريب هنا : المسلوب ماله .
(٣) فى الأغانى : « أبدية الجياد » .

أَوْجَيْتُه عنى فأبصَرَ قصدَه ... وكويته فوقَ النَّواظرِ من عَلِ(١)
وأَخى محافظةٍ عَصَى عُذَّاله ... وأَطاع لذَّته مُعِمٍّ مُخولِ
هَشٍّ يَرَاحُ إلى الندى نبَّهتُه ... والصُّبحُ ساطعُ لونه لم يَنجَلِ
فأَتَيت حانوتًا به فصَبَحْتُه ... من عاتقٍ بمزاجها لم تُقتَلِ
صهباءَ صافيةِ القذى أَغلَى بها ... يَسَرٌ كريمُ الخِيم غير مبخَّلِ
ولقد أَصبتُ من المعيشةِ لِينَها ... وأَصابنى منه الزَّمانُ بكلكِلِ
فإذا وذاك كأَنَّه مالم يكن ... إلَّا تذكُّره لمن لم يجهلِ
ولقد أَتت مائةٌ علىّ أَعُدُّها ... حَولاً فَحوْلاً لوْ بلاها مبتلى(٢)
فإذا الشباب كمِبذَلٍ أَنضيتُه ... والدَّهر يُبلِى كلَّ جِدَّةٍ مِبذلِ)

ومن هذه القصيدة فى وصف امرأة ، روى صاحب الأَغانى بسنده إلى الهيثم بن عدىٍّ ، عن حمّادٍ الراوية قال :

دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبحٌ ، وبين يديه مَعبدٌ، ومالك ، وابن عائشة ، وأَبو كامل ، وحكمٌ الوادىُّ ، وعُمَر الوادىُّ ، يغنُّونَه ، وعلى رأْسه وصيفةٌ تَسقيه ، لم أَر مثلَها تماماً وكمالاً وجمالاً ، فقال لى : يا حمَّاد ، إنى أَمَرت هؤلاءِ أَن يغنُّوا صوتاً يوافقُ صفة هذه الوصيفة ، وجعلتُها لمن وافق صفتَها نِحلةً(٣) ، فما أَتانى واحدٌ منهم بشىء ،

(١) فى الأغانى : « أرجيته » بالراء . وقال المرزوق : « ذكر بعض المتأخرين ، فى أرجيته ، أن الرواية الصحيحة : أوجيته ، وما عداه تصحيف . قال : وهو أفعلته من الوجى. وإنما أوجب ذلك ليكون لفق قوله بزعمه : وكويته» .

(٢) بلاها : اختبرها فعرفها . وفى ط : « لابلاها » ، تحريف . صوابه فى ش . وفى الأغانى : « إن بلاها » .

(٣) النحلة ، بالكسر : الهبة والعطية .

فأَنشِدنى أَنت ما يوافقُ صفتَها وهى لك . فأَنشدته قول ربيعة بن مقروم الضَّبِّىّ :

شماءُ واضحة العوارضِ طَفلةٌ ... كالبدر من خَلَل السحاب المنجلِى
وكأَنَّ فاهاً بعد ماطرقَ الكرى ... كأْسٌ تُصفَّق بالرَّحيق السَّلسلِ
لو أَنَّها عرضَت لأَشمطَ راهبٍ ... فى رأْس مشرفةِ الذُّرَى، متبتِّلِ(١)
لصبَا لبهجتها وطِيبِ حديثها ... ولهمَّ من ناموسِهِ بِتنزُّلِ

فقال الوليد : أَصبتَ وصفها فاخترْها أَو أَلفَ دينارٍ. فاخترت الأَلفَ الدِّينار(٢) .

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيِّده . فمن مختارها ونادرها قوله :

بل إن تَرَىْ شَمَطًا تَفَرَّعَ لمَّتى ... وحَنَى قناتى وارتقى فى مِسْحلى(٣)
ودَلفت من كبرٍ كأَنِّى خاتلٌ ... قَنَصًا ومن يَدْبِبْ لصيدٍ يختِلِ
ولقد أُرَى حَسَنَ القنـاةِ قويمَها ... كالنَّصل أخلصَه جِلاءُ الصَّيقلِ(٤)

ربيعة بن مقروم

وربيعة هو ابن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عَمرو بن غَيْظ بن السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبَّة بن أُدّ بن طابخة ابن الياس بن مضر بن نزار .

---

(١) بين هذا البيت وتاليه فى الأغانى ١٩ : ٩٢ :
جآر ساعات النيـــام لربه ... حتى تخدد لحمه مستعمــل
(٢) فى النسختين : « الألف دينار » ، صوابه فى الأغانى ، لعدم جواز إضافة مافيه أل إلى ماهو نكرة . وانظر الأشمونى ٢ : ٢٤٥ والهمع ٢ : ٤٨ .
(٣) فى ط والأغانى : « شمطاء تفرع » صوابه فى ش . والشمط : بياض الرأس يخالط سواده . تفرعها : علاها . والمسحل : واحد المسحلين ، وهما جانبا اللحية . وفى النسختين والأغانى أيضاً : « مسحل » ، ووجه كتابتها بالياء كما أثبت .
(٤) الأبيات من أصوات الأغانى ١٩ : ٩٢ ولها رابع فى الأغانى :
أزمان إذ أنا ، والجديد إلى بلى ... تصبى الغوانى ميعتى وتنقــلى

وهو شاعرٌ مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان ممَّن أَصفقَ عليه كسرى[1] ثم عاش فى الإسلام زماناً[2] . كذا فى الأَغانى .

وزاد على هذا ابن الانبارى (فى شرح المفضليات) : وهو مُسْلمٌ وشهد القادسيَّة .

وزاد ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء): شهد القادسية وجَلولاءَ . وهو ٥٦٧
من شعراء مضر المعدودين .

وقد ذكره ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) ونقل عن المرزُبانىّ[3] أنَّه قال : كان ربيعة بن مقروم أَحَدَ شعراء مضر فى الجاهلية والإسلام ، ثم أسلم وشهد القادسية وغيرَها من الفتُوح ، وعاش مائة سنة .

وأما البيتان الأَخيران فهما من قصيدة جيِّدة أيضا لسَعْيَة[4] بن عُرَيض اليهودى الخَيْبرىّ ، وهو أخو السموءل بنِ عُرَيض بن عادِياء ، الذى يضرب به المثل فى الوفاء . وأَوَّل القصيدة :

لُبَابُ يا أُختَ بنى مالكٍ   لا تَشترى العاجلَ بالآجلِ
لُبابُ هل عندكِ من نائلٍ   لعاشق ذى حاجة سائلِ
عَلَّلتِهِ مِنكِ بما لم يَنَلْ   يا رُبَّما عَلَّلتِ بالباطلِ

---

(١) إشارة إلى يوم الصفقة الذى نكل فيه كسرى ببنى تميم،فأخذ أموالهم وسبى ذراريهم بمدينة هجر من أرض البحرين ، لأنهم كانوا قد أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ، فسميت تلك الوقعة يوم الصفقة . وانظر خبر اليوم فى ياقوت (الصفقة) والعقد ٥ : ٣٢٤ والأغانى ١٦ : ٧٥ / ٢٠ : ١٣٥ والعمدة ٢ : ١٦٩ والميدانى ٢ : ٣٥٣

(٢) ش : « ثم عاش زماناً » .

(٣) ط ، ش : « المرزبان » ، صوابه فى الإصابة .

(٤) فى النسختين : « لسعيد » ، صوابه ما أثبت . وانظر ماسبق فى حواشى ٤٣٥ .

لُبابُ داوِينى ولا تقتُلى قد فُضِّل الشافى على القاتلِ
إن تسأَلى بى فاسأَلى خابرًا فالعلمُ قد يُلفَى لدى السَّائلِ
يُنبيكِ من كان بنا عالماً عنَّا ، وما العالمُ كالجاهلِ
إنَّا إذا جارَت دَواعى الهوَى وأنصتَ السامعُ للقائلِ
واعتلج القوُم بألبابهم فى المنطق الفائلِ والفاصل(١)
لا نجعل الباطلَ حقًّا ولا نُلِطُّ دُونَ الحقِّ بالباطلِ
تخاف أَن تَسفَه أَحلامُنا فنخمُلَ الدَّهرَ مَع الخاملِ

روى صاحب الأَغانى بسنده إلى العتبى قال : كان معاوية يتمثَّل كثيراً إذا اجتمع الناس فى مجلسه بهذا الشعر :

* إنَّا إذا مالت دواعِى الهوى *

الأَبيات الأَربعة :

روى أَيضاً بسنده إلى يوسف بن الماجِشون قال : كان عبد الملك ابن مروان إذا جلسَ للقضاءِ بين الناس أَقامَ وصيفاً على رأْسه ينشده :

إنَّا إذا مالت دَواعى الهوى وأَنصتَ السامعُ للقائلِ
واصطرعَ القومُ بألبابهم نقضى بحكمٍ فاصل عادِلِ

مع البيتين الآخرين، ثم يجتهد عبدُ الملك فى الحقِّ بين الخَصمين(٢) .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأَربعون بعد السمّائة(٣) :

٦٤٥ (يرجِّى المرءُ مالا أَن يُلاقِى وتَعِرضُ دونَ أَدناه الخُطوبُ)

---

(١) الفائل : الخاطىء الضعيف . فال يفيل فيولا وفيالة وفيلولة .
(٢) الأغانى ١٩ : ١٠١ .
(٣) نوادر أبى زيد ٦٠ ومغنى اللبيب ٢٥ وشرح شواهد المغنى ٣٢ والتصريح ٢ : ٢٣ والهمع ١ : ١٢٥ .

على أنَّ الخليل قال : أصل لَنْ : لا أن ، كما جاءت فى البيت ، على أصلها ، بدليل أَنَّ المعنى فيهما واحد ، فحذفت الهمزةُ تخفيفًا لكثرة الاستعمال ، كما حذفت من قولهم : ويْلُمِّه ، والأَصل ويلُ أُمِّه ، فلما حذفت الهمزة التقى ساكنان : أَلفُ لا ونون أَن ، فحذفت الأَلف لدفع التقاءِ الساكنَين ، فصار : لَنْ .

وهذا مذهب الكسائى أيضاً . وردَّه سيبويه بما ذكره الشارح المحقِّق .

والمشهور فى رواية البيت :

* يرجِّى المرءُ ما إن لا يلاقى *

بتقديم إن المكسورة الهمزة على لا ، وهى زائدة .

وبه استشهد صاحب الكشَّاف والقاضى البيضاوىُّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ولَقَدْ مَكَّنَّاهُم فِى مَا إن مَكَّنَّاكُمْ فيه[1] ﴾ على أن إن فى الآية صلة كما فى البيت . ٥٦٨

ومثله لابن هشام (فى المغنى) قال : وقد تزاد إن بعد «ما» الموصولة الاسميّة . وأنشد البيت .

ولم يذكر الزمخشرى (فى المفصل) زيادة إن هذه إلَّا بعد ما النافية ثم قال : وقد يقال : انتظِرْنى ما إن جلس القاضى ، أَى مُدَّةَ جلوسه .

وصرَّح ابن الحاجب بقلَّتها بعدها .

وهذه الرواية هى رواية أَبى زيد وابن الأَعرابىّ (فى نوادرهما) ، وأَنشداه بين بيتين ، والأَصل :

(فإن أُمسِك فإنَّ العيش حلْوٌ إلىَّ كأَنَّه عسلٌ مَشوبُ

(١) الآية ٢٦ من سورة الأحقاف .

يرجِّى العبدُ ما أَن لا يراه وتَعرِضُ دون أَدناه الخطوبُ
وما يدرى الحريصُ علامَ يُلقِى شَراشِرَه أَيخطِئُ أَم يصيبُ)

قال أَبو زيد: قوله: إلىَّ فى معنى عندى. والشَّراشِر: الثِّقْل ثِقْل النفس. انتهى

وقال [أَبو] الحسن الأَخفش (فى شرح نوادر أَبى زيد): وروى أَبو حاتم: «مالا إن يلاقى» بتأْخير إن المكسورة الهمزة. وروايةُ «ما إن لا يلاقى» بتقديم إن المكسورة غلط، والصواب: «ما أَن لا يلاقى»، بفتحها، وهى زائدة، تزاد فى الإِيجاب مفتوحة، وفى النفى مكسورة[1]. تقول: لمَّا أَن جاءَنى زيدٌ أَعطيته، قال الله تعالى: ﴿فلمَّا أَن جاءَ البَشِير[2]﴾. وتقول فى النفى: ما زيد منطلقاً، فإذا زدت إن قلت ما إن زيد منطلق، فإنْ كافَّةٌ لما عن العمل. ونظير هذا قولك: إنَّ زيداً منطلق، ثم تقول: إنَّما زيد منطلق، فكفَّت ما الزائدة إنَّ عن العمل كما كفت إنْ ما النافيةَ. وهذا تمثيلُ الخليل. فلمَّا قال «ما أَن لايلاقى» فنظر إلى ما، الذى روى هذه الرواية، ظَنَّها[3] النافية. وهذه بمعنى الذى فلا تكون أَن بعدها إلَّا مفتوحة. ورواية أَبى حاتم: «ما لا إن يلاقى» صحيحة، لأَنَّ لا فى النفى بمنزلة ما، وإن كانت إن لا تكاد تزاد بعد لا. انتهى.

وهذا خلافُ ما نقله الشارح المحقِّق عن الخليل، وهو المخطئُ فى النَّقل والتَّخطئة. ودعواه أَنَّ إن المكسورة لا تزاد بعد ما الموصولة مردودة

(١) فى النوادر: «وإن زائدة، وهى تزداد فى الإيجاب مفتوحة وفى النفى مكسورة». وكلمة «تزاد» ساقطة من ش.
(٢) الآية ٩٦ من سورة يوسف.
(٣) ط: «فظنها» صوابه فى ش والنوادر ٦١.

فإنَّها تزاد بعد ما المصدرية وغيرها أيضاً . قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ومن زيادة إن المكسورة الهمزة فى الضرورة قولُ الشاعر ، أنشده سيبويه :

ورجِّ الفتى للخَيْر ما إن رأَيتَه على السنِّ خيرًا لا يزالُ يزيدُ[1]

فزاد إن بعد ما المصدرية وليست بنافيةٍ ، تشبيهاً لها بما النافية . أَلا ترى أَنَّ المعنى : ورجِّ الفتى للخير مدَّة رؤيتك إيَّاه لا يزال يزيدُ خيرًا على السِّنّ . لكن لمَّا كان لفظُها كلفظ ما النافية زادها بعدها ، كما تزاد بعد ما النافية ، فى نحو قولك : ما إن قام زيد . وقولِ الآخر أنشده أبو زيد :

يرجى المرءُ ما إن لا يلاقى ...... البيت

فزاد إن بعد ما ، وهى اسم موصول ، لشبهها باللفظ بما النافية ، وقول النابغة فى إحدى الروايتين .

إلاَّ الأَوارىَّ لا إن ما أُبيِّنُها ..... البيت

فزاد إن بعد لا لشبهها بما من حيث كانتا للنفى . وزعم الفرَّاءُ أَنَّ لا وإن وما حروف نفى ، وأَنَّ النَّابغة جمع بينها على طريق التأْكيد.انتهى.

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وقد تزاد بعد ما الموصولة الاسمية وبعد ما المصدرية ، وأورد البيتين المتقدمين ، ثم قال : وبعد أَلا الاستفتاحيّة :

ألا إنْ سَرَى ليلِى فبتُّ كئيبًا أُحاذِر أَن تنأَى النَّوى بغَضُوبا[2] ٥٦٩

(١) كتاب سيبويه ٢ : ٣٠٦ ومعجم شواهد العربية ١٠٣ وهو للمعلوط بن بدل .
(٢) المغنى ٢٢ وشرح شواهد المغنى ٣٢ والهمع ١ : ١٢٤ .

وقَبْلَ مَدَّةِ الإنكار ، سمع [سيبويه[١]] رجلا يقال له : أتخرج إن أخصبتِ البادية ؟ فقال : أنا إنيه ! منكرًا أن يكون رأيه على غير ذلك[٢] . انتهى

وقوله : « فإن أمسِكْ فإنَّ العيش حُلوٌ » الخ ، أمسك مضارع أمسَكَ . قال صاحب المصباح : أمسكته بيدى إمساكاً : قبضته باليد . وأمسكت عن الأمر : كففت عنه . وأمسكَ الله الغيثَ : حبسه ومنَع نزوله . انتهى .

ولم يذكر الشاعر صلة أُمسك ، فمعناه متوقِّف على ما قبله . وقوله « مشوب » أى مخلوط بالماء . قال صاحب المصباح : شابه شَوبا : خلَطه ، مثل شَوْب اللبن بالماء ، فهو مشوب . والعرب تسمِّى العسل شَوْباً ؛ لأَنَّه عندهم مزاجٌ للأَشربة .

وقوله : « يرجِّى المرءُ » إلخ ، روى بدل المرءُ (العبدُ) وهو عبد الخِلْقة . ويرجِّى بمعنى يأْمُل ، وهو مبالغةُ رجاه يرجوه رُجُوًّا على فعول ، والاسم الرَّجاءُ بالمد . ورجَيْته أرجيه من باب رمى ، لغة . كذا فى المصباح .

وقد حذف العائد إلى ما الموصولة من قوله (لا يلاق) ، والأَصل لا يلاقيه ، وروى بدله : (لا يراه) ، فالهاءُ هى العائد .

و (تَعرض) إمَّا من عرضت له بسُوءٍ أى تعرَّضت ، من باب ضرب ، وبابُ تعب لغة . وفى النهى : لا تَعْرِض له بكسر الراءِ وفتحها ، أى لا تعترض له فتمنعه باعتراضك أن يبلغ مراده ؛ لأَنَّه يقال سِرت فعَرض لى فى الطريق عارضٌ من جبل ونحوه ، أى مانع يمنع من المضىّ . واعترض

---

(١) التكملة من المغنى . وانظر سيبويه ١ : ٤٠٦ و ٢ : ٤٢٠ من نسختى .
(٢) فى سيبويه : « منكراً لرأيه أن يكون على خلاف أن يخرج » .

لى بمعناه . ومنه اعتراضات الفقهاءِ ، لأَنَّها تمنع من التمسُّك بالدَّليل . وإمَّا مِنْ عرضَ له أَمرٌ، إذا ظهر، من باب ضَرب أَيضاً . ويحتمل أَن تكون « تَعرُض » بضم الراءِ ، من عرُض الشيءُ بالضم عِرَضاً كعنب وعَراضةً[1] بالفتح : اتَّسع عَرَضه وتباعَدَ حاشيتُه ، فهو عريض .

و (أَدناه) : أَقربه ، أَفعل تفضيل من الدنوِّ وهو القُرب .

(والخطوب) : جمع خطب . قال صاحب المصباح : والخطب : الأَمر الشديد يَنزِل ، والجمع خطوب ، مثل فلس وفلوس . انتهى .

وقيل الخطب هو الشَّأن والأَمر ، عظُم أَو صغر . وقال الدَّمامينى (فى الحاشية الهندية) : هو سَبَب الأَمر ، يقال : ما خطبك؟ أَى ما سببُ أَمرك الذى أَنت عليه . وغلب استعمالُ الخطوب فى الأُمورِ الشَّاقَّة الصَّعبة . انتهى .

وهذه الأَبيات الثلاثة نسبها أَبو زيد إلى جابر بن رأْلان الطائى ، قال : وهو شاعرٌ جاهلى . وكذا نسبها ابن الأَعرابى (فى نوادره) ثم قال : ويقال إنَّها لإياس بن الأَرتِّ . جابر بن رألان

ورأْلان بالراءِ المهملة بعدها همزة ساكنة . وإياس بكسر الهمزة بعدها مثناة تحتية . والأَرتُّ بالمثناة ، قال صاحب الصحاح : الرُّتَّةُ بالضم : العُجمة فى الكلام. ووجلٌ أَرتٌّ بيِّن الرَّتَت ، وفى لسانه رُتَّة ، وأَرتَّه الله.

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأَربعون بعد الستمائة[2] :

٦٤٦ (إذَنْ لقَامَ بنصرى مَعشرٌ خُشُنٌ)

على أَن (إذن) تدخل فى الماضى كما فى البيت .

---

(١) ط : « وإعراضة » ، صوابه فى ش والمغنى وابن يعيش ١ : ٨٢ / ٩ : ١٣ ، ٦٩ -

(٢) الخصائص ٢ : ٢٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٨٨ وابن يعيش ١ : ٢/٩ : ١٣، ٦٩ والحماسة بشرح المرزوق ٢٥ .

والمصراع من أبياتٍ فى أول الحماسة ، وقبله :

(لو كنتُ من مازن لم تستَبِحْ إبلِى بنو اللَّقيطة من ذُهْل بن شَيبانا
إذَنْ لقام بنصرى مَعشرٌ خُشُنٌ عند الحفيظة إنْ ذو لُوثَةٍ لانا)

قال الشارح المحقق بعد أسطر : إنَّ إذن متضمّنة لمعنى الشرط على
٥٧٠ ما حقّقه . وإذا كانت بمعنى الشرط الماضى جاز إجراؤها مجرى لو فى إدخال اللام فى جوابها كما فى البيت . فجملة لقام إلخ جواب إذن ، كأنَّه قِيلَ : ولو استباحوا إبلى مع كونى من بنى مازن لقام بنصرى إلخ .

وهذا مختار الشارح المحقِّق ومذهبُه فى إذن . وفيه ردٌّ على الإمام المرزوقى فى زعمه أنَّ قوله « لقام » جوابُ قسمٍ مقدَّر . قال : اللام فى لقام جوابُ يمين مضمَر ، والتقدير : إذن والله لقام بنصرى . وفائدة إذن هو أنَّ هذا البيت الثانى أُخرِجَ مُخرجَ جواب قائلٍ قال له : ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن ؟ فقال : إذن لقام بنصرى إلخ . وإذا كان كذلك فهذا البيت جوابٌ لهذا السائل ، وجزاءٌ على فعلِ المستبيح . انتهى .

وفيه ردٌّ أيضاً لما قاله ابن جنى (فى إعراب الحماسة) قال : قوله : « إذن لقام » إلخ هو جوابُ قوله : « لو كنت من مازن » . فإن قلت : فقد أجاب لو هذه بقوله لم تستبح إبلى . قيل : قوله إذن لقام إلخ بدل من قوله لم تستبح إبلى ، وهذا كقولك: لو زرتنى لأكرمتك ، إذن لم يضعْ عندى حقٌّ زيارتك . انتهى .

وتبعه جماعة ، منهم ابن يعيش (فى شرح المفصل) قال : فإذن جوابٌ لقوله : لو كنت من مازن لم تستبح إبلى ، على سبيل البدل

من قوله لم تستبح[(١)] إبلى ، وجزاءٌ على فعل المستبيح . انتهى .

ومنهم ابن هشام (فى المغنى) قال : الأكثر أن تكون إذن جواباً لإن ، أولو ، ظاهرتين أو مقدَّرتين .

فالأوَّل كقوله[(٢)] :

لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها وأمكننى منها إذَن لا أُقيلُها

وقول الحماسى : « لو كنتُ من مازن » البيتين . فقوله « إذن لقام » بدل من لم تستبح ، وبدل الجواب جواب .

والثانى : [فى[(٣)]] نحو أن يقال آتيك ، فتقول : إذن أُكرمك ، أى إن أتيتنى إذن أُكرمك . وقال تعالى : ﴿ ما اتَّخَذ اللهُ مِن ولَدٍ وما كانَ مَعَهُ مِن إلٰهٍ إذًا لَذَهبَ كلُّ إلهٍ بمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بعضُهُم على بعض[(٤)] ﴾ . قال الفرَّاء : حيث جاءت بعدها اللام فقبلها لو مقدَّرة ، إن لم تكن ظاهرة . انتهى .

وجوَّز الإمام المرزوقىُّ أن تكون إذن لقام إلخ ، جواباً ثانياً للو ، لاَعلى البدليَّة . قال : ويجوز أن تكون أيضاً إذن لَقَامَ جوابَ لو ، كأنَّه أُجيب بجوابين . وهذا كما تقول : لو كنتَ حُرًّا لاستقبحتَ ما يفعله العبيد إذن لاستحسنت ما يفعلهُ الأَحرار . انتهى .

وزعم ابن المُلَّا (فى شرح المغنى) أَنَّ هذا عينُ ما قاله ابن هشام أَو قريبٌ منه .

ولا يخفى أنَّه قريبٌ منه لاعينه .

---

(١) ش : « لم يستبح » ، صوابه فى ط وابن يعيش ٩ : ١٤

(٢) هو كثير عزة . كما سيأتى فى ٤٧٣ . والبيت هو الشاهد ٦٥١ .

(٣) التكملة من ش .

(٤) الآية ٩١ من سورة المؤمنون .

وجَعْلُ ابن هشام إذن لا أُقيلها فى البيت جواباً لإن الشرطية دونَ القسم المقدَّر مخالفٌ للقاعدة ، كما يأْتى بيانه قريباً عند إنشاد الشارح البيت . وإن أَراد تقدير إن ولو صناعةً يردُ عليه أَنَّه يمتنع النَّصبُ فى المثال الذى أَوردَه ، لوقوعها حشوًا ، وهو قوله : آتيك، فتقول : إذن أُكرمُك ، أَى إن أَتيتنى إذن أُكرمُك .

وما نقله عن الفرَّاءِ فيه تقصير كما يظهر من نصّ عبارته ، قال (فى تفسيره) عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ لهم نَصِيبٌ مِنَ المُلكِ فَإِذًا لا يُؤتون النَّاسَ نَقِيرًا[1] ﴾ : وإذا رأَيت فى جواب إِذَنْ اللامَ فقد أَضمرت لها لَئِنْ أَو يميناً ، أَو لو . من ذلك قوله تعالى : ﴿ ما اتَّخَذ اللهُ مِن ولد وما كان مَعَهُ مِن إِلٰه إِذًا لذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بما خَلَقْ ﴾ والمعنى والله أَعلم : لو كان [معه[2]] إله لذهب كلُّ إلٰهٍ بما خلق . ومثله : ﴿ وإن كادُوا ليَفتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إليك لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وإذًا لاتَّخذُوكَ خَليلا[3] ﴾ ، ٥٧١
ومعناه لو فعلت لا تَّخذوك . وكذلك قوله : ﴿ كدتَ تَركَن[4] ﴾ ثم قال : ﴿ إذًا لأَذَقْنَاكَ ﴾ معناه : لو ركنت لأَذقناك . انتهى كلامه .

وقوله : (معشر خشُن) : جمع خَشِن أَو أَخشَن ، وضمة الشين للإِتباع ، بمعى الشديد . وأَراد بهم بنى مازن . و (اللُّوثة) بالضم : الضَّعف . وأَراد به قومه . قال ابن جنى : إن قلت أَين جواب قوله إن ذو لوثة لاَنَا ؟ قيل : محذوف دلَّ عليه قوله خُشُن ، أَى إن لان ذو لُوثة خَشُنوا هم أَو يخشنوا ، ودلَّ المفرد الذى هو خُشُنٌ على الجملة التى هى خشنوا

(١) الآية ٥٣ من سورة النساء . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٧٣ — ٢٧٤ .
(٢) التكملة من معانى القرآن .
(٣) الآية ٧٣ من سورة الإسراء .
(٤) من الآية ٧٤ فى سورة الإسراء .

أَو يخشنوا ، وذلك لمشابهة اسم الفاعل وما يجرى مجراه الجملةَ ، بما فيه من الضمير (١) . انتهى .

والمشهور فى مثل هذا أَنَّ المتقدِّم دليلُ الجواب المحذوف ، فيقدَّر قام بنصرى معشر خشن . وصنيع ابن جِنِّى أَبلغ . فتأَمَّل .

والاستباحة : أَخذ الشىءِ مباحاً للنفس . و (قام) من القيام بالشىءِ والتكفُّل به . و (المعشر) : اسمٌ لجماعةٍ أَمرُهم واحد .

وتقدَّم شرحهما فى شرح الأَبيات بأَوفى من هذا فى الشاهد السادس والخمسين بعد الخمسمائة (٢) .

* * *

وأَنشد فيه بعده :

(نَهيتُكَ عن طِلاَبكَ أُمَّ عمرٍو بعاقبةٍ وأَنت إِذٍ صَحيحُ)

وتقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد الثامن والتسعين بعد الأَربعمائة من باب الظروف (٣) .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأَربعون بعد السبعمائة (٤) :

٦٤٧ (ما إِنْ أَتيتُ بشىءٍ أَنتَ تكرَهُه

إِذَنْ فلا رَفَعَتْ سَوطِى إِلَىَّ يَدِى (٥)

إِذَن فعاقبَنى ربِّى معاقبةً قرَّتْ بها عينُ مَن يأْتيكَ بالحَسَدِ)

(١) بعده عند ابن جنى فى شرح الحماسة الورقة ٧ : « وذلك نحو قولك : مررت برجل محسن إذا سئل ، شجاع إذا لقى . أى إذا سئل أحسن ، وإذا لقى شجع . وهو كثير » .

(٢) انظر الخزانة ٧ : ٤٤١ — ٤٤٦ .

(٣) الخزانة ٦ : ٥٣٩ — ٥٥٠ .

(٤) مجالس ثعلب ٣٦٦ والمغنى ٢٥ .

(٥) ط : « صوتى » ، صوابه فى ش وجميع المراجع الأخرى .

على إنَّ إذن إذا كانت للشَّرط فى المستقبل جاز دخول الفاءِ فى جزائها ، كما فى جزاءِ إنْ ، كما فى البيت ، كأَنَّه قال : إن أَتيتُ بشىءٍ فلا رفَعَت . فجملة فلا رفعت الخ ، جملة دعائيَّة وقعت جزاءً واقترنت بما يقترن به جزاءُ الشرط ، لما فى إذن من معنى الشرط . وكذا الحالُ فى البيت الثانى .

صاحب الشاهد

وهما من قصيدة طويلة للنابغة الذُّبيانى مدح بها النُّعمانَ بنَ المنذر ، وتنصَّل بها عمَّا قذفوه به ، حتَّى خاف وهرب منه إلى بنى جَفْنة ملوك الشام . وهى من القصائد الاعتذاريَّات، ولِحُسنِها أَلحقها أَبو جعفر النحاس ، والخطيبُ التِّبريزىُّ وغيرُهما ، بالمعلَّقات السَّبع .

وتقدَّم شرحُ أَبيات كثيرةٍ منها فى (باب الحال) ، وفى باب (خبر كان) ، وفى (النعت) ، وفى (البدل) ، وفى (أَسماء الأَفعال) وفى غير ذلك . وقبلها :

(والمؤمنِ العائذاتِ الطيرِ يَمسحُها ركبانُ مكَّة بين الغِيل والسَّنَدِ)

وبعدهما :

(هذا لأَبرأَ من قولٍ قُذِفتُ به طارت نوافذُه حَرًّا على كَبِدى)

قال ابن رشيق (فى العمدة) : وأَجلُّ ما وقع فى الاعتذار من مشهورات العرب ، قصائد النابغة الثلاث ، إحداها[1] :

* يادارَ ميَّةَ بالعلياءِ فالسَّندِ *

يقول فيها :

فلا لعمر الذى مسَّحت كعبته وما هُريق على الأَنصابِ من جَسَدِ

---

(١) فى العمدة ٢ : ١٤٣ : « إحداهن » .

٥٧٢ والمؤمن العائذات الطير . . . إلى آخر الأبيات الثلاثة :

والثانية :

* أرسماً جديداً من سُعادَ تجنَّبُ *

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجًّا بإحسانهم إليه :

حلفتُ فلم أترك لنفسكِ ريبةً   وليس وراءَ الله للمرءِ مطلبُ

الأبيات المشهورة . والثالثة :

* عفا حُسُمٌ من أهله فالفَوارعُ[1] *

يقول فيها بعد قَسَم قدَّمه على عادته :

لكلَّفتَنى ذنبَ امرئٍ وتركتَه   كذى العُرِّ يُكوى غيرهُ وهو راتعُ

انتهى . وقد شرحنا القصائد الثلاث برُمَّتها فى المواضع التى استُشهِد بأبياتها .

وقوله : « والمؤمن العائذاتِ الطيرِ » قد شُرح هو وما قبله فى الشاهد السابع والأربعين بعد الثلثمائة من باب النعت[2] .

وقوله : « ما إنْ أتيت » إلخ ، هذه الجملة جواب القسم الذى هو قوله :

* فلا لَعَمْرُ الذى مسَّحتُ كعبتَه *

مع البيت الذى بعده . وما نافية وإنْ زيدت بعدها للتوكيد . وبه استشهد ابن هشام (فى المغنى) .

وقوله : « فلا رفعَتْ سَوطِى[3] إلىَّ يدى » ، أراد به : شَلَّت يدى ولم

---

(١) الذى فى العمدة :

* عفا ذو حسى من فرتنا فالفوارع *

(٢) الخزانة ٥ : ٧١ — ٧٤ .

(٣) ط : « صوتى » ، صوابه فى ش .

تقدر على رفع السَّوط[1] . وهذا دعاءٌ على نفسه على تقدير صحَّة ما نسبه أعداؤه إليه .

وقوله : « إذن فعاقَبَنى رَبِّى » الخ ، هذا دُعاءٌ آخر على نفسه.وجملة « قرَّت بها » الخ ، صفة مُعاقَبة . والمعاقبة : العذاب . وقرَّت العين قُرَّة وقُروراً بضمها ، من باب تعب ، أى بردت سروراً . والحسَد هو تمنِّى زوالِ نعمة الغير .

وقوله : « هذا لأَبرأ » إلخ ، أَى هذا القسم لأَجل أَن أَتبرَّأَ مما اتُّهمت به . والنوافذ تمثيلٌ ، من قولهم جُرح نافذ . أَى قالوا قولاً صارَ حرُّه على كبدى ، وشَقِيتُ به .

* * *

وأَنشد بعده :

(والمرءُ عند الرُّشا إن يلقَها ذيبُ)

وهو عجزٌ ، وصدره :

(هذا سُراقةُ للقرآن يَدرسُه)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثانى والثمانين من أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأَربعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٦٤٨ (.... فإنَّ بحبِّهـا أَخاكَ مُصابُ القلبِ ....)

(١) ط : « الصوت » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٣ — ٤ .

(٣) سيبويه ١ : ٢٨٠ والمقرب ١ : ١٠٨ والمغنى ٦٩٣ وشرح شواهد المغنى ٣٢٧ والعينى ٢ : ٣٠٩ والهمع ١ : ١٣٥ والأشمونى ١ : ٢٧٢ .

على أنَّه إنَّما جاز الفصل بالجار والمجرور بين إنَّ واسمها لقوَّة شبه إنَّ بالفعل .

قال سيبويه (فى باب الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده) : وتقول : إنَّ بك زيداً مأْخوذ ، وإنَّ لك زيداً واقف . إلى أن قال : ومثل ذلك إنَّ فيك زيداً لراغبٌ . قال الشاعر :

فلا تَلْحَنِى فيها فإنَّ بحبِّها　　أخاكَ مصابُ القلبِ جمٌّ بلابلُه

كأنَّك أردتَ : إنَّ زيدًا راغب ، وإن زيدًا مأْخوذ ، ولم تذكر « بك » ولا « فيك » ، فأُلغِيَتَا هنا كما أُلغِيَتا فى الابتداء . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه رفع مصابُ على الخبر وإلغاءُ المجرور لأنَّه من صلة الخبر ومن تمامه ، ولا يكون[1] مستقرًّا للأخ ولا خبراً عنه. انتهى .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : الظرف قد استُجيزُ فيه من الاتساع مالم يُستَجزْ فى غيره . ألا ترى أنَّه قد جاءَ : « فلا تلحَنى فيها » البيت . ففصل بقوله « بحبِّها » بين إنَّ واسمها . ولو كان مكانَ الظرف غيرُه لم يجز ذلك . والظرف متعلِّق بالخبر ، كأنَّه قال : إنَّ أَخاك مصاب ٥٧٣
القلب بحبِّها .

وأورده أيضاً فى موضعين (من التذكرة القَصْرية) قال فى الأوَّل :

مسأَلة : إن قال قائل لم لا يكون المحذوف فى التقدير مؤخَّراً ، كأَنَّه قال : [إنَّ[2]] فى الدار زيدًا ، فلا يسقط بذلك حكم ما تعلَّق به الظرف ؟

---

(١) ط فقط : « لا يكون » ، وأثبت ما فى ش والشنتمرى .
(٢) ساقطة من النسختين .

قِيلَ : يقبح هذا للفصل ، كما [فى[1]] : كانت زيداً الحُمَّى تأْخذ.
فإن قيل: فقد قال: «فإنَّ بحبها أَخاك مصاب القلب[2]» قيل: قد روى البغداديُّون هذا « مصابَ القلب » . فذا يدلُّك على استكراههم الرفعَ ، لما فيه من الفصل ، فعدَلوا عنه إلى النصب . ويجوز أَن تقول : إنَّ الظرف قد فُصِل به فى أَماكنَ ، فيجوز أَن يكون هذا مثلَها .

وقال فى الموضع الثانى: مسأَلة : « ما كان فيها أَحد خيرٌ منك ». فيها متعلِّقة بكان إذا نصبت خيراً منك ، ومتعلِّقة بمحذوف إذا كانت مستقرًّا . ويجوز أَن تنصبها بخيرًا منك وإنْ تقدَّم عليه ، لشبهه بالفعل . وليس الفصلُ بفيها إذا علَّقتها بخير منك بقبيح ، لأَنَّ أَبا الحسن قد أَنشد (فى المسائل الصغير): فإنَّ بحبِّها أَخاك مصابُ القلب[3] ، ورواه الكوفيُّون: « مصابَ القلب » . وأَظنُّهم هربوا من الفصل فنصبوا، مخافة أَن يجرىَ مجرى: كانت زيداً الحمَّى تأْخذ. وأَتى أَبو الحسن بمسائلَ هناك يُفصَل فيها بالظرف المتعلِّق بالخبر . انتهى .

وقد فصَّل ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) مذهبَ الكوفيين فى هذه المسأَلة قال : إذا كان الظرف غيرَ محلٌّ للاسم[4] سَمَّاه الكوفيون الصِّفة الناقصة ، وجعله البصريون لغوًا ولم يجز فى الخبر إلَّا الرفع ؛ وذلك قولك : فيك عبدُ الله راغب ، ومنك أَخواك هاربان ، وإليك قومُك قاصدون ، لأَنَّ منك وفيك وإليك لا تكون محلاًّ ، ولا يتمُّ بها الكلام .

---

(١) هذه التكملة ليست فى الأصل ، والكلام يفتقر إليها .
(٢) بعده فى النسختين : « قد » ، وهى مقحمة لاوجه لها .
(٣) ط : « مصاب بالقلب » ، صوابه فى ط .
(٤) فى الأصول ١ : ٢٤٧ : « للأسماء » .

وقد أجاز الكوفيون : فيك راغباً عبدُ الله ، شبَّهها الفراءُ بالصفة التامَّة لتقدُّم راغب على عبد الله . وذهب الكسائى إلى أنَّ المعنى : فيك رغبةً عبدُ الله . واستضعفوا أن يقولوا: فيك عبد الله راغباً، وأنشدوا بيتاً جاءَ فيه مثل هذا منصوباً .

فلا تلحَنى فيها فإنَّ بحبِّها . . . . . البيت

فنصب « مصاب القلب » على التشبيه بقولك : إنَّ بالدار أَخاك واقِفاً ، إلى آخر ما فصَّله .

وقوله : « فلا تلْحَنى » هو نهىٌ ، أى لا تلمنى فى حبِّ هذه المرأةِ فقد أُصيب قلبي بها واستولى عليه حبُّها ، والعَذْلَ لا يصرفنى عنها . يقال لَحَيت الرجل ، إذا لُمته . قال صاحب الصحاح : ولحيت الرجل أَلحاه لحيًا ، إذا لمتَه ، فهو ملحىٌّ ، ولاحيتهُ مُلاحاة ولحاءً ، إذا نازعته . وفى المثل : « مَن لا حاك فقد عاداك » . وتلاحَوْا ، إذا تنازعوا ، وأَصله من لحَيت العصا أَلحِيها لَحيًا إذا سلخت لِحاءَها وجلدها . وكذلك لحوتُها أَلحوها لحوًا . واللِّحاءُ بالكسر والمد : قشر الشجر . وفى المثل : « لاتدخُلْ بين العصا ولحائها » . كذا فى الصحاح .

وقال صاحب المصباح : اللِّحاءُ بالكسر والمدِّ ، والقصرُ لغة : ما على العود من قشرِه . ولحوت العود لحواً من باب قال ، ولحيته لحيًا من باب نفع ، إذا قشرتَه .

و (المصاب) : اسم مفعول من أُصيب بكذا ، من المصيبة وهى الشِّدَّة النازلة . (والجَمّ) بالجيم : الكثير . و (البلابل) : الأَحزان وشُغل البال ، واحدها بَلبال . وهو مبتدأٌ وجمٌّ خبره ، والجملة خبر ثانٍ لإنَّ .

وزاد العينى : «أو هى بدل من قوله مصاب القلب» فتأمَّلْ . وقال : البلابل : الوساوس ، وهو جمع بلبلة وهى الوسوسة .

والبيت من الأبيات الخمسين التى هى فى كتاب سيبويه ولم يُعرَف لها قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الستمائة[1] :

٦٤٩ (لَا تَترُكَنِّى فيهمُ شَطِيرَا   إنِّى إذَنْ أَهلِكَ أَو أَطِيرَا)

على أَنَّ الفعل جاء منصوباً بإِذَنْ مع كونه خبرًا عمَّا قبلها ، بتأْويل أَنَّ الخبر هو[2] مجموع إذن أَهلك ، لا أَهلِكَ وحده ، فتكون إذن مصدَّرة .

وقال الأندلسى : يجوز أن يكون خبر إنَّ محذوفاً ، أى إنِّى لا أحتمل. ثم ابتدأ فقال : إذن أَهلك . والوجه رفع أَهلكُ وجعل أَو بمعنى إلَّا .

أَمَّا التخريج الأَوّل فهو للشارح المحقِّق . وقد ردَّه الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) بأَنَّ مقتضاه جواز قولك :زيد إذن يقومَ ، بالنصب، على جعل الخبر هو المجموع ، إذ الاعتماد المانع منتفٍ ، إذ هو ثابتٌ للمجموع ، وصريحُ كلامهم يأْباه . وأَجيب عن الرضىّ بأَن تخريجه إنَّما هو لبيان وجهِ ارتكاب الشُّذوذ فى هذا المسموع ، فلا يكون مقتضاه جوازَ النصب فى كلِّ ما سواه مما لم يتحقَّق فيه شذوذ . هذا كلامُه .

ولا يخفى أَنَّ مراد الرضىِّ تخريجُه على عملها المأْلوف قياساً ، وهو أن لا يعتَمِدَ ما بعدها على ما قبلها ، بدليل مقابلته لقول الأَندلسىّ .

---

(١) معانى الفراء ١ : ٢٧٤ / ٢ : ٣٣٨ والإنصاف ١٧٧ وابن يعيش ٧ : ١٧ والمقرب ١ : ٢٦١ والمغنى ٢٢ والعينى ٤ : ٣٨٣ والتصريح ٢ : ٢٣٤ والهمع ٢ : ٧ واللسان (شطر ٧٦). ومع نسبته إلى رؤبة لم يوجد فى ديوانه .

(٢) ش : « بتأويل الخبر » .

وأمَّا قول الأَندلسي ، وعليه اقتصر ابن هشام (فى المغنى) ، فهو تخريجُ السِّيرافى . قال (فى شرح الكتاب) : هذا البيت شاذٌّ ولا يُحتجُّ به ، لأَنَّ قائله مجهول لا يُحتجُّ بقوله . فإنْ صحَّ فإما أَن يقال إنَّه لغةٌ حُمِل فيها إذن على لن ، وهى لا تُلغَى بحال . أَو نقول : خبر إنَّ مقدَّر ، أَى إنِّى لا أَقدر على ذلك ، وجملة إذن أَهلك مستأْنفةٌ ، وإذن فيها مصدَّرة . انتهى .

وفيما قاله تخريجان آخرانِ ، فصارت التخاريج أَربعة .

وسلك نحوه ابن يعيش (فى شرح المفصل) فقال : البيت شاذٌّ . وإنْ صحَّت الرِّواية فهو محمول على أَن يكون الخبر محذوفاً . وساغ حذفُ الخبر لدلالة ما بعده عليه وابتداءِ إذن بعد تمام المبتدأ بخبره . أَو يكون شبَّه إذن ههنا بلن فلم يلغِها ، لأَنَّهما جميعاً من نواصب الأَفعال المستقبلة . وتشبَّه[1] إذن من عوامل الأَفعال بأَفعال الشك واليقين ، لأَنَّها أَيضاً تُعمَل وتُلغَى ، لأَنَّ أَفعال الشك إذا تأَخَّرت أَو توسَّطت يجوز أَن تعمل . وإذن إذا توسَّطت بين جزأَى كلامٍ أَحدُهما محتاجٌ إلى الآخر لم يجز أَن تعمل ، لأَنَّها حرف ، والحرف أَضعف فى العمل من الأَفْعال . انتهى .

وقد نقل ابن الحاجب تخريجاً خاصاً (فى شرح المفصَّل) قال : وقد أُوِّل إنِّى إذَنْ أَهلكَ على معنى إنِّى أَقول . والقولُ يحذف كثيراً .

وقد ناقشه الإمام الحديثى[2] (فى شرح الكافية)، بأَنَّه إنَّما يتخلَّص

---

(١) ش : « ويشبه » .

(٢) فى كشف الظنون ٢ : ٢٥٤ : « ومن شروح الكافية شرح الإمام ركن الدين الحديثى ، وهو مثل شرح الرضى بحثاً وجمعاً ، بل أكثر منه » .

عنه به إذا كان الموضع للحكاية فقط[1] . وفيه نظر . وألا يكون حينئذ معتمدًا على أقول . وتوضيحه : أنَّ المحكوم عليه بأنَّه خبر وأنَّه فى موضع رفع حينئذ إمّا الحكاية فقط ، أعنى جملة أقول ، وبه يتحقَّق الخلاص عَن هذه الورطة . أو الحكاية أو المحكىُّ، أعنى مجموع أقول إذن أهلك . لا سبيل إلى الأوَّل لاقتضائه قطعَ كلٍّ من القول والمقول عن صاحبه ، واستئنافَ ما حقُّه أن لا يستأنف . ولا إلى الثانى لبقاء الإشكال لتحقُّق النصب مع الاعتماد ؛ فإنَّ أهلِك معتمدٌ على أقول لكونه جزءَ معموله الذى هو إذن أهلك .

وأجاب عنه ابن الحنبلى (فيما كتبه على المغنى) ، كما نقله عنه تلميذه ابن المُلَّا ، بأنَّا لا نسلِّم أنَّ جزءَ المعتمد معتمد . ولئن سلَّمناه
٥٧٥ فلا نسلِّم أنَّ كلَّ معمولٍ لشىء يكون معتمدًا عليه ، فهم قد حصَروا صوَر الاعتماد فى ثلاث صور ليس إلَّا ، بحكم الاستقراء ، فدلَّ ذلك على أنَّ ما عداها لا يتحقَّق فيه اعتماد ؛ وإن تحقَّقت معموليَّته بوجهٍ ما .

ثم قال : ولعلَّ ابن الحاجب قدَّر أقول ليكون إذن أهلك أو أطير مقولًا وقعت فيه إذن مصدَّرة وإن توهِّم أنَّها بتقدير أقول غير مصدَّرة . ألا ترى أنَّ القائل إذا قاله بعدُ كما سبق به الوعد أظهرت صدارتها فيه . انتهى .

وهذا بحثٌ جيِّد ، إلَّا أنَّه يردُ على تخريجه بإضمار القول ما ورَدَ على تخريج الشارح المحقِّق وقول الأندلسىّ : « والوجه رفع أهلك » .

وقال الحديثىُّ : الحقُّ رفع أهلك ، وجعل أَوْ بمعنى إلَّا أنْ، كما فى

(١) مابعده إلى كلمة « فقط » التالية ، ساقط من ش .

قولك : لألزمنَّك أو تقضيني حقِّى ، أى إلَّا أن تقضيَنى حقِّى . أراد أنَّ الرفع فيه وفى مثلِه هو القياسُ ، جريًا على القاعدة . وتعسَّف ابنُ المُلَّا فى قوله إنْ أراد أنَّه الوجه والحقُّ فى مثل هذا التركيب إذا صدَر من متكلِّم فله وجه ولكن غير نافع لنا بوجه . وإن أراد أنَّه الوجه والحقُّ فى قول هذا الشاعرِ فممْنوع . فإنَّه كيف يسلِّم لهما ذلك حيث ثبت أنَّ الرواية عن القائل بنصب الفعلين . انتهى .

وقال العينى : إعمال إذن فى البيت ضرورة ، خلافاً للفراء . أراد بالضَّرورة ما هو المذهبُ الصحيح ، وهو ما أتى فى النظم دون النثر ، سواءٌ كان عنه مندوحة أم لا .

ولم يصب ابن المُلَّا فى قوله : هذا إنَّما يتجه بالنِّسبة إلى نصب أطير دون أهلك ، فإنَّه إن كان ثمَّ ضرورةٌ فهى قصدُ التوفيق بينه وبين « شطيراً »، حذرًا من عيب الإقواء . اللهمَّ إلَّا أن يدَّعىَ أنَّ هذه الضرورةَ ألجأت إلى نصب أهلك ، لئلاً يعطف منصوبٌ على مرفوع .

هذا كلامُه . وأىُّ مانع من العطف بالنَّصب بأن ، بعد أو التى بمعنى إلَّا ، كما نقله عن الأندلسىّ والحديثى .

هذا . وقد نقل الفرَّاءُ عن العرب (فى تفسيره) أنَّ النصب فى مثل البيت لغة ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ المُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً[1] ﴾ : إذا وقعتْ إذَن على يَفعل وقبله اسمٌ بطلت فلم تنصب ، فقلت : أنا إذَنْ أضربُك . وإذا كانت فى أوَّل الكلام

(١) الآية ٥٣ من سورة النساء .

« إنَّ » نصبْتَ يَفعلُ ورفعْتَ فقلتَ: إنى إذَنْ أُوذيَك. والرَّفع جائز . أَنشدنى بعضُ العرب :

لا تتركنِّى فيهمُ شطيرا إنِّى إذَنْ أَهلكَ أَو أَطيرا

وقال أَيضاً (فى تفسير سورة الأَحزاب) عند قوله تعالى : ﴿وإذًا لا تُمَتَّعُون[1]﴾ : وقد تنصب العرب بإذَنْ وهى بين الاسمِ وخبره فى إنَّ وحدها، فيقولون : إنِّى إذَنْ أَضربَك . قال الشاعر :

لا تتركنِّى فيهمُ شَطيرا ..... البيت

والرفع جائز . وإنَّما جاز فى إنَّ ولم يجز فى المبتدإِ بغير إنَّ لأَنَّ الفعلَ لا يكون مقدَّما فى إنَّ ، وقد يكون مقدَّما لو أَسقطت .

هذا كلامه ، وأَنت ترى أَنَّه إمامٌ ثقة ، وقد نَقل عن أَهل اللِّسان ، فينبغى جواز النصب فى الفعل الواقع خبرًا لاسمِ إنَّ لا غير، حَسْبما نُقِل[2]. وحينئذ يسقُط ما تكلَّفوا من التخريج .

وأَفاد الفَرَّاءُ أَنَّ البيت حجَّةٌ يصحُّ الاستدلال به ، لقوله: « أَنشدَنى بعض العرب » ، فيكون جواز النصب والرفع فيه مع إنَّ ، مثلَ ما إذا اقترن الفعل بعاطف ، فى جواز الوجهين .

وقد أَطلق الشارح المحقِّق فى العاطف ولم يمثِّل إلَّا لما اقترن بالواو والفاءِ . وقد صرَّح الفرَّاءُ فى تعميم العاطف ، قال : إذا كان فى الفعل فاءٌ، أَو واوٌ، أَو ثم، أَو أَوْ، أَوحرفٌ منحروف النسق ، فإن شئتَ كان معناها ٥٧٦

(١) الآية ١٦ من سورة الأحزاب .

(٢) حسبا ، بفتح السين وإسكانها . وفى اللسان (حسب ٣٠٢) : « والحسب والحسب قدر الشيء ، كقولك : الأجر بحسب ماعملت وحسبه » .

معنى الاستئناف فنصبت بها أيضاً ، وإن شئت جعلت الفاءَ أو الواو إذا كانتا منها منقولتين عنها إلى غيرها[(١)] . والمعنى فى قوله . فإذًا لا يؤتون [على : فلا يُؤتون[(٢)]] الناس نقيراً إذاً. ويدلُّك على ذلك أنَّه فى المعنى ، والله أعلم ، جوابٌ لجزاءٍ مضمَر ، كأَنَّك قلت : ولئن كان لهم ، أو لوْ كان لهم نصيب لا يؤتون الناس إذًا نقيرا[(٣)] . وهى فى قراءة عبد الله منصوبة . وإذا رأَيتَ الكلامَ تامًّا مِثلَ قولك: هل أنت قائم ، ثم قلت : فإذن[(٤)] أضربك، نصبتَ بإذن ونصبت بجواب الفاءِ ونوَيْتَ النقل . وكذلك الأَمر والنَّهى ، يصلُح فى إذن وجهان : النصب بها ، ونقلها . ولو شئتَ رفعت الفعل إذا نويت النقل فقلت : ائته فإذن يكرمُك زيد ، فهو يكرمك إذن ، ولا تجعلها جواباً .

هذا كلامه، وقد أجاز الجزمَ والنصبَ والرفع فى جواب الشرط ، قال : وإذا كان قبلها جزاءٌ وهى له[(٥)] جوابٌ قلت : إن تـأْتنى إذن أُكرمْك، وإن شئت: إذن أُكرمُك . . فمن جزم أَراد أُكرمك إذن ، ومن نصب نوى فى إذن فاءً تكون جواباً فنصب الفعل بإذن ، ومن رفع جعل إذن منقولة إلى آخر الكلام ، كأَنَّه قال: فأُكرمُك إذن . اه .

وهذا خلاف مذهب البصريِّين ، وليس عندهم إلَّا الجزم .

وقوله : « لا تتركنِّى » إلخ، الترك يستعمل بمعنى التَّخلية ، ويتعدَّى

(١) فى حواشى معانى القرآن ١ : ٢٧٣ : « يريد بنقل حرف العطف عن إذا تقديره مقروناً بالفعل بعدها ، وتقدير إذا فى آخر الجملة ، وبذلك تتأخر عن الصدر فتلغى » .

(٢) التكملة من معانى الفراء . وقد أثبتها الشنقيطى بخطه على هامش نسخته .

(٣) فى معانى الفراء : « لايؤتون الناس نقيراً إذاً » .

(٤) ط : « إذن » ، وأثبت مافى ش ومعانى القرآن .

(٥) فى النسختين : « لها » صوابه فى معانى القرآن .

لمفعول واحد وبمعنى التصيير ، وهنا محتملٌ لكلٍّ منهما ، فشطيرا على الأوّل حال من الياء ، وعلى الثانى هو المفعول الثانى ، و (فيهم) عليهما متعلّق بالترك ، أو هو المفعول الثانى . و (شطيرا) حالٌ من ضمير الظرف ، ويجوز أن يكون مفعولا آخر مكرّرًا ، كما قيل فى قوله تعالى: ﴿وتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لّا يُبْصِرون[1]﴾ إنَّ فى ظلمات مفعول ثان وجملة لا يبصرون مفعول آخر مكرَّر .

وقال العينى : فيهم يتعلق بشطيرًا ، وشطيرًا نصب على الحال ، والتقدير : لا تتركنِّى حال كونى شطيراً كائنا فيهم .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ ذكر كائناً مع قوله متعلق بشطيرًا لا وجه له .

و (الشطير) : الغريب . وأهلك بكسر اللام ، والماضى بفتحها .

والشعر لم ينسبه أحدٌ إلى قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[2] :

٦٥٠ (ازجُرْ حِمارَكَ لا يرتَعْ برَوْضَتِنـا
إذَنْ يردَّ وقيدُ العَيرِ مَكْروبُ)

على أنَّه يجوز على مذهب الكسائى أن يكون (لا يرتع) مجزوماً بكونِ لا فيه للنَّهى ، لا أنَّه جوابُ الأمر .

ويردُ مجزوماً لا منصوباً بكونه جواباً للنهى ، كما هو مذهبه فى

---

(١) الآية ١٧ من سورة البقرة .

(٢) سيبويه ١ : ٤١١ والمقتضب ٢ : ١٠ وابن يعيش ٧ : ١٦ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٨٦ والمفضليات ٣٨٣ .

نحو : لا تكفرْ تدخل النار ، أى إن تكفر تدخل النار . فيكون المعنى لا يرتع ، إن يرتعْ يُردَّ . وعند غيره : يردَّ منصوب ، وإذن منقطعٌ عما قبله مصدَّر[١] ، كأنَّ المخاطب قال : لا أَزجُره[٢] . فأَجاب بقوله : إذن يردَّ .

أَقول : [يكون[٣]] لا يرتع على قول الكسائى بدلاً[٤] من ازجرْ ، وهو أَوفى من الأَوّل فى تأْدِية المعنى المراد ، كقوله :

* أَقول له ارحْل لا تقيمنَّ عندَنا[٥] *

وإذن تكون مؤكِّدة للشَّرط المقدَّر ، وهو إن يرتع ، ويردَّ جوابُ الشرط المقدَّر . وهو مجزوم بسكون مقدَّر ، والفتحة لدفع التقاءِ الساكنين. ويجوز ضم الدال وكسرها أَيضاً للدفع المذكور ، والأَصلُ يُردَدْ ، فلمَّا أُدغم سكنت الدال الأُولى ، والثانية ساكنة أَيضاً للجزم ، فالتقى ساكنان فلنا أَن تدفَع التقاءَهما بإحدَى الحركات الثلاث[٦] .

وقوله : « بكونه جواباً للنهى » متعلِّق بقوله مجزوماً . وقوله : « وعند غيره يردَّ منصوب » ، أَى عند غير الكسائى يردَّ منصوب بإذن، فالفتحة

(١) مصدر ، ساقطة من ش ثابتة فى شرح الرضى ٢ : ٢٢٢ .

(٢) ط : « لا أزجر » ش : « لا تزجر » ، وفى شرح الرضى : « لا تزجره » ، والصواب ما أثبت من إحدى نسخ الشرح المسجلة فى حواشيه .

(٣) هذه التكملة من ش .

(٤) ط : « بدل » .

(٥) تمامه كما فى المغنى ٤٢٦ ، ٤٥٦ والعينى ٤ : ٢٠٠ والتصريح ٢ : ١٦٢ وحواشى الأشمونى ٣ : ١٣٢ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٤ :

* وإلا فكن فى السر والجهر مسلما *

(٦) فى النسختين : « بأحد الحركات الثلاث » ، والوجه ما أثبت .

فتحة إعراب وإذن هنا ليست متضمِّنة للشرط وإنّما هى متضمِّنة للنهى ، وهو لا تزجرُه .

وعبَّر (التِّبريزى فى شرحه) عن هذا بأَنَّ إذن هنا على بابها ؛ لأَنَّها جوابُ كلامٍ مقدَّر ؛ لأَنَّه قدَّر أَنَّ المأْمور بالردَّ قال : لا أَردُّ . فأَجابه بذلك ، وحذفه لفهم المعنى . اهـ .

وهذا من غير الغالب كما قال الشارح المحقِّق : الغالب فى إذن تضمُّن الشَّرط . وهذا الوجه هو مذهب سيبويه ، قال فى الكتاب : واعلمْ أَنَّ إذن إذَا كانت بين الفعل وبين شىءٍ الفعْلُ [معتمدٌ] عليه[1] فإنَّها ملغاة لا تنصب البتَّة ، كما لا تنصب أَرى إذا كانت بين الفعل والاسم فى قولك : كان أُرى زيدٌ ذاهباً[2] . فإذنْ لا تصل فى ذا الموضع إلى أَن تنصب ، كما لا تصل أُرى هنا إلى أَن تنصب . فهذا تفسير الخليل . وذلك قولك : أَنا إذن آتِيك ، فهى هنا بمنزلة أُرى حيث لا تكون إلاَّ ملغاة . ومن ذلك : إن تأْتنى إذن آتِك ، لأَنَّ الفعل ههنا معتمدٌ على ما قبل إذن . وليس هذا كقول ابن عَنَمة الضَّبِّى :

ارددْ حمارَك لا تُنْزَعْ سويَّتُه إذن يردَّ وقيدُ العَير مكروبُ

من قبَل أَنَّ هذا منقطع من الكلام الأَوَّل وليس معتمداً على ما قبله لأَنَّ ما قبله مستغن . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « وبين شىء الفعل عليه » ، مع ترك بياض فى ط بين كلمتى « شىء » و « الفعل » ، والصواب ما أثبت مع التكملة من سيبويه ١ : ٤١١ .

(٢) بعده فى سيبويه : « وكما لاتعمل فى قولك : إنى أرى ذاهب » .

وأجاز الأَعلم هنا رفع يُردُّ ، قال : الشاهد فيه نصب ما بعد إذن لأَنّها مبتدأَة . والرفع جائزٌ على إلغائها وتقديرِ الفعل واقعاً للحال ، لأَنَّ حروف النصب لا تعمل إلَّا فيما خلص للاستقبال . ا هـ .

صاحب الشاهد
والبيت من أَبياتٍ ستَّةٍ لعبد الله بن عَنَمة ، أَوردها المفضل (فى المفضَّليات) ، وأَبو تمام (فى الحماسة)، وهى :

أبيات الشاهد

(ما إنْ تَرى السِّيدُ زيداً فى نفوسِهمُ
كما تَراه بنو كُوز ومرهوبُ

إن تسأَلوا الحقَّ نُعْطِ الحقَّ سائلَهُ
والدِّرعُ مُحقَبةٌ والسَّيفُ مقروبُ

وإنْ أَبيتُمْ فإنَّا معشرٌ أُنُفٌ لا نَطعمُ الخَسْفَ إنَّ السمَّ مشروبُ

فازجُرْ حمارك لا يرتع . . . . البيت

إن تدعُ زيدٌ بنى ذُهْلٍ لمغضبةٍ نَغضَبْ لزُرعة إنَّ الفضْلَ محسوبُ[1]

ولا يكونَن كمُجرَى داحس لكمُ
فى غَطفانَ غداة الشِّعبِ عُرقوبُ)

قوله : « ما إنْ ترى السِّيدُ » إلخ ، إن زائدة مؤكِّدة لما النافية . والسِّيدُ بالكسر ، وزيد ، وكوز ، ومرهوب ، كلٌّ من الأَربعة : أَبو حيٍّ من بنى ضَبَّة . وزيد وكوز أَخوانِ ، ابنا كعب بنَ بَجَالة بن ذُهل بن مالك ابن بكر بن سعد بن ضَبَّة بن أُدٍّ بن طابخة . والسِّيد هو أَخو ذهل المذكور.

(١) ويروى : « إن القبص محسوب » ، كما فى المفضليات والحماسة ، وسيشير إليه البغدادى فى التفسير .

ومرهوب هو ابنُ عبيد بن هاجِرٍ[١] بنِ كعب بنِ بجَالة المذكور .

وقد روى الضبى (فى المفضليات) كُرز ، بالراءِ المهملة بدل الواو[٢] .
قال المرزوقىّ : يقول : بنو السِّيد لا يَقسِمون لزيد من التعظيم ، ولا يوجبون له فى نفوسهم من الحرمة والتبجيل ، ما يوجبه ويقسمه بنو كوز ومرهوب . والضمير على هذا فى نفوسهم للسِّيد . ولا يمتنع أن يكون
٥٧٨ لزيد ، لأَنَّه قبيلة . وهذا كما يقال : لك فى نفسك حقٌّ ومنزلة ، كأَنَّ زيدًا كان له إذا رجَعَ نفسَه من التوجُّه والإدلال والتخصيص والاعتزاز فى بنى كُوز ومرهوب ، ما لا يكاد يجده فى بنى السِّيد .

وقوله : « إن تسأَلوا الحقَّ » إلخ ، قال ابن الأَنبارىّ : قال الضَّبِّىُّ : قوله محقَبة أَى تكون الدرع فى حقيبة البعير . وكذلك كانت العرب تفعل بالدُّروع إذا همُّوا بالقتال ، استخرجوا الدُّروع من الحقائب فلبسوها . وقوله : « مقروب » أَى فى قِرابهِ . يقال قرَبْت السيف: أَدخلته فى قِرابه ، وهو غِمدُه . يَقول : إن أَردتم الصُّلح أَجبنا كم والسلاحُ مستور ، وإن أَبيتم أَظهرناه لكم .

وقوله : « وإن أَبيتم » إلخ ، الأُنف ، بضمتين : جمع أَنوف ، وهو الذى به أَنفَةٌ ونخوة . والخسف : حمل الإنسان على ما يكرهه ، ثم استُعمِل فى معنى الذلّ . يقال سُمته الخسفَ ، إذا حملتَه على الهوان . وأَصل الخَسْف أَنْ تبيت الدابَّةُ على غير علف . يقول : إن اقتصرتم على أَخْذِ حقِّكم أَعطيناكُموه والحربُ موضوعةٌ بيننا وبينكم ، وإن طلبتم أَكثر

(١) هاجر ، بكسر الجيم ، كما فى القاموس (هجر) ، قال : « وهاجر : قبيلة . وبفتح الجيم : أم إسماعيل صلى الله عليه وسلم » . وانظر الاشتقاق ١٠٠ وجمهرة ابن حزم ٢٠٤ .

(٢) الذى فى المفضليات : « كوز » .

منه أبينا أن نعطيَكم إيَّاه . واستعارَ الطَّعم والشُّرب لتجرُّع الغصَّة وتوطين النفس على المشقَّة عند إزالة المذلَّة وردِّ الكريهة . قال المرزوقى : لا نطعم الخسف وإنْ شربنا السمّ .

وقال أبو محمد الأَعرابى (فى شرحه) : لانطعم :لانذوق . وطَعِمتُ الشىءَ : ذقته ، وطعمته : أكلته أيضاً . والمعنى وإنأبيتم الحقّ فإنّا لا نقرُّ بالخسف[1] أى الهوانِ ، ونؤثرُ عليه شربَ السم ، كما قال :

* ويركب حدَّ السيفِ مِن أن تَضيمه[2] *

وقال التبريزى : معناه نحن نأْبى الذلّ وإن كان غيرنا يقرُّ بما هو أبلغ فى الهوان . أو يريد : إنَّ السُّمَّ مشروبٌ ، وإن احتجنا إلى شربه شربناه ولم نقبل ضيمًا ، لأَنَّ الإنسان يصبر على شرب السم ويكون ذلك أيسرَ عليه من صبره على الضيم .

وقال أبو عبدالله النمرى (فى شرحه) : يريد بالسم الموت لا السمَّ المعروف . وقوله : مشروب ، أى كلُّ أَحد يشربُه[3] ولا يُعفَى منه ، كقولك : إنَّ الحوض مَورود ، يريد به الموت [أَيضاً] . يقول : فعَلامَ نحمل الضَّيم ومصيرُنا إلى الموت ؟

وردَّه أبو محمد الأَعرابى فيما كتبه عليه وقال : إنَّما أراد : إنَّا نخوض الموت ونحتمل الشدائد ولا ننزل تحت الضيم .

---

(١) فى ش : « فإنا نقر بالخسف » ، وكتب فى حاشيتها : « كذا بخط المؤلف . والصواب لانقر » .

(٢) لمعن بن أوس فى ديوانه ٣٧ والحماسة ١١٢٩ بشرح المرزوقى . وعجزه :

* إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل *

(٣) ط : « يشرب » .

قال التبريزى بعدما نقل هذا الكلام : هذه الأَقوالُ يقرب بعضُها من بعض ، وكلُّها ترجع إلى معنًى واحد ، وليس فيها ما يُردُّ .

وقوله : « فازجر حمارك » إلى آخره ، هكذا فى جميع الروايات بالفاء ، وقد سقطت من رواية الشارح المحقِّق تبعاً لرواية سيبويه : « اردد حمارك » فى إسقاط الفاء .

و (رتعت) الماشية رتْعاً ، من باب نفع ، ورُتوعاً : رعتْ كيف شاءت .

و (الرَّوضة) : الموضع المعجب بالزُّهور . قيل سمِّى بذلك لاستراضة المياه السائلة إليها ، أى لسُكونها بها . وأَراضَ الوادى[1] واستراض ، إذا استنْقَع فيه الماءُ . كذا فى المصباح . وروى سيبويه هذا المصراع :

* اردد حمارك لا تنزع سويَّتُه *

والردُّ : الإرجاع . والنزع : السَّلْب . قال الأَعلم . والسويَّة : شىءٌ يُجعل تحت البِرذعة للحمار ، كالحِلْس للبعير .

وكذا أَورده الجوهرى وقال : السويَّة : كساءٌ محشوٌّ بثُمامٍ ونحوه كالبرذعة ، والجمع سَوَايا . وكذلك الذى يُجعل على ظهر الإبل ، إلَّا أَنَّه كالحَلْقة لأَجل السَّنَام ، وتسمى الحوِيَّة . والحِمار والعير بفتح العين المهملة ، هما الذكَر من الحمير . وكان الظاهر أَنْ يقول وهو مكروب ، ٥٧٩
لكنَّه أَعاد الحمار باسمه الظاهر المرادِفِ له للضَّرورة . وحسَّنَه وقوعُه فى جملة مستقلة .

---

(١) ش : « وأراد الوادى » ، صوابه فى ط .

قال المرزوقى قوله (ازجُرْ حمارك) : هذا مثلٌ ، والمعنى انقبضْ عن التعرُّضِ لنا والدُّخول فى حريمنا ، ورَعْيِ سَوامِك بروضتنا ، فإنَّك إن لم تفعل ذلك ذَمَمت عاقبة أَمرك[1] . وجعَل إرسال الحمار فى حماهم كنايةً عن التحكُّك بهم والتعرُّض لمسَاءَتهم ، ولا حمارَ ثَمَّ ولا رَوْض .
وقال ابن الأَعرابى : « اكفف لسانك » . وقوله إذن ، قال سيبويه : هو جوابٌ وجزاءٌ ، فالابتداءُ الذى هو جوابُه وجزاؤهُ محذوف مستدَلٌّ عليه ممَّا فى كلامه ، كأَنَّه قال : فإنَّه إن رتَع رجَع إليك وقد ضُيِّق قيده ، أَى مُلِئ قيدُه فَتْلاً حتى لا يمشى إلاَّ بتعب . كأَنَّه يُضرَب أَو يُستعمَل حتَّى يرِمَ جسمُه ويؤدِّىَ الوجعُ منه إلى موضعِ حافرِه ، فيضيقُ عليه القَيد . اه .

وكذا قال ابن الأَنبارىّ عن الضَّبىّ : إنَّ المكروب الشديد الفتل ، يقال قد كرب حَبْله ، إذا شدَّ فتله[2] ؛ كأَنَّه من قولهم : فلان مكروبٌ أَى ممتلئٌ غمًّا . وكذلك الحبل ممتلئٌ فتلا . والمعنى : انتَهِ عنا وازجرْ نفسك عن التعرُّض لنا ، وإلاَّ رددناك مضيَّقاً عليك ممنوعاً من إرادتك . اه .

وقال التبريزى : يقول اكفف شرَّك عنَّا . وجعلَ الحمارَ كنايةً عن الأَذاة ، أَو عن رجلٍ من أَصحاب هذا المخاطَبِ يتعرَّض لهم بالمكاره . وهذا نحوٌ من قول النابغة :

سأَمنعُ كلبِى أَن يَريبك نَبحُهُ ... وإن كنتُ أَرعَى مُسْحُلاَن فحامِرَا

والعرب تكنى بالحمار والعَير فى أَنحاءِ الكلام ، فيقولون : قد

(١) بعده فى المرزوق : « وعدت خاسر الصفقة ، وخيم الرتعة » .
(٢) ش : « إذا اشتد فتله » .

حَلَّ حمارُه أَو عيرُه بمكانٍ كذا ، إذا أَقام فيه وتمكَّن . وقوله : « وقيدُ العَير » إلخ ، أَى مُدَانًى مضيَّق حتَّى لا يقدر على الخَطو . اه .

ونقل النَّمريُّ (فى شرحه) عن الباهلى صاحب (كتاب المعانى) أَنَّ المكروب من كربت الشيء، إذا أَحكمتَه فأَوثقته . ومعنى البيت إنَّا نردُّ الحمار مملوءًا قيدُه فتْلا ، كما يمتلئُ الإِنسان كرباً . وحكى ثعلبٌ عن ابن الأَعرابى فى قوله : « فازجُرْ حمارَك » أَى اكفف لسانك . وقال يعقوب : هذَا مَثَل ، يقول : ردَّ أَمرَك وشرَّك عنَّا ولا تَعرِض لنَا ، فإِن لا تفعلْ يرجعْ عليك أَمرُك مضيَّقا . هذا كلامه .

وردَّ عليه أَبو محمد الأَعرابى فيما كتبه عليه وقال : هذا موضع المثل « عَيٌّ ناطقٌ أَعيا من عَيٍّ ساكت(١) » . لو سكت أَبو عبد الله عن تفسير هذا البيتِ لكان أَولى به . سأَلت أَبا النَّدى رحمه الله عن معناه فقال : قوله ازجرْ حمارك ، يعنى فرسَ زيد الفوارس ، واسمه « عرقوب » فكنَّى عنه بالحمار على سبيل التهكُّم والْهزء . قال : وبعد البيت ما يدلُّك على ذلك ، وهو :

ولا يكونَنْ كمجرى داحس لكم ..... البيت

قال : وقوله : « وقيد العير مكروب(٢) » ، أَى إنَّهم يَعقرونه . والعقر أَضيق القيود . وجَعَل القعقاعُ بن عطية الباهليُّ العقر عِقالًا فقال :

فخرّ وظيفُ القَرْمِ فى نصف ساقِه وذاك عقالٌ لا ينشَّط عاقلُه

انتهى . وقوله : « إن يدعُ زيد بنى ذهُل » إلخ ، قال المرزوقى : يقول إن غضب بنو ذهلٍ لزيد وامتَعَضوا من ضيمٍ يركبها فأَغاثوها إذا

(١) العىء بالفتح : مخفف العيي ، كالهين بسكون الياء مخفف الهين .
(٢) ط : « مكرب » ، صوابه فى ش .

استجارت بهم ، غضبنا نحنُ لزرعة وانتقمْنا له ممن يهتضمه ، إنَّ الفضل معدود . والمعنى : إنَّه لا فضلَ لَكم علينا ، فقد عددنا مالَكمْ ولنا فلم نجد زيادةً لكم توجب لكم التعلِّيَ والتغلُّب . وإذا كان الأَمرُ بيننا على ٥٨٠
التَّساوِي فلا استبدادَ ولا احتكام . وروى: « إنَّ القِبْص محسوب » بكسر القاف وسكون الموحدة .وآخره صاد مهملة ، وهو العدد الكثير ، ويكون الكلام مَثَلا . ويقال : إنَّهم لفى قِبصِ العددِ وفى قِبص الحصا : فى أَكثرِ ما يستطاع عَدَدُه من كثرته . والمراد أَنَّ الأَعداد الكثيرة تُضبَط وتُحصر ، فكيف ما بيننا من تقارُب أَو تفاضُلٍ ، أَو تساوٍ وتعادل .

وقوله : « ولا يكونَنْ كمُجْرَى داحس » إلخ، قال المرزوقى : كان التنازع بينهم فى رِهانٍ وقع على عُرقوب ، وهو فرسٌ لهم ، فيقول : لا يكونن جَرْىُ عرقوبٍ عليكم فى الشؤم . كجرى داحس فى غَطَفان ، غداة شِعْب الحَيْس[1] . فقوله « عرقوب » ارتفع على أَنَّه اسمُ ولا يكونَنْ ، وقد حذف المضاف منه ، أَى لا يكونن مجرى عرقوب كمجرى داحس . وغَداة ظرفٌ لمُجْرى . وجَعَل النَّهى فى اللفظ لعرقوب وهو فى المعنى لهم . حذَّرهم استعمالَ اللَّجاج ؛ لئلَّا يتأَدَّى الأَمرُ إلى مثل ما تأَدَّى فى رهان داحسٍ والغبراء . ومثلُ هذا فى النَّهى قولهم : لا أَرَيَنَّك ههنا . انتهى .

ولم يذكر أَحدُ قصَّة هذه الأَبيات .

عبد الله بن عنمة

وعبد الله بن عَنَمة ، بفتح العين المهملة والنون والميم . والعَنَمة فى اللغة : واحدة العَنَم ، وهى قضبانٌ حمرٌ تنبتُ فى جوف السَّمُرة تُشبَّه بها البنان المخضوبة . وقيل : هى أَطراف الخَرُّوب الشامى .ويقال :

(١) ط : « الحليس » ، وأثبت ما فى ش .

هو دودٌ أَحمر يكون فى الرّمل يشبَّه به . ويقال : بل هو شئٌ ينبتُ ملتفًّا على الشجر يبدو أَخضرَ ثم يحمرّ .

وعبد الله هذا شاعرٌ إسلامىٌّ مخضرَم ، وذكره ابن حجر (فى القسمِ الأَول ، فى ترجمة عبد الله بن عَنَمة المزنى[1])، وهو صحابى ؛ ولم يفردِ الضَّبِّىَّ بترجمة فى قسم المخضرمين من الإصابة[2] . والظاهر أَنَّه من المخضرمين . وهذه عبارته فى ترجمة المزنى :

وفى الشعراءِ ممّن له إدراكٌ : عبد الله بن عَنَمة الضبّىّ . قال ابن ماكولا شهد القادسيَّة . انتهى .

وهو من بنى غَيظ بن السِّيد، بكسر السين المهملة .

وهذا نسبه (من الجمهرة) : عبد الله بن عَنَمة بن حُرثان بن ثعلبة ابن ذُؤيب بن السِّيد بن مالك بن بكر بن سَعد بن ضَبّة .

وأَما زيد الفوارس الذى ذكره أَبو محمد الأَعرابىُّ فهو شاعِرٌ فارسٌ جاهلىٌّ من بنى ضَبة ، وقد ذكرنا ترجمته فى الشاهد السابع والثمانين

---

(١) الإصابة ٤٨٥٩ .

(٢) هنا حاشية بخط ناسخ الشنقيطية هذا نصها : « هذا خطأ ، بل أفرده فى قسم المخضرمين وذكر أن المرزبانى أفرده فى معجم الشعراء ، وساق نسبه إلى ضبة ، وقال إنه أتى بسطام بن قيس الشيبانى . وذكر ابن حجر له ثلاثة أبيات رثى بها بسطاماً»، وفى هامش المطبوعة : « هذا سهو ، بل أفرده فى قسم المخضرمين . وذكر أن المرزبانى ذكره فى معجم الشعراء وساق نسبه إلى ضبة ، وقال : إنه رثى بسطام بن قيس . وذكر ابن حجر له ثلاثة أبيات رثى بها بسطاماً . ا هـ بتصرف من هامش الأصل . وكتب عليه به : لم أجده فى نسختى من الإصابة . فلعله فى بعض النسخ دون بعض . فالشارح معذور . ك . ا هـ » .

وقد أصاب صاحب هذه الحاشية ، فإن ماذكره وارد فى الإصابة برقم ٦٣٣٤ . أما « أتى بسطام بن قيس » فى هامش الشنقيطية فصوابها : « رثى بسطام بن قيس » . وتجد نص المرثية ، وهى ثمانية أبيات فى الحماسة ١٠٢١ — ١٠٢٧ . وأورد ابن حجر فى الإصابة منها ثلاثة أبيات فقط.

بعد المائة[١] . وهو ابن حُصَين بن ضِرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كَعب بن بَجَالة . إلى آخر النسب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد السمائة ، وهو من شواهد س[٢] :

٦٥١ (لئِنْ عادَ لى عبدُ العَزيزِ بِمِثْلِها وأمكننى منهَا إذَنْ لا أُقيلُها)

على أنَّ (إذن) لا تعمل فى المضارع الذى يقع جواباً للقسم الذى قبلها ، كما فى البيت .

فإذن مهملة لعدم التصدُّر ، ولا أُقيلها مرفوعٌ ، وهو جواب القسم المذكور فى بيت قبله ، وهو :

(حلفتُ بربٍّ الراقصاتِ إلى مِّنى يَغُول الفيافى نصُّها وزَميلُها)

واللام فى لئن هى اللام المؤْذنة ، ويقال لها الموطِّئة ، لأنَّها آذنت أى أعلمت ووطَّأَت أنَّ الجوابَ للقسم المذكور ، جرياً على المأْلوف المشهور فى اجتماع الشرط والقسم ، أنْ يكون الجواب للسَّابقِ منهما ، وجوابُ المؤخر محذوفٌ لسدَّ المذكور مسدَّه .

قال سيبويه : ومن ذلك : والله إذن لا أفعلُ ، من قِبَلِ أنَّ أَفعل معتمد على اليمين وإذن لغو . وقال كُثَيِّرُ عزَّة : ٥٨١

لئن عاد لى عبد العزيز بمثلها ..... والبيت

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ .

(٢) سيبويه ١ : ٤١٢ والبيان والتبيين ٢ : ٢٤١ والجمل ٢٠٥ وابن يعيش ٩ : ١٣ ، ٢٢ والخزانة ٤ : ٢٨٠ عرضاً وشذور الذهب ٢٩٠ والمغنى ٢١ ، والعينى ٤ : ٣٨٢ والتصريح والتصريح ٢ : ٢٣٤ والهمع ٢ : ٧ والأشمونى ٣ : ٢٨٨ وديوان كثير ٢ : ٧٨ .

قال الأَعلم : الشاهد فيه إلغاءِ إذن ورفعُ لا أَقيلُها اعتمادًا على القَسم المقدَّر فى أَوّل الكلام . والتقدير : والله لئن عادَ لى بمثلها لا أُقيلُها .

وكذا صنع الشاطبىُّ (فى شرح الأَلفيَّة) وقال : إنَّ جملة لا أُقيلها جوابُ القسم . وقال : مثله قولُ الآخر[(١)] :

لئن نائباتُ الدَّهرِ يوماً أَدلْنَ لى على أُمِّ عمرٍو دولةً لا أُقيلُها

وهذا البيت من الحماسة . قال ابن جنى (فى إعرابها) : رفعه لا أُقيلها يدلُّك على أَنَّه معتمد لليمين ، وأَنَّ اللام فى لئن ليست الجوابَ للقسم فى البيت الذى قبله . ا هـ.

ولا يصحُّ هنا جعل الجملة جواباً للشرط ، وإلّا قيل لا أُقِلْها بالجزم فإنَّ المضارع المنفىَّ بلا ولم ، يُجزَم شرطاً وجواباً ولم يفتقر إلى الفاءِ .

وزعم ابن هشام (فى المغنى) أَنَّ جملة لا أُقيلها جواب إنْ . قال فيه : والأَكثر أَن تكون إذن جواباً لإنْ أَو لوْ ، ظاهرتين أَو مقدَّرتين . فالأَوّل كقوله :

لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها . . . . . البيت

واعترض عليه الدَّمامينى (فى الحاشية الهندية) بأَنَّه مخالفٌ للقاعدة المشهورة ، وهى أَنَّ القسم والشرط متى اجتمعا فالجواب للسَّابق منهما ، واللام مصاحبة لقسمٍ مذكور فى بيتٍ قبلها ، فالجواب للقسم السابق لا للشرط اللاحق ، ولهذا لم يُجزَم الفعل . وإلاَّ فلو كان[(٢)] للشرط لجُزِمَ . انتهى .

---

(١) الحماسة ١٢٣٧ بشرح المرزوقى ، بدون تعيين للقائل .
(٢) ش : « وإلا لو كان » .

وما ذكره من القاعدة فى اجتماعهما هو ما نظمه ابنُ مالك (فى الأَلفيَّة) وقال :

واحذِف لدى اجتماعِ شرطٍ وقَسَمْ جوابَ ما أَخَّرتَ فهو مُلتزَمْ

ولم يذكر الشاطبى (فى شرحه) خلافاً فى هذا . وبه تعلم سُقوط قول ابن المُلَّا (فى شرح المغنى) : إطلاق أَنَّ إذن جوابٌ مجاز ، فلا يردُ أَنَّ رابط هذا الشرط إنما هو الفاءُ أَو إذا الفجائية ليقال أَراد بكونها حرفَ جوابٍ أَنَّها تختصُّ به وإن لم تكن رابطةً له بالشَّرط . والاعتراضُ بأَنَّ ما ذكره مخالفٌ للقاعدة ، فالجواب أَنَّ التمثيل هنا ليس على المشهور ، بل على رأْى ابن مالك كما هو مذهب الفراء ، مِنْ جعلِ الجواب للشرط المتأَخِّر . هذا كلامه إن كان له .

وقد عرفتَ أَنَّ الجواب لو كان للشَّرطِ لجزم ولم يُحتَجْ للفاء أَو إذا .

وأَغربُ من هذا قول العينى : لا أُقيلها فى موضع جزْم على جواب الشرط ، وعملتْ إن فى الموضع دُونَ اللفظ . والاستشهادُ فى إذن حيث أُلغيت لوقوعها بين القسم والجواب ، وهما : حلفت ، ولا أُقيلها . انتهى .

تتمَّة

قال أَبو على (فى المسائل البغدادية) : ذكر سيبويه لئن أَتيتنى لأَفعلنَّ ، وما أَشبهه نحوَ قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَة لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا[1] ﴾ ، فزعم أَنَّ الذى يعتمد عليه اليمين اللام الثانية . فاعتلَّ أَبو إسحاقَ لذلك (فى كتابه فى القرآن) عند قوله تعالى :

(١) الآية ٥٨ من سورة الروم .

﴿ ولقَدْ عَلِمُوا لمَن اشْتَرَاهُ [1]﴾ بـأَن قال : إنَّ اللام الثانية هى لام القسم فى الحقيقة ، لأنَّك إنما حلفت على فعلك لا على فعل غيرك فى قولك : والله لئن جئتنى لأُكرمنَّك . وهذا الذى اعْتلَّ به فاسدٌ جدًّا ضعيف ، وذلك أنَّه لو قال : لئن جئتنى ليقومنَّ عمرو ، لكان الذى يعتمد عليه
٥٨٢ القسم اللامَ الثانية مع أنَّ الحالف لم يحلف على فعل نفسه ، وإنَّما حلف على فعل غيره . فهذا عندى بيِّن الفساد . ولكن ممَّا يدلُّ على أَنَّ الاعتمادَ على اللام الثانية أَو ما يقوم مقامها مما يُتلقَّى به القسم قولُ كثيِّر :

لئن عادَ لى عبد العزيز بمثلِها ..... البيت

فلو كان الاعتمادُ على اللام فى لئن دون لا لوجَب أَن ينجزم الفعل بعد لا فى الجزاءِ ، فلمَّا ارتفع الفعلُ الذى هو لا أُقيلها علمتَ أَنَّ معتمد اليمين إنَّما هو على اللام الثانية أَو ما أَشبه اللام . فمن هنا تعلم أَنَّ الاعتماد على الثانية لا من حيث ذكر . ا هـ .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لكثيِّر عزَّة ، يمدح بها عبد العزيز بن مروان . ويتَّصل به من قبْلُ أَبياتٌ ، وهى :

(وإنَّ ابن لَيـلى فاهَ لى بمقـالةٍ ... ولو سِرتُ فيها كنتُ ممن يُنيلها
عجبتُ لِتَركِى خُطَّةَ الرُّشد بعدما ... بدا لىَ من عبد العزيز قَبولُها
وأَمِّىَ صَعبـاتِ الأُمورِ أَرُوضهـا ... وقـد أَمكنتْنى يوم ذَلَّ ذَلولُها
حَلفْتُ بربِّ الراقصاتِ إلى منًى ... يَغُول البـلادَ نصُّهـا وزميلُها
لئن عاد لى عبد العزيز ... . البيت
فهل أَنت إن راجعْتُكَ القولَ مرَّةً ... بـأَحسَنَ منها ، عائدٌ فمُقِيلُها)

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

قال ابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : ذكر أَهلُ الأَخبار أَنَّ كُثَيِّراً لمَّا دخل على عبد العزيز فأَنشده قصيدته التى أَلحق فيها البيتَ المستشهدَ به مع الأَبيات المتقدِّمة ، أُعجب بقوله فيها :

إذا ابتدرَ النَّاسُ المكارِمَ بذَّهُمْ　　عُراضَةُ أَخلاقِ ابنِ لَيلى وطُولُها

فقال : حكمَكَ يا أَبا صخر . قال : فإِنِّى أَحكُمُ أَن أَكون مكانَ ابن رُمَّانة . وكان ابن رُمَّانة كاتِبَ عبدِ العزيز وصاحبَ أَمره . فقال له عبد العزيز : تَرَحاً لك[1] ! ما أَردتَ ويلكَ ولا علمَ لك بخراجٍ ولا كتابة ؟ اخرجْ عنِّى ! فخرج كثيِّر نادماً على ما حكم ، ثم لم يزل يتلطَّف حتَّى دخل عليه ، فأَنشده :

عجبتُ لتركى خُطَّة الرُّشد ..... الأَبيات

فلما أَتى إلى قوله :

فهل أَنت إنْ راجعتُك القولَ مرّةً ..... البيت

قال له عبد العزيز : أَمَّا الآن فلا ، ولكن قد أَمرنا لك بعشرين أَلفَ درهم .

فقوله فى البيت : (لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها) ، أَى بمقالةٍ مثلها ، وهى قول عبد العزيز له : حكمَكَ . وقوله : (إِذن لا أُقيلُها) أَى أَطلبُ منه ما لاَ اعتراضَ علىَّ فيه ولا قَدْح . هكذا فسَّره العلماءُ، وهو الصحيح . وما قاله ابن سيده ، أَنَّ عبد العزيز بن مروان كان أَعطاه جاريةً فأَبى كثيِّر من قبولها ، ثم ندِم بعد ذلك فيقول : لئن عاد لى بجارية مثلِها مرّةً أُخرى لا أُقيلها ، غلط . وهو قياسٌ منه ، والصَّحيح ما تقدَّم .اهـ.

(١) ط : « ترى حالك » ، صوابه فى ش .

ومن حكى هذا ابنُ السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) قال : وقيل بل عرضَ عليه أَن يهبَ له جارية ويترك التغزُّل بعزَّة ، فأَبى مِن ذلك ، ثم ندِم على ما فعلَ فقال هذا الشعر . اه .

ولم يذكر الجاحظ (فى البيان والتبيين) إلَّا الوجهَ الأَوّل، قال فيه : ومن الحمق كثيِّرُ عَزَّةَ . ومن حُمقه أَنَّه دخل على عبد العزيز بن مروان

٥٨٣ فمدحَه بمديحٍ استجاده ، فقال له : سلْنى حوائجَك . قال : تجعلنى فى مكان ابن رُمّانة . قال : ويلك ذاك رجلٌ كاتب وأَنت شاعر ! فلمَّا خرج ولم ينل شيئاً قال فى ذلك :

* عجبت لتركى خُطَّة الرشد[1] * ..... الأَبيات المتقدمة

وقوله : « وإنَّ ابنَ ليلى فاه لى بمقالة » الخ ، قال السِّيرافى : أَراد بمثل المقالة المذكورة فى هذا البيت . والمعنى ممن يُنيلهوها[2] . والعائد إلى من هو ضمير المذكور المنصوب المحذوف، وضمير المؤنَّث للمقالة . وفى ينيلها ضمير فاعل لابن ليلى ، والمعنى ينيله ابنُ ليلى إيَّاها . أَى لو سِرتُ فى طلبها .

وقال الأَندلسى : فإن قلت : كيف ينيله المقالة ؟ قلت : يريد المقولة فيه .

قال ابن المستوفى : وهذا قولٌ غير مشكل ، لأَنَّ عبد العزيز حكَّمه ، ولا نَيْلَ أَوفى من أَن يحكِّم المسئُولُ سائلَه . أَى لو طلبتُها من عبدالعزيز لعادَ لى بمثلها مُحكَّما ، فكنت ممن ينيله عبد العزيز إيَّاها، على ما ذكره السيرافى .

---

(١) فى البيان : « لأخذى خطة الغى » ، ومؤداهما واحد .
(٢) ط : « ممن ينيلوها » ، صوابه فى ش . وانظر الأشمونى ١ : ١٢٢ .

وقوله : « ولو سرْتُ فيها » أى لو رحلتُ لأَجلها ، أَى لطلبها .

وقوله : « عجبت لتَركِى » إلخ ، الخُطَّة ، بالضم : الأَمر والقصَّة . وأَراد بخطَّة الرُّشد تحكيمَ عبدِ العزيز إيّاه فيما يطلب . وفسَّرها العينى وتبعه السيُّوطى بخَصْلة الهِداية . وهذا معناها اللغويُّ ، ولم يذكر المراد منها .

عبد العزيز بن مروان

وعبد العزيز هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، والد عمر بن عبد العزيز أَمير مصر ، وولىُّ العهد بعد أَخيه عبد الملك من أَبيهما مروان. وقول الدمامينى : أَحدُ الخلفاءِ الأَمويين ، ينبغى حمله على ولاية العهد ، والَّا فهو لم يلِ الخلافة أَصلاً . لكن يبقَى عليه أَنَّ الصَّحيح أَنَّ خلافة مروان غير صحيحة ، وأَنَّه خارجٌ على ابن الزُّبير باغٍ عليه ، فلا يصحُّ عهدهُ إلى ولديه .

ولمَّا ملك مرْوانُ الشَّامَ سارَ إلى مصر ،وغلب عليها ، واستخلف عليها ولده عبدَ العزيز ، فبقِى أَميرَها إلى أَنْ مات سنة خمس وثمانين ، عند الأَكثر .

حُكِى عنه أَنَّ رجلا دخل عليه يشكو صهراً له ، فقال : إنَّ ختَنى فعل بِى كذا وكذا . فقال له : ومن ختَنَك ؟ وفتح النون . فقال : ختننى الختَّان الذى يختِن الناس . فقال عبد العزيز لكاتبه : ما هذا الجواب؟ فقال : إنَّ الرجل يعرف النحو ، وكان ينبغى أَن تقول : من خَتَنُك ؟ بضم النون . فقال : والله لا شاهدتُ الناسَ حتَّى أَعرفَ النحو ، وأَقام فى بيته جمعةً لَا يظهَر ، ومعه من يعلِّمه العربية ، ثم صلَّى بالناس الجمعة الأُخرى وهو من أَفصح الناس .

وقوله : « وأَمِّىَ صعباتِ » إلخ ، الأَمُّ بفتح الهمزة وتشديد الميم : القصد ، مصدرٌ مضاف إلى فاعله ، ومفعولُه الصَّعْبات بسكون العين . وأَروضُها : أُذَلِّلها . والذَّلول ، بالفتح : السَّهل المنقاد .

وقوله : « حلفتُ بربٍّ الراقصات » إلخ ، قال ابن السيرافى : الرَّقَص : ضربٌ من الخبب فى العَدْو . وحلف بربِّ الإبل التى يُسار عليها إلى الحجّ . و « تغول البلاد » : تقطعها . والنَّصُّ والذَّميل : ضربان من العَدْو .

وقوله : « لئن عاد لى عبد العزيز » ، الضمير فى قوله بمثلها راجعٌ لمقالة عبد العزيز ، وهى : حُكمك ، أَو سَلنى حوائجك . ويجوز أَن يرجع لخُطَّة الرشد التى هى عبارةٌ عن مقالة عبدالعزيز . ولم يذكر غيرَه العينى . ويؤيِّده قول الزمخشرى : منها أَى من الخُطَّة . لا أُقيلها ، أَى العثرة . اه .

والعشرة غير مذكورة فى الكلام ، وإنَّما أعاد الضمير عليها لفهمها من المقام . والإقالة : الردُّ . وفى الدعاء يقال : لا أَقال الله عثرته !

قال ابن المستوفى وبعض فضلاءِ العجم (فى شرح أَبيات المفصَّل) :
٥٨٤ ويروى : « لا أُفيلها » بالفاء ، أَى لا أُفيل رأْيه فيها ، أَو فى التأَخُّر عنه والتثبُّط عن تنجيزِ ما وَعَدَنى به . يقال : فالَ يَفيل فَيلُولة ، إذا ترك الرَّأْى الجيِّد وفعلَ ما لا ينبغى للعقلاءِ أَن يفعلوه . فالفيلولة : ضعف الرأْى . وهذه الرواية هى المناسبة . والله أَعلم .

وترجمة كثيِّر عزَّة تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة[1] .

* * *

(١) الخزانة ٥ : ٢٢١ – ٢٢٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الستمائة ، وهو من شواهد المفصَّل[١] :

٦٥٢ (فقالتْ : أَكُلَّ النَّاسِ أَصْبَحْتَ مانحاً
لِسانَك كيما أَنْ تَغُرَّ وتَخدَعا)

على أنَّ (كى) عند الأَخفش حرف جرٍّ دائماً ، ونصبُ الفعل بعدها بأَن مضمرة ، وقد تظهر كما فى البيت .

نقل ابن المستوفى عن صاحب المفصَّل، أَنَّه قال فى الحواشى : لمَّا دخل عليها حرف الجرّ تعيَّنت أَنَّها حرفٌ ناصب للفعل . فإذا جاءَت كي ومعها أَنْ كان شاذاً ، للجمع بين المَنُوب والنائب ، كالجمع بين العِوَض والمعوَّض عنه . اهـ .

وهذا عند ابن عصفور ضرورة ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنها زيادة أَنْ ، كقولك :

* أردتَ لكيما أن تَطِير بِقربَتى *

أَنْ فيه زائدة غير عاملة ، لأَنَّ لكيما تنصب الفعل بنفسها ، ولا يجوز إدخال ناصب على ناصب . وأَمَّا قول حسَّان :

فقالت أَكُلَّ الناس أَصبحتَ ما نحاً ..... البيت

فأَنْ فيه ناصبة لا زائدة ، أُظهرت للضرورة ، لأَنَّ كيما إذا لم تدخل عليها اللام كان الفعل بعدها منتصباً بإضمار أَن ، ولا يجوز إظهارُها فى فصيح الكلام . اهـ .

---

(١) ابن يعيش ٩ : ١٤ — ١٦ والمغنى ١٨٣ وشذور الذهب ٢٨٩ والعينى ٣ : ٢٤٤-٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ والهمع ٢ : ٥ والأشمونى ١ : ٢٧٩ / ٢ : ٢٠٤ وديوان جميل ٢٥ .

ومثله لابن هشام ، قال (فى المغنى) : ولا تظهر أنْ بعد كى بلا لام إلّا فى الضرورة . وأنشد البيت ثم قال : وعن الأخفش أنَّ كى جارّةٌ دائماً ، وأنَّ النصب بعدها بأن ظاهرة أو مضمرة . ويردُّه نحو : ﴿ لكَيْلَا تأْسَوْا[1] ﴾ . فإنْ زعم أنَّ كى تأْكيدٌ للام كقوله :

* ولا لِلما بهم أبدًا دواءُ[2] *

ردَّ بأنَّ الفصيح المقيسَ لا يخرَّج على الشاذّ . اه .

وقال ابن يعيش : ويروى :

* لسانك هذا كى تغرَّ وتخدعا *

وقال السيوطى : رأيته فى ديوان جميل كما قال ابن يعيش ، فلا شاهدَ ولا ضرورة .

وكذا قال ابن المستوفى : هكذا هو فى شعره ، ولعلَّ ما أورده الزمخشرىٌّ روايةٌ أُخرى . والمعنى أنَّها قالت له : أَهكذا منحتَ لسانك هذا لِتغُرَّهم كما تغرُّنى ، وتخدعَهم كما تخدعنى .

صاحب الشاهد والصحيح أنَّ البيتَ من قصيدة لجميل العُذْرىِّ صاحبِ بُثينة ، لا لحسَّان بن ثابت . وهذا مطلعُ القصيدة :

(عرفتُ مصيفَ الحىِّ والمتربَّعا كما خَطَّت الكفُّ الكتابَ المرجَّعا
معارفُ أَطلالٍ لِبَثْنة أَصبَحتْ معارفُها قفراً من الحىِّ بَلقعا
معارف للخَوْد التى قلتُ أَجملى إلينا فقد أُصْفيتِ بالودِّ أَجمعا
فقالت : أَفِقْ ما عِندنا لكَ حاجةٌ وقد كنتَ عنَّا ذَا عزاءٍ مشيَّعا

(١) الآية ٢٣ من سورة الحديد .
(٢) لمسلم بن معبد الوالبى . وانظر معجم شواهد العربية ٢١ . وصدره :
* فلا والله لا يلفى لما بى *

فقلت لها : لو كنتَ أُعطيتُ عنكم　　عزاءً لأَقللتُ الغداةَ التضرُّعا

فقالت : أَكلَّ النَّاسِ أَصبحتَ مانحاً　　لسانَك هذا كى تَغُرَّ وتخدعا[1]

المصيف : موضع الإقامة فى الصيف . والمتربَّع : موضع الإقامة فى الربيع.

وقوله: « كما خطَّت » إلخ ، حال منهما . أَراد أَنَّ الآثار قد انمحت كالخطِّ ٥٨٥

القديم الذى قد رُوجع للقراءة فيه مرّاتٍ كثيرة[2] .

والمعارف : الأَماكن المعروفة . والبلقع : الخالى من الأَنيس . والخَوْد ، بالفتح : الجارية الناعمة ، والجمع خُود بالضم . وأَجملى : أَمرٌ من الإجمال وهو المعاملة بالجميل . وأُصفيتِ مجهول أَصفيته الودَّ ، أَى أَخلصته له . والعزَاءُ : الصَّبرُ . والمشيَّع ، بفتح المثناة التحتية المشددة ، يقال قلبٌ مشيَّع أَى مشجَّع ، أَى ذو شِيعة ، وهم الأَنصار والأَتباع .

وقوله : « فقالت أَكلَّ الناس » إلخ ، الهمزة للاستفهام ، وكلَّ مفعول ثان لمانِحاً ، وفيه تقديم مفعول معمولِ أَصبح عليه ، لأَنَّ مانحًا خبر أَصبح . والمنح : الإعطاء ، يتعدَّى لمفعولين . يقال مَنَحه كذا بفتح النون فى الماضى ، وتفتح وتكسر فى المستقبل . و (لسانك) مفعوله الأَوَّل . ومنْح اللسان عبارةٌ عن التلطُّف والتودُّد . وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أَبيات المفصَّل) : وروى : « ماتحًا » بالمثنَّاة من فوق ، من متح الماءَ من البئر إذا استقى منها . وجعلَه هنا بمعنى سقى فعدَّاه إلى

(١) بعده فى الديوان ، وهما تتمة الأبيات الثمانية :

فما نعجة أدماء ترعى مهارقاً　　تزجى لها طفلا يروح مرضما

بأحسن منها يوم قالت : ألا أرى　　جميلا غدا لم ينتظر أن يمنعا

(٢) هذا تفسير ساذج . وإنما المرجع من الكتب الذى أعيد عليه السواد مرة بعد أخرى . يقال رجع النقش والوشم ترجيعاً : ردد خطوطه . وانظر اللسان (رجع ٤٧٣) .

مفعولين . ويصح أَن يكون لسانكَ منصوباً بنزع الخافض ، أَى بلسانك . هذا كلامه . وما فى كيما زائدة .

وزعم العينى أَنَّها مصدريَّة أَو كافَّة . ولا وجهَ لهما . فتأَمَّلْ .

وغرتّه الدنيا غُرورًا ، من باب قعد : خدعَتْه بزينتها . فمفعوله محذوف، أَى تغرَّهم . وكذا ما بعده . وخدَعه : مكَر به ، بفتح الدال فى الماضى والمستقبل ، والأَلف للإِطلاق .

وترجمة جميل العذرىّ تقدَّمت فى الشاهد الثانى والستِّين من أَوائل الكتاب[1] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الستمائة[2] :

٦٥٣ (أَردتَ لكيما أَنْ تطيرَ بِقرْبتى فتتركَها شَنًّا ببيداءَ بَلْقَعِ)

لما تقدَّم قبله. وقال ابن الأَنبارى (فى مسائل الخِلاف): ذهب الكوفيون إلى أَنَّه يجوز إظهار (أَنْ) بعد كى توكيدًا لكى. وذهب بعضُهم إلى أَنَّ العامل فى جئتُ لكى أَن أُكرمَك ، اللامُ ، وكى وأَنْ توكيدان لها . وقالوا : يدلُّ على جواز إظهارها النقل ، كقوله :

* أَردتَ لكيما أَن تطيرَ بقِربتى *

والقياسُ على تأْكيد بعض الكلمات لبعض ، فقد قالوا: لا، ما، إنْ[3] رأَيت مثلَ زيد . فجمعوا بين ثلاثة من أَحرف الجحد ؛ للمبالغة .

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ — ٣٩٨ .

(٢) معانى الفراء ١ : ٢٦٢ والإنصاف ٥٨٠ وابن يعيش ٧ : ١٩ / ٩ : ١٦ والمغنى ١٧٢ وشرح شواهده للسيوطى ١٧٣ والعينى ٤ : ٤٠٥ والتصريح ٢ : ٢٣١ والأشمونى ٣ : ٢٨٠.

(٣) ط : « لا ما إن » ، وأثبت ما فى ش والإنصاف وإن كان مؤداهما واحداً .

وقال البصريُّون : لا يخلو إظهار أَن بعد كى إمَّا لأَنَّها كانت مقدَّرة فظهرت ، وإمّا لأَنَّها زائدة . والأَوّل باطل ، لأَنَّ كى عاملةٌ بنفسها ، ولو كانت تعمل بتقدير أَن لكان ينبغى إذا ظهرت أَن يكون العمل لأَنْ ، فلمَّا أُضيف العمل إلى كى دلَّ على أَنَّها العامل . وكذا الثانى باطل ، لأَنَّ زيادتها ابتداءً ليس بمقيس ، فوجب أَن لا يجوز إظهار أَنْ بِحال . ومنهم من قال : إنَّما لم يجز إظهار أَنْ بعد كى وحتَّى لأَنَّهما صارتا بدلاً من اللفظ بأَنْ ، كما صارت ما بدلاً عن الفعل فى قولهم : أَمَّا أَنت منطلقاً انطلقتُ معك ، والتقدير : أَنْ كنت منطلقاً ، فحذف الفعل وجُعل ما عوضاً عنه . وأَمَّا قوله :

* أَردت لكيما أَن تطير بقربتى *

فلا حجة فيه ، لأَنَّ قائله مجهول . وإن عُلم فإظهار أَنْ بعد كى لضرورة الشعر ، أَو لأَنَّ أَن بدلٌ من كى ، لأَنَّهما بمعنًى واحد[1] . اه .

والجيِّد هو الجواب الثانى . وأَمَّا الأَوّل والثالث ففاسدان .

والذاهب إلى أَنَّ العامل اللام ، وكى وأَن مؤكِّدان لها ، هو الفراءُ ، قال ٥٨٦
(فى تفسيره) ، عند قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ[2] ﴾ : مثلُه فى موضع آخر : ﴿ واللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُم[3] ﴾ . والعرب تجعل اللام التى على معنى كى فى موضع أَن ، فى أَردت وأَمرت ، فتقول : أَردت أَن تذهب وأَردت لتذهب ، وأَمرتك أَن تقوم وأَمرتك لتقوم . قال تعالى : ﴿ وأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِين[4] ﴾ ، وقال فى موضع آخر : ﴿ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ

(١) تصرف البغدادى فى هذا النص تصرفاً كبيراً .
(٢) الآية ٢٦ من سورة النساء .
(٣) الآية ٢٧ من سورة النساء .
(٤) الآية ٧١ من سورة الأنعام .

أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ[(١)]﴾ وقال: ﴿يُرِيدُون لِيُطْفِئُوا[(٢)]﴾ و ﴿أن يُطْفِئُوا[(٣)]﴾. وإنَّما صلحت اللام فى موضع أَنْ فى أُمرت وأَردت ، لانَّهما يطلبان المستقبل ولا يصلحان مع الماضى . ألا ترى أَنَّك تقول : أَمرتك أَن تقوم ، ولا يصلح أَمرتك أَن قمت ، وكذلك أَردت . فلمَّا رأَوْا أَنْ فى غير هذين تكون[(٤)] للماضى وللمستقبل، استوثقُوا لمعْنَى الاستقبالِ بكى[(٥)] وباللام التى فى معنى كى . وربَّما جمعوا بينهما ، وربما جمعوا بين ثلاثِهنَّ . أَنشدنى أَبو ثَرْوان :

أَردتَ لكيما أَنْ تُرى لى عَثرة ومَن ذا الذى يُعطَى الكمَالَ فيكمُلُ[(٦)]

فجمع بين اللام ، وكى وأَن . وقال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا[(٧)]﴾ . وقال الآخر فى الجمع بينهنَّ :

* أَردتَ لكيما أَنْ تطيرَ بقربتى * ..... البيت

وإنَّما جمع بينهنَّ لاتِّفاقهنَّ فى المعنى واختلاف لفظهنَّ . قال رؤبة :

* بغير لا عصفٍ ولا اصطرافِ *

وربَّما جمعوا بين ما ولا وإن التى على معنى الجحد ، أَنشدنى الكسائىُّ فى بعض البيوت :

* لا ما إن رأَيت مثلك *

---

(١) الآية ١٤ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٨ من سورة الصف .

(٣) الآية ٣٢ من سورة التوبة .

(٤) ش : « يكون » .

(٥) ط : « لكى » ، صوابه فى ش ومعانى القرآن ١ : ٢٦٢ .

(٦) ورد أيضاً فى همع الهوامع ٢ : ٥ والدرر ٢ : ٥ .

(٧) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

فجمع بين ثلاثة أحرف . وربَّما جعلت العرب اللامَ مكان أَنْ فيما أشبه أَردت وأَمرت . مِمَّا يطلب المستقبل . أَنشدنى أَبو الجرَّاح الأَنْفِىُّ ، من بنى أَنف النَّاقة ، من بنى سعد :

أَلم تسأَل الأَنفىَّ يوم يسوقُنى ويزعمُ أَنِّى مُبطل القولِ كاذبُه
أَحَاوَلَ إِعناتى بما قال أَمْ رجا ليضحكَ منى أو ليضحكَ صاحبُه [1]

والكلام : رجَا أَن يضحك . ولا يجوز ظننت لتقوم ، وذلك أَنَّ أَن التى تدخل مع الظنِّ تكون مع الماضى نحو : أَظُنَّ أَن قد قام زيد ، فلم تُجعل اللام فى موضعها ولا كى [2] إِذْ لم تطلب المستقبل وحدَه . وكلَّما رأَيت أَنْ تصلح مع المستقبل والماضى فلا تدخِلَنَّ عليها كى ولا اللام .

هذا كلام الفراء . وظهر منه أَنَّ أَن لا تكون إِلَّا مع كى المسبوقة باللام مع تقدُّم أَحد الفعلين من أَمر وأَراد، وما أَشبههما ، وأَنَّ لام كى لا تكون إِلَّا مسبوقة بأَحد هذين الفعلين .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : كى تكون بمنزلة أَن المصدرية معنًى وعملا ، نحو: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا [3] ﴾ ، يؤيِّده صحة حلول أَنْ محلَّها ، وأَنَّها لو كانت حرفَ تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل . ومن ذلك : جئتك كى تكرمَنى ، إِذا قدَّرت اللام قبلها ، فإِنْ لم تقدِّر فهى تعليليَّة جارَّة ، ويجب حينئذ إِضمار أَن . ومثله فى الاحتمالين قوله :

* أَردتَ لكيما أَن تطيرَ بقِربتى *

---

(١) ش : « أو رجاً » .
(٢) معانى الفراء : « ولا كى فى موضعها » .
(٣) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

فكى إمّا تعليلية مؤكِّدة للام ، أو مصدريَّة مؤكَّدة بأَن . ولا تظهر أَنْ بعد كى إلّا فِى الضرورة ، كقوله :

* كيما أَن تغرَّ وتخدعَا[(١)] *

وقوله : « أَردتَ لكيما » إلخ ، ما صلة وزائدة . والطَّيران هنا مستعارٌ للذَّهاب السريع . و (القربة) بكسر القاف معروفة . و (تتركَها) منصوب بالعطف على تطير . والترك يستعمل بمعنى التخليَة ويتعدَّى لمفعول واحد، ٥٨٧ وبمعنى التصييرِ ويتعدَّى لمفعولين ، وهنا محتملٌ لكلٍّ منهما . فشنًّا على الأَوّل حال من الهاءِ ، وعلى الثانى هو المفعول الثانى ، و « ببيداءَ » عليهما متعلِّق بالترك؛ أَو هو المفعول الثانى ، وشَنًّا حال . وبَلقع بالجر صفة بيداءَ .

وقال العينى : شنًّا حال بتـأْويل متشنِّنة ، من التَشَنُّن[(٢)] وهو اليبس فى الجلد . والباءُ فى ببيداءَ تتعلَّق بمحذوف ، تقديره شنًّا كائنةً ببيداءَ . هذا كلامه .

والشَّنُّ ، بفتح المعجمة وتشديد النون : القِربةُ الخَلَق . والبَيْداءُ : الفلاة التى يَبيد من يدخلُها ، أَى يَهلِك . والبلقعُ: القَفْر .

وهذا البيت قلمَّا خلا منه كتابٌ نحوى ، ولم يعرف قائله. والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الستِّمائة[(٣)] :

٦٥٤ (كَىْ لتَقْضِينى رُقَيَّةُ ما وعَدَتْنى . . . . . .) البيت ..

---

(١) هو الشاهد ٦٥٢ المنسوب جميل . انظر ما سبق ص ٤٨١ .

(٢) ط : « التشنين » ، صوابه فى ش والعينى .

(٣) العينى ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٢٣١ والهمع ١ : ٥٣ والأشمونى ٣ : ٢٨١ وديوان ابن قيس الرقيات ١٦٠ .

على أَنَّ الأَخفش يعتذر لتقدُّم اللام على كى فى (لكَيْما) وتأَخُّرها عنها فى (كى لتقضينى) أَنَّ المتأَخِّر بدلٌ من المتقدِّم .

وهذا يَرُدُّ على الكوفيِّين فى زعمهم أَنَّ كى ناصبة دائماً ، لأَنَّ لام الجر لا تفصل بين الفعل وناصبهِ . كذا قال ابن هشام (فى المغنى) .

وقال الدمامينى : هذا الردُّ على الكوفيِّين ظاهر . أَمّا إذا جُعل النصبُ بأَن مضمرة كما يقول البصريُّون ، وكى جارّةٌ تعليليَّة أُكِّدَت بمرادفها وهى اللام ، انتفى هذا المحذور . نعم يلزم الشُّذوذ من جهة هذا التأْكيد ، ولكنَّه سُمع فى كلامهم ، بل هو أَحقُّ ، من نحو قوله :

* ولا لِلِما بهمْ أَبدًا دواءُ[1] *

لاختلاف الحرفين لفظاً .

هذا كلامه ، وهو خلافِ ما (فى التَّذكِرة) لأَبى على ، قال فيها : كى هنا بمعنى أَنْ ، ولا تكون الجارّةَ ، لأَنَّ حرف الجرِّ لا يتعلَّق . وإذا كانت الأُخرى كانت زائدة ، كالتى فى قوله :

* كأَنْ ظبيةٍ تعطُو إلى وارقِ السَّلَمْ[2] *

وقال النِّيلىُّ (فى شرح الكافية) : ويحتمل أن يكون أَراد: لكى تقضينى ، فقدَّم وأَخَّر .

والبيت من أَبياتٍ لابن قيس الرُّقيّات ، محذوفُ الآخر ، وقبله : صاحب الشاهد

(١) انظر ماسبق فى ص ٤٨٢ س ٥ .

(٢) لابن صريم اليشكرى . وهو الشاهد ٨٧٤ . وصدره :

* ويوماً توافينا بوجه مقسم *

(ليتَنى أَلقى رُقيَّةَ فى خَلوةٍ من غير ما أَنَسِ
كى لتقضينى رُقيَّةُ ما وعَدتْنى غيرَ مُختَلَسِ[١])

ورقيَّة : اسم محبوبته . والأَنَس ، بفتحتين ،بمعنى الإِنس، بكسر الهمزة وسكون النون . وما زائدة ، وفيه مضاف محذوف تقديره من غير حضور أنَس .

وقوله : « لتقضِينى » علَّة لقوله ألقَى . والقضاءُ : الأَداءُ ، يقال قضيت الحجَّ والدَّين . أى أَدَّيتُهما . فهو متعدٍّ لمفعول واحد . فما فى البيت بدل اشتمال من الياء . وكون ما موصوفةً أَحسنُ من كَونها مَوصولة . فتأَمَّلْ .

وقال العينى : مفعول ثانٍ لتقضينى . وهى يجوز أَنْ تكون موصولة والعائد محذوف ، أى وعَدَتنى إيّاه . ويجوز أن تكون مصدريّة ، أى لتقضينى وعدَها لى . اهـ .

وهو فى هذا محتاجٌ إلى أن يثبت قَضَى متعدِّياً إلى مفعولين . ولا سبيل إليه إلَّا بتضمين ، وهو غير مقيس .

و (المختلَس) بفتح اللام : مصدر ميمى ، يقال خلست الشيءَ خلساً ،من باب ضرب ، واختلستُه اختلاساً ، أَى اختطفته بسُرعة على غفلة . و (غير) مفعول مطلق ، أَى لتقضينى قضاءً غير اختلاس . والمراد : لِأَنال مِن وصلها فى أَمنٍ من الرُّقباء .

---

(١) الشاهد من بحر المديد . قال العينى : « وفيه الخبن والحذف والكف »، صوابه « الخبن والحذف » فقط .

وقد تقدَّمت ترجمة ابن قيس الرقيات فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الخمسمائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الستمائة[٢] : ٥٨٨

٦٥٥ (فثُمَّ إذا أَصبحتُ أَصبحتُ غاديَا)

على أَن الحرف قد يُبدل من مثله الموافقِ له فى المعنى ، كما فى البيت ، فإنَّ ثُمَّ بدلٌ من الفاءِ .

وذهب ابن جنى (فى سر الصناعة) ، وتبعه ابن هشام (فى المغنى) إلى أَنَّ الفاءَ زائدة . قال : لأَنَّ الفاءَ قد عُهِد زيادتها .

وكذا (فى كتاب الضرائر) لابن عصفور ، قال : ومن زيادة الفاء قوله :

يَموت أُناسٌ أَو يشيبُ فتاهُم ويحدثُ ناسٌ والصغيرُ فيكبرُ[٣]

يريد : والصغير يكبَر . وقول أَبى كبير :

فرأَيتُ ما فيه فثُمَّ رزِئتُه فلبثتُ بعدكَ غير راضٍ مَعْمَرِى[٤]

يريد : ثم رزئته . وقول الأَسود بن يعفر :

فَلنَهشلٌ قومى ولى فى نهشلٍ نَسَبٌ لعمر أَبيك غيرِ غِلابِ[٥]

---

(١) الخزانة ٧ : ٢٨٤–٢٨٩ .

(٢) سر الصناعة ١ : ٢٦٦ وابن الشجرى ٢ : ٣٢٦ وابن يعيش ٨ : ٦٩ والمغنى ١١٧ والهمع ٢ : ١٣١ والأشمونى ٣ : ٩٥ وديوان زهير ٢٨٥ .

(٣) الهمع ٢ : ١٣١ والدرر ٢ : ١٧٢ بدون نسبة . ط : « أو يشب فأهم » ، صوابه فى ش والهمع .

(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٠١ وشرح السكرى ١٠٨٢ . وقبله :

وبياض وجه لم تحل أسراره مثل الوذيلة أو كشنف الأنضر

(٥) ط : « نشب » ، صوابه فى ش .

زاد الفاءَ فى أَوّل الكلام لأَنَّ البيت أَوّلُ القصيدة . اه .

وقال النِّيلى (فى شرح الكافية) : الذى أَراه أَنَّ الفاءَ للترتيب المتَّصل فى الحكم ، وكأَنَّ الشاعر أَخبرنا بالحكم الثانى عقب إِخباره بالحكم الأَوّل .

ونقل السيوطى (فى شرح أَبيات المغنى) : عن السِّيرافى أَنَّه قال: الأَجود فَثَمَّ ، بفتح المثلثة ، لكراهة دخول عاطف على عاطف .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ لزهير بن أَبى سُلمى ، وهى :

أبيات الشاهد — (أَلا ليتَ شعرى هل يرى الناسُ ما أَرى
من الأَمر أَو يبدو لهم ما بدا ليا

بدا لىَ أَنَّ الناس تَفنى نفوسُهم — وأَموالُهم ولا أَرى الدهرَ فانيا
وأَنِّى متى أَهبطْ من الأَرض تَلعةً — أَجدْ أَثراً قبلى جديداً وعافيا
أَرانى إذا ما بتُّ بتُّ على هَوًى — فثُمّ إِذا أَصبحتُ أَصبحتُ غاديا
إِلى حفرةٍ أَهوِى إِليها مقيمةٍ — يَحُثُّ إِليها سائقٌ من ورائيا
كأَنِّى وقد خلَّفت تسعين حِجّةً — خلعتُ بها عن مَنكبىَّ ردائيا
بَدا لىَ أَنِّى عِشتُ تسعين حِجّةً — تِباعاً ، وعشراً عشتُها ، وثمانيا
بدا لىَ أَنَّ الله حقٌّ فزادنى — من الحقِّ تقوى الله ماقد بدا ليا
بدا لىَ أَنِّى لستُ مدركَ ما مضى — ولا سابقاً شيئاً إِذا كان جائيا[1]
أُرانى إِذا ما شئتُ لاقيتُ آيةً — تذكِّرنى بعضَ الذى كنتُ ناسيا
وما إِن أَرى نفسى تَقِيها كريمتى — وما إِن تَقِى نفسى كريمةَ ماليا

(١) فى ديوان زهير ٢٨٧ : « ولا سابق شىء ». وفى الشرح : « ويروى : « ولا فاتنى » .

أَلا لا أرى على الحوادث باقيًا ... ولا خالدًا إِلَّا الجبالَ الرَّواسيا
وإِلَّا السَّماءَ والبلادَ وربَّنا ... وأَيامَنا معدودةً واللَّياليا
أَلم تر أَنَّ اللهَ أَهلكَ تُبَّعا ... وأَهلك لقمانَ بن عادٍ وعاديا
وأَهلَكَ ذا القرنين من قبلِ ما ترى ... وفرعونَ أَردى كيدَهُ والنَّجاشيا
إِذا أَعجبتكَ الدَّهْرَ حالٌ من امرئٍ ... فدَعْهُ وواكلْ حالَهُ واللَّياليا
أَلا لا أَرى ذا إِمَّةٍ أَصبحت به ... فتتركَه الأَيَّامُ وهي كما هيا ٥٨٩
أَلم تَر للنُّعمانِ كانَ بنجوةٍ ... من الشَّرِّ لو أَنَّ امرأً كان ناجيا
فغيَّر عنه مُلكَ عشرين حجةً ... من الدَّهر يومٌ واحدٌ كان غاويا(١)
فلم أَر مسلوبًا له مثلُ مُلكه ... أَقلَّ صديقاً معطياً أَو مواسيا(٢)
فأَين الذين كان يُعطى جيادَه ... بأَرسانهنَّ والحسانَ الغواليا(٣)
وأَين الذين كان يُعطيهمُ القُرَى ... بِغَلَّاتِهنَّ والمئينَ العواديا(٤)
وأَين الذين يَحضرُون جِفانَهُ ... إِذا قُدِّمَتْ أَلقَوْا عليها المراسيا
رأَيتُهمُ لم يُشْرِكوا بنفوسهمْ ... منيَّتَه لمَّا رأَوا أَنَّها هيا
سِوى أَنَّ حيًّا من رَوَاحة حافَظُوا ... وكانوا أُناسًا يتَّقون المخازيا(٥)
فسَاروا له حَتَّى أَناخوا ببابه ... كِرامَ المطايا والهجانَ المَتَاليا(٦)

---

(١) فى الديوان : « رشد عشرين حجة » .

(٢) فى الديوان : « مثل قرضه » .

(٣) فى الديوان : « الحواليا » ، جمع حالية .

(٤) فى الديوان : « والمئين الغواليا » . قال : « ويروى الغواديا » .

(٥) فى الديوان : « أقبلوا وكانوا قديماً » .

(٦) فى الديوان :

يسيرون حتى حبسوا عند بابه ... ثقال الروايا والهجان المتاليا

فقال لهم خيراً وأثنى عليهمُ ... وَوَدَّعهم وداعَ أن لا تلاقيا
وأجمعَ أمرًا كان ما بعدَه له ... وكان إذا ما اخْلَوْلجَ الأمرُ ماضيا)

قال صَعوداءُ ، والأعلم الشنتمريُّ (فى شرحيهما لديوان زهير) : هذه القصيدة قالها زهير يذكر النُّعمانَ بن المنذر ، حيثُ طلبه كسرى لِيَقْتُلَهُ ، ففرَّ فأَتى طَيِّئاً ، وكانت ابنةُ[1] أوس بن حارثة بن لأْم عنده ، فأتاهم فسأَلهم أن يدخلوه جبَلَهم فأَبوا عليه . وكانت له يدٌ فى بنى عبس فى مَرْوان بن زنباع ، وكان أُسِر فكلَّم فيه عمرَو بن هند عمَّه وشفَع له فشفَّعه ، وحَمَله النعمانُ وكساه . فكانت بنو عبسٍ يشكرون ذلك للنُّعمان . فلمَّا هرب من كسرى ولم تُدخله طيِّئٌ جبلَها لقيَتْه بنو رَوَاحةَ مِن عبس ، وهم رهطُ مروان بن زِنباع ، فقالوا له : أَقِمْ فينا[2] فإنَّا نمنعك مما نَمنع منه أنفسَنا . فقال لهم : لا طاقة لكم بكسرى وجنوده . فأَبى وسارُوا معه ، فأَثنى عليهم خيراً وودَّعهم .

وقال الأَصمعيُّ : ليست لزهير ، ويقال هى لصِرْمة الأَنصاريّ . ولا تشبه[3] كلام زهير .

وقوله : « ولا أرى الدهرَ فانيًا » ، قال صعوداءُ : يقال إنَّ الدهر هو الله جلَّ وعزَّ ثناؤه ، وإنَّما يراد بذلك أنَّ الذى يُحدثه الدهر إنَّما هو من تقدير الله ، فلا ينبغى أن يُسَبّ الدهر ، لأَنَّه يرجع إلى سبِّ ما قدَّر الله .

وقوله : « وأنِّى متى أَهبطْ » إلخ ، قال الأَعلم : التَّلعة : مجرى الماء إلى

---

(١) ط : « وكان ابن » ، صوابه فى ش وشرح ثعلب ص ٢٨٣ .
(٢) ط : « قم فينا » ، صوابه فى ش وشرح ثعلب .
(٣) ط : « ولا يشبه » .

الرّوضة ، وتكون فيما علا عن السَّيل وفيما سَفَل عنه . ودوُن التَّلعة الشُّعبة. والعافى : الدارس . يقول : حيثما سار الإنسان[١] من الأَرض فلا يخلو من أن يجدَ فيه أثرًا قديماً أو حديثاً[٢] .

وقوله : « أُرانى إذا ما بتُّ » إلخ ، مع البيت بعده ، قال صعوداءُ : على هوًى ، أى على أمر . يقول : أُرانى إذا مابتُّ على أمرٍ أو حاجة أُرِيدُها ثم أَغدو وأَدع .

وقال الأَعلم : أى لى حاجةٌ لا تنقضى أَبدًا ، لأَنَّ الإنسان ما دام حيًّا فلا بدَّ من أن يهوَى شيئًا ويحتاج إليه .

ولم يتعرَّض كلٌّ منهما إلى قوله فثمّ .

وفى جميع النسخ : « غاديًا » بالغين المعجمة . وروى البيت (فى مغنى اللبيب) كذا :

أُرانىإذا أَصبحتُأَصبحتُ ذا هوًى فثُمَّ إذا أَمسيتُ أَمسيتُ عاديا

قال ابن المُلاَّ : أُرانى من أفعال القلوب التى يجوز أن يكون فاعلها ومفعولها الأَوّل ضميرين متَّصلين متَّحدىِ المعنى . والهوى : إرادة النفس ٥٩
أى أُصبح مريدًا لشىءٍ وأُمسِى تاركاً له متجاوزاً عنه . يقال عدَا فلان الأَمر ، إذا تجاوزَه .

قال الشُّمُنِّىُّ : وهذا يدلُّ على أَنَّ عادياً بالعين المهملة . وهو مضبوطٌ فى بعض نسخ المغنى وغيره بالمعجمة .

---

(١) فى النسختين : « صار الإنسان » ، وأثبت مافى الشنتمرى ٨٧ .
(٢) عند الأعلم الشنتمرى : « من أن يجد فيه أثرا قبل أثره قديماً وحديثاً » .

قال ابن القطَّاع : غدا إلى كذا : أَصبح إليه. ورواية الإعجام أَنسب بالبيت بعده ، إذ يقال غدا إلى كذا بمعنى صار إليه . وإن صحّ أَن يقال المعنى متجاوزاً إلى حفرة . ووصف الحفرةَ بكونها مقيمةً إمَّا على مُعتَقَد الجاهليّة من أَنَّه لا فناءَ للعالَمِ ولا بعثَ ، أَو المقيمةُ عبارةٌ عن ذات المدَّة الطويلة . والسائق : الذى يحثُّ على العَدْو إلى تلك الحفرة ، وهو الزمان[1] ، فإنَّه المفنى المبيدُ عندهم . اهـ .

وقوله : « كأَنِّى وقد خَلَّفت » إلى آخره . قال الأَعلم : أَى لا أَجد مَسّ شيءٍ مضى ، فكأَنَّما خَلَعْتُ[2] به ردائى عن مَنكبى .

وقوله :

* بدا لىَ أَنِّى لستُ مدركَ ما مضى *

يأْتى إن شاءَ الله شرحه فى الجوازم[3] .

وقوله : « أُرانى إذا ما شئتُ[4] » إلخ ، أَى إذا غفلتُ عن حوادث الدَّهر من موت وغيره ونسيتُها رأَيتُ آيةً مما تصيب غيرى ، فذكَّرتنى ما كنتُ نسيت . والآية : العلامة .

وقوله : « وما إن أَرى » إلخ ، قال صَعوداءُ : كريمة ماله : أَهلُه وخاصَّته. وروى الأَعلم : « كريهتى » ، وقال : لا تَقِى نفسى من الموت كريهتى ، أَى شدَّتى وجراءَتى ، ولا تقيها كرائمُ مالى .

وقوله : « أَلم تر أَنَّ الله أَهلك تُبَّعًا » إلى آخره ، تُبَّع : ملكُ اليمن .

(١) ش : « هو الزمان » بطرح الواو .
(٢) ش : « خلفت » ، صوابه فى ط والشنتمرى .
(٣) هو الشاهد ٧٠٤ فى ٦٤٦ بولاق .
(٤) ط : « إذا ما نسيت » ، صوابه فى ش ونص الشعر .

وعادياءُ أَبو السموءَل [١] ويقال السموءَل [٢] بن حيا بن عادياء . وكان له حصنٌ بتيماءَ . وهو الذى استودعَه امرؤ القيس أَدراعَه . وقال صَعُوداءُ : عادياءُ ابنُ عاد . وأَوَّل من سَنَّ الدِّيَة لقمان بن عاد . وأَوّل من تكلَّم بالعربية العمالقة بمكة ، ملوك كان يقال لهم العمالقة ، ولا يدرى لأَىِّ شىءٍ سُمّوا بذلك . ا هـ .

والنجاشىُّ : ملك الحبَشة . والإِمَّة بالكسر : النَّعمة والحالةُ الحسنة ؛ أَى من كان ذا نَعمةٍ فالأَيَّام لا تتركه ونَعْمتَه كما عُهِدت ، أَى لا بدَّ من أَن تغيِّرها الأَيام . وقوله : « كان بنجوة من الشرِّ » ، أَى كان بمعزِل منه . يقال فلانٌ بنجوةٍ من السَّيل ، إِذا كان بموضع مرتفع حيثُ لا يدركه السَّيل . ورَوَى صعوداءُ : « بنجوة من العيش » وقال : أَى كان بمرتفع من السُّلطان والملك .

وقوله : « فغيّر عنه ملكَ » إلخ ، الحِجَّة بالكسر : السَّنة . والغاوى هنا : الواقعُ فى هَلَكة . وقال صَعوداءُ : نسب اليومَ إلى الغىّ لأَنَّ الغى كان فيه .

وقوله : « فلم أَر مسلوباً » إلخ ، يقول : لم أَر إنساناً سُلب النَّعيم والمُلْك ، وله عند الناس أَيادٍ ونعم كثيرة فلم يَفِ له أَحدٌ ولم يواسِهِ ، كالنُّعمان حينَ لم يُجِرْه من استجار به . والباذل : المعطى . وقوله : « والمئين الغواديا » ، أَى كان يهَبُ المئين من الإِبل فتغدُو عليهم .

وقوله : « أَلقَوْا عليها المَرَاسيا » أَى ثبتوا عليها آكلين منها . والمَرَاسى :

---

(١) ش : « عادياً » بالقصر ، فى هذا الموضع وتاليه .
(٢) ط : « ويقال أبو السموءل » ، صوابه فى ش .

جمع مَرْسًى ، وهو من رسا يرسو ، إذا ثبتَ وأقام ، ومنه مَرْسى السفينة . والجفان : القصاع .

وقوله : « لم يُشْرِكوا بنفوسهم » أى لم يواسوه فى الموت ، ومعناه لم يَخلِطوه بأنفسهم حين استجار بهم من كسرى .

والهجان : البيض من الإبل ، وهى أكرمُها . والمتَالى : التى تتلوها أولادها ، جمع مُتْلية .

وقوله :[1] « فقالهم خيراً » أى قال النعمان لبنى رَوَاحة خيرًا لما دعَوْه إلى مجاورتهم وودَّعهم ودَاعَ مَن يتيقنً بالموت .

وقوله : « وأجمع أمرًا » إلخ ، ما بعده أى من ثنائه . واخْلَوْلَجَ : التوَى

٥٩١ ولم يستقمْ . والماضى : النافذ فى الأمر العازمُ عليه .

وترجمة زهير تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الستمائة[3] :

٦٥٦ (إذا أنتَ لم تَنْفَعْ فضُرَّ فإنَّما
يُرادُ الفتى كيما يَضُرُّ ويَنفَعُ)

على أنَّ (يضرُّ) بالرفع ، وما كافَّةٌ وقيل مصدريَّة ، وكى جارة ، أى لمضرَّته ومنفعته .

وهذان الوجهان أجازهما أبو على (فى التَّذكِرة القصْرية) و (فى البغداديات) كما ننقله فى البيت بعده .

---

(١) مابعده إلى « قوله » التالية ساقط من ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٣٢ — ٣٣٦ .

(٣) المغنى ١٨٢ والعينى ٣ : ٢٤٥ / ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٣ والأشمونى ٢ : ٣/٢٠٤ : ٢٧٩ وملحقات ديوان قيس بن الخطيم ١٧٠ .

وكذا قال ابن هشام (فى المغنى) .

وقال العينى : إنَّ دخول كى على المصدرية نادر .

ورأيت (فى طبقات النُّحاة) لأَبى بكر محمد الشَّهير بالتاريخى عند ترجمة يونسَ بن حبيب ، أَنَّ يونس قال : كان عبد الأَعلى بن عبد الله بن عامر فصيحاً ، وهو الذى يقول :

إذا أَنت لم تنفع فضرَّ فإِنَّما يرجَّى الفتى كيما يضرَّ وينفعا

فعلى هذه الرواية ما زائدة ويضر منصوب بكى واللام مقدَّرة ، وأَنت فاعل لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، أَى إذا لم تنفع الصديق فضرَّ العدو . وإنَّما قدِّر الفعل واقعاً على هذا المفعول لأَنَّ العاقل لا يأْمر بالضر مطلقاً ، وحُسن المقابلة اقتضى تعيين الأَوَّل .

و (يرجَّى) بتشديد الجيم المفتوحة ، أَى إنَّما يرجَّى الكامل فى الفتوَّة لضررٍ من يستحق الضَّرَّ ، ونفعٍ من يستحقُّ النفع .

وقيل : يمكن حمل البيت على أَنَّ المراد الحثُّ على النفع بالأَمر بالضَّرر ، لا على أَنَّه مراد ، ولا يقدَّر للفعل متعلَّق ؛ بملاحظة أَنَّ الإنسان إنَّما يُقصَد ويكثُر رجاؤه لوصفٍ فيه لا لذاته .

وروى : « يُراد » بدل « يرجَّى » .

قال العينى : البيت للنابغة الذُّبيانىّ ، وقيل للنابغة الجعدى . والأَصحُّ أَنَّ قائله قيس بن الخطيم . ذكره البحترىُّ (فى حماسته) . اهـ .

ولم نسمع أن للبحترى حماسة[١] .

ونسبه الإمام الباقلَّانىُّ (فى كتاب إعجاز القرآن) لقيس بن الخطيم بنصب يَضُرَّ وينفع . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الستمائة[٢] :

٦٥٧ (لا تَظلِمُوا النَّاسَ كما لا تُظلَمُوا)

على أَنَّ المبرد والكوفيِّين جَوَّزُوا نصب المضارع بعد (كما) على أَنَّ أَصلها كيما ، حذفت الياءُ تخفيفاً ، فإنَّ لا تُظْلَموا منصوب بحذف النون بها ، وقيل بل نصبُه بما المصدريَّة حملاً على أَن المصدرية كما أَنَّ أَنْ تُهمل حملا على ما . وهذا من باب التقارض .

فالكاف حينئذ للتشبيه .

والبصريُّون يمنعون ذلك ، وينشدون :

* لا تظلمِ النَّاس كما لا تظلمُ *

بالتوحيد ، فالفعل مرفوع على هذا بعد لا النافية ،والكاف للتشبيه ، وما كافَّة .

---

(١) هكذا يقول البغدادى . والواقع أن هناك نسخة وحيدة من حماسة البحترى مودعة فى مكتبة ليدن برقم ٨٨٩ كما نص عليه بروكلمان . وقد طبعت حماسة البحترى عدة طبعات أولاها سنة ١٩٠٩ بمطبعة بريل . وهى من رواية أبى العباس أحمدبن محمد، المعروف بابن أبىخالد الأحول، عن أبيه عن البحترى اختارها من شعر العرب ، وأهداها للفتح بن خاقان، ورتبها على ١٧٤ باباً. وقد عنى الأب لويس شيخو بطبعها مضبوطة بالشكل الكامل ووضع لها فهرسا : للشعراء ، وقوافيهم، مع مقدمة باللغة الفرنسية . وذلك فىالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩١٠. وقد استعان فيها بطبعة ليدن المصورة سنة ١٩٠٩ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨٦ والإنصاف ٥٨٧ ، ٥٩١ والخزانة ٤ : ٢٧٦ بولاق وملحقات ديوان رؤبة ١٨٣ .

قال سيبويه : سألت الخليل عن قول العرب : انتظرنى كما آتيك فزعم أنَّ ما والكاف جُعلتا بمنزلة حرف واحد وصيِّرت للفعل كما صيِّرت للفعلُ ربَّما ، والمعنى لعلِّى آتيك . فمن ثَمَّ لم ينصبوا به الفعل كما لم ينصبوا بربَّما . قال :

* لا تشتُمِ الناسَ كما لا تُشتَم[1] *

وقال أبو النجم :

قلتُ لشيبان ادنُ مِن لقائه كما تُغدِّى القومَ من شِوائه

انتهى .

٥٩٢ قال الأعلم : الشاهد وقوع الفعل بعد كما لأنَّها كاف التشبيه ووصلت بما ، لوقوع الفعل بعدها ، كما فعل بربَّما ، ومعناها هُنا لعلَّ ، أى لا تشتم الناس لعلك لا تشتم إنْ لم تشتمهم . ومن النحويِّين من يجعلها[2] بمعنى كى ويجيزُ النصب بها ، وهو مذهب الكوفيين .

وقال النحاس : هذا قول الخليل وسيبويه . وحكى ابنَ سعدان النصبَ بكما إذا كانت بمعنى كيما ، وقد حكاه الأخفشُ سعيد .

وقوله : « قلت لشيبان » إلخ يأمر ابنه شيبان باتِّباع ظليمٍ والدنوِّ منه ، لعلَّه يصيده فيطعم أصحابَه من شوائه .

وقال أبو على (فى البغداديات) بعد أن نقل عبارة سيبويه : جعل سيبويه (كما) فى هذا البيت كالتى فى البيت الأوَّل . وأنشده أبو بكر

---

(١) هو الشاهد ٨٣٨ . وانظر سيبويه ١ : ٤٥٩ بولاق .

(٢) يعنى « كما » . وفى ش : « من يجعلها » تحريف .

عن يعقوب أَو غيره من أَهل الثبت فى اللغة : « كيما تغدًّى القوم» . وقال : شيبان : ابنُه ، أَى قلت له اركَبْ فى طلبه كيما تصيدَه فتُغدِّىَ القوم به مشويًّا . يصف ظليما . وأَقول : إنَّ ما على هذا الإِنشاد تحتمل وجهين : يجوز أَن تكون زائدة كالتى فى قوله :﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ[1]﴾ والفعل منصوب . بإِضمار أَنْ ، إِلَّا أَنَّه ترك على الإِسكان ، وذلك مما يستحسَنُ فى الضرورات . ويجوز أَن تكون ما بمعنى المصدر ، فى موضع جرٍّ بكى ، وتغدًّى صلته وموضعه رفع . ونظير ذلك قولُ الآخَر ، أَنشده أَبو الحسن :

إذا أَنت لم تنفع فضُرَّ فإِنَّما يُرجَّى الفتى كيما يضرُّ وينفعُ

كأَنَّه قال : لِلضَّرِ والنفع . ويحتمل عندى أَن تكون ما كافَّة لكى ، كما كانت كافَّة لربَّ . انتهى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : اختُلف فى نحو قوله :

وطرفَك إمَّا جئتنا فاحبسَنَّه كما يَحسبوا أَنَّ الهوى حيثُ تنظرُ[2]

فقال الفارسى : الأَصل كيما ، فحذف الياءَ . وقال ابن مالك : هذا تكلُّف ، بل هى كاف التعليل وما الكافَّة ، ونُصب الفعل بها ، لشبهها بكى فى المعنى . وزعم أَبو محمد الأَسود (فى كتابه المسمَّى نزهة الأَديب) أَنَّ أَبا علىٍّ حرَّف هذا البيت ، وأَنَّ الصواب فيه :

إذا جئتَ فامنحْ طرفَ عينِكَ غيرنا

لكى يَحْسَبُوا . . . البيت[3] انتهى

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

(٢) لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه ٧٣ . وانظر الإنصاف ٣٤٤ والمغنى ١٧٠ .

(٣) هنا ينتهى نص المغنى . والنص فيه : « طرف عينيك » بالتثنية .

والبيت الذى أورده الشارح المحقِّق لرؤبة بن العجاج ، ويأْتى إن شاء الله بقيَّةُ الكلام عليه فى الشاهد الأَربعين بعد الثمانمائة .

والمشهور فى الاستعمال ما أورده سيبويه ، وهو :

* لا تشتُمِ الناسَ كما لا تشتَمُ *

وهو لرؤبة بن العجاج أيضاً . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخامسِ من أول الكتابِ[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد السمائة ، وهو من شواهد (س)[2] :

٦٥٨ (ولُبْسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عينى)

هذا صدرٌ وعجزه :

(أحبُّ إلىَّ من لُبس الشُّفوفِ)

على أنَّ (تقرَّ) منصوب بأَنْ مضمرة بعد الواو ، وأَنَّ تقرَّ فى تأْويل مصدر معطوف على مصدر وهو لُبْس .

وسيأْتى الكلامُ عليه إن شاء الله فيما بعد الشاهد الثانى والسبعين بعد السمائة .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لميسونَ بنتِ بَحْدلٍ الكلبِيَّة ، وهى :

أبيات الشاهد

(لَبَيْتٌ تخفِقُ الأَرواحُ فيه أَحبُّ إلَىَّ مِن قَصرٍ مُنيفِ

(١) الخزانة ١ : ٨٩ – ٩٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٢٦ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٧ والجمل ١٩٩ والمحتسب ١ : ٣٢٦ وسر الصناعة ١ : ٢٧٥ ودرة الغواص ٢٤ وابن الشجرى ١ : ٢٨٠ وحماسة ابن الشجرى ١٦٦ وابن يعيش ٧ : ٢٥ والمغنى ٢٦٧ ، ٢٨٣ ، ٢٦١ ، ٤٧٩ ، ٥٥١ وشذور الذهب ٣١٤ والعينى ٤ : ٣٩٧ والتصريح ٢ : ٢٤٤ والهمع ٢ : ١٧ والأشمونى ٣ : ٣١٣ .

وبَكرٌ يَتبعُ الأَظعانَ سَقْباً ... أحبُّ إلىَّ من بَغلٍ زَفوفِ
وكلبٌ يَنبَحُ الطُّرَّاقَ عنّى ... أَحبُّ إلىَّ من قِطٍّ أَلوفِ
ولُبسُ عباءَةٍ وتقَرَّ عينى ... أَحبُّ إلىَّ من لُبس الشُّفوفِ
وأَكلُ كُسَيْرةٍ فى كِسر بيتى ... أَحبُّ إلىَّ من أَكل الرَّغيفِ
وأَصواتُ الرياح بكلِّ فجٍّ ... أَحبُّ إلىَّ من نَقْر الدُّفوفِ
وخِرقٌ من بنى عمِّى نحيفٌ ... أَحبُّ إلىَّ من عِلجٍ عَليفِ
خُشونةُ عِيشتى فى البدْو أَشهى ... إلى نفسى من العيش الطَّريفِ
فما أَبغى سوى وَطنِى بديلاً ... فحَسْبى ذاكَ من وطنٍ شريفِ)

الخفق : الاضطراب ، وفعله من باب ضرب . والمنيف : العالى . وأَورد الحريرىُّ هذه الأَبياتَ (فى درة الغواص) لأَجل هذا البيت على أَنَّه يقال فى جمع ريح أَرواح ، وقول الناس : أَرياح ، قياساً على رياح خطأٌ .

والبَكْر بفتح الموحدة : الفتىُّ من الإبل . والأَظعان : جمع ظعينة ، وهى المرأَةُ ما دامت فى الهودج . والسَّقب : الذكر من وَلد الناقة ، وهو حالٌ مؤكِّدة . وروى : « صعب » فهو صفة لبكر . والزَّفوف بالزاء المعجمة[1] والفاءين ، أَى مسرع .

والطُّرَّاق : جمع طارق ، وهو الذى يأْتى ليلاً .

وقوله : « ولُبْس عباءَة » فى غالب كتب النحو « للُبس » بلامين ، وهو خلاف الرواية الصحيحة . والعَباءَة ، وكذا العَبَاية : الجبَّة من الصُّوف ونحوِها ، وقيل كساءٌ مخطَّطٌ . وتَقَرَّ بفتح القاف ، من قولهم :

(١) ش : « بالزاى المعجمة » .

عين قريره ، أى باردة من البَرْد ، الذى هو النوم ، وقيل من البرد الذى هو ضدُّ الحرِّ ، أو من القَرار وهو السُّكون ، لأَنَّ العين إذا قرَّت سكنت عن الطموح إلى شيء . والشُّفوف : جمع شِفّ بكسر الشين وفتحها ، وهو الثَّوب الرقيق ، سمِّى بذلك لأَنَّه يُستشَفُّ ما وراءه ، أى يُبصَر . ومثله قول بعض الأَعراب :

لَعمرِى لأَعرابيــةٌ فى عَبــاءَةٍ   تحُلُّ دماثاً من سُوَيقـة أَو فَرْدا
أَحبُّ إلى القلب الذى لجَّ فى الهوى   من اللابساتِ الخزَّ يُظْهِرْنَه كَيدا

والكُسَيرة ، بالتصغير : القِطعة من الخبز . والكِسْر، بكسر الكاف: طرف الخِباءِ من الأَرض(١) .

والخِرْق، بكسر الخاءِ المعجمة : الكريم . والعلج بالكسر، قال ابن دريد : هو الصُّلب الشديد ، وبه سمِّى حمار الوحش عِلجاً . ويحتمل أَن تريد: إنَّ الأَمردَ أَحبُّ إلىَّ من ذى اللِّحية . قال أَبو زيد : يقال لكلِّ ذى لحية علج ، ولا يقال للغلام إذا كان أَمردَ علج . واستعلج الرجُل ، إذا خرجت لحيته . والأَوَّل أَنسَبُ لقولها عليف أَى مسمَّنٌ بالعَلَف . قال الأَعلم : تعنى به معاوية لقوّته وشدَّته ، مع سمنه ونَعْمته .

وقال العينى : الغليف بالغين المعجمة ، وهو الذى يغلِّف لحيته بالغالية . ويجوز بالعين المهملة .

ومَيسون قال اللخمى : هى زوجُ معاوية بن أَبى سُفيان وأُمّ ابنهِ يزيد ، وكانت بدويّة فضاقت نفسُها لمَّا تسرَّى عليها ، فعذَلَها على

---

(١) الأوضح منه ما فى اللسان : « أسفل الشقة التى تلى الأرض من الخباء » وفى حواشى ش : « من الأرض هكذا بخط المؤلف ، ولايستقيم » .

ذلك وقال لها : أنتِ فى مُلكٍ عظيم وما تدرين قدره ، وكنتِ قبلَ اليوم فى العباءة : فقالتْ هذه الأَبياتَ ، فلمَّا سمعها قال لها : ما رضيتِ
٥٩٤ يا ابنة بَحْدلٍ حتَّى جعَلْتِنى علجاً عليفاً ، فالحقى بأَهلك! فطلَّقها وأَلحقها بأَهلها وقال لها : كنتِ فبنتِ ! فقالت : لا والله ما سُرِرنا إذْ كنَّا ولا أَسِفنا إذْ بِنَّا ! ويقال أَنَّها كانت حاملاً بيزيد، فوضَعته فى البرِّيّة ، فمِن ثَمَّ كان فصيحا .

وقال الشريف (فى حماسته) : وروى الكلبى عن عَوانة قال : لما زُفَّت ميسونُ بنت بَحْدَلٍ من بادية كلب إلى معاوية وهو بِرِيف الشَّام ثقُل عليها الغُربةُ والبعدُ عن قومها ، فسمعها ذاتَ ليلة تقول هذه الأَبيات فقال : أَنا والله العلج : وازداد بها عُجْبًا ، وإليها مَيْلا .

قال ابن الكلبى (فى الجمهرة) : كان معاوية بن أَبى سفيان بعث رسولاً إلى بهدلة بن حسان بن عدىّ بن جبَلة بن سَلامة بن عبد الله بن عُلَيم بن جَنَاب يخطب إليه ابنتَه ، فأَخطأَ الرسول فذهب إلى بَحدَلِ بن أُنيف ، من بنى حارثة بن جناب، فزوَّجه ابنته مَيْسُون بنت بحدل، فولدت له يزيد. انتهى .

ذكَره فى جمهرة قضاعة ، وهى من قبائل اليمن .

وميسون : فَيْعول ، مِن مسَنَه(١) بالسوط إذا ضربه ، أَو فَعْلون(٢) من ماسَ يَميس ، إذا تبختر، ولا نظير له إلَّا زَيتون ، استدلَّ به بعض النحويِّين على زيادة النون بالزَّيت المعصور . وحُكى أَرض زَتِنة ، إذا كان فيها الزيتون. وبَحْدل ، بفتح الموحَّدة وسكون الحاء المهملة .

* * *

(١) ط : « ميسنه » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « أو من فعلون » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح وترميج بخط الشنقيطى .

وأنشد بعده :

(أَلَا أَيُّهــذا الزَّاجِرِى أَحْضُرَ الوغى)

على أَنَّ (أَحضر) منصوب بأن مضمرة ، بدليل تمامه :

(وأَن أَشهد اللَّذَّاتِ هل أَنتَ مُخلدى)

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد العاشر من أوائل الكتاب[١] .

وهذه روايةُ الكوفيِّين ، والرفع رواية البصريِّين . قال سيبويه : وقد جاء فى الشعر :

* أَلَا أَيُّهذا الزَّاجِرِى أَحضرُ الوغَى *

قال الأَعلم : الشاهد فيه رفع أَحضرُ بحذف الناصب وتعرِّيه منه . والمعنى لِأَنْ أَحضر الوغى . وقد يجوز النَّصب بإضمار أَن ضرورة ، وهو مذهب الكوفيِّين . انتهى .

وفى التذكرة القصرية ، وهى أَسئلة من أَبى الطيِّب محمد بن طوسى[٢] المعروف بالقصرى ، وأَجوبة من شيخه أَبى على الفارسى قال : سأَلت أَبا على عن أَحضر الوغى ، أَىُّ شىءٍ موضعه ؟ فقال : نصبٌ ، وهو يريد حاضراً . فقلت : كيف يجوز أَن يكون حالا وإنَّما الحضور مزجورٌ عنه لا عن غيره ؟ فقال : قد يجوز أَن يكون لم يذكر المزجور عنه . فقلت : قد فهِمْنا من قوله :

* أَلا أَيُّهذا الزَّاجِرِى أَحضُرَ الوغَى *

قد نهاه عن حُضور الوغى . قال : صَيِّرْ أَنْ يُفْهَمَ منه هذا وإن

(١) الخزانة ١ : ١١٩ - ١٢١ .

(٢) وكذا فى معجم البلدان فى رسم (قصر ابن هبيرة)، وإنباه الرواة ٣ : ١٥٤ . وفى البغية فى طبعتيها : « طوس » . وفى معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٦ : « طويس » .

كان ذلك لا يفهم منه إذا قدَّرته بقولك حاضرا . قلت : فإنَّ الحضور لم يقع ، ونحن نعلم أنَّه ما نهاه وقد حضر . قال : هذا مثلُ قولك : هذا صاحبُ صقر صائدًا به غدًا . قلت : فما الحاجة إلى أن قدَّرته حالا . قال : ليتعلَّق بما قبله ، وإلَّا فلا سبيل إلى تعلُّقه بما قبله إلَّا على هذا الوجه . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الستمائة[(١)] :

٦٥٩ (لَوْ بغيرِ الماءِ حَلْقِى شَرِقٌ)

على أنَّ الجملة الاسمية بعد (لو) وضعت موضع الجملة الفعلية شذوذاً ، كما قاله فى باب الاشتغال . ٥٩٥

وهذا مذهبُ ابن جنى . ونسبه أبو حيَّان إلى أبى بكر بن طاهر[(٢)] .

وهذا صدر ، وعجزه :

(كنتُ كالغصَّانِ بالماءِ اعتصارى)

والباء من (بغير) متعلِّقة بالخبر ، وهو شرق ، (وحلقى) هو المبتدأُ . وهذا أَحد تخاريجَ ثلاثةٍ فى البيت .

ثانيها لبدرِ الدين (فى شرح أَلفيَّة والده) قال : كان الشَّأْنية محذوفة بعد لو ، فهى على بابها من دخولها على الجملة الفعلية ، فتكون

---

(١) سيبويه ١ : ٤٦٢ والاشتقاق ٢٦٩ والخزانة ٤ : ٤٦٠ ، ٥٢٤ بولاق والمغنى ٢٦٨ والعينى ٤ : ٤٥٤ والتصريح ٢ : ٢٥٩ والهمع ٢ : ٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٠ واللسان (عصر ٢٥٦) وديوان على بن زيد ٩٣ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصارى الإشبيلى ، المعروف بالخدب . والخدب ، بكسر الخاء وفتح الذال وتشديد الباء الموحدة : الرجل الطويل . أخذ عنه ابن خروف ومصعب الخشنى ، وعبد الحق بن خليل ، وأطنبوا فى الثناء عليه واشتهر بتدريس الكتاب . توفى فى عشر الثمانين وخمسمائة . بغية الوعاة ١٢ .

الجملة الاسمية خبراً لكان المحذوفة . ونسبه أَبو حيَّان إلى البصريين . ولم يذكر ابن هشام هذا التخريج (فى المغنى) .

ثالثها : لأَبى على الفارسى (فى الإيضاح الشعرىّ) قال فيه : موضعُ « حلقى » رفعٌ بأَنه فاعل ، والرافع له فعل مضمر يفسِّره « شَرِق » كأَنَّه قال : لو شرقَ حلقى بغير الماءِ . ولا يكون شرق خبر حلقى . هذا الظاهر . لأَنَّ ما بعد « لو » لا يكون مبتدأً كما أَنَّ ما بعد « إن » وما بعد « إذا » لايكون كذلك . فإذا لم يجز أَن تجعله خبر حلقى الواقع بعد لو ، لأَنَّه يرتفع بفعل مضمر ، وجَب أَن تضمر له مبتدأً ، والتقدير هو شرق ، فيكون هو شرقٌ ، بمنزلة شرِقَ ، تفسيراً للفعل المضمر بعد لو ، ويكون ذلك بمنزلة ما يحمَل على المعنى . أَلا تَرى أَنَّ هو شرق بمنزلة شرق فى المعنى . وقوله : « بغير الماءِ » يتعلَّق الجارُّ فيه بالفعل الواقع لحلقِى ، وهو أَسهلُ من أَن تعلِّقه بشرقٍ هذا الظاهر . وإن لم تقدِّر هذا المضمرَ لزم أَن تكون لو قد ابتدىءَ بعدها الاسم[1] فإذا ثبت فى هذا الموضعِ إضمارُ الفعل فحكمُ سائر ما أَشبَهه مثلُه . انتهى مختصراً .

واختصره ابن هشام (فى المغنى) بقوله : وقال الفارسى : الأَصل لو شرق حلقى هو شرق ، فحذف الفعل أَوّلًا والمبتدأ آخرًا . انتهى .

ونسب أَبو جعفر النحاس هذا التخريجَ لأَبى الحسن الأَخفش ، وأَنشدَ البيت (فى أَبيات سيبويه) وقال : أَنشده سيبويه فى باب من أَبواب أَنَّ فى نسخة أَبى الحسن وحده . انتهى .

وقد راجعتُ الكتاب وهو من رواية المبرِّد فلم أَجده فيه .

وبتقدير المبتدإِ تعرف أَنَّ ما نقله ابن جنى عن شيخه الفارسى

(١) ش : « قد ابتدأ بعدها الاسم » .

(٢) الحق أنه من صميم كتاب سيبويه . انظر ١ : ٤٦٢ بولاق و ٣ : ١٢١ هارون .

عند الكلام على البيت الآتى خلافُ الواقع . قال : سأَلْنا يوماً أبا علىّ عن بيت عدىّ فأَخذ يتطلَّب له وجهاً وتعسَّف فيه ، وأَراد[1] أَن يرفع حلقى بفعل مضمر يفسِّره قوله شرق . فقُلنا له : فبِمَ يرتفع إذن شرقٌ ؟ فقال : هو بدلٌ من حَلْقى . فأَطال الطريق وأَعْوَرَ المذْهب[2] . ولو قال إنَّ الجملة الاسميَّة وقعتْ موقع الفعلية لكان أَقرب مأْخذًا وأَسهلَ متوجَّهاً . انتهى .

وقوله : « بالماءِ اعتصارى » قال أَبو على : موضعه نصبٌ بأَنَّه خبر كنتُ ، والعائد إلى الاسم الياءُ فى اعتصارى ، وكالغصَّان فى موضع حال والعامل فيه كنت ، ولا يكون الخبرَ لأَنَّ الحال إذْا تقدَّمت لم يعمل فيها معنى الفعل كما يعمل فى الظرف إذا تقدَّمه . ولا تكون الباءُ فى قوله بالماءِ كالجارِّ فى قوله : ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ[3]﴾ ولكنَّه يتعلق بمحذوف فى موضع خبر المبتدإ ، أَلا ترى أَنَّك لو قلت إنِّى من الناصحِينَ لكما ، لتعلقت اللام بالناصحين[4] . ولو قلت : كنت مرورى بزيد لم تتعلَّق الباءُ بالمرور ، إنَّما تتعلَّق بمحذوف . ا هـ .

وقوله : « ولا يكون الخبَرَ » ، أَى لا يكون العامل فى الحال الخبر ، وهو قوله بالماءِ الواقع خبراً لقوله اعتصارى . والجملة خبر كنت .

وزعم العينى أَنَّ قوله كالغصَّان خبر كنت . ولم يذكر موقع الجملة التى بعده من الإعراب . ويجوز على هذا أَنْ تكون خبراً ثانياً . ٥٩٦

وشرِق فلانٌ بريقه أَو بالماءِ ، إذا غصَّ به ولم يقدر على بلعه ،

(١) ش : « ورام » مع أثر تبديل .

(٢) ط : « وأغور » بالغين المعجمة ، صوابه فى ش . يقال عوره تعويراً ، وأعوره إعواراً ، وعاره أيضاً ، أى صيره أعور . اللسان (عور ٢٩١) .

(٣) الآية ٢١ من سورة الأعراف .

(٤) ش : « بالنصح » .

وهو من باب تعب . والغَصَّان ، مِنْ غَصّ فلانٌ بالطَّعام غَصَصاً من باب تعب ، ومن باب قتل لغة ، إذا لم يقدر على بلعه . والغُصَّة بالضم : ما غَصّ به الإِنسانُ من طعام ، أَو غيظٍ على التشبيه به ، ويتعدَّى بالهمزة نحو : أَغصصتْه به .

قال الجوهرى : الاعتصار : أَن يغصَّ الإِنسان بالطعام فيعتصر بالماءِ ، وهو أَن يشربَه قليلاً قليلا ليُسيغه . وأَنشد هذا البيت .

وتحقيقه أَنَّ الاعتصار معناه الالتجاءُ ، كما قاله أَبو القاسم علىٌّ ابن حمزة البصرى (فيما كتبه على كتاب النبات لأَبى حنيفة الدينورى) وهذا نصُّ كلامه ، وفيه فوائد .

وأَنشد أَبو حنيفة للبَعيث :

وذى أُشُرٍ كالأُقحُوان تَشُوفه ذِهابُ الصَّباوالمُعصِراتُ الدَّوالحُ[(١)]

وقال : الدوالح : الثِّقال التى تَدْلَح بالماءِ . ويُرَى[(٢)] أَنَّه معنى قول الله عز وجل : ﴿ وأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً[(٣)] ﴾ . وقال : قوم : إنَّ المعصرات الرياحُ ذات الأَعاصير ، وهو الرَّهَج والغُبار . قال الشاعر :

وكأَنَّ سُهْكَ المُعصِراتِ كَسَوْنَها تُربَ الفدافدِ والنِّقاعِ بِمُنْخُلِ[(٤)]

النِّقاع : جمع نَقْع ، وهو القاع من القِيعان . وزعموا أَنَّ معنى مِنْ معنى الباءِ ، كأَنَّه قال : وأَنزلنا بالمعصرات . وقال بعضهم : بل المعصرات الغيوم أَنفُسها ، ذهب إلى معنى البَعيث . ولا يحتمل قولُه

(١) اللسان (دلح ، عصر) .
(٢) ط : « ويروى » .
(٣) الآية ١٤ من سورة النبأ .
(٤) السهك : جمع سهوك ، وهى العاصف الشديدة المرور . وفى النسختين : « سهل » صوابه فى اللسان والمقاييس (عصر) .

غيرَ السَّحاب لقوله : « الدَّوالح » . فتكون المعصرات التى أمكنت الرياحَ من اعتصارها واستنزال قَطْرها ، كما يقال أمضغ النخلُ وآكَلَ[1] وأطعَم ، وأفرك الزَّرع ، إذا أمكن ذلك فيه . قال أبو القاسم : ألَمّ أبو حنيفة بالصَّواب ثم حادَ عنه . المُعْصرات : السَّحاباتُ بعينها ، ولكنَّها إنَّما سمِّيت بذلك بالعَصَر بفتحتين ، والعُصْرةِ بالضم ، وهما الملجأُ . قال الشاعر[2] :

فارسٌ يستغيث غير مُغاثٍ ولقد كان عُصرةَ المنجودِ

أى ملجأَ المكروب . وتقول : أعصرنى فلانٌ ، إذا ألجأَك إليه . واعتصرت أنا اعتصاراً . قال عدىُّ بن زيد :

لو بغير الماء حَلقِى شرقٌ . . . البيت

فمعنى المعصرات المُنْجيات من البلاء ، المُعْصِمات من الجدب بالخِصب ، لا ما قال أبو حنيفة ، ولا ما قال من قال : إنَّها الرياحُ ذات الأعاصير . فلا تلتفتنَّ إلى القولين معاً . انتهى كلامه .

وكذا قال أبو عبيد : الاعتصار : الملجأُ . والمعنى : لو شرقت بغير الماء أسغْتُ شَرَقى بالماء ، فإذا غصصت بالماء فبمَ أُسيغُه ؟

وقد صار البيت مثلاً للتأذِّى ممن يرجَى إحسانه . قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : هذا البيت أوّل ما قيل فى معناه . وقال آخر :

إلى الماء يَسعى من يغَصُّ بريقِهِ فقلْ أين يسعى من يَغَصُّ بماء

وقال الأحنف بن قيس : « من فسَدَتْ بطانته كان كمن غَص بالماء » . وقال العباس بن أحنف :

---

(١) ط : « وأكل » ، صوابه فى ش .

(٢) هو أبو زبيد الطائى . ديوانه ٤٤ واللسان والمقاييس (عصر) والمخصص ٩ : ٩٦ . والبيت من قصيدة يرثى بها ابن أخته الحلاج ، وكان قد مات عطشاً فى طريق مكة .

قلبي إلى ما ضرَّني داعي يُكثر أحزاني وأوجاعي

كيف احتراسي مِن عدوّي إذا كان عدوّي بينَ أضلاعِي

وقال آخر :

٥٩٧ كنتُ من كُربتي أفرُّ إليهم فهمُ كربتي فأين الفِرارُ

والبيت من قصيدة لعديّ بن زيد ، يخاطب بها النُّعمان بن المنذر ، وكان قد حبسه النُّعمان . وقبله وهو أول القصيدة : صاحب الشاهد

أبلغِ النُّعمانَ عنِّى مأْلُكًا أنَّه قد طال حبسِى وانتظارِى

وأبلغْ فعلُ أمر . والمأْلُكُ ، بسكون الهمزة وضم اللام : الرِّسالة .

وقال الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وإذْ قُلْنا للملائكة اسجُدُوا[1] ﴾ : ومأْلُك : جمع مأْلكة ، وأنشد هذا البيت .

وبقية القصيدة مذكورة (فى العقد الفريد) و (فى الأغانى) وغيرهما .

وقد استعطفه عديٌّ بعدَّة قصائدَ فلم تنفعه شيئاً ، ثم قتَلَه بعد مدَّةٍ طويلة فى الحبس . وقد ذكرنا سببَ حبسه وكيفيَّةَ قتلِه مع ترجمته فى الشاهد الستين[2] .

* * *

(وأنشد بعده) :

(يَقُولون لَيْلَى أرسلَتْ بشفاعةٍ إلَىَّ فهلاَّ نفسُ ليلى شفيعُها)

لما تقدَّم فى البيت قبله . وفيه التخريجان الآخَران أيضاً .

(١) من الآية ٣٤ من البقرة ، و ٦١ من الإسراء ، و ٥٠ من الكهف ، و ١١٦ من طه .
(٢) الخزانة ١ : ٣٨١ - ٣٨٦ .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهد الخامس والستِّين بعد المائة [(١)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد السِّتِّمائة[(٢)] :

٦٦٠ (تُريدينَ كيما تجمعِينى وخالدًا
وهل يُجمَعُ السَّيفانِ وَيْحَكِ فى غِمْدِ)

على أَنَّ (كى) جاءَت من غير سببيَّة بعد فعل الإرادة . (وما) بعدَها زائدة ، والفعل منصوب بحذف النون ، والنون الموجودة للوقاية .

قال التبريزى (فى شرح الكافية) : فجُوِّز الفصلُ بين كى وبين الفعل بلا النافية بالاتفاق ، كقوله تعالى : ﴿ كَيْلا يكونَ دُولةً [(٣)] ﴾ وبلا الزائدِة كقول قيس بن سعد بنِ عُبادة :

أَردت لكيلا يعلمَ النَّاس أَنَّها سراويلُ قيسٍ والوفُود شهودُ

وقد فُصل بينهما بما الزائدة ولا النافية ، كقول الآخر :

أَرادت لكيما لا تَرانى عشيرتى ومَن ذا الذى يُعطَى الكَمَالَ فيكملُ[(٤)]

ولا يجوز الفصل بينهما بغير ما ذكر . اه .

صاحب الشاهد — والبيت أَوّل أَبياتٍ خمسةٍ لأَبى ذؤيب الهذلى [(٥)] . وبعده :

أبيات الشاهد — (أَخالدُ ما راعيتَ من ذى قَرابةٍ فتحفظَنى بالغيب أَوبعضِ ماتُبدِى
دعاكَ إليهـا مقلتـاها وجيدُهَـا فَملتَ كمـا مال المحبُّ على عمدِ

(١) الخزانة ٣ : ٦٠ - ٦٢ .
(٢) همع الهوامع ٢ : ٥ وديوان الهذليين ١ : ١٥٩ وشرح السكرى ٢١٩ .
(٣) الآية ٧ من سورة الحشر .
(٤) انظر ما سبق فى ٤٨٦ . وصواب روايته : « أردت لكيما لا ترى لى عثرة » . كما فى الهمع ومعانى الفراء ١ : ٢٦٢ .
(٥) الهذلى ، ساقطة من ش .

فكنتَ كرقراق السَّراب إذَا جرى لقوم وقدباتَ المطىُّ بهم تَخْدِى[1]
فآليتُ لا أنفكُّ أَحدُو قصيدةً تكون وإياها بها مَثَلًا بعدى[2])

وسبب هذه الأَبيات أَنَّ أَبا ذؤيب كان يَعْشَق امرأَةً اسمها أُمُّ عمرو، وكان رسوله إليها خالدًا ، وهو ابنُ أُختٍ له وقيل ابن عمٍّ له ، وكان جميلا ، فعشِقَتْه أُمُّ عمرو ، فلما أَيقن أَبو ذؤيب بغدرِ خالد صرمَها ، ٥٩٨
فأَرسلت تترضَّاه فلم يفعل ، وقال هذه الأَبيات .

وكان أَبو ذؤيب فعَلَ كذلك برجل يقال له مالك بن عُويْمرٍ ، وكان رسولَه إليها .

وتقدَّم شرح هذه القصَّة مبسوطاً بأَبسطَ من هذا فى الشاهد الثامن والأَربعين بعد الثلثمائة[3] .

وجرى بين أَبى ذؤيب وبين خالدٍ أَشعارٌ مذكورةٌ فى أَشعار الهذليِّين ، منها قول خالدٍ يجيبه ، قصيدةً على هذا الروىِّ والوزن :

فلا تجزَعَنْ من سُنَّةٍ أَنتَ سِرْتَها فأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً من يَسيرُها

وقوله : (تريدين كيما تجمعينى وخالدًا) هكذا رواه السكَّرىُّ وغيره . ورواه ابن السِّكِّيت (فى إصلاح المنطق) وصاحب الصحاح :

* تريدين كيما تَضْمِدِينى وخالدًا *

وقال : الضمد : أَن تتخذ المرأَةُ خليلين ، وفِعله من باب ضرب .

و (هل) للاستفهام الإنكارى . و (الغِمد) بالكسر : قِراب

(١) فى شرح السكرى : « يخدى » بالياء .
(٢) فى ديوان الهذليين وشرح السكرى : « فأقسمت » . وفى ديوان الهذليين : « أدعك وإياها بها مثلا » .
(٣) الخزانة ٥ : ٨٣ - ٨٦ .

السَّيف . وفى أمثال العرب : « لا يُجمَعُ سيفانِ فى غمد، ولا فحلان فى ذَوْد » .

وقد استُعمل هذا المصراعُ مثلاً ، قال الزَّمخشرى (فى أمثاله) : هو من قول أبى ذؤيب . يُضرب فى قلة الاتِّفاق . اهـ .

ومنه قول يزيد بن خَذَّاق[1] الشَّنِّىِّ ، من قصيدةٍ مذكورةٍ فى المفضَّليَّات :

لن تجمعوا وُدِّى ومَعتَبتى أَو يُجمعَ السَّيفانِ فى غمدِ[2]

وقول العُدَيل بن الفُرْخِ العِجلىّ[3] ، من قصيدة مذكورة فى الحماسة :

وعلَّ النَّوى بالدار تجمع بيننا وهل يجمع السيفانِ ويْحكِ فى غمدِ

وقوله : « أخالد ما راعيتَ » إلخ ، الهمزة للنداء . قال السكرى : أراد فتحفظنى بالغيب ، أو فى بعض ما تُظهِر لى من الإخاء والمودة . والغَيْب : السِّرّ .

وقوله : « فكنتَ كرقراق » إلخ ، قال السكرى : يقول[4]: ظننتُ أَنَّ

(١) خذاق ، بالذال المعجمة المشددة . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٣١ : « فعال من قولهم : خذق الطائر وخزق ، إذا رمى بذرقه » . وفى النسختين : « حذاق » بالحاء المهملة ، تصحيف . ويزيد هذا شاعر جاهلى من شعراء عبد القيس . قال أبو عمرو بن العلاء : ليزيد بن خذاق هذا أول شعر قيل فى ذم الدنيا ، وهو :

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق

(٢) المفضليات ٢٩٦ ، والمعتبة : الموجدة ، والمعاداة .

(٣) سبقت ترجمته فى ٥ : ١٦٠ - ١٦١ ، وهو بضم العين على هيئة التصغير . والفرخ بضم الفاء ، كما قيده البغدادى . وقيده التبريزى بالفتح ، إذ قال : « الفرخ أصله فى ولد الطائر » .

(٤) القصيدة فى الحماسة ٧٢٩ بشرح المرزوقى و ٢ : ٢٤٩ بشرح التبريزى . وليس فى أبيات هذا البيت . ويقول أبو رياش : « ليست هذه الأبيات للعديل ، وهى قصيدة طويلة لأبى الأخيل العجلى ، قالها فى آخر أيام بنى أمية » .

لك أمانةً ، فكنتَ كالسَّراب الذى يكذِب مَن رآه ، يظنُّ أنَّه ماءٌ وليس بماءٍ ، وكذلك أنت .

وقوله: « فآليْتُ » إلخ هذا البيت من شواهد النحويين فى باب المفعول معه . وآليت : حلفت . ولا أنفكُّ: لا أزال . وأحذُو[1] ، رواه السكرى بالذَّال المعجمة لا غير، بمعنى أُطابق . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : ومعنى أَحذو : أَصنعُ وأُهيِّئُ كما تُحذَى النَّعْل على المِثال ، إذا سُوِّيتْ عليه . ومن روى « أَحدو » بدال غير معجمة فهو من قولهم : حدوت البعير إذا سقتَه وأَنت تتغنَّى فى أثره ، ليَنْشَط فى السير .

ونقل العينى عن ابن يسعون أنَّه قال على هذه الرواية: عندى فى « أحدُو » ثلاثة أَوجه :

الأَول : أن يريد أَحدُو قصيدةً إليك ، أَى أَسوقها حادياً ، كما يفعل الحادى بالإبل عند سَوقها ؛ لأَنَّه يتغنَّى ، وإنما أَراد بذلك الشُّهرة .

الثانى : أَنْ يريد أَحدُو غَدْرتَك لى قصيدةً أَبلُغُ بتخليدها فيك أَمَلى. فحذف المفعول للحال الدَّالَّة عليه ، ونصب قصيدةً نصب المصدر ، أى حدْوَ قصيدةٍ ، فلمَّا حذف المضاف أَقام المضاف إليه مقامه .

الثالث : أَن يريد : أَتحدَّى لها وأَتبعُها ناظماً لها ، حتَّى كأنه قال : أُوالى قصيدة .

ثم قال العينى : وقال السكرى : أَحدُو معناه أُغنِّى ، فعلى هذا ينبغى أَن يكون قوله قصيدة مفعولاً بإسقاط حرف الجرّ ، وهو الباء . ا هـ .

(١) ش : « وأحدو » بالدال المهملة .

أقول : إنَّ السكرى لم يَرْوِ أَحدُو ، بدال مهملة ، فكيف يفسِّرها بما ذكر . وأنما أَحدو معناه أَسوقُ ، فلا حذف[١] .

٥٩٩ وقوله : « تكون وإيّاها » إلخ قال ابن السِّيد : تكون فى موضع الصفة لقصيدة ، وهى صفةٌ جرَتْ على غير من هى له ، ولو جعلتَها صفةً محضة لبرز الضمير الفاعل المستتر فيها ، وكنت تقول : كائناً بها أَنت وإيَّاها . والضمير فى قوله (وإيَّاها) يعود على المرأَة ، كأَنَّه قال : حلفت لا أَزالُ أَصنع قصيدةً تكون مع هـذه المرأَة مثلاً بعدى ، أَى إنَّها تبقى ما بقىَ الدهر .

قال العينى : فإن قلت : كيف يكون مَثَلا خبراً والتطابق شرط ؟ قلت : هو مفرد وقع موقع التثنية ، وكذلك قد يقع موقع الجمع لمَا فيه من العُموم المقتضى للكثرة . هذا كلامه فتأَمَّلْه .

قال أَبو علىٍّ : نصَبَ وإيَّاها على المفعول معه بتوسُّطِ الواوِ لمَّا لم يمكنْه العطف ، فيقول: «تكون وهى» ، لأَمرين : أَحدهما كَسْر البيت لو فعل ذلك ، والثانى قبح العطف على الضمير المرفوع وهو غير مؤكَّد .

وقال ابنَ بَرّىّ (فى شرح أَبيات الإِيضاح لأَبى على) : لمَّا لم يمكنه العطف على الضمير فى تكون من غير تأْكيد نصب على معنى مَعَ . وكان أَبو الحسن يذهب إلى انتصابه على الظرف كما كانت مع ، فلمَّا حُذِفت وقامت الواو مَقامها انتصبَ الاسم على ذلك المعنى ، ودخلتْ مهيِّئة لعمل الفعل فيه ونصبِه على الظرف . ومعنى العطف قائمٌ فيها وجائزٌ فيها ، ولذلك لم تعمل الجرّ كما لا تعمله حروف العطف ، بخلاف

(١) الحق والإنصاف أن السكرى رواها « أحذو » بالذال المعجمة ، ثم إنه قال فى الشرح : « من قال أحذو قال أقول ، ومن قال أحدو قال أغنى » . فقد أتى بالروايتين .

واو القسم لأَنَّ معنى العطف معدومٌ فيها . والصواب مذهبُ الجمهور لأَنَّ وجود معنى العطف فيه ينافى الظَّرفية ، لأَنَّ العطف فى التقدير من جملة أُخرى والظرف من الجملة الأُولى ، ولأَنَّ تقديره بفِي بعيدٌ ، إذ لا يجوز تقديرها قبل الواو لفصلها بين الجارّ والمجرور ، ولا بعدَها لفصلها بين الفعل وما تعلَّق به . انتهَى كلامه .

وقال السكرى : روى الباهلىُّ : « أَدَعْكَ وإيّاها » ، ويروى[1] : « أَذْرك وإيَّاها » فجزم لكثرة الحركات . وروى أَيضاً .

* تكونان فيها للمَلاَ مثلاً بعدى[2] *

وعلى هذه الروايات الثلاث لا شاهد فيه .

وترجمة أَبى ذؤيب ، وهو شاعر إسلامىٌّ ، تقدَّمت فى الشاهد السابع والستين[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والستون بعد الستمائة[4] :

٦٦١ (ولا صُلْحَ حتَّى تَضْبَعُونَ ونَضْبَعَا)

على أَنَّ (حتَّى) فيه ابتدائية والفعل بعدها مرفوع بثبوت النون ، ونصب (نضبع) بالعطف على توهُّم نصب ما قبله .

وهذا على رواية ثعلب (فى أَماليه) عن ابن الأَعرابى ، قال : والمعنَى : تمدُّون[5] أَيديَكم إلينا بالسُّيوف ونمدُّ أَيديَنا . وكذا قال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : أَى تمدُّون إلينا أَضباعَكم بالسُّيوف ونمدُّ

---

(١) ط : « ويرى » ، صوابه فى ش .
(٢) الذى عند السكرى ٢١٩ : « ويروى : أذرك وإياها . الأصمعى : أدعك » ، فقط .
(٣) الخزانة ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .
(٤) مجالس ثعلب ٥٠ وإصلاح المنطق ١٩٦ ثالثة واللسان (ضبع ٥٨) .
(٥) فى النسختين : « حتى تمدون » تحريف . والذى فى المجالس : « قال تجدون » .

إليكم أَصباعَنا بالسّيوف. قال: وقد ضَبَعت الخيلُ والإبلُ تضْبَع، بفتح الباءِ فيهما، ضَبْعا بسكونها، إذا مدَّتْ أضباعَها فى عَدْوها، وهى أَعضادُها. ومنه هذا البيت. لكنَّه رواه بالنصب.

وتبعه صاحب الصحاح هكذا:

* ولا صلحَ حتّى تضبعونَا ونضبعا *

فحتّى فيه جارّة، وتضبعونا منصوب بأَنْ على حذف النون، ونَا ضميرُ المتكلم مع الغير مفعوله، والفعل مستقبَل؛ ولا حاجة لتأْويله بالحال، ويكون نصب نضبع بالعطف عليه ظاهراً من غير ادِّعاءِ توهُّم.

وفسَّره أَبو عمرو بن العلاءِ، كما نقله صاحب الصحاح: بقوله: أَى حتَّى تضبعون للصُّلح والمصافحة[1]. وقد جاءَ نظائرهُ بالنصب منها ما أنشده صاحب العباب، قال: وضبَعْت الرجلَ: مددتُ إليه ضَبْعى للضَّرب، قال عمرو بن الأَسود، أَحد بنى سُبيع، وكانت امرأَةٌ اسمُها غضوبُ هجتْ مِربعَ بنَ سُبيع، فقتلها مِربع، فعرض قومُ مربع الدِّيَة فأَبَى قومُها: ٦٠٠

كذبتم وبيتِ الله نرفَعُ عَقلَها عن الحقِّ حتَّى تضبعوا ثم نَضْبَعا

أَى حتى تمدُّوا إلينا أَضباعكم بالسُّيوف ونمدُّ أَضباعنا إليكم. وقال أَبو عمرٍو: أَى حتى تضبعوا للصلح والمصافحة. انتهى

والضَّبْع، بسكون الموحدة وفتح الضاد المعجمة: العضُد، وقيل من العضُد: وسَطُه بلحمه، يقال أَخذت بضبْعَىْ فلانٍ فلم أفارقْه. ومددت

---

(١) كلمة «حتى» ليست فى الصحاح.

(٢) البيت من شواهد سيبويه ١ : ٢٢ بولاق ١ : ٤٧ هارون.

بضبْعيهِ ، إذا قبضتَ وسَط عضديه . ومنها قول عمرو بن شأْسٍ الجاهلى من قصيدة :

بنى أَسدٍ هل تعلمون بلاءَنا إذا كان يوماً ذا كواكبَ أشنعا
إذا كانت الحُوُّ الطِّوالُ كأَنَّما كساها السِّلاحُ الأُرجُوانَ المضلَّعا
نذود الملوكَ عنكمُ وتذودنا إلى الموتِ حتَّى يضبعوا ثم نَضْبَعا[1]

والبيت الأَوّل من الثلاثة استشهد به سيبويه على أنه أَراد الشاعرُ إذا كان اليوم يوماً . وأَضمر لِعلمِ المخاطب ، ومعناه إذا كان اليومُ الذى يقع فيه القتال . قال سيبويه : وبعض العرب ينشده :

* إذا كان يومٌ ذو كواكب أَشنعا *

ومعنى كان فى الوجهين معنى وقع ، ويوماً منصوب على الحال ، وأَشنعا حال أَيضاً مؤكِّدة على الرواية الثانية . وزعم المبرِّد أَنَّه خبر كانَ ، وردُّوا عليه بأَنَّه لا فائدة فى هذا الإخبار[2] .

والحُوّ : جمع أَحوَى ، أَراد به أَنَّ الخيل السُّود قد صُبغت بدم الأَعداءِ حتَّى صارتْ كالأُرجُوان .

وتضبعون هنا ظاهرٌ فيما فسَّره أَبو عمرو بن العلاءِ .

والبيت الشاهد لم أَقف على تتمتَّه ، ولا على قائله . والله أَعلم[3] .

* * *

(١) لم يرو سيبويه هذا البيت ، بل روى سابقيه فقط .
(٢) رواية البيت عند المبرد فى المقتضب ٤ : ٩٦ تخالف ما هنا . وفيه :
فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى إذا كان يوم ذو كواكب أشهب
وهو بيت آخر لقائل آخر هو مقاس العائذى ، ولكن موضع الكلام فى « إذا كان يوماً » .
(٣) سيبويه ١ : ٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٤٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٤ والمحتسب ١ : ١٩٧ وابن يعيش ١ : ٢٧٩ والمقرب ١ : ٢٦٣ والمغنى ١٧٥ وشرح شواهد المغنى ١٦٩ والشذور ٢٢٢ والعينى ٤ : ٤٩٠ والهمع ١ : ٢/٧٧ : ١٠ ، ١٦ ، ٧٣ والأشمونى ٣ : ٣٠٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه :

٦٦٢ (سأَترُكُ مَنزِلى لبنى تميمٍ وأَلحقُ بالحِجازِ فأَستريحا)

على أَنَّ (أَستريح) جاءَ منصوباً بعد الفاءِ فى ضرورة الشِّعر ، فيما ليس فيه معنى النَّفى أَصلا .

قال سيبويه : وقد يجوز النصب فى الواجب فى اضطرار الشعر ، ونصبُه فى الاضطرار من حيث انتصبَ فى غير الواجب ، وذلك لأَنَّك تجعل أَنْ العاملة . فممَّا نُصب فى الشعر اضطراراً قوله :

سأَترك منزلى لبنى تميم . . . . . البيت

وهو ضعيفٌ فى الكلام . انتهى

قال الأَعلم : ويروى : « لأَستريحا » ، ولا ضرورة فيه على هذا .

وقال ابن السرَّاج (فى الأُصول) : جعل لحاقه بالحجاز سبباً لاستراحته ، فتقديره لمَّا نُصِبَ كأَنه قال : يكون لحَاقٌ فاستراحة . وقد جاءَ مثلُه فى الشعر لقومٍ فصحاءِ ، إلاَّ أَنَّه قبح النصبُ فى العطف على الواجب الذى على غير شرط ، لأَنَّه قد جُعل لهذا المعنى آلاتٌ ، وكان حقُّ الكلام أَن يقولَ ، لو كان فى غير شعر : وأَلحقُ بالحجاز فإِذا لحقتُ استرحت ، أَو وإِن أَلْحقْ أَسترحْ . ومع ذلك فإِنَّ الإِيجاب على غير شرطٍ أَصلُ الكلام ، وإِزالة اللَّفظ عن جهته فى الفروع أَحسن منها فى الأُصول ، لأَنَّها أَدلُّ على المعانى . انتهى

ونقل أَبو على هذه العبارة بعينها (فى التذكرة) .

٦٠١ وأَورد ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) لهذا البيت نظائر ثم قال :

لمَّا اضطُرّ إلى استعمال النصب بدلَ الرفع حُكم لها حُكمُ الأَفعالِ الواقعة بعد الفاءِ فى الأَجوبة الثمانية ، فنُصب بإِضمار أَنْ، وتُؤوِّلت الأَفعال التى قبلها تأْويلا يوجب النصب ، فحكِمَ لقوله وأَلحق بالحجاز بحكْمِ : ويكون[1] منىِّ لحاقٌ بالحجاز فاستراحة ، فعُطفت بالفاءِ على المصدر المتوهَّم . انتهى .

فقول الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : النصب على حدِّ :

* ولُبس عباءَةٍ وتقرَّ عينى *

غير جيِّد . وقال أَيضاً : للقائلِ أَن يقول : لا نسلِّم[2] أَنَّ أَستريح منصوب ، بل هو مرفوع مؤكَّد بالنون الخفيفة موقوفاً عليها بالأَلف ، وتأْكيد مثل هذا جائز فى الضرورة . قال سيبويه : يجوز للمضطرِّ : أَنت تفعَلَنَّ . ولا شكَّ أَنَّ التخريج على هذا متَّجه ، بخلاف التَّخريج على النصب مع فقد شرطه .

هذا كلامه ، وهو من باب غسل الدم بالدم ، لأَنَّه تفَصَّى من ضرورة ولجأَ إلى ضرورة ، وشرط كلٍّ من النصب والتأْكيد مفقود .

ونقل الدمامينى أَنَّ بعضهم رام تخريجَه على النصب فى جواب النفى المعنوىّ المستفادِ من قوله : « سأَترك منزلى » ، إذ معناه : لا أُقيم به . ثم تعقَّبه بأَنَّه غير متَّجه ، لأَنَّ جواب النفى منفىٌّ لا ثابت ، نحو : ما جاءَ زيد فأُكرمَه ، بالنصب ، والاستراحة ثابتة لا منفية .

والبيت لم يعزُه أَحدٌ من خَدَمة كتاب سيبويه[3] إلى قائلٍ معيَّن .

(١) ويكون ، ساقطة من ش ثابتة فى ضرائر ابن عصفور ص ٢٨٥ .

(٢) ش : « أن يقول لأتم » وكتب فى حواشيها : « كذا بخط المؤلف والصواب لا نسلم » .

(٣) فى النسختين : « كلام سيبويه » وكتب فى حواشى ش : « كذا بخطه ، والصواب : خدمة كتاب » . وانظر ما كتبت فى مقدمة سيبويه ١ : ١١ من نسختى .

ونسبه العينيُّ وتبعه السُّيوطيُّ (فى أبيات المغنى) إلى المغيرة بن حَبْناء المغيرة بن حبناء
ابن عمرو بن ربيعة الحنظلى التيمى . وقد رجعتُ إلى ديوانه وهو صغير فلم أجِدْه فيه .

والمغيرة شاعر إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأُموية ، وغالبُ شعره[(١)] هجوٌ فى أخيه صخر .

وقال صاحب الأَغانى : وحَبْناءُ : لقبٌ على أُمّه غلب على أبيه ، واسمه جُبَين. هاجى زيادًا الأَعجم . وحَبْناءُ ، بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها نون وألف ممدودة . وجُبَين بضم المهملة وفتح الموحَّدة[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(٢)] :

٦٦٣ (ألم تسـألِ الرَّبعَ القَواءَ فينطقُ)

هذا صدرٌ وعجزه .

(وهَلْ تُخبِرنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ)

على أن ما بعد فاءِ السببية قد يبقى على رفعه قليلاً وهو مستأْنف.

وأنشد سيبويه هذا البيت وقال : لم يَجعَل الأَوَّل سببَ الاخر ، ولكنه جعله ينطق على كلِّ حال ، كأَنه قال : وهو ممَّا ينطق ، كما قال : ائتنى وأُحدِّثك ، فجعل نفسه ممن يحدِّثه على كلِّ حال . وزعم

(١) ط : « وقال شعره » ، صوابه فى ش .

(٢) سيبويه ١ : ٤٢٢ . وانظر معانى القرآن ١ : ٢/٢٧ : ٢٢٩ والجمل ٢٠٤ والأغانى ٨ : ١٤٥ وابن يعيش ٧ : ٦٣ والشذور ٣٠٠ والمغنى ١٦٨ والعينى ٤ : ٤٠٣ والتصريح ٢ : ١١ ، ١٣١ وديوان جميل ١٤٤ .

يونس أَنَّه سمع هذا البيت بـأَلَمْ . وإِنَّما كتبت ذا لئلاً يقول انسانٌ فلعلَّ الشاعر قال : أَلَا . انتهى .

قال أَبو جعفر النحاس عن أَبى إسحاق قال : إِنَّه تقريرٌ ، معناه إِنَّك سأَلته . فيقبح النصب لأَنَّ المعنى يكون : إِنك إِن تسأَله ينطق . ويمنع سيبويه أَنْ يروى : « أَلا تسأَل الربعَ » لأَنَّه لو رواه كذا حسن النصب ، لأَنَّ معناه فإِنَّك إِن تسأَله ينطق. قال أَبو الحسن : ﴿ أَلم تر أَنَّ الله أَنزلَ من السَّماءِ ماءً فتُصبِحُ الأَرْض مُخْضَرّة[1] ﴾ . والقوَاءُ :التى لا تُنبت . والسَّملق : الخالية . انتهى .

قال الأَعلم : الشاهد فيه رفع ينطق على الاستئناف والقطع ، على معنى فهو ينطقُ، وإِيجابِ ذلك له . ولو أَمكنه النصب على الجواب لكان أَحسن. والرّبع : المنزل. والقَواءُ : القفر . وجعله ناطقاً للاعتبار بدروسه وتغيُّره . ثم حقَّق أَنَّه لا يجيب ولا يخبر سائله ، لعدم القاطنين به . ٦٠٢
والبيداءُ : القَفر . والسَّملق : التى لا شىءَ بها . انتهى .

وأَورده الفراءِ عند هذه الآية (من تفسيره) قال : رُفِعت فتصبحُ لأَنَّ المعنى فى أَلم تر معناه خبرٌ ، كأَنَّك قلت فى الكلام : أَعلمُ أَن الله يُنزل من السَّماءِ ماءً فتصبح الأَرض . وهو مثل قول الشاعر[2] :

* أَلم تسال الربعَ القديمَ فينطقُ *

أَى قد سأَلتَه فنطق. ولو جعلتَه استفهاما وجعلتَ الفاءَ شرطاً لنصبت، كما قال الآخر :

---

(١) الآية ٦٣ من سورة الحج . وكذا ورد الكلام فى النسختين .

(٢) هو جميل . ديوانه ١٤٤ ومعجم الشواهد . وعجزه :

* وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق *

أَلم تسأَل فتخبرَك الديارَا عن الحيِّ المضَلَّلِ حيثُ سارا[(١)]

والجزمُ فى هذا البيت جائز ، كما قال :

فقلت له صوِّبْ ولا تُجهِدَنَّه فيُذْرِكَ من أُخرى القطاة فتزنَقِ[(٢)]

فجعل الجواب بالفاء كالمنسوق على ما قبله . انتهى .

وقال ابن المستوفى : قصدَ الشاعر نفى السُّؤال فرفع . وقد جوَّزوا فيه النصب والجزم لولا أَنَّ الروى مرفوع .

وهذا هو ما نقلناه عن الفراء .

وأَمّا قول ابن هشام (فى المغنى) : الفاءُ فيه للاستئناف ، أَى فهو ينطق ؛ لأَنَّها لو كانت للعطف لجزم ما بعدها ، ولو كانت للسببيَّة لنصب ، فقد قال شُرَّاحُه : الملازمة الثانية ممنوعة ، فقد تتحقق[(٣)] السببيَّةُ مع رفع الفعل ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿ لا يُؤْذَنُ لهم فيَعتذِرُون[(٤)] ﴾ . نعمْ الأَكثر مع السببية النصب ، اللهمَّ إلاَّ أَن يقال إنَّ الملازمة بالنسبة إلى الأَكثر .

وهذا الاعتراض إنَّما هو من كلامِ الشارح المحقِّق هنا .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ لجميل بن مَعْمرٍ العُذرىّ . وبعده :

---

(١) ويروى : « حيث صارا » . معانى الفراء ٢ : ٢٢٩ .

(٢) نسب فى اللسان (ذرا ٣٠٩) إلى امرئ القيس ، وليس فى ديوانه طبعة هندية ولكنه فى ديوانه ١٧٤ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ونسبه سيبويه فى كتابه ٣ : ١٠١ إلى عمرو بن عمار الطائى . ط : « فيدرك » ، صوابه بالذال المعجمة كما فى ش والديوان .

(٣) ط : « يتحقق » .

(٤) الآية ٥٦ من سورة المرسلات . ونصها : « ولا يؤذن لهم » .

أبيات الشاهد

(بمختلف الأَرواح بين سُويقةٍ وأَحْدَبَ كادت بعدَعَهدك تُخلقُ[(١)]

أَضرَّت بها النَّكباءُ كلَّ عشيَّة ونفحُ الصَّبا والوابلُ المتبعِّقُ[(٢)]

وقفتُ بها حتى تجلَّتْ عَمَايتى وملَّ الوقوفَ الأَرحبيُّ المنوَّقُ[(٣)]

وقال خليلى إنَّ ذَا لَصَبابةٌ أَلا تزجُرُ القلبَ الَّلجُوجَ فيلحقُ[(٤)]

تعزَّ وإن كانت عليك كريمةً لعلَّك من أَسبابَ بَثْنَةَ تعتَقُ

فقلت له إنَّ البِعادَ يشُوقنى وبعض بعادِ البين والنَّأْىِ أَشوَقُ

روى صاحب الأَغانى عن الهيثم أَنَّ جميلاً طال مُقامه بالشام ، ثم قدِمَ وبلغ بثينَةَ خبَرُه ، فراسلته مع بعض نساءِ الحىِّ تذكُر شوقَها إليه ووجدَها به ، وواعدتْه لموضعٍ يلتقيان فيه ، فصار إليها وحادثَها طويلا وأَخبرها بحالِهِ بعدها ، وقد كان أَهلُها رصَدُوها ، فلمّا فقدوها تبعها أَبوها وأَخوها حتَّى هجما عليهَا ، فوثب جَميلٌ فسلَّ سيفَه وشدَّ عليهما فاتَّقياهُ بالهرب ، ونَاشدتْه بثينةُ بالانصراف وقالتْ : إن أَقمْتَ فضَحْتَنى ، ولعلَّ الحىَّ أَن يلحقُوك ! فأَبى وقال : أَنا مُقيمٌ وامضى أَنتِ ولْيصنعوا ما أَحبُّوا ! فلم تزل به تناشده حتَّى انصرف. وقال فى ذلك وقد هجرته مدَّةً طويلة ولم تلقَه[(٥)] ، هذه القصيدةَ وهى طويلةٌ .

قوله : (أَلم تسأَل الربع) الخ قال اللخمىُّ (فى شرح أَبيات الجمل) الرَّبْع : الدار بعينها حيثما كانت . والمربع : المنزل فى الرَّبيع خاصة .

(١) الأحدب : جبل فى ديار بنى فزارة ، أو هو موضع كما سيأتى فى الشرح .

(٢) ط : « ونفخ » ، صوابه فى ش والديوان .

(٣) الديوان : « العنتريس المنوق » .

(٤) الديوان : « إن ذا لسفاهة » .

(٥) ش : « فلم تلقه » .

والقَوَاءُ : القفر . يقال ربعٌ قواءٌ ودارٌ قواءٌ ، أى خالية . والبيداءُ : القفر الذى يُبيدُ مَن سَلكه ، أى يُهلكه . والسَّملق : الأَرض التى لا تنبتُ شيئاً ، وقيل هى السَّهلة المستوية . ومفعول تسأَل الثانى محذوف ، والتقدير : أَلم تسأَل الربع عن أهله فينطق . انتهى . ٦٠٣

وقال ابن السِّيد : ومعنى نُطْق الربعِ ما يتبيَّن من آثاره . والعرب تسمِّى كلَّ دليل نُطقاً وقولاً وكلامًا . قال الله تعالى : ﴿ هذَا كتابنَا يَنْطِقُ عليكم بالحَقِّ[1] ﴾ : ومنه قول زهير :

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دمنةٌ لم تَكلَّمِ *

أى لم يكن بها أثر يُستَبان لقدم عهدِها بالنُّزول فيها ونحوه . انتهى.

وقوله (وهل تُخبِرنْكَ[2] اليوم) إلخ ردٌّ على نفسه بأَنَّ مثله لا ينطق فيجيب . وهذا رجوعٌ إلى الحقيقة بعد المجاز . ومثله ما أنشده أبو الفرج الأصبهانى (فى الأَغانى) لمحمد بن عبدالله بن مسلم بن المولى ، مولى الأَنصار ، من مخضرمى الدَّولتين ، يمدح المهدىّ :

سَلا دارَ ليلى هل تُبِينُ فتنطقُ وأنَّى تردُّ القولَ بيداءُ سَملقُ[3]
وأنَّى تردُّ القولَ دَارٌ كأَنَّها لِطولِ بِلاها والتَّقادمُ مُهرَقُ

وقوله (فينطق) الفاءُ للاستئناف ، وجملة ينطق خبر مبتدأ محذوف ، أى فهو ينطق . قال صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وهو الله فى السَّمواتِ وفى الأَرضِ يَعلم سِرَّكم وجَهْرَكم[4] ﴾ : يعلم جملة مستأْنفة أى هو يعلم سركم .

(١) الآية ٢٩ من سورة الجاثية .
(٢) ط : « وهل يخبرنك » .
(٣) الأغانى ٣ : ٨٥ .
(٤) الآية ٣ من سورة الأنعام .

قال التفتازانى : جرت عادتُه فى مثل هذا بتقدير المبتدأ ، ولا يظهر له وجهٌ يعتدُّ به . وقال (فى التلويح) فى قوله تعالى : ﴿ والرَّاسخون فى العِلْم يقولون آمَنَّا به[1] ﴾ هكذا قال جار الله (فى الكشَّاف والمفصَّل) ، فيقدِّر المبتدأ فى جميع ما هو من هذا القبيل . وفيه نظرٌ لأَنَّ الجملة الفعليَّة صالحة للابتداءِ من غير احتياج إلى تقدير مبتدأ .

وفى شرح التسهيل(للدَّمامينىّ) : النحويون يقدِّرون فى الاستئناف مبتدأ ، وذلك إمَّا لقصد إيضاح الاستئناف ، وإمَّا لأَنَّه لا يستأْنَف إلَّا على هذا التقدير . وإلَّا لزم العطف الذى هو مقتضى الظاهر . انتهى .

قال شيخنا الشهاب الخفاجى فى بعض رسائله : حاصله أَنَّ الجملة المضارِعيّة المستأْنفة يقتضى كلامُ المفسرين والنُّحاة أَنَّه لا بدَّ فيها من تقدير ضمير مبتدأ . واستشكله المتأَخِّرون بأَنَّه لا ضرورة تدعو إليه ، فإنَّه يجوز الاستئناف بدونه . ولم يدفعه أَحد ، فظنُّوا أنه واردٌ غير مندفع . ولمَّا تأَمَّلْت ما قالوه حقَّ التأَمُّل ظهر لى أَنَّ الحق ما قالوه ، وأَنَّه لابدَّ من هذا التقدير ، لأَنَّك إذا وقفت على قوله : فى الأَرض) من غير تقدير لم يقع موقعه ، إذ لم يُفدْ ما يحسُن السكوت عليه . والضمير المستتر خفىٌّ لا يظهر بادىَ الرأْى . فإذا قلت يعلم لم يُعْلَم مِنَ العالم . فإذا كان المبتدأُ ظاهراً أَو [فى][2] حكمه علم المراد . ونظيره النعت المقطوع إذا رفع ، يقدَّر قبله ضمير لأَنَّه مفرد لا يفيد إلاَّ على ذلك التقدير . وبهذا تبينَ أَنَّ الاعتراض من الغُفول ، عمَّا قصده هؤلاء هؤلاء الفحول . وهو معنى قوله (فى شرح التسهيل) : وإلاَّ لزم العطف ،

(١) الآية ٧ من آل عمران .
(٢) تكلة يفتقر إليها الكلام .

أى بطل الاستئنافُ وكان خبراً ثانياً . وكيف يُتردَّد فى مثله بعد اتفاق النحاة عليه .

إلاَّ أنَّهم لم يبيِّنوا أنَّ هذا الحذف واجب أَوْ لَا . والظاهر أَنَّه واجب. وهذا من مهمات المقاصد . انتهى كلام شيخنا .

وما ذكره بحثاً هو كلام الشارح المحقِّق عند كلامه على قول الشاعر :

٦٠٤ غير أَنَّا لم تأْتنا بيقين فنرجِّي ونكثرَ التأْميلا[1]

بعد نحو ورقة من هذا الموضع .

وقول شيخنا : « أى بطل الاستئناف وكان خبراً ثانياً » فيه أَنَّ الخبر المتعدِّد يجوز فيه العطف ولم يجب كما بيِّن فى محله .

وقوله : « بمختَلَفِ الأَرواح » إلخ الباءُ للسببية . والمُختَلَفُ : الموضع الذى تهبُّ فيه الرّياح من كل وجه . وسُويقة بالتصغير ، وأَحدب بالحاءِ المهملة والباءِ الموحدة لا بالمثلثة : موضعان . وتَخلَق : تَبلَى ، يقال خلُقَ الثوب بالضم ، إذا بلى ، فهو خَلَق بفتحتين . وأَخلقَ الثَّوبُ بالأَلف لغة .

وقوله : « أَضرَّت بها النكباءُ » الخ . النكباءُ : كلُّ ريح تهب بين مهبِّ ريحين ، لأَنَّها نَكَبَتْ عن مهبِّها ، أَى عَدَلت . ونَفَحت الريح بالحاءِ المهملة ، أَى هبَّت ، من باب نفع . والوابل : المطر العظيم القَطْر . والمتبعِّق ، بتشديد العين المهملة المكسورة : الشديد المطر . يقال تبعَّق المُزْن ، إذا سال بشدة .

(١) هو الشاهد ٦٦٥ فيما سيأتى .

والعَمَاية بفتح المهملة بعدها ميم : الضَّلالة ، وهى من عَمَى القلب . وروى: « غيابتى» بالغين المعجمة . والغيابة : الظُّلمة ، وقعرُ البئر ونحوِها. والأَرحبيُّ : الجمل النجيب ، منسوبٌ إلى أَرحَب بالحاء المهملة : قبيلة ، وقيل فحل ، وقيل موضع . وروى بدله : « العنتريس » ، وهو الجمل الشَّديد الصلب . والمنوَّق : المذلَّل كالناقة .

وقوله : « لعلك من أَسبابَ بَثْنة » روى بدله« لعلك من رِقٍّ لبثنة» . وجميل بن معمر شاعرٌ إسلامىٌّ ، تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والستين من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الستمائة[2] :

٦٦٤ (لم تَدرِ ما جزعٌ عليك فتَجزعُ)

لِمَا تقدَّم قبله . وهو عجزُ وصدره :

(ولقد تركتِ صَبيَّةً مَرحومة)

قال ابن هشام (فى المغنى) : وللاستئناف وجه آخر ، وهو أن يكون على معنى السببية وانتفاءِ الثانى لانتفاءِ الأَوَّل ، وهو أَحد وجهَى النَّصب وهو قليل ، وعليه قوله :

ولقد تركتِ صبيَّةً مرحومةً لم تدر ما جزعٌ عليك فتجزعُ

أَى لو عرفَتِ الجزعَ لجزِعَتْ ، ولكنها لم تعرفه فلم تجزع . إلى آخر ما ذكر من نظائره من الآيات القرآنيَّة .

---

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .
(٢) المحتسب ١ : ١٩٣ والمغنى ٤٨١ والحماسة ٩٠٣ بشرح المرزوقى .

وقد تكلم ابن جنى على هذا البيت (فى إعراب الحماسة) فلا بأس بإيراده قال : هذا البيت طريفٌ غريب الحديث ، وذلك أنه ليسَ بجواب لأنَّه مرفوع كما ترى ، ولو كان منصوباً جواباً لكان أوفق معنى ، وأسْلب طريقاً[1] ، ولا قبله أيضاً فعلٌ مرفوع فيعطف عليه كما عطف فى قوله :

* فما تحلُّ على قوم فترتحل[2] *

فلهذا كان غريباً . غير أنَّ وجهه عندى أن يكون قوله فتجزع صفةً لقوله مرحومة أو صغيرة ، ويكون معطوفاً على جملةِ قولِه : « لم تدر ما جزعٌ عليك »، لأنَّ هذه الجملة صفة لقوله صغيرة أو مرحومة ، فكأنَّه قال : فلقد تركتِ صغيرةً جاهلة بالجزعِ فجازعةً مع ذلك . فلما وقع تجزع موقع الاسم ارتفعَ فجرى مجرى قولك : مررت برجل من أهلِ العلم ويُقرئُ الناس . فتعطف يقرئُ على من أهل العلم ، حتَّى كأنَّك قلت : عالم ومقرئٌ . وإن شئت جعلت الفاء زائدة فى جميع ذلك فكان . فلا أمٌّ تبكيه ولا أخت تفقده[3] . و : فما تحلُّ على قوم ترتحل ،[أى][4]

(١) ش : « طريق » ، صوابه فى ط وإعراب الحماسة . وأسلب ، من السلب وهو الخفيف السريع .

(٢) لأبى تمام فى ديوانه ٢٢٩ من قصيدة فى مدح المعتصم ويعتز بمدحته فيه . والبيت بتمامه مع ما قبله :

لقد لبست أمير المؤمنين بها حلياً نظاماه بيت سار أو مثل
غريبة تؤنس الآداب وحشتها فما تحل على قوم فترتحل

(٣) إشارة إلى بيت سابق فى الحماسة ٨٩٨ بشرح المرزوقى ، تعرض له ابن جنى فى إعراب الحماسة الورقة ١٣١ . ونصه :

فلا أم فتبكيه ولا أخت فتفتقده

(٤) التكملة من ش وإعراب الحماسة .

معتقدة للارتحال ، ولم يكن بيننا شرٌّ نصطلح من أجله[1] ، ولم تدر ٦٠٥
ما جزعٌ عليكِ جازعة ، أى تركت صبية جازعةً وإن لم تعرف الجزع ، أى صورتها صورة الجازعة .

فإن قلت : فهل هناك أمٌّ غير باكية ، أو أُخت غير مفتقِدة ؟ قيل : ليس نفىُ الشىء عندنا إثباتاً لضدِّه . ألاَ ترى لو قلت[2] : إنَّ زيدًا لم يُعزِّنى[3] لم يكن فى هذا دليل على أنَّه قد أهانك .

وقال أبو الحسن فى قوله تعالى : ﴿ يا ليتَنا نُرَدُّ ولا نكذِّبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ من المؤمنين[4] ﴾ قال : هو فى اللفظ معطوفٌ وفى المعنى جواب ، قال : وذلك أنَّهم إذا تمنَّوا[5] الردَّ ولم يتمنَّوا ترك التكذيب ولا الإيمان ، بل أوجبوه[6] على أنفسهم عند الردَّ ، فكان يجب النصب ، أى إنْ رُدِدْنا آمنَّا ولم نكذِّب . قال : ولكنَّه جرى فى اللفظ معطوفاً ، والمعنى معنى الجواب . وشبهه فى الحمْلِ على اللفظ والمعنى مخالفٌ لقراءة من قرأ : ﴿ وامسَحُوا برؤسكم وأرجُلِكم[7] ﴾ بالجر ، فهذا يقتضى مسح الرجلين .

---

(١) هذا إشارة إلى بيت أنشده ابن جنى فى إعراب الحماسة الورقة ١٣٢ وهو للبحترى فى ديوانه ١١٦ من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد . ونصه :

يريغ كاتبه صلحى لينقصنى ولم يكن بيننا شر فنصطلح

(٢) فى إعراب الحماسة لابن جنى : « ألا تراك إذا قلت » .

(٣) فى إعراب الحماسة : « لم يكرمنى » .

(٤) الآية ٢٧ من سورة الأنعام .

(٥) فى إعراب الحماسة : « لما تمنوا » .

(٦) إعراب الحماسة : « بل أوجبوهما » .

(٧) الآية ٦ من سورة المائدة . وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وحمزة وأبى بكر وأنس وعكرمة والشعبى والباقر وقتادة وعلقمة والضحاك . وقرأ الحسن : « وأرجلكم » بالرفع . تفسير أبى حيان ٣ : ٤٣٧ - ٨٣٤ وإتحاف فضلاء البشر ١٩٨ . وفى النسختين : « فامسحوا » بالفاء ، وهو تحريف قرآنى .

وإنَّما المفروض فيهما الغَسْلُ[١] ولكنَّه جرى فى اللفظ على الجرّ ، والمعنى معنى النصب . وهذا لعمرى متوجِّه فى قوله :

* فما تحلُّ على قومٍ فترتحلُ *

لأَنَّ هناك مرفوعاً قبله . فأَما قوله :

* لم تدر ما جزعٌ عليكِ فتجزع *

فليس فى قوله قبله مرفوع فيعطفَ عليه . وقد يجوز أَن يكون أَراد فهى تبكيه وهى تفتقده[٢] على أَنَّه وضع الجملة المركبة من المبتدأ والخبر موضع الفعل المنصوب على الجواب . ومثلُه قوله تعالى : ﴿ هل لَكُمْ ممَّا ملكَتْ أَيمانُكمْ مِنْ شُرَكاءَ فيما رزَقْناكم فأَنتمْ فيه سواءٌ[٣] ﴾[أَى][٤] فتستووا . ومثله : ﴿ أعنده عِلمُ الغَيب فهو يَرَى[٥] ﴾ أَى فيرى . فاعرفْ تفصيل ذلك .

هذا كلام ابن جنى .

وأَورده (فى المحتسب) أَيضاً عند قراءة الحسن ويزيدَ النَّحْوىّ : ﴿ ياليتَنِى كنتُ مَعَهُمْ فأَفوزُ فوزاً عظيما[٦] ﴾ بالرفع ، قال رَوْح[٧] : لم

---

(١) ط : « المسح » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .
(٢) ط : « تفقده » ش : « مفتقدة » ، صوابهما فى إعراب الحماسة .
(٣) الآية ٢٨ من سورة الروم .
(٤) التكلة من إعراب الحماسة .
(٥) الآية ٣٥ من سورة النجم .
(٦) الآية ٧٣ من النساء .
(٧) هو روح بن عبد المؤمن البصرى النحوى ، مقرئ جليل ثقة ضابط مشهور ، روى عنه البخارى فى صحيحه . توفى سنة أربع أو خمس وثلاثين مائة . طبقات ابن الجزرى برقم ١٢٧٣ .

يجعل لِلِيْتَ[(١)] جواباً . (أقول) : محصوله[(٢)] أنَّه يتمنى الفوز ، فكأنه قال : ياليتنى أفوز فوزاً عظيما . ولو جعله جواباً لَنصبَه ، أى إنْ أكن معهم أَفُزْ . هذا إذا صرَّحت بالشرط ، إلَّا أنَّ الفاءَ إذا دخلت جواباً للتمنِّى نصب الفعل بعهدها بإضمار أن ، وعَطف أفوز على كنت معهم لأنَّهما جميعاً متمنَّيان ، إلَّا أنَّه عطف جملة على جملة ، لا الفعل على انفراده على الفعل ، إذْ كان الأوّل ماضياً والثانى مستقبلا . وعليه قول الآخر :

* لم تدرِ ما جزعٌ عليكِ فتجزعُ *

والقوافى مرفوعة ، أى هى تجزع . ولو كان جواباً لقال فتجزعَا . وقد ذكرنا هذا ونحوه (فى كتابنا تفسير مشكل أبيات الحماسة). انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت لم يعرفه شُرّاح مُغنِى اللبيب ، وهو من أبياتٍ أوردها أبو تمَّام (فى باب المراثى من الحماسة) لمُوَيلكٍ المزموم ، فى امرأته أُمِّ العلاءِ . وأوردها الأعلم الشنتمرىُّ أيضاً فى حماسته ، وهى :

أبيات الشاهد

امرُرْ على الجدَث الذى حَلَّتْ به ... أُمُّ العَلاءِ فنادها لو تسمعُ
أنَّى حللتِ وكنتِ جِدَّ فروقةٍ ... بلدًا يَمُرُّ به الشَّجاع فيفْزَع
صَلَّى عليكِ اللهُ من مفقودةٍ ... إذْ لا يلائمُكِ المكانُ البلقعُ
فلقد تركتِ صغيرةً مرحومةً ... . البيت
فَقَدَتْ شمائلَ من لِزامِك حُلوةً ... فتبيتُ تَسهَرُ ليلَها وتَفجَّعُ
فإذا سمعتُ أنينَها فى ليلِها ... طَفِقَتْ عليكِ شُئُونُ عينى تَدمعُ

(١) ط : « للبيت » ، صوابه فى المحتسب و ش مع أثر تصحيح .
(٢) فى المحتسب : « قال أبو الفتح : محصول ذلك كله » .

٦٠٦ وزاد الأعلم بعد هذا ستَّة أبيات أُخر .

وقوله : « امرر على الجدَث » إلخ . هو بفتح الجيم : القبر . وروى « فحيِّها » بدل « فنادِها » . و « هل » بدل « لو » .

قال الطَّبَرْسَيُّ[1] (فى شرحه) : يقول : امرر على القبر الذى دُفنت فيه وسلِّمْ عليها إن كانت تسمع . وهذا توجُّعٌ وتلهُّف . وروى : « هل تسمع » . والفرق أنَّ لو فائدته الشرط ، وهل من حيث كان استفهاماً كلامُ راجٍ لسماعها ، فكأنَّه قال : وانظر هل تسمع .

وقولهُ : « أنَّى حللتِ » الخ : قال ابن جنى : الهاءُ فى فروقةٍ مع المؤنث مثلُها مع المذكَّر ، لا فرق بينهما فِى الحال . وإنَّ المراد فيهما معنى الغاية والمبالغة . وكذلك رجلٌ راوية وامرأة راوية ، وكذا علاَّمة ونسَّابة ، لم تدخل هذه الهاءُ على المؤنث ، لأنَّها لو كانت كذلك لما لحقت المذكر . وهذا قاطع . انتهى .

وقوله : « جِدَّ فَروقة » أى كنت فروقةً جدًّا لا هَزْلا ، وحقًّا لا باطلا. والبلدة : القطعة من الأرض . يقول : كيف أقمتِ فى بلدٍ قفر إذا مرَّ به الرَّجلُ الشجاعُ استولى عليه الفزع ، وعهدى بِكِ أنَّكِ كنتِ أشدَّ الناس خوفاً وأضعفَهم قَلباً .

وقوله : « صلى عليك الله » إلخ . الصَّلاة من الله الرحمة ، ومن العبد الدُّعاءُ . ولا يُلائمك : لا يوافقك . والبلقع : الخالى . ومِن مفقودةٍ : تمييز

(١) فى النسختين : « الطيبرسى » ، تحريف . وهو أمين الدين أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى ، مفسر لغوى من أعيان الشيعة الإمامية . من أشهر كتبه مجمع البيان لعلوم القرآن ، ومختصر الكشاف . توفى سنة ٥٤٨ . إنباه الرواة ٣ : ٦ ، ٧ وروضات الجنات ٥١٢ - ٥١٤ وأعيان الشيعة ٤٢ : ٢٧٦ - ٢٨٢ ومعجم المؤلفين ٨ : ٦٦ . وقد طبع كتابه مجمع البيان فى صيدا بعناية محسن الحسينى العاملى .

وقوله : (فلقد تركتِ صغيرةً) إلخ. قد تقدَّم أنَّ ابن جنى جوَّز وجهين : أن يكون فتجزع صفة لصغيرة ، وأن يكون استئنافاً . واختار المرزوقُّ الاستئنافَ وقال : أراد أنَّها من صغرها لا تعرِف المصيبةَ ولا الجزعَ لها ، فهى على حالها تجزع ، لأنَّ ما تأتيه من الضَّجر والبكاء وتتركه من النوم والقَرَارِ فعلُ الجازعين .

وقوله : « فقدت شمائل » إلخ ، جمع الشِّمال بالكسر ، وهى الطبيعة . يقول : كانت قد اعتادت منكِ أخلاقاً جميلة ففقدَتْها ، فَبقيتْ لاتنام ولا تنيم[1] بل تفجَّعُ وتوجَّع ، فإذا سمعتُ شَكْواها وبكاءها أقبلتْ شئون رأسى تسحُّ بالبكاءِ ولهًا عليكِ . وطفقت : شرَعَتْ. والشئون: جمع شأْن ، وهو الشعب الذى يجمع بين القبيلتين من قبائل الرأس ، وهى القطعة المشعوب بعضها إلى بعض . ويقال إنَّ الدمعَ يجرى من الشَّأْن .

ومُوَيلكٌ : مصغر مالك . والمزموم : اسم مفعول من زَمَمت الناقة ، أى وضعتُ عليها الزمام . **مويلك المزموم**

والظاهر أنَّه شاعر إسلامىّ . ولم أَقِفْ على نسبه حتَّى أكشفَ عنه (فى الجمهرة) ، ولا على ترجمته . والله أعلم .

* * *

(١) ش : « ولا تقيم » ، صوابه فى ط . وهو مثل معروف أورده المفضل وسلمة فى الفاخر ٤٢ والعسكرى فى الجمهرة : ٤١٨ . وأنشد فى اللسان (نوم) لخنساء . :

كما من هاشم أقررت عينى وكانت لا تنام ولا تنيم

وأورده المفضل أيضاً فى الفاخر ٢٠٢ ، وكذا الميدانى فى ١ : ٣١٠ بلفظ: « السليم لا ينام ولا ينيم » . والسليم هنا : الملدوغ .

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستُّون بعد الستَّمائة وهو من شواهد س[1] :

٦٦٥ (غير أنَّا لم يأْتِنا بيقينٍ فنرجِّى ونكثرُ التَّأْميلا)

على أَنَّ ما بعد الفاءِ هنا على القطع والاستئناف ، أى فنحن نرجِّى .

قال سيبويه عند توجيه النصب فى : ما[2] تأْتينا فتحدِّثنا : وإن شئت رفعت على وجهٍ آخر ، كأَنك قلت : فأَنت تحدِّثنا . ومثل ذلك قول بعض الحارثيِّين :

غير أَنَّا لم تأْتنا بيقين .... البيت

كأَنَّه قال : فنحن نرجِّى . فهذا فى موضع مبنىّ على المبتدإ . انتهى .

فالإِتيان منفىٌّ وحده ، والرّجاءُ مثْبت ، وهو المراد . ولا يجوز نصب نرجِّى ، لأَنَّه يقتضى نفيه إمَّا مع نفى الإتيان وإمَّا مع إثباته ، كما هو مقتضى النَّصب ، وكلاهما عكسُ المراد .

ويدلُّ لهذا قول أَبى على (فى التذكرة) : هو بالرفع ، وكذلك الصَّواب ، لأَنَّهم إنَّما رَجَوْا وأَمَّلُوا مالم يأْتِهم بيقين؛ ولو أَتاهم بيقين لآل إلى الترجِّى والتأْميل بيقينه .

٦٠٧ ومثله لابن هشام (فى المغنى) قال : المعنَى أَنَّه لم يأْت باليقين فنحن نرجو خلافَ ما أَتى به ، لانتفاءِ اليقين عمَّا أَتَى به . ولو جَزَمه

(١) فى كتابه ١ : ٤١٩ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٣٦ والمقرب لابن عصفور ١ : ١٦٥ والمغنى ٤٨٠ وشرح شواهده للسيوطى ٢٩٥ والتصريح ٢ : ٢٠٤ .

(٢) كتبت فى النسختين : « فيما » ، والوجه ما أثبت .

أو نصبَه لفسَد معناه ، لأنَّه يصير منتفياً على حِدَته كالأوّل إذا جزم ، ومنفياً على الجمع إذا نصب . وإنَّما المراد إثباته . انتهى .

وقوله : « ومنفيًّا على الجمع إذا نُصب » أراد بالجمع نفى الإتيان والرجاء كليهما . ولم يذكر الشقَّ الثانىَ من النصب ، لأنَّه لم يتصوَّر نفى الرجاء مع ثبوت الإتيان بيقين . ومنه يظهر لك فسادُ تجويز الأعلم نصبَه بمرتبتين ، وقوله : ولو أمكنه النصبُ على الجواب لكان أحسن.

وتبعه ابن يعيش (فى شرح المفصل) ولم يتنبَّه لفساده.

ومقتضى كلام أبى علىّ وابن هشامٍ أنَّ قوله « لم يأْتنا » بالمثناة التحتيَّة لا الفوقية ، فيكون فاعله مستتراً فيه . والمشهور بالفوقيَّة على الخطاب .

ومشى على الأوّل شارحُ شواهد المفصَّل أيضاً فقال : المعنى أتانا آت بخبر إخوتنا ، غير أنَّا أى لكِنَّا لم يأْتنا الآتى بخبر يقين يوجبُ اليأْس، فنحن نرجِّى خلافَ ما أتى به ، لانتفاءِ اليقين عما أتَى به ، فنكثر التأْميل لخلاف خبره ، ونقول : لعلَّه يكون كذباً . ولا يجوز فى قوله فنرَجِّى إلاَّ الرفع . اهـ.

وكون اليقين هو خبر الإخْوة إنَّما هو حدس وتخمين ؛ فإنَّ البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عرف قائلها ولا تتمتُها . والله أعلم به.

فيقين صفةُ موصوف محذوف ، أى بخبر يقين . ونكثر بالرفع عطفٌ على نُرجِّى . و (التأْميل) : مصدر أمَّلته ، إذا رجوته .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السَّادس والسِّتون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(١)] :

٦٦٦ (وما قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فى ندِيِّنا فينْطقَ إلّا بالتى هىَ أَعْرَفُ)

على أنَّ النفى بالمعنى الثانى ، وهو أن يرجعَ النفىُ لما بعد الفاء ، كثيرُ الاستعمال كما فى البيت ؛ فإنَّ النفى منصبٌّ على ينطق فى المعنى ، و (قام) مثبَتٌ فى تأْويل المستقبل ، لمناسبة المعطوف . ولهذا قال الشارح المحقق : أى يقومُ ولا يقومُ إلاَّ بالتى هى أعرف . وإنَّما جعل النفى هنا بالمعنى الثانى لأَجل الاستثناء ، فإنَّ الاستثناء المفرَّغ لا يكون إلّا مع النفى ، فلمَّا اعتُبر فى ينطق صَحّ التفريغ .

وجوّز صاحب اللباب أنْ يكون النفى فى البيت على ظاهرِه من القسم الأَوّل . قال فى باب الاستثناء : والمفرَّغ لا يكون إلّا فى الإثبات . إلى أن قال : ويجوز فيما هو جوابُ النفى . وأنشد هذا البيت .

قال الفالى فى (شرحه) : لا يقال ينبغى أن لا يجوز ، لأَنَّ قولك فينطق مثبت ، ولا يصحُّ المفرَّغ فى المثبت ، لأَنَّ قوله فينطقَ بالنصب بأَنْ مضمرة ، والتقدير فأَن ينطق ، وهذا المصدر معطوفٌ على مصدر منتزع من الأَوَّل وهو قام ،أى ما يكون قيام فنطقٌ . فحكم النفى منسحبٌ على القيام والنُّطق . فالنطق فى المعنى منفىٌّ فيصحُّ الاستثناء المفَرَّغ فيه . ونظيره : ما تأْتينا فتحدِّثنَا ، بالنصب ، أى ما يكون منك إتيان فتحديث على نفى المركَّب ، أى ما يكون منك إتيانٌ كثير ولا تحديثٌ عَقِيبه . اهـ .

---

(١) سيبويه ١ : ٤٢٠ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ١٩٢ والعينى ٤ : ٣٩٠ والأشمونى ٣ : ٣٠٤ ، ٣٠٥ وديوان الفرزدق ٥٦١ .

وهذا نصُّ سيبويه فى باب الفاءِ ، قال : وتقول ما أتيتنا فتحدِّثنا ، والنصبُ فيه كالنصب فى الأَوّل ، وإن شئت رفعتَ على معنى فأَنتَ تحدِّثنا الساعة . والرفع فيه يجوز على ما . وإنَّما اختير النصب لأَنَّ لوجه ههنا وحدَّ الكلام أن تقول: ما أتيتنا [1] فحَدَّثتنا، فلمَّا صرفوه عن هذا الحدِّ ضعُفَ أن يضمُّوا يفعل إلى فعلتَ ، فحملوه على الاسم ، كما لم يجزْ أن يضمُّوا إلى الاسم فى قولهم : ما أنت منَّا فتنصرُنَا يعنى أنت ونحوه . وأَمَّا الذين رفعوه فحملوه على موضع أتيتنا ، لأَنَّ أتيتنا[2] فى موضع فعل مرفوع ، وتُحدِّثنا ههنا فى موضع حدَّثتنا . وتقول : ما تأْتينا فتكَلَّمَ إلاَّ بالجميل. فالمعنى إنَّك لم تأْتنا إلا تكلَّمت بجميل . ونصبُه على إضمار أن كما كان نصبُ ما قبله على إضمار أن . وإن شئتَ رفعت على الشِّركة ، كأَنه قال : وما تكلَّم إلاَّ بالجميل . وَمثَل النصب قولُ الفرزدق :

وما قام منَّا قائمٌ فى ندِيِّنا فينطقَ إلاَّ بالتى هى أعْرَفُ

وتقول : لا تأْتينا فتحدِّثَنَا إلاَّ ازددنا فيك رغبة ، فالنصب ههنا كالنصب فى ما تأْتينى فتحدِّثَنى ، إذا أردتَ معنى ما تأْتينى محدِّثاً ، وإنَّما أَراد معنى ما أَتيْتنى محدِّثاً إلا ازددتُ فيك رغبة . ومثل ذلك قول اللَّعين :

وما حَلّ سعدىٌّ غريباً ببلدة فيُنسبَ إلاَّ الزِّبْرِقانُ له أَبُ[3]

وتقول : لا يسعُنى شىءٌ فيعجِزَ عنك ، أى لا يسعنى شىءٌ فيكون

(١) الكلام بعده إلى « أتيتنا » التالية ساقط من ش .

(٢) هنا ينتهى سقط ش الذى أشرت إليه قريباً .

(٣) هو الشاهد ١٩٤ ، فى الخزانة ٣ : ٢٠٦ هارون .

عاجزًا عنك ، ولا يسعنى شىءٌ إلاَّ لم يعجز عنك . هذا معنى الكلام . فإنْ حملتَه على الأوّل قَبُحَ المعنى ، لأَنَّك لا تريد أَن تقول إنَّ الأَشياءَ لا تسعُنى ولا تعجز عنك . فهذا لا يَنْوِيه أَحد . انتهى كلام سيبويه .

ومنه تعرفُ وجْهَ جعل الشارح المحَقِّق هذا المثال من النَّفى بالمعنى الثانى ، وأنَّ الرواية بِنَصبِ فينطق .

قال الأَعلم : الشاهد فى نصب ما بعد الفاءِ على الجواب مع دخول إلاَّ بعده للإيجاب، لأَنَّها عَرَضت بعد اتِّصال الجواب بالنفى . ونصبَه على ما يجب له ، فلم يغيِّره . والندِىّ : المجلس ، أَى إذا نطق منَّا ناطق فى مجلسِ جماعةٍ عُرِف صوابُ قوله فلم تُردَّ مقالتُه . انتهى .

ومثله لابن السرَّاج ، قال (فى الأُصول) : وتقول ما قام زيدٌ فيحسِنَ إلّا حُمِد ، وما قام زيد فيأْكلَ إلاَّ طعامَه بالنصب . قال الشاعر :

* وما قام منَّا قائمٌ فى ندِيِّنا *

ويجوز رفع (فينطق) كما جاز فى : ما[1] أَتينا فتَكلَّمَ إلاَّ بالجميل، فتكون الفاءُ للعطف .

وبه استشهد ابن الناظم والمرادى (فى شرح الأَلفيّة) . قال العينى : الشاهد فيه رفع ينطق لأَنَّ من شرط النصب بعد النفى أَن يكون النفى خالصاً ، وههنا ليس كذلك . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة للفرزدق ، يفتخر بها على جرير ، وعدَّتها مائة بيت وخمسة عشر بيتاً ، تقدَّم منها بيتان ، أَحدهما فى باب النعت وهو :

(١) فى النسختين : « فيما » ، ووجه كتابته ما أثبت .

فأَصبح فى حيثُ التقينا شريدُهم . . . . البيت[(١)]

وثانيهما فى باب العطف ، وهو :

وعضٌّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يَدعْ . . . البيت[(٢)]

وهى قصيدة جيِّدة من غُرَر قصائده .

* * *

وأَنشد بعده :

(وما حَلَّ سعدىٌّ غريباً ببلدة فيُنسبَ إلاَّ الزبرقانُ له أَبُ)

لمَا تقدَّم قبله ، أَى يحلُّ ولا ينسب .

والكلام فيه كما تقدَّم قبله . قال الأَعلم : الشاهد فيه نصب ما بعد الفاءِ على الجواب . والرفع جائز ، والقول فيه كالقول فى الذى قبله . يقول :الزبرقان سيِّدُ قومه وأَشهرهم ، فإذا تغرَّب رجلٌ من سعد وهم ٦٠٩
رهط الزبرقان فسئل عن نسبه انتسب إليه لشرفه وشُهرته . انتهى .

وقد تقدَّم الكلام على هذا البيت مفصَّلا فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائة من باب الحال[(٣)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستُّون بعد الستِّمائة ، وهو من شواهد س[(٤)] :

---

(١) تمامه فى الخزانة ٥ : ٣٦ ، وهو الشاهد ٣٣٩ :

* طليق ومكتوف اليدين ومرهف *

(٢) تمامه فى الخزانة ٥ : ١٤٤ ، وهو الشاهد ٣٥٧ :

* من المال إلا مسحتاً أو مجلف *

(٣) الخزانة ٣ : ٢٠٦ - ٢٠٩ .

(٤) فى كتابه ١ : ٤٢٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٨ والجمل ١٩٧ والخصائص ١ : ٢٣٦ وابن يعيش ٧ : ٢٢ ، ٢٣ والأشمونى ٣ : ٢٩٥ وديوان امرئ القيس ٦٦ .

٦٦٧ (نُحاوِلُ مُلْكاً أَو نَمُوتُ)

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(فقلتُ له لا تبكِ عَيْنُكَ إنَّما نُحاوِلُ مُلكاً أَو نَمُوتُ فنُعْذَرا)

على أنَّ سيبويه جوّز الرفع فى قوله (نموت) إمَّا بالعطف على نحاول ، أَو على القطع ، أى نحن نموت .

وهـذا نصُّ سيبويه : واعلم أَنَّ معنى ما انتصب بعد (أَو) على إلاَّ أَنْ ، كما كان معنى ما انتصب بعد الفاء . تقول : لأَلزمنَّك أَو تقضيَنى حَقِّى ، ولأَضربنَّك أَو تسبقَنى . فالمعنى لأَلزمنَّك إلاَّ أَنْ تقضينى ، ولأَضربنَّك إلاَّ أَن تسبقنى . هذا معنى النصب . قال امرؤ القيس :

فقلتُ له لا تبك عينك . . . . البيت

والقوافى منصوبة ، فالتمثيل على ماذكرت لك ، والمعنى على إلّا أَن نموتَ فنُعذرا . ولو رفعتَ لكان عربيًّا جيداً[1] على وجهين : على أَن تشرك بين الأَوَّل والآخِرِ ، وعلى أَن يكون مبتدأً مقطوعاً من الأَوَّل ، يعنى أَو نحن ممّن يموت . وقال تعالى :﴿سَتُدْعَوْنَ إلى قومٍ أُولِى بأْس شديدٍ تُقاتلونَهم أَو يُسلمُونَ[2]﴾، إنْ شئت كان على الإشراك، وإن شئتَ كان على : أَو وَهم يسلمون . انتهى كلامه.

وقال صاحب التكميل : ويحتمل أَن يكون أَو هنا للغاية ، أَى نحاول الملك إلى أَن نموت . وأَمَّا نصب قوله فنُعذراً فبالعطف على نموت على

(١) فى كتاب سيبويه : « جائزاً » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الفتح .

رواية النصب ، وأمّا على رواية الرفع فخفىٌّ . ولهذا حذفه الشارح المحقِّق من المصراع .

ووجّه نصبَه الكرمانىُّ (فى شرح أبيات الموشّح) بأَنَّ الفاءَ للسببيَّة ، وبعدها أَن مضمرة فى جواب النفى الضِّمنى ، بتأْويل « نموت » بلا نبقى . فتأَمَّل .

و (نعذرا) بالبناء للمفعول ، وروى « نُعذِر » من أَعذر الرجل إذا أَتى بعذر .

وقال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : وروى : فنَعذِر ، بكسر الذال ، أَى نبلغ العذر .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لامرئُ القيس مشتملةٍ على جملٍ من يواقيت الفصاحة ، وجواهر البلاغة ، قالها لمّا دخل بلاد الروم مستجيرًا بقيصر ، لأَنَّ أَباه كان قد وَلِىَ بنى أَسد فظلمهُم ، فتعاونوا على قتله ، كما تقدَّم فى ترجمته ، فخرج امرؤ القيس إلى قيصر يستمدُّه .

قال أَبو القاسم السَّعدىُّ (فى كتاب مساوى الخمر) : وممَّن بلغ به إفشاءُ سرِّه حتفَه امرؤ القيس بن حُجْر الكِندىّ . وذلك أَنَّ المنذر بن ماء السماءِ عند ما ملَكَ على الحيرة عندما ولّاه أَنو شِروان ذلك بعد مقتل حجر ، وزوالِ مُلك بنى آكل المُرار ، أَرسلَ جيشاً من بكر وتغلبٍ فى طلب بنى آكل المُرار ، فجىءَ إليه منهمْ بستَّة عشر رجلاً ، فضرب أَعناقهم فى بيوتِ بنى مَرِينا . وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

أَلا ياعَيْن بكِّى لى شَنينَـا　　وبكِّى لى الملوكَ الذَّاهبينا[1]

(١) فى النسختين : « شبيباً » ، صوابه من الديوان ٢٠٠ . وفى شرحه : « وهو فعيل من الشن ، وهو الصب » .

ملوكاً من بنى حُجر بن عمرو   يُساقُونَ العشيَّـةَ يُقتَّلونا
فلو فى يومِ معركة أُصيبُـوا   ولكنْ فى بيوت بنى مَرينـا

وفى ذلك أيضاً يقول عمرو بن كلثوم فى معلَّقته :

فآبُوا بالنِّهاب مع السَّبايا   وأَبناء الملوكِ مصفَّـدينا[1]

فهرب منه امرؤ القيس ، قيل : كان معهم فأَفلتَ ، وقيل سمِع بخبرهم فذهبَ على وجهه يستجيرُ بالعرب ، فبعضٌ يقبلُه وبعضٌ يردُّه . فخرج إلى الحارث بن أَبى شَمِر الغسَّانى ، المعروف بابن ماريَة ، وحالُ الحارثِ يومئذٍ بالشَّام كحالِ المنذر بن ماءِ السماءِ بالعراق ، فسأَله الجوارَ والنُّصرة ، وتوسَّل إليه بالخُئُولة . وذلك أَنَّ مارِيَةَ ذات القُرطين اللذين يَضرِب العربُ بهما المثلَ هى أُخت هندٍ امرأَةِ حُجر والد امرئ القيس . فأَكرمَه ، وسأَله النُّصرة على المنذر فاعتذر إليهِ ، وقال له : إنِّى لست أَقدر على المسير إلى العراق فى هذا الوقت ، ولكنِّى أَسيرُ معك إلى الملك قيصر فهو أَقوى منِّى على ما سأَلت . وكانت للحارث وِفادةٌ على الملك ، فأَوفده معه . وهذا قبل أَن يغزوَ المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ إلى الحارث بن أَبى شَمِر وقبل أَن يقتله .

وقيل إنَّ سبب ما هيَّج ما بين المنذر والحارث هذا الحربَ[2] إنَّما هو إجارة الحارث لامرئِ القيس ، فتوجَّه معه امرؤ القيس إلى بلد الرُّوم . وفى ذلك قال هذه القصيدة ، ذكر فيها استجارته وخُلوصَه إلى التوجُّه إلى بلد الروم :

---

(١) هذه الرواية الغريبة اتفقت فيها النسختان ، ولم أجدها فى روايات المعلقات عند كل من ابن الأنبارى ، وابن النحاس ، والزوزنى ، والتبريزى ، وكذلك جمهرة أشعار العرب والرواية المعروفة : « وأبنا بالملوك مصفدينا » .

(٢) الحرب تذكر وتؤنث . ووردت فى النسختين مذكرة . وفى ش : « هكذا بخط المؤلف ».

سَما لكَ شوقٌ بعدما كان أَقصَرا ... وحلَّتْ سُليمى بطَنْ ظبيٍ فعَرعرا(١)

فدَعْها وسلِّ الهمَّ عنها بَجْسرةٍ ... ذَمولٍ إِذا صامَ النَّهارُ وهجَّرا(٢)

عليها فتىً لم تحمل الأَرضُ مثله ... أَبرَّ بميثاقٍ وأَوفىَ وأَصبرا

إِذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيتُه ... وقَرَّت به العينانِ بُدِّلتُ آخَرا

كذلك جَدِّى لا أُصاحبُ صاحباً ... من النَّاس إلاَّ خانني وتغيَّرا

تذكَّرتُ أَهلَ الصالحينَ وقد أَتت ... على جَمَلٍ بنا الرِّكاب وأَعفَرا(٣)

ولمَّا بدتْ حَوْرانُ والآلُ دونها ... نَظرتَ فلم تَنظُربعينيكَ منظرَا(٤)

تَقطَّعَ أَسبابُ اللُّبانات والهَوَى ... عشيَّةَ جاوزْنا حَماة وشَيزَرا

بكى صاحبي لمَّا رأَى الدَّربَ دُونَه ... وأَيقَنَ أَنَّا لاحقِان بقَيْصرا

فقلت له : لا تبكِ عينُك إِنَّما ... نُحاوِل ملكاً أَو نموتَ فنُعذَرَا

---

(١) فى ديوانه ٥٦ : « بطن قو » . وبين هذا البيت وتاليه فى الديوان ٢٣ بيتاً .

(٢) فى الديوان ٦٣ : « فدع ذا » . وبين هذا البيت وتاليه فى الديوان خمسة أبيات . وهكذا نجد الأبيات هنا مختزلة من قصيدة الديوان ، مع الخلاف فى الرواية والترتيب أيضاً .

(٣) فى الديوان ٦١ : « على خملى خوص الركاب وأوجرا » . وفى الشرح : « خملى وأوجر : موضعان قبل الشام » . ولم يرسم ياقوت لهذين الموضعين ، لكن ذكرهما البكرى فى رسم (أعفر) استطراداً ، كما أفرد رسماً خاصاً للموضع (أوجر) وقال : « موضع بأرض بلقين من الشام قد تقدم ذكره فى رسم أعفر » . وكلاهما لم يرسم لخملى ، وانفرد البكرى فى (أعفر) بذكر (خملى) قال : « وروى الأصمعى :

* على خملى خوص الركاب فأوجرا *

بالخاء المعجمة على وزن فعلى » .

أما رواية « جمل » بالجيم المعجمة فقد ذكرها ياقوت فى رسم (حمل) عرضاً ، إذ قال : « العمرانى : حمل بالشام فى شعر امرئ القيس . ورواه السكرى عن الكلبى بالجيم » . كما ذكر البكرى « حمل » بالحاء المهملة فى رسم (أعفر) عرضاً ولم يفردها برسم ، وسكت عن رواية « جمل » بالجيم .

(٤) أى لم أر شيئاً أسر به ، فكأن كل ما أراه غير مرئى ، لحقارته وقبحه فى عينى .

وبعد هذا سبعةُ أَبيات فى وصف فرسه وفى بعض ما مرَّ لَهُ فى بعض المنازل .

وصاحبُه الذى بكى هو عَمرو بن قميئة الضُّبَعى الشاعر المشهور، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابعَ عشرَ بعد الثلثمائة(١) . كان صحب امرأ القيس لمَّا مر ببكر بن وائل يطلبُ منهم النُّصرة ، فسأَلهم عن شاعرٍ محسن فيهم، فأَتَوْه به وقد أَسنَّ ، فاستنشده فأَعجبه ، ثم شكا إليه حالَه فقال له : اصحبْنى . فصحبَه وكان معه حتَّى سلك الطريق إلى بلد الروم ، فلمَّا توسَّط الدَّربَ بكى عمرو بن قميئة وقال : غرَّرْت بنا .

ــ والدَّرب : كلُّ مدخَل إلى الروم ، أَو النافذ منه ، وباب السكة الواسع ، والباب الأَكبر . كذا فى القاموس ــ

٦١١ ثم إنَّ عمرًا مات فى الطَّريق فكان يسمَّى عَمْرًا الضائعَ . فلمّا وصل امرؤ القيس إلى بلد الروم أَمرَ ملكُ الروم بإدخاله عليه ، وكان لا يدخل على قيصرٍ أَحدٌ إلاَّ سَجد له . فقيل له إنَّ امرأ القيس لا يسجدُ لك . وكان لقيصر بابان أَحدهما صغير والآخر كبير ، فقال أَدخِلوه من الباب الصغير ليضَع رأْسَه لى . فلمَّا رأَى امرؤ القيس صِغَر الباب ولَّى ظهره فدخل مُوَلِّياً حتَّى قام بين يديه . قالوا : فنظر إليه قيصر فأَعجبه ، وكان وسيماً جميلاً ، وأَعلمَه أَنَّه جاءَه يستمدُّه على العرب . فرحَّب به وأَلطَفه وقال له : أَيُّما أَحبُّ إليك : ستُّمائةٍ من أَولاد الملوك أَو ستَّة آلاف من الجند ؟ فاختار ستَّمائة من أَبناءِ الملوك . وخَفَّ على قلب قيصر حتَّى نادمه ، ففى ذلك يقول :

---

(١) الخزانة ٤ : ٤١١ - ٤١٢ .

ونادمتُ قيصرَ فى مُلكه   فأَوجهنى وركِبتُ البريدا[١]
إذا ما ازدحَمْنا على سكَّةٍ   سَبقْتُ الفُرانقَ سبْقاً بعيدا

ـ والفُرانق بضم الفاء وكسر النون : الذى يدلُّ صاحبَ البريد على الطريق . والبَريد : دابَّةُ الرسولِ المستعجِل ـ

ثم إنَّ امرأَ القيس لطُف محلُّه من قيصر ، فأَدخله الحمّامَ معه ، فرأَى غُلْفة قيصر فقال :

لقد حلفتُ يميناً غير كاذبةٍ   إنَّكَ أَغلفُ إلَّا ما جَنَى القمرُ[٢]

ـ وخِتانة القَمَر مثلٌ تضربُه العرب للأَغلف ، لأَنَّ القمر لا يَختِن أَحدًا ـ

وفى مدَّة منادمته لقيصر رأَته ابنةُ قيصر فعشِقَتْه وراسلته ، وصار إليها ، وفيها يقول من قصيدة :

سموتُ إليها بعد ما نامَ أَهلُها   سُموَّ حَبابِ الماءِ حالًا على حالِ[٣]
فقالتْ سَباك اللهُ إنَّك فاضِحِي   أَلستَ تَرى السُّمَّارَ والنَّاسَ أَحوالِي
فقلت لها باللهِ أَبرحُ قاعداً   ولو قطَعُوا رأْسى لديكِ وأَوصالى

وسيأْتى شرح هذا إن شاءَ الله فى حروف القسم وغيرها .

قالوا : ولم يزل يصير إليها ، ثم أَخبرَ بذلك أَصحابَه ، وفيهم الطمَّاح بن قيسٍ الأُسدى ، فقال له : ائتنا بأَمَارةٍ . فأَتاه بقارورة من

(١) ديوان امرئ القيس ٢٥٢ . أوجهه : جعل له وجهاً عند الناس فكان وجيهاً .
(٢) البيت مع قرين له فى الديوان ٢٨٠ .
(٣) الديوان ٣١ ـ ٣٢ .

طِيب الملك ، وذلك كان عند سُكره . وكان أَبو امرئ القيس قد قَتل قيساً أَبا الطمّاح أَيام أَوقع ببنِى أسد ، فتحيَّل الطمَّاح حتَّى أَخذَها فأَنفذها إلى قيصر وأَخبرَه بالحديث ، فعرَفه وعلم صحَّته . فنى ذلك يقول من قصيدة :

لقد طمَح الطمّاحُ من بُعد أَرضِه ليُلبسنى من دائه ما تلبَّسا[1]

وقال أَيضاً من قصيدة :

إذا المرءُ لم يُخْزن عليه لسانَهُ فليس على شىءٍ سِوَاه بخزَّانِ[2]

فلما نَفَذَ امرؤ القيس بالجيش[3] ، أَتى الطمّاحُ ملكَ الروم فقال له : أَيُّها الملك أَهلكتَ جيشاً بعثتَه مع المطرود الذى قُتل أَبوه وأَهلُ بيته ، وما تريد من نصره ، وكلَّما قتَلَ بعضُ العرب بعضاً كان خيراً لك ! قال : فما الرأْى ؟ قال : أَن تتداركَ جيشَك وتردَّه ، وتبعثَ إلى امرئْ القيس بِحُلَّةٍ مسمومة . ففعل وعزَم على امرئْ القيس أَن يلبَسها ، فدخل امرؤ القيس الحمَّام فاطَّلَى ولبسَها وقد رقَّ جلدُه لقروح كانت به ، فتساقط لحمُه . وردَّ قيصرُ جيشَه . وقدِم امرؤ القيس أَنقِرَة[4] ، وهى ٦١٢
التى يقال لها الآن أَنكورية ، فأَقام بها مُدْنَفاً يعالج قروحَه ، ونزل إلى جنب جبلٍ يقال له عَسِيب ، وإلى جنبه قبرٌ لابنة بعضِ الرُّوم ، فسأَل عن القبر فأُخْبِر به فقال :

---

(١) الديوان ١٠٨ .

(٢) الديوان ٩٠ . وكنى باللسان عن السر الذى يحفظه ويذيعه .

(٣) نفد ، بفتح الفاء وآخره دال مهملة ، أى جاز .

(٤) أنقرة ، بكسر القاف ، كما فى اللسان والقاموس ومعجم البلدان . وفى اللسان : « وهو أيضاً : جمع نقير ، مثل رغيف وأرغفة ، وهو حفرة فى الأرض » .

أَجارتَنا إنَّ الخُطوبَ تنوبُ ... وإنِّى مقيمٌ ما أَقَام عسيبُ[1]
أَجارتنا إنَّا غريبانِ ههنا ... وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

فلما أَيقنَ بالموت قال :

كمْ طعنةٍ مُثْعَنْجِرَه ... وخُطبةٍ مُسحَنْفِره[2]
وجَفْنةٍ مُدعثَره ... قد غُودرت بأَنْقِرَه

وكان هذا آخرُ ما تكلَّم به ومات .

هذا ما نقلته من كتاب مساوى الخمر[3] .

والمثعنجرة : السَّائلة . والمسحنفرة : الواسعة ، فى الصحاح يقال اسحنفَر فى خطبته ، إذا مضَى واتَّسعَ فى كلامه . والجَفْنَة بفتح الجيم : القَصْعة . والمُدَعثَرة : المتثلِّمة والمُتكَسِّرة[4] .

وقوله : « بطن ظبي وعرعرا » هما موضعان .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[5] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الستِّمائة ، وهو من شواهد سيبويه[6] :

(١) فى الديوان ٣٥٧ : « إن المزار قريب » . وعسيب : جبل بعالية نجد معروف .
(٢) ديوانه ٢٤٩ .
(٣) وكذا ورد ذكره فى الجزء الأول من الخزانة ١ : ٢١ . وفى ٥ : ٣٣٠ : « مساوى الخمرة » . وذكر أن مؤلفه هو أبو القاسم عبد الرحمن السعدى الأندلسى المتوفى بمصر سنة ٥٥٥ . وقال : « وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدين » .
(٤) ط : « والمنكسرة » بالنون .
(٥) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .
(٦) سيبويه ١ : ٤٢٩ . وانظر المحتسب ١ : ١٩٥ وابن الشجرى ٢ : ٣٠ والمغنى ٦٩٣ ، والهمع ٢ : ٦٠ وديوان الأعشى ٤٨ .

٦٦٨ (إن ترْكبُوا فركوبُ الخيلِ عادَتُنا
أَو تنزلـون فـإِنَّا معشـرٌ نُـزُلُ)

على أنَّ (تنزلون) عند الخليل معطوفٌ على إنْ تركبوا على المعنى ، وهو المسمَّى عطف التوهُّم . وقال يونس : هو على القطع ، أى بل أنتم نازلون، وأوْ بمعنى بل .

وكلٌّ من الخليل ويونس شيخ سيبويه ، وهذا نصُّه فى الكتاب :

وسأَلت الخليل رحمه الله عن قول الأَعشى :

إن تركبوا فركوبُ الخيل عادتُنا . . . . البيت

فقال : الكلام ههنا على قوله يكون كذا أو يكون كذا ، لمّا كان موضعه ما لو قال فيه أتركبون لم ينقص المعنى ، صار بمنزلة ولا سابق شيئاً[1] . وأمَّا يونس فقال : أرفعه على الابتداء ، كأَنَّه قال : أو أنتم نازلون . وقول يونس أسهل . وأمَّا قول الخليل فجعله بمنزلة قول زُهير :

بدا لِيَ أنِّى لستُ مدركَ ما مضَى ولا سابقٍ شيئاً إذا كانَ جائيا

والإشراك على هذا التوهم بعيدٌ كبعد : ولا سابق شَيئاً . انتهى .

قال الأَعلم : الشاهد فى رفع تنزلون حملاً على معنى إن تركبوا ، لأَنَّ معناه ومعنى أتركبون متقارب . وكأَنَّه قال أتركبون فذلك عادتنا ، أَو تنزلون فى مُعظَم الحرب فنحن معرُوفون بذلك . هذا مذهب الخليل وسيبويه . وحمله يونس على القطع ، والتقدير عنده : أَو أَنتم تنزلون . وهذا أَسهلُ فى اللفظ ، والأَوّل أَصحُّ فى المعنى والنظم ، والخليل ممَّن يأْخذ بصحَّة المعانى ولا يبالى باختلال الأَلفاظ . انتهى .

(١) إشارة إلى الشاهد التالى لزهير .

وكذا نقل ابن هشام (فى المغنى) .

فأَنت ترى أَنَّهم حملوه على إضمار المبتدأ بالنقل عن يونس ، ولم يقل أحدٌ منهم إنَّ أَوْ بمعنى الإضراب كما قال الشارح المحقق . ولا ضرورة تُلجئه إليه .

واقتصر ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) على مذهب الخليل ، وخصَّه بالضرورة ، قال : أَلا ترى أَنَّ تنزلون حكمه أَن يحذف منه النون للجزم ، لأَنَّه معطوف على الفعل المجزوم بأَداة الشرط وهو تركبوا ٦١٣ لكنَّه اضطُرّ إلى رفعه بالنون فاستعمل الرفعَ بدلَ الجزم ، حملاً على أتركبون المضمَّن معنى إن تركبوا ، لأَنَّ الفعل المستفهم عنه جائز فيه أَن يضمَّن معنى الشرط إلاَّ أَنَّ ما حَمَل عليه رفع تنزلون لا يُحوِج إلى اللفظ . انتهى .

والبيت من قصيدةِ الأَعشى ميمون ، التى أَوَّلها :

ودِّعْ هُريرة إنَّ الركبَ مُرتحِلُ وهل تطيق ودَاعاً أَيُّها الرجلُ

وتقدَّم شرح أَبيات منها . وهذه القصيدة ملحقة بالمعلَّقات السبع .

ورُوى البيت كذا أَيضاً :

قالوا الطِّرادُ فقلنا تلك عادتُنا أَو تنزلون فإنا معشرٌ نُزلُ

وعليه لا شاهد فيه .

ولم يذكر الخطيب التبريزى فى شرح القصيدة غيرَ هذه الرواية ، وقال فى شرحه : يقول : إن طاردتم بالرّماح فتلك عادتنا ، وإن نزلتم تُجالدون بالسُّيوف نزلنا . انتهى.

ونُزُل بضمتين : جمع نازل . ونزولهم عن الخيل يكون عند ضِيق المعركة ، ينزلون فيقاتلون على أقدامهم ، وفى ذلك الوقت يتداعَوْن : نزال .

وقد تقدَّم الكلام على شرح النزول مفصلا فى الشاهد الواحد والأربعين بعد الأربعمائة[١] .

والأعشى شاعر جاهلى تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(ولا ناعبٍ إلَّا ببينٍ غُرابُها)

وهذا عجزٌ وصدره :

(مشائيمُ ليسوا مُصلِحينَ عشيرةً)

على أنَّ ناعب عطف بالجرّ على مصلحين الواقع خبرًا لليس على توهُّم الباء فيه ، فإنَّها يجوز زيادتها فى خبر ليس .

ومشائيم : جمع مشئوم كمنصور ، وهو من به الشُّؤم ، نسَبهم إلى الشُّؤم وقلَّة الصَّلاح والخير . يقول : لا يُصلحون أمر العشيرة إذا فسَدَ ما بينهم ولا يأْتمرون بخير ، فغُرابُهم لا ينعِبُ إلا بالتشتيت والفراق . وهذا مثلٌ للتطيُّر منهم والتشؤُّم بهم . والعرب تتشاءَم بصوت الغراب .

---

(١) كذا فى النسختين . والصواب أنه الحادى والأربعون بعد الثلثمائة . الخزانة ٥ : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

وقد تقدَّم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائتين [١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الستمائة ، وهو من من شواهد سيبويه [٢] :

٦٦٩ (عَلَى الحَكَمِ المأْتِيِّ يوماً إذا قضى قضيَّتَه أن لا يجورَ ويَقْصِدُ)

على أَنَّ القطع قد يجىءُ بعد الواو غير الجمعية . وقد شرحه الشارح المحقق .

قال سيبويه : وممَّا جاء منقطعاً قولُ الشاعر :

على الحكم المأْتِيِّ .... البيت

كأَنَّه قال : عليه غير الجور ، ولكنَّه يقصد أو هو يقصد أو هو قاصد ، فابتدأ ولم يحمل الكلام على أنْ ، كما تقول : عليه أَنْ لا يجور وينبغى له كذا وكذا . فالابتداء فى هذا أَسبق وأَعرف . فمن ثَمَّ لايكادون يحملونها [٣] على أن . انتهى .

وقال النحاس (فى شرح شواهدِه) : سأَلت عنه أَبا الحسن فقال : ويقصد مقطوع من الأَوّل ، وهو فى معنى الأَمر وإن كان مضارعاً ، كما تقول : يقوم زيد ، فهو خَبَرٌ وفيه معنى الأَمر . انتهى

ومثله للأَعلم قال : قطعَه لأَنَّ المعنى وينبغى له أَن يقصد . ولم يحملْه على أَوّل الكلام لأَنَّ فيه معنى الأَمر ، فكأَنه قال : وليقصد فى حكمه .

---

(١) الخزانة ٤ : ١٥٨ - ١٦٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٣١ . وانظر المحتسب ١ : ١٤٩/٢ : ٢١ ، وابن يعيش ٧ : ٣٨ ، ٣٩ والمغنى ٣٥٩ واللسان (قصد) .

(٣) ط : « يحملون » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

ونظيره ممَّا جاءَ على لفظ الخبر ومعناه أَمرٌ قولُه تعالى : ﴿ والوالداتُ
يُرضِعْنَ أَولادَهُنَّ[١] ﴾ أى ليرضعن أولادهنَّ ، وينبغى لهن أن يرضعنَهم . ٦١٤
انتهى .

ونقله الجوهرى فى الصحاح وقال : قال الأَخفش : أراد : وينبغى أن يقصد ، فلما حذفه وأَوقع يقصد موضع ينبغى رفعَه ، لوقوعه موقع المرفوع .

وإليه ذهب ابن جنى (فى المحتسب) . وهذا توجيهٌ لانقطاعه واستئنافه ، وليس المراد أَنَّ « يقصد » كان منصوباً بـأَنْ فارتفع لمَّا حُذفت ، كما ذهب إليه الدمامينىّ (فى الحاشية الهندية) وقال : ويحتمل أن يكون يقصد منصوباً فى الأَصل بإِضمار أَنْ ، والمعنى : عليه أَن لا يجورَ وعليه أَن يقصد ، ثم حذفت أَنْ وارتفع الفعل كما فى : « تسمعُ بالمُعَيْدىِّ خيرٌ من أَن تراهُ » . انتهى .

وهذا المعنى وإنْ كان جيّدًا إِلَّا أَنَّه لا يحسنُ التخريج على حذف أَنْ ، فإِنَّه غير مَقيس . فالصحيح الاستئناف .

قال ابن الحاجب (فى الإِيضاح) : العطف على يجور غير مستقيم لأَنَّ غرضه[٢] أَن ينفى الجور ويُثبت القصدَ ليحصل المدح ، وإِذا أَشركَ بينه وبين الجور دخَل فى النفى ، فيصير نافياً للجور ونافياً للقصد ، فلا يحصل مدح ، بَلْ يتناقض . فوجب أن يُحمل على أَنَّه مستأْنف ليكون مثبتاً فيكون الجورُ منفيًّا والقصد مثبتاً ، فيحصل المقصود ، ويرتفع التناقض . انتهى .

(١) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .
(٢) ش : « لأنه غرضه » .

وقوله (على الحَكم) ظرف وقع فى موقع الخبر المقدَّم . وروى :

* على الحكم المأْتِىِّ حقٌّ إذا قضى[(١)] *

فيكون حقٌّ هو الخبر ، وعلى متعلقة به .

وقوله : (أن لا يجور) فى تأْويل مبتدأ مؤخَّر ، والمعنى واجبٌ على كلِّ حكَم بين الناس يؤتى لفصل الخصومات أن لا يجور فى حُكمه إذا قضَى قضيَّته وحَكَم حُكْمَه ، وهو يقصد ويعدل فى قضاياه . وهذا منه إرشادٌ للحاكم إلى العدل فى الحُكم ، وحثٌّ على النَّصَفة . والحَكَم بفتحتين : وصفٌ من حكمت بين القوم : فصَلْت بينهم ، فأَنا حاكم وحَكَم بفتحتين . والحُكْم بالضم : القضاءُ ، وأصله المنع ، يقال حكمت عليه إذا منعتَه من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك .

و (المأْتِىّ) : اسم مفعول من أتيته ، يكون متعدِّياً بنفسه ويجىءُ لازماً يتعدَّى بإلى . وعلى[(٢)] الأَول يكون اسم المفعول منه بدون إلى بلا حاجة إلى قول ابن الملا (فى شرح المغنى) : المأْتىّ معناه المأْتىّ إليه ، فهو على الحذف والإيصال ، كقولهم المشترَك . وقَضَى : حكم . وقضيّة فعيلة بمعنى مفعولة . وجار فى حكمه ، أى ظلم . والقصد : العدل ، يقال قصد فى الأَمر من باب ضرب ، إذا توسَّط وطلب الأَسَدَّ ، ولم يجاوز الحدَّ .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ عدَّتها تسعة عشر بيتاً لأَبى اللحَّام التغلبى[(٣)]

---

(١) هذه رواية غير التى صدر بها الشاهد ، فإنها فى الشاهد : « يوماً إذا قضى » وكذا فى جميع المراجع المذكورة فى تخريجه . ويبدو أنها رواية أبى تمام فى مختار أشعار القبائل كما سيأتى .

(٢) ط : « وقال » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « اللجام » بالجيم ، صوابه فى ش .

أَوردها أَبو عمرو الشيبانى (فى أَشعار تغلب له) ، وانتخبها أَبو تمام فأَورد منها خمسة أَبيات (فى مختار أَشعار القبائل) وهذا أَوَّلُها :

(عَمِرتُ وأَطْوَلتُ التفكُّر خالياً ... وساءلت حتَّى كاد عُمرىَ يَنفَدُ

فأَضحت أُمورُ الناس يَغْشَين عالِماً ... بما يُتَّـقَى منهـا وما يُتَعَمَّدُ

جديرٌ بأَن لا أَستكينَ ولا أُرَى ... إذا الأَمر وَلَّى مُدْبراً أَتبلَّدُ

عَلَى الحكمِ المأْتى حقٌّ إذا قَضَى ... .) البيت

عمِرت ، أَى عشت عمراً طويلا ، من باب فرح ، والمصدر العَمْر بفتح العين وضمها مع سكون الميم فيهما . وساءلت : فاعلت من السؤال أَى أَكثرت السؤال . وينفَد : يفنى .

ويَغْشَين : يأْتين . والغِشيان : الإتيان . وأَراد بالعلم نفسَه . والفعلانِ بعده يجوز أَن يكونا بالبناء للمعلوم وبالبناء للمجهول . ٦١٥
ويُتعَمَّد بمعنى يُقصَد .

وجديرٌ خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى أَنا جدير بأَن لا أَستكينَ ، أَى لا أَخضع ولا أَذلَّ . وأُرَى بالبناء للمفعول . ورُوى المصراع الثانى هكذا :

* إذا حلَّ أَمرٌ ساءَنى أَتبلَّدُ *

أَى أَتحيَّر[1] كالبليد .

ومن هذه القصيدة :

(وليس الفتَى كما يقولُ لسانُه ... إذا لم يكن فعلٌ مع القول يُوجَدُ

---

(١) فى النسختين : « أتخير » ، صوابه ما أثبت .

عسى سائلٌ ذو حاجة إنْ منعتَه　　من اليوم سُؤْلا أن يكون له غد
وإنَّك لا تدرى بإعطاءِ سائلٍ　　أأنت بما تُعطيه أم هو أسعدُ)

أبو اللحام التغلبي

وأبو اللحَّام شاعرٌ جاهلى ، اسمهُ حُرَيْثٌ مصغر حارث[1] . واللحَّام بفتح اللام وتشديد الحاءِ المهملة .

وهذا شيءٌ من أخباره ، أورده أبو عمرو الشيبانى قال :

كان أبو اللحَّام خرج فى ناس من بنى تغلِب ، فأغار على قُرًى من قرى السَّوادِ وأقام يَجْبيهم[2] ويأْخذ منهم ، فبعث إليهم كِسرى النَّخِيرجان[3] فى خيلٍ من الأساورة ، فهزم ذلك الجيش وأخذ أبا اللَّحَّام فحمله على بعير ، وعَدَله بفِراشٍ وهو مغلولٌ ، فقال : انظروا إلى هذا الخبيث الذى جاءَ يُغير على الملك وهو عِدلُ فراشٍ فى الخفَّة ! ثم إنَّه نزل فى ناحية الفرات على شاطئه الغربى فبعث خيلَه إلى العرب فلم يُصِبْ أحداً إلَّا قتله . وجَعَل مع أبى اللحَّام رجلاً من أهل الحيرة عربيًّا كان من أعوانه يقال له بَرِيم ، فى سلسلةٍ ، شِمالُ أبى اللحَّام بيمينه ، وهو يريد أن يَقدَم الحِيرة ليصلِبَه بها فيراه مَن يقدَم الحِيرةَ من العرب . فلقِىَ رجُلا نبطيًّا كان يعرفه فى بعض السَّواد إلى جنب أَجَمة ، فأخذ

(١) ط : « حرث » ، وكلاهما صحيح . فإن تصغير حارث على حريث ، هو تصغير ترخيم كما يقال فى حامد وحمدان وحماد ومحمود : حميد . انظر الأشمونى ٤ : ١٦٩ . وحمله على المألوف فى التسمية وهو « حارث » أولى من حمله على غير المألوف ، فإنهم لم يسموا حرثاً .

(٢) ط : « يحبهم » ، صوابه فى ش . وجباية الخراج : جمعه وتحصيله .

(٣) النخيرجان كان عاملا على الحيرة هو وإياس بن قبيصة الطائى ، أمضيا فى العمالة تسع سنين فى زمن كسرى بن هرمز . ولسنة وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بعث النبى صلى الله عليه وسلم . الطبرى ٢ : ٢١٣ . وقد استمر النخيرجان عاملا من قبل الفرس إلى سنة ١٥ من الهجرة حيث هزم بعد يوم القادسية . الطبرى ٣ : ٦١٩ . ثم كان على بيت مال كسرى . ونجد بعد وقعة نهاوند خبراً عنه فى كنوز آل كسرى التى كان قيما عليها . الطبرى ٤ : ١١٦ .

منه دراهم ، فجعل إذا مشى ينطلق ببريم فيَسقيه ويُدهنه[1] ويُطعمه من تلك الدراهم . فلما كان ذاتَ ليلة أظلمت السماءُ بغيمٍ ومطر ، وجعَل يُلحُّ عليه بالشَّراب ، ثم جعلا يمشيان فى الأَجمَة فتناول سيفَ بريمٍ فاستلَّه ثم ضرب السلسلة فقطعها ، ثم خرج إلى البرِّيَّةِ فأَتى رجلاً من الأَعراب من بكر بن وائل فأَخبره الخبر ، وأَخذ منه نجيبةً فلحق بالشَّام .

* * *

وأَنشد بعده :

(فنرجِّى ونكثرُ التَّأْميلا)

على أن نرجِّى مقطوع بعد الفاء . وهذا عجزٌ ،وصدره :

(غير أَنَّا لم يأْتِنَا بيقينٍ)

وتقدم شرحه قريباً[2] . والفاءُ استئنافية لا سببية ، بدليل القطع . وجوَّز هناك أَن تكون سببية . وإنَّما لم ينصب نُرجِّى لعدم اللَّبس .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

٦٧٠ (وما هُوَ إلاَّ أَن أَراها فُجاءَةً فأَبهَتَ حتَّى ما أَكادُ أُجيبُ)

على أنَّه يروى بنصب (أَبهَت) ورفعه على القطع ، أى فأَنا أُبهت.

(١) يريد : يطعمه الدهن ، نظير قولهم : ألحمه : أطعمه اللحم ، وأشحمه : أطعمه الشحم . لكنى لم أجد يدهن بهذا المعنى فى المعاجم المتداولة .

(٢) هو الشاهد ٦٦٥ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٠ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٣٨ وديوان عروة بن حزام مخطوطة الشنقيطى الورقة ٥ .

قال سيبويه : وسأَلت الخليل رحمه الله عن قول الشاعر :

* وما هو إِلّا أن أَراها فجاءَةً * . . . . البيت

فقال : أَنت فى أَبهت بالخيار ، إِن شئت حملتهَا على أَنْ ، وإِن شئت لم تحملْها عليه فرفعتَ ، كأَنك قلت : ما هو إِلّا الرأْى[1] فأَبهت. انتهى .

وقوله (هو) ضمير يفسِّره خبره ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ هِىَ إِلاَّ حياتُنا الدُّنيا[2] ﴾ . قال الزمخشرى : هذا ضميرٌ لا يُعلم ما يُعنى به إلاّ بما يتلوه . وأَصله : إن الحياةُ إِلّا حياتنا الدنيا ، ثم وضع هىَ موضع الحياة ، لأَنَّ الخبرَ يدلُّ عليها ويبيِّنها . انتهى . ٦١٦

وليس هو فى البيت ضميرَ الشأْن والحديثِ كما زعمه شارح أَبيات المفصل ، لأَنَّ ضمير الشأْن لا بدَّ أَن يفسَّر بجملة ، ولا جملة هنا ، وأَمّا أَن أَراها فنى تـأْويل المفرد كما صرَّح به سيبويه ، لأَنَّ أَنْ هى الناصبة للمضارع، وليست مخفَّفة من الثقيلة لأَنَّها تقع بعد فعل اليقين أَو ما نزِّل منزلته ، وحينئذ يكون اسمها ضميرًا وخبرها جملة مفصولة عنها بقد ، أَوْلوْ ، أَو السِّين[3] ، أَو النفى ، على ما فُصِّل فى محله . وقد غَلط [فى[4]] ذلك الشارحُ فزعم أَنَّها المخفَّفة ، قال : والتقدير إِلّا أَنّه أَراها أَى إِنَّ الشأْن . وهذه غفلةٌ منه ، فإِنَّها لو كانت المخفَّفة ما كان وجهٌ لنصب أَبهت بالعطف على مدخولها .

---

(١) الرأى هنا بمعنى الرؤية ، يقال رأى رأيا ورؤية وراءة مثل راعة أيضاً . وفى الكتاب العزيز : « يرونهم مثليهم رأى العين » .

(٢) الآية ٢٩ من الأنعام و٣٨ من المؤمنون .

(٣) ط : « بقد والواو والسين » ، صوابه فى ش .

(٤) تكملة يفتقر إليها القول .

و (أَراها) بفتح الهمزة من رُؤية العين تتعدَّى إلى مفعول واحد ، وهو ضمير الحبيبة . ورأيته فى بعض النسخ بضم الهمزة على أَنَّه من أَرى المتعدِّى بالهمزة إلى مفعول ثان ، فيكون المفعول الأَوّل نائب الفاعل وهو ضمير المتكلم ، والثانى ضمير الحبيبة .

و (الفجاءَة) بالضم والمدِّ : البغتة ، يقال فَجِئت الرجلَ أَفجؤه ، مهموز ، من باب تعب ، وفى لغة بفتحتين ، إذا جئتَه بغتة . والاسم الفَجأَة . وفجاءَةً : مفعول مطلق ، أَى رؤيةً فجأَة . وقال ذلك الشارحُ : هو مصدرٌ فى موضع الحال من الفاعل أَو المفعول ، أَى مفاجئاً أَو مفاجأَة.

وقوله : (فأَبهت) إن[1] روى بالنصب فالفاءُ عاطفة ، عطفت أَبهت على أَراها ، وهو عطف مفرد على مفرد ، وهو فى تأْويل مصدر ، أَى إلاَّ الرأى فالبَهْت . وإن روى بالرفع فالفاءُ استئنافية ، وجملة البهت خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى فأَنا أَبهت بفتح الهمزة وضم الهاء وفتحها ، لأَنَّه جاءَ من بابى قرُب وتعب ، بمعنى أَدهشُ وأَتحيَّر . وأَما أُبهت بالبناءِ للمفعول فغير مرادٍ هنا . يقال بهته يَبْهَته بفتحتين ، فبُهِتَ بالبناءِ للمفعول ، فهَذا متعدٍّ وذاك لازم .

و (حتى) هنا ابتدائية ، ومعناها الغاية ، و (ما) نافية . و (أَكاد) بمعنى أَقرُب . وجملة (أُجيب) فى محل نصب خبرها ، ومفعول أُجيب محذوف أَى أُجيبها إنْ كلَّمتنى . ومثله قولُ الآخر :

عَلامةُ مَن كان الهوى فى فؤاده   إذا لقِىَ المحبوبَ أَن يتحيَّرا

(١) ط : « أى » ، صوابه فى ش .

والبيت من قصيدة لعروةَ بنِ حِزامٍ العُذرىّ . تقدَّمت مع ترجمته صاحب الشا
فى الشاهد السادس والتسعين بعد المائة[(١)] . وقبله وهو مطلع القصيدة :

(وإنِّى لتعرُونى لذكراكِ رَوْعةٌ   لها بينَ جِلدِى والعِظَامِ دَبِيبُ)

وقد وقع البيت الشاهد مع بيتين آخرين من القصيدة فى قصيدةٍ لكثيِّر عزة ، أَورد ستة أَبيات منها (فى حماسته) الشريفُ ضياءُ الدين هِبةُ الله على بن محمد بن حمزة الحسينى ، وهى[(٢)] :

(أَبَى القلبُ إِلّا أُمَّ عمرو وبَغَّضت   إِلَىَّ نساءً مالهنَّ ذُنُوبُ
وليس على شَحْط النوى أُكثر البكا   لقد كنت أَبكى والمزارُ قريبُ
لعَمْرُ أَبيها إِنَّ دهراً يردُّها   إِلَىَّ عَلى شَحْط النوى لَطَلُوبُ
وما هو إِلّا أَن أَراها . . . . البيت)

وقد وقع البيت الشاهد بقافيةٍ رائيةٍ فى قصيدةٍ لأَبى صخرٍ الهُذَلِّى منها :

وإنّى لآتيها أُرِيدُ عتابَها   وأُوعِدُها بالهَجْرِ ما برقَ الفجرُ[(٣)] ٦١٧
فما هو إِلّا أَن أَراها فجاءَة   فأَبهَتَ لا عرفٌ لدىّ ولانُكْرُ[(٤)]

---

(١) الخزانة ٣ : ٢١٢ - ٢١٣ .
(٢) حماسة ابن الشجرى ١٥٣ .
(٣) لم ترد الأبيات ولا قصيدتها فى ديوان الهذليين ، ووردت فى شرح السكرى ٩٥٦ – ٩٥٩ وأمالى القالى ١ : ١٤٨ – ١٥٠ . وأبيات من القصيدة فى الأغانى ٥ : ١٥ – ١٦ والحماسة ١٢٣٠ – ١٢٣٢ بشرح المرزوقى
(٣) بدله فى شرح السكرى ٩٥٨ :
وإنى لآتيها لكيما تثيبنى   أو اوذنها بالصرم ما وضح الفجر
وفى الأمالى :
لقد كنت آتيها وفى النفس هجرها   بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجر
(٤) فى شرح السكرى : « أن أراها بخلوة » .

وأَنسى الذى فيه أَكونُ هجرتُها كما قدتنسِّى لبَّ شاربِها الخمرُ[(١)]

وعلى هذا فضمير هو عائد على العِتاب .

وأَبو صخرٍ الهذلى تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الخامس بعد المائتين[(٢)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[(٣)] :

٦٧١ (لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتـأْتىَ مِثلَه عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ)

على أَنَّ (تـأْتِىَ) منصوب بـأَنْ مضمرة بعد واو الجمعيّة[(٤)] الواقعة بعد النهى .

قال سيبويه : واعلم أَنَّ الواو وإن جرت هذا المجرى فإنَّ معناها ومعنى الفاءِ مختلفان . أَلا ترى الأَخطل قال :

لا تنهَ عن خُلقٍ وتـأْتى مثله . . . . . .البيت

فلو دخلت الفاءُ ههنا لأَفسدت المعنى . وإنّما أَراد: لا تجمعنَّ النهى والإتيان ، فصار تـأْتى على إضمار أَن . انتهى .

---

(١) السكرى :
وأنسى الذى قد جئت كيما أقولـــه كما تتناسى لب شاربهـــا الخمـــر

(٢) الخزانة ٣ : ٢٦١ - ٢٦٣ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٢٤ . وانظر المقتضب ٢ : ١٦ والجمل ١٩٨ وحماسة البحترى ١٧٤ والمؤتلف ١٧٩ ومعجم الشعراء للمرزبانى ٤١٠ وابن يعيش ٧ : ٢٤ والمغنى ٣٦١ والشذور ٢٣٨ ، ٣١٢ وأدب الدنيا والدين ٢٨ والعينى ٤ : ٣٩٣ والتصريح ٢ : ٢٣٨ والأشمونى ٢ : ٢٠٧ وملحقات ديوان أبى الأسود ١٣٠ .

(٤) هذا تعبير الرضى فى شرح الكافية ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣١ . والمألوف فى اصطلاح النحاة ، هو واو المعية ، وتعبيره أدق ، وذلك للفصل بين واو المعية الخاصة بالمفعول معه ، والواو التى تضمر بعدها أن .

ويجوز رفعه على أَنَّه خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى وأَنت تأْتى . ولا يجوز جزمُه ، لفساد المعنى . وعار خبر مبتدإٍ محذوف، أَى هو عارٌ. وعظيم صفته . وهذه الجملة دليلُ جوابِ إذا . ومعنى البيتِ من قوله تعالى : ﴿ أَتأْمُرونَ النَّاس بالبِرِّ وتنسَوْنَ أَنفُسَكُم[1] ﴾. وقال الحاتمى : هذا أَشْرَدُ بيتٍ قيلَ فى تجنُّب إتيان ما نُهِىَ عنه[2] . والبيت وُجِد فى عدة قصائد . ومنه اختُلف فى قائله ، فنسبه الإمام أَبو عبد الله القاسم بن سَلَّام (فى أَمثاله) إلى المتوكِّل الكِنانى . وأَورده فى باب تعيير الإنسان صاحبَه بعيب هو فيه .

والمتوكِّل من شعراءِ الإِسلام ، وهو من أَهل الكوفة ، وكان فى عصر معاوية ويزيد ، ومدحَهما .

المتوكل الليثى

ونسبه إليه أَيضاً الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) ، وقال فيمن يقال له المتوكِّل : منهم المتوكِّل الليثى ، وهو المتوكِّل بن عبد الله بنَ نَهشَل ابن وهب بن عمرو بن لَقيط بن يَعْمَرَ الشدَّاخ بن عوف بن كعب ابن عامر بن ليث بن بَكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، الشاعر المشهور ، القائل :

* لا تنهَ عن خُلق * . . . . . البيت

ونسبه إليه أَيضاً أَبو الفرج الأَصبهانى (فى الأَغانى)[3] وذكر بإسنادٍ

---

(١) الآية ٤٤ من سورة البقرة .

(٢) الشرود هنا بمعنى الشهرة والذيوع ، من قولهم : قافية شرود ، أى عائرة سائرة فى البلاد ، تشرد كما يشرد البعير . قال الشاعر :

شرود إذا الراءون حلوا عقالها ... محجلة فيها كلام محجل

(٣) الأغانى ١١ : ٣٧ .

أَنَّ الأَخطل قدم الكوفة فنزل على قَبيصة بن ذالق[١] ، فقال المتوكِّل الليثى لرجلٍ من قومه : انطلقْ بنا إلى الأَخطل نستنشده ونسمعُ مِن شعره . فأَتياه فقالا له : أَنشدنا يا أَبا مالك . فقال : إنَّنى لخاثرٌ يومى هذا . فقال له المتوكل : أَنشدنا أَيُّها الرجل ، فوالله لا تُنشدنى قصيدةً إلَّا أَنشدتُك مثلَها أَو أَشعرَ منها[٢] . قال : ومن أَنت ؟ قال : أَنا المتوكِّل . قال : ويحك ، أَنشِدْنى من شعرك . فأَنشده :

للغانيات بـذى المَجَاز رُسوم   فببطن مَكَّة عهدُهنَّ قَـديمُ
فبِمَنْحَر البُدْن المقلَّدِ من منًى   حِلَل تلوحُ كأَنَّهنَّ نجومُ[٣]
لا تنَه عن خُلــق وتأْتِىَ مِثله   . . . . البيت
والهمُّ إن لم تُمْضِهِ لسبيلـه   داءٌ تضمَّنه الضُّلوعُ قديمُ[٤]

٦١/ا وكذلك نسبه إليه الزمخشرى (فى المستقصى) قال : هو من قول المتوكِّل الكنانى :

ابدأْ بنفسِك فَانْهَهَا عن غيِّها   فإذا انتهَتْ عنه فأَنتَ حكيمُ
فهناك تَعْدِل إنْ وَعَظتَ ويُقتَدى   بالقـولِ منك ويُقبل التعليمُ
لا تنه عَن خلق[٥] . . . . البيت

ونسبه سيبويه للأَخطل . ونسبه الحاتمى لسابق البربرى . ونقل السُّيوطى (عن تاريخ ابن عساكر) أَنَّه للطرماح .

---

(١) فى الأغانى : «بن والق» بالواو .
(٢) فى الأغانى : «أو أشعر منها ، من شعرى» .
(٣) الحلل هنا : جمع حلة بالكسر ، جمع قياسى وإن لم تنص المعاجم على هذا الجمع ، وذكرت أن الحلة تجمع على حلال وأحلة . والحلة : جماعة بيوت الناس ، لأنها تحل . وقال كراع : هى مائة بيت .
(٤) فى الأغانى : «مقيم» .
(٥) أورده فى باب «لا» من المستقصى ٢ : ٢٦٠ .

والمشهور أَنَّه من قصيدة لأَبى الأَسود الدؤلى . قال اللخمى (فى شرح أَبيات الجمل) : الصَّحيح أَنَّه لأَبى الأَسود . فإن صحَّ ما ذكر عن المتوكِّل فإنَّما أَخذ البيت من شعر أَبى الأَسود . والشعراءُ كثيراً ما تفعل ذلك . وهذه هى قصيدة أَبى الأَسود ، سُقناها برُمَّتها لجودتها :

(حسَدُوا الفتى إذْ لم ينالوا سَعْيَه … فالقومُ أَعداءٌ له وخصوم
كضرائر الحسناءِ قُلْنَ لوجهها … حسدًا وبَغْياً إنَّه لدميم[1]
والوجهُ يشرق فى الظَّلامِ كأَنَّه … بدرٌ منيرٌ والنساءُ نجومُ[2]
وترى اللبيبَ محسَّداً لم يَجْترِمْ … شتْمَ الرجالِ وعرضُه مشتومُ
وكذاك مَن عظُمت عليه نعمةٌ … حُسَّادُه سيفٌ عليه صَرومُ
فاتركْ مُحاورةَ السَّفيه فإنَّها … ندمٌ وغبٌّ بعد ذاك وخيمُ
وإذا جريت مع السفيه كماجَرى … فكلاكما فى جريه مذمومُ
وإذا عتبتَ على السَّفيه ولمتَه … فى مثلِ ما تأْتى فأَنتَ ظلُومُ[3]
لا تنهَ عن خُلق وتأْتىَ مثله … عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ
ابدأْ بنفسِك وانهها عن غَيِّها … فإذا انتهتْ عنه فأَنت حكيمُ[4]
فهناك يُقبل ما وَعظتَ ويُقتدى … بالعلم منك وينفع التعليمُ
ويلَ الخلىِّ من الشجىِّ فإنَّه … نَصِبُ الفؤاد بشجْوه مَغمومُ[5]

---

(١) ط : « قلنا لوجهها » ، صوابه فى ش والديوان . وفى الديوان : « حسداً وبغضاً » .
(٢) فى الديوان : « والعيون نجوم » .
(٣) فى سمط اللآلى ٦٠٦ :
وإذا عتبت على اللئيم ولمته … فى بعض ما يأتى فأنت ملوم
(٤) فى حماسة البحترى ١٧٤ : « فأنت عليم » .
(٥) فى ش مع تصحيح الشنقيطى بقلمه : « ويل الشجى من الخلى » ، وهو الوجه . وهو نص المثل المشهور ، وقائله أكثم بن صيفى . الفاخر ٢٤٨ وجمهرة العسكرى ٢ : ٣٣٨ والميدانى ٢ : ٢٩١ - ٢٩٢ . وقالوا أيضاً : « ما يلقى الشجى من الخلى » . الميدانى ٢ : ٢٠٣ .

وترى الخليَّ قريرَ عينٍ لاهياً   وعلى الشجىِّ كآبةٌ وهُمومُ
ويقول : مالَكَ لا تقولُ مقالتى   ولسانُ ذا طلقٌ وذا مكظومُ
لا تَكلِمَنْ عِرضَ ابنِ عمِّك ظالماً   فإذا فعلتَ فعرضُك المكلومُ
وحريمُه أيضاً حريمُك فاحمِه   كى لا يُباعَ لديكَ منه حريمُ
وإذا اقتصصتَ من ابنِ عمِّك كَلمةً
فكلومه لك إن عَقلت كلومُ(١)
وإذا طلبت إلى كريم حاجةً   فلقاؤه يكفيكَ والتسليمُ
فإذا رآك مسلِّما ذكر الذى   كلَّمته فكأنَّه ملزومُ
ورأى عواقب حمدٍ ذاك وذمِّه   للمرء تبقَى والعظامُ رميمُ
فارجُ الكريمَ وإن رأيتَ جفاءه   فالعتبُ منه والكرام كريمُ(٢)
إن كنت مضطرًّا وإلاَّ فاتَّخذْ   نفقاً كأنَّك خائفٌ مهزومُ
واتركْه واحذر أن تمرَّ ببابه   دهراً وعرضُك إن فعلتَ سليمُ
٦١٩ فالناسُ قد صاروا بهائمَ كلُّهم   ومن البهائم قائلٌ وزعيمُ(٣)
عُمىٌ وبُكم ليس يُرجَى نفعُهم   وزعيمُهم فى النائبات مُليمُ(٤)
وإذا طلبتَ إلى لئيمٍ حاجة   فألِحَّ فى رفقٍ وأنتَ مُديمُ
والزمْ قُبالة بيتهِ وفِناءه   بأشدِّ مالزم الغريمَ غريمُ(٥)
وعجبتُ للدُّنيا ورغبة أهلها   والرزقُ فيما بينهم مقسومُ
والأحمقُ المرزوق أعجبُ مَنْ أرى   مِن أهلها والعاقلُ المحرومُ

(١) الكلمة ، بالفتح : المرة من الكلم بالفتح أيضاً ، وهو الجرح ، كلمه يكلمه ، من بابي ضرب وقتل .
(٢) كذا فى النسختين . وفى الديوان : « والكريم كريم » .
(٣) ش : « قابل وزعيم » . والقابل : الكفيل ، وفى الديوان : « قائد وزعيم » .
(٤) ألام : فعل ما يلام عليه . وفى الديوان : « كليم » .
(٥) فى الديوان : « واسكن قبالة بيته وفنائه » ، والوجه ما هنا .

ثم انقضَى عجبي لعلمى أَنَّه رزقٌ مـوافٍ وقتُـه معلومُ)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد السِّتمائة ، وهو من شواهد س[١] :

٦٧٢ (وما أَنَا للشَّىْءِ الذى ليس نافِعِى ويَغْضَب منه صاحبي بِقؤولِ)

على أن سيبويه جوَّز فى (يغضب) النصب والرفع .

وهذا نصُّ سيبويه : وسمعنا من يُنشد هذا البيت من العرب ، وهو لكعبٍ الغَنَوى ، بالنصب . والرفعُ أَيضاً جائزٌ حسن . ويغضب معطوف على الشيء ، ويجوز رفعه على أن يكون داخلاً فى صلة الذى . انتهى .

قال النحاس : قال محمد بن يزيد : الرفع الوجه ، لأَنَّ يغضبَ فى صلة الذى؛ لأَنَّ معناه الذى يغضبُ منه صاحبي . قال : وكان سيبويه يقدِّم النصب ويثنِّى بالرفع ، وليس القول عندى كما قال ، لأَنَّ المعنى الذى يصحُّ عليه الكلام إِنَّما يكون بأَن يقع يغضب[٢] فى الصِّلة كما ذكرتُ لك . وَمن أَجاز النصب فإِنَّما يجعل يغضب معطوفاً على الشيء ، وذلك جائزٌ ولكنه بعيد . وإِنَّما جاز لأَنَّ الشيء منعوتٌ ، فكأَنَّ تقديره : وما أَنا للشيء الذى هذه حالُه ولأَن يغضب صاحبي . وهو كلامٌ محمول على معناه ، لأَنَّه ليس يقول الغضب . ومثل هذا تجوُّز . تقول : إِنَّما جاء بك طعامُ زيد . والمعنى إِنَّما جئتَ من أَجله . قال أَبو إِسحاق : النصب بمعنى وغَضَب ، أَى دون غضب صاحبي . والرفع على أَن يكون

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٢٦ . وانظر المقتضب ٢ : ١٩ والمنصف ٣ : ٥٢ والقالى ٢ : ٢٠٤ وحماسة ابن الشجرى ١٣٧ وابن يعيش ٧ : ٣٦ والأصمعيات ٧٦ .

(٢) ش : « بأن يغضب » .

داخلاً فى صلة الذى ، كأَنَّه قال : والذى يغضب منه صاحبى . وسأَلت عنه أَبا الحسَن فقال : يجوز عندى أَن يكون جواباً لمَا . انتهى .

أَى يكون يغضب منصوباً بعد الواو فى جواب النفى الأَوَّل الذى هو : وما أَنا ، دون الثانى الذى هو : ليس نافعى . وهو المسمَّى فى الشرح بالصَّرْف(١) . وهو مختار الشَّارح ، تبعاً لصاحب اللباب .

وفيه ردٌّ على ابن الحاجب (فى أَماليه على المفصَّل) من وجهين :

أَحدهما : أَنَّه زعم أَنَّ الواو فى ويغضب ليست واوَ الجمع ، وإِنَّما هى واوُ العطف . وذكرها الزمخشرىُّ وإِن لم يَكن بابَها(٢) لموافقتها لواو الجمع من وجهين ، الرفع والنصب . وكذلك فعل فى الفاءِ .

ثانيهما : فى اتِّباعه لسيبويه فى زعمه أَنَّ يغضب معطوف على قوله للشىءِ .

بقى احتمالٌ آخـر لعطف يغضب المنصوب ، قال ابن الحاجب : ولا يستقيم أَن يكون معطوفاً على نافعى لأَمرٍ معنوىٍّ ، وهو أَنَّه يصير المعنى : لا ينفعنى ولا يُغضِب صاحبى . وليس الغرضْ كذلك ، بل الغرض نفى النفع عنه وإِثبات الغضب للصاحب . وأُورد على مختار الشارح بأَنَّه يلزم منه تقدُّم المعطوف وهو يغضب ، على المعطوف عليه وهو قؤول . وأَجاب بأَنَّ قوله ويغضب فى نية التأْخير ، إِذ التقدير : وما أَنا بقؤول للشىءِ الذى لا ينفعنى ويغضبَ صاحبى بالنصب ، أَى مع ٦٢٠

(١) فى شرح الرضى على الكافية ٢ : ٢٣٢ : « وإِذا نصبته فهو على الصرف » . وتسمية هـــذه الواو بواو الصرف اصطلاح كوفى ، كما فى المغنى ٣٦١ عند الكلام على الواو المفردة . وانظر الصبان ٣ : ٣٠٦ .

(٢) ط : « تكن بابها » .

غضب صاحبى . فيغضب وإن كان مقدَّماً لفظاً على قَؤول فهو متأخِّر معنىً ، لأنَّ بقؤول خبر ما ، فهو مقدَّم فى التقدير . ونظيره تقدُّم الفاء فى قولك : متى فأُكرمك تكرمُنى . والتقدير متى تكرمُنى فأُكرمك .

وقول الشارح المحقق: « وقال أبو على فى كتاب الشعر : بل هو عطف على نافعى » ، أراد بكتاب الشعر كتابَه المسمى بإيضاح الشِّعر وإعراب الشعر .

وهذه عبارته فيه : فى قولك يغضب ضربان[1] : إن جعلتها داخلةً فى الصلة كانت مرفوعة ، لأنَّه لا شىء يحمل عليه فينصب، فإذا عَطف لم يخرجْها من الصِّلة وحَملَ الكلام على المعنى ، كأَنه قال : وما أَنا للذى لا ينفعنى ويغضب منه صاحبى بقؤول . فإذا دخل يغضب فى الصِّلة عطف المضارع على اسم الفاعل ، وكلٌّ واحد من المضارع واسم الفاعل يُعطَف على الآخر لتشابهما . وموضع المضارع الذىهو يغضب نصبٌ للعطف على خبر ليس ، والضمير الذى هو منه ، يعود على اسم ليس ، والمقول حينئذٍ هو الشىء ، والقول يقع عليه لعمومه[2] ، واحتماله أَن يكون القولَ وغيرَه . وليس كالغضب . فإذا أُخرِج يَغضب من الصلة أَضمر أَنْ بِعطفه إياها على الشىء ، كأَنه قال : وما أَنا للشىء الذى ليس نافعى ويُغضِب[3] صاحبى بقؤول . فالغضب لا يقال ، ولكنَّ التقدير ولقولِ غضبِ صاحبى . فتضيف القول الحادثَ عنه الغضبُ

(١) ط : « ضرباب » ، صوابه فى ش .

(٢) يعنى عموم الشىء .

(٣) ط : « ولغضب » ، صوابه فى ش .

إلى الغضب، كما تقول: ضرب التلفِ ، فتضيف الضَّرب إلى ما يحدُث عنه . هذا كلامه .

ونظرَ صاحبُ اللباب فى تقدير القول المضاف ، وبيَّنه شارحه الفالىُّ[1] بأنَّ القَول المقدر إمَّا من باب إضافة المصدر إلى المفعول ، أو من باب إضافة الشيء للشيء للملابسة . وهما فاسدان .

أمَّا الأوَّل فلأنَّه يلزم منه وقوعُه على ما هرب منه ، إذ يلزم أنْ يكون الغضب مقولا .

وأما الثانى فلأنَّ لفظة منه تدفعه[2] ، إذْ إضافة الملابسة مغنيَة عن ذكر منه ، إذْ قولك قول غضَب صاحبي بمعنى الملابسة ، معناه قولٌ يصدر ويتولَّد عنه غضبُ صاحبي . فلا حاجة إلى ذكرِ منه ، كما تقول : رأيتك يومَ خرجت ، فإنَّ الإضافة مصحِّحة لكون الخروج فى اليوم ، فلا حاجة إلى أن تقول يومَ خرجت فيه .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لكعب بن سَعدٍ الغنوى ، أوردها أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) وأورد بعضها القالىُّ (فى أماليه) ، والشريف (فى حماسته) ، وهى :

(لقد أنصبَتْنى أمُّ عمرٍو تلومنى وما لوْم مثلى باطلاً بجميلِ
ألم تَعلمى أنْ لا يراخى منيَّتى قُعودِى ،ولايُدنِى الحمامَ رَحيلى)[3]

---

(١) فى النسختين : « القالى » . بالقاف ، صوابه بالفاء كما سبق التنبيه فى أكثر من مرة . نسبة إلى مدينة « فاله » قريبة من أيذج من بلاد خوزستان ، وذكر الميمنى أن من هذا الشرح نسخة بحيدرآباد كتبت سنة ٧٧٥ وأنه يوجد كثير من نسخه بالهند .

(٢) ش : « يدفعه » .

(٣) الأصمعيات ٧٤ : « ولا يدنى الوفاة » . والأبيات كلها فى الأصمعيات .

فإنَّكِ واللومَ الذى تَرجِعِينه   علىَّ ، وما لوَّامةٌ بعَقولِ[1]
كداعى هديلٍ لا يُجاب إذا دعا   ولا هو يَسلُو عن دُعاءِ هَدِيلِ
وذى نَدَبٍ دامِى الأَظَلِّ قسَمتُه   محافظةً ، بينى وبينَ زَميلِى[2]
وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه عَفافةً   لأُوثِرَ فى زادى علىَّ أَكيلى[3]
ومَن لا ينل حتَّى يسدَّ خِلالَه   يجدْ شهواتِ النَّفس غيرَ قليلِ
وعوراءَ قد قِيلتْ فلم أَلتفِتْ لها   وما الكَلِمُ العوراءُ لِى بقَبولِ[4]
وما أَنا للشىءِ الذى ليسَ نافعى   . . . البيت ٦٢١
ولن يلبثَ الجُهَّال أَن يتهضَّموا   أَخا الحلمِ مالم يَستعِنْ بجهولِ[5])

وهذا ما أَورده أَبو تمام .

وأَنصبه : أَوقَعه فى النَّصَب بفتحتين ، وهو التعب . والحِمام بالكسر : الموت . والهَديل : فرخ كان على عهد نوحٍ عليه السلام ، فصاده جارحٌ من جوارح الطير . قالوا : فليس من حمامةٍ إلاَّ وتبكى عليه . قال الكميت :

وما مَنْ تَهتفِينَ به لنصرٍ   بأَقربَ جابةً لكِ من هَديلِ[6]

---

(١) فى الأصمعيات :
فإنك والموت الذى ترهبينه   على وما عذالة بنفول

(٢) هذا البيت مع تاليه والبيت التاسع ثلاثة فى أمالى القالى .

(٣) فى أمالى القالى : « عنه تجملا » . وهذا البيت مع التاسع والعاشر ثلاثة فقط فى حماسة ابن الشجرى .

(٤) فى الأصمعيات : « فلم أستمع لها » .

(٥) حماسة ابن الشجرى : « أخا الحكم » .

(٦) الجابة : الجواب ، ومنه المثل : « أساء سمعاً فأساء جابة » . وفى ط : « جامة » ، صوابه فى ش وديوان الكميت ٢ : ٥٨ واللسان (هدل) وجمهرة العسكرى ١ : ٢٥ .

والنَّدَب بفتحتين ، قال القالى : هو الأَثر ، وجمعه نُدوب وأَنداب . والأَظلُّ بالمعجمة قال القالى : هو باطنُ خفِّ البعير . والزَّميل : الرفيق . يريد أَنَّه قسَم ظهرَ بعيره بينه وبين رفيقه فى الرُّكوب ولم يتركه ماشياً . والعَفافة : العِفَّة . والأَكيل : المؤاكِل . والخلال بالكسر : جمع خَلَّة بالفتح : الحاجة والفقر . والعوراءُ : الكلمة القبيحة . وتهضَّمه وهَضَمه ، إذا دَفَعَه[1] عن موضعه .

كعب بن سعد الغنوى

وكعب بن سعد الغَنَوىُّ هو شاعرٌ إسلامى ، وهو أَحد بنى سالم بن عُبيد بن سَعد بن عوف بن كعب بن جِلَّان ، بكسر الجيم وتشديد اللام ، ابن غَنْم بسكون النون ، ابن غنى بن أَعصُر . كذا قال أَبو عبيد البكرى (فى شرح أَمالى القالى) فى موضعين منه .

وقد راجعتُ كتب الصحابة وكتابَ الشعراء لابن قتيبة ، وكتابَ الأَغانى وغيرها ، فلم أَجد ترجمته فى أَحدها إِلَّا ما قاله أَبو عبيدٍ المذكور . والظاهر أَنَّه تابعى .

* * *

وأنشد بعده :

(ولُبْسُ عَباءَةٍ وتقرَّ عينى أَحبُّ إلىَّ من لُبس الشُّفوفِ[2])

على أَن (تقرَّ) منصوب بأَنْ بعد واو العطف .

قال سيبويه : لمَّا لم يستقم أَن تحمل وتقر وهو فعل ، على لُبس

(١) ط : « رفعه » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « لما لم يستقم له أن يحمل » ، صوابه ما أثبت من كتاب سيبويه ١ : ٤٢٧ و ٣ : ٤٦ من نسختى . والكلام كله على الخطاب عند سيبويه .

وهو اسم ، ولمَّا ضممتَه إلى الاسم وجعلتَ أَحبَّ لهما ، ولم ترد قَطعَه[1] لم يكن بدٌّ من إضمار أن .

قال النحاس : قال أَبو الحسن : أَىْ لم ترد[2] لُبس عباءَة أَحبُّ إلى وأَن تقرّ عينى ، لأَنَّ هذا يبطل المعنى ، لأَنَّه لم يرد أَنَّ لبس عباءَة أَحبُّ إليه . هذا سخف ، إنَّما أَراد قُرَّة العين[3] ، فلهذا نصب .

وقال الأَعلم : نصب تقرّ بإضمار أَن ليعطف على اللُّبس ، لأَنه اسم وتقرّ فعل ، فلم يمكن عطفه عليه فحمل على إضمار أَنْ لأَنَّ أَن وما بعدها اسم ، فعطف اسماً على اسم ،وجعلَ الخبر عنهما واحداً ، وهو أَحبُّ . والمعنى : لبس عباءَةٍ مع قُرَّة العين وصَفَاءِ العيش أَحبُّ إلىَّ من لُبس الشفوف مع سُخنة العينِ ونكد العيش . والعباءَة : جبَّة الصوف . والشُّفوف : ثيابٌ رقاقٌ تصف البدن ، واحدها شِفٌّ . انتهى .

فإن قلت : ما الفرق بين واو الجمع وواو العطف ، وهل هما إلا شيءٌ واحد؟ قلت : وَاوُ الجمع فى الأَصل للعطف ، لكنَّه خصّ ببعض أَحواله ، وذلك أَنَّ المعطوف قد يكون قَبلَ المعطوف عليه فى الوجود ، وقد يكون بعدَهُ ، وقد يكون معَه ، نحو : جاءَ زيد [وعمرٌو[4]] قبله أَو بعده أَو معه . فخصَّ واو الجمع بما يكون بمعنى مع ، فهو باعتبار أَصل معنى العطف احتاج إلى تقدير مصدَرٍ منتزع من الأَوّل . وباعتبار اختصاصه العارض بحال المعيَّة صار كأَنه قسيمٌ للعطف المطلق الذى لا يتقيَّد . فواو الجمع عطفٌ مقيَّد بالمعيَّة ، وواو العطف غير مقيَّد بها . فهذا هو الفرق . ٦٢٢

(١) ط : « لفظه » ، صوابه فى سيبويه و ش مع أثر تصحيح .
(٢) كذا بالتاء هنا ، وبالياء فيما سيأتى : « لم يرد » .
(٣) فى النسختين : « قرت العين » ، والوجه ما أثبت ، لأنه يريد المصدر . وانظر ما سيأتى من كلام الشنتمرى .
(٤) تكملة يستقيم بها الكلام .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : ولو رفعت وتقرّ لجاز ، على أن ينزَّل الفعل منزلة المصدر، ونحو قولهم: «تسمع بالمعيدىّ»، فتسمَع منزَّل منزلةَ سماعك . وكقول جريرٍ يعنى الفرزدق :

نفاك الأغرُّ بنُ عبد العزيز   وحَقُّكَ تُنفَى من المسجدِ[(١)]

وقولِ امرئٌ القيس :

فدمعُهما سحٌّ وسكبٌ ودِيمة   ورشٌّ وتَوكافٌ وتَنْهملانِ[(٢)]

قال : يريد وحقّك النّفىُ وانهمالٌ .

واستشهد صاحب الكشّاف بالبيت على قراءة :﴿ أَو آوِىَ[(٣)] ﴾ بالنصب على إضمار أنْ ، كأنَّه قيل : لو أنَّ لى بكم قوّةً أو أُوِيًّا، كما فى : لبس عباءة وقرَّة عينى .

صاحب الشاهد والبيت من أبياتٍ لميْسونَ بنت بحدلٍ الكلبيَّة ، وتقدَّمت مشروحة فى الشاهد الثامن والخمسين بعد السِّتّمائة[(٤)]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الستِّمائة[(٥)] :

٦٧٣ (أو أنْ يلُومَ بحاجةٍ لُوَّامُها)

على أنَّ (أن) قد ظهرت بعد (أو) فى الشّعر .

---

(١) الخصائص ٢ : ٤٣٤ والأغانى ١٩ : ٢١ ، ٥٢ وديوان جرير ١٢٨ .
(٢) ديوان امرئ القيس ٨٨ .
(٣) الآية ٨٠ من سورة هود . ونصها : « قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » . وهذه قراءة شيبة وأبى جعفر كما فى تفسير أبى حيان ٥ : ٢٤٧ .
(٤) ش : « الثانى والخمسين بعد السّمائة » ، صوابه ما أثبت من ط . وانظر ما سبق فى هذا الجزء من الخزانة ص ٥٠٣ — ٥٠٦ .
(٥) الشاهد من معلقة لبيد ، ولم أجد مستشهداً به لهذا غير الرضى .

وهذا عجزٌ ، وصدره :

(أَقضِى اللُّبانةَ لا أُفرِّطُ رِيبةً)

صاحب الشاهد

والبيت من معلَّقة لبيدِ الصحابى رضى الله عنه . قال شارح المعلقات القاضى أَبو الحسين الزَّوْزَنى : يقول : أَقضى وطرى ولا أُفرِّط فى طلب بُغيتى ، ولا أَدع ريبةً إِلَّا أن يلومَنى لائم . وتحرير المعنى أَنَّه لا يقصِّر ، لكنَّه لا يمكنه الاحتراز عن لوم اللوَّام . وأَوْ فى قوله : « أَو أَنْ يلوم » بمعنى إلاَّ أَنْ يلوم . ومثله قولهم : لأَلزمنَّه أَو يُعطِيَنى دَينِى ، معناه إِلَّا أَنْ يعطيَنى حقِّى . انتهى كلامه .

يقال قضيت وطَرى ، أَى بلغته ونِلتُه . واللُّبانة بضم اللام : الحاجة. ويقال فرَّطته ، أَى تركته وتقدَّمته . كذا فى الصحاح . وفرَّط فى الأَمر تفريطاً : قصَّر فيه وضيَّعه . والرِّيبة : الحاجة ، ومثله الرَّيب . قال الشَّاعر[1] :

* قضينا من تِهامةَ كلَّ رَيْبٍ *

هذا المناسب ، وهو المفهوم من كلام الزوزنى السابق .

وقال أَبو جعفر النحوى ، والخطيب التبريزى ، وأَبوالحسن الطوسى (فى شروحهم) : الرَّيب : الشك . ورووا :

* أَقضِى اللُّبانة ، أَن أُفرِّطَ رِيبةً *

بنصب ريبة ورفعها . قالوا : فمن رفع جعله خبر ابتداءٍ ، والمعنى تفريطى رِيبةٌ . ومن نصب فالمعنى مخافة أَن أُفرِّط ، ثم حذف مخافة .

(١) لكعب بن مالك فى السيرة ٨٧٠ واللسان (ريب ٤٢٧) . وعجزه :

* وخيبر ثم أجممنا السيوفا *

هذا قول البصريِّين . وقال الكوفيُّون : لئلا مضمرة ، والمعنى لئلاَّ أُفرِّط ريبة . يريد إنِّى أَتقدَّمُ فى قضاءِ حاجتى لئلاَّ أَشكَّ وأَقولَ إذا فاتَتْنى : ليتنى تقدَّمت ، أَو يلومَنى لائمٌ على تقصيرى . والمعنى إنِّى لا أَدع ريبةً تَنفُذُنِى[1] حتَّى أَحكمها . والتفريط : الإنفاذ والتقديم .

هذا كلامهم ، وفى حلِّهم المعنى قلاقة وعقادة[2] . وليست « أَو » على كلامهم بمعنى إلاَّ . ومعنى البيت على شرح الزَّورنى واضحٌ لا خفاءَ فيه . واللوَّام : مبالغة لائم ، فاعل يلوم .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الستمائة[4] :

٦٧٤ (لقد عَذَلَتْنى أُمُّ عمرٍو ولم أَكُنْ   مَقالتَها ما كنتُ حيًّا لأَسمَعا)

٦٢٣ على أَنَّ مقالتها مفعولٌ مقدَّم لأَسمع عند الكوفيين كما نقله الشارح المحقِّق وغيرُه . وعند البصريِّين منصوب بِفعلٍ[5] محذوفٍ يفسِّره المذكور ، والتقدير : ما كنت أَسمع مقالتها . ثم بيَّن ما أَضمر بقوله لأَسمعا .

وهذا البيت قد أَورده ابن الأَنبارى (فى مسائل الخلاف) ، وابن يعيش (فى شرح المفصَّل) ، ولم أَقف على تتمته ولا على قائله . والله أَعلم بذلك .

(١) فى النسختين : « تنقذنى » بالقاف ، صوابه بالفاء كما أثبت من الشروح .
(٢) يريد التعقيد . ولم أجد هذا المصدر فى المعاجم المتداولة .
(٣) الخزانة ٢ : ٢٤٦ - ٢٥١ .
(٤) ابن يعيش ٧ : ٢٩ والإنصاف ٥٩٣ والتصريح ٢ : ٢٣٦ .
(٥) ط : « لفعل » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

وما مصدريَّة ظرفيَّة ، وحيًّا خبر كنت ، أى مدَّة كونى حيًّا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الستمائة[1] :

٦٧٥ (وحُقَّ لمثلى يا بُثَينةُ يجزعُ)

على أَنَّ أَصله :أَن يجزع ، فحذفت أَن وارتفع الفعل ، وهو نائب فاعلُ حقّ.

قال ابن جنى (فى سر الصِّناعة) : وقد حملهم كثرةُ حذف أَنْ مع غير الفاعل على أَن استجازوا ذلك مع اسم مالم يُسمَّ فاعله وإن كان جاريًا مجرى الفاعل وقائماً مقامه ، وذلك قول جميل :

(جزِعتُ حِذارَ البينِ يومَ تحمَّلوا وحُقَّ لمثلى يابثينه يَجْزَعُ)

أَراد: أَن يجزع . على أَنَّ هذا قليل . والمفعول قد يكون غير اسمٍ صريح نحو : ظننت زيداً يقوم ، والفاعل لا يكون إِلَّا اسماً صريحاً محضاً ، وهم على إمحاضه اسماً أَشدُّ محافظة من جميع الأَسماء . أَلا ترى أَنَّ المبتدأَ قد يقع غير اسم محضٍ ، وهو قولهم : « تسمعُ بالمُعَيْدِىّ خيرٌ من أَن تراه » ، فتسمع كما ترى فعل ، وتقديره أَن تسمع ، فحذفُهم أَنْ ورفعُهم تسمع يَدلُّ على أَنَّ المبتدأَ قد يمكن أَن يكون عندهم غَير اسمٍ صريح. فإذا جاز هذا فى المبتدإِ على قوَّة شبهه بالفاعل فهو فى المفعول الذى يبعُد عنهما أَجْوَز . فمن أَجل ذلك ارتفع الفعلُ فى قول طَرَفة :

* أَلا أَيُّهذا الزاجرى أَحضُرُ الوغى *

---

(١) الخصائص ٢ : ٣٤٥ وسر الصناعة ١ : ٢٨٦ ، ٢٨٩ وابن يعيش ٤ : ٢٧/٨ : ٤٣ وضرائر ابن عصفور ٢٦٤ وديوان جميل ١١٨ .

عند كثير من الناس ، لأَنَّه أَراد أَن أَحضُر . وأَجازَ س فى قولهم : «مُرْه يَحفِرُها» أَن يكون الرفع على قوله مره أَن يحفرَها ،فلمَّا حذفت أَنْ ارتفع الفعل بعدها . انتهى كلامه .

وقال (فى الخصائص) عندما أَنشد هذا البيت : أَى وحُقَّ لمثلى أَن يجزع . وأَجاز هشامٌ: يسرّنى تقومُ. وينبغى أَن يكون ذلك جائزاً عنده فى الشعر لا فى النثر . انتهى .

وقد عدَّ ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) جميعَ هذا من الضَّرورة. قال : ومنه وضع الفعلِ موضعَ المصدر على تقدير حذف أَنْ وإرادة معناها من غير إبقاءِ عملها ، نحو قوله :

وما راعَنى إلاَّ يَسيرُ بشُرطةٍ وعَهدِى به قَيناً يفُشُّ بكير[1]

يريد : وما راعنى إلَّا أَن يسير بشرطة . فحذف أَنْ وأَبطل عملَها وهو يريد معناها . والدَّليل على أَنَّ الفعل المضارعَ يُحكم له بحكمِ ماهو منصوبُ بـأَنْ وإنْ كان مرفوعاً قولُه :

أَلا أَيُّهذا الزَّاجرِى أَحضرُ الوغى وأَنْ أَشهدَ اللذاتِ هل أَنتَ مُخْلِدِى[2]

فى رواية من رفع أَحضرُ . أَلا ترى أَنَّه عَطَف أَن أَشهد على أَحضر ، فدَّل ذلك على أَنَّ المراد أَن أَحضر . ومثله قولُ أَسماءَ بنِ خارجة :

أَوَليس من عجبٍ أُسائلُكم ما خَطْبُ عاذلتى وما خَطْبِى[3]

---

(١) سيأتى الكلام على هذا الشاهد فى التتمة الملحقة بالشاهد ٦٧٥ .

(٢) من معلقة طرفة . وانظر سر الصناعة ١ : ٢٨٦ والمقتضب ٢ : ٨٥ ، ١٣٦ والمحتسب ٢ : ٣٣٨ والشذور ١٥٣ .

(٣) من الأصمعية ١١ . انظر الأصمعيات ٤٩ .

٦٢٤ يريد ، أَن أُسائلكم . وقول علىّ بن الطُّفيل السعدى :

وأَهلكنى لكم فى كلِّ يوم تعَوُّجكمْ علىَّ وأَستقيمُ[(١)]

يريد : وأَنْ أَستقيم ، أَى واستقامتى لكم . وقولُه :

جزِعتُ حِذارَ البين يومَ تحمَّلوا وحُقَّ لمثلى يا بثينة يَجزعُ[(٢)]

يريد : أَن يجزع . وقولُه :

نفاك الأَغَرُّ بنُ عبد العزيز وحقُّك تُنفَى عن المسجدِ[(٣)]

يريد : وحقُّك أَن تنفى عن المسجد. وقولُ الآخر ، أَنشدهُ يعقوب :

* لولا يرائى النَّاسَ لم يصلِّ[(٤)] *

يريد : لولا أَن يرائىَ النَّاسَ .

وقد يجيءُ مثلُ هذا فى الكلام ، نحو قولهم : « تسمع بالمُعَيْدى خيرٌ من أَن تراه » ، إِلَّا أَنَّ ذلك يقلُّ فى الكلام ، ويكثُر فى الشعر. انتهى .

وجزِع الرجل جَزَعاً ، من باب تعب ، فهو جزِعٌ وَجَزوعٌ مبالغة ، إذا ضَعُفت مُنَّته عن حَملِ ما نزَل به ولم يجِدْ صبرًا. وأَجزَعه غيرُه، والغَداة: الضَّحوة . والبَيْن :الفراق، مصدر بانَ يبين، إذا فارقَ وانفصل. ولمَّا ظرفٌ بمعنى حين ، بدلٌ من غداة[(٥)] . والواو فى ترحَّلوا ضمير أَهل

(١) نوادر أبى زيد ١٦١ والمحتسب ٢ : ٣٢ .
(٢) هو الشاهد المعقود له هذا الفصل .
(٣) لجرير فى ديوانه ١٢٨ من نقائضه مع الفرزدق . وانظر النقائض ٧٩٧ والخصائص ٢ : ٣٤٢ والأغانى ١٩ : ٢١ ، ٥٢ .
(٤) الضرائر لابن عصفور ٢٦٥ وتهذيب الألفاظ ١٣٢ .
(٥) لم يرد نص البيت هنا على هذه الرواية : « جزعت غداة البين لما تحملوا » ، وإنما هى رواية ديوان جميل ١١٨ كما أنها رواية الأغانى فى نسخة البغدادى ، تبناها فانطلق فى تفسيرها سهواً منه .

بثينة . وكان الظاهر أن يقول ترحَّلت بالتأْنيث ، لأَنَّ جزعَه إنَّما كان لرحيلها ، لكن لمَّا كان رَحيلُ أَهلها مُوجباً لرحيلها جَمَعَ .

وقوله : (وحُقَّ لمثلى) إلخ ، وهو بالبناء للمفعول . فى الصحاح : قال الكسائى : يقال حُقَّ لك أن تفعل كذا وهو حقيق به ومحقوق ، أى خليق لَه . وقال الفراءُ : حُقَّ لك أن تفعل كذا وحَقَّ عليك أن تفعل كذا . فإذا قلت حُقَّ بالضم قلت : لك ، وإذا قلت حَقَّ بالفتح قلت : عليك. وهذا من باب قولهم : مثلُك لا يبخل ، وهو أَنَّه استعمله كنايةً من غير تعريض ، ممَّا لا يراد بلفظ (مثل) غيرُ ما أُضيف إليه ، لكن أُريد أَنَّ من كان على هذه الصفة التى هو عليها كان مقتضى العُرف أن يفعل ما ذكر . فعلى هذا ليس المراد فى البيت أَنَّ مثله حقيقٌ بالجزع ، بل المراد بالمثل نفسُه . لكنْ كلُّ من كان على هذه الصِّفة من فراق الأَحبَّة ينبغى أن يكون حالُه مثلَ حالِه فى الجزَع .

وجملة « حُقَّ لمثلى» إلخ ، إمَّا حال من التاء فى جزعتُ بإضمار قد ، وإمَّا معطوفة على جزعت .

وروى الأَصبهانى (فى الأَغانى) :

* وما كان مثلى يا بثينةُ يجزعُ[1] *

فعلى هذا لا شاهد فيه .

وبثينة : محبوبة جميل قائل الشعر . وقد نَسَبَ بعض الشعراء بنساءٍ مخصوصة ، واشتهر كلُّ واحدٍ منهم بمن تغزَّل بها ، منهم جميل اشتهر ببثينة ، ومنهم كثيِّر اشتهر بعزَّة ، ومنهم عُروة بن حزام اشتهر

(١) لم أجد هذا البيت فى نسخة الساسى من الأغانى .

بعفراءَ ، ومنهم مجنونُ بنى عامر اشتهر بليلى ، ومنهم قيس بن ذَريح اشتهر بلُبنى ، ومنهم المرقِّش اشتهر بفاطمة ، ومنهم ذو الرمة اشتهر بميَّة وهى الخَرقاءُ كما تقدَّم ، ومنهم العباس بن الأَحنف نَسَب بفَوْز .

وبعض الشُّعراءِ لا يلتزم التغزُّلَ بامرأَةٍ مخصوصة كامرئ القيس .

و (بثينة) مصغَر بثْنة . قال صاحب الصحاح : البَثْنة بالتسكين : الأَرض الليِّنة ، وبتصغيرها سمِّيت بثنة .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة لجميل بنَ مَعْمرٍ العُذرى .

روى صاحب الأَغانى بسنده[(١)] قال : اجتمع جميل مع جماعةٍ من رهطه يتحدَّثون فقال بعضهم : بالله حدِّثنا أَعجَبَ يومٍ لك مع بثينة . قال : نعم ، مُنعَتْ من لقائى مُدَّةً ، وتعرَّضتُ لها جَهدى فلم أَصلْ إليها . فبينا أَنا ذاتَ ليلةٍ جالسٌ بين شجَرات بالقُرب من حَيِّها ، وقد أَقمتُ ٦٢٥ فيها ثلاثاً أَنتظرُها ، إذا شخصٌ قد أَقبلَ إلىّ ، فجلستُ وانتضيتُ سيفى فلم أَلبثْ أَن غشِيَنى الشخصُ ، فإذا هى بُثينةُ قد أَكبَّتْ علىَّ ، فأَدْهشَنى ذلك وبقيتُ متحيِّراً لا أُحِيرُ جوابًا ولا أُراجعُها ، حتَّى بَرَق الصبحُ وما استطعتُ أَن أُكلِّمَها . قالوا : فهل قلتَ فى ذلك شيئاً ؟ فأَنشدهم قصيدةً طويلةً . وهذه أَبياتٌ من أَوّلها :

أَهاجَك أَم لا بالتَّناضِبِ مربَعُ ... ورسمٌ بأَجراعِ الغَديرينِ بلقعُ[(٢)]

ديارٌ لليلى إذ نحلُّ بها معاً ... وإذْ نحن منها فى المودَّة نطمعُ[(٣)]

---

(١) هذا الخبر لم يرد فى نسخة الساسى من الأغانى .

(٢) التناضب بكسر الضاد : موضع . وفى الديوان : « بالمداخل مربع ودار » وهو موضع كذلك .

(٣) فى حواشى المطبوعة : « قوله لليلى ، لا يخفى أن جميلا ينسب ببثينة ، كما تقدم قريباً . وسيأتى فى هذه الأبيات يقول : يابثينة بجزع . إلا أن يقال إنه قد يعبر عن محبوبته تارة ببثينة وتارة بليلى . فليحرر » .

فيارب حبِّبْنى إليها وأعطنى الـ ـــودَّة منها أنت تُعطى وتمنعُ
وإلَّا فصيِّرنى وإن كنتُ كارهاً فإنِّى بها ياذا المعارج مُولعُ(١)
فإن يك قد شطَّت نواها وقد نأت فإنَّ النوى مما تُشِتُّ وتجمعُ(٢)
جزِعتُ غداةَ البينِ لمَّا تحمَّلُوا وما كان مثلى يا بثينةُ يجزعُ
تمتَّعتُ منها يومَ بانُوا بنظرةٍ وهل عاشقٌ من نظرةٍ يتمتَّعُ

وتقدمت ترجمة جميلٍ العُذرىّ فى الشاهد الثانى والستين من أَوائل الكتاب(٣) .

تتمَّة

قد وقع (فى مغنى اللبيب) و (فى بعض شروح الأَلفية) الاستشهادُ بقوله :

وما راعنى إلاَّ يَسيرُ بشُرطةٍ وعَهدِى به قَيْناً يفُشُّ بِكيرِ

ولم يقف على قائله ولا على تتمته السيوطىُّ ولا العينىُّ ، وهومذكورٌ (فى نوادر ابن الأَعرابىِّ) قال : أَنشدَنى الدُّبيرىُّ لرجلٍ من بنى أَسدٍ يقال له معاوية بن خليل النَّصرى(٤) ، فى إبراهيم ذى الشَّقر . وكان إبراهيم أَطردَه عَن بلاده ، فأَقام فى رمل بنى حِسْل ، فقال يهجو إبراهيم

(١) المعارج : جمع معرج ، وهو الدرجة والسلم ، واستعير للرتب والفواضل والصفات الحميدة والنعم ، كما جاء فى تفسير قتادة وابن عباس . وقال ابن عباس أيضاً : المعارج : السموات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء . وقال الحسن : هى المراقى والمصاعد إلى السماء . وقال الفراء : ذى المعارج من نعت الله ، لأن الملائكة تعرج إلى الله ، فوصف نفسه بذلك . تفسير أبى حيان ٨ : ٣٣٣ واللسان (عرج) ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ : ٢٠٥ فى تفسير الآية ٣ من سورة المعارج .

(٢) فى الديوان : « وإن تك قد شطت نواها ودارها » .

(٣) الخزانة ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٤) نسبة إلى بنى نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وانظر جمهرة ابن حزم ١٩٤ ، ٤٦٦ .

يلقب « فرُّوخاً » وربَّما قالوا « فرُّوجاً »[١]. وهو إبراهيم بن حَوْران :

يَعْرِض فرُّوخُ بن حَوْران بنتَه كَمَا عُرِضَتْ للمشترين جَزُورُ[٢]
فأَمَّا قريشٌ فهى تُعرِض رغبةً وأَمَّا الموالى حولها فتدورُ[٣]
وما راعَنا إلّا يسيرُ بشُرطةٍ وعَهْدى به قيناً يفُشُّ بكيرِ
لحا اللهُ فَرُّوخاً وخرَّب دارَه وأَخزى بنى حَوْران خِزىَ حميرِ

* * *

وأنشد بعده :

(ألا أَيُّهذا الزاجِرِى أَحضرُ الوغَى)

هو صدرٌ ، وعجزه :

(وأن أَشهدَ اللَّذَّاتِ هل أنت مُخلدى)

على أنَّه رُوى : (أَحضرُ) بالرفع ، وأَصله أن أَحضرَ ، فلما حُذفت (أَنْ) ارتفع الفعل . وروى أَيضاً بالنصب بإبقاء عملها بعد الحذف.

وقد تقدَّم الكلامُ على هذا البيتِ مستوفًى فيما بعد الشاهد الثامن والخمسين بعد السبمائة[٤] ، وفى الشاهد العاشر من أوائل الكتاب[٥] .

نهاية الجزء الثامن من تقسيم محققه

---

(١) ش : « قال » .
(٢) فى البيت خرم ، بإسقاط حرف فى أوله . و « فروخ » كتبت فى ش بنقطة للجيم فى وسطها وأخرى فوقها لتقرأ بالوجهين .
(٣) أى رغبة عنها وزهداً فيها .
(٤) انظر هذا الجزء الثامن ص ٥٠٧ – ٥٠٨ .
(٥) الخزانة ١ : ١١٩ - ١٢١ .

فهرس التراجم

فهرس الشواهد

باب المجموع

جمع المؤنث السالم

جمع التكسير

المصـــدر

اسم الفاعـل

اسم المفعول

الصفة المشبهة

أفعل التفضيل

الفعل الماضى

الفعل المضارع

النواصب

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء التاسع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

○ الطبعة الثالثة ○

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

الجــوازم

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الستمائة[1] :

٦٧٦ (لولا فوارسُ مِنْ ذُهلٍ وأُسْرَتِهِمْ يَومَ الصُّليفاءِ لم يُوفُونَ بالجارِ) ٦٢٦

على أن (لم) قد جاءت فى الشعر غيرَ جازمة .

وكذلك قال ابن عصفور : إنَّ رفع المضارع بعد لم ضرورة . وأنشد مع هذا البيت قولَ الشاعر :

وأَمسَوْا بَهَالِيلَ لو أَقسَمُوا على الشَّمس حَولين لمْ تَطْلُـعُ

برفع (تطلعُ) . وقال : حَكَم للم بدلاً من حُكمها بحكم ما ، لمَّا كانت نافيةً مثلَها . فرفع المضارع بعدَها كما يرفع بعد ما .

وقال التبريزى (فى شرح الكافية)، تبعًا لابن جنى (فى سر الصناعة): وقد لا تجزم لم ، حملاً على لا .

وقال ابن مالك : إنَّ رفع المضارع بعدها لغةٌ لا ضرورة . كذا فى مغنى اللبيب .

وفوارس : جمع فارس ، شاذّ . وذُهل، بضم الذال المعجمة : اسمٌ لقبيلتَين ، إحداهما : ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة ، والأُخرى[2] :

---

(١) المحتسب ٢ : ٤٢ وابن يعيش ٧ : ٨ وضرائر ابن عصفور ٣١٠ والمغنى ٢٧٧ ، ٣٣٩ والعينى ٤ : ٤٤٦ والتصريح ٢ : ٢٤٧ والهمع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٦ واللسان (صلف) .

(٢) ط : « والآخر » ، صوابه فى ش . ومما يجدر ذكره أن « ذهل » اسم لعدة قبائل لا لقبيلتين . انظر فهارس جمهرة ابن حزم ٥٦٣ ، فقد عد منهم ثمانى قبائل .

ذُهل بن ثعلبة بن عكابة ، وهما من ربيعة . وروى بدله : «من جَرْمٍ » بفتح الجيم ، وهو قبيلة أيضاً . وروى : « نُعْم » أيضًا بضم النون، وهو اسم امرأة ، وهو تحريف .

(من ذُهل وأُسرتهم) يروى بالرفع عطف على فوارس ، ويروى بالجر عطف على ذهل .

وأُسرة الرجل ، بضم الهمزة : رهطُه . والصُّليفاء : مصغر صَلْفاء ، وهى الأَرض الصُّلبةُ ، والمكان أَصلف . ويقال صِلْفاءُ ، بوزن حِرباء . وقال الأَصمعيُّ: الأَصلَف والصَّلْفاءُ : ما اشتدَّ من الأَرض وغَلُظ وصَلُب، والجمع الأَصالف والصَّلاَفيُّ . كذا (فى العباب للصَّاغانى) . ويوم الصَّلْفاء هو يومٌ من أَيَّام العرب[1] ، لكنَّ الشاعر صغَّره. قال ابن رشيق (فى العمدة) : يوم الصَّلفاء لهوازن على فَزَارةَ وعَبْسٍ وأَشجع ، وفيه قتل دُريد بأَخيه ذؤاب بن أَسماء[2] . انتهى .

والواو فى (يوفون) ضمير القوم الذين هجاهم الشَّاعر . و (الجارُ) له معانٍ : منها المجاوِر فى السَّكَن ، ومنها المستجير وهو الذى يَطلُب الأَمان ، ومنها الحليف . وأحد هذه الثلاثة [هو المنَاسِب[3]] ، وعليه ففيه حذف مضاف ، أَى لم يوفون بذمَّة الجار .

وهذا البيت أَنشده الأَخفشُ والفارسيُّ وغيرهما ، ولم أَجد من عَزاه إلى قائله ، ولا مَنْ ذكر له تتمَّة . والله أَعلم به .

---

(١) لم يذكره ياقوت . وإنما ذكر « الصلعاء » و « الصليعاء » أيضاً بالتصغير، ذكرهما بالعين المهملة، مشتقين من قولهم: رجل أصلع وامرأة صلعاء ، وقال : إنه موضع كانت به وقعة لهم .

(٢) العمدة ٢ : ١٦١ حيث ذكر الموضع بالفاء أيضاً .

(٣) التكملة من ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الستمائة[1] :

٦٧٧ (فأَضحت مَغَانيها قِفارًا رسومُها
كأَنْ لَمْ سِوَى أهلٍ من الوَحْش تُوهَلِ)

على أنَّ (لم) قد فُصلت فى الضرورة مِنْ مجزومها ، فإنَّ الأَصل : كأَنْ لم توهل سوى أَهلٍ من الوحش .

وقيَّد ابنُ عصفور الفصلَ فى الضَّرورة بالمجرور والظرف ، وأَنشد :

نوائب من لَدْنِ ابنِ آدم لم تَزَلْ تبـاكر مَنْ لم بالحوادثِ تَطْرُقِ

وأَنشد بعده قوله : (فأَضحت مغَانيها) البيت . وقد فصل فى الأَوَّلِ بين لمْ ومجزومها وهو تطرق ، بالمجرور ، وفصل فى الثانى بالظَّرف بينهما.

وكذلك صنع ابن هشام (فى المغنى) ، قال : وقد تُفصَل من مجزومها فى الضَّرورة بالظرف ، كقوله :

فذاك ولمْ إذا نحـن امتريْنـا تَكنْ فى الناس يُدرِكُك المِـراءُ

وقولِه : (فأَضحت مغانيها) البيت . وقد يليها الاسم معمولاً لفعلٍ يفسِّره ما بعده ، كقوله :

٦٢٧ ظُنِنتُ فقيرًا ذا غِنًى ثم نلتُه فلَمْ ذا رجاءٍ أَلْقَهُ غيرَ واهبِ[2]

انتهى .

---

(١) الشاهد لذى الرمة فى ديوانه ٥٠٦ . وانظر الخصائص ٢ : ٤١٠ والضرائر ٢٠٣ . والمغنى ٢٧٨ والعينى ٤ : ٤٤٥ والهمع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٥

(٢) المغنى ٢٧٨ .

وقوله (إذا نحن امترينا) متعلق بيدروك ، الأَصل : ولم تكن فى الناس يدركك المراءُ إذا نحن امترينا ، والامتراءُ : الشَّكُّ . والمِراءُ : الجِدال .

وقولُه : « ظُنِنْتُ فقيرًا » الخ . هو بالبناءِللمجهولوالتكلم. وفقيرًا حال من نائبالفاعل، وذا غنى : مفعولٌ ثانٍ لظُننت، وضمير نلتُه للغِنى، وذا رَجاءٍ : مفعولٌ لفعل محذوف مفسَّر بأُلْقَى المذكور. وغيرَ واهب : حالٌ مِن فاعله ، يعنى أَنَّه فى حال فقره كان متعفِّفاً ، فكنى عن ذلك بظنِّه ذا غنى ، وأَنَّه حين صار غنيًّا يعطى كلَّ راجٍ لقيَهُ ما يرجو .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة لِذِى الرُّمَّة . وقبله :

(فياكَرَمَ السَّكْنِ الذين تحمَّـلوا عن الدار والمسْتَخْلَفِ المتبدِّلِ)

وبعده :

(كأَنْ لمتَحُلَّ الزُّرقَ مىٌّ ولم تطأْ بجرعاء حُزْوَى نِير مِرْطٍ مرَحَّلِ
إلى مَلعبٍ بينالحِواءَينِ مَنْصَفٍ قريبِ المزارطيِّب التربُ مُسْهِلِ)

وقوله : « فياكرم السَّكْن » إلخ . هو نداءٌ تعجُّبى، أَى يا صاح ، انظر كرمَ السَّكن ، وهو أَهل الدار، جمع ساكن كصَحْب جمع صاحب. وتحملوا : ارتحلوا . والمستخلف معطوف على الدار ، وهو والمتبدّل رُوِيا على صيغة اسم الفاعل واسم المفعول . يريد : الدار تبدَّلت بالسَّكْن الوحوشَ والظِّباءَ والبقَر . يعنى أَنَّ الدار استخلفت واستبدلت الوحش.

وبهذا البيت استشهد صاحب (الكشاف) على أَن التبدُّل فى قوله

تعالى : ﴿ ولا تتبدَّلوا الخبيثَ بالطَّيِّبِ[١] ﴾ بمعنى الاستبدال، كالتعجُّل والتأخُّر ، بمعنى الاستعجال والاستئخار .

وقوله : (فأَضْحَتْ مغانيها) أى صارت، والمغانى . جمع مغنًى، وهو المُقَام ، مِن غَنِيَ بالمكان كَرَضِيَ ، إذا أقام فهو غانٍ . والقِفار : جمع قَفْر . فى المصباح: القفر: المفازة لا ماء فيها ولا نبات . ودارٌ قفرٌ : خاليةٌ من أهلها . والرَّسم : الأَثَر . ورسومُها فاعل قِفار . والمرویُّ فى ديوانه كذا :

* فأَضحت مَبَادِيها قفارًا بلادُها *

قال شارحه : مَبادِيها: حيث تبدو فى الرَّبيع . والبلاد : جمع بلدة، وهى القِطعة من الأَرض . وأَهَلَ المكانُ أُهولاً من بابِ قعد : عَمِر بأَهله فهو آهل ، وقرية آهلة . وأَهِلْت بالشيء: أَنِست به . قال شارح الديوان: تُوهَلُ : تُنزَل . يقال بلدٌ مأْهولٌ : ذو أهل .

وقال ابن الأَنبارى (فى شرح المفضليات) : أَهِلَ هذا المكانُ . وسمعتُ يقال مكان آهل أى ذو أهل . وأنشد هذا البيتَ ، ثم قال : وبنو عامر يقولون : أَهِلت به آهَلُ به أُهولا ، أى أَنِسْتُ به .

وقوله : « كأَن لم تَحُلَّ الزُّرق » هو جمع أزرق . قال شارح الديوان : الزُّرق : أَكثبةٌ بالدَّهناء . والجَرْعاءُ من الرمل . وحُزْوى بضم المهملة : موضع : والمِرط، بالكسر: الإزار . ونِيره : عَلَمُه . والمرحَّل بفتح الحاء المهملة المشددة : الموشَّى على لون الرِّحال[٢] .

وقوله :« إلى ملعب» الحِواءين بكسر المهملة : أَبياتٌ مجتمعة. يريد:

---

(١) الآية ٢ من سورة النساء .

(٢) فى الديوان : « المرجل » بالجيم . وفى شرحه : « والمرجل : المعلم » .

ملعباً بين الحِواءَين . وَمَنْصَف: بفتح الميم والصاد ، يقول: هو بين الحِواءَين وسط . ومسهل : سهلٌ قد انجدرَ عن الغلظ .

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(أَزِفَ الترحُّــلُ غير أنَّ رِكابنا لمَّا تَزُلْ برحالنــا وكأَن قدِ)

٦٢٨ على أنَّ الفعل بعد(قد) محذوف اختيارًا، أى وكأن قد زالت. وأَزِف : دنا . والرِّكاب: الإبل. ولمَّا نافية جازمة، وتَزُل مجزوم وأصله تزول . والرِّحال : جمع رَحْل، وهو ما يستصحبه الإنسان من الأثاث فى السفر . وكأن مخففة .

وتقدَّم شرح هذا البيت مفصَّلاً فى الشاهد الخامس والعشرين بعد الخمسمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الستمائة[3] :

٦٧٨ (احفَظْ وديعتَك التى استُودِعْتَهــا

يومَ الأعــاربِ إنْ وصَلْتَ وإنْ لَمِ)

على أنَّ حذف مجزوم (لم) ضرورة ، والأصل: وإن لم تَصل[4] .

كذَا قدَّره أبو حيان ، فيكون وصلتَ مثله بالبناء للمعلوم .

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) الخزانة ٧ : ١٩٧ — ٢٠٤ .

(٣) ديوان ابن هرمة ٢٠١ والمغنى ٢٨٠ والعينى ٤ : ٤٤٣ والتصريح ٢ : ٢٤٧ والهمع ٢ : ٥٦ والأشباه والنظائر ٢ : ٧٣ والأشمونى ٤ : ٦ .

(٤) ط : « والأصل أن لم تصل » . وإثبات الواو من ش .

وقدره أبو الفتح البَعْلي : وإن لم تُوصَلْ ، فيكون إن وُصِلت مثلَه بالبناء للمفعول .

وأنشد ابن عصفور (فى الضرائر الشعريَّة) قول ابن هَرْمة :

وعليكَ عهدُ الله إنَّ ببــــابه أهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإن لمِ [1]

يريد : وإن لم تفعل . ومثلُه قول الآخر :

يارُبَّ شيخٍ من لُكيز ذى غَنَمْ فى كَفِّه زيغٌ وفى الفَمِّ فَقَـــمْ [2]

أجْلحَ لمْ يَشْمَط وقد كان وَلمْ

يريد : وقد كان ولم يجلحْ . ثم قال : وإنَّما لم يَجُزْ الاكتفاءُ بلم وحذفُ ما تعمل فيه إلَّا فى الشِّعر، لأنَّها عاملٌ ضعيف، فلم يتصرَّفوا فيها بحذف معمولها[3] فى حال السَّعة ، بل إذا كان الحرف الجارّ – وهو أقوى فى العمل منه ، لأنَّه من عوامل الأسماء ، وعواملُ الأسماء أقوى من عوامل الأفعال – لا يجوز حذف معمولِه[4] ، فالأحرى أن لا يجوز ذلك فى الجازم . فإنْ قال قائل: فلم جاز الاكتفاءُ بلمَّا وحذفُ معمولها فى سَعَة الكلام وهى جازمة ، فقالوا : قاربت المدينة ولمَّا ، أى ولمَّا أدخلْها ولم يجز ذلك فى لم ؟ فالجواب أن تقول : إنَّ الَّذى سوَّغ ذلك فيها كونُها نفيًا لِقَدْ فعل . ألا ترى أنَّك تقول فى نفي قدْ قام زيد : لم يقم، فحُملت لذلك على قد ، فكما يقال لم يأْت زيد وكأَن قد ، أى وكأَن

(١) ديوان ابن هرمة ٢١٩ والضرائر ١٨٣ . وفى الديوان : « إن أتيأته » .

(٢) كذا ورد فى الضرائر وابن يعيش ٨ : ١١١ بدون نسبة. وفى ابن يعيش: « وفى فيه » .

(٣) ط : « معمولهما » ، صوابه فى ش والضرائر .

(٤) فى النسختين : « معمولها » ، صوابه من الضرائر .

قد أتى ، فيُكتَفى بقد، فكذلك أيضاً قالوا : قاربت المدينة ولمَّا، أى ولمَّا أدخلْها ، فاكتفَوْا بلمَّا . هذا كلامه .

وقوله : (احفظْ) أمرٌ . و (استُودعتها) على بناء المجهول . و (يوم الأعارب) لم أقفْ عليه فى كتب أيام العرب ، وقال العينى : هو يومٌ

صاحب الشاهد معهودٌ بينهم . ونسب البيتَ إلى إبراهيم بنِ هَرْمة . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والستين[1] والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد السبّمائة[2] :

٦٧٩ (ألمَّا تعرِفُوا منَّا اليقينـــا)

على أنَّ الهمزة الداخلة على لمَّا للاستفهام التقريرى ، أى ألم تعرفوا منَّا إلى الآن الجِدَّ فى الحربِ عِرفانًا يقيناً . أى قد علمتم ذلك فلم تتعرَّضوا لنا .

وهذا عجزٌ وصدره :

(إليكم يا بنى بَكرٍ إليكمْ)

والبيت من معلقةِ عمرو بن كلثوم التغلِبى ، يخاطب بنى عمِّه بكر ابن وائل .

وإليكم[3] : اسم فعل، أى : ابعُدوا وتَنَحَّوْا عنَّا إلى أقصى ما يمكن من البُعْد . وكرَّر إليكم تأكيدًا للأُولى .وبعده : ٦٢٩

(ألمَّا تعلموا مِنَّا ومنـــكم كَتائبَ يَطَّعِنَّ ويرتمينـــا)

و (ألمَّا) مثل الأُولى . والكتيبة : الجماعة من الجيش،سمِّيت كتيبة

---

(١) الخزانة ١ : ٤٢٤ .

(٢) معلقة عمرو بن كلثوم .

(٣) ط : « وإليك » ، صوابه فى ش .

لاجتماع بعضها إلى بعض؛ ومنه كتبت الكتاب، أى جمعت بعضَ حروفه إلى بعض. ويطَّعِنَّ : يفتعلن من الطَّعن . وكذلك يرتمينا[١] : يفتعلن من الرَّمْى ، والأَلف للإطلاق . أَراد التَّطاعُن بالرمح ، والترامىَ بالسَّهم مِنَّا ومنكُمْ .

وتقدمت ترجمة عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة مع شرح أَبيات منها فى مواضع فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة[٢] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٣] :

٦٨٠ (مُحَمَّدُ تَفْدِ نفسَكَ كلُّ نفسٍ
إذا مــا خِفْتَ من شىءٍ تَبــالا)

على أنه جاءَ فى ضرورة الشِّعر حذفُ لام الأَمر فى فعلِ غير الفاعل المخاطَب ، والتقدير : يامحمَّد لتَفْدِ نفسَكَ كلُّ نفس .

قال سيبويه : واعلم أَنَّ هذه اللام قد يجوزُ حذفُها فى الشِّعر وتَعمل مضمرةً ، كأَنَّهم شبَّهوها بـأَنْ إذا أَعملوها مُضمَرة . وقد قال الشاعر :

محمد تُفدِ نفسَكَ كلُّ نفسٍ ... البيت .

وإنَّما أَراد : لِتَفْدِ . وقال مُتَمِّم بنُ نُويرة :

---

(١) ش : « يرتمين » .
(٢) الخزانة ٣ : ١٨٣ . وفى ش : « الثامن والثلاثين بعد المائة » ، صوابه ما أثبت من ط .
(٣) سيبويه ١ : ٤٠٨ والمقتضب ٢ : ١٣٢ والأصول لابن السراج ٢ : ١٨٢ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٧٥ والإنصاف ٥٣٠ وابن يعيش ٧ : ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٢ / ٩ : ٢٤ والمقرب ١ : ٢٧٢ ورصف المبانى ٢٥٦ وشذور الذهب ٢١١ والمغنى ٢٢٤ ، ٦٤١ والعينى ٤ : ٤١٨ والتصريح ٢ : ١٩٤ والهمع ٢ : ٥٥ والأشمونى ٤ : ٥ .

على مثلِ أَصحابِ البَعُوضة فاخمِشِى
لكِ الويلُ حُــرَّ الوجهِ أَو يبكِ مَن بكَى [١]

أَراد : ليَبْكِ . انتهى .

قال الأَعلم: هذا من أَقبح الضرورة، لأَنَّ الجازم أَضعف من الجارّ ، وحرف الجرّ لا يُضمر . وقد قيل إِنَّه مرفوعٌ حُذفت لامهُ ضرورةً واكْتُفِىَ بالكسرةِ منها . وهذا أَسهلُ فى الضَّرورة وأَقرب .

وقال النحَّاس : سمِعت علىَّ بن سليمان يقول : سمعت محمد بن يزيدَ ينشد هذا البيت ويلحِّن قائله ، وقال : أَنشده الكوفيُّون ، ولا يُعرف قائله ، ولا يُحتجُّ به ، ولا يجوز مثلُه فى شعرٍ ولا غيره ؛ لأَنَّ الجازم لا يُضمَر؛ ولو جاز هذا لجاز يقمْ زيد ، بمعنى ليقم. وحروف الجزم لا تُضمَر ، لأَنَّها أَضعف من حروف الخفض، وحرف الخفض لا يضمر .

فبعد أَنْ حكى لنا أَبو الحسن هذه الحكاية ، وجدتُ هذا البيت فى كتاب سيبويه يقول فيه : وحدَّثنى أَبو الخطَّاب أَنَّه سمع هذا البيت ممن قاله .

قال أَبو إِسحاق الزجَّاج احتجاجًا لسيبويه : فى هذا البيت حذف اللام ، أَى لتفد . قال: وإِنَّما سماه إِضمارًا لأَنَّه بمنزلته . وأَمَّا قوله أَو يبك من بكى فهذا البيتُ لِفَصيح ، وليس هذا مثلَ الأَوّل ، وإِن كان سيبويه

(١) سيبويه ٣ : ٨ والمقتضب ٢ : ١٣٢ وأصول ابن السراج ٢ : ١٦٣ ، ١٨١ وابن الشجرى ١ : ٣٧٥ وابن يعيش ٧ : ٦٠ ، ٦٢ والإنصاف ٥٣٢ ورصف المبانى ٢٢٨ والمغنى ٢٢٥ والبلدان (البعوضة) .

قد جمع بينهما . وذلك أنَّ المعطوف يُعطَف على اللفظ وعلى المعنى . فعطفَ الشاعرُ على المعنى ،لأنَّ الأَصل فى الأَمر أن يكون باللام ، فحذفت تخفيفًا والأَصل : فلْتخمشى ، فلما اضطُرّ الشاعر عطف على المعنى ، فكأَنه قال : فلتخمشى ويَبْكِ، فيكون[1] الثانى معطوفًا على معنى الأَول .والبعوضة : موضع بعينه قُتل فيه رجالٌ من قومه فحضَّ على البكاء عليهم .

وحذا ابن هشام (فى المغنى) هذا الحذو وقال : وهذا الذى منعه المبرِّد أجازه الكسائى فى الكلام ، بشرط تقدُّم قُلْ ، وجعل منه : ﴿قُلْ لعبادىَ الذين آمنوا يُقيموا الصَّلاة[2] ﴾، أى ليقيموا .

ووافقه ابن مالك (فى شرح الكافية) وزاد عليه أنَّ ذَلك يقع فى النثر قَليلاً بعد القول الخبرىّ ، كقوله :

قلتُ لبــوّاب لديه دارُها تِيذَن فإنِّى حَمْوُها وجارُها[3]

أى لتيذن ، فحذف اللام وكسر حرْف المضارعة . ٦٣٠

وأمّا ابن عصفور فلم يَزِدْ (فى كتاب الضرائر) علىقوله : إضمار الجازم وإبقاءُ عمله أقبح من إضمار الخافض . ثم أنشد خمسة أبيات حذف فيها اللام .

و (محمدُ) منادى . و (تفدِ) أمرٌ من الفداء . و (كلّ) فاعله . و (نفسَك) مفعوله . و(التَّبَال) بفتح المثناة بعدها موحَّدة . قال الأَعلم ، وتبعه ابن هشام : هو سوءُ العاقبة ، وأصله وَبَال، فتاؤه مبدلة من الواو .

---

(١) ش : « ويكون » .

(٢) الآية ٣١ من سورة إبراهيم .

(٣) لمنظور بن مرثد، فى المغنى ٢٢٥ والعينى ٤ : ٤٤٤ والهمع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٠٤

والبيت لا يُعرف قائله ، ونسبه الشارح فى الباب الذى بعد هذا لحسَّان ، وليس موجودًا فى ديوانه .

صاحب الشاهد

وقال ابن هشام (فى شرح الشذور) : قائله أَبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أَبيات المفصل) : هو للأَعشى . والله أَعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثَّمانون بعد السِّتمائة[1] :

٦٨١ (لِتقُمْ أَنتَ يا ابنَ خيرِ قُريشٍ
فلتُقَضِّى حَـوائجَ المُسْلِمينـا)

على أَنَّ أَمر المخاطب جاءَ فيه باللام ، وهو فى الشعر أَكثر منه فى النثر ، أَراد قم . وكذا اللام فى قوله (فلتقَضِّى) لأَمر المخاطب ، والياءُ إشباع الكسرة .

والبيت أَورده الكوفيُّون . وهو مجهول لا يعلم تتمته ولا قائله . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثَّمانون بعد السِّتمائة[2] :

٦٨٢ (قالتْ بناتُ العَمِّ يَا سَلْمَى وإِنْ
كان فقيرًا مُعْدِمًا قـالت وإِنْ)

(١) العقد ٣ : ٤٩٦ والإنصاف ٥٢٥ والمغنى ٢٢٧ ، ٥٥٢ والتصريح ١ : ٥٥ / ٢ : ٢٤٦

(٢) المقرب ١ : ٢٧٧ والضرائر ١٨٥ ورصف المبانى ١٠٦ والمغنى ٦٤٩ والعينى ١ : ١٠٤ / ٤ : ٣٣٦ والتصريح ١ : ١٩٥ والهمع ٢ : ٦٢ والأشمونى ١ : ٣٣ / ٤ : ٢٦ وملحقات ديوان رؤبة ١٨٦ .

على أنَّ فيه حذف الشرط والجزاء معًا لضرورة الشِّعْر ، والتقدير : وإنْ كان كذلك رضيتُه أيضاً .

وكذا قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر[1]) : إنَّ حذفهما خاصٌ بالشعر .

وأورده ابن هشام (فى فصل الحذف من المغنى) ولم يخْصُصْه بالشعر .

وأمّا إن الأُولى فإنَّما حذف منها جوابُها ، والتقدير : وإن كان فقيرًا أترضَينَ به ، لأَنَّ كان شرطها ، واسمها مستتر فيها يعود إلى بعلٍ فى بيت مقدَّم ، وهو :

(قالت سليمى ليت لى بعلاً يَمُنْ يَغْسِل جلدى ويُنَسِّينى الحَزَنْ
وحاجةً ما إنْ لها عِندى ثمنْ ميسورةً قضاؤها منهُ ومِنْ
قالت بناتُ العمِّ ياسلمى وإنْ كان فقيرًا مُعدِماً ، قالت وإنْ)

صاحب الشاهد وهذا الرجز منسوب إلى رؤبة بن العجّاج ، وسليمى : مصغَّر سَلمى الاتية . والبعل : الزَّوج. ويَمُنّ فعل مضارع من المِنَّة ، وخفف النون للضرورة، والمِنَّة : النعمة يقال منَّ عليه ،أى أنعم عليه. والمراد هنا : يحصل منه المنُّ والإنعام ، سواءٌ كان عليها أو على غيرها ، فهو مطلق .

وقال : العينى : هو بتقدير يمنُّ علىَّ .

وقوله : « يغسل جلدى » إلخ تفسيرٌ لقولها يُمنّ . وقولها : «وحاجةً » منصوب بتقدير : ويقضى لى حاجة ، وهى قضاءُ شَهْوة النَّوم . وقال العينى : حاجة معطوف على بعلاً ، وما نافية ، وإن زائدة . وكون هذه الحاجة

---

(١) ط : « الضرورة » ، وأثبت ما فى ش .

لا ثمن لها عندها لغلائها وعِزّتها . وميسورة صفة حاجة . وأرادت : قضاؤُها من البعل ومنّى ، فحذفت الياءَ مع نون الوقاية ضرورة .

وروى : (قالت بنات الحىّ) بدل بنات العم . وروى (وإِنِنْ) بزيادة
٦٣١ نون فى الموضعين ، وبها استشهد شُرّاح الألفية على أنَّ هذه النون هى تنوين الغالى ، وبها يخرج الشعرُ عن الوزن ولا يستقيم إلاَّ بحذفها .

ورؤبة تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخامس من أول الكتاب(١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الستمائة(٢) :

٦٨٣ (أماوىَّ مَهْمَنْ يَسْمعَنْ فى صديقِهِ
أقاويلَ هذا النَّاسِ ماوىَّ يَندمِ)

على أنَّ الكوفيين حكَوْا عن العرب مجىء (مهمن) بمعنى مَنْ كما فى البيت .

قال ابن يعيش عند الكلام على مَهما : وقال آخرون هى مركبة من مَهْ بمعنى اكففْ وما الشرطيَّة . والمعنى عندهم : اكفف عن كلِّ شىء ، ما تفعل أفعل . ويؤيِّده قولُ الشاعر :

أماوىَّ مَهمَنْ يستمع فى صديقه . . . . البيت

فركَّب مه مع من ، كما ركَّبها مع ما . فاعرفه . انتهى .

وقال (صاحب تهذيب اللغة) : مَهْمن استفهام ، وأصلها مَنْ مَنْ فأُبدلت النون هاء . وأنشد هذا البيت .

والهمزة فى قوله : (أماوىَّ) للنداء . و (ماوىَّ) مرخم ماويَّة ، وهى من أسماء النساء ، منها ماويَّة امرأة حاتم طىّ .

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .
(٢) السبع الطوال ٤٥ وابن يعيش ٤ : ٨ والتهذيب ٥ : ٣٨٥ واللسان (مهه ٤٤٠) .

وهذا البيت شبيهٌ بشعره ، لكنّى لم أقف عليه منسوبًا إليه .

قال فى الصحاح: والماويَّة : المِرآة كأنَّها منسوبةٌ إلى الماء . وماويَّة : اسم امرأة . قال طرفة :

* ليس هذا منكِ ماوىَّ بحُرّْ(١) *

واسم امرأةِ حاتم طىّ ، وتصغيرها : مُوَيَّة . قال حاتمٌ يخاطبُها :

فضارتْهُ مُوَىَّ ولم تَضِرْنى ولم يعرقْ مُوَىَّ لها جَبينى

يعنى الكلمة العوراء . انتهى .

ومهمن اسم شرط يجزم فعلين ، الأوَّل يسمعن ، والنون هى نون التوكيد الخفيفة . ورُوى (يستمع) بدله ، يفتعل من السَّماع . والثانى : يندم ، وكسر للقافية . و (ماوىَّ) الثانى منادًى، وحرف النداءِ محذوف، وكرَّر المنادى للتَّلذُّذ به . وروى المصراع الثانى هكذا أيضاً :

* أقاويلَ هذا الناس يُصْرَم ويَندمِ *

فيكون يُصرم جزاءَ الشرط . والصَّرم : الهجر والقطع .

ورأيت فى قصيدةٍ لذى الرمَّة هذا المعنى مع المصراع الثانى بعينه ، وهو قوله :

ومَن يك ذا وصلٍ فيَسمعْ بوصلهِ
أقاويلَ هذا الناسِ يَصرِم ويُصرَمِ(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد السمائة(٣) :

---

(١) صدره فى ديوان طرفة ٦٣ :

* لا يكن حبك داء داخلا *

(٢) ديوان ذى الرمة ٦٢٩ .

(٣) نوادر أبى زيد ٦٢ والأزهية ٢٦٥ وابن يعيش ٧ : ٤٤ والمغنى ١٠٨ ، ٣٣٢ والهمع ٢ : ٥٨ .

٦٨٤ (مَهمَا لِىَ اللَّيلَةَ مهما لِيَهْ أُودَى بنعــلىَّ وسِــرباليَهْ)

على أنَّ (مهما) فيه بمعنى الاستفهام .

قال أبو على الفارسى (فى تذكرته) : هذا عندى مثل قول الخليل فى مهما فى الجزاءِ : إنَّه ما ما ، فقلب الأَلف هاءً . وذلك لأَنَّه يريد : مالى الليلة . وما تستعمل فى الاستفهام على حدِّ استعمالها فى الجزاءِ ، أى غير موصولةٍ فيهما . وإنَّما غيِّر كراهية التقاءِ الأَمثال . أَلا ترى أن قوله تعالى : ﴿فى ما إن مَكَّنَّاكُمْ فيه﴾[1] ولم يقل : مامامكَّناكم فيه ، فعدّل إلى (إنْ) لئلاً تلتقى الأَمثالُ فى اللفظ . ومن قال مهما هى مَهْ ما غيرُ مغيَّرة، فإن كان يريد أَنَّها مَهْ التى للأَمر فليس يخلو من أن يجزمَ بها أَو لا يجزم. فإنْ كان يجزم فإنَّما قال مَهْ ثم استأْنف فقال: ما تفعلْ أفعل ، لم يجز . أَلا ترى أَنَّ قوله:

* وأَنَّك مهما تـأْمرى القلبَ يفعل[2] *

ليس يريد به : وأَنَّك اكفنى ، ما تـأْمرى القلب يفعلْ ، وإن كان

٦٣٢ لا يَجزِم الفعلَ بها[3] ، كأَنَّه قال : لتكففْ افعلْ، لم يكن لذكر فعل الشرط وجهٌ . وإن كان لا يريد الأَمر بها ولكنَّها حرفٌ يوافق التى للأَمر فى اللَّفظ ويخالفُه فى المعنى ، فيكون حرفًا للشَّرط يجزم ، بمنزلة إنْ ، جاز ذلك . انتهى .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : إنَّه يجوز أَن يكون مَهْ فى « مهما لى الليلة » ، اسم فعل بمعنى اسكتْ واكففْ عما أَنت فيه من اللَّوْم ، كأَنَّه

---

(١) الآية ٢٦ من سورة الأحقاف . وكلمة « فيه » ليست فى ش .

(٢) لامرئ القيس فى معلقته . وصدره :

* أغرك منى أن حبك قاتلى *

(٣) ش : « وإن كان جزم الفعل بها » ، صوابه فى ط .

يخاطب لائمًا على ما يراه من الوَلَه . ثم قال : مالى الليلة ، تعظيمًا للحال التى أصابته ، والشِّدّةِ التى أدركتْه . ثم ذكر الأَمر الذى يحقّق تعظيم الأَمر فقال :

* أودَى بنعلىّ وسِرباليَه *

يعنى ذهب بنعلىَّ وسرباليه ، كقوله تعالى : ﴿ هلك عَنِّى سُلطانِيَه(١) ﴾ . وإذا ذهب عنه نعله وسرباله دلَّ على أَنَّ حاله بلغت مبلغًا أَذهلته عما لا يُذهَل متيقِّظ عن مثله . وصورة الاستفهام للتعظيم ثم مَجىءُ ما يحقّق ذلك التعظيم بجملة أُخرى بعد ذلك ، من فصيح كلام العرب وبديعِه . قال تعالى : ﴿ الحاقَّةُ ما الحاقَّة * وما أَدراكَ ما الحَاقَّة(٢) ﴾ ثم قال : ﴿ كذَّبَتْ ثمودُ(٣) ﴾ . ويجوز أَن يكون مهما أَصله ماما ، كرِّرت ما الاستفهاميَّة للتأْكيد اللفظى ، فقلبت الأَلف الأُولى هاءً كما قلبت أَلف الشرطية فى قولهم : مهما . وهى عند الأَكثرين : ما ما . وليس ذلك بقياس وإنَّما هو حَمل لفظ العربىِّ على ما يحتمله ، ممَّا هو من جنس كلامهم ، وليس من القياس المختلَفِ فيه فى شىءٍ . ويجوز أَنْ تكون ما الأُولى قَدَّر الوقف عليها ، فقلبت أَلفُها هاءً ، ثم أُجرِىَ الوصلُ مجرى الوقف . والوجه الأَوَّل أَوجَهُ وأَوضح . انتهى .

واختار ابن هشام التوجيه الأَوَّل (فى المغنى) فى ردّ ما قاله الشارح المحقق . قال : ذكر جماعةٌ منهم ابن مالك أَنَّ مهما تأْتى للاستفهام ، واستدلُّوا بهذا البيت ، ولا دليلَ فيه ؛ لاحتمال أَنَّ التقدير : مه اسم فعل

(١) الآية ٢٩ من سورة الحاقة .
(٢) الآية ١ ، ٢ من سورة الحاقة .
(٣) الآية ٤ من سورة الحاقة .

بمعنى اكفف ، ثم استأْنف استفهامًا بما وَحْدَها . هذا كلامه ، وكأَنّه يريد به تقليل الأَقسام مهما أمكن. وعلى أىّ تقديرٍ كان ، مهما ههنا مبتدأ، ولِىَ هو الخبر، والليلة ظرف معمول إمَّا لمتعلَّق الجارّ فى لى ، والتقدير : ما حصل لى ، وإمّا بما تضمَّنه معنى الجملة الكبرى ، لأَنَّ معناها ما أَصنع وما أَلبس . وأَودى : هلك وتَلِف . والنَّعلان : مثنى نعل، وهو ما وقَيت به الرِّجلَ من الأَرض. والسِّربال، بالكسر: القميص، وقيل الدِّرع ، وقيل كل ما لُبس على البَدَن . والباءُ فى قوله(بنعلىَّ) : زائدة فى الفاعل . قال أَبو على(فى كتاب الشعر) : يجوز أَن تكون الباءُ زائدة ، كأَنَّه قال أَودى نعلاى ، فلحقت الباءُ كلما لحقت فى : ﴿ كفى بالله[1] ﴾ . فإنْ قلت : فلم لا تجعل الباءَ زائدةً فى المفعول به ، ويكون الفاعل مضمرًا ، كأَنَّه قال أَودى مُودٍ بنعلىّ ، فتضمِرُه للدَّلالة عليه كما أُضمر فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ[2] ﴾؟ فالقول أَنَّ هذا أَضعف ، لأَنَّه ليس فى مودٍ الذى تضمِرُه زيادةٌ على ما استفدتَه فى قوله أَودى ، وليس قوله سبحانه : ثم بدا لهم ، كذلك ، لأَن البَدَا والبداءَ قد صارًا بمنزلة المذهب فى قولك ذُهب به مذهبٌ وسُلك به مسلك . فإن قلت : فلم لا تجعل فاعل أَودى ذِكْرًا يعود إلى ما فىقوله : مَهما لى الليلة؟ فإنّ ذلك أَيضاً ليس بالقوىّ ، لأَنّ المعنى يصير كأَنَّه أَودَى شئٌ بنعلىَّ . فإذا جعلت الباءَ لاحقة للفاعل كان أَشبه ، ولا تزيد مع الفاعل من الحروف الجارّة غيرَ الباءِ فى قول سيبويه فى الإِيجاب ، كما لم تزد فيه غير الباءِ فى المبتدأ . انتهى كَلام أَبى على .

٦٣٣ وذهب ابن الحاجب (فى أَماليه) إلى أَنَّ الباءَ للتعدية . قال : والباءُ

(١) فى آيات متعددة ، أولها الآية ٦ من سورة النساء .

(٢) الآية ٣٥ من يوسف .

باءُ التَّعدية ، يعنى أذهبَهُما وأَضلَّهما عنِّى . يقال أذهبته وذهبت به بمعنًى واحد . هذا كلامُه .

واختار ابنهشام(فى المغنى) مذهبَ أبىعلى، لكنَّهجَعل زيادة الباءفى الفاعل مختصًا بالضرورة، تبعاً لابن عُصفور (فى كتاب الضرائر) . ثم نقل كلام ابنِ الحاجب وتعقبَّه بقوله : ولم يتعرَّض لشرح الفاعل ، وعلام يعود إذا قدِّر ضميرًا فى أودى . ويصح أن يكون التقدير : أودى هو ، أى مُودٍ ، أى ذهب ذاهبٌ .

ولا يخفى عليك أنَّ هذا التوجيه قد ردَّه أبو علىٍّ وبيَّنَ ضعفَه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلعُ قصيدة لعَمْرو بن مِلْقطٍ الطائى ، عدَّتُها اثنا عشر بيتاً ، أَوردها أبو زيد وابنُ الأَعرابى (فى نوادرَيْهما) .

أبيات الشاهد

وما بعده على رواية أبى زيد :

(إنَّك قــد يكفيكَ بَغْىَ الفتى ودَرْءَهُ أن تَرْكُضَ العـاليه

بطعنــةٍ يَجـرى لهـا عاندٌ كالمـاء من غـائلةِ الجـابيَه

يا أوسُ لو نالتـك أرماحُنا كنتَ كمن تهـوى به الهاويَه

أُلفِيتَـا عينـاكَ عند القَفـا أَولَى فأَولَى لك ذا واقِيَـه

ذاك سنـانٌ مُحْلِبٌ نصـرُهُ كالجمَلِ الأَوطف بالرَّاويه[1]

يا أَيُّها النـاصر أخـوالَه أَأنت خَـيرٌ أم بنو جاريه

أَمْ أُختُكم أَفضلُ أَمْ أُختُنـا أَم أُختُنـا عن نصرِنا وانيه

والخيل قد تُجشِمُ أربابها الـ شِّقَّ وقد تَعْتسِفُ الـدَّاويَه

يـأْبى لى الثَّعلبتـانِ الـذى قال ضُـراطُ الأَمة الراعيَـه

(١) فى النوادر : « بالجمل الأوطف » .

ظلَّت بِوادٍ تجتنى صمغــهُ واحتبلت لِقحتَها الآنيه[١]
ثم غــدَت تَنبِــذ أحرادُهــا إنْ مُتغنَّاةً وإنْ حــاديَه[٢]

قوله: «أن تركُضَ العالية»، فى تأْويل مصدر مرفوع فاعل يكفيك، أى يقيك[٣]، وبَغْىَ الفتى مفعوله الثانى، ودرءه معطوف على بغى. والبغى: التعدِّى. والدَّرءُ: العِوَج. يقال أقمت دَرْءَ فلان أى اعوجاجه. وروى بدله: «وشَغْبه» بالسكون، وهو تهييج الشَّرِّ. والعالية بالعين المهملة: اسم فرس الشاعر، وهو عَمرو بن ملقط، كذا قال أبو زيد.

وزعم ابن الأَعرابى أنَّه أَراد عالية الرُّمح، وغلَّطه أَبو محمد الأَعرابىُّ (فيما كتب على نوادره).

وقد خاطب الشاعر نفسَه فى هذا البيت. وأَراد بالفتى أَوسَ بن حارثة ابن لأْمَ الطائى كما يأْتى.

وقوله: «بطعنة» الخ متعلق بيكفيك. والعاند بالمهملة والنون، هو العِرق الذى لا يخرج دمُه على جهةٍ واحدة. قاله أَبو زيد. والغائلة بالمعجمة: ما غال من الماء وسَرَق. والجابية، بالجيم: الحوض. كذا قالهما أَبو زيد.

وقوله: «يا أَوس» هو أَوس المذكور، وهو جاهلى. ورواه ابن الأَعرابى:

---

(١) ط والنوادر: «صمغة»، صوابه فى ش.
(٢) وكذا فى ط والنوادر. وجعلها الشنقيطى فى نسخته: «جاذية». والجاذية: التى تقوم على أطراف أصابعها. قال النعمان بن نضلة:
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية وصناجة تجذو على حد منسم
لكن شرح البغدادى يقتضى «حاديه» بالحاء والدال المهملتين.
(٣) ش: «أى يكفيك»، وأثبت ما فى ط.

«ياعمرو» وغلَّطه أَبو محمد الأَعرابى. وتهوِى : تقع من فوق إلى أَسفل . والهاوية : المَهْواة .

وقوله : « أُلْفِيَتَا عيناك » إلخ أُلفِيتَا بالبناء للمفعول ، أَى وُجِدَتا . وهذا على لغةِ أَكلونى البراغيث .

وأَورده ابنُ هشام (فى المغنى ، وفى شرح الأَلْفِيَّة) على أَنَّ الأَلف فيه علامةٌ لاثنين .

٦٣٤ وكذا أَورده ابن الأَعرابىّ ، وقد غلَّطه أَبو محمد الأَعرابى وقال : إنَّما هو : « أَفلِتَتَا عيناكَ عند القفا » . ولم يظهرلى معناه ، مع أَنَّه قد وافق أَبا زيد فى الرِّواية .

والعجب من شارحه ابنِ المُلاَّ لقوله هنا : إن هذا البيت لم يسمَّ قائله ، مع أَنَّ هذه القصيدةِ بتمامها فى شواهد العينى فى باب الفاعل ، ولم يتذكَّر ما أَسلفه فى شرح قوله :

* مَهما لِىَ الليلةَ مهماليه *

فى حرف الباء (من المغنى) من قوله : هذا البيتُ مطلع قصيدة لعمرو بن مِلقطٍ الطائى ؛ وسيُورده المصنِّف فى الكلام على مهما . واستشهد ببيتٍ من أَبياتها أَيضًا فى الحرف الهاوى . ويأْتى الكلام عليه هناك . ا هـ .

وقال أَيضاً (عند الكلام على متى) : تقدَّم الكلام عليه مستوفًى فى الباء الموحدة .

وقوله : « أَوْلى لك » ، كلمةُ وعيدٍ وتهديد قد شرحها الشارح المحقِّق فى أَفعال المقاربَة . وقوله : «ذا واقية» ، حالٌ من الكاف ، وصحَّ مجىءُ الحال من المضاف إليه لكون المضاف جزءًا منه . والواقية : مصدرٌ بمعنى الوقاية

كالكاذبة بمعنى الكذب . يصفه بالهروب، ويقول : أنت ذو وقاية من عينيك عند فِرارك تحترس بهما ، ولكثرة تلفُّتك حينئذٍ صارت عيناك كأنَّهما فى قفاك .

وقوله : « ذاك سنان» إلخ : قال أبو زيد: سنان: اسم رجل . والمُحلِب ، بضم الميم وسكون المهملة وكسر اللام : المُعين ، من الإعانة . والأوطف: الكثير شعر الأُذنين وهُدْب العينين . ا هـ . والرَّاوِية : البعير ، أو البغل، أو الحمار الذى يُستَقى عليه . ونَصرُه مبتدأٌ ومُحلبٌ خبره . ووانية من الوَنْى[1] وهو الفتور والإبطاء .

وقوله : « والخيل قد تُجْشِم » إلخ ، الإجشام بالجيم : التكليف ، وفاعله ضمير الخيل، وأربابَها مفعوله الأوّل. والشَّقّ بفتح الشين وكسرها بمعنى المشقَّة ، مفعوله الثانى . والاعتساف : المشى على غير الطريق المسلوكة ، وفاعله ضمير الخيل . والداويَّة : المفاز، وخفّفت الياءُ للضرورة .

وقوله : « يـأْبى لى الثعلبتان » إلخ يـأْبى من الإباء، أى يَكره . والثَّعلبتان فاعل يـأْبَى . قال صاحب الصحاح : الثعلبتان : ثعلبة بن جُدعان بن ذُهل بن رُومان بنِ جندب بن خارجة بن سعد بن فُطْرة بن طيئ، وثعلبة ابن رُومان بن جندب . وأنشد هذا البيت .

والذى : مفعول يَـأْبى ، وقال صلة الذى ، والعائد محذوف، أى قاله. وضُراط فاعل قال، وأراد به أَوْسًا المذكورَ، سَّماه به استهانَةً به وتحقيراً له. وروى: « خُبَاج » بدل ضراط، بضم الخاء المعجمة بعدها موحَّدة ثم جيم ، وهو بمعنى الضُّراط .

وقوله : « ظَلَّت » ، أى استمرت . واللِّقحة بالكسر : الناقة ذات اللَّبن.

(١) يقال : ونى يني ونْياً وونًى وونَاء ووُنيًّا .

والآنية قال أبو زيد : هى المبطئة بلبَنها. وفسَّرها بعضهم على هامش النوادر بالمُدْرِكة .

وقوله : « تَنبِذ أَحرادها » إلخ. تنبذ: تطرح، وفاعله ضمير الأَمة . والأَحراد : جمع حَرَد بفتح المهملتين ، قال أبو زيد : هو الغيظ والغضب. ورواه ابنُ الأَعرابيِّ: « ثم غَدت تنبِض أَحرادُها »، وقال: تنبض تضطرب . أَحرادُها : أَمعاؤها . قال أَبو محمد الأَعرابى : الصواب « ثم غدت تنبذ أَحرادُها » أَى تضرط ، يدلُّك على هذا قوله سابقًا : ضُراط الأَمة الرَّاعية . ا هـ . وروى العينى : « تحرد أَحرادُها » وما أَدرى من أَين نقلها .

وقوله : « إن مُتغنَّاة» إلخ ، قال أَبو الحسن فى شرحه : أَراد متغنِّية يقلبون الياءَ أَلفاً . وحادية من حُداءِ الإبل ، وهو سَوْقها بالغناء . وإن هنا للتقسيم بمعنى إمَّا المكسورة. قال ابن هشام (فى المغنى) : إمَّا المكسورة المشدَّدة مركبة عند سيبويه من إنْ وما . وقد تحذف ما ، كقوله : ٦٣٥

سَقتهُ الرَّواعدُ مِن صيِّفٍ وإنْ مِنْ خريف فلن يَعْدَما[1]

أَى إمَّا من خريف وإمَّا من صيِّف . ويدلُّ لما قلناه رواية الْجرْمى وأَبِى حاتم :

* إمَّا مُغنَّاةً وإن حاديه *

وعمرو بن مِلقطٍ الطائىُّ شاعرٌ جاهلىٌّ . ومِلقط بكسر الميم وسكونِ اللام وفتح القاف . ا هـ . والله أَعلم . عمرو بن ملقط

* * *

(١) للنمر بن تولب . وهو الشاهد الحادى بعد التسعمائة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد السمائة [١] :

٦٨٥ (ومَهْما وكَلْتَ إليه كَفاه)

على أنَّ (مهما) اسمٌ ، بدليل رجوع الضمير إليه ، وهو الهاءُ من كفَاه ، والضمير لا يرجع إلاَّ إلى الاسم ، وأمَّا الضمير فى إليه فراجعٌ إلى الممدوح.

كذا استدلَّ به ابن يعيش (فى شرح الكافية). وكذا الضمير فى به راجع إلى مهما فى الآية [٢] .

وقال الزمخشرى وغيره : عاد عليها ضمير به وضمير بها ، حملاً على اللفظ وعلى المعنى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : والأَوْلى أن يعُود ضمير بها لِآيةٍ . وفيه أَنَّ عَوْدَ الضمير إلى المبيَّن أَولى من عوده إلى البيان [٣] . وزعم السُّهيلى أَنَّ مهما تأْتى حرفًا بدليل قول زهير :

ومَهما تكن عنــد امرىءٍ من خليقــةٍ
وإنْ خالهــا تَخْفَى على النَّــاس تُعْلَمِ

قال : هى هنا حرفٌ بمنزلة إن ، بدليل أَنَّها لا محل لها. وتبعَه ابن يَسَعُون واستدلَّ بقوله :

قــد أُوبيَتْ كــلَّ ماءٍ فهى ضــاوِيَةٌ
مهمَــا تُصِبْ أُفقًا من بارقٍ تَشِمِ [٤]

---

(١) ابن يعيش ٧ : ٤٣ وديوان الهذليين ٢ : ٣٠ .
(٢) الآية ١٣٢ من سورة الأعراف : « مهما تأْتنا به من آية لتسحرنا بها » .
(٣) المغنى ٣٣١ .
(٤) لساعدة بن جؤبة فى ديوان الهذليين ١ : ١٩٨ واللسان (أبى ٤) .

قال : إذْ لا تكون مَبتَدأً لعدم رابطٍ من الخبر [١] وهو فعل الشرط ، ولا مفعولاً لاستيفاء فعل الشرط مفعولَه . ولا سبيل إلى غيرهِما ، فتعيَّن أَنَّها لا موضع لها .

قال ابن هشام : والجواب أَنَّها فى الأَوَّل إمّا خبر تكن ، وخليقة اسمها ، ومن زائدة ، لأَنَّ الشرط غير موجَب عند أَبى على ، وإمَّا مبتدأٌ واسم تكن ضمير راجعٌ إليها والظرف خبر ، وأَنَّث ضميرها لأَنَّها الخليقة فى المعنى ، ومن خليقة تفسيرٌ للضَّمير ، كقوله :

* لِمَا نسجَتْها من جنوبٍ وشمْأَلِ [٢] *

وفى الثانى مفعول تُصب وأُفقًا ظرف ، ومن بارق تفسيرٌ لمهما ، أَو متعلِّق بتُصِب ، فمعناها التبعيض ، والمعنى : أَىَّ شىءٍ تصبْ فى أُفقٍ من البوارق تَشِمْ .

وقول الشارح المحقِّق : إنَّ مهما تأْتى ظرف زمان إلخ ، هو فى هذا تابعٌ لابن مالك ، زعم أَنَّ النحويِّينَ أَهملوا هذا المعنى . وأَنشَدَ لحاتم :

وإنَّك مهما تُعطِ بطنَك سُؤْلَه ... وفَرجَكَ نالَا منتهى الذَّمِّ أَجمَعَا [٣]

وأَبياتاً أُخر . قال ابن هشام : ولادليل فى ذلك ، لجواز كونها للمصدر بمعنى أَى إعطاءً كثيراً أَو قليلاً .

وابن مالك مسبوقٌ بهذا القول . وشدَّد الزمخشرى الإِنكار على من قال بها فقال : هذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرِّفها من لاَ يَدَ له فى

(١) الذى فى المغنى : « لعدم الرابط من الخبر » .
(٢) لامرئ القيس فى معلقته . وصدره :
* فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها *
(٣) ديوان حاتم ١١٤ والهمع ٢ : ٥٧ والأشمونى ٤ : ١٢ .

علم العربية ، فيضعها فى غير موضعها ، ويظنُّها بمعنى متى ، ويقول : مهما جئتنى أعطيتك . وهذا مِنْ وضعه ، وليس من كلام واضع العربية ، ثم يذهب فيفسِّر بها الآية ، فيُلحد فى آيات الله تعالى .

قال ابن هشام : والقول بذلك فى الآية ممتنع ، لتفسيرها بمن آية ، وإنْ صحَّ ثبوته فى غيرها كما ذهب بعضهم فى : مهما تُصِبْ أفقاً
البيت السابق ، قال : مهما فيه ظرف زمان ، والمعنى أىَّ وقت تُصِبْ بارقاً ٦٣٦
من أُفق ، فقلب الكلام . أوفى أُفقٍ بارقاً ، فزاد مِنْ واستعمل أُفقًا ظرفاً .

والمصراعُ الشاهد وقع فى شعر شاعرين أحدهما المتنخِّل الْهُذَلى ، وهو عجز ، وصدره :

(إذا سُدتَه سُدتَ مِطواعةً)

والآخَر : ذو الإصبع العَدْوانى ، وصدره :

(فإنْ سُسْتَه سُسْت مِطواعةً)

وتقدَّم شعرهما مشروحاً فى الشاهد السادس والسبعين بعد المائتين[1]

وقوله :« إذا سُدته » هو من المساوَدَة التى هى المسارَّة ، والسِّواد كالسِّرار بكسرهما لفظاً ومعنى . قال : إذا سارَرْته طاوعك وساعدك . وقال قوم : هو من السِّيادة فكأنه قال : إذا كنت فوقه سيِّدًا له أطاعَك ولم يحسُدْك ، وإن وَكَلْتَ إليه وفوَّضْتَه شيئًا كفاك . والمطواع : الكثير الطَّوع والانقياد ، والتاءُ لتأكيد المبالغة . وقوله فى الرِّواية الأُخرى : « إذا سُسْتَهُ » هو من سُسْت الرَّاعيَة[2] سِياسة ، إذَا دبَّرتهم وقمتَ بأَمرهم . ووكلت[3] إليه الأَمر وَكلا من باب وَعد ، ووُكولاً : فوَّضته إليه واكتفيت به .

* * *

---

(١) الخزانة ٤ : ١٤٦ – ١٥٢ .

(٢) بمعنى الدواب التى ترعى . وفى ط : « الرعية » .

(٣) ط : « ووكل » ، وأثبت ما فى ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[١] :

٦٨٦ (إذْما دَخَلْتَ على الرَّسولِ فقُلْ له
حَقًّا عليكَ إذا اطمَأَنَّ المجلسُ)

على أنَّ سيبويه استشهَد به لإذْما .

وهذا نصُّ سيبويه فى باب الجزاء: فمِمَّا يجازى به من الأَسماءِ غيرِ الظُّروف : مَنْ وما وأَيُّهم . وما يجازَى به[٢] من الظُّروف: أىَّ حينٍ[٣] ومتى ، وأين ، وأنَّى ، وحَيثُما . ومن غَيرِهِما : إنْ وإذْما . ولا يكون الجزاءُ فى حيثُ ولا فى إذْ حتَّى يضمَّ إلى كلٍّ واحدةٍ منهما ما ، فيصير إذْ مع ما بمنزلة إنَّما وكأَنَّما ، وليست ما فيهما بلَغْوٍ ، ولكنَّ كلَّ واحدة منهما مع ما بمنزلة حرفٍ واحد . فممَّا[٤] كان من الجزاء بإذْما قولُ العبَّاس بن مِرداس :

إذْما أَتيتَ على الرسول فقُلْ له البيت .

وقال الآخر ، وهو عبد الله بن همَّام السَّلولى :

إذْما تَرَيْنى اليوم مُزْجًى ظعينتى البيت الآتى

سمعناهُما ممَّن يرويهما عن العرب ، والمعنى إمَّا . ا هـ .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٤٧ والكامل ١٦٤ والجمل ٢٢٢ والخصائص ١ : ١٣١ والمحتسب ٢ : ٨٤ وابن يعيش ٤ : ٩٧ / ٧ : ٤٦ ورصف المبانى ٦٠ .

(٢) ش : « ومما يجازى به » . وفى سيبويه : « ما يجازى به » ، فى هذا الموضع وسابقه .

(٣) ط : « حين » فقط ، صوابه فى ش وسيبويه .

(٤) ط : « فما » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

قال ابن يعيش: إن قيل: إذْ ظرفُ زمانٍ ماضٍ ، والشرط لا يكون إلاّ بالمستقبل ، فكيف يصحُّ المجازاةُ بها ؟ فالجواب[١] من وجهين : أحدهما أنَّ إذْ هذه التي تستعمل فى الجزاء مع ما ، ليست الظرفيَّة ، وإنَّما هى حرف غيرها ضُمَّت إليها ما، فركِّبا دلالةً على هذا المعنى كإمَّا[٢] . والثانى : أنَّها الظرفيَّة ، إلَّا أنَّها بالتركيبِ غُيِّرت ونُقلت ، وغيِّرت عن معناها بلزوم ما إيَّاها إلى المستقبَل ، وخرجت بذلك إلى حيِّز الحروف. ولذلك قال سيبويه : ولا يكون الجزاءُ فى حيثُ ولا فى إذْ[٣] حتَّى يضمَّ إلى كلٍّ واحدةٍ منهما ما ، إلخ . ا هـ .

ورواه أهل السِّيَرَ ، منهم ابن هشام[٤] :

* إمَّا أتيت على النبيِّ فقُل له *

وعليه لا شاهد فيه ، وأصله إنْ ما ، وهى إن الشرطية وما الزائدة .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للعباس بن مرداس الصَّحابى ، قالها فى غزوة حُنين يخاطب بِها النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ويذكر بلاءه وإقدامَه مع قومه فى تلك الغَزْوة وغيرِها من الغَزَوات ، وعدَّتها ستَّةَ عشرَ بيتًا ، وأولها :

أبيات الشاهد

(يــأيُّها الرَّجـــلُ الذى تَهْوِى به   وَجْناءُ مُجمَرةُ المناسم عِــرمِسُ
إمَّا أتيت على النبيِّ فقــل له   حَقًّا عليك إذا اطمــأَنَّ المجلسُ
٦٣٧ ياخيرَ مَنْ ركِبَ المطىَّ ومَن مشَى   فوقَ التُّراب إذا تُعَدّ الأنْفُسُ
إنَّا وفَيْنــــا بالذى عاهدتَنــــا   والخيلُ تُقْدَع بالكُماة وتُضْرَسُ)

(١) فى النسختين : « والجواب » . والوجه ما أثبت من ابن يعيش ٧ : ٤٧ .
(٢) فى ابن يعيش : « كإنما » .
(٣) ط فقط : « إذا » تحريف ، صوابه فى ش وسيبويه وابن يعيش .
(٤) سيرة ابن هشام ٨٦٣ . وانظر أيضاً البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٣ .

قوله : « يأَيُّها الرجل » إلخ تهوِى بكسر الواو : تُسرع . والوَجْناءُ : الناقة الغليظة الوَجَنات ، قال السُّهيلىُّ (فى الروض الأُنف) : وجْناءُ : غليظةُ الوجَنَات بارزُتها ، وذلك يدلُّ على غُؤور عينها ، وهم يصفون الإبل بغُؤور العينين عند طول الأَسفار . ويقال من الوَجْنة فى الآدميِّين : رجلٌ موجَّن وامرأة موجَّنة ، ولا يقال وجناء . قاله يعقوب . ومُجمَرة بالجيم : اسم مفعول من أجمَرَ البعيرُ ، إذا أَسرَعَ فى سيره . والمناسم : جمع مَنسِم كمجلس ، وهو مقدَّم طرفِ خُفِّ البعير . قَال السُّهيلى : مُجْمَرة المناسم ، أى نَكَبتْ مناسمَها الجمار ، وهى الحجارة . وقد يريدُ أيضاً أنَّ مناسمها مجتمعة منضمَّة ، فذلك أَقوى لها . وقد حُكى : أَجمرت المرأةُ شعرَها ، إذا ضَفرته . وأَجمر الأَميرُ الجيشَ ، أَى حبَسَه عن القُفول . والعِرمِس ، بكسر العين وسكون الراء المهملتين وكسر الميم ، قال السُّهيلىُّ : هى الصخرة الصُّلبة ، ويشبَّه بها(١) الناقة الجَلْدة .

وقوله : (إذْما دخلْتَ) إلخ جملةُ « دخلتَ » وجملة « أَتيتَ » فى الرواية الأُخرى فى محلّ جزمٍ شرطٌ لإذما أَو لإمَّا ، وجملة فقل كذلك جوابُ إذما وجزاؤه . وأَراد بالرَّسول والنبىِّ نبيَّنا محمدًا صلى الله عليه وسلم . وقوله : (حقًّا عليك) قال اللخمى : قيل إنَّه منصوب بقُل ، والصواب أَن يكون منصوباً على المصدر المؤكَّد به ، أَو نعتًا لمصدر محذوف ، لأَنَّ المقول ما بعد البيت ، وهو « يا خَيْرَ من ركب المطىَّ » إلخ. وعليك متعلِّق بحقًّا . وإذا ظرفٌ لقُلْ . واطمأَنَّ : سكَن . والمجلس ،

(١) فى الروض الأنف ٢ : ٢٩٨ : « وتشبه بها » .

قيل يريد أهلَ المجلسِ فحذف المضاف . وحكى أبو عليٍّ البغداديُّ[(١)] أنَّ المجلسَ النَّاسُ . وأنشد :

ذهب الخيارُ من المعاشِرِ كلُّهمْ واستَبَّ بعدكَ يا كليبُ المجلسُ[(٢)]

ويجوز أن يكون المعنى : إذا اطمأنَّ جلوسك .

وقوله : « يا خيرَ من» إلخ ، هذا مقول القول . وقد تعسَّف بعضُ أفاضل العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) بقوله : يا خير من ركب بيانٌ لقوله حقًّا أو بدل منه . ويجوز أن يكون واقعاً موقعَ القسم، تأْكيداً للأَمر، والمعنى : قل له قولاً حقًّا صدقاً واجبًا عليك ، أو قل له واللهِ يا خير الراكبين . هذا كلامه .

والمطىّ : جمع مطيَّة : البعير، لأَنه يُركَب مَطاهأى ظهره . وقوله : « ومن مشى » هو معطوف على من ركب، أى ويا خير من مشى . وقوله : « إذا تُعَدُّ الأَنفس » إذا متعلِّقة بخير ، أى أنت خير الناس إذا عُدُّوا نَفْساً نفساً ، أى واحداً واحداً . ورواه ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : « إذا يُعدُّ الأَنْفَسُ » بالمثناة من تحت . وقال : الأَنفس بفتح الفاء ، على أنه أفعل تفضيل من النَّفاسة .

وقوله : « إنَّا وفَيْنا » إلخ هذا جواب النداء . وقوله : « والخيلُ تُقدَعُ» إلخ بالبناء للمفعول أى تُكَفُّ . وقيل تُقدع بمعنى تُضرب بالمِقْدَعة[(٣)] وهى العَصا . والكُماة : جمع كمىٍّ ، وهو الشُّجاع . وتُضْرَس بالبناء للمفعول أيضاً أىْ تُخرَج . وقال السُّهيلىّ : أى تُضرَب أضراسُها باللُّجُم ، تقول : ضرْستُه أى ضربتُ أضراسه ، كما تقول : رأستُه ، أصبتُ رأسه .

(١) يعنى أبا على القالى فى أماليه ١ : ٩٥ .

(٢) البيت لمهلهل ، كما فى الأمالى . وانظر نوادر أبى زيد ٢٩ ومجالس ثعلب ٤٦ ، ٥٦٢ وابن الشجرى ١ : ٥٢ ، ١٨٤ ، ٣٢٤ .

(٣) ط : « بالقدعة » ، صوابه فى ش .

٦٣٨ والعباس بن مرداس السُّلَمى ، من بنى سُلَيم بضم السين : صحابىٌّ رضى الله عنه . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع عشر من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٦٨٧ (إذْماترينْىِ اليومَ أُزجِى ظَعِينَتِى أُصعِّدُ سيراً فى البلاد وأُفْرِعُ)

لما تقدَّم قبله . فترينى مجزوم بإذما بحَذْف النون ، والأَصل ترينني ، فحذِفت الأُولى للجزم ، والثانية نون الوقاية ، والياءُ ضمير المتكلم وجزاءُ الشرط هو الثانى .

وقد أنشدهما سيبويه معاً ، فكان ينبغى للشارح المحقق إنشادُهما كذلك ، وهو :

(فإنِّىَ من قومٍ سِواكُمْ وإنَّما رجالىَ فَهْمٌ بالحجــاز وأَشْجَعُ)

فجملة إنِّى من قوم سواكم فى محل جزم جزاءُ الشرط ، والفاءُ للربط.

صاحب الشاهد والبيتان لعبد الله بن هَمَّام السَّلولى .

والإزجاءُ : السَّوق ، بالزاءِ المعجمة والجيم . يقال أزجيت الإبل، إذا سقْتَها . وظعينتى مفعول أُزجِى . و (الظعينة): المرأة ما دامت فى الْهَوْدج . وروى بدله : « مطيتى » . والمطيَّة : البعير .

وزعم بعض فضلاءِ العجم (فى شرح أَبيات المفصل) أَنَّ ظعينتى منادًى ، ومفعول أُزجى محذوف تقديره : ركائبى .

(١) الخزانة ١ : ١٥٢ .

(٢) سيبويه ١ : ٤٣٢ والأصول لابن السراج ٢ : ١٦٥ والأزهية ٩٨ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٥ وابن يعيش ٧ / ٣٧ ، ٩ : ٦ .

وروى سيبويه : « مزجًى ظعينتى » بصيغة اسم المفعول ، فيكون ظعينتى نائبَ الفاعل ، وذكَّر مُزْجًى والأَصل مزجاة بالهاء ، قاله ابن المستوفى .

وجملة أُزجى حالٌ من الياء من تَرَينى لا مفعولٌ ثانٍ لترى ، لأَنَّها هنا بصريَّة . وكذلك مزجًى حال .

وجملة أُصعِّد وأُفرِعُ تفسيرٌ لأُزجى وبيانٌ له . وقال ابن المستوفى : أُصعِّد موضعه النصب على الحال ، ولو جُعل بدلاً من مُزجًى على رواية من روى مطيَّتى ، جاز ؛ لأَنَّ معنى يُزْجِى مطيَّته معنى يصعِّد فى البلاد ويُفْرِع . قال صاحب الصحاح : وأَصعَد فى الوادى وصَعَّد فى الوادى تصعيدًا ، أَى انحدر فيه . وأَنشد هذا البيت ، فيكون أَفْرِع بفتح الهمزة مقابلاً له . قال صاحب الصحاح : وفرعت الجبل : صَعِدته ، وأَفرعت فى الجبل : انحدرت. قال رجلٌ من العرب : لقيت فلاناً فارعاً مُفرعاً ، يقول : أَحدنا مُصعِدٌ والآخر منحدر . وسيرًا : مصدر فى موضع الحال . وأَنشد الزمخشرى (فى المفصَّل) المصراعَ الأَوَّل كذا : « فإِمَّا ترينى اليومَ » على أَنَّ ما تزاد بعد إِنْ للتأْكيد .

وقوله : « فإِنِّىَ من قومٍ سواكم » .

فإِن قيل : كيف قال سواكم ، وهو يخاطب امرأَة ؟ فالجواب أَنَّه للتعظيم ، وربَّما خوطبت المرأَةُ الواحدة بخطابِ جماعةِ الذُّكور مبالغةً فى سَتْرها ، فيُعدَل عن الإِفرادِ والتأْنيث إِلى الجمع والتذكير ، فيبعد عن الضَّمير لها بمرتبتين . ومنه قوله تعالى حكايةً عن موسى : ﴿ فقالَ لأَهلِهِ امْكُثُوا[1] ﴾ . وقال عُمر بن أَبى ربيعة مخاطبًا لامرأَة :

---

(١) الآية ١٠ من سورة طه .

كم قد ذكرتكِ لو أُجزَى بذكرِكُمُ
يا أَشبَهَ النَّاسِ كلِّ النَّاسِ بالقَمَرِ [1]

وفَهْم بالميم لا بالراء ، وأشجع : قبيلتان . قال الأعلم [2] : انتمى الشاعر فى النَّسب إلى فَهْمٍ وأشجع ، وهو من سَلول بن عامر ، لأنَّهم كلَّهم من قيسِ عَيلان بن مضر .

وقائل هذين البيتين كما قال سيبويه وغيره : عبدُ الله بن همَّام السَّلولى .

٦٣٩ وهذا نسبُه (من الجمهرة) : عبد الله بن همَّامٍ بتشديد الميم ، ابنِ نُبَيشة بضم النون ، ابنِ رِياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية ، ابنِ مالك ابنِ الهُجَيم بالتصغير ، ابنِ حَوْزة بالحاء المهملة ، ابنِ عمير بنِ مرَّة بنِ صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وكان يقال لعبد الله من حُسن شعره : « العَطَّار » .

وسَلول هى بنت ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة ، كانت امرأة مُرَّةَ بنِ صعصعة ، وأولادها منه ينسبون إليها .

عبد الله بن همام وعبد الله بن همام شاعر إسلامىٌّ من التابعين . قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو من بنى مُرَّة بن صعصعة من قيس عيلان . وبنو مُرَّة يعرفون ببنى سَلولَ ، وهى أُمُّهم ، وهى بنت ذُهْل بن شيبان من ثعلبة ، وهم رهط أبى مريم السَّلولى ، وكانت له صحبة [3] . وعبد الله هو القائل فى عَرِيفِهم :

---

(١) ديوان عمر ١١٦ . ونسب فى العينى ٤ : ٨٨ إلى كثير . انظر ديوانه ٥٣١ .
(٢) ش : « قال الشاعر » ، تحريف . وانظر الشنتمرى ١ : ٤٣٢ .
(٣) واسمه مالك بن ربيعة ، وهو مشهور بكنيته . الإصابة ٧٦٢٥ .

ولمَّـــا خشِيتُ أَظـافيره نجـوتُ وأرهنْتُه مالكا[١]
عَرِيفًا مقيمًا بدار الهـــوا نِ أهونْ عليَّ به هالكا[٢]

وهو القائل فى الفُلافِس[٣] :

أَقِلِّى علىَّ اللَّـــوْمَ يا ابنةَ مالكٍ[٤] وذُمِّى زمانًا ساد فيه الفُـلافِسُ
وســاعٍ من السلطان ليس بناصح ومحترس من مثلهِ وهو حارسُ[٥]

وكان الفُلافس هذا على شُرطة الكوفة ، من قبل الحــارث بن عبد الله بنِ أَبى ربيعة المخزومى ، أخى عمر بن أَبى ربيعة . وخرج الفُلافس مع ابنِ الأشعث فقتله الحجَّاج .

وعبد الله هو القائل ليزيدَ بنِ معاوية[٦] :

اصبرْ يزيد فقـــد فارقتَ ذا مِقَـــةٍ
واشــكرْ حِباءَ الذى بالملك ردَّاكا[٧]

---

(١) أنشدهما فى اللسان (رهن) وبعدهما بيتان ، هما :
وأحضرت عذرى عليه الشهـــو د إن عاذرا لى وإن تاركا
وقد شهد الناس عنـــد الإما م أنى عدو لأعدائكـــا
وفى اللسان وإصلاح المنطق ٢٣١ ، ٢٤٩ .
فلمـــا خشـــيت أظافيرهم نجـــوت وأرهنتهم مـــالكا
(٢) فى اللسان : « غريباً » .
(٣) فى الحيوان ١ : ٢١٦ وعيون الأخبار ١ : ٥٧ أن الفلافس هذا كان على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، أخى عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، كما سيأتى . وفى ش : « الفلاقس » ، تحريف .
(٤) فى المحاسن والمساوى للبيهقى ١ : ٢٦٦ : « ياأم مالك » .
(٥) فى الحيوان وعيون الأخبار والشعراء : « وساع مع السلطان » . وفى المحاسن والمساوى للبيهقى : « كساع إلى السلطان » ، مع نسبة البيتين إلى البر دخت الشاعر .
(٦) يعزيه عن أبيه معاوية . الشعراء ٦٥٢ والكامل ٧٨٥ .
(٧) فى الكامل : « ذا ثقة » . والمقة : المحبة ، ومقه يمقه . وفى الكامل أيضاً : « واشكر بلاء الذى بالملك أصفاكا » . وكذا نجد بقية الأبيات برواية أخرى فى الكامل .

لا رُزْءَ أعظَمُ بالأَقوام قد علموا
ممَّا رُزئْتَ ولا عُقبَى كعُقباكا
أَصبحتَ راعىَ أهلِ الدِّين كُلِّهمُ
فأَنت ترعاهُمو والله يَرْعَاكا
وفى معاويةَ الباقِى لنا خَلَفٌ
إذا نُعِيتَ ولا نسمَعْ بمنعاكا

* * *

وأَنشد بعده :

(كبيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ)

على أن قوله (مزمَّل) جُرَّ لمجاورته المجرور ، وهو أُناس ، أَو بجاد ، ولولاه لرُفع ، لأَنَّه صفة لقوله كبير .

وقد تقدَّم شرحه مفصَّلاً مستوفًى فى الشاهد الخمسين بعد الثلثمائة[1]

وهو عجزٌ ، وصدره :

(كأَنَّ أَبانًا فى عرانينِ وَبْلِه)

والبيت من معلَّقة امرئ القيس .

* * *

وأَنشد بعده :

(فَمتَى واغلٌ يَزُرْهم يُحيُّو ه وتُعطَفْ عليه كأْسُ السَّاقى)

على أَنَّه فصل اضطرارًا بين متى ومجزومه فعلِ الشرط بواغل ، فواغل فاعلُ فعلٍ محذوف يفسِّره المذكور ، أَى متى يَزُرْهم واغل يَزُرْهم . والواغل : الذى يدخل على مَنْ يشرب الخمر ولم يُدْعَ إليها ، وهو فى الشَّراب بمنزلة الوارش فى الطَّعام ، وهو الطُّفيلىّ .

---

(١) الخزانة ٥ : ٩٨ .

وقد تقدَّم الكلام على هذا البيت فى الشاهد الحادى والستين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(أينما الرِّيح تُميِّلها تَمِلْ)

لما تقدَّم قبله ، فتكون الريحُ فاعلةً لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، أى أينما تميِّلها الريح تميِّلها .

وقد تقدم الكلام على هذا البيت أيضاً فى الشاهد الثانى والستين بعد المائة[2] . وهو عجز وصدره :

(صعدة نابتة فى حائرٍ)

* * *

٦٤٠ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الستمائة[3] وهو من شواهد سيبويه :

٦٨٨ (ومَنْ نحن نؤمِنْه يبِتْ وَهْوَ آمِنٌ)

لما تقدَّم قبله ، فنحن فاعل لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، فلمَّا حُذف الفعل برز الضمير وانفصل ، والتقدير : فمن نؤمنه نؤمِنْه .

قال سيبويه (فى باب الحروف التى لا تقدُم فيها الأسماءُ الفِعل) : اعلم أنّ حروف الجزاء يقبح أن تتقدَّم الأسماءُ فيها قبل الأفعال ، وذلك أنّهم شبهوها بما يَجزِم ممَّا ذكرنا ، إلَّا حروف الجزاء ، قد جاز ذلك فيها

(١) الخزانة ٣ : ٤٦ — ٤٧ .
(٢) الخزانة ٣ : ٤٧ — ٥١ .
(٣) فى كتابه ١ : ٤٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٦٥ والإنصاف ٦١٩ والمغنى ٤٠٣ والهمع ٢ : ٥٩ .

فى الشِّعر ، لأَنَّ حروف الجزاء يدخلها فعَل ويفعُل ، ويكون فيها الاستفهام فيُرفع فيها الأَسماءُ ، وتكون بمنزلة الذى ، فلما كانت تَصرَّفُ هذا التصرُّفَ وتُفارقُ الجزم ، ضارعت ما يجرُّ من الأَسماء التى إن شئْتَ استعملتَها غير مضافةٍ ، نحو ضاربٌ عبدَ الله ، فلذلك لم تكن مثل لم ولا فى النهى ، واللام فى الأَمر ، لأَنّهنّ لا يفارقْن الجزم . ويجوز فى الكلام فى (إن) إذا لم تجزْم فى اللفظ ، نحو قوله :

* عاودْ هَرَاةَ وإنْ معمورُها خَربا[١] *

فإن جزمت ففى الشعر ، لأَنّه يشبَّه بلم. وإنَّما جاز فى الفصل ولم يشبه لأَنَّ (لم) لا يقع بعدها فَعَلَ. وإنَّماجاز هذا فى إنْ لأَنَّها أَصل الجزاء ، ولا تفارقُه ، فجاز هذا كما جاز إضمار الفعل فيها حين قالوا : إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشر . وأَمَّا سائر حروف الجزاء فهذا فيه ضعْف فى الكلام ، لأَنَّها ليست كإن، فلو جاء[٢] فى إن وقد جزمَتْ كان أقوى ، إذ جاز فيها فَعَل. وممَّا جاء فى الشعر مجزومًا فى غير إن قولُ عدىٍّ بن زيد :

فمتى واغلٌ ينُبْهم يحيُّو ه . . . البيت

وقال :

* أينَما الرِّيحُ تميِّلْها تمِلْ[٣] *

ولو كانت فَعَل كان أقوى ، إذْ كان ذلك جائزاً فى إن فى الكلام.
واعلم أَنَّ قولهم فى الشعر : إنْ زيدٌ يأْتِكَ يكن كذا ، إنَّما ارتفع على فعلٍ

---

(١) لشاعر من أهل هراة ، قاله عند ما افتتحها عبد الله بن خازم سنة ٦٦ . انظر ما كتبت فى حواشى سيبويه ٣ : ١١٣. وعجزه :

* وأسعد اليوم مشغوفاً إذا طربا *

(٢) فى سيبويه : « فلو جاز » .

(٣) لكعب بن جعيل ، كما فى سيبويه ١ : ٤٥٨ . وصدره :

* صعـــدة نابتـــة فى حائر *

هـــذا تفسيرُه ، كما كان ذلك فى قولك : إنْ زيدًا رأيته[١] يكن ذلك ، لأنَّها لا يبتدأُ بعدها الأسماءُ ثم يبنى عليها . فإن قلت: إنْ تأتنى زيدٌ يقل ذلك، جاز على قول من قال: زيداً ضربته. وهذا موضع ابتداءٍ. ألا ترى أنَّك لو جئت بالفاء فقلت: إنْ تأتنى فأنا خيرٌ لك ، كان حسناً . وإن لم تجعله على ذلك[٢] رُفع وجاز فى الشعر ، كقوله :

* الله يشكرها[٣] *

ومثل الأوَّل قول هِشامٍ المُرِّىّ :

(فمن نحنُ نؤمِنْه يبتْ وهو آمنٌ ومن لانُجِرْهُ يُمْسِ منَّـا مفزَّعا)

انتهى كلامُ سيبويه ، ولنفاسته سُقناه بتمامه .

وقد أورد ابن هشام هذا البيت (فى المغنى) قال: قولنا الجملة المفسِّرة لا محلَّ لها ، خالف فيه الشَّلوبين ، فزعم أنَّها بحَسَب ما تفسِّره ، فهى فى نحو: زيدًا ضربته لا محلَّ لها، وفى نحو: ﴿إنَّا كلَّ شىْءٍ خَلقْناهُ بقَدرٍ﴾[٤] ونحو زيدٌ الخبزَ يأكله ،بنصب الخبز، فى محلّ رفع. ولهذا يظهر الرفع إذا قلت آكِلُه . قال :

* فمن نحن نؤمِنْه يبتْ وهو آمنٌ *

٦٤١ فظهر الجزمُ . وكانت الجملةالمفسِّرة عنده عطفَ بيان أو بدلاً.

---

(١) فى النسختين : « إن زيد رأيته » ، وأثبت ما فى سيبويه :

(٢) فى سيبويه : « وإن لم يحمله على ذلك » .

(٣) قطعة من بيت هو الشاهد ٦٩١ ص ٤٩ . وتمامه .

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

(٤) الآية ٤٩ من سورة القمر .

ولم يُثبت الجمهورُ وقوع البيان والبدل جملةً . وقد بيَّنت[1] أنَّ جملة الاشتغال ليست من الجمل التى تسمَّى فى الاصطلاح جملةً مفسِّرة وإنْ حصل فيها تفسير .

ولم يثبتْ جوازُ حذف المعطوف عليه عطفُ البيان ، واختُلِف فى المبدل منه .

(وفى البغداديات) لأبى علىّ أنَّ الجزم فى ذلك بأداة شرط مقدَّرة فإنَّه قال ما ملخَّصه أنَّ الفعل المحذوف والفعل المذكور فى نحو قوله :

* لا تجزعى إنْ منفسًا أهلكته[2] *

مجزومان فى التقدير، وأنَّ انجزام الثانى ليس على البدَليَّة ، إذ لم يثبت حذف المبدل منه، بل على تكرير إنْ، أى إن أهلكتُ منفسًا إن أهلكته، وساغ إضمار إنْ لاتِّساعهم فيها . ا هـ .

والبيت لهشامٍ المرّى كما قاله سيبويه[3] وغيره ، وهو منسوبٌ إلى صاحب الشاهد مُرّة بن كعب بن لؤىٍّ القرشىٍّ ، وهو شاعر جاهلى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد السبّمائة[4] :

٦٨٩ (يُثنِى عليكَ وأنتَ أهلُ ثنائِهِ ولديك إنْ هو يستزدْكَ مَزيدُ)

على أنَّ مجىء الشرط المفصول باسمٍ من أداة الشرط مضارعًا شاذٌّ ، وحقه أن يكون ماضيًا ، سواءٌ كان لفظًا ومعنى ، نحو : إن زيد قام قمت ، أو معنًى فقط نحو قوله[5] :

(١) ش : « وقد ثبت » ، وما أثبت من ط يطابق ما فى المغنى .

(٢) للنمر بن تولب فى سيبويه ١ : ٦٧ والمقتضب ٢ : ٧٦ والخزانة ١ : ١٥٢، ٤٥٠/٤ : ٤١٠

(٣) ش : « كما قال سيبويه » .

(٤) الهمع ٢ : ٥٩ والأشمونى ٤ : ٣٠ والحماسة بشرح المرزوقى ١٠٤١ .

(٥) هو السموءل بن عاديا . الهمع ١ : ٦٣ / ٢ : ٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ١١١ .

وإنْ هو لم يَحْمِلْ على النَّفسِ ضيمَهَا
فليس إلى حُسْنِ الثَّنـاءِ سبيـلُ

وفيه نظر من وجهين :

الأوَّل : أنَّه عمَّم فى أداة الشرط ، وسيبويه خصَّه بإنْ كما تقدَّم ، وتبعه مَنْ بعدَه .

الثانى : أنَّ مجىء المضارع ضرورةٌ لا شاذٌّ ، سواءٌ كانت الأداة إن أو غيرها ، كما تقدَّم عن سيبويه . وهو فى هذا الثانى تابعٌ لابن مالك (فى التسهيل) . ورُوِىَ :

* ولديك إمَّا يستزدْك مزيدُ *

فلا شاهد فيه . فإمَّا هى إن الشرطية وما الزائدة .

صاحب الشاهد — والبيت من أبياتٍ ستَّةٍ لعبد الله بن عَنَمة الضَّبِّىّ ، أوردها أبو تمّام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(أأُبَىُّ لا تبعَدْ وليس بخالد — حىٌّ ومن تُصِبِ المنونُ بعيدُ
أأُبَىُّ إنْ تصبحْ رَهينَ قـرارةٍ — زَلَجِ الجوانبِ قعرُها ملْحودُ[1]
فلربَّ مكروب كررتَ وراءَه — فمنعتَـهُ وبنو أبيـهِ شُهودُ
أَنَفًا ومَحمِيَـةً وأَنَّك ذائـدٌ — إذ لا يكاد أخو الحفاظ يذودُ
فلربَّ عانٍ قد فككتَ وسائلٍ — أعطيتَهُ فغَـدَا وأنت حميـدُ
يُثنِى عليك وأنت أهلُ ثنائه — ولديك إمَّـا يستزدْك مزيدُ)

وقوله : « أأُبَىُّ » إلخ الهمزة للنداء ، وأُبَىّ منادى . ولا تبعَد : لا تهلِك

(١) الزلج ، بالفتح وبفتحتين : الزلق . ويروى : « زلخ » بالفتح وكفرح ، وهو بمعنى السابق . وفى ط : « ذلج » ، تحريف .

وأخبَرَ أنَّ ذلك ليس بكائن، من أَجْل أنَّه لا يبقى على الدَّهر ذو حياة. والمَنونُ: المنيَّة. وبعيدُ خبر مبتدإٍ محذوفٍ، أى فهو بعيد.

وقوله: «تصبحْ رهينَ»، إلخ أى إنْ خلَّيت مكانك وصرت رهينَ قبر زلقِ الجوانب[1] لا يُنعَش صريعُه ولا يفكّ رهينُه، فلربَّ مكروبٍ، أى ربَّ مُضيَّقٍ عليه، تعطَّفت عليه وأنقذته.

وقوله: «أنفاً ومحميَة» مفعول لأجله، أى فعلت ذلك حميَّةً وأنفة، ولأنَّ مِنْ سجيَّتك الذِّيادَ، أى المنع، حين لا ذائدَ، لشدَّة الأَمر.

والعانى: الأَسير، من عنا يعنو إذا خضعَ. أى وربَّ أسيرٍ أطلقته من إسارِه، وربَّ سائلٍ أعطيتَه فأَغنيتَه، فانصرفَ عنك وأنت محمودٌ مشكور، وهو يثنى عليك ويشكر نِعْمتَك. ولو عاد إليك لوجد مَعَادًا، إذْ لا تضَجرُ ولا تسأَم من الإِفضال والجود. ٦٤٢

وعبد الله بن عنمة شاعرٌ إسلامىٌّ مخضرمٌ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخمسين بعد الستمائة[2].

* * *

وأنشد بعده:

(أينَما الرِّيحُ تميِّلْهَا تَمِلْ)

لما تقدَّم قبله. وتقدَّم الكلامُ عليه قريباً وبعيداً[3].

* * *

وأنشد بعده:

(إنْ منفسٌ أهلكتُه)

---

(١) فى النسختين: «رتق الجوانب»، صوابه ما أثبت.

(٢) الخزانه ٨: ٤٧١-٤٧٢.

(٣) الخزانة ٣: ٤٧-٥١، كما سبق هنا قريباً فى ص ٣٨.

هو قطعة من بيت ، وهو :

(لا تجزعى إنْ مِنفسٌ أَهلكْتُه   وإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزَعى)

وتقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً فى الشاهد السادس والأَربعين من أَوائل الكتاب[1]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الستّمائة[2] :

٦٩٠ (وللخيلِ أَيّامٌ فمن يَصطبِرْ لهـا
ويَعْرِفْ لهـا أَيّامَهـا الخيرَ تُعْقِبِ)

على أَنَّ (الخيْر) مفعولٌ مقدَّم لتُعقِب، وتعقب مجزومٌ جواب الشرط، وإنَّما كسرت الباءُ لأَنَّ القصيدة مجرورة .

وإنَّما جاز الكسر فى المجزوم دون المرفوع والمنصوب لوجهين : أَحدهما أَنَّ الجزم فى الأَفعال نظير الجرّ فى الأَسماء ، فلمَّا وجب تحريكُه للقافية حرّكوه بحركة النظير .

والثانى: أَنَّ الرفع والنصب يدخلان هذا الفعل ولا يدخله الجرَّ ، فلو حرّكوه بالضم أَو الفتح لالْتبس[3] حركةُ الإعراب بحركة البناء ، بخلاف الكسر فإنَّه ليس فيهِ لَبْس .

صاحب الشاهد قال يعقوب بن السكيت (فى شرح ديوان طفيل): أَراد تُعْقِبه الخيلُ الخيرَ؛ فقدَّم وأَخَّر . ا هـ .

وأَجابَ الدماميني عن الكوفيين بأَنَّ الخيرَ صفةُ أَيامَها، أَى أَيّامَها الطيِّبة ، فلا فصْلَ لأَنَّه ليس بمفعول للجزاء ؛فجزم تعقب لعدم الفَصْل .

(١) الخزانة ١ : ٣١٤ – ٣٢٢ .
(٢) الإنصاف ٦٢١ . وانظر ديوان طفيل ١٦ كرنكو ، و ٣٥ محمد عبد القادر .
(٣) ش : مع تصحيح : « لالتبست » ، وهما سواء .

وفيه نظر من وجهين :

أحدهما أنَّ الأيَّام هنا عبارةٌ عن الشَّدائد المتعلِّقة برياضة الخيل ، ومقاساةِ أهوالها ، فلا طيب بالشَّدائد على النفس ، والقرينة استعمال الصَّبر .

ثانيهما: أنَّ تُعقِب فعل متعدٍّ ، فلا بدَّ له من مفعول ، وليس هنا منزَّلاً منزلة الفعل اللازم . فإذا كان الخير صفة أيامَها ، لا يعلم ما الذى تُعْقبه الخيل . ويشهَدُ لما قلنا ما أنشدَه ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) ، وهو قول الشاعر :

* وكلَّ مُفَدَّاة العُلالة صِلدِمِ[1] *

قال : أى أعقبهم خيلهم هذِه[2] خيراً، ممَّا قاموا عليها وصنَعوها. والأهوج : الذَى يركب رأسه. والمِهْرَج، بكسر الميم : الكثير الجرى. وقوله : مفدَّاة العُلالة، يقال لها إذا طُلب علالتُها وهى بقيَّة جريِها : وَيْهاً فِدًا لك ، ومثله قولُ طفيل : « وللخيل أيّام » البيت . والعربُ لكثرة انتفاعها بالخيل تسمِّيها الخير، قال الله تعالى: ﴿ إنِّى أحبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْر رَبِّى حتَّى توارَتْ بالحجاب[3] ﴾. ذكروا أنَّه لَهَا بالخيل وبالنَّظر إليها ، حتَّى فاتته صلاةُ العصر . وقال أبو ميمون العِجْلىّ : ٦٤٣

* والخيلُ والخيراتُ كالقرينين[4] *

(١) المعانى الكبير ٨٤ برواية : « كل أهوج ممرج » . وفى ديوان أوس بن حجر ١٢٠ : « مهرج » ، وكذا فى الأمالى ١ : ١٨٩ .

(٢) ط : « هذا » ، صوابه فى ش والمعانى الكبير .

(٣) الآية ٣٢ من سورة ص .

(٤) المعانى الكبير ٨٥، ١٧٦ وعيون الأخبار ١ : ١٥٦ . وفى عيون الأخبار : « فى قرينين » .

وقوله: « وللخيل أيام » مبتدأ وخبر، وقوله: « ويعْرِف لها » معطوف على يصطبر، ولهذا جزم. وتُعقِب، أى تحدث الخيرَ فى العاقبة. والماضى أعقبَ بالهمزة، وهو متعدٍّ لمفعولين كما فُهم من ابن السكيت.

والبيت من قصيدةٍ طويلة عدّتها ستة وسبعون بيتاً، قالها فى غارةٍ أغارها على طيِّئ أكثرُها فى وصف الخَيْل. وبعده:

أبيات الشاهد

وقــد كان حيَّــانَا عــدُوَّيْنِ فى الــذى
خَلا، فعلَى ما كان فى الدهــر فارتُبِى[1]

إلى اليــومِ لم تَحدُثْ إليــكم وسيــلةٌ
ولم تَجِدُوها عنــدنا فى التنسُّبِ[2]

جــزيناهُمُ أمسِ العظيمــةَ إنّنــا
متى مــا تكن منا الوسيقة نَطلب[3]

قال ابن السكيت: قوله فارتبى، يريد فاثبتى أيتها العداوة. وقوله: « إلى اليوم » إلخ يقول: لم تكن بيننا مودّةٌ ولا نسب فيُستعطَف به. والوَسيقةِ: الطريدة. والعظيمة: الفظيعة[4].

طفيل الغنوى

وطفيل الغنويُّ شاعر جاهلى، وهو طفيل بن عوف بن خَلَف بن ضُبَيس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جِلّان، بكسر الجيم وتشديد اللام، ابن غَنْم بفتح فسكون، ابن غنيّ بن أعصُر. كذا فى الجمهرة.

---

(١) ويروى: « فارتب » بخطاب المذكر، أى اثبت أيها الأمر.

(٢) ويروى: « لم تحدث إليكم » بالنون.

(٣) ويروى: « الفطيمة »، وهى ما فطمهم وحرمهم ما أرادوه من الوقائع. وفى ط: « الوثيقة » بالثاء هنا وفى الشرح. صوابه فى ش والديوان.

(٤) ش: « القطيعة ».

قال الصولى (فى كتاب الكتاب[١]) فى خلال وصف الحِبْر : وسمَّوا طُفيلًا الغنوى محبِّراً ، لتحسينه شعره . وقيل سمِّى بذلك لقوله يصفُ بُرْدًا :

سماوتُه أسمالُ بـــردٍ محبّرٍ ... وســـائرُه من أتحَمِىٍّ مُعَصَّبِ[٢]

وسَمَاوة البيت : سَقْفُه . والأَتحمىُّ : ضرب من البرود . ا هـ.

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء): كان طفيلٌ الغَنَوىُّ من أَوصف العرب للخيل ، فقال عبد الملك : من أَراد ركوب الخيل فلْيروِ شعرَ طفيل . وقال معاوية : دعُوا لى طُفيلاً ، وسائرُ الشُّعراءِ لكم . ا هـ .

وقال الأَصمعى : كان طفيلٌ أَحدَ نُعّات الخيل ، وكان أَكبر من النابغتين[٣] ، وليس فى قيسٍ فحلٌ أَقدمُ منه ، وكان يسمَّى طفيلَ الخيل لكثرة وَصْفِه إيّاها ، والمحبِّرَ لحسن وصفِه لها .

وقد أَورد الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) أَربعة شعراءَ كلٌّ منهم اسمه طُفيل ، أَحدهم هذا .

* * *

وأَنشد بعده :

(يا أَقرعَ بنَ حابسٍ يا أَقرَعُ ... إِنَّك إِنْ يُصرَع أَخوك تُصـــرَعُ)

---

(١) كذا . وصوابه « أدب الكتاب » ، وهو لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى ، وقد طبع فى المطبعة السلفية ١٣٤١ بتحقيق محمد بهجة الأثرى . والنص فيه ص ١٠٥ .

(٢) البيت أيضاً فى ديوان طفيل ١٩ والكامل ٨٧ والأغانى ١٤ : ٨٦ ، ٨٧ والعينى ٣ : ٢٤ . ويروى : « من أتحمى مشرعب » . وما بعد هذا البيت من تفسير ساقط من النسخة المطبوعة من أدب الكتاب .

(٣) أى النابغة الذبيانى والنابغة الجعدى . وفى الأغانى ١٤ : ٨٥ عن الأصمعى قال : « كان طفيل أكبر من النابغة » . وفى الأصل هنا : « من الناعتين»، والتصحيح بقلم الشنقيطى فى نسخته .

على أنَّ الكوفيين استدلُّوا به على أنَّ رتبة الجزاء التقديمُ ، فرفع (تصرُع) مراعاةً لأَصله ، ولو كان رتبته التأْخير لجزم .

وأَجاب الشارح عنه بأَنَّه ضرورة ، كما بيَّنه .

وهذا مأْخوذٌ من كلام سيبويه ، وهذا نصُّه : وقد تقول : إن أَتيتنى آتيك ، أَى آتيك إن أَتيتنى . قال زهير :

وإنْ أَتاهُ خليلٌ يومَ مسأَلةٍ يقول لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

ولا يحسُن إن تأْتينى آتيك ، من قِبَل أَنَّ إنْ هى العاملة . وقد جاءَ فى الشعر ، قال جرير بن عبد الله البَجَلىّ :

يا أَقرعَ بنَ حابسٍ يا أَقرعُ إنَّك إن يُصرع أَخوك تُصرعُ

أَى إنَّك تصرع إن يُصرَعْ أَخوك . ومثل ذلك قوله :

٦٤٤ هـذا سراقةُ للقرآن يدرسُه والمرءُ عندالرُّشا إنْ يَلقَها ذِيبُ (١)

أَى والمرءُ ذئبٌ إن يَلْقَ الرُّشا . قال الأَصمعىّ : هو قديم أَنشدَنيه أَبو عمرو . وقال ذو الرمَّة :

وإنِّى ، متى أُشرفْ على الجانب الذى
بِه أَنتِ من بين الجوانب ، ناظر (٢)

أَى إنِّى ناظر متى أُشرفْ . فجاز هذا فى الشعر ، وشبَّهوه بالجزاء إذا كان جوابه منجزماً ؛ لأَنَّ المعنى واحد، كما شَبَّه « الله يشكُرها » ،

---

(١) هو الشاهد ٨٢ فى الخزانة ٢ : ٣ — ٤ . وانظر سيبويه ١ : ٤٣٧ وابن الشجرى ١ : ٣٣٩ والهمع ٢ : ٣٣ .

(٢) هو الشاهد ٦٩٢ . وسيأتى فى ص ٥١ .

جعَله بمنزلة يشكرها الله، وكما قالوا فى اضطرار : إن تأْتنى أنا صاحبك، تريد معنى الفاء، فتشبِّهه ببعض ما يجوز فى الكلام حذفُه وأنت تعنيهِ . وقد يقال إن أتيتنى آتِكَ ، وإن لم تأْتنى أَجْزكَ ، لأَنَّ هذا فى موضع الفعل المجزوم ، وكأنَّه قال : إن تفعل أفعل. وتقول : إن تأْتنى فأُكرمُك، أى فأنا أُكرمك ، فلا بُدَّ من رفع فأُكرمك إذا سكت عليه[1] لأنَّه جواب . وإنَّما ارتفع لأنَّه مبنىٌّ على مبتدإٍ . انتهى كلام سيبويه .

فتخريج الشارح المحقق فى البيت خلافُ ما خرَّجه سيبويه ، فإنَّ الشَّارح جعل تصرع جوابَ الشرط مع مبتدإٍ محذوف مع الفاء الرابطة ، والتقدير : فأنت تصرُع ، والجملة الشرطية خبر إنَّ . وسيبويه جعل تصرع خبر إنّ ، وجواب الشرط محذوف يدلُّ عليه ما قبله .

صاحب الشاهد والرجز لعمرو بنِ الخُثارِم ، وتقدَّم شرحه فى الشاهد الحادى والثمانين بعد الخمسمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد السمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٦٩١ (مَنْ يَفعلِ الحَسَناتِ اللهُ يَشْكُرُها)

على أن الفاء الرابطة محذوفة من جواب الشرط ضرورة ، أى فالله يشكرها.

(١) وكذا فى سيبويه ١ : ٤٣٧ . وفى ش : « إن أسكت عليه »
(٢) الخزانة ٨ : ٢٠ — ٢٩
(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٥ ، ٤٥٨ . وانظر نوادر أبى زيد ٣١ والمقتضب ٢ : ٧٢ والأصول ٢ : ٢٠٤ ومجالس العلماء ٤٣٢ والخصائص ٢ : ٢٨١ والمنصف ٣ : ١١٨ والمحتسب ١ : ١٩٣ وسر الصناعة ١ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ وابن يعيش ٩ : ٢ ، ٣ والمقرب ١ : ٢٧٦ والمغنى ٥٦ ، ٩٨ ، ١٣٩ ، ١٦٥ ، ٢٣٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٥١٧ ، ٦٣٦ ، ٦٤٧ والعينى ٤ : ٤٢٣ والتصريح ٢ : ٢٥٠ .

فال النحَّاس : أبو العباس المبرِّد يجيز حذف الفاءِ فى الشعر .

ونقل العَينى عنه خلافه ، قال : وعن المبرد أَنَّه منعَ ذَلك حتَّى فى الشعر .

ثم قال النحاس : وقال أبو الحسن: هو عندى جائزٌ فى الكلام إذا عُلم، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ وما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبةٍ فبِمَا كَسَبَتْ أَيديكم[1] ﴾ وقرئ: ﴿ بما كسبت[2] ﴾ فاستُدِلّ بهذا على أن الفاءَ محذوفة. ومنه قوله تعالى : ﴿ إنْ تَرَكَ خيراً الْوَصِيَّةُ للوالدَيْنِ[3] ﴾. وكذلك جوَّزه ابنُ مالك، قال : ومنه حديث اللُّقطة : « فإنْ جاءَ صاحبُها وإلاَّ استمتعْ بها » .

ثم قال النحاس : قال أبو الحسن : حدَّثنى محمد بن يزيد قال : حدّثنى المازنى أَنَّ الأَصمعى قال : هذا البيت غيَّره النحويون ، والرواية :

* من يفعل الخير فالرَّحمنُ يشكرُهُ * ا هـ

وأبو الحسن قال هذا فيما كتبه على نوادر أَبى زيد ، قال : أَخبرنا أَبو العباس عن المازنى عن الأَصمعى أَنَّه أَنشدهم : « فالرحمنُ يشكره » . قال : فسأَلتُه عن الرواية الأُولى فذكر أَنَّ النحويين صنعوها . ولهذا نظائرُ ليس هذا موضعَ شرحها . ا هـ .

وهذا مردودٌ ؛ لأَنَّه طعنٌ فى الرُّواة العُدول .

وأغرب منه ما نقل ابن المستوفِى قال : وجدت فى بعض نسخ

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الشورى .

(٢) هى قراءة نافع وابن عامر من السبعة ، وأبى جعفر يزيد بن القعقاع من العشرة . تفسير أبى حيان ٧ : ٥١٨ وإتحاف فضلاء البشر ٣٨٣ . وهى أيضاً قراءة شيبة ، كما فى تفسير أبى حيان .

(٣) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

الكتاب فى أصله : قال أبو عثمان المازنى : خبَّر الأَصمعىٌّ عن يونس قال : نحن عملنا هذا البيت .

وكذلك نقله الكرمانى (فى الموشَّح) .

صاحب الشاهد والبيت نسبه سيبويه وخدَمته لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت رضى الله عنه ،ورواهجماعةٌ لكعببنمالكٍ الأَنصارى. وقبلهبيتانوهما[1] :

٦٤٥ (إنْ يسلم المرءُ من قتلٍ ومن هَرَمٍ ... للذَّةِ العيشِ أفناهُ الجـديدان[2]

فإنَّمـا هـذه الدنيـا وزينتُها ... كالزاد ، لابدَّ يومًـا أَنَّه فانى)

وترجمة كعب بن مالك تقدَّمت فى الشاهد السادس والستين[3] .

عبد الرحمن ابن حسان وعبد الرحمن بن حسان يعرف نسبه من ترجمة والدِه رضى الله عنه ، وقد تقدَّمت فى الشاهد الحادى والثلاثين من أَوائل الكتاب[4] .

* * *

وأَنشد بعده وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[5] :

٦٩٢ (وأَنِّى متى أَشرِفْ على الجـانب الذى

به أَنتِ من بين الجـوانب ناظـرُ)

على أَنَّ قوله (ناظر) جواب الشرط، بتقدير مبتدإٍ محذوف مع الفاء الرابطة ، أَى فأَنا ناظر ، وتكون الجملة الشرطيَّة خبر أَنّ .

---

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ١٣٣ . والحديث أخرجه البخارى فى كتاب اللقطة ، يقوله صلوات الله عليه وسلامه لأبى بن كعب .

(٢) ديوان كعب بن مالك ٢٨٨ وحماسة البحترى ١٣٥ .

(٣) الخزانة ١ : ٤١٧ .

(٤) الخزانة ١ : ٢٢٧ – ٢٢٨ .

(٥) فى كتابه ١ : ٤٣٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٧١ وديوان ذى الرمة ٢٤١ .

وهذا خلاف ما ذهب إليه سيبويه ، فإنَّ ناظراً عنده خبر إنّ ، والجملة دليل جواب الشرط المحذوف .

قال ابن السرَّاج (فى الأُصول): هذا عندسيبويه على تقديم الجزاء[(١)] : وإنّى ناظر متى أَشرف . وأَجاز أَيضاً أَن يكون على إضمار الفاء . والذى عند أَبى العباس وعندى فيه وفى أَمثاله ، أَنّه على إضمار الفاء لا غير ، لأَنَّ الجواب فى موضعه ، فلا يجوز أَن يُنْوَى به غير موضعه إذا وُجد له تأْويل . ومثله :

* إنَّك إن يصرع أَخوك تصرعُ[(٢)] *

فهذا على ماذكَرتُ لك . وكذلك قوله :

. . . . . إنَّها مطبَّعةٌ من يأْتها لاَ يضيرها[(٣)]

أَراد : لا يضيرها مَنْ يأْتها ، وإنَّك تصْرعُ إنْ يصْرع أَخوك، وهو عندنا على إضمار الفاء . فأَما قوله :

* من يفعل الحسناتِ الله يشكرها *

فعلى إضمار الفاء فى كلِّ قول . اهـ .

وسيأْتى نقل كلام المبرد فى الشاهد السادس والثمانين[(٤)] بأَبسط من هذا .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرمة ، وهذا مطلعها :

---

(١) ش : « تقديم الخبر » ، صوابه فى ط . والمراد ما تضمن معنى الجزاء أى جواب الشرط .

(٢) هو الشاهد ٥٨١ وقد سبق فى ٨ : ١٩ - ٢٩ .

(٣) هو الشاهد ٦٩٤ فيما سيأتى ص ٥٧ .

(٤) ش : « الشاهد السادس والثلاثين » . وكلاهما خطأ . وأرى أنه يشير إلى ما سيأتى فى الشاهد السابع والتسعين بعد السبمائة فيما سيأتى .

أبيات الشاهد

(لميَّــة أطلالٌ بحُزْوَى دواثرُ عَفَتْها السَّوافِى بعــدنا والمواطرُ
كأنَّ فؤادى هاضَ عرفانُ ربعها بهِ وَعْىَ ســاقٍ أسلَمتْهَا الجبائرُ
عشيّةَ مَسعود يقولُ وقــد جَرَى على لحيتى من عَبرة العَين قاطرُ
أفى الدار تبكى أنْ تفرَّقَ أهلُها وأنت امرؤٌ قد حلَّمَتك العشائرُ
فلا ضيرَ أن تستعبِرَ العينُ إنَّنى على ذاك إلاَّ جَولةَ الدَّمع صابرُ
فيامىّ هل يُجزَى بكائى بمثــله مِرارًا وأنفاسى إليكِ الزوافــرُ
وأنِّى متى أُشرف على الجانب ....) البيت

قوله : « لمية أطلال » الخ حُزوى : اسم مكان . والدوائر : التى قد انمحت . وعَفَتها : محتها . والسَّوافى : الرياح التى تَسفى التراب .

وقوله : « كأنَّ فؤادى » الخ الهَيْض : الكسر بعد الجبر ، وضمير به للفؤاد . والوَعْى : الجَبْر . وأسلمتها : خذَلَتْها . والإسلام : التخلية والخِذلان. والجبارة بالكسر : ما شددت به الكَسْرَ من الأعواد . وعِرفانُ فاعل هاضَ ، ووعْىَ مفعوله .

وقوله : « عشية مسعود » هو أخو ذى الرمة . وقوله : « فى الدار » الخ هو مقول مسعود ، وأن تفرَّقَ مجرور باللام المقدرة ، و« أنت امرؤ » الخ جملة حالية . وحلَّمَتْك : وصفَتْك بالحلم .

٦٤٦ وقوله : «فلا ضَير» إلخ الضَّير : الضَّرَر . وصابر : خبر إنَّنى ، يريد : إنَّنى صابر على ذلك الوَجْد إلَّا جولةَ الدَّمع ، أى يَجول فى العين[1] .

وقوله : « فيامى » إلخ هو مرخم ميَّة. ويُجزَى ببناء المفعول ، يريد :

(١) ط : « تجول فى العين » .

هل تبكين مثلَ ما أبكى مرارًا . والزَّفير : إدخال النَّفَس إلى الجوف . والشَّهيق : إخراجه .

وقوله : (وأنى متى أُشرف) الخ، هو بفتح الهمزة معطوف على المستثنى ، وهو جَولة الدَّمع . قال شارح ديوانه : يريد: إننى على ذاك صابر إلاَّ جولةَ الدَّمع وأنِّى متى أُشرِف . والأقرب أن يكون معطوفاً على بكائى ، أى هل يُجزَى نظرى إليك فى كل جهة كنتِ فيها[1] ،أى هل تنظرين إلىَّ كذلك . أو المعنى : هل تجزيننى على هذه المحبّة . والتاء من أنتِ مكسورة .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أوَّل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(فأَنتِ طــلاقٌ والطَّــلاقُ أليّةٌ)

على أنَّ جملة (والطَّلاق أليّة) اعتراضية ، وقعت بين المصدر وهو طلاق ، وبين عدده وهو ثلاثًا فى المصراع الثانى ، وهو :

(ثلاثاً ومن يَخْرَقْ أعقُّ وأظلَمُ)

وتقدَّم الكلام عليه بما لا مزيدَ عليه فى الشاهد الخامس والأربعين بعد المائتين[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد السمّائة[4] :

---

(١) ط : « فيه » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٣) الخزانة ٣ : ٤٥٩ – ٤٧١ .

(٤) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢ : ٤٦٩ وتحرير التحبير ٣٦٠ .

٦٩٣ (يَرَى كلَّ مَن فيها وحاشاكَ فانيَا)

على أَنَّ جملة (وحاشاك) اعتراضية وقعت بين مفعولى يرى ، أَوَّلُهما كلَّ ، وثانيهما فانيا .

وهذا عجزٌ ، وصدره :

(وتَحتقر الدُّنيا احتقارَ مجرِّبٍ [1])

والبيت فيه من أَنواع البديع التكميلُ ، وهو أَن يأْتىَ الشاعرُ أَو المتكلِّم بمعنًى من معانى المدح أَو غيره من فنون الشعر وأَغراضِه ، ثم يرى مَدحَه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غيرَ كامل ، فيكمِّل بمعنًى آخر ، كمن أَراد مدح إنسانٍ بالشجاعة ، ورأَى مدحَه بالاقتصار عليها دون الكرم مثلاً ، غير كامل ، فيكمِّله بذكر الكرم ، أَو بالبأْس دون الحلم وما أَشبهه .

قال ابن أَبى الإِصبع (فى تحرير التحبير) : وممَّا وهِمَ فيه المؤلِّفون فى هذا الموضع أَنَّهم خلطُوا التكميل بالتتميم ، إذ ساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل ، لأَنَّهم ذكروا قول عَوف :

إنَّ الثمــانينَ وبُلِّغْتَهــا قد أَحوجَتْ سمعى إلى تَرجُمانِ

من شواهد التتميم . ومعنى البيت تامٌّ بدون لفظة وبُلِّغتها . وإذا لم يكن المعنى ناقصاً فكيف يسمَّى هذا تتميما؟ وإنَّما هو تكميل . وما غلَطُهم إلاَّ من كونِهم لَم يَفْرِقوا بين تتميم الأَلفاظ وتتميم المعانى . وكذلك أَتوا بقول المتنبى :

* وتحتقر الدنيا احتقارَ مجرِّب * البيت .

---

(١) ط : « ويحتقر » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابهما فى ش والديوان .

فى باب التتميم ، وهو مثل الأوّل وإن زاد على الأول أدنى زيادة[١] لما فى لفظة حاشاك[٢] بعد ذكر الفَناء من حُسْن الأدب مع الممدوح . وربَّما سُومِحَ بأن يُجْعل هذا البيتُ فى شواهد التتميم بهذه اللفظة . وأمَّا الأوَّل فمحض التكميل ، ولا مدخل له فى التتميم . اهـ .

وقد ذكر التتميم فى أوّل كتابه[٣] وقال : سمَّاه ابن المعتز اعتراضَ
٦٤٧ كلامٍ فى كلام لم يتمَّ معناه ، ثم يعودُ المتكلم فيُتمُّه . وشَرح حدَّه أنَّه الكلمة التى إذا طُرحت من الكلام نَقص حُسْنُ معناه أو مبالغتُه ، مع أنَّ لفظَه يُوهم بأنَّه تامّ . ومجيئه على وجهين : للمبالغة ، والاحتياط . ويجىءُ فى المقاطع كما يجىءُ فى الحَشْو . هذا كلامه .

ولا يخفى أنَّ هذا الحدَّ منطبقٌ على البيت .

وأما أنا فالبيت عندى من الاحتراس ، وهو أن يأتىَ المتكلِّم بمعنًى يتوجَّه عليه دَخَلٌ ، فيفطِنُ له فيأْتى بما يخلِّصه من ذلك .

قال ابن أبى الإصبع : والفرق بين الثلاثة أن المعنى قبلَ التكميل صحيح تامّ ، ثم يأْتى التكميل زيادةً يكمُل بها حُسنه ، إمّا بفنّ زائد أو بمعنًى . والتتميم يأْتى ليتمِّمَ نقص المعنى . والاحتراس لاحتمالِ دَخَلٍ على المعنى وإنْ كان تامًّا كاملاً .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للمتنبى مدح بها كافورًا الإخشيدىَّ . وقبل هذا البيت :

---

(١) وكذا فى تحرير التحبير . وفى ش : « أوفى زيادة » .

(٢) ش : « حشاك » ، تحريف .

(٣) تحرير التحبير ١٢٧ . وفيه : « باب التمام ، وهو الذى سماه الحاتمى : التتميم » .. الخ.

(وقد تَهبُ الجيشَ الذى جاءَ غازيًا لسائلك الفَرْدِ الذى جاءَ عافيَــا)

يقول : إذا غزاك جيشٌ أخذتَه فوهبته لسائلٍ واحد أتاك يسألك .

وقوله : « وتحتقرُ الدُّنيا » إلخ هو بالخطاب. وجملة يرى إلخ صفة لمجرِّب . يقول : أنت تحتقر الدنيا احتقارَ مَنْ جرَّبها فعَرَفها ، وعلِمَ أنَّ جميع ما فيها يفنى ولا يبقى، أى فلذلك تَهبُهَا ولا تدَّخرها . وقوله : (وحاشاك) استثناءٌ ممَّا يفنى . وذكر هذا الاستثناء تحسينًا للكلام واستعمالاً للأَدب فى مخاطبة الملوك ، وهو حَسَنُ الموقع .

وترجمة المتنبى تقدَّمت فى الشاهدالحادى والأَربعين بعد المائة[1] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٦٩٤ (فقلتُ تحمَّلْ فوقَ طَــوْقِكَ إنَّهــا
مُطَبَّعةٌ مَنْ يــأْتِهــا لاَيَضِيرُهــا)

على أَنَّ التقدير عند سيبويه : لا يضيرُها من يأْتها ، فهو مؤخَّر من تقديم .

وهذا نصُّ سيبويه : وقد يجوز فىالشعرِ : آتى من يأْتنى . وقال الْهُذَلىّ :

فقلت تحمل فوق طوقك ... البيت

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ - ٣٦٣ . وفى ش : « الواحد » بدل « الحادى » .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٣٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٧٢ والأصول ٢ : ٢٠٢ وابن يعيش ٨ : ١٥٨ والتصريح ٢ : ٢٤٩ والعينى ٤ : ٤٣١ والأشمونى ٤ : ١٨ وديوان الهذليين ١ : ١٥٤ والسكرى ٢٠٨

هكذا أنشدَناه يونس، كأَنَّه قال : لا يضيرها مَنْ، كما كان وأنيٍّ متى أُشرِفْ ناظرٌ على القلب . ولو أُريد به حذف الفاء جاز فجعلت كإنْ . ا هـ .

قال الأعلم : وهذا عند المبرِّد على إرادة الفاء ، لأَنَّ يضير إذا تقدمت على مَنْ ارتفعت مَنْ به . ويلزم منه أن يبطل عملُها من الجزم ، لأَنَّ حرف الشرط لا يَعمَلُ فيه ما قبله . والحجَّة لسيبويه أنَّه يقدِّر الضمير فى يضير على ما هو عليه فى التأْخير . ومَنْ مبتدأة على أصلها ، فلا يلزم أن ترتفع مَنْ به ، وتبطل من عمل الجزم . هذا كلامه .

وسننقل كلام المبرد فى الشاهد الثالث والثمانين[1] .

وقد تكلَّم أبو على (فى كتاب الشعر) على فاعل يضير على التقديرَين فقال : من قدَّر فيه التقديم كان فاعل لا يضيرها ضَيْر ، فأَضمر الضَّير له لدلالة يضير عليها . والضَّير قد استُعمِل استعمالَ الأَسماء فى نحو لا ضير ، كأَنَّه قد صار اسماً لما يُكره ولا يراد . ومن قدَّر الفاء محذوفة أمكنَ أن يكون الفاعل عندنا أَحدَ شيئين : أَحدُهما الضَّير كقول من قدَّر التقديم . ويجوز أن يكون فاعل يضير ضميرًا من الذى تقدَّم ذكره . ا هـ .

أَراد بما تقدَّم التحمُّل فوق الطاقة .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة عدَّتها سبعةَ عَشَرَ بيتًا لأَبى ذؤيب الهذلى ، قالها

٦٤٨ فى ابن أُخته خالد بن زهير ، وكان خاله أبو ذؤيب فى صِغَره رسولاً من وهب بن جابرٍ إلى امرأةٍ من هذيل كان يتعشَّقها وهبٌ ، وكان أبو ذؤيب

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص ٥٢ . وانظر أيضاً الشاهد ٦٩٧ .

جميلاً فرغبت فيه واطَّرحت وَهبًا ، ففشا أمرُهما فى هذيل ، فكان يُرسل إليها ابنَ أُخته خالد بن زهير ، وعاهده على أن لا يخونه فيها ، فلم تلبث أن عشِقت خالدًا وتركت أَبا ذؤيب ، فجرى بين أَبى ذؤيب وبين خالدأشعارٌ كثيرة منها هذه القصيدة، وأَجابه خالدٌ بقصِيدةِ على رويِّها ، منها :

فــلا تجزعَنْ مِن سُنّةٍ أَنتَ سِرْتَهــا
فأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَن يسيرُهــــا

وقد شرحنا حالهما وما لَهما فى الشاهد الثامن والأَربعين بعد الثلثمائة وفى الشاهد الستين بعد السبمائة(١) .

وهذه أَبياتٌ من أَوَّل قصيدة أَبى ذؤيب :

(ما حُمِّلَ البُخْتِىُّ عــامَ غيــارهِ — عليــه الوُسوقُ بُرُّها وشَعيرُهــا
أَتى قريةً كانت كثيرًا طعامُها — كرَفعْ التُّرابِ كلُّ شىءٍ يَميرُها(٢)
فقيل تحمَّلْ فوق طَــوقك إنَّها — مُطبَّعة من يــأْتِهــا لا يَضيرها
بأَكثرَ مِمَّا كنتُ حمَّلتُ خالداً — وبعض أَمانات الرجال غُرورُها)

قوله : « ما حُمِّل البختى عامَ غياره » ما نافية. والبُختِىُّ نائب فاعل حُمِّل ، وهو واحد البُخْت ، وهو نوع من الإبل . والغِيار ، بكسر المعجمة ، مصدر غارهم يَغِيرهُم ، إذا مارهم ، أَى أَتاهم بالمِيرة بالكسر ، وهى الطَّعام . والوُسوق : جمعَ وَسْق ، وهو حِملُ بعيرٍ ، وجملة عليها الوسوقُ تفسير لقوله : حُمِّلَ البختىّ . وبرُّهَا وشعيرها بدلٌ من الوُسوق ، بَدل مفصَّل من مجمل . وإضافة البُرّ والشعير إلى ضمير الوسوق لأَدْنى ملابسَة ، لأَنَّهما

(١) الخزانة ٥ : ٨٣ – ٨٦ و٨ : ٥١٥ .
(٢) البيتان التاليان ساقطان من ش

يصيران وسُوقاً . واختار البختىَّ على البعير لأنَّـه أشدُّ منه وأقوَى على زيادة التحمُّل . ولهذا قال : « عليها الوسوق » . يعنى أنَّ هذا البختىَّ حُمِّل أضعافَ ما يَحْمِله غيرُه من الإبل .

وقوله : « أتى قريةً » إلخ فاعل أتى ضمير البختى . والجملة حالٌ من البختى . وقوله : « كرَفْغ التُّراب» أى ككثرة التُّراب ، وأصلُ الرَّفغ اللِّينُ والسهولة ، وهو بالفاء والغين المعجمة. وقوله : « يَمِيرها » هو على القلب ، أى كل شىء تميرهُ هذه القرية ، فقَلب ، فجعل الفاعل وهو ضمير القرية مفعولاً وأسند الفعل إلى ضمير كلِّ شىء . والنُّكتة فيه أنَّ كلَّ شىء يُعطى هذه القريةَ الميرةَ ، حتَّى اجتمع فيها الطعام ككثرة التراب . وقال القارى (فى شرحه) : قوله يميرها ، يريد يمتار من القرية. قال الباهلى : كلُّ شىء يمير لها .

أقول : الوجه الأوَّل معنى الكلام قبل القلب، والثانى معناه بعدَ القلب ،كما قلنا فيها .

وقوله : (فقلتُ تحمَّلْ) إلخ رواية السكرى: « فقيل تحمَّلْ » وهى الجيِّدة ، أى وقيل للبختى تحمَّلْ فوق طاقتك ، وقوله : (إنَّها) أى إنَّ هذه القرية مطبَّعة ، أى مختومة بالطَّابَع . يعنى أنَّ هذه القرية مملوءةٌ بالطعام ، لأنَّ الختْم إنما يكون غالبًا بعد الملء . وفيه مبالغة لا تخفى . وجملة إنَّها مطبَّعة استئنافُ بيانىٌّ ، كأنَّه سأل البختىَّ هل يَدعوننى أن أتحمَّل فوق طاقتى من هذه القَرْية . فهو سؤالٌ عن السبب الخاصِّ للحكم ، لا عن سبب الحكم مطلقًا، فلهذا أكَّد بإنَّ. والجملة الشرطيَّة خبر ثان لإنَّ . وضاره ضَيرًا ، من باب باع : أضرَّ به .

وقولهُ : (بأَكثر مما كنتُ) إلخ يقول: ماحُمّل هذا البختى من الطَّعام بأَكثرَ ممَّا كنتُ حَمّلت خالدًا من الأَمانة . والغُرور بالضم : الغفلة ، والضمير للرِّجال .

وترجمة أَبى ذؤيب الهذلى تقدمت فى الشاهد السابع والستين[1] . ٦٤٩

* * *

وأَنشد بعده :

(والمرءُ عِند الرُّشَا إنْ يَلْقَها ذِيبُ)

على أَنَّ التقدير عند سيبويه : والمرءُ ذِئْبٌ ، فأَخَّر خبر المبتدإ بعد الشرط ، وتكون الجملة دليلَ الجواب المحذوف .

وعند المبرِّد «ذيبٌ» هو الجزاءُ ، بتقدير المبتدإ مع الفاءِ، أَى : فهو ذيب ، وتكون الجملة الشرطية خبر المبتدأ .

وهذا عجزٌ وصدرُه :

(هذا سُراقَةُ للقُرآنِ يَدرُسُه)

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الثانى والثمانين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد السبّمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٦٩٥ (على حِينِ مَنْ تَلْبَثْ عليه ذَنُوبُه
يَجِدْ فَقْدها إذْ فى المَقَام تدابُرُ)

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ .
(٢) الخزانة ٢ : ٣ - ٤ .
(٣) فى كتابه ١ : ٤٤١ . وانظر الإنصاف ٢٩١ والهمع ٢ : ٦٢ وديوان لبيد ٢١٧ .

على أَنَّ جزم أَدوات الشرط المضاف إلى جملتها ظرف ، خاصٌّ بالشعر كما فى البيت ، فإنَّه جازى بمَنْ مع إضافةحين إلى جملة الشَّرط ضرورةً، وحكمُها أن لا تضاف إلّا إلى جملةٍ خبريَّة ، لأَنَّ المبهماتِ إنَّما تفسَّر وتُوصَل بالأَخبار ، لا بحروف المعانى وما ضُمِّنت معناها . وجاز هذا فى الشِّعر [تشبيهًا[1]] لجملة الشرطبجملة الابتداء والخبر ، والفعلوالفاعل.

قال سيبويه : وقد يجوز فى الشِّعر أَن يُجازَى بعد هذه الحروف فتقول : أَتذكر إذْ من يأْتنا نأْته ، فإنَّما أَجازُوه لأَنّ إذْ[2] لا تغيِّر مادخلت عليه عَن حالِهِ[3] قبل أَن تجئَ بها[4] ولا تغيِّر الكلام ، كأَنَّا قلنا : من يأْتنا نأْتِه ، كما أَنَّا إذا قلْنا : إذْ عبد الله منطلق ، فكأَنَّا قلنا : عبد الله منطلق ، لأَنَّ إذْ لم تُحدِثْ شيئًا قبل أَن تذكرها . قال لبيد :

على حين من تلبث عليه ... البيت .

ولو اضطُرّ شاعر فقال: أَتذكر إذ إنْ تأْتنا نأْتِك ، جاز له كما جاز فى مَنْ[5] . وتقول: أَتذكر إذ نحن من يأْتنا نأْتِه ، فنحن فصَلَتْ[6] بين إذ وَمن . وتقول : مَررت به فإذا من يأْتيه يُعطيه ، وإن شئت جزمتّ ؛ لأَنَّ الإضمار يحسُن هنا . أَلا ترى أَنَّك تقول : مررت به فإذا أَجملُ الناس ، ومررنا به فإذا أَيُّما رجلٍ . فإذا أَردت الإضمار فكأَنَّك قلت : فإذا هو من يأْته يعطيه ، فإن لم تضمر فهى بمنزلة إذْ ، لايجوز فيها الجزم .

---

(١) التكملة من ش

(٢) فى سيبويه : لأن إذ و هذه الحروف » .

(٣) ط : « من حالة » ، صوابه فى ش وسيبويه .

(٤) ش : « أن يجئ بها » .

(٥) ط : « فيمن » ، صواب كتابته فى ش وسيبويه .

(٦) ط : « فصلنا » ، صوابه فى ش وسيبويه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للبيد بن ربيعة الصَّحابى ، وكان له فى الجاهلية جارٌ من بنى القَين قد لجأَ إليه ، فضربه عمُّه عامرٌ بالسَّيف ، فغضِب لذلك لبيدٌ وقال هذه القصيدة ، يعدِّد على عمه بلاءَه عنده ، ويُنكِر فعلَه بجاره .

وقد تقدَّم شرحُ أبياتٍ منها فى الشاهد الثالث عشر بعد الخمسمائة [1] .

أبيات الشاهد

وقبل هذا البيت :

(ودَافعتُ عنك الصِّيدَ مِن آلِ عامرٍ
ومنهم قَبيلٌ فى السُّرادق فاخرُ [2]
وذُدْتُ معدًّا والعِبَادَ وطيِّئًا
وكلباً كما ذِيدَ الخماسُ البواكر)

على حين مَنْ تلبث ..... البيت

الصِّيد : الرؤساءُ المتكبِّرون . يقال للسيِّد المتعاظم أَصْيَد ؛ لميله [3] رأسَه مِن الكِبْر والعظمة ، تشبيهًا بالجمل الأَصيَد ، وهو الذى به داءٌ يأْخذ البعير فَيَرِمُ أَنفُه فيشمَخ ويَميل رأسُه لذلك الوَجع . والقبيل : الجماعة من قوم شتى . والسُّرادق: ما يُدار حولَ الخيمة من شُقَقٍ بلا سَقْف ، ٦٥٠
وقيل هو الفسطاط ، وقيل هو كلُّ بيت من قُطْن . وفاخرٌ ، يريد يفخرون عليك .

---

(١) الخزانة ٧ : ٩١ – ٩٧ .
(٢) فى الديوان ٢١٦ : « من آل دارم » ، وهو الصواب ، لأن بعد هذا البيت فى الديوان :

فقيم وعبد الله فى عز نهشل بثيتل ، كل حاضر متناصر

وفقيم هم بنو فقيم بن دارم بن مالك . وكذلك نهشل ، بنو نهشل بن دارم وعبد الله أيضاً ، بنو عبد الله بن دارم .
(٣) فى هامش ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب لتمييله » .

وقوله : « وذُدت مَعدًّا » إلخ . الذَّودْ : الطرد . ومعدٌّ: أبو قبيلةٍ ، أراد من ينسَب إليه من أولاده . والعِباد بالكسر : قبائل شتَّى من بطون العرب ، اجتمعوا على النَّصرانية بالحيرة ، والنسبة إليهم عِبادىٌّ . وطيِّئ بهمزة الآخر على وزن فيعل ، وهو القبيلة المشهورة بلا همز . وكلبٌ أيضاً : قبيلة . والخِماس، بالكسر: الإبل التى لا تشرب أربعة أيام . والبواكر : التى تُبْكِر غداةَ الخِمْس .

وقوله : (على حينَ مَنْ تَلبث)على متعلقة بقوله ذدت ، وحين يجوز جرُّها بالكسرة ويجوز بناؤها على الفتحة ، لأَنَّ الظروفَ المضافة إلى الجمل يجوز إعرابها وبناؤها على الفتحة . والَّلبْثُ : البطءُ . والذَّنوب ، بفتح الذالِ المعجمة ، قال صاحب المصباح[1] : هى الدَّلو العظيمة . قالوا : ولا تسمَّى ذنوباً حتَّى تكون مملوءةً ماءً . وتذكَّروتؤنث[2] . وقال الزجاج : مذكَّر لا غير . ا هـ . ويردُّ عليه حَصْرَه هذا البيتُ ، فإنَّ الضمير فى « فَقْدَها » مؤنَّث ، وهو عائد إلى الذَّنوب . و (التَّدابُرُ) : التقاطُع . وأصله أن يولِّىَ كلٌّ واحد من المتقاطعين صاحبَه دُبُرَه . يقول لعمِّه عند قيامه فى مقام النُّعمان بن المنذر ملكِ الحِيرة مع خصومه : أنا دافعتُ عنك بلسانى فى مجمعٍ. يقول : قمتُ بفخرك وأيَّامك على حين من لا يقوم بحجَّته . وهذا على المثلَ . يعنى أنَّه نَصرَه فى وقت إن تبطئ فيه الحجّة عن المحتجّ يَهلِكْ ولا يمكنْه أن يتلافَى ما فَرَطَ منه . وقوله : (يجِدْ فقدها) معناه يؤلمه فقدُها ، كما يقال وجَد فلان فَقْدَ فلانٍ ، إذ انقطع عنه نفعُه فأثَّر ذلك فى حاله . وروى : (تداثر)

(١) ط : « الصحاح » ، صوابه فى ش . وانظر المادة فى المصباح المنير .
(٢) بعده فى المصباح : « فيقال هو الذنوب ، وهى الذنوب » .

بالمثلَّثة بدل (تدابُر) بالموحَّدة ، وهو التزاحم والتكاثُر . جَعل الجمعَ الذينَ عند الملك بمنزلةِ المزدحِمِينَ على الماءِ ليَسقُوا إبلَهم . وأصل الدَّثْر المالُ الكثير . وأراد بالمقام المجلسَ الذى جَمَعهم للخِصام ، ورُوى فى ديوانه :

* يجدْ فقدها وفى الذِّناب تداثُرُ *

بالمثلثة . والذِّناب، بالكسر : جمع ذَنُوب المذكورة . قال شارح ديوانه : يقول: ذُدْت عنك فى ذلك الوقت. تَلبث: تبطئ. والذَّنوب : الدلْو . يجد فقدها إذا لم تخرجْ إليه . وإنَّما هذا مثلٌ ضَرَبَه . وفى الذِّناب تداثرُ ، يقول : وفى ذلك تكاثر. وإنَّما هذا مَثَلٌ، أَراد الأَلسُنَ التى كَثُرت عليه. ا هـ .

وروى سيبويه المصراع الثانى كذا :

* يرثْ شِرْبُه إذْ فى المقام تدابرُ *

قال الأَعلم : وصف مقامًا فاخر فيه غيره وكثُرت[1] المخاصمة والمحاجَّة فيه . وضَرَبَ الذَّنوبَ ، وهى الدَّلو مملوءةً ماءً ، مثلاً لما نزل به من الحجَّة . والشِّرب بالكسر : الحظُّ من الماء . والرَّيْث: الإبطاءُ . انتهى.

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والتسعون بعد السمائة[3] :

---

(١) ط : « وكثرة » بالعطف على « مقاماً » ، وهو يطابق ما فى شرح الديوان ٢١٧ نقلا عن الخزانة . لكن فى ش ونسخة الأعلم على هامش سيبويه : « وكثرت » عطفاً على « فاخر » .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

(٣) فاته أن ينص على أنه من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٢ . وانظر الموشح ٧٣ والمغنى ٦٠٦ وشذور الذهب ١٣٥ والعينى ٤ : ٤٢٢ .

٦٩٦ (ولستُ بِحَلاَّلِ التِّـــلاعِ مخـــافةً
ولــــكنْ متى يَسترْفدِ القـــومُ أرفِــدِ)

على أنَّ وقوع الجملة الشرطية بعد(لكنْ) لكونها لا تغيِّر معنى الجملة.

قال سيبويه: وتقول: ما أنا ببخيلٍ ولكن إنْ تـأْتنى أُعطِك .
٦٥١ جاز هذا وحَسُن لأَنَّك قد تضمر ههنا كما تضمر فى إذا. أَلا ترى أَنك تقول : ما رأَيتك عاقلاً ولكن أَحمقَ . وإن لم تضمر تركت الجزاءَ كما فعلت ذلك فى إذا . قال طرفة :

ولست بحلاَّل التلاع مخافة . . . . البيت

كأَنَّه قال : أَنا . ولا يجوز فى متى أَن يكون الفعل وصلًا لها كما جاز فى مَنْ . والذى سمعناهم ينشدون قولَ العُجير السَّلولى :

وما ذاك أَن كان ابن عمِّـــى ولا أَخـــى
ولـــكن مَتَى ما أَملكِ الضُّرَّ أَنفَـــعُ

والقوافى مرفوعة ، كأَنه قال : ولكنْ أَنفع متى ما أَملك الضر ، ويكون أملك على متى فى موضع جزاءٍ ، وما لغوٌ . ولم تجد سبيلاً إلى أَن تكون بمنزلةِ مَنْ فتوصَل ، ولكنَّها كمهما . انتهى كلام سيبويه .

فشرط جواز وقوع أَداة الشَّرط بعد لكنْ تقديرُ الضَّمير بينهما ، وحينئذ لا ضرورة فيه ، بل هو حسنٌ للفصل كما قال سيبويه .

ولم يُصب الأَعلم فى قوله : الشاهد فى هذا البيت حذف المبتدأ بعد لكنْ ضرورة ، والمجازاة بعدها ، والتقدير : ولكن أَنا متى يسترفد القوم أَرفد . ا هـ .

ولم يقدَّر الضمير ، فلا يجوز وقوع الأَداة بعد لكنْ إلاَّ فى الشعر.

والشارح المحقق أخلَّ بهذا التَّفصيل ولم يذكرْه، وقد أَخذ به أَبو على (فى التذكرة القصرية) وقال فيها : قال سيبويه فى قوله :

* ولكن متى يسترفِد القومُ أَرفِدِ *

تقديره : لكن أنا إنْ . قيل : هلا لم يحتج إلى هذا الضمير لأَنَّ لكن إنَّما تُشبه الفعل إذا كانت ثقيلة ، فإذا خفَّت زال عنها شَبه الفعل ، وإذا كان كذلك صلَحت للجملتين ، وإذا صلحت لهما لم تحتج إلى ضمير ؟ قيل : لكن لما فيها من معنى الاستدراك لَم يزُل عنها معنى الفعل ، فاحتيج إلى الضمير فيها . وهذا عندى إنَّما يجب إذا دخل حرف العطف عليه ، نحو ولكن، التى فى البيت، لأَنَّ حرف العطف إذا دخل عليها خلَصت لمعناها وخرجت من العَطْف . وإذا لم يدخل عليها حرف العطف كانت للعطف ، فلم يُحتج[1] فى وقوع الجزاء بعدها إلى إضمار ، كما لا يُحتاج فى حروف العطف إلى ذلك . ا هـ.

وقد نقل ابن هشام (فى المغنى) عن أَبى علىٍّ خلافَ هذا . قال : وزعم سيبويه فى قوله :

* ولكنْ متى يَسترفدِ القومُ أَرفدِ *

أَنَّ التقدير : ولكن أنا . ووجَّهوه بأَنَّ لكن تشبه الفعل فلا تدخل عليه . وبيان كونها داخِلةً عليه أَنَّ متى منصوبة بفعل الشرطِ ، فالفعل مقدَّم فى الرُّتبة عليه . وردَّه الفارسىُّ بأَنَّ المشْبه للفعل هو لكنّ المشددة لا المخفَّفة ، ولهذا لم تعمل المخفَّفة لعدم اختصاصها بالأَسماء . وقيل: إنَّما يُحتاج إلى التقدير إذا دخل عليها الواو ، لأَنَّها حينئذ تخلُص لمعناها وتخْرُج عن العطف. ا هـ.

---

(١) ط : « فلم تحتج » .

وهذا كما ترى مخالف لكلام أبي على من وجوه، ولا أدرى من أين نقله .

وقوله : (ولست بحَلاَّل) إلخ الحَلاَّل : مبالغة الحالّ ، من الحُلول وهو النُّزول . والأَحسن أنْ يكون فعَّالٌ للنِّسبة ، أَى لست بذى حُلول . و (التِّلاع) : جمع تَلْعة ، وهو مَجرى الماءِ من رءُوس الجبال إلى الأَودية . قال ابن الأَنباريّ : والتَّلعة من الأَضداد ، تكون ما ارتفع، وما انخفض . والمراد هنا الثانى ، وهو سيل ماءٍ عظيم . و (مخافة) مفعول لأَجله . و (أَرفِد) بكسر الفاءِ ، لأَنه مضارعِ رَفَدَه رَفْداً من باب ضرب ، أَى أَعطاه أَوْ أَعانه . والرِّفد بالكسر اسمٌ منه . وأَرفَدَهُ بالأَلف مثله . وتَرافَدُوا : تعاوَنوا . واسترفدته : طلبت رفده . قال الزوزنى : المعنى إنِّى لستُ ممَّن يستتر فى التِّلاع مخافة الضَّيف[1]
٦٥٢ أَو غدرِ الأَعداءِ إيَّاى[2] ، ولكنْ أَظهَرُ وأُعِينُ القومَ إذا استعانوا بى، إمَّا فى قِرى الضيف، وإمَّا فى قتال الأَعداءِ .

صاحب الشاهد وهذا البيت من معلَّقة طرفة بن العبد . وقد عابه المرزُبانى (فى كتاب الموشح) وقال : المصراع الثانى غيرُ مشاكِلٍ للأَوَّل .

وبعده :

(فإنْ تَبْغِنِى فى حَلْقة القوم تَلْقَنى
وإن تَقْتَنِصْنِى فى الحوانيتِ تَصْطَدِ)

---

(١) فى النسختين : « الضيق » ، والوجه ما أثبت . والذى فى شرح الزوزنى : « مخافة حلول الأضياف أو غزو الأعداء إياى » .
(٢) انظر الحاشية السابقة .

الحلْقة بسكون اللام : ما استدار من الناس ومن الحديد ، وتُجمَعُ على الحَلَق بفتح الحاء واللام ، وهذا من الشواذّ . وقد تجمع على الحِلَق بكسر الحاء مثل بَدْرة وبِدَر[1] . والاقتناص: الاصطياد . يقول: وإن تطلبنى فى مَحفِل القوم وجدتَنى هناك،وإن تطلبنى فى بيوت الخمّارين صِدْتنى . والبُغاءُ هو الطَّلَب ، والفعل بغى يبغِى . يريد أنَّه يجمع بين الجِدّ والهزل. كذا فى شرح الزوزنىّ . وقال أبو جعفر النحوى[2] : المعنى إن تطلُبْنى فى موضع يجتمع القوم فيه للمَشُورة وإجالةِ الرَّأْى تلقَنِى،لما عِندِى من الرَّأى، لا أتخلَّف عنهم، وإن تطلَّبتَ صيدى فى حوانيت الخمَّارين تجدْنى أشربُ وأسقِى مَنْ حضرنى . والحانوت : بيت الخمَّار ، يذكَّر ويؤنث . ا هـ .

وقال ابن السكيت: يقول: أبدًا تجدُنى فى مجلس القوم للمفاخرة وفى بيوت الخمَّارين مع الشَّرْب ، يعنى أنَّه من وجوه قومه لا يُبرَمُ أمرٌ إلاّ بحضْرتِه ، وأنَّه صاحبُ شرابٍ ولهو . ا هـ.

وترجمة طرفة تقدمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد السمائة ، وهو من شواهد س[4] :

---

(١) فى النسختين : « بردة وبرد » ، والصواب ما أثبت . والبدرة ، بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ . والنص فى شرحه للقصائد التسع ١ : ٢٥٦ .

(٣) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

(٤) فى كتابه ١ : ٤٤٢ . وانظر الأصول لابن السراج ٢: ٢٠٣ والأغانى ١٤ : ١٥١.

٦٩٧ (وما ذاك أن كـان ابنَ عمِّى ولا أخـى
ولـكن مَتَى مـا أملكِ الضَّـرَّ أنفَـعُ)

على أنَّ (أنفع) مرفوع ، وهو مؤخَّر من تقديمٍ لضرورة الشعر ، كما فى قوله :

* إنَّك إنْ يُصرع أخوك تصرعُ *

والأَصل فيهما : ولكِن أَنفعُ متى أَملك الضَّرَّ ، وإنَّك تُصرَعُ إنْ يصرع أخوك ، ويكون هذا المقدَّمُ تقديرًا دليلَ الجزاءِ المحذوف .

قال سيبويه : والذى سمعناهم ينشدون قولَ العجير السلولى : «وما ذاك إن كان ابن عمِّى» البيت. والقوافى مرفوعة ، كأَنه قال : ولكن أَنفعُ متى ما أَملكِ الضَّر . ا هـ.

والضرورة عند المبرد إنَّما هى فى حذف الفاءِ من أَنفع وتصرع ، وقد ردَّ على سيبويه دعواه تقديرَ التقديم فى هذا وفيما تقدم ، ونقله ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) ، فلا بأْس علينا إن نقلناه . وهذا كلامه :

قال أَبو العباس محمد بن يزيد : أَمَّا قوله آتيك إن أَتيتنى فغير مُنكَر ولا مدفوع ، استغنَى عن الجواب بما تقدَّم ، ولم تجزم إنْ شيئاً فتحتاج إلى جواب مجزوم أَو شىءٍ فى مكانه ، وأَما قوله :

وإن أَتاه خليلٌ يوم مسغبةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ(١)

يقول على القلب ، فهو محال ، وذلك لأَنَّ الجواب حدُّه أَن يكون بعد إن وفعلِها الأَوَّل ، وإنَّما يُعنَى بالشىءِ موضعُه إذا كان فى غير موضعه ،

(١) فى الأصول لابن السراج : « يوم مسألة » . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٤٣٦ لزهير بن أبى سلمى . وانظر معجم الشواهد .

نحو ضرب غلامَه زيدٌ ، لأَنَّ حدَّ الغلام أن يكون بعد زيد . وهذا قد وقع فى موضعه من الجزاء ، فلو جاز أن تعنِيَ به التَّقديم لجاز أنْ تقول : ضرب غلامُه زيدًا ، تريد ضرب زيدًا غلامه. وأمَّا ما ذكره من مَنْ ومتى ، وسائر الحروف فإنَّه يستحيل فى الأَسماء منها والظروفِ من وجوهٍ فى ٦٥٣
التقديم والتأْخير ، لأَنَّك إذا قلت : آتى من أتانى ، وجب أن تكون مَنْ منصوبة بقولك آتِى ونحوه ، وحروف الجزاء لا يعمل فيها ما قبلها ، فليس يجوز هذا إلاَّ أن تريد بها معنى الذى ومتى ، إذا قلت آتِيك متى أتيتنى ، فمتى للجزاء وهو ظرف لأَتيتنى ، لأَنَّ حرف الجزاء لا يعمل فيه ما قبله ، ولكن الفعل الذى قبل متى أغنَى عن الجواب ، كما قلت فى إنْ فى قولِك : أنت ظالم إن فعلت . فأَنت ظالم منقطع من إن وقد سدَّ مسدَّ الجواب . وكذلك آتيك قد سدّت مَسدَّ الجواب فى متى وإن لم يكن منها فى شيء ، لأَنّ متى منصوبة بأَتيتنى[1] ، لأَنَّ حروف الجزاء من الظروف والأَسماء إنَّما يعمل فيهما ما بعدهما ، وهو الجزاءُ الذى يعمل فيه الجزم . والباب كلُّه على هذا ، لا يجوز غيره . ولو وُضع الكلام فى موضعه لكان تقديره : متَى أَتيتنى فأَتيتك ، أى فأَنا آتيك . وأما قوله :

* . . . من يأْتِها لا يضيرُها *

إنَّما هو مَنْ يضيرها لا يأْتِها ، فمحال أن ترتفِعْ مَنْ بقولك لا يضيرها ومَنْ مبتدأة ، كما لا تقول زيد يقوم فترفعه بيقوم . وكلُّ ما كان مثلَه فهذا قياسُه . وهذه الأَبياتُ التى أنشدَها كلُّها لا تصلح إلاَّ على إرادة الفاءِ فى الجواب ، كقوله : «الله يشكرها» ، لا يجوز إلاَّ ذلك. ا هـ .

(١) ش : « لأن أتى » ، صوابه فى ط وأصول ابن السراج .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للعُجير السلولى . قال الأَصفهانى (فى الأَغانى) ، وابن هشام اللخمى (فى شرح أَبيات الجمل) : قال ابنُ الأَعرابىّ : كانت للعُجير بنتُ عَمٍّ كان يهواها وتَهواه ، فخطبها إلى أَبيها فوعده وقارَبَه ، ثم خطبها رجلٌ من بنى عامرٍ مُوسِرٌ ، فخيَّرها أَبوها بينه وبين العُجير ، فاختارت العامرىَّ ليساره ، فقال العجير فى ذلك :

أبيات الشاهد

(أَلمَّا على دارٍ لزينبَ قـــد أَتى
لها باللِّوى ذى المَرْجِ صَيْفٌ ومَرْبَعُ(١)
وقولا لها : قد طـــال ما لم تَكَلَّمِى
وراعَكِ بالغيب الفؤادُ المروَّعُ(٢)
وقُولا لها : قال العُجَير وخَصَّنى
إليكِ ، وإرسالُ الخليلين ينفـــعُ
أَأَنتِ الذى أَودعتُكِ السِّرَّ وانتحى
بكِ الخَوْنَ مَزَّاحٌ من القوم أَفرَعُ
إذا مِتُّ كان الناسُ صنفانِ : شامتٌ
وآخر مُثْنٍ بالذى كنتُ أَصنـــعُ
ولكنْ ستبكينى خطـــوبٌ كثيرة
وشُعثٌ أُهِينوا فى المجالس جُوَّعُ(٣)
ومُسْتَلْحِمٌ قد صَكَّه القومُ صكَّةً
بَعيدُ الموالى نِيلَ ما كـــانَ يَمنَـــعُ

---

(١) فى الأغانى : « ذى المرخ » . والمرخ من العضاه ، وهو ينفرش ويطول فى السماء حتى يستظل فيه ، وهو كثير الورى سريعه .
(٢) فى الأغانى : « بالعين » .
(٣) فى الأغانى : « ستبكينى خطوب ومجلس » .

رددتُ له ما فرَّط القَيــلُ بالضُّحى
وبالأَمس حَتَّى آبَنَا وهو أَضــلعُ(١)
وما ذاك أنْ كـان ابنَ عمِّى ولا أخى
ولكن متى ما أملكِ الضَّرَّ أنفــعُ(٢))

وهى قصيدة طويلة .

والإلمام : النُّزول ، وضمَّنه معنى الإشراف . واللوى : ما التوى من الرَّمل . والمرج : الموضعُ الذى ترعَى فيه الدوابُّ . وأراد بالمربع الربيع .

وراعك : أفزعك . وانتحى : اعتمد وقصد . والخَوْن : الخيانة .

وقولُه : «إذا متُّ كان الناس» إلخ هو من شواهد سيبويه على أنَّ كان فيها ضمير الشأن ، وهو اسمها . وجملة الناس صنفان خبرها .

وروى ابنُ الأَعرابى البيتَ كذا :

إذا مُتّ كــان النــاسُ صِنفَيْنِ شامتٌ
ومُثْنٍ بِنِيرَىْ بَعْضِ ما كنتُ أَصنَــعُ(٣)

٦٤٥ فكان على أصلها . والنِّيرانِ : العَلمَانِ فى الثَّوب . وإنَّما يريدُ أَنَّه يُثْنَى عليه بحُسْنِ فعلِه ، الذى هو فى أفعال النَّاسِ كالعَلَمِ فى الثوب .

وخطَّأَه أبو محمد الأَسود وقال : الصواب الرواية الأُولى فى المصراع الثانى .

---

(١) فى الأغانى : « حتى اقتاله فهو أصلع » ، تحريف .
(٢) فى الأغانى : « ولست بمولاه ولا بابن عمه » .
(٣) سيبويه ١ : ٣٦ ومعجم الشواهد .

وقوله : « ولكن ستبكيني خطوب » الخطوب هنا : الأُمور العظام . وروى بدله : « خصوم » جمع خَصْم ، وهو معروف . والشُّعث : جمع أشعثَ وشَعثاءَ ، وهو المتلبِّد الرأس . وقال أبو محمد الأَسود : الصَّواب :

* بلى سوف تـأْتيني خطوب كثيرة *

ولم يظهر لى وجهُه . ورَوَيا[١] : « أُهينوا حَضْرَةَ الدار » ، بدل : « أُهينوا فى المجالس » ، وحضرةَ ظرف . وجُوَّع : جمع جائع .

وقوله : ومُستلحِمٌ قد صَكَّه » بالرفع معطوف على ما قبله . والمستلحِم بكسر الحاء ، المستلحِقُ فى القرابة وفى الجِوار ، من اللُّحمة بالضم ، وهى القَرابة . والصَّكَّة : الضَّربة . والمولى هنا الناصر والمُعِين. وبَعِيدَ : حال من المفعول . ورَوَيا : « ذَليل الموالى » بدل : « بعيد الموالى » . وقوله : « نيل » أى أُخِذ منه ما كان يمنعه . ورَوَيا المصراعَ الأَوَّل هكذا :

* ومضطهَدٌ قد صَكَّه الخَصْمُ صَكَّةً *

والمضطهد بفتح الهاء : المقهور والمُضطَرُّ .

وقوله : « رَدَدْتُ له ما فرَّط القَيْل » أى ما نحَّاه القيل . قال فى الصحاح : قال الخليل : فرَّط الله عنه ما يكره[٢] أى نحَّاه ، وقلَّما يستعمل إلاَّ فى الشعر. والقَيْل بفتح القاف : المَلِك . قال ابن خلف ويحتمل أن يكون القَيْل هنا شُربَ نِصفِ النَّهار . وآبَنَا : رجَعَ إلينا . والأَضلع ، بالمعجمة : المُطِيق للشيء القائمُ به . وروى ابنُ الأَعرابيّ :

---

(١) كذا فى النسختين : « ورويا » يعنى ابن الأعرابى ، وأبا محمد الأسود الأعرابى . وذلك فى مقابل الرواية الأخرى التى أثبتها البغدادى عن أبى الفرج فى أغانيه .

(٢) فى النسختين : « ما فرط الله عنه مايكره » ، والصواب حذف « ما » كما هو فى الصحاح .

رَدَدتُ له ما سلَّفَ القَومُ بالضُّحَى وبالأَمسِ حَتَّى اقتالَه وهو أَخضَعُ

وقال : سَلَّفَ القومُ ذلاًّ وهو أَخضَع ، أَراد أَنَّ مفعول سَلَّف محذوف وجملة « وهو أَخضع » حال . واقتاله ، أَى اقتالَ عليه أى تحكَّم . قال صاحب الصحاح : واقتال عليه : تحكَّم . ومادته القول . وروىأَبو محمدٍ الأَسودُ المصراعَ الثانىَ كذا :

* حتَّى ناله وهو أَضلع *

وقال : أَى أَخذ أَكثر من حَقِّه .

وقوله : « وما ذاك أَن كان » إلخ اسم الإشارة راجع لما صنعه[1] من الجميل مع المستلحِم ، وهو ردُّ ما أُخذَ من ماله إليه قهراً ، وهو مبتدأٌ وخبره محذوف ، أَى صَنَعْتُه . وأَنْ مصدريَّة مجرورة باللام . واسم كان ضمير المستلحِم . وابنَ خبر كان ، والتقدير : وما ذاك الجميلُ فعلته معه لكونه ابنَ عمى ، ولكونهِ أَخى ، ولكن من شأْنى إذا قَدَرت على الضَّرّ والبَطْش نفَعْت .

وروى أَبو محمد الأَسودُ المصراعَ الأَوَّل كذا :

* ولست بمولاه ولا بابن عمِّه *

والعُجَير السَّلولى : شاعرٌ إسلامىٌّ تقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد الثلثمائة[2] .

* * *

وأَنشد بعده :

(إنَّ مَنْ لامَ فى بنى بنتِ حَسَّا نَ أَلُمْهُ وأَعصِهِ فى الخُطـوبِ)

---

(١) ش : « إلى ما صنعه » .

(٢) الخزانه ٥ : ٣٥ – ٣٦ . وكرر البغدادى ترجمته فى الشاهد ٣٨٠ فى الخزانة ٥ : ٢٦٣ .

على أنَّ ضمير الشأْن وهو اسم إنَّ محذوف ، والجملة الشرطية خبرها.

وتقدم شرح هذا البيت مفصلاً فى الشاهد السابع بعد الأَربعمائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد السمائة[٢] :

٦٩٨ (مَنْ يَكِدْنِى بسيِّئٍ كُنْتَ منـه
كالشَّجَـا بين حَلْقِـه والـوريدِ)

٦٥٥ على أنّ مجىء الشرط مضارعًا مجزوماً والجزاء ماضيًا خاصٌّ بالشِّعر عند بعضهم .

قال ابن مالك : الصحيح الحكم بجوازه ، لثبوته فى كلامِ أفصح الفصحاءِ ، قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَقُم ليلةَ القَدْرِ إيمانًا واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذنبه[٣] » .

والبيتُ من قصيدةٍ لأَبى زُبيدٍ الطائىِّ النَّصْرانى ، رثى بها ابن أُخته اللَّجلاج . وقبله :

(كانَ عَنّى يردُّ دَرْؤُكَ بعدَ ا للهِ شَغْبَ المُستَصْعَبِ المِرِّيدِ[٤])

من يَكِدْنى . . . . البيت .

الدرءُ : الدفع. وفى الحديث: «ادرءُوا الحدودَ بالشُّبُهات[٥]». والشَّغب

---

(١) الخزانة ٥ : ٤٢٠ — ٤٢٥ .
(٢) ديوان أبى زبيد الطائى ٥٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٥٩ والمقرب ١ : ٢٧٥ ورصف المبانى ١٠٥ والعينى ٤ : ٤٢٧ والأشمونى ٤ : ١٧ وجمهرة القرشى ٢٦٣ .
(٣) من حديث أبى هريرة فى صحيح البخارى ومسلم،وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . وانظر الألف المختارة الحديث ١٦٣ .
(٦) الدرء : الدفع . ط : « درأك » ، صوابه فى ش والديوان .
(٥) أخرجه ابن عدى فى الكامل . الجامع الصغير ٣١٤ .

بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين : تهييج الشر . والمِرِّيد : مبالغةُ المارد .

وقوله : (من يَكِدْنى) يقال كاده كَيْدًا من باب باع، إذا خدَعَه ومكَرَ به . والسيِّئُ : فَيْعِل، وصفٌ من السوء . و(كنتَ) بالخطاب . و (الشَّجَا) : ما يعترض فى الحَلْق كالعَظْم . و (الوريد) : عرقٌ قيل هو الودَج ، وقيل بجنْبِه . وقال الفرَّاءُ : عرق بين الحُلقوم والعِلباوَيْن، وهو ينبض أبدًا، فهو من الأَوردة التى فيها الحياة ولا يجرى فيها دم، بل هى مجارى النَّفس بالحركات . وهذا مطلع القصيدة :

(إنَّ طُولَ الحياةِ غيرُ سعودِ وضلالٌ تأْميلُ نَيلِ الخُــاودِ)

وعدَّتها تسعة[1] وخمسون بيتاً ، وهى من القصائد الجياد فى المراثى وقد جمعها محمد بن العباس اليزيدى ، عن ابن حبيب ، وهى عندى بخط محمد بن أسد بن علىٍّ القارى ،وتاريخ خطِّه سنة ثمانٍ وستِّين وثلثمائة .

وترجمة أَبى زُبيد الطائى تقدَّمت فى الشاهد الثانى والثمانين بعد المائتين[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(منَ يفعَلِ الحسناتِ اللهُ يشكُرُها)

وتقدَّم شرحه قريباً[3] :

* * *

(١) ط : « تسع » ، صوابه فى ش . والقصيدة بهذا العدد فى ديوانه .
(٢) الخزانة ٤ : ١٩٢ .
(٣) هو الشاهد ٦٩١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[١] :

٦٩٩ (أَتَغْضَبُ إنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتا)

على أنَّه قد يستعمل الماضى فى الشَّرطِ متحقِّق الوقوع ، وإن كان بِغير لفظ كان ، لكنَّه قليل . وهو هنا محذوفٌ مفسَّر بالفعل المذكور ، والتقدير : إن حُزّتْ أُذُنا قتيبة . فحزُّ أُذُنَيْهِ قد وقَع فيما مضَى من الزمان وتحقَّق معناه .

وقدّر المصنف (فى شرح المفصل) بما نقله الشارح عنه ، وردَّه . ويشهد لما قاله الشارح المحقق ما نقله سيبويه عن الخليل ، قال : سألتُ الخليل رحمه الله عن قول الفرزدق :

أتغضب إنْ أُذنا قُتيبةَ حُـزَّتا جِهارًا ولم تغضب لقتل ابن خازم

فقال : لأنَّه قبيح أنَّ تفصل بين أنْ والفعل ، كما قَبح أن تفصل بين كَى والفعل ، فلَمَّا قبح ذلك ولم يَجُزْ حملوه على إنْ ، لأنَّه قد يقدّم فيها الأسماءُ قبل الأفعال . ا هـ .

يريد الخليل أنّ إنْ فى البيت لا يصحُّ فتح همزتها للقبح المذكور ، وإنما هى إن المكسورةالهمزة ، لجواز الفصل بينها وبين الفعل باسمٍ على شريطة التفسير ، نحو قوله تَعالى : ﴿ وإنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكينَ استَجَارَك[٢] ﴾ . ٦٥٦
و (فى المسائل القصرية لأبى على) : اعترض أبو العباس المبرِّد على إنشاد هذا البيت بالكسر فقال : قتل قُتيبة قد مضى وإن للجزاء ، والجزاء

(١) فى كتابه ١ : ٤٧٩ . وانظر الهمع ٢ : ١٩ والمغنى ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٦ وشرح شواهده للسيوطى ٣٢ والأزهية ٦٩ وديوان الفرزدق ٨٥٥ .
(٢) الآية ٦ من سورة التوبة .

يكون لِما يأْتى ، فلا يستقيم أن تقول : إن قمتَ قمتُ ، وقد مضى قيامه .
قال أبو علىّ : إنما يريد : أَفتغضبُ كلما وقع هذا الفعلُ ، أى مثلُ هذا الفعل ، وإن كان التأْويل على هذا صحَّ الكسر . ا هـ .

وأراد بتقدير المِثْل كَوْنَ الفعل مستقبلاً .

وظاهر نقل أبى علىٍّ أنّه لا يجوز الكسر عند المبرد ، ولكنَّ صريح كلام ابن السِّيد أنَّ المبرِّد يجوِّزه ، قال (فى شرح كامل المبرد) : وأجاز أَبو العباس فتحَ أَنْ فى هذا البيت ، وجعلها أَنِ المخفَّفةَ من الثقيلة وأضمر اسمها ، كأنّه قال : أنّه أُذنا قتيبة حُزَّتا . ومن روى إنْ بكسر الهمزة ، وهو رأى سيبويه ، فوجهه أنّه وضع السبب موضع المسبَّب ، كأنّه قال : أتغضب إن افتخر مفتخرٌ بحزِّه أُذُنَىْ قتيبة ، كما قال الآخر[1] :

إنْ يقتلوك فإنَّ قتلَكَ لم يكن عارًا عليك ، ورُبَّ قتلٍ عارُ

المعنى : إن افتخروا بقتلك . فذكر القتْلَ الذى هو سببُ ذلك . ا هـ .

وقد صَرفه ابن هشام (فى المغنى) إلى المستقبل بتأْويلين : أَحدهما : ما ذكره ابن السِّيد من إقامة السّبب مقام المسبب . والثانى : أَنّه على معنى التبيُّن ، أى أتغضب إن تبيَّن فى المستقبل أَنَّ أُذنى قتيبة حُزَّتا فيما مضى .

ثم قوله : وقال الخليل والمبرّد : الصواب «أَنْ أُذنا» بفتح الهمزة ، أى لأَنْ أُذنا ، هو خلاف ما نقله سيبويه عن الخليل ، وخلاف ما نقله ابن السِّيد عن المبرد . وذهب الكوفيون إلى أَنَّ أن فى هذا البيت ليست للشَّرط ، لمضيِّه ، وإنّما هى بمعنى إذْ . قال إمامُهُم[2] (فى سورة الزخرف .

(١) هو ثابت قطنة ، وهو الشاهد ٧٩٨ .
(٢) يعنى الفراء .

من تفسيرِه) عند قوله تعالى: ﴿أفنَضْرِبُ عنكم الذِّكْرَ صَفْحاً إنْ كنتم[١]﴾ قرأ الأعمش بالكسر ، وقرأ عاصم والحسن بفتح أنْ ، كأنَّهم أرادوا شيئًا ماضيًا . وأنت تقول فى الكلام : أأَسبُّك أنْ حَرَمتنى ، تريد إذْ حرمتنى . وتكسر إذا أردت: أأَسبُّك[٢] إن تحرمْنى. ومثله: ﴿لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنآنُ قومٍ أنْ صَدُّوكم[٣]﴾ تكسر إنْ وتفتح . ومثله ﴿فلعلَّك بَاخِعٌ نَفْسَكَ على آثارهم إنْ لم يؤمنوا[٤]﴾ و (أن لم يُؤمنوا) . والعرب تنشد قول الفرزدق :

* أتجزع إن أُذْنَا قتيبة حُزَّتا *

وأنشدونى :

وَتجــزع إنْ بانَ الخليطُ المــودِّع
وحَبْــلُ الصَّفا من عَزَّةَ المتقطِّعُ[٥]

وفى كلٍّ واحدٍ من البيتين ما فى صاحبه من الكسر والفتح . انتهى كلامه .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ طويلة للفرزدق مدحَ بها سليمان بنَ عبد الملك ، وهجا جريراً . وقبله هذه الأبيات :

---

(١) الآية ٥ من سورة الزخرف .
(٢) فى النسختين : « لأسبك » . صوابه من معانى الفراء ٣ : ٢٦ .
(٣) الآية ٢ من المائدة . وقراءة الفتح هى قراءة الجمهور . وقرأ بالكسر ابن كثير وأبو عمرو ، ووافقهما ابن محيصن واليزيدى . إتحاف فضلاء البشر ١٩٨ .
(٤) الآية ٦ من الكهف . وقد نص الزمخشرى فى الكشاف على القراءتين ولم يعين صاحبهما ، ونقل عنه ذلك أبو حيان فى تفسيره ، وجاء فيه النص محرفاً على هذه الصورة : « بكسر الميم وفتحها » والصواب « بكسر الهمزة وفتحها » . والواضح أن قراءة الكسر هى قراءة الجمهور . ووجدت فى مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٧٨ نسبة قراءة الفتح إلى الأعشى عن أبى بكر عن عاصم . وانظر معانى الفراء ٢ : ١٣٤ .
(٥) يبدو أنه لكثير . ولم أجده فى ديوانه .

والبيت من قصيدةٍ طويلة للفرزدق مدحَ بها سليمان بنَ عبد الملك ، وهجا جريراً . وقبله هذه الأبيات :

فإنْ تلك قيسٌ فى قتيبــة أُغضِبَتْ
فــلا عَطَستْ إلّا بأَجــدعَ راغمِ
وهــل كان إلاَّ باهليًّــا مجــدَّعاً
طغَى فسقينــاه بكأْس ابن خازمِ
لقد شهدت قيسٌ ، فما كان نصرُها
قتيبــةَ إلاَّ عضُّهــا بالأَباهــم
فإن تقعُدوا تَقعُــدْ لئــامٌ أَذلَّــة
وإن عدتُمُ عُدنا بأَبيضَ صــارمِ)
أَتغضب إنْ أُذنا قتيبــة . . . . . البيت
(فما منهمــا إلّا بعثْنــا برأْســه
إلى الشَّامِ فوقَ الشَّاحجات الرَّواسمِ
٦٥٧ تَذبذبُ فى المِخلاة تحتَ بطونهــا
محذَّفَةَ الأَذناب جُــلْحَ المقــادمِ
ستعلم أَىُّ الواديينِ له ثَــرًى
قديماً وأَوْلَى بالبحور الخضــارمِ[(١)]
وما أَنت من قيسٍ فتنبِحَ دُونَهــا
ولا من تميمٍ فى الرءُوس الأَعاظمِ[(٢)]

---

(١) فى الديوان ٨٥٥ : « له الثرى » .
(٢) بين هذا البيت وسابقه فى الديوان ٢١ بيتا .

قوله: « فإن تك قيس» إلخ، قيس: أبو قبيلة،وهو قيس بن عَيلان ابن مضر . وقبيلةُ باهلةَ : فخذٌ من قيس بن عيلان . وأراد القبيلة . ولجريرٍ خُئولةٌ فى قيس . وقتيبة هو ابن مسلم الباهلى، وستأْتى حكايته . وأُغضِبَت بالبناء للمفعول ، وقوله « فلا عَطَست» إلخ جملة دعائية: وقعت جزاءً للشَّرط ، فلذا قرنت بالفاء . وأَجْدَع صفة موصوفٍ محذوف أى أَنف أَجدع . والراغم: الذَّليل أو الكاره[1]، وهو على النسبة ، أى ذى الرّغام وهو التُّراب[2]، يقال أرغم الله أَنْفَه، أَى أَلصقه بالرَّغام ، وهو التُّراب ، وهو كناية عن الإذلال .

وقوله : « وهل كان إلاَّ باهليًّا » اسم كان ضمير قُتيبة، ومجدَّعاً يُدْعَى عليه بالْجَدْع ، وهو قَطْع الأَنف . وباهلة : قبيلةٌ منحطَّة بين العرب . ولذا قيل :

وما يَنفَعُ الأَصلُ من هــاشمٍ إذا كانت النَّفسُ من باهِلَــه

رُوى أَنَّ قتيبة هذا مازحَ أَعرابيًّا جافياً فقال : أَيسرُّك أَن تكونَ باهليًّا ؟ فقال : لا والله . قال : فتكون باهليًّا خليفة ؟ قال : لا والله ولو أَنَّ لى ما طلعَتْ عليه الشَّمس : قال : فيسرُّك أَنْ تكون باهليًّا وتكونَ فى الجنَّة ؟ فأَطرقَ ثم قال : بشرط أَن لا يعلم أَهلُ الجنَّة أَنِّى باهلى ! فضَحِك من قوله .

وقوله: (أَتغضبُ إن أُذنا قتيبة) إلخ. فاعل تغضب قيسٌ المتقدم ، وأَنَّث فعله لأَنَّه أَراد به القبيلة . والاستفهام للتعجُّب والتوبيخ . ويجوز أَن يكون فاعله مستترًا فيه تقديره أنت ، وهو خطابٌ مع جرير

(١) ط : « والكاره » .
(٢) ط : « أى ألصقه بالتراب » فقط .

بدليل ما بعده من البيتين. والحَزُّ، بالحاءِ المهملة والزاى المشددة: القطع. وحَزّ الأُذنين كناية عن القَتل، لأَنَّ القتيل قد تُقطَع أُذنه للتشويه. (جهارًا) أى حزًّا جهاراً. و(ابن خازم) بالخاءِ والزاءِ المعجمتين. يريد أَنَّ قيسا غضبت من أَمرٍ يسيرٍ ولم تغضب لأَمرٍ عظيمٍ. وقد أَنكَر هذا منها.

وأَمَّا قتيبة بالتصغير فهو قُتيبة بنُ مسلم بن عمرو بن حُصين بن ربيعة بن خالد بن أُسيد الخير بن كعب بن قُضاعيّ بن هلال الباهلى. نشأَ فى الدَّولة المَرْوانية، وتَرقَّى وتولَّى الإمارة، وفتح الفتوحات العظيمة، وعَبَرَ ما وراءَ النَّهرِ مراراً وأَبلى فى الكُفَّار. وكان شُجاعًا جوادًا دمِثَ الأَخلاق ذا رأْى، افتتح بُخارى، وخُوارزم، وسَمَرْقَند، وفَرغانة، والتُّرك. وولىَ خراسان ثلاثَ عَشْرة سنة.

وهذا خبر مقتَله (من تاريخ النُّويرى[1]) قال: قُتل قتيبةُ بن مسلمٍ الباهلىُّ فى سنة ستٍّ وتسعين فى خراسان. وكان سببُ ذلك أَنَّه أَجابَ الوليدَ إلى خلع سليمان، فلما أَفْضَت الخلافةُ إلى سليمانَ خَشِيَ قتيبةُ أَنَّ سليمان يستعمل يزيد بن المهلَّب على خُراسان، فكتب قتيبة إلى سليمان كتابًا يهنِّئه بالخلافة، ويذكر بلاءَه وطاعتَه لعبد الملك والوليدِ، وأَنَّه له على مثل ذلك إنْ لم يعزِلْه عن خُراسان. وكتب إليه كتاباً آخر يُعلمه فيه بفتوحه ونكايتِه، وعظِمِ قَدْره عند ملوك العجم، وهَيبته فى صدورهم، ويذمُّ آلَ المهلَّب ويحلف بالله: لو استُعمِل يزيد على خراسان ليخلعنَّه. وكتب كتابًا ثالثاً فيه خلعُه. وبعث الكتبَ مع رجلٍ من باهلة وقال له: ادفع الكتابَ الأَوَّل إليه، فإنْ كان يزيد حاضراً

---

(١) هو نهاية الأرب، ويعنى القسم التاريخى منه، ويبدأ فى الجزء الثالث عشر من نهاية الأرب.

٦٥٨ فقرأه ثم ألقاه إليه[١] . فادفع إليه الثانىَ . فإن قرأه ودفعه إليه فادفع إليه الثالث . وإن قرأ الأوَّل ولم يدفَعْه إلى يزيد فاحبس الكتابين عنه . فقدِم رسولُ قتيبة فدخلَ على سليمان وعنده يزيدُ بن المهَّلب ، فدفع إليه الكتاب الأوَّلَ فقرأَهُ وألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الثانىَ فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فأعطاه الثالثَ فقرأه وتمعَّر لونُه وختَمه ، وأمسكه بيده . فقيل : كان فيه « إنْ لم تُقرَّنى على ما أنا عليه وتؤمِّننِّى[٢] لأخلعنَّك ، ولأملأنَّها عليك خيلًا ورَجْلاً » ثم أمر سليمان بإنزال رسول قتيبة وأحضره ليلا[٣] وأعطاه دنانيرَ وعَهْد قتيبةَ على خراسان ، وسيَّر معه رسولًا . فلما كانا[٤] بحُلوان بلغهما خَلْعُ قتيبة ، فرجع رسولُ سليمان فلمَّا خلعَه قتيبةُ دعا الناس إلى خلعِه فلم يجبْه أحد ، فغضب وسبَّهم طائفةً طائفة ، وقبيلةً قبيلةً ، فغضب الناسُ واجتمعوا على خَلع قتيبة ، وكان أوَّل من تكلم فى ذلك الأَزْد ، فأَتَوْا حُضَين بن المنذر[٥] فقالوا :إنَّ هذا قد خلع الخليفة ، وفيه فسادُ الدِّين والدنيا ، وقد شَتَمَنا فما ترى؟ فأشار أنْ يأْتوا وكيعَ بنَ حسّانٍ بن قيسٍ الغُدَانى . وغُدانة هو ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وكان وكيعٌ مقدَّما، لرياسته على بنى تميم ، وكان قتيبة عزَله ، فحقد عليه وكيع . فلما أتوه وسألوه أن يلىَ أمرَهم فعل ، فبلغ أَمرُه لقتيبة ، فأرسل إليه يدعوه ، فلبس

(١) ط : « ثم دفعه إليه » ، وأثبت ما فى ش مطابقاً لابن الأثير ٥ : ١٢ فى حوادث سنة ٩٦ .
(٢) كذا فى التسخين . والإتيان بنون التوكيد بعد « لم » قلبل نادر .
(٣) ش : « ثم أحضره ليلا » .
(٤) ط : « كان » ، صوابه فى ش .
(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى ، من كبار التابعين ، وكان فارسا شاعرا ، وكانت معه راية على بن أبي طالب يوم صفين ، دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة . مات على رأس المائة . المؤتلف٨٧ وتهذيب التهذيب ٢ : ٥٩٥ . وانظر ما سبق فى ٤ : ٣٨ .

وكيع سلاحه ونادى فى الناس فأَتَوْه ، وركب فرسَه وخرج ، وأتاه الناس أَرسالاً ، واجتمع إلى قتيبة أَهلُ بيته وخواصُّ اصحابه ، فكَبّروا وهاجوا ، فقُتل عبدُ الرحمن أخو قتيبة ، وجاءَ الناس حتَّى بلغوا فُسطاطَ قتيبة فقطعوا أَطنابه ، وجُرح قتيبة جراحاتٍ كثيرة . ثم نزل سعدٌ(١) وشقّ الفُسطاط واحتزَّ رأْس قتيبة وقَتلَ معه من أَهله وإخوته أَحدَ عشر رجلا . فأَرسل وَكيع إلى سليمانَ برأْسه ورُءُوس أَهله .

وأَما ابن خازم فهو عبد الله بن خازم السُّلَمِيّ(٢) . وينتهى نسبُ سُليمٍ إلى قيس عيلان . وهو أَحدُ غِربان العرب فى الإسلام . وكان من أَشجع الناس ، وقتلته بنو تميم بخُراسان فى سنة اثنتين وسبعين ، وكان الذى وَلِيَ قتلَه وكيعُ بن الدَّوْرقيَّة القُرَيعيّ . وكان ابنُ خازم أَمير خراسان من قبل ابن الزُّبير ، وكان أَوَّلًا استعمله ابنُ عامرٍ على خُراسان فى أَيَّام عثمان . وكان أَحدَ الأَبطال المشهورين ، وقد حضر مواقفَ مشهورةً وأَبلَى فيها .

وهذا خبرُ مقتله (من تاريخ النويرى) قال : ولمَّا قُتل مصعب ابن الزبير كان ابن خازم يقاتل بُجَير بن وَرْقاءَ التَّميمى(٣) بنيسابور ، فكتب عبد الملك بنُ مروانَ إلى ابن خازمٍ يدعوه إلى البيعة ويُطعِمه خراسان سَبعَ سنين ، فامتنع وأَطعم كتابه لرسوله . وكتب عبد الملك إلى

---

(١) سعد هذا لا يعرف من خبره إلا أنه قاتل قتيبة ، وقد سجل حضين بن المنذر أن اسمه سعد بن سعد ، بقوله فى شعره وهو يعنيه :

وإن ابن سعد وابن زحر تعاورا ... بسيفيهما رأس الهمام المتوج

انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٥١٧ فى حوادث سنة ٩٦

(٢) ط : « السليمى » ، صوابه فى ش .

(٣) انظر خبره فى نوادر المخطوطات ٢ : ١٧٦ - ١٧٧ .

بُكير بن وسَّاج[1] وكان خليفةَ ابن خازم على مَرْو ، وتعهَّده[2] على خراسان ، ووعده ومَنَّاه ، فخلع بُكيرٌ ابنَ خازم ، ودعا إلى عبد الملك ، فأَجابه أَهل مرو . وبلغ ابنَ خازمٍ فخاف أَن يأْتيه بُكير ، فيجتمعَ عليه أَهل مَرْو وأَهلُ نيسابور ، فترك بُجيرًا وأَقبل إلى مَرْو فاتبعه بجير فلحقه بقريةٍ على ثمانية فراسخ من مَرْو فقاتله ، فقُتل ابن خازم وكان الذى قتله وَكيع بن عمرو القُريعى ، اعتوَرَه وكيعٌ وبُجير بن ورقاءَ ، وعمَّار ابن عبد العزيز ، فطعنوه فصرعوه ، وقعد وكيعٌ على صَدره فقتله ، وبعث بشيرًا بقتله إلى عبد الملك ولم يبعَثْ برأْسه ، وأَقبل بكيرٌ فى
٦٥٩ أَهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأَراد أَخْذ الرأْسِ وإنفاذَه إلى عبد الملك ، فمنعه بجير .

كذا قال النُّويرى . وهو خلاف قولِ الفرزدق :

فما منهما إلاَّ بعثنا برأْسِهِ إلى الشام .... البيت

والله أَعلم .

وكان بين قتل ابن خازم وقتل قتيبة أَربعٌ وعشرون سنة[3] .

وقوله : « فوق الشاحجات » يعنى البغال . والرسم : ضرب من السَّير ، وإنَّما عنَى ههنا بغالَ البريد بقوله :

* محذَّفةَ الأَذنابِ جُلحَ القَوادِمِ *

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين[4] .

* * *

(١) ط : « وشاح » ، وأثبت ما فى ش مطابقاً فى القاموس (وسج) وتاريخ الإسلام للذهبى ٣ : ١١٢ ، وجمهرة ابن حزم ٢١٨ ، ٢١٩ .
(٢) المراد أعطاه عهداً بها . وفى ش : « تعهده » بلا واو .
(٣) فى النسختين : « أربعة وعشرون سنة » ، والوجه ما أثبت .
(٤) فى الخزانة ١ : ٢١٧ .

وأنشد بعده :

(لم تَدْرِ ما جزعٌ عليتَ فتجْزَعُ)

تقدَّم شرحه فى هذا الباب قريباً[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى السَّبعَمائة ، وهو من شواهد س[٢] :

٧٠٠ (وقالَ رائدُهم أَرْسُوا نُزاوِلُهـا
فـكلُّ حتْفِ امـرئٍ يجرى بمقدارِ)

على أَنّ قوله : (نزاولُها) استئنافٌ ولهذا وجب رفعُه .

قال سيبويه : وتقول : ائتنى آتِك ، فتجزم على ما وصفنا ، وإن شئت رفعتَ على أن لا تجعله معلَّقاً بالأَوّل ، ولكنك تبتدئهُ وتجعل الأَوَّلَ مستغنياً عنه ، كأَنه يقول : ائتنى أَنا آتيك . ومثل ذلك قول الأَخطل :

* وقال رائدُهم أَرسُوا نُزاوِلُها * البيت . ا هـ

وأَجاز الشارح المحقق كونَ نزاولُها حالاً .

فإنْ قلت : الحال قيدٌ لعاملها ، فكيف يكون الإرساءُ فى حال المُزاوَلة والمزاولةُ إنَّما تكون بعد الإرساءِ ؟

قلت : أَوَّل المزاولة مقارنٌ للإرساءِ وإنْ كانت لا تتمُّ إلاَّ بعده . وهذا المقدار كافٍ .

---

(١) انظر الخزانة ٨ : ٥٣١ . ومن الجدير بالذكر أنه هذا الشاهد ليس فى هذا الباب ، بل هو فى باب النواصب .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٥٠ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٥٠ ، ٥١ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٢ .

وهذا البيت أُورِدَ فى علم المعانى مثالاً لكمال الانقطاع باختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى ، ولهذا لم يتعاطفا . فإنَّ أَرسُوا إنشاءٌ لفظاً ومعنى ونزاولُها خبرٌ كذلك ، فوجب تركُ العطف . ولم يُجعل نزاولها مجزومًا جوابًا للأَمر؛ لأَنَّ الغرض تعليلُ الأَمر بالإرساء بالمزاولة ، والأَمر فى الجزم بالعكس ، أَعنى يصير الإرساءُ علَّة المزاولة كما فى«أَسلِمْ تدخُلِ الجنَّة» . كذا قرَّره التفتازانى . وبه يُعرَف ما فى قول الأَعلم ، وتبعه ابن يعيش : « ولو أَمكنه الجزمُ على الجواب لجاز » ــ من الضَّعف .

وتبعه أَيضاً ابن المستوفِى فقال : ويجوز أَنْ يُجزَم إذا جعلتَه عِلَّة للأَوّل ومحتاجاً إليه .

وإنَّما استشهدُوا به لأَنَّه لا يمكن جزم نزاولها .

و (الرائد) : الذى يتقدَّم القومَ ليطلبَ الماءَ والكلأَ ، من الرَّود وهو التردُّد فى طلب الشىء برفق . و (أَرْسُوا) بفتح الهمزة أَمرٌ من الإرساءِ ، أَى أَقيموا ، من أَرسيت السفينة إرساءً ، أَى حبَسْتُها بالمِرساةِ . ولم يُصب العبَّاسىّ (فى معاهد التنصيص) فى قوله : وهو من رَستِ السَّفينة ترسو رُسوًّا ، إذا وقفَتْ على الأَنجر[1] معرب لَنْكر ، وهو مِرساة السَّفينة ، وهى خَشَبات يُفْرَغ بينها الرَّصاصُ المذاب ، فتصير كصخرةٍ ، إذا رسَتْ رست السَّفينة. أَو هو من رسَتْ أَقدامهم فى الحرب ، أَى ثبتت . (نزاولها) : مضارع زاولَ الشىءَ ، أَى حاول وعالجه . و (الحتف) : الهلاك . قال السعد : الضمير فى نزاولها للحرب ، أَى

(١) وكذا فى معاهد التنصيص . وفى ش : « اللنجر » ، تحريف . وانظر القاموس واللسان والمعرب للجواليق ٢٦ . وفى التهذيب : هو اسم عراق،وهو خشبات يخالف بينها وبين رءوسها، وتشد أوساطها فى موضع واحد ثم يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كأنها صخرة ، ورءوس الخشب ناتئة تشد بها الحبال وترسل فى الماء ، فإذا رست رست السفينة فأقامت .

قال رائدٌ القوم, ومقدمهم : أَقيموا نقاتل . فإنَّ موت كلٍّ نفس يجرى بمقدار الله وقَدَره ، لا الجبنُ يُنجيه ، ولا الإقدامُ يُرْديه . وقيل الضمير للسَّفينة ، وقيل للخَمر . والوجه ما ذكرنا . ا هـ. ٦٦٠

ويشهد لما اختار ما أَورده الكرمانى (فى الموشَّح) ، وتبعه العباسى من بيتٍ بعده ، وهو :

(إِمَّا نموتُ كرامًا أَو نفوزُ بها　　لنسلم الدَّهرَ من كَدٍّ وأَسفارِ)

والعجب من الكَرمانىّ فى قوله : وصف الشاعر جماعةَ اللُّصوص ، لما رأَوُا السَّفينةَ طمِعوا فى أَخْذها ، فأَمر سيِّدُ القوم الملاَّحين بإرساءِ السفينة . ويَعضِد هذا الوجهَ ما بعده : إِمَّا نموت كرامًا .... البيت .

وقال الأَعلم ، وتبعه ابن يعيش : وصف شَربًا قدَّموا أَحدَهم يرتاد لهم خمراً فظفر بها فقال لهم : أَرسُوا ، أَى انزلوا ، نشربها . ومعنى (نزاولها) : نخاتل صاحبَها عنها . وقوله : (فكلّ حتف) إلخ أَى لابدَّ من الموت ، فينبغى أَن نبادر ، بإنفاق المال فيها وفى نحوها ، إلى اللذات. هذا كلامه .

والبيت قد نسَبه إلى الأَخطل ، وراجعتُ ديوانَه مرارًا فلم أَظفر به فيه . والله أَعلم به .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى[1] والثانى بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[2] :

---

(١) وفى ش : « الشاهد الواحد » . وانظر ما كتبت فى حواشى الجزء الثامن ص ٣٤١ ، كما أن الحق أن هذا الإنشاد يتضمن شاهدين لا شاهداً واحداً كما سيأتى فى ص ٩٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٤٦ . وانظر المقتضب ١ : ٦٦ والإنصاف ٥٨٣ وابن يعيش ٧ : ٥٣ / ١٠ : ٢٠ ورصف المبانى ٣٢ ، ٣٣٥ والهمع ٢ : ١٢٨ والأشمونى ٣ : ١٣١ ويس ٢ : ١٦٢ .

٧٠١ (مَتَى تأْتِه تَعْشُو إلى ضَوءِ نارِهِ
تَجِدْ حَطَباً جزلاً ونارًا تأَجَّجا)

على أَنَّ جملة (تعشو) جاءَت حالاً بعد صَريح الشَّرط وهو تأْتِهِ وصاحب الحال الضمير المخَاطَب فى الشرط . والمعنى : متى تأْتِه عاشياً، أى فى الظلام .

قال الشارح المحقِّق : « ويجوز فى مثلِه البدل » . أَراد ما أَنشده [سيبويه[1]] ، وهذا نصُّه (فى باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما) : أَما ما يرتفع بينهما فقولك : إن تأْتنى تسأَلُنى أُعطِك، وإن تسأَلنى تَمْشى أَمْشِ معك . وذلك لأَنَّك أَردت أَن تقول ، إن تأْتنى سائلاً يكن ذلك وإن تأْتنى ماشيًا فعلتُ . وقال زهير :

ومَن لا يزلْ يستحملُ النَّاسَ نفسَه
ولا يُغْنِها يومًا من الدَّهر يَسْأَمِ

إنَّما أَراد : من لا يزل مستحملاً يكون من أَمره ذلك . ولو رفع يغنها جاز وكان حسناً ، كأَنَّه قال : من لا يزل لا يغنى نفسه . ومما جاءَ أَيضاً مرتفعاً قول الحطيئة :

متَى تأْته تعشُو إلى ضوءِ ناره تجدْ حطباً جَزْلاً ونارًا تأَجَّجا

وسأَلتُ الخليل رحمه الله عن قوله ، وهو عُبيد الله بن الحُرّ[2] :

متى تأْتنا تلمم بنا فى ديارنا تَجدْ حطبًا جزلا ونارًا تأَجَّجا

قال : تلمم بدل من الفعل . ونظيره فى الأَسماء : مررت برجل عبدِالله

(١) التكملة من س . وانظر سيبويه ١ : ٤٤٥ - ٤٤٦ .
(٢) ط : « عبد الله بن الحر » ، صوابه فى ش . وقد سبقت ترجمته عبيد الله هذا فى ٢ : ١٥٥ - ١٦١ .

فأَراد أن يفسِّر الإتيان بالإلمام ، كما فسَّر الاسمُ الأَوَّل بالاسم الآخرِ.

ومثل ذلك قوله ،أَنشدنيهما الأَصمعىُّ عن أَبى عمرٍو لبعض بنى أَسد[1] :

إنْ يبخَلوا أَو يجبُنُوا ... أَو يَغدِرُوا لا يَحْفِلوا
يغدُوا عليكَ مَرجَّليـ ... ـنَ كأَنَّهم لم يَفْعَلُوا[2]

فقوله : يَغْدُوا بدلٌ من لا يحفِلوا . وغدوُّهم مرجَّلين يفسِّر أَنَّهم لم يحفلوا .

وسأَلته رحمه الله :هل يكون إنْ تأْتنا تسأَلْنا نعطك؟ فقال : هذا يجوز على غير أَنْ يكون مثلَ الأَوَّل ، لأَنَّ الفعل الآخر تفسيرٌ له ، وهو هو . والسؤال لا يكون الإتيانَ ، ولكنَّه يجوز الغلط والنسيان ممن يتدارك كلامَه . ونظير ذلك فى الأَسماءِ : مررت برجل حمارٍ ، كأَنَّه نسىَ ثم تداركَ كلامه . ا هـ.

وعُلم مِن هذا أَنَّ ما أَنشده الشارحِ مركَّب من بيتين سهوًا . فصدرُه للحطيئة ، وعجزه لابن الحرّ .

ورفع يستحملُ الناس فى البيت الأَوَّل لأَنه خبر زال الناقصة .

وقوله : « تلمم بنا » فى البيت الثالث بدل من تأْتنا وتفسيرٌ له ، لأَنَّ الإلمام إتيان . ولو أَمكنه رفعه على تقدير الحال لجاز .

وقوله : « يغدوا عليك » فى البيت الرابع بدلٌ من قوله : لا يحفلوا ، لأَنَّ غدوَّهم مرجَّلين دليل على أَنَّهم لم يحفلوا بقبيحِ ما أَتوه ، فهو

---

(١) فى الحيوان ٣ : ٤٧٧ أن هذا الشعر من الشوارد التى لا أرباب لها .

(٢) بعده فى الحيوان والبيان ٣ : ٣٣٣ وأمالى القالى ٣ : ٨٣ وعيون الأخبار ٢ : ٢٩ والصناعتين ١٠٣ :

كأبى براقش كـل يـو ... م لـونه يتخيـل

تفسيرٌ له وتبيين . والترجيل : مَشْط الشعر وتليينُه بالدُّهن . وحَفَلت بكذا ، أى بَاليتُ به .

وقوله : (متى تـأْتِه تعشو) إلخ . قال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يقال عشا يعشو ، إذا سار فى ظلمة تسمَّى عشوة مثلثة العين . وأنشد هذا البيت . وقال ابن يعيش : يقال عَشَوته أى قصدته فى الظَّلام ، ثم تُّسِع فقيل لكل قاصدٍ : عاشٍ .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : قوله تعشو إلى ضوءِ ناره ، قال الأَصمعى : تـأْتيه على غير هداية . وقال غيره : تجىءُ على غير بصرٍ ثابتٍ فتهتدى بناره . وقال القُتَبىّ : يقال عشوت إلى نارك أَعشو عُشُوًّا ، إذا قصَدْتَها بليل ، ثم سمِّى كلُّ قاصد عاشيًا . قال صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ومَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكر الرَّحمن[1] ﴾ إذا حَصَلت الآفةُ فى البصر قيل عَشِىَ كفرح ، وإذا نظر نظر العُشْى ولا آفة به قيل عَشَا يعشُو . ونظيره : عرِج ، لمن به الآفة ، وعَرَج لمن مشى مِشية العُرجان من غير عَرَج . قال الحطيئة :

* متى تـأْتِه تعشو إلى ضوءِ ناره[2] *

أَى تنظُرُ إليها نظرَ العُشْى لِمَا يضعفُ بصرُكُ من عِظَمِ الوقود ، واتِّساع الضوءِ . وهو بيِّنٌ فى معنى قول حاتم :

أَعشـو إذا ماجارَتى برزَتْ حتَّى يُوارِىَ جارتى الخِدْرُ[3] . اهـ .

(١) الآية ٣٦ من سورة الزخرف .

(٢) عجزه كما فى الديوان ٢٥ ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٥ :

* تجد خير نار عندها خير موقد *

(٣) لم يرد البيت فى ديوان حاتم من مجموع خمسة دواوين ، والحق أنه لمسكين الدارمى فى ديوانه ٤٥ وحماسة الخالديين ١ : ٦٦ وأمالى المرتضى ١ : ٤٧٤ والخزانة ٣٦٩١٣ . ونسبته إلى حاتم فى الكشاف للزمخشرى وتفسير أبى حيان . وانظر ديوان حاتم ٣١٣ تحقيق عادل سليمان .

وقول العينى : تعشو من عشا إذا أتى نارًا يرجو عندها خيرًا أو هُدًى، ليس معنا ما ذكره .

وكذلك قول ابن المستوفى : يقال عشا إلى النار يعشُو إذا استدلَّ عليها ليُبصر — ضعيفٌ .

قال عبد اللطيف البغدادى (فى شرح نقد الشعر لقدامة): وصفَهُ بأَنَّ نارَه موقَدة باللَّيل ، وهذا عند العرب غايةُ المدح بالكرم وقِرَى الضِّيفان. ثم دلَّ بقوله تعشو إلى ضوءِ ناره أَنَّ السَّابلة تستضىء بها وتَقصِد نحوها . وهذا صفةُ النَّار إذا كانت على نَشز ، ولا يفعل ذلك إلاَّ السيِّد الجوادُ المطعام . وقوله :

* تجدْ خير نارٍ عندها خيرُ موقدِ *

أى متى أتيته عاشيًا إلى ضوءِ ناره وجدتَ خير نار ، أى أنفعَ نارٍ للدِّفءِ والأَكل ، عندَها خير موقد يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد بمن عندها مَنْ يوقدها مِن الغِلمان والخوَل . ويريد بقوله خير موقد كثرةَ كرمهم واحتفالَهم بالوارد عليهم ، وحُسنَ القيام عليه بجميع ما يحتاج إليه.

والثانى : يريد به الممدوح ، ووصَفَه بالإيقاد وإنْ كان سيِّدًا لأَنَّه آمرٌ به ، فكأَنه فاعله . ويريد بقوله خير موقد أكرمَ موقد ، وأسخى مُوقِد ، وأفضلَ موقد .

فعلى هذا يكون قد وصَفه فى هذا البيت بجماع الفضائل[1] . وعلى

(١) ش : « بجميع الفضائل » .

التـأويل الأوَّل إنَّما وصفهبالسَّخاء فقط، لكن ذكره أوّلاً مفصلًا وهُنَا مجْمَلا، فاعرف ذلك. اهـ.

٦٦٢ ويروى أَن هذا البيت لما أُنشِدَ لعمرَ بنِ الخطَّاب قال : كذب، تلك نار موسى صلوات الله عليه وسلامه.

والبيت من قصيدةٍ طويلة للحطيئة مدحَ بها بغيضَ بن عامرِ بن شمَّاس بن لأْى بن أنفُ النَّاقة التميمى. وهذه أَبياتٌ من آخرها، وهو أوّلُ المديح :

(فما زالت الوَجْناءُ تجرى ضُفورها
إليكَ ابنَ شمَّاسٍ تَروحُ وتَغْتدِى

تزورُ امـــرأً يُؤتِى على الحمـــد ماله
ومن يُعطِ أثمانَ المحامدِ يُحْمَــدِ[1]

تَرَى البخل لا يُبقِى على المرءِ مــالَه
ويعــلمُ أنَّ الشحَّ غير مخلَّدِ

كَسوبٌ ومِتلاف إذا ما ســأَلتَه
تَهلَّلَ واهتزَّ اهتزازَ المهنَّـــدِ

متى تـأْتِه تعشــــو ... . البيت

تزور امرأً إن يُعطِكَ اليوم نائلاً
بكفَّيه لا يمنعك من نائل الغدِ[2]

هو الواهبُ الكُومَ الصَّفايَا لجـــارِهِ
يُروِّحها العِبْدانُ فى عازبٍ ندِى[3])

---

(١) ط : « يرتى على الحمد »، صوابه فى ش وديوان الحطيئة ٢٤.
(٢) فى الديوان : « وذاك امرؤ ».
(٣) فى الديوان : « يروح بها العبدان ».

وهذا آخر القصيدة .

وقوله: « فما زالت الوجناءُ » الخ. الناقة الوجناءُ: الغليظة . وضفورها: أنساعها ، وإنَّما تَجرِى لأنَّها قلقَتْ من الضُّمر . وابنَ شماس : منادى .

وقوله: « تزور امرأً » إلخ ، قال عبد اللطيف البغدادى (فى شرح نقد الشعر لقدامة) : فيه صنفان من المدح : أحدهما : أنَّه يُؤتِى ماله لاكتسابِ الحمد، فخلص به[1] من رذيلة التَّبذير الذى هو إنفاق لالغرض صحيح . والثانى : أنَّه ينفق مالَه لطلب الحمد ، لا لِعِوضٍ[2] آخر فخلص به من رذيلة التقتير ، وهو أَخد العوض المحسوس فيما ينفقه . فحينئذ تمحَّضَ الوسط للفضيلة .

وقوله: « ومن يعطَ» إلخ ، أَتى بقضية كلية مشهورة تقتضى استحقاقه للحمد .

وقوله: « يرى البخلَ لا يُبقِى» إلخ . دلَّ به على أَنَّ كرَمه ليس لمجرَّد الطَّبع فقط ، بل عن فكرة ورويَّة واعتقادٍ صحيح ، ونَظرٍ فى العواقب مستقيم . قال أَفلاطون فى هذا المعنى : « نِعم البخلُ لو كان المال لا يؤتَى عليه إلاَّ من جهة البَذْل . ولكنْ لمَّا كان المال معرّضًا للتلف بالحوادث الخارجة التى لا يمكن الاحتراسُ منها ، كان إتلافه على يدَىْ مالكه أفضَلَ ، لأَنَّه يَحُوز به الحمد » .

وقوله : « كسوب ومِتْلاف » إلخ. قال عبد اللطيف: وصفَه بالشَّجاعة والسَّخاء جميعاً . فبالشجاعة يكتَسِب ، وبالسَّخاء يبذلُ ويُتلف . ويجوز

---

(١) ش : « فتخلص به » .

(٢) ش : « لا لغرض آخر » .

أن يريد بكسوب أنَّه يكتسب الحمد ، وبقوله متلاف البذل ، فلا يخرج إذن عن وصفه بالسَّخاء ، بل يصحُّ أن يقال إنَّه وصفه مع السَّخاء بالعقل؛ لأنَّ السَّعىَ فى كسبِ الحمد من أفعال العقلاء . وقوله: « إذا ما سألتَه تهلَّل » أى استبشَرَ واستنار مُحَيَّاهُ . وهذا إنَّما يكون عند تناهِى الجُودِ . وقوله: « اهتزَّ اهتزازَ المهنَّد» وصَفَه مع البشاشة بالجمال والشَّهامة ، واعتدال الحركات ، فإنَّ اهتزاز المهنَّد ممَّا يوصف به الشَّهم الشجاع . وأمَّا اهتزاز القضيب والغُصنِ الرَّطيب ، فممَّا يُوصَف به النِّساءُ والمُتْرَفون .

وقوله: « هو الواهبُ الكُوم » إلخ الكُوم: جمع كَوْماءَ ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . والصَّفايا : جمع صفيَّة ، وهى الناقة الغزيرة اللَّبن . والعِبْدان بالكسر : جمعَ عبد . والعازب : النَّبت البعيدُ عن الناس فلم يُرْعَ ، فهو أَتَمُّ[1] له . وهو بالعين المهملة والزاى المعجمة . وقد حرَّف العينى هذه الكلمة لفظًا ومعنى فقال : والغارب ، بالغين المعجمة ٦٦٣
والراء : ما بين السَّنام والعنق .

والحطيئة تقدمت ترجمته فى الشاهد التاسع والأَربعين بعد المائة[2]

وأما البيت الآخر وهو :

(مَتى تأْتنا تلمم بنـــا فى دِيارنا تجِدْ حطبًا جَزْلًا ونارًا تأَجَّجا)

فإنَّ تُلمِمْ فيه بدلٌ من تأْتنا ، لأَنَّ الثانى – من جنس الأَوَّل ، فإنَّه يقال : أَلمَّ الرجلُ بالقوم إلمامًا : أَتاهم فنزلَ بهم . ومنه قيل أَلَمَّ بالمعنى،

---

(١) ط : « فهو اسم له » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٤٠٦

إذا عرَفه ، وألَمَّ بالذنب : فعله . كذا فى المصباح . كما أَنَّ تعشو من جنس الإتيان ، فلولا أَنَّه فى شعرٍ لجاز جزمُه . ويدلُّ عليه كلامُ سيبويه المتقدِّمُ وكلامُ الشارح المحقق ، فإنَّه لو كان مراده بالمِثْليّة فى قوله : « ويجوز فى مثله البدل» وقوعَ المضارع بين الشرط والجزاء فقط ، لقال : إذا كان الثانى من جنس الأَوّل ، ولم يقل لأَنَّ الثانىَ إلخ .

وكذا قال اللَّخميُّ (فى شرح أَبيات الجمل) ،[قال [١]] : ولو كان تعشو فى موضع يقوم بالجزم فيه وَزْنُ الفِعْل[٢] ، لجاز أَن يبدل من تـأْتِهِ ، لأَنَّ معناهما واحد . لأَنَّه كثر فى كلامهم حتَّى صار كلُّ قاصدٍ عاشياً . والحطَب الجَزْل ، بفتح الجيم : الغليظُ منه . يريد أَنَّهم يوقدون الجَزْل من الحطب لتقوى نارُهم فينظُرَ إليها الضُّيوف على بُعدٍ ويَقصِدُونَها . والتأَجُّج : توقُّد النار . وتأَجَّجا فى البيت ماضٍ ، والأَلف للإطلاق وفاعله ضمير النار .

وقال أَبو حنيفة (فى كتاب النبات) : النارْ تذكَّر وهو قليل ، وأَنشد هذا البيت . ويشهد له قول الشَّمرذل[٣] :

أَناخوا فصَالُوا بالسيوف وأَوقَدوا ... بعلياءَ نارَ الحربِ حتَّى تأَجَّجا

وقال بعضهم : النَّار مؤنَّثة لا غير ، وإنَّما ردَّ الضميرَ مذكَّراً لأَنَّه أَراد بها الشِّهابَ وهو مذكَّر . وقيل لأَنَّ تأْنيث النار غير حقيقى ، فيكون على طريقة :

(١) التكلمة من ش.

(٢) يريد وزن الشعر .

(٣) كذا فى النسختين ؛ والمعروف « الشمردل » بالدال المهملة ، وهو اسم لعدة شعراء فى المؤتلف ١٣٩ - ١٤٠ . لكن فى القاموس وتاج العروس : « الشمرذل بالذال المعجمة أهمله الجوهرى وصاحب اللسان . وقال الليث : لغة فى الشمردل بالمهملة كما فى العباب » .

* ولا أرضَ أبقَلَ[١] *

وقيل: الضمير راجعٌ للحطب،لأَنَّه أَهمُّ ،إذِ النَّار إنَّما تكون به . وقيل: ليست الأَلف للإطلاق وإنَّما هى ضمير الاثنين: الحطب والنار ، وإنَّما ذكَّر الضمير لتغليب الحطب على النار . وكذا فى قوله :

مَن يأْتنا يومًا يقصُّ طريقَنـــا   يجدْ حطبًا جزلاً وناراً تأَجَّجـــا

قال أَبو على: قال أَبو الحسن : يعنى النار والحطب . وقال بعضهم: تأَجَّجا فعلٌ مضارع محذوفٌ من أَوّله التاءُ ، والأَلف مبدلةٌ من نون التوكيد الخفيفة ، والأَصل تتأَجَّجَن ، فالضمير المستتر للنار المؤنَّثة ، ولهذا أَنَّث الفعل .

والبيت من قصيدةٍ تزيد على ثلاثين بيتاً لعُبيد الله[٢] بن الحرّ ، قالها وهو فى حبس مُصعَب بن الزُّبير فى الكوفة .

وكان ابنُ الحرِّ لشهامته لا يُطِيع أحدًا ، فقال الناس لمصعب: إنَّ عُبيد الله بنَ الحرّ كان قد أَبَى على المختار غير مرَّة ، وخالفه وقاتله، وفعلَ مثل ذلك بعُبيدِ الله بنِ زيادٍ منْ قَبْل، فليس لأَحدٍ عليه طاعة ؛ ونحن نتخوَّف أن يثور فى السَّـــواد فَيكسِرَ عليك الخراجَ كما كان يفعل ، وقد أَظهر طَرَفًا من الخلاف، فأَلطِفْ له حتَّى تحبسَه . فلم يزل مصعبٌ يتلطَّف به ويَعِدُه بمنِّيه الأَمانىَّ حتَّى أَتاه، فلمَّا أَتاه أَمربه فحُبِس، فقال فى ذلك قصائد، وقال هذه القصيدةَ وهو فى السِّجن لرجل من أَصحابه ، وكان

---

(١) قطعة من الشاهد المشهور ، وهو الشاهد الثانى فى الخزانة لعامر بن جوين الطائى :

فلا مزنة ودقت ودقهــــا   ولا أرض أبقل إبقالهــا

(٢) فى النسختين : « لعبد الله بن الحر » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر ترجمته فيما سبق ٢ : ١٥٥ – ١٦١

حُبِس معه ، يقال له عطيّة بن عمرٍو البكرى ، وذلك أَنَّ عطيّةَ جزع فى السِّجن . ومطلعها :

أبيات الشاهد ٦٦٤ (أَقــولُ له صبرًا عَطِىَّ فإِنَّمــا هو السِّجنُ حتَّى يجعلَ اللهُ مَخرَجا)

إلى أن قال :

(ومنزلةٍ يا ابن الزُّبير كريهــةٍ شددتُ لها من آخر الليل أَسْرُجا
لفتيانِ صدقٍ فوق جُرْدٍ كأَنَّهــا قِداحٌ براها الماسخىُّ وسَــحَّجا
إذا خرجُوا من غمرةٍ رجَعُوا لها بأَسيافهم والطَّعنِ حتَّى تَفرَّجــا
متى تأْتنا تلمم بنا فى ديارنا . . . البيت)

والقصيدة بتمامها (فى كتاب اللصوص) . وعَطِىّ : منادى مرخم عطيَّة . والواو فى قوله « ومنزلة » واو رُبَّ . وابن الزبير هنا مُصعَب . وأَسرُج : جمع سَرْج . والجُرد : جمع أَجرد ، وهو القصير الشَّعر من الخيل . والقداح : جمع قِدْح بكسر القاف فيهما ، وهو عُود السهم قبل أن يُجعَل له نَصل . والماسخىّ ، بالخاء المعجمة : الذى يصنع السِّهام . وسَحَّجا بتشديد الحاء المهملة وقبلها سين مهملة ، أَى نحتَه وملَّسَه .

والغمرة ، بفتح المعجمة : الشِّدَّة . والطعن معطوف على الأَسياف ، وتَفَرَّجا أصله تتفرَّجنْ بنون توكيد خفيفة ، فقلبت أَلفاً ، وحذفت التاءُ من أَوله ، ومعناه تتكشَّف. والفُرجة : الثُّلمة . وفاعله ضميرُ الغمرة.

وقوله : (متى تأْتنا) فاعلُه مستتر فيه راجعٌ لفتيان . وكذلك الحال فى (تُلْمِم) و (تجد) ، وليست التاءُ فيها للخطاب. ورواه صاحب كتاب اللصوص :

متى تأْتنى فى منزل قد نزلتُه تجد حطباً جزلًا . . . البيت

وترجمة ابن الحُرّ تقدَّمت مفصَّلَة فى الشاهد التاسع بعد المائة[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد السبعمائة[(٢)] .

٧٠٣ (دَعْنِى فأَذهبَ جانبًا يومًا وأَكفِكَ جانبا)

على أَنّه عطف (أَكفِك) مجزومًا على جواب الأَمر المنصوب بأَن بعد الفاءِ السببية . وهو فأَذهَبَ ، على توهُّم سقوط الفاءِ وجزمِ أَذهبْ فى جواب الأَمر .

قال صاحب المفصَّل : وسأَل سيبويه الخليلَ عن قوله تعالى : ﴿ لولا أَخَّرتَنِى إلى أَجَلٍ قريبٍ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ من الصالحين[(٣)] ﴾ ، فقال : هذا كقول ابنِ معديكرب[(٤)] : صاحب الشاهد

دعْنى فأَذهبَ جانبَـا يومًا وأَكفِـكَ جانبـا

وكقوله :

بدا لىَ أَنِّى لستُ مُدرِكَ ما مضىَ
ولا سابقٍ شيئًا إذا كـان جائيا[(٥)]

أى كما جرُّوا الثانى ، لأَنَّ الأَوَّل تدخله الباءُ[(٦)] فكأَنَّها ثابتة فيه . فكذلك جزمُوا لأَنَّ الأَوَّل يكون مجزومًا ولا فاءَ فيه ، فكأَنه مجزوم. ا هـ .

أَقول : بيت ابنِ معديكرب لم يوردهُ سيبويه فى كتابه البتَّةَ ،

(١) انظر الحاشية السابقة .
(٢) ابن يعيش ٧ : ٥٦ .
(٣) الآية ١٠ من سورة المنافقين .
(٤) فى النسختين : « معديكرب » فى هذا الموضع وتاليه ، والوجه ما أثبت .
(٥) هو الشاهد التالى .
(٦) ط : « يدخله الباء » .

لا هنا ولا فى موضع آخر ، كما يظهر لك من نقل كلامه بعد هذا .

وقد خَبَط ابن المستوفى هنا خَبْط عشواءَ من وُجوه[(١)] فقال بعد أن نقل عبارة المفصَّل : الأَوَّل من المسألتين كثيرٌ فصيح ، كقوله تعالى : ﴿ منْ يُضْلِلِ اللهُ فلا هادِىَ له ويَذَرْهم[(٢)] ﴾ . والثانى لحنٌ لا يأْتى إلّا فى ضرورة شعر ، لأَنَّ الأَوّل محقَّق فيه الجزم موضعًا لوجود الفاء ، والثانى مُتوهَّمٌ فيه الجرُّ لعدم الباء . هذا إذا ثبت أَنَّه روى بفتح الباء فى قوله : فأَذهَب ، ولو رُوى بسكونها كان معطوفًا عليه لفظًا ، وإذا فتحتَ الباءَ كان وأكفك معطوفًا على محل الفاء ، لأَنَّها واقعة موقع الجزاء المجزوم.اه ٦٦٥

أحدها : أَنَّ الآية لا مناسبة لإيرادها هنا .

ثانيها : أَنَّ بيت زهير لم يقل أحدٌ إنَّه مِن قبيل اللحن . وكيف يسوغ تلحينُ أهلِ اللِّسان لاسِيَّمَا زهير .

ثالثها : قوله : « هذا إذا ثبت أَنَّه روى بفتح الباء » إلخ ، كأَنَّه لم يثبت عنده فتح الباء ، مع أَنَّه ثابتٌ عند جميع الرُّواة .

رابعها : قوله : « ولو روى بسكونها » إلخ ، يعنى أَنَّه يكون عطفَ أمر على أمر . وفيه أَنَّه يخرج حينئذ عن كونه شعرًا .

خامساً : قوله : « كان أكفك معطوفًا على محلّ الفاء » إلخ عبارةٌ قلقة ، وحقُّ التعبير : على توهّم سقوط الفاء وجزم أذهبْ ، وهو المسمَّى عطفَ التوهُّم ، والعطفَ على المعنى .

---

(١) ط : « من وجده » ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ١٨٦ من الأعراف . وقراءة الجزم هى قراءة حمزة ، والكسائى ، وخلف . إتحاف فضلاء البشر ٢٣٣ .

هذا: وقال ابن الحاجب (فى أماليه): يجوز أن يكون المعنى اتركْنى أتصرَّفْ فأذهبَ إلى جهة فأكفِيَك جانباً تحتاج إلى كفايته بتصرُّفى وذهابى. ويجوز أن يريد: دعنى يومًا وأكفك جانباً يومًا. أى: إذا تصرَّفتُ لنفسى يومًا كفيتُك جهةً تخشاها يومًا آخر. اهـ.

وقال بعض فضلاء العجم: انتصب جانبًا الأوَّل على الظرف، والثانى على أنَّه مفعولٌ ثان لأكفك، كأنَّه خطابٌ لمن عذلَه على السَّفر والبُعْد، أى اتركنى أذهبْ فى جانب من الأرض وأكفِكَ جانبًا من الجوانب التى تتوجَّه إليها.

وهذا البيت لم أجده فى ديوان عمرو بن معد يكرب، فإنى تصفَّحت ديوانه مرارًا فلم أره فيه، كما أنَّ غيرى تصفَّح ديوانه فلم يجدْه فيه. والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع بعد السبعمائة، وهو من شواهد س[1]:

٧٠٤ (بدالىَ أنِّى لستُ مـدركَ ما مضى
ولا سابقٍ شيئًا إذا كانَ جائيا)

على أنَّ قوله: (سابق) بالجر معطوف على مدرك على توهُّم الباءِ فيه، فإنَّه يجوز زيادة الباءِ فى خبر ليس، كقوله تعالى: ﴿أليسَ اللهُ بكافٍ عَبْدَه[2]﴾.

---

(١) فى كتابه ١ : ٨٣ ، ١٥٤ ، ٢٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٩ ، ٤٥٢ / ٢ : ٢٧٨ وانظر المقتضب ٢ : ٣٣٩ / ٤ : ١٩١ ، والأصول ١ : ٣٠٦ والجمل ٩٦ والخصائص ٢ : ٣٥٣، ٤٢٤ ومختصر القوافى لابن جنى ٢٦ والإنصاف ١٩١ ، ٣٩٥ ، ٥٦٥ وابن يعيش ٢ : ٥٢/ ٧ : ٥٦ / ٨ : ٦٩ والمغنى ٩٦ ، ٢٨٨ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٥٥١ ، ٦٧٨ والعينى ٢ : ٣٦٧ / ٣ : ٣٥١ والهمع ٢ : ٢٤١ وديوان زهير ٢٨٧ .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الزمر .

قال سيبويه (فى باب الحروف التى تنزَّل بمنزلة الأمر والنهى، لأَنَّ فيها[١] معنى الأمر والنهى) : وسألت الخليل عن قول الله عزَّ وجل : ﴿ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ[٢] ﴾ فقال : هو كقول زهير :

بدا لىَ أنّى لستُ مدركَ مامضَى ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيا

فإنّما جرُّوا هذا لأنّ الأول تدخله الباءُ ، فجاءُوا بالثانى وكأنّهم قد أثبتوا فى الأوَّل الباء . وكذلك هذا لمّا كان الفعل الذى قبله قد يكونَ جَزْمًا ولا فاءَ فيه تكلَّموا بالثانى وكأنّهم قد جَزَموا قبله . فعلى ذلك توهَّموا هذا . ا هـ .

وهذا كما ترى ليس فيه البيتالسابق. وبيان الآية وأوّلها: ﴿ رَبِّ لولا أخَّرتنى إلى أجلٍ قريبٍ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ من الصَّالحين ﴾: أَنَّ لولا معناها الطلب والتحضيض ، فإذا قلت لولا تعطينى، معناه أَعطِنى ، فإذا أُتِيَ لها بجواب كان حكمُه حكمَ جواب الأمر ، إذْ[٣] كان فى معناه وكان مجزومًا بتقدير حرف الشرط ، فإذا أَجبتَ بالفاءِ كان منصوبًا بتقدير أَن ، فإذا عطفت عليه فعلاً آخر جاز فيه وجهان : النصب بالعطف على ما بعد الفاء ، والجزم على موضع الفاءِ لو لم تدخل وتقديرِ سقوطها . ٦٦٦

وقد ذكر سيبويه هذا البيتَ فى ثلاثة مواضعَ أُخَر من كتابه[٤] .

أَحدها : فى باب الفاءِ عند ذكر نواصب الفعل ، قال فيه بعد أن أنشده : لمَّا كان الأَوَّل يُستعمَل فيه الباء ولا تغيِّر المعنى ، وكانت

(١) فى النسختين : « فيه » ، صوابه فى سيبويه ١ : ٤٥٢ .
(٢) الآية ١٠ من سورة المنافقين .
(٣) ط : « إذا » صوابه فى ش .
(٤) هى ست مواضع أخر ، كما سبق فى تخريج الشاهد .

مما يلزم الأَوَّل ذَووْها فى الحرف الآخِر، حتَّى كأَنهمْ قد تكلَّموا بها فى الأَوَّل .

ثانيها : قُبيلَ باب يضمرون فيه الفعل لقُبح الكلام ،أنشده فيه كذلك.

ثالثها : وهو أول موضع وقع فى كتابه ، أنشده فى باب اسم الفاعل يعمل عمل فِعله ، بنصب سابقٍ قال : إذا كان اسم الفاعل منوَّنًا ينصب المفعولَ به .

وأنكر المبرِّد روايةَ الجر وقال : حروف الخفض لا تُضمَر وتَعمل. والرواية عنده : « ولا سابقًا » بالنصب، « ولا سابقِى شىءٌ » بالإضافة إلى الياء ورفع شىء على أنَّه فاعل سابق. وروى أيضاً: «ولا سابقٌ شيئًا » بالرفع على أنه خبر لمبتدإٍ محذوف ، والتقدير: ولا أنا سابقٌ شيئاً .

قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : وفى هذا البيت شاهدٌ آخر وهو إضافة اسم الفاعل المعمَل ، وذلك قوله : « مدركَ ما مضى » . والدليل على أنَّه مُعمَلٌ أنَّه خبر ليس، وليس لا تنفى ماضيًا ، وإنَّما تنفى المضارع، وعطفُ سابق عليه . وفيه تقديرُ المصدر على المعنى ، إذْ لم يكن للفعل الواقع بعدها مصدرٌ، فيكون التقدير : بدا لِىَ امتناعُ إدراكِ ما مضى . وإنَّما قدِّر المصدر من غير اللفظِ، لأَنَّ ليس لا مصدر لها. بدا: ظَهَرَ . وأَنِّى بالفتح . وجملة لست إلخ فى محلّ خبر أَنَّ ، وأَنَّ ومعمولاها فى تأْويل مصدرٍ مرفوعٍ فاعل بدا. وما موصولة ومضى صلتها ، أو ما نكرة ومضى فى محل الصّفة. وإذا شرطيّةٌ حذف جوابُها ، ويدلُّ عليه ما قبلها. ولا يصحُّ أَن تكون ظرفيَّة، لأَنَّ الشىء لا يسبق وقت مجيئه،وإنَّما

يسبق قبل مجيئه ، والعامل فى إذا الشرطية هنا خبر كان ، أو نفس كانَ إنْ قلنا بدلالتها على الحدث .

صاحب الشاهد والبيت نسبه سيبويه تارةً إلى زهير بن أبى سلمى ، وتارة إلى صِرمة الأنصاريّ . وقال ابن خلف : وهو الصحيح. ويروَى لابن رَوَاحة الأنصاريّ وقد تقدم إنشادُه فى قصيدةَ زهيرٍ فى الشاهد الخامس والخمسين بعد السمائة [1] .

(١) الخزانة ٨ : ٤٩٢ .

باب الأمر

أنشد فيه :

(لتقمْ أنتَ يا ابنَ خيرِ قريشٍ)

تقدَّم شرحه فى الجوازم فى الحادى والثمانين بعد الستمائة[١] .

* * *

وأنشد بعده :

* محمَّدُ تفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ *

تقدم شرح هذا أيضاً هناك[٢] .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ١٤ .

(٢) يعنى الشاهد الثمانين بعد الستمائة . وقد سبق فى ص ١١ — ١٤ .

المتعدى وغير المتعدى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس بعد السبعمائة[1] : ٦٦٧

٧٠٥ (يقرَأْن بالسُّوَرِ)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(تلكَ الحرائرُ لا رَبَّاتُ أَحمــرة
سُــودِ المحاجرِ لا يَقْرأْن بالسُّــوَرِ)

على أَنَّ الباءَ زائدةٌ فى المفعول به .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وقيل ضمِّن يقرأْن معنى يَرقِين ويتبرَّكن ، وأَنَّه يقال : قرأْت بالسُّورة ، على هذا المعنَى ، ولا يقال قرأْت بكتابك ، لفَواتِ معنى التبرُّك . قاله السهيلى .

وقال أَيضاً (فى أَوَّل الباب الثامن) : قد يُعطَى النَّفْىُ حكم ما أَشبهه فى معناه ، ومنه إدخال الباءِ فى لا يقرأْن بالسُّور ، لمَا دخلَه من معنى لا يتقرَّبن بقراءَة السُّوَر . ولهذا قال السُّهيلى : لا يجوز أَن تقول : وَصَلَ إلىَّ كتابُك فقرأْتُ به ، على حدِّ قوله : لا يقرأْن بالسُّوَرِ ، لأَنَّه عارٍ عن معنى التقرُّب . ا هـ .

ولا يخفاك أَنَّ ما نقله عن السهيلى فى الموضعين مختلف ، وكأَنَّه أَشار إلى أَنَّ مدار التضمين لفظٌ يجوز أَن يتعدَّى بالحرف المذكور ، أَىَّ لفظ كان . وكلٌّ من هذه الأَلفاظ المذكورة يتعدَّى بالباءِ ، ولكنَّ كلام السُّهيلى مبنىٌّ على أَنَّ التضمين قياسى .

(١) مجالس ثعلب ٣٦٥ والمخصص ١٤ : ٧٠ وابن يعيش ٨ : ٢٣ والمغنى ٢٩ ، ١٠٩ ، ٦٧٥ وديوان الراعى ٨٧ و القتال الكلابى ٥٣ . واللسان (قرأ) .

صاحب الشاهد والبيت وقع فى شعرين : أَحدهما للرَّاعى النميرى ، والثانى للقتَّال الكلابى .

أمَّا الأَوَّل فهو من قصيدةٍ أَوّلُها :

(يا أهلُ ما بالُ هذا الليلِ فى صَفَرِ
يزداد طولاً وما يزداد فى قِصَرِ

ى إثْر من قُطِعت عنِّى قرينتُه
يوم الحَدَالَى بأَسبابٍ من القَدرِ

كأَنَّما شُقَّ قلبى يومَ فارقهُمْ
قسمين : بين أخى نَجْدٍ ومنحدِرِ

همُ الأَحبَّةُ أَبكِى اليومَ إثرَهمُ
قد كنتُ أَطربُ إثْرَ الجِيرة الشُّطُرِ

فقلتُ والحَرَّةُ الرَّجْلاءُ دونَهمُ
وبَطنُ لجَّانَ لمَّا اعتادنى ذِكرى

صَلَّى على عزَّةَ الرّحمنُ وابنتِها
ليلى ، وصَلَّى على جاراتها الأُخَرِ

هن الحرائرُ لا ربَّات أَحمرةٍ . . . . . البيت)

وهى قصيدةٌ طويلة تزيد على الخمسين .

قوله : « فى صفر » هو اسم الشهر ، قالوا : خصَّه لأَنَّ الهَمَّ فيه أَصابه . وقيل كان صفرُ صيفًا ، وليل الصيف قصير ، فقال : كيف طال علىّ الليل فى الصَّيف ؟ ! وإنّما ذلك لما هو فيه من الغَمّ ، فلذلك طال عليه اللَّيل . كذا قال ابن المستوفِى .

وقوله : « فى إثر » متعلِّق بيزداد . وأراد بالقرينة الحبيبةَ ، لأنَّها تشبه القمر . والحَدَالَى بفتح المهملة والقَصْر : موضع .

والجيرة : جمع جار بالجيم . والشُّطرُ بضمتين : جمع شطير ؛ وهو البعيد .

والحرّة الرَّجْلاءُ : موضعٌ فى ديار جُذام ، الأوّل بالمهملة والثانى بالجيم . ويروى : « والحرة السَّوداءُ » . ولَجَّان ، بفتح اللام وتشديد الجيم : وادٍ قِبَلَ حرّةِ بنى سُليم .

وقوله : « صلَّى على عزّة » إلخ الصَّلاة : الرحمة . وعَزّة بفتح المهملة وتشديد المعجمة : محبوبة كثيِّر الشاعر .

وقوله : (تلك الحرائر) إلخ ، الإشارة بتلك إلى النساء المذكورة . وإيثار اسم الإشارة لتمييزهنَّ أكملَ تمييز ، وكونه بالبعيد للتعظيم . وروى : « هُنَّ الحرائر » . وتلك مبتدأٌ ، والحرائر خبره ، وقال بعض أفاضل العجم : الحرائر صفته. وقوله (لا ربّات) هو الخبر. ويبطله رواية هُنّ الحرائر ، وهو جمع حُرّة ، ومعناها الكريمة والأصيلة ، وضدُّ الأَمَة. والرَّبَّات : جمع ربَّة بمعى صاحبة . ولا نافية عاطفة على هُنّ أو على ٦٦٨
تلك . قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : والأحمرة : جمع حِمار بالحاء المهملة جمع قِلَّة . وخَصَّ الحمير لأنَّها رُذَالُ المالِ وشرُّه . يقال « شرُّ المال مَالَا يزكَّى ولا يُذَكَّى [1] » . ا هـ .

وكذا ضبط هذه الكلمة صاحبُ (كتاب اللصوص) وابن المستوفِى . وقد صحَّف الدَّمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) هذه الكلمةَ بالخاء المعجمة

(١) شرح أدب الكاتب للجواليقى ٣٧٨ – ٣٧٩ .

وقال : والأَخمرة : جمع خِمار ، وهو ما تستُر به المرأةُ رأسها . وفى القاموس : « وكلُّ ما ستر شيئًا فهو خِمار » . هذا كلامه[١] ، وتبعه من بعده .

وقوله : (سُود المحاجر) صِفةُ رَبَّات ، لأَنَّ إضافة ما بمعنى اسم الفاعل المستمرّ تخفيفيّة[٢] لا تفيدُ تعريفاً ، كقولهم : ناقة عُبْرُ الهواجر[٣] ، أى عابرة فيها . وكذلك سُود المحاجر ، أى مسوَدَّة محاجرها ، وهو جمع محجر كمجلس ومِنبر . قال الجواليقى : هو من الوجه حيث يقَع عليه النِّقاب ، وما بدا من النِّقاب أيضاً . ا هـ . وأراد بهذا الوصف الإماءَ السود .

قال (صاحب أشعار اللصوص) : سود المحاجر من سَواد الوجه ، وخصَّ المحاجر دون الوجه والبدن كلِّه لأَنَّه أَوّلُ ما يُرَى . ومن هذا قولُ النابغة :

* ليست من السُّودِ أعقابًا إذا انصرفت[٤] *

وإنما أَراد سواد الجَسدِ كلِّه .

وجملة (لا يقرأْن) صفة ثانية لربَّات . قال الجواليقى : يقول : هنّ خَيْراتٌ كريماتٌ[٥] ، يتلون القرآن ، ولسنَ بإماءٍ سُود ذوات ِ حُمُر يَسقِينَها . ا هـ .

---

(١) ش : « وهذا كلامه » ، بزيادة الواو .
(٢) فى النسختين : « تخفيفة » ووجهه ما أثبت . والمراد أنها إضافة لفظية .
(٣) فى النسختين : « عبرة » ، صوابه ما أثبت . والكلمة مثلثة الفاء مع سكون العين ، كما فى اللسان والقاموس . وفى القاموس أنها بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والواحد والجمع .
(٤) عجزه فى ديوانه ٦٥ من مجموع خمسة دواوين :
* ولا تبيع بجنبى نخلة البرما *
(٥) ط : « هن من خيرات كريمات » ، وأثبت ما فى ش والجواليقى .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : إنَّ تلك الحرائر ليست أربابَ أخمرة ولا يتستَّرن بها ، سودُ المحاجر لهزالها أو لكِبَرِ أسنانها ، جاهلاتٌ لا يقرأْن القرآن . هذا كلامه . وهذا لا يُقضَى منه العجب .

وعنده أنَّ أخمرة بالمعجمة ، وهو تصحيف كما مرّ .

وترجمة الراعى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة [(١)] :

وأمّا الشعر الثانى فهو للقتَّال الكلابى . قال صاحب (كتاب اللصوص) : أخبرنا أَبو سعيدٍ حدّثنى أبو زيد ، حدَّثنى حُميد بن مالك ، أَنشدنى شدَّاد بن عُقبة ، للقتَّال فى ابنه عبد السلام :

(عبدَ السَّلامِ تـأَمَّلْ هل تَرى ظُعُنًا
إنِّى كبِرتُ وأنتَ اليــوم ذو بَصَرِ
لا يُبعِــدِ الله فتيـــانًا أَقولُ لهــم
بالأَبرقِ الفَــرْدِ لمَّــا فاتنِى نظــرِى
يا هَــلْ تُرَوْنَ بأَعــلى عاسمٍ ظُعُنًا
نَكَّبْن فَحــلَيْنِ واستَقْبلن ذا بقَرِ
صَلَّى على عَمْــرةَ الرَّحمنُ وابنتِهــا
ليلى ، وصلَّى على جاراتِهــا الأُخَــر
هُنَّ الحرائرُ . . . . البيت)

---

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .

وعبدَ السلام منادى . وظُعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج . والأبرقُ الفردُ : موضع ، وكذلك عاسم ، بالمهملتين ، وفحلَين بإعراب المثنَّى ، وذو بقر : أسماءُ مواضع . وأراد بهذه الظُّعن نساءَه وحريمه .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : فحلين بلفظ التثْنيه : موضعٌ فى جَبل أُحد . وأنشد هذه الأَبيات .

القتال الكلابى

والقتَّال الكلابى اسمُه عبد الله بن مُجِيب بن المَضْرَحىّ بن عامر ابن كعب بن عَبْد بن أَبِى بكر بن كلاب . وقيل اسمه : عبادة بن المجيب . وقيل اسمه : عُبيد بن مُجيب ، وكنيته أَبو المسيَّب . كذا (فى كتاب اللصوص) .

وهو شاعرٌ إسلامىٌّ كان فى الدولة المرْوانية فى عَصر الراعى والفرزدق وجرير ، ولُقِّبَ بالقتَّال لتمرُّده وفَتْكه . وكان شجاعًا شاعراً . وكان فى دناءة النفس كالحُطيئة ، وكانت عشيرته تُبغِضه لكثرة جناياته ، وما يَلحقُها من أذاه ، ولا تمنعُه من مكروه يلحقه .

وأورد له صاحب كتاب اللصوص جناياتٍ كثيرة ، وله فيها أشعار .

* * *

وأنشد بعده :

(إذا لم تَجِدْ من دُونِ عَدنانَ والدًا
ودُونَ مَعَـدٍّ فلتزَعْكَ العـواذلُ)

على أنَّ (دون) معطوف على محلِّ الجار والمجرور ، أعْنى « مِنْ دون»

وكأنَّه قال : فإن لم تجد دونَ عدنان والدًا ودون مَعَدٍّ . وقوله : (فلتنزَعْك) بفتح الزاى : أمرٌ من وزعته أزَعُه وَزْعاً ، إذا كفَفْتَه .

وقد تقدَّم شرحُه مستوفىً فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد السبعمائة[2] :

٧٠٦ (أشارتْ كُليبٍ بالأَكُفِّ الأَصابعُ)

على أنَّ بقاءَ عمل حرف الجر بعد حذفه شَاذٌّ . وعند ابن عصفور ضرورة ، والتقدير: أشارت إلى كليب ، وكان القياس النَّصبَ بعد حذف الجار .

وقد رأيتُه (فى ديوانه) و (فى المناقضات) منصوبًا . وأنشده أبو على الفارسى (فى التذكرة القصرية) بالرفع . وكذا رأيته (فى شرح المناقضات)، قال شارحها: أراد: أشارت الأَصابع: هذه كليبٌ . ويروى: « أشَرَّت كليبًا » ، أى رفَعَت .

وهذا المصراع عجزٌ، وصدره :

(إذا قيل أَىُّ النَّاسِ شَرٌّ قبيلةً)

والبيت من قصيدة عدتها خمسةٌ وأربعون بيتاً للفرزدق ، ناقض بها قصيدةً لجرير هجاه بها على هذا الروىِّ ، وغالب أبياتها فى كتب النحو . وهذا مطلعها :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(مِنَّا الذى اختِيرَ الرِّجالَ سَماحــةً
وخِيرًا إذا هبَّ الــرِّياحُ الــزَّعــازِعُ

(١) الخزانة ٢ : ٢٥٢ – ٢٥٩ .
(٢) النقائض ٧٠٢ والمغنى ١١ ، ٦٤٣ والعينى ٢ : ٥٤٥٢ / ٣ : ٣٤٥ والتصريح ١ : ٢١٢ والهمع ٢ : ٣٦ ، ٨١ والأشمونى ٢ : ٩٠ ، ٢٣٣ وديوان الفرزدق ٥٢٠ .

ومنّا الذى قاد الجيــادَ على الوجَى
لِنَجْــرانَ حتّى صبَّحتها النزائعُ(١)
ومنّا الذى أعطَى الرّســولُ عطيّةً
أُســارَى تميم والعيــونُ دوامــعُ
ومنّا الذى يُعطِى المئينَ ويشترى الْ
غَوالِى ويعــلُو فضلُه مَن يُــدافــعُ
ومنّا خطيبٌ لا يُعــابُ وحــاملٌ
أَغــرُّ إذا التفَّتْ عليــه المجــامعُ
ومنّا الذى أحيا الوئيدَ ، وغــالبٌ
وعمــرٌو ، ومنّا حــاجبٌ والأَقــارعُ
أُولئك آبائى فجئنــى بمثلِهــمْ
إذا جَمَعَتْنــا يا جــريرُ المَجــامــعُ
بهــمْ أعتلِى ما حَمَّلتنى مجــاشعٌ
وأَصْــرَع أقــرانى الــذين أُصــارِعُ
فيــاعجبَــا حتّى كليبٌ تسبُّنى
كأَنَّ أباها نَهْشَــلٌ أو مجــاشــعُ
تَنحَّ عن البَطْحــاءِ إنَّ قديمَهَــا
لنا ، والجبالُ الراســياتُ الفــوارعُ
أَخَذْنا بآفــاق السَّمــاءِ عليــكمُ
لنــا قَمراها والنجــومُ الطَّــوالعُ
أَتَعــدِلُ أحســابًا لِئَامًــا أَدِقَّــة
بأَحســابنا ، إنِّى إلى الله راجــعُ

(١) ترتيب هذا البيت هو السابع فى كل من النقائض والديوان .

وكُــلٌّ فطــيم ينتهــى لفــطامه
وكــلٌّ كليبىّ ولو شــابَ راضــعُ[١]

تَزَيَّدُ يَرْبوعٌ بهــم فى عــــديدهم
كما زيد فى عرض الأَديم الأَكــارعُ[٢]

٦٧٠ إذا قيــل أَىُّ النــاس شرٌّ قبيــلةٍ
أَشــارت كليبًا بالأَكــفِّ الأَصــابعُ)

وقوله : « منا الذى اختير الرِّجالَ سماحةً » ، يأْتى شرحُه إن شاءَ الله فى بيتٍ بعد هذا .

وقوله : « ومنا الذى قاد الجياد » إلخ ، هذا هو الأَقرع بن حابس ، وعمرو بن كلثوم ، كلاهما غَزَوا نَجْران .

وقوله : « ومنَّا الذى أَعطى الرَّسولُ » إلخ هذا يومُ بنى عَمرو بن جُندب ، حين ردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَبْيهم . وقال أَبوعبيدة : كلَّم الأَقرعُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى أَصحاب الحُجُرات ، وهم بنو عمرو بن جندب ، فردَّ سبْيَهم .

وقوله : « ومِنَّا خطيبٌ » إلخ الخطيب هو عُطارد بن حاجب بن زُرارة ، حين وفَدَ إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم . والحامل : عبد الله بن حكيم ، الذى حَمَل الحَمَالاتِ يوم المِرْبَد ، يوم قُتِلَ مسعودُ ابن عمرو العَتَكِىُّ .

---

(١) فى كل من الديوان والنقائض : « وإن شب » .
(٢) الديوان والنقائض : « فى عدادهم » .

وقوله: « ومنّا الذى أحيا الوئيد» هو جدُّه صعصعة بن ناجية، كان يشترى البنت ممن يريد وَأْدها، فأَحيا ستًّا وتسعينَ موءُودةً إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: فيا عَجباً حتى كليبٌ، البيت، يأْتى شرحه إن شاءَ الله تعالى فى حتّى الجارة.

وقوله: « إذا قيل أىُّ الناس » إلخ إنَّما بنى قِيلَ بالبناءِ للمفعول لأَنَّه أراد التعميم، أى إذا قال قائل. وجملة أَىُّ الناس شرٌّ قبيلةً من المبتدإ والخبر نائب الفاعل، ونيابة الجملة مختصَّة بالقول نحو: ﴿ ثم يُقالَ هَذا الذى كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبون[1] ﴾ لأَنَّ الجملة التى يراد بها لفظُها تنزَّل منزلة الأَسماءِ المفردة. و (شرٌّ) أَفعل تفضيل حُذفت منها الهمزة. و (أشارت) جواب إذا. وروى أبو على (فى تذكرته): « أَشَرَّت» بدله، وقال: يريد أشارت إليها بأَنَّها شر الناس، يقال لا تُشِرَّ فلانًا، أى لا تُشِرْ إليه بشَرّ. وإنَّما قال أَشارت للإِيماءِ إلى أَنَّ حال هذه القبيلة فى الشر قد صار أَمرًا محسوساً يُشار إليه. و(الأَصابع) فاعل أشارت، وإنَّما جمع للتنبيه على كثرة المشيرين[2]، كلُّ واحدٍ منهم يُشير إليهم[3] بإِصبعٍ واحدةٍ كما هو المعتاد.

قال الدَّمامينىّ: وبالأَكفّ حال من الأَصابع، أى أَشارت الأَصابع فى حالة كونها مع الأَكفّ. يعنى أَنَّ الإِشارة وقعَتْ بالمجموع. قال:

---

(١) الآية ١٧ من سورة المطففين.

(٢) ط: « المشير من »، صوابه فى ش.

(٣) ط: « لا يشير إليهم »، وأثبت ما فى ش. والمألوف أن يشار بإصبع واحدة فقط. وقد يكون عنى أن الإشارة وقعت على خلاف المعتاد، فيكون إثبات « لا » مقبولا.

وفيه مزيدُ ذَمٍّ لهذه القبيلة ، فالباءُ على هذا للمصاحبة . وقيل هذا من قبيل القلب المقبول ، لتضمُّنه معنًى لطيفًا ، وهو المبالغة فى هَجْوِ هذه القبيلة ، لإيهامه أَنَّه صار يُشار إليها حالَ السؤال عن حالها على خلاف المعتاد ، لمزيدِ شَرِّها . والأَصل : أَشارت الأَكفُّ إلى كليب بالأَصابع ، فالباءُ للاستعانة . قال ابن الحنبليّ : ويقوِّى الأَوَّل أَنَّه يقال : فلانٌ يشار إليه بالأَصابع ، ولا يقال بالكفّ ، فلتكن الأَصابع هنا هى المشيرة ظاهرًا وباطناً، على التجوُّز فى الإِسناد ، من دون قَلْب .

ورد ابن المُلاَّ على شيخه بأَنَّه إنَّما يقال ذلك حيث يُطوَى ذكر الفاعل ، وما فى البيت ليس كذلك ، على أَنَّ مَا يقال إنَّما يقوِّى وجه القلب ، لدخول الباءِ فيه على الأَصابع .

والناس : اسمُ جمعٍ لإنسان ، أَصله أُناس حذفت همزته تخفيفاً . وفى القاموس : الناس يكونُ من الإِنس ، ومن الجنّ .

والقبيلة : واحدة قبائل العرب ، وهى الطبقة الثانية من الطبقات الست التى عليها العرب ، وهى الشَّعب بالفتح ، والقبيلة ، والعمارة[1] والبطن ، والفخذ ، والفصيلة . فالشَّعب يجمع القبائل ، وهى تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأَفخاذ ، والفخذ ٦٧١
يَجْمع الفصائل . وإنَّما قيل لها قبيلة أَخْذًا من قبيلة الرأْس وقبائله : القِطَع المَشْعوبُ بعضها إلى بعض ، وذلك لتقابلها وتناظرها فى الشَّعب كما قيل له شَعْب لتَشعُّب القبائل إليه أَوْ منه .

---

(١) العمارة بكسر العين وفتحها ، كما فى اللسان والقاموس . وما بعده إلى «العمارة» التالية ساقط من ش .

وكليب ، بالتصغير : أبو قبيلةِ جرير ، وهو كليب بن يربوع بن حَنظلة .

وردَّ عليه جريرٌ فى مناقضته بمثل هذا البيت فقال :

إذا قيل أىُّ الناس شرٌّ قبيلة وأعظَمُ عارًا قيل : تلك مُجاشعُ[(١)]

وقبيلةً فى البيتين بالنصب على التمييز .

وتقدَّمت ترجمة الفرزدق فى الشاهد الثلاثين[(٢)]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد السبعمائة[(٣)] :

٧٠٧ (تَمُرُّونَ الدِّيارَ ولَمْ تَعُوجُوا)

على أنَّ حذف الجار منه على سبيل الشذوذ ، والجارُّ المحذوف إمَّا الباءُ ، وإمَّا على ، فإنَّ المرور يتعدَّى بهما .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وعن الأخفش فى مررت بزيد ، أنَّ المعنى مررت على زيدٍ ، بدليل ﴿ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم[(٤)] ﴾ . وأقول : إنَّ كُلاًّ من الإلصاق والاستعلاء إنَّما يكون حقيقيًا إذا كان مُفضِيًا إلى

---

(١) ديوان جرير ٣٧٣ والنقائض ٦٩٥ . ومما يجدر ذكره أن الذى بدأ المناقضة هو جرير ، وأن الفرزدق صنع نقيضته جواباً على جرير . على أن جريراً كرر هذا المعنى فى قوله لعبد العزيز ابن الوليد مادحاً :

إذا قيل أى الناس خير خليفة أشارت إلى عبد العزيز الأصابع

ديوان جرير ٣٥٧ والنقائض ٣٥١ .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ٨ / ٩ : ١٠٣ ، والمقرب ١ : ١١٥ ورصف المبانى ٢٤٧ ، والمغنى ١٠٢ ، ٤٧٣ والعينى ٢ : ٥٦٠ ، والهمع ٢ : ٨٣ ، والأشباه والنظائر للسيوطى ٣ : ١٩٤ / ٤ : ٢٢٤ ، وديوان جرير ٥١٢ .

(٤) الآية ١٣٧ من سورة الصافات .

نَفْس المجرور ، كأمسكت بزيد ، وصَعِدت على السَّطح . فإنْ أفضَى إلى ما يقرُب منه فمجَازىٌّ كمررت بِزيدٍ ، فى تأْويل الجماعة ، أى ألصَقتُ مرورى بمكانٍ يقرب منه . وكقوله :

* وبات على النَّار النَّدَى والمحلّق[1] *

فإذا استوى التَّقديران فى المجازِيَّة فالأَكثر استعمالاً أَولى بالتخريج عليه ، كمررت به ومررت عليه ، وإن كان قد جاء كما فى : ﴿ لَتَمُرُّون عليهِمْ[2] ﴾ ، ﴿ يَمُرُّونَ عَليها[3] ﴾.

* ولقد أَمُرُّ على اللئيم يسبُّنِى[4] *

إلاَّ أنَّ مررتُ به أكثر ، فكان أولى بتقديره أَصلاً . ويتخرَّج على هذا الخلاف خلافٌ فى المقدَّر فى قوله :

* تمرُّون الدِّيارَ ولم تَعوجُوا *

أَهو الباءُ أَو على . ا هـ .

يعنى : فمن ساوى بين التقديرَين قدَّر أَيَّهما شاءَ ، لصحَّة المعنى بهما . ومن رجَّح الباءَ لكثرة الاستعمال قدَّرها ، لأَنَّه متى أَمكنَ المصيرُ إلى الأَصل لم يُتجاوَزْ عنه .

وعدَّ ابنُ عصفورٍ حذفَ الجارِّ وإيصالَ الفعل إليه ضرورةً. والصَّحيح ما ذهب إليه الشارح المحقِّق ، بدليل ما أَورده من الآيات .

---

(١) للأعشى فى ديوانه ١٥٠ والأغانى ٨ : ٧٧ ، والمغنى ١٠١ . وصدره :

* تشب لمقرورين يصطليانها *

(٢) الآية ١٣٧ من سورة الصافات .

(٣) الآية ١٠٥ من سورة يوسف .

(٤) لرجل من بنى سلول . وعجزه كما فى سيبويه ١ : ٤١٦ والخزانة ١ : ٣٥٧ :

* فضيت ثمت قلت لا يعنينى *

وقول الشارح المحقِّق : والأَخفشُ الأَصغر يجيز حذفَ الجار مع غيرهما أَيضاً قياساً إذا تعيَّن الجارّ ، أَى مع غير أَن وأَنَّ . والأَخفش الأَصغر هو تلميذ أَبى العبَّاس ، وهو أَبو الحسن علىُّ بن سليمان الأَخفش . وليس ما نسبه إليه مذهبَه ، وإنَّما مذهبه أَن يكون الفعل متعدِّيًا بنفسه إلى مفعول واحد ، وإلى آخَر بحرف جرٍّ . فحينئذ يجوز حذفه .

وهذا كلامُه (فيما كتبه على كامل المبرد) ، قال : فأَمَّا قوله :

* وأُخفِى الذى لولا الأُسَى لقَضَانى[1] *

فإِنَّما يريد : لقضَى علىَّ الموتَ ، كما قال الله تعالى : ﴿ فلمَّا قَضَينا عَليهِ المَوْتَ[2] ﴾ فالموت فى النية[3] ، وهو معلومٌ بمنزلة ما نطقتَ به . ومثله : ﴿واختارَ مُوسَى قَوْمَه[4] ﴾ أَى لقومه . وكذلك قوله تعالى : ﴿وإذا كالُوهم أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرون[5] ﴾ والمعنى : إذا كالوا لهم أَو وزنوا لهم ، أَى كالوا لهم الشىء ووزنوه لهم . والمكيل والموزون معلومٌ بمنزلة ما ذُكِر فى اللفظ . ولا يجوز مررت زيدًا وأَنت تريد بزيد ، لأَنَّه لا يتعدَّى إلاَّ بحرف ، وذلك أَنَّه فِعلُ الفاعل فى نفسه ، وليس فيه ٦٧٢
دليلٌ على مفعول[6] ، وليس هذا بمنزلة ما يتعدَّى إلى مفعولين فيتعدَّى إلى أَحدهما بحرف الجرّ وإلى الآخر بنفسه ؛ لأَنَّ قولك : اخترتُ الرِّجالَ

---

(١) صدره كما فى الكامل ٢١ ، وهو لأعرابى من بنى كلاب :

* تحن فتبدى ما بها من صبابة *

(٢) الآية ١٤ من سورة سبأ .

(٣) أى فى نية الشاعر .

(٤) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٥) الآية ٣ من سورة المطففين .

(٦) فى الكامل ٢٢ : « على المفعول » .

زيدًا، قد عُلِم بذكرك زيدًا أنَّ حرف الجرّ محذوفٌ من الأوَّل . فأمَّا قولُ جرير وإنشادُ أهل الكوفة له ، وهو قوله :

تمرُّون الدِّيارَ ولم تَعُوجُوا كلامُكُم علىَّ إذًا حرامُ

ورواية بعضهم له :

* أتَمْضُون الدِّيارَ ولم تُحَيَّا[(١)] *

فليستَا بشيءٍ لما ذكرتُ لك . والسَّماع الصحيح والقياسُ المطَّرد لا تعترِض عليه الرِّواية الشاذة . أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال : قرأت على عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير :

* مررتم بالدِّيار ولم تَعُوجوا *

فهذا يدلُّك على أنَّ الرواية مغيَّرة . اهـ .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لجرير هجا بها الأخطلَ النَّصرانى . وهذا مطلعُها :

أبيات الشاهد (مَتَى كان الخيامُ بذى طُلوحٍ سُقيتِ الغيثَ أيَّتُها الخيامُ
تَنكَّر مِن معالمها ومالت دعائمُها وقد بَلِىَ الثُّمامُ
أقولُ لصُحبتى لمَّا ارتحلْنا ودَمعُ العَين مُنهمِرٌ سِجامُ
تمرُّونَ الدِّيارَ ولم تَعُوجُوا كلامُكُمُ علىَّ إذًا حرامُ)

ومنها

(لقد وَلدَ الأُخيطِلَ أمُّ سَوءٍ على باب استها صُلُبٌ وشَامُ)

قوله : « متى كان الخيام» الخ . أورد ابن هشام عجُزَه (فى المغنى)

---

(١) كذا بالتاء فى « تحيا » بالنسختين ، بعود الضمير إلى « الديار » . والذى فى الكامل : « أتمضون الديار » فقط . وفى ديوان جرير : « أتمضون الرسوم ولا تحيا » .

على أنَّه قد تولَّدت واوٌ من إشباع ضمة الميم . والخَيمة عند العرب : كلُّ بيتٍ يُبنَى مِن عِيدان الشَّجَر . وذو طلوح[1] بمهملتين : مكان . والطَّلح : شجرٌ عظيم له شوك .

والمعالم : جمع مَعْلم كمقعد : مَظِنَّة الشيء وما يُستدَلُّ به . والدِّعامة بالكسر : عماد البيت . والثُّمام بضم المثلثة : نبتٌ ضعيف له خُوص رُبَّما حُشِيَ به الوسائد ، ويسدُّ به خَصاصُ البُيوت . والمنهمر : المنسكب . والسِّجام بالكسر : مصدر سجم الدمع إذا سال .

وقوله : (ولم تَعُوجوا) يقال عاج رأْسَ البعير ، إذا عطفَه بالزِّمام . (وكلامُكم) مبتدأ ، وهو مصدرٌ مضاف إلى مفعوله ، والفاعل محذوف أى كلامى إياكم . و (حرام) خبره وعلىَّ متعلق بالخبر .

وقوله : « لقد ولدَ الأُخيطِلَ » أورده صاحب الكشاف ، شاهدًا لقراءةِ إبراهيمَ النَّخَعىّ : ﴿ ولم يَكن له صاحِبَةٌ[2] ﴾ بالمثناة التحتية ، على أنَّه لم يؤنِّث الفعلُ المسند إلى المؤنث الحقيقى للفصل .

والأُخيطل : مصغر الأَخطَل . والصُّلُب : جمع صليب . وشامٌ : جمع شامة ، وهى العلامة . يريد أَنَّ أُمَّه فعلَتْ فعلَ الموشّمات ، نقشَتْ صورة الصَّليب فى ذلك الموضع .

وفى القاموس أَنَّ الأَخطل كان يلقَّب بذى الصليب .

---

(١) ط : « وذى طلوح » .

(٢) المغنى ٣٦٨ . وانظر معجم شواهد العربية . وقد كتبت القافية فى المغنى « الخيامو » إظهاراً للإشباع .

(٣) من الآية ١٠١ من سورة الأنعام . وانظر تفسير أبي حيان ٤ : ١٩٤ .

والشام : النقوش . وفى بعض حواشى المفصَّل : صُلب وشام : نبتانِ ، يصفها بخشونة ذلك الموضع .

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أَوّل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٧٠٨ (ومِنَّا الذى اختِيرَ الرِّجالَ سَماحةً)

٦٧٣ على أنَّ (الرجال) منصوبٌ بنزع الخافض ، والأَصل : من الرجال ، وهو المفعول الثانى المقيَّد بحرف الجرِّ لاختار ، فإنَّه يتعدَّى إلى الأَوَّل بنفسه ، وإلى الثانى بحرف الجرِّ . والمفعولُ الأَوَّل هنا نائب الفاعل ، وهو الضمير العائد إلى الذى فى اختير .

وهذا الحذفُ كثير الاستعمال ، ولهذا قال الشارح المحقِّق :« وكذا[٣] يحذَف من المفعول الثانى » . والإشارة لقوله سابقاً .

وأَمَّا كثرة الاستعمال ، قال سيبويه فى باب الفاعل الذى يتعدَّاه فعله إلى مفعولين : إن شئت اقتصرتَ على المفعول الأَوَّل ، وإن شئت تعدّى إلى الثانى ، ومن ذلك : اخترت الرِّجالَ عبدَ الله . ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ واختار مُوسَى قَوْمه سبعين رجلا[٤] ﴾ ، وسمَّيتُه زيدًا . ومِنْه قولُ الشاعر :

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ١٨ . وانظر المقتضب ٤ : ٣٣٠ والأصول ١ : ٢١٥ ومجالس العلماء ١٩٣ وابن الشجرى ١ : ١٨٦ ، ٣٦٤ وابن يعيش ٥ : ١٢٣ / ٨ : ٥٠ ، ٥١ ، والهمع ١ : ١٦٢ والأشباه والنظائر ١ : ٢٨٥ وديوان الفرزدق ٥١٦ .

(٣) ط : « كذا » ، وأثبت ما فى ش وشرح الرضى ٢ : ٢٥٤ .

(٤) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

* أستغفر الله ذنبًا لستُ مُحصِيَه[(١)] *

وقال عمرو بن معديكرب :

* أمرتك الخيرَ فافعَلْ ما أُمِرْتَ به[(٢)] *

وهذه أَفعالٌ توصل بحروف الإضافة ، فتقول : اخترت من الرجال ، وسميته بفلان ، كما تقولْ : عرفتُه بهذه العلامة ، وأَستغفِر الله من ذلك . فلمَّا حذفوا حرف الجرّ عمل الفعلُ . وليس أَستغفر الله ذنبًا وأَمرتك الخيرَ أَكثرَ فى كلامهم جميعًا ، وإنَّما يتكلَّم به بعضُهم . فهذه الحروفُ كان أَصلُها فى الاستعمال أَن تُوصلَ بحروف الإضافة . ومنه قول الفرزدق :

منَّا الذى اختِير الرِّجـالَ سمـاحةً
وجُودًا إذا هبَّ الرِّياحُ الزَّعازعُ . ا هـ .

صاحب الشاهد — والبيت مطلعُ قصيدةٍ للفرزدق تقدَّم أَبياتٌ منها قبل هذا بشاهد . قال صاحب المصباح :سَمَح بكذا يسمَحُ ، بفتحتين ،سمُوحاًوسَمَاحاًوسمَاحة : جاد وأَعطى ، أَو وافقَ على ما أُرِيدَ منه . و (الجود) : الكرم . وروى بدله : (وخِيراً) بكسر المعجمة ، وهو الكرم . (والزَّعازع) : جمع زَعزَعٍ كجعفر ، وهى الريح التى تهبُّ بشدة . وعنى بذلك الشِّتاءَ ، وفيه تقلُّ الأَلْبانُ ، وتُعدَم الأَزواد ، ويبخَل الجَواد . فيقول : هو جوادٌ فى مثل هذا الوقت الذى يقلُّ فيه الجود . وسماحةً وجوداً مصدران منصوبان على المفعول لأَجله ، كأَنه قيل : اختير من الرِّجال لسماحته وجُوده .

---

(١) عجزه : رب العباد إليه الوجه و العمل *

(٢) عجزه : فقد تركتك ذا مال وذا نشب *

ويجوز أَن يكونا تمييزَين أَو حالين ، أَى سَمْحًا وجَوَادًا[1]. قاله ابن خلف ولم يذكر ابن المستوفى غير الأَخيرين .

وقال ابن السيد (فى أَبيات المعانى) : ونصب سماحةً على المصدر ممَّا دلَّ عليه اختير ، لأَنَّه لا يُختار إلاَّ الكرام . وأَراد بقوله : « ومنا الذى اختِير » أَباه غالبًا ، وكان جواداً .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد السبعمائة[2] :

٧٠٩ (خَرَجْتُ إلى أَقطاعِهِ فى ثيــابه
على طِرْفهِ من دارِه بحُســامِه)

على أَنَّه يجوز أَن يَجتَمِع على فعلٍ واحد عدّةٌ من حروف الجرّ إذا كانت مختلفة ، فإِنَّ الفعل الواحد قد يتعدَّى بعدّةٍ من حروف الجرِّ على مقدار المعنى المرادِ من وقوع الفعل ، لأَنَّ هذه المعانىَ كامنةٌ فى الفعل ، وإنَّما يُظهرها حروفُ الجر ، فإنَّك إذا قلتَ : خرجتُ فأَردت أَن تبيِّن ابتداءَ خروجك قلت : خرجت من الدار . فإِنْ أَردتَ أَن تبيِّن انتهاءَهُ قلت : إلى المسجد . وإن أَردت أَن تبين ظَرفَه قلت : فى ثيابى . وإن أَردتَ أَن تبيِّن أَنه مقارنٌ للاستعلاءِ قلت : على الفرس . وإن أَردت أَن تبيِّن الملابسة والصُّحبة : قلت بحسامى . ويجوز أَنْ يكون بعضُ هذه المجرورات فى موضع الحال . ٦٧٤

وهذا البيت يوجد فى بعض النسخ قبل قوله :« وإلى اثنين كأَعطى وعلم » بسَطرٍ ، بعد قوله : خرجتُ من الكوفة إلى البصرة لإِكرامك .

---

(١) ط : « جوداً » ، صوابه فى ش .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٧٦ ، وديوان المتنبى ٢ : ٢٧٩ .

صاحب الشاهد

والبيت من مقطوعةٍ عدّتها ستة أَبيات ، للمتنبِّى ، قالها لما ودَّعَ سيفَ الدولة بنَ حمدان ، وأَراد التوجُّهَ إلى أَقطاعه التى أَقطعه إيَّاها .

قال ياقوت الحموى (فى معجم البلدان) : السَّبْع هو بلفظ العدد : قريةٌ بباب حلب كانت إقطاعًا للمتنبِّى من سيف الدولة . وإياها عنى بقوله :

أَسير إلى أَقطاعه . . . البيت

وأَوّله الثابتُ فى جميع نسخ ديوانه ، هو كما أَنشده ياقوت بلفظ : « أَسيرُ » .

والأَبيات هذه وشرحها للواحدىّ :

أبيات الشاهد

(أَيا رامِيًا يُصْمِى فُــؤادَ مَرَامه ... تُرَبِّى عِداهُ ريشَها لسِهامِه)

الإِصماء : إصابة المقتل فى الرَّمى . والمعنى أَنَّه إذا طلب شيئًا أَصاب خالصَ ما طلبه ، كالرامى يصيب فؤادَ ما يطلبه بِرمْيِه . وقولهُ : تُرَبِّى عِدَاهُ ، مثلٌ ، وذلك أَنَّ السِّهام إنَّما تنفُذ بريشها ، وأَعداؤه يجمعون العُدَد والأَموال له ، لأَنَّه يأْخذها فيتقوَّى بها على قتالهم ، فكأَنَّهم يربُّون الرِّيش لسهامه ، حيث يجمعون المال له . فالرِّيش مَثَل الأَموال والسِّهامُ مَثَل له [1] .

(أَسير إلى أَقطاعه فى ثيابه) البيت ، يريد أَنَّ جميع ما يتصرَّف فيه من ضروب مملوكاته إنَّما هو من جهته وإنعامه . وكأَنَّ هذا تفصيلُ ما أَجمله النابغةُ فى قوله :

وما أَغفلتُ شكرى فانتصِحْــنى ... وكيفَ ومِن عطائك جُلُّ مالِى [2]

(١) فى شرح العكبرى وكذلك فى شرح الواحدى ٥٧٦ — ٥٧٧ : « فالريش مثل لأموالهم »
(٢) ديوان النابغة ٦٥ من مجموع خمسة دواوين ، وشرح العكبرى للمتنبى ٢ : ٢٨٠ .

وقد فصَّله النابغة أيضاً فقال :

وإنّ تلادى إن نظرتُ وشِكَّتِى ومُهرى وما ضُمَّت إليه الأَناملُ(١)
حِبَاؤك والعِيسُ العِتــاقُ كأَنَّها هِجانالمَهَا تَردِى،عليها الرَّحائلُ(٢)

وهذا كما قال أبو نواس :

* وكلُّ خيرٍ عندنا من خَيْره(٣) *

(وما مَطَرتْنيه مِنَ البيض والقنا ورُوم العِبِدَّى هاطلاتُ غمــامِهِ)

الروم : جمع رومىّ ، كما يقال زنج وزنجى . والعِبِدَّى : العبيد . يعنى وما أَنعم علىّ من أَنواع نعمه ، من الأَسلحة والعبيد الروميَّة .

(فَتًى يهَبُ الإقليمَ بالمال والقُرَى ومن فيــه مِن فُرسانه وكرامِه
ويجعــلُ ما خَوَّلتُه من نوالــهِ جزاءً لمــا خَوَّلتُه من كــلامِهِ)

أَى يُجازِينى بنواله إذا مدحتُه بما استفدتَه من الأَدب من كلامه .

(فلا زالت الشمسُ التى فى سمائِه مُطالِعَةَ الشَّمسِ التى فى لثامِهِ)

أَى لا زالت شَمْسُ السَّماءِ تطالع وجهَه الذى هو كالشمس . وأَضاف السماءَ إليه مبالغةً فى المدح، كما قال الفرزدق :

---

(١) ديوان النابغة ٦١ ، وشرح العكبرى ٢ : ٢٨٠ . وفى الديوان : « إن ذكرت » . وفى الديوان وشرح العكبرى : « وما ضمت إلى الأنامل » . و « ضمت » على هذه الرواية بالبناء للفاعل .

(٢) فى الديوان : « تحدى » بمعنى تساق ، كما نص عليه فى شرحه و « العيس » بالنصب عطف على تلادى ، وبالرفع على الاستئناف وتقدير الخبر بعده ، أى حباؤك .

(٣) كذا فى النسختين . والذى فى التبيان للعكبرى ٢ : ٢٨٠ وديوان أبى نواس ٢٠٦ :

* وكل خير عندنا من عنده *

لكن فى الديوان : « عندهم » . وقبله فى الديوان :

أنعت كلبا أهله من كده قد سعدت جدودهم بجده

* لنا قَمَراها والنُّجومُ الطَّوالعُ[1] *

وقال ابن جنى : أضاف السَّماء إليه لإشرافها عليه ، كما قال الآخر :

إذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بسُحرةٍ سُهيلٍ أذاعَتْ غَزْلَها فى القَرائبِ[2]

أضاف الكوكب إليها لجِدِّها فى عملها عند طلوعه .

تم الجزءُ الثالث ويليه الجزءُ الرابع ، أوّله أفعال القلوب .

---

(١) صدره فى الديوان ٥٠٩ ، وانظر الخزانة ٤ : ٣٩١ :
* أخذنا بآفاق السماء عليكم *

(٢) ط : « أزاعت »، صوابه فى ش . ويروى : « أشاعت » ، ويروى : « فى الغرائب » وانظر ابن يعيش ٣ : ٨ والمحتسب ٢ : ٢٢٨ والمقرب ١ : ٢١٣ والعينى ٣ : ٣٥٩ واللسان (غرب) . وهو الشاهد ١٧٦ فى الخزانة ٣ : ١١٢ .

أفعال القلوب

أنشد فيها ، وهو الشاهد العاشر بعد السبعمائة[١] : — أول الجزء الرابع من التقسيم القديم

٧١٠ (تَعَلَّمْ أَنَّ بعد الغَيِّ رشدًا)

على أَنَّ (تعلَّمْ) التى بمعنى اعلمْ أمرًا ، لا تنصب المفعولين بل تَردُ الاسميّةُ مصدَّرة بأَنَّ السَّادةِ مع معموليها مسدَّ المفعولين . ويقلُّ نصبها للمفعولين ، كقول زياد بن سَيّار الجاهليّ :

تَعلمْ شِفاءَ النَّفسِ قَهْرَ عــدوِّها فبالغ بلطفٍ فى التحيُّل والمَكْرِ[٢]

وهذا المصراع من قصيدةٍ طويلة جدًّا للقُطامىِّ ، وقبله : — صاحب الشاهد

وأَمَّــا يومَ قلتُ لعبــد قيسٍ كلامًا لا أُريد به خِــداعــا[٣] — أبيات الشاهد
تعــلَّمْ أَنّ بعــد الغَــىّ رشــداً وأَنَّ لهــذه الغُبَرِ انقشــاعا[٤]
ولــو تُستَخْبَرُ العلمــاءُ عنّــا ومَن شهدَ الملاحمَ والوِقــاعا[٥]
بتَغْلِبَ فى الحروب أَلم يــكونوا أَشــدَّ قبائلِ العــربِ امتناعا

وتقدَّم، فى الشاهد الثالث والأَربعين بعد المائة، ما تقدّم من أَول القصيدة إلى هذه الأَبيات مع ترجمته[٦] .

---

(١) همع الهوامع ١ : ٧٥ وديوان القطامى ٤٠ .

(٢) شذور الذهب ٣٦٢ والمغنى ٥٩٤ والعينى ٢ : ٣٧٤ والتصريح ١ : ٢٤٧ والهمع ١ : ١٤٩ والأشمونى ٢ : ٢٤ .

(٣) فى الديوان : « ما أردت به خداعا »، وفى الديوان نسخة الشنقيطى: « ما أريد له خداعاً » .

(٤) فى الديوان : « لهذه الغمم » .

(٥) فى الديوان نسخة الشنقيطى : « ولو يستخبر » بالياء .

(٦) الخزانة ٢ : ٣٦٣ — ٣٧٢ .

وتقدَّم أيضاً إيرادُ أَبيات بعد هذه الأَبيات فى الشاهدالتاسعوالتسعين بعد الخمسمائة[١] .

وقوله : « وأَمَّا يوم قلتُ لعبد قيس » ، هو أَخو القطامى .

وقوله : (تعلمْ أَنَّ بعد الغى) إلخ الغُبَر : جمع غُبْرة وهِى القَتَمة ، يريد ما أَظلَّ[٢] من الأُمور الشِّداد المظلمة . والانقشاع : الانكشاف .

وأَورد اللَّبْلىّ المصراعَ الثانى (فى شرح الفصيح) برواية :

* وأَنَّ لتالك الغُبَرِ انقشاعا *

وقال : (تالك) بكسر اللام لغة فى تلك ، فى الإشارة إلى المؤنَّثة البعيدة . ويريد القطامى بهذا تسليةَ أَخيه ، فإنَّ بنى أَسد كانوا أَوقعوا ببنى ٤ : ٣ تغلب فى نواحى الجزيرة ، والقُطامىُّ منهم ، فأَسره بنو أَسدٍ وأَرادُوا قتلَه ، فحال زُفر بن الحارث الكلابى بينه وبينهم ، وحَماه وكساه ، وأَعطاه مائة ناقة كما تقدَّم .

وقوله : « ولو تُستخبَر العلماءُ » إلخ هو بالبناء للمفعول. والملاحم: جمع مَلحمة ، وهى موضع الحرب . والوِقاع : المُواقَعة .

وقوله : « بتغلب » أَى عن تغلب ، كقوله :

* واسأَلْ بمَصْقلة البكرىِّ ما فعلا[٣] *

أَى عن مَصقلة . وتغلب : قبيلةُ القطامى ، وهو تغلب بن وائل .

---

(١) الخزانة ٨ : ١٣٦ – ١٣٨ .

(٢) ط : « ما أطل » ، صوابه فى ش .

(٣) للأخطل فى ديوانه ١٤٣ وسيبويه ٢ : ٢٩٩ . وصدره :

* دع المغمر لا تسأل بمصرعه *

ثم أَخذ بعد هذا يذكُر مآثر قومِه فى الجاهلية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد السبعمائة[١] :

٧١١ (اللهَ مُوفٍ للنَّاسِ ما زَعَما)

على أَنَّ (زعم) قد يستعمل فى التحقيق .

رأيت (فى شرح الكتاب للسيرافى) :الزَّعْمُ : قولٌ يقترن به اعتقاد، وقد يصحُّ ذلك أَو لا يصحّ . فأَمّا قول الجعدى:

(نودِىَ قُمْ واركبَنْ بأَهلِكَ إِ نَّ اللهَ مُوفٍ للنَّاسِ ما زَعَما)

فقيل الزَّعم ههنا بمعنى القول، وقيل بمعنى الضَّمان. ومنه قول عمرو ابن شأْس :

تقولَ هَلَكنا إِنْ هلكتَ، وإِنَّما على الله أَرزاقُ العباد كما زعَمْ[٢]

قيل معناه كما ضَمِن ، وقيل كما قال . وشاهد الزَّعم بمعنى القول قول أَبى زُبيد :

يالَهْفَ نفسىَ إِنْ كان الذى زَعموا

حَقًّا ، وماذا يردُّ اليومَ تلهيفى[٣]

أَى الذى قالوه . وذلك أَنَّه سمع من يقول : حُمل عثمان على النعش إلى قبره . وهذا ليس فيه معنى ظنٍّ ولا ضمان . اهـ .

---

(١) ديوان النابغة الجعدى ١٣٦ واللسان (زعم ١٥٧) .

(٢) همع الهوامع ١ : ١٤٩ واللسان (زعم) .

(٣) ديوان أبى زبيد ١٢٠ والتصريح ١ : ٢٥ واللسان (أمر ٩٢ نجف ٢٣٦) ، وجمهرة ابن دريد ٢ : ٤١٧ .

وقال ابن برى (فى حاشية الصحاح) : الزعم يأْتى فى كلام العرب على أَربعة أَوجه : يكون بمعنى الكفالة والضَّمان ، شاهده قول عمر بن أَبى ربيعة :

قلتُ : كَفِّى لكِ رهنٌ بالرضـــا وازعُمى يا هِند قالت : قد وجبْ[1]

وقال النَّابغة يصف نوحاً :

نُودىَ قُم واركبَنْ بأَهلك ...... البيت

زعم هنا فُسِّر بمعنى ضَمن ، وبمعنى قال ، وبمعنى وَعَد . ويكون بمعنى الوعد ، قال عَمرو بن شأْس :

وعاذلةٍ تخشى الردى أَن يصيبَنى

تَرُوح وتغـــدو بالمـــلامة والقَسَمْ

تقول هلكنا إن هلكتَ .... البيت

زعم هنا بمعنى وَعدَ ، وبمعنى قال . ويكون بمعنى القول والذِّكر . قال أَبو زبيد الطائى :

يا لهف نفسى إن كان الذى زعموا ..... البيت

المعنى : إن كان الذى قالوه حَقًّا ، لأَنَّه سمع من يقول : حُمل عثمانُ على النعش إلى قبره .

وقال المثقِّب العبْدىّ :

---

(١) رواية الديوان ٣٧٨ لهذا البيت وما قبله :

قلت حـلا فاقبـلى معــــذرتى ما كذا يجـزى محـب من أحب

إن كـفى لك رهـــن بالرضــــا فاقبلى يا هند ، قالت : قد وجب

وكــلامٍ سيِّئٍ قــد وُقِــرَتْ أذنى عنه وما بى من صَمَمْ[(١)]

فتصــامَمتُ لــكى مــا لا يَرى جاهلٌ أنِّى كما كانَ زعمْ[(٢)]

ويكون بمعنى الظنّ ، قال عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود :

فذُقْ هجرها إن كنت تزعمُ أنَّه رشادٌ ، ألاَ يا رُبَّما كذَبَ الزَّعْمُ[(٣)]

فهذا البيت لا يحتمل سوى الظن ، وبيت عمر لا يحتمل سوى الضَّمان ، وبيت أَبى زُبيدٍ لا يحتمل سوى القول ، وما سوى ذلك على ما فسِّر .

٤ وبيت النابغة رُوِىَ لأُمَيّة بن أَبى الصلت، وبيت عمرو بن شأْس روى لمضرِّس . اهـ .

وما أَورده الشارح قطعة من قوله :

نودِىَ قُمْ واركبَنْ بأَهلك إِ نَّ الله . . . . إلخ .

و (زعم) فيه على ما فسَّروه متعدٍّ إلى مفعول واحد ، وهو الضمير المحذوف العائد إلى ما الموصولة .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للنابغة الجعدىّ الصَّحابى ، أَوّلُها :

(الحمــد لله لا شريكَ لــه مَنْ لم يَقُلْها فنفسَه ظَلَمــا)

فالأَلف فى قوله « زعما » للإطلاق . قال ابن خالويه (فى كتاب ليس):

---

(١) ديوان المثقب ٢٣٠ : « عنه أذناى »، وفى ط : « أذنى منه »، وأثبت ما فى ش واللسان (زعم) وأساس البلاغة (وقر) والمفضليات ٢٩٤ . وأوله فى أساس البلاغة : « كم كلام سيئ » .

(٢) فى الديوان والمفضليات : « فتعزيت خشاة أن يرى » . وفى اللسان (خشى) : « فتعديت خشاة أن يرى ظالم » ، وفيه تحريف .

(٣) فى اللسان (زعم ١٥٧) : « قد كنت تزعم أنه رشاد » .

قال بعض المفسِّرين: إن الزعم زامِلة الكذب[١] . وليس فى كلام العرب وأشعارهم زعم محمودًا إلاَّ فى بيتين ، قال أُميَّة بن أَبى الصَّلت ، وقيل للنابغة الجعدى ، فى قصيدةٍ أوّلها :

نودىَ قُمْ واركبَنْ . . . البيت .

فهذا على الحقّ . وسمعت الزَّاهد[٢] يقول : زعم فى هذا البيت بمعنى قال ووعد ، كما يقال : زعم الشافعى ، أى قال . ا هـ .

نسبة أخرى — والقصيدة التى هى لأُميَّة بن أَبى الصَّلت طويلة ذكر فيها صنع الله وعظم قدرته . وقبله :

آبيات الشاهد

(عَرفتُ أَنْ لن يفوتَ اللهَ ذو قِـدَمٍ
وأَنَّه من أَميـر السَّـوءِ ينتقمُ)[٣]

المُسْبحُ الخُشْبَ فوقَ المـاءِ سخَّرها
خِـلالَ جِريتهـا كأَنَّهـا عُـوَمُ

تَجـرى سفينةُ نوحٍ فى جـوانبـه
بكلِّ مَـوجٍ مـع الأَرواح تقتحمُ

نُودِىَ قم واركبَنْ بـأَهـلك
نَّ اللهُ مُوف للنـاس مـا زَعَمُـوا[٤]

---

(١) أصل الزاملة البعير يستظهر به الرجل ، يحمل عليه طعامه ومتاعه . وهذا النص بأكمله ليس موجوداً فى النسخ المطبوعة من كتاب ابن خالويه .

(٢) الزاهد هذا هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم المطرز اللغوى ، غلام ثعلب . ولد سنة ٢٦١ . وتوفى سنة ٣٤٥ . بغية الوعاة وإنباه الرواة ٣ : ١٧١ — ١٧٧ وفيه بيان مراجع ترجمته .

(٣) ذو قدم ، أى من عمر طويلا . وفى الديوان ٥٧ : « وأنه من عبيد السوء » .

(٤) وكذا فى الديوان . وقد أدرك مصحح طبعة بولاق أن هذا البيت من بين أخواته ينتمى إلى المنسرح ،والقصيدة كلها مبنية على البسيط .

مشحونةٌ ودُخانُ المَوجِ يرفعُها
مَلأَى وقد صُرِّعَتْ من حَولها الأُمَمُ[(١)]
حَتَّى تسوَّت على الجُوديِّ راسيةً
بكلِّ ما استُودِعَتْ كأنَّها أُطُمُ)

قال شارح ديوانه : يقال سَبح الرَّجلُ وأَسْبَحَه الله . والعُوَم : جمع العُومة ، كأنَّها حية تكون بُعمان . والعامَة : شبه الطَّوف إلاَّ أنَّه أصغر منه ، يُركَبفيه البحرُ . فى جوانبه : جوانب الماء . ومشحونة : مملوءة ، يقال اشحَنْ سفينَتك ، أى املأْها . والجوديُّ فيها سوقٌ يقال له سوق الثَّمانين ، لثمانين رجلاً كانوا مع نوحٍ فى السفينة. والأُطُم بضمتين : القصر ، والجمع آطام .

وترجمة أُمية تقدَّمت فى الشاهد السادس والثلاثين[(٢)] .

قال ابن خالويه . وقصيدة النابغة :

(يا مالكَ الأَرضِ والسماءِ ، ومَنْ يَفْرَقْ من الله لاَ يَخَفْ أَثْمَا[(٣)]
إنِّى امرؤٌ قد ظَلمتُ نفسِى وإ لاَّ تعفُ عَنِّى أُغْلَى دَمًا كَثَما[(٤)]
أُطرَح بالكافرين فى الدَّرَكِ ا لأَسفَلِ يا ربِّ أَصطلى الضَّرَما[(٥)]

(١) فى الديوان : « يدفعها » بالدال .
(٢) الخزانة ١ : ٢٤٧ .
(٣) ديوان الجعدى ١٣٥ ، ١٣٤ حيث وردت فيه الأبيات الثلاثة الأولى بعد الأبيات الثلاثة الأخيرة على خلاف هذا الترتيب . والأثم ، بالتحريك : لعله مقصور الأثام كسحاب ، وهو جزاء الإثم . ولم أجد له سنداً .
(٤) عنى ، ساقطة من ش ثابتة فى الديوان . وأغلا ، كتبت فى النسختين والديوان بالألف فى آخرها . والكثم : الغليظ ، من قولهم : حمأة كاثمة وكثمة : غليظة .
(٥) بالكافرين ، أى معهم . والدرك الأسفل : أقصى القعر .

يـأَيُّها النـــاسُ هــلْ تَرونَ إلى فارسَ بادَتْ وخَرَّ من دَعَمـــا[١]

أَمسَــوْا عبيـــدًا يرعَوْنَ شـــاءَكم
كـــأَنَّمـــا كـــان مُلكُهم حُلُمـــا[٢]

رأَوْا سَبَا الحاضِـــرينَ مأْرِبَ إذْ
يَبْنـــونَ من دُون سَيْـــلهِ العَـــرِما) اهـ .

* * *

وأَنشد بعده :

(ولَقَدْ نَزَلتِ فـــلا تظُنِّى غيرَهُ مِنِّى بمنزلة المُحَبِّ المُـــكْرَمِ)

على أنّ (ظنَّ) يقلُّ فيها نصب المفعول الواحد ، فإنَّ معناه هنا لا تظنِّى شيئًا غير نزولك . وصحة هذا المعنى لا تقتضى[٣] تقدير مفعول آخر .

وفيه ردٌّ للنحويين ، فإنَّهم قالوا : المفعول الثانى لظن محذوفٌ اختصارًا لا اقتصاراً .

وبه استشهد شُرَّاح الأَلفية وقالوا : تقديره : فلا تظنِّى غيره واقعاً ، أَو حقًّا . وجملة (فلا تظنِّى غيره) معترضةٌ بين نزلت وبين متعلَّقِهِ ، وهو منِّى .

وهذا البيت من معلَّقة عنترة ، وتقدم شرحه فى الشاهد الموفى المائتين[٤] .

* * *

(١) فى الديوان : « وخدها رغما » . رغم : ذل . وخر : سقط .

(٢) كذا والرواية المعروفة كما فى الديوان : « أو سبأ الحاضرين مأرب » .

(٣) ط : « لا يقتضى » .

(٤) الخزانة ٣ : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد السبعمائة[١] :

٧١٢ (بأَىِّ كتابٍ أَمْ بأَيَّةِ سُنَّةٍ   تَرَى حُبَّهمْ عارًا علىَّ وتَحَسِبُ)

على أَنَّه قد حذف مفعولاً (تحسب) للقرينة ، والتقدير : وتحسِب حبَّهم عارًا علىّ .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول حَكيم بن قَبِيصة[٢] :

فما جَنَّةَ الفِردوسِ هاجــرتَ تبتغى
ولكنْ دعاكَ الخُبزُ أَحسَبُ والتَّمْرُ[٣]

نصب جنَّة الفردوس بتبتغى ، وهى حال من التاءِ فى هاجرتَ . وجاز تقديم ما انتصب بتبتغى لجواز تقديم الفعل نفسِه، حتَّى كأَنه قال : فما مبتغيًا جنَّة الفردوس هاجرتَ ، على حدِّ قوله تعالى : ﴿ خُشَّعاً أَبصارُهُمْ يَخْرُجونَ من الأَجْداث[٤] ﴾ ولم يعمل أَحسَب على اللفظ ، وأَراد مفعوليهَا فحذفَهما ، كبيت الكُميت :

بأَىِّ كتاب   . . .   البيت

أَى وتحسب ذاك كذلك . ولايحسن أَن تجعلها هنا لَغْوًا ، مِن قِبَلِ أَنَّها لم تقع بين المبتدأ وخبره ولا بعدهما ، نحو : زيد قائم أَحسب ،

---

(١) المحتسب ١ : ١٧٣ والمقرب ١ : ١١٦ والعينى ٢ : ٤١٣ والتصريح ١ : ٢٥٩ والهمع ١ : ١٥٢ ويس ١ : ١٦١ والهاشميات ٣٨ .

(٢) ط : « قيصة » ، صوابه فى ش ، والحماسة ١٨٢٥ بشرح المرزوقى وإعراب الحماسة الورقة ٢٤٥ .

(٣) فى النسختين : « دعاك الخبز والتمر أحسب » ، صوابه ما أثبت من الحماسة وإعرابها . وقبل البيت :

لعمــر أبى بشر لقــد خانه بشر   على ساعة فيهـا إلى صاحب فقر

(٤) الآية ٧ من سورة القمر .

وإنَّما كان اعتبارُ عملها أو إلغائها هناك، لأنَّها لو كانت عاملةً لعمات فيهما ، وأمَّا ههنا فلا سبيلَ إلى الخبز والتَّمر ونحوهما . ا هـ.

وقوله : (بأى كتاب) متعلق بقوله (ترى) .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ طويلةٍ للكميت بن زَيدٍ الأَسَدى ، مدح بها آلَ النبي صلى الله عليه وسلم . وبعدَه :

أبيات الشاهد — (إذا الخيلُ وَارَاها العَجاجُ وتحتَه
غُبارٌ أثارتْه السَّنابكُ أَصهَبُ[1]

فمالى إلاَّ آلَ أحمدَ شِيعةٌ
ومالى إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشعبُ[2])

وَارَاها : غَطَّاها . والمَشْعَب : الطريق .

وتقدَّمت مع ترجمته فى الشاهد الثانى بعد الثلثمائة[3] .

* * *

وأنشد بعده :

(لا تَخَلْنا على ،غَرَائِك إنَّا طالمَا قد وشَى بنا الأَعداءُ[4])

على أنَّه قد حذف المفعول الثانى من تخلْنا ، وتقديره كما قال الشارح المحقق : لا تخلْنا أذلَّة على إغرائك الملك بنا .

والبيت من معلَّقة ابن حِلِّزة، تقدَّمَ شرحُه مع ترجمته، فى الشاهد الثامن والأربعين من أوائل الكتاب[5] .

* * *

(١) هذا البيت لم يرد فى ديوانه ولا فى الهاشميات .
(٢) ويروى : « إلا مذهب الحق مذهب » . انظر معجم شواهد العربية .
(٣) الخزانة ٤ : ٣٠٧ – ٣٢٠ .
(٤) وروى : « على غراتك » بالتاء كما سبق فى الجزء الأول .
(٥) الخزانة ١ : ٣٢٤ – ٣٢٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد السبعمائة[١] :

٧١٣ (كذاك أُدِّبْتُ حتَّى صـــار من خُلُقى
إنِّى وجدتُ مِـــلاكُ الشِّيمة الأَدبُ)

على أَنَّ وجدت قد أُلغِىَ عن العمل مع تقدُّمه ، وهو ضعيفٌ وقبيح.

وخرَّجه الشارح المحقِّق تبعًا لسيبويه على تقدير لام الابتداء ، أو على تقدير ضمير الشأْن تبعًا لابن جنى ، فتكون وَجَد عاملةً على التقديرين. أَمَّا على الأَوَّل فتكون معلَّقة عن العمل فى اللفظ بلام الابتداء المقدَّرة ، ويكون ما بعدها من المبتدإ والخبر فى محل نصبٍ على أَنَّهما سادَّان مسَدَّ مفعولَىْ وَجَد . وأَمَّا على الثانى فيكون ضمير الشأْن المحذوف هو ٦
المفعولَ الأَوَّل ، والجملة بعده فى محل المفعول الثانى .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة[٢]) : أَراد : وجَدته مِلاكُ الشِّيمة الأَدب ، كقولك : ظننته زيدٌ منطلق ، أَى ظننت الأَمرَ والشَّأْنَ زيد منطلق ، إلاَّ أَنَّه حذف الضميرَ فى وجدت للضَّرورة ، كما حُذِف أَيضًا فى بيت الكتاب :

إنّ مَنْ لام فى بنى بنتِ حَسَّا نَ . . . . البيت

أَراد: إنَّه من لامَ . أَلا ترى أَنَّ مَنْ هنا شرط ، فلا ينصبها ما قبلها كالاستفهام . وعلى هذا تقول : ظننت أَبوك أَخوك ، أَى ظننته . فاعرفه . اهـ .

---

(١) المقرب ١ : ١١٧ والعينى ٢ : ٤١١ والتصريح ١ : ١٥٨ والهمع ١ : ١٥٣ والأشمونى ٢ : ٢٩ ، والحماسة ١١٤٦ بشرح المرزوقى برواية « الأدبا » .
(٢) إعراب الحماسة الورقة ١٦٧ .

والفرق بين الإلغاءِ والتعليق أنَّ الأَوّل : إبطال العمل لفظًا ومحلًّا والثانى : إبطاله لفظًا لا محلًّا لمجىء ماله صدر الكلام . وكأنَّ العينىَّ لم يفرق بينهما ، لقوله : أَلغى عملُ وجدتُ لكون لام الابتداءِ مقدَّرة[1] ، والصواب عُلِّق وجدت عن العمل لفظًا ، لكون لام الابتداء مقدَّرة . ولا يخفى أن هذا التخريجَ على كلام ابن جنِّى يكون من باب غَسْل الدَّم بالدم . والصَّحيح أنَّ حذف ضمير الشَّأْن لا يختصُّ بالشعر . ومنه الحديث : « إنَّ مِن أشدِّ النَّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ المصوِّرون[2] » ، وحكاية الخليل : إنَّ بك زيدٌ مأْخوذ .

ولم يورد ابن عصفور هذا (فى كتاب الضرائر) .

والبيت أورده أبو تمام (فى الحماسة) مع بيت قبله ، ونسبه إلى بعض الفَزاريِّين ، وهو :

أَكْنيهِ حين أُناديهِ لأُكرمَــه ... ولا أُلقِّبهُ والسَّوءَةُ اللقبُ

لكن روايته بنصب القافيتين ، ولا تحتاج إلى ما ذكر من التوجيه ويكون اللقب على روايته مفعول أُلقِّبه. والسَّوْءَةُ منصوبةٌ أيضاً . قال ابن جنى : نصب السَّوءَة لأنَّهُ جعلها مفعولاً معه ، أى لا أُلقِّبه مع السوءَة اللقبا ، مقترناً بالسَّوءَة[3] . ألا ترى أنَّك تجد هذا المعنى فى المفعول معه ، تقول : قمت وزيدًا ، فتجد معناه قمت مقترناً بزيد . ا هـ .

قال ابن الناظم : تقديم المفعول معه على مصحوبهِ ، الجمهورُ على منعه ، وأجازه أبو الفتح (فى الخصائص) واستدلَّ بقوله :

---

(١) ما بعده إلى « مقدرة » التالية ساقط من ش .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب (اللباس) من حديث عبد الله ، وكذا أخرجه مسلم فى (اللباس) عن ابن عمر ، والنسائى فى (الزينة) عن أحمد بن حرب من حديث عبد الله . وانظر الألف المختارة ٧٥٦ .

(٣) فى إعراب الحماسة : « أى مقترناً بالسوءة » .

* جمعت وفحشًا غِيبةً ونميمة[١] *

وقول الآخر :

* ولا أُلقِّبه والسَّوءَةَ اللَّقَبا *

على رواية نصب السوءة واللقب ، أراد : ولا أُلقِّبه اللَّقَبَ والسوءة أى مع السَّوءة ، لأنَّ من اللقب ما يكون لغير سَوءة ، كتلقيب الصِّدِّيق عتيقًا لعَتاقة وجهه ، فلهذا قال الشاعر : ولا أُلقِّبه اللقب مع السوءة ، أى إنْ لقَّبته لقَّبته بغير سوءة . قال الشيخ – يعنى والده – ولا حجَّة لابن جنى فى البيتين ، لإمكان جعل الواو فيهما عاطفةً قدِّمت هى ومعطوفها ، وذلك فى البيت الأوّل ظاهر ، وأمَّا فى البيت الثانى فعلى أن يكون أصله ولا أُلقِّبه اللقبَ وأسوءُه السَّوءة ، ثم حذفَ ناصب السَّوءة كما حذف ناصب العُيون من قوله :

* فزجَّجن الحواجبَ والعيونا[٢] *

ثم قدَّم العاطف ومعمول الفعل المحذوف . ا هـ .

وأمَّا على رواية رفع القافية فالسَّوءة مرفوعةٌ على الابتداء واللقبُ الخبر ، والجملة حال من الهاء . والسوءة بالفتح : اللَّفظة القبيحة . وقال العينى على رواية نصب القافيتين : ويجوز أن يكون انتصاب السوءة على المعنى ، يعمل فيه معنى لا أُلقِّبه ، فيكون على هذا من باب :

---

(١) هو الشاهد ١٨٠ من الخزانة ٣ : ١٣٠ . وعجزه :

* ثلاث خلال لست عنها بمرعوى *

(٢) للراعى فى ديوانه ١٥٦ . وانظر معجم الشواهد . وصدره :

* إذا ما الغانيـــات برزن يوماً *

والرواية المعروفة : « وزججن » ، لكن هكذا ورد فى النسختين .

ياليتَ بعلكِ قد غَــدَا متقلِّدًا سيفًــا ورُمْحا(١)

٧ وإن رُفِعَ فارتفاعه يجوز أن يكون بالابتداء ويكون الخبر مضمرًا ، كأنه قال : والسوءة ذاك . يعنى إن لقّبْته والفحْشُ فيه . ويجوز أن يكون مبتدأً وخبره اللَّقبا ، يكون مصدرًا كالجمَزَى . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنَّه قال : لا أَلقّبه اللقبا ، وهو السوءة . ا هـ .

وهذه الاحتمالات لا فائدة فيها سوى تسويدِ الورق . على أنَّ اللَّقبا بالأَلف مقصورًا غير موجود .

وقوله : « أَكنيهِ حينَ أُناديهِ » العربُ إذا أَرادت تعظيمَ المخاطب خاطبَتْه بالكُنية وعدلَتْ عن التصريح باسمه . وصفَ الشاعرُ نفسَه بحُسن العشرة مع صاحبه .

وقوله : (كذاك أُدّبت(٢)) هو بالبناء للمفعول ، والكاف هنا اسمٌ مفعول مطلق ، أى أُدِّبت تأْديبًا مثلَ ذلك ، والإشارة إلى البيت الأَوَّل . وحَتَّى ابتدائية كقوله تعالى: ﴿ حتَّى عَفَوْا(٣) ﴾ ، واسم صارَ الضميرُ المستتر فيها العائدُ إلى الأَدبِ المفهوم من أُدّبت . (ومن خُلقى) خبر صار . وقوله : (إنِّى وجدتُ) بكسر الهمزة استئناف ، أَرسلَه مثلا . وقال العينى : الكاف للتشبيه ، أَى كمثل الأَدب المذكور . وحتى للغاية بمعنى إلى . ومِنْ متعلّق بصار . وقوله (أَنِّى وجدت) بفتح الهمزة فاعل صار . هذا كلامه ، وفيه خللٌ من وجوه .

---

(١) لعبد الله بن الزبعرى فى الكامل ١٨٩ ، ٢٠٩ والمقتضب ٢ : ٥١ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) فى النسختين : « كذلك أدبت » ، صوابه ما أثبت ، لئلا ينكسر الوزن .

(٣) الآية ٩٥ من سورة الأعراف .

قال الجوهرى : مِلَاك الأَمر ومَلَاكُه ، أَى بالكسر والفتح : ما يقوم به . والشِّيمة ، بالكسر : الخُلق. والأَدبُ الذى تَعرفه العربُ، هو ما يحسُنُ من الأَخلاقِ وفعلِ المكارم ، مثل ترك السَّفَهِ ، وبَذْل المجهود ، وحُسْن اللقاء .

والنَّصب والرفعُ فى قافيتى البيتين رواهما ابن جنى والطَّبرسى ، مِن شُرّاح الحماسة .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد السبعمائة[1] :

٧١٤ (أَرجُو وآمُلُ أَن تَدْنُو مَوَدَّتُها

ومــا إخــالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تنــويلُ)

على أَنَّه قد أَلغى (إخال) عن العمل مع تقدُّمه .

وقال ابن هشام (فى شرح بانت سعاد) : وجه إلغاء إخال هنا عدمُ تصدُّرها ، فإنَّ حرف النفى لمَّا تقدَّمها أَزال عنها التصدُّر المحض ، فسهَّل إلغاءَها كما سهَّل إلغاءَ ظننت تقدُّمُ متى وإنِّى فى : متى ظننت زيدٌ منطلق ، وقولِ الحماسى :

* إنِّى وجدت مِلاكُ الشِّيمة الأَدبُ[2] *

أَو يكون الإلغاءُ على تقدير حرف النفى داخلاً على الجملة الاسمية ، وتقدير إخال معترضةً بينهما . ا هـ .

---

(١) العينى ٤ : ٤١٢ ، والتصريح ١ : ٢٥٨ والهمع ١ : ٥٣ ، ١٥٣ والأشمونى ٢ : ٢٩ وديوان كعب بن زهير ٩ وشرح بانت سعاد ٤٠ وسيرة ابن هشام ٨٩٠ وابن سيد الناس ٢ : ٢١٠ .
(٢) انظر الشاهد السابق .

ويجوز أن يخرَّج أيضاً كالذى قبله إمَّا على تقدير لام الابتداء ، أو على تقدير ضمير الشأْن ، فيكون على الأَوَّل معلَّقا عن العمل فى اللفظ ، ويكون جملة «لدينا منك تنويل» فى موضع المفعولين . وعلى الثانى تكون عاملةً لفظاً ويكون مفعولها ضميرَ الشأْن المحذوف ، أى ما إخاله ، وجملة لدينا منك تنويل فى موضع المفعول الثانى . وقد تقدَّم الفرق بين الإلغاء والتعليق(١) . ويظهر كونُ التعليق هو العملُ فى محلٍّ الجملة من عطف شىءٍ على الجملة المعلَّقة ، فإنَّه يُعرب بإعرابها المحلِّى ، كقول كُثَيِّر :

وما كنتُ أدرِى قبـــل عَزَّةَ ما البـــكا
ولا مُوجعـــاتِ القلبِ حتَّى تولَّتِ

فعطف موجعاتٍ بالنصبِ على محلِّ ما البكا ، وهذا على تقدير اسميَّةِ ما . فإنْ كانت حرفًا زائدًا فأَدرِى بمعنى أعرِف ، والبكا مفعوله ، ولا يكون ممَّا نحن فيه .

قال ابن هشام (فى المغنى) : رأَيت بخط الإمام بهاءِ الدين بن النحَّاس: أَقمتُ مدَّة أَقول : القياسُ جواز العطف على محلِّ الجملة المعلَّق عنها بالنصب . ثم رأَيته منصوصاً . ا هـ .

وممن نصَّ عليه ابن مالك ، ولا وجه للتوقُّف فيه مع قولهم إنَّ المعلَّق عاملٌ فى المحلّ . ا هـ .

وخرَّجها ابن إياز على الإعمال من غير تعليق بتكلُّف ، بجعل ما موصولة اسمية . حكاه عنه أَحمد بن محمد بن الحداد البَجَلى

---

(١) انظر ما سبق فى ص١٤٠ .
(٢) ديوان كثير ٩٥ ، والعينى ٢ : ٤٠٨ ، والمغنى ٤١٩ .

البغدادى (فى شرح قصيدة بانت سعاد) . وكان تاريخ شرحه فى بغداد سنة أَربع وعشرين وسبعمائة . قال فى شرحه[١] : وقال ابن إياز[٢] الرُّومى: يجوز فيه وجهٌ آخر ، وهو أَن تكون ما موصولة وموضعها رفعٌ بالابتداء ومفعول إخال الأَوَّل محذوف ، وهو العائد إلى ما ، ومنكِ المفعول الثانى ، وتنويل خبر المبتدأ . انتهى كلامه .

قلت : (ولدينا) فى هذا الوجه والذى قبله ، وهو تقدير ضمير الشأْن : ظرفٌ لإخالُ . ومعنى البيت على هذا الوجه : إنّ الذى أَظنُّه وإخاله من وصالها المقدَّر يجرى عندى مجرى الوصل المحقَّق ، من فرط المحبَّة .

وقد أَبان التِّهامى عن هذا المعنى فبالغَ وأَحسنَ بقوله :

أَهتزُّ عنــد تمنِّى وصْلِها طَربًا ... ورُبَّ أُمنيَّةٍ أَحلَى من الظَّفَــرِ[٣]

وابنُ الخيَّاط الدِّمشقى عكَسَ هذا المعنى وردَّه على معتقِدِه ، بقوله :

أُمنِّى النَّفسَ وصــلاً من سُــعادِ ... وأَين من المُنى دَرْك المُــرادِ[٤]

وهذا قولُ من لا يقنع بدون الوصال ، ولا يسوِّف نفسَه بالمحال . وأَين هوَ من قناعة الآخر بالنَّيِّر[٥] ، حين بالغ بقوله :

أَلستُ أَرى النجمَ الذى هو طالعٌ ... عليها وهذا للمُحبِّين مَقْنَــعُ

---

(١) ط : « شارحه » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٢) ابن إياز هو الحسين بن بدر بن إياز . ولى مشيخة النحو فى المستنصرية . وقال الشرف الدمياطى : رأيته شاباً فى زى أولاد الأجناد يقرأ النحو على سعد بن أحمد البينانى . وقال أبو حيان : ابن إياز أبو تعاليل . توفى سنة ٦٨١ . بغية الوعاة ٢٣٢ .

(٣) ديوان التهامى ٤١ . وبعده :

تجنى علىّ وأجــنى من مراشفهـــا ... فى الجنى والجنايات انقضى عمــرى

(٤) ط : « من سعادا » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

(٥) يعنى النجم المضىء .

انتهى كلام البغدادى .

وهذا البيت (من قصيدةِ بانت سعادة المشهورة) فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أورد الشارح بيتًا آخر منها فى حروف الشرط فى أواخر الكتابِ . وقد اعتَنى بشرحها أجِلَّةُ العلماءِ ، والذى يحضُرنى من شروحها الآنَ شرحُ أبى العباس الأحول مع شرح جميع ديوانه ، وهو عندى بخطِّه . وشرحُ أبى عبد اللهِ نِفطَويه النَّحوى . وشرحأبى بكر بن الأنبارى ، وهو شرحٌ صغيرٌ قليل الجدوى . وشرح البغدادى المذكور ، وشرح ابن هشامٍ الأنصاريِ ، وهما أجلُّ الشُّروح . لكنَّ شرح البغدادِى أكثر استنباطًا لمعانى الشعر ، وأدقُّ تفتيشًا للمزايا والنُّكت . وشرح ابن هشام أوعَى منه للمسائل النحويَّة وتفسير الألفاظ اللغويّة ، وكلٌّ منهما فى حجم الآخر ، ، وعصر تأليفهما متقارب .

وهذا البيت لم يردْ فى رواية نِفطويه ، ورواه أبو العبّاس الأحولُ كذا :

أَرجُو وآمُل أن يَعْجَلْنَ فى أَبَدٍ ومالهنَّ طَوَالَ الدهر تعجيـــلُ

وعليه لاشاهد فيه . قال الأحول : فى أبد : فى دهرٍ . ويروى :

* ومالنا عندهنَّ اليوم تعجيلُ *

أى لا يُعجِّلن وصلنَا فى الرواية الأُولى . يقول : آملُ وأرجو وما أظنُّ ذلكِ يكون أبداً . انتهى كلامه .

وضبط بخطِّه «يَعْجَلْنَ» بفتح الياءِ والجيم، على أنَّه مبنى للفاعل . وطَوَالَ بفتح الطاءِ على أنَّه ظرف بمعنى طُولَ الدَّهر ، ولكن لم يتقدَّم لضمير جمع المؤنث مرجع . فإنْ قلنا إنّ المرجع سعاد ، وإنّ جمع الضمير

للتعظيم ، ورَدَ أنَّ إرجاع ضمير الجمع إلى الواحد إنَّما هو فى التكلُّم
٩ والخطاب ، وقد ورد تعظيمُ الغائب قليلا . قال البيضاوى ، فى تفسير قوله تعالى: ﴿ مِنْ فِرْعَونَ ومَلَئِهِم[1] ﴾ من سورة يونس : والضمير لفرعون، وجَمَعَه على ما هو المعتاد فى ضمير العُظَماء . لكن استَشْكله شُرَّاحه . قال سَعْدىّ : أىُّ قدْرٍ لفرعونَ عند الله حتَّى يعبَّر عنه بصيغة التعظيم . نعم لو كان هذا من كلام مَنْ يعظِّم فرعونَ لكان له وجه .

وكذا قال الكازرونى .

وأورد البغدادى[2] هذه الرِّواية[3] وقال : الضمير فى يَعْجلْن ولهنَّ لمواعيدها فى البيت الذى قبله ، وهو :

كانَتْ مَواعِيدُ عرقوبٍ لها مَثَلًا
وما مواعيدُها إلاَّ الأَباطيلُ

ويَعْجَلن من العَجلة ، وهو خلاف البُطء ، يقال عاجَله وأَعجله ، إذا سبَقَه . وعَجِل هو يعجل من باب فرح . والأَبد : الدَّهر . يقول : أَرجو أَن تَسبِق مواعيدُها ويُسْرِع إنجازها فى دهرٍ من الدُّهور ، ولا يحصل ذلك . والرواية الأُولى أشهر . ا هـ .

ورواه ابن سيِّد الناس (فى سيرته) ، تبعاً لسيرة ابن هشام :

أَرجُو وآمُل أَن يَعْجَلْن فى أَمَدٍ وما لهنَّ إخالُ الدَّهرَ تعجيلُ

وقوله : (أَرجو وآمُل) الخ أَرجو معفاعله المستتر جملةٌ استئنافيَّة ،

---

(١) الآية ٨٣ من سورة يونس .
(٢) هو شارح بانت سعاد ، أحمد بن محمد بن الحداد ، السابق الذكر .
(٣) ط : « فى هذه الرواية » ، صوابه فى ش .

لا تعلُّقَ لها [١] بما قبلها ، وهو البيت الذى نقلناه . وآمُل معطوف عليه ، وهو بمعناه ، وحَسُنَ العطفُ لتغاير اللفظين ، وعطف المترادفين لا يكون إلّا بالواو . وقال البغدادىّ : وبعضهم فَرَق بينهما بأَنَّ الرجاءَ توقُّع حُصولِ مطلوب فى المستقبل مع خوفِ عدمِ وقُوعه . والأَملِ : طلبُ حصولِ ما يَغلِب وقوعُه فى ظنّ الطالب لتعلُّقه به . وإنْ لم يقارنْه خوفُ عَدَمِ الوُقوع . وقال صاحب المصباح : أَمَلْتُه أملاً من باب طَلَب ، وهو ضدُّ اليأْس . وأَكثر ما يُستعمَل الأَملُ فيما يُستبعَدُ حصوله . قال :

* أَرجو وآمُلُ أَن تَدنُو مودَّتُها *

ومَن عزم على سفرٍ إلى بلد بعيد يقول : أَمَلْتُ الوصولَ ، ولا يقول طمِعت إلاَّ إذا قرُب منها ، فإنَّ الطمع لا يكون إلاَّ فيما قُربَ حصولُه . وقد يكون الأَمل بمعنى الطَّمع . والرَّجاءُ بين الأَمَل والطمع ، فإنَّ الرَّاجىَ [٢] قد يَخافُ أَن لا يحصل مأْمولُه ، فلهذا يستعمل بمعنى الخوف . فإنْ قوِىَ الخوفَ استُعمِل استعمال الأَمل ، وعليه بيت كعب . وإلاَّ استُعمِل بمعنى الطَّمع ، فأَنا آملٌ وهو مأْمول . وأَمَّلته تأْميلا مبالغةٌ وتكثير ، وهو أَكثر استعمالاً من المخفَّف . ا هـ .

وفى المجلس الثامن والخمسين (من أَمالى ابن الشجرىِّ البغدادى) أَنَّه استُفْتِىَ عَن مسائل ، منها : هل يأْمل ومأْمول وما تصرَّف منها جائز ؟ فأَجاب عنها أَوَّلا الحسنُ بن صافى المكنَّى أَبا نزار ، المتلقِّب بملك النحاة بأَنَّ أَمل يأْمُل لا يجوز ، لأَنَّ الفعل المضارع إذا كان على يفعل بضم العين كان بابه أَنَّ ماضيَه على فعَل بفتح العين ، وأَمَل لم أَسمعْه فعلاً

---

(١) ط : « لا تتعلق لها » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « الرجاء » ، صوابه فى المصباح وش مع أثر تصحيح فيها .

ماضياً . فإن قيل : فقدِّرْ أنَّ يأْمُل مضارع ولم يأت ماضيه ، كما أنَّ يذر ويدَعُ كذلك . قلت : قد عُلِم أنَّ يذر ويدع على هذه القضيَّة قد جاءَا شاذَّين ، فلو كان معهما كلمة أُخرى شاذَّة لنُقِلتْ نقلَهما[(١)] ولم يجز أن لا تنقل . وما سمعنا أنَّ ذلك ملحقٌ بما ذكرنا ، فلا يجوز يأْمُل ولا مأْمول ، إلَّا أن يُسمِعنى الثقةُ أَمَل خفيفة الميم . كتبه أبو نزار النحوى .

قال ابن الشجرىّ : وأجاب عنه الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد: وأمَّا أمل يأْمُل ، فهو آمل ، والمفعول مأْمول . فلا ريبَ فى جوازه عند العلماء وقد حكاه الثِّقات ، منهم الخليل وغيره ، والشاهد عليه كثير . قال بعض المعمَّرين[(٢)] :

المرءُ يأْمُل أنْ يعيـ ... شَ وطولُ عيْشٍ قد يضرُّه

وقال الآخر[(٣)] :

ها أَنا ذا آمُل الخلودَ وقَدْ ... أدركَ عَقْلِى ومَوْلِدِى حُجُرا

وقال كعب بن زهير :

* والعفو عند رسول الله مأْمُولُ *

وقال المتنبى ، وهو من العلماء بالعربيَّة :

* حُرِموا الذى أَمَلُوا[(٤)] *

كتبه موهوب بن أحمد .

(١) فى النسختين : « لم تنقل نقلهما » ، صوابه من أمالى الشجرى ٢ : ١١٧ .
(٢) هو النابغة الجعدى ، ديوانه ١٩١ . وانظر معجم الشواهد .
(٣) هو الربيع بن ضبع . المعمرين ٧ ونوادر أبى زيد ١٥٩ .
(٤) يبدو أنه صدر بيت له ، فإنى لم أجده فى قوافى اللام .

وكتب على هامش الأَمالى هنا أَبو اليُمْن الكندى البغدادى : قد جاء أَمَل مخفَّفاً ماضياً فى شعر ذى الرمة ، وهو قوله :

إذا الصيفُ أَجلَى عن تَشَاءٍ من النَّــوَى
أَمَلْتُ اجتماعَ الحىِّ فى صيفِ قابِلِ[1]

ولا غَرْوَ أَن لا يحضر الشاهدُ للإنسان وقتَ طلبه .

وهذا البيت ذكره أَبو حنيفة الدينورى (فى كتابه فى الأَنواءِ) ، وذكره ابن جنى (فى الخاطريات) . وهو فى ديوان ذى الرمة مشهور. اهـ.

وأَجاب ابن الشجرى بقوله : وأَمَّا قوله فى أَمَل وآمُل، أَنَّهما لايجوزان عنده ، لأَنَّه لم يُسمع فى الماضى منهما أَمَل خفيف الميم ، فليت شعرى ما الذى سَمِع من اللغة ووَعاه حتَّى أنكر أَنْ يفوتَه هذا الحرف ، وإنَّما يُنكِر مثلَ هذا مَن أَنعم النظر فى كتب اللغة كلِّها[2] ، ووقف على تركيب أَمل[3] (فى كتاب العين للخليل) ، و (كتاب الجمهرة لابن دريد) ، و (المجمل لابن فارس) ، و (ديوان الأَدب للفارابى) ، و (كتاب الصحاح للجوهرى) ، وغير ذلك من كتب اللغة . فإذا وقفَ على أُمَّهاتِ كتبِ هذا العلم التى استوعبَ كلُّ كتاب منها اللُّغةَ أَو مُعظمَها ، فرأَى أَنَّ هذا الحرف قد فات أُولئك الأَعيان ، ثم سمِع قول كعب بن زهير :

---

(١) التشائى : التفرق والاختلاف . ومنه قوله :

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط   لمروان صدعاً بيننا متشائيا

وفى ط : « عن شتاء » ، وفى ش : « تناء » ، وصواب الرواية من الديوان ٤٩٤ . ورواية الديوان أيضاً : « أملنا » بضمير الجماعة .

(٢) ط : « فى كتب العربية كلها » ، وأثبت ما فى ش وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٢٢ .

(٣) هذا رسم ش وأمالى ابن الشجرى ، ورسمت فى ط : « أمل » .

* والعفو عند رسول الله مأمولُ *

سلَّم لكعب وأذعَنَ له صاغرًا ، فكيف يقول من لم يتولَّج سمعَه عشرةُ أسطرٍ من هذه الكتب التى ذكرتُها : لم أسمع أَمَل ، ولم أسلِّم أنْ يقال مأمول . وأمَّا قوله : إنَّه لا يجوز يأْمُل ولا مأْمول إلَّا أن يُسمِعَنى الثقة أَمَل ، فقولُ من لم يعلم بأنَّهم قالوا فقير ولم يقولوا فى ماضيه فَقَر ولم يأْتِ فعلُه إلَّا بالزيادة ، أفترَاهُ يُنكر أن يقال فقير ، لأنَّ الثقة لم يُسمعه فَقَر ؟ !ولعلَّه يجحد أن يكونوا نطقوا بفقير وقد ورد به القرآن فى قوله جل ثناؤه : ﴿ إنِّى لمَا أنزلتَ إلَىَّ من خيرٍ فقيرٌ[(١)] ﴾. وهل إنكار فقير إلَّا كإنكار مأْمول ، بل إنكار فقير عنده أوجب ، لأنَّهم لم يقولوا فى ماضيه إلا افتقر ، ومأْمول قد نطقوا بماضيه بغير زيادة. انتهى كلام ابن الشجرى .

وقد نقل ابن هشام (فى شرح هذه القصيدة) السؤال والجوابين باختصار ، ثم قال : ومن الغريب أنَّ هذين الإمامين لم يستدلاً على مجىء آمل بالبيتين فى هذه القصيدة ، أحدهما البيت الشاهد ، وثانيهما قوله :

* وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمُله[(٢)] *

بل تكلَّف ابن الجواليقى وأنشد قولَ شاعرٍ آخر .

وقول ابن الشجرى إنَّه لم يسمع فقر اعتمد فيه على كلام سيبويه والأكثرين . وذكر ابنُ مالكٍ أنَّ جماعة من أئمة اللغة نقلوا مجىء

---

(١) الآية ٢٤ من سورة القصص .

(٢) عجزه كما فى ديوان كعب وشرح بانت سعاد ٧١ :

* لا ألفينك إنى عنك مشغول *

ويروى : « لا ألهينك » .

فقرُ وفَقِرَ، بالضم والكسر . وأَنَّ قولهم فى التعجب ما أَفقَره مبنىٌّ على ذلك، وليس بشاذٍ كما زعموا . ا هـ .

وقوله : (أَن تدنو) سكنت الواو للضرورة. أَو أُهملت أَنْ حَملًا على «ما المصدريَّة . وهى مع مدخولها فى تـأْويل مفرد منصوب ، تنازعه الفِعلان ، ١١ فأُعمل الثانى وحذف مفعول الأَوّل كما هو الأَولَى عند البصريين . و (مودَّتها) فاعل تدنو . والضمير لسعاد . والمودّة : مراعاة الصُّحبة .

وقوله : (وما إخال) الواو للاستئناف. وكسْرُ همزَة إخال فصيحٌ استعمالًا شاذٌّ قياسًا ، وفتحها لغة أَسد .وقوله: (لدينا منكِ تنويل) قال البغدادى : تنويل مبتدأٌ ولدينا خبره ، ومِنك : حال من تنويل ، وكان صِفتَه فلمَّا تقدَّمه صار حالاً منه . ومِنْ فيه لابتداءِ الغاية . ولدى : ظرف مكان غير متمكِّن بمنزلة عندَ ، لا يُجَرُّ إِلَّا بمن . وتنويل : تفعيل من النَّوال ، وهو العطاءُ ، وكأَنَّه كنى به عن وصلها . وفى منكِ التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . ا هـ .

وجوَّز ابن هشام ارتفاع تنويل بـأَحد الظَّرْفين ، لاعتماده على النَّفى ، وتكون جملة إخال معترضةً كقوله :

* ما خِلتُنى زلتُ بعدَكم ضَمِنًا[1] *

ولم يبيِّن ما موضع الظرف الآخر من الإعراب ، وجوَّز أَيضاً أَن يكون كلٌّ منهما أَو كلاهما خبراً عنتنويل ، والمسوّغ إمّا تقدُّم النفى[2] ، أَو

(١) فى النسختين : « ظمأ » ، صوابه فى شرح ابن هشام لبانت سعاد ٤٢ والعينى ٢ : ٣٦٨ والتصريح ١ : ٢٤٩ ، واللسان (ضمن ١٢٩) . وعجزه :

* أشكو إليكم حموة الألم *

والضمن كالزمن بكسر الميم ، وزناً ومعنى .

(٢) ط : « ما تقدم النفى » ، صوابه فى ش .

تقدُّم الخبر. وإذا قدِّر الظرفان خبرين قدِّر لكلٍّ منهما متعلِّق يخصُّه . وإذا قدّر الخبر الأَول فالظرف الثانى إمَّا متعلق به أَو بمتعلَّقه المحذوف على الخلاف المشهور فى أنَّ العمل للظرف أو للاستقرار . وإمَّا حالٌ فيتعلَّق بمحذوف ، وصاحبُ الحال إمَّا الضمير المستتر فى الظرف الأَوّل ، لأَنَّ الصحيح أنْ الظرف يتحمَّل ضميراً منتقِلاً إليه من الاستقرار المحذوف . وإمَّا نفس التنويل ، وعامله على هذا الاستقرارُ المقدَّر لا الابتداءُ ، لأَنَّ الحال إنَّما يعمل فيها الفعل أَو شبهه أَو معناه . وإذا قدر الخبر الظرف الثانى كان الظرف الأَوَّل متعلِّقاً به ، وجاز تقديمه عليه للاتِّساع فى الظَّرف .

وكعب بن زهير صحابىٌّ تقدَّم نسبه فى ترجمة والده فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[١] . كعب بن زهير

وقال ابن عبد البر (فى الاستيعاب) : كان كعبُ بن زهير شاعراً مُجوِّداً كثير الشعر ، مقدَّماً فى طبقته هو وأَخوه بُجير ، وكعبٌ أَشعرُهما ، وأَبوهما زهير فوقَهُمَا . قال خلفٌ الأَحمر : لولا قصائدُ لزُهير ما فضَّلته على ابنه كعب . ولكعبٍ ابنٌ شاعر اسمه عُقبة ولقَبُه المضرَّب ، لأَنَّه شبَّب بامرأَةٍ فضربه أَخوها بالسَّيْف ضَرَباتٍ كثيرة ، فلَم يَمُتْ . وله ابنٌ أَيضاً يقال له العوَّام ، شاعر .

ومما يُستجاد لكعب قوله :

لو كنتُ أَعجبُ من شىءٍ لأَعجَبنى
سَعْىُ الفتى وهو مخبوءٌ له القَــــدَرُ[٢]

(١) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .
(٢) ديوان كعب ٢٢٩ ، والشعراء ١٥٢ ، ومجموعة المعانى ٥ .

يسعَى الفتى لأُمـــور ليسَ يُدرِكُها
فالنَّفس واحــــدةٌ والهمُّ منتشرُ
والمــرءُ ما عاش ممــدودٌ له أملٌ
لا تنتهى العينُ حتَّــى ينتهــى الأثرُ

ومما يُستجاد له أيضًا :

إنْ كنتَ لا ترهَبُ ذمِّــى لِمَـــا
تعـرِفُ من صَفحى عن الجـاهِلِ[1]
فاخشَ سُــكوتى إذْ أنا منصِتٌ
فيــك لمسمــوعِ خَنــا القــائل
والسَّــامعُ الــذمِّ شــريكٌ له
ومُطعــم المأكــولِ كــالآكل
مَقــالةُ السَّــوْءِ إلى أهْلِهــا
أســـرعُ من مُنحــدِرٍ ســائلِ
ومن دعَـــا النَّـــاسَ إلى ذمِّـــه
ذمُّـــوه بالحـــقِّ وبالبــاطــل

١٢ وسببُ إسلام كعبٍ وخبرُ هذه القصيدة مذكورٌ فى كتب السِّيَر والأخبار ، لا سيَّما فى شرحَيْها للبغدادى وابن هشام .

(١) هذه الأبيات لم ترد فى ديوانه . ونسبت فى الأغانى ١٢ : ١٠ ولباب الآداب لأسامة ٣٦٠ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٥٥ إلى العتابى . ووردت فى الحيوان ١ : ١٥ وجمع الجواهر ٤ بدون نسبة . ووردت نسبتها إلى كعب هنا نقلا عن شرح بانت سعاد لابن هشام ٣ . ونسبت إلى محمد بن حازم الباهلى فى زهر الآداب ٤٩٧ .

وملخَّصه على ما نقله البغداديُّ عن أَبى عمرو بن العلاء : أَنَّ زهيرًا قال لبنيه : إنِّى رأيتُ فى منامى سبباً دُلِّىَ من السماء إلى الأَرض ، فمددت يدى لأَتناولَه ففاتَنى . فأَوَّلته بالنبىِّ الذى يُبعَثُ فى هذا الزَّمان وأَنِّى لا أُدركُه ، فمن أَدرَكَه منكم فليؤمنْ به . فلمَّا بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم آمن بُجَير بن زُهير ، وأَقام كعبٌ على الكفر والتَّشبيب بنساءِ المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن وَقَع كعبُ ابنُ زهير فى يَدِى لأَقطعَنَّ لِسانه » .

وكتب كعب أَبياتاً أَرسلها إلى بُجير يوبِّخه على إسلامه . فكتب بجير إلى كعب : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَهدر دمَك ، فإنْ أَسلمْتَ ولقِيتَه مُسْلماً طَمِعت لك فى النَّجاة ، وإلَّا فإنِّى أَحسَبُك لا تنجو ! فأَسلم كعبٌ وقدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَنشدَهُ هذه القصيدة ، فأَمَّنه النبىُّ صلى الله عليه وسلم وأَجازَه بُرْدَتَه الشَّريفة التى بيعَتْ بالثَّمن الجزيل ، حتَّى بيعت فى أَيَّام المنصور الخليفة بمبلغ أَربعين أَلفَ دِرْهم ، وبقيت فى خزائن بنى العبَّاس إلى أَن وَصَلَ المُغُول وجرى ما جرى . والله أَعلمُ بحقيقة الحال .

* * *

وأَنشد بعده :

(إنَّ من يدخُلِ الكنيسةَ يومًا يَلْقَ فيها جَاذِرًا وظِباءَ)

على أَنَّ اسم إنَّ ضمير الشأْن ، حذف لضرورة الشعر ، والتقدير إنَّه من يدخل إلخ .

وهذا البيت قد تقدَّم شرحه فى الشاهد الثامن والسبعين[1] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٤٥٧ – ٤٦٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد السبعمائة[(١)] :

٧١٥ (ولستم فاعِلين إخالُ حَتَّى   ينالَ أَقاصِيَ الحَطَبِ الْوَقُودُ)

على أنَّ إخال الملغاة وقعت مُعترَضًا بها بين اسم الفاعل وهو فاعِلِينَ ، وبين معموله وهو حتَّى ، فإنّها جارَّة بمعنى إلى متعلِّقة به . وينالَ منصوب بأَنْ مضمرة بعدها .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ ستَّة لعَقيل بن عُلَّفة ، أوردها أبو تمام (فى الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(تَناهَوْا واْسأَلوا ابنَ أَبى لبيدِ
أَأَعتَبه الضُّبارمة النجيدُ[(٢)]
ولستم فاعِلينَ إخال حتَّى
ينالَ أَقاصىَ الحطب الوقُودُ
وأَبغَضُ مَن وضَعت إلىّ فيه
لسانى ، مَعشرٌ عنهم أَذودُ
ولستُ بسائلٍ جاراتِ بيتى
أَغُيّابٌ رِجالُكِ أَم شهودُ
ولست بصادرٍ عن بيت جارى
صُدورَ العَيْر غَمَّره الورودُ
ولا مُلْقٍ لذى الودَعاتِ سَوطى
أُلاعبُه وريبتَهُ أُرِيدُ[(٣)])

---

(١) الحماسة ٤٠١ بشرح المرزوقى و ١ : ٣٧٧ بشرح التبريزى ، واللآلى ١٨٥ .
(٢) فى هذا البيت إقواء فى التصريع . وانظر العمدة ١ : ١١٦ .
(٣) فى السمط : « ولا ألق » . ويروى : « لأهيه » . ويروى : « وربته أريد » أى ربة ذى الودعات ، يعنى أمه .

(فى شرح التبريزى) : البيتان الأَخيران لابن أَبى نُمير القَتَّالى ، من بنى مُرّة ، جاءَ بهما أَبو تمام ضَلَّةً فى هذه الأَبيات وليستا منها . وكذا قال أَبو عبيد البكرى (فى اللآلى شرح أمالى القالى) نقلا عن أبى [الفضل[1]] الرياشى.

قوله : «تناهَوْا واسأَلوا» الخ ، كلاهما فعل أَمر من النَّهى والسُّؤال. والضُّبارمة ، بضمّ المعجمة بعدها موحَّدة ، هو الجرىءُ على الأَعداءِ . ويسمَّى ١٣
الأَسد ضُبارمة . ويقال : هو الأَسَد الوثيق الخلْق الكثيرُ اللَّحْم . والنَّجيد : ذُو النجدة ، وهو البأْس والشِّدَّة . وأَعتَبه بمعنى أَرضاه . وليس يريد الرِّضا ، ولكن يريد : هل جازيتُه بما فعَل لى ؟ لأَنَّه لمَّا جنى عليه فكأَنَّه استدعَى شرَّه كما يَستدعِى الرَّجلُ العُتبَى من صاحبه . يقول : كفُّوا عمَّا أَنتم عليه من تهييج الشرّ ، واسأَلوا هذا الرجلَ هل أَرضاهُ الأَسدُ القوىُّ الشَّديدُ لمَّا تحكَّك به ، وهل وفَّاه ما استحقَّه عليه ، كابن أَبى لبيد ، كان أَجدرَ منهم بأَن ينال البُغية منه ، لشدَّة شكيمته وقوّتهِ فأَخفق . يقول : سلوه عن وِتْره عنده هل نقضَه؟ ثم ليَنْهَكُم ذلك عن الجَراءَة على مثلى .

وقوله : « ولستم فاعلين » الخ ، حذف مفعول فاعِلِين ، وهو ما دلَّ عليه فى البيت قبله « تناهَوْا » كأَنَّه قال : ولستم فاعلين التَّناهىَ . والوُقود بالضم : إيقاد النار ، وبالفتح : الحطب . والأَقصى : الأَبعد . وهذا مثَلٌ تمثَّل به فى انتهاءِ الشر . يقول : لستم متناهين عمَّا أَكرهُه منكم حتَّى يعمَّكم الشرُّ ويبلغَ البلاءُ أَقصى المبلغ ، فيتعدَّى من الأَقارب إلى الأَباعد ، ومن السَّقيم إلى البرىء . وذكرَ الحطبَ والوقودَ هنا مثلاً لتفاقم الشَّرِّ واتِّساع المكروه .

(١) ساقطة من النسختين ، وهو العباس بن الفرج الرياشى ، تلميذ المازنى فى النحو وأستاذه فى اللغة ، وروى عنه المبرد وابن دريد . توفى مقتولا سنة ٢٥٧ . إنباه الرواة ٣ : ٣٦٧ — ٣٧٣ وبغية الوعاة ٢٧٦ .

وقوله : « وأبغَضُ من وضَعْتُ» إلخ ، فيه تقديمٌ وتأْخير ، وأصله : وأبغض مَن وضعت لسانى فيه إلىَّ معشرٌ أَذُودُ عنهم ، أى أبغض الأَشياء إلىَّ أن أهجُوَ معشرى الذين يلزمنى الذبُّ عنهم ، فمن هنا نكرة موصوفة ، وصفته الجملة التى هى وضَعْتُ لسانى فيه ، وقد فصل بينهما بقوله « إلىَّ » وهو أجنبىٌّ منها . وهذا فى الصِّفة أقربَ منه فى الصِّلة .

وقوله : « ولست بسائل » إلخ ، كنى فى البيت عن عِفَّته . يقول : لا أُكلِّم جارتى لأنِّى أَصونها عن الكلام . ويجوز أن يكون تعريضاً للذى يهجوه ، أى لا أَغتنم الخلوة لجارات بيتى فأَتطلَّب غيبةَ رجالهنَّ عنهنّ .

وقوله : « ولست بصادر » إلخ، يقول : إذا دعانى الجارُ إلى بيته يكرمنى ببرِّه لا أَصدُر عن بيته والطمعُ فى مالِه بحاله ، كما يصدر العَيْر عن الماء وقد غمَّره الورود . والتَّغْمير[١] كالتصريد ، وهو شربٌ دون الرىّ ، ومنه الغُمَر للقَدَح الصَّغير . وقيل فى غمَّره إنَّه بمعنى أَرواه من الغَمْر وهو الماءُ الكثير ، فيكون المعنى : لا أَتهالك على طعامه كالمنهوم الخسيس الهمَّة ، لكنَّنى آكلُ أَكلاً كريماً . والمعنى الأَوَّلُ أَوجَه . وقيل : معناه إنِّى لا أُصدُر عن بيته ونفسى تدعونى إلى صاحبة البيت ، لأَنِّى رجعتُ مسرعًا حين علمتُ بمكان جارى عنه[٢] ، كما يفعل العَير إذا أَحسَّ بالقانص .

وقوله : « ولا مُلْقٍ لذى الوَدَعات » إلخ ، الوَدَعة : الخَرَزة تُعلَّق فى عُنُق الصبى ، أى لا أَشغَل الصَّبىَّ ذا الودعات بسوطى[٣] وأنا أُريد

---

(١) ط : « والتغمر » ، صوابه فى ش .

(٢) كذا فى النسختين ؛ فيكون المعنى رجعت مسرعاً عن البيت .

(٣) ط : « بصوطى » ، صوابه فى ش .

ربيته ، أى ربيبة أمّه . ويروى : « ورَبَّتَهُ أُريد » وعلى هذا فالمراد أُمُّه لأنَّها تَرُبُّه وتملِك أمره . ويجوز أن يريد بذى الودعات ابن أَمَة ويريد بربَّته مولاتَه . وجملة ألاعبه حال .

وعَقيل بنُ علَّفة شاعرٌ إسلامىّ فى الدَّولة الإسلامية المروانية ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع والعشرين بعد الثلثمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

٧١٦ (ولقد عَلِمتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتى إنَّ المنايا لا تَطيش سِهامُها)

على أنَّ علم نزِّل منزلة القسم ، فيكون جملة لتأْتينَّ جوابَ القسم الذى هو علمتُ ، وحينئذ تخرج عمَّا نحن فيه فلا تقتضى معمولاً ١٤
ولا تتَّصف بعملٍ ولا تعليقٍ ولا إلغاء .

وهذا مأْخوذٌ من كلام سيبويه ؛ فإنَّه أورد هذا البيت فى باب أفعال القسم وقال : كأنَّه قال : والله لتأْتينَّ ، كما قال : قد علمت لعبد الله خيرٌ منك . اهـ .

ويجوز أن تبقى علم هنا على بابها ، وتكون معلَّقة بلام القسَم ، فيكون جملة لتأْتِيَنَّ منيَّتى جوابًا لقسمٍ محذوف تقديره : ولقد علمت واللهِ لتأْتينَّ منيَّتى . وجملتا القسم والجواب فى موقع نصب بعلمت المعلَّق .

(١) الخزانة ٤ : ٤٨١ – ٤٨٣ .
(٢) فى كتابه ١ : ٤٦٥ . وانظر المغنى ٤٠١ ، ٤٠٧ وشذور الذهب ٣٥٦ ، والعينى ٢ : ٤٠٥ ، والتصريح ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، والهمع ١ : ١٥٤ ، والأشمونى ٢ : ٣٠ .

وإلى هذا ذهب ابن الناظم (فى شرح الألفيَّة) قال : ومنها ، أى من المعلِّقات، لام الابتداءِ والقسم ، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِموا لَمَن اشْتَراه مَاله فى الآخرةِ مِنْ خَلاق[1]﴾ ، وكقول الشاعر :

ولقد علمتُ لَتَأْتِيَنَّ منيتى . . . . . . البيت

وقرَّره ابن هشام (فى شرح شواهده) ، وجوَّز الوجه الأَوَّلَ أَيضاً فيه ، ثم قال : ويأْتى الوجهان فى الآية الكريمة أيضاً .

والسابق إلى تجويز الوجهين فى الآية والبيتِ ابنُ جِنِّى (فى سر الصناعة) قال فيه : وأما قوله تعالى: ﴿ ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراه[1]﴾ الآية فاللام فى لقد لامُ القسم ، وهو محذوف ، والتقدير : والله لقد علموا . واللام فى لمن اشتراه لام الابتداء ، ومَنْ بمنزلة الذى مبتدأٌ ، وصلته اشتراه ، وماله فى الآخرة خبره ، والجملة فى موضع نصب بعلموا ، كما تقول : قد علمت لَزَيدٌ أفضل منك ، فلام الابتداءِ وهمزة الاستفهام فى التعليق سواءٌ . وهذا مذهب سيبويه . وذهب غيره إلى جعل مَنْ شرطاً وجعل اللام فيه كالتى تعترض زائدةً بين القسم والمقسم عليه ، فالتقدير : والله لقد علموا لئن أحدٌ اشتراه ماله فى الآخرة من خَلاق . وفى جَعْلِ مَن للشَّرط بعضُ الضعف ، وذلك أَنَّ عِلموا تقتضى مفعولها ، فإذا أوقعت القسمَ بعدَها صار التقدير : ولقد علموا أحلف بالله لئن اشتراه أحدٌ . وإذا تأَدَّى الأَمر إلى هذا قبُح أَن تلىَ علمتُ فعلَ القَسم ، لأَنَّها وأَخواتِها إنَّما يدخُلْن على المبتدإِ والخبر .

فإن قلت : فعلام تجيز كون مَن شرطاً وقد قدَّمتَ قُبح ذَلك ؟

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

فالجواب أنَّ جواز ذلك على أن تجعَل علموا نفسها قَسَماً . وقد استعملتها العرب بمعنى القسم . ومن أبيات الكتاب :

* ولقد علمت لتأْتينَّ منيَّتى *

فكأنَّه قال : والله لتأْتينَّ منيتى .

فإن قلت : فإذا جعلت علموا جاريًا مجرى القسم ، وعندك أنَّ اللام فى لقد دالَّةٌ على القسم المحذوف ، فكأنَّه عندك : والله لقد علموا ، وقولك لقد علموا جارٍ مجرى القسم ، فكيف يجوز على هذا دخول القَسَم على القَسَم ؟ أوَ لا ترى أنَّ الخليل وسيبويه ذهبا فى قوله تعالى : ﴿ والشَّمْسِ وضُحاها * والقَمَرِ إذَا تَلَاها[1] ﴾ أنَّ جميعَ ما بعد الواو الأُولى من الواواتِ إنَّما هو حرف عطف ، لئلاَّ يدخل قَسَمٌ على قسمٍ فيبقى الأوّل منهما غيرَ مجاب . فالجواب : أنَّ ذلك إنَّما جاز فى علموا من حيث كان إنَّما هو فى معنى القسم ، وليس قسماً صريحاً ، وإنَّما هو بمنزلة أشهد لقد كان كذا . فلأَجْل هذا جاز أن تكون[2] (مَنْ) فى ﴿لمن اشتراه﴾ شرطًا ، واللام فى أوّلها مؤكِّدة للشرط . فاعرف ذلك . ا هـ .

والبيت نسبه سيبويه (فى كتابه) للبيد ، والموجود فى معلَّقته إنَّما هو المصراع الثانى ، وصدره :

* صادَفْنَ منها غِرَّةً فأَصبنَه *

والنون من صادفن ضمير الذِّئاب ،وضمير منها ضمير البقَرة الوحشية، والهاءُ فى « أَصبنه » ضمير ولد البقرة . والمنية : الموت . وطاش السَّهم عن الرَّميَّة ، إذا وقع يمينَه أو شِمالَه ولم يصبْه .

---

(١) الآية الأولى والثانية من سورة الشمس .

(٢) ط : « يكون » .

ولم يوجد للبيدٍ فى ديوانه شعر على هذا الرَّوىّ غير المعلَّقة . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(. . . . . وإننى قَسَمًا إليكَ مع الصُّدودِ لأَمْيَلُ)

على أنَّ (لقد علمتُ) فى البيت السابق منزَّل منزلة القسم ، فصار كقوله : « قسما » فى هذا البيت ، وهو بتقدير أُقسم قسمًا . وقوله : «لأَمْيَل» خبر مبتدإٍ محذوف ، أى لأَنا أَميل ، والجملة جواب القسم .

وقد تقدَّم مشروحاً فى الشاهد التِّسعين[1] . وأصله :

إنِّى لأَمنحكَ الصُّدودَ وإنَّنــى قسمًا إليكَ . . . . البيت

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٧١٧ (لقد عَلِمْتُ أىَّ يومٍ عُقْبَتِى)

على أنَّه يجوز رفع (أىّ) على الابتداء ، ونصبها على الظرفية .

قال سيبويه (فى باب مالا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذى يتعدَّى): وتقول : عرفت أىَّ يومٍ الجمعةُ ، فتنصب على أنَّه ظرف لا علَى عرفت . وإن لمْ تجعله ظرفًا رفعت . وبعض العرب يقول : لقد علمت أىَّ يوم عقبتى . وبعضهم يقول : أىُّ يوم عقبتى . اهـ .

(١) الخزانة ٢ : ٤٧ — ٥٥ حيث نسب البيت إلى الأحوص .

(٢) أورده سيبويه فى كتابه ١ : ١٢٢ ، وساقه مساق النثر لا الشاهد ، مسبوقاً بقوله : « وبعض العرب يقول » . وانظر المخصص ٧ : ١١٩ .

وظاهر سياقه إنَّ هذا كلامٌ لا شعر ، ولهذا لم يشرحه أكثر شُرّاح شواهده ، ولم يورده أحد منهم فى الأبيات إلّا أبو جعفر النحاس ، وقال بعده : لا أُنشده ، قال بعضهم : أىّ حينٍ ، إذا رُفِع فلأنَّ الاستفهام لا يفعل فيه ما قبله فيكون مبتدأً وخبره عقبتى . فإذا نصبت جعلته ظرفًا ولم يعمل فيه عَلمت . ا هـ .

يعنى أن أيًّا اكتسبت الظرفيَّة من حِين ، لإضافتها إليه .

وأورده أيضاً ابن السيرافى (فى شرح أبياته) وقال : هو من رجز الراجز ، وهو :

أأنتِ يا بَسِيطةُ التى التى هَيَّبَنِيكِ فى المَقيلِ صُحْبتى (١)

لقد عَلِمتُ أىَّ حينٍ عُقبتى هى التى عند الهَجيرِ قالتِ

إذَا النُّجومُ فى السَّماءِ وَلَّتِ

وبَسيطة : اسم أرضٍ بين الكُوفة وحَزْن بنى يَربوع .

قال أبو محمدٍ الأعرابىُّ (فى فُرحة الأَديب) : وفيها يقول عَدىّ ابن عَمرٍو الطائِى :

لولا توقُّد ما يَنفيهِ خَطْوُهُما على البَسيطةِ لم تُدرِكْهمَا الحَدَقُ (٢)

---

(١) أنشد ياقوت هذا الشطر وسابقه فى رسم (البسيطة) بالتصغير ، ولكن مقتضى التفسير التالى أن تضبط بهيئة المكبر . وكذلك أنشده فى اللسان (بسط) مع تصريحه بأن اسم هذا المكان فى الرجز يحتمل التصغير والتكبير . ورواية ياقوت : « قد هيبتك فى المقيل ». ورواية ابن منظور :

ما أنت يا بسيط التى التى أنذرنيـــك فى المقيل صحبتى

قال ابن سيده : « أراد يا بسيطة ، فرخم » . فهاتان لغتان فى اسم المكان « بسيطة » بالتصغير مع التخفيف ، و « بسيطة » بالتصغير مع تشديد الياء ، ولغة ثالثة فى اللسان هى « بسيطة » بلفظ المكبر ، وأنشد أيضاً فى تلك اللغة :

إنك يا بسيطة التى التى أنذرنيك فى الطريق إخوتى

(٢) أنشد ياقوت هذا البيت فى رسم (البسيطة) المكبر ، ولعله فى صفة الأتان والعير ، أو النعامة والظليم .

وخَطَّأَ ابنَ السِّيرافى فى قوله : البسيطة : الأرض المنبسطة الممتدَّة .

ثم رأيت ابن خلف أورد هذا الرجز ، وقال فى مثال سيبويه : أمَّا نصبه فعلى قولك : فى أىِّ الأَوقات الاجتماعُ للصَّلاة؟ ورفعه جيِّد، كأنَّه قال : أىُّ الأيَّام يوم الجمعة ، والسَّبت مثل الجمعة . وإنَّما جاز النصبُ فى ذلك لأنَّ الجمعة فيها معنى الاجتماع ، والأَصل فى السَّبت الراحة ، وهو فعل واقع فى اليوم . [ولو قلت: اليومَ[1]] الأَحدُ والاثنانِ، إلى الخميس لم يجز إلا الرفع . وليس للأَحد معنًى يقع فى اليوم .

ثم قال سيبويه : وبعضٌ يقول : لقد علمت أىَّ يوم عقبتى ، أنشدَه نصباً ، وهذا البيت من الشعر ، وقد خُلط بالكلام فى الكتاب .

والشاهد فيه نصب أىّ على الظرف. وعُقبتى مبتدأٌ وأىُّ حينٍ خبره، كأَنه قال : أىّ الأَحيان اعتقابى ، يريد ركوب عُقْبته . ورفعه جائزٌ على ما قدمته . والبسيطة : الأَرض المنبسطة الممتدة. « هَيَّبَنِيكِ صُحبتى »: هيبونى من ركوبكِ والسَّير فيكِ . والهجير : الهاجرة . وولَّت النجوم يعنى النجومَ التى كانت فى أوَّل الليل مرتفعة، ولَّت: انحطَّت لتغيب. يريد أنَّ له عقبتين : عُقبةٌ بالليْل ، وعقبةٌ بالنَّهار. انتهى كلامه.

وذهب بالبسيطة إلى معناها اللغوى . وقد ردَّه أبو محمد الأَعرابى
١٦ وقال : إنَّها علمٌ لأَرضٍ بعينها ، وعلمت بالبناء للمعلوم والتكلم . والعُقْبة بضم العين المهملة وسكون القاف ، وهو مضاف إلى الياء . قال صاحب العباب: العُقبة بالضم : النَّوبة بالنون . تقول : تَمَّتْ عُقبتُك ، أى نَوْبتك .

(١) التكلة من ش .

ولم أَقفْ عليه بأَكثرَ من هذا والله أعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشرَ بعد السبعمائة[1] :

٧١٨ (غادَرْتُه جَزَرَ السِّباع)

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(غادرتُه جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ ما بين قُلَّةِ رأْسِهِ والمِعْصمِ)

على أنَّ (غادرَ) ملحق بصيَّر فى العمل والمعنى ، إذا كان ثانى المنصوبين معرفةً كما فى البيت .

والمشهور فى روايته : « وتركتُه جَزَر السِّباع » .

وقد استشهد به (فى التفسيرين[2]) على أَنَّ ترك فى قوله : ﴿وتَرَكَهُمْ فى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُون[3]﴾ ، كما فى البيت .

وترك فى الأَصل يتعدَّى إلى مفعولٍ واحد لأَنَّه بمعنى طَرَح وخلَّى ، ثم ضُمِّن معنى صار ، إلَّا أن ما فى البيت متعدٍّ قطعاً إلى مفعولين ، لكون الثانى معرفة ، بخلاف الآية فإنَّ تَرَك فيها يحتمل أَن تكون بمعنى الأَصل متعدِّية إلى مفعولٍ واحد ، ويكون «فى ظلماتٍ لا يبصرون» حالين مترادفتين كما قاله ابن الحاجب .

والبيت من معلَّقة عنترة العبسىّ . وقبله :

أبيات الشاعر

(ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ لا مُمعنٍ هَــرَبًا ولا مُستسلم

جادَتْ يداىَ له بعاجِلِ طَعنةٍ بمثقَّف صَدْقِ الكعُوبِ مقوَّمِ

فشككتُ بالرُّمح الطَّويل ثيابَه ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

---

(١) البيت من معلقة عنترة ، ولم أجد من استشهد به فى النحو غيره .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ٧ : ٤٨٥ .

(٣) الآية ١٧ من سورة البقرة .

وتركته جَزَرَ السباع . . . .) البيت

وقوله :« ومُدجّج» أى ربَّ مدجّج ،وهو التام السَلاح ، بكسر الجيم وفتحها. والكُمَاةُ : الشُّجعان . والنِّزال : المنازلة فى الحرب . وقوله : « لا ممعن » إلخ صفة ثانية لمدجّج . والإمعان : المبالغة ، ومعناه لا يمعن هربًا فيبعُد ، ولا هو مستسلم فيؤْسر ، ولكنَّه يُقاتِل . ويقال معناه لا يفرُّ فرارًا بعيداً ، إنما هو متحرفٌ لرَجْعةٍ أو كرّة يكُرّها إذا طَرَد لِقرنه. وأراد وصفَه بالحزْم فى الحرب. وأراد أنَّه وإن كان[١] بهذه الصِّفة ، وكان ممَّن تُكره منازلته ، فإنِّى[٢] لم أجبُنْ عنه ولا هِبْته ، ولكنِّى أقدمت عليه .

وقوله : « جادت يداى » الخ أى سبَقْته بالطَّعن ، لأنِّى كنتُ أحذقَ منه . والمثقَّف : الرمح المقوَّم . والصَّدْق ، بالفتح : الصُّلب . وما بين كلِّ أُنبوبتين كعب .

وقوله : « فشككت بالرُّمح » إلخ . أى انتظمت ثيابه بالرمح ، يريد أنَّ الرِّماح مُولعةٌ بالكِرام ، لحِرصهم على الإقدام . وقيل : معناه كرمه لا يخلِّصه من القتل المقدَّر له .

وقوله : (وتركته جَزَرَ السِّباع) إلخ، الجَزَر : جمع جزرة بفتح الجيم والزاى ، وهى الشَّاة أو الناقة تنحر وتذبح . أى تركته لحمًا للسِّباع . والنَّوش: التناوُل . و (قلَّة رأْسِه) : أعلاه . و (المِعْصَم) : موضع السِّوار من الذراع . وكان الوجه أن يقول : ما بين قُلَّة رأْسه والقَدَم ، فلم يمكنه للقافية . ويحتمل أنَّه استعار المعصم لما فوقَ القدم من السَّاق ، لتقارُبهِما فى الخِلقة .

---

(١) ط : « وأراد أنه كان » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « وإنى » ، صوابه فى ش .

وترجمة عنترة تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب[1]

* * *

١٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد السبعمائة[2] :

٧١٩ (سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعون غيثًا فقُلْتُ لِصَيْدَحَ انتجعى بلالاً)

على أَنَّ الفعل التالى لاسم العين بعد سمع ، يجوز أن لا يكون بمعنى النُّطق كما فى البيت ، فإِنَّ الانتجاع التردُّدُ فى طلب العُشْب والماءِ ، وليس قولا ، والمسموع مطلقُ الصّوت سواءٌ كان قولاً أو حركة ، فإِنَّ المشْى فيه صوتُ تحريك الأَقدام . وكذا الانتجاع ، هو طلب النُّجعة ، وهى مكان المطر إذا أجدَبوا . والطَّلب إِمَّا بالسُّؤال وهو قولٌ ، أو بالتردُّد ذَهابًا ومجيئًا وفيه حركات مسموعة .

والشارح المحقق مسبوقٌ بهذا الاختيار .

وقال ابن مالك (فى التسهيل) : أَلحقوا برأى العلميَّةِ الحُلميّةَ وسَمِع المعلَّقةَ بعَيْن ، ولا يُخبر بعدها إلاَّ بفعلٍ دالّ على صوت . ا ه .

وقال شيخنا الخفاجى (فى شرح درّة الغواص) و (فى أماليه) : ذهب الرضىُّ إلى أَنَّه لا يشترط ذكر مسموع بعد سمع ، وأَنَّ اشتراطه أكثرىٌّ . وهذا من القليل الوارد على خلافه . ا ه .

وهذا مخالِفٌ لصريح كلام الرضىّ . وقوله (فى أماليه) إنَّ قياس سمعتك تمشى ، على سمعت أَنَّك تمشى ، قياسٌ مع الفارق ، لأَنَّه بتقدير الباء ، وليس من هذا القبيل الذى يدخل على المبتدإ والخبر .

---

(١) الخزانة ١ : ١٢٨ .

(٢) المقتضب ٤ : ١٠ والكامل ٢٥٩ والعقد ٥ : ٣٣٣ والجمل ٣١٥ والموشح ٢٨١ ، ٢٨٢ وسر الصناعة ١ : ٢٣٦ وشرح درة الغواص ٢٢٥ والتصريح ٢ : ٢٨٢ والأشمونى ٤ : ٩٣ واللسان (صدح ٣٤٠ نجع ٢٢٥) وديوان ذى الرمة ٤٤٢ .

أقول : مراده أنَّ سَمِع فى المثالين متعلَّقه مطلقُ الصَّوت ، سواءٌ كان من استعمالٍ واحد أو من استعمالين. فإنَّ سمع فى أكثر استعمالاته متعلَّقهُ الصَّوت ، ولا يُستعمَل[١] فى غير مسموع ؛ فإنَّ اللفظة موضوعة له ، ولا يلزم الدَّلالة على الصَّوت وضعًا ، بل يكفى الدَّلالة عليه ولو التزاماً .

وقول الشارح المحقِّق : « بنصب الناس » فيه ردٌّ على الحريرى بإنكاره النصب ؛ فإنَّه قال (فى درّة الغَوَّاص) : ومن أوهامهم فى هذا المعنى أنَّهم ينشدون بيت ذى الرمة :

* سَمِعتُ النَّاسَ ينتجعون غيثا *

فينصبون لفظ النَّاسَ على المفعول ، ولا يجوز ذلك لأَنَّ النصب يجعل الانتجاع ممَّا يسمع ، وما هو كذلك . إنَّما الصواب أن يُنشَدَ بالرفع على وجهِ الحكاية . ا هـ .

وقد تبع فى هذا المبردَ ، فإنَّه قال (فى الكامل) : قوله سمعت الناس ينتجعون غيثًا حكاية ، والمعنى إذا حُقِّق إنَّما هو : سمعت هذه اللفظة ، أى قائلاً يقول : الناسُ ينتجعون غيثًا ، ومثل هذا قوله :

وَجَدْنا فى كتاب بنى تميمٍ : أحقُّ الخيل بالرَّكْضِ المُعارُ[٢]

فمعناه وجَدْنا هذه اللَّفظة . فقوله : « أَحقُّ الخيل » ابتداءٌ ، والمعار خبره . وكذلك الناس ابتداءٌ وينتجعون خبره . ومثل هذا فى الكلام : قرأْتُ : الحمدُ لله رب العالمين ، إنَّما حكيتَ ما قرأت ، فهذا لا يجوز سواه.

---

(١) ش : « ولا تستعمل » .

(٢) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ٧٥ . وانظر معجم الشواهد .

وقد روى النصبَ فى البيت جماعةٌ ثقات ، منهم ابن السيد (فى أبيات المعانى) ، ومنهم الفارق (فى شرح أبيات الإيضاح) ، ومنهم الزمخشرى وغيره . وقد أوردهُ بالرفع الزمخشريُّ أيضاً فى أوّل سورة البقرة ، على أنَّ جملة الناسُ ينتجعون محكيٌّ والحكاية إمّا بقولٍ مقدَّر على مذهب مَن اشترط فى الحكاية القول ، أو بسَمِعت على خلاف . وتقديره كثير .

واعلمْ أن نحو سمعت زيدًا يقول كذا ، اختُلِف فيه : فعند الأخفش وأبى على الفارسى (فى الإيضاح) وابن مالك ، وصاحب الهادى[1] ، وجَمٍّ غفير ، أنّه يتعدَّى إلى مفعولين : الأوّل الذات والثانى الجملة المذكورة بعد . ١٨

قال البعلى (فى شرح الجمل) : وأمَّا سمِعَ فإنْ وليَه ما يُسمَع تعدَّى إلى مفعول واحد ، تقول : سمعت الحديث ، وسمعت الكلام . وإن وليَه مالا يسمع تعدَّى إلى مفعولين ، كقولك : سمعت زيدًا يقول كذا . ولم يُجِزْ بعضُهم سمعت زيدًا قائلا ، إلّا أنْ يعلِّقه بشيء آخر ، لأنَّ قائلاً من صفات الذات ، والذات لا تسمع . وأما قوله تعالى : ﴿ هل يَسْمَعُونَكُمْ إذْ تَدْعُون[2] ﴾ فعلى حذف المضاف ، تقديره : هل يسمعون دعاءكم . ولو جعل المضاف إلى الظرف مُغْنيا عن المضاف جاز . ا هـ .

قال (فى شرح الهادى) : وفيه نظر ، فإنَّ الثانىَ من قولنا سمعت زيدًا يقول ، جملة ، والجملة لا تقع مفعولاً إلاَّ فى الأفعال الداخلة على المبتدإ والخبر ، نحو ظننت ، وسمعتُ ليس منها ، بل الحقُّ أنَّه مما

(١) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجانى ، صاحب تصريف العزى ، المتوفى سنة ٦٥٥ . وكتابه الهادى فى النحو والصرف ، وشرحه وسمى شرحه الكافى . وقد قام بدراسته وتحقيقه محمود فجال سنة ١٣٩٨ فى رسالة دكتوراه .

(٢) الآية ٧٢ من سور الشعراء .

يتعدَّى إلى مفعول واحد ولا يكون إلاَّ ممَّا يسمع . فإنْ عدَّيته إلى غير مسموع فلا بدَّ من قرينةٍ بعده تدلُّ علىأَنَّ المراد ما يسمع فيه. فإنْ قلت: سمعت زيدًا يقول ، فزيدًا مفعول على تقدير مضاف ، أى سمعت قول زيد ، ويقول فى موضع الحال . ا هـ .

وهذا النَّظر غير واردٍ ، وفى كلامهم ما يدفعه . كذا فى التسهيل ، وقد نقلنا عبارته .

فعُلِم أَنَّ من قال بنصبها مفعولين جعلها ممَّا يدخل على المبتدإ والخبر ، لأَنَّ الحواسَّ الظاهرة لمَّا أفادت الإدراك والعلم ، إذ كانت طريقًا له ، أجرَوْها مُجرَى رأى وعلم لذلك ، فأَعملوها عملَها .

وذهب بعضُهم إلى جعل الجملة حالاً بعد المعرفة ، وصفةً بعد النكرة. قال القاضى فى تفسير : ﴿ سَمِعْنا فَتَى يذكُرُهُم[1] ﴾ : صفة مصحِّحة لأَن يتعلَّق به السمع ، وهو أبلغ فى نسبة الذِّكر إليه . ووجه كونه أبلغ إيقاع الفعل على المسموع منه ، وجعله بمنزلة المسموع مبالغةً فى عدم الواسطة بينهما ، لِيفيدَ التركيبُ أَنَّه سمعه منه بالذاتِ . وضمير هو راجعٌ إلى التعلُّق. وهذا معنى قوله فى تفسير : ﴿ سَمِعْنا مُنادِيًا يُنادِى للإِيمان[2] ﴾ حيث قال : أَوقع الفعل على المُسْمِع وحذف المسموع ، لدلالة وَصْفه عليه . وفيه مبالغةٌ ليست فى إيقاعه على نفس المسموع[3] .

وقال الفاضل (فى حواشى الكشاف) : فى مثل هذا يُجعل ما يُسمع صفةً للنَّكرة وحالا للمعرفة ، فأَغنى عن ذكر المسموع . لكن لا يخفى أَنَّه

(١) الآية ٦٠ من سورة الأنبياء .
(٢) الآية ١٩٣ من سورة آل عمران .
(٣) ش : « على النفس المسموع » ، صوابه فى ط وتفسير البيضاوى ١ : ٢٥٢ .

لا يصحُّ إيقاع فعل السَّماع على الرجل إلَّا بإضمارٍ أو مجاز ، أى سمعت كلامه . وأَنَّ الأوفق بالمعنى فيما جُعل وصفاً أو حالا أن يُجعل بدلًا بتأْويل الفعل ، على ما يراه بعض النحاة ، لكنه قليلٌ فى الاستعمال ، فلذا آثر الوصفيَّة والحاليَّة . ا هـ .

وإنَّما كان البدل أوفقَ لأَنَّه يستغنِى عن التجوُّز والإضمار ، إذ هو حينئذٍ بدل اشتمال ، ولا يلزم فيه قصد تعلُّق الفعل بالمبدَل منه حتَّى يحتاج إلى إضمارٍ أو تجوُّز ، كما فى : سُلب زيدٌ ثوبُه ،إذْ ليس زيد مسلوبًا . ولم يؤوِّله أحد لأنَّه غير مقصود بالنسبة ، بل توطئةٌ لما بعده . وإبدال الجملة من المفرد جائز نحو : ﴿ وأَسَرُّوا النَّجوَى الذين ظَلَمُوا هَلْ هذا إلاَّ بشرٌ مِثْلُكم [1] ﴾ .

وفى شرح المغنى : المحقِّقون على أَنَّها متعدية إلى مفعول واحد ، وأن الجملة الواقعة بعده حال . وقال التفتازانى : أو بدل أو بيانٌ بتقدير المصدر . ويلزم عليه حذفُ أنْ ورفعُ الفعلِ ، وجَعْلُه بمعنى المصدر بدون سابك ، وليس مثلُه بمقيس. وهذا ليس بوارد لأنَّه إشارة إلى أنَّ بدل الجملة من المفرد باعتبار محصَّل المعنى ، لأَنَّه سبكٌ وتقدير .

بقى لسَمِعَ استعمالات غير ما تقدَّم ، وهى ثلاثة :

١٩ أحدها : أن تتعدَّى إلى مسموع . وقد حقق السُّهيلى أَنَّ جميع الحواسِّ الظاهرة لا تتعدَّى إلَّا إلى مفعول واحد ، نحو : سمعت الخبر ، وأبصرت الأثر ، ومَسِست الحجر ، وذُقْتُ العسلَ ، وشمِمتُ الطِّيب .

ثانيها : تعديتها بإلى أو اللام ، وهى حينئذ بمعنى الإصغاء ،

(١) الآية ٣ من سورة الأنبياء .

والظاهر أنَّه حقيقة لا تضمين ، قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿لا يسَّمَّعون إلى المَلَإِ الأَعْلَى[1]﴾. فانقلت: أىُّ فرقٍ بين سمعت فلانًا يتحدَّث ، وسمعت إليه يتحدَّث ،وسمعت حديثَه ، وإلى حديثه[2] ؟ قلت : المعدَّى بنفسه يفيد الإدراك ، والمعدَّى بإلى يفيد الإصغاءَ مع الإدراك . قال الجوهرىُّ : استمعت له ، أى أصغيت ، وتسمَّعت إليه ، وسمعت إليه وسمعت له . وأمَّا قوله :سمع الله لمن حَمِدَه ،فإنَّه مجاز عن القَبُول .

ثالثها : تعديتها بالباء ، وهو معروف فى كلام العرب ، ومعناه الإخبار ونَقْلُ ذلك إلى السامع . ويدخل حينئذ على غير المسموع ، وليست الباءُ فيه زائدة ، تقول: ما سمعت بأَفضلَ منه. وفى المثل: «تسمع بالمَعيدىِّ خيرٌ من أن تراه» . قابلَه بالرُّؤية لأَنَّه بمعنى الإخبار عنه المتضمِّن للغيبة . وقال الحماسى[3] :

فإذا سمعتَ بهالكٍ فتيَقَّنَنَّ ... أَنَّ السَّبيلَ سبيلُه فتزوَّدِ[4]

وقال آخر[5] :

صاح هل رَيْتَ أَو سمِعْتَ براعٍ
ردَّ فى الضَّرع ما قَرَى فى العِلابِ

---

(١) الآية ٨ من سورة الصافات .

(٢) وإلى حديثه ، ساقطة من ش ، ثابتة فى ط وتفسير الزمخشرى ٢ : ٢٦٠ .

(٣) لم أعثر على هذا البيت فى حماسة أبى تمام بشرح المرزوق ، ولكنه ثانى بيتين فى الحماسة بشرح التبريزى فى أواخر باب المراثى ٣ : ١٢٤ ، وقبله :

إن المساءة للمسرة موعد ... أختان رهن للعشية أو غد

(٤) فى النسختين : « فتيقن » ، والوجه ما أثبت من الحماسة .

(٥) هو إسماعيل بن يسار . الأغانى ٤ : ١١٩ وشرح شواهد الشافية ٣١٦ . والبيت فى اللسان (رأى ٤) بدون نسبة ، وكذلك فى (علب ١١٩) ، وقال : « ويروى فى الحلاب » ، وبتلك ورد فى اللسان (حلب ٣١٩) .

وقال ربيعة بن مقروم :

وقد سمعتُ بقوم يُحمَدُون فلم
أسمَعْ بمثلك لا حلماً ولا جُودا[١]

وانّما أَطلتُ الكلام فى هذه الكلمة لأَنَّ الشارح المحقِّق أَوجز فيها كلَّ الإِيجاز .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لذى الرُّمة ، مدح بها بلالَ بنَ أَبِى بُردةَ بنِ أَبِى موسى الأَشعرى . وبعده :

أبيات الشاهد

(تُناخِى عند خيرِ فتًى يمانٍ
إذا النكباءُ ناوحَتِ الشَّمالا[٢]
ندًى وتكرُّما ولُبابَ لُبٍّ
إذا الأَشياءُ حَصَّلت الرِّجالا[٣]
وأبعدِهمْ مَسافَةَ غَوْرِ عقلٍ
إذا ما الأَمرُ ذو الشُّبهات عالا)

وهى قصيدةٌ طويلة جداً ، وسيأْتى إن شاءَ الله بيتٌ منها أَيضاً فى أفعالِ المدح والذم .

وقوله : (سمعت النَّاسُ) الخ الغيث : المطر ، وأَراد به ما يحصلُ بسببه من الكلإِ والخِصْب . و (صَيْدَح) بإهمال الطرفين : اسم ناقةِ ذى الرمَّة . و (بلال) هو الممدوح ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد المائة[٤] . قال المبرد (فى الكامل) : وكان بلالٌ داهية لقِنًا أديباً .

(١) المفضليات ٢١٤ والأغانى ١٩ : ٩١ من قصيدة يمدح بها مسعود بن سالم بن أبى سلمى . وربيعة هذا من مخضرمى الجاهلية والإسلام .
(٢) ديوان ذى الرمة ٤٤٢ .
(٣) فى الأساس (حصل) : « أى ميزت خيارها من شرارها » .
(٤) الخزانة ٣ : ٣٥ .

ولما سَمِع قوله « سمعت الناس » البيت قال لغلامه : مُرْ لها بقتٍّ ونَوًى . أراد أنَّ الرِّمة لا يُحسِن المَدْح . ا هـ .

وروى المرزبانى (فى الموشح) عن أبى عبيدة أنَّ بلالا قال : يا غلام اعلِفْ ناقته فإنّه لا يُحسن أن يَمْدَح. فلما خرج ذو الرُّمَّة قال له أبوعمرو وكان حاضرًا : هلاّ قلت له إنَّما عَنَيتُ بانتجاع الناقة صاحبَها كما قال الله عز وجل : ﴿ واسأَل القَرْيةَ التى كُنَّا فيها[1] ﴾ يريد أهلها . وهَلاَّ أنشدْته[2] قول الحارثى :

وقفتُ على الدِّيار فكلَّمتنى ... فمـا مَلَكت مدامعَها القَلوصُ[3]

يريد صاحبها ، فقال ذو الرمة : يا أبا عَمرو ، أنت مفردٌ فى عِلْمك ، وأنا فى علمى وشعرى ذو أشباه . ا هـ .

وقال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : ولما أنشد هذا الشعرَ بلالاً،قال : يا غلامُ مُرْ لصيدحَ بقتٍّ وعلف، فإنَّما هى انتجعَتْنا . وهذا من التعنُّت الذى لا إنصافَ معه ، لأنَّ قوله انتجعى إنَّما أراد نفسَه . ومثله فى كتاب الله تعالى : ﴿ واسأَل القريةَ التى كُنَّا فيها والعِيرَ التى أقبَلْنا فيها[4] ﴾ ،وإنَّما أراد أهل القرية وأهل العِير .

وقوله : « إذا النكباءُ » إلخ قال المبرد (فى الكامل): النكباءُ: الريح التى تـأتى من بين ريحين ، فتكون بين الشمال والصَّبا ، أو الشَّمال والدَّبور ، أو الجنوب والدَّبور ، أو الجَنوب والصَّبا . فإذا كانت النَّكباءُ تناوِحُ

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .
(٢) ط : « وقد أنشدته » ، صوابه من ش والموشح ٢٨٢ .
(٣) ط : « القلوصا » ، صوابه فى ش والموشح .
(٤) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

الشَّمال فهى آيةُ الشتاءِ . ومعنى تُناوِح تُقابِل ، يقال تناوَحَ الشَّجرُ ، إذا قابَلَ بعضُه بعضاً . وزعم الأَصمعىُّ أَنَّ النائحة بهذا سمِّيت ، لأَنَّها تقابل صاحبتَها . ا هـ .

يريد ذو الرمة أَنَّه يُعْطِى فى هذا الوقتِ الذى هو الجدبُ والقحطُ ويُبْسُ وجهِ الأَرض .

وقوله : « ندًى وتكرُّماً » تمييز لقوله : خَيْر فتًى . وحَصَّلت بمعنى ميَّزت الشَّريف من الوضيع .

والمسافة : الغاية . وعال : غلب . وذو الشبهات : ما اشتبه ولا يُهتدَى له .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أَول الكتاب[1] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد السبعمائة[2] :

٧٢٠ (إذا أَقبلت قُلْتَ دُبّاءَةٌ)

على أَنَّ (دُبّاءَة) ليست وحدها محكيَّة بالقول ، بل هى خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى هى دبَّاءَة ، والمجموع هو المحكىّ .

وهذا صدرٌ ، وعجزه :

(من الخُضْر مغموسةٌ فى الغُدُرْ)

والبيت من قصيدةٍ لامرئ القيس فى وصف فرس . وقبله : صاحب الشاهد

(لهـــا حافرٌ مثــلُ قَعْبِ الوَلِيـــدِ رُكِّبَ فيه وَظيفٌ عَجِرْ أبيات الشاهد

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) المعانى الكبير ٦٠ ، ١٦٧ وتصحيف العسكرى ٢٢٣ والعمدة ٢ : ٢٠ ومجالس العلماء ٩٥ وديوان امرئ القيس١٦٦ .

لهـا ثُنَن كخـوافى العُقـا ب سُودٌ يفِينَ إذا تزبئرّ(١)
لهـا ذنبٌ مثلُ ذيلِ العروس تَسُدُّ به فرجَهـا من دُبرْ
لهـا متنتـانِ خظاتَا كمـا أكَبَّ على سـاعدَيه النَّمِرْ
لهـا كَفَلٌ كصَفـاة المَسِيـل أبرزَ عنهـا جُحَافٌ مُضِرّ
لهـا مَنخِرٌ كوِجـارِ السِّباع فمنـه تُـريح إذا تنبهـرْ
وعينٌ لهـا حَدْرةٌ بَـدْرة وشُقَّت مآقيُّهـا من أُخُـر(٢)
إذا أقبلتْ قُلتَ دُبَّـاءَةٌ من الخُضْر مغموسةٌ فى الغُدرْ
وإن أدبرتْ قلتَ أُثفيَّـةٌ مُلَمْلَمَةٌ ليس فيهـا أُثُر(٣)
وإن أعرضَتْ قلتُ سُرعوفةٌ لها ذنبٌ خَلْفَها مُسْبَطـرّ)

قوله: « مثل قعب الوليد » إلخ ، القَعب بفتح القاف: قدح من خشَب مقعَّر . وحافر مقعَّب مشبَّه به . والوليد : الصبي . يريد أنَّ جوف حافرها واسع . وبيَّنَه عوفُ بن عطيَّة بقوله :

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الوليـ ـدِ يتخذ الفَأْر فيه مَغَارا(٤)

والمَغار بالفتح : المَسْكن . والوظيف من الحيوان : ما فوق الرُّسغ إلى الساقِ، وبعضهم يقول: مُقدَّم الساق. وعَجِر، بفتح المهملة وكسر الجيم، قال فى الصحاح : ووظيف عجِرٌ، بكسر الجيم وضمها ، أى غليظ .

---

(١) فى الديوان ١٦٣ : « يفئن » بالهمز ، وفسره بقوله : « يعنى يرجعن بعد ازبئرارهن إلى مواضعها ». ثم قال : « ويروى : يفين ، بلا همز ، من الوفاء » .

(٢) فى الديوان ١٦٦ : « شقت مآقيهما » بالخرم والإضافة إلى ضمير المثنى .

(٣) الأثر ، بضمتين وبضمة واحدة : الأثر من الجراح ونحوها . ولم يفسره البغدادى .

(٤) المفضليات ٤١٤ وسمط اللآلىء ٦٣٣ .

وقوله: « لها ثنن» الخ هو جمع ثُنَّة بضم المثلثة وتشديد النون ، وهى
٢١ الشعراتُ التى فى مؤخر رُسغ الدابة . ويَفِينَ غير مهموز، أى يكْثُرن.
يقال وَفَى شعره ، إذا كثُر. يقول: ليست بمنجردة لا شعرَ عليها . وتزبئِرُّ
تنتفش. والخوافى : ما دون الرِّيشات العَشْر من مقدَّم الجناح .

وقوله : «لها ذنب مثل ذيل » إلخ دُبر كلِّ شىءٍ: خَلْفُه، وهو هنا حشْوٌ
يغنى عنه ذكر الفَرْج . وقال الآمدى عند قول البحترى :

ذنَبٌ كما سُحِب الرِّداءُ يذبٌّ عن
عُرف ، وعرفٌ كالقِناعِ المُسْبَلِ[1]

هذا خطأٌ من الوصف ، لأَنَّ ذنب الفرس إذا مسَّ الأَرضَ كان عيبًا ،
فكيف إذا سَحبَهُ . وإنَّما الممدوح من الأَذناب ما قَرُب من الأَرض ولم
يمسَّها ، كما قال امرؤ القيس :

كميتٍ إذا استدبَرْتَه سَدَّ فرجَه
بضافٍ فُويقَ الأَرضِ ليسَ بأَعزلِ

والأَعزل من الخيل : الذى يقع ذنبُه فى جانب ، وهو عادةٌ لا خِلقة ،
وقد عِيب قولُ امرئِ القيس :

لها ذنب مثلُ ذيل العـــروس . . . . البيت

وما أرى العيب يلحقه ، لأَنَّ العروس وإن كانت تسحب أذيالَها ،
وكان ذنبُ الفرس إذا مسَّ الأَرض عيبًا ، فليس بمنكر أَنْ يشبَّه به
الذَّنب وإن لم يبلغ إلى أَنْ يمسَّ الأَرض؛ لأَنَّ الشيء إنَّما يُشبه الشيء إذا

(١) ديوان البحترى ١٧٤٦ تحقيق الصيرفى والموازنة ١٨٦ . وفى ط :« يذب عن غوف » ، صوابه فى ش وديوان البحترى والآمدى .

قاربه ، فإذا أَشبَهَهُ فى أكثر أحوالِه فقد صحَّ التشبيه . وامرؤ القيس لم يَقصِد أنْ يشبِّه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط ، وإنَّما أراد السُّبوغ والكثرةَ والكثافة . ألا ترى أنَّه قال « تسدُّ به فرجَها من دبر » . وقد يكون الذنَبُ طويلاً يكاد يمسُّ الأَرض ولا يكون كثيفًا فلا يسدُّ فرج الفرَس . فلما قال تسدُّ به فرجَها علمنا أنَّه أراد الكثافة والسُّبوغ مع الطُّول . فإذا أَشبه الذَّنبُ الذَّيلَ من هذه الجهة وكان فى الطول قريبًا منه فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجبٍ للعَيب ، وإنَّما العيب فى قول البحترى : « ذنَبٌ كما سُحِبَ الرِّداءُ » . فأفصحَ بأنَّ الفرس يسحَب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قولُ خِداش بن زُهير :

لها ذنبٌ مثل ذيلِ الهَــدِىِّ إلى جُؤْجُــؤٍ أَيِّدِ الزَّافــرِ[1]

والهدىّ : العروس التى تُهدَى إلى زوجها . والأَيِّد : الشَّديد . والزَّافر : الصَّدر ، لأَنَّها تزفِرُ منه ، فشبَّه الذنَّبَ الطويلَ السَّابغَ بذيل الهَدِىّ وإنْ لم يبلغْ فى الطُّول إلى أنْ يمسَّ الأَرض . ا هـ .

وقوله : « لها متنتان » إلخ ، قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) ، عند قول أبى دُوَاد :

ومَتْنانِ خَظَــاتانِ كزُحلوفٍ من الهَضْبِ[2]

يقال لحمه خَظَا بَظَا ، إذا كان كثيرَ اللحم صُلْبَه . والزُّحلوف : الحجر الأَملس . قال امرؤ القيس : « لها متنتان خظاتا » ، البيت . يقال هو خاظِى البَضيع ، إذا كان كثير اللَّحمِ مُكتنِزَه . وقوله خَظَاتا ، فيه قولان :

(١) المعانى الكبير ١٤٩ .
(٢) ديوان أبى دواد ٢٨٨ والمعانى الكبير ١٤٥ والخيل لأبى عبيدة ١٥٨ والأصمعيات ٤١ .

أحدهما : أنَّه أراد خظاتان ، كما قال أبو دُوَاد ، فحذف نون التثنية . يقال مَتْنٌ خَظَاةٌ ومتنةٌ خظاة . والآخر : أنَّه أراد خَظَتا ، أى ارتفعتا ، فاضطُرَّ فزاد ألفًا . والقول الأَوَّل أجوَد . وقوله « كما أكبَّ على ساعديه النَّمر » ، أراد: كأَنَّ فوق مَتنها نمرًا باركًا ، لكثرة لحم المتن . ا هـ .

ولا يخفى أنَّ هذا لا وجهَ له ، والصَّوابُ ما قاله ثعلب ، أى فى صلابة ساعد النمر إذا اعتمد على يده .

وقوله : « لها كفل » إلخ الصَّفاةبالفتح: الصَّخرة الملساءُ. والمَسِيل: مجرى السيل ، شبَّه كفلَها فى ملاسته بصفاةٍ فى مَسيل أبرزها السَّيل ٢٢
وكشَفَ ما كان عليها من التُّراب . والجُحافُ ، بضم الجيم بعدها مهملة : السَّيل الشديد . والمُضِرّ : الذى يضرُّ بكلِّ شىءٍ يمرُّ عليه ، أى يهدِمُه ويقلَعُه .

وقوله: « لها منخر كوِجار» الخ الوِجار بفتح الواو وكسرها بعدها جيم : جُحْر الضب ، شبَّه [به[1]] منخرها لسعَته . وتُريح : تستنشق الرِّيح تارةً وتُرسلها ، من أَرَاحَ . والبُهْر بالضم : ضِيق النَّفَسِ عند الجَرْى والتَّعب .

وقوله : « وعَين لها حَدْرة » الخ بفتح الحاءِ وسكون الدال المهملتين، فى الصحاح : وعينٌ حَدْرة ، أى مكتنزة صُلبة . وعينٌ بَدْرة أى تبدُر بالنَّظر ، ويقال تامَّة كالبَدْر . وأُخُر بضمتين، فى الصحاح : وشقَّ ثوبه أُخُرًا ومن أُخُر ، أى من مؤخَّره . وأنشد البيت .

(١) التكلة من ش .

وقوله : (إذا أقبلتْ قلتَ دُبَّاءة) هى بضم الدال وتشديد الموحَّدة بعدها ألف ممدودة . قال أبو حنيفة (فى كتاب النبات) : الدُّبَّاءُ : القَرْع، واحدهُ دُبَّاءة وقَرْعة . وأنشد البيت ، ثم قال : وإنَّما شبَّهها بالدُّبَّاءة لدقَّة مقدَّمها وفَعَامة مؤَخَّرها . وقيل كذلك خَلْق الإناثِ من الخيل. وهذا فى الإناث والذكور سواءٌ، يستحبُّ من الخيل أن تَطُول(١) وتكون مآخيرها أعظم من مقاديمها . وامرؤُ القيس وإن كان وصَف فرسًا أُنثى هذا الوصفَ فقد وصف ابنُ مُقْبِلٍ ذكرًا من الخَيْل(٢) . ا ه .

وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح): يشبِّهون إناثَ الخيل بالدُّبَّاء ، وهى القَرْع ، والسُّلَّاء وهو الشَّوك ، لأَنَّها يُستحَبُّ منها دقَّة المقدَّم وكثافة المؤخَّر ، وعلى هذا خِلقة القَرْع والشَّوْك. وأنشد البيت ثم قال : ويستحَبُّ من الذُّكور غِلَظ المقدَّم ودقَّة المؤخر ، ولهذا يشبِّهونها بالذِّئابِ لكونها زُلًّا جمع أَزَلّ . ا ه .

وقال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) : يقول : كأَنَّها من بريقها قرعَةٌ ، وليس يريد أَنَّها مغموسة فى الماء ، ولكنَّه أراد أَنَّها فى رىٍّ ، فهو أشدُّ لملاَستها . وهذا كقولك : فلانٌ مغموس فى الخَير . وقال بعضهم : إناث الخيل تكون فى الخِلْقة كالقرعة ، يدِقُّ مقدَّمها ويعظُم مؤخَّرها . ا ه.

وقال العسكرى (فى كتاب التصحيف) عند قول امرئ القيس :

* مَداكَ عروسٍ أو صَرايةَ حنظلِ *

---

(١) ط : « لطول أعناقها » ، صوابه فى ش .

(٢) لم يذكر بيت ابن مقبل . وقد وجدته فى ديوانه ٩٩ والمعانى الكبير ٦١ ، وهو :

كأن دباءة شد الحزام بها ... فى جوف أهوج بالتقريب والحضر

وبعده :

غوج اللبان ولم تعقد تمائمه ... معرى القلادة من ربو ولا بهر

رواه الأصمعيُّ : «صَراية» الصاد مفتوحة غير معجمة وتحت الياء نقطتان، وهى الحنظلة الخَضْراءُ ، وقيل هى التى اصفرَّت ، لأَنَّها إذا اصفرَّت بَرَقت ، وهى قبل أن تصفرَّ مغبرَّة . قال : ومثله .

* إذا أَقبلت قلتَ دُبَّاءَة[1] *

أى من بريقها[2] ، كأَنَّها قرعة . ا هـ .

والأُثفيَّة : الحجر الذى يُنصَب عليه القِدْر . والسُّرعوفة ، بضم المهملتين ، قال الصاغانى (فى العباب) : هى الجرادة ، ويشبَّه بها الفرس . وأنشد هذا البيت .

وقد أورد ابن رشيق (فى العمدة) هذه الأَبياتَ الثلاثةَ الأَخيرة فى باب التقسيم ، قال : زعم الحاتمى أنَّ أصحَّ تقسيمٍ وقَع لشاعرٍ قولُ الأَسْعَر الجُعْفىّ يصف فرساً[3] :

أَمَّا إذا استقبلتَه فكأَنَّه   بازٍ يُكفكِف أنْ يَطِيرَ وقد رأى
أَمَّا إذا استدبرتَه فتسُوقُه   ساقٌ قَموصُ الوَقْع عاريةُ النَّسا
أَمَّا إذا استعرضتَه مُتَمَطِّرًا   فتقول : هذا مثلُ سِرحان الغَضَا

(١) الذى فى التصحيف : « إذا أعرضت » .
(٢) فى أصل التصحيف : « من بِرقها » ، وما هنا صوابه لا ما كتبه المحقق : « من يرا [ها يظنها] » .
(٣) فى النسختين : « الأشعر » بالشين المعجمة ، وهو تحريف يقع كثيراً فى الكتب القديمة ، صوابه بالسين المهملة . والأسعر لقب له ، واسمه مرثد بن أبى حمران الجعفى ، وهو شاعر جاهلى ، لقب بالأسعر لقوله :

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك   لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

المؤتلف ٤٧ والسمط ٧٤ والاشتقاق ٤٠٨ والمزهر ٢ : ٣٤٨ واللسان والتاج (سعر) . وسعر النار والحرب يسعرهما سعراً ، وأسعرهما إسعاراً ، وسعرهما تسعيراً : أوقدهما وهيجهما . وانظر الأصمعيات ١٤٠ – ١٤٣ .

واختاره أيضًا قدامة ، وليس عندى بأفضل من قول امرئ القيس إلّا بشرف الصفات[١] :

إذا أقبلت قلت دُبَّاءَةٌ الأَبيات الثــــلاثة

٢٣ ولو لم يكن إلاَّ بنسْق هذا الكلام بعضِه على بعض ، وانقطاع ذلك بعضِه من بعض . ا هـ .

وتقدمت ترجمة امرئ القيس فى الشاهد التاسع والأربعين من أول الكتاب[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد السبعمائة[٣] :

٧٢١ (تنادَوْا بالرَّحيلُ غدًا وفى تَرْحالِهمْ نفسِى)

على أنَّ جملة (الرَّحيلُ غداً) من المبتدإ والخبر محكيَّة بقولٍ محذوف عند البصريين ، والتقدير : تنادوا بقولهم : الرحيلُ غداً . وعند الكوفيِّين محكيَّة بتَنَادَوْا ، فإنَّه يجوز عندهم الحكاية بما فى معنى القول ؛ فإنَّ تنادَوْا معناه نادَى كلٌّ منهم الآخَرَ ورفع صَوتَه بهذا اللفظ ، وهو : الرَّحيل غدًا .

وهذا البيت أنشده ابن جنى (فى سرّ الصناعة) وقال : أجاز أبو على فى الرحيل ثلاثة أوجه : الجرُّ ، والرفــع والنَّصب على الحكاية . فكأنَّهم قالوا : الرحيل غدًا ، أو نرحل الرحيل غدًا ، أو نجعل الرّحيل[٤] غَدًا ، أو أجمعوا الرَّحيل غدًا . فحكى المرفوع والمنصوب . ا هـ .

(١) فى ط : « إلا شرف الصفات » ، صوابه فى ش والعمدة .

(٢) الخزانة ١ : ٣٣٠ .

(٣) المحتسب ٢ : ٢٣٥ وسر الصناعة ١ : ٢٣٦ والمقرب ١ : ٢٩٣ ودرة الغواص ١٠٩ والأشباه والنظائر ٤ : ١٦٦ .

(٤) فى النسختين : « ترحل الرحيل غداً ، أو تجعل الرحيل غداً » بالتاء فى الفعلين ، صوابهما بالنون كما أثبت من سر الصناعة .

ونقله القاسِم بن على الحريرى (فى درَّة الغوَّاص) عن ابن جنى ولم يَزده شيئًا[١] . والتَّرحال: مصدرٌ جاءَ على التَّفعال بالفتح ، بمعنى الترحُّل. والنَّفْس بسكون الفاء .

ولم أقف على هذا البيت بأكثرَ من هذا . والله أعلم .

ومثله ما أنشده الزمخشرى (فى الكشاف) ، قول الشاعر :

رجْــلانِ من ضبَّة أَخبرانا   إنَّا رأينــا رجلا عريانا[٢]

قال : إنَّا بالكسر بتقدير القول عندنا ، وعندهم يتعلَّق بفعل الإخبار.

* * *

وأنشد بعده :

(جاءُوا بِمَذْقٍ هل رأيتَ الذِّئبَ قَطّْ)

على أنَّ جملة (هل رأيت الذئب قَطّْ) محكيّة بقول محذوف ، تقديره بمذقٍ مقول فيه : هل رأيت الخ .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهِد السادس والتسعين من أوائل الكتاب[٣]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[٤] :

٧٢٢ (أَجُهَّالاً تَقُولُ بنى لُؤَىٍّ   لَعَمْرُ أَبيك أَمْ مُتجاهِلِينا)

---

(١) ط : « ولم تزده شيئاً » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) أنشده فى الخصائص ٢ : ٣٣٨ شاهداً على إسكان ضمة الجيم فى « رجلان » . وانظر معجم الشواهد .

(٣) الخزانة ٢ : ١٠٩ – ١١٢ .

(٤) فى كتابه ١ : ٦٣ . وانظر المقتضب ٢ : ٣٤٩ وابن يعيش ٧ : ٧٨ وشذور الذهب ٣٨١ والعينى ٢ : ٤٢٩ والتصريح ١ : ٢٦٣ والهمع ١ : ١٥٧ والأشمونى ٢ : ٣٧ وملحقات ديوان الكميت ٣ : ٣٩ .

على أنَّه فصل بالمفعول الثانى بين الهمزة وبين تقول .

قال سيبويه : واعلم أنَّ قلت إنَّما وقعت فى كلام العرب على أنْ يحكَى بها ، وإنَّما يُحكَى بعد القول ما كان كلامًا لا قولا ، نحو : قلت زيد منطلق ، لأَنَّه يحسن أن تقول زيد منطلق ، وتقول : قال زيدٌ إنَّ عَمْرًا خيرُ النَّاس . وكذلك ما تصرَّف من فِعْله ، إلاَّ تقول فى الاستفهام شبَّهوها بتظنّ ولم يجعلوها كيظُنّ وأظنّ فى الاستفهام ، لأَنَّه لا يكاد يُستفْهَمُ [المخاطَبُ][١] عن ظنٍّ غيره ، ولا يُستفهَم هو إلاَّ عن ظنه . فإنَّما جُعلت كتظنّ كما أنَّ ما كليس فى لغة أَهل الحجاز ما دامت فى معناها ، فإذا تغيَّرتْ عن ذلك أَو قُدِّم الخبرُ رجعَتْ إلى القياس وصارت اللُّغات فيها كلغة بنى تميم . ولم تُجعَل قلتُ كظننت ، لأَنَّها إنَّما أصلُها عندهم أن يكون ما بعدها محكيًّا ، فلم تدخل فى باب ظننت بأَكثر من هذا . وذلك قولك : متى تقول زيدًا منطلقًا ، وأتقول[٢] عمرًا ذاهباً وأَكلَّ يومٍ تقول عمرًا منطلقاً ، لا تفصل بها كما لم تفصل فى أَكلَّ يومٍ زيدًا تضربه . وتقول : أأنت تقول زيدٌ منطلق ، رفعتَ لأَنَّه فُصِل بينه وبين حرف الاستفهام ، كما فُصِل فى قولك : أأنت زيدًا مررت[٣] به ، فصارت بمنزلة أخواتها ، وصارت على الأَصل، كما قال ٢٤ الكميت :

أَجُهَّالاً تقولُ بنى لؤىٍّ . . . . البيت

---

(١) التكملة من سيبويه .

(٢) ش : « وأقول » ، صوابه فى ط .

(٣) فى سيبويه : « أأنت زيد مررت به » برفع « زيد ». وهما وجهان جائزان ، والأرجح عند الفصل الرفع .

وقال عمر بن أبى ربيعة :

أمَّا الرَّحِيلُ فدونَ بَعْدِ غَدٍ فمتى تقولُ الدَّارَ تجمَعُنا[١]

وإن شئتَ رفعت بما نصبتَ فجعلته حكاية . وزعم أبو الخطَّاب وسألتُه عنه غير مرّة . أنَّ ناساً يُوثق بعربيتهم ، وهم بنو سُليم ، يجعلون باب قلت أجمع مثلَ ظننت . انتهى كلام سيبويه .

قال الأعلم : الشاهد فيه على أنَّه أعمل تقولُ عملَ تظنُّ لأنَّها بمعناها ولم يُرِدْ قولَ اللِّسان ، وإنَّما أراد الاعتقادَ بالقلب . والتقدير : أتقول بنى لؤى جهّالاً ، أى أتظنُّهم كذلك وتعتقدُه فيهم ؟ فبنِى لؤىّ المفعول الأوّل ، ومتجاهلينا المفعول الثانى . وأراد ببنى لؤىٍّ جُمهور قريش كلِّها.

وهذا البيتُ من قصيدةٍ يفخَر فيها على اليمن ، ويذكرُ فضلَ مُضَرَ عليهم فيقول : أتظنُّ قريشًا جاهلين أو متجاهلين حين استعملوا اليمانيِّين فى ولاياتهم ، وآثَرُوهم على المُضَرِيِّين ، مع فَضْلهم عليهم. والمتجاهل: الذى يستعمل الجهل وإنْ لم يكن من أهله . ا هـ .

وقال ابن المستوفِى : أنشدهُ سيبويه للكُميت ، ولم أره فى ديوانه. والذى فى ديوان شعره :

أنُوّاماً تقول بنى لؤىٍّ لَعمرُ أبيك أم متناومينا
عَن الرَّامى الكِنانةَ لم يُرِدْها ولكن كاد غَيرَ مُكايَدينا

يقول : أتظنُّ أنَّ قريشًا تغفُل عن هجاءِ شعراءِ نزار ، لأنَّهم إن هجَوْا مُضَرَ والقبائل التى منها هؤلاءُ الشعراءُ فقد تعرَّضوا لسبِّ قريش ، فَهُم[٢]

(١) ديوان عمر ٣٩٤ ، والعينى ٢ : ٤٣٤ .
(٢) ط : « فيهم » ، صوابه فى ش .

بمنزلة من رمَى رجلاً فقيل : لم رميته ؟ فقال : إنّما رميت كنانتَه ولم أرمِه ، وكان غرضُه أن يصيبَ الرَّجل . فيقول : من هجا بنى كنانة وبنى أَسد ومن قُرب نسبُه من قريش فقد تعرَّض لسبٍّ قريش . يحرِّض الخلفاءَ عليهم والسُّلطان . ا هـ .

وقول سيبويه : وإن شئت رفعتَ بما نصبتَ فجعلته حكاية ، قال المازنى : غلط سيبويه فيه ، لأَنَّ الرفع بالحكاية ، والنَّصبَ بإعمال الفعل. وأُجيب بأَنَّ مراده : وإن شئت رفعت فى الموضع الذى نصبت ، أَو أَنَّ الباءَ زائدة فى المفعول .

وأقول : هذه القصيدة تقدَّم أبياتٌ منها فى عدَّة مواضع ، وأوَّل ما مرَّ فى الشاهد السادسَ عشر من أَوائل الكتاب مع ترجمة الكميت[1] وتقدَّم هناك سببُ نظْمها . وهَجَا فيها الأَعورَ الكلبيَّ فإنَّه هجا مضر ومدحَ أَهل اليمن .

وتقدَّم بيتٌ منها فى الشاهد الرابع والعشرين[2] .

وقوله : (لعمر أَبيك) مبتدأٌ مضاف ، وخبره محذوف أى قسمى ، وجواب القسم محذوف أَيضاً ، والتقدير : أَجهّالاً تقول بنى لؤى أَو متجاهلين ، لعمر أَبيك لتخبرنِّى . إلاَّ أَنَّه قدم القَسَم واعترض به بين الفعل ومفعوله ، وحذف الجواب لدلالة الاستفهام عليه ، إذْ معلومٌ أَنَّ المستفهِم يطلب من المستفهَم منه أَن يخبره عمَّا استفهمه [عنه[3]] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٣٩ — ١٤٧ .
(٢) الخزانة ١ : ١٧٨ — ١٨١ .
(٣) التكملة من ش .

الأفعال الناقصة

أَنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد السبعمائة[١] :

٧٢٣ (فصِرْنا إلى الحُسْنَى ورَقَّ كلامُنا
ورُضْتُ فذلَّتْ صعبةً أَىَّ إذلالِ)

على أَنَّ (صار) تامّة ونا فاعلها، أَى رجعنا وانتقلنا . يقال: صار الأَمرُ إلى كذا، أَى رجَع. والحسنى إمّا اسمُ مصدرٍ بمعنى الإحسان ، وإمَّا صيغة مؤنَّثِ أَحسن ، أَى إلى الحالة الحسنى . و (رقَّ) بمعنى لطُف. و(رُضْتُ) فعل وفاعل مِن رُضت الدابة رياضة: ذلَّلتُها . وصَعبةً مفعول رضت . وذلَّت من ذلَّت الدابة ذِلًّا بالكسر : سَهُلت وانقادت ، فهى ذلول . وذلَّلتها بالتثقيل فى التعدِية وكذلك أذللته بالهمزة. وقوله (أَىَّ إذلالِ) مفعول مطلق ، عامله رُضْتُ . قال الزجاج عند تفسير قوله تعالى ﴿ كتابَ الله عَليكم[٢] ﴾ : منصوب على التوكيد ، محمولٌ على المعنى ،لأَنَّ معنى ﴿ حُرِّمت عليكم أُمَّهاتُكُمْ[٣] ﴾ : كتبَ الله عليكم هذا كتابًا، كما قال الشاعر :

* ورُضْت فذلَّتْ صعبةً أَىّ إذلال *

لأَنَّ معنى رُضت أَذللت . ا هـ .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لامرئ القيس تقدّم بعضٌ منها فى الشاهد الثالث من أَوّل الكتاب ، وبعضٌ منها فى التاسع والأَربعين . وقبله :

---

(١) المقتضب ١ : ٧٤ والمحتسب ٢ : ٢٦٠ وديوان امرئ القيس ٣٢ .
(٢) الآية ٢٤ من سورة النساء .
(٣) الآية ٢٣ من سورة النساء .

(فلمَّا تنازَعْنا الحديثَ وأَسْمَحَتْ
هَصَرتُ بغُصْنٍ ذى شَماريخَ مَيَّـــالِ)

وتنازعنا : تجاذبنا . وأَسمحَتْ : وافقَتْ على ما أُريد منها . وهَصَرتُ : جذبت وأَمَلْت . والباءُ فى « بغصن » زائدة فى المفعول . وأَراد بالغصن قامتَها. والشَّماريخ، إمَّا جمع شِمراخ بالكسر، وإمَّا جمع شُمروخ كعصفور، فإنَّهما يجمعان على شماريخ ، وهو ما يكون فيه الرُّطَب .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[(١)]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد السبعمائة[(٢)] :

٧٢٤ (أَيقَنْتُ أَنِّى لامَحَا لَةَ حيثُ صارَ القَوْمُ صائرْ)

على أَنَّ (صار) فيه تامَّة ، أَى أَيقنت أَنى منتقل حيث انتقل القوم . فصائرٌ خبر أَنَّ ، وصار بمعنى انتقل ، والقومُ فاعله .

و (لا مَحالة) بفتح الميم : لا تغيير ولا تبديل، وأَنِّى بفتح الهمزة.

أبيات الشاهد

و (أَيقنت) جوابُ لمَّا فى البيت قبله ، وهو :

(فى الذَّاهبينَ الأَوَّليـــ نَ من القُرونِ لنا بَصائرْ
لمَّـــا رأَيتُ مَـــوارِدًا للمـــوتِ ليس لها مَصادرْ
ورأَيتُ قـــومى نحوها يَمضِى الأَصاغرُ والأَكابرْ
لا يرجـــعُ الماضى إلَـــ ىّ ولا مِنَ الباقين غابرْ
أَيقنت أَنِّى . . . .) البيت

---

(١) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .
(٢) البيان ١ : ٣٠٩ والأغانى ١٤ : ٤٠ .

والقرون : جمع قرن بالفتح ، قال الزجاج : هو أَهل كلِّ مدّة كان فيها نبيٌّ أَو طبقة من أَهل العلم ، سواءٌ قلَّت السِّنونَ أَو كثُرَتْ . والموارد : جمع مورد ، وهو محلُّ الورود ، أَى الإِتيان . والمصادر : جمع مصدر ، وهو موضع الصُّدور ، أَى الانصرافُ والرُّجوع . وغابر ، بالمعجمة : اسم فاعل من غَبر بمعنى مَكث وبقِىَ ، وبمعنى مضى أَيضًا فهو ضدّ .

صاحب الشاهد وهذه الأَبياتُ لقُسّ بن ساعدة . روَى أَهلُ السِّيَر والأَخبار ، بسندٍ متَّصل إِلى ابن عبَّاس ، أَنَّه قال : قدم وفدُ إِيادٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَيُّكم يعرف القُسَّ بنَ ساعدة الإِيادىّ ؟ قالوا: كلُّنا نعرفه يا رسولَ الله . قال : فما فعل ؟ قالوا : هلَك . قال :
٢٦ ما أَنساهُ بعكاظَ على جملٍ أَحمر وهو يقول : أَيُّها الناس ، اجتمِعوا واسمَعوا وعُوا . مَنْ عاش مات ، ومَن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت. إِنَّ فى السماء لخبرًا ، وإِنَّ فى الأَرض لَعِبرًا . مهادٌ موضوع ، وسَقفٌ مرفوع ، ونجومٌ تَمُور ، وبحارٌ لا تغور . أَقسَمَ قُسٌّ قسمًا حَتْما ، لئن كان فى الأَمر رضًا ليكونَنّ سَخَطًا . إِنَّ لِلهِ لدِيناً هو أَحبُّ إِلىَّ من دينكم الذى أَنتم عليه . مالى أَرى النَّاسَ يذهبون ولا يرجعون ؛ أَرَضُوا بالمقام فأَقاموا ، أَم تُركوا فناموا !

ثم قال : أَيُّكم يروى شعره ؟ فأَنشدوه :

فى الذاهبين الأَوَّليـــ ... نَ من القرونِ لنا بصائرْ

إِلى آخر الأَبيات الخمسة .

وتقدَّمت ترجمة قُسٍّ فى الشاهد الثانى والتسعين من أَوائل الكتاب[1]

• • •

(١) الخزانة ٢ : ٨٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد السبعمائة[١] :

٧٢٥ (غدَا طاوِيًا يعارِضُ الرِّيح هافياً)

على أنَّ ابن مالك قال : (غَدَا) فعلٌ تامٌّ يكتفى بفاعله ، والمنصوب بعده حالٌ كما فى البيت .

قال (فى التسهيل) : والأَصحُّ أن لا يُلحق بها غدَا وراحَ .

قال شارحه ابن عقيل : خلافًا للزمخشرى وأَبى البقاء ، فالمنصوب بعدهُما حالٌ لا خبر ، لالتزام تنكيره ، ومنه قوله عليه السلام : «تَغدُو خِماصًا وتَرُوح بِطانًا[٢]» . وبحثَ معه الشارح المحقِّق. وهذا صدرٌ وعجزه :

(يَخُوتُ بأَذناب الشِّعاب ويَعْسِلُ)

صاحب الشاهد

والبيت من القصيدة المشهورة بلاميَّة العرب ، للشَّنفَرَى ، وقد تقدَّم شرح أبياتٍ من أَوّلها مع ترجمته فى باب الاستثناء ، وفى باب الجمع. وقبله :

أبيات الشاهد

(أُديمُ مِطالَ الجُوع حتَّى أُميتَــه
وأَضربُ عنه الذِّكر صفحاً فأُذهَلُ
وأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرضِ كى لا يرى له
علىَّ من الطَّول امرؤٌ متطــوِّلُ
ولولا اجتنابُ الذَّامِ لم يُلْفَ مشــربٌ
يعــاشُ به إلَّا لدىّ ومَـــأْكَلُ
ولــكنّ نفسا مُرّة لا تقيم بـــى
على الـــذَّام إلّا ريثَمَـــا أتحـــوّلُ

(١) لامية العرب وشروحها .

(٢) فى نهاية ابن الأثير واللسان (خمص، بطن) : « كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » . أى تغدو بكرة وهى جياع ، وتروح عشاء وهى ممتلئة الأجواف .

وأَطوِى على الخُمْص الحَوَايا ، كما انطوَتْ
خُيوطَةُ مـــارىٍّ تُغـــارُ وتُفتَـــلُ
وأَغدو على القُوتِ الزهيدِ كما غدا
أَزلُّ تَهَاداه التنـــائفُ أطحـــلُ
غدا طـــاويا . . . . .) البيت

قوله : « أُدِيم مِطَالَ الجوع » إلخ المطال : مصدر ماطَله بمعنى مطله يمطُله مَطْلا ، من باب قتل ، إذا سوّفه بوعد الوفاء مرّةً بعد مرّة . وضرب عن كذا وأضرب عنه أيضًا : أعرض عنه تركًا أو إهمالاً . وصفحت عن الأَمر : أعرضت عنه وتركته . وذَهَل عن الشيء يَذْهَل، بفتحتين ، ذُهولا بمعنى غفل ، وقد يتعدّى بنفسه فيقال ذَهلته ، والأَكثر أن يتعدّى بالأَلف فيقال : أَذْهَلنِى فلانٌ عن الشيء . وقال الزمخشرى : ذَهَل عن الأَمر : تناساه عمداً وشُغِل عنه . وفى لغةٍ : ذَهِل يَذهَل من باب تعب . وجملة أُديمُ مستأْنفة ، وحتَّى بمعنى إلى متعلقة بأُديم . وأَضرب معطوفة على أُديم ، وأَذهَل معطوف على أَضرب لا على أُديم ، لأَنَّ الفاءَ للترتيب ٢٧
والتعقيب . والذِّكر مفعول أَضرِب وصفحًا تمييز ، أَو مصدرٌ فى موضع الحال ، أى معرضاً . يقول : أَقوَى على ردِّ نفسى عما تهوَى وأَغلبُها ، وأَذهَلُ عن الجوع حتى أنساه .

وقوله : « وأَستَفُّ ترب » إلخ ، يقال سَفِفت الدواءَ وغيره من كلِّ شيءٍ يابسٍ أَسَفُّهُ ، من باب تعب ، سفًّا ، هُو أَكْله غير ملتوت . وهو سَفُوفٌ مثل رسول . واستففت الدواءَ مثل سَفِفته . والطَّول: مصدر طالَ على القوم يَطُول من باب قال ، إذا أَفْضَلَ عليهم . وتطوّل : تفضَّل . وكىْ إمّا بمعنى اللام حرف جر وأَن مضمرة ، أَو بمعنى أَنْ واللام مقدّرة . وفاعل

يرى امرؤ ، وله متعلقة بيرى ، ومفعول يرى محذوف أى شيئًا ، ومن الطَّوْل بيانٌ له ، وقيل نعت له . وعند الأخفش المفعول هو الطَّول ومِن زائدة ، وعلىَّ متعلق بيرى . ولا يجوز أن يتعلق بالطَّوْل ، لأَنَّ المصدر لا يتقدّم معمولُه عليه . ويجوز عند الشارح المحقِّق تعلُّقه به لأَنَّه ظرف.

وقوله : « ولولا اجتناب الذَّام » الخ ، الذام : العيب ، يُهمز ولا يهمز. ويُلْفَ: يُوجَد ، يتعدّى إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر . ومَشربٌ نائب الفاعل ، وهو المفعول الأَوَّل فى الأَصل ، ويعاش به صفته . ولدىَّ ظرف بمعنى عندى ، وهو متعلق بمحذوف على أَنَّه المفعول الثانى ووقع الحصر فيه . ومأْكل معطوف على مَشرب ، أى لم يوجد مَشربٌ يُعاش به ومأْكلٌ كذلك إلاَّ حاصليْن لدىَّ .

وأَخطأَ معرب هذه القصيدة(١) فى قوله : « ويعاش به نعتٌ لمشرب ، والتقدير : إلاَّ هو لدىَّ ، محذوفُ المبتدإِ للعلم به ، ولدىّ خبره ، ومأْكل معطوف على هو . ا هـ .

وخطؤه من وجهين ظاهرين للمتأَمِّل .

وقوله : « ولكنّ نفسًا » إلخ ، لكنّ هنا للتأْكيد ، فإِنَّ ما بعدها مؤكِّد لما قبلها من الصِّفات ، وخبرها محذوف تقديره لى . ومُرَّة صفة نفس بمعنى أَبيَّة كالمُرَّة ، فى أَنَّ كلاًّ منهما ممتنع على مُتناوِله . وروى: « حُرَّةٌ » بدل مُرَّة . وجملة لا تقيم بِى صفة ثانية لنفس ، أَو استئنافيّةٌ جوابُ سؤال مقدّر .

---

(١) لم يعين البغدادى اسم هذا المعرب هنا وكذلك فيما سيأتى فى ص ٣١، ٢٠٨، ٥٤٥ بولاق .

وزعم مُعرب هذه القصيدة أنَّ الجملة خبر لكنَّ . وتقيم ، من الإقامة فى المكان وهو اللَّبْث فيه ، والباءُ فى بى للمصاحبة على أنَّها فى موضع الحال . وقال مُعرب هذه القصيدة : بى متعلِّق بتقيم ، والمعنى تقيمنى فهو مفعول به . ا هـ .

وهذا لا وجه له . وعَلَى متعلِّقةٌ بتقيم . والاستعلاءُ هنا معنوىٌّ نحو : ﴿ لهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ[١] ﴾ ، ويجوز أن تكون للمصاحبة . ورَيْثَ فى الأَصل مصدرُ راث ، أى أَبطأَ ، استعمل هنا للظرف الزَّمانىّ ، أى إلاَّ بمقدار تحوُّلى . فما مصدريّة ، وقيل ما زائدة ، وقيل كافَّة . وقيل نصب ريثَ على الحال .

وقوله : « وأطوى على الخُمْص » إلخ ، الخمص بالضم : مصدر خَمُصَ الرجلُ خُمْصًا فهو خميص ، إذا جاع ، مثل قَرُب قُرْباً فهو قريب . كذا فى المصباح . وقيل: الخُمص بالضم : الضمر ، وبالفتح : الجوع . وعلى هنا للمصاحبة ، متعلق بأَطوِى . والحوايا مفعول أطوى ، جمع حَوِيَّةٍ ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة ، وهى الأَمعاءُ فى الجوف . والخُيوطة : جمع خيط ، والتاءُ لكثرة الجمع نحو : حجار وحجارة . وقال التبريزى : أتى بالهاءِ للتأْنيث ؛ إذْ كان بمعنى الجماعة . والمارِىّ : الفتَّال ، وهو الذى يَفتِل الحبال . وتُغارُ : يُحكم فتْلُها . يقال أغار الفَتْلَ ، أى أبرمَه وأَحكمه . ومرادهُ تُفتَل وتغار . ولا يضرُّ التأْخير ، فإنَّ الواو لاتدلُّ على الترتيب . وقوله : « كما انطوت » الكاف نعتٌ لمصدرٍ محذوف ، وما مصدرية . ومصدر انطوت الانطواءُ ، وليس بمصدر أَطوِى ، وإنَّما المعنى أَطوى الحوايا فتنطوى كانطواءِ خُيوط الفَتَّال .

---

(١) الآية ١٤ من سورة الشعراء .

وقوله : « وأغدو على القوت » إلخ. غدا غُدُوًّا من باب قعد : ذهب غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصبح وطُلوع الشمس ، هذا أَصله ثم كثُر حتى استُعمل فى الذَّهاب أَىَّ وقت كان . كذا فى المصباح . والغداة والغُدْوة واحد ، كما فى القاموس. وعلى هنا للتعليل بمعنى اللام ، كقوله تعالى : ﴿ ولتُكبِّروا الله على مَاهَدَاكم[1] ﴾ . والزهيد: القليل الذى يُزهَد فيه . والكاف نعت لمصدر محذوف ، أَى غدوًّا كغُدُوِّ الأَزلّ ، والأَزلُّ : الذِّئب الأَرسح ، بالمهملات ، أَى القليل لحم الفخذين . والأَزَلّ لا ينصرف للوصف ووزن الفعل ، وكذلك أَطحَل . والذئب الأَزلُّ : الخفيف الوركين ، وهذه صفةٌ لازمة له . قال التبريزى : الأَزلُّ : الأَرسح ، وبه يوصف الذئب . ومن أَمثالهم :

* لا أُنْسَ فى الذئب الأَزلِّ الجائعِ *

وقال بعضهم : قلت لأَعرابىٍّ : ما الأَرسح ؟ فقال : الذى لا اْستَ له . ووصف رجلٌ فارسًا فقال : قاتله الله ، أَقبل بِزُبْرَةِ الأَسَدِ، وأَدبَرَ بعَجُز ذِئب . وذلك أَنَّه يُحمَد من الفارس أَن يكون أَشعَرَ الصَّدر ، وأَن يكون ممسوحَ الاست كالذئب .

والتنائف : جمع تَنوفة ، وهى الفلاة . ومعنى تهاداه : تتَّخذه هديّة ، كلَّما خرج من تنوفة ودخل فى أُخرى . وهو مضارعٌ محذوف من أَوله التاء ، وأَصله تتهاداه . ويجوز أَن يكون ماضياً ، وإنَّما لم يقل تهادته[2] بالتأْنيث لأَنَّ التنائف مؤنَّث مجازىّ ، وجملة تهاداه صفة أَزلّ ، وكذلك

---

(١) الآية ١٨٥ من سورة البقرة . أما الآية ٣٧ من الحج ففيها : « لتكبروا الله على ما هداكم » ، غير مسبوقة بالواو .

(٢) ط : « تهاديه » ، صوابه فى ش .

أطحلُ. وذئبٌ أَطحَلُ وشاةٌ طحلاءُ. والطُّحلة بالضم: لونٌ بين الغُبرة والسَّواد ببياض قليل. وقال التِّبريزى: الأَطحل: الذى لونه لون الطِّحال.

وقوله: «غدا طاويًا» إلخ، غدا يحتمل أن يكون بمعنى ذهَب غُدوة، ويحتمل أن يكون بمعنى دخَل فى الغُدوة، ويحتمل أن يكون بمعنى ذهب أىَّ وقتٍ كان مجازًا، من باب استعمال المقيَّد فى المطلق. فغدا على هذه الوجوه تكون تامّة، وطاويًا يكون حالاً من ضمير غدَا الراجع إلى أزلّ. ويحتمل أن يكون بمعنى يكون فى الغُدْوة، فيكون غَدَا من الأَفعال الناقصة، وطاويًا يكون خبرها، وغدا معفاعلها المستتر استئنافيّة منقطعة عمّا قبلها، ويجوز أن تكون الجملةصفة أُخرى لأَزلّ، أَو حالاً منه بتقدير قَدْ. وطاويًا يحتمل أن يكون من طوى المتعدِّية المتقدّمةِ، أى طاوياً أحشاءه على الجوع، فالمفعول محذوف بقرينة ما قبله، يقال طوى الشىء طَيًّا فهو طاوٍ. ويحتمل أن يكون من طَوِىَ يَطْوَى طَوًى من باب فرح، أى جاع، فهو طاوٍ وطوٍ وطَيَّانُ، والأُنثى طَيًّا وطاوية. وبهذا يضمحل قول المُعرب: وليس من قولك طوِىَ يطوَى إذا جاع، لأَنّ الاسم منه طوٍ مثل عَمٍ وشجٍ، مع أنّه قال قبل هذا: وطاويًا يجوز أن يكون من طوَى المتعدِّية. فنقض بكلامه الأَخير ما قدَّمه.

وقال التبريزى: يقول غدا طاويًا، وطوَاه من الجوع، كأَنّه طَوى أمعاءه عليه، يقال رجل طاوٍ وطَيَّان والأُنثى طاوية وطَيًّا[1]، والمصدر الطَّوَى، وهو خُمْص البطن من أىّ شىءٍ كان.

هذا كلامه، ولا يخفى أنَّه تخليط بين المعنيين.

---

(١) ط: «وطياء» فى هذا الموضع وتاليه، صوابه فى ش.

« ويعارض الريح » أي يستقبلها فى عَرْضها ، ويصادِمُها ؛ ومنه المعارضة بمعنى المخالفة . و« هافيا » يحتمل أن يكون من هفا الطائر بجناحِهِ
٢٩ يهفو ، أي خفَق وطار . ويحتمل أن يكون من هفا الظبي يهفو ، إذا اشتدَّ عدْوُه ، ومصدره الهُفُوّ على فعول . ويحتمل أن يكون من الهَفْو وهو الجُوع ، يُقال رجل هافٍ أي جائع . وقال التبريزى : هافيًا : يذهب يمينًا وشِمالا من شدَّة الجوع. ويَخُوت ، بالخاءِ المعجمة والتاءِ المثناة أي يختل ويختلس ، يقال خات البازى واختات أي انقضَّ على الصَّيد ليأْخذه . وقال الفراءُ: يقال ما زال الذئبُ يختات الشاة[1] بعد الشَّاة، أي يختلها فيسرقُها . وإنَّهم يختاتون اللَّيل ، أي يسيرون ويقطعون الطريق . فجملة يعارض ويخوت وهافيًا ، أخبارٌ أُخَر لغدا إن كانت ناقصة ،أو أحوال من ضمير طاويا[2] ، أو أحوالٌ متداخلة ،أو الجملتان صفتان للنكرة قبلهما . وتجوز هذه الأَوْجُه كلُّها ما عدا الأَوَّل ، إن كانت غدا تامّة ، ويجوز حينئذ أيضًا أن يكون[3] طاويًا مع ما بعده أحوالًا من الضمير فى غدا .

والباءُ فى قوله : « بأَذناب » بمعنى فى . وأذناب : جمع ذَنَب بفتحتينِ، وذنب كلّ شيءٍ : مؤخَّره . وذِنابة الوادى ، بالكسر : الموضع الذى ينتهى إليه سَيْله ، وكذلك ذَنَبُه ، وذِنَابته أكثر من ذَنَبه . و« الشِّعاب » بالكسر : إمَّا جمع شِعب بالكسر أيضاً ، وهو الطَّريق فى الجبل ، وإمَّا جمع شُعبة بالضم، وهو المسيل الصغير. وقال التبريزى: الشِّعاب: مسايلُ صغارٌ. وأذنابها: أواخرها . ويَعسِل معطوف على يَخُوت ، بكسر السين من باب فرح . فى

(١) فى النسختين : « يختال » ، صوابه ما أثبت . وانظر اللسان (خوت) .
(٢) ش : « طاوى » ، وأثبت ما فى ط .
(٣) ش : « تكون » .

الصحاح : والعَسْل والعَسَلان : الخَبَب . يقال عَسَل الذئب يَعسِل عَسْلاً وعَسَلانا ، إذا أعنق وأسرع . وكذلك الإنسان . والذئب عاسل والجمع العُسَّل والعواسل . وعسلَ الرُّمحُ عَسَلاناً : اهتزَّ واضطرب ، والرمح عَسَّال. وقال التبريزى : ويَعسِل، إذا مَرَّ مرًّا سهلا فى استقامة . ومن ذلك يقال للرمح عَسّال، إذا تتابع عند الهزّ ولم يكن كزًّا . ومتعلِّق يَعسِل محذوفٌ يدلُّ عليه ما قبله(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد السبعمائة(٢) :

٧٢٦ (يَرُوح ويَغْدُو داهنًا يتكَحَّلُ)

على أنَّ (يروح ويغدو) وإن كانا بمعنى يدخلُ فى الرَّواح والغداة فهما تامَّانِ ، والمنصوب حال . وإن كانا بمعنى يكون فى الرَّواح والغداة فهما ناقصان .

وقد تقدَّم الكلام على يغدو . وأمَّا الرَّواح فقد قال صاحب الصحاح : والرَّواح : نقيض الصَّباح ، وهو اسمٌ للوقت من زوالِ الشَّمس إلى الليل . وقد يكون مصدرَ قولك راح يروح رَوَاحاً ، وهو نقيض قولك : غدا يغدو غدُوًّا . اهـ .

قال أبو سهل الهَرَوىّ : الصواب الرَّواح : نقيض الغدُوّ . وقال صاحب المصباح : راح يروحَ روَاحًا ، وتروَّح مثله ، يكون بمعنى الغدوّ ، وبمعنى الرُّجوع. وقد طابق بينهما فى قوله تعالى: ﴿ غدوُّها شَهرٌ ورَوَاحُها شَهر ﴾ أى ذهابها ورجوعها . وقد يتوهَّمُ بعض الناس أنَّ الرَّواح لا يكون

---

(١) أى ويعسل بأذناب الشعاب .

(٢) لامية العرب وشروحها .

إلّا فى آخر النهار ، وليس كذلك ، بل الرَّواح والغدوّ عند العرب يُستعملان فى المسير أىّ وقتٍ كان، من ليلٍ أو نهار . قاله الأزهرىُّ وغيره . وعليه قوله عليه السلام : « من راح إلى الجمعة أوّلَ النَّهار[1] فله كذَا » ، أى مَنْ ذهَب . ا هـ .

فقوله يروح إن كان بمعنى يرجع فى الرَّواح أو يرجع مطلقا أى فى
٣٠ أى وقت كان، من باب استعمال المقيَّد فى المطلق مجازًا، أو يدخل فى هذا الوقتِ الذى هو الرَّواح ، فالفعل تامٌّ . وإن كان بمعنى يكون فى الرَّواح فالفعل ناقص ؛ لقوله[2] يروح ويغدو . وإن كانا تامَّين فداهنًا حالٌ من فاعل أحدِهما ، وهو ضميرٌ مستتر ، وتكون حال الآخَر محذوفة .والأَوْلى أن يكون حالًا من فاعل يغدو. ولا يقدَّر ليروح حال . وداهن: اسم فاعل من الدَّهن ، يقال دَهنت الشعر وغيره دَهْنا من باب قتل . والدَّهن : استعمال الدُّهن بالضم ، وهو ما يُدهَن به من زيت أو طِيب . وجملة « يتكحَّل » حال أيضًا إمَّا من فاعل يغدو ، وإمَّا من فاعل داهناً . ويجوز أن يكون صفة لداهنًا . وإن كانا ناقصين فداهنًا خبر يَغْدو ، ويكون خبر يروح محذوفاً ، وجملة يتكحل إمَّا خبر بعد خبر ، أوحال من ضمير داهن ، أو صفة له. ويجوز أن يكون داهناً خبر يروح، وجملة يتكحَّل خبر يغدو ، فلا حذف . وهذا أولى على تقدير النقص .

ويجوز أنْ يكون أحد الفعلين تامًّا والآخَر ناقصاً . فتأمَّلْ .

وهذا المصراع عجزٌ وصدرُه :

(ولا خالفٍ دارِيَّة متغزِّل)

---

(١) فى المصباح : « من أول النهار » .
(٢) ش : « فقوله » ، صوابه فى ط .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أيضًا من لاميَّة العرب . وقبله :

أبيات الشاهد

(ولستُ بمهيــاف يعشِّي سَوامَــهُ مُجدَّعةً سِقْبــانها وهى بُهَّــلُ
ولا جُبَّإٍ أكهَى مُــرِبٍّ بعِرْسِــه يُطــالِعها فى شأْنه كيفَ يفعلُ
ولا خَــرِقٍ هَيْــقٍ كأَنَّ فــؤادَه يظلُّ به المُكَّاءُ يعلو ويَسفُلُ
ولا خــالِف داريَّــةٍ متغزِّلٍ يروح ويغدُو داهنًا يتكحَّــلُ)

قوله : « ولست بمهياف » إلخ. قال التِّبريزى : المهياف الذى يَبعُد بإبله طلبَ الرَّعى على غير عَلَم ، فيُعْطِشها ويُسىءُ بها . و (فى العباب) : قال الأصمعىُّ : رجلٌ مهياف : سريع العَطَش. وأنشد هذا البيت . (وفيه أيضاً) : وقال الليث : المهياف الذى قد هافت إبلُه . ويعشِّى سَوامَه : يُطعمها عَشاءَها ، والعَشاءُ : الطَّعام بعينه ، وهو خلاف الغَداء ؛ وكلاهما بالفتح والمد . والسَّوام : المال الراعى ، اسم جمع لسائمة . ومجدَّعة بالجيم والدال المهملة : اسم مفعول من جدَّعت الصبىَّ تجديعاً ، إذا أَسأْتَ غِذاءَه. ويقال جَدَعته بالتخفيف من باب منع . وفيه لغةٌ أُخرى أجدعت الصبىَّ إجداعاً . وجَدِع الصبىُّ من باب فرح ، إذا ساء غذاؤه . وقيل المجدَّعة هنا : المقطَّعة أطراف الآذان ليُصرَف عنها العَين . وقال التِّبريزى : والمجدَّع : السيئُ الغِذاءِ ، والأَصل فيه أَن يطرح الراعى ولدَ الناقة على الضَّرع لتدرَّ الناقة ، فإذا مَصَّ شيئًا واجتمع اللبنُ نحَّاه وحلَب اللبن . والسِّقبان بالكسر : جمعُ سَقْب بالفتح . فى الصحاح : السَّقب : الذكر من ولَد الناقة ، ولا يقال للأُنثى سَقْبَةٌ ولكنْ حائل[1] . والضمير المؤنث يرجع إلى السَّوام . قال التبريزى : وروى ثعلب : « سَقْباتُها » بجمع المؤنث السالم . والمحفوظ الأَول .

(١) هذا قول ، وفى قول آخر أن الأنثى سقبة ، كما فى اللسان والقاموس ، وفيهما أيضاً أن الجمع سقبان بضم السين .

و « بُهَّل » : جمع باهل . فى العباب : وناقة باهلٌ: لاصرارَ عليها . وأنشد هذا البيت . وقال التِّبريزى : البهَّل : جمع باهلةٍ وباهل ، وهى المخلَّاة لا يتعهَّدها راعيها . ويقال بَهَلَ الرجلُ ، إذا مضَى لا قيِّمَ عليه . وأبهلته ، إذا تركتَه مخلًّى . والباهلة أيضا : التى لا صِرار عليها ، لتَرضَعها أولادُها فتكون أسمَن وأحسن . والباءُ فى قوله « بمهياف » زائدة فى خبر
٣١ ليس . ويعشًّى صفة له ، وسوامَه مفعول يعشًّى ، ومجدّعة حال سببيّة لسوامَه . وسِقبانها نائب فاعل مجدَّعة ، وجملة وهى بُهَّل حال من سوامَه. وصَفَ الشَّنْفَرَى نفسَه بالجلادة وحُسن التعهُّد لمالِهِ وجودةِ القيام عليه .

وقوله : « ولا جُبّإٍ أكهى » إلخ . الجُبَّأُ ، بضم الجيم وفتح الموحَّدة المشددة بعدها همزة ، على وزنُ سُكَّر : هو الجبَان ، والخائفُ . والأَكهَى بالقصر ، قال التبريزى : هو الكَدِر الأَخلاق الذى لا خيرَ فيه . وقال ثعلب : هو البليد ، مثل الكَهَام . والمُرِبّ : اسم فاعل من أَرَبَّ بالمكان أى لزمَه وأقام فيه ، والعِرس ، بالكسر : الزَّوجة . يقول : لست أُسىءُ الرِّعْية ولا أَجبُن ، ولا أَقيمُ مع النساءِ وأُشاورهنَّ فى أُمورى . وجُبَّإٍ بالجر معطوف على مهياف ، ولو عُطف بالنصب على موضعه لجاز . وأكهى ومُربّ وصفان لجبّإٍ . قال المُعْرب : الباءُ فى بعرسه بمعنى فى ، أىْ مقيم فى بيت عرسه . ويجوز أن تكون بمعنى علَى ، أى مقيم على عرسه . وجملة يطالعها حال من الضمير فى مُرِبّ ، وفى شأْنه متعلِّق بيطالعها .

وقوله : « ولاَ خَرِقٍ هَيْقٍ » إلخ. هذا أيضًا بالجر معطوف على مهياف . والخَرِق بفتح المعجمة وكسر المهملة بعدها قاف ، قال الزمخشرى: هو المَدْهوشُ من الخوف . والهَيْق ، بفتح الهاء وسكون المثناة التحتية ، هو الظَّليم ، أى النعام فى نِفاره عند حدوثِ مروِّع . والمُكَّاءُ ، بالضم

والتشديد والمد : طائر . أى كأَنَّ فؤاده على جناحِ طائر . وهذا تحقيق لجُبْنه وتحيُّره .

وقوله : « ولا خالفٍ دارِيَّة » ، هذا أَيضاً بالجرّ للعطف على مهياف . والخالف ، بالخاءِ المعجمة : من لا خير فيه . ودارِيَّةٍ بالجر صفة لخالف ، وهو المقيم فى داره لا يفارقه . والتاءُ زائدة للمبالغة . والدارىّ أَيضًا : العطَّار ، منسوب إلى دَارِينَ: فُرضة بالبحرين ، فيها سوقٌ كان يحمل إليها مسكٌ من ناحية الهند . قال الزمخشرى : ويحتملهما كلامُه ؛ لأَنَّ العطَّار يكتسب من رِيح عطره فيصير بمنزلة المتعطِّر ، فالمعنى لست ممَّن يتشاغل بتطييب بدنه وثوبه . أَو يلازم زوجته فيكتسب من طِيبها . والمتغزِّل : الذى يغازل النِّساء . فى الصحاح : مغازلة النساءِ : محادثتهنّ ومُراوَدتهنّ . تقول : غازلتُها وغازلتْنى ، والاسم الغَزَل . وتغزَّل ، أَى تكلَّف الغزل . وجملة يروح صفة متغزّل أَو حال من ضميره .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد السبعمائة[1] :

٧٢٧ (بتَيهــاءَ قَفْرٍ والمطــىُّ كأَنَّهــا
قَطَا الحَزْنِ قد كانَتْ فراخًا بُيوضُها)

على أَنَّ (كان) فيه بمعنى صار .

والتَّيهاءُ: المفازة التى لا يُهتَدى فيها، فَعْلاءُ من التِّيه ، وهو التَّحيُّر . يقال تاهَ فى الأَرض يتيه تَيْهاً وتَيهَاناً ، أَى ذهبَ متحيِّراً . والقفر : المكان الخالى . يصف المطىَّ بِسُرعة السَّير ، كأَنها[2] بمنزلة قَطًا تركت

(١) المعانى الكبير ٣١٣ وأسرار العربية ١٣٧ وابن يعيش ٧ : ١٠٢ والأشمونى ١ : ٢٣٠ واللسان (عرض ٤٩) وديوان ابن أحمر ١١٩ .
(٢) ط : « فإنها » ، صوابه فى ش .

بُيُوضًا صارت أفراخًا، فهى تمشى بسرعة إلى أفراخها . ومعنى كانت : صارت ، لأَنَّ البُيوضَ صارت أفراخًا ، لا أَنَّها كانت فراخًا . والقطا : طائر سريعُ الطَّيَران . والحَزْن بفتح المهملة وسكون المعجمة : ما غلُظ من الأَرض ، وهو ضدُّ السَّهل، وأَضاف القطا إليه لأَنَّه يكون قليلَ الماء ، فتكون قطاه أَكثَرَ عطشاً ، فإذا أَراد الماءَ كان سريعَ الطَّيَران . قال الأَصمعى ، ونقله ابن قتيبة (فى كتاب أَبيات المعانى) : أَراد أَنَّها شربت من الغُدُر فى الرَّبيع ، فإذا فرَّخت ودخلَتْ فى الصَّيف احتاجت ٣٢
إلى طلب الماءِ على بُعْدٍ ، فيكون أَسرعَ لطيرانها . وإنَّما تفرُّخ بيضَها إذا جاءَ الحرّ . فأَراد أَن يخبر عنْ سُرعة طيرانها عند حاجتها إلى الماءِ[1] .

ووجب تقدير كان بصار هنا ليصحَّ المعنى ، ولو قدِّر بكان لفسد ، لكونه محالا .

ومثله قول شَمْعلة بن أَخْضَر ، من شعراءِ الحماسة

فخرَّ على الأَلاءَة لمْ يُوسَّــدْ وقد كان الدِّماءُ له خِمارا[2]

قال ابن جنى (فى إعرابه للحماسة) : كان هنا بمنزلة صار . أَنشد أَبو علىّ : بتيهاءَ قفر والمطىُّ ...... البيت ، أَى صارت .

وهذا وجهٌ من وجوه كانَ خفىٌّ . ا هـ .

ومثله قول رؤبة :

* والرأْسُ قد كان له قَتيرُ[3] *

---

(١) هذا النص مخالف لألفاظه فى المعانى الكبير ، ولا يعدو أن يكون ترجمة وتعبيراً عن ألفاظ ابن قتيبة .

(٢) الحماسة ٥٦٧ بشرح التبريزى، والمؤتلف ١٤١ .

(٣) ديوانه ١٧٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٣ . ويروى : « شكير » .

أى صار .

وبقى وجهٌ آخر لم يرتضه الشارح المحقِّق ، ولهذا لم يذكره ، وهو أن تكون كان على بابها ويُدَّعَى القلب فى الكلام ، ويكون الأَصل : قد كانت فراخُهَا بيوضًا ، كقول الآخر :

. . . . كمـــا كان الزِّناءُ فريضةَ الرَّجْمِ[1]

أَراد : كما كان الرَّجم فريضةَ الزنى .

وما اختاره الشارح المحقِّق هو مذهب ثعلبٍ ، وأَبى على ، وابن جِنِّى ؛ وهو الجيِّد ، لأَنَّ القلب لا يُصار إليه إذا وُجد وجهٌ آخر .

وأَما قوله : (بيوضها) فقد رواه ثعلب بضم الباء . ومَشَى عليه (فى الإيضاح) مستشهدًا به على أَنَّه جمع بيض ، كبيت وبيوت ، وخالفه (فى التذكرة) وجزمَ بأَنَّ بيوضها بفتح الباء بمعنى ذات البيض ، واستبعد رواية الضم ، وقال : فإنْ قلت ما تنكر أن يكون بُيوضها بضم الباء ؟ فالقول فى ذلك أَنَّه يبعُد وإنْ كانوا قد قالوا التُّمور ، لاختلاف الجنس ، لأَنَّ البيض هنا ضربٌ واحد وليس بمختلف ، فلا يجوز أن يجمع . وهذا الاستبعاد مبْنِىٌّ على أَنْ يكون جمعَ بَيض ، والصَّحيح أنه جمع بيضة ، كما أَنَّ مُئُونًا جمع مَأْنة وهى السُّرَّة وما حولها ، لاَ أَنَّه جمع بَيْض لعدم الاختلاف المسوِّغ للجمع . وهذا أَولى من الطَّعن فى رواية ثعلب .

ويؤيِّد روايتَه قولُ بعض بنى نُمير :

يُضِلُّ القطا الكُدرىُّ فيها بُيُوضَهُ ويَعوِى بها من خيفة الهُلْكِ ذيبُها[2]

---

(١) للنابغة الجعدى فى ديوانه ١٣٥ ، وانظر معجم الشواهد . والبيت بتمامه :

كانت فريضة ما أتيت كما كان الزناء فريضـــة الرجم

(٢) فى ط : « ويعدى بها » ، صوابه فى ش .

وقول الجعدى :

* لهن أداحىٌّ به وبُيُوضُ (١) *

فإنْ قال قائل: هذا جعل بيوضاً جمع بيضة، كما جعل سِخالًا جمع سخلة، ومُئُونًا جمع مأْنة . فالجواب أن نقول : إنَّما جعل سِخالاً جمع سخلة لا سخل، وإن كان باب كلٍّ واحدٍ منهما أن لا يكسَّر ، لأَنَّ امتناع التكسُّر فى أَسماءِ الأَجناس أَقوى . أَلا ترى أَنَّ أَسماءَ الاجناس كلَّها لا يجوز تكسير شىءٍ منها بقياس . وقد نصَّ على ذلك سيبويه فى باب جمع الجمع . والآحادُ المخلوقة كلُّها يجوز تكسيرها بقياس ، فيما عدا هذا الباب ، فكانَ جعلُ سِخال جمع سخلة أَوْلَى من جعلها جمع سَخل لذلك . وأَما بُيُوض فالذى أَوجَبَ عليه أَن يجعلها جمع بَيْض لا بيضة أَنَّه رأَى أن فُعولا فى جمع فَعْل مقيس، نحو فَلس وفلوس ؛ وفُعول فى جمع فعلة، نحو بَدْرة وبُدُور، غير مقيس، فيرجُح عنده جَعلُ بيوض جمع بيض لذلك . ومن ذلك صخور وتمور وأَشباهه . وليس كذلك فِعال فإنَّه جمع لفعلةٍ وفَعْلٍ بقياس ، نحو جِنَان وكِلاب . وجعل مُئُونًا جمعَ مأْنة لمَّا لم يُسمع مَأْن . وأَمَّا على قول أَبى علىٍّ فلا بدَّ من تقدير مضاف ، والتقدير : كانت بيوضها ذات أَفراخ ، ولا قلبَ فى الكلام حينئذ ، كما فى صورة جَعْلِ كان بمعنى صار مع رواية الباءِ . وإنَّما يدَّعى القلب فى صورة جَعْلِ كان على بابها مع رواية ضمّ الباءِ . ٣٣

والقطا: ضربٌ من الطَّير ، وهو نوعان : كُدرىٌّ وجُونىّ . فالكُدرىّ غُبر الأَلوانِ رُقْش الظُّهورِ والبُطون ، صُفْر الحلوق ، قِصارُ الأَذناب .

---

(١) لم يرد فى ديوان النابغة الجعدى .

والجُونيّ سُود البطون سُود بطونِ الأَجنحةِ والقوادم ، بيض الصُّدور غُبْر الظُّهور ، وفى عنق كلٍّ واحد منها طَوْقانِ : أَصفر وأَسود .

وقوله :(بتيهاءَ قَفر) الجارّ يتعلّق بقوله : « والعيس تجرى غُروضها » فى بيت قبله .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات لابن أحمرَ ، وهى :

أبيات الشاهد

(لعَمْرِى لئن حلَّتْ قُتَيْبة بلدةً ... شـديدًا بها المقْحَمِين عَضيضُها
فللّهِ عينَا أُمِّ فَرعٍ وعَبْـرةٌ ... تُرقرِقُها فى عَيْنهـا أَو تُفِيضُهـا
أَلا ليتَ شعرى هل أَبيتنَّ ليلةً ... صحيحَ السُّرى والعِيس تُجرى غروضُها
بتيهـاءَ قَفْـرٍ والمطىُّ كأَنَّها ... قَطَا الحزْنِ قد كانت فراخًا بيُوضُها)

وفى شرحها : قتيبة : بطنٌ من باهلة . والمُقْحَمون : الذين أقحمتهم السَّنة ، وهى القُحْمة بالضم ، أى القحط . وعَضيضها : عضُّها . وصَحيح السُّرى ، أى غير جائرٍ عن القَصْد، فيكون أَسرعَ لقصده لصحّة سراه . فتمنَّى أَن يصحَّ سُراه ويستقيمَ ليعجل إلى مقصِده . وغُروضها : أنساعها. أَى إنَّها قد أُضمرت حتى قد كانت ، أَى قد صارت . بيوضُها : جمع البيض . انتهى .

ومعنى البيت أَنَّ المطىَّ براها السَّير وحملَها على المتاعب، حتَّى صارت كالفراخ فى الضَّعف والهُزال ، بعد ما كانت قويَّةً سِمانًا كالدَّجاج البَيُوض ، بإضافة الفراخ إليها . انتهى .

وهذا كلامُ مَن لم يقف على الرواية . والتى فى عامة نسخ شعره :

أُريهمْ سُهيلاً والمطىُّ كأَنَّهـا ... قَطَـا الحـزن . . . . إلخ

قال شارحه : قوله أُريهم سُهيلاً، يعني أصحابه وإن لم يجرِ له ذكر، لدلالة الحال عليه ، أي يريهم مَطْلِعَه الذى ببلاد أحبابه التى يقصدها ، فهو يتمنى أن يصحَّ سُراه إلى مَقصده ليريَهم مطلعَ سُهيلٍ ببلاد أحبابه[١] وتكون[٢] المطىُّ على الحال التى وَصَفها من قَلق غُروضها وأنساعها. لحثّه إيَّاها على السُّرى الذى أهزلها[٣] فقلقَت أنساعها[٤]. وشبَّهها بسُرعة القطا التى فارقتْ فراخَها لتحمل إليها الماءَ فتسقيَها ، فهو أسرعُ لطيرانها . ودَلَّ كلام الشاعر على أنَّه أراد : يريهم سهيلاً من آخِر الليل ، لأَنَّ القطا إنَّما تصير كما ذكر فى الصَّيف . وطلوع سُهيل بالحجاز يكون عند فتور الحرّ ، فى عِشرِى آب[٥] من شهور الروم .

وقوله : (والمطىُّ كأَنَّها) حال من فاعل تجرى فى البيت المتقدّم، على الرواية الأُولى ، وصاحب الحال فى الرواية الثانية ضمير الجمع فى أريهم سهيلا . والعامل أرى ، كقولك : جئتك والشمس طالعة . وقوله : (قد كانت) إلخ حالٌ من القطا ، والعامل ما فى كان من معنى التَّشبيه. و (فراخًا) خبر مقدم لكان ، و(بيوضها) اسمها المؤخر .

وابن أحمر شاعر إسلامىٌّ مخضرم ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأَربعمائة[٦] .

* * *

(١) الكلام من « أحبابه » السابقة إلى هنا ساقط من ش .

(٢) ش : « وتقول » ، صوابه فى ط .

(٣) ش : « التى هزلتها » . والسرى تذكر وتؤنث ، بل لم يعرف اللحيانى فيها إلا التأنيث .

(٤) ط : « فقلقلت » ، صوابه فى ش .

(٥) ط : « فى عشر آب » . والمراد فى اليوم العشرين من آب .

(٦) الخزانة ٦ : ٢٥٧ – ٢٥٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد السبعمائة[١] :

٧٢٨ (سَرَاةُ بنى أبى بكر تَسَامَى على كانَ المَسَوَّمةِ العِرابِ)

على أنَّ (كان) فيه زائدة بين الجار والمجرور .

وزيادتها عند الشارح قسمان :

أحدهما : زيادة حقيقيَّة ، تزاد غير مفيدةٍ لشىءٍ إلاَّ محضِ التوكيد، ٣٤
يكون وجودُها فى الكلام وعدمُها سواءً ، لا تعمَل ولا تدلُّ على معنى .

ثانيهما : زيادةٌ مجازيَّة ، تدلُّ على معنًى ولا تعمل .

ومثَّل للأوَّل بهذا البيت وبالآية الشريفة[٢] ، وبقولهم : لم يوجد كان مثلُهُم . ومثَّل للثانى بما كان أحسن زيدًا ، وبقولهم : إنَّ من أفضلهم كان زيدًا ، وبالبيت أيضا ، فجعله متردِّداً بينهما .

وما ذكره أحدُ مذاهبَ ثلاثة :

الأوَّل : مذهب ابن السَّرَّاج ، واختاره ابن يعيش ، قال : والذى أراه أنْ تكون زائدةً دخولُها كخروجها، لاعملَ لها فى اسمٍ ولا خبر ، ولا هى لوقوع شىءٍ . وإليه ذهب ابن السَّرَّاج ، قال (فى أصوله) : وحقُّ الزائد أن لا يكون عاملاً ولا معمولا ، ولا يحدثَ معنًى سوى التأكيد . ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿كيف نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فى المَهْدِ صَبِيًّا﴾ أنَّ كان فى

---

(١) سر الصناعة ١ : ٢٩٨ والأزهية ١٩٧ وابن يعيش ٧ : ٩٨ ، ١٠٠ والضرائر ٧٨ ورصف المبانى ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ والعينى ٢ : ٤١ والتصريح ١ : ١٩٢ ، والهمع ١ : ١٢٠ والأشباه والنظائر ٢ : ٣١١ والأشمونى ١ : ٢٤١ ، ويس ١ : ١٩١

(٢) يعنى قوله تعالى : « من كان فى المهد صبيا » ، وهى الآية ٢٩ من سورة مريم . وانظر شرح الرضى ٢ : ٢٧٢ .

الآية زائدة ، وليست الناقصة ، إذ لو كانت الناقصة لأفادت الزمان ، ولو أفادت الزمان لم يكن لعيسى عليه السلام فى ذلك مُعجزة ، لأنَّ الناس كلّهم فى ذلك سواءٌ ، فلو كانت الزائدة تفيد معنى الزَّمان لكانت كالناقصة ، فلم يكن للعدول إلى جعلها زائدةً فائدة . ومن مواضع زيادتها قولهم : إنَّ من أفضلهم كان زيدا ، فكان مزيدةٌ لضرب من التأكيد ، إذ المعنى أنّه فى الحال أفضلُهم وليس المراد أنَّه كان فيما مضى ، إذ لامَدْحَ فى ذلك . ولأنَّك لو جعلت لها اسماً وخبرًا لَكَانَ التقدير : إن زيدًا كان من أفضلهم ، وكنت قد قدَّمت الخبر على اسم إنَّ وليس بظرف ، وذلك لا يجوز . وقولُ الشاعر :

* على كانَ المسَوَّمةِ العِـــرابِ * . . . البيت

كان فيه زائدة . وعند هذا القائِلِ دَلالتُها على الزَّمان يستدعى كونَها ناقصة .

الثانى : مذهب السيرافى ، قال : لسنا نعنى أن دخولها كخروجها فى كلِّ معنى ، وإنما نعنى بذلك أنَّها ليس لها عمل ، ولا هى لوقوع شيء مذكور ، ولكنَّها دالَّة على الزمان الماضى (١) وفاعلها مصدرها ، وذلك كقولك : زيد كان قائم ، تريد كان ذلك الكون ، وقد دلَّت على الزمان الماضى ، ولو خلا منها الكلامُ لوجب أن يكون ذلك فى الحال . وقول الشاعر :

* على كان المسوَّمةِ العِرابِ *

كان ذلك الكونُ . وإذا قدِّر هذا التقدير كانت كان واقعة لوقوع شيء مذكور ، وهو ذلك الكون .

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الماضى » التالية ساقط من ش .

ثالثها : قال ابن يعيش : ذهب قومٌ إلى أنَّ كان زيدت على وجهين: أَحدهما أَنْ تُلغى عن العملِ مع بقاءِ معناها ، والآخر أَن تلغَى عن العمل والمعنى معاً . وإنما تدخلُ لضربٍ من التأْكيد . والأَوَّل نحو قولهم : ما كان أَحسن زيدًا ، المراد أَنَّ ذلك كان فيما مضى ، مع إلغائها عن العمل ، ومعناه ما أَحسن زيدًا أَمس ، فهى فى ذلك بمنزلة ظننت ، إذا أُلغيت بطل عملها لا غير ، نحو قولك : زيد ظننتُ منطلق . أَلا تَرى أَنَّ المراد : فى ظنِّى . وأَما الثانى فنَحو قوله :

* على كانَ المسوَّمةِ العِرابِ(١) *

ومنه قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فى الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ . ولو أُريد فيها المضىُّ لم يكن لعيسى عليه السلام فى ذلك معجزة، لأَنَّه لا اختصاصَ له بِذَلكَ الحكمِ دونَ سائر الناس .

وقوله : (سَرَاة بنى أَبى بكر) الخ، قيل هو جمع سَرِىّ ، وقيل اسمُ جمع له ، وهو الشَّريف . قيل : ويحتمل أَن يكون بالضم ، جمعَ سارٍ كقضاة جمع قاض . و (تَسامى) أَصله تتسامى بتاءَين ، من السموِّ، وهو العلوّ . و(المسوَّمَة) : الخيل التى جُعلت عليها سُومةٌ بالضم ، وهى العلامة، ٣٥
وتُركت فى المرعى . (والعِراب) : الخيل العربيَّة ، وهى خلاف البراذين. والمعنى أَنَّ ساداتِ بنى أَبى بكر يركبون الخيولَ العربيَّة . وروى: (المطهَّمة) بدلَ المسوَّمة ، وهو التامُّ الخِلقة من كلِّ حيوان . وروى: (جيادُ بنى أَبى بكر) إلخ ، وهو جمع جَواد، وهو الفَرسُ السَّريع العَدْو . والمعنى على هذه الروايةِ أَنَّ خيل هؤلاءِ تفضلُ على خيول غيرهم .

---

(١) ش : « وعليه » ، وما أثبت من ط يوافق ابن يعيش .

وقال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : السَّرِىُّ : ذو السخاء والمروءة ، وروى : (جياد) فإن كان جمع جيِّد فهما متقاربان ، أو جواد، فالممدوح خيلهم ، والمعنى حينئذ : على المسوَّمة العِراب من جيادِ غيرهم .

وهذه الرواية وهذا التفسير أظهر ، إذ ليس بمعروف تفضيلُ النَّاس على الخيل ،وكأنه فهِم أنَّ تَسامَى بمعنى التفاضُل ، وليس كذلك كما ذكرنا .

ثم قال : وتَسامَى إمَّا مضارع ، أو ماضٍ على حدِّ : الركْب سارَ . ويؤيِّده أنه روى : « تسَامَوْا » . ورَوَى الفرّاءُ : «المطهَّمةِ الصِّلاب » ، أى ذوات الصَّلابة أى الشِّدّة .

وهذا البيت مع شُهرته وتداوله لم أَقفْ على خَبر له . والله أعلم .

تتمــة

ذهب ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) إلى أنَّ زيادة كان فى الشعر، وأنَّها تكون دالَّة على المضىّ دائماً . وكلاهما خلاف المرضىّ . قال : ومنها زيادة كان للدلالة على الزَّمان الماضى ، نحو قول الفرزدق :

* فى الجاهليةِ كان والإسلامِ [(١)] *

وقول الآخر ، أنشده الفارسى :

فى غُرَف الجنَّةِ العُليا الّتى وجَبتْ لهم هناك بسَعْيٍ كان مشكورِ [(٢)]

يريد : بسَعى مشكور ، وقول الآخر ، أنشده الفراء :

* على كان المسوَّمةِ العرابِ *

---

(١) هو الشاهد التالى لشاهدنا هذا ، وصدره :
* فى لجة غمرت أباك بحورها *
(٢) البيت للفرزدق فى ديوانه ١٦٥ والضرائر ٧٧ .

وقول غيلان بن حُرَيث :

* إلى كِناسٍ كانَ مستعيدِهِ[١] *

يريد إلى كِناسٍ مستعيدِهِ . وقول امرئ القيس ، فى الصَّحيح من القولين :

أرى أُمَّ عمرٍو دمعُها قد تحـدَّرا بكاءً على عمرٍو وما كان أَصبَرَا[٢]

يريد : وما أَصبر ، أى وما أَصبرها .

وقد تزاد فى سَعَة الكلام ، ومنه قول قيس بن غالب البدرىّ[٣] :«ولدت فاطمة بنتُ الخُرشُب الكمَلة من عبس ، لم يوجَدْ كان مثلُهم». إلاَّ أنَّ ذلك لا يحسُن إلاَّ فى الشعر . وإنما أوردتُ زيادتَها فى فعلٍ دون زيادة الجملة لأَنَّها فى حال زيادتها غير مسندة إلى شىء . وسبب ذلك أنَّها لما زيدت للدَّلاله على الزمان الماضى أشبهت أمسِ ، فحكم لها بحكم أَمس . هذا كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد السبعمائة[٤] :

٧٢٩ (فى لُجَّةٍ غمَرَتْ أَباك بحورُها فى الجاهليّةِ كان والإسلامِ)

على أنَّ (كان) زائدة بين المتعاطفين لا عملَ لها ، ولا دلالةَ على مضىّ .

---

(١) مجاز القرآن ٢ : ٧ . ونسب فى مجاز القرآن ٢ : ١٤٠ إلى العجاج .

(٢) ديوان امرئ القيس ٦٩ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) ضرائر ابن عصفور ٧٧ والأشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان الفرزدق ٨٥٠ والنقائض ٢٦٤ .

أَمَّا الأَوَّل فظاهر . وأَمَّا الثَّانى فلأَنَّ المعنى أَنَّ الغَمْر ثابتٌ فى زمن الجاهليَّة وفى زمن الإسلام ، لاأنَّه كان فى الجاهليَّة وانقطع ؛ لأَنَّ المعطوف يـأْبَى هذا المعنى . وكذا (كان) فى قولهم : لم يوجد كان مثلُهم ، فإنَّها لو كانت دالَّةً على المضىّ لاقتضى أنَّه يوجد مثلهُم الآن . وهذا خلافُ المقصود .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للفرزدق هجا بها جريرًا . وقبله يخاطبه :

أبيات الشاهد (أَشْبَهْتَ أُمَّك إذْ تعارض دارمًا بـأَدِقَّةٍ متقاعسِينَ لئـامِ
وحسِبتَ بحرَ بنى كليب مُصدِرًا فغرِقتَ حين وقعْتَ فى القَـمقامِ

٣٦ فى حومة غمرت أَباك بحورها) . . . . . إلخ .

قوله : « أشبهت أُمَّك » إلخ ، يريد: أَشبه عقلُك عقلَ أُمّك حين تُفاخر بكليب دارمًا . وكليب : رهط جرير ، ودارم : فخذٌ شريف من قبيلة تميم . وأَدِقَّة : جمع دقيقٍ ، يريد به الضَّعيف الضئيل . والمتقاعس: المتـأَخِّر عن المجد والشَّرف . ولئام : جمع لئيم .

وقوله : « وحسبت بحر » إلخ ، ويروى: « وحسبتِ حَبْلَ بنى كليب » يقول : ظننت أَنَّ بنى كليب ينجُّونك مما قد وقعتَ فيه حين تعرَّضتَ لى . ومُصْدِر : اسم فاعل من أَصدرته ، بمعنى رَجَعته . والقَمقام : البحر .

وقوله : (فى لُجَّةٍ غمرَت) إلخ ، اللُّجَّة : معظم الماء . وروى بدله : (فى حَوْمة) بمعناه . قال شارح المناقضات: «حَومَة الماء: مجتمعُه ومُعظمُه [1]» ، وهو بدل من القمقام . و (غَمرَت) : غطَّت . والغَمْر : الماءُ الكثير . وقد غمره الماءَ يغمُره ، أى عَلاهُ . و (البحر) : الماءُ الكثير ، وكلُّ نهرٍ عظيم . (والجاهلية) : الزمان الذى كثُر فيه الجُهّال ، وهى ما قبل

(١) الذى فى النقائض ٢٦٤ : « مجتمعه وكثرته » .

الإسلام . وقيل أيَّام الفَتْرة . وقد تُطلَق على زمن الكفر مطلقًا ، وعلى ما قبل الفتح .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد الثلاثون بعد السبعمائة[٢] :

٧٣٠ (بَدَا لك فى تِلْكَ القَلُوصِ بَدَاءُ)

على أن (بَدَاءُ) فاعل بدا ، وهو مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل ، والتقدير : بدا لك رأىٌ بادٍ ، ولمَّا كان ظاهر هذا الشعرِ على طِبْق « ثَبَتَ الثُّبوتُ » بجعل المصدر فاعلاً لفعله ، وهو مما لا معنَى له ، أجابَ عنه بما ذكر .

ولا يخفى أنَّه تكلُّف . والجيِّد ما قاله أبو على (فى كتاب الشعر) قال : أُضمر البداءُ فى قوله تعالى : ﴿ثم بَدَا لَهُمْ من بَعْدِ ما رأَوُا الآياتِ لَيَسجُنُنَّه[٣]﴾ لأنَّ البداءَ الذى هو المصدر قد صار بمنزلة العِلم والرأى. ألا ترى أنَّ الشاعر قد أظهره فى قوله :

لعلَّك والموعودُ حَقٌّ لِقــاؤُه بَدَا لكَ فى تلك القَلوصِ بَــدَاءُ[٤]

وكذلك صنع ابن الشجرىّ فى الآية والبيت ، وقال : ألسُنُ العرب متداوِلة فى قولهم : بدا لى فى هذا الأَمرِ بَدَاءٌ ، أى تغيَّر رأْيِى عما كان عليه . ويقال فلانٌ ذو بَدَوات ، إذا بدا له الرَّأْىُ بعد الرأى. انتهى .

---

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٢) الأغانى ١٤ : ١٥١ وأمالى القالى ٢ : ٧١ والخصائص ١ : ٣٤٠ وابن الشجرى ١ : ٣٠٦ والروض الأنف ١ : ١٧١ والمغنى ٣٨٨ وشذور الذهب ١٦٧ ، والتصريح ١ : ٣٦٨ ، والهمع ١ : ٣٤٧ ، واللسان (بدا ٧١) .

(٣) الآية ٣٥ من سورة يوسف .

(٤) فى النسختين : « حقاً لقاؤه » ، صوابه بالرفع كما فى معظم المراجع . وفى الخصائص : « صدق لقاؤه » . وفى الروض الأنف : « حق وفاؤه » .

وقد وقع هذا التركيب (فى سِيرة ابن هشام) ونصُّه : قال ابن إسحاق : ظنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ قد بدَا لِعمِّهِ بَدَاءٌ .

قال السّهيلى (فى الروض) : أى ظهرَ له رأى ، فسمِّى بَدَاءً لأنَّه شىءٌ يَبدُو بعدما خَفَى ، والمصدر البُدُوّ[(١)] ، والاسم البَداء . ولا يقال فى فى المصدر بدا له بُدُوٌّ ، كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع ، لأَنَّ الذى يظهر ويبدو ههنا هو الاسم نحو البَداء . ومن أجل أَنَّ البدُوَّ هو الظُّهور كان البَداءُ فى وصف البارى سبحانه محالاً ، لأَنَّه لا يبدو له شىءٌ كان غائباً عنه . والنَّسخ للحُكْم ليس بِبدُوّ[(٢)] كما توهَّمه جماعةٌ من الرافضة واليهود ، وإنَّما هو تبديل حُكْم بحكم ، بقدَر قدَّره ، وعلم قديم عَلِمَه . وقد يجوز أَن يقال بدا له أَنْ يفعل كذا ويكون معناه أَراد . وهذا من المجاز الذى لا سبيل إلى إطلاقه إلاَّ بإذن من صاحب الشرع ، وقد صحَّ فى ذلك ما خرَّجه البخارى فى حديث الثلاثة : الأَعمى والأَقرع والأَبرص[(٣)] ، وأَنَّه عليه السلام قال : « بدَا لِلهِ أن يَبْتَلِيَهُمْ » . فبدا ههنا بمعى أَراد . ٣٧

وابن أَعْيَنَ ومن اتَّبعه يُجيزون البَداءَ على الله[(٤)] ، ويجعلونه والنَّسخَ

(١) فى الروض الأنف : « والمصدر البدء والبدو » . والبدو ، يقال بالفتح ، ويقال بضم الباء والدال مع تشديد الواو .

(٢) ط : « يبدو » ، صوابه فى ش والروض .

(٣) انظر الحديث وتخريجه فى الألف المختارة من صحيح البخارى . وهو الحديث رقم ٤٦٥ .

(٤) الذى فى الروض : « وذكرنا الرافضة لأن ابن أعين ومن تبعه منهم يجيزون البداء على الله » . وابن أعين هذا هو زرارة بن أعين الكوفى ، مولى بنى أسعد بن همام ، وكان رئيس الشميطية أتباع أحمر بن شميط . انظر الحيوان ٢ : ٢٦٨/٧ : ١٢٢ . وكان أحمر بن شميط هذا من أمراء المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى كان يقول بالبداء أيضاً . وعندما انهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم أحمر بن شميط رجع فلولهم إلى المختار وقالوا له : ألم تعدنا بالنصر على عدونا ؟ فقال : إن الله تعالى كان قد وعدنى ذلك لكنه بدا له . الفرق بين الفرق ٣٦ . فالقول بالبداء عند هؤلاء الإمامية انتقل من المختار إلى أتباعه وأتباع أتباعه ، وفى جمهرة ابن حزم ٥٩ أن عبد الله بن محمد =

شيئًا واحدا . واليهود لا تجيز النسخ ، يحسبونه بداءً . ومنهم من أجاز البَداء .

صاحب الشاهد

وروى الأصبهانى (فى الأغانى) أنَّ رجلا وعَدَ محمد بن بشيرٍ الخارجىَّ بقَلوصٍ ، وهى الناقة الشابّة ، ومَطَله ، فقال فيه يذمُّه ويمدح زيدَ بنَ الحسن بن على بن أبى طالب :

أبيات الشاهد

(لعلَّكَ والموعودُ حقٌّ لقاؤُه ... بَدَا لك فى تلك القَلوصِ بَداءُ[1]
فإنَّ الذى ألقَى إذا قال قائلٌ ... من الناس: هلْ أَحسَسْتَها لَعَنَاءُ[2]
أقول الذى يُبدِى الشَّمَات وإنَّها ... علىَّ وإشمات العدوِّ سواءُ[3]
دعوتُ وقد أخلفتَنِى الوعدَ دَعوةً ... بزيدٍ فلم يَضْلِلِ هناكَ دُعاءُ[4]
بأبيضَ مثلِ البدر عَظَّمَ حقَّه ... رجالٌ منَ آلِ المصطفَى ونساءُ[5])

فبلغت هذه الأبياتُ زيد بنَ الحسنِ ، فبعث إليه بقلوصٍ من جياد إبله ، فقال يمدحُه :

إذا نزلَ ابنُ المصطفى بَطْنَ تَلعةٍ ... نفَى جَدبَهَا واخضرَّ بالنبتِ عودُها[6]
وزيدٌ ربيعُ النَّاسِ فى كل شَتوةٍ ... إذا أَخلفَتْ أنواؤُها ورُعُودها

=ابن على بن الحسين ، وهو الملقب بالأفطح ، كانت له شيعة تدعى إمامته، منهم زرارة بن أعين الكوفى ، محدث ضعيف ، فقدم زرارة المدينة فلقى عبد الله فسأله عن مسائل من الفقه فألفاه فى غاية الجهل، فرجع عن إمامته، فلما انصرف إلى الكوفة أتاه أصحابه فسألوه عن إمامه وإمامهم ، وكان المصحف بين يديه ، فأشار لهم إليه وقال لهم : هذا إمامى ، لا إمام لى غيره !

(١) فى الأغانى ١٤ : ١٥١ : « حق وفاؤه » .

(٢) فى الأغانى : « هل للواعدين وفاء » .

(٣) فى الأغانى :

أقول لمن تبدى الشمات وقولها ... على به بين الأنام عناء

(٤) فى الأغانى : « وقد أخلفتنى الرأى » .

(٥) لم يرد هذا البيت فى الأغانى .

(٦) الأغانى : « بالغيث عودها » .

حَمولٌ لأَشتــاتِ الدِّياتِ كَأَنَّه سراجُ الدجى إذ قارنتْه سعودها[(١)]

انتهى .

وقوله : (لعلك والموعود) إلخ ، أَورده ابن هشام (فى المغنى) فى الجملة المعترضة من الباب الثانى ، على أَنَّ قوله (والموعود حق لقاؤه) جملة اعتراضية بين ما أَصلُه المبتدأ وبين خبره .

وأحسستَها : استفدتَها . وأحسست الشيء : وجدت حِسَّه . وقوله لُعَناءُ خبر إنَّ الذى ألتى . يقول: إن قلتُ للسائل الشامت إنِّى أَفَدْتُها فقد كذبت ، وكذبى وإشماتُ العدوِّ سواءُ .

وقوله : « بزيد » الباءُ زائدة ، أى ناديته مرَّة . وجملة وقد أَخلفتَنى الوعد اعتراضيَّة .

محمد بن بشير وقائل هذه الأَبيات محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل الخارجى ، من بنى خارجة بن عَدْوان بن عمرو بن قَيْس بن عيلان بن مضر ، ويكنى أَبا سليمان . وهو شاعرٌ فصيح حجازىٌّ من شعراء الدولة الأُمويّة ، وكان منقطعًا إلى [أبى[(٢)]] عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القُرشى ، أَحد بنى أَسَد بن عبد العُزَّى . وله ترجمةٌ طويلة فى الأَغانى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد السبعمائة [وهو من شواهد س[(٣)]] :

---

(١) الأغانى : « لأسنان الديات» . وفى النسختين هنا : « إذ قاربته » ، وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) التكلة من الأغانى .

(٣) التكلة من ش . وانظر سيبويه ١ : ٢٨٩ والمقتضب ٤ : ١١٦ والجمل ٦٢ والأزهية ١٩٧ والمغنى ٢٨٧ والعينى ٢ : ٤ والتصريح ١ : ١٩٢ والأشباه والنظائر ١ : ٤٩ ، ٦٩ والأشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان الفرزدق ٨٣٥ .

٧٣١ (فكيف إذا مَرَرْتُ بدارِ قَومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كِرامِ)

على أنَّ (كان) فيه ناقصة كما ذهب إليه المبرّد ، الواو اسمها ، ولنا خبرها ، وليست زائدة كما قال سيبويه : وقال الخليل : إنَّ من أفضلهم كان زيدًا على إلغاء كان . وشبَّهه بقول الشاعر :

فكيف إذا رأيت ديار قوم وجيرانٍ لنا كانوا كِـــرامِ اهـ .

قال الأعلم : الشاهد فيه إلغاء كان وزيادتها ، توكيدًا وتبيينًا لمعنى المضىّ ، والتقدير : وجيران لنا كرام كانوا كذلك . وقد ردَّ المبرد هذا التأويل وجعل قوله «لنا» خبرًا لها ، والصحيح ما ذهبَ إليه الخليل وسيبويه من زيادتها ، لأنَّ قوله لنا من صلة الجيران ، ولا يجوز أن تكون خبرًا لكان إلاَّ أن تريد معنى المِلك ، ولا يصح المِلْك ههنا ، لأنَّهم لم يكونوا لهم مِلْكاً ، إنّما كانوا لهم جيرة . انتهى . ٣٨

ولا يخفى أنَّ هذا تعسُّفٌ منه ، ولا فرق بين قولك : جيران لنا وبين كانوا لنا ، فإنَّ الواو فى كانوا ضمير الجيران ، واللام للاختصاص لا للمِلك .

وقد نسب الزجاج (فى تفسيرهِ) زيادة كان فى البيت إلى المبرد ، ونقل عنه غلطةً لم يغلطها أصاغر الطلبة ، قال عند قوله تعالى:﴿ إنَّه كانَ فاحشةً ومَقْتًا[1]﴾ : قال محمد بن يزيد : جائِزٌ أن تكون كان زائدة فالمعنى على هذا إنَّه فاحشة ومقت . وأنشد فى ذلك قول الشاعر :

فكيف إذا حللتَ ديارَ قــومٍ وجيـــرانٍ لنا كانوا كــرامِ[2]

---

(١) الآية ٢٢ من سورة النساء .

(٢) فى المقتضب : « إذا رأيت ديار قوم » .

وهذا غلطٌ من أبي العباس لأنَّ كان لو كانت زائدةً لم تنصب خبرها[١]. انتهى.

وهذا نقلٌ شاذٌّ، وكلهم أجمعوا على أنَّ زيادة كان فى البيت إنَّما قال به سيبويه. لكنَّ الزجاج تلميذ المبرد، وهو أدرى بمذهب شيخه. والله أعلم.

وتجويز المبرد زيادة كان فى الآية مع نصب خبرها خطأٌ ظاهر[٨].

قال ابن السِّيد (فى أبيات المعانى): وكان أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد يمتنع من زيادة كان فى البيت، ويقول: إنَّما تلغى إذا كانت مجرَّدة لا اسمَ لها ولا خبر، وأما فى البيت فالواو اسمها، ولنا الخبر، وكرام صفة لجيران. وقد ردَّ الناس هذا وقالوا: يجوز أن تكون[٣] الواو حرفًا دالاً على الجمع يؤكَّد به الجيران، كالواو فى أكلونى البراغيثُ. وهذا مذهبُ كثيرٍ من البصريِّين وبعض الكوفيين. ولأنَّه يقدِّر بلنا التأْخير، وهو صفة لجيران وقد حلَّ محله من حيث تبع الموصوف؛ ولا حاجةَ تدعو إلى انتزاعه من موضعه وتقديره مؤخَّراً. وهذا حجة أبي على. انتهى.

أقول: هذا التوجيه ضعيفٌ جداً، فإنَّ القول بحرفيَّة واو الجمع انَّما هو إذا كان بعدها جمع مرفوع كما فى المثال، وأمَّا إذا لم يأْتِ بعدها جمعٌ مرفوع فلم يقل أحدٌ إنَّها تأْتى حرفًا دالاً على الجمع. والصواب

(١) هذا تجن من الزجاج على المبرد، فإن المبرد إنما حكى قول النحويين، من زيادة كان، ولم يرتضه، بل رد عليه قائلا: «وهو عندى على خلاف ما قالوا من إلغاء كان، وذلك أن خبر (كان) (لنا)، فتقديره: وجيران كرام كانوا لنا. انظر المقتضب ٤: ١١٧ وما نقله البغدادى فيما سيأتى عن ابن السيد.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) ش: «يكون».

ما وجَّه به الشارح المحقق ، وهو أنَّ كان زِيدت مع الفاعل لأنَّه كالجزء منها ، لأنَّهم قالوا : والفاعل كالجزء من الفعل .

واستدلَّ صاحب اللباب على أنَّهما كالكلمة الواحدة باثنى عشر وجهاً ، منها زيادة الفعل مع الفاعل فى نحو هذا البيت . قال شارحه (الفالى[١]) : تقريره أنَّهم حكموا بأنَّ «كانوا» زائدة وإن كان الفعل وهو «كان» وحده زائدًا ، ولكنْ لما كان الفاعل كالجزء لم يَفُكُّوهُ عن الفعل ، فحكموا بزيادتهما جميعاً . انتهى .

وأبو على لم يجعل الواو فاعل كان ، وإنَّما جعلها ضميرًا مؤكِّداً للضمير المستتر فى الظرف الواقع صفة لجيران ، أعنى قوله لنا ، قال : لنا فى موضع الصِّفة لجيران، وفيه ضميرهم مستتر على ما عُهِد من حكم الجارّ والمجرور إذا وقع صفة ، والضمير المتَّصل بكان تأكيد له ، ولم يكنْ بُدٌّ من اتصاله لأنَّه لايقوم بنفسه . واستدلَّ على ذلك بقول الشاعر[٢] :

نحنُ بغــرسِ الوَدِىِّ أَعلمُنَا مِنَّا بطَعْنِ الكُماةِ فى السُّدَفِ

قال : فنَا من أعلمُنَا لا حاجة إليه ، لأنَّ أعلم أفعل ، وأفعل إمَّا أن يضاف ، وإما أنْ يتصل بمن ويُمنَع[٣] من إضافته . وإذا كان كذلك فلابدَّ من تخريج يصحُّ عليه الاعراب ، وذلك أنَّه تأكيد للضَّمير فى منَّا . ولقوَّةِ تناوله قدَّموه ليدلُّوا على شدَّةِ اتصاله . وإذا جاز ذلك فى أعلم [مع[٤]] ما بعده كان فى كان أولى وأحسن .

هذا كلامه ، ونقله عنه اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) .

---

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، تصحيف سبق التنبيه عليه فى مواضع كثيرة .
(٢) هو سعد القرقرة ، أو قيس بن الخطيم . وانظر معجم الشواهد .
(٣) فى النسختين : « يمنع » ، والوجه إثبات الواو قبلها .
(٤) التكملة من ش .

٣٩ وقد جمع ابن هشام (فى شرح الشواهد) جميعَ ما للعلماء من التخاريج فى هذا البيت قال :

« لنا » قيل خبر مقدَّم ، ثم اختلف على قولين :

أَحدهما : أَنَّه خبر مبتدأ ، والأَصل لنا هم ، ثم زيدت كان بينهما فصار لنا كان هم ، ثم وصل الضمير إصلاحًا للَّفظ ، لأَنَّه لا يصحُّ وقوعه منفصِلا إلى جانب فعلٍ غير مشتغل بمعمول .

والثانى : أَنه خبر لكان وأَنَّها ناقصة ، وهو قول المبرِّد وجماعةٍ ، وعليه فالجملة صفةٌ لجيران، وتقدَّمت على الصفة المفردة ، والأَكثر فى الكلام تقديم المفردة .

وقيل لنا صفَةٌ لجيران ، ثم اختُلِف على قولين أَيضاً :

أَحدهما : أَنَّ كان تامة والضمير فاعل ، أَى وُجِد . ورُدَّ بأَنَّه لا فائدة فى الكلام على هذا القول .

والثانى : أَنَّها زائدة ، ثم اختلف فى الاعتذار عن الضمير على قولين: أَحدهما أَنَّ الزيادة لا تمنع العمل فى الضمير كما لم يمنع إلغاءُ ظنَّ عملَها فى الفاعل مطلقًا . قالهُ[1] ابنُ السِّيد وابنُ مالِك . وفيه نظر ، لأَنَّ الفعل الملغَى لم ينزَّل منزلة الحروف حتَّى لا يليق الإسناد إلى الفاعل ، وإنَّما هو فعلٌ صحيح وُضِع لقصد الإسناد . والثانى: أَنَّ الأَصل: كان هم،على أَنَّ الضمير توكيدٌ للضمير المستتر فى لنا ، ثم زيدت كان بينهما ، ووُصل الضميرُ للإصلاح . انتهى .

---

(١) ط : « قال » ، صوابه فى ش .

وقد لخَّصَه (فى المغنى) فى بحث لعلّ .

وقوله : على تقدير كونها تامّة مع فاعلها أنَّه لا فائدة فى الكلام[(١)] — ممنوع ، فإنَّها صفة لجيران بمعنى ثبتوا وحَصَلوا . وما أورده أوّلاً من أنَّ الأَصل لنا هم ، ثم زيدت كان بينهما ، فاتّصل بها الضمير ، هو قول صاحب الكشّاف ، قال فى قوله تعالى : ﴿ وإنْ كانت لكبيرةً[(٢)] ﴾ : وقرأ اليزيديُّ : (لكبيرةٌ) بالرفع ، ووجهها أن تكون كان مزيدة ، كما فى قوله : « وجيران لنا كانوا كرام » الأَصل : وإن هى لكبيرة ، كقولك : إنْ زيدٌ لمنطلق ، ثم وإنْ كانت لكبيرة . انتهى .

قال أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى (فى كتاب التنبيه على أغلاط أبى زيادٍ[(٣)] الكلابى فى نوادره) : روى أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى بن يزيد الجُلودى ، فى أَخبار الفرزدق ، بإسنادٍ متّصل ذكره ، أنَّ الفرزدقَ حضرَ عند الحسَن البصرى ، فأَنشده :

أَقولُ إذا رأَيتُ ديارَ قومى وجيرانٍ لنـــا كانوا كرامِ

فقال له الحسن : كرامًا يا أَبا فراس . فقال الفرزدق : ما ولدَتْنى إلاَّ مَيْسانية ، إنْ جازَ ما تقولُ يا أَبا سعيد . قال : وأُمُّ الحسن من مَيْسان. فهذا ردُّ الفرزدق عن نفسه . وقد أَصاب ، وتقدير قوله : وجيران كرام كانوا لنا . انتهى .

---

(١) انظر ما مضى فى الصفحة السابقة س ١١ — ١٢

(٢) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة : « وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » .

(٣) ط : « أبى زيد » ، صوابه فى ش . واسمه يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام بن دهن ابن ربيعة بن عمرو بن نفاثة . انظر حواشى الحيوان ٦ : ١٢٨ . قال ابن النديم ٦٧ : قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد ، فأقام بها أربعين سنة ، وبها مات . وكان شاعراً من بنى كلاب بن عامر . وأقول : إن هذا القسم من التنبيهات قد باد فيما باد من نصوص التنبيهات .

وميسان : قريةٌ من قرى العراق . يريد إنِّى لم أَكنْ من العرب العَرْباء بل من المولَّدين إنْ صحَّ ما لحَّنتنى فيه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للفرزدق يمدح بها هشام بنَ عبد الملك ويهجو جريراً ، وأوَّلها :

أبيات الشاهد

(أَلسْتُمْ عائجين بنا لَعَنَّا ... نَرَى العَرَصَاتِ أَو أَثَرَ الخيامِ

فقالوا إنْ عَرَضْتَ فأَغنِ عَنَّا ... دُموعاً غير راقئةِ السِّجامِ (١)

فكيفَ إذا مررتُ بدار قوم ... وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ (٢)

أُكفكفُ عَبْرَةَ العينين مِنِّى ... وما بعدَ المدامع من لِمامِ (٣))

قوله : « أَلستم عائجين » إلخ ، الهمزة للاستفهام التقريرى، وروى
٤٠ « هَلَ أنْتَم » بدله . وعائجون : جمع عائج ، اسم فاعل من عُجت البعير أَعُوجُه عَوْجاً ، إذا عطفْتَ رأْسَه بالزِّمام . والباءُ فى بنا بمعنى مع . وروى العينى فقط : « عالجون » باللام ، وقال : أَى داخلون فى عالج ، وهو اسم موضع . ولم أَره لغيره . وليس فى الصحاح عالَجَ بمعنى دخل فى عالج . ولَعَنَّا أَى لعلَّنا . ولعَنَّ لغة فى لعَلَّ. وعَرَصة الدار : ساحتها ، وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها بناءٌ ، وسمِّيت عَرَصةً لأَنَّ الصِّبيان يَعرِصون فيها ، أَى يلعبون ويَمْرحون .

وقوله : « إنْ عرَضْتَ » كذا رواه محمد بن المبارك (فى منتهى الطلب من أَشعار العرب) : قال صاحب الصحاح : وعَرَض الرجلُ ، إذا أَتى

---

(١) فى ديوان الفرزدق ٨٣٥ : « فقالوا إن فعلت » .

(٢) فى الديوان : « فكيف إذا رأيت ديار قومى » وفى النقائض ١٠٠٤ : « وكيف إذا رأيت ديار قوم » .

(٣) فى الديوان : « من ملام » . وفى النقائض : « من كلام » .

العَرُوض، وهى مَكَّة والمدينة وما حولَهُمَا . قال :

* فيا راكبًا إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ[(١)] *

وقول الكميت :

* فأَبلغ يزيدَ إنْ عَرَضْتَ ومُنذِرًا[(٢)] *

يعنى إنْ مررت به . انتهى .

وما هنا يحتمل كلاًّ منهما . وروى أيضًا : « إن فعلتَ » بدلَه ، أى فعلت العَوْج وهو عَطْفُ رأس الناقة بالزمام . وقوله : « فأَغنِ عَنَّا » هو أمرٌ من قولهم : أغنيت عنك ، أى أجزأت مَجزأَةً . يريد أنَّ أصحَابَه لم يوافِقوه على عطفِ الزِّمام. وقوله : « دموعاً » أصله بدموع ، فلما حذفت الباءُ نصب. وراقئة بالهمز ، من رقأَ الدمع رَقْئًا ورُقوءًا ، إذا سكَن. والسجام : مصدر سجَمَ الدمع سُجُومًا وسِجَامًا ، أى سال .

وقوله : (فكيف إذا مررتُ) إلخ ، كيف استفهام وفيها معنى التعجُّب ، وهى هنا ظرف ، والعامل فيها فعلٌ محذوف دلَّ عليه الكلام ، وهو أكُون ، وهو مقدَّر بعدها ، لأَنَّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله . والتقدير : على

---

(١) صدر بيت مشترك بين شاعرين أحدهما عبد يغوث بن وقاص الحارثى الجاهلى ، وبيته :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن ندامای من نجران أن لا تلاقيا

والآخر مالك بن الريب المازنى ، وبيته :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن بنى مالك والريب ألا تلاقيا

(٢) عجزه ، كما فى اللسان (عرض ٣٥ نمس ١٣٠) وتكلة الصاغانى ٣ : ٤٤١ ،

* وعميهما والمستسر المنامسا *

وانظر ديوان الكميت ١ : ٢٤٥ . وفى التكلة :

« هكذا وقع : وعميهما على التثنية . والصواب : وعمهما على التوحيد . ويزيد هو يزيد بن خالد بن عبد الله . ومنذر هو منذر بن أسد بن عبد الله . وعمهما هو إسماعيل بن عبد الله . والمستسر هو خالد بن عبد الله » .

أيٍّ حال أكون إذا مررت بدار قوم إلخ ، وجواب إذا محذوف لدلالة ما تقدَّم عليه ، وهو العامل فيها . كذا قال اللخمى .

وقال ابن هشام : كيف ظرفٌ لأُكفكف[1] . وفيه نظر. والتاءُ فى مررتُ للمتكلِّم ،بدليل لنا ، وأُكفكف . وروى بدله : «رأَيتُ» . وقوله : أُكفكف : أَحبس . والعَبْرة ، بالفتح : الدَّمعة . واللِّمام بكسر اللام بعدها ميم . كذا فى منتهى الطلب ، والمشهور « من ملام » .

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين من أَوائل الكتاب[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٧٣٢ (كأَنَّ سبيئةً من بيتِ رأْسٍ   يكون مزاجُها عَسَلٌ ومــاءُ[4])

على أَنَّ أَبا البقاء جوَّز زيادة (يكون) بلفظ المضارع ، وادَّعى أَنَّها هنا زائدة على روٰاية رفع مزاجُها على المبتدإ وعسل خبرها .

وكذلك قال ابن السِّيد (فى أَبيات المعانى) : تكون[5] زائدة لا اسمَ لها ولا خبر ، فيكون قوله (مزاجُها عسلٌ) جملةً من مبتدإٍ وخبر . وقد عطف ماءُ على الخبر فرفع .

---

(١) ش : « كيف لأكفكف » ، صوابه فى ط .
(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ – ٢٢٣ .
(٣) فى كتابه ١ : ٢٣ . وانظر سيرة ابن هشام ٨٢٩ والروض ٢ : ٢٨٠ والكامل ٧٣ والمقتضب ٤ : ٩٢ والأصول ١ : ٧٣ ، ٧٤ والجمل ٥٨ والمحتسب ١ : ٢٧٩ وابن يعيش ٧ : ٩١ ، ٩٣ وتسهيل الفوائد ٣٦ والمغنى ٤٥٣ ، ٦٩٥ والهمع ١ : ١١٩ والأشباه والنظائر ١ : ٢٧١ ، وديوان حسان ٣ .
(٤) ط : « كأنه » ، صوابه فى ش وسائر المراجع .
(٥) كذا فى النسختين ، وهى رواية صحيحة فى البيت ستأتى فى الصفحة التالية .

وذهب ابن الناظم أيضًا (فى شرح الألفيَّة) إلى أنَّ زيادتها بلفظ المضارع نادر . كقول أمِّ عَقيل رضى الله عنه :

أنتَ تكونُ ماجدٌ نبيلُ إذا تهبُّ شَمْأَلٌ بليلُ[(١)]

وارتضاه ابنُ هشام (فى شرح شواهده) ، لكنَّه أنكر زيادتها (فى المُغنى) ، قال : ويروى برفعهنَّ . أى برفع « مزاجُها عسل وماءُ » على إضمار الشأن . وأمَّا قول ابن السِّيد : إنَّ كان زائدة ، فخطأٌ ؛ لأنَّها لا تزاد بلفظ المضارع بقياس . ولا ضرورة لدعوَى ذلكَ هنا . انتهى .

٤١ وهذا التخريج مشهور ، وذكره[(٢)] ابن خلفٍ وغيره ، فيكون اسمها ضميرَ الشأن والأمر ، وجملة « مزاجها عسل » من المبتدإ والخبر خبرها . وذكر ابن هشامٍ اللَّخمى تخريجًا آخر بعد ذلك ، قال : اسم يكون ضمير سَبيئة ، وجملة « مزاجُها عسلٌ » فى موضع الخبر ، أَوْ إنَّ[(٣)] خبرَها مقدَّم عليها ، وهو قوله من بيت رأس ، وجملة تكون من بيت رأس صفة لسَبيئة ، وجملة مزاجها عسل صفة ثانية لها . قال : وعلى هذين القولين يقال « تكون » بالتاء . والسابق إلى هذا التخريج ابنُ السِّيد (فى أبيات المعانى) .

ثم قال : والأَحسن أن تَقول[(٤)] على هذا الوجه : تكون بالتاء ؛ لأَنَّ السُّلافة مؤنثة ، ولو قلت بالياءِ جاز ، لأَنَّ التأْنيث غير حقيقى ، وليس بالجيِّدِ .

---

(١) العينى ٢ : ٣٩ والتصريح ١ : ١٩١ والهمع ١ : ١٢٠ والأشمونى ١ : ٢٤١ وأم عقيل بن أبى طالب هى فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أم جميع ولد أبى طالب . انظر جمهرة ابن حزم ١٤ وما سيأتى .

(٢) ش : « ذكره » بدون سبق للواو .

(٣) ط : « وإن » ، صوابه فى ش .

(٤) ط : « يقول » ، وأثبت ما فى ش .

أقول : إذا أُسند الفعل إلى ضمير المؤنث المجازى » فالتأْنيث واجبٌ إلاَّ فى الضَّرورة ، وإنَّما جواز التأْنيث فى الإسناد إلى ظاهره .

وأَما بيت أُمّ عقيل فلم أَر من خرَّجه . وأَقول بعون الله تعالى : إنَّ اسمَ تكون ضمير المخاطَب المستتر فيها، وخبرها محذوف ، وماجدٌ خبر أنت ، والتقدير : أَنت ماجد نبيل تكونُه ، أَو تكون ذاك ، والجملة اعتراضيَّة بين المبتدأ والخبر .

وأُمُّ عَقِيل هى أُمُّ على بن أَبى طالب رضى الله عنهما ، واسمها فاطمة بنت أَسَد بن هاشم بن عبد مناف .

وهذا الرجز كانت ترقِّص به عَقِيلاً لمَّا كان طفلا . وقبله :

إنَّ عَقِيــلا كاسمه عَقِيــلُ ‏ ‏ ‏ ‏ وبِيَبِى الملفَّفُ المحمــولُ

وآخره :

* يُعطى رجالَ الحىِّ أَو يُنِيلُ *

وعَقيل كلِّ شىءٍ:أَفضلُه . وبَيبى : بِأَبِى ، أَى يفدَّى بأَبِى أَو مفدًّى به.

ورواه الأَزدى (فى كتاب الترقيص) :

أَنتَ تكونُ السيِّدُ النَّبيلُ ‏ ‏ ‏ ‏ إذا تهُبُّ الشمْأَلُ البَليلُ[١]

ورواية سيبويه فى البيت المتقدّم بنصب مزاجَها ، على أَنَّه خبر مقدم ، ورفع عسَل على أَنّه اسمٌ مؤخَّر . وإنْ شاءَ الله يأْتى الكلامُ عليها فى آخر الباب .

---

(١) ط : « شمأل بليل » ، وأثبت ما فى ش .

وروى أيضاً برفع مزاجها ونصب عسَلٌ على الاسم والخبر ، ويكون ارتفاع ماءٌ بفعل محذوف تقديره: ومازَجَها ماءٌ . لأَنَّ الشيءَ إذا خالط شيئًا فقدخالطه ذلك الشيءُ أَيضاً . وهذه روايةُ أَبي عثمان المازني ومختارُه، نقله عنه ابن السِّيد وابنُ خلف وغيرُهما .

وخبر كأَنَّ المشدَّدة في بيتٍ يليه ، وهو :

(على أَنيابها أَو طَعْمَ غَضٍّ   من التُّفَّاحِ هَصَّرَهُ اجتنـاءُ)

فقوله « على أَنيابها » هو الخبر . والأَنياب أَربعة أَسنان : ثنتان من يمين الثنايا: واحدة من فوق وواحدة من أَسفل ، وثنتان من شِمالها كذلك . شبَّه طَعم ريقِها بطعم خَمرٍ قدمُزِجت بعَسلٍ وماءٍ ، أَو بطَعْم تُفَّاح غضٍّ قد اجتُنِيَ . فطعمَ بالنصب معطوفٌ على سبيئة . وهَصَّره : أَمالَه . والاجتناءُ : أَخْذُ الثَّمر من الشجر . ويروى بدله: « جِناءُ » بكسر الجيم ، وهو الثمر بعينه .

والبيت الثاني ثابتٌ في ديوان حسَّان ، وهو عندي نُسخةٌ قديمةٌ تاريخ كتابته سنة أَربع وثلاثين وثلثمائة .

وكذا رواه من تكلَّم في شعره. وقد أَنكره السهيلي (في الروض) وقال: قوله: « كأَنَّ سبيئة » خبر كأَنَّ في هذا البيت محذوف ، تقديرُهُ : كأَنَّ في فيها[1] . ومثلُه في النكرات حَسَن[2] كقوله :

* إنَّ محَلاًّ وإنَّ مرتحلاَ[3] *

---

(١) في الروض ٢ : ٢٨٠ : « كأن في فيها خبيئة » .

(٢) في الروض : « ومثل هذا المحذوف في النكرات حسن » .

(٣) صدر بيت للأعشى في ديوانه ١٥٥ . وعجزه :

* وإن في السفر ما مضى مهلا *

أى إنَّ لنا مَحلًّا . وكقول الآخر[(١)] :

٤٢ * ولكنَّ زنجياً طويلاً مشافرُه[(٢)] *

وزعم بعضهم أَنَّ بعده بيتًا فيه الخبر ، وهو « على أنيابها » البيت . وهو مصنوعٌ لا يشبه شعر حسّانٍ ولا لفظَه . انتهى .

والسبيئة : فعيلة بمعنى مفعولة .وهى الخمر التى تُسبَأُ ، أى تُشترى بالهمز . قال المبرد (فى الكامل) وأنشد البيت : يقال سبأْت الخمر سبئًا ، إذ اشتريتَها . والسابئُ : الخمَّار . قال ابن السِّيد : إنَّما السابئُ مُبتاع الخمر لا بائِعُها . وهذا منه غلط . وفى القاموس : سبأَ الخمرَ كجعل، سبئًا وسِباءً ومَسْبأً : شَرَاها كاستبأَها . وبيَّاعها السَّبَّاءُ . والسبيئة ، ككريمة : الخمر . ثم قال فى المعتلّ: سَبَى العدوَّ : أَسرَه . والخمرَ سبيًا وسِباءً ، ووَهِم الجوهرى : حملَها من بلد إلى بلد . انتهى .

والجوهرى قيَّد السَّبءَ بشرائها للشُّرب . قال : فأمَّا إذا اشتريتها لتحملَها إلى بلد آخر قلت :سَبيتُ الخمر. فشراؤها للتِّجارة يكون عنده بالياء .

وردَّ عليه الصفدى (فى نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهرى من الوهم). قال : هذا تحكُّم منه، ودَعْوَى بلاد ليل . وقول ابن هَرْمَة :

---

(١) هو الفرزدق من قصيدة فى الأغانى ١٩ : ٢٤ يهجو بها أيوب بن عيسى الضبى. وليست فى ديوانه .

(٢) صدره :

* فلو كنت قيسياً إذن ما حبستنى *

وهو الشاهد ٨٧٩ فيما سيأتى . وروى : « فلو كنت ضبياً عرفت قرابتى » .

خَـودٌ تعـاطيكَ بَعْدَ رَقْدتِهـا إذا تلاها العيون مهدؤهـا[١]
كأْسًا بفيهـا صَهباء مُعْرَقَـةً يَغلو بأَيدى التِّجـارِ مَسبَؤُها

يشهد بخلاف هذا الفرق الذى أبداه[٢] . ولا يجوز سبيت الخمر بالياء إلّا على قول من يرى تحويل الهمزة. انتهى .

وروى: « كأَنَّ سُلافة » ، والسلافة: الخمر، وقيل خلاصة الخمر، وقيل ما سال من العِنب قبل العصر ، وذلك أخلَصُها . واشتقاقُها من سَلفَ الشىءُ، إذا تقدَّم. وروى أيضاً : « كأَنَّ خبيئة » ، وهى الخمر المخبَّأَة المَصُونة المضنونُ بها. وقوله: (من بيتِ رأْسٍ) متعلِّق بمحذوف على أنَّه صفةٌ أُولى لسبيئة ، وجملة (يكون) إلخ صفة ثانية لها ؛ كأَنَّه قال : سبيئةٌ مشتراةٌ من بيت رأْسٍ ممزوجةً بعَسلٍ وماءٍ . وبيت رأْس : موضع ، قال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : قال عبيد الله[٣] ابن عبد الله[٤] بنُ خُرْداذَبه : بيت رأْس : اسمُ قرية بالشام من ناحية الأُردنّ ، كانت الخمورُ تُباع فيها ، وبه ماتت حَبَابة[٥] جاريةِ يزيدَ بن

(١) فى ديوان ابن هرمة ٤٩ واللسان والتاج « سبأ » : « إذا يلاق العيون » . وما فى شرح شواهد المغنى يطابق ما هنا .

(٢) هكذا فى النسختين بالهمز . أبدأه : ابتدعه .

(٣) ش : « أبو عبيد الله » ، صوابه فى ط . وهو الجغرافى المشهور أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه ، صاحب كتاب المسالك والممالك الذى نشره دى غويه سنة ١٣٠٦ فى ليدن . وكان خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة، فتولى أبو القاسم هذا البريد والخبر بنواحى الجبل . الفهرست ٢١٢ ودائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٤٩ .

(٤) ويقال « ابن أحمد » أيضاً .

(٥) حبابة هذه بتخفيف الباء . وفيها يقول يزيد :

أبلغ حبابة أسـق ربعهـا المطـر ما للفـؤاد سـوى ذكراكم وطر

الأغانى ١٣ : ١٥٤ . ويقول القعقاع بن خليد العبسى مخاطباً لابن هبيرة :

هـلم فقـد ماتت حبابـة سامنى بنفسك يقـدمك الذرى والكواهل
أغرك أن كانت حبابـة مـرة تميحك فانظر كيف ما أنت فاعل

ابن الأثير ٥ : ٩٩ — ١٠٠ ، وكان ابن هبيرة يهدى لها ويبرها تملقاً منه ليزيد .

عبد الملك ، فمات يزيدُ بعد بضعَ عشرةَ جزعًا عليها . انتهى . وقيل : بيتٌ : موضع الخمر ، ورأسٌ : اسمٌ للخمَّار . وقَصد إلى بيت هذا الخمَّار لأَنَّ خمره أَطيبُ الخمر . وقيل الرأس هنا بمعنى الرّئيس ، أى من بيت رئيس . قال اللخمى : وهذا أحسن الأَقوال ؛ لأَنَّ الرؤساءَ إنَّما تشرب الخمر ممزوجةً . وإنَّما اشترط أن يمزُجَها لأَنَّها خمرٌ شاميّة صَليبة ، فإن لم تُمزَجْ قتلتْ شاربَها . وخصَّ العسلَ والماءَ لأَنَّ العسل أحلى ما يخالطها ، وأنَّه يذهبُ بمرارتها ، وأمَّا الماءُ فيبرِّدها ويليِّنها . وقيل: إنَّما عنَى شرابَ الرُّؤساءِ والملوك على قول من جعَلَ رأسًا : بمعنى رئيس ،لأَنَّها إذا مُزِجَتْ لا يشْرَبُها إلاَّ الرؤساءُ وأشرافُ النَّاس ، كراهيةَ أن تُخرجَهم عن عقولهم . ألا ترى إلى قول عدىّ بن زيد :

رُبَّ ركبٍ قد أَناخُوا حولَنَـــا يَشرَبون الخمرَ بالماءِ الزُّلالْ[1]

وقد عابت على جذيمةَ الأَبرشِ أُختُه شُربَ الخمرِ صِرفًا لأَمرٍ لحِقَها من ذلك ، فقالت له :

ذاكَ من شُربِك المُدامةَ صِــرفًا وتَمادِيك فى الصِّبــا والمُجُونِ

وقد مدح الله خمرَ الجنَّة لمَّا لم يكن الشاربُ يَزْوِى وجهَه لها ، فقال عزَّ من قائل: ﴿وأنهارٌ من خمرٍ لَذَّةٍ للشاربِينَ﴾[2] ، أى إنَّ الشارب ٤٣
إذا شَرِبَها لم يقطِّب وجهَه ، ولم تُخرجْه عن عَقله .

وبيتُ حَسَّان مع ما بعده مأْخوذٌ من قول امرئ القيس ، وإن كان فى قول امرئ القيس زيادةٌ أَحْسَنَ فيها ما شاء ، وأَتبع دَلْوَه فى الإجادة الرِّشاءَ ، فقال :

---

(١) ديوان عدى بن زيد ٨٢ . وانظر تخريجه فيه .
(٢) الآية ١٥ من سورة محمد .

كأَنَّ المُدامَ وصَوبَ الغَمامِ وريحَ الخُزامَى ونَشْرَ القُطُرْ[1]
يُعَلُّ به بَردُ أَنيابِها إِذَا طرَّبَ الطائِرُ المستَحِرْ

والزيادة التى زادها قوله « إذا طرَّب الطائر المستحِر » يعنى عند تغيُّر الأَفواه . فشبَّه حسان رِيقَ هذه المرأةِ بخمر ممزوجةٍ بعسل وماءٍ ، أو بطعم غَضٍّ من التُّفَّاح .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لحسانَ بن ثابت قالها قبل فتح مكَّة، مدح بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهجا أَبا سُفيان ، وكان هجا النبى صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه ، وهى هذه :

أبيات الشاهد

(عَفَتْ ذاتُ الأَصابعِ فالجِواءُ إلى عَذراءَ مَنزلُها خلاءُ[2]
ديارٌ من بنى الْحَسحاسِ قَفرٌ تُعفِّيها الرَّوامسُ والسَّماءُ
وكانت لا يزال بها أَنيسٌ خِلالَ مُروجِها نَعَمٌ وشاءُ
فدَعْ هذا ولكن مَنْ لِطَيْفٍ يُؤرِّقنى إذا ذَهَبَ العِشاءُ
لِشَعثاءَ التى قد تيَّمَتْهُ فليس لقلبِهِ منها شفاءُ
كأَنَّ خبيئةً من بيتِ رأْسٍ يكون مزاجَها عسَلٌ وماءُ[3]
إذا ما الأَشرِباتُ ذُكِرن يومًا فهنَّ لطيِّبِ الرَّاحِ الفِداءُ
نُولِّيها المَلامةَ إنْ أَلَمْنا إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاءُ
ونشربُها فتتركُنا ملوكًا وأُسدًا ما يُنهْنِهُنا اللقاءُ
عَدِمنا خَيلَنَا إن لم تَرَوْها تُثِير النَّقعَ مَوعِدُها كَداءُ

(١) ديوان امرئ القيس ١٥٧ — ١٥٨ .

(٢) ديوان حسان ٣ — ١٠ ، والسيرة ٨٢٩ — ٨٣٠ .

(٣) فى الديوان : « كأن سبيئة » . وبعد هذا البيت فى الديوان فقط :

على أنيابها أو طعم غض من التفاح هصره اجتناء

يُبارِين الأَسِنَّـــة مصغِياتٍ على أكتافها الأَسَلُ الظِّماءُ(١)
تظلُّ جيــادُنا مُتَمَطِّـراتٍ تُلطِّمهُــنَّ بالخُمُــر النِّساءُ
فإمّا تُعرِضوا عنَّا اعتمــرنا وكانَ الفتحُ وانكشَفَ الغِطاءُ
وإلاَّ فاصبِرُوا لجِــلادِ يومٍ يُعِين اللهُ فيــه مَن يَشـاءُ(٢)
وقال اللهُ: قد يَسَّرتُ جنــدًا همُ الأَنصارُ عُرْضَتُها اللِّقــاءُ
لنــا فى كلِّ يومٍ من مَعَــدٍّ قِتــالٌ أو سِبــابٌ أو هِجاءُ
فنُحْكِمُ بالقوافى مَنْ هجــانا ونَضرِب حين تختلطُ الدِّماءُ
وقال الله :قــد أرسلتُ عبدًا يقولُ الحقَّ إنْ نَفَعَ البَلاءُ
شَهِدتُ به وقومى صــدَّقوه فقلتم مــا نُجيب وما نشاءُ
وجِبريلٌ أمينُ اللهِ فينــــا ورُوح القُدْسِ ليسَ له كِفاءُ(٣)
ألا أَبلِغْ أَبا سفيــانَ عنِّــى مُغلغَلَةً فقــد بَرِحَ الخَفاءُ(٤)
بأَنَّ سيوفنا تركَتْكَ عبــدًا وعبــدُ الدار سادتُهــا الإماءُ
هجوتَ محمدًا فأَجبتُ عنه وعنـد الله فى ذاك الجَزاءُ(٥) ٤٤
أتهجــوه ولستَ له بــكفءٍ فشرُّكُما لخيرِكُما الفِــداءُ
هجــوتَ مُبارَكًا بَرًّا حنيفًا أَمينَ الله شيمتُه الوفــاءُ
أَمَنْ يهجو رسولَ اللهِ منــكمْ ويَمدحُهُ وينصُــرُهُ سَــواءُ
فإنَّ أَبى ووالدَه وعــرضى لِعرضِ محمّــدٍ منكم وِقاءُ
لســانى صــارمٌ لا عيبَ فيه وبَحــرِى لا تكدِّره الدِّلاءُ)

(١) فى الديوان : « يبارين الأعنة مصعدات » . وفى السيرة : « ينازعن الأعنة مصغيات » .
(٢) فى الديوان : « يعز الله فيه » .
(٣) موقع هذا البيت فى كل من الديوان والسيرة قبل بيت : « وقال الله قد أرسلت عبدا » .
(٤) فى الديوان : « فأنت مجوف نخب هواء » .
(٥) فى السيرة : « وأجبت عنه » .

وهذه رواية ابن هشام (فى السيرة) . وفى الديوان ثلاثة أبيات أُخَر من آخرها زيادة على هذا .

قال ابن هشام : قالها حسّان قبلَ يوم الفتح . ويروى : « لسانى صارمٌ لا عتب فيه » بالتاء . وبلغنى عن الزُّهرى أنَّه قال : لمَّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النِّساء يلطِّمن الخيلَ بالخُمُر تبسَّم إلى أبى بكر . انتهى .

وقوله : « عفَتْ ذاتُ الأَصابع » إلخ عفت بمعنى درست . وذات الأَصابع : موضعٌ بالشام . والجِواءُ بكسر الجيم كذلك . قال السهيلى : وبالجواء كان منزلُ الحارث بن أبى شَمِر . وكان حسَّانٌ كثيرًا ما يرِدُ على ملوك غَسَّانَ بالشام يمدحُهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل . وعَذْراءُ ، قال السكرى (فى شرح ديوانه) : قريةٌ على بريدٍ من دمشق ، وبها قَتَلَ معاويةُ حُجْرَ بنَ عدىٍّ وأَصحابَه .

وقوله : « ديارٌ من بنى الحَسحاسِ » ، بمهملات ، قال السكرى : الحسحاس بن مالك بن عدىّ بن النجار . وقال السُّهيلى : بنو الحسحاس حىٌّ من بنى أسد . قال السكرى : والرَّوامس : الرياح التى تَرمِسُ الآثارَ وتغطِّيها . وقال السهيلى : يعنى بالسَّماءِ المطر . والسَّماءُ لفظٌ مشتركٌ يقع على المطر وعلى السماءِ التى هى السَّقفُ . ولم نعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سقط السَّماءُ بأَرضِ قـــومٍ رَعيناهُ وإنْ كانوا غضـــابا[1]

لأَنَّه يحتمل أن يريد مطر السماء ، فحذف المضاف ، ولكن إنَّما عرفناه من قولهم فى جَمعِهِ : سُمِىٌّ وأَسمِيَة ، وهم يقولون فى جمع السَّماء سماوات ، فعلمنا أنَّه اسم مشترك بين شيئين .

---

(١) لجرير فى ديوانه ١٧ .

وقوله: « وكانت لا يزالُ بها » إلخ خلالَ ظرفٌ بمعنى بَيْنَ، خبرٌ مقدَّم . ونَعَمٌ مبتدأٌ مؤخَّر . قال السهيلى : النَّعَم : الإبل ، فإذا قيل الأَنعام دخل فيها البقرُ والغنمُ » . والشَّاءُ والشَّوِىُّ : اسمٌ للجميع ، كالضَّأْن والضَّئين ، والإبل والأَبيل ، والمَعْز والمعيز . فأَما الشَّاةُ فليست من لفظ الشاء ، لامُ الفعل منها تاءٌ .

وقوله: « فدع هذا » إلخ ، الطَّيف : الخيال . ويؤرِّقنى: يُسْهِرنى. فإنْ قيل : كيف يسهره الطيفُ والطيف حُلمٌ فى المنام ؟ فالجواب أَنَّ الذى يؤرِّقه لوعةٌ يجدها عند زواله ، كما قال الطائى[1] :

ظَبىٌ تقنَّصتُه لمَّـا نَصبتُ له ... من آخر الليـل أَشْراكًا من الحُلُمِ

ثمَّ انثنى وبِنَا من ذِكره سَقَمٌ ... باقٍ وإن كان معسولاً من السَّقَمِ[2]

وقوله: « لشعثاء التى» إلخ، شعثاءُ: بنت سَلَّام بنِ مِشْكمٍ اليهودىّ .

وبيت

* على أنيابها أو طَعمَ غَضٌّ *

إلخ لم يورده ابن هشام (فى السيرة) ، ولهذا أنكره السُّهيلى .

وقوله : « نُولِّيها الملامةَ » إلخ، يقال، أَلامَ، إذا أَتى بما يُلامُ عليه[3] . يعنى إن أَتينا بما نُلامُ عليه صرفنا اللَّوم إلى الخمر، واعتذرنا بالسُّكر. والمَغْث ، بفتح الميم وسكون الغين المعجمة بعدها مثلثة : الضَّربُ باليد. ٤٥
واللِّحاءُ : المُلاحَاة باللسان ، يروى أَنَّ حسان مرَّ بفِتية يشربون الخمرَ

(١) هو أبو تمام . ديوانه ٢٦٨ من قصيدة فى مدح مالك بن طوق التغلبى .
(٢) فى الديوان : « ثم اغتدى » و « وإن كان مغسولا » .
(٣) ط : « بالملام عليه » ، وأثبت ما فى ش .

فى الإسلام فنهاهم فقالوا : والله لقد هَمَمْنَا بتركها فزيَّنَها لَنا قولُك :

ونشربها فنتركنا ملوكًا . . . . البيت

فقال : والله لقد قلتُها فى الجاهليَّة ، وما شربتُها منذ أسلمت :

ولذلك قيل : إنَّ بعض هذه القصيدة قالها فى الجاهليَّة وقال آخرَها فى الإسلام .

وقوله : « عدِمْنا خيلَنا » إلخ النقع : الغُبارُ . وكَدَاءُ بالفتح والمد : الثَّنيَّة التى فى أصلها مقبرةُ مكةُ ، ومنها دخل الزُّبير يومئذ ودخل النبيُّ صلى الله عليه وسلم من شِعْب أَذَاخِر .

وقوله : « يبارين الأَسنَّة » ، إلخ مباراتها الأَسنَّة : أن يُضجع الرجلُ رُمحَه ، فكان الفرسُ يركض ليَسبق السِّنان . والمُصْغِيات : المَوَائل المنحرِفاتُ للطَّعن . والأَسَل : الرِّماح . ورواية ابنِ هشام : « ينازعن الأَعنَّةَ مُصغياتٍ » .

وقوله : « تظلُّ جيادُنَا » إلخ المُتَمَطِّرات : الخوارج مِن جُمهورِ الخيل . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : كان الخليل يروى : « يُطَلِّمُهنَّ بالخُمُر النِّساءُ » ، وينكر يلطِّمهنّ ، ويجعله بمعنى ينفُضْن النِّساءُ بِخُمُرهنَّ ماعليهنَّ من غبارٍ أو نحوِ ذلك(١) . قال : والطَّلْم : ضَرْبُك خُبزة المَلَّة بيدِكَ لتنفضَ ما عليها من الرَّمادِ . والطُّلمة : الخُبْزة .

---

(١) الكلام بعد «يلطمهن» إلى هنا لم يرد فى نسخة الجمهرة المطبوعة . انظر الجمهرة ٣ : ١١٦ . ولكنه فى نقل الروض الأنف ٢ : ٢٨١ وفيه : «ينفض النساء» بدل : « ينفضن النساء » التى وردت على لغة أكلونى البراغيث .

وقوله : « فنُحكِمُ بالقَوافِي » ، أَحكمَه : كفَّه ومَنَعه . ومنه سمِّى القاضى حاكِمًا لأَنَّه يمنع الناس من الظُّلم . قال جرير :

أَبَنِى حنيفةَ أَحكِمُوا سُفهاءَكمْ   إنِّى أَخافُ عليكمُ أَن أَغضَبا(١)

وقوله : « أَلا أَبلِغْ أَبا سفيانَ عنِّى » إلخ المُغلغَلة : الرِّسالة الذاهبة إلى كلِّ بلدٍ ، مِن تغلغَلَ ، إذا ذهب . وروى غير ابن هشام مصراعه الثانى كذا :

* فأَنتَ مجوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ *

والنَّخِب ، بفتح النون وكسر المعجمة : الجَبَان .

وقوله : « هجوتَ محمدًا » ، قال اللخمى : قال ابن دريد : أَخبرنا السَّكَن بن سعيد ، عن عبَّاد بن عبَّاد ، عن أَبيه قال : لما انتهى حَسَّانٌ إلى هذا البيت قال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « جزاؤك على الله الجنَّةُ يا حسَّان » .

ولمَّا انتهى إلى قوله .

* أَتهجوه ولستَ له بكفءٍ *

قال مَنْ حضَر : هذا أَنصَفُ بيت قالته العرب .

ولمَّا انتهى إلى قوله : فإنَّ أَبى ووالده وعرضى » قال صلى الله عليه وسلم : « وقاكَ الله يا حَسَّان حَرَّ النار » .

---

(٣) ديوان جرير ٥٠ واللسان (حكم) ، والكامل ٤٤٣ . وبعده :

أبنى حنيفة إننى إن أهجكم   أدع اليمامة لا توارى أرنبا

وقوله : « فشرُّكما لخيركما الفداءُ » . قال السُّهيلى :

فى ظاهر هذا اللفظِ شناعةٌ[(١)] لأنَّ المعروف أن لا يقال هو شرُّهما إلاَّ وفى كليهما شَرٌّ[(٢)] . وكذلك شرٌّ منك[(٣)] . ولكنَّ سيبويه قال : تقول مررت برجل شرٍّ منك . إذا نقَصَ عن أن يكون مثلَه . وهذا يدفع الشَّناعة عن الكلام الأوَّل . ونحوٌ منه قولُه عليه السلام : « شرُّ صفوفِ الرِّجالِ آخرُها » . يريد نقصانَ حَظِّهم عن حظِّ الصفّ الأوَّل ، كما قال سيبويه . ولا يجوز أن يريد التفضيل فى الشَّرّ . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد السبعمائة[(٤)] :

٧٣٣ (فَلَا وأَبِى دَهْمَاءَ زالَتْ عَزِيزَةً)

على أنَّه قد فصل بالجارّ والمجرور ، أعنى الجملة القسميَّة ، وهو « وأبى دهماء » بين لا النافية وبين زالت .

وهذا الفصل شاذّ . وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى) ، إلاَّ أنَّه لم يقيِّده بالشذوذ ولا بالقِلة . وكأنَّه مطَّرِدٌ عنده . قال (فى بحث الجملة المعترِضة) : ويفصَل بين حرف النفى ومنفيِّهِ ، كقوله[(٥)] : ٤٦

* ولا أُراها تَزالُ ظالمةً *

---

(١) فى الروض : « بشاعة » .
(٢) فى النسختين : « كلاهما شر » ، والوجه ما أثبت من الروض .
(٣) فى النسختين : « شر مثله » ، صوابه من الروض .
(٤) المقرب ١ : ٩٤ والضرائر ١٥٦ والمغنى ٣٩٣ والهمع ٢ : ١٥٦ .
(٥) لابن هرمة فى ديوانه ٤٨ ومعانى القرآن ٢ : ٥٤ ، ١٥٤ والكامل ٣٨٠ ، ٦٨٠ . وعجزه :

* تحدث لى نكبة وتنكؤها *

ويروى : « تحدث لى قرحة » و « تظهر لى قرحة » .

وقوله :

* فلا وأَبِى دَهْماءَ زالت عزيزةً *

قال شارحه ابن المُلاَّ الحلبى : ويجوز أن تكون لا ردًّا وحرفُ النفى محذوفًا ، ولا اعتراض . انتهى .

وقد ردَّ الشارح المحقق هذا الجوازَ فقال : وليس مِمَّا حُذِف منه حرف النَّفى إلخ .

ومراده الرَّدُّ على الفرّاء ، فإنَّه ذهب فى موضعين (من تفسيره) إلى أنَّ حرفَ النفى منه محذوف :

الأوّل فى سورة يوسف عند قوله تعالى : ﴿ تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ[1] ﴾ قال : أى لا تزال تذكر يوسف . ولا قد تُضمَر مع الأَيمانِ ، لأَنَّها إذا كانت خبرًا لا يضمر فيها لا ، لم تكن إلاَّ بلام . ألا ترى أَنَّك تقول : والله لآتينَّك . ولا يجوز : والله آتيك ، إلاَّ أَنْ تكون تريدُ لا . فلما تبيَّن موضعُها وفارقت الخبر أُضمِرت . قال امرؤ القيس :

فقلت يمينَ اللهِ أَبرحُ قاعدًا . . . . البيت[2]

وأَنشدنى بعضُهم :

فلا وأَبِى دَهْمـــاءَ زالت عزيزة   على قومِها ما فَتَّل الزَّندَ قادحُ

يريد : لا زالت .

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) عجزه فى ديوانه ٣٢ ومعانى الفراء :

* ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى *

والموضع الثاني في سورة الكهف . عند قوله تعالى : ﴿ وإذْ قال موسى لفَتَاهُ لا أَبرحُ[1] ﴾ قال : لا يكون[2] تزال وأبرح وأفتأ إلّا بجحْد ظاهر أو مضمر . فأَمَّا الظاهر فقد تراه فى القرآن : ﴿ ولا يزالونَ مُختلِفِين[3] ﴾ . والمضمر فيه الجحدُ قولُ الله تعالى : ﴿ تفتَؤُ ﴾ معناه لا تفتؤ . ومثلهُ قول الشاعر :

فلا وأبى دَهمـاءَ زالتْ عزيزة . . . . البيت

وكذلك قول امرئ القيس :

فقلت يمينَ الله أَبرحُ قاعدًا . . . . البيت . انتهى

وقد جعله ابن عُصفور من باب حذف النَّافى ، وهو ما ، لكن روى صدره على خلاف هذا . قال : ومنه حذف ما النافية وهو قليلٌ جدًّا وهو قوله :

لعمر أَبى دَهماءَ زالت عزيزةً على قومها ما فَتَّلَ الزَّندَ قادحُ

يريد : ما زالت عزيزة . انتهى .

وكذا رواه المرادى (فى شرح التسهيل) وخرَّجه . إلاَّ أَنَّه قال : أَى لا زالت عزيزة . انتهى .

وقوله : (فلا وأَبى دهماءَ) الخ الفاءُ فى التقدير داخلة على واو القَسَم ، أَى فوَ أَبى دهماءَ لا زالت عزيزة. أَقسَمَ الشاعرُ بوالدِ هذه المرأَة. فأَبى مضافٌ إلى دهماءَ وهى اسم امرأَة ، واسم زالت الضَّميرُ الراجع إلى دهماء، وعزيزة خبرها ، وهى من العِزَّة بالعين المهملة وبالزاء المعجمة ، وجملة

(١) الآية ٦٠ من سورة الكهف .
(٢) ش : « لا تكون »، وأثبت ما فى ط ومعانى القرآن .
(٣) الآية ١١٨ من سورة هود .

لا زالت جواب القسم ، وعلى قومها متعلِّق بعزيزة ، وما مصدريَّة ظرفية. وفَتَّل بالفاء بعدها مثناة فوقية ، روى بشدِّها وتخفيفها ، وهو فعلٌ ماض ، والزَّندَ مفعوله ، وقادح فاعله .

وقد ذكر أبو حنيفة الدِّينَوَرِيُّ (فى كتاب النبات) صِفةَ الزَّند والزَّنذة ، وكيفيَّةَ الفَتْل ، فلا بأْس بإيراده هنا ، قال :

أَفضلُ ما اتُّخذِت منه الزِّناد شَجَرَتَا المَرْخ والعَفَار ، بفتح العين المهملة بعدَها فاءٌ ، فتكون الأُنثى وهى الزَّندة السُّفلى مَرْخا ، ويكون الذَّكر وهو الزند الأَعلى عَفَارًا . أَخبرنى بعضُ علماءُ الأَعراب أَنَّ العَفَار شجرٌ يشبه صغارَ شجر الغُبَيراء ، منظرُه من بعيدٍ كمنظره . وأَمَّا المَرْخ فقد رأَيتُه يَنبُت قُضبانًا سَمْحة طِوالاً لاورقَ لها . ولفَضْل هاتين الشجرتين فى سُرْعة الوَرْى ، وكثرةِ النار ، سارَ قولُ العرب فيهما مثلاً ، فقالوا : « فى كلِّ الشَّجر نار ، واستَمجَدَ المَرْخ والعَفَار[1] » ، أى ذهبا بالمجد فكان الفضلُ لهما . ولذلك قال الأَعشى :

٤٧ زنادُك خيرُ زناد الملـــو كِ خالط فيهن مَرْخٌ عَفَارا[2]

ويختار أَن تكون الزَّنذة من المَرْخ ، والزَّندُ من العَفَار .

ومن فضيلة المرخ فى كَثْرة النار وسُرعة الورى ، ما ذكرَ أَبو زيادٍ الكِلابىُّ فإنَّه قال : ليس فى الشجر كلِّه أَورَى زِنادًا من المَرْخ ، قال : وربَّما كان المرخ مجتمعًا ملتفًّا وهبَّت الريح فحكَّ بعضُه بعضاً فأَورَى ، فاحترق الوادى كلُّه . ولم نر ذلك فى شىءٍ من الشجر .

---

(١) الحيوان ٤ : ٤٦٦ والعقد ٣ : ٣٢ وجمهرة العسكرى ٢ : ٩٢ وفصل المقال ٢٠٢ والميدانى ٢ : ١٨ والزمخشرى ٢ : ١٨٣ واللسان (عفر ٢٦٦) .

(٢) ديوان الأعشى ٤١ .

ثم بعد أن ذكر الأشجار التى تُتَّخذ منها الزِّناد قال : وصِفَة الزَّندة : عود مُربَّعٌ فى طول الشِّبر أو أكثر ، وفى عَرض إصبع أو أشفَّ ، وفى صفحاتها فُرَضٌ ، وهى نُقَرٌ ، الواحدة منها فُرْضة ، وتجمع فِراضاً أيضاً . والزَّند الأعلى نحوُها غير أنَّه مُستدير وطرفه أدقُّ من سائِره . فأما وصفُ الاقتداح بها فإنَّ المقتدِح إذا أراد أنْ يقتدح بالزِّناد وضع الزندة ذاتَ الفِراض بالأرض ، ووضع رجلَيه على طرفَيها ، ثم وضع طَرَف الزَّند الأعلى فى فُرضةٍ من فِراض الزَّندة ، وقد تقدَّم فهيَّأ فى الفُرضة مجرى للنار إلى جهة الأرض بحزٍّ ، وقد حزَّه بالسِّكِّين فى جانب الفُرضة ، ثم فتل الزَّندَ بكفِّه كما يُفتَل المِثقب ، وقد ألقى فى الفُرضة شيئًا من التُّراب يسيرًا يبتغى بذلك الخُشْنة[1] ، ليكون الزَّند أعمَلَ فى الزَّندة ، وقد جَعَل إلى جانب الفرضة عند مُفضَى الحَزِّ ، رِيَةً[2] تأْخذ فيها النَّار ، فإذا فُتِل الزَّند لم يلبث الدُّخَان أن يظهرَ ثم تتبعه النار[3] فتنحدر فى الحزِّ ، وتأْخذ فى الرِّيَة . وتلك النَّار هى السَّقْط . انتهى كلامُه باختصار كثيرٍ .

وقد صحَّف بعضُهم قوله : « ما فَتَّل الزندَ قادح » ورَوَى : « ما قِيلَ للزَّنْدِ قادح » ، على أنَّه فعل مجهول من القَوْلِ . وجَرَّ الزند باللام .

وهذا البيت لم أقفْ له على تتمة ولا قائلٍ . والله أعلم .

* * *

---

(١) الخشنة ، بالضم : الخشونة . يقال خشن خشنة وخشانة وخشونة ومخشنة .

(٢) الرية من الورى ، كالعدة من الوعد . ورت النار ترى ورياً ورية حسنة . وقد كتبت الكلمتان فى الأصل كلمة واحدة برسم « الحزورية » ، وإنما هما كلمتان .

(٣) كتبت « تتبعه » فى ش بنقطتين فوق التاء الأولى ، ونقطتين تحتها ، لتقرأ بالقراءتين جميعاً .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد السبعمائة[١] :

٧٣٤ (تَنْفَكُّ تَسْمَعُ ما حَيِيـ ت بِهالِكٍ حَتَّى تَكُونَه)

على أنَّ حرف النفى محذوف ، والتقدير : لا تنفك .

وظاهره أنَّ حذف النافى أىَّ حرفِ نفى كانَ ، يجوز حذفُه من هذه الأفعال ، سواءٌ وقعت جوابَ قسم كالآية والبيتِ الذى بعدَه[٢] ، أم لا كهذا البيت ، فإنَّه لم يتقدَّمه شىءٌ . وهو الظاهر أيضا من كلام الزمخشرى (فى المفصَّل) ، ومن كلام ابن هشام (فى شرح الشواهد) . لكنَّ ابن يعيش قيَّد حَرف النفى بكونه لا ، وأنَّهُ لا يحذف من هذه الأَفعال إلَّا إذا وقعَتْ جوابَ قسم . قال : إنَّ حرف النفى قد يحذف فى بعض المواضع ، وإنَّما يسوغ حذفُه إذا وقع فى جواب القَسمِ ، وذلك لأَمْن اللَّبس ، كقوله :

تزالُ حِبالٌ مُبرماتٌ أُعِدُّها .... البيت[٣]

ولا يجوز أن يحذف من هذه الحروف غير لا ، لأَنَّه لا يجوز حذف لم وما ، لأَنَّ « لم » عامِلةٌ فيما بعدها ولا يجوز أن تُحذَف وتعمل ، وكذلك « ما » قد تكون عاملةً فى لغة أهل الحجاز . انتهى .

ويؤخذ منه أنَّه لا يجوز حذف إنْ أيضًا ؛ لأَنَّها قد تعمل عمل ليس .

وفى كلامه نظر : أمَّا أوَّلاً فلِأنَّه قد مثَّل بهذا البيت تبعًا لصاحب المفصَّل ، وتنفكُّ فيه ليس جوابَ قسم .

---

(١) الإنصاف ٨٢٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٩ والعينى ٢ : ٧٥ والهمع ١ : ١١١ .
(٢) أى بعد هذا الشاهد وهو الشاهد ٧٣٥ .
(٣) هو الشاهد التالى ٧٣٥ .

وأمّا ثانيًا فلأَنَّ الكلام فى حروف النفْىِ الدَّاخلةِ على الأَفعال، وما الحجازية داخلة على المبتدإ والخبر ، فأَين هذا من ذاك ؟ وهل هو إلاَّ اشتباه .

٤٨ وقد تبعه المرادى (فى شرح التسهيل) فى الثانى قال : وينقاس الحذف فى المضارع جوابَ قسم ، وشذَّ فى الماضى جوابَ قسم ، كقوله :

* لعمر أَبى دهماءَ زالت عزيزة *

أَى لا زالت . وشذَّ فى المضارع غيرَ جواب ، كقوله :

وأَبرحُ ما أَدامَ الله قومِى بِحمدِ الله مُنتطِقا مُجِيدا[1]

أَى لا أَبرح ، وقيل لا حذفَ ، والمعنى : أَزول عن أَن أَكون منتطقاً مُجيدًا ، أَى صاحبَ نطاق وجَوادٍ ، ما أَدام الله قومى ، فإِنَّهم يَكفُوننى ذلك . انتهى .

ودعوى عدم الحذف تعسُّفٌ وقع فى أَشدَّ ممَّا فرّ منه[2] .

وأَغربُ من قول المرادى ما ذهب إليه ابن عصفور ، من أَنَّه ضرورة ، قال : ومنه إضمار لا النافية فى غير جواب القسم ، كقوله :

تنفك تسمعُ ما حييتَ . . . .البيت . انتهى .

فللّهِ درُّ الشّارحِ المحقِّقِ ما أَجودَ اختياره ، وما أَرصَنَ سَبْكَه .

وقوله : (تنفكُّ تسمع) إلخ ، جملة تسمع مع فاعله الضمير خبرُ لا تنفكُّ ، وما مصدرية ظرفية . و(حَيِيتَ) بالخطاب ، أَى مدّة حياتك.

---

(١) لخداش بن زهير فى معجم الشواهد .

(٢) فى النسختين : « فى أشد ما فر منه » ، والوجه ما أثبت .

ولا وجه لقول بعض أفاضل العجم (فى شرح أبيات المفصل) : وقوله ما حييتَ بيانٌ لقوله تنفك تسمع، وتأكيدٌ له . انتهى

و(بهالكٍ) متعلق بتسمع على تقدير مضاف، أى بخَبرِ هالك . وسَمِع هنا ليست مما يتعدّى لمفعولين ، وتعدِّيها بالباء أحد استعمالاتها كما تقدَّم، كقولهم : « تسمع بالمُعَيْديّ » . ويجوز أن تكون الباءُ زائدةً فتكون متعدِّية إلى مفعول واحد ، كقولك : سمعت الخبر . وهذا أيضاً أحد استعمالاتها . و (حتّى) حرف جر بمعنى إلى ، والهاءُ فى (تكونه) ضمير الهالك . والأكثر فى خبر كان إذا كان ضميرًا أن يكون منفصلا . وهذا من القليل .

وقد استشهد صاحب اللباب لقلّته بهذا البيت . قال ابن هشام : أى لا تزال تسمع : مات فلانٌ، حتّى تكونَ الهالكَ . والخطابُ لغير معيَّن، مثلُه فى :« بشِّرْ مالَ البخيل بحادث أو وارث ». وتسمع خبرٌ ، والباءُ [وحتّى[1]] متعلِّقتان به ، وماظرف له ، والهاءُ من(تكونه)راجعةٌ للهالك باعتبار لفظِه دونَ معناه ، لأنَّ السّامع غير المسموع . ومثله مسألة التنازع : ظنَّنى وظننت زيدًا قائماً إيّاه . وقد غَمَضَ هذا المعنى على ابن الطَّراوة فمنع المسألة ، وخالف الأئمة . وبعده :

(والمرءُ قد يرجُو الرَّجـا ء مؤَمِّلاً والموتُ دونَـه)

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه كثيرا ما يتمثّل بهما . انتهى . وكذا رواه العينى .

والذى رواه ابن المستوفى وغيره :

* والمرءُ قد يرجو الحياة *

---

(١) التكلة من ش .

ومؤمِّلا حال من ضمير يرجو . وقال العينى : مؤمِّل إن كان اسم فاعل فهو حالٌ من المرء ، وإن كان اسمَ مَفعول فهو مفعول ليرجو. هذا كلامه . فتأمَّله .

ودونَ هنا بمعنى أمامَ أو خَلْف ، لأنه من الأضداد . وجملة « والموت دونه » حالٌ إمّا من ضمير مؤمّل ، أو من ضمير يرجو .

والبيتان نسبهما أبو عُبيدٍ القاسم بن سَلاَّم (فى كتاب الأمثال) لِخَليفة بن بَرَاز[(١)] ، وهو جاهلى . وقد أخذ البيتَ بعضهُم فقال : صاحب الشاهد خليفة بن براز

يُقال فلانٌ ماتَ فى كـلِّ ساعةٍ ... ويوشك يومـاً أن تـكونَ فلانا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد السبعمائة[(٢)] :

٧٣٥ (تزالُ حِبالٌ مُبرَماتٌ أُعِدُّها ... لها ما مَشَى يوماً على خُفِّهِ جَمَلْ)

٤٩ على أنَّ (تزال) جواب قسم وحذف منه حرف النفى. أى لا تزال. والقسم فى بيت قبله ، وهو :

(حَلفتُ يمينًا يا ابنَ قُحفان بالذى ... تكفَّل بالأرزاقِ فى السَّهلِ والجبَلْ

تزال حبـالٌ مبـرماتٌ . . . . البيت

فأَعطِ ولا تبخَـلْ إذا جاءَ سائلٌ ... فعندِى لها عُقْلٌ وقد زاحَتِ العِلَلْ)

وروى أيضاً :

* وتُقسِمُ ليلى يا ابنَ قُحفان بالذى *

---

(١) انظر فصل المقال ٦٤ حيث أنشد البيت الشاهد منسوباً إليه برواية : « وتزال تسمع » . وفى القاموس (برز) : « وكسحاب : اسم » .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٠٩ والحماسة ١٧٢٧ بشرح المرزوقى وسمط اللآلئ ٦٣١ وفصل المقال ٦٤ .

إلخ . فجملة لا تزال بتقدير لا ، جواب القسم الذى هو تقسم ليلى . ومُبرَمات : محكمات . وأَعِدّها : أُهيِّئها . وضمير لها للإبل فى شعرٍ قبل هذا يأْتى آنفاً . وما مصدرية ظرفية . وجَمَل فاعل مَشى وسكّن للقافية . وعُقُل : جمع عِقال ، وهو ما يربط به رُكبة البعير . وزاحت، بإعجام الأَوّل ، بمعنى زالت .

صاحب الشاهد

وكان مِن حديث هذه الأَبياتِ ما رواه أبو تمام (فى الحماسة) : أَنَّ سالم بن قُحفان جاءَ إليه أَخو امرأَتهِ زائرًا فأَعطاه بعيرًا من إبله وقال لامرأَته : هاتى حَبلاً يَقرِن به ما أَعطيناه إلى بعيره . ثم أَعطاه بعيرًا آخر وقال مثل ذلك ، ثم أَعطاه مِثلَ ذلك، فقالت : ما بقِى عندى حَبل ! فقال : « علىَّ الجمالُ وعليكِ الحبالُ » . وأَنشأَ يقول :

أبيات الشاهد

لقد بكَرتْ أُمُّ الوليد تَلومُنِى ... ولم أَجْتَرِمْ جُرْماً فقلت لها مَهْلَا[1]
فلا تَعْذِلِينى بالعطاءِ ويَسِّرى ... لكلِّ بعيرٍ جاءَ طالبهُ حَبْلاَ
فإِنِّىَ لا تبكى عَلَىّ إفَالُها ... إذا شَبِعَتْ من روضِ أَوطانها بَقْلاَ
فلم أَرَ مثلَ الإبْلِ مالاً لمُقْتَنٍ ... ولا مثلَ أَيَّامِ الحُقوقِ لها سُبْلاَ

فرمَت إليه خِمارَها وقالت : صيِّرْه حبلاً لبعضها . وأَنشأَت تقول :

حلفت يميناً يا ابن قحفان .... الأَبيات الثلاثة . انتهى .

ولم يتكلم الخطيب التّبريزى بشىءٍ (فى شرحه) على هذه الأَبيات.

والإفال : أَولاد الإبل . قال ابن المستوفى فى قوله :

* فإِنِّىَ لا تبكى علىّ إفالُها *

(١) انظر الحماسة ١٥٨١ ثم ١٧٢٦ بشرح المرزوقى ؛ فقد أنشدت الأبيات فيها مرتين مع خلاف فى الترتيب والنص .

قولين : أحدهما أنَّ الإبل بَهَائمُ لا تَهتمُّ بى إذا مِتّ ، بل تَربَعُ وتَشْبَع . والثانى : موتى عندها وأنا أنحرُها أحبُّ إليها ، فلعلَّه يأْخذها من لا ينحرها ، ولا يغمُّهما موتِى لأَنّى جوادٌ . انتهى .

وقال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : إنَّ هذا مأْخوذ من قول ضَمْرة بن ضمرة :

أرأيتَ إنْ صَرخَتْ بليلٍ هامَتِى وخرجت منها بالياً أثـوابى[1]

هل تَخمِشن إبلى علىَّ وجوهها وتُعصِّبنَّ رءُوسَهـا بسِـلابِ[2]

والسِّلاب : عصائب سُود . يقال امرأة مسلِّبة ، إذا لبست السَّوادَ حداداً .

وسالم بن قُحفان بضم القاف وسكون المهملة بعدها فاءٌ : لم أقف له على خبرٍ ، ولا على زوجته ليلى . والله أعلم . سالم بن قحفان

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

(حَرَاجيجُ ما تَنفكُّ إلاَّ مناخةً على الخَسْف أو نَرمِى بها بلدًا قَفْرا)

على أنَّه خُطِّئ ذو الرمَّة فيه ، لأنَّ ما تنفكُّ وأخواته بمعنى الإيجاب منحيث المعنى ، لايتَّصل الاستثناءُ بخبرها ، كما بيَّنه الشارح المحقق. ٥٠

(١) السمط ٦٣١ ، ٦٦١ . وفى ط : « إن سرحت بليل همتى » ، صوابه فى السمط فى الموضعين . وفى ش مع أثر تصحيح ، ويروى : « صدحت » .

(٢) فى السمط : « أو تعصبن رءوسها » .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٢٨ . وانظر معانى الفراء ٣ : ٢٨١ والمحتسب ١ : ٣٢٩ والموشح ٢٨٦ ، ٢٨٧ وابن الشجرى ٢ : ١٢٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٦ والضرائر ٧٥ ، والإنصاف ١٥٦ والمغنى ٧٣ والهمع ١ : ١٢٠ ، ٢٣٠ والأشباه والنظائر ٣ : ٧٠ والأشمونى ١ : ٢٤٦ ويس ١ : ١٨٥ ، وديوان ذى الرمة ١٧٣ .

وذكر عنه جوابين :

أحدهما : أَنَّ تنفك تامَّةٌ ومناخةً حال ، وعلى الخسف متعلق بمناخة ، ونرمى معطوف على مُناخة .

وثانيهما : أَنَّها ناقصة ، وعلى الخسْف خبرها ، ومناخة حال . وذكر ما وردَ على هذا الجواب .

والمخطئ هو أَبو عمرو بن العلاء[1] . قال المرزُبانى (فى كتاب الموشح) : أَخبرنى محمد بن يحيى ، حدثنا الفَضْل بن الحُباب ، حدَّثنا بكر بن محمد المازنى ، حدَّثنا الأَصمعى ، سمعتُ أَبا عمرِو بنَ العلاءِ يقول : أَخطأَ ذو الرمة فى قوله :

حَرَاجيجُ مُا تنفكُّ إلاَّ مُناخــةً . . . . البيت

فى إدخاله إِلَّا بعد قوله « ما تنفك » .. قال الصُّولى : وحدَّثنا محمد ابن سعيد الأَصمّ ، وأَحمد بن يزيد ، قالا : حدثنا يزيدُ المهلبىُّ عن إِسحاق الموصلِىِّ أَنَّه كان يُنشد هذا البيت لذى الرمة :

* حراجيجُ ما تنفكُّ آلاً مناخة *

والآل : الشَّخص . ويحتجُّ ببيته الذى ذكر فيه الآلَ فى غير هذه القصيدة ، وهو قوله :

فلم نَهبِطْ على سَفَوانَ حتَّى طَرَحْنَ سِخالَهَنَّ وصِرنَ آلا[2]

وعلى هذا يكون « آلا » خبر تنفكُّ ، ومناخة صفته ، وأَنَّث الصِّفة

(١) الكلام بعده إلى « العلاء » التالية ساقط من ش .

(٢) وكذا فى الموشح ، وفى ضرائر ابن عصفور : « فما بلغت بنا سفوان » ، و : « فصرن آلا » . والبيت فى ديوان ذى الرمة ٤٣٩ برواية :

فلم نهبط على سفوان حتى طرحن سخالهن وإضن آلا

لأنَّ الشخص ممَّا يؤنَّث ويذكَّر . فرواية « إلاَّ » بالتشديد غلطٌ من الرَّاوى لا من القائل . ويردُ عليه أنَّ ذا الرمّة لما قرأ البيتَ عند أبى العلاء غلَّطه فيه بما ذكره النحويُّون .

وقال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : إنَّ ذا الرمَّة لمَّا عِيبَ عليه قوله ما تنفكُّ إلاَّ مناخة فَطِنَ له فقال : إنَّما قلت : « آلاً مُناخة » أى شخصاً .

وكذا قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) قال ابن الأَنبارىّ (فى الإنصاف) : الآل : الشَّخص . يقال هذا آلٌ قد بدا ، أى شخصٌ . وبه سُمِّىَ الآلُ ؛ لأنَّه يرفع الشخوص أوَّلَ النهار وآخِرَه .

وبه يضمحلُّ توقُّف ابنِ المُلاَّ الحلبى (فى شرح المغنى) ، فى قوله : بقِىَ شىءٌ ، وهو أنَّ صاحب القاموس على تبحُّره لم يذكُرْ مجىء الآل بمعنى الشَّخص[1] . انتهى .

وخرَّجه المازنى (كما قال ابن يعيش) على زيادة إلاَّ ، وتبعه أبو على (فى القَصْريَّات) وقال : إلاَّ ههنا زائدة ، لولا ذلك لم يجزْ هذا البيت ، لأنَّ تنفكُّ فى معنى تزال ، ولايزال[2] لا يُتكلَّم به إلاَّ منفيًّا عنها . انتهى.

ونسب ابن هشام (فى المغنى) هذا التخريجَ إلى الأَصمعىِّ وابن جنِّى ، قال : وحملَ عليه ابنُ مالكٍ قولَه :

* أرى الدَّهر إلاَّ منجنونًا بأَهلِه[3] *

وإنما المحفوظ : « وما الدَّهر إلّا » . ثُمَّ إنْ ثبتَتْ روايتُه فتتخرَّج على

(١) هذا غير صحيح ، فإن صاحب القاموس ذكر الآل بمعنى الشخص فى مادة (أول) .
(٢) ش : « ولا تزال » بالتاء .
(٣) مجهول القائل كما فى معجم الشواهد . وعجزه :
* وما صاحب الحاجات إلا معذبا *

أنَّ أرى جوابٌ لقسم مقدَّر ، وحذفت لا كحذفها فى : ﴿ تاللهِ تَفتؤُ ﴾[١] ودلَّ على ذلك الاستثناءُ المفرَّغ . انتهى .

ولم يذكر ابن عصفورٍ غيرَه وغير احتمال التَّمام ، لكنَّه جعله من الضَّرائر . قال : ومنها زيادة إلاَّ فى قوله :

أرى الدَّهرَ إلاَّ منجنونًا . . . . البيت

هكذا رواه المازنى ، يريد : أرى الدهر منجنونًا . وكذلك جَعَلها فى قول الآخر :

ما زالَ مُذْ وجفَتْ فى كلِّ هاجـــرةٍ بالأَشعثِ الْوَرْدِ إلَّا وهو مَهمومُ[٢]

يريد : هو مهموم ، فزاد إلاَّ والواوَ فى خبر زال .

وفى قول الآخَر :

وكلُّهمُ حـــاشاكَ إلاَّ وجــدتُه كعَينِ الكذوب جَحْدُها واحتفالُها[٣]

يريد : وكلُّهم حاشاك وجَدْته .

وفى قول ذى الرمة :

حراجيج ما تنفكُّ إلَّا مُناخةً . . . . البيت

يريد : ما تنفكُّ مناخة .

---

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) لذى الرمة فى ديوانه ٥٨٤ ، واللسان (شعث ٤٦٦) . وجفت : أسرعت ، يعنى الرياح . وجفت الرياح بالأشعث ، أى جرت ذيلها عليه . والأشعث الورد هو الصفار ، وهو شوك البهمى إذا يبس ، وإنما اهتم الحمار لما رأى البهمى هاجت ، وقد كان رخى البال وهى رطبة . من شرح الديوان واللسان . ويروى : « فى كل ظاهرة » ، وهى ما ارتفع من الأرض .

(٣) وكذا ورد بدون نسبة فى معانى الفراء ١ : ١٤٠ .

ويحتمل أن يُجعَل زال وتنفكُّ تامّتين وتكون إلاَّ داخلةً على الحال.

٥١ وكذلك تُجعل إلاَّ فى قوله :

* وكلُّهمُ حاشاكَ إلاَّ وجدتُه *

إيجابًا للنفى الذى يُعطيه معنى الكلام ، أى ما مِنهم أحدٌ حاشاك إلّا وجدتُه . وعليه حَمله الفرّاءُ . وأمّا « أرى الدهر إلاَّ منجنونًا » فلا تكون إلاَّ فيه إلاَّ زائدة . انتهى .

وقد رأيتَ تخريجَ ابنِ هشام بيتَ المنجنون .

وأوّل مَنْ ذهب إلى أنَّ تنفك فى بيت ذى الرمة تامَّةٌ هو الفرّاءُ (فى تفسيره)، عند قوله : ﴿ لم يكن الذين كفروا مِنْ أهل الكتابِ والمُشْرِكِين مُنْفكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البيِّنة[1] ﴾ : قد يكون الانفكاك على جهةِ يَزال ويكون على الانفكاك الذى تعرفه . فإذا كانت على جهة يزال فلا بدَّ لها مِن فعل وأن يكون معها جَحد ، فتقول : ما انفككت أذكرك ، تريد : مازلت أذكرك . فإذا كانت على غير معنى يزال قلت : قد انفككت منك ، وانفكَّ الشىءُ من الشىء ، فيكون بلا جَحْدٍ وبلا فعلٍ . وقد قال ذو الرمة :

قلائص لا تنفكُّ إلاَّ مُناخةً . . . . البيت

فلم يدخل فيها « إلّا » إلاَّ وهو ينوى بها التَّمامَ وخلافَ يزال . لأنَّك لا تقولُ : ما زلت إلاَّ قائما . انتهى كلامه .

ونسبه ابن الأنبارى (فى الإنصاف) إلى الكسائِىّ . قال : وهذا الوجهُ رواه هِشامٌ عن الكسائى .

---

(١) الآية الأولى من سورة البينة .

وبما ذكرنا يُعلَم أَنَّ قول المُرادى (فى شرح التسهيل) : وخرَّجه قومٌ منهم على أَنَّها ناقصة ، خلافُ الواقع . وتنفكُّ على هذا مطاوع فَكَّه ، إذا خلَّصه أَو فصَله .

قال الزمخشرى (فى حواشى المفصل) : وفى تصحيح البيت وُجَيهٌ ، وهو أَن يريد لا تنفك عن أَوطانها ، أَى لا تنفصل عنها ، إلاَّ ولها بعد الانفصال هاتان الحالتان : إمَّا الإِناخة على الخَسْف فى المراحل ، أَو السَّيرُ فى البلد القَفْر . انتهى .

وبهذا يظهر قول الشارح المحقِّق : مناخةً حال ونَرمِى معطوف عليه.

وقال ابن عقيل والمُرادى (فى شرحَيْهما للتسهيل) : كأَنَّه قال : ما تتخلَّص أَو ما تنفصِل عن السَّير إلاَّ فى حال إناختها على الخسف ، وهو حبسُها على غير عَلَف . يُريد أَنَّها تُناخ مُعدَّةً للسَّير عليها ، فلا تُرسَل من أَجل ذلك فى المرعى. وأَوْ بمعنى إلى،وسكَّن الياءَ للضَّرورة.انتهى.

والوجه الأَوَّل أَوجَهُ . و (الخَسْف) بفتح المعجمة : النَّقيصة ، يقال رَضِيَ بالخَسْف ، أَى بالنَّقيصة . وبات على الخَسْف أَى جائعاً . وربطت الدَّابةَ على الخَسْف، أَى على غير عَلَف . و (على) بمعنى مَع . وقال الشارح المحقق : جعل الخَسْف كالأَرض التى يُناخ عليها ، كقوله :

* تحيَّة بينهِمْ ضربٌ وجيعُ[(1)] *

يريد أَنَّ الإِناخة إنَّما تكون على العَلْف ، فجعل الخسف بدلاً منه ، كما جُعِل الضربُ الوجيع بدلاً من التحية . و (نرمى) بالنون مع البناء للمعلوم ، ويروى (يُرمَى) بالمثناة التحتية مع البناءِ للمفعول . و (بها)

(١) لعمرو بن معديكرب ، وهو الشاهد التالى برقم ٧٣٧ .

نائب الفاعل ، وبلدًا ظرف للرَّمى ، وهو بمعنى المكان والأَرضِ لا بمعنى المدينة . و (الحُرجوج) كعصفور : النَّاقة الضامرُ[١] ، قاله أَبو زيد . وقد روى (مُناخةٌ) بالرفع أَيضًا . قال ابن المستوفى : قال أَبو البقاء : رُوى مُناخةٌ بالرفع على أَنَّه خبر مبتدإٍ محذوف ، وموضع الجملة حال ؛ وبالنَّصب على الحال ، وتكون تنفكُّ تامة .

وكَذَا رواه ابنُ الأَنبارىِّ (فى الإنصاف) .

وأَمَّا التخريج الثانى من التخريجين اللذين ذكرهما الشارح المحقِّق فهو للأَخفش أَبى الحسن سَعيدِ بن مَسْعَدَة المجاشعى ، قال (فى كتاب المعاياة) : أَراد : لا تنفكُّ على الخسف أَو نرمى بها بَلَدًا قَفْرًا إلاَّ وهى مناخةٌ ؛ لأَنَّه لا يجوز لا تنفكُّ إلا مناخة ، كما لا تقول : لا تزال[٢] إلَّا مناخة . انتهى .

٥٢ وقد تبعه على هذا جماعةٌ منهم الزَّجاج . قال ابنُ جنِّى فى بعض أَجزائه : وقد قال فيه بعض أَصحابنا قولاً ، أُرَاهُ أَبا إسحاق ، ورأَيت أَبا علىٍّ قد أَخَذَ به ، وهو أَن يُجعَل خبر ما تنفكُّ الظَّرفَ ، كأَنَّه قال : ما تنفك على الخَسف ، ونصب [مناخة[٣]] على الحال ، وقدّم إلاَّ عن عن موضعها . وقد جاء فى القرآن والشِّعر نَقْلُ إلاَّ عن موضعها . انتهى .

ومنهم أَبو البقاء ، قال : يجوز أَن تكون تنفكُّ الناقصةَ ، ويكون على الخَسْف الخبر ، أَى ما تنفكُّ على الخسف إلَّا إذا أُنيخت . وعليه المعنى . انتهى .

---

(١) كذا فى النسختين . يقال ناقة ضامرة وضامر أيضاً بغير هاء ، ذهبوا إلى النسب ، أى ذات ضمر ، كما قالوا : لابن وتامر . وانظر القاموس واللسان (ضمر) .

(٢) ط : « لا تزول » ، صوابه فى ش .

(٣) تكملة يفتقر الكلام إليها .

وقد ردَّه جماعةٌ منهم صاحب (اللُّباب) ، وهو محمد بن محمد بن أحمد الأسفرَاينى المعروف بالفاضل ، قال فيه : وخُطِّئ ذو الرمَّة فى قوله : حراجيج لا تنفكُّ إلاَّ مناخة ، والاعتذار بجعله حالاً وعلى الخسف خبرًا ضعيفٌ ، لِمَا أنَّ الاستثناء المفرَّغ قلَّمَا يجىءُ فى الإثبات ، ويقدَّر المستثنى منه بعده . وتقدير التّام فى تنفك أحسَنُ منه . والله أعلم . انتهى .

قال شارحه الفالىّ[١] : معناه أنَّ الاستثناء المفرَّغ فى الإثبات قليل. وبَعدَ تسليمه إنَّما يأتى إذا قدِّر المستثنى منه قبله لفظًا وههنا يقدَّر بعده ؛ لأنَّ قوله إلاَّ مناخة مستثنى من[٢] أحوال الضمير المستترِ فى على الخسف أى ما تنفكُّ مهانةً مظلومة فى جميع الأَحوال ، إلاّ فى حال الإناخة . وذلك غير معهودٍ فى الاستثناء المفرَّغ ، فإنَّ أعمَّ العامّ فى الاستثناء المفرَّغ يقدَّر قبله لا بعده ، فإنَّك إذا قلت : ما ضربتُ إلا راكبًا ، فالتقدير : ما ضربت فى حالٍ من الأَحوال إلاَّ فى حال الركوب. ولذا جاز فى الإثبات نحو قرأت إلاَّ يومَ كذا ، التقدير : قرأت فى جميع الأَيَّام إلاَّ يومَ كذا . فالمستثنى منه يقدَّر قبل الاستثناء لا بعدَه . انتهى

ومنهم الشارح المحقِّق كما حرّره .

ومنهم ابن هشام (فى المغنى) قال فيه : قال جماعةٌ كثيرة : هى ناقصةٌ ، والخبر على الخسف، ومناخة حال . وهذا فاسدٌ لبقاء الإشكال ، إذْ لا يقال : جاءَ زيد إلاَّ راكبًا . انتهى .

وقول أبى البقاء : « وعليه المعنى » مردودٌ ؛ فإنَّ الحاليَّة سواءٌ نصبتَ مناخةً أو رفعتَها كما رُوِىَ ، بتقدير مبتدإٍ محذوف ، والجملة حال ؛

---

(١) الفالى ، بالفاء . وقد جاء فى النسختين بالقاف ، وهو تصحيف نبهت على صوابه مراراً . انظر منها حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٢) ط : « عن » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

يكون التقدير فيها : هى مستمرَّةٌ على الخسف فى كل حال إلاَّ حالَ الإناخة ، فإنَّها تكون حينئذ ذاتَ راحة . وهذا غيرُ مرادِ الشَّاعر ، إذْ مرادُه وصفُ هذه الإبل بأنَّها لا تتخلص من تعبٍ إلاَّ إلى مثلِه ، فليس لها حالُ راحةٍ أصلاً .

وسيبويه قد أورد هذا البيتَ فى باب أو التى ينتصبُ بعدها المضارع بإضمار أنْ ، قال : واو رفعتَ لكان عربيًا جائزًا على وجهين : على أن تشرك بين الأوَّل والآخر ، وعلى أن يكون مقطوعًا من الأوَّل . قال تعالى : ﴿سَتُدْعَوْنَ إلى قومٍ أُولِى بَأْسٍ شديدٍ تُقاتِلُونَهم أو يُسلِمُون[1]﴾ إنْ شئتَ كان على الإشراك، وإن شئتَ كان على : أوْ وهم يُسلمون . وقال ذوالرمة :

حراجيج لا تنفكُّ إلاَّ مناخة . . . . البيت

فإنْ شئتَ كان على لا تنفكُّ نَرمِى ، أو على الابتداء . انتهى .

يريد بالأوَّل العطف على خبر تنفكُّ ، وبالثانى القَطْع .

قال النحاس : سألتُ عنه عليًا ، يعنى الأخفش الصغير ، فقال : لك أن تجعل نرمى معطوفًا ، ولك أن تقطعَه ، ولك أن تقدِّر أو بمعنى إلى أنْ وتُسكِّن الياءَ فى موضع نصب .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ طويلةٍ لذى الرُّمَّة ، يُقال لها أُحجيَّة العرب . وأوَّلُها :

أبيات الشاهد

٥٣ (لقد جَشَأَتْ نفسى عَشِيَّةَ مُشرف
ويَومَ لِوَى حُزْوَى فقلتُ لها : صَبْرَا[2]
تحنُّ إلى مَىٍّ كمـــا حَنَّ نازعٌ
دَعَاهُ الهوى فارتَادَ من قَيدِه قَصْرا)

---

(١) الآية ١٦ من سورة الفتح .
(٢) ديوان ذى الرمة ١٦٩ – ١٧٣ .

جَشأَتْ : نهضتْ . ومُشرِف وحُزْوَىَ : موضعان . واللِّوى : منقطَع الرمْل . وصبرًا : اصبرى [١] . والنازع : البعير يحنُّ إلى وطنه . فارتاد من قيده قصرًا ، أى طلب السَّعة فوجده مقصوراً . ويقال : ارتاد جَدْبًا وارتاد خيرًا ، أى طلب الخِصْب فوقع على جَدْب . إلى أنْ قال :

(فيامَىّ مـا أدراكِ أينَ مُناخنـا
مُعـرَّقَةَ الأَلْحِى يمـانيَّة سُجْـرا
قداكتفلَتْ بالحَزْنِ واعـوَّج دُونَها
ضـواربُ من خَفَّـان مجتابةً سِدْرا
حراجيج ما تنفك إلاَّ مناخة .... البيت
أَنخْنَ لتعريسٍ قليل فصـارفٌ يغنِّى بنابيهِ مُطلَّحةً صُعْرا)

مُعرَّقة الأَلحِى : قليلة لحم الأَلحِى ، جمع لَحْى . وإذا كثُر لحمُ لحيها فهو عيبٌ . يقال : ناقةٌ سَجْراءُ : تضرب إلى الحمرة .

وقوله : « قد اكتفلت بالحزن » أى صَيَّرتَ الناقة الحزنَ خلفَها ، كالرَّجُل الذى يركب الكِفْل فإنَّما يركب على أقصى الكِفْل ؛ كما تقول : اكتفلت الناقةَ ، أى ركبت موضع الكِفْل مِن النَّاقة . والحزن : ما غلُظَ من الأَرض . والضَّارب : منخفضٌ كالوادى . وخَفَّان : موضع . ومجتابةً سِدْرًا ، أى لابسة سدرًا [٢] . واعوَجَّ ، يعنى : الضَّواربُ لَيْسَتْ على جهةِ النَّاقة .

والحراجيج : الضُّمَّر . والخَسْف : الجوع ، وهو أن تبيتَ على غيرَ علف ، والتَّعريس : النزول فى آخر اللَّيْل . وصارفٌ : أى فبعضُها صارفٌ

---

(١) ش : « واصبرى صبرا » .
(٢) فى شرح الديوان أن « سدر : مكان » . وفى بعض نسخ الديوان أن المراد بالسدر هنا هو شجر النبق . انظر تحقيق عبد القدوس صالح ص ١٤١٨ .

يَصرِف بنابيه من الضُّجر والجَهْد . ومُطلَّحة : مُعْيِيَة . وصُعْر : فيها مَيَلٌ من الجَهْد والهزال .

وهذا نقلته من شرح ديوانه .

وترجمته تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أوّل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

٧٣٧ (تحيَّةُ بينهِمْ ضربٌ وجيعُ)

على أنَّه جَعَل الضَّرب الوجيع كالتحيَّة ، كما جُعل الخسفُ كالأَرض التى يناخ عليها .

يريد أنَّ الخَسْف جُعِل بدلاً من الأَرض ، كما أنَّ الضرب جُعِل بدلاً من التحية ، ولا يريد أنَّهما من باب التشْبيه ، فإنَّه غير صحيح فيهما ؛ فإنَّ الأَوّل ليس فيه من أركان التشبيه غير الخسف ، ولا يقال لمثله إلا استعارة ، وإنْ كان أصله التشبيه . فإن كان المشبه به مذكورًا والمشبه غير مذكور فهو استعارة تصريحيَّة ، وإن كان بالعكس فهو استعارة بالكناية . والخسف وإن أمكن أن يُجعَل من الاستعارة بالكناية ، لكنَّه لمَّا شُبِّه بما بعده عُلِم أنَّ مراده أنَّه من باب التنويع ، كما يأْتى بيانه . وأمَّا الثانى فهو ليس من التشبيه قطعًا ،

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٥ ، ٤٢٩ . وانظر النوادر ١٥٠ والمقتضب ٢ : ٢٠/٤ : ٤١٣ والخصائص ١ : ٣٦٨ والعمدة ٢ : ٢٢٤ وابن يعيش ٢ : ٨٠ والتصريح ١ : ٣٥٣ ويس ١ : ٣٥٣ ٣٥٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٤٦ ، ٦٤١ ، ١٣٨٧ ، ١٤٨١ ، ١٧٦٥ .

إذ المعهودُ فى مثله أنْ يشبَّه الأوّل بالثانى لا العكس ، إذ لا يقال فى زيد أَسدٌ : إنَّ أسدًا مشبَّه بزيد . ولم يجيزوا أيضًا أنْ تشبَّه التحيَّة بالضرب ، لأنَّه من باب التنويع ، وهو من خلاف مقتضى الظاهر . وهو ادِّعاءُ أنَّ مسمَّى اللفْظ نوعان : متعارَف وغير متعارف ، على طريق التخييل ، بأنْ ينزِّل ما يقع فى موقع شىءٍ بدلاً عنه . مَنزِلتَه بدونِ تشبيهٍ ولا استعارةٍ ، سواءٌ كان بطريق الحمل ، كقوله :

٥٤ * تحية بينهم ضربٌ وجيعُ *

أو فى الاستثناء المنقطع ، كقوله :

وبلدةٍ ليس بهـا أنيسُ إلاَّ اليعافيرُ وإلاَّ العِيسُ(١)

على معنى أنيسها اليعافير . أى إنْ كان يعدُّ أنيسًا فلا أنيس إلاَّ هوَ.

أو بدونهما كقوله :

غضبتْ حنيفةُ أن تُقتَّلَ عامرٌ يومَ النِّسارِ فأُعْقِبُوا بالصَّيْلَمِ(٢)

أى إنَّهم لمَّا طلبوا إلينا العُتبَى وضعنا لهم السَّلاح مكانها . وهذا تهكُّم . والصَّيلم : الدَّاهية .

وحيث أُطلِقَ التنويعُ فالمراد به [هذا(٣)] ، كما تراهم يقولون : من باب :

* تحيةُ بينِهِمْ ضربٌ وجيعُ *

---

(١) لجران العود فى ديوانه ٥٣ ، وهو الشاهد ٨٠٤ فيما سيأتى .

(٢) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٨٤ ، والمفضليات ٣٤٦ . وفى النسختين : « عامرا » صوابه بالرفع كما فى الديوان والمفضليات واللسان (عتب ، صلم) . ويروى أيضاً : « فأعقبوا » و « فأغضبوا » ثلاث روايات .

(٣) التكلة من ش .

فيجعلون المثالَ أساسًا وقاعدة ، وليس من المجاز فى شىء ؛ لأنَّ طرفيه مستعملان فى حقيقتهما ؛ ولا تشبيهًا كما صرَّحوا به ، بل التَّشبيه يعكس معناه ويُفسِده .

قال الشيخ (فى دلائل الإعجاز) : اعلم أنَّه لا يجوز أنْ يكون سبيل قوله :

* لعابُ الأَفاعى القاتلاتِ لعابُهُ[1] *

سبيلَ قولهم : « عتابُه السَّيف » . وذلك لأَنَّ المعنى فى بيتأَبى تمام على أنَّك تشبه شيئًا بشىءٍ لجامعٍ بينهما فى وصف . وليس المعنى فى عِتابُك السيف على أنَّك تشبِّه عتابه بالسيف بدلاً من العتاب . أَلا ترى أَنَّه يصح أَن تقول مِدادُ قلمه قاتلٌ كسمِّ الأَفاعى ، ولا يصحُّ أَن تقول عتابُكَ كالسَّيف، اللهمَّ إلاَّ أَن تخرُجَ إلى باب آخر وشىءٍ ليس هو غرضَهم بهذا الكلام ، فتريد أَنَّه قد عاتب عتاباً خشِناً مؤْلماً . ثم إنَّك إذا قلت السَّيف عتابك ، خرجْتَ به إلى معنىً ثالث[2] ، وهو أَنْ تزعم أَنَّ عتابَه قد بلغ فى إيلامه وشدّة تأْثيره مبلغًا صار له السيفُ كأَنَّه ليس بسيف. انتهى .

وليس هذا من قبيل التشبيه الذى ذُكر معه ما يُحيلُ دخولَ أَداة التشبيه كقوله :

* أسدٌ دمُ الأَسدِ الهِزبرِ خضابُه *

---

(١) عجزه فى ديوان أبى تمام ٢٥٧ ، ودلائل الإعجاز ٢٣٨ :

* وأرىُ الجنى اشتارته أيد عواسل *

(٢) فى النسختين : « حادث » ، صوابه من دلائل الإعجاز .

فإنَّه لا سبيلَ إلى التصريح بأداة التشبيه ، لدلالة التشبيه على أنَّه دون الأَسَد ، ودلالة الوصف على أنَّه فوقَه. فالوصف مانعٌ. وأمَّا هنا فالتشبيه يَعكِس المعنى المرادَ . وأيضًا فإنَّ المقصود نفىُ ما صدَّر بِهِ ، يعنى لا تحيّة بينهم . والتشبيه لا يفيد هذا المعنى .

وليس الشيخ أبا عُذرةِ هذا ، بل صرَّح به النحاة . منهم سيبويه ، وقد فصله فى باب الاستثناء من كتابه ، ونقله ابن عصفور وابن الطرواة قالوا : إذا كان المبتدأُ والخبر معرفتين إمّا أن تكون إحداهما قائمةً مقام الأُخرى ، أَو مشبَّهةً بها ، أَو هى نفسُها . فإن كانت قائمةً مقامَها كان الخبر ما تريد إثباته ، نحو قول عبد الملك بن مروان : « كان عقوبتك عَزْلَك » ، وكان زيْدٌ زهيرًا . فالعزلُ ثابتٌ لا العقوبة . والتشبيه بزهير ثابت . ولو قلتَ : كان عزلُك عقوبتَك كان معاقَبًا لا معزولا . ولو قلتَ : كان زهير زيدًا ، أثبتَّ التشبيه لزهير بِزيد.

قال ابن الطَّراوة : وقد[1] غلط فى هذا أَجِلَّةٌ من الشُّعراءِ ، منهم المتنبِّى فى قوله :

ثيابُ كريمٍ ما يصُونُ حِسانَها إذا نُشِرَتْ كان الهباتُ صوانَها[2]

فذمَّه وهو يرى أَنَّه مدحَه . ألا ترى أَنَّه أثبت الصَّونَ ونفى الهبات، كأَنَّه قال : الذى يقوم لها مقامَ الهباتِ أَن تصان . وقد أُجيب عن المتنبي.

---

(١) فى ط : « قد غلط » مجردة من الواو .

(٢) مطلع قصيدة له فى ديوانه ٢ : ٣٩٠ يمدح بها سيف الدولة وقد أهدى له ثياب ديباج ، ورمحاً ، وفرساً ، ومهراً . قال العكبرى : « رفع ثياب على تقدير : عندى ثياب ، أو أتتنى ثياب » . وفى الشرح أيضاً : « يقول : أتتنى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، ولكن يهبها ، فليس لها صوان إلا الهبات ، فلا يتركها فى التخت ، بل يهبها . قال الواحدى : ويجوز أن يكون ما يصونها من منديل ونحوه يكون هبة أيضاً » .

فإذا لم يكن فى شىءٍ من أطرافه تجوُّز ولم يُقصَد التشبيه فهو حقيقة ، بجعلِ بدلِ الشىءِ القائم مقامه فردًا منه ادّعاءً. فالتصرُّف فى النسبة .ألاترى ٥٥
لو قلت إنْ كان الضرب تحيَّةً فهو تحيَّتهم ، كان حقيقةً قطعًا . فجعل الغرض المقدَّر كالظاهر ، وهو نوعٌ على حِدَة ، من خلاف مقتضى الظاهر .

وأمَّا وجه بلاغته وعلى ماذا يدلُّ ، فقد حقَّقه صاحب (الكشَّاف) فى مواضع : منها أنَّه قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُون[1]﴾ الآية : هو من باب :

* تحيّةُ بينِهِمْ ضربٌ وجيعُ *

وما ثوابهُ إلاَّ السيف . وبيانه أن يقال : هل لزيد مال وبنون ، فتقول : ماله وبنوه سلامةُ قلبه . تريد نفىَ المالِ والبنينَ عنه. وإثباتَ سلامةِ القلب له بدلاً عَنْ ذلك .

وقال فى موضع آخر : إنَّه يدلُّ على إثبات النفى[2] ، فمعنى : « ليس بها أنيسُ إلاَّ اليعافير » : أى إنَّه لا أنيسَ بها قطعًا . لأنَّه جعل أنيسها اليعافير دون غيرها . وهى ليست بأنيسٍ قطعًا . فدلَّ على أنَّه لا أنيس بها . وهو قريبٌ مما لوقلت : إن كانت اليعافير أنيسًا فإنَّها أنيس . ووجه دَلالته على إثبات النفى[3] أنَّه استعملته العرب مرادًا به الحصر ، فإنَّ الكلام قد يدلُّ عليه ، نحو : الجواد زيد ، والكرم فى

(١) الآية ٨٨ من سورة الشعراء .
(٢) ط : « ثبات النفى » .
(٣) ط : « ثبات النفى » .

العرب، وشرٌّ أهرَّ ذا ناب. ولذا ذكره النحاة فى باب الاستثناء. والحصرُ الملاحَظُ فيه جارٍ على نَهْج الاستثناء المنقطع، لأَنَّه من التنويع عند الخليل. فعلى هذا وضَحَ إفادته ثَبات النفى[1] وظهرعدم التجوُّز فىمفرداته وأَنَّه لا يتصوّر فيه التشبيه.

وأما قوله فى المائدة فى تفسير: ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذلكَ مَثُوبةً[2]﴾ فإنْ قلت: المثوبة مختصَّة بالإحسان فكيف جاءت فى الإساءة، قلت: وضعت المثوبة موضعَ العقوبة على طريقة قوله:

* تحية بينهم ضربٌ وجيع *

ومنه: ﴿فبشِّرْهُم بعذابٍ أليم[3]﴾. انتهى.

فمراده أنَّ الآية من باب الإيجاز، وأنَّ فى الكلام تنويعًا مقدّراً. وهذا تفريعٌ مبنيٌّ عليه. والتقدير: إنْ نَقَمتم منهم وادَّعيتم لهم العقوبة فعقوبتهم المَثُوبة. وقد صَرَّح فى سورة مريم، وهذا دأْبه، يُجمِل فى محلّ ويفصِّل فى آخر.

وقال فى تفسير قوله تعالى: ﴿والباقياتُ الصَّالحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ ربِّك ثوابًا[4]﴾: فإن قلت: كيف قيل خيرٌ ثواباً، كأَنَّ لمفاخراتهم ثوابًا حتَّى يجعل ثوابُ الصالحات خيرًا منه؟ قلت: كأَنَّه قيل: ثوابهم النار، على طريقة قوله:

---

(١) اتفقت النسختان هنا على «ثبات النفى».

(٢) الآية ٦٠ من سورة المائدة.

(٣) من الآية ٢١ من آل عمران و ٢٤ من التوبة، كما أنها الآية ٢٤ من الانشقاق.

(٤) من الآية ٤٦ من سورة الكهف و ٧٦ من مريم. والكلام بعده إلى «قلت» الثانية ساقط من ش.

* فأَعتِبُوا بالصَّيْلم *

وقوله :

* تحيّة بينهم ضربٌ وجيعُ *

ثم بُنِيَ عليه خير ثواباً . وفيه ضربٌ من التهكُّم الذى هو أغْيَظُ للمتهدَّد من أن يقال له : عقابُك النار . انتهى .

والمُراد أنَّ بعضَ التَّنويع قد يُستعْمَل فى مقامِ التهكُّم . وقد صرح به ابن فارس (فى فقه اللغة الصاحبي[1]) فى باب ما يجرى مجرى التهكُّم والهُزء ، فقال : ومن هذا الباب أتانى فقرَيته جَفاءً ، وأعطيتُه حِرْمانًا . وقولُ الفرزدق :

* قريناهُم المأْثورةَ البيضَ[2] * انتهى .

وقد يستعمل بدونه كما فى قوله : ﴿ يوم لا ينفَعُ مالٌ ولا بنون[3] ﴾ الاية . وفى الحديث : « من كان له إمامٌ فقراءة الإمام قراءةٌ له » وقد فسِّر بهذا المعنى ، ولا يمكن فيه التهكُّم .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(وخَيلٍ قد دَلفتُ لها بخيل   تحيَّةُ بينِهِم ضربٌ وجيعُ)

---

(١) كذا فى النسختين . والمعروف أنه « الصاحبى فى فقه اللغة » .

(٢) كذا اقتصر ابن فارس على هذا الجزء من بيت الفرزدق . وقد وجدته فى ديوانه ٥٦٢ ، والنقائض ٥٦٥ . وهو بتمامه :

قريناهم المأثورة البيض ، قبلها   يثج العروق الأزأنى المثقف

والمأثورة : السيوف التى قد صقلت حتى ظهر أثرها ، أى فرندها وحسنها الذى تراه فى السيف كأنه أرجل نمل . والأزأنى : الرماح المنسوبة إلى ذى يزن . والمثقف : المقوم بالثقاف . يريد : طاعناهم بالرماح ثم صرنا إلى التضارب بالسيوف .

(٣) الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

و (الخيل) : اسمُ جمعِ الفرس لا واحدَ له من لفظه . والمراد به الفُرسان كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « يا خيلَ الله اركبى » . وأراد بالخيل الأَوَّل خيلَ الأَعداء ، وبالثانى خيلَه ، والضمير فى بينهم للخيلين. ودلَفْتُ : دنوت وزَحَفت ، من دلف الشيخ من باب ضَرَب ، إذا مشى مشيًا ليِّنا . والباءُ للتعدية ، أَى جَعلتُها دالفــة إليها . فاللام بمعنى إلى .
٥٦ وتحيّة مضاف ، وبينهِم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأَنَّه ظرف متصرِّف ، ولو فتح كان مبنيًّا لإضافته للمبنىّ .

وزعم ميربادشاه (فى حاشية البيضاوى) أَنَّ معناه إنَّ ضربَهم الوجيعَ كتحيّة بينهم ، على التشبيه البليغ المقلوب . وقد بيَّنَّا بُطلانه .

ووصف الضَّربَ بالوجيع مجازًا . ويجوز أَن يكون وجيع بمعنى مُوجع ، والمعنى ربَّ خيلٍ للأَعداء أَقبلْتُ عليهم بخيلٍ أُخرى كان التحيَّةُ بينهم ضربًا وجيعًا ، أَى كان مكانَ التحية هذا النَّوعُ من الضرب .

وقد أُوردَهُ[(١)] سيبويه فى باب الاستثناء وقال : جَعلوا الضَّرب تحيةً كما جعلوا اتِّباع الظنِّ علمهم .

وأَورده ثانيًا فى باب (أَو) وقال : العرب تقول : تحيَّتك الضَّربُ ، وعِتابُك السَّيف ، وكلامُك القتل[(٢)] .

قال الأَعلم : الشاهد فيه جعل الضَّرب تحيّةً على الاتِّسَاع المقدَّم ذكره . وإنّما ذكر هذا تقويةً لجواز البدل فيما لم يكن من جنس الأَوّل .

---

(١) ط : « أورد » ، صوابه فى ش .

(٢) سيبويه ٢ : ٤٢٩ .

يقول : إذا تلاقَوْا فى الحرب جعلوا بدلاً من تحيَّة بعضِهم لبعض الضربَ الوجيع .

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه شُرَّاح أبيات الكتاب وغيرُهم ، إلى عمرو بن مَعْدِيكربَ الصَّحابى، ولم أره فى شعره . والعجب من شيخنا الشِّهابِ الخفاجىّ أنَّه نسبه إليه (فى حاشية البيضاوى) وقال : هو من قصيدة مَسطورةٍ له فى المفضليات ، مع أنه غير موجود شعرُه فى المفضليات لا من كثيره ولا من قليله .

قال ابن رشيق (فى العمدة ، فى باب السرقات الشعرية) : ومما يعدّ سَرِقًا وليس بسَرق اشتراك اللفظ المتعارَف ، كقول عنترة :

وخيــل قد دلفت لها بخيـل ... عليها الأُسْدُ تَهْتَصِرُ اهتصارا[(١)]

وقول عمرو بن معد يكرب :

وخيــل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينِهِمْ ضربٌ وجيعُ

وقول الخنساءِ تَرْثى أخاها صخراً[(٢)] :

وخيــل قد دلفت لها بخيل ... فدارت بين كبشَيْها رحاها

وقول الأعرابى[(٣)] :

وخيل قد دلفت لها بخيــلٍ ... ترى فُرسانَها مِثْلَ الأُســودِ

وأمثال هذا كثيرٌ . انتهى[(٤)] .

---

(١) ديوان عنترة ١١٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢٤ .

(٢) ديوان الخنساء ١٤٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢٤ . وفى ديوانها : « بجول خيل » .

(٣) الذى فى العمدة : « ومثله » .

(٤) وردت هذه الأبيات فى العمدة على النسق الذى أثبته من ط . وقد سقط البيت الثانى من ش وقدم فيها البيت الأخير على الذى قبله . وورد البيت الأول لعنترة مشوهاً إذ جعل عجزه تكراراً سابقاً لعجز بيت الخنساء .

وإن يكن البيت لعمرو بن معديكرب فقد تقدَّمت ترجمته في الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(إذْ ذَهَبَ القومُ الكِرامُ لَيْسِى)

على أنَّ (ليس) لنقصان فعليَّتها جاز ترك نون الوقاية معها . وصدره :

* عددت قومى كعَدِيدِ الطَّيْسِ *

وتقدَّم شرحه في الشاهد الثاني والتسعين بعد الثلثمائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(فأنْتِ طَلاقٌ والطَّلاقُ إليَّةٌ)

وهذا صدر وعجزه :

* ثلاثًا ومن يَخرَقْ أعقُّ وأظلَمُ *

على أنَّ جملة (والطلاق أليَّة) من المبتدَإ والخبر اعتراضيَّة .

وتقدَّم شرحُه مفصَّلا في الشاهد الخامس والأربعين بعد المائتين[٣]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد السبعمائة[٤] :

(وكُونِى بالمَكارِمِ ذَكِّرِينِى) ٧٣٨ ٥٧

على أنَّه جاء خبر كان جملةً طلبيَّة . وهذا مختصٌ بالشِّعر .

والمعنى : كونى مُذكِّرةً بالمكارم ، وليس يريد كونى بِالمكارم . يقوِّى ذلك قولُه قبلَه :

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٤٤ .

(٢) الخزانة ٥ : ٣٢٤ – ٣٢٧ .

(٣) الخزانة ٣ : ٤٥٩ – ٤٧١ .

(٤) نوادر أبي زيد ٣٠ ، ٥٨ وضرائر ابن عصفور ٢٥٨ والمغنى ٥٨٥ والهمع ١ : ١١٣ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣٦ .

(أَلَا يا أُمَّ فارعَ لا تَــلُومِى على شئٍ رفعتُ به سَماعِى
وكُــونى بالمــكارمِ ذكِّرينى ودَلِّى دَلَّ مــاجِدةٍ صَنَاعِ)

فالمعنى : لا تلومينى على شئٍ رفعتُ به صِيتى وذِكرِى . وذكِّرينى به[1] .

والبيتان أَوردهما أبو زيدٍ (فى نوادره) ، ونسبَهما إلى بعض بنى نَهْشَل ، وقائلهما جاهلىٌّ . صاحب الشاهد

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرورة) : جعل ذكِّرينى فى موضع مذكِّرة ، وهو قبيح . لأَنَّ فعلَ الأَمر لا يقوم مقامَ الخبر فى باب كان. وإنما فَعَل ذلك لأَنَّ كُونى أَمرٌ فى اللفظ ، ومحصولُ الأَمر منه لها إنما وقَعَ على التذكير ، فلمَّا كان فى المعنى أَمرًا لها بتذكيره استعمل فيه لفظَ الأَمر . انتهى .

وقال السكرى (فيما كتب على نوادر أَبى زيد) : المعنى : وصِيرِى مذكِّرةً لى بالمكارم . وتقديره فى العربيّة ردىءٌ ، لو قلت : كن بغلام بشِّرنى لم يَجُزْ . وهو يريد يا أُمَّ فارعةَ ، فحذف، وذلك شاذٌّ لأَنه ليس بمنادًى إنَّما المنادى الأُمّ . والصَّنَاع ، بفتح الصاد : الرفيقةُ الكفّ . والماجدة : الكريمة . يقول : اضبِطى دلالَكِ[2] بمنفعةٍ وصنعة ، ولاتكونى خرقاءَ لا تنفع أَهلها . انتهى .

وقال أَبو زيد: قوله سماعى ، أَى ذِكْرى وحُسْنَ الثَّناء علىّ . ودَلِّى بفتح الدال ، من دلَّتتدَلُّ، ودَلِلْتُ أنا أَدَلُّ، مثل خَجِلت أَخجل.انتهى.

---

(١) كلمة « به » ساقطة من ش .

(٢) فى النوادر : « اخلطى ذلك » .

قال ابن عقيل : الدَّلُّ قريبُ المعنى من الهَدْى . وهما من السَّكينة والوقارِ فى الهيئة والمنظر[(١)] والشمائل وغير ذلك . قاله أبو عبيدة . والصَّنَاع : الماهرة الحاذقة بعمل اليدَين . وقال الأخفش (فى حواشيه على النوادر) : قوله :كونى بالمكارم ذكِّرينى . تقديره: كونى ممَّن أقول له ذَكِّرنى[(٢)] إذا سهوت . فجرى هذا على الحكاية . كما قال :

* سمعتُ النَّاسُ ينتجعون غيثًا *

أراد : سمعت قائلاً يقول : الناسُ ينتجعون ، فحكَى . هذا كلامُه.

وقال ابن هشام (فى المغْنى) : جملة ذكِّرينى مؤوَّلة بالجملة الخبرية ، أى وكونى تذكِّريننى[(٣)] . انتهى .

وإنَّما أوّلَه لِما عُرِفَ من أنَّ شرط خبر كان إذا كانت جملة أن تكون خبرية . وقال السَّخاوى : يجوز أن يكون الخبر محذوفاً وذكرينى أمرًا مستأنفا . أى كونى بالمكارم مذكِّرة ذكرينى .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد السبعمائة[(٤)] :

٧٣٩ (قَنافِذُ هَدَّاجُونَ حَوْلَ بيوتِهِمْ بما كان إيَّاهم عَطِيَّةُ عوَّدَا)

على أنَّ (كان) فى البيت عند البصريين إمَّا شأْنيَّة وإمَّا زائدة ، فيكون عطيّة فى الأوّل مبتدأً وعوّدا فعل ماض، وألفُه للإطلاق، وفاعله ضمير عطية ، ومفعوله إيَّاهم المتقدم على المبتدإ؛ والأَصل عَوَّدَهم، فلمَّا

---

(١) فى النسختين : « النظر » ، والوجه ما أثبت .

(٢) فى النسختين : « ذكرينى » ، صوابه من النوادر ٣٢ .

(٣) فى النسختين : « تذكرينى » ، صوابه من المغنى .

(٤) المقتضب ٤ : ١٠١ والتسهيل ١٠٧ والعينى ٢ : ٣٤ والهمع ١ : ١١٨ والتصريح ١ : ١٩٠ والأشمونى ١ : ٢٣٧ وديوان الفرزدق ٢١٤ والنقائض ٤٩٣ .

تقدَّم انفصل ، وجملة عوَّدهم خبر المبتدإ . والجملة الكبرى ، أعنى عطية عَوَّدهم ، فى محل نصب خبر كان ، واسمها ضمير الشأن .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : يجوز أن يكون اسمُ كان ضميرًا مستترًا فيها عائدًا على ما الموصولة . أى بسبب الأمرِ الذى كان هو عطيّة عوَّدهم إياه . وجملة عطيّة عودَّهم خبر كان . وحذف العائد لأنَّه ضميرٌ منصوب . ويجوز أيضًا أن يكون عطيّة اسم كان . وتقديم معمول الخبر للضرورة . وهذا الجوابُ عندى أولَى لاطِّراده فى نحو : ٥٨

باتَت فــؤادِىَ ذاتُ الخال سالبَةً

فالعيشُ إنْ حُمَّ لى عيشٌ من العَجَبِ[1]

إذِ الأَصل : باتت ذات الخال سالبةً فؤادى . ولا يجوز تقدير ذات مبتدأ ، لنصب سالبةً . واعتُرض على هذه الأَوجُه بأَنَّ الخبر الفعلىَّ لا يسبق المبتدأ ، فكذا معموله . والجواب : أَنَّ المانع من تقديم الفعل خشيةُ التباس الاسميَّة بالفعلية ، وذلك مأْمونٌ مع تقدُّم المعمول . انتهى

وأَوضحه (فى المغنى) بقوله : ولانتفاءِ الأَمرين ، وهما تهيئة العامل للعمل مع قطعه ، وإعمالُ الضَّعيف مع إمكان القوىّ ، جاز عند البصريِّين وهِشامٍ تقديمُ معمولِ الخبر على المبتدإ فى نحو : زيدٌ ضرب عَمرًا ، وإن لم يجز تقديمُ الخبر . وقال البصريون فى نحو قوله :

* بما كانَ إيَّاهم عَطيَّةُ عوَّدَا *

إنَّ عطية مبتدأ ، وإيَّاهم مفعول عَوَّد ، والجملة خبر كان ، واسمها

---

(١) مجهول القائل . وانظر العينى ٢ : ٢٨ والتصريح ١ : ١٩٠ والأشمونى ١ : ١٣٨ .

ضمير الشأْن . وقد خفيت هذه النكتة على ابن عُصفورٍ فقال : هَرَبُوا من محذور وهو أَنْ يفصلوا بين كان واسمها بمعمول خبرها ، فوقعوا فى محذورٍ آخرٍ ، وهو تقديم معمول الخبر حيث لا يتقدَّم الخبر . وقد بيَّنَّا أَنَّ امتناع تقدُّم الخبر فى ذلك لمعنىً مفقود فى تقدُّم معموله (١) . انتهى .

وبهذه الأَجوبةِ يُرَدُّ على الكوفيِّين قولُهم : يجوز أَنْ يلىَ كان أو إِحدى أَخواتِها معمولُ خبرها غيرُ الظَّرف . واحتجُّوا بهذين البيتين . قال ابن الناظم ، وبِقوله :

فأَصبحُوا والنَّوَى عالِى مُعَرَّسِهِمْ وليس كلَّ النَّوى يُلقِى المساكينُ (٢)

وقد خطَّأَه ابن هشام فيه بأَنَّه لو كان المساكين [اسما (٣)] لِكانَ يجب أَن يقال يلقون أَو تلقى (٤) ، وإِنَّما كان فيه عند الفريقين مسندةٌ إِلى ضمير الشَّأْن .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للفرزدق (مذكورةٍ فى النَّقائض) ، هجا بها جريراً .

وقوله : (قنافذ هدَّاجون) : جمع قُنفذ بالذال المعجمة والمهملة ، وهو حيوانٌ معروف ، يُضرَب به المثلُ فى سُرَى اللَّيل ، يقال « أَسْرَى مِنْ قُنفذ (٥) » . وهو خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى هم قنافذ . وهذا تشبيهٌ بليغ كما

---

(١) ش : « تقديم معموله » .
(٢) لحميد الأرقط . وانظر معجم الشواهد .
(٣) تكملة يفتقر إليها الكلام . والمعنى أن تكون المساكين اسماً لليس ويلقى خبراً لها ، وفصل معمولها وهو « كل » بينها وبين اسمها .
(٤) ش : « أو متلق » ، صوابه فى ط .
(٥) وقالوا أيضاً : « أسرى من أنقد » ، وهو القنفذ ، لا ينام ليله أجمع . يشبه النمام لخبثه وتقلبه فى ليله . جمهرة العسكرى ١ : ٥٢٥ .

حقَّقه السَّعد التفتازانى ، لا استعارةٌ بالكناية كما توهَّم العينى ، مع اعتراضه بأَنَّه خبر مبتدإٍ كما ذكرنا . وهَدَّاجون : فعَّالون من الهَدْج ، بالإسكان ، والهَدَجانِ بالتحريك ، وهو السَّير السريع . وفعلُه كضرب. ويروى : (درَّاجُون) من دَرَج الصبىُّ والشيخُ ، وفِعلُه كدخـــل ، ومعناه تقارُبُ الخطو بمنزلة مشْىِ الصبىّ(١) .

وعطية : أَبو جرير . يقول : إنَّ رهط جرير كالقنافِذ ، لمشْيهم فى اللَّيل للسَّرقة والفجور ، وإنَّ أَبا جرير هو الذى عوَّدهم ذلك .

وقد هجاه الأَخطلُ بمثل هذا أَيضًا ، قال من قصيدة :

أَمّا كليبُ بنُ يَرْبُوعٍ فليس لهـــا
عنـــد التفاخُرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ(٢)
مُخلَّفون ويَقْضِى النَّاسُ أَمرَهُمُ
وهم بغَيبٍ وفى عَمْياءَ ، ما شَعَــرُوا
مِثلُ القنافذ هدَّاجونَ قد بلغَتْ
نجرانَ أَو بلغَتْ ســوءاتِهِمْ هَجَرُ(٣)

وترجمة الفرزدق قد تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أَوائل الكتاب(٤) .

* * *

(١) رواية النقائض : « قنافذ دراجون خلف جحاشهم لما كان » .

(٢) فى ديوان الأخطل ١٠٩ : « فليس لهم عند التفارط » . والتفارط : التقدم فى طلب الماء . ومنه الحديث : « أنا فرطكم إلى الحوض » .

(٣) فى الديوان :

على العيارات هداجون قد بلغت نجران أو حدِّثت سوءاتهم هجــر

والعيارات : جمع عير ، وهو الحمار .

(٤) الخزانة : ١ : ٢١٧ .

٥٩ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٧٤٠ (ما دامَ فيهنّ فَصِيلٌ حَيًّا)

على أنّه يجوز فى باب كان الإخبار عن النّكرةِ المحضة إذا حصلت الفائدةُ كما هنا . فإنّ قوله فصيلٌ اسم دام ، وحيًّا خبرها ، وحصلت الفائدةُ من تقديم فيهنّ وهو متعلّق بالخبر ، ولو حذفت فيهنّ انقلَبَ المعنى ، لأنّك إذا قلت ما دام فصيلٌ حيًّا فالمراد أبدًا ، كما تقول : ما طلعَتْ شمس ، وما ناح قُمرىّ . فلمّا لم تتمّ الفائدة إلاّ به حُسنَ تقديمُهُ لمضارعته الخبرَ فى الفائدة .

ومثله قوله تعالى: ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أَحَدٌ[٢] ﴾ فإنّ قوله له وإن لم يكن خبرًا فإنّه به يتم المعنى ، لأنّ سقوطَها يُبطِلُ معنى الكلام ؛ لأنّك لو قلت : لم يكن كفوًا أحـــد ، لم يكن له معنى ، فلمّا أحوجَ الكلامُ إلى ذكر «له» صار بمنزلة الخبر الذى لايُستغنَى عنه ، وإن لم يكن خبرًا . ولم يكن بمنزلة قوله : ما كان فيها أحدٌ خيرًا منك ، لأنّك لو حذفت فيها كان كلامًا صحيحاً .

وهذا البيت أورده سيبويه فى باب الإخبار عن النكرة بالنكرة وأمثلته فى كان وأخواتها؛ قال فيه: وتقول : ما كان فيها أحدٌ خيرًا منك ، وما كان أحدٌ مثلُك فيها ، وليس أحدٌ فيها خيرٌ منك ، إذا جعلتَ

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٧ . وانظر النوادر ١٩٤ والمقتضب ١ : ٩٤ وابن يعيش ٤ : ٧/٣٣ : ٩٦ ، ١١٥ وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٦٥ واللسان (جلذ ١٣ دوم ١٠٨ هيا ٢٥٣) .

(٢) الآية ٤ من سورة الإخلاص .

فيها مستقَرًّا ولم تجعله على قولك : فيها زيد قائم ، أجريت الصِّفة على الاسم . فإن جعلته على قولك: فيها زيد قائم، نصبتها ، تقولُ: ما كان فيها أَحدٌ خيرًا منك ، وما كان أَحدٌ خيراً منك فيها ، إلَّا أَنَّك إذا أَردت الإلغاء فكلَّما أَخَّرتَ الذى تُلغيه كان أَحسن . وإذا أَردت أَن يكون مستقَرًّا مكتفىً [به[1]] فكلَّما قدَّمته كان أَحسن ، لأَنَّه إذا كان عاملاً فى شىء قدَّمته ، كما تُقدِّم أَظنّ وأَحسَب . وإذا أَلغيتَه أَخَّرته ، كما تؤخِّرهما ، لأَنَّهما ليسا يعملان شيئًا . والتقديم ههنا والتأخير ، والإلغاءُ والاستقرار ، عربىٌّ جيِّدٌ كثير . فمن ذلك قوله عزَّ وجلّ : ﴿ولم يكنْ له كُفُوًا أحد﴾. وأهلُ الجفاء يقولون : ولم يكن كفوًا له أحد ؛ كأَنَّهم أَخَّروها حيث كانت غير مستقرّة . قال الشاعر :

(لتقرُبِنَّ قَـــربًا جُلذيّا ما دامَ فيهنَّ فصيلٌ حيًّا

وقد دَجَا اللَّيلُ فَهيَّا هِيَّا)

انتهى كلام سيبويه .

قال ابن يعيش : سيبويه يسمِّى الظرف الواقعَ خبراً : مستقَرًّا ، لأَنَّه يقدّر باستقَرّ وإن لم يكن خبراً سمَّاه لغْواً . وتقديم الظرف وتأْخيره إذا كان مستقَرًّا جائزٌ عنده ، وإنَّما يُختار تقديمُهُ . فإن قيل : فما تصنع بقوله سبحانه : ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أحد ﴾ قُدِّم الظرف مع أَنَّه لغو ؟ قيل : لمَّا كانت الحاجةُ ماسَّةً والكلامُ غيرَ مستغنٍ عنه ، كأَنَّه خبرٌ مقدَّم لذلك . ألا ترى أَنَّ قوله تعالى : ﴿ الله الصَّمَدُ ﴾ مبتدأٌ وخبر . وقوله : ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أَحدٌ ﴾ معطوف عليه ، وما عُطِف على الخبر

(١) التكملة من ش وسيبويه . لكن فى سيبويه : « تكتفى به » .

كان فى حكم الخبر ، فلذلك لم يكن من العائد فى قوله له بُدٌّ، لأَنَّ الجملة إذا وقعت خبرًا افتقرت إلى العائد . قال : وأهل الجفاء يقولون : ولم يكن كُفوًا له أحد[1] . أراد بأَهل الجفاء الأَعرابَ الذين لم يبالوا بخطِّ المصحف ، ولم يَعلموا كيف هُو . فأَمَّا قوله :

* ما دام فيهنَّ فصيلٌ حيًّا *

فإنَّه قدَّم الظرف ههنا وإن لم يكن مستقَرًّا ، فإنَّه متعلِّق بالخبر
وذلك لجواز التقديم عنده[2] مع أنَّه قد تدعو الحاجة إليه ولا يسوغ ٦٠
حذفه ، إذ حذفُه يغيِّر المعنى[3] ، ويصير بمعنى الأَبد ، كقولك : ماطلعت الشمس . فلمَّا كان المعنى متعلِّقاً به صار كالمستقَرِّ فقدَّمه لذلك . انتهى.

وقد أورد الشارح المحقِّق هذا الكلامَ فى آخر البحث (فى الحروف المشبَّهة بالفعل) وقال : يجوز الإخبار عن النكرة فى باب إنَّ وفى باب كان ، بالنكرة والمعرفة .

وجوَّزه أبو حيَّان فى الأَوَّل دونَ الثَّانى ، قال (فى تذكرته) : نَصبُ إنَّ وأَخواتِها للنَّكرات لا ينحصر ، وقد أُخبر بالمعرفة ، وهذا غريب ،ولا يجوز فى الابتداء ولا فى كان. حكى سيبويه : إنَّ قريباً منك زيد ، وإنَّ بعيدًا منك زيد . وأنشد سيبويه :

* وإنَّ شفاءً عَبرةٌ مُهَرَاقةٌ[4] *

---

(١) ط : « ولم يكن له كفواً أحد » ، صوابه فى ش وابن يعيش . وانظر الصفحة السابقة . وبعده فى ابن يعيش : « فيؤخرون الجار والمجرور لقوة التأخير فى الملغى عندهم » .

(٢) ط : « وذلك يجوز التقديم عنه » ، ش : « وذلك يجوز التقديم عنده » ، صوابه من ابن يعيش ٧ : ١١٥ .

(٣) ابن يعيش : « إذ لو حذف تغير المعنى » .

(٤) لامرئ القيس فى معلقته ، وتمامه :

* وهل عند رسم دارس من معول *

وحَكى : إنَّ ألفًا فى دراهمك بيضٌ ، وإنَّ بالطريق أسدًا رابضٌ .

وجاز عندى أن يكون المعرفة خبرًا عن النكرة هنا لمَّا كان المعنى واحداً ، وأنَّه لما كان فضلةً فكأنَّه غير مسند إليه ، فجاز تنكيره ، ولمَّا كان الخبر مرفوعًا صار كأنَّه مسند إليه فكان معرفة .

وذكر الجرمىُّ هذه المسألة (فى الفرخ) وقال : إنَّه يبتدأُ بالنكرة ويخبر بالمعرفة عنها فى هذا الباب . وقال : جائزٌ ذلك ، لأنَّهم لا يقدِّمون خبر إنَّ كما يتَّسعون فى ذلك ، فَأَعْطَوْا إنَّ ما منعوا فى كان . وقد منَعُوا خبرِ كان ، ومنعوا أن يكون خبرها معرفة واسمها نكرة ، فأعطَوْا كلَّ واحد منهما ما مُنِعَه صاحبُه . انتهى .

والشارح تابعٌ فى ذلك لابن مالك . وكثرةُ السَّماع يشهدُ لصحَّة قولهما .

صاحب الشاهد وهذه الأبيات الثلاثة نسبَها ابنُ السِّيرافى وابنُ خلفٍ لابن ميَّادة . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسعَ عشرَ من أوائل الكتاب(١) .

وقوله : « لتقرُبِنَّ » قال ابن السيرافى : هو جوابُ قسمٍ محذوف ، وهو بضم الراء وكسر الباء . قال الجوهرى : قَرَبْت أَقْرُب قرابة ، مثل كَتَبت أكتب كتابة ، إذا سرتَ إلى الماء وبينك وبينه ليلة . والاسم القَرَب بفتحتين . وقال الأصمعى : قلت لأعرابىٍّ : ما القَرَب ؟ قال : سير الليل لوردِ الغد . قلت : ما الطَّلَق ؟ قال : سير اللَّيل لورد الغِبِّ . وقال : أقرب القومُ فهم قاربون ، ولا يقال مُقْربون . قال أبو عبيد : هذا الحرف شاذ .

---

(١) الخزانة ١ : ١٦٠ .

أقول : قد سُمع ثلاثيُّهُ فلا شذوذ . وقال أبو الحسن الأخفش : لتقرُبِنّ: لَترِدِنّ . وليلة القَرَب : ليلة الورد . وهذا خطابٌ لناقته . يقول : لتسيرِنَّ إلى الماءِ سيرًا حثيثًا[(١)] . والْجُلْذِىّ بضم الجيم وسكون اللام بعدها ذال معجمة ، ومعناه السَّريع الشديد ، فهو وصفُ القَرَب . وقيل منادًى مرخَّم . جُلذيّةَ : اسم ناقته . والضمير فى فيهن عائد على الإبل ، ودلَّ عليه سياق الكلامِ وذِكرُ النَّاقة ، فأَضمر وإن لم يَجْر لها ذِكر . والفصيل : ولد الناقة ، وإنَّما ذكره لأَنَّ ناقته من جملة الإبل يسوقها إلى الماءِ سَوقاً حثيثاً . فيقول : لا أعذِرك ما دام فيهنَّ فصيلٌ يطيق السَّير . ودجَا اللَّيلُ : أظلم . وهَيَّا هِيَّا زجرٌ لها وتصويتٌ حتَّى تسِير ، أى مبادرةً . وليس منه فعل ، وهى مكسورة الأَوّل . وقد حكيت بالفتح . قاله ابن خلف . [وقوله[(٢)]] : وليس منه فعلٌ ، يناقضه قول الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : يقال هَوَى يهوِى هَيًّا وهُوِيًّا وهَوَيانا ، إذا سقَط . وأنشد هذا الرجز[(٣)] ثم قال : يريد اهوِى واعجَلى . انتهى .

ومقتضاه أنَّه بالفتح لا بالكسر ، وأنَّه مصدرٌ لا اسمُ فعل ، إلاَّ أن يكون هذا هو الأَصل ثم نُقِل إلى اسم الفعل .

* * *

٦١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأَربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(٤)] :

(١) ط : « حبيباً » ، صوابه فى ش . (٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٣) رواية الرجز فى شرح الجواليقى :

لتقربن قربا جلديـــا ما دام منهن فصيل حيا
فقد دنا الليل فهيا هيا

ولا ريب أن « جلديا » بالدال المهملة تصحيف .

(٤) فى كتابه ١ : ٢٨٤ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٩١ والمنصف ٣ : ٤٠ وسر الصناعة ١ : ٢٥٨ وأسرار البلاغة ١٦٠ والمغنى ٣٥١ ، ٤٨٣ والهمع ٢ : ٧٧ ، ١٤٠ والأشمونى ٣ : ١٢٢ ، واللسان (هلل) . وهو من معلقة امرئ القيس .

٧٤١ (وإنَّ شفاءً عبرةٌ مُهَرَاقةٌ)

على أنَّه يجوز أن يُخبَر فى باب إنَّ أيضاً عن النكرة كما هنا ، فإنَّ شفاءً وقع اسمَ إنَّ منكَّرًا ، وأُخبر عنه بَعبْرة .

قال الشارح المحقِّق : وكذا أنشده سيبويه .

أقول : هذا نصُّه (فى باب ما يحسُن عليه السُّكوت فى هذه الأَحرف الخمسة إنَّ وأخواتِها) ، قال : وتقول : إنَّ قريبًا منك زيدًا ، إذا جعلتَ قريبًا منك مَوضعا . وإنْ جعلت الأَوّل هو الآخر قلت : إنَّ قريبًا منك زيدٌ ، وتقول : إنَّ بعيدًا منك زيد . والوجهُ إذا أَردتَ هذا أنْ تقول : إنَّ زيدًا قريبٌ أَو بعيدٌ منك ، لأَنَّه اجتمع معرفةٌ ونكرة . وقال امرؤُ القيس :

وإنَّ شفـــاءً عَبرةٌ مُهَـــرَاقةٌ   فهَلْ عِندَ رسمٍ دارِسٍ من مُعَوَّل

فهذا أَحسَنُ لأَنَّه نكرة . وإن شئتَ قلت : إنَّ بعيدًا منك زيدًا . وقلَّما يكون « بعيدًا منك » ظرفًا ، لأَنَّك لا تقول : إنَّ بُعدَك وتقول: إنَّ قُربَك[1] ؛ فالدُّنوُّ أَشدُّ تمكينًا فى الظرف من البُعْد . انتهى كلامه .

والرواية المشهورة فى البيت : « وإن شفائى »، بالإِضافة إلى ياء المتكلِّم. وهذا هو المشهور المعروف .

صاحب الشاهد

والبيت من أَوّل معلَّقة امرئ القيس ، ولم يذكر شُرَّاحُها تلك الرواية ، إلاّ أَنَّ الخطيبَ التِّبريزى قال : روى سيبويه هذا البيتَ « وإنَّ شفاءً عَبرةٌ » ، واحتجَّ فيه بأَنَّ النَّكرة يُخبَر عنها بالنكرة . ويروى :

* وإن شفائى عَبرةٌ لو سَفَحْتُها *

(١) فى كتاب سيبويه : « لأنك لا تقول إن بعدك زيداً ، وتقول إن قربك زيداً » .

أى صببتُها . ولوْ للتَّمَنِّى لا جوابَ لها . والعَبرة ، بالفتح : الدَّمعة ، وجمعها عِبَر ، كَبَدْرةٍ وبِدَر . ومُهَراقة بفتح الهاء ، أى مصبوبة . قال ابن السيد (فى شرح أدب الكاتب) : قد ذكر ابنُ قتيبة فى باب فعلت وأفعلت هَرَقت الماءَ وأهرقته. وقد قال مثلَه بعضُ اللغويِّين ممَّن لايُحسن التصريف ، وتَوهَّم أنَّ هذه الهاءَ فى هذه الكلمة أصل . وهو غلطٌ ، والصَّحيح أنَّ هَرقْت وأهرقت فِعلان رُباعيَّانِ معتلاَّن ، أصلهما أرقت[1] . فمن قال هَرقت فالهاءُ عنده بدلٌ من همزة أفعلت ، كما قالوا : أرحت الماشية وهَرَحتها ، وأنرت الثوب وهَنَرتُه . ومن قال أهرقت فالهاءُ عنده عِوضٌ من ذَهاب حركة عين الفعل عنها ، ونقلها إلى الفاء ؛ لأنَّ الأَصل أَرْيَقْتُ أو أَرْوَقْتُ ، بالياءِ أو بالواو ، على الاختلاف فى ذلك ، ثم نُقلت حركة الواو أو الياءِ إلى الراءِ ، فانقلب حرفُ العلَّة ألفًا لانفتاح ما قبلها ثم حُذف لسكونه وسكون القاف[2] . والساقط من أرقت يحتمل أن يكون واوًا فيكون مشتقًا من راق الشىءُ يروق ، ويحتمل أن يكون ياءً لأنَّ الكسائىَّ حكى رَاق الماءُ يَريق ، إذا انصبَّ. والدَّليل على أنَّ الهاءَ فى هرقت وأهرقت ليست فاءَ الفعل على ما توهَّم من ظَنَّها كذلك ، أنَّها لو كانت كذلك للزم أن يُجرى هَرقت فى تصريفه مُجرى ضربت ، فيقال هرقت أهرِق هَرْقًا ، كما تقول ضَربت أضرِب ضَربًا ، أو مُجرَى غيرِه من الأَفعال الثلاثية التى يجىءُ مضارعُها بضمِّ العين وتجىءُ مصادرُها مختلفة . وكان يلزم أن يُجرَى أهرقت فى تصريفه مُجرَى أكرمت ونحوِه من الأَفعال الرباعية المصَحَّحة ، فيقال أهرقت أهرِق

---

(١) ط : « أريقت » ، صوابه فى ش والاقتضاب لابن السيد ٢٢٧ .

(٢) ش : « الفاء » ، صوابه فى ط والاقتضاب ٢٢٧ .

إهراقا ، كما تقول : أكرمت أُكرِم إكراماً . ولم تقل العرب شيئًا من ٦٢
ذلك ، وإنَّما يقولون فى تصريف هَرَقت أَهَرِيق ، يفتحون الهاء ، وكذلك يفتحونها فى اسم الفاعل فيقولون مُهَرِيق ، وفى اسم المفعولُ مُهَراق ، لأنَّها بدل من همزةٍ لو ثبتت فى تصريف الفعل لكانت مفتوحة . ألا ترى أنَّك لو صرَّفت أرقت على ما ينبغى من التصريف ولم تحذف الهمزة منه لقلت فى مضارعه يُؤَرْيِق ، وفى اسم فاعله مُؤَرِيق ، وفى اسم مفعوله مُؤْرَيَقٌ . وقالوا فى المصدر : هِراقة كما قالوا إراقة . وإذا صرَّفوا أهرقت قالوا فى المضارعُ أُهْرِيق وفى المصدر إهْراقة ، وفى اسم الفاعل مُهْرِيق وفى اسم المفعول مُهْراق ، فأَسكنوا الهاء فى جميع تصريف الكلمة . فهذا يدلُّ على أنَّه رباعىٌّ معتلٌّ وليس بفعل صحيح ، وأنَّ الهاء فيه بدل من همزة أَرَقت أو عوضٌ كما قلنا . قال العُدَيل بن الفُرخ[1] :

فكنت كمهريق الذى فى سِقائه ... لرقراقِ آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْدِ[2]

وقال ذو الرمة :

* فلما دنت إهْراقةُ الماءِ أنصَتَتْ[3] *

وقال الأَعشى فى أَراكٍ :

فى أَراكٍ مَرْدٍ يكاد إذا ما ... ذرَّتِ الشَّمس ساعةً يُهْراقُ[4]

(١) سبقت ترجمته فى ٥ : ١٩٠ . والفرخ بضم الفاء وآخره خاء معجمة ، وفى الاقتضاب ٢٢٨ : « الفرج » ، تحريف .
(٢) فى الاقتضاب : « رابية جلد » ، وكذا فى اللسان (هرق ٢٤٦) .
(٣) تمامه كما فى الاقتضاب ٢٢٨ وديوان ذى الرمة ٦٤٥ واللسان (هرق) :

* لأعزله عنهـــا وفى النفس أن أثنى *

وهو من لغز له فى بكرة البئر من أبيات ثلاثة ، وقبله :

وجارية ليس من الإنس تستحى ... ولا الجن قد لاعبتها ومعى ذهنى
فأدخلت فيهـا قيـد شبر موفـــر ... فصاحت ولا والله ما وجدت تزنى

(٤) ديوان الأعشى ١٤١ .

انتهى كلامُه ، ولجودته سقناه بتمامه .

وقوله : (فهل عِنْد رسم) إلخ ، الرَّسمُ : الأَثَر . والدَّارس : المنطمِس . والفاءُ فى جواب شرط مقدَّر ، قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : ومن ذلك قول امرئ القيس :

وإنَّ شفائى عَبرةٌ . . . . البيت

ففى قوله معوَّل مذهبان : أحدهما أنَّه مصدرُ عوَّلت بمعنى أعولت ، أى بكيت . أى فهل عند رسم دارسٍ من إعوالٍ وبكاءٍ . والآخر : أنَّه مصدر عوَّلت على كذا ، أى اعتمدت عليه ، كقولهم : إنَّما عليك مُعوَّلى ، أى اتِّكالى . وعلى أىِّ الأمرينِ حملتَ المعوَّل فدخول الفاءِ على : فهل عند رسمٍ ، حسنٌ جميل ، أمَّا على الأوَّل فكأنَّه قال : إنَّ شفائى أنْ أسفحَ عَبرتى . ثم خاطبَ نفسَه أو صاحبيْهِ فقال : إذا كان الأمر على ما قدَّمتُ من أنَّ فى البكاءِ شفاءَ وجْدِى ، فهل من بكاءٍ أُشفى به غليلى ؟ فهذا ظاهره استفهامٌ لنفسه ، ومعناه التَّحضيض لها على البكاءِ ، كما تقول : قد أحسنتَ إلىَّ فهل أشكرُك ؟ أى فلأَشكرنَّك . وقد زُرتَنى فهل أُكافئك؟ أى فَلَأُكافئنَّك . وإذا خاطب صاحبيه فكأنَّه قال : قد عرَّفتكما سببَ شفائى ، وهو البكاءُ والإعوال ، فهل تُعْوِلان وتَبْكِيان معى لأَشفِىَ وَجْدِى ببكائكما . فهذا التفسير على قول من قال إنَّ معوَّلى بمنزلة إعوالى . والفاءُ عَقَدَتْ آخرَ الكلام بأوَّلِه ، لأنَّه كأنَّه قال : إن كنتما قد عَرَفتما ما أُوثره من البكاءِ فابكيا معى . كما أنَّه إذا استفهم نفسَه فكأنَّه قال : إذا كنتُ قد علمتُ أنَّ فى الإعوال راحةً لى فلا عذرَ لى فى ترك البكاءِ . وأمَّا مَنْ جعل معوَّلى بمعنى تعويلى على كذا ، أى اعتمادى واتِّكالى عليه ، فوجه دخول الفاءِ على (فهل) فى قوله : أنَّه لما قال : إن شفائى عبرةٌ

مهراقة فكأنَّه قال : إنَّما راحتى فى البكاء ، فما معنى اتكالى فى شفاء غليلى على رسمٍ دارس لاغنَاء عنده عنِّى . فسبيلى أن أُقبل على بكائى ولا أُعوِّل فى برد غليلى[1] على مالا غناء عنده . وهذا أيضًا معنى يُحتاج معه إلى الفاء لتربِط آخر الكلام بأوَّله ، فكأنَّه قال : إذا كان شفائى إنَّما
هو فى فيض دمعى فسبيلى أن لا أُعوِّل على رسمٍ دارسٍ فى دَفْع حزنى ، ٦٣
وينبغى أن أجدَّ فى البكاء ، الذى هو سبب الشفاء . انتهى كلامه .

ووقع فى رواية ابن هشام « وهل » بالواو . قال (فى المغنى ، فى بحث هل ، وفى عطف الإنشاء على الخبر من الباب الرابع) : إنَّ هل فيه للنفى ، ولذا صحَّ العطف ، إذْ لا يُعطف الإنشاءُ على الخبر .

وقد تقدَّم فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائة عن الباقلانى (فى إعجاز القرآن) أنَّ هذا البيت مناقضٌ لما قبله ، فراجعْه[2] .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين[3] .

* * *

وأنشد بعده

(يكون مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ)

على أنَّه يجوز أن يخبر فى بابَىْ (كان) و (إنَّ) بمعرفة عن نكرة فى الاختيار كما هنا ، فإنَّ مزاجها رُوِى بالنصب على أنَّه خبر مقدَّم وهو معرفة ، وعَسَلٌ اسم كان مؤخَّر وهو نكرة .

---

(١) رسمت فى ط « غلى لى » خطأ ، صوابه فى ش وسر الصناعة ١ : ٢٥٩ .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٢٤ — ٢٢٥ .
(٣) الخزانة ١ : ٣٢٩ — ٣٣٥ .

وقال الزَّمَخشرىّ : لا يجوز هذا إلاَّ فى ضرورة الشعر .

وهذا مذهب ابن جنِّى ، قال (فى المحتسَب) : روى عن عاصم أنَّه قرأ : ﴿وما كانَ صلاتَهم عِند البيت﴾ نصبًا ﴿إلاَّ مُكَاءٌ وتصدَيةٌ[1]﴾ رفعاً . ولحَّنَه الأَعمش . وقد رُوِى هذا الحرفُ أيضًا عن أبانَ بنِ تغلب أنَّه قرأَهُ كذلك[2] . ولسنا ندفع أنَّ جعلَ اسم كان نكرةً وخبرها معرفةً قبيح ، فإنَّما جاءَت منه أَبياتٌ شاذَّة، وهو فى ضرورة الشعر أَعْذَر[3] ، والوجه اختيار الأَفصح الأَعْرَب ، ولكنَّ وراءَ ذلك ما أذكره . اعلم أنَّ نكرةَ الجنسِ تُفيد مُفاد معرفتِه . ألا ترى أنَّك تقول : خرجتُ فإذا أَسدٌ بالباب ، فتجد معناه معنى قولك : خرجت فإذا الأَسدُ بالباب ، لا فرق بينهما . وذلك أنَّك فى الموضعين لا تريد أَسدًا واحدًا معيَّناً ، وإنَّما تريد خرجت فإذا بالباب واحدٌ من هذا الجنس . وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع فى« مُكَاءٌ وتصدية» جوازاً قريباً ، حتَّى كأَنَّه قال : وماكان صلاتَهم عند البيت إلاَّ المكاءُ والتَّصديةُ ، أَى إلاَّ هذا الجنسُ من الفعل. وإذا كان كذلك لم يجر هذا مَجرى قولك : كان قائمٌ أَخاك وكان جالسٌ أَباك ، لأَنَّه ليس فى جالس وقائم من معنى الجِنْسيَّة التى تَلاقَ معْنَيا نكرتِها ومعرفتها[4] . وأَيضًا فإنَّه يجوز مع النفى من جعل اسم كان وإخواتها نكرةً ما لا يجوز مع الإيجاب[5] ، فكذلك هذه القراءَة، لمَّا

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الأنفال ، وانظر المحتسب ١ : ٢٧٩ .

(٢) ط : « أنه قراءة كذلك » ، صوابه فى ش والمحتسب .

(٣) فى النسختين : « عذر » ، وأثبت ما فى المحتسب .

(٤) بعده فى المحتسب : « على ما ذكرنا وقدمنا » .

(٥) بعده فى المحتسب : « ألا تراك تقول : ما كان إنسان خيراً منك ، ولا تجيز : كان إنسان خيراً منك » .

دخلها النفى قَوِىَ وحَسُنَ جعلُ اسمِ كان نكرةً . هذا إلى ما ذكرنا من مشابهة نكرةِ اسم الجنس لمعرفته . ولهذا ذهب بعضُهم فى قول حسّان :

كأنَّ سبيئةً من بيت رأسٍ يكون مزاجَها عسلٌ ومــاءُ

أنّه إنّما جاز ذلك من حيث كان عسل وماءٌ جنسين ، فكأنّه قال : يكون مزاجَها العسلُ والماءُ . فبهذا تسهُلُ هذه القراءة ، ولا تكون من القُبح واللَّحْن [الذى[1]] ذهب إليه الأعمش . انتهى .

وإليه أيضًا ذهب ابن السِّيد (فى أبيات المعانى) قال : هذا لا يجوز إلاَّ فى ضرورة الشعر ، فأمَّا فى الكلام فلا يجوز .

وقال اللخمى : حَسَّنَ ذلكَ أنَّ مزاجًا مضاف إلى ضميرِ نكرة . قال السِّيرافى عندما أنشد سيبويه :

* أظبىٌ كان أُمَّك أم حمارُ[2] *

إنَّ ضمير النكرةَ لا تَستفيد منه إلاَّ نكرةً . ألا ترى إذا قلتَ مررت برجلٍ فكلَّمته ، لم تكن الهاءُ بموجبةٍ تعريفًا لشخصٍ بعينه ، وإن كانت معرفة من حيث علم المخاطب أنَّها ترجع إلى ذلك المنكور . انتهى .

٦٤ وقال ابن خلف : فى هذا أربعة أقوال : قيل هو على وجه الضرورة ، وقيل أراد مزاجًا لها فنوى بالإضافة الانفصالَ فأخبر بنكرة عن نكرة . وقال أبو على : نصب مزاجها على الظَّرفِ السادُّ مسَدَّ الخبر ، كأنه قال : يكون مستقِرًّا فى مزاجها . فإذا كان ظرفًا تعلَّق بمحذوف يكون

(١) التكلة من المحتسب .
(٢) هو الشاهد ٥٢٤ فى الخزانة ٧ : ١٩٢ .

الناصبَ له ، وقُدِّم على عسل وماءٍ كعادتهم فى الظروف إذا وقعَتْ أخباراً عن النَّكرات ، لئلا تلتبس بالصفات[1] .

ثم نقل توجيه ابن جنى . وكذا نقل اللخميُّ عنه قال : وعن أبى علىّ أنَّ مزاجها ينتصب على الظرف ، تقديره على المعنى : يكون مكانَ مزاجها عسلٌ وماءٌ .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وتأوَّله الفارسىُّ على أنَّ انتصاب المزاج على الظرفية المجازيَّة .

وزعم شارحه ابن الملاَّ أنَّ كان على تأويل أبى علىٍّ تكون تامَّة .

وذهب الزمخشرى (فى المفصَّل) إلى أنَّ هذا ونحوه من القلب الذى شجَّع عليه أَمْنُ الإلباس .

وإليه جنح ابن هشام (فى المغنى) قال فى الباب الثامن : من فنون كلامهم القلبُ ، وأكثر وقوعه فى الشعر . وأنشدالبيتَ . وقال فى الباب الرابع منه : إنَّه ضرورة . ولم يذكر القلب .

ورُوى فى البيت رفع مزاجُها ونصب عسل ورفع ماءٌ، وبِرفْع الجميع.

وقد تقدم كلُّه مشروحًا مع القصيدة فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد السبعمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(ولا يَكُ موقفٌ مِنْكِ الوَدَاعا)

---

(١) ط : « يلتبس بالصفات » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) انظر هذا الجزء التاسع ص ٢٢٤ — ٢٣٧ .

لما تقدَّم قبله ، من أنَّه يجوز فى الاختيار أن يُخبَر عن نكرة بمعرفة فى ذينك البابين .

قال ابن مالك (فى التسهيل) : وقد يُخبر هنا وفى باب إنَّ بمعرفةٍ عن نكرة اختيارًا .

وقال (فى شرحه) : لمَّا كان المرفوع هنا مشبَّهاً بالفاعل ، والمنصوبُ مشبَّهًا بالمفعول ، جاز أن يُغْنِيَ هنا تعريفُ المنصوبِ عن تعريف المرفوع ، كما جاز فى باب الفاعل ، لكن بشرط الفائدةِ وكونِ النكرة غيرَ مَحْضة . من ذلك قولُ حسان :

* يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ *

وليس بمضطرٍّ ، إذ يمكنهُ أن يقول مِزاجُها بالرفع فيجعل اسم يكون ضمير الشأن . وقولُ القطامىّ :

* ولايك موقفٌ منك الوَداعا *

وليس بمضطرّ ، إذ له أن يقول : ولايك موقفى . والمحسِّن لهذا شَبهُ المرفوعِ بالفاعل والمنصوب بالمفعول . وقد حُمِل هذا الشَّبه فى باب إنَّ ، كقول الفرزدق :

وإنَّ حرامًا أن أَسُبَّ مجاشعًا بآبائى الشُّمِّ الكرامِ الخضارم[1] . انتهى.

وهذا مبنىٌّ على تفسير الضرورة بما لا مندوحةَ للشاعر عنه . وهذا

(١) ديوان الفرزدق ٨٤٤ والمقتضب ٤ : ٧٤ والهمع ١ : ١١٩ . وفى الديوان : « وليس بعدل أن سببت مقاعسا » . ورواية « مجاشعا » خطأ ، فإن « مجاشع بن دارم » من أجداد الفرزدق فى نسبه ، وهو دائم الاعتزاز به . و « مقاعس » هو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم .

فاسدٌ من وجوهٍ تقدَّم بيانُها فى شرح أوّل شاهد . وعند الجمهور هو من الضَّرورة ، ومعناها ما وقع فى الشعر سواءٌ كان عنه مندوحةٌ أم لا .

قال اللخمى : جَعْلُ موقفًا وهو نكرة اسم يَكُ ، والوداع وهو معرفةٌ الخبر ، ضرورةٌ لإقامة الوزن . وحَسَّن الضَّرورةَ فيه ثلاثةُ أوجه :

أحدها : أنَّ النكرةَ[1] قد قربت من المعرفة بالصِّفة .

والثانى : أنَّ المصدر جنسٌ ، فمُفاد نكرته ومعرفته واحد .

والثالث : أنَّ الخبر هو المبتدأ فى المعنى .

وقال صاحب اللباب : وهما ، أى المرفوع والمنصوب بكان ، على شرائطهما فى باب الابتداء . وزعم بعضُ المنتمين إلى هذه الصَّنعة
٦٥ أن بناء الكلام على بعضِهما[2] من غير تقدير دخولٍ على المبتدإ والخبر سائغ ، بدليل قوله :

* ولايكُ موقف منك الوداعا *

وليس بمحمول على الضرورة ، إذ لا يتمّ المعنى المقصود إلا هكذا ، إذْ لو عرَّفهما لم يؤدِّ أنَّه لم يرخِّص أن يكون ما سوى ذلك من المواقف وَدَاعًا . ولو نكرَّهما لم يؤدِّ أنَّ الوداع قد كُرِّه إليه حتَّى صار نُصْب عينيه . ولو عرَّف الأولَ ونكَّر الثانى لجمع بين الهُجنتين . والجواب بعد تسليم جميع ما ذكره أنَّه لو أراد إيراد هذا المعنى بطريق النفى دون النهى ، لا بدَّ أن يقول : ما موقف منك الوداع ، بعين ما ذكره . على أنَّ

(١) ط : « النكرات » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) أى بعض النكرات والمعارف دون تقيد بالنوع .

المقصود أنْ لا يكون الوداعُ موقفًا منها[1] فيكون من باب القلب ، مثل ما فى قول الآخر :

* يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ * انتهى .

أراد بالهجنتين ترخيصَ كونِ ما سوى هذا الموقف المعيَّن موقفَ وداع ، وفواتَ النُّكتة المستفادة من تعريف الوداع . وحاصلُه أنَّه لما اختار أنَّ وجود شرائط المبتدإ والخبر فى هذه الأفعال لازم، ذهب إلى أنَّ البيتَ محمولٌ على الضَّرورة ، لأنَّها دعت إلى القلب .

وأجاب عن استدلال المخالف بوجهين :

الأول : أن يقال : لا نسلِّم أنَّهما إن كانا معرفتين يلزم قُبح ، لأنَّ مبناه أنَّ اللام فى الموقف للعهد، وهو ممنوع لجواز أن تكون للجنس ، أى لايك جنسُ الموقف الوداع . وفيه عمومٌ سلَّمناه ، لكن لا نسلِّم أنَّهما إن كانا منكَّرين يلزم قبح ، لأنَّه مبنىٌّ على أنَّ اللام فى الوداع للعهد إلى الشىء المكَرَّهِ عنده ، وهو ممنوعٌ لجواز كونه للجنس . سلَّمناه لكنَّه منقوضٌ بنقضٍ إجمالى ، وتوجيهه لو صحّ ما ذكرت لكان الواجب أن يقال عند إرادة هذا المعنى بطريق النفى دون النهى : ما موقفٌ منك الوداع بعينِ ما ذكرت . لكنّ التالى باطل ، لأنَّ تنكير المبتدإ وتعريف الخبر بعد النفى ليس حدَّ الكلام الذى يجب أن يكون عليه الاتفاق[2] .

الثانى : أنَّ مقصود الشاعر أن لا يكون موقف الوداع موقفًا من مواقِفها بأن لا يكون وداعٌ أصلا . وعلى هذا كان الوداع اسم كان ،

---

(١) ش : « على أن المقصود لا يكون الوداع موقفاً منها » .

(٢) ط : « بالاتفاق » .

والموقف خبره ، فقُلب بأَن جعل الاسم خبرًا والخبر اسما ؛ والقلب ممَّا[(١)] يشجَّع عليه عند أَمْن الالتباس .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدرُه :

(قِفِى قبل التَّفرُّقِ يا ضُباعا)

صاحب الشاهد والبيت مطلعُ قصيدةٍ للقطامىّ تقدم الكلام عليه فى الشاهد الثالث والأَربعين بعد المائة[(٢)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأَربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[(٣)] :

٧٤٢ (أَسَكرانُ كانَ ابنَ المَرَاغةِ إِذْ هَجَا تَميماً بجَوْفِ الشّام أَمْ مُتَساكِرُ)

على أن سيبويه مثّل به للإخبار عن النكرة بالمعرفة .

وهذا نصُّه : اعلم أَنَّه إذا وقع فى الباب نكرةٌ ومعرفة فالذى تُشْغَلُ به (كانَ) المعرفةُ ؛ لأَنَّه حَدُّ الكلام ، ولأَنَّهُما شئٌ واحد[(٤)] ، وليس بمنزلة قولك : ضرب رجلٌ زيدًا ، لأَنَّهما شيئان مختلفان ، وهما فى كان بمنزلتهما فى الابتداء . فإذا قلت : كان زيدٌ فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثلَه عندك ، وإنَّما ينتظر الخبر . فإذا قلت حليماً فقد أَعلمته مثلَ ما علمت . فإذا قلت كان حليما فإنَّما ينتظر أن تعرِّفه صاحبَ الصِّفة ، فهو مبدوءٌ به فى الفعل وإن كان مؤخَّرًا فى اللفظ . فإن قلت : كان حليمٌ ،

(١) ط : « ما » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٦٧ .

(٣) فى كتابه ١ : ٢٣ ، ٣١٤ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٧٥ والمغنى ٤٩٠ والهمع ١ : ٦٧ وديوان الفرزدق ٤٨١ .

(٤) فى كتاب سيبويه : « لأنهما شىء واحد » بدون سبق الواو .

أو رجل. فقد بَدأتَ بنكرةٍ ، فلا يستقيم أن تخبر المخاطَب عن المنكور. ولا يُبدأُ بما فيه يكون اللَّبْس ، وهو النكرة . ألَا ترى أنَّك لو قلت كان ٦٦ حليماً أو كان رجل منطلقًا ، كنتُ تُلبِس ، لأَنَّه لا يُستنكر أن يكون إنسان هكذا . فكرِهوا أن يبدءُوا باللَّبس ويجعلوا المعرفةَ خبرًا لما يكون فيه هذا اللَّبس . وقد يجوز فى الشعر فى ضعف من الكلام . حملَهُم على ذلك أَنَّه فعل بمنزلة ضرب ، وأَنَّه قد يُعلم إذا ذكرت زيدًا وجعلته خبرًا أَنَّه صاحب الصِّفة ، على ضعفٍ من الكلام . وذلك قول خِداش ابن زُهير :

فإنَّك لا تُبالِى بَعْدَ حولٍ أَظبيٌ كانَ أُمَّكَ أَم حمارُ

وقال حسَّان :

كأَنَّ سبيئةً من بيتِ رأسٍ يكونُ مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ

وقال أَبو قيسِ بن الأَسلت الأَنصاريُّ :

ألا مَنْ مُبلِغٌ حسَّانَ عنِّى أَسحرٌ كان طبَّك أَم جُنونُ

وقال الفرزدق :

أَسكرانُ كان ابنَ المَرَاغة إذْ هجا تميمًا بجوف الشَّام أَم متساكِرُ

فهذا إنشاد بعضهم . وأَكثرهم ينصب السَّكران ويرفع الآخِرَ على قطع وابتداءٍ . انتهى كلام سيبويه .

وقوله : « وأَكثرهم ينصب السكران » ، أى ويرفع ابن المراغة على أَنَّه اسم كان ويكون الخبر مقدَّماً وهو سكران . وعلى هذا لاَ قبحَ . وقوله : « ويرفع الآخِر » هو متساكر ويكون رفعه على القطع بجعله خبرَ

مبتدإ محذوف ، أى أم هو متساكر ، فتكون أم منقطعة . وإذا رفع سكرانُ ونصب ابنَ المراغة ، وهذه مسألتنا ، ففيه قبحٌ لضرورة الشعر لأنَّه جعل اسم كان ضمير سكران وهو نكرة ، ويكون ابن المراغة خبر كانَ ، فيكون قد أخبر بمعرفة عن نكرة ، ويرتفع سكران حينئذ بكان محذوفة كما يأْتى بيانه ، ويكون متساكر معطوفًا عليه . وعلى هذا أَمْ متَّصلة ، ويكون العطف من عطفِ مفردٍ على مفرد ، والجملة واحدة . وعلى الأَول جملتان .

وإنَّما قال الشارح المحقق : « وأورد[١] سيبويه للتمثيل بالإِخبار عن النكرة بالمعرفة » ، ولم يقل : استشهَد للإِخبار ، لأَنَّ سيبويه لم يذهب إلى أَنَّ هذا جائزٌ فى الاختيار حتَّى يستشهدَ له ، وإنَّما هو قبيحٌ خاصٌّ بالشعر لم يرتَضِهِ فى الكلام . فأَوردَ هذه الأَبياتَ أَمثلةً لما استقبحَه فى الشِّعر .

وقد رُوى رفع ابن المراغة مع رفع سكران ، فيكون المعرَّف على هذا مبتدأً والمنكَّر خبراً وكَانَ زائدة .

وجوَّز ابن خلف أَن يضمر فى كان ضميرُ الشأْن . وهذا خطأٌ تبع فيه يوسفَ بنَ السيرافى (فى شرحه لشواهد سيبويه) .

قال ابن هشام : وضمير الشَّأْن يعود على ما بعده لزومًا ، ولا يجوز للجملة المفسِّرة له أَن تتقدَّم هى ولا شىءٌ منها عليه . وقد غَلط يوسف ابن السيرافى إذ قال فى قوله :

* أَسكران كان ابن المراغة إذ هجا * . . البيت

(١) ش : « وأورده » ، صوابه فى ط وشرح الرضى للكافية ٢ : ٢٧١ .

فيمن رفع سكرانُ وابنُ المراغة : إنَّ[1] كان شأنية ، وابن المراغة وسكران مبتدأ وخبره ، والجملة خبر كان . والصَّواب أَنَّ كان زائدة. والأَشهر فى إنشادهِ نصبُ سكران ورفع ابن المراغة ، فارتفاع متساكر على أنَّه خبر لهو محذوفاً . ويروى بالعكس فاسم كان مستتر فيها . انتهى .

٦٧ وقال أبو على (فى المسائل العسكرية) : قوله أَسكرانُ رفع بفعل مضمر تكون كان تفسيراً له ، ودليلاً عليه . وحسُن الرفع فى هذا الموضع لأَنَّ التقدير : أَكان سكرانٌ ابنَ المراغة ؟ فاستفهم عن سُكرهِ لا عنه فى نفسه. وإذا كان كذلك كان الأَولى أَن يرفع ، لأَنَّ النكرة لما دخلها هذا المعنى من أَنَّ القصد إنما وقع اليها ، وجب أَن يكون الرفعُ ، فترفع بكان . وكذلك قول الآخر :

* أَظبيٌ كان أُمَّك أَم حمارُ * انتهى

ومثله لابن جنى (فى الخصائص) قال : وقد حُذِف خبرُ كان فى قوله :

* أَسكرانُ كان ابن المراغة * البيت

أَلا ترى أَنَّ تقديره : أَكان سكرانُ ابنَ المراغة ، فلمَّا حذف الفعل فسَّره بالثانى ، وابن المراغة المذكور خبر كان الظاهرة ، وخبر كان المضمرة محذوفٌ معها ، لأَنَّ كان الثانية دلَّت على الأُولى . وكذلك الخبر الثانى الظاهر دلّ على الخبر الأَول المحذوف . انتهى .

وزعم ابن الملا الحلبى (فى شرح المغنى) أَنَّ سكران مبتدأ . قال :

---

(١) ط : « وإن » ، صوابه فى ش .

وصحَّت ابتدائيَّته مع نكارته[١] لوقوعِه فى حيِّز الاستفهام ، وأنَّ جملة كان ابنَ المراغة خبره . هذا كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريرًا . وأراد بابن المراغة جريراً ، وكان الفرزدق قد لقَّب أمَّه بالمراغة ونسبها إلى أنَّها راعيةُ حَمِير . والمراغَة : الأَتان التى لا تمتنع من الفحول . وإذ ظرف يتعلَّق بكان ، وفاعل هجا ضمير ابن المراغة . وأراد بتميم ههنا بنى دارم بن مالك بن حنظلة ، وهم رهط الفرزدق ، وجريرٌ من رهط كُليب بن يربوع بن حنظلة . فلم يعتدَّ الفرزدقُ برهط جرير فى تميم ، احتقارًا لهم . وأراد بجوف الشام داخلَها . وروى أبو على وابنُ جنِّى وغيرُهما : « ببطن الشَّام » وهو بمعناه . وروى : « بجوِّ الشام » ، وهذا تحريف .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[٢]

* * *

وأنشد بعده :

(فإنَّك لا تُبالِي بَعْدَ حولٍ أظبيٌ كانَ أُمَّكَ أم حمارُ)

لما تقدَّم قبله ، فاسم كان ضمير ظبي وهو نكرة ، وأُمَّك بالنصب خبرها وهو معرفةٌ ، وظبي اسمٌ لكان المضمرة المداولِ عليها بكان المذكورة ، وهو نكرةٌ أيضاً ، وخبر المحذوفة محذوف أيضًا مدلولٌ عليه بخبر المذكورة ، كما تقدَّم عن ابن جنى .

وقيل : ظبي مبتدأٌ وجملة كان أُمَّك خبره .

قال ابن هشام (فى المغنى) الأوَّل أولى، لأنَّ همزة الاستفهام بالجمل

---

(١) فى اللسان أن المنكر ضد المعروف ، وقد نكر نكارة .
(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .

الفعلية أولى منها بالاسمية . وعليهما فاسم كان ضميرٌ راجع إليه . وقول سيبويه إنّه أخبر عن النكرة بالمعرفة واضحٌ على الأَوّل ، لأَنَّ ظبياً المذكور اسم كان ، وخبره أمّك، وأمَّا على الثانى فخبر ظبي إنّما هو الجملة والجمل نكرات ، ولكن يكون محلَّ الاستشهاد قوله : كان أمّك على أنَّ ضمير النكرة عنده نكرة(١) . انتهى .

وذهب صاحب (المفتاح) إلى أنَّ تنكير المسند إليه غير موجود بالاستقراء . وأما هذا البيت ونحوه فتنكير المسند إليه إنما هو فى ظبي إذا ارتفعَ بالمضمر ، لا فى ضمير كان العائد عليه . وهو واردٌ على القلب، والأَصل: أظبيًا كان أُمُّك أَم حمارًا . قال : إنَّ كون المسند إليه نكرة والمسندمعرفة سواءٌ . قُلنا : يمتنع عقلاأو يصحُّ عقلاليس فى كلام العرب، وأمَّا ما جاء من نحو قوله :

* ولايك موقفٌ منك الوداعا(٢) *

٦٨

وقوله :

* يكون مزاجها عَسَلٌ وماءٌ(٣) *

وبيت الكتاب :

* أظبيٌ كان أُمَّك أم حمارُ *

(١) فى النسختين : « أعيدت نكرة » ، صوابه من المغنى ٥٩٠ . وبعده : « لا على أن الاسم مقدم » .

(٢) هو الشاهد ١٤٣ فى الخزانة ٢ : ٣٦٧ .

(٣) هو الشاهد ٧٣٢ فى هذا الجزء الثامن ، كما سبق الاستشهاد به بعد الشاهد ٧٤١ . وما بعده من الكلام إلى « وماء » التالية ساقط من ش .

فمحمولٌ على مِنوال: عرضتُ الناقةَ على الحوض. وأصل الاستعمال: ولايك موقفًا منك الوداعُ، ويكون مزاجُها عسلاً وماءٌ، وأظبياً كان أُمُّك أم حماراً. ولا تظنَّنَّ بيتَ الكتاب خارجًا عما نحن فيه، ذهابًا إلى أنَّ اسم كان هو الضمير، والضمير معرفة، فليس المراد كان أُمّك، إنّما المراد ظبيٌ، بناءً على أنَّ ارتفاعه بالفعل المفسَّر لا بالابتداءِ. ولذلك قدَّرنا الأَصل على ما ترى. انتهى.

واختار السعد (فى المطوَّل) هذا الأَخير، فليس فيه قلبٌ لفظى وإنّما يكون فيه قلب معنوى. قال: قيل إنَّه قلبٌ من جهة اللَّفظ، بناءً على أنَّ ظبى مرفوع بكان المقدَّرة لا بالابتداءِ، فصار الاسم نكرة والخبرُ معرفة. والحقُّ أَنَّ ظبى مبتدأٌ، وكان أُمك خبره، فحينئذ[1] لا قَلْب فيه من جهة اللَّفظ، لأَنَّ اسم كان ضمير، والضمير معرفة. نعم فيه قلبٌ من جهة المعنى؛ لأَنَّ المخبر عنه فى الأَصل هو الأُمّ. انتهى.

ويشهد للقلب ما رواه ابن خلف، قال: وقد يُنشَد:

* أظبيًا كان أُمُّك أم حمارُ *

على أَنَّه جعل اسم كان معرفة وخبرها نكرة. فهذا جيِّد، إِلّا أَنَّه كان يجب أَن ينصب حمار، لأَنَّه معطوف على ظبى. فيجوز رفعُه على إِضمار مبتدإٍ. قال المبرد (فى كتابه الجامع): والأَجود فى هذه الأَبيات نصبالأَخبار المقدَّمة ورفع المعارف، ورفع القوافى على قطعٍ وابتداءٍ. انتهى.

صاحب الشاهد — والبيت من أَبياتٍ لِثَرْوانَ بنِ فَزَارة العامرىّ الصحابى، وقد تقدم الكلام عليها مفصّلا فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة[2].

* * *

(١) ش: «فح» بدل «فحينئذ»، وهى كتابة رمزية اختزالية.

(٢) الخزانة ٧: ١٩٢ - ١٩٧.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[1] :

٧٤٣ (أَلَا مَنْ مُبلِغٌ حَسَّانَ عَنِّى أَطِبٌّ كان سِحْرَكَ أَم جُنونُ)

لما تقدَّم قبله ، والكلام فيه كما تقدَّم .

والطِّبّ بالكسر ، قال الأعلَمَ : هو هنا العِلَّة والسَّبب ، أى أسحِرتَ فكان ذلك سببَ هجائك أم جُنِنت . وسِحرٌ هنا مصدرُ سُحِرَ المبنى للمفعول ، وهو مضافٌ للمفعول .

صاحب الشاهد

والبيت لأَبى قيس بن الأَسلت الأَنصارى . وقد اختُلف فى إسلامه . وحَسَّان هو ابن ثابتٍ شاعرُ النبيّ صلى الله عليه وسلم . وكان أَبو قيسٍ من الأَوس ، وحسَّان من الخزرج ، وكانا يتهاجيان ، فقال أَبو قيس لحسان : أذهَبَ عنك عقلُك بسحرٍ حتَّى اجترأْتَ على هجائِى ، أَم أَصابك جنونٌ فلم تدرِ ما صنَعْتَ . يُعْظِم فى نفسِ حَسّان ما يأْتى مِن هجاءِ الأَوس وشُعَرائِها ، ويتوعَّده بالمقارضة .

ورواه ابن دريد (فى الجمهرة) كذا :

* أَطِبٌّ كان داءَك أَم جنونُ *

وقال : الطِّبّ هنا : السِّحر . وروى أَيضاً :

* أَطِبٌّ كان شأْنَكَ أَم جنون *

وهما أَحسنُ من الرِّواية الأُولى . وبعده :

(فلستَ بُزائلٍ أَبدًا تَمنَّى بصدرك من وَحاوِحِهِ فُنونُ[2])

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٣ ، واللسان (طبب ٤٢) .

(٢) ش : « لصدرك » .

والوحاوح بواوين ومهملتين : الحزازات .

وأبو قيسٍ تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد السبعمائة ، وهو
٦٩ من شواهد س[(٢)] :

٧٤٤ (إنَّما يَجْزِى الفَتَى ليسَ الجَمَلْ)

هذا عجزٌ وصدره :

(وإذا أُقْرِضْتَ قرضاً فاجزِهِ)

على أنَّ (ليس) يجوز حذف خبرها كثيرًا كهذا البيت ، أى ليس الجمل جازيًا أو يَجزِى . وقيل إنَّ الجمَل هو الخبر ، وسكِّن للقافية ، واسمها ضمير اسم الفاعل المفهوم من يَجزى ، أى ليس الجازى الجمل ، فلا حذف فيه . وقيل : إنَّ ليس فيه عاطفة ، وقد ذكره الشارح فى لا العاطفة ، وسيأْتى الكلام عليه هناك إن شاءَ الله .

هذا ورواية البيت عند سيبويه :

* إنَّما يجزى الفتَى غَيْرُ الجَمَلْ *

وكذا رواه الطوسى فى شرح ديوان لبيد .

وأنشده سيبويه على أنَّ الفتى وهو معرفة قد نُعت بغير ، وهى نكرة، والذى سوّغه أنَّ التعريف باللام يكون للجنس ولا يخصُّ واحدًا بعينه ، فهو مقاربٌ للنكرة ؛ وأنَّ غيرًا مضاف إلى معرفة فقاربت المعارف لذلك.

---

(١) الخزانة ٣ : ٤٠٩ – ٤١٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٠ . وانظر مجالس ثعلب ٥١٥ والمقتضب ٤ : ٤١٠ ، والأصول ١ : ٣٤٨ ، ٢٦٨ والأزهية ١٩٢ ، ٣٠٥ ودلائل الإعجاز ٢٩٩ والعينى٤ : ١٧٦ والتصريح ١ : ٢٩١ / ٢ : ١٣٥ وديوان لبيد ١٧٩ .

وكذا أورده ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) قال : إنَّ غيرًا لا تدخل فى الاستثناء إلَّا فى الموضع الذى ضارعت فيه إلاَّ . أَلَا ترى أنَّك تقول مررت برجلٍ غيرِك ولا تقع إلاَّ فى مكانها ، لا يجوز أن تقول : جاءَنى رجل إلاَّ زيد ، تريد غير زيد على الوصف . فالاستثناءُ هنا محال . ولكن تقول : ما يحسُنُ بالرجل إلاَّ زيدٍ أنْ يفعَل كذا ، لأَنَّ الرجل جنسٌ ، ومعناه : بالرجل الذى هو غير زيد ، كما قال :

* إنَّما يَجزى الفتى غير الجمل * انتهى

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للبيد بن ربيعةَ الصَّحابى ، وقد تقدَّم بعضُها فى الشاهد الثامن والعشرين بعد المائتين[1] . وهذه أَبياتٌ منها[2] :

أبيات الشاهد

(اعقِلِى إنْ كنتِ لمَّا تَعقِلى ... ولقَدْ أفلحَ مَنْ كان عَقَلْ
إن تَرَىْ رأْسىَ أَمسى واضحاً ... سُلِّطَ الشَّيبُ عليه فاشتعَلْ
فلقد أُغوِصُ بالخَصم وقد ... أملأُ الجَفْنَةَ من شَحمِ القُلَلْ
ولقد تَحمَدُ لمَّا فارقت ... جارتى، والحمدُ من خير الخوَلْ
وغلامٍ أَرسلَتْهُ أُمُّه ... بأَلوكٍ فبذَلْنَا ما سأَلْ
أَو نَهَته فأَتاهُ رِزقُه ... فاشتوى ليلةَ ريحٍ واجتَمْل
مِن شواءٍ ليس مِن عارضةٍ ... بيدَىْ كلِّ هَضُومٍ ذى نَزَلْ
فإذا جُوزِيتَ قرضًا فاجزِهِ ... إنَّما يَجزِى الفتى ليسَ الجمَلْ
أَعمِلِ العِيسَ على عِلَّاتِها ... إنَّما يُنجِحُ أَصحابُ العمَلْ
وإذا رُمْتَ رحيلاً فارتحِلْ ... واعصِ ما يأْمُر توصيمُ الكسَلْ

(١) الخزانة ٣ : ٣٦٨ - ٣٧٣ .
(٢) ديوان لبيد ١٧٧ - ١٨٠ .

واكذِبِ النَّفسَ إذا حدَّثتَها إنَّ صِدقَ النَّفسِ يُزرِى بالأَمَلْ
غيرَ أنْ لا تكذِبَنْها فى التُّقى واخزُها بالبرِّ للهِ الأَجَلّْ)

قوله : « اعقلى إن كنت » إلخ يخاطب عاذلتَه ، وقيل نفسه . وعقَلت الشىء عقلاً ، من باب ضرب ، إذا تدبَّرته . ولمَّا نافية .

وقوله : « إن ترَىْ رأسىَ » إلخ وضَح الشَّىءُ وضوحًا ، إذا برَقَ بياضُه . وشبَّه انتشارَ الشَّيب باشتعال النار ، فى سُرعة الالتهاب .

٧٠ وقوله : « فلقد أُعوِصُ » إلخ أَعْوَصَ بالخصم ، إذا لوَى عليه أمرَه . وقال الطوسى : أُعوِصُ : أركَب به الأَمرَ العويص ، أى الشَّديد . ويقال أعوِصْ به ، أى ائْتِهِ بالعَويص[1] . ويقال : أعوصْ [به[2]] ، أى احمله على العَوْصاء ، وهى الشِّدَّة . والجَفنَة ، بفتح الجيم : القَصْعة . وأراد بالقُللَ الأَسنمة : جمع سَنام ، والواحدُ قُلَّة . وقُلَّة كلِّ شىءٍ : أعلاه وأرفعُه . يقول : إنِّى وإن شِبْتُ فإنِّى أنفعُ وأَضرّ .

وقوله : « ولقد تَحمَد » إلخ جارتى فاعل تحمَد . والخَوَل بفتح الخاءِ المعجمة : العطيَّة .

وقوله : « وغلامٍ أَرسَلَتْه » إلخ ، الواو واو ربّ . والأَلوك ، بفتح الهمزة : الرسالة ، ومنه أَلِكْنى السَّلامَ إلى فلانٍ ، أى أَبلِغْ عنِّى السَّلام .

وقوله : « أو نهته فأَتاه » إلخ معطوف على أَرسلَتْه ، أى ربَّ غلامٍ نَهتَه أُمّه عن السؤالِ مِنَّا حياءً أَوْ قُنوعا فبعثنا إليه بما اشْتَوَى واجتمل . يريد

(١) ط : « أى آتيه بالعويص » على أنه تفسير للمضارع . وإنما المراد هنا تفسير الأمر كما فى ش .
(٢) التكملة فى ش .

إنَّنا نُنعِم على الفقير على كلِّ حال ، سواء جاء يطلبُ أو مُنِع من الطلب.
يقال شوَيتُ اللحم ، واشتويته . وإذا شويته فنضِج قلت قد انشوى بالنون لا غير . واجتمل : اتَّخذ الجَمِيل ، بفتح الجيم ، وهو الشَّحم المذاب . يقال اجتمل ، أى أذابَ الشَّحم . وفى الحديث : « لعن الله اليهودَ حُرِّمت عليهم الشُّحُوم فَجمَلوها فباعوها[(١)] » : وقال الطُّوسى : ويقال اجتمل اللحمَ أى طبخه بالشَّحم ليس معه ماءٌ ، وذلك إذا قَلاه به . وقوله : « ليلة ريح » أى ليلة بردٍ من الشِّتاء . وهذا غايةُ الكرم ، فإنَّ شدَّة العَرب وبُؤْسَهم فى الشتاءِ ، لعدم النبات .

وهذا البيت استشهدَ به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ولهُمْ ما يَدَّعُونَ[(٢)] ﴾ على أنَّ يدَّعون افتعالٌ من الدُّعاء ، أى يدعون لأنفسهم ، كما فى اشتوى واجتمل ، أى شوى لنفسه وجَمَل لنفسه . ومثله (فى الصحاح) قال : اشتويت : اتَّخذت شواءً . وأنشَدَ هذا البيت .

وقوله : « من شواءٍ » إلخ مِن متعلقة باشتوى فى البيت المتقدِّم . قال صاحب الصحاح ، شويت اللحم شَيًّا ، والاسم الشِّواءُ . والعارضة : الناقة التى أصابها كَسرٌ أو عَرَض فنُحرت . والهَضُوم ، بفتح الهاء وضم المعجمة : الفتَى الذى يُهتَضَم مالُهُ يُقطع منه ويُكسَر . والنَّزَل ، بفتح النون والزاى : المعروف والخير .

وقوله : فإذا أُقرِضْتَ[(٣)] » إلخ بالبناء للمفعول ، يقال : أقرضَنى

---

(١) من حديث جابر بن عبد الله فى البخارى (المغازى والتفسير) ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى (البيوع) وابن ماجه (التجارات) . وانظر الحديث ٦٣٨ من الألف المختارة . واللفظ فيها : « قاتل الله اليهود ، لما حرم الله عليهم شحومها جملوها ثم باعوها فأكلوها » .

(٢) الآية ٥٧ من سورة يس .

(٣) هذه الرواية غير الرواية التى أثبتت فى الأبيات السابقة والديوان ، وهى الرواية الأخرى التى أثبتها البغدادى فى أول الكلام على الشاهد .

فلانٌ، أى أعطانى قَرْضاً . والقرض : ما تُعطيه من المال لتُقْضاه [(١)] . والقرض هنا : ما سلف من إحسان أو إساءة . قال أُميَّة بن أبى الصَّلت :

لا تَخلِطَنَّ خبيثـاتٍ بطيِّبـة ... واخلَعْ ثيابك منها وانْجُ عريانا [(٢)]

كلُّ امرئٍ سوف يُجزَى قَرْضَه حسنًا

أو سيِّئًا ومَـدِينا كالـذى دَانـا

وزعم العينى أنَّ قرضاً هنا مفعول مطلق . وقال الزَّجاجُ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذا الذى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حسَنًا [(٣)] ﴾ : معنى القرض فى اللُّغة : البَلَاءُ السَّيِّئُ والبلاءُ الحسَن . العرب تقول : لك عندى قرضٌ حسنٌ وقرضٌ سَيِّئٌ . وأصل القرض ما يُعطِيه الرجلُ ليجازَى عليه . وأنشد بيتَ لبيد وبيت أُمية .

وقوله : (فاجزِه) أمرٌ من الجزاء . قال صاحب المصباح : جزَى يَجزِى مثل قضى يقضى وزنًا ومعنى . وفى الدعاء : جزاه الله خيرًا ، أى قضاه له وأثابه عليه ، وجَزَيت الدَّينَ : قضيتُه . ورُوِى :

* فإذا جُوزيت قَرضًا فاجزِه *

قال العينى : هما بمعنى واحد . وليس كذلك ، لأنَّ الجزاء لا يكون إلاَّ بعد الإقراض ، لا على الجزاء .

٧١ وقوله (إنَّما يَجزِى الفَتَى) إلخ بالبناء للمعلوم ، والفتى فاعله . وزعم

---

(١) ط : « لتقتضاه » ، صوابه فى ش .

(٢) ديوان أمية بن أبى الصلت ٦٣ .

(٣) الآية ٢٤٥ من البقرة ، وكذلك الآية ١١ من سورة الحديد .

العينى أنّه بالبناء للمجهول ، والفتى نائب الفاعل . وكأنّه لم يتصوّر المعنى . ومعناه أنّ الذى يَجْزِى بما يُعامَل به من حَسَن أو قبيح هو الإنسان لا البهيمة . قال الزمخشرى (فى المستقصى) وقيل : الفتى السيِّد اللبيب . والعرب تقول للجاهل : ياجمل . أى إنّما يَجزِى اللبيبُ مِن الناس لا الجاهلُ . يُضرَب فى الحثّ على مجازاة الخير والشر . انتهى .

وعلى هذا فيكون للجمل هنا موقع ، لا أنّه جاء للقافية فقط كما زعم الطوسى .

والجمل كنيته عند العرب أبو أيُّوب . قال ابن الأثير (فى المرصَّع) كُنِّى الجملُ به لصبره على المَسِير والأَحمال ، تشبيها بصبر أيُّوب عليه السلام[١] .

وإلى هذا لَمَّح علىُّ بن العباس ، الشهير بابن الرُّومى ، فى شعر لبيدٍ وقد ضمَّنه فى شعره هاجيًا به وزيرَ المعتضِد ،أبا أيُّوبَ سليمانَ بنَ عبدِ الله فقال :

يا أَبا أيُّوبَ هـذِى كنيـةٌ   من كُنَى الأَنعامِ قِدمًا لَمْ تَزَلْ
ولقـد وُفِّق من كَنَّاكَهـا   وأَصابَ الحقَّ فيهـا وعدَلْ
أَنت شِبهٌ للـذى تُكنَى به   ولِبعضِ الخلْقِ من بعضٍ مَثَلْ[٢]
لستُ أَلحـاك على ما سُمتنى   من قبيح الرَّدِّ أَو مَنْعِ النَّفَلْ[٣]
قد قضى قولُ لبيـدٍ بيننـا   إنّما يَجزِى الفتى ليسَ الجملْ

(١) إلى هنا ينتهى النص فى المرصع لابن الأثير ٥٧ . وفيه : « لشبهه بصبر أيوب عليه السلام » .

(٢) ط : « من بعض بطل » صوابه فى ش وديوان ابن الرومى ١٩٠٢ .

(٣) النفل ، بالتحريك : العطية والهبة ، ومثله النافلة والنوفل . كما أن النوفل الكثير العطاء .

كم حَذَوناك لترقى فى العــلا وأبى الله ، فلا تعْلُ هُبَــلْ[١]

ولم أر ذكر أَيُّوبَ واشتقاقَه فى كتب اللغة المدوَّنة ، كالقاموس، والعباب ، والصِّحاح مع كثرةِ دورانِه فى الأَلسنة ، ولا فى مفردات القرآن مع أنَّه مذكور فيه .

وفى المعرَّبات للجواليقى : قال أبو على : وقياس همزة أَيُّوب أن تكون أصلاً غير زائدة ، لأَنَّه لا يخلو أن يكون فيعولا أو فَعْلولا . فإن جعلته فيعولا كان قياسُه لو كان عربيًّا أنْ يكون من الأَوب مثل قَيّوم ، ويمكن أن يكون فَعُّولا مثل سَفُّود وكَلُّوب ، وإن لم يعلم فى الأَمثلة هذا ، لأَنَّه لا يُنكَر أنْ يجىء العجمىُّ على مِثال[٢] لا يكون فى العربى. ولا يكون من الأَوْب وقد قلبت الواو فيه إلى الياءِ ، لأَنَّ من يقول صُيِّم فى صُوَّم لا يقلب إذا تباعدت من الطَّرف، فلا يقول إلاَّ صُوَّام . وكذلك هذه العين إذا تباعدت من الطرف وحَجز الواوُ بينه وبين الآخِر لم يجز فيه القلب[٣] . انتهى .

فأَجاز أن يكون من مادة (أوب) ومن مادة (أيب) ، والمادتان مذكورتان فى القاموس ، وفى غيره الأُولَى فقط .

---

(١) إشارة إلى ما كان من قول أبى سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد: « اعل هبل »، أى أعل يا هبل دينك ، وقال السهيلى : « معناه زد علواً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أعلى وأجل » . انظر الحديث رقم ٥٥٢ من الألف المختارة ، والروض الأنف ٢ : ١٤٣ والسيرة ٥٨٢ جوتنجن .

(٢) ط : « على لسان » ، صوابه فى ش والمعرب للجواليقى ١٥ .

(٣) فى النسختين : « إلا القلب » ، وهو عكس المراد ، صوابه من المعرب ١٥ ، وإن كان فى بعض أصوله « إلا القلب » بزيادة « إلا » . وقد تنبه إلى هذا الخطأ الذى نبهت عليه مصحح نسخة بولاق من الخزانة .

وقوله : « أَعمِلِ العِيس » إلخ أعمِلْ : أمرٌ من الإعمال ، وهو الإشغال . والعِيس : الإبل البِيض . ورُوى « العَنْس » بالنون ، وهى الناقة الشديدة . والعِلاَّت ، بالكسر : الحالات ، جمع عِلَّة بمعنى الحالة .

وقوله : « وإذا رُمتَ رَحِيلاً » إلخ توصيم فاعل يأمُر ، والمفعول محذوف أى يأمُره . والتوصيم ، بالصاد المهملة ، هو فى الجَسَد كالتكسير والفَتْرة ؛ ووَصَّمته الحمَّى بالتشديد ، إذا أحدثَتْ فيه فترةً وتكسيراً . وهو من الوَصْم ، وهو الصَّدع فى العُود من غير بَينونة . والوصم أيضًا : العيبُ والعار .

وقوله : « واكذب النفس » إلخ ، اكذِبْ فعل أمر ، والنفسَ مفعوله ، وحَدِّثها بالبناء للفاعل . قال الزمخشرى (فى المستقصى) : هذا المصراع مَثَلٌ يضرَب فى الحثِّ على الجسارة ؛ أى حدِّثْها بالظَّفَر وبلوغِ الأَملِ إذا هممتَ بأَمر ، لتنشِّطها للإقدام ؛ ولا تناغِها[١] بالخيبة فتثبِّطَها . انتهى . ٧٢

وقوله : « إنَّ صِدْقَ » إلخ ، يعنى إذا حدَّثتَ نفسَك بالموت لمْ تُعَمِّر شيئًا ولم تؤثِّل مالاً ، وفسَد عليك عيشُكَ ، فأَزرى ذلك بأَملك . والإزراءُ بتقديم المعجمة على المهملة : النقص . قال بعضهم :

وإذا صدَقتَ النَّفسَ لم تتركْ لها أَملاً ويأْمُلُ ما اشتهى المكذوبُ

وأورد هذا البيت صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ونَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ به نَفْسُهُ[٢] ﴾ على أنَّ ما مصدرية ، فإنَّه يقال : حدَّث نفسهَ بكذا ، كما يقولون حدثتْه به نفسُه[٣] .

(١) المناغاة : المحادثة ، ومنه مناغاة الصبى . وفى النسختين هنا : « ولا تنازعها » ، صوابه من المستقصى ١ : ٢٨٩ .
(٢) الآية ١٦ من سورة ق .
(٣) ش : « فإنه يقال حدث به نفسه » فقط .

وقوله «غير أنْ لا تكذبَنْها» ، هو استثناءٌ من قوله أكذب النفس . واخْزُها بالمعجمتين : أمرٌ من خَزاه يَخزُوه خَزْوًا ، إذا ساسهَ وقهره . والباءُ متعلِّقة به ، ولله متعلق بالبرّ . والأَجلُّ : أفعل تفضيل .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد السبعمائة[٢] :

٧٤٥ (لم يَكُ الحقَّ على أنْ هاجَه   رَسْمُ دارٍ قـد تَعَفَّى بالسَّرَرْ)

على أنَّ حذف نون (يكن) المجزوم الملاقى للسَّاكن ، جائزٌ عند يونس . وقال السيرافى : هذا شاذٌ .

والبيت أنشده أبو زيد (فى نوادره) مع بيت آخر بعده ، وهو :

(غيَّرَ الجِدَّةَ من عِرفانــه   خِرَقُ الرِّيح وطُوفان المَطَرْ)

وقال بعدهما : لا أعرف بيتًا حُذفت منه النون من يكن مع الألف واللام غير هذا البيت . وهذا الحصر غير صحيح ، فقد سُمِع فى غيره ، قال ابن صخرٍ الأسدى[٣] :

فإنْ لاتكُ المرآةُ أبدَتْ وَسَـامةً   فقد أبدت المِرآةُ جَبْهةَ ضَيغمِ

قال ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) : قالوا : لم يكن الرّجل ، لأنَّ هذا موضعٌ تحرَّك فيه النون ، والنون إذا وليها الألف واللام للتعريف

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٠٤٦ .

(٢) نوادر أبى زيد ٧٧ والخصائص ١ : ٩٠ والمنصف ٢ : ٢٢٨ والهمع ١ : ١٢٢ .

(٣) اسمه الخنجر بن صخر الأسدى . وانظر تخريج هذا الشاهد فى معجم الشواهد .

لم تحذف إلاَّ أن يُضطرَّ إليه شاعر ، فيجوز ذلك على قُبحٍ واضطرار . وأنشدَ هذين البيتين .

وكذلك ذهب إلى أنَّه ضرورةٌ أبو على (فى كتاب الشعر) ، وابنُ عصفور (فى الضرائر) .

وقال ابن جنى (فى سر الصناعة) : أنشد قطربٌ وقرأناه على بعض أصحابنا يرفعه إليه :

* لم ياك الحقَّ سوى أنْ هاجه * البيت

أى لم يكن الحقَّ . وكان حكمُه إذا وقعت النون موقعاً تحرَّكَ فيه فتقوَى بالحركة أن لا يحذفها ، لأنَّها بحركتها قد فارقت شَبهَ حروفِ اللِّين ، إذْ كنَّ لا يكنَّ إلاَّ سَوَاكن . وحذفُ النُّون من يكن أقبح من حذف التنوين ونون التثنية والجمع ، لأَنَ النون فى يكن أَصلٌ ، وهى لام الفعل ، والتنوين والنون زائدتان[1] ، فالحذف فيهما أَسهل منه فى لام الفعل . وحذفُ النون من يكنْ أيضاً أَقبح من حذف نون مِنْ فى قوله :

* غيرَ الذى قد يُقالُ مِ الكذِبِ[2] *

٧٣ أَى من الكذب ، لأَنَّ يكن أَصله يكونُ ، حُذِفت منه الواو لالتقاءِ الساكنين ، فإذا حذفتَ منه النون أَيضًا لالتقاءِ الساكنين أَجحفْتَ به لتوالى الحذفين ، لا سيَّما من وجه واحد عليه . هذا قول أَصحابنا فى

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « الزائدتان » .

(٢) صدره فى اللسان (ألك) ، والخصائص ١ : ٣١١ / ٣ : ٢٧٥ :

* أبلغ أبا دختنوس مألكة *

هذا البيت . وأرى أنا شيئًا آخر غير ذلك ، وهو أن يكون جاء بالحقّ بعد ما حذف النون من يكن ، فصار يك ، مثل قوله : ﴿ولم تَكُ شيئًا[1]﴾ فلمَّا قدَّره يك ، جاء بالحق بعد ما جاز الحذف فى النُّون وهى ساكنة تخفيفًا ، فبقى محذوفًا بحاله ، فقال : لم يكُ الحقّ . ولو كان قدَّره يكنْ ثم جاء بالحق لوجبَ أن يكسِر نونه لالتقاء الساكنين .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ تعليله يقتضى قياس هذا الحذف . وهذا الذى ادَّعاه لنفسه هو لشيخِهِ أبى على (فى المسائل العسكريَّة) قال فى آخرها ، بعد إنشاد البيت : إنْ قلت فيه إنَّ الجزم لحِقَه قبل لَحَاق السَّاكن واجتماعِهِ معَه ، فكأنَّ السَّاكنَ الثانىَ قد مَضَى فى الحرف . ونظير هذا إنشادُ مَنْ أنشَد :

* فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نُميرٍ[2] *

حرَّك الساكن الأَوَّل فلحقَ الساكن الثانى وقد مضى الحذف[3] بالفتح للسَّاكن الأَوَّل ، فكذلك لَحِق الساكن وقد مضى الحذفُ فى الحرف . وإنْ شئت قلت إنَّ الحركة هنا كانت لالتقاء الساكنين لم يعتدَّ بها ، وكان الحرفُ فى نيّة سكون ، فكما كان يحذفها ساكنة كذلك يحذفُها إذا كانت فى نيَّة السكون . انتهى كلامه .

وقوله : (على أنْ هاجَه) ظرف مستقرٌّ فى موضع الخبر لكان . و (الحقّ) يطلق على معانٍ منها وهو المراد هنا : الموجودُ بحسب مقتضى

---

(١) الآية ٩ من سورة مريم .

(٢) لجرير فى ديوانه ٧٥ . وانظر معجم الشواهد . وعجزه :

* فلا كعباً بلغت ولا كلابا *

(٣) فى النسختين : « الحرف » ، وانظر ما سيأتى .

الحكمة ، أى ليس بلائقٍ بالعاشق أن يَهِيج حزنَه الرسمُ الدَّاثر . وهاج هنا متعدٍّ بمعنى أثار . والهاءُ مفعول مقدَّم ضمير العاشقِ فى بيتٍ قبله ، وهو على حذف مضاف أى هاج حُزنَه ووَجدَه . ورسمُ فاعل هاج ، وهو أثر الدار ، وجملة (قد تعفَّى) فى موضع الصِّفة لرسم . وتعفَّى : مبالغة عفَا الرّسمُ ، أى دثَرَ ودرس . وقوله : (بالسِّرَر) ظرف مستقَرٌّ فى موضع الصِّفة لدار ، فقد وصف المضاف والمضاف إليه . والسَّرَر هنا ضبطه أبو حاتم بفتح السين والراءِ المهملتين[1] وقد يكسر الأَوَّل[2] ؛ وكلٌّ منهما اسم موضع . قال ياقوت (فى معجم البلدان) : قال نصر : السَّرَر بالتحريك : وادٍ يدفع من اليمامة إلى أرض حضرموت . والسِّرَر بكسر أوله . قال السُّكَّرى فى قول أبى ذؤيب :

بآيةِ مـا وقَفَتْ والرِّكـا ... بُ بين الحَجُون وبين السِّرَرْ[3] :

هو موضعٌ على أربعة أميال من مكَّة حرسها الله تعالى ، عن يمين الجبل بطريق مِنًى . وكان عبد الصَّمد بن على اتَّخذ عنده مسجدًا كان به شجرةٌ ، ذُكِر أنَّه سُرَّ تحتها سبعون نبيًّا ، أى قطعت سُرَرُهُم . انتهى .

وكذا قال ياقوت ناقلاً عن الأَزهرى : عن ابن عمر أنَّه سُرَّ تحتها سبعون نبيًّا ، سمِّى سُرَراً لذلك .

ثم قال ياقوت : وروى المغاربة : « السُّرَر » : وادٍ على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل ، قالوا : هو بضم السين وفتح الراءِ الأُولى ، قالوا :

---

(١) انظر النوادر ٧٧ .

(٢) ط : « وقيده بكسر الأول » ، صوابه فى ش .

(٣) شرح السكرى ١٠٣

كذا رواه المحدِّثون بلا خلاف . قال الرياشى : المحدِّثون يضمُّونه ، وهو إنَّما هو السَّرَر بالفتح . وهذا الوادى هو الذى سُرّ فيه سبعون نبيًّا ، أى قطعت سِرَرُهم بالكسر . وهو الأَصَحّ . انتهى .

وروى : « ودَثَر » بدل قوله « بالسرر » أى دَرَسَ ولم يبق منه شىءٌ . وعلى هذا يكون معطوفًا على تعفّى ، فيكون صفةً لرسم أيضا .

وقوله : « غيَّر الجدَّة » إلخ هذه الجملة صفةٌ لرسم أَيضًا . والجِدّة
٧٤ بكسر الجيم : مصدر جَدّ الشىءُ يجد بالكسر جِدَّة ، هو خلاف القديم. والعِرفان بالكسر : مصدر عَرَفته عِرفةً بالكسر وعِرفانًا ، إذا علمتَه بحاسَّةٍ من الحواسّ الخمس ، فهو مصدر مضاف لمفعوله ، والهاءُ ضمير الرسم ، وفاعله محذوف . وخِرَق فاعل غيَّرَ ، وهو بكسر الخاءِ المعجمة وفتح الراءِ المهملة ، أى القِطَع من الرِّيح ، جمع خِرقة . وروى الأَصمعى : « خُرُق » بضمتين جمع خَريق ، وهى الريح التى تتخرَّق فى الجبال وغيرها . و « طُوفان المطر » : كثرته . كذا قال أَبو حاتم فيما كتبه على النوادر . يقول : غيَّرت كثرةُ الرِّيحِ والأَمطار ما استجدَدْناه من معرفتنا لهذا الرسم .

حسيل بن عرفطة

والبيتان نسبهما أَبو زيد لحُسَيل بن عرفطة قال : وهو شاعر جاهلى. وحُسَيل : مصغر حِسْل، بكسر الحاءِ وسكون السين المهملة بعدهما لام، وهو ولد الضَّبِّ . قال أَبو العباس[1] : هو حَسِيل بفتح الحاءِ وكسر السين. وقال أَبو حاتم : وحُسَين : مصغر حسن بالنون . وغلَّطه الأَخفش فيه . والله أَعلم .

(١) أبو العباس هذا هو محمد بن يزيد الأزدى المبرد ، شيخ أبى الحسن على بن سليمان الأخفش .

أفعــال المقاربة

أَنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والأَربعون بعد السبعمائة[1] :

٧٤٦ (إذا غَيَّرَ النَّأْىُ المُحِبِّينَ لم يَكَدْ رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ)

على أَنَّ بعضهم قال : إنَّ النفى إذا دخَل على (كاد) تكون فى الماضى للإثبات . وفى المستقبل كالأَفعال ، مستمسكاً بالآية وهذا البيت.

وهذا الفصل فى (كاد) هنا هو بعينه عبارة اللُّباب بتغيير كلمِهِ . قال (صاحب اللباب) : وإذا دخل النَّفْىُ على كاد فهو كسائر الأَفعال على الصحيح ، وقيل يكون للإثبات ، وقيل يكون فى الماضى دون المستقبل ، تمسُّكاً بقوله تعالى : ﴿وما كادُوا يَفْعلون[2]﴾ ، وبِقولِ ذى الرُّمّة :

* إذا غيَّرَ الهجرُ المحبِّينَ لم يَكَدْ * .... إلخ

والجواب أَنَّه لنفى مقاربة الذَّبح ، وحصولُ الذَّبح بعدُ لا ينافيها ، ولم يُؤْخَذ من لفظ : وما كادُوا ، بل من لفظ : فَذَبَحوها . انتهى .

قال شارحه الفالى : قوله : «وإذا دخل النفى» إلخ معناه نَفْىُ مادخَل عليه ، إدراجًا له فى الأَمر العامِّ المعلوم من اللغة ، وهو أَنَّه إذا دخل النفى على فعلٍ أَفاد نفىَ مضمونه . وقيل يكون للإثبات ، أَى لإثبات الفعل الذى دخل عليه كاد فى الماضى وفى المستقبل . أَمَّا فى الماضى ، فلقوله تعالى : ﴿وما كادُوا يَفْعلون[2]﴾ ، والمراد أَنَّهم قد فعلوا الذَّبح . وأَمَّا فى المضارع فلأَنَّ الشُّعراءَ خَطَّئُوا ذا الرُّمَّة فى قوله :

---

(١) الموشح ٢٨٣ ودلائل الإعجاز ١٨٩ ، ١٩٠ وابن يعيش ٧ : ١٢٤ ، ١٢٥ والتسهيل ٨٠ والعينى ٣ : ٣٧٨ والأشمونى ١ : ٢٦٨ وديوان ذى الرمة ٨٦ .

(٢) الآية ٧١ من سورة البقرة .

. . . . . لم يكد رسيسُ الهوى من حُبِّ ميَّةَ يبرحُ

وهو أنَّه يؤدِّى إلى أَنَّ المعنى إنَّ رسيس الهوى يبرح ويَزُول وإنْ كان بعدَ طولِ عهد . فلولا أنَّهم فَهموا فى اللغة أنَّ النفى إذا دخَلَ على المضارع من كاد أفاد إثباتَ الفعل الواقعِ بعده لم يكنْ لتخطئتهم وجه . وقيل : يكون فى الماضى للإثبات دون المستقبل، تمسُّكا بقوله تعالى: ﴿ وما كادوا يفعلون ﴾ إذ المعنى قــد فَعَلوا كما ذكرنا . وبِقولِ ذى الرمة : « إذا غيَّر الهجر » البيت ، إذِ المعنى : وما برِح حبُّها من قلبى . فهــذا القائل تمسَّكَ بقول ذى الرمة ، والقائل الأَول تمسَّك بتخطئة الشعراء ذا الرمَّة . والجواب أنَّه لنفى مُقارَبة الذَّبح ، وحصولُ الذَّبح بعدُ ، أى بعد أنْ نَفَى مقاربَةَ الذبح، لا يُنافيها . ولم يؤخذ من لفظ: كادُوا ، بل من لفظ : فذبحوها .

٧٥ وهــذا جــوابٌ عن القولين المذكورين ، فإنَّا[1] لا نسلِّم أنَّ النَّفى الداخل على كاد يفيد الإثبات لا فى الماضى ولا فى المستقبل ، بل هو باقٍ على وضعه[2] ، وهو نفى المقاربة. وليس ما تمسَّكوا به بشىء ؛ أمَّا فى الآية فهو أنَّ معناه أنَّ بنى إسرائيل ما قارَبُوا أنْ يفعلوا للإطناب فى السُّؤالات، ولِمَا سَبَق فى قولهم: ﴿ اتتَّخِذُنَا هُزُوًا[3] ﴾ وهذا التعنُّت دليلٌ على أنَّهم كانوا لا يُقارِبون فعلَهُ فضلاً عن نَفْسِ الفعلِ . ونَفْى المقاربة قد يترتَّب عليه الفعل وقد لا يترتَّب، وهو قوله: «وحصولُ الذَّبح بعدُ لا ينافيها». وأمَّا إثبات الذَّبح فَمَأْخوذٌ من الخارج، وهو قوله :﴿فذبحوها﴾

---

(١) ط : « بأنا » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « وصفه » .

(٣) الآية ٦٧ من سورة البقرة .

وأمَّا البيت فكذلك معناه ، أنَّ حبَّها لم يقارب أنْ يزولَ فضلاً عن أنْ يزول. وهو مبالغةٌ فى نفى الزوال؛ فإنَّك إذا قلت: ما كاد زيدٌ يسافر فمعناه أبلَغُ من: ما يسافر زيد ، أى لم يسافر، ولم يقرُبْ من أنْ يسافرَ أيضًا . فالبيت مستقيمٌ ، ولا وجهَ لتخطئة الشُّعراءِ إيَّاه . انتهى .

وقد بيَّنَ الشارحُ المحقِّق فسادَ هذين القولَين فى آخر الباب . وقوله كغيره : « إنَّ الشُّعراءَ خطَّئُوا ذا الرمّة » المخطئُ إنَّما هو عَبدالله بن شُبُرمة .

قال المرزُبانى (فى الموشح) : : حدَّثنى أَحمد بن محمد الجوهرىُّ ، وأحمد بن إبراهيم الجمَّالُ، قالا : حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنزى قال : حدَّثنا يزيد بن محمد بن المهلَّب بن المغيرة بن حَبيب بن أَبى صُفْرة قال: حدثنا عبدُ الصَّمد [بن[1]] المعذَّل عن أبيه ، عن جدِّه غيلانَ بنِ الحكم ، قال :

قدِم علينا ذو الرُّمّة الكوفَة فوقَفَ على راحلته بالكُناسةِ ينشدنا قصيدتَه الحائيّة ، فلمَّا بلغ إلى هذا البيت :

إذا غيَّر النَّأْىُ المحبِّينَ . . . إلخ

فقال له[2] ابن شبرمة : ياذا الرمَّة ، أُراه قد بَرِحَ . ففكَّر ساعة ثم قال :

إذا غيَّر النَّأْىُ المحبِّين لم أَجِدْ[3] رسيسَ الهوى . . . . . إلخ

قال : فرجعتُ إلى أَبى الحكم بن البَختَرِىّ بن المختار ، فأَخبرته

---

(١) التكملة من ش والموشح .
(٢) وكذا فى الموشح : « فقال له » بزيادة الفاء .
(٣) الكلام بعده إلى « لم أجد » فى الصفحة التالية بالسطر ٩ ساقط من ش .

الخبر فقال : أَخْطَأَ ابنُ شُبْرمةَ حيث أَنكَرَ عليه ، وأَخطأَ ذو الرمة حيث رجَع إلى قوله . إنَّما هذا كقول الله عز وجل : ﴿ إذا أَخرَجَ يَدَه لم يَكَدْ يراها ﴾، أى لم يرها ولم يكد . انتهى .

وقال السيد المرتضى (فى أماليه) : روى عبدُ الصمد بن المعذَّل عن غَيلانَ عن أَبيه عن جدّه غَيلان قال : قدِم علينا ذُو الرمَّة الكوفةَ فأَنشَدَنا بالكُناسة ، وهو على راحلته ، قصيدتَه الحائيَّة التى يقول فيها :

إذا غيَّر النَّأْىُ المحبِّين إلخ

فقال له عبد الله بن شبرمةُ : قد بَرِح يا ذا الرمَّة . ففكَّر ساعة ثم قال :

* إذا غيَّر النَّاى المحبِّين لم أَجِدْ[1] * إلخ

قال : فأَخبرتُ أَبى بما كان من قول ذى الرمَّة واعتراضِ ابن شُبرمَة عليه ، فقال : أَخطأَ ذو الرمة فى رجوعِه عن قوله الأَوَّل ، وأَخطأَ ابنُ شبرمة فى اعتراضه عليه . وهذا كقول الله تعالى : ﴿ إذَا أَخرَجَ يَدَه لم يَكَدْ يراها[2] ﴾ . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرمَّةِ مطلعُها :

(أَمنزلتَىْ مىٍّ سَلامٌ عليكمـــا على النَّأْىِ والنائى يَودُّ ويَنصَحُ)

وبعده :

(فلا القُربُ يُبْدِى مِنْ هواها مَلالةً ولا حبُّها إن تنزَحِ الدارُ يَنزحُ)[3]

---

(١) هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه فى الصفحة السابقة .

(٢) الآية ٤٠ من سورة النور .

(٣) ط : « من هواها ملامة » ، صوابه فى ش والديوان ٧٨ ومجموعة المعانى ٢١ . وفى الديوان أيضاً : « يدنى » موضع « يبدى » .

أَتَقْرَحُ أكبـــادُ المحبِّين كلِّهمْ كما كبدِى من ذِكر ميَّة تَقْرَحُ[(١)]

وقوله : « إذا غيَّر النأْى » إلخ ، النأْى فاعل غيَّر ، ومعناه البُعْد . و (رسيس الهوى) : مَسُّه . و(يبرح): يزول ، وهو فعل تامٌّ لازم . و(ميّة) : اسم معشوقته . يقول : إنَّ العشاق إذا بُعدوا عمَّن يحبُّون دَبَّ السُّلوُّ إليهم ، وزالَ عنهم ما كانُوا يُقاسون ، وأمَّا أنا فلم يقرُبْ زوال حبِّها عنِّى ، فكيف يمكن أن يزول .

وزاد على هذا المعنى قولَه فى هذه القصيدة : ٧٦

(أرى الحُبَّ بالهِجرانِ يُمْحَى فينمَحِى وحبُّكَ ميًّا يَستجِدُّ ويَربَحُ[(٢)])

أى يزيد الحبُّ كما يزيد الرِّبح .

وقوله : « فلا القُربُ يُبدِى » إلخ نزحت الدار : بَعُدتْ . يقول : حبُّها إن بعُدتِ الدار لم يتغيَّرْ ، هو لازمٌ ثابت .

وقوله : « أتقْرَح » القَرح : الجُرْح .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[(٣)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد السبعمائة[(٤)] :

٧٤٧(ظَنِّى بهم كعَسَى وهُمْ بتَنوفةٍ يتنازعُون جوائزَ الأَمثــالِ)

على أَنَّ أبا عبيدة قال : إنَّ (عسى) تأْتى بمعنى اليقين كما فى البيت.

---

(١) هذا البيت لم يرد فى الديوان ، ونقله كارليل هنرى عن الخزانة فى حواشى الديوان ، لكنه فى نسخة عبد القدوس مثبت عن بعض النسخ .

(٢) فى الديوان ٧٩ : « فيمتحى » ، وفى نسخة عبد القدوس : « فيمحى » .

(٣) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٤) ابن يعيش ٧ : ١٢٠ والأضداد للأصمعى ٣٥ وابن السكيت ١٨٨ والسجستانى ٩ وابن نبارى ١٨ ، واللسان (جوز ، عسى) ، وديوان ابن مقبل ٢٦١ .

ونقله عنه عبد الواحد أبو الطَّيِّب اللغوى (فى كتاب الأَضداد) قال فيه : قال أَبو حاتم وقطرب : عسى تكون شكًّا مرّةً ويقينًا أُخرى ، كما قال تعالى : ﴿ عَسَى ربُّكم أنْ يَرحَمَكم[(١)] ﴾ وعسى فى القرآن واجبةٌ . قال ابن عبّاسٍ رضى الله عنهما : هى واجبةٌ من الله . وكل ما فى القرآن من ذلك فهو واجبٌ من الله . قال أَبو عبيدة: ومنه قول ابن مقبِل : « ظَنِّى بهم كعَسَى » ، البيت ، أَى ظنِّى بهم كيقين . انتهى .

واعترض عليه الشارح المحقِّق بأَنه لا يعرف عسى فى غير كلام الله لليقين ، ويجوز أَن يكون معنى ظنِّى بهم كعسى ، أَى رجاءٌ مع طمع .

ويؤيِّد توقُّفَه ما ذهب إليه ابن السِّكِّيت (فى كتاب الأَضداد) قال فيه : الظَّنُّ يقين ، والظَّنُّ شك ؛ ومن اليقين قولُ ابن مقبل :

ظَنٌّ بهم كعَسَى وهم بتنوفةٍ ... يتنازعون جوائزَ الأَمثـــالِ[(٢)]

ويروى : « جوائب » أَى تجوب البلاد . يقول : اليقينُ منهم كعسى ، وعسى شك . انتهى .

فجعل اليقين للظَّنِّ[(٣)] وعسى للشك على أَصلها . والرواية عنده : « ظنٌّ بهم كعسى »، بتنوين ظنّ من غير إضافةٍ إلى الياء . والباءُ متعلقة بمحذوف على أَنّه صفة لظنّ ، وهو مبتدأٌ وخبره كعسى ، أَو خبره محذوف ، أَى للناس ظنٌّ بهم ، فالباءُ متعلقة بظنّ ، والكاف اسمٌ

---

(١) الآية ٨ من سورة الإسراء .

(٢) ش : « ظنى بهم » ، صواب النص فى ط وأضداد ابن السكيت . على أنه يروى أيضاً : « ظنوا بهم » كما عند الأصمعى ، و « عهدى بهم » كما فى الجمهرة ١ : ٢٣٣ .

(٣) ط : « معنى الظن » ، وأثبت ما فى ش .

صفةٌ لظنٍّ ، وجملة وهم بتنوفة حاليَّة ، وجملة يتنازعون حالٌ من ضمير الظَّرف المستقَرّ . والتَّنوفة : الفلاة . ويتنازعون : يتجاذبون . وجوائز الأَمثال ، أى الأَمثال السَّائرة فى البلاد . وبمعناه « جوائب الأَمثال » من جاب الوادِىَ أو المكانَ يَجُوبه جَوْبًا ، إذا سلكَه وقطعَه . وأَمَّا على رواية « ظنى » بالإضافة فهو مبتدأٌ وخبره كعسى ، أى يقينى بهم كشكٍّ فى حالِ كونِهم فى الفلاة ، إذْ لَسْتُ أعلمُ الغيب . يريد أَنَّه لا يقينَ له بهم . وبهذه الرواية فسَّر أبو حاتمٍ الظنَّ فى البيت باليقين ، نقله عنه عبد الواحد المذكور ، قال (فى كتابه الأَضداد) : قال أبو حاتم : وأما قوله تعالى: ﴿ وظنَّ أنَّه الفِراقُ[1] ﴾ فأَظنُّه يستيقن . قال الشاعر فى الظنّ بمعنى اليقين : «ظنِّى بهم كعسى » . . . البيت . والجوائز: التى تجوز البلادَ ، أى تقطعها . يقول : يقينى بهم كعسى . انتهى .

ولم أَقف على تتمة هذا البيت، وهو لابن مقبل[2] ، وهو شاعر إسلامىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثلاثين[3] . صاحب الشاهد

ثم رأيت (فى كتاب الأَضداد لأَبى بكرٍ محمد بن القاسم بن بشَّار الأَنبارى) قال : عسى لها معنيان متضادَّانِ : أَحدُهما الشَّكُّ والطَّمَع ، ٧٧
والآخَر اليقين . قال تعالى : ﴿ وعَسَى أَنْ تكْرَهُوا شيئًا وهو خَيْرٌ لكم[4] ﴾ معناه ويقينٌ أَنَّ ذاك يكون . وقال بعض المفسِّرين : عسى فى جميع

(١) الآية ٢٨ من سورة القيامة .

(٢) ط : « لابن أبى مقبل » ، صواب هذه : « لابن أبى بن مقبل » و « أبى » فيه بهيئة التصغير . وأثبت ما فى ش فهو المعروف المتداول . وتصح رواية ط بإضافة « ابن » قبل « مقبل » . والبيت من قصيدة طويلة له فى ديوانه ٢٥٥ — ٢٦٤ .

(٣) الخزانة ١ : ٢٣١ .

(٤) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .

كتاب الله واجبة . وقال غيره : عسى فى القرآن واجبة إلاَّ فى موضعين فى سورة بنى إسرائيل: ﴿ عسى ربُّكم أَنْ يَرحَمكُم [(١)] ﴾ يعنى بنى النَّضِير، فما رحِمَهم ربُّهم بل قاتَلَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأَوقع العُقوبة بهم . وفى سورة التحريم: ﴿ عَسَى ربُّه إنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَه أَزواجًا [(٢)] ﴾ فما أبدله الله بهنَّ أَزواجًا ولا بِنَّ منه [(٣)] . وقال تميم بن أُبَىّ [بن [(٤)]] مقبل فى كون عَسَى إيجابا :

ظَنٌّ بهم كعَسَى وهم بتَنُوفةٍ يتنازعون جَوائزَ الأَمثـــالِ

أَراد : ظنٌّ بهم كيقين . ويروى : « سوائر الأَمثال [(٥)] ». ويروى :«جوائب الأَمثال » . وأَنشدنا أَبو العباس :

* عسى الكرب الذى أَمسيتَ فيه * البيت

فعسى فى هذا الباب على معنى الشك . انتهى كلامُه .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأَربعون بعد السبعمائة [(٦)] :

٧٤٨ (لا تَلْحَنِى إنِّى عَسِيتُ صائمًا)

على أَنَّ المتأَخِّرين استدلُّوا بهذا ، وبالمثَلِ ، وهو :« عسَى الغُوَيرُ أَبؤُساً » بوقوع المفرد منصوبًا بعد مرفوع ، على أَنَّ أَنْ والفعل فى قولهم : عسى

(١) الآية ٨ من سورة الإسراء .
(٢) الآية ٥ من سورة التحريم .
(٣) من البينونة ، والمراد الطلاق .
(٤) التكلة من ش . والذى فى أضداد ابن الأنبارى : « تميم بن أبى » فقط . وانظر ما سبق قريباً فى الحواشى .
(٥) ط : « سرائر الأمثال » ، صوابه فى ش وأضداد ابن الأنبارى .
(٦) الخصائص ١ : ٩٨ وابن الشجرى ١ : ١٦٤ وابن يعيش ٧ : ١٤ ، ١٢٢ والمقرب ١ : ١٠٠ والمغنى ١٥٢ والهمع ١ : ١٣٠ والمزهر ١ : ٢٢٨ والأشمونى ١ : ٢٥٩ وملحقات ديوان رؤبة ١٨٥ .

زيد أن يفعل ، فى موضع نصب على أنَّه خبرٌ لعسى ، وهى تعمل عمل كان .

قال ابن هشام (فى شرح أبيات الناظم) : طعن فى هذا البيت عبدُ الواحد الطَّرّاح[1] (فى كتابه بغية الآمل ، ومُنْية السائل) فقال : هو بيتٌ مجهولٌ ولم ينسُبه الشُّرَّاح إلى أحد ، فسقط الاحتجاج به . ولو صحَّ ما قاله لسقط الاحتجاجُ بخمسين بيتًا من كتاب سيبويه ، فإنَّ فيه ألفَ بيت قد عُرِف قائلوها ، وخمسين بيتًا مجهولةَ القائلين. انتهى .

أقول : الشاهد الذى جُهِل قائله إنْ أنشدهُ ثقةٌ كسيبويه وابن السَّرَّاج والمبرِّد ونحوهم فهو مقبولٌ يعُتَمد عليه ، ولا يضرُّ جهلُ قائله ، فإنَّ الثقة لو لم يعلم أنَّه من شعرِ مَنْ يصحُّ الاستدلال بكلامه لَمَا أنشَده . ومرادُ عبدِ الواحد أنَّه لم ينسُبه الشرَّاح إلى أحدٍ ممن أنشده من الثِّقات أو إلى قائل معيَّن يُحتجُّ بكلامه .

ثم قال ابنُ هشام : وقد حرَّف ابن الشجرىِّ هذا الرجزَ فأنشده :

قُمْ قَائماً قم قائمـــا   إنِّى عسيتُ صـــائما

وإنَّما قُمْ صدْرُ رَجَز آخَر يأْتى فى باب الحال ، ولا يتركَّب قوله إنى عسيتُ صائمًا ، عليه ؛ بل أصلُه :

أَكثرتَ فى العَذلِ مُلَّحا دائما   لا تُكثِرَنْ إنِّى عَسَيتُ صائما

فإنَّ معناه : أيُّها العاذل الملحُّ فى عَذْله ، إنَّه لا يمكن مقابلةُ كلامِك بما يناسبُه من السَّبِّ ، فإنَّنى صائمٌ . وهو مقتبَسٌ من الحديث : « فليقلْ

---

(١) فى كشف الظنون : « الطواح » بالواو .

٧٨ إنِّى صائم[١] » . ويروى « لا تَلْحَنى » مكان « لاتُكثرنْ » ، وهو بفتح التاء . يقال لحيتُه ألحاه لحيًا ، إذا لُمتَه .

والشاهد فى قوله صائماً ، فإنّه اسمٌ مفرد جىء به خبرًا لعسَىَ .

كذا قالوا ، والحقُّ خلافُه ، وأنَّ عسى هنا فعلٌ تامٌّ خبرىٌّ، لا فِعلٌ ناقصٌ إنشائىّ . يدلُّك على أنَّه خبرىٌّ وقوعُه خبرًا لإنَّ ، ولا يجوز بالاتِّفاق : إنَّ زيدًا هل قام ، وأنَّ هذا الكلامَ يقبل التَّصديق والتكذيب. وعلى هذا فالمعنى : إنِّى رجوتُ أن أكونَ صائماً. فصائماً[٢] خبرٌ لكان، وأن والفعل مفعولٌ لعسَى . وسيبويه يُجيز حذف أنْ والفعلِ إذا قويت الدّلالةُ على المحذوفِ . ألَا ترى أنَّه قدَّر فى قوله : « مِنْ لَدُ شَوْلا[٣] »: من لدُ أَن كانت شَوْلا .

ومن وقوع عسى فعلاً خبريًّا قولُه تعالى : ﴿ قال هَلْ عَسَيتم إنْ كُتِب عَليكمُ القِتالُ ألاَّ تقاتِلُوا[٤] ﴾ ألا ترى أنَّ الاستفهام طلبٌ ، فلا يدخل على الجملة الإنشائية ، وأنَّ المعنى قد طَمِعتم أن لا تقاتلوا إنْ كُتِب عليكم القتال .

وممَّا يحتاج إلى النظر قولُ القائل : عسى زيد أن يقوم ، فإنَّك إنْ قدَّرت عسى فيه فعلاً إنشائيًّا كما قاله النحويُّون أشكَلَ ، إذْ لايُسنَدُ

---

(١) تمام الحديث : « إذا دعى أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل إنى صائم » . الجامع الصغير ٦٠٨ . وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، عن أبى هريرة .

(٢) ط : « وصائماً » .

(٣) قطعة من شطر من الرجز فى سيبويه ١ : ١٣٤ ، وهو من شواهد الخزانة فيما سبق ١ : ٢٤ ، وهو بتمامه :

* من لد شولا فإلى إتلائها *

(٤) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

فعلُ الإنشاءِ إلّا إلى مُنْشِئه وهو المتكلِّم ، كبعتُ واشتريت ، وأقسمت ، وقبلت ، وحَرَّرتُك . وأيضًا فمن المعلوم أَنَّ زيدًا لم يترجَّ وإنَّما المترجِّى المتكلِّم . وإنْ قدَّرتَه خبراً كما فى البيت والآية فليس المعنى على الإخبار ولهذا لا يصحُّ تصديق قائله ولا تكذيبه .

فإنْ قلتُ : يُخلِّص من هذا الإشكال أنَّهم نصُّوا على أنَّ كان وما أشبهها أفعالٌ جارية مَجرى الأَدوات ، فلا يلزم فيها حكمُ سائِر الأَفعال .

قلت : قد اعترفوا مع ذلك بأَنَّها مسندَة ، إذ لا ينفكُّ الفعلُ المركَّب عن الإسنادِ إلاَّ إنْ كان زائدًا أو مؤكِّداً ، على خلافٍ فى هذين أيضاً . وقالوا : إنَّ كان مسندةٌ إلى مضمون الجملة . وقد بيَّنَّا أَنَّ الفعلَ الإنشائيَّ لا يمكن إسنادُه لغير المتكلم . وإنَّما الذى يخلِّص من الإشكال أنْ يُدَّعى أنَّها هنا حرفٌ بمنزلة لعلّ ، كما قال سيبويهِ والسِّيرافىُّ بحرفيَّتها فى فى نحو عسى ، أىْ[1] وعَسَاك وعَسَاه . وقد ذهب أبو بكر وجماعةٌ إلى أنَّها حرفٌ دائمًا . وإذا حملناها على الحرفيَّة زال الإشكال ، إذ الجملة الإنشائيَّة حينئذٍ اسميَّةٌ لا فعلية ، كما تقول : لعلَّ زيدًا يقوم . فاعرف الحقّ ودع التقليد ، واستفتِ نفسَك وإنْ أفتاك الناس .

هذا كلام ابن هشام ، وهو خلاف مَسلك الشارح المحقِّق .

وقال ابن هشام فى شرح المثل : إنَّ عسَى للإشفاق ، والغُوَير : ماءٌ لكلب معروف . قال ابن الكلبي . وهو فى الأَصل مُصَغَّر غَوْر أو غار . والأَبؤُس : جمع بُؤس ، وهو الشدّة . وأصل المثل أَنَّ الزبَّاء لمَّا قتلَتْ جَذيمةَ جاءَ قصيرٌ إلى عَمرو بن عدىّ فقال : أَلاَ تـأْخذُ ثـأْر خالك ؟ فقال:

---

(١) كلمة « أى » ساقطة من ش .

كيف السَّبيلُ إلى ذلك . فعَمَد قصيرٌ إلى أنفِهِ فجدَعَها ، فقيل : « لأمرٍ ما جَدَعَ قصيرٌ أنْفَه » وأتَى الزباءَ وزعم أنَّه فرَّ إليها ، وأنَّهم آذَوْه بسببها . وأقام فى خدمتها مدّة يتَّجِر لها ، ثم إنَّه أبطأَ عنها فى السَّفر فسألت عنه ، فقيل : أخذَ فى طريق الغُوَير ، فقالت : « عسى الغُوير أبؤسا » . ثم لم يلبثْ أنْ جاءَ بالجِمَال عليها صناديقُ ، فى جوفها الرِّجال ، فلمَّا دخلوا البلدَ خرجوا مِن الصَّناديق ، وانضافَ إليهم الرّجالُ الموكَّلون بالصَّناديق فقَتَلوا فى الناس قتلاً ذريعاً ، وقتلوا أهل الزَّبّاء ، وأسروها وفقئُوا عينَيها وأتَوْا بها عَمرًا فقتلهَا . وقيل إنَّها امتصَّت خاتماً كان معها مسموماً .

٧٩ ومعنى المثل : لعلّ الشرَّ يأْتى من قِبَل الغُوير . يُضرب للرّجُل يتوقَّع الشر من جهةٍ بعينها .

وجاءَ رجلٌ إلى عمرَ رضى الله عنه يحمل لقيطًا فقال له عمر : « عسى الغُوير أبؤسًا » . قال ابنُ الأعرابىّ : عَرَّض به ، أى لعلَّك صاحبُ اللَّقِيط . ووهِم ابنُ الخبَّاز فى أصل المثل فقال : قالته الزَّباءُ حين ألجأَها قَصيرٌ إلى غارها . انتهى .

وفى الصحاح : « قال الأصمَعى : أصله أنَّه كان غارٌ فيه ناسٌ ، فانهارَ عليهم ، أو أتاهم فيه عدوٌّ فقتلهم[1] ، فصار مثلاً لكلِّ شىءٍ يُخافُ أن يأْتىَ منه شرٌّ » .

قلت : وتكون الزّباءُ تكلَّمت به تمثُّلاً . وهذا حسَنٌ لأَنَّ الزبّاءَ فيما زعموا روميَّة ، فكيف يحتجُّ بكلامها ، وقد يقال : وجهُ الحجّة أنَّ العرب تمثَّلتْ به بعدَها .

واختُلِفَ فى ناصب أبؤسًا ، فعند سيبويه وأبى على أنَّه (عَسَى) ،

---

(١) فى الصحاح (غور) : « فقتلوهم » .

وأنَّ ذلك من مراجعة الأُصول . وقال ابن الأَعرابى : (يصيرُ) محذوفةٌ.
وقال الكوفيون : التقدير : أَنْ يكونَ أَبؤسًا ، كقوله :

* لعمر أَبيك إلاَّ الفرقدان[1] *

ومنع سيبويه أَن يكون إضمارٌ فيه لأَنَّ فيه إضمار الموصول ، وقدَّر إلاَّ صفة . وقيل التقدير : يكون أَبؤساً ، وفيه مجىءُ الفِعل بعد عسى بغير أَنْ ، وإضمارُ كان غير واقعةٍ بعدَ أَداة تطلب الفعل . وقيل التقدير : عسى الغوير يأْتى بأَبؤس ، وفيه ترك أَنْ وإسقاط الجارِّ توسُّعاً . ولكن يشهد له قولُ الكميت :

قالوا أَساءَ بنو بكر فقلتُ لهم　　　عسى الغويرُ بإبآسٍ وإغوارِ[2]

وتلخَّص أَنَّ أَبؤساً خبر لعسى ، أَو لكان ، أَو لصار ، أَو مفعول به . وأَحسَنُ من ذلك كلِّه أَنْ يقدَّر يَبْأَس أَبؤُسًا ، فيكونَ مفعولاً مطلقاً ، ويكونَ مثلَ قوله تعالى : ﴿ فطَفِقَ مَسْحاً[3] ﴾ أَى يَمْسَحُ مسحًا ، وقولِ أَبى دَهْبل الجمحىّ :

لأَوشَكَ صرفُ الدّهرِ تفريقَ بينِنا　　　ولايستقم الدَّهرُ والدَّهرُ أَعوج[4]

أَى لأَوشك يفرِّق بيننا تفريقاً ، ثم حذف الفعل وأُقيم المصدرُ مقامه وأُضيف إلى ظرفه .

---

(١) هو الشاهد ٢٤٠ فى الخزانة ٣ : ٤٢١ . وصدره :
* وكل أخ مفارقه أخـــوه *
(٢) ديوان الكميت ١ : ١٨٦ والمستقصى ٢ : ١٦١ واللسان (بأس ٣٢١ غور ٣٤٤) .
(٣) الآية ٣٣ من سورة ص .
(٤) ديوان أبى دهبل ٥٥ والشعراء ٦١٧ والأغانى ٦ : ١٥١ . وفى الديوان والأغانى: « يفرق بيننا » . وفى الديوان فقط : « وهل يستقيم الدهر » .

انتهى كلام ابن هشام ، وهذا خلاف ما اختاره (فى المغنى) قال فيه : الصواب أنَّهما أى البيت والمثَل ممَّا حُذف فيه الخبر ، أى يكون أبؤساً ، وأكون صائماً ، لأنَّ فى ذلك إبقاءً لهما على الاستعمال الأصلى ، ولأنَّ المرجوَّ كونُه صائماً لا نفس الصائم . انتهى .

واعتُرِض عليه بأنَّه إنّما يكون ذلك إبقاءً على الاستعمال الأصلى أنْ لو جعل التقدير أن يكون وأن أكون ، لأنَّ الأصل فى خبر عسى أن يكون بأنْ ، وعدمُها قليل كما نصَّ هو عليه . وقد ذكر جميعَ أوجهِ عسى فى الاستعمال ، ومذاهبَ النحويين فيها (فى مغنى اللبيب) .

وقول الشاعر : « أكثرت فى العذل » إلخ ، يجوز أن يكون بيتًا مصرَّعًا من تامِّ الرجز[1] من ضربه الأوَّل ، وأن يكون بيتين من مشطوره . وقد نسب إلى رؤبة بن العجاج ، ولم أجده فى ديوان رجزه . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(لعمر أبيك إلاَّ الفرقَدانِ)

هذا عجز ، وصدره :

(وكلُّ أخٍ مفارقُه أخوه)

وتقدَّم شرحُه مفصَّلًا فى الشاهد الأربعين بعد المائتين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد السبعمائة[3] :

---

(١) ط : « من تمام الرجز » ، صوابه فى ش .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٤١ .
(٣) كامل المبرد ٢١٧ ، ٢٢٠ والشعراء ٣٥١ وتاريخ الطبرى ٤ : ٤٠٢ .

٧٤٩ (همَمتُ ولم أفعَلْ وكدتُ وليتَني   تركتُ على عُثمانَ تَبكي حَلائلُه) ٨٠

على أن خبر (كدت) فيه محذوف ، والتقدير : وكدت أفعل .

كذا قدَّره أبو على (فى كتاب الشِّعر) وأورد له نظيرًا . والمراد : هممت بقتله ولم أفعله وكدت أقتله .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ولقد هَمَّتْ بِهِ وهَمَّ بها[1] ﴾ على أنَّ الهمَّ القصدُ ، مِنْ همَّ بالأمر : قصَدَه وعزم عليه ، كما فى البيت . ومنه الهُمام للملِكِ ، لأَنَّه إذا قصد شيئًا أمضاه .

و(الحلائل) : جمع حليلة ، وهى الزوْجة . والمعنى : قصدتُ قتل عثْمانَ ابنِ عفَّان رضى الله عنه ولم أفعَلْ ما قصدتُه ، وقاربته ، وليتنى تركت زوجاتِه يبكينَ عليه .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ سبعةٍ لضابئِ البُرجُمىّ ، قالها فى الحبس ومات فيه ، أَوردها أبو تمام (فى كتاب مختار أشعار القبائل)، وهى :

أبيات الشاهد

(مَن قافلٌ أدنَى الإلهُ رِكـابه   يُبلِّغُ عنى الشِّعرَ إذْ مات قائلُه
فلاَ يقبلَنْ بعدى امرؤٌ سِيمَ خُطَّةً   حِذارَ لقاءِ الموتِ والموتُ نائلُه
ولا تُتبِعِنى إنْ هلكتُ مَلامــةً   فليس بعارٍ قتلُ مَن لا تقاتلُه
فإنِّى وإيَّاكمْ وشـوقًا إليكمُ   كقابِضِ ماءٍ لم تُطِعْـهُ أناملُه
هممتُ ولم أفعلْ وكِدتُ وليتنى   تركتُ على عثْمانَ تَبكى حلائلُه
وقائلةٍ لا يَبْعَـدَنْ ذلك الفتى   إذا احمرَّ من بَردِ الشِّتاءِ أصائلُه[2]
وقائلةٍ لا يُبعِـدِ الله ضـابئًا   إذا الكبشُ لم يُوجَدْ له مَن ينازلُه)

(١) الآية ٢٤ من سورة يوسف .
(٢) فى الكامل ٢٢٠ : « ولا تبعدن أخلاقه وشمائله » .

وقوله : « مَنْ قافل » استفهام ، أىَ مَنْ راجعٌ، وجملة « أدنى الإله ركابه » دعائيّة ، أى قرَّب الله إبله إلى وطنه .

وقوله : « سِيمَ خُطَّة » أى كُلِّف أمرًا . ومفعول يَقبلَنْ محذوف .

وقوله : « ولا تُتبعينى » خطابٌ لامرأته . وقوله : « فليس بعارٍ » إلخ أى قتلُ من لا تقدر على مقاتلته ، لأنه مات فى حبس الإمام .

وقوله : « و قائلة » أى رُبَّ قائلة . ولا يبعَدَن ، أى لا يَهلِكَنْ ، من بَعِدَ من باب فرح ، إذا هَلك . وقوله : « إذا احمرَّ مِن برد » إلخ يريد أنَّه مضيافٌ فى الشِّتاءِ ، وهو زمن القحط عند العرب ، لعدم نبات الأَرض .

وقوله : « لا يُبعد الله » من أبعَدَه أى أهلكه . وضابئ آخره همزة بعد موحَّدة وأوله ضاد معجمة ، وهو قائل الشِّعر . والكبش : السيِّد الشجاع .

ضابىء البرجمى

وضابىء هذا هو ضابئ بن الحارث بن أرطاة ، من بنى غالب بن حنظلة التميمى البُرجُمىّ ، بضم الموحدة وسكون المهملة وضم الجيم ، نسبة إلى البراجم ، وهم[1] ستُّ بطونٍ من أولاد حنظلة بن مالك بن زيدِ مناةَ ابن تميم ، وهم : قيس ، وعمرو ، وغالب ، وكُلْفة ، والظَّلِيم ، ومكاشر[2] ، لقِّبوا بالبراجم لأَنَّ رجلاَ منهم اسمه حارثة بن عامر قال لهم : تعالَوْا فلنجتمِعْ[3] مثلَ براجم يدى هذه ! ففعلوا فسُمُّوا بالبراجم ، وهى عُقَد الأَصابع . وفى كل إصبع ثلاثُ براجم .

---

(١) هذا ما فى ش ، وفى ط : « وهى » .

(٢) فى الاشتقاق ٢١٨ : أنهم خمسة ، بإسقاط « مكاشر » . وكذا فى اللسان (برجم) والمعارف ٣٥ . وهناك براجم من عبد القيس بن أفصى ، وهم عبد شمس ، وعمرو ، وحى : بنو معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . جمهرة ابن حزم ٢٩٥ – ٢٩٦ ونهاية الأرب للنويرى ٢ : ٣٤٤ .

(٣) ط : « فلنتجمع » ، وأثبت ما فى ش .

وضابئٌ أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يَقنِص الوحشَ ، فاستعار من بعض بنى جَرول بن نَهشل كلبًا اسمه قُرْحان ، بضم القاف وسكون المهملة بعدها حاءٌ مهملة ، وكان يَصِيد به البقرَ والظِّباءَ والضباع ، فطال مُكثُهُ عنده ، فطلبوه فامتنع ، فركبوا يطلبون كلبهم ، فقال لامرأته :
٨١ اخلطى لهم فى قِدْرِكِ من لحوم البقر والظِّباءِ والضِّباع ، فإن عافوا بعضًا وأكلوا بعضًا تركوا كلبك لك ، وإن هم لم يَفرِقوا فلا كلبَ لك . فلمّا أطعمَهم أكلوه ثم أَخذُوا كلبهم ، فغضب ضابئٌ ورمى أُمَّهم بالكلب وقال :

تَجشَّم نحـوى وفدُ قُرحانَ سَرْبَخًا
تظلُّ به الوجناءُ وهى حَسِيرُ[(١)] .
فأَردفتُهُمْ كلبًا فراحُـوا كأَنَّمـا
حَبَاهم بتاج الهُرمُزانِ أَميـرُ[(٢)]
وقلَّدتُهمْ مـا لَوْ رمَيتُ مُتالعـاً
به وهــو مُغبرٌّ لكادَ يطيــرُ
فيا راكبـاً إمَّـا عرَضْتَ فبلِّغَنْ
أُمـامةَ منِّى ، والأُمورُ تدورُ[(٣)]

---

(١) الحيوان ١ : ٣٦٩ - ٣٧٠ والنقائض ٢١٩ والشعراء ٣٥٠ وتاريخ الطبرى ٤ : ٤٠٢ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٦ . وفى الحيوان والشعراء والنقائض : « وفد قرحان شقة . تظل بها الوجناء » .

(٢) الطبرى : « فباتوا شباعاً ناعمين كأنما » ، وفى النقائض والطبرى : « ببيت المرزبان أمير » .

(٣) فى النقائض والشعراء : « ثمامة عنى » .

فأُمَّكم لا تتــركوهــا وكَلبَكمْ
فإنَّ عُقــوق الوالــداتِ كبيــرُ

فإنَّك كلبٌ قد ضَرِيتَ بمــا ترى
سميعٌ بمــا فوقَ الفراشِ بصيــرُ

إذَا عَثَّنَت من آخــر الليــل دُخْنةٌ
يبيت له فوقَ الفِــراش هرير(١)

فلما بلغهم الشِّعرُ وأنَّه رمى أُمَّهم بالكلب استعْدَوْا عليه عثمانَ بن عفَّان رضى الله عنه ، وكان يَحبِس على الهجاء ، فأرسل إليه فأنشده الشِّعرَ ، فقال له عثمان رضى الله عنه : ما أعرِف فى العرب أفحشَ ولا ألْأَمَ منك ، فإنِّى ما رأيتُ أحدًا رمَى أحداً بكلبٍ غيرك ، وإنِّى لأظنُّك لو كنت فى زمنِ النبى صلى الله عليه وسلم لنزلَ فيك وحى . فحبسَه فى السِّجن ، فقال فى الحبس أبياتًا منها :

ومَنْ يَك أمسَى بالمدينة رحلُه فإنِّى وقيــارٌ بهــا لغريبُ

وسيأْتى إن شاءَ الله مع الأبيات فى إنَّ المشددة .

فلمَّا سمعها أخرجَه من الحبس ، فأخذ سِكِّيناً فجعلها فى أسفل نعله ليَفْتِكَ بعثمان ، فأُعلم بذلك فضربَه ، وردَّهُ إلى الحبس إلى أنْ مات فيه . وفى ذلك قال الأبياتَ التى منها :

هممت ولم أفعَلْ وكدتُ وليتنى . . . . البيت

ولم يزل فى الحبس حتَّى أصابته الدُّبيلة(٢) فأنتن ، فمات فى الحبس .

---

(١) الحيوان : « يبيت له فوق السرير » . الشعراء : « يبيت لها فوق الفراش » .

(٢) الدبيلة ، بالتصغير : داء يجتمع فى الجوف ، وهو خراج ودمل كبير ، تقتل صاحبها غالباً . ولعله ما يدعى بالسرطان .

ولمَّا قُتِل عثمان جاء عُمير بنُ ضابئٍ فرفسَه برجله ، فكسر ضِلعين من أضلاعه وقال : حبستَ أبي حتى مات !

ولمّا كان زمن الحجّاج ، واستعرض أهلَ الكوفة ليوجِّههم إلى المهلَّب، عُرض عليه فيهم عُمير بن ضابئ ، وهو شيخ كبير يُرعَش كِبَرا ، فقال : أيُّها الأمير ، إنّي من الضَّعف على ما ترى ، ولى ابنٌ أقوَى على الأسفار منِّي ، أفتقبله بديلا ؟ قال : نعم . فلما ولَّى قال قائلٌ : أتدرى مَنْ هذا أيها الأمير ؟ قال: لا، قال : هذا عمير بن ضابئ البرجمى الذى يقول أبوه :

هممت ولم أفعل .... البيت

وحَكى القصَّة ، فقال الحجاج : ردُّوه علىَّ . فلما رُدَّ قال : أيُّها الشيخ ، هلاَّ بعثت إلى عثمان بديلاً يوم الدار ، إنَّ فى قتلك لَصلاحًا للمسلمين ، يا حرسىُّ اضربْ عنقه ! وسمع ضوضاة[1] فقال : ما هذا ؟ قالوا: البراجم جاءت لتنصر عُميرًا . قال : أتحفُوهم برأسِه ! فولَّوا هاربين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

---

(١) الضوضاة والضوضاء : أصوات الناس وجلبتهم . والفعل منه ضوضى ضوضاة وضيضاء بالكسر . اللسان (ضوا) . وفى ش : « ضوضاء » بالهمز .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٧٨ . وانظر المقتضب ٣ : ٧٠ والكامل ١١١ وأمالى القالى ١ : ٧١ والجمل ٢٠٩ ومعجم المرزبانى ٤٨٣ وحماسة ابن الشجرى ٦٠ وابن يعيش ٧ : ١١٧ ، ١٢١ والمقرب ١ : ٩٨ والضرائر ١٥٣ ، والحماسة البصرية ١ : ٤٤ والعيون الغامزة ١٦٣ والمغنى ١٥٢ ، ٥٧٩ وشرح شواهده للسيوطى ١٥٢ والعينى ٢ : ١٨٤ والهمع ١ : ١٣٠ والتصريح ١ : ٢٠٦ والأشمونى ١ : ٢٦٠ ، ٢٦٤ .

٧٥٠ (عَسَى الكربُ الذى أمسيتَ فيه
يكونُ وراءه فرجٌ قرِيبُ)

على أنه حذف (أنْ) من خبر عسى ، وهو قليل ، والتقدير : أن يكون وراءه إلخ .

٨٢ وكذا قال ابن هشام (فى المغنى) . وهو ظاهر كلام سيبويه ، قال سيبويه : واعلم أنَّ من العرب من يقول عسى يَفعل يشبِّهها بكاد يفعل ، فيفعل حينئذ فى موضع الاسم المنصوب فى قوله « عسى الغوير أبؤساً » . فهذا مثلٌ من أمثال العرب ، أجرَوْا فيه عسى مجرى كان . قال هُدبة :

عَسَى الكرب الذى أمسيتَ فيه يكون وراءه فرجٌ قريبُ

وقال :

عَسَى الله يُغنِى عن بلاد ابن قادرٍ بمنهَمِر جَوْنِ الرَّبابِ سَكُوبِ

وقال :

فأَمَّا كيِّسٌ فنجا ولكنْ عسى يغترُّ بى حَمِقٌ لئيمُ .ا هـ

قال الأعلم : الشاهد فى هذه الأبيات إسقاط أنْ ضرورةً ورفع الفعل . والمستعمل فى الكلام أن يكون كما قال تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يبعَثَكَ ربُّك[1] ﴾ و ﴿ عسى الله أن يأْتِىَ بالفتْح[2] ﴾ . والمنهمر : السائل . والجَوْن : الأَسود . والرَّباب : السَّحاب . والحَمِق : بكسر الميم : الأَحمق .

---

(١) الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٥٢ من سورة المائدة . ولفظها : « فعسى الله أن يأتى بالفتح » . وترك الفاء والواو ونحوها فى مثل هذا جائز فى الاستشهاد . انظر حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ .

وكذا قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) ، وبعد أن أورد هذه الأبياتَ وغيرَها قال : وما ذكرتُه من أنَّ استعمال الفعل الواقع فى موضع خبر عسى بغير أَنْ ضرورةٌ هو مذهبُ الفارسيِّ وجُمهورِ البصريِّين. وظاهرُ كلام سيبويه يُعطى أنَّه جائزٌ فى الكلام ، لأنَّه قال : « واعلم أنَّ من العرب من يقول : عسى يفعل ، تشبيهًا بكاد[1] » . فأطلق القولَ ولم يقيِّد ذلك بالشِّعر . إلاَّ أنه ينبغى أن لا يُحمل كلامُه على عمومه ، لمَا ذكره أبو علىّ من أنَّها لا تكاد تجئُ بغير أَنْ إلاَّ فى ضرورة . وأيضاً فإنَّ القياسَ يقتضى أن لا يجوز ذلك إلاَّ فى الشعر ، ولأَنَّ استعمالها بغير أَنْ إنَّما هو بالحمْل على كاد ، لشبهها بها من حيثُ جمعتْهما المُقارَبة . وكادَ محمولة فى استعمالها بغير أَن على الأفعال التى هى للأَخذ[2] فى الشروع ، من جهة أنَّها لِمقاربةِ ذاتِ الفعل ، فقربت لذلك من الأفعال التى هى للأَخذ فى الفعل ؛ وليست عسى كذلك لأَن فيها تراخيًا . ألاترى أنَّك تقول : عسى زيد أن يحجَّ العام [الآتىَ[3]] . وإنَّما عُدّت فى أفعال المقاربة مع ما فيها من التَّراخى من جهةِ أنَّها تدخُل على الفعل المرجوّ ، والفعلُ المرجوّ قريبٌ بالنظر إلى ما ليس بمرجوّ . فلما كانت محمولةً فى استعمالها بغير أَنْ على ما هو محمول على غيره ، ضعف الحملُ فلم تجئْ إلاَّ فى الضرورة . انتهى .

والبيت من قصيدةٍ لهدْبةَ بنِ خَشْرمٍ ، قالَها فى الحبس ، وهى : صاحب الشاهد

---

(١) الذى فى الضرائر وسيبويه : « يشبهها بكاد » . وانظر ما سبق أيضاً ، ولكن هكذا وردت فى النسختين .

(٢) الكلام بعده إلى « للأخذ » التالية ساقط من ش ونسخة الضرائر .

(٣) التكلة من ضرائر ابن عصفور .

أبيات الشاهد

(طَرِبتَ وأَنت أَحيانًا طَروبُ
وكيف وقد تَعلاَّكَ المَشِيبُ[(١)]

يُجِدُّ النَّأْىُ ذِكرَكِ فى فؤادى
إذا ذُهِلت على النَّأْى القُلوبُ[(٢)]

يؤرِّقنى اكتئابُ أَبى نُميرٍ
فقلبى من كآبته كئيبُ[(٣)]

فقلت له : هَداك اللهُ مَهْلاً
وخيرُ القولِ ذو اللبِّ المصيبُ[(٤)]

عَسى الكربُ الذى أمسيتَ فيه
يكون وراءَه فَرَجٌ قريبُ

فيأْمَنَ خائف ويُفَكَّ عانٍ
ويأْتِىَ أَهلَه الرَّجلُ الغريبُ[(٥)]

أَلا ليت الرِّياحَ مُسخَّراتٍ
بحاجتنا تباكرُ أَو تئُوبُ[(٦)]

---

(١) ابن الشجرى : « وقد تغشاك المشيب » ، وكذلك فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٢) القالى والعينى والسيوطى : « عن النأى » .

(٣) ابن الشجرى : « وأرقنى » .

(٤) هذا البيت لم يرد فى حماسة ابن الشجرى .

(٥) القالى وابن الشجرى : « النائى الغريب »

(٦) هذا البيت لم يرد فى حماسة ابن الشجرى . وفى سمط اللآلى ٢٤٩ : « وبخط أبى على : تصبح أو تئوب » .

٨٣

فتخبرَنا الشَّمالُ إذا أتتْنا … وتخبرَ أهلنَا عنَّا الجنوبُ(١)
فإنَّا قد حللنا دارَ بلوَى … فتُخطئُنا المنايا أو تصيبُ
فإن يكُ صدرُ هذا اليومِ ولَّى … فإنَّ غدًا لناظره قريبُ
وقد علمتْ سُلَيمى أنَّ عُودى … على الحَدثانِ ذو أيْدٍ صليبُ
وأنَّ خليقتى كرمٌ وأنِّى … إذا أبْدَت نواجذَها الحُروبُ
أُعِينُ على مكارمها وأَغْشَى … مَكارهَها إذا كَعَّ الهَيوبُ(٢)
وقد أبقى الحوادثُ منك ركنًا … صَليبًا ما تؤبِّسه الخطوبُ(٣)
على أنَّ المنيةَ قد تُوافى … لوقتٍ ، والنوائبُ قد تنوبُ(٤))

هذا ما أورده القالى (فى أماليه) ، وزاد بعده الشريف الحسينىّ (فى حماسته) :

(وإنِّى فى العظائم ذو غَناءٍ … وأُدعَى للفَعال فأستجيبُ(٥)
وإنِّى لا يخاف الغدرَ جارى … ولا يَخشى غوائِلَى القريبُ
وكم من صاحبٍ قَدْ بانَ عنِّى … رُميتُ بفقدِه وهو الحبيبُ
فلَمْ أُبدِ الذى تحنو ضلوعى … عليه ، وإنِّى لأنا الكئيبُ
مخافةَ أن يَرانى مستكينًا … عدوٌّ أو يُساءَ به قريبُ
ويَشمتَ كاشحٌ ويظُنَّ أنِّى … جَزوعٌ عند نائبةٍ تنوبُ
فبعدك سَدَّت الأعداءُ طُرْقًا … إلىّ ورابنى دهرٌ يَريبُ

(١) فى الحماسة البصرية : « إذا هاب الهيوب » .
(٢) هذا البيت والبيتان بعده لم يردا فى حماسة ابن الشجرى .
(٣) هذا البيت ورد عند ابن الشجرى تالياً للبيت التالى .
(٤) عند القالى : « ما تؤيسه الخطوب» بالياء . وقد قيده البغدادى فى شرحه بأنه بالموحدة . ومدلولهما واحد .
(٥) الحماسة البصرية : « وأدعى للسماح » .

وأنــكرتُ الــزَّمانَ وكــلَّ أهلي وهــرَّتنى لغَيبتــك الكليبُ
وكنت تقطَّــع الأَبصارُ دونــى وإن وَغِرت من الغيظ القــلوبُ)

الطرب : خفَّة تُصيب الإنسانَ لفرح أو حزن . والنَّأْى : البُعد . ويؤرِّقنى : يُسهرنى . والاكتئاب : افتعالٌ من الكآبة ، وهى الحزن . وأبو نمير ، قال اللخمى : هو ابن عمِّه ، وكان مسجونًا معه . وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : هو رجلٌ كان مسجونًا معه ، فجالسه يومًا وأظهر له التألُّمَ . وقال العينى : هو رجلٌ من قرابته زار هُدبةَ أيَّامَ حبسه فأظهر الحزنَ والكآبة . وقوله : « و خير القول ذو اللُّبّ » أى قول ذى اللُّبّ . ورواه ابن المستوفى :

* وخير القول ذو العَيْج المصيبُ *

بالمثنَّاة التحتية والجيم ، وقال : وهو مأْخوذ من قولهم ما عِجْت به ، أى لم أرْضَ به . وإن روى « العَنْج » بالنون فهو الاسم من عَنجت البعير أعنِجه عَنْجًا ، وهو أن يجذب الراكب خطامَه فيردَّه على رجليه ، ضربٌ من رياضة البعير . قال ابن السيرافى : والعَيْج من القول : ما ينتفع به ، وهو مأْخوذ من قولهم : ما عِجْت بكلامه أى ما انتفعت . كذا وجدته العَيْج بفتح العين والياء .

وقوله : (عسى الكرب الذى أمسيتُ فيه) إلخ الكرب : الهَمّ . قال ابن المستوفى : روى بفتح التاء وضمّها من (أمسيت) . والنحويُّون إنما يروونه بالضّم ، والفتحُ عندى أولى ، لأنَّه يخاطب ابنَ عمِّه أبا نمير ، وكان معه فى السِّجن . وقوله هذا لابن عمِّه ليسلِّيَه به ، لِمَا رآه من خوفه ، أجود من أن يكونَ يريدُ به نفسَه ، لأنَّ فى قوله لابن عمه زجرًا

له : مهلاً ، أى امهل ، يدلُّ على ما ذكرته . ولا يجوز أن يقال إنَّ اكتئاب ابن عمِّه إنَّما كان حذرًا على هُدبة ، لأَنَّه لو كان كذلك لما قال له مهلا ، ولأَنَّ الإنسان أكثرُ عنايةً بنفسه من عنايته بغيره . ولا يمتنع ضمُّ التاءِ على أن يريد به : لا يضِقْ صدرُك بشىءٍ ، فإنَّ الكرب الذى أمسيتَ فيه يكون له فرج قريب ، فيزولُ ما عندك . انتهى .

وعيَّن اللخمىُّ فتح التاءِ ، قال : الرواية عن أَبى القاسم الزجاجى ضمُّ التاءِ ، وإنَّما هى تاءُ المخاطب ، لأَنَّ ما قبل البيت يدلُّ عليها ، لأَنَّه يخاطب أَبا نمير ، وهو ابن عمه ، وكان مسجونًا معه .

وقوله : (يكون وراءه) اسم يكون ضمير الكرب ، وخبره الظرف ، وفرج فاعل الظرف . وقال ابن هشام : وراءَ ظرف مؤَنَّث تصغيره على وُرَيئة ، وظهور الهمزة فى تصغيره دليل على أَنَّه ليس من واريت كما قال بعضهم . والأَظهر أَنَّه بمعنى أَمام كقوله تعالى: ﴿ من ورائِهِ جهنم[(١)] ﴾ ﴿ وكانوراءَهم ملكٌ يأْخذ كلَّ سَفينةٍ غَصْبًا[(٢)] ﴾ . والفَرَج: انكشاف الهم . وفى يكون ضمير الكرب ، ويجوز أَن تكون ناقصة وتامَّة ، وعلى الأَوَّل يكون فرج مبتدأً وقريبٌ صفته ، والظرف خبر ، والجملة الاسمية خبر يكون . وعلى الثانى تكون الجملة حالا . ويجوز على الوجهين أن يكون فرج فاعلاً بالظرف على أَنَّه خبرُ الناقِصةِ وحالٌ من فاعل التامّة. وهذا أَرجح من تقديره مبتدأً . وإنما لم أُقدِّر فرجٌ اسمَ يكون على أَنَّها الناقصة ووراءه الخبر ، أَو فاعلاً ليكون على أَنَّها التامة ووراءه متعلق

(١) الآية ١٦ من سورة إبراهيم .

(٢) الآية ٧٩ من سورة الكهف .

بيكون كما فعل بعضهم ، لأَنَّ فاعلَ الفعل الواقع فى باب كاد لايكون إلاَّ ضميرًا راجعًا للاسم السابق ، فلا يجوز كاد زيد يموت أبوه . وما خرج عن ذلك نادر ، فلا يحمل عليه مع وجود مندوحة عنه . وكذلك لايكون اسم يكون ضمير الشأْن كما قدَّره جماعة ، لِمَا ذكرنا . انتهى كلامه.

وعانٍ : أسير . وأراد بدار بلوَى : السِّجن . والناظر هنا : المنتظِر . والأَيْد : القوَّة . وكعَّ : جبن وخاف . وما تؤبِّسه : ما تذلِّله وما تؤثِّر به ، بالموحدة بعد الهمزة . وباقى أَلفاظ القصيدة ظاهرةٌ .

هدبة بن خشرم

وهدبة هو هدبة بنُ خشرم بن كُرز بن أَبى حيَّة بن الكاهن ، وهو سلمة ، ابن أَسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيم ، وسعدٌ : ابنُ أَسلَمَ بن الحاف بن قضاعة ، ويقال بل هو سعد بن أَسلم بن هذيم ، وهذيمٌ عبدٌ لأَبيه ربَّاه ، فقيل سعد ابن هذيم ، يعنى سعداً هذا .

وهدبة شاعر فصيح متقدِّم من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ، وكان يَروِى للحطيئة ، والحطيئة يَروِى لكعب بن زهير . وكان جَميل راويةَ هُدبة ، وكثيِّر راوية جميل .

وكان لهدبة ثلاثة أُخوة كلُّهم شاعر ، وأُمُّه كانت شاعرةً أَيضاً . كذا فى الأَغانى .

وهدبة ، بضم الهاءِ وسكون الدال بعدها موحَّدة . وخَشْرم ، بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين . وكُرْز ، بضم الكاف وسكون المهملة . وأَبو حيَّة ، بفتح المهملة وتشديد المثناة التحتية .

وسبب حبسِه على ما رواه الأَصبهانى بسنده فى الأَغانى[(١)] : أَنَّ هُدبة ابن خشرم وزيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّة بن حنيس[(٢)] بن عمرو بن ثَعلبة بن عبدالله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم المذكور[(٣)] اصطَحبا وهما مُقبلان من الشام فى ركب من قومهما ، فكانا يتعاقبان السَّوق بالإبل ، ومع هدبة أُخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال : ٨٥

عُوجى علينا واربَعــى يا فاطِمَا   ما بين أَن يُرَى البعيرُ قائمــا
أَلَا ترينَ الدّمعَ منِّــى ساجما   حِذار دارٍ منكِ أَن تلائمــا[(٤)]
فعرَّجَتْ مطَّــرداً عُراهِمــا   فَعْمــاً يبذُّ القُطُفَ الرَّوَاسمــا
كــأَنَّ فى المَثْنــاة منه عائما   إِنَّكَ واللهِ لأَنْ تُبــاغمــا
خَــوْدًا كأَنَّ البُوصَ والمــآكما   منهــا نَقًــا مخــالطٌ صرائمَا
خيــرٌ من استقبالكَ السَّمــائما   ومن مُنادٍ يَبتَغى مُعــاكِمَا[(٥)]

وقوله : « مابين أَن يرى البعير » أَى ما بين مُناخ البعير إلى قيامه . ومطَّرد : متتابع السَّير ، عُراهم : شديد . وفعم : ضخم . والرَّسيم : سير فوق العَنَق . والرَّواسم : الإبل التى تَسير هذا السَّير . والمَثْناة : الزِّمام ، وعائم : سابح . وتباغم : تكلِّم . والبُوص : العَجُز . والمأْكَمتانِ : ما عن يمين العجُز وشِماله . والنَّقا : ما عظُم من الرمل . والصرائم دونه . ومُعاكِمًا ، أَى يُعينك على عِكمك حتى تشدَّه .

---

(١) الأغانى ٢١ : ١٧٠ .
(٢) كذا فى النسختين ، وليس فى أعلام قبائلهم . وفى الأغانى : « خنبس » ، صواب هذه « خنيس » .وفى معجم المرزبانى ٤٨٣ : « خنبش » ، تحريف أيضاً .
(٣) ط : « هذيم بن المذكور » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٤) كذا فى النسختين . ولعله نوى حذف لا ، كما فى قوله تعالى : « يبين الله لكم أن تضلوا » . وفى الأغانى : « لن تلائما » .
(٥) ويروى : « ومن نداء يبتغى » . وفى النسختين : « مناد تبتغى» ، صوابه من الأغانى .

فغضب هُدبة حين سمع زيادةَ يرجز بأُخته ، فنزل فرجَزَ بأُخت زيادة ، وكانت تُدعَى أُمَّ خازم ، وقيل أُم قاسم ، فقال :

لقد أرانى والغلامَ الحازما ... نُزجى المطىَّ ضُمَّراً سَواهِما
متى تقولُ القُلُصَ الرَّواسما ... والجِلَّةَ الناجيةَ العَياهما
يُبلِغْن أُمَّ خَازم وخازما ... إذا هبطن مستحيراً قاتما
ورفَّع الحادى لها الهمَاهِما[1] ... ألا ترَيْنَ الحُزْنَ منِّى دائما
حِذارَ دار منك أن تلائِما[2] ... والله لا يشفى الفؤادَ الهائما
تَمساحُكَ اللَّباتِ والمآكما[3] ... ولا اللِّمامُ دون أن تلازما[4]
ولا اللِّثام قبل أن تُفاقما[5] ... وتعلُوَ القوائمُ القوائما[6]

وقوله : « تقول القُلُص » الخ أورده النحويون شاهداً على إعمال القول إعمالَ الظنّ . والعَيَاهم : الشِّداد .

قال : فشتمه زيادة ، وشتمه هُدبة ، وتسابًّا طويلاً ، فصاح بهما القوم : اركبا لا حَمَلكما الله ، فإنَّا قومٌ حُجَّاج . وخَشُوا أن يقع بينهما شرٌّ ، فوعظوهُما حتَّى أمسك كلُّ واحدٍ منهما على ما فى نفسه ، وهُدبة أشدُّهما حَنَقًا ، لأنَّه رأى أن زيادة قد ضامَه إذْ رَجَزَ بأُخته وهى تسمع

(١) فى الأغانى : « ورجع الحادى » .
(٢) فى الأغانى : « لن تلائما » .
(٣) فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢٥٦ : « تمساكك » .
(٤) فى نوادر المخطوطات : « دون أن تفاغما » .
(٥) الأغانى : « ولا اللزام » ، وفى نوادر المخطوطات : « ولا اللمام » . وبعده فى الأغانى :
* ولا الفقام دون أن تفاغما *
(٦) الأغانى : * وتركب القوائمُ القوائما *

قولَه ، وكانت أُخت زيادة غائبة ، فمضيا ولم يتحاورا بكلمةٍ حتَّى قضَيَا حجَّهما ، ورجَعا إلى عشائرهما. وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأَشعار. ولم يزل هُدبةُ يطلب غِرّة زيادة حتَّى أَصابها ، فقتله وهرب ، وعلى المدينة يومئذٍ سعيدُ بنُ العاص . فأَرسل إلى عمٍّ هُدبة وأَهْلِه فحبسهم بالمدينة ، فلما بلغ هدبةَ ذلك أَقبل حتَّى أمكن من نفسه ، وتخلَّص عمَّه وأَهلَه ، فلم يزل محبوسًا حتَّى شخص عبد الرحمن أَخو زيادة إلى معاوية ، فأَورد كتابه إلى سعيد بأَن يُقِيده منه إذا قامت البيِّنة ، فكره سعيدُ الحُكم بينهما ، فحملهما إلى معاوية فلما صارُوا بين يديه[1] قال له معاوية : قل يا هُدْبة . قال : إن شئت أَن أَقصَّ عليك قصّتنا كلاماً وشعراً فعلت . قال : بل شعراً . فقال هُدبة ارتجالا : ٨٦

أَلا يا لقومى لِلنَّـوائبِ والدَّهر ... وللمرءِ يُردِى نفسَه وهو لايدرى

وللأَرض كم من صالح قد تـأَكَّمت ... عليه فوارَتْه بلمَّاعـةٍ قَفْـرِ

فـلا تتَّـقِى ذا هَيبَةٍ لجلالِهِ ... ولا ذا ضَيَاعٍ هُنَّ يتركن للفَقْرِ

حتى قال :

رُمِينا فرامَيْنا فصـادف رَمْيُنَـا ... مَنايَا رجالٍ فى كتابٍ وفى قَدْرِ

وأَنت أَميرُ المـؤمنين فمـا لنا ... وراءَك مِن معدًى ولا عنك من قَصْرِ

فإن تكُ فى أَموالنا لم نضقْ بهـا ... ذراعًا وإن صبرٌ فنصبرُ للصَّبـرِ

وهذا البيت الأَخير من شواهد النحويِّين. وتـأَكَّمت: صارت أَكمة . وروى بدله : « قد توأَّدت » ، « قد تلمَّأَتْ » و« تَلَأَّمت » ، أَى وارته .

(١) وكذا فى الأغانى ٢١ : ١٧٩ . وكثيراً ما يعبر بالجمع عن المثنى . كما فى قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » . وفى ط فقط : « فلما صارا بين يديه » .

(٢) ش : « ألا يا لقوم » .

فقال له معاوية : أُراك يا هدبة قد أقررتَ بقَتل صاحبهم. ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولد ؟ فقال: نعَم ، المِسْوَر ، وهو غلام لم يبلغ ، وأنا عمُّه وولىُّ دم أَبيه . فقال : إنَّك لا تُؤمَن على أخذ الدية أو قَتْلِ الرجل بغير حقّ ، والمِسورُ أَحقُّ بدمِ أَبيه . فردَّه إلى المدينة ، فحبس ثلاثَ سنين حتَّى بلغ المِسورُ، وذهب عبدُ الرحمن بالمسور وقد بلغَ إلى والى المدينة ، وهو سعيد بن العاص، وقيلَ : مَرْوان بن الحكم ، فأَخرج هدبة ، فلما مُضِى به من السجن للقَتْل التفتَ فرأى امرأته ، وكانت من أَجمل النِّساء ، فقال :

أَقِلِّى علىَّ اللــومَ يا أُمَّ بوزعــا
ولا تعجَبى ممَّــا أصاب فأَوجَعــا

ولا تَنكِحى إنْ فرَّق الدهرُ بيننــا
أَغمَّ القفا والوجهِ ، ليس بأَنزعا

كليلاً سوى ما كان من حَدِّ ضرسه
أُعيبِدَ مِبْطانَ العشيَّاتِ أروعــا(١)

ضروبًا بلَحْيَيْــهِ على عَظْم زَوره
إذا النَّاس هَشُّوا للفعال تقنَّعــا

وحُلِّ بذى أُكــرومةٍ وحَمِيَّــةٍ
وصبرٍ إذا ما الدهرُ عضَّ فأَسرعــا

(١) فى النسختين : « من جد ضربه » ، صوابه فى الأغانى ، وفى ش بخط ناسخها تعليقاً على « أعيبد » : « كذا بخط المؤلف ، والصواب : « أكيبد » . وفى الأغانى أيضاً : « أكيبد » ، وهو تصغير الأكبد ، وهو الضخم الوسط، ولا يكون إلا بطىء السير .

فمالت زوجته إلى جزَّارٍ وأخذت شَفرتَه فجدعت به أنفَها ، وجاءته تَدْمَى مجدوعةً ، فقالت : أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح ؟ قال : فرسَف فى قيوده وقال : الآن طاب الموتُ؟ فإذا هو بأبويه يتوقَّعان الثُّكْل ، فهما بسوءِ[1] حال ، فأقبل عليهما وقال :

أبليِـــانى اليــومَ صبـــراً منكما
إنَّ حـــزنا إنْ بَدَا بادئُ شَـــرّْ
لا أُرانى اليــــومَ إلاَّ ميتــاً
إنَّ بعـــد الموت دارَ المستقَـــرّْ
اصبرَا اليــومَ فإنِّى صـــابرٌ
كــلُّ حـــىٍّ لقضـــاءٍ وقَـــدَرْ

قال النَّوفلى : حدثنى أبى عن رجلٍ من عذرة عن أبيه قال : إنِّى لَفِى بلادنا يوماً فى بعض المياه ، فإذا أنا بامرأة تمشى أمامى وهى مُدْبرة ولها خَلْقٌ عجيب من عَجُز وهيئة ، وتمامِ جسم وتمام قامَة ، وإذا صَبيَّانِ قد اكتنفاها يمشِيان ، فتقدَّمتُها والتفتُّ إليها ، وإذا أقبح منظر ، وإذ هى مجدوعة الأَنف مقطوعة الشَّفتين ، فسألتُ عنها فقيل : هذه امرأة هدبة تزوَّجت بعده رجلاً أولدَها هذين الصبيَّين .

قال ابن قتيبة : فسأل سعيدُ بن العاص أخا زيادة أن يقبل عنه[2] ، فقال : أُعطيكَ ما لم يُعْطَ أحدٌ من العرب : مائة ناقةٍ حمراءَ ، ليس فيها ذاتُ داءٍ[3] . فقال : والله لو نقَبْت لى قُبّتك هذه ، ثم ملأْتَها ذهباً ٨٧

(١) وكذا فى الأغانى ٢١ : ١٧٥ .
(٢) ش : « فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة عنه » .
(٣) الأغانى : « ليس فيها جداء ولا ذات داء » . والجداء من الغنم والإبل : المقطوعة الأذن .

ما رضيتُ[١] بها. ولم يزل سعيدٌ يسأله حتّى عرض عليه سِتّ دِيات فأَبى، فدفعه إليه حينئذٍ لقَتْله بأَخيه، فاستأْذن هدبةُ فى أن يصلىَ ركعتين، فأَذِن له فصلاَّهما وخفَّف، ثم التفت إلى مَنْ حضر فقال: لولا أَنْ يُظَنَّ بى الجزعُ لأَطلتُهما، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما. ثم قال لأَهله: إنَّه بلغنى أنَّ القتيل يَعْقِلُ ساعةً بعد سقوط رأسه، فإن عَقَلْتُ فإنى قابضٌ رجلى وباسطُها ثلاثاً. ففعل ذلك حين قُتل.

وقال قبل أن يقتل:

إن تقتلونى فى الحديد فإننى قتلت أَخاكم مطلقًا لم يقيَّدِ

فقال أَخو زيادة: والله لا قَتَلتهُ[٢] إلاَّ مطلَقًا من وَثاقه. فأُطلق له وتولَّى قتلَه ابنهُ المسور، دفعَ إليه عمُّه السيف وقال: قم فاقتل قاتل أبيك. فقام فضربه ضربتين قتلَه فيهما.

وهدبة أَول من سنّ ركعتين عند القتل[٣]. هذا ما اختصرته من الأَغانى.

* * *

(١) فى الأغانى: «ما رضيت بها من دم هذا الأجدع».

(٢) هذا ما فى الأغانى. وفى النسختين: «لا أقتلنه».

(٣) فى حواشى ش بخط الناسخ: «أول من سن ركعتين عند القتل خبيب لا هدبة». وهذا حق. وجاء فى ترجمته من صفة الصفوة ١ : ٢٥٤. أن المشركين لما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب: دعونى أصلى ركعتين. فتركوه فركع ركعتين وقال: «والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزعاً لزدت. اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً»، وقال:

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قال: «وكان خبيب هو [أول من] سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة». وانظر الإصابة ٢٢١٨.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد السبعمائة[1] :

٧٥١ (عَسَى طَيِّئٌ من طَيِّئٍ بعدَ هـذهِ
سَتُطفِئُ غُـلاَّتِ الكُلَى والجوانحِ)

على أنَّ السين فى قوله « ستطفئ » قائمة عند المتأَخِّرين مقامَ أَنْ ، لكونهما للاستقبال .

قال الزمخشرى (فى المفصل) : ولمَّا انحرفَ الشاعرُ فى هذا البيت عمَّا عليه الاستعمالُ جاءَ بالسين التى هى نظيرةُ أَنْ ، يعنى لمَّا لم يأْتِ الشاعر بما حقُّه أن يجىء به مع عسى فى الخبر ، وهو أن ، أَتى بما يقوم مقامه فى الدلالة على الاستقبال ، وهو السين . على أَنَّ ذَلك شاذٌّ . وكما دخل أَنْ فى خبر لعلَّ حملاً على عسى ، دخل السِّين فى خبر عسى حملاً على لعلَّ .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبيات أَربعة ، أوردها أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وعزاها لِقَسَام بن رَوَاحة السِّنبِسى . وقبله :

أبيات الشاهد

(لَبِئس نصيبُ القومِ من أَخويهـمُ
طرادُ الحواشى واستراقُ النَّـواضِحِ
ومـا زال من قتـلى رَزَاحٍ بعـالجٍ
دمٌ ناقـعٌ أَو جاسـدٌ غيرُ ماصِـحِ
دعا الطَّيرَ حتَّى أَقبلتْ من ضرِيَّةٍ
دواعى دم مُهراقـهُ غيـر بـارحِ)
عسى طيئٌ من طيئٍ . . . . البيت

يريد بأَخويهم : صاحبيهم ، يقال يا أخا بكر ، يراد : يا واحداً

(١) ابن يعيش ٨ : ١١٨ ، ١٤٨ والمغنى ٥٣ وشرح شواهده للسيوطى ٩٦ ويس ١ : ١٠٦ ، و الحماسة ٩٥٨ بشرح المرزوقى .

منهم . والحاشية : صغار الإبل ورُذالُها . والنواضح : جمع ناضح ،
الإبلُ التى يُستسقَى عليها الماءُ ، جُعلت كأنَّها تنضح الزرع والنخل .
وطراد وما عطف عليه بدلٌ من نَصيب . يقول : إنَّهم لا يُقدمون على
القوم ، ويُغيرون على حواشيها دون جِلَّتها ، لأنَّ الصبيان يرعَوْنها . يعنى
بلغ من جُبْنهم أنْ لا يتعرّضوا للرُّعاة إلاَّ سرقةً ، يَسرِقون النَّواضح ويطردون
الحواشى ، فيرضَوْن بذلك من طلب الثَّأْر . فبئس العوض ذلك من دم
أخويهمْ . يهزأُ بهم . وهذا تعريضٌ بمن[1] وجب عليه طلبُ الدَّمِ فاقتَصَر على
الغارة وسَرقة الإبل . وفيه بعثٌ على طلب الدم . وأكَّد ذلك بقوله :
« وما زال من قتلى رَزاح إلخ » وهو براءٍ مفتوحة وزاى ومهملة : قبيلة
من خَوْلان . وقَتلى : جمع قتيل . وعالج بالجيم : موضعٌ بالبادية فيه
رمل . والدّمُ الناقع ، بالنون والقاف ، قيل : الثابت ، وقيل : الطرىّ . ٨٨
والدَّم الجاسد ، بالجيم ، قيل : القديم ، وقيل : اليابس . والماصح بالصاد
المهملة ، من مصح كمنع مُصُوحاً : ذهب وانقطع . يقول : لا يزال من
مقتولى هذه القبيلةِ بهذا المكان دمٌ طرىٌّ ويابس غير زائل . يعنى أنَّ
دماءَهم باقيةٌ بحالها مالم يَثأَروا بها ، لأنَّ غسل تلك الدماءِ إنَّما يكون
بما يُصَبُّ من دماءِ أعداهم . ولم يكتف بهذا الإغراء حتى قال : « دعا
الطيرَ » إلخ يقول : دعا دواعى دمائهم طيُورَ الأماكن البعيدة والجِبالِ
المُطِلَّة ، حتَّى أتت سباعُها وطيورُها ، وقَعَتْ عليها تأْكل منها .
ومهراقُهُ ، الهاءُ ضمير الدم . يعنى أنه مصبوبٌ فى موضعه لَم يَزُل ولم
يَحُل . قال الطَّبَرسى : ويجوز أن يريد بالمهراق الموضعَ المصبوب فيه
الدم . وفيه حثٌّ على طلب الثأْر . وضَرِيَّة : اسم بلادٍ تشتمل على بلادٍ
سميت باسم ضَرِيَّةَ بنتِ ربيعة بن نِزار ، كما قيل للماءِ الذى بين

(١) ط : « ممن » ، صوابه فى ش .

البصرة ومكة الحوءب ، كجعفر بالحاء المهملة ، سمّى[1] بالحَوْءب بنت كلب بن وَبَرة .

وقوله : (عسى طيِّء) إلخ قال المرزوقى : عسى لفظةٌ وُضعت للتَّرجى والتأْميل ، إلاَّ أنها تؤذن بأَنَّ الفعل مستقبلٌ مطموع فيه . ووضع السين بدل أنْ فى خبر عسى لاشتراكهما فى الدَّلالة على الاستقبال ، مع أنَّ السين أشهر فيها . ومعنى « عسى طيِّئٌ » : لعلَّ البطن المغاوب من هذه القبيلة فى القِتال ينتصف من البطن الغالبِ منها فيه . وقوله « بعد هذه » إشارة إلى الحالة الحاضرة بالتذكير ، الجامعة لكلّ ما ذكره . والغُلاَّت : جمع غُلَّة بالضم : حرارةُ الجوف . والمعنى : المرجوُّ من أولياءِ الدم أنْ يطلبوا الثأْر فى المستقبل وإنْ كانوا أخَّروه إلى هذه الغاية ، فتسكنَ نفوسٌ وتَبرُدَ قلوب[2] .

وكانت القبيلتان معاً من طيئ ، لأَنَّ طيئًا قبائل يكون أبدًا بينهم قتال . وطيئ بالهمزة على وزن السَّيِّد ، وقد تحذف الهمزة فيبقى كحىّ .

و(الكُلى) : جمع كُلية أوكُلوة . و(الجوانح) : الضلوع ، جمع جانحة . قال بعضهم : الغلة إنَّما تكون فى القلب ، ولكنَّه أراد المبالغة أى تُجاوِز القلبَ والكبد إلى الكلية .

وقال الخوارزمى : إن سئل أىُّ غُلَّةٍ للكُلى حتَّى أُضيفت إليها ؛ أُجيب بأَنَّ المزاج عند ورود الهمومِ والأَحزانِ عليه ، ممَّا ينفعل ويسخُن ، فإذا سخُن المزاج حمىَ البولُ واحتدَّ ، والبول ممرُّه على الكُلى ، فكأَنَّه قال : ستطفئ الغلل التى يظهر أثرُها فى البول . هذا كلامه .

(١) ش : « سميت » .
(٢) ش : « وتدبر قلوب » ، صوابه فى ط وشرح المرزوقى .

صاحب الشاهد

وقائل هذه الأَبيات شاعرٌ جاهليّ وهو (فى بعض نسخ الحماسة): قَسَام بن روَاحة ، وفى بعض آخر منها : قَسَامة بن رواحة ، بزيادة الهاء . وهو بفتح القاف وتخفيف السين المهملة . وفى كلٍّ منهما رُوى ابن رواحة السِّنبسى والعنبسى .

قسام بن رواحة

وقد أورده الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) فيمن يقال له ابن رَوَاحة قال : ومنهم قسام بن رَوَاحة العَنْبسى ، ليس له عندى فى شعراء طيِّئ ذكر . وأَنشد له الطائى (فى الحماسة): لبئس نصيب القوم، الأَبيات الأَربعة هذا ماذكره ، ولم يرفع نسبه[(١)] .

وهذا نسبُه (من جمهرة الأَنساب) قال : قسامة الشاعر ابنُ رَوَاحة ابن جُلّ بضم الجيم وتشديد اللام ، ابن حِقّ، بكسر الحاء المهملة وتشديد القاف، ابن ربيعة بن عبد رُضَى ، بضم الراء المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها ألف مقصورة ، ابنِ وَدّ بفتح الواو وتشديد الدال ، ابنِ وَدّ بضبط
٨٩ ما قبله أيضاً ، ابن مَعْن بن عَتود ، بفتح المهملة بعدها مثناة فوقيّة مضمومة ابن عُنَين[(٢)] بضم المهملة وبين النونين مثنَّاةٌ تحتية ، ابن سَلامان ابن ثُعَلَ ، بضم المثلثة وفتح العين المهملة ، ابن عمرو بن الغوث بن طيئ بن أُدد بن زيد بن يَشجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهلان بن سبأ .

ولم أَر فى نسبه لاسِنبسا ولا عَنْبسا ، والله أعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد السبعمائة[(٣)] :

---

(١) المؤتلف للآمدى ١٢٧ . وانظر أيضاً معجم المرزبانى ٣٤٠ ، وما كتبت فى حواشى الحماسة .

(٢) ش : « حنين »، صوابه فى ط وجمهرة ابن حزم ٤٠١ . وفى الاشتقاق ٣٨٧ : « عنين : فعيل من عن يعن ، إذا اعترض » .

(٣) همع الهوامع ١ : ١٢٨ والمقاييس ٦ : ١٤١ واللسان (ولى ٢٩٣) .

٧٥٢ (فعادَى بينَ هادِيتينِ منها وأَوْلَى أن يزيدَ على الثَّلاثِ)

على أنَّ (أَوْلَى) من مُرادفات كاد ولا تستعمل إلَّا مع أَنْ .

كذا قال ابن مالك (فى التسهيل)، ومثَّل له شُرَّاحه بهذا البيت .

قال ابن عقيل : عادى مِن العِداء ، بكسر العين، وهو الموالاة بين الصَّيدينِ بصرع أحدِهما على أثر الآخر فى طَلَق واحد ، ومنه قول امرئ القيس :

فعادى عداءً بين ثورٍ ونعجةٍ دِراكًا ولم يُنضَحْ بماء فيُغْسل

والهاديَةُ : أَوَّل الوَحْش ، ومنه قول امرئ القيس :

كأَنَّ دماءَ الهادياتِ بنحره عُصارةُ حِنَّاءٍ بشَيبٍ مُرجَّلِ

وقال صاحب الصحاح : أَنشد الأَصمعى هذا البيت وقال : أى قاربَ أن يزيدَ . قال ثعلب : ولم يقل أحدٌ فى أَوْلَى أحسنَ ممَّا قال الأَصمعى . اهـ .

واستظهر الشارح المحقق أن يكون أَولَى المستعملُ مع أَنْ فعلاً تامًّا متعدّياً ، وأَنْ مع منصوبه مفعولاً لأَولى ، فإنَّه بمعنى قاربَ وهو فعلٌ متعدٍّ . وإنَّما استَظْهَرَهُ للزوم أَنْ مع الفعل ، وهذا خلاف شأْن أَفعال المقاربة . وأَمَّا أولى المستعمل مع اللام فى قولهم : أَولى لك ، وأَولى له ، وأَولى لى ، فهو اسمٌ للوعيد غير منصرف للعلميَّة ووزن الفعل[1] . لا أَفعل تفضيل لأَفعلَ ، بدليل قولهم : أَولاةُ الآن[2] . وهو من الوَلْى ، وهو القُرْب . قال المبرد (فى الكامل) عند إنشاد قول الخنساء :

(١) ط : «للوعيد لا أفعل تفضيل غير منصرف للعلمية ووزن الفعل» ، صوابه فى ش .

(٢) فى اللسان (ولى ٢٩٤) : «وحكى ابن جنى : أولاة الآن ، فأنث» . قال : وهذا يدل على أنه اسم لا فعل .

هَممتُ بنفسىَ كلَّ الهُمــوم ... فأَولَى لنفسِىَ أَولَى لهــا(١)

يقول الرجل ، إذا حاول شيئًا فأَفلتهُ من بعد ما كاد يُصيبه : أَولى له . وإذا أفلت من عظيمة(٢) قال : أَولى لى . ويروى عن ابن الحَنَفيَّة رحمة الله عليه أَنَّه كان يقول : إذا مات ميّت فى جواره أَو فى داره : أَولى لى، كدت أَكون السَّوَادَ المخترم(٣) . وأَنشد لرجل يقتنصُ الصيدَ فإِذا أَفلته الصَّيدُ قال : أَولى لك . فكثر ذلك منه فقال :

فلو كان أَوْلَى يُطعم القومَ صِدتُهم
ولكنَّ أَولى يتركُ القومَ جُوَّعــا(٤) اهـ

وقال الفارسى (فى كتاب الشعر) : أَولى اسم مبتدأ ، ولك الخبر . ولا يجوز أَن يكون أفعل من كذا ، لأَنَّ أَبا زيدٍ حكى أَنّهم يقولون أَولاةُ الآن ، إذا أَوعَدُوا . فدخول علامة التأْنيث على أَفعل يدلُّك على أَنّه ليس بأَفعل من كذا ، وأَنّه مثل أَرملة وأَضحاة ، فى أَنَّه على أفعل ، لا يراد به اتصال الجارِّ به ، إلاَّ أَنَّهم جعلوا المؤنَّث فيه أَيضاً معرفة ، كما جعلوا المذكَّر كذلك ، فصار بمنزلة شىْءٍ سمّى بأَضحاة فلم ينصرف . فأَمَّا فى قوله : « أَولى فأَولى يا امرأَ القيس » فالخبر منه محذوف للعلم به . أَلا ترى أَنَّ الكلمة استعملت كثيراً فى الوعيد حتَّى صارت علماً له ، فحُذِف الخبر لذلك .

فإِن قلت : أَيجوز أَن يكون أَولى اسمًا للفعل وفيه ضمير المخاطب ٩٠
كأُفّ ووَشْكان ، ويكون « لك » فى أَولى لك لا يكون الخبرَ ولكنَّه

(١) الكامل ٧٤٠ ، وديوان الخنساء ١٢١ . وفى ط : « وأولى لها » خلافاً لما فى ش والكامل والديوان .

(٢) ط : « عظمة » ، صوابه فى ش والكامل .

(٣) فى الكامل : « كدت والله أكون السواد المخترم » . السواد : الشخص . والمخترم : الذى اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته .

(٤) فى اللسان : أصدت فلانا صيداً ، إذا صدته له ، كقولك : بغيته حاجة ، أى بغيتها له .

بمنزلة قولهم « لك » فى : هلم لك، للتبيين ، وفى سقياً لك ونحوِ ذلك ، ويكون امتناع التنوين من الدخول عليه كامتناعه على وَشكانَ ونحوِه ، لا كما امتنع من الدخول على غير المنصرف ؟

فالجواب ما قدّمناه ، من أنَّ موضع أُولى رفعٌ بالابتداء . ويدلُّ على صحَّة ذلك أنَّ أبا زيدٍ حَكَى أنهم يقولون : أُولاة الآن بالرفع ، وهذا تأنيث أُولَى . ولو كان اسمًا للفعل لم يرفع . ألا ترى أنَّك لا تجد فيما سمِّى به الفعل شيئًا مرفوعاً ، فيجعل أُولى مثله . والآنَ فى قولهم أُولاة الآن متعلِّق بمحذوف . كما تقول : الوعيد الآن . انتهى كلامه .

* * *

وأنشد بعده :

(وما كدتُ آيِبًـــا)

على أنَّه استعمل (كاد) فى الضرورة مثل كان ، فجاء خبرها مفردًا فى قوله : « وما كدت آيبًا » ، كما يجىءُ خبر كان مفرداً .

وهذا قطعةٌ من بيت ، وهو :

(فأُبتُ إلى فهمٍ وما كِدْتُ آيبــاً
وكم مثلِها فارقتُهـــا وهى تَصْفِرُ)

وتقدم الكلام عليه مشروحًا فى الشاهد السابع والثلاثين بعد الستمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٧٥٣ (قد كادَ من طُول البِلَى أنْ يَمْصَحـــا)

(١) الخزانة ٨ : ٣٧٤ – ٣٨٢ . وفى ط : «السادس والثلاثين بعد الستمائة» ، صوابه فى ش .
(٢) فى كتابه ١ : ٤٧٨ وانظر المقتضب ٣ : ٧٥ والجمل ٢١٠ والإنصاف ٥٦٦ وابن يعيش ٧ : ١٢١ والمقرب ١ : ٩٨ والضرائر ٦١ واللسان (مصح) وملحقات ديوان رؤبة ١٧٢ .

على أنَّه جاز اقتران خبر كاد بأَنْ لما ذكره .

قال سيبويه : وقد جاءَ فى الشعر كاد أن يفعل ، شبَّهُوه بعسى . قال رؤبة :

* قد كاد من طول البِلَى أَنْ يمصحا *

وقد يجوز فى الشعر أيضًا لعلِّى أن أفعَلْ ، بمنزلة عسَيت أن أفعل . ا هـ.

ومثله لابن عصفور (فى الضرائر) قال : ومن ذلك عند بعض النحويِّين دخول أَنْ فى خبر كاد . نحو قول رؤبة :

* قد كاد من طول البلى أَنْ يمصَحا *

وقول الآخر :

كادتِ النَّفسُ أن تَفيظَ عليه

إذ ثَوَى حَشْوَ رَيطةٍ وبُرودِ (١)

والصحيح أنَّ دخولها فى خبر كاد ضرورة ، إلَّا أنها ليست مع ذلك بزائدة ، لعملها النصبَ . والزائدةُ لا تعمل ، بل هى مع الفعل الذى

(١) انفرد ابن السيد فى الاقتضاب ٣٨٩ بنسبة هذا البيت إلى أبى زبيد الطائى ، فى رثاء ابن أخته اللجلاج الحارثى ، وكان قد مات عطشاً فى طريق مكة . وقصيدة البيت طويلة فى ٥٩ بيتاً نجدها فى ديوان أبى زبيد ٤٢ — ٥٦ ، والاختيارين للأخفش٥١٨ — ٥٣٥ ، وأمالى اليزيدى ٧ — ١٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٣٨ — ١٤١ . ولم أجد فيها هذا البيت . ووجدت فى هامش شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣١ أن البيت لمحمد بن مناذر شاعر البصرة . وأجدر به أن يكون لأبى زبيد الطائى المخضرم الذى يكثر الاستشهاد بشعره ، وقد جاء على لغة طيىء الذين ينطقون فاضت بالظاء المعجمة كما فى اللسان (فيظ) . وسبب اللبس أن لمحمد بن مناذر قصيدة أخرى طويلة جداً يعارض بها قصيدة أبى زبيد ويرثى بها عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، وكان قد علق به حتى انتهك ستره ، كما ذكر ابن المعتز فى الطبقات ١١٩ — ١٢٦ . وانظر الأغانى ١٧ : ٩ — ٣٠ ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥ — ٦٠ . والبيت بدون نسبة فى أدب الكاتب ٣١٤ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٢٩٧ وتأويل مشكل القرآن ٤٠٧ واللسان (فيظ) .

نصبَتْه بتأْويل مصدرٍ . وذلك المصدرُ فى موضع خبر كاد ، على حد قولهم : زيدٌ إقبالٌ وإدبار . ا هـ .

قال على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على نوادر أَبى عمرٍو الشيبانى) وكان أَبو عمرٍو والأَصمعىُّ يقولان : لا يقول عربىٌّ : كادَ أَنْ ، وإنَّما يقولون : كاد يفعل . وهذا مذهبُ جماعةِ النحويين ، والجماعةُ مخطئون . وقد جاءَ فى الشعر الفصيح منه ما فى بعضه مَقْنَع . فمن ذلك ما أَنشده ابنُ الأَعرابىّ :

* يكاد لولا سَيره أَنْ يُمْلِصا[1] *

وأَنشد هو وغيره[1] :

حتَّى تراه وبه إكــداره   يكاد أَن ينطحه إمجاره

لو لم ينفِّسْ كربَه هُرارُه

وأَنشد أَبو زيـد وغيره فى صفة كلب :

يرثم أَنفَ الأَرضِ فى ذَهابه   يكاد أَنْ ينسلَّ من إهابِه[2] ٩١

وقال بعض الرُّجَّاز :

* يكاد من طُول البِلَى أَنْ يَمصَحا[3] *

---

(١) أى يكاد أن يفلت لولا جذب سير اللجام له . والظاهر أنه فى صفة فرس .

(٢) من أرجوزة طردية لأبى نواس فى ديوانه ٢١٠ – ٢١١ . والشطر الأول مع نسبته إلى أبى نواس فى الحيوان ٢ : ٦٦ ، ويرثم : يكسر ، عنى أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه . وفى الديوان ٢١١ : « يترك وجه الأرض فى إهابه » ، تحريف . ورواية الشطر الثانى هى كذلك فى الحيوان ٢ : ٦٧ ، لكن فى الديوان ٢١٠ : « يكاد أن يخرج من إهابه » .

(٣) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٧٢ . وانظر معجم الشواهد .

وقال ذو الرُّمَّةِ :

وجدت فؤادى كاد أَنْ يستخفّه

رجيعُ الهوى من بعض ما يتذكّرُ[١] اهـ.

أقول : مرادهما بقولهما : « لا يقول عربىٌّ كاد أَنْ » : أنَّه لا يقول ذلك فى الكلام ، وأمّا الشِّعر فهو محلُّ الضرورة . فلا خطأً فى قولهما .

وأمَّا ما ورد فى صحيح البخارى : « وكاد أُميَّةُ بن أَبى الصَّلت أَن يسلم[٢] »، وجاء فى الحديث أيضاً : « كاد الفقر أن يكون كفراً[٢] »، فنادر.

صاحب الشاهد

وهذا الرجز نُسِب إلى رؤبة . وقبله :

(ربع عفا من بعد ما قد انمحَى)

وأنشده ابن يعيش :

(ربعٌ عفاه الدَّهرُ طولاً فامَّحَى)

ورواه اللَّخمى :

(ربع عفاه الدَّهرُ دأباً وامْتَحى)

ولم أَر هذا الرجز فى ديوان رؤبة .

وكذلك قال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب[٢]) ، واللخمى (فى شرح أَبيات الجمل) بأنَّهما لم يرياه فى ديوانه .

والرَّبع : المنزل حيث كان . وروى بدله : (رسمٌ) . والرسم: أَثَر الدار. وعفا يكون لازمًا كالرواية الأُولى، يقال عفا المنزل يعفو عَفْواً، وعُفوًّا،

(١) ديوان ذى الرمة ٢٢٤ ، ودرة الغواص ١٣٣ .
(٢) الاقتضاب ٣٩٦ .

وعفاء ، بالفتح والمدّ ، أى درس . ويكون متعدّيًا كالرواية الثانية. يقال عَفته الرِّيحُ أى مَحته . وامَّحى أصله انْمحى ، مطاوع محوته محوًا ، أى أزلته ، فامَّحى ، أى زال وذهبَ أثرُه . ويقال محيته محياً بالياء ، من باب نفع .

وزعم العينى أنَّ (مِنْ) فى قوله « من بعدِ » زائدة وما مصدرية ، واسم كاد ضمير راجعٌ إلى ربع . ومِنْ تعليليَّة متعلِّقة بكاد لا بيمصح ، لأنَّه صلة أَنْ . و(البِلَى) بالكسر والقصر : مصدر بلىَ الثَّوب يَبْلَى ، إذا أخلَقَ . وبَلِىَ المنزلُ ، إذا درَس . فإنْ فتحتَ الباءَ مددته . و(يَمْصح) بفتح الياء والصاد: مضارعُ مَصَح ، بفتح الصاد أيضاً . قال الجوهرىّ : مصح الشىءُ مُصُوحًا : ذهب وانقطع . قال : ومصح الثوبُ : أخلق . ولله درُّ القائل :

يا بدرُ إنَّك قد كُسِيتَ مَشابهـاً ... من وجه أُمِّ محمدِ ابنةِ صالحِ
وأراك تَمصَح فى المَحَاق ، وحُسنُها ... باقٍ على الأيَّام ليسَ بماصحِ

وهو فى الأشهر فِعلٌ لازم ، ولم يذكروه متعدّيا . وفى كثير من كتب اللغة ما يخالفه . فقد ذكره الهَرَوىُّ ، وابن شُمَيل ، والصاغانى، متعدّيا . وفى القاموس : مصح الله مَرَضَك ، أى أذهَبه ، كمَسَحَه. و (فى الذيل والصلة للصاغانى): يقال للمريض: مَصَح الله ما بك، ومسح، والصادأعلى .

وقال ابن برى (فيما كتبه على دُرّة الغوَّاص) : هذا غلطٌ لأنَّ مسح لا يتعدى إلاَّ بالباء، يقال مسحت بالشىء أى ذهبت به . فلو كان بالصاد قيل مصحالله بما بك، أى أذهبه ، فتَعَدِّيه بالباء أو بالهمزة، فيقال أَمصحَ الله ما بك ، إذ لا يقال مصحه بدون باء . ا هـ .

وهذا مأخوذٌ من الجواليقى، قال (فى تكملة إصلاح المنطق) : ما تغلط فيه العامة. ويقولون فى الدعاء للمريض: مَسح الله ما بك . وكان النَّضر ابن شُميل يقول : مصح الله ما بك، أى أذهبه، وغيره يجيز: مَسَح الله ما بك . اهـ .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : سئل أبو بكر الزُّبيدى عن قول القائل : مصح الله عنك بيمينه الشَّافية ، أَبالسِّين يكتب أم بالصاد ؟ فقال : الذى أقوله وأَعتقده وأَرويه أَنَّه بالسين لا بالصاد فإنَّ من كتبه بالصاد فإنَّما ذهب إلى قولهم مَصَح الظلُّ ، إذا ذهَبَ .
٩٢ وهو قولُ النَّضر بن شُمَيل . ولا يُلتفَتُ إليه ، لأَنَّ الصاد إنَّما استُعملت فى الظِّلِّ خاصَّة .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد السبعمائة[1] :

٧٥٤ (وقد جَعَلَتْ قَلوصُ ابنَىْ زيادٍ من الأَكوارِ مَرتَعُها قريبُ)

على أَنَّه قد جاءَ نادرًا خبر جَعَل جملةً اسمية ، وهو قوله :(مرتعها قريب) .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : أَوقع الجملةَ من المبتدإ والخبر موقعَ الجملة من الفعل والفاعل ، أَراد : وقد جعلت قلوص ابنَىْ سهيل[2] يقرُبُ مرتعها من الأَكوار ، كما قال :

(١) التسهيل ٧٩ والمغنى ٢٣٥ وشرح شواهده للسيوطى ٢٠٦ والعينى ٢ : ١٧٠ ، والتصريح ١ : ٢٠٤ والأشمونى ١ : ٢٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٣١٠ .
(٢) كذا فى إعراب الحماسة الورقة ٦٢ . وهذا مبنى على رواية للبيت : « قلوص ابنى سهيل» طبقاً لرواية أبى تمام فى الحماسة .

فقد جعلَتْ نفسِى على النَّأْىِ تنطوى

وعينى على فَقد الحبيّب تَنَـامُ[1] . اﻫ

أقول : الصواب فى التقدير : تقرب من المرتع ، بإسناد الفعل إلى ضمير القلوص ، فإنَّ جميع أفعال المقاربة لا يكون فاعلُ خبرها الفعلىّ إلاَّ ضميرَ اسمِها كما نصَّ عليه الشارح المحقق .

وقال الخطيب التِّبريزى (فى شرح الحماسة) : وقد جعلت قلوص ابنَىْ سُهيل يقرُب مرتعها من الأكوار ، أى لم تتباعد فى الرَّعى لمَّا حُطَّ رحلُها ، لما بها من الإعياء ، فبركت مكانَها . وجَعَلت ههنا بمعنى طفِقت وأقبَلَتْ ، ولذلك لا يتعدَّى . و « مرتعها قريب » فى موضع الحال . أى أقبَلَتْ قلوصُ هذين الرَّجلين قريبةَ المرتعِ مِن رحالهم .

وهذه غفلةٌ من الخطيب ، فإنَّه بعد أن قال : إنَّ جعلَتْ بمعنى طفِقت ، كيف يسوغ له أنْ يجعل الجملة حالية .

وسبقه إلى جعل الجملة حاليّةً الإمامُ المرزوقى ، وتبعهما خَضْرٌ الموصلىُّ (فى شرح شواهد التفسيرين) .

ثم قال الخطيب : قال أبو العلاء : ويروى : « فقد جعلت قلوصَ ابنَىْ سهيل » بنصب قلوص . وكثير من الناس يرفع القلوص ، وهو وجهٌ ردىءٌ ، لأنَّ القائل إذا قال جعلت وهو يريد المقاربة لم يكن بدٌّ من إتيانه بالفعل ، كما قال :

جعلتُ وما بى من جَفاءٍ ولا قِلًى   أزورُكُمُ يوماً وأهجرُكُمْ شَهْرَا

(١) فى حاشية إعراب الحماسة : « الصديق » إشارة إلى رواية أخرى هى : « على فقد الصديق » . وانظر ما كتبت فى تحقيق الحماسة بشرح المرزوقى .

وعلى ذلك جميع ما يردُ ، فإذا قال القائل جعل زيد فعلُه جميلٌ ، ولم يأْت بلفظ الفعل ، وإنَّما يحمله على المعنى ، كأَنَّه قال : جعل زيد يجمل . وأَحسن من هذه الرواية أَنْ تنصب قلوصاً ويكون فى جعلَتْ ضميرٌ يعود على المذكورة ، وليست جعلَتْ فى هذا القول فى معنى المقاربة ، وإنَّما هى صيَّرَتْ ، فلا تفتقر إلى فعل ، ويكون قوله : « مرتعها قريب » فى موضع المفعول الثانى ، كما يقال : جعلْتُ أَخاك مالُه كثيرٌ . ا هـ .

وذكر الشَّلَوبين (فيما كتب على الحماسة) أَنَّ بعضَ الناس أَجاز أَن يكون جعَل بمعنى صيَّر وحذف من جعلَتْ ضميرَ الشَّأْن ، والتقدير : وقد جعلته أَى جعلت الأَمر والشأْن[1] مرتُعها قريبٌ من الأَكوار . وأَنَّ آخر[2] أَجاز أَن يكون على إلغاءِ جعلَتْ مع تقدُّمها ، على حدِّ إجازة أَبى الحسن : ظننت عبدُ الله منطلق . ا هـ.

فإن أَراد ببعض الناس أَبا العلاءِ فلا يصحُّ نسبة حذْفِ ضمير الشأْن إليه ، فإنَّه روى بنصب القلوص على أنه مفعول أَوّل لجُعَل بمعنى صيَّر ، والفاعل ضمير المرأَة . ويرِدُ على القول الآخر أَنَّ الإلغاء لا يكون فى أَفعال التصيير ، وإنَّما يجوز فى أَفعال القلوب . ٩٣

وقد أَخطأَ العينى فى هذه الكلمة من وجهين .

الأَوّل أَنَّه قال : جعلَ هنا من أَفعال المقاربة ، وإنَّما هى من أَفعال الشروع .

والثانى : أَنَّه قال : وجُعِلت هنا على صيغة المجهول ، أُسندت إلى

(١) ش : « وقد جعلت الأمر والشأن » ، وما أثبت هو رواية ط .
(٢) فى النسختين : « آخراً » ، ووجهه ما أثبت .

قلوص . وإنَّما جعلَتْ بالبناء للمعلوم وقلوصُ اسمها ، وجملة مرتعها قريبٌ من الأَكوار فى محل نصب على أنَّه خبرها . والقَلوص : الناقة الشَّابَّة . ويروى : « ابنَىْ سُهيل » بدل « ابنَىْ زياد » . والأَكوار : جمع كُور بالضم ، وهو الرَّحل بأَداته . والمَرتع : موضع الرتوع ، وهو أكل الماشية ما شاءت . تقول : رتعت الماشية رتوعاً .

وهذا البيت أحد أبياتٍ ثلاثةٍ فى الحماسة ، تقدّمت مشروحةً فى الشاهد الثانى والخمسين بعد الثلثمائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد السبعمائة[2] :

٧٥٥ (وقد جَعَلْتُ إذا ماقمتُ يُثْقِلنى ثَوبى فأَنهضُ نَهْضَ الشَّاربِ الثَّمِلِ)

على أنَّه قد يجىءُ خبر جعل جملةً شرطيَّةً مصدَّرة بإذا . فجملة (إذا ما قمتُ يثقِلنى ثَوبى) فى محلّ نصب ، على أنه خبر جعل .

وهذا كقول همّام الرَّقاشى :

وقد جعلتُ إذا ما حاجةٌ عرضَتْ

ببابِ دارِك أَدلُوها بأَقوامِ[3]

أى أُوصلها إليك بأَقوامٍ . وكقول عبد الله بن عباس رضى الله

(١) الخزانة ٥ : ١١٩ – ١٢٢ .

(٢) المقرب ١ : ١٠١ والمغنى ٥٧٩ وشرح شواهده للسيوطى ٣٧١ والعينى ٢ : ١٧٣ والتصريح ١ : ٢٠٤ ، ٢٠٦ والهمع ١ : ١٢٨ ، ١٣١ والأشمونى ١ : ٢١٣ .

(٣) انظر البيان ٢ : ٣/٣١٦ : ٤/٣٠٢ : ٨٥ فقد أنشد الجاحظ البيت مع أبيات منسوبة إلى همام الرقاشى . على حين وردت فى الحماسة ١١٢٠ بشرح المرزوقى و ٣ : ١٢٩ تبريزى منسوبة إلى عصام بن عبيد أو ابن عبيد الله الزمانى .

عنهما : « فجعل الرجُلُ إذا لم يستطِع أن يخرُجَ أرسل رسولا[١] » .

وعلى هذا يكون ثوبى فاعل يُثْقلنى ، ويكون وقوع الجملة الشرطيّة خبرًا لجعل موقعَ الفعل المضارع نادرًا .

وقد تبع الشارحُ المحقق فى هذا ابنَ مالِك (فى التسهيل) ، قال فيه : وربَّما جاء خبر جعل جملةً اسميّةً وفعليّةً ، مصدّرةً بإذا[٢] . ولا يخفى أنَّه إذا جاز تخريجُها على ما ثبت لها لا ينبغى العدولُ عنه إلى ادِّعاءِ النُّدرة ، فإنَّه لا مانعَ من جعل يثقلنى خبراً لها ، ويكون ثوبى بدل اشتمال من التاء فى جعلْتُ ، وذلك بتقدير إذا ظرفيةً لا شرطيّة . وكذا الحال فى البيت الثانى ؛ وفى الأَثر ، ولكن فيه شذوذٌ وهو مجىءُ الماضى خبراً ، فلا يخرج هذا عن قوله سابقًا : « ويتعيَّن فى جميع أخبار أفعال المقاربة أنْ يكون فاعلُ أخبارها ضميرًا عائدًا إلى اسمها » .

وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى) قال : اشترطوا الإضمار فى بعض المعمولات . ومن ذلك مرفوع خبر كاد وأخواتِها إلاَّ عسى . ومن الوهم قولُ جماعة فى قولِ هُدبة :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه . . . . البيت[٣]

إنَّ فرج قريب اسم يكون . والصواب أنه مبتدأٌ خبره الظرف، والجملة خبر يكون[٤] واسمها ضمير الكرب ، وأما قوله :

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير فى سورة الشعراء . قال ابن عباس : « لما نزلت : وأنذر عشيرتك الأقربين، صعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر ، يا بنى عدى ، يابطون قريش. حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو » .

(٢) التسهيل لابن مالك ٥٩ — ٦٠ ، والنص فيه : « مصدرة بإذا أو كلما » .

(٣) هو الشاهد رقم ٧٥٠ فى هذا الجزء التاسع .

(٤) ش : « كان » ، تحريف .

وقد جعلت إذا ما قمت يثقلنى ثوبى ..... البيت

فثوبى بدل اشتمال من تاء جعلْتُ لا فاعل يثقلنى . ا هـ .

إلَّا أنَّ ما استثناه ابنُ هشامٍ فى عسى لم يذكره الشارح المحقق . قال ابن هشام : تقول كاد زيد يموت ، ولا تقول يموت أبوه . ويجوز عسى زيد أن يقوم أبوه ، فترفع السببىَّ . ولا يجوز رفعها الأجنبىَّ ، نحو : عسى زيد أن يقوم عمرٌو عنده . ا هـ .

وما استثناه الشارح المحقق فى كاد ، نحو : كاد زيد تخرج نَفْسُه لم يذكره ابن هشام . فأفاد كلٌّ منهما فائدةً ليست عند الآخَر . ولقد صدق القائل فى قوله :

ما حوى العِلمَ جميعاً أحدٌ لا ولو مارسَه ألفَ سَنَهْ

لكنَّ ابن مالك جوّز بقلَّةٍ فى خبر جميع هذه الأفعال أنْ يرفَعَ غير ضمير الاسم : قال (فى التسهيل) : ويتعيَّن عود الضمير من الخبر إلى الاسم . وكونُ الفاعل غيره قليل . ا هـ . ٩٤

تتمـــة

وقع فى بعض نسخ التسهيل : وربَّما جاء خبر جَعَل جملة اسمية وفعلية ، مصدّرة بإذا أو كلَّما ، وندر إسنادُها إلى ضمير الشَّأْن ودخولُ النفى عليها . ا هـ.

قال شارحة المرادى : ولم يتعرَّض المصنِّف[1] لهذه الزيادة فى شرحه . ومثال تصدُّره بكلَّما : جعلَ زيدٌ كلَّما جاء عمرٌو ضَرَبَه . ويَحتاج إلى سماع ، إلاَّ أنَّ فى صحيح البخارى : « فجعل كلَّمَا جاء ليخرج رمَى فى

(١) ش : « المص » ، وهو اختصار لكلمة «المصنف» ، وانظر تحقيق النصوص ص٥٨ .

فيه بحجر[١] » . ويمكن تمثيل المسألة الثانية بما حكاه الزاهد غلام ثعلب : أنَّه يقال : عسى زيد قائم ، برفع المبتدإ والخبر بعد عسى . فيتخرَّج[٢] على أنَّ في عسى ضمير الشأن . هذا إن جعلنا الضمير في إسنادها إلى أفعال الباب . وإن جعلناه عائداً إلى جعَل احتاج إلى سماع .

ومثال المسألة الثالثة : ما جعل زيد يتكلَّم ، وقول أنس : « فما جعل يُشير بيده إلى ناحيةٍ من السماء إلاَّ انفرجت[٣] » . ولا ينبغي أن يعود الضمير إلى أفعال الباب ، إذْ لم ينذُر دخول النفي عليها . ا هـ .

والبيت من أبيات خمسةٍ لعمرو بن أحمرَ الباهلي ، إلَّا أنَّ قافيتها رائيَّة ، لا لاميّة كما وقع في إنشاد النحويِّين . صاحب الشاهد

والأبيات رواها لعمرو المذكورِ المرزُبانيُّ (في الموشح[٤]) ، ورأيتها كذلك بخط ابنِ نُباتة السعديِّ البغدادي صاحب الخطب النباتية ، كتبها في آخر ديوان محمد بن بشير الخارجي ، ورواها عن أبي سعيدٍ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي ، وقد أقوى في بيتين منها نصَّ عليهما المرزُباني ، وهي :

(ما للكواعب يا عَيْساءُ قد جعلَتْ
تَزْوَرُّ عنِّي وتُطوَى دونيَ الحُجَرُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز (باب ما قيل في أولاد المشركين) ، وهو حديث طويل عن سمرة بن جندب .

(٢) ش : « فيخرج » .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء ، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته .

(٤) موشح المرزباني ١١٨ . والأبيات لم ترد في صلب ديوان ابن أحمر ، وإنما وردت في ملحقات ديوانه ١٨١ .

قد كنتُ فَـرَّاجَ أَبواب مغلَّقـةٍ
ذَبَّ الرِّياد إذا ما خُولِسَ النَّظرُ(١)
فقد جَعلت أَرى الشَّخصين أَربعةً
والواحدَ اثنين ممَّا بُورك النَّظَرُ(٢)
وكنتُ أَمشى على رجلين معتدلاً
فصرت أَمشى على رجلٍ من الشَّجرِ(٣)
وقد جَعلتُ إذا ما قُمتُ يُثقِلُنى
ثوبى فأَنهَضُ نَهْضَ الشارب السَّكِرِ(٤))

قوله : « ما للكواعب » استفهامٌ إنكارى ، أنكر إعراض الكواعب عنه ، وهى جمع كاعب ، وهى الشابة التى نتَأَ ثديُها وظهَر . وعَيْساءُ : اسم امرأة . وازورّ عن الشيء وتَزاور عنه : مالَ عنه . وتُطوَى بالبناء للمفعول . ودونى : أمامى . والحُجَر ، بضم ففتح : جمع حجرة . يريد أنَّهنّ لا يُقبلن علىّ ويَسدُدْن أَبوابَ الحجر أمامى .

وفرَّاج : مبالغة فارج ، من فرجت الباب من باب ضرب ، إذا فتحتَه . وذبَّ الرِّياد ، بالنصب : خبرٌ آخر لكان ، وهو بالذال المعجمة ، أى كثير الحركة والدخول والخروج . يقال فلان ذبُّ الرياد ، إذا كان لا يستقرُّ فى موضع . والرِّياد : مصدر راود يراود . وخُولس : مجهول خالس الشيء : فاعَلَ من خَلَست الشيء ، إذا اختطفتَه بسرعة على غَفلة .

(١) هذا البيت لم يرد فى الموشح .
(٢) فى الموشح : « لما بورك البصر » .
(٣) فى الموشح : « متئداً فصرت أمشى على أخرى من الشجر » .
(٤) فى الموشح : « يثقلنى ردفى » .

يريد أنَّ النساءَ كُنَّ[١] يتسارقن النَّظر إلىَّ لحسنى وشبابى ، عندما كنت خفيفَ الحركة . وجَعلتُ من أفعال الشروع . وإنَّما رأى الشخصين أربعة لضعف بصره من شيخوخته وسِنِّه . وقوله : « مما بُورِكَ النَّظر » تهكم واستهزاءٌ ببصره ، جعل ضعف بصرِه بركة ، لأنَّه يُريه الشيءَ مضاعفاً . ٩٥

وقوله : « على رجل من الشجر » أراد العصا ، فإنَّ الشيوخَ يعتمدون عليها فى المشى . ويروى : « على أُخرى من الشجر » أى على رجلٍ أُخرى من الشجر .

وقوله : « إذا ما قمت » ما زائدة وزيادتها بعد أداة الشرط جازمًا أو غير جازم مطّردةٌ ، حتَّى نظمها بعضُهم بقوله :

خُذْ لك ذى الفـــائده   « ما » بعد إذا زائده

وزعم العينى أنَّ ما مصدرية ، وأنَّ التقدير حين قيامى . وقوله : « يثْقلنى » من أثقله الشيءُ : أجهدَه وأتعبه بجَعلِهِ ثقيلا . وقوله : «فأَنهض» معطوف على يثقلنى ، فهو خبر بعد خبر ، لا على جعلت كما زعم العينى ، لوجهين : أحدهما أنَّ النهوض على هذا الوجه مسبَّب عن إثقاله الثَّوب لا عن الشَّروع فى القيام . وثانيهما : تناسُب المتعاطفَين فى المضارِعيَّة[٢] وفى السببيَّة : فإنَّ كلاًّ منهما سببٌ للآخر .

وزعم العينى أنَّ التحقيق فيه أنَّه أقام السبب ، وهو الإثقال ، مقامَ المسبَّب ، وهو النهوض نهْضَ الشَّارب . هذا كلامه .

---

(١) ط : « كانوا » ، ش : « كانوا كن » مع وضع خط فوق « كانوا » إشارة إلى خطأ النسخة .

(٢) ش : « فى المضارعة » .

وأنهض : أقوم ، وله مصدران أحدهما ما فى البيت . والثانى النهوض . ونَهْض الشارب صفةُ مفعولٍ مطلق نائبٍ عنه ، أى فأنهض نهضاً كنهض الشارب . وقال العينى : نَهْضَ الشارب منصوبٌ على الإطلاق وهذا لا معنى له ، وكأنَّه يريد على المفعول المطلق . والسَّكِرُ ، بكسر الكاف: صفة مشبهة من السُّكر . وكذلك الثَّمِل بكسر الميم صفة مشبَّهة ، وهو الذى أخَذ منه الشرابُ قُواهُ .

وقافية هذا البيتِ والذى قبله فيهما إقواءٌ ، بخلاف ما قبلهما ، فإنَّ قافيته مرفوعة .

وعمرو بن أحمرَ الباهلىُّ شاعرٌ إسلامىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأربعمائة[1] .

وقال العينى : قائل البيت الشاهِد أبو حَيَّة النَّمرى . وقد نُسِب للحكم بن عبدلٍ الأعرج الأسدىّ . وليس بصحيح لأنَّه لا يوجد فى ديوانه .

ويروى الشطر الثانى: « فقمت قيام الشارب السَّكِر » . وممن رواه هكذا الجاحظُ (فى باب العُرجان من كتاب الحيوان له[2])، ونسبه لأبى حيَّة النمرى هكذا[3] :

(١) الخزانة ٦ : ٢٥٧ — ٢٥٨ .

(٢) الحيوان ٦ : ٤٨٣ — ٤٨٤ . وكلمة « له » ساقطة من ط .

(٣) ط : « لأبى حية النمرى» له هكذا ، تحريف .

وقـــد جعلتُ إذا ما قمتُ يوجعنى
ظَهرى فقمتُ قيامَ الشَّاربِ السَّـــكرِ
وكنت أمشى على رجلىَّ معتدلا
فصرتُ أَمشِى على أُخرى من الشَّجَرِ (١)

(١) فى الحيوان والموشح : « على رجلين معتدلا » .

فعل التعجب

أنشد فيه :

(يا ما أُمَيْلِحَ غِزْلانًا شَدَنَّ لَنَا)

تمامه :

(من هؤليَّائِكنَّ الضَّالِ والسَّمُرِ)

وتقدَّم الكلام عليه فى خواصّ الاسم من أَول الكتاب[١] :

قيل إنَّ هذا البيت من أَبياتٍ لعلىّ بن محمد المغربى[٢] . وهو متأَخِّر ، له قصيدة فى مدح على بن عيسى وزير المقتدر[٣] . وقتِلَ المقتدر فى شوَّال سنة عشرين وثلثمائة .

وإِنَّما أَراد التشبُّه بكلام العرب . فلا يصحُّ الاحتجاجُ به .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد السبعمائة[٤] :

٧٥٦ (ونأْخُذْ بَعْدَهُ بذِناب عيشٍ أَجبّ الظَّهرَ ليس له سَنامُ)

على أَنَّ نصب (الظهر) على التشبيه بالمفعول به . ٩٦

أَقول : روى ابنُ الناظم وغيرُه (الظهر) فى هذا البيت على ثلاثة أَوجه :

---

(١) الخزانة ١ : ٩٣ - ٩٩ .

(٢) فى الخزانة ١ : ٩٨ : « العرينى ».

(٣) ط : « ابن المقتدر » ، صوابه فى ش ، ومما سبق فى ١ : ٩٨ .

(٤) التكملة من ش . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ١٠٠ والمقتضب ٢ : ١٧٩ وابن الشجرى ٢ : ١٤٣ والإنصاف ١٣٤ وابن يعيش ٣ : ٤/٥٧٩ : ٦/٥٣٤ : ٨٣ ، ٨٥ والأشباه والنظائر ٣ : ١٣٦ والأشمونى ٣ : ١١ ويس ٢ : ٨٠ وديوان النابغة ٧٥ .

الأَوَّل بالنصب ، وهو ضعيف كما قال الشارح المحقق . وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : ونصب الظهر كنصب الوجه فى : مررت برجل حسنٍ الوجهَ ، وهى لغة فصيحة على التشبيه بالمفعول . ومنهم من جعله نصباً على التمييز ، ولا حاجة إليه لكونه معرفة ، والتمييز المنصوب إنَّما يكون بالنكرة . وفيه ردٌّ على من قال إنه تمييز ، كالبيضاوى ، فإنَّه استشهد به عند قوله تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ سَفِهِ نَفْسَه[1] ﴾ قال : نفسه منصوب على التمييز ، كالظهر فى البيت .

الثانى : رفع الظهر على الفاعليَّة .

الثالث : خفضه بإضافة أَجبّ إليه .

وأَما (أَجبّ) فهو مجرور لا غير . قال ابن الحاجب : وأَجبّ مخفوضٌ علامةُ خفضه الفتحة ، صفةٌ لذِنابٍ أَو عيش . والفتح إنَّما هو على رفع الظهر ونصبه ، وأَما على جرِّه فأَجبَّ مجرور بالكسرة للإضافة . وأَمَّا قطعُه إلى الرّفع على أَنَّه خبر لمبتدإٍ محذوف ، أَو إلى النصب بتقدير أَعنى ، فلا يجوز ، لأَنَّ قطع النَّكرة غير الموصوفة نادر.

وقد خلط العينىُّ ونسب إلى ابن الناظم ما لم يُقلْه . قال : الاستشهاد فى قوله أَجبّ الظَّهر ؛ فإنَّه يجوز فيه ثلاثة أَوجه : الأَوَّل : أَجبُّ الظهرَ برفع أَجب ونصب الظهر . وهذا من أَقسام الضعيف، وهو على تقدير : هو أَجب .

الثانى : نصب أَجبّ على الحالية ورفع الظهر .

والثالث : جرّ أَجب على الصفة لعيش ، وجر الظهر على الإضافة .

(١) الآية ١٣٠ من سورة البقرة .

هذا كلامه، وتبعه على هذا خَضْرٌ الموصلى (فى شرح أبيات التفسيرين).

وأنشده سيبويه بنصب الظهر بأجب على أنَّ فى أجب تنوينًا مقدَّرًا ولم يظهَر، لأنَّه لا ينصرف.

والبيت من أبياتٍ للنابغة الذبيانى، وهى:

أبيات الشاهد

(أَلَمْ أُقسِمْ عليكَ لَتُخبرنِّى ... أمحمولٌ على النَّعش الهُمامُ

فإنِّى لا أَلومُك فى دخولٍ ... ولكن ما وراءَكَ ياعصامُ

فإنْ يَهلِكْ أَبو قابوسَ يهلِكْ ... ربيعُ النَّاسِ والشَّهرُ الحرامُ

ونأْخُذْ بعدَه بذِناب عيشٍ ... أجبَّ الظهر ليس له سَنامُ)

ومن حديث هذه الأبيات أنَّ النابغة كان عند النعمان ملك العرب بالحيرة، كبيرًا عنده، خاصًا به، وكان من نُدمائه وأهل أُنْسِه، فحُسِد على منزلته منه، فاتَّهموه بأمرٍ ذكرناه فى مواضعَ من هذا الكتاب[1]، فغضب عليه النعمان وأرادَ البطش به. وكان للنعمان بوّابٌ يقال له عِصامُ بن شَهْبَرٍ الجرمى، قال للنابغة: إنَّ النُّعمانَ مُوقِعٌ بك فانطلقْ! فهرب النابغة إلى ملوك غسَّانَ ملوكِ الشام، فكان يمدحُهم وتركَ النُّعمان، فاشتدَّ ذلك عليه، وعرَف أنَّ الذى بلغه كذِبٌ. فبعث إليه: إنَّك لم تعتذر من سَخطةٍ إن كانتْ بلغَتْك، ولكنَّا تغيَّرنا لك عن شىءٍ ممَّا كنا لك عليه، ولقد كان فى قومك ممتنَعٌ وحِصنٌ، فتركتَهُ ثم انطلقتَ إلى قومٍ قَتلوا جَدِّى، وبينى وبينهم ما قد علمت. وكان النُّعمان وأبوه وجدُّه قد أكرموا النابغة وشرَّفوه وأعطَوْه مالاً عظيما. وبلغ النابغةَ أنَّ النعمان ثقيلٌ من مرض أصابَه حتَّى أُشفِقَ عليه منه، فأتاه النابغة فألفاه محمولاً على رَجُلين يُنقَل ما بين الغَمْر وقصوره التى بين الحِيرة،

(١) انظر منها الخزانة ٢ : ١٣٦ .

٩٧ فقال لِبوَّابِهِ عصام :

أَلم أُقسم عليك لتخبرَنِّى ...... الأَبياتَ المذكورة .

قال أَبو عبيدة : كانت ملوكُ العرب إذا مرِض أَحدُهم حملتْه الرجال على أَكتافها ، يتعاقبونه ، لأَنَّه عندهم أوطأُ من الأَرض . فعافاه الله وعَفا عن النابغة .

قال حسان بنُ ثابت : وفدتُ إلى النعمان فحسَدتُ النابغة على ثلاثٍ لا أَدرى على أَيَّتهنَّ كنتُ أَحسِدُ : أَعلى إدناء النُّعمان له بعد المباعدة ومسايرته له وإصغائِه إليه(١) ، أَو على جودة شعره ، أَو على مائة بعير من عصافيره أمر له بها ؟

قال أَبو عبيدة : قيل لأَبى عمرو : أَمِنْ مخافته امتدحَه وأَتاه بعد هربه منه ، أَم لغير ذلك ؟ قال : لا لعمر الله ، ما لمخافته فَعَلَ ، إنْ كان إلاَّ آمنًا من أَن يوجِّه إليه النعمان جيشاً . وما كان النابغة يأْكلُ ويشرب إلاَّ فى آنية الذهب والفِضَّة ، من عطايا النُّعمان وأَبيه وجَدّه ، ولا يستعمل غير ذلك .

وقوله : « أَلم أَقسِمْ عليك(٢) » إلخ هو استفهام تقريرىّ ، وقوله « لتخبرنِّى » جواب القسم وقوله : « أَمحمول » إلخ خبر مقدَّم والهُمام مبتدأٌ مؤخَّر ، والجملة فى موضع المفعول لتخبرنِّى . والتحقيق أَنَّ الواقع مفعولاً محذوف مضاف إلى هذا الاستفهام ، والتقدير : جواب هذا الاستفهام . والنعش : السَّرير ، كان الرِّجال يحملونه على سريره فى مرضه .

---

(١) ش : « وإصغاؤه » ، تحريف .
(٢) فى النسختين : « ألم أخبرك » ، والوجه ما أثبت .

وقال العينى : وقيل معنى أَمحمولٌ على النعش ، أى هل مات فحُمِل على النَّعش أم لا ؟ انتهى .

(أقول) : هذا كلامُ من لم يصل إلى العُنقود .

والهُمام : الملك العظيم الهمّة .

وقوله : « فإنِّى لا أَلومُك » إلخ : لا أَلومك فى تركك الإِذْن لى فى الانتهاء إلى الملك ، ولكن أَخبِرْنى بكُنْه أَمره . ورواه العينى :

* فإنِّى لا أُلامُ على دخول *

وقال : أى لا أُلام على ترك الدخولِ عليه ، لأَنِّى محجوب لا أَصِلُ إليه لغضبه علىَّ . وهذا خلاف ما رَوَاه الناس .

وقوله : « ما وراءَك يا عصام » صار مثلاً عند العرب ، وأورده الزمخشرى (فى أَمثاله[1]) قال فيه : هو من قول النابغة ، يضرب فى الاستخبار عن الشىء ، وهو عِصام بن شَهْبَر الباهلىّ حاجبُ النُّعمان . ومن شعر عصام هذا :

نفسُ عِصامٍ سوَّدتْ عصاما وعلَّمته الكرَّ والإقداما
وجَعَلَتْهُ ملكًا هُماما

والبيت الأَوّل من هذا مثلٌ أَيضاً ، يضرب لمن شرُف بنفسه لا بآبائه .

وفى الأَمثال أَيضاً : « كن عصاميًّا ولا تكن عظاميًّا » ، أَى افتخرْ بنفسك لا بعظام آبائك البالية .

---

(١) المستقصى للزمخشرى ٢ : ٣٣٤ .

قال الزمخشرى : وهو عصامُ الخارجى ، وإنَّما سمته العرب خارجيًّا لأَنَّه خرج عن غير أَوّليّةٍ كانت له .

ويحكى أَنَّ الحجَّاجَ ذُكِر عنده رجلٌ بالجهل، فأَراد اختباره فقال : أعظامىٌّ أَم عصامىٌّ ؟ أَراد : أَشرُفتَ بآبائك الذين صاروا عظاماً أَم بنفسك ؟ فقال الرجل : أَنا عصامىٌّ عِظامىٌّ . فقال الحجاج : هذا أَفضلُ الناس ، فقضى حوائجَه ومكث عنده ، ثم فتَّشه فوجده أَجهلَ الناس ، فقال له : تَصدُقُنى أَو لأَقتلنَّك ، كيف أَجبتنى بما أَجبتنى حين سأَلتك عما سأَلتك ؟ قال : لم أَعلم أَعصامىٌّ خيرٌ أَم عظامىٌّ ، فخشِيت أَن أَقول أَحدَهما ، فقلت كليهما ، فإنْ ضرَّنى أَحدُهما نفعنى الآخر . فقال الحجاج عندَ ذلك : « المقاديرُ تُصيِّر العيَّ خطيباً » .

وقوله : « فأَن يهلك أَبو قابوس » إلخ هو كنية النعمان ، وقابوس :
٩٨ معرَّب كاووس ، كطاوس ، اسم أَحدِ ملوكِ الفرس . وقوله : « ربيع الناس » إلخ يريد أَنَّه كان كالربيع فى الخصب لمجتدِيهِ ، وكالشَّهر الحرام لجاره ، أَى لا يُوصَل إلى مَنْ أَجاره كما لا يوصل فى الشهر الحرام إلى أَحدٍ . والمعنى : إنْ يمت النُّعمان يذهبْ خيرُ الدُّنيا عنها ، كانت تعمَرُ به ، وبجوده وعَدْله ونفعِهِ للنَّاس . ومن كان فى ذمّته وسلطانه فهو آمنٌ على نفسه مَحْقُون الدم ، كما يأْمن الناس فى الشهر الحرام على دماهم وأَموالهم . وروى بدله : « والنَّعمُ الرُّكام » بالضم ، أَى المتراكمة .

وقوله : « ونأْخذ بعده » إلخ الذِّناب والذِّنابة بكسرهما ، والذُّنابى بالضم والقصر : الذَّنَب . قال الشنتمرىّ : المستعمل للبعير ونحوِه الذَّنَب ، وللطَّائر الذُّنابى ، وللعَين ونحوها الذِّنابة ولما لا خَير فيه . والأَجبُّ بالجيم : الجمل المقطوع السَّنام ، والسَّنام : حدَبة البعير ، يقول : إن مات بقينا

فى طرفِ عيشٍ قد مضَى صدرُه ومُعظمُه وخَيره ، وقد بقِى منه ذنبُه ، ويكون العيش كبعيرٍ قد جُبَّ سَنامُه . يريد: صار الناسُ بعده فى أسوإ حالٍ وأضيق عيش وذُلّ ، وتمسَّكوا منه بمثل ذنب بعير أجبّ الظَّهرِ . والسَّنامُ يستعار كثيراً للعزّ، حتى كأنّه غلب فيه .

وقد أورَدَ أبو القاسم الزجّاجيُّ هذه الأبياتَ الثلاثة (فى أماليه الصُّغرى والوُسطى[1]) وقال فيهما : أمَّا عصامٌ فحاجب النعمان . يقول : لا أَلومك إن منعتَنى من الوصول إليه ، ولكن عرِّفنى خبرَه . وكان الملكُ إذا مرض يُجعَل فى سريرٍ ويُحمَل على أكتاف الرجال ، يعلَّل بذلك[2] ويقولون: هو أَرفَهُ له. وأمّا قوله : ونأْخذ بعده، فيجوز فيه الرفعوالنصب والجزم . أمَّا الجزم فعلى العطف على قوله يهلك ربيعُ الناس . والرَّفع على القطع والابتداء، والنصب بالصرف على إضمار أنْ . وكذلك كلُّ معطوفٍ بعد جواب الجزاءِ من الأفعال المستقبَلة ، تجوز فيه هذه الأوجه الثلاثة .

وقوله « أجَبّ الظهر » يعنى مقطوع الظهر . وهذا تمثيلُ تشبيه . ويروى : « أجبِّ الظَّهرِ » بخفضهما جميعاً على إضافة أجبّ إلى الظهر ، ويروى : « أجبَّ الظَّهرَ » بفتح أجبّ ونصب الظهر على أنْ يكون موضع أجبَّ خفضًا ولكنَّه لا ينصرف ، وبنصب الظهر على التشبيه بالمفعول به ويضمر فى أَجبّ الفاعل ، كأَنه قال : أجبّ الظهر بالتنوين ، ثم منعه من التنوين لأَنَّه لا ينصرف ، وهو فى تقدير قولك : مررت برجلٍ حسنٍ الوجهَ ، وكثيرٍ المالَ، وطيّبٍ العيشَ. ويروى: «أَجبَّ الظهرُ» على أَنَّه فى موضع خفض ورفع الظهرُ به ، كأَنه قال : أَجبّ ظهرُهُ ، فأَهل الكوفة

---

(١) انظر ملحقات أمالى الزجاجى ٢٢٣ — ٢٢٤ .

(٢) التعليل : الترفيه والتلهية .

يجعلون الألف واللام عقيب الإضافة ، وأهل البصرة يضمرون ما يعلّق الذكر بالأوّل ، وتقديره عندهم : أجبُّ الظهرِ منه . انتهى .

وتقدَّمت ترجمة النابغة الذبيانى فى الشاهد الرابع بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٧٥٧ (ولله عَينا حَبْترٍ أَيَّما فتى)

على أنَّه قد يستفاد من الاستفهام معنى التعجُّب كما هنا فإنَّ فيه معنى التعجب من الفُتُوَّة كما تقول : أى رجل زيد ؟ وقد تضمَّنت أىّ معنى المدح والتعجبِ الذى تضمَّنته نِعْمَ وحبَّذا .

وأىّ إذا أُضيفت إلى مشتقٍّ من صفة يمكن المدح بها كانت للمدح
٩٩ بالوصف الذى اشتقّ منه الاسم الذى أُضيفت إليه . فإذا قلتَ : مررت بفارسٍ أىِّ فارس، فقد أثنيتَ عليه بالفروسيّة خاصَّةً [٣] . وإن أُضيفت إلى غير مشتقٍّ فهى للثناء عليه بكلِّ صفةٍ يمكن أن يثنى عليه بها [٤] ، فإذا قلت مررت برجل أىِّ رجلٍ فقد أثنيت عليه ثناءً عامًّا فى كلِّ ما يُمدح به الرّجل .

قال سيبويه : وسألته – يعنى الخليل – عن قوله :

---

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٠٢ . وانظر الكامل ٧٣٥ والعينى ٣ : ٤٢٣ والهمع ١ : ٩٣ والدرر ١ : ٧١ والأشمونى ١ : ١٦٨/٢ : ٢٦٢ والحماسة بشرح المرزوقى ١٥٠٢ وبشرح التبريزى ٤ : ٧٥ .

(٣) ط : « الخاصة » .

(٤) ط : « يثنى عليها » .

فأَومأْتُ إيماءً خفيًّا لحبترٍ ولله عينا حَبْتَرٍ أَيُّمَا فتى

فقال : أَيُّما تكون صفة للنكرة ، وحالاً للمعرفة ، وتكون استفهامًا مبنيًّا عليها ومبنيّة على غيرها ، ولا تكون لتبيين العدد ، ولا فى الاستثناء نحو قولك: أتونى إلّا زيدًا . ألا ترى أنّك لا تقول له: عشرون أيّما رجلٍ ولا أتونى إلاّ أيّما رجل . والنصبُ فى مثله رجلًا كالنّصب فى عشرين رجلاً . فأيّما لا تكون فى الاستثناء ، ولا يختصّ بها نوعٌ من الأنواع ، ولا يفسَّر بها عدد . وأَيُّما فتًى استفهامٌ. ألا ترى أنّك تقول: سبحان الله مَن هو وما هو ؟ فهذا استفهامٌ فيه معنى التعجُّب . ولو كان خبرًا لم يجز ذلك ، لأنّه لا يجوز فى الخبر أنْ تقول من هو وتسكت . انتهى.

قال النحاس : قد فسَّر الخليل أيّما بقوله تكون صفة للنكرة ، كقولك مررت برجل أيّما رجل ، وحالاً للمعرفة ، أى إنْ شئت رويت:

* فلله عينا حبتَرٍ أيّما فتًى *

بالنصب ، أى كاملاً[1] . ومبنيًّا عليها ، كقولك أيّما رجل ، ومبنيَّة على غيرها ، نحو زيد أيُّما رجل ، ولا تكون لتبيين العدد ولا فى الاستثناء ، لأنّها لم تقو فى الصفات . على أنّ الأخفَش قد أجاز ذلك . انتهى .

وقال الأعلم : رفع أيُّما بالابتداء والخبر محذوف ، والتقدير: أىُّ فتى هو ، وما زائدة مؤكّدة . وفى أىّ معنى المدح والتعجُّب. وصَف أنّه أمرَ ابنَ أُختٍ له يقال له حبتر ، بنحر ناقة من أصحابه ، لأنّه كان فى غير محلّه ليُخلِفها عليه إذا لحقَ بأهله ، وأومأَ إليه بذلك حتّى لا يشعر به أحد ، ففهم عنه وعرف إشارته لذكائه وحدَّة بصرِهِ . والإيماءُ . الإشارة بعينٍ أو يدٍ . انتهى .

---

(١) يعنى فتى كاملا .

وروى المبرد (فى الكامل) الرفع والنصب فى أيما فتى فى البيت ، قال عند الكلام على قول ليلى الأَخيَليّة :

نظرتُ وركنٌ من بُوانةَ دُوننا وأركان حِسْمَى أيُّ نظرةِ ناظرِ

قولها : « أىّ نظرة ناظرٌ » يصلح فيه الرفع والنصب على قوله : نظرت أىَّ نظرة وأيَّة نظرة ، وأيَّتما نظرة وأيَّما نظرة ، كما تقول : مررت برجل أيِّما رجل . وتأْويله : برجل كامل . فأَيّما فى موضع كامل ، وتقول : مررت بزيدٍ أَيّما رجل على الحال . ومن قال أىُّ نظرة هى فعلى القطع والابتداء ، والمخرج مخرج استفهام ، وتقديره أىُّ نظرة ؟ كما تقول : سبحان الله أىُّ رجل زيد .

وهذا البيتُ ينشَدُ على وجهين :

فأَومأْت إيماءً خفيًّا لحبتَر ولله عينا حَبْتَر أَيَّما فتى

و « أيُّما » إن شئتَ على ما فسَّرنا . انتهى كلامه .

وقد أنشده ابن مالك (فى باب الموصول من شرح التسهيل) بنصب أَيَّما على أَنَّه حال من حبتر . وأنكره أَبو حيان (فى شرحه) وقال : أَصحابُنا أنشدوه بالرفع على أَنَّه مبتدأٌ أَو خبر مبتدإٍ ، وقدَّروهُ أىَّ فتى . ولم يذكر أَصحابنا كون أىّ تقع حالا ، وإنَّما ذكرُوا لها خمسة أَقسام : موصولة ، وشرطية ، واستفهامية ، وصفةً لنكرة ، ومنادًى . ١٠٠

هذا كلامه على ما ذكره العينى ، وما نقلناه من كلام الأَئمة يردّ عليه .

وقول المرادى (فى شرحه) تبعًا لأَوّل كلام أَبى حيّان : أَنشده المصنف بنصب أىّ على الحال ، وأَنشدَهُ غيرُه بالرفع ، يردُّه رواية المبرِّد وغيرِه .

ولا أكاد أقضِى العجبَ من قول العينى : الاستشهاد فيه أنَّ أيًّا فيه صفة ، وقد عُلِم أنَّه صفة لمعرفة وحالٌ من نكرة [١]، ولا يضاف إلاَّ إلى نكرة . انتهى .

وهذا من نمط اختراع الخراع [٢] الذى صنعه الصفدى [٣] وقَصد به التحميض [٤] .

والبيت من قصيدة للراعى النميرى ، وأورد منها أبو تمام (فى الحماسة) ثلاثة عشر بيتاً ، وكان نزل بالرَّاعى رجلٌ من بنى كِلابٍ فى ركبٍ معه ليلا فى سَنةٍ مُجدبة ، وقد عَزَبتْ عنِ الراعى إبِلُه ، فأَشار إلى حبتر بخِفْية ، فنحرَ لهم ناقة وأَحلَّهم ، وصبَّحت الراعىَ إبلُه فأَعطَى ربَّ الناقة ناقة مثلها ، وزاده ناقة ثنيَّةً ، فقال هذه القصيدة فى هذه القضيّة .

وهجاه بعضهم فى نحرِ ناقةِ ضيفه بأَبيات ، وأَجاب عنها الراعى بقصيدةٍ ، والجميع مذكورٌ فى باب الهجاء من الحماسة .

قال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : حبتر بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة وفتح المثناة من فوق هو ابن أخى الراعى ، ومعناه فى اللغة القصير من الناس ، وإنَّما رَسَمَ له عرقَبتَها فى السِّرِّ بعد أن اختارها ، مخافة أن يمتنع صاحبُها بما همَّ به فيها . وقوله: ولله عينا حبتر، اعتراضٌ . وإذا عظَّموا الشىء نسبوا مِلْكه إلى الله تعالى. وأَيُّما فتى

---

(١) فى النسختين : « عن نكرة » ، وأثبت ما فى العينى .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) ش : « الصغدى » ، بالغين المعجمة .

(٤) التحميض ، من الإحماض ، وهو الأخذ فى ملح الكلام والحكايات ، ويقال أحمض القوم إحماضاً ، إذا أفاضوا فيما يؤنسهم .

ينشد بالرفع والنصب ، فالرفع على تقدير أيّما فتى هو . والنصب على الحال . انتهى .

وترجمة الراعى تقدّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد السبعمائة(٢) :

٧٥٨ (وقد وجدتَ مكانَ القولِ ذا سَعَةٍ
فإنْ وجــدتَ لسانًا قائلاً فقُلِ)

لما ذكره من معنى أحسِنْ ، أى صِفْه بالحسن كيف شئت . فإنَّ فيه منه كلَّ ما يمكن أن يكون فى شخص. كالبيت : فإنَّ معناه وجدتَ مكانًا للقول بكثرة ما فيه من المناقب ، فإن كان لك لسانٌ قائل فَقُلْ ما شئت ، أى فلستَ تحتاج فى شىء غائب إلى مدحه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للمتنبِّى مدح بها سيفَ الدولة . وقبله :

(والمدحُ لابن أَبى الهيجاء تُنجــده
بالجاهليَّة عَينُ العِىِّ والخَطَــلِ(٣))

تُنجده : تعينه . والخطَل : اضطراب القول . وهذا تعريضٌ بأبى العباس النّامى(٤) ، فإنّه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين

---

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .
(٢) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢ : ٦٩ .
(٣) الرواية فى الديوان : « عين الغى » بالغين المعجمة المفتوحة ، وهو الضلال .
(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمى المصيصى ، المعروف بالنامى ، شاعر رقيق الشعر من أهل المصيصة ، ثغر قريب من طرسوس ، اتصل بسيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبى فى المنزلة والرتبة . وله أمال أملاها بحلب . وكانت له مع المتنبى معارضات اقتضاها اجتماعهما فى حلب وقربهما من سيف الدولة . مات فى حلب سنة ٣٩٩ . وفيات الأعيان ١ : ٣٨ — ٣٩ .

كانوا فى الجاهليَّة . يقول : إذا مدحته وأعنته بذكر آبائه الجاهليِّين كان ذلكَ عينَ العِىِّ ، ثم وضَّح[(١)] هذا المعنى وتمَّمه بقوله :

(ليتَ المدائحَ تستوفى مناقبَه فما كليبٌ وأَهلُ الأَعصُرِ الأُوَلِ)

أَى ليت ما مدح به من الشعر استوفَى ذكر مناقبه ، ومتى يتفرَّغ الشعر لذكر كليب وأَهل الدُّهور السابقة[(٢)] .

(خُــذْ ما تراه ودَعْ شيئًا سمعتَ به
فى طلعةِ الشَّمس ما يُغْنِيكَ عن زُحَلِ)

يقول : امدحْه بما تشاهده واترك ما سمعتَ ، فإنَّ الشمس تغنيك عن زُحَل . وجعله كالشمس وآباءه كزُحَل . والمعنى : فيما[(٣)] قُربَ منك ١٠١
عِوضٌ عمَّا بعد عنك ، لا سيَّما إذا كان القريبُ أَفضلَ من البعيد.

(وقد وجدت مكان القول ذا سعة . . . . البيت)

وترجمة المتنبي تقدَّمت فى الشاهد الحادى والأَربعين بعد المائة[(٤)] . وهذا البيت إنَّما أَورده لتنظير معنًى بمعنًى .

---

(١) وضح ، سقطت من ش ، وكتب الشنقيطى فى هامشها بدلا منها « أكد » مع وضع علامة إلحاق .

(٢) العكبرى : « أدخل ما على من يعقل لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه » ثم قال : « فما كليب وسائر الملوك الأولين عند ما خلده من الفخر وأبقاه من المكارم » . وكليب بن ربيعة مضرب المثل فى العزة عند العرب ، يقولون : « أعز من كليب وائل » .

(٣) فى النسختين : « فما » ، والوجه ما أثبت من شرح العكبرى .

(٤) الخزانة ٢ : ٣٤٧ . وفى ش : « الواحد والأربعين بعد المائة » .

أفعال المدح والذم

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد السبعمائة[(١)] :

٧٥٩ (نَعِمَ السَّاعُون فى الأَمْرِ المُبِرّْ)

على أنَّ طَرَفة استعمل نَعِم على الأَصل ، بفتح النون وكسر العين.

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة يحيى بن وثَّاب : ﴿ فنَعِمَ عُقْبى الدَّار[(٢)] ﴾ : أَصل قولنا : نِعْم الرجُل زيدٌ : (نَعِمَ) كَعِلم . وكلُّ ما كان على فَعِل وثانيه حرفٌ حلقى فلهم فيه أَربعُ لغات ، وذلك نحو فَخذ ونَغِر[(٣)] بفتح الأَول وكسر الثانى على الأَصل . وإن شئتَ أَسكنتَ الثانىَ وأَقررت الأَوّل على فتحِهِ . وإن شئت أَسكنت ونقلت الكسرة إلى الأَوّل . وإن شئت أَتبعت الكسرَ الكسر . وكذلك الفعلُ ، نحو ضَحِك ، وإن شئت ضَحْك ، وإن شئت ضِحْكَ ، وإن شئت ضِحِك . فعلى هذا القول نَعِم الرجل ، وإن شئت نَعْم ، وإنْ شئت نِعْم . وإن شئت نِعِم . فعليه جاءَ : ﴿ فنعم عُقبىَ الدار ﴾ : وأَنشدنا أبو علىٍّ لطرَفة :

(ففداءٌ لبنى قيسٍ علَى ما أَصابَ النَّاسَ من سُرٍّ وضُرّْ
ما أَقلَّتْ قدمى إنَّهمُ نِعِمَ السَّاعون فى الأَمرِ المُبِرّْ)

وروينا عن قطرب : نَعِيمَ الرجل زيد ، بإشباع كسرة العين وإنشاء

---

(١) المقتضب ٢ : ٣٠ والمحتسب ١ : ٣٥٧ والإنصاف ١٢٢ وابن يعيش ٧ : ١٢٧ والهمع ٢٠ : ٨٤ ، وديوان طرفة ٧٣ .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرعد .

(٣) فى النسختين : « ومعز » ، تحريف . وليس فى المعز لغة بهذا الضبط وإنما المعز ، بالفتح ، وبالتحريك فقط ، كما يقال المعزى والمعزاء والمعيز والأمعوز والمعاز ، كما فى اللسان والقاموس . ونص المحتسب : « نحو فخذ ومحك ونغر » . والنغر : الغضبان والغضبان : وهو من نغرب القدر تنغر ، إذا غلت .

ياءٍ بعدها، كالمطافيل والمساجيد[1]. ولابدَّ من أن يكون الأَمر على ماذكرنا لأَنَّه ليس فى أَمثلة الأَفعال (فَعِيلَ) البتَّة ، انتهى .

وقد بسط القول على نعم وبئس ابن الأَنبارىّ (فى مسائل الخلاف) ، وابن الشجرى (فى المجلس الستين من أماليه)، وقيَّد قراءة يحيى بن وثَّاب بفتح الفاءِ وسكون العين .

وقوله : « ففداءٌ لبنى قيس » إلخ قال شُرَّاح أَبيات المفصل وغيره : أى أَنا فداءٌ لهذه القبيلة . والسُّرُّ والضُّرُّ بضمهما : السَّرَّاءُ والضَّرَّاءُ . وما : دَوَامِيَّة . والإِقلال : الرَّفع . وقَدَمى فاعل أَقلَّت . ورُوِى : «قدماىَ» بالتثنية . وعليهما فمفعول أَقلَّت محذوف، التقدير أَقلَّتنى . و « إِنَّهم » تعليل لقوله ففداءٌ . وروى أَيضاً :

* ما أَقلَّت قدمٌ ناعلَها *

والناعل : لابس النَّعل ، أَى ساتر القدمِ بالنَّعل . وروى أَيضاً :

* ثم نادَوا أَنَّهم فى قومهمْ *

أَى قالوا : هؤلاءِ القوم هم الذين قال النَّاسُ فى حقِّهم : نعم الساعون هم فى الأَمر المبِرّ . فالمخصوص بالمدح محذوف . والمبِرّ : اسم فاعل من أَبرَّ فلانٌ على أَصحابه ، أَى غلبهم . أَى هم نعم السَّاعون فى الأَمر الغالب الذى عَجَزَ الناسُ عن دفعه .

هذا ما قالوا ، والمروىُّ فى ديوان طرفة فى عدّة نسخ البيت الأَوّل كما رواه ابن جِنِّى . والبيت الثانى كذا :

(خالتِى والنَّفْسُ قِدماً إِنَّهم نِعمَ السَّاعون فى القوم الشُّطُرْ)

(١) فى النسختين : « والمساعيد » ، صوابه من المحتسب .

١٠٢ قال شارح ديوانه الأَعلم الشنتمرى : يقول : نفسى فِداءٌ لبنى قيس على ما أَصاب الناس من أَمْر يسُرُّهم أَو يضرُّهم . والسُّرّ والضُّرّ : السَّرَّاءُ ، والضَّرَّاءُ . وقوله :« فى القوم الشُّطُر » يعنى البُعَداءِ من النَّاس الغُرَباءِ . وواحد الشُّطُر شطير . وأَصل الشَّطير : الناحية [1] . وكلٌّ من بعد عن أَهله فقد أَخذ فى ناحيةٍ من الأَرض. يقول : سعيهم فى الغرباء أَحسنُ سَعْيٍ . انتهى .

وفُهِم من كلامه أَنَّ قوله خالتى مبتدأٌ والنفس معطوف عليه . وقوله فداءٌ خبر لهما مقدَّم . لكن يُنظَر: ما وجه ذكر الخالة ههنا [2] ؟ وقِدمًا بالكسر : ظرف متعلِّق بنعم ، ولا يمنع منه ذكر إنَّ المكسورة لأَنَّهُ ظرفٌ اغتُفِر فيه التَّقديم .

وقيس : أَبو قبيلة الشاعر ، وإنَّما جعل نفسه فداءً لبنيه لأَنَّهم . يتبادَرُون فى إغاثة الملهوف .

وهذا نسب طرفةَ الشاعرِ : طرفةُ بن العبد بن سُفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل .

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدةٍ طويلة لطرفة تقدَّم بعض أَبياتٍ منها فى باب اسم الفاعل فى الشاهد السابع بعد السمّائة [3] . وهذه أَبياتٌ قبل البيت الشاهد :

---

(١) كذا فى النسختين . والمعروف فى المعاجم هو الشطر ، بالفتح للناحية . وأما الشطير ، فهو الغريب والبعيد ، كما يقال لشطر الشيء أى نصفه شطير أيضاً .

(٢) أقول ، أنزل الخالة منزلة الأم لأمرٍ ما . وهم مما يفدون بآبائهم وأمهاتهم .

(٣) ط : « الشاهد السادس بعد السمّائة » ، وعلق ناشرها بقوله : « بهامش الأصل : السادس صوابه السابع » . وقد وردت الكلمة على الصواب فى صلب ش . وانظر الخزانة ٨ : ١٨٨ – ١٩٢ .

أبيات الشاهد

(نحنُ فى المَشْتاةِ ندعُو الجَفَلى ... لا ترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ[1]
حِين قال النَّاس فى مَجلسِهِمْ ... أَقُتارٌ ذاك أَم رِيحُ قُطُرْ
بِجِفانٍ تَعترِى نادِيَنا ... مِن سَديفٍ حين هاج الصِّنَبِرْ
كالجَوابِى لاتَنِى مُترَعةً ... لِقِرَى الأَضيافِ أَوللمُحْتَضِرْ[2]
ولقد تَعلمُ بَكرٌ أَنَّنا ... آفةُ الجُزْرِ مساميحُ يُسُرْ
ولقد تعلمُ بكرٌ أَنَّنا ... فاضِلُو الرأْيِ وفى الرَّوعِ وُقُرْ
يَكشفون الضُّرَّ عن ذى ضُرِّهم ... ويُبِرُّون على الآبِى المُبِرّْ
فُضُل أَحلامهمُ عن جارهِمْ ... رُحُبَ الأَذرُعِ بالخَيرِ أُمُرْ
ذُلُقٌ فى غارةٍ مسفوحةٍ ... ولدَى البأْسِ حُماةٌ ما نَفِرّْ
نُمسِكُ الخيلَ على مكروهها ... حين لا يُمسكها إِلَّا الصُّبُرْ
حين نادَى الحىُّ لمَّا فزِعوا ... ودعا الدَّاعى وقد لجَّ الذُّعُرْ
أَيُّها الفِتيانُ فى مجلسنا ... جَرِّدُوا منها وِرادًا وشُقُرْ)

ثم وصف الخيلَ بأَبيات تسعة وقال :

(ففداءٌ لبنى قيسٍ على ... ما أَصابَ الناسَ من سُرّ وضُرّ
خالتى والنفسُ قِدمًا إِنَّهم ... نِعِمَ السَّاعون فى القوم الشُّطُر)

قوله : « نحن فى المشتاة » إلخ قال شارحه الأعلم الشنتَمَرِىّ : يريد زمنَ الشتاءِ والبرد ، وذلك أَشدُّ الزمان . والجَفَلَى : أَن يعمَّ بدعوته إلى الطعام ولا يخصَّ واحدًا دون آخر . والآدب : الذى يدعو إلى المأْدُبة

---

(١) ط : « لا ترى الآداب » ، صوابه فى ش .
(٢) بعده فى الديوان ٦٩ :
ثم لا يخزن فينا لحمها ... إنما يخزن لحم المدخر
يخزن كينصر : يفسد ويتغير ، ومثله « يخنز » ، وهى رواية أخرى . وتضبط أيضاً « يخزن » بالبناء للمجهول ، أى يحفظ ويحرز .

وهى كلُّ طعام يُدعَى إليه . والانتقار : أَن يدعُوَ النَّقَرَى ، وهو أن يخصَّهم ولا يُعمَّهم. يقول: لا يُخَصُّ الأَغنياءُ ومن يَطمَعون فى مكافاته، ولكنَّهم يعُمُّون، طلباً للحمد ولاكتسابِ المجد .

وقوله : « حين قال الناس » إلخ القُتار بالضم : رائحة اللحم إذا شُوِى . والقُطُر ، بضمتين : العود الذى يتبخَّر به . يقول : نحن نطعم
١٠٣ فى شدَّة الزمان إذا كان ريح القُتارِ عِند القوم بمنزلة رائحة العُود ، لما فيه[1] من الجَهْد والحاجة إلى الطعام .

وقوله : « بجفانٍ تعترى » إلخ أى ندعوهم إلى الجفان . ومعنى تعترى: تلِمُّ به وتأْتيه . والنادى : مجلس القوم ومتحدَّثهم . والسَّديف : قطع السنام . والصِّنَّبر أَشدُّ ما يكون من البرد . قال ابن جنى (فى الخصائص) الصِّنَّبر بنون مشددة وباءٌ ساكنة . وكان حقُّه إذا نُقِلت الحركة أن تكون الباءُ مضمومة ، لأَنَّ الراءَ مرفوعة ، ولكنَّه قدَّر الإِضافة إلى الفعل ، يعنى المصدر ، كأَنه قال حين هَيْج الصِّنَبِرْ: يعنى أَنَّه نقل الكسرة فى الوقف إلى الباء الساكنة وسكنت الراءُ[2] .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهنديَّة) بعد أَن نقل هذا الكلام : وهذا من الغرائب؛ فإنَّ الصِّنَّبر لا شك فى كونه فاعلا بهاجَ ، لكنَّه أَعربه بالكسرة نظرًا إلى أَنَّ الفعل فى معنى المصدر المضاف إلى هذا الفاعل ، ثم نقل الكسرة . وقد نظمتُه لغزاً فقلت :

أَيا علمــاءَ الهنــد إنِّىَ سائلٌ فمُنُّوا بتحقيقٍ به يظهر السِّرُّ

(١) أى فى الشتاء وشدة الزمان .
(٢) انظر الخصائص ١ : ٢٨١ . وقد تصرف البغدادى فى نقله . وانظر كذلك الخصائص ٢ : ٢٥٤ / ٣ : ٢٠٠ .

أرى فاعلا بالفِعل أُعِربَ لفظه
بجرٍّ ولا حرفٌ يكون به الجرُّ
وليس بمحكيّ ولا بمجاورٍ
لِذِى الخفض والإنسانُ للبحث يُضطرُّ
فهل من جوابٍ منكمُ أَستفيده
فمِن بَحرِكُمْ مازال يُستخرج الدُّرُّ

وقد استشهد الجوهرى ببيت طرفة على أَنَّ الصِّنبِر بكسر الباء : شدَّة البرد ، فجعل الكسرة أَصليَّة ، وجوَّز أَن تكون الباءُ ساكنة فى الأَصل ولكنْ حرِّكت بالكسر للضرورة . وعلى هذا لا يلغز . انتهى كلامه .

قال الشُّمُنِّى : وقد سُبِق الدَّمامينىُّ إلى اللغز فى ذلك بأَبى سعيد فرج ، المعروف بابن لُبٍّ النحوى الأَندلسى (فى منظُومته النُّونية ، فى الأَلغاز النحوية) فقال :

ما فاعلٌ بالفعل لكنْ جرُّه مَع السُّكون فيه ثابتانِ

وفى شرحها : يعنى الصِّنَبِر من قول طرفة . ا هـ .

وقوله : « كالجوابِى لاتَنى » إلخ الجوابى : جمع جابية ، وهو الحوض العظيم يُجبَى فيه الماءُ ، أَى يُجْمَع. شبَّه الجفان بها فى سَعتها وعِظَمها . والمترعة : المملوءة . وقوله لا تنى : أَى لا تفتر ولا تزال . والقِرى : القيام بالضَّيف . والمُحتَضِر : النَّازل على الماء ، اسم فاعل من احتَضَر . والمحاضر : المياه ، واحدها مَحضرَ كجعفَر . يقول : لا تزال جفاننا مترعةً لمن جاءنا ضيفًا أو لمن كان حاضراً معنا نازلاً على مائنا .

وقوله : « ولقد تعلم بكر » إلخ، الجُزُر : جمع جَزور. والمساميح : الأَسْخِيَاءُ . واليُسُر : الداخلون فى اليَسْر . يريد : تفضُل آراؤُنا وسياستُنا

رأى غيرنا ، ولا نخِفُّ عند الرَّوع بل نثبُت ونتوقَّر . وقوله : « ويُبِرُّون » أَى يَغلبون ويظهرون. على الآبى، أى الممتنع . أَى نحن نغلب الآبىَ الغالبَ .

وقوله : « فُضُلٌ أَحلامُهم » يقول : إنجهل جارُهم حلمُوا عنه حلماً فاضلا ، ولم يكافِئُوهُ على جهله . وقوله : « رُحُبُ الأَذرع » أى واسعو الصدر[(١)] بالمعروف . وأُمُر : جمع أَمُورٍ ، وهو الكثير الأَمْر .

وقوله : « ذلُق فى غارة » أَى مُسرعون إلى الغارةِ متقدِّمون فيها . وأَصله من ذَلِقَ السَّيفُ ، إذا كان يخرُج من غمده . والمسفوحة : المصبوبة ، ويقال هى الكثيرة . والحُماة : جمع حامٍ ، وهو الذى يحمى حريمَه وعشيرته .

وقوله : « نمسك الخيل » يقول : نصبر على ارتباطِ الخيل والقيامِ
١٠٤ عليها . وقوله : « على مكروهها » أَى نُمْسِكها على شدَّة الزمان وجُوع النَّاس ونؤْثرها على أنفُسنا . ويحتمل أن يريد نُمسك الخيلَ على ما نلقاه من شدَّة الحرب وجُهدها ، ولا ننهزم . وإنَّما ذكر مكروه الخيل ، لأَنَّها إذا أَصابها مكروه فى الحرب فهمْ أَجدرُ أن يصيبَهم . والبيت الذى بعده يدلُّ على هذا التفسير الثانى .

وقوله : « وقد لجَّ الذُّعْر » أَى دام الذُّعر فى القلب واشتدّ . والذُّعر : الفزع ، وحرَّك العين إتباعًا لحركة الذال .

وقوله : « أَيُّها الفِتيان » إلخ جرِّدوا منها وِرادًا، أَى أَلقوا عَنْها جِلالَها

---

(١) ش : « الصدور » .

وأسرجوها للِّقاء . وقيل[١] الجريدة من الخيل، وهى التى تُختار فتُجرَّدُ أى تُكْمَش فى مهمِّ الأُمور . والوِراد : جمع وَرْد . وشُقُر : جمع أشقر ، وحرَّك الثانىَ إتباعاً للأَوّل .

وتقدَّمت ترجمة طرفة بن العبدِ فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(العاطفونَ تَحين ما من عاطفٍ)

تقدّم شرحه مستوفى عليه الكلام ، فى الشاهد الحادى والثمانين بعد المائتين[٣] :

* * *

وأنشد بعده :

(فَمَضيتُ ثُمّتَ قُلْتُ لا يَعنِينى)

على أنَّ (ثُمَّ) إذا لحقتها التاءُ اختصَّت بعطف قصَّة على قصَّة .

تقدم هذا من الشارح المحقق فى باب المذكر والمؤنث أيضاً . وهو المشهور . وقد وقع فى شعر رُؤبةَ عَطْفُ المفرد بها ، قال :

فإن تكنْ سَوائقُ الحِمامِ[٤] ساقتهمُ للبلدِ الشَّآمِ
فبالسَّلام ثُمَّتَ السَّلامِ

(١) ش : « وهى » .
(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .
(٣) الخزانة ٤ : ١٧٥ – ١٨٢ فى الشاهد ٢٨١ ، وعجزه :
* والمطعمون زمان أين المطعم *
(٤) ملحقات ديوان رؤبة ١٨٣ . وفى ط : « فإن يكن » ، صوابه فى ش والملحقات . وقبله :
يا هال ذات المنطق التمتام وكفك المخضب البنام

وقول الشارح المحقق: « وقد جوَّزه ابن الأَنبارى ولا أدرى ماصحته ».
أقول: تجويزه مأْخوذ من شعر رؤبة . وحينئذ صحَّته واضحة .

والمذكور عجزٌ ، وصدرُه :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّنى)

وتقدم الكلام عليه مراراً ، وأوّلُ ماذكر فى الشاهد الخامس والخمسين[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستُّون بعد السبعمائة[٢] :

٧٦٠ (ماوىَّ يا ربَّتَمـا غـارةٍ شَعْواءَ كاللَّذْعةِ بالمِيسَمِ)

على أنَّ التاءَ لحِقَتْ (رُبَّ) للإيذان بأَنَّ مجرورها مؤنَّث، وما زائدة بين ربَّ ومجرورها ، كما قاله الشارح المحقق فى ربَّ من حروف الجر .

والبيت أَوَّل أَبياتٍ أَربعةٍ لضَمْرة بن ضمرة النَّهشلىّ ، أَوردها أَبو زيدٍ (فى نوادره) . وبعده :

(ناهبتُهـا الغُنْمَ على طَيِّـعٍ أَجـردَ كالقِدْحِ من السَّـاسَمِ
مـاوىَّ بل لستُ بـرعديدةٍ أَبلخَ وجَّـادٍ على المُعْـدمِ
لا وأَلَتْ نفْسُـكَ خلَّيتهـا للعـامريِّينَ ولـم تُكلَمِ[٣])

وماوىَّ : منادًى مرخَّم ماويَّة ، اسم امرأَة . ويا فى قوله: (يارُبَّتَما)

---

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ – ٣٥٩ . وانظر معجم الشواهد .
(٢) نوادر أبى زيد ٥٥ والأزهية ٢٧١ وابن الشجرى ٢ : ١٥٣ والإنصاف ١٠٥ وابن يعيش ٨ : ٣١ والعينى ٣ : ٣٣٠ والهمع ٢ : ٣٨ والأشباه والنظائر ٢ : ٨٥ .
(٣) ضبطت كاف : « نفسك » فى النوادر بالكسر ، وكأن الخطاب لماوية المتقدمة الذكر . ولكن البغدادى قد ضبطها فى تفسيره بالفتح ، وجعله دعاء على رجل .

للتنبيه لا للنداءِ : وفى رواية أَبى زيد : « ماوىَّ بَلْ ربَّما » ، قال أَبو زيد : الشَّعواءُ : الغارة المنتشرة ، وهى بالعين المهملة . واللَّذعة ، بالذال المعجمة والعين المهملة ، مِن لذعَتْه النَّارُ ، إذا أحرقَتْه .

هذا ما رواه أَبو زيد ، قال العينى : وإنما اللَّدغة بالدال المهملة والغين المعجمة : المِكْوَى . ا ه .

١٠٥ وهذا معارضةُ النَّقل بالرأْى. قال أَبو زيد : والمِيسم : ما يُوسَم به البعير بالنَّار . وقوله : « ناهبتُها » جواب ربَّ ، أَى نهبت بالغارة الغُنْم بالضم ، وهى الغنيمة . والغارة : اسمٌ من أَغار القوم إغارة ، أَى أَسرعوا فى السَّير . وقوله : « على طيِّع » أَى فرس طيِّع ، وهو فيعل من الطَّوع ، وهو الانقياد. قال أَبو زيد : طيِّع : فرسٌ ليِّن العِنان طَوْعٌ . وأَجرد ، بالجيم والراءِ ، قال أَبو زيد : هو قصير الشَّعر[١] . وهو صلبٌ كأَنَّه قِدْحٌ من خشب السَّاسَمِ الآبِنوس[٢] ، وهو السَّاسَم . والقِدْح بكسر القاف : السَّهم قبل أَنْ يراش ويُنصل. والسَّاسم ، بسينين مهملتين مفتوحتين ، قال أَبو الحسن الأَخفش (فيما كتبه هنا) : وأُنشِدْتُ عن ابن الأَعرابىّ: « ناهبتها الغُنْمَ على صُنْتُعِ » ، وزعم أَنَّه الصُّلب الشديد ، وهو بضم الصاد المهملة وسكون النون وضم المثناة من فوق ، بعدها عين مهملة . قال أَبو زيد : رجلٌ رِعديد ورعديدة ، إذا كان يُرعَد [عِند[٣]] القتال . والأَبلخ ،

(١) الذى فى النوادر ٥٦ : « وأجرد قصير الشعرة » ، وقدامى اللغويين يؤثرون « الشعرة » بالتاء على « الشعر » مجرداً منها . وفى اللسان : « والشعرة : الواحد من الشعر ، وقد يكنى بالشعرة عن الجمع ، كما يكنى بالشيبة عن الجنس » .

(٢) الآبنوس بكسر الباء ، كما فى تاج العروس ، وضبطت فى النوادر بضم الباء . والكلمة دخيلة .

(٣) التكملة من ش والنوادر .

بالموحدة والخاءِ المعجمة ، صفة رِعديدة ، قال أبو زيد : المتكبِّر الفخور . ووَجَّاد بتشديد الجيم ، صفة ثانية لرعديدة. قال أبو زيد : وجَّاد : كثير الغَضَب ، وهو مبالغةُ فاعلٍ من الوَجْد ، وهو الغضب . ويقال المَوْجِدة أيضاً . والمُعْدِم : الفقير ، وهو اسم فاعل من أعدَم فلانٌ ، إذا افتقر .

وقوله : «لا وأَلَتْ نفسُك» إلخ، هذا دعاءٌ على رجل استأْسَر لأَعدائه دون أَن يُجَرح . قال أبو زيد: وألت : نجت. والموئل: المَنْجَى. وتُكْلَم : تجرح ، بالبناءِ للمفعول ، من الكَلْم وهو الجرح .

وضمرة بن ضمرة شاعر جاهليٌّ ،تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثمانين[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(يا صاحِبًا رُبّتَ إنسانٍ حَسَنْ   يَسأَل عنكَ اليومَ أَو يسأَل عَنْ)

على أَنَّه جاءَ مجرور (رُبّت) مذكَّراً على خلاف القياس .

وقد تقدَّم الكلام عليه، فى باب المذكر والمؤنث، فى الشاهد [الواحد و[2]] الخمسين بعد الخمسمائة .

وأنشد بعده :

(والمؤْمِنِ العائذاتِ الطَّيرِ)

على أَنَّ (العائذات) كان فى الأَصل صفةً للطَّير فقدِّم عليه وصار الطَّير بدلا من العائذات . والعائذات مفعول به للمؤمن ، والمؤْمِن

(١) الخزانة ٢ : ٣٨ — ٤٠ .
(٢) التكملة من ش . وانظر الخزانة ٧ : ٤٢١ — ٤٢٤ .

معطوفٌ على مُقسم به متقدِّم . وقد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والأَربعين بعد الثلثمائة[١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد السبعمائة[٢] :

٧٦١ (لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُما)

هو قطعة من بيتٍ ، وهو :

(يمينًا لنِعمَ السَّيِّدانِ وُجِـدْتُما على كلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ)

على أَنَّه قد يدخل الفعلُ الناسخ على المخصوص بالمدح أَو الذم ، سواءٌ تقدَّم المخصوص كما فى المثال ، أَوْ تـأَخَّر كما فى هذا البيت . وأَصله لنعم السيدان أَنتما ، فدخل عليه الناسخ فصار وُجِدتما ، فضمير التثنية نائب الفاعل لوُجد ، وهو المفعولُ الأَوَّل له . وقوله : « لَنعم السَّيِّدان » جواب القسم ، والقسم وجوابه فى موضع المفعول الثانى لوُجِد .

١٠٦ وكذا إعرابُه على مقتضى مختارِ الشارح المحقِّق فى جعل المخصوص مبتدأً وجملة المدح أَو الذمِّ خبره .

و (السَّحيل) بالمهملتين : الخيط الذى لم يُحكَم فَتْلُهُ . و (المبْرَم) الخيط الذى أُحكِمَ فتلُه . وأَراد بالأَوَّل الأَمرَ السَّهلَ ، وبالثانى الأَمرَ الشَّديد .

والبيتُ من معلَّقة زهير بن أَبى سُلمى ، وقد شرحناه مع أَبيات منها فى الشاهد السادس والخمسين بعد المائة من باب الاشتغال[٣] .

---

(١) الخزانة ٥ : ٧١ — ٧٥ . والبيت بتمامه :

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند

(٢) الهمع ٢ : ٤٢ ، والأشباه والنظائر ٤ : ٢٠٥ .

(٣) الخزانة ٣ : ٣ — ٢٠ .

وقوله: «فيدخلُه عوامل المبتدإ» يشمل باب كان، وظنَّ، وإنَّ وأخواتها. والأوَّلان جائزان، والثالث لا يجوز، فإنَّه لا يقال: نعم الرجل إنَّ زيدًا، فكان ينبغي أن يقول كما قال ابن مالك (في التسهيل[1]) في صورة تأخير المخصوص: «أو أوّلَ معمولَيْ فعل ناسخ» ليحترزَ عن إنَّ وأخواتها. ومثال الأوَّل قوله:

لعمرى لئن أُنزِفْتُم أو صحوتُمُ ... لبئسَ النَّدامَى كنتم آلَ أبجَرَا[2]

وتعميم النواسخ إنَّما هو فى صورة تقديم المخصوص، كقوله:

إنَّ ابنَ عبدِ الله نعـ ... ـمَ أخو النَّدى وابن العشيره[3]

وقولِ الآخر[4]:

إذا أَرسلُونى عند تعذير حــاجةٍ ... أُمارس فيها كنت نعمَ الممارسُ[5]

ومثال ظنَّ نحوُ: ظننت زيدًا نعم الرَّجل.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والستون بعد السبعمائة[6]:

٧٦٢ (واللهِ ما ليلي بنَامَ صاحِبُهْ)

---

(١) التسهيل ١٢٧.

(٢) استشهد به فى همع الهوامع ٢ : ٨٦.

(٣) لأبى دهبل الجمحى فى ديوانه ٩٦. وانظر العينى ٤ : ٣٥، والهمع ٢ : ٨٧، والأشباه والنظائر ٤ : ٢٠٥. وابن عبد الله هذا هو المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام، كما فى نسب قريش ٢٣٤. وانظر أيضاً العمدة ٢ : ١٢٤ فى باب السرقات.

(٤) ليزيد بن الطثرية فى ديوانه ٤٥. وانظر العينى ٤ : ٣٤ والهمع ٢ : ٨٧ والحماسة بشرح المرزوقى ١٧٢٥.

(٥) رواية الديوان والحماسة: «كنت عين الممارس»، فلا شاهد فيه على هذه الرواية.

(٦) الخصائص ٢ : ٣٦٦ وابن الشجرى ٢ : ١٤٨ والإنصاف ١١٢ وابن يعيش ٣ : ٦٢ والعينى ٤ : ٣ والهمع ١ : ٦/٢ : ١٢٠ والأشمونى ٣ : ٢٧ واللسان (نوم ٧٦).

على أنَّ حرف الجر داخلٌ على محذوف ، أى بمقول فيه : نام صاحبه ، فحذف القول وبقى المحكيُّ به .

وذهب صاحبُ اللباب إلى أنَّه من باب حذف الموصوف غير القول، قال : تقديره : بليلٍ نام صاحبُه فيه ، فالجرُّ دخل فى الحقيقة على الموصوف المقدَّرِ لا على الصفة .

وأقول : لا فرق بينهما ، فإنَّ كُلاًّ منهما ضرورةٌ يختصُّ بالشعر . إلاَّ أَنَّ ما ذهب إليه الشارح المحقِّق أقرب إلى القياس ، وهو قول أبى على (فى التذكرة) ، قال فيها : ومن زعَم أنَّ نعم اسمٌ لدخول حرف الجرّ عليه فى قول حسَّان :

أَلستَ بنعم الجارُ يُؤلَفُ بيتُــه أخا ثَلَّةٍ أو مُعدِمَ المالِ مُصْرِما[1]

فلا حجَّة له فيه ، لأنَّه يقدَّر فيه الحكاية ، ويلزمه على هذا أن يكون نام اسماً ، كقوله :

والله ما زيدٌ بِنام صاحبُه ولا مخــالط اللَّيَان جانبُه . ا هـ

وكذا قال ابنُ الأنباريّ وابنُ الشجرى، إلاَّ أَنَّ روايتهما : « ما ليلى بنام صاحبه » .

ونقل العينىُّ عن ابن سيده(فى المحكم) أَنَّ روايته كرواية أبى على. وقال إنَّه قال : قيل إنَّ نام صاحبُه علمُ رجل . وإذا كان كذلك جرى مجرى شابَ قرناها . ثم قال : فإن قلتَ : إنَّ قوله ولا مخالط اللِّيَان جانبُه ليس علما وإنَّما هو صفة ، وهو معطوف على نام صاحبه . فيجب أن

(١) ديوان حسان ٣٦٩ برواية : « لذى العرف ذا مال كثير ومعدما » . وانظر معجم الشواهد .

يكون قوله : « نام صاحبُه » أيضاً صفةً . قيل : قد يكون فى الجُمَل إذا سمِّى بها معانى الأفعال . ألا ترى أنَّ شاب قرناها اسمٌ علَم ، وفيه مع ذلك معنى الذَّمّ . وإذا كان كذلك جاز أن يكون قوله « ولا مخالط الليان جانبه » معطوفاً على ما فى قوله نام صاحبه من معنى الفِعل. هذا كلامه .

١٠٧ قال شارح اللباب : اللِّيان بالكسر : الملاينة . وبالفتح : مصدر لان بمعنى اللِّين . يقال هو فى لَيَان من العيش، أى فى نعيم وخفض . ا هـ.

وروى صدره :(عَمْرُكَ ما ليلى) إلخ فيكون عمرك مبتدأً خبره محذوف، أى قسمى . وجملة ما ليلى إلخ جواب القسم ، وزيدت الباءُ فى خبر ما .

والبيت مع كثرة دورانِه فى كتب النحو غير معلومٍ قائلُه . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(يمينًا لِنعم السَّيِّدانِ وُجِدتما على كلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ)

تقدَّم شرحه قريباً[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد السبعمائة[٢] :

٧٦٣ (أبو مُوسى فجدُّكَ نِعمَ جَدًّا وشَيخُ الحيِّ خالكُ نِعْم خالاَ)

على أنَّه قد يكون فاعل نعم ضميرًا مفسَّراً بنكرة ، مع تقدُّم المخصوص بالمدح ، كما هنا . فإنَّ «أبو موسى» هو المخصوص ، وفاعل نعم ضمير

---

(١) هو الشاهد ٧٦١ فى هذا الجزء .

(٢) ديوان ذى الرمة ٤٤٣ .

فسَّره بقوله جَدًّا . وكذا المصراعُ الثانى ،فإنَّ قوله « شيخ الحىّ » هو المخصوص وخالُك بدلٌ منه ، وفاعل نعم ضمير مفسَّر بقوله خالا .

وأما قوله : «فجدُّك» ،تحريفٌ[1] وقع فى نسخ هذا الشرح ، ولم يتنبَّه له أَحدٌ ، ولا فتَّش ديوان قائله حتَّى يؤخذ الماءُ من مجاريه .

وقد تمحَّل لإعرابه المولى حَسَنٌ الفنارىّ (فى حاشية المطوَّل) ،وهو معذور . قال : قوله فجدك بدلٌ من أَبو موسى ، والأَقرب أَنَّ أَبو موسى مبتدأٌ فجدُّك خبره . والفاءُ زائدةٌ فى الخبر على ما جوَّزه الأَخفش . أَمَّا زيادتها فى البدل فلم أَظفَر به ، والمخصوص بالمدح محذوفٌ على قياس : نعم العبد . وهذا أَولى لشبوعه .

هذا غاية ما تُكلِّف به ،وصوابه : (فحسْبُك) ، كما هو مسطورٌ فى عدّة نسخِ[2] ديوانِ ذى الرمة .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ طويلة عدّتُها مائة بيت ، مدح بها بلالَ بن أَبى بردة ابن أَبى موسى الأَشعرىّ .

وليس البيتُ للأَخطل كما زعم الشَّارح ، فإِنَّ الأَخطلَ هلك قبلَ ظهور بلال ، فإِنَّ الأَخطل كان من شعراءِ معاويةَ بنِ أَبى سفيان ، وبلال كان فى زمن عمرَ بنِ عبد العزيز .

والبيت موجودٌ فى قصيدةٍ من شعر ذى الرُّمَّةِ . وغالب شعرِ ذى الرُّمَّة فى مدح بلال . وقبله :

---

(١) كذا بإهمال فاء الجواب فى النسختين .

(٢) كذا فى النسختين بالإضافة .

أبيات الشاهد (بنَى لكَ أهلُ بيتك يا ابن قَيسٍ وأنت تَزيدُهمْ شرفاً جُلالا
مكارمَ ليس يُحصيهنَّ مدحٌ ولا كذبًا أقولُ ولا انتحالا
أَبو موسى فحسْبُك نِعم جَدًّا وشيخُ الركب خالُك نِعْمَ خالا
كأَنَّ النَّاسَ حينَ تمرُّ حتَّى عواتقَ لم تكن تَدَعُ الحِجالا
قياماً ينظرون إلى بِلالٍ رِفاقُ الحجِّ أبصرَتِ الهلالا
فقد رفعَ الإلهُ بكلِّ أُفْقٍ لضوئك يا بلالُ سَنًا طُوَالا
كضَوءِ الشمس ليس به خفاءٌ وأُعطِيتَ المهابةَ والجمالاَ)

والجُلال ، بضم الجيم : الجليل . ومكارمَ مفعول بَنَى لك .

وقوله : (أَبو موسى فحسبُك) إلخ هو أَبو موسى الأَشعريُّ الصحابي . وقوله : (فحسبك) الفاءُ فى فحسب زائدة لازمة . وحسب : اسمٌ بمعنى
١٠٨ ليَكْفِ ، كما قال الشارح المحقق فى باب الإضافة ، مرفوعٌ بالابتداء ، وخبره محذوفٌ تقديره : هذا النسب ، أو هذا المدح . والجملة اعتراضيَّة بين المبتدإ والخبر . وقوله (وشيخ الركب) أى القافلة . وروى بدله : (وزاد الركب) ، ومعناه أنَّه لا يدَعُ أحدًا من الرَّكب يحمل زادَ السُّفرة [١] ، بل هو يُجرِى النَّفقاتِ على جميع مَن صَحِبَه فى السَّفَر .

ومدحه فى هذا البيت بشَرف النَّسَبينِ : نسبِ الأَبِ ونسَبِ الأُمّ .

وقوله : « كأَنَّ النَّاسَ » إلخ خبر كأَنَّ قوله : «رفاقُ الحج» فى البيت بعده . وحتّى حرف جرٍّ غاية للنَّاس ، وما بعدها داخل فى المغيًا . وعواتقَ مجرور بالفتحة ، جمع عاتق ، وهى البنت التى أدركت فى بيت أَبوَيْها

(١) كذا فى النسختين ، والسفرة ، بالضم : طعام المسافر ، وأكثر ما يحمل فى جلد مستدير ، فنقل اسم الطعام إلى هذا الجلد الذى يبسط ويؤكل عليه .

ولم تكن متزوِّجة . والحِجال : جمع حجلة بالتحريك ، وهو بيتها الذى تلازمه ولا تخرجُ منه . وقياماً منصوب على الحال . أَراد : كأَنَّ النَاسَ فى حالِ قيامهم حين يمرُّ بلال ، رفاقُ الحج إذا نظروا إلى الهلال . والسَّنا ، بالقصر : الضوءُ . والطُّوال : مبالغة الطَّويل .

وفى هذه القصيدة أَبياتٌ أُخر شواهدُ ، منها :

(وميَّةُ أَحسنُ الثَّقَلينِ جِيدًا   وسالفةً وأَحسنُهم قَذَالا)

والقَذَال : ما بين الأُذن والنُّقرة ، وهما قذالان . ومنها :

(سمعتُ النَّاسَ ينتجعون غَيثاً   فقلتُ لصَيْدَحَ انتجِعِى بِلالا)

وتقدَّم شرحه فى أَفعال القلوب[1] .

وقد تقدمت ترجمةُ بلال هذا فى الشاهد الستين بعد المائة[2] . وترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن من أَول الكتاب[3] .

* * *

وأَنشده بعده :

(ويُلمِّها رَوحةً[4])

هو قطعة من بيت ، وهو :

(وَيْلُمِّها روحةً والرِّيحُ مُعْصِفةٌ   والغيثُ مُرتجِزٌ والليلُ مقتربُ[5])

---

(١) فى الشاهد ٧١٩ من هذا الجزء التاسع .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٥ .
(٣) الخزانة ١ : ١٠٦ .
(٤) ط : « دوحة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٥) ط : « ويلمها دوحة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وتقدَّمَ شرحه فى الشاهد الحادى عشر بعد المائتين(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(فيالكَ مِن ليــلٍ)

هذا أيضاً قطعةٌ من بيت ، وهو :

(فيالَكَ من ليــلٍ كأَنَّ نُجومَه
بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّت بِيَــذْبُلِ)

وتقدم أيضاً شرحُه فى الشاهد العاشر بعد المائتين(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد السبعمائة(٣) :

٧٦٤ (تزَوَّدْ مِثلَ زادِ أَبِيكَ فِينا فنِعم الزَّادُ زادُ أَبيكَ زادا)

على أَنَّه قد يجىءُ بعد الفاعل الظاهر تمييزٌ للتَّوكيد .

قال ابن يعيش : اختلف الأئمة فى هذه المسأَلة ، فمنع سيبويه والسِّيرافى وابنُ السَّرَّاج ذلك ، وأَجازه المبرِّد وأَبو على . واحتجَّ سيبويه بأَنَّ المقصود من المرفوع والمنصوب الدَّلالةُ على الجنس ، وأَحدُهما كافٍ عن الآخَر . وأَيضاً فإِنَّ ذلك ربَّما أَوهمَ أَنَّ الفعل الواحدَ له فاعلان ، وذلك إِنْ رفعتَ اسم الجنس بأَنَّه فاعل . وإذا نصبتَ النَّكرة بعد ذلك آذنَتْ بأَنَّ الفعل فيه ضمير فاعل ، لأَنَّ النكرة المنصوبة لا تأْتى إلاَّ كذلك .

---

(١) الخزانة ٣ : ٢٧٣ — ٢٧٩ .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٦٩ — ٢٧٣ .
(٣) المقتضب ٢ : ١٥٠ والخصائص ١ : ٨٣ ، ٣٩٦ وابن يعيش ٧ : ١٣٢ والمقرب ١ : ٦٩ والتسهيل ١٠٩ والمغنى ٤٦٣ والعينى ٤ : ٣٠ والأشمونى ٢ : ٢٠٣ / ٣ : ٣٤٠ وديوان جرير ١٣٥ .

وحجّة المبرِّد فى الجواز الغلوُّ فى البيان والتأكيد ، والأوّل أظهر . وأمّا
بيت جرير ، وهو : ١٠٩

تزوَّدْ مثل زادِ أبيك . . . . إلخ

فإنَّ المبرد أنشده شاهدًا على ما ادَّعى من جواز ذلك. فإنْ رفع الزاد المعرَّف باللام بأنَّه فاعل نِعْم ، وزاد أبيك هو المخصوص بالمدح، وزادًا تمييزٌ وتفسير ، فالقولُ عليه أنَّا لا نسلِّم أنَّ زادًا منصوب بنعم ، وإنَّما هو مفعول به بتزوَّد . والتقدير : تزود زادًا مثلَ زاد أبيك فينا ، فلمَّا قدَّم صفتَه عليه نصبَها على الحال . ويجوز أن يكون مصدراً مؤكِّدًا محذوفَ الزوائد ، والتقدير : تزوَّدْ مثل زاد أبيك فينا تزوُّداً . ويجوز أن يكون تمييزًا لمثل ، كما يقال ما رأيت مثلَه رجلاً . وعلى تقدير أن يكون العامل فيه نِعم فإنَّ ذلك من ضرورة الشعر ، ولا يُجعَل قياساً . ومثله قولُ الآخر[1] :

ذريني أَصطبِحْ يا بكرَ إنِّي … رأيتُ الموتَ نقَّبَ عن هِشام[2]

تخيَّرَه ولم يَعدِلْ سِواه … ونعم المرءُ من رجلٍ تِهَامى

فقوله: « من رجل » كقوله رجلاً ، لأنَّ مِنْ تدخل على التمييز . وذلك كلُّه من ضرورة الشِّعر .

وقال ابن جنى (فى الخصائص) : إنَّ الرجل من [نحو] قولِهم : نعم الرجل زيد ، غير المضمر فى نعم إذا قلت نعم رجلاً زيد[3] لأنَّ المضمر

(١) هو بحير بن عبد الله القشيرى ، كما فى الاشتقاق ١٠١ . وانظر معجم شواهد العربية .

(٢) فى الدرر اللوامع ٢ : ١١٣ : « فدعنى أصطبح يا بكر » ، وفى الكامل ٣١٤ : « ذرينى أصطبح يا سلم » .

(٣) كلمة : « نحو » السابقة ساقطة من ط ، وإثباتها من ش والخصائص ١ : ٣٩٥ . كما أن كلمة « زيد » هذه ساقطة من ش ، وإثباتها من ط والخصائص .

على شريطة التفسير لا يَظهر ولا يُستعمَل ملفوظًا به . ولذلك قال سيبويه هذا باب مالا يعمل فى المعروف[١] إلاَّ مضمراً ، أى إذا فسِّر بالنكرة ، نحو : نعم رجلًا زيد ، فإنَّه لا يظهر أبدًا . وإذا كان كذلك علِمْتَ زيادة الزَّاد فى قول جرير :

تزوّد مثل زاد أبيك فينـــا . . . . البيت

وذلك أَنَّ فاعل نعم مظهَر فلا حاجة به إلى أَنْ يفسَّر .فهذا يُسقط اعتراضَ المبرد على صاحب الكتاب فى هذا الموضع . اهـ .

وهذا جوابٌ خامس .

وقال المرادىّ (فى شرح التسهيل[٢]) : منع سيبويه الجمعَ بين التمييز والفاعل الظاهر ، وأجاز ذلك المبرِّد والفارسى . قال المصنف : وهو الصحيح . اهـ . وبالجواز قال ابن السَّرَّاج . وفصَّل بعضهم فقال : إن أَفاد التمييزُ معنًى لا يفيدُهُ الفاعل جاز ، نحو : نعم الرجل رجلاً فارسًا زيد ، وإلاَّ فلا . قال المصنِّف : والحامل لسيبويه على المنع كونُ التمييز فى الأَصل مَسُوقًا لدفع الإِبهام ، والإِبهامُ إذا ظهر الفاعلُ زائلٌ ، فلا حاجةَ إلى التمييز . وهذا الاعتبار يلزم منه منعُ التمييز فى كلِّ ما لا إِبْهام فيه كقولك : عندى من الدراهم عشرون درهَمًا . ومثل هذا جائزٌ بلا خلاف.اهـ.

وما ذكره من أَنَّ الحامل لسيبويه ما ذكر ليس هو فى كتابه . وفرقٌ بين نعم رجلٌ رجلًا زيد، وبين : له من الدراهم عشرون درهماً ونحوِه، بأَنَّ عشرين وأَمثالَها محتاجةٌ إلى التمييز فى الأَصل ، بخلاف نعم الرجل

(١) فى النسختين : « المعرف » ، وأثبت ما فى الخصائص وسيبويه ١ : ٣٠٠ .
(٢) الملحوظ أن هذا النقل نقل طويل سيستمر إلى س ١٦ من ص ٣٩٨ .

زيد . والتمييز مَبناهُ على التَّبيين ، ثم يعرض له فى بعض المواضع أَنْ يقترن بالكلام ما يُغنِى عنه ، فيصير مؤكِّداً . وقد تأَوَّل الفارسيُّ كلامَ سيبويه على أَنَّ معناه لا يكون الفاعل ظاهراً حيث يلزم التمييز ، بل الفاعل فى حال لزوم التمييز مضمرٌ لا غير ، وأَما مع الظاهر فلا يكون لازماً . وفيه بُعدٌ . واستدلَّ المصنِّف على الجواز بالقياس والسماع . أَمَّا القياس فقال بعد التمثيل بِ « لَهُ من الدراهم عشرون درهما » وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عِنْدَ اللهِ اثنا عَشَر شهراً[1] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ واختارَ مُوسى قَومَهُ سَبعِينَ رجلا[2] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فتَمّ ميقاتُ ربِّه أَربَعِين لَيلة[3] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فهى كالحجارةِ أَو أَشدُّ قَسوة[4] ﴾ . فكما حكم بالجواز فى مثل هذا ، وجعل سببَ الجواز التوكيدَ ، لا رفعَ الإِبهام ، ١١٠
فكذلك يفعل فى نحو : نعم الرجلُ رجلاً . ولا يُمنع ، لأَنَّ تخصيصَه بالمنع كحكمٍ بلا دليل . هذا لو لم تستعمله العربُ ، فكيف وقد استعملته . اهـ .

وقد تقدَّم ما فرَّقَ به بين ما ذكرته من التمثيل ، وبين نعم الرجل.
قال : ومن ورود التمييز للتوكيد لا لرفع الإِبهام قولُ أَبى طالب :

ولقد علِمْتُ بأَنَّ دينَ محمدٍ مِن خيرِ أَديانِ البريَّة دينا[5]

وقول الآخر :

فأَمَّا التى خيرُها يرتجى فأَجود جوداً من اللاَّفِظَه[6] اهـ

(١) الآية ٥٥ من سورة الأعراف .
(٢) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .
(٣) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف .
(٤) الآية ٧٤ من سورة البقرة .
(٥) التسهيل ١٠٩ والعينى ٤ : ٨ والتصريح ٢ : ٩٦ وديوان أبى طالب الورقة ٤ .
(٦) البيت لطرفة كما فى العينى ١ : ٥٧٢ . وانظر الأشباه والنظائر ٣ : ٢٨٠ . ولم يرد البيت فى ديوانه .

ولا يتأتّى ذلك الفرقُ هنا . وأما السَّماع فقول جرير :

والتغلبيون بئس الفحلُ فحلُهم فحـلًا وأُمُّهمُ زلَّاءُ مِنْطِيقُ[(١)]

وقول جرير أيضاً :

تزوَّدْ مثلَ زادِ أبيك . . . . البيت

وأنشد غيرُ المصنِّف :

نعم الفتاةُ فتاةً هندُ لو بذلَتْ رَدَّ التَّحيَّةِ نطقًا أو بإيمـاء[(٢)]

وحُكى من كلام العرب : « نِعم القتيلُ قتيلاً أصلح بين بكر وتغلب[(٣)] » . وهذا واردٌ فى الاختيار .

وقد تأوَّلَ المانعون السَّماع . أمَّا فحلا وفتاةً فعلى الحال المؤكِّدة . وأمَّا زادًا فعلى أنَّه مصدر محذوف الزوائد منصوبٌ بتزوَّدْ . وقد حَكى الفرَّاءُ استعمالَه مصدرًا . أو على أنَّه مفعول به ، ومثلَ منصوب على الحال ، لأنَّه لو تأخَّر لكان صفة . وقال أبو حيَّان : وعندى تأويلٌ غير ما ذكرُوه ، وهو أقرب . وذلك أنْ يُدَّعَى أنَّ فى نعم وبئس ضميراً ، وفحلاً وفتاةً وزادًا تمييز لذلك الضَّمير ، وتأخَّر عن المخصوص على جهة النُّدور . فالفحل والفتاة والزاد هى المخصوصة ، وفحلهم وزاد أبيك أبدالٌ من المرفوع قبلها .

هذا ما أورده المرادىّ ، ولفوائده سُقناه برُمَّته .

---

(١) ديوان جرير ٣٩٥ . وهو من شواهد التصريح ٢ : ٩٦ والهمع ٢ : ٨٦ والأشمونى ٣ : ٣٤ . وفى ش : « نعم الفحل فحلهم » . وفى حواشيها : « كذا بخط المؤلف ، والصواب بئس » .

(٢) العينى ٤ : ٣٢ والهمع ٢ : ٨٦ والتصريح ٢ : ٩٥ والأشمونى ٣ : ٣٤/٤ : ٢٠٣ .

(٣) هو من قول الحارث بن عباد ، يوم قضة ، حين قتل ابنه بجير ، وقيل إن بجيراً ابن أخيه . انظر أمالى القالى ٣ : ٢٦ والأغانى ٤ : ١٤٤ . ويروى : « نعم الغلام غلام » .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لجرير مدحَ بها عُمر بنَ عَبدِ العزيز ، منها :

أبيات الشاهد

(وسُدتَ النَّاسَ قبلَ سِنِينَ عشْرٍ
كذاك أبوك قَبْلَ العَشْرِ سادا
وثبَّتَّ الفُروعَ فهن خُضرٌ
ولو لم تُحْيِ أصلَهُمْ لبادا[1]
تزوَّد مثل زاد أبيك فينا .... البيت
فما كعبُ بنُ مامة وابنُ سُعْدَى
بأَجوَدَ منك يا عُمَرَ الجوادا
وتَبنِى المجدَ يا عُمَرَ بنَ ليلى
وتكفى المُمْحِلَ السَّنةَ الجَمادا[2]
يَعودُ الحلم منك على قُريشٍ
وتُفْرِجُ عنهم الكُرَبَ الشِّدادا
وتدعو الله مجتهدًا ليرضَى
وتذكر فى رَعِيَّتِك المَعادا)

وباد : هلك . وأَتْبَعَ الجواد لموضع عمر ، وهو من شواهد المنادى .

كعب بن مامة

وكعبٌ هو ابن مامة الإيادىّ، أَحدُ أَجْوادِ العرب. قال الواحدىّ (فى

(١) هذا البيت وسابقه لم يردا فى ديوان جرير من قصيدته ١٣٤ – ١٣٧ .

(٢) نسبه إلى أم أبيه عبد العزيز بن مروان . وفى ليلى هذه يقول ابن قيس الرقيات (ديوانه ١٥٢ ، والطبرى ٦ : ١٤٥) :

أعنى ابن ليلى عبد العزيز ببابلـ ـيون تغدو جفانه رذما

أما والدة عمر بن عبد العزيز فهى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . الطبرى ٦ : ٥٦٦ والجمهرة ١٠٥ والتنبيه والإشراف ٢٧٦ .

أمثاله) : كان كعبٌ فيما يقال ، أجودَ من حاتم الطائى . حُكى أَنّه خرج فى رَكْب وفيهم رجلٌ من النَّمر بن قاسطٍ . فى القيظ ، فضلُّوا فتصافَنُوا الماءَ بالمَقْلة ، فقعد أصحابُ كعب لِشُرب الماء[١] ، فلما دار القَعْبُ إلى كعب أبصر النَّمرىَّ يحدِّدُ[٢] النظَر إليه . فآثره كعبٌ بمائه
١١١ وقال للساقى : « اسقِ أخاكَ النَّمرىَّ يَصطبِحْ » فذهبت مثلاً . فشربَ النمرىُّ نصيبَ كعب ذلك اليومَ ، ثم نزلوا من الغَدِ منزلاً آخَر فتصافنوا بقيَّة مائهم ، فنظر النمرىُّ إلى كعبٍ كنظره بالأمس ، ففعل كعبٌ فَعلْتَه بالأَمس ، وارتحل القوم وقالوا : يا كعبُ ارتحل . فلم يكن به قُوَّةُ النُهوض ، وكانوا قد قَرُبوا من الماء ، فقيل : رِدْ كعبُ إنَّك ورَّاد . فعجز عن الإصابة ، فلمَّا يئسوا منه خَيَّلوا عليه بثوبٍ يمنعُه من السِّباع ، وتركوه فمات ، فقال أبوه يبكيه :

أوفَى على الماء كعبٌ ثم قيل له رِدْ كعبُ إنَّك ورَّادٌ فما وَرَدَا

قال : وكان من جوده أَنَّه إذا مات جارٌ أَدَّى ديتَه إلى أَهله . وإنْ هلك لجاره بعيرٌ أو شاة أَخلفه عليه[٣] ، فجاوره أَبو دُواد الإيادىُّ فعامله بذلك ، فصارت العرب إذا حَمِدَتْ مستجاراً به لحُسْن جِواره قالوا : « كجار أَبى دُوَاد » . ومنه قول قيس بن زهير :

سأَفعلُ ما بدا لى ثم آوِى إلى جارٍ كجـــارِ أَبى دُوادِ اهـ

قال المبرد (فى الكامل) : والتصافُن : أَن يُطرح فى الإناء حَجرٌ ثم يُصبَّ فيه من الماء ما يغمُره لئلاَّ يتغابنوا[٤] . والمَقْلة : اسمُ ذلك الحَجر.

(١) ط : « ليشرب الماء » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « يجرد النظر » ، صوابه فى ش .
(٣) ط : « أخلفهما عليه » .
(٤) من الغبن ، وأصله فى البيع أن يغلبه وينقصه ، والمراد أن يظلم بعضهم بعضاً فى القسم .

وابن سُعدى هو (كما فى كامل المبرد) : أَوسُ بن حارثةَ بن لأْم الطائى . وكان سيِّدًا مقدَّماً ، فوفد هو وحاتمُ بن عبد الله الطائىُّ على عمرو بن هند ، وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أَوساً فقال : أنت أَفضلُ أَم حاتم ؟ فقال : أَبيتَ اللعن لو مَلَكنى حاتمٌ وولدِى ولُحمتى لوهَبَنا فى غداة واحدة . ثم دعا حاتماً فقال : أَنت أَفضلُ أَم أوس ؟ فقال : أَبيتَ اللَّعْنَ ، إنَّما ذُكرت بـأَوسٍ ، ولَأَحَدُ ولدِه أَفضَلُ منِّى . وكان النُّعمانُ بن المنذر دعا بِحُلَّة وعنده وفودُ العرب من كلِّ حيّ ، فقال : احضرُوا فى غدٍ فإنِّى مُلْبِسٌ هذه الحُلَّةَ أكرمَكم . فحضر القومُ جميعاً إلا أَوساً ، فقيل له : لم تتخلَّف[١] ؟ فقال : إن كان المراد غيرى فأَجمَلُ الأَشياءِ أن لا أكون حاضرًا ، وإن كنت المرادَ فسأُطلَبُ ويُعرَف مكانى . فلمَّا جلس النُّعمان لم يرَ أَوساً فقال : اذهبوا إلى أَوس فقولوا له : احضُر آمناً ممَّا خِفت . فحضَرَ فأَلبسه الحُلَّة ، فحسَده قومٌ من أَهله فقالوا للحطيئة : اهجُه ولك ثلثمائةِ ناقة . فقال الحطيئة : كيف أَهجو رجلاً لا أَرى فى بيتى أَثاثاً ولا مالاً إلاَّ من عنده ؟ ! ثم قال :

كيفَ الهجاءُ وما تنفكُّ صـالحةٌ
من آلِ لَأْمٍ بظهر الغَيب تَـأْتينى

فقال لهم بِشرُ بن أَبى خازم ، أَحد بنى أَسد بن خزيمة : أَنا أَهجوهُ لكم . فأَخذ الإبلَ وفعل ، فأَغار أَوسٌ عليها فاكتسحها ، فجعل لا يستجير حيًّا إلاَّ قال : قد أَجرتك إلاَّ من أَوس . وكان فى هجائه قد ذكر أُمَّه ، فأُتِيَ به فدخل أَوسٌ على أُمِّه فقال : قد أُتينا ببشر الهاجى لكِ ولى .

أوس بن حارثة

(١) الذى فى الكامل ١٣٣ : « لم تخلفت » .

قالت : أَوَ تُطيعني ؟ قال : نعم . قالت : أرى أَنْ تردَّ عليه مالَه وتعفُوَ عنه وتحبُوَه ، وأفعلُ مثلَ ذلك ، فإنَّه لا يغسِل هجاءَه إلاَّ مَدْحُه . فخرج فقال : إنَّ أُمِّى سُعدى التى كنت تهجُوها قد أَمرَتْ فيك بكذا وكذا ! فقال : لا جرمَ ، واللهِ لا مَدَحْتُ حتَّى أموتَ أحدًا غيرَك . ففيه يقول :

إلى أوسِ بن حارثةَ بن لَأْمٍ ... ليقضىَ حاجتى فيمَنْ قضَاها
فما وَطِئَ الثَّرى مثلُ ابنِ سُعدَى ... ولا لَبِسَ النِّعالَ ولا احتذاها

* * *

١١٢ وأنشد بعده :

(أنا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثنايا)

على أن الموصوف محذوف وصفته جملة فعلية ، وهى (جلا) على أنَّه فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه ، والتقدير : أنا ابن رجل جلا الأُمورَ وكشفَها .

وهذا أحد التخريجين فى البيت ، وقد ذكرناهما مشروحَين فيما لا ينصرف[١] ، وفى النعت[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد السبعمائة[٣] :

٧٦٥ (نِعمَ الفَتَى فَجعَتْ به إخوانَه ... يَوم البَقيعِ حَوادِثُ الأَيَّامِ)

على أنَّ المخصوص بالمدح محذوف ، وهو موصوف بجملةٍ أُقيمت مقامَه ، تقديره : نعم الفتى فتىً فَجَعت به إلخ .

---

(١) الخزانة ١ : ٢٥٨ – ٢٦٠ .
(٢) الخزانة ٥ : ٦٤ – ٦٥ .
(٣) العقد ٢ : ٣١٥ ومعجم المرزبانى ٢٤٥ والحماسة ٨٠٨ بشرح المرزوقى .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة[1]) : الهاءُ فى به عائدة على موصوف محذوف ، أى نعم الفتى فتًى فجعَتْ به حوادثُ الأيَّام . و(يومَ البقيع) ظرفٌ ، ويجوز أن تنصبه على أنَّه فى المعنى مفعول به ، لأنَّ الفعل فى هذا النحو يُسنَد إلى ظرف الزمان ، نحو قولك : شَفَّنى يومُ كذا ، وسرَّنى وقتُ كذا ، فتنسُب الفِعل إلى ذلك اليومِ والوقت . ا هـ .

وقال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : جملة فجعَتْ به إلخ صفة فتًى محذوف ، وهو المخصوص بالمدح خصَّصْته حتَّى صار كالمعرفة . والحذفُ فى مثل هذا إنَّما يصلح إذا كان الممدوحُ مشهورَ البيان . ويومَ البقيع ظرفٌ منصوب . وحوادثُ الأيَّام فاعل فجعت . والفجيعة[2] : الرزيَّة . وفجعَه فجعاً من باب نفع ، فهو مفجوعٌ ، فى مالِه وأهله .

صاحب الشاهد

والبيت أول أبيات ثلاثةٍ لمحمد بن بشيرٍ الخارجى ، أوردها أبو تمَّام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وبعده :

أبيات الشاهد

(سَهلُ الفِنَـاء إذا حللت ببـابهِ ... طَلْقُ اليدَينِ مؤدَّب الخُـدَّامِ
وإذا رأيتَ صـديقَه وشقيقَـه ... لم تدر أيُّهمـا أخو الأرحامِ[3])

وقال الطبرسى : سهل الفناء : خبر مبتدإٍ محذوف ، وجعل فناءَهُ سهلاً للزُّوَّار والعُفاة ، وذلك مَثلٌ[4] ، لكثرة إحسانه إليهم . وقوله . «مؤدَّب الخدام» تنبيه على اقتدائهم بمولاهم فى تفقُّد الوُرَّاد وإكرامِهم ، والسَّعى

(١) إعراب الحماسة الورقة ١١٥ .
(٢) ط : «والفجعة» ، صوابه فى ش .
(٣) فى الحماسة : «شقيقه وصديقه» .
(٤) ط : «ميل» ، صوابه فى ش .

فى أُمورهم . والشقيق من إخوان الولادة . والصديق من إخوان المودّة . يقول : لا يتميَّز صديقُه عن شقيقه فى شُمول تفقُّده لهما وتساويهما فى المجد عنده . وهذا هو الغايةُ فى الكرم .

ومحمد بن بشير الخارجى : شاعرٌ إسلامىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين بعد السبعمائة (١) ، وهو من خارجة عَدْوان: قبيلة . وليس من الخوارج .

ونقل ابنُ خَلِّكان فى ترجمة يزيد بن مَزْيد الشيبانى أَنَّ المرزُبانىَّ ذكر (فى كتاب معجم الشعراء) أَنَّ هذه الأَبياتَ لعُمير بن عامر (٢) ، مولى يزيد بن مَزْيدٍ الشَّيبانى ، رثَى بها سيِّدَه .

ورأَيت أنا (فى العقد الفريد لابن عبد ربه) هذه الأَبياتَ منسوبةً لإبراهيم بن هرمة (٣) . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد السبعمائة (٤) :

٧٦٦ (نِعْمَ الفَتَى المُرِّىُّ أَنتَ)

هو قطعةٌ من بيتٍ ، وهو :

(نِعم الفــتَى المُرِّىُّ أَنتَ إِذَا هُمُ
حَضَرُوا لَدَى الحُجُراتِ نارَ المُوقِدِ)

---

(١) الخزانة ٩ : ٢١٦ . وفى ط : « الشاهد السابع والعشرين بعد السبعمائة » ، صوابه فى ش .
(٢) كنيته أبو البلهاء ، كما فى معجم المرزبانى .
(٣) انظر ديوان ابن هرمة ٢٧٩ .
(٤) الأصول لابن السراج ١ : ١٤٢ والمغنى ٥٨٧ والعينى ٤ : ٢١ والأشمونى ٣ : ٣١ وديوان زهير ٢٧٥ .

١١٣ على أنَّه يجوز وصف فاعل نعم ، فإنَّ المرِّىُّ صفة الفتى لا بدلٌ منه ، خلافاً لابن السرَّاج ، كما بيَّنه الشارح المحقق .

وهذه عبارة أبى بكر بن السَّرَّاج (فى الأَصول) : ولا يجوز توكيد المرفوعِ بنعم . قالوا : وقد جاءَ فى الشِّعر منعوتاً . وأَنشدوا :

نعم الفتى المرّى أنت . . . . البيت

وهذا يجوز أن يكون بدلاً غير نعت ، فكأَنَّه قال : نعم المرىُّ أنت . ا هـ .

وقد نقله أبو على عنه (فى تذكِرته) وأَقرَّه ، قال : قرئ على أَبى بكر من الأُصول : « نعم الفتى المرى أنت » البيت ، قال أبو بكر : حَمَله قومٌ على الصِّفة ، وهو عندنا على البدل ، لأَنَّ وصفه قبيح . قال أبو على : لأَنَّ فاعل نعم إذا كان ظاهراً فالمقصودُ به الجنس ، وليس بعد الجنس شىءٌ يُلْبِس فيفصَل بينهما . هذا كلامه .

وردَّ عليهما الشارحُ المحقِّق بأَنَّ هذا المنع ليس بشىء ، لِأَنَّ الإِبهام مع مثل هذا التخصيص باقٍ . وهو فى مثل هذا الردِّ والتوجِيهِ تابعٌ لابن جنى ، فإِنَّه قال فى بيت الحماسة ، ليزيد بن قُنَافة :

لعَمْــرى وما عمرى علىَّ بهَين   لبئسَ الفتى المدعوُّ بالليل حاتمُ[1]

قال أَصحابنا فى قول الشاعر : « نعم الفتى المرى أَنت » إنَّ المرِّىَّ بدلٌ من الفتى ، قالوا : وذاك أَنَّ فاعل نعم وبئس لا يجوز وصفُه ، من حيث كان واقعاً على الجنس ، والجنس أَبعدُ شىء عن الوصف ؛ لفساد

(١) الحماسة ١٤٦٤ بشرح المرزوقى .

معناه ، فلمَّا كان كذلك عدَلوا به عن الوصف إلى البدل . فقياس هذا أن يكون المدعوُّ بدلاً من الفتى . وأمَّا أنا فأُجيزُه[(١)] . وذلك أنْ يكون المدح والتَّفضيلُ إنَّما وقع على أنْ يُفضَّل حاتمٌ على الفتيان المدعوِّين بالليل[(٢)] ، أى فاق حاتمٌ جميع الفتيان المدعوِّين بالليل ، ولم يرد أن يفضِّله على جميع الفتيان عموماً[(٣)] . ولو أراد ذلك لما جازت الصفة ، ولكنَّه وصفَ الفتى وفضَّل حاتماً على جميع الفتيان المدعُوِّين بالليل . وكذلك تقول : نعم الرجل الطَّويل زيد ، أى فاق زيدٌ فى الرِّجالِ الطِّوال خاصَّة . وهذا معنًى مع أوَّلِ تـأمُّل يصحُّ[(٤)] . انتهى كلامه .

ولا بـأس بإيراد كلام المرادى (فى شرح التسهيل) ، فإنَّ فيه فوائد.

قال بعد قول التسهيل : « ولا يؤكَّد فاعلُها توكيدًا معنوياً باتفاق» ما نصُّه : لأنَّ القصدَ بالتوكيد المعنوى رفعُ توهُّم إرادة المخصوص ممَّا ظاهره العموم ، أو رفعُ توهُّم المجاز ممَّا ظاهره الحقيقة ، وفاعل نعم وبئس فى الغالب بخلاف ذلك ، لأنَّه قائمٌ مقام الجنس إن كان ذا جنس ، أو مؤوَّلٌ بالجامع لأكمل خصال المدح اللائقة بمسمَّاه إن كان فاعل نعم ، وبالجامع[(٥)] لأكمل خصال الذمّ إن كان فاعل بئس ، والتوكيد المعنوىُّ منافٍ للقَصْدين فاتُّفق على منعه . وعلى القول بـأنَّ أل عهديّةٌ فقد يمكن

(١) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٠٧ : « فأجيز جوازاً حسناً أن يكون المدعو وصفاً للمعنى ».

(٢) الذى فى إعراب الحماسة : « وذلك أن يكون الذم إنما وقع على أن يحط حاتم عن الفتيان المدعوين بالليل » . وبعده : « أى انحط حاتم عن جميع الفتيان عموماً » . وهذا هو الوجه فى تخريج بيت يزيد بن قنافة .

(٣) انظر الحاشية السابقة . ولعل نسخة البغدادى من إعراب الحماسة ناقصة الجودة .

(٤) فى إعراب الحماسة : « يصح ويصح » ، ولعل صوابه « يضح ويصح » الأولى من الوضوح ، والثانية من الصحة .

(٥) ش : « والجامع » .

أن يجوز توكيدُه توكيدًا معنوياً لانتفاء المانع. قال فى الشرح : وأمّا التوكيد اللفظىُّ فلا يمتنع لك أن تقول نعم الرجل الرجل زيد . ا هـ . قيل: وينبغى أن لا يُقْدَم على جواز ذلك إلاَّ بسماع ، لأَنَّ باب نعم وبئس له أحكامٌ مغايرة ، وأمَّا النعت فلا ينبغى أن يمتنع على الإطلاق ، بل يمنع إذا قُصد به التخصيص مع إقامة الفاعل مقام الجنس ، لأَنَّ تخصيصه حينئذ منافٍ لذلك القَصد . وإذا تُؤوِّل بالجامع لأَكمل الخصال فلا مانعَ من نعته حينئذٍ ، لإمكان أَنْ ينوى فى النَّعت ما يُنوَى فى المنعوت . وعلى هذا يُحملُ قولُ الشاعر :

نعم الفتى المرِّىُّ أنت . . . . البيت

وحمل ابن السَّرَّاج وأَبو علىٍّ مثلَ هذا على البدل، وأَبَيَا النعت. ولا حجّة لهما . ا هـ . ١١٤

قيل : أَمَّا منعُ وصفهِ فهو قولُ الجمهور . وقال بعضهم : لا يجوز عند البصريِّين . ا هـ .

وأَجاز أَبو الفتح فى بيت الحماسة :

* لبئس الفتى المدعوُّ بالليل حاتم *

أن يكون المدعوُّ وصفاً للفتى . ومقتضى سكوتِ المصنِّف عن البدل والعطف جوازهما . قِيل : وينبغى أن لا يجوز منهما إلَّا ما يباشره نعم وبئس . انتهى كلام المرادى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لزهير بن أَبى سلمى عدَّتها سبعةٌ وعشرون بيتاً ، مدح بها سِنان بن أَبى حارثة المرِّىّ ، بدأ بذكر حبيبته سَلمى ، ثم انتقلَ إلى وصف ناقته إلى أن قال :

أبيات الشاهد

(وتَيَمَّمَتْ عُرْضَ الفَلاةِ كأنَّها غَرَّاءَ من قِطَع السَّحاب الأَقْهدِ
وإلى سنانٍ سيرُها ووشيجُها حتَّى تلاقيَه بطَلْق الأَسْعُدِ
نعم الفَتى المرِّىُّ أنت إذا هُمُ حَضَروا لدَى الحُجُرات نارَ المُوقدِ
خَلِطٌ أَلُوفٌ للجميع ببيتِه إذْ لايحُلُّ بِحَيْزة المتوحِّدِ
يَسِطُ البُيوتَ لكي يكونَ مَظِنَّةً من حيثُ توضع جَفنةُ المُسترفِدِ)

قوله : « وتيمَّمَتْ عُرض الفلاة » الخ تيمَّمتْ : قصدت ، وفاعله ضمير الناقة . والعُرْض بالضم : الجانب . والغَرّاءُ : البيضاءُ . والأَقهد : الأَبيض من كلِّ شيءٍ . أى كأَنَّ الناقةَ سحابةٌ بيضاءُ فى سُرعتها . والسَّحابة البيضاءُ أَخفُّ وأَسرع ذهابًا ، لقلَّة مائها .

وقوله : « إلى سنانٍ سَيرُها » هو سنان بن أَبى حارثة بن مُرّة بن نُشْبة بن غَيظ بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان . وكان زهيرٌ مادحًا لسنان هذا ولابنه هرِم بن سنان المرّىّ الذبيانىّ ، وغالبُ مدحِهِ فى ابنه هرم. ووشيجها بالشين المعجمة والجيم، قال شارح ديوانه صَعُوداءُ: الوَشيج : سيرٌ خفيفٌ، هو أَلين سير الإبل[1] ، وسير النجائب. وطَلْق : سَليم من كلِّ سوءٍ ومكروه ، يقال يومٌ طلقٌ وليلة طلقة : ليس فيها حَرٌّ ولا بردٌ ولا مكروه . والأَسعُد : جمع سَعدِ النجوم .

وقوله : « نعم الفتى المرِّىُّ » ، منسوبٌ إلى مرّة أحد أَجداده القريب أَو البعيد . وأَنت هو المخصوص بالمدح . وإذا ظرفيّة، وهمْ فاعلٌ لفعل محذوف يفسِّره ما بعدَه ، كقوله تعالى : ﴿ إذا السَّماءُ انشقَّتْ[2] ﴾ . وهم

(١) رواية الديوان : « ووسيجها » بالسين المهملة ، وفى شرحه : « الوسيج : ضرب من السير » . وهذا هو الصواب إن شاء الله ، فليس فى المعاجم المتداولة أن « الوشيج » بالشين المعجمة ضرب من السير .

(٢) الآية الأولى من سورة الانشقاق .

ضمير الوفود والضُّيوف . ولدى ظرف متعلِّق بحَضَروا . والحُجُرات بضمتين قال شارحه : هى حجرات الأَضياف . يريد البيوتَ التى تنزل فيها الضُّيوف. ونارَ: مفعول حضروا . والمُوقد : اسم فاعل ، قال شارحه : هو الذى يُوقِد ليستدلَّ الغرباءُ والعُفاة بناره فيأْتونه . يريد أنَّه أشدُّ الناس إكراماً لضُيوفه إذا حَضَروا دارَ ضيافته واستدلُّوا عليها بالنار التى يُوقدُها خادِمه ليُقبل عليها مَن رآها . وقال العينى : إذا للمفاجأَة ، وهم مبتدأٌ وحضروا خبره . والحَجَرات : جمع حَجْرة ، وهى شدّة الشتاء . هذا كلامه ، وكأَنه لم يفهم معنى البيت. والحَجَرات بالمعنى الذى ذكره بفتحتين .

وقوله : « خَلِطٌ أَلوف » إلخ خَلِطبكسر اللام ، بمعنى مخالطٍ للناس ومُعاشرهم وله أُلفةٌ بهم فى بيته . والمتوحِّد : المنفرد عن الحىِّ ينزل بعيدًا منهم حتَّى لا يَقصِدَه ضيفٌ . والحَيْزة ، بفتح الحاءِ المهملة .قال شارحه : هو الموضع الذى انحاز إليه لئلاَّ يعرف العفاةُ والضيوفُ موضعَه ، وهذا أَشدُّ شىءٍ تَسُبُّ العربُ به الرَّجل. يقول : سنان يأْلف الحىَّ وينزلبينهم.

وقوله : « يَسِطُ البيوت » إلخ هو مضارع وسَطَ وَسْطا . قال الأَصمعى : ١أ٥
يسط البيوتَ : ينزل وسَطْها . والمَظِنَّة ، قال شارحه : هو الموضع الذى لا يُشَكُّ فيه . والعرب تقول : اطلب الأَمرَ فى مظانِّه ، أى فى الموضع الذى لا يُشَكُّ[1] . والظنُّ يكون يقيناً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ورأى المُجرِمُون النَّارَ فظَنُّوا أَنَّهم مُواقِعُوها[2] ﴾ فأَىُّ ظنّ يكون بعد المعاينة

(١) أى لا يشك فيه ، وفى ش: « تشك » . والمظنة بكسر الظاء ، قال ابن الأثير : « وكان القياس فتح الظاء ، وإنما كسرت لأجل الهاء » . يريد أنه ليس موضعاً عاماً فيجرى على القياس . وانظر شرح الشافية ١ : ١٨٤ — ١٨٥ .

(٢) الآية ٥٢ من سورة الكهف .

وقد أيقنوا ؟ ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وظنَّ داودُ أنَّما فَتَنَّاهُ فاستغفَرَ ربَّهُ وخرَّ راكعًا وأنابَ [١] ﴾، أى أيقن بما فتنَّاه وخرَّ عند اليقين . وهذا كثيرٌ فى كلامهم ومنه قوله تعالى : ﴿ يظُنُّون أَنَّهُمْ مُلاقُو ربِّهم [٢] ﴾، أى موقنون . والمسترفِد : الذى يطلب الرِّفد، وهو النَّيل والعطاءُ . والجَفْنة : القَصْعة التى يُطْعَم فيها الطَّعام .

وترجمة زهير تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد السبعمائة [٤] :

٧٦٧ (فنِعْمَ مَزْكَأً مَنْ ضاقَتْ مـذاهبُهُ
ونِعْمَ مَنْ هو فى سِـرٍّ وإعـلانِ)

على أنَّ (مَنْ) الثانية موصولة بمعنى الذى ، وقعت فاعلا لنعم عند أبى على والمبرد، وهو مبتدأً وخبره محذوفٌ تقديره مثله ، والجملة صلة مَنْ ، والمخصوص بالمدح محذوف ، تقديره : بِشْرٌ .

وأما قوله : فى سر وإعلان ، فهو متعلِّق بنعم ، ولا يجوز أن يتعلَّق بمحذوف على أنَّه خبر هُو ، الواقع صلة الموصول ، لما بيَّنه أبو على .

وقد بسط الكلامَ على هذا المصراع فى احتمال وجوهٍ ثلاثة لمَنْ ، فلا بأس بنقل كلامه ، قال (فى كتاب الشعر) : قال الشاعر :

---

(١) الآية ٢٤ من سورة ص .
(٢) الآية ٤٦ من سورة البقرة .
(٣) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .
(٤) المغنى ٣٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ والعينى ١ : ٤٨٧ والهمع ١ :٩٢/٢ : ٧٦ والأشمونى ١ : ١٥٥ واللسان (زكأ ٨٤) .

(وكيف أَرهَبُ أمراً أَو أُراعُ له
وقد زَكأْت إلى بشرِ بنِ مَرْوانِ
فنعمَ مَزْكأً مَنْ ضاقتْ مــذاهبُه
ونِعمَ مَنْ هُو فى سِرٍّ وإعــلانِ)

القول فى الظَّرف أنَّه يتعلق بنِعْمَ ، وذلك لأنَّه لا يخلو من أن يكون خبر هو فى الصَّلة ، أو يكون متعلِّقاً بنعم . فلا يجوز أن يكون متعلِّقا بمحذوف على أن يكون فى موضع خبر هو التى فى الصِّلة ، لأَنَّ التقدير قبل كون الكلام صلة يكون: هو فى سر وإعلان، وهذا لا معنًى له . فإذَنْ المعنى كَرُمَ هذا الإنسانُ فى سرِّه وعلانيته ، أى ليس ما يفعله من الخير لتصنُّع[1] ، فيفعلُ الخير فى السرِّ كما يفعلُه فى العَلانية . وإذا كان كذلك احتاج « هو » إلى جزءٍ آخر حتَّى تستقلَّ الصلة ، وذلك الجزءُ ينبغى أن يكون الذى هو مثله ، ولا يكون الذى هو هو ، لتكون الصلة شائعة فلا تكون مَنْ مخصوصة ، لأنَّها فاعل نعم . فإن قدَّرت الذى هو هو وأنت تريد الذى هو مثله فتحذف المضاف فيصير الذى هو هو معناه مثلُه جاز أيضًا . وقد يجوز فى القياسِ أن تجعل مَنْ نكرة . فإذا جُعِلَتْ نكرةً احتاجت إلى صفة ، فتكون الجملة التى قدّرتها صلة لها مقدَّرة صفة ، ويكون المقصود بالمدح مضمراً ، لأَنَّ ذكره قد جرى كما جرى ذكر أيّوب قبل قوله تعالى: ﴿ نِعمَ العَبدُ[2] ﴾ فاستغنى عن ذكر ما يخصُّه بالمدح وإظهارِه . ويجوز فى القياس أن تجعل مَنْ نكرة ولا تجعل له صفة كما فُعل ذلك بما ، فى قوله تعالى : ﴿ فنِعِمَّا هى[3] ﴾ . فإذا جعلتها كذلك

---

(١) لتصنع ، أى بسببه . وكذا وردت باللام فى النسختين .
(٢) الآية ٣٠ من سورة ص .
(٣) الآية ٢٧١ من سورة البقرة .

كان كأنَّه قال : فنعم رجلا ، فيكون موضع مَنْ نصباً ويكون هو كناية عن المقصود بالمدح . ووجه القياس فى الحكم على مَنْ أنَّها نكرة غير
١١٦ موصوفة أنَّهم جعلوا ما بمنزلة شيء ، وهو أشدُّ إشاعةً وإبهاماً مِنْ مَنْ. فإذا جازَ أن لا توصف مع أنَّها أشدُّ إبهاماً من مَنْ كان أن لا تُوصَف مَنْ أجوَز ، لأنَّها أخصُّ منها ، فيصير كأنَّه قال : نعم رجلاً هو ، لأنَّها تخصُّ الناس ومَنْ أشبههم ،كما كانت ما تعمُّ الأشياء . إلاَّ أنَّا لم نَعلمهُم فى الاستعمال تركوا مَنْ بغير صفة كما تركوا ما غيرَ موصوفةٍ فى الخبر ، نحو التعجُّب والآيةِ التى تَلوْناها . انتهى كلام أبى علىّ .

وقد نسب ابن هشام (فى المغنى) هذا التَّخريجَ الأَخيرَ إلى أبى على ، ونسب الأَوَّل إلى غيره . قال فى بحث مَنْ ، وفى الباب الثالث : إنَّ مَنْ تأْتى نكرة تامّة عند أبى على ، قاله فى قوله :

* ونعم من هو فى سرٍّ وإعلانِ *

فزعم أنَّ الفاعل مستتر ومَنْ تمييز ، وقوله هو مخصوصٌ بالمدح ، فهو مبتدأٌ وخبره ما قبله ، أَوْ خبرٌ لمبتدإٍ محذوف . وقال غيره : مَنْ موصولٌ فاعل ، وقوله هو مبتدأٌ خبره هو آخرُ محذوف ، على حدِّ قوله :

* وشعرِى شعرِى[1] *

والظرف متعلّق بالمحذوف لأَنَّ فيه معنى الفعل ، أَى ونعم مَن هو الثّابت فى حالتَى السرِّ والعلانية . قلت : ويحتاج إلى تقدير « هو » ثالثٍ يكون مخصوصاً بالمدح . انتهى .

---

(١) لأبى النجم العجلى ، وهو الشاهد ٧١ فى الخزانة ١ : ٤٣٩ . وتمام الشطر :

* أنا أبو النجم وشعرى شعرى *

وصاحب هذا القول هو ابنُ مالكٍ ، قال (فى شرح الكافية) : هو مبتدأٌ خبره هو آخرُ محذوف ، والتقدير : ونعم من هُوَ هُوَ فى سرٍّ وإعلان. وفى متعلقة بهو المحذوف لأَنَّ فيه معنى الفعل . ا هـ .

وعُرف ضعف تقديره « هو هُوَ » من كلام أَبى علىّ .

وقد ردَّ ابن مالك (فى شرح التسهيل) الوَجهَ الثالث ، قال : لايصحُّ لوجهين : أَحدهما أَنَّ التمييز لا يقع فى الكلام بالاستقراء إلاَّ نكرةً صالحة للأَلف واللام ، ومَنْ بخلاف ذلك ، فلا يجوز كونُها تمييزًا . الثانى : أَنَّ الحكم عليها بالتمييز عند القائِل به مرتَّب على كون مَنْ نكرة غير موصوفة ، وذلك منتفٍ بإجماعٍ فى غير محلٍّ النزاع ، فلا يُصار إليه بلا دليلٍ عليه . فصحَّ القول بأَنَّ مَنْ فى موضعٍ رفع بنعم إذ لا قائلَ بقولٍ ثالث . ا هـ .

ورفعها بِنعْم عنده إنَّما يكون على جعلها موصولةً بمعنى الذى ، لأَنَّه الذى ذكره . وأَما جعلها نكرة موصوفة بالجملة التى بعدها ، كما هو الوجه الثانى فى كلام أَبى على ، فلا . وهو واردٌ على قوله : « إذْ لا قائل بقولٍ ثالثٍ » فتأَمَّلْ . ويكون هذا من لغة مَن يرفع بنعم النكرة كما يأْتى بعد هذا .

وأَجاب التِّبريزى (فى شرح الكافية) بأَنَّ نحو نعم غلامَ رجل زيد بنصب الغلام ، تمييزٌ . ولم يقبل اللام . وأَيضاً كونه فاعلاً لا يصحُّ إلاَّ إذا كان معرَّفاً باللام ، أَو مضافاً إلى المعرَّف باللام . ومَنْ ليس شيئًا من ذلك .

وأَما الثانى فمعارَضٌ بمثله فى هذه الصُّورة فيما تقدَّم . أَمَّا فى هذه

الصورة إنّما[1] يجوز أن يقع فاعلا إذا كان معرَّفاً باللام أو مضافاً إليه ، وليس كذلك . وأما فى غيرِ هذه الصُّورة إنّما تقع ما فاعلا معرفةً إذا كان فى غير صورة : ﴿ نِعِمَّا هى﴾ ثبت كونُها معرفةً غير موصولة ، ولا يصار إليه من غير دليل . وأمَّا المصراع الذى قبل هذا وهو :

* ونِعم مَزْكأً مَنْ ضاقت مذاهبُه *

فقد قال ابنُ مالك : إنَّ مَن فيه موصولة أيضاً ، قال (فى شرح تسهيله) : ومما يدلُّ على أنَّ فاعل نعم قد يكون موصولاً ومضافًا إلى موصول قولُ الشاعر :

ونعم مَزكأً مَنْ ضَاقتْ مَذَاهبُه .... البيت

قال : فلو لم يكن فى هذا إلّا إسنادُ نعم إلى المضاف إلى مَنْ لكان فيه
١١٧ حُجَّةٌ على صحة إسنادِ نعم إلى مَن ، لأنَّ فاعل نعم لا يضاف فى غير نُدور إلى ما يصلح إسناد نعم إليه ، فكيف وفيه نعم من هو . ا هـ .

قال المرادىّ : ولا حجَّة فى البيت ، لاحتمال أن تكون مَنْ فى قوله : « مزكأً مَنْ » نكرة موصوفة ، وتكون نعم قد رفعت المضافَ إلى النكرة على ما تقدَّم نقلُه عن الأخفش . ا هـ .

وقوله : « وكيف أرهب » إلخ ، الرَّهَب محركة : الخوف . وأُراع بالبناء للمفعول ، من الرَّوع وهو الفَزع . وزَكأً بالزاى المعجمة والهمز فى آخره ، أى لجأ . يقال زكأْتُ إليه : لجأْتُ إليه . والمَزْكأُ مَفْعَل ، اسم مكان منه ، بمعنى الملجأ .

(١) كذا بسقوط الفاء فى النسختين فى هذا الموضع والموضع التالى أيضاً .

وبشر هو ابن مَرْوان بن الحكم بن أَبى العاص بن أُميَّة القرشى العَبْشَمىّ الأُموىّ . كان سمحاً جوادا . ولىَ إمرةَ العراقين لأَخيه عبد الملك وهو أَوَّل أَميرٍ مات بالبصرة ، وذلك سنة خمس وسبعين ، عن نيِّف وأَربعين سنة . بشر بن مروان

والبيتان لم أَقف على قائلهما . والله أَعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد السبعمائة(١) :

٧٦٨ (فنِعْمَ صــاحبُ قومٍ لا سِلَاح لهُمْ)

على أَن مجىء فاعل نعم نكرةً مضافة إلى مثلها قليل .

قال المرادىّ (فى شرح التسهيل) بعد قول ابن مالك : « وقد ينكَّر مفردًا أَو مضافاً(٢) » : حكى الأَخفش أَنَّ نَاساً من العرب يرفعون بنعم النكرةَ مفردةً ومضافة ، فيقال على هذا : نعم امروٌ زيد ، ونعم صاحبُ قومٍ عَمْرٌو . ووافق الأَخفَش فى كون الفاعل نكرةً مضافة . وإلى هذا ونحوِه أَشار بقوله « وفاعل فى الغالب(٣) » . ونُقل إجازة كونِه مضافاً إلى نكرة عن الكوفيِّين وابن السَّرَّاج . وَمَنع ذلك عامّةُ النحويِّين إلاَّ فى الضرورة ، كقوله :

فنعم صــاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهمْ
وصــاحبُ الرَّكب عثمان بن عفــانا

(١) ابن يعيش ٧ : ١٣١ والمقرب ١ : ٦٦ والعينى ٤ : ١٧ والهمع ٢ : ٨٦ والأشمونى ٣ : ٢٨ .

(٢) التسهيل ١٢٧ .

(٣) نص التسهيل ١٢٦ : « فاعل نعم وبئس فى الغالب ظاهر معرف بالألف واللام ، أو مضاف إلى المعرف بهما مباشراً أو بواسطة » .. الخ . ثم قال : « وقد ينكر مفرداً أو مضافاً » .

وقد كان يمكن تأويل هذا البيت على حذف التمييز لولا أنَّ الأخفش حكى أنَّ ذلك لغةٌ للعرب . وزعم صاحبُ البسيط[١] أنَّه لم يرد نكرةً غير مضافة . وليس كما زعم ، بل ورد ولكنَّه أقلُّ من المضاف . ومنه قوله[٢] :

وسَلمى أكْملُ الثَّقَلين حُسناً ... وفى أثوابها قَمَرٌ ورِيمُ
نِيافُ القُرطِ غَـرّاءُ الثَّنايا ... ورِيد للنِّساءِ ونعم نِيمُ[٣]

والنِّيم : الضَّجيع والضجيعة[٤] . وأجاز بعضُ النحويِّين أن يكون فاعل نعَم وبئس مضافا إلى ضمير ما فيه الألف واللام ، فأجاز : القومُ نعمَ صاحبُهم أنت . وأنشد :

* فنعمَ أخو الهَيْجا ونِعْمَ شِهابُها[٥] *

قال بعضهم : والصَّحيح المنع . وهذا ممَّا يُحفَظ ولا يقاس عليه . اهـ.

وبقى فى القسمة النكرة الموصوفة كما تقدَّم فى الشاهد قبل هذا .

وقال أبو على (فى المسائل البصرية) : اعلم أنَّ العرب تجعل ما أضيف[٦] إلى ماليس فيه ألفٌ ولامٌ بمنزلة ما فيه الألف واللام فترفعه ،

(١) هو ركن الدين حسن بن محمد الإستراباذى الحسنى المتوفى سنة ٧١٧ . وفى كشف الظنون أن له ثلاثة شروح على كافية ابن الحاجب : كبير وهو المسمى بالبسيط ، ومتوسط وهو المسمى بالوافية ، وصغير .

(٢) هو تأبط شراً ، كما فى اللسان (نوم ٧٩) . والريم : الرئم ، وهو الظبى الخالص البياض .

(٣) فى النسختين : « تيم » بالتاء . وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب نيم بالنون » . أما الريد فهى مسهلة الرئد بالهمز ، وهى الترب بكسر التاء . ورئد الرجل كذلك : تربه .

(٤) فى النسختين هنا أيضاً : « التيم » بالتاء تحريف . وفى اللسان : « قيل عنى بالنيم القطيفة ، وقيل عنى به الضجيع » .

(٥) لم يوقف له على قائل ولا على تتمة .

(٦) عبارة : « ما أضيف » ساقطة من ش .

كما ترفع ذلك ، فتقول : نعم أخو قومٍ زيد . قال :

* فنعم صاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهم *

١١٨ هو بمنزلة صاحب القوم . فإن قلت : لَعلَّهُ ينشَد بالنصب « صاحبَ قوم » ؟ قلت : لا يكون ذلك لأَنَّك لاتعطف معرفة مرفوعة على نكرةٍ منصوبة . وهذا ضعيف. ولو قلت : نعم رجلاً فى الدار وزيدٌ ، لم يجُزْ لأَنَّه ليس قبل زيد شيءٌ يعطف عليه ، لأَنَّ فى الدار ليس باسم ، ورجلاً نكرة منصوبة . ا هـ .

وقال ابن برى (فى [شرح[١]] أَبيات الإِيضاح لأَبى على) : زعم الأَخفشُ أَنَّ قوماً من العرب يرفعون النكرة المضافة إلى ماليس فيه الأَلف واللام بنعم . قال أَبو على : ولا يجوز ذلك على مذهب سيبويه ، لانَّ المرفوع بنعم لا يكون إلاَّ على الجنس . ولو قلت : أَهلكَ النَاسَ شاة وبعيرٌ ، لم يدل على الجنس كما دلَّت عليه الشَّاة والبعير . ولا يجوز صاحبَ قوم بالنَّصب ، لقوْله « وصاحبُ الركب » ، ولا يعطف مرفوع على منصوب . ولا يكون معطوفاً على مضمر فى نعم ، لأَنه مضمر يحتاج إلى التفسير ، فكأَنَّه لم يتمّ ، فلا يجوز إظهارُه ولا تأْكيدُه ولا العطفُ عليه . وإذا قبح العطف على المضمَر المرفوع بالفعل دون تأْكيده فأَن لا يجوز هذا أَولَى ، لمَا بيّنَّاه . انتهى كلامه .

قال ابن يعيش : ولو نصبت صاحبَ قوم فى غير هذا البيت على التَّفسير لجاز ، كما تنصب النكرة المفردة فى نحو : نعم رجلاً ، لكنه ضعيف ههنا ، لعطفك فى قولك : « وصاحب الركب عثمان » ، والمرفوع

(١) التكملة من ش .

لا يعطف على المنصوب . وكأَنَّ الذى حسَّن ذلك فى البيت قوله : « وصاحب الركب » لمَّا عطف عليه ما فيه الأَلف واللام دَلَّ على أَنَّها فى المعطوف عليه مُرادة ، لأَن المعنى واحد فاعرفْه . والبيت لكثيِّر بن عبد الله النَّهشلى المعروف بابن الغريرة . وقيل لحسَّان بن ثابت . ا هـ .

وقد راجعتُ ديوان حسان فلم أَجدْه .

وقال العينى : عزاه ابنُ السِّيرافى (فى شرح أَبيات الإِيضاح) لكثيِّر ابن عبد الله المذكور .

وقد راجعته أَيضاً فلم أَجده فيه .

وقال أَيضاً : ونسبَه صاحب (المُوعَب فى اللغة[1]) وأَبو حاتم (فى كتاب إِصلاح المُفْسَد) إِلى أَوس بنَ مَغْراءَ . وقبله :

ضحَّوْا بأَشمَطَ عُنوانُ السُّجودِ به
يقطِّع الليـــل تسبيحاً وقـــرآنا

وأَقول : ذكر الذهبى (فى تاريخه) أَنَّ هذا البيت من أَبيات لحسَّان ابن ثابت .

وقد راجعتُ ديوانه فرأَيت أَبياتًا على هذا الوزن ، وما فيها هذا البيت . والله أَعلم .

كثير النهشلى — وكثيِّر بن عبد الله المذكور أَورده ابن حجر (فى قسم المخضْرَمين

---

(١) هو ابن التيانى ، كما فى إقليد الخزانة ١٢٢ . وقال الميمنى : « عثروا عليه ووصفوه فى مجلة لغة العرب سنة ١٣٣٢ هـ . وذكروا أن نسخته فى ١٢٤ ورقة » . وانظر لترجمة ابن التيانى إنباه الرواة بتحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم ١ : ٢٥٩ حيث تكفل بذكر مراجع ترجمته ، وأضف إليها جذوة المقتبس ص ١٧٢ . وقد سبق ذكر هذا الكتاب فى الخزانة ٣ : ٣٠١ .

من الإصابة) قال : هو كثيِّر بن عبد الله بن مالك بن هَبيرة بن صَخْر ابن نَهْشل بن دارم بن مالكِ بن حنظلة . يعرف بابن الغَريرة النَّهشلى[١] ، ذكره المرزبانى (فى معجم الشعراء) وقال : شاعر مخضرمٌ بقِىَ إلى إمرة الحجَّاج . وهو الذى يقول فى قصيدةٍ رثى بها عثمان بن عفَّان :

لعمرُ أبيكَ فلا تجزَعَنْ لقد ذهب الخيرُ إلَّا قليلا
وقد فُتِنَ النـاسُ عن دينِهم وخَلَّى ابنُ عفَّانَ شرًّا طويلا[٢]

وقال أبو الفرج الأصبهانى : كان شاعراً مخضرماً ، أدرك الجاهليَّة والإسلام . وغزا الطَّالِقان فى عهد عُمرَ مَع العبَّاس بن مرادسٍ وأخيه . وأنشد له فى ذلك أبياتًا منها[٣] :

سَقَى مُزنُ السَّحابِ إذا استهلَّت مَصارِعَ فِتْيةٍ بالجُوزَجانِ

١١٩ وقوله : « ضحَّوا » إلخ أى ذبحوه كالأُضْحِيَّة . فى المصباح : وضحَّى تضحية ، إذا ذبح الأُضحيَّة وقتَ الضُّحى . هذا أصله ثم كثُر حتَّى قيل ضحَّى فى أىّ وقت كان من أيام التَّشريق . ويتعدَّى ، أى بالحرف . فيقال ضحيَّت بشاة . قال ابن برى : قوله ضَحَّوْا أى جعلوه بدل الأُضحيَّة كأنَّهم قتلوه فى أيام لحوم الأَضاحى ، وذلك يومَ الجمعة لثمانِ عشرةَ ليلةً خلَتْ من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة . انتهى .

والشَّمَطُ بالتحريك : بياضُ الشَّعَر من الرأسِ يخالط سوادَه ، والرجل أَشمطُ ،والمرأة شمطاءُ . وشَمِط يَشمَطُ من باب فرح . وعُنوانُ مبتدأٌ بمعنى

(١) الغريرة أمه ، وقيل جدته ، وكانت سبية من بنى تغلب . معجم المرزبانى ٣٤٩ .
(٢) ط : « فتر » ، صوابه فى ش . وفى معجم المرزبانى : « فنى » ، تحريف .
(٣) يرثى بها من قتل من أصحابه بالطالقان والجوزجان . والقصيدة فى عشرين بيتا عند أبى الفرج ١٠ : ٩٢ .

علَامة ، وبه خبره ، والجملة صفة أشمط . وقال العينى : عنوان السُّجود حال من ضمير يقطِّع ، ويجوز جرُّه على النعت لأَشمط ، كأَنَّه قال : بأَشمطَ ظاهرِ الخَيْر . قال أَبو الحجَّاج : وقد يكون حالا من أَشمط وإن كان نكرة ، لأَنَّها مفهومُ مَن يراد بها[١] . هذا كلامه .

وأقول : الحاليَّة لا تجوز لا لفظًا ولا معنًى على الأَوّل ، ولا لفظًا على الثانى للتعريف .

وقوله : (فنعم صاحبُ قوم) إلخ قال العينى : إشارةٌ إلى فضلِ عثمان رضى الله تعالى عنه ، وأَنَّه يَغْنَى يومَ القيامة بالشَّفاعة غِنَى مَنْ دافع فى الدُّنيا بسلاحِه عن عُزَّل الجماعة . وقد يكون السِّلاح أَيضًا عبارةً عن بذله لماله وتوسِعَته لصَحْبه ، فيكون ذلك أَجدَى من السِّلاح لحامله .

هذا كلامه ، وليس معنى الشِّعر ، إنَّما معناه إشارةٌ إلى قوله يوم الدَّار : « مَنْ رمى سِلاَحه كانَ حُرًّا » .

وقوله (صاحبُ الرَّكْب) ، أَى رَكْبِ الحجّ .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد السبعمائة[٢] :

٧٦٩ (أَو حُرَّةٌ عَيْطلٌ ثَبْجاءُ مُجفَرَةٌ

دعـائمَ الزَّوْرِ نِعْمَتْ زورقُ البَلدِ)

على أَنَّه قد يؤنَّث (نعم) لكون المخصوص بالمدح مؤنَّثاً وإن كان الفاعلُ مذكَّراً ، فإنَّه أَنَّث نعم مع أَنَّه مسنَدٌ إلى مذكَّر ، وهو زورقُ البلد .

---

(١) كلمة « بها » ساقطة من ش .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٣٦ والمقرب ١ : ٦٨ وديوان ذى الرمة ١٤٦ .

لأنَّه يريد الناقة ، فأنَّث على المعنى كما أُنِّث مع البلد فى قولهم : هذه الدار نعمت البلد ، حين أراد به الدَّار . وكقول الراجز :

نعمَتْ جزاءُ المتَّقِينَ الجَنَّه   دارُ الأَمــانى والمُنَى والمِنَّه[(١)]

و (الحُرّة) : الكريمة ، وأراد بها الناقة. و (العيطل) : الطَّويلة العُنق. و (ثَبْجاءُ) بفتح المثلثة وسكون الموحَّدة بعدها جيم : الضَّخمةُ الثَّبَجِ ، وهو الصَّدْر . كذا جاءَ فى تفسير هذا الشعر . والثَّبَجُ ، بفتحتين : ما بين الكاهل إلى الظهر . أَى إنَّ هذا منها عظيم . وقال ابن يعيش : ثبجاءُ : عظيمة السَّنام . و (المُجْفَرة) بضم الميم وسكون الجيم وكسر الفاءِ : العظيمة الجنْبِ الواسعةُ الجوف . والجُفْرة بالضم : الوسَط ، يقال فرس مُجفَر وناقةٌ مُجْفَرة ، إذا كانت عريضة الجِرْم . وصَفَها بأَنَّها عظيمة القوائم ، وكنَى عن ذلك بدعائم الزَّور . و (الدَّعائم) : القوائم . و (والزَّور) بفتح الزاى : أَعلى الصَّدر . وقال ابن المستوفى : دعائم الزَّور : الضلوع ، وكلُّ ضِلع دِعامة . وانتصب دعائمَ الزَّور على التشبيه بالمفعول به ، فهو من باب الحسن الوجْهَ . وقيل انتصابه على التمييز[(٢)] وهو ضعيف ، لأَنَّه معرفة . واخطأَ من وجهين صاحب[(٣)] (التخمير) و (الموشَّح) فى قولهما : إنَّه منصوب على التَّمييز للمخصوص بالمدح المحذوف وناصبه نعمت . و (زورق) فاعل نعم ، والمخصوص بالمدح محذوف ، وهو ضمير الحُرّة ، أَى هى . و (الزَّورق) : السفينة . ١٢٠
و (البَلَد) : الأَرض والمفازة . وهذا كقولهم : الإبلُ سُفُن البرِّ ، فإنَّ

(١) شذور الذهب ٢١ .
(٢) ش : « وقيل على التمييز » بإسقاط « انتصابه » .
(٣) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية على حذف المضاف من الثانى لدلالة الأول عليه .

الإبل تشبَّه بالسُّفن ، والمفاوزُ بالبحار . وهذا التشبيه شائع . قال أبوعبيدٍ (فى الغريب المصنف) : البُوصيُّ : الزَّورق . وتعقَّبه علىُّ بن حمزة البصرى بأَنَّ البُوصىَّ إنَّما هو من سُفن البحر ، وهو بالفارسية : بُوزى ، والزَّورق بالنَّبطية ، وقد تكلَّمت به العرب ، وجمعه الزَّوارق . والزَّورق ممَّا يجرى فى الماءِ العذب بدِجلة والفرات . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لذى الرُّمَّة ، مدح بها بلالَ بن أَبى بُردة . وقبله :

أبيات الشاهد

(ومَنْهلٍ آجن قَفرٍ مَحَاضِرُهُ
خُضْرٍ كواكبُه ذى عَرْمَضٍ لَبِدِ
فرَّجت عن خوفه الظلماءِ يحملُنى
غَوْجٌ من العِيد والأَسرابُ لم تَرِدِ[(١)]
باقٍ على الأَين يُعطِى إن رفَقت به
مَعْجا رُقاقاً وإن تَخرَق به يَخِدِ[(٢)]
أوحُرَّةٌ عيطلٌ ثبجاءُ مُجفَرة
. . . . البيت
لانت عريكتُها من طول ما سمِعَتْ
بين المفاوز تَنْآمَ الصَّدَى الغَرِدِ
حنَّت إلى نَعَمِ الدَّهنا فقلتُ لها
أُمّى بلالاً على التوفيق والرَّشَدِ)

المنهل : المورد ، والواو: واو رب . والآجِن : الماءُ المتغيِّر الطعم واللَّون .

---

(١) ط : « العبد » فى هذا البيت وفى تفسيره التالى ، صوابه فى ش والديوان .
(٢) ط : « إن رفعت » ، صوابه فى ش والديوان .

وأَجَنَ الماءَ يأْجِنُ ويأْجُنُ من باب ضرب ونصر ، أَجْناً وأُجوناً . وحُكِى أَجِنَ من باب فرح . والمحاضر : جمع مَحضر كجعفر ، وهو المرجع إلى المياه . وكوكب الشيء : معظَمُهُ . والعَرْمَض ، كجعفر ، بإهمال الأَوّل وإعجام الآخِرِ : الطُّحلب ، وهو الأَخضر الذى يعلو الماءَ . واللِّبِد بكسر الموحدة : المتلبِّد المتراكبُ بعضُه على بعض .

والظَّلماءَ مفعول فَرّجتُ . وجملة يَحملُنى حالٌ من تاء فرَّجت . والغَوج ، بفتح المعجمة وسكون الواو بعدها جيم : اللَّيِّن المعاطف من الإبل والخيل . والعِيد ، بكسر المهملة : فحلٌ منجبٌ من الإبل(١) . والأَسراب : جمع سِرب بالكسر ، وهو القطيع من القطا ، والظباء ، والوحش ، والنِّساءِ . وتَردُ ، مِن وُرود الماءِ .

والأَين : التَّعب . والمَعْج ، بفتح الميم وسكون العين المهملة بعدها جيم : سُرعة السَّير . والرُّقاق بضم الراءِ : الرقيق . وتَخرَق بفتح الراءِ : مضارع خَرِق بكسرها خَرَقاً بفتحتين ، إذا عمل شيئًا فلم يرفُق به ، والاسم الخُرْق بالضم ، وهو العُنْف . ويَخِدُ من الوَخْد ، وهو ضربٌ من سير الإبل ، وهو أَن يَرمِىَ بقوائمه كمشْى النَّعام .

والعريكة : الخلُق . والتَّنْآم : تفعالٌ من النَّئيم ، وهو صوتٌ فيه

---

(١) فى اللسان (عود) : « كأنه ضرب فى الإبل مرات » . وهذا تعليل لتسمية هذا الفحل . وهو أحد أقوال فى نسبة العيدية ، وقيل العيدية منسوبة إلى عاد بن عاد ، أو عادى بن عاد ، على النسبة الشاذة فيهما . وقيل منسوبة إلى بنى العيد قبيلة . وتجد هذه الأقوال جميعها فى اللسان . وفى شرح ديوان ذى الرمة : « العيد قبيلة من مهرة إبلهم نجائب » .

وفى الاشتقاق ٥٥٢ عند الكلام على مهرة بن حيدان : « ومنهم بنو عيدى ، تنسب إليهم الإبل العيدية . وفى نهاية الأرب للقلقشندى ٦٩ : « بنو العيدى بكسر العين وسكون المثناة : بطن من مهرة من قضاعة ، وهم بنو العيدى بن فدعى بن مهرة » .

ضَعف كالأَنينِ . والصَّدَى : ذكَر البُوم . والغَرد بكسر الراءِ : المتطرِّب فى الصَّوت . والغَرَد بفتحها : الغِناءُ ، يقال غَرِدَ الطائر ، من باب فرح .

والنَّعَم بفتحتين : الإبل . والدَّهنا : موضعٌ ببلاد تميم ، يمدُّ ويقصر . وأمِّى : اقصِدى .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد السبعمائة[٢] :

٧٧٠ (بُعْدَ ما مُتأَمَّلِى)

وهو قطعةٌ من بيت من معلَّقة امرئ القيس ، وهو :

(قَعَدتُ له وصُحبتى بَيْنَ ضارجٍ
وبين العُذَيبِ بُعْدَ ما مُتأَمَّلِى)

١٢١ على أنَّ (بُعْدَ) فيه للمدح والتعجُّب ، وأصله بَعُدَ بفتح الباءِ وضم العين أصالَة ، أُلحِقَ بفِعْل المدح . ويجوز فى بائه وجهان : فتحها وتسكين عينها بحذف حركتها ، وضمّها بنقل حركة عينها إليها ، كما يجوز فى كلّ فعل المرادُ به المدح أو التعجُّب ، كماقال الشارح المحقِّق فى آخر الفصل وصوَّره بهذا البيت .

وقد روى أيضاً بالوجهين . قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : رواه أبو إسحاق الزيادى عن الأصمعىّ « بُعْدَ » مضمومة الباءِ ، ومعناه يا بُعْدَ ما تأَمَّلت ، على التعجب ، أى تثَبتٌ فى النظر أين يَسقِى[٣] . ورواه أبو حاتم : « بَعْدَ » بفتح الباءِ ، وقال : خفَّف بَعُدَ فأَسكن العين وبقيت الباءُ مفتوحة ، مثل كَرُمَ وكَرْمَ . انتهى .

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) التصحيف للعسكرى ٢٢٥ وشرح شواهد الشافية ٣٩ ورصف المبانى للمالقى ٥٢ .

(٣) فى التصحيف : « أين تسقى » ، وما هنا صوابه .

وفيه ردٌّ على ابن مالك (فى التسهيل) فى اشتراط نقل ضمّ العين إلى الفاء بكون الفاءِ حرفاً حلقيًّا كحَبَّ وحَسن . و« ما » بعدَ « بُعْدَ » إمّا زائدة ، ومتأمِّلى فاعل بعد وهو مضاف إلى الياء ، والرفع فيه مقدَّر ، والمخصوص بالمدح محذوف . وإمّا اسمٌ نكرةٌ منصوبةُ المحلّ على التمييز للضمير المستتر فى بعد ، ومتأمِّلى هو المخصوص بالمدح والتعجُّب ، فتكون « ما » كما فى قوله تعالى : ﴿ فنِعِمَّا هى[1] ﴾ .

أبيات الشاهد

وقبْلَ هذا البيت :

(أصاح ترى بَرقاً أُرِيكَ وميضَهُ
كلمع اليَدينِ فى حبىٍّ مُكَلَّلِ

يُضىءُ سَناهُ أو مصابيحُ راهبٍ
أهانَ السَّلِيطَ بالذُّبالِ المفتَّلِ

قعدت له وصحبتى . . . .) البيت

قوله : « أَصاحْ ترى » إلخ ، الهمزة لنداء القريب . وصاح : مرخم صاحب ، وحذف همزة الاستفهام بعده للضَّرورة . والوميض والإيماض : اللَّمعان . يقال ومَض البرقُ وأَومَض ، إذا لمع وتلألأَ . واللَّمْع :التحرُّك والتحريك جميعاً . والحَبِىُّبالحاءِ المهملة وكسر الموحَّدة، وهو السَّحاب[2] المتراكِم ، سمِّى به لأَنَّه حبَا بعضٌ إلى بعض[3] أى تراكم . وجعلهُ مكلَّلا ، لأَنَّه صار كالإِكليل لأَسفله . ومنه قولهم : كلَّلت الرجل ، إذا توَّجته . ويروى: « مكلِّل » بكسر اللام : اسم فاعل من كلَّل تكليلا ، إذا تبسَّم .

---

(١) الآية ٢٧١ من البقرة .

(٢) ش : « هو السحاب » بدون واو .

(٣) كذا فى النسختين ، أى بعض منه .

يقول : يا صاحبي هل ترى برقا أُريكَ لمعانَهُ في سحابٍ متراكم صار أعلاهُ كالإكليل لأسفله ، أو في سحابٍ متبسِّم بالبرق ، يشبِهُ برقهُ تحريكَ اليدين . أراد بتحريك تحرُّكهما . وتقدير البيت : أُريك وميضه في حَبِيٍّ مكلل كلمع اليدين. شبَّه لمعان البرق وتحرِيكه بتحرُّك اليدين .

وقوله : « يضيءُ سَناه » إلخ السَّنا بالقصر : الضَّوءُ ، يقال سَنا يَسنُو . والسَّليط : الزَّيت ، وقيل الشَّيرج[1] ، وسمِّي سليطًا لإضاءَتِه السِّراج ، ومنه السُّلطان لوضوح أمره . والذُّبال : جمع ذبالة ، وهي الفتيلة . ومعنى أهان السَّليط أنَّه لم يُعِزَّه وأكثَرَ الإيقاد به . وروى : « أمال السليط » ، فقيل من المقلوب ، وتقديره أمال الذُّبال بالسَّليط ، إذا صبَّه عليه . وقال بعضهم : تقديره : أمال السَّليط مع الذُّبال ، يريد أنَّه يُميل المِصباحَ إلى جانب فيكون أشدَّ إضاءة لتلك الناحية من غيرها . يقول : هذا البرق يتلألأُ ضوءُه ، فهو يشبه في تحرُّكه لمعَ اليدين أو مصابيحَ الرُّهبانِ التي أُميلت فَتائلُها بصبِّ الزَّيتِ عليها في الإضاءة ، يريد أن تحرُّكه يحكي تحرُّك اليدين ، وضوءه يحكي ضوءَ مصابيح الرُّهبان . هذا ما نقلته من شرح الزوزني .

ومصابيح بالجر معطوف على لمع .

وقوله : « قعدتُ له » إلخ قال الخطيب التبريزي : صُحبَة بالضم :

---

(١) جاء في استدراك التاج (شرج) : « والشيرج كصيقل وزينب : دهن السمسم ، وربما قيل للدهن الأبيض ، وللعصير قبل أن يتغير ، تشبيهاً به لصفائه . وهو ملحق بباب فعلل نحو جعفر ، ولا يجوز كسر الشين ، والعوام ينطقون به بإهمال السين مكسورة ، وهو معرب » . وقال في (سرج) : « معرب سيره » .

اسم جمع صاحب . وضارج والعُذيب : مكانان . أى قعدت لذلك البرق ١٢٢
أنظر من أين يجىءُ بالمطر .

ومعنى قوله : (بُعْدَ ما متأَمَّلى) : ما أبعد ما تأَمَّلت . وحقيقته أنَّه نداءٌ مضاف . والمعنى : يا بعد ما متأَمَلى ، أى يا بعد ما تأَمَّلت . وروى الرياشىُّ بفتح الباء وهى تحتمل معنيين : أحدهما أنَّ المعنى بَعُد ، ثُمَّ حذف الضمة . ويجوز أَنْ يكون المعنى بَعْدَ ما تأَمَّلت . هذا كلامه .

وقال الزوزنى : يقول قعدت للنَّظر إلى السَّحاب وأَصحابى بين هذين الموضعين وكنت معَهم ، فبَعُدَ متأَمَّلى[1] وهو المنظور إليه ، أى بَعُدَ السحاب الذى كنت أَنظر إليه وأَرقُب مطَره وأَشِيمُ برقه . يريد أنَّه نظر إلى هذا السحاب من مكانٍ بعيد فتعجَّب من بُعْدِ نظره . انتهى .

وحاصلُه أَنَّ بَعْد بالفتح فعلٌ ماضٍ مسكَّن العين ، وما زائدة ومتأَمَّلى اسم مفعول واقعٌ على السَّحاب مضاف إلى ياء المتكلم ، كما سبق من تقرير كلام الشَّارح المحقق ، من أنَّه مصدر مضاف إلى الياء .

ثم قال الزوزنى : وقال بعضهم : إنَّ ما فى البيت بمعنى الذى ، تقديره بَعُدَ ما هو متأَمَّلى ، فحذف المبتدأُ ، وتقديره على هذا لقول : بعد السحاب الذى هو مُتأَمَّلى . انتهى .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد السبعمائة[3] :

٧٧١ (وحُبَّ بها مَقْتولةً حِينَ تُقْتَلُ)

(١) ط : « متأمل » ، صوابه فى ش وشرح الزوزنى .

(٢) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٣) الأصول لابن السراج ١ : ١٣٧ وسر الصناعة ١ : ١٥٩ وابن يعيش ٧ : ١٢٩ ، ١٣٨ ، ٢٤١ وشرح شواهد الشافية ١٤ والعينى ٤ : ٢٦ وديوان الأخطل ٤ .

على أنَّ حُبَّ فيه للمدح والتعجُّب ، وأَصلها حَبُب بضم العين للتحويل المذكور . فإنْ نقلنا حركةَ العَين إلى الفاء بعد حذف حركتها صار حُبّ بضم الأَوّل . وإنْ حذفنا ضمة العين صار حَبّ بفتح الأَوّل . والإدغام فى الصورتين واجبٌ لاجتماع المثلين والأَوّلُ منهما ساكن . وفاعلها الضمير المؤنَّث المجرور بالباء ، لأَنَّ هذه الصيغة تعجبيَّة لكونها بمعنى أَحبِبْ بها .

قال ابن الحاجب (فى أمالى المفصَّل) : مقتولة نصب على الحال من الضمير فى بها ، وبها فاعل حُبّ، زيدت فيه الباءُ على غير قياس كقوله : ﴿ كفَى بالله شهيدا[1] ﴾ . وقال صاحب التخمير[2] : الباءُ فى بها ههنا للتعجُّب ، ونظيره قولهم : كفاك بزيد رجلا . وقال ابن السرَّاج[3] : الباءُ دخلَتْ لأَنَّها دليلُ التعجُّب ، كما قالوا : إنَّك من رجلٍ عالم[4] ، لم تسقطْ (من) لأَنَّها دليل التعجب . وقيل هى كالباء : فى كفى بالله . ومقتولةً حال.انتهى.

قال ابن يعيش : حَبَّ من المضاعف الذى عينُه ولامه من باب واحد ، وفيه لغتان حَبَّ وأَحَبَّ ، وأَحبَّ أَكثرُ فى الاستعمال . وأَمَّا حَبَّ فوزنه فَعَل بفتح العين ، قال الشاعر[5] :

---

(١) من الآيتين ٨١ ، ١٦٦ من سورة النساء : « وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً » و « والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً » .

(٢) ش : « التحبير » ، صوابه ما أثبت . وجاء فى ترجمة صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمى من معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٣ : « وله من التصانيف كتاب المجمرة فى شرح المفصل صغير ، وكتاب السبيكة فى شرحه أيضا وسيط ، وكتاب التجمير فى شرح المفصل أيضا بسيط » ، أى واسع كبير . ولكن صاحب كشف الظنون عند الكلام على (المفصل) ذكر أنه « التخمير » وأن الفخر الأسفيذرى وضع له علامة هى « تخ » . والتخمير : التبخير ، وفى اللسان : « فتخمرت أطنابنا ، أى طابت روائح أبداننا بالبخور » .

(٣) انظر لهذا كتاب الأصول ١ : ١٢٨ — ١٢٩ . ونصه : « والباء دخلت دليل التعجب »

(٤) فى الأصول : « إنك من رجل لعالم » .

(٥) هو غيلان بن شجاع النهشلى ، كما فى اللسان (حبب) والكامل ١٩٢ .

فواللهِ لولا تمــرُهُ ما حَبَبْتُه ولا كان أدنى من عُبيد ومُشْرِقِ (١)

فإذا أُريد به المدحُ نقل إلى فعُل ، فتقول : حَبَّ زيد ، أى صار محبوباً ومنه قوله :

* حَبَّ بها مقتولةً حين تُقتلُ *

وكذلك قول الآخر (٢) :

* هَجرَتْ غَضُوبُ وحَبَّ من يتجنَّبُ (٣) *

وذهب الفرَّاءُ إلى أنَّ حبَّ أصله حَبُب مضموم العين ، واستدلَّ بقولهم : حبيب ، وفعيلٌ بابه فعُل ، كظريف وكريم من ظرف وكرم . والصواب ما ذكرناه ، لأنَّه قد جاءَ متعدِّيًا وفعُل لا يكون متعدِّياً . فأمَّا قولهم حبيب فلا دليل فيه ، لأنَّه مفعول ، فحبيب ومحبوبٌ واحد ، فهو كجريح وقتيل . وحَبيبٌ من حُبَّ إن أُريد به المدح فاعل كظريف.
وحَبّ فعل متصرِف ، تقول منه : حبَّه يَحِبُّه بالكسر ، وهو من الشاذِّ ١٢٣
لأنَّ فعل إذا كان مضاعفًا متعدِّيا فمضارعه يفعُل بالضم نحو ردَّه يرُدّه، وشدَّه يشُدُّه . وقالوا فى المفعول محَبوبٌ ، وقَلَّ مُحَبٌّ . وجاءَ مُحِبٌّ فى اسم الفاعل ، وقَلَّ حابٌّ . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « ومسرق » بالسين المهملة ، صوابه بالمعجمة كما فى الكامل واللسان والخصائص ٢ : ٢٢٠ والمغنى ٣٦١ . وفى الكامل : « وكان عياض منه أدنى ومشرق » بدون إقواء ، لأن قبله :

أحب أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الجار بالجار أرفق

(٢) هو ساعدة بن جؤية الهذلى . ديوان الهذليين ١ : ١٦٧ ، واللسان (حبب ٢٨٣) .

(٣) عجزه : * وعدت عواد دون وليك تشعب *

هذا والرواية فى البيت :

(وأَطِيبْ بها مقتولةً حين تُقتلُ)

بصيغة التعجُّب من الطِّيب . وقبله :

(فقلت اقتُلوها عنكُم بمزاجها)

وقتل الخمر : مَزْجها وكَسْرُ قوّتها بالماء . جعَل مزجَها بالماء قَتْلًا لها .
ورواه أبو حنيفة الدينورىّ (فى كتاب النبات) :

فلَذَّتْ لمرتاحٍ وطابَتْ لشـاربٍ
وأَحِببْ بهـا مقتولةً حين تُقتَلُ[1]

وقال : إذا كانت الخمر طيِّبةً فهى لذّةٌ ، نعت لها . وقد لذَّت لشاربها تَلذُّ لذَّة ، ولذَّها شاربُها يَلَذُّها لذًّا ولذاذة . انتهى .

وهذا مركَّب من بيتين كما يأْتى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للأَخطل النصرانىّ ، مدح بها خالدَ بن عبدِ الله ابن أُسيد بن أَبى العِيص بنِ أُميَّة ، وكان أَحدَ أَجواد العرب فى الإسلام .

وهذه القصيدة أَوّلُ ديوانه ، وقبله :

أبيات الشاهد

(وجاءُوا ببَيْسانيَّةٍ هى بعـدما يَعُلُّ بها السَّاقى أَلذُّ وأَسهَـلُ
فتُوقَفُ أَحيـاناً فيفصِل بيننـا غِنـاءُ مغنٍّ أَو شِواءٌ مُرَعبَلُ
فلذَّت لمرتاح وطابت لشاربٍ وراجَعَنى منهـا مِراحٌ وأَخْيَلُ
فمـا لَبِثَتْنـا نَشوةٌ لحقَتْ بنا توابعُهـا مما نُعَلُّ ونُنْهَـلُ

(١) ط : « وأحبب لها » ، صوابه فى ش والديوان .

تدِبُّ دبيباً فى العظام كأنَّهُ   دَبيبُ نِمالٍ فى نَقًا يتهَيَّلُ
فقلت اقتلوها عنكمُ بِمزاجها   وأَطيِبْ بها مقتولةً حين تُقتلُ)

وبيسان، هى بلدة بغَوْر الشام تنسب إليها الخمر. والعَلَل: الشُّرب الثانى. والشِّواءُ: الكَباب. والمُرعْبَل: المقطَّع. والمراح[1] بالكسر: السرور. والأَخْيَل: الخيَلاءُ والعُجْب. ونَشْوتها: رائحتها. والنشوة: السُّكْر أيضاً. وتوابعها ما لحق من سكرها[2]. والنَّهَل: الشُّربُ الأَوّل. كذا فى شرح ديوانه. ونِمال بالكسر: جمع نمـل. والنقا: الكثيب من الرَّمْل[3]. ويتهيَّل: يتصبَّب.

وترجمة الأَخطل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والسبعين[4].

* * *

وأَنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد السبعمائة[5]:

٧٧٢ (لا يمنَعُ النَّاسُ منِّى ما أَردْتُ ولا
أُعطِيهِمُ ما أَرادُوا، حُسْنَ ذا أَدبَا)

على أَنَّ (حُسْن) فيه للمدح والتعجُّب، ويجوز فى مثله أَنْ تنقل ضمة العين إلى الفاءِ كما فَعَل الشاعر، وأَن تحذف وتبقى الفاءُ على فتحِها.

والبيت أَنشده الجوهرىُّ قال: وقد حَسُنَ الشىءُ، وإنْ شئت خفَّفت الضم فقلت حَسْنَ الشىءُ، ولا يجوز أَن تنقل الضمَّ إلى الحاءِ، لأَنَّه

---

(١) كذا. مع أن النص هنا وفى الديوان أيضاً: «بمزاجها» بالجيم.
(٢) وتوابعها ما لحق من كسرها، ساقط من ش. وفى الأصل هنا، وهو ط: «كسرها»، والوجه ما أثبت.
(٣) والنقا الكثيب من الرمل، ساقط من ش.
(٤) الخزانة ١: ٤٥٩.
(٥) الخصائص ٣: ٤٠ وإصلاح المنطق ٤١ والأشباه والنظائر ٣: ١٤٢ والأصمعيات ٥٦ واللسان (حسن ٢٦٩).

خَبر ، وإنَّما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح أو الذمّ ، لأَنَّه يشبَّه فى جواز النقل بنعم وبِئْس ، وذلك أَنَّ الأَصل فيهما نَعِمَ وبَئِس ، فسكن ثانيهما ونقلت حركته إلى ما قبله . وكذلك كلُّ ما كان فى معناهما . قال الشاعر :

لم يمنع الناسُ منِّى ما أَردتُ . . . . البيت

أراد : حَسُنَ هذا أدباً ، فخفَّف ونَقَل . انتهى كلامه .

وقال ابن السيرافى : يريد أَنَّهُ يقهر الناس فيمنعُهم ما يريدون

١٢٤ منه ، ولا يمنعونه ممَّا يريد منهم ، لعزِّه وقهره . واستحسن هو هذا وجعله أَدباً حسناً . وذا فاعل حَسن ، وأَدباً منصوبٌ على التمييز . انتهى.

وقال الجواليقى (فى شرح أَدب الكاتب) : الأَدَب الذى كانت العرب تعرفه هو ما يحسُن من الأَخلاق وفعل المكارم ، مثل ترك السَّفَه ، وبَذْلِ المجهود ، وحُسْنِ اللِّقاءِ . قال الغنَوىّ :

لم يمنع الناسُ منِّى ما أَردت . . . . البيت

كأَنَّه ينكر على نفسه أَنْ يعطيَه الناسُ ولا يُعطيهم . واصطلح الناسُ بعد الإسلام بمدّة طويلةٍ على أَنْ يسمُّوا العالمَ بالنحو والشعر وعلومِ العرب أَديبًا ، ويسمُّون هذه العلومَ الأَدب ، وذلك كلامٌ مولَّد، لأَنَّ هذه العلوم حدثتْ فى الإسلام . واشتقاقه من شيئين : يجوز أَن يكون من الأَدْب وهو العَجَب ، ومن الأَدْب مصدر قولك : أَدَب فلانٌ القوم يأْدِبُهم أَدْبًا ، إذا دَعاهم . قال طرفة :

نَحن فى المَشْتاةِ ندعُو الجَفَلَى لا ترى الآدبَ فينـــا يَنتقرْ

فإذا كان من الأَدب الذى هو العَجَب[1] فكأَنَّه الشىءُ الذى يُعجَب منه لحُسنِه ، لأَنَّ صاحبه الرجُل الذى يُعجَبُ منه لفضله . وإذا كان من الأَدب الذى هو الدُّعاءُ فكأَنَّه الشىءُ الذى يدعو الناسَ إلى المحامد والفضلِ . فينهاهم عن المقابح والجهل . والفعل منه أَدِبْتُ آدَبُ أَدَباً من باب فرح ، فأَنا أَديب . والمتأَدِّب : الذى قد أَخذ من الأَدَب بحظٍّ ، وهو مُتَفَعِّلٌ من الأَدَب ، يقال منه أَدُب الرّجُل يأْدُب إذا صار أَديباً ، مثل كرُم ، إذا صار كريماً . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لسهم بن حَنْظلة الغَنَوىّ ، أَورد بعضها أَبو تمام (فى كتاب مختار أَشعار القبائل) . وهذا ما أَورده :

أبيات الشاهد

(إذا افتقرتَ نـأَى واشـتَدَّ جانبُهُ
وإنْ رآكَ غنيًّـا لانَ واقتـربا[2]

وإن أَتاك لمـالٍ أَو لتَنصُـرَه
أَثنى عليك الذى تَهْوَى وإنْ كَـذَبا

مُدلى القَرابة عند النَّيل يَطلبُـه
وهْو البعيـدُ إذا نالَ الـذى طَلبَا

حُلو اللِّسان ، بعيدُ القلب ، مشتملٌ
على العداوةِ لابن العمِّ ما اصطحبا

الله مُخْلِفُ ما أَنفقتَ محتسـباً
إذا شكرتَ ومُؤتيك الذى كَتَبا

(١) شاهده قول منظور بن حبة فى اللسان (أدب) :
بشمجى المشى عجـول الوثب غلابة للناجيـات الغلـب
حتى أتى أزبيها بالأدب

(٢) ش : « وإن رآك غنى » ، صوابه فى ط .

لا بَلْ سَلِ اللهَ ما ضنُّوا عليكَ به
ولا يمُنُّ عليك اللهُ ما وَهَبا
يا للرِّجالِ لأقوام أجاورُهم
مُستقبِسِينَ ولمَّا يُقْبِسُوا لهبا
يَصلَوْن نارى وأحميها لغيرهمُ
ولو أشاءُ لقد كانوا لهَا حَطَبا
مِن الرِّجال رجالٌ لا أعاتبهُم
ولا تفَزَّع منهم هامتى رُعُبا
مَن لا يزلْ غرضاً أرمى مَقاتِلَه
لا يتَّقى وهو منِّى واقفٌ كَثَبا
ولا أسبُّ امرأً إلّا رفعتُ له
عاراً يُسَبُّ به الأَقوامُ أو لقَبا
قد يعلم الناسُ أنِّى مِن خيارِهمُ
فى الدِّين ديناً وفى أحسابهم حَسَبا
لا يمنعُ الناس منِّى ما أردت ولا
أُعطيهُم ما أرادوا ، حُسْنَ ذا أدبا)

قال التبريزى (فى شرح إصلاح المنطق لابن السكيت) : يريد
١٢٥ أنَّه يقهر الناس فيمنعهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ما يريد منهم ، لعزَّته . وجعله أدبا حسنا . هذا تفسير أبى محمد .

وقال أبو العلاء فى معى هذا البيت : كأنَّه ينكر على نفسه أنْ يعطيه النَّاسُ ولا يُعطيهم ويَمنعُهم . وهو الصَّواب ، لأَنَّ ما قبله يدلُّ عليه . وذا فاعل حُسْن . وأدباً تمييز . وأراد حَسُنَ فخفَّفَ ونَقَل؛ لأَنَّ

هذا مذهب التعجُّب. وقال الصَّفَّار[١]: إنَّ الشاعرَ أنكر على نفسه بان الناس[٢] يُعطونه ويمنعهم، ثم قال: حسن ذا أدبا. أى ما أحسن هذا الأَدب! على سبيل الإنكار والتهكُّم. انتهى.

سهم بن حنظلة

وسهم بن حنظلة: شاعر مخضرم أدركَ الجاهليّة والإسلام. ذكره ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة، عن المرزبانى[٣]).

وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف): سهم بن حنظلة بن جَأْوان[٤] ابن خويلد، أَحد بنى شَبيبة[٥] بن غنىّ بن أعصر، فارسٌ مشهور، وشاعر مُحسن، وهو القائل:

كم من عدوٍّ قد رمانى كاشحٍ
ونجوتُ من أمرٍ أغرَّ مشهَّرِ

وحَذِرْتُ من أمرٍ فمرَّ بجانبى
لم يُبكِنى، ولقيتُ ما لم أحذَرِ

ثم قال: ومنهم سهمٌ، صاحبُ القصيدة المختارةِ الطويلة التى يقول فيها:

تُدنِى الفتى فى الغنى للرَّاغبين إذا
ليلُ التمام أهمَّ المُقْتِرَ العَزَبا[٦]

---

(١) ط: «الصوار»، صوابه فى ش.

(٢) كذا فى النسختين.

(٣) فى الإصابة ٣٧٠٣: «قال المرزبانى: شاعر شامى مخضرم. وأنشد له بيتاً قاله من أبيات». واقتصر فى ترجمته على هذا النص.

(٤) فى المؤتلف ١٣٦: «حلوان»، وما هنا صوابه. وانظر أيضاً جمهرة ابن حزم ٢٤٨. وقال ابن دريد فى اشتقاقه ٥٦٠: «فعلان من الجؤوة، وهو لون من ألوان الخيل دون الصدأة».

(٥) وكذا فى المؤتلف. لكن فى الاشتقاق ٢٧٠: «ضبينة».

(٦) فى المؤتلف: «تدنى الفتى للغنى فى الراغبين»

حتَّى تمــوَّلَ يومــاً أو يقــالَ فتًى
لاقَى التى تَشْعبُ الأَقــوامَ فانشعبا

انتهى .

وقد أخطأَ فى هذا ، فإنَّ صاحب القصيدة هو سهمٌ الذى ذكره أَوّلا ، والبيتان من تلك القصيدة ، وقد نسبها إليه أبو تمَّام وغيره . وقد اشتبهَ على الآمدىّ فظنَّ سهماً اثنين ، وأنَّ صاحبَ القصيدة غير سهم الغنوىّ ، والصواب ما ذكرنا . وسهمٌ الذىذكره ثانياً مجهول ، ولهذا لم يرفع نسبَه لا إلى أَب ولا إلى جَدّ . ولم يذكرهُ غيرَ الآمدى أَحدٌ. والله أعلم بالصواب .

حروف الجر

أَنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[1] :

٧٧٣ (باتَت تنُوشُ الحوضَ نوشًا مِن عَلَا)

على أنَّ (علا) فيه مبنى على الضمّ كقولهم : من علُ بحذف المضاف إليه .

وبيانه ما قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) نقلاً عن أَبى على : إنَّ الأَلف فى علا منقلبة عن الواو ، لأَنَّه من علوت ، وإنَّ الكلمة فى موضعٍ مبنىٌّ على الضم ، نحو قبلُ وبعد ، لأَنَّه يريد نوشاً من أَعلاه ، فلما اقتُطِع المضافُ مِن المضاف إليه وجَب بناءُ الكلمة على الضمّ نحو قبلُ وبعدُ ، فلمَّا وقعت الواو مضمومة وقبلها فتحة قُلبت أَلفاً . وهذا مذهبٌ حسنٌ . انتهى .

وقال أَبو على (فى التذكرة) : يجوز أَن يكون علا مبنيًّا معرفة ، ويجوز أَن يكون معربًا نكرة . فإن كان مبنيًّا كانت الأَلف منقلبة عن الواو لتحرُّكها بالضمة . وإن كان معرباً كانت منقلبة عن الواو لتحرُّكها بالجر . فإن قيل : لا يكون إلاَّ مبنيًّا ، لأَنَّه معرفة لتقدُّم الحوض ، والمعنى من علا الحوض . قيل : قد قال الله تعالى : ﴿ لله الأَمرُ مِنْ قَبْلُ
ومِنْ بعد[2] ﴾ ، فهما نكرتان ، وإن كان ذِكر الغلبة قد تقدَّم ، وكان معلوماً ١٢٦
أَن معنى الكلام مِن قَبْلِ الغلبةِ ومن بَعدِها . انتهى .

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٢٣ . وانظر معانى القرآن ٢ : ٣٦٥ والأصول ٢ : ١٤٢ والمنصف ٢ : ١٤٢ وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٣٤٨ والاقتصاب ٤٢٧ وابن يعيش ٤ : ٧٣ ، ٨٩ ورصف المبانى ٣٧١ والأشباه والنظائر ٤ : ١٦١ واللسان (نوش ، علا ٣١٧) .

(٢) الآية ٤ من سورة الروم .

فعلم من هذا أنَّه لا يتعيَّن بناؤه على ضمّةٍ على الواو المنقلبة ألفاً لتَحرُّكها وانفتاح ما قبلها ، لقطعه عن الإضافة ونيَّة معناه ، لجواز أن يكون معربًا بالجرّ والتنوين[١] المقدَّرين على الواو المنقلبة ، ولا ينوى المضافُ إليه لا لفظُه ولا معناه ، ويكون كسائر الأسماء النكرة ، كما فى قراءة : ﴿ مِنْ قبلٍ ومِنْ بَعْدٍ ﴾ بالجرِّ والتنوين .

واستشهد به سيبويه (فى باب ما ذهب لامُه من أبواب التحقير) . قال الأعلم : استدلَّ به على أنَّ قولهم من عَلُ محذوف اللام ، وإذا صغَّرته اسماً رُدَّتْ لامه فقيل عُلَيٌّ ، لأنَّ أصله من العلوّ . انتهى .

وكسيبويه أورده ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) .
وروى سيبويه : « وهى تنوشُ الحوض » بدل : « باتت تنوش » .

قال الفراءُ (فى تفسيره) : النَّوش : التناوُل . قال الشاعر :

فهى تنوشُ الحوضَ نوشاً مِن عَلَا نوشًا به تَقْطَعُ أَجوازَ الفَلا

قال الأعلم : وصف إبلاً وردت الماءَ فى فلاةٍ من الأرض ، فعافَتْه وتناولتْهُ من أعلاه ولم تُمعن فى شربه . انتهى .

وقال الجواليقى (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : يصف إبلاً تشرب من ماءِ الحوض وتتناول ما فيه من الماءِ تناولًا من فوقُ ، تقطع به أرضًا بعيدة ، وتستغنى به عن المبالغة فيه . والأجواز : جمع جَوز بفتح الجيم[٢] ، وهو الوسَط . وقال ابن السيد (فى شرح أبياته أيضاً) :

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة : « التنوين » التالية ساقط من ش .
(٢) فى النسختين : « بضم الجيم » ، صوابه ما أثبت . على أن النص بهذا الضبط لم يرد فى شرح الجواليقى .

لا أعلم هذا الرجز لمن[1] هو ؟ يصف ناقةً شربت الماءَ من الحوض . وقد يمكن أن يصف إبلا ويريد بقوله « به تَقطع أجواز الفلا » أَنَّهم كانوا إذا حاولوا سفراً سقَوا إبلَهم الماءَ على نحو ما يقدِّرونه من بُعد المسافة وقُرْبها ، وكانوا يجعلون أظماءَ إبلهم ثِلْثاً ورِبْعاً وخِمْساً إلى العِشْر ، والعِشْر نهاية الأَظماء . وكانوا ربَّما احتاجُوا فى الفلاة إلى الماء ولا ماءَ عندهم ، فينحرون الإِبل ويستخرجون ما فى أَجوافها من الماء ويشربونه ، وهو معنى قول زيد الخيل الطائىّ :

نَصُولُ بكلِّ أَبيضَ مشرفىٍّ   على اللائى بَقَى فيهن ماءُ[2]
عشِيَّةَ نؤْثِر الغرباءَ فينا   فلا هُمْ هالكونَ ولا رِوَاءُ

انتهى

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعلم قائلها، والله أعلم.

وأنشده صاحب الصحاح (فى نوش) و (فى علا) . وقال ابن برى (فى حاشيته عليه) : هذا الرجز لغَيلان بن حُرَيث الرَّبَعى . ولم أقفْ على خبرٍ لغيلان . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد السبعمائة[3] :

٧٧٤ (لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّـةِ الحَجْرِ   أَقوَيْنَ من حِجَجٍ ومن دَهْرِ)

على أنَّ الكوفيِّين أجازوا استعمال (من الابتدائيّة) فى الزمان أيضاً

---

(١) فى الاقتضاب : « لا أعلم لمن هذا الرجز » .

(٢) جاءت « بقى » هنا بفتح القاف على لغة طيئ، يقولون فى بقى : بقَىَ ، وفى رضى : رضَى . وكذلك لغتهم فى كل ياء انكسر ما قبلها ، يجعلونها ألفا . اللسان (بقى ٨٦) .

(٣) الجمل ١٥٠ والأزهية ٢٩٣ وابن يعيش ٤ : ٩٣ / ٨ : ١١ ورصف المبانى ٢٣٠ والمغنى ٣٣٥ والعينى ٣ : ٣١٢ والتصريح ٢ : ١٧ والهمع ١ : ٢١٧ والأشمونى ٢ : ٢٢٩ وديوان زهير ٨٦ .

كما فى البيت . وسَلَّم الشارح المحقق هذه الدعوى منهم ، وطعن فى الدَّليل ، قال : الإقواءُ لم يُبتدأُ من الحِجج ، بل المعنى من أَجل مرورِ حِججٍ وشهر . فمن فيه تعليليَّة[1] لاابتدائية .

اعلم أَنَّ محلَّ النزاع بين أَهل البلدين إنَّما هو فى ورود من لابتداء
١٢٧ الغاية فى الزمان ، فأَهلُ الكوفة يثبتونه ، وأَهل البصرة يمنعونه . وأَمَّا ورودُها لابتداء الغاية فى المكانِ والأَحداث والأَشخاص فلا خلافَ فيها عندهما . واستدلَّ أَهل الكوفة لورود مِن فى ابتداء الغاية فى الزمان[2] بقوله تعالى : ﴿ لَمَسجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْم أَحقُّ أَنْ تَقُومَ فيه[3] ﴾ . وأَوَّل يومٍ من الزمان. وقوله تعالى : ﴿ إذا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ[4] ﴾ وبالبيت المذكور . وأَجاب البصريُّون عن الآية الأُولى بأَنَّ فيها مضافاً محذوفاً ، والتقدير : من تأْسيس أَوّلِ يومٍ . فمجرورُ مِنْ حَدَثٌ لا زَمانٌ . وضعَّفه أَبو البقاء بأَنَّ التأْسيسَ ليس بمكان . وردَّ عليه السَّمين بأَنَّهم إنَّما منعوا من كون من لابتداء الغاية فى الزمان ، وليس فى كلامهم أَنَّها لا تكون إلاَّ فى ابتداء الغاية فى المكان . وهذا ردٌّ جيِّدٌ حقٌّ كما ذكرنا .

وردَّ الشارح المحقق دليلَ الكوفيِّين بأَنه ليس التأْسيس حدثاً ممتدًّا ولا أَصلاً للمعنى الممتدّ. وإنَّما هو حدثٌ واقع فيما بعدَ مِنْ ، فتكون ظرفية كما فى الآية الثانية .

فهو يوافقهم فى مجىء مِنْ لابتداء الغاية فى الزمان تبعاً للمبرد وابن

(١) ط : « تعليله » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « للزمان » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

(٤) الآية ٩ من سورة الجمعة .

دُرستويه ، ولهذا لم يؤوِّل كما أوّل البصريُّون فى الآية . وأجابوا عن الآية الثانية بأَنَّ مِن فيه ظرفية ، وإليه ذهب الشارح أيضاً .

وأَجابوا عن البيت بما أَجابوا به فى الآية الأُولى بأَنَّ فيه مصدراً محذوفاً ، أَى من مَرِّ حِججٍ ، فيكون مجرورُهَا حدثاً لا زماناً .

وأَجاب الشارح المحقق بأَنَّ مِن فيه تعليليَّة مع تقدير المضاف ، لا ابتدائيَّة . وهو الحقُّ ، فإِنَّ علة إقواءِ الديار مرورُ الدهور عليها ، لا ابتداءُ مرورها .

وأَجاب بعضهم بأَنَّ مِن هنا على مذهب الأَخفش زائدة ، والأَصل أقوين حججاً ودهراً . نقله ابن الأَنبارى (فى مسائل الخلاف) . فيكون منصوباً على الظرفيَّة . وأَهوَنُ من هذا ادِّعاءُ مِنْ ظرفيّةً كما فى الآيتين . ولم أَر من قاله . وأَجابَ بعضُهم بأَنَّ الرواية «مُذ حجج ومُذْ دهر» وأَنكر الأُولى[1] . وهذا ليسَ بشىءٍ[2] . فإِنَّ البيتَ الواحد يأْتى على روايات شتَّى وكلُّها صحيحة ، إذا كان رُواتُها ثقاتٍ . قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : قوله :

* أقوينَ من حِجَجٍ ومن دَهْرِ *

قال الأَصمعى : أَقوين مُذْ حُجج ٍ ومُذْ دهر . ومن روى : «مِن حجج» قال : معناه مِنْ مَرِّ حجج ومِنْ مَرِّ دهر . قال الزَّجاج : قوله تعالى : ﴿مِن أَوّلِ يومٍ﴾ دخلت [مِن[3]] فى الزمان ، والأَصل مذ ومنذ . هذا أكثرُ الاستعمال فى الزمان . ومِنْ جائز دخولها لأَنَّها أَصل فى ابتداء الغاية ، وفى التبعيض . انتهى .

---

(١) ش : « وأنكر الأولى هنا » ، أى رواية « من حجج » .
(٢) ش : « وليس بشىء » .
(٣) التكملة من ش .

وقوله : (لمن الديار) الظرف خبر مقدَّم ، والديار مبتدأ مؤخَّر . وهذا الاستفهام تعجُّبٌ من شدَّة خرابها حتى كأنَّها لا تُعرف ولا يُعرف سُكَّانُها وأصحابُها . وبعض المصنِّفين حرَّفه ففتح اللام وكسر الميم ، وقال إنَّ مِنْ فى البيت شاهدٌ لدخولِ من الجارة على المكان . وهذا مما يُتعجَّب منه . و(القُنَّة) بضم القاف وتشديد النون : أعلى الجبل . والقُلَّة باللام موضعَ النون مثلُه . و (الحِجْر) بكسر الحاءِ المهملة : منازلُ ثمودٍ بناحية الشَّام عند وادى القُرى. قال صَعُوداءُ (فى شرح ديوان زهير) : قال أبو عمرو : لا أعرف إلَّا حِجْر ثمود ، ولا أدرى أرادَه بعينه أم لا ؟ وأما حَجْر بفتح المهملة فهى قَصَبة اليمَامَة ، ولكنْ لا يدخلها الألف واللام ، فلذلك أنكرها أبو عمرٍو . انتهى .

وكذا قال غيره . قال ابن السِّيد : هذا هو المروىُّ هنا ، وقد أوَّله جماعةٌ على زيادة أل .

١٢٨ قال اللخمىُّ (فى شرح أبيات الجمل) : قد يصنعون ذلك فى الأعلام قال الشاعر :

* ياليت أُمَّ العَمْرِ كانت صاحبى[1] *

أراد : أُمَّ عمرو . وقال الآخر :

* وجدت الوليدَ بنَ اليزيدِ مباركاً[2] *

---

(١) مجهول القائل . وانظر المنصف ٣ : ١٣٤ وابن الشجرى ١ : ١٥٤ والإنصاف ٣١٦ وابن يعيش ١ : ٤٤ ورصف المبانى ٧٧ . وبعده :

* مكان من أشتى على الركائب *

(٢) لابن ميادة . وهو الشاهد ١١٥ من الخزانة ٢ : ٢٢٦ . وعجزه :

* شديداً بأحناء الخلافة كاهله *

أَراد الوليد بن يزيد . هذا ما قالوا . والصواب دخول الأَلف واللام عليه . قال عاصم : الحَجْر بالفتح : مدينة اليمامة ، والحِجْر بالكسر : حِجْر ثمود . وقال الجوهرى : الحجر ، بالفتح :قصبة اليمامة ، يذكَّر ويؤنَّث ، ويؤيِّدهما البيتُ المتقدّم وبيتُ النابغة :

وهُمْ قتلوا الطائىَّ بالحَجْرِ عَنوةً أَخا جابر واستنكحُوا أُمَّ جابرِ[1]

والباءُ فى قوله : (بقُنَّة) ظرفية متعلِّقة بمحذوف على أَنَّه حالٌ من الضمير المستتر فى الجار والمجرور ، والعامل فيه الاستقرار المحذوف ، والتقدير : لمن الديار كائنةً بقُنَّة الحَجْر. و (أَقوَيْنَ) : أَقفَرْن ؛ يقال أَقوت الدار ، إذا خلَتْ من سُكَّانها وأَقْفرت . والنون ضمير الديار ، وجملة أَقوين حالٌ من ذلك الضمير أَيضاً . (والحجج) بكسر الحاءِ المهملة وفتح الجيم : جمع حِجَّة بكسرها أَيضاً ، وهى السَّنَة . والدَّهر : الأَبد الممدود . وروى بدله : (ومِنْ شهر) وأَراد مِن شهور ، فوضَعَ الواحدَ موضعَ الجمع اكتفاءً به . ونظائرُه كثيرة . قال اللَّخمى : ومن رواه مُذْ حِجج كانَتْ مُذْ حرفَ جرّ ، والعامل فيها أَقوين ، وهى بمنزلة فى ، لأَنَّ المعنى أَقوين فى حجج .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدة لزهير بن أَبِى سُلمى ، مدح بها هرِم بنَ سنانِ ابن أَبِى حارثة المُرِّىّ ، عدَّتُها تسعة عشرَ بيتاً ، وبعده :

أبيات الشاهد

(لعِبَ الـرِّياحُ بهـا وغيَّـرَهَا بَعـدِى سَوافِى المُورِ والقَطْرِ
قَفْـرٌ بمنـدَفَع النَّحـائتِ من ضَفْوَىْ أُولاتِ الضَّـالِ والسِّدْرِ
دَعْ ذا وعَـدِّ القـولَ فى هرم خير الكُهولِ وسَيِّد الحَضْرِ[2])

(١) ديوان النابغة ٤٧ برواية « فاستنكحوا » . واستنكحوا بمعنى نكحوا .
(٢) فى رواية الأعلم : « خير البداة » ، وهو الأوفق . وهو جمع باد لساكن البادية .

والسَّوافى : جمع ساف ، اسم فاعل من سفت الريح الترابَ نَسفِيه سَفياً ، إذا ذَرَته . والمُور، بالضم : الغبار بالرِّيح . والقَطْر : المطر. قال صَعُوداءُ (فى شرحه) : قال أبو عبيدة: ليس للقطر سوافٍ ، ولكنَّه أشركه فى الجرِّ . انتهى .

وليس هذا من الجرِّ على الجوار، لأَنَّه لا يكون فى النَّسَق . ووجهُه أَنَّ الرِّياح السَّوافى تُذرى التُّراب من الأَرض ، وتُنزل المطر من السحاب .

وقوله : «قَفْرٌ» أى تلك الديار قفر . والمندفَع بفتح الفاء . والنَّحائت[(١)] ، بفتح النون بعدها حاءٌ مهملة وآخره مثناة فوقية ، قال صَعوداءُ: هى آبارٌ. ومُندفَعُها: مُندَفَع مياهها ، ولعلَّها أَودية . والآبار تفسير أَبى عمرو . قال: ويقال موضعٌ فيه آبار . والضَّفْوان ، بالضاد المعجمة بعدها فاءٌ : الجانبان ، الواحد ضَفًا كقَفًا . و « أُولاتِ الضَّال والسِّدر» : مواضع فيها سِدر . والضَّالُ ، هو السِّدر البَرِّىّ .

وقوله : « دع ذْا وعدِّ » إلخ، قال صعوداءُ : عَدِّ القولَ : اصرفْه إليه . والحَضْر، جمعٌ واحدُه حاضر ، مثل صَحب وصاحب. انتهى . والحاضر: الحىُّ العظيم . والحاضر : خلاف البادى .

والأَبيات الثلاثةُ الأُوَل قد نسبها نُقَّاد الشِّعر إلى حمادٍ الرَّاوية ، وقالوا : أَوَّل القصيدة إنما هو : دَعْ ذا وعَدِّ القولَ . . . . . البيت . صاحب الشاهد

روى الأَصبهانىُّ بسنده (فى الأَغانى) عن جماعةٍ أَنَّهم كانوا فى دارِ أَمير المؤمنين المهدىِّ بعِيساباد ، وقد اجتمع فيها العلماءُ بأَيَّام العرب

---

(١) ط : « والنحات » ، صوابه فى ش .

وآدابِها وأشعارِها ولُغاتِها ، إذْ خرج بعضُ أصحابِ الحاجب فدعا بالمفضَّل الضبيِّ الراوية ، فدخلَ فمكث مليًّا . ثم خرج ذلك الرجلُ بعينه ١٢٩
فدعا بحمّاد الراوية ، فمكث مليًّا ثم خرج ومعه حمَّادٌ والمفضل جميعاً ، وقد بان فى وجْهِ حمَّادٍ الانكسارُ والغمّ ، وفى وجه المفضَّل السُّرور والنَّشاط ، ثم خرج الخادمُ[1] معهما فقال : يا معشرَ مَنْ حَضَر من أهل العلم ، إنَّ أمير المؤمنين يُعْلمكم أنَّه قد وصَل حمادًا الشاعرَ بعشرين ألفَ درهم لجودة شعره ، وأبطلَ روايته ، لزيادته فى أشعار النَّاسِ ما ليس منها ، ووصل المفضَّل بخمسين ألف درهم لصِدقِه وصحَّة روايته . فمن أراد أن يسمع شعراً جيّداً مُحدَثاً فليسمعْ من حمَّاد ، ومن أراد روايةً صحيحة فليأْخُذْها عن المفضَّل. فسألْنا عن السَّبب فأُخبرنا أنَّ المهدىَّ قال للمفضَّل لما دعا به وحدَه : إنِّى رأيتُ زهير بن أبى سلمى افتتح قصيدته بأَنْ قال :

* دع ذا وعَدِّ القولَ فى هرمٍ *

ولم يتقدَّم قبل ذلك قولٌ ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعتُ فى هذا شيئًا إلا أنِّى توهَّمتهُ كان [يفكِّرُ[2]] فى قول يقوله ، أو يروِّى فى أنْ يقول شعراً ، قال : عدِّ إلى مدح هرم ، دَعْ[3] ذا ، أو كان مفكراً فى شىءٍ من شأْنه فتركَه وقال : دَعْ ذا ، أى دَعْ ما أنت فيه من الفِكر وعَدِّ القولَ فى هرم . ثم دعا بحمّادٍ[4] فسأَله عن مثل ما سأَل عنه المفضَّل فقال : ليس هكذا قال زهيرٌ ، يا أميرَ المؤمنين . قال : كيف قال ؟ فأَنشده :

---

(١) فى الأغانى ٥ : ١٦٤ : « ثم خرج حسين الخادم » .
(٢) التكلة من الأغانى .
(٣) فى الأغانى : « فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : دع ذا » .
(٤) الأغانى : « فأمسك عنه ثم دعا بحماد » .

* لمن الديار بقُنَّة الحجر *

الأَبيات الثلاثة :

دع ذا وعدِّ القول فى هرم . . . . البيت

قال : فأَطرقَ المهدى ساعة ثم أقبلَ على حمّاد فقال : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لابد من استحلافك عليه . ثمَّ استحلفه بأَيمان البَيْعة ليصدُقنّه عما يُسأَل عنه . فحلف له ، فلمَّا توثَّق منه قال له : اصدُقْنى عن حال هذه الأَبيات ، ومَن أَضافها إلى زهير . فأَقرَّ له حينئذ أَنَّه قالها. فأَمر فيه وفى المفضَّل بما أمر به من شَهْر أمرِهما وكشْفه . انتهى .

وحمَّاد قد ترجمه صاحبُ الأَغانى[1] ، فلا بأْس بإيراد شىء من أخباره ، فإنَّه كان من أعاجيب الدُّنيا ، ولكونه صاحبَ البيت الشاهد استحقَّ أن نُترجمه . وهو ممن يصحُّ الاستشهاد بكلامه .

حماد الراوية

قال : هو حَمَّاد بن مَيْسرة، فيما ذكره الهيثم بن عديّ . وكان صاحبَه وراوِيتَه وأعلمَ الناس به . وزعَم أَنَّه مولَى بنى شيبان . وكان من أَعلم الناسِ بأَيَّام العرب وأَخبارِها وأَشعارها وأَنسابِها ولغاتها ، وكانت ملوكُ بنى أُميَّة تقدِّمه وتؤْثره وتُسنِّى برَّه[2] . وقال له الوليد بن يزيد : بما استحققتَ هذا اللقبَ[3] فقيل لك : حمادٌ الراوية ؟ قال : لأَنى أَروِى لكل شاعر يَعرفه أمير المؤمنين أَوْ سمِع به ، ثم أَروِى لأَكثر منهم ممن لاتعرِف[4] بأَنك لا تعرفهم ولا سمعتَ بهم[5] ، ثم لا أُنشد شعراً لقديم

(١) الأغانى ٥ : ١٥٦ — ١٦٥ .
(٢) فى الأغانى : « وتستزيره » أى تطلب زيارته .
(٣) وكذا فى الأُغانى ، وهى لغة جائزة قرئَ بها : « عما يتساءلون » .
(٤) ط : « ممن لا تعترف » ، صوابه فى ش والأغانى .
(٥) الأغانى : « أنك لم تعرفه ولم تسمع به » .

أو محدَث إلا ميَّزتُ القديم منه من المحدَث . قال : إن هذا لعلمٌ وأبيك كثيرٌ فكم مقدار ما تحفظَ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنِّى أُنشِدُك على أيِّ حرفٍ شئتَ من حروف المعجم مائة قصيدةٍ كبيرة ، سِوى المقطَّعات من شِعر الجاهلية . قال : سأَمتحنك . وأمره الوليدُ بالإنشاد . فأَنشده حَتى ضجر الوليد ، ثم وكَّل به مَن استحلفه أن يصدُقه عنه ويستوفىَ عليه . فأَنشده ألفىْ قصيدةٍ وتسعمائة قصيدة للجاهليِّين ، وأخبر الوليدَ بذلك ، فأَمر له بمائة ألف درهم .

وروى أحمد بن عُبيد ، عن حَمادٍ أنَّه قال : كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشامٌ يجفونى لذلك ، فلما مات يزيد وأَفْضَت الخلافةُ إلى هشامٍ جفانى(١) ومكثت فى بيتى سنةً لا أَخرُج إلَّا لمن اثق به من إخوانى سرًّا ، فلمَّا لم أَسمع أحدًا يذكرنى أَمِنْت وخرجْتُ فصلَّيت ١٣٠
الجمعة ، ثم جلستُ عند باب الفيل ، فإذا شُرْطيَّانِ قد وقفا علىَّ فقالا لى : يا حماد ، أجبِ الأَمير يُوسُفَ بنَ عمر . فقلت فى نفسى : هذا ما كنت أَحْذر : فصِرتُ إليه فرمَى كتاباً إلىَّ فيه : من عبدالله هشام أَمير المؤمنين إلى يُوسف بن عمر ، أَمَّا بعد فإذا قرأْتَ كتابى هذا فابعَثْ إلى حمادٍ الراوية من يأْتيك به من غير مروَّع ، وادفع إليه خمسَمائِة دينار وجَمَلا مهريًّا يسير عليه اثنتى عشرة ليلةً إلى دمَشق . فأَخذتُها وركبتُه وسِرت حتَّى وافيت باب هشام ، فاستأْذنت فأَذِن لى ، فدخلت عليه فى دار مفروشة بالرُّخام ، وبين كل رُخامتين قضيبُ ذهب ، وحيطانها كذلك ، وهشام جالس على طِنفِسةٍ حمراء وعليه ثيابُ خَزٍّ حُمر ، وقد تضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مِسكٌ مبثوث فى أَوانِى الذهب ،

(١) بدله فى الأغانى : « خفته » .

يقلِّبه بيده فتفوح روائحُه . فسلَّمت عليه فردَّ علىَّ السلام ، واستدنانى فدنوتُ حتَّى قَبَّلْت رجله ، فإذا جاريتان لم أَر مِثلهما ، فى أُذُن كلٍّ واحدة منهما حَلْقتان(١) فيهما لؤلؤتان تَوَقَّدَانِ ، فقال لى : كيف أنت يا حمَّاد ، وكيف حالك ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين . قال : أتدرى فيما بعثتُ إليك ؟ قلت : لا . قال : بعثتُ إليك لبيتٍ خطرَ ببالى لم أدرِ مَنْ قاله ؟ قلتُ : وما هو ؟ قال :

فدعَتْ بالصَّبوح يوماً فجاءَت ... قَيْنَــةٌ فى يمينهـا إبريقُ(٢)

قلت : هذا يقوله عدىٌّ بن زيد فى قصيدةٍ له . قال : أَنشِدْنيها . فأَنشدتها :

بَـكرَ العـاذلون فى فلق الصُّبْـ ... ـح يقولونَ لى : أَلَا تَستفيقُ(٣)
ويَلومُـون فيكِ يا ابنة عبدِ اللـ ... ـه والقَلبُ عندكم موهـوقُ(٤)
لستُ أدرى إذْ أكثرُوا العذلَ عنـدى ... أعـدُوٌّ يلومُنى أم صـديقُ(٥)
زانهـا حُسْنُهـا وفرعٌ عميـمٌ ... وأَثِيثٌ صَلْتُ الجَبين أنيـقُ
وثنـايَا مُفلَّجـاتٌ عِـذابٌ ... لا قِصـاراً ترَى ولا هُنَّ رُوقُ
فدعَتْ بالصَّبوح يوماً فجاءَت ... قينـةٌ فى يمينهـا إبريقُ(٦)

---

(١) فى الأغانى : « حلقتان من ذهب » .

(٢) الأغانى : « فدعوا » . وفى الديوان ٧٨ : « ثم نادوا على الصبوح » .

(٣) الأغانى : « فى وضح الصبح » ، وهى رواية الديوان .

(٤) وكذا فى الديوان ٧٦ . والموهوق من الوهق ، وهو حبل مغار فيه أنشوطة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٥) الأغانى : « أو صديق » .

(٦) الأغانى : « فدعوا بالصبوح » .

قَدَّمَتْــــه على عقــار كعَيْنِ الـ ـدِّيكِ صَــفَّى سُلافها الراووقُ
ثم كــان المــزاجُ مــاءَ غمــامٍ غيرَ ما آجنٍ ولا مطــروقُ[1])

قال : فطربَ وقال : أحسنتَ والله يا حماد، سلنى حوائجَك. فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم . قلت : إحدى الجاريتين. قال: هما جميعاً بما عليهما وما لَهُما لك . فوهبَهُما له، وأنزله فى داره ، ثم نقله من غدٍ إلى منزلٍ أعدَّه له ، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لَهما وكلَّ ما يحتاج إليه . فأقام عنده مُدةً ، فوصل إليه منه مائة ألف درهم .

وروى أيضاً بسنده أن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، والمعروف بابن الكردية ، كان يستخفُّ مُطِيع بنَ أياس ويحبُّه ، وكان منقطعاً إليه ، وله منه منزلة حسنة . فذكر مطيع حمادًا وكان صديقَه ، وكان مطَّرَحاً مجفوًّا فى أيَّامهم، فقال له: ائتنا به لنراه . فأتى مطيعٌ حمادًا فأعلمه بذلك ، وأمره بالمصير إليه وَمعه ، فقال له حماد : دَعْنى فإن دولتى كانت معبنىأمية ، ومالى معهؤلاءِ خيْر. فأبىمطيعٌ إلاَّ الذَّهاب به ،فاستعار حمادٌ سوَادًا وسَيْفًا[2] ، ثم أتاه فمضى به إلى جعفر ، فلمَّا دخل سلَّم عليه
١٣١ وأثنى عليه ، فردَّ عليه السلام وأمره بالجلوس، ثم قال له جعفر : أَنشِدْنى لجرير . قال حماد : فوالله لقدسُلِخَ شعرُ جريرٍ كلُّه من قلبى، إلا قولَه :

بانَ الخليط برامتينِ فــودَّعوا
أَوَ كلَّمـــا اعتزمُــوا لبينٍ تَجــزعُ

---

(١) الأغانى : « ماء سماء » . وفى الديوان : « ماء سحاب لا صرى آجن » .
(٢) أى ثياباً سوداً . وكان السواد شعار العباسيين .

فاندفع ينشده إيَّاها حتى قال :

ونقول بَوزَعُ قد دَبَبْتَ على العصـا
هَلَّا هَـزِئتِ بغيـرنا يا بَـوْزَعُ

قال حمَّاد : فقال لى جعفر : أعِدْ هذا البيت . فأعدته . فقال : بوزعُ أيش هو ؟ قلت : اسم امرأة . فقال : هو برىءٌ من اللهِ ورسوله ونفِى من العبّاس إن كانت بوزعُ إلا غُولاً من الغيلان ! تركتَنى والله يا هذا لا أنام اللَّيلَ من فزع بَوزَع ! يا غلمان ، قفاه ! قال: فصُفِعتُ حتَّى لم أدر أين أنا . ثم قال : جرُّوا برجله . فجرُّوا برجلىَّ حتى أُخرِجت من بين يديه مسحوباً، فتخرَّق السواد ، وانكسر جَفنُ السيف، ولقِيتُ شرًّا عظيماً . وكان أشرَّ من ذلك غرامتى ثمنَ السَّوادوجَفنِ السيف.

وكتب حمادٌ إلى بعضَ الرؤساء الأشراف :

إنَّ لى حـاجة فرأيَك فيهـا لك نفسى فِدًى من الأوصـابِ
وهى ليسَتْ ممَّا يبلِّغها غيـ ـرى ولا يَستطيعها فى كتابِ[1]
غير إنِّى أقولُها حين ألقـا كَ رُوَيدًا أسِرُّها فى حجابِ

فكتب إليه الرجل : اكتبْ إلىَّ بحاجتك ولا تَشْهَرنى فى شِعرك . فكتب إليه حماد :

إننى عاشقٌ لجُبَّتـكَ الدكنـ ـاء عِشقاً قد حال دُونَ الشَّرابِ
فاكسُنِيهـا فدَتكَ نفسى وأهلى أتباهَى بهـا على الأصحـاب
ولك اللهُ والأمـانةُ أن أجـ ـعَلها عُمرَها أميرَ ثيـابى

(١) الأغانى ٥ : ١٦١ : «مما يبلغه غيرى».

فبعث بها إليه .

قال ابن النطَّاح : كان حمادٌ فى أول أمره يتشطَّر ، ويَصحب الصعاليك واللُّصوص ، فنقَبَ ليلةً على رجُل وأخذَ ماله ، فكان فيه جزءٌ من أشعار الأنصار ، فقرأه حمّادٌ فاستحلاه وحَفِظه ، ثم طلب الأَدبَ والشعر وأيامَ العرب ولغاتِها بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ فى العلم ما بلغ .

وروى بسنده أيضاً عن ابن الأَعرابى أنه قال : سمعت المفضَّل الضَّبِّىّ يقول : قد سُلِّط على الشِّعر حمادٌ الراوية فأَفسدَه . فقلت له ؟ وكيفَ، أيخطئُ فى روايته أم يلحنُ ؟ فقال : ليته كان ذلك ، فإنَّ أهل العلم يردُّون مَنْ أخطأَ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالمٌ بلغات العرب وأشعارِها ومذاهبِ الشعراء ومعانيها، فلا يزال يقولُ الشِّعرَ يشبِّه به مذهبَ رجل ، ويدخلهُ فى شعره ، ويُحمَل ذلك عنه فى الافاق، فيختلط بأَشعار القدماء ولا يتميَّز الصحيح منها إلاَّ عند عالم ناقد ، وأين ذاك .

وروى أيضاً بسنده أنَّ الطِّرِمَّاح قال : أَنشدتُ حمادًا الراوية ، فى مسجد الكوفة ، وكان أذكى الناسِ[1] وأحفظَهم ، قولى :

* بانَ الخليطُ بسُحرةٍ فتبدَّدوا *

وهى ستُّون بيتاً، فسكت ساعة ولا أدرى ما يريد، ثم أقبل علىَّ فقال : هذه لك ؟ قلت : نعم . قال : ليس الأَمر كذلك . ثمَّ ردَّها علىَّ كلَّها وزيادة عشرين بيتا زاد فيها فى وقته ، فقلت له : ويحك ، إنَّ هذا شعرٌ قلته منذ أَيَّام ما اطَّلع عليهِ أحدٌ . فقال : قد والله قلتُ هذا الشِّعر منذ عشرين سنة ، وإلا فعلىَّ وعَلىّ . فقلت : لله علىَّ حَجَّةٌ أحجُّها حافياً راجلاً إنْ ١٣٢

(١) ط : « أزكى الناس » ، صوابه فى ش والأغانى ٥ : ١٦٩ .

جالستُك بعدها أبدا ؟ فأخذ قبضة من حَصَى المسجد ثم قال : عليَّ لله بكلِّ حصاةٍ مائةُ حَجَّةٍ إنْ كنتُ أبالى . فقلت له : أنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع . ثم انصرفت .

وروى بسنده [أيضاً[١]] أنّه كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمَّادون : حمّاد عَجْرَد ، وحمادُ الراوية ، وحمادُ بنُ الزِّبرقان ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ، ويتعاشَرون مُعاشرةً جميلة ، وكانوا كأنَّهم نَفْسٌ واحدة ، وكانوا يُرمَوْن بالزَّندقة جميعاً[٢] .

وقد هجاه أبو الغُول الطُّهوىُّ بقوله[٣] :

نِعمَ الفتى لو كـان يَعرِف ربَّه
أو حينَ وقتِ صَلاتِه حمّـادُ[٤]
ضَمَّت مَشافِرَه الشَّمولُ فأنفُـه
مثلُ القَدُوم يسُنُّها الحـدادُ[٥]
وابيضَّ من شُربِ المُدامةِ وجهُه
فبيـاضُه يومَ الحسابِ سَـوادُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد السبعمائة[٦] :

---

(١) التكلمة من ش .

(٢) الأغانى ٥ : ١٥٧ . وانظر الحيوان ٤ : ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٣) نسب هذا الهجاء فى الحيوان ٤ : ٤٤٥ إلى حماد بن الزبرقان . ولعل الأوفق نسبته إلى أبى الغول كما فى الأغانى ٥ : ١٦٢ وأمالى المرتضى ١ : ١٣٣ مع ما تقوله الرواية ، أن الحمادين كانوا كأنهم نفس واحدة .

(٤) فى الحيوان والأغانى وأمالى المرتضى :

* ويقيم وقت صلاته حماد *

(٥) الأغانى والحيوان : « هدلت مشافره الدنان » . وفى أمالى المرتضى : « بسطت مشافره الشمول » .

(٦) الأغانى ١٩ : ١١٢ ومعجم البلدان (طهيان) .

٧٧٥ (فليتَ لنا مِنْ ماء زَمزَمَ شَربةً
مُبـــرَّدةً باتتْ على طَهَيــــانِ)

على أن (مِن) قد تأْتى للبدل . أى فليتَ لنا شربةً بدلَ ماء زمزم.

(وطَهَيان) بفتح الطاء المهملة والهاء والمثناة التحتية : جبَل. ورواه الصاغانى فى العباب : « باتت على الهَمَيان » ، وقال : هكذا الرواية . والنُّحاة يروونه : « على طهَيان ». والهَمَيانُ : قوائم من صخرٍ شاخصةٌ فى بلاد غطفان . وأنشده (فى مادة برد) قال : وبرّدتالماءَ تبريداً ، ولا يقال أبردته إلاَّ فى لغة رديئة . ونسَب البيت[1] إلى الأَحْوَلِ الكِنْدى . وهذا خلافُ ما عليه الرُّواة فإنَّهم قالوا : إنَّ البيت آخر قصيدةٍ ليعلى الأَزدى ، تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد الثلثمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد السبعمائة[3] :

٧٧٦ (لا تَنتهُونَ ولن يَنهَى ذَوِى شَطَطٍ
كالطَّعن يَهلِكُ فيـــه الزَّيتُ والفُتُلُ)

على أنَّه لو صحّ قول المصنف فى توجيه كلام العرب : « قد كانَ مِن مَطَر » بأَنَّ أَصله : قد كان شئٌ من مطر ، فحذفالفاعلُ الموصوف بالظرف ، لجاز أن تكون الكاف فى هذا البيت حرفَ جرٍ ، ويكونالفاعل

---

(١) ش : « وينسب البيت » .

(٢) الخزانة ٥ : ٤٠٤ .

(٣) المقتضب ٤ : ١٤١ والأصول ١ : ٥٣٥ والخصائص ٢ : ٣٦٨ وسر الصناعة ١ : ٢٨٣ وابن الشجرى ٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦ وابن يعيش ٨ : ٤٣ ورصف المبانى ١٩٥ والعينى ٣ : ٢٩١ والهمع ٢ : ٣١ والأشباه والنظائر ٤ : ١١٥ ويس على التصريح ٢ : ١٨ واللسان (حطط ١٤٤ عثل ٤٥٠ غيل ٢٥ ، ٢٧) وديوان الأعشى ٤٨ .

محذوفاً ، وقد أُقيم الظرفُ مقامه ، فلا يصح الاستدلال بالبيت على أَنَّ الكاف اسمٌ مع أَنَّها اسم وجوباً فى البيت .

وقد ردّ ابنُ السّراج (فى الأُصول) ما ذكره المصنِّف قال : فى الكلام والأَشعارِ ما يُوجِب للكاف أَنَّها اسمٌ . قال الأَعْشى :

أَتنتهون ولا ينهَى ذوِى شَطَطٍ . . . . البيت

فالكاف هى الفاعلة . فإن قال القائل : إنَّما هى نعتٌ لمحذوف ، أَراد شىءٌ كالطَّعن ، وهى حرف . قيل له : إنما يخلف الاسم وَيقوم مقامه ما كان اسماً مثلَه ، نحو جاءَنى عاقلٌ ومررت بظريف . وليس بالحسَن إلَّا فيما يشكل من النعوت ، ولو كان غير الاسم يخلُفها لَصَلحَ أن تقول جاءَنى يقوم ، وكلمت يضرب ، تريد إنساناً ورجلاً ونحو ذلك . وكذلك يلزمك أن تقول : جاءَنى فى الدار ، تريد: رجلٌ فى الدار . انتهى .

وسيأْتى إن شاءَ اللهُ تعالى بقيّةُ الكلامِ عليه فى الكاف .

والبيت من قصيدة للأَعشى ميمون ، تقدَّم بعضُها فى الشاهد التاسع والثلاثين بعد السمائة[1] . وقبله :

١٣٣ (إنِّى لَعَمْرُ الذى حَطَّتْ مناسِمُها ... تَخْدِى وسِيقَ إليه الباقرُ الغُيُلُ

لئن قَتلتمْ عميدًا لم يكن صَدَداً ... لنَقتُلَنْ مثلَه منكم فنمتثلُ

وإن مُنِيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ ... لا تُلفِنا عن دماءِ القوم نَنتفلُ

لا تنتهون ولن يَنْهَى ذوِى شَطط ... كالطَّعن يَهلِك فيه الزَّيتُ والفُتُلُ

حتى يظلَّ عميدُ القوم مُرتفِقاً ... يَدفَعُ بالرَّاح عنه نِسوةٌ عُجُلُ

أَصــابه هُندُوانىٌّ فأَقصَــدَه ... أَو ذابلٌ من رماح الخَطِّ معتدلُ)

---

(١) الخزانة ٨ : ٣٩٠ – ٣٩٥ .

قوله : « إنِّى لعمر الذى » إلخ اللام للتوكيد، وعَمْر بالفتح مبتدأ خبره محذوفٌ يقدَّر بعد تمام البيت ، تقديره قسمى . وعَمر مضاف إلى الذى بتقدير موصوف ، أى لعمر الله الذى . ومعنى لعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامِه . والبيتُ الذى بعده جواب القسم ، والقسم وجوابه خبر إنِّى . وحَطَّت ،بالحاء المهملة ، بمعنى اعتمدَتْ . ومناسمُها فاعله ، والمناسم: جمع مَنْسِم كمجلس ، وهو طرَف خفِّ الإبل . والضمير المؤنَّث ضمير الإبل وإنْ لم يَجْرِ لها ذكر ، لأنَّ المناسم تدلُّ عليها[1] . والعائد إلى الذى محذوف تقديره إليه ، أى إلى بيته ؛ ويدلُّ عليه ما بعده . وتَخْدِى بالخاء المعجمة والدال المهملة ، أى تسير سيراً شديداً ، وفاعله ضمير المناسمِ فيه ، والجملة حالٌ من المناسم . وإسناد الخَدْىِ إلى المناسم مجازٌ عقلى ، وفى الحقيقة إنما هو للإبل . وروى أبو عبيدة : «له» بدل تخدى ، فالعائد حينئذ مذكور. وقوله :«وسِيق» عطف على حَطَّت ، أى وعَمْر الذى سيق إليه. والباقر نائب فاعل سِيق ، وهو اسم جمعٍ[2] معناه جماعة البقر . والغُيُل بضمتين: جمع غَيْل، بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية ، بمعنى الكثير . يريد : إنِّى أقسم بالله الذى تُسرع الإبل إلى بيته ويُساقُ إليه الهَدْى .

والخطيب التبريزى لم يأْت فى شرح هذا البيت بشىء ، مع أنَّه اختلفت الرواة فيه ، وخطَّأ العلماءُ بعضُهم بعضاً فيه .

وقد روى أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فى أول كتابه : التنبيهات على أغلاط الرواة) . ما وقع للأئمة الأعلام من الردود وتخْطِئة بعضِهم بعضًا ، فلا بأْس بإيراده ، قال :

---

(١) ط : « يدل عليها » .
(٢) ط : « وهو اسم موضع » ، صوابه فى ش .

ونقِل إلينا من غير وجهٍ أن أبا عمرو الشَّيْبانىَّ قال : روى أبو عبيدة بيت الأعشى : « وسيق إليه الباقر العَثلُ » أى بعين مهملة وثاء مثلثة مفتوحتين ، فأرسلت إليه : صَحَّفتَ ، إنَّما هو الغُيُل : أى الكثير، يقال : ماءٌ غيل، إذا كان كثيراً . وروى عنه أيضاً أنَّه قال : الغُيُل : السِّمان، من قولهم : ساعِدٌ غَيْلٌ . وكان أبو عبيدة يروى هذا البيت

إنِّى لعَمْرُ الذى حَطَّت مناسمُها تَخدِى وسِيق إليه الباقرُ العُثُلُ

وحكى ابن قتيبة أنَّ أبا حاتم قال : سألت الأصمعى عنه فقال : لم أسمع بالعُثل إلاَّ فى هذا البيت. ولم يفسِّره. قال : وسألت أبا عبيدة عنه فقال : العُثُل : الكثير . قال ابن قتيبة : وخبَّرنا غيره أنَّ الأصمعى كان يروى .

* وجَدَّ عليها النافر العَجِلُ *

يريد النِّفار من مِنى . والنَّافر لفظُه لفظُ واحد وهو معنى جمع . وقد اختُلف عنه فى « العجل » فقال بعض : « العُجُل » بضم العين ، وقال بعض : « العَجِل» أى بفتح فكسر ، وجعله وصفًا لِواحد . قال :

١٣٤ ورواه أبو عبيدة: « حَطَّت مناسمها » بالحاء غير معجمة، وقال: يعنى حِطاطها فى السَّير[1] ، وهو الاعتماد . ورواه الأصمعى: « خَطَّت مَناسِمُها » بالخاء المعجمة، أى شَقَّت التراب . وأنشَدَ للنابغة :

* فما خططتَ غبارى[2] *

أى شققته . وقال الأصمعى : حَطَّت خطأً .

(١) الحطاط وردت فى القاموس ولم ترد فى اللسان .

(٢) البيت بتمامه كما فى التنبيهات ٨١ ، وديوان النابغة ٣٤ وما سيأتى فى ص ٤٥٨ :
أرأيت يوم عكاظ حين لقيتنى تحت العجاج فما خططت غبارى

فانظر إلى اختلافهم فى هذا البيت . وردٌّ بعضهم على بعض، ومُراسلة أبى عمرو أبا عبيدة فيه .

وقد أصاب أبو عمرٍو فى الغُيُل، وصحَّف أبو عبيدة، لأنَّ لتِفسيرَىْ أبى عمرو وجهين صحيحين معروفين، وتفسير أبى عبيدة غير مسموع من غيره ولا معروف[١] .

ولا تلتفتنَّ إلى قول ابن دريد: نَعَمٌ عَثَلٌ وعَثِلٌ : كثير[٢] ولا إلى قوله[٣] : العَثَل: الغلظ والفخامة، عَثِلَ يَعثَل عَثلاً . وكلُّ كثيرٍ عَثَل[٤] . فكل هذا عن أبى عبيدةَ .

وأصابَ أبو عبيدة فى حَطَّت، لأنه وجه صحيح، وأخطأَ الأصمعىُّ فى قوله: حَطَّت بالمهمَلة خطأً . ولأنْ تكونَ معتمِدةً فى سيرها بمناسمها خيرٌ من أن تكون خاطَّة . والحَطُّ بالمهملة : الاعتماد، يقال حَطَّ يحُطُّ حطًّا ، إذا اعتمد . ولمَّا لم يعرفه الأصمعىُّ ردَّه . قال عمرو بنُ الأهتم :

ذَرِينى فإنَّ الشيخَ يا أُمَّ هيثمٍ لصالحِ أخلاقِ الرِّجال سَرُوقُ[٥]
ذرينى وحُطِّى فى هواى فإنَّنى على الحَسَبِ الزاكى الرَّفيعِ شفيقُ[٦]

ومن هذا أُخذ : حطُّ الأديم ، وهو صقلُه ودلْكُه ، وذاك لأنَّ صاقله

(١) جمهرة ابن دريد ٢ : ٤٥ .
(٢) ما بعده إلى : « أبى عبيدة » ساقط من التنبيهات .
(٣) ط : « وإلى قوله » .
(٤) ش : « وكل شىء عثل » ، صوابه فى ط .
(٥) المفضليات ١٢٥ والحماسة ١٦٥٢ بشرح المرزوقى و ٤ : ١٩٢ بشرح التبريزى .
(٦) ما بعد هذا البيت إلى نهاية النص لم يرد فى نسخة التنبيهات .

يعتمد عليه . يقال حطّه يحطُّه حطًّا ، فهو أديمٌ محطوط . والخشبة التى يُصقَل عليها يقال لها المِحَطُّ . قال النمر بن تولب :

كأنَّ مِحَطًّا فى يدَىْ حارثيّةٍ صَناعٍ علَتْ منّى به الجِلدَ من علُ[1]

شبَّه برَقان بدنِه لماء الشباب وترارتِه ، بالأديم المصقول . انتهى ما أورده أبو القاسم .

وقال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : وقد روَوْا بيتاً من شعر الأعشى على عشرةِ أوجه ، وهو :

إنّى لعمر الذى حَطَّتْ مناسمها . . . . . . البيت

وذكرتُ الأوجهَ ليُعلَم قدرُ عنايتهم بالعلم، وصرف اهتمامهم إليه . رواه الأصمعى : « إنّى لعمرُ الذى خَطَّت » بالخاء المعجمة . ورواية عَسل[3] عنه بالحاء غير المعجمة . وقال الأصمعىُّ : خطَّت، يعنى أنّها تشقُّ التراب. قال : ومثله قول النابغة :

أعلِمتَ يومَ عُكاظَ حينَ لقِيتَنى

تحتَ العَجَاجِ فما خَطَطتَ غُبارِى[4]

أى قصَّرتَ عنه أن تدركه . قال : ولا يكون حَطَّت ، لأنَّ الحِطاط

---

(١) ديوان النمر ٨٥ والحيوان ٥ : ٤٨ واللسان (حطط) ، وهو من قصيدة أولها :
تأبـد مـن أطـلال جمرة مأسل وقـد أقفـرت منهـا سراء فيذبل
(٢) التصحيف ٢١٤ – ٢١٧ .
(٣) هو عسل بن ذكوان العسكرى النحوى . روى عن المازنى وقرأ عليه كتاب سيبويه ، وروى أيضاً عن الرياشى، وكان فى أيام المبرد . وله : أقسام العربية ، والجواب المسكت . انظر إنباه الرواة ٢ : ٢٨٣ وفيه مراجع ترجمته .
(٤) سبق الكلام عليه قريباً .

الاعتماد فى الزمام . ورواها أبو عمرو : « حَطَّت » بالحاء وقال : هو أن
يعتمد فى أحد شِقَّيه . ورواه : « تَخْدِى» بالخاء المعجمة ، وقال : « الباقر
العيل » بعين غير معجمة بعدها ياءٌ تحتها نقطتان . وفى رواية الزيادىِّ
عن الأَصمعىّ : « الباقر العثل » بعين وثاءٍ فوقها ثلاث نقط ، وفسَّره
فقال : العَثَل والعَثج واحد ، وهو الجماعة . وفى رواية عَسَل: « حَطَّت »
بالحاء غير المعجمة ، وقال : معناه أَسرعَت . قال : والعَثَل الكبير الثقيل:
يقال انكسرت يدهُ ثم عَثِلَتْ تعثَل ،أى ثقُلت عليه. هذه رواية الأَصمعى.
ورواه أبو عبيدة : « حَطت » بالحاء ، وهو الاعتماد فى أَحد شِقَّيها إذا
سارت . وروى:« العَثَل » وقال : هى القطيع والجماعات، يقال ذلك
فى الناس والإبل . وكذلك العَثَج ، ولم يعرف الغُيُل . ورواه أبو عمرو
الشيبانى: « الغُيُل » بغين معجمة وتحت الياء نقطتان ، وفسَّره بالكثير
وقال : يقال ماءٌ غُيُل إذا كان كثيراً . والغُيُل أيضاً السِّمان . يقال
ساعدٌ غَيْل ، إذا كان ممتلئًا ريًّا . قال: وروى أبو عبيدة: « العُثُل » بالثاء ١٣٥
منقوطة بثلاث ، فأَرسلتُ إليه : أَنْ قد صَحَّفت ، إنَّما هو الغُيُل .

وروى بعضهم عن الأَصمعى أنَّه قال : الرّواية : « وجَدَّ عليها النافر
العُجلُ » بالجيم . والنافر بالنون والفاء . أى خَطَّت مناسمها تَخدِى ذاهبةً
ثم جَدّت عليها النُّفَّار من مِنًى حيث نَفَروا .

وقال أبو الحباب : قلت له : إنَّما قالَ النافر ،وهو واحدٌ، ثم قال العُجُل؟
فقال : كقولك : يـأَيُّها الرجل وكلُّكم ذلك الرجل . وكثيراً ما يجىء
الواحد فى معنى الجميع[١] .

---

(١) ط : « الجمع » ، وأثبت ما فى ش وكتاب التصحيف ٢١٦ .

ورواه أبو عبيد القاسم بن سَلاَّم عن أصحابه « خَطَّت » بالخاء المعجمة ، وقال : يعني أنَّها تشقُّ التراب . قال : وكذلك قول النابغة[١] :

* فما خططتَ غبارى *

يعنى ما شققتَه ، أى قصَّرت عنه ولم تُدركْه . وروى بعضُهم : « حَطَّت مناسمُها تَحدَى » بحاء مهملة بدلا من تَخدِى .

فانظر إلى هذا البيت ، وكم أتعب من الرُّواة والعلماء واحتملوه ، لطلب الفائدة فيه . انتهى كلام العسكرى .

وقوله : « لئن قتلتم » إلخ اللام هى الموطِّئة للقسَم . وقوله لنَقتُلَنْ جواب القسم ، وجواب الشرط محذوفٌ دلَّ عليه جواب القسم .

وقوله : « وإنْ مُنِيتَ بنا » إلخ يأْتى إن شاء الله شرحُه فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد التسعمائة ، فى حروف الشرط . والخطاب ليزيدَ بن مُسْهِر الشَّيبانى ، فإنَّه كان أغوى بنى سَيَّار فى أن يقتلوا سيِّدًا من رهط الأعشى ، على ما تقدَّم سببُه هناك .

والعميد : السيِّد الذى يُعمَد ، أى يُقصَد . والصَّدَد ، بفتحتين : المقارِب. وقوله : « فتمتثل » أى نقتل الأمثل . وأماثل القوم : خيارهم . يقول : والله إن قتلتم منَّا دونَ السَّيِّد لنقتلُ أمثلَكُم .

وقوله : (لا تنتهون) إلخ أى لا تنزجرون . وقوله : (ولن ينهى) إلخ البيت : جملة معترضة بين لا تنتهون وبين متعلِّقه وهو حَتَّى يظلَّ ، البيت الآتى . وزعم العينى أنَّ الجملة حاليّة . وعُذره أنَّه لم ينشد البيت الذى

(١) كلمة « النابغة » ساقطة من ش ، وفيها : « وكذلك قوله » .

بعده . ويروى: (أتنتهون) بالاستفهام الإنكارى (ولن ينهى) بفتح الهاء ، وذوى مفعول مقدم. يقال ينهاه، أى يزجره ويمنعه. و (الشَّطَط) بفتحتين : الجَور والظُّلم . فى (المصباح): شطَّ فلانٌ فى حكمه شطوطاً وشططاً : جار وَظلم . وشط فى القول شَطَطا وشُطوطاً : أغلظَ فيه . وشطَّ فى السَّوم : أفرط . والجميع من بابى ضرب وقتل[1] . والكاف من قوله (كالطعن) اسمٌ فاعلُ ينهى، والطعن مضاف إليه، وهو مصدر طعنه بالرمح طعناً ، من باب قتل . ويهلك بكسر اللام من باب ضرب . وجملة (يهلك) إلخ صفة للطعن، لأنَّ اللام فيه للجنس . (والفُتُل) بضمتين: جمع فتَيلة ، أراد فتيلة الجراحة . والمعنى : لا ينَهى أصحابَ الجَور مثلُ طعن جائف ، أى نافذ إلى الجوف ، يَغيب فيه الزَّيت والفُتل. يريد أنّه لا يمنع الجائرينَ من الجَور إلاَّ القَتْل .

وقوله : «حَتى يظلَّ[2] » إلخ حتَّى جارَّة بمعنى إلى متعلِّقة بقوله لاتنتهون. ويظلّ بمعنى يستمرّ، منصوب بأن مضمرة بعد حتى . وعميد القوم، أى سيِّد القوم منكم . والمرتفق : الطالب الرِّفقَ والإعانة . والرَّاحُ : جمع راحة اليد . والعُجُل بضمتين جمع عَجول وهى الثَّكْلَى[3] . يقول: حتى يظل سيِّد الحى تدفع عنه النساءُ بأكفِّهنَّ لئلا يُقتل ، لأَنَّ من يدفَع عنه من الرِّجال قُتِل . وقيل المعنى : يدفعْن لئلا يوطأ بعد القتل . وهو المناسب لقوله : «أصابه هندوانىٌّ» أى سيفٌ منسوب إلى الهند. وأقصده : قتلَه مكانه. وذابل ، هو الرُّمح . والخَطُّ بالفتح : موضعٌ باليمامة تُنسَب
إليه الرماح ، وهى لا تنبت بالخَطِّ، إنَّما هو ساحلٌ للسُّفن التى تحمِل ١٣٦
القَنا إليه وتُعمَلُ به[4] .

(١) الكلام بعده إلى « من باب ضرب » ساقط من ش .
(٢) الكلام بعده إلى « حتى يظل » التالية ، ساقط من ش .
(٣) فى الأصل هنا، وفى ط فقط : « الثكلاء» صوابه ما أثبت . يقال امرأة ثاكل وثكول وثكلى . وقد يقال ثكلانة أيضاً فى قلة .
(٤) فى اللسان : « فتقوم به » .

وترجمة الأعشى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد السبعمائة[٢] :

٧٧٧ (وأنتِ التى حَبَّبْتِ شَغباً إلى بَدًا إلىَّ وأوطانى بلادٌ سِواهُما[٣])

على أنَّ (إلى) الأُولى فيه للانتهاء ، أى مضافًا إلى بدًا . وذكر المتعلَّق لإفادة أنَّ إلى مع مجرورها واقعةٌ موقعَ الحال من شَغْب ، ولإفادةِ أنَّ الغايةَ داخلٌ فى المُغيَّا .

وزعم الكوفيون أنَّها هنا بمعنى مع ، وهو خلافُ الأَصل من غير ضرورةٍ تُلجِئُ إليه .

ومن الغريب قولُ ابن هشام (فى المغنى) : إنها بمعنى الفاء . قال: إذ المعنى شغباً فبدًا ، وهما موضعان . ويدلُّ على إرادة الترتيب قوله بعده :

حَللْتِ بهــذا حَلَّةً ثم حَــلَّةً بهذا، فطاب الواديان كلاهُما

وهذا المعنى غريب لأنِّى لم أر من ذكره . اهـ .

وقد ردَّ عليه شارحه الدمامينى بأَنَّ من حقِّ النُّحاة أن لا يذكروهُ مستندين إلى هذا الدليل ، فإنَّا لا نسلِّم إرادة الترتيب فى البيت الأَوّل ، لاحتمال أن يكون إلى فيه للمعية ، كما قاله جماعة كثيرة ، ومتعلِّقة بمحذوف إن لم نقُل بذلك، أى معبدا أو مضموماً إلى بدا . والبيت الثانى

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) ط : « وأنت الذى » ، صوابه فى ط ومراجع التخريج التالية .

(٣) المغنى ١٦٢ والهمع ٢ : ١٣١ واللسان (بدا ٧٣) والحماسة ١٢٨٨ بشرح المرزوق ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٠ وديوان كثير عزة ٣٦٣ .

لا يدلُّ على إرادة الترتيب فى الأوّل ، إذْ حلولها بأحد المكانين بَعْدَ حلولها بالآخَر لا يقتضى أنَّ المكانَ الأوَّلَ حُبِّب إليه أوَّلا بسبب حلولِها فيه ، وأنَّ الثانىَ حُبِّب إليه بعد ذلك لحلولها به ، إذْ من الجائز أن يكونَ حُبُّ المكانين حَصَل له فى آنٍ واحد بعد حلولها فيهما على الترتيب . ثُمَّ ولو سُلِّم دلالة البيت الثانى على الترتيب فى الأوَّل لم يدلَّ على دعواه ، لأنَّ الترتيب الواقعَ فى الثانى إنَّما هو بثمّ لا بالفاء . وفى بعض النسخ : « حَلَّةً بعد حَلَّةٍ » . اهـ .

وأمّا (إلى) الثانية فقد شرحها الشارح المحقق بعد أسطر .

صاحب الشاهد والبيْتان فى الحماسة ، ونسبهما لكثيِّر عزَّة . والرواية فيها كذا :

وحلَّت بهذا حَلَّة ثم أَصبحَتْ ... بهـذا فطـاب .... إلخ

قال المرزوق : خاطبها فى البيت[1] معتدًّا عليها، بأنَّه كما آثرها على أهله وعشيرته، آثر بلادَها على بلاده ، فذكرَ طَرَفَىْ مَحَالِّها فقال: أُحبُّ لكِ وفيكِ شغْباً إلى بدا ، وبلادى بلادٌ غيرهما . ثم أخبر عنها فى البيت الثانى فقال :نزلَتْ بهذا، يشير إلى شَغْب، نَزْلَةً[2] ثم أَصبحَتْ ببَدًا، ففاح الواديان وتضوَّعا بريَّاها . ومثلُه قول الآخر :

استودعَتْ نَشْـرها الـرّياض فمـا
تـزدادُ طِيبـاً إلَّا على القِـدَمِ

وفى بعض نسخ الحماسة بيتٌ بينهما ، وهو :

إذا ذرفَتْ عيناىَ أعتـلُّ بالقـذى
وعَزَّةُ لو يدرى الطبيبُ قذاهمـا

(١) فى شرح المرزوق : « فى البيت الأول » .
(٢) فى النسختين : « نزلت » ، صوابها فى شرح المرزوق .

أى عزَّة سبب قذاهما . (وشغْب) بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين . و (بَدًا) بفتح الموحَّدة بعدها دال مهملة فألف مقصورة . قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : هما من بلاد عُذرة، يريد أنَّهما من بلاد اليمن.

ويناسبه ما نقله أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) بعد قوله : شَغْب: قرية الزُّهرى الفقيه : عن ابن أبِى أُويس قال : خرج عبد الله بن السائب المخزومى نحوَ اليمن ومعه ابنُه ، فنزلا على غَدَائهما ، فقال عبد الله ابن السائب :

١٣٧ فلمَّا علوْا شَــغْباً تبيَّنْتُ أنهُ تقطعَ من أهل الحجازِ علائِقِى

فقال ابنُه :

فلا زلنَ حَسْرَى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْننا
إلى بلدٍ ناء قليل الأصادقِ(١)

فقال أبوه : أمُّك طالقٌ إنْ تغدَّينا أو تعشَّينا إلاَّ على هذين البيتين .

ولكنَّه قال : شغب قد تقدَّم ذكره وتحديده فى رسم بدا . والذى قاله فى بدا: أنَّه موضعٌ بين طريق مصر والشام . قال كثيِّر :

وأنتِ التى حببتِ شغباً إلى بدا . . . . . . البيت

وشَغْب: منهلٌ بين طريق مصر والشام أيضاً . قال جميل :

ألا قد أرى أنْ لا بُثينةُ تَــرتَجَى
بِوادى بَدًا ، ولا بِحِسْمَى ولا شَغْبِ(٢)

(١) ش : « لو حملتنا » ط : « لم حملتنا » ، صوابه ما أثبت من معجم ما استعجم . وفى إحدى روايات المعجم : « إذ حملتنا » .

(٢) ديوان جميل ٣٣ ومعجم ياقوت ، ومعجم ما استعجم، والأغانى ٧ : ٨٧ . وعند ياقوت : « بوادى بداء لا بحسمى » ، وعند البكرى : « بوادى بدا ولا بحسمى » ، وفى الديوان : « بوادى بدا فلا بحسمى » .

وقد ورد «بدا» فى شعر زيادة بن زيد ممدودًا، فلا أدرى أمدَّه ضرورة أم فيه لغتان. قال:

وهُمْ أطلقوا أسْرَى بَدَاء وأدركــوا
نساءَ ابنِ هندٍ حين تُهــدَى لقيْصَرا

هذا ما ذكره. وهو لا يناسب شعر ابن السائب ولا شعر جميل، فإنَّه عُذرىٌّ.

ولم يزد ابن ولَّاد والقالى (فى المقصور والممدود لهما) على قولهما: بدا: اسم موضع، مقصور، يكتب بالألف. يقال بين شَغْبٍ وبَدَا. وأنشد البيت الشاهد. والله أعلم.

وترجمة كثيِّر عزَّةَ تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة[(١)].

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد السبعمائة[(٢)]:

٧٧٨ (فلا تترُكَنِّى بالوعيــدِ كأنَّنى
إلى الناس مَطْلىٌّ به القــارُ أجْرَبُ)

على أنَّه قيل (إلى) فيه بمعنى فى، والوجه أن تكون على أصلها للانتهاء؛ لأن قوله مطلىٌّ به القار معناه مكرَّهٌ مبغَّض. وهو يتعدَّى بإلى.

وهذا توجيه ابن عصفور، قال (فى كتاب الضرائر): إنَّما وقعَتْ فيه إلى موقعَ فى، لأنَّه إذا كان بمنزلة البعير الأجرب المطلىّ الذى يُخافُ

(١) الخزانة ٥: ٢٢١ - ٢٢٤.
(٢) أمالى ابن الشجرى ٢: ٢٦٨ وضرائر ابن عصفور ٢٣٥ ورصف المبانى ٨٣ والمغنى ٧٥ والهمع ٢: ٢٠ والأشمونى ٢: ٢١٤ وديوان النابغة ١٣.

عَدْواه فيطردُ عن الإبل إذا أراد الدخولَ بينها ، كان مبغضاً إلى الناس ، فعومل مَطلٌّ كذلك مُعاملة مبغَّض .

وقال فى موضع آخر : هو على تضمين مَطلىّ معنَى مبغَّض . ولو صحّ مجئ إلى بمعنى فى لجاز زيد إلى الكوفة . ا هـ .

وقال بعضهم : إلى متعلِّقة بمحذوف ، أى مطلىٌّ بالقار مضافاً إلى الناس، فحذف(١) وقلب الكلام . ولا يخفى سماجتُه .

و (الوعيد) : التهديد . و (القار) هنا : القَطِران . وإنّما شبَّه نفسه بالبعير الأجرب المطلىّ بالقطران ، لأنَّ الناس يطردونه إذا أرادَ الدخولَ بينَ إبلهم ، لئلا يَعُرَّها بالقطران ويُعدِيَها بدائه . والقار نائب فاعل مطلىّ ، وبه متعلّق بمطلىّ . والأصل مطلىٌّ بالقار ، فمرفوع مطلى هو المستتر ، لكنَّه قلَبَ . وقيل : روى « القارِ » بالجرّ على أنَّه بَدل من ضمير به ، فلا قلب .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة للنابغة الذُّبيانى يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر اللخمى فى شىءٍ اتُّهمَ به عنده ، فهرب منه إلى ملوك الشام بنى جَفْنة الغسَّانيِّين كما تقدم بيانُه فى ترجمته ، واعتذر إليه بعدةِ قصائِدَ فى انضمامه إلى بنى جَفنة ، والتبرِّى مما رمِىَ به ، أوّلُها :

أبيات الشاهد — (أتانى أبيتَ اللَّعنَ أنَّك لُمتَنِى وتلك التى أهتمٌّ منها وأنْصَبُ)

إلى أن قال :

١٣٨ (حلفتُ فلم أتْرُكَ لنفسِكَ رِيبة وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَطْلبُ)

(١) ط : « فحذفت » ، وأثبت ما فى ش .

لئن كنتَ قد بلِّغتَ عنِّى جنايةً لَمُبْلِغُك الواشى أَغشُ وأَكذبُ
ولكنَّنى كنتُ امرأً لىَ جـانبٌ من الأَرضِ فيه مُستَرادٌ ومَذهَبُ
ملوكٌ وإخـوانٌ إذا ما أَتيتُهم أُحَكَّم فى أَموالهم وأُقـرَّبُ
كفِعلِك فى قومٍ أَراكَ اصطنعتَهُمْ فلم تَرَهمْ فى شُكرٍ ذلك أَذْنبوا
فلا تتركَنِّى بالوعيد كـأَنَّنى إلى الناس مطلىٌّ به القارُ أَجربُ
أَلم تر أَنَّ اللهَ أَعطاك سُـورةً ترى كُلَّ مَلكٍ دُونها يتذبذبُ
فإنَّكَ شمسٌ والمـلوكُ كواكبٌ إذا طلعَتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ(٦)
فلستَ بمستبقٍ أَخـاً لا تلُمُّـه على شَعَثٍ أَىُّ الرجالِ المهذَّبُ(٢)
فإنْ أَكُ مظلومـاً فعبدٌ ظَلمتَـه وإن تكُ غضباناً فمثلك يعْتِبُ)

وقوله: أَبيتَ اللعن، جملةٌ دعائية، اعترض بها بين الفعل وفاعله، يخاطِبون الملوكَ بها تحيَّةً. ومعناه أَبيتَ أَن تفعلَ شيئا تلعن به(٣). قال ابن الأَنبارىّ (فى شرح المفضليات): أَى أَبيتَ أَن تـأْتِىَ من الأَخلاق المذمومةِ ما تُلعن به(٤). وكانت هذه تحيَّةَ ملوكِ لخمٍ وجُذام، وكانت منازلهم الحِيرةَ وما يليها. وتحيةُ ملوك غَسَّان: يا خيرَ الفتيان. وكانت منازلهم الشام. و «تلك» إشارةٌ إلى الملامة المفهومة من لُمْتَنِى، إذ المعنى أَتتنى مَلامتُك إيَّاى. وأَهتمّ: أَصِيُر ذا هَمّ. وأَنصَبُ: مضارع نَصِب كفرح، أَى أَتعَبُ وأَعيا.

وقوله: «حلفت» قسمٌ، وجوابه: لئن كنت، وما بينهما اعتراضٌ. والرِّيبة: الشكّ، وجملة «وليس وراءَ اللهِ» إلخ جملة مؤكدة لمضمونِ

(١) فى الديوان ١٣: «لأنك شمس».
(٢) فى الديوان: «ولست».
(٣) ش: «تلعن عليه».
(٤) ش: «ما تلعن عليه».

ما قبلها ؛ فإنَّه إذا لم يكنْ وراءَ الله مطلبٌ لأَحدٍ لم يحلفْ بأَعظمَ منه فكيف يَحلِفُ به كاذباً .

وهذا البيتُ وما بعده من الأَبيات الأَربعة استشهد به أَهلُ البديع على النوع المسمَّى عندهم بالمَذْهَب الكلامىّ . وهو إيراد حُجَّةٍ للمطلوب على طريقة أهل الكلام[1] .

والجناية : الذَّنب . والواشى : النمَّام . وغشَّه : لم يُخلِص له النُّصح . و « لى جانب من الأَرض » صفة امرأ . وفيه إعادة الضمير الرابط ضمير تكلُّم . وأَراد بالجانب أرضَ الشام . والمُستراد : موضعٌ يُتردَّد فيه لطلب الرِّزق . وملوكٌ وإخوانٌ بدلٌ من مُستَرادٌ ومذهَب ، أَو بتقدير : فيه ملوكٌ وإخوان . ومعنى أُحكَّم : أَتصرَّف فى أَموالهم كيف أَشاءُ .

وقوله : « كفعلك » إلخ ، قال الأَصمعىّ : يريد كما فعلتَ أَنتَ بقوم قرَّبتَهم وأَكرمتهم ، فتركُوا الملوك ولزموك ، فلم تَرَ ذلك ذنباً عليهم . وقوله : « فى مثل ذلك[2] » أَى فى زيارتك والوفادة إليك .

والسُّورة بالضم :المنزلة الرَّفيعة والشرف . وبالبيت استشهد البيضاوىُّ لمعنى السُّورة . ومَلك بسكون اللام : لغَةٌ فى كسرها . ويتذبذب : يضطَرِب .

وقوله : « فإنَّك شمسٌ » قال المبرِّد : هذا من أَعجب التشبيه .

وأَراد بهذا البيت والذى قبله ، تسليةَ النُّعمان عما حَصَلَ عنده من

---

(١) انظر تحرير التحبير ١١٩ - ١٢١ .

(٢) هذه رواية أخرى فى البيت الخامس من هذه المقطوعة . وفى تحرير التحبير : « فى مدحهم لك أذنبوا » . وفى الديوان ١٣ : « فى شكر ذلك أذنبوا » كما فى الخزانة فى الرواية الأولى .

مدحِه لآل جفنة ، ثم كرَّ معتذرًا عن زلَّته فقال : و « لستَ بمستبق أخاً » إلخ ، يقول : أىُّ الرِّجال يكون مبرّأً من العيوب؟ فإنْ قطعْتَ إخوانك بذنبٍ لم يبقَ لك أخٌ . وتلمُّه : تصلِحُه وتُصلِح ما تشعَّث من أَمره وفَسَد.

١٣٩ والبيت استشهد به علماءُ البيان للتذييل ، وهو تعقِيبُ الكلام بجملة تشتمل على معناهُ ، للتوكيد[1] .

وقوله : « فإن أكُ مظلوماً » أى باستمرار غضَبِكَ علىَّ . جعَلَ غضبه ظلماً له ، لأَنَّه عن غير مُوجِب . فأنت إنَّما ظلمتَ عبدًا من عبيدك ، وليس لأَحدٍ اعتراضٌ فيه . وقوله : « وإن تكُ غضبانًا إلخ» روى أيضاً : « وإن تَكُ ذا عُتْبَى فمثلك يُعْتَب » بالبناءِ للمفعول ، أى يُرجَع له إلى ما يُحبّ . ويقال : لك العُتبَى ، أى الرُّجوع إلى ما تحبّ . وقيل يُعتِب بالبناءِ للفاعل ، أى يُعطِى العُتْبى ، يقال أَعتَبه إذا أَعطاه الرِّضا ، وهو العُتْبَى .

وترجمة النَّابغة تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد السبعمائة[3] :

٧٧٩ (وإنْ يَلتقِ الحىُّ الجميعُ تُلاقِنِى   إلى ذِروة البَيْتِ الكريمِ المصَمَّدِ)

على أن (إلى) فيه على أَصلها ، وهى مع مجرورها حالٌ من الياء فى تلاقنى ، متعلِّقة بمحذوفٍ تقديرُه : تلاقنى منتسباً إلى ذروة البيت إلخ .

وليست هنا بمعنى فى كما قيل ، حكاه ابن السَّرّاج ، قال (فى الأُصول) : وقالوا فى قول طرفة :

---

(١) تحرير التحبير ٣٨٧ – ٣٨٨ . وفى النسختين هنا : « على معناها » .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٣) الأصول ١ : ٥٠٦ والأزهية ٢٨٤ والاقتضاب ٤٣٢ وابن الشجرى ٢ : ٢٦٨ ورصف المبانى ٨٣ .

* وأن يلتقِ الحيُّ الجميعُ تلاقنى * إلخ .

إنَّ إلى بمعنى فى .

وما ذهب إليه الشارح المحقِّق هو قول الزوزنى شارح المعلقات فى شرح هذا البيت ، يقول : وإن اجتمع الحيُّ للافتخار تلاقنى أنتَهى إلى ذروة البيتِ الشريف ، أى إلى أعلى الشرف . يريد أنَّه أوفاهم حظًّا من الحسَب، وأعلاهم سَهْماً من النَّسب . وقوله تلاقنى ، يريد: أعتزى إلى ذروة ، فحذف الفعل لدلالة الحرف عليه . ا هـ .

وكذا (فى شرح أدب الكاتب) لابن السِّيد البطَلْيَـوْسى ، قال: « قيل معناه فى ذروةٍ[1] ». وهذا لا يلزم ، لأنَّه يمكن أن يريد آوياً إلى ذروة كما قال تعالى: ﴿سآوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنى من الماءِ[2]﴾، فلا حُجَّة فيه.

وقال الأعلم الشَّنتمرىُّ (فى شرح المعلقة) : يقول : إذا التقى الحيُّ الجميعُ بعد افتراقهم وجَدتَنى فى موضع الشَّرفِ منهم وعُلوِّ المنزلة . وقوله: إلى ذروة ، أى فى ذروة البيت. وذِروة كلِّ شىء: أعلاه . والمصمَّد: الذى يَصمِدُ إليه الناس لشرفه ، ويلجئُون إليه فى حوائجهم . والصَّمْد: القصد . ا هـ .

وقال ابن السكيت (فى شرح ديوان طَرَفة) : أى إذا التقى الحيُّ الجميع الذين كانوا متفرِّقين وجدتنى فى الشَّرف .

وقال أبو جعفر النحَّاس ، والخطيب التِّبريزى : يريد : وإنْ يلتقِ

---

(١) الذى فى الاقتضاب : « وذروة كل شىء : أعلاه » ، فلعله استنباط من البغدادى .

(٢) الآية ٤٣ من سورة هود .

الحيُّ للمفاخرة وذِكرِ المعالى تجدْنى معهم . قال أَبو الحسن: معنى إلى ذروة مع ذروة ، وهو تمثيلٌ . وإنَّما يريد بالبيت ههنا الأَشرافَ الذين يُقصَدون ، فشبَّههم ههنا بالبيت الرفيع . ا ه .

فهذا معنًى ثالثٌ لإلى فى البيت .

صاحب الشاهد

وهو من معلقة طرَفَة بنِ العبد . وقبله :

أبيات الشاهد

(ولستُ بحلاَّل التِّلاعِ مخَافةً
ولكنْ متى يَستَرفِدِ القومُ أَرفدِ
فإِنْ تَبْغنى فى حَلقة القومِ تَلقَنى
وإن تَقتنصْنِى فى الحوانيتِ تَصْطدِ
مَتى تأْتنى أَصْبَحْكَ كأْساً روِيَّةً
وإن كنتَ عنها ذا غنًى فاغن وازددِ
وإن يلتق الحى الجميع تلاقنى
. . . . البيت
نداماىَ بيضٌ كالنجوم وقَينةٌ
تَرُوح علينا بين بُرْد ومُجْسَدِ
رحيبٌ قِطابُ الجيبِ منها رفيقةٌ
بجسٍّ النَّدامى بَضَّةُ المتجرِّدِ)

١٤٠ قوله : « ولست بحلال التلاع » إلخ تقدَّم شرحُه مع الذى بعده فى الشاهد السادس والتسعين بعد السبعمائة [1] . وكذلك تقدَّم شرح قوله : «نداماىَ

(١) انظر ما مضى فى ص ٦٦ .

بيضٌ » مع البيت الذى بعده فى الشاهد الواحد بعد الثلثمائة ، وفى الشاهد الذى بعد الثانى عشر والستمائة .

وقوله : « متَى تأْتنى أصبَحْك » إلخ فى الصحاح : الصبوح : الشُّرب بالغداة ، وهو خلاف الغَبُوق . تقول : صبَحتُه صَبْحاً . ا هـ . يقول : أَسْقِكَ صَبوحاً . والرويَّة : المُرْوِية . والكأْس : الخمر فى الإناء ، [وهى الإناء[1]] أيضاً إذا كان فيه خمر . ومعنى «فاغنَ وازدد» : فاغنَ بما عندك ، أى استغنِ به وازْدد غِنًى .

وترجمة طَرَفة تقدّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده

(أَلقَى الصَّحِيفَةَ كى يُخَفِّف رحْلَه والزَّادَ حتَّى نعلَهُ أَلقاها[3])

تقدم شرحه مستوفًى فى الشاهد السابع والخمسين بعد المائة من باب الاشتغال[4]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد السبعمائة[5] :

٧٨٠ (وأَكفِيهِ ما يَخشى وأُعطِيهِ سُؤْله
وأُلحِقه بالقوم حتَّاهُ لاحقُ)

على أَنَّ المبرد زعم أَنَّ (حتَّى) هنا جَرت الضمير . وليس كذلك ،

---

(١) التكملة من ش .
(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .
(٣) فى النسختين : « حتى رحله » ، والصواب ما أثبت .
(٤) الخزانة ٣ : ٢١ — ٢٥ .
(٥) الضرائر لابن عصفور ١٢٦ .

وإنما حتى هنا ابتدائيّة ، والضمير أصله هو ، فحذف الواو ضرورة كما تقدَّم بيانه فى شرح قوله :

* فبيناهُ يشرِى رَحْلَه قال قائلٌ *

أى بينا هو يَشرِى رحلَهُ ، فى الشاهد الثمانين بعد الثلثمائة[1] فحتَّى حرف ابتداءٍ داخلةٌ على الجملة ، وهو الضمير المحذوف واوُه ضرورةً ، فى محلٍّ رفع على الابتداء ، ولاحقٌ خبره . ولو كانت حرف جر لم يكن لذكر لاحقٌ بالرفع وجه .

ولم يتنبَّه لهذا صاحبُ اللُّبِّ ، وإنَّما قال : واختصَّت بالظَّاهر خلافًا للمبرِّد . و :

* أُلحقه بالقومَ حَتَّاه لاحقُ *

لا يعتدُّ به . قال شارحه السيِّد : لندورِهِ وشُذوذه ، ولو أورد البيتَ الثانىَ لكان مناسباً .

وما ذهب إليه الشارح المحقِّق هو قول ابن عُصفور (فى الضرائر) ، قال : ومنه حذف الياء من هِيَ ، والواوِ مِن هُوَ ، نحو :

* دارٌ لسعدى إذهِ من هَواكا *

أى : إذْ هى . وقول الآخر :

* وأُلحقهُ بالقوم حَتَّاهُ لاحقُ *

وقول العُجَير :

* فبيناهُ يَشرِى رَحْلَه قال قائلٌ *

---

(١) الخزانة ٥ : ٢٥٧ - ٢٦٤ .

أى حتى هو، وبينا هو . وحذفهما يؤدى إلى بقاء الضمير المنفصل على حرفٍ واحد ، وذلك قبيح ، لأَنَّه عرضةٌ للابتداء ، فلا أقلَّ من أن يكون على حرفين : حرفٌ يبتدأُ به ، وحرفٌ يوقف عليه . ا هـ .

و (أكفيه) : مضارع كفاه الشيء ، متعدٍّ إلى مفعولين ، بمعنى مَنَعته الشيء . وما المفعول الثانى ، موصولةٌ أو نكرة موصوفة. والسُّؤْل : ما يُسْأَل ، مفعول ثان لأَعطى . (وأُلحقه) : مضارع أَلحقه بكذا ، أى أتبَعَه به فلحقَ هو به . وأمّا ثُلاثيُّه فيقال لَحقته ولحِقتْ به ، من باب تعب لَحَاقاً بالفتح : أدركْته ، يتعدَّى تارة بنفسه ، وتارة بالباءِ. كذا فى المصباح . وصلة لاحق فى البيت محذوف ، تقديره : حتَّى هو لاحقٌ بهم .

والبيت لم أقفْ على خبرٍ له . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد السبعمائة[1] :

٧٨١ (فلا وَاللهِ لا يلقَاه ناسٌ فَتًى حَتَّاك يا ابنَ أَبى يَزيدِ)

١٤١ على أَنَّ المبرِّد تمسَّك به على أَنَّ (حتَّى) تجر الضمير .

وأَجاب الشارح المحقِّق بأَنَّه شاذٌّ . والأَحسن أَنْ يقول ضرورة ، فإنه لم يرد فى كلامٍ منثور .

ولم يظهر لى معنى الغاية فى حَتَّى هنا . و (فتى) حال من الهاء أو بدل منه . وروى : (لا يَلْقَى أُناسٌ) ففتًى مفعول يَلْقَى . وروى العينى : « لا يُلفِى أناسٌ » بكسر الفاءِ، فأُناسٌ فاعله ، ويُنْظر أين مفعولا ألفى ،

(١) المقرب : ١ : ١٩٤ ورصف المبانى ١٨٥ . وانظر العينى ٣ : ٢٦٥ والهمع ٢ : ٢٣ والأشمونى ٢ : ٢١٠ .

فإن ألفى من نواسخ المبتدإ والخبر . وروى أيضاً آخره : (يا ابنَ أبى زياد) . ولم أقف له على خبر . والله أعلم .

والغاية فى هذا البيت[1] ظاهرة :

أَتَتْ حَتَّاكَ تَقصِد كلَّ فجٍّ   تُرجِّى منكَ أنْهـا لا تخيبُ[2]

وهو من أبيات مغنى اللبيب .

ثم رأيت (فى شرح التسهيل لأبى حيّان) وقد أنشد بيت :

* فَتًى حتَّاك يا ابن أبى يزيد *

أنَّه قال : وانتهاءُ الغاية فى حَتاك لا أفهمه ، ولا أدرى ما عنى بحَتاك فلعل هذا البيتَ مصنوع . ا هـ .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٧٨٢ (فوا عَجَبَا حتَّى كليبٌ تسبُّنى   كأنَّ أباهَا نَهْشلٌ أو مُجاشعُ)

على أن (حتَّى) فيه ابتدائية ، وفائدتها هنا التحقير .

أنشدهُ سيبويه وقال : فحتَّى هنا بمنزلة إذا ، وإنَّما هى ههنا كحرف من حروف الابتداءِ .

وقال الأَندلسى[4] (فى شرح المفصَّل) : يقع بعدها الجملة الفعلية

---

(١) يعنى البيت التالى لا السابق .

(٢) المغنى ١٢٣ والتصريح ٢ : ٣ والهمع ٢ : ٢٣ والأشمونى ٢ : ٢١٠ . وفى البيت شاهد آخر ، وهو أن « أن » فى « أنها » مخففة من الثقيلة ومعها ضمير مذكور لا محذوف .

(٣) سيبويه ١ : ٤١٣ . وانظر المقتضب ٤ : ٤٠٦ والأصول ١ : ٥١٨ والجمل ٧٨ وابن يعيش ٨ : ١٨ ، ٦٢ ورصف المبانى ١٨١ والمغنى ١٢٩ والهمع ٢ : ٢٤ وديوان الفرزدق ٥١٨ .

(٤) هو علم الدين قاسم بن أحمد اللورقى الأندلسى المتوفى سنة ٦٦١ كما فى كشف الظنون . وسمى كتابه « الموصل ، فى شرح المفصل » . وانظر الأشباه والنظائر ٢ : ٧٦ .

والاسمية . وتسمى[(١)] حرف ابتداء ، وتفيدُ معناها الذى هو الغاية ، إمَّا فى التَّحقير أَو فى التَّعظيم . كما فى بيت الفرزدق :

* فواعجبَا حتَّى كليبٌ تسبُّنى *

أَى تعجَّبُوا لسبِّ النَّاسِ إيَّاىَ حَتَّى كليبٌ ، كأَنه يقول: كلُّ الناس تسبنى[(٢)] حتَّى كليبٌ على حقارتها . ولو خَفض هنا كليبٍ لجاز ، ويكون تسبُّنى إمَّا حالٌ من كليب ، أَو مستأْنَف، وحَتَّى كليب متعلق به .

قال ابن المستوفِى بعد أَن نقله : قوله أَى تعجَّبوا فى تفسير (واعجبًا)، غير صحيحٍ لأَنه ينادِى العجب[(٣)] على ما ذكره العلماءُ تأَدُّباً لا يأْمُر أحدًا به . وقوله : « ولو خُفِض كليب هنا لجاز » محال، لأَنَّ الخفض بعد حَتَّى إمَّا أَنْ يكون بالعطف على المجرور قبلها ، أَو يكونَ بمعنى إلى ، ولا مجرورَ قبلها فتُعطفَ عليه. وليست بمعنى الغاية إذْ ليس ما قبلها مفردًا من جنس ما بعدها . فبقِىَ الرفعُ لا غير . وذكر قسميها[(٤)] فى التعظيم والتحقير . ولم يأْت إلاَّ بالتحقير. وقوله : و « يكون تسُبنى إما حال من كليب أَو مستأْنف بالرفع فيهما » ، وصوابه « النَّصب فيهما » . ولا أَعلم ما أَراد بقوله : « وحتَّى كليب متعلِّق به » . اهـ .

أَقول : أَمَّا فواعجبَا فقد روى أَيضاً : (فيا عَجَباً) بتنوين وبدونه. أَمَّا الأَوَّل فيحتمل أَن يكون عجباً منادًى منكَّرا ، وَيحتمل أَن يكون

---

(١) ط : « تسمى » بسقوط الواو .

(٢) ط : « يسبنى » .

(٣) هذا الصواب من ش . وفى ط : « لأنه العجب » وقد كتبت « ينادى » فى ش بخط أحد المصححين للنسخة .

(٤) ش : « قسمها » . والمراد أن الأندلسى لم يستشهد للتعظيم ، واقتصر على شاهد التحقير .

يا حرف تنبيه وعجباً مصدر منصوب بفعل محذوف، أى تعجَّبوا عجباً. ويحتمل أن تكون يا حرف نداءٍ والمنادى محذوف، أى يا قوم، وعجباً كذلك. فكلام الأندلسىّ جارٍ على كلٍّ من هذين الوجهين. وأما الثانى فإنَّه أراد: فياعجبى. فقلب ياء المتكلم ألفاً. وهى لغة.

وأما قوله: « خفض كليبٍ محال » إلخ فنقول: هى جارّة والمغيَّا غير مذكور، والتقدير: فواعجباً الناسُ تسبُّنى حتَّى كليبٍ. وهذا المذكور لابدَّ منه فى الابتدائية أيضاً.

وقوله: « ولم يأْت إلّا بالتحقير » نقول: لا يضرُّ ذلك. ومثال التعظيم:

* حتَّى ماءُ دِجلةَ أشكلُ * البيت الآتى.

وقوله: « صوابه النصب فيهما » يعنى أنَّه يجب أن يقول: ويكون يسبُّنى إمَّا حالا من كليب، أو مُستأْنَفًا بنصبهما، لأنَّه خبر كان. وكأنَّه رفع على تقدير يكون، إمَّا تامّة أو زائدة. ١٤٢

وقوله: « لا أعلم ما أراد بقوله وحتَّى كليب متعلّق به » أقول: إنَّه يريد أنَّ حتى الجارّة تكون متعلقة بيسبُّنى، إذ كلُّ جارٍّ لا بدَّ له من متعلّق. وهذا ظاهر. قال ابن هشام (فى المغنى): ولا بدَّ من تقدير محذوفٍ قبل حتَّى من هذا البيت، يكون ما بعدَ حتَّى غايةً له، أى فواعجباً يسبُّنى الناسُ حَتَّى كليبٍ تسبُّنى.

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريراً، تقدَّم بعضٌ منها فى الشاهد السادس بعد السبعمائة (١).

(١) انظر الجزء التاسع ص ١١٣-١١٨.

وقوله: (فواعجباً) هو من قبيل النُّدبة للتوجُّع ، كأَنَّه يقول: أنا أَتوجَّعُ لعدم حضورك يا عجبي ، فاحضُرْ لهذا الأَمر الذى يتعجَّب منه .

وكليب : جدُّ رهطِ جرير ، وهو جرير بن عطيَّة بن الخطَفَى بن بدرِ بن سَلَمة بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . ويجتمع مع الفرزدق فى حنظلة بن مالك .

ونهشل ومجاشع أَخَوان ، ابنا دارم بن مالك بن حنظلة . ومجاشعٌ قبيلة الفرزدق ، وهى أشرف من كليب . وأَمَّا نهشل فهم أَعمام الفرزدق لا آباؤه، وإن كانت العرب[1] تسمّى العَمَّ أَباً . جعلهم فى الصِّفة[2] بحيث لا يَسبُّون مثلَه لشرفه[3]. يقول : يا عجبًا لسبِّ الناس إيّاى حتَّى كليبٍ على ضعفِها فى القبائل ، وبُعدِها من الفضائل ، كأَنَّ لها أَباً كريماً ، وحَسباً صميما ، كما لنهشل ومجاشع .

والسَّبُّ : الشتم . والسِّبُّ ، بالكسر : الذى يسابُّك وتسابُّه . قال حَسَّان بن ثابت :

لا تَسبَّنَّنِى فلستَ بسِبِّى   إنَّ سِبِّى من الرِّجال الكريمُ[4]

قال ابن طلحة الإشبيلى (فى شرح جُمَل الزجَّاجى) : كأَنَّ للتشبيه ، وقد يجىء فى ضمنها الظنُّ والتوهُّم كما قال الشاعر :

* كأَنَّ أَباها نهشلٌ أَو مجاشعُ *

المعنى : توهَّمَتْ أَباها نهشلا أَو مُجاشعاً . ولو بقِيَتْ على معنى التشبيه

---

(١) ط : « كان العرب »، والوجه ما أثبت من ش .
(٢) كذا فى النسختين ولعلها « الضعة » .
(٣) الكلام بعده إلى كلمة « ومجاشع » ساقط من ش .
(٤) السيرة ٦٢٥ . والبيت لم يرد فى قصيدته بالديوان ٣٧٦-٣٨٠ . وقد نسب البيت فى اللسان (سبب ٤٣٩) إلى ولده عبد الرحمن بن حسان . وكثيراً ما يتداخل شعراهما .

من غير أنْ تُضَمَّن[1] معنى الظن لا نقلب المجْوُ على الهاجى . اﻫ .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد السبعمائة[3] :

٧٨٣ (فما زالتِ القتْلَى تُمجُّ دِمـاءَها
بِدَجْلَةَ حتَّى مـاءُ دِجْلَةَ أشـكَلُ)

على أنَّ فائدة (حَتَّى الابتدائية) هنا التعظيم والمبالغة ، وهو تغيُّر ماء دِجلة من كثرة دماء القتلى حتَّى صار أشْكَل ، وهو حمرةٌ مختلطةٌ ببياض . والشُّكلة كالحمرة وزنًا ومعنى ، لكن يخالطها بياض . وهو مأْخوذ من أشكَل الأَمرُ ، أى التبس .

فإن قلت : أين ما اشترط الشارح المحقِّق من كون خبر المبتدإ بعد حتى[4] من جنس الفعل المقدَّم عليها ؟ قلت : ما قبْل حتَّى فى قوة قوله فما زالت القتلى تغيِّر ماءَ دجلة بالدِّماء .

و (القتلى): جمع قتيل . و(تمجّ): تقذِف، يتعدَّى إلى مفعول واحد يقالُ مَجَّ الرجلُ الماءَ من فيه مجًّا ، من باب قتل: رمى به . ويروى بدله : (يمورُ دِماؤها) مضارع مارَ الدمُ: سال . ومار الشيءُ : تحرَّك بسرعة . ومار : تردَّد فى عَرْض . ومار البحر : اضطرب ، فهو فعلٌ لازم، ودماؤها فاعله . قال صاحب المصباح : ويعدَّى بنفسه وبالهمزة أيضاً فيقال : ماره ، وأماره ، إذا أساله . فعلى هذا يجوز نصب دِماءَها به على أنَّه

(١) ط : « يضمن » . (٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .
(٣) الأزهية ٢٢٥ وابن يعيش ٨ : ١٨ والمغنى ١٢٨ ٣٨٦ والهمع ١ :٢٤٨/٢:٢٤ والأشمونى ٣ : ٣٠ وديوان جرير ٤٥٧ .
(٤) أى فى الجملة الاسمية الواقعة بعد حتى . انظر الرضى ٢ : ٣٠٤ .

متعد . و (دِجْلة) بفتح الدال وكسرها : النهر الذى يمرُّ ببغداد ، لاينصرف للعلمية والتأنيث . والباءُ بمعنى فى .

صاحب الشاهد ١٤٣

والبيت من قصيدةٍ لجرير هجا بها الأخطَل ، وذكرَ ما أوقعه الجَحَّافُ ببنى تغلب . قال بعد أبيات :

أبيات الشاهد

(بكى دَوبَلٌ لا يُرقِئِ اللهُ دمعَه
ألا إنَّما يبكِى من الذُّلِّ دوبلُ
جزِعتَ ابنَ ذات القَلْس لما تداركَتْ
من الحرب أنيابٌ عليكَ وكلكلُ[(١)]
فإنَّك والجَحَّافَ يومَ تحضُّه
أردتَ بذاك المُكْثَ والورِدُ أعجلُ
سَما لكُمُ ليلاً كأنَّ نجومَه
قناديلُ فيهن الذُّبالُ المفتَّلُ[(٢)]
فما ذَرّ قرنُ الشَّمس حتَّى تبيَّنوا
كَرادِيسَ يَهْدِيهِنَّ وَرْدٌ محجَّلُ[(٣)]
فقد قَذَفَتْ من حربِ قيسٍ نساؤهمْ
بأولادها ، منها تمامٌ ومُعْجَلُ[(٤)]
ومقتولةٌ صبراً ترى عندَ رجلها
بَقيراً ، وأخرى ذاتُ بَغْلٍ تولولُ
وقد قَتل الجحَّافُ أزواجَ نِسوةٍ
يَسوقُ ابنُ خلَّاسٍ بهن وعزهلُ

(١) فى الديوان ٤٥٦ : « ذات الفلس » ، صوابه بالقاف كما سيأتى فى الشرح .
(٢) الديوان : « سرى نحوكم ليل » .
(٣) فى الديوان : « حتى تعرفوا » .
(٤) فى الديوان : « نساؤكم » .

تقول لك الثَّكلَى المصابُ حليلُها
أبا مالكٍ ، ما فى الظعائن مَغْزَلُ
حَضضْتَ عن القوم الذين تركتهم
تَعِلُّ الرُّدَيْنِيَّات فيهمْ وتنهلُ
عُقَاب المنايا تستديرُ عليهمُ
وشُعْثُ النَّواصى لُجْمُهُنَّ تصلصِلُ
بدِجلة إذْ كَرُّوا وقيسٌ وراءَهُمْ
صُفوفاً وإن رامُوا المخاضة أَوحَلُوا
فما زالت القتلى تمجُّ دماءَها
بدِجلةَ حتَّى ماءُ دِجلةَ أَشكَلُ (١)
فإن لا تَعَلَّقْ من قريشٍ بذمّةٍ
فليس على أسياف قيسٍ مُعوَّلُ
لنا الفضلُ فى الدنيا وأنفُكَ راغمٌ
ونحن لكم يوم القيامة أفضلُ
وقد شَقَّقتْ يومَ الحروبِ سيوفُنا
عواتقَ لم يثبُتْ عليهنَّ مِحْمَلُ
أجار بنو مروان منهمْ دماءَكمْ
فمَنْ مِنْ بنى مَرْوانَ أَعلَى وأفضلُ)

وينبغى أن نقدِّم أولًا سببَ ما أوقعه الجَحَّافُ ببنى تغلب ، ثم نشرح الأبيات ، فنقول :

إنَّ عمير بن الحُباب السُّلمى خرجَ على عبد الملك فى أوّل خلافته (٢)

(١) الديوان : « تمور دماؤها » .

(٢) فى الاشتقاق ٣٠٨ : « وكان عمير من فرسان الناس فى أيام عبد الملك وأيام الفتنة بالشام ، وكان قد امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه » . وجعل اشتقاقه من الحباب ، بالضم ، وهو ضرب من الحيات .

فاجتمعت إليه قيسٌ وعامر . وكان نازلا فى القرب من بنى تغلبَ قبيلةِ الأخطل ، وكانت منازلُهم بين الخابور والفرات ودجلة ، فأساءَ المجاورةَ مع تغلب ، فوقع بينهمشرٌّ، فما زال الحربُ بينهم سجالا إلى أن قتل بنو تغلب عُميراً وأرسلوا برأسهِ إلى عبد الملك، فى سنة سبعين من الهجرة ، فأنعَم عبد الملك على الوَفدِ وكساهم . ثم إنَّ الأخطلَ وفَدَ على عبدِ الملك فدخلَ عليه الجَحَّافُ بن حَكيم السُّلمىُّ فقال عبد الملك : أتعرف هذا يا أخطل ؟ قال : ومن هو ؟ قال : الجَحَّاف . فقال الأخطل:

ألا سائل الجَحَّافَ هل هو ثائرٌ بقَتلى أُصِيبتْ من سُليمٍ وعامرِ

حتَّى فرغ من القصيدة ، وكان الجَحاف يأكلُ رُطباً فجعل النوى يتساقطَ من يده غيظا ثم أجابه فقال :

بَلَى سوفَ نبكيهم بكلِّ مهنَّدٍ ونبكى عُميراً بالرِّماح الشَّواجرِ

ثم قال : يا ابنَ النَّصرانية ، ما ظننتكَ تجترئُ علىَّ بمثل هذا ، ولو كنتُ مأسوراً لك. فحُمَّ الأخطلُ خوفاً . فقال عبد الملك: أنا جارُك منه.
١٤٤ فقال : يا أمير المؤمنين ، هَبْكَ أجرتنى منه فى اليَقَظة فَمن يُجيرُنى منه فى النَّوم ؟ ثم قام الجَحَّافُ ومشى يجرُّ ثوبَه وهو لا يعقل حتَّى دخل بيتًا من بيوت الديوان ، فقال للكاتب : أعطِنى طوماراً من طوامير العُهود . فأتاه بطومار وليس فيه كتاب ، فخرج إلى أصحابه من القيسية فقال : إنَّ أمير المؤمنين ولاَّنى صدقاتِ بكر وتغلب. فلحقَه زهاءُ ألف فارس ، فسار حتى أتى الرُّصافة ، ثم قال لمن معه : إنَّ الأخطل قد أسمعنى ما علمتم ، ولستُ بوالٍ ، فمن كان يحبُّ أن يَغسِلَ عنه العارَ فليصحَبْنى فإنِّى قد آليت أن لا أغسلَ رأسى حتَّى أُوقع ببنى تغلب . فرجَعُوا غيرَ ثلثمائة ، فسارَ ليلتَه فصبَّح الرَّحوب ، وهو ماءٌ لبنى جُشَم بنِ بكر رهطِ

الأَخطل فصادف عليه جماعةً كثيرة من تغلب ، فقَتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأُخذ الأَخطلُ وعليه عباءةٌ وسِخة ، فظنُّوه عبدًا ، وسئل فقال : أنا عبدٌ ! فخلَّوا سبيله فخشِيَ أن يراه مَن يعرفُه ، فرمى بنفسه فى جُبٍّ فلم يزل فيه حتى انصرفت القيسيةُ فنجا ، وقُتل أبوه غوث ، وأسرفَ الجَحافُ فى القتل ، وشقَّ البطون عن الأَجنَّة ، وفعل أمراً عظيما . فلمَّا عاد عنهم قدِم الأَخطلُ على عبد الملك فأَنشده :

لقد أَوقعَ الجَحَّافُ بالبِشْر وقعةً إلى الله منها المُشتكى والمعوَّلُ

والبشر ، بكسر الموحدة وسكون المعجمة : اسم ماءٍ[1] . فطلب عبدُ الملك الجَحَّافَ فهرب إلى الروم ، فكان يتردَّد فيها ، ثم بعث إلى بطانة عبدالملك من قيس ، فطلبوا له الأَمانَ فآمنَه ، فلما جاءَ أَلزمه دياتِ مَنْ قُتِل ، وأخذ منه الكفلاءَ ، فسعى فيها حتَّى جمعَها وأعطاها . ثم تنسَّك الجَحَّافُ وصَلح ، ومضى حاجًّا فتعلَّق بأَستار الكعبة وجعل يقول : اللهم اغفِرْ لى وما أَظنُّك تفعل ! فسمعه محمد بن الحنفيَّة فقال : يا شيخُ ، قُنوطُك شرٌّ من ذَنْبك !

ومن هنا نرجع إلى شرح الأَبيات . فقوله : « بكى دَوْبل » هو اسم الأَخطل . قال شارحه : كان الأَخطل يلقَّب به صغيراً . وبكاؤه لقوله :

لقد أَوقع الجَحَّاف بالبشر وقعة . . . . البيت

و« ابنَ » منادى . و« القلس » بفتح القاف : حبلٌ ضخم من ليف أَو خوصٍ ، أَراد به زُنَّار النصارى . والجَحَّاف بفتح الجيم وتشديد

(١) فى معجم ياقوت أنه جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية . لكن فى اللسان أنه اسم ماء لبنى تغلب ، وقال أيضاً : « والبشر : اسم جبل ، وقيل جبل بالجزيرة » .

الحاءِ المهملة . وتحضُّه : تحثُّه . يقال حَضَّه على الأَمر ، أى حمله عليه . والمكث : البطءُ . والورد ، بالكسر : الوُرود .

وذر قرن الشمس : طلعت . والكُردوس بالضم : القطعة من الخيل العظيمة ، والكراديس : الفِرَق منهم . يقال كردَس القائد خيله ، أى جعلها كتيبةً كتيبة . ويَهْديهنّ : يدُلُّهنّ ويقودهنّ . والوَرْد : الأَسد ، عنى به الجَحَّاف .

وأتمَّتِ الحُبْلى فهى متمٌّ ، إذا تمّت أيامُ حَملِها ، وولدت لِتمامٍ ، بفتح التاءِ وكسرها ، وولد المولود لِتمامٍ كذلك . ومُعْجَل : خلاف التمام .

والصَّبر : القتلُ أسراً . والبقير : المبقور ، وهو الذى شُق بطنه . وتولوِل : تصوِّت وتصيح .

وخلاس وعَزْهَل : رجلان من قيس . والحليل : الزوج . وأبو مالك : كنية الأَخطل . والظعائن : جمع ظعينة ، وهى الهودج . والمَغْزَل كجعفر قال شارحه : من الغزَل ، وهو محادثَةُ النساءِ واللَّعبُ . وإنَّما هُزِئَ به . يقول : قد شغلك ما صنعتَ عن التغزُّل[(١)] . ا هـ .

والرُّدينيات : الرِّماح . والنَّهَل : الشرب الأَوّل . والعَلَل : الشُّرب الثانى . وعُقاب المنايا : الراية ، شبَّهها بالعُقاب . واللُّجم : جمع لجام . وتصلصِل : تصوِّت . وأراد بِشُعث النواصى الخيل . وأَوْحَلوا ، بالبناءِ للفاعل ، أى وقعوا فى الوحل .

وقوله : « فإن لا تعلَّقْ » استهزاءٌ فى مَعْرِض النصيحة ، أى إنْ لم تتعلَّقْ
١٤٥ بذمّة قريش فلا طاقَة لكم بسيوف قيس .

(١) فى النسختين : « من التغزل » .

وقوله : « لنا الفضلُ فى الدُّنيا » البيت أورده ابن هشام (فى المغنى) على أنَّ اللام تأْتى بمعنى مِنْ ، أى ونحن أفضل منكم . وشَقَّقَتْ : قطَّعت . وعَواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين المنكِب والعنق . والْمِحمَل بكسر الميم الأُولى : سُيُور السَّيف .

والمصراع الأَخير تقديره : فمَنْ أعلى وأفضل من بنى مروان .

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أول الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثّمانون بعد السبعمائة[2] :

٧٨٤ (بَطلٍ كأَنَّ ثيابَه فى سَرْحَةٍ)

على أنَّ (فى) بمعنى على فيه ، لأَنَّه معلوم أن ثيابه ليست فى جوف سَرحة ، وهى الشَّجرة العالية ، وإنَّما هى على بدنه .

قال الشارح المحقق : والأَولَى أن تكون على بابها ، لأَنَّ ثيابه إذا كانت عليها فقد صارت السَّرحة موضعاً لها .

وهذا المصراع صدرٌ ، وعجزه :

(يُحْذَى نعالَ السِّبتِ ليس بتوأَمِ)

صاحب الشاهد

والبيت من معلقة عَنترةَ العبسى ، وقبله :

أبيات الشاهد

(ومِشَكٍّ سابغــةٍ هَتكتُ فروجَهــا
بالسَّيفِ عن حــامى الحقيقةِ مُعْلِمِ

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) الخصائص ٢ : ٣١٢ والمنصف ٣ : ١٧ والأزهية ٢٧٧ وابن يعيش ٨ : ٢١ ورصف المبانى ٣٨٩ والمغنى ١٦٩ والأشمونى ٢ : ٢١٩ والمعلقات وشروحها .

رَبِذٍ يداهُ بالقداحِ إذا شتا
هتَّاكِ غاياتِ التِّجارِ ملوَّمِ
بطلٍ كأنَّ ثيابَه فى سَرحةٍ
يُحذَى نِعالَ السِّبتِ ليس بتوأَمِ
فطعنتَهُ بالرُّمح ثم علوتُه
بمهنَّدٍ صافى الحديدَةِ مِخْذمِ
لما رآنى قدْ نزلتُ أُرِيدُه
أَبْدَى نواجِذَه لغير تبسُّمِ
عَهدِى به مَدَّ النَّهارِ كأنما
خُضِب البنانُ ورأسُه بالعِظلمِ)

قوله : « و مِشَكٍّ سا بغةٍ » بكسر الميم وفتح الشين المعجمة ، قال الأَعلم : أَراد ربَّ مِشَكِّ دَرعٍ سابغة . والمِشَكُّ : التى شُكَّ بعضُها فى بعض . والمِشَكُّ : مسامير الدُّروع . والسَّابغة : الكاملة . وقال الخطيب التبريزى : مِشَكُّ الدِّرع : حيث يُجمعُ جَيْبُها بسير . وكانت العرب تجعل سَيْراً فى جَيب الدِّرع يجمع جيبها ، فإذا أَراد أَحدٌ الفرار جذب السَّير فقطعَه واتَّسع الجيب فأَلقاها عنه وهو يركض . وقيل: الدِّرع التى شُكَّ بعضُها إلى بعض . وقيل المِشَكُّ : المسامير التى تكون فى حَلَق الدرع . ومن جعل المشكَّ الدِّرع يكون من إضافة الصفة إلى الموصوف، وتأْويله عند البصريِّين : ومشكٍّ حديدةٍ سابغة . وهتكت: جوابُ رُبَّ . وكذلك على قول من جعله بمعنى السَّير والمسامير ، لأَنَّهما من الدرع ، فيصير الإخبار عن الدرع . وهَتكتُ فروجَها ، أَى شققتها وخرّقتها . وفروجها : جيبُها وكُمَّاها ، واحدها فَرج بفتح الفاء . وحامى الحقيقة ، أَى يَحمِى ما يحقُّ عليه أَن يحميَه. والمُعْلِم : اسم فاعل من أَعلم نفسه بعلامة ، وهو

الذى شَهَرَ نفسَه بعلامة إدلالاً بشجاعته ، وإعلاماً بمكانه . وقال أبوجعفر: هو اسم مفعول ، وكذلك المسوَّم ، يقالان بالفتح . والسُّومة بالضم :العلامة. وقال الزَّوْزنى : المعلم بكسر اللام : الذى أعلم نفسه بعلامةٍ يُعرف بها فى الحرب حتَّى تبرز له الأبطال . والمُعْلَم بفتح اللام : الذى يشار إليه ويُدَلّ عليه بأنَّه فارس الكتيبة . يقول : رب موضع انتظامِ درعٍ واسعة شققتُ أوسَاطه بالسَّيف عن رجلٍ حامٍ لما يجبُ عَليه حفظُه ، شاهرٍ ١٤٦
نفسَه فى حَومة الحرب أو مشارٍ إليه فيها . يريد أنَّه هَتك مثل هذه الدرعِ على مِثْل هذا الشجاع ، فما الظنُّ بغيره ؟!

وقوله : « ربذٍ يداه » هو بالجر صفةٌ لحامى الحقيقة . وكذا هَتَّاك . والرَّبِذُ ، بفتح الراءِ المهملة وكسر الموحدةِ : السريع . قال أبو جعفرٍ والخطيب : لم يقل ربذَةٍ يداه لأنَّ اليد مؤنثة ، ووجهه أنَّ قوله يداه بدل من الضمير المستتر فى ربذٍ العائد إلى حامى الحقيقة ، كما تقول : ضربت زيدًا يده . ومذهبُ الفرّاءِ فى هذا أنَّه يجوز أن يذكَّر المؤنَّث فى الشِّعر إذا لم يكن فيه علامة التأْنيث . والقداح ، هى سهام الميسر ، جمع قِدْح بالكسر . أى هو حاذقٌ بالقِمار والمَيسرِ ، خفيفُ اليدِ بضرب القداح. وهذا كان مدحاً عند العرب فى الجاهليّة . وقوله : « إذا شتا » يريد أنَّه إذا اشتدَّ الزمان ، وكان أشدُّ الزمان عندهم زمنَ الشتاء ، وكان لاَ يَيْسِرُ فيه إلَّا أهل الجود والكرم . وقوله : « هتَّاك غايات التجار » هو جمع تَجْر ، وهو جمع تاجر كما يجمع صاحب على صحب ، وصحبٌ على صحاب. وأراد بهم تجّار الخمر(١) . والغايات : علاماتٌ تكون للخمَّارين . يقول : فهو يهتك راياتِ تجّار الخمر ، لأنَّه لا يترك شيئًا من الخمر إلَّا اشتراه

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الخمر » التالية ساقط من ش .

وإذا فَنِيَ ما عندهم رَفَعوا علاماتِهم . وقيل المعنى أنَّه يعطيهم ما يطلبون فى السَّوم بها . والملوَّم : الذى يكثُر اللوم عليه فى تبذير مالِه .

وقوله : (بطلٍ كأنَّ ثيابَه) إلخ بطل بالجر صفة حامى الحقيقة ، ويجوز رفعه على تقدير هو بطلٌ ، وهو الشُّجاع الذى تبطُل عنده شجاعةُ غيره . (والسَّرحة) ، بفتح السين وسكون الراءِ المهملتين فحاءِ مهملة : واحدة السَّرْح ، وهو الشجر العظيم العالى . يريد أنَّه طويلُ القامة كاملُ الجسم ، فكأنَّ ثيابَه على شجرةٍ عالية . والعرب تمدح بالطُّول وتذمُّ بالقصر . قال أُثَال بن عَبْدة بن الطَّبيب[1] :

ولمَّا التقى الصَّفَّانِ واختلفَ القنا ... نِهالًا وأسبابُ المنايا نِهالُها[2]
تبيَّنَ لى أن القمـاءَةَ ذِلَّـةٌ ... وأنَّ أعـزَّاءَ الرِّجالِ طوالُهـا[3]

يريد أنَّ القنا وردت الدم ولم تُثَنِّ ، وذلك أنَّ الناهل الذى يشرب أوّل شربة ، فإذا شرب ثانية فهو عَلَل . وقوله : نِهالُها ، أى أوَّل ما يقع منها يكون سبباً لما بعده .

وقال بعض بنى العنبر :

فجاءَت به عبلَ العظام كأنَّما ... عمامتُه بينَ الرجال لواءُ[4]

---

(١) البيتان بدون تسمية فى الكامل ٥٤ ، ٥١٣ . واقتصر المبرد على قوله إنه أعرابى من بنى سعد ، وإن الخنوت ، وهو توبة بن مضرس قد تمثل بهذا الشعر . ونسب إلى أنيف بن زبان النهشلى فى الحماسة البصرية ١ : ٣٥ .

(٢) الحماسة البصرية : « واشتجر القنا » .

(٣) الكامل : « وأن أشداء الرجال طوالها » .

(٤) البيت مع سابقين له فى الحماسة ٢٧٠ بشرح المرزوقى ، وروايته : « سبط العظام » . وقبله :

لا تعذلى فى حندج إن حنـدجاً ... وليث عفـرين لـدى سواء
حميت عـلى العهار أطهار أمـه ... وبعض الرجال المدعـين جفاء

[وقال آخر[1]] :

أشم طويل السَّاعدين كأنَّما تُناط إلى جذعٍ طويلٍ حمائلُه

ولِسَلْمٍ الخاسر :

يقوم مع الرُّمح الرُّدينى قائماً
ويَقْصُر عنه طولُ كلِّ نِجادِ

وقوله : (يحذَى نِعال السِّبت) يحذى بالحاء المهملة والذال المعجمة على البناء للمفعول ، ونائب الفاعل ضمير البطل . ونعالَ مفعول ثانٍ له ، أى تُجعَل له النِّعال السِّبتية حذاءً بالكسر والمد . فى الصحاح : الحِذاءُ : النعل . واحتذى : انتعل . وأحذيته نعلاً ، إذا أعطيتَه نعلا . والسِّبت بكسر السين المهملة وسكون الموحَّدة : الجلد المدبوغ بالقرظِ ولم ينجردْ من شعره . قال أبو حنيفة الدينورى (فى النبات) : الجلد ما لم يُدبَغ فهو محرَّم ، وكذلك إذا دُبغ فلم يبالَغْ فيه الدِّباغ ففيه ١٤٧ تحريم . والفطير مثله ، وهو الخام . وأجودُ ما يدبغ به الإهاب بأرض العرب القَرَظ ، وهو يُدبَغ بورقه . ويقال للذى يأْخذه من شجرهِ : القارظ ، والذى يبيعه : القَرَّاظ . فما كان منها من جُلود البقر خاصَّة فإنَّ الأَصمعىَّ زعم أنَّه السِّبت . وأمَّا أبو عمرو فزعم أنَّ كلَّ جلدٍ مدبوغ سِبْتٌ ، بالقَرَظ أو بغيره . وقد اختلف علينا فى ذلك ، فروى ما حكيناه عن الأَصمعى عن أبى عمرو ، وما ذكرناه عن أبى عمرو عن الأَصمعى . وقال أبو زياد : السِّبت: جلود البقر . قال: ولا تقول للجلد سِبْت حتى

---

[1] بمثلها يلتئم الكلام . وقد تنبه لذلك ناسخ ش فكتب : « كذا بخط المؤلف ، والقافية مختلفة ، فهنا سقط بلا شك » . وقال ناشر ط : « قافية هذا غير قافية ما قبله . فيظهر أنه سقط قبله وقال فلان » .

يصير حِذاءً[١] ، فذاك حين تنسُبه إلى السبت فتقول نعلُ سبتٍ ونعالُ سِبت . وأنشد قول عنترة :

* يُحذَى نِعالَ السِّبت ليس بتوأمِ[٢] *

وقال أبو زيد : نعل سبت، وهى من جلود البقر خاصة، وقال: السِّبت جلود البقر خاصَّة مدبوغة ، ولا يقال لغير جلود البقرِ سبت ، والجميع سُبوتٌ وأسبات . فأمَّا ما كان من جُلود الضأْن خاصَّة فهو السَّلْف ، والواحدة سَلْفة ، وهى أضعفُ من الماعز وألْيَن . وقال أبو زياد: خيرُها ما دُبغ بالقَرَظ ، ثمّ الأَرْطَى ، ثم السَّلَم . وشرُّها ما دُبغ بالأَلاء . وقال : الأَلاءِ شديدُ المرارة ، شديدُ الخضرة ، طيِّب الريح . انتهى ما أردنا منه .

وقول عنترةَ : «يُحذَى نِعالَ السِّبت» يريد أنَّه من الملوك الذين يلبسون النِّعال السِّبتيَّةَ الرقيقَة الطيِّبَة الرِّيح . وهم يتمدَّحون بجودة النعال ، كما يتمدَّحون بجودة الملابس . قال النابغة :

رقاقُ النِّعال طيِّبٌ حُجُزاتُهمْ يُحيَّوْنَ بالرِّيحانِ يومَ السَّباسبِ

أراد أنَّهم ملوكٌ لا يَخصِفون نعالهم ، إنَّما يخصفها مَن يمشى . والحُجْزة: الوَسط. أراد أنَّهم يشدُّون أُزُرَهم[٣] على عِفَّة . والسَّباسب : يوم الشَّعانين . وأراد برقَّة النعال أنَّ نعالهم ليست بمطْبقة . وقال النجاشى :

---

(١) ط : « حلا » ش : « حلاء » ، وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف حلاء ، والصواب حذاء بالذال المعجمة » . فهو الصواب إن شاء الله .

(٢) صدره فى معلقته :

* بطل كأن ثيابه فى سرحة *

(٣) ط : « إزارهم » .

* لا يأْكل الكلبُ السَّروقُ نعالنا[1] *

إنَّما يأكُل الكلبُ الفطيرَ من النِّعال . وأمَّا السِّبت فلا . وقال كثيِّر وذكَر نعلاً :

إذا طُرِحتْ لا يطَّبِى الكلبَ ريحُهـا
وإنْ طُرِحَتْ فى مجلسِ القَومِ شُمَّتِ[2]

أى هِى طيِّبَة الريح ليست بفطير ، لأَنَّ النعل إذا كانت غيرَ مَدبوغة وظَفِر بها الكلبُ أكلهَا . وقوله : « ليس بتوأم » يريد أنَّه لم يزاحمْه أَخٌ فى بطنِ أمِّه فيكونَ ضعيفَ الخلقة . والتوأم : الذى يكون مع آخَرَ فى بطن أمِّه . فنَفَى عنه ذلك ووصفَه بكمال الخَلْقَ وتمام الشِّدَّةِ والقُوّة . يقول . هو بطلٌ مديد القامة ، كأَنَّ ثيابه أُلبَستْ شجرةً عظيمة ، من طُول قامتِه واستواء خَلْقه ، ويتَّخذ النعالَ من جلود البقر المدبوغة ، ولم تحملْه أُمُّه مع غيره . وقد بالغَ فى وصفه بالشِّدَّة والقوّة بامتِداد قامته ، وعِظَمِ أعضائه ، وتمامِ غذائه عند إرضاعه ؛ إذْ كان غير توأم .

وقوله : « بمهنَّد » هو السَّيف الهندى . وقوله : « صافى الحديدة » أى مجلوٌّ صقيل . والمِخذم ، بكسر الميم والمعجمتين : القاطع ، مِنْ خَذَمَه أى قَطعه .

---

(١) ورد البيت محرفاً فى اللسان (نقا ٢١٤) ، وهو على الصواب فى البيان ٣ : ١٠٩ ، وانظر تحقيقه فى كتابى « تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب» ص ٣٧١ . ورواية البيان :

ولا يأكل الكلب السروق نعالهم ولا تنتقى المخ الذى فى الجماجم

وفى المعانى الكبير ٤٨٣ :

لا يأكل الكلب السروق نعالنا ولا ننتقى المخ الذى فى الجماجم

(٢) الحيوان ١ : ٢٦٦ والبيان ٣ : ١٠٩ والمعانى الكبير ٤٨٧ . وهو من قصيدة فى رثاء عبد العزيز بن مروان ، فى ديوان كثير ٣٢٤ .

وقوله : « لمَّا رآنى قد نزلت » إلخ . النواجذ: آخر الأَضراس . ومعنى أَبدى نواجذه ، أَى كَلَح غيظاً علىّ . ويقال بل كَلَح كراهةً للطَّعن . وقيل : المعنى لمَّا رآنى قاصدًا له كلَح وكشَّر أسنانه ، فصار كأَنَّه متبسِّم . وقيل : المعنى لمَّا قتلته تَقَلَّصت شفتاه عن أَسنانه[٣] فصرتُ إذا نظرت إليه كأَنَّه يتبسم . يقول: لمَّا نزلتُ عن فرسىِ أُريد قتلَه
١٤٨ كشرّ عن أَسنانه غير متبسِّم . أَى لفَرط كُلوحِه من كراهيَة الموت تقلَّصت شفتاه عن أَسنانه .

وقوله: « عهدى به » أَى مشاهدتى له وقد تخضَّب بدمه ، فكأَنَّه قد خُضب بالعِظْلِم ، كزبرج ، وهو شجرٌ يُتَّخذ منه الوَسْمَة . يقال إنَّه الكَتَم . وإنَّما شَبَّه الدم به لمَّا انعقد وضَرَبَ إلى السَّواد . ويقال عَهِدته أَعهَده عهدًا ، إذا لقيتَه . قال الخطيب : عهدى به مبتدأً ، والخبر فى الاستقرار. وقوله : «مَدَّ النهار» بدلٌ من الاستقرار، كما تقول: القتال اليومَ ، وكما تقول : عهدى قريبًا ؛ أَى وقتاً قريباً. إلَّا أَنَّه يجوز فى هذا أَنْ تقول قريب ، على أَنْ تجعل القريبَ العهدَ . ومَدّ النهار : ارتفاعُه. وروى : « شدَّ النَّهار » بمعناه . ويريد بالبنان الأَصابع. وروى بدله :«اللَّبَان» بفتح اللام ، وهو الصَّدر . يقول : رأَيته طولَ النهار وامتدادَه بعد قتلِى إيَّاه وجُفوفِ الدم عليه، كأَنَّ بنانه أَو صَدْرَه ورأْسَه مخضوبَةٌ[٢] بهذا النَّبت .

وترجمة عنترة تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أَوائل الكتاب[٣] .

* * *

(١) الكلام بعده إلى آخر هذه الفقرة ساقط من ش .
(٢) فى النسختين : « مخضوباً » .
(٣) الخزانة ١ : ١٤٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد السبعمائة[1] :

٧٨٥ (ويركبُ يومَ الرَّوعِ فيها فوارسٌ
بَصِيرونَ فى طَعْنِ الأَباهِرِ والكُلَى)

على أنَّه قيل إنَّ (فى) بمعنى الباء ، أى بَصيرون بطعنِ الأَباهر. والأَولى أَن تكون بمعناها ، أى لهم بَصارة وحذقٌ فى هذا الشأْن .

قال ابن عصفور (فى الضرائر) : إنَّما عدَّى بصيرٌ بفى ، لأَنَّ قولك : هو بصير بكذا ، يرجع إلى معنى هو حكيمٌ فيه ، متصرِّف فى وجوهه .

صاحب الشاهد

والبيت من أَبياتٍ تسعةٍ لزيد الخَيْل الطائى ، رواها أَبو زيد (فى نوادره) ، وأَبو العباس الأَحول (فى شرح ديوان كَعب بن زهير) ، وأَبو علىٍّ القالى (فى ذيل الأَمالى) ، وهى :

أبيات الشاهد

(أَفى كلِّ عامٍ مأْتمٌ تبعثونه
عَلى مِخْمَرٍ عَوْدٍ أُثيبَ وما رُضَا

تُجِدُّونَ خمشاً بعد خَمشٍ كأَنَّه
على فاجعٍ من خير قومِكُم نُعا

تحضِّض جبّاراً علىَّ ورَهطَه
وما صِرْمتِى منهمْ لأَوّل مَن سَعَى

---

(١) نوادر أبى زيد ٨٠ والقالى ٣ : ٢٤ وأدب الكاتب ٤٠٠ والجواليقى ٣٥٧ ، والاقتضاب ٤٣٧ والأزهية ٢٨١ والمخصص ١٤ : ٦١ والضرائر ٢١٨ وابن الشجرى ٢ : ٢٦٨ والمغنى ١٦٩ والتصريح ٢ : ١٤ والهمع ٢ : ٣٠ والأشمونى ٢ : ٢١٩ وشرح ديوان كعب ابن زهير ١٣٤ .

تَرَعَّى بأَذناب الشِّعابِ ودونَها
رجالٌ يردُّون الظَّلومَ عن الهوَى(١)
ويركبُ يومَ الرَّوعِ فيهــا فوارسٌ
بصيرون فى طَعن الأَباهِرِ والكُلَى(٢)
فلولا زهيرٌ أَنْ أُكَــدِّرَ نعمــةً
لقاذعتُ كعباً ما بَقَيْتُ وما بَقَا(٣)
قد انبعثتْ عِرسى بليلٍ تلومُنى
وأَقرِبْ بأَحلامِ النِّساء من الــرَّدَى
تقول : أرى زيدًا وقد كان مُقْتِراً
أراه لعَمرى قد تمــوَّلَ واقتنَى(٤)
وذاك عطاءُ اللهِ فى كلِّ غارة
مشمِّرةٍ يوماً إذا قَلَّصَ الخُصَــى)

وقوله : « أَفى كلِّ عام » إلخ استفهامٌ توبيخى . والمأْتم ، مهموز ، وهو الجماعة من النِّساء يجتمعْنَ لحزنٍ أَو فرح ، والمراد هنا الحُزْن ، ولهذا عاد الضمير إليه من تبعثونه مذكَّراً . وقال شرَّاح أبيات الكتاب : الضمير عائدٌ على محذوف ، أَى أَفى كلّ عام اجتماعُ مأْتم ، فيكون المأْتم بالمعنى الأَوّل . ولهذا قال أَبو زيد : أَراد: أَفى كلّ عام(٥) ، حدوثُ مأْتم ، فحذف المضاف وأَقام المضاف إليه مقامه . ا هـ .

---

(١) فى شرح الديوان وأمالى القالى والجواليقى والاقتضاب : « يصدون الظلوم » .
(٢) فى شرح الديوان : « يردون طعناً فى الأباهر والكلى » .
(٣) فى شرح الديوان وأمالى القالى : « لقادعت كعباً » .
(٤) عند القالى : « وقد كان مصرماً » ، وفى رواية ثانية لشرح الديوان :
تقول أرى زيداً وقد بان مقترا تمول من بعــد التصملك واقتنى
(٥) ط : « فى كل عام » ، وأثبت ما فى ش . ولم أجد هذا النص فى نوادر أبى زيد .

وإنما قال كذا لئلاّ يقع ظرف الزمان خبراً عن الجثّة . وتبعثونه : تهيّجونه وتحرّكونه . وروى بدله : « تجمعونه». والمِحْمَر بكسر الميم ١٤٩
الأُولى وسكون الحاء المهملة ، قال أبو زيد : هو الفرس الذى يُشبِه الحمار ، وهو أيضاً اللّئيم من الرّجال . أراد هنا أنّه فرسٌ هجين ، أخلاقُه كأخلاق الحمير ، بطيءُ الحركة . وعَلَى هنا تعليليّة . والعَوْد ، بفتح العين المهملة ، قال أبو زيد : المُسِنّ . وأُثِيب: جُعِل لنا ثوابا . والثّواب: الجزاءُ . وَرَوى الجرمى: « على مِحْمَرٍ ثوَّبتموه ومارُضا» يقال أثابه وثوَّبه ، أى أعطاه الثّواب . ورُضَا بضم الراء بمعنى رُضِيَ ، فعلُ مجهول ، وهو لغة طيّ ، يكرهون مجيءَ الياءِ المتحرّكة بعد الكسرة ، فيفتحون ما قبلها لتنقلب إلى الألف لخفّتها . يقولون فى بَقِيَ : بَقَا ، وفى نُعِيَ نُعَا كما هنا .

وهذا البيت استشهد به سيبويه على أنّ تبعثونه صفة لمأتم ، ولهذا لم يعمل فيه . يقول : إنّكم تجمعون نساءً ليبكين على فقد هذا الفرس الذى جعلتموه جزاءً لنا على جميل فعلناهُ بكم ، والحال أنّنا لم نرض بهذا الفرس الذى يُشبه الحمار .

وقوله: « تُجدُّونَ خَمْشاً » إلخ : يقال أجدَّ فلانٌ الشيءَ واستجدَّه ، إذا أحدثه ، فتجدَّد. والخمش : مصدر خَمشَتِ المرأةُ وجهَها بظُفرها، من باب ضرب ، أى جرحَتْ ظاهرَ البشرَة . وفاجع : الذى فَجَعهم بنفْسه . يقال فجَعَتْه المصيبةُ ، أى أوْجعته . وروى بدله: « على سيِّد». ونُعا أصله نُعِيَ ، يقال نعيت الميّت نعياً من باب نفع ، إذا أخبرتَ بموته . يقول: إنّكم تخمِشُون وجوهَكم مرّةً بعد مرّة ، على هذا البِرذون ، كأنّكم فقدتُم خبرَ قومِكم .

وقوله : « تحضِّض جبّاراً » إلخ . هذا خطابٌ لكعب بن زهير . قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : يقال حَضَّضت الرجل ، إذا حثثتَه على الخير والشّرّ جميعاً ، وحضَضْته بالتخفيف ، إذاحثثتَه على الخير . وحثَثتُه ، إذا حرَّضته على سَوقٍ أو سير . ولا يكون الحضّ فى السّير والسوق .

وجَبّار ، بفتح الجيم والموحدة المشددة : اسم رجل . وقال أبو العباس الأحول : هو رجلٌ من فزازة . والصِّرمة ، بكسر الصاد المهملة : القطعة من الإبل ما بين الثلاثين إلى الأربَعين . والرَّهْط : النَّفر ، وهم مادون العشْرة من الرجال . يقول : تُغْرِى هذا الرجلَ ليُغير على إبلى ، وليست إبلى لأوّل جماعةٍ تغزونى ، لأنّى أقاتلُ عنها وأدافع .

وقوله : « تَرَعَّى بأذناب » إلخ أصله تَترعَّى فهو مضارع . وقال الجواليقى : أى ترعَّى ، يريد أنّه مبالغة ترْعَى بالتخفيف . والأذناب : جمع ذَنَب بفتحتين . وروى بدلهُ : « بأطراف » . قال الجَوَاليقى : والشِّعاب : جمع شِعْب ، وهو الموضع المنفرج بين جبَلين ، وهو جمعٌ نادر كقِدْح وقداح . ودونَها ، أى دون هذه الصِّرمة رجالٌ يردّون الظّالم عن هَواه .

وقوله : (ويركبُ يومَ الرَّوع) بفتح الراء هو الفَزَع . و (فيها) أى من أجل الصِّرمة . قال الأحول : الأباهر والكلى مَقتلانِ . والأبهر : عِرقٌ فى المتْن . وقال الجواليقى : أى هم بُصَراءُ عالمون بمواضع الطَّعن . والأباهر : جمع أبهَر ، وهو عرقٌ مستبطن الصُّلب . والكُلَى : جمع كُلْية . وللإنسان والحيوان(١) كليتان ، وهما لحمتان حمراوان مُنْتَبِرتانِ(٢) لازقتان بعظم

---

(١) الجواليقى : « وكل الحيوان » .

(٢) ط : « منبترتان » ، صوابه فى ش . والانتبار : الارتفاع والبروز .

الصُّلب . ا هـ . وكذا قال ابن السِّيد . وصَفهم بالحذق فى الطَّعن ، فهم يتعمَّدون المقاتل . والأَبهر : عرقٌ مستبطنُ المتن متَّصل بالقلب .

وقوله : « فلولا زُهيرٌ أَن أُكدِّر نعمةً » إلخ هذا البيْت فى رواية الأَحول وفى رواية القالى آخرُ الأَبيات . والملاصق لقوله : ويركب يوم الرَّوع ، عندهما : تقول أَرى زيداً ، البيت . وليس عندهما « قد انبعثت عرسى بليل تلومنى » البيت . ١٥٠

وهذا هو المناسب لسياق الكلام . وبيت « قد انبعثت عرسى » إنَّما هو من شعر كعب كما سيأْتى ، لكن كتبنا الأَبياتَ كما وجدناها ثابتةً فى نسختين صحيحتين (من نوادر أَبى زيد) .

وقوله : « فلولا زهير » هو والد كعب. وقوله : « أَن أُكدِّر نعمةً » هو بدل اشتمال من زهير بتقدير الرابط ، والتقدير : فلولا تكديرُ نعمة لزهير . وقوله : « لقاذعْتُ » جواب لولا . والقَذْع بالذال المعجمة : الفُحش والخَنَى . يقال قذعتُه ، إذا رميتَه بالفحش وشتمتَه .

وقوله : « قد انبعثَتْ عِرسى » إلخ ، هذا البيت أَوّل أَبياتِ كعبِ بن زُهير الآتية ، ولا مناسبة له هنا . والمِصراع الأَوَّلُ فى رواية الأَحول :

* أَلا بَكرت عِرسى تُوائمُ مَنْ لحا *

قال الأَحول : توائم : تعارض وتفعل مَا يفعلون [1] . وأَصل المواءمة المباراة فى الطعام. وقوله : « وأَقرِبْ بأَحلام » إلخ ، هو صيغة تعجُّب .

---

(١) ط : « وتفعل ما يفعلون » .

والأَحلام : العقول . قال الأَحول : هو من مثل تضربه العرب « لُبُّ النِّساء إلى حُمق[١] » .

وقوله : « تقول أرى زيدًا » : إلخ هذا خطاب لكعب لا حكايةُ قولِ عرسه وإن كان ظاهراً . والمُقْتِر اسم : فاعل من أَقتر الرجُلُ ، إذا افتقر. وروى بدله : « مُصْرِمًا » من أَصرَم الرّجلُ ، إذا صار ذا صِرمة . وتموَّل : صار ذا مال . والمال عند العرب : الإبل والماشية . واقتنى ، هو من قَنَيت الشيء ، إذا اتخَذْتَهُ لنفسك لا للتِّجارة . ويروى بدله : « وافتَلَى » أى صار ذا فَلُوٍّ ، وهو المُهْر . والفَلُوّ كفَعُول ، ويقال فِلْو بكسر الفاء وسكون اللام . ويقال افتلى بمعنى رَبَّى أيضاً ، وبمعنى فَطم الصغيرَ عن اللَّبن .

وقوله : « وذاك عطاءُ الله » إلخ ، الإشارة للتموُّل والاقتناء . والغَارَة : الغَزاة . ومشمِّرة ، من شمَّر إزاره تشميرًا ، إذا رفَعه . ويروى : « قَلصَ الخُصَى » بتخفيف اللام وتشديدها ، بمعنى انضمَّت وانزوت . وتقلُّصُ الخصى يكون عند الرُّعب والفَزع .

وسبب هذه الأَبياتِ ما رواه القالى (فى ذيل الأَمالى) قال : حدثنا أَبو بكر قال : أَخبرنا أَبو حاتم عن أَبى عبيدة عن أَبى عمرو بن العلاءِ قال :

خرج بجير بن زُهير بن أَبى سلمى فى غِلمةٍ يجتنُون جَنَى الأَرض ، فانطلق الغِلمةُ وتركوا ابن زهير ، فمرَّ به زيدُ الخيل الطائىُّ فأَخذه – ودار طَيِّئٍ متاخمةٌ لدور بنى عبد الله بن غطفان – فسأَلَ الغلامَ : من أَنت ؟ فقال : أنا بجيرُ بنُ زهير . فحمله على ناقةٍ ثم أَرسلَ به إلى أَبيه

(١) عند الميدانى : « لب المرأة إلى حمق » .

فلما أتى الغلامُ أخبره أنَّ زيداً أخذَه ثم خلَّاه وحمله . وكان لكعب بن زهيرٍ فرسٌ من جيادِ خيل العرب . وكان كعبٌ جسيما ، وكان زيد الخَيل من أعظم الناس وأجسمهم ، وكان لا يركب دابّة إلّا أصابت إبهامُه الأرضَ ، فقال زهيرٌ : ما أدرى ما أثيبُ به زيدًا إلّا فرسَ كعب . فأرسل به إليه وكعبٌ غائب ، فجاء كعبٌ فسأل عن الفرس فقيل له : قد أرسل به أبوك إلى زيد . فقال كعبٌ لأبيه : كأنَّك أردتَ أن تقوِّىَ زيدًا على قتال غطفان . فقال زهيرٌ له : هذه إبلى فخذ ثمنَ فرسك[١] .

وكان بين بنى زهير وبين بنى مِلقطٍ الطائيِّين إخاءٌ ، وكان عمرو بن ملقط وفَّادًا إلى الملوك ، وهو الذى أصاب بنى تميم مع عمرو بن هند يوم أُوارة[٢] ، فقال كعبٌ شعراً يريد أن يُلقِىَ به بين بنى مِلقط وبين رهط زيدِ الخيل شرًّا ، فعرف زهيرٌ حين سمعَ الشعرَ ما أراد به ، وعرف ذلك زيدُ الخَيْلِ وبنو ملقط ، فأرسلت إليه بنو ملقط بفرسٍ نحوِ فرسه ، وكانت عند كعبٍ امرأةٌ من غطفانَ لها حَسَبٌ فقالت له : أما استحييتَ ١٥١
من أبيك لشرفه وسنِّه أن تؤبسه[٣] فى هبَته عن أخيك . ولامَتْهُ . وكان قد نزل بِكعبٍ قبل ذلك ضِيفانٌ فنحرَ لهم بَكرًا كان لامرأته ، فقال : ما تلومينى[٤] إلّا لمكان بَكرِك الذى نحرتُ ، فلك به بَكرانِ . وكان زهيرٌ كثيرَ المال ، وكان كعبٌ مجدودا[٥] . فقال كعب :

ألا بكرَتْ عِرسى بليل تلومُنى ... وأقربْ بأحلام النساء إلى الردَى[٦]

---

(١) فى الأمالى : « فخذ منها عن فرسك ما شئت » .

(٢) بعده عند القالى : « فسأله فيهم فأطلقهم له » .

(٣) أبسه يأبسه أبساً ، وأبسه تأبيساً : صغر به وحقره .

(٤) عند القالى : « تلومييننى » بإثبات النونين . وكلاهما وجه جائز فى العربية حين تجتمع نون الرفع مع نون الوقاية ، يجوز فيهما الفك والإدغام ، والنطق بنون واحدة . وقد قرئ بهن فى السبعة فى قوله تعالى : « تأمرونى » . انظر المغنى ٣٤٤ .

(٥) مجدودا ، أى ذا جد وحظ .

(٦) فى ذيل الأمالى ٢٤ : « وأكثر أحلام النساء » .

وذكر فيها زيدًا ، فقال زهير لابنه :هجوت رجلاً غيرَ مُفحَم ، وإنّه لخليق أنَ يظهَرَ عليك . فأَجابه زيد فقال :

* أفى كلّ عام مأْتمٌ تجمعُونَه * إلى آخر الأَبيات . ا هـ

وهذه أَبياتُ كعبٍ (من ديوانِه) برواية أَبى العبّاس الأَحول :

(ألا بكرَتْ عِرسى تُوائِمُ من لحا
وأَقرِبْ بأَحلامِ النِّساءِ من الرَّدى)

وتقدَّم شرحه .

(أَمِنْ أَجل بَكرٍ قطَّعَتْنِى ملامةً
لعمرى لقد كانت مَلامتُها نَثَا[1])

البَكر ، بالفتح : الفتىُّ من الإبل. قال الأَحول : أَمن أَجل بكر نحرتُه وأَطعمتُه أَصحابى بكَرتْ علىَّ باللَّوْمِ مع مَنْ يلوم . وقوله نَثَا ، بفتح النون بعدها مثلثة ، أى مرّة بعد مرة :

(أَلَا لَا تلومى وَيْبَ غيرِكِ عارياً
رأى ثوبَه يوماً من الدَّهر فاكتسى[2])

يقول: لا تلومى فى أَن نحرتُ بكراً وكسوتُ رجلاً عارياً فاكتسى . ووَيْبُ يُذهَبُ به مذهبُ وَيْحَ .

(فأُقسِمُ لولا أَنْ أُسِرَّ ندامةً
وأُعلِنَ أُخرى إنْ تراخَتْ بِىَ النَّوَى[3]

(١) كذا فى متن البيت وشرحه ، وهو خطأ من البغدادى ، والصواب : « ثنى » بتقديم الثاء المكسورة على النون كما فى الديوان واللسان (ثنى ١٣١) .

(٢) فى شرح الديوان: « ويروى نضا ثوبه ، أى ساخه ولبس غيره » .

(٣) فى الديوان : « باك النوى » .

وقِيلُ رجال لا يُبالون شأننا :
غوَى أمرُ كعبٍ ، مَا أرادَ وماارتأى[(١)])

قال الأَحول : يقول لولا قولُ رجال لا يبالون ماذكرُوا من أمرى وأمرك ، ويَنْثون[(٢)] علىَّ وعليكِ أمراً لم أرتئِهِ ولم أفعلْه .

(لقد سَكنت بينى وبينكَ حِقبةً
بأطلائها العِينُ الملمَّعةُ الشَّوَى)

قال الأَحول : ويروى : « لقد رتعت بينى وبينك » . والعِين : الوحش. والشَّوَى : القوائم. يقول : يكون بينى وبينك تفرُّق دهر لانجتمع ، على بُعد منزلٍ ، وتَنَائى محلٍّ هذه صفتُه . تسكنه الوحش . والمعنى لفارقتُكِ مفارقةً لا نجتمعُ معها .

(فيار اكباً إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ
بنى مِلقطٍ عنِّى إذا قيل : مَن عَنَى
فمـا خِلْتُكمْ يا قومِ كنتم أذِلَّةً
وما خِلتُكـم كنتم لمختليِن جَنَى
لقد كنتُمُ بالسَّهل والحزنِ حَيّةً
إذا نهشَتْ لم يَشْفِ نَهشتَهَا الرُّقى[(٣)]
وإن تَغْضَبوا أَو تُدركوا لى بذمّةٍ
لَعمركُمُ أو مثـلَ سعيكُمُ كَنى[(٤)]

---

(١) ط : « عوى » ، صوابه فى ش والديوان .
(٢) فى النسختين : « أو ينثون » ، صوابه ما أثبت . وفى شرح الديوان : « فينثون » ، يقال نثى الخير ينثيه نثياً : حدث به وأشاعه .
(٣) الديوان : « إذا لدغت لم تشف لدغتها » .
(٤) فى الديوان : « لمثل سعيكم » .

لقد نال زيدُ الخيـــل مالَ أخيكم
فأَصبح زيدٌ قد تموَّلَ واقتنَى [١]

وإنَّ الكميت عنـــد زيدٍ ذِمـــامةٌ
وما بالكميت من خَفاءٍ لمن رأى)

قال أبو عمرو : إذا أتى ما لا يَشتهى صاحبُه فقد أذمَّ به [٢] . وقال غيره : يقول : إنَّ فرسى ذِمامٌ عند زيد وما به خفاءٌ لمن رآه .

(يَبِينُ لأَفيـــالِ الرِّجالِ. ومثلُه يبين إذا ما قِيدَ بالخيل أو جرَى [٣])

١٥٣ أَفيال الرجال : الذين لا رأىَ لهم ولا فَهْم . يقول : إذا رآه الذى لا علم له بالخيل ولا بصَرَ ، يُقاد أو يَجرى ، علم كرمَه وعِتقَه ، ولم يَحتجْ إلى أن يسال عن نسبه . ثم وصفه ببيتين آخرين .

قال أبو العباس الأحول : وإنَّما قال كعب هذه الأَبياتَ وأجابه زيد الخيل ،وذلك أنَّ بجير بن زهير والحطيئةَ ورجلاً من بنى بدر خرجُوا يقتنصون الوحشَ ولا سلاحَ معهم ، ومع زيد الخيل عدّةٌ من أصحابه ، فقال : استأْسِرُوا ، فقالوا : لا إلاَّ على الطاقة [٤] . فأَخذهم. فأَمَّا الحطيئةُ فخلَّى سبيله لخُبث لسانِه وفقرِه ، وأَنَّه لم يكن عنده ما يَفْدِى به نفسَه. وأَمَّا بُجَيرٌ ففدى نفسَه بفرسٍ كان يقال له الكميت . وأما أخو بنى بدر فافتَدَى نفسَه بمائة من الإبل. فقال كعب بن زهير وبلغه حديثُ القوم ، وكان نازلاً فى بنى مِلقطٍ من طيئ ، فقال يحرِّضهم على زيد الخيل ،

(١) الديوان : « وأصبح زيد بعد فقر قد اغتنى » .
(٢) ش : « فقد أذم » ، فقط .
(٣) الديوان : « إذا ما قيد فى الخيل » .
(٤) ط : « فقالوا : إلا على الطاقة » ، وأثبت ما فى ش . وفى شرح الديوان : « فقالوا : لا نستأسر إلا على الطاقة » .

ليأُخذ الكميت . وزعَم أنَّ الكميت كان له دون بُجير ، فقال فى ذلك قصيدة : «ألا بكرت عرسى» ، وأجابه زيد الخيل : «أفى كل عام [مأْتَم[1]] » ، فزعموا أنَّ زهيراً قال لكعب : هجوت امرأً غيرَ مفحم ، وإنَّه لخليقٌ أن يَظهَر عليك .

ثم نقل أبو العباس أربعة أبياتٍ للحطيئة مدح بها زيد الخيل[2] . والله أعلم أىّ ذلك قد كان .

وزيد الخيل وكعب صحابيَّانِ تقدَّمت ترجمتهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد السبعمائة[3] :

٧٨٦ (نُحابِى بها أكفاءنا ونُهِينُها
ونَشرب فى أثمانها ونُقامِرُ)

على أن (فى) قيل إنَّها بمعنى الباء فى البيت ، أى ونشرب بأَثمانها . والأَولى أَيضاً أَن تكون على معناها بجعلِ أثمانها ظرفاً للشَّراب والقمارِ مجازاً .

صاحب الشاهد والبيت آخر أبياتٍ أَربعةٍ لسَبْرة بن عمرٍو الفقعسى ، أَوردها أبو تمام (فى الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد (أتَنْسَى دفاعى عنكَ إذْ أنتَ مُسلَمٌ
وقد سالَ من نصر عليك قُراقِرُ
ونِسوتُكم فى الرَّوعِ بادٍ وجوهُها
يُخَلْنَ إماءً والإماءُ حرائرُ

(١) التكلة من ش .
(٢) شرح الديوان ١٣٥ ، وديوان الحطيئة ٨٢ . وأول الأبيات :
إلا يكن مال يثاب فإنه سيأتى ثنائى زيداً ابن مهلهل
(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢١٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٣٩ ، وبشرح التبريزى ١ : ٢٣٤ .

أعيَّرتَنــا ألبــانَها ولحومَهــا
وذلك عــارٌ يا ابنَ رَيْطةَ ظــاهرُ
نُحــابى بهــا أكفــاءَنا .... البيت)

قوله : « أتنسى دفاعى » إلخ استفهامٌ توبيخىّ ، يخاطب ضَمرة[1] ابن ضمرة النهشلى . واذ ظرفٌ لدفاعى ، أى لم تنس مُدافعتى عنك[2] حين كنتَ مخذولاً لا ناصر معك . ومُسْلَم : اسم مفعول من أسامته بمعنى خذَلته ، وهو أن تخلِّىَ بينه وبين من يريد النِّكاية فيه . قوله : « وقد سالَ من نصر » إلخ رواه شراح الحماسة : « وقد سال من ذُلّ » ، قال المرزوقى وغيره : قُراقر بضم القاف الأُولى : اسم وادٍ ، ويكون ذكره مثلا . ومن كلامهم : « سال عليهِ الذُّلُّ ، كما يسيل السَّيل » . ولا يمتنع أن يكون لحقه ما لحقه من الذلّ من ناحية قراقر ، فلذلك خصَّه ، والجملة حال . انتهى .

وأوّل من حرَّفه أوّلُ شارحٍ للحماسة ، وهو أبو عبد الله النَّمَرِىّ ، قال : يقول : سال هذا الوادى عليك فلم تستطع الانتقالَ عنه ذُلاًّ وضعفاً.

وردّ عليه أبو محمد الأَسودُ الأَعرابى (فيما كتبه على شرح النمرى) ، وقال : الصواب : « وقد سال من نصر » ، يعنى نصر بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة . يقول : دافعتُهم عنك حين سال الوادى بهم عليك . كما قال الآخر :

١٥٣ ونحن أَسَلْنا مُصعِداً بطنَ حــائل ولم يُرَ وادٍ قبله سالَ مُصعِدا

يعنى أنّهم أَسَالُوه بالرجال . ولبيت سَبرة قصّة طويلةُ الذيل ذكرتُها (فى كتاب السَّلّة والسَّرقة) . انتهى .

---

(١) ط : « ضمر » ، صوابه فى ش .
(٦) ش : « مدافعتى » بإسقاط « عنك » .

أقول : قد ذكرها (فى ضالَّة الأديب) أيضاً ونحن نذكرها . إن شاءَ الله بعد الأَبيات .

وقوله : « ونِسوتُكم فى الرَّوع » إلخ . هذه الجملة معطوفة على جملة الحال السابقة . قال المرزوقى : وصف الحالَ التى مُنِىَ بها حين نصره مخاطِبُه . والمراد: نساؤُكم تَشَبَّهْنَ[1] بالإِماءِ مخافة السَّبْى ، حتَّى تبرَّجن وبرزن مكشوفاتٍ ناسيات للحياءِ ، وإنْ كنَّ حرائر . وإنَّما قالَ هذا لأَنَّهم كانوا يَقْصِدون بسبيِ مَنْ يسبون من النِّساءِ إلحاقَ العار . لا اغتنامَ الفداءِ والمال[2] . ولمَّا كان الأَمر على هذا فالحرّة كانت فى مثل ذلك الوقت تتشبَّه بالأَمة لكى يُزهَد فى سَبْيها . ومعنى « والإِماءُ حرائر » : واللاتى يُحسَبْن إماءً حرائر . ولو قال يُخْلَن إماءً وهُنَّ حرائرُ[3] لكان مأْخذ الكلام أقربَ ، لكنَّه عدل إلى : والإِماءُ حرائر ، ليكون الذكر أفخم.

وقوله : « أَعيَّرتَنا أَلبانَهَا » ، إلخ استفهامٌ للإِنكار والتقريع ، أى لِمَ عَيَّرتَنا ألبان الإِبل ولحومَها ، واقتناءُ الإِبل مباحٌ . والانتفاعُ بلحمها وأَلبانِها جائزٌ ديناً وعقلا . وقوله : « وذلك عارٌ ظاهر » أى زائل . قال أَبو ذؤيب :

وعيرَّهــا الواشــونَ أَنِّى أُحبُّهــا
وتلك شَكَاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها[4]

ويقال عيَّرته كذا ، وهو الأَفصح ، وعيَّرته بكذا . قال عدىٌّ :

---

(١) فى النسختين : « فشبهن » ، صوابه من المرزوقى ٢٣٨ .
(٢) ط : « لاغتنام الفداء والمال » ، صوابه فى ش والمرزوقى .
(٣) فى النسختين : « يخلن إماؤهن حرائر » ، صوابه من المرزوقى .
(٤) ديوان الهذليين ١ : ٢١ .

* أيُّها الشَّامت المعيِّر بالدَّهر[1] *

والواو للحال ، أى أتعيِّرنا ذلك والحالُ ذلك .

وقوله : (نحابى بها) إلخ قال المرزوقى : بيَّن وجوه تصرُّفهم فيما عيَّرهم[2] به فقال : نجعلها حِباءً لنُظَرائنا فنتهادى بها ، ونسهِّل تمكُّن الزُّوَّار والعُفاة منها ، بابتذالها وإهانتها - وحذف ذكر مَنْ أُهينت له لأنَّ المراد مفهوم - ونبيعها فنصرف أثمانَها إلى الخمر والإنفاق ، ونضرب بالقداح عليها فى الميسر[3] عند اشتداد الزمان ، فنفرِّقها فى الضُّعفاء والمحتاجين . وفى تَعداد هذه الوجوه إبطالٌ لكلِّ ما أَوهَم أنْ يلحق[4] من العار فى اقتنائها وادِّخارها . انتهى .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : حَابَى : بارَى ، يقال حابيت فلاناً أى باريته فى الحِباء ، مثل باهيته فى العطاء ، كما يقال كارمته أى باريته فى الكرم . فقوله : نحابى بها أكفاءنا ، لا يكون إلَّا بمعنى نباريهم فى الحِباء . وقدْ ورد أُحابى فى شعرِ زهيرٍ بمعنَى أَخُصُّ ، وذلك فى قوله :

أُحــابى به ميتاً بنخــلٍ وأبتغى
إخاءَك بالقِيل الذى أنا قائلُ[5]

قالوا : أراد أُحابى بهذا الشعر ميتاً بنخل ، يعنى بالميْت أبا الممدوح ، أى أخصُّه به . ونخل : أرض بها قبرُه . وذهب ابن جنى فى قول المتنبى :

(١) البيت بتمامه كما فى ديوان عدى بن زيد ٨٧ وعيون الأخبار ٣ : ١١٥ :
أيهـــا الشامت المعـــير بالدهـــر أأنـــت المـــبرأ الموفور

(٢) كذا فى المرزوقى . وفى ش : « عير به » .

(٣) ط فقط : « والميسر » .

(٤) كلمة « أن » ساقطة من ش . وفى حواشيها مع ذلك : « كذا بخط المؤلف ، وفيه نقص . والظاهر : إبطال لكل ما أوهم ما يلحق » . والذى فى المرزوقى : « إبطال لكل ما أوهم أو ادعى يلحق من العار فى اقتنائها » .

(٥) فى ديوان زهير ٢٩٩ : « بالقول » موضع « بالقيل » ، وهما بمعنى ،

وإنَّ الذى حابَى جديلةَ طيــئٍ به اللهُ يُعطِى من يشاءُ ويمنــعُ[1]

إلى أن حابَى بمعنى حَبَا ، مأخوذ من الحِباء وهو العطيَّة ، واسم الله مرتفع به . أى إنَّ الذى حَبَا الله به جديلةَ يعطى ، فالجملة التى هى يعطى وفاعلُه خبر إنَّ . وخولف فى هذا القول . على أنَّ عليه أكثر مفسِّرى شعر المتنبِّى . والذى ردَّ عليه قال : إنَّ حابيته بكذا بمعنَى حَبَوْتُه به ليس بمعروف . فعلى هذا القول يكون فاعل حبا مضمرًا فيه يعود على الذى ، واسم الله مرفوعاً بالابتداء ، وخبره الجملة التى هى يعطى وفاعله ومفعوله . أى إنَّ الذى بارَى جديلةَ فى الحباء اللهُ يعطى به مَن يشاءُ . ومفعول يمنع محذوفٌ دلَّ عليه مفعول يعطى ، ومفعول يشاءُ المذكورِ ويشاءُ المحذوفِ محذوفان . فالتقدير : يعطِى الله به مَن يشاءُ أن يعطيه . ويمنع به من يشاءُ أن يمنعه . على أن المضمرَينِ فى يعطيه ويمنعه يَعودان على الممدوح . والمعنى أنَّه مَلِكٌ قد فوَّض الله إليه أمرَ الخلق فى الإعطاء والمنع . فالمدح على هذا يتوجَّه إليه وإلى عشيرته : لأنَّ المباراة فى العطاء أنَّهم يُعطون فيُعطِى مباهياً لهم بعطائه . والمعنى فى قول ابن جنِّى أنَّ الذى حبا الله به جديلة بأنْ جعله منهم يُعطى من يشاءُ إعطاءه ، ويمنع من يشاءُ مَنْعَه ؛ لأنَّه يُعطى تكرُّماً لا قهراً ، ويمنع عِزَّةً لا بخلا . ١٥٤

وأقول[2] : إنَّ أصل فاعلته أن يكون من اثنين فصاعداً ، وإنَّ فاعِلَه مفعولٌ فى المعنى ومفعولَه فاعلٌ فى المعنى ، كخاصمته وسابقته . ولم يأت

(١) ديوان المتنبى ١ : ٣٨٧ . وقال ابن الشجرى فى أماليه : « وإنما قال جديلة طيئ فخص لأن الجدائل ثلاثة : جديلة طيئ فى قحطان : وهو جديلة بن خارجة بن سعد العشيرة بن مذحج . وفى مضر : جديلة ، قال أبو عبيدة : هم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار . وفى ربيعة : جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

(٢) القائل هو ابن الشجرى فى أماليه . وقد فات البغدادى أن ينبه على استمرار النقل من الأمالى إلى نهاية النص بعد البيتين التاليين ، إذ لم يعقب عليه بقوله « انتهى » كما هو عادته .

من واحدٍ إلّا فى أحرفٍ نوادر كطارقتُ النعل . وعاقَبتُ اللص . وعافاك الله ، وقاتلهم الله .

فابنُ جنِّى ذهب بقولهم : حابيت زيدًا مذهبَ هذه الألفاظِ الخارجة عن القياس . وقد جاء حابى بمعنى حَبا فى قول أشجعِ بن عمرٍو السُّلمى ، يمدح جعفرَ بنَ يحيي البرمَكِيَّ ، حينَ ولَّاه الرشيدُ خُراسان :

إنَّ خُراسانَ وإنْ أصبحَتْ تَرفعُ من ذى الهمَّة الشَّانا
لم يَحْبُ هارونُ بها جعفراً لكنَّه حابى خُراسانا

أى لم يَحْبُ جعفراً بخراسان ولكنْ حبا خراسان بجعفر . فهذا يَعضُد قولَ ابن جنِّى[1] .

وهذه قصة سَبْرةَ الفَقعسى مع ضمرة بن ضَمرة (من ضالَّة الأديب لأبى محمد الأعرابى) قال : إنَّ ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قَطَن ابن نَهْشل ، كان جاراً لنوفل بن جابر بن شِجْنة[2] بن حبيب بن مالك ابن نصر ، وأمُّ نوفل عاتكة بنت الأشتر بن جَحْوان بن فَقْعس بن طَريف ابن عمرو بن قُعَين . وكان ضمرة كثيرَ المقامرة ، فنحر نوفلٌ جزوراً فدعا الحيَّ فأكلوا ، فدعا ضمرةَ فقال : يا معشر بنى قعين هذا جارُكم وأنا منه خِلْوٌ . ثمَّ إنَّ ضمرةِ قامَرَ[3] ، فقُمِرَ مالَه كلَّه ، وانتجعت أسدٌ نحو أرضِ بنى تميم وهم مُقْحَمون مُضْعِفُون ، فأرسل ضَمرة إلى من يليهم من بنى تميم أنْ مِيلوا عليهم ، فإنَّهم لأوَّلِ مَن أتاهم . فأتى بنى نصر الخبرُ فانصرفوا وأتمروا بضَمرة أن يأكلوه حين ينزلون ، فأمر نِسوتَه سرًّا

---

(١) هذه هى نهاية نص ابن الشجرى للذى بدأ فى ص ٥٠٦ وإن لم ينبه البغدادى عليه .
(٢) ضبط فى اللسان والاشتقاق ٢٥٧ بالكسر ، وفى القاموس بالفتح .
(٣) ط : « قام » ، صوابه فى ش .

أنْ يتأخَّرن ويَلحقْنَ بظُعُن بنى فقعس ، وسار هو فى سَلفِ بنى نصرٍ وقد علِم أنَّهم آكلوه إذا نزلوا ، فلمَّا نزلوا ركض نحو بنى فقعسٍ فقال: أنا جارٌ لكم : فقالوا : إنَّك لستَ بجارٍ ، ولك أمانُ العائذ الغادر ، ومنَعوه من بنى نصر ، وإذا مالُه فى بنى نصر قد أحرزوه ، فلمَّا جاءت ظعن بنى فقعس إذا نسوتُه فيهنّ ، فعدلَ له بنو فقعس خمسين شائلة[1] ونحروا الجزور ، وكان فيهم زماناً ، ثم لحق بقومه . فنافر معبد بن نَضْلة بن الأَشتر بن حَجْوان، خالدَ بن وهبٍ الصَّيداوى، وجَمعهما وضَمْرةَ مجلسُ النُّعمان ، فأَرسل ضمرةُ إلى خالد : نافرْهُ واجعلنى الكفيلَ وهو بينى وبينك نِصفين ، فإنَّه لا يخافنى ، واجعلهُما مائةً فى مائة فى خُفْرة النعمان[2] واجعلْ بينكما بها رُهُناً ؛ فإنَّه لا بدَّ من أدائها إذا كنتُ أنا الكفيل . فلمَّا راحوا إلى النعمان سبَّ خالدٌ معبدًا فقال : أتسابُّنى ولم تُنافِرْنى . قال : أُنافِرُكَ . قال : ما بدا لك . قال خالد : إنِّى أجعلُ الكفيلَ مَنْ شئتَ ، وإنْ شئتَ ولىَّ نعمتكم هذا . قال معبد : فإنِّى قد فَعلت . واعتقَدَ عليه بما أمره به ضَمْرة ، ثم تغاديا[3] على ضَمرة فقال ضمرة : والله إنَّ بنى طَريفٍ لمن أكرم النَّاس ، وما رأَيْنا قطُّ أكرمَ مِن خالد . فنفَّره على معبدٍ فى مجلسه ، فحُبِس قيسُ بن معبدٍ عند النعمان رهينةً بمائة من الإبل ، فقال معبدٌ لبنى جابر بن شِجْنة : اكفُلونى يا بنى عمِّى فإنِّى لم يَشنِّى غدرُ ضَمرة ولا كذبُه . قال بنو جابر : تُرى بنى فقعس مقرِّين بهذا ؟ قال : نعَمْ ، يرون أنَّها خيانة ، ١٥٥

---

(١) الشائلة من الإبل : التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها .

(٢) الخفرة ، بالضم : الأمان والضمان ، ومثلها « الخفارة » وهذه مثلثة الخاء . ش « خضرة » ، تحريف .

(٣) تغادياً من الغدو . وفى ش : « تعاديا » بالمهملة .

ولا تضرُّهم . فكفل بنو جابر الإبل فلما أتى معبدٌ بنى فقعسٍ قال بنو دِثارٍ وبنو نوفلِ بنِ فقعس: والله ما نرضى بهذا أبدًا ما بقى منَّا إنسان. فنهضت بنو فقعس إلى النعمان فوجدوا عنده ضمرة ، فقال سَبْرة بن عمرو بن الحارث بن دِثار بن فقعس بن طريف :

إنِّى لمن أنكر وجهِى سَبْرهْ الرَّجلُ الأَشمُّ فيــه الزُّعْــره[1]
كالمِيسم الحــامى عليه الغُبره

إلى أن قال :

والله ما نَعقِــل منها بَكْره أَو يأْمرَ النُّعمــانُ فيها أَمْرَه

فأمرهم النعمان أن يتقاضَوا إلى العُزَّى : صنم كان بنَخْلة . فعندها قال سَبْرة :

أَضمرَ بنَ ضمرٍ أبلقَ الإسْتِ والقفــا
وهــل مثلُنا فى مثِلها لك غافــرُ
أَتنسَى دِفــاعى عنكَ إذْ أَنتَ مُسلَمٌ
وإذْ ســال من نصر عليك قُــراقــرُ
ونِســوتُكم فى الرَّوع بادٍ وجوهُها
يُخَلنَ إمــاءً والإمــاءُ حــرائرُ
يُسلِّخْنَ باللَّيــل الشــوِىَّ بأَذرعٍ
كأَيــدى السِّبــاع ، والرءُوسُ حواسرُ
وعيَّرتَنَــا أَلبــانَهَــا ولُحــومَها
وذلك عــارٌ يابنَ رَيْطــةَ ظــاهرُ
وإنَّا لتَغشــانا حقــوقٌ ولم تكُنْ
تقــرِّبنا للمخــزياتِ الأَباعــرُ

(١) المعروف « الزعارة » بمعنى الشراسة .

نُحـــابى بهـــا أكفاءنا ونُهينهـــا
ونشـــربُ فى أثمـــانها ونقـــامرُ
وتَكسِبُهـــا فى غيـــر غـــدرٍ أكفُّنـــا
إذا عُقِـــدت يومَ الحِفـــاظ الـــدَّوابرُ
وإنَّا لنقـــرى الضَّيفَ فى ليلة الشِّـــتا
عظيمَ الجفـــانِ فَوقهنَّ الحـــوائرُ

جمع الحَوير ، وهو الشحم الأبيض . وبعد هذا ثلاثة أبيات أُخر .

ثم أورد لِسَبْرة الفقعسيِّ أشعاراً كثيرة يُخاطب بها ضَمْرة ويهجوهُ بها. وفى سياقه هذا نقص[1] فإنّه لم يذكر فيه وجه تعييره بالإبل ، ولا إلى أىّ شىء تمّ حالُهما . والله أعلم .

وسَبرة : شاعرٌ جاهلى . وذُكِر نسبُه فيما سقناه .

وترجمة ضمرة تقدّمت فى الشاهد الثامن والثمانين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد السبعمائة[3] :

٧٨٧ (ما بكاءُ الكبيرِ بِالأَطلالِ)

على أنَّ (الباء) فيه للظّرفية ، أى فى الأطلال . وهذا صدرٌ، وعجزه :

(وسُؤالى وما يردُّ سؤالى)

صاحب الشاهد ١٥٦ وهذا مطلع قصيدةٍ للأعشى ميمون،مدح بها الأسودَ بنَ المنذر اللَّخمى، أخا النعمان بن المنذر ، وسيأْتى بعضٌ منها (فى رُبَّ) . وبعده :

أبيات الشاهد (دمنةٌ قَفـــرةٌ تعـــاوَرَها الصَّيْـ ـفُ بريحينِ من صَبًا وشَمَالِ)
لاتَ هَنَّـــا ذِكرى جُبيرةَ أو مَنْ جاءَ منهـــا بطـــائفِ الأهوالِ)

(١) ط : « نقض » ، صوابه فى ش .
(٢) الخزانة ٢ : ٣٨ .
(٣) أدب الكاتب ٤٠٨ والجواليقى ٣٦٩ والاقتضاب ٤٤٨ وديوان الأعشى ٣ .

أراد بالكبير نفسَه ، وعذَلَها بالوقوف على الأَطلال وسؤالِه إيّاها ، ثم رجع وقال : وما تردُّ سؤالى ؟ يقول : ما بكاءُ شيخ كبير مثلى فى طلل. والطَّلل : ما شخص من بقايا المنزل . والدِّمنة : ما اجتمع من التُّراب والأَبعار وغير ذلك . فتعاوَرَه الصَّيفُ بريحين مختلفينِ ، وهما الصَّبا ومهبُّها من ناحية المشرق ، والشَّمَالُ ومهبُّها من القطب الشمالى إلى الجنوب. والجَنوب من رياح اليمن .

قال أبو على (فى كتاب الشِّعر) : اعلم أنَّ قوله سؤالى بعد قوله ما بكاءُ الكبير حملٌ للكلام على المعنى ، وذلك أنَّ الكبير لمَّا كان المتكلِّمَ فى المعنى حمل سؤالى عليه . ألا ترى أنَّ ما بكاءُ الكبير إنما هو ما بكائى وأنا كبير ، وبكاءُ الكبير بالأَطلال ممَّا لا يليق به ، لأَنَّه اهتياجٌ لِصِبًا أو تَصَابٍ ، وذلك مما لا يليق بالكبير . ومن ثَمّ قال الآخَر :

أتجزعُ إنْ دارٌ تحمَّل أهلُهـــا وأنت امرؤٌ قد حمَّلتكَ العشائرُ

فحمَل سؤالى على المعنى . فأَمَّا قوله : « وما يردُّ سؤالى دِمنةُ قفرة» فإنَّ (ما) تحتمل ضربين :

أحدهما : أن تكون استفهاماً فى موضع نصب ، كأَنه قال : أىَّ شىء يرجع عليك سؤالُك من النفع ؟ وقد يقول : عاد علىَّ نفعٌ من كذا ، وردَّ علىَّ كذا نفعاً ، ورجَعَ علىَّ منه نفع .

ويكون « دمنةً » منتصباً بالمصدر الذى هو سؤالى . والبيت على هذا مضمَّن.

والآخر : أن يكون نفياً كأَنَّه قال : ما يردُّ سؤالى ، أىْ جوابَ سؤالى دمنةٌ . فالدمنة فاعل قوله : « تردّ » . ومثلُ هذا قوله :

* وقُمْنا فسلَّمنا فردَّت تحيّةً *

إنّما هو جواب تحيّة . وكذلك قولُه سبحانه : ﴿ فحيُّوا بأَحْسَنَ منها أو رُدُّوها[1] ﴾ ، أى ردُّوا جوابها[2] .

وقد قيل فى قوله :(فردَّت تحيّةً) قولان : أحدهما : ردَّت التحية ، أى لم تَقبلْها . والآخر : ردّت تحيّةً أى جوابها ، كما تقدَّم . وذلك لما رأينا فى وجهها من البشاشة وإنْ لم تَتكلَّمْ . فالتقدير : وما يردُّ جوابَ سؤالى دمنة.

والبيت على هذا مضمَّن أيضاً ، لأَنَّ الفاعل الذى هو « دمنة » فِعلُه فى البيت الذى هو قبل البيت الثانى . فيجوز أَنْ يقول : وما تردُّ ، فيؤنّث على لفظ الدمنة ، ويذكّر على المعنى . انتهى .

وقال ابن السِّيد البَطَلْيَوْسىُّ (فى شرح أدب الكاتب) : وسؤالى فهل تردُّ سؤالى ، ويروى : « فما تردُّ » و « لا تَرُدُّ » . ويروى : بالتاء والياء . فمن روى (فهل تَردّ) على لفظ التأْنيث رفع الدّمنة[3] وجعلها فاعلا ، وجعل سؤالى مفعولًا بتقدير مضاف ، أى فهل تردُّ جوابَ سؤالى[4] دمنة . ومن روى : (فهل يَردُّ) بلفظ التذكير نصب دمنةً مفعولا ، وجعل سؤالى فاعلا[5] ومعناه : إنَّ سؤالى لا يردُّ الدمنة إلى ما كانت عليه . ومن روى : « وما » ، واعتقَدَ أَنَّها نفىٌ جاز أَن يقول تردُّ بلفظ التأْنيث ويرفع الدِّمنة لا غير ، وجاز أَن يقول يرُدُّ بلفظ التذكير وينصب الدمنة إنْ شاء ، ويرفعها إنْ شاء . وإن اعتقد أنَّ ما استفهام قال : يردُّ ، على لفظ التذكير ، وجعل ما فى موضع نصب بيردُّ ، وسؤالى فى موضع رفع ، ونصب دمنة ١٥٧
بسؤالى لا غير . ومن روى : « ولا يردُّ سؤالى » على لفظ التذكير نصب

---

(١) الآية ٨٦ من سورة النساء .
(٢) الكلام بعده إلى « جوابها » التالية ، ساقط من ش .
(٣) ش : « رفع الدمنة لا غير » ، مع إسقاط سائر الكلام فى هذه الفقرة .
(٤) فى الأصل ، وهو هنا ط فقط : « سؤال » ، صوابه فى الاقتضاب ٤٤٧ .
(٥) الذى فى الاقتضاب : « وجعل سؤالى فى موضع رفع » .

الدمنة ، وإن شاءَ رفعَها . ومن روى « ولا تردُّ » على لفظ التأْنيث رفع الدمنة لا غير[١] .

ثم قال ابن السِّيد : ورُويت فى هذا البيت حكايةٌ مستظرفة[٢] رأيت إثباتَها فى هذا الموضع .

روى نَقَلَةُ الأَخبار أنَّ طُليحة الأَسدىَّ كانشريفاً، وكان يَفد على كسرى فيكرمُه ويُدْنى مجلسَه . قال طليحة : فوفدتُ عليه مرَّة فوافقت عيدًا من أعياد الفُرس ، فحضرتُ عند كسرى فى جُملة مَن حضر من أَصحابه ، فلمّا طعِمنا وُضِع الشَّرابُ فطفِقْنا نشرب ، فغنَّى المغنِّى :

* لا يتأَرَّى لما فى القدر يطلبُه[٣] *

فقال كسرى لتَرجمانِه : ما يقول ؟ ففسَّره له فقال كسرى : هذا قبيح . ثم غنَّاه المغنى :

* أتتكَ العيسُ تَنفُخ فى بُراهَا[٤] *

فقال كسرى لتَرجمانه : ما يقول ؟ فقال : لا أَدرى . فقال بعض جلسائه : « شاهانشاه[٥] ، أُشتُرْأُف أُف » معناه : يا ملكَ الملوك هذا جملٌ ينفخ. وأُشتُر بلغتهم: الجمل، وأُفْ: حكاية النَّفخ. قال طُليحة: فأَضحكَنى تفسيره العربيَّةَ بالفارسية . قال : ثمّ غناه المغنِّى بشعرٍ فارسىٍّ لم أَفهمْه ، فطرب كسرى ومُلئت له كأْس ، وقام فشربها قائماً ، ودارت

(١) انظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٢) كذا بالظاء المعجمة فى ط والاقتضاب ٤٤٨ ، وفى ش : « مستطرفة » بالمهملة .

(٣) لأعشى باهلة فى رثاء المنتشر بن وهب . الأصمعيات ٩٠ وجمهرة القرشى ١٣٧ . وعجزه :

* ولا يعض على شرسوفه الصفر *

(٤) لعبدالرحمن بن الحكم، أو زياد الأعجم، كما ينسب للأعشى. اللسان (قطع ١٥٦). وعجزه:

* تكشف عن مناكبها القطوع *

(٥) فى الاقتضاب ٤٤٨ : « شاه شاه » .

الكأسُ على جميع الجلساء . قال طليحة : وكان التَّرجمان إلى جانبى فقلت له : ما هذا الشِّعرُ الذى أطرب الملكَ هذا الطَّربَ؟ فقال : خرجَ يوماً متنزِّهاً فلقِى غلاماً حسنَ الصُّورة وفى يمينه وَردٌ ، فاستحسنَه وأمر أن يُصنَع له فيه شعر ، فإذا غنَّاه المغنِّى ذلك الشِّعرَ طرِب وفعلَ ما رأيتَ . فقلت : ما فى هذا ممَّا يُطرِب حتَّى يبلغ فيه هذا المبلغ ؟ فسأل كسرى التَّرجُمانَ عمَّا حاورَنى فيه ،فأخبره ، فقال : قل له : إذا كان هذا لايُطرب فما الذى يطربُك أنت ؟ فأدَّى إلىَّ التَّرجُمان قولَه فقلت : قولُ الأعشى :

* ما بكاءُ الكبير بالأطلال * . . . البيت

فأخبره الترجمانُ بذلك فقال كسرى : وما معنى هذا ؟ فقلت : هذا شيخٌ مرّ بمنزل محبوبته فوجدَه خالياً قد عفا وتغيَّر ، وجعَل يَبكِى[1] . فضحِك كسرى وقال : وما الذى يطربُك من شيخٍ واقفٍ فى خَربة وهو يَبكى ، أَو ليس الذى أطربنا نحنُ أولى بأن يُطرَب له ؟ قال طليحة : فثَقُل عليه جانبى[2] بعدَ ذلك .

وقوله : « لات هَنَّا ذِكرى جُبَيرة » ، بضم الجيم : اسم امرأة ، وهو من شواهد النحويِّين ، وتقدَّم توجيهه فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد السبعمائة[4] :

٧٨٨ (غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ)

---

(١) فى الاقتضاب ٤٤٩ : « فوقف فيه وجعل يبكى » .
(٢) فى الاقتضاب : « فثقل عليه بابى » ، يعنى الإذن لى .
(٣) الخزانة ٤ : ١٩٦ – ١٩٨ .
(٤) الأزهية ٢٩٧ والإنصاف ٧٧٢ والأشباه والنظائر ٣ : ١٠٨ . وانظر البيان والتبيين ١٠ : ٣٧ .

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(غُلبٍ تشذَّر بالذُّحول كأنَّهــا جِنُّ البَــدِىِّ رواســيًا أقدامُها)

على أنَّ الباءَ فيه للسببية .

قال الزوزنى (فى شرح معلقة لبيد) : يقول : هم رجالٌ غلاظُ الأَعناق ، كالأُسود ، أى خلقوا خِلقة الأُسُود ، ويهدِّد بعضهُم بعضاً بسبب الأَحقاد التى بينهم . ثم شبَّههم بجنِّ هذا الموضعِ فى ثباتهم فى الخِصام والجِدال . يمدح خُصومَه ؛ وكلَّما كان الخَصْم أقوى وأشدَّ كان غالبُه أقوى وأشَدّ .

صاحب الشاهد والبيت من معلَّقة لبيدٍ الصَّحابىِّ وقبله :

١٥٨ (وكثيرةٍ غرباؤها مجهــولةٍ تُرجَى نوافلُها ويُخشَى ذامُها)

وبعده :

(أنكرتُ باطلَها وبُؤْتُ بحقِّها عندِى ولم يَفْخَرْ علىَّ كِــرامُها)

قوله : « وكثيرة » الواو واو ربَّ ، وجوابها : « أنكرتُ باطلَها » ، قال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) : يريد قُبَّة مِلكٍ فيها قومٌ غرباءُ من كلِّ قبيلة ، فاخَرُوه بين يَدىِ الملكِ ، فغلَبهُم وظهَرَ عليهم . وقوله : « مجهولة » أراد مجهولٌ مَنْ فيها[1] ولم يرد أنَّ القبَّة نفسهَا مجهولة . والنافلة : الفَضْل . والذَّامُ : العيبُ والعار . يريد أنَّ من حضرها يرجو أن يكون له الظُّهور والشَّرف ، ويَرهب أن يُغلَب ويُظهَر عليه ، فيكون ذلك عارًا يبقَى فى عَقبه ، فهو لذلك يذبُّ عن نفسه ولا يدعُ غايةً من المفاخرة إلاَّ قصَدَها . وشبَّههم بجِمالٍ غُلْبٍ تَشَذَّرُ بأذنابها إذا تصاولَتْ وهاجَتْ . يقال : تشذَّر البعيرُ بذنبه ، إذا استثفر به[2] وتشَذَّرَ الرجلُ بثوبه عند القتال ، إذا تحزَّم وتهيَّأَ للحرب .

(١) ش : « مجهول منها » ، صوابه فى ط .

(٢) استثفر به : أدخله بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه ، كأنه يسد ثفره به . والثفر ، بالفتح والضم : فرج الحيوان . وفى ط : « استسفر به » بالسين ، صوابه فى ش .

و(الغُلْب) الغِلاظ الأَعناق، الواحد أَغلَب . و(البَدِيُّ): وادٍ تسكنه الجنُّ فيما يزعمون . و (الرَّواسِي) : الثابتة التي لا تَبرح ؛ والأَصل : مجهولة غرباؤها ، فحذف المضافَ وأَقام الضَّمير المضاف إليه مقامَه فاستتر فى الصفة . انتهى .

وما ذهب إليه من أَنَّ المراد بكثيرةٍ قُبَّة الملك هو الراجح الصَّحيح ، وهو قول الزَّوزنى ، قال : المعنى ربَّ قبةٍ أَو دارٍ كثُرت غرباؤُها وغاشيتُها وجُهلَت ، لا يَعرف بعضُ الغرباء بعضاً . افتخَر بالمناظرة التى جَرَتْ بينه وبين الرَّبيع بن زيادٍ فى مجلس النُّعمان بن الأَسود ملكِ العرب ، ولها قصَّةٌ طويلة .

أَقول : قد ذكرتُها أَنا فى ترجمة النُّعمان بن المنذر فى الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة(١) ، وستأْتى(٢) فى ربَّ أَيضاً .

وكذا ذهب إلى هذا أَبو الحسن الطُّوسى (فى شرح ديوان لبيد) قال : يعنى قُبَّة كانت تُضرَب على بابِ الملك يَقعُد فيها النَّاسُ حتَّى يُؤْذَن لهم . ونوافلُها : فضولٌ مِن شرفٍ وجوائزَ ومنازلَ. يُخْشَى سِقاطٌ من كلامٍ أَو فعل، يلحقه منه ذامٌ، أَى عيب . أَو أَنَّهم يرجعون بغير جائزة فيكون ذلك عيباً عليهم .

وفيها أَقوال أُخَر :

أَحدها : أَنَّ المعنى وجماعةٍ كثيرة غرباؤُها . وإليه ذهب الجواليقى (فى شرح أَدب الكاتب)، قال : أَى ربَّ جماعةٍ كثيرة غرباؤُها. ثم حذف الموصوفَ وأَقام الصِّفة مَقامه . هذا أَصحُّ ما قيل فيه .

---

(١) صوابه : « الثامن والأربعين بعد المائة » . وانظر الخزانة ٤ : ١١ – ١٢ .

(٢) ط : « وسيأتى » .

ثانيها: أَنَّ المعنى ربّ خُطَّةٍ وشأن قد جُهِل القَضاءُ[١] فيها وجُهِلت جهاتُها .

ثالثها: أَنَّ المعنى ربّ حربٍ كثيرة غرباؤُها[٢] ، لأَنَّ الحرب مؤنثة . وجعلها كثيرةَ الغرباءِ لما يحضرها من أَلفافِ النَّاس وغيرِهم . وجعلها مجهولةً لأَنَّ العالم بها والجاهل يجهلان عاقبتَها . وقوله: « ترجى نوافلها » أَى الغنيمة والظفر . و « يُخْشَى ذامُها » أَى خلافها .

رابعها: أَنَّ المَعنى ربّ أَرض كثيرةٍ غرباؤها، يريد أَرضاً يضلُّ بها مَن سلَكها إذا جَهِل طُرقَها . قال أَبو جعفرٍ ، والجواليقى ، والخطيب : وإنَّما وقع الاختلاف فى ذلك أَنَّه أَقام الصِّفةَ مقامَ الموصوف ، فاحتمل هذه المعانى ، إِلّا أَنَّ الأَشبَه بما يريد الجماعةُ ، لأَنَّ بعده :

* أنكرتُ باطلَها وبُؤْتُ بحقِّها *

وإقامة الصِّفة مقامَ الموصوف فى مثلِ هذا قبيح ، لما يقع به من الإشكال. أَلَا ترى أَنَّك لو قلتَ مررت بجالسٍ كان قبيحاً، ولو قلت بظريفٍ كان حسناً . وغرباؤها مرفوع بكثيرةٍ[٣] أَى كثرت غرباؤها . ١٥٩

وقوله : (غُلْبٍ تَشَذَّرُ) إلخ هو خبر لمبتدإٍ محذوف هو ضمير الغرباء، أَى هُم غلبٌ : جمع أَغلب ، والأُنثى غَلْبَاءُ. قال الطُّوسى : غُلْب : أُسْد غِلاظ الرِّقاب . وقال ابن السِّيد : شبَّههم بالإِبل . وعليهما فهو استعارةٌ تصريحيَّة . وتشذَّر ، أَصله تتشذَّر بالذال المعجمة . وفيه أَقوال : أَحدها أَنَّ التشذُّر رفعُ اليد ووَضْعُها ، أَى إِنَّهم كانوا يفعلون ذلك إذا تفاخَرُوا

(١) ش : « الفضا » بالفاء ، تحريف ، والمراد الحكم .
(٢) الكلام بعده إلى « غرباؤها » التالية ساقط من ش .
(٣) فى النسختين : « بكثير » ، ووجهه ما أثبت كما هو النص .

وتثالبوا . وإليه ذهب الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين) قال : كانت العربُ تخطب بالمخاصر . وتعتمد على الأَرض بالقِسِيِّ . وتشير بالعصىِّ والقُنِىِّ[(١)] . وقال لبيدٌ فى الإشارة :

غُلبٍ تشذَّرُ بالذُّحول . . . . البيت

وقيل : التشذُّر : الإيعاد ، أى يُوعِد بعضهم بعضاً . وحكى ابنُ السِّكيت : تشذَّرتِ الناقة . إذا شالت بذنبها . وقال الطُّوسى : التشذُّر من الفحل بالذَّنَب تغضُّب[(٢)] وإيعاد. ومن هنا قال ابن السكيت : شبَّههم بالإبل . وروى : « غلب تشازَر[(٣)] » بتقديم المعجمة . وتشازُرهُم[(٤)] : نَظَرُ بعضِهم إلى بعض بِمُؤخر عينه . والذُّحول : جمع ذَحْل ، بفتح الذال المعجمة وسكون الحاءِ المهملة . وهو الحقد[(٥)] . وجملة (كأنَّها جِنّ) حال من ضمير غُلب فى تشذَّر . و (البدِىّ) بفتح الموحَّدة وكسر الدال المهملة وتشديد الياءِ من غير همز ، قال أبو عبيد : البادية ، حكاه عنه الطوسى . وكذا قال أبو جعفرٍ . والخطيب . وقال ابن السِّيد : وادٍ تسكنُه الجن . وقال ابنُ الأَنبارىّ : هو وادٍ لبنى عامر ، وقيل موضع . وقال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : وادٍ لبنى عامر . وقال أبو حاتم عن الأَصمعى : وادٍ لبنى سعد . وذكره أبو عبيد أحمد بن محمد بن الهَروىّ مهموزًا ، وذلك أنَّه ذكر حديثَ ابن المسيَّب فى حريم البئر فقال : البَدِىءُ البئر التى ابتُدئت فحُفِرت وليست عاديَّة . قال : والبدىُّ فى غير هذا الموضع : بلدٌ تسكنه الجنّ . فإن كان هذا الذى ذكره الهروىُّ صحيحاً

---

(١) القناة : الرمح . والجمع قنوات وقنا وقنى على فعول ، وأقناء . والذى فى البيان : « القنا » .
(٢) ط : « تقصب » ، صوابه فى ش .
(٣) ط : « تشاذر » ، صوابه فى ش وشرح ديوان لبيد ٣١٧ .
(٤) ط : « وتشاذرهم » ، صوابه فى ش .
(٥) ط : « هو الحقد » بإسقاط الواو .

فهو موضع آخر ، والله أعلم ، لأنَّ البدىَّ المذكور فى الشَّواهد آهِلٌ يسكنه الناس ويَرعَوْنه[١]

أقول : قول الهروِّى: والبدى[٢] فى غير هذا الموضع : بلدٌ ، يريد غير مهموز ، بدليل أنَّ كلامه فى المهموز ، وقولُ البكرى « آهل يسكنه الناس » يردُ عليه بيتُ هذه المعلَّقة .

و (رواسياً) حال من اسم كان ، لأنه فى المعنى مفعول لأُشبِّه ، وصرفه للضَّرورة . و (أقدامها) فاعل رواسِىَ ، جمع قدَم .

وقوله : « أنكرتُ باطِلَها » إلخ هذا جواب ربّ . قال الزوزنى : باءَ بكذا : أقرَّ بهِ ، ومنه قولهم فى الدعاء: « أبُوءُ لكَ بالنعمة». يقول: أنكرت باطلَ دعاوى تلك الرِّجال الغُلْب ، وأقررت بما كان حقًّا منها عندى ، أى فى اعتقادى ، ولم تفخَرْ علىَّ كرامُها ، أى ولم يغلبنى بالفخر كرامُها ، من قولهم : فاخرته ففخَرته ، أى غلبته بالفخر . وكان ينبغى أن يقول : ولم تفخُرنى[٣] كرامُها ، ولكنَّه ألْحَقَ [عَلَىَّ[٤]] حملاً على معنى : ولم تتعالَ علىَّ ولم تتكبَّر علىّ . قاله الزوزنى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد السبعمائة[٥] :

٧٨٩ (نَضرِبُ بالسَّيفِ ونَرجُو بالفَرَجْ)

---

(١) بعده فى معجم ما استعجم : « على ما نطقت به أشعارهم التى أنشدناها » .

(٢) والبدى ، ساقطة من ش .

(٣) ش : « يفخرنى » . وفخره يفخره بضم الخاء فى المضارع ، من باب نصر : كان أفخر منه وأكرم أباً وأماً .

(٤) التكلة من ش والزوزنى .

(٥) أدب الكاتب ٤١٨ والاقتضاب ٢٦٥ ، ٤٥٨ والإنصاف ٢٨٤ والضرائر ٦٣ ورصف المبانى ١٤٣ والمغنى ١٠٨ وشرح شواهده للسيوطى ١١٤ ومعجم البلدان (الفلج) وديوان الجعدى ٢١٦ .

على أنَّ (الباء الثانية) زائدةٌ فى المفعول به سماعاً .

قال ابن عصفور (فى الضرائر) : وزيادة الباء هنا ضرورة . قال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) : إنَّما عدَّى الرَّجاء بالباء لأنَّه بمعنى الطَّمَع ، والطَّمعُ يتعدَّى بالباء ، كقولكَ : طَمِعت بكذا . قال الشاعر[1] : ١٦٠

طَمِعتَ بليلى أن تجــودَ ، وإنَّما
تقطِّع أعنــاقَ الرِّجالِ المطــامعُ[2] [اهـ[3]]

وقال (فى شرح أبياته) : وزاد يعقوبُ قبله :

* نحنُ بنى جَعدةَ أربابُ الفَلَجْ *

ونحن مبتدأ وأربابُ خبره ، وبنى جعدة منصوبٌ على الاختصاص . وروى بالرفع أيضاً . والفلَج ، بفتح الفاء واللام . قال أبو عبيدٍ[4] (فى معجم ما استعجم) : موضعٌ لبنى قيس ، وهو فى أعلى بلاد قيس . قال الراجز :

نحنُ بنو جَعْدَةَ أربابُ الفَلَجْ   نَضرِب بالبِيض ونَرجُو بالفَرَجْ

وأصله النَّهرُ الصغير . انتهى .

والبِيض ، بالكسر : السُّيوف ، أى نقاتِل بالسيوف . وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : مدينة بأرض اليمامة لبنى جَعْدة وقُشير ابنى كَعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كما أنَّ حَجرا مدينة بنى ربيعة ابن نزار بن معدّ بن عدنان . قال الجعدىّ :

---

(١) هو البعيث ، كما فى اللسان (ريع ٤٩٨) ، ولم ينسبه فى الاقتضاب .

(٢) فى الاقتضاب : « أن تريع » ، وفى اللسان : « أن تريع وإنما تضرب » . وراع يريع : عاد ورجع .

(٣) التكملة من ش .

(٤) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى المتوفى سنة ٤٨٧ . ط : « أبو عبيدة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

نحن بنو جَعدة أربابُ الفَلَــجْ

نحن منعنا سُبْلَه حتّى اعتَلجْ(١)

والفَلَج فى اللغة : الماءُ الجارى ، ويقال عينٌ فَلَج وماءٌ فلَج . قال أبو عبيد : الفَلَج : النَّهر . انتهى .

وقال ابن السِّيد : الفَلَج الجارى من العين . والفَلَج البئر الكبيرة ، عن ابن كناسة . وماءٌ فلَجٌ : جارٍ ، قال عَبيد :

أو فَلْج ماءٍ ببطن وادٍ للماءِ من تحتِه قَسيبُ(٢) انتهى

وتوهَّم الدمامينى (فى شرح المغنى) أن الفَلَج هنا بمعنى الظَّفَر . قال : والظّاهر أنَّ المراد بالفلج الظَّفَر والفَوز ، لكن لم يحكِ صاحبُ الصحاح غير سكون اللام ، فيحتمل أن يكون الشاعر فتحها اتباعاً لفتحه الفاء للضرورة . هذا كلامُه ،وتبعه الحلبىُّ (فى شرحه) ونقل كلامه ، وزادَ عليه بأنَّ صنيع صاحبِ القاموس أيضاً يقتضى سكون اللام . وتبعه شيخنا الشهاب الخفاجى أيضاً (فى شرح درة الغوَّاص) ، وتعقَّبه بأَن فتح اللام لغة أَصليَّة فيه ، وتوقُّفه من عدم الاطلاع . ثم نقَلَ (من شرح مقامات الزمخشرى له) ما يؤيِّد كونه بالفتح .

والمشهور: « نحن بنو ضَبّة » ، وهو من تغيير النُّسَّاخ ، والذى فيه « ضَبّة » قافيَة لاميَّة، وهو :

* نحن بنو ضَبَّة أَصحابُ الجمَل *

وآخره :

* رُدُّوا علينا شَيخَنا ثُمَّ بَجَــلْ *

(١) ط : « نحن منعناه » ، صوابه فى ش ومعجم ما استعجم .

(٢) القسيب : خرير الماء وصوته تحت ورق أو قاش . وفى النسختين : « قشيب » ، صوابه فى معجم ، ما استعجم والديوان ١٢ واللسان (فلج ، قسب) .

وهذا من أبياتِ المفضَّل ، وهو مما قيل فى يوم الجمل ، وهو مذكورٌ فى الحماسة وغيرها ، وقائله معلوم مذكور[(١)] .

وقوله : « نحن منعنا سُبْله » هو جمع سَبيل ، وهو الطَّريق . واعتلجت الأَرضُ : طال نبَاتُها .

وهذا الرّجز لم ينسُبه أحدٌ إلى قائله . والله أَعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد السبعمائة[(٢)] :

٧٩٠ (ولكنَّ أَجراً لو فعَلْتِ بهيِّنٍ
وهَلْ يُنكَرُ المعروفُ فى النَّاسِ والأَجرُ[(٣)])

على أنَّ الباءَ تُزاد سماعاً بقلَّة فى خبر لكنّ .

قال ابن جنى (فى سرِّ الصناعة) : وقد زيدت فى خبر لكنّ لشبهه بالفاعل . وأنشد البيت وقال : أَراد ولكنّ أَجراً لو فعلتِه هَيّنٌ . وقد يجوز فيه أَن يكون معناه : ولكنَّ أَجراً لو فعلتِه بشىءٍ هيِّن ، أى أَنتِ تصلين إلى الأَجر بالشىءِ الهيّن ، كقولك : وجوبُ الشُّكر بالبر الهيِّن . ١٦١
فتكون الباءُ على هذا غيرَ زائدة . انتهى .

وأفاد فى تفسيره[(٤)] أَنَّ الخطاب لمؤنَّث . ولم أَقف على تتمّته ، ولا على قائله . والله أَعلم .

* * *

(١) ومن عجب ألا يذكره ، وربما كان هذا للخلاف فيه ، فهو الحارث الضبى ، أو الأعرج المعنى ، أو عمرو بن يثربى . وانظر معجم الشواهد .
(٢) سر الصناعة ١ : ١٥٧ ، وابن يعيش ٨ : ١٣٩ والعينى ٢ : ١٣٤ والتصريح ١ : ٢٠٢ والهمع ١ : ١٢٧ والأشمونى ١ : ٢٥٢ واللسان (كنى ٩١) .
(٣) فى اللسان : « وهل يعرف المعروف » .
(٤) ط : « تقريره » ، وأثبت ما فى ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والتسعون بعد السَّبعِمائة[١] :

٧٩١ (ألاَ هَلْ أتاها والحــوادثُ جَمّــةٌ
بأَنَّ امرأ القيسِ بنَ تَمْلِكَ بَيْقَــرَا)

على أَنَّ (الباءَ) قد تُزاد بقلة « مع أَنَّ » الواقعةِ مع معمولَيها فى تـأْويل مصدرٍ مرفوع على أنَّه فاعل أتاها .

وقال ابن السيرافى (فى شرح أَبيات الغريب) : فاعل أَتاها يجوز أَن يكون مضمراً دلّ عليه معنى الكلام ، كأَنَّه قال : هل أَتاها الخَبَر . ولكثرة استعمال الخبر أُضمر ، ويكون « بأَنَّ امرأ القيس » فى موضع نصب . هذا كلامُه .

ولا مفهومَ لقوله مع أَنَّ ، فكان ينبغى أَن يقول وتزاد بقلَّة فى الفاعل فى غير ما ذُكر قياساً . وهذا عند ابن عُصفور وغيره ضرورة .

ومن زيادتها فى الفاعل ضرورة بدون أَنَّ قولُه :

أَلم يـأْتِيكَ والأَنبــاءُ تَنمى بمــالاقَتْ لَبونُ بنِى زيــادِ[٢]

فالباءُ فى بما زائدة ، وما فاعل يـأْتِيك . وقال ابن الضائع : الباءُ متعلِّقة بتنمِى ، وإنَّ فاعل يـأْتى مضمر ، والمسأَلة من التنازع . ومن ذلك :

مَهْما لِىَ الليلةَ مهمــا لِيَهْ أَودَى بنعلىَّ وسِرباليَهْ[٣]

---

(١) شرح القصائد السبع٤٥٩ والأغانى ٨ : ٦١ والخصائص ١ : ٢٣٥ والمنصف ١ : ٨٤ والإنصاف ١٧١ وابن يعيش ٨ : ٢٣ ، ٢٤ والضرائر ٦٣ ، واللسان (بقر) وديوان امرئ القيس ٣٩٢ .

(٢) لقيس بن زهير ، وهو من شواهد الخزانة ٨ : ٣٦١ .

(٣) لعمرو بن ملقط ، وهو من شواهد الخزانة ٩ : ١٨ .

التقدير : أودى نعلاى. وقال ابن الحاجب : الباءُ للتَّعدية . وتقدَّم شرحهما مفصَّلاً .

ومن ذلك قول النَّمر بن تَولب :

ظَهرتْ ندامَتُه وهانَ بسُخطِـه
شيئـاً على مَربوعهـا وعِذارِها(١)

التقدير : هان سخطُه . قال ابن عصفور : وبالجملة لا تنقاس زيادة الباء فى سَعة الكلام إلاَّ فى خبر ما ، وخبر ليس ، وفاعل كفى ومفعوله ، وفاعل أفعِلْ بمعنى ما أفعله . وما عدا هذه المواضعَ لا تُزاد فيه الباءُ إلَّا فى ضرورةِ شعرٍ أو شاذٍّ من الكلام يُحفَظ ولا يُقاس عليه . انتهى .

ولقد أجادَ ابن هشام (فى المغنى) فى تحرير زيادة الباء .

والبيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، قالها بعد أن ذهب إلى الرُّوم مستنجدًا بقيصر للأخذ بثأْر أبيه . وأوّلها : صاحب الشاهد

(سَما لكَ شوقٌ بعدما كانَأقصَرا وحَلَّت سُليمَىبطنَظَبْيٍ فعَرعَرا)

إلى أن قال :

ألاَ هل أتاها والحـوادث جَمَّةٌ . . . . البيت

قوله : « سما لكَ » إلخ سما : علا وارتفع . وأقصر : كفَّ . وحَلَّت: نزلَتْ . وبطن ظَبْى : موضع ، ويقال ماءٌ من مياه كلب . وعَرعَر : وادٍ.

---

(١) ديوان النمر بن تولب ٦٤ والميسر والقداح لابن قتيبة ٥٧ ، ١١٨ والضرائر ٦٣ ، والمربوع والعذار : قدحان من ذوات الحظوظ .

وقوله : (ألا هَلْ أتاها) الضمير لحبيبته . وقوله (والحوادِثُ جَمّة) أى كثيرة .جملة اعتراضية بين الفعل وفاعله . وأوردهُ الزمخشريُّ عند قوله تعالى : ﴿ واتَّخَذَ اللهُ إبراهِيمَ خَلِيلاً[1] ﴾ على أنَّها جملة اعتراضيَّة كقول امرئ القيس : « والحوادث جَمّة » . وفائدة الاعتراض الإخبارُ بأنَّ هجرته عن بلاده حادثةٌ من الحوادث . والعرب تتمدَّح بالإقامة فى البَدْوِ ، قال أبو العلاء :

ويُوقِدُون بنجــدٍ نار باديةٍ لا يَحْضُرون وفَقدُ العزِّ فى الحَضَرِ[2]

قال أبو عبيدٍ (فى الغريب المصنَّف) : بيقر الرجل بيقرة، إذا هاجر
١٦٢ من أرض إلى أرض. وأنشد هذا البيت .

وقال الجوهرى : بيقر الرجل : أقام بالحضَر وترك قومَه بالبادية . وأنشد هذا البيت .

وقال ابن دريد : بيقر الرجل ، إذا خرج من الشام إلى العراق .

ولم يذكر ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) غير هذا . وأنشد له البيت ، والواقع يخالفه .

تملك والدة امرئ القيس

(وتملك) بفتح المثناة الفوقية: اسم امرأةٍ ، لاينصرف. قال شارحُ ديوانه : تَملك : بعضُ أمَّهاته . قال صاحب الأغانى : أُمُّ امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة ، أُخت كُليبٍ ومُهلهلٍ ابنَىْ ربيعة . وأُمّ امرئْ القيس ابن السِّمْط اسمها تملك[بنت عمرو بن ربيعة بن زُبيد بن مَذحِج، رهط عمرو بن معد يكرب . وقد ذكر ذلك امرؤ القيس فقال :

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة النساء .

(٢) شروح سقط الزند ١٤٢ .

* بأن امرأَ القيس بن تَمْلِكَ[1]] بيقَرَا * انتهى .

ومثله (فى مختصر الجمهرة) لياقوت وغيره قالا : ومن بنى امرئ القيس بن عمرو بن معاوية السِّمط ، وأُمُّه تملك بنت عمرٍو ، من مذحج ، هم التَّملِكيّون ، بها يعرفون . وامرؤ القيس بن السِّمط بن امرئ القيس بن عمرو ابن معاوية بن الحارث الأكبر الذى يقول فيه امرؤُ القيس بنُ حجر :

* بأَن امرأَ القيس بن تملك بيقرا *

نسبه إلى جَدَّته تملك . انتهى .

وكذا قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) عند ما ذكر المسمَّين بامرئ القيس . وهذا خلاف ماذكره شُرَّاحُ شعره[2] من أَنَّه أَراد نفسَه . وهو الأَغلب على الظَّن .

فمنهم من قال : أُمّه تملك ، ومنهم من قال : جدّته . ويحتمل أَن تكون جدّتَه من قبل أُمّه أَو أُمّهاتها . والله أَعلم .

وقد ذكرنا أَبياتاً كثيرةً من هذه القصيدة ، وذكرنا أَيضاً طَرفاً من حال امرئ القيس فى الشاهد السابع والستين بعد الستمائة[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد السبعمائة[4] :

٧٩٢ (فأَصبحْنَ لايَسأَلْنَه عن بِمَا بهِ أَصَعَّدَ فى عُلْوِ الهوَى أَم تَصوَّبا)

على أَنَّه[5] من الغريبِ زيادة الباء فى المجرور ، فإنها زيدت مع ما المجرورة بعَن .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) ط : « شارح شعره » ، صوابه فى ش .

(٣) الخزانة ٨ : ٥٤٥–٥٥١ .

(٤) معانى القرآن ٣ : ٢٢١ وسر الصناعة ١ : ١٥٣ والضرائر ٧٠ ، ٣٠٣ والمغنى ٣٥٤ والتصريح ٢ : ١٣٠ والأشمونى ٣ : ٨٣ .

(٥) ط : « أن » .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : وأمّا قول الشاعر :

* فأَصبحنَ لا يسأَلْنَه عن بمَا به *

فإنه أراد الباءَ ، وفَصَلَ بها بين عن وما جَرّته . وهذا من غريب مواضِعها . انتهى .

وقال الفراءُ (فى آخر تفسير سورة الإنسان) : قرأ عبد الله : ﴿ وللظّالمين أعدَّ لهم[1] ﴾ فكررَّ اللام فى الظالمين وفى لهم . وربَّما فعلت العربُ ذلك . أنشدنى بعضهم :

فأَصبَحْنَ لا يسأَلنَه عن بما به أَصعَّد فى عُلْوِ الهَوى أم تصَّوبا

فكّرر الباءَ مرتين . ولو قال : لا يسأَلنه عَمّا به لكان أَبْينَ وأَجَود ، ولكنَّ الشاعر ربَّما زاد أو نَقَص ليكمُل الشِّعر . انتهى .

وعدّه ابن عصفور كالفرّاء من ضرائر الشعر ، قال : ومنها إدخال الحرف على جهة التأْكيد ، لاتِّفاقهما فى اللفظ والمعنى ، أو فى المعنى لا فى اللفظ ، نحو قول بعضِ بنى أَسد :

فـلاَ واللهِ لا يُلفَـى لما بى ولا لِلِما بِهِـم أَبـدًا دواءُ[2]

فزاد على لام الجرّ لامًا أُخرى للتأْكيد . ونحوه قولُ الآخر ، وأنشده الفراءُ :

فلئن قـومٌ أَصـابوا عِـزَّة وأَصَبْنَـا من زمانٍ رَنَقا[3]
لَلقـدْ كنَّـا لدَى أَزمانِنـا لِصَنيعين لِبـأْسٍ وتُقَـى

(١) الآية ٣١ من سورة الإنسان .
(٢) لمسلم بن معبد الوالبى . وانظر معجم شواهد العربية .
(٣) معانى الفراء ٢ : ٦٧ والصاحبى ٢٦ والضرائر ٧٠ والهمع ١ : ١٤٠ .

فزاد على لام لقد لامًا أُخرى للتأْكيد . ونحوه قول الآخر :

فأَصبحن لا يسأَلنه عن بما بهِ .... البيت

فأَدخل عَنْ على الباء تأْكيداً ، لأَنّهم يقولون : سأَلت عنه، وسأَلت ١٦٣
به . والمعنى واحد . انتهى .

وصعَّدَ فى الجبَل بالتثقيل ، إذا علاه . وصَعِد فى الجبل، من باب تعب، لغةٌ قليلة . وصعَّد فى الوادى تصعيدًا، إذا انحدر . والهواءُ[1] : ما بين السماءِ والأَرض . والتصوُّب : النزول . كذا فى المصباح .

وهذا البيت لم أَقفْ على قائله ولا تتمَّته . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد السَّبعمائة[2] :

٧٩٣ (لِدُوا للموتِ وابنُوا للخرابِ)

على أَنَّ اللام فى قوله (للموت) تسمَّى لام العاقبة ، وهى فرع لام الاختصاص .

أَقول : تسميتها بلام العاقبة وبلام الصَّيرورة هو قول الكوفيِّين ، ومثَّلوه بقوله تعالى : ﴿ فالتقَطَهُ آلُ فِرعَوْنَ ليكونَ لهم عدُوًّا وحَزَنا[3] ﴾ ، وبقول الشاعر :

فللموتِ تغـذو الوالداتُ سِخالَهـا
كما لخَرابِ الدُّور تُبنَى المسـاكنُ[4]

---

(١) ش : « والهوى » .

(٢) الحيوان ٣ : ٥١ والأغانى ٣ : ١٥٥ والهمع ٢ : ٣٢ والتصريح ٢ : ١٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٢٤ وديوان أبي نواس ٢٠٠ وأبي العتاهية ٣٣ .

(٣) الآية ٨ من سورة القصص .

(٤) لسابق البربرى كما سيأتى ، وانظر العقد ٢ : ٦٩ .

وبقول الآخر :

فإن يكن المــوتُ أفنــاهمُ فللمــوت ما تَلدُ الوالــده[1]

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وأنكر البصريُّون ومن تبعهم لامَ العاقبة . قال الزمخشرى : والتحقيق أنَّها لام العلَّة ، وأنَّ التعليل فيها واردٌ على طريق المجاز دون الحقيقة . وبيانه : أنَّه لم يكن داعِيهم إلى الالتقاط أنْ يكون لهم عدوًّا وحَزَناً ، بل المحبَّةُ والتبنِّى . غير أنَّ ذلك لمَّا كانَ نتيجة التقاطِهم له وثمرتَه ، شُبِّه بالداعى الذى يُفعَل الفعلُ لأجله ، فاللام مستعارةٌ لمَا يشبه التعليل ، كما استعير الأسدُ لمن يُشبِه الأسد . انتهى .

وفُهِمَ منه أنَّ اللام فى هذه الأبياتِ للتعليل . وجَعْلُها من فروع الاختصاص أولى ، لأنَّ التعليل أيضاً من فروع الاختصاص .

صاحب الشاهد وهذا المصراعُ من أبياتٍ (فى الديوان المنسوب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه) ، وهى :

أبيات الشاهد

(عجبتُ لجــازع باكٍ مصابٍ بأهــلٍ أو حبيبٍ ذى اكتئابِ
شقيقِ الجيب دَاعِى الويل جهلاً كأنَّ الموتَ كالشىءُ العُجابِ[2]
وســوّى الله فيــه الخلقَ حتَّى نبيَّ اللهِ عنــه لم يُحــابِ
لــه مَلَكٌ ينادى كُلَّ يومٍ : لِدُوا للمــوتِ وابنُوا للخرابِ

(١) سيأتى الكلام على نسبته . وقد تمثل بعجزه زرارة بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب ابن أبى بكر بن كلاب ، عند يزيد بن معاوية ، كما جاء فى عجز بيت لعبيد بن الأبرص فى أمالى القالى ٣ : ١٩٥ : وعجز بيت آخر لسماك بن عمرو العاملى فى اللسان (لوم ٣٨) . وانظر العقد ٢ : ٦٩ وجمهرة ابن حزم ٢٨٣ وما سيأتى .

(٢) شقيق الجيب : مشقوقه ، حزناً على من فجع به . وجيب القميص ونحوه : ما يدخل فيه الرأس عند لبسه .

قال شارح ديوانه حُسين المَيْبُذِىّ[1] : المصاب : مَنْ أصابته مُصيبة. والاكتئاب : الحزن . فإنْ قلت : الكاف مغنية عن كأنَّ ؟ قلت : قال التفتازانى (فى المطوّل): إنَّ كأنَّ تُستعمَل فى مقام يَظُنّ بثبوت الخبر دون التَّشبيه . ولام « للموت » لام العاقبة ، وهى فرع لام الاختصاص. انتهى .

وحتَّى ابتدائية ، ونبيَّ الله مفعول مقدَّم ليحابِ[2] بمعنى يَخصّ ، كما تقدَّم مجيئه بهذا المعنى فى شعر زهير[3] .

ورأيت (فى الفصول القصار من نهج البلاغة) لسيدنا على رضى الله عنه : « إنَّ لله مَلَكًا ينادى فى كلِّ يوم : لدُو للموت ، واجمعوا للفناء ، وابنوا للخراب » .

ورأيت أيضاً (فى جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب) : قد رُوى أنَّ بعض الملائكة قال :

لدُو للموت وابنُوا للخرابِ فكلُّكمُ يصير إلى ذَهَابِ ١٦٤

والبيت الثانى هو من أبيات مغنى اللبيب ، ولم يعرفه شُرَّاحه ، وهو لسابقٍ البَربرىّ .

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : وفد عبدُ العزيز بن زُرارة سيِّدُ أهلِ الكوفة على معاوية ، فخرج مع يزيدَ بنِ معاوية إلى الصَّائفة فهلك هناك ، فكتب به يزيد إلى معاوية ، فقال معاوية لأبيه زرارة : أتانى

(١) فى النسختين : « الميبدى » . وانظر ما سبق من تحقيق اسمه ونسبه فى الخزانة ٦ : ٦٤ .

(٢) جاء هنا بلفظ المجزوم على الحكاية لما فى البيت الثالث .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٥٠٦ من الشاهد ٧٨٦.

اليوم نعْىُ سيِّد شباب العرب ! فقال زرارة : يا سيِّدى هو ابنى أَو ابنك؟ قال : بل ابنك. قال :«للموت ما تلد الوالدة». أَخذه سابقُ البربرى فقال :

* وللمـــوتِ تغْذُو الوالداتُ سِخالَها * البيت

و(تغذو) بمعجمتين، من الغِذاءِ بالكسر والمدّ : مابه نماءُ الجسم وقِوامُه. وغذوت الصبىَّ بالطعام واللَّبن فاغتذى به . وأَما الغَدَاءُ بالفتح وإهمال الدال فطعام الغُدْوة ، وهو خلاف العَشَاء . والسِّخال بالكسر : جمع سَخْلة ، وهى ولَدُ الشاة من الضَّأْن والمعز ، ذكراً كان أَو أُنثى . وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير ، إلّا أَنَّه باللفظ المرادف ، إذ أَصلُ الكلام كما تبنى المساكنُ لخرابها .

وكذا نسبه إلى سابقٍ البربرىِّ (صاحبُ كتاب التفسُّح فى اللغة[1]) ، وقال بعد أَن أَورده : إنَّما ابتَنَوْا دُورهم للعُمران ، وغذَوْا أَولادَهم للبقاء لا للفناء ، فلمَّا علموا أَنَّ المصير إلى الموت والخراب تركوا الشىءَ الذى غذَوْا له أَولادهمْ وابتنوا دورهم ، وأَخبروا بمصيرهم لذلك ، اعتباراً كما قال تعالى : ﴿ فالتقَطَهُ آلُ فِرْعَوْن ليكونَ لهمْ عَدُوًّا وحَزَنا[2] ﴾ ، وإنَّما التقطوه ليكون لهم قُرَّة عَين ، ولكن الله عز وجل وصفَ أَمره بتصيُّره إلى ذلك[3] . فهذا على الإِخبار بالصَّيرورة . انتهى .

سابق البربرى

وسابقٌ البربرىُّ هو أَبو سعيد سابق بن عبد الله . له أَشعارٌ حسنة فى الزُّهد . وهو من موالى بنى أُميّة . سكن الرَّقَّة ، ووفد على عمر بن

(١) لأبى الحسين النحوى ، كما سبق فى الخزانة ١ : ٢٦ . ويبدو أنه من كتب المجاز اللغوى، كما يبدو من نصوصه المقتبسة .
(٢) الآية ٨ من سورة القصص .
(٣) هو مطاوع صيره تصييرا .

عبد العزيز ، وله معه حكاياتٌ لطيفة . روى عنه مكحولٌ ، وموسى ابن أَعْيَن ، والمعافى بنُ عِمران وغيرُهم .

والبربرى : نسبة إلى البربر ، وهى بلادٌ كثيرة فى المغرب . قال ابن الأثير (فى الأنساب) : ليس سابق منسوباً إلى البربر ، وإنّما هو لقبٌ له.

والبيت الثالث هو من أبيات مغنى اللبيب أيضاً . ولم يعرفه شُرّاحه أيضاً .

صاحب الشاهد

وهو من أبياتٍ أوردها ابنُ الأعرابى (فى نوادره) لنُهَيكة بنِ الحارث المازنى ، من مازن فزارة ، وهى :

أبيات الشاهد

(لا يُبعِد اللهُ ربُّ العبا ... دِ والملحُ ما ولدَتْ خالدَهْ[1]
هم المُطعمو الضَّيفَ شحمَ السَّنا ... مِ والقاتلو الليلةَ البارِدَهْ
هُمُ يَكْسِرونَ صُدورَ الرِّما ... حِ فى الخيل تُطرَد أو طارده
يذكِّرُنى حُسْنُ آلائهم ... تفجُّعَ ثكلانةٍ فاقده
فإن يكن القتلُ أفناهمُ ... فللموتِ ما تلد الوالده)

انتهى :

ونسبه المفضَّل بن سلمة (فى كتاب الفاخر) لشُتَيْمِ بن خويلد الفزارى . قال : والملح هنا : البركة . يقال : اللهمَّ لا تُبارِكْ فيه ولاتَمْلَحَه.

وكلاهما جاهليّان .

---

(١) ونسب الشعر فى الحيوان ٤ : ٤٧٢ إلى شتيم بن خويلد الفزارى ، وكذا فى اللسان (لوم ٣٨) والفاخر للمفضل ١١ . ونسبه المبرد فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ إلى ابن الزبعرى . ونسب فى مقطعات مراث ص ١٠٦ إلى الحارث بن عمرو الفزارى . والأبيات بدون نسبة فى الروض الأنف ٢ : ٣٠٦ . والأول منها فى الكامل ٢٨٤ بدون نسبة أيضاً . وكلمة « الملح » فى البيت تضبط بالرفع عطفاً على لفظ الجلالة ، وبالجر عطفاً على العباد أو بجعل الواو واو القسم .

قال أبو الوليد الوقشي (فيما كتبه على كامل المبرد على هذا البيت): خالدة هي بنت أرقم، أمُّ كَرْدم وكُريدِم ابني شُعْبة الفزاريَّين . وكَرْدم هو الذي طعن دريد بن الصمة يوم قُتِل أخوه عبد الله . وهذا المصراع وقع في شعر عبيد بن الأبرص الجاهلي أيضاً ، لمَّا قتله المنذر بن ماء ١٦٥
السماء ، قال له بعض الحاضرين ما أشدَّ جزعَك للموت ! فقال :

(لا غَرْوَ من عيشةٍ نافده وهل غيرُ ما مِيتةٍ واحدَه
فأبلغ بنيَّ وأعمامَهُمْ بأنَّ المنايا هي الرَّاصِده
لها مُدَّةٌ فنفوسُ العبادِ إليها، وإن كَرِهت، قاصده
فلا تَجْزَعوا لِحمامٍ دنا فللموت ما تَلدُ الوالده)

ووقع في شعر سِماك بن عمرو الباهلي أيضاً ، وهو أوّل من قال : « لا أطلُب أثراً بعدَ عَيْن » ، وهو جاهليٌّ أيضاً . قال لمَّا خيِّر بين أن يُقتل هو أو أخوه مالك ، فقتلوه دون أخيه ، من أبيات :

فأُقسم لو قتَلُوا مالكًا لكنتُ لهم حيّةً راصده
برأسِ سبيلٍ على مَرقبٍ ويوماً على طُرقٍ وارده
فأُمَّ سِماك فلا تجزَعي فللموت ما تلدُ الوالده

* * *

وأنشد بعده :

(فَلَا واللهِ لا يُلفَى لما بي ولا لِلما بهمْ أبدًا دواءُ)

وتقدَّم شرحه في الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة في باب المنادى[١] .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٣٠٨ - ٣١٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد السبعمائة[١] :

٧٩٤ (رُبَ هَيضَلٍ لَجِب لففتُ بهَيْضَلِ)

على أنَّ (ربَّ) فيه للتكثير . أى كثيراً ما لففت هيضلاً بهيضل .

ورُبَّ على اختيار الشارح اسمٌ ومحلها رفع على الابتداء ، والموجب لبنائها تضمُّنها معنى الإنشاء الذى حقُّه أن يؤدَّى بالحرف ، كالاستفهام والأمر والنهى . ورُبَ هنا مخففة مفتوحة الباء. قال أبو علىّ (فى كتاب الشعر) : الحروف على ضربين : حرف فيه تضعيف ، وحرف لاتضعيف فيه . فالأوّل قد يخفَّف بالحذف منه كما فُعل ذلك فى الاسم والفعل بالحذف والقلب، وذلك نحو : إنَّ، وأنَّ، ولكنَّ، ورُبَّ . والقياس إذا حذف المدغَم فيه أن يبقى المدغَم على السُّكون . وقد جاء :

(أزهيرُ إنْ يَشِب القذالُ فــإنَّه ... رُبَ هيضلٍ لَجِبٍ لففتُ بهيضلِ)

ويمكن أن يكون الآخِر منه حرّك لمّا لحقه الحذف والتأنيث، فأشبه بهما الأسماء ، كما حرّك الآخر من ضَرَب[٢] . انتهى المراد منه .

ورواه ابن جنى (فى المحتسب) بسكون الباء. أنشد البيت وقال : أراد ربّ فحذف إحدى الباءين وبَقَّى[٣] الثانية مجزومة ،كماكانت قبل الحذف .

ورواه العسكرى (فى كتاب التصحيف) بالوجهين . أنشد البيت

(١) المحتسب ٢ : ٣٤٣ والتصحيف ٣٦٤ والأزهية ٢٧٤ وابن الشجرى ٢ : ٤ ، ٣٠٢ والإنصاف ٢٨٥ وابن يعيش ٥ : ١١٩ / ٨ : ٣١ والمقرب ١ : ٢٠٠ ورصف المبانى ٥٢ ، ١٩٢ وديوان الهذليين ٢ : ٨٩ وشرح السكرى ١٠٧٠

(٢) يعنى الأفعال الماضية المبنية على الفتح .

(٣) ش : « وأبقى » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى المحتسب. والمراد بالجزم إسكان الباء .

وقال : رُبَ فيه خفيفة . ورواه بعضهم : « رُبْ هيضل » بتسكين الباءِ ، وأنشد :

أَلا رُبْ ناصرٍ لك من لؤىٍّ   كــريمٍ لو تنــاديه أجابا

وتقول العرب : رُبَّ بالتشديد ، ورُبَ بالتخفيف ، ورُبْ رجلٍ فيسكّنون الباءَ ، ثم يقولون : رُبَّت رجلٍ ورُبَتَ رجلٍ ، ورَبَّ رجل فيفتحون الراءَ ويشدّدون ، ورَبَّما رجلٍ مشدد ومخفّف ، ورَبَّتَما فيفتحون. ١٦٦
حكى ذلك قطرب . انتهى .

وبهذا النقلِ يُردُّ على أَبى علىّ وعلى ابن يَعيش فى قوله تبعاً له : إِنَّهم قالوا رُبَ بضم الراءِ وفتح الباءِ خفيفة ، ويحتمل ذلك وجوهاً :

أَحدُها: أَنَّهم حذفوا إِحدى الباءَين تخفيفاً، كراهيَةَ التضعيف ، وكان القياس أن يسكّن آخرُها، لأَنَّه لمْ يلتق فيها ساكنان، كما فعلوا بإِنَّ ونظائرها حين خفَّفوها ، إِلّا أَنَّ المسموع رُبَ بالفتح ، نحو قوله :

* رُبَ هيضلٍ لَجِبٍ لففْتُ بهَيْضَلِ *

كأَنَّهم أبقَوُا الفتحةَ مع التخفيف دلالةً على أَنَّها كانت مثقَّلة مفتوحة .

ويمكن أن يكونَ إِنَّما فتح باءَ ربَ لأَنَّه لمَّا لحقه الحذفُ وتاءُ التأْنيث أَشبهَت الأَفعال الماضيةَ ففُتحت .

وقيل إِنَّهُم لما استثقلوا التضعيفَ حذفوا الحرفَ الساكن .

وقد قالوا رُبْ بالتخفيف وسكون الباءِ على القياس، حذفوا المتحرِّك، لأَنَّه أَبلغ فى التخفيف . انتهى .

وقد نقض أَوّلَ كلامه بآخِره .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لأبى كَبيرٍ الهُذَلى ، وأوَّلها :

أبيات الشاهد

(أَزُهَيْرَ هــل عن شَيْبةٍ من مَعْدِلِ ⁂ أم لا سبيـــلَ إلى الشَّبابِ الأَوَّلِ
أَمْ لا سبيلَ إلى الشَّبابِ وذِكــرُهُ ⁂ أَشهَى إلىَّ من الـــرَّحيق السَّلسَلِ
ذهبَ الشَّبابُ وفاتَ منِّى ما مضى ⁂ ونضَا ، زُهَيْرَ ، كريهتى وتبطُّلى [(١)]
وصحوتُ عن ذكر الغوانِى وانتهى ⁂ عُمْرِى وأنكرنى الغداةَ تَقتُّلى
أَزُهَيرَ إنْ يَشِبِ القَــذَالُ فإنَّه ⁂ رُبَّ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لففتُ بهَيْضَلِ
فلففْتُ بينهــمُ لغيــرِ هَــوادةٍ ⁂ إلَّا لسَفْكٍ للــدِّماء محــلِّلِ)

وقوله : « أَزهير » إلخ الهمزة للنداءِ . وزهير : مرخَّم زُهيرَة ، وهى ابنته . قال السكرى ، وكذا قال أبو سعيد : ومنهم من يقول امرأة ، ومنهم من يقول : رجل . أقول : يردُّ الأَخيرين قولُه فى الرائية كما يأْتى. والمَعْدِل : العُدول . والرَّحيق : الخمر . والسَّلسَل : العذب يتسلسَلُ فى الحلق تسلسُلاً . ونَضَا ، بالنون والضاد المعجمة ، بمعنى انسلخَ ومضَى . وزُهيرَ منادًى مرخَّم . وكريهته : شِدّته على الكريهةِ والحرب . وتبطُّلُه : أَخْذُه فى الباطل .

والغوانى : جمع غانية ، وهى المرأة التى غَنِيَتْ بحُسنها عن الزِّينة . والتَّقتُّل بالقاف : التليُّن والتَّكسُّر والتثنِّى .

وقوله : (أزهير إنْ يَشِب) إلخ هذا أيضاً منادى مرخَّم. (والقَذَال): ما بين النُّقرة وأعلى الأذن ، وهو أَبطأُ الرأْس شيْباً . و (الهيضل) ، بفتح الهاءِ والضاد المعجمة : الجماعة . وقوله : (لففت بهيضل) يريد : جمعت بينهم فى القتال. و (اللَّجِب) بفتح اللام وكسر الجيم ، فى

(١) رسمت « نضا » هنا وفى الشرح التالى بالياء ، ووجهه ما أثبت ، فإن الفعل واوى .

الصحاح : وجيشٌ لجب : عرمرم ، أى ذو جَلبَة وكثْرة . واللَّجَب ، بفتح الجيم : الصَّوت والجَلَبة . وروى بدله : (مَرِسٍ) بكسر الراء ، أى شديد.

وقوله: « فلففت بينهم » إلخ قال السكرى : يقول : إنَّما لففتُ بينهم ليقتتلوا ، لا لهوادةٍ ولا لصداقة ، وهو قوله « إلاَّ لسَفكٍ للدِّماء محلِّل» أى محلِّل النَّذْرَ إذا بلَغَه . ومحلِّل : ممَّا يُستحَلّ . (والهَوادة) : الصُّلح ، وأصله من اللِّين . يقال : هوَّد فى السَّير ، إذا ليَّن .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : أبو كبير هو عامر بن حِلْس ، وله أربعُ قصائدَ أوَّلها كلُّها شىءٌ واحد . ولا يُعرف أحدٌ من الشعراء فعَلَ ذلك[1] . انتهى .

أقول : ثانيها :

١٦٧ أزُهَير هل عن شَيبةٍ من مَقْصِرِ ... أم لا سبيلَ إلى الشَّبابِ المُدْبِرِ

فَقَد الشَّبابَ أبوك إلَّا ذِكـرَه ... فاعجَبْ لذلك فِعلَ دهرٍ واهكَرِ

قال السكرى : الهَكْر مِنْ أشدِّ العَجَب[2] . وهذا خطابٌ لنفسه .

وثالثها :

أزُهَيرُ هل عن شيبةٍ من مَصْرِف ... أم لا خلودَ لبـاذل متكلِّفِ

ورابعها :

أزُهيرُ هل عن شَيبةٍ من مَعْكِمِ ... أم لا خلودَ لباذِلٍ متـكرِّمِ[3]

قال السكرى : من مَعْكِمٍ : من مَرجِع ، يقال عَكَم يعكم .

---

(١) انظر كتاب « تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب » لمحقق الخزانة ص٢٨٥ – ٢٨٦.
(٢) عند السكرى : « الهكر أشد العجب » ، بطرح « من » .
(٣) فى النسختين: « لباذر » صوابه باللام فى آخره كما فى ديوان الهذليين وشرح السكرى . والباذل: الذى يبذل ماله .

وأبو كبيرٍ الهذليُّ صحابيٌّ تقدَّمت ترجمته مع شرح أبياتٍ من هذه القصيدة فى الشاهد الثامن بعد السمائة[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(ماوىَّ يا رُبَّتَمـا غـارةٍ شَعْواءَ كاللَّذعـةِ بالمِيسَمِ)

وتقدم شرحه قريباً فى الشاهد الستين بعد السبعمائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد السبعمائة[٣] :

٧٩٥ (فإنْ تُمْسِ مَهجورُ الفِنـاءِ فرُبَّما
أَقـامَ به بعدَ الوُفودِ وفُـودُ)

على أنَّ (ربَّما) فيه للتكثير . وهو ظاهر .

وأورده الزمخشريُّ عند قوله تعالى : ﴿قد يَعْلَمُ اللهُ الذينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكمْ لِواذًا[٤]﴾ على أنَّ قد إذا دخلَتْ على المضارع كانت بمعنى رُبَّما ، فتوافقُها فى خروجها إلى معنى التكثير كما فى البيت ، فإنَّ المقامَ مقامُ مدحٍ لا يُناسب التَّقليل ، وإلاَّ لكان ذمًّا . ورُبَّ هنا مكفوفة بما عن عمل الجرّ ، ومهيِّئة للدخول على الجملة الفعلية .

ولا يتأتَّى هنا ما اختار الشارح من أنَّها اسمٌ مبتدأٌ ، إذْ لا مجرور موصوف بجملة فعليَّة . ولا يعرف على اختياره ما موقعُ الجملة بعد ربَّ المكفوفة .

---

(١) الجزانة ٨ : ٤٠٩
(٢) انظر هذا الجزء التاسع ص ٣٨٤ .
(٣) أدب الكاتب ٢١ وشرح الجواليقى ١٢٤ وابن السيد ٢٩٢ والأشباه والنظائر ٢ : ٨٥ والحماسة بشرح المرزوقى ٨٠٠ وبشرح التبريزى ٢ : ٢٩٦

صاحب الشاهد والبيت من أبيات أربعة أوردها أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) لأبى عطاء السِّندى ، رثى بها يزيد بن هُبَيْرَةَ الفَزَارىّ ، وهى :

أبيات الشاهد (ألا إنَّ عيناً لم تَجُدْ يومَ واسطٍ عليكَ بجارِى دَمْعِها لَجمودُ
عِشيَّة قَام النائحاتُ وشُقِّقتْ جُيوبٌ بأَيدِى مأتمٍ وخُدودُ
فإنْ تمْسِ مهجورَ الفِناء فربَّما أقامَ به بعدَ الوفودِ وفودُ
فإنَّك لم تبعُد على متعهِّدٍ بلى كلُّ مَنْ تحتَ التُّراب بَعِيدُ)

وقيل رثاهُ بها مَعْنُ بن زائدة الشَّيبانى ، وكان من أتباع ابن هُبيرةَ ومن أكبرِ أعوانهِ فى الحروبِ وغيرها .

يزيد بن هبيرة وابن هبيرة مولده الشَّامُ فى سنة سبع وثمانين ، وَلِىَ قِنَّسرينَ للوليد ابن يزيد بن عبد الملك، وكان مع مروانَ بنِ محمدٍ آخرِ ملوك بنى أمية ، يومَ غَلب على دِمشق وجُمِع له ولايةُ العراقين ، فلمَّا أدبرت دولة بنى مروان خرج قَحطَبة بن شَبيب فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، أحدُ دعاة بنى العبَّاس ، فى جيوش خراسان ، ثم ولده الحسنُ من بعده فهزموهُ ،
١٦٨ ولحق ابنُ هبيرة بمدينة واسط ، فحاصَره أبو جعفرٍ المنصورُ مع الحسن ، وجرت السُّفراءُ بين أبى جعفر وابن هبيرة حتَّى جَعل له أمانًا وكتب به كتَاباً . فمكث يُشاوِر فيه العلماءَ أربعين ليلة حتَّى رضىَ به ابنُ هبيرة ، ثم أنفذه إلى أبى جعفر ، فأنفذه أبو جعفر إلى أخيه السَّفَّاح ، فأمره بإمضائه له . ولمَّا تم الكتابُ خرج ابن هبيرة إلى أبى جعفر فى ألفٍ وثلثمائة ، فأراد أن يدخل الحجرةَ على دابَّته ، فقام إليه الحاجب فقال: مرحباً أبا خالد ، انزلْ راشداً ! وقد أطاف بالحجرة عشرة آلافٍ من أهل خراسان . فنزل ودعَا له بوسادة ، ثم قال له الحاجب : ادخُلْ أَبا خالد .

فقال له : أنا ومن معي من القُوَّاد . فقال له : إنَّما استأْذنتُ لكَ وحدك . فدخلَ على أبي جعفر وحادثَه ساعة ثم انصرف . فقال أبو جعفر [للحاجب[1]] : قل لابن هبيرةَ يدعُ الجماعة ويأْتينا بحاشيته . وجاء بعدُ فى نحوٍ من ثلاثين ، فكان بعد ذلك يأْتى فى ثلاثةٍ من أصحابه يتغذَّى ويتعشَّى عنده ، وألحَّ[2] أبو العباس على أبى جعفرٍ يأْمُره بقتله ، وهو يراجعه ، فكتب إليه : والله لتقتلنَّه أو لأَرسلنَّ إليه من يخرجه من حُجْرتك ثم يقتُله . فعزَمَ على قتله ، وأرسل الهيثمَ بنَ شُعبة فى نحوٍ من مائة فأَرسلوا إلى ابن هبيرة: إنَّا جئنا لنأْخذ هذا المال . فقال ابن هُبيرة لحاجبه : انطلقْ فدُلَّهم عليه . فأَقاموا عند كل بيتٍ نفراً ، ثم جعلوا ينظرون فى نواحى الدار ، ومع ابن هبيرة ابنُه داود وكاتبه وحاجبُه ، وعِدَّةٌ من مواليه، وبُنَىٌّ له صغير فى حِجْرِه، فأَقبلوا نحوه فقام حاجبُه فى وجوههم فضربه الهيثمُ فقتله ، وقاتل ابنُه داودُ فقُتل ، وقُتِل مواليه ، ونُحِّىَ الصبىُّ من حِجْره وخَرَّ ساجدًا ، فقُتِل وهو ساجد . وكان قتلُه بواسط يوم الاثنين لثلاثَ عشرةَ ليلةً بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

ولمَّا قُتل كان معنُ بن زائدة غائباً عند السَّفَّاح فسَلِم ، فرثاه أبو عطاء السِّندىُّ بهذه الأَبيات . وقيل معن بن زائدة .

قال ابن عساكر (فى تاريخه الكبير) : كان ابنُ هبيرة إذا أَصبحَ أُتىَ بِعُسٍّ ، وهو القَدَح الكبير . وفيه لبنٌ قد حُلِبَ على عَسَل ، وأَحيانًا على

---

(١) التكملة من ش .

(٢) ط : « ولح » ، صوابه فى ش .

سُكَّرٍ فيشربُه ، فإذا صلَّى الغداةَ جلَسَ فى مُصلَّاه حتَّى يحرِّكه اللبن ، فيدعو بالغَداءِ فيأْكل دَجاجتين وفَرخَىْ حَمام ، ونِصْفَ جدى ، وألواناً من لحم ، ثم يخرج فينظُر فى أُمور الناسِ إلى نِصف النهار ، ثم يدخل فيدعو جماعةً من خواصِّهِ وأَعيانِ النَّاس ، ويدعو بالغَداءِ فيتغدَّى ويعظِّم اللَّقم ويُتابع ، فإذا فرغَ من الغَداءِ دخلَ إلىَ نسائه حتَّى يخرجَ إلى صلاة الظُّهر ، ثم ينظر فى أُمور الناس ، فإذا صلَّى العصر وُضِع له سريرٌ ووُضِعت الكراسىُّ للناس ، فإذا أَخذوا مجالسَهم أَتَوهم بعِساس اللَّبَن والعَسَل وأَلوان الأَشْرِبة ، ثم تُوضَع السُّفرةُ والطَّعامُ للعامَّة ، ويوضع له ولإخوانه خِوانٌ مرتفع ، فيأْكلُ معه الوجوهُ ثم يتفرَّقون للصَّلاة ، ثم يأْتيهُ سُمَّاره فيحضرون مجلسَه فيسامِرُونَه حتَّى يذهَب عامَّةُ الليل. وكانَ يُسأَل كلَّ ليلةٍ عَشْرَ حوائج ، فإذا أَصبحوا قُضِيتْ . وكان رزقُه ستَّمائةِ ألفِ درهم ، فكان يقسِم كلَّ شهرٍ فى أَصحابه من قومِه ومن الفقهاءِ والوجوهِ وأهل البِيوتات أَكثَرَ من نِصْفها .

رُوِى أَن شَرِيك بن عبد الله النَّمرى سايَرُه يوماً ، فبرزت بغلَةُ شَريك ، فقال له ابن هبيرة : غُضَّ من لجامها . فقال شريك: إنَّها
١٦٩ مكتوبة ، أَصلح الله الأَمير ! فقال ابنُ هبيرة : ما ذهبتُ حيث أَردتَ .

وقول ابن هبيرة : « غُضَّ من لجامها » ، يشير إلى قول جرير :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نميرٍ   فلا كعباً بلغْتَ ولا كِلابا

فعرَّض له شَرِيك بقول ابن دارة :

لا تأْمَنَنَّ فزاريًّا خلَوْتَ به   على قَلوصِكَ واكتُبْها بأَسيارِ

وكان بنو فزارة فى العربِ يُرمَوْن بإتيان الإبل .

وأَخبار ابن هُبَيرة ومحاسنُه كثيرة .

وقوله : « أَلا إِنَّ عيناً لم تَجُدْ » إلخ افتتح كلامه بحرف التنبيه ، ثم أَخذ يعظِّم أمرَ الفجيعة ويبيِّنُ موقعَها من النُّفوس ، وتأْثيرَها فى القلوب فقال : إنَّ عيناً لم تَجُدْ بدمعها عليك يومَ واسطٍ لَشديدةُ البُخل بما فى شئونِها من الماء .

قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : لم تَجُدْ : لم تسمَحْ بالبكاء . وجَمُود : قليلة الدَّمع ، يقال عينٌ جامدة [وجَمُود[١]] . وسنةٌ جمادٌ : قليلة القَطْر .

وقوله : « عشيَّةَ قام النائحات » إلخ عشيَّة بدلٌ من يومَ واسط .

قال ابن السِّيد (فى شرح أَدب الكاتب) إنْ قيل : كيف جاز أن يعمل فيه لم تجُد ، وقد حال الخبرُ وهو الجَمُود[٢] ، بين العامل والمعمول . ولو قلت : إنَّ الضاربَ أخوك زيدًا ، أَو إنَّ خارجاً غيرُ مصيبٍ يومَ الجمعة[٣] لم يجزْ ، وإنما يجب فيهما تقديم المعمول على الخبر ؟ قلت : إنَّ العشية لمّا كانت بدلاً من يومَ ، والمبدل يقدَّر من جملة أُخرى ويقدَّر معه إعادة العامل جاز ذلك . وقد أَجاز النحويُّون تأَخُّر الصِّفة بعد الخبر فى نحو : إن زيدًا خارجٌ الكريَم ، والصِّفة أَشدُّ اتصالاً بالموصوف من البدل . وأَجازوا ذلك فى المعطوف ، نحو : إنَّ زيداً خارجٌ وعَمراً وعمرٌو : على اللفظ وعلى الموضع . وإذا جاز فى الصفة كان فى البدَل أَجوز .

وقوله : « قام النائحات[٤] » أَى تهَيَّأْن للنَّوح . والمأْتم : النساءُ

(١) التكلة من شرح الجواليقى .
(٢) ش : « جمود » بطرح اللام .
(٣) فى الا قتضاب : « وإن خارجاً يوم الجمعة غير مصيب » ، وما هنا صوابه لأنه المقصود .
(٤) فى النسختين : « وقام النائحات » ، وهو خلاف نص البيت .

يجتمعن فى الخير والشَّرّ ، قال الخطيب : وأَصله من الأَتْم وهو التقاءُ المسلَكين ، ومنه الأَتُوم فى صفة النِّساء .

وقوله : (فإن تَمْسِ مَهجور) إلخ الفِناءُ بكسر الفاءِ والمد: ساحة الدّار . و (الوفود) : الزوّار وُطلاب الحاجات . قال المرزوقى: الرواية المختارة : « وربَّما أَقام » بالواو . وذلك أَنَّ جواب الشرطِ فى قوله :

* فإنّك لم تبعُدْ على متعهِّدِ *

ويَصير « وربَّما أَقام » بيانَ الحال فيما تقدَّم من رياسته وقت توفُّر الناس على قَصْدِه وزيارته . والمعنى: إن مُتَّ وصرتَ مهجورَ السَّاحة ، وربَّما كانت الوفود تزدحم على بابك ، فإنَّك السَّاعةَ لم تبعُد على من يتعهَّدك ويريد قضاءَ حقِّكَ، وإقامةَ الرَّسمِ فى زيارتك. ثم قال مستدركاً على نفسه :

* بلَى كلٌّ من تحتَ التراب بعيدُ *

ويريد بالمتعهِّد متتبِّعَ العهُود بالحفظ لها ، ومنْعها من الدروس. وإذا روَيْتَ « فربَّما » وجعلتَه جواب الشرط يكون « فإنّك لم تبعُد» استئنافَ كلام . والمعنى : إنْ هُجِرَ فناؤك اليومَ فربَّما كانَ مألُفاً للوفود أَيّام حياتك . وتقول العرب : هذا بذاك، أَى عوضٌ من ذاك.

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : ينبغى أَن يكون جوابُ الشرط مستقبَلاً ، وربَّما جاءَت مكانه جملةٌ ماضيَّة[1] ، والشرط لا يصح إلَّا بالاستقبال ، والمستقبلُ لا يكون علَّة للماضى ؛ لئلاَّ

---

(١) يقال فى النسبة إلى الماضى «ماضوى»، و « ماضى » ، والصيغة الأخيرة أرجح . ونص إعراب الحماسة : « وربما كا يرى ماضية » .

يتقدم المعلولُ على علَّتِه . وإذا كان الأَمر كذلك فالكلام محمولٌ على معناهُ دونَ لفظه. ألا ترى أَنَّ معناه [إنْ[١]] أَمسيتَ هكذا فتسلَّ عنه بذكر ما مضى ، أى فليكن هذا بإزاءِ ذلك . انتهى .

وهذا البيت من الاستدراك ، وهو من محاسن الشعر . والاستدراك: أَن يـأْخذ الشاعر فى معنًى يرسِلُه ، أَو وصفٍ يَذكُره يستدركه على نفسه[٢] .

١٧٠ أبو عطاء السندى

وأَبو عطاءٍ السندىُّ قيل اسمه مرزوق ، وهو قول ابن قتيْبة . وقال أَبو عُبيدٍ البكرىُّ (فى شرح أَمالى القالى) : هو أَفلح بن يسار ، مولًى لبنى أَسد . وكان يسارٌ سِندِيًّا أَعجميًّا لا يُفصح ، وأَبو عطاءٍ ابنه عبدٌ أَسودُ لا يكادُ يفصح أَيضاً ، جمعَ بين لُثْغةٍ ولُكنَة ، وهو مع ذلك من أَحسنِ الناس بديهةً ، وأَشدِّهم عارضةً وتقدُّماً .

وهو شاعرٌ فحل فى طبقته ، أَدرك الدولتين. وكان من شعراء بنى أُميَّة وشِيعتهم ، وهجا بنى هاشم ، ومات عَقِب أَيَّام المنصور . ودخل يوماً على المنصور وهو يَسحَبُ الوَشْىَ والخزَّ ، فقال له المنصور : أَنَّى لك هذا يا أَبا عطاءٍ ؟ فقال: كنت أَلبس هذا فى الزَّمن الصالح . ثمَّ ولَّى ذاهباً فاستخفى ، فما ظهر حتَّى مات المنصور .

فمما قال فى بنى هاشم :

بنى هاشمٍ عُودوا إلى نَخَـلاتِكمْ ... فقد قـام سِعْرُ التَّمر صاعٌ بدرهمِ

فإنْ قلتُم رهط النبىِّ صَدقتمُ ... فهذِى النَّصارى رهطُ عيسى بنِ مريَمِ

انتهى .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) انظر تحرير التحبير ٣٣١ - ٣٣٨ والبديع لابن المعتز ١٠٨ . وسماه ابن المعتز الرجوع .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : أبو عطاءٍ السِّنديّ اسمه مرزوق ، وكان جيِّد الشِّعر ، وكانت به لُكنة . قال حمادُ الراوية : كنت يوماً وحمادُ عجردٍ وحمادُ بنُ الزِّبرقان مجتمعِينَ ، فنظَر بعضُنا إلى بعضٍ فقلنا : لو بعثنا إلى أبي عطاءٍ . فبعثْنا إليه فقلنا : من يحتالُ حتَّى يقول : جرادة، وزُجّ ،وشَيطان ؟ فقلت : أنا . وجاءَ فقال : مَنْ ههنا؟ فقلنا : ادخلْ . فدخَل فقلنا : أتتعشَّى ؟ فقال : قد تأَسَّيت . قلت : أفتشرب ؟ قال : بلى . فشرب حتَّى استرخَى . فقال حمادُ الراوية : كيف بَصرُك باللُّغز ؟ قال : هَسَن . قال :

فما صفراءُ تُكنَى أمَّ عوفٍ كأَنَّ رُجَيْلَتَيْها مِنْجلانِ[1]

فقال : زَرَادة . قال : أصبتَ . ثم قال :

فما اسمُ حديدةٍ فى الرُّمح تُرسَى دُوَينَ الصَّدْرِ ليسَت بالسِّنانِ

قال : زُزّ . قال : أحسنت . ثم قال :

أتعرفُ مسجداً لبنى تميمٍ فُوَيقَ المِيلِ دُونَ بنى أبانِ

قال : بنى سَيْتان . فقلنا: أصبت يا أبا عطاءٍ، وضحكنا . انتهى[2] .

وفى رواية غيره أنَّه أجابه فى الأول ببيت وهو :

فتلك زَرادةٌ وأَذُنُّ ذَنًّا بأَنَّك قد عنيْتَ به لسانِى[3]

يريد بالزَّرادة الجرادة . وأَذُنُّ ذَنًّا ، أى أظنُّ ظَنًّا .

• • •

(١) فى العقد والشريشى ٢ : ١٢٣ : « كأن سويقتيها » . وانظر الحيوان ٥ : ٥٥٨ .
(٢) تصرف البغدادى يسيرا فى هذا النقل . والخبر بصورة أخرى فى الأغانى ١٦ : ٨٠ والعقد ٦ : ٤٧١ .
(٣) ط : « وأدن دنا » فى هذا الموضع وتاليه ، وأثبت ما فى ش وفى الشعراء والأغانى : « وأزن زنا » بالزاى فيهما . والبيت لم يرد فى العقد .

وأنشد بعده :

(هذا سُراقةُ للقرآن يدرُسُه)

على أنَّ الضمير فى (يدرُسه) ضمير المصدر المفهوم من يدرُس ، أى يدرس الدَّرس .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهد الثانى والثمانين[١] . وتمامه :

(والمرءُ عند الرُّشَا إنْ يَلْقها ذِيبُ)

* * *

١٧١ وأنشد بعده :

(غيرُ مأْسوفٍ على زَمنٍ ينقضى بالهَمِّ والحَـزَنِ)

وتقدَّم شرحُه فى الشاهد الثالث والخمسين من باب المبتدإ[٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[٣] :

٧٩٦ (يا رُبَّ هَيْجا هى خيرٌ مِن دَعَهْ)

على أنَّه يجوز أن تقع الجملة الاسمية نعتاً لمجرورِ رُبَّ ، فـ (هىَ) مبتدأٌ و(خيرٌ) خبره . والجملة نعت لِهَيجَا ، وهى الحرب ، تمدُّ وتقصر ، وهى هنا مقصورة .

و (الدَّعَة) : الخفض والراحة . والهاءُ عوضٌ مِن الواوِ ، تقول منه : وَدُعَ الرَّجلُ بالضم فهو وديع ، أى ساكن، ووادعٌ أيضاً. والموادَعة :

---

(١) الخزانة ٢ : ٣ – ٤ .

(٢) الخزانة ٣٤٥ – ٣٤٨ .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٢٧ . وانظر مجالس ثعلب ٤٤٢ ، ٤٤٩ والأغانى ١٤ : ٩٢ وأمالى المرتضى ١ : ١٩١ والعمدة ١ : ٢٧ والهمع ٢ : ٢٥ وديوان لبيد ٣٤٠ .

المصالحَة. ويا: حرف تنبيه ، أو حرف نداءٍ ، والمنادى محذوف . ورُبَّ هنا للتكثير ، وهى اسمٌ مبتدأٌ على ما اختاره الشارح المحقِّق لا خبر لها ، والجملة التى هى نعت مجرورها قد سدَّت مسد الخبر ، لا يقدَّر لها جواب يعمل فى محلِّ مجرورها .

صاحب الشاهد

وهو من رجزٍ للبيد بن ربيعة العامرىِّ الصَّحابىّ، أورده ثعلبٌ (فى أماليه) ، وهو :

أشطار الشاهد

(لا تزجُرِ الفِتيانَ عنسُوءِ الرِّعَه ... يا رُبَّ هيجَا هى خيرٌ من دَعَه
فى كــلِّ يومٍ هامتــى مقزَّعَه ... نحنُ بنو أُمِّ البنينَ الأَربعَــه
نحنُ خيــارُ عــامِرِ بنِ صَعصَعَه ... المُطعِمون الجَفْنــةَ المُدَعدَعه
والضــاربونَ الهامَ تحتَ الخَيْضَعه ... يا واهبَ المالِ الجزيلِ مِنْ سَعَه
إليــكَ جــاوَزنا بــلاداً مَسْبَعه ... إذ الفلاة أَوحشَتْ فى المعمعَه[1]
يخبرْكَ عن هذا خبيرٌ فاسمعَه)

فقال النعمان : ما هو ؟ فقال :

* مهلاً أبيتَ اللَّعن لا تــأْكلْ معــه *

فقال النُّعمان : ولِم ؟ قال :

* إنَّ استَه من بَرَصٍ ملمَّعه *

قال النعمان : وما علىَّ ؟ ! قال :

(وإنَّه يُدخِلُ فيها إصبَعه ... يُدخِلُها حتَّى يُوارى أَشجَعه
كأنَّما يطلُب شيئاً ضيَّعه)

الرِّعة : حالة الأَحمق التى رَضِىَ بها . وقوله : « مقزَّعة»، يقول: أنا

(١) فى مجالس ثعلب : « إذا الفلاة » . والشطر لم يرد فى الأغانى .

أُقاتِلُ فى كلِّ يوم وأُقاتَل . والمدعدعة : المملوءة . والخَيْضعة : أصوات الحرب . انتهى .

وهذا السياق مبتورٌ لا يُنتَفَع به . وأوفى ما رأيته ما رواه السيد المرتضَى علمُ الهدى (فى أماليه المسمَّاة بغرر الفرائد ، ودرر القلائد) قال :

إنَّ عُمارة ، وأنساً ، وقيساً ، والربيعَ ، بنى زيادٍ العبسيِّين ، وفَدوا على النُّعمان بن المنذر ، ووفد عليه العامريُّون بنو أُمِّ البنينَ ، وعليهم أَبو بَراءٍ عامرُ بنُ مالك بن جعفر بن كلاب . وهو ملاعب الأَسِنَّة ، وكان العامريُّون ثلاثين رجلا ، وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جَعفر ابن كلاب ، وهو يومئذٍ غلامٌ له ذُؤابة . وكان الرَّبيع بن زياد العبسىُّ ينادم النُّعمان ويُكثِر عنده ، ويتقدَّم على مَن سواه ، وكان يُدعَى الكاملَ لشَطاطِه وبياضِه وكمالِه(١) ، فضرب النعمانُ قبَّةً على أَبى بَراء ، وأجرى عليه وعلى مَنْ كان معه النُّزُل ، وكانوا يحضرون النُّعمانَ لحاجتهم ، ١٧٢
فافتخرُوا يوماً بحضرته ، فكاد العبسيُّون يغلبون العامريِّين . وكان الربيعُ إذا خلا بالنُّعمان طعَن فيهم وذَكَر معايِبَهم ، ففعل ذلك مِراراً لِعداوتهم لبنى جعفر ، لأَنَّهم كانوا أَسَرُوه ، فصدَّ النُّعمانَ عنهم حتَّى نزع القُبّةَ عن أَبى بَرَاءٍ ، وقطع النُّزل ، ودخَلوا عليه يوماً فرأَوا منه جَفاءً وقد كان قبل ذلك يُكرمهم ويقدِّم مجلسَهم ، فخرجوا من عنده غِضاباً وهمُّوا بالانصراف ، ولبيدٌ فى رحالهم يحفظُ أَمتعتَهم ويَغدُو بإبلهم فيرعاها ، فإذا أَمسى انصرفَ بها . فأَتاهم تلك الليلةَ ، وهم يتذاكرون أَمْرَ الرَّبيع ، فقال لهم : ما لكم تتناجَوْن ؟ فكتَمُوه وقالوا له : إليكَ عَنَّا .

---

(١) الشطاط ، كسحاب وكتاب أيضا : الطول واعتدال القامة .

فقال : أخبروني فلعلَّ لكم عندى فرجاً . فزجروه فقال : لا والله لا أحفظ لكم ولا أُسرِّح لكم بعيراً أَو تخبروني . وكانت أُم لبيدٍ عبْسيّة في حِجْر الربيع ، فقالوا له : إنَّ خالك قد غَلَبنا على المَلِك ، وصَدَّ عنَّا وجهَه . فقال لهم : هل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غدًا حين يقعد الملك ، فأَرجُزَ به رَجزًا مُمِضًا مؤلماً . لا يلتفت إليه النُّعمان بعده أبدا ؟ قالوا له : وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم . قالوا : إنَّا نَبْلوكَ بشَتْم هذه البقلة ، وقُدَّامَهم بقلةٌ دقيقةُ القضبان ، قليلةُ الورق، لاصقةٌ فروعُها بالأَرض – تدعى التَّرِبة – فأَقتلعها من الأَرض وأخذها بيده وقال: « هذه البقلة التَّرِبة الثَّفِلة الرَّذْلة ، التي لا تُذكِيَ ناراً ، ولا تسرُّ جاراً[1] ، عودها ضئيلٌ، وفرعها ذليل ، وخيرُها قليلٌ . بلدُها شاسع، ونبتها خاشع ، وآكلها جائع ، والمقيمُ عليها قانع . أقصرُ البقولِ فرعاً ، وأخبثها مرعًى ، وأَشدُّها قلعا ، فحَرَباً لجارِها وجَدْعا[2] . اَلقَوْا بي أخا عبس ، أُرجِعْه عنكم بتَعْس ونكس ، وأتركْه من أمره في لَبْس » .

فقالوا : نصبح ونرى فيك رأينَا . فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، فإنْ رأيتموه نائماً فليس أَمرُه بشيء، إنَّما تكلَّم بما جرى على لسانه . وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم . فرَمَقُوه بأَبصارهم فوجدوه قد ركب رَحْلاً يكدِم واسطتَه حتَّى أَصبح . فلمّا أَصبحوا قالوا : أَنت والله صاحبُه[3] . فحلَقُوا رأسه وتركوا له ذُؤابتين ، وألبسوه حُلَّةً وغَدْوا به معهم ، فدخلوا على النُّعمان فوجدوه يتغدَّى ، ومعه الربيعُ ، ليس معه

---

(١) في أمالي المرتضى : « ولا تؤهل داراً ولا تستر جاراً » و « تستر » محرفة عن « تسر » كما في الخزانة هنا والأغاني ١٤ : ٩١ .

(٢) الحرب ، بالتحريك : أن ينهب مال المرء ويترك لا شيء له .

(٣) أي صاحب الربيع ، تستطيع مغالبته . أو صاحب هذا الأمر لا يقدر عليه غيرك .

غيره ، والدّار والمجالس مملوءةٌ بالوفد . فلمّا فرغ من الغَداءِ أَذِن للجعفريِّين فدخلوا عليه ، والربيعُ إلى جانبه . فذكروا للنُّعمانِ حاجتَهم ، فاعترَضهم الرَّبيعُ فى كلامهم ، فقال لبيد ، وقد دَهن أَحَدَ شِقَّى رأسِه[(١)] وأَرخَى إزارَه ، وانتعل نعلاً واحدة — وكذلك كانت الشعراءُ تفعل فى الجاهلية إذا أرادت الهجاءَ — فمَثَل بين يديه ثم قال :

يارُبَّ هَيْجا هى خيرٌ مِن دَعَـهْ إذْ لا تزالُ هامتى مقَـزَّعَـهْ
نحنُ بنى أُمِّ البنيـنَ الأَربعَـهْ ونحن خيرُ عامِرِ بنِ صعصعه[(٢)]
المُطعِمـون الجفنةَ المُدعدَعهْ والضّـاربونَ الهامَ تحتَ الخَيْضَعهْ
مَهلاً أَبيتَ اللَّعنَ لا تـأْكُلْ مَعَـهْ إنَّ استَـه من برصٍ مُلمَّعَـهْ
وإنَّه يُدخِـل فيهـا إصبَعَـه يُدخِلهـا حتَّى يوارِى أشجَعَـهْ
كأنَّمـا يطلبُ شيئاً ضيَّعه

١٧٣ فلما فرغ لبيدٌ التفتَ النُّعمانُ إلى الربيع يَرمُقه شَزْرا . قال : أَكذلك أنت ؟ قال : كذب والله ابنُ الحَمِقِ اللّئيم ؟ فقال النعمان : أُفٌّ لهذا الطعام ، لقد خَبُثَ علىَّ طعامى . فقال الربيع : أَبيتَ اللَّعنَ، أَمَا إنِّى قد فعلتُ بأُمِّه ! لا يكنِى . وكانت فى حجره . فقال لبيد : أنت لهذا الكلام أهل ؟ ! أما إنَّها من نسوةٍ غير فُعُل ، وأنت المرءُ قال هذا فى يتيمته .

ووجدتُ فى رواية أُخرى[(٣)] : « أَمَا إنَّها من نسوةٍ فُعُل». وإنَّما قال ذلك لأنَّها كانت من قوم الرَّبيع ، فنسبها إلى القبيح وصَدَّقه عليها، تهجيناً له ولقومه .

---

(١) فى النسختين : « إحدى شقّ رسه » ، صوابه فى أمالى المرتضى . وفى الأغانى : « فعمدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته ، وألبسوه حلة » .

(٢) بين هذا الشطر وسابقه فى الأغانى :

* سيوف جز وجفان مترعه *

(٣) القائل هو الإمام المرتضى . وفى الأمالى : « قال سيدنا أدام الله علوّه » .

فأمر الملكُ بهم جميعاً فأُخْرِجُوا ، وأعادَ على أبى براءٍ القُبَّة ، وانصرف الرَّبيعُ إلى منزله فبعث إليه النعمانُ بضِعْفِ ما كان يحبُوه به ، وأمره بالانصراف إلى أهله . فكتب إليه : إنِّى قد تخوّفت أن يكون قد وقع فى صدرك ما قال لبيد ، ولستُ برائمٍ حتَّى تبعَثَ من يُجَرِّدُنى ليعلمَ من حَضَرك من النَّاس أنِّى لست كما قال . فأَرسل إليه : إنَّك لَست صانِعاً بانتفائك ممّا قال لبيدٌ شيئًا ، ولا قادراً على رَدِّ ما زلَّت به الأَلسُن ، فالحقْ بأَهلك ! ثم كتب إليه النعمان فى جملةِ ما كتبه أبياتاً جواباً عن أبيات كتبها إليه الربيع مشهورة :

شَمِّر برَحلِكَ عنِّى حيثُ شِئتَ ولا
تُكثِرْ علىَّ ودع عنْكَ الأَقاويــلا
قــد قيل ذلك إنْ حقًّــا وإنْ كذباً
فمــا اعتذارُك مِن شىءٍ إذا قِيــلاَ

وقد جاءَنا هذا الخبر من عدَّة طرق ، وفى كلٍّ زيادةٌ على الآخر ، ولم نأْتِ بجميع الخبر على وجْهِه ، بل أَسقَطْنا منه ما لم نحتجْ إليه.انتهى.

وقال أبو الحسن الطوسى (فى شرح ديوان لبِيد) : إنَّ بنى أُمِّ البنينَ وجماعةً منهم ، أَتَوُا النُّعمانَ أَوَّلَ ما مَلك ، فى أُسارَى من بنى عامر يَشترونهم منه . إلى آخر ما أوردناه فى الشاهد الثامن والأَربعين بعد المائتين[1] فى شرح قوله :

قد قيل ذلك إنْ حقًّا وإن كذباً . . . البيت

وساق هذا الخبرَ كالطُّوسىِّ الخطيبُ التِّبريزى (فى شرح ذيل

(١) الخزانة ٤ : ١٠ – ١٣ .

المعلقات) ، وأورد الأَبياتَ كثعلبٍ إِلّا البيتَ الأَوّل ، وقولَه :

* يُخبِرك عن هذا خبيرٌ فاسمَعه *

فإنّه أسقَطهُما .

وقوله :

* فى كلّ يومٍ هامتى مقزعهْ *

قال السيِّد المرتضَى : القَزَع : تساقُط بعضِ الشعر والصُّوف وبقاءُ بعضِه . يقال كبشٌ أَقزَع وناقةٌ قزعاءُ .

وقوله : « نحن بنو أُمّ » إلخ هذا البيت من شواهد سيبويه . أورده فى باب الاختصاص الذى يجرى على ما جرى عليه النِّداءُ . قال : وأمّا قول لبيد :

* نحن بنو أُمِّ البنينَ الأَربعهْ *

فلا ينشدونه إلّا رفعاً ، لأَنّه لم يُرِدْ أن يجعلَهم إذا افتخروا أَنْ يُعَرفوا بأَنَّ عَدَّتَهم أَربعة ، ولكنه جعل الأَربعة وصفاً ثم قال : المطعمون الفاعلون ، بعد ما حلاَّهم ليُعَرفوا . انتهى .

وخالفه المبرد وقال : النصب فيه جيِّد على وجهين :

أحدهما : أَنَّ أُمَّ البنين امرأَةٌ شريفة ، وبنوها الأَربعةُ كلُّهم سيِّد ، فيُنصَب (بَنِى) على الفخر .

والوجه الآخر : على معنى أَعنى ، بلا مدحٍ ولا ذمّ .

قال النحَّاسُ بعد ما نقله : هذا الذى ذهب إليه سيبويه صحيحٌ ، أَلَا تَراه قال : إنّه لم يرد أن يجعلهم إلخ . فهذا قولٌ صحيح . فيجوز أن يكون بنو خبر نحن ، والأَربعة نعتٌ كما قال سيبويه ، والمطعمون

خبر[١] بعد خبر. ويجوز أن يكون بدلا من نحن والمطعمون خبر، والأَربعة
١٧٤ صفة للبنين . فإذا رفع فإنَّما أفاد هذا النَّسَب . فإذا نصب فالخبر ما بعده ، ونصبه على الاختصاص . انتهى .

وكذا ذهب ثعلبٌ (فى أماليه) قال : بعضهم ينصب بنى ، وليس بالوجْه ، لأَنَّه ليس مدحاً يمدح نفسَه بأَنَّ عددهم أَربعة . والعرب تفعل هذا فى بنى ، ورهط ، ومَعشَر ، وآل . قال الفرَّاءُ : كأَنَّهم قالوا : نحنُ جميعاً نقول ذلك[٢] . انتهى .

أم البنين وأُمُّ البنين اسمُها ليلى بنتُ عامر . قاله السُّهيلى (فى الروض) .

وقال السيد المرتضَى : هى بنت عمرو بن عامربن ربيعة بن صعصعة، وكانت تحت مالك بنجعفر بن كلاب، ولدت له عامرَ بنَ مالكٍ ملاعبَ الأَسنَّة . وطُفَيلَ بن مالك فارسَ قُرزُل ، وهو أَبو عامر بن الطفيل ، وقُرزُل : فرسٌ كانت له . وربيعةَ بن مَالك أَبا لبيد،وهو ربيعُ المُقْتِرِين . ومعاوية بن مالك مُعوِّد الحكماء . وإنَّما لقِّب بِهذا لقوله :

أُعوِّد مثلَها الحكماءَ بعدى ... إذا ما الحقُّ فى الأَشياعِ نابا

وولدَتْ عُبيدةَ الوضَّاحَ . فهؤلاءِ خمسة . وقال لبيد : أَربعة ، لأَنَّ الشِّعر لا يمكنه غير ذلك[٣] .

قال السُّهيلى : وسمِّى ملاعبَ الأَسنَّة فى يوم سُوبان ، وهو يومٌ كانت فيه وقعةٌ فى أَيَّام جَبَلة ، وهى أَيَّام حربٍ كانت بين قيس وتمم . وجَبَلة : اسمٌ لهضبة عالية . وسبب تسميته ملاعبَ الأَسنَّة أَنَّ أَخاه

(١) ما بعده إلى « خبر » التالية ساقط من ش
(٢) فى مجالس ثعلب ٤٤٣ : « نقول ذاك » .
(٣) فى أمالى المرتضى ٦ : ١٩٤ : « لم يمكنه من ذلك »

الذى يقال له فارس قُرزُل ، وهو الطُّفيل ، كان أسلمَه فى ذلك اليوم وفَرَّ ، فقال شاعر :

فَرْرتَ وأسلمتَ ابنَ أُمِّك عامراً ... يُلاعِبُ أطرافَ الوشيجِ المزعزعِ

فسمِّى ملاعبَ الرِّماح ، ومُلاعِب الأَسنَّة . قال لبيد :

وأَبْنِى مُلاعِبَ الرِّماحِ ... ومِدْرَهَ الكتيبةِ الرَّدَاحِ [1] . انتهى .

وقال مُغُلْطاىُ (فى الزَّهر الباسم [2]) : يخدش فيه ما ذكره سابقاً: أنَّ عامرَ بن مالكٍ ملاعبَ الرِّماح ، وعامرَ بن الطُّفيل ملاعب الأَسنَّة لقِّبا بهما مبالغةً فى وصف شجاعتهما .

ثم قال السُّهيلى : وسُمِّى معاوية معوِّدَ الحكماء بقوله :

يُعوِّد مثلَها الحكماءُ بعدى ... إذا ما الأَمرُ فى الحَدَثانِ نابا [3]

وفى هذا الشعر :

إذا سقطَ السَّماءُ بأَرضِ قوم ... رَعيناهُ وإن كانوا غِضابا

وقول السيد المرتضى : إنَّ لبيدًا إنَّما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر ، هذا قولُ الفرَّاءِ ، وهو قولٌ فارغ . والصواب كما قال ابن عصفور (فى الضرائر) [4] : لم يقل إلَّا أربعة ، وهم خمسةٌ ، على جهة الغلط . وإنَّما قال ذلك لأَنَّ أباه كان مات وبقى أعمامُه وهم أربعة .

وهو مسبوقٌ بالسُّهيلى فإنَّه قال : وإنَّما قال الأَربعة لأَنَّ أباه كان

(١) المدره : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم ، وهو أيضا رأس القوم والدافع عنهم . ط : « مدرة » صوابه فى ش والروض الأنف ٢ : ١٧٥ وديوان لبيد ٣٣٣ . ويروى : « وعامر الكتيبة » . والرداح : الضخمة الكثيرة .

(٢) الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم ، وعندى منه مصورة .

(٣) وكذا فى الروض . وصوابه « أعود مثلها » كما فى القاموس (عود) والمفضليات ٣٥٨ .

(٤) الضرائر ٢٤٩

قد مات قبل ذلك ، لا كما قال بعضُ الناس . وهو قولٌ يعزَى إلى الفرَّاءِ ، أنَّه قال : إنَّما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافى . فيقال له : لا يجوز للشَّاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن .

وأعجب من هذا أنَّه استشهد به على تأويلٍ فاسدٍ تأوَّله فى قوله سبحانه : ﴿ وَلِمَنْ خافَ مَقام رَبِّهِ جَنَّتان[1] ﴾ وقال: أراد جَنَّة واحدة وجاءَ بلفظ التثنية لتتَّفق رءُوس الآى، وكلامًا هذا معناه . فصَمِّى صَمامِ ما أشنع هذا الكلام ، وأبعده عن العلم وفَهْم القرآن، وأقَلَّ هيبَةَ قائِله من أن يتبوَّأ مقعدَه من النار ، فَحذارِ منه حذار .

١٧٦ وممَّا يدلُّكَ أنَّهم كانوا أربعةً حين قال لبيدٌ هذه المقالة أنَّ فى الخبر يُتْمَ لبيدٍ[2] وصِغَر سِنِّه ، وأنَّ أعمامه الأربعة استصغروه أن يُدخِلوه معهم إلى النعمان . فبان بهذا أنَّهم كانوا أربعة. ولو سكت الجاهلُ لقلَّ الخلاف . انتهى .

وقوله :

* المطعِمُون الجَفنةَ المدعدعهْ *

الجفنة ، بفتح الجيم: القَصْعة الكبيرة . قال أبو حنيفة (فى كتاب النبات) : ولا آنيةَ أكبر من الجَفنة . والمُدعدعة فى قولِ لبيد[3] هى المملوءة ، فهو بالدَّال المهملة . قال فى الصحاح : دعدعت الشىءَ: ملأته .

---

(١) الآية ٤٦ من سورة الرحمن . ولعله فى كتاب آخر للفراء ولم أجد الفراء قد استشهد بالرجز فى معانى القرآن ، ولا ذكر تعليله باتفاق رءوس الآى . انظر المعانى ٣ : ١١٨ .

(٢) فى الروض : « ذكر يتم لبيد » .

(٣) فى النسختين : « والمدعدعة قال لبيد » ، والوجه ما أثبت .

وجفنةٌ مُدعدَعة أى مملوءة . وقوله : « تحتَ الخَيْضعة » بالخاء والضاد المعجمتين . قال السيِّد : ذكر الأَصمعىُّ أَنَّ لبيدًا قال : تحت الخَضَعة يعنى الجلَبَة والأَصوات ، فغيَّرته الرُّواة . وقيل : إنَّ الخيضعة أصواتُ وَقْع السُّيوف . والخَيضَعة أيضاً : البيضة التى تُلبَس على الرأس . والخيضعة : الغُبار . والقول يحتمل كُلَّ ذلك[1] . انتهى .

وقال أبو عُبيدٍ (فى الغريب المصنَّف) : الخيضعة : البَيْضة . وأنشدَ هذا البيت :

وردَّ عليه على بن حمزة (فى كتاب التنبيهات) بأَنَّ هذا لم يقُله أَحدٌ قطّ ، وإنَّما اختلاف أَهلِ العلم فى رواية الشعر ، فرواه قوم : تحتَ الخيضعة كما رُوى ، وفسَّرُوه بأَنْ قالوا : الخيضعة : اختلاط الأَصوات فى الحرب . ورواه آخرون : « تحت الخَضَعة » وقالوا : هى السُّيوف . وقال أَبو حاتم : إنَّما قال لبيدٌ تحتَ الخَضَعة ، فزادُوا الياءَ[2] فِراراً من الزِّحاف . انتهى .

وقوله : « بلادًا مَسْبَعة » البلاد : الأَراضى . وأَرضٌ مَسبَعة بالفتح ، أى ذات سباع . والمعمعة . قال صاحب الصحاح : هى صوتُ الحريق فى القَصَبِ ونحوِه ، وصوتُ الأَبطال فى الحرب . والملمَّع : الذى يكون فى جسَده بُقَعٌ تخالف سائرَ لونه . والأَشجع : أُصولُ الأَصابع التى تتَّصل بعصب ظاهر الكفّ .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[3] .

---

(١) ط : « يحتمل على ذلك » . ش مع أثر تغيير : « محتمل على ذلك » ، صوابهما ما أثبت من أمالى المرتضى .

(٢) كذا فى ط والتنبيهات ٢١٩ . وفى ش : « فزاد » ، تحريف .

(٣) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

وأورد ابن الحباب السَّعدى (فى كتاب مساوى الخمر)[1] حكايةً مناسبة رأينا إيرادَها هنا ، قال :

ذكر بديعُ الزَّمان الهَمَذَانىّ أنَّه لاعبَ أبا سعيدٍ ، خليفةَ أَبى علىٍّ الحسين ابن أحمد بجرجان، الشِّطرَنج عَلى خاتَمين ، فَمَرَهُ البديعُ عليهما ، فأَبى أن يعطيَه إيَّاهما ، فذكر قصّةً طويلة أفضَتِ الحالُ فيها بينهما بعد مراسلاتٍ بهجاءٍ من البديع وإغلاظٍ من الآخَر ، إلى أن اجتمعَ هو والبديعُ على مائدةِ صاحِبه أبى علىٍّ الحسين .

قال البديع : وكان هذا الرجلُ أقرعَ ، ولم يكن أحدٌ يجسُر أن يذكُرَ بحضرته القَرْع ولا القُرعة ، ولا تَقارُعَ الأَقرانِ ، ولا الأَقرعَ بنَ حابس ، ولا بنى قُريع ، ولا يقرأُ سورة القارعة . فلمَّا وُضعت المائدةُ أَمسكتُ عن الطعام ، فقال : مالكَ لا تـأْكل ؟ فقلت : وأَشرتُ إلى أبى سعيد :

مهلاً أبيتَ اللَّعنَ لا تـأْكُلْ معهَ　　استقذِرَنْهُ وتجنَّبْ قَـرَعَه
فإنّه يُنْحِـى عليهـا إصبعَه　　يحكُّ تلك الهـامةَ الملمَّعه
لا تُدنه وذلك الـرأْسُ معه　　ومُرْه إنْ أدنيتَـه أنْ يَضعَه
إنْ لم يزايل عن حِماك موضعَه　　فارسُم لفرَّاشك ذا أنْ يصفَعَه

قال : فأَطرقت الجماعة ، وبقى الأُستاذ داهشًا ، ثم قال : يا مولاى إن لم يحتشمنى ما يحتشم المائدة ؟ فقلت له : أطال الله بقاءك ، ما أسرعَ ١٧٦

(١) سماه فى ٥ : ٣٣٠ « مساوى الخمرة » وقال : « وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدين » . وذكر الميمنى فى الإقليد ١٠٢ أن بحيدر آباد جزءا من كتاب « الكشف عن مساوى الخمرة » مخروم الأول .

ما أراكَ تتقذَّر ؟ وحَيَاتِك عليَّ لأُنشدنَّك فيه ألفَ بيت بعضُها يلعنُ بعضاً ، إلّا أنْ يُعطِيَنى خاتَمَيْه عَطاءً صُغْرِيًّا[1] . فقال الأُستاذ: أمرُ الخاتَمين أسهلُ ، فما السَّبَب ؟ فقصصت القصَّة عليه ، فمال إليه وقال : أشهد أنَّك ساقط الهمّة ، أمَا علمت أنّه إن قُمِرَ أو قَمَرَ أعطى الخَطَر ! ثُمَّ تناول الخاتَمين وناولنيهما ،وسألني السُّكوتَ عنه ،وعاهدني أن لا أزيد. انتهى.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد السبعمائة[2] :

٧٩٧ (رُبَّ رِفْدٍ هَرَقتَه ذلك اليو مَ وأَسْرَى من مَعْشَرٍ أَقْيَالِ)

على أنَّ الأكثر مراعاة الأصل فى وقوع صفةِ مجرورِ رُبَّ جملةً فعليَّة سواءٌ كانت مذكورةً أو مقدَّرة .

وقد اجتمعا فى هذا البيت . أمّا الأوّل فهو جملة « هرقتَه » صفة لرفد ، وهو القدح الكبير . وإراقةُ الرِّفد كنايةٌ عن القتل والإماتة .

وأمّا الثانى فإنَّ أسرَى مجرور بربّ المذكورةِ بطريق التَّبعيَّة ، ومن معشر متعلِّق بأسرى ، وصفة أسرى محذوفٌ تقديره : حصَلْت لى ، ولا جواب لربَّ فى الموضعين ، لأنَّ معنى الكلام تامٌّ لا يفتقر إلى شىء سِوى الصِّفة المقدرة . ورُبَّ اسمٌ محلُّها الرفع على الابتداء لا خبر لها ، للاستغناء بالصفة عن الخبر . هذا تقدير كلامه .

وأقول : يؤخذ من تقديره (حصلَتْ لى) أنَّ تاءَ هرقته مضمومة . وليس كذلك، فإنَّ هذا الكلام خطابٌ للأسود بن المنذر كما يأتى بيانه ، فكان ينبغى أن يقول : حصلَتْ لك بالخطاب . وقد أصاب فيما يأتى قريباً[3] : « وأسرى من معشرٍ أقيال ، أى أسَرْتَهم » .

---

(١) أى عن صغار وذلة . والصغر ، بالضم والتحريك : الصغار والذلة .

(٢) ابن يعيش ٨ : ٢٨ والمغنى ٥٨٧ والعينى ٣ : ٢٥١ والهمع ١ : ٩ وديوان الأعشى ١٣ .

(٣) يعنى ما أورده الرضى بعد الكلام السابق ، وهو « وأسرى من معشر » إلخ . وانظر الرضى ٢ : ٣٠٩ س٩

وقوله: (رفد) الرِّفد : القَدح الضَّخم، وهو قول الأصمعيِّ فيما نقله أبو حنيفة(فى كتاب النبات) عند ذكر أقسام الأَوانى ، وضبطه بكسر الراء ، وأنشد هذا البيتَ وقال : وكذلك المِرْفَد بكسر الميم .

وكذا نقل ابن الأَنبارى (فى شرح المفضَّليّات) عن أحمدَ بن عُبيدٍ تلميذِ الأَصمعى . قال : ورَوَى أحمدُ: « ربَّ رِفْدٍ » الرِّفد بالكسر ، وقال هو القَدَح . والرَّفدْ بالفتح : العَمَل .

قال ابنُ الأَنبارىّ : وقال أبو عُبيدةَ : الرَّفد بفتح الراء : القَدَح الضَّخم بما فيه من القِرى . والرِّفد بالكسر : المَعُونة . يقال رفدْتُه عند الأَمير ، أى أعنته . (هَرَقته) أَصله أرقته ، فالهاء بدلٌ من الهمزة .

وقوله « هريق رفدُه كنايةٌ عن الموت[1] » ، هو أَحدُ قولين . قال الزَّمخشرىُّ (فى أَساس البلاغة) : هريق رفد فلانٍ ، إذا قُتل ، كما يقال : صَفِرت وِطابُه ، وكُفِئَتْ جَفنتُه .

وقال ابن الأَنبارى عند قول سَلمَة بن الخُرشُب الأَنمارىّ :

هَرَقْنَ بساحوقٍ جِفاناً كثيرةً وغادَرْنَ أُخرى من حَقينٍ وحازرِ

قوله: هَرَقن ، يعنى الخيل . وساحُوق: موضع . أى قتلتْ أَصحابَ الجفان ومن كان يَقرِى فيها ويحتلب ، فكأَنَّها لمَّا قَتلت أَصحابَها هراقتها ، كما قال الأَعشى : رُبَّ رفدٍ هرقته ذلك اليومَ ، إلخ . ومثله قولُ امرى القيس :

وأفلتَهُنَّ عِلباءُ جريضاً ولو أدركْنَه صَفِرَ الوطابُ

(١) نص الرضى فى ٢ : ٣٠٨ : « يقال هريق رفده ، إذا مات ، وهو كناية كقولهم : صفرت وطابه ».

وعِلباءُ : رجل . والجريض : الذى قارب الموتَ ، فهو يجرض بريقه ، أَى يَغَصّ . والوطاب : جمع وَطْب . وهو سِقاءُ اللَّبَن . ١٧٧

وقوله « وغادرنَ أُخرى » أَى تركْنَ جِفاناً لم يُرِقْنَها . وروى: «وأَدَّين أُخرى » أَى جئن بأَسرَى وغيرِ ذلك . فاللفظ على اللَّبنَ والمعنى على القَوْم . وقوله : « من حَقينٍ وحازر » أَى من سيِّدٍ شريفٍ ودونَ ذلك . ومثله قولُ أَبى زُبَيد :

يا جَفنةً كنضيح الحَوْضِ قد كُفِئتْ
بثِنْىِ صِفِّينَ يعلو فوقَهــا القتَرُ[2]

أَى قُتِل صاحبُها فذهبَتْ وبطَلت . ومثله قولُ الآخر :

وماذا بالقليب قليب بدرٍ ... من الشِّيزَى تُكلَّلُ بالسَّنامِ[3] . انتهى

وكذا (فى شرح الفصيحِ للمرزوقى) قال فيه : الصِّفْر بالكسر : الخالى ، يقال صَفِرت الآنيةُ تَصْفَر صَفَراً ، فهى صَفِرةٌ . وقيل اشتقاق الصَّفَر فى الشهور منه ، لأَنَّ وِطابَهم كانت حينئذ تخلوُ من الأَلبان . ويقال فى الكناية عن الهَلاك : صفِرَتْ وِطابُهم. وهذا كما يقال : أُرِيقَ جفانُهم . انتهى .

وكذا نقل ابن المستوفِى عن الأَصمعىّ ، قال : يريد قتلت صاحب ذلك الرِّفد فبطل رِفدُه . والرِّفد : اللَّبن والعطيّة والمعونة . والرَّفْد المصدر.

(١) ط : « يغتص » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ديوان أبى زبيد ٦٩، وفى جمهرة ابن دريد ٢ : ١٢ : « قد تركت بثنى صفين يجرى فوقها » . والقتر والقترة بالتحريك فيهما : الغبرة

(٣) لأبى بكر شداد بن الأسود بن شعوب الليثى ، فى السيرة ٥٣٠ واللسان (شيز) ، والشيزى : شجر تتخذ منه الجفان ، وبه سميت الجفان شيزى .

ويقال للقَدح الذى يُقْرى فيه رِفْد . والرِّفد : المِحْلب الذى يُحلَب فيه . وأما القولُ الآخر فهو نهبُ الماشية وأَخْذُها .

قال شارح ديوان الأعشى : معناه رُبَّ رجلٍ كانت له إبلٌ يحلبُها فاسْتَفْتَها فذهب ما كان يحلبُه فى الرِّفد وهو القَدَح. وقوله : (وأسرى):هو جمع أسير كجرحَى جمع جريحَ . و(المعشر): الجماعة من الناس . و(أقيال) روى بالمثناة التحتيّة والفوقيَّة . أما الأَوَّل فهو جمع قَيْل بفتح القاف مخفف قَيِّل كسيِّد . وهو الملك مُطلقاً ، وقيل الملك من مُلوك حمير ، وقيل هو دون الملك الأَعلَى، سمِّى به لأَنَّه يقول ما يشاءُ فينفُذ. والمرأة قَيْلة ، ويجمع على أقوالٍ أيضاً ، حكاه ابنُ السكيت. فالأَوَّل على اللفظ والثانى بالنظر إلى الاشتقاق من القَوْل ، كما قالوا فى جمع ريح أرياح وأَرْوَاح .

وقال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : وقال جماعة : لهذه الكلمة اشتقاقان : فمَنْ قال أقوال فهو من القَوْل ، ومن جَمعه على أقيال فهو من قولهم : تقيَّل أباه ، أى اتَّبعه فى النَّسب ، كما تسمَّى تُبَّعًا مَنْ تَبِعَ الذى قبلَه فى المُلْك . قال هؤلاءِ : ولو كان من القَول لم يجُزْ فى جمعه إلّا أقوال ، كما لا يقال فى الميْت المخفف إلّا أموات ولا يقال أَمْيات على اللفظ . قال ابن الشجرى : ولا يلزم ذلك ، لأَنَّهم قالوا من جَفوت ومن الشَّوب: مجفوٌّ ومَشُوب على الأَصل، ومجفىٌّ ومشِيب على لفظ جُفِىَ وشِيبَ . ولم يَطردوا ذلك فى نحو مغزوٍّ ومدعوّ ، فلم يقولوا مَغزىّ ومدعِىّ وإنْ قالوا غُزِىَ ودُعِىَ . فكذلك قالوا أقيال على لفظ قَيْل وإنْ لم يقولوا أَمْياتِ . قلت : يُرَدّ هذا بأَنَّه لا يصار إلى خلاف الأَصل ما وُجِد عنه

مندوحة . ولا شكَّ أنَّ جمع قَيْل المشتقّ من القول على أقيال رعايةً[1] للفظ الياء خارجٌ عن الأَصل، فإذا وُجِدَ[2] مشتقاً عند جمعه كذلك من التقيُّل لم يخرُجْ عن الأَصل ، لكان قول أُولئك الجماعة بالاشتقاقين هو الراجحَ لا محالة . انتهى كلامه .

وأما الرِّواية بالمثناة الفوقية فهو« جمع » قِتْل بكسر القاف وسكون المثناة ، وله معنيان : أَحدهما العدوُّ المقاتِل . والثانى الشِّبْه والنَّظير ، أى العِدْل فى المقاتلة ، كما يقال سِبٌّ للعديل فى المُسابَّة . يقال هما قِتْلان أى مِثلان . وكلٌّ منهما قِيلَ به هنا . ١٧٨

قال ابن الأَنبارىّ : وقول الأَعشى : « من معشر أَقتال » يعنى الأَعداء والقَتَلة الذين قتلوا أَصحابك . وأَمَّا أَبو عُبيدة فإنَّه قال : هم الأَشباه . وأَنشَدَ فى أَنَّهم الأَعداءُ لابن قيس الرقيَّات :

واغترابى عن عامِرِ بن لؤىٍّ فى بلادٍ كثيرةِ الأَقتـــالِ[3]

وأَنشد أَحمد فى القِتْل المِثْل والشِّبه ، فى وصف بعيرين :

من كلِّ قِتْلينِ إذا ما ازدحَمَـــا أَدرك هذا غَرْبَ هـــذا بعدَما

أَغربَ ذاك ذرعَه فانصرمـــا

وقَولُ الشارح المحقق : إنَّ صفة أَسرى محذوفة تقديرها ما ذكره ، هذا مستغنًى عنه بجعل من معشر متعلِّقا بفعل صفة لأَسرى ، والتقدير

(١) ش : « مراعاة » .
(٢) ط : « جعل » .
(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ١١٣ واللسان (قتل ٦٨) .

وأسرى حَصَلَتْ من معشر أقبال ، كما قال الزمخشرى (فى المفصل) : هرقته ومن معشر : صفتان لرِفد وأسرى .

وكأَنَّ الشارحَ علَّق من معشر بأَسرى ، لأَنَّه بمعنى ربَّ مأْخوذِينَ من معشرٍ . ولا ضرورة إليه .

واعلم أنَّ ما اختاره الشارح من جعل رُبَّ مبتدأً لا خبر له مخالفٌ للبصريين والكوفيِّين .

أَمَّا البصريُّون فقد قالوا : إنَّها حرفٌ لأَنَّها لا تقبل شيئًا من خواصّ الاسم ، من الإخبار عنه والإضافة ، وعودِ الضمير إليه ، ودخول أَل والتنوين . ولأَنَّها لو كانت اسماً لجاز أَن يتعدَّى إليها الفعل بنفسه إن كان متعدِّياً وبحرف الجر إن كان لازماً ، فيقال : ربَّ رجلٍ أَكرمتُ وبربَّ رجلٍ مررتُ ، كما يقال : كم رجلٍ أكرمتُ وبكم رجلٍ مررتُ ، إذْ ليس فى كلامهم اسمٌ يتعدَّى إليه الفعل بنفسه (١) إلَّا ويجوز أَنْ يتعدَّى إليه الفعلُ اللازم (٢) بواسطة حرف الجرّ. والشارح معترفٌ بجميع هذا.

وأمَّا الكوفيُّون فقد قالوا : إنَّها اسمٌ مثل كم ، وقالوا : محلُّها رفعٌ بالابتداءِ فى قولنا : ربَّ رجل كريم لقيتُه ، وفى نحو : وربَّ قتلٍ عار. ومحلُّها نصبٌ على المصدر فى نحو: ربَّ ضربٍ ضربتُ ، مثل كم ضربةٍ ضربتُ . وعلى الظرف فى نحو : ربَّ يومٍ سرتُ ، مثل كم يومٍ سرت . وعلى المفعول به فى نحو: ربَّ رجل ضربت ، نحو: كم رجل ضربت .

والشارح تبع الكوفيِّين فى اسميتها ، وخالفهم فى جَعْلها مبتدأً لا خبر له أَبدًا . وهذا لا يتمشَّى له فى نحو: ربَّ ضربة ضربت ، ولا يطَّرد له

(١) ط : « يتعدى إلى الفعل بنفسه » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « بالفعل اللازم » ، صوابه فى ش

فى المكفوفة بما كقوله تعالى : ﴿ رُبَّما يودُّ الذين كَفَروا[١] ﴾ كما اعترف به ، وجَعَلها فى هذا حرفاً . وجَعْلُها نوعين بحسب الاستعمالَين مع اتِّحاد المعنى ، تعسُّفٌ لا ضرورةَ تدعو إليه .

وما أورده من الإشكالين على حرفيَّتها يضمحلّان بجعلها حرفًا زائداً لا يتعلَّق بشيء ، وهو مذهبُ جماعةٍ من النحويين ، كالباءِ ومن الزائدتين فى نحو : ﴿ كفَى بالله شهيدًا[٢] ﴾ ، و﴿هل مِنْ خالقٍ[٣] ﴾ ، ولعلَّ الجارّةِ فى لغة عُقَيْل ، ولولا الجارّة الضميرَ نحو : لولاى ولولاك ولولاه ، وكافِ التشبيه ، وحرف الاستثناء وهو خلا وعدا وحاشا إذا خفَضْنَ . فهذه الحروفُ كلُّها لا تتعلَّق بشيء . ذكرها ابنُ هشامٍ (فى الباب الثالث من المغنى) . فيكون محلُّ مجرورِ ربَّ فى نحو : ربَّ رجل كريم عندى ، رفعًا على الابتداءِ ، ومنه :

* وربَّ قتلٍ عار[٤] *

وفى نحو : ربَّ رجل كريمٍ لقيتُ ، نصباً على المفعولية ، ولا يجوز أن يكون مبتدأً والجملة بعده خبر والرابط محذوف ، أى لقيته ، لأنَّ فى ذلك تهيئةَ العاملِ للعمل وقطعَه عنه . ومثله : «ربَّ رفد هرقتَه» . . البيت. وكذلك : « أسرى من مَعْشر » فإنَّه بتقدير : أسرتَهم . وفى نحو : ربَّ رجلٍ كريم لقيته ، رفعاً أو نصباً ، وفى نحو : ربَّ ضربٍ ضربتُ ، نصباً على المفعول المطلق ، وفى نحو : ربَّ يوم سرت ، نصباً أيضاً على الظرف. ١٧٩

(١) الآية الثانية من سورة الحجر .
(٢) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء وآيات أخرى .
(٣) الآية ٣ من سورة فاطر .
(٤) قطعة من الشاهد ٧٩٨ فيما سيأتى .

والدَّليل على ما ذكرنا أنَّه يجوز مراعاة محلِّ مجرورِها كثيرًا نحو : ربَّ امرأةٍ صالحة لقيتُ ورجلاً صالحاً، وإنْلم يجز نحو: مررتبزيد وعمراً إلَّا قليلا ، كما يأْتى نقلُه من المغنى .

لكنَّه قال فى الكلام على أقسام العطف على المحلِّ : إنَّ له ثلاثة شروط : أحدها إمكان ظهور ذلك المحلِّ فى الفصيح . وهذا الشرط مفقودٌ هنا ، ولعله مستثنى منه .

وقد ذهب ابن هشام (فى الباب الثالث من المغنى) إلى أنَّها لا تتعلَّق بشىء ، فقال : الرابع أى مما استُثنىَ من قولهم : لا بدَّ لحرف الجرّ من متعلَّق : ربَّ فى نحو : ربَّ رجلٍ صالح لقيتُه أو لقيت ، لأَنَّ مجرورها مفعولٌ فى الثانى ومبتدأٌ فى الأول ، أَو مفعولٌ على حدِّ: زيدًا ضربته ، ويقدَّر الناصب بعد المجرور به ، لا قبل الجارّ ، لأَنَّ ربَّ لها الصَّدر من بين حروف الجرّ ، وإنَّما دخلت فى المثالين لإفادة التكثير أو التَّقليل ، لا لتعدية عامل . هذا قول الرُّمَّانى وابن طاهر . وقال الجمهور : هى فيهما حرفُ جرٍّ مُعَدٍّ . فإنْ قالوا : إنَّها عدَّت العاملَ المذكور فخطأٌ ، لأَنَّه يتعدَّى بنفسه ، ولاستيفائه معمولَه فى المثال الأَوّل . وإن قالوا: عدَّت محذوفاً تقديره حَصَل أَو نحوه كما صرَّح به جماعة ، ففيه تقديرٌ لما معنى الكلام ِ مستغن عنه[1] ولم يُلفَظ به فى وقت. انتهى .

وقال أيضاً (فى بحثِ ربّ من الباب الأَوّل) : وتنفرد ربَّ بوجوب تصديرها ، ووجوب تنكير مجرورها ، ونعته إن كان ظاهرًا ، وإفرادِه وتذكيره وتمييزه بما يطابق المعنى إن كان ضميراً ، وغلبةِ حذف مُعدَّاها

(١) ط : « مستغنى عنه » ، صوابه فى ش .

ومضيِّه ، وإعمالِها محذوفة بعد الفاءِ كثيرًا ، وبعد الواو أكثر ، وبعد بَلْ قليلا ، وبدونهنَّ أقلّ . وبأنَّها زائدة فى الإعراب دون المعنى ، فمحلُّ مجرورها فى نحو : رُبَّ رجل صالح عندى رفعٌ على الابتداء . وفى نحو : رُبَّ رجلٍ صالحٍ لقيتُ نصبٌ على المفعولية . وفى نحو : ربَّ رجلٍ صالح لقيته ، رفعٌ أو نصب . كما فى زيداً لقيته . ويجوز مراعاة محلِّه كثيراً وإن لم يجز نحو : مررت بزيد وعمراً ، إلَّا قليلا . قال :

وسِنٍّ كَسُنَّيْقٍ سَناءً وسُنَّماً ذعرتُ بمِدلاجِ الهَجيرِ نَهُوضِ (١)

فعطفُ سُنَّماً على محل سِنّ . والمعنى : ذعرت بهذا الفرس ثوراً وبقرة عظيمة . وسُنَّيق : جبل بعينه . وسَناءً : ارتفاعاً . وزعم الزجاج ومُوافقوه أنَّ مجرورها لا يكون إلَّا فى محل نصب . والصواب ما قدَّمناه . انتهى.

وقوله : « بوجوب تصدُّرها » ، أى فى جملتها ، وإن كانت مبنيَّةً على ما قبلها . ألا ترى أنَّ ما حرفُ نفى له صدر الكلام ، وأنَّه يصحُّ : إنَّ زيداً ما قام . وكذلك ربَّ تقع جملتها خبرًا لإنَّ ، نحو :

أَمَاوىَّ إنِّى رُبَّ واحدِ أُمِّهِ أخذْتُ فلا قتلٌ لديَّ ولا أَسْرُ (٢)

وخبراً لأَنَّ المخفَّفة ، كقوله :

تيقَّنتُ أَنْ رُبَّ امرئٍ خِيلَ خائناً أمينٍ وخوّانٍ يُخالُ أمينـــا (٣)

وجَواباً للواو . وهو غريبٌ كقوله : ١٨٠

ولو عَلِم الأقوامُ كيف خَلفتُهم لَرُبَّ مُفدٍّ فى القبـــور وحامدِ

(١) لامرئ القيس فى ديوانه ٧٦ واللسان (سنق) . وفى ط : « زعرت » فى البيت وتفسيره ، صوابه فى ش والديوان واللسان .

(٢) لحاتم الطائى ، وهو الشاهد ٢٨٦ فى الخزانة ٤ : ٢١٠ .

(٣) همع الهوامع ١ : ١٤٣ / ٢ : ٢٦

ومنع أبو حيَّان وجوبَ تصدُّرِها ، بهذه الأَبيات ، وغلَّط فيه .

وقوله : « وغلبة حَذْف مُعدَّاها » أَىمتعلَّقها . وكان ينبغى أَن لا يَذكر هذا ، فإِنَّه لا يناسب ما اختاره من عدم التعلُّق بشىء .

وأَجاب عنه الشُّمُنِّىُّ بأَنَّ مراده به الفعل الذى مجرورها مفعولُه .

وقوله « وبأَنَّها زائدة فى الإِعراب » ، أُورِدَ عليه بأَنَّ هذا لا يختصُّ بربَّ ، بل لعلّ ولولا وأَخواتُهما كذلك . وهو حقٌّ . ويمكن أَن يجاب بأَنَّ ربَّ تنفرد بجميع ما ذُكِر لا بكلٍّ واحد .

وقوله : « لأَنَّ مجرورها مفعول فى الثانى » قيل فيه أمران : الأَوَّل أَنَّ كونه مفعولاً لا ينافى التعلُّق . والثانى أَنَّ التعلُّق معناه أَنَّ المتعلِّق معمولٌ بحسب المحلّ ، إِلَّا أَنْ يراد أَنَّه مفعولٌ لفعل يتعدَّى بنفسه فلا حاجة لتعلُّق الحرف ، بمعنى تعديته للفعل ، بدليل مقابلته هذا الكلام بقوله : « وقال الجمهور هى فيهما حرف جر مُعَدٍّ » . ثم إِنَّه يمكن الجواب عن اعتراضه على الجمهور (١) باختيار الشِّقّ الأَوَّل ، وتعدِّى الفعلِ بنفسه لا يمنع تعدِّيَه بالحرف إِذا قُصِد معنًى لا يحصُل بدون تعدِّيه بذلك الحرف ، فإِنَّه لو عدِّىَ هنا بنفسه فاتَ معنى التقليل أَو التكثير . ونظيره صحَّةُ قولك : أَخذت منَ الدراهم ، فعدَّيت الفعل بمن لإِفادة معنى التبعيض وإِن كان يتعدَّى بنفسه . وأَخْذُ مفعولِه فى المثال الثانى لا يمنع جَعْلَه معمولاً لمثله ، كما فى : زيدًا ضربته .

واعترض الدمامينى على الجمهور بأَنه لو كان كما يقولون لم يُعطف على محلِّ مجرورها رفعاً ونصباً فى الفصيح ، وقد جاز كما تقول : ربّ رجلٍ وأَخاه أَكرمتُ ، فيجعلون لها حكم الزائد فى الإِعراب وإِن لم تكن زائدة فى المعنى . ولا يجوز فى الفصيح : بزيدٍ وأَخاه مررت .

(١) ط : « عن الجمهور » ، صوابه فى ش .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدةٍ للأعشى ميمون ، أوّلُها :

(ما بكاءُ الكبيرِ بالأَطْلالِ ... وسُؤالى وما يردُّ سؤالى)

وتقدَّم شرحُه مع أبيات منها قريباً .

ومدح بهذه القصيدة الأَسودَ بنَ المنذر ، أخا النُّعمان بن المنذر اللَّخمى ، وكان قد أغار على الحليفَين أسدٍ وذبيان ، ثم أغار على الطَّف ، فأصابَ نَعَماً وأسرى ، وسبَى من بنى سعدِ بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة رهطِ الأعشى ، والأَعشى غائبٌ ، فلمَّا جاءَ إليه وأَنشده هذه القصيدة سأَله أَنْ يَهَبَ له الأَسرى ففعل . وهذه أبياتٌ منها يخاطب ناقته :

أبيات الشاهد

(لا تَشَكَّىْ إلىَّ من ألَـم النِّسْـ ... ـع ولا من حَفًى ولا من كَلالِ
لا تَشَكَّىْ إلىَّ وانتجعِى الأَسْـ ... ـوَد أهل النَّدى وأهلَ الفَعالِ
فرعُ نَبْعٍ يهتزُّ فى غُصُن المجْـ ... ـدِ غزيرُ النَّدَى شَديد المِحَالِ
عنــده البرُّ والتقى وأسَا الشَّـ ... ـقِّ وحملٌ للمُعْضِلاتِ الثِّقالِ
وصِلاتُ الأَرحام قد علم النَّا ... سُ وفَكُّ الأَسرَى من الأَغلالِ
وهَوَانُ النَّفس الكريمة للذِّكْـ ... ـرِ إذا ما التقَتْ صدورُ العَوالى
ووفاءٌ إذا أجَرْتَ فما غَـرَّ ... تْ حبالٌ وَصَلتَها بحبال[٢] ١٨١
وعطاءٌ إذا سألتَ إذا العِـذْ ... رةُ كانت عطيَّةَ البُخَّـالِ
أريحىٌّ صَلْتٌ تَظَـلُّ له القَوْ ... مُ ركودًا قِيامُهُمْ للهـلالِ
إنْ يعاقِبْ يكن غَراماً وإنْ يُعْـ ... ـطِ جزيلاً فإنّه لا يُبـالى
يَهَبُ الجِلَّةَ الجَـراجر كالبُسْـ ... ـتانِ تَحنُو لدَردقٍ أطفـالِ
والبغايا يَركُضْنَ أكسِيَةَ الإضْـ ... ـرِيجِ والشَّرعَىَّ ذا الأذيالِ

(١) همع الهوامع ٢ : ٢٦ .
(٢) فى ديوان الأعشى ١٠ : « فما غرت » .

والمكاكيكَ والصِّحافَ من الفِ ضَّةِ والضَّامراتِ تحتَ الرِّحال
وجيادًا كأنَّها قُضُبُ الشَّـو حَطِ يَحمِلْنَ شِكَّةَ الأَبطال
ودُروعاً من نسجِ دَاودَ فى الحر بِ وُسُوقًا يُحْمَلن فوقَ الجمال
لم يُنَشَّرنَ للصَّـديق ولكنْ لقتال العدوِّ يومَ القِتال[1]
ربَّ رِفدٍ هرقتَه ذلك اليـو مَ وأسرى مِنْ معشرٍ أقيَال
وشُيوخ حَرْبَى بشَطَّ أريكٍ ونساءٍ كأنَّهنَّ السَّعـالِى[2]
وشريكين فى كثيرٍ من الما ل وكانا مُحالِفَىْ إقـلالِ
قَسَمَا الطَّارفَ التَّليدَ من الغُنْـ مِ فآبا كلاهمـا ذُو مال
لن يزالوا كذلـكم ثمَّ لا زِلْـ تَ لهم خالدًا خُلودَ الجبـال)

قوله : « لا تَشكَّىْ إلىَّ مِن ألَم النِّسع » إلخ هو بكسر النون وسكون المهملة ، واحده نِسْعة ، وهى التى تُنسَج عريضاً للتَّصدير . والحَفَى بفتح المهملة والقصر : رقَّة الخُفّ والحافر والقدم ، من كثرة المشى . والكَلَال : مصدر كلَّ البعيرُ وغيرُه من المشْى ، إذا أعيا . والنَّدَى : الجُود . والفَعَال بالفتح : الكرم والجميل . وغزير : كثير . والمحال ، بالكسر : القُوَّة ، كقوله تعالى : ﴿ وهو شَدِيدُ المِحَال[3] ﴾ . كذا فى العباب .

وقوله : « وأسا الشَّقَّ » قال شارح ديوانه : أى التئام الشَّقّ ، ومن ذلك سمِّىَ الآسى الذى يأسو الجُرح . والمعضِلة : المشكِلة ، أى وعنده حملٌ للأُمور المعضلات ، وعنده فكُّ الأَسرى . والأَغلال : جمع غُلّ بالضم ، وهو ما يوضع فى عُنق الأَسير ونحوِه من سلسلةِ حديدٍ أو قِدٍّ .

---

(١) فى الديوان : « لم ييسرن للصديق » .
(٢) فى الديوان : « بشطى أريك » ، بالتثنية .
(٣) الآية ١٣ من سورة الرعد .

وقوله : « وهَوَان » أى وعنده هوانٌ أى إهانةُ النَّفس فى الحرب . والعوالى : جمع عالية ، وهى مِن مدخَل السِّنان فى الرُّمح إلى ثُلثه . وصدورُها : أوساطُها .

وقوله : « ووفاءٌ » أى وعنده وفاءٌ ، إذا أجرتَ أحدًا من أنْ يظلمه ظالم فيفى بإجارة من أجارَ من أصدقائه ، فكيف لا يفى هو بإجارة مَنْ يُجيره . وهذا خطابٌ لكل من يصلح معه الخطاب . وكذا قوله : « وعطاءٌ إذا سألتَ » أى وعنده عطاءٌ إذا سألتَه . والعِذْرة بالكسر : العُذر ، أى هو يُعطى ولا يَعْتذر ، كما أنَّ البخلاء يعتذرون ولا يُعطُون . و« عَزٌّ » من العِزَّة وهى القلَّة . والحبال مستعارةٌ للعهود .

والأَرْيحىّ : الذى يَرتاح للعطَاء . والصَّلت بالفتح ، قال شارحه : هو القاطع . والراكد : القائم ، فيكون قيامَهُم مصدراً تشبيهيًّا .

والغرام ، بالفتح ، قال شارحه : هو الموُجع .

وقوله : « يَهَبُ الجِلَّة » بالكسر ، جمع جليل ، وهى الإبل المسنَّة . والجَراجِر بجيمين ، قال صاحب الصحاح : هى العظام من الإبل . ١٨٢
وأنشد هذا البيت . قال : وكذلك الجُرجور . وقال شارحه : ويروى الجراجير ، جمع جُرجور وهى الإبل الكثيرة . وتَحْنُو : تَعطِف . والدَّردَق : الصِّغار من أولادها ، شبَّهها بالبستان .

وقوله : « والبغايا » أى ويهَبُ البغايا ، قال شارحُه : البغايا هنا : أولاد الإماء . والإضريج : الأخضر من الخزّ[1] . وفى الصحاح : الشَّرعبيُّ : ضربُ من البرود .

(١) بعده فى ش : « والشرعبى : ضرب من البرود » ، فقط .

وقوله: « والمكاكيك » أى ويهبُ المكاكيك، قال شارحه: المكاكيك: آنيَة يُشرب فيها الخمر. والصِّحاف: القِصاع. والضامرات: النُّجُب من الإبل.

وقوله: « وجياداً » أى ويهبُ خيلًا جياداً. والقُضُب: جمع قضيب وهو فرعُ الشَّجر، شبَّهها به لضُمرها. والشَّوحط: ضرب من شجر الجبالِ يُتَّخذ منه القِسِيّ. قال شارحه: والشِّكَّة: السِّلاح الكامل.

وقوله: « ودروعاً » أى ويهب دروعاً. قال شارحه: الوسوق: الأَحمال، جمع وَسْق. ويُحمَلْن بالبناء للمفعول. وكذلك قوله: « لم يُنَشَّرن ».

وقوله: (رُبَّ رِفدٍ هَرَقْته) إلخ، خطابٌ مع الأَسود بن المنذر يمدحه بكثرة قتله وكثرة أسره.

وقوله: «وشيوخ» بالجر عطف على مدخول رُبَّ، وكذا قوله: «ونساءٍ»، يقدَّر فى الثلاثة سَبَيْتَهم. وحَرْبى: جمع حَريب، من حُرِب الرَّجلُ مالَه أى سُلِبَه، فهو محروبٌ وحَريب.

وقوله: « وشريكين » معطوف أيضاً على مجرور ربّ، وهو فى محل رفع على الابتداء. و« فى كثير » متعلِّق به، وجملة « قَسَما » من الفعل والفاعل خبره. وصَرعَى: جمع صريع، أى مقتول. والمحالفة: المصاحبة. والإقلال: الفقر والحاجة. والطارف: المال المستحدَث. والتليد: المال القديم، وحرف العطف منه محذوف. والغُنْم بالضم: الغنيمة. وآبا: رجَعا. يقول: كانا فقيرين فلما غَزَوَا معك استغنيَا، فقسما بينهما مالَ الغنيمة الذى كان عند صاحبه طارفاً وتليداً.

قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم): أَريك، بفتح الهمزة وكسر الراءِ المهملة وآخره كاف: موضعٌ فى ديار غَنِىّ بن يَعصُر. وقال

أَبو عُبيدة: أَريك فى بلاد ذُبيان ، قال : وهما أَريكان: أَريكُ الأَسود وأَريكُ الأَبيض . والأَريك : الجبل الصغير . قال : وبشطِّ أَريكٍ قَتَل الأَسودُ بنى ذُبيان وبنى دُودَان ، وسَبَى نساءهم. قال الأَعشى فى مدحه الأَسودَ :

وشيوخٍ صَرْعَى بشطِّ أَريك . . . . البيت

ويدلُّك على أَنَّ أَريكاً جبلٌ مُشْرِفٌ قولُ جابر بن حُنَىٍّ (١) يصف ناقة :

تَصعَّدُ فى بطحــاءِ عِرْقٍ كأَنَّما تَرقَّى إِلى أَعلى أَرِيكٍ بسُلَّمِ (٢)

وقال الأَخفش : إِنَّما سمِّى أَريكاً لأَنَّه جبلٌ كثير الأَراك . انتهى.

وقال أَيضاً (فى شرح أَمالى القالى): هذا اليوم الذى ذكره فى قوله : « رب رفدٍ هرقته ذلك اليومَ » هو اليومُ الذى أَغار فيه الأَسودُ بن المنذر على الطَّفِّ فأَصاب نَعَماً وأَسرى من بنى سعد بن ضُبيعة رهطِ الأَعشى ، وذلك مُنصَرَفَه من غَزْو الحليفين أَسدٍ وذُبيان. وكان الأَعشى غائباً ، فلمَّا قدِم وجد الحيَّ مُباحا . فأَنشده هذه القصيدة وسأَله أَن يهَبَ له الأَسرى، ففعل . انتهى .

والطَّفُّ : موضعٌ بناحية العراق من أَرض الكوفة (٣) ، وهناك الموضع المعروف بكرْبلاء ، الذى قُتِل فيه الحسين بن على [رضى الله عنهما (٤)] . وقول البكرى (فى معجمه) : والصحيح أَنَّ الطَّفَّ على فرسخين من البصرة غلطٌ وخطأٌ .

وسبب غزوِ الحليفين هو ما ذكره الأَصبهانى (فى الأَغانى): أَنَّ الحارث

(١) ط : « حيى » ، صوابه فى ش ومعجم البكرى ١ : ١٤٤ والمفضليات .

(٢) البيت ١٠ من المفضلية ٤٢ ص ٢١٠ ، وفى النسختين : « تصعدن » ، تحريف ، صوابه فى المفضليات ومعجم ما استعجم ، لأنه فى صفة ناقة واحدة .

(٣) ش : « بناحية الكوفة » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى معجم ما استعجم .

(٤) التكملة من ش .

١٨٣ ابن ظالمٍ المُرِّىَّ لمَّا قَتَل خالدَ بنَ جعفر بن كلاب العامرى ، وهو نازلٌ عند النعمان بن المنذر . سأَل الأَسودُ بنُ المنذر عن أمرٍ يَبْلُغ من الحارث ، فقال عروة بنُ عُتبة: إنَّ له جاراتٍ ، ولا أَراكَ تنالُ منه شيئاً هو أَغلظ عليه من أَخذهنّ وأَخْذِ أَموالهنّ . ففعَلَ فبلغ ذلك الحارثَ بنَ ظالم ، فخرج من الحيَّينِ فدخل فى غِمار الناس حتَّى عرفَ موضع جاراته ومَرعَى إبلهنّ ، فجمعهنَّ مع أَموالهنَّ ، وسار معهنَّ حتَّى استنقذهنَّ[1] .

قال أَبو عبيدة : ولحق ببلادِ قومه مستخْفياً ، وكانت أُختهُ سَلمى بنت ظالم عند سِنان بن أَبى حارثة المرى . وكان الأَسود بن المنذر دفع إليها ابنَه شُرحبيلَ تكفُلُه ، وكانت بنتُ كَثِير[2] بن ربيعة من بنى غَنْم بن دُودان ، امرأَةُ سنانٍ تُرضعه ، وهى أُمُّ هرم ، فجاءَ الحارثُ بنُ ظالِم وكان قد اندسَّ فى بلاد غطفان ، فاستعار سَرْج سِنانٍ ولا يَعلم سِنان ، وهم نزولٌ بالشَّرَبَّة ، فأَتى أُختَه سلمى فقال : يقول لكِ بَعلُكِ : ابعَثِى بابن الملك مع الحارث حتَّى أَستأْمن له منه[3] ، وهذا سرجُه آيةً إليك . فزيَّنته ثم دفعتْه إلى الحارث ، فأَتى بالغلامِ ناحيةً من الشَّرَبَّة فقتله وهرب ، فغزا الأَسودُ بنى ذبيان وبنى أَسدٍ إذْ نقضوا العهدَ ، بشطِّ أَريك .

قال أَبو عبيدة: هما أَريكانِ : الأَسود والأَبيض ، ولا أَدرى بأَيِّهما كانت الوقعة .

قال أَبو عبيدة : إنَّ سلمى امرأَةَ سِنان التى أَخذَ الحارثُ شرحبيلَ من عندِها من بنى أَسد ، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسَبَى ، لدَفعْ الأَسديَّة ابنَه إلى الحارث . وفى ذلك يقول الأَعشى يمدح الأَسود :

(١) انظر الخبر بتفصيل فى الأغانى ١٠ : ٢٢ .
(٢) فى الأغانى : « وكانت سلمى بنت كثير » .
(٣) فى الأغانى : « حتى أستأمن له ويتخفر به » .

وشيوخٍ صَرْعَى بشَطِّ أريكٍ ونسـاءٍ كأنَّهنَّ السَّعالِى
مِن نواصى دُودانَ إذْ نقضوا العهـدَ وذبيانَ والهِجانِ الغـوالى
رُبَّ رِفدٍ هرقتَه ذلك اليو مَ وأسرَى من معشرٍ أقتـالِ
هَـؤُلاَ ثم هـؤلاَ كُلاًّ احذيْـتَ نِعـالاً محـذُوَّةً بمثالِ
وأرى مَنْ عصاك أصبَح مخذو لاً وكعبُ الذى يُطيعُكَ عالى

قال : ووُجدتْ نعلُ شُرحبيلَ عند أُضاخ . بضم الألف وبالمعجمتين ، وهى من الشَّرَبَّة من ديار بنى مُحارب بن خَصَفة بن قيس عيلان .

قال : فأحمى لهم الأَسوُد الصَّفَا بصحراءِ أُضَاخ ، وقال لهم : إنِّى أحذِيكم نعالاً . فأمشاهم على ذلك الصَّفا فتساقط لحمُ أقدامهم . فلمَّا كان الإسلام هجا جَوشنُ الكِندىُّ بنى محارب ، فعيَّرهم بتحريق الأَسود أقدامَهم ، فقال :

على عَهدِ كِسرى نَعَّلتكمْ ملوكُنا صَفاً من أُضاخَ حامياً يتلهَّبُ

وصار ذلك مثَلاً يتوعَّد به الشعراءُ .

ومثل ذلك أنَّ ابن عباد الكِلابى ، ورَدَ على بنى البُوس [1] من جديلة طيِّء ، فسرقوا سِهاما له فقال يحذِّرهم :

بنى البُوس رُدُّوا أَسْهُمى إنَّ أَسهمى كنعل شُرحبيلَ التى فى مُحاربِ

وإنَّما فعل الأَسود ذلك ببنى محارب من أجل نعل شرحبيل التى وُجِدت عندهم . انتهى .

وقوله : « لن يزالوا » بالياء التحتية بضمير الغيبة الراجع لمجموع مَن ذكر ممَّن قُتلوا وأُسروا ونُهبوا من الأعداء ، وممن غزا معه وقَتَل وغَنِم من الأولياء . وقوله : « لا زلت » بالخطاب ، و« لهم » بضمير الغيبة . فظهر من هذا أنَّ روايته فى كتب النحو « لن تزالوا » بالخطاب « ولا زلتُ ١٨٤

(١) فى الأغانى : « النوس : بالنون هنا وفى البيت التالى ، ولم أجد لأحدهما مرجعا .

لكم » بالتكلم والخطاب ، على خلاف الرواية الصحيحة .

وترجمة الأعشى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[1] . وهو شاعرٌ جاهلىّ .

وقد اشتبه على العينى فقال : قائلُ :

ربَّ رفدٍ هرقته ذلك اليو م . . . . . . البيت .

أعشى همدان ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الرحمن .

ولا يخفى أنَّ هذا الشاعر إسلامىٌّ فى الدَّولة المروانية زمَنَ الحجَّاج ، ولم يكن فى زمن الأسودبن المنذر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد السبعمائة[2] :

٧٩٨ (إنْ يقتلوك فإنَّ قَتْلَكَ لم يكنْ عاراً عليكَ ورُبَّ قتلٍ عارُ)

على أنَّ الأخفشَ استدلَّ به على اسميَّة (ربَّ)، فهى مبتدأٌ وعارٌ خبرها .

قال الشارح المحقق : والأولى[3] أنْ يكون عار خبر مبتدإٍ محذوف، والجملة صفة مجرورها .

وأقول : مفهومُه أنَّه يجوز على خلاف الأولى ما ذكره الأخفش ، وهو خلاف ما اختار فيها من أنَّها مبتدأٌ لا خبر له ، فكان الظاهر على مذهبه أن لا يذكر الأولَى .

ومن جعلَ رُبَّ حرف جرٍّ زائد[4] لا يتعلَّقُ بشيءٍ قال: قتلٍ المجرور فى محل مبتدإٍ مرفوع وعار خبره ، وما فى ربَّ من معنى التكثير هو المخصِّص لابتدائية قَتْل .

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) المقتضب ٣ : ٦٦ والبيان ١ : ٢٩٣ والأغانى ١٣ : ٥٣ والأزهية ٢٦٩ وابن الشجرى ٢ : ٣٠١ وحماسة ابن الشجرى ٩٠ والمقرب ١ : ٢٢٠ والضرائر ١٧٣ والمغنى ١٣٤ ، ٥٠٣ ، ٢٧ والتصريح ٢ : ١١٢ والهمع ١ : ٩٧ .

(٣) ط : « الأولى » ، وأثبت ما فى ش وشرح الرضى ٢ : ٣٠٨ بإثبات الواو .

(٤) فى النسختين : « زائد » صوابه بالنصب كما أثبت .

واقتصر ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) على أنَّ الضميرَ الواقعَ مبتدأً محذوف ، والجملة صفة لقتل ، لكن جعل حذفه ضرورة .

وكذا خرجَّه ابن هشام (فى الأَشياء التى تحتاج إلى الربط من الباب الرابع من المغنى) ، إلاَّ أنَّه لم يقيِّده بضرورة . وقيل فيه غير ذلك .

وروى أيضاً : « وبعضُ قتلٍ عار » ، فلا شاهدَ فيه .

قال ابن السِّيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : قال أبو العباس المبرِّد : هكذا أنشده النحويون وربَّ قتل عارُ على إضمار هو عار . وأنشدنيه المازنى : « وبعض قتلٍ عار » ، وهو الوجه .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة لثابت قُطْنَةَ ، رثى بها يزيد بن المهلَّب بن أبى صُفرة ، أورد منها أربعة أبياتٍ الشَّريفُ الحُسينىُّ (فى حماسته) وبعده :

أبيات الشاهد

شهِدتْكَ من يمنٍ عصائبُ ضَيَّعتْ ... ونأى الذين بهم يُصاب الثَّارُ
ولقد بسطْتَ لهم يمينَكَ بالنَّدى ... مثلَ الفُراتِ تَمُدُّهُ الأَنهارُ
حَتَّى إذا شَرِقَ القنا ، وجعلتَهم ... تحتَ الأَسنَّة ، أسلموك وطارُوا)

واقتصر الجاحظ (فى البيان والتبيين) منها على الثلاثة أبيات[1] ، وكذلك صاحب الأغانى ، وهى :

كلُّ القبائل بايعوكَ على الذى ... تدعو إليه طائِعينَ وساروا
حَتَّى إذا حميَ الوغَى وجعلتَهم ... نُصْبَ الأَسنَّةِ أسلموكَ وطاروا
إن يقتلوك فإنَّ قتلَكَ لم يكن ... ... البيت[2]

والعصائب : جمع عِصابة ، وهى الجماعة . وشَرِقَ القنا ، أى احمرَّت

(١) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية على قبحه ، حكاه ابن عصفور كما فى شرح درة الغواص ١٣٥ . قال الخفاجى : « ووقع فى صحيح البخارى : « وأتى بالألف دينار» .
(٢) عجزه فى البيان ١ : ٢٩٣ والشعراء ٦٣١ والأغانى ١٣ : ٥٣ :
* عاراً عليك وبعض قتل عار *
وبهذه الصورة لا شاهد فيه .

الرِّماح بالدم . وأَسلموك : خذلوك ولم يُعينوك . والأَسنَّة : جمع سِنان ، وهى حديدة الرمح التى يُطعنَ بها . ونُصْبَ الأَسنَّة: قُبالتَهَا وجِهتَها . والوغى : الحرب . وحَمْيها عبارةٌ عن اشتدادها .

١٨٥ وقوله: (إنْ يقتُلوكَ فإنَّ قتلكَ) أَراد : إنْ يفتخروا بسببِ قَتلِكَ أَو إنْ يتبيَّنْ أَنَّهم قتلوك .

وقوله : «كلُّ القبائل بايعوك» إلخ يريد أَنَّه خلع يزيد بن عبدالملكِ ورام الخلافةَ لنفسه فى البَصرة ، فجهَّز يزيد بن عبد الملك لقتاله أَخاه مَسْلمة بنَ عبد الملك ، وخرج يزيد بن المهلَّب واستخلف على البصرة ولده مُعاوية بنَ يزيد ، وسار حتّى نزل العَقْر ، وهى عَقْر بابل عند الكوفة بالقُرب من كَرْبَلاء ، ثم أَقبل مسلمة بن عبد الملك حتّى نزل على يزيدَ بن المهلَّب ، فاصطفُّوا ، فشدَّ أَهلُ البصرة على أَهل الشام فكشفوهم . ثم إنَّ أَهل الشام كثُرُوا عليهم فكشَفُوهم ، وما زال الحربُ بينهم ثمانيةَ أَيَّام حتَّى كان يومُ الجمعة لأَربع عشرةَ ليلةً مضت من صَفَرَ[1] سنةَ اثنتين ومائة ، وشرع أَصحاب ابنالمهلَّبِ يتسلَّلون من حوله ، وبقيت معه جماعة ، فقاتل حتَّى قُتِل هو وأَخوه محمد بن المهلَّب ، وجماعةٌ من أَهله .

ثابت قطنة وثابت قطنة هو (كما فى الأَغانى) ثابت بن كعب ، وقيل : ابن عبد الرحمن بن كعب ، ويكنى أَبا العلاء ، أَخو بنى أَسد بن الحارث ابن العَتيك . وقيل بل هو مولًى لهم.ولقِّب قطنة لأَنَّ سهماً أَصاب إحدى عينيه فذهبَ بها فى بعضِ حروب التُّرك ، فكان يحشوها قُطنة . وهو شاعرٌ فارسٌ شجاع ، من شعراءِ الدَّولة الأُمويَّة . وكان من أَصحاب

(١) يقول النحاة إن رجب وصفر يمتنعان من الصرف إن أريد بهما معين . انظر يس على التصريح ٢ : ١٢٥ .

يزيدَ بن المهلَّب ، وكان يولِّيه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيُحمَدُ فيها مكانُهُ ، لكفايته[1] وشجاعته . وكان ولِيَ عملاً من أعمال خُراسان ، فلمَّا صعِد المنبر يَومَ الجُمعة رامَ الكلامَ فتعذَّر عليه وحَصِرَ، فقال : « سيجعل اللهُ بعدَ عُسْرٍ يُسرًا ، وبعد عِيٍّ بياناً ، وأنتم إلى أميرٍ فعَّالٍ، أحوجُ منكم إلى أمير قَوَّال .

وإلاَّ أكنْ فيكم خطيباً فإنَّنى بسيفى إذا جدَّ الوغَى لَخطيبُ[2] »

فبلغت كلماتُه خالدَ بن صفوانَ ، وقيل الأحنف بن قيس، فقال : والله ما علا المنبرَ أخطبُ منه فى كلماتِه هذه ، ولو أنَّ كلاماً استخفَّنى فأخرجنى من بلادى إلى قائله ، استحساناً له ، لأخرجَتْنى هذه الكلماتُ[3] .

ورُوى عن دِعبل بن على قال : كان يزيد بن المهلب تقدَّم إلى ثابت قطنة أنْ يصلِّىَ بالناس يَومَ الجمعة ، فلمَّا صعِدَ المنبر ولم يُطِق الكلامَ قال حاجبٌ الملقَّب بالفِيل ، ابن ذبيان المازنى[4] :

(١) فى الأغانى ١٣ : ٤٧ : « لكتابته » ، وما هنا صوابه .

(٢) فى الشعراء ٦٣٠ أن يزيد بن المهلب استعمله على بعض كور خراسان ، فلما علا المنبر حصر فلم ينطق حتّى نزل ، فلما دخل عليه الناس قال :

فإلا أكن فيكم خطيباً فإننى بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

فقالوا : لو كنت قلت هذا البيت على المنبر كنت أخطب الناس . ونحو هذه الرواية فى العقد ٤ : ١٤٧ — ١٤٨ . لكن ذكر أن الخطبة كانت بسجستان ، وانظر أمالى المرتضى ٢ : ١٠٥ . والذى فى الطبرى ٧ : ٣٨ أنه خطب أهل خراسان فحصر فقال: « من يطع الله ورسوله فقد ضل ! » . وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال :

إن لم أكن فيكم خطيباً فإننى بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

فقيل له : لو قلت هذا على المنبر لكنت خطيباً .

هذا إلى أن الخطبة التى رواها البغدادى عن أبى الفرج ، منسوبة إلى يزيد بن أبى سفيان فى الكامل ٥٧ والعقد ٤ : ١٤٧ قالها حين ولاه أبو بكر الصديق ربعاً من أرباع الشام . وهى أيضا منسوبة إلى عثمان بن عفان فى أمالى المرتضى ٢ : ١٠٣ والبيان ١ : ٣٤٤ .

(٣) فى العقد : « فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه » ، يعنى كلام يزيد بن أبى سفيان : وكذلك أيضاً فى الكامل : « فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال : هن مخرجاتى من الشام ، استحسانا لكلامه » .

(٤) وكذا فى الأغانى ، وصوابه « بن دينار » ، كما فى الحيوان ١ : ١٩١ والبيان ٢ : ١٨٣ .

أبا العلاءِ لقد لُقِّيتَ معْضِلةً يومَ العَرُوبة من كَربٍ وتحنيقِ [١]
أمَّا القُرَانُ فلم تُخلَقْ لمحكَمِهِ ولم تُسدَّد من الدُّنيا لتوفيقِ [٢]
لمَّا رَمتْكَ عيونُ النَّاس هِبتَهمُ فكِدتَ تشرَقُ لَمَّا قُمْتَ بالرِّيقِ [٣]
تَلوِى اللِّسانَ وقد رُمْتَ الكلامَ به كما هوى زَلِقٌ من شاهِق النِّيقِ [٤]

ومن هَجْوِه فيه :

لا يعرفُ النَّاسُ منه غيرَ قُطنتهِ وما سِواها من الأَنسابِ مجهـولُ

قال دِعْبِل : بلغنى أنَّ ثابت قطنة قال هذا البيت فى نفْسِه ، وخطر بباله يوماً فقال :

لا يعرف الناس منه غير قُطنته ... ... البيت

وقال : هذا بيتٌ سوف أُهجَى به . وأنشدَه جماعةً من أصحابه وأهل الروايةِ وقال : : اشهَدوا إنِّى قائلُه . فقالوا : ويحك ما أردت أن تهجوَ
١٨٦ نفسك به ؟ ! ولو بالغ عدوُّك ما زاد على هذا . فقال : لابد من أنْ يقع على خاطر غيرى فأكونُ قد سبقتُه إليه فلما هجاه به حاجبُ الفيلُ استشهَدَهم على أنّه هو قائله . فشهدوا على ذلك ، فقال يردُّ على حاجب :

هيهات ذلك بيتٌ قد سُبِقْتَ به فاطلبْ له ثانياً يا حاجبُ الفيلُ

قال أبو الفرج الأصبهانى : نسخت من كتابٍ بخط المُرْهِبىّ الكوفى (فى شعر ثابت قطنة) قال : لمّا ولِىَ سعيدُ بن عبد العزيز بن الحارث

---

(١) الأبيات فى الشعراء ٦٣٠ والطبرى ٧ : ٣٨ وأمالى المرتضى ٢ : ١٠٥ . المرتضى : « لقد لاقيت » . و«تحنيق» كذا وردت بالأغانى وأمالى المرتضى. وفى سائر المراجع : « تخنيق » بالخاء المعجمة .

(٢) المرتضى : « فلا تهدى لمحكمه » . وفى الطبرى :

أما القران فلا تهدى لمحكمه من القران ولا تهدى لتوفيق

(٣) الطبرى :

لما رمتك عيون الناس ضاحية أنشأت تجرض لما قمت بالريق

(٤) الطبرى والمرتضى : « إذا رمت الكلام به » . والنيق : بالكسر : أرفع موضع فى الجبل .

ابن الحكَم بن أَبي العاص بن أُميّة خراسان، بعد عَزْل عبد الرحمن بن نُعيم ، جلسَ يَعرض النَّاس . وعنده حُميدٌ الرُّؤَاسى ، وعُبادة المحاربى ، فلمَّا دعا بثابت قطنة تقدَّم ، وكان تامَّ السِّلاح جوادَ الفَرَس ، فارساً من الفُرسان ، فسأَل عنه فقيل : هذا ثابت قُطنة ، وهو أَحد فُرسان الثُّغور . فأَمضاهُ وأَجاز على اسمه . فلمَّا انصرفَ قال له حُميد، وعُبادة : هذا أَصلَحكَ الله الذى يقول :

إِنَّا لضَرَّابونَ فى حَمَسِ الوغَى ... رَأْسَ الخليفة إن أَرادَ صدودا

فقال سعيد : علىَّ به . فردُّوه وهو يريد قتله ، فقال له : أَنت القائل : « إنا لضَرَّابون » البيت ؟ فقال : نعم أَنا القائل :

إنّا لضَرَّابُون فى حَمَس الوغَى ... رأْسَ المتوَّجِ إن أَرادَ صُدودا
عن طاعةِ الرَّحمن أَو خُلفائِه ... إن رام إفساداً وكَرَّ عُنُودا

فقال سعيد : أَولَى لك ، لولا أَنَّك خرجتَ منها لضربتُ عنقُك .

وروى الأَصبهانى بسنده إلى أَبى عُبيدة قال : كان ثابت قطنة قد جالس قوماً من الشُّراة وقوماً من المُرْجئة، كانوا يجتمعون فيتجادلون بخراسان ، فمال إلى قول المرجئة وأَحبَّه ، فلما اجتمعوا بعد ذلك أَنشدهم قصيدةً قالها فى الإِرجاء :

يا هند إنى أَظنُّ العيشَ قد نَفِدَا ... ولا أَرى الأَمر إلاَّ مُدبِراً نَكِدَا
إنِّى رهينةُ يومٍ لستُ سابقَه ... إلاَّ يكن يومنا هذا فقد أَفِدا
بايعت ربِّىَ بيعاً إنْ وفَيتُ به ... جاورْتُ قبلى كراماً جاورُوا أُحدا(١)
يا هند فاستمعى لى إنَّ سيرتنا ... أَنْ نعبد الله لم نُشرِكْ به أَحدا
نُرْجِى الأُمورَ إذا كانت مشبَّهةً ... ونصدُقُ القولَ فيمن جارَ أَو عَنَدا
المسلمون على الإِسلام كُلُّهُمُ ... والمشركون استوَوا فى دينهم قِدَدَا(٢)

(١) فى الأغانى : « قتلى كراما » يشير إلى قتلى أحد وشهدائها .
(٢) ط : « أشتوا دينهم » ش : « أشتروا دينهم » ، صوابهما من الأغانى ١٣ : ٥٠ .

ولا أرى أنَّ ذنباً بالغٌ أحَـداً م ِ الناسِ شِركاً إذا ماوحَّدُوا الصَّمَدا
لا نَسفِكُ الدَّمَ إلاَّ أَنْ يُراد بنا سَفكُ الدماءِ طريقاً واحداً جَدَدا(١)
من يتَّقِ اللهَ فى الدُّنيـا فإنَّ له أجرَ التقيِّ إذا وفَّى الحِسابَ غدا
وما قضى اللهُ من أمرٍ فليس له ردٌّ وما يَقْضِ من شىءٍ يكنْ رَشَدا
كلُّ الخوارج مُخْطِئٌ فى مقالتـه ولو تعبَّد فيما قال واجتهـدا
أمَّا علىٌّ وعثمـانُ فإنَّهمـا عَبـدان لم يُشرِكا باللهِ مذ عَبَدا
١٨٧ وكان بينهما شَغْبٌ وقـد شَهِدا شَقَّ العصـا وبعَيْن اللهِ ما شَهِدا
يُجزَى علىٌّ وعثمانٌ بسَعْيهما ولستُ أدرى بحقٍّ أيَّةً وَرَدا
اللهُ يعـلم ماذا يحضُـران به وكلُّ عبـدٍ سَيَلْقى اللهُ مُنفردا

وأطال الأصبهانى ترجمته ، وفيما أوردنا كفاية .

* * *

وأنشده بعده :

(يارَبَّ هَيْجَا هى خيرٌ من دَعَه)

وتقدم شرحُه قبل بيتين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد السبعمائة(٢) :

٧٩٩ (رُبَّما ضَرْبةٍ بسَيفٍ صَقيلٍ بَيْنَ بُصْرَى وطَعْنةٍ نَجْلاءِ)

على أنَّ ما المتَّصلة بربَّ فيه زائدة لا كافَّة ، ولذا عملتْ رُبَّ الجرَّ فى ضربةٍ .

---

(١) الجدد ، بفتحتين : الأرض الصلبة ، وقيل المستوية . وفى المثل : « من سلك الجدد أمن العثار » .

(٢) معجم المرزبانى ٢٥٢ والأزهية ٨٠ ، ٩٤ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ وحماسة ابن الشجرى ٥١ والمغنى ١٣٧ ، ٣١٢ والعينى ٣ : ٣٤٢ والهمع ٢ : ٣٨ والتصريح ٢ : ٢١ والأشمونى ٢ : ٢٣١ والأصمعيات ١٥٢ .

ومن العجائب قولُ العينى : كلمة ربَّ دخلت عليها ما الكافّة ، ولكنَّ ما كفَّتها عن العمل ههنا ، ولهذا جَرّت ضربة . انتهى .

وقوله : (بسيفٍ) متعلّق بضربة . (صَقيل) بمعنى مصقول ، أى مجلوٍّ ، صفة لسيف . و(طعنةٍ) بالجر معطوف على ضربة . و (نجلاء) بالنون والجيم . والنجلاءُ : الواسعة البيِّنة الاتِّساع ، من قولهم : عينٌ نَجْلاءُ ، أى واسعة . وهى صفة طعنة ، وجرَّها بالكسرة للضَّرورة . وقوله : (بين بُصرَى) ظرف متعلّق بضربة ، ويقدَّر مثله لطعنة . و (بُصرَى) بضم الموحَّدة وسكون الصاد المهملة والقصر : بلدٌ قربَ الشَّام هى كرسىُّ حَوْران ، كان يقوم فيها سوقٌ للجاهليَّة . وقد قدِمَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرَّتين : مرَّةً مع عمِّه أبى طالب ، وأُخرى فى تجارة لسيِّدتنا خديجة أمِّ المؤمنين رضى الله عنها . وإنَّما صحَّ إضافة بينَ إلى بُصرى لاشتمالها على متعددٍ من الأَمكنة ، أى بين أماكن بُصرى ونواحيها .

وروى الشريف الحُسَينى (فى حماسته): « دُونَ بُصَرى » . ودون هنا بمعنى قَبْلَ ، أو بمعنى خَلْف . وقال العينى : بمعنى عند .

صاحب الشاهد — والبيت أوّل أبياتٍ ستٍّ لعدىٍّ بن الرَّعلاء الغسَّانى ، أوردها الأَعلم والشريف الحسينى (فى حماستيهما) . وبعده :

أبيات الشاهد

(وغَموسٍ تَضِلُّ فيها يدُ الآ ... سِى وَيَعْيَا طبيبُها بالدَّوَاء
رفَعوا رايةَ الضِّرابِ وأَعلَوْا ... لا يذودُونَ سامرَ المَلْحاء
فصَبَرنا النُّفُوسَ للطَّعن حتَّى ... جَرَت الخيلُ بينَنا فى الدِّماء
ليس مَنْ مات فاستراح بمَيْتٍ ... إنَّما المَيْتُ ميِّتُ الأَحياء
إنَّما المَيْتُ من يعيشُ كئيباً ... كاسفاً بالُه قليلَ الرَّخاء[٢]

(١) فى حماسة ابن الشجرى والأصمعيات : « وآلوا ليذودن سائر البطحاء » .
(٢) كذا فى نص البيت وشرحه وهو يطابق ما فى معجم المرزبانى ٢٥٢ . والمعروف : « قليل الرجاء » .

وقوله: « وغَموس » بالجرّ عطف على نجلاء ، يقال طعنة غموسٌ : نافذة . وقوله: « تضلُّ فيها » إلخ صفةٌ كاشفة لغَموس ، أشار به إلى سَعَة الطعنة وبُعْدِ غَوْرِها . والآسى : المُعالج الجِراح . ويَعيا ، من عَيِيَ بالأمر ، من باب تعِب : عَجَز عنه ولم يهتدِ لوجهه . وفيه إشارةٌ إلى إصابة الطعنةِ المقْتَلَ واليأْسِ من علاجها .

وقوله: « رفعوا رايةَ الضِّراب » إلخ الراية : علَمَ الجيش ، قيل أصلُها الهمز ، لكنَّ العرب آثرت تركه تخفيفاً . وقد أُنكِرَ هذا القولُ بأنَّه لم يُسمع الهمزُ أصْلاً . والضِّراب : مصدر ضاربه بالسَّيف وغيره مضاربةً وضِراباً . وقوله: « وأعْلَوْا » معطوف على رفَعوا ، وإنَّما رفعوا الراية وأعلَوْها تأْكيداً للضِّراب وتشديداً . ويذودون : يطرُدون ويَمنعون . والسامر: اسمُ جمع بمعنى السُّمَّار ، وهم القوم يتحدَّثون باللَّيل . والمَلْحاءُ ، بفتح الميم والحاء المهملة : موضعٌ يَدفع فيه وادى ذى الحُلَيفة . كذا قال البكرى (فى المعجم[1]) . وهذا المصراع هو معنى قوله : « رفعوا راية الضِّراب » . ١٨٨

وقوله: « فصبَرْنا النُّفوسَ » أى حبسناها .

وقوله: « إنَّما المَيْتُ » إلخ المَيْت بسكون الياء: مخفف ميِّت بتشديدها . وفَرقَ بعضهُم بأنَّ الأوّل مَنْ وقعَ عليه الموت ، والثانى هو الحيُّ الذى سيموت . وقد ضمَّن البحترىُّ هذا البيت فى أمردَ طلعت لحيتهُ ، فقال :

يا قتيلاً باللِّحيـة السـوداء آفةُ المُردِ فى خُروجِ اللِّحاء[2]

---

(١) وفى اللسان (ملح ٤٤٥) أن الملحاء كتيبة كانت لآل المنذر . وفيه أيضا أن الملحاء والشهباء كتيبتان كانتا لأهل جفنة .

(٢) فى ديوان البحترى ٨ هندية و ١ : ٤٩ صيرفى : « للحية السوداء » على أن سواد لحيته قضى على جماله بعد أن كان أمرد بضاً . وأصل اللحاء : قشر الشجرة ، كنى بها عن اللحى . وبين هذا البيت وتاليه فى الديوان :

آجر الله عاشقيك فقد مـ ت وعريت من ثياب البهاء

شاهدى فى ادِّعاء موتِكَ بيتٌ قاله شاعرٌ من الشُّعراء [١]
ليس مَنْ مَات فَاسْتَرَاحَ بميْتٍ إنَّمــا الميْتُ ميِّتُ الأَحيــاء

والكئيب : الحزين . وكاسفاً وقليلاً[٢] منصوبان ، من كسفَت حالُ الرَّجل ، من باب ضرب ، إذا ساءت . والبال : الحال فاعل كاسفاً . والرَّخاءُ بالخاء المعجمة : اسمٌ من رخِيَ العيشُ ورَخُو ، من بابَي تعب وقرب ، إذا اتَّسع ، فهو رخيٌّ على فعيل [٣] .

وهذا البيت أَورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ الحال قد يتوقَّف معنى الكلام عليها كما هنا ، فإنَّ كئيباً حال ولا معنى لمَا قبله بدونه .

وهذه الأَبياتُ من قصيدةٍ أَوردَا [٤] منها هذا المقدار .

وبعد السادس :

(فأُناسٌ يُمصِّصــون عِشارًا وأُناسٌ حُلوقُهم فى الماءِ [٥])

ومنهـــا :

(كَمْ تركنا مِنكُمْ بعينِ أُباغٍ مِن مُلوكٍ وسُوقةٍ أَلقاءِ [٦]
فرَّقَتْ بينهمْ وبين نَعيمٍ ضَربةٌ فى صفيحةٍ نجــلاءِ [٧])

والعِشار : جمعُ عُشَراء ، وهى النَّاقة . وأُباغ بضم الهمزة وفتحها بعدها

---

(١) فى الديوان : « فى بيان موتك بيت » .

(٢) ط : « وقليل » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) سبق التنبيه على أن الرواية المعروفة : « قليل الرجاء » .

(٤) يعنى كلا من الأعلم الشنتمرى والشريف الحسينى المعروف بابن الشجرى .

(٥) فى معجم المرزبانى : « يمصصون ثمادا » . والثماد كالثمد بالفتح ، والثمد بالتحريك : الماء القليل . صور بذلك تباين الحظوظ وتخالف الجدود . فهى الرواية الجيدة .

(٦) ط : « كم تركناكم » ، صوابه فى ش . والألقاء : جمع لقى كفتى ، وهو الشىء الملقى . وفى معجم المرزبانى : « ألفاء » بالفاء : جمع لفى بوزن لقًى أيضاً ، وهو الشىء المطروح .

(٧) فى معجم المرزبانى : « ضربة من صفيحة » ، والصفيحة : إحدى صفائح الرأس ، وهى قبائله ، وهذا المعنى يتجه مع رواية الخزانة . كما تتجه الرواية الأخرى بتفسير الصفيحة بأنها السيف العريض .

موحَّدة ثم غين : موضع بطرف الشام . وهنالك أوقعَ الحارثُ الغسَّانى الحرَّاب، وهو يَدِين لقَيْصر ، بالمنذر بن المنذر وبعرب العراق، وهم يدينون لكسرى ، وقُتِل المنذرُ يومئذٍ ، قتله شَمِر بن عمرو من بنى حنيفة . كذا فى المعجم للبكرى .

عدى بن الرعلاء وعدِىٌّ بن الرَّعلاءِ شاعرٌ جاهلى . والرَّعلاءُ اسمُ أُمِّه اشتَهر بها . وهى بفتح الراء وسكون العين المهملتين بعدها لامٌ فألف ممدودة . كذا ضبطه العسكرى (فى كتاب التصحيف[1]) .

* * *

وأنشد بعده :

(ماوىَّ يا رُبَّتَما غارَةٍ)

وتقدّم شرحه قريباً[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للثمانمائة[3] :

٨٠٠ (رُبَّما الجاملُ المؤبَّلُ فيهمْ وعَنَاجيجُ بينهنَّ المِهَـارُ)

على أنَّ رُبَّ المكفوفة بما لا تدخل على الفعل عند سيبويه . وهذا البيت شاذٌّ عنده لدخول ربَّ المكفوفة فيه على الجملة الاسمية ، فإنَّ

١٨٩ الجامل مبتدأٌ ، والمؤبَّل صفته ، وفيهم هو الخبر. وتكون ربَّ كما قال أبو حيان من حروف الابتداء تدخل على الجمل فعليةً كانت أو اسميّة للقصد إلى تقليل النِّسبة المفهومة من الجملة. فإذا قلت : ربَّما قام زيد، كأنّك قلَّلت النسبة المفهومة من قيام زيد. وكذلك إذا قُلت: ربَّما زيد

(١) كتاب التصحيف ١٠ والنص فيه محرف فليصحح .

(٢) هو الشاهد ٧٦٠ فى هذا الجزء . وقد أعاده قبل الشاهد ٧٦٠ . وتمامه :

* شعواء كاللذعة بالميسم *

(٣) الأزهية ٩٣ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ ورصف المبانى ١٩٣ ، ٣١٨ والمغنى ١٣٧ ، ٣١٠ والعينى ٣ : ٣٢٨ والتصريح ٢ : ٢٢ والهمع ٢ : ٢٦ ، ٣٨ والأشمونى ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣٢ وديوان أبى دواد ٣١٦ .

شاعر، قلَّلت نسبة شعر زيد. ونقل التِّبريزى عن المصنف (فى شرح هذه المقدمة) أنّ ربَّ المكفوفة نُقلت من معنى التقليل إلى معنى التحقيق، كما نُقلت قد الداخلة على المضارع فى نحو قوله تعالى: ﴿ قد يَعْلَمُ مَا أَنتُم عليه[1] ﴾ من معنى التقليل إلى معنى التحقيق. ودخولُها على الجملة الاسميَّة مذهبُ المبرِّد والزمخشرىِّ، وابن مالك. قال (فى التسهيل): وإنْ ولىَ ربَّما اسمٌ مرفوعٌ فهو مبتدأٌ بعده خبرٌ، لا خبر مبتدإٍ محذوف. وما نكرةٌ موصوفة، خلافاً لأَبى علىّ. انتهى.

فما عند أَبى علىّ بمعنى شىء، والجامل خبر مبتدإٍ محذوف، أى هو الجامل، والجملة الاسمية صفة له، فيكون كقوله:

يا رُبَّ هَيْجا هى خيرٌ من دَعَه[2]

وقد تُطَلق على ذَوِى العلم. حكى أبو زيد: «سبحانَ ما سخَّركُنَّ لنا» وقال تعالى: ﴿ والسَّماء وما بَناها[3] ﴾. وقال الشاعر[4]:

* ربَّما ظاعنٌ بها ومُقِيمُ[5] *

أى ربَّ إنسانٍ هو ظاعن بقلبهِ مع أَحبَّته الذين ظعنوا عن بلدته. قال المرادى (فى شرح التسهيل): وخرَّجه ابن عصفورٍ على تخريج أَبى علىّ. ونسبه بعضُهم إلى الجمهور، قال: وهو الصحيح، إذْ لو كان ما اختاره المصنِّف [لسُمِعَ[6]] من كلامهم: رُبَّما زيدٌ قائم، بتصريح المبتدإ والخبر. ولم يُسمَع ذلك فيما أعلم. انتهى.

(١) الآية ٦٤ من سورة النور.
(٢) للبيد. وهو الشاهد ٧٩٦.
(٣) الآية ٥ من سورة الشمس.
(٤) هو أبو دواد. ديوانه ٣٤٢ ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٠.
(٥) صدره: * سالكات سبيل قفرة بدى *
وبدى على وزن فعلى: موضع بالبادية كما فى معجم البكرى عند إنشاد البيت.
(٦) التكملة من ش.

أقول : قائل هذا أبو حيان .

فإن قلت : أليس الخبر وهو فيهم مصرَّحاً فى البيت فكيف يدَّعى عدم السماع . قلت : له أن يمنعَه بجعله ظرفاً مستقَرًّا على أنه حالٌ من الضمير فى المؤبّل . لكنَّ ما ذهب إليه فاسد ، لأنَّه صحَّح مذهب الفارسى بما أبطله ، لأنَّه هو القائل بأنَّ المرفوع بعد ربَّما خبر مبتدإٍ ، أى ربَّما هو الجامل . فذهب إلى أنَّه لو كان هذا التقدير صحيحاً لسُمِع من كلامهم : ربَّما زيد قائم ، لكن لم يُسمع . فيلزم من هذا أنَّ ما ذهب إليه الفارسىٌّ باطلٌ من إضمار المبتدإ وإظهار الخبر ، إذْ لو جاز لسمع إظهار المبتدإ والخبرِ فى كلامهم . على أنّا نقول : قد يمكن أن يكون فى البيت ما يوجب تصحيح ما يريد إبطاله ، بجعل الجامل مبتدأً وفيهم الخبر ، والجملة صفة لما ، وهى بمعنى ناس ، ولا حذف ، لصحَّة المعنى عليه ، فيكون الجزءان قد سُمعا بعد ربَّما . وهو عينُ ما ادَّعى عدمَ سماعه . والله أعلم .

صاحب الشاهد والبيتِ من قصيدةٍ طويلة عدّتُها ثمانيةٌ وسبعون لأبى دُوَاد الإيادىّ . وهذه أبياتٌ مِن أوَّلها :

تتمة الشاهد (أوحشَتْ من سُروبِ قومىِ تِعارُ ... فأرومٌ فشـابَةٌ فالسِّـتارُ

بعد ما كان سَرْبُ قومىَ حِيناً ... لهمُ الخيلُ كلُّها والبحارُ (١)

فإلى الدُّور فالمَرَوْراةِ منهمْ ... فَجفيرٌ فناعمٌ فالدِّيارُ (٢)

فَقَدَ امستْ ديارُهم بَطْنَ فَلْج ... ومَصِـيرٌ لصَيفِهمْ تِعشـارُ

ربَّما الجـاملُ المؤبَّلُ فيهـم ... وعَنَاجِيجُ بينَهنَّ المِهـارُ

ورجالٌ من الأَقَارب بانُوا ... مِن حُذَاقٍ هم الرءُوسُ الخيارُ

١٩٠ وجَوادٌ جَمُّ النَّـدى ، وضَروبٌ ... برقاقِ الظُّباتِ ، فيـه صَعَـارُ

ذاك دهرٌ مضَى فهـلْ لدهورٍ ... كنَّ فى سالف الزَّمان انكرارُ)

(١) فى الديوان ٣١٦ : « لهم النخل » .

(٢) فى الديوان : « فحفير » بالحاء المهملة .

قال شارحُ ديوانه يعقوبُ بن السكيت : أَوحشت : أَقفرت. وسُروبٌ : جمع سَرْب بفتح فسكون: المال السَّارحُ من إبلٍ وخيل. وتِعارٌ، وأروم، وشابة ، والسِّتار : مواضع ، والأَوَّل بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة . والثانى بفتح الهمزة وضم الراءِ المهملة ، والثالث بالشين المعجمة والباءِ الموحدة ، والرابع بكسر السين المهملة بعدها مثناة فوقيَّة . والبحار: الرِّيف . قال الأَصمعى : وكذلك البُحور : الريف .

وقوله « فإلى الدُّور » إلخ قال شارحه : الدُّور : جُوَب تنجاب فى الرَّمل . وما بعد الدُّورِ فأَسماءُ مواضع ، والأَوَّل بفتح الميم والراء ، والثانى بفتح الجيم وكسر الفاء ، والثالث بالنون وكسر العين المهملة . وفَلْج بفتح الفاءِ وسكون اللام بعدها جيم . وكذلك تِعْشار بكسر المثنَّاة الفوقيَّة وسكون العين المهملة بعدها شين معجمة . قال شارحه : أى يحضُرون فى الصيف تِعشارا[1] .

وقوله : (ربَّما الجامل) إلخ . قال شارحه: الجامل : الجماعة من الإبل ، لا واحد لها من لفظها . ويقال إبلٌ مؤبَّلة إذا كانت للقُنْية . والعناجيج : الخيل الطِّوال الأَعناق ، واحدها عُنجوجٌ. انتهى. فالجامل: اسمُ جمعِ الجَمل ، كالباقر اسم جمعِ البقر . وقال الجوهرىّ : الجامل : القطيع من الإبل مع رُعاته وأَربابه . و (المؤبَّل) : اسم مفعول من أَبَّل الرّجلُ تـأْبيلاً، أَى اتَّخذ الإبل واقتناها. وضمير (فيهم) راجعٌ لقومه إن كانت ما بمعنى شيء أَو كافَّة، ولِمَا[2] ، إن كانت بمعنى ناس . و(عناجيجُ) بالرفع معطوف على الجامل . وجملة (بينهنَّ المِهار) صفة لعناجيج ،

---

(١) ش : « تعشار » .

(٢) أى ولكلمة « ما » . وفى ط : « وأما » ، صوابه فى ش .

فالرابط محذوف أى فيهم . والمِهار: جمع مُهْر ، بكسر الميم فى الجمع وضمِّها فى المفرد ، وهو ولد الفرس ، والأُنثى مُهْرة .

قال أبو حيَّان (فى الارتشاف) : ورواه بعضهم : « ربَّما الجاملِ » بجر الجامل على أنَّه مجرورٌ برُبَّ وما زائدة .

وقوله : « ورجالٌ من الأَقارب » إلخ بانوا : بعُدوا . وحُذاق: مرخَّم حُذاقة فى غير النداء ، وهو بضم المهملة بعدها ذالٌ معجمة وقاف . قال شارحه : حُذاقة : بطنٌ من إياد . ورجالٌ بالرفع معطوف على الجامل ، ومن الأَقارب فى موضع الصفة لرجال ، وبانوا خبر رجال . ومن حُذاق متعلِّق ببانوا .

وقوله : « وجواد » إلخ الجواد : الكريم . وجمُّ النَّدَى: كثير المعروف. والنَّدى : السَّخاءُ ، يقال فلانٌ أندى من فلان كفًّا . والظُّباتُ : جمع ظُبَة ، وهى طرف السَّيف. والصَّعار ، بفتح المهملتين: العَظَمة والخُيَلاءُ . كذا فى شرحه . وجوادٌ معطوف على الجامل ، وجمٌّ نعته ، وضَروبٌ معطوف على جَمّ ، وجملة « فيه صَعَار » خبر جواد .

وقوله « انكرار » قال شارحه : هو انفعال من كرَّ يَكُرُّ .

أبو دواد الإيادى

وأبو دُواد بدالين مهملتين أُولاهما مضمومة ، بعدها واو : شاعر جاهلى . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) قال بعضُهم : اسمه جارية ابن الحجّاج . وقال الأَصمعىّ : هو حَنظلة بن الشَّرْقىّ . وكان فى عَصْر(١) كعب بن مامةَ الإيادىّ، الذى آثَرَ بنصيبه من الماء رفيقَه النَّمَرِىَّ ، فمات عَطشاً ، فضُرب به المثل فى الجُود . ورثاه أبو دُوَادٍ بقصيدةٍ منها :

لا أَعُدُّ الإِقتارَ عُدماً ولكنْ فَقْدُ مَنْ قدْ رُزِئتُه الإِعدامُ

(١) ط : « مصر » ، صوابه فى ش .

مِنْ رجالٍ من الأَقاربِ بادُوا   من حُذاقٍ همُ الرءُوسُ العِظامُ(١)
١٩١ فيهــمُ للمُــلاينين أنـاةٌ   وعُـرامٌ إذا يُراد عُرامُ(٢)
فعلَى إثرهمْ تَساقَطُ نفسِى   حَسَراتٍ، وذكرُهمْ لى سَقَامُ

وكان أجاره بعضُ الملوك فأحسن إليه(٣). فضُرب المثلُ بجار أبي دُوَاد. قال طرَفة:

إنِّى كفانىَ من أمرٍ هممتُ به   جارٌ كجار الحُذاقىِّ الذى انتصفَا(٤)

وهو أحدُ نُعَّاتِ الخيل المجيدين. قال الأصمعى: هم ثلاثة: أبودُوادٍ فى الجاهلية، وطُفَيل، والجَعدىّ. قال: والعربُ لا تَروى شعر أبي دُواد وعدىّ؛ لأنَّ ألفاظهما ليست بنجْديّة.

ويقال: إنَّما أجاره الحارث بن همَّام بن مُرَّة بن ذُهل بن شيبان. وذلك أنَّ قُباذَ سرَّح جيشاً إلى إيادٍ، فيهم الحارث بنُ همّام، فاستجار به قومٌ من إيادٍ فيهم أبو دُواد، فأجارهم. قال قيسُ بنُ زهير ابن جذيمة:

أُطوِّف ما أُطوِّف ثم آوِى   إلى جارٍ كجــار أبي دُوادِ

(١) فى الديوان ٣٣٨ والأصمعيات ١٨٧: «فادوا» بالفاء، بمعنى هلكوا أيضا.
(٢) فى الديوان والأصمعيات: «فهم للملائمين أناة» و «يراد العرام».
(٣) الجار يطلق على من يجير المستجير، كما يطلق على الحليف والناصر أيضاً، وفى اللسان (جور ٢٢٦): «ويقال للذى يستجير بك جار، وللذى يجير جار»، وفى الشعر والشعراء ٢٣٧: «وكان بعض الملوك أخافه، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره فأحسن إليه».
(٤) البيت لم يرد فى ديوان طرفة، وأنشده فى اللسان (وصف) وفى ش: «من هم هممت به»، وما أثبت من ط يوافق ما فى أمثال الميدانى (جار كجار أبي دواد)، والحذاق هو أبو دواد. ورواية اللسان والميدانى: «الذى اتصفا» وفسره ابن منظور بقوله: «أى صار موصوفاً بحسن الجوار»، والميدانى بقوله: «أى صار الجواد، يعنى كعباً». وما عند الميدانى مبنى على رواية أن كعب بن مامة هو الذى أجار أبا دواد.

وقيل للحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن   فَقْدُ مَن قد رُزِئتُه الإعدامُ

الأبيــات .

ويُتَمَثَّل [1] مِن شعره :

أَكلَّ امرئٍ تَحسَبِينَ امرأً   ونارٍ تَحرَّقُ بالليلِ نارا [2]

ومما سَبَق إليه فأُخذ عنه قوله :

نرى جارَنا آمناً وسْطنا   يَرُوح بعَقْـدٍ وثيقِ السَّبَبْ [3]

إذا ما عقَـدْنا له ذِمّةً   شـدَدنا العِنـاجَ وعَقْـدَ الكَرَبْ

أخذَه الحطيئةُ فقال :

قومٌ إذا عَقَدوا عَقْداً لجارهمُ   شدُّوا العِنَاجَ وشدُّوا فوقه الكَرَبا [4]

هذا ما أورده ابنُ قُتيبة [5] .

تم الجزء التاسع من خـزانة الأدب
بتقسيم محققها

(١) ش : « وتمثل » ، بتشديد الثاء المكسورة .

(٢) ديوان أبى دواد ٣٥٣ ومعجم الشواهد .

(٣) ديوان أبى دواد ٢٩٢ .

(٤) ديوان الحطيئة ٧ . والعناج ، ككتاب : خيط أو سير يشد فى أسفل الدلو حتى تتصل إلى أعلى الكرب . والكرب : الحبل الذى يشد على الدلو ، والمراد توثيقهم للعهد وإيفاؤهم به .

(٥) الشعراء ٢٣٧ — ٢٤٠ .

الفهارس

١ — فهرس التراجم

٢ ـ فهرس الشواهد

(الجـــوازم)

(أفعال المقاربـة)

(أفعال المدح والذم)

(حروف الجـــر)

رقم الإيداع : ١٩٨٢/٣٣٠٩